العربي

عدد ممتاز

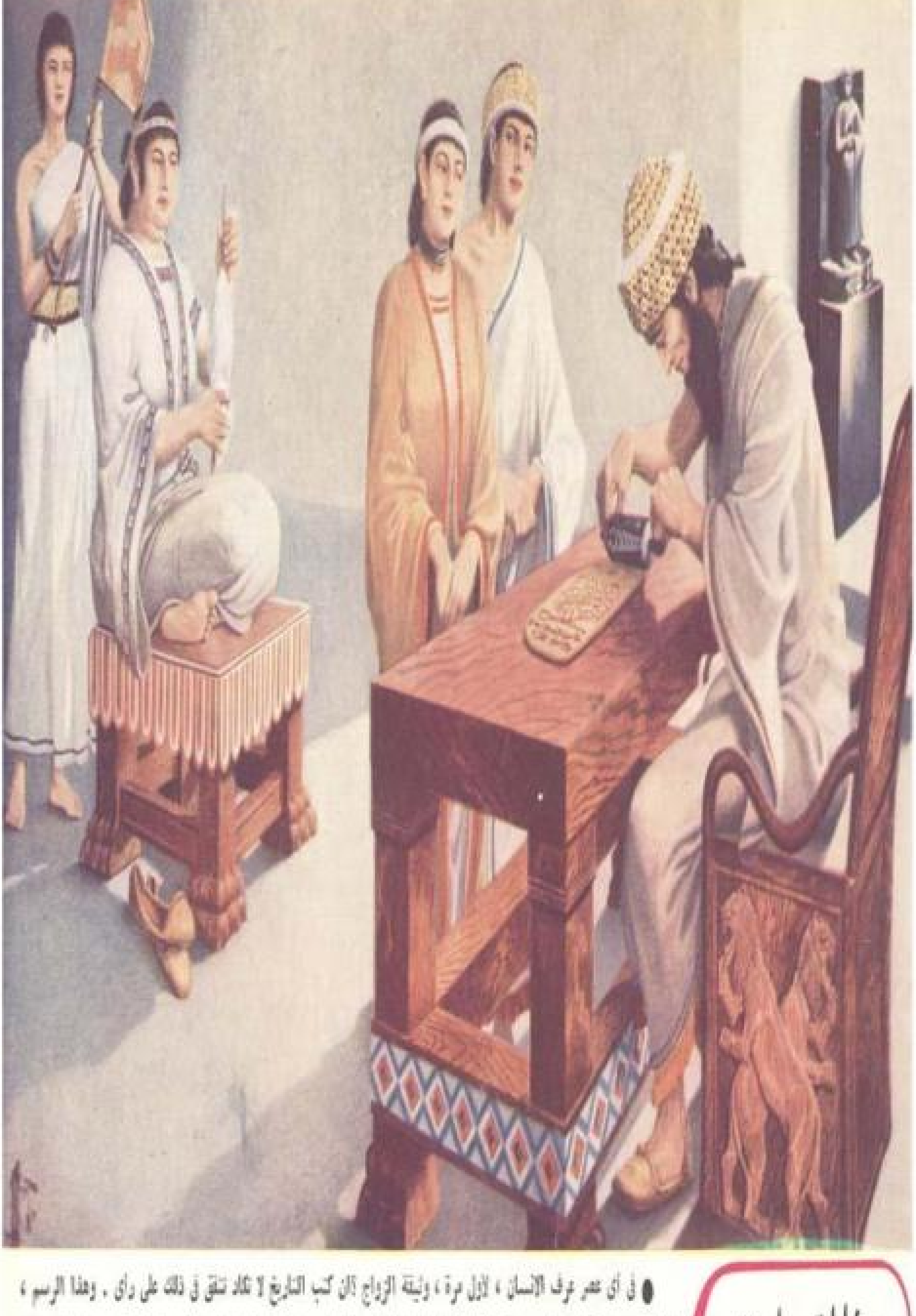
شعبان ١٣٨٣
يناير (كانون الثاني) ١٩٦٤
العدد ٦٢



داخل هذا

خريطة العالم

هدية منفصلة



حضارات سادت ثم بادت

● فى أى عصر عرف الإنسان ، لأول مرة ، وثيقة الزواج ؟ إن كتب التاريخ لا تكاد تتفق فى ذلك على رأى . وهذا الرسم ، يمثل توقيع وثيقة زواج منذ ٤٠٠٠ سنة فى الأجاشا ببلاد ما بين النهرين ، اعتمادا على بعض الكشوف الأثرية . وترى العروسين واقفين بينما والد العروس ـ وهو طبيب الملك ـ يمهر الوثيقة بخاتمه الذى يحمل رسم ثعبانين متعانقين اتخذ فيما بعد شعارا عالميا للطب . وجلست والدة العروس وبيدها مغزل ، وخلفها وصيفتها . وهذا الرسم أعدته الجمعية الجغرافية القومية The National Geographic Society ضمن مجموعة فنانى الرسوم لحضارات سادت ثم بادت ، ستنشر بعضها تباعا .

السيد فيصل عبد الله حمد

عزيزى القارىء

طلبت أسواق الوطن العربي

110,000 نسخة

من هذا العدد الممتاز

مع تحياتى

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام:

استطلاعات صحفية مصورة:

عـروبة:

ذرة وفضاء:

طب وعلـوم

تاريخ وتاريخ اشخاص:

شعر .. وشعراء:

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 62 January 1964 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٣٩٤١١ ــ تلغرافيا «العربى»

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

خريطة العالـم ، فضلناها كبيرة ، لهـذا لزم قسمتها نصفين ، نصف مع هذا العدد ، والنصف الآخر مع عـدد أول فبراير .

ويأتي بعد ذلك فهرس « العربي »
من السنة الأولى الى نهاية السنة الخامسة (الأعداد ١ ـ ٦١)

ثمن العدد

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ روبية	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ فرنك
		سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ فرنك
اليمن	٢٫٥ شلن	ج٠ع٠م٠	١٠ قروش	المغرب	٢٠٠ فرنك

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



«الكازار» غير مسجد قرطبة !

● انى من قراء « العربى » .. منذ ولادتها ومن المعجبين بها والمقدرين للجهود التى تبذلونهـا لتغذيتها بكل نافع ودسم ولذيذ . لقد جعلتمونها ، منذ البداية ، ينبوعا خيرا يستقى منه العربى فى كل مكان ، الطفل والشاب والكهل والشيخ على حد سواء ، حتى أصبحت الزاد الروحي الذى كنا متعطشين اليه ، والمجلة العلمية والثقافية والانسانية المثلى التى تضاهى أفضل المجلات العالمية وارقاها .

اقمت فى مدريد زهاء عامين واسعدنى كثيرا ان ادرس عن كثب آثار العرب فى اسبانيا ، وان ألمس الزهم المحمود لا فى الارض الأسبانية فحسب بل وفى الشعب الأسبانى النبيل ، فى طبعه ولغته ايضا . وامس اطلعت على مقال للأستاذ انيس الخورى المقدسي فى عدد تشرين الثانى : «جولة فى الفردوس المفقود : الأندلس» واسترعى انتباهى خطأ غريب فيه . فالمقطع المنشور على الصفحة (٣٦) معنون هكذا : « جامع قرطبة الشهير »فقد ظننت باديء الأمر ان تبويب المقطع على الشكل الذى ظهر فيه خطأ مطبعى بسيط ، وان المقصود هو : « الكازار وجامع قرطبة الشهير » . ولكن الكاتب كرر الخطأ فى بحثه اذ قال : « زرت فى قرطبة من آثار العرب جامعها الشهير (الكازار) اى القصر وهو عظيم جدا الخ ..

فارجو يا سيدى التنبيه الى انه لا توجد لأى قصر من قصور اسبانيا الأثرية العربية منها وغير العربية أية علاقة بمسجد قرطبة الفريد ، الذى اطلق الأسبان عليه منذ بدء تشييده فى القرن الثانى اسما عربى الأصل وهو : Mezquita اى « المسجد » وهو معروف بهذا الاسم فى كتب السياحة والتاريخ وتسميته هذه شائعة منذ القديم فى بلاد العرب على كل شفة ولسان .

ان فى قرطبة وضواحيها قصورا وقلاعا ، اثرية عربية الأصل متعددة ، منها « قلعة القصر الجميل » المعروفة تحت اسم Castilla De Bet - Aleazar ، والقصر الجديد اى Aleazar Neura ، الذى أصبح فى الوقت الحاضر سجنا ، والقصر العتيق Aleazar Vilga الذى اطلق اسمه على حي باكمله بالقرب من المسجد الخالد ، الخ .. الخ .. ولا يوجد اى ارتباط فني او تاريخى اطلاقا بين تلك القصور والقلاع وبين مسجد امراء بني امية وخلفائهم فى قرطبة .

ارجو معذرتى ان اطلت انما الحرص على بيان الحقيقة التاريخية من جهة ، والخوف من التباس الأمر على القراء من جهة ثانية ، قد دفعانى لرجاء القائمين على مجلتنا الغالية بالتصحيح .

دمشق سلمى الحفار الكزبرى

الربا الذى حرمه وأرباح الأموال المودعة فى

● قرات ما نشرته « العربى » بالعدد ٥٩ منسوبا لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر فى موضوع الربا وفوائد راس المال المودع فى المصارف وصناديق التوفير ، وفيه « ان المحتاج يجوز له الاقتراض بالربا ، وان المزارعين تشتد حاجتهم فى زراعتهم وانتاجهم الى ما يهيئون به الأرض والزراعة » . ولست أجد حرجا فى الاختلاف فى الراى مع استاذنا الأكبر ، اطال الله بقاءه ونفع المسلمين بعلومه ، فقد تعلمنا منه نقد آراء بعض الفقهاء السابقين الذين يذهبون بعيدا عن النص . فنحن نسلم ان المحتاج المضطر يجوز له الاقتراض بالرباء ولكن ماهى درجة الحاجة ومدى الاضطرار ؟ لو اننا بحثنا فى السنة المطهرة لوجدنا ان رسول الله قد حدد وعين درجة الاضطرار التى تبيح المحرم ، فقد قيل لرسول الله : « انا نكون فى

فائز يتبرع بجائزته ليمسح بها آلام المحتاجين

● وصلتني اشارة من وزارة الارشاد والانباءبالكويت بفوزي باحدى جوائز مسابقة « العربي » العدد ٥٢ فشكرا لما تفضلتم بهمن اهتمام بالفائزين، ويسعدني أن أتبرع بقيمة جائزتي لمن هو أحق بها وأولى . فامسحوا بها دموع بائس أو اطعموابها جوعان أو اخوة عرب لنا في العراء ، اجعلوها مني لهم جائزة أو خففوا بها ألم مرض عضال اناخ بنفس بشرية فاجعلوها مني له دواء ، فاني لاتألم لأنين هؤلاء ويسعدني ان امد لهم يد الرحمة، عن طريق الجوائز . وتلك شفاعة حسنة وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والسلام .

محمد عبد التواب قايد

صفط النور ـ الفشن

خطأ مطبعي

● في مقال الامير مصطفى الشهابي عن المرحوم « محمد كردعلي » المنشور بالعدد ٦٠ من «العربي» ، ورد بالعمود الثاني من صفحة ٢٩ (عمر بن مسعدة) وصحته « عمرو بن مسعدة »، وفي العمود الأول من صفحة ٣٠ (الرسالة العذراءلابن المدير) وصحتها « لابن المدبّر » .

وجاء في حديث الشهر لرئيس التحرير بصفحة ١٠ (أين الهرمان من بنيانه) وصحتها (أين الذي الهرمان من بنيانه) .

وهذه كلها اخطاء مطبعية ما نظنهـا فاتت القارىء اللبيب .

الاســـلام شيء
المصارف وصندوق التوفير شـيء آخـر

الارض تصيبنا المخْمَصة ، فمتى تحل لنا الميتة؟» فقال عليه السلام : « اذا لم تصطبحوا او تغتبقوا أو تجدوا بقلا » . فهل وصلت حال المزارعين الى هذه الدرجة من الحاجة التي تصل الى مرتبة الاضطرار ؟ ما أظن الجواب الا سلبا ونفيا ..

وهل من الاضطرار الذي يُحِل الربا أن تكون للانسان دار ذات أربع غرف فيشتري أرضا واسعة يشيد عليها دارا ذات ثماني غرف مثلا ، ولا يجد المال فيقترض من احد المصارف كما يفعل الكثيرون ؟!

وقد حدثنا التاريخ ان الربا كان مستنكرا في كثير من المجتمعات ، ونص الفلاسفة الاقدمون على تحريمه ، ما قل منه وما كثر ، نهى عنه «سولون» واضع قانون اثينا القديم ، ونهى عنه افلاطون في كتابه « القانون » ، كما نهى عنه ارسطو حين قال : « كيف يُتَصوَّر أن يلد الدرهم والدينار درهما آخر او دينارا آخر ؟ لقد ولدته الطبيعة عقيما ، ويجب أن يبقى كذلك » .

اما اخذ الفوائد على الأموال المودعة في المصارف او صناديق التوفير فهو من الربا المحَرَّم ، وقد نصت على ذلك لجنة الفتوى التابعة للازهـر حيث قالت « ان اخذ فائدة من رأس المال المودع في صندوق التوفير او احد المصارف مُحَرَّم ، من الربا المحَرَّم بالكتاب والسنة والاجماع » ..

ولقد سبق لأستاذ الاكبر ان قرر رأيا يغاير ما نشرته « العربي » منسوبا اليه حيث قال : « ومنهم من يميـل الى اعتباره ضرورة من الضرورات بالنسبة للأمة فقد دخلت بذلك في قاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » ، وهذا ايضا مغالطة ، بينا ان صلاح الامة لا يتوقف على

البقية على صفحة ١٥٠

الحياة ذكرى

٥ شمعات في العيد الخامس لميلاد: العربي

بقلم رئيس التحرير

■ تمضي الأيام ، وتمضي الأشهر والسنون ، وتطوى كلها طياً على ما يجرى فيها من احداث .

والذى كتبته الاقدار ، يتكشف ويمضي ، ثم لا تكون منه الا الذكرى . كالخط الذى يخطه الاصبع فى الماء ، يحرك الماء الساكن قليلا ، ويعرج سطحه المستوى قليلا ، ثم ينبسط سطحه ، صفحة بيضاء ملساء ، ثم كأن الذى كان لم يكن .

وكخط فى الماء ، خط فى الرمل ، حتى تذروه الريح . وما أسرع ما تذرو .

يستثنى من ذلك ما تخطه على الورق الاقلام .

بين الكتابة والكلام

ان القلم نعمة .

وان الورق نعمة .

وان المداد نعمة .

ذلك لان الذى تسطره الاقلام ، بمدادها ، على الاوراق ، يأبى ان تطويه الايام مع احداثها هكذا طياً .

ان الكلام نعمة ، لانه يؤدى الى الاذان السامعة بثمرات العقول . والعقول بلا كلام كالاكمام التى لم تتفتح عن ازهارها بعد ، او كالحقاق المغلقة على الجوهر . واللسان مفتاحها .

ولكن الكلام يفنى . تفنيه الدقيقة التى قيل فيها ، ويقبر الفكر الذى احتواه . والكتابة تبقيه وتحييه ، لا عاما او اعواما ، ولكن قرونا قد تتطاول .

انا بالكتابة استمعنا الى أجدادنا كما لو قد حدثونا وهم بيننا احياء ، واستمعنا الى اجداد اجدادهم . وبالكتابة نزلت الينا ذخائر العقول على القرون . وبالكتابة نورت وتنور زهرات عقولنا لابنائنا والاحفاد ، واحفاد الاحفاد ، ممن سوف لا نرى أبدا . مواريث تهبط من اجيال الى اجيال ، ضن ان يجمع



بينها الزمان ، فجمعتها الكتابة والكتّاب على المائدة الواحدة ، رغم الزمان والمكان .

العيد الخامس لميلاد « العربي »

فنحن اذ نحتفل اليوم بالعيد الخامس لميلاد « العربي » انما نحتفل بتدشين جزء من هذا الميراث المكتوب ، ولننوه بتلك الجهود التي بذلتها فئة كريمة من كتّاب العرب ، لمجلة العرب ، في هذه السنوات الخمس المواضي. تلك الجهود التي سجّلت بعض صور من الثقافة في تلك الحقبة القصيرة من الزمن : صور من الفكر ، وصور من الحياة الحاضرة، او انفعالات انفعل بها من جراء ذلك اصحابها ، وترددت اصداؤها في قرّائهم ، فأوحت اليهم بحياة للغد ، في الوطن العربي ، كيف تكون ، وكيف يجب ان تكون . انهم كتاب لا يكتبون أخبار الزمان واحداثه ، فلهذه الصحف الجارية ، وانما هم يصفون أصداء هذه الأحداث اذ تتردد في قلوب لهم وعقول.

ليس كاحتفال بالعيد الخامس

ولقد سبق ان احتفلنا بميلاد « العربى » الأول ، فالثاني ، فالثالث ، فالرابع ، ولكن احتفالنا بذكرى ميلاده الخامس له شأن غير الذى مضى . ذلك لأن الخمسة هي أصل الأرقام والأعداد.

ان الطفل يعد على اصابعه ، فيقف عند الخمسة ، ثم ينتقل الى اليد الثانية فيقف عند العشرة ، وما العشرة الا خمستان ، او هي يدان .

ووقف الناس عند العشرة فأسموها

عقدا ، ووقفوا عند المائة فسموها قرنا . وطلبوا وقفة اصغر واقصر فكانت الخمسة . اتخذها المخططون مقياسا لخططهم ، واتخذها الناشرون لتوقيت حسابهم . وجعلوا فهارسهم سنوية ، فلما ارادوا تكتيلها جعلوها خمسية .

الفهرس الجامع

وقد اقتدينا بهم ، فجمعنا ما نشر فى « **العربى** » ، فى السنوات الخمس الماضية ، فى فهرس جامع ، وضعناه فى آخر هذا العدد . وصنّفناه تصنيفا . ومنه يرى المتصفح مقدار الجهد الذى بذله كتاب العرب لمجلة العرب ، كم ساعات الى مكاتبهم قعدوا ، وكم ليال سهروا ، وكم كتب قراوا ، وكم منها تزّودوا .

الكتاب صنوف

والكتّاب صنوف . منهم بادىء ، يكتب عفوَ الخاطر ، فهو لهذا يستطيع ان يكتب ما يكتب فى مقهى ، او ملهى ، او عند شاطىء . وهو يكتب كما يتكلم . ومن هؤلاء البادئين من يظلّون بادئين حياتهم . ومن الكتاب من صعدوا سلم الثقافة اولا، وعانوا تحصيلها، وتمرّسوا بفكرها ، وتمرسوا ببحوثها . وهؤلاء لا يكتبون الا فى ركن من اركان مكتبة عامرة، فتخرج كتابتهم تثقل فى الميزان.

واكثر كتاب « **العربى** » من هؤلاء ، وبهذا احتفظت « **العربى** » بمستوى ، لا اقول انه من الرفعة بأرفع مكان ، ولكنى اقول انه مستوى له احترامه ، وله تقديره عند قارئيه .

تقدير القراء : (١٠٠٠٠٠) نسخة

ودليل ذلك اقبال قراء « **العربى** » على قراءته ، وازدياد اعدادهم على السنين .

ان « **العربى** » سلعة ، وليس عليه من بأس ان يكون سلعة تباع وتشترى، كالطعام والشراب وسائر حاجات الحياة، رفيعها والخفيض . وبوصفها سلعة ، نقصد ان نقول انها تباع فى الأسواق الحرة ، يقبل عليها مشكورا من يقبل، ويعرض عنها معذورا من يعرض . ولقد زاد المبيع من « **العربى** » الى ان بلغ فى الأشهر الماضية ٨٠٠٠٠ نسخة او ما فوقها . وهذا رقم فى القياس كبير . وطلبنا من الموزعين ان يمدونا بالأرقام لهذا العدد الممتاز ، عدد أول يناير ،فزاد الذى طلبوه على مائة الف نسخة زيادة كبيرة .

ورأينا ان نقف فى تزويدهم عند ١٠٥٠٠٠ نسخة . وهذا رقم لم تبلغه مجلة شهرية عربية ثقافية قط . ولودِدْنا لو كانت بلغَتْه . فنحن فى هذا الأمر لا نتنفس على احد سبقا . انه سبق فى خير امتنا . انه سبق فى خير العرب .

والقراء صنوف

وكما ان الكتاب صنوف ، فكذلك القراء صنوف .

ولقد ذكرنا ان من الكتاب ، لا سيما البادئين ، من يخطفون فى كتابتهم خطفا. فلهؤلاء القراءُ الخاطفون . والقراءة الخاطفة اصبحت ضرورة من ضرورات هذه الحياة السريعة الخاطفة . وأنا نفسى امارس الخطف فى القراءة، وأنتفع،

ومن ذلك قراءة الأخبار ــ ولو فى صحيفة واحدة ــ كل صباح ، حيثما كنت من بلاد الدنيا .

ولكن « **العربى** » ، والمصنّفات الأخرى من أمثاله ، ليس لقراءتها ، اغلب الظن، الصباحُ ذو الحركة الخاطفة، ولكن لها المساء فى ركن الدار الهادىء . وليس كل قارىء بمستطيع هذا، وليس كل قارىء تعوّد هذا ، ولا هو بصابر عليه. ولست اشك فى ان قراء «**العربى**» قد تعودوه ، فهم قراء استيعاب .

والقرّاء ، بحكم الطبع ، امزجةٌ شتى .

ومن اجل هذا جعلنا ما تضمّنه « **العربىُ** » ، كل شهر ، الوانا شتى .

ان ضوء الشمس الأبيض ينحل عن الوان للطيف شتى ، منها الأحمر والأخضر والأصفر . وكذا الثقافة لها طيفها الذى تنحل اليه . ترى ذلك من الفهرس الذى يتصدر « **العربى** » كل شهر .

الثقافة اليوم : ليست ادبا فحسب

ومن الناس من لم يعرف الثقافة الا ادبا ، ومن لم يعرف من الأدب الا ابا نواس والبحترى والطغرائي. فمزاجه يتجاق مع « **العربى** » اذا لم يجده كله غزلا وهجوا ورثاء . او ان فلانا سرق هذا البيت عن فلان . وحق لهذا ان يتجاق ويتجانف . انه فتى لم يتطور ، او لعله شيخ لم يجار الزمان .

أن العالم الذى الفه هؤلاء الناس قد مات ، وظلوا هم بعده احياء . او لعلها البيئة هي التى ظلت حية ، متخلفة من عالم مات وفات . والعالم الذى نحن فيه لا زال للأدب فيه لا شك موضع خطير ، مع فارق : ان معالجته تغيرت تغيرا كبيرا . ثم انه أصبح لا يَفرض نفسه فرضا على الثقافة فيملأ صفحاتها جميعا .

وانا لا اتحدث هنا عن بلد بذاته ، عربى أو غير عربي ، ولكنى اتحدث عن الدنيا العريضة الواسعة بشتى ثقافاتها، وعلى اختلاف مدنياتها، وتباين اساليبها لبلوغ حياة افضل .

عشرات اخرى من علوم وفنون

لقد ظهر ، الى جانب الأدب ، عشرات اخرى من العلوم والفنون ، لا بد ان يستقى منها الانسان النامي ليكون فى هذا العصر مثقفا . ان الثقافة حاجة الزمان ، لا عبثُ الزمان ومَسْلاته .

والعلم ، صفة هذا الزمان

ومن تلك الفنون التى زاحمت الأدب، فزحمته ، العلم، بل العلوم ، فهي افانين شتى . وتقدمت صفوف العلوم في المدارس ، وتراجعت صفوف الآداب ، فلكل صف من ادب ، خمسة أو ستة من علوم ، ذلك استعدادا للغد الذى اشرق على الشعوب بعلومه ، خاصتهم والعامة. وحتى الصبية ، فى الشعوب المتقدمة ، حصيلتهم من علم أضعاف حصيلتهم من آداب . وهم يحصلونها فى بيت ، وفى غيط ، وفى كل سبيل . ومجلاّت الصبية مليئة بمحاصيل العلوم وما يتصل بها اكثر من اى شىء آخر .

« العربى » وَسعَ الأدبَ والعلم ، وفنونا من الثقافة اخرى

ومع هذا ، « **فالعربى** » لم يطغ على

ادب، فيضيق عليه ليتسع المجال لعلم. ان «العربي» ما يزال يجعل للأدب النصيب الأوفر. فلقد جعل للغة العربية فيه موضعا، وجعل للأدب الصرف موضعا، من عربي وغربي، وجعل للشعر والشعراء. ولم ينس القصص وهو اكثر اساليب الأدب شيوعا في العالم كله.

و«العربي» لم يحاب العلم، وكان احق بالمحاباة، استجابة لمطالب العصر الحاضر. فنشر منه ما استحدث من اخبار، وعرض بعض وجوه العلم، قديمها والجديد. وجعل للطب وانباء الطب واستفتاءات الطب، مثل ذلك.

ووزع «العربي» سائر صفحاته بعد ذلك، وهي الكثير الأكثر، أبوابا شتى: عروبة، تاريخ، تاريخ رجالات العرب ونسائهم. وجعل للمراة واسرتها بابا. واستطلاعات الوطن العربي جعل لها بابا وابوابا، وجعل للدين بابا، والراى، من عربي وغربي، جعل لكل مرآته. ولم ينس الكتب، ولم ينس وسائل اخرى للتخفيف والترفيه.

الوان شتى كان لا بد منها ـ قد نستزيدها ـ ما دام أن القراء أمزجة شتى.

ان «العربي»، دائرة معارف، أو هكذا نهدف بها أن تكون، في حدود المستطاع.

وغير كتّاب «العربي»، وغير قرّائه..

ولقد نذكر كتّاب «العربي» فنحمد لهم ما كتبوا.

ولقد نذكر قرّاء «العربي» فنحمد لهم انهم اقبلوا.

ولا يفوتنا ان نذكر فئات أخرى، لولاها، ما كان للذى كتب الكاتب، أو قرا القارىء، ظهور في الأسواق وخروج.

ومن تلك الفئات الفئة التي تجمع.

ومن تلك الفئات الفئة التي تطبع.

وتلك الأخرى التي تصور الصور، اعدادا للطبع: ان الصور التي يأتي بها المصور، بكشف عدساته للضوء، ما كانت لتخرج في زينتها وبزواقها الملوّن الجميل، لولا فئة اخرى تقوم فتنقل هذه الصور على صفحات المعادن لونا لونا، ثم هي تحفرها حفرا. ثم تأتي فئة اخرى فتنقلها الى الأوراق، طبعا، طبَقا فوق طبق، في دقة لا تأذن بتزحزح لون عن لون مقدار شعرة.

الى هؤلاء الفئات، من العاملين، نزجي الشكر، فلهم لا شك في رواج «العربي» ونشر ثقافته فضل غير منكور.

ومن وراء هؤلاء جميعا لا ننسى العُمُد الكبيرة التي قام عليها هذا البناء كله: اولئك الرجال الذين خطّطوا اول الأمر «للعربي»، اذ هو فكرة، واولئك الذين صرّفوا بعد ذلك الأمور ويصرفون، وبذلوا الأموال ويبذلون. اولو الأمر الذين جعلوا من «العربى» اداة لغاية، هي الاسهام في خدمة العرب والعروبة، بنشر الثقافة، مثقوفةً، لا عوَج فيها ولا ميل.

واخيرا، وليس آخرا، شكر الله على توفيقه، فالأمور لا يكاد يكفي التخطيط لانجاحها. لابد من مطاوعة الأقدار. ■■

احمد زكي



بقلم : الدكتور فاخر عاقل

أستاذ علم النفس بجامعة دمشق

■ ان العرب في تطلعهم الى تحرير حاضرهم وبناء مستقبلهم لا بد لهم من بناء وحدتهم على أسس متينة من وعي عميق وتفهم ناقد وادراك ذكي لماضيهم وحاضرهم وصورة مستقبلهم المنشود . والتربية هي اهم الوسائل لهذه الغاية واضمن الطرق المؤدية الى هذا الهدف ، ولذلك كان لا بد لهم من بناء نظامهم

التربوى الموحد بوحي من تراثهم الفني وحاضرهم الأليم ومستقبلهم الزاهر ان شاء الله .

ولا شك ان التراث العربى دعامة كبرى من دعائم الوحدة العربية ومقوم من أهم مقوماتها . والحق ان التراث العربى المشترك كان تعبيرا عن وحدة العرب فى السابق ومظهرا لعبقريتهم وحافظا للصلة بينهم . وهل اخطىء حين اقول بأن المثقفين العرب قد تعارفوا دوما من خلال ادبهم وعلومهم وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم وتواصلوا بهذه الأسباب جميعا ؟!

ومن هنا كانت اهمية نظر العرب فى تراثهم وتفهمهم اياه وحدبهم عليه واعمالهم يد التنقيب والبحث فى رحابه بغية التعرف عليه والتعريف به .

ولست احب ان انتقل من مقدمتى هذه قبل ان اذكر بان اى نظام تربوى لاية امة لا يمكن ان يكون اصيلا صحيحا هادفا مفيدا الا اذا قام على اساس من تراثها وبعد نظر الى واقعها وتخيل لمستقبلها ، فالتراث اذن اول قاعدة يقوم عليها اى نظام تربوى اصيل لاية امة حريصة على أن تبني ذاتها وتعدها لغد مشرق .

تراث غنى متنوع

ومن حسن حظ العرب أن يكون لهم تراث لا يفوقه تراث . والذى أحب ان الفت النظر اليه هاهنا هو أن التراث العربي ليس أدبيا فحسب كما يخيل لبعض الناس ولكنه ـ وبالاضافة الى الأدب ـ تراث علمي واجتماعي ايضا ، بل قل انه تراث حيوى فيه كل المناحى التى تكون للحياة الفنية الدافقة .

ان التراث العربى فى علم الحرب ـ مثلا ـ لا يقل عنه فى علم الكيمياء او الفيزياء ، وهو فى كليهما لا يزيد عليه فى الفلسفة والدين والاجتماع والأدب ، بل والطعام والشراب والصناعة وغير ذلك من وجوه الحياة المختلفة .

والمتأمل للحياة العربية فى مختلف عصورها لايملك الا ان يعجب بالمنجزات العربية فى كل ميدان ، ذلك بأن الحياة العربية كانت حياة غنية متفتحة على العالم شرقه وغربه ، شماله وجنوبه ، تأخذ من كل مكان وتعطي لكل قوم فتغنى وتغنى وتكون لنفسها تراثا ضخما من العلم والأدب والفن وطرائق الحياة .

والناظر فى كتبنا القديمة ، كتب التاريخ وكتب الأدب وكتب العلم وكتب الفلسفة ، لا يملك الا ان يشعر بعميق الاعتزاز وشديد الغبطة لما كانت عليه الحياة العربية من غنىً بالمثل العليا والعادات الجيدة والتقاليد الرفيعة .

ولا يحزن القارىء لما يرد فى كتب التاريخ أحيانا من خلاف بين الملوك وحروب بين القادة العسكريين الدخلاء وتطاحن بين الأقطار التى عصف بها ريح الفرقة ، فان وراء ذلك كله حضارة مزدهرة ومدنا عامرة وشعوبا يقظة ومدارس مكتظة وبمارستانات تعج بأهل العلم ورجال الانسانية ، ومكتبات متخمة بنفائس الفكر ، وجوامع تضيق بالمتعبدين ، وحمامات تخلص الجسد من ادرانه، وغيرها من مظاهر العمران والتقدم والحضارة .

وكل ما فى الأمر ان المؤرخين ـ فى معظم الأحيان ـ ارخوا للحكام ولم يؤرخوا للشعوب .

تراثنا المجهول

والسؤال الذى ينطرح فى هذا المقام هو : هل نعرف تراثنا ؟

وحين اطرح هذا السؤال لا اقصد بالمعرفة هذه المعرفة السطحية التقريبية التى يتباهى بها بعض متعلمينا ، ولا اتوجه به الى العامة وسواد الناس ، ولكني أقصد بالمعرفة تلك المعرفة الصحيحة العميقة الذكية ، واتوجه به الي الخاصة المتخصصة . وبتعبير آخر فاننى اتساءل عما اذا كنت انا نفسى

اعرف تراث قومي في التربيـة وعلـم النفس ، وهل أعرفه معرفة تليق بـي بوصفي عربيـا متخصصا بعلم النفس والتربية ، وهل أعرفه بحيث أستطيع ان ادل عليه في بعض عصوره أو نواحيه او تطوراته ، في نقاط قوته ونقـاط ضعفه ، وبالنسبة لأزمنته المختلفة وكذلك بالنسبة لهذا الزمان ؟ هل أعرف أصوله واسسه وما اخذ وما اعطى وما اضاف ؟ هل اعرفه بحيث أستطيع ان اعرف به بني قومي وابناء الأقوام الأخرى وادلهم على ما ساهم فيه أسلافي من خدمة للانسانية في ميدان تخصصي ؟!

ومثل هـذا السؤال وارد بالنسبة للأديب والقاضي والطبيب والمهنـدس والفنان وعالم الطبيعة وعالم الرياضة وعـالم الكيميـاء ، وسواهم مـن المتخصصين .

ويؤسفني ان يكون جوابي بالنفي ، فانـا لا اعرف عن تراثنا العربي في مجال تخصصي الا لمحات ولا الم الا بشذرات ، وانى لأستحي من هذا الجهل . ولعل انكى ما في الامر انى اعرف عن التراث الانكليزي او الفرنسي او الاميركي بل وحتى الالماني والروسي ، اكثر بكثير مما اعرف عـن التراث العربي .

وقد التمس لنفسي العذر فاقول ان الاطلاع على تراث الامم الاخرى امر ميسور لان المكتبات زاخرة بالمراجع والبحوث التي تدل على هـذا التراث ، ولكنى اعلم علم اليقين ان ثمة علمـاء وباحثين وضعوا هذه البحوث وكتبوا هذه المراجع وان علماء آخرين اكملوا ما بداوه وان من واجبي انا ان ابدا ليأتي تلامذتي فيكملوا ما بدات .

واني لأعلم ـ بعد ذلك ـ ان كل محاولـة للعرب ان يسهموا في اي ميدان من ميادين المعرفة يجب ان يسبقها ويرافقها احياء لتراثهم في هذا الميدان ليتصل ما انقطـع ويستانف السـير ما توقف .

تعرّفٌ للتراث منهجيٌ ثـم مرحلـة تعـريف

والحق ان البحث في التراث العربي الغني يجب ان يتم على مرحلتين ، مرحلة تعرّف ثم مرحلة تعريف . ومن نافلة القول ان نذكر بان التعرف والتعريف يجب ان يكونا منهجيين علميين منظمين ، فلا يكفي ان يطلع الراغب في احياء تراثه على هذا التراث المتخصص اطلاعا سريعا وان ينقله كله او بعضه الى قرائه من ابناء قومه او ابناء الاقوام الاخرى ، انه ان فعل ذلك حرى بان يقع فيما وقع فيه الكثيرون ممن حاولوا ـ مخلصين ـ الاطلاع على تراثهم ولكنهم لم يصبروا عليه ولم يضعوه في اطاره الزماني فما كان منهم الا ان تورطوا في القول بانه تراث ضحل لا يستحق ان نحييه بل من المصلحة الا نحييه !

لنذكر اولا ان تقسيم العلوم وتصنيفها كانا في الماضي على نحو يختلف عنه في زماننا الحاضر . فانت اذا التمست كتابا عربيا في علم النفس ـ مثلا ـ بالمعنى الحديث المتخصص المتميز لم تقع على مثل هذا الكتاب ، واذا وقعت على كتاب بعنوان يوحي بانه من علم النفس وجدت ان معالجة الموضوع فلسفية ميتافيزيقية لا تمت الى المعنى السلوكي التجريبي الحديث بصلة .

على انك اذا ذكرت بان علم النفس لم يترك الفلسفة الا في اخريات القرن الماضي وانه كان حتى ذلك الزمان جزءاً لا يتجزأ من الفلسفة أدركت السبب في تمازج الفلسفة وعلم النفس . ثم انك لو صبرت على كتب الفلسفة العربية ، وشانها في ذلك شان غيرها من كتب الفلسفة للأمم الأخرى ، لرايت ان في تضاعيف هـذه الكتب الكثير مـن النظريات والآراء النفسية الصحيحة ، او الخاطئة بمقياس زماننا والتي كانت تعتبر صـحيحة بمقياس الزمان الذي كتبت فيه ، والتي تعتبر ـ في كل حال ـ تاريخا لعلم النفس .

ولنذكر ثانيا : ان تراثنا اما ضائع ، او مبعثر ، او موجود في مواضع ومصادر تبدو للوهلة الأولى ـ وبالمقياس العصري ـ غريبة . انك تجد مثلا ان مقدمة ابن خلدون ـ وهي مقدمة لكتاب تاريخ ـ تحتوي ـ فيما تحتوي ـ على آراء ونصائح تربوية ذات اهمية بالغة ، كما تجد ان الغزالي قد ضمن (احياءه لعلوم الدين) آراء في التربية والتعليم والتثقيف يمكن ان نفاخر بها اية امة من الامم .

ولنذكر ثالثا : ان التراث العربي ـ ككل تراث ـ لا يمكن فصله عن زمانه ومكانه وظروفه . لقد ازدهر هذا التراث في زمان محدود ، وفي أمكنة معروفة ، وفي ظروف معينة فكان صورة صادقة

للمجتمع الذي اوجده وللامة التي خلفته وللاوطان التي ابدعته . لقد اخذ اجدادنا عمن سبقهم ولم يتهيبوا ، ولقد تمثلوا ما اخذوا ولم يكتفوا ، ولقد اغنوا تراث البشرية ولم يبخلوا . ولذلك فلا يضيرنا ان يكون الفيلسوف العربي فلان قد اخذ عن الفيلسوف اليوناني فلان ، وذلك لانه تمثل ما اخذ وزاد عليه ووهبه فيما بعد للغرب الذي سار في نفس المراحل فتمثل وزاد ثم وهب. وهذا ناموس الكون وتلك حال الحضارات واولئك مصادر الحضارة العالمية .

والمهم كل المهم بعد هذا ان نعرف ـ نحن العرب ـ ما لنا (وما علينا) وان نتعرف على تراثنا ومصادره وموارده وان نعرف به وبمصادره وموارده . وكل ذلك بطريقة علمية منهجية منظمة دقيقة .

اخذ وعطاء

ان بعض الغيورين منا ـ ولا اقول المتزمتين ـ ينعون على امتنا اخذها من الغرب او الشرق وتنكرها لماضيها وخروجها على تقاليدها . واني لاجد في هذا خلطا بين امرين . اما الاخذ من الغرب او الشرق فلا لوم عليه ولا تثريب .

قد يكون في الدنيا شيء اسمه حضارة غربية او شرقية ، افرنسية او روسية او صينية او هندية ، ولكن فيها ايضا شيء اسمه حضارة عالمية هي جماع كل الحضارات ونتاج كل الثقافات، ونحن من هذا العالم لا نستطيع ان نعيش بمعزل عنه ، بل وليس من مصلحتنا ان نعيش بمعزل عنه . ولقد اعطينا هذا العالم في الماضي واغرقنا فلا علينا ان اخذنا في الحاضر بغية ان نعود فنعطي في المستقبل .

واني لاؤمن اصدق الايمان انه ما من منصف يستطيع ان ينكر علينا مساهمتنا في الماضي وحقنا في ان ناخذ ـ في الحاضر ـ على ان نعود فنعطي في المستقبل . واني لموقن بان ما يسمى بالحضارة الغربية ليس الا نتاجا للتراث البشري الكامل بما فيه التراث العربي ، وبهذا يكون لنا الحق كل الحق في ان نفيد ـ نحن وسوانا ـ من هذا التراث كما افادوا هم من تراثنا . واني لمتاكد بان عقلاءهم ـ على الاقل ـ لا ينكرون علينا هذا الحق الصريح .

واما التنكر للماضي والخروج على التقاليد والتخلي عن الاصالة فأمر معيب ما في ذلك من شك ، بل وأمر مضر لنا وللانسانية : ان لنا ماضيا نستطيع أن نفاخر به اية امة ماضية مهما علا شأنها، وانه لماض مشرف في كل ميدان وفي كل منحى . ثم ان لنا تقاليد نقدر ان نزهو بها على كل صاحب تقاليد. ولست أقول هذا مباهاة أو ادلالا ولكني أقوله تقريرا لواقع وتوكيدا لحق . ثم اني اعلم أن ماضينا ـ ككل ماض ـ فيه بعض ما لا يسر وأن تقاليدنا ـ ككل تقاليد ـ فيها بعض ما يجب التخلص منه ولذلك فاني عن التفاخر بعيد .

على اني اصر على ان اصالتنا حق وواجب ، وهي خير وضرورة : انها حق لانها واقع ، وهي واجب للابقاء على طابعنا المميز،وهي خير وضرورة لان الحضارة العالمية بحاجة لكل لون بل ان عظمتها في ان تتعدد الوانها وتختلف ـ بعض الشيء ـ ازاهيرها .

ومن اجل تقدمنا ولحاقنا بركب الانسانية المتسارع ، ومن اجل اداتنا قسطنا في الحضارة العالمية والتقدم البشري ، ومن اجل اصالتنا واغنائنا للتراث العالمي فانا ادعو للتعرف على تراثنا الماضي والتعريف به بعيدا عن كل تفاخر جاهل وخيلاء فارغة وعصبية عمياء .

نقد بعد دراسة وتحليل

واذن فلا بد لنا من ان نتعرف على تراثنا ، والذي اقصده من هذا التعرف ليس مجرد الاطلاع بل التعرف الناقد المتبصر . ان تراثنا ككل تراث فيه الغث وفيه السمين . فيه الصالح وفيه الطالح ، واني لاعتقد ـ مخلصا ـ ان سمينه اكثر من غثه وان صالحه اكثر من طالحه ، ولذلك كان من واجب كل عربي واع وقادر ان يغوص على هذا التراث وان يجري في طلبه حتى اذا وجده اعمل فيه نظره ففرّق بين جيده ورديئه فنوه بالجيد وعرف به وحث على التمسك به ، واشار الى الرديء وحض على نبذه .

خذ مثلا ما يسمى (بالطب العربي) او (الطب البلدي). انه ولا شك خلاصة خبرة طويلة تحدرت الينا من ماضينا ، من اعمال اسلافنا وخبراتهم وما اخذوه من غيرهم ، وانتقلت الى مجتمعنا الحاضر من مجتمعاتنا السابقة . وانت

حين تنظر الى موقف الناس من هذا الطب تجدهم واحدا من اثنين فلما يكون لهما ثالث : واحد يؤمن بهذا الطب ويلجأ الى هذه الوصفات ويعتقد انها صحيحة لا شك فيها ، وآخر يعتقد انها خاطئة مضرة لا فائدة منها . ولكن حاجتنا الى ثالث هو طبيب متخصص يعمل النظر فى هذه الوصفات ويدرسها دراسة علمية نقدية فى ضوء مكتشفات العلم الحديث ومقولاته فيقرأ ما كان منها صحيحا مفيدا وينبه الى ما كان منها ضارا او غير نافع على الاقل . ولقد تواترت الانباء فى الاعوام الاخيرة عن توفر الاطباء الهنود والصينيين وسواهم من اهل الحضارات التالدة على دراسة طبهم القومى والافادة منه فى عصرنا الحاضر فلم لا يشارك اطباؤنا فى هذا ؟ ولم لا يعمل اساتذة الطب فى كليات الطب العربية على الافادة من تراثنا الطبى الضخم فيؤدوا للانسانية خدمة كبيرة ويعرفوا بالتراث العربى ويساعدوا المجتمع العربى على التخلص من كثير من الوصفات والخرافات التى تضر بالصحة الخاصة والعامة !

لقد سمعت أن بعض اساتذة الطب المصريين بداوا هذا فمرحى لهم وارجوا أن يشاركهم فيه اساتذة الطب فى العراق وسورية ولبنان وغيرها من البلاد العربية التى فيها كليات للطب .

اقول هذا بالنسبة للطب وانا اعلم أن مثله صحيح فى كل ميدان من ميادين المعرفة البشرية التى ساهم العرب فيها جميعا باقساط وافرة مشرقة .

عاطفة وعقل وعمل

لقد كانت مواقفنا من تراثنا حتى الآن مواقف عاطفية فنحن (قد زرعنا الدنى امجادا) ونحن كنا (أرحم الفاتحين) ونحن الذين منحنا الانسانية الأبجدية والأرقام ، ونحن الذين اخترعنا الجبر ، **ونحن .. ونحن .. ولكن .. متى ؟ وأين ؟ وكيف ؟**

فهذه هي الأسئلة التي لا نعرف لها جوابا ، واذا كان فاقد الشيء لا يعطيه فان الذي لا يعرف لايستطيع أن يعرّف ، ولذلك فان الغرب ما زال يعتقد أن (أوغست كونت) هو أول من وضع علم الاجتماع ويجهل أن (ابن خلدون) قد سبقه الى ذلك ــ ضمن امكانيات زمانه وظروفه ــ وهذا الغرب ما زال يعتقد أن مكتشف الدورة الدموية طبيب انكليزى مع أن ابن النفيس كشف جزءا منها ، وغير ذلك من المكتشفات والمخترعات التى قدمها العرب للانسانية .

لا شك ان العاطفة ينبوع فياض ومصدر دافق من مصادر الانطلاق والخلق والابداع ، ولا شك فى أن العاطفة القومية حق وواجب وان التفاخر بالاسلاف واعمالهم من طبيعة الانسان، ولكن العاطفة التى لا يدعمها عقل اشبه ما تكون بزبد البحر لا يلبث ان يذهب جفاء ، بل ان العاطفة العمياء ضررها اكبر من نفعها لا سيما وانها تستفرغ القوى وتصرف الطاقة وتترك صاحبها خائر العزم راضيا عن نفسه دون مبرر . اما العاطفة العاقلة الهادفة فمصدر للطاقة ومنبع للعمل وحافز الى الهدف وشاحذ للهمة .

ثم ان العمل المثمر الصحيح ، لا يكون الا لهدف معقول وغاية مرموقة وبعد ادراك للوسائل والغايات وفهم للمقدمات والنتائج . وكل هذا صحيح بالنسبة لموقفنا من تراثنا ، ان تعرفنا على تراثنا وتعريفنا به ليس غاية فى حد ذاته وليس هدفا عاطفيا يقصد منه مجرد التفاخر وانما هو واسطة الى غاية أهم ، وسبيل الى غرض أسمى.

المستقبل الزاهر

وهذا الغرض السامى هو المستقبل الزاهر الذى يليق بهذا التراث العظيم من جهة وبامانينا العراض من جهة اخرى .

ان الماضى يستطيع أن يكون عبئا ثقيلا ومثبطا للهمم وقاعدا بالعزائم كما يستطيع ان يكون حافزا ودافعا . انه يستطيع أن يكون عبئا اذا نمنا عليه واكتفينا بالتفاخر به واعتقدنا أننا عظماء بماضينا فلا نحتاج الى ما يثبت عظمتنا فى حاضرنا أو مستقبلنا. كما انه يكون مثبطا اذا استفرغ الاعتزاز به طاقاتنا واستنزف قوانا واشعرنا بنوع من الرضى المستكين، شأننا فى ذلك شأن عائلة ماجدة تعيش على قديم امجادها وتكتفى من حاضرها بالتشنيع على ذوى المجد الطريف والهزء بهم والاحتقار لشأنهم بالرغم ممن يستمتعون به من قوة وما تشكو هى من ضعف . ولا يخفى أن هذا الحال انما يعبر عن فشل يستره صاحبه بالتظاهر بالاحتقار والترفع

ولكنه تظاهر لا يجوز على احد بالرغم مما قد يقابل به هذا الصاحب من مجاملة على طريقة (ارحموا عزيز قوم ذل) وما اصعب الرحمة على المرحوم ! » .

وهذا الماضي يمكن ان يكون حافزا الى التشمير عن ساعد الجد وتدارك ما فات واللحاق بركب التقدم ومعالجة اخطاء الحاضر وبناء المستقبل الجيد ليناسب الماضي الامجد وهذا ما يجب ان نسعى اليه ونعمل له .

ان تعرفنا على تراثنا يجب ان يستهدف هدفين واضحي المعالم دقيقي التحديد :

اولهما: معرفة هذا التراث والتعريف بـه .

ثانيهما : جعل هذا التراث منطلقا الى المستقبل .

اما التعرف على هذا التراث فامر ضروري لأسباب عقلية وبنائية ، فنحن حين نتعرف على تراثنا نتعرف على ذواتنا ، نتعرف على حقيقتنا عارية وكما هي ، بخيرها وشرها ، بجمالها وقبحها ، بما لها وما عليها .

واني لأزعم بأنه بدون هذا التعرف لا نستطيع أن نبني مستقبلنا ونعجز عن وضع خططنا لهذا المستقبل ونفشل في تحديد دورنا الذي سنلعبه فيهذا العالم وفي حضارته وتقدمه .

ولعلي لا اُبالغ اذ ادعي بأننا ـ نحن العرب ـ فشلنا حتى الآن في ايجاد اصالتنا لأننا فشلنا فيالتعرف على ذواتنا وذلك بسبب من جهلنا لماضينا وبالتالي لحاضرنا .

ولأعد مرة اخرى الى شكوانا المرة الأليمة من تبعيتنا للغرب وتبنينا لحضارته وانسياقنا وراء قيمه ونعينا على انفسنا تقليدنا الأعمى .

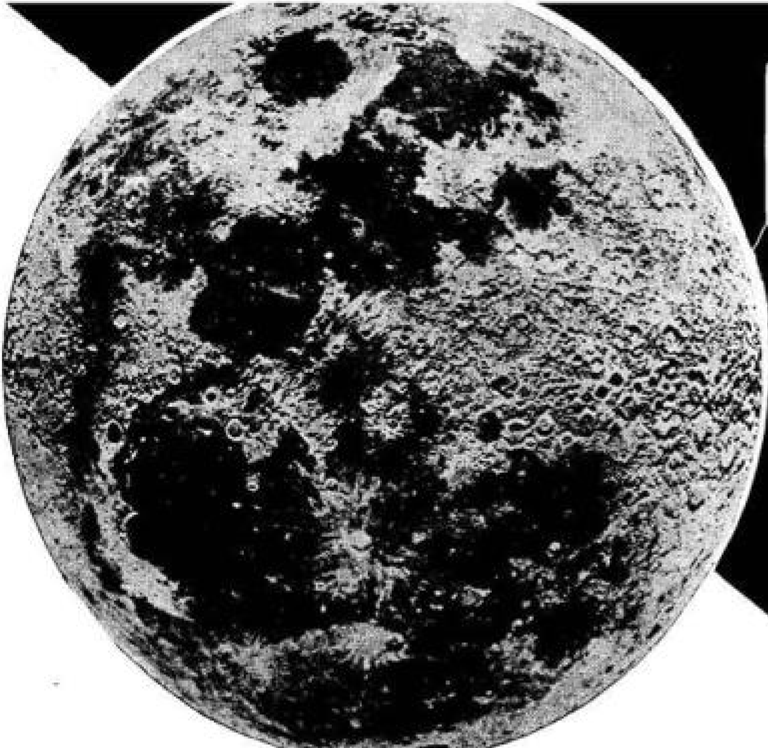
واني وان كنت اعتقد ـ جازما ـ بأن جزءا من هذه الشكاية صحيح وجزءا آخر غير صحيح مما قد ألمحت اليه حين قلت فيما سبق من ان حضارة الغرب ليست تراثه وحده ولا ملكه وحده ولا نتاجه وحده وانها اقرب الى أن تكون حضارة عالمية لنا فيها نصيب ، ولكني اعتقد ايضا ان واحدا من اهم اسباب انسياقنا الأعمى في هذا الميدان وفي سواه يعود الى اننا نجهل انفسنا . نجهل ماضينا كما نجهل حاضرنا وكما نجهل مستقبلنا ، فالأمة التي تعرف من هي ، ما كانت ، وما تحب ان تكون ، لا يمكن ان تنجرف الى غير ما تريد ، ومن هنا كانت دعوتنا الى وجوب التعرف على تراثنا والتعريف به ، انه تعرف وتعريف يقصد بهما تحديد بداياتنا ، وينتقل بعد ذلك الى تحديد حالنا الحاضر ليتوصل فيما بعد الى رسم مستقبلنا وتخطيط آمالنا .

هذه قاعدة عامة سليمة تنطبق علينا انطباقها على كل امة ناشئة تعي حاضرها وتمثل مستقبلها ، غير اننا نمتاز نحن العرب بماض مجيد وتراث تليد وحضارة عريقة تستطيع جميعها ان تحفزنا الى تحسين حاضرنا والتطلع الى مستقبل زاهر لنا ، ولذلك فنحن نستطيع أن نفخر بهذا الماضي وأن نعتز به ، ولكننا اذ نفعل ذلك يجب ان نفعله نتيجة لمعرفة عميقة واستهدافا لغرض نبيل .

هذا ، ولا يفوتني في ختام هذا المقال ان اشير الى ان تعرفنا على تراثنا وتعريفنا به ليس واجبا قوميا فحسب ولكنه قبل هذا وبعده واجب انساني حضاري، ذلك بأن تراثنا ليس ملكا لنا وحدنا وانما هو ملك للانسانية التي ننتسب اليها والنوع الذي ننحدر منه فمن حق هذه الانسانية ومن حق النوع البشري ان يتعرف على هذا التراث وان يحدد علاقاته بما سبقه وما لحق به وأن يفاخر به معنا .

هذا هو الموقف الذي اري ان نتخذه من تراثنا ، وهذه هي عموميات الخطة الواجب اتباعها ـ في نظري ـ لاحياء هذا التراث ويبقى ان ننطلق الى مهمتنا جادين واعين متحمسين لأن العمل جدير بالهمم القعساء والعقول النيرة والعواطف الذكية . ■■

فاخر عاقل



خروشوف يعود بروسيا إلى :

سِباق القَمَر

■ للوصول الى القمر ، بين الولايات المتحدة وروسيا ، قصة قصيرة طريفة .

انقسم راى الولايات فى امر محاولة ارسال رجال من رجال الفضاء ، فى مركبات لهم ، ترفعها عن الارض فى اول امرها الصواريخ ، الى القمر .

كان راى رئيس الولايات السابق ايزنهاور ، رأيا معارضا . وكانت معارضته فيها شيء من الطرافة : قال انه من الغباء محاولة الوصول الى القمر .

وجاء رئيس الولايات الراحل ، كندى ، واعلن رايه فى الذهاب الى القمر اعلانا . قال فى مايو عام ١٩٦١ « **نحن لا نقبل أن يكون لنا فى الفضاء المحل الثاني** . » . واذ جعل الأمر سباقا بينه وبين الروس ، وجعل منه مسألة تتصل بكرامة الدولة ، حمل معه اكثر نواب الأمة .

وضربوا موعدا

وضرب علماء الأمريكان لذلك موعدا ، اعلنه كندى ، فكان عام ١٩٧٠ ، عاما يبلغ فيه الأمريكان القمر ، يهبطون عليه

بأرجلهم ، ويعودون منه .

وتمضي السنة فالسنة ، وتتضخم ميزانية التحضير لبلوغ القمر. تضخمت في الولايات حتى صار المشروع يتكلف ٢٠ الف مليون دولار .

ولم يعلم أحد كم بلغت تكلفة هذا السباق عند الروس .

يفسد الحصاد فيخرج الروس من سباق القمر

ثم يجيء هذا العام ، عام ١٩٦٣ ، وينتصف ، ويمضي بعد انتصافه ، فاذا الروس يشكون قلة الحصاد . واذا بهم يبيعون الذهب لأوروباوغير اوروبا لشراء ما تخلفت عنه زراعتهم من انتاج القوت. واذا خروشوف يطلب من الولايات أن تبيعه الملايين من أطنان الغلال ، ويعلن في نفس الوقت تقريبا خروج روسيا من سباق القمر ، ويتمنى للولايات المتحدة الوصول اليه ويبارك مجهودها .

جدل قديم

واهتزت الولايات لذلك ، واستيقظ في الولايات الجدل القديم عن مشروع الهبوط على سطح القمر .

اما المعارضون فأعادوا نقدهم لمشروع أبولو Apollo ، مشروع النزول على سطح القمر ، وما تطلبه من كلفة باهظة ، لو انها تحولت عن هذه الغاية ، لبلغت غايات افضل وانفع ، ولعلها تكون للكبرياء الأمريكية أرفع . وهم يقولون ان القمر لا خير فيه ، وانه من حجر لا ينفع . وهم يقولون ان العلم ، يأتي به رجل ينزل على سطحه ، يمكن استفادته بمركبات ترسل الى القمر أو تدور حوله لا انسان فيها ، وانما فيها العدسات ترى والأجهزة تسجل .

وأما المناصرون فأخذوا يشككون في نوايا الروس ، وانهم انما قالوا ما قالوا لتثبيط هِمم الأمريكان،وذلك ليمضواهم في سبيلهم الى القمر في خفاء ودون اعلان . ويمضي المناصرون ، فيعددون ما صنعت بحوث القمر للأمريكان من كشوف علمية ، واخرى تِكْنِيَة ، ما كانت لتكون لولا هذه البحوث ، وأنه التقدم العرفاني تجنيه الولايات منها ، ادّى ذلك الى النزول الى القمر أو لم يؤد.

الحقيقة البالغة

وفي هذا الجدل ظلت الحقيقة البالغة تطل براسها . فهذه البحوث لا شك قدمت الأمريكان تقديما عظيما . ونضرب بالصواريخ مثلا : كانت عقدة العقد في تفوق الروس على الأمريكان قوة صواريخهم . كان الروس يطلقون الأقمار الاصطناعية وزنها بالأطنان ، والأمريكان يطلقونها ووزنها بالأرطال . واليوم ؟ آخر علم لنا ان الصاروخ ساترن Saturn أو زحل ، ذلك الذي اعدوه ليحمل المركبة الفضائية برجالها الى القمر ، جربوه منذ قليل ، فخرجت الأرقام تقول انه ، ولو لم يكن له الا جزءان يصعدان به على مرحلتين فقط بدل المراحل الثلاث المعهودة ، فانه له من قوة الرفع ما يستطيع ان يرفع مركبة وزنها مائة طن الى السماء ، أو يزيد !! صار هذا الصاروخ الأمريكي اقوى صاروخ في العالم . وبز الروس . هكذا قدّر الأمريكان .

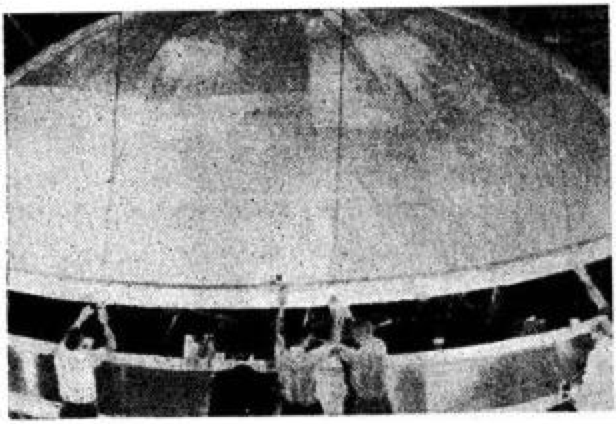
وان يكن الأمريكان بزوا الروس ، أو حتى لو انهم ساووهم (وهناك رأي يقول بالمساواة) ، فلهذا البز أو حتى المساواة ، ثمرات فوق ثمراته العلمية ، تلك الثمرات السياسية ، وهي ثمرات للروس والأمريكان ، وللدنيا العريضة ، معا . اعني ثمرات السلام ، وخفوت أصوات التهديد بحرب لا تبقي ولا تذر .

أدرك الأمريكان ، من خلال هذا الضباب ، ضباب ذلك الجدل الذي كان ، أدركوا ما جاءت به بحوثهم في عالم العلم والتكنية ، وعالم السياسة ، من ثمرات ، فأبوا أن يخذّل منهم خروج الروس من ميدان السباق، فلا يواصلون العمل للنزول على سطح القمر .

وقال الأمريكان : الروس خرجوا من السباق عن عجز وعن فقر

وزادوا على ذلك ما أثار الروس .

قالوا ان الروس لم يخرجوا من السباق عن تقوى الله . انما خرجوا عن عجز . عجز اقتصادي ، وخراب زراعي، وفشل عقائدي !!



الصاروخ الذاهب الى القمر

● وقد سموه سائرن Saturn ، ومعناه زحل . وهو كذلك اسم اله من آلهة اليونان. واضافوا اليه انه الخامس Saturn V ، لانه خامس تصميم له واقوى تصميم . وهو الذى سوف يستخدم لارسال رجل او رجال الى القمر .

والصورة غطاء مكور ، هو غطاء خزان الوقود ، وهو اسطواني الشكل ، حتى اذا انطبق عليه لحموه فى جداره . بقى أن نقول أن قطر هذا الخزان الأسطوانى ١٠ أمتار .

ان سائرن الخامس اقوى صاروخ فى الدنيا .

خروشوف يعلن انه ما خرج من سباق القمر

مسَّ الأمريكان الروس فى أحسَّ مكان عندهم يثير الأوجاع . فخرج خروشوف عليهم يقول ان روسيا لم تنصرف ابدا عن هدفها للوصول الى القمر ، وان الذين زعموا ذلك أساءوا فهما . وقال :

– اما عن صعوباتنا الاقتصادية ، فانتم ايها الامريكان تنتظرون منا دائما أن ننصرف عن برامجنا من اجلها . ان كل الذى اقوله فى هذا الصدد ان اطلب اليكم ان تكفوا عن مراودة هذه الآمال ، فاقتصادنا جيد ، وهو اليوم جيد ، وغدا جيد ، وهو فى المستقبل أجود مما كان فى امسه دائما ابدا » .

واستشهد خروشوف فى احاديثه هذه الأخيرة بالقمر الاصطناعي الأخير الذى أطلقه الروس ، ذلك بلْيوط رقم ١ (Polyot. I,) ، وهو قمر أمكن الروسَ تغييرُ مساره وهو فى الفضاء ، والعهد بالأقمار انها اذا اتخذت مدارا ظلت فيه فلا يستطيع بعد ذلك ان يغير وجهته انسان . وامكان توجيه الانسان لمركبة الفضاء ، حيثما يشاء ، سواء كان هذا الانسان راكبا فى المركبة ، أو هو يوجهه وهو على سطح الأرض ، امكان التوجيه هذا له صلة وثيقة بمشروع الهبوط على القمر . ان مركبة أنت تقودها كما تشاء ، غير مركبة تحملك رغما منك الى ما هي تشاء .

هل من تعاون بين الروس والأمريكان

ومن الطريف فى هذا الصدد ان اشار الرئيس كندى الى احتمال تعاون الأمريكان والروس فى بحوث النزول على القمر . وعقب خروشوف على هذا بالرضا . ولكنه ربطه بروابط سياسية تتصل بارتخاء التوتر الدولي ، وبخطوات لا بد تخطى فى ميدان منع التسليح . وهو اقترح على عادته الفكهة أن يذهب الى القمر رجل فضاء روسي وبصحبته فتاة فضاء امريكية!! ولا شك هو يريدها فاتنة .

وفى روسيا قال الأستاذ الروسي بلاجنرافوف Blagonravov. ان راى اهل الاختصاص انه بعد نزول الروس الى القمر ، ونزول الأمريكان ، يمكن ان تتعاون الدولتان فى هذا السبيل .

وفى امريكا قال الدكتور دريدن [Dryden] ، مدير هيئة الفضاء الأمريكية N.A.S.A. ، ان مطالبة الدولتين بالتعاون فى هذا السبيل الآن معناه الغاء برامجهم القائمة الآن جميعا ، وبدئهم من جديد ، من الصفر . وهذا لا يكون .

والمعنى المستفاد من كل هذا ان الدولتين ماضيتان ، كلاً على حدة ، تعملان للذهاب الى القمر بجهد لم يكد ان تنال منه كل هذه الأحداث شيئا ، رغم النفقة الباهظة التي قد تبلغ حد الاعجاز .

■■



احتجاج فى غير محله

من جريدة « نيويورك هيرالد تربيون » :

● حكومة بون (المانيا الغربية) تحتج بشدة لأن المستر مكنمارا (الولايات المتحدة) قد قرر توفير ملايين الدولارات وذلك عن طريق تخفيض القوات الأمريكية المرابطة فى المانيا الغربية . ونحن نرى أن حكومة بون تكثر من الاحتجاج ، وكثيرا ما يكون هذا الاحتجاج فى غير محله ، كما هو فى مثل هذه الحالة . ان ما قرره المستر مكنمارا هو نقل بعض الألوية من الجنود ، مع الاحتفاظ بالأسلحة النووية ، والطائرات ، وحاملات الطائرات ، والجنود المخصصين لهذه الأسلحة .

ان ادعاء بون بان وجود هذه الألوية التى قرر مكنمارا سحبها، من المانيا ، سيجعل روسيا تفكر مرتين قبل الاقدام على عمل شىء ، هو ادعاء لا أساس له من الصحة ، ذلك لأن القوات الأمريكية والانجليزية الموجودة فى المانيا الغربية كافية لصد أى هجوم . ثم ان المهم فى أى حرب قادمة ليس عدد الجنود ، بل كفاية الات الحرب الحديثة .

نصيحة نزجيها لحكومة بون هى : لا تكثرى من الاحتجاج دون أن يكون هنالك مبرر لهـذا الاحتجاج .



مكنمارا



اير هارد

الغنى

عن جريدة « سبيكيتتور » :

● ترى هل وصلت الى علمك قصة مرض جورج بروس ؟

ان بروس هذا ليس سوى عامل زراعى من الكادحين ، كان مريضا مرضا كان من الممكن أن يودى بحياته .

لقد أنذره الأطباء أن حياته فى خطر محقق ، ما لم يكن أحد أقاربه مستعدا لان يقدم له كلية سليمة لتحل محل كليته المريضة . انه ولا شك مطلب عسير ، ولتضحية لا ننتظرها من أقرب قريب .



المستر ولسون



اللورد هيوم

رئيس الوزراء
متى يتكلم بصراحة ؟

عن جريدة « الصندى اكسبريس » :

● نحن ننتظر من السير اليك دوجلاس هيوم أن يتكلم بصراحة ووضوح ، ردا على تحدى المستر هارولد ولسون حول موقف الحكومة البريطانية من السوق المشتركة اذ ما زال هناك شك وقلق فى بريطانيا حول سياسة الحكومة تجاه أوروبا .

ولقد أعطى المستر ولسون لرئيس الوزراء الفرصة لانهاء هذه المخاوف .

فليتكلم رئيس الوزراء مرة ، ولتكن الأخيرة ، معلنا ان حكومته لاتفكر ، فى أى حال من الأحوال ، فى الانضمام الى السوق الأوروبية المشتركة .

وانا لمنتظرون ، ونرجو الا يطول الانتظار .



★★★

قبل أن يفوت الأوان

عن جريدة « دالاس مورننج نيوز » :

هذه نشرة طبية تهم فى نظرنا جميع سكان العالم .

تقول هذه النشرة : ان المستر ميكويان ، والمستر سوسلوف كبير المشتغلين بالأمور النظرية السياسية فى روسيا ، مريضان مرضا خطيرا .

وبعبارة أخرى فان اثنين من الرجال الستة الذين يتزعمون روسيا قد يختفيان فى المستقبل القريب عن المسرح السياسى . وهذا يقودنا الى التساؤل : ماذا يحدث لو أصيب خروشوف بالمرض الآن ؟ وماذا يحدث لو اضطر خروشوف الى تسليم زمام السلطة الى زعيم روسى معاد للغرب ؟

الا يثير مجرد التفكير فى هذا الأمر نوعا من الرعشة ؟

هذا ما لا نشك فيه ، اذ الواضح لنا أن خروشوف لا يريد الحرب .

وفى رأينا أن ما يجب على الغرب فعله ، هو انتهاز فرصة وجود خروشوف فى الحكم من أجل تخفيف حدة التوتر العالمى ، وذلك بعقد الاتفاقيات والمعاهدات التى تهدف الى سلامة وطمأنينة الجنس البشرى .

الباقى ..

ومع هذا فان الذى حدث هو أن تقدم من أقارب هذا العامل سبعة أشخاص — وكلهم يعتمدون فى كسب رزقهم على صلاحيتهم البدنية — وعرضوا أنفسهم لأن تجرى عليهم العملية . وهكذا تم انقاذ حياة بروس .

والسؤال الذى يلح على منذ أن قرأت هذا الخبر هو : ترى كم من أقاربنا مستعد لأن يقوم بمثل هذه التضحية من أجلنا ؟

ان جورج بروس عامل فقير اذا قسنا ثروته بمقياس المال . ولكن الواقع أنه غنى جدا .. غنى بحب أولئك الذين يحيطون به ، وهذا هو الغنى الباقى .

حفيدات بلقيس

ملكات عظيمات مسلمات حكمن اليمن فى غابر الأيام

كانت منهن من هى أعظم ملكة عربية فى الاسلام



بقلم : الدكتور محمود الغول

الاستاذ المساعد للغات السامية بجامعة سانت اندروز ـ اسكتلنده

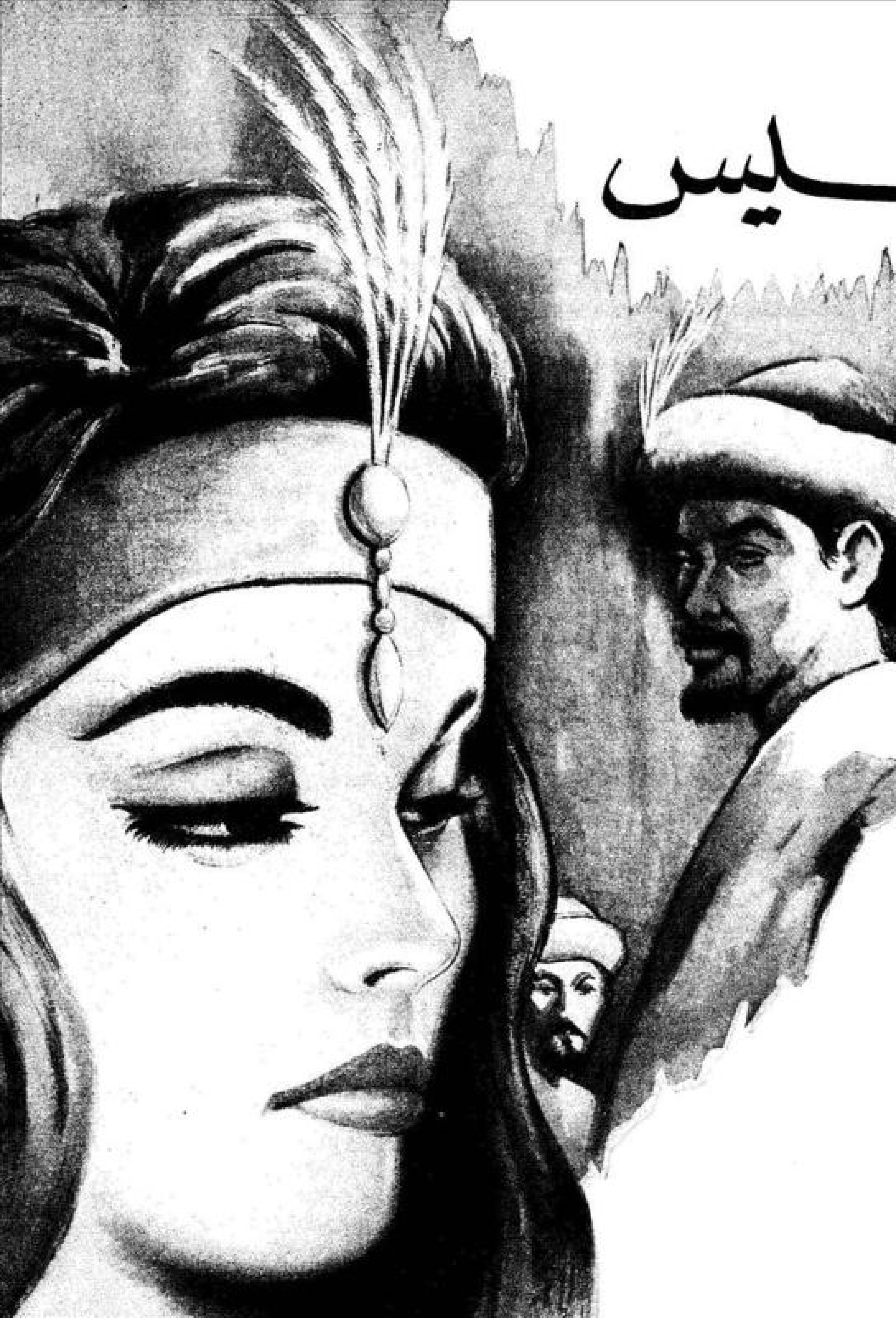
حكم اليمن دول شتى ، كان من بينها دولتان شهيرتان ، دولة بنى نجاح الحبشى ، وكانت سنية المذهب ، ودولة بنى صُلَيح ، وكانت فاطمية تحكم تحت سيادة الخلفاء الفاطميين فى مصر . اما دولة بنى نجاح فلم يسد من نسائها امراة لها فى التاريخ ذكر . واما دولة بنى صليح فكان منها نساء عظيمات ، اشهرهن اروى بنت أحمد ، « اعظم ملكات العرب فى الاسلام » ، كانت قارئة كاتبة ، تحفظ الأخبار والأشعار ، ساست الملك ولعبت بالرجال . وماتت عن نيف وتسعين عاما ، فزالت الدولة بزوالها.

■ ملكة سبأ مذكورة فى القرآن الكريم . وملكة سبأ مذكورة كذلك فى العهد القديم من الكتاب المقدس .

ورغم أن القصة فى كلا الكتابين مختصرة الا انها تشير الى مكانة تلك الملكة الرفيعة والى عظمة ملكها وبسطة سلطانها .

وقد استهوت قصتها البابَ أصحاب الأخبار فى القديم والحديث فبنوا حولها من القصص والأساطير ما ليس له أصل فى القرآن الكريم ولا فى العهد القديم . فسماها الاخباريون من العرب بلقيس ، وهو اسم لم تعرف به فى أى من الكتابين ، ونسجوا حول ذلك الاسم تاريخا وأخبارا ما زالت صحتها تفتقر الى الدليل . وقد عجب بعض الباحثين فى تاريخ العهد القديم ان يكون للعرب ملكة تحكمهم فى ذلك العهد السحيق ، فراعهُ ان وُجد بعد البحث ، ان الدراسات الأثرية كشفت فى اخبار البابليين وغيرهم عن وجود عدد وافر من الملكات حكمن فى بقاع مختلفة من بلاد العرب فى تلك الأزمنة القديمة .

اما العرب من أهل العصور الاسلامية فلم يصل الى علمهم خبر تلك الملكات اللواتى حكمن فى شمال جزيرة العرب فى تلك العصور السحيقة ــ اللهم الا الزَبّاء فى عهد ليس ببعيد عن الاسلام ــ فجعل بعضهم يتندر بأهل اليمن لانهم


لیس

حكمتهم امرأة . وكان هؤلاء المتندرون بين هازل يريد أن يجد شيئا يمزح به ، وبين جاد يَعجب كيف يرضى رجال أن تحكمهم امرأة ، واهمين ان رأيهم هذا حق لا ينقض ، مؤيدين وهمهم هذا بحِكَم واقوال مأثورة اخترعها ، على الأغلب ، بعضهم ارضاء لبعض .

مكانة المرأة بين العرب

أما اليوم فالناس يسارعون الى نشر ما انطوى من أخبار شهيرات النساء في العصور العربية الماضية يدفعهم الى ذلك في أحيان كثيرة رغبتهم أن يتبينوا ويبينوا للناس ان مكانة المرأة بين العرب لم تكن ضعة وهوانا ، وأن الفضل بين نسائهم ثابت مشهور . وأظن القارىء العربي اليوم آلف أسماء كثيرات من شهيرات النساء العربيات في المشرق والمغرب في عصور الحضارة العربية السابقة ، ولكن يخيل الي أن صيت بلقيس في اليمن قبل الاسلام غطى على ذكر شهيرات النساء في اليمن بعد الاسلام ، بحيث لم ينتشر لهن في أزماننا هذه ذكر الى جانب غيرهن من شهيرات نساء العرب في الأقطار الأخرى . والواقع الذي يؤسف له ، ولكن ينبغي أن تقر به ، هو أن جهل القارىء العربي بأحوال اليمن وتاريخه لا يقف عند الجهل بشهيرات نسائه بل يعدو ذلك الى أمور أهم وأعم . ولكن ليس ذلك موضوع حديثنا هذا .

عرفت اليمن زمن الاسلام دولا قوية وحضارات زاهية ، وعرفت ضمن تلك الدول نساء شهيرات قد لا يصل الى مكانة بعضهن كثيرات من شهيرات نساء العرب خارج اليمن . واهم هذه الدول دولة بني زياد (٢٠٤ ـ ٤٠٧ هـ) ، ثم دولة الصليحيين (٤٣٩ ـ ٥٣٢ هـ) ، وقد عاصرتها وناوأتها دولة بني نجاح الحبشيين في تهامة وزبيد (٤١٢ ـ ٥٥٤ هـ) ، ثم دولة بني رسول (٦٢٦ ـ ٨٥٨ هـ) . وكان للمرأة في هذه الدول شأن ومكانة ، ولا سيما في دولة الصليحيين التي يكاد تاريخها أن يكون في الواقع تاريخ امرأتين .

دولة بني زياد

ينتسب بنو زياد الى زياد بن أبيه ، أو ابن أبي سفيان ، عامل معاوية المشهور . وقد ولى المأمونُ العباسي أحدهم ، وهو محمد بن زياد ، اليمنَ حين قامت فيه الفتن عام ٢٠٤ للهجرة ، فقام بالأمر على وجه سليم ، وأحسن هو وقواده السياسة والسيرة في الناس . ثم اتصلت الولاية في بنيه حتى صارت دولة لهم .

وانتهى الأمر في بداية القرن الرابع للهجرة الى واحد من أحفاده اسمه أبو الجيش بن زياد ، بلغ الثمانين من عمره في الملك ، ومات عام ٣٧١ . وقد اضطربت الدولة في أيامه واستقل بعض الأعمال عن الدولة ، ولم يبق له سلطان على الأطراف البعيدة عن زَبِيد (١) عاصمة دولتهم .

هند بنت أبي الجيش بن زياد

ولما مات هذا الشيخ خلف ولدا صغيرا انتقل اليه الملك تحت رعاية أخته هند بنت أبي الجيش.

وكان بنو زياد قد أكثروا من استعمال المماليك والعبيد من الحبشة فصار لهؤلاء السلطان الحقيقي في الدولة .

وقد انتهت رياسة هؤلاء الحبشة الى عبد من النوبة اسمه الحسين بن سلامة أثبت كفاءة عظيمة فرد دولة بني زياد الى سابق قوتها ومنعتها ، ونشر العدل والرخاء في اليمن بحسن سياسته وصلاح سيرته ، ويقول فيه عمارة اليمني المؤرخ لليمن « وأخبار حسين ومحاسنه باليمن مجلدات بل مخلدات » .

ولكن يبدو أن ولاء هؤلاء المماليك كان في الدرجة الأولى الى هند أخت الملك ، فلما مات الملك حوالي تاريخ وفاة الحسين بن سلامة عام ٤٠٢ للهجرة ، انتقل الملك الى طفل آخر تحت رعاية هند عمته وكان من بين قواد الحبشة رجل شديد الولاء لهند اسمه نجاح ، فاحفظ ذلك عليه قائدا آخر ينافسه وافتنم فرصة غياب نجاح هذا من زبيد عام ٤٠٧ فقتل هندا والملك الطفل ابن أخيها . وبذلك زالت دولة بني زياد . ولكن نجاحا زحف بعد ذلك على زبيد واحتلها وقتل خصمه القادر ،

(١) زبيد مدينة في اليمن على الطريق الواصل بين عدن ومكة تبعد نحو ٢٥ كيلومترا عن البحر الأحمر .

وصارت له الدولة في زبيد وفي ما كان لها من الاعمال ، وباحتلاله زبيد بدأت دولته ودولة ابنائه المعروفة بدولة بني نجاح .

الذن بقيت هند بنت ابي الجيش صاحبة الكلمة الأولى بين بنين زياد قرابة أربعين سنة ، ورغم أن السلطة الحقيقية لم تكن في يدها الا انه لا شك ان قدرتها وحنكتها هما اللتان استطاعتا أن تحفظا اسم الدولة على الأقل تلك الفترة الطويلة . ولولا حقيقة مكانتها ومهابتها لما احتاج ذلك القائد القادر ان يقتلها . وسنجد هذه الظاهرة ، ظاهرة الولاء لسيدة من أهل بيت المُلك ، حين يضعف أمر الرجال منهم او يغيبون، امرا كثير التكرر في تاريخ اليمن في الدول الثلاث الكبرى التالية .

اسماء بنت شهاب

استقر الملك لنجاح الحبشي في زَبِيْد وتهامة، وانتشرت في بقية اليمن دويلات وحركات محلية . وما لبث أن ظهر من بينها رجل يقوم بالدعوة الفاطمية في اليمن هو علي بن محمد الصليحي .

بدأ أمر الصليحي في الجبال شمالي اليمن عام ٤٣٩ للهجرة ، وسرعان ما استفحل امره فاستطاع أن يستولي على جميع اليمن وقضى على اعظم خصومه ، نجاح الحبشي ، بأن احتال لِسَمّه على يد جارية اهداها اليه : وكان ذلك عام ٤٥٢ .

ويجمع المؤرخون ان الصليحي كان يشرك معه في أمره زوجته السيدةَ اسماء بنتَ شهاب ، اُولى المرأتين العظيمتين في تاريخ الدولة الصليحية .

ورغم ما يذكره المؤرخون عن ورع علي بن محمد الصليحي وتقشفه في شبابه وانقطاعه لتنظيم امر دعوته ، الا انهم يذكرون انه هام بحب اسماء هذه ، فلما خطبها من ابيها ، وكان من اعمامه ، اشتط عليه في المهر ، لان امها ، كما يقول المؤرخ عمارة ، كانت تراها لا تصلح الا لمَلِك . فاستعان الصليحي على مهرها بواحد من كرام الحبشة في زبيد ، فاستطاع أن يتزوجها . ولعل هذه القصة مما شاع على الألسن بعد عُلُوِّ نجم الصليحي ، وعلو شأن السيدة أسماء . وقد بلغ من مكانتها في دولة زوجها انه كان يُخطَب لها على المنابر فيُخطَبُ أولا للمستنصر ، الخليفة الفاطمي في مصر ، ثم لعليٍّ الصليحي ، ثم لزوجته اسماء فيقال : اللهم وادمْ ايام الحرّة الكاملة السديدة كافلة المؤمنين .

وكانت اذا حضرت مجلسا لا تستر وجهها عن الحاضرين . وفيها يقول احد شعراء زمانها :

رَسَمَتْ في السماح سُنّةَ جُود
لم تَدَعْ من معالم البُخْل رَسْما
قلتُ اذ عظّموا لِبِلْقيسَ عرشا
دَسْتُ اسماء من ذُرا النجم اسمى

ويقول عمارة المؤرخ فيها : « وكانت اسماء من الكرم والسؤدد والجوائز السنية الجزيلة للشعراء والصلات الواسعة في سبيل المروءة والخير ، بحيث يمدح اولادها واخوتها وبنو عمها بمفاخرها » .

سعيد بن نجاح يفتك بالصليحي ويأسر اسماء بنت شهاب

وفي عام ٤٥٩، ودولة الصليحيين في اوج مجدها، خرج علي بن محمد الصليحي حاجا في موكب عظيم من الامراء والكبراء المقهورين لدولته ، وكان معه زوجته اسماء هذه . وكان هو وخاصة اهل بيته متخلفين عن الموكب قليلا ، فباغتهم سعيد بن نجاح الحبشي بجماعة من اعوانه الحبشة وقتل الملك الصليحي وجملة خاصته وأسر النساء بعد أن استأمن لهن أحد أمراء الصليحيين من سعيد .

حمل سعيد الأحول ، كما كان يعرف ، السيدة اسماء الى زبيد وجعلها اسيرته . ورغم انه نصب راس زوجها المقتول وراسَ أخيها على رمحين ، جعلهما امام الطاق الذي تنظر منه ، جريا على عادة تلك العصور في نصب رؤوس الأعداء المقتولين اعلانا بمصيرهم ، رغم هذا لم يشهد أحد من المؤرخين انه اساء معاملة السيدة أسماء في شخصيتها .

بقيت أسماء في الاسر ولم يستطع ابنها الملك المكرَّم ، الذي ولي الملك بعد أبيه الصليحي ، ان يثبت قوته من جديد وان لم يستطع أن يردها نجمت عليه في كل مكان حتى في صنعاء نفسها عاصمة ملكه. ولكنه استطاع بطول الصبر والمثابرة ان يثبت قوته من جديد وان لم يستطع أن يردها الى ما كانت عليه زمن أبيه .

يقول المؤرخون ان السيدة أسماء احتالت عام

٤٦٠ في ارسال كتاب الى ابنها المكرم ، جعلته في رغيف ، واعطته الى رجل ضعيف فأوصله الى المكرم وهى تقول فيه : « انى صرت حُبلى من العبد الاحول ، فان ادركتنى قبل ان اضع ، والا فهو العار الذى لا يزول » . فلما وقف المكرم على الكتاب ، جمع الناس واوقفهم عليه ، فضجوا بالبكاء وثارت الحفائظ ، وسار المكرّم من صنعاء في ثلاثة الاف فارس بعد ما حالفهم وخطبهم . وزحف على زبيد فاحتلها بعد قتال مرير وهرب، سعيد الاحول بن نجاح ومن معه الى دهلك ، وهي جزيرة قريبة من سواحل الحبشة في البحر الاحمر .

ولما دخل الجيش المنتصر زبيد ، كان ابنها أول من وصل اليها ، فسلم عليها ، وبعدها دخل الجيش واستعرضته « وهى في الطاق لا تستر وجهها ، وتلك عادتها في أيام زوجها ، لسمو قدرها عما يحتجب عنه النساء » . ويقول عمارة بعد ذلك : (ولم يكن قولها في كتابها : « انا حاملة من العبد » صحيحا ، وانما ارادت أن تثير حفيظته).

أعظم ملكات العرب في الاسلام

وتختلف الاخبار فيما جرى بعد هذه الوقعة ، فبعضها يقول ان المكرم واصل القتال والنظر في شؤون الدولة ، وبعضها يقول انه أصيب بشيء من فالج يوم استنقاذ أمه من زبيد ، وان الامر انتقل الى يد امه اسماء بنت شهاب ثم الى يد زوجته ، أعظم ملكات العرب في الاسلام ، السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد . ومهما يكن من خلاف في حقيقة ما تلا عام ٤٦٠ مباشرة الا ان المتفق عليه أن المكرّم قعد به المرض وصار الأمر الى زوجته الملكة الحرة واستبدت بالأمر كله بعد وفاة أمه أسماء عام ٤٦٧ .

مولد أروى بنت أحمد

وُلِدت الملكة الحرة عام ٤٤٠ ، وتقول الأخبار أن أسماء بنت شهاب تولت تأديبها وتهذيبها . والأخبار كثيرة عن ما كان يبدو عليها من مخايل النجابة والهمة في صغرها، ولعل معظمها مما تزيّده الناس فيما بعد ليوافق ما راوه فعلا من عظمة مكانتها وعلو همتها .

ومما يؤسف له أن التواريخ مضطربة متضاربة في هذه الحقبة ، وقد يذكر بعض الأخبار تاريخا لحادثة ويذكر خبر آخر تاريخا لها بعد ذلك بعشرين سنة . ولكن يبدو بعد التمحيص أن المكرم أحمد بن علي الصليحي تزوجها عام ٤٥٨ ، قبل مقتل أبيه بعام . وفي عام ٤٦٠ بعد استنقاذ امه زَبيد ، بدت عليه عوارض الفالج .

وينسب اليها بعض المؤرخين الفضل في حياكة مؤامرة عام ٤٦١ استطاعت بها أن تستدرج سعيدا الاحول بن نجاح ـ وكان عاد فاحتل زبيد ـ ونصبت له كمينا أهلكته فيه هو وجيشه وأعادت زبيد وتهامة الى الصليحيين . ولكن يستبعد بعض الباحثين أن يكون لها يد في ذلك ويبينون ان الذى قتل سعيدا انما هو المكرّم قبل أن يقعده المرض . ولعل هذا هو الاصح ، ولكن نسبة الامر الى الملكة الحرة قد ترجع الى اختلاط الاخبار على الناس فيما بعد ، ولا سيما بعد أن اقترن اسم الملكة الحرة بكل فعل مجيد في دولة الصليحيين منذ قيام المكرّم بالحكم .

ولا شك أن الملكة الحرة شاركت في امور الدولة منذ اصاب المرض زوجها ، فلما ماتت امه السيدة أسماء « فوّضَ الامر الى زوجته هذه ، الملكة السيدة أروى بنت احمد ، واستروح الى السماع والشراب ، واستبدت الملكة السيدة أروى بنت احمد بالامر » .

ثم يقول عمارة : « ويقال انها استعفته في نفسها وقالت له : أن امراة تراد للفراش لا تصلح لتدبير ، فدعنى وما أنا بصدده ، فلم يفعل » .

أروى تخرج من صنعاء في جيش جرار

عندها ارتحلت من صنعاء في جيش جرار وتركته في صنعاء ، وجعلت مركز اقامتها ودولتها في ذى جبلة ، في وسط جبال اليمن المنيعة ، وهناك بقيت عاصمتها الى عام موتها سنة ٥٣٢ . ثم ما عتمت أن أقنعت المكرم بالرحيل عن صنعاء الى ذى جبلة حيث بقي في الواقع حبيس بيته معزولا عن الناس والدولة حتى مات عام ٤٧٧ .

وبموت المكرم اتخذ وضعها على رأس الدولة شكلا جديدا . فقد كان زوجها أوصى بالأمر من بعده الى أمير من أهل قرابته هو أبو حمير سبأ بن أحمد الصليحي ، ولكن الملكة الحرة كانت تعلم أن سبأ هذا من قوة الشخصية بحيث لا يترك لها يدا في الدولة . ولما كانت دولة الصليحيين تقر بالطاعة للخليفة الفاطمي في مصر فقد كتمت

الملكة امر موت زوجها ، وكان ذلك سهلا لانقطاعه التام عن الناس ، الى ان جاءها سجل من الخليفة الفاطمي المستنصر باقامة ولدها على بن المكرم ملكا، وكان على هذا فى العاشرة من عمره ، وطبيعى ان الامر كله كان فى يد امه الملكة .

سبأ بن احمد الصليحى ينازع أروى

سكت سبأ عن حقه فى الملك ، ولكن غضبه من ضياع فرصته جعل الملكة الحرة تحرض عليه انصارها من اصحاب الأعمال لتشاغله عنها ، ثم اقحمت الخليفة المستنصر فى الامر بما كانت ترسل اليه من الاخبار حتى ارسل سجلا الى المتنازعين « يحثهم فيه على تناسى الاحقاد بوجوب طاعة الملكة الحرة وابنها الملك على بن المكرم » .

ولكن الملك الصغير توفى بعد قليل ، وكان أخوه الاصغر قد مات قبله . وعندها رأى سبأ بن احمد ان يعود للمطالبة بحقه . ولكنه كان يدرك قوة الملكة الحرة فى البلاد ومكانتها عند الخليفة الفاطمى ، فاحتال لنفسه هذه المرة بأن خطبها لنفسه . فرفضت ذلك وأنِفت منه ، فجمع جموعه ليهددها ، وجمعت جموعها لتقاومه . وكاد ينشب القتال لولا ان أخا الملكة لأمها أشار على سبأ أن يرسل الى الخليفة يخطب الملكة الحرة منه لنفسه ففعل .

أروى تستجيب لرغبة الخليفة

وعاد رسولاه من مصر ومعهما كتاب من الخليفة المستنصر الى الملكة الحرة بانه زوجها من سبأ ابن أحمد الصليحى ، وجرت فى حضرتها محاورة طريفة بينها وبين رسول المستنصر اوردها عمارة فى تاريخه . ويلفت النظر خطاب المستنصر للملكة فى صدر الرسالة اذ يقول : « أمير المؤمنين يقرأ السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية ،الطاهرة الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن ، عمدة الاسلام ، ذخيرة الدين ، عصمة المؤمنين كهف المستجيبين ، ولية أمير المؤمنين ، كافلة أوليائه الميامين » .

وقد رضخت لرغبة الخليفة الفاطمى وعقدت قرانها على سبأ بن أحمد ولكن لم يكن بينه وبينها عشرة ورحل عنها صبيحة الزواج ولم يعد . وقد اقرته الملكة الحرة فى مباشرة الدعوة الفاطمية فى اليمن وفى كثير من أمور الدولة ، ولكنها بقيت سيدته وكان الخليفة يكاتبها مباشرة .

سبأ يموت ، فتصبح أروى سيدة البلاد

فلما مات عام ٤٩١ لم يقم غيره من بيت الصليحيين ليطالب بحق ، ففصلت الملكة الحرة منصب الدعوة عن أمور الدولة وولته داعيا لا ينازعها فى الملك وصارت سيدة البلاد المقرة لها بالطاعة مباشرة دون ستار من ملك ، ولو صورة .

وطبعا لم تكن الاحوال فى الدولة الصليحية على خير ما تكون ، اذ اضطرت الملكة أن تترك الأعمال والحصون الى المستولين عليها من الأمراء وزعماء القبائل ما داموا مقرين لها بالطاعة . ولكن أهم ما اضعف دولة الصليحيين كان رجوع تهامة وزبيد الى مُلك بنى نجاح الحبشى عام٤٦٢على يد جيّاش ابن نجاح ، أعظم ملوكهم ، وكان عالما شاعرا ، وهو مؤلف التاريخ المشهور «المفيد فى اخبار زَبِيد». وقد عاش جيّاش حتى حوالى عام ٥٠٠ فى قوة ومنعة ، وكان كثير من أهل اليمن يميلون أحيانا مع بنى نجاح على الصُّليحيِّين ، لأن بنى نجاح ، وكانوا من أنصار السُّنَّة ، يوسعون على الفقهاء والعلماء ، وقد جعلوا زبيد من أكبر مدن العلم فى ذلك الحين .

أروى تسأل الخليفة مستشارا

ولما رأت الملكة معظم رجالها المخلصين يتخطفهم الموت ، اما قتلا فى الحرب،واما بحكم الشيخوخة، رأت أن تستعين بالخلافة الفاطمية فى مصر لترسل لها مستشارا يرعى امور الدولة ، وكان ذلك عام ٥١٣ ، وعمرها فوق السبعين .

فجاء رجل اسمه ابن نجيبُ الدولة ، القت اليه مقاليد الأمور ، وسار سيرة حسنة مدة خمس سنوات ، الى أن سوَّلت له نفسه محاربة بنى نجاح فى تهامة ، فهزموه هزيمة منكرة ، وفرَّ وهو، ثم رجع الى الملكة بعد أيام بعد أن كانت الاشاعة طارت بقتله .

ولما أبدت الملكة الحرة رضاها عنه وعادت تؤيده ، اثار ذلك حفيظة رجالها الآخرين فسموا فيه عندها وفترت العلاقة بينهما وتطاول على مقامها بأن رماها بالخبل وقال :

– « قد خَرِفَتْ واستحق عندى أن يحجر عليها .

وببدو أن الملكة علمت بذلك فحرضت عليه رجالها ، فحاصروه فى الجند ، ولم يستطع فكاك نفسه . فاستغاث بها ، فأغاثته ، واحتالت فى فك الحصار فانفضّ الناس عن الجند . فقيل لابن نجيب الدولة : « هل أبصرتَ هذا التدبير للتى قلت انها خرفت ؟ » فركب اليها فى « ذى جبلة » وتنصل واعتذر .

واخيرا تخلصت من ابن نجيب الدولة حين سخط عليه الخليفة الفاطمى الآمر واستدعاه الى مصر ، ولا يبعد أن ذلك تم بعلم الملكة ورأيها ، فاخذ الى مصر وغرق عند باب المندب بفعل أعدائه عام ٥٢٤ .

أروى تموت فى أوج ملكها

وعاشت الملكة بعد ذلك حتى ٥٣٢ فى هيبة الملك وجلال المقام رغم علو سنها ، ولم يكن يمسك ولاء الناس للصُّلَيْحيِّين الا شخصها ، فلما ماتت عام ٥٣٢ عن تسعين ونيف زالت الدولة بزوالها. وقد ماتت عن ثروة هائلة جليلة ، وقد أوصت بمجوهراتها وتحفها للامام الطيب المستتر التى ناصرت دعوته فى وصية حفظت لنا ، ووصف هذه المجوهرات والتحف يبهر ويثير الدهشة من حصولها كلها لها .

وصف عمارة الملكة الحرة فقال : « وأما صفتها فكانت بيضاء حمراء،مديدة القامة، معتدلة البدن، الى السمن أقرب ، كاملة المحاسن ، جهورية الصوت ، قارئة كاتبة ، تحفظ الأخبار والاشعار والتواريخ » .

ويقول غيره من المؤرخين ، انه كان يقال لها بلقيس الصغرى لرجاحةعقلها وحسن تدبيرها. ويقول أتباعها ان الخليفة المستنصر الفاطمى كان رفعها الى مقام الحجج فى سلسلة الدعوةالفاطمية، وهى مرتبة فوق الدعاة ، فقام من يعترض على رفع أنثى الى مرتبة الحجة، وناهض هؤلاء أنصار لها قاموا يدافعون عن كرامة الاناث ، وأنّ لهنّ فضلا لا يُنكر اذا تميزن بالصفات الحميدة المرغوبة .

وقد يكون من خطل الرأى بعد الكلام عن امرأة فى مكانة الملكة الحرة أن نطيل الكلام فى نساء أخريات لم يكن لهن شأن يطول شأنها ، وانما كنّ من نساء الملوك ، ولعبن دورا فى أيام دُوَلهن، استطعن به أن يؤثرن على مجرى الحوادث فترة قصيرة .

دول لم تشهد للنساء ذكرا

اما دولة بنى نجاح فلم تشهد للنساء ذكرا ومقاما الا فى آخر أيامها حين صار الملك الى أطفال صغار واستبد بالملك الوزراء من العبيد . وكان آخرَ الوزراء سرورٌ أبو محمد الفاتكى ، من أمحرة من الحبشة ، كان من موالى الحرة أم فاتك الملك ، فلما توفى ابنها ، وقام مكانه ابن عم له ، بقى سرور هذا صاحب الكلمة العليا ، وبقى ولاؤه لسيدته ، وكان يعاملها معاملة الملكة الفعلية ، يستشيرها فى كل أمور الدولة ، وكان اذا حضر بين يديها يُعفّر خدّه بالأرض اكراما لها . ولما قتل سرور هذا عام ٥٥١ آذنت دولة بنى نجاح بالزوال ، وزالت فعلا بعد ثلاث سنوات على يد على بن مهدى الحميرى .

واود ان أختم الكلام هنا بذكر امرأتين من بنى رَسُول . وبنو رَسُول جماعة من الغُزّ أى الجراكسة ، ومن اليهم من المماليك الذين انتشروا فى الدولة الاسلامية منذ قيام السلاجقة الأتراك والأيوبيين ، وكانوا جنودا محترفين ، يخدمون من دفع لهم أجرا يقبلونه ، أو ينشأون فى طاعة مَنْ مَلَكَ رقابهم بالاسترقاق . وقد ادّعى بنو رسول نسبا عربيا الى الغساسنة ، وما يزال الناس فى اليمن يسمونهم « بنى غسان » حين يذكرون شيئا من آثارهم .

صلاح الدين الأيوبى يضم اليمن الى دولته

بعد أن اضطربت الأحوال فى اليمن بزوال دولة الصُّلَيْحيِّين ، ثم دولة بنى نجاح ، أرسل صلاح الدين الأيوبى من مصر من احتل اليمن وضمها الى دولته : وكان ذلك عام ٥٦٨ . وكان بنو رسول أول أمرهم فى اليمن فى خدمة الأمراء الأيوبيين .

وفى عام ٦٢٦ استطاع عمر بن على رسول أن يستقل باليمن عن الأيوبيين ، ونشر دولته على اليمن كله ، وكان ملكه قويا عظيما ، فلما مات عام ٦٤٧ فى جبال اليمن الجنوبية قتلا بيد مماليكه سار أولئك المماليك الى ابن أخ له اسمه فخر الدين فجعلوه ملكا ، وزحفوا الى مدينة زبيد عاصمة تهامة وثانى مدينة فى دولة بنى رسول اهمية بعد تعز . وقد تخطى المماليك أبناء عمر الثلاثة حين بايعوا ابن أخيه ، وكان ابنه الاكبر

يوسف في المهجم في شمال اليمن، وكان خاصم أباه لانه كان يفضل عليه أخويه الصغيرين من زوجته الثانية .

وهنا اقتحمت المشهد امراة فتية غيرت وجه تاريخ تلك الحقبة .

بلقيس الصغرى

كان لعمر المقتول بنت في زبيد اسمها ، أو يكنى عنها ، « بالدار الشمسي » وهو أسلوب في التكنية عن كبريات النساء كان شائعا في ذلك العصر اذ تنسب الى الطواشي الذي كان يقوم على خدمتها.

كانت هذه السيدة في حدود الثلاثين أو اقل ، فلما علمت بموت أبيها وتولية ابن عمها ، وزحف المماليك على زَبيد ، قامت تجمع الرجال،واطلقت الاموال وحصنت المدينة ، وأغلقت أبوابها ، وصَمَدت للحصار ، وراسلت أخاها يوسف فجاء بمن معه . فلما رآه المماليك قادما اليهم ، ورأوا أن لا حيلة لهم في فتح زبيد ، خافوا وهربوا . فدخل زبيد منتصرا. وسرعان ما استقر له الامر في جميع أنحاء الدولة . والواقع أن يوسف لم يكن أول الأمر يطمع في أن يصل اليه الملك ، ولكن هذه المرأة لم ترد أن يكون الملك لاحد غير أخيها الشقيق هذا فكان لها ما أرادت .

وقُدّر للملك المظفر هذا أن يكون من أعظم ملوك بني رسول ، ومَلَك ٤٧ سنة ، وكان لأخته مقام كبير في دولته ، كما كان لها مشاركة في الحكم والتدبير .

ولما ماتت أخته هذه بعده بعام ، عام ٦٩٥ قال الامام المطهر بن يحيى ، امام الزيدية اذ ذاك باليمن : « ماتت بلقيس الصغرى » .

سيدة أخرى من بني رسول

لعبت « الدار الشمسي » دورها الخطير في منتصف القرن السابع للهجرة . وبعد قرن من الزمن ، في منتصف القرن الثامن ، قدر لسيدة أخرى من بني رسول ، كانت اذ ذاك نيفت على الستين ، أن تلعب دورا أكبر محفوفا بمخاطر أكثر في صيانة ملك ابنها : السلطان المجاهد .

تولى السلطان المجاهد الملك عام ٧٢١ ، وعمره أربع عشرة سنة ، وكان التدبير في ملكه لأمه المعروفة كناية « بجهة صلاح » ، نسبة الى الطواشي القائم بخدمتها . ثم أثبت المجاهد مع الأيام أنه ملك كفؤ قادر ، فقهر خصومه ومنافسيه واستقام له الأمر . وفي عام ٧٥١حج السلطان المجاهد ، وبينما هو في مكة حصل نزاع بين أشراف مكة ، وكان بعضهم يوالي سلطان اليمن ، وبعضهم يوالي سلطان المماليك في مصر ، واتسعت الفتنة ، فقبض أمير الركب المصري عليه واخذه أسيرا الى مصر .

هنا برزت والدته الى الميدان من جديد . فقد بادرت بأن سارت صُحبة خواصها من الرجال والجند الى مكة ، واسترجعت كثيرا من أموال ابنها ، ومن الخيل والبغال والحمير والجمال والآلات ، مما كان نهب بعد القبض عليه ، ثم عادت متوجهة الى اليمن في موكب عسكري ،ودخلت تعز عاصمة الدولة عام ٧٥٢ ، والقت القبض على ابني ابنها خشية أن يخطر لأحدهما القيام على أبيه الغائب والاستيلاء على الملك . وبقيت تسوس البلاد وتسير الجند لتقاتل الخارجين وتنشر الأمن في البلادحتى عاد السلطان المجاهد الىاليمن بعد غيبة أربعة عشر شهرا . ولما وصل استقبلته بمواكب من الجند عظيمة ، وأبهة عجيبة اظهارا لقوة الدولة .

ويقول الخزرجي ، مؤرخ دولة بني رسول ، في معرض الترحم عليها بعد موتها عام ٧٦٢ ، ان حكمها مدة غياب ابنها كان فترة عدل واحسان وخِصب وأمان . ثم يقول : « ولها آثار حسنة في الدين ، وكانت تحب العلماء والصلحاء وتكرمهم وتجلهم وتعظمهم ، وكانت تدور بيوت الناس تتفقدهم بالعطايا الوافرة . وقل أن يأتي الزمان بمثلها . وما أحقها بقول أبي الطيب المتنبيحيث يقول :

ولو كان النساء كمن فقدنا
لفضلت النساءُ على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخرٌ للهلال

ولعل في ايراد الخزرجي لهذين البيتين ،اللذين قيلا في رثاء أم سيف الدولة ، أكثرَ من صدى ، فقد كانت هذه السيدة ، أم السلطان المجاهد ، من أهل حلب ، رحل أبوها الى اليمن ، وكان عالما فاضلا ، فتزوجها الملك المؤيد ، والد المجاهد ، في اليمن . ■■

محمود علي الغول
أسكتلندة



لفظ له معنيان :

عند الناس معنى ، وعند الأطباء آخر

■ كانت المحكمة منعقدة : والنظارة ترى وتسمع ، ووالد الفتاة ووالدتها حاضرين بين الحاضرين .

ووقف الشاهد يدلي بشهادته .

وساله القاضى : انك تذكر الهستيرية وتقول ان هذه الفتاة تدل اعراضها على انها مصابة بها . فكيف كان ذلك ؟

قال الطبيب الشاهد : آسف أن كان فى تعبيرى شىء من الابهام . ان الهستيرية لفظ له معنيان ، معنى يجرى على السنة الناس ، ومعنى يجرى على السنة الأطباء ، من بشريين ونفسانيين ، وبينهما اختلاف . ولكن يجمعهما انهما حالتان نفسيتان .

قال القاضى : فادلّ لنا اولا بالمعنى الذى يجرى على السنة الناس .

قال الشاهد : ان الرجل منا ، وان المرأة خاصة ، توجد في ظروف تخرجها عن طبيعتها العادية الهادئة ، فتنفعل انفعالا شديدا يظهر في حركاتها ، وفي صوتها ، الى درجة تكاد ان تكون جنونا . ويكون ذلك عن خوف وذعر شديدين . ويكون عن غضب بالغ ، يدفع بها ، أو يدفع به، الى تحطيم كل ما وجد، حتى اغلى شيء يعتز به . ومن اسباب ذلك الحزن البالغ : امرأة يموت ولدها، فتلطم وجهها، وتمزق ثيابها ، وتشد شعرها ، وقد تخرج الى الشارع هائمة لا هدف لها الا البعد عن مكان الكارثة الى الهواء الطلق تزفر فيه الساخن الحارق من انفاسها .

قال القاضي : سمعنا بالهستيرية تسرى في بعض الجماهير اذ تحتشد ..

قال الشاهد : هذه من تلك ، كلاهما انفعال شديد يخرج بالناس عن الوعي ، فيطلقون لغرائزهم العنان . مثال ذلك حريق في السينما . ما تكاد تعلو شرارة، او يقال حريق ، حتى يهتاج الناس ، ويصطرعون طلبا للأبواب ، في غير نظام ، ويدوس بعضهم بعضا ولا يبالي . او هو لا يشعر بما يصنع . انه يطلب النجاة بأي اسلوب ، ولو بالأسلوب الذي يؤخر الوصول الى النجاة ، ويكون فيه سد المخارج وانغلاقها ، وضياع الارواح .

ومن هستيرية الجماهير ، وقوعهم تحت سيطرة الخطباء ، في البيئة التي مهدت أحوالها الى سرعة اثارة الناس ، فقد يبلغ الخطيب من القوة ما يحمل الناس على فقد صوابهم ، فيقومون يصرخون ، ويحرقون ،هدفهم ، تحت الغضب الشديد ، الهدم والتخريب . وقد يكونون ، أفرادا في حياتهم العادية ، قوما رزينين محترمين . ولكن قام الغضب فيهم ، في هذا الظرف الخاص ، يسد ما بين الافعال والعقول . فقد يمسك العاقل منهم على السلّم ، بمدية على الغضب ، فيذبح بها الانسان كما يذبح البهيم . ثم ينقضي النهار ، فلا يكاد يدرك ما صنع ، كيف صنعه ، وكيف استطاعه .

فهذا يا سيدى القاضي معنى الهستيرية التي تجري على السنة الناس . وانا اذ قلت ان هذه الفتاة مصابة بالهستيرية ، فما قصدت ابدا ذلك المعنى الذي يجري على السنة الناس .

قال القاضي : فحدثنا باختصار عن الهستيرية بمعناها الذي عند الأطباء .

قال الشاهد : ان الهستيرية عند الأطباء اضطراب نفساني ، مظهره عصبية انفعالية ، يصاحبها خلل في وظائف الجسم . مثال ذلك فقدان الاحساس في اجزاء من الجسم لا تتفق مع توزع الأعصاب الحسية وتفرعها فيه . فقد تفقد اليد حسها . وقد تفقد القدم . وقد تفقد الرجل . وقد تتعرض أجزاء الجسم ، من الخصر الى اعلى، الى فقدان الاحساس . وهذه ظواهر لا تتفق ابدا مع فقدان الحس الذي يصيب المرضى بسبب تغير عضوي .

ومن مظاهر الهستيرية حدوث شلل في نواحي الجسم تفقد به الحركة . وقد يشل نصف الجسم ، وقد يشل عضو بذاته . ومع ذلك تظل الحركات الانعكاسية سليمة ، ولا تنضمر العضلات . وهذا يتنافى مع اعراض الشلل الجثماني العضوي المعروف .

الى غير ذلك من الأعراض .

والمتعب في هذه الاعراض انها تشتبه كثيرا بأعراض الأمراض العضوية الأخرى المعروفة . فهي تجهد الطبيب المعالج في التعرف عليها .

القاضي : الهستيرية اذن مرض ؟

الشاهد : ان الهستيرية لا تعتبر عند الأطباء مرضا قائما بذاته يتصل بعضو من الأعضاء ، ولكن مجموعة أعراض تظهر في صور مصدرها اضطراب في النفس .

القاضي : وما الدليل على ان الهستيرية سببها اضطرابات نفسية ؟

الشاهد : من ادلتها .. ولا اقول دليلها ، انها حالات أصابت الجنود في

الحروب عندما وقعت لهم أزمات نفسية حادة : جندي في الخط الأمامي ، بين الحياة والموت ، يصيبه الذعر فيريد أن يهرب . ويمنعه من الهرب الخوف من وصمة الجبن . فيصاب على الفور ، وبدون انذار ، بشلل في رجليه ، او يصيب العمى عينيه . فلا يستطيع ان يقف ، ولا يستطيع ان يرى . ويُحمل الى ما وراء خط النار ، حيث الأمن والراحة . وما بالجندي ادعاء . انه الشلل الهستيري المعروف ، وانه العمى الهستيري ، ذان اللذان اشتهر امرهما في الحربين العالميين الماضيين . ومثل هذا يحدث في الأزمات النفسية في الحياة السلمية ، في حوادث الطريق والمِحَن التى تصيب العمال في المصانع .

ومن الأدلة على ان هذه الأعراض سببها النفس ، لا الفساد في أجهزة الجسم ، انه يمكن احداثها بالتنويم الذى اسموه بالمغناطيسي . يقترح المنوِّم على المنوَّم انه مصاب بشلل في ذراعه اليمنى، فيحاول المنوَّم تحريكها فلا تتحرك . او انه لا يرى شخصا قاعدا في الحجرة كان يراه ، فاذا به لا يراه اذا هو أُمر بأن لا يراه . انه عندئذ يرى مقعدا خاليا . ان الاقتراح بالشلل ، او بالعمى ، يأتي في هذه الحالة من المنوِّم . واما في الحالة الهستيرية التى يصاب بها الناس ، فاقتراحها يأتي من داخل انفسهم ، من صميمها ، على غير وعي .

القاضي : الاحظ انك تتحدث عن الهستيرية كانما هي تصيب الذكور والاناث على حد سواء . وكاني اذكر انها تصيب الاناث خاصة .

الشاهد : هكذا كان يزعم القدماء . حتى بلوتارك المؤرخ الاغريقي ، وهو عاش بين العام الأول والثاني الميلادى ، ذكر انه حدث في المدينة القديمة بآسيا الصغرى ، ميليتس Miletus ، حدث بها ، بغتة وبدون انذار ، ان فتياتها اصابتهن جميعا ذات مرة ازمة نفسية رغبن فيها عن الحياة وودن الموت ، وحاولن الانتحار بسبب الهستيرية . وظلت هذه العقيدة قائمة زمانا ، ان الهستيرية تصيب النساء وحدهن . وساعدها على البقاء ان اعراض الهستيرية تصيب البنات المراهقات في سنوات البلوغ، وحتى اسم الهستيرية Hysteria متخذ من الاسم الأغريقي للرحم ، وهو Hystera ، بحسبان انه تحول يجرى في الرحم عند البلوغ يسبِّب كل هذه الأعراض . ثم اتضح ان هذه الأعراض تصيب الرجال كما تصيب النساء .

قال القاضي : هل عندك ما تقوله فوق هذا حتى نستدعي الفتاة لتدخل . هل عندك ما لا تود ان تسمعه الفتاة ؟

قال الشاهد : نعم . عندي ان هذه الفتاة كان لها تاريخ مع امها هستيري غير شديد . وامها اغرتها بتقبّل عريسها ، وكان في نفسها منه عزوف شديد . فوقعت بين عاملين متعارضين ، الرضى بالذى تريده وتصر عليه أمها ، وبين الرفض الذى تصرُّ عليه هي نفسها . فالذى وقع لها يوم الزفاف من فقدان الذاكرة كان المَخرج الذى اختارته الطبيعة للصراع الذى وقع في اطوائها .

القاضي : ولكن ما تقول في خروج الفتاة من دارها ، وغيابها الاسابيع ، وهي في امتلاك كامل لوعيها ؟

الشاهد : هذا لا يتعارض مع فقدان الذاكرة ، ولكنه يأتلف مع رغبة النفس ، غير الواعية ، في البعد عن مكان اصطرعت فيه الرغبتان ، الرضا بالزوج ورفضها اياه . ومن حالات ضياع الذاكرة حالات يتصرَّف فيها صاحب الذاكرة الضائعة تصرُّفا عاديا معقولا كأنْ لم يصبه شيء. واذكر من هذه الحالات حالة مذكورة في السجلات : قسيس فقد ذاكرته ،وتحول عن بلدته ، وذهب ولم يعرف أحد عنه بعد ذلك شيئا . وبعد عدة أشهر وجدوه يشتغل في عمل لا يمت الى عمله الأصلى بشيء ، ومنه يتكسب . وحدَّثوه فيما كان من أمره ، فلم يذكر من ماضيه شيئا . لقد كان انسدل على ماضيه حجاب كثيف . فهذا هو كل ما عندى يا سيدى القاضي . ■■

جميلة مغنية الحجاز

أمرت جواريها فضربن على خمسين وترا فتزلزلت الدار
ثم غنت هي على عودها فجرت من العيون الدموع

بقلم : خليل الهنداوى

■ كانت جميلة مغنية ، قبل أن تكون جميلة وسيمة ، يساعد جمالها على تأثير غنائها فى النفوس ، وفيها يقول عبد الرحمن بن أرطاة :

وتلكم جميلة زين النساء ... اذا هى تزدان للمخرج
اذا جئتها بذلت ودها ... بوجه منير لها ، أبلج

المصادفة هيأت لجميلة الغناء

وما كانت جميلة الا مولاة انصارية ، دفعها الى الغناء ميل طبيعي الى الغناء والتنغيم بينها وبين نفسها . والمصادفة هى التى هيأت لها ذلك . وما اكثر ما توجه المصادفات أهل العبقرية الى هياكلهم التى خلقوا لها . وهي لا تريد ان تدعى بأن غناءها وحي عبقرية او نتاج درس ، وانما تردّه الى هذه المصادفة وتسكت . على ان المصادفة وحدها لن تكون مخصبة ابدا اذا لم تنزل ارضا فيها اسباب الخصب والتوليد . سئلت جميلة : انى لك هذا الغناء ؟ فقلت : « والله ما هو الهام ولا تعليم .. » فما هو اذا ؟ أيغني الالهام وحده فى الفن ؟ ايغني التعليم وحده ايضا ؟ حقا ان الفن لا يمكن ان يكون واحدا مستقلا عن هذين الاثنين . قالت : « ولكن جارا لنا كنت أسمعه يغني ، ويضرب بالعود فلا افهمه ، فاخذت تلك النغمات ، فبنيت عليها غنائي . » اذن هو التقليد . ومن لم يضرب فى التقليد لا يصل الى سر الابتكار .. وقالت : « فجاءت نغماتى اجود من تاليف ذلك الغناء ، تعلمت والقيت » . ذلك لأن العبقرى ـ لا يقف عند التقليد ـ وانما يتخذه معارج يتنقل فيها حتى يأتى ذلك اليوم الذى يكشف فيه عن نفسه ، وتتجلي له عبقريته . فاذا بكل ما كان عنده يضحي قشورا ... لانه مكتسب ، وما فى نفسه وحدها ، ما بان وما لم يبن هو الجدير بأن يعبر عما فى نفسه .

جمال جميلة

كانت جميلة تجمع من حسن الخلقة ،

ورقة الخلق والطبع ، ما يزيد انوثتها قوة ، ولحنها تأثيرا . وقد جاءنا ان العرب كانوا يطلبون فى المغنى ان يكون جميل الطلعة ، حسن الزى ، لان قبح الوجه يعطل جمال الصوت . فكيف فى المغنية التى تلائم بين رقة الصوت ورقة الجمال ؟

مرح جميلة وتواضعها

وكانت الى ذلك مرحة ، شديدة المرح . والمرح ، لعمرى ، من صفات الطبع الحي الذى لا يكتفى بما فيه من حياة وحركة ، حتى يعمل على بث هذا المرح فى ما حوله من ارواح واشياء . كانت تسود مجالسها النكتة ، ويغلب عليها شيء من التواضع الذى يكره المدح والتملق . وما احسن جوابها لابن سريج حين قال لها : « وما ادرى ، ايهما احسن ؟ ادبك ام غناؤك ؟ » فقالت له : كف يا عبيد ! فان النبي (صلعم) قال : « احثوا فى وجوه المداحين التراب » .

ادب جميلة وثقافتها

وقد جمعت الى ذلك ثقافة فنية ادبية ، كان يعتز بها هؤلاء الاقدمون . اعتقادا منهم بانهم لا يستطيعون اداء الرسالة الفنية بدونها ، هذه الثقافة هى التى انمت فيهم الذوق المرهف فى الفن والحياة ، حتى باتت عباراتهم تحيا حياة خاصة ، وتدلي بمدلولات خاصة. من ذلك : « حين دعت جميلة لزوارها بانواع من الاشربة ، وفيهم الاحوص وابن ابى عتيق ، قال هذا : لا اشرب . وقال الاحوص : وما جزاء جميلة ان نمتنع من شرابها . قال ابن ابى عتيق : ليس ذلك كما ظننته . قالت جميلة : من شاء ان يحملني بنفسه ويخلط روحى بروحه ، شكرناه ، ومن ابى ذلك عذرناه . ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه ، والانس بمحادثته » .

جميلة ، على الرغم من مرحها ، ابكت سامعيها

وهذه الروح التى تؤثر المرح ، هذه الروح قد يغلب عليها الجانب العاطفى الشجى فى بعض الحانها ، فهى تقول حين سمعت ابياتا لعمرو بن احمر فى عمر بن الخطاب : « والله لاعملن فيها لحنا لا يسمعه احد ابدا الا بكى » . ويقول من سمعه منها : « وصدقت ، والله ما سمعته قط الا ابكاني ، لاني اجد حين اسمعه شيئا يضغط قلبي ويحرقه ، فلا املك عيني ، وما رايت احدا قط سمعه الا كانت هذه حاله » .

وكانت جميلة ذواقة نقادة

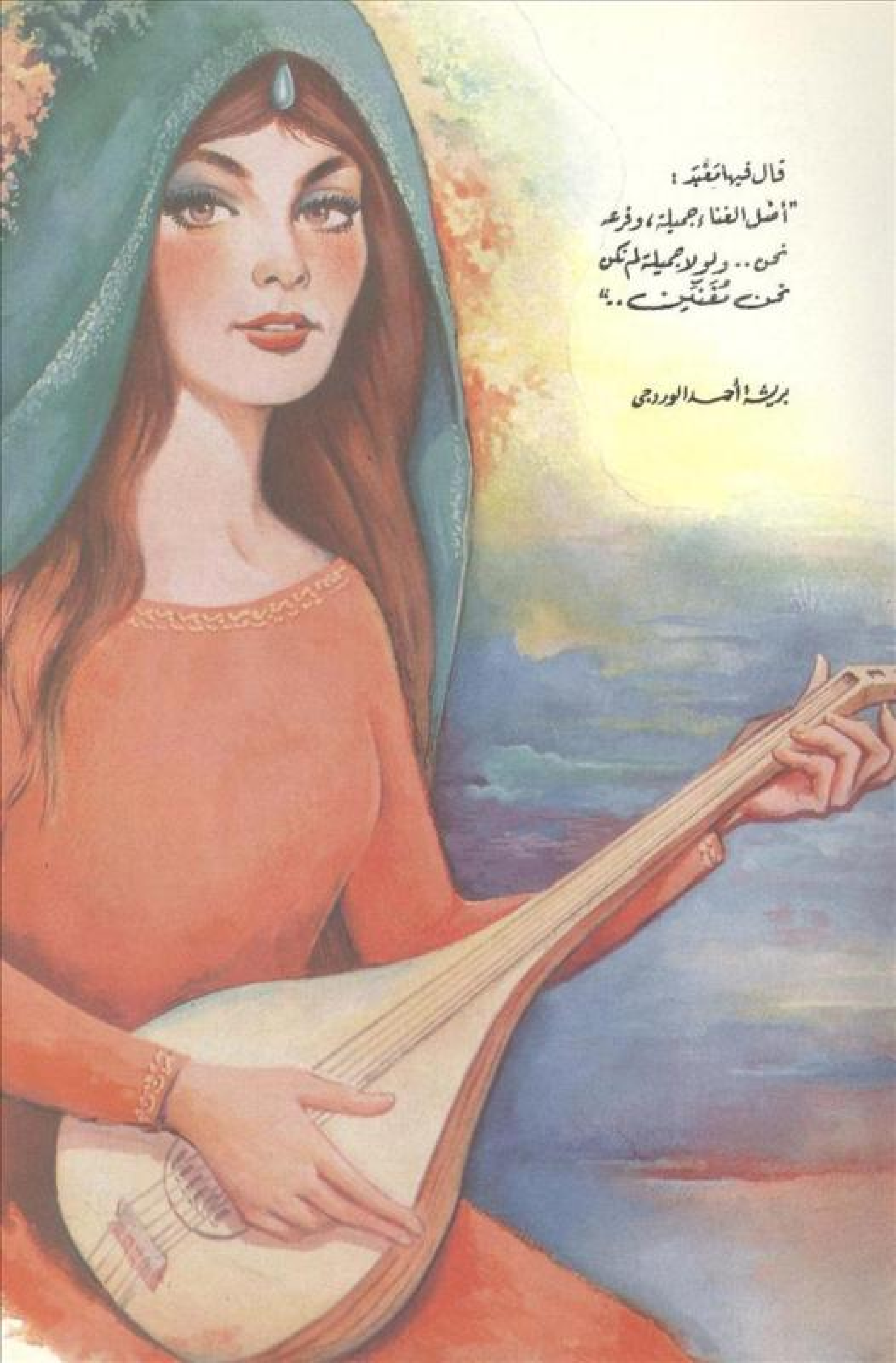
ويبدو من اخبار جميلة انها لم تكن فنانة فحسب . بل كانت ـ بطبيعة ذوقها النافذ ـ نقادة فنية ، تحسن الحكم على الاذواق ، ويكون لرأيها قيمة فى الاصوات . ولطالما اجتمع عندها كبار المغنين والمغنيات،فاسمعتهم واسمعوها، وحكموا لها ، وحكمت لهم ، ولهذه الاحكام ـ عندى ـ قيمة فنية خاصة لانها تدل على اتجاهات الاذواق الفنية ، والالحان الصوتية فى ذلك العصر . بل اراني اذهب الى ابعد من هذا المدى فى تقدير هذه الاحكام ، لانها ـ من الناحية التاريخية ـ هى كل ما تبقى لنا من ثروتهم الفنية .

اجتمع عندها ثلثة من المغنين ، وليس فيهم الا محسن ومجيد . قالت لهم جميلة : كلكم محسن ، وكلكم مجيد فى معناه ومذهبه .

قال ابن عائشة : ليس هذا بمقنع دون التفضيل .

قالت ـ اما انت ـ يا ابا يحيى ـ فتضحك الثكلى،بحسن صوتك ومشاكلته للنفوس . واما انت يا ابا عباد ، فنسيج وحدك بجودة تاليفك ، وحسن نظمك مع عذوبة غنائك . واما انت ـ يا ابا عثمان ـ فلك اولية هذا الامر فضيلة . واما انت يا ابا جعفر فمع الخلفاء تصلح، واما انت يا ابا خطاب فلو قدمت احدا على نفسى لقدمتك .

هذه احكام عامة ـ لا شك ـ انها



قال فيها مَعْبَد :
"أصل الغناء جميلة ، ونحن فرعه
نحن .. ولولا جميلة لم نكن
نحن مُغَنِّين .."
بريشة أحمد الوردجي

ليس لها مدلول فني خاص . ولكنها مع ذلك تحمل بعض البوادر التي صار بها الترجيح. فحسن الصوت ومشاكلته للنفوس ـ أو بالأحرى ـ لأهواء النفوس، وجودة التأليف وحسن النظم مع عذوبة الفناء ، كلها أشياء تعد من عمود الفناء في ذلك العصر . بل هي من عمود الفناء في كل عصر ، لأن هذا كله اذا اجتمع للانسان ، ولم تجتمع له هذه الملاءمة للنفوس وهواها ، والمعاني وصداها ، لم يجتمع له شيء .

ونريد أن نتوسع في مدى هذه الأحكام لأنها عندي كما قدمت ، تعبر عن مذاهب الفناء في ذلك العصر .

وأحكام أخرى لجميلة على المغنين

ذكر صاحب الأغاني :

« في مجلس اجتمع فيه جماعة من حذّاق أهل الفناء ، غني معبد لحنا من صنعه ، قالت جميلة : ما عدوت الظن بك ، ولا تجاوزت الطريقة التي انت عليها .. وغنى مالك ، فقالت : جميل ما قلت ، وحسن ما نظمت ، وان صوتك يا مالك لما يزيد العقل قوة ، والنفس طيبا ، والطبيعة سهولة ، وما أحسب أن مجلسنا هذا الا سيكون علما، وفي آخر الزمن متواصفا . والخبر ليس كالمشاهدة ، والواصف ليس كالمعاين » .

ولا أحسب جميلة مغالية في كل هذا، ولا يدل هذا الكلام الا على نفس مازجها الفن، ولاءم منها غاياته،فهي تحيا لفنها ، وتقدر ما يترك هذا الفن من أثر في نواحي النفس . حتى اذا غنت لهؤلاء الحذاق سمعت للبيت زلزلة ، وللدار همهمة . حتى يقول عمر بن أبي ربيعة « لله درك يا جميلة. ماذا أعطيت . أنت أول الفناء وآخره .. » .

الفناء الجوقي كان في عصر جميلة

ومن عجيب الفناء في ذلك العصر أن يكون فيه الفناء الجوقي ، وأن تجمع هذه المغنية الجواري ليعزفن لحنا واحداً، ويغنين صوتا واحدا . وهي تضع لذلك شروطا وأسبابا عميقة تجيز هذا الجمع.

من ذلك : أقبلت جميلة على نافع وبديح ، فقالت : أحب أن تغنياني صوتا واحداً، فغنيا جميعا بصوت واحد ولحن واحد ، حتى اذا انتهيا قالت جميلة : « هواكما والله واحد ، وغناؤكما واحد» ثم أقبلت على الهزليين الثلاثة فقالت : غنوا صوتا واحدا ، فاندفعوا فغنوا .. فقالت: «ما رأيت أشبه بغنائكم من اتفاق أرواحكم » . فأين هذه الوثبة النفسية من مغنين يجتمعون ، ويعزفون ، لا يجمع بينهم الا نقر الآلات ، وأرواحهم شتى غير مؤتلفة .

حينما تزلزلت الدار وجرت دموع العيون

وفي يوم ضربت جميلة ستارة ، وأجلست الجواري كلهن ، فضربن على خمسين وترا ، فتزلزلت الدار ، ثم غنت على عودها وهن يضربن على ضربها ، فدمعت أعين كثير منهم حتى بل ثوبه ، وتنفس الصعداء وقال : بنفسي أنت يا جميلة .

أقرأ هذا الخبر فأتمثل ندوة فخمة للأوبرا الحديثة ، تعزف آلاتها احدى سمفونيات بيتهوفن الرقيقة ، التي لا تخاطب الجسد ، وانما تخاطب الروح، وتوقظ فيها من أحاسيس ومشاعر يعرفها من استحالت قلوبهم وعواطفهم الى أوتار . وهذا هو ـ عزف الخلود ـ الذي يبقى أثره ، ويرفع النفس وقعه .

مجالس جميلة

كانت أيام الفناء مواسم يأتيها الناس من أطراف قريبة وبعيدة. تقام في البيوت والمجالس الجامعة . يقبل عليها الشعراء والعلماء والأمراء والاباحيون والمحافظون، لأنها مواسم الأدب والفناء . وبفضلها

شاهدنا الرقة الحجازية تتمثل فى الخلق والأدب والشعر .

وانني واصف لك احد هذه المجالس التى تجلت فيها ارستقراطية الفن . قال سياط : جلست جميلة يوما للوفادة عليها ، وجعلت على رؤوس جواريها شعورا مسدلة كالعناقيد الى اعجازهن، والبستهن انواع الثياب المصبغة ،ووضعت فوق الشعور التيجان ، وزينتهن بأنواع الحلى ، ووجهت الى عبد الله بن جعفر تستزيره « الى مجلس هياته ، لايحسن الا بك ، ولا يتم الا معك ، ولا يصلح ان ينقل من موضعه ، ولا يسلك به غير طريقه ». جلس عبد الله ، وقامت على راسه ، وقامت الجوارى صفين فاقسم عليها ، فجلست غير بعيد . ثم دعت لكل جارية بعود ، وأمرتهن بالجلوس على كراسي صفار قد أعدتها لهن . فضربن ، وغنت عليهن ، وغنى جواريها على غنائها . فلما ضربن جميعا قال عبد الله : ما ظننت ان مثل هذا قد يكون . وانه لمما يفتن القلوب .

اما مجالسها التى اقامتها بعد عودتها من الحج فهى مجالس جديرة بالذكر ، لأنها مجالس انتصر فيها الفن واستوى فيها الغناء ملكا غير متوج . اقامتها جميلة ومن معها من المغنيات والمغنين ثلاثة أيام متتابعة حنت فيها المدينة وطربت . وهى لا تدرى: اتمشى فى موكب حج أم فى مهرجان غناء .

شهادة شيخ ، ذو علم وفقه ، فى الغناء

على أن الحكم على الغناء نفسه ،أيحل ام يحرم ، هو حكم يختلف فيه الناس . وجميلة نفسها تشك يوما فى الغناء ، فتجمع الناس فى دارها ، لتقص عليهم رؤيا أفزعتها وارعبتها ... « ولست اعرف ما سبب ذلك ، وقد خفت أن يكون قرب أجلى ، وليس ينفعنى الا صالح عملى . وقد رايت ان أترك الغناء كراهة ان يلحقنى منه شىء عند ربى ». فوجم الناس بين محبذ ، وآسف .حتى قام شيخ منهم ذو سن وعلم وفقه وتجربة وانطلق يقول : « ان الغناء من اكبر اللذات واسر للنفوس من جميع الشهوات ، يحيى القلب، ويزيد فى العقل، ويسر النفوس ، ويفسح فى الراى ، ويتيسر به العسير ، وتفتح به الجيوش ، ويذلل به الجبارون حتى يمتهنوا أنفسهم عند استماعه، ويبرىء المرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره ، ويزيد اهل الثروة غنى واهل الفقر قناعة ورضا باستماعه، فيعزفون عن طلب الأموال . من تمسك به كان عالما ، ومن فارقه كان جاهلا . لأنه لا منزلة ارفع ولا شىء احسن منه. فكيف يستصوب تركه ؟ ولا يستعان به على النشاط فى العبادة ؟ » .

كم قرات لمحدثين وقدماء فى فضل الغناء ، فما رايت كلمة تذهب فى المدى ، وتشرف على الغاية اسمى وأجل من هذه الكلمة التى ان دلت على شىء فهى تدل على ما أشربت به الروح العربية الحجازية من محبة للفن، وحياة به ، وارتياح اليه. وهى ان دلت على شىء فهى تدل على ان القوم لم ينظروا الى الفن وسيلة الى الشهوات ، ولا ذريعة الى الملذات . وانما هو آلة لإحياء القلوب ، وسرور النفس وشفاء المريض . فاذا بهذا المجلس الذى اجتمع ليسمع توبة جميلة ، يجتمع ليسمع صوت جميلة ، ويفرح فرحا جديدا بانتصار الفن والغناء ... وليس الغناء الا سببا كاسباب الفنون جميعها يميل الى الخير والفضيلة ويميل الى الشر والرذيلة ، بحسب نفس صاحبه . فيقول الشيخ بعد استماعه لحنها « حسن والله . امثل هذا يترك ؟ فيم تتشاهد الرجال ؟ لا والله لا كرامة لمن خالف الحق » . ثم قام وقام الناس معه ، وقال : « الحمد لله الذى لم يفرق جماعتنا على اليأس من الغناء ولاجحود فضيلته . وسلام عليك ورحمة الله يا جميلة » !

■■

خليل الهنداوى
حلب





البيغاء الماكو الأحمر Macaw ، وهو من أكبر الببغاوات حجما وأطولها ذيلا وأزهاها ألوانا ، ولكنه ليس من أكثرها كلاما وثرثرة .

الى اليسار : وهذان زوجان من نفس الفصيلة ، فصيلة الماكو ، كبيرة الحجم، طويلة الذيل ،زاهية الألوان. وترى من تقارب الزوجين معنى ظاهرا من الولاء الزوجي الذى هو شيمة الببغاوات . ولا يفوتنا أن نذكر أن فصيلة الماكو تتألف من نحو ١٥ جنسا . وموطنها البرازيل والبارجواي

الببَغاوات

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ الببغاوات تثير ، عند من يتاح لهالوقت ، وتتاح الفرصة للتفكير فيها ، تثير معاني كثيرة ، ليس كلها الواضح .

من أمثلة ذلك أني أذكر أني منذ سنوات زرت صديقا في بلد أجنبي ، له أسرة كبيرة ، وببغاء . وعلمت من زوجة صاحبنا أن الببغاء يجيد الكلام . قالت:

اساله ، يجب ... قلت : **ماذا أسأل ؟** قالت : **أساله كيف هو ؟ فسألت كيف أنت ؟** فاذا به يجيبني : **وكيف أنت ؟**

لم اعجب لهذا الجواب ، لأني اعرف انهم هكذا علّموه .

واذا بصبي يلقي عليه نفس السؤال : **كيف أنت ؟**

واذا بالببغاء نفسه يجيب ، بلغة تلك البلاد : **عليك اللعنة .**

هنا كان العجب . السؤال واحد ، واختلف الجوابان .

فى الريف ، فى بيت عالم نفساني

وتحدثت عن هـذا لرجل عالم نفساني ، يبحث فى نفسانية الحيوانات . وكان فى داره الريفية عديدٌ منها من كل صنف . فأخذني الى ببغاء كان يؤويه . قال هذا الببغاء علّمناه ما لو سمعته لحسبتَ أن له من الذكاء بعضَ ما للانسان . واشار الى تابعٍ له ، فخرج التابع ، واذا به يـدق جرس الباب الخارجي . واذا بالببغاء يصيح ، عند سماع الجرس ، ويقول : **تفضّل ، أهلا وسهلا** (بلغة تلك البلاد ايضا) . وخرج صاحبى النفسانيُّ من حجرة الببغاء ، وكانت هي هى حجرة الطعام فى المنزل ، واشار الى الببغاء بيده مودعـا ، كأنه مفارق ، ومعـه قبعته ، فاذا بالببغاء يصيح : مع السلامة .

قال العالم النفساني : قد تظن ان هذا الببغاء يفهم ، وان به ذكاء .

قلت : لا اظن بل اوقن ان فى الحيوانات جميعا ذكاء ، وفيها فهما ، ولكني ما أحسب ان فهمهم يبلغ هـذه الغاية ، وانما هو تعليم وتدريب .

قال صاحبى:نعم . هو تعليم وتدريب، وهى أقوال يقولها الببغاء فى المناسبات الصحيحة ، ولكن هذا يدل على ان له ، على الأقل ، من الذكاء ما يربط به بين الكلام الذى ينطق به والظرف المناسب الذى يقال فيه .

قلت : لا بد كذلك من تدريب الببغاء على المناسبات ، والا ما نطق .

قال صاحبى : نعم ، لا بد من تعليم لربط ما ينطق به بمناسباته . اما اذا انت تركته يسمع ما يسمع ، ويقول ما يقول ، فهو سوف ينطق بالذى يسمع، من حسن او قبيح،ولا يبالي . وهو كثيرا ما يفضح اهل البيت ، فينقل عنهم ما قد يقولون فى خلواتهم ، فيكشف عنهم الستر من حيث لا ينتظرون .

قلت : وجود الببغاء منه نفع اذ يعلّم الناس الأدب .

قال صاحبي : يعلّمهم الحيطة .

واستطرد صاحبى عـالم الحـيوان النفسـانى يقول :

الببغاوات لا تقلد الا صوت الانسان

والغريب فى امر هذه الببغاوات ــ من يجيد منها الكلام ، فليست كلهـا تجيده ــ الغريب فى امرها انها لا تتكلم وهى طليقة فى غاباتها . انها تصوّت ، وتصوت ، وتصك الآذان بصراخها ، ولكنها لا تقلد أصوات غيرها من الطيور او الحيوانات . لا بد من البيت ، ومـع بني آدم ، لتقول كلاما مما يقول الناس . الأسْر أولا فى البيت ، وصحبة الانسان تحت سقف البيت ، ثم تقليد صوته .

قلت : انها "ألفة" الانسان تعلّمها الكلام .

قال : بل لعل الوحشة . وحشـة الأسر ، تعلمها الألفة . ان الأنفس ، وانفس الحيوانات منهـا ، لا تزال فى افهامنا ديجورا من دياجير الظلام . ان الأنفس لها روابـط ، بعضها ببعض . والوحـدة تقطـع هـذه الروابط . والأنفس تأبى قطعها ، فهى تمدّ بأطراف هذه الروابط المقطوعة ، على الوحدة ، لترتبط بأى نفس اخرى ، ولو كـانت نفس انسان .

محاولات فى اللغة فاشلة

واستطرد صاحبى يقول :

ومن تلك الروابط رابطة الصوت . ان الصوت عند كل حيوان تعبير . الكلب ينبح لغاية . يريد ان يقول شيئا ، ان يفهمك ويفهمنى شيئا . والقطة تهرّ عند الغضب، ولو كانت انسانا لشتمت. وهى تطلب الطعام فتصوت صوتا خفيفا فيه معنى التوسل والاسترحام . انها تريد أن تقول، ولكنها لا تستطيع . وهكذا سائر الأصوات. محاولات فى اللغة فاشلة ولكنها ذات معنى . وهى فشلت لأن الحيوانات لم يكن لها ما للانســـان من اجهزة الكلام : فم اجوف ، وبه لسان ، من ورائه حلق، يتصل بانف ، من ورائها جميعا صدر للهواء نافخ . عضلاتٌ تتحرك فى تجاويف ، تحدث ، وفقا لعلم الصوت، الكلام : حروفا ساكنة ،وحروفا للعلة . وقد أمكننا ان نسجل اصوات الببغاوات على اشرطة تبيّنّا منها ان فى افواههـــا وحلوقها مقدرة علـى ابداع الساكنات من الحروف ، ولكن تعذّر عليها ابداع العلات. وبالطبع وراء الكلام المخ لربط الأصوات بالمعانى . المهم ان الببغاوات ــ من يحسن منها الكلام ــ انما يحسنه لما أعطاه الله فى حلقه من ادوات اقرب ما تكون تشكلا وتهيئـا لاحداث الأصوات .

قلت : حسبت أن بعض القردة تنطق كلاما .

قال : نوع واحد من القردة استطاع ان ينطق كلمتين أو ثلاثا ، بجهد جاهد . ذلك الأورانج أوتان .

أنس الانسان بالحيوان : انس متبادل

قلت : أعود الى الببغاء فاسأل ، ما الذى يحمله على الكلام وهو آكل شارب هانىء ؟

قال صاحبى العالم النفسانى: الوحدة . اذكر ان اكثر بنى الناس الذين يتعلقون بالحيوانات ، يؤوونها ، ويصطحبونهـا ويصادقونها ، من قطط ، ومن كـلاب ، ومن نحو خمسين اخرى من مستأنس الحيوان، انما هم المتوحدون المستوحشون، والمتوحدات المستوحشـــات ، من بنى الانسان. عانس او ارملة تعيش وحيدة، تؤوى قطة او كلبا . امراة عجوز ، رجل شيخ . كل هؤلاء يوحشهم سكوت البيت وسكونه ، فيطلبون الحركة يرَونها ، ويطلبون الحركة يَسمعونها، فتكون الألفة التى تقوم بين انسان وحيوان .

ومن هذه الفة الببغاوات . قرات أن امراة نيفت على الثمانين ، عاشت ، وحيدة مع ببغائها ، يؤنس وحدتها ، وتؤنس وحدته ، فلما ماتت أوقفت عليه بيتها ومالا لمعاشه حتى يموت . ووقف البيت فى سبيل البلدية ، بلدية مدينة منترول بكندا على ما أذكر . لا يستطيع احد هدمه لاستحداث طريق حتى يموت الببغاء وما أطول عمره .

قلت : ذكرت يا صاحبى الفة تقوم بين الانسان والحيوان .

قال : نعم ، نعم ، الفة مشتركة . ان الببغـــاوات اكثر كلاما عندمـا يغيب صاحبها او صاحبتها . ففى غيبـــة الصاحب يؤنس الببغاء وحشته بالكلام. ان الكلام صوت ، والصوت ايناس .

ومضى صاحبى النفسانى يشابه بين الببغاء من الطير والطفل من بنى الناس. فالطفل كذلك يتحدث لنفسه، وبصوت، فى غيبة امه ، طلبا للأنس من وحشة .

فى الببغاوات : خضرة وصفرة وحمرة

ولنترك حديث الصديق العالم النفسانى لنعود الى الكلام فيما يثيره النظر الى الببغاوات ، وتاملها ، فى الانسان، من معان ليس كلها بالواضح.

ومن ذلك الوانها : الحمرة والزرقة والخضرة والصفرة ، كلها يجاور بعضها بعضا ، فى تناسق مُعجب مُريح .

والحيوانات جميعا ليس فيها ما هو أزهى لونا، واكثر زواقا من الببغاوات .

واذكر من ذات الألوان فى الحيوانات الأسماك.
واذكر من ذات الألوان فى الحيوانات المرجانيات.



هذا رسم بريشة رسام ، جمع فيه ، في أسفل ، بين الببغاء الأخضر الأمزوني ، والماكو الأحمر ، وقد مر ذكره . ثم في الأعلى ، الى اليمين ، زوج من الببغاوات الأحبة ، وهما دائما جنبا الى جنب ، كما نذكر في المقال . ثم الببغاء الكوكاتو Cockatoo الأبيض الوردي ، وهو يتميز بريشتين فوق رأسه ، فالمتين ، ولكنهما تتامان وتهبطان والطير ساكن هادىء . وهذه الببغاوات الأخيرة تسكن المناطق الاسترالية ، ويطير منها المئات ، سربا واحدا ، فيهبط على حقـــول الحب فيخربها تخريبا .

ولكن اين هى جميعا من الوان البيفاوات ؟!

ويتراءى فى امر اللون معنيان غامضان ، معنى يتصل بصناعة هذه الالوان ، فى هذه الاجسام ، خاصة ، ومعنى يتصل باهدافها .

اختلفت الألوان ، والطعام واحد

ان اجسام البيفاوات تصنع هـــذه الالوان ، من أحمرها وازرقها واصفرها، من طعام . ولا يختلف طعام البيفاوات عن سائر اطعمة الطير : انه الحَب ، وانه البندق ، وانه الفاكهـــة . والحيوان ، وسائر الطير ، يأكل كل هذا ، وهو لا يتلون . فتلك واحدة . إنها واحدة يكمن وراءها سرُ الخلـــق جميعا . فى هذه الظاهرة وفى الف من الظواهر الأخرى .

للبيفاوات الخضرة والحمرة ، ولسائر الطير السواد والبياض

امـــا الأخـرى : فلماذا تلونت البيفـــاوات ، وغلب على ســـائر الطير الســـواد والبياض وما بينهما ؟

قالوا : ان ذلك ليختفى الببغاء بين فروع الشجر واوراقه . ولكن كذلك سائر الطـــير ، اتخــذ الشجر مسكنا . وله من الاعـــداء الجارحات ما للببغاء ؟ .

ونتوجه بنفس الســؤال ناحية السمك ، ذلك الذى يتلون . لابد لهـــذا اللون ، ولو فى السمك وحده ، من غاية . ندرك ذلك مـــن أن اللـــون لا معنى له الا مـــع الضـــياء . فلا يتلون مـــن السمك الا الذى يعيش من البحور فى سطوح المـــاء . وهـــو لا يتلون فى اعمـــاق البحار حيث الظلام كامل .

ان اللون اذن يُصنع حيث تجوز رؤيته ، وهو لا يصنع حيث لا تجوز ، لأن صناعته عند ذلك عبث باطل . انه لا يصنع اعتباطا . انه يصنع اذن ليُرى . فلماذا ؟ ما الغرض ؟ ما الهدف . فهذه هى الثانية .

أعمـــار البيفاوات

واعمار البيفاوات ، كأعمار ســـائر الطير ، يحوطها الكثير من الغموض . ذلك ان الطير ، على حالته الطبيعية من الانطلاق والحرية ، لا يعيش حياته كلها سالما . انه يصاب ، او يقتل او يؤكل . حرية ؟ نعم . ولكن مع الحرية التخفى للضعيف ، والتحفز من القوى ، والحرب القائمـــة الدائمة . وفى الاسار الضمان الأوثق .

وحتى على الأسر اختلف الناس فى تقدير اعمار البيفاوات ، لا سيما ذوات



هذا البفاء هو البيفاء الامزوني الاخضر ، وهو بلا شك صاحب المرتبة الاولى فى الكلام والثرثرة .

الأعمار الطويلة التي تطاول عمر الانسان.
ان الببغاوات صنوف، وكذلك اعمارها. انها تطول وتقصر تبعا لأنواعها.
ولكن يمكن القول عموما، ان اعمارها، على اختلاف انواعها، تتراوح بين ١٥ عاما والثمانين من الأعوام.

الببغاوات ذوات امومة وابوة صادقة

والببغاوات يسكن الذكر منها الى الأنثى، وتسكن الأنثى الى الذكر، ويظل ولاؤهما قائما دائما. وهي تنتج الأولاد، وتقوم الأم بحضانة بيضها، ويزودها الأب بالغذاء يأتي به الى عشها في شقوق الشجر، فيلقمها اياه، ثم يخرج ليعود. واقول في شقوق الشجر، فتلك عادة الطيور ذوات اللون الناصع الفاضح، تبحث دائما لنفسها، عند البيض والحضانة، عن مكان من الشجر أخفى حتى لا تبين الوانها لأعدائها فتنم عليها.
ويخطر السؤال عند ذكر هذا: هل يعي الطير ما يفعل؟، وهل يدرك الى أى شيء يهدف؟ أغلب الظن أن ذلك الشيء الذي أسميناه بالفريزة يقوم بهدى الطير ويحميه.. مخطط جرى عاما في تخطيط هذا الكون وتدبير امور حياته. والفريزة كثيرا ما أغنت عن فهم، وعن علم.

والببغاوات تؤكل ؟!

هكذا يفعل بها الرجال الذين يعيشون حيث تعيش الببغاوات في الغابات الاستوائية. وهي عندهم طعام حسن. اما ريشها فيتخذون منه زينة!
قوم يفضلون الجمال الميت على الجمال الحي. واشباع معدة، مرة، خير من اشباع عين، مرارا. أو لعل الكثرة ترخص الغالي. فلو أن الذهب كثر لكانت له قيمة الحجر.
ومن هؤلاء الفطريون، سكان الغابات، من يصطاد الببغاوات بنار يشعلونها تحت مساكنها من الشجر. ومع النار الصموغ والأبخرة المخدرة. ويصعد الدخان الى هذه الطيور فتسقط فاقدة الوعي. فيأخذونها، ويصبون على رؤوسها الماء، فتعود الى الحياة.

الببغاوات أجناس مئات

والببغاوات اجناس مئات، ليست كلها الزاهية الوانها اشد الزهو، وليس كلها المتكلم الذي يحسن الكلام، وليست كلها ذوات طباع واحدة، ولكن تجمعها صفات اصيلة كثيرة تجعل منها في تقسيم الحيوانات قسما قائما بذاته يعرف برتبة الببغاوات.
وهذه الأجناس اسماؤها ليست بالعربية، ولعل السبب في ذلك أن مواطنها ليست عربية، فهي توجد في المناطق الاستوائية، في امريكا وافريقيا وآسيا، وفي استراليا ونيوزيلندة، وفي الجزر التي بشمالها.
وقد نذكر منها الببغاء الماكو Macaw والببغاء الكوكاتو Cockatoo، والببغاء الأخضر الأمزوني.
وتجدها في الصور المرفقة.

الببغاوات الأحبة

واخص بالذكر ببغاوات كان لي بها تجربة طويلة، تلك الببغاوات التي يطلق عليها الانجليز اسم Love Birds أي طيور



منقار الببغاء: **اما الفك الأعلى فمتحرك، واما الأسفل فبه تجويف يمسك بالحب والبندق ... وفي المنقار القوة التي تكسر اشد البذور صلابة.**

الحب ، ويسميها الفرنسيون Les Inseperables اى التى لا تفترق ابدا . وبين هذين الاسمين ، أرى ان نسميها بالعربية ، فى غيبة اسم لها ، بالببغاوات الأحبّة .

وهي ببغاوات قدر الكف ، تعيش اثنين اثنين ، ذكر وانثى (انظر الصور)، يتعاونان على الحياة ، ويؤنس احدهما وحدة الآخر فى مظاهر للود بادية ، ويتلاعبان ، واحسبهما يتمازحان ، ويتشقلب احدهما ، ولعله الذكر على عوده،ويدور، فتنظر الأنثى اليه مغتبطة.

ثم مات أحد الزوجين

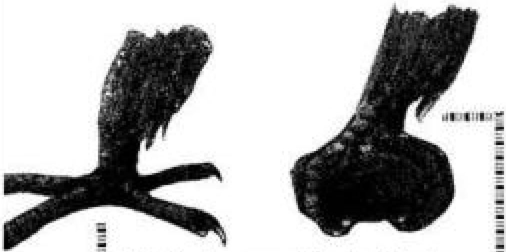
وعاش الزوجان معا فى قفصهما السنة بعد السنة بعد السنة ، عشرة اعوام أو نحوها. واذا بأحدهما يصاب،واذا به يموت . وظل الببغاء الباقى ساكنا حزينا ، قد قبع فى ركن القفص لا يتحرك وتربصنا به الموت . فبهذا جرى العرف فى هذه الببغاوات . وقيل لنا ائتوه بمرآة تؤنس من وحشته . والغريب أنها ايقظت فيه الحركة، فأخذ يرى فيها خيالا لمثل نفسه فيخبط المرآة بمنقاره فتدور . ويعود يفعل . واحيته المرآة من موات . ثم هدأ .

وطلبنا لهذا الببغاء صاحبا او صاحبة

فطلبنا له الزوج او الزوجة . لم ندر اى الاثنين سبق به الموت . ونأخذه الى بائع الطير ، فينظر اليه ويعطينا اخا له أو أختا على الفور ، ولا يقول لنا أيهما الأنثى او أيهما الذكر . سر المهنة ؟

ولم نستطع من أحد،او من كتاب ، ان نعرف كيف يتعرفون على الذكر ، هكذا على الفور . لا بد هناك من علامة ظاهرة بيّنة . وكنت اعلم ان اللون مما يميّز الذكر من الأنثى فى بعض الطيور .ولكن اشتبهت علينا الألوان .

حتى وقعت من منذ شهر واحد ، بطريق الصدفة المحضة ، على السر الخبىء ، وانا اقرا فى كتاب غير مطروق ، عرضا . قال مؤلفه،وهو يصف الببغاوات



بهذه الاصابع الأربع يمسك الببغاء بفروع الشجرة فلا يفلت منها ، ولا تفلت منه . وترى الأربع الاصابع مبسوطة ، اثنتان منها تتجهان الى امام ، واثنتان الى الخلف ، للوفاء بهذا الغرض .

الأحبّة . ان فى أعلى منقارها نقطة زاهية اللون ، صفراء ، او هي غير زاهية دكناء. فالزاهية للذكر، والداكنة للأنثى.

اناقة فى الطعام نادرة

ومن غريب أمر هذه الببغاوات الأحبة، تلك التى بقيت لدينا زمانا ، اننا كنا نطعمها ، فيما نطعم ، حبوبا خاصة ، تشترى من السوق لها خاصة ، صغيرة صقيلة غير مقشورة ، فيقوم الببغاوان بتقشيرها فى براعة تلفت الأنظار ، فلا يبقى فى القشر المتبقى بذرة واحدة لم ينلها منقار . وكله فى مكانه ، فى المزود، لم يبرحه : اناقة فى الطعام نادرة .

صحبة الطيور صحبة للحياة

ان صحبة الطير صحبة للحياة . وهي تزيد الفهم ، وتليّن المزاج ، وتحيي فى القلب الالفة صافية ، وتحل فى الأنفس الكثير من العقد ، وتفرّج الهم ، وتذهب بالوحشة . ويفقد الصبى اليفه من طير أو غير طير ، فيبكى ، ويتعلم فى بكائه اول درس من دروس الحياة ، واحق درس بعنايته: ان الحياة انما هي صور خاطفة، تتعاقب فى تبدل سريع ، موت من بعد حياة ، وحياة من بعد موت ، ولا يبقى آخر الأمر غير وجه الله،خالدا ، مشرقا، غامضا ، يقسّط الحركة كما يقسط السكون ، فى دورة لا تكاد تنتهى أبدا .

■■

احمد زكى

البصرى

• رقيق ولد في أحضان

• يعرض بالحجاج في بعض خطبه

■ دخل اعرابى البصرة، فسأل صفوة من الناس من سيد هذا المصر ؟

فقالوا : الحسن البصرى .

فقال : بم ساد أهله ؟

قالوا : استغنى عما فى ايديهم من دنياهم ، واحتاجوا الى ما عنده من أمر دينهم .

فقال الأعرابى : لله دره ، هكذا فليكن السيد حقا .

الحسن ولد رقيقا وأمه أمة

ان ذلك السيد حقا ، الذى حكم الناس بأنه سيد البصرة ، وكان فيها الحجاج الثقفي ، ومن قبل كان زياد بن عبيد الذى سمي فى التاريخ بزياد بن ابيه ، لم يكن قرشيا حتى تكون له سيادة قريش ، ولم يكن عربيا ، حتى يكون له فخر العرب،ولم يولد على الحرية حتى يكون له شرف السيادة الطبيعية ، بل ولد على



أم المؤمنين، وتنشأ بين الصحابة والتابعين

ولا يخشاه، ويستدعيه فيجهر له بالقول ويقول حسبنا الله

بقلم الشيخ محمد أبو زهرة

الرق ، فكان ابوه رقيقا وامه امة ، وولد منهما ، ولكنه نال السيادة بشرف العلم ، وبشرف الدين ، وبشرف الخلق ، وبعزة القناعة ، وثروة الزهادة .

الحسن ولد فى احضان أم المؤمنين

كان والد الحسن من اسرى فارس ، واسمه يسار ، وامه واسمها خَيْرة من السبايا ، وقد الت ملكيتها الى السيدة أم المؤمنين ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم . وقد وُلد الحسن فى احضان ام سلمة ، فتربى فى بقية من احضان النبوة ، وفاضت عليه ام المؤمنين بعطفها وشفقها ، حتى انه يروى انها غذّته بلبنها ، فيُروى ابن خلكان ان امه كانت تغيب عن البيت لحاجة لأم المؤمنين ، فاذا بكى الطفل اعطته ام سلمة ثديها تعلله به الى أن تجيء امه ، وربما درّ عليه بعض اللبن .

ولقد اعتقته ام سلمة التى الت اليها ملكيته تبعا لأمه ، ولكن العتق لم يقطعه عنها ، بل انها امدّته بغذاء روحى مما علمته عن الرسول ، ومن فيض حكمتها ، فقد كانت معروفة بين نساء النبى صلى الله عليه وسلم بالحكمة فى القول والعمل ، فهى التى اشارت على الرسول الكريم فى صلح الحديبية بان يبدأ هو بالتحلل من احرامه بالنحر عندما طلب الى المحرمين معه أن يتحللوا ، فتلكئوا ، فلما نحر النبى صلى الله عليه وسلم باشارتها اتبعه جميع المحرمين .

الحسن نشأ فى عهد الخلفاء والتابعين

تلقى الحسن الحكمة ، من فم ام سلمة وهو فى المهد وما زال الحسن البصرى ، أو الحسن ابن يسار يشدو فى الحكمة والمعرفة والدين ، حتى بلغ مرتبة السيادة حقا .

ولد الحسن فى سنة ٢١ ، اى فى السنين الأخيرة من حكم امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والتقى بالصحابة فى عهد عثمان ، وتلقى عليهم ، واخذ عنهم ، واختص فى اخذه بمواعظ الرسول ، وسِيَر السابقين ، حتى اذا جاء عهد امير المؤمنين على بن ابى طالب ، كان قد بلغ الرابعة عشرة من عمره .

وكان بالمدينة «عش» الصحابة وموطن العلم ، يوم مقتل ذى النورين عثمان رضى الله عنه ، وكان فى حضرة سيف الاسلام على عندما بلغه مقتل عثمان ، فذكر الحسن أن عليا رفع يده الى السماء وقال : « اللهم لم ارض ، ولم أمالىء » .

وقد استمر الحسن فى طلب علم الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم ممتزا به آخذا ممن التقى بهم ، وقد التقى بالكثيرين ، وانه ليقول : « لقيت ثلاثمائة من الصحابة منهم سبعون بدريا » .

تلقى علمه عن هؤلاء ، وكان حفيًّا بمعرفة سِيَر السابقين من الرسل واخبارهم ، كما جاء على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وكما روى عن الصحابة،وكما تلقاه من أهل الديانات الاخرى منتقيا ما يأخذ من هؤلاء ، فلا يأخذ ما ينقله عنهم من غير فحص واختبار . وقد شاع القصص فى آخر عصر الخلفاء الراشدين وطول العصر الأموى، فكان لكل مدينة فى ذلك العهد الاخير قاص كماكان لها فقيه ، وقاض .

ولقد كان القصاص يخلطون الخرافات

بالحقائق ، والأوهام بالعقول ، وقد وجدت الاسرائيليات طريقها الى المسلمين عنهم ، ولذلك حارب الامام على رضى الله عنه ذلك النوع من القصص ، وكان يدخل المسجد فيخرج من يتكلمون بالقصص المبنى على الأوهام . ودخل مسجد الكوفة مرة ، فوجد الحسن البصرى يقص قصصه ، فوقف قريبا منه فترة استمع الى ما يقول ثم تركه ، وهذا يدل على أن الامام الأعظم لم يجد فى قصصه ما يمنع ، فاقره ، ويدل على أن الحسن كان ينتقى الأخبار .

مصادر علم الحسن

تضافرت أسباب فجعلت من الحسن عالما مخلصا نقى القلب ، ونقى الاعتقاد ، وترجع هذه الأسباب الى شيوخه وعصره ، وصفاته .

اما شيوخه ، فقد كانوا الصحابة الذين نقلوا على النبوة ، وشاهدوا الرسول ، وعاينوا منازل الوحى ، ومدارك النبوة . وقد التقى بصفوتهم فى المدينة ، وفى الكوفة والبصرة ، وقبس من علم على بن ابى طالب ومن هديه ومن حكمته ،واهتدى ببلاغته ، وباشراق بيانه ، فكان من بعده أبلغ من تكلم بالحكمة وفصل الخطاب .

واما عصره ، فقد التقى فيه نوعان من العلم ـ أحدهما ـ علم النبوة الذى حمله الذين التقى بهم من الصحابة كعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل ـ وثانيهما ـ علوم قد توردت على العقل العربى من الاختلاط بالأمم وتراث الحضارة القديمة والديانات السالفة ، وكان فى هذا يتخذ النوع الاول من العلم سبيلا لانتقاء ما يؤخذ من الثانى ، فما كان يأخذ منه الا ما يتفق مع الهدى الاسلامى ، والمأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وما أخذ به السلف الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عنهم .

فى عصر الحسن ظهر التشيع والتفرق ، ومناهج الفقه اخذت تتميز

وفى عهده نبتت نابتة التفرق ، ووجدت نحل مختلفة بين المسلمين ، ففى عهده ظهر التشيع لآل على ، معتدلا ومنحرفا ، وفى عهده ظهر الخوارج بعنفهم ولجاجتهم وتشددهم ، واخذهم بظواهر الالفاظ ، واندفاعهم فيما يحسبون أنه الاعتقاد السليم . ثم فى العصر الذى عاش فيه أخذت المناهج الفقهية تتميز ، فكان فقه العراق وعلى رأسه عبد الله بن مسعود ، ثم علقمة ، وابراهيم النخعى ، وحماد بن أبى سليمان ، وعلى مائدة هؤلاء تربى أبو حنيفة النعمان . وفى المدينة كان الفقه الحجازى ، وعلى رأسه عبد الله بن عمر ، وسعيد بن المسيب ، ونافع مولى عبد الله ابن عمر ، وابن شهاب الزهرى ، ومن مائدتهم تغذى مالك ، وهكذا أخذت فى عصر الحسن المدارس الفقهية تتبين مناهجها ، وكلها يلتمس ينبوعه من علم الرسول وما نقله صحابته والاختلاف انما هو فى المنهج والتخريج .

وقد آتى الله الحسن من الصفات ما جعلته علَما فى عصره مع ما تهيأ من أسباب مكنته من اخذ العلم من مناهله .

أنس يحيل الى الحسن بعض سائلية

فقد كان ذا ذكاء مدرك عميق ، لا يكتفى بالنظرة الأولى ، بل يرددها مرتين ، ولقد بلغ فى هذا الذروة ، حتى أن بعض شيوخه من الصحابة كان يحيل عليه ما يجيئه من اسئلة فى الدين . سئل "أنس" ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى عمر طويلا ، عن مسألة ، فقال : سلوا مولانا الحسن ، فقيل له : أتقول ذلك ، فقال: سلوا مولانا الحسن فانه سمع وسمعنا ، وحفظ ونسينا .

وكان مع هذه الذاكرة الواعية غير جامد على فكره ، بل كان يجتهد فيما يعرض له من مسائل، وله فكر مستقل ، استطاع أن يحتفظ باستقلاله مع اتباع علم السلف فى وسط الفتن التى وقعت، والنحل التى ظهرت ، والآراء التى انقسمت .

ما خشى الحسن الحجاج ، طاغية العراق

وكان شجاعا فى ابداء رأيه من غير أن يتعرض لاثارة الفتن ، وكان ذلك فى العصر الاموى ، والحجاج الذى رضى لنفسه أن يأخذ وصف قطاف الرؤوس ، وفى الوقت الذى قال فيه حاكم المسلمين الذى سمى نفسه خليفة الله : « من قال لى اتق الله قطعت عنقه » ، فى هذا الوقت نطق الحسن البصرى بالحق ، من غير جمجمة ولا اضطراب . ساله الحجاج الطاغية

قائلا : ما تقول فى على وعثمان ، وهو يريد النيل من على ، فاجابه الحسن : أقول قول من هو خير منى عند من هو شر منك ، قال فرعون لموسى « ما بال القرون الاولى ! قال علمها عند ربى » .

ولا شاء الحسن أن يزدلف لأمير المؤمنين

ويروى انه فى وقت خروج الخوارج على الخلفاء من بنى امية واشتدادهم عليهم سأله بعض أهل الشام يريد احراجه فقال له : «مع من تكون ، أمع الخارجين أم مع أمير المؤمنين» فأجابه الحسن من غير تردد ولا تلكؤ : لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، فقال الرجل ملحا فى القول : « ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد»فغضب الحسن وخبطبيده، ثم قال : ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد ، نعم، ولا مع أمير المؤمنين ».

الحسن يعرّض بالحجاج فيستدعيه

أجاب الحسن تلك الاجابة فى وقت كان يزدلف بعض العلماء الى الحكام بإباحة دماء الأبرياء .

وقد كان يعرّض بالحجاج كثيرا فى مواعظه تعريضا يقترب من التصريح ، ولا يخشى فى الله لومة لائم ، فيقول والحجاج يبنى مدينة واسط :

« يعمد أحدهم الى قصر فشيده ، والى فرش فينجّده ، والى ملابس ومراكب فيحسنها ، ثم يحف به ذباب طمع ، وفراش نار ، وأصحاب سوء فيقول انظروا ماذا صنعت !! فقد رأينا أيها المغرور ، فكان ماذا يا أفسق الفاسقين . أما أهل السماوات فقد لعنوك ، وأما أهل الأرض فقد مقتوك .. » .

يقول ذلك فى موعظة طويلة كلها على هذا المنهاج، ويبلغ ذلك الحجاج ، فيقول لحاشيته من أهل الشام : « أيشتمنى عبيد البصرة وأنتم حضور فلا تنكرون » . ثم يحضر الحسن ، ويقول له : « أما لامرتى عليك حق حين قلت ما قلت ؟». فيقول له الحسن : « يرحمك الله أيها الأمير . ان من خوّفك حتى تبلغ أمنك ، ارفق بك ممن أمنك حتى تبلغ خوفك . والأمر بيدك ، العفو والعقوبة ، فافعل الأولى بك،وعلى الله نتوكل، وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

وتراه من هذا القول انه يقرن الشجاعة بالقول الهدىء ، فهو حكيم فى شجاعته ، كما هو حكيم فى قوله ، ولذلك يستحى الحجاج الطاغية من أن يعاقبه ، حتى لا يقال عنه أنه يؤثر العقاب على العفو .

الحسن كان زاهدا ، وأقبل على الحلال من طيبات الحياة

والحسن كان زاهدا فى عرض الدنيا ، طالبا للآخرة ، وكان ذا وجدان قوى ، يغلب الخوف على الرجاء ، يستصغر ما يعمل من حسنات ، ويستكثر ما يكون من هفوات ، يتعرف عيوب نفسه ولا يغفى عنها ، ولا يحصى حسناته ، بل يستقلها .

ومع زهادته، وعفته ، لم يكن راغبا عن الحلال، لا يبتعد عن المباح من اللذائذ ، فلا يحرم ما احل الله تعالى ، وكان لا يرضى عن عمل المتقشفين الذين لا يتناولون الحلال تزهدا ، حضر الحسن مرة وليمة فيها حلواء ، فلما قدمت امتنع بعض الحاضرين عنها زهادة ، فقال له الحسن : كل يا لكع ، فلنعمة الله عليك فى الماء البارد أعظم من نعمته عليك فى الحلواء » .

لانه يرى أن الزهد ليس هو الامتناع عن طيبات الحياة كان يرى الاعتدال فى كل شىء ، فيرى الاعتدال فى طلب الملاذ ، كما يرى الاعتدال فى العبادة ، فيؤدى الفرائض والسنن المكتوبة ، وما يستطيع من نوافل الطاعات . وسأله بعض معاصريه عن رجلين : أحدهما تفرغ للعبادة ، والآخر اشتغل بالسعى على عياله ، أيهما أفضل، فقال الحسن : « ما اعتدل الرجلان » .

الحسن كان يستحسن الغناء

ولم يكن الحسن معتزلا للناس بل كان مختلطابهم، يسألونه عن شئونهم ، وعما يجرى فى جموعهم ، وهو يجيبهم ، ولا يحرم شيئا الا اذا ثبت لديه بالدليل القاطع تحريمه ، ولذا قالوا : انه ما كان يحرم الغناء الذى لم يختلط بإثم ، بل كان يستحسنه اذا لم يثر فتنة فى النفس ، وقد قال بعض معاصريه : « أدركت ثلاثة يتساهلون فى الغناء الحسن البصرى والشعبى والنخعى » .

وواسى اليهود والنصارى

وكان الحسن مع هذه الصفات التى رفعته الى مرتبة الصديقين غير متعصب تعصبا يجعله يمقت اهل الديانات الاخرى ، فكان يفتح صدره لكل

شخص مهما تكن ديانته ، واستوحى من حقائق الاسلام الدعوة الى السلام والمحبة ، ولذا كان يحضر دروسه اليهود والنصارى ، ويواسيهم ويعزيهم ان كان ما يوجب العزاء . يروى ان نصرانيا من المترددين على دروسه قد مات ،فذهب الى اخيه يعزيه ، وقال له : « أثابك الله على مصيبتك ثواب من أصيب بمثلها من اهل دينك ».

ونراه في هذا العزاء السمح كان لبقا .

فصاحته لفتت السيدة عائشة أم المؤمنين

وكان الحسن فصيحا في العربية ، نشأ نشأة عربية ، وان كان من أصل فارسي ، قالوا انه تفصح ببوادي القرى . وقد مارس المواعظ ، وعمل على الدعوة الى الحق ، حتى آتاه الله القول المبين ، قال فيه الأعمش فقيه العراق ومحدثه : « ما زال الحسن يعتني بالحكمة حتى نطق بها » . وقد قال بعض معاصريه اذ سمعه : « لله دره ، انه لفصيح اذا لفظ ، نصيح اذا وعظ » . ولقد كان الحجاج يرى انه اخطب اهل البصرة .

وهو في خطبه ومواعظه ذو لفظ سهل متخيّر عذب ، قد جمّلته معاني الدين والورع والتقى. وقد سمعته أم المؤمنين عائشة يتكلم ، فقالت : « ومن هذا الذي يتكلم بكلام الصديقين » .

قوة شخصيته

بهذه الصفات يعد الحسن البصري من اقوى رجال الفكر الاسلامي شخصية ، واشدهم نفوذا، اجلته العامة ، ورفعته الخاصة ، وهابه الحكام، واستحيا من سمته القساة الطغاة .

وكان ذا سمت حسن ، في مظهره الجسمي قوة وجمال ، ومع ذلك كان سيدا في ذات نفسه ، قد استولى على اهوائه فجعلها أمة ذلولا ، فكان ذا خلق قوي ، لا يطلب من الناس امرا الا اذا كان هو اسبق الى الأخذ به . قيل لبعض اصحابه الملازمين له : بأي شيء بلغ الحسن فيكم ما بلغ ، وكان فيكم علماء وفقهاء .

فقال : كان اذا أمر بشيء أعملَ الناس له ، واذا نهى عن شيء أتركَ الناس له ، ولم أر أحدا قط سريرته أشبه بعلانيته منه .

ولهذه الشخصية القوية كان له أثر في كل الفرق الاسلامية التي ظهرت في عصره ، وكل فرقة تدّعي انه منها ، فالمعتزلة يدعون انه كبيرهم ، واهل السنّة يدعون أنه منهم ، وهو بين الفقهاء والمحدثين الوعاظ في الرعيل الأول .

علمه وآراؤه

كان الحسن من أعلم السلف بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيرة الصحابة ، وأخبار السابقين ، وكان من المحدثين الذين نقلوا علم الرسول عن طريق الصحابة ، وكان من الفقهاء المدركين ، وكان سيد الوعاظ ، وكان من الذين خاضوا بعض الخوض في علم العقائد الذي كان يبتعد عن القول فيه الفقهاء والمحدثون، وهو بمجموع هذه العلوم كان فريدا . ولكنه في الحديث لم يبلغ مبلغ كباره كسعيد بن المسيّب وسعيد بن جُبير ، ونافع مولى عبد الله بن عمر ، وعكرمة مولى عبد الله بن عباس والأعمش . ولم يبلغ في الفقه مبلغ ابراهيم النخعي ، ولا علقمة ، ولا ابن شهاب الزهري ، وبلغ في الوعظ والتأثير في الناس ما لم يبلغ احد منهم ذلك .

ولذلك لم تؤثر عنه مجموعة فقهية كالتي أثرت عن غيره ، كما لم تؤثر مجموعات روايات من الأحاديث كالتي أثرت عن غيره من التابعين .

ولكن أثرت عنه مع مواعظه آراء في أصول الدين ، وهي ان لم تجمع في مكان واحد ، تجدها قائمة في كلامه ، وان كانت منثورة فيه .

عند الحسن : ان المعرفة مقياس الأخلاق الفاضلة

فهو يرى أن الايمان الصادق يدفع الى العمل، ويشبه كلامه في هذا كلام سقراط في قوله ان المعرفة الصحيحة تدفع الى الأخلاق المستقيمة ، حتى اعتبر مقياس الأخلاق الفاضلة هو المعرفة ، وان ذلك الرأي منبث في كلام الحسن ومن ذلك قوله في اجابة من سأله عن الرجل يذنب ، ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب ، فهو يقول « ما أعرف هذا من أخلاق المؤمنين » . ومن ذلك قوله ايضا: « ان الرجل اذا طلب القرآن والعلم لم يلبث ان يرى ذلك في خشوعه ، وزهده ، وحكمه وتواضعه » .

واذا كان الايمان يستلزم العمل حتما ، فان

مرتكب الكبيرة من الذنوب المصر عليها لا يمكن أن يكون عند الحسن مؤمنا ، الا اذا تاب توبة نصوحا ، واخلص من بعدها فى العمل لله تعالى .

مسألة مرتكب الكبائر شغلت أهل عصر الحسن البصرى

ومسألة مرتكب الكبيرة شغلت العصر الذى عاش فيه الحسن ، فمن وقت أن خرج الخوارج على الامام على بن أبى طالب ، وكفروه ، لأنه قبل التحكيم بينه وبين معاوية ، واعتبروا ذلك كبيرة — فى زعمهم — توجب الكفر ، تكلمت فى مرتكب الكبيرة كل الفرق الاسلامية .

فالخوارج كما ترى كفروه .

والمعتزلة قالوا انه ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو فى منزلة بين الايمان والكفر ، ويصح أن يقال عنه انه مسلم ، وهو مخلد فى النار ان لم يتب توبة نصوحا .

والمرجئة قالوا : انه مؤمن مقصر ، ولكن كان منهم أهل البدع الذين قالوا انه لا يضر مع الايمان معصية ، كما لا يضر مع الكفر طاعة ، فهو ابن كان مقصرا فهو غير مؤاخذ ، ورحمة الله وسعت كل شىء .

ومن اولئك المرجئة من لم يقعوا فى بدعة ، فانهم قالوا ان تاب توبة نصوحا فان الله يقبل توبته ، كما وعد سبحانه بذلك ، وان لم يتب فهو فى أمر الله ومشيئته ، ان شاء عذبه بما ارتكب ، وان شاء غفر له ، وان الله يغفر الذنوب جميعا ان شاء ، وينسب ذلك القول الى أبى حنيفة النعمان ، بل انه لا يوجد فى المأثور من أقوال أئمة الفقه ما يعارضه .

وكان رأى الحسن غير هذه الآراء جميعا ، فهو يرى أن المذنب الذى لا يتوب توبة نصوحا لايوجد عنده أصل الايمان ، بل يعده منافقا فى اعلانه الايمان ، وهو غير مؤمن ، وهو يقول فى ذلك : « الناس ثلاثة مؤمن وكافر ومنافق ، فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف وقومه ذكر العرض (أى يوم القيامة) ، وأما الكافر فقد قمعه السيف وشرده الخوف ، وأما المنافق ففى الحجرات والطرقات يسرون غير ما يعلنون ، ويضمرون غير ما يظهرون ، فاعتبروا انكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة » .

ومسألة الجبر والاختيار شغلت عصر الحسن

وهناك مسألة أخرى شغلت عصر الحسن أيضا ، وهى مسألة الجبر والاختيار ، فالجهم بن صفوان ومن معه ، ادعوا أن الانسان مجبر غير مخير ، ولا ارادة له فيما يفعل ، بل ينسب الفعل له ، وهو من الله . والمعتزلة قالوا ان العبد يخلق أفعال نفسه ، وهو محاسب بها ، وذلك بقوة أودعها الله تعالى اياه ، وبها كان الحساب والثواب والعقاب .

والحسن قال ان الحسنات بتوفيق الله ، والمعاصى بعمل العبد ، وهو يقول فى ذلك : « كل شىء بقضائه وقدره الا المعاصى » . ويريد من ذلك أن المعاصى لا يريدها الله تعالى .

وعند الحسن أن معاوية اغتصب الخلافة

والحسن كان يرى ان الخلافة انتهت بالراشدين ، وان معاوية اغتصبها ، وانه ليس فى بنى أمية عادل الا عمر بن عبد العزيز ، ومع ذلك كان لايدعو الى الخروج عليهم ، ويمنع معاونة الخارجين ، لانه يرى ان وجود حكومة أولى بالاتباع من الفوضى ، لانه كان يرى أن الفتن يقع فيها من المظالم ما لا يقع من حاكم مستبد فى سنين ، وكان يرى فى هذا أن الحكام لون من ألوان الشعب ، فان استقاموا استقاموا . ووجد قوما يدعون على الحجاج ، فقال اخشى ان عزل الحجاج او مات تول عليكم القردة والخنازير . « كما تكونون يولى عليكم » .

وكانت فيه محبة لآل على ، فانه عندما بلغه مقتل الحسين رضى الله عنه بكى وانتحب ، وقال : واحسرتاه ماذا لقيت هذه الأمة ، قتل ابن دعيها ابن نبيها ، اللهم كن له بالمرصاد ، « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

واخيرا هذه صورة غير واضحة عن الحسن البصرى ، سيد البصرة وواعظها ، وقد استمر يعظ ويرشد أكثر من سبعين سنة ، اذ عاش نحو التسعين ، من سنة ٢١ الى سنة ١١٠ ، فودعته البصرة كلها ، وذكره المسلمون اجمعون ، فرضى الله عنه فى الصديقين . ■■

محمد أبو زهرة

طرائف عربية

الرأى والشجاعة

● اتى قوم من العرب شيخا لهم قد اربى على الثمانين واهدف على التسعين، فقالوا: ان عدونا استاق ابلنا فأشر علينا بما ندرك به الثأر، وننفي به عنا العار.

فقال: الضعف فسخ همتى، ونكث ابرام عزيمتى، ولكن شاوروا الشجعان من ذوى العزم، والجبناء من أولى الحزم، ثم اخلصوا من الزلتين بنتيجة تبعد عنكم معرة نقص الجبان، وتهور الشجعان.

أمنية

● قال الجاحظ: مرض علي بن عبيدة الريحاني، فدخلت عليه عائدا وقلت له: ما تشتهي يا أبا الحسن؟

فقال: عيون الرقباء، وألسن الوشاة، وأكباد الحساد!

الأعمش وامراته

● وقع بين الأعمش وامراته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء ان يرضيها ويصلح ما بينهما، فدخل اليها وقال: ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه، ودقة ساقيه، وضعف ركبتيه، وجمود كفيه!!

فقال له الأعمش:

– قبحك الله، فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه!!

لم يدع لراجع مرجعا

● قال خالد بن صفوان: دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدعاني حتى كنت اقرب الناس اليه، ثم تنفس الصعداء، وقال: يا خالد، رب خالد جلس مجلسك هو اشهى الىّ حديثا منك!

فعلمت انه اراد خالدا القسري، فقلت: افلا تعيده يا امير المؤمنين؟

فقال: هيهات ان خالدا ادلّ فاملّ، ولم يدع لراجع مرجعا. وتمثل بهذا البيت من لامية معن بن أوس:

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد
عليه بوجه آخر الدهر تقبل

أبيات لأبى العتاهية

أنلهو وأيامنا تذهب
ونلعب والموت لا يلعب ؟!

عجبت لذي لعبٍ قد لها
عجبتُ ومالي لا أعجب

أيلهو ويلعب من نفسه
تموت ومنزله يَخْرَبُ ؟!

ظريف ومغنيتان

● كان لرجل ظريف مغنيتان ، احداهما حاذقة حسنة الغناء والأخرى متخلفة لا يحب ان يسمع لها صوتا . وكان اذا غنت الأولى طرب واشتد به الطرب ، حتى انه ليشق قميصه ويمزقه من فرط التأثر والاهتياج . فاذا أخذت الأخرى تغني ، قعد يخيط قميصه ويرتق ما تمزق منه !

طمع أشعب

قيل لأشعب : **هل خلق اطمع منك ؟**
قال : بلى أمي . فاني كنت اذا جئتها بفائدة قد اعطيتها ، قالت : **ما جئت به ؟** فأتهجى لها الشيء حرفا حرفا . ولقد اهدى لنا مرة غلام فقالت : ما اهدى لنا ؟ . . **قلت : غين .**
قالت : ثم ماذا ؟ . . **قلت : لا .** قالت : ثم ماذا ؟ . . **قلت : م** ، فأغمي عليها . . ولو أخبرتها به جملة لماتت ! .

جواب أحمق

● قيل لعجيل بن لجم ــ وكان احمق ــ : **ما سميت فرسك ؟** فقام اليه وفقأ احدى عينيه وقال : **سميته الأعور .**

الى الاعماق

تغلغل حب (عثمة) في فؤادي ... فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ، ولم يبلغ سرور
أكاد إذا ذكرت العهد منها ... أطير ، لو ان انسانا يطير

عبيد الله المسعودي

محاورة بين المنصور ومعن بن زائدة

قال ابو جعفر المنصور لمعن بن زائدة : كبرت يا معن !
قال : في طاعتك ، يا امير المؤمنين .
قال : وانك لجلد .
قال : على أعدائك .
قال : وان فيك لبقية .
قال : هي لك ، يا امير المؤمنين .
قال : فاي الدولتين أحب اليك ، هذه ام دولة بني امية ؟
قال : ذلك اليك ، يا امير المؤمنين ، ان زاد برك على برهم كانت دولتك احب الي .

نرى كل ما ساءنا دائما
على كل ما سرنا يغلب
نرى الليل يطلبنا والنها
ر ولم ندر أيهما أطلب
أحاط الجديدان جمعا بنا
فليس لنا عنهما مهرب
وكل له مدة تنقضي
وكل له أثر يكتب



الوعي الاجتماعي

عن مجلة « الفكر » ــ تونس :

● اهم شيء يتحتم بثه فى الافراد والجماعات على حد سواء هو الايمان بالعدل والمساواة والعمل بمقتضاهما .

فالعدل نوعان : فى الافراد اولا ، اذ يجب اعطاء كل ذى حق حقه بدون تحيز قد تحمل عليه المنفعة الشخصية أو الميل أو القواهر . وفى المجتمع ثانيا ، اذ يجب التسهيل لكل فرد فى ان يرقى بنفسه على قدر استعداده ، فلا يكون المجتمع عادلا الا اذا توافرت لكل طائفة من الناس وسائل رقيهم .

والعدل كثيرا ما يقرن بالمساواة . ورغم أن المساواة التامة صعبة المنال لاختلاف الناس فى قواهم وملكاتهم ، فانها واجبة التحقيق ، لا من الناحية القانونية فحسب ، وانما كذلك من الناحية الاقتصادية والاجتماعية أيضا وخاصة المساواة فى الفرص .

ويجب من جهة اخرى بث روح التعاون اذ أن التعاون بين الافراد لا بد منه للحياة وكلما تقدم الناس فى الحضارة كانت حاجتهم الى التعاون أشد بسبب كثرة الحاجات والمطالب التى تستوجب توزيع الاعمال وتخصيص كل طائفة بعمل . والملاحظ فى هذا الشان انه لا يصح أن يسمح بالتعاون بين الأفراد اذا كان فى ذلك ضرر بالأمة كما يحدث فى الاحتكار مثلا .

وما العدل والمساواة والتعاون الا صفات المواطن الصالح ، والمجتمع المتماسك الذى نسعى لبنائه على أساس التطور والرقى والازدهار .

الفارابى

عن مجلة « العلوم » ــ بيروت :

● يركز الفارابى بحثه فى المدينة الفاضلة على ثلاث نقاط : النظام الفاضل ، والرئيس الفاضل ، والمواطن الفاضل .

اما النظام الفاضل فينبغى فى رأيه أن أن يستخرج من نظام الأعضاء فى الجسد الواحد . فكما أن لكل عضو فى الجسد وظيفة خاصة يؤديها على أتم وجه ، فهكذا ينبغى أن يكون لكل فرد فى المجتمع وظيفة خاصة يقوم بها كما يجب . وكما أن أعضاء الجسد ، على اختلاف وظائفها ، تتعاون على أتم وجه ، فيكون بذلك صلاح الجسد ، فهكذا ينبغى للافراد فى المجتمع ، على اختلاف مهامهم ،

نحن وأمريكا والمنطق

من جريدة « المنار » ـ القدس :

● لماذا الغضب من موقف أمريكا ؟ ولماذاالاستنكار الذى اشتعل فجاة ، بين مندوبينا وحكوماتنا من بيان المندوب الأمريكى حول اللاجئين .. ؟

لقد كان حكام امريكا منطقيين مع أنفسهم من أول يوم من اليوم الذى كافح فيه ترومان الى حد « الرشوة » لاقرار التقسيم ، ثم الى الضمان الدولى لحدود الدولة الجديدة، الى اليوم الذى كافح فيه ايزنهاور لملء الفراغ بالشرق الأوسط، الى اليوم الذى دعا فيه مندوب كندى صراحة الى دمج اللاجئين فى الحياة الاقتصادية للدول العربية .

واذا كانت بريطانيا قد وصلت بالصهيونية الى نقطة البدء ، والى التمهيد ، ثم الى الخلق والتكوين، فقد تلقفت أمريكا هذه البذرة العدوانية من أول يوم فى حضانة دولاراتها وقوتها، ونفوذها، وكان شعار حكامها دائما : « خلقت اسرائيل لتبقى » ! ..

ونحن نسمع هذا الشعار يردده حكام أمريكا، وعلى الأخص فى مواسم انتخاباتهم ، نسمعه صريحا واضحا يزلزل القلوب ، ويصك الاسماع، ومع ذلك نزوغ عن مواجهة هذا الموقف الصريح الواضح بالضحك على شعوبنا وخداع أنفسنا ، « لا .. لا يمكن أن يكون هذا الموقف النهائى لزعيمة العالم الحر .. انها الدعاية الصهيونية اللعينة .. أو انها احدى تقاليع الأمريكان يتركونها بعد حين .. ! » .

والأمة الفاضلة

أن يتعاونوا على ما فيه الخير للجميع . وكما أن أعضاء الجسد يخدم بعضها بعضا وتخضع جميعها للقلب ، فهكذا ينبغى لجميع الافراد فى المجتمع أن يتعاونوا وأن ينقادوا لتوجيهات الرئيس .

واما **الرئيس الفاضل** فينبغى ، فى رأيه ، أن يتميز بأمرين : جودة الادراك ، ويقظة الوجدان ، فيكون جامعا لخصال الفلاسفة ومزايا الأولياء ، يضيف الى ذلك اثنتى عشرة صفة تؤمّن له الهيبة والوقار بين الناس ، وتحقق له العدل والحزم فى الأحكام . ولا يغيب عن الفارابى أن اجتماع هذه الخصال لشخص واحد ليس من الأمور السهلة . فاذا ما تعذر اجتماع هذه الخصال لشخص واحد وجب أن تلتمس فى أقل عدد ممكن من رجال العصر، فيكونون مجتمعين رئيسا ومزيا . والا فسدت المدينة الفاضلة وانقضى أمرها .

أما **المواطن الفاضل** فيشترط فيه الفارابى أن يكون عارفا بالحقائق ، متصفا بالفضيلة، اما من طريق الاكتناه العقلى ، والاقتناع البرهانى ـ اذا كان من أهل البصائر النيرة ـ واما على سبيل التشبيه والتمثيل ، بالتزام الطاعة للمرشدين وقبول التوجيه من الناصحين ان كان من جمهور الناس . وهكذا يلتقى فى نظام الفارابى أهل المدينة الفاضلة فى تعليم واحد ، يتحقق عندهم بوسائل متعددة .

مسابقة العدد

١٠ مُدُن

وجوائز ١٠٠ دينار

● مسابقة هذا العدد عبارة عن اسماء ١٤ مدينة وبلدة معروفة من ١٤ قطرا عربيا مختلفا .

يتكون كل اسم منها من خمسة احرف ، اثبتنا منها فى الجدول الذى الى يسار هـذا الكلام ، حرفين فقط من اسـم كـل مدينة ، ورمزنا للاحرف الناقصة بنقط ، وكتبنا امام كل مجموعة اسم القطر الذى تقع فيه المدينة . والمطلوب هو أن تكتب اسماء عشر مدن كاملة فقط ، لتربح احدى الجوائز .

اسم المدينة					القطر
ع	•	•	ر	•	السودان
•	ك	•	ا	•	المغرب
ا	•	•	•	ن	ج. ع. م.
•	ه	•	ا	•	الجزائر
ب	•	•	•	ت	تونس
•	ن	•	ا	•	اليمن
ش	•	•	•	م	حضرموت
ا	•	•	•	ى	الكويت
ب	•	•	ى	•	سورية
•	ع	•	ب	•	لبنان
د	•	•	•	م	السعودية
ك	•	•	•	ك	العراق
•	م	م	•	•	الاردن
•	ز	ز	•	•	ليبيا

شروط المسابقة

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٦٥ من هذا العـدد .

٢ ـ يكتب على المظروف عبارة ـ « مسـابقة العربى ـ العدد ٦٢ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هـو اليوم الـسابع من شـهر فبرايـر (شباط) ١٩٦٤ .

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجـائزة الاولى : ٣٠ دينارا ..

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ..

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ..

وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

ترسل الاجابات مباشرة بعنوان مجلة «العربى»: صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربى .



ابن مردنيش

زعيم القومية الأندلسية

تحدى دولة الموحدين ربع قرن من الزمان

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ حينما عبَر المرابطون ، سادة المغرب ، بقيادة عاهلهم يوسف بن تاشفين ، فى أوائل سنة ٤٧٩هـ،١٠٨٦م الى شبه الجزيرة الاسبانية استجابة لصريخ ملوك الطوائف ، عقِبَ سقوط طليطلة فى يد اسبانيا النصرانية ، وانقاذا للاندلس مما كان يتهددها من خطر السقوط والفناء ، كان المفروض ان هذا

العبور للجحافل المغربية ، لم يكن سوى جهاد فى سبيل الله، وعمل انقاذ محض ، تغادر من بعده شبه الجزيرة الى بلادها.

وقد تم هذا الانقاذ بانتصار الجيوش المرابطية والأندلسية المتحدة على جيوش اسبانيا النصرانية فى موقعة الزلاقة الحاسمة (رجب ٤٧٩ هـ) ، وانقشع الخطر الذى كان يهدد الأندلس وملوك الطوائف الى حين ، وعاد البطل المرابطى ـ يوسف بن تاشفين ـ على راس قواته ، مكللا بغار الظفر .

الأخوة المنقذون ينقلبون اعداء فاتحين

بيد انه لم تمض أعوام قلائل ، حتى انقلب الأخوة المنقذون الى أعداء فاتحين ، وعَبَرَ يوسف فى قواته الى شبه الجزيرة مرة أخرى ، وقامت جيوشه بافتتاح ممالك الطوائف واحدة بعد أخرى ، وهكذا بسط المرابطون حكمهم على الأندلس ، وغدت الأندلس بعد ذلك ولاية مغربية من ولايات الدولة المرابطية الكبرى .

المرابطون فى الأندلس

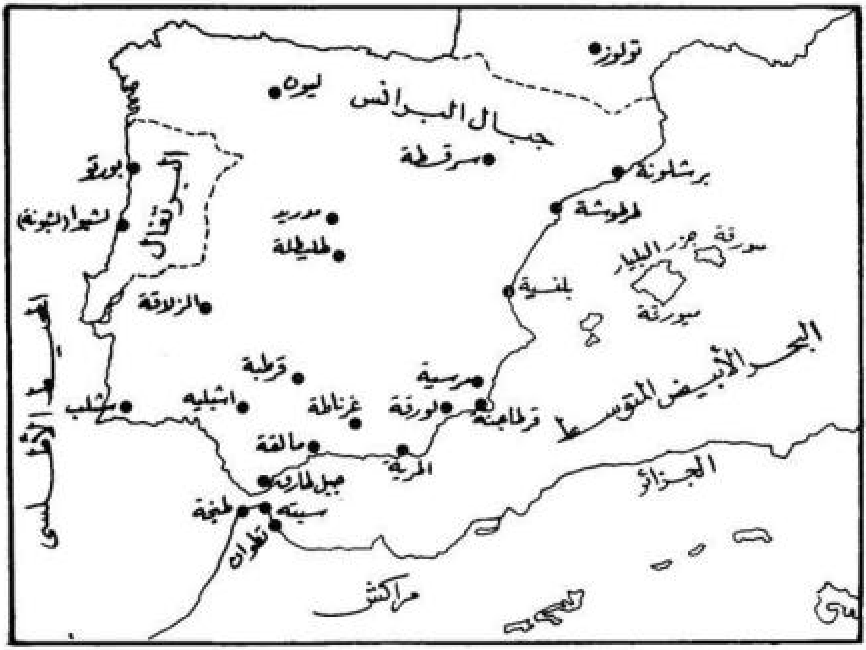
ولبثت الأندلس تحت حكم المرابطين زهاء نصف قرن . وبالرغم مما بذله المرابطون خلال هذه المدة من الجهود العسكرية المتوالية فى محاربة اسبانيا النصرانية وحماية الأندلس من عدوانها ، فان الأمة الأندلسية لم تنس انها قد فقدت استقلالها وحرياتها ، ولم تستطع ان تروض نفسها على قبول نير هذا الحكم الجديد ، خصوصا وقد كان حكمهم يتسم بأساليبه الخشنة المتزمتة، التى لا تلائم طبائع امة كالأمة الأندلسية، تمتاز بمستواها الحضارى الرفيع .

قيام الموحدين وظفرهم بالدولة المرابطة فى المغرب ، واثر ذلك فى الأندلس

فلما تطورت الحوادث بالمغرب ، ونهض المهدى محمد بن تومرت يشهر دعوته الهدامة ، ضد الدولة المرابطية ، لم يشهر عليها هو وصحبه الموحدون حربا لا هوادة فيها ، ولما أن ظفر الموحدون اخيرا بالقضاء على الدولة المرابطية بالمغرب ، واقامة دولتهم على انقاضها ، كان لهذا الانقلاب العظيم صداه فى الأندلس ، فقامت الثورة ضد المرابطين فى معظم القواعد الأندلسية . وكان طبيعيا ان يتجه زعماء الثورة الى الاستعانة بالموحدين واستدعائهم الى شبه الجزيرة . وكان الموحدون من جانبهم يرون أن الأندلس ، وقد كانت ولاية مرابطية، يجب ان تغدو ولاية موحدية، وهكذا عبر الموحدون بدورهم الى شبه الجزيرة ، واستولوا تباعا على قواعد الأندلس الغربية والوسطى ، وجعلوا اشبيلية قاعدة حكمهم . وهكذا تخلصت الأندلس من حكم المرابطين ، لتقع تحت نير دولة مغربية بربرية جديدة ، هى الدولة الموحدية .

شرق الأندلس يصمد للموحدين

كان ذلك حوالى سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) . وكان للثورات الأندلسية المتوالية التى قامت فى الغرب وفى اشبيلية Sevilla ، وقرطبة Cordoba وغرناطة Granada ومالقة Malaga وغيرها قد خبت تباعا امام زحف الموحدين ، واستقرارهم سادة فى تلك القواعد . ولكن شرقى الأندلس كان له شان آخر . اجل قامت الثورات ايضا فى شرقى الأندلس ضد المرابطين ، وانهار سلطانهم فى تلك المنطقة الشاسعة التى تمتد من طرطوشة Tortosa شمالا حتى مرسية Murcia ولورقة Lorca جنوبا ، ولكن الثورة فى الشرق كانت ثورة من طراز آخر . كانت ثورة اندلسية حقة لا تبغى بديلا بالحكم المرابطى ، ولا تسعى الى استقدام



خريطة أسبانيا ، وقد ظهرت فيها مواقع المدن التى جاء ذكرها فى المقال

الموحدين ومحالفتهم، بل ترمى الى تحرير الاندلس والتخلص من كل نير اجنبى .

صراع على الزعامة فى شرق الأندلس ينتهى بزعامة ابن مردنيش

وقد اضطرمت الثورة فى الشرق ، فى نفس الوقت الذى اضطرمت فيه فى باقى القواعد الأندلسية ، ولكنها ما كادت تظفر بالقضاء على الحكم المرابطى ، حتى تحولت الى صراع محلى على الزعامة . وكان مسرح هذا الصراع بالأخص فى مدينتى بَلَنسية Valencie ومُرْسِيَة Murcia وكان محوره بالأخص ثلاث شخصيات ، هم سيف الدولة بن هود ، وابن عياض ، ومحمد بن سعيد ابن مردنيش . أما ابن هود ، وهو سليل بنى هود ملوك سرقسطة القدماء ، فكان يعتمد على عراقة اسرته ، وعلى صفته الملوكية ، فى بسط سلطانه على الشرق واحياء تراثه الملوكى ، وكان له انصار يدعون لرياسته وفى مقدمتهم ابن عياض قائد جند بلنسية ، ولكنه قتل فى معركة نشبت بين المسلمين والنصارى فى سنة ٥٤٠ هـ . وعلى اثر مصرعه أعلن ابن عياض الدعوة لنفسه ببلنسية ، وكان نائبه بها صهره محمد بن سعد بن مَرْدَنيش . ونجح ابن عياض كذلك فى أن يبسط حكمه على مُرسيه ، وعلى سائر منطقة الشرق . واستمر يحكم تلك المنطقة بلا منازع مدى عامين ، الى ان لقى مصرعه فى معركة نشبت بينه وبين القشتاليين (٥٤٢ هـ) . وعندئذ نهض نائبه وصهره ابن مَرْدَنيش فاعلن للناس ان ابن عياض قد أختاره للامارة من بعده ، فبايعه الناس فى بلنسيه ثم فى مُرسية ، وهكذا نجح ابن مردنيش فى اجتناء سلطان الشرق كله ، وكانت رياسته للشرق ايذانا ببدء صفحة جديدة من الصراع بين الأندلس الثائرة وبين الموحدين ، وهو صراع عنيف ظل يضطرم زهاء عشرين عاما ، وتخوضه منطقة الشرق كلها ، بسائر مواردها وقواتها .

ابن مردنيش يتزعم شرق الاندلس فى ثورة اندلسية خالصة ضد المرابطين والموحدين جميعا

كانت الثورة فى شرقى الأندلس ، اعرق مثلا ،

واعمق جذورا ، واشد مراسا منها فى الغـرب ، وكانت تسيرها منذ البداية فكرة قومية عميقة ، هى الفكرة الاندلسية الخالصة ، فكانت تضطرم ضد المرابطين والموحدين معـا ، بنفس العنف والاصرار ، وكانت العوامل الجغرافية والعسكرية تشد من أزرها ، وتضاعف مقدرتها على المقاومة ، فقد كانت قواعدها الرئيسية بعيدة عن متناول الجيوش الموحدية ، وكان اتصالها بالبحر يمدها بوسائل وامكانيات خاصة . وكان وقوعها علـى مقربة من الممالك النصرانية ، يفتح لها بـاب الاتصال المستمر بالملوك النصارى ، ومحالفتهم والاستنصار بهم ، وكانت هذه الوسيلة ، بالرغم مما يحيط بها من ملابسات ذميمة ، تعتبر فى تلك الآونة من الخطط المشروعة ، فى مقاومة الغـزاة المحتلين مرابطين كانوا أم موحدين . وثمة عامل آخر فى استفحال الثورة وصمودها فى شرقى الاندلس هو انحصار زعامتها ، وتركيزها مدى أعوام طويلة فى شخصية واحدة قوية ، كانت تجمع حولهـا خيوط المقاومة ، وكان يحدوها ايمان عميـق بالفكرة الاندلسية ، تلك هى شخصية محمد بن سعد بن مردنيش ، أعظم ثوار الأندلس ضـد الموحدين ، وأشدهم مراسا ، واعنفهم كفاحا .

ابن مردنيش ، عروبته وأرومته

ان ابن مردنيش الذى حمل لواء هذا الصراع الشهير ضد الموحدين ، ولبث طيلة اضطرامه ، صامدا كالصخرة الصامدة ، لا تفتر له همة ، ولا يهادن ولا تلين قناته ، حتى طواه الموت ، هو شخصية من اغرب شخصيات التاريخ الاندلسى تمثل كل خلال العصر ورذائله فى نفس الوقت . وهو ابو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامى بن مردنيش ، اصله من الثغـر الأعلى ، ومولده فى سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤م) ، واذن فقد كان حينما تولى امارة شرقى الأندلس، فتى فى نحو الرابعة والعشرين من عمره . وقـد كان ابوه سعد بن محمد بن مردنيش ، واليـا لافراغة أيام المرابطين ، وظهر بفائق شجاعتـه وبسالته فى مدافعة النصارى .

وقد لفت ابن مردنيش انظار الباحثين باسمه ولقبه ، وصفاته الفريدة،فهو وفقا لاسمه المعروف جذامى او تجيبى او بعبارة أخرى عربى الأرومة. بيد ان فى لقبه وهو ابن مردنيش ، وفى صفـاته وسلوكه أيضا ، ما يحمل على الريب فى هـذه النسبة . واغلب الظن انه ينتمى الى «المولدين» أو بعبارة أخرى اسبانى الاصل ، دخل أجداده فى الاسلام ، فاصبح ينتمى الى ذلك العنصر المسلم الدخيل ، الذى كان يكون شطرا له خطره من الامة الاندلسية ، والذى لعب فى تاريخها أعظـم دور ، ، ولا سيما ايام الفتن والثورات القومية ، ويرى البحث الحديث أن مردنيش انما هو تحريف للاسم الاسبانى « مرتينث » Martinez او Martinizi اى (ابن مرتين) . ومن جهة اخرى فان صفات ابن مردنيش وسلوكه ، حسبمـا تصورها لنا الرواية العربية ، تؤيد هذا الظن فى انتمائه الى عنصر المولدين ، فقد كان شغـوفا بالتشبه بالنصارى (القشتاليين) ، فى الـزى والملابس والسلاح واللجم والسروج ، وكان يجيد اللغة القشتالية ، يؤثر التحدث بها ، وكان يدعو الى جيشه كثيرا من النصارى كالمرتزقة مـن القشتاليين والقطلان والبشكنس ، يبتنى لهم الأحياء والمعسكرات ويزودها باسباب الرفاهيـة والحانات ، وكان يغدق عليهم الصلات الوفيرة من المال والاقطاعات . وقد كان من جراء هذا الاغداق الفياض على المرتزقة النصارى ، أن اشتط ابن مردنيش فى فرض المغارم والرسوم المختلفة علـى رعاياه المسلمين . وكان النصارى يسمونه الملك (لب) Rey Lope او Lobo اعنى الذئب ، وقد اطلق عليه هذا الاسم الأخير لما كان يتسم به من الاقدام والشجاعة .

ابن مردنيش سالم الممالك النصرانية ليتفرغ لحـرب الموحدين

واضحى محمد بن سعد بن مردنيش بتغلبـه على بلنسيه ومرسيئة ، سيد شرقى الأندلس كله، وامتد سلطانه من أحواز طرطوشة حتى قرطاجنة ولورقة جنوبا . ولما كان من الواضح انه لايستطيع أن ينصرف الى توطيد سلطانه فى تلك المنطقـة الشاسعة الهامة ، الا اذا امن جانب النصارى ، وهم جيرانه من الشمال والغرب ، واستطاع بذلك أن ينصرف الى مقارعة الموحدين الذين جازت جيوشهم ، فقد راى ان تكون مسالمة الممالـك النصرانية والملوك النصارى ، شعاره الذى لايحيد

عنه ، وأن يعقد معها التحالف كلما سمحت بذلك الفرص ودعت الضرورات .

وجمعت الاقدار بين ابن مردنيش ونظـيره ابـن هَمُشك

وجمعت الاقدار بين ابن مردنيش ، وبين زعيم اندلسي آخر يشبهه في كثير من صفاته وميوله ، وكان له في محالفته أكبر عضد في مضاعفة صولته وتوطيد سلطانه، هو ابراهيم بن مفرّج بن هَمُشك، وهو مثل ابن مردنيش شخصية تتميز بصفاتها الخاصة ، فهو من أصل نصراني صريح ، وأسلم جده مفرّج على يد أحد ملوك بني هود ، وكان مقطوع احدى الأذنين ، فكان النصارى اذا راوه في القتال عرفوه وقالوا « هامشك Hemochico ومعناه مقطوع الأذن ، فغلب عليه ذلك وعرف بابن هَمُشك .

وتقلب ابراهيم بن همشك في خدمة القشتاليين والمرابطين ، وكان جنديا مغامرا ، وافر الشجاعة والجراة ، ولما اندلع لهيب الثورة في قواعد الأندلس الوسطى ، اشترك في تلك الغمار وخدم هـذا الفريق وذاك . ولما اتسع نطاق الثورة بالشرق ، وظهر محمد بن سعد في بلنسيه ومرسيه ، اتصل به وحالفه وتزوج ابن سعد بن مردنيش ابنته صُبَيحة ، وكانت من أجمل نساء عصرها، فتوثقت بينهما الروابط ، وغدا ابن همشك في الواقع من اقدر قواد العصر واوفرهم جراة وشجاعة ، وقد استطاع أن يبسط سلطانه على منطقة جيان ، وأن يخوض فيما بعد مع الموحدين عدة حـروب ووقائع هامة .

ابن مردنيش ينتزع غرناطة من الموحدين ، ويمزق صفوفهم

وكان ابن مردنيش في الوقت الذي يتوالى فيه قدوم الجيوش الموحدية الى شبه الجـزيرة ، ويضطرد تقدمها نحو اواسط الأندلس ، يعمل من جانبه على توطيد سلطته في منطقة الشرق الشاسعة ويستعد للصراع مع الموحدين بكل ما وسع ، وكان خلال الاضطراب العام الذي شمل القواعد الوسطى قد استطاع أن يدفع فتوحه غربا حتى بسطة وادي آش ، وأن يواجه بذلك القوات الموحدية في غرناطة . وهنـــا بدأ الصراع بين ابن مردنيش والموحدين ، وكان الموحـدون يقدّرون مـا كان عليه ابن مردنيش وحليفه ابن هَمُشك من قوة وبأس وموارد ضخمة ، ولكنهم لم يكونوا قـد استعدوا بعد للمعركة تمام الاستعداد ، ومن ثم فقد استطاع ابن همشك في البداية أن ينتزع منهم غرناطة ، ثم اشتبكت قوات ابن مردنيش وابن همشك وحلفاؤهم من النصارى في معركة طاحنة مع الموحدين هزم فيها الموحـــدون ، ومزّقت صفوفهم ، وهلك قادتهم ، وذلك في مكان في فحص غرناطة يعرف بمرج الرُقاد (٥٥٥ هـ ـ ١١٦١ م)

تأتى النجـدة للموحدين فيهزمون ابن مردنيش

وحزت هذه النكبة في نفس الخليفة عبد المؤمن، فبعث في الحال جيشا موحّديا كبيرا ، عبر الى شبه الجزيرة ، واستعد ابن مردنيش ومعه فرقة من حلفائه النصارى وصهره ابن هَمُشك للقـاء الموحدين ، وهنا نشبت بين الفريقين معركة طاحنة اخرى فوق جبل السبيكة المشرف على غرناطة ، وكان النصر فيها للموحدين (سنة ٥٥٧ هـ) فارتد ابن مردنيش وابن همشك منهزمين في قواتهما وسار الأول صـوب مرسيه ، وسار الثاني الى جيان .

اشتد القتال بـين ابن مردنيش والموحدين وانتهى بهربه تحت جنح الظلام

وانتقل الصراع بين ابن مردنيش والموحدين ، بعد ذلك الى قطاع قرطبة ، وكانت حملات ابن مردنيش المتوالية تهدد سلطان الموحدين في عاصمة الخلافة القديمة . ونشبت بين الفريقين معارك متوالية، وكان فيها التفوق للموحدين ، واستمرت الجيوش الموحدية في زحفها نحو الجنوب الشرقي، خلال المنطقة التي يسيطر عليها ابن مردنيش ، ما بين بسطة ولورقه . وكان ابن مردنيش يرقب هذا التقدم الموحدي المضطرد صوب عاصمتـه مرسيه بمنتهى الجزع ، ويبذل كل ما وسـع للقاء خصومه وردهم ، ولكن الموحدين استطاعوا

الوصول الى فحص مرسيه دون مشقة ، واخذت بوادر الانفصال عن طاعة ابن مردنيش وقضيته تبدو شيئا فشيئا ، وتدخل الحصون والبلاد الخاضعة لسلطانه في طاعة الموحدين . وكان ابن مردنيش قد حشد سائر قواته ومنها فرقة من النصارى على مقربة من غرب مرسيه ليحول دون تقدم الغزاة الى عاصمته . وفي يوم الجمعة السابع من ذى الحجة سنة ٥٦٠ هـ (١٥ اكتوبر سنة ١١٦٤ م) ، وصلت القوات الموحدية الى موضع قريب من محلة ابن مردنيش يعرف « بفحص الجلاب » . وسرعان ما انقض ابن مردنيش بقواته على الموحدين ، ونشبت بين الفريقين معركة هائلة استمرت طوال اليوم وقاتل الفريقان أروع قتال ، ثم رجحت كفة الموحدين في النهاية ، ففتكوا بجيش ابن مردنيش وقتلوا منه مقتلة عظيمة ، وسقط من الموحدين كذلك عدد جم من القتلى ، ومنهم عدة من القادة والأشياخ ، وارتد ابن مردنيش في فلوله الى تل قريب ، ثم فر تحت جنح الظلام مسرعا الى مرسيه ، فامتنع بها .

ابـن همشك حليف ابـن مردنيش يعلن الطاعـة للموحدين

وكانت موقعة الجلاب بداية النهاية في ثورة ابن مردنيش وصراعه مع الموحدين ، بيد انه لم يجنح الى مهادنة او مسالمة ، بل ظل صامدا متمسكا بموقفه ، وهو يتاهب لاستئناف الصراع مع الغزاة ، ولكن تيار الحوادث كان اقوى من أن يُجارَى ، ذلك ان الموحدين ، بعد أن شغلوا حينا بحروبهم في البرتغال عن متابعة الصراع مع ابن مردنيش ، عادوا فقرروا القيام بضربتهم الحاسمة ضد مملكة الشرق . وكان قد حدث عندئذ تصدع خطير في الجبهة الشرقية التي يقودها ابن مردنيش وصهره وقائده الاول ابراهيم بن همشك ، وذلك لاقدام ابن مردنيش على طلاق زوجته صبيحة بنت ابراهيم بن همشك بعد أن بالغ في ايلامها واهانتها ، فلجأت الى كنف ابيها ، وخشى ابن همشك فوق ذلك من غدر ابن مردنيش وانتقامه ، فالتجأ الى الموحدين ، واعلن دخوله في طاعتهم (سنة ٥٦٤ هـ) ، وكان ذلك أكبر مشجع للموحدين على اتخاذهم قرارهم بمهاجمة ابن مردنيش وتحطيم سلطانه .

عاملان ضعضعا قوى ابن مردنيش

وكان ابن مردنيش منذ هزيمته في فحص الجلاب ، قد اضطربت شئونه واخذت تخبو قواه وموارده . وكان من أهم العوامل في تضعضع قوى ابن مردنيش ، اولا مبالغته في الاعتماد على محالفة النصارى ، وثانيا خروج قادته ووزرائه عليه ، فأما العامل الأول ، فقد كان امرا طبيعيا تمليه الظروف المحيطة بابن مردنيش وثورته على الموحدين . وقد كانت ثورة ابن مردنيش ، فضلا عما يحركها من الاطماع السياسية ، تمليها بواعث وطنية ، هي التي دفعت سائر القواعد الأندلسية الى الثورة على المرابطين ، وقد كان الموحدون خلفاء المرابطين في التغلب على الاندلس ، فكانت ثورة ابن مردنيش على الموحدين امتدادا لنفس الثورة ونزولا على نفس البواعث . وكان النصارى الاسبان حلفاء طبيعيين لابن مردنيش ، في هذا الصراع ضد العدو المشترك ، اعنى الموحدين ، الوافدين على شبه الجزيرة من وراء البحر . ولم يغفل ابن مردنيش اهمية هذا العامل في اجتذاب النصارى الى محالفته وحشدهم في صفوفه . وأما العامل الثاني في تضعضع قوى ابن مردنيش فهو خروج قادته ووزرائه عليه ، وفي مقدمتهم ابراهيم ابن همشك ، أعظم قادة الأندلس في ذلك العصر . وقد خرج عليه ايضا عدة من قرابته ووزرائه ، الذين اضناهم كفاحه وعناده ، وصموده المستمر ضد هذه القوى المتزايدة من الموحدين .

الموت يجيء ابن مردنيش داخل عاصمته المتداعية فيخلصه من ورطته

كان ابن مردنيش يعاني من هذه الظروف والمتاعب المضنية ، حينما وضع الموحدون خطتهم لانزال ضربتهم الأخيرة به . وفي أوائل سنة ٥٦٦هـ (١١٧١ م) سارت الجيوش الموحدية ثانية صوب مملكة الشرق ، ومعهم حليفهم الجديد ابن همشك . وفي خلال ذلك كان ابن مردنيش يبذل أقصى جهوده للدفاع الأخير ، ولكن بوادر الانهيار أخذت تتوالى في مملكة الشرق ، واخذت قواعدها وبلادها المختلفة تتسابق الى طاعة الموحدين :

بسطة ، لورقة ، الش ، الجزيرة وغيرها ، ثم

خرب الموحدون الحصار حول مرسيّة . وكان ابن مردنيش يخرج منها بقواته من آن لآخر ويشتبك مع الموحدين فى معارك طاحنة ، وكان أخوه الرئيس أبو الحجاج يوسف بن سعد يتولى الدفاع عن بلنسية . ولكن نذر الخاتمة ، كانت تبدو خلال هذه الجهود الاخيرة لمتابعة صراع طال أمده ، ونضبت موارده . وكان ابن مردنيش مع ذلك قد صمم أن يموت مدافعا عن ثورته ، وعن سلطانه وعن شعاره ، فلم تمض بضعة أشهر أخرى حتى جاء الموت محققا لأعز أمانيه . وتوفى محمد بن سعد بن مردنيش داخل عاصمتهمرسية. فى العاشر من شهر رجب سنة ٥٦٧ هـ (٦ مارس سنة ١١٧٢ م) وهو فى الثامنة والأربعين من عمره. وقد ثارت حول وفاته عدة روايات نضرب عن ذكرها لضعفها من الناحية التاريخية .

بموت ابن مردنيش سقطت دولة تحدت دولة الموحدين ربع قرن من الزمان

وكان موت ابن مردنيش نذيرا بانهيار دولته الشامخة ، وسيطرة الموحدين عليها واستكمالهم بذلك لسيادتهم على سائر اراضى الأندلس ـ تلك الدولة التى استطاع ابن مردنيش بعزمه وجرأته وشجاعته ، أن ينشئها فى شرقى الأندلس ما بين طرطوشة شمالا ، والمرية جنوبا ، وما بين شاطىء البحر شرقا ، وجيان غربا ، والتى لبثت زهاء ربع قرن تمثل سلطان الأندلس ، واستقلالها القومى ، وتتحدى سلطان الموحدين وجيوشهم ، المتدفقة من وراء البحر . ولقد كان ابن مردنيش فى الواقع يمثل بثورته ضد الموحدين كل ما كانت تبطنه الأندلس القديمة من الآلام والآمال القومية التى لبثت تجيش بها منذ استولى المرابطون على قواعدها ، وفرضوا سيادتهم عليها ، وهى تلك السيادة التى ورثها الموحدون عنهم ، وعملوا على توطيد دعائمها . ولم يك ثمة ما ينتقص من تلك الثورة القومية ثورة ابن مردنيش ، من الناحية المعنوية ، سوى عامل واحد ، هو اسراف ابن مردنيشفىمصادقة النصارى ومحالفتهم ،واعتماده على عونهم ، بيد ان هذا العامل كانت تبرره من بعض النواحى ، وتلطف من وقعه ومؤثراته ، أحداث العصر وظروفه،التى سبق أن أشرنا اليها، ومن ثم فان المؤرخ يستطيععلىضوء هذه الاحداث والظروف ، أن يصف ابن مردنيش بزعيم القومية الأندلسية .

وقد كانت ثورة ابن مردنيش آخر محاولة لتحدى سلطان الموحدين وسيادتهم على الأندلس ، ولم يبق بعد انهيارها للموحدين منازع ، وامتد سلطانهم بذلك على سائر أنحاء شبه الجزيرة الأندلسية ، واستمرت تحت حكمهم زهاء ثمانين عاما أخرى . ■■

محمد عبد الله عنان

فهم المنصور

● لما دخل أبو جعفر المنصور « المدينة » قال للربيع : ابغنى رجلا عاقلا عالما بالمدينة ليقفنى على دورها ، فقد بعد عهدى بديار قومي . فالتمس له الربيعُ فتى من أعقل الناس وأعلمهم ، فكان لا يبتدىء باخبار حتى يسأله المنصور فيجيبه باحسن عبارة ، واجود بيان ، واوفى معنى . فأعجب المنصور به وامر له بمال ، فتاخر عنه ، ودعته الضرورة فى استنجازه ، فاجتاز ببيت عاتكة فقال : يا امير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الأحوص : « يا بيت عاتكة الذى اتعزّل.. » ففكر المنصور فى قوله وقال : لم يخالف عادته بابتداء الاخبار ، دون الاستخبار ، الا لامر . واقبل يردد القصيدة بيتا بيتا حتى انتهى الى قوله فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مَذِقُ (١) اللسان يقول ما لا يفعل

فقال : يا ربيع ، هل أوصلت الى الرجل ما امرنا له به ؟ فقال : اخّرته عنه لعلة . وذكرها الربيع . فقال له المنصور : عجّله له مضاعفا .

(١) مذق اللسان يمزج الجد بالهزل



بين شاعر وشاعرة

شاعر العرب الشيخ «دُرَيْد» يطلب والخنساء تخالف أباها

بقلم : الدكتور أحمد أحمد بدوى

استاذ البلاغة والنقد الادبي بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

■ اما الشاعر فدُرَيْد بنُ الصِّمَّة ، الفارس الشجاع ، يقول عنه صاحب الأغانى : « كان أطول الفرسان الشعراء غزوا ، وأبعدهم أثرا ، واكثرهم ظفرا ، وايمنهم نقيبة عند العرب ، واشعرهم ، ادرك الاسلام فلم يسلم ، وقتل يوم حُنَيْن ، فى السنة الثامنة للهجرة . »

وأما الشاعرة فالخنساء ، واسمها تماضر بنت عمرو بن الشَّرِيد ، اشهر شواعر العرب ، عاشت اكثر عمرها فى الجاهلية ، وادركت الاسلام فاسلمت ، وماتت سنة اربع وعشرين من الهجرة.

دُرَيْد يفتتن بالخنساء

ويروى المؤرخون لهما ان دريدا احب الخنساء، عندما راها يوما تداوى ابلا لها قد اصابها الجرب ، ولم تكن معنيّة يومئذ بثيابها ، فابدت هذه الثياب محاسنها ، ومضى الشاعر مفتونا بها ، يردد قوله :

حَيُّوا تُماضِرَ واربَعوا صحْبِي (١)
وقفوا ، فإنّ وقوفكم حَسْبِي

ما إن رأيتُ ، ولا سمعتُ به
كاليومِ ، طَالِيَ أَيْنُقٍ (٢) جُرْبِ

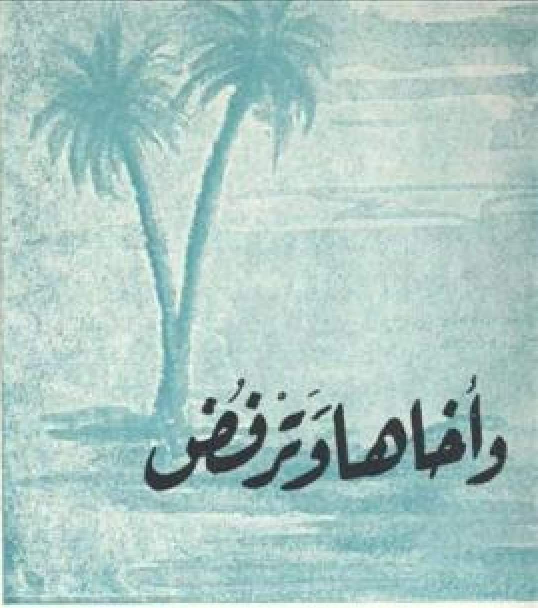
متبذّلا ، تبدو محاسنُه
يضَعُ الهِناءَ مواضِعَ النُّقْبِ (٣)

متحسّرا ، تَنْضَحُ الهناءَ به
نَضْحُ العبيرِ بِرَيْطَةِ العَصْبِ (٤)

أخُنَاسُ ، قد هام الفؤادُ بكم
واعتاده داءٌ من الحبِّ

---

(١) اربعوا : انتظروا . (٢) اينق : جمع ناقة . (٣) تبذل : ترك الاحتشام والتصون . الهِناء : القطران . النقب : القطع المتفرقة من الجرب فى جلد البعير . (٤) متحسرا : كاشفا وجهه . النضح : الأثر من الطّيب . العصب : ضرب من الثياب المخططة .



فَسليهِمُ عنِّى خُنَاسُ ، إذا
عضَّ الجميعَ الخطبُ : ما خَطبِى؟

والأبيات برغم قلة عددها ، تنبىء عن حب عنيف ، واعجاب بالغ : اما الحب العنيف فيدل عليه استيقافه لصحبه ، وكانما يستوقفهم ليعينوه على حمل ما أثقل كاهله وملأ قلبه .

انها صيحة استغاثة ممن وقع فى أمر عظيم .

ويدل على هذا الحب العنيف أيضا أن الشاعر تخير للتعبير عنه كلمة « الداء » ، فهو ليس بشىء هين الاحتمال ، ولكنه بالغ التأثير ، قد أحسّ به الشاعر قويا ، مؤلما ، مسيطرا كما يسيطر الداء .

واما الاعجاب البالغ فتدلّ عليه هذه الصيحة التى يعلن بها أنه لم ير من قبل ، ولم يسمع أنّ هناك من له جمال هذه الآسية (١) التى تعالج تلك النوق الجرباوات .

واغلب الظن أنها ، وهى تطلى النياق الجرب ، لم تكن تخشى أن تراها عين رقيب ينظر اليها ، فلم ترتد ثيابا سابغة .

ان الشاعر لم يشم رائحة قطران تطلى به مواضع الجرب ، ولكنه أحسّ به عبيرا يملأ الجو برائحته العبقة الذكية ، واذا دل ذلك على شيء فانما يدل على شعور بجمال الحياة عندما غمرها اريج الحب ، فرأى فى كل رائحة طيبا ، وذلك احساس طبيعى يحس به المحب ، اذ يرى فى كل شىء جمالا .

ويختم الشاعر أبياته مقدما نفسه لهذه الجميلة الفاتنة ، وهو هنا لا يريد أن يتحدث هو عن نفسه ، فربما ظنته كاذبا أو مبالغا ، ولكنه يطلب منها أن تسال الناس عنه اذا اشتدت خطوب الزمان ، مطمئنا الى أن الناس سوف يحدثونها عن كرمه وشجاعته ، واثقا بنفسه ، مؤمنا بانها سوف تعجب به ، وتجزيه حبا بحب .

لقد عبرت الأبيات عن التجربة التىهاجمت قلب الشاعر ، ورأينا صيحاته مصورة لفؤاده الهائم .

دُرَيْد يخطب الخنساء فترفضه

ويروون أن الشاعر عندما أصبح ، غدا على أبيها ، فخطبها اليه ، فقال له ابوها : مرحبا بك أبا قرّة ، انك للكريم لا يطعن فى حسبه ، والسيد لا يردّ عن حاجته ، ولكن لهذه المرأة فى نفسها ما ليس لغيرها ، وأنا ذاكرك لها ، وهى فاعلة .

ثم دخل اليها ، وقال لها : يا خنساء ، أتاك فارس هوازن ، وسيّد بنى جُشَم : دُرَيْد بن الصِّمّة ، يخطبك ، وهو من تعلمين ، (ودريد يسمع قولهما)

فقالت : يا أبتِ ، أترانى تاركة بنى عمّى مثل عوالى الرّماح ، وناكحة شيخ بنى جُشَم ، هامة اليوم أو غدٍ (٢) ؟

فخرج اليه أبوها ، فقال : يا أبا قرّة ، قد امتنعت ، ولعلها أن تجيب فيما بعد

فقال : قد سمعت قولكما ، وانصرف .

معاوية يتدخل .. والخنساء تأبى !

ولعل الأمر كان ينتهى عند هذا الحد ، لولا أن أخاها معاوية أراد أن يزوجها منه ، فأبت ، وقالت : « لا حاجة لى به »

(١) الآسية : المداوية . (٢) يقال : فلان هامة اليوم أوغد : اذا كبر وأشرف على الموت .

فاراد معاوية ان يكرهها ، وكان اخوها صخر فى غزاة له ، ولو كان حاضرا لكان نصيرها فى الرفض ، فهو دائما نصيرها ما عاش ، قالت :

تباكرني «حميدة » (١) كلَّ يوم
بما يُولي (٢)« معاوية بن عمرو »
فإلاَّ أُعطِ من نَفْسي نصيباً
فقد أودى الزمان إذا بصخر
أتكرهني ، (هُبِلْتَ) (٣) ،على دريد
وقد أحرمت سيد آل بدر
معاذَ الله يرضَعُني حَبَرْكَى
قصير الشبْر من جُشَمٍ بن بكْرِ (٤)
يرى مجداً ومكرمةً أتاها.....
إذا عشَّى الصَّديق جَرِيم تَمْر (٥)
ولو أمسيْت في جُشَمٍ هَدِيًّا
لقد أمسيْتُ في دنَسٍ وفقر (٦)

واذا كانت ابيات « دريد » تدل على الحب العنيف فابيات « الخنساء » تدل على الرفض العميق الساخط .

ولقد ابغضت الشاعرة هذا الالحاح عليها فى كل يوم من جانب اخيها معاوية « تباكرها به«حميدة» فى كل صباح .

وتعلن الشاعرة انها ليست وحدها ، بل ان الى جانبها اخاها « صخرا » ، فهى ليست ضعيفة ولا واهنة ، ما دام حيا ، وهى لذلك تحتفظ بحقها كاملا فى اختيار شريك حياتها . لقد ابت امس ان تتزوج سيد آل بدر ، وهى اليوم كذلك ترفض « دريدا » ان يكون زوجا لها ، فهو ليس بارفع قدرا من خطيبها الاول .

لقد ابانت عن هذا البغض العميق عندما رأيناها تدعو على اخيها معاوية ان تثكله امه .

تجمعت كل مظاهر النفور فى تلك العبارة « معاذ الله » ، كانه شىء يستعاذ منه بالله .

وتمضى الشاعرة مبينة اسباب هذه النفرة ، فدريد فى نظرها ، لا يتمتع بجمال حسى ولا خلقى، وليست اسرته مشرفة لمن يدخل فى عدادها . وليست ثروة « دريد » بجالبة لها الغنى ، ولا مبعدة عنها شقاء الفقر .

انها ترى « دريدا » لا يتمتع بخلقة جميلة ، فهو قصير الرجلين ، طويل الظهر ، ليس جوادا ، ولكنه قليل العطاء ، يعد كرما ومجدا ان يقدم لصديقه العشاء تمرا يابسا .

دريد يردُّ على الخنساء

لقد كانت « الخنساء » صريحة فى رفضها ، معللة اسباب هذا الرفض ، معلنة حقها فى ان تختار لنفسها من تشاء ، وربما دفعها البغض الى التجنى على الرجل ، مما اضطره الى ان يدافع عن نفسه بقصيدة يقول فيها :

لِمَنْ طَلَلٌ بذاتِ الخِمْسِ أمسى
عفَا بين العقيق ،فبطن ضِرس (٧)
أشبِّهها غمامةَ يوم دَجْنٍ
تلألأ برقُها ، أو ضوءَ شمس (٨)
فأقسِمُ ما سمعت كوجدِ عَمْرو
بذاتِ الخالِ من جنَ وإنْس (٩)
وقاكِ الله يا ابنة آل عَمرو
من الفتيانِ أمثالي ونفسي

---

(١) لعل « حميدة » زوج اخيها معاوية . (٢) يولى : يوصى (٣) هبلته امه : ثكلته (٤) يرضعنى : يتزوج بى .
(٥) الحبركى : قصير الرجلين ، طويل الظهر . الجريم : التمر اليابس . (٦) الهدى : العروس .
(٧) ذات الخمس : والعقيق ، وبطن ضرس : مواضع . (٨) الدّجن : المطر الشديد (٩) الخال

فلاتَلِدِي ولا يَنكحكِ مثلـــي
إذا ما لَيْلَــةٌ طرقَــتْ بنَحْس
لقد علم المراضعُ في جُمــادى
إذا استعجلْنَ عن حَزّ بنَهْس(١٠)
بأنىَ لا أبيت بغير لحـــم
وأبدأُ بالأرامــل حين أمسى
وأنّى لايُهِرُ الضيْفَ كلبي (١١)
ولا جارى يبيت خبيث نفْس
إذا عُقَبُ القدورِ عُددْن مــالا
تحبُّ حلائلُ الأبرامِ عِرسى(١٢)
وتزعــم أنّي شيخ كــبير
وهل خبّرتُها أنى ابن أمــس
تريد شرَنْبَثَ الكفّين شثْنــاً
يُقاتعُ بالجدائرِ كلَّ كِرْسِ (١٣)
وما قصرت يدى عن عُظْم أمــرٍ
أهُمُّ به،ولاسهمى بنِكْسِ (١٤)
وما أنا بالمُزَجّـى حين يسمو
عظيم في الأمور، ولا بوَهْسِ(١٥)

لقد كان الشاعر رفيقا في رده على «الخنساء» فلم يعبها باى لون من الوان العيب ، كما عابته هي . ولعله استوحى مقدمة قصيدته من حبه الملتهب ، فمضى يشبه تلالؤ وجه الحبيبة بتلالؤ البرق في يوم مطير ، او بضوء الشمس الساطع ، ويقسم انه ما سمع بحب في الجن والانس كهذا الحب الذى يحمله قلب عمرو لحبيبته .

ويمضى في الدعاء لهــا الا تفطرها الحيــاة ، والليالى الســوداء ، الى الزواج منه ومن امثاله ، ولعله بذلك يعود الى نفسه وسنه ، فلا يرى انه جدير بان يظفر بها ، وانها لا تتزوج من مثله الا اذا دفعتها كوارث الايام .

ولكن ذلك لم يمنع الشاعر من ان يضع الامر فى نصابه ، وأن يصور لها نفسه على حقيقتها .

لقد كان يظن عندما تحدث اليها في ابياته الاولى ان شهرته بين قومه سوف تبعثها على الاعتراف بمجده ، ولكن هاهى ذى تنسـبه الى البخـل والفقر ، ومن اجل ذلك عنى الشاعر بالرد عليها فيهما ، كما عنى بالرد عليها في حديثها عنه بانه واهن كبير الســن .

ودعوى كبر سنه لم تتحدث عنها الخنساء في شعرها الذى اوردناه : فلعله مما تسبه الرواة ، أو أن الخنساء لما ذكرته في الحديث الذى دار بينها وبين ابيها اراد الشاعر ان يبين وجهــة نظره فيه .

واطال الشاعر في الرد على البخل والفقر ، فذكر غناه في الشتاء القارس ، حين يشتد البرد، وتجوع المراضع ، فيقدمن على اكل اللحم ، لا يقطعنه ، ولكنهن يقبلن عليه فى عجل ، ويتعرقن ما على العظام منه .

ان « دريدا » لا يخلو بيته حينئذ من اللحم ، وهو يسجل ذلك في بساطة ، ليبرهن على غناه .

أما كرمه فيدل عليه بمظاهر عدة :

منها انه لا يبدأ بنفسه في تناول هذا اللحم ، ولكنه يبدأ بالارامل اللائى فقدن ازواجهن .

ومنها انه كثير الضيفان ، حتى ان كلبه قد الف رؤيتهم ، فلا ينبح اذا رآهم ، لانه لا يفرق بين صاحب البيت وضيوفه الوافدين .

ومنها أن جاره لا يحقد عليه ، ولا يبيت مطوى

---

(١٠) الحز : القطع . والنهس : تعرق ما على العظم وانتزاعه بمقدم الاسنان (١١) أى لا ينبح الكلب في وجه الضيف ، لانه يألفه (١٢) عقب القدر : ما التصق بأسفلها من تابل وغيره . والابرام : الذين لا يدخلون مع القوم فى الميسر ، لبخل او فقر (١٣) الشرنبث : الغليظ . والشثن : الخشن . والجدائر : الحظائر . والكرس:ما تكرس : أى صار بعضه فوق بعض (١٤) النكس : الرجل الضعيف لا خير فيه (١٥) المزجى : الضعيف . والوهس : الذليل .

القلب على ضغينة منه ، لانه لا يستأثر بشيء دونه، بل يشركه معه في كل ما يناله من الخير .

ومنها انه اذا اشتدت الازمة في الحيّ ، حتى اصبحت الاشياء التافهة ذات قيمة ، احتجت نساء الفقراء زوجته ، لانها تقدم اليهن ما يحفظ عليهن الحياة .

تلك هي المظاهر التي تؤكد كرمه ، يعددها ، لكي ينفي عن نفسه تهمة البخل ، التي رمته بها الخنساء ، فهو لا يعد مكرمة ومجدا ان يقدم لصديقه التمر الرديء ، كما زعمت .

ولعل الشاعرة قد اختارت كلمة « الصديق » ، لتوحي بها الى انه بخيل ، واذا اضطر الى تقديم طعام فلن يكون ذلك الا لصديق يعرفه ، لا لطارق ضيف ينزل به ، واذا قدم لهذا الصديق طعاما فلن يكون هذا الطعام سوى رديء التمر .

والشاعر هنا يرد عليها بانه لا يقدم رديء التمر ولكنه يقدم اللحم في الليالي الموحشة للفقراء ، وانه يفتح بيته للضيفان ، حتى ان كلبه لا ينبح اذا رآهم ، لا لصديق فحسب يندر ان يتعشى لديه ،ولا يقتصر خيره على الضيفان ، ولكن الجار ايضا يرضى جواره لكرمه .

فاذا شفى الشاعر نفسه من الحديث عن كرمه ، وكان البخل من انكى ما يرمى به العربي ، انتقل الى الحديث عن صغر السن : وهو لا يخفي انه قد علت سنه ، وانه لم يدّع انه حدث صغير ، وانها انما تريد رجلا قويا . ليت شعري هل اراد الشاعر او كان عن غير قصد منه ، ان يصور هذا الشاب القوي في صورة غير حبيبة الى النفوس ، عندما صوره غليظ الكفين ، خشنا ، يعمل بيده، ويحمل الاثقال ؟

اما « دريد » فيسجل لنفسه ان كبر سنه لم يحلْ بينه وبين ان يظفر بما يريد من عظائم الامور ، لانه ليس بالضعيف ولا بالذليل .

لقد شفى الشاعر نفسه بهذا الرد ، وكانما كان يتحدث الى نفسه ، بعد ان خاب امله ، يريد ان يقنعها بانه ليس بذلك الرجل الذي اهانته « الخنساء » او كانه يريد ان يسجل للناس صفاته ، حتى لا يؤثر فيهم ما اتهمته به الشاعرة.

ولم يثر « دريد » امورا لم تثرها « الخنساء » في شعرها او حديثها ، فلم يحدثنا عن سيادته وشجاعته ، وكان من الممكن ان يتحدث عنهما . ولكنا نلحظ انه ترك الحديث عن الموازنة بينه وبين سيد آل بدر الذي رفضت « الخنساء » ان تتزوج به حين تقدم اليها خطيبا ، فلعل هذه الموازنة ليست في صالح الشاعر .

وروى صاحب الاغاني انه قيل « للخنساء » بعد ان انشا « دريد » هذه القصيدة : « ألا تجيبنه ؟ » ،

فقالت : لا اجمع عليه بين ان ارده واهجوه.

ولكن يظهر ان هذه القصيدة بقيت آثارها في نفسها ، حتى انها انشات قصيدة على وزنها ورويها ترثي بها اخاها صخرا ، بعد موته ، وفيها تقول :

يؤرقُني التذكر حين أمسي
ويردَعُني مع الأحزان نُكْس
على صَخْرٍ ، وأيُّ فتىً كصخر
ليوم كريهة ، وطِعان خِلْس

ولا عجب فقد كانت تعتمد على صخر في انه سيكون عونها في رفضها الزواج من هذا الشيخ الهرم . ■■

احمد احمد بدوي

احذر رجل السوء

● قال الاصمعي سمعت اعرابيا يعظ رجلا وهو يقول : ويحك ان فلانا وان ضحك اليك ، فانه يضحك منك ، ولئن اظهر الشفقة عليك ، فان عقاربه لتسرى اليك ، فان لم تتخذه عدوا في علانيتك ، فلا تجعله صديقا في سريرتك .

ركن المرأة

تحيتي إليها



تلك التي علمتني أن الحياة عذبة حلوة

بقلم : أسمى طوبى

■ كانت صاحبتي جميلة ... ذلك الجمال الذي لا يعرّف بالمقاييس المصطلح عليها .. فاذا شئت وصف جمالها لم تقل .. لها عينان لوزيتان، وانف كحبة الفستق ، وفم كلوزة حمراء .. بل قلت هي جميلة فاتنة ، وصمتّ .. ذلك لان جمالها لم يكن مستمداً من مثل هذه الأوصاف بل كان يكمن في بسمة طيبة لا تفارق محياها حتى في اقسى الظروف .. كان جمالها في روحها فكانها استخرجت من الحياة اعمق معانيها وعاشتها بكل دقائقها .. كانت صاحبتي تحيا حياتها . وقد عدت الى معجم اللغات لأرى ما تعني بالتدقيق كلمة « حية » فاذا بها هكذا : « الأرض الحية هي الغضة النبات » .. وكانت هي ارضا غضة النبات حقا ..

سألتها مرة .. اسعدتك الحياة .. اجابت : وهل رأيت محبوبا لا يسعد حبيبه .. ؟ قلت : أوتحبينها الى هذا الحد . ؟ قالت : كلنا نحب الحياة يا رفيقتي .. نحبها منذ أن يتكون العقل فينا فنهرب حتى من حبل يُجرّ لئلا يكون أفعى مؤذية ، ولكن معظمنا لا يدرك عمق هذا الحب المتغلغل في كيانه .

واستطردت صاحبتي تقول .. حبنا للحياة لا يتبدى بأعمق معانيه الا يوم نوشك أن نفقدها لخطر طارىء او شيخوخة او ما اشبه ذلك .. في تلك اللحظات تتبدّى الدنيا امامنا جميلة باسمة .. تتبدى حلوة غالية ، وقد تناسينا كل ما قاسيناه من غدرها ، وغفرنا لها كل ما حمّلتنا من محنها .. في تلك اللحظات تسرع دقات قلوبنا أسىً على فقدها .. وندما على اننا لم نستغلها ولم نستمتع بها كما يجب .. اذا لم لا نبتدىء من البدىء .. ؟

وكنت أصغي .. واستمرت صاحبتي

تدلل على حبنا للحياة قائلة :

ـ الم تتحدثي مرة الى شيخ فان وترى تعلقه بالدنيا ..؟ انه يتمسك بها كما يتمسك الغريق بالحبل .. يتمنى ـ وبالله كم يتمنى ـ لو يعود الى الوراء اعواما .. لو يعودون به الى الطفولة ويأخذون كل ما يملك .. ولكن ما نفع التمني . ان الأجل المحتوم يحل به فاذا به يغادر الحياة وفي العين دمعة وفي النفس لوعة .

وذلك المريض المدنف .. قد يكون مقعدا يطل على الدنيا من نافذة ضيقة، ولكنه يقنع بالنافذة ، أو الكرسي يجر عليه الى الحديقة .. او قد يكون مصابا بعلة لا شفاء منها ، ولكنه يظل يخادع نفسه ويأمل .. الم تقرئي عن عالم من علماء الداء العضال ، أصيب به ، فلم يشأ ان يصدق على سعة علمه انه الداء اياه ، بل ظل حتى الدقائق الاخيرة يصرح بأنه سيشفى لأن ما به قابل للشفاء .. هكذا ظلت الحياة تناديه وظل يصغي الى النداء .. ويشتاقها .

وحتى الأعمى الذى لم ير من الدنيا شيئا يبتسم للدنيا .. لا ينتحر .. ولا يترك الحياة الا مرغما ..

قلت لصاحبتي : والمنتحرون الذين ترخص الدنيا في نظرهم .. ؟

قالت : اسمعت بمنتحر انقذ في اللحظات الأخيرة فأعاد الكرة .. ؟

قلت : لم أسمع .

قالت : اما أنا فقد عرفت شابا فشل في حبه وتحطم مستقبله فتناول السم .. فلما انقذ في الوقت المناسب كانت اول جملة تلفظ بها « انها لحظة جنون تتملك المرء » .. ثم لم يعد الى الانتحار مع ان الاسباب التى اقدم بسببها ما زالت باقية .

وصمتنا لحظة ثم عادت صاحبتي تتم .. انا يا رفيقتي كذلك الحطاب الذى ظل يخرج مع الفجر ليحتطب ، ويعول صغاره السبعة وامهم ، ثم يعود مساء ، فينام كالحيوان المتعب لكى يصبح فيحتطب من جديد .. وفي يوم قائظ وقف المسكين امام حمل الحطب ليمسح عرقه المتساقط ثم هتف من اعماقه .. ما هذه الحياة الشقية .. يا عزرائيل تعال ارحني منها .. وبغتة انتصب عزرائيل أمامه قائلا هاأنذا لأنك دعوتني .. وهلع قلب الحطاب المسكين فقال موربا مستخذيا : لقد .. لقد دعوتك يا سيدي لترفع معي حمل الحطب هذا الى ظهري ..

هكذا نحن نحب الحياة .. وهكذا كلما تذكرنا كم مر من اعوام العمر نحاول حتى بيننا وبين انفسنا ان نقتطع بعض هذه الأعوام لان كثرتها تقربنا من النهاية المحتومة .

قلت : والاشواك والمتاعب .. ؟

قالت وهي تبسم بسمتها الحلوة : نحن يا رفيقتي لم نستشر عندما قدمنا الى هذه الدنيا .. لم تسأل ما هي شروطكم لتقبلوا وتشرفوا الدنيا بقدومكم .. فلما اشترطنا ان تكون كلها ازاهير فواحة .. مزقت الاشواك اقدامنا ، فسخطنا ..

لقد جئنا دون أن نستشار .. ورسم خط سيرنا كذلك .. وسنمضي أيضا دون أن نستشار ، فلم لا نجعل الرحلة ممتعة .. ؟

قلت : اذن رضى المكره ، وصبر المغلوب على أمره ؟

قالت أبدا .. بل رضى من يعرف انها سنة الطبيعة فلا ورد بلا شوك : ثم تصوري سماء لا غيمة فيها .. وربيعا

على مدار الأعوام .. افلا يمحو هـذا الروتين الطبيعي روعة الجمال .. ؟

ثم هبي انه رضى المكره افليس الرضى بما قسم الله فضيلة .. وهـل اذا مضينا نردد قائمة طويلة عريضة بالنكبات والمصاعب تصبح الحياة أسعد .. ؟

وراقبتُ صاحبتي بعد ذلك فما رايتها تخلت عن بسمتها ولا انحنت تحت ثقل ..

كانت ترسم وزوجها خطة ، ثم توفر لها كل عوامل النجاح ، ومتى نجح هو سَعِدتْ لأنها كانت الصخرة التي سَنَدَته .

تسهر على صغير بصبر ، ومتى شُفي سعدتْ ، لأن صبرها كوفىء .

تعارك المصاعب بعزيمة جبارة ، ثم تستمتع بلذة الفوز بعد الجهاد .

تؤدي واجبها المنزلي بدقةٍ ، ثم تعتز اعتزاز من يعشق الكمال ويتحدى النقص .

كان يسعدها الشعور بأنها اقدر من الكثيرات على المثابرة في سبيل العمل المتقن .

كان فيها كل نكران الذات وكل عطاء الأرض الحية .. مع لذة هي لذة من يشعر بأن العطاء اثمن من الأخذ .

كانت تركض في مضمار الحياة ... تزيح بقدميها الحجارة والعراقيل ولكنها لا تلهث ولا تتذمر ..

تشحذ ذكاءها وتفكر بعمق ، ثم تسعدها متعة الابتكار والانتاج .

وكانت في كل خطواتها هـذه ترى الجمال في الأشياء وتسعد به .

وانتشر ظلها عليّ .. كنتُ قبل رفقتها كذلك الراعي الذي ظل في أعالي الجبال اعواما لا يرى الجمال حوله ، حتى التقى مرة بعالم نبات يبحث عن الأزاهير الغريبة .. وبغتة سمعه يصيح به .. ايها الراعي تعال الى تعال الى هنا .. واقبل الراعي .. ووضع العالم منظاره المكبر فوق زهرة فبدتْ اروع ما تكون الأشياء .

وقال العالم .. هل رايت ما اجملها .. فبكى الراعي وهو ينجيب : كم من مرة دُستُ على امثالها .. لم اكن اعلم انها بهذا الجمال .

وهكذا كان شاني وصاحبتي هذه .. وضعتِ المنظار المكبر امامي فأرتني جمال الحياة .. وعلمتني ، لا أن استمتع به وحدي ، بل كذلك أن امتع به من حولي .

كنت قبل أن اعرفها ارسم البسمة على شفتي في المناسبات اطبعها طبعا .. ثم انزعها متى ضمتني جدران غرفتي .. ولكنني اليوم اصبحت أرى الحياة عذبة .. تزينها ذكريات الأمس ، وآمال الغد .. ولكن اعذب ما فيها هو .. اليوم .. الساعة الحاضرة .

وتساليني بعد ذلك : كيف توجد بعض النسوة هكذا ، كأنما هنّ بركة لأزواجهن واولادهن ومحيطهن كله ؟ فأجيبك : ذلك ما حيّرني حتى سمعتُ صاحبتي تتغنى بشعر ايليا ابي ماضي مرة وهي تعمل .

اين ما يُدعى ظلاما
يا رفيقَ العمر اين ؟
ان نور الله في القلـ
ـب وهذا ما اراه

سوف احيا

يومها علمت أن وراء كل هذه العظمة النسائية كلمة السر وهي : الله ..

■■

بيروت ـ اسمى طوبى

فلاسفة معاصرون

إرنست كاسيرر

• الفيلسوف الألماني الذي أهملته جامعات بلاده ودعته جامعات الولايات المتحدة أستاذاً بها!

• فيلسوف عصرنا الذي ضمن للانسان وحدته المتكاملة بعد أن جزأها الفلاسفة أشلاء متناثرة!

بقلم
الدكتور زكي نجيب محمود
استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

ميدان

الفلسفة المعاصرة تتقسمه معسكرات رئيسة اربعة ، تختلف فيما بينها اختلافات بعيدة المدى في الفروع ، وتتحد كلها في الأصول العميقة ، ومن هذه الأصول العميقة المشتركة تتكون ثقافة عصرنا في اللباب والصميم ، وما هذه الأصول المشتركة التي نجد فيها مفتاح ثقافة عصرنا ، الا الثورة بأشكال مختلفة على فلسفة كانت لها السيادة من قبل ، وهي فلسفة هيجل .

مذهب هيجل

ومؤدى المذهب الهيجلي هو أن الكون كله بجميع من فيه وما فيه ، ان هو الا تعبير عن «الروح» مطلق لا تحده حدود ولا تقيده قيود ، فهذا « المطلق » الروحاني في جوهره ، انما يتبدى ويكشف عن نفسه في مظاهر العالم التي ندركها بحواسنا ، فلئن كان العالم المحسوس متطورا من مراحل ادنى الى مراحل اعلى ، فما ذلك الا تطور في كشف « الروح المطلق » عن نفسه كشفا متدرجا ، كأنما هو الشريط المنطوى يبسط نفسه بسطا ليبدو منه ما قد كان خافيا ، وليس الكون على هذا المذهب بمختلف عن كائن عضوى حي واحد ذي رغبات وأهداف ــ ومعنى ذلك بعبارة واضحة هو ان هذه الافراد والمفردات التي تصادفها من حولك لا تزيد على وسائل تخدم «الكل» في تحقيقه لاغراضه .

ثورة على مذهب هيجل ، اتخذت صورا أربع

وجاءت ثقافة القرن العشرين لتثور على فلسفة كهذه تطمس الأفراد طمسا لا يجعل لها وجودا مستقلا بذاته ، لكن الثورة اتخذت صورا عدة أهمها الأربعة التي أشرت اليها ، والتي ازدهر كل منها في رقعة معينة من رقاع الأرض :

ففي انجلترا سادت فلسفة « تحليلية » تفك المدمج الى عناصره والكل الى أفراده ، وعلى رأس تلك الفلسفة كان « مور » و « رسل » .

وفي أمريكا قامت فلسفة « برجماتية » تجعل « الحق » في النتائج الناجحة في التطبيق ، أي أن « الحق » ليس كائنا أعلى من هؤلاء الناس في مشاكلهم التي تنشأ في مجالات البحث العلمي والحياة اليومية .

وفي القارة الأوروبية ـ فرنسا بصفة خاصة ـ نشأت فلسفة تغوص في ذات الانسان الفرد غوصا تستكشف به كنهها ، ومن ثم كانت الفلسفة الوجودية في فرنسا التي تعلي وجود الأفراد وجودا خارجيا حقيقيا على الماهيات المجردة التي كان يظن أنها تسبق هؤلاء الأفراد في وجودهم العيني ، وتحدد لهم صورة ذلك الوجود تحديدا مسبقا لا مناص لهم من الخضوع له .

وفي الروسيا سادت فلسفة ماركسية تثور على الفلسفة الهيجلية بصورة أخرى ، وهي أن تسلم بمذهبه الجدلي في تطور الكون المتماسك ، لكنها تجعل ذلك الكل هو مجموعة البشر في سيرها خلال مراحل التاريخ ، بدل أن كان عند هيجل هو « الروح الكلي المطلق » . فالفلسفة الماركسية « جدلية » (أي أن سير التطور يجري من « الموضوع » الى « نقيض الموضوع » ثم الى التآلف بين النقيضين ، وهكذا دواليك) أقول ان الفلسفة الماركسية « جدلية » كفلسفة هيجل، لكنها جدلية « مادية » تجعل التطور منصبا على البشر وحياتهم الفعلية ، لا جدلية « فكرية » تجعل التطور منصبا على « العقل » وما يدور فيه .

ثورة على فلسفة كنت

أرأيت ـ اذن ـ كيف التقت هذه الفلسفات المعاصرة كلها في نبذها « للمطلق » الذي أراد له هيجل أن يكون هو الحقيقة كلها ، وفي اهتمامها بالفرد وحياته على هذه الأرض ؟ لكن هذا الاهتمام بالفرد البشري كما هو كائن فعلا ، وكما هو يحيا ويفكر ، قد وجد سبيله أيضا في ثورة أخرى على «عمانوئيل كنت» بدل أن تخص هيجل بغضبتها، ولذلك سمي أصحابها ـ وهم من الألمان ـ بالكنتيين الجدد ، وهذا المقال حديث في أحدهم وأشهرهم ، وهو ارنست كاسيرر ، Ernest Cassirer فكيف كان ذلك ؟

نشأة كاسيرر

ولد ارنست كاسيرر في مدينة برسلاو Breslaw بألمانيا عام ١٨٧٤ لأسرة يشتغل عائلها بالتجارة ، وكان الغلام في صباه مرحا ذا خيال مبدع تبدى في ألعابه مع لداته ، ولم تكن تبدو عليه في يفاعته علامات تشير بأن مصيره الى حياة التأمل الهادىء العميق، لكنه لم يكد يزور جده لأمه الذي كان يعيش على غير مبعدة من برسلو ، حتى شهد في داره مكتبة ضخمة ، لم يكن له بمثلها عهد ، فكانت صفوف الكتب أمام عينيه ، وطريقة جده في الحديث المثقف المصقول في مسمعيه ، حافزا الى حياة جديدة ، كأنما قلب صفحة من حياته وبدأ صفحة، فقد مضى عهد المزاح واللعب ، وجاء عهد العمل الجاد المتصل، الذي سرعان ما أظهر منه في مدرسته طالبا لفت اليه الأنظار .

وحان حين دخول الجامعة فالتحق بجامعة برلين ، وكان عمره عندئذ ثمانية عشر عاما ، وكان موضوع التخصص الذي اختاره بادىء الأمر هو القانون ، ولم يكن اختياره هذا الا ارضاء لرغبة أبيه التاجر ، ولذلك فلم يلبث فتانا أن استجاب لصوت في دخيلة نفسه ، وترك دراسة القانون لينصرف الى الفلسفة والى الأدب والفن. انصرف الى هذه الدراسات وفي ذهنه مسائل أشكلت عليه كان يرجو أن يجد عنها الجواب المقنع ، لكنه واأسفاه لم يجد في أساتذة برلين العمق الذي يبتغيه ، فراح يتنقل من جامعة الى جامعة ، من برلين الى ليبزج ، ومن ليبزج الى هيدلبرج، ومن هيدلبرج عائدا الى برلين لما سمع أن محاضرا ناشئا هناك يجيد المحاضرة في فلسفة كنت .

وسقطت من شفتي المحاضر المجيد في غضون حديثه عبارة كأنها وردت بغير قصد ، اذ قال :

« ان احسن المؤلفات عن فلسفة كنت هى بغير شك كتب هرمان كوهين (فى جامعة ماربورج) ، لكننى لا بد ان اعترف باننى لا افهمها » ، فماذا يصنع الفتى كاسيرر الا ان يسرع بعد المحاضرة الى مكتبة فيشترى كتب كوهين هذا ، ثم ينكب عليها انكبابا لا يلبث معه حتى يقرر مغادرة برلين الى ماربورج ليحضر على هذا المؤلف النادر فى فهمه وفى عمقه.وسرعان ما برز كاسيرر بين الطلاب، حتى لقد قال كوهين فى ذكرياته عنه : « اننى احسست من فورى اننى بازاء طالب أعلم من أن يتعلم عنى شيئا » ، ذلك أن كاسيرر كان قد طالع فى الفلسفة مطالعات واسعة ، ووهبه الله ذاكرة لا تضيع شيئا مما حفظت ، فكان فى مستطاعه ان يتلو من الذاكرة صفحات بعد صفحات مما قد قرأه ، لا فى ميدان الفلسفة وحدها ، بل كذلك من الأدب الذى كاد الا يترك من روائعه رائعة لم يقرأها بمثل هذا الحفظ العجيب ، ولم يكن هو الحفظ السلبى الذى يعى وكفى ، بل هو الحفظ الايجابى الفعال الذى يستخدم المادة المحفوظة استخداما ينتهى به الى خلق وابداع .

كتابه : مشكلة المعرفة

جاوز كاسيرر الثلاثين بسنتين ، واذا هو يستوقف انظار المشتغلين بالفلسفة فى ارجاء العالم كله بمجلدين يخرجهما فى « مشكلة المعرفة » يستعرض فيهما استعراض المتمكن القدير صورة الفكر الاوروبى كيف تطور حتى بلغ قمته فى فلسفة كنت ، ومرت بعد ذلك خمس عشرة سنة فاتبع المجلدين بثالث يعرض فيه ما بعد كنت . ثم لما رحل اخيرا الى امريكا (١٩٤١) أعد مجلدا رابعا يكمل به الرواية الى آخر فصولها .

كتابه : الجوهر والأداء

على أن هذا المؤلف العظيم ان دلّ على علم غزير ، فلم يكن هو المؤلف الذى أخرج عبقرية الرجل فى أتم صورها ، وقد بدأت دلائلها القوية تظهر فى كتاب آخر اخرجه وهو فى السادسة والثلاثين ، عنوانه « الجوهر والاداء » ، فكان هذا الكتاب أول ما ترجم للفيلسوف الى لغات كثيرة، منها الانجليزية والروسية ، وخلاصة الفكرة هى ان حقيقة الانسان ليست فى جوهر ساكن ، بل فى أداء حى فعال ، وذلك ان الفلسفة قد لبثت الفى عام من قبل ذلك تأخذ بمنطق أرسطو فى مدركات العقل ، وهو منطق يبنى على أن العقل الانسانى انما يصل الى المعانى الكلية بوساطة التجريد من الجزئيات المحسوسة . فمثلا : كيف يصل العقل الى الفكرة الكلية العامة « منضدة»؟ انه يصل اليها بعد أن تدرك العين مناضد مفردة، منها المربع ومنها المستطيل ، ومنها ما لونه كذا وما لونه كيت ، فيطرح العقل من حسابه الجوانب المختلفة فى مفردات المناضد ، ليستبقى الجوانب المشتركة وحدها فتكون هذه الجوانب المشتركة هى المعنى الكلى لكلمة «منضدة» وهو فى استعراضه لمفردات المناضد انما يعتمد على أوجه « الشبه » التى تجعل منها أعضاء من مجموعة واحدة .

وهنا يتدخل كاسيرر باعتراضه القوى : وكيف للعقل بادىء ذى بدء أن يعرف بأن الشىء الاول الذى وقعت عليه العين هو من نوع الشىء الثانى الذى وقعت عليه العين ايضا ؟ اننا اذا قلنا انه يعرف ذلك لما بينهما من « شبه » كنا كمن يسير فى دائرة مفرغة ، لأن ذلك معناه أننا قد عرفنا النوع قبل ان نعرف الأفراد ، ثم اذا بنا نزعم اننا لم نعرف النوع الا بعد ان رأينا الافراد ! فلماذا ــ مثلا ــ لم اقارن المنضدة الاولى بمقعد أو بفنجان او بقبضة من هواء ؟ لماذا قارنتها « بمنضدة » ثانية الا ان يكون فى العقل قدرة سابقة على الفاعلية النشيطة التى تعرف كيف « تختار » الأشباه من الأشياء فتقارن بينها ، واذن فالعقل حقيقته فاعلية وأداء قبل أن يكون جوهرا ذا كيان قائم بذاته .

وبعد أن بسط كاسيرر هذا الجانب فى كتابه « الجوهر والاداء » اخذ يفرق تفرقات دقيقة بين انواع المدركات العقلية فى شتى فروع العلم، فلكل علم مدركات اساسية يقوم عليها بناؤه :للرياضة مدركات العدد ، وللطبيعة مدركات المكان والزمان والطاقة ، وهكذا ، فكيف تتغير البنية المنطقية فى هذه المدركات من علم الى علم ، فاذا ما انتقلنا ــ مثلا ــ من العلوم الرياضية ومدركاتها الى العلوم الفزيائية ومدركاتها تكون قد انتقلنا من ضرب من الأداء العقلى الى ضرب آخر وكذلك اذا انتقلنا من العلوم الفزيائية الى علوم الحياة وهكذا .وانه ليقال ان كاسيرر فى تحليله هذا الدقيق العميق ، كان اول من أدرك ــ فى تاريخ الفكر الانسانى ــ طبيعة المدركات العقلية فى مجال الكيمياء .

جامعة هَرْفرد تعرض على كاسيرر استاذية الفلسفة بها

ولكن هل كان هذا الانتاج الفلسفي الممتاز ليغير من وضعه في بلده - المانيا - شيئا ؟ كلا ! فامر الحياة في هذا الصدد عجب من العجب ، فالالسنة جميعا تنطلق بتقديره والثناء عليه ، حتى اذا ما كان الامر أمر مناصب لم تتقدم اليه جامعة واحدة بمنصب الاستاذية ، وترك الرجل العامل الجاد العميق ينتج الفلسفة الجديدة ، وهو مغتبط بما ينتجه ، والعالم من حوله مقدر لفضله ، الا اصحاب الكلمة في توزيع المناصب على مستحقيها . وكم يذكر لنا التاريخ حالات يجيء فيها العرفان والتقدير من غير الاهل . وهكذا كانت جامعة هَرْفَرد بالولايات المتحدة اول جامعة ترسل الى كاسيرر تعرض عليه كرسى الاستاذية في الفلسفة .

كتابه الصور الرمزية

ومضت السنون بعد ذلك بما فيها من أحداث الحرب العالمية الاولى،والعشرة الأعوام التى تلتها. وها هنا خرج كاسيرر على العالم بذروة عبقريته الفلسفية كلها ، واعنى كتابه «الصور الرمزية» . وسنعود اليه بعد قليل .

تنقله بين الجامعات

فانتخب على أثر ذلك استاذا فمديرا لجامعة هامبرج . ثم نشبت الحرب العالمية الثانية ،وهمّ بالهجرة من المانيا ، فدعته جامعة اكسفورد استاذا بها ، وكذلك جامعة جتبرج بالسويد . وبعد ان قضى فيهما حينا ، عبر المحيط ملبّيا دعوة جامعة ييل Yale في الولايات المتحدة ، ومنها الى جامعة كولمبيا بنيويورك حيث وافاه الاجل عام ١٩٤٥ ، بعد أن اصدر كتابا اخيرا عنوانه « مقالة في الانسان » (ترجم الى العربية) لخص فيه معالم فلسفته كلها .

بين كاسيرر والفيلسوف كَنْت

قلنا ان كاسيرر -كغيره من فلاسفة هذا العصر- يعبر عن ثقافة زمنه التي محورها البعد عن التجريد والتركيز على الانسان في تعينه وفي وجوده الحي، ولكنه - على خلاف فلاسفة العصر - قد جعل ركيزته « عمانوئيل كَنْت Kant » الذى عُني طول حياته بدراسته ، ثم راح آخر الامر يعدّل من نتائجه بحيث يجعلها اكثر ملاءمة لروح عصرنا . وشرْحُ ذلك أن « كَنْت » في كتابه « نقد العقل الخالص» كان قد اضطلع بتحليل العمليات « العقلية » الصرفة ، التى لا بد للعقل ان يقوم بها لكي يتاح له ان يبلغ الحقائق العلمية ، ففى مستطاع الانسان أن يصوغ المعادلات الرياضية التى لا شك في يقينها ، وكذلك في مستطاعه ان يصوغ قوانين العلوم الطبيعية - كقانون الجاذبية مثلا - وهي أيضا قوانين لا شك في يقينها من وجهة نظره ، التى هى نفسها وجهة نظر علماء الطبيعة في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

رأى للفيلسوف ديفد هيوم

وكان تاريخ الفلسفة قد شهد فيلسوفا انجليزيا - هو ديفد هيوم David Hume - شهده وهو يتصدى لليقين المزعوم لقوانين العلم ، ليخرج بنتيجة عجيبة ، الا وهي ان الحقائق العلمية ما دامت مستندة الى مشاهدات الحواس،فيستحيل منطقيا أن توصف باليقين، لان ما تشاهده الحواس قد كان يمكن عقلا أن يكون على صورة أخرى غير التى هو عليها بالفعل. فلئن كان الحجر الملقى يميل نحو السقوط الى الارض بفعل الجاذبية كما تدل المشاهدات ، فليس عند العقل الخالص ما يمنع أنْ كانت تكون حال الاشياء على غير هذا الوضع ، بحيث نلقى بالحجر فيميل نحو الصعود الى أعلى بدل الهبوط الى أسفل ، اى ان كل ما في وسعنا اثباته هو اننا قد شاهدنا الأمور على هذا النحو المعين لا على نحو سواه ، واذن فلا يقين ولا حتم يقضى بضرورة أن تجرى الطبيعة هذا المجرى في كل آن .

الفيلسوف كَنْت ينقض رأى هيوم

ولو صدق هذا الذى زعمه هيوم لاهتز بناء العلم كما كان أهل العلم يتصورونه،فكان لابد لفيلسوف آخر يأخذ هذا الزعم مأخذ الجد ، ليكشف عما قد يكون مدسوسا فيه من مواضع الخطأ ، وكان هذا

الفيلسوف هو عمانوئيل كنْت ، الذي قال ان هيوم قد ايقظه من سباته الفكري .. نعم ، لو كانت الحواس بمشاهدتها هي وحدها ابواب العلم الطبيعي ، لوجب ان ننتهي الى النتائج التي انتهى اليها هيوم ، لكن الامر ليس كذلك ، فالحواس تاتينا بالمادة الخام من احاسيس تسلك الينا هذا الطريق أو ذاك ، اذ تهجم الاحاسيس على العين والاذن والجلد وغيرها ، فتصل الينا خليطا ، ولو وقف الامر عند هذا الحد لما كانت معرفة ، لكن هنالك وراء الحواس « عقلا » لا بد ان يكون قد جهز بمقولات ــ أو قوالب ــ تنصبّ فيها مادة الاحساسات فتكون بذلك علما سويا ، كما تنساق حروف المطبعة فوق صفحات الكتاب على نسق معلوم فاذا هي معان لا مجرد احرف مفككة متناثرة ، ويخلص « كنْت » من هذا الى انه لا بد للمعرفة العلمية من جانبين : احساسات تجيء الى حواسنا من خارج ، ومقولات عقلية تنظم تلك الاحساسات ، وهي مفروزة في نظرتنا من داخل ، ولولا الاولى لظلت المقولات فارغة من المضمون ، ولولا الثانية لاصبحت الاحساسات كومة مهوشة عمياء بغير معنى معقول .

كاسيرر يتمم رأى كنت

وجاء صاحبنا ارنست كاسيرر لا لينقض « كنْت » بل ليضيف اليه ويتممه ، فليس الانسان عقلا صرفا كما صوره « كنْت » ، والا لذهبت جوانب كثيرة من ثقافته هباء مع الريح . فانظر الى ثقافة الانسان على طول التاريخ وفي كل مجتمع ، تجدها نسيجا من اشياء كثيرة لا غنى له عن واحد منها ، فهو ان يكون بحاجة الى الجانب العلمي العقلي الذي اقتصر كنت على تحليله وتوكيده ، الا انه كذلك بحاجة الى « الفن » والى « الاساطير » والى « اللغة » والى « التاريخ » والى « الدين » والى غير ذلك كله من جوانب يستحيل عليه ان يحيا بغيرها ، فهل شهدت شعبا واحدا ــ همجيا كان او متحضرا ــ عاش بغير فن؟ عاش بغير دين ؟ عاش بغير اسطورة ؟ عاش بغير لغة؟ عاش بغير تاريخ يرويه ؟ وليست هذه « علوما » تنصب في مقولات العقل الخالص ، واذن فلا مناص من التسليم بان فطرة الانسان اوسع من مجرد العقل الخالص ، وانه لا تفضيل في تلك الفطرة بين جانب وجانب ، لانها كلها مطلوبة لحياته وضرورية لحضارته ، وتلك الجوانب الكثيرة هي التي يطلق عليها كاسيرر اسم « الصور الرمزية » او قل انها القوالب التي تصاغ فيها هذه المواد كلها ، والتي يتخذ منها الانسان رموزا يهتدي بها في هذا المسلك أو ذاك من مسالك حياته .

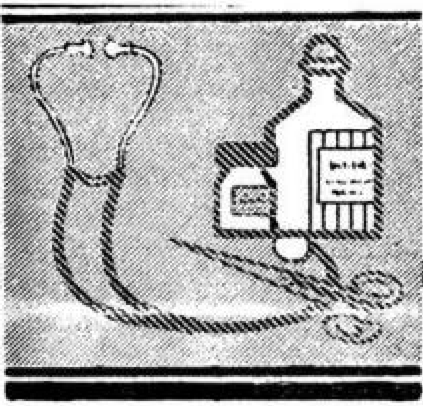
كاسيرر فيلسوف واسع الاطلاع غزير العلم

وكانت المهمة الكبرى التي اضطلع بادائها كاسيرر هي ان يحلل هذه الصور تحليلا يستقصي فيها كل شيء حتى الجذور ، ولبث في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٢٣ و١٩٢٩ يعد المجلدات الثلاثة التي اصبحت آخر الامر هي كتابه العظيم « الصور الرمزية » الذي افاض في تفصيلات الشواهد التي ساقها فيه افاضة لم يكن يستطيعها الا رجل في مثل سعة اطلاعه وغزارة علمه ، لانه اذا زعم لك زعما عن هذا الجانب او ذاك من فطرة الانسان الأصيلة ، ساح بك سياحة طويلة في كل ما قد شهده التاريخ من حضارات وثقافات فكأنما الآداب كلها والاساطير كلها والديانات كلها والعلوم كلها ، والتاريخ كله ملك يمينه ورهن اشارته .

كاسيرر يضمن للانسان الوحدة المتكاملة

أما بعد ، فلئن كان التعصب لناحية واحدة من نواحي الانسان واهمال كل ما عداها ضربا من الجنون ، لا يرده الى حكمة العقل الا النظرة المتزنة التي تلحظ شتى النواحي لتنسج منها نسيجا واحدا متكاملا يخلق من الانسان وحدة متماسكة البناء : عقلا وعاطفة ، وروحا وبدنا ، وصحوا وحلما ، وحاضرا وماضيا ، فان ارنست كاسيرر بين فلاسفة عصرنا هو الذي ضمن للانسان هذه الوحدة المتكاملة بعد ان تجزأت على ايدي سواه أشلاء متناثرة . ■■

زكي نجيب محمود



طبيب الأسرة

الدواء : متى يشرب قبل الطعام ، ومتى بعده ؟

● يكتب الطبيب على الدواء انه يؤخذ قبل الطعام ، واحيانا يكتب انه يؤخذ بعده. وكثيرا ما أنسى فاخذ بعد الطعام ما قيل انه يؤخذ قبله ، والعكس كذلك . فهل من ضرر كبير . ثم الأسبرين ، هل اتعاطاه مع الطعام ، أم قبله ، وهل مع الماء او بدون الماء . انهم يقولون انه مع الماء افضل ؟

ــ الطبيب لا يكتب ما يكتب على الدواء عبثا . والفرق بين اخذ الدواء قبل الطعام وبعد الطعام واضح . فقبل الطعام المقصود به أن الدواء يؤخذ والمعدة فارغة . وبعد الطعام يقصد به انه يؤخذ والمعدة مليئة .

فاذا كان الدواء يؤثر على جدران المعدة ، فهو يعطى بعد الطعام ليخفف الطعام من هذا الأثر . وكذلك هو يعطى بعد الطعام اذا أريد أن يمتصه الجسم ببطء . أما اذا هو أعطى قبل الطعام فمعنى ذلك انه يراد من الجسم ان يمتصه بسرعة ، ليحدث الأثر المطلوب بسرعة . ومثل ذلك الاسبرين ، يؤخذ عند الصداع ، والمنوم يؤخذ لينيم الانسان ، أو يهدئه ويسكنه .

اما الماء الذى يشرب مع الدواء ، فيكون لتخفيف اثره فى المعدة الفارغة، ولكى يذوب فى هذا الماء اذا هو دخل المعدة . والحبوب والاقراص الجافة يجب دائما ان تبلع مع الماء خشية ان تقف فى المرىء فتلتصق به ، وقد وقعت بسبب ذلك حوادث غير لطيفة .

والسوائل من الأدوية قد تشرب بعد تخفيفها فى الماء ، لان أثرها فى جدران المعدة غير مستحب . وكذا الخمور

ابنتى تعرق عرقا شديدا

● ابنتى ، وهى فى سن البلوغ ، تعرق عرقا شديدا فوق اللازم . فهل لهذا سبب، وهل له علاج . ويجب أن أقول اننا لم نلاحظ عليها ذلك من قبل ؟

ــ معقول جدا أنك لم تلاحظى هذا عليها من قبل ، واذن فاغلب الظن أن كثرة العرق هذه من المظاهر التى تصاحب المراهقة . ففى المراهقة ، وهى انتقال من حال الى حال ، تجرى فى الجسم تغيرات كثيرة تنم عن هذه النقلة العجيبة من الصبى الى البلوغ . ومن ذلك كثرة العرق . واذن فسوف يزول هذا بتقدمها فى السن على الأرجح . كل ما عليها الآن أن تغسل ما تحت ابطها كل يوم بالصابون . وهناك أدوية تزيل رائحة العرق تستطيع شراءها من الصيدلى ، وهى نافعة .

وفى ثورة البلوغ تنفع الأدوية المسكنة استنصحى الطبيب اذا لزم الأمر .

المقطرة ، كالوسكي والكنياك وأضرابهما ، وهي تؤخذ أحيانا دواء . فهذه لا بد من تخفيفها لأنها تهيج الغشاء المخاطي الذي يبطن المعدة . وهي عدا ذلك، أعني كحولها ، أسرع الأشياء امتصاصا وجريانا بالدم .

مراتب المطاط،ومراتب القطن أيهما أفضل

● اشتريت مرتبة حديثة ، متأثرا بالاعلان عنها . وهي مرتبة من الكاوتشوك.وهي مريحة للجسم ، ولكنها لا تمتص الرطوبة سريعا . فهل كل المراتب التي من الكاوتشوك تبقى هكذا رطبة ؟ وما هي افضل المراتب ؟

ـ الكاوتش أو الكاوتشوك هي اللفظة الافرنجيةالتيأسمها بالعربية «المطاط» . والمطاط لا يمتص الرطوبة ، فهي تبقى عليه من الخارج . اما الرطوبة التي أنت احسستها من مرتبة المطاط فهي رطوبة جسمك أنت لم يمتصها المطاط ،فبقيت في غطاء الفراش الذي لا بد كان بين المرتبة وجسمك .

ان مراتب المطاط مريحة ، لأنها تهبط مع الجسم حيث يثقل الجسم ، وتخف هبوطا حيث يخف . وهي تستخدم في المستشفيات عندما يفقد المرضى قدرتهم على حبس بولهم . فالبول يبلي المراتب الأخرى . ويوضع عادة بين أجسام هؤلاء المرضى والمرتبة غطاء من قماش ، أو بطانية قديمة ، تمتص البول اذا انساب .

اما عن أفضل المراتب فهي التيتصنع من القطن او القش أو غير ذلك من الألياف النباتية ، بداخلها زنبركات من المعدن ، تهبط تحت الضغط ، وتقل هبوطا مع ضغط الجسم القليل . فهي تريح . واذا أصابها ، عبر الأغطية التحتانية التي بين المرتبة وجسم النائم، شيء من الرطوبة فهي لا تلبث أن تجف بتبخر الماء .

أولادى طال حملى اياهم زمنا أكثر مما وجب

● ذكرتم في اعداد « العربى » الماضية الأسباب التي تؤدي بالطفل الىالخروج من بطن امه قبل الاوان ، وأريد ان اعرف سبب بقاء الطفل في بطن أمه بعد الاوان . ذلك انى من اولئك الامهات اللاتي حملن اطفالهن اكثر مما وجب . انى دقيقة جدا في حساباتى ، ولا يمكن ان يعزى قولى هذا الى خطأ في الحساب . فطفلى الاول مكث ثلاثة اسابيع فوق زمنه المقدر لذلك. وقد اعطانى الطبيب من الحقن الشيء الكثير، وشربت زيت الخروع مرات كثيرة، هذا بالاضافة الى الحمامات الساخنة المتصلة . واخيرا قرر الطبيب ان يشق الحاجز وفي اليوم التالى نزل الطفل .

ووقع مثل هذا في ولدى الثانى وفي الثالث .

فما الذى يؤخر نزول الأطفال هكذا ؟. يقولون انه قلة حركة الأم ، أو قلة حركة الاطفال . اعنى الكسل في كليهما . وهذا يناقض ما انا عليه من حركة ، وما عليه الاطفال .

ـ آسف أن يكون سؤالك ليس له جواب حاسم ، فنحن الى اليوم لا ندرى العوامل التي تؤدى الى انطلاق الأم في سبيل التخلص من الطفل وقد اكتمل الحمل . كل الذى نعرفه بيقين أن من الأمهات من يسقطن حملهن قبل الأوان، ومنهن من يلدن أولادهن بعد الاوان . وانت من هؤلاء . وبما أن حملك يتأخر ثلاثة أسابيع ، فلا تقلقى ان وجدت حملك القادم يتأخر تلك المدة لا سيما وان ما أنتجت من أطفال هم على حال من الصحة كاملة . انامًا أعرفها أنتجت خمسة أطفال صحاح سلام . ولكن بعد تأخر خروج الطفل ٨ أسابيع فوق المقدر من حمل سائر الأمهات . وهذا مثل ينفى عنك القلق .

المأكولات المخزونة فى العلب، كم تبقى صالحة؟

● نحن نعيش فى بلد من بلدان الخليج صغير ، تقل فيه الخضر والمأكولات عامة ،ونضطر فيه الى تناول الأطعمة المعلبة ، ومنها اللحوم والأسماك . واحيانا نخزنها الشهرين والثلاثة واكثر من ذلك احيانا ، فهل هناك ضرر من اكلها بعد اختزانها الطويل .

ـ لا ضرر ابدا على الصحة من ذلك ، على شرط أن تكون العلبة التى بها الطعام ملأتها شركة محترمة مأمونة اتبعت الوسائل الصحية المعروفة عند التعليب ، وأخرجت علبا محكمة السدّ حقا ، لا يخرج منها شىء ولا يدخل اليها شىء مهما صغر . وبالطبع مع ذلك التعقيم .

هذا من حيث عدم اضرار الطعام بالصحة . وهذا ينطبق على الطعام ولو اختزنته فى المكان الملائم سنين ، فكيف بالأشهر التى تتحدث عنهـا .

ولكن غير ذلك اللون ، والطعم ، فهذه الأشياء قد يصيبها التغير . فاللبن المركز فى العلب يقتم لونـه اذا طـال فى العلبة بقاؤه . وبعض الفيتامينات يقل مقداره . ولكن الطعام يكون على العموم ، من حيث التغذية ، الكفاية فيه تكاد تبقى كاملة . فاختزن لفدك من الطعام عند الحاجة ، كما تختزن من صالح الأعمال .

حبوب منع الحمل هل لها أضرار

● اعلمْ ان الأدوية الجديدة تحتاج الى زمن للتجربة حتى يستطيع الاطباء ان يقولوا ان هذا الدواء نافع أو غير نافع،وعلى الأخص ان يقولوا انه لا يضر الجسم ، فهل مضى على حبوب منع الحمل زمن كاف يصبح الحكم فيه عليها بانها اولا نافعة،ثم انها غير ضارة. انا لم اتعاطاها ، ولكنى اريد ان اتأكد اولا ؟

ـ كتبنا الكفاية فى «العربى» عن حبوب منع النسل،تتعاطاها المراة . فهى حبات عشرون ، تأخذ المراة التى لا تود حملا منها حبة كل يوم، تبدأ فى اليوم الخامس من بعد توقـف الحيض ، أى من بدء الدورة الشهرية ، وتنتهى فى اليـوم العشرين . ثم يجىء الحيض بعد أيام من هذا التوقف ، لتتم به الدورة التى هى نحو اربعة أسابيع .

وقد مضى على تعاطى هذه الحبوب الى اليوم نحو سبع سـنوات ، وهى ازدادت انتشارا عجيبا فى هذه السنوات الأخيرة من هذه السبع ، فظهر من هذه التجربة الواسعة انها أفضـل الطرق لضبط النسل ، ولم يبلغ احد ، لـه حق التبليغ وعنده الفهم والعلم اللازم ، انه وقع للجسم بسببهـا أضرار ، الا عوارض كشىء من الصداع أو شىء من الميل الى التهوع يصيب بعض النساء احيانا ، عند البدء ، ثم لا يبقى بعد ذلك منه شىء .

وبالطبع قد تثار مسـألة الرغبة فى الحمل تأتى بعد الرغبة فى منع الحمل . فهذه لا تقف هذه الأقراص فى سبيلها . ما على المراة الا ان تقف تعاطى هـذه الحبوب تحت رعاية طبية ، وقد أنشئت فى بعض الدول العربية الواعية مراكـز للارشاد ، ترشد الأمهات بالمجان فى هذا السبيل . ■■



دردشة

حكمة على لسان الحيوان

● بلع ذئب عظما فنشب فى حلقه ، فلجأ الى كركى ، وجعل له اجرا ان هو أخرج العظم بمنقاره . فأدخل الكركى راسه فى فم الذئب وأخرج العظم ، ثم قال له : هات الأجرة .

قال له الذئب :

ــ الست ترضى ان ادخلت راسك فى فمى ، ثم اخرجته سالما ؟!

فيلسوف ينصح ولده

● قال فيلسوف ينصح ولده :

ــ عندما يصادفك قاطع طريق ، يسالك نقودك أو حياتك .. اما اذا صافتك امراة فانها لا تقبل الا الاثنين معا .

شاعر يسرق من أجل الالهام

● اتهم شخص بسرقة جهاز رش الماء فى احدى الحدائق . وفى المحكمة دافع عن نفسه بانه شاعر، ويحتاج جهاز الرش ليرش الماء على نافذته كمصدر الهام له، أثناء نظم قصيدة عن المطر .

تعليم الحساب .. والأطفال

● « ان الشيء المحزن فى تعليم الحساب ، هو انه اذا درس بطريقة سيئة ، فانه يحطم عقل الطفل، والى حدما ، كيانه . فالأطفال ، قبل تعلمهم الحساب، لايوافقون على الهذيان المطلق ، اما بعد ذلك فانهم يفعلون . فبدلا من أن ينظر الأطفال الى الأشياء ويفكروا فيها ،فانهم يعمدون الى الحدس والتخمين ، يحدوهم الأمل فى ارضاء المدرس أو الممتحن .

د.و. سوير : بروفيسور الرياضيات بجامعة ويزليان الامريكية



عمامة محمد عبده

● اشتهر الشيخ محمد عبده أيام توليه القضاء بانه اذا اراد الحكم على متهم بالبراءة ازاح عمامته الى الوراء من راسه ، واذا اراد الحكم بالسجن او ما شابه ، مال بالعمامة الى الأمام بحيث تغطى نصف جبهته. ووقف ذات يوم ليتلو حكما على متهم ، فمد يده الى عمامته .. فصاح المتهم : والنبى ما تموجها القدام !

قالت أكبادنا

✱ يبدأ الاولاد حياتهم بحب أهلهم . وعندما يكبرون ، يبدأون بمحاسبتهم . وفى بعض الأحيان فقط يسامحونهم !

اوسكار وايلد

الشخص المحبوب

✱ ان اردت أن تكون شخصا محبوبا لدى المجتمع ، فعليك بقبول تعلم أشياء كثيرة تعرفها على يد أناس يجهلونها .

شانفور



لا أحـد يدرى ؟

● كان عند القائد الفرنسي الشهير « فوش » سائق اسمه « بيار » ، وكان كلما عاد السائق الى منزله سأله الجيران : متى تنتهى الحرب يا بيار ؟

فيجيب : المرشال لم يقل شيئا .

وذات مساء اقبل الجيران يسألونه كعادتهم ، هل تكلم المرشال ؟

فقال بيار : **نعم تكلم ، ولكن ليسألنى متى تنتهى الحرب يا بيار ؟!**

وجهات نظر . .

❋ **كان** الناس قديمايخافون من المكروبات العالقة بالنقود الورقية والمعدنية ، ولكن النقود هذه الايام تخرج من أيديهم بسرعة ولهذا فلا يوجد هناك خطر من التلويث .

قــالوا . . .

❋ **اذا** اردنا الحقيقة فان جميع الرجال هم من صنع انفسهم ،ولكن الذين يعترفون بهذه الحقيقة هم الرجال الناجحون فقط .

بل الكن

❋ **ان** اخفاءك السر عن زوجتك ، كمحاولة اخفاء طلوع النهار عن الديك .

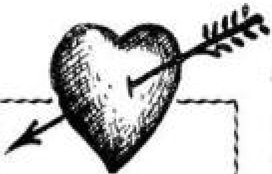
لو والتر

❋ **اذا** كان لدى المرء مستمعون حسنو الاستماع، فان ذلك يشبه وجود تيار كهربائى بين المرء ومستمعيه .

الشاعرة البريطانية
اديث سيتويل

❋ بعض الرجال يقعون فى الحب ولا يخرجون منه الا بالزواج ممن يحبون.

مارى ميرنى



مشكلة !

● **ما أصعب الأمر حينما يكون الانسان عاشقا:**

واذا استمر يُطرى حبيبته بالعبارات الجميلة فانها ستشعر بالغرور .

واذا توقف عن مديحها واطرائها فانها ستعتقد انه لا يحبها .

واذا عاد من جديد يكيل لها الثناء والمديح والغزل فانها ستشعر بانها افضل منه وانه لا يصلح لها .

❋ **عندما** يقرب الشبه بينك وبين صورتك فى جواز سفرك، فهذا يعنى انك اصبحت حقا فى حاجة الى القيام باجازتك . .

تريستان برنار

❋ **وراء** كل رجل ناجح نجد امراة تشكو من انها ليس لديها ما ترتديه .

❋ **ووراء** كل رجل ناجح توجد امراة تقول له دائما انه مخطىء .

❋ لا نستطيع ان نفهم لماذا تصر المراة على مساواة اجرها بأجر الرجل . ان كل ما عليها أن تفعله للحصول على اجر الرجل كاملا هو ان تتزوجه .

❋ اللهو كالتأمين تماما .. اذ كلما تقدمت بك العمر .. كلما كلفك ذلك أكثر .

❋ معظم الرجال سيقللون من كذبهم لو تجنبت زوجاتهم ارهاقهم بالأسئلة .

❋ لايمكن لانسان أن يعيش فى هذه الدنيا دون أن يخطىء والشخص الذى لا يخطىء لا يفعل شيئا وهذا بحد ذاته خطأ .



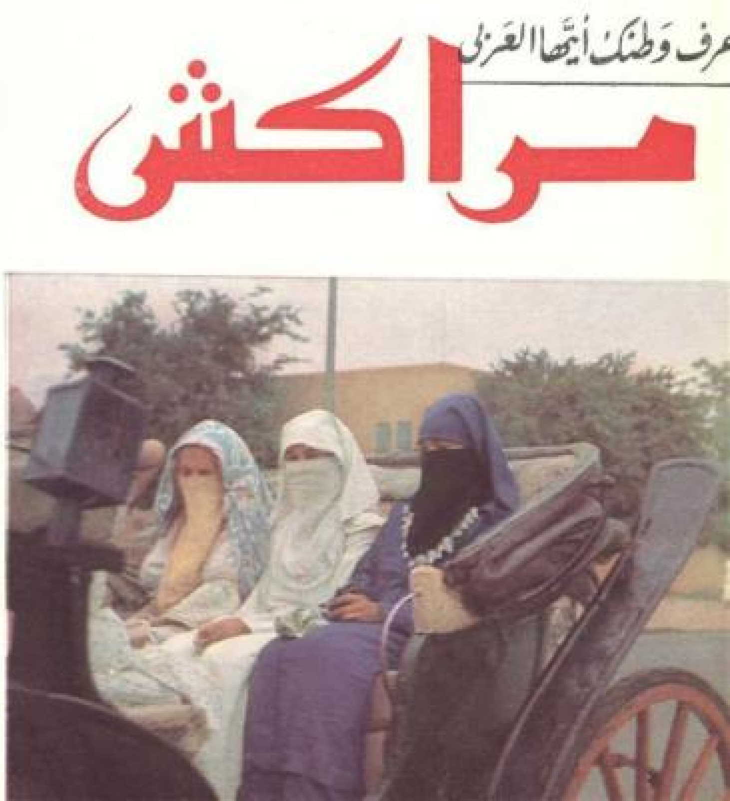


مراكش هي المدينة السياحية الاولى في المغرب العربي ، والفنادق فيها تحوي كل وسائل الراحة والجمال الهندسي ..

عرف وطنك أيها العربي

مراكش

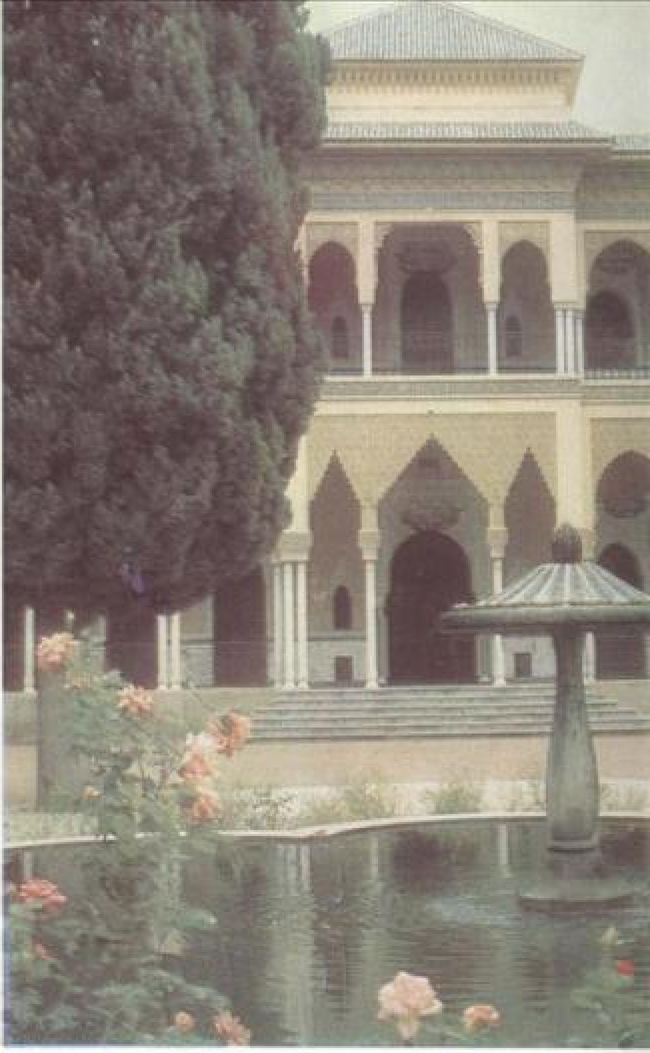
الى اليمين : تعمد المرأة المراكشية الى ادخال البهجة على الوان ملابسها التقليدية فتراها تبدل وتغير الوان الجلباب، واللثام الذي يحجب انفها وفمها ، حسب ما يحلو لها ، كما ترى في الصور المنشورة على هاتين الصفحتين



قام بهذا الاستطلاع سليم



تطورت المرأة المراكشية طبقا لمتطلبات العصر ، فنزعت اللثام ، وطرحت الحايك والجلباب وارتدت الثياب العادية ، كما ترى في الصورة التي فوق هذا الكلام ، والتي تبين فتاتين كل منهما تستقل دراجة وقد تحررت احداهما من الأزياء التقليدية ، والثانية ما زالت متمسكة بالجلباب واللثام ، كسيدات الجيل الماضي (الصورة السفلى) .



يغلب الطابع الاندلسي الجميل على كثير من القصور التي تعج بها مراكش ، منها القديم ، مثل دار « سي سعيد » وقصر « الباهية » ، ومنها الحديث مثل قصر « الرومية » الذي يجري العمل لتحويله الى متحف ، أو قصر للضيافة ، وترى صورته فوق هذا الكلام ..



زبال وصوره ((اوسكار))

■ تشرشل مفتون بها. يأتيها كل شتاء حاملا فرشاته ليرسم المزيد من لوحاته..

وتيتو مغرم بها .. حتى لقد اقتنى منزلا خاصا فيها يقصده كلما سمح له وقته.

وخمسون الف اوروبي وامريكي يقصدونها كل عام لتمضية الشتاء تحت شمسها الدافئة الساطعة .

ان اوروبا وامريكا تعرفانها جيدا.. بينما ما زال الكثيرون منا نحن العرب يجهلون كل شيء عنها ، حتى اسمها ، نطلقه في بعض الاحيان على المغرب كله ، بينما هو لمدينة واحدة ! ..

انها جوهرة جنوب المغرب : مَرّاكِش .. المدينة التي كان عدد سكانها ٨٠٠ الف نسمة في القرن الثالث عشر فاصبحوا اليوم ٢٥٠ الفا بعد ما فتكت بهم الثورات والطاعون الهائل الذي التهم نحو اربعة ملايين نسمة من سكان المغرب عام ١٦٧٨ .

ومع هذا النقص الكبير في عدد السكان فان مراكش ما زالت مدينة المغرب الثانية بعد الدار البيضاء ، التي يقرب عدد سكانها من مليون نسمة .

مدينتان في مدينة

وتنقسم مراكش ، مثلها في ذلك مثل شقيقاتها من مدن المغرب ، الى مدينتين تسير كل منهما لتلتقي مع شقيقتها ، رغم الفوارق الشاسعة التي تفصل بينهما .

فهذه مدينة قديمة ظلت ، وما تزال ، تعيش داخل أسوار عالية وشوارع ضيقة ومنازل متلاصقة .

وتلك مدينة حديثة شوارعها واسعة ومنازلها عالية ، اقاموها عام ١٩١٣ على بعد ميل ونصف من المدينة القديمة خوفا من الاحتكاك يقع بين الوافدين الجدد ، من مستعمر واجنبي ، وبين أهل المدينة الحمراء « الممنوعة المجنونة » ، كما كانوا يطلقون عليها ..

امش سريعا

وقبل البدء في الكلام عن المدينتين لابد أن نرجع تسعة قرون الى الوراء .. الى عام ١٠٦٢م .. لنشهد يوسف بن تاشفين يبحث عن مكان يأوي اليه مع جنده وحاشيته ، بعد أن استتب له الأمر وقضى على دولة الادارسة واسس دولة



تبعد مدينة مراكش عن الدار البيضاء ٢٤٢ كيلو مترا ، وعن الرباط ٣٢١ كيلومترا ، وعن طنجة ٦٠١ كيلو مترا . واتصالها مع هذه المدن ، وغيرها ، ميسور للغاية ، بفضل شبكة الطرق الحديثة التي تربطها مع مدن المغرب.



فصل الشتاء هو أنسب الأوقات لزيارة مدينة مراكش ، حيث تكون شمسها ساطعة ، وأشجار الحدائق مورقة ، بينما ترتفع صومعة الكتبية عالية ، وكأنها تنافس برشاقتها كتل الجبال المكسوة بالثلوج البيضاء ، التى تشرف على المدينة .



أشجار النخيل تطل برؤوسها من فوق السور الذى يحيط بمدينة مراكش القديمة ، والذى يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار ، وعرضه مترين ، وطوله ١٢ كيلو مترا ، وبه ثمانى بوابات كبيرة ، والعديد من ابراج المراقبة التى يبلغ ارتفاعها سبعة أمتار .

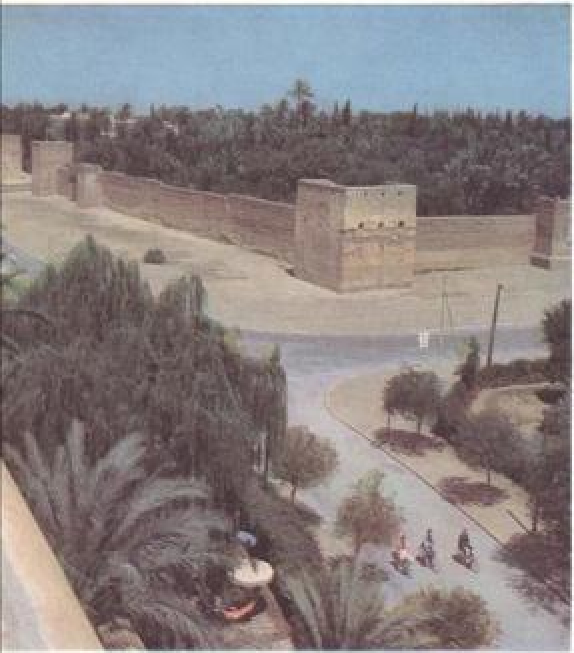


شارع محمد الخامس : أهم شوارع مدينة مراكش الحديثة .. عرضه ٤٠ مترا ، وعلى جانبيه غرست الأشجار .. وفي نهايته ترتفع صومعة الكتبية .. وفي وسطه وعلى جانبيه مواقف للسيارات .. ويطلق الأهالي على مراكش الحديثة لفظة « جليز » نسبة الى الجبل الذى تقبع تحته

الى اليمين : مراكش الحمراء ! هكذا سميت مراكش بسبب اللون الاحمر الذى يغلب على معظم بيوتها .. وتحتم وزارة الأشغال المغربية، على سكان بعض أحياء مراكش ، صبغها باللون الأحمر للمحافظة على طابع المدينة ..

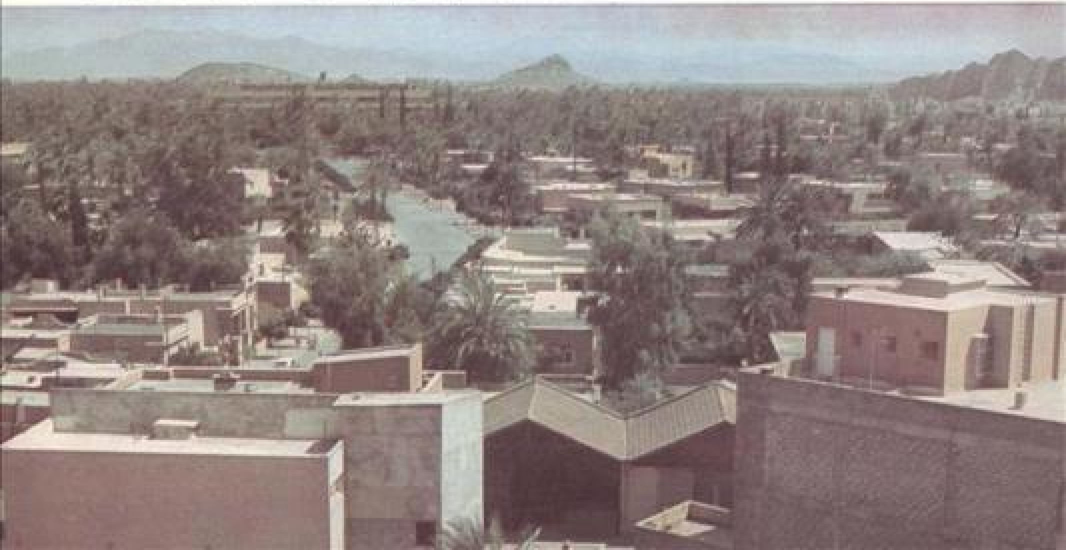






من فوق فندق المنارة التقطت هذه الصورة ، لحدائق المدينة القديمة تحيط بها الأسوار التي بناها السلطان علي بن يوسف بن تاشفين ، من سلاطين اسرة المرابطين

الى أسفل : واحة وسط رمال الصحراء ، هكذا هي مراكش التي تزدحم بالأشجار المتناثرة في حدائق المنازل ، والبساتين الكبيرة الموجودة،مثل الاكدال، والمنارة، والباهية .



المرابطين .. لقد تمكن هذا السلطان من اقناع عجوز من قبيلة المصامدة لتبيعه ارضها ، الواقعة عند سفح جبال اطلس السوداء المكللة رؤوسها بالثلوج البيضاء .. وعلى الفور بدأت خيام الشعر تتكاثر ، وارتفع مسجد للصلاة وقصبة صغيرة لاختزان المال والسلاح .

وكانوا يطلقون على الموضع الذى اشتراه كلمة « مَرّاكُشْ » ، ومعناها بلغة البربر : « مُرّ بسرعة » .. لأنها كانت نقطة يقف عندها اللصوص لقطع طريق القوافل . والمارون كانوا يحذرون رفاقهم بتلك الكلمة ، فعرف الموضع باسمها : مراكش .

السور يخنق المدينة

وظلت المدينة تمتد على رمال الصحراء ، حتى تولى الملك على بن يوسف بعد وفاة والده ، فادار عليها السور « الذى استغرق العمل فيه ثمانية اشهر وتكلف ٧٠ ألف دينار فى عام ٥٢٦هـ».

وما زال هذا السور الكئيب ، المشيد بالطين والأحجار والرمال ، قائما حتى اليوم على نفس النمط القديم ، اللهم الا من بعض الفتحات التى استحدثت فيه ، كي لا يختنق اهل المدينة الذين ظلوا يعيشون مكدسين بداخله مدة ٨٠٠ سنة تقريبا ..

ويرتفع داخل هذا السور أجمل واشهر اثر فى المغرب العربي كله هو « الكُتْبية» انها مئذنة او صومعة ، كما يسمونها ، لجامع قديم اندثر ، واقيم آخر جديد مكانه .. وسميت بهذا الاسم لانه كان يجلس تحتها نحو ٢٠٠ بائع من بائعى الكتب القديمة .

مدينة الكُتْبية

لقد اوحت هذه الصومعة ـ التى هى الشقيقة البكر لصومعتى حسان فى الرباط ، والجيرالدا باشبيليا فى الاندلس ـ بمختلف الايحاءات الى الكتاب والمفكرين ، الذين وصل افتتان بعضهم بها الى درجة تسمية المدينة باسمها أى : مدينة الكتبية ..



اندثر جامع الكُتْبية القديم ، الذى أقيم عام ١١٤٦م . وتهدم ليرتفع مكانه جامع حديث ، يتميز بالبساطة ، وبأقواسه المتلاحقة الخالية من الزخرفة ..

أين ذهبت المجوهرات ؟

والواقع ان « الكُتْبية » بالغة الروعة فخمة النقوش ، رشيقة القوام .. ومقاساتها هى التى تضفى عليها هذه المسحة من الرشاقة ، وخاصة الجزء العلوى منها الذى ينتهى بسيخ حديدى ، به اربع كرات ضخمة من النحاس الأصفر المذهب، وتروى القصص الكثيرة عن أصل هذه الكرات ، فى احداها يقولون انها كانت مصنوعة من اللآلىء والمجوهرات التى وهبتها زوجة السلطان أبويعقوب المنصور لهذا الغرض ، وكانت هناك قوى خفية ظلت تحرس هذه المجوهرات وتورد كل من يحاول لمسها مورد التهلكة !!

وهنا تقف القصة ، أو الأسطورة ، دون أن تفصح عن اسم الشخص الذى نزع هذه المجوهرات من مكانها الذى كانت فيه !!

لقد مضى على « الكُتْبية » ثمانية قرون وهى شامخة مرتفعة متحدية أنواء الزمان .. ان المرء يمكنه أن يراها من بعد ٨٠ ميلا فى الأيام الصافية فهى بمثابة المنارة لتلك الواحة التى تعيش



كشفت الحفريات التي تجرى بالقرب من المدرسة اليوسفية ، عن آثار قصور ومنازل قديمة، يرجع تاريخها الى أيام على بن يوسف، من سلاطين المرابطين .

وسط رمال الصحراء (انظر المزيد من التفاصيل عن الصومعة مع صورتها المنشورة على صفحة ٩٧).

عيـــد دائم

وفى المساء ترتفع أصوات الطبول عالية ، من ساحة واسعة قرب « الكتبية » فتذهب الهدوء الثقيل ، المتعب ، الذى يسيطر على المدينة طول النهار ..

ان ما يجرى فى هذه الساحة يطابق تماما ما نشهده فى كل عيد شعبى بالمشرق العربى ، ولكنه يختلف بكونه عيدا يوميا دائما يعمل على مساندة عاصمة الجنوب فى محاولتها المستميتة لجذب انظار اكبر عدد ممكن من السياح .

ويبدأ الاحتفال مساء كل يوم على نفس الساحة التى كانت تعلق على جدران منازلها رؤوس الثوار بعد اعدامهم ، حتى تجففها الشمس !! ويقولون ان هذا هو سبب تسمية الميدان باسم « ساحة جامع الفناء » .

احــراج !

وما تكاد الساعة تقترب من الخامسة مساء حتى يتدافع الأهالى من كل حدب على الساحة فيختلطوا بالسياح الذين يسجلون بعدساتهم وآلاتهم منظر رواة القصص الواقفين وسط حلقات من الناس المقرفصين ، يروون لهم بطلاقة لسان عجيبة قصصا وأحاديث ، ليس لها بداية أو نهاية ، او حتى اى معنى أو مغزى !!

وتنتقل العدسة الى حلقة اخرى ، رجال سود البشرة يدقون على الدفوف ويرقصون رقصا صاخبا ..وفجاة يتوقف دق الطبول ويتوقف الرقص الصاخب وتشخص الابصار الى رئيس الحلقة الذى ينتزع طاقيته ويتقدم بها صوب السائح الممسك بآلة التصوير .. ويرتبك هذا المسكين فالأنظار كلها متجهة اليه ، فيمد يده الى جيبه ويدفع ما وجده فيه الى الطاقية ، ويفض الناس بصرهم ، وتعود اصوات الدفوف فترتفع .. ويتابع الراقصون رقصهم الصاخب السريع..

شريط الحيــاة

وتتتابع الحلقات والناس من حولها ينظرون مبهورين : هنا فى ركن منزو ينبعث نغم ناى هادىء ترقص على نغماته حية من ذوات الأجراس .. وهناك منشدون بآلات شعبية يتلون المدائح النبوية.

وفجاة ، يرتفع صوت امراة عاليا، لقد اضاعت ابنها وسط هذه الكتل البشرية التى تروح وتغدو دون هدف أو غاية .

وترتفع اصوات اجراس اللاعبين لتختلط باصوات المزمار وصراخ الأطفال .. بينما يتزاحم الناس ويتدافعون لرؤية النشال الذى ضبط وهو ينشل حافظة النقود من جيب رجل يصر على اقتياده الى مركز الشرطة ، وأهل الخير يحاولون اقناعه بالعفو عنه .

لماذا سمى بالذهبى ؟

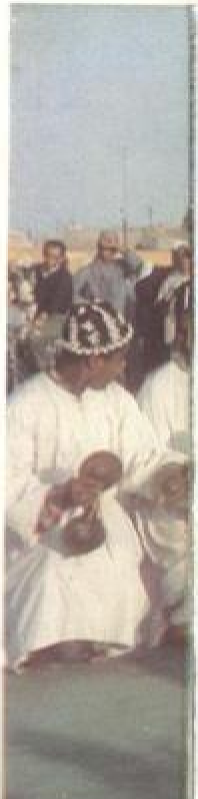
ومن ساحة « جامع الفناء » تستطيع الدخول



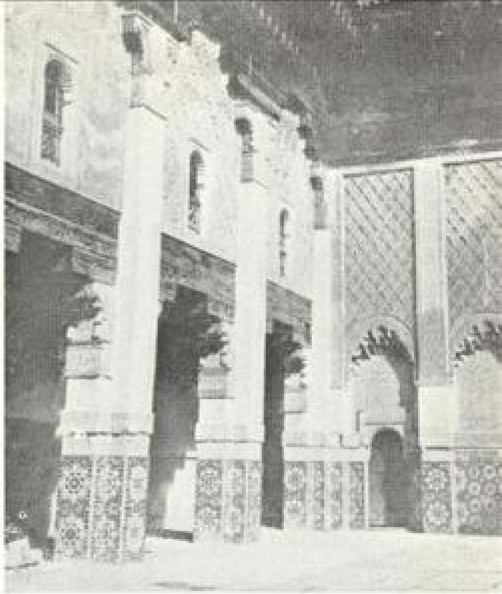




الى اليمين : قلب مراكش النابض ، انه ساحة جامع الفناء ، حيث يتجمع مساء كل يوم ، خلق كثيرون ، لمشاهدة الالعاب والاستماع الى الاحاديث، وفى الصباح تتقلب الساحة الى سوق لبيع الخضر ، والفواكه ، والحلوى ، والادوية الشعبية ،الخ



فى ساحة جامع الفناء يظهر المجهود الكبير الذى تبذله مصلحة السياحة المغربية للحفاظ على الفنون الشعبية القديمة ، وعلى رأس هذه الفنون الحية صورة القرّاب (بائع الماء) . انها تعمل على الابقاء على ملابسه وقبعته ، وعلى جرسه الذى يدقه للاعلان عن مائه ، على نفس الصورة القديمة التى كان عليها . انك تستطيع ان تلمح القرّاب فى أغلب مدن المغرب ، ولكنك فى ساحة جامع الفناء بمراكش تشهده بكثرة وهو يتجول بين الجموع يبيعهم ماءه . ولكن مكسبه من السياح ، الذين يتلهفون على التقاط صوره ، يوازى أضعاف ما يكسبه من الماء !! .. **وفى الصورة اليمنى** رقص شعبي يقوم به رجال « الجناوة » وهم قبيلة جاءت الى المغرب من جنيا منذ قديم الزمان ، ونقلوا معهم أغانيهم والاتهم ورقصاتهم ..



جانب من مدرسة بن يوسف ، التى اسسها السلطان المرينى ابو الحسن ، فى القرن الرابع عشر ، وهى من تحف فن البناء القديم المزخرف بالفسيفساء والجص . وقد اصبحت اليوم مقرا ينام فيه طلبة كلية بن يوسف ..

مدرسة بلعباس القرآنية ، وتضم ضريح سيدى بلعباس السبتى ، أحد الأولياء السبعة الذين تكرّمهم مراكش . وساعة الحائط الجميلة هى من الآثار التى تعتز بها هذه المدرسة ، التى بناها السلطان السعدى عبد الله أبو فارس عام ١٦٠٥ .



الى القصبة ، التى بناها السلطان السعدى أحمد المنصور « الذهبى » فى القرن الثانى عشر الميلادى .

ان مراكش قد شهدت تحت حكم السعديين أبهى عصورها الذهبية .. فهم الذين أعادوها عاصمة للبلاد ، بعد ان نقلت أسرة بنو مَرّين العاصمة من مراكش الى فاس .

وفى عهد ابى العباس أحمد المنصور اتسعت امبراطورية السعديين حتى شملت النيجر والسودان ، وكانت الكنوز الهائلة ، التى حملها معه أبو العباس المنصور الى مراكش سببا فى تكنيته بـ « الذهبى » اشادة بحكمه الزاهر الذى لم تشهد له مراكش مثيلا ..

وقد بنى « الذهبى » فى مراكش قصر «البَديع» الذى كان آية من آيات الفن الرفيع ، اختلط فيه الذهب والمرمر مع خشب الأرز والقيشانى والرخام المنقوش .. ولكنه هُدم بعد ٧٥ عاما على انشائه ولم يتبق منه حاليا سوى أطلال تقام فيها حفلات الفنون الشعبية فى الشتاء ، كتلك التى تقام بين اطلال آثار بعلبك فى لبنان .

المرمر ثمنه السكر : وزنة بوزنة

ومن الآثار الرائعة المتبقية من هذا العصر : مقابر السعديين .. اقامها « الذهبى » خلف الحائط الجنوبى من الجامع الذى شاده فى القصبة ..

ان رفات جميع حكام السعديين ـ ما عدا خمسة منها ـ تقبع فى هذه المقبرة الفخمة المبنية بالرخام الايطالى النفيس ..

لقد اشترى « الذهبى » هذا الرخام من التجار الايطاليين بطريقة المقايضة ، فكان يدفع لهم وزنا من السكر مقابل وزنه من الرخام ..

عقد على أغصان الأشجار

والى جانب هذه المقابر تكثر الأضرحة التى يقصدها الناس للنذور ، فيربطون العُقد فى حديد شبابيكها ، وعلى أغصان الأشجار التى تظلل قبور الأولياء السبعة ، الذين يعترف بأفضالهم رجال الجيل القديم من اهل مراكش ..

لكل باب طابع خاص

وتتناثر الجبانات تحت سور المدينـــة أمام البوابات الكبيرة التى تتميز كل منها بطابع البيئة المحيطة بها . فالداخل من بابى دُوكالةوالخميس (نسبة لسوق الخميس)لا يسمع الا اللغة العربية، لأن أفراد القبائل المقيمة فى هذه المنطقة كلهم من العرب ..

اما الداخل من باب آغمات أو ايلان فلن يسمع الا من يتكلم اللهجة البربرية المخلوطة بالعربية ، لأن القبائل التى من أصل بربرى ، تقيم فى هذه الجهات .

أيـن التصنيع ؟

وهكذا يعيش سكان مراكش : مزيج من عـرب وبربر انصهروا فى بوتقة واحدة ليكونوا سكان مدينة مراكش الذين يزدادون ببطء ظاهر .. لقد كانوا ... ٢١٥ نسمة عام ١٩٥٢ ولم يزيدوا فى عشر سنوات سوى ١٨ الف نسمة ، فاصبحوا ... ٢٤٣ نسمة فى عام ١٩٦٢ بينما تضاعف عدد سكان الدار البيضاء والرباط خلال نفس المدة .

ان موجة التصنيع ، التى تجتاح المدينتين الأخريين ، والتى لم تحظ منها مراكش بشىء ، هى السبب المباشر فى هذا الركودفى عدد السكان.

هكذا قال ابن بطوطة

ويقولون ، ان أهل مراكش يرحبون بالضيف ، والظاهر أن هذه الصفة قد الصقت بهم من يوم أن ذكر عنهم ابن بطوطة هذه الأبيات من الشعر :

لله مَرّاكش الغـــراء من بلد
وحبـذا أهلها السادات من سَكَن
ان حلهـا نازح الأوطـان مغترب
أسْلَوه بالأنس من أهل ومن وطـن
بين الحـديث بهـا أو بالعيان لها
ينشا التحاسد بين العين والأذن

جلود .. والوان نباتية

وتسير الحياة فى هذه المدينة فى اتجاهـين :

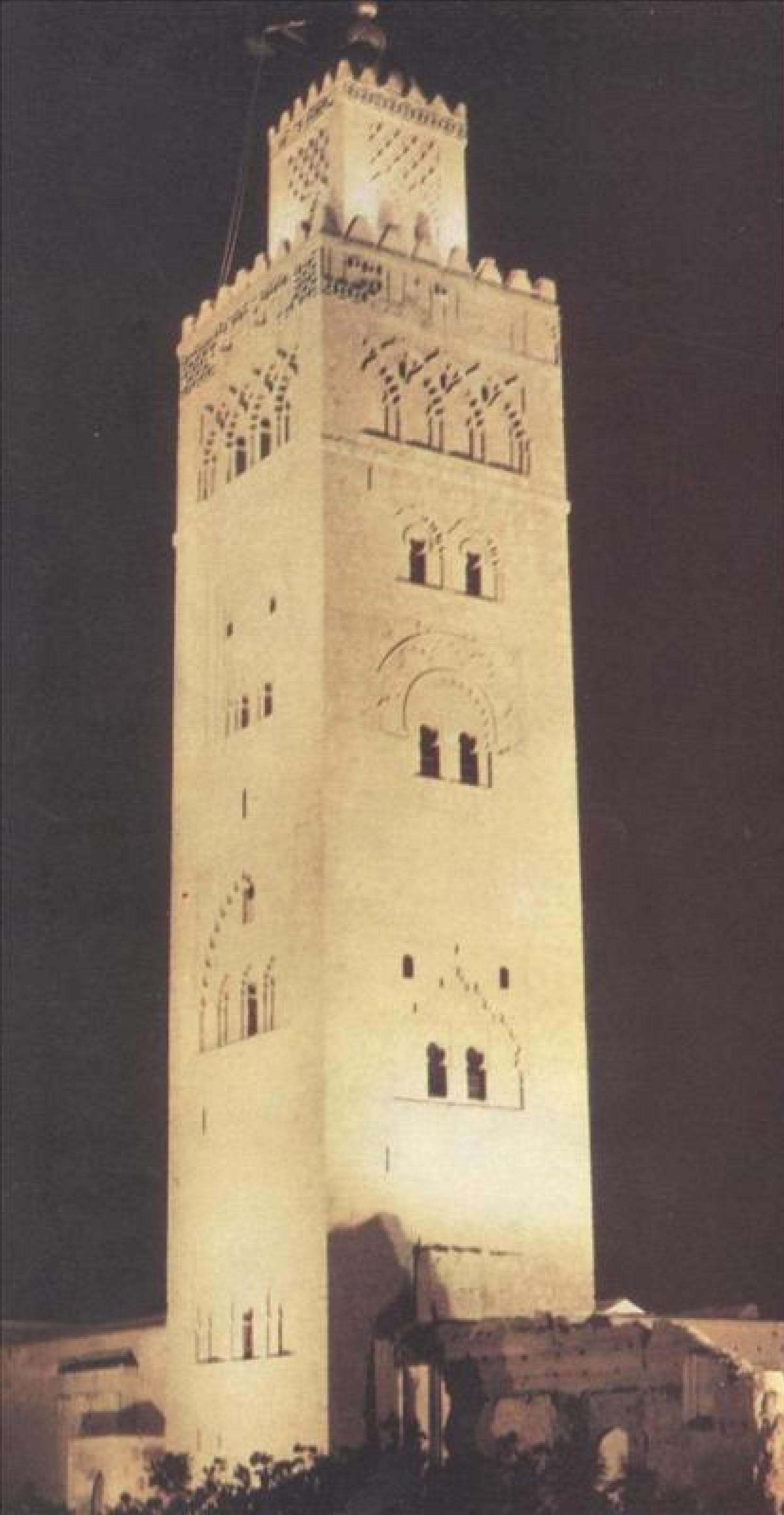


استغرق العمل فى بناء قصر الباهية ٧ سنوات (١٨٩٤ — ١٩٠٠) فجاء تحفة تجمع بين الفنين المغربى والأندلسى . ومشيده هو الوزير با أحمد، ثم اتخذه ممثل فرنسا مقرا له أيام الاحتلال . واصبح اليوم، مع حديقته الكبيرة، قصرا للضيافة

وهذه « دار سى سعيد » ، شقيق الوزير با أحمد مشيد قصر « الباهية » وقد أصبحت متحفا يضم مختلف التحف المغربية القديمة : من أسلحة وسجاد ، وخزف وجلود ، ومجوهرات







الى اليمين : هنا يرقد احمد منصور « الذهبى » واولاده ، من امراء الدولة السعدية ، تحت قبور من المرمر الايطالى الثمين ، و ١٢ عمودا تحمل قبة من شجر الارز المزخرف بنقوش ذهبية .. وفى غرفة مجاورة قبور للحريم واخرى لام الذهبى مع بناتها ، ثم قبور للخدم .. ان هذه القبور الرائعة هى كل ما تبقى من عصر السعديين الذهبى .

الى اليسار : تعتبر صومعة الكتبية ، بطولها البالغ ٥ر٦٧ مترا ، وقاعدتها المربعة ذات ٥ر١٢ مترا طول كل ضلع بمثابة المنارة التى يسترشد بها المرء الى مدينة مراكش . ان مشيد هذه التحفة المعمارية هو السلطان عبد المؤمن الموحدى ، بناها عام ١١٥٣ على انقاض قصر الحجر ، المقر القديم لحكام المرابطين ، واكملها بعده السلطان ابو يوسف اليعقوب عام ١١٨٤ والجزء العلوى منها يكوّن – بحد ذاته – صومعة مستقلة ارتفاعها ١٦ مترا !.. وفى الليل ، تسلط الاضواء على هذا الاثر الذى هو اجمل آثار المغرب العربى كله .

العبادة .. والصناعة الشعبية القديمة ..

العبادة : رأيناها فى كثرة الأضرحة ، والمساجد التى يزيد عددها عن ١٤ مسجدا جامعا .

أما الصناعات الشعبية فالدباغـة تأتى فى المقدمة ، وخاصة دباغة جلد الماعز الذى ما زالت تستعمل فى دبغه نفس الطرق القديمة : وهم يصبغونه بعد دبغه بوضعه فى أحواض بها ماء ولون نباتى ، يأخذونه من الأشجار التى تنبت فى جبال أطلس ..

الآيت والأوزكيط

وصناعة الزرابى (السجاد) هى الصناعة الشعبية المنافسة لدبغ الجلود ، ويصنعونها من صوف الغنم والجمال ، المصبوغ بالألوان النباتية كذلك .. وأحجامها صغيرة المقاسات عادة ، لكنها رائعة الصنع لا تجد لها مثيلا فى بقية مدن المغرب. انها أتت لمراكش من القبائل المقيمة فى جبال أطلس ، ويطلقون على هذا مختلف الأسماء .مثل: « الشيشاوة » وهى السجادة ذات الرسوم الهندسية ، و « الجيلاوة » وهى المخططة بخطوط سوداء، و الآيت والأوزكيط ، وتتميزان بألوانهما اللامعة ..

أسواق بالجملة

وتستطيع أن تعثر على انتاج هذه الصناعات الشعبية فى أسواق المدينة القديمة التى تعج بالمتفرجين والمشترين.. انها أسواق لم تتغير كثيرا عن أسواق القرن الخامس عشر ، ففيها يمكنك أن تعثر على كل شيء : كتب قديمة ، وخزف ،

الى أسفل : هذه المنازل يطلقون عليها لفظة « الدار » فى مراكش ، وهى المنازل الحديثة فى المدينة القديمة ، أما المنازل القديمة فيسمونها « الرياض » وبها حديقة داخلية ، ونافورة مياه ، وأسقف غرفها مصنوعة من خشب شجر الارز المزخرف .





صهريج المنارة : انه حوض كبير ذو مياه صافية هادئة ، لا يعكر صفوها شيء ، ان صورة الاستراحة الصغيرة المسقوفة بالقرميد الأخضر تعكس على صفحته قصة بنائه فى القرن الحادى عشر على يد السلطان عبد المؤمن بن على الموحدى ، ليستحم فيه جنوده ، ويأتيه الماء من مسافة ٥ كيلو مترات ، والحوض مربع طول ضلعه ٢٠٠ متر وعمقه متران

ومصنوعات جلدية ، وعطور محلية ، واقمشة ..

وتتخصص كل حارة فى نوع معين .. فهذا سوق الصياغين ، وهذا سوق الجلود .. وذاك سوق البُلْغ .. وسوق النحاسين .. والعطارين .. الخ ..

انها نفس الحياة الصاخبة التى نشهدها تتكرر فى كل بلد عربى نزوره .. ولكن الاختلاف هنا يكمن فى الناس الذين يسيرون ومعهم جمالهم وحميرهم ، جاءوا بها معهم من جبال اطلس حيث يقيمون ، فتراهم يتجولون فى أسواق المدينة التى يغطيها القصب واغصان الشجر .

نخيل وثلوج

ومن الظواهر العجيبة فى هذه المدينة جمعها بين النقيضين .. فالمعروف عن النخيل انه ينبت فى المناطق الحارة .. ولكننا هنا نجده ينبت فى البلد الحار ، نعم .. ولكن الى جانبه جبال عالية مغطاة بالثلوج !! .

والمرابطون هم أول من جلب النخيل الى هذه المدينة ، وقد جلبوه من موريتانيا وغرسوه هنا فتكاثر حتى اصبحت مساحة المنطقة المزروعة ١٣ الف هكتار تضم ما يزيد عن ١٠٠ الف نخلة ..

الأكدال .. والزيتون والرمان

والى جانب مزارع النخيل ، تتميز مراكش بمزارعها الكبيرة الواسعة ، وفى مقدمتها حدائق: المنارة ، واكدال الباهية، والاكدال المليئة باشجار الزيتون المعمرة ، التى بدأ الموحدون غرسها فى القرن الثانى عشر ، ثم توالت العناية بها حتى اتسعت وكبرت ، فى عهد الدولة العلوية ،





سائحتان تمسك كل منهما بحذاء من الجلد ابتاعته من المتجر الكبير ، الذي يقبل السياح على مصنوعاته الجلدية الجميلة الملونة



الى اليمين : تشتد الحركة بعد ظهر كل يوم فى أسواق مراكش ، وخاصة فى سوق البلغ او « الشبرة » كما يسمونها ، حيث يحمل الدلالون مجموعات كبيرة من البلغ يعرضونها على المشترين .. لقد قال لنا أحدهم مؤكدا قوة احتمال البلغة : ان البلغة المغربية كانت تسير من المغرب الى القاهرة .. ولكن أولاد الحرام كثيرون لقد أضروا بسمعة البلغة ، مما اضطر الحكومة الى فرض رقابة على تصديرها.





الى أعلى : هل تصدق أن هذا الطفل هو صانع جميع المعروضات الظاهرة في الصورة ؟ اننا صدقناه عندما رأيناه يعكف على صنعها بجد ونشاط

الى اليسار : صانع «الشقارة» يوشك على الانتهاء من صنع احداها .. والشقارة حقيبة صغيرة من الجلد الملون تشهدها واضحة في الصورة. يعلقها المواطن المراكشي بخيط من الحرير ويتركها تتدلى على جانبه الايسر ، واضعا فيها كل ما يحتاجه من أوراق ومكاتيب وأقلام وكتب صغيرة ..

واصبحت محاطة بسور طوله اربعة كيلومترات . والى جانب اشجار الزيتون توجد اشجار البرتقال والليمون ، واليوسفى ، والتين ، والرمان ، والخوخ ، والأنجاص (الكمثرى) والتفاح والعنب.

الموحدون والخطارات والجن !

ان مراكش تعتمد على جبال اطلس لتمدها بالماء، وهو يجلب اليها بطريقة تشبه طريقة جلب المياه الى واحة البريمى فى الجزيرة العربية ، مع فارق واحد ، هو ان اهل البريمى يقولون ان الجان هم الذين حفروا اقنيتهم تحت الأرض ، اما فى مراكش فان حافريها معروفون انهم الموحدون الذين حفروها فى القرن الحادى عشر .

والغريب فى هذه الآبار او « الخطارات » كما يسمونها . انها سلسلة آبار محفورة على أبعاد متفاوتة متصل بعضها ببعض تحت الأرض بقناة متدرجة ، تجلب الماء من بعد عشرات الكيلومترات تقريبا من المدينة ..

انها نهر صناعى باطنى صنعته يد الانسان ، على عمق ٤٠ مترا تحت سطح الارض !

اشرب وشوف

وتكثر الحنفيات العامة فى المدينة القديمة ، واكبرها حنفية سيدى العباس ، وتضم ٣ أحواض يستقى منها الانسان والحيوان .

ومن اشهر عيونها: عين المواسين ، وعين «اشرب وشوف» ، اى اشرب وانظر الى النقوش والزخرفة الجميلة المنقوشة فوق الحنفية .

وفى جنوب المدينة يمر نهر تسيفت الذى يمتلىء بالماء عند ذوبان الثلوج فيروى حقولها الجنوبية التى تنتج أحلى انواع العنب ، المسمى عنب تسيفت ثم يتابع هذا النهر سيره نحو المحيط الأطلسى ليصب فيه .

والعجيب فى مراكش ازدحامها بالمزارع رغم عدم وجود نهر يمر فيها ! بل لقد بدات النافورات تحتل الميادين الكبيرة ، كما فى النافورتين اللتين بجوار فندق المامونية والمنارة .

تشرشل فى المامونية

وعلى ذكر الفنادق ، لا بد أن نذكر أن مدينة مراكش تضم ١٥ فندقا .. يأتى فى طليعتها فندق المامونية ، وهو من فنادق الدرجة الممتازة، المشيد على الطراز الاندلسى المغربى ، وينزل به تشرشل ورؤساء الدول والملوك فى كل مرة يحضرون فيها الى مراكش .

الجليز عمرها ٥٠ عاما

وتقع اغلب هذه الفنادق فى المدينة الجديدة التى تناهز الخمسين من عمرها ، اذ بدأ الفرنسيون فى تشييدها عام ١٩١٣ خارج أسوار المدينة القديمة ، على أرض صحراوية تحت سفح قمة جبل يدعى جليز ، الذى هو جزء من سلسلة جبال الجبيلات .

لقد أعطى هذا الجبل اسمه للمدينة الحديثة ، فاصبحت تعرف « بالجليز » .

ان « جليز » هذه يمكن اعتبارها مدينة ثانية، لأن كل شىء فيها يختلف عن مراكش القديمة .. فشوارعها فسيحة وواسعة تصل الى عرض ٤٠ مترا احيانا .. وعماراتها عالية مرتفعة ، ونواديها





تشتهر مزارع مراكش بأشجار الزيتون التى تنتج محصولا وافرا منه ، يقيمون له عيدا شعبيا كل عام فى المزارع التى تحيط بالمدينة . ويقوم الصبية بجمع الزيتون بطريقة هز أغصان الأشجار بعصى طويلة رفيعة فتسقط الثمار على الأرض ثم تجمع تحت مراقبة المشرف الذى يمتطى صهوة جواده الأسود ويمسك بعصاه فى يده .. ويقولون ان مولاى اسماعيل العلوى هو أول من غرس شجرة الزيتون فى مراكش فى القرن السابع عشر الميلادى ، وقد وصل عددها اليوم الى نحــو عشرة آلاف شجرة .. ويقــوم ، بجوار المزارع ، مصنع لتعليب الزيتون وتصديره ، داخل براميل خشبية ، بعد تنظيفه وتمليحه (الصورة اليمنى) .

ومطاعمها ومتاجرها ، وكل شىء فيها يختلف عن مدينة يوسف بن تاشفين ..

لقد بنيت « الجليز » على نمط حديث لتصبح مشتى للسياح ، وقد نجحت الى حد كبير ، فى تحقيق الهدف من بنائها .

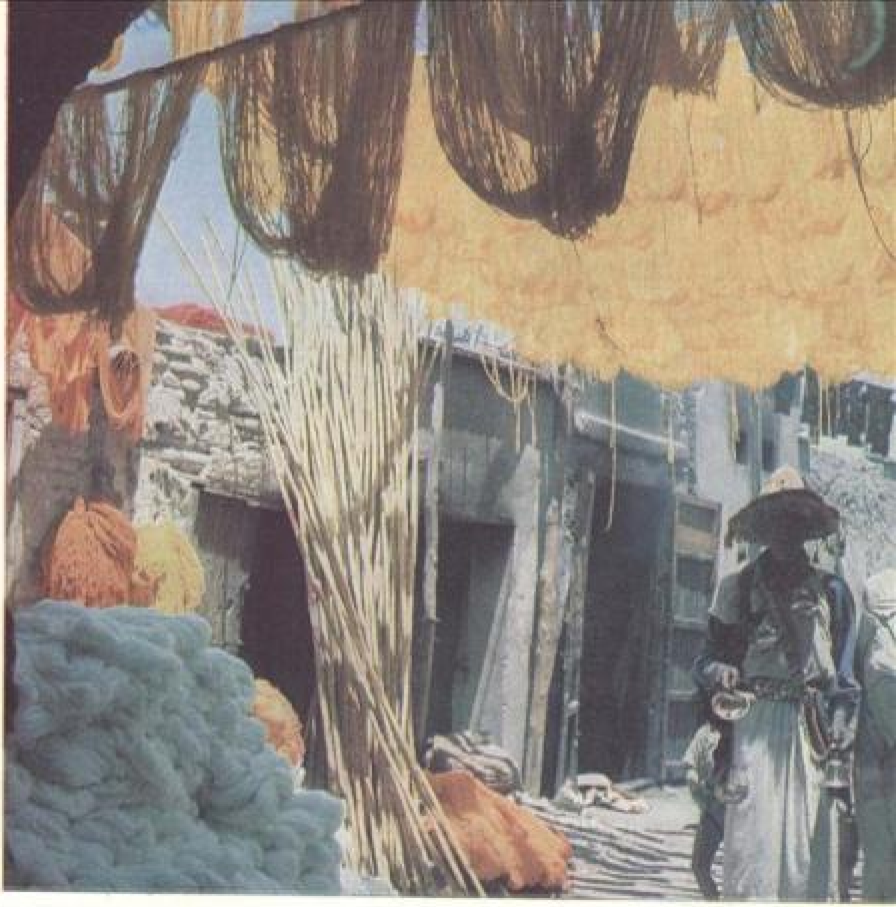
ربيـع دائـم

وأكبر مشجع للسياح على الحضور الى مراكش هو جوها الساحر الصافى ، ومناخها المعتــدل ، فشمسها فى الشتاء مثل شمس الصيف فى أوربا.

ويعود الفضل فى تلطيف حرارة الجو ، الى سلسلة جبال أطلس ، التى تحمى المدينة من الرياح الصحراوية الحارة ..

لا تركب الطائرة ..

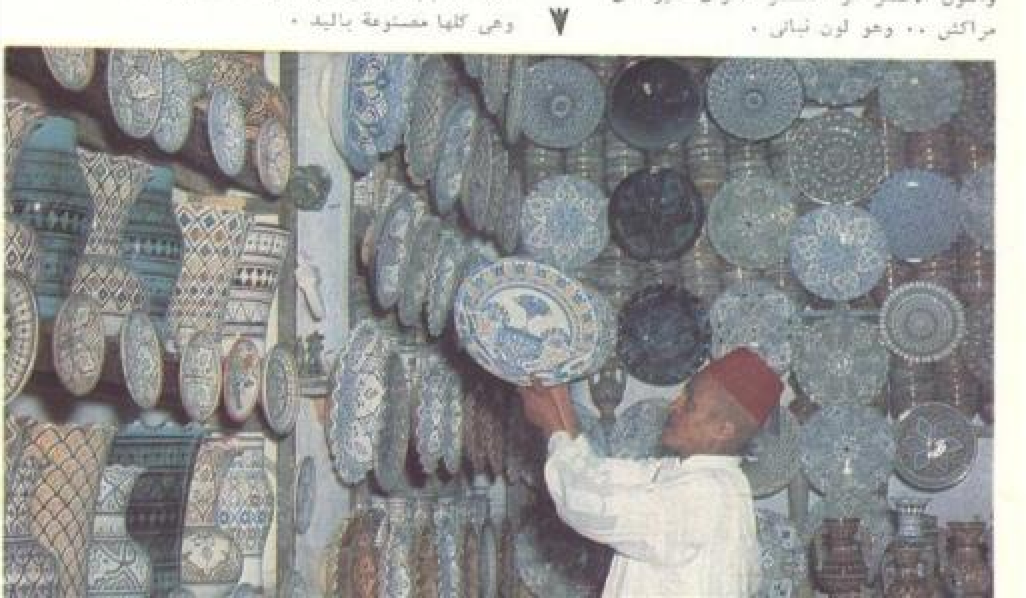
وأحسن موعد لزيارة مراكش هو فى الفتــرة الممتدة من نوفمبر الى مايو ، ويمكنك أن تصل للمدينة بسهولة ويسر ، فهى مرتبطة مع العالم



بائع الماء يمر من تحت مجموعة من الخيوط الصفراء التي تم صبغها في سوق الصباغين . واللون الأصفر هو أكثر الألوان شيوعا في مراكش .. وهو لون نباتي .

ـ الى أسفل : بائع الأواني والأطباق الملونة والمزخرفة برسوم مغربية اندلسية .ان هذه المنتوجات تأتي من مدينة « اسفي » ، وهي كلها مصنوعة باليد .

▼





منظر جميل فى حى الصباغين : النساء بالجلابية الزرقاء ، والحائك الأبيض ، واللثام الذى يخفى نصف الوجه ، يسرن فى زقاق الصباغين تحت ظلال الخيوط التى تم صبغها باللون البرتقالى ، بينما انهمك صبى الصباغ فى محاولة رفعها بقطعة من آبنوس ليعلقها على الطرف الآخر من حائط الحارة .. وتترك هذه الخيوط ، معرضة للشمس والهواء ، حتى تجف .. ان النسيج الخام يستورد اليوم من الخارج ، وقديما كانت مراكش وضواحيها تنتج وتصنع الحرير المستخرج من دودة القز .

بخطوط منتظمة للطيران تمر بالدار البيضاء .. ولكني لا انصحك باخذ الطائرة لانها تسير بسرعة بينما عاصمة الجنوب يجب رؤيتها على مراحل متعددة . من داخل السيارات والحافلات التي تسير بخطوط منتظمة على طرق برية واسعة تربطها بجميع مدن المغرب ، كما يمكنك أن تستقل القطار الكهربائي الذي يقطع المسافة من مراكش للدار البيضاء (٢٤٢ ك.م) في ٤ ساعات .

شمس وثلج !

ان مراكش تعيش تسعة شهور من كل عام مع السياح الذين يأتونها من جميع الأرجاء .

ويقوم هؤلاء السياح برحلات الى ضواحي المدينة .. ففي الوقت الذي تسطع الشمس فيه على مراكش تتساقط الثلوج على قمم الجبال المشرفة عليها ، مما يتيح للسائح فرصة قضاء وقت ممتع في التزلج على الثلج .



يقوم السياح الذين يزورون مدينة مراكش في الشتاء ، بتنظيم رحلات الى منطقة أوكيمدن للتزلج على الجليد .. وهذه المنطقة مركز لرياضات الشتاء ، على بعد ٦٥ كيلومترا من مراكش ، عند منحدر جبل توبكال الذي يبلغ ارتفاعه ٤١٦٦مترا .

وأقرب مكان لهذه الرياضة يبعد ٦٥ كيلومترا عن مراكش ، واليه يتجه السياح لممارسة هوايتهم ، انه منطقة « أوكيمدن » أهم مركز لرياضات الشتاء في المغرب ، وترتفع ٢٦٥٠ مترا عن سطح البحر .

ويوجد نظام جميل متبع في هذه المنطقة لتلافي حوادث السيارات . فالصعود يتم في الصباح من الساعة ٨ حتى الساعة ١١ صباحا ، والنزول يبدأ بعد الظهر من الساعة ٣ حتى الساعة ٦ مساء .. ويوم السبت ممنوع النزول من المنطقة .. !!

وبفضل هذا النظام أمكن تلافي جميع حوادث السيارات .

صيد الحمام والرقص

ويجد السائح في مراكش الحديثة كل ما يبغيه فهناك ناد للتنس ، وآخر للجولف ، وثالث لصيد الحمام ، ورابع لكرة القدم ، ومسابح للسباحة ، وسبع دور للسينما ، و٦ أندية للرقص ، فضلا عن الكازينو الكبير ..

حلم اليقظة

ان الليل في مراكش هادىء في مجموعه ، والشمس لا تغرب قبل أن تمكس على المدينة اشعتها الذهبية ، فيصطبغ كل ما في المدينة ، بألوان الفسق الحمراء . . ورويدا رويدا يختفي ظل صومعة الكتبية ، ولكنها لا تمكث مهملة ابدا ، فسرعان ما تسلط عليها الاضواء لتكسبها جمالا وروعة ، تجعلك تظن أنها اصبحت ارشق منها في الصباح .

ان مراكش تنام وهي تحلم بصوت مرتفع .. انها تحلم باليوم الذي تعود لها فيه أمجادها السابقة ، ويصبح عدد سكانها ٨٠٠ الف نسمة ، كما كانوا في الماضي .. منذ ستة قرون . ■■

سليم زبال



أَهْلُ الهَوَى

■ شفَّهُ البعد فأضحى قَلِقاً … يسهر الليل حزيناً أرِقا

يسأل الأنجم عن محبوبه … ولأيام خلتْ ما افترقا

أين ولّى ، والهوى في فجره ، … بُرْعُمٌ يَحوِي الشذا والعبَقا

قلبه البِكْرُ جديدٌ في الهوى … لسواه أبداً ما خفَقا

وعلى الثغر بقايا قُبَلٍ … فاتراتٍ لا تَسُدُّ الرمقا

★★★

ومضت أشهرُ كانتْ أدهرا … والنَّوى جرَّعه كأسَ الشَّقا

فكسا الوجهَ شحوبٌ قاتل … وذوى الغصنُ الذي قد أورقا

وبكى .. وانهمَرَ الدمع على … وجنتين كادتا أن تُحرقا

إنه يغفو على آماله … علّه يصحو على أحلى لِقَا ..

★★★

وتلقّى منه ما طمأنه … بعد لأْيٍ فاستعاد الرَّونقا

إنها أوُلى رسالات الهوى … حملتْ وُدّا وقلبا شيِّقا

ثغرُه تمتمَ أغلى أسطُرٍ ... … أتُراه لا يُجيد المنطقا ؟ !

قبَّل الحِبْرَ وكم مِن مثله … لثمَ الحبر وضمَّ الورقا

★★★

هكذا أهل الهوى في حبِّهم … لِلْهنا يومٌ ويومٌ للشقا .. ■■

خازن عبود
بيروت ـ لبنان

قصة متحف مدام توسو

كانوا يقدمون لها رؤوس المشاهير بعد اعدامهم لتصنع منها

■ لا شك أن مدام توسو Tussaua كانت من أبرز نساء العصر الذى عاشت فيه . وهو عصر حافل بالاحداث : فقد شهدت وهى صبية سقوط الملكية فى فرنسا ، وقيام الجمهورية. ونعمت وهى

(البقية على صفحة ١١٠)

مارى انطوانيت

Marie Antoinette

* **ملكة** فرنسا وزوجة لويس السادس عشر .
* كرهها الشعب الفرنسي لتدخلها فى السياسة ولبذخها ، وسوء سيرتها .
* اعدمت بالمقصلة فى ١٦ أكتوبر ١٧٩٣ .
* والرسم يمثلها مع ولديها .



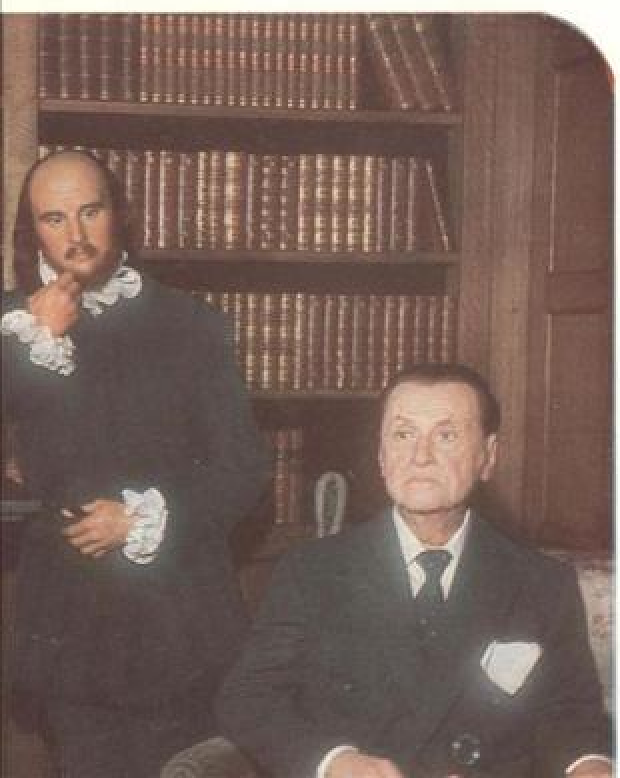
نماذج بالشمع



نابليون ونلسون

Napoleon & Nelson

* نابليون (١٧٦٩ – ١٨٢١) هو أشهر قائد في تاريخ فرنسا .
* بدأ نجمه بالأفول بعد انسحابه من موسكو (١٨١٢) ، واعتزل العرش عام ١٨١٤ ، ونفي الى جزيرة ألبا .
* هرب من ألبا في العام التالي ، وهزم فيمعركةوترلو،ونفي الى جزيرة القديسة هيلانة ، وفيها توفي بعد ست سنوات .
* ونلسون (١٧٥٨ – ١٨٠٥) هو أمير البحر الانجليزي المشهور .
* فقد في معاركه البحرية عينا وذراعا ، وهزم أسطول نابليون في معركة أبي قير (١٧٩٨) .
* التمثالان من صنع مدام توسو .



شكسبير وسومرست موم

Shakespeare & Somerset Maugham

* شكسبير (١٥٦٤ – ١٦١٦) أشهر شاعر انجليزي .
* من أشهر مسرحياته « هملت » و « مكبث » و « تاجر البندقية » و « العاصفة » و «روميو وجولييت» و « عطيل » و «انطونيو وكليوبطرة» و « يوليوس قيصر » ..... الخ .
* في عام ١٦١١ هجر المسرح وتقاعد في مسقط رأسه ستراتفورد أون آيفون، مبجلا معظما .
* وسومرست موم هو الكاتب القصصي الشهير .



ديكنز Dickens

(١٨١٢ — ١٨٧٠)

* عاش في طفولته وصباه متشردا بائسا .
* عمل في الصحافة فاشتهر بمقالاته المعروفة باسم « أوراق بيكويك » Pickwick Papers .
* وجه الأنظار بكتاباته الى ما يعاني الفقراء من حياة قاسية : مساكن رطبة، وسوء تغذية ، وكسب قليل.
* من أشهر قصصه: أوليفر تويست، وديفيد كوبرفيلد ، وقصة مدينتين.



فولتير Voltaire

(١٦٩٤ — ١٧٧٨)

* ولد في باريس من أسرة ثرية ، واتخذ لنفسه عام ١٧١٨ اسم « فولتير » ، يوقع به كتاباته.
* هجر باريس بسبب الاضطهاد وعاش في برلين (١٧٥١) بدعوة من فريدريك الأكبر .
* منعته السلطات الفرنسية من العودة الى فرنسا فاقام في جنيف .
* عاد الى باريس وهو في سن الرابعة والثمانين.
* صنعت هذا التمثال له مدام توسو قبل وفاته ببضعة أشهر .

امرأة ناضجة بالرفاهية التي جاءت بها الثورة الصناعية في بريطانيا .

ولدت مدام توسو « ماري آن جروشولتس Grosholtz في السابع من ديسمبر (كانون الاول) ١٧٦١ ، في بلدة ستراسبورغ التي كانت فرنسية في هذه الفترة التاريخية ، دون أن تكتحل عيناها بمرأى والدها الذي كان قد توفي قبل أن ترى النور بشهرين . ولم تجد الأم الأرملة بعد وفاة الأب خيرا من أن تعود الى اهلها في بيرن عاصمة سويسرا ، لتعيش في كنف شقيقها كورتيس Curtius الذي كان طبيبا مشهورا في تلك المدينة .. ومدرسا للطب . وكانت العادة في تدريس التشريح في تلك الأيام ان يتعلّم الطلبة صنع تماثيل من الشمع تمثل أجزاء الانسان . وقد استهوت صناعة تماثيل الشمع الدكتور كورتيس ، فأخذ في وقت فراغه يقوم بعمل تماثيل للمشاهير من رجالات المدينة ، حتى أن شهرته كفنان طغت على شهرته كطبيب .

وضاقت العاصمة السويسرية عن أن تتسع لشهرة الدكتور كورتيس وفنه ، فارتحل الى باريس ، وأقام له فيها متحفا ، كان يؤمه أفراد الأسرة المالكة ، وعلية القوم ، ورجال الأدب والفن . وكان في متحفه هذا يقوم بصنع تماثيل لهم بالحجم الطبيعي . وفي باريس اغتنى



برنارد شو Bernard Shaw

(١٨٥٦ – ١٩٥٠)

- ولد فى دبلن ، ولم يتلق من التعليم الا قليلا .
- ارتحل الى لندن عام ١٨٧٦ ، وفيها انضم الى الجمعية الفابية ، واصبح اللسان الناطق بدعوتها الاشتراكية .
- بدأ حياته الادبية بكتابة مقالات نقدية فى الموسيقى والمسرح،واشتهربفكاهاته العميقة.
- كتب للمسرح واشتهر . ومسرحياته فيها نقد لاذع للمجتمع الانجليزى .

شارلى شابلن Charlie Chaplin

- ولد فى لندن عام ١٨٨٩ . وبدأ بالظهور على المسرح وعمره خمسسنوات .
- ذهب الى أمريكا عام ١٩١٠ ، وظهر فى السينما عام ١٩١٣ ، وبعد هذا التاريخ بعام أصبح هو المخرج لأفلامه الصامتة.
- ومن اشهر أفلامه الأولى « أضـــواء المدينة » .
- فى عام ١٩٤٠ ظهر لاول مرة فى فلم ناطق وهو فلم The Great Dictator .
- شارلى شابلن متعدد المواهب : يكتب قصة الفلم،ويضع موسيقاه ، ويخرجه.



كورتيس وازداد شـــهرة . ودعا الى العاصمة الفرنسية شقيقته الأرملـــة وابنتها لتقيما معه ، وتبددا وحـدته ، وتعنيا به .

وتعهد كورتيس ماري ، ابنة شقيقته، بالرعاية ، وتبناها ، وأخذ يعلمها صنع التماثيل بعد أن ادرك استعدادها الفطرى وموهبتها . وقد أثبتت ماري أنها موهوبة فعلا ، حتى أن فولتير جلس لها لتصنع له تمثالا وهى ما زالت بعد فى السابعة عشرة من العمر . وما زال هذا التمثال قائما فى المتحف فى لندن حتى هذا اليوم.

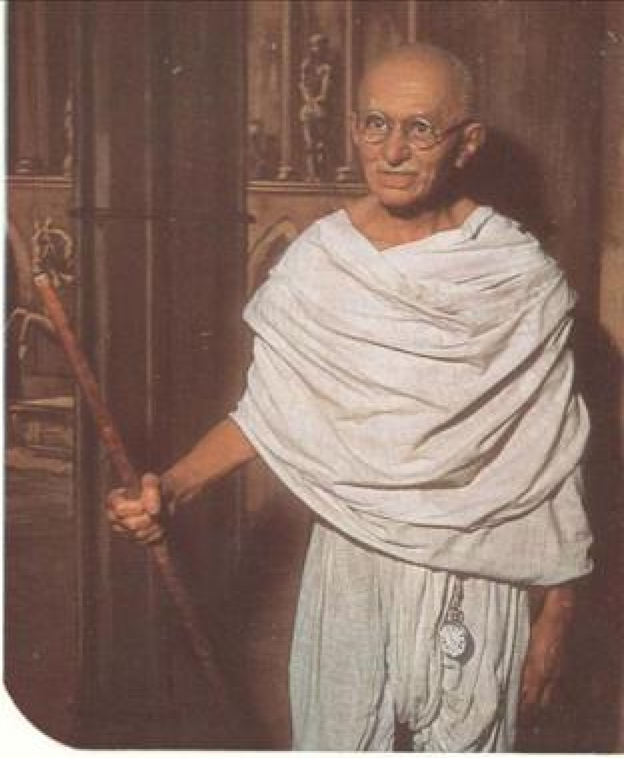
وقد جذبت براعة ماري اليها المجتمع الباريسى المترف ، والعائلـــة المالكة ،

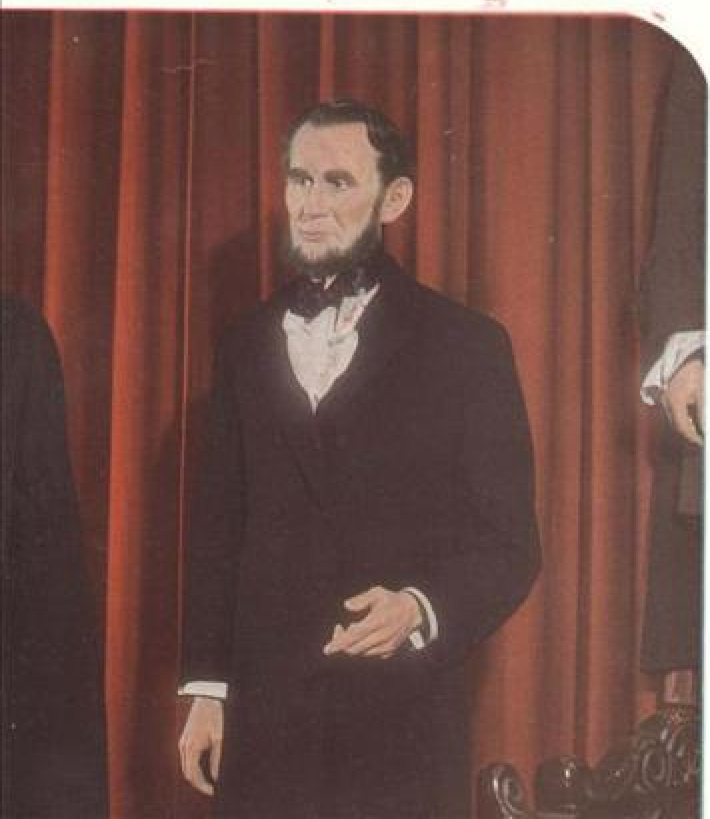
(البقية على صفحة ١١٤)

مهاتما غاندي

(١٨٦٩ ــ ١٩٤٨)

* ولد من عائلة ارستقراطية ، ودرس الحقوق فى لندن .
* وبعد ان انهى دراسته عمل محاميا فى جوهانسبرغ بجنوب افريقية (١٨٩٣)
* وبدأ غاندى يعمل تنظيمات لمقاومة الاضطهاد الذى كانت تعانيه الاقلية الهندية فى جنوب افريقية ، وذلك على الطريقة الهندوسية التى هى المقاومة السلبية . وهى الطريقة التى استعملها فيما بعد فى الهند فى مقاومته للاستعمار الانجليزى .
* ولعب الدور الرئيسى فى المفاوضات التى ادت الى استقلال الهند عام ١٩٤٧
* ولكن احد المتطرفين من الهندوس قتله فى ٣٠ يناير ١٩٤٨ ، بسبب سياسته المتساهلة تجاه المسلمين .





ابراهام لنكولن

Abraham Lincoln

(١٨٠٩ ــ ١٨٦٥)

* **الرئيس** السادس عشر للولايات المتحدة الامريكية .
* عاش حياته الأولى فى فقر مدقع، فقد كان والده فلاحا معدما .
* ساهم فى تكوين الحزب الجمهورى .
* دعا الى الغاء الرق ، ورشحه الحزب للرئاسة ، ففاز بها عام ١٨٦١ .
* قامت الحرب الاهلية ، ولكن هذا لم يمنع فوزه بالرئاسة للمرة الثانية عام ١٨٦٤ .
* انتهت الحرب الاهلية بفوز الولايات الشمالية وتحرير العبيد ، ولكن بعد انتهاء الحرب الاهلية بأيام قليلة أطلقت على لنكولن النار وهو فى المسرح توفى فى صبيحة اليوم التالى .



محمد علي جناح

(١٨٧٦ – ١٩٤٨)

* **مؤسس** دولة الباكستان الحديثة .
* ولد في كراتشي ، ودرس في بومبي ، ثم ذهب الى لندن لدراسة الحقوق .
* وبسبب الخلاف الشديد بين الهندوس والمسلمين، أصبح محمد على جناح رئيس الرابطة الاسلامية عام ١٩١٦ . ودعا الى انهاء الاستعمار الانجليزى وقيام دولتين : اسلامية وهندوسية .
* وفي مؤتمر لندن عام ١٩٤٦ أصر محمد على جناح على رأيه، لأن التقسيم وحده في رأيه هو الذى يحل المشكلة القائمة بين المسلمين والهندوس .
* وفي ١٥ أغسطس ١٩٤٧ ولدت دولة الباكستان ، وكان محمد على جناح أول حاكم عام لها .



لورد بيرون Byron

(١٧٨٨ – ١٨٢٤)

* **ولد** في لندن ، وورث عن عمه أملاكه الواسعة ولقبه .
* عاش طفولة قاسية ، وكان يشكو من عاهة في رجله تسبب له العرج .
* درس في كمبردج ، ونشر أول ديوان شعر له عام ١٨٠٧ ، ولكن النقاد وجهوا له نقدا مرا .
* طاف بأوروبا كثيرا ، وتزوج عام ١٨١٥ ، ولكنه كان لايحفل بالتقاليد ، وقد أثار تحديه هذا المجتمع البريطاني ، مما اضطره الى الهرب من انجلترة .
* مرض بالحمى في ميسولونجى وتوفى في ٩ ابريل عام ١٨٢٤ .
* عام ١٨١٠ جلس لمدام توسو لتصنع له تمثاله هذا .

واصبحت صديقة لسيداته ، وكانت اقرب صديقة اليها هي اليصابات، شقيقة الملك لويس السادس عشر ، التي طلبت منها ان تقيم معها في فرساي . ولكن اقامة ماري لم تصرفها عن قضاء أكثر ساعات النهار في المتحف، تصنع التماثيل . وفي عام ١٧٨٣ جلس اليها الزعيم الامريكي بنجامين فرنكلين لتصنع له تمثالا ، وما زال هذا التمثال قائما في المتحف بلندن. وقد كان فرنكلين في باريس سفيرا لدولته الحديثة الاستقلال ، وكان يبذل كل براعته السياسية للحصول على قرض لبلاده !

واشتعل أوار الثورة الفرنسية ، ولم ينج رأسَ ماري من المقصلة غيرُ براعتها في صنع التماثيل : فكانت تقاد يوميا من السجن الى قاعدة المقصلة ، حليقة الراس، فيُرمَى اليها بالرؤوس المتطايرة لتصنع لها نماذج من الشمع تعلَّقُ في ارجاء باريس ليراها الفرنسيون ، ويشهدوا سقوط الطغاة .

وهكذا كُتِبَ عليها ان تشهد بعينيها المقصلة وهي تجز اعناق من احبت : رؤوس اليصابات ، وماري انطوانيت ، ولويس السادس عشر .. الخ .

برنارد توسو يصلح من هندام تمثال جدته .. ولا يمضي صباح دون ان يمر بالتمثال ، ليطمئن على انه في احسن حال ..



وفي صبيحة احد أيام شهر يولية (تموز) ١٧٩٤ الباكرة اقتيدت الى مقبرة « المادلين » لتجد رأس روبسبير بانتظارها . وبمقتل روبسبير قضي على عهد الرعب والعنف، واطلق سراح ماري . ولكن الدنيا اصبحت غير الدنيا التي عرفتها : فقد ذهب من احبت ، حتى خالها التهمته الثورة . ولم تجد حولها من الاصدقاء غير فرانسوا توسو ، وهو مهندس . وفي عام ١٧٩٥ تم زواج ماري بالسيد توسو ، واصبحت تعرف باسم « مدام توسو » . وولد لها منه ولدان هما جوزيف وفرانسيس .

وضاقت مدام توسو بالحياة في باريس ، فحملت معها ابنها الاكبر وعددا من تماثيلها ، وارتحلت الى انجلترة ، واشترت عربات لنقل التماثيل ، واخذت تتجول في المدن البريطانية ، وتقيم فيها معرضها المتنقل . وقد لقيت في بريطانيا اقبالا منقطع النظير ، واثرت ثراء كبيرا . وعندما بلغت سن السبعين وجدت ان الوقت قد حان لاقامة معرض ثابت . لان صحتها لم تعد تحتمل الأسفار ، فاختارت لندن مقرا لها .

وفي عام ١٨٤٢ قررت أن تعتزل حياتها الفنية ، بعد أن تصنع لنفسها تمثالا وهي في سن الحادية والثمانين . وفي ١٦ ابريل (نيسان) ، توفيت هذه السيدة الموهوبة . وعندما حمل جثمانها الى مقره الأخير في تشيلسي Chelsea بلندن كانت الشوارع غاصة بالناس ، واشترك في تشييع جثمانها عشرات الألوف . وتولى ادارة المتحف بعدها ابناها ، واصبحت صناعة التماثيل الشمعية حرفة يتوارثها الأبناء عن الآباء .

وقد تعرض المتحف لحريقين : اولهما عام ١٩٢٥ حيث شبت فيه النار واتت على اكثر تحفه . وثانيهما في الحرب العالمية الثانية حيث ضربه الألمان بالقنابل .

ومتحف مدام توسو في لندن الآن من ابرز معالم العاصمة البريطانية التي تستهوي زوارها . ■■

اختبر معلوماتك العامة بالصور

■ على هذه الصفحة صور ثلاث اخترناها من ارشيف « العربي » . اتدرى ما هى ؟

ان لم تكن تدرى فستجد الاجابة على صفحة ١٦٤ من هذا العدد .



١ ـ حجر تاريخي ، عمّر آلاف السنين ، وكانت النقوش التي عليه مفتاحا للغة قديمة اندثرت من قرون .. فما هو ؟



٢ ـ في احدى العواصم الأوروبية الكبيرة أثر عالمي يزوره كل عام أكثر من مليون شخص من مختلف انحاء العالم . التقط صورته من الجو مصور بارع ، فبدا بحيث تخفى أوصافه ومعالمه .. هل تستطيع التعرف عليه ؟!



٣ ـ انه زعيم أفريقي معروف بملابسه الوطنية ، يتسلم جائزة عالمية في احتفال رسمي كبير شهده ملك ووزراء وعلماء من مختلف الأجناس .. فمن هو ؟ وما اسم الجائزة التي نالها ؟



كيف كانت الحياة تجري
قصور سلاطين بني عثمان

• ساكنات الحريم أجنبيات ولدن السلاطين

بقلم : الدكتور نبيه عاقل

استاذ التاريخ بجامعة دمشق

■ ارجو ان اوضح منذ البدء ان ماسأتناوله بالبحث فى هذا المقال ليس الحياة الاجتماعية فى قصور سلاطين بنى‌عثمان ، ولا اخبار سيدات الحرم وعلاقاتهن،بعضهن‌مع‌بعض‌او مع‌الخصيان‌ولكنى سأحاول دراسة الأشخاص‌الذين كانوا يقاسمون السلطان العيش فى‌قصوره ، وان اضعهم فى مراتبهم ، وان ابين اعمالهم وواجباتهم‌ووظائفهم باعتبارانهم يشكلون العنصر الأساسى من‌عناصر الاجهزة الحاكمة العثمانية .

القصر كان يموّل الدولة بالرجال

فالقصر كان المنبع الهام الذى يمول الدولة بالموظفين الكبار ورجال الجيش ، كما كان المدرسة التى تعلم سكان السلطنة فى مختلف اقطارهم وامصارهم آداب السلوك والمعاشرة‌واصول‌التخاطب والتعامل ، وذلك عن طريق رُسُله الى هذه الأقطار والأمصار الذين رُبُوا بين جدرانه وصقلتهم الحياة فيه .

عاملان وجّها الحياة فى القصر

لقد سيطر على الحياة فى القصر السلطاني عاملان وجها سير الحياة فيه وطبعاه بطابع خاص ميّزه عن غيره من القصور الملكية المعاصرة .

هذان العاملان هما : وجود الحريم ، ومراعاة التقاليد الفارسية القديمة فى اصول السلوك السلطانى .

الحريم

اما وجود الحريم فمصدره أن عادة حجاب المرأة عادة شرقية قديمة لها تاريخها العريق فى بعض حضارات الشرق الأوسط القديمة ، وقد جاء الاسلام‌فيما بعد واقرها وضرب‌الحجاب



• كبير الخصيان

ثالث رجل فى الدولة

• رئيس البستانجية يعدم رجال القصر غير المخلصين

على النساء . ومع مرور الايام وتطور المؤسسات الاجتماعية انقلب الحجاب عند العثمانيين الى عزلة تامة للمرأة ، وسجن كامل لها ، يمنع اى اتصال بينها وبين العالم الخارجى .

فالحريم اذن كان الاداة العثمانية لتطبيق فكرة الحجاب التى فرضها الاسلام على المراة ، وكلمة « حريم » ، كما هو معروف ، ذات صلة وثيقة من الناحية اللغوية بفكرة «التحريم» . وقد ادى « تحريم » الاختلاط الى نشأة « الحريم » كمؤسسة اجتماعية لها حدودها وقوانينها ومفهومها من الناحية التطبيقية .

بقية أجزاء القصر ، معد للحريم

وهكذا أفرد السلاطين جزءا من قصرهم وجعلوه حريما ، أما بقية أجزاء القصر فكانت تتألف من قسمين أساسيين: قسم يمكننا أن نعتبره بمثابة مسكن خاص للسلطان لا يدخله الا هو وخاصة خدمه ، وقسم آخر للاستقبال واقامة الاحتفالات وعقد الاجتماعات ، وهو مفتوح لرجال الدولة وأعيان الرعية والوفود الأجنبية وما شابه ذلك .

ولايدخل المسكن الخاص ودار الحريم الا السلطان وخصيانه وقهرماناته . ويصل بين هذين الجزءين من القصر جزء وسط يعرف باسم الـ «ما بين» ،ويتكون من عدة غرف يتهيأ فيها السلطان لدخول الحريم ،كأن يرتدى ثياب الراحة أو يقص شعره أو يستكمل زينته ليدخل على حريمه .

وكما كانت أبنية القصر، أو «السراى»، مقسمة الى عدة أقسام فقد كان ساكنوها ايضا اصنافا وانواعا ، وأهم هذه الأصناف :

ساكنات الحريم

الحريم هو الجزء من القصر السلطانى الذى تسكنه نساء السلطان ومحظياته واطفالهن الصغار وبعض الخصيان الذين يقومون بخدمتهن. وقد كانت عادة السلاطين الأول الا يتزوجوا الا اميرات مسلمات او نصرانيات ، والا يجمعوا تحت عصمتهم الا الحليلات الأربع اللواتى أباحهن الشرع

للرجل المسلم . وكان آخر من سار على هـذا النهج السلطان محمد الفاتح .

اما من جاء بعده من السلاطين فقد هجروا عادة الزواج واكتفوا بالسُرّيات لا يتخذون منهن أكثر من أربع فى أول الأمر ، ويعاملوهن معاملة الزوجات رغم عدم وجود عقد زواج يربطهم بهن .

القادنات

وكان لقب السُرّية « القادن » وتعتبر « القادنات » أرفع سكان الحريم من النساء منزلة . فقد كان لكل منهن جناحها الخاص وخدمها الخاصون ، ولا ترى القادنات الأخريات الا فى المناسبات والاحتفالات الرسمية .

وارفع القادنات مقاما اقدمهن فى صحبة السلطان، ويليها فى المرتبة من ينضم بعدها الى الصحبة السنية . ويترتب على قدمها وعلو مقامها ازدياد مخصصاتها الماليةعلى مخصصات زميلاتها المتاخرات عنها .

والقادن التى تنجب الاولاد أعلى مقاما من التى لا تنجب ، واذا انجبت صبيا فقد ضمنت لنفسها الحظوة التامة عند مولاها وأصبح اسمها «خاصة كى سلطان » أى « المفضلة عند السلطان »واخذ الناس ينادونها بالسلطانة ، وهو لقب مخصص لبنات السلطان فقط . أما القادنات اللواتى ينجبن البنات فيصبح اسمهن « خاصة كى قادن» وهن دون ال « خاصة كى سلطان » . ولعل أروع ما تحلم بهالقادن هو أن يصبح أحد أولادها سلطانا، فتحمل حينئذ لقب « والدة سلطان » ، وتتمتع بارفع مركز نسائى فى الدولة ، ويصبح من حقها أن تتوجه بالخطاب الى الوزير الأعظم مباشرة دون ما حاجة لوسيط .

والجوارى ، وهن طبقات

ويلى القادنات فى المرتبة اربع طبقات من الجوارى، اعلاها الطبقة المسماة باسم ال « غديكليس » التى تنتخب القادنات من بين أفرادها ، كما أن بعض جوارى هذه الطبقة يصبحن وصيفات شرف للسلطان ويتولين خدمته او يتسلمن وظيفة خازن دار الحريم .

ويلى هذه الطبقة طبقة ثانية ، مهمة افرادها خدمة والدة السلطان والقادنات واولادهن .

اما الطبقة الثالثة من الجوارى فهى طبقة الجوارى المتمرنات اللواتى الحقن بالحريم مجددا وبجرى تدريبهن على القراءة والكتابة والخياطة والتطريز والموسيقى والغناء والرقص حتى يستطعن الالتحاق بالطبقات الأعلى حين تدعو الحاجة ويتوفر الشاغر .

اما الطبقة الرابعة فهى طبقة جوارى الخدمة ولا تستطيع الواحدة منهن أن ترتفع عن طبقتها هذه ، بعكس زميلاتها فى الطبقات الأعلى .

كانت نساء الحريم اجنبيات ، واغلبهن أوروبيات

كانت كل نساء الحريم من الجوارى الأجنبيات ، وكن فى غالبيتهن من الأوربيات اللواتى أسرن فى الحروب التى خاضتها الجيوش العثمانية ضد الدول الأوربية .

وقد اشتهر من هؤلاء الجوارى الأوربيات الاصل : خرم سلطانه سُرّية السلطان سليمان القانونى التى عرفها الأوربيون باسم روكسلانا ، والتى كانت من أصل روسي .

ثم والدة السلطان محمد الثالث التى كانت من سبايا البندقية .

ووالدة مراد الرابع وابراهيم التى كانت سبيئة يونانية .

جوارى القفقاس

ومنذ نهاية القرن السادس عشر اتجهت تجارة الجوارى الى القفقاس واخذت اعداد كبيرة من الجوارى القفقاسيات تتدفق على العاصمة العثمانية ومنها الى القصر السلطاني .

وقد اعجب السلاطين بالقفقاسيات كثيرا وذلك لجمالهن وذكائهن وبراعتهن فى فنون الخدمة ، وكن يلحقن بالحريم وهن صغيرات لا يزيد عمر الواحدة منهن عن العاشرة أو الحادية عشرة ، فيدرّبن ويربّين حتى يصبحن أهلا لخدمة السلطان أو صحبته . وكثيرا ما كان

رجال الدولة يهدون السلطان جوارى اكبر سنا ، وذلك بعد تدريبهن وتثقيفهن وصقل مواهبهن ، فيتقبل السلطان الهدية وينعم على صاحبها اذا صادفت من نفسه قبولا .

السلاطين تعتق الجوارى

وكثيرا ما كان السلاطين ينعمون على جواريهم بالعتق ، فتصبح الواحدة منهن حرة تستطيع الزواج من أى شخص تريد وتترك الحريم .

واذا توفى السلطان كان من حق قادناته اللواتى لم ينجبن أولادا أن يتمتعن بحريتهن وأن يتزوجن من يرغبن من الرجال . وكان كبار رجال الدولة يحبذون الزواج من قادنات السلطان المتوفى لما لهن من نفوذ فى الدولة ولما لاتصالاتهن ومداخلاتهن من أهمية فى تثبيت مركز الزوج أو رفع شأنه .

نفوذ نساء الحريم

وتتناسب أهمية القادن ونفوذها مع ضعف شخصية السلطان واستعداده للتأثر بآراء من حوله من نساء وخدم . وقد وصل نفوذ نساء الحريم أوجَه زمن السلطان ابراهيم ، فقد استطاعت احدى جواريه ، لشدة ما لها من تأثير عليه، ان تنال حكم مقاطعة من المقاطعات، وأن تنيب عنها فى ادارتها شخصا غيرها، لأنه لم يكن مسموحا لنساء الحريم مهما كانت طبقتهن أن يغادرن القصر الا اذا صحبهن السلطان فى رحلة من رحلاته او امرهن بالانتقال معه الى أحد قصوره الصيفية خارج العاصمة . حتى انه لم يكن ليسمح لهن فى أغلب الأحيان بتعدّى جدران دار الحريم الى جزء آخر من اجزاء القصر ، ولا بد لهن من استئذان السلطان نفسه اذا أردن الخروج الى حدائق القصر .

واذا سُمحَ لهن ، ونادرا ما كان يفعل ، فان حراسة شديدة تقام حول الحدائق ويمنع اقتراب اي شخص منها حتى لا تمتد الانظار الفضولية اليهن .

مبانى الحريم تشبه مستعمرة صغيرة

كانت مبانى الحريم تضم الى جانب بيوت القادنات والجوارى بعض الساحات المكشوفة والحدائق الصغيرة ، كما تضم جناحا خاصا بالسلطان يتكون من عدة غرف للنوم وقاعة كبيرة للاستقبال وحمام خاص .

وكان لكل من القادنات ولوصيفة الشرف ولخازنة دار الحريم حمامها الخاص ، أما بقية الجوارى فكان لهن جميعا حمام مشترك واحد .

ويشبه الحريم مستعمرة صغيرة تتألف من عدد من البيوت والحدائق والساحات يسكنها نساء السلطان وجواريه وأولاده وخدمه ، ولا يدخلها من الرجال سواه . ويعامل السلطان فى هذه المستعمرة النسائية بأسمى معانى الاجلال والاحترام ، فلا ترفع واحدة من النساء عينها لتلتقى بعينه ، واذا سمعن وقع خطواته عليهن ان يختبئن والا يظهرن الا اذا دعاهن . وحتى تعرف ساكنات الحريم ان السلطان قادم اليهن كان يلبس خفًا نعله من الفضة اذا مشى به فوق الرخام اخرج صوتا معينا تعرفه نساؤه فيستعدون للقيام .

الخصيان فى دار الحريم

وكان الخصيان هم الذين يحرسون دار الحريم ويقومون بادارة الكثير من شؤونها . ومنذ مطلع القرن الخامس عشر ، وحتى نهاية القرن السادس عشر ، كان اغلب خصيان الدار من البيض ، ومن اصل قفقاسى كجوارى الدار انفسهن . واثناء حكم مراد الثالث استلم ثلاثة من الخصيان السود مناصب هامة فى الحريم . ومنذ ذلك الحين اخذت اعداد كبيرة منهم تدخل الدار واصبح لهم الرئاسة على البيض .

الوزير الاول يحاول الغاء الخصيان

وفى سنة ١٧١٦ حاول الوزير الأول الداماد جورلولو علي باشا ان يلغى استعمال الخصيان فى

القصر السلطاني فاوعز بمنع خصي العبيد السود وبيعهم الى وسطاء القصر . ولما توفي علي باشا هذا عادت تجارة الخصيان السود الى الازدهار وتدفقت اعداد كبيرة منهم على قصور السلطان وازداد نفوذهم لحد كبير وتدخلوا في شؤون الدولة وأسلمهم السلاطين مقاليد الأمور .

رئيس الخصيان ثالث رجل في الدولة

وقد اصبح رئيسهم الذي كان يعرف باسم « دار السعادة آغاسي » أو « قزلار آغاسي » اكبر موظفي القصر ، واحتل المركز الثالث في الدولة بعد السلطان والصدر الأعظم . وكان الصدر الأعظم وشيخ الاسلام لا يستطيعان مقابلة السلطان الا بعد المرور برئيس الخصيان الأسود هذا . اما الخصيان البيض فقد اقتصرت مهامهم علي اعمال الخدمة ، وأوكل الى السود أمرُ حماية الحريم والاشراف علي شؤونهن كما أوكل الى رئيسهم « القزلار آغاسي » الاشراف على أوقاف الحرمين الشريفين، وكانت هذه الوظيفة من قبلُ من اختصاص رئيس الخصيان البيض .

عدد الخصيان

وقد بلغ عدد الخصيان السود المستخدمين في حريم السلطان في القرن الثامن عشر ٢٠٠ خصي ، يضاف اليهم عدد آخر كان يقوم بالخدمة في قصور السلطان الاخرى وفي اجنحة الاميرات العازبات وقصور الأميرات المتزوجات .

وكان هؤلاء الخصيان ينتقوْن من بين العبيد الذين تحضرهم القوافل القادمة الى مصر من دارفور وسنار وغيرهما . وكان الأطفال منهم يخصون قبل وصولهم الى مصر عند موقع قرب اسوان . ويقوم بعملية الخَصْي اشخاص من القبط لأن الشريعة الاسلامية تحرم هذه العملية .

وبعد أن يلتحقوا بالقصر تبدأ عملية تثقيفهم وتدريبهم على الخدمة وآداب السلوك من قبل متقدميهم من بني جنسهم ، ويتولون اثناء تدريبهم حراسة أبواب دار الحريم ، وينامون في مَهاجع مخصَّصة لهم قرب الدار . وبعد أن ينهوا تدريبهم ودراستهم يمرون بمراتب مختلفة في السلم المِهْني ، تبدأ بعضوية الحرس وتنتهي بمنصب رئيس هذا الحرس . ويتولون اثناء ذلك خدمة القادنات ، ويرتقون منها الى وظائف اعلى قد تصل الى مرتبة «القزلار آغاسي» التي تعادل رتبة الوزير في الدولة .

عناصر الخدمة داخل القصر

واذا تجاوزنا دار الحريم وسكانها واحوالهم ومراتبهم ، وانتقلنا الى القسم الثالث من اقسام القصر حيث يقيم الخصيان البيض والوصفاء لوجدنا أن سكان هذا القسم شباب لا تزيد سن اكبرهم عن الخامسة والعشرين . ويطلق على الوصيف اسم ايج آغا أو ايج اوغلان حسب سنه، فاذا كان كبيرا كان من فئة الـ ايج آغا ، واذا كان حدثا ومستجدا في الخدمة فهو ايج أوغلان .

وكان الاشراف على الوصفاء من اختصاص الخصيان البيض ، فحين توكل الى بعضهم مهمة الخدمة في جناح من اجنحة القصر او عند بعض سكانه ، كان احد الخصيان البيض يشرف عليهم ويكون مسؤولا عنهم . ويدعى رئيس الخصيان البيض باب السعادة آغاسي أو قبي آغاسي أي رئيس البوابة . وقبل ان ينازعه مكانته رئيس الخصيان السود كانت له رئاسة أمور دار الحريم والاشراف على شؤونها . ويتبع الـ قبي آغاسي فريق من الخصيان البيض يبلغ عددهم أربعين خصيا ، كما يتبع الخصي المسؤول عن الخدمة في الاجنحة اربعون آخرون يوزعهم في مهام الخدمة المختلفة .

وينام الخصيان في مهاجع جماعية ، ويرأس كل عشرة وصفاء خصي ابيض ، أما رؤساء الخصيان فيفرد لكل منهم جناح خاص .

قواعد الخدمة الداخلية وآداب السلوك

كان السلطان محمد الفاتح هو أول من وضع اصول وقواعد الخدمة الداخلية ، ولما جاء

السلطان سليم الأول وفتح سورية ومصر ، تعرف على آداب السلوك في قصور سلاطين المماليك فيها، فادخل بعض التعديلات على تنظيمات الخدمة الداخلية فى بلاطه ، والبسها ثوبا من الأبهة والتفخيم ، سيما وانه حصل على البردة النبوية الشريفة ، واتخذ لنفسه صفة خليفة المسلمين . وكان السلطان بايزيد الثانى ، والد السلطان سليم ، قد أسس مدرسة لتدريب الوصفاء وتعليمهم ، هى مدرسة غلطة سراى ، يدخلها ال أيچ أوغلانات ويتخرجون منها بعد مدة قد تطول أو تقصر حسب قابلياتهم واستعدادهم للتعلم .

وبعد تخرجهم من هذه المدرسة ينتقلون الى القصر السلطانى فيتابعون دراستهم وتدريبهم على أيدى خوجات من الخصيان البيض والوصفاء المدربين الذين لا تقل أعمارهم عن الثلاثين والذين لهم خبرة ومعرفة كافية بآداب السلوك وأصول الخدمة . وبعد انتهاء تدريبهم ودراستهم ينقلون للعمل فى الأقسام الثانوية من القصر ، فاذا ما اظهروا براعة ومقدرة استطاعوا الوصول الى منصب خادم السلطان الخاص .

موظفون بالقصر آخرون

وتجدر الاشارة هنا الى ان القصر السلطانى كان يحوى الى جانب هؤلاء الوصفاء والخصيان موظفين كبيرين هما : المسؤول عن المؤن ، والمسؤول عن الخزينة الخاصة ، كما كان يحوى عددا من الموظفين الاختصاصيين الذين تتناول واجباتهم أمورا تهم السلطان شخصيا ، كالحلاقين والمسؤولين عن « العمّة » والموسيقيين والخدم والأقزام ، والصمّ الذين يقومون بحمل رسائل السلطان أو يحضرون مقابلاته معشخصيات الدولة لحمايته دون أن يفهموا ما يجرى بينه وبينهم من أحاديث .

ويبلغ عدد الخدم الخاصين بالسلطان أربعين خادما ، ويسمى الواحد منهم « خاص أوضه لي » ومهمتهم حلاقة ذقنه ومساعدته فى ارتداء ملابسه وخدمته أثناء طعامه وغير ذلك . ويرأسهم رئيس يعرف باسم « الصلحدار آغا » أى حامل السيف. وقد احتل « الصلحدار آغا » ، اعتبارا من مطلع القرن الثامن عشر ، مركزا رفيعا فى القصر وأصبح له الاشراف على جميع شؤون الخدمة الداخلية عوضا عن رئيس الخصيان البيض ، وغدت مهمة الخصيان البيض ورئيسهم تقتصر على الاشراف على الوصفاء وتدريب المستجدين منهم .

وقد شهد القصر السلطانى أشكالا عديدة من الصراع الدامى والدسائس والمؤامرات بين رجال الخدمة الداخلية العديدين ، وكانت نتائج هذا الصراع علو قدر فئة لمدة من الزمن على حساب الفئات الأخرى تسعى خلالها هذه الفئات المغلوبة لاسترداد مكانتها عن طريق التآمر وتدبير المكائد ، فاما أن تفلح واما أن تتردى الى درك أسفل . وقد لعبت نساء الحريم فى هذا الصراع دورا بارزا تحفظ لنا بعض أخباره كتب التاريخ العثمانى . واذا كنا لا نريد الدخول فى تفاصيل هذا الصراع وأخباره ، فاننا نستطيع القول بكل ثقة وتأكيد ان الدولة العثمانية لم تجن منه الا شوكا وحنظلا وانه كان من بين العوامل التى نخرت فى جسدها وعجلت نهايتها .

عناصر الخدمة خارج القصر

اشتمل الجهاز المسؤول عن الخدمة الخارجية على عدد كبير من الموظفين ، بعضهم يسكن داخل حدود القصر السلطانى ، وبعضهم يسكن خارجه .

وكان على راس هذا الجهاز عدد من أصحاب الوظائف يحملون رتبة الآغا ، بينهم : حامل العلم ، والمسؤول الأكبر عن الخيول السلطانية ، ورئيس البوابين ، ورئيس البستانية .

حامل العلم

ويعتبر حامل العلم أعلى موظفى الخدمة الخارجية ، وهو المسؤول عن اللواء السلطانى ، والجوقة الموسيقية العسكرية التابعة للقصر ، والمراسلين الذين يحملون رسائل السلطان المختلفة .

المسئول عن الخيول

اما المسؤول الأكبر عن الخيول فكان له الاشراف على الاصطبلات التابعة للقصر والمراعى المخصصة لخيول السلطان والتى تقع على جانبى البوسفور. ويليه فى المرتبة مسؤول أصغر عن الخيول وبعهدته

حيوانات النقل والمركبات التى يستعملها السلطان فى تنقلاته .

رئيس البوابين

وكما هو متوقع فان مسؤولية رئيس البوابين هي حراسة بوابات القصر ومراقبة الداخلين الى القصر والخارجين منه . وقد عهد اليه فيما بعد بالاشراف على الاحتفالات التى تقام فى القصر . ويشترك معه فى هذه المسؤولية الوزير الأعظم الذى ما لبث أن احتكر هذه المهمة لنفسه واقصى عنها رئيس البوابين .

رئيس البستانية

ولا ينتظر المرء انيكون لرئيسالبستانية ايةقيمة تذكر ، ولكن الواقع كان عكس ذلك، اذ انه كان من اكبر موظفى الخدمة الخارجية ومقامه يلي مقام حامل العلم مباشرة . ولعل السبب فى ذلك يعود الى انه كان المشرف على استجواب واعدام موظفى القصر الذين يشك السلطان فى ولائهم ، ولانه كان يقوم على رأس جهاز يتألف من الفي رجل يعملون فى البستنة وفى اعمال اخرى . وقد جند هذا العدد الكبير من الرجال أول الأمر لاستصلاح الأراضى الوعرة التى قام عليها القصر السلطانى ولتحويلها الى حدائق وبساتين تتناسب مع جمال القصر وبهائه .

وبعد أن أتم الرجال هذه المهمة غدا عمل الكثيرين منهم بعيدا عن الزراعة كل البعد ، فاصبح بعضهم يقوم بمهمة حراسة مباني القصر المختلفة، وبعضهم يشرف على أمن البوابات الكثيرة التى تؤدى الى القصر ، وبعضهم يحرس موانىء القرن الذهبي والبوسفور وبحر مرمرة . وكان الفريق الذى يشرف على شؤون الأمن فى الموانىء يقوم بمهام الشرطة المحلية ويراقب عمليات شحن السفن وتفريغها ويمنع التهريب ويهتم بالحراج ومجارى المياه وما شابه ذلك . وقد عين السلطان بعضهم كحرس خاص ، أو عهد اليهم بقيادة السفن الخاصة به . وكان لرئيس البستانية الى جانب الاشراف على هذا الجيش من الموظفين مهام اخرى ، كتمويل مطابخ القصر بالاغنام والدواجن والطيور ورفع القمامة، والاشراف على «الحكواتية» والمهرجين والسحرة والموسيقيين الذين يؤمون القصر لتسلية السلطان وحاشيته .

الأمنـاء

وتلى طبقة الاغوات طبقة الامناء التى تحوى خمسة « أمناء » أهمهم « الشهرامينى » أى متسلم المدينة ، و « الضرب خانة امينى » أى متسلم دار المسكوكات ، و « المطبخ امينى » ، أى المشرف على المطابخ السلطانية ، وال « اربا امينى » أى المسؤول عن الشعير ، وال « قصرق شهريارى امينى » أى المسؤول عن المؤن . ومن هم دون الأمناء من موظفين لا قيمة كبيرة لهم ويتبعون الاغوات والأمناء او الخصيان وغيرهم من موظفى القصر الكبار . ويمكننا ان نذكر ضمن هذه الفئة السقائين والخياطين والفرانين والحطابين وغيرهم من اصحاب المهن .

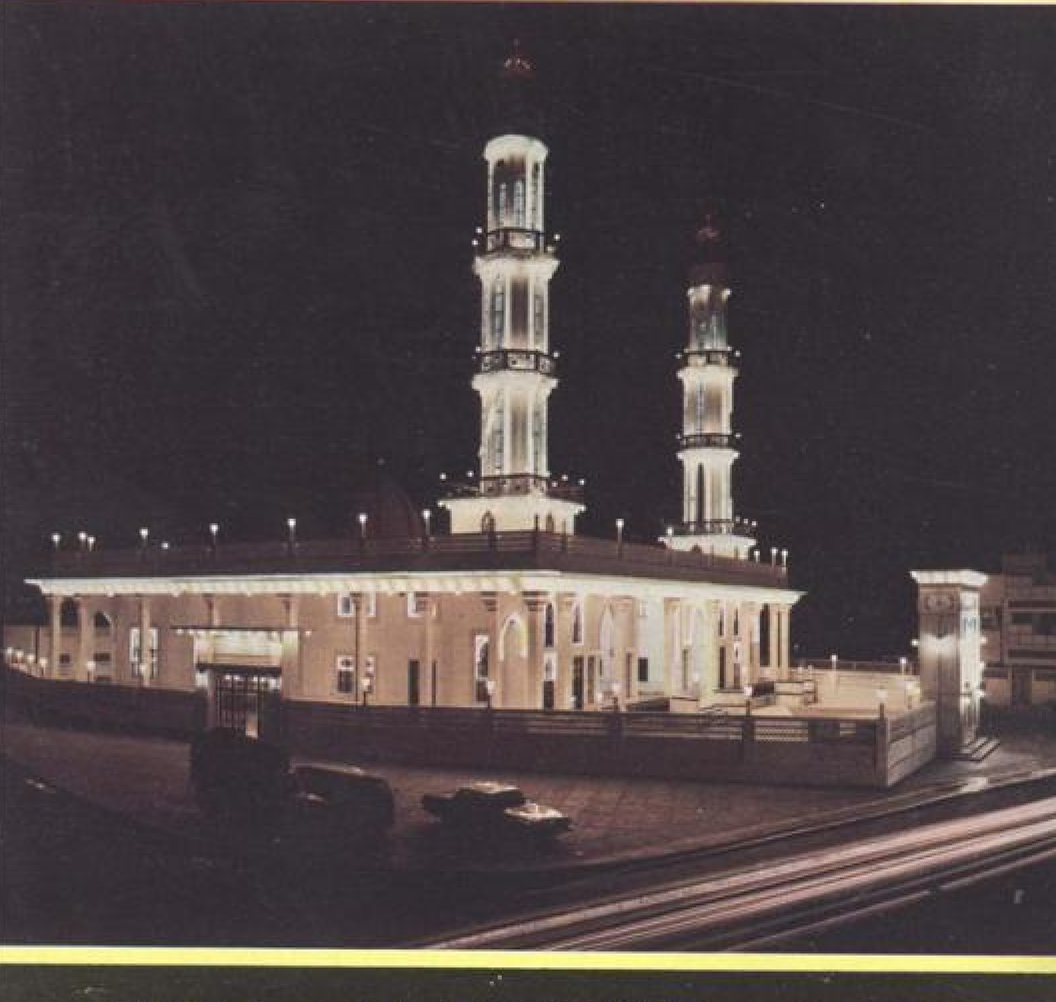
سكان القصر لم يحملوا له الولاء

وهكذا فقد كان القصر أهم المؤسسات الاجتماعية والسياسية فى الدولة العثمانية ، وكان بعناصره ورجالاته المصنع الكبير الذي يمول الدولة باداريها وعسكريها وأدمغتها المحركة . ولا بد من الملاحظة فى ختام هذا المقال أن الكثير من ساكنى هذا القصر كانوا من أصل أجنبى ، مما يستنتج منه أن عددا كبيرا ممن وقعت بين أيديهم مقدرات الدولة كانوا لا يحملون لها ولاء المواطنة واخلاص ذى النسب . بل كثيرا ما كانت أحقادهم أو مصالحهم هي منارتهم فى تصرفاتهم واعمالهم . وقد أدى هذا الى أسوأ النتائج سيما حين ضعفت أجهزة الدولة وقل اهتمام السلاطين بشؤون البلاد . ومع استشراء هذا الداء كانت الدولة العثمانية تنتقل من دور الرجل المريض الى دور الرجل الذى يدق أبواب الأبدية بكلتا يديه . ■■

نبيه عاقل

١٦٠ مسجداً في الكويت

تتحدث عن تطور النهضة الدينية والمعمارية في البلاد



■ قبل تاسيس وزارة الأوقاف كانت المساجد فى الكويت يبنيها رجال الخير فى البلاد ، ولهذا كان كل مسجد يسمى باسم الرجل الأول الذى شاده . وكان امام المسجد او المؤذن يقوم بخدمة المسجد والانفاق عليه من الايرادات التى يحصلها من اوقاف المسجد حيث أن كل مسجد يشاد لا بد من انشاء اوقاف له من بيوت ودكاكين لينفق عليه من ريع هذه الاوقاف ، فى شراء المفروشات او أجور للامام وللمؤذن وغير ذلك من النفقات التي يحتاجها المسجد من أعمال الصيانة.

وفى تلك الفترة من تاريخ البلاد كان لا بد للمسئولين عن الحكم وزعماء البلاد

◁

واهل الرأى فيها من التفكير في تأسيس مؤسسة حكومية ترعى المساجد وأوقافها ، وكذلك الأوقاف الأهلية الموقوفة على الذرية أو الخيرية منها ، ونتيجة لهذا التفكير تأسست دائرة الأوقاف العامة منذ ١٥ عاما تقريبا وشكل مجلس لها ليتولى شئونها . وكان لا بد من تعيين مدير للدائرة ... واتجهت الرغبة آنذاك نحو السيد الحاج عبد الله العبد الرحمن الصعوسى ، الذى هو وكيل وزارة الأوقاف الحالى ، وهو الذى باشر عمله بتصريف شئون الدائرة بالتعاون مع أعضاء مجلس الأوقاف .

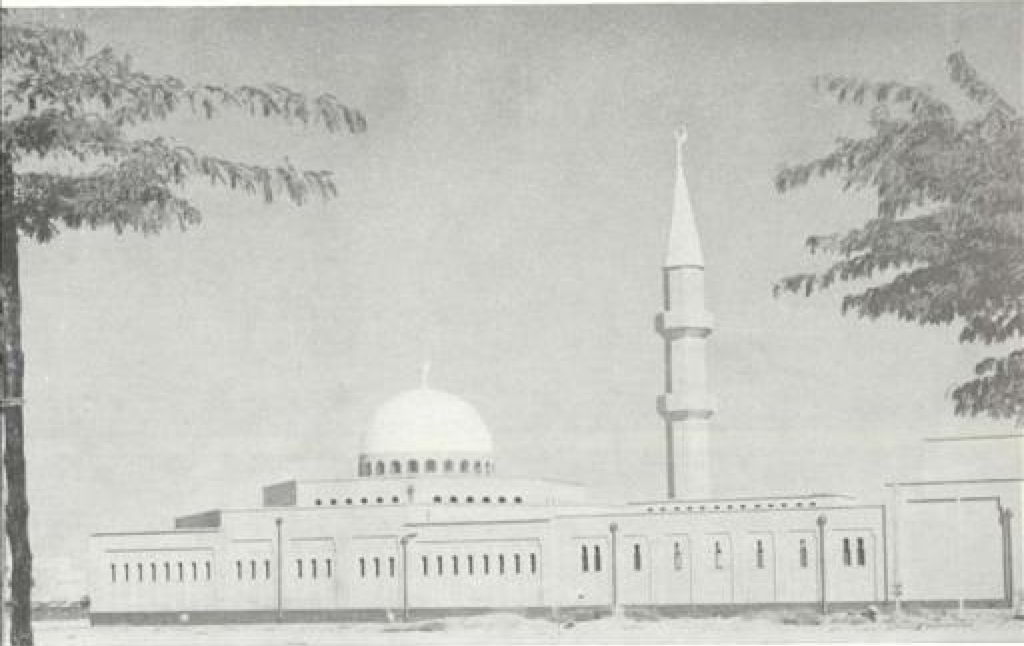
٧٢ مسجدا تصبح ١٦٠ مسجدا

وقد كان عدد المساجد حينذاك ٧٢ مسجدا منها ٥٩ مسجدا فى داخل المدينة ضمن حدود سورها الذى رفع الآن ، و ١٤ مسجدا موزعة على قرى الكويت .

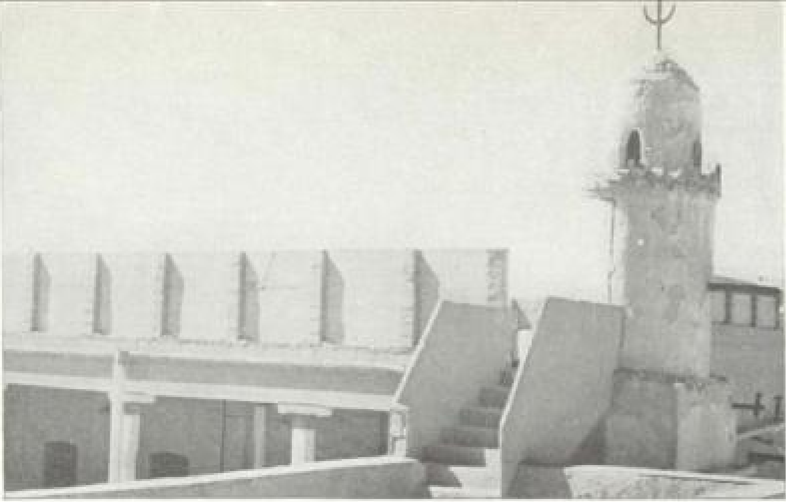
اما اليوم فاصبح فى الكويت من المساجد الجميلة الراقية ١٦٠ مسجدا منها ٦١ مسجدا داخل مدينة الكويت القديمة ، و ٢٩ مسجدا فى ضواحى العاصمة ، و ٥ مساجد فى مدينة الأحمدى ، وأربعة فى جزيرة فيلكا ، و ٦١ مسجدا فى القرى والمناطق الأخرى .

والنية متجهة الى انشاء ٤٨ مسجدا جديدا فى المناطق السكنية الجديدة خلال الخمس السنوات القادمة . وجميع المساجد فى دولة الكويت تلقى عناية فائقة من وزارة الأوقاف ، وذلك من ناحية أعمال الصيانة ، وتجديد المفروشات ، وما تحتاج اليه من مكبرات الصوت والمراوح الكهربائية وغير ذلك من الأمور . وكل مسجد له امام ومؤذن .

لقد سبق ان اشرنا الى أوقاف المساجد ونرجو

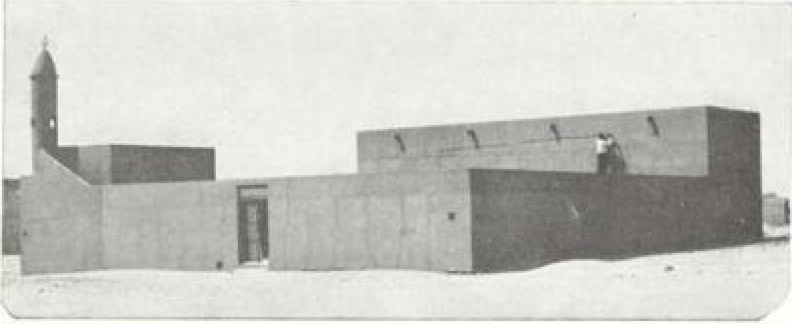


مسجد مدرسة ثانوية الشويخ وتقام فيه صلاة الجمعة ويؤمه المدرسون والطلاب وسكان المناطق المجاورة لثانوية الشويخ والقريبة منها .



مسجد الحداد .. **وهو** أحد المساجد القديمة الواقعة داخل مدينة الكويت .

مسجد الفنيطيس : احد المساجد التى أنشأتها وزارة الأوقاف فى قرى الكويت فى منتصف عام ١٩٥٥ .



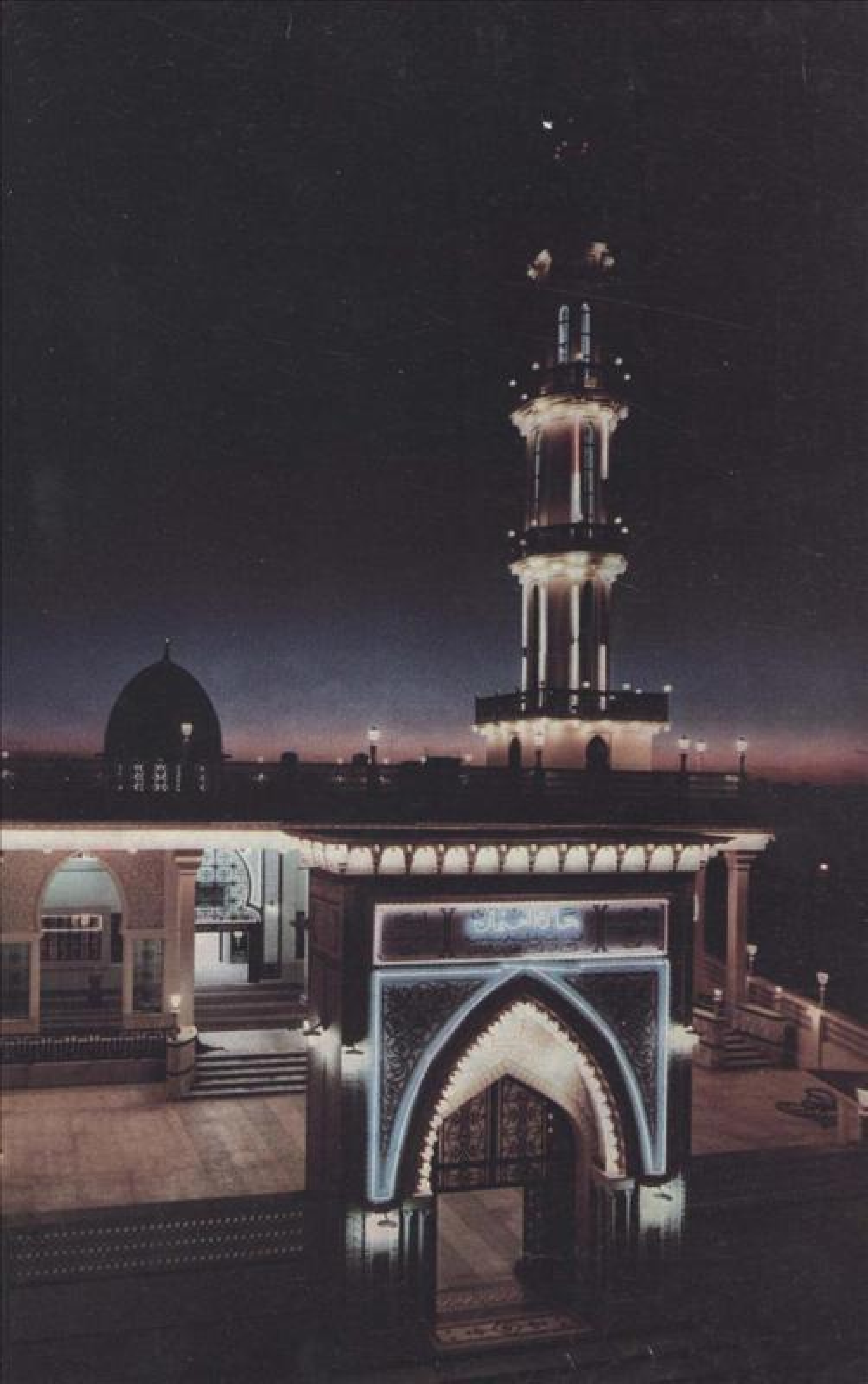
أن نوضح أن معظم المساجد فى الكويت لها أوقاف من بيوت ودكاكين ، وقد تناولت أعمال التنظيم فى مدينة الكويت أغلب هذه الأوقاف فأزالتها ، ونتيجة لذلك قامت الوزارة ، من المال المتحصل من التعويض عن هـــذه العقارات ، بشراء عقارات لحساب المساجد التى اشترت الحكومة أوقافها ، وحاليا يوجد لدى الوزارة ٦ بنايات لحســاب أوقاف المساجد .

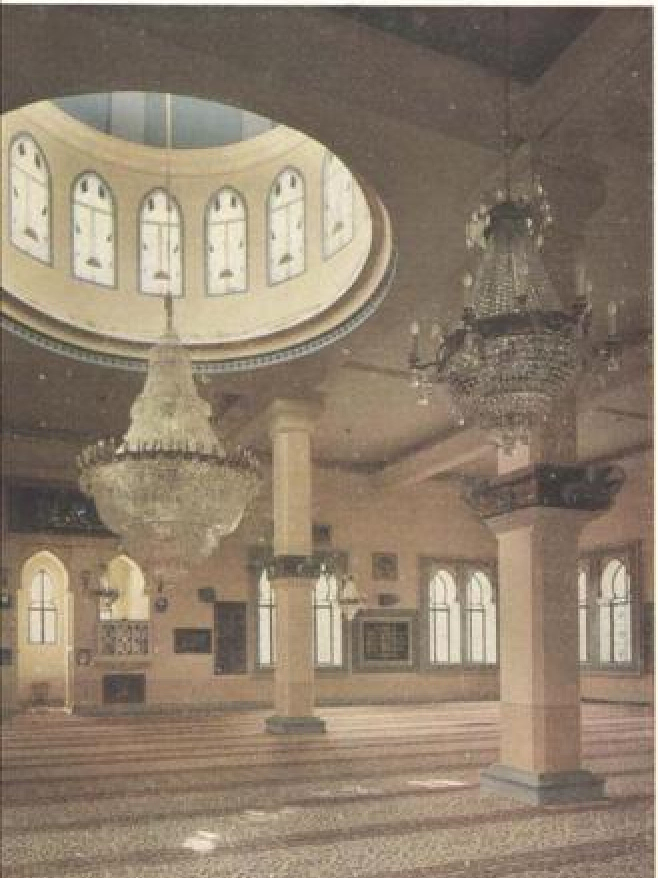
وكذلك يوجد عـــدد من البيوت والدكاكين المستقلة موزعة فى المدينـة والقرى وهى ٩١ بيتا و ١٦٣ دكانا .

ومما يجدر الاشارة اليه ان وزارة الأوقاف لها ميزانية مخصصة كسائر ميزانيات وزارات الدولة حيث ان الحكومة هى التى تتولى مسئولية الانفاق على انشاء المساجد وصيانتها وكذلك اوقافها ودفع رواتب موظفي الوزارة وبقية المصروفات الأخرى كما ان جميع ايرادات الوزارة التى تحصلها من العقارات الموقوفة على المساجد توردها لحساب الخزانة العامة (وزارة المالية والصناعة) .

طراز مبانى المساجد وتطورهـــا فى الكويت

لقد سبق ان أشرنا الى ان المساجد فى الكويت كان









نجفة من الكريستال تتدلى من قبة مسجد العثمان وقد زينت جدران المصلى بالآيات القرآنية ، وخصص منه مكان للنساء .

مسجد الحاج عبد الله عبد اللطيف العثمان في محافظة حولي ، وقد أسسه على نفقته الخاصة . ويمتاز هذا المسجد بارتفاع مئذنتيه كما يمتاز بالزخرفة والنقوش التي تزينه من الداخل والخارج .

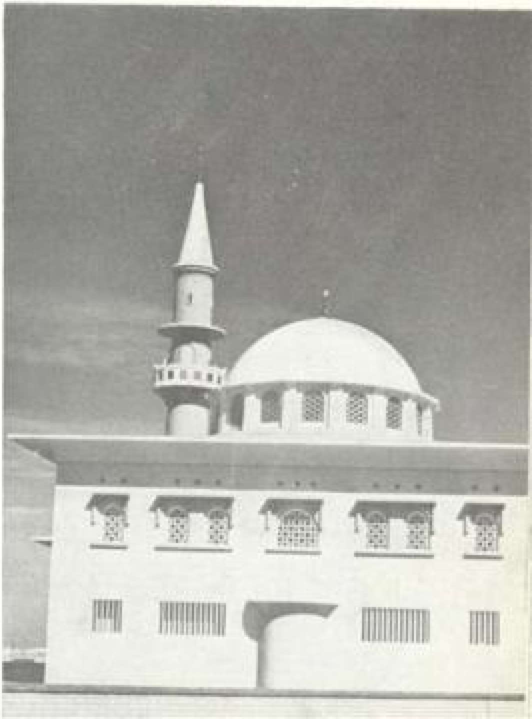


مسجد « جيوان » وقد أسسته وزارة الأوقاف عام ١٩٥٦ وبلغت تكاليف بنائه أكثر من نصف مليون روبية ، وقد روعي في بنائه الطراز العربي المبسط ويمكن القول انه مشتق من الطراز الاندلسي مع بعض التغيير البسيط .



احد مساجد الضواحي السكنية الجديدة في الكويت ويلاحظ أن الطراز يشبه المساجد الموجودة في تركيا .

نموذج آخر من المساجد التي انشئت في الضواحي السكنية الجديدة في الكويت .



بنيها رجال الخير بالبلاد ، وبعد تأسيس وزارة الأوقاف أعيد تجديد ابنية أغلب هذه المساجد بالاضافة الى المساجد الجديدة . ومن هذا يتضح أن المساجد القديمة بالبلاد قد بنيت على الطريقة البدائية ولم يراع فيها أي طراز معماري من الطرز المعروفة ، ولكن يمكن القول انها بنيت مقاربة للمساجد الأولى التي بنيت في صدر الاسلام .

وقد روعي في بنائها أن تكون ملائمة للجو في الكويت فقسمت الى خلوة ، وليوان ، وحوش مكشوف تؤدى الصلاة في كل منها في الوقت الذي تلائمه .

نماذج لبعض المساجد ..

والآن نستعرض بعض نماذج المساجد لأخذ فكرة عن التطور الذي طرأ عليها .

١ ـ مسجد السوق الكبير : **هذا المسجد يعتبر من اكبر المساجد داخل المدينة القديمة ، ويتسع لحوالي ثلاثة آلاف مصلٍّ ، وهو يتوسط المنطقة التجارية ، لهذا فان الوزارة تقيم فيه جميع احتفالاتها الدينية ، وقد بنيت مئذنته على الطراز العربي الفاطمي ، وزُيّنت محرابه وجدرانه بالآيات**



مسجد السوق الكبير : ويقع فى شارع الأمير داخل مدينة الكويت ، وقد جددته وزارة الأوقاف العامة قبل عشر سنوات وبلغت تكاليف تجديده حوالي خمسين الف دينار ، وهو من اكبر مساجد الكويت اذ يتسع لحوالي ثلاثة آلاف شخص ، وقد بنيت مئذنته على الطراز العربي الفاطمي .

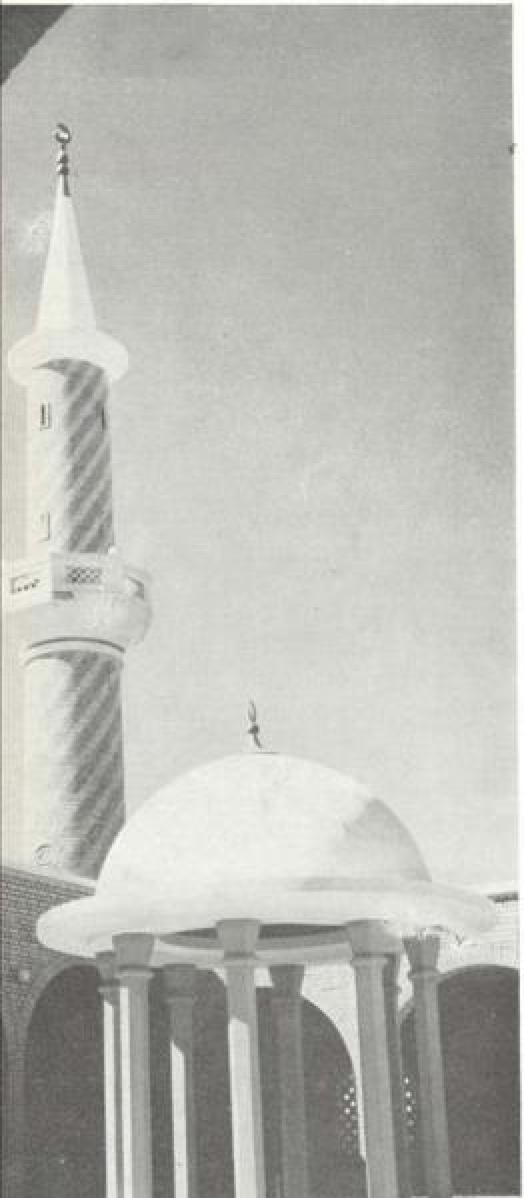
القرآنية الكريمة والنقوش البديعة ، وقد جددت الوزارة بناءه فى سنة ١٩٥٢ م .

٢ ــ مسجد الشملان : **ان هذا المسجد من المساجد الحديثة التى بنتها وزارة الأوقاف فى سنة ١٩٥٩ م .**

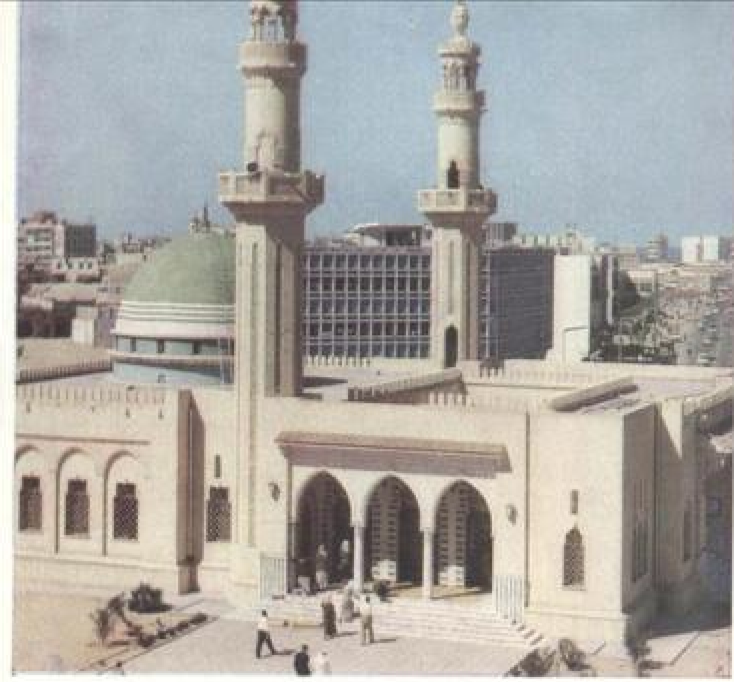
وقد روعي فى بنائه الطراز العربى الفاطمى ، وقد زاد على ذلك الطراز اضافة مئذنة ثانية ، حيث أن المساجد فى ذلك العصر لم تبن الا بمئذنة واحدة ، ولكن بسبب وضع المسجد فى ميدان يتوسط المدينة بنيت له مئذنتان لتجميله .

٣ ــ مسجد الجيوان : **لقد بني هذا المسجد فى سنة ١٩٥٦ م ، وقد روعي فى بنائه الطراز العربى المبسط ، ويمكن القول انه مشتق من الطراز الاندلسى مع بعض التغيير البسيط .**

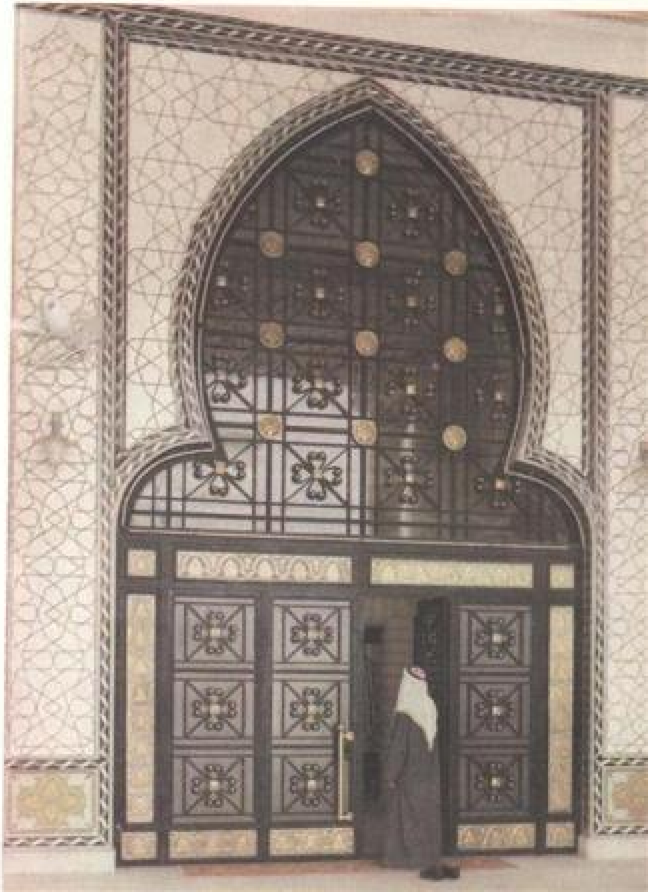
٤ ــ مسجد ضاحية الدسمة : **ان طراز بناءهذا المسجد يشابه كثيرا طراز المساجد التى انشئت فى تركيا ، وهى مقتبسة من مسجد أيا صوفيا بالاستانة ، وطرازها المعمارى قوطى . والجمال المعماري فى هذا المسجد قائم من حيث أن أسقفه وقبته لا تقومان على أعمدة اطلاقا .**



فناء أحد المساجد الحديثة فى الكويت ، ويرى فى الصورة مكان الوضــوء والمئذنة والليوان .



مسجد الشملان . وهو من المساجد الحديثة . وقد تم بناؤه في سنة ١٩٥٩ وروعي في بنائه الطراز العربي الفاطمي ولكنه يختلف عنه باضافة مئذنة ثانية . وقد بنيت هذه المئذنة الثانية لتجميل المسجد الذي اقيم في ميدان يتوسط المدينة .



احد الأبواب الداخلية في احد مساجد الكويت وهو مبني على الطراز العربي الاسلامي وروعي في بنائه تزيينه بالزخارف والنقوش الجميلة .

نتيجة مسابقة العدد الستين

الأسماء المطلوبة .. والفائزون بالجوائز

■ على الرغم من ان أسئلة هذه المسابقة كانت تدور حول بعض المعلومات الأولية التى يجب أن يحيط بها كل عربى ، الا ان الكثيرين ممن اشتركوا فى الاجابة عنها قد تخبطوا فى اجاباتهم تخبطا واضحا . فاخطأ بعضهم فى اسماء بعض رؤساء الدول العربية ، واخطأ آخرون فى أسماء الدول التى تقع فيها بعض المدن التى كانت موضوع السؤال الثالث فقال بعضهم ان طبرق فى تونس ، وقال غيرهم ان بنزرت فى المغرب ، أو ان فاس فى الجزائر ، وان وهران فى ليبيا !

مع ان الاجابة الصحيحة لهذا السؤال هي :

الظهران : السعودية . المنصورة : ج.ع.م . عطبرة : السودان . بيت لحم : الأردن . القامشلى : سورية . كركوك : العراق . طبرق : ليبيا . بنزرت : تونس . وهران : الجزائر . فاس : المغرب . الاحمدى : الكويت .

وفى السؤال الخامس خلط أكثر المشتركين فى المسابقة بين امارات الخليج العربى وامارات الجنوب العربى ، فذكروا ان من بين امارات الخليج : عمان ، وعدن ، وحضرموت ، وكلها من امارات الجنوب العربى .. أما امارات الخليج المطلوب ذكر أربع منها فهى : البحرين ، قطر ، ابو ظبي ، دبي ، الشارقة ، ام القيوين ، عجمان ، الفجيرة ، رأس الخيمة . وعاصمة كل منها تحمل اسم الامارة التى هى عاصمتها ، عدا البحرين وعاصمتها المنامة ، ثم قطر وعاصمتها الدوحة .

وباجراء عملية القرعة بين الاجابات الصحيحة فاز بالجوائز كل من :

١ ـ **الجائزة الأولى** وقيمتها ٣٠ دينارا : فازت بها **الطالبة فريال محمد عبد العزيز** ـ متوسطة الكاظمية للبنات ـ الكرخ ـ بغداد ـ العراق .

٢ ـ **الجائزة الثانية** وقيمتها ٢٠ دينارا : فاز بها **علي عبد الرحمن محسن** ـ ثانوية حنتوب ، داخلية ، دينار ـ واد مدني ـ السودان .

٣ ـ **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠ دنانير : فاز بها **خالد زعرب** ـ ص.ب ١٤٥١ بيروت ـ لبنان .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها :

١ ـ **هنيدي رشاد هنيدى** : كلية الطب ـ جامعة بيزا ـ ايطاليا .

٢ ـ **رشيد حمد الحمد** : ص.ب ١٨٥ ـ الكويت .

٣ ـ **حارب مسعود** : بواسطة ممثل الحاكم لشؤون النفط . جزيرة داس ـ أبو ظبي ـ ص.ب ٢٢٠ بواسطة البحرين .

٤ ـ **سميح حسن باكير** : كلية الهندسة ـ جامعة الاسكندرية ـ الاسكندرية ـ ج.ع.م .

٥ ـ **محسن غانم** : المجلس الاعلى للعلوم ـ شارع ابي العلاء ـ دمشق ـ سورية .

٦ ـ **فؤاد محمد مؤمنة** : زقاق الوزير ـ سوق الليل ـ مكة المكرمة ـ السعودية .

٧ ـ **يعقوب يوسف كايد جباره** : قلقيلية ـ الاردن .

٨ ـ **سليم عوض العيشان** : مدرسة ناصر الثانوية ـ غزة ـ فلسطين .

وسترسل الجوائز الى مستحقيها ■■

أنباء الطب والعلم .. والاختراع

اللغة العلمية الاولى

● نشر الاتحاد العلمي الدولي ارقاما دلت على أى اللغات هى الأكثر استخداما فى مؤتمراته العلمية . وقد كانت الانجليزية أكثر استخداما ، فقد استخدمت فى ٢٥٠ رسالة مكتوبة ، ٢٠٥ مقالة منطوقة . وجاءت الفرنسية فى أعقاب الانجليزية ، فبها ٢٤٢ رسالة مكتوبة ، و ٢٠٥ مقالة منطوقة ..

وتأخرت سائر اللغات عن كلتا اللغتين فى هذا الصدد كثيرا . فالالمانية لها من الاولى ١٢١ ومن الثانية ١٢٧ ، والاسبانية ٤٧ و ٤٥ ، والطليانية ٢٤ و ٢٤ .

وبالطبع هذا لا يدل على مقدار تقدم العلوم بهذه النسب فى هذه البلاد .

راى للمناقشة :

هل «بلوغ الصبية» هذه الأيام ، يأتى حقا أبكر مما كان؟

● هذا ما سبق ان اوردناه . ولكن قام السير فرنسيس ولش Walshe رئيس المعهد الملكى للصحة العامة بلندن، يعارض هذا الرأى فى جريدة التيمس . وقام آخرون يعارضون ذلك بمثل ماقام . ومن حججهم التى اوردوها ان سجلات هذا العصر الحاضر تدل على أن الصبية الذين يغنون فى الكنائس ، فى هــذه السنوات الحاضرة ، تنشرخ وتخشوشن اصواتهم ، علامة البلوغ ، عند سن السادسة عشرة . وكذلك هناك صور أخرى منذ مائة عام لصبية فى سن السادسة عشرة لهم شوارب غزيرة نامية ، دلالة على تبكير البلوغ ، قبل هذه السن ، الذى كان يقع عند ذاك .

وكحجج فى الصبية الذكور ، حجج ساقوها فى أمر البنات . فالبنت عند هؤلاء المعارضين ، لم ينزل السن التى تبلغ فيها من ١٧ عاما فى الماضى الى ١٣ عاما فى العصر الحاضر .

والظاهر ان الذى يريد المعارضون ان يقولوه ان سن البلوغ تتارجح اليوم بين سن ١٣ وسن ١٧ ، بمثل ما كانت تتارجح فى القديم من الزمن .



بركان هذا ؟

● لا .. ليس هذا ببركان . انما هو محرك صاروخي تجرب الولايات المتحدة قوة دفعه عند اشتعاله، بكلفورنيا. فهو سوف يستخدم فى رفع الصاروخ «تيتان الثالث ج» الى السماء ، فى مرحلته الأولى ، هو واخ له فى مثل قوة دفعه .

ان طول هذا المحرك الصاروخي ٢٣ مترا ، ووقوده ليس بالسائل ، وانما هو صلب من بدرة البروبارجول ، وقوة دفعه بلغت ٥٠٠ طن ، ولهبه امتد ٦٠ مترا الى السماء .

٢٧٥٠٠٠٠ شخص يعملون فى العلم والتكنية بالولايات

● هكذا دل الاحصاء فى الولايات المتحدة . وهذا العدد قد أخذ فى الزيادة فى العشرات الأخيرة من السنين فوق النسبة التى كانت تتطلبها زيادة عدد السكان عامة، او حتى زيادة عدد العمال .

ووزّع الاحصائيون هذا العدد على فئاته المختلفة فخص العلماء ، بما فيهم العلماء الاجتماعيون، ... ٥٠٠... شخص، وخص المهندسين... ... ١ شخص، وخص التكنيين... ... ١ شخص، وخص مدرسى العلوم والرياضة ٢٥٠٠٠٠ شخص فى التعليم الثانوى وحده .

هذه هى احصاءات التقدم ، ودلائله، فى الأمم ذات السيادة اليوم . فكم عند الاخرين من التكنيين ، وكم عندهم من العلماء . وكم عندنا ؟ أعنى فى الوطن العربى كله ، ولو ممن يقراون العلم ، ويستسيغون، ولو عشر استساغتهم من الشعر ارخصه ، ومما يسمونه بالأدب اخفه وافرغه .



واحد يموت واثنان يولدان

● نعم . هذا ما يجرى الآن فى الدنيا . فرد يموت، مقابل اثنين يولدان .

فالى متى تظل هذه الزيادة قائمة ، وماذا يكون من امر الناس على الارض؟!

الروس ، يعزفون عن بلوغ القمر ، الى حين ؟

● العالم الفلكى اللاسلكى البريطانى الشهير ، السير برنارد لفل Bernard Lovell عاد فى اواخر الصيف الماضى من روسيا ، بعد ان طاف بها نحوا من ١٢٠٠٠ ميل ، زار فيها المراصد الفلكية اللاسلكية ومحطات تتبع الاجرام الفضائية الصناعية. وهو قال عند عودته ، وقبل ان يفصح الروس عن شيء من ذلك ، ان الروس لا يخططون لارسال رجل الى القمر ، وبهذا يتركون للامريكان امر السباق ، لا يسابقون فيه الى القمر احدا . وقال عندئذ انه خال ان العلماء الروس لا يرون انه من المرغوب فيه ، من الوجهة العلمية او من غيرها من الوجهات ، ارسال رجل الى القمر فى المستقبل المنظور . وهم يعتقدون انهم يستطيعون ان يحصلوا على كل ما يرغبون من معلومات عن القمر بارسال الادوات الناظرة والحاسبة والمسجلة ، يرسلونها الى اجرام الفضاء بدل الانسان . ومما بنوا عليه وجهة نظرهم هذه امران : الامر الاول : صعوبة وقاية رجل الفضاء من اشعاع ينطلق من الشمس نتيجة فورة باغتة فيها . والأمر الثانى : صعوبة الرجوع برجل الفضاء مرة أخرى الى الأرض .



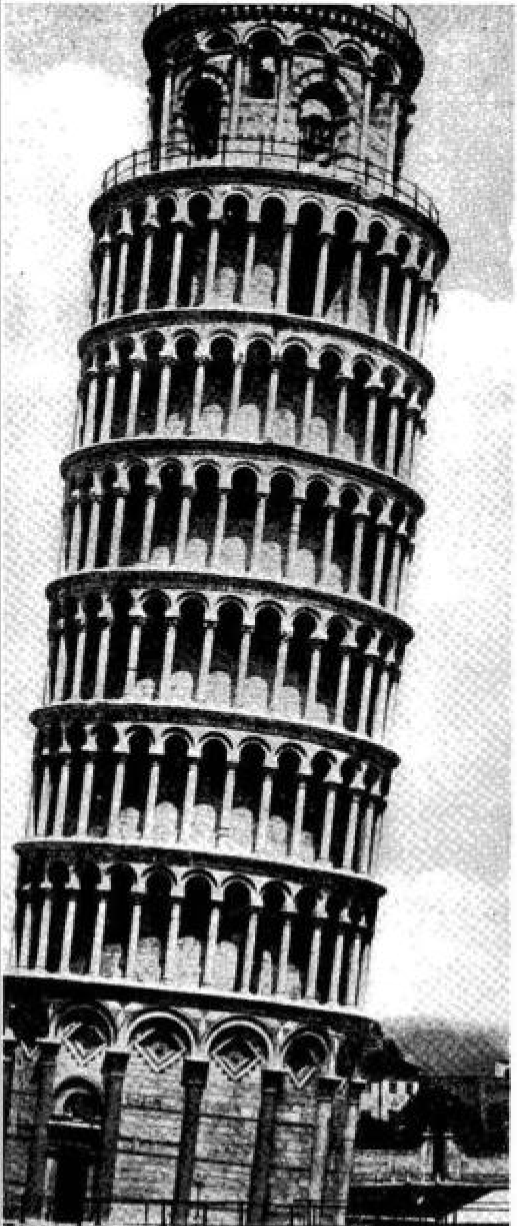
هذا ما ارتآه العالم الانجليزى بعد طوافه بروسيا . ثم حدث بعد ذلك احداث قلبت الأمور ظهرا لبطن (راجع ركن الفضاء والذرة فى هذا العدد) .

الماء .. الماء
حاجة الناس منه تزيد ،
وموارده لا تكفى !

● العِقد هو عشر سنوات . وفى العشر السنوات التى تبدأ من اول يناير ١٩٦٥ سيبدأ تنفيذ خطة عالمية لدراسة الماء العذب ، وحركته بين الجو والأرض ، وفى الأرض اذ يجرى فى الأنهار الى البحار ، وما يجرى منه كذلك الى باطن الأرض فتتكون منه المياه الباطنية التى نصل اليها بحفر الآبار .

ان محصول الكرة الأرضية من الماء كثير ، ولكن سكان الأرض يتكاثرون كل عام ، وحاجاتهم الى الماء تزداد ، فى زراعة ، وفى صناعة ، وفى الشئون المنزلية والصحية والبلدية عامة . وسيأتى وقت ليس بالبعيد يصبح الماء فيه عزيز النوال بالمقدار الذى تعوده الانسان .

وسيقوم بهذا المسح ، وهذه الدراسة ، علماء الأمم جميعا متعاونين ، وقد بلغ عدد الأمم المشتركة فى هذه الدراسة الخمسين . وفيها تشترك منظمة اليونسكو ، والاتحاد الدولى للمسح الأرضى والطبيعة الأرضية ، وغير هذه من الجمعيات .



انفصام الشخصية بعض الجنون

● انفصام الشخصية مرض عقلى من العن الأمراض. ان المريض به ينفصم عن الحياة الجارية ، ويعيش فى نفسه فى عالم خيالى من صنع نفسه . ولعل لنا فى هذا المرض كلمة اطول فى المستقبل.

والخبر الذى نورده هنا ان هيئة الصحة العالمية خرجت ، بعد تحقيقات عديدة ، على ان احتمال الاصابة بهذا المرض بين الناس يبلغ واحدا من مائة . فاذا كان احد الأبوين مصابا به ، زاد احتمال اصابة الأولاد به فصار نحوا من ١٠ فى المائة . اما اذا كان الأبوان كلاهما مصابا به ، فاحتمال الاصابة تبلغ ٥٠ فى المائة .

ان هذا المرض نوع من الجنون ، وقانا الله شره .

برج بيزا : احتمال انهدامه فى اى ساعة

● انه البرج الشهير بمدينة بيزا Pisa بشمال ايطاليا . انه برج بدأوا بناءه فى القرن الثانى عشر الميلادى ، واتموه فى القرن الرابع عشر ، وهو ذو طبقات ثمانية ، يحوط كل طابق اقواس تحملها اعمدة من رخام . وهذا البرج مزار من مزارات ايطاليا الشهيرة ، يقصد اليه كل سائح فى ايطاليا ليراه . والعجيب فيه ميله ، وهو مع الميل لا يسقط . ان ارتفاعه ١٨٠ قدما ، وقطره ٥١ قدما ، ومحوره مال عن الخط الراسى بمقدار ١٤ قدما. وهذا الميل لم يكن مقصودا عند بنائه . فهو مال لضعف الارض التى قام عليها .

والخبر الجديد فى هذا ان الأستاذ الايطالى لفيو تريفزيان اعلن ان هذا البرج على وشك السقوط ، وذلك لأن الضغط الجانبى ، الذى يحدثه الجزء السفلى من البرج اليوم على مايمس من ارض تقيمه ، قد بلغ ١٠ كيلوجرامات فى السنتى متر المربع الواحد ، مع ان هذه الأرض، المفروض فيها أن لا تحتمل أكثر من ٨ اجزاء من عشرة من الكيلو الواحد .

العلم ومكانه فى الدولة

● ثورة على التقاعس عن استخدام العلم فى الصناعة وسائر صنوف الانتاج ، تقوم هذه الايام فى انجلترا ، من حيث نموها الاقتصادى ، ذلك الذى بسببه تكاد ان تتخلف عن سائر أمم الغرب . ولقد حمل حزب العمال المعارض ، فى هذا الصدد، على حكومة المحافظين حملة شعواء . ورد وزير العلم ، اللورد هيلشام ، ردا عنيفا باسم المحافظين ، فيه نقاط نافعة .

منها أن حقائق العلم الحاضرة وما تكشف منها ، فيها اليوم الكفاية كل الكفاية لدفع التكنيئة ودفع الصناعة الى الأمام . ولكن يجب على الصناعيين أن يطلعوا عليها ويتدبروها للاستفادة منها .

ومنها أنه ليس فى الحكومة ، اية حكومة ، وزارة واحدة تستطيع ان تقوم باستخدام كشوفات العلم فى شتى المجالات الاقتصادية . فهذا الواجب لا بد أن يتقسم . فتقوم وزارة الزراعة باستخدام العلم فى تقدم الزراعة . وتقوم وزارة الصناعة فى استخدام العلم فى تقدم الصناعة ، وتقوم وزارة الصحة بتقدم الصحة والطب . وهلم جرا .

ومنها أن وزارة العلم انما تقوم بالتخطيط العام ، برسم سياسة العلم ، ومراقبة تطبيقه فى سائر الوزارات ، والمناسقة بين خطتها هذه العلمية وخطة البلاد الاقتصادية .

الحبوب المانعة للحمل

● يقول أستاذ من أساتذة الاجتماع فى جامعة شهيرة ، ان الذين ابتدعوا حبوب منع الحمل بذلوا كل جهودهم العلمية فى مجال الكيمياء ومجال وظائف الأعضاء والجهاز التناسلى وكيف يعمل . ونسوا مجالا من أهم المجالات ، ذلك المجال النفسانى عند المراة .

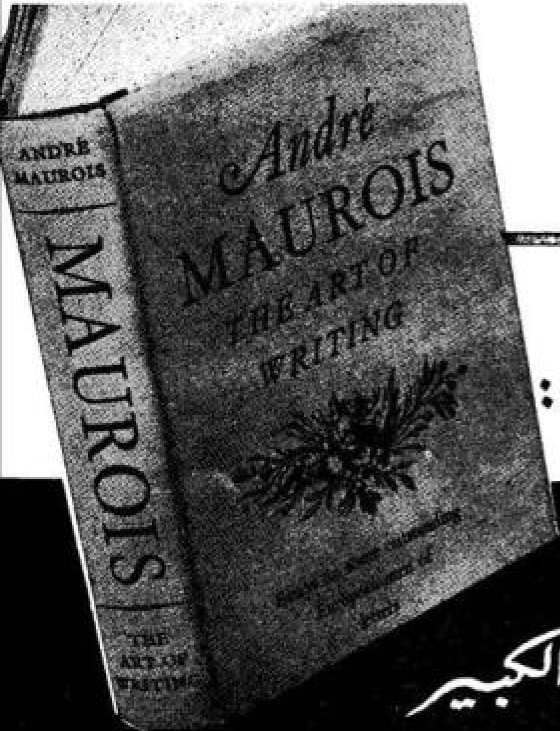
وهو يقول انه لا بد من دراسة النوازع التى تنزع بالمراة الى انجاب الاولاد ، والحد الذى تريد أن تقف عنده ، اولا تريد أن تقف .

وهو يقول ان هذه النوازع تختلف باختلاف البيئة ، من متحضرة ، ومن متخلفة ، وبمقدار ما بها من ثقافة ، وبمقدار ما تختلف هذه الثقافات .

وهو يقول لا بد من تحضير المراة نفسانيا ، قبل ان نعلمها كيف تستخدم هذه الحبوب جثمانيا . ويجب أن نمهد لهذا الأمر فى المجتمعات الانسانية ، على اختلاف العقائد ، واختلاف العادات . ويجب أن نرد امر المنع ، منع الحمل ، لا الى ما يصيب العالم من كثرة السكان ، فهذا ما لا يفهمه أكثر نساء الأرض ، وان هن فهمنه ، فهن لا يبالينه ، ولكن لا بد من رده الى نفع قريب ، يتصل بصحة المراة ، وصحة ابنائها وزيادة الغذاء الذى يتوفر لها ولابنائها وزيادة الكساء والراحة الدنيوية من كل وجه .

ماذا يهم امراة فى السنجال أو فى الهند أو حتى فى روما أن يصبح سكان الأرض خمسة بلايين او عشرين بليونا .

عقوبة تاتى بسبب اطلاق النسل ما أبعدها عن حاضر كل امراة من نساء الدنيا .



نقد كتاب الشهر

٣ أحداث كوّنت :
جيته
أديب ألمانيا الكبير

بقلم : الدكتور محمود السمره

■ أندريه موروا André Maurois أديب فرنسي مشهور ، عرف بكتبه التي ذاعت وانتشرت عن : شلي (١٩٢٣) ودزرائيلي (١٩٢٧) ، وبيرون (١٩٣٠) ، وفولتير (١٩٣٢) ، وديكنز (١٩٣٤) ، وشاتوبريان (١٩٣٨) ، وجورج صاند (١٩٥٢) ، وفيكتور هوجو (١٩٥٣) . ولأندريه موروا قصص عديدة ، وكتب في فن الحياة . كما انه ترجم لنفسه في كتابين صدرا في عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٣ (١) .

وأندريه موروا هو الاسم الأدبي لهذا الأديب الفرنسي المشهور ، أما اسمه الحقيقي فهو اميل هيرتزوج Herzog . وقد ولد موروا عام ١٨٨٥ ، ودرس الفلسفة . وكان في الحرب العالمية الأولى ضابط ارتباط بين القوات الانجليزية والفرنسية. وارتحل في الحرب العالمية الثانية الى الولايات المتحدة الامريكية وبقي فيها الى عام ١٩٤٦ حيث عاد الى وطنه .

ومنذ عام ١٩٣٨ وأندريه موروا عضو في الاكاديمية الفرنسية ، وخير ما صدر عنه من دراسات « الأدب الفرنسي الحديث » (١٩٤٦) لسورات ، و « أندريه موروا » (١٩٥٣) لدروا (٢) .

★★★

وآخر كتاب صدر لأندريه موروا بالانجليزية هو هذا الكتاب الذي نقدمه ، وقد صدر عام ١٩٦٠ ، وكان هذا الكتاب قد صدر قبل ذلك

1 - I remember, I remember ; Call No Man Happy .
2 - D. Saurat, Modern French Literature; M. Droit, André Maurois .

بالفرنسية عام ١٩٥٧ . والكتاب في ثلاثة عشر فصلا يتناول كل فصل موضوعا مستقلا . والفصل الأول دراسة للكتابة كفن وفيه توجيهات للكتاب الناشئين . اما الفصول التالية فتتناول باسلوب رشيق ممتع جوانب من فولتير ، وجان جاك روسو ، وستندال ، وبلزاك ، وفلوبير ، وبروست ، وجيته ، وجياكومو ليوباردي ، وتولستوي ، وتشيكوف ، ونيكولاي جوجول ، وترجنيف .

والصفة البارزة في كل هذه الفصول هي أنها مغرية بالقراءة ، واذا بدأ القارىء بمطالعتها لا يستطيع ان يتركها ، لأن الكاتب يعرض هذه الموضوعات عرضا جذابا مشوقا . ولا ينقص من قيمة هذه الفصول أن كثيرا من المعلومات التي فيها معروفة عند الدارسين . ان أندريه موروا يتناول الحقائق المتناثرة ، فيكسبها حياة ، وخير مثال على ذلك الفصل الذي أفرده للشاعر الايطالي ليوباردي Leopardi فهذا الفصل لا يعدو أن يكون في مادته تلخيصا لكتاب أوريجو Origo عن هذا الشاعر ، ولكن أندريه موروا يعرض هذه المادة في أسلوب رشيق ، ويسلط عليها أضواء وتفسيرات جديدة،بحيث تبدو شيئا جديدا ترضى به النفس أكثر من رضاها عن كتاب (أوريجو) .

★★★

وهناك صفة أخرى بادية في هذا الكتاب هي التواضع : فاندريه موروا يتناول هذه الشخصيات التي يدرسها بحنو وحب ، ويدعو القارىء الى أن يحبها ، ويبين له بطريق غير مباشرة لماذا هي جديرة بحبه واعجابه . ونحن لا نجد في هذه الدراسات ذلك التعالي الشائع عادة عند النقاد ، في محاولتهم لاظهار تفوقهم وسعة معرفتهم . كما يورد المؤلف أدق التعليقات واعمقها دون أن يقدم لها بما يوحي بأنه انما يأتي بشيء جديد ذي قيمة ، كما يفعل أكثر الكتاب عادة .

والواضح من طبيعة هذا الكتاب أن من الصعب تناوله كله ، ولهذا احببت أن أقف عند فصل منه ، ذلك هو الفصل الذي يتناول فيه جانبا من حياة « جيته » أديب ألمانيا الكبير .

★★★

نحن الآن في عام ١٧٧٥ ، وفي فرانكفورت ، والفتى يوهان كسبر جيته Johann KasparGoethe في سن السادسة والعشرين . انه فتى موهوب ، وهو يعرف هذا . يعرف منذ أن كان ابن ست سنوات انه لن يكون انسانا عاديا ، اذ يروى عنه انه قال وهو في هذه السن : « ان آلهة الحظ تسير في ركابي ولن تتخلى عني » .

وكان جيته انيقا ، جذابا ، يهوى الجمال أينما وجد : في الطبيعة والانسان . وكان الى جانب هذا ذا مزاج حاد ، ويتمتع بحيوية لا تعرف الكلل . اما المرأة فقد عاش حياته متنقلا من هوى الى هوى ، لأن الحب كان عنده ضرورة لابداعه . ولهذا كانت قصص النساء اللواتي شقين بحبه كثيرة ، ولم يكن يحس ازاء هذا بتأنيب الضمير ، وكان يقول : « ان من القواعد التي وضعتها العناية الالهية هي الا يسمح للأشجار بالوصول الى السماء » !

★★★

ومع هذا فقد احب جيته وتعذب ، وكاد في مطلع شبابه ان يقدم على الانتحار من اجل من احب : فقد تزوجت فتاته شارلوت بأحد اصدقائه ، لأنه رفض أن يتزوجها ايمانا منه بان الزواج يقتل مواهبه . وعزم جيته على الانتحار ، واخذ يقضي الليالي وخنجره بجانبه ، ولكنه بدلا من أن ينتحر ، افرغ انفعالاته في قصة من روائع القصص العالمي ، هي القصة الشهيرة « آلام فيرتر » وجعل البطل في آخرها ينتحر لأن فتاته تزوجت من غيره . وقد كان لهذه القصة دوي كبير في أوروبا كلها ، حتى لقد أقدم كثير من المحبين الفاشلين في حبهم على الانتحار بعد قراءتها . اما جيته فقد شفته هذه القصة من حبه ، لأنه أفرغ فيها كل عواطفه ، وقد قال بعد

الفراغ منها : « لقد تألمت كثيرا ، ولكن الألم كان الشمعة التي أضاءت نفسي ، وأثارت مواهبي .. وها أنا أعود كما كنت ، سليما معافى » .

★★★

وقد نشأ جيته في عصر كان الادب الرومانسي في اوجه ، وهو ادب ثائر على المجتمع القائم ، ثائر على الادب الكلاسيكي المؤمن بالعقل ، مؤمن بالنفس البشرية ، بما فيها من صخب وعنف ، وقد جعل هذا الادب همه الكشف عن اعماق هذه النفس . وكان جيته ، وهو في سن السادسة والعشرين ، رأس هذه المدرسة الادبية ، ومن المؤمنين ان باستطاعة الانسان القوى ان يشكل هذا العالم كما يريد .

وقد بعث جيته المتمرد الثائر الخوف عليه في نفوس أصدقائه ومحبيه ، حتى قال صديقه لافاتر Lavater : « ان جيته كتلة من العنف ، والاحاسيس المرهفة ، والخيال المحلق ، ولكنه يبدو وكأنه يمتطي ظهر نهر زخار قد يقذف به على الصخور في اية لحظة ، ويحطمه » . وكان جيته يدرك هذا في نفسه فقد قال : « انني ألقي بنفسي في خضم الحياة ، كموج البحر الهائج الذي يلقي بنفسه على الصخور بعنف » .

هكذا كان جيته في عام ١٧٧٥ ، وهو في السادسة والعشرين .

وكان من الممكن ان تعصف هذه الثورة العاتية بهذا النبوغ الفذ قبل الاوان ، لو لم تتول العناية الالهية ابنها الاثير بالرعاية ، وتضع في طريقه فتاة ، واميرا ، وسيدة .

★★★

اما الفتاة فهي اننا اليزابيث شونمان Schoneman ابنة احد اصحاب البنوك في فرانكفورت ووريثة ثروته الطائلة . وقد عرفت في اشعاره باسم ليلي Lili . التقى بها عام ١٧٧٥ وشهرته تملأ اوروبا بعد نشر « آلام فيرتر » ، وقصائده على كل شفة ، والصالونات الادبية تتسابق الى اجتذابه ، ولكنه يترفع عن تلبية دعواتها ، حتى لا تجرفه تفاهات المجتمع . وكلما ازداد بعدا ، استبد بالناس حب الاستطلاع لمعرفة سر هذا العبقري . ولكنه كان أحيانا ودون ترتيب سابق ، يفجأ احد هذه الصالونات بزيارة قصيرة ، ثم ينسل ليترك الناس اكثر حيرة من ذي قبل .

وفي احدى هذه الزيارات المفاجئة التقى باننا اليزابيث ابنة السبعة عشر ربيعا ، الباهرة الجمال ، ذات العينين الجميلتين البريئتين . كانت تعزف لحنا موسيقيا ، فلما رآته نظرت اليه ، ووقف امامها لا يستطيع أن يحول نظره عنها ، فكان حبا من اللقاء الاول .

وتكررت زيارته لها في قصرها ، وباحت له بمكنون قلبها . قالت له :

« عندما نظرت الي تلك الليلة قرأت في عينيك الحب ، فتصورت أن بامكاني أن أعبث بشهرتك ونبوغك وشبابك . ولكن الله عاقبني بأن جعلني أسيرة هواك » .

احب جيته اننا اليزابيث حبا جارفا جعله لا يطيق البعد عنها ، وكانت – وهي الوارثة الغنية – تعيش وسط دوامة من النشاط الاجتماعي : حفلات ، ورقص ، وصالونات ادبية ، وانطلاق في الطبيعة .

وهكذا تبدل العبقري المتوحد الكاره للمجتمعات ، واصبح من اجلها عضوا نشيطا فيها .

وقد ادرك جيته هذا في نفسه ، فكان يكتب لاصدقائه ، واصفا هذا التحول ، معجبا به ، منددا بوحشيته الماضية .

وقد عاد حب هذه الفتاة على جيته بفائدة كبيرة : فقد هذب هذا الحب من نفسه الثائرة المتحللة من كل القيود ، وصقلها ، ودفعه الى المجتمع الانساني ليعرفه على حقيقته .

واستبد به الهوى ، حتى عرض على الفتاة الزواج ، وتمت خطبتهما على الرغم من معارضة

أهلها الأثرياء ، ومعارضة أهله الذين كانوا يرون فى الزواج قضاء على نبوغه .

ويبدو أن الشيطان استفاق ثانية فى نفس جيته ، فاذا به يرتجف رعبا من تصور نفسه وقد استقر فى قصر مترف يحيط به الأبنـــاء ، والزوجة ، والحياة الرتيبة الثقيلة .. وثارت نفسه ، وحاول التخلص دون أن يسىء للفتاة التى أحبها . كتب الى صديق واصفا حالته النفسـية فقـــال : « اننى مقيد الى هذه الطفلة الجميلة البريئة براءة الملائكة ، وهذه البراءة تبعث الشقاء فى نفسى .. لأنها تأسرنى ، وتحيلنى الى طفل ، وتسلبنى حريتى .. ليتنى أستطيع الفكاك ! » .

وقد استطاع ذلك أخيرا : فقد هرب منها ، ومن حبها ، ومن فرانكفورت كلها ، ليكون الوزير الأول لدوق فيمر Weimar . ولكنه هرب بعد أن أصبح الانسان الاجتماعى وتخلص من وحشـيـة شبابه .

★ ★ ★

ارتحل جيته ليكون الناصح الأمين لدوق فيمر شارل أغسطس ، الشاب ابن الثامنة عشرة ، الذى ورث الحكم عن والده المتوفى . وكان هذا الشاب ذكيا ، راغبا فى الاصلاح ، عاشقا للعلم والمعرفة : التقى بجيته فأعجب به اعجابا فاق كل حد . وأرسل اليه عربته الملكية لتنقله اليه . ولو لم تكن نفس جيته قد تهذبت بالتحول الذى طـرأ عليه بسبب حبه لأنَّا اليزابيث ، لما قبلت بمثل هذا المنصب الاجتماعى والسياسى الخطير .

وقد عاد اتصال جيته بشــارل أغسطس على دوقية فيمر الألمانية بفائدة دونها أى فائدة ، فقد اكتسبت من اسم جيته شهرة طبقت أرجاء أوروبا كلها . والدليل على الدور الفكرى الذى لعبته هذه الدوقية الصغيرة أثناء وجود جيته فيها ، ما كتب عن هذه الفترة من كتب متلاحقة . وما زالت فيمر تحت ظل جيته موضوعا محببا الى نفوس الكتاب حتى هذه الأيام .

والثابت أن جيته قد قضى سنواته الخمسين فى هذه الدوقية ينعم بالسعادة ، وفيها اكتملت عبقريته ، وهو نفسه يعترف بأن جو فيمر الذى هيأه له الأمير شارل أغسطس كان من العوامـل الكبرى التى أعانته على الابداع . وهو نفسه الذى كان يؤمن منذ طفولته بأن آلهة الحظ تسير فى ركابه ، كان يؤمن أيضا أن العربة الملكية التى نقلته من هيدلبرج ، بعد هربه من فرانكفورت ، الى فيمر ، لم تكن غير عربة حظ أرسلتها اليه آلهة الحظ التى آمن بها منذ طفولته .

كان شارل أغسطس ، وهو أصغر من جيته بثمانى سنوات ، محبا للشعر ، والعلوم ، والفنون ، حريصا على احقاق العدل فى امارته . وكان لجيته تأثير كبير فيه : فهو الذى صاغ له عقله فى القالب الذى يريد ، وهو الذى وجهه حتى جعل من فيمر مركز الفكر والاشعاع فى كل أوروبا . وأصبح جيته الرجل الأول فى الامارة ، فعلا ، وان كان الثانى اسما .

وقد أفادته هذه التجارب المتنوعة فى أدبه ، ووسعت من أفقه : فهو بحكم وظيفته مضطر لدراسة العلوم ، ومشاكل التعدين ، وطبيعـــة الحيوان من أجل تحسين نسل المواشى . كما كان مضطرا أيضا للاهتمام بالزراعة ، وشق الطرق ، وتوجيه المسرح الوجهة الفنية الصحيحة ، وتدريب الجيش ، واصلاح القوانين . هنا فى فيمـــر تألق جيته كأديب من أعظم أدباء العالم ، وكمصلح فذ له نظير فى دنيا الواقع .

★ ★ ★

ووراء جيته فى فيمر كانت هناك سيدة تهيىء لعبقريته الانطلاق والتحليق ، تلك هى شارلوت فون شتاين Stein ، زوجة رئيس الحرس . ويصف الدارسون هذه السيدة بأنها كانت عاقلة ، حكيمة ، نبيلة الخلق ، مرهفة الأحاسيس ، عميقة التدين ، أحبها جيته لأن وجودها كان يبعث فى

نفسه سلاما وطمأنينة . اما هى فقد اسعدها ان يختارها جيته من بين كل النساء ، وسمحت له أن يزورها فى قلعتها كل يوم .

وقد وصف جيته حبه لها وصفا جميلا : فشبه نفسه بالسيل العرم المتدفق من قمم الجبال ، حتى اذا حطّ فى البركة الهادئة طغى هدوء البركة على عنف السيل ، فكأن البركة الهادئة تبتلع السيل العرم. وهكذا كانت هى بهدوئها ، وصفاء روحها ، تسلبه ما فيه من تمرد وثورة . لقد علمته كيف يضحى بالجسد فى سبيل الروح .

وهذا الصفاء الذى نعم به جيته مكنه من أن يبدع أرق الاشعار .

★★★

هذا هو جيته أديب المانيا الكبير. اختاره القدر ليكون أحد نوابغ العالم ، ومهد السبل امام عبقريته لتتفتح وتبدع : أرسل اليه فى شبابه فتاة فيها براءة الطفولة لتجره الى المجتمع الانسانى وهو المتوحد المتمرد ، ووضعه فى طريق أمير أعجب به فهيأ له كل ظروف الابداع فى ميدان الأدب والاصلاح ، ورماه بامرأة علمته أن صفاء الروح مقدم على لذاذات الجسد . والقدر اذا اراد أن يبدع انسانا فذا هيأ لذلك الأسباب . ■■

محمود السمرة



أخبار الغناء والمغنين فى الأندلس

(١٣٨ – ٥٣٩ هـ) : الدكتور احسان عباس
بيروت

● بحث مدعوم بالمصادر يتناول : الغناء فى الاندلس قبل زرياب ، زرياب والغناء فى الأندلس، الغناء بعد زرياب ، الغناء فى عصر امراء الطوائف والمرابطين ، الأندلسيين والغناء ، الصلة بين الغناء العربى وغير العربى .

الهندسة والمهندسون

تأليف هارولد كوى – ترجمة محمد توفيق محمود – دار الفكر العربى ومؤسسة فرنكلين – القاهرة

● يشرح من هو المهندس ، واين يتلقى دراساته وكيف يتم تدريبه ، وما هى الاعمال التى يقوم بها المهندس . ويشرح فيما يشرح تصميم الآلات الجديدة ، وبناء الطرق ، وانشاء المطارات ، وتخطيط المدن .. الخ

الطب الحديث

مارجوريت كلارك – ترجمة الدكتور محمد نظيف دار الفكر العربى بالقاهرة ومؤسسة فرنكلين

● « المؤلفة من كبار الكتاب الذين تخصصوا فى تحرير أنباء العلوم الطبية بصفة خاصة .. وهذا الكتاب يضم انباء التقدم المذهل فى ميدان الطب فى السنوات العشر الأخيرة لتكون فى متناول جمهور القراء من غير المشتغلين بمهنة الطب » .

تاريخ المغرب الكبير (الجزء الثانى)

محمد على دبوز – البابى الحلبى بالقاهرة

● كتاب قيم يتناول الفتح الاسلامى للمغرب حتى نهاية الدولة الأموية فيه . من فصوله : غزوة عقبة بن نافع ، بناء القيروان ، ولاية حسان ابن النعمان على افريقية وفتوحه، أسباب صعوبة فتح المغرب ، نشأة ولاية المغرب الاسلامية وتنظيم حسان لها ، ولاية موسى بن نصير ، فتح الأندلس، طارق بن زياد ، الأسباب النفسية لثورة البربر على الأمويين ... الخ .

نماذج بشرية من العصور الوسطى

ايلين بور ـ ترجمة محمد توفيق حسين
مؤسسة فرنكلين ودار الثقافة ـ بيروت

● « كتاب يؤرخ للحياة الاجتماعية فى القرون الوسطى بمختلف جوانبها ، ونواحيها ، ويصور حياة الطبقات المختلفة تصويرا دقيقا تدعمه الوثائق » .

ما اقل الثمن

محمود سيف الدين الايرانى

● مجموعة من القصص القصيرة فيها : قطار منتصف الليل ، الحب الاول ، الاعرج ، ملك الزجاج ، نحو النور ، ما اقل الثمن ، امراة الرجل الطيب ، انسان لا جريرة له ، اقوى من الموت ، الجارة المقعدة ، لماذا يغضب البحر ، الافعى ، الحاج مصطفى ، زنجى فى باريس .

صغير واسرته

تأليف لويز لنسكى ـ ترجمة نفيسة جوهر ـ القاهرة

● كتاب للطفل البادىء فى القراءة . صوره كثيرة ، وكلامه قليل . والصور تصور الأسرة فى عملها ولهوها كيف تكون ، وكيف يسود التعاون والتفاهم افرادها .

هكذا يشتغل التلفزيون

تأليف جين روبرت بندك ـ ترجمة زكى عبدالمجيد
مكتبة الجوادى ـ بغداد

● وهو يبدأ بالتلفزيون من بداية العرض التلفزيونى فى الاستديو الى نهاية عملياته فى غرفة السيطرة الرئيسية .

السكان والسياسة الدولية

تأليف فيليب هوسر ـ ترجمة الدكتور
خليل حسن خليل ـ القاهرة

● كتاب يعالج ما تثيره كثرة السكان من مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية كثيرة ، ويتناول السياسات السكانية التى تشكلت فى الشرق والغرب .

ابك يا بلدى الحبيب

الن باتون ـ ترجمة جورج طرابيشى ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ دمشق

● كتاب يروى قصة الصراع بين البيض والسود فى جنوب افريقية . « وقد بذلت فيه جهدى لاكشف عن جانبى هذه المشكلة الانسانية : خوف الانسان الابيض الاقل عددا فى القارة السوداء ، وشقاء الانسان الاسود الذى انتزع من عالمه ، ودفع الى عالم جديد لا يروم منه سوى كده » .

كيف تكون رائدا ناجحا

تأليف كنيث ولز ـ ترجمة سيد عبد الحى مرسى
كتاب رقم ١ من « سلسلة دراسات سيكلوجية ـ كيف نفهم الاطفال » ـ القاهرة

● يصف كيف يكون الانسان فى المجتمع الانسانى ، قائدا فى مجموعة ، ولكن تابعا فى مجموعة اخرى . فهو يبحث الصلة بين القيادة والتبعية . وما شابه ذلك فى مدرسة ، واسرة ، وناد ، ونقابة ، وامة .

تنمية الثقة بالنفس

تأليف جلبرت رن ـ ترجمة الدكتور محمد أحمد الغنام ـ من سلسلة دراسات سيكلوجية رقم ٥١
القاهرة

● يبين للقارىء اسباب ضعف الثقة بالنفس ، كما يناقش معالجة مواطن هذا الضعف بعد عرضها .

تدريب قادة الجماعات

تأليف جمعية تعليم الكبار الأمريكية ـ ترجمة الدكتور محمد عمار الدين اسماعيل
كتاب رقم ٢ فى « سلسلة العلاقات الانسانية »
القاهرة

● كتاب يدرس موضوع القيادة فى المجتمع الديمقراطى ، ويبحث أحسن الطرق لاختيار القادة وتدريبهم وهذا لما للقيادة اليوم من آثار بالغة تتصل بمستقبل الانسان ، من حيث سلام ورفاهية او حرب وهلاك .

خمر وشعر

سامي الكيالي ـ حلب

● يعرض القسم الأول لرأى الجاحظ في الخمر، ثم تتلو هذا قصائد ومقطوعات من الشعر العربي في الخمر منذ العصر الجاهلي الى القرن العشرين.

انبعاثنا التربوي منذ الاستقلال

كتابة الدولة للتربية القومية ـ تونس

● كتاب في ثلاثة أقسام : اصلاح التعليم ووضع نظام تربوي جديد ، التخطيط العشري للتعليم واحصائيات تربوية ، وثائق وملحقات .

علم الأحياء الدقيقة

تأليف وليام بوون سارلز وثلاثة علماء آخرين ترجمة دكتور صلاح الدين طه وأربعة زملاء له آخرين ـ القاهرة

● كتاب يشرح حياة هذه الاحياء الصغيرة وعلاقتها بحياة النبات والحيوان والانسان . وهو مذيل بمعجم للمصطلحات الانجليزية تقابلها المصطلحات العربية .

كيف ترقب السماء

تأليف فرنكلين برانلي ـ ترجمة الدكتور محمد جمال الدين الفندي ـ مكتبة نهضة مصر ومؤسسة فرنكلين ـ القاهرة

● يبحث في مبادىء علم الفلك ويضم من التوجيهات الواضحة ما يعين على تصميم آلة تمكن من رصد الكواكب ، ويسير بالقارىء خطوة خطوة حتى يستطيع تصميم المزاول وغيرها من خطوات الفلك . وفيه بيانات عن الشمس والقمر والكواكب والنجوم .

غاريبالدى ، أبو ايطاليا الحديثة

تأليف مارسيا دافنبوت ـ ترجمة على أدهم ـ القاهرة ـ العدد السابع من « معالم الطريق »

● كتاب يعرض شخصيات وأحداثا غيرت مجرى التاريخ . وغاريبالدى ، على ما هو معروف ، هو موحد ايطاليا ، تلك التى كانت ممزقة دويلات . فموضوعه من الوجهة العربية يرمز الى معنى خاص جليل .

التفكير التاملى

تأليف جوردن هلفش وفيليب سميث ـ ترجمة السيد محمد العزاوى والدكتور خليل إبراهيم شهاب ـ القاهرة

● الكتاب يبحث في التفكير التاملى ، بحسبانه طريقة ومنهجا لكل من أراد أن يواجه مشكلاته والمهندس والمحامي والطبيب والعامل ، وكل ذى منصب قيادى صغيرا كان أو كبيرا . وهو عدا هذا مرجع في فلسفة التربية وطرق التدريس عامة .

المسبوكات

تأليف ك . ت . ميرك ـ ترجمة الدكتور محمد زكى منير ـ القاهرة

● انه كتاب في سباكة المعادن ، والسباكة جزء اصيل من صناعة اليوم . والكتاب يعطى صورا مفصلة عن العملية نفسها ، وهو يفيد المهندس المختص ، وكل مهندس ، والعامل . وفي نهاية الكتاب قائمة بالمصطلحات الانجليزية ، ومقابلها في العربية ، وهذا كسب للغتنا كبير .

رحلات كريستوفر كولمبس

تأليف ارمسترنج سبيرى ـ ترجمة رجائى نجيب مقار ـ القاهرة

● كتاب يصف الرحلات الاربع التى قام بها المكتشف الشهير ، وما لقى فيها ، وعلى الأخص ما لقى بعد عودته منها من السجن وما وضع في يديه من أغلال . هذا الرجل هو فاتح الباب الأول الى هذه المدنية الأمريكية العارمة الحاضرة .

مرجع في صناعة النماذج

تأليف الكسندر ف . هانل ـ ترجمة زكى راضى ومحمد عبد الفتاح الطناحى ـ القاهرة

● كتاب يبحث في صناعة النموذج الذى عليه يتشكل الشىء المصنوع والمسبوك . وصناعة النماذج علم بذاته . والكتاب بالطبع للرجل المختص ، من مهندس أو عامل . وبذيل الكتاب مصطلحات مستخدمة في هذه الصناعة . وهذا تقليد جديد جرت عليه مؤسسة فرانكلين ، صاحبة هذا الكتاب ، خدمة للغة العربية وللعلم ، ولا سيما في هذا الدور الذى يتجه فيه العرب الى تصنيع بلادهم . ■■



أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

أب هذه مساوئه

لا يكون نبذه ذنباً عند الله

● المأساة التى أطرحها عليكم اليوم ليس لها شبيه .. انها مأساة رجل أهمل زوجه وأولاده ليشبع غريزته الجنسية على صورة غير مشروعة ، حتى لقد باع كل ما يملك ، بما فى ذلك أثاث البيت الذى نعيش فيه ، وأخيرا طرد من وظيفته شر طردة !

انى أكتب اليكم هذه الرسالة وأنا أطاطىء رأسى خجلا . فهذا الرجل هو أبى ، والذى يدعو الى الخجل ، بل الى العار ، هو أنه مصاب بالشذوذ الجنسى ، مع أنه باعتباره مدرسا كان ينبغى أن يكون أمينا على أولاد الناس .. فضلا عن أن أمّنا أصغر منه سنا ، وقد كانت فى شبابها على جانب من الجمال غير قليل ..

ولقد انحدر به داؤه الى حد أنه كان ينفق كل راتبه على الصبية والغلمان المخنثين ،

كتب المنجمون ولو صدقوا

يوم القيامة : متى هو ؟!

● هل صحيح أن بعض الرهبان والربيين يستطيعون التنبؤ بنهاية العالم من عبارات وعلامات وردت فى الكتب المقدسة ؟ وهل صحيح أن بعض الفلكيين يستطيعون ذلك بحساب الطوالع والنجوم ؟

القاهرة ــ محمد أنور عادل

ــ المسلم به أولا أن « علم الساعة » من العلوم التى اختص الله بها نفسه .. أما العلامات فقد وردت فى كل الكتب السماوية ، ولكن المهم توقيتها ، فالتوقيت الذى فى هذه الكتب يختلف عن مقاييسنا فى التوقيت .. وفى القرآن الكريم « ان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » و « فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . وغير ذلك من الآيات .

ومن الطريف أن واعظا أثار ضجة فى أمريكا سنة ١٨٣١ ، اذ تنبأ بأن العالم ينتهى فى ٣ ابريل ١٨٤٣ ، وشغل الرأى العام الأمريكى ــ لا سيما فى نيو انجلند ــ حوالى ١٤ سنة . فقد كان ليقا قوى الحجة والبرهان . وقد درس التوراة دراسة دقيقة خرج منها بهذا التحديد ، واستطاع أن يقنع الملايين ، لا سيما وأن بعض العلامات التى حددها للساعة ــ كرات من النار فى السماء ، وزلازل ، وثورات فى أرجاء العالم ــ ظهرت فعلا . وعندما اقترب الموعد الذى حدده ، قصد الأمريكيون الى المرتفعات والى المقابر ، وراحوا ينتظرون .. وحرق كثير منهم ممتلكاتهم .. والبعض مضى

ثم انقلب الى أثاث البيت فباعه ، بما فى ذلك الفراش الذى كنا ننام عليه .. ولولا أن أخي الأكبر كان يكد لتعليمي ولاعالة أمّنا المسكينة لما وجدنا ما نقتات به . ولما انتهيت من دراستي الثانوية قبلت العمل بوظيفة متواضعة ، لأتعاون مع أخي الأكبر على القيام بواجب أمّنا ، ولكي أخفف عنه عبئه ولو قليلا .

وقد حاولنا ان تردع هذا الوالد عن غيه مستعينين بأهل الخير فلم ينتصح ، ولما كثرت فضائحه وشاعت اضطررنا لان نترك له البيت،أنا وأخي وأمنا،لنعيش بعيدين عن وكر الخزي والعار الذى يعيش فيه .. وأغلقنا بابنا فى وجهه بعد الذى فعله بنا وبنفسه .. وأخيرا طرد من وظيفته شر طردة !

نحن الآن مستريحون من تلك المناظر المؤذية التى كانت تطالعنا كل يوم ، وان كان مجرد انتسابنا اليه سبّة ومعرة .. لكن هناك شيئا واحدا يقض مضجعنا ويؤرق ضميرنا أنا وشقيقى : ذلك هو خوفنا من عقاب الله اذا ما أصررنا على نبذ والدنا وعقوقه !

فهل يغفر الله لنا هذا العقوق ؟ أم اننا مطالبون بالبر به برغم كل ما يرتكبه فى حقنا وفى حق الله والدين والمجتمع ؟

الابن الحزين « ع »

ــ اذا كانت عقوبة الزنا فى الشرع هى الجلد مائة جلدة او الرجم حتى الموت ، فاعلم أن عقوبة ما يأتيه والدكما من شذوذ أشد وأنكى باجماع الفقهاء ..

واذا كان الله قد اوجب علينا طاعة الوالدين والبر بهما والاحسان اليهما ، فانه سبحانه لا يرضى ان يكون لمثل هذا الأب اى حق على اولاده ، اذا كانوا استنفدوا كل الوسائل فى ردعه ، وخاصة بعد ان ذهب فى غوايته الى حد بيع أثاث بيته وفراشه لينفق ثمنهما على الصبية والغلمان ، وهو المعلم المفروض أن يكون قدوة حسنة لغيره من الناس .

ربما يقول قائل انه بعد أن فصل من وظيفته فقد حق على ولديه أن ينفقا عليه ، لكن لا الشرع ولا القانون ولا العرف يرضى ان يشقى الابناء ليستولى الأب على ثمرة كدهم كي ينفقه فى معصية الله !

هذا هو حكم المنطق .. اما حكم الشرع فنتركه لرجال الدين ، ان كان لديهم ما يفتون به فى هذه المأساة خلاف ذلك .

فى التهوس الى حد الانتحار . ولما لم يحدث شىء فى ١٨٤٣/٤/٣ ، زعم القس ــ وكان يدعى «وليم ميلر» ــ انه اخطأ فى التقويم الذى اتبعه لحساب الموعد ، وحدد التاريخ الصحيح ١٨٤٤/٣/٢١ . ومرة اخرى هاجت مخاوف الناس ، ثم لم يحدث شىء . فعاد وحدد التاريخ ١٨٤٤/١٠/٢٢ . ومن العجيب ان عدد الذين صدقوه ازداد . وعندما مر اليوم ولم يحدث شىء ، اختفى ، ولا يدرى احد ماذا كان مصيره .

ومنذ بضع سنوات قامت ضجة مماثلة فى ايطاليا اثارها احد رجال الدين هناك ، فخرج الناس من بيوتهم افواجا الى قمم الجبال ، ثم مر اليوم الذى حدده لقيام القيامة دون أن تقوم ! وحقا « كذب المنجمون ولو صدقوا » !

التحكم فى جنس الجنين لا سند له من العلم حتى الآن !

● كثيرا ما يتساءل المتسائلون : الا يمكن التحكم فى جنس الجنين ؟ ويكون الجواب دائما : « لا » !

اما انا فاقول « نعم » .. أقولها بعد طول تقصٍّ وتجارب طيلة أربعين سنة ، ومع أناس كثيرين لدىّ أسماؤهم وعناوينهم لمن يريد أن يسأل ، وان كنت لم أصل بعد الى التعليل العلمى لهذه النتائج .

ان هذه النظرية تجعل من السهل التحكم فى الجنس من أيسر طريق ، فيما عدا الحمل

الأول فلا حيلة لنا فيه ، فهو أساس النظرية ونقطة الانطلاق فيها ..

فالمرأة تستعد للحمل غالبا بعد الحيضة الأولى التي تأتي بعد الرضاع أو أثناءه . فاذا وقع الحمل بعد الحيضة الأولى كان المولود انثى ، واذا وقع بعد الحيضة الثانية كان المولود ذكرا ، واذا وقع بعد الثالثة كان المولود انثى ، وبعد الرابعة كان ذكرا ، وهكذا ..

هذه التجارب أجريتها مع كثيرات : مع زوجتي ومع أقربائي ومعارفي وكثيرين من أهل بلدي طرابلس، فكانت النتائج دائما تثبت صدق نظريتي، ولو كان للزوجين ٧ بنات أو أكثر !!

وما أظنكم تنكرون اهمية هذا الحدث العلمي فيما لو ثبتت هذه النظرية .. فما قولكم ؟

طرابلس محمد كامل البابا

ـ كل ما نستطيع ان نقوله ان هذه النظرية لا سند لها قط من العلم حتى الآن ..

وأوراق اليانصيب : ما حكمها؟

● اطلعت في العدد الأخير من مجلة « العربي » الغراء على البحث القيم الذي نشرتموه عن الربا ، وأود استكمالا للبحث افادتي عن ربح أوراق اليانصيب ، هل هو من الربا المحرم والكسب غير المشروع ؟؟

ثم ما هو حكم الشرع في الجوائز التي تصدرها بعض الشركات التجارية لمشتري بضائعها بطريق الاقتراع ؟؟

الكويت أحمد محمد صالح

ـ للأستاذ الامام محمد عبده فتوى معروفة في أرباح اليانصيب التي تصدرها الهيئات والجمعيات لأغراض خيرية ، وتقول الفتوى ان هذه الأرباح ليست ربا، فهي حلال لا حرمة فيها .

ونظن ان هذا الرأي يمكن أن ينسحب على الجوائز التي تصدرها المحال التجارية او الشركات على بضائعها لترويجها . على ان هناك من يقول ان هذه وتلك لا تخرج عن كونها نوعا من المقامرة المحرمة . ولسنا نرى في ذلك مقامرة أو تحريما . فانت في هذه المحلات تشتري ما تشاء وتدفع ثمنه جزاء وفاقا . اما الجائزة فخير فائض ، بمثابة الشكر على التشجيع ، يصيبك أو يصيب غيرك .

نابليون .. وذات النطاقين

● (١) متى ولد نابليون بونابرت ؟ ومتى توفي ؟ وما هي المعارك التي خاضها ؟ وهل صحيح انه لم يهزم قط ؟

(٢) من هي ذات النطاقين ؟

مع شكري العميق .

شيخة ابراهيم الجناحي
الدسمة ـ الكويت

ـ ولد نابليون في كورسيكا عام ١٧٦٩ .

وتوفي عام ١٨٢١ .

من اشهر حملاته تلك التي وجهها الى ايطاليا عام ١٧٩٤ ومصر عام ١٧٩٨ وفلسطين في نفس السنة ، ثم روسيا عام ١٨١٢ .

ليس صحيحا انه لم يهزم قط .

فقد أخفق امام اسوار عكا .

واضطر للرجوع عن روسيا مكسورا .

وانهزم اخيرا في واترلو .

ثم نفي الى سنت هيلانة ، وفيها توفي .

اما « ذات النطاقين » ، فهي السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق ، صاحب رسول الله في الغار. وقد نشرنا عنها مقالا بالعدد ١٥ من « العربي » ، فارجعي اليه ان شئت .

جائزة تنتظر صاحبها

● فاز السيد نبيل قسيسة باحدى جوائز مسابقة العدد ٥٦ من « العربي » فارسلت وزارة المالية بدولة الكويت صكا مسحوبا على ليودز بنك ليمتد ـ لندن ، بالعنوان الذي ورد في اجابته (بفندق سبلندد بنابولي ـ ايطاليا) ولكن الصك اعيد لعدم وجود صاحبه بالعنوان المذكور .

يرجى منه ان يوافينا بعنوانه الحقيقي والا ضاع حقه في الجائزة .

حذار من الذئاب !

● انني أقرأ مجلة «العربي» المحبوبة بانتظام ، وأعمل دائما على نشرها بين صديقاتي وزميلاتي. وأقرأ باهتمام ولهفة ركن « أنت تسأل ونحن نجيب » فلما تلوت رسالتكم بعنوان : « أيتها العذارى .. حذار من الذئاب » ثارت هواجسي وركبتني الهموم ، وجئت أعرض عليكم مشكلتي وأستشيركم فيها ..

فأنا فتاة جامعية ، لي زميل نتبادل معا شعور الصداقة ، ونتنزه معا ، وتدور بيننا الأحاديث بكل أدب وحشمة ، لكنه لم يفاتحني بحبه ، مع أنني أحبه كثيرا ، وأتمنى لو جمعنا رباط الزواج المقدس . ولست أكتمكم انني ما كدت أفرغ من قراءة ما كتبتم عن « الذئاب » حتى ساورتني الشكوك : أتراه يتسلى بصداقتي ، وليس له من ورائها هدف سوى تمضية أوقات الفراغ ؟
كيف أستطيع معرفة حقيقة نواياه ؟ أأصارحه بحبي ؟ أم أقطع صلتي به ؟ أشيروا عليّ بما أفعل ، وشكرا .

حلب — س . أ . س

ـ اياك أن تبدئي انت بحديث الحب .. ولكن أقلي من مقابلتك اياه ، والخروج معه ، فان كان فتى عابثا انصرف عنك الى غيرك ، وان كان رجلا فاضلا ، فسيسعى اليك ، وعندها تستطيعين ان تفهميه بأن الناس بدأوا يتحدثون عنكما ، وان حديثهم سيؤثر لا ريب على سمعتك كفتاة ، خاصة وانكما لستما مرتبطين بخطبة أو زواج.. وبهذه الطريقة تفتحين له باب الحديث في الزواج ان كان يفكر فيه ، والا .. فمرة أخرى : حذار من الذئاب !

أسعار «العربي» لم تتغير ولكنه خطأ مطبعي غير مقصود

● مجلة « العربي » من أكثر المجلات المحبوبة عند القراء . ودليل ذلك انهم يحجزون نسختهم من عند البائع قبل أول كل شهر ليقرأوا تلك المقالات الشيقة والاستطلاعات الحافلة بالصور الملونة الجميلة التي تنقل صورة رائعة عن الوطن العربي ، وآخرها استطلاع صنعاء الذي ذكر لنا أخبارا عن اليمن لم نكن نعرفها نحن أبناء اليمن نفسها .

انكم بهذا العمل الجليل قد أكملتم رسالة العربي السامية في تعرف العرب ببعضهم .. لأن كل قارىء عربي أصبح يستطيع بفضل استطلاعاتكم أن يتعرّف على الوطن العربي كله اذا واظب على اقتناء نسخ العربي شهريا ..

وأخيرا أريد أن أسألكم سؤالا : لماذا رفعتم سعر « العربي » من ٢٫٥ شلن الى ٣٫٥ شلن في اليمن ؟ هل هدفكم هو زيادة الربح من أبناء الجنوب ؟

وهل تعلم ادارة « العربي » أن العدد رقم ٥٨ قد بيع بسعر ١٠ شلنات في عدن مع أن ثمنه ٢٫٥ شلن ؟

منصور أحمد حزام الحسمادي
الروضة ـ معلا ـ عدن

ـ شكرا يا سيد أحمد على اعجابك الذي نعتز به . أما مسألة زيادة السعر ، فلم يخطر ببالنا أن نزيد من أرباحنا على حساب أبناء الجنوب . ولعلك قد لاحظت ان ما حدث كان خطأ مطبعيا تلافيناه في العدد التالي مباشرة .. أما عن بيع « العربي » في السوق السوداء بعشرة شلنات فهذا أمره عائد الى القارىء الذي نرجوه ألا يدفع أكثر من السعر المحدد على الغلاف . وسنعمل ما في وسعنا لزيادة كمية النسخ المرسلة الى عدن حتى يستطيع كل قارىء أن يحصل على نسخته دون أي زيادة في الأسعار ..

انقذوني .. واتقوا شري

● ما اظنكم ، على كثرة ما يردكم من مشاكل القراء ، قد تلقيتم مشكلة كمشكلتي .. انها مشكلة من نوع غريب ، نادر الوقوع ، وان تكن من أخطر ما يخطر ببال انسان !

اتذكرون رواية « دكتور جيكل ومستر هايد » ؟ان مصيبتي كمصيبته ، بل شر من مصيبته ! ..

فانا ، منذ تخطيت طور الطفولة ، تتقمصني روح شريرة ، لا أشك في انها روح شيطان خبيث وقد بدأ هذا الشيطان لعبته بأن غرس في نفسي الحسد .. ثم ثنى بالحقد والكراهية .. أحسد كل انسان ناجح ، فكنت في بادىء الامر احسد المتفوقين من زملائي في المدرسة الابتدائية على تفوقهم ونجاحهم . وبدلا من أن أجتهد كما يجتهدون حتى اتفوق عليهم ، بدأت احقد عليهم ، ثم اكرههم ، ومن هنا بدأت أخطر مراحل المشكلة ، فقد زيّن لي حقدي ان اعمل على تحطيم الآخرين والحيلولة دون نجاحهم بأي ثمن وبأي اسلوب . . ! اذكر أني كنت أسهر الليالي لا لأذاكر دروسي ، بل لألهي زملائي عن مذاكرة دروسهم ، وكان فشل واحد منهم عندي نصرا لا يعدله نصر ، رغم أن ذلك يكون دائما على حسابي !

ولما كبرت وتركت الدراسة ، اتجهت الى تحطيم من كان يحالفهم الحظ من أبناء بلدي .. فقد اوتيت قدرة على الاقناع عجيبة كأنها المغناطيس .. فكنت أقودهم الى حانات الشراب وموائد القمار ، كي أتلذذ برؤيتهم ينفقون امـوالهم في أبواب غير مشروعة ، وينصرفون عن مواصلة ما يزيد في نجاحهم ، ويقبلون على ما يجر عليهم الخسائر والفشل !

واتسع مجال العمل أمامي عندما أخذ أصدقائي وأقربائي ومعارفي وجيراني يلجأوون الى استشارتي في مشاكلهم .. ولست أذيع سرا اذا قلت لكم اني قد أسأت استغلال هذه الثقة التي وضعوها فيّ ، واشرت على الكثيرين منهم بما كان سببا في تحطيم وضياع مستقبلهم فكان ذلك من دواعي ابتهاجي واغتباطي ، رغم أنني في بعض الحالات كنت أبذل الكثير من مالي للوصول الى أمنيتي !!

واليوم أحس بأن النار التي أوقدتها طوال السنين الماضية قد بدأت تحرقني .. وأخذ الشعور بالندم يغزو قلبي .. وبالرغم من أني لجأت الى التدين تارة والقراءة تارة أخرى ،

اليوم خمر .. وغدا امر !

● كثيرا ما نقرأ في المجلات الأدبية أشعارا لامرىء القيس الذي تقول احدى هذه المجلات انه أشعر شعراء العرب في الجاهلية . . وقد قرأت اخيرا أن من اقواله المأثورة : « اليوم خمر وغدا امر » ، فماذا قصد بهذه العبارة ؟ وفي أي المناسبات قالها ؟ وفي أي قصائده وردت وما هي اشهر قصائده ؟ وما هو نسبه ، والى أي القبائل ينتمي ؟!

حصّة عبد الرحمن
البحرين

ـ امرؤ القيس هو سيد شعراء الجاهلية وزعيمهم في التفنن في ألوان الشعر وضروبه حتى قيل فيه : بدأ الشعر بملك ، وختم بملك ..

اسمه حندج بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر بن معاوية بن ثور الكندي . وامه فاطمة بنت ربيعة بن الحارث ، اخت « كليب » و « المهلهل » التغلبيين . فهو يمنيّ النسب ، نزاريّ النشأة .

ولد في ديار بني أسد بنجد ، وترعرع في احضان الملك ، اذ كان ابوه ملكا على بني اسد وغطفان .

ونشأ نشأة المترفين من ابناء الملوك ، يلهو ويلعب ويعاقر بنت الحان ويشبب بالنساء ، وكانت له معهن وقفات لهو ومجون تغيلي بوصفها قصائده ، وقد تعدى في معظمها حدود الأدب والاحتشـــام ،

وخاصة فى الكتب النفسية التى تعالج مختلف المشاكل ، فان ذلك لم يفلح فى استئصال سرطان الشر الذى يجرى فى دمى .. فأصبحت لا يقر لى قرار الا اذا رأيت أمامى ضحية تتعذب نتيجة لارشاداتى ونصائحى وجهودى !

وأخيرا جئت اليكم لعلى أجد لديكم علاجا ينقذنى من هذا الحسد والحقد والشر الذى يملأ نفسى ، فتمدون الى بذلك يدا لا أنساها اذ تريحوننى من عذاب الضمير ، وبالتالى تمدون الى المجتمع يدا بيضاء بانقاذه من شرورى وأضرارى !

(. . .) دمشق

ـ شفاك الله .. وكان فى عون أهلك وأصدقائك ان كان قد بقى لك أصدقاء .. ووقى مجتمعا تعيش فيه ، تلك النزوة الشريرة التى تملكتك والتى ستوردك فى النهاية موارد التهلكة التى سقت اليها الكثير من ضحاياك !

ولكن لا تيأس من رحمة الله .. وما دمت قد بدأت تحس بشعور الندم فالأمل كبير فى شفائك مما أنت فيه ، والذى يرجع ولا ريب الى جذور نفسية قديمة ، ألقيت بذورها فى أعماقك وأنت طفل ، لسبب أو لآخر قد لا تذكره الآن أو تنتبه له ، وظلت تنمو شيئا فشيئا لأنها لم تجد من يستأصلها فى الوقت المناسب ، فأثمرت هذا الشذوذ الذى يصطرع الآن فى نفسك ، فسارع الى احدى العيادات النفسية واطرح على الطبيب مشكلتك كما هى ، عساه يستطيع أن يعينك على التخلص من هذا الشيطان الذى يصرخ فى أعماق نفسك ، ولا تكتف بمطالعة الكتب النفسية ، ففيها ما يصعب عليك فهمه ، بل لا بد من طبيب يوجهك وينصح لك ، ويحل عقدتك ..

والله معك ..

● طلال الغاوى ــ البصرة

ـ علتك نفسية ، هى بعض رواسب الحادث المفزع الذى شهدته منذ خمسة عشر عاما ولم تستطع أن تنساه .. اما الآلام العضوية التى تشكو منها فقد تكون ناتجة عن علتك النفسية ، فكثيرا ما تترتب بعض الأمراض العضوية عن مرض نفسى ، فراجع طبيبا نفسانيا أولا ..

فطرده أبوه بعد أن أفحش فى غزله وأوغل فى مباذله .

أما عبارته المأثورة : « اليوم خمر وغدا أمر » فليست من قصيدة ، وانما قالها يوم جاءه النعى بنبأ مقتل أبيه بيد علباء بن الحارث الذى طعنه ولم يجهز عليه ، فكتب وصيته ودفع بها الى أحد رجال حاشيته وقال له : « انطلق الى ابنى نافع ، فان جزع وبكى فآلْ عنه ، واستقْرِ بنىّ واحدا واحدا . فمن لم يجزع منهم فادفع اليه وصيتى وخيلى وسلاحى » ، فانطلق عامر الى أولاده ، وكلما نعاه الى واحد منهم بكى وحثا على رأسه التراب ، فتركه ومضى الى غيره ، حتى أتى امرأ القيس وكان يشرب الخمر ويلاعب أحد ندمائه ، فلما نعى اليه عامر أباه ، لم يلتفت اليه ، بينما أمسك نديمه عن اللعب . فصاح به امرؤ القيس: « اضرب » .. فضرب ، حتى اذا انتهى اللعب قام الى عامر فسأله عن تفاصيل مصرع والده فأخبره بها ، فقال قولته المشهورة : ضيّعنى صغيرا وحمّلنى دمه كبيرا .. لا صحو اليوم ، ولا خمر غدا .. اليوم خمر ، وغدا أمر » ثم أقسم لا يذوق اللحم أو الخمر أو يدّهن أو يغسل رأسه أو يأوى الى امرأة حتى يقتل من بنى أسد مائة ، الى آخر قصته المعروفة .

أما أشهر قصائده فمعلقته التى مطلعها :

قِفا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
بِسقْطِ اللوى بين الدَّخول فحومل

وهى القصيدة التى كان بها أول شاعر وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر الأحبّة والديار ، فى صدر بيت واحد من الشعر !

بريد القراء

بقية المنشور على صفحة ٧

هذا التعامل ، وان كل محاولة يراد بها اباحة ما حرم الله او تبرير ارتكابه باى نوع من انواع التبرير بدافع المجاراة للأوضاع الحديثة او الغربية والانخلاع من الشخصية الاسلامية ، انما هي جراة على الله وقول عليه بغير علم ، وضعف فى الدين » .

والخلاصة ان احكام الاسلام واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض ، وليس معنى كون الاسلام صالحا لكل زمان ومكان ان احكامه يجب أن تنصاع انصياعا لما يريده الناس ، وان كان حراما بنص صريح .

قاضى بغـداد
علاء الدين خروطة

« **العربى** » : مع احترامنا لرأى لجنة الفتوى بالأزهر ، ولرأى فضيلة قاضى بغداد ، نود أن نسأل أين هو النص على تحريم أرباح رأس المال المودع فى المصارف أو صناديق التوفير ، أو أسهم الشركات وسنداتها ؟؟

ان الذين يتحدثون عن الربا من متقدمين فى التاريخ أو متأخرين ، انما يتمثلون مثلا واحدا هو الذى شاع بين الناس : رجل فقير مضطر ، يقترض من آخر موسر . ولا شك ان الخير كل الخير أن يكون هذا القرض دون فائدة ، « فلكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون » فيكفى أن يستطيع المعسر سداد الدين ، وهذه هى الرحمة والانسانية والتعاطف .. ولكن الذى يتساءل فيه شىء غير هذا .. شىء يتصل بنظام البنوك والشركات فيما ينفع الأمة .. فهو لا يقترض رجلا مضطرا أو محتاجا أو متعسرا ، وصندوق التوفير سواء فى البنوك أو البريد ، وكذلك الشركات التى يسهم الناس فيها بوضع أموالهم فيها ، تقوم باستغلال هذه الأموال ، تربح من هذا الاستغلال ١٠٪ أو أكثر ، تدفع لصاحب المال ٤٪ على الاكثر ويبقى لها ٦٪ أو أكثر ، فهل فى هذه الحالة يقال للمسلم ان هذا حرام ، بل عليك ان أردت ايداع أموالك فى بنك أو شركة ، أن لا تأخذ منها أية فائدة ، بل دع البنك أو الشركة تنفرد بالفائدة دونك .. أهذا هو الحلال ، أم هو السفه ؟؟

وكيف تستدل بآراء القدماء ، وهم لم يكونوا يعرفون نظام الشركات ولم تكن عندهم بنوك أو صناديق توفير .. لا عند أفلاطون ولا ارسطو ولا لوثر ، ولا عند الذين نحتج بأقوالهم من فقهاء المسلمين !!

ثم لماذا نرى فئات من الناس اذا طلب اليهم أن يبدوا رأيا فى موضوع ، لا يبحثونه موضوعيا ، بل يكون كل بحثهم الاحالة الى آراء السابقين ،

ونحن نعرف أن الامام أبا حنيفة عندما طلب اليه أن يحيل الى آراء السابقين قال قولته المشهورة « نحن رجال وهم رجال » ؟؟

وأخيرا فان الربا الذى حرمه الاسلام هو الذى يتقاضاه المقرض الموسر من المقترض المعسر ، وهذا شىء لا خلاف فى استهجانه وتحريمه ، اما أرباح الأموال التي يودعها أصحابها فى البنوك والشركات وصناديق التوفير ، فشىء آخر لم يخطر ابدا ببال السابقين الاولين ، ولو عرض لهم لقالوا فيه قولة العقل والمنطق ... فلماذا نمد ما قالوا على أشياء لم يعرفوها ولم يكونوا حاضريها ؟؟

البارازانيــة

● يعجبنى من الدكتور محمود السمرة تلخيصه للكتب الحديثة بين الفينة والفينة ونقده لها على اعمدة « العربى » الزاهية نقدا مفيدا . وقد اطلعت على مقالــه الثمين عن كتاب « القضية الكردية » فى العدد الستين وشكه فى نسبة الأخوين البارازانيين الملا أحمد والملا مصطفى الى الشيخ عبد السلام البارازانى وهل هو والدهما كما ذكر الأستاذ محمود الدرة فى كتابه آنف الذكر او انه شقيقهما كمــا ذكرت فى كتابى المعروف « تاريخ الوزارات العراقية » ج ٣ صفحة ١٧٠. فوددت أن أزيل الالتباس بالايضاح الآتى على أمل أن يجد له مغرسا فى حقول « العربى » اليانعة .

فقد سكن البارازانيون القسم الجنوبي من منطقة الزيبار المنيعة فى شمال العراق فى زمن غير محدد ، وكان الشيخ تاج الدين من ابرز شيوخهم كما كان الشيخ عبد السلام من اشهر احفاده اذ انه أخذ بالطريقة النقشبندية ونشرها بين اتباعه ومريديه وقد اعقبه ولده الشيخ محمد وقام بالأمر من بعده . وتوفى الشيخ محمد عن خمسة أولاد هم : الشيخ عبد السلام والشيخ أحمد والشيخ صديق والشيخ مصطفى والشيخ محمــد سمي والده والمشتهر باسم « بابو » ولكل من هؤلاء الاخوة الخمسة اولاد واحفاد معروفون فى المنطقة الشمالية .

وبعد هذا يتضح ان ملا احمد وملا مصطفى هما شقيقا الشيخ عبد السلام الاصغر الذى أعدمته الحكومة التركية ، وهؤلاء الثلاثة من احفاد الشيخ عبد السلام الكبير .

السيد عبد الرزاق الحسنى ــ بغداد



ساعات

وست اند

هى الأولى فى

اناقتها
متانتها
دقتها

THE FAMOUS WATCH
IN THE MIDDLE EAST

WEST END

وست اند

خير معين لنجاحك فى أعمالك

علامة الضمان

الوكيل العام بالشرق الأوسط

يعقوب يوسف البهبهانى

ساحة الصفاة ـ الكويت ـ هاتف ٣٧٧٠ ـ ص . ب ٣٣٤

قصة للكاتب الهندى
ك . ت . محمد



عيون ..

■ كل من اوتوا عيونا تبصر ، يضحكون عندما يروننى . وبعضهم يطلقها قهقهة مجلجلة . وكم لديهم من قصص مضحكة يروونها عنى .

ولكنى اعرف ما يقولون ، وما يجعلهم يضحكون منى ضحكا عاليا كما تنهق الحمير .

ومن أسباب ضحكهم اننى ــ انا الآخر ــ كانت لى حبيبة . واننى ــ فوق هذا ــ تزوجتها !

اما كيف أصبحت عاشقا وزوجا ، فهذه قصة عجيبة ، حقيقة بضحكهم . واذا اردت أن تفهم سر العجب ، فانهم يسالونك أن تلقى نظرة الىّ .. ليكن ! .. ساقف امامك لتلقى نظرة الىّ ، فما الغريب فى خلقتى ؟ .. اننى مخلوق بشرى ، على اية حـال !

اننى رجل قصير ، فى سواد الفحم ، وقد اوتيت اطرافا غير متناسقة . وراس الضـخم يتوّج مُشخى ودمامتى . ففى وجهى عينان مستديرتان، فى فجوتين عميقتين ، وانف" افطس ، وفم" واسع كفم الضفدع ، وجبين ضيق بين اذنين كبيرتين .

كما ان هناك معالم تنمُ عن تهتم الجدرى ـ الذى اصابنى فى الثانية عشرة من عمرى ــ نهمـه فى التهام لحم وجهى . وقد أدى وقوع حدث لى فى صغرى الى عاهة فى ساقى اليمنى . فالحق اننى مجموعة مؤلفة من القبح . ويقولون اننى ــ لاول وهلة ــ ابدو للناظر اشبه بقرد أسود .

ولكن منظر القرد لا يضحك الناس عـادة . انما يأتيهم الضحك حين يتبينون أن هذا الحيوان الشبيه بالقرد ليس الا انسانا مثلهم !.. ولقد سمعت رجلا يقول لزميل له وانا امر بهما يوما : « هذا الرجل يذكرنى باحدب نوتردام » . ومع اننى لست أحـدب فاننى لم اقف عند الرجلين لاحتج على ما سمعت . فليس لى ــ على أيـة حال ــ أن افرض على الناس الشىء أو الشخص الذى اذكرهم به . ومهما يكن ، فان ضحكهم منى قد اطلعنى على الكثير من نفسى .

ولكم انكمش على نفسى حين أرى امراة تخطر فى الشارع فى أبهى الثياب ، لأن النساء يتشبحن

عني على الفور ، كما يشيح البراهمة تشاؤما عند رؤية بومة . ولا ادرك مدى محنتي المؤلمة الا حين يابيَن في ترفعهم ان يعتبرنني انسانا ، وان يحترمن مشاعري كانسان ، فاني قد رزقت مثل الناس تذوق الجمال،استمريء مشاهدة الحسن، ولكن الدنيا تابى الا أن تعتبر هذا مني جرما لا يغتفر .

وقصارىَ القول ان العالم يعلنها صريحة ، انه ليس لامثالي ان يعيشوا فيه . واني لأدرك هذا أيضا .

مات والدي قبل ان تتفتق ذاكرتي ، لذلك لم اعرف لي أهلا سوى امي . فالي اي مدى كان للوراثة اثر عليّ ؟.. وايهما كان المسئول عن دمامتي الاليمة الرهيبة ، أهو ابي أم هي أمي ؟.. كلا ، فلست املك ان ألومهما . ولماذا الومهما ؟.. لقد وُلدت وقضي الامر .

ولقد حاولنا ان نصون كيان الاسرة .. انا الذي لم اذوِ ، وامي التي لم تهوِ . افلم يكن لهذه الشجرة العائلية ان تنبت فروعا جديدة ، وان تبقى حية ؟

وبدا الشعور بالاسرة ـ وهو شعور طبيعي لدى الانسان الذي خلق بفطرته اجتماعيا ـ بدأ يظهر على امي الساذجة ، حين سألتني : « الا ينبغي ان تبتنِي بعروس يا بني ؟ » .. ولم يكن سؤالها مفاجأة لي . فاجبت وانا اطامن قلبي المثقل : « بلى يا اماه .. عندما يؤون الاوان » .

وبادرتْ باستشارة العجائز من جاراتها ، فدامت المشورة اياما ، كانت تعود في نهاية كل منها ، ووجهها يحمل اسارير الالم ، حتى بات امرها مشكلة تشغلني . وكنت اسائلها كل يوم : « ماذا بك يا اماه ؟ » ، فكانت تقول : « لاشيء ». وفي « لا شيء » هذه ، كان قلب الام يفيض اسى وقنوطا .

وانقضى اسبوعان ، ثم كفت امي عن الخروج. وبدا الذين لم يكونوا يضحكون مني ـ من قبل ـ يضحكون اذذاك . وقال كهلٌ في رثاء لي : « مسكين ! .. لكم حاولت امه جاهدة ان تاتيه بعروس . لماذا تخلق انسانا كهذا يا رب ؟! » . وادركت اذذاك ان « الاغتسال لا يحوّل الغراب الى بجعة » ، كما يقول المثل .

★★★

ولنعد الى قصة حياتي ..

اخيرا ، وجدت حبيبة !! .. ولعل صبرك ايها القاريء قد بدأ ينفد ، وانت تترقب قصة غرامي .. قصة انسانيتي !.. كنت أتوق الى ان احب، وان أكون محبوبا .. اليس هذا امر طبيعيا ؟ .. والحق ان قصة غرامي رائعة ، فيها شابة احبتني ثم تزوجتني ، غير حافلة البتة بمظهري الذي كان يصرف عني العيون ، ويثير تقزز العقول .

كان جهاد امي لتظفر بكنّة لها قد انتهى الى فشل . فما من امراة ترتضي ان تكون زوجة لقرد بشري . وتحت وطاة هذا الفشل وقعت امي صريعة العلل المالوفة في الكبر ، فلم يقدّر لها منها برء. امي التي اعتادت ان تخفف ضرام قلبي بنسائم حنانها العليلة..امي العزيزة التي ابقتني مشدودا الى هذه الدنيا بخيط حبها الذهبي .. امي العزيزة التي كانت مصدر حياتي ، والتي كانت تجد في دمامتي البشعة قبسا من الجمال .. امي هذه تموت بأوصابها وتخلفني وحيدا ..

ثم حدثت المعجزة .. طرقات عصا ثقيلة على درجات سلم بيتي ، ثم صوت فتاة تقول : «اما من شيء لمتسولة يا سيدي ؟ » واردفت تقول : «انني لا ابصر يا سيدي » ! وتطلعت اليها ، ثم الى عينيها.. كان منظرها مؤثرا . ونسيت نفسي وانا اقول في خاطري : « مسكينة ! .. انها شابة بعينين غير مبصرتين .. تعيش حياة لا تملك فيها سوى السمع واللمس » .

ولم تكن مليحة ، لكن جسدها المتناسق اوتي سحر الشباب . يا للمسكينة ! .. لقد ثار قلبي بحالها ، فقلت لها في تادب : « لك ان تدخلي، وان تجلسي » . وشرعتْ تتحسس طريقها الى الباب ، فنهضتُ واخذت بيدها . وكانت اول مرة المس فيها يد شابة بقلب اثقلته المشاعر المكبوتة.وعدت اتطلع الى وجهها. كانت برغم عينيها المكفوفتين ـ قد احتفظت بوجهها على خير حال . ولم يكن صدرها الناهد بمنأى عني . وقبل أن يسعفني الخاطر ، وجدتني ارتجف كالمقرور ، وشعرت بشفتي تتيبسان ، وباطرافي تتحول تحولا عجيبا ، وبانفاسي تتسارع .. وقدتها الى مقعد في طرف الشرفة ، وقلت : « اجلسي ! » .. واعطيتها شيئا من الطعام الذي كنت قد طهوته ، و« روبية » فوق ذلك .

قالت انها كانت تدعَى « ليلا » ، وانها تقيم مع امها في كوخ من القش بقرب مصنع كبير في

المدينة . فدعوتها وهى تتهيأ للانصراف الى ان تعود مرة اخرى .

وكثر ترددها على مسكنى ، حتى اصبح عادة . وكنا نتجاذب اطراف الحديث فى كل الأمور . واحسست باننى بدات أتخفف من هموم فؤادى وحياتى . واخذت لحظات الحياة تحلو لى .

يا لعينا « ليلا » ! .. لو انهما كانتا مبصرتين لزادتاها جمالا . اليست نظرة المراة كفيلة بان تودى بعقل الرجل ؟ .. ومع اننى لم اكن أعرف هذا الا من تجارب الغير ، فقد كان بوسعى ان ادرك معناه . ولكن قلبى الجائع لم يخل من نزوات. فلو كانت لليلا عينان .. ! ولا يعنى هذا اننى لم اكن ادرك سخف هذه الأمنية . فقد كان من المحتمل الا تصبح متسولة لو انها اوتيت عينين مبصرتين .. بل لو انها اضطرت الى التسول ، فى هذه الحال ، لما كان من المحتمل ان تقبل منى اكثر من الصدقات .. كلا ! ما كانت عيناها - اذ ذاك - لتسمحا لها ان تزورنى وتتحدث الىّ كل يوم .

هكذا كنت افكر دون ان افطن ، فقد كنت انسانا كغيرى .

ولاحظ الناس لقاءنا المتكاثر ، ولكن احدا لم يغبطنا اياه . فانا كقرد بشرى كنت هدف سخريتهم واستهزائهم . وها قصة حبى لعمياء تمدهم بمادة جديدة للضحك ، وقد استثارهم التقاء المسخ بالعمى .

وفى ذات يوم قلت لليلا : « ما رايك يا ليلا فىّ ؟ » . وانقلبت ابتسامتها المستحيية الى اشراق واضح . فعدت الحّ : « تكلمى ياليلا ! ». واجابت بصوت خافت : « هل سمعتنى اقول انك رجل سيىء ؟ » . وشعرت بالصدق فى جوابها فطار قلبى فرحا . وسالتها فى فورة العاطفة ، دون ما تمهد : « هل تميلين الىّ ؟ » . فنكست رأسها حياء ، ولم تنبس ببنت شفة . وشعرت بأن كل ما للحياة من فتنة قد تجمع فى هذا المنظر . وما ان انصرفت ، حتى رحت اهتف باسمها : « ليلا ! » .. اخيرا اصبح لى - انا الآخر - فى هذه الدنيا الواسعة الموحشة ، اسم أهتف به .. اسم شخص ارتقبه فى فرح . وبعد أن كانت الحياة تبدو خاوية كريهة ، تراءت لى عذبة ممتعة . ألم اكن سعيد الحظ ؟

ان الذين يضحكون منى اعداء لى . فهب انهم بثوا فى ذهن « ليلا » افكارا عن دمامتى ؟ .. ام تراهم قد فعلوا ذلك فعلا ؟ .. من يدرى ؟ .. ولكن كيف لها أن تفرق بين الجمال الجذاب والقبح المنفر وهى لا تستطيع أن تفرق بين النهار والليل؟ . كانت قد أخبرتنى بانها ولدت مكفوفة البصر . ولست أقول ان هذا كان من حظى ، ولكن آراه كان من نكد حظها ؟

وجاءت « ليلا » فى اليوم التالى .. وكنت افكر فى زواجنا .. ما السبيل اليه ؟ .. الا ينبغى أن يشهد الارتباط بين اى رجل وأية امراة ، رجل من رجال الدين ، يكون بمثابة مندوب للرب ؟ .. ولكن ما من مندوب كهذا كان يقبل ان يعقد زواجا بين مسلم وهندوكية . وكان لهذا سبب ، فان لهؤلاء المندوبين نظرة دنيوية يصفونها بانها « روحية » . ولم أكن و « ليلا » متكافئين فى نظرهم ، ومن ثم ابوا ان يبذلوا اى عون ، بالرغم مما اعلن من ان فى الدنيا من النساء ما يفوق عدد الرجال .. ومع أنه لم تكن ثمة من تقبل الزواج منى سوى « ليلا » .

وسالتها : « هل تقبلين الزواج منى يا ليلا ؟». وشعرت بانها اجفلت . ولا ريب ان كونى مسلما قد جعلها تتروى . وقالت : « ماذا تقول ؟ » .. كان لعطف هذه المتسولة العمياء حد . فعدت اقول : « يكفى أن تعلمى أننى انسان يا ليلا ، وقد ارسلك الله الىّ . وما الطبقات والفوارق الا من صنع الانسان » .

وتطلعت الى شفتيها المرتجفتين ضارعا ، وقد ساورنى شعور القاتل وهو يرتقب حكم القاضى.. أجل ، كان عليها أن تقرر اذا كنت أعيش أوأموت .. ولاذت بالصمت . ألم يكن لهذا الصمت معنى واضح ؟ .. وعدت أقول : « تكلمى يا ليلا .. اننى أريد أن اضطلع بحمايتك ، فعدينى بأن تسعدينى » .

وقالت أخيرا : « ساقبل .. ما أكثر ما سمعت من أمور يقولها الناس عنى بازدراء . فعندما أمر بهم يقولون : « هاهى ذى عشيقة الرجل القرد » .. فانت - فى قولهم - خلو من الجمال » .

- وما شعورك أنت يا ليلا ؟

فمضت تقول : « لست افقه الجمال الذى عنه يتحدثون ، ولا رأيت القرد يوما . لذلك فلست أحفل بقولهم . أفكان الامر يتغير لو انهم قالوا انك

اجمل رجل في الدنيا ؟.. انما أرى الدنيا بقلبي .. وبقلبي أرى الحسن والقبح . وانك لمسلم وانا هندوكية . فما دمت لا تجد مانعا ، فلست ـ انا الاخرى ـ اجد ما نعا ، فقد كنت احسب انه ما من احد في هذه الدنيا يرتضي أن يحبني مخلصا ولكن .. » فتساءلت في لهفة : « اذن ، ففيم الاستدراك ؟ » .

قالت : هناك « لكن » كبيرة وراء مهنة التسول .. فلست امتلك الانوثة التى أقدمها لك ولما تمس .. لقد طالما اشتهيت الحب ، برغم انني عمياء .. ولكن وعاء التسول كان يضحك في شماتة شيطانية ، وهو يرى معدتي ومعدة امي خاويتين، اذا ما عدت به فارغا ، بعد أن اقضي اليوم كله في الاستجداء . وكنت اضطر الى الاستسلام لاصحاب الشهوات اذا ما سعوا في بهيم الليل . ولا جدوى لان تبدي استنكارا ، فما من رجل يضع صدقة في وعاء متسولة شابة لوجه الاحسان ولقد ظننت عطفك ـ في باديء الأمر ـ من هذا القبيل ، فاغفر لي .. أما اليوم ، فلست احترم انسانا سواك .

ووجمت لحظة ماخوذا . وسادنا الصمت . ثم قلت في النهاية : « انها قصة انانية الرجل البغيضة يا ليلا .. فلن افكر فيها بعد الآن » . ولم تنبس ببنت شفة .

★ ★ ★

وبعد أيام تم الزواج ، فكانت له ضجة في قريتي . اذ اننا بدون وساطة اى من رجال الدين، وقفنا ـ هي وانا .. ليلا وعبد الله ـ وعقدنا عهدا صامتا بان نكون شريكين في الحياة .

وازداد ضحك القوم حولنا ارتفاعا . وكانت هناك قهقهة عالية عندما اقبلت « ليلا » وأمها لتقيما معي . وازور؟ عنا اولئك الذين اقاموا انفسهم اوصياء على المجتمع . فان الناس لم يدركوا أن وراء قصة الحب والزواج قلبين يتاججان . وقلت محاولا ان أسرى عن ليلا :«دعي الناس يضحكوا ما شاءوا ، فهم ولا بد معتوهون».

وبدانا نعيش معا . ولست ازعم أن حياتنا الزوجية كانت سعيدة .. كانت تمثل الاندفاع الجنوني لانسانيتنا . فان التقاليد الخلقية والدينية والاجتماعية احاطتنا بسياج انتقامي رهيب . فلم تكن نتلقى عونا او تعاونا من احد .

ولم يداخلنا شك في أن بوسعنا أن نعيش هانئين، فقد كنا على استعداد لمجابهة الصعاب .

ثم ، اذا « ليلا » تحمل .. ولم يقم قبح شكلي ولا عمى « ليلا » حاجزين دون ذلك . وتجاهلنا اقاويل الناس وسخريتهم ، وغمرني فرح لم آكن أتوقعه يوما في حياتي . فقد صرت حبيبا، وزوجا ، وها انذا ساصبح ابا . وحمدت الله العظيم .

ولكن « ليلا » اصيبت بمرض قبل مولد الطفل بشهرين . ودعوت طبيبا ففحصها . وتوسلت اليه ان ينقذها ، فقال: « ليس مرضها بالامر الخطير، وسابرئها منه . وبعد هنيهة سالني : « أهي عمياء منذ مولدها ؟ » . واذ أجبت مؤكدا، فحص عينيها مرة أخرى ، وقال وهو مستغرق في التفكير: بوسعي أن ارد اليها بصرها بجراحة . ولكن هذا مستحيل في الوقت الراهن . فلتسترد صحتها عقب الوضع أولا » .

وهزت كلمات الطبيب قلبي ، وشبابي ، وحياتي ! .. يقول ان بوسعه أن يرد لعيني«ليلا» الابصار ؟ .. اتراها ـ حين تبصر ـ سترتجف تقززا اذ تراني وهي تعرف انني « رجل ذو قلب » جدير بالحب؟ .. هل ستظل على حبها واحترامها لي بمجرد أن تبصر ؟ .. ما الذى ينبغي أن أقوله للطبيب ؟ .. وهممت أن اصيح : « كلا ، ليست عيناها بحاجة الى الابصار » . ولكن الكلمات انبعثت من فمي : « ان الطبيب يقول ان علاج بصرك ميسور يا ليلا » . ورحت أردد ـ دون وعي ـ ما سمعته من الطبيب . كيف أقوى على ان أبين لها أن ارتداد بصرها قمين بأن يجتث جذور حياتي ؟ .. أى شيء يضن به المرء في سبيل الاحتفاظ ببصره ؟ .. ولكن « ليلا » ـ التى كانت تفهم قلبي تمام الفهم ـ لم تكن تلم بالناحية الدنيوية في نفسي . فقالت : « اذا كان من الممكن أن استرد بصري فلاسترده . الا تشعر بالاغتباط ؟ .. يقينا انك ستزداد حبا لي اذا ما بات بوسعي أن رآك» .. وطفح وجهها بالسرور برغم سقامها. أفكان هذا راجعا الى ان حياة جديدة كانت تتكون في أحشائها؟

وكتب لي الطبب الدواء، ووصف لي استعماله، وقال : « تعال اذا ما ارتدت اليها عافيتها بعد الوضع ، وسأحدثك عن الجراحة اللازمة » .

وكانت « ليلا » هادئة المظهر ، ولكن عاصفة كانت تحتدم في أعماقها . وراح عقلي يضطرم

بالأفكار العنيفة ، فذهبت الى طرف الشـــرفة وجلست . لم أكن أحظى بالطمأنينة الا فى كوخى الصيفى هذا ، ولكنه بات مهددا بالانهيار .. الا ما أصغر دنياى ! ..« كلا . أبدا . لن ترد البصر الى عينى ليلا . أواه ، يا طبيب ! .. انك تتآمر مع أعدائى الحاقدين على قتلى ، ولكنى سأقتلكم أولا . لماذا ألقيت النار على حياتنا ؟ .. ولكن ، كلا .. لا تثريب عليك ، فواجبك أن تكافـح الأمراض ، والعمـــى مـن أســوأ الأمراض ، فليس بوسعك أن تغضى عنه .. وقد تستطيع أن تهبها الابصار . انك لا تعرف شيئا عن حيــاتى .. قد يقدر لليلا أن تبصر ، فعسى أن يمنحها الله هذه النعمة الكبرى التى لا غنى لانسان عنها. ولكن ، فلأصبح رمادا قبل أن يتحقق هذا ... قبل أن تعرف المقصود بـ « القرد البشرى » . اذ ذاك قد أعيش فى ذاكرتها كشخص غنى بالحب. ترى هل يبقى حبها الراهن لى ، والجمال الذى تراه فىَّ الى الأبد ؟ » .. هكذا راح فؤادي يردد :

★★★

ووضعت « ليلا » مولودا ذكرا . واضـطرب المجتمع ازاء مولد طفل غير شرعى . وقهقه البعض كالبغال . أليس الأمر أغرب مما يمكن تصوره ؟ .. لقد كان الطفل الذى ولد لأب دميم وأم عمياء، بريئا من كل عيب ، ورث عن « ليلا » شكلها وعنى عينى .

وتعافت « ليلا » ، فذكرتنى بما كانت أنانيتى قد أغرتنى بالا أثيره : «هل تذهب الى الطبيب؟». ولم تدر أية عاطفة أثارتها كلماتها فى فؤادى.وقلت كاذبا : « أجل لقد نسيت . سأذهب اليوم لأستجلى الأمر » . وكنت أدرك أننى أكذب .كنت كمن تتخبطه الأنواء وسط المحيط . وخرجت ، ثم عدت بعد ساعتين،لأقول:« لقد مات الطبيب». وكان هذا كل ما وسعنى قوله . بل لقد كنت أظننى عاجزا عن أن أقول هذا على اقتضابه .ولم استطع أن أبدى الأسى الذى كان ينبغى علىَّ ـ وأنا زوجها ـ أن أشعر به لموت الطبيب .الطبيب الذى وعد بأن يزيل عن عينيها الحجاب . وكنت مضطرا الى أن أكتم فى فؤادى الملتاع سرا خلقته القسوة والأنانية . وكان عبأ أثقل من أن يطاق ، فاذا الذى فعلته حرصا على هنائى يقوض راحة بالى ما حييت .

وتوالت الأيام كأنها الجحيم .. وفى ذات يوم ، عدت الى البيت ، فرأيت منظرا فتت فؤادى . كانت أم « ليلا » قد نسيت رفع وعاء نحاس كبير من الحجرة . وبينما كانت « ليلا » مندفعة نحو مهد الطفل اذ بكى ، وهى لا تحمل العصا التى اعتادت أن تتحسس بها طريقها تعثرت فاصطدمت بحافة الباب ، وأخذ الدم ينساب منها غزيرا ، فهرعت بها الى المستشفى .

أتساورك الآن رغبة فى الضحك ؟ .. لم أعد أشكو من شىء . ومنذا الذى يحفل بشكواى ؟

« ليلا » يا حياتى .. يا دنياى ! .. وناداني أحد الأطباء ، فقال لى : « لا بد أنها سقطـة فظيعة .. فالجرح خطيرا جدا » . واقتربت من ليلا وهى تتلوى ألما . وتحدثت اليها ، فقـالت باكية : « هل جئت ؟ .. اننى راحلة . ليتنى أستطيع رؤيتك بعينى » .

وبدت لى رغبتها الأخيرة محكـــا لجلدى . أفكانت متحسرة على موت الطبيب ؟ .. انها لم تذكر شيئا . فقلت لها : « ليس بالأمر الكبير أن ترينى بعينيك يا ليلا . ألم ترينى بقلبك الكبير الصافى ؟ .. أوقن أنك الوحيدة فى هذه الدنيا التى رأتنى حق الرؤية ، فالناس لايستطيعون رؤية بعضهم بعضا بالعيون ، فاطمئنى يا عزيزتى وطيبى نفسا ، ولن تلبثى أن تتعافى » .

وأصغت لى ، ثم سادنا الصمت برهة .وكانت الشمس قد انحدرت نحو المغيب . وشرعت«ليلا» تنتحب وأنا أتعذب .. كأن سرى البشع يحاول أن ينطلق . ولم أعد أطيق بقاء . وأقبلت أم « ليلا » فوضعت الطفل الى جوار أمه . وبدأ المخلوق الصغير يبكى ، ولعل الجو الحزين كان يثقل على أنفاسه . وشرعت أم « ليلا » فى البكاء هى الأخرى . وشعرت بالحيرة والعجز .

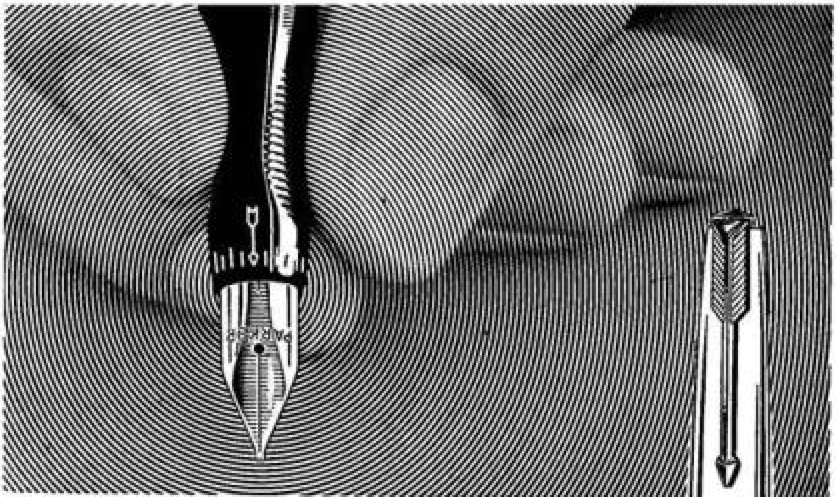
وصعدت روح « ليلا » النقية فى هدوء ولطف. ولست أذكر ما فعلتُ اذ ذاك . وكأنى بوجيب قلبى قد توقف ، بينما انفجر فى كيانى شىء آخر.

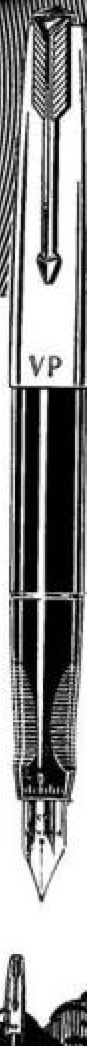
وكانت الشمس قد غابت تماما ، وادلهـم الظلام .

والذين لا يفقهون ما تحت دمامتى من مشاعر ، والذين لا يفهمون قصة حبى الغريب ، لا يزالون يضحكون حين يروننى . أما أنا فأتساءل أحيانا : « ترى كيف كانت تصبح قصتى ، لو أننى كنت أعمى أنا الآخر » ؟!

■■

ترجمة : محمد بدر الدين خليل





قلم باركر الجديد ...

* شخصي جـدا

قلم باركر في بي

مصنوع خصيصا ليلائم اسلوبك بالكتابة من اى زاوية .

ان كتابتك ، كبصمات اصابعك ، خاصة بك وحدك دون غيرك : فطريقتك فى مسك القلم ، والقوة التى تستعملها للضغط على القلم ، والزاوية التى تكتب منها ــ كل هذه تجعل من كتابتك شيئا يختلف تماما عن كتابات الآخرين ، وتجعل من كتابتك شيئا خاصا بك وحدك . ان اكثر الاقلام صممت لتلائم الشخص العادي ولا تلائم فى الحقيقة الذى يعتز بكتابته .

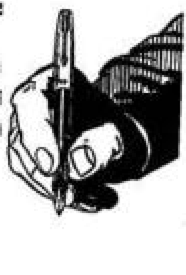
اقرا الآن كيف يلائم قلم باركر في بي نفسه ليناسبك :

بامكانك ادارة الريشة لتلائم بالضبط طريقتك فى الكتابة ، والزاوية التى تكتب منها . ولا يهم ابدا ان كنت تكتب باليد اليمنى أو باليد اليسرى لأن باستطاعتك أن تضبط بسهولـة الريشة عـلى الزاوية التى تكتب منهـا .

بامكانك أن تختار الريشة المناسبة لأسلوبك فى الكتابة ابتداء من الريشة الرفيعة جـدا (ريشة المحاسبة) الى الريشة العريضـة (ريشة الموظف الادارى) ، وبين هاتين الريشتين ريش عديدة لتلائمك ، وجميعها مصنوعة من الذهب الصلب عيار ١٤ قيراطا ، ويمكن تركيبها بكل سهولة .

المسكة المخططة المريحة تهيىء مكانا لراحة أناملك للتخفيف من تعب الكتابة. وكذلك ترتاح يدك وترتخي مما يجعلك تكتب كل كلمة وسطر بصورة جميلة وبرشاقة طبيعية .

اكتشف بنفسك كيف يمكن أن يصبح قلم باركـر في بي أداة كتابتك الخاصة . وسيساعد البائع فى اختيار الريشة المناسبة لك بالضبط وسيريك ايضا كيف يعبأ قلم باركر في بي بسهولة ونظافة وهى صـفة أخرى للكتابة الممتعة للغاية .



باركر

صانعو اكثر الأقلام المرغوبة فى العـالم

شركة اقلام باركر جينزفيل ، وسكونسن الولايات المتحدة الأميركية .



تضحك الدنيا معك .. ابكِ تبكِ وحدك

الجـواب .. !

● رفضت الفتاة طلب الفتى حينما عرض عليها الزواج . وفى اليوم التالي بعث اليها برسالة مع رسول قال فيها :

فى الوقت الذى تقرئين فيه هذه الرسالة فان جسدى سيكون فى أعماق النهر . ان الحياة بدونك لا تساوى شيئا ولذلك فانني لا استطيع العيش بدونك. تذكرى انني كنت دائما احبك .

فاصفر وجه الفتاة وقالت بحزن : **لقد قتل نفسه !**

ولكنها لاحظت ان الرسول ما زال واقفا فسألته : **ماذا تنتظر .**

فأجاب : **ان الشاب الذى سلمني الرسالة طلب مني أن انتظر الجواب !**

تعريف صحيح

● سال ابن رجل الأعمال والده عما يعنيه الافلاس بالضبط .

فقال الأب : **ان الافلاس يا ولدى هو أن يضع الرجل فلوسه فى جيوب بنطلونه ويجعل دائنيه ياخذون معطفه !**

اتفاقية مدهشة

● ارسلت المدرسة هذه المذكرة الى والدى الطفل فى بداية السنة الدراسية :

ـ اذا وعدتما بان لا تصدقا كل شىء يقوله ابنكما عما يحدث فى المدرسة فانني اعد بان لا أصدق كل شىء يقول انه حدث فى البيت !

لا داعى للخوف !

● الزبون : **متاسف ولكنني لا أحمل نقودا لادفع ثمن الوجبة التى تناولتها .**

صاحب المطعم : **لا باس فى ذلك . سنكتب اسمك على الحائط وتستطيع أن تدفع حينما تاتى فى المرة القادمة .**

الزبون : **لا تفعل ذلك لأن كل شخص سيرى اسمى .**

صاحب المطعم : **لن يرى اسمك أحد ،لأننا سنعلق معطفك فوق الاسم ليغطيه!**

جواب شافٍ

● كانت احدى النساء تخطب في جمعية نسائية وتدعو حكومة بلادها للسماح بهجرة ابناء اللاجئين الى بلادها لتبنيهم . فوقفت سيدة وسألتها : **هل تقبلين ان تتبني طفلا قبل رؤيته ؟**

فأجابت الخطيبة : **انني لم ار اطفالي مطلقا قبل ان الدهم ؟**

رأس الأسرة !

● **الأول : اريد بالتأكيد ان اعرف كيف تعيش انت وزوجتك على وفاق تام لأن هذا امر غير عادي .**

الثاني : هذه مسألة بسيطة . اننا نسير على خطة معينة فهي تتخذ القرارات غير الهامة وانا اتخذ القرارات الهامة .

الأول : هذا معقول ولكن ما هي القرارات الهامة والقرارات غير الهامة .

الثاني : القرارات غير الهامة هي التي تتعلق بموعد رجوعي الى البيت ، وبمصروف الجيب خاصتي وأين نقضي الاجازات . اما القرارات الهامة ـ وهنا انتصب في جلسته ـ فهي مثلا : **هل يسمح للصين بدخول الأمم المتحدة أم لا ؟**

سر ..

● خصمان سياسيان جلسا يتحدثان فقال احدهما : **هناك اكثر من مائة طريقة لجمع الفلوس ولكن ليست هناك الا طريقة واحدة لجمع الفلوس بالحلال .**

فسأله الثاني : وما هي هذه الطريقة ؟

فقال الأول : **كنت اعرف انك لا تعرفها .**

اضحك

وجهة نظـر

● القاضي : قل لي ماذا فعلت من خير للانسانية ؟

المجرم : انني السبب فى ابقاء ثلاثة او اربعة من رجال التحرى فى وظائفهم بانتظام .

أسرع من الصوت

● الاول : لقد تبينت ان طائرتنا تطير بسرعة تتجاوز سرعة الصوت .

الثاني : كيف عرفت ذلك .

الاول : لان المضيفة صفعتني قبل ان اتفوه بكلمة .

عقوبة خفيفة

● حينما بلغ الطفل سن دخول الروضة اخذته امه الى المديرة ورجتها ان تعامله بكل رقة ولطف لانه حساس جدا ولم يعاقب ابدا .

ولكن المديرة احتجت بأن هذه المعاملة لن تفيد الطفل ابدا . وفكرت الأم قليلا واقترحت الحل الآتى :

- اذا اساء ابني السلوك ما عليك الان تصفعي التلميذ الذى يجلس بجانبه فان هذا سيرعبه !

اختبر معلوماتك العامة بالصور

الاجابات الصحيحة للاسئلة الثلاثة المنشورة على صفحة ١١٥

١ ـ هذا الحجر التاريخى اسود اللـــون ، طوله ثلاث اقدام وسبع بوصات وعرضه قدمان وست بوصات وسمكه عشر بوصات ، موجود الآن فى المتحف البريطانى ، وكان المفتاح الى لغة مصر القديمة وحضارتها .

لقد عثر عليه ضابط فرنسى فى مصر عام ١٧٩٩ وعليه مرسوم صادر عن الكهنة المجتمعين فى ممفيس بلغات ثلاث هى اليونانية والهيروغليفية والمصرية الشعبية القديمة .

لقد استطاع الشاب العبقرى جان فرانســوا شامبليون ان يحل الرموز الهيروغليفية لمعرفته اللغتين اليونانية والمصرية الشعبية القديمة .

ويعرف هذا الحجر باسم « حجر رشيد » ، فقد عثر عليه على بعد أربعة اميال من بلدة رشيد الواقعة بالقرب من مصب نهر النيل الغربى .

٢ ـ هذه الصورة هى ـ كما تقول احدى كبريات الصحف الفرنسية ـ صورة « عجوز ما زالت تحب الغزل » !

انها صورة « برج ايفل » فى باريس ، ذلك البرج الذى استغرق بناؤه ٢١ شهرا ، وتكلف مليونى دولار ، حتى اذا ما انتهى العمل فيه تعرض لنقد الناقدين ، ومنهم الكاتب الفرنسى الكبير «جى دى موباسان» الذى قال : « سارحل

عن باريس لانني مللت النظر الى هذا الهيكل المخزى ! » .

وقد بدا المهندس الفرنسي جوستاف ايفل في بناء البرج عام ١٨٨٧ ، وبلغ عدد الذين زاروه عام ١٨٨٩ نحو مليوني شخص .. اما متوسط عدد زواره فهو مليون ونصف مليون سنويا .

ويبلغ ارتفاع البرج ٩٨٤ قدما ، وليس في العالم الا ثلاثة مبان اعلى منه هي : امبيرستيت ، وكرايزلر ، وبرج تليفزيون طوكيو .

٣ ـ كان البرت جون لوتولي ، زعيم قبائل الزولو السابق في جنوب افريقيا ، احد الذين فازوا بجائزة نوبل للسلم هذا العام ، فكان بذلك أول افريقي يفوز بهذه الجائزة العالمية . وها هو ذا يتسلم الجائزة من رئيس لجنة السلم النرويجية ، في الاحتفال الذي اقيم لذلك في « اوسلو » ، وحضره الملك اولاف ملك النرويج ووزراؤه وكثير من رجال العلم والادب من مختلف بلاد العالم .

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....
....
العنوان : ....
....
....

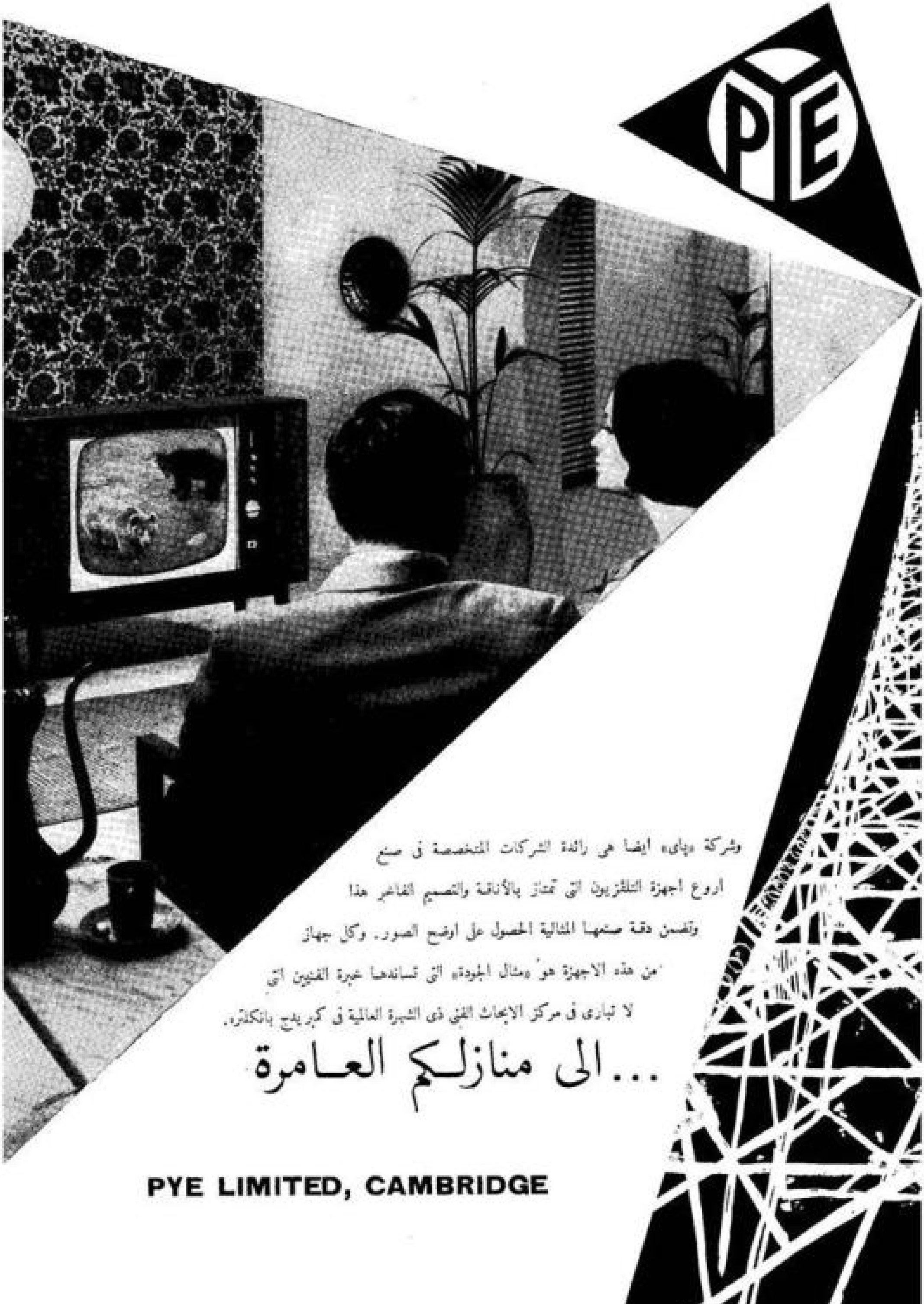
ومما يذكر أن حكومة جنوب افريقيا لم توفد مندوبا عنها لحضور الاحتفال بتكريم احد رعاياها ، بل انها لم تسمح له بمغادرة البلاد لاكثر من عشرة ايام فقط سافر خلالها الى اوسلو حيث تسلم الجائزة وعاد .

■■


سيجارة ڤايسروي - سيجارة الرجل العصري
VICEROY
Filter Tip
CIGARETTES



عِش سعيداً بدون ألم
بتناول أسپيرين
BAYER
"أسپيرين" هو الاسم المسجل للمستحضر الألماني الأصلي.
تأكد بأنك تستعمل "أسپيرين باير" الأصلي الألماني الصنع.
أطلب "أسپيرين" في علبته الخضراء التي تحمل علامة باير.
١. يزيل الآلام
٢. يخفف الحرارة
٣. يعيد النشاط والعافية
ASPIRIN
"أسپيرين باير" لا يؤثر في القلب ولا يضر المعدة


PYE
وشركة «پاى» ايضا هى رائدة الشركات المتخصصة فى صنع
اروع اجهزة التلفزيون التى تمتاز بالأناقة والتصميم الفاخر هذا
وتضمن دقة صنعها المثالية الحصول على اوضح الصور. وكل جهاز
من هذه الاجهزة هو «مثال الجودة» التى تساندها خبرة الفنيين التى
لا تبارى فى مركز الابحاث الفنى ذى الشهرة العالمية فى كمبريدج بانكلترة.
... الى منازلكم العامرة
PYE LIMITED, CAMBRIDGE

مشكل أخير. أول سفينة ركاب إيطالية قيد الصنع في سستري ليفانتي بالقرب من جنوا... والمتوقع أن تكون من أجمل سفن العالم لما تحتوي عليه من أثاث فاخر ورسوم فنية عالية جدا رائعا.

عَصْرُ النَّهْضَةِ الإِيطَالِيَّة

الوَثْبَةُ الثَّانِيَة

لم يعد اليوم ازدهار إيطاليا العجيب من الأمور التي تبعث على الدهشة، فإن الناس يقفون ويتطلعون ثم يمضون في سبيلهم.. ومع ذلك فإن الإيطاليين قائمون دائماً بتعليم العالم درساً يستحق العلم: وهو كيفية الحصول على الكثير من القليل.

١ – هذه بلاد جبلية خالية من ضروريات الصناعة الثقيلة وهي الحديد والفحم... ومع ذلك يفاخر بعد نهضتها خمسون مليوناً من الإيطاليين المتفوقين في الابتداع.

٢ – إنهم يستوردون قراضة الحديد فيحولونها إلى سفن رشيقة وسيارات ودراجات «سكوتر» وآلات كاتبة وماكينات... (وقد برهن الإيطاليون أن حتى الماكينات الخاصة بصنع الأدوات الصناعية يمكن أن تكون جميلة المظهر).

٣ – أصبحت إيطاليا، رغم خلوها من الموارد المحلية – عدا الأيدي – من أعظم البلاد الأوروبية المتقدمة صناعياً، وضاعفت دخلها..

١٥ مليون عائلة

٤ – الدستور الإيطالي ينص في نصوصه نظام الحكم: «إيطاليا جمهورية ديموقراطية أساسها العمل».

٥ – ومعنى ذلك أن الإيطاليين يعتزمون الحث على العمل، فهم بفطرتهم متعطشون إليه.

٦ – وهذا لا ينقص مقدرة عيشهم، فإن الإيطالي العصامي يتمتع جد التمتع بكونه بناءً كثير الضوضاء، محباً لعائلته، في أجمل بقعة من بقاع العالم، سواء في المدن وفي الأرياف.

٧ – إنه يعمل بالتعاون مع أفراد عائلته، ويكفيه ... أن يتباهى بحسن مظهره أمام الناس في المقهى أو في الشارع العام، وأن يتبرع ... وأن يشتري الأثيق من الثياب (حيث أن الإيطالي شغف بالملابس الظريفة).

٨ – ومع أن الإيطاليين يفتقرون جميع القطع، فالأمم تعرفهم عند ابتكار البناء والتصميم، ... إذ أن بلادهم هي بلاد ليوناردو ومايكل أنجلو ورفائيل وبنفينوتو تشيليني. فترى حتى الأطفال يبنون بيوتاً صغيرة. والإيطاليون هم أصحاب الزوايا والرسوم والمسطحات، وتشهد على ذلك حمامات السباحة البديعة ومحطات القطار والمشاريع العامة العظيمة وطريق الأوتوستراد ... العصامي.

إيطاليا في السوق المشتركة

– انخرطت إيطاليا في مفاوضات السوق المشتركة ... في بدايتها الأولى ... وهما اعتباطي ... العائلة في جنوبها والصناعات في شمالها.

– ومع ذلك فقد سجلت أعلى معدل للنمو العالمي الفعلي، وهو ١٠٪ في العام، فعلى عشر سنوات ازداد فيها إنتاج الماكينات، والكيماويات، والسيارات، والمركبات، والحديد والفولاذ، إلى أكثر من الضعف.

١١ – زد على ذلك أصبحت إيطاليا ملتقى أوروبا في نزهة رحلاتها، إذ بلغ مجموع الزائرين واحداً وعشرين مليوناً في ١٩٦٢ (أي زائراً واحداً تقريباً لكل اثنين من الإيطاليين).

عضلتا إيطاليا القويتان: النفط والغاز

١٢ – يصح القول أن افتقار إيطاليا إلى الفحم كان نعمة عليها، لأن الصناعة وجدت نفسها حرة في اختيار أكثر موارد الطاقة اقتصاداً، فوقع اختيارها على النفط والغاز.

١٣ – ازداد استهلاك النفط نحو ٢٠٪ في العام، فأصبح اليوم يسد ٥٠٪ من حاجات الطاقة، وفي ١٩٦٢ استوردت معامل التكرير الإيطالية نحو واحد وأربعين مليون طن من الخام، فصرفت ٧٥٪ في الداخل وصدرت ٢٥٪.

١٤ – وأضاف الغاز الطبيعي الذي تم اكتشافه في وادي البو المزيد من الطاقة المحلية إلى الصناعات الرائعة في الشمال.

أسنان

١٥ إن التفاوت بين دخل أهالي الشمال وأهالي الجنوب المشتغلين بالزراعة لا يزال من الأعباء التي يتحملها كاهل الأمة الإيطالية.

١٦ – أما اليوم فقد أخذ الجنوب ينهض من جديد، فقد باشرت الحكومة بتحسين الري وإصلاح الأراضي وتعبيد الطرق، وتم تأسيس مصانع جديدة للنسيج والآلات والكيماويات في أسفل حذاء شبه الجزيرة الإيطالية، كما أخذت صقلية بإعادة بناء أسطولها التجاري فأصبحت من أعظم المراكز لاستيداع النفط في البحر الأبيض المتوسط.

المستقبل

١٧ – يجتذب أسلوب الحياة الإيطالي إعجاب الكثير من الأوروبيين وسكان البلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط.

١٨ – فإنهم يتعلمون من إيطاليا كيفية النجاح في الحياة تحت شمس قوية، وكذلك كيفية الحصول على الكثير من القليل، كما يتعلمون من هناك أسلوباً للعيش والزي والمعمار.

أصبح الإيطاليون اليوم مهندسين وبنائين للمسير في خدمة الأمم الناشئة، ومن مآثرهم الجديدة التي لا تقل روعة عن تحف الماضي الأثرية، السدود الشامخة في كالابريا وعلى الفولتورنو في حوض القرية، والطرق والمدارس والمستشفيات من أقاصي الشمال إلى بحر.

شل والنفط العالمي

نظراً لقلة الفحم في إيطاليا وانشغال معظم مواردها الكهربائية بتزويد الطاقة انشغالاً تاماً، فإنها تستهلك عدة ملايين إضافية من براميل النفط وكميات هائلة من الغاز الطبيعي كل عام، شأن بقية العالم.. والنفط من أسرع موارد الطاقة نمواً، والمتوقع أن يتضاعف طلبه خلال السنوات الخمس عشرة المقبلة.

وسد هذا الطلب يستلزم عملية عالمية، إذ أنه لا تنقل أية سلعة أخرى بمثل هذه الكميات الهائلة عبر مثل هذا العدد من الحدود، أو تنفذ عن تركيب مثل هذا العدد من المنتجات، أو تقتضي مثل هذا الاستعداد المبكر.. إن ذلك يتطلب شبكة دقيقة تتناول العالم بأسره، كالتي كونتها شل طيلة سنين.

حقائق وأرقام

ولنقل النفط إلى الأسواق يحتفظ على شل استخدام ناقلات تزيد حمولتها عن ١١ مليون طن و٣٢ ألف ميل من خطوط الأنابيب عبر الطرق البرية الكثيرة.. وتأسيس شركات للبيع لها زهاء ١٠٠ قطر والتاجرة بكل قطر تقريباً، وتشجيع ٦٠٠٠ من علماء البحث على ابتكار منتجات مفيدة جديدة، ومواد وقود جديدة، وزيوت، وكيماويات، وأسمدة، ومقاقير مبيدة للحشرات.

إعتمد دائماً على شل

يمكن الاعتماد على شل لأنها تتناول جميع مراحل إنتاج النفط.. إنها تبحث عن النفط وتكتشفه وتستخرجه وتنقله وتركب منه المنتجات وتشرف على التسويق بنظام دقيق عجيب.. ومن جميع هذه العمليات لا يتجاوز معدل ربحها ١ سنت أمريكي عن كل غالون يباع.

شل تفيد الجميع.. تأتي بالمنتجات المطلوبة إلى المكان المطلوب في الوقت المطلوب.. تمنح الأقطار المستهلكة بإيجاد موارد للطاقة يعتمد عليها، والأقطار المنتجة بإيجاد أسواق يعتمد عليها.. عاماً بعد عام!


MICHELANGELO



فوز الخطوط الحديثة

اقتناء دوكسا غرافيك ساعة المستقبل . ستكون لك ينبوعا دائما من السعادة والفخر . وستكون متأكدا من اقتنائك الساعة الراقية التي علاوة على مظهرها الخارجي الأنيق تضمن لك الدقة العالية

كشف باسماء موزعى دوكسا

استكو المحدودة ـ شارونو ـ كابول ـ افغانستان ، مخازن السكبيور ـ عدن ، اكسلنت ميزيوم ص. ب ٢٤ دوحة ـ قطر ـ الخليج العربى ، جوزيف جيراكو ص.ب ٢٨٩٤ ـ بيروت لبنان ، فخرى جواد ـ ساحة الناصر ـ البتاوين ـ بغداد ـ العراق، خليفة وعمير بن يوسف ـ ابو ظبى ـ الخليج العربى ، اسحاق عبد الرحيم الكومجى ـ ص. ب ٥٧ ـ الخبر ـ العربية السعودية ، روبين كيتشجيان ـ ص. ب ٢٦٩ ـ عمان ـ الاردن ، كرابيد ميناسيان ـ ص. ب ٥٧٠ ـ حلب ـ سوريا ، شركة العثمان التجارية ـ ص. ب ٥٢٠ ـ الكويت ، ميشال اوسطايان ص.ب ٩٢٥ ـ دمشق ـ سوريا، مؤسسة بونو للساعات والتجارة شارع الملك عبد العزيز ـ جدة ـ العربية السعودية ، شركة س. بن سعود وم. شيخ ص. ب ١٤١ ـ بنغازى ـ ليبيا .

DOXA
grafic

معامل ساعات دوكسا ش.م.لو لوكل ـ سويسرا

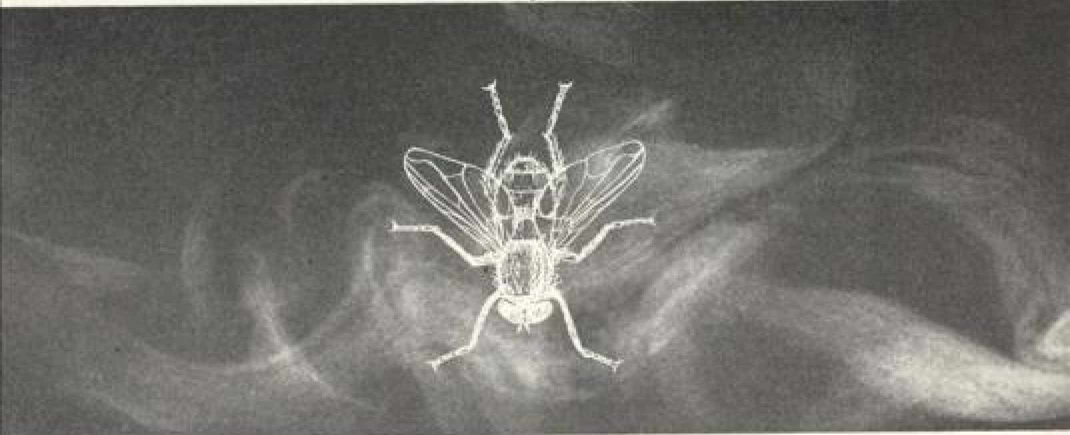

ساعتي رومر
انت فخري



ڤاپونا

"ماركة مسجلة"

ڤابونا هو مبيد «شل» الحشرى الفسف
الجديد، السريع التبخر. واساسه م
D.D.V.P. «د.د.ڤ.پ.»



ڤابونا : من أهم مزاياه مفعوله التبخيرى ونظرا لأنه يوصى باستعماله بصفة خاصة فى الأماكن المقفلة. ويعتبر ڤابونا أصلح ما يكون للاستعمال فى الأغراض الصحية العامة والأغراض المنزلية، وعلاج الحيوانات التى تعيش داخل المنازل، ولحماية البضائع المخزونة والمحاصيل النامية فى البيوت الزجاجية.

ولا يقتصر مفعول ڤابونا على إبادة الحشرات بطريق الملامسة المباشرة، بل أنه يطلق أبخرة تقتل الحشرات الطائرة والمختبئة فى الشقوق والفجوات البعيدة عن نقطة استعمال المبيد.

ڤابونا مبيد قوى . . إذ أن كمية قليلة جدا منه، تكفى لإبادة الذباب والبعوض والزنابير والعث والسوس والخنافس والصراصير والنمل والسمك الفضى والبراغيث والقمل . . وكثير منها لديه مناعة ضد المبيدات الحشرية الأخرى.

ڤابونا مبيد مأمون . . إذ أن الجرعة الضئيلة جداً اللازمة لإبادة الحشرات، تعتبر أقل بكثير جدا من المستوى الذى قد يحدث منه ضرر للإنسان أو الحيوان. فضلا عن أنه يتحلل بسرعة فى الهواء أو على الأسطح الما

ڤابونا لا يترك بقع أو رائحة.

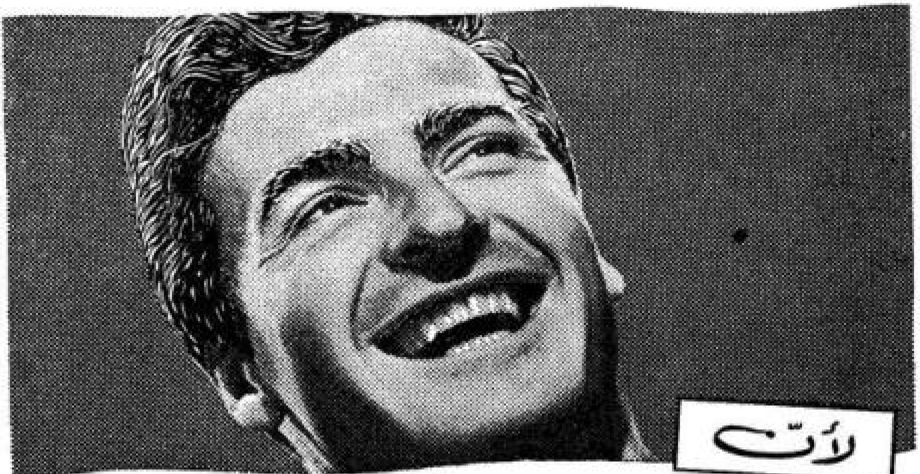
ڤابونا ليس سوى واحد فقط من مجموعة مبيدات «شل» الحشر
تشمل الدرين، وديلدرين، واندرين، وفوسدرين، وڤيلودرين، و
وتيباجون.

شل للكيماويات

اتصلوا بشركة «شل» فى منطقتكم لطلب مزيد من البيانات
الخدمة الفنية.

صداع ، أوجاع وآلام ،
حمى ، رشح وانفلونزا ؟

‹أسبرو› يُعيد لك الصحّة ...



لأنّ

‹أسبرو›
يجلب لك
كل راحة

إذا أُصبتَ بألم فلا يكفي أن تخففه قليلاً ، بل إنك تحتاج الى الراحة التامة التي يحققها لك ‹أسبرو›. تذكّر أن ‹أسبرو› هو الدواء الذي يستعمله أكبر عدد من الناس في العالم كله ، أكثر من أي دواء آخر لإزالة الألم وتخفيض الحمى . اجعل ‹أسبرو› في متناول يدك على الدوام .

١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصر أجل الرشح



من منتجات نيكولاس

K/5/AA

‹أسبرو› يجلب لك كل راحة !

العربي

العدد ٦٣
رمضان ١٣٨٣
فبراير
(شباط) ١٩٦٤



مع هذا العدد

بقية
خريطة العالم
+
العربي الصغير

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

عربيتان من صنور
بملابس الرقص الشعبي
(انظر الصفحة ٨٤)

الثمن

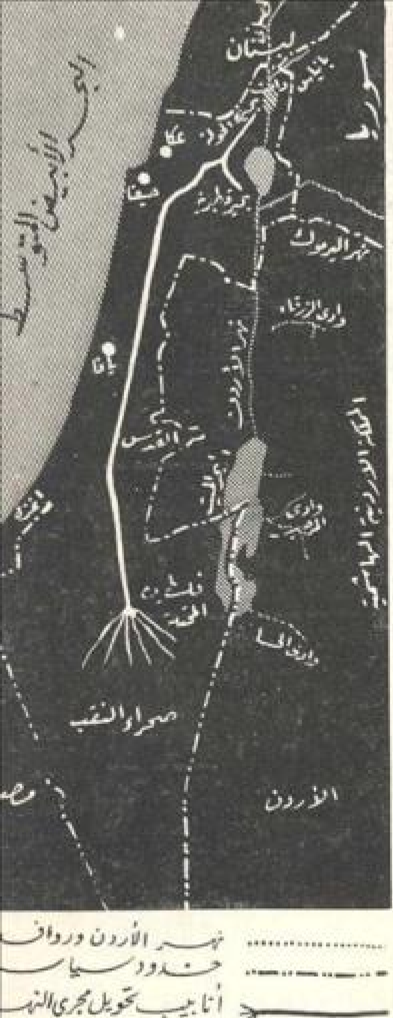
كويت	١١٠	فلوس
خليج العربي	٢	روبية
سعودية	٢	ريال
يمن	٥ر٣	شلن
عراق	١٢٠	فلسا
نان	١٠٠	قروش
ردن	١٠٠	فلس
ورية	١٠٠	قروش
ع.م.	١٠	قروش
سودان	١٠	قروش
يبيا	١٥	قرشا
نس	٢٠٠	فرنك
جزائر	٢٠٠	فرنك



« لو لم أكـن الاسـكندر
لوددت أن اكون ديوجين »

(اقرأ صفحة ٨٣)

حضارات سادت
ثم بادت



عزيزى القارىء

ـ اليك قضية العرب اليوم فى كلمات :

■ منابع نهر الأردن التى فى البلاد العربية:
الحاصبانى بلبنان
وبانياس بسوريا
واليرموك بسوريا ولبنان
والدان بسوريا وفلسطين المحتلة

معنى هذا أن ٧٧٪ من مياه نهر الأردن تنبع فى الأراضى العربية .

وان ٢٣٪ من مياه نهر الأردن تنبع فى فلسطين المحتلة .

■ والصهيونيون يريدون ان يحصلوا من النهر على كل ما تقع عليه أيديهم من مائه ، أو يأخذوه كله لو استطاعوا ، وسبيلهم فى ذلك التحويل ، بالأنابيب والمضخات .

■ والعرب لا بد أن يردوا على تحويل بتحويل ، وعلى اغتصاب بمنع اغتصاب . والماء ماؤهم ، وهو فى أرضهم . والحقوق انما تؤخذ فى هذه الدنيا غلابا .

■ والنقب ، ذلك الخابور الذى شقوا به العالم العربى شقين ، ويريدون ان يسكنوه ليثبتوه ، لا يمكن ان يسكن ابدا ، فقبل اسكانه ، اسكان صحارى الأردن والشام ، ويظل النقب نقبا . ان الوشائج لا يمكن ان تقطع هكذا قطعا سهلا .

■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام

استطلاعات صحفية مصورة

علوم وطب

أدب ولغة

شعر وشعراء

فلسفة

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
ALARABY = No. 63 Fabruary 1964 — P.O.B. 748 = KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● الغناء والرقص الشعبيان يجدهما الانسان في لبنان في كل مكان . وفي الصورة فتاتان من فرقة الفن الشعبي في صنّور احداهما ترتدي زي القروية ، والاخرى زي رجل القرية ، وهما تقومان بتادية احدى الرقصات الشعبية .

(انظر الاستطلاع ص ٨٤)

عروبة

تاريخ وتاريخ اشخاص

ركن المرأة :

قصص

كتب

منوعات

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٢ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الأردن ١٠٠ فلس .السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م. ١٠ قروش. تونس والجزائر والمغرب ٢٠٠ فرنك. اليمن ٥ر٣ شلن. ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



الدين لا يمنع الاعتماد على الحساب والمراصد في تحديد بدء الأشهر العربية والصيام والأعياد

● عقد فى تونس فى شهر ديسمبر الماضى مؤتمر اسلامى لتوحيد بدء الشهور العربية ، نظرا لما يحدثه الخلاف على بدء صوم رمضان ، وبالتالى على أعياد المسلمين ، من اضطراب يقع فى كثير من السنين ، فيبدأ الصيام فى بعض البلاد متأخرا أو متقدما بحجة تعذر رؤية الهلال استنادا الى الحديث الشريف «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته» ، مع أن المسافة بين البلاد الاسلامية وخاصة فى الجزيرة العربية وما جاورها ، لا تبرر القول باختلاف المطالع ، لأنها واقعة على خطوط متقاربة ، مما يجوز معه بدء الصيام فيها جميعا ، متى ثبتت رؤية الهلال فى احداها .

وأنا وان لم أعرف ما انتهى اليه مؤتمر تونس فى صدد هذه المشكلة ، احب أن انبه الى انه لا سبيل الى توحيد بدء الشهور العربية الا بالحساب وخاصة فى هذا العصر الذى تقدمت فيه العلوم الحديثة بحيث أصبح من أيسر الأمور تحديد مواعيد الكسوف والخسوف . وهذا لا يتنافى قط مع قول الرسول الكريم « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » ولا مع ما علل به الرسول ذلك من قوله « نحن أمة أمية ، لا تحسب ولا تكتب » . فقد كان ذلك لحكمة ظاهرة وهى غلبة الأمية فى الأمة فى ذلك العصر ، فلم يكن الاعتماد اذ ذاك على الحساب والكتابة ممكنا . اما اليوم وقد وجدت المراصد الفلكية ، وتقدم العلم تقدما محسوسا ملموسا ، فمن الجهل الفاضح أن يقع الخلاف على بدء شهر الصوم والاعياد ما دامت الأمة قد خرجت عن أميتها ، بل يجب الاخذ فى اثبات ذلك بالحساب وحده ، وبذلك تتوحد كلمة المسلمين فى شان من اهم شؤونهم التعبدية والاجتماعية ، فضلا عن أن القول باعتبار المطالع يستلزم اعتبار الحساب والاعتماد عليه باعتراف فقهاء الشافعية انفسهم ، وهم الذين يقولون باعتبار المطالع ولو أنهم زعموا أن الشرع يأبى الاخذ باقوال المنجمين ، ونسوا أن المسالة لم تعد مجرد تنجيم ، وانما هى مسالة حساب ومراصد ثبت أنها تستطيع رؤية ما لا يراه النظر المجرد .

اقول هذا لمناسبة حلول شهر الصوم المبارك ، واقتراب عيد الفطر ، اعاده الله على امتنا العربية والأمة الاسلامية قاطبة بالخير والبركات .

« مسلم »

ما قل ودل !

مجلة العربي
اشبه براتب الموظف
كلاهما يظهر اول الشهر
ويختفي اول الشهر

الزقازيق — المهندس الزراعي
ج . ع . م — سعيد اسماعيل الجرف

ذو القرنين هل هو « كورش الأكبر » ؟

● اطلعت فى العدد ٦١ من مجلتكم القراء على اجابة المجلة على سؤال لأحد قرائها عن : « ذى القرنين » ، وبهذه المناسبة استاذنكم فى أن اشيرهنا الى البحث العلمى القيم الذى قام به العلامة المحقق المرحوم ابو الكلام آزاد وزير المعارف الهندى حول هذا الموضوع فقد اعتمد رحمه الله فى بحثه على ما جاء فى هـذا الشأن فى القرآن الكريم مفسرا الآيات الواردة بهذا الصدد تفسيرا علميا دقيقا اعتمد فيه على الآثار التاريخية المكتشفة فى تخت جمشيد (برسيوليس) وآثار تاريخية اخرى ، وقد خرج من تحقيقه ذاك برأى قاطع فى أن ذا القرنين ليس الا « كورش الأكبر » مؤسس الأسرة الاخمينية ومنشىء الامبراطورية الايرانية .

وتفضلوا بقبول فائق التحية .

حسن فرامرزى

الملحق الصحفى بالسفارة الايرانية

« الكويت »

أهو « ترحيل » أم « تهجير »

● يستعمل بعض الكتاب فى هذه الأيام كلمة « تهجير » فى معرض الحديث عن ترحيل أهالى النوبة ، ولم أر عند رجوعى الى المعاجم اللغوية ما يتمشى مع هذا المعنى الشائع ، ولم يرد عن العرب « التهجير » بمعنى الترحيل بتاتا . جاء فى القاموس المحيط المحتوى فى مادة « هجر » . وهجرنا تهجيرا وأهجرنا وتهجرنا: سرنا فى الهاجرة. والتهجير فى قوله صلى الله عليه وسلم « المهجر الى الجمعة كالمهدى بدنة » وقوله « ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا اليه » بمعنى التبكير الى الصلوات وهو المضى فى أوائل أوقاتها وليس من الهاجرة . وعلى غراره جميع المعاجم والمصادر اللغوية .

ولعل الكتاب الذين آثروا هذه الكلمة فى صيغتها هذه « التهجير » اتخذوها من كلمة الهجرة أو المهاجرة وهى الخروج من بلد الى بلد آخر ، ولكن مع هذا التقارب العظيم فى الاشتقاق تحول اللغة العربية دون الموافقة عليها اذ المعول فى اللغة السماع عن العرب ولم يسمع عنهم قط كلمة التهجير بالمعنى الذى اصطلح عليه كتابنا اليوم .

وعلى ضوء هذا فالصواب ان يقال الترحيل أو التسفير بدلا عن التهجير .

عبد الله بن يحيى العلوى

« العربى » : لا يا سيدى والا جمدت اللغة . والى جانب السماع يوجد القياس .

الحلة .. والفرات

● ورد فى ركن « نحن نسأل وأنت تجيب » ان مدينة الحلة تقع على نهر الفرات ، والواقع ان مدينة الحلة تقع على نهر يسمى بنهر الحلة ويسميه العامة فى هذه المنطقة « شط السبل » وهو يتفرع من نهر الفرات الأصلي عند سدة الهندية التى يتفرع الفرات عندها الى أربعة فروع :

١ ــ نهر الحلة او شط السبل الذى تقع عليه مدينة الحلة .

٢ ــ نهر الحسينية الذى تقع عليه مدينة كربلاء .

٣ ــ جدول بنى حسن .

٤ ــ جدول الجورجية .

وبعد أن تتفرع هذه الفروع من نهر الفرات يتجه الى الكوفة مارا بمدينة الهندية ، حتى اذا ما وصل الى ناحية الكفل يتفرع الى فرعين كبيرين رئيسيين هما شط الكوفة « الفرات الأصلى » وشط الشامية وبعد ذلك يلتقى الفرعان قرب قضاء السماوة فيكونان بعدئذ نهرا واحدا .

■■

نورى جواد كاظم الطالقانى

قضاء الهندية الحلة

سؤالان خطيران

١ - أنت تكتب عن أمجاد العرب

بقلم رئيس التحرير

■ تحدثت وأتحدث عن العرب ، كيف أخذوا العلم وأخذوا الفلسفة عن الاغريق . كيف ترجموا ما وقع فى ايديهم من ذلك ، وكيف بقي العلم فيهم ، على شتى صنوفه ، وبقيت الفلسفة على شتى اضرابها ، تعيش بين ظهرانيهم ، من القرن الثامن الميلادى ، الى القرن الرابع عشر فما وراءه . وهى جميعا ، من علم وفلسفة تنمو وتزدهر ، ثم هى تعود آخر الأمر الى اوروبا ، فتبدأ فيها مع النهضة الأوروبية الحديثة، التي كان منها هذه المدنية الحديثة التي ننعم بها اليوم .

سؤالان خطيران

ويكتب لي كاتب يسأل : أانت تكتب فى امجاد العرب ام امجاد الاسلام ؟

ويكتب لي كاتب آخر يسأل : اذا كان هذا هو حرص العرب على العلوم والفنون ، فما بال دار الكتب بالاسكندرية ، وما كان لعمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر فيها ؟

امجاد العرب ام امجاد الاسلام ؟

ان هذا السؤال سؤال خطير . ولم يكن صاحبنا السائل اول سائل له . والفرنجة ، لقي الكثير منهم هذا المعضل وهم يكتبون عن العرب . سألوا انفسهم : عن العروبة هم يكتبون ام عن الاسلام ؟ لهذا وجب ان يكون لهذا السؤال جواب حاسم ، تنأى به عما صاحب التاريخ من رياح للسياسة عاصفة .



٢ - ما بال ما صنع عمرو بن العاص بمكتبة الاسكندرية ؟

أم أمجاد المسلمين ؟

والحق ان المجدين امتزجا فما يكاد يفرّق بينهما، وهو يقول في امجاد العرب، قائل . فأنت تقول في جابر بن حيان الأزدي فتعلم انه مسلم عربي . وأنت تقول في ابي عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي ، فتعلم انه مسلم من خوارزم ، وهي في عصرنا الحاضر خيفا Khiva ، في الاتحاد السوفييتي جنوب بحر آرال . وتقول في ابن سينا



خوارزم ، هي اليوم خيفا بلاد التركمان بالاتحاد السوفييتي

فتعلم انه جاء من بلخ ، فهو مسلم فارسي .

وانت من ناحية اخرى تقول في ثابت ابن قرّة ، عالم الهندسة الكبير ، فتعلم انه صابيء . وتقول في حنين بن اسحق، فتعلم انه نصراني . وتقول في الفلكي العربي « ما شاء الله » (هذا اسمه) فتعلم انه يهودي مصري .

دولة دينها الاسلام ، ولسانها العربية

ان الدولة العربية كانت دولة عجيبة حقا ، مجيدة حقا ، ارتفعت عن النزوات الانسانية والنزعات العنصرية، والخلافات الدينية ، فوق ما ارتفعت أممٌ من قبلها، وأممٌ من بعدها . انها دولة دينها الاسلام ، ولسانها عربي ، فهي اسلامية عربية معا ، على الرغم من خلاف نجده عند مطابقة نجريها بين العروبة والاسلام، فليست العروبة اسلاما كلها ، وليس الاسلام عروبة كله .

وضمّت الدولة العربية الاسلامية ، كلّ ما هو عربي ، ومن هو عربي ، مسلما كان ، او مسيحيا كان ، او يهوديا او صابئا. وضمت الدولة الاسلامية العربية كل ما هو من الاسلام ، وكل من كان

مسلما ، عربيا كان أو اعجميا ، ما بقيت اللغة العربية له لسانا ناطقا او كاتبا .

اتساع افق ، وضخامة قلب

ونحن قد نذكر مجدا للعرب ، فى علم، وفى رياضة ، وفى فلك ، وفى هندسة ، وفى جبر ، وفى كيمياء ، وفى خواصّ ما انبت الله فى الأرض من نبات ، وما احيا على ظهرها من حيوان .

ونحن قد نذكر مجدا للعرب فى فلسفة ، وفى بحث اصول الفكر ، وفى كشف امزجة الأنفس وخلَجاتها .

ونحن قد نذكر مجدا للعرب فى ادب ، ومجدا فى تشريع وقانون .

ولكن هناك مجد اكبر من كل مجد ، واعظم من كل مجد ، وهو تمهيد لا بد منه للسبق فى هذه الميادين جميعا ، ذلك اتساع الأفق ورحابة الفكر وضخامة القلب، فلا يضيق شيء منها بالعرفان، بأى لسان جاء ، ومن اى صقع جاء وبأى زيّ تزيّا وبأى ثياب .

ويزيد فى مجد العرب ، فى هذا المعنى، ان صفة الاتساع هذه ، وصفة الرحابة ، لم تكن صفة الشعب وحده ، بل كانت صفة الخلفاء ، وهم ائمة . وليس ادعى للغبطة ، للمفكرين منا فى هذه العصور الحاضرة ، التى تحرر فيها الفكر وساد الحياد ، من ان يتصوروا المأمون مثلا ، وقد تعمّم بعمامة الاسلام ، ثم هو يقعد للمذاكرة مع كل ذى فكر ، على اختلاف دين ، واختلاف نشأة ، حتى واختلاف لسان . ومتى عاش المأمون ؟ عاش قبل ان يتحرر الفكر الاوروبي بقرون . وهو مات قبل اليوم بألف عام ، تزيد مائة من الاعوام .

قال النبي ، صلوات الله عليه ، اطلبوا العلم ولو فى الصين . وطلبه خلفاء بني العباس فى الصين وفى غير الصين . وهل اشهى من تصور العالم الفلكي الهندوكي، منكا ، يدخل الى بلاط الخليفة المنصور، ليؤدى اليه بالذى عنده من علم ؟ ومن دَعَابه ؟ ومن سعى به الى بلاط الخليفة؟

انه ابو اسحق ابراهيم بن حبيب بن سليمان الفزارى ، المسلم العربي . وكان مثله فلكيا ، ومع هذا لم تدخل الغيرة الى قلبه .

ان هذه الروح هي التى سادت العرب قديما ، وهى الروح التى يجب ان تسودهم اليوم . وهى لا شك سائدة .

انها المجد الاول الذى يفتح لسائر الامجاد بابا .

وما ايسر على على الامة العربية ، وقد فتحت فى هذا الامس البعيد للمجد بابا، ان تفتح له اليوم ، فى هذا العصر الحديث ، ابوابا . تفتحها بالنية الصادقة ، وبالعمل المتواصل، وبعون الله ، وبمشيئته ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون نفسه .



الاسكندر الاكبر منشىء مدينة الاسكندرية وهو غزا مصر عام ٣٣٢ ق . م

عمرو بن العاص ومكتبة الاسكندرية

ثم نأتى على السؤال الخطير الثاني : ماذا صنع عمرو بمكتبة الاسكندرية ؟

وهو سؤال خطير لا يسمعه سامع حتى يتوقف ، ليجيب عنه ؟

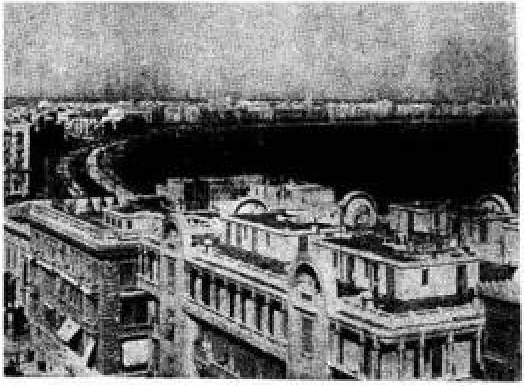
نعم، انها الفرية القديمة التى افتراها المفترون عن العرب عندما دخلوا مصر غزوا . قالوا انهم ما بلغوا الاسكندرية حتى جعلوا من كتبها طعاما للنيران .

ومكتبة الاسكندرية مكتبة فى التاريخ عظيمة ، نشأت مع نشأة المدينة عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، وتولاها علماء كرماء بقى اسمهم على التاريخ خالدا .

وجاء عمرو بن العاص الاسكندرية بعد انشائها بألف عام تقريبا . جاء يغزوها . وأبت المدينة غزوا . فحاصرها

اربعة عشر شهرا . وكتب عمرو الى الخليفة عمر بن الخطاب يصف الاسكندرية بان بها اربعة آلاف قصر ، واربعة آلاف حمام ، واثنى عشر الف بستان ، واربعمائة من المسارح والملاهى.

وتقول الفرية التاريخية ان عمرا بن العاص ظل بعد ذلك ، وبتوجيه عمر ، ستة اشهر يوقد مواقد هذه الحمامات بما وجد فى تلك الدار ، دار الكتب ، من كتب ومن أوراق .



الاسكندرية كما هى اليوم

عبد اللطيف البغدادى ، اول من اشاع الفرية ، فى ساعة غفلة

وانت تطلب هذه الفرية فى التاريخ ، اين ظهرت ، ومتى ظهرت ، فتعلم ان الذى قالها اول من قال ، عربى ، هو عبد اللطيف بن يوسف ، موفق الدين ، البغدادى . وتسأل عن القرن الذى عاش فيه فتعلم انه ولد فى بغداد عام ١١٦٢ ميلادية ، ومات فيها عام ١٢٣١ . فهو اذن جاء هذه الدنيا بعد فتح العرب مصر بنحو ستة قرون .

وتعلم عبد اللطيف فى بغداد ، وذهب الى الموصل فعمل فيها حينا ، ثم ذهب الى القدس بعد أن غزاها صلاح الدين، وعلم فى جامع دمشق . ومات صلاح الدين فذهب البغدادى الى القاهرة ، فعلم فى الأزهر . وكتب عن مشاهداته بمصر كتابا تضمن شيئا عن نباتاتها ، وشيئا عن حيواناتها، وشيئا عن آثارها، وشيئا عن كيف يبنى المصريون سفنهم، وعن كيف يطبخون ، وعما جرى فى مصر من حوادث ، فقد كان البغدادى طبيبا وعالما بطبائع الأشياء ، من الجوامد والأحياء ، وذا فلسفة كذلك . وكان له فى كل شيء باع، وهو مفخرة من مفاخر العرب فى كل مكان وزمان .

وتسأل : فكيف جاءه علم ما كان بالاسكندرية ، فتعلم أنه سار اليها ، وفى المكس هبط على مقدار عظيم من عظام ، من بقايا جثث انسانية ، فأخذ يبحث فيها ، ويعد الفقرات التى بظهورها ، وخالف جالينوس فيما قال .

فهذا أبو محمد ، ذلك الذى ظهرت هذه الفرية اول ظهور فى كتابه . ولم يكن كتاب علم ، ولم يكن كتاب بحث ، ولم يكن كتاب تحقيق . كان كتاب مشاهدات . كان كتابا مما يكتبه أهل الرحلات عن رحلاتهم . فهو يكتب ما يرى ، وهو يكتب ما يسمع ، لا ما يحقق .

فهذه الفرية جاءته لا شك عن سماع شائعة مما يشيع بعض الناس .

ومتى جاءته ؟ جاءته بعد ما زعمته الفرية من حرق مكتبة الاسكندرية بنحو ستة من القرون .

وكتب أبو محمد ما كتب ، فى غفلة ساعة ، وما أسرع ما تناقله الناقلون . ونقلوه على انه حقيقة من حقائق التاريخ . وبلغت هذه الفرية آذانا مريضة ، فما أسرع ما صدقتها قلوب مراض .

المؤرخ الانجليزى الشهير ، جيبون ، ينكر هذه الفرية

وكتب المؤرخ الانجليزى الشهير ، جيبون Gibbon (١٧٣٧ — ١٧٩٤ م) مؤلفه الشهير عن سقوط الدولة الرومانية .

وذكر فيه أن هذه الفرية لفقها على المسلمين أبو الفرج العبرى فى تاريخه «مختصر الدول» ، وهو ترجم الى اللغة اللاتينية فتلقفها اهل الغرض من الفرنجة فأذاعوها .

ومتى كان ذلك ؟

بعد نحو ستة قرون من فتح العرب لمصر . وعلى التحقيق فى النصف الثانى

من القرن الثالث عشر الميلادى ، أى بعد وفاة عبد اللطيف البغدادى . ولعله نقلها عنه .

وفى اثناء هذه القرون الستة الاولى ، من بعد فتح العرب مصر ، كتب مؤرخو الفرنجة عن الاسكندرية ما كتبوا ، فلم نجد ذكرا واحدا لحريق الاسكندرية ، ذلك الذى زعموا ان عمرا بن العاص قام به ، بتوجيه عمر . وكان اولى أن يذكر .

حتى رينان ، كاره الاسلام انكر هذه الفرية

حتى الفيلسوف الفرنسى رينان Renan ، كاره الاسلام والمسلمين،نفاها قال : « انه لا يعتقد ان عمر امر باحراق خزانة الاسكندرية ، لأنها كانت أحرقت قبل ذلك بزمان طويل .

وهو يشير بذلك الى ما قال غيره من المؤرخين الفرنسيين من ان «هذهالدعوى من الأغلاط التاريخية العظيمة ، اذ لم تكن لهذه الخزانة ، التى قيل انه كان بها نحو ٧٠٠٠٠ مجلد ، أثر عندما فتح العرب مدينة الاسكندرية عام ٦٤٠ ميلادية . فعلى عهد البطالسة ، قبل الفتح العربى ، اصبح امر هذه الخزانة الى ضعف : قسمت شطرين ، جعل كل شطر منهما فى مكان مستقل ، فحرق الأول قضاء وقدرا عندما استولى الامبراطور الرومانى يوليوس قيصر على الاسكندرية عام ٤٧ قبل المسيح ، وذهب القسم الثانى ـ وكان جعل فى معبد سيرابيس ـ Serapis على يد الأسقف توفيل Theophile بعد ذلك التاريخ بأربعمائة سنة،بناءعلىالأمر الصادر عنالامبراطور الرومانى ثيودُسيوس Theodosius (٣٧٩ ـ ٣٩٥ م) بالقضاء على جميع المعابد الوثنية » .



يوليوس قيصر (١٠١ ـ ٤٤ ق . م) وهو فى اثناء غزوه الاسكندرية شب الحريق فى مكتبتها

والمؤرخ الكبير ، جورج سارتن نفى هذه الفرية

واقرأ لكاتب مؤرخ افرنجى عظيم حديث،جورج سارتن Sarton ،لا تجمعه بالعرب دماء . ولا تجمعه أنساب . فاراه يقول : لا بد لاثبات أن العرب حرقوا هذه المكتبة فى القرن السابع الميلادى ، من اثبات اولا انها كانت موجودة فى هذا القرن السابع الميلادى . وهذا الوجود فيه شك عظيم . فاغلب الظن ان المسيحيين اتلفوا على الاقل جانبا كبيرا منها قبل أن يجيئها المسلمون ، وقبل ذلك بقرون . فقد كانت خزانة لعلم وثنى . وهى كانت قد اهملت اهمالا ، فعلى أحسن فرض ، لا يكون اتى عليها القرن السابع ، يوم غزاها العرب ، الا وهى صغيرة ضئيلة حقيرة بالنسبة لما كانت عليه فى غابر القرون .

فهذا ما يقال فى هذه الفرية ، وقد قال فى دفعها من أهل الغرب الكثيرون . ودائرة المعارف البريطانية تقول انها خبر فيه شك كثير .

انها شائعة كانت فماتت ، وما أسرع ما تموت بالتحقيق الشائعات . وهى اليوم غير ذات موضوع ، وهى اليوم لا تشغل لأحد بالا . ■■

احمد زكى



الحرية

توازن بين الحقوق والواجبات

• الحط من شأن الفرد وكرامته انحراف في المجتمعات

بقلم : الدكتور محمد فتحي الشنيطي

استاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

■ تعد مشـــكلة الحرية من أهم المشكلات الفلسفية ، فهى حجر الزاوية فى تأمل الانسان من قديم الزمان الى أيامنا هذه . وقد اكتسبت هذه المشكلة فى المذاهب الفلسفية المعاصرة بخاصة عمقا وابعادا والوانا لم تكن لها من قبل . ولذلك لا نكاد ننظر فى لوحة هذه المذاهب حتى نرى بؤرة الاهتمام فيها الانســان وحريته .

فالفلسفة البرجمية فلسفة تعتز بالانسان وتشيد بالدور البطولى الذى ينهض بأدائه فى الحياة من حيث انه يجدد ويبدع ، ومن حيث أن طاقاته الخلاقة لا تنفد . وتعتز هذه الفلسفة بالفردية الانسانية ، وترى أن صقل هذه الفردية وتعزيزها ، يؤديان حتما الى شد أزر الجماعة وتدعيم كيانها .

والفلسفة الوجودية تجعل الانسان محور اهتماماتها ، وتتصـدى لأزمـة الضمير الانسانى ، فتفسر ذلك القلـق المشبوب الذى يصاحب الانسان دوما فى رحلة الحياة القصيرة ، بأن الانسان حين خرج الى هذا العالم دُفع اليه دفعا دون أن تكون له حرية الاختيار وعلى هذا فهو فى حياته يحتال لتعويض ما فاته متوخيا تحقيق كيانه بتأكيد حريته .

والفلسفة الماركســية تفسر الوجود الانسانى تفسيرا ماديا اقتصاديا فهناك حتمية Determination عامة شاملة تتولى الانسان منذ فجر التاريخ ، وتتقلب به

بين مختلف الأوضاع الاقتصادية نتيجة لاختلاف انماط حياته التى تعتمد اساسا على وسائل الانتاج . فالمجتمع يتشكل ، لا لأن هنالك قيما عليا ومثلا تجذب ابناءه اليه ، ولا لأن هنالك معنويات وأهدافا ومفاهيم يقال عنها أنها منبثقة من الروح .. فليس ثمة روح ولا دين ولا اله ! فهذا كله ثمرة مخيلة هزيلة تنزوى بمنأى عن حركة المجتمع الدافعة ، تتوخى الانحراف بأبناء هذا المجتمع الى طريق يبتعدون فيه عن العمل والكفاح والنضال من أجل الرفاهية والسعادة للجميع . فليس فى الماركسية مشكلة للحرية بمعنى من المعانى التى نجدها عند البرجميين او الوجوديين .. فالحرية هنا هى الجماعة بأسرها .. هى الكفاح الذى يشد الأفراد فى كل يعمل على تحقيق مجتمع الغد حيث تختفى البرجوازية ، وتنطمس الطبقية، وتزول العوائق التى تقيم الحواجز بين الناس، ويسود السلام والمحبة والوئام .

مشكلة الحرية فى عصر الذرة والفضاء

وفى عصرنا هذا، عصر الذرة والفضاء، تتجلى هذه المشكلة أروع ما تكون ،وتلقى عليها الاضواء من مختلف الزوايا . فالتقدم العلمى تحقق بفضل ذلك المنهج الذى يلتزم بالموضوعية وينظر الى الظواهر على أنها علاقات متماسكة مترابطة ، فمجال العلم هو دون منازع مجال الحتمية الخالصة . ولم يقتصر المنهج العلمى على المجالات المادية فحسب بل انطبق على المجالات الانسانية ايضا . ولما كان هذا المنهج يتطلب فى ذاته، ومن ذاته، ايمانا ضمنيا بحتمية الروابط بين الظواهر فليس هنالك ما يدعو لاثارة مشكلة الحرية . بيد ان هذا قد يصح لو اقتصر الأمر على العالم المادى ، أو على الجانب المادى فى الانسان من حيث كيانه العضوى وطاقاته الحيوية واستعداداته الفريزية . ولكن حين نواجه التصرف الانسانى والحكمة الانسانية يعز علينا أن نربط بين هذا التصرف كنتيجة، وبين مقدماته من دوافع ورغبات وبيئة ووراثة كأسباب وعلل . فمهما بذلنا من جهد فى البحث عن الشواهد والدلائل على تلك الروابط الوثيقة بين المقدمات والنتائج فى التصرف الانسانى، فاننا ما برحنا نقف مشدوهين أمام لغز الحياة الانسانية : الحرية .

ومن هنا كانت مشكلة الجبر والاختيار مشكلة عريقة فى التراث الانسانى تتعدد حولها وجهات النظر . فلئن كان هنالك قول باختيار مطلق، لكان هنالك رد على هذا القول يستند الى البيئة الاجتماعية والى المقومات الوراثية والى الدوافع والحوافز الوجدانية . واذا كان الرأى بالجبر المطلق لكان الرد عليه بالكرامة الانسانية وبالمسئولية التى تنطوى فى صميمها على الحرية : فكيف يكون الانسان مسئولا عن تصرف لا يد له فيه ؟

ان الحرية فى التصور ستظل مشكلة شأنها شأن مشكلات الوجود والمعرفة وسائر المشكلات التى يثيرها الجدل فتجعل للفكر الانسانى حيويته المتجددة وتمكن له من الانطلاق الذى لا يقف عند حد .

الاخلاق .. والحرية

ولعل الفيلسوف الالمانى « امانويل كنْط » قد مس شغاف الحرية حين جلا فى روعة دور الواجب فى حياة الانسان . ولذلك نراه حريصا على أن تأتى التجربة الأخلاقية محققة للشمول والعموم والضرورة تحقيق التجربة الطبيعية لها. فان قانون الواجب هو ذاك الاطار العام الشامل الكلى الذى لا يمكن تصور تجربة أخلاقية الا فى كنفه .وعلى ذلك فالعمل الاخلاقى لا يتم الا بأمر مطلق غير مشروط بشرط ، ولا يتحقق الا اذا كان صادرا عن نية طيبة غير متعلق بهوى أو غرض أو منفعة .

ففى صميم الأخلاق ـ كما هو واضح ـ الزام" عام ، فكيف يمكن أن نتحدث عن الحرية فى نطاق هذا الالزام ؟ ثم كيف يجوز الحديث عن الانسان وعن الأخلاق الا على أساس ان الانسان حر" مسئول؟ هذا هو المأزق الذى نواجهه ، ولا مخلص لنا منه الا بتفسير الالزام الأخلاقى على نحو تكون الحتمية فيه مختلفة عن تلك التى نلاحظها فى القانون الطبيعى . فالالزام الأخلاقى هنا يلقى على كاهلنا مسئولية ما يصدر عنا من أعمال،ومعنى المسئولية

ان الأعمال التى تصدر عنا فى نطاق الواجب متوقفة علينا ، ومعنى هذا بالتالى اننا أحرار ، ويترتب على ذلك أن الحرية وثيقة الصلة بالأخلاق .

الا اننا من حيث كوننا بشرا لنا هذا الوجود الحسىء الذى يربطنا بالزمان والمكان . فافعالنا الجارية تعبر عن احساساتنا وعواطفنا عن آلامنا وآمالنا وأحلامنا .. عن ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا . ولكنا من حيث كوننا كائنات أخلاقية ينبغى لكل منا أن يؤدى الواجب لذاته ، لا من حيث هو فرد ، ولا من حيث كونه يتمثل الانسانية جمعاء فى شخصه . فالفرد فى لحظة أدائه للواجب يشرع لذاته وللانسانية قاطبة . فهو فى لحظة ادائه للواجب لا يؤدى عملا الى زوال ، كأى عمل من تلك الأعمال التى نؤديها فى اشتباكاتنا الواقعية ، بل يتوخى ان يكون عمله قدوة عامة .. عملا خالدا عاما مطلقا يصلح فى كل زمان ومكان . فالالزام الأخلاقى هنا متعال على الزمان ، ولذلك لا يصح أن تطبق عليه صفة الحتمية .

وعلى ضوء ما تقدم ينبغى أن نضع فى اعتبارنا أن حياتنا العاطفية ليست هى كل شىء . وانما هنالك الحياة فى عمقها وصميمها .. هنالك الحياة على الحقيقة ، أعنى الحياة الأخلاقية ، وهى التى تتمثل فيها كرامة الانسانية وعزتها . وهذه الحياة الأخلاقية حياة متعالية ، لأنها لا يمكن أن تكون مصدر عزة للانسانية كلها الا اذا تعالت على ظروف الزمان والمكان . ومن هنا فالأخلاق حرية خالصة ، لأننا لا يمكن أن نتحدث عن كرامة الانسان والانسانية الا اذا كانت الانسانية فى نظرنا هى الحرية ، والا اذا كان الانسان ، وهو يتصرف ، مسئولا عن تصرفه واعيا به لا آلة منفذة .

واذا سلمنا بالحرية على هذا النحو امكننا أن نشيد بالدور البطولى الذى يؤديه الانسان من أجل السلام والحب . فالبطولة معنى أخلاقى كريم ينطوى على التضحية والايثار ومحبة الخير للغير . والبطولة معناها الجهاد من أجل مستقبل أفضل ، فهى تستلم حافزها من الربط بين الانسان والانسانية فى عروة وثقى بحيث يتعاطف مع القضايا النبيلة ويحرص على كرامة الانسان من حيث هو فى كل زمان ومكان .

الحرية مقيدة بسلطة المجتمع

والرأى السليم بصدد مشكلة الحرية ، على تعقدها ، يتمثل فى نظرة تكاملية تجمع بين تصور حرية انسانية نقية خالصة ، من جانب ، وبين ربط هذا التصور بالمقتضيات العملية فى حياة الفرد والجماعة على حد سواء ، من جانب آخر . وليس ثمة شك فى أن الحرية هى النقطة المحورية التى تدور حولها حياة الانسان .

والحرية فى صميم معناها هى تحقيق لارادة الانسان ، التى لا بد وأن تسترشد بعقله وتستوحى ضميره وتستلهم حبه للخير . ذلك لأن الانسان يمتاز على الحيوان بالبصيرة والفهم ، والقدرة على التحكم فى غرائزه والتسامى بها ، والوقوف فى وجه أهوائه بالتعالى عليها . وأما الحيوان فيندفع حين يثور ، وتصرفه أعمى خاضع لمطالبه الحيوية العاجلة .

فاذا نظرنا على ضوء هذا التفسير للحرية ، لتبينا ان الحيوان يمكنه ان يعيث فى الأرض فسادا ، مستجيبا لغرائزه بطريقة اعتباطية . اما الانسان فله قيمه التى يعتز بها ، ومبادئه الأخلاقية الكريمة التى لا يحيد عنها ، وله ضميره اليقظ وايمانه العميق ، بالقدرة الالهية السامية المدبرة . فاذا كانت كرامة الانسان فى حريته ، فلا بد لتحقيق هذه الكرامة من ان يأتى مفهوم الحرية متجاوبا مع ما يليق بالانسان من روية وأناة وتبصر . فتتم الحرية فى حدود الخير للجماعة الانسانية التى يعيش فى كنفها ، وتتوافق افعاله مع تكامل المجتمع الانسانى كله .

واذا جاز لنا القول بأن حرية الحيوان مطلقة لا واعية ، وجب أن نقول ان حرية الانسان مقيدة واعية . ولا غرابة فى كونها مقيدة فهذا ما تستلزمه طبيعة الحياة الانسانية . وسلطة المجتمع تشكل حرية الانسان منذ طفولته ، فرعاية الأب وحنان الأم ، ثم المدرسة والاندماج فى الحياة الاجتماعية على أوسع نطاق ، كل هذا يفضى الى نضج الوعى على أساس احترام النفس والغير .

ومن هنا يقترن مفهوم الحرية بسلطة المجتمع .

والسلطة في معناها الأصلي (باللاتينية Auctoritas) تدل على الرعاية والانماء والتعمير والانشاء . والسلطة الحقيقية تتمثل في رب الأسرة المربي والطبيب . ويستهدف القانون الوضوع هذا الهدف المتمثل في المعنى الأصلي للسلطة . فالقانون يرمي الى تحقيق الخير للناس جميعا في ظل الحدود العامة التي يطبقها والتي تكفل لكل فرد حريته بما لا يؤذي حقوق الاخرين ،وبما لا يجعل البعض يطغى على البعض الآخر .

ان المصدر الأصلي لكل سلطة هو الاطمئنان والثقة وايماننا بالله وبأننا في هذا العالم مركز نشاطه ومحور نظامه ومبعث تطوره .

فالسلطة منبثقة من ذات أنفسنا بحيث تعد تعبيرا اصيلا عن الحرية التي تكفل التكامل الاجتماعي وتحول دون طغيان بعضنا على البعض الآخر واستبداده .

فالحرية على ذلك لا يستقر لها مفهوم واضح الا اذا ارتبطت بسلطة المجتمع . وسلطة المجتمع تنحرف عن مضمونها السليم اذا لم تعمد الى تأييد الحرية وتعزيزها برفع شأن الكرامةالفردية. الا ان حرية الفرد وسلطة المجتمع أمران متلازمان لا غنى لأحدهما عن الآخر . ولا ينشأ التعارض بينهما الا حين تنقلب الحرية فوضى وتحكما ، وتستحيل السلطة طغيانا ، فتضطرب موازين الحياة الاجتماعية باهدار كرامة الانسان . ومن هنا يمكننا أن نقول ان الحرية من حيث التطبيق تتمثل في التوازن بين الحقوق والواجبات .

بين الحقوق والواجبات

فنحن منذ نعومة أظفارنا نسعى الى تعرف مكاننا في هذا العالم ، ومنزلتنا من البيئة الاجتماعية التي تكتنفنا . ويشرع الوالدان والمربون في تعهدنا بالتربية والتوجيه . يلجأون الى اللين أحيانا ويلوذون بالشدة أحيانا أخرى، ويقصدون من هذا الى تلقيننا درس الحياة الخالد : ليس العالم طوع بناننا ، وليس في استطاعتنا أن نرضي رغباتنا كلها ولا أن نحقق مطالبنا جميعها ، في غير ما قيد وبدون ما شرط . ان الطفل يفكر اول ما يفكر في ذاته ، وسلوكه منذ البداية سعي الى ارضاء نفسه دون ادراك لما حوله . وبقدر ما ينمو بقدر ما تتسع دائرة واجباته وتضيق دائرة حقوقه ، ويفهم أن الحياة الانسانية تحاب وتفاهم ، وأخذ وعطاء وتراض وقبول .

الواجبات مقدمة على الحقوق

لذلك يذهب معظم فلاسفة الأخلاق والباحثين الاجتماعيين الى أن الواجباتمقدمةعلى الحقوق. وذلكم لأن الواجبات هي التي تقوم كيانالجماعة وهي التي تبني للأجيال القادمة مستقبلا أفضل وأكمل . بل ان الحقوق لا تتحدد الا بفضل أداء الواجبات على الوجه المرضي . فما لم يؤد الطبيب واجبه لما نعم المريض بحق العلاج ، وما لم ينهض المعلم برسالته لما نال التلميذ حقالتعليم. وما لم يخلص الموظف العام في عمله لما استطاع المواطن ان ينتفع بحقوقه المختلفة في المرافق والخدمات العامة .

ان الاحساس بالواجب هو الذي يمهد الطريق للحصول على الحقوق العامة ولذلك صدق من قال . ان بداية النهضة في أمة هي بداية احساس ابنائها بالواجب . ولا يمكن ان يكون الواجب مثمرا الا اذا اداه الانسان رغبة لا رهبة . فحب الانسان لواجبه يفضي الى شعوره بالسعادة في حياته . بينما أداء الواجب خشية العقاب يجعل صاحبه مريضا يجرع كأس الشقاء .

الا ان الحياة واجب وحق وهما متكاملان .فلا نكاد نتعمق واجبا حتى نرى في أعماقه حقا ، ولا نكاد ننفذ الى لب حق من الحقوق حتى يتجلى لنا واجب من الواجبات . فالجندي يؤدي واجبه حين ينخرط في سلك الجندية وهو في الآن نفسه ينعم بحقه في أن يكون مواطنا كريما شريفا . والفنان يؤدي واجبه حين يقدم لنا لحنا أو رسما أو تمثالا ، وهو في عين الوقت ينعم بحقه في التلذذ بثمرة ابداعه .

وبعد، فالتوازن بين الحقوق والواجبات هو أجمل اطار للحرية الانسانية تصورا وتطبيقا . وبفضل هذا التوازن تستقر أوضاع الحياة الاجتماعية ، ويسمو الوعي الأخلاقي بين أبناء الأمة فيكون مستقبلها أفضل وأكرم من حاضرها ، وتلك سنة العزيز الحكيم . ■■

محمد فتحي الشنيطي

الدَّوْلَةُ الإسْلامِيَّة

كيف تقسّمت إلى دول مستقلة لما ضعفت الخلافة العباسية

- **الدولة البويهية** في فارس والرّى وأصبهان
- **الدولة السامانية** في خراسان وبلاد ماوراء النهر
- **الدولة الغزنوية** في غزنة وهراة والسند

بقلم : الدكتور محمد جمال الدين سرور

استاذ التاريخ بكلية الآداب – جامعة القاهرة

■ انقسمت الدولة الاسلامية منذ القرن الثالث الهجرى الى مناطق نفوذ للعناصر العربية والفارسية والتركية .

فصار العرب يحكمون الأندلس والموصل وحلب .

ويتولى زمام الحكم فى فارس والرّى واصبهان والجبل بنو بوَيْه وهم فرس .

كما حكم السامانيون وهم من اصل فارسى خراسان وبلاد ما وراء النهر .

وكان يسيطر على بلاد السند وافغانستان آل سبكتكين الأتراك حيث اسسوا الدولة الغزنوية .

وكان كل عنصر من هذه العناصر الجنسية يطبع البلاد التى يحكمها بطابعه الخاص ، فالفرس لهم مقدرة فائقة فى تنظيم الحكم والمام كبير بالوسائل التى تزيد الثروة . اما الأتراك ، فكانوا يميلون الى الجندية والفروسية،بحرص أمراؤهم على تكوين جيش من جنسهم ليدعموا حكمهم ، ويتعصب كل فريق منهم لقائد من قوادهم ، كالبدو فى تعصبهم للقبائل، وينتصرون لمذهب اهل السنة ، ويقربون اليهم علماء الدين وخاصة علماء التفسير والحديث . وكان العرب يميلون الى البداوة ويتعصبون لبنى جنسهم ، وهم الى جانب ذلك سريعو التأثر بالحضارة ، واذا تحضروا غلب الترف على حياتهم كما كان شأن

العرب الذين وفدوا الى الأندلس ، والفاطميين بعد انتقالهم من المغرب الى مصر .

انقسام الدولة الاسلامية ، أراح الناس من سطوة الاتراك وظلمهم

كانت الدولة الاسلامية في أيام استئثار الأتراك بالنفوذ دون خلفاء بغداد قد تطرق الى نظامها المالي الفساد والاضطراب ، فساءت جباية الخراج وصارت الضرائب تباع لأشخاص على سبيل الالتزام ، فيشتد عسفهم بالناس حتى يبتزوا اضعاف الأموال المطلوبة منهم . وقد ترتب على ذلك فقدان التوازن بين الايرادات والمصروفات مما حمل بعض القائمين بأمر الادارة المالية في الدولة الى معالجة هذه الحالة بفرض ضرائب جديدة والامعان في المصادرات لسد نفقات الجند . وكلما ساءت الحال كثر العزل والتولية في المناصب الحكومية .

وكانت دواوين الخراج في الولايات الاسلامية تقوم مقام خزائن للدولة ، فيصرف منها النفقات اللازمة لادارة شئون تلك الولايات واعطيات الجند ، ثم يحمل ما يتبقى الى بيت المال العام بحاضرة الخلافة ، فينفق منه جزء على مصالح الدولة ، ويصرف جزء آخر في تحقيق رغبات الخلفاء والامراء ، بينما ظل فريق من عامة الشعب يرزح تحت اوضاع اقتصادية واجتماعية سيئة ، فلما انقسمت الدولة الاسلامية الى اقطار مستقلة تمتع كثير منها بالطمأنينة والرخاء اكثر مما كانت هذه الاقطار تنعم به ايام سلطة بعض خلفاء بني العباس الضعاف ، فانتفع كل قطر بما يرد الى بيت ماله من الأموال ، وبذل كل حاكم جهده في سبيل توطيد دعائم دولته ، وصارت ايرادات الدول المستقلة المتجمعة من الخراج والجزية وغيرهما من الموارد ، ينفق جزء كبير منها في اصلاح مرافقها ، كما عني حكام هذه الدول بتنمية موارد الثروة في دولهم مما ساعد على توفير وسائل المعيشة لرعاياهم وانتعاش الحياة الاقتصادية في بلادهم .

ظل الوطن الاسلامي رغم انقسامه ، وطنا واحدا

ولم يؤد انقسام الدولة الاسلامية وتعدد الخلفاء الى ضيق في معنى الوطن الاسلامي ، بل صارت كل الأقاليم الاسلامية تؤلف مملكة واحدة سميت مملكة الاسلام ، وقامت بينها وحدة سياسية لا تتقيد بالحدود السياسية الجديدة . وكان المسلم يتمتع بحق المواطن في جميع انحاء هذه المملكة ، فلا يتعرض احد لحريته الشخصية ويستطيع ان يتنقل بين اطراف الاقطار الاسلامية دون أن يمسه احد بسوء .

اما رعايا دار الحرب وهي التي يقيم فيها أعداء الدولة الاسلامية ، فلا يستطيعون دخول أراضي هذه الدولة الا باذن ، وفي هذه الحالة يقال له مستأمن . واذا دخلها بدون أمان فلا يمكن حمايته ، وبذلك يعرض حياته للخطر .

كذلك لم يترتب على انقسام الدولة الاسلامية الى دول مستقلة تدهور الحضارة في تلك الدول بل على العكس فان الأقطار الاسلامية كانت بعد استقلالها عن الخلافة في بغداد منيعة الجانب وافرة العدة ، عظيمة الخيرات ، فحالة مصر تحت حكم الطولونيين والاخشيديين والفاطميين كانت أسعد منها ايام ولاة العباسيين . ولما اتيح للاندلس الاستقلال في بدء العصر العباسي ، ازدهرت فيها الحضارة وأسهمت في تقدم العلوم والآداب ، ولو أنها عاشت تحت حكم الدولة العباسية لما بلغت ما وصلت اليه .

دولة الحمدانيين

ظهر النفوذ العربي في الشام والجزيرة

منذ ضعفت السلطة المركزية فى بغداد فى اواخر القرن الثالث الهجري ،فأخذت القبائل العربية،فى صحراء الشام ووادي الفرات ، تحط رحالها وتحتل المدن وتكون دويلات ، فكونت قبيلة تغلب دولة الحمدانيين فى الموصل وحلب .

وكان الحمدانيون منذ اقاموا دولتهم بالموصل فى مستهل القرن الرابع الهجري امراء شبه مستقلين . اما فى حلب حيث اسسوا دولة اخرى ، فنجد ان سيف الدولة استطاع ان يعلن استقلاله وان ظل يعترف بسلطة الخلفاء الاسمية،لكنه لم يدفع لهم جزية لانه اعتبر حامي المسلمين من الروم .

وقد عني الحمدانيون بتنظيم شئون دولتهم ، فاتخذوا الوزراء أسوة بالخلفاء ليكونوا عونا لهم فى ادارة شئون الدولة ، وكان هؤلاء الوزراء يخضعون للامراء الحمدانيين خضوعا تاما حتى اصبحوا مجرد كتّاب يعاونونهم فى تنظيم الدواوين ، كما اتخذ الحمدانيون عمالا ينوبون عنهم فى ادارة اقاليم ولايتهم .

كذلك احاط الحمدانيون انفسهم بشيء من الأبهة وخاصة سيف الدولة فى حلب الذي كان بلاطه ازهى بلاط فى عصره ، كما عرف انه اتخذ سريرا فى مجلسه بالقصر ، وهذا المظهر ــ كما يقول ابن خلدون ــ اتخذه سائر حكام المسلمين فى الشرق والغرب ، فجعلوا فى قصورهم سريراومنبرا وارائك لجلوسهم عليها مرتفعين عن غيرهم من الجالسين.

السامانيون : خراسان وما وراء النهر

ومن الدول المستقلة التي قامت فى شرق الدولة الاسلامية على يد عناصر فارسية : الدولة السامانية التي اقامها السامانيون فى خراسان وما وراء النهر (٢٦١ ــ ٣٨٩ هـ) ، واصلهم فرس من بَلْخ . وكان جدهم سامان من أسرة نبيلة تنتسب الى بهرام جور . وقد عرف الخليفة المأمون منزلتهم ، فعين اولاد اسد بن سامان الأربعة ولاة على سمرقند وفَرغانة والشاش وهَراة .

اشتهر من بين السامانيين نصر بن احمد بن اسد بن سامان الذي ولاه الخليفة العباسي بلاد ما وراء النهر سنة ٢٦١ هـ ، فاتخذ سمرقند مركزا له ، ولم يلبث أن ازداد نفوذه بحيث أصبح فى استطاعته ان يولي من يشاء من قبله على بلاد ما وراء النهر ، فولى أخاه اسماعيل بن احمد علي بخارى ،وتمكن اسماعيل من القضاء على عصابات اللصوص التي كانت تتألف من الفلاحين المتذمرين ، كما عمل على استرضاء النبلاء دون ان يعتمد عليهم .

ولما توفى نصر سنة ٢٧٩ هـ آلت زعامة السامانيين الى أخيه اسماعيل، فعمل على تدعيم نفوذ الدولة السامانية، واستطاع ان يبسط سلطانه على بلاد خراسان ، وارسل اليه الخليفة المعتضد بالخلع وولاه بلاد ما وراء النهر ،كذلك تمكن اسماعيل من الاستيلاء على بلاد طَبَرِستان ، وضم الري الى حوزته ، وبذلك امّن حدود دولته من ناحية الغرب.

تسلل الأتراك يضعف الدولة

اخذت بوادر الانحلال تظهر فى الدولة السامانية منذ منتصف القرن الرابع الهجري بسبب وقوع النزاع بين أفراد البيت الساماني وضعف الأمراء السامانيين وخروج القواد والعمال عليهم . وكان لاعتماد السامانيين على الأتراك فى جيوشهم ــ وهم من العناصر التي ثبت خطرها على الدول المعاصرة لهم ــ أثره فى اضعاف دولتهم والتعجيل بزوال حكمها ، ذلك ان هؤلاء الأتراك ما لبثوا ان تقلدوا المناصب العالية فى الجيش والادارة المدنية ، واصبحوا خطرا عليهم بسبب السلطات الواسعة التي استأثروا بها .

تقسمت الدولة السامانية أربعة أقسام

ازدهرت خراسان وما وراء النهر فى عهد السامانيين . وكانت خراسان تنقسم الى اربعة أقسام : فقسم عاصمته نيسابور ، وقسم عاصمته مَرْو ، وثالث عاصمته هَرَاة ، ورابع عاصمته بَلْخ .

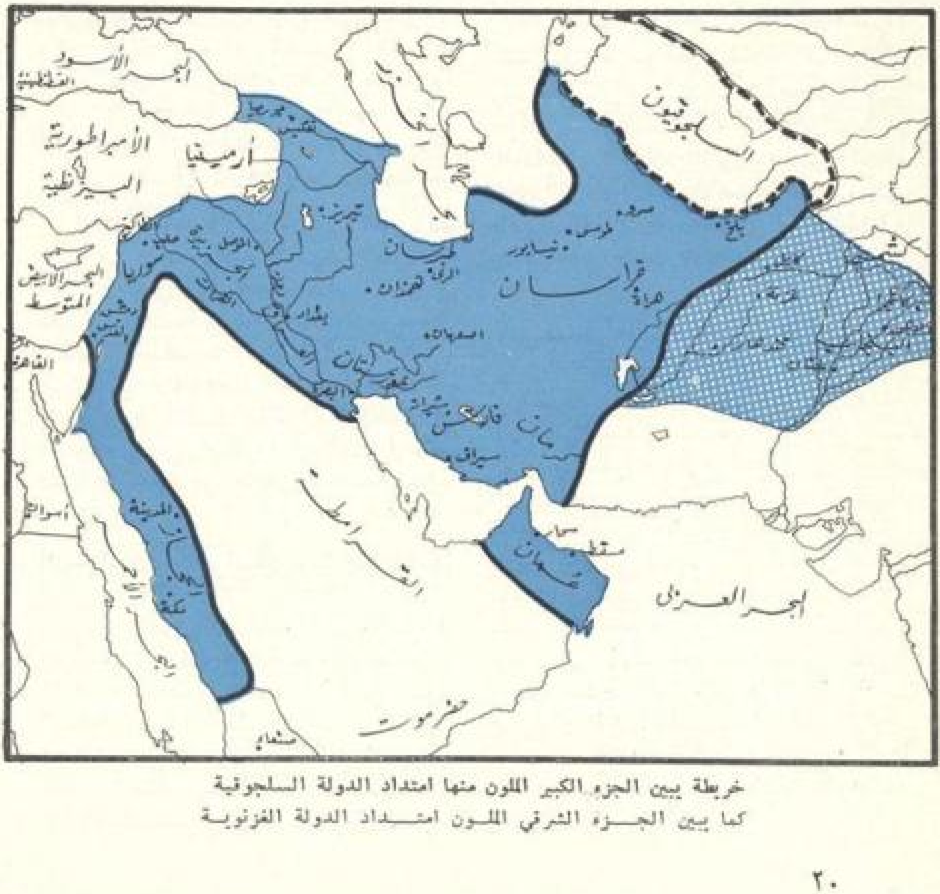
اما بلاد ما وراء النهر فتنقسم الى خمسة أقسام : الصُغْد أو السُغْد وله عاصمتان وهما بخارى وسَمَرْقند ، والى الغرب من الصغد خوارزم ، والقسم الثالث صغانيان أو سغانيان ، والرابع فَرغانه ، والخامس الشاش .

الدولة السامانية فى اوجها

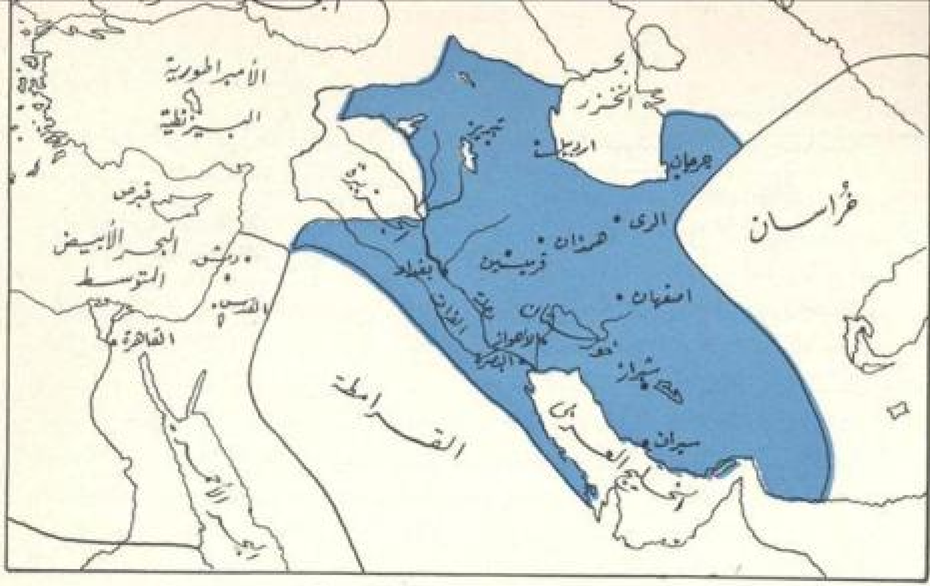
وقد بلغ نفوذ السامانيين أقصاه فى اواخر القرن الثالث الهجرى حيث كانت بلاد ما وراء النهر والجبل وايران تحت سلطانهم . وكان بداخل حدود دولتهم ولايات تكاد تكون مستقلة ، مثل سجستان . وهذه البلاد كانت تقيم الخُطبَة لامير السامانيين ببخارى وترسل اليه مبلغا معينا من المال كل سنة .

وقد اضطر السامانيون بسبب اتساع ارجاء دولتهم الى انشاء ما يشبه منصب « نائب ملك » ، فكانوا يقيمون فى بخارى على حين يقيم قائد جيشهم فى نيسابور .

وقد رحل المقدسى الى اقليم خراسان وما وراء النهر فى العهد السامانى وقال فى وصفه اهل خراسان : انهم اشد الناس تفقها ، وبالحق تمسكا ،



خريطة يبين الجزء الكبير الملون منها امتداد الدولة السلجوقية
كما يبين الجزء الشرقي الملون امتداد الدولة الغزنوية



خريطة يتبين الجزء الملون فيها امتداد الدولة البويهية (٩٤٥ – ١٠٥٥)

وهم بالخير والشر اعلم ... ورسومهم تخالف رسوم اقاليم العرب . كما حدثنا عن مجالس المظالم بنيسابور بقوله : انها كانت تعقد فى كل يوم أحد واربعاء بحضرة صاحب الجيش أو وزيره وحوله القاضى والعلماء والاشراف، فكل من رفع اليه قضية انصفه . وامتدح المقدسى * سيرة السامانيين فى الحكم ، فقال : انهم من أحسن الملوك سيرة ، هذا فضلا عما عرف عنهم من اجلال للعلم واهله : فقد كان من رسومهم الا يكلفوا اهل العلم تقبيل الأرض بين ايديهم . وقال عنهم ابن خلكان فى كتابه وفيات الأعيان : « انه كان يغلب عليهم العدل والدين والعلم » .

نشأة الدولة الغزنوية

اما عن ظهور الدولة التركية ، فان الاتراك بعد ان قوى سلطانهم فى الدولة الاسلامية فى القرن الثالث الهجرى ، اخذوا يتطلعون الى ان تكون لهم السيادة فى المناطق التى انتشر فيها نفوذهم فتجلت اطماعهم فى الاستقلال بالولايات الشرقية منذ استعان بهم السامانيون فى ادارة شئون دولتهم ، فكان البتكين من الموالي الأتراك الذين يتمتعون بمنزلة كبيرة عندهم ، فعينوه حاكما لهراة ، ثم أقصى عن منصبه وعاد الى غزنه حيث حل محل أبيه فى حكمها سنة ٣٥٢هـ ، واقام بها امارة مستقلة ، لكنه لم يلبث ان توفى ، فخلفه ابنه اسحق ، وهذا لم يخلف من اهله وأقاربه من يصلح للامارة ، فآل امر ما بيده الى غلامه سبكتكين سنة ٣٦٧هـ (٩٦٦ م) .

وسع سبكتكين ملكه فى ناحية الهند ، فانشأ بها حكومة فى بشاور ، كما امتد نفوذه الى فارس باستيلائه على خراسان . وعلى الرغم من انه كان من الناحية العملية مستقلا عن السامانيين وأكثر نفوذا منهم ، فانه اعترف لهم بالسيادة ، وفتح البلاد باسمهم حتى اتسعت رقعة ولايته وعمرت خزائنه بالمال . وقد استطاع سبكتكين بفضل

* هو ابو عبد الله المقدسى عاش حول عام ٣٧٥هـ (٩٨٥م) . وهو أحد الجغرافيين الرحالة العرب المشهورين . ومن كتبه كتاب « احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » — العربي .

انتصاراته التي احرزها في فتوحه أن يضع أساس الدولة الغزنوية . *

محمود الغزنوي

يعد محمود بن سُبُكتكين من اشهر رجال هذه الدولة ، بل من اشهر اعلام الاسلام . وكان اول من تلقب من الغزنويين بلقب سلطان بعد أن كان يلقب بلقب أمير . وقد لقبه الخليفة القادر بالله العباسي « يمين الدولة وأمين الملة » ، وظهرت هذه الألقاب على السكة التي كانت تحمل اسمه .

بدأ محمود الغزنوي عهده بوضع يده على مملكته الصغيرة التي ورثها عن ابيه، كما فتح بلاد الغَوْر فيما بين غَزْنه وهَراة ، ونشر الاسلام بين أهلها ، وأزال سلطان البويهيين في الرَيّ واصبهان . ولم تقتصر جهوده على فتح البلاد في فارس وخراسان ، بل ولى وجهه شطر بلاد الهند التي رأى فيها ميدان الجهاد الأكبر ، فغزاها سبع عشرة مرة في مدى سبعة وعشرين عاما فيما بين سنتي ٣٩١ ـ ٤١٧ هـ (١٠٠٠ ـ ١٠٢٦ م) . وكان يرمي من غزو هذه البلاد الى نشر الاسلام فيها .

الغزنوي يتخذ لاهور مقرا لحكمه

اتخذ محمود الغزنوي لاهور مقرا لحكومته بالهند ، وعين بها نائبا عنه ، واتسعت رقعة دولته حتى اصبحت تضم شمال الهند شرقا والعراق العجمي غربا وخراسان وطخارستان وعاصمتها بلخ وجزءا من بلاد ما وراء النهر في الشمال ، وسجستان في الجنوب .

خلفاء محمود يواصلون سياسته

واصل خلفاء السلطان محمود الغزنوي سياسته في توجيه حملاتهم لفتح بلاد الهند وكان من اهم نتائج هذه الفتوح نشر الاسلام،كما وجهوا اهتمامهم الى القضاء على قوات السلاجقة في خراسان والغَوْر في بلاد الأفغان ، وخانات الترك في بلاد ما وراء النهر ، وامتدت دولتهم من لاهور الى سمرقند واصبهان .

وعلى الرغم من أن ظهور الدولة الغزنوية أدى الى انتقال السيادة والنفوذ من العنصر الفارسي الى العنصر التركي، فان حكومة هذه الدولة لم تختلف اختلافا كبيرا عن الحكومة السامانية، فلقد حافظت على كيانها بقوتها الحربية.

تفكك الدولة الغزنوية

فلما وهنت هذه القوة، تطرق الضعف الى الأجزاء التي كانت تتألف منها الدولة الغزنوية ، وهذا ما حدث بعد وفاة السلطان محمود الغزنوي ، فانفصلت المقاطعات الشرقية عن حاضرة الغزنويين. اما في الشمال والغرب ، فان خانات التركستان وسلاجقة فارس بسطوا سلطانهم على أملاك الدولة الغزنوية ، وفي الوسط استولى أمراء الغور الافغان ـ وعلى رأسهم محمد الغَوْري ـ على غزنه وما حولها، ثم ساروا بجنودهم الى الهند ليحافظوا على املاك المسلمين هناك ، فغزوا اقليم الهند والسينجاب ، وقضوا على نفوذ الغزنويين في لاهور . ■■

محمد جمال الدين سرور

---

* هو ناصر الدولة سبكتكين ، جد الدولة الغزنوية ، وهي التي ملكت خراسان وغزنة وامتد ملكهم للهند . وقد توفي ودفن في غزنة عام ٣٧٧هـ (٩٩٧) ، وكان سني المذهب تقيا . وكان له ولدان ، اسماعيل ومحمود . اختلفا على الحكم من بعد أبيهم ، وفاز محمود الغزنوي ، وهو من أشهر رجال هذه الدولة ـ العربي .

٥ شعراء .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ اخترنا لهذه المسابقة ٤ شعراء معاصرين ،وشاعرة ، من اجزاء مختلفة من الوطن العربي ، قدمنا كلا منهم في بضعة اسطر تيسر للقارىء معرفته ، ختمناها ببعض ابيات من مأثور شعره ، نشر معظمها في اعداد سابقة من «العربي»

حاول ان تعرف هؤلاء الشعراء ، فقد يحالفك الحظ وتكسب احدى الجوائز .

● اول هؤلاء الشعراء هو أكبر شعراء عصره واعظمهم شهرة . عرف حياة الترف في قصور الملوك والامراء ، كما عرف مرارة النفي الذي امضى فيه بضع سنوات .. كان في شبابه رجل دنيا يرى المتاع بما فيها من نعم غاية الحياة . فلما تقدمت به السن تكشف عن نفس عامرة بالايمان ، حتى لقد أزرت قصائده الدينية بكثير مما نظم في مختلف المناسبات ..

قدم للمسرح العربي عددا من المسرحيات الشعرية الخالدة قال في احداها على لسان بطلتها العربية العاشقة :

أنا عذرية الهوى أحمل العبء
وإن ناء بالصبابة جهدي
المحبات ما بكين بدمعي
في الليالي ولا أرقن كسهدي
لم تعذب بالحب عذراء قبلي
كعذابي ولن تعذب بعدي

فمن هو ؟ وما اسم تلك المسرحية ؟

● في عام ١٩٢٠ تالق في سماء سورية نجم شاعر شاب ، اثر قصيدة صور فيها احتلال الفرنسيين لوطنه ، فما زالوا يطاردونه حتى اضطروه للهجرة الى حيفا ثم الى عمان ، فالقاهرة حيث اخرج طائفة من الكتب اهمها قاموس يحوي تراجم اشهر « الأعلام » العرب والمستعربين .

حكم عليه الفرنسيون بالاعدام غيابيا مرتين ، لكن الله لم يمكنهم منه ، وهو الآن يعمل سفيرا لدولة عربية غير دولته ، في دولة عربية ثالثة ..

من روائع شعره ابيات يقول فيها :

أنا في هواك كما يشاء هواك لي
كلِفٌ بحبك يا دمشق ودودُ
لم أنا عنك قلى ، ولا لنقيصة
ما أنت الا ربعي المحدود
ولقد هجرتك حين حاق بي الأذى
ما للأباة على الهوان قعودُ

فمن هو ؟

● عرف الوطن العربي في هذه الحقبة الحاضرة من تاريخه عددا غير قليل من الشاعرات المجيدات ، تقف منهن في الطليعة شاعرة تعبر بشعرها الذي تضمنته ثلاثة دواوين ، عما يعانيه شباب هذا الجيل من قلق وضياع ، وهروب من الواقع الأليم الذي يعيشونه هذه الأيام ، وخاصة أبناء وطنها السليب : فلسطين !

استمع اليها تقول في احدى روائعها :

أترانا نذرع الايام نمضي مثقلين
نطأ العوسج نعيا بالذي نحمل من عبء السنين؟
أترى من أجل هذا نحن نحيا ؟
ما الذي ننتظر ؟
ما الذي نحيا له
نحن قد يملؤنا وهم نسميه الطموح
نكدح العمر ونشقى فيه كي نرقى الذرى
نجري ونسعى
لنفوق الآخرين
ثم ماذا ؟
لا تحدثني عن المهزلة الكبرى ، عن الكذبة ،دعها
لمجانين الخلود !

فمن هي ؟

● يوم بدأ ينشر شعره في الصحف ، استقبلته الأوساط الأدبية بكثير من التحفظ ، لما فيه من غرابة على الشعر العربي ، ولاستعماله بعض الألفاظ السوقية بدلا من اللفظ المنتقى الرصين.

أما الأوساط الشعبية فقد اقبلت على شعره واقتناء دواوينه التي تعاقبت في سخاء ، اقبالا منقطع النظير، لما فيها من تحرر من بعض التقاليد! استمع اليه وهو يخاطب « فستانا » :

درت واخْتَرْتَ واحتفلت بصدر مَسَحَتْه بكفها الكبرياء

لك ما شئت : معصم ، وذراع ، لم نهد .. مخدة بيضاء !

لك بالخصر وقفة ، وعلى الردف انهيار ، وشهقة وانحناء !

« هى » أعطتك ما تريد ، فصفق واسترح يا رداء حيث تشاء !

فهل عرفته ؟

● اما هذا فشاعر من طراز آخر .. شاعر لم يدخل مدرسة ، ولم يتعلم حتى قواعد الصرف والنحو والقريض .. بل هاجر الى البرازيل وهو غلام يافع ، بحثا عن لقمة العيش ، كان يأكلها تارة مغموسة بالعرق وتارة بالطين ! حتى قال :

« ونشرب مما تشرب الخيـــل تارة
وطورا تعاف الخيل ما نحن نشربُ »

من روائع شعره القومى قـــوله فى احـدى انتفاضاته :

عليكم سلامٌ الله يا آل يَعْرُبٍ
متى ينتهى مـــــساكم المتنافر ؟
اليس لكـــم يا قـــومُ بعد « محمدٍ »
نبىٌ لاصـــنام السياسة كاســــر ؟

أمـا مـن فتى حـرٍ اذا هَبَّ للوغى
تهُبُ البوادى خلفـــه والحواضِرُ ؟

فمن هو ؟!

شروط المسابقة

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٤٥ من هذا العدد .

٢ ـ يكتب على المظروف عبارة ـ « مسابقة العربي ـ العدد ٦٣ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر مارس (آذار) .

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الأولى : ٣٠ دينارا ..

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا ..

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير ..

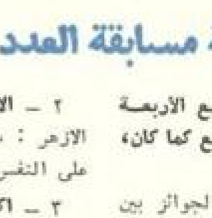
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ..

وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

ترسل الاجابات مباشرة بعنوان مجلة «العربى»: صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربى.

نتيجة مسابقة العدد ٦١

■ كان المطلوب هو ضم أجزاء المربع الأربعة المنفصلة ، بعضها الى بعض ليعود المربع كما كان، على النحو الذى يبينه الرسم .



وقد أجريت عملية الاقتراع على الجوائز بين الاجابات الصحيحة فأسفرت عما يأتي :

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها **الملازم الأول قاسم محمد عبد القادر** سرية النقليات الأولى ـ لواء الأميرة عالية ـ الاردن .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها **محمد وليد حمامى** (طالب سورى) يدرس فى لجوبلجانا ـ يوغوسلافيا .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها **يوسف جابر** : فرى تاون ـ سيراليون ـ شرق افريقيا .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **نوري جابر السرحان** ـ قسم المشتريات ـ وزارة البريد والبرق والهاتف ـ الكويت .

٢ ـ **الاستاذ محمد احمد فرج** من علماء الازهر : سكرتير نيابة كفر الشيخ الكلية للولاية على النفس ـ كفر الشيخ ـ ج٠ع٠م

٣ ـ **اكرامية جاسم محمد امين** ـ محلة باب البيض الشرقى رقم الدار ٣١/٢٢٩ ـ الموصل ـ العراق .

٤ ـ **عبد العزيز حامد** : حى الفرحة ص٠ ب ١٣٥ ابقيق ـ السعودية .

٥ ـ **عبد المنعم محمد احمد قسم الله** : منزل رقم ١٠٣٧/٢/٣ أم درمان ـ السودان .

٦ ـ **عبد الله ابراهيم الزيانى** : بنك البحرين ص٠ب ١٠٦ ـ البحرين

٧ ـ **خالد محمد الجفرى** : السلطنة الفضلية ص٠ب ٤١٥٦ ـ عدن .

٨ ـ **على رجب المعاز** الخليفى نهج الطمعة رقم ٢٧ : تونس الجمهورية التونسية .

وسترسل الجوائز الى مستحقيها . ■■



ابن أبراهام لنكلن

المنكوب الذي شهد مصرع ثلاثة من رؤساء الجمهورية

■ لو ان كاتبا قصصيا حاول ان يرسم شخصية لمنكوب تلاحقه المآسي والمصائب فنقل سيرة «روبرت لنكلن» Robert Lincoln – آخر سليل الاسرة محرر العبيد فى امريكا – لاتهمه القراء قبل النقاد بانه اغرق فى المبالغة حتى افسد جو الواقعية فى القصة ..

ولكن نكبات « روبرت » كانت – فى الحقيقة – من صميم الواقع ..

فقد شاء له القدر ان يشهد مصرع ابيه ، واثنين ممن خلفوه فى رئاسة الجمهورية .. وان يشهد وفاة اخوته الثلاثة الذين كانوا يصغرونه سنا .. كما نكب فى امه ، اذ اختل عقلها وتوفيت وهى غاضبة منه .. ثم توفى ابنه ، الذى كان امله الاوحد فى بقاء سلالة لنكلن فى سن السابعة عشرة ..

كان « روبرت » فى حوالي الثانية والعشرين من عمره عندما اطلق معتوه اثيم الرصاص على ابيه « ابراهام لنكلن » ، وهو فى المسرح عشية انتصار ولايات الشمال على ولايات الجنوب الامريكي فى الحرب الاهلية الامريكية .

وبينما كان الرجل الذى اوقف حياته على تحرير العبيد وتوحيد الولايات الامريكية ، مسجى على فراشه ، فى غيبوبة الموت ، انهارت اعصاب زوجته « مارى تود لنكلن » ، فأبعدت عن فراشه ، وظل « روبرت » بجوار ابيه ساهرا يستعرض فى ذهنه كيف انه لم ينعم بقرب هذا الاب كثيرا .. فقد كان لنكلن كثير التغيب عن اسرته فى حداثة روبرت ، اذ كان موزعا بين جولاته السياسية ، والتنقل بين المحاكم ليترافع

عن موكليه ، فقد كان محاميا .. فلما بدأ ان يستقر سنة ١٨٥٩ ، اضطر « روبرت » ــ وقد بلغ الثانية عشرة ــ الى ان يرحل عن البيت ليدرس فى « نيوهامبشاير » ، ثم فى جامعة هرفرد Harvard .. وقبل ان يفرغ تماما من دراسته ، كان الاب قد تولى رئاسة الجمهورية ، فاستأثرت مهام الدولة بالشطر الاكبر من اوقاته..

★ ★ ★

وافاق « روبرت » من خواطره الكسيفة ، عندما فاضت روح ابيه .. فتماسك ــ برغم صغر سنه وفداحة النكبة ــ وخرج ليقود امه فى رفق حزين كي تودع الزوج الحبيب .. وكان الموقف قاسيا على « مارى » فانهارت ، حتى ان الطبيب اضطر الى ان يعطيها مخدرا لتنام ، الى ان حان موعد قداس الجنازة ..

ولم تتحسن اعصاب «مارى» منذ ذلك الحين.. اما « روبرت » ، فقد استطاع الشباب ، بحيويته وطموحه ، ان يمكنه من التغلب على آثار الصدمة .. فمضى يشق طريقه فى الحياة ، فلم تنقض ست عشرة سنة ، حتى كان وزيرا للحربية فى حكومة رئيس الولايات جيمس جارفيلد ..

ولكنا لا نريد ان نستبق الحوادث ، بل يحسن ان نمضي فيها تباعا .. فعندما بلغ « روبرت » الثامنة والعشرين من عمره ، كان قد اصبح محاميا نابها .. ولم يلبث ان تزوج .. وكانت أمه فى رحلة طويلة ، تتنقل خلالها فى ربوع اوربا ، مصطحبة ابنها الاصغر « تاد » ، وكان فى الثامنة عشرة من عمره .. وكان هذا الابن الاصغر ، الى جانب « روبرت » كل من بقى لها بعد وفاة ولدين آخرين ، وبعد مصرع زوجها ..

وما ان علمت « مارى » ان ابنها يوشك ان يصبح ابا ، فتصير هى ــ بالتالي ــ جدة ، حتى بادرت بالعودة الى امريكا . ولكن « تاد » اصيب خلال عبور المحيط ببرد قاس ، ظل يلازمه حتى قضى عليه فمات بعد شهرين ..

★ ★ ★

كانت هذه آخر صدمة تقوى « مارى » على احتمالها . فان أحداث الحياة كانت قد أوهنت اعصابها وجلدها .. اذ منيت فى صغرها بوفاة امها ، فعاشت حياة مضطربة بين بيت ابيها ــ حيث كانت السيادة لزوجة ابيها بعد امها ــ وبيت اختها الكبرى كاترين ، وبيت جدتها لامها..

ولم تكن « مارى » ذات جمال صارخ . وكانت تهتم بالكتب والخيل والمشاركة فى المناقشات السياسية ــ فى منتدى ابيها ــ اكثر من اهتمامها بالرجال .. وكانت الى ذلك لاذعة اللسان ، حادة الطبع نتيجة لظروف حياتها .. فاخذت تشهد لداتها يتزوجن تباعا ، دون ان يتقدم احد لزواجها .

وبدلا من ان تستسلم للأسى ــ وهو لا بد قد ادركها ــ اخذت تتسامى بعواطفها ، وتشط فى طموحها ، حتى لقد جعلت « البيت الابيض » قبلتها فى الحياة .. وبات فتى احلامها هو ذلك الرجل الذى رجت ان تلقاه يوما ويستطيع ان يصل بها الى هذا المقر الرسمي لرئيس الجمهورية .. ومع ان كثيرا من الشبان ذوى المراكز السياسية ، سحروا ــ فيما بعد ــ بقوة شخصيتها ، وسعة افقها ، وذلاقة لسانها .. الا ان احدا منهم لم يرق فى عينيها ، اذ لم تكن تجد فيهم الطموح وقوة العزيمة اللازمين لفتى احلامها ..

★ ★ ★

وعثرت اخيرا على فتاها المنشود فكان « ابراهام لِنكِلن » ..

وبالرغم من انه كان فقيرا ، من اسرة مغمورة لانضارع أسرتها ، الا انه كان ذا شخصية قوية مسيطرة ، ومنطق بارع ، وحجة مُفحِمة .. وكان محاميا عصاميا ، نشأ من لا شيء ، واستطاع ان يعلم نفسه ، وان يصبح محاميا وعضوا فى المجلس التشريعى لولايته ، ومرشحا لمجلس الشيوخ .. وبالرغم من انه كان طويل الوجه والساقين ، غير جميل ، فريسة للمرض ونوبات الاكتئاب ، الا انه كان قديرا فى النضال ، امينا فى ممارسة القانون ، لا يدافع عن متهم ما لم

يطمئن الى انه مظلوم حقا .. وكان ـ الى جانب هذا ـ يشاركها كراهية الرق وبيع العبيد بيع الدواب ..

وقام بينهما حب ارهق اعصابها ايما ارهاق .. حب متارجح بين الرغبة والرهبة .. فقد ظل « لنكلن » يكتم عاطفته طويلا ، حتى اذا غلبته هذه العاطفة وصارح « مارى » الحب ، عاد يتباعد ، فقد كان لا يملك سوى ان يفكر فى فقره وديونه ، فى حين انها كانت من اسرة ميسورة الحال ، يشغل افرادها مراكز محترمة فى الحياة والمجتمع .. ولكن الحب تغلب ، فعاد .. ووعدها ان يعلنا خطبتهما .. ولكنه فى اليوم المحدد ، تراجع وتركها للاحزان والهواجس .. اتراه لم يكن راغبا ، وهى التى تهالكت عليه وحاولت ان تجره جرا ؟ .. ولكنها كانت توقن من انه احبها ، فكيف تفسر تصرفه الجارح لكرامتها ؟ .. وهكذا راحت الحيرة والحسرة تعصفان بها وتفريان اعصابها ، حوالي عشرين شهرا ، توالت عليها الامراض خلالها .. ولكن الحب انتصر فى النهاية ، وتزوجا ..

★★★

وعندما حملت لاول مرة ، قال لها زوج اختها الطبيب ، وهو يفحصها : « لقد كنت تعانين مرضا حقيقيا خلال الشهور العشرين التى تعرضت فيها للانفعالات والهواجس والآلام .. وها قد وضع زواجك من ابراهام حداً للمرض ، ولكن هذا لا يعني ان اعصابك قد برأت » .

وبهذه الاعصاب المرهقة تحملت الصدمة عندما اكتشفت ان احدى عيني ابنها الاول « روبرت » قد شذ انسانها الى احد الاركان ، نتيجة اختلال فى اعصاب هذه العين ، فهو لا يحسن الافادة منها .. وبهذه الاعصاب احتملت المتاعب التى كانت تعترض حياة زوجها ، وتحاملت لتشجعه على المضي فى الكفاح .. وبهذه الاعصاب كانت تحتمل تغيبه عن البيت فى جولاته السياسية والقضائية .. وكانت تحتمل الضائقات المالية .. وعندما انتقلت مع زوجها الى واشنطن لاول مرة ـ حين اصبح عضوا فى الكونجرس ـ فلم تجد الحياة التى كانت تحلم بها ، اذ لم تكن لهما علاقات اجتماعية تذكر ، وكانا مضطرين للاقامة فى نُزُل ـ « بنسيون » ـ فعاشت فى البداية ، فى شبه عزلة ..

ثم نكبت فى ولدين من اولادها ، وشهدت زوجها يُقتَل ، كما اسلفنا ، وهو جالس الى جوارها فى المسرح .. ثم فقدت ابنها « تاد » ..

★★★

كان لا بد بعد كل هذه الاحداث ان تنهار اعصابها ، وان ينعكس انهيارها على عقلها ، فيتمثل فى تصرفات غريبة .. كانت تنفق جزافا فى اقتناء اشياء لا سبيل لان تنتفع بها ، ثم تقع فى ضائقات مالية نتيجة ذلك .. وكانت تتوهم ان « روبرت » ـ ابنها الاكبر ، الذى بقي لها ـ فى خطر دائم .. ومع انها رفضت ان تقيم معه فى داره ، او ان تزوره ، فانها كانت تبرق اليه كل يوم لتطمئن على سلامته .. ثم اقدمت على بيع بعض امتعتها الخاصة بالمزاد ، فى الوقت الذى تبين فيه « روبرت » انها تحمل سندات مالية قيمتها ٥٦ الفا من الدولارات ، لا تكاد تفارقها .

ازاء هذا لم يبق لدى « روبرت » شك فى اختلال عقل امه ، فخشي عليها من تصرفاتها ، واستشار بعض الأهل فى أمرها فاقروه على ألا مفر من ان يعهد بها الى مَصَحّة للامراض العقلية .. وكان لزاما ان يستصدر اذنا قضائيا بالحجر عليها ، فوقف فى المحكمة يروى تصرفات امه وهو يبكي ..

وكان هذا التصرف من الابن الوحيد الباقي ، اقسى على « مارى » من كل شيء .. وهيأ لها اضطرابُ عقلها انه قد فضحها واذلها وشهّر بها ، فظلت السنوات السبع الاخيرة من حياتها غاضبة عليه .. وماتت سنة ١٨٨٢ ، دون أن تغفر له .

★★★

وبالرغم من هذه النكبات ، كان « روبرت » موفقا فى حياته فاصبح من اشهر محامي الشركات

الكبرى ، ولكنه ظل ـ منذ مصرع ابيه ـ يتجنب السياسة ومعتركها ومناصبها ، الى ان اضطر ـ فى سنة ١٨٨٠ ـ الى مناصرة الجنرال « اوليسس جرانت Grant» فى المعركة الانتخابية التى حاول فيها ان يحمل الحزب الجمهورى على ان يرشحه لرئاسة الجمهورية فترة ثالثة . ولكن الحزب رشح « جيمس جارفيلد Garfield » دونه ، واذا « جارفيلد » يقدم على عمل غير مرتقب ، اذ اختار « روبرت لنكلن » ـ مناصر مزاحمه ـ وزيرا للحربية فى حكومته ..

وذات يوم ، كان على « روبرت » ان يرافق رئيس الجمهورية فى احدى رحلاته ، ولكن ظروفا فوق ارادته ، اضطرته الى التخلف ، فهرع الى محطة السكة الحديدية ليعتذر للرئيس قبل ان يتحرك قطاره ..

وفى اللحظة التى وصل فيها ، شهد ضابطا مُبعدا عن الخدمة ، يرمي الرئيس بالرصاص فيقضي عليه ..

وتذكر مصرع ابيه ، فضاعف ذلك من وطأة الصدمة على نفسه .. ولكنه لم يملك سوى ان يقبل رجاء « تشيستر آرثر » ـ خليفة جارفيلد ـ عندما آثره دون بقية اعضاء حكومة الرئيس الراحل ، بالبقاء فى وزارته .. وعندما اوشكت فترة حكم « آرثر » على نهايتها ، حاول اقطاب الحزب الجمهورى ان يغروا « روبرت » بترشيح نفسه للرئاسة .. وكانت الاحتمالات ترجح فوزه، ولكنه رفض باصرار .. ولعله كان معترفا لآرثر بفضل ايثاره .. او ربما كان متأثرا بما شهده من مصرع لنكلن وجارفيلد ..

★ ★ ★

على انه قبل بعد ذلك ـ وفى سنة ١٨٨٩ ـ منصب الوزير المفوض للولايات المتحدةفى بريطانيا.

واستقر فى هذا المنصب اربع سنوات راضيا .. الى ان فجعه القدر فى ابنه الوحيد ـ وليس الاوحد ، اذ كانت له ابنتان غيره .. فقد مات هذا الابن وهو يدرس فى فرنسا ، وكان قد بلغ السابعة عشرة ..

واشتد الحزن بروبرت ، فاعتزل منصبه فى سنة ١٨٩٣ ، وعاد الى امريكا ليتفرغ لاعماله الخاصة .. وابتعد كل الابتعاد عن الاجتماعات الرسمية والسياسية ، ولم يستجب للدعوات الا نادرا .. ومن هذه الدعوات النادرة ، حفل افتتاح معرض « مجموعة الدول الامريكية » فى مدينة « بفالو » ـ بولاية نيويورك ـ فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٠١ .

وكأنما ساقه الحظ لحضور هذا الحفل ليشهد مصرع رئيس ثالث من رؤساء الجمهورية ، هو « مكنلى McKinley »

وفى هذه المرة، اقسم الا يقابل رئيسا للجمهورية قط .. وقد بر بقسمه حتى حانت منيته فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٦ .

★ ★ ★

كان « روبرت » قد انهمك فى اعمال الشركات ، فاصاب ثروة طائلة ، وظفر برئاسة مجالس ادارات عدد من الشركات الكبرى .

ولكن كل هذه الاحداث لم تمر دون ان تترك اثرا فى اتزانه العقلي والنفسي ..

وقد تمثل هذا الاثر فى غيرة عمياء تولته ازاء سيرة ابيه ، فكان يرفض الحديث عنه الى الناس ، برغم ما وجه اليه من دعوات .. وكان ينتقد اقذع نقد اى مساس بلنكلن فيما يكتبه الغير ..

وكان اشد مظاهر غيرته ، احتفاظه بأوراق ابيه فى حرص البخيل على كنزه ، فرفض كل محاولة بذلها المؤرخون والصحفيون ورجال الكونجرس والحكومةوالجامعاتللاطلاع عليها..وعندما اشتد عليه الالحاح ، قرر ان يودع الأوراق مكتبة الكونجرس مع تحفظ غريب ، هو أن لا تفتح الا بعد ٢١ سنة من وفاته ..

وقد مات فى سنة ١٩٢٦ . وعندما تسنى الاطلاع على الاوراق فى سنة ١٩٤٧ ، ظهر انها لا تلقى اضواء ـ اكثر مما كان موجودا ـ على حياة لنكلن كرئيس للجمهورية ، ولا على دوره فى الحرب الأهلية ، ولا على علاقته بزوجته مارى تود لنكلن.

وكان اكبر دليل على اضطراب « روبرت » العقلي ، ماشهد به صديقه الدكتور « نيكولاس موراى بتلر » ـ الذى كان عميدا لجامعة كولمبيا ـ من انه فاجاه مرة وكان قد الحّ فى الاطلاع على الاوراق ، فوجده يحرق قسطا منها ! ■■



هذه الأرضُ التى تَعيش عليها

كم نعرف عنها .. وكم نريد أن نستزيد

يخرقون الأرض ، ليروا بأعينهم ما فيها .. "وليطمئن قلبي"

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ جواب هذا السؤل الذى فى راس المقال ، يتوقف على من انت ؟ .

زارع الارض
اكتفى من علم الأرض بعلم تربتها

هذا زارع يزرع الارض ، للحب تارة ، وللبقل تارة ، وللشجر تارة .

فهذا لا يهمه من علم الارض الا علم تربتها ، بالمقدار الذى تسلكه تلك الجذور ، عميقة او ضحلة ، فى الارض.

اما ما تحت ذلك فلا يعنيه منه ان يكون ما يكون ، الا ان يتصل ذلك بتصريف ماء سقى به ارضه . وهو لا شك اكثر طلبا لمعرفة ماق السماء بعد ذلك القدر الذى عرفه من الارض ، لأن السماء تمطر فتسقى زرعه . وهو يريد علم السماء بمقدار ما تسقى او تمنع من سقيا ، فهو لا يريد فوق السحاب ذهابا .

قشرة رقيقة جدا ، بضعة امتار ، هى كل هم الانسان الاول من علم الارض ،

الأرض بندقة عمرة المكسر

وزنها ٦٠٠٠ مليون مليون مليون طن

بالزلازل كشف العلماء عن بطن الأرض

لطعامه وكسائه ، ولتربية حيوانه . وقد يزيد عمقا فى الارض يطلب الماء حين يعزُ الماء .

وباني البيت اكتفى من علم الارض باستخلاص الحجر من قشرتها

وجاء الرجل يبني مساكنه فوجد فى حجر تلك القشرة الغاية ، او هو وجدها فى تربتها ، فى طينها ، محروقا او غير محروق . لم تهبط به حاجة المسكن دون ما هبطت به فى الارض حاجة الطعام والشراب .

ثم حفر الانسان عن المعدن والفحم والزيت

ووقع هذا الانسان على الوان من الارض ، وجدها تعالج فتخرج ما أسماه المعادن : الحديد والنحاس وأشباه لهما . ووجدها اول الامر عند سطح الارض . ثم وجدها تغوص فغاص وراءها . وبدأ يتعلم كيف يحفر وكيف يتعمق .

ثم جاء الحفر وراء الزيت آخر الامر وامتد زمانه

وبالمعادن ، ومنها اجسام الآلات والمكنات ، وبالفحم والزيت ، ومنهما طاقة المحركات وروح هذه الآلات والمكنات ، قامت الصناعات الميكانيكية ، وعلى الصناعات قامت هذه المدنية (١)

يتراءى من ذلك ، ولو ظاهرا ، ان هدف الانسان الاول كان النفع والفائدة يجنيها من تعمقه فى الارض .

ورجال طلبوا علما خالصا

ولكن الى جانب هؤلاء الرجال ، كان رجال هدفهم الاول علم هذه الارض .. علم هذه القشرة الارضية ، كان من ذلك نفع او لم يكن نفع . وساحوا فى الارض فوجدوا السهول ، ووجدوا الهضاب ، ووجدوا الجبال ووجدوا الوديان . ووجدوا ان الارض ، فى كثير من تلك المواقع ، فى القديم من الازمان ، قد تكسرت قشرتها ، وعلا منها ما علا ، وهبط ما هبط ، وبقى قائما على سيفه ما بقى فكشفت الارض بذلك عن طبقات فى قشرتها عميقة ما كان فى مقدور الانسان ان يقلبها هذا القلب ، او ان يزعجها هذا الازعاج ، كما فعلت هذه القوى الهائلة المزلزلة للطبيعة .

وفى القرن الماضى ، القرن التاسع عشر ، تفرغ رجال من اهل العلم لدراسة ما انقلب هكذا رأسا على عقب من طبقات

---

(١) هذه كلها خطوات نقلت العيش من بساطته التى كانت ، الى تعقده الذى هو كائن .
وهنا يتبادر السؤال : هل صار الانسان بهذا أحسن حالا ؟

وليس من احد يستطيع أن يجيب على هذا جوابا شافيا صادقا . لأن الجواب الصادق الشاق لا يمكن أن يصدر الا عن رجل مارس هذا تم هذا . وهذا لم يقع لانسان . والذين يتخلون عن حياة المدنية المعقدة الحاضرة ، الى حياة القرية المبسطة ، يحسبون أنهم انتقلوا من حال الى حال . وما فعلوا . ففى الريف الذى انتقلوا اليه امتدت ثمرات المدنية أصفى ما تكون ، وأهدأ ما تكون ، ولكن كذلك اعقد ما تكون . والفرق هو فى انهم خلفوا عقدها فى المدينة ، وتنعموا فى القرية بثمرات هذه العقد من بعيد .

بمثل ما كشفوا فيه عن الزيت

سطح الأرض، وما عرّاه من سطح الارض الماء، وما عرّاه الريح والهواء . وبدأ علم الارض . . علم طبقاتها . . علم الجيولوجيا، بدأ يتشكل علما مفصّلا له برنامجه ،وله الأسلوب العلمي الذي كان قد صار لسائر فروع العلم اسلوبا .

وخرج لنا هؤلاء العلماء ، علماء القرن الماضي ، باشياء كثيرة عن قشرة هــذه الأرض القريبة ، ليس من اقلها ان الكثير منها رواسب تكونت في قيعان بحــار ، وبعضها تحوّل . والكثير من هذه الطبقات احتوى بقايا من تلك الأحياء التي عاشت في تلك الأزمان ، وحفظتها الطبقات زمنا بعد زمن . ومن هذه خرج العلماء بتاريخ سطح الأرض ، والأحياء التي عاشت على سطح الأرض ، مرتّبة عصرا من فــوق عصر ، في حقبة من الزمان امتدت الى نحو ٥٠٠ مليون عام .

ومن مقارنة هذه الأحياء، ومن تتابعها، خرج العلماء بنظرية النشوء والارتقاء .

نتائج نافعة وغير نافعة

ستقول نتائج غير نافعة لا تشبع من جوع .

واقول نعم ، بالرغم مما كان لها من نتائج ، نافعة تشبع من جوع ، خرجت من جوانبها ، لا تمتّ الى هدفها الكبير بالشيء الكثير .

اقول نعم ، انها غير نافعة ، بمعنى ذلك النفع الذي لا يكون الا اذا هو اتصل بغذاء او كساء او مسكن ، أو بلذة من لذائذ الأجسام .

ثم اقول بل هي نافعة نفعا فوق كل هذه المنافع لأنها تتصل بلذة من لذائذ العقل والروح، ذلك التطلع الطبيعي الذي تتطلعه عقول بني الناس بحكم فطرتهم، وفي درجات من الرقي الانساني معلومة ، الى المعرفة ولو لم تشبع بطنا او تدفيء ظهرا .

وهنا اعود الى السؤال الذي هو عنوان هذا المقال : كم تعرف من الأرض التي انت عليها ، وكم تريد أن تستزيد ؟

واعود الى الجواب الذي بدات به هذا المقال : هذا يتوقف على من انت ؟

فانت ، ان كنت ممن يرى أن المعرفة يجب ان تقف حيث يقف النفع ، فلك ذلك .

وانت وان كنت ممن يرى ان المعــرفة لا تقف عند ذلك ، بل لها الكون اجمــع موضعا يجول فيه العقل ويصول ، فلك ذلك .

وانت تكون بهذا مع الرعيل الذي لا يكتفي بممارسة الحياة، ويريد أن يكشف عن سر الحياة ، وسر الوجود ، وسر هذا الكون ، وما وراءه .

كشف العلماء ظاهرا من الأرض فاشتاقوا الى علم باطنها

من اجل هذا ما كاد العلماء يعرفون من سطح الأرض، ومن قشرتها، ما عرفوا، حتى امتد بهم الطموح الى الكشف عن باطن الأرض .

ولكن ما الســبيل ؟ ما الوسيلة ؟ والأرض كالبندقة العصية التي لا تكسر . بندقة ؟! انها بندقة قطرها ٨٠٠٠ ميل .

وينطوي القرن التاسع عشر ، ويبدأ القرن العشرون ، ويدرج ، ويظهر من

العلماء رجال" جند د" يمارسون علما جديدا .

علم الزلزلة

انه علم الزلزلة. علم بدأ يكشف زلازل الارض ، أين تقع من سطح الأرض عندما تقع ؟ ومتى تقع ، وفى اية ساعة ، واية دقيقة ، واية ثانية ؟

ان الزلزلة سببها توتر يحدث فى طبقات الارض ، فاذا هو زاد على الحد فرّج عن نفسه بان حطم هذه الطبقات فتتصدّع ، وتنشق . ويحدث هذا فى سائر الطبقات هزات تجرى فيها موجات من حركة تخرج من حيث وقعت الواقعة الى سائر بقاع الارض ، تسير فى كل وجهة وكل مذهب ، كما يسير الموج فى الماء تقذف فيه بالحجر .

وصنع العلماء اجهزة ترصد هذه الهزات . وهى من اسطوانات او اشباه لها ، دوّارة ، تدور مع ساعات متصلة بها ، وعليها الورق يكسوها ، فهو دوّار كذلك . ويأتى قلم ، طرف منه مربوط بالأرض يسجل هزاتها، وسنه الآخر على هذا الورق الدوار يخط . وهو يخط خطا مستقيما حين لا تهتز الأرض. وهو يخط خطا متذبذبا وفقا للهزة الأرضية عندما تقع .

انه جهاز يرسم هزات الأرض على الورق ، فيصف لنا نوعها ، رسما .

وهو جهاز يرسم هذه الهزات والورق يدور مع الساعة ، فهو يسجل فى اى دقيقة بدأت، وفى اى ثانية،ومتى انتهت.

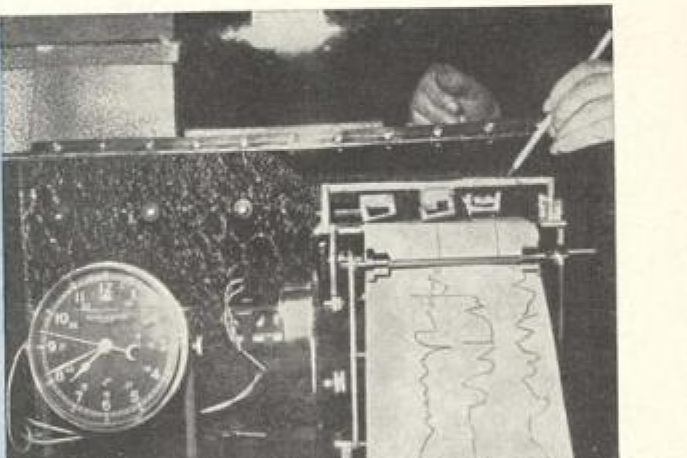
وهو جهاز بل اجهزة تكشف كذلك عن طريق سريان الموجة ، من اى جهة جاءت. ولا ندخل فى تفاصيلها فوق ذلك.

وتتعاون محطتان للرصد أو أكثر ، على سطح الأرض . ومن اتجاهاتها المرصودة عندهم يعين العلماء موقع الزلزلة باكثر مايمكن من ضبط .

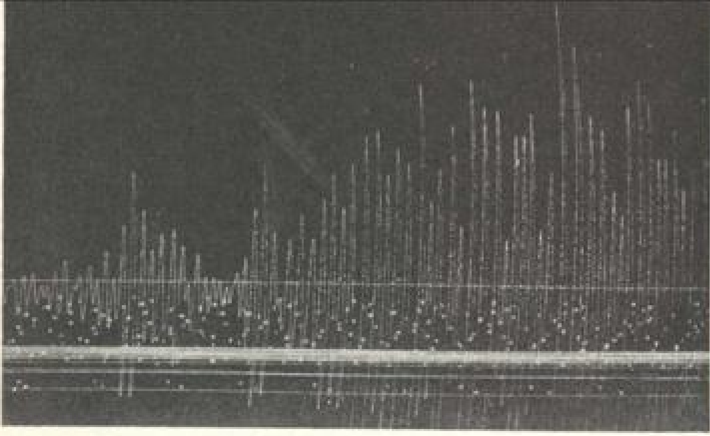
وسموا هذا الجهاز براسم الزلزلة
Seismograph
وسموا الرسم الناتج برسم الزلزلة
Seismogram
والعلم نفسه سموه علم الزلزلة .
Seismology

علم الزلزلة يكشف باطن الأرض

وعلم الزلزلة هذا بدأ بسيطا ثم تعقد،



راسم الزلزلة ، وفيه تظهر الورقة الدوارة التى تقبل الرسم ، والساعة التى بها يسجل الزمن . وهو نوع يحمل من مكان لمكان .



رسم الزلزلة التى سجلها الجهاز الراسم للزلازل الذى وقع فى شمال اليابان فى ٢ مايو ١٩٣٩ .

وهو بدا بريثا ثم تورط ، وكشف عما لم يكن مقدرا له ان يكشف عنه : كشف عن باطن الأرض .

درس العلماء هذه الموجات الناتجة عن هذه الزلازل فعرفوا أنها كسائر الاشعاعات، لها طول موجة ، ولها سرعة، ولها عدد موجات تمر فى النقطة الواحدة فى الزمن الواحد ، ذلك الذى نسميه ترددا .

وعرف العلماء ان سرعة الهزات الأرضية تختلف باختلاف الصخور ، باختلاف انواعها ، فهى فى بعض أسرع من بعض . واذن ، ففي تعيين سرعتها ، مما تسجّل راسمات الزلازل ، كشفٌ عن نوع هذه الصخور ، أو على الأقل عن بعض صفاتها .

ويمضى علماء الزلازل فى استكشاف الأرض ، بالذى يدرسونه من زلزلة تحدثها الأرض طبعا ، وزلزلة يحدثونها هم ، فى الأرض ، بالمتفجرات ، اصطناعا. يصنعونها فى موضع من الأرض، ويسجلون نتائجها فى مواضع أخرى منها .

وكما ان اشعة الضوء تنعكس ، وكما ان اشعة الصوت ، فلذلك اشعة الزلزلة تنعكس وتنكسر . وهى تحيد عن طريقها كلما دخلت من طبقة فى الأرض الى طبقة لها طبيعة غير طبيعتها .

ولست اطيل فوق ذلك خشية التعسير . ففيما ذكرت الكفاية لاعطاء فكرة عن الانسان ، كيف عجز هو عن الدخول فى بطن الأرض ، فبعث اليها بالموج الاهتزازى يمر فيها ، ثم هو يتلقاه فى الناحية الاخرى ، يخبّره عما وجد فى هذا الباطن الصلد الخبىء الذى مر فيه خاطفا ولم يتريث .

كالرجل ترسله الى المدينة،لاتستطيع انت دخولها ، وتلقاه عند الخروج منها ، فتعلم من شحوب وجهه ، او جدع انفه، او كسر فى ضلعه ، حال المدينة التى هو مر فيها .

الأرض طبقات ، طبقة من فوق طبقة

وخرج العلماء بصورة عن داخل الأرض أقرب ما تكون الى الصواب .

انها طبقات ، طبقة من فوق طبقة ، كالبصلة ، راق من فوق راق . ولكن ليس لها كثرة طبقات البصلة، ولا تميزها هذا الواضح .

وتبدأ الأرض عند سطحها بالطبقات الاقل وزنا، وباللفظ العلمى الاقل كثافة، ثم تزيد الكثافة وتزيد حتى تبلغ الغاية فى اوسط الأرض .

والطبقة العليا هى قشرة الأرض،وهى تتراوح ما بين ٣ اميال (فى المحيطات) وبين نحو ٢٠ او ٢٥ ميلا (فى القارات). ويتألف أسفل القشرة الأرضية من طبقة من الصخور النارية (كانت منصهرة ثم بردت) متبلورة ، كالجرانيت ، تعلوها طبقة من صخور مترسبة ، تعلوها طبقة من تربة ـ طفل وماء وحصا ـ وفى هذا القول اجمال بالغ .

وتأتى من تحت القشرة الأرضية طبقة

تمتد نحو ١٨٠٠ ميل نحو أوسط الأرض، وتعرف بعباءة الأرض، وهى تلف الأرض لفا (انظر الشكل) . وهى طبقة عجيبة حقا . ان الموجات الزلزالية تمر بها كما تمر بالصخر الأصم ، ومع هذا توجد دلائل تدل على انها غير ثابتة الشكل ، ففيها الحركة ، ولو بطيئة كالحركة التى تشاهد فى الزفت . ان الزفت صلب . ولكن ، اترك منه قرصا على سطح مدة من الزمن ، تجده ينساح فى بطء شديد.

ويأتى من بعد عباءة الأرض ، قلب الأرض او لبُها . وهو عبارة عن كرة ، قطرها ٢١٥٠ ميلا وهى منطقتان ، خارجية وداخلية (انظر الشكل) .

اما الخارجية فسمكها ١٣٠٠ ميل ، وهى منصهرة .

واما الداخلية ، وهى فى اوسط الكرة، فنصف قطرها ٨٥٠ ميلا . وهى صلبة، او هكذا يعتقد العلماء اليوم .

وتجمع ١٣٠٠+٨٥٠=٢١٥٠ ميلا. وقلب الأرض ، بمنطقتيه ، تتألف من حديد ، أو من حديد ومعه النيكل .

والفرق بين المنطقتين ، فرق ضغط ، فالمنطقة الأعمق واقعة تحت ضغط جعل من السائل صلبا ، أو شيئا لعل له صفات الصلب .

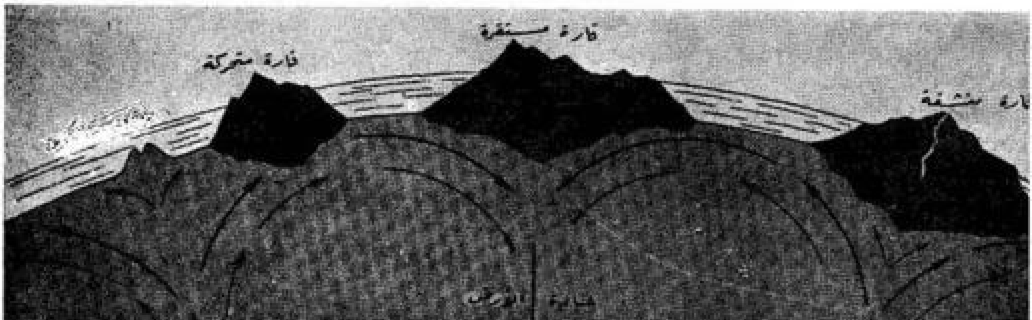
انها المادة فى ظروف من حرارة ومن ضغط لم يألفها الانسان ، والكثير منها الحدْس والظن .

كيف كشف العلماء سيولة بطن الأرض

ان الذبذبة الزلزالية انواع، منها نوعان اصيلان :

ذبذبة تسرى كأمواج تحدثها أنت فى الحبل المشدود افقيا ، بهزه . تصعد فيها أجزاء الحبل وتهبط ، والموجة تسرى فى طوله . فحركة الأجزاء تحدث عمودية على طريق اتجاه سريان الموجة الذى هو على طول الحبل .

وذبذبة تتحرك فيها أجزاء المادة التى تجرى فيها الذبذبة فى نفس الاتجاه الذى تسير فيه الموجة . مثال ذلك رجال مائة،



تقضى النظريات بان عباءة الأرض ، تلك التى تلى القشرة الأرضية ، شىء كالزفت ، فيه الصلابة التى تقضى بسريان الموجات الزلزالية فيه ، ومع هذا فيه الميوعة التى بمادة الزفت ، واذن فالعباءة فى حركة ، وفيها تيارات ، تتعاون أحيانا فتثبت القارة العائمة فيها (كما فى أوسط الشكل) ، أو تتخالف اتجاها ، فتنقسم القارة نصفين (كما فى أيمن الشكل) ، أو هى تقرب ما بين قارة وقارة (كما فى أيسر الشكل) . وتقول النظرية ان اوروبا وافريقيا من ناحية والقارة الأمريكية من الناحية الأخرى ، كانتا شيئا واحدا ، ثم تصدع ، وجاء بينهما الماء (المحيط الأطلسى) .

وقفوا صفا واحدا ، مترابطين متكاتفين . تدفع الرجل الاول بعيدا عنك ، فتجرى الهزة فى الرجال ، وطريقها طول الخط الذى هم فيه واقفون . ثم تشد هذا الرجل الأول اليك ، فتجرى هزة فى الرجال ، نحوك ، طريقها الخط الذى هم به واقفون . الرجال فرادى يهتزون ، ولكن فى نفس اتجاه الموجة .

ومثل الصنف الاول من الامواج ، أمواج البحر . وامواج بشعاع الشمس . وتسمى بالأمواج العرضية .

ومثل الصنف الثانى من الامواج ، أمواج الصوت .

وتسمى بالامواج الطولية .

وهزات الأرض من هذه ومن تلك .

كلاهما يحدث مع الزلازل اذ تمر فى الصخر . والموجات الطولية (تلك التى تشبه أمواج الصوت) تصل اسرع من الموجات العرضية .

وهكذا عرفتهما والفهما علماء الزلازل ، وعرفتها رواسمها .

ثم يحدث أن زلازل بعيدة المدى ، يأتيهم موجها الطولى ، ويتخلف موجها العرضى . لماذا ؟

وينكشف السر : ان الموج العرضى يفنى فى السوائل .

واذن فحيث انقطع الموج العرضى ، فلم يصل الى راسمات الزلازل ، اعترضه شىء فى باطن الأرض سائل .

انه لب الأرض السائل .

وقدروا عمقه .

وانقسم بذلك باطن الأرض الى عباءة أرض ، صلبة ، عمقها ١٨٠٠ ميل ، والى لب سائل يأتى من تحتها ، ثم سائل فى حكم الصلب * .

فى باطن الارض حرارة وضغط

ان الأرض حارة ، تتبين ذلك عند نزولنا فى أعماقها . انها تزيد على الأرجح بمعدل ٢٠ درجة مئوية لكل كيلو متر عمقا .

ونعلم ان البراكين يخرج طفحها وهى فى نحو ١١٠٠ درجة مئوية .

ومن العلماء من قدر درجة الحرارة فى أوسط الارض فكانت ٢٠٠٠ درجة . وكانت ٣٠٠٠ درجة ، وكانت ٤٠٠٠ درجة .

وحرارة الأرض مصدرها العناصر المشعة ، واشهرها اليورنيوم والراديوم . انها تتحول الى عناصر اخرى ، وهى فى سبيل ذلك تخرج الطاقة فتنطلق ، وتخرج الحرارة .

وقدروا الضغط على عمق ٢٠٠٠ كيلو متر من السطح فكان مليون ضغط جوى ، او هو ٧٠٠٠ طن على البوصة المربعة الواحدة . وعند مركز الأرض بلغ حساب الضغط ثلاثة امثال هذا ونصف مثل . ولا عجب فالأرض كبيرة . والأرض ثقيلة .

ان الأرض حجمها ٢٦٠٠٠٠ مليون ميل مكعب

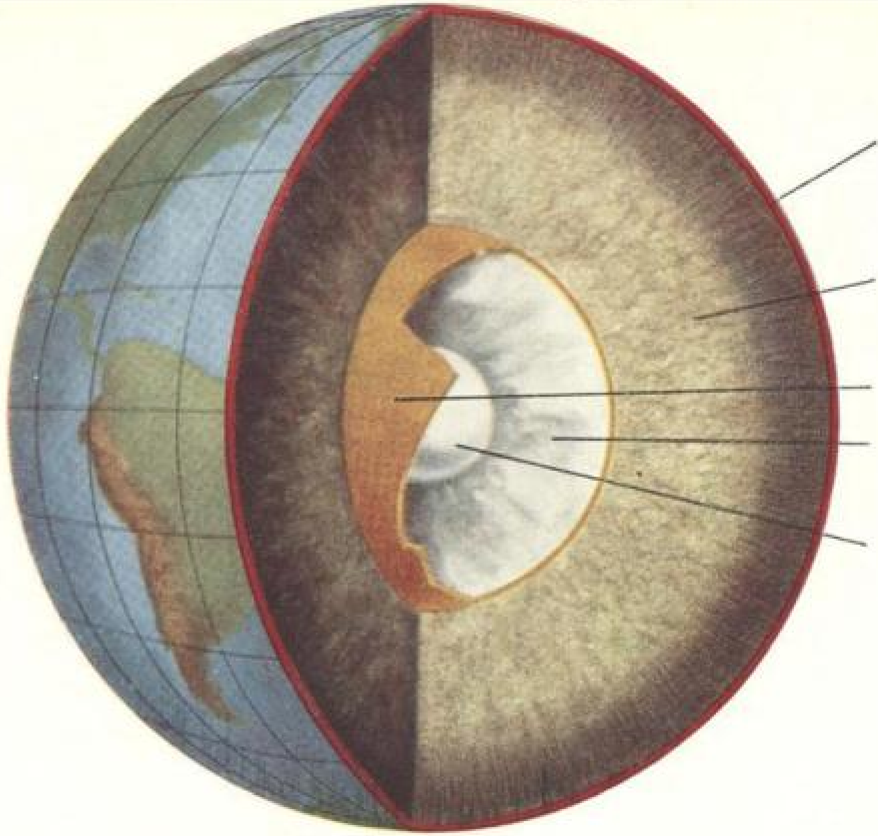
وان الأرض ثقلها ٦٠٠٠ مليون مليون مليون طن .

قلب الارض من حديد ونيكل

ومتوسط كثافة الارض على هذا هو ٥ر٥ ، اى انها اثقل من الماء بمثل هذا القدر من المرات ، ولكن متوسط كثافة صخور القشرة الارضية هو ٢ر٦٧ .

فلا بد ان الكثافة الكبرى هى فى قلب الأرض . فلا بد ان يتألف هذا القلب من اثقل المعادن الشائعة فى الأرض . والراى

* الزلزلة ، تحدث فى الارض طبعا ، او يحدثها العلماء اصطناعا ، ليكشفوا بها عن باطن الارض ، هذه الزلزلة يصطنعها العلماء اليوم اصطناعا ليكشفوا بها ، بمثل هذا الاسلوب ، عن وجود الزيت فى باطن الارض . وهذا مثل للعلم ، كيف يبدأ بحثا هدفه المعرفة الخالصة ، ثم يخرج منه ما ينفع الناس .

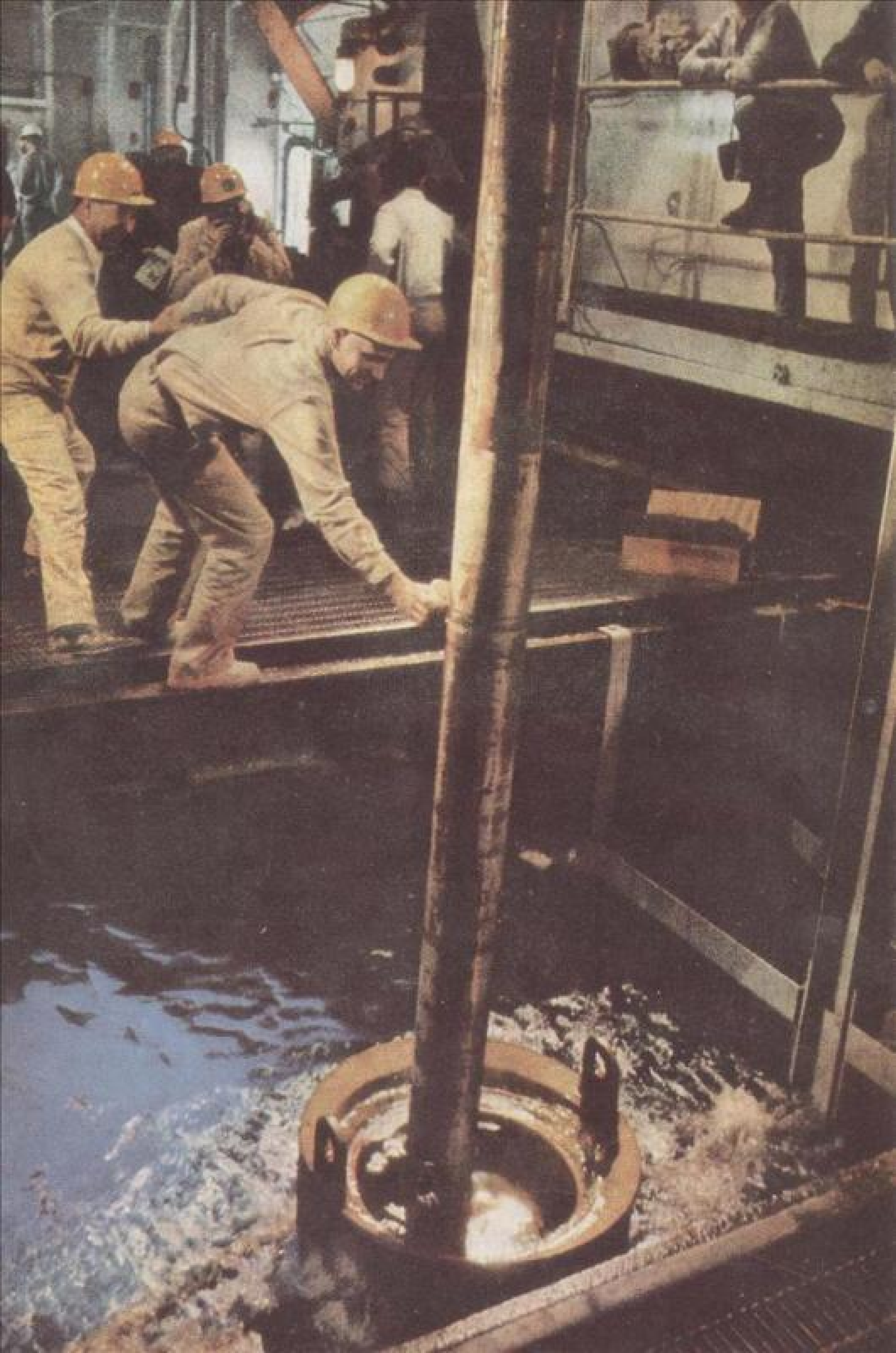


مقطع للكرة الأرضـية
يكشـف عن باطنهـا

قطعة حصل عليها الثاقبون قاع البحر عند جزيرة جوادلوب ، وهى من صخر البازلت ، بعد شقها وصقلها .



➤ انبوب المثقاب فى قلب السفينة ، وقـد انكسر طرف المثقاب فى قاع البحر ، بسبب خطأ تسبب عن انتقال السفينة عن موضعها . وهنا رئيس البعثة بجرف عن المثقاب بعض طينه الذى أتى به من قاع البحر ليفحصه وعملية ثقب الارض للوصول الى عباءتهـا كعملية ثقبها للوصول الى الزيت فى قشرتها



السائد ان قلب الأرض يتألف من الحديد. فالحديد يوجد بكثرة في القشرة الأرضية. وهو يزداد كلما هبطنا في الارض. والحديد من اكثر العناصر مقدارا في الشمس. والشهب بها الكثير من الحديد. وللارض مغناطيسية، والمغناطيسية صلتها بالحديد معروفة.

أشياء كثيرة عن باطن الأرض، اكثرها بناؤه النظريات، لا المرئيات، ويجب أن تقول بعد ذكر الكثير منها «والله أعلم».

الحقيق منها الثابت هو ما أخرجته التجربة، وما كشفت عنه الأجهزة، والذى فيه الريبة ما يأتى بعد ذلك التفسير، والتقريب والتبعيد.

يثقبون الأرض

وفى ظل هذه النظريات التى تحيطها الريب، والتفسيران التى تمازجها الشكوك، ذكر العلماء من امثالهم ما يفيد معنى المثل العربي: « وما راء كمن سمعا ». وقرروا ان يروا بأعينهم ما خفي في اطواء الأرض.

ولكن كيف يكون ذلك ؟

يكون بأن يثقبوا الارض، يثقبوا قشرة الأرض حتى يصلوا من بعد القشرة الى لب الارض.

قرر العلماء ذلك فى مؤتمر الاتحاد الدولي لعلم الجيولوجيا والفزياء الجيولوجية، الذى اجتمع بمدينة تورنتو بكندا عام ١٩٥٧، بعد ان كان تكون هذا الراى عند جمهور العلماء وشاع.

واجتمع المؤتمر مرة اخرى في هلسنكي، بفنلندة، عام ١٩٦٠، واكدوا ذلك القرار.

وهو قرار بثقب الأرض، والنزول بهذا الثقب فوق ما نزل الانسان بأمثاله فى سطح الارض، ودراسة ما يخرج من هذا الثقب، من طبقات القشرة، طبقة طبقة، ففي طبقات هذه القشرة كتب الزمان تاريخ الأرض. ويدخل الثقب من بعد القشرة في عباءة الأرض، ويمتحن العلماء صخورها. ومن صخورها يعرفون تاريخ هذا الباطن، وهم يربطون هذا الباطن بتركيب سائر الكواكب، وبالذى فى الشمس من عناصر. فعندهم ان هذه العباءة انما قدت مما قد منه قديما، وقديما جدا، سائر الكواكب، والشمس.

الامريكان والروس يثقبان الارض

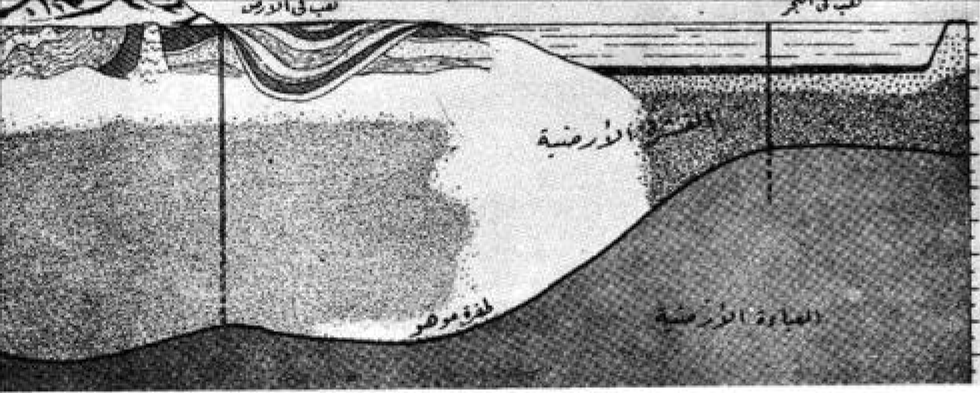
وتصدى لهذا العمل الجبار الدولتان الجبارتان الثريتان فى هذا العصر: الأمريكان والروس.

واختار الامريكان موضعا يثقبون فيه الأرض، فكان اعماق المحيطات، ان قشرة الارض فى هذه الاعماق ارق منها تحت القارات، فوصولهم الى العباءة يكون اسرع: ستة اميال او دون ذلك قدرا.

واختار الروس سطح الارض الذى يمشي عليه الناس، فهو سطح القارات، للثقب. وثقوبهم لا بد تكون أطول وأبعد واشق، ولكن منها تستفاد دراسة طبقات القشرة الارضية السميكة التى تصنع القارات.

ما صنع الامريكان الى اليوم فى ثقب الارض

وقام الامريكان عام ١٩٦١ بتجارب فى ثقب فى البحر عديدة، هدفها استطلاع الطريقة المثلى التي ينتهون اليها آخر الامر، فى خرق الارض، واستدامة الخرق، الى ان يصلوا الى العباءة. وكان من ذلك تجربتهم التى اجروها فى البحر على بعد ٢٠ ميلا من ميناء سان دياجو بكلفورنيا. وفيها انزلوا ٣١٠٠ قدم من



هذا الشكل لتوضيح كيف تختلف قشرة الأرض ، من حيث السمك ، وهى تحت القارة ، عنها وهى تحت المحيطات . انها ارق تحت المحيطات . ومن اجل هذا كان ثقب الأرض للوصول الى صخور عباءة الارض فى قاع المحيط أقرب . وهذا ما هدف اليه الأمريكان . وهدف الروس الى ثقب الارض من فوق سطحها الجامد سطح القارات . والموجات الزلزالية تجرى فى الأرض ، فاذا هى بلغت الحد ما بين القشرة الأرضية ، وعباءة الأرض ، تغيرت صفاتها وتغير اتجاهها وسرعتها ، لا بالتدرج ، ولكن فجاة ، لاختلاف الطبقتين . وقد اكتشف هذا ، فى اوائل هذا القرن العالم اليوغوسلافى موهوفوريسيك Mohovoricic ، او اختصارا موهو Moho . لهذا عرف الحد بين الطبقتين باسم طفرة موهو ، وذلك لانقلاب صفات الموجة عندها بالطفرة لا بالتدرج . وسمى الامريكان مشروع ثقب الارض عندهم بمشروع موهو .

انابيب الفولاذ فى ماء المحيط وحده قبل ان يصلوا الى قاعه .

ومن هناك اتجهوا الى جزيرة جوادا لوب Guadalupe ، فى الجنوب ، عند المكسيك ، فى المحيط الهادى ايضا ، وهناك ثقبوا ، واستخرجوا ، من عمق نحو ٦٠٠ قدم تحت قاع البحر ، قطعا من البازلت .

والتجارب الى اليوم لا تزال جارية .

وآخر اخبار وصلتنا عن عمل الامريكان خرقهم قاع البحر ، عند جزيرة بورت ريكو ، بالبحر الكاريبي ، وهى احدى جزر الهند الغربية . وحصلوا من تحت هذا القاع على الصخر المعروف بالسربنتين Surpentine ، وقد أثار هذا الكشف نقاشاً فى عالم « علم الارض » كثيرا .

ما صنع الروس

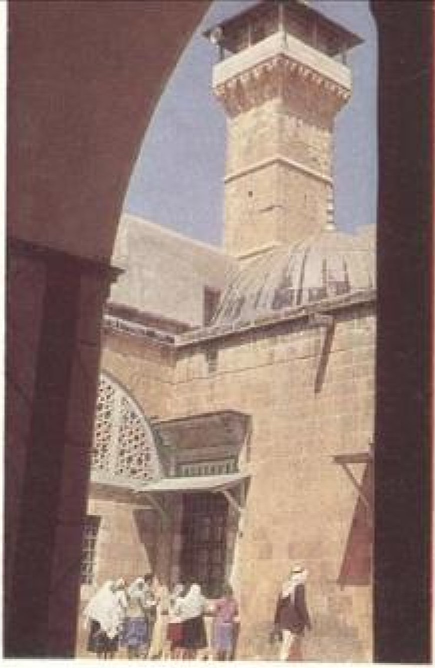
والروس لم يتخلفوا عن الميدان . انهم اتخذوا الارض الجامدة ، لا البحر ، مكانا للثقب كما ذكرنا .

وقد اعلن الاستاذ الروسي الشهير ، فلاديمير بيلوسوف Beloussov ، فى اغسطس عام ١٩٦٣ ، ان الروس ثقبوا فى خمس مواضع من الارض ، وانه من المنتظر ان يذهبوا فى باطن الارض الى ما بين ستة اميال ، وتسعة اميال، وذلك فى نحو ٣ اعوام الى خمسة .

وزاد الاستاذ بيلوسوف ، العالم الأرضى ، فقال : انه باتخاذ الروس الارض لا البحر مكانا للثقب ، لا يكون هناك تنافس بيننا وبين الامريكان . وقال : ان هذا العمل ملىء بالصعوبات ، ولا نزال نعالجها ونتخطاها عقبة من بعد عقبة . والمشروع به ، عدا قيمته العلمية الرفيعة ، منافع للناس . فهو قد يكشف لنا عن اين نتوقع وجود المعادن فى طبقات الأرض ■■

احمد زكى





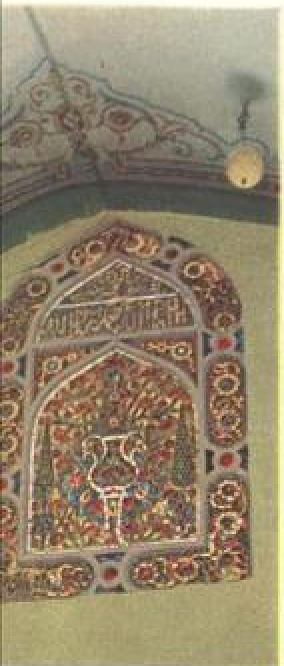
احدى مئذنتي الحرم الشريف وقد أقيمت فوق السور القديم الضخم الذي بني قبل الاسلام بزمن طويل .

الحرم الابراهيمي

«خليل الله» يرقد هنا

منظر عام للحرم الابراهيمي تبدو فيه مئذنتاه : احداهما في الجنوب الشرقي، والثانية في الشمال الغربي . كما يبدو سوره الضخم الذي قد يصل طول الحجر الواحد منه الى سبعة أمتار وارتفاعه مترا ونصف المتر .





بين ضريحي يعقوب وزوجته لانقه في الجزء الشمالي من الحرم يوجد رواق معقود به نافذة سدت بهذا الزجاج الملوّن الرائع الصنع الذي يعود تاريخه الى سبعمائة سنة وهو من صنع اهل الخليل .

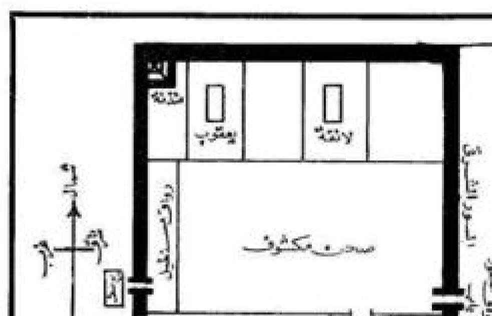


هذا هو ضريح سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وهو تحت قبة سداسية الشكل والستار المغطى به الضريح مطرز باليد بخيوط فضية ، ويرجع تاريخه الى اكثر من مائة عام .

■ اختار الله تعالى ابراهيمَ نبيا ، فأدّى ابراهيم الامانة ، وبلّغ الرسالة ، ودعا الى عبادة الله وترك عبادة الاوثان . ولكن هذه الدعوة ، شأن دعوة باقي الانبياء والرسل ، لم تلق آذانا صاغية عند قومه ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل أخذ القوم في تعذيبه وتهديده ، وأقدموا آخر الامر على القائه في النار ليحرقوه . وكان نبيّنا مؤمنا بنبوته فلم يتخاذل او يتراجع ، واقتحم النار عن ايمان وعقيدة في سبيل رسالته . ولكن الله جلت قدرته امر النار ان تكون عليه بردا وسلاما . ونجاه الله وابن اخيه لوطا من أور الكلدانية ، . وكانت تقع فيما يسمّى الآن بالعراق ، الى الارض التى بارك الله فيها للعالمين ، أرض فلسطين .

انتقاله الى مصر والحجاز

استقر ابراهيم في فلسطين بعض الوقت ، وحدث جوع في الارض فارتحل ابراهيم جنوبا الى مصر ، ومن هناك اتجه الى الحجاز ، وقام مع ولده اسماعيل من زوجته هاجر ببناء البيت



رسم تقريبي للحرم الابراهيمي الشريف بين السور والمئذنتين واماكن أضرحة الانبياء وزوجاتهم والمحراب والمنبر ودكة المؤذنين ومدخل الغار .

وباقامة صرح الكعبة المشرّفة التى يتجه اليها المسلمون بقلوبهم خاشعين خمس مرات كل يوم في صلواتهم . وفي ذلك يقول الله تعالى : « وإذْ يرفع ابراهيم القواعدَ من البيت واسماعيلُ ، ربّنا تقبّلْ منا انك انت السميع العليم » .

وترك ابراهيم زوجته هاجر ، مع ولدها اسماعيل ، في ارض الحجاز ، وخاطب عند ذلك ربه قائلا : « ربنا اني أسكنتُ من ذُرّيتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتكَ المحرّم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

العودة الى فلسطين

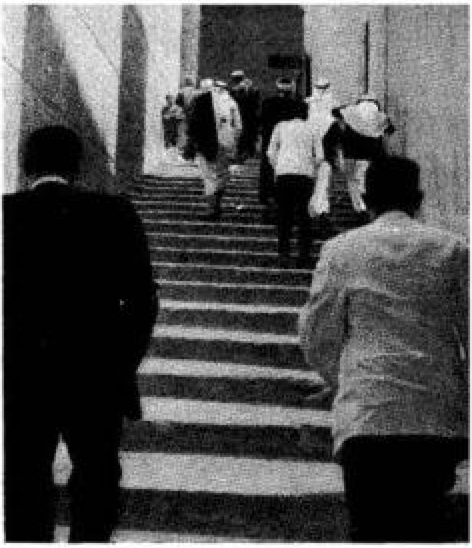
ترك ابراهيم الحجاز وعاد الى أرض فلسطين حوالي سنة ١٩٠٠ قبل الميلاد . وفي الموقع الذى تقوم عليه مدينة الخليل الآن ، اشترى من عِفْرون الحِثّي ، باربعمائة شاقل فضة ، حقله الذى في المكْفيلة . « جاء في العهد القديم تكوين ٢٣ : ٢٧ الحقل ، والمغارة التى فيه ، وجميع الشجر الذى في الحقل ، اصبح ملكا لابراهيم . ودفن ابراهيم زوجته سارة في مغارة المكْفيلة » .

وأسلم ابراهيم روحه ، ومات بشيبةٍ صالحةٍ شيخاً وقد بلغ من العمر مائة وخمسا وسبعين سنة ، ودفن في مغارة المكْفيلة حيث دفنت زوجته سارة من قبله .

وبعده دفن في المغارة نفسها اسحاقُ ولد ابراهيم ، زوجته رفقه Rebecca كما دفن فيها يعقوب بن اسحاق وزوجته لائقه او « ليئة » Leah .

الحرم الابراهيمي

حول هذه المغارة ـ مغارة المكْفيلة ـ التى تضم ابراهيم جدّ الانبياء ، الذى كان «أمّة» قانتا الله حنيفا وما كان من المشركين » وتضم كذلك رفات ذريته اسحاق ويعقوب وزوجاتهم ، اقام النبي سليمان سورا ضخما . ونجد من المراجع ما يقول ان سليمان عليه السلام قد امر الجن ببناء ذلك السور . وفي قول ثالث ان باني السور هو هيرودس Herodus . ورابعة الروايات تقول ان القديسة هيلانة والدة امبراطور الرومان قسطنطين هى التى امرت ببنائه .



المدخل الرئيسي للحـــرم الشريف ، وكان مسموحا لليهود فى الماضى الوصول الى العتبة السابعة ويبدأ العد من البوابة الخارجية ،وعند تلك العتبة كانوا يقفون يبكون ويولولون ويلقون بالرسائل من ثقب فى السور الضخم الى جهة اليسار .

وإذا كان الخلاف يثور حول باني السور العظيم الذى اقيم فوق المغارة ويبلغ طول ضلعه ١٩٨ قدما وعرض ضلعه ١١٢ قدما وارتفاعه ٤٠ قدما فان الامر الذى لا خلاف فيه انه اقيم فوق مغارة المكفيلة التى دفن فيها ابراهيم عليه السلام وزوجته وذريته .

القائلون بدفن ابراهيم فى الخليل

لم يُنسَب لابراهيم الخليل قبر غير هذا القبر الموجود فى المغارة، وقد اخذ المؤرخ المشهور الحافظ ابن حَجر الهيثمي ، الذى عاش فى اوائل القرن التاسع الهجرى ، بالاجماع والتواتر على صحة وجود القبر فى هذه المغارة ، وقال فى ذلك شعرا :

ولم تُعلم مقابرهم بأرض
يقيناً غير ما سَكَن الرسول
وفى (حَبْرون) ايضا ثمّ غار
به رُسُلٌ كرام والخليل

وقد عنى بذلك انه لم تعلم مواقع مقابر الانبياء والرسل ، فيما عدا قبرى محمد صلى الله عليه وسلم وابراهيم عليه السلام على وجه الجزم واليقين . اما قبر محمد ففى المدينة المنوّرة ،واما

قبر ابراهيم ، ويعرف بالخليل لقوله تعالى «واتخذ الله ابراهيم خليلا» ، ففى غار بِحَبْرون. وحبرون هو الاسم الذى كان يطلق قديما على ما يعرف الآن بمدينة الخليل ، وكانت تعرف فى عهد الفتوحات العربية الاسلامية باسم « مَشْهد الخليل » .

وصف عـام للحرم الابراهيمي

يشاهد الزائر الى الحرم الشريف اول ما يشاهد سوره الضخم المبني من الحجارة الصلدة البالغة الضخامة التى قد يصل طول الواحد منها سبعة امتار وارتفاعه مترا ونصف المتر . ويعلو السور جزء يحتوي على شرفات ، وقد بني هذا الجزء فى وقت لاحق على بناء السور ، ، وهو بناء عربي اسلامي محض .

والحجارة الضخمة التى بنى بها السور منحوتة الأطراف مصقولتها ، الا أوسط الوجه الظاهر منها فقد ترك بارزا مخشوشنا قليلا . وقد رص بعضها فوق بعض بدون ملاط .

وتعلو السور منارتان : احداهما فى الشرق منه ، وثانيتهما فى جهة الغرب .

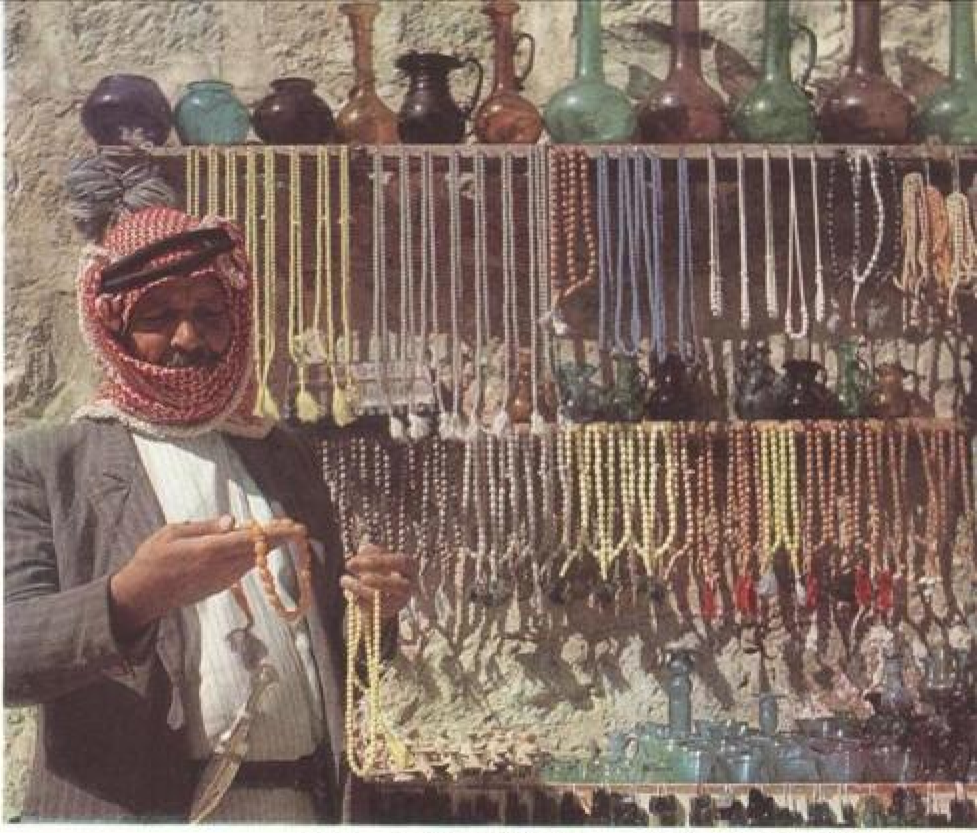
ويؤدى الى داخل الحرم بابان، يقع أحدهما فى الجهة الجنوبية الغربية ، ويقع ثانيهما فى الجهة الشمالية الغربية ، ينفصل منها الى مراق عظيمة تؤدى الى رواق معقود فى الجهة الشرقية يحتوى على باب صغير للحرم فى وسط السور الشرقي .

فاذا دخلت الحرم من الباب الصغير الموجود فى وسط السور الشرقي رأيت على يمينك صحنا مكشوفا يقسم المكان الى قسمين غير متساويين ، احدهما فى الجنوب ، ويحتوى على الجامع المعقود الذى يضم ضريحي ابراهيم وسارة ، فى قبتين مسدستي الاضلاع ، بينهما رواق مربع صغير ، معقود له فى جداره الجنوبي باب زُينت جوانبه بالفسيفساء ، يدخل منه الداخل الى الجامع .

المحراب والمنبر

وبصدر الجامع محراب بديع الصنعة مرخم زين اعلاه بالفسيفساء المذهبة ، وفوقه فتحت نافذة رُكّب فيها زجاج ملون .

والى جانب المحراب يرتفع منبر يعود تاريخه

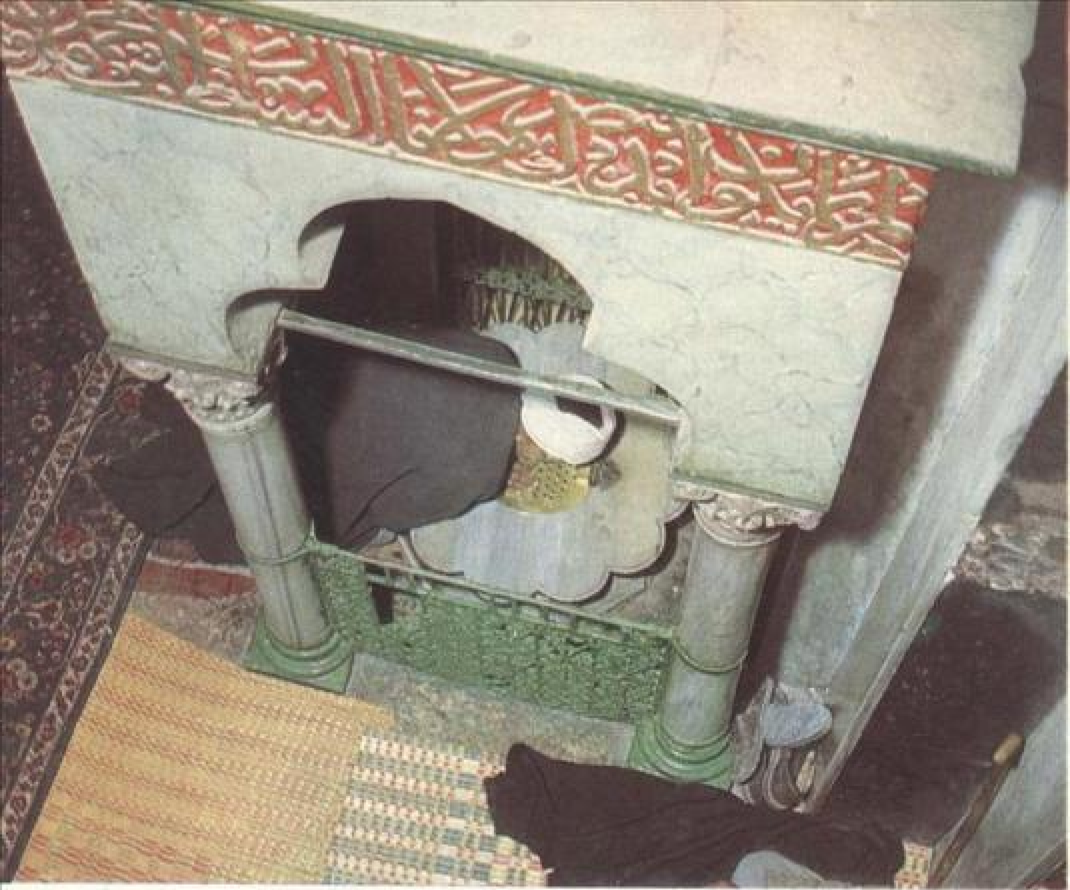


مسابح ودوارق وأباريق من الزجاج من مختلف الأشكال والأحجام والألوان ومن صنع مدينة الخليل التي اشتهرت بصناعة الزجاج منذ مئات السنين، وما زالت بعض العائلات تتوارث هذه الصناعة خلفاً عن سلف .



بائع المصنوعات الزجاجية يعرض بضاعته بالقرب من مدخل الحرم وزبائنه هم في الغالب من السائحين الذين يأتون من أقاصي الدنيا لزيارة الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية .







شيخ يطل من خلال الباب الرخامي ذي الغطاء المصنوع من النحاس ، الى داخل الغار الشريف الذي توجد به مراقد الأنبياء عليهم السلام وزوجاتهم .

متبر الحرم الابراهيمي ويعود تاريخه الى أيام الدولة الفاطمية المصرية وهو مصنوع من خشب الجوز التركي ومطعم بالعاج وقد أحضره السلطان صلاح الدين الى الحرم من ثغر عسقلان بفلسطين حيث كان موضوعا بمشهد الحسين بعد أن خرب الثغر أثناء الحروب الصليبية .

دكة المؤذنين التي يعلوها حاجز حديدي والتي تقوم على عمد رخامية لطيفة وقد بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي وبجانبها قبة لطيفة فوق مدخل الغار أمر ببنائها السلطان محمد الناصر بن السلطان قلاوون .

الى سنة ٤٨٤ للهجرة وهو مصنوع من خشب الجوز التركي المحفور ، وبعض الواحه الامامية من خشب الابنوس وهى مطعّمة بالعاج تطعيما يُعَدّ غاية فى الفن والاتقان .

وتقول الكتابة الكوفية التى حفرت فيه انه صنع فى زمن المستنصر بالله ابي تميم مَعَدّ الفاطمى خليفة مصر ليُوضَع بمشهد عَسْقلان (قرية بالقرب من المجدل على بعد نحو ٢٠ كيلومترا من شمال غزة . هى الآن فى فلسطين المحتلة) الذى قيل ان رأس الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهما موجود فيه .

وفى عام ١٩٣٦ ظهر السوس فى بعض ألواح المنبر الخشبية ، فاهتم المجلس الاسلامي الاعلى بالأمر ، وأحضر مهندسا مصريا قام باصلاح المنبر ، واستغرق العمل فيه ثلاث سنوات ، وتم اصلاحه على نسق ما كان عليه دون تغيير او تبديل . ومنها الكلمات المحفورة عليه بالخط الكوفي المذهب على مدخل المنبر وهى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . نصر من الله وفتح قريب . لعبد الله ووليه مَعَدّ ابى تميم عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه البررة الاكرمين ، صلاة باقية الى يوم الدين . مما امر بعمل هذا المنبر السيد الاجل امير الجيوش ، سيف الاسلام ، ناظر الامام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين ، أبي النجم بدر المستنصرى ، عضّد الله به الدين ، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين ، ادام الله قدرته وأعلى كلمته . للمشهد الشريف . بثغر عسقلان . مسجد مولانا امير المؤمنين ابي عبد الله الحسين بن علي بن ابي طالب . فى شهور سنة أربع وثمانين وأربع مايه » .

ويعد هذا المنبر من اقدم منابر العالم الاسلامي وأجملها وأبدعها . وكان السلطان صلاح الدين الايوبي قد امر بنقله من ثغر عسقلان بفلسطين بعد تدميره ليحفظ بمقام ابراهيم عليه السلام .

دكة المؤذنين

فى الجهة المقابلة للمنبر والمحراب توجد دكة للمؤذنين مرفوعة على عُمُد من الرخام ، وبالقرب من الدكة توجد قبة جميلة ترتفع على اعمدة فوق مدخل الغار . وباب الغار أو المغارة مستدير وهو من الرخام ، وله غطاء من النحاس ايضـا فيه قنديل معلق عند فوهته .



مصلّى النساء ، ومحرابه من القاشانى التركى ، ويعتبر آية من آيات الفن ، وفى وسط الرواق المستطيل الذى يوجد فيه مصلى النساء باب يؤدى الى ضريح يوسف عليه السلام الموجود خلف السور .



مصحف شريف مكتوب بخط اليد ويرجع عهده الى سنة ٧٣٢ هجرية وهو محفوظ فى مقام يوسف عليه السلام . وقد كتب برسم السلطان الملك الظاهر ابى سعيد محمد جقمق .

قالوا فى الحرم الابراهيمي الشريف

يقول الاصطخرى فى (المسالك والممالك) : « فى الجنوب مدينة صغيرة تعرف بمسجد ابراهيم عليه السلام ، وفى المسجد الذى يجمع فيه الجمعة قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام صفا ، وقبور نسائهم صفا : بحذاء كل قبر من قبورهم قبر امرأة صاحبه » .

ويقول ابن بطوطة : « مسجدها (اى الخليل) انيق الصنعة .. فيه قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب ويقابلها قبور ثلاثة هى قبور ازواجهم . »

ويقول ابن بطوطة ايضا : « ومما ذكره اهل العلم دليلا على كون القبور الثلاثة الشريفة هنالك ما نقلته من كتاب على بن جعفر الرازى الذى سماه (المسفر للقلوب) عن صحة قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب ، اسند فيه الى ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : لما اسرى بي الى بيت المقدس مر بي جبريل على قبر ابراهيم فقال : انزل فصل ركعتين ، فان هنا قبر أبيك ابراهيم ، ثم مر بى على بيت لحم وقال : انزل فصل ركعتين ، فان هنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ، ثم أتى بى الى الصخرة ...

« ولما لقيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الامام الخطيب برهان الدين الجعبرى احد الصلحاء المرضيين والائمة المشهورين ، سألته عن صحة كون قبر الخليل هنالك فقال لى: كل ما لقيته من أهل العلم يصححون ان هذه القبور قبور ابراهيم واسحاق ويعقوب وقبور زوجاتهم ، ولا يطعن فى ذلك الا اهل البدع ، وهو نقل الخلف عن السلف ، لا يشك فيه » .

وفى (معجم البلدان) يقول ياقوت الحموى : « فيه (اى الخليل) قبر الخليل ابراهيم ، عليه السلام ، فى مغارة تحت الارض ، وهناك مشهد وزوار وقوام فى الموضع وضيافة للزوار ، وبالخليل سمى الموضع واسمه الاصلى حبرون ، وقيل حبرى » .

الأضرحة

اقيمت اضرحة فى ساحة الحرم ، هى ضريح ابراهيم ، يقابله ضريح زوجته سارة ، ويفصل بينهما رواق . وفى وسط الجزء المغطى داخل الجامع ضريح لسيدنا اسحاق ، ومقابله ضريح زوجته رفقة فى غرفتين مرتفعتين صغيرتين متقابلتين.

وفى القسم الثاني من البناء الواقع فى الجهة الشمالية من الحرم يوجد ضريح لسيدنا يعقوب ، وآخر لزوجته لائقة ، فى قبتين متقابلتين ايضا بينهما رواق .

وبين الجزئين الشمالي والجنوبي من البناء رواق مستطيل الى الجهة الغربية فيه مصلى للنساء . وفى وسط هذا الرواق باب يؤدى الى ضريح سيدنا يوسف عليه السلام ، نُقل اليه بعد وفاته فى مصر . وهذا الضريح موجود داخل قبة جميلة واقعة خلف السور وملاصقة له من جهة الغرب ، ويؤدى الى هذا الضريح باب فتح فى السور .

الغار الشريف

تقع مراقد الانبياء فى داخل المغارة ، او الغار الشريف كما يسمونه . وما الاضرحة العليا الا اشارات لهذه المراقد . وللمغارة ثلاثة ابواب او مداخل : اثنان منها مسدودان ، احدهما بازاء المنبر ، والثاني بين ضريحي اسحق وزوجته . اما الثالث فهو كما ذكرنا موجود تحت القبة وله غطاء من النحاس . ولم يدخل هذه المغارة احد منذ اكثر من ستمائة سنة .

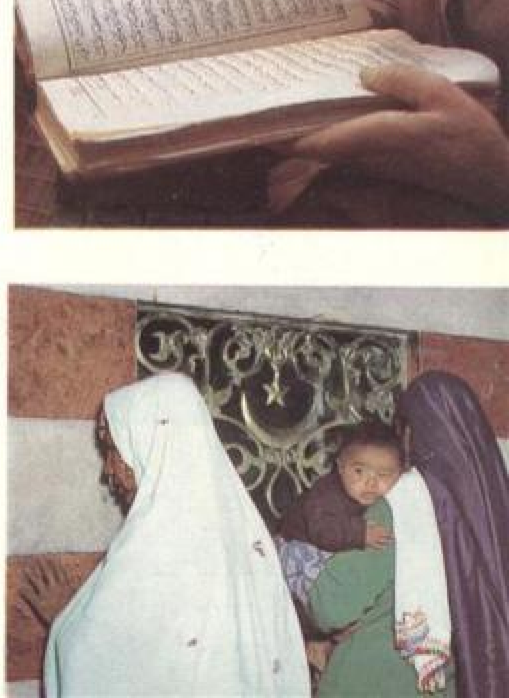
ويذكر ياقوت الحموى نقلا عن الهرَوى انه قال : « دخلت القدس فى سنة ٥٦٧ ، واجتمعت فيه وفى مدينة الخليل بمشايخ حدثوني ان فى سنة ٥١٣ ، فى ايام بردويل انخسف موضع فى مغارة الخليل ، فدخل اليها جماعة من الفرنج باذن الملك ، فوجدوا فيها ابراهيم واسحاق ويعقوب ، عليهم السلام ، وقد بليت اكفانهم ، وهم مستندون الى الحائط ، وعلى رؤوسهم قناديل ورؤوسهم



فتاة قلبها يفيض بالايمان جاءت من مسافة بعيدة لتقرأ القرآن عند أضرحة الأنبياء الكرام .



وهذا رجل كهل يقضي الساعات الطوال في تلاوة القرآن تقربا الى الله تعالى وان كان يجد في ذلك صعوبة بالنظر لضعف ابصاره .



رجال ونساء ، شيب وشبان واطفال ، يأتون من كل صوب لزيارة الحرم الابراهيمي الشريف وأضرحة الأنبياء ، زلفى الى الله وابتغاء مرضاته .



خليط من الزائرين



يقفون عند احد الاضرحة يتلون الدعوات ... لعلّ أبواب السماء تكون مفتوحة فيستجيب الله لدعائهم ..

مكشوفة ، فجدد الملك أكفانهم ثم سدّ الموضع . قال: وقرأت على السّليقي أن رجلا يقال له الارمني قصد زيارة الخليل ، وأهدى لقيّم الموضع هدايا جمّة ، وسأله أن يمكنه من النزول الى جثة ابراهيم ، عليه السلام ، فقال له أما الآن فلا يمكن ، لكن اذا أقمت الى أن ينقطع الجَفْل وينقطع الزوار فعلت . فلما انقطعوا قلع بلاطة هناك ، وأخذ معه مصباحا ، ونزلا في نحو سبعين درجة الى مغارة واسعة ، والهواء يجري فيها ، وبها دكّة عليها ابراهيم ، عليه السلام ، مُلقى ، وعليه ثوب اخضر ، والهواء يلعب بشيبته ، والى جانبه اسحاق ويعقوب . ثم اتى به الى حائط المغارة فقال له : ان سارة خلف هذا الحائط ، فهمّ أن ينظر الى ما وراء الحائط فاذا بصوت يقول : اياك والحرم ! قال : فعدوت من حيث نزلت ».

الحرم في عهدين

بنى سور الحرم في زمن بعيد في القدم كما اسلفنا ، وقام بعض ملوك البيزنطيين ببناء بيعة لهم على جزء من الحرم وترك الباقي لتعبّد غيرهم . ويذكر صاحب الأنس الجليل ان اعلى المسجد الحالي (المغطى) هو بقية من بناء الروم، وانهم الذين فتحوا باب السور بعد أن بقي مسدودا مدة طويلة . على هذا كان حال الحرم في العهد السابق على الاسلام .

ولما فتح العرب فلسطين في ايام الخليفة عمر بن الخطاب قام المسلمون بترميم مقام ابراهيم عليه السلام ، وكان الفرس قد خربوه في احدى غاراتهم سنة ٦١٤ ميلادية .

وفي عهد الدولة الاموية تم تشييد القباب التي فوق مراقد ابراهيم ويعقوب وزوجتيهما .

اما في العصر العباسي فقد فتح الخليفة المهدي باب السور الحالي من جهة الشرق وبنيت له المراقي الجميلة من ناحيتي الشمال والجنوب . وأمر المقتدر بالله ببناء القبة التي على ضريح يوسف الصديق .

احتل الصليبيون مدينة الخليل ، وجعلوا منها اسقفية ، كما حولوا الحرم الى كنيسة . ولكن صلاح الدين الايوبي استعاد المدينة منهم عام ١١٨٧ م ، وجلب المنبر الفاطمي من عسقلان ، ووضعه في الحرم ، كما عمّر المحراب ودكّة المؤذنين .

وأعاد الملك الظاهر بيبرس بناء مسجد الخليل وعمل له الشرفات الموجودة فوق السور . وقد حظر هذا الملك على غير المسلمين دخول الحرم .

وقام الملك المنصور قلاوون بترخيم الحجرة الشريفة الخليلية سنة ٦٨٦ هجرية . وأدخل ابنه السلطان محمد الناصر من العمارة والزينة على المسجد ما جعله من افخم مساجد الدنيا وذلك على يد الامير تنكز ، كافل الممالك الشريفة الشامية . فهو الذي رخّم جدران المسجد وزيّن محرابه بالرخام والفسيفساء ،وفتح نافذتين زينتا بالزجاج الملون . وهو الذي شيّد القبة اللطيفة التي فوق باب الغار الشريف . والى هذا العهد ايضا يرجع انشاء الرواق الشرقي ، والابواب المزخرفة والسبل التي بجوار الحرم .

وجدد اليغموري ، ناظر اوقاف الخليل ، في زمن السلطان الظاهر برقوق بناء ضريح سيدنا يوسف عليه السلام بعد ان فتح له بابا في السور الغربي .

أوقاف الحرم الابراهيمي

للحرم الشريف اوقاف كثيرة من جميع خلفاء المسلمين وملوكهم ، وهي منتشرة . وقد اوقفت الضياع والعقارات على نفقة الحرم الابراهيمي وتعميره . وهناك أراضي عشر قرى في لواء الخليل، وقرى كثيرة يبلغ عددها المائتين في الوية اخرى يقع معظمها الآن في الجزء المغتصب من فلسطين ، موقوفة وقفا صحيحا على الحرم الابراهيمي بحجج شرعية ثابتة ومحفوظة في صندوق في الحرم اسمه « صندوق العمل » .وهناك عشر عائلات خليلية تقوم على خدمة الحرم ، منها المشايخ والمدرسون والمؤذنون والسّدنة وحاملو الاعلام . وقد منحت هذه العائلات شرف خدمة الحرم منذ حوالي سبعمائة سنة .

والحرم تديره مديرية الاوقاف العامة التي يرأسها سماحة قاضي قضاة الاردن وتقوم هذه المديرية بانتقاء وتعيين موظفي الحرم .

الخلاصة

هذه قصة الخليل ، النبي الكريم ، أوردنا فيها ما تواتر على ألسنة الناس والمؤرخين ، ومنها ما هو بين الظن واليقين والله اعلم . ■■



التداوى بالأعشاب قديما وحديثا

يحدثنا التاريخ القديم عن :

٣٠ نوعا لعلاج الزكام

و ١٠٠ لعلاج الجُ

و ١٠٠ أخرى لتخفيف وطْ

وعشرات لتهدئة الأعصاب ونحو الستين لعلاج المعدة

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

مدير جامعة الكويت

■ ربما كان التداوي بالأعشاب قديما قدم الانسان نفسه ، فقد عرف الانسان منذ آلاف السنين بفطرته ، كما عرف بخبرته ، كيف يستفيد من هذه النباتات التى تنمو من حوله؛لا فى غذائه فحسب، بل وايضا فى شفاء ما كان يعتريه من امراض . فقد علم بالتجربة ، ان هذا النبات يزيل آلام معدته ، وان هذا الآخر يهدىء من اعصابه او يشفيه من الصداع، أو يخفف من اثر الحمى .

ولقد رُويت أساطير كثيرة عن الخصائص العلاجية لبعض النباتات ، ويتردد دائما القول بأن الله الذى خلق الداء خلق له الدواء، وان كل ارض تنبت من أنواع النبات ما يشفى الامراض والداءات التى تحل بقطانها . والى أوائل القرن الحالى ، بل وفى كثير من جهات العالم ، ما زال العلاج بالأعشاب هو السائد ، بل هو العلاج الذى لايعرف سواه .

سموا الأطباء بالعشابين

وقديما لقب الأطباء بالعشابين ، لانهم يعرفون خصائص الأعشاب ، وطرق التداوى بها، فابقراط الملقب بأبى الطب، وديسقوريدوس ، وجالينوس ، وابن

سينا الملقب بالشيخ الرئيس ، وداود الأنطاكي وابن البيطار ، والغافقي،وغيرهم من مشاهير الأطباء على مر التاريخ ،انهم جميعا عشابون،حذقوا معرفة الصفات العلاجية للاعشاب ، وطرائق تحضير العقاقير النافعة منها .

الأعشاب عند الأمم القديمة الغابرة

ويحدثنا التاريخ أن الهنود والصينيين والمصريين القدماء والاغريق، والآشوريين والبابليين ، قد سجلوا كثيرا من معارفهم عن الخصائص العلاجية لمئات من الأنواع النباتية ، فيذكر الهنود قوائم نباتات عديدة تصلح لعلاج هذا المرض أو ذاك فهناك أكثر من ثمانين نوعا لعلاج الزكام؟ ونحو المائة لتخفيف وطأة الحمى ، ومائة اخرى لعلاج الجروح ، وعشرات لتهدئة الأعصاب،ونحو الستين تستعمل مليئنات، ونحو المائة لعلاج المعدة ، وغيرها للروماتيزم وهكذا . ولكل منطقة نباتاتها العلاجية واعشابها الدوائية ، ولكل قبيلة معتقداتها المتوارثة جيلا بعد جيل. كذلك يروى أن أحد اباطرة الصين القدماء وصف نحو ٢٥٠ نوعا من النباتات ذات القيمة العلاجية وقد ضمنها أول كتاب صيني عن التداوى بالأعشاب وكان ذلك سنة ٢٧٠٠ ق. م. كما ألف أحد العشابين الصينيين مؤلفا يقع فى نحو الخمسين جزءا فيه ما يزيد على الف نوع نباتى ، وصف فيه طرائق التداوى بها .

وتدل مخطوطات البردى ، على أن المصريين القدماء ، قد استعملوا الأعشاب فى التداوى منذ نحو خمسة آلاف سنة. وقد وجد فى مخطوطة « ايبرز »مجموعة تزيد على ثمانمائة وصفة لمختلف الأمراض، وقد عرف البابليون كذلك الصفات العلاجية لمئات الأنواع النباتية، وقد ذكر ان قانون «حمورابى» المنقوش على الحجر حوالى سنة ٢٠٠٠ ق. م. ، ينص على الفوائد العلاجية لكثير من النباتات وطرائق استعمالها فى التداوى .

والدواء عند الاغريق

ثم انتقلت هذه المعلومات الى الاغريق، والى ابقراط « أبى الطب » فى القرن الخامس قبل الميلاد،ثم الى «ثيوفراستس فى القرن الرابع قبل الميلاد ، حيث وصف كل منهما مئات الأنواع النباتية ، وفوائدها العلاجية كما وصف ديسقوريدوس فى القرن الأول الميلادى نحو خمسمائة نبات،وقد ظل مؤلفه مرجعا للعلماء العرب مئات السنين من بعده . وفى القرن الثانى الميلادى ظهر بالاسكندرية رائد آخر من رواد التداوى بالأعشاب ، ذلك و « جالينوس » الذى ما يزال اسمه علما على كثير من المستحضرات والهيئات التى احتفظت باسمه ، عرفانا بفضله على هذا الفن العلاجى . ويروى التاريخ اخبار جمعيتين علميتين ، تكونتا فى اليونان القديمة،احداهما «ريزوتومى» والأخرى « فارماكوبالى » مهمة الأولى جمع الاعشاب والجذور التى يثبت نفعها كعلاج ، ومهمة الأخرى تحضير الدواء من هذه الأجزاء او العقاقير النباتية .

وجاء دور العرب

ودار الزمن دورته ، وتناول العلماء العرب الكرة ، فتداولوها ابرع مداولة ، فقد عنوا بجمع هذه المعارف والمعلومات من الاغريق، والهند والصين . لقد برعوا فى ترجمتها وتدوينها ، وجعلوها سهلة ميسرة ، لمن شاء أن ينهل من وردها ، بعد أن كانت محتكرة لدى فئات بعينها. ونشروا هذه المعلومات فى ارجاء امبراطوريتهم التى امتدت من مشارق

الصين شرقا الى بلاد الأندلس غربا . وانتشرت كتب ابن سينا والرازى والغافقي والبغدادي وداود وابن البيطار، والقزوينى وغيرهم ، وانها لتحوى الكثير من المعلومات المفيدة عن الخصائص العلاجية لكثير من الأعشاب والنباتات .

وعرفت « دكاكين » الطب فى بغداد والموصل ، ودمشق والقاهرة وقرطبة ، الجذور والبذور والثمار والأوراق الجافة لنحو الف وخمسمائة نوع نباتى ، تستعمل فى التداوى ، وعرف القائمون على امر هذه « الدكاكين » طرائق تحضير هذه الوصفات من طحن ودق ومزج وطبخ وما اليها .

وقد ظلت كتب الطب او التداوى بالأعشاب ، انفس ما يقتنى ، وظلت اغلب الأمر حكرا لدى القادرين ورجال الاديرة، فراجت تجارتها ، وكثر تداولها ، وشاع استعمالها والانتفاع بما فيها .

اوهام واساطير

ومن المحقق ان بعض الأوهام وكثيرا من الأساطير ، قد لازمت استعمال بعض هذه الأعشاب أو تلك النباتات ، ولكن المحقق كذلك ان كثيرا جدا مما ذكر عن الصفات العلاجية لأغلب النباتات صحيح فى جملته وتفصيله ، وان ما يستخلص منها من جواهر فعالة وعناصر مفيدة ، هو اساس تحضير كثير جدا من الأدوية الحديثة . اما الأوهام والأساطير ، فمن امثلتها ما يذكر عن نبات معين وان لجذره شكل الانسان ، فهو يشفى جميع امراضه ، وان ورقة نبات آخر تشبه الكبد فلا بد انها تشفى أمراض الكبد ، وان ورقة نبات معين تشبه القلب، فلا بد انها تنفع فى علاج أمراض القلب ، الى غير ذلك مما لا تخلو منه هذه الكتب القديمة من معتقدات ، والغريب انها انتقلت جيلا بعد جيل ، وتداولها علماء افاضل ، لا شك انهم شايعوا العامة ، فى معتقداتهم حول هذه النباتات أو تلك .

كأن يقال ان نباتا تهتز أوراقه بحركة معينة ، فلا بد انه ينفع فى علاج أمراض الرجفة وان نباتا ينمو فى الصخر فلا شك انه يفتت الحصى فى الكلية .

ثبت للأعشاب من أمريكا

وكثيرا ما تحوى كتب الأقدمين الى جانب الوصف المسهب للنبات — حتى لا يخلط بين نافع وضار — تحوى توصيات بشأن طريقة جمع الأجزاء النباتية المستعملة فى العلاج ، وزمان قطفها ، وطريقة استعمالها . ثم كان اكتشاف امريكا منذ بضعة قرون ، فأضاف روادها الى مجموعة النباتات العلاجية ، ثبتا جديدا مما ينمو هناك ، واستعمله الهنود الحمر فى التداوى ، وكذلك جمعت معلومات كثيرة عن فوائد بعض النباتات فى العلاج من أمريكا الجنوبية والمكسيك وجزر الهند الغربية وغيرها .

استخلاص الجواهر الفعالة من النباتات الطبية

وفى القرن التاسع عشر ، نشط الكيمائيون فى استخلاص الجواهر الفعالة من النباتات الطبية وتحضيرها فى المختبرات على نطاق واسع ، فاستخلص « المورفين » «والاستركنين» «والايمتين» « والاتروبين » « والافيدرين » وغيرها وغيرها من عشرات ومئات المستحضرات، وعرفت صفاتها وحددت جرعاتها وانها جميعا خلاصات نباتية ، انها الجواهر الفعالة ، ذات الفائدة العلاجية فى نباتات واعشاب طبية ، عرفها الأقدمون ، واعطوا وصفا دقيقا لها .

ثم نشط الكيمائيون مرة أخرى منذ أواخر القرن التاسع عشر ، لاستبدال

المركبات الكيمائية بالعقاقير الطبيعية ، فقد عمدوا الى تحليل هذه المركبات ، ومعرفة صيغها الكيمائية ، وحددوا عناصرها ونجحوا في تخليقها ، فكانت نصرا مؤزرا للعلم والطب والانسانية على السواء ، واستغلت رؤوس اموال كبيرة ، في شركات ضخمة للصناعات الكيمائية الدوائية ، لصناعة هذه المستحضرات الطبية ، ونشرها في العالم اجمع بأسعار زهيدة ، لينتفع بها الناس على اختلاف اوطانهم واقدارهم وقدراتهم .

فليس من شك في ان العلم ، قد نقل في العصر الحديث ، استعمال الكينا في علاج الملاريا عن الأقدمين الذين استعملوا قلف شجرة الكينا في علاج هذا المرض ، ثم استخلص الكيمائيون في عشرينات القرن التاسع عشر الكينين من قلفها ، واثبتوا انه الجوهر الفعال في العلاج ، ثم انشئت المزارع الواسعة للكينا في كل بلد ، يسمح مناخها بزراعة اشجارها في جاوه وجزر الهند الشرقية ، واستطاع الكيمائيون بعد ذلك ان ينتجوا «الاتبرين» في علاج الملاريا بديلا للكينين ، ثم استحدثت بديلات أخرى كثيرة في العلاج .

ولعلنا نذكر عقار الكورتيزون ، وما صاحب كشفه من ضجة عظيمة في خمسينيات هذا القرن . وقد استعمله الأطباء في علاج الأمراض الروماتيزمية والنقرس ، وكان غالي الثمن باهظ النفقة ، ثم عرف انه يمكن استخلاص مادته الأساسية من نبات معين . ثم ادت بحوث أخرى الى كشف نبات آخر يفيد في هذه الناحية ، وتوالت البحوث ليمكن استخلاص هذا العقار العجيب من عدد كبير من النباتات .

والمبيدات الحيوية استخلصوها من نباتات

وثمة نباتات أخرى كثيرة كان يستعملها الأقدمون في علاج كثير من الأمراض ، استطاع العلم ان يكشف سر جواهرها الفعالة ، وان يهذب طريقة استخلاص العقار ، وتحديد زمان ومكان استخلاصه وطرائق تكثير النباتات الطبية ، حتى تفي بحاجات الانسان العلاجية لمختلف الأمراض ، ولعلنا نذكر في هذا المقام قصة البنسلين ، الذي اكتشفه « فلمنج » في ثلاثينيات هذا القرن ، واستعمل للعلاج في اربعينياته الأولى وها هوذا اليوم قد غدا محور علم قائم بذاته ، هو علم المبيدات الحيوية ، ومركز صناعات كيمائية هائلة لأعداد كبيرة من المضادات من بنسلين ، وستربتوميسين ، وكلوروميستين وغيرها كثير ، اصبح في مقدور العلماء تخليقها وتصنيعها على نطاق واسع ، وكانت قبل مستحضرات نباتية صرفة تستخلص من اعفانها الخاصة ، وكانت غالية الثمن باهظة النفقة ، واذا بها الآن ، بفضل العلم ، سهلة التداول ، يسيرة التناول ، قليلة النفقة .

لقد استطاع الانسان ، بفضل العلم أن يستغني عن الاستعمال المباشر لهذه النباتات أو تلك ، التي كان يبذل الكثير من الجهد والنفقة في سبيل الحصول عليها . وركز العلم جواهرها الفعالة في برشامات أو كبسولات أو حقن ، وصنعها بكميات هائلة تفي بحاجات الانسان ، وانها لفي متناول يده . وبذلك غدت وسائل العلاج سهلة ميسورة ولعلها أغلب الأمر مأمونة ، ما اراد الله البرء والشفاء .

ومع ذلك فما زال في ميدان التداوي بالأعشاب متسع لجهود العلماء والباحثين ، يعكفون على دراسة ما اودعها الخالق من عناصر البرء وأسباب الشفاء يستخلصونه ، ثم يصنعونه في مختبراته ليعم نفعه وينتشر استعماله .

■■

عبد الحليم منتصر

الوَحْدَة الثقافِيَة

قبل الوَحْدَة الاقتصادية والسّياسية

بقلم
محمد العربى الخطابى

جيلنا الحاضر، جيلٌ متعدّد الثقافات
شتّت الأهداف متنافر الأهواء والنزعات

■ تمتاز الثقافة العصرية الحية بروحها النضالى وطابعها الارتيادى، فهدفها تحقيق حياة افضل للانسان تتيح له تحرير نفسه من البؤس المادى، والبؤس المعنوى كذلك، وتفتح امامه ابواب التطور والارتقاء.

وانا حينما ننظر حولنا الآن فى محيط الأمة العربية يثير انتباهنا بكيفية واضحة جيل من العرب غير متماسك فى ثقافته، ولا متفق فى أفكاره وذوقه وفلسفته فى الحياة، جيل تطبعه انتماءات فكرية متضاربة ضيقة. واذا استثنينا عددا محصورا من المثقفين العرب، الذين يمتازون باصالة فكرية وشعورية تجعل منهم رائدين صالحين للاجيال المتطلعة الى الثقافة القومية التى تنشدها، فاننا نصادف مزيجا متنافرا من المثقفين فى جهات متعددة من الوطن العربى، وخاصة فى البلاد التى نالت استقلالها حديثا.

ولا ينبغى ان يفهم مما قلته عن هذه الانتماءات الثقافية الضيقة، التى تطبع كثيرا من شبابنا، انى آخذ عليهم التزوّد من منابع الفكر انى كانت. انما انا آخذ انعدام الاصالة او اختفاءها فى نفوسهم، واقتصارهم على الاخذ والامتصاص، واحجامهم عن الاعطاء، والتفاعل الكفيل بتحقيق الشخصية الثقافية المكتملة التى نريدها للمواطن العربى المستنير.

لا بد أن نخطط لثقافة موحّدة

ومن البديهى انه لن تتوحد اهدافنا ما لم نتفق على الأفكار الأساسية التى يجب أن ننطلق منها لنصنع المستقبل، والتى لا تكون الا ثمرة منهج تربوى مخطط، سلفا، باحكام ودراية وتعمق فى معرفة طبيعة الأمة التى يعنينا توحيدها. وسبر اغوارها التاريخية والاجتماعية وقيمها الروحية، مع الاحاطة الواعية بالانقلاب الكبير الذى احدثه تقدم العلوم والصناعة فى العالم الحديث.

قد يكون من الخطأ الاعتقاد ان اساس كل وحدة بين شعوب متقاربة – لغويا وتاريخيا واجتماعيا – هو الاقتصاد وحده، فالاقتصاد فى معناه الشامل لون من الوان السلوك البشرى واسلوب فى التفكير مثلما هو نظام للانتاج والاستهلاك وطريقة للمعاش وتبادل المنافع المادية، وهو خاضع، نوعا ما، للقيم الثقافية والفكرية العامة.

لذلك فانه من العسير خلق وحدة سياسية واقتصادية لا تدعمها قيم ثقافية مشتركة او متقاربة تؤمن بها البلاد التى تطمح الى هذه الوحدة.

الوحدة الثقافية، والقيم الروحية

واننا حينما نلقى نظرة على تاريخ الدول العربية فاننا نلاحظ ان الوحدة الثقافية كانت قائمة بينها، وان القيم

الروحية والفكرية والبيانية كالقرآن والحديث النبوي وكتب المذاهب والفقه وعلم الكلام والأدب واللغة قد جمعت العرب تحت ظل حكومة واحدة في فترات مختلفة من التاريخ أكثر مما جمعتهم الجيوش والاعلام .

وكان في وسع العالم والأديب والفيلسوف والطبيب ان يتنقلوا بين مختلف أنحاء العالم العربي يستقرون في اية بقعة يطيب لهم المقام بها حيث يجلسون للدرس أو القضاء أو الافتاء ، أو يتفرغون للتأليف من غير أن يشعروا بوجود حدود مادية أو حواجز معنوية ، وكذلك كان شأن الطلاب .

فمن الأعلام البارزين الذين لا تقترن اسماؤهم اللامعة بمسقط راسهم وحده بل بالعالم العربي كله ـ ان لم نقل العالم الاسلامي ـ الغزالي وابن رشد وابن طفيل والادريسي وابن خلدون والشاذلي والمتنبي وزرياب وغيرهم من العلماء والأدباء والفقهاء ، وكل هؤلاء الذين ذكرناهم قد تنقلوا بين عدد من حواضر العرب وجلسوا للدرس أو الافتاء أو القضاء ، وتركوا في كل مكان حلوا به ذكرا لم يبل مع الزمن . فالامام الشاذلي ـ مثلا ـ الذي انطلق من المغرب من احدى القرى الصغيرة بقبائل غمارة اسس مذهبا في التصوف شاع في الشرق العربي اكثر من شيوعه في المغرب ، وكذلك الشأن في غيره من الاعلام الكبار .

وكانت المذاهب الفقهية والمدارس الأدبية والافكار الفلسفية او الصوفية تجد صداها البعيد في كل بلاد العرب والمسلمين حيث يكون لها انصار وشارحون ، أو معارضون مدحضون وناقدون . فمدرسة البصرة ومدرسة الكوفة في النحو قد انتقلتا الى كل مكان ، وافكار الشيعة والمعتزلة وآراء الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي والبيروني والخوارزمي وابن عربي، عرفت ودرست في الشرق والمغرب ، والموشحات انتقلت من الغرب الى الشرق ، كما ان تسالم التجديد الذي عرفه الشعر على يد ابي نواس وبشار والمتنبي هبت على القاهرة ودمشق وقرطبة والقيروان وتلمسان وفاس ، كما تناقلت مختلف البلاد العربية الالحان والاوزان الموسيقية والزخارف والنقوش والصناعات اليدوية الفنية ، وبالجملة كان هناك تجاوب في الافكار واسس ثقافية مشتركة لم تعقها عن النمو والازدهار سوى حملات المغول البربرية وسيطرة الترك ، واخيرا الاستعمار الغربي .

لا تعارض بين القومية والانسانية

ومما لا جدال فيه أن آفاق الثقافة قد اتسعت في عصرنا الحاضر واصبحت ملكا مشاعا لجميع الأمم . غير أنه بالرغم من هذا المظهر الكوني للثقافة العصرية فلا بد لنا من التسليم بحقيقة واضحة هي تعدد منابع الثقافة البشرية ، واصطباغ ثقافة كل امة بلونها القومي الخاص الذي يميزها عن غيرها، ولا ينفي عنها صفة الشمول والانسانية . لذلك فان الصفة القومية « اللاعنصرية » لثقافة أمة ما أمر ضروري تحتمه الظروف الخاصة والمقومات التاريخية والجغرافية والاقتصادية لكل أمة من الأمم . وهذه الثقافات المتميزة تتلاقى في النهاية وتتفاعل ثم تتكاثف ، فتصبح ملكا مشاعا للبشر اجمعين .

والثقافة العربية ، كما هو معلوم لم تكن قط منكمشة على نفسها ولم تتخذ في وقت من الأوقات طابعا عدوانيا أو موقفا متزمتا ، لقد اخذت واعطت ، تأثرت وأثرت،واضافت أشياء الى التراث الانساني الكبير .

فاذا كنا ندعو الآن الى بعث الثقافة العربية بعثا جديدا يعيد لها اشراقها وحيويتها بمجهود العرب أجمعين ، فاننا لا ندعو الى فكرة قومية متعصبة ضيقة ، وما نريده هو أن نساهم في الازدهار الثقافي البشري العام مساهمة الند بفكر مبدع وشعور اصيل،لأننا لا نرضى أن نبقى في معترك الحياة الثقافية المتجددة مجرد ببغاوات تقلد .

لقد عاشت معظم البلاد العربية زمنا غير يسير في ظلمات البؤس والجهل ، وتحت وطأة الاستبداد الداخلي والاستعمار الخارجي ، حتى تبلدت المشاعر وتزمتت العقول وتوقف العرب عن مسايرة الزمن الوثاب المتطور .

وكان عهد الاستعمار عهدا بائسا ـ كما وكيفا ـ في المجال الثقافي الذي يعنينا الآن ، ولو انه كان بمثابة الصدمة

التى تعيد الذاكرة الى فاقدها . فمن ناحية الكم لم يتح لنا خلال فترة طويلة من السيطرة الأجنبية على بلادنا ، أن نحصل على الحد الأدنى من التعليم والتثقيف ، كما أننا من ناحية الكيف ، قد استهدفنا وخاصة فى المغرب العربى، لغارة محمومة ومدبرة على عقولنا ومقوماتنا الصالحة الثابتة ، وفى مقدمتها لغتنا . وبذلك قتلت فى نفوس عدد من الذين تمكنوا من التعلم تعليما عاليا أو متوسطا بذرة الانطلاق الفكرى والشعورى الأصيل التى تتلاءم مع فطرتنا الحية وخصائصنا المميزة ، وما زلنا نعانى من آثار تلك الغارة الوبيلة الى اليوم .

ولولا جماعة من الرائدين الأوفياء أشعلوا الضوء الأحمر فى هذه البقعة أو تلك من بلاد العرب بما آتاهم الله من سلامة الفطرة وصدق الحدس وسعة الفكر وادراك لسر التطور لأضاعت الأمة العربية شخصيتها بضياع لغتها ،ولفقدت بالتالى قيمها المثلى التى هى سر وجودها.

الدعوة الحاضرة الى الانبعاث الثقافى

ان دعوة الانبعاث الثقافى والاجتماعى واحياء التراث القومى قد امتزجت بالعمل الدائب من أجل التجديد والتطور واستشراف آفاق العلم والمدنية ، وانتعشت الثقافة العربية ـ وخاصة فى المشرق ـ على يد طائفة من الدعاة والمصلحين والمفكرين ، فتفتحت أمام اللغة العربية ـ التى هى سر ثقافتنا القومية ـ سبل الحياة العصرية، فعرفت نهضة ما تزال تنمو وتترعرع .

وقد آن الأوان أن تتوحد جهود العرب فى المشرق والمغرب لوضع أسس متينة صالحة لوحدة ثقافية شاملة تكون بمثابة الدعامة الموطدة للصرح الشامخ الحصين الذى نريد تشييده .

أسس تقوم عليها وحدة الثقافة

ومن الأسس التى أرى أنه لا بد منها لبناء الوحدة الثقافية المنشودة :

ـ وضع ميثاق عربى يرسم خطوطا رئيسية مشتركة لأهداف التربية والتعليم فى العالم العربى ووسائل تحقيقها .

ـ تقريب مناهج التعليم وتوحيد الكتب الدراسية وجعلها صالحة للناشئة العربية فى كل مكان .

ـ تنسيق أعمال نشر الثقافة بين المواطنين العرب بوضع مخطط شامل تشترك فيه جميع الأقطار العربية لتنظيم حركة التأليف والترجمة والنشر ، وتشجيع الفنون والآداب والعلوم، واقامة المعارض المتنقلة وتبادل الفرق الموسيقية والمسرحية ، والاشتراك فى وضع موسوعات عربية للفنون والمأثورات الشعبية والعلوم الانسانية . .

ـ تأسيس مجمع عربى موحد يضم رجال اللغة والادب والفن البارزين فى العالم العربى غايته خدمة اللغة العربية ورفع مستوى الآداب ، وتوحيد جهود علماء اللغة الرامية الى وضع المعاجم الضرورية الوافية بأغراض ومتطلبات الحياة العصرية .

ـ تعزيز المكتب الدائم لتنسيق حركة التعريب فى العالم العربى وامداده بالامكانيات والكفاءات حتى يصبح منظمة معتمدة وذات نفوذ فى كل ما يختص بتوحيد المصطلحات العلمية والحضارية والفنية والصناعية والزراعية فى العالم العربى ، واقرار المصطلحات الجديدة المتفق عليها ونشرها بمختلف الوسائل .

ان على الجامعة العربية والوحدة الثقافية ان يكرسا القسط الأكبر من جهدهما وعملهما للشؤون الثقافية سعيا وراء الوحدة المنشودة ،ولتصبح الوحدة الثقافية رباطا متينا يعتصم به العرب فى المشرق والمغرب حتى تتصافى القلوب وتتآلف الأفكار ، وتحلق المشاعر فى أجواء العروبة السمحة والانسانية المثلى . وهذه أيضا أمانة فى عنق المثقف العربى الواعى : أن يكرس جهده ونضاله ومواهبه لخدمة الثقافة العربية المتحررة الكفيلة بتحقيق وحدة الصف والهدف . ■■

الرباط ـ **محمد العربى الخطابى**



من أعلام الفكر والأدب
في المغرب العربي

ابن رشيق

● الفتى الذى بدأ صائغا للذهب ، ثم انتهى .. بصياغة الشعر ..!!

صاحب كتاب "العُمْدَة"

الكتاب الواحد الباقى ، الذى خَلَّد ذكره

بقلم : الدكتور طه الحاجرى

استاذ اللغة العربية وآدابها بجامعة الاسكندرية

■ فى الفصل الذى قدمناه عن أسد ابن الفرات (١) رأينا صورة مقاربة من الحياة الفعلية فى افريقية فى القرن الثانى للهجرة . ولم تكن هذه الحياة تمثل – اذذاك – فى اقوى اتجاهاتها وابرز صورها الا فى النشاط الدينى والعلمى . فقد كان هذا النشاط هو الذى يطبع الحياة الفكرية فى افريقية بطابعه ويَسِمُها بميسمه .

(١) مجلة العربى ، العدد ٥٤ (مايو ١٩٦٣)

وفى افريقية ، فى القرن الرابع الهجرى ، انتقل النشاط الادبى الى صميم الحياة

اما النشاط الأدبى فلم يكن أتيح له بعد أن يستقل بنفسه ، أو ينزل من هذه الحياة منزلة ظاهرة متميزة ، فقد كان امرا جانبيا ، يقع على هامش هذه الحياة ، ولم ينتقل الى صميمها ويحتل المكان الجدير به فيها الا فى القرن الرابع الهجرى بعد أن اكتملت اسبابه ، وتهيأت للمجتمع عوامل نضجه ، كما أصبح للمغرب العربى



كيانه السياسى المستقل ، واخذت تتضح ملامح شخصيته ، وذلك فى عهد الدولة العبيدية ، أو الفاطمية ، التى استطاعت ان تجعل من المغرب العربى دولة كبرى تقف بين دولة الأمويين فى الأندلس ودولة العباسيين فى المشرق .

كان للمغرب ، فى القرن الرابع الهجرى ، شعراء مذكورون

ففى هـذا القرن الرابع كان للمغرب شعراؤه المذكورون ، سـواء من أتيح لشعره أن يغالب ما تعرضت له الآثار الادبية فى المغرب خاصة من صروف ، فبلغنا فى صورة قريبة من الكمال ، كابن هانىء الأندلسى ، ومن تعرض شعره للضياع ولكن القليل الذى بقى لنا منه يدل عليه ، ويومىء الى قدره كعبدالكريم ابن ابراهيم النهشلى ، وعلى بن محمد الايادى التونسى .

بين القرن الرابع ، والقرن الخامس ، نشأ ابن رشيق

وفى أواخر هذا القرن نشأ صاحبنا الذى نقصر هذا الفصل للحديث عنه ، نشأته الأولى ، ثم تم تمامه ، وظهرت شاعريته ، وبرزت مظاهر شخصيته ، فى القرن الخامس .

المدينة التى ولد فيها ابن رشيق

ونشأته الأولى هذه تشير الى ظاهرة جديدة فى تاريخ الحياة الأدبية فى المغرب العربى وهى امتداد هذه الحياة الى ما وراء المغرب الادنى ، وتعدد بنيانها ومراكزها ، فلم يعد النشاط الأدبى مقصورا على القيروان أو تونس بل اخذ يستحدث مراكز اخرى له ، منها مدينة « المسيلة » التى نشأ فيها ابن رشيق ، وهى قاعدة المغرب الأوسط ، او ما كان يسمى اذذاك ببلاد الزاب ، ويطلق عليه الآن اسم « الجزائر » .

ان هذه المدينة هى احدى المدن التي انشأتها الدولة الفاطمية فى المغرب العربي ، فى أول قيامها . اختطها ولي عهد هذه الدولة ، محمد بن عبيد الله المهدى . وكان أبوه قد وجهه الى اقليم الزاب ليقر به سلطانه ، ويقمع بعض الثورات الناشبة فيه ، حتى اذا فرغ من شأنه ، وتم له ما اراد ، اختط هذه المدينة لتكون قاعدة هذا الاقليم بدلا من مدينة طبنة ، وعهد الى على بن حمدون الأندلسى ببنائها ، ثم اطلق عليها اسم « المحمدية » نسبة الى ولىّ العهد الى جانب اسم « المسيلة » ، ذلك الاسم الذى يرجع ــ فيما نحسب ــ الى اصل قديم .

ولم تلبث هـذه المدينـة ان نمت وازدهرت ، وخاصـة فى عهد اميرها جعفر بن على بن حمدون ، وقد آلت

اليه امارتها بعد أبيه الذى تولى ـ كما رأينا ـ بناءها . وكان معتزا بهـا ، فجعلهـا مناط همته ، ووجـه اليهـا طمـوحه كلـه ، حتى اسـتطاع ان يجعل منها مركزا من أول المراكـز الأدبية فى المغرب العربى ، تحفيا بالأدب وتشجيعا للأدباء ورعاية لهم واستنارة لمواهبهم . وفيها برزت شـاعرية ابن هانىء الأندلسى، وعنها صدرت قصائده الرنانة فى مدح هذا الأمير ، ومنها تهيأ لمكانه الذى أتيح له بعد ، فى البـلاط الفاطمى ، والذى جعل شعره يدوى فى انحاء المغرب كله .

هذه هى المدينة التى ولد فيها الحسن ابن رشيق ، سنة ٣٩٠ هجرية .

أسرة ابن رشيق

واذا لم تكن الأسرة التى خرج منها صاحبنا من الأسر التى تصطنع الأدب او الحياة الفكرية عامة، اذ كانت من الأسر العاملة ، فقد كان ابوه رشيق صائغا ، فقد يمكن القول بان فى الصياغة جانبا فنيا،وانها تقتضى ـ على اى حال ـ نزوعا جماليا، وان ابن رشيق كان ينطوى على نزعة فنية جاءته من هذه الناحية .

وكان رشيق مَولىً روميا ، وكان هؤلاء الموالى قد اتيح لهم ، منذ وَلِى الفاطميون الامر فى افريقية ، ان يظفروا بالحظوة عندهم ، وان يتولوا بعض المناصب الأثيرة لديهم(كجوهر وجوذر وقيصر ومظفر وميسور ومسرور) وكان ذلك من شانه ان يثير طموح هذه الطبقة عامة ، ويحفز افرادهـا الى اتخاذ الوسيلة لمثل ما بلغه هؤلاء ، فلعل ذلك كان مما اغرى رجلا كرشيق ان ينشىء ابنه نشأة ادبية ، فلعل ذلك يفتح له السبل الى بعض تلك المناصب ، او يهيئه لمثل تلك الحظوة .

ومهما يكن من امر فقد اتجه الحسن بن رشيق فى مدينة المحمدية تلك الوجهة الادبية ، فجعـل يراوح فى هذه المرحلة من حياته بين العمل مع ابيه فى الصياغة ، والتماس الثقافة فى صورها المختلفة بالقدر الذى تتيحه هذه المدينة . وما اسرع ما ظهرت مواهبه وتبيّنت ملكاته ، وعرّفَ طريقه الذى ينبغى ان يشقه . ولكن هذه المدينة كانت لا تقدم لمطامحه ما تقنع به ، فجعل يطمح ببصره الى حيث يجد لمواهبه وملكاته ميدانا ارحب ، ومجالا اخصب وفرصا للنبوغ اوفر . ولا ريب انه كان يتمثل اذ ذاك مدينة القيروان ، يتوفر فيهـا على الدرس ، ويستكمل فيها تعليمه ، ويستتم بذلك مكونات شخصيته الأدبية التى يرجو ان تهيا له ، ويتهيا بذلك للمجد الادبى الذى ما زال يتبرج له ويداعب خياله .

وما زال ذلك الطموح به حتى مضى الى القيروان، سنة ٤٠٦ .

ابن رشيق فى القيروان

وفى القيروان بدا ابن رشيق مرحلة جديدة من حياته وان كانت مرحلة متعددة الألوان والصور. وقد امتدت اربعين عاما ، اى منذ دخلها سنة ٤٠٦ ، شابا يافعا فى السادسة عشرة من عمره ، الى ان تركها مهاجرا الى المهدية ، سنة ٤٤٧ ، كما سنرى بعد ، شيخا شارف الستين .

وقد بدا هذه المرحلة بالتردد على حلقات العلم ومجالس الدرس والأندية الادبية. وكانت القيروان تزخر اذ ذاك بطائفة كبيرة من اعلام العلماء وائمـة الادب، كابى الحسن القابسى وابى عمران الفاسى، من رجال الحديث وائمة الفقه ، وابى عبد الله القزاز ، من شيوخ النحو واساتذة العـربية ، وابى اسحـاق الحُصْرى من الأدباء وعلماء الأدب، فجلس ابن رشيق اليهم ، واخذ عنهم ، ووثق صلته بهم ، وقد وجد فيهم ما كان يطمح اليـه ، حتى اكتملت جوانب حياته العقلية ، ونضجت شـخصيته العلميـة ، كمـا وجـدت شخصيته فى هـذه الآفـاق العقليـة الفسـيحة ، وفى الآثار الادبية المختلفة التى اقبل عليها روايـة ودرسا وتذوقا ، ما امد هذه الشاعرية ونماها .

ابن رشيق يتصل بابن ابى الرِّجال

وكما بدا ابن رشيق بانتقاله الى القيـروان مرحلة جديدة فى حياته ، كذلك بدا المغرب فى الوقت نفسه مرحلة جديدة بوفاة الأمير باديس ، وانتقال الامارة الى ابنه المعز ، وكان ما يزال

صبيا صغيرا فى الثامنة من عمره، يتعهده الأوصياء والمربون ، ويتولون باسمه أمور الدولة . وكان من بين هؤلاء رجل اديب شاعر ، هو ابو الحسن على بن ابى الرجال ، أستاذ الأمير الصغير ورائده ومستشاره وصاحب ديوانه ، فقد جمع بذلك بين الادب والسلطان ، وكان بذلك ممثل الأدباء فى قصر المعز بن باديس ، ومن ذلك كان معقد آمالهم ومطمح ابصارهم .

واكبر الظن ان شخصية ابن ابى الرّجال كانت من اول ما مثل فى خاطر ابن رشيق منذ دخل القيروان ، ومن اول ما جعل يبهره ، ويعرض لطموحه صورا من المجد الأدبى تتبرّج له وتثير فيه شتى الحوافز . كما يغلب على الظن ان اسمه لم يكن غريبا عنه ، فقد كان ابن ابى الرجال ينزل احدى مدن المغرب الأوسط ، وهى مدينة تاهَرت، وابن رشيق فى المحمدية يشدو الوانا من الادب. ولعل مما كان يحفظ اذ ذاك من شعر المعاصرين هذه الابيات الرقيقة التى قالها ابن ابى الرّجال وهو فى تاهرت ، ينفس بها عن شوقه الى اهله بالقيروان . (وقد رواها هو بعدُ فى كتاب العمدة مشيدا بها) .

ولى كبد مكلومة من فراقكم
أطامنها صبرا على ما أجنّت
تمنّتكم شوقا إليكم وصَبوة
عسى اللهُ أن يدنى لها ما تمنّتِ
وعينٍ جفاها النوم واعتادها البكا
إذا عَنّ ذكرُ القيروانِ استهلّتِ

ابن رشيق يصل الى الأمير المعزّ بن باديس ، ويصبح من شعرائه

وبمثل هذه الابيات اتخذ ابن ابى الرجال فى نفس ابن رشيق صورة ادبية فاتنة ، فما ان مضى الى القيروان ، وعرف مكانه فى قصر المعز ، حتى تطاولت اليه آماله واخذ يلتمس الوسيلة اليه الى ان اتيح له ان يعقد صلته به ، وقد ظفر برعايته له وتقديره اياه .

وبذلك اخذ يعالج صناعة الشعر ، بصوغه قصائد يمدح بها الامير المعز بن باديس ، حتى بلغ من ذلك المبلغ الذى مكّن له من ان يُعَدّ فى شعراء الامير ، وان يكون له مكانه فى الديوان الذى يتولاه ابن ابى الرجال ، فله فى كل مناسبة قصيدة يفتنّ فى تدبيجها . وقد بقيت لنا من هذه القصائد بقايا قليلة ، مما اورد فى كتابه « العمدة » او ما تنقل عن كتابه « انموذج الزمان » ، او ما جاء فى بعض المصادر الاخرى . ولعل من خير ذلك دلالةً على صناعته الشعرية ما بقى لنا من قصيدته التى انشدها بمناسبة الهدية التى اهداها الخليفة الفاطمى فى مصر الى المعز ، سنة ٤٢٢ ، ولدينا منها بقية صالحة ، تبلغ نحو الاربعين بيتا، اوردها القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه «الذخائر والتحف (١) » ، وصف فيها طرائف هذه الهدية وصفا رائعا ، كقوله فى صفة الزرافة :

تحتثّها بين الخوافق مِشْيةٌ
بادٍ عليها الكِبْرُ والخُيَلاء
وتمُدُّ جيدا فى الهواء يزينها
فكأنه تحت اللواء لواء
حَطّت مآخرُها وأشرف صدرها
حتى كأن وقوفَها إقعاء
وتخيرت دون الملابس حُلّةً
عَيّتْ بصنعةِ مثلِها صنعاء
لونا كلون الذبْل إلا أنه
حَلْيٌ ، وجزّع بعضه الحلاّء
أو كالسحاب المكفهرّة خُيِّطت
فيها البروق وشقّها إيماء
أو مثل ما صدئت صفائح جَوْشن
وجرى على حافاتهن جلاء

ابن رشيق يصبح من جلساء الأمير

ثم ترقى فى صلته بالأمير مرحلة اخرى ، فأصبح

---

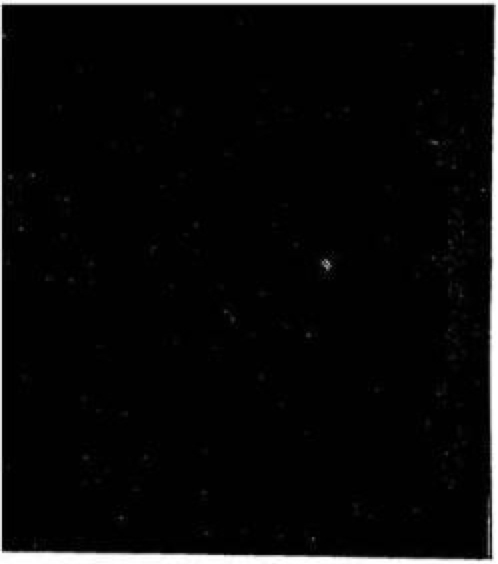
(١) وهو الكتاب الاول فى سلسلة التراث العربى التى تصدرها وزارة الارشاد والانباء فى الكويت .

من اصحاب مجلسه ، ومن اهل سمره ومنادمته ، وقد رشحه لهذا ومكنه منه ثقافته الادبية الواسعة ، وبديهته الحاضرة . وكان من زملائه فى هذا المجلس شاعر قيروانى آخر من طبقته ، هو ابن شرف ، فكان فى اجتماعهما فى هذا المجلس ، وحرص المعز على ان يثير مواهبهما ، ويحفز قواهما الفنية ويستخرج اقصى ما عندهما ، ما بعث فيه الوانا من النشاط والحيوية .

خصومة بين ابن رشيق وابن شرف

كما كان من اجتماع الرجلين فى مجلس الامير ان نشأ بينهما نوع من المنافسة ، لم تلبث ان تحولت الى شيء من المباينة والمجافاة ، ثم مضت فصارت مخاصمة وملاحاة . ولكن خصومة الادباء ـ ولو انها شيء يبعث الاسف ـ خصومة خِصْبَة غالبا . وكذلك كان شأن هذه الخصومة بين ابن رشيق وابن شرف ، وان ضاعت آثارها بين ما ضاع من صور الحياة الادبية فى المغرب العربى ، الا ان ما اتيح لنا من اخبار الرجلين يدل على ان كلا منهما جعل يتعقب الاخر فيما ينشىء من قصيد وما يؤلف من كتب ، كما ابقت لنا هذه الاخبار بعض اسماء الكتب التى كتبها ابن رشيق ينقد فيها ابن شرف ويهاجمه ، وكان لها ـ ولا ريب ـ اثرها فى الحياة الادبية فى القيروان .

وكما كانت هذه الكتب اثرا من آثار هذه الخصومة ومظهرا من مظاهرها ، فانها كانت تمثل وجها من وجوه النشاط الادبى والنقدى لابن رشيق ، الى جانب ما اقبل عليه واخذ نفسه به من التصنيف والتاليف فى مسائل اللغة وموضوعات الادب ، كانه لم يرض لنفسه ان يكون شاعرا فحسب ، وان ينصرف الى قرض الشعر ونظم القصيد يقتصر نفسه عليه ، فقد كان حريصا على ان يتحقق له بالعلم ما كان تحقق له بالشعر ، وان ياخذ مكانه فى الحياة بين علماء الشعر والعربية الى جانب ما اتيح له من مكان بين الشعراء ، وان يكون لهذه الثقافة التى اقبل عليها منذ نشأته الاولى فى المحمدية ، واوغل فيها منذ انتقل الى القيروان ، مظهرها فى شخصيته الادبية المنتجة .



خريطة تبين موقع المهدية والقيروان وجزيرة صقلية . انها بعض الاماكن التى عاش فيها ابن رشيق ..

كتابه : العمدة فى محاسن الشعر وآدابه

وهكذا جعل ابن رشيق يكتب الكتب ، ويسجل لنفسه مجدا ادبيا رفيعا ببعض ما اخرج منها ، ككتاب « العمدة فى محاسن الشعر وآدابه » ، فقد اتيح لهذا الكتاب من حفاوة العلماء به وتقديرهم له واقبالهم عليه ، ما خلده وخلد ابن رشيق معه ، فاكبر الظن انه لولا هذا الكتاب وما أتيح له من منزلة لذهب ابن رشيق فى غمرة الادباء المغمورين من معاصريه .

كتابه : انموذج الزمان فى شعراء القيروان

والواقع ان كتاب « العمدة » هو الأثر الكبير الوحيد الباقى من آثاره ، الى جانب رسالته الصغيرة التى سماها « قراضة الذهب » ، أما سائر هذه الآثار فقد ضاعت ، وكان من أهمها فى تقدير مؤرخ الادب كتاب «انموذج الزمان فى شعراء القيروان » ، وقد كان جديرا ، لو أنه بلغنا ، أن يجلو لنا صورة من الحياة الأدبية فى افريقية فى القرن الرابع والخامس ، نحن فى أشد الحاجة اليها فيما نحاول من ذلك . وقد ظل زمنا طويلا وهو يعتبر أهم مرجع للتعريف بائمة هذه الحياة

من الشعراء . ونستطيع أن نرى ما يمثله في الفصول التي اقتبستها بعضُ الكتب منه واوردتها عنه ، كرحلة التجاني وفتوّات الوَفَيات ، ونفح الطيب ، ونثار الأزهار .

آثاره الشعرية

وكما ضاعت آثار ابن رشيق الكتابية ضاعت آثاره الشعرية التي كان يضمها ديوان على حدة ، وانما بقيت منها بقايا منثورة هنا وهنا في مطاوي الكتب . وقد عنِي العلامة الشيخ عبد العزيز الميمني الراجوتي، الاستاذ بجامعة عليكرة بلاهور، بتعقبّها في مظانّها ، وسجّلها مرتّبةً بحسب قوافيها في مجموعة سماها : « النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف » .

نكبة القيروان : أنهت مرحلة من حياته وبدأت مرحلة

ومهما يكن من أمر هذه البقايا الباقية من منشعره وكتبه ، فانها ــ الى جانب كتاب العمدة وكتاب قراضة الذهب ــ تمثل لنا شاعرية مرهفة واحساسا بالحياة وما تضطرب به دقيقا ، كما تمثلنا نشاطا موفورا وانتاجا خصيبا غمرحياته. وما زال ذلك شانه حتى اطبقت على القيروان الكارثة التي دبرها الفاطميون لها ، اذ ساقوا الأعراب اليها ، فزلزلتها وتهاوت منها ، ثم ما تبع ذلك من مغادرة المعز بن باديس لها الى المهدية، ومعه حاشيته وخاصته،ومنهم صاحبنا ابن‌رشيق، سنة ٤٤٧ .

ابن رشيق بين المهدية وصقلية

وبهذا انتهت هذه المرحلة الطويلة من حياة ابن رشيق ، وبدأ مرحلة جديدة مختلفة كل الاختلاف عنها ، امتدت ستة عشر عاما ، أمضاها بين المهدية وصقلية .

ابن رشيق في المهدية

واذا كنا لا ندري كم من الزمن امضى في المهدية قبل أن يتحول عنها الى صقلية ، فالذي لا نشك فيه انه امضى فيها أوقاتا عصيبةعانىفيها مضاضة الحياة ومرارة الذكريات :

ذكريات المأساة التي حاقت بالقيروان ، والنكبة التي انقضت عليها وفزعت أهلها ونكرت صور الحياة فيها ، وقد جعلت هذه الصور البشعة المروعة تقاديه وتراوحه وتضاعف عليه ما كان يعانيه في مهاجره ، كما اخذت تعرض لشاعريته فتثيرها ، فتتردد اصداؤها ، على النحو الذي نرى صورةً منه في بعض ما بلغنا من شعره ، مصوِّرا ما تعرَّضَ له اهل القيروان في محنتهم هذه من تنكيل وتقتيل ، ومن سباء وجلاء ، بمثل قوله :

والمسلمون مقسَّمون تنالهم
أيدي العُصاة بذلة وهوانِ
ما بين مضطرٍ وبين معذَّب
ومقتَّل ظلما وآخرَ عانِ
يَستصرخون ، فلا يُغاث صريخهم
حتّى إذا سَئموا من الأرنانِ
فادوا نفوسهم ، فلما أنفدوا
ما جمَّعوا من صامت وصوانِ
واستخلصوا من جوهر وملابس
وطرائف وذخائر وأوانِ
هربوا بكل وليدة وفطيمة
وبكل أرملة وكل حصانِ
وبكل بِكْر كالمَهاة غريرة
تَسْبي العقول بطرفها الفتّانِ
خَوْدٍ مبتَّلةِ الوِشاح كأنها
قمرٌ يلوح على قضيب البانِ

فاذا أراد أن يستانف شيئا من أسلوب حياته التي كان يحياها في القيروان ، فيراجع حياة القصر ومدح المعز ومجالس السَّمَر ، لم يكن شيء من ذلك يتهيئا له على الصورة التي يرضاها .فلم يعد يجد من الأمير ما كان يجده عنده من قبل . لقد تغيَّر كلُّ شيء وتحوَّل ، ولم يبق للمعز شيء من سلطانه الواسع ومجده الباذخ ، الا التافه اليسير،وقد حوَّلته النكبة التي حاقت به وببلاده، والقلق الذي يساوره وهو يرى سفن العدو

تجوب البحر منذرة مهددة ، الى شخص ضجر برم ، تثيره اقل بادرة ، ويسخطه ادنى شيء ، ويريبه كل ما حوله .

وقد تعرض ابن رشيق لآثار هذه الحالة النفسية التى كانت مسيطرة على المعز ، وكان آخر ما واجه من ذلك حين دخل عليه ذات صباح، وقد اعد قصيدة اراد ان يُنشده اياها ، فوجده فى مُصلاّه ، « والرقاع عليه ترد ، والشموع بين يديه تتقد » ، فما ان بدا فى انشاده ، وكان قد جعل مطلع قصيدته هذا البيت .

تَثَبَّتْ ! لا يُخامِرْكَ اضطراب
فَقَد خَضَعَت لعزَّتكَ الرِّقابُ

حتى ثارت ثائرة المعز ، وانفجر غضبه ، واخذ يصيح به قائلا:« صه ! متى عهدتنى لا اتثبّت ؟! اذا لم تجئنا الا بمثل هذا فمالك لا تسكت عنا ؟! » ثم لم يكتف بهذه الكلمات الثائرة المهتاجة حتى امر بالرقعة التى فيها القصيدة فمزقت ، ثم قذفت الى النار فاحترقت .

وكان هذا اعلانا بالقطيعة بين المعز وابن رشيق، كما كان ايذانا بتخلّى القصر فى المهدية عن البقية الباقية من تقاليده الادبية . وبهذا بلغت المحنة التى يعانيها ابن رشيق غايتها ، وقد علِم علمَ اليقين الاّ مكان له فى القصر ، وان المهدية لم تعد المكان الذى يستطيع البقاء فيه ، وقد كان يعلل نفسه من قبل ببعض التعلات حين كان يعرض له خاطر الرحيل ، كما فعل زميله ابن شرف ، اما الآن فلا بد له من ان يترك المهدية ويلتمس مكانا آخر يقضى فيه بقية ايامه .

ابن رشيق فى صقلية

وكان ذلك المكان الآخر الذى اتجه اليه هو الذى مضى اليه من قبل ابن شرف ، وهو صقلية . وهناك التقى الرجلان اللذان كانا على راس الحياة الادبية فى افريقية ، وكان التقاؤهما مبعث سرور وغبطة للادباء والمتادبين فى صقلية ، وقد سعوا لازالة ما قد يكون فى نفسيهما من بقايا ضغن ، فتصافيا .

ولكن الحياة فى صقلية لم تكن آمنة ولا رضية . لقد اخذ السلطان الاسلامي يتقلص فيها وتتابعت غارات النرمنديين عليها ، وكثر توثبهم على اهلها، واستلابهم بلادها ، وفسدت اخلاق الناس فيها فسادا كبيرا وساءت معيشتهم ، كما يصور ذلك ابن حوقل ، وكان قد زارها فى هذه الفترة بعينها ، فلم يلبث ابن شرف ان ضاق بها وكره المقام فيها ، فازمع ان يمد هجرته الى الاندلس ، ودَّ لو صاحبه ابن رشيق فى رحلته اليها فعرض عليه الامر ورغّبه فيه ، فلم تهشّ له نفسه : لعل حالته النفسية كانت قد بلغت من الركود بحيث لم يكن ينشط لشيء، او لعله كان يُشفق من ركوب البحر ومكابرة اهواله التى صورها فى شعر له حين رحل من المهدية الى صقلية ، وقد عبر عن خوفه منه فى بيتيه المشهورين :

البحـر صعبُ المرام مـرٌّ
لا جُعلتُ حاجتى إليه
أليس مـاء ونحن طين ؟
فما عَسَى صبرُنا عليه ؟ !

وهذا الى انه كان سيىء الراى فى الاندلس : لا يراها الا بلادا ممزقة ، وامراء متفرّقة ، وصوَرا من الدعوى العريضة كاذبة مُنكَرة ملفقة ، فزاده ذلك اعراضا عنها وانشد قائلا :

مما يزهدنى فى أرض أندلس
أسماء مُقتدرٍ فيها ومُعتضِد
ألقاب مملكة فى غير موضعها
كالهرِّ يحكى انتفاخا صولة الأسد

فمضى ابن شرف اليها وحده، وبقى ابن رشيق فى صقلية ، وقد جعل مستقره فيها مدينة مازره ، واخذت نفسه تطيب بعض الشيء حين راى اميرها يحتفى به ويتخذه استاذا له ، ويقرا عليه كتبه. وفى اثناء ذلك مات المعزّ بن باديس ، فاهتزت نفسه وانطلقت شاعريته برثائه ، وقد غمر موته كلّ متوجدة فى نفسه .

وامتد العمر بابن رشيق تسع سنين بعد وفاة المعزّ بن باديس ، ثم وافاه اجله فى مدينة مازره، قبل ان تسقط هذه المدينة فى يد النرمنديين بعام واحد ، فانحسر بسقوطها عن صقلية ظل الدولة الاسلامية ، وان بقيت بعد ذلك دهرا اسلامية الطابع والثقافة . ■■

طه الحاجري

صفاء الحب

■ لم أنا عن « ميّ » سلوانا ولا تيها — « فميٌّ » معبودتي من بعد باريها !

وليس في الحب من تيهٍ ومن صلَفٍ — لدى عميد أبي النفس عاليها !

يتيه دلاً خليّ القلب مطلقه — ولا يتيه أسيرَ الروح عانيها !

إني أراعي عهود الحب صادقة — إن كان ثمّةَ غيري لا يراعيها !

لو أبعدونيَ عن « ميّ » لأسلوها — وبت عنها قصيّ الدار ، نائيها

وتوّجوني مليكا ، لا شريك له — في العرش ، يحكم في الدنيا وأهليها

ورقرقوا الخُلد في أرجاء مملكتي — وسلسلوه على شتّى نواحيها

وأرسلوا الحُور أصباحا منوّرة — وضّاءةَ الحسن ، تسبي لُبَّ رائيها

تموج بالرونق الضاحي وبهجته — نشوى ، مموّهةً بالسحر تمويها

أبيتُ إلا مهاةً لا تعادلها الدُّنيا ، ولا الملأُ الأعلى يوازيها !

فميٌّ راجحةٌ عندي على الملأ الأعلى وما فيه ، والدنيا وما فيها !

* * *

نأيت عنها وفي الأحشاء مجمرةٌ — البعدُ يضرمها ، والشوق يذكيها!

قالوا النوى يطفىء الأشواق ، ويحهمُ — فنار قلبي زادت في تلظّيها !

ما العاشقون سواءٌ في تولّههم — ولا النفوس سواءٌ في تفانيها !

وليس من يدّعي الأشواق عن وطرٍ — كمن يكابدها أو من يعانيها !

شط المزارُ بجسمي عن مرابعها — وظلت الروح روحي في مغانيها

بالله يا روحُ ، إمّا عزّ مؤنسها — وارفضّ من حولها السمّار سلّيها!

فرهبة الليلة الليلاء تؤلمها — ووحشة الظلمة الدكناء تشجيها

ومن تكن مثلَ « ميّ » في نعومتها — فإنما ألفُ الأشياء يؤذيها !

* * *

يا « ميُّ » إن النوى ليست تغير من — حب الشريف ، وإن أربت عواديها !

شهرٌ . . . وترجع أيامُ اللقاء لنا — زهراءَ تنعم في ضاحي لياليها !

جورج سلستي — بيروت ■■

روعة الخيال ـ وسحر

الأمثال والأساطير العربية

انبهمت أصولها التاريخية، فخلق القصاصون

بقلم: الدكتور محمد مصطفى هدارة

المدرس بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية

■ المثل فى اللغة هو الشىء الذي يضرَب لشىء مثَلا ، فيجعل مِثلَه .

ويقال : تمثَّل بالشىء اى ضربه مثَلا .

وقد يكون المثل بمعنى الصورة ، ومنه قوله عز وجل : « فجعلناهم سلفا ومثَلا للآخرين » .

ومثّل له الشىءَ بمعنى صوَّره حتى كأنه ينظر اليه ، ومن هنا جاء اشتقاق المثال . والتمثال ايضا ، وهو الشىء المصنوعُ مشبَّها بخلق من خلق الله .

وهذا المعنى وهو المطابقة بين الأصل والصورة هو الذى دعا اللغويين الى القول بأن ظل كل شىء تمثاله .

الامثال تراث تعتزُّ به كل امة

والأمثال التى تضرَب لمطابقة الواقع، والقصدِ الى العبرة ، تراثٌ تعتز به كل امة ، لأنه يعبر عن الحكمة فى أجلى صورها وأدق معانيها ، ويكشف عن معدنها الثمين الذى يشعُّ بنور الحقيقة، فى أجمل تعبير وأبدع تصوير .

الأمثال عليها يعتمد مؤرخو الآداب

والأمثال صورة رائعة من صور النثر الفنى يعتمد عليها مؤرخو الآداب فى فهم اسرار اللغات وتراكيب العبارات ،والوان المجاز وبدائع الايجاز ، لأن التغير نادر ما يصيبها ، فهى تبقى على صورتها الأصلية التى قيلت بها فى غابر الأزمان بسبب ما فيها من ايجاز فى المبنى ، واعجازٍ فى المعنى ، تدور بسببهما على الألسنة حتى يتاح لها الاستقرار فى كتاب . والمثل ليس مرادفا للحكمة ، فمن الطبيعى أن يكون كل مثل حكمة ، ولكن ليس من الضرورى أن تكون كل حكمة مثلا .



الغموض .. وجمال الأسرار تمتزج فيه :

لها أصولاً أسطورية ..!

الايجاز : اهم اركان المثل

ومنذ زمن بعيد جعل ارسطو الايجاز اهم اركان المثل ، ولهذه النظرة أوفى نصيب من الصحة . اذ لا يتصور المرء مثلا لا يحمل كثيرا من المعنى فى قليل من اللفظ .

وقد اضاف ابو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى عام ٢٢٤ هـ) وهو من اوائل الذين دونوا الأمثال العربية فى كتاب ، صفتين أخريين الى جانب ايجاز اللفظ ، هما : اصابة المعنى وحسن التشبيه . ثم اضاف أبراهيم النظام الفيلسوف المعتزلى صفة رابعة وهى جودة الكناية ، وهو لم يجاوز الحقيقة حين اعتبر الأمثال نهاية البلاغة .

الأمثال العربية انبهمت أصولها ، فخلق القصاصون لها أصولا أساطير

وتعد الأمثال العربية من اقدم بقايا النثر العربى ، واغلبها كان سائدا — فيما يبدو — فى الجاهلية، يتردد على الالسنة ليصيب كبد الحقيقة فى موضع الحكم وفصل الخطاب . وكثير من هذه الأمثال يشير الى احداث ووقائع معينة حدثت فى عصور انطوت فى القدم ، وغابت فى زوايا النسيان ، ولكنها لم تعدم مع ذلك قصاصا ورواة اخبار يخلقون من العدم وجودا ، ومن الخيال حقائق أو هكذا تتراءى للناس .

وربما يكون فى بناء اقاصيصهم ظل باهت من الواقع ، ولكن رواياتهم مع ذلك تخرج لنا من الأمثال أساطير ترجع وقائعها الى اقدم العصور بالنسبة لتاريخ الأمة العربية ، ولا تخرج فى مدلولها عما يجب أن تكون عليه الأسطورة من التعبير عن بعض الأفكار فى صور محسوسة ، القصد منها العبرة والمغزى الخلقى . وقد يكون الرواة واصحاب الاقاصيص او الأساطير معذورين فيما ذهبوا اليه ، اذ تلقوا بعض هذه الأمثال عبارات أشبه بلغز يحتاج المرء الى ان يكد ذهنه ليفهم ما وراءه ، ولهذا وجدوا أنفسهم مضطرين الى الكشف عن

غوامضه وازاحة العماء الذى يجلله ، بحوك الاقاصيص التى تفسره وتشرحه وتضعه فى مكانه التعبيرى الصحيح .

العلاقة بين الأمثال والاساطير

اما ارتباط اقاصيصهم بالغيبيّات فيمكن رده الى طبيعة الأمثال نفسها ، فالحكمة التى هى لب الأمثال تقترن منذ اقدم عصورها عند جميع الشعوب بالغيبيات والأسرار الخفية ، والأفكار الغامضة المثيرة . تلك اذن هى العلاقة بين الأمثال والاساطير : علاقة فى طبيعة نشأة كل منهما ، وفى الوظائف التى تؤدى ، والتقاء على ايدى القصاص للشرح والتعليل . وربما يتجاوزون ذلك الى التشويق والاثارة وجلب المتعة الى النفوس ، فالقاصُ قد يضيف من عنده بعض الاحداث والملابسات ليبلغ ما يريد. ولا شك فى أن هذه الصلة القوية بين الأمثال والأساطير تتمثل لنا فى اقاصيص كثيرة من ادبنا العربى ، ترامت الينا عن القصاص الأقدمين ، أهمها :

قصة الزباء .

وقصة النعمان .

وقصة الحية والفأس .

وقصة لقمان .

قصة الزباء عند مؤرخى الرومان

اما الزباء فأخبارها مختلطة اشد الاختلاط ، ويتضح لنا ذلك من المقارنة بين اقوال مؤرخي الرومان والعرب . فاسمها زنوبيا أو زينب او الزباء ، وهذا الاسم الأخير فى راى احد المستشرقين مشتق من اسم زبوى امير جيوش الملكة، ولعل العرب كانوا يخافون هذا الأمير اكثر من الملكة نفسها فاطلقوا اسمه عليها ، وصار هو بطل القصة . وفى راى هذا الباحث أن تدْمُر التى ذُكرت مسرحا للقصة ذكرت عرضا فقط ، ثم انتقلت الأحداث الى مدينتين على الفرات لم تسمّيا ، بل ذكر انهما متصلتان بنفق فى حصنيهما وفى البرية بينهما . وقد تولدت قصة هذا النفق من خبر التاريخ عن نفق فى سور تدْمر ، قصدت زنوبيا أن تهرب منه عندما فتح اورليانوس المدينة .

قصة الزباء عند مؤرخى العرب

وقصة الزباء كما وردت فى كتابات المؤرخين العرب بايجاز ان جذَيمة ، وكان من ملوك العرب فى أرض العراق ، جمع جموعا وحارب عمرا بن ظرب ، وهو ملك عربى من العماليق فى أرض الجزيرة ومشارق الشام ، فقضى عليه ، وتولت ابنته الزباء الملك من بعده ، فطالبت بثاره من جذيمة ، واتخذت اهبتها لتشن الحرب عليه ، ولكن اختها زبيبة ، وكانت ذات راى ودهاء ،صرفتها عن الحرب ، فأرسلت الرسلَ الى جذَيمة ليجمع ملكه الى ملكها ، فطمع فى ذلك وأيده ناصحوه ما عدا قصير بن سعد ، ولكنه لم يستمع اليه ، وذهب الى الزباء فقتلته . فملك من بعده ابن اخته عمرو بن عَدِىٍّ الذى طالب بثأر خاله . وهنا يتدخل قصير فيجدع أنفه، (وفى هذا وضع المثل « لأمر ما جَدَعَ قصيرٌ انفه ») ويحدث آثارا بظهره ، ثم يذهب الى الزباء مدعيا ان عمرا بن عدى احدث به ذلك . وبعد ان يجعلها تثق به تماما ، يتمكن من ادخال عمرو ورجاله فوق الجمال ، ويتيح له فرصة قتل الزباء ، لولا انها تسارع بتناول السم ليكون موتها بيدها لا بيد عمرو .

هذا هو الهيكل الاسطورى لهذه

القصة التي كانت شائعة فيما يبدو منذ وقت بعيد في العصر الجاهلي ، لاننا نجد اشارات كثيرة اليها عند بعض الشعراء الجاهليين كالمتلمس وعدي بن زيد والمخبل السعدي وابي خراش الهذلي ومتمم بن نويرة . وربما يتعدى ذكر هذه القصة الاشارات كما في قصيدة عَديّ ابن زيد التي ذكرها الطبري ويروي فيها عدي القصة باكملها ، واول هذه القصيدة :

ابدَلت المنازل ام عَفينا
تقادمَ عهدُها ام قد بَلينا

ولعل ذكر هذه الاشعار في خلال رواية القصة نوع من التاكيد بصدقها ، حرص عليه واضعوها ليدخلوا في روع القارىء والسامع قديما انها حقيقة واقعة . فهذه الاشعار اذن ينبغي ان تكون موضع شك كبير .

بقصة الزباء بضعة وعشرة من الامثال

ويتردد في خلال هذه القصة الواحدة عدد من الأمثال ينسب الى ابطالها ، جذَيمة ، وقصير ، والزباء ، وعمرو بن عدي ، وقد بلغ هذا العدد في رواية المفضَّل الضبِّي ثلاثة عشر مثلا . وفي رواية الطبري سبعة عشر ، وفي رواية المَيداني ثمانية عشر .

وواضح ان تفصيلات هذه القصة قد وضعت بعناية لتفسير هذه الأمثال التي يبدو بعضها غامضا اشد الغموض ، لولا مكانه في القصة .

« شب عمرو عن الطوق »

فاذا سمعنا «شب عمرو عن الطوق» مثلا لم ندر حقيقة ما يعنيه ، ولكن تفصيلات القصة تذكر ان عمرا ابن اخت جذيمة جعلوا له وهو طفل حليا من فضة وطوقا ، فكان اول عربي ألبس طوقا فيما يقول الرواة .

« بيدي لا بيدك يا عمرو »

والمثل الآخر «بيدى لا بيدك يا عمرو» يفهم على حقيقته في موضعه من تلك الاسطورة حين وقف عمرو بن عدي وبيده السيف في انتظار خروج الزباء من النفق السري ، فلما ادركت انها مقتولة لا محالة سارعت الى ما تخفيه من سُم تستعين به على انهاء حياتها قائلة هذا المثل .

بقة تركت الراى

ومثل ثالث في هذه الاسطورة ايضا وهو (بقة تركت الراى) يتعذر فهمه الا حينما نعلم أن قائله هو قصير بن سعد ، وان بقة كانت من المدن التي تقع في مملكة جذَيمة ، وانه كان مقيما بها حين نصحه قصير بالا يذهب الى الزباء .

الزباء ، عربية هي ؟

اما الحقائق التاريخية في اسطورة الزباء فهي مختلطة لا يمكن الوثوق باى منها ، فالمؤرخون لهم آراء كثيرة في اصل الزباء ونسبها واسرتها ، فمنهم من ذهب الى انها مصرية ، ومنهم من ذهب الى انها من العماليق ، ولكن الذى عليه اكثرهم انها عربية الاصل . اما اسمها فيقول الاستاذ جواد علي ان الكتابات التدمرية لم تشأ الاعلان عن اسم ملكة تدمر ، بل ذكرتها باسم بت زباي اى بنت زباي وهو اسم والد الملكة، فحذفت كلمة بت التي هي بنت في العربية ، وقلب الحرف الأخير وهو الياء في كلمة

زباي وصير همزة فأصبح الاسم زباء ، وهكذا عرفت ملكة تدمر باسم الزباء .

قصة النعمان

اما قصة النعمان بن امرىء القيس اللخمي ، وهو من ملوك الحيرة حيث ولدت امثال كثيرة ركبت عليها قصص واساطير ، فقصته قائمة على مثل واحد هو « جزاءَ سِنِمّار » تشرحه وتكشف غامضه .

وتقول القصة ان النعمان ابتنى قصرا اسماه الخورنق ، وكان الذى اشرف على بنائه رجل من ابناء الروم اسمه سنمار ، فلما اتمه اراد ان يباهي بفنه واحكام صنعته ، فقال للنعمان : انى اعرف موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله ، فقال له النعمان : ايعرفها احدٌ غيرك ؟ فقال : لا ، فقال : لا جَرَم ، لأدعنها وما يعرفها احد . ثم امر به فرُمي من اعلى القصر فدُقت عنقه . ومن هنا ضرب به المثل : جزاء سنمار .

اسطورة الحية والفاس

واما اسطورة الحية والفاس فقد روى المفضل الضبي انهم زعموا ان اخوين كانا فيما مضى فى ابل لهما ، فاجدبت بلادهما ، وكان قريبا منهما واد فيه حية قد حمته من كل احد ، فقال احدهما للآخر : يا فلان ، لو انى اتيت هذا الوادى المكلىء فرعيت ابلى واصلحتها، فقال له اخوه : انى اخاف عليك الحية ، الا ترى ان احدا لم يهبط ذلك الوادى الا اهلكته . قال : فوالله لأهبطن . فهبط ذلك الوادى فرعى ابله به زمانا ، ثم ان الحية لدغته فقتلته . فقال اخوه: ما فى الحياة بعد اخي خير ، ولأطلبن الحية فاقتلها ، او لاتبعَنّ اخى . فهبط ذلك الوادى ، فطلب الحية ليقتلها ، فقالت له الحية : السْت ترى انى قتلت اخاك ، فهل لك فى الصلح ، فأدعك بهذا الوادى ، فتكون به ، واعطيك ما بقيت دينارا فى كل يوم . قال : افاعلة انت ؟ قالت : نعم . قال : فانى افعل . فحلف لها واعطاها المواثيق لا يضيرها ،وجعلت تعطيه كل يوم دينارا ، فكثر ماله وكثرت ابله حتى كان من احسن الناس حالا . ثم انه ذكر اخاه فقال : كيف ينفعنى العيش وانا انظر الى قاتل اخي فلان . فعمد الى فاس فأحدّها ، ثم قعد لها ، فمرّت به ، فتبعها ، فضربها فاخطأها ودخلت الجحر ، ووقع الفاس بالجبل فوق جحرها فأثر فيه ، فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار الذي كانت تعطيه ، فلما راى ذلك وتخوف شرها ندم ، فقال لها : هل لك فى ان نتواثق ونعود الى ما كنا عليه ، فقالت : كيف اعاودك وهذا اثر فاسك ، وانت فاجر لا تبالي العهد ، فكان حديث الحية والفاس مثلا مشهورا من امثال العرب .

ويرى الدكتور عبد المجيد عابدين ان هذا المثل ليس عربيا اصلا وان ظهرت على هيئته مسحة شعبية او بدوية ، ولعل فى هذا الراى نصيبا كبيرا من الصحة ، ولكن الثقافات القديمة وخاصة الشرقية منها ، كانت تختلط وتتمازج بحيث لا يمكن الفصل بينها بصورة قاطعة .

ولقمان نسب اليه كثير من الأمثال والأساطير

واما عن لقمان فهو من اشهر حكماء العرب، ولعله اكثرهم شهرة لما عرف من اخباره واصالته فى البيان والحلم والحكمة، وتنسب له امثال كثيرة نسجت حولها الاقاصيص والأساطير حتى بدا

هو نفسه أسطورة يختلف حولها الرواة والمؤرخون ، ويفترقون فى كل ما يتعلق به ، حتى فى صورته الجسمية ، فبعضهم يقول انه كان عملاقا كبير الراس قويا قوة خارقة حتى ليضرب به المثل فيقولون : « اشدُّ من لقمان » ، وانه عاش عمر سبعة نسور ، وان كل نسر منها عاش ثمانين سنة ، اى انه عاش خمسمائة وستين سنة . وفى بعض الروايات تصل سنة الى اكثر من ثلاثة آلاف عام . وكان لُبَد آخر هذه النسور ، وبه ضرب المثل فى طول العمر فقالوا : « أخنى الأبدُ على لُبَد » . ونسبوا للقمان حدة البصر حتى انه لما كبر وضعف بصره كان يميز بين الذكر والانثى من ولد الذرّ ، ويبصر اثر الذرة السوداء على الصَّفا فى الليلة المظلمة ! ثم هو أكول نهِمٌ وكأنه ليس من البشر ، وهم بهذا يفسرون المثل : « تجشَّأ لقمان من غير شبع » ، وهو يضرب ، كما يقول الميدانىُّ ، لمن يدَّعى ما ليس يملك . وزعموا أن لقمان هذا كان يتغذَّى بجزُور ويتعشَّى بآخر . وواضح مما تقدم ان هيكل الأسطورة وتفصيلاتها انما وُضعت ، شأنها فى ذلك شأن بقية الأساطير التى مرت بنا ، لتوضيح الأمثال وشرحها .

اما حقيقة لقمان التاريخية فالأمر مختلط فيها أشد الاختلاط ، والذى عليه اقدم المؤرخين انه لقمان بن عاد ، وهي القبيلة اليمنية التى كانت تسكن الاحقاف . وقد وجد المحققون فى بعض الأمثال المنسوبة الى لقمان بعض الآثار اللغوية التى تؤيد مصدرها العربى الجنوبى ، فمن أمثاله : « اترك الشر كما يتركك » . ويقول ابو هلال العسكرى ان « كما » لغة فى « كيما » . ومما لا شك فيه ان لقمان هذا غير لقمان الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم ، وقد اهتدى الى هذه التفرقة معظم الباحثين المحدَثين ، فلا عبرة اذن بالخلط الذى وقع فيه بعض كتابنا الأقدمين ، وهم فى ذلك معذورون ففى لقمان تكثر الأقوال والمزاعم ، وفى أسطورته تتعدد الأمثال . ومنها قسم كبير يتصل بموقفه من المراة ، وباحداث معينة وقعت له مع نسائه ونساء غيره ، ولكن هكذا شأن الأساطير ، انها تخلط بين الحقيقة والخيال ، ولا بأس بهذا ما دامت تكشف لنا عن معادن الحكمة فى الأمثال ، وتفسر لنا ما يغيب عنا فهمه ، وما يعتبر فى ادراكنا لغزا من الالغاز ، حتى تأتي الأسطورة بتفصيلاتها فتضع بين ايدينا مفاتيح الافهام ، وتثير فى نفوسنا ــ فى الوقت ذاته ــ رَوْعة الخيال وسحر الغموض وجمال الأسرار التى كانت تكمُنُ فى ضمير ما سلف من الأزمان . ■■

محمد مصطفى هدارة

الغِنَى يغيِّر الحال

قال أبو القاسم الصاحب بن عباد :

اذا رأيت امرأ فى حال عُسرته
مصافيا لك ما فى وده خَلَلُ
فلا تَمَنَّ له أن يستفيد غنى
فانه بانتقال الحال ينتقل



مرآة الرأى العربى



لماذا يتجاهل ديجول الأمم المتحدة ؟

من جريدة « الاهرام » ــ القاهرة :

● الرئيس الفرنسي شارل ديجول لا يكتفي بالتعالي على الولايات المتحدة الامريكية ، وعلى الحكومة البريطانية ، ولا يكتفي بوضع الخطة تلو الخطة لفرض زعامته على أوربا الغربية .

بل يتعالى كذلك على الأمم المتحدة فقد وصفهافى احدى الخطب التى القاها أخيرا بقوله : .. « تلك الهيئة التى تسمى الأمم المتحدة » .

وقال فى خطاب آخر : « ستسير فرنسا فى طريق مستقل عن الأمم المتحدة ، وحلف الأطلنطى او حتى عن أوربا الموحدة ، اذا اقتضت مصالحهاالخاصة ذلك » .

ولهذا الموقف الذى يصر ديجول على اتخاذهمن الأمم المتحدة عدة أسباب لعل اهمها انه عاجز عن ان يقف من الولايات المتحدة موقف الند للند فى مجلس الأمن والجمعية العامة ، وعاجز عن منافسة الاتحاد السوفييتى ، بل عاجز عن تكشير أنيابه للدول الافريقية والآسيوية التى أصبحت قوة ضخمة .

وترجع ثورة ديجول على الولايات المتحــدةبالذات الى خمسة أعوام مضت . ففى شــهر سبتمبر من عام ١٩٥٨ أرسل الى كل من واشنطن ولندن مذكرة يطالب فيها بأن تعد فرنسا دولــة كبرى فى دوائر حلفاء الغرب ، وأن تعتبر عضوا فى «النادى الذرى» اى ان تكون على قدم المساواة مع الولايات المتحدةوبريطانيافى مضمار الانتاج النووى. بيد أن الولايات المتحدة رفضت ذلك الطلب .

اما غضب ديجول على الاتحاد الســوفييتى فمرده الى ان موسكو قبلت التفاوض مع واشنطن ولندن لتحريم التجارب الذرية جزئيا ، دون أن تفكر فى اشراك فرنسا فى المفاوضات . ولهذا رفض ديجول توقيع الميثاق الذى ابرم فى موسكو يوم ٥ اغسطس الماضى .

ان ديجول الذى عرف بالتشامخ والكبرياء لا يستطيع ان « يهضم » هذا كله ، ولا يستطيع أن يتصور كيف لا تعتبر فرنسا دولة كبرى يجب أن يكون لها صوت مسموع فى الأمم المتحدة ، ولهذا يصب غضبه على الهيئة الدولية ، ويتجاهلها ، ويعلن استقلاله عنها ما دامت لا ترعى مصــالح فرنسا الخاصة .

مصلحة المانيا

من جريدة « فلسطين » :

● ان مصلحة المانيا التي وضعها ايرهارد فوق اى مصلحة اخرى ، تؤكد حقيقة كنا دائما نحاول ابرازها ، هي : أن صداقات اديناور الشخصية مع عدد من الصهاينة ، وخاصة ناحوم غولدمان ، وشعوره بأن اليهود ساعدوا فى انقاذه ــ كما قال هو غير مرة ــ كانت هى التى تحدد مواقفه ، وتدفعه الى

يلزمنا تعمق

من جريدة « البلاد » جدة :

● حياتنا الاجتماعية مليئة بالمفارقات دائماوابدا . اذا نظرت الى كيفيتها وجدتها فى صراع لا يقر الهدنة ولا يقبلها ، ولعل ذلك فى كل مجتمع من مجتمعات الناس .. الا ان ارتفاع الصوت وانخفاضه هنا يعقد مشكلاتنا بشكل مخيف جدا .

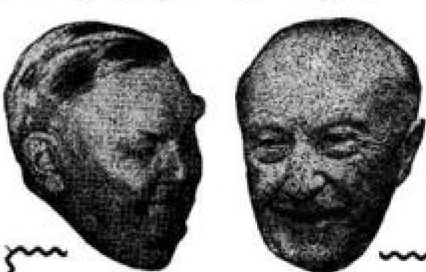
نحن دائما فى حالتى صراخ .. وهمس ، وفى مثل هاتين الحالتين ، لا يمكن لأى مجتمع أن يتفوق على مشكلاته ، فكيف اذن يتسنى له حلها ؟ الحقيقة التى لا تعرف الشك هو أننا نحن هنا فى بلادنا لم نحاول أن نتغلب على مشكلاتنا ولم نحاول أن نتعمق فى أحداثنا اليومية التى نطلق عليها : « مشكلات » .

لقد قلت أكثر من مرة ان على مفكرينا مسئولية بلورة افكار الأمة بما يتلاءم مع تقاليدنا السليمة وعاداتنا الحقة ، ولن يحقق مفكرونا هذه الرسالة النبيلة الا بنزولهم من الصوامع الى حيث الواقع الذى تعيشه امتهم فقلما ترتفع الأمة الى مستوى مفكريها .. وهناك مسئولية اخرى قد تكون أكثر ضخامة واشد جسامة من الأولى على مفكرينا ، الا وهى وضع حلول مناسبة للمشكلات الكثيرة التى نتخبط فى مهاويها .. ولا اظن تسميـــة المشكلات وتعدادها يخفيان على من نطلق عليهم « مفكرين » . فهل يشترك رجالنا ونساؤنا من ذوى وذوات الرأى السليم والتفكير البناء النير المصيب والمخيلة الخلاقة فى ايجاد درب ننفذ منه بامانينا ورغباتنا الى حيث الواقع الملموس ؟ ربما ..

مشكلة الانسان العربي المعاصر

عن مجلة « الوعي » ـ الدار البيضاء

● اذا كان القرنان الثانى والثالث عشر يمتازان بكونهما يلعبان دورا رئيسيا فى دراما الانسان الغربى من أجل الخلاص ، كما قال جون هرمان راندال ، فيمكننا ان نقـــول واثقين بأن الانسان العربى المعاصر يــؤدى أعنف أدواره ، واشقهـــا ، فى دراما « الفكاك » والانعتاق .. ان وقوف الانسان العربى كمتفرج طيلة أجيال ، ثم دوره كانسان مســلوب الارادة طيلـة أجيال أخرى ، جعـل انساننا العربى يقف مثقل الظهر بميراث من الظلم والتاخر حتى الخجل ، وعليه أن يعمل الكثير من أجل الخلاص ، عليه أن يصارع فى عدة واجهات فى آن واحد ، وأن يقوم بعدة عمليات : عملية بناء ذاته من جديد ، وعميلة « غسل » افكار شبابه من الضياع الوهمي الذى هو نفس « ضياع » الاجيال السابقة فى خضـــم قصص البطولات الخيالية . فليس المهم أن نعرف فقط خطر الغزو الاجنبى ، وليس المهم كذلك ان نعرف باننا فى حاجة الى بناء ذاتنا من جديد ، كما انه ليس من المهم ايضا أن نستشعر فى انفسنا الضياع ، ولكن الاهم من كل ذلك هو ان نقدر قوة الخصم المواجه لنا ونستعد له ، وأن نعمل بجد على انتشال انفسنا من الضياع .



خدمة اسرائيل لا المانيا ، فى اجراءاته .

اما الآن ، وايرهارد نظيف من مثل هذه الصداقات ، ونفســه مرتاحة من تأثير (الانقاذ) اليهودى ، فقد عادت مصلحة المانيا هى التى تقرر المواقف والاجراءات .

وهذا وحده هو الذى نطلبه من المانيا ، لانها فى هذه الحالة تعرف أن مصلحتها تقف جنبا الى جنب مع المصلحة العربية ، لا مع مصلحة اسرائيل .

بُشْكين

شاعر الروس العظيم وشاعر من أكبر شعراء الدنيا

- كانَ روسيًّا ولكن كان جَدُّهُ لِأُمِّهِ حَبَشِيًّا
- اشتراه سفير الروس من سوق الرقيق صبيًّا، وَأَهداهُ لِلقَيْصَر

هو لِلرُّوس كَشِكسبير للإنجليز . .

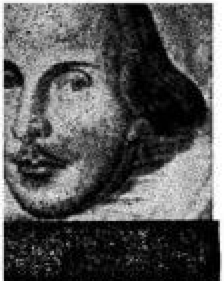
بقلم : علي أدهم

■ اسكندر بشكين Pushkin هو اعظم الشعراء الروسيين غير مدافع ، وهو شاعر روسيا القومي المعبر عن عواطفها وخوالجها وسماتها النفسية ، ولون مزاجها وتطلعاتها الروحية .

ومكانته فى الأدب الروسي مكانة شكسبير فى الأدب البريطاني ، وجيتي Goethe فى الأدب الالماني ، ودانتي Dante فى الأدب الايطالى .

وقد يكون مستواه فى الأدب العالمي دون مستوى هؤلاء الثلاثة ، ولكن المرجح انه أقرب الى نفوس الروسيين من جيتي الى نفوس الألمان ، واحب اليهم وأعز عليهم من شكسبير فى نفوس البريطانيين ودانتي فى نفوس الايطاليين .

وهو فى الوقت نفسه أشد الشعراء الروسيين استعصاء على الترجمة واقلهم قابلية لها ، وليس ذلك لصعوبة اسلوبه، ووعورة مصطلحاته وخفاء معانيه ، وانما سبب ذلك بلوغ أسلوبه فى اللغة الروسية حد الكمال وغاية الاتقان ، مما يجعل المتصدى لترجمته الى اية لغة أخرى مقصرا فى أدائه مهما أوتى من القدرة والتمكن .









وجوته للألمان .. ودانتى للطليان

بشكين هضم الآداب الاوروبية ، وصنع منها أدبا روسيا واحدا

وبشكين مثل سائر الشعراء العظام الصادقى العبقرية لا يمتاز بما يصح ان نسميه بالاكتفاء الذاتى فى الانتاج الأدبى، فقد اطلع على الأدب الفرنسى وتزود منه وعرف الأدب الانجليزى معرفة جيدة ، والأدب الايطالى والأدب الالمانى ، وأفاد من اطلاعه على الأدب الاوروبى بوجه عام وظل مثابرا على هذا الاطلاع حتى أيامه الأخيرة ، ولكنه ظل مع ذلك روسيا خالصا فى صميمه، وقد استطاع ان يطبع هذه المؤثرات جميعها بالطابع الروسى ، وينفض عليها صبغته الشخصية ، اى ان يهضمها جميعها ويحولها الى اجزاء من كيانه ، ويمزجها بطبيعته ويجعلها جزءا من تقاليد الأدب الروسى .

أعلام سبقوه ، مهدوا له الطريق

ولم يكن مجىء بشكين كذلك فلتة من الفلتات او نتيجة ليس لها مقدمات، فقد تقدمه رجال أعلام مهدوا له السبيل وازالوا من طريقه بعض العقبات. ومجىء العبقريين الأفذاذ يسبقه فى العادة ارهاصات وطوالع تدل على تهيؤ الجو لقبول رسالتهم، وتلقى وحيهم ، وبشكين هو رائد الأدب الروسى الحديث ولكنه مع ذلك ثمرة عصره ، وقد جاء محمولا على تيار النهضة التى بدأها المصلح الكبير والعاهل الخطير بطرس الأكبر .

ويمتـــاز شـعر بشـكين بالبساطة المعجزة ، والاحكام غير المتكلف . ومـع شدة عنايته بتثقيف شعره وتجويد أدبه فقد كان يبدو لقرائه كأنه جاء عفوا بغير تعب ولا استكراه ، وكان بشـكين نفسـه رجلا مشبوب الحماسة قوى العاطفـة كريم النفس ، وكانت اشعاره المحكمـة السبك الجيدة الرصف تنـم على ما وراءها من عاطفة متأججة وحوافز قوية .

بشكين ، وجده الحبشى

ولد بشكين فى ٢٦ مايو سنة ١٧٩٩ بمدينـة موسكو من أسرة نبيلة قديمة ، ولكنها لم تكن فى وقت ميلاده واسعة الثراء .

وكانت والدته حفيدة هانيبال ، وهو أحـد ابناء الأمراء الأحباش .

كان القرصان فى أواخر القرن التاسع عشر قد هاجموا شواطىء الحبشة واسروا جماعة من الاطفال من بينهم طفل فى الثامنة من عمره ، وأبحروا بهم الى الأستانة ، وهناك عرضوهم للبيع فى سـوق الرقيق .

وكان هذا الغلام الحبشى من نصيب سـفير روسيا فى الأستانة . وقد رأى هذا السفير أن يقدم هذا الغلام الحبشى هدية للقيصر بطـرس الاكبر ، وقد أعجب به القيصر ومنحه ظـل رعايته وأسماه ابراهيم هانيبال ، واشرف بنفسه على تعليمه وتنشئته .

وقد وصف بشكين نفسه فى قصته المشهورة التى لم يتم فصولها ـ قصة «الزنجى بطرس الاكبر» ـ كيف تولى بطرس الاكبر بنفسه زواج هانيبال من سليلة احدى الأسرات الروسية العريقة ، وقبول الأسرة هذا الزواج وهى مُرغَمة مُرضاة للقيصر واستجابة لأمره .

وواضح من ذلك أن الدم الافريقى الحار كان يجرى بحكم الوراثة فى عروق هذا الشاعر الكبير . وقد اتخذ بعض العلماء من ذلك دليلا من أدلة نقض نظرية التفوق الجنسى التى كان يتشدق بها فريق من علماء الأجناس والسلالات ، والمتأمل فى صورة بشكين يتلمح أنه كان أجعد الشعر غليظ الشفتين بارز الصدغين فوراثته الافريقية ظاهرة فى معارف وجهه كما هى ظاهرة فى أخلاقه وسماته النفسية وآثاره الأدبية .

كتب قرأها

ولم تظهر بوادر سرعة نضجه الفكرى الا حينما بلغ التاسعة من عمره . فقد استولى عليه حينذاك نهم شديد فى القراءة والاطلاع ، فقـرأ كتاب بلوطارخس عن أعيان الرومان واليونان ، والالياذة والأوذيسة ، والكتب الفرنسية التى وجدها فى مكتبة والده ، وقد وهب ذاكرة قوية واعية .

التحاقه بمعهد أنشأه القيصر

ومن المراحل الحاسمة فى حياته التحاقه فى سنة ١٨١٢ بمعهد « تسارسكويه سيلو » الذى انشاه القيصر الاسكندر الاول فى سنة ١٨١١ لتخريج الشبان الممتازين من ابناء الأسر الروسية القديمة ليعهد اليهم بعد ذلك فى تولى المناصـب الكبرى فى الحكومة القيصرية ، وكانت مدة الدراسة فى هذا المعهد ست سنوات يستكمل فيها الطالب اعداده ويستوفى ثقافته ، وكان هذا المعهد على مسيرة عشرة أميال من بطرسبرج .

بشكين جاءته الشهرة مبكرة

وقد ظل بشكين فى أثناء دراسته مثابرا على الاطلاع ، وكان فولتير هو الشاعر الحبيب الى نفسه فى تلك الفترة ، وبدأ يقرض الشعر ، وكانت أولى محاولاته الشعرية باللغة الفرنسية ثم باللغة الروسية بعد ذلك . وقد احتـذى نماذج الشعراء الفرنسيين ، كما ترسم خطوات معاصريه من الشعراء الروسيين أمثال زوكوفسكى، وكارمزين ، وغيرهما من أدباء العصر البارزين . وسرعان ما ظهر تفوقه فى النظم وامتياز أسلوبه حتى اجتذب التفات مشاهير شعراء عصره وأثار حماستهم فأبدوا اعجابهم به وتقديرهم له ، فكان الشاعر زوكوفسكى الذى يكبره فى السن ، والذى سبقه الى الشهرة يزوره فى معهده ويقرأ عليـه أشعاره . وواضح من ذلك أن الشهرة جـاءته مبكرة ودون أن يبذل فى سبيلها جهدا كبيرا .

مشاركته حياة المجتمع الصاخب فى بطرسبرج

وكان سلوكه الشخصى وهو فى هذا المعهد مثـل سلوك زملائه من ناشئة فتيان الأسر الارستقراطية، وهو التخلى عن قيود الآداب، والانطلاق بغير عنان

فى طلب المتعة والانغماس فى شتى ضروب اللهو وألوان القصف .

وكان الطلبة من خريجي هذا المعهد يلحقون بوظائف فى الحكومة . فلما تخرج بشكين الحق باحدى هذه الوظائف فى وزارة الخارجية ،واغتنم هذه الفرصة للمشاركة فى حياة المجتمع الراقى فى العاصمة ، بطرسبرج عند ذاك ، تلك الحياة الصاخبة المرحة المسرفة فى طلب المتعة والامعان فى اللهو ، فكانت له مغامرات غرامية لا تعد . وأقبل على الشراب ولعب القمار ، وكانت له فى المبارزة جولات كثيرات .

طليعة آثاره الأدبية

وبرغم انغماسه فى هذه الحياة العاتية اللاهية كان مع ذلك غير مقصرفى موالاة الاطلاع ،والاستزادة من المعرفة والعمل على انماء مواهبه ، وصقل ملكاته الفنية ، وتوسيع آفاقه الفكرية .

ونظم فى هذه الفترة قصيدته الضافية«رُسلان ولدميلا Rouslan And Ludmila » وهى طليعة آثاره الأدبية الكبيرة ، وهى قصة رومانسية عن مدينة كيف Kief القديمة جيدة النظم بارعة الفكاهة خلابة الأسلوب ، وقد تلقاها جمهور القراء بالحماسة والاعجاب . وبلغ من تقدير الشاعر زوكوفسكى لها أن كتب الى بشكين بعد اطلاعه عليها وعلى صورته المهداة الى بشكين « الى التلميذ المنتصر من الاستاذ المنهزم » .

على أن بعض النقاد المتشددين قد وجهوا اللوم الى الشاعر لأنه تناول فى منظومته الأساطير الشعبية الروسية غير الجديرة بشاعريته . وتأثر بشكين بالأدب الفرنسى ظاهر فى هذه القصيدة ، ومهما يكن من الأمر فان اشتغال بشكين بنظمها مع قصائد أخرى يدل على أنه فى تلك الفترة كان يشعل الشمعة من طرفيها فيجمع بين الجد واللهو.

يقول بقتل الطغاة ، فينفيه القيصر

وكان ضمن ما نظمه بشكين فى هذه الفترة قصيدة عن الحرية اشاد فيها بقتل الطغاة المستبدين، كما نظم بعض المقطعات المتضمنة هجاء اركشيف والسخرية به ، وهو أحد مستشارى القيصر المكروهين . وكان الرقيب بطبيعة الحال لا يسمح بنشر هذا النوع من الشعر ، ولكن جرت العادة فى ذلك العصر أن تنتقل النسخة الخطية لمثل هذا الشعر من يد الى يد.وتكاثرت الاشاعات حول اسم بشكين من جراء ذلك حتى بلغت مسامع القيصر فأمر بنفيه الى جنوب روسيا فى سنة ١٨٢٠ .

نفي بشكين ، أفاد بشكين

والواقع ان هذا النفى كان لبشكين نعمة فى طى نقمة فقد ازدهرت طبيعته الحارة فى مناظر بلاد القوقاز الرائعة وبين كروم شبه جزيرة القرم وما بها من أشجار السرو وأشجار الغار . وانتقل بعد ذلك الى كيشينيف Kishinev عاصمة بسرابيا Bessarabia التى انتزعت من الأتراك سنة ١٨١٢ ، وفى أثناء اقامته فى كيشنيف عُنى بمتابعة التيارات السياسية فى داخل روسيا واتصل ببعض جماعة الدِّيسِمْبَرِيِّين .

وكان أسلوب حياته فى هذه الفترة لا يختلف عن أسلوب حياته فى العاصمة ، فكان وقته مقسما بين الاطلاع وقرض الشعر وبين الميسر والمغامرات الغرامية والاشتباك فى المبارزات .

نقله من كيشينيف الى أودسا ووقوعه فى حب امرأة الحاكم

ونقل من كيشنيف الى أودسا ، وكان رئيسه بها حاكم مقاطعة بسرابيا الكونت فورنتسوف ، وكان رجلا شديد الكبرياء كثير الاعتداد بنفسه ، ويعامل من هم دونه فى ترفع وازدراء، ولم يستثن من هذه المعاملة الشاعر العبقرى الطموح المعتز بأدبه وحسبه ونسبه ، وساءت العلاقات بينهما. ومما زاد الخصومة بينهما اشتعالا ان صاحبنا الشاعر ، الذى كان فؤاده على الدوام رمية للغوانى الحسان ، وقع فى غرام زوجة الحاكم الحسناء ، ويروى انها كانت الانموذج الذى صاغ على مثال شخصية تاتيانا فى روايته الشعرية المشهورة « يوجين اونيجن » Eugene Onegin . وقد انتهت اقامته فى الجنوب بابعاده بموجب أمر قيصرى الى ضيعة والدته فى ميخايلوفسك .

قصائده وهو فى منفى فى جنوب روسيا وتأثره بالشاعر الانجليزى بيرون

وفى أثناء اقامته فى الجنوب نظم من قصائده

الطوال قصيدة أسير القوقاز ، وقصيدة نافورة باغشي سراي ، وقصيدة النور .

وكان متأثرا في هذا الدور من أدوار حياته الأدبية بشعر بيرون وشخصيته الثائرة المتمردة ، ولكنه مع ذلك لم يكن من هؤلاء الذين مضوا يقلدون بيرون تقليدا أعمى ، وغاية ما في الأمر أن بيرون كان من المؤثرات التي أثرت في أدبه دون أن تطغى على شخصيته ، وانما كانت وقودا لعبقريته الخلاقة . ولا نزاع في أن تصوير بيرون لشخصيته، الارستقراطي الثائر دون جوان، الذي وهب حياته في النهاية لتحرير اليونان من ربقة الحكم التركي، كانت تستهوي خيال الشاب الروسي الارستقراطي الراغب في الحرية لبلاده ولغيرها من بلاد العالم.

قصيدة « الثورة »

وتعد قصيدة « الثوّرة » من خير قصائده ، وقد شاهد الكثير من حياة هذه الطائفة في أثناء اقامته ببسرابيا ، وراقته كثرة تنقلاتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وبطل هذه القصة « اليسكو » رجل عرف الدنيا وخبرَ الناس وسئم الحضارة وتاق الى معاشرة الثوَر وانضم الى زمرتهم ، وأحب فتاة منهم ، ولكنها لم تبادله حبا بحب وملّته وخدعته ، وآثرت عليه فتى من فتيان قومها . وفي ذات ليلة لقيهما معا ، فلم يستطع كبح غضبه واطفاء نيران حقده فقتلهما معا . والعجيب أن القبيلة اكتفت بابعاده . وقال له والد الفتاة « اننا قوم مستوحشون وليست عندنا قوانين ، ولكننا لا نحب أن نعيش مع رجل استباح القتل. وانت لم تولد لمثل هذه الحياة الطليقة لانك لا تريد الحرية لنفسك ، ونحن قوم لسنا من الشر في شيء وان هان ، وقلوبنا منطوية على الرحمة ، وانت قاس غليظ القلب غير هياب ولا وجل ،ومن الخير ان ترحل عنا » .

افاد من مربيته العجوز بضيعة والدته

وفي أثناء اقامته في ضيعة والدته وجد في مربيته العجوز خير صديق ، وقد اعترف بانه مَدين لها بفرط حبه للاساطير الشعبية الروسية والقصص والحكايات الخيالية التي افاد منها بعد ذلك في بناء ما ألف من القصص والأساطير .

قصيدته التاريخية : بوريس جودينوف

وقد اعقب تأثره ببيرون اعجابه الشديد بشاعرية شكسبير الذي كشف له عن آفاق أكثر سعة وامتدادا، وقد ظهر تأثره به في قصيدته التاريخية « بوريس جودينوف » ، وموضوعها مستمد من كتاب كرامزين عن تاريخ روسيا . وهي تتناول حياة ديمتريوس المزيف الذي ادعى أنه ابن ايفان الرهيب القتيل . وهذه القصيدة التاريخية حافلة بالمواقف الدرامية والحوار الشائق ، وقد احب هذا المطالب بالعرش مارينا البولندية واحبته هي لأنها ظنّته ابنَ ملك متوّج . وفرطُ حبه لها جعله يمتنع عن خداعها فصارحها في أحد مواقف القصيدة بحقيقته ، فأجابته بانها ستقطع علاقتها به ما دام الأمر كذلك ، ولكنه في هذا الموقف يرتفع فوق العار والهزيمة ويرد عليها قائلا ، انني برغم كوني دَعيّا دجّالا قد وُلدت لاكون ملكا ، وانني أحد الملوك الذين صنعتهم الطبيعة ، واني أتحدّى قدرتك على انزالي من هذه المكانة ، وحدّثي الناسَ جميعهم بالسر الذي أفضيتُ به اليكِ فانك لن تجدي بينهم مصدّقا.

وينتصر عليها بهذه الصراحة .

وهذه القصيدة ، التاريخية الحافلة ، على النمط الشكسبيري،لا لأنها تحاول تقليد شكسبير وانما لأنها في بعض مواقفها ترتفع الى مستوى التخيل الصادق الذي ارتفع اليه شكسبير أكثر من أي شاعر آخر .

وتمتاز لغة بشكين في هذه القصيدة بالبساطة ومجافاة التكلف . ولم تطبع هذه القصيدة الا في سنة ١٨٣١ ، ولم تظفر حين ظهورها بتقدير النقاد شأن بعض الآثار الأدبية العظيمة التي لا تظهر للنقاد محاسنها من أول وهلة .

وفاة القيصر ، الاسكندر الأول

وفي أواخر شهر نوفمبر سنة ١٨٢٥ سمع بشكين نبأ وفاة القيصر الاسكندر الأول فجأة وهو في طريقه من شبه جزيرة القرم الى تاجنروج Taganrog على بحر ازوف ، وان أخاه قسطنطين قد اعتلى بعده عرش القياصرة . ولم يلبث قسطنطين أن تخلى عنه لأخيه نيقولا .

حياة الاسكندر الأول

ولقد كانت حياة القيصر الاسكندر ملأى بالغرائب والمتناقضات ، وقد بدا فى أوائل عهده نزاعا الى التقدم والمبادىء الحرة . وصادق نابليون ثم اختلف معه . وهاجم نابليون فى عهده روسيا وانتصر على الجيوش الروسية فى معركة بورودينو ، ودخل بعدها موسكو دخول المنتصر الظافر . وقد أثار ذلك شعور الروسيين القومى ، ووحد صفوفهم ، وجعلهم يقفون الى جانب القيصر على اختلاف مشاربهم وتباين نزعاتهم لرد عدوان المغير على بلادهم .

الجنود الروس يعودون من القارة الأوروبية بمعان للحرية والدستور

وقد اشتركت الجيوش الروسية فى القضاء على سيطرة نابليون فى القارة الاوروبية ، وعاد كثير من ضباط الجيش الروسى الى بلادهم بعد أن عاشوا فى الخارج ردحا من الزمن ، وحفلت نفوسهم بأفكار الغرب عن الحرية والدستور والحكم الملكي المقيد .

وتأثر القيصر الاسكندر بالسياسي الرجعي النمساوى مترنيخ ومال الى الرجعية بكليته ، وتنكر لمبادىء الحرية وخيب الآمال التى كانت معلقة عليه ومنوطة بحكمه .

ظهور جماعة الثوار ، الديسمبريين

وكان ذلك سببا لظهور الجماعة المعروفة بجماعة الديسمبريين ، وهم فريق من ضباط الجيش كانوا يطالبون بالدستور وتحرير المزارعين الارقاء. وقد اتصل بهم بشكين . ولكن بُعده عن العاصمة لم يمكنه من مشاركتهم مشاركة كاملة ، كما أنهم من ناحيتهم لم يُفضوا اليه بسر تآمرهم على احداث الانقلاب الذى كانوا يتطلعون اليه لانهم ادركوا انه ليس فيه طبيعة المتآمرين وليس له قدرة على طول الاحتفاظ بأسرار السياسة وتدبيراتها الخطية .

ولم يكد القيصر نيقولا يعتلى العرش حتى قام الديسمبريون فى اليوم الرابع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٨٢٥ بمحاولتهم لقلب نظام الحكم والمناداة بالحريات الدستورية ، وكان القيصر الجديد رجلا شديد الوطأة صلب الارادة فأمر باخماد الثورة فى مهدها ، ولم يتورع عن استعمال القسوة المتناهية ، وقدم المتآمرون للمحاكمة . وقد قضت بشنق خمسة من زعماء محاولة الانقلاب ، ونفى مائة وعشرين منهم الى سيبيريا. وظل القيصر نيقولا طوال حكمه يناهض الأفكار الحرة ويضطهد الاحرار وينكل بهم حتى عُدّ عهده من أقسى عصور الحكم فى روسيا وأشدها ظلاما .

عرف القيصر لبشكين اتصاله بالديسمبريين

وبرغم صلة بشكين ببعض الديسمبريين البارزين فان الحكومة القيصرية لم تجد دليلا على ادانته واشتراكه فى حركة محاولة الانقلاب ، واغتنم بشكين هذه الفرصة ليطلب العفو عنه واغتفار صلته بالديسمبريين .

ورأى القيصر نيقولا أن يغتفر للشاعر ذنبه ، ويعمل على تقريبه ، ويوليه رعايته ، فدعاه الى مقابلته وأحسن لقاءه .

القيصر يخدع بشكين ، فينخدع

وليست هناك معلومات دقيقة عما دار بين الشاعر والقيصر من الأحاديث ، وقد بدا القيصر الماكر الذى كان يحسن التمثيل لبشكين رجلا صريحا حسن النية ميالا الى الآراء التقدمية . ويروى انه ذكر لبشكين انه كان مضطرا الى التزام الشدة مع الديسمبريين توطيدا لعرشه ، ولكنه لا ينوى بحال من الأحوال الاستمرار فى متابعة هذه الخطة . وقال للشاعر انه سيعفيه من تعنت الرقباء على النشر ويجعل من نفسه رقيبا على آثاره الأدبية .

وخرج بوشكين من حضرته مزهوا بتقدير العاهل القدير للشعر والشعراء . وكان يعرض ما تجود به قريحته من الاشعار على الرقابة الملكية بدلا من عرضها على الرقيب العادى ، وكان الواسطة بينه وبين القيصر هو بنكندورف رئيس الشرطة السرية .

بشكين يتهم بالتنكر لمبادئه العليا

وقد كانت علاقة بشكين بالقيصر مدعاة لاتهامه

بالتنكر لمثله العليا ونزوعه الى الحرية ، ولكن الواقع ان بشكين لم يكن بطبيعته من المشتغلين بالسياسة ، وكان يريد أن تتاح له الفرصة لمباشرة جهوده الادبية في جو هادىء . وفضلا عن ذلك كان قد جال في خاطره انه يستطيع بقدرته الشعرية أن يحسن توجيه القيصر الى ناحية الخير والاصلاح والتقدم .

ولم يكن بشكين من طراز الخائنين المستذلين ، وقد اخذ يدرك ما احاطه به القيصر من قيود خفية ، وما وراء رعايته من انتقاص لحريته ، فطلب السماح له بالسفر الى القوقاز ، فلم يقبل طلبه ، وسأل القيصر الحصول على اجازة للذهاب الى خارج روسيا فلم يجب طلبه ، وكانت حجة القيصر في ذلك انه يُعنى بشانه وانه اعرف منه بالنافع له .

وفي ربيع سنة ١٨٢٩ احب فتاة عمرها سبع عشرة سنة وهي نتاليا جونشاروفا ، وطلب يدها، ورُفض طلبه ، فذهب يائسا الى القوقاز واشترك في حملة اخضاع بعض القبائل الجبلية الثائرة على حكومة القيصر ولما عاد من هذه الرحلة طلب اليه بيان الدوافع التى حدت به على السفر الى القوقاز دون الحصول على اذن من القيصر .

وفي ربيع سنة ١٨٣٠ عاد بشكين الى طلب يد الحسناء الفاتنة التى ملأ حبها نفسه ، واجيب طلبه في هذه المرة . ولما عرض اعتزامه الاقتران بها على القيصر وافق على ذلك ، وزوده بالنصائح والتحذيرات ، واصبحت علاقته بالقيصر بعد ذلك شديدة التعقيد ، ويقول بانكولافرن في كتابه « المدخل الى الرواية الروسية » ان هناك من الأسباب ما يدعو الى الاعتقاد بان القيصر كان مهتما بزوجة الشاعر اكثر من اهتمامه بالشاعر .

وقد إتم بشكين بعد زواجه روايته الشعرية « يوجين اونيجن » السابقة الذكر ، وهي تعد من أبدع الطرائف الادبية في الأدب الروسي ، وهي تصف المجتمع الروسي الذى عاصره بشكين وصفا صادقا واقعيا ، واونيجن بطل هذه الرواية يمثل شبان بطرسبرج في ذلك العهد ، وكان أبوه من كبار الموظفين ، وقد نشأ نشأة ارستقراطية وعرف آداب المجتمع وتمرس بمختلف الفنون الأوروبية ، واتقن الحديث باللغة الفرنسية ، وكان شديد العناية بملابسه ، ويستطيع الخوض في شتى الموضوعات ، ويتخير النكات البارعة ، ويضرب الأمثال المناسبة ، وقد جمع بين الاطلاع على أدب هوميروس وآراء آدم سميث في الاقتصاد. ويموت والده تاركا مجموعة من الديون ، ولكن أحد أعمامه يدعوه الى الريف وقد أشرف على الموت . وحينما يصل أونيجن الى الريف يكون عمه قد أسلم الروح ، ويجد نفسه وارثا لضيعة هذا العم ، ويستولى عليه الملل من حياة الريف الرتيبة ، ويتفق حينذاك عودة أحد جيرانه الشبان من المانيا وهو الشاب لنسكى ، وهو شاعر شديد التحمس لشيلر وغيره من الكتاب الالمانيين ، ودارس لفلسفة « كنت » ، ويقدم لنسكى أونيجن لأسرة « لارين » المجاورة لهما ، وهي أسرة مكونة من أرملة وبنتيها ، وكان لنسكى قد أحب الفتاة الكبيرة أُولجا ، وكانت فتاة مرحة تحب اللهو والصخب ، على خلاف أختها الصغرى تاتيانا الحالمة التى كانت لا تميل الى اللهو والمرح ، وتؤثر العزلة والانطواء على النفس ، ويجذب منظر أونيجن وأناقته قلب تاتيانا الخجول ويثير في نفسها عاطفة الحب ، ويجعلها تعتقد أنها قد وجدت فتى أحلامها ، ولا تلبث أن تكتب اليه رسالة تعترف فيها بحبها له وايثارها اياه ولكن أونيجن يصارحها في لهجة خالية من الحرارة بأنه قد خَبَرَ الحياة ولم يعد في حالة تسمح له بقبول حب خالص مثل حبها ، وانه غير جدير بهذه الهبة الكريمة ولا يملك أن يقدم لها مقابلا . وقد تلطف في ابلاغها ذلك حتى لا يجرح شعورها، ونصحها بأن تقمع مشاعرها وتقتصد مستقبلا في ابداء عواطفها ، حتى لا تقع في حبائل أحد المخادعين العابثين بقلوب العذارى. وقد تمالكت تاتيانا شعورها واحتملت الصدمة الاليمة وتماسكت وتجلدت . واتفق ان أقامت بعد ذلك السيدة لارين حفلة راقصة، وكان بين من دعتهم لحضورها لنسكى الذى صار خطيبا لأُلجا ، وصديقه أونيجن ، وقد حضر الحفل جماعة من عليه القوم وزهرات المجتمع ، وفي اثناء الحفل لمح أونيجن أولجا خطيبة صديقه فدعاها لمراقصته ، ورقص معها عدة رقصات متتالية ، ومن بينها رقصة نصف الليل التى كانت قد وعدت بها خطيبها . واثارت مراقصتها لهذا الشاب الوسيم المتأنق غيرة خطيبها لنسكى وأغضبته ، فلما انتهت

الرقصة لم يستطيع مغالبة غضبه ، واتهم صديقه بانه يحاول أن يسلبه حب خطيبته ، وحاول اونيجن عبثا أن يهدىء غضبه ، ويزيل حقده ، ولكنه ابى ان يستمع اليه او ان يقبل عذره ، وتحداه أن يبارزه فى اليوم التالى . والتقيا فى الصباح الباكر ، واسفرت المبارزة عن مصرع لنسكى . ولما تبين اونيجن ان صديقه قد قضى نحبه حزن على فقده ، وندم على سلوكه ، ووبخه ضميره ، ولم يستطع البقاء فى الضيعة لان صورة صديقه كانت ما تنفك تطارده . وغادر المقاطعة واخذ يتنقل فى مختلف الاقطار ، وهو يحاول أن ينسى همّه المقعد المقيم ويرفه عن خاطره المكتئب ، ولكنه لم يوفق فى ذلك ، وظلّ قلق النفس موجع القلب مهتاج الخاطر . وعاوده الحنين الى بلاده وزيارة مسرح مأساته ، فلما قدم العاصمة بطرسبرج أقبل عليه اصدقاؤه القدامى مرحبين مبتهجين بعودته ، والحوا عليه فى البقاء بينهم حينا من الزمن بعد غيابه الطويل . وتلقى دعوة الى حضور حفلة راقصة فى قصر أحد النبلاء ، وكان يدعى الأمير جزيمين ، واغراه أصدقاؤه بقبول الدعوة وكان قد أصبح زاهدا فى حضور امثال هذه الحفلات . فيلبى الدعوة ويذهب غير حافل، وفيما هو يطوف بغرف القصر قلقا حائرا لا تبرح ذاكرته المبارزة النكدة يلمح بين المدعوين سيدة حسناء باهرة الجمال ترتدى ثيابا فاخرة وتتزين بأنفس الجواهر وأغلى الحلى تتنقل بين صفوف المدعوين والمدعوات فى رشاقة مستحبة وجلال يجذب الانظار . ويدرك أونيجن أن هذه السيدة هى ربة الدار ، وعرف بعد أن تأمل فى وجهها قليلا انها صاحبته تاتيانا وجارته القديمة ، ولكنها لم تكن الفتاة الحالمة البريئة لقد استحالت سيدة مكتملة الانوثة ظاهرة القسامة يحبها زوجها الأمير حبا يقرب من العبادة برغم ما بينهما من تفاوت كبير فى السن ولا يألو وسعا فى سبيل اسعادها. وتثير رؤيتها فى نفس أونيجن ميولا هاجعة فيشعر بحب شديد لها ونزوع الى التقرب منها وبثها حبه وهيامه ، ويقبل عليه الأمير جزيمين ويقدمه الى زوجته الحسناء فى زهو واعتزاز . وتلقاه تاتيانا بشىء من الفتور ولا تخفى سابق معرفتها به ، ثم تبتعد عنه فى صحبة زوجها . ويتبين أونيجن أنه مفتون بهذه السيدة، ويأسى على الفرصة التى افلتت منه فى الماضى ، ويعجز عن محاولته كتمان حبه . ويعتزم أن يبوح لها بهواه مهما احتمل فى هذا السبيل ، ويترصدها فى ناحية خالية وينتهز فرصة اقترابها ويسرع اليها مبديا لها حبه واعجابه ويناشدها أن تبادله حبا بحب لترد عليه سعادته الضائعة وهدوء نفسه المفقود ، فتذكره فى مرارة بما سبق أن صدر منه ، فيجثو على ركبتيه ملتمسا الصفح عن ذنبه ، فتصارحه بأنها لاتزال محتفظة فى نفسها بحبها له ولكنها مع ذلك مصرة على الوفاء لزوجها المتفانى فى اسعادها وادخال السرور على قلبها . وتخشى انهيار مقاومتها فتبتعد منه مودعة ، ويملأ اليأس قلب أونيجن فيضع يده فى جيبه ويخرج مسدسا ويسدده الى راسه ويخر على الارض ميتا من فوره .

روايته « ابنة القائد »

ويطرق بشكين ميدان البحث التاريخى ويعنى بتاريخ الثائر بوجاتشيف ، الذى تزعم ثورة الفلاحين فى عهد الملكة كاترين الثانية ويزور المناطق التى حدثت فيها الثورة مثل مدينة أورنبرج ومدينة فازان . وقابل بعض الأحياء المتقدمين فى السن الذين عاصروا هذه الحركة الثورية . وقد كان بوجاتشيف ادعى انه بطرس الثالث زوج الملكة كاترين الثانية المختفى .

وقد وصف بشكين أحداث هذه الثورة فى روايته « ابنة القائد » وقد جرى فيها على طريقة السير والتر سكوت Scott فى رواياته التاريخية وكتب قصصا اخرى مثل قصته بيروفسكى وملكة البستونى والليالى المصرية والعاصفة الثلجية وغير ذلك من القصص والاقصوصات التى تمتاز جميعها باحكام السبك وبراعة التصوير .

مؤامرة لتلويث سمعة بشكين

وبينما كان الشاعر العظيم مثابرا على انتاجه وماضيا فى سبيل اثراء الأدب الروسى بذخائر عبقريته وطرائف فنه تلقى رسالة بالبريد نصها : « عقد كبار قواد فرقة « حَمَلة القرون » وفرسانها اجتماعا راسه رئيس الفرقة نارشكين ووافقوا بالاجماع على اختيار اسكندر بشكين

مساعدا لرئيس فرقة حملة القرون ومؤرخا للفرقة ـ سكرتير الفرقة الدائم س.ت.ج. بورسن » .

وكانت الاشارة المقصودة بهذه الأهجية واضحة. فديمتري نارشكين الذى ذكر اسمه بوصفه رئيسا للفرقة كان يشغل أحد المناصب الكبيرة فى بلاط القيصر اسكندر الأول لانه كان زوج محظية القيصر ، والكونت بورسن كان كذلك من النبلاء الذين ساعدهم على التقدم ونيل المكانة السامية براعة زوجته المحبوبة فى اكتساب العطف السامى واستمالة القلوب فى تبصر وحسن تقدير . وكانت السيدة نتالى زوجة بشكين تنافس هاتين المرأتين فى الجمال والاخذ بمجامع القلوب ، وكذلك فى الضعف البشرى حسب أقوال بعض الناس ، وراجت اشاعات مضمونها أنها اشعلت نيران الحب فى قلب القيصر نيقولا الأول ، وكان من المنتظر اذن أن يرشح زوجها للترقية فى فرقة حملة القرون .

ولم يكن هناك دليل قاطع على أن السيدة نتالى لم تكن وفية لزوجها ، وربما كان بشكين على حق فى محاولته الدفاع عن سمعتها ، ولكن الشيء المؤكد هو أنها وشقيقتها صادفتا فى أثناء خريف سنة ١٨٣٦ شابا فرنسيا جميل الصورة اسمه جورج دانتيز ، واظهرتا ميلا خاصا اليه ، وكان البارون هيكرن السفير الهولندى قد أعجب بهذا الشاب وتبناه واضاف اسمه الى اسم الشاب فصار اسمه دانتيز هيكرن .

وحينما تلقى الشاعر بشكين قرار ضمه الى فرقة « حملة القرون » عرف أن وراء هذه الحملة لتلويث سمعته والنيل من شرفه البارون هيكرن ، وكان يعلم أن زوجته عرضت سمعتها للقيل والقال بصداقتها البريئة لدانتيز ، ووجد أن ذلك كله ينطوى على مؤامرة مدبرة من الاب والابن المتبنى لهدم مكانته والولوغ فى عرضه وجعله أضحوكة بين الناس ، ولم يجد بشكين ازاء ذلك بدا من من دعوة الشاب دانتيز الى المبارزة .

وبدأت محاولات غير مجدية للتوفيق بين الخصمين ولكنها لم توفق ، وتمت المبارزة فى فبراير سنة ١٨٣٧ ، واصيب فيها الشاعر بجرح مميت ، وطلب القيصر من الحكومة الهولندية استدعاء وزيرها ورفض مقابلته قبل رحيله .

وبرغم التحريات الدقيقة وقفت المسألة عند هذا الحد وذلك بالرغم من أن كل انسان كان يعلم أن الاهجية التى أثارت الشاعر قد صدرت عن جماعة البارون هيكرن ، ولكن اسم مؤلفها الحقيقى ظل مجهولا . وكان الاشتباه فى اسم مؤلفها موزعا بين امير من النكرات اسمه جاجارين والأمير بطرس دلجوريكوف .

وفتر الاهتمام بتحرى الحقيقة فى أمر تأليف الأهجية ، وبعد مرور خمس وعشرين سنة على الحادثة كتب مؤلف رسالة عنوانها « أيام بشكين الاخيرة » ذكر فيها أن دلجوريكوف هو مؤلف الاهجية ، وكان دلجوريكوف حينذاك فى لندن فكتب ردا شديد اللهجة ينكر فيه انكارا حاسما كتابة الاهجية .

وفتر اهتمام الباحثين بهذا الموضوع مرة أخرى لعدم وجود الدليل الكافى .

وظلت المسألة مطوية حتى سنة ١٩٢٧ ففى تلك السنة عرضت على أحد خبراء الخطوط فى ادارة البحوث الجنائية بلينينجراد (بطرسبرج سابقا) نسختان أصليتان من الأهجية التى مر عليها تسعون سنة ومعهما أمثلة من خط هيكرن وجاجارين ودلجوريكوف ، وقضى الخبير بأن الاهجية مكتوبة بخط دلجوريكوف برغم تكلفه اخفاء ذلك أثناء الكتابة .

وهكذا مات الشاعر العبقرى نتيجة مؤامرة من رجل مسن خليع

ونرى من ذلك أن مصرع شاعر روسيا العظيم وأحد شعراء العالم المعدودين كان نتيجة مؤامرة وضيعة دبرها رجل مسن خليع فاسد الأخلاق هو الوزير الهولندى البارون هيكرن واشترك فيها شاب مدلل مفتون خامل الذكر تافه القيمة وأمير وضيع النفس مطبوع على الكذب والوقيعة والدس .

وقد قضى الشاعر العظيم نحبه وهو لم يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره الخصب وحياته النافعة للأمة وللانسانية جميعا . ■■

على أدهم

«لو لم أكن الاسكندر لوددت أن أكون ديوجين»

■ كان مقدونيو الشمال ، فى نظر الاثيني المثقف ، جماعة من البرابرة ، اذ لم يظهر بينهم كتاب او فنانون او فلاسفة من ذوى المكانة الرفيعة ، الا انه خرج من مقدونيا قائد عسكرى كان من اكثر القادة العسكريين فى العالم نجاحا فى جميع العصور : ذلك هو الاسكندر الاكبر .

وكان يعاصر الاسكندر ، وان كان اكبر منه سنا ، الفيلسوف الساخر ديوجين المعروف بالكلبى ، اشهر الفلاسفة الساخرين . ولد ديوجين فى سينوب Sinop بآسيا الصغرى سنة ٤١٢ق.م وتوفى فى كورنث Corinth سنة ٣٢٣ق.م

ذهب ديوجين الى اثينا واصبح احد تلامذة انتستين Antisthenes الذى كان يعلم تلامذته بأن على الرجل العاقل الذى يسعى لان يكون سعيدا ، ان يحافظ على نفسه . وطريقة المحافظة على النفس هى ان يمقت الثروة والقوة ، والفنون ، والعلوم ، وجميع متع الحياة. وعملا بهذه النصيحة كان ديوجين كثيرا ما يكبح جماح شهيته بتناول اردا انواع الطعام . ولم يكن يعتبر طلب الصدقة حاطاً من كرامته . وكان يمشي اثناء النهار فى شوارع اثينا حافي القدمين لا يرتدى غير جلباب بسيط ، ويحمل بيده عصا ، وعلى ظهره مخلاة . ولم تكن حماقات الناس تفلت من سخريته ، فقد كان يلعن الرذيلة والفساد علنا ، وبطريقة تهكمية لاذعة .

وكان ديوجين يقضي الصيف فى كورنث ، والشتاء فى اثينا . وقد تمت المقابلة الشهيرة بينه وبين الاسكندر ،كما وصفها بلوتارخ ، والتي تبينها هذه اللوحة ، فى كورنث ، بينما كان ديوجين يجلس على قارعة الطريق يصطلي بحرارة الشمس .

لقد ذهل الاسكندر لقلة المبالاة وعدم الاكتراث اللذين اظهرهما ذلك المتسول الذى يرتدى الاسمال البالية ، فما كان منه الا ان وقف وخاطب ديوجين قائلا : « انا الاسكندر الاكبر » !

فرد عليه الفيلسوف : « وانا ديوجين الكلبي » !

فقال الاسكندر « اطلب ما تشاء » .

فكان جواب ديوجين : « انني لا اطلب شيئا سوى ان تذهب ، فانت تحجب الشمس عني » !

ففوجىء الاسكندر بهذا الجواب ، وقال قوله المشهور : « لو لم اكن الاسكندر ، لوددت ان اكون ديوجين » . ■■



اعرف وطنك أيها العربي

صُور

قام بهذا الاستطلاع **سليم بسيسو** وصوره **(أوسكار)**



لم يبق من صور التي جابت أساطيلها البحار والمحيطات سوى هذا الميناء الذي يؤوي قوارب الصيد .

المدينة التي خطت الصفحات الأولى من التاريخ القديم وسيطرت على تجارة العالم قبل ثلاثة آلاف من السنين

■ ان صور ، بالنسبة للقارىء العادي ، مجرد اسم لمدينة فى لبنان ، يقترن اسمها بصَيْدا ، كما لو كانا اسمين مترادفين أو اسمين لمدينة واحدة . وكثيرون يجهلون تحديد موقع هاتين المدينتين ، أيتهما فى الجنوب وايتهما الى الشمال .. تماما كما يختلط الامر بالنسبة لشقيقتين توأمين تصعب معرفة احداهما من الاخرى ..

صور كما تبدو من بعيد

خرجنا من صيدا .. متجهين صوب الجنوب مارين بقُرَى الغازية والزهراني ، وصرفند ، والخيزران ، والفاريه ، وابو الاسود ، والقاسمية . واخيرا بدت لنا مدينة صور ممتدة داخل البحر على شكل شبه جزيرة ، أو هى تماما كما وصفها ياقوت الحَمَوى « داخلة فى البحر مثل الكف على الساعد يحيط بها البحر من جميع جوانبها الا الرابع الذى منه شروع بابها . »

ها نحن الآن على أبواب صور .. المدينة التى احتلت فى التاريخ مركز الصدارة والتى شهدت من العز والسؤدد والرفاهية والثراء ما لم يتيسر الا لقلة من المدن فى العالم .. والتى لحق بها من الدمار والخراب على أيدى الغزاة الفاتحين المنتقمين ما يهون بجانبه ما لحق باية مدينة اخرى . ذلك انها كانت كالسد المنيع تتحطم عند اساسه موجات الفتوحات العارمة .. وشهوات الغزاة الفاتحين واطماعهم .

معنى كلمة « صور »

هذه هى صور «احصن الحصون التى على شط البحر » كما وصفها كتاب «المسالك والممالك» . نعم .. هى بذاتها صور ... وقرأنا عداد السيارة فاذا بنا على بعد ٨٥ كيلومترا من بيروت الى جهة الجنوب .

والصور ، لغة ، هو القرن ينفخ فيه او البوق كما قال المفسرون فى قوله تعالى « ونفخ فى الصور» وفى قول آخر ان اللفظة سامية معناها «الصخر» .

سرنا بمحاذاة البحر .. فى شارع طويل يقال له شارع المدخل وهو يمتد من الحيّ المعروف بالبص الى قلب المدينة ، وعلى يميننا البحر بمياهه الزرقاء تفصلها عنا رمال صفراء اقرب الى التبر منها الى التراب ، وعلى يسارنا بحذاء الشارع الطويل انتشرت المباني والمحلات التجارية.

مقارنة صور بعاصمة البرازيل السابقة

لقد لفت نظرنا بشكل خاص توغل هذا الرأس البرى فى داخل البحر ... وقد يكون هذا من صنع الطبيعة وحدها .. أو قد يكون من صنع الانسان. تذكرنا ما كنا قد قرأناه عن ريودى جانيرو عاصمة البرازيل السابقة وكيف انها هى الاخرى واقعة على ساحل خليج ، وممتدة داخل البحر ، ولكن ذلك الامتداد كان صناعيا ، لان المدينة كانت قد انشئت على رقعة من الارض بين البحر والجبال، وازدهرت المدينة وزاد عدد سكانها فراح البناؤون يكتسحون التلال الكائنة خلف المدينة ويزيلون صخورها واتربتها ويلقونها فى البحر .. وخلقوا بذلك شبه جزيرة اصطناعية لتتسع لسكان ريو البالغ عددهم ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة .

كذلك لم يكن امتداد صور من عمل الطبيعة كما سنبين ذلك فيما بعد .. كما ان عدد السكان ما كان ليستدعيه ، فهم الآن لا يزيدون على الثلاثين الفا منهم ٢٠ الفا من السكان الأصليين و ١٠ آلاف من اللاجئين العرب الفلسطينيين ، الذين نزحوا عن الفردوس الضائع « فلسطين » وأقاموا فى مخيمات ثلاثة هى الرشيدية ، وبرج الشمالي ، والبص ، ليكونوا على مقربة من مدنهم وقراهم وبيوتهم ومزارعهم فى انتظار العودة .

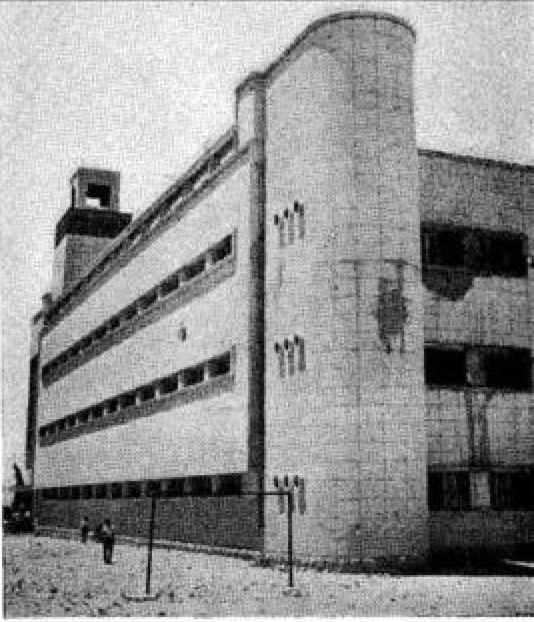
صور فى عهد الفينيقيين

اسس الفينيقيون صور فى الالف الثالث قبل الميلاد . وفى قول آخر انها اسست فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد على ساحل البحر ، وكانت مدينة، وهى فى نفس الوقت دولة ذات سيادة واستقلال وتجارة مزدهرة .. وكان لها ميناءان احدهما شمالي ، ويعرف بالميناء الصيداوى ، وآخر جنوبي ، ويعرف بالميناء المصرى .

وكانت توجد داخل البحر جزيرة صغيرة ، أو هى صخرة كبيرة ، تحمي ميناء صور من امواج البحر وتياراته القوية . وكانت مرسى امينا للمراكب عندما يهيج البحر وتشتد انواؤه ، كما كانت ملجأ يحتمي فيه السكان زمن الحرب ، ومخزنا للبضائع وترسانة للاسلحة وما شابهها .

الاسكندر يحاصر صور

وجاء الاسكندر الاكبر المقدوني وغلب الفرس فى



الكلية الجعفرية – وهى مؤسسة أهلية – تعتبر أضخم مدرسة فى المدينة .. أسسها آية الله الامام المجتهد السيد عبد الحسين شرف الدين سنة ١٣٥٧ هجرية وتشرف على ادارتها وتتولى أوقافها الجمعية الخيرية الجعفرية .وهذه الكلية للذكور وملحق بها فى مبان أخرى مدرسة اعدادية للبنات .

معركة اسوس Issus بآسيا الصغرى ، وسار جنوبا ووجهته مصر ، وطلب من صور ، كما طلب من سائر الموانىء ، أن تفتح أبوابها أمام جيوشه، ليحول دون استخدام الاسطول الفارسى لها،ولكن اهالي صور رفضوا الاذعان ، فضرب حصارا حول المدينة .. كان ذلك سنة ٣٣٢ ق.م.

وكانت الممالك والأمصار تنهار بسرعة خاطفة امام الاسكندر ، القائد الشاب الذى لم يكن عمره يتجاوز الثانية والعشرين ، والذى يعد من اعظم الغزاة واشجعهم فى التاريخ .

كانت صور الجديدة مبنية على الجزيرة الصغيرة التى تبعد نصف ميل تقريبا عن البر حيث كانت تقوم صور القديمة .

ووقفت صور عقبة كأداء فى طريق القائد العظيم. نعم .. لقد كانت سيدة الشاطىء اللبنانى ،وكان اسطولها فخر الأساطيل فى البحر الأبيض المتوسط، وحصونها من أقوى الحصون وأمنعها .

ولم يكن الاسكندر يملك اسطولا فعمد الى هدم مدينة صور البرية واستخدم انقاضها وركامها فى ردم البحر فى المضيق الذى يفصل بين الجزيرة والبر . ولكن ذلك لم يجده فتيلا ، لان الاسكندر عرف انه بدون مساعدة اسطول لا يستطيع قهر الصوريين لأن طريق البحر مفتوحة امامهم .فجمع من صيدا ورودس ومقدونيا وسولى ومالئوس اسطولا مؤلفا من ٢٢٠ سفينة حربية،وبعد حصار مرير دام ٧ أشهر ، استولى على صور ، وقتل ٨٠٠٠ من سكانها . ونفذ حكم الاعدام فيما بعد بثلاثة الاف آخرين ، واسر ٣٠ الفا وباعهم بيع العبيد ، وعمل على توطين مستعمرين جُدُد بدل أهل البلاد الأصليين .

وهكذا نرى أن امتداد صور داخل البحر انما كان من صنع الانسان .. ولكن ليس لأغراض عمرانية ، بل لأهداف عسكرية ، الغاية منها فرض السيطرة .

فى المدينة

دخلنا المدينة وهدفنا مكتب « القائم مقام » نتعرف اليه ونستقى منه من المعلومات ما يلزمنا قبل بدء العمل .

حدثنا « القائم مقام » بشىء من الافاضة عن صور .. قديمها وحديثها ، شأنه فى ذلك شأن كل من تسأله عن صور ، فانه لا بد عائد بك الى الوراء ثلاثة الاف سنة أو أربعة قبل أن يحدثك عن حاضر المدينة ومستقبلها .

الصوريون وعلاقتهم بالبحر والتجارة

هناك مثلا « أبا جورج » رئيس الميناء الذى سارع بالحضور الى « القائم مقامية » حينما علم بوجودنا .

حدثنا أبو جورج عن اهالى صور ، وقال انهم اشد بحارة فى العالم مراسا واكثرهم جلدا وتحملا ... ولا تقل النساء الصورانيات فى ذلك عن الرجال . ويضرب لذلك مثلا المركب المحمل بالدقيق الذى ارتطم بالصخر .. وكان البحر وقتها هائجا والأمواج عاتية .. فنزلت النساء جنبا الى جنب مع الرجال الى البحر ، وسبح الجميع فى اتجاه المركب وعادوا الى الشاطىء وكل واحد منهم يحمل كيس دقيق ليضعه فى مكان امين، ويعود أو تعود من جديد لتخليص كيس ثان وثالث، وهكذا الى أن تم افراغ حمولة المركب بكاملها .





مدخل المدينة فى الجهة الشمالية الشرقية ومنه تتفرع الطريق الى بيروت والى الناقورة بين لبنان وفلسطين .

جانب من مدينة صور وقد اختلطت مبانيها الحديث بالقديم.





شارع المدخل ، أهم شارع في صور ويمتد من حي « البص » الى قلب المدينة بمحاذاة الشاطىء ، وترى صور داخلة في البحر مثل الكف على الساعد كما وصفها ياقوت الحموي .



منظر عام لأحد أحياء صور التي كانت ترتفع مبانيها الى خمس أو ست طبقات قبل ألف سنة تقريبا ، ولا توجد فيها الآن سوى عمارة واحدة ترتفع الى ستة أدوار .

ولنساء صور ما للرجال من المهارة والقوة في السباحة وركوب الأهوال .

واهالي صور يعتبرون زمالةالبحر أقوىزمالة، وهم يتحلون بأخلاق عالية ومستوى رفيع في كل ما يمت الى البحر والملاحة من تقاليد وعادات بصلة .

اغاثة المستغيث

فاذا مر مركب غريب ـ ولفظ مركب يشمل عندهم السفن الكبيرة والصغيرة على حد سواء ـ وأرسل استغاثة لنفاد الوقود أو لتعطل في المحركات ، أو بسبب هياج البحر وهو الأمر الكثير الوقوع بسبب التيارات الجنوبية القوية، فان البحارة الصوراتيين يندفعون نحو السفينة بعزم وقوة غير مبالين بالاخطار وينجدون المركب ويسعفون بحارته . واكثر من هذا فانهم ـ على فقرهم ـ ينزلون هؤلاء البحارة ضيوفا عليهم في بيوتهم الى ان يتمكنوا من استئناف رحلتهم .

عندما ينتهي الصيف

وعادات اهل صور لها ارتباط بالبحر وثيق . ففي ١٤ سبتمبر (ايلول) من كل سنة ينتهي موسم الاستحمام في البحر لان الصيف يكون قد أوشك على الانتهاء ، فيقيم الأهلون في ذلك التاريخ احتفالات ومهرجانات تبدأ من الساعة الثانية عشرة ليلا حتى الصباح على الشاطيء زرافات زرافات ، يدخنون الأرجيلة ويحتسون القهوة ويلتهمون الطعام ويسبحون للمرة الاخيرة في البحر .. وبذا ينتهي موسم الاستحمام .

ولا تفوتنا الاشارة الى ان الانسجام والتعاون والوحدة الوطنية لها جذور عميقة متينة راسخة بين البحارة في صور ، والتعايش بين الطوائف المختلفة قلما تجد له مثيلا في مكان آخر ،فالشيعي والسني والروم الكاثوليكي والارثوذكسي والموراني .. يحس الواحد منهم باحساس الاخرين ، واذا اصيب احدهم بمصيبة شاركه الاخرون وساعدوه على اى شكل كانت المساعدة التي هو بحاجة لها .

في الميناء

رحنا نجوب ارجاء الميناء لنرى ما تبقى من تلك السيادة البحرية والأسطول التجاري العظيم الذي كان لصور قبل آلاف السنين . ولشد ما ادهشنا اننا لم نر في الميناء سوى قوارب صغيرة لصيد السمك لا يزيد عدد الراسي منها في الميناء وما هو في عرض البحر على مائة قارب .. وعرفنا ان هناك مائتي عائلة تعيش على صيد السمك . وسمك صور متنوع ولذيذ . والصوريون صيادون ماهرون لانهم يتوارثون هذه المهنة أبا عن جد . ويورثونها اولادهم واحفادهم . والطريف في الأمر ان الصياد لا يميل الى تبديل هذه المهنة بأخرى مهما كان نوعها حتى ولو كانت تدر عليه اموالا اكثر .

الصادرات والواردات

وتدخل ميناء صور المراكب الكبيرة التي تسير بقوة المحركات وتتراوح حمولتها بين ١٠٠و٢٥٠ طنا وهذه المراكب تنقل البضائع من صور الى الاسكندرية وبورسعيد وتركيا وقبرص وغـزة ، وتصدر التين والخروب والزعتر . لقد تقلصت تجارة صور وانحصرت بهذه المواد .. لم نعد نسمع بالحرير الصوري الذي كان يتغنى به الشعراء . فهذا لوقان Lucan الشاعر الروماني الذي ولد في قرطبة باسبانيا سنة ٣٩ ميلادية يحدثنا في قصائده وأشعاره أن كليوباترا ظهرت في احدى الحفلات لابسة ثيابا من الحرير الهفهاف من صنع الصوريين الماهرين .. كما لم نعد نسمع بالاحجار الكريمة وصبغ الارجوان الذي كانت تشتهر به صور . وهي الآن لا تصدر شيئا مما كانت تصدره قبل الف سنة،وهو السكر والخرز، والاواني الخزفية ، والزجاجية كما ذكر المقدسي، الجغرافي الفلسطيني . وتستورد صور البصل والبطيخ والبطاطس من مصر .

وتقوم الى جانب صناعة الصيد صناعاتمتصلة بها كصناعة شباك الصيد والقوارب .

جولة في أحياء المدينة

سرنا مخترقين احياء صور : الجامع والمنارة ، والحسينية ، والجورة ، والرمل، وأحياء أخرى سميت باسماء بعض الطوائف كحي الكاثوليك وحي الموارنة مثلا .

توجد في صور عشرة أحياء لكل حي « مختار » ، وهو الى حد ما يشبه العمدة أو شيخ الحارة . والى جانب المختار مجلس اختيارية مكون من ستة

اعضاء. وينتخب كل حي مختاره ومجلس اختياريته. والناخبون هم المقيدون في جداول انتخاب نواب البرلمان .

توغلنا داخل الاحياء القديمة .. وتصورنا اننا سندخل منطقة خرابا تعشش فيها الغربان وينعق فيها البوم ، ولكننا في كل ركن من أركان هذه الاحياء وفي كل زقاق كنا نرى طلاب المدارس بالبستهم النظيفة ، والطالبات بزيهن المدرسي الموحد المهندم بالنسبة لكل مدرسة ، اما الشوارع فنظيفة ومبلطة ، ولو ان بعض الشوارع كالتي حول منطقة الآثار والكلية الجعفرية ما زالت ترابية . وكانت امارات الصحة والنشاط تبدو على الوجوه . وقدر لنا ان نلقي نظرة على بعض بيوت الحي واغلبها مفتوحة الأبواب ، فكانت هي الأخرى نظيفة، وفي بعضها ساحات مكشوفة تسمح لاشعة الشمس بالتسلل داخل حجراتها وتسترعى النظافة والترتيب وحسن الذوق انتباه الناظر .

تذكرنا في الحال ما كتبه ناصر خسرو الداعية الاسماعيلي الفارسي الأصل عن صور حينما مر بها في طريقه الى الحج قبل تسعة قرون . قال خسرو : « اسواق صور المزدهرة المكتظة بالبضائع والسلع على غاية من النظافة ، وخاناتها ابنية ذات خمس او ست طبقات . اما سكان صور فاكثرهم من الشيعة ، والمدينة مجهزة بالماء الذي يصلها من الجبال في قناة مرتفعة » .

اما اليوم فلا توجد سوى عمارة واحدة حديثة من ست طبقات وهي افخم عمارة في المدينة ، بها مصاعد كهربائية ومياه باردة وساخنة ،واجهزة هاتف في كل شقة منها .

كذلك تحدث عن نظافة صور الرحالة الأندلسي ابن جبير الذي مر بها في سنة ١١٨٤ قائلا : « وجدت صور عظيمة في تحصيناتها التي يضرب بها المثل ، ووجدت ان اسواقها احسن نظافة من اسواق عكا » .

المشاريع العمرانية

وميزانية بلدية صور ، التي تعتني من بين ما تعتني به ، بشؤون النظافة ، تقرب من نصف مليون ليرة لبنانية للسنة المالية ١٩٦٣/١٩٦٢ . وتنوى البلدية تعبيد جميع الطرقات الداخلية ، وعمل ارصفة للشوارع وبناء دار جديدة مقراً لها. ومن مشاريع البلدية ايضا توسيع الشارع القديم



مكتب قائم مقام صور أو دار القائم مقامية أو « السرايا » كما يسمونها هناك . وهي تضم أيضا مركز الدرك المنوط به حفظ الأمن .

في المدينة وعمل كورنيش يربط المدينة من جهتها الجنوبية بطريق « صور ـ الناقورة » على حدود لبنان ـ فلسطين . وكذلك فتح ثلاثة شوارع في الأحياء القديمة . وتدرس الحكومة امكانية بناء مساكن شعبية في منطقة حي البص ، وانشاء ملاعب رياضية ، وبناء فندق في منطقة الآثار .

ولصور مجلس بلدي مؤلف من ١١ عضوا من أهل المدينة ينتخبهم ناخبو المدينة عامة وليس على نظام الاحياء كما هو الحال في مجالس الاختيارية .

ومدينة صور هي مركز « القضاء » الذي يسمى باسمها .. أي « قضاء » صور الذي يضم ٦٥ قرية يقطنها ٨٠ الفا من أهل البلاد الأصليين و٣٠ الفا من النازحين الفلسطينيين . ورجل الادارة الأول في القضاء يعرف بالقائم مقام .

الازدهار الاقتصادي والمغتربون

لفت نظرنا بشكل واضح وجود خمسة بنوك في مدينة صور معظمها أنشىء حديثا .. وكان لابد لنا من الاستفسار عن هذه الظاهرة لأن وجود بنوك بهذه الكثرة دليل على وجود مبالغ كبيرة من النقود المتداولة ، وهذا بدوره يدل على الرخاء والانتعاش .وجرتنا هذه الظاهرة الى ظاهرة أخرى. كنا في جلسة بمنزل السيد ميشيل صابونجي من أعيان صور ضمت لفيفا من السيدات والرجال ،





تيجان أعمدة ، وأعمدة رخامية غاية فى الروعة والجمال ، تم اكتشافها فى المنطقة الأثرية فى صور ، وتعود هذه الآثار الى بضعة آلاف من السنين .

▼ صورانيات صغيرات ، يؤدين الرقصات بين أطلال الفوروم الرومانى القديم





فوق الفسيفساء التى وصف بها هذا الشارع الذى يبلغ عرضه ١١ مترا ، والذى مرّت فوقه أجيال وأجيال من الناس ، تؤدى فرقة الرقص الشعبي احدى رقصاتها .



قناة تجرى فيها مياه رأس العين ، وهو نبع ماء مياهه لا تنبع من الجبل وانما تتدفق من ثلاثة ينابيع فى جوف الأرض ، وكانت صور منذ الاف السنين وما زالت حتى الآن تشرب من نفس المورد .



وأكدوا كلهم انه لا يوجد بيت فى صور الا وقد اغترب واحد او اكثر من افراده .. وهذا المغترب اما ان يكون أبا او أخا او ابنا او زوجا . ولقد انتشر ابناء صور فى القارتين الامريكيتين وفى افريقيا وامارات الخليج العربى . ولا عجب فقد طفت موجات هجرة اجدادهم قبل عشرين قرنا على الامبراطورية الرومانية اذ وجدت جالية صورية كبيرة وغنية جدا فى مدينة بوزولى وروما ومدينة اوستيا على مصب نهر التيبر . ونزح التجار والجنود .. والموسيقيون وأصحاب الخانات والباعة المتجولون من صور وغيرها الى المدن الأوروبية حتى قال الكاتب الرومانى جوفنال (١٤٠ م) : « ان نهر العاصى السوري يصب مياهه فى نهر التيبر منذ امد بعيد ، جالبا الينا معه لغته وعاداته والاته الموسيقية : الناى والقيثارة ذات الأوتار » .

من مغتربى صور من طالت غربته وغيبته وزادت على نصف قرن ، ومنهم من لم يعد اطلاقا الى بلده ، ومنهم من اغترب قبل أيام أو هو سيغترب بعد أيام او اسابيع .

ومنهم من صادفه التوفيق والحظ ، ومنهم من خاب سعيه ولم يتحقق الغرض من اغترابه .

أحد الأزقة فى صور القديمة وتلاحظ انه نظيف تدخل أشعة الشمس كل زاوية من زواياه .



والمغتربون الذين أصابوا ثراء كبيرا عادوا واشتروا مساحات شاسعة من الاراضى، وحوّلوها الى مزارع وبساتين اختصت بزراعة الحمضيات ، فأحدهم يزرع ارضه برتقالا وينجح .. فيقلده الآخرون ويحذون حذوه .. وهذا ما حصل قبل ثمانى سنوات فى أجزاء أخرى من لبنان حيث انتشرت زراعة التفاح بمثل هذا السبب ، وغدا من الصعب وجود أسواق لتصريفه .

والحنين الى الوطن ملتصق بالمغترب التصاق الروح بالجسد . وفى مقهى أبى صالح عند اطراف صور الى جهة الشمال ، طالعتنا قطعة زجلية معلقة داخل اطار على أحد جدران المقهى من الداخل مطلعها :

يا مهاجر وبينى وبينك
آلوفات كيلو مترات ما بينى وبينك
ارجع للوطن وانظر عمران الجنوب
حتى ترى ما سمعته دينك

الى ان يقول :

وبتتحلى من مورد ليمون بساتينها المشهورة
بتذوق طعمها وبترتاح لنكهتها المعطرة
وبصور القديمة بتشوف آثارها العظيمة
قصور، تماثيل، هياكل من الزلزال مطمورة

والى جانب زراعة الحمضيات التى ازدهرت خلال السنوات الست الماضية تقوم زراعة الموز والتبغ وهى تشكل المورد الأول لصور وقضائها . والفضل كل الفضل يعود الى مشاريع الرى ومنها مشروع رى القاسمية الذى هو جزء من مشروع الليطانى .

والنتيجة الحتمية لهذا الازدهار ارتفاع أثمان الأراضى الزراعية بشكل خيالى ، فقد ارتفع ثمن الدونم (١٠٠٠ متر مربع)من ٧٥ ليرة لبنانية الى ٤٠٠٠ ليرة . والجنيه الاسترلينى يساوى نحو ٨١/٢ ليرات .

وهناك فريق آخر من المغتربين ثقته فى تقدم المدينة ومستقبلها يزعزعها الشك وتنسفها الريبة، ولهذا فهم يحجمون عن استثمار رؤوس اموالهم فى الزراعة او الصناعة او التجارة أو التعمير .. بل هم يودعونها فى البنوك لقاء فوائد مضمونة رغم ضآلتها .. وبهذه الطريقة تتجمد الأموال ولا تعود على البلد بالخير المرتجى منها .

وتقدر قيمة المحاصيل الزراعية ما بين ١٠ ـ ١٥ مليون ليرة لبنانية سنويا لا تستهلك صور منها الا



تقوم مدينة صور على طبقات من الآثار القديمة احداها فوق الاخرى وهناك فكرة لنقل المدينة بكاملها الى موقع آخر وجعل المدينة الحالية منطقة أثرية وسياحية عالية والصورة تبين بعض الآثار التى تم اكتشافها للآن . وقد بدأت أعمال الحفر منذ أربعة عشر عاما تقريبا .

نسبة ضئيلة أما الباقى ، فيشحن الى بيروت أو يصدر الى الأقطار العربية وبلدان أوروبا .

معلومات عامة عن صور

واثناء طوافك فى صور تلاحظ كثرة عدد المقاهى وهى تزيد على ١٥ مقهى وفيها من دور السينما ٤ ، واحدة قديمة وثلاث جدد .

وفى صور مستشفى حكومى واحد به ٤٠ سريرا كما يوجد فيها مستشفى آخر أسسته الهيئة العربية العليا سنة ١٩٤٨ .

ولا يزيد عدد الأطباء والمحامين والمهندسين والصيادلة على عدد أصابع اليد الواحدة لكل مهنة من هذه المهن .

وتشرب صور من نفس مورد الماء الذى كانت تستقى منه قبل آلاف السنين وهو رأس العين .. وهو نبع يقع على مسافة ٧ كيلومترات جنوبى صور ، ويبقى منسوب الماء فيه ثابتا لا ينقص . أما الطاقة الكهربائية التى تستخدم فى الانارة فتستمد من بيروت .

وفى صور نهضة تعليمية

وفى صور فى هذه الأيام نهضة علمية تسهم فيها الحكومة بمدارسها الأميرية والطوائف بمدارسها الأهلية الخاصة . فللحكومة مدرسة ثانوية وأخرى متوسطة للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات .

أما المدارس الأهلية الخاصة فهى الكلية الجعفرية وهى ثانوية كاملة ، ومدرسة البنات الاعدادية التابعة للكلية الجعفرية. وهناك مدرسة النجاح للبنين والنجاح للبنات وهما متوسطتان . وتوجد كذلك مدرسة الاتحاد الثانوية وهى للبنين والبنات . ومدرسة راهبات القديس يوسف .. الى غير ذلك من مدارس طائفية للبنين أو البنات أو مختلطة تضم الجنسين

الجمعيات الخيرية والمؤسسات

يوجد فى صور عدد من الجمعيات الخيرية والأندية منها :

جمعية البر والاحسان ولها نشاط كبير فى الحقل الاجتماعى وتقوم الآن ببناء دار لايواء الأيتام والعجزة وتعليم بعض الحرف اليدوية وقد عملت هذه الجمعية على القضاء على التسول وذلك بأن أجرت احصاء شاملا للمعوزين وقدمت لهم المعونة اللازمة .

ومنها جمعية تجار صور وتضم تجارا يهدفون الى النهوض بالتجارة وتقدم المدينة وازدهارها اقتصاديا ، وجمعية الاتحاد الثقافى والاجتماعى وتهتم بالنهضة الثقافية والفكرية والعلمية فى المدينة .





أعمدة ضخمة استقرت في قاع البحر على طول الشاطىء الجنوبي حيث كان الميناء المصري . مذكرة بالدمار والخراب الذي لاقته صور على أيدي الغزاة

كان الأرجوان الصوري أشهر وأنفس أرجوان في العالم القديم . أما اليوم فلا يظهر هذا اللون إلا عفوا في الألبسة أو أصباغ بعض البيوت .



يهتم اهالي صور بالسجاد . وهذه الصورة ترينا ان السجاد تغطى به الجدران وتفرش به الارض وتكسى به المقاعد .

احدى القرى التي تسقى مزروعاتها من نبع راس العين النبع الذي تغنى به سليمان الحكيم حين قال : « ينبوع جنات بئر مياه حية » .



وللنساء جمعياتهن: كجمعية الشابات المسلمات وغاياتها الاهتمام بالنهضة النسائية وبدور المراة فى المجتمع ، وجمعية الصليب الاحمر وتشرف على مستوصف لمعالجة المرضى الفقراء .

اما عن الأندية الرياضية ، فتوجد منها ثلاثة : نادى التضامن الرياضى ونادى الشعلة ، ونادى الحياة ، وهى ذات مستوى رياضى رفيع .

ومن الشخصيات التى تفخر بها صور آية الله الامام المجتهد السيد عبد الحسين شرف الدين الذى انتج بضعة عشر سفرا فى الامامة والنقد والحديث والكلام وكان محجة للفتوى والقضاء . وتوفى فى الأيام الأخيرة من عام ١٩٥٧ عن عمر يناهز التسعين عاما ، ودفن فى النجف الاشرف .

كذلك المطران شكر الله خورى ــ مطران الطائفة المارونية ــ الذى توفى قبل خمسين عاما وقد انشأ مطرانية من جيبه الخاص .

صور قبل الاسلام وبعده

دخلنا منطقة الآثار وهى رقعة واسعة من الارض يحيط بها سور مرتفع . دخلنا تلك المنطقة وفى مخيلتنا لمحات من تاريخ المدينة العريقة . لقد خضعت للمصريين فى الفترة من ١٦٠٠ ــ ٩٢٨ ق.م ولهذا سمى ميناؤها الجنوبى بالميناء المصرى .

ولما اصبحت مدن الساحل اللبنانى دولا مستقلة كانت صور احدى هذه المدن ما بين ٩٢٨ و ٧٨٦ ق.م. وبعدها خضعت للآشوريين ٢٧٠ سنة ومن بعدهم للبابليين من سنة ٦٠٥ــ٥٢٨ قبل الميلاد . وحكمها الفرس قرنين من الزمن . وقد حاصرها شلمناصر خمس سنوات وتوفى وهو يحاصرها ، كما دمرها آشور بانيال وحاصرها نبوخذ نصر برا وبحرا ثلاث عشرة سنة ، وفى كل مرة تصاب فيها بكارثة كانت تمسح جروحها .. وبمجرد ان تندمل تلك الجروح تعود صور الى النمو والازدهار كسابق عهدها بسرعة مذهلة .

وظلت صور تحت حكم اليونان بعد أن دمرها الاسكندر المقدونى وبعدهم حكمها الرومان وقدمها انطونيو هدية الى كليوباترا .

ثم افتتح المسلمون صور عام ٦٣٦ ميلادية على يد معاوية واخيه يزيد أيام خلافة عمر بن الخطاب . وجعلها هشام بن عبد الملك قاعدة بحرية .

وظلت فى حكم المسلمين الى ان استولى عليها الصليبيون سنة ١١٢٤ ولكن العرب عادوا فاستردوها منهم فى سنة ١٢٩١ .

ما خلفته الأمم فى صور من آثار

والذى لا شك فيه انه كان لكل من هذه الامم الغالبة حضارتها وثقافتها وفنها ، وقد تركت فى صور شيئا من آثار ذلك .

وفى المنطقة الأثرية تشاهد الفورم الرومانى والشوارع المبلطة بالفسيفساء ومدارج هيكل رومانى وتوابيت يونانية وتماثيل وأوانى خزفية . وتقابل عند مدخل المنطقة الأثرية رجلا يحمل صندوقا عرضت فيه الأوانى الخزفية الصغيرة وقطع النقود المعدنية القديمة وهو يعرضها عليك باسعار بخسة . وعملية البيع هذه ليست رسمية ولا ندرى كيف وصلت تلك الأشياء الى أيدى الباعة الجوالين .

وسمعنا من يقول ان مديرية الآثار تفكر فى استملاك مدينة صور كلها لتجعلها منطقة أثرية سياحية لان المدينة الحالية تقوم على أنقاض مدن تتابع بناؤها ، احداها فوق أنقاض التى سبقتها . والفكرة ، ان صحت ، صائبة اذا أمكن تنفيذها ونقل سكان مدينة بكاملها الى موقع جديد قريب .. لتحل عليهم بركة سلفهم من سكانها على مر العصور .. عن طريق السياحة وما تدره هذه الصناعة من فوائد .

الفن الشعبى

وبينما نحن نتنقل بين الآثار بحذر وخفة رأينا مجموعتين من الفتيات الصوريات احداهما مكونة من شابات فى شرخ الصبا ، وثانيتهما من فتيات صغار فى أعمار الزهور . لقد لفت انتباهنا تعدد ألوان البستهن الزاهية وعرفنا انهن أفراد فرقة صور الشعبية يتدربن على الرقص الشعبى تحت اشراف المدربة ليشاركن فى احتفالات صيدا خلال مهرجان الربيع .

والفن الشعبى من رقص وغناء منتشر فى لبنان فى مدنه وقراه فى جباله وسهوله .. اذ تسمع فى كل مكان أغانى فيروز ووديع الصافى وترى صورا مصغرة لفرقة الأنوار وفرقة مهرجانات بعلبك الدولية .

ولا غرابة فى ذلك فالفنون الشعبية تنبع من صميم المجتمع وطبيعة البلد .. وهما فى لبنان يوفران الجو الملائم والتربة الخصبة التى تنمو فيها هذه الفنون وتترعرع . ■■

سليم بسيسو

ركن المرأة

دور المرأة في شيخوختها لا يقل خطراً عن دورها في شبابها

■ **قالت الزوجة الشابة وهي تتنهد :**

« الشباب ؟ .. لقد مللته ، فهو مرحلة حافلة بالمسئوليات والمتاعب .. لن يصدقني أحد اذا قلت انني أصبحت أتعجل الشيخوخة ! » .

وقالت صديقتها التي تجتاز أوسط العمر :

« ما هذا المنطق العجيب يا أختاه ؟ »

فعادت الزوجة الشابة تقول : « انني اذ ذاك أكون قد فرغت من المسئوليات والمطالب التي يفرضها نشاط زوجي وانهماكه في أعماله ، اذ تكون الشيخوخة قد حدّت من هذا الانهماك وذاك النشاط .. وأكون قد فرغت من مسئوليات أولادي ، اذ يغدون كباراً قادرين على رعاية أنفسهم .. فأخلد الى راحة الجسم وراحة البال » .

وكنت أنصت الى الحديث ، فقد كنا في جلسة عائلية ..

ووجدتني أضحك .. فالتفتت الزوجة الشابة نحوي ، وقالت : « تضحك ؟ .. ان الرجل لا يكاد يدرك مدى ما تلقاه زوجته من عناء » .

وقلت في تلطف : « معاذ الله ان ينكر رجل فضل المرأة ، أمًّا كانت أو زوجة .. فهي أفضل نعمة أنعم الله بها على الرجل .. انما يضحكني أن تخالي أن مهمتك تنتهي بكبر أولادك وشيخوخة زوجك ... »

وصاحت : « ... أسخرة مؤبدة ؟ » .

فقلت : « بل فضل مؤبد ... فضل مزدوج أنعم الله به على المرأة، اذ جعلها النصف اللطيف الذي يرعى الرجل ويعنى به في كل أطوار حياته ... انها رعاية تشتغل بها المرأة طيلة عمرها ، فلا يستبد بها السأم ، أو يسقمها الشعور بأنها لم تعد ذات نفع أو ذات دور هام في الحياة » .

وبلهجة التساؤل المأثورة في « كليلة ودمنة » هتفت : « وكيف كان ذلك ؟ » .

ولم أجب بالرد المأثور : « زعموا أن ... » ، فان ما رحت أحدثها به لم يكن زعماً ، وانما هو مجموعة من الحقائق ...

الرجل في الشيخوخة يحتاج للرعاية

فالواقع أن دور المرأة في شيخوخة

الزوج قد لا يقل عن دورها الذى تقوم به فى شبابه وشبابها . .

ذلك لأن الرجل ـ واعنى بذلك الرجل القوي الشخصية ـ يجتاز فى شيخوخته مرحلة حافلة باضطرابات نفسية لا قبل له بدفعها . . فهو أولا يشعر بأن سنين العمر تجري ، وان عوامل الضعف تتألب عليه ، لذلك تدفعه غريزة « حب البقاء » الى ان يدفع عنه نهاية العمر ، ظنا منه ـ دون أن يفطن ـ أن هذا بوسعه . . . وهو يعنف فى تمرده على عوامل الضعف ، ليوهم نفسه ـ على الأقل ـ بانه لا يزال قويا . . وينسى أن للعوامل الطبيعية التى تتحكم فى جسم الانسان سلطانا فوق كل ارادة . . وان ما يبذله من جهد ليهزم الضعف انما يزيد من ارهاق ذهنه ، ويحمّل اعضاء جسمه واجهزته فوق ما تطيق . .

ومن ناحية اخرى ، يشعر الرجل ذو الأهداف فى الحياة، بأن العمر يولى وهو بعد لم يحقق كل اهدافه . . وكلما حقق هدفا ، اضافت العزيمة والنفس الطّموح اهدافا جديدة دون ان يفطن . . وبقوة دفع الرغبة فى تحقيق هذه الأهداف يضاعف من جهوده ومن اجتهاده ، غير حافل بما ينال قواه الذهنية والعضلية من انهاك . .

من هنا كانت رعاية المراة من اهم المستلزمات للرجل فى شيخوخته . . وهو ـ فى هذه السن ـ اشد احتياجا للمراة التى شاركته الشطر الاكبر من حياته ، منه الى اية امراة أخرى ، اذ أنها تكون قد درست شخصيته ، وعرفت طباعه وعاداته . . وبذلك تكون اقدر الناس على أن تسوسه وتروض العناد الذى يتملكه، وصعوبة المراس والتصلب فى الراى، اللذين يكتسبهما فى كبر سنه، نتيجة العوامل النفسية التى اسلفناها ، ونتيجة شعوره بأن له من المعرفة والخبرة بالحياة والتجربة ما يجعله اقدر على تكييف اموره بنفسه . . وبأنه ـ فى هذه السن ـ يجب أن يملى رغباته وارادته ، لا ان ينساق لما يفرضه عليه غيره . .

كيف تروض الزوجة زوجها ؟

والمراة الحاذقة هى التى تعرف كيف تروض زوجها ، وتوجهه الى ان يراعى القواعد الصحية التى يتطلبها عمره . . فهو يحتاج فى هذه السن الى غذاء متوازن التكوين . . فلا اسراف فى الدهون والدسم لأن معدته وجهازه الهضمى لا يعودان فى مثل نشاطهما وطاقتهما السابقين . . ولأن المواد الدهنية تساعد على مضاعفة تعرضه لتصلب الشرايين . . كما انها ـ والمواد النشوية ـ تساعد على السمنة ، وهو بحاجة الى تجنب ازدياد وزنه حتى يستطيع المضى فى نشاطه دون جهد كبير . . وحتى لا يغريه ثقل وزنه بالتكاسل والاقلال من الحركة . . وهو فى شيخوخته يحتاج الى ساعات نوم كافية . . فان النوم يعطي الجسم فرصة لتجديد الخلايا المستهلكة كما يحتاج الى فترات من الراحة والاسترخاء ، فان هذا يجنب القلب الاجهاد المتواصل لمدد طويلة . . والمواظبة على رياضة المشى ـ لا سيما فى الهواء الطلق ـ عظيمة النفع له ، على شريطة الا يسرف فى الحركة حتى يتعب . .

ومن اهم الأمور ، حمل الرجل ـ فى شيخوخته ـ على الاقلال من المكيفات . . المباح منها ـ كالشاي والقهوة والتدخين ـ وغير المباح ، كالخمور . .

ولكن الاهم من هذا كله ، ان تستطيع الزوجة ان تروض زوجها على هذه الأمور دون ان تثير عناده وتمرده ، ودون ان تسبب له انفعالات قد تكون ابلغ ضررا . .

غيرى عاداته ولكن . . دون ان يشعر

ولعل السيدة « كليمنتين » زوجة

الزعيم البريطاني سير « ونستون تشيرشل » ـ التى شاركته حياته ٥٤ سنة ـ خير مثال للزوجة التى نجحت فى ترويض زوجها فى شيخوخته ، برغم ما عرف عن تشيرشل من صلابة فى الرأى ، ومن رفض لأى املاء او لأية تعليمات تفرض عليه ..

ومن الأمثلة التى تضربها مسز تشيرشل لزوجات المسنين ، ان زوجها اصر فى اول نوفمبر (تشرين الثانى) من العام الأسبق ، على حضور حفل العشاء السنوى لمنتدى كان قد أسسه منذ عام ١٩١١ باسم « النادى الآخر » Other Club .. هكذا اسمه !! ولم يكن تشيرشل قد حضر حفلا او سهر خارج الدار،منذ اصيب بكسر فى احدى فقراته اثر انزلاقه قبل ذلك بثلاثة اشهر وبضعة ايام .. فضلا عن انه طعن فى السن ، وتكالبت عليه العلل .. فهو اليوم قد دخل عامه التسعين .

وكاد الأطباء والمتوفرون على العناية بتشيرشل ان يَجنُنوا ازاء اصراره على حضور الحفل . ولكن زوجته قالت لهم: « لا تخافوا عليه .. انما الخوف يكون عن محاولتكم حمله على تغيير عاداته .. وان الشىء الوحيد الذى اتمسك به هو ان يأوى لفراشه فى منتصف الليل تماما » .

ودعت السيدة اليها رئيس طهاة فندق « سافوى » ـ الذى تقام فيه المأدبة السنوية عادة ـ وبحثت معه الأطعمة والمشروبات التى يجوز لزوجها ان يتناولها بصفة استثنائية ، دون ان يتعرض لأية متاعب .. وهكذا اتاحت لزوجها برغم سنه ومرضه ان يمارس عادة اصبحت من التقاليد التى يحرص عليها ويجد فيها متعة وبهجة .. حتى اذا كانت الساعة الحادية عشرة والنصف، ارسلت خلسة تذكرة مقتضبة الى مستر مكميلان ـ رئيس الوزراء السابق واحد اعضاء المنتدى ـ فان هى الا بضع دقائق حتى نهض مستر مكميلان واقترح ان يشربوا نخب الملكة .. وكانت هذه اشارة الى انتهاء الحفل .

اللباقة هى السلاح الاوحد

من هذا ترين يا سيدتى مدى لباقة مسز تشيرشل فى حمل زوجها على مراعاة ما يناسب صحته فى شيخوخته، دون ان تشعره بأن ثمة قيودا مفروضة عليه .

ولقد كانت اكثر لباقة فى رعايته عقب حادث الانزلاق الذى ادى الى اصابة احدى فقراته .. فقد حرصت على الا يشعر بما الم به من عجز عن التنقل فى البيت،اذ بدلت كل اخشاب وتصميمات ارض الحجرات ، لتجعلها مستوية منبسطة سهلة فلا يتكبد فى حركته عليها عناء .. وتحت ستار تجديد البيت ادخلت مصعدا انيقا مريحا ليتجنب زوجها صعود الدرجات .. ولما كانت تعرف شغفه بالماء ، حتى انه يقضى فى حوض الحمام فترتين طويلتين فى النهار، فقد أبدلت الحوض القديم بآخر لايحتاج تشيرشل الى رفع قدميه عاليا ليدخله .. كما ثبتت فى جنبات الحمام مقابض نحاسية أنيقة ، زعمت انها من قبيل الزينة ، وهى تقصد ان يستعين بها فى نهوضه وجلوسه ..

وبعد .. ارايت يا سيدتى ان المرأة المخلصة لذاتها ولرسالتها كامرأة فى الحياة ، لا تخلد الى الراحة فى كبرها ، وانما تجد من الواجبات ما يدفع عنها سأم البطالة والشعور بانها لم تعد ذات نفع ؟ ■■

(بدر)

طرائف عربية

طفيلي عند محدث

● لزم طفيلي سفيان بن عيينة يسمع منه الحديث ، فلما اعتزم السفر ساله سفيان عما اعجبه من الحديث فأجابه : ثلاثةاحاديث ،حديث ام المؤمنين عن النبي انه كان يحب الحلوى ، والعسل ، وحديثه عليه الصلاة والسلام : اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدأوا بالعشاء ، وقول عائشة : ليس من البر الصوم فى السفر !!

احذر رجل السوء

● قال الاصمعي سمعت اعرابيا يعظ رجلا وهو يقول : ويحك ان فلانا وان ضحك اليك ، فانه يضحك منك ، ولئن اظهر الشفقة عليك ، فان عقاربه لتسرى اليك ، فان لم تتخذه عدوا فى علانيتك ، فلا تجعله صديقا فى سريرتك .

كلام الاعراب

● قال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول : اذا ثبتت الاصول فى القلوب ، نطقت الالسنة بالفروع ، والله يعلم ان قلبي لك شاكر ، ولساني ذاكر ، ومحال ان يظهر الود المستقيم ، من الفؤاد السقيم .

ومدح اعرابي رجلا فقال : انه ليغسل من العار وجوها مسودة ، ويفتح من الراى ابوابا منسدة .

قصص تروى عن مغفلين

كان جامع بن وهب الصيدلاني من اعظم الناس غفلة ، اشترى مرة ثلجا كثيرا ، فقيل له : انه كثير ، فقال : اريد ان امصه وارمي بثفله .

لكل سؤال جواب

● ادعى احدهم النبوة بالكوفة . فادخل على واليها فقال : ما صناعتك ؟

قال : حائك .

قال : نبي حائك ؟!

قال : او تريد نبيا صيرفيا ؟

حكم

● قال الأحنف بن قيس : من لم يستوحش من ذل المسالة لم يانف من الرد .

وقال سفيان الثورى لأخ له : هل بلغك شيء مما تكرهه عمن لا تعرفه ؟ قال لا . قال فأقلل ممن تعرف .

❋ سقطت ابنة «جامع الصيدلاني» فى البئر ، فقال لها :

اللهم آمين

● قال سفيان بن عيينة سمعت اعرابيا يقول عشية عرفة : اللهم لا تحرمني خيرَ ما عندك لشر ما عندى ، وان لم تتقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني اجر المصاب على مصيبته.

نفس أبية

قال معن بن أوس الهذلي :

لعمرك ما أدرى وإنى لأوجلُ ... على أيِّنا تأتى المنيـــةُ أولُ
وإنى أخوك الدائمُ الودَّ لم أَحُلْ ... إذا ناب خطبٌ أو نبا بك منزل
وإن سؤتنى يوما صبرت إلى غد ... ليعقب يومٌ آخرٌ منك مُقْبِلُ
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركبُ حد السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وكنتُ إذا ماصاحبٌ رام ظِنتى ... وبدَّل سوءا بالذى كان يفعل
قلبتُ له ظهر المِجَنّ ولم أدُم ... على العهد إلا ريثما يتحوَّل
إذا انصرفت نفسى عن الشى لم تكد ... عليه بوجهٍ آخر الدهر تُقبِل

الجمل الصغير يدعو على الاخشيد

● كان احد شعراء العصر الاخشيدى الملقب بـ « الجمل الصغير » يطوف على حماره ، فراى الناس محتشدين لرؤية موكب الاخشيد فتوسط الجموع وصاح :

ـ ما هـذه الاشباح الواقفة ، والتماثيل العاكفة ، سلطت عليها قاصفة ، يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفـة .

فقال له رجل : انه الاخشيد ينزل الى الصلاة .

فقال : هـذا الاصلع البطين ، السمين البدين ، قطع الله منه الوتين، ولا سلك به ذات اليمين ، اما كان يكفيه صاحب ولا صاحبان، ولا حاجب ولا حاجبان ، ولا تابع ولا تابعان ؟ لا قبل الله له صلاة ، ولا قرب له زكاة ، وعمر بجثته الفلاة ، آمين يا رب العالمين .

باقيـــة

ـ يا بنية مكانك حتى أجيء بمن يخرجك منها .

❊ قعد احد المغفلين ليكسر لوزة فزلقت من تحت الحجر فقال :

ـ كل شيء يفر من الموت حتى البهائم !

❊ كتب بعضهم الى صديق له : بسم الله الرحمن الرحيم وجعلني الله فداءك ، لولا علة نسيتها لسرت اليك حتى اعرفك بنفسي والسلام .



مرآة الرأى الغربى

عقدتان تتحكمان فى رئيس الوزراء



عن جريدة « الصندى تلغراف » :

● سير اليك دوجلاس ، رئيس الوزراء ، شجاع ، نبيل ، ودود . ولكن هذه الصفات لا تبدو للمواطنين ، ويبدو لهم منه وجهه الآخر .

فهو يبدو لهم غير محب لمجلس العموم ، شاكا فيه . وهذه عقدة سير اليك الأولى .

وهو يتصرف وكأن كل ما يحاط به رئيس الوزراء من تعظيم وتبجيل هو حق طبيعي له ، وان لم يكن يبذل فى سبيل ذلك ما يستحق من اجله التعظيم والتبجيل . وهذه عقدته الثانية .

لقد كنا ننتظر من رئيس الوزراء ان يسعى لاثبات اهليته بالاتصال بشتى فئات المواطنين ، وشرح سياسته ، ولكنه بدلا من هذا اكتفى بالاحتجاب عن الأعين الا اذا اضطر للظهور . ولا نغالى اذا قلنا ان جولات الرئيس جونسون ، على حداثة عهده فى الحكم ، قد فاقت جولات سير اليك بكثير .

ان المعارضين ، قبل المؤيدين ، يعتقدون ان رئيس الوزراء لو تغلب على هاتين العقدتين ، لكان رئيسا ناجحا ، ولكن هل يستطيع ؟

بريطانيا والسوق الأوروبية المشتركة

عن جريدة « الصندى اكسبريس » :

● كان الاعتقاد السائد بين فئة من الخبراء عندنا أن انضمام بريطانيا للسوق الأوروبية المشتركة ، ضرورة لا بد منها . وحجتهم فى ذلك أن عدم انضمام بريطانيا للسوق الأوروبية سيعنى فى المستقبل : عزلتها عن أوروبا ، وهبوط صادراتها عموما وخاصة الى أوروبا ، وارتفاع نسبة العاطلين عن العمل .

ولقد هز الخبير الثقة ، والسياسى البارز ، لورد جلادوين Gladwyn ، رأسه ، وقال بكل ثقة : « اننا اذا لم ننضم الى السوق الأوروبية المشتركة ، فستحل بنا الكارثة ، وسنصبح على هامش الأحداث ، لأن امريكا وروسيا ستتفاوضان مع دول السوق الست ، دون ان تلتفتا الينا » .

وهذا ما كان يقوله دعاة الانضمام الى السوق الأوروبية .

فما حقيقة الموقف الآن ؟

تقول الاحصائيات ان العاطلين عن العمل قد هبطت نسبتهم هبوطا واضحا ، بدلا من الزيادة المنتظرة .

كما زادت صادراتنا ، وخاصة الى أوروبا ، بدلا من انخفاضها .

وكان الفشل الأول فى توقيع اتفاقية حظر





خروشوف بعد مقتل كندى

عن جريدة « واشنطن بوست » :

● اذا كان العالم قد تألم لمقتل الرئيس كندى ، فان مستر خروشوف كان اول المتألمين ، وذلك بسبب التفاهم الذى قام مؤخرا . وليس هناك من سبب يدعونا الى ان نشك فى ان المستر خروشوف مازال يحمل الرغبة نفسها ، وانه يود ان يقوم تقارب بينه وبين الرئيس جونسون، كالذى كان بينه وبين الرئيس الراحل.

لقد مد الرئيس الروسى يده للرئيس كندى يوم كان الاعتقاد السائد أن روسيا متفوقة على الولايات المتحدة فى ميدان الصواريخ والفضاء ، ويوم كانت الصين بملايينها التى لا تحصى تقف الى جانبه.

ترى هل يغير خروشوف سياسته وقد اصبح اقل قوة بعد انقلاب الصين عليه ؟ لا نظن ذلك . ولكن هذا لا يعنى أن خروشوف غير مستعد للتهديد بالقوة، اذا دعت الحاجة .

وما نرجوه هو ان يمد الرئيس جونسون يده للرئيس الروسى من اجل خير البشرية والسلم العالمى .

الواجب أولا

عن مجلة « سبكتيتور » :

● لقد اضيف الى قائمة المفلسين اسم جديد ، هو اسم بريان جونز Brian Jones وبريان جونز هـــذا ليس من كبار رجال المال ، ولكنه صبى لا يزيد عمره عن ١٦ سنة .

اما كيف اعلن هذا الصبى افلاسه فهو انه اصاب فتاة بأضرار عن غير قصد ، فحكمت لها المحكمة بتعويض قدره ..٤ جنيه ، يدفعها الصبى . ولكن المحامى ارشد هذا الصبى الى أن يعلن افلاسه وانه لا يستطيع ان يدفع هذا المبلـــغ من اجره البالغ أربعة جنيهات فى الأسبوع .

هل سمعتم اسوأ من هذه النصيحة؟ وهل رأيتم شرا من محام يشجع صبيا على التخلى عن التزاماته ؟ لقـــد كان باستطاعة الصبى ان يتحمل المسؤولية ويقوم بسداد المبلغ حسب امكانياته ، ولا شك أن هذه الامكانيات ستتحسن بعد سنوات قليلة، وعندها ستملأ الغبطة والرضى نفس هذا الصبى لأنه استطاع أن يفى بهذه الالتزامات .

ان اول درس يجب ان نعلمه للصغار هو ان يقوموا بواجبهم كاملا مهما كان الثمن .

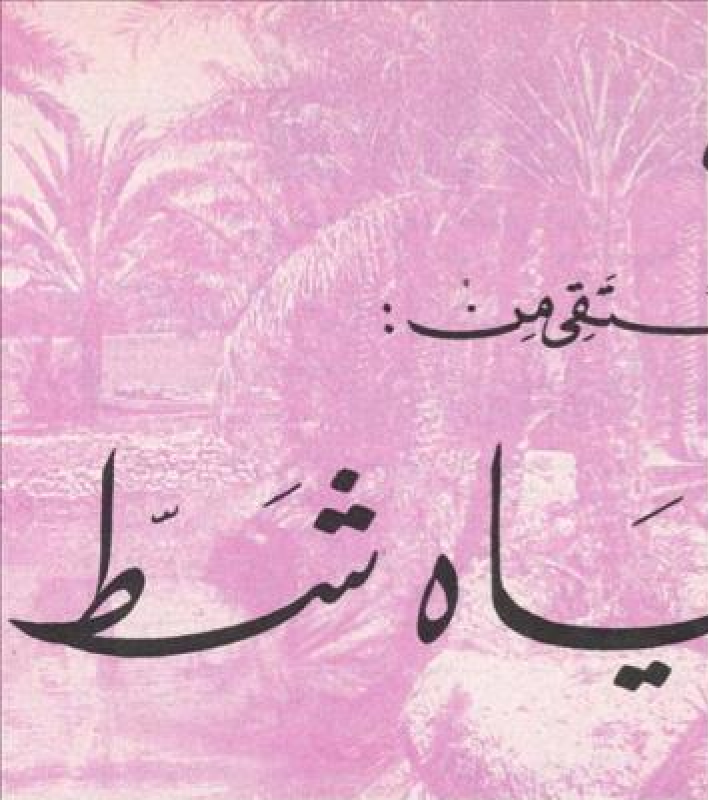
التجارب النووية يعود الى بريطانيا نتيجة لاتصالها المستمر بكل من روسيا وامريكا من اجل هذا . هذا هو واقعنا الآن .

فماذا كان سيحدث لو انضممنا الى السوق المشتركة ؟

كنا الآن نقف الى جـــانب المـــانيا عدوتنا التقليدية ضد فرنسا حليفتنا التقليدية بسبب الخلاف بينهما حول المنتجات الزراعية .

وكنا الآن عضوا فى مؤسسة على وشـــك الانهيار التام !

وهذه حقيقة اعترف بها مؤخرا حتى اللورد جلادوين .



الكويت

هل تستقي من :

مياه شط

«... وستعير الحكومة اهتماما خاصا لمشروع مد مياه شط العرب الى الكويت وستقوم بالدراسات والاتصالات اللازمة لذلك ...»

من خطاب سمو أمير الكويت عند افتتاح مجلس الأمـــة

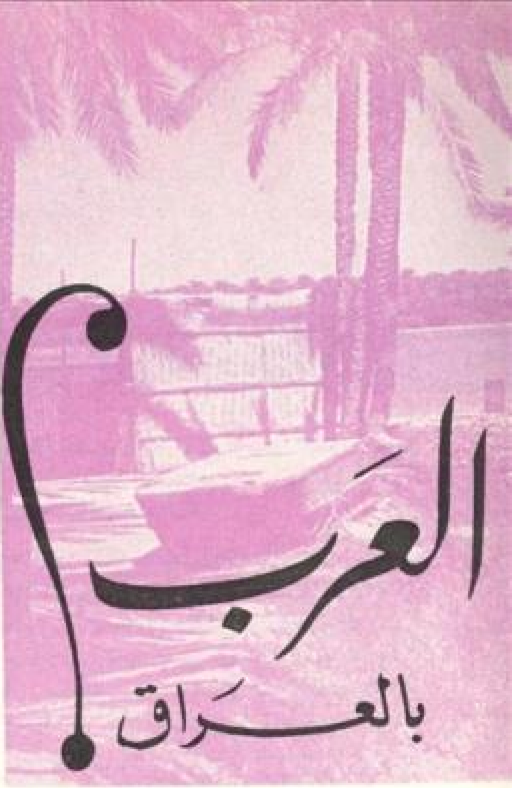
فما الذى تعرفه عن «شط العرب» ؟

من اين ينبع ؟ واين يصب؟ وما مقدار المياه التى تجرى فيه ؟

ثم كيف يمكن مد مياهه الى الكويت؟وما هى الوسائل التى تقترحها وزارة الكهرباء لهذا الغرض ؟

تلك كلها أسئلة تجول بأذهان الكثيرين ، لا فى الكويت وحدها ، وانما فى الجناح الشرقى كله من وطننا العربى الكبير .

ان مشروع مد مياه شط العرب من العراق الى الكويت ، يعتبر من المشاريع المائية الهامة ، التى سيترتب عليهـــا تغيير جذرى فى هذه المنطقة الصحراوية .



وفى هذا المقال يطالع القارىء تفصيلات اولية للمشروع، تنفرد « العربى » بنشرها لأول مرة ..

٧٠ مليارا من الأمتار المكعبة يحملها شط العرب !

عند بلدة القورنة، حيث توجد شجرة قديمة ترجع الى عهد آدم!! فيما يزعمون، يتقابل نهرا دجلة والفرات ، فيلتحمان ليسيرا نحو الجنوب فى مجرى واحد ، الى الخليج العربى .

وهذا المجرى الموحد للنهرين يبلغ طوله ١٨٠ كيلو مترا ، ويطلقون عليه لفظة « نهر شط العرب » .. واهم ظاهرة فيه هى تأثره بعمليتى المد والجزر بالخليج العربى الذى يصب فيه مياهه.

ويبلغ تصريف مياه نهر دجلة ١٤٠٠ متر مكعب من الماء فى الثانية اى ٤٤ مليارا من الأمتار المكعبة فى السنة .

بينما متوسط تصريف نهر الفرات ٨٣٤ مترا مكعبا من الماء فى الثانية ، اى ٢٦ مليارا من الأمتار المكعبة فى السنة .

اى ٧٠ مليارا من الامتار المكعبة يحملها نهر شط العرب معه سنويا ..

أسطول لنقل الماء !

ظلت الكويت ، حتى عام ١٩٥٢ ، تعتمد اعتمادا كليا على مياه شط العرب، فكان اسطول سفنها العربية القديمة ، من نوع « البوم » ، يتجه فى فترات غير منتظمة ــ تعتمد على الحاجة ، والطقس، والظروف السياسية ــ الى شط العرب لينقل ، داخل البراميل الخشبية ، مياها عذبة غير نقية، تحتاج الى غليها ، لتطيرها من الميكروبات قبل استعمالها .

ولم يكن مجموع ما تحمله هذه السفن يتعدى السبعين او الثمانين الف جالون من الماء فى اليوم الواحد .

٧ مليون جالون تشربها الكويت يوميا

وفى بداية عام ١٩٥٣ توقف أسطول نقل الماء عن العمل اذ صار للماء العذب فى الكويت نفسها ٣ مصادر :

١ ــ بدأت المقطرات الحديثة (١) فى تقطير ماء الخليج المالح .

٢ ــ ثم أوصلت الأنابيب لنقل مياه منطقة الروضتين (٢) الى العاصمة .

٣ ــ واخيرا بدأ استعمال الكهرباء لعزل الأملاح عن المياه الجوفية المالحة (٣) .

---

١ ــ ٢ ــ ٣ : راجع أعداد « العربي » رقم ٩ و٤٨ و٥٧ لزيادة التفاصيل عن هذه المشاريع .

وهكذا اصبح لدى الكويت حوالى ١١ مليون جالون من الماء العذب يوميا ..

والى جانب هذا يجرى العمل بهمة لانهاء مشاريع المياه فى كل من : « ام العيش » ، والشويخ ، والشعيبة ، التى ستضيف نحو سبعة ملايين جالون من الماء العذب الى الأحدعشر مليونا السابقة.

هنا تقتير .. وهناك تبذير !

تعب .. وعرق .. ومجهودات جبارة ومصاريف باهظة تبذل للحصول على كل قطرة من الماء العذب .. بينما على مسيرة كذا ميلا ، تندفع مياه شط العرب العذبة فى محاولة جنونية لتحلية مياه الخليج المالحة ، فتلقى فيه يوميا اكثر من عشرة ملايين متر مكعب تضيع هباء ، اذ تظل مياه هذا الخليج على ملوحتها لا تتأثر او تتغير .. بينما الأرض المجاورة ، الكويت ، وفيها تربة واسعة تصلح للزراعة ، تصرخ وتستنجد تطلب الماء .

عودة الروح

وفى مطلع عام ١٩٥٤ بدأت الكويت تضع الدراسات لجلب هذه المياه الطبيعية العذبة الى اراضيها ، فقام المستشارون العالميون بوضع التقارير والدراسات المفصلة عن كل ما يتطلبه هذا المشروع.

وبدأت مناقشة هذه التقارير ، وتعاقبت الأيام ، وظهرت متاعب عديدة فى الأفق ، فمرت السنون ، ومرت معها الأزمات المفتعلة التى اختلقها عبدالكريم قاسم بين العراق والكويت ... وعاد الحديث يدور من جديد لجلب مياه شط العرب الى الكويت ، وبدأت الصحف تنشر العناوين العريضة تذكر الناس بأمر هذه المياه ، التى كادت عوامل الزمان تنسج عليها خيوط النسيان ..

الفرق بين الأمس واليوم

وأخرجت الملفات والتقارير ، وانزاح عنها الغبار ليبدأ المختصون دراستها من جديد .. وسرعان ما ظهر قدمها وعدم مطابقتها لحالة البلاد الحالية ..

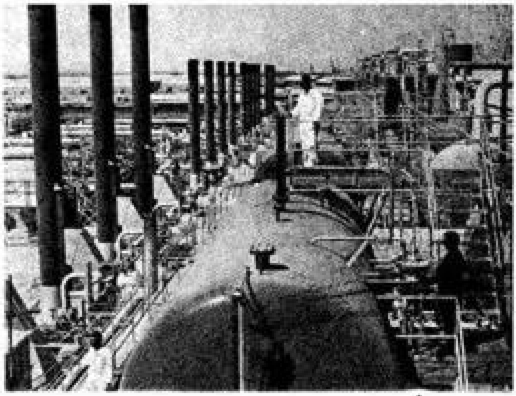
فالمنطقة الشمالية من الكويت كانت ـ ساعة وضع هذه التقارير ـ منطقة صحراوية جرداء .. اما اليوم فقد ظهر فيها الماء والنفط ومعه الغاز الثمين وشُق فيها طريق بديع .. وأقيمت فيها مساكن للموظفين .

امور كثيرة تبدلت لصالح المشروع .. فالتقارير الأولى كانت تشير مثلا الى ضرورة توصيل الغاز من حقل الزيت ، حقل البرقان الذي يبعد ٢٢٠ كيلو مترا الى مناطق مد الانابيب ليستخدم فى محطات ضخ المياه .. اما اليوم فالغاز اصبح على بعد كيلومترات .

والطريق الجديد سيسهل عملية النقل المختلفة ويجعلها أسرع .. والخزان الأرضي الكبير ومحطة الضخ والانابيب التى أقيمت لضخ مياه الروضتين الى العاصمة ، سيمكن استعمالها لخزن وتوصيل قسم كبير من المياه المقترح جلبها من شط العرب ..

ضمان داخلي يعتمد عليه

ان التقرير القديم وضع فى وقت لم يكن لدى الكويت فيه اى كمية تذكر من المياه العذبة داخل اراضيها ، الأمر الذى كان سيعرضها لأعظم المخاطر فى حالة انقطاع المياه لأى سبب كان . اما الآن فلدى الكويت محطات جبارة للتقطير ، ولديها مياه الروضتين ، التى تؤمن حدا ادنى يمكن اللجوء اليه فى حالة وقوع اى اضطراب فى الخط .. اى ان الكويت اصبح لديها ضمان داخلي كبير يمكنها الاعتماد عليه ..




جلب مياه شط العرب يوفر للكويت ملايين الجنيهات

ان معمل التقطير يقوم بتقطير مياه الخليج العربي المالحة ليحولها الى مياه عذبة .. وتبلغ تكاليف تقطير الألف جالون (١/٢ ٤ من الامتار المكعبة) اكثر من ثلاثمائة فلس او مليم . ومياه الروضتين وأم العيش تكلف حوالي ١٥٠ فلسا لكل الف جالون .

بينما يقدرون ثمن الألف جالون التي سينقلها مشروع شط العرب .. باقل من ٩٠ فلسـا .

اى ان التكاليف ستنخفض الى أقل من الثلث !!

لغة الأرقام

وتشـير التقديرات الى ان الكويت تستهلك حاليا سبعة ملايين جالون من الماء العـذب يوميا (المتر المكعب ٢٢٢ جالونا) .. واذا استمر ازدياد السكان وامتداد العمران على نفس النمط ، فان حاجة البلاد ستصل الى ٤٠ مليون جالون من الماء يوميا بعد عشر سنوات .. ونفس الاحصاءات تؤكد ان اقصى كمية من الماء العذب يمكن أن يصل اليها انتاج المقطرات القديمة والحديثة ، وآبار الروضتين سيكون ١٨ مليون جالون في اليوم الواحد . وهذا لن يكون قبل منتصف عام ١٩٦٥

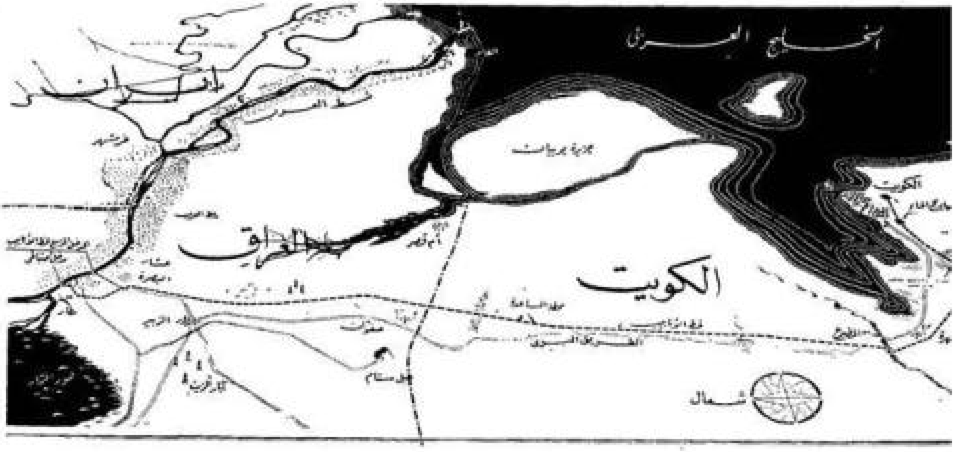
وهنا تبدو حاجة الكويت الماسة الى مصادر جديدة لجلب الماء لتغطية الحاجة خلال العشر السنوات القادمة ومقدارها ٢٢ مليونا من الجالونات .. عدا الحاجة للزراعة .

ارخص المصادر وأكبرها

ان زيادة مقطرات الماء ممكنة ، لكنها ليست الطريقة العملية الاقتصـادية المثلى ، لانه قد ثبت أن جلب مياه شط العرب هو اكبر ، وارخص ، واسـهل مصدر لتأمين حاجة البلاد من الماء العذب ، مهما ازداد الطلب واشتد الضغط على الماء ..

٥٪ فقط !

ويقدر الخبراء حاجة الكويت للمياه العذبة ، خـلال العشرين او الخمس والعشرين سنة القادمة ، بنحو ١٠٠ مليون جالون يوميا لمختلف الأغراض ، اى بنسبة ٥٪ فقط من كمية المياه التي يصبها شط العرب في الخليج يوميا ! بينما الاستهلاك الحالي للمياه العذبة لا يتعدى السبعة ملايين جالون يوميا .



هكذا تخيل الرسام الطريق الذي سيمر فيه خط الانابيب المقترح مده ، لسحب مياه شط العرب من العراق الى الكويت . وسيكون طول هذه الانابيب نحو ١٨٠ كيلو متراً تتخللها محطات لضخ الماء

لماذا تعتبر الأنابيب أكثر ملاءمة من شق قناة

اما عن كيفية نقل هذه الكمية من الماء الى الكويت .. فالرأى ان تنقل بالأنابيب لعدة اسباب ، اهمها ارتفاع تكاليف حفر القناة وصيانتها، مع تعرض المياه للتبخير الشديد ، بسبب ارتفاع الحرارة في الصيف ، وكذلك تعرضها للعواصف الرملية التي تهب على المنطقة ..

على مرحلتين

وسيتم مشروع جلب المياه ، عند الموافقة النهائية ، على مرحلتين :

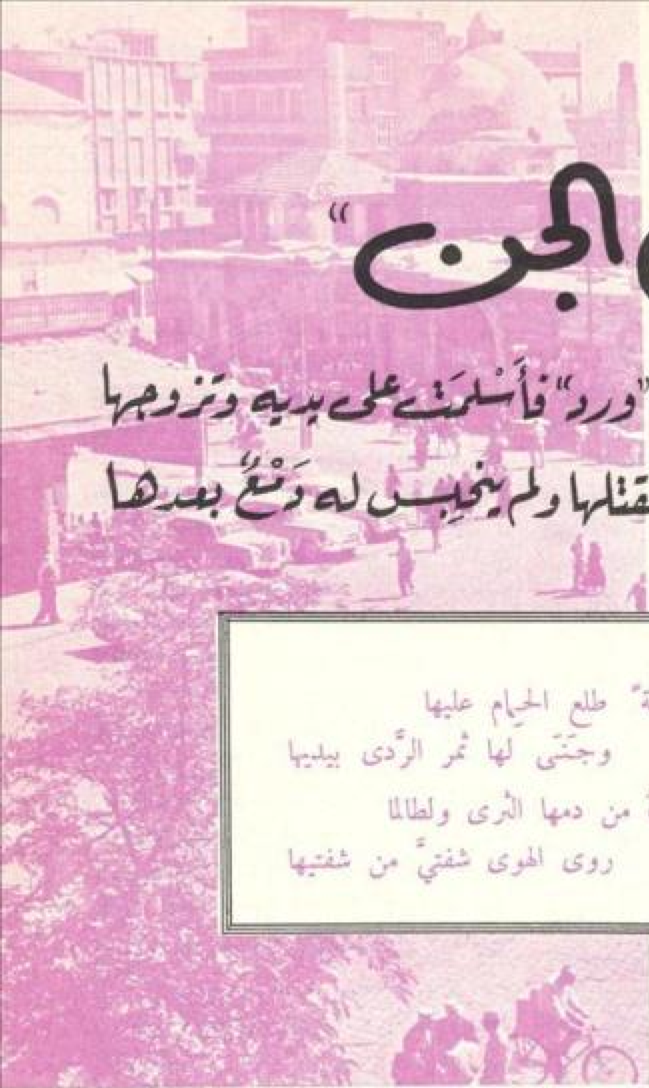
المرحلة الأولى يجلب عندها ٦٠ مليون جالون يوميا ، بواسطة خط انابيب واحد او اثنين ، يساعد ماءها على الجريان محطات الضخ والكهرباء اللازمة وغيرها على اساس امكانية ضخ ضعف الكمية في المستقبل عند الحاجة .

٤٠ شهرا لانجاز المشروع

اما عن المدة اللازمة وتكاليف انشاء هذه الخطوط مع مضخاتها ، فلا يمكن الاعتماد على الأوقات والتكاليف التي ذكرها التقرير ، لأن العوامل التي استجدت على المنطقة ، والتي سبق ذكرها ، تجعل من الضروري اعادة النظر في هاتين النقطتين .. ولكنهم يقدرون المدة التي يستغرقها انجاز هذا المشروع بنحو ٤٠ شهرا اعتبارا من تاريخ بدء المباشرة بالتنفيذ ..

العقدة تنحل ..

ان مشروع مد مياه شط العرب الذي يقوم مجلس الوزراء الكويتي ومجلس التخطيط بدراسته الآن ، سيخلق كويتا اخرى .. تتحول رمالها الصفراء الى جنات خضراء .. ويفك عقدة المشكلة التي ظلت جاثمة على الكويت منذ كانت الكويت !! ■■



"ديك الجن"

عصف به حبُّ "ورد" فأسلمت على يديه وتزوجها
ثم ائتمروا به وبها فقتلها ولم ينحبس له دمعٌ بعدها

صاحب المرثية الشهيرة
التى مطلعها :

يا طلعة" طلع الحمام عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
رَوَّيْتُ من دمها الثرى ولطالما
روى الهوى شفتيَّ من شفتيها

بقلم : الدكتور
محمد محمود الدش

■ أسم غريب ، وهو لقب ، لشاعر حاله بين الشعراء حال غريب .

أما الاسم الحقيقى لهذا الشاعر ـ الذى تعتبر قصة حياته أو قصة حبه مأساة حقيقية ـ فهو عبد السلام بن رغبان .

واذا كانت مأساة عبد السلام فيها بعض الغرابة فان فى حياته كلها جوانب أخرى من الغرابة . من ذلك :

انه ولد فى الشام ، وفى حمص بالذات ، سنة ١٦١ هـ . وعاش نحوا من ٧٥ عاما لم يبرح فيها نواحى الشام ، ولا وفد الى العراق ، ولا الى غيره ، ولا قصد بشعره الخلفاء والأمراء والوزراء فى بغداد ، ولا تصدى لأحد منهم ، على عادة الشعراء فى ذلك الوقت من حياة الدولة العباسية وازدهارها ، اذ كان هؤلاء الشعراء يفدون من الاقاليم ومن البادية الى بغداد ليظفروا بالثراء من طريق الحياة فى ظل بلاط الخلافة وقصور وجهاء الدولة وقوادها .

حبس نفسه فحبس شعره معه

وليس من شك فى أن اقامة عبد السلام الدائمة

فى الشام حرمته من الشهرة كما حرمت شعره من الذيوع والشيوع بين الناس ، أى أن انحصار هذه الاقامة وحبسه نفسه فى هذا الاقليم كان سببا مهما فى ضيق المجال الذى ذهب فيه ذكرُه وشعرُه ، وفى قلة الفنون والأغراض التى تناولها هذا الشعر ، كما كان سببا فى توفير خصائص معينة وسمات خاصة له فى المعنى والمبنى يمكن أن توصف ـ عامة ـ بالشامية . وعلى الرغم من أن القليل من شعره الذى بين أيدينا يدلنا على أن شعره جيد ، كما أن الرواة ، والنقاد يرون فيما كتبوه عنه أنه شاعر مجيد ، فان شعره لم يحظ بالبقاء ، ولم يصل الينا منه الا النذر اليسير ، فكأنه هو شعره ، كانا غريبين فى ذلك العصر ، وظلا غريبين فى كتب الأدب والتاريخ التى أرخت للشعراء وجمعت شعرهم ، واغلب الظن انه سيظل غريبا على قراء العربية غير المتخصصين .

شعره اقتصر على فنين : الغزل والرثاء

ومن وجوه الغرابة فى حياته وشعره أن هذا الشعر ، كما ذكرته لم تتعدد له الأغراض ولم تتنوع به طرائق الانشاء ، لأننا نعرف أن معظم شعره اقتصر ـ سوى بعض المدائح ـ على فنين من فنون الشعر هما الغزل والرثاء ، والكثرة للرثاء .

وهذا الرثاء يصور الفاجعة أو المأساة فى حياة ديك الجن .

ديك الجن يحب جارية

وتبدأ القصة حينما احب جارية نصرانية من أهل حمص ، اسمها وَرْد ، فهَويها واشتهر بحبها ، وذاع هواه اياها بين الناس ، وتمادى به الأمر حتى غلب عليه وذهب به . فلما اشتهر بها دعاها الى الاسلام ليتزوج بها ، فأجابته لعلمها بحقيقة رغبته فيها ، وأسلمت على يده ، فتزوجها وهو يقول فيها قبل زواجه بها :

انظُرْ الى شمس القصور وبدْرِها
والى خُزاماها وبهجة زَهْرِها

لم تبك عينك أبيضا فى أسود
جمع الجمالُ كوجهها فى شَعرِها

ورديةُ الوَجَنات يختبر اسمها
من ريقها من لا يُحيط بخبْرِها

وتمايلتْ فضحكتُ من أردافها
عجبا ، ولكنى بكيت لخصرِها

وليس من شك فى أن ديك الجن،أو عبدالسلام، قال شعرا كثيرا فى هذه الفتاة التى أحبها قبل أن يتزوجها ، وظل متيما بحبه لها ورغبته فى الحصول عليها ، حتى استطاع ان يحثها على الاسلام ، ويتزوج بها .

يترك « حمص » الى « سلمية »

وعاش عبد السلام مع محبوبته وَرْد ، زوجين متحابين ترفرف عليهما أجنحة المحبة والسعادة ، ولكن الأمور لم تجر على هواهما ، ولا الريح بما تشتهى سفينتهما ، اذ أعسر عبد السلام وضاقت الأحوال به واختلت ، فطلب المال من غير حمص ، ورحل الى سلمية ، تاركا زوجته وردا ، ومضى يقصد بعض الوجوه بمديحه ليحصل على ما يفرج كربته من عطاء أحمد بن على الهاشمى . ويبدو أن عبد السلام كان قد اعتاد كلما ألمت به ضائقة ، ان يترك حمص ويقصد احمد هذا واخاه جعفر فيظفر منهما بالمال ثم يعود الى بلده حمص .

تشيعة وشعوبيته

والظاهر أن مدحه اياهما كان جزءا من تشيعه، لأن المصادر تذكر لنا انه كان يتشيع تشيعا حسنا ، وكان فى نفس الوقت شعوبيا شديد العصبية على العرب ، يقول : ما للعرب علينا فضل ، جمعتنا واياهم ولادة ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، واسلمنا كما اسلموا ، ومن قتل منهم رجلا منا قتل به ، ولم نجد الله عز وجل فضلهم علينا اذ جمعنا الدين .

ومن المعروف انه كانت فى هذا العصر حركة

شعوبية ضد العرب وحكمهم فاشية" بين الموالى، ومنهم عبد السلام هذا ، كان القصد منها ادالة دولة العرب وسلطانهم ، واقامة حكم غير عربى ، أو حكم فارسى على وجه التخصيص . ومن هنا نستطيع أن نفسر وجها من وجوه حياة ديك الجن حين حبس نفسه فى بلاد الشام ولم يقصد غيرها من اقاليم الدولة الاسلامية وخاصة العراق حيث كان يقيم الخليفة العباسى ويظهر سلطانه هناك بقوة ووضوح وسلطان الأمراء والوجوه من العرب، وحين لم يطلب المال عن طريق مديحهم بشعره . ولا شك أن خوفه الشديد هو الذى فرض عليه هذا الحبس . ومن المعروف أيضا أن التشيع كان احدى الطرائق التى يتستر بها عبد السلام واضرابه من الشعوبيين المتعصبين خوفا من سلطان الخلافة وبطشها بهم وبغيرهم من ذوى الميول الهدامة فى الدولة . ومن الأدلة أيضا على تشيع ديك الجن أن له مراثى كثيرة فى الحسين ابن على، منها قصيدة كان يناح بها على الحسين.

مؤامرة تحاك حول زوجته ، فى غيبته

ونعود الى زوجته ورد بعد أن تركها فى حمص، ومضى الى سلمية ، ليحصل على بعض المال من أجل عيشه وعيشها معه ، فنجد أنها ظلت فى بيتها وفية لزوجها المحب الغائب ، حريصة على عرضه ، أمينة على شرفها وشرفه ، ولكن مؤامرة كانت تحاك فى الخفاء دون علمها أو علم زوجها .

فقد كان لعبد السلام ابن عم يدعى أبا الطيب، وكان بينهما ضغن قديم ، حتى أن عبد السلام كان يهجوه بشعره فى بعض الأحيان . وسبب هذا الضغن غير واضح بالنسبة لنا وان كنا نرجح أن أبا الطيب هذا كان يكره من ابن عمه عبدالسلام أن يكون عاشقا لجارية نصرانية ثم زوجا لها . ويدلنا على ذلك أنه لما ترك عبد السلام زوجته ومضى ، فاقام مدة طويلة فى سلمية فى كنف أحمد ابن على الهاشمى وأخيه جعفر ، استهدف أبو الطيب وردا وجعلها هدفا لشائعات خبيثة تنال من عرضها وشرفها ، ولم يهمه أنه بذلك انما ينال من عرض ابن عمه وشرفه أيضا .

روى أبو الفرج أن أبا الطيب « اذاع على تلك المراة التى تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاما له ، وقرر ذلك عند جماعة من اهل بيته وجيرانه واخوانه، وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبدالسلام. فكتب الى احمد بن على شعرا يستأذنه فى الرجوع الى حمص ويعلمه ما بلغه من خبر المراة من قصيدة اولها :

ان رَيْب الزمان طال انتكاثه
كم رمتني بحادث أحداثه

يقول فيها :

ظبيٌ انس قلبى مَقيلٌ شجاه
وفؤادى بَريره وكِباثه

خيفةٌ أن يخون عهدى وان
يَضحى لغيرى حجوله ورعاثه

ومدح أحمد بعد هذا . وهى قصيدة طويلة ، فاذن له .

ديك الجن يعود الى حمص

فعاد الى حمص . وقر ابن عمه وقت قدومه ، فارصد له قوما يعلمونه بموافاته باب حمص ، فلما وافاه خرج اليه مستقبلا ومعنفا على تمسكه بهذه المراة بعد ما شاع ذكرها بالفساد ، وأشار عليه بطلاقها ، وأعلمه أنها قد أحدثت فى مغيبه حادثة لا يجمل به معها المقام عليها. ودسّ الرجلَ الذى رماها به ، وقال له : اذا قدم عبد السلام ودخل منزله، فقف على بابه كانك لم تعلم بقدومه، وناد باسم ورد ، فاذا قال من انت ؟ فقل انا فلان . فلما نزل عبد السلام منزله والقى ثيابه سالها عن الخبر ، وأغلظ عليها فاجابته جواب من لا يعرف من القصة شيئا .

ديك الجن يقتل زوجته

فبينما هو فى ذلك اذ قرع الرجل الباب، فقالت من هذا ؟ قال انا فلان، فقال لها عبد السلام : يا زانية ، زعمت انك لا تعرفين من هذا الأمر

شيئا . ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها ، وقال فى ذلك :

لك نفس مؤاتية والمنايا معادية
أيها القلب لا تعد لهوى البيض ثانية
ليس برقٌ يكون اخلب من برق غانية
خنتِ سرّى ولم أخنك فموتى علانية

عندما تكشفت الحقيقة لديك الجن

وبلغ الامير الخبر ، فطلبه ، فخرج الى دمشق ، فاقام بها اياما . وكتب احمد بن على الى امير دمشق ان يؤمنه ويتحمل عليه باخوانه حتى يستوهبوا خيانته . فقدم حمص ، وبلغه الخبر على حقيقته وصحته ، واستيقنه ، فندم، ومكث شهرا لا يستفيق من البكاء ، ولا يَطعم الا ما يُقيم رَمَقه . وقال فى ندمه على قتلها :

يا طلعةً طلع الحِمام عليها
وجَنَى لها ثمر الرَّدى بيديها

رَوَّيْتُ من دمها الثرى ولطالما
روى الهوى شفتىَّ من شفتيها

قد بات سيفى فى مجال وشاحها
ومدامعى تجرى على خدّيها

ما كان قتليها لأنى لم أكن
أبكى اذا سقط الذباب عليها

لكنْ ضَنِنتُ على العيون بحُسْنها
وأنِفتُ من نظر الحسود اليها

وعلى هذا النحو ظل عبد السلام يعزف ألحان الحزن والأسى ، باكيا زوجته ومحبوبته وردا بعد ان تأكد من أنها كانت ضحية وشاية رخيصة ، وانها كانت خير زوجة تحفظ حق زوجها وتصون كرامته فى غيابه عنها . وجعل يردد اشعار الرثاء والبكاء والندم ، بما يفيض من ذوب نفسه حرقة ولوعة وألما :

أشفقتُ أن يَرِد الزمانُ بغدره
أو أُبتلىَ بعد الوصال بهجره

قمرٌ أنا استخرجته من دُجْنة
لبليتى وجَلَوته من خِدره

فقتلته وبه علىَّ كرامةٌ
ملءُ الحشى ، وله الفؤاد بأسره

عهدى به ميتًا كأحسن نائم
والحزن يسفح عبرتى فى نحره

يستنفد مراثيه فى بكاء ورد

وأحسب أن ديك الجن ، عبد السلام ، ما تعلم البكاء والرثاء الا منذ هذه المأساة أو هذه الفاجعة ، اذ يروى أنه استنفد شعره بعد ذلك ذلك فى مراثى ورد ، فجاءت أشعاره فى هذا المجال قطعا من نفسه وذَوْبا من قلبه وحسه . وأحسب ايضا أن قصيدته التى قالها فى رثاء الحسين ابن على ، ومر بنا ذكرها منذ حين ، انما جاءت بعد هذه الفاجعة فسارت بين الناس وجعلوا يرددونها وينوحون بها .

يفزع من حزنه الى ضروب من المجون

ولعله أراد بعد ذلك أن يتعزى عن المصاب الذىألم به ففزع يتسلى بصنوف منالمجونوضروب من الخلاعة ، اذ يحدثنا ابن اخ له يدعى أبا وهب الحمصى فيقول : كان عمى خليعا ماجنا منعكفا على القصف واللهو ، متلافا لما ورث عن آبائه وما اكتسب بشعره من احمد وجعفر ابنى على الهاشميين . كما كان ابن عمه أبو الطيب يعظه وينهاه عما يفعله ، ويحول بينه وبين ما يؤثره ويركبه من لذاته ، وربما هجم عليه وعنده قوم من السفهاء والمجان وأهل الخلاعة فيستخف به. وكانً ابن عمه هذا كان يشعر بعظم الجرم الذى ارتكبه فى حقه وبانه السبب فيما آلت اليه حال عبد السلام من اسراف فى المجون والخلاعةوالسفه فاراد أن يكفر عن بعض جرمه بان ينصح ابن عمه ويخرجه عن السير فى هذا الطريق المهلك ويوقفه عن المضى فيه الى غايته .

وعشق غلاما

ومما يذكر عنه فى هذا المجال ، مجال المجانة

والخلاعة ، انه عشق غلاما من اهل حمص يقال له بكر ، وجعل يقول فيه الشعر متغزلا فيه ، ومن ذلك قوله فيه وقد جلسا يوما يتحدثان الى أن غاب القمر :

دَعِ البدرَ فليغربْ فأنت لنا بدرُ
اذا ما تجلّى عن محاسنك الفجرُ

اذا ما انقضى سحر الذين ببابلٍ
فطرفك لى سحرٌ وريقك لى خمرُ

ولو قيل لى: قمْ فادْعُ أحسن من ترى
لصحتُ بأعلى الصوت: يابكرُ يابكرُ

ولم يكن غزل عبد السلام بالمذكر بدعا فى ذلك العصر ، وانما كان ذلك شيئا فاشيا بين الشعراء الذين طرقوا هذا الغرض من اوسع أبوابه واكثروا من القول فيه ، لأن الغلمان من الموالى والرقيق كانوا قد انتشروا فى كل مكان ، فلم يخل منهم قصر كبير ، ولا دار وجيه ، ولا حانة خمر ، ولا سوق نخاسة . وكانوا يتسمون فى هذا العصر بالملاحة والاثارة بما فتن الشعراء بهم الى الدرجة التى كانوا فيها لا يعشقون الجارية الا اذا كانت غلامية المظهر والملبس ، وزعيمهم فى هذا الباب الشاعر المشهور الحسن بن هانىء ، ابو نواس .

أبو نواس يزور ديك الجن وهو فى طريقه الى مصر

ومن الطريف ان ابا نواس زار ديك الجن فى حمص حينما اجتاز بها فى طريقه الى مصر قاصدا مدح الخصيب . وكان ديك الجن حينما سمع بوصوله قد استخفى منه خوفا ان يظهر لأبى نواس انه مقصر بالنسبة اليه ، فقصده ابونواس فى داره وهو بها ، فطرق الباب واستأذن عليه ، فقالت الجارية : ليس هو هنا ، فعرف مقصده ، فقال لها : قولى له اخرج ، فقد فتنتَ اهل العراق بقولك :

موردةٌ من كفّ ظبىٍ كأنما
تناولها من خدّه فأدارها

فلما سمع ديك الجن ذلك خرج اليه واجتمع به واضافه .

فابو نواس لا يغريه بزيارة ديك الجن الا اجادته فى فن الخمر وغزل الغلمان ، من مثل قوله :

ونلْ من عظيم الوزْر كل عظيمة
اذا ذُكرت خاف الحفيظان نارَها

وقمْ أنتَ فاحثث كأسها غيرَ صاغرٍ
ولا تسقِ الا خمرها ومقارها

فقام تكاد الكأسُ تحرق كفّه
من الشمس أو من وجنتيه استعارُها

التلهى والمجون لم يصرفا ديك الجن عن محنته فى زوجته

على ان ذلك كله لم يغير من طريق ديك الجن بعد محنته التى ظل يذكرها ويرددها ولم تلهه عنها وسائله فى التلهى عنها ،وتظل بعد هذا اشعاره فى البكاء والرثاء اجود شعره بما ينفثه فيها من زفرات حارة وانفاس ملتهبة حامية ، حرقة على ورد ، حتى انه ما رثا بها احدا من الناس غير ورد .

بين ديك الجن وأبى تمام

ولا غرو ان يكون ابو تمام تلميذا لديك الجن فى فن الرثاء ، ولو أن ديك الجنّ عمّر الى أن مات ابو تمام ورثاه . وكان ابو تمام ، وهو شاعر ناشىء ، قد قصد ديك الجن يعرض عليه اشعاره الفضة ، فاعطاه ديك الجن دَرْجا كبيرا فيه كثير من شعره وقال له : يا فتى تكسّبْ بهذا واستعن به على قولك . ونما ابو تمام ، وذاع صيته فى ارجاء الدولة الاسلامية ، ومات ، بينما استاذه ديك الجن كان لا يزال حبيس خوفه لا يبرح الشام ، منطويا على نفسه فى حمص ، منطويا على آلام مأساته ، وذكرى زوجته ومحبوبته .

■■

محمد محمود الدش



دردشة

ضابط حاضر البديهة



● قام ونستون تشرشل بصفته وزيرا للبحرية فى اوائل الحرب العالمية الثانية بزيارة تفتيشية لاحدى السفن الحربية ، وكانت قد اجريت تنقلات غير عادية فى بحارة السفينة ، فاقترب تشرشل من ضابط صغير الرتبة مسؤول عن احد الاقسام وقال له : اننى اعتقد انك تعرف اسماء جميع الرجال الذين يعملون معك فى القسم .

وكان السؤال مباغتا له ، فارتبك ، ولكنه تمالك نفسه بسرعة وقال : نعم يا سيدى .

فسأله تشرشل : ما اسم هذا الرجل ؟

فأجاب الضابط ارثر سميث ، يا سيدى .

ولاحظ تشرشل فترة التردد القصيرة قبل الاجابة ، فشك فى الأمر ، والتفت الى الرجل وسأله عن اسمه . فجاء الرد من بين شفتى البحار وليام سمارت : « اسمى ارثر سميث ، يا سيدى ! » .

نصيحة

● هناك فترتان فى عمر الرجل يجب عليه فيهما ان يفكر فى الزواج : فى العشرين ، حينما لا يكون يعرف ماذا سيحدث له ، وفى الثمانين ، حينما لا يهتم بما يحدث له !

السعادة الحقة

● « اذا اردت ان تسعد رجلا فلا تعمل على زيادة ثروته ، ولكن حاول ان تقلل من رغباته » .

(سنكا)

محام ذكى

● قال المحامي فى معرض الدفاع عن موكله المتهم بالسرقة : ان موكلى لم يرتكب جريمة ما ، وكل ما هناك انه كان مارا بتلك الشرفة المطلة على الطريق ، فامتدت يده اليمنى الى الصندوق الذى كان بها واخذته . ولا شك فى انكم توافقوننى على ان اليد ليست سوى عضو من الأعضاء الكثيرة فى الجسم ، فمن العدالة الا تؤخذ الأعضاء كلها بجريمة عضو واحد منها !

فقال له رئيس المحكمة : ان حجتك منطقية جدا ، ولذلك قضت المحكمة بحبس يد المتهم اليمنى التى سرقت الصندوق سنة مع الشغل . وهو حر فى أن يصحبها أو لا يصحبها الى السجن !

وشد ما كانت دهشة القضاة اذ راوا المتهم يخلع ذراعه الصناعية ثم يتركها على منصة المحكمة ويخرج من القاعة !

الشاعر لافونتين

● دعا الأمير « دى كونديه » الشاعر لافونتين لتناول العشاء عنده ، فنسى الشاعر الموعد ، فغضب الأمير لهذا الاهمال الذى عده اهانة له .

وتذكر لافونتين بعد أيام انه أخل بواجب اللياقة، فذهب الى قصر الامير للاعتذار ، وعندما رآه ادار له ظهره ، فاقترب منه لافونتين قائلا : لقد كذب الذين قالوا انك غاضب على يا سمو الأمير !

قال الأمير : وكيف ذلك ؟

قال لافونتين : لانك تدير لى ظهرك ، ولم أعهدك قط تدير ظهرك للعدو ، بل تقابله بصدرك .

وكان هذا كافيا لرضا الأمير .

أديسون فى الثمانين

● كان توماس أديسون يعمل بدون كلل او ملل ، وفى عيد ميلاده الثمانين اقترح عليه احد أصدقائه أن الوقت قد حان كى يخفف من ساعات عمله وأن يتخذ له هواية ما كلعبة الجولف مثلا . فأجابه أديسون : اننى لم أبلغ من العمر عتيا حتى الآن



نصيحة من شـو تجعلها أشهر ممثلة على المسرح

● ذهبت ممثلة ناشئة الى برنادر شو وسالته ان يبدى لها رأيه فى قدرتها على التمثيل . وبعد ان مثلت امامه عدة أدوار ، أغرق فى الضحك ثم قال:

اذهبى يا بنيتى وتزوجى ، وليكن لك طفلان أو ثلاثة ، وتمرسى قليلا بحقيقة الحياة ، وعندئذ ربما تصبحين قادرة على أن تمثلى .

ففعلت . وعادت الى المسرح بعد غيبة دامت خمس سنوات ، فصارت سيبيل ثورندايك ، اشهر ممثلات المسرح الانكليزى .

قـراءة البخت

● أثناء محاكمة احدى قارئات البخت «العرافات» فى الولايات المتحدة الأمريكية وعدها القاضى بانه سيوقف تنفيذ الحكم اذا استطاعت ان تعـرف عدد الأيام التى قررت المحكمة الحكم عليها بها .

فقالت العرافة : ثلاثون يوما .

وقال القاضى : كلا ... بل خمسة وعشرون يوما .

ووقعت عليها العقوبة وأمضت مدة فى السجن.

ان قراءة البخت أو العرافة فن من الفنون قديم قدم البشرية ، ومع ذلك فهى ما زالت منتشرة فى بلاد كثيرة حتى يومنا هذا . فهناك الملايين من الرجال والنساء يلجأون الى العرافين لسؤالهم عما يخبىء لهم المستقبل بين طياته .

وتقول الاحصائيات ان فى فرنسا اليوم ما يقرب من خمسة وثلاثين ألف عراف يستشيرهم مائة ألف شخص على الأقل يوميا . واستشارة العراف ليست رخيصة التكاليف ، فالجلسة الواحدة قد تكلف خمسة جنيهات .

وقراءة البخت من الأعمال الرائجة والمربحة فى اليابان ، حتى أن كبار رجال الأعمـــال الذين يعتزمون عقد صفقات كبيرة ، وممثلات السينما اللواتى تعرض عليهن العروض للقيـــام بأدوار البطولة فى الأفلام ، كثيرا ما يقصدون العرافين سعيا وراء المشورة والنصح . وما زال أناس كثيرون حتى يومنا هذا يؤمنون بقراءة البخت .

وقد تفرغ الألوف من اليابانيين ، نساء ورجالا، تفرغا تاما لقراءة البخت . ومن هؤلاء العرافين من كسب ثروة ضخمة من العرافة ، فهم يعيشـون فى قصور فخمة .. وزبائنهم هم مشاهير رجال المال والأعمال والسياسة .



أنباء الطب والعلم والاختراع

الماء .. وتسويس الأسنان ..

● من الأمور التى أثارت جدلا طويلا فى الأوساط الطبية معالجة ماء الشرب الذى توزعه البلديات على الناس فى المدن وغير المدن بمادة مفروض فيها انها تدخل فى الجسم فلا تضر به ، وانما هى تحمى مادة الأسنان من التسويس اذ تقوم عائقا تمنع المكروبات التى تدخل الى الفم مع الطعام من اتلاف الميناء التى تغطى الأسنان فتحميها ، اذ تكسوها من ظاهرها .

اما هذه المادة التى تضاف الى ماء الشرب فهى ملح من أملاح عنصر الفلور ، وهو أخ للعنصر المشهور عنصر الكلور . فهى اذن فلوريد . وهذا الفلوريد ، ككثير من المواد ، سام اذا أعطى بكميات كبيرة ، نافع فى حفظ الأسنان اذا أعطى بكميات قليلة . وهو يضاف الى ماء الشرب بنسبة جزء واحد منهفى كل مليون جزء من الماء.

وقد اتبعت كثير من الدول ، كأستراليا ، وبلجيكا ، والبرازيل ، وكندا ، والمانيا ، وسويسرا ، والنرويج واليابان ، وغير هؤلاء ، اتبعت رأى الجانب الطبى الموافق على اضافة ملح الفلور الى الماء فقامت بفلورة مياهها التى تفرقها على الناس .

والطريف الحديث من الأخبار ،أنه جاء الدور على مدينة تورنتو الكبيرة، بكندا ، ان تنظر فى فلورة ماء شربها . وكان لا بد من استفتاء أهل المدينة : نفلور أو لا نفلور؟ ووافق على الفلورة ١٩٠٠٠٠ صوت ، وعارض١٧٠٠٠٠ صوت. ومضت سلطات الماء بالبلديات تفلور الماء .

ولكن ما كادت السلطات تفعلذلك حتى قامت شركة تبيع للناس جهازا للترشيح ، يستخدمه المعارضون للفلورة فى بيوتهم ، فيمتص الفلوريد من الماء !!

نقل الدم عند الجراحة

● فى الجراحات الكبيرة،وجراحات القلب خاصة ، يحتاج المريض فيها الى تزويد جسمه بدم يؤخذ من شخص غيره . ومن أجل هذا كانت بنوك الدم المحفوظ فىالمستشفيات .

ولكن الدماء صنوف،ولا يمكن نقل دم من شخص الى شخص اختلفت صنوفهما ، ولهذا يفحص دم المريض ليُعرَف أولا من أى مجموعة من مجموعات الدم هو ، ليُجهَّز له دم مذخور من هذه المجموعة لاستخدامه عند الحاجة .

والتجربة التى نذكرها اليوم هى تجربة امرأة دخلت مستشفى تشكو مرضا ، وبعد الفحص تبين أن



القلق .. من أكبر أسباب ارتفاع ضغط الدم

● انها دراسة أجريت فى قبائل الزولو بجنوب افريقية .

والزولو هناك طائفتان ، طائفة تسكن المدن ، وطائفة تسكن الريف . وقد دلّ البحث على ان أهل المدن أكثر ارتفاع ضغط عن أهل الريف. وتنسب الباحث ذلك الى قسوة حياة الزولو فى المدن ، والى وقع التفرقة العنصرية على أنفس الناس . ووجد ان ارتفاع الضغط له أسباب تتعلق بالسن ، وبالجنس من ذكورة وأنوثة ، وبالسمنة ، وبالزواج والعزوبة .

فمن ذلك أن اللاتى تأيمن من النساء ، أو من فارقن أزواجهن ، ضغط الدم عندهن أعلى .

ومن ذلك أن النساء ذوات الأبناء الكثيرين ضغطهن أعلى من ذوات الأبناء القليلين ، وهذا فى المدن . اما فى الريف فلا يوجد هذا ، لأن الأولاد فى الريف ثروة وعمل نافع .

ومن ذلك سن اليأس، فهو يزيد الضغط فى الريف ، ولا أثر له مثل ذلك فى المدن. ويعلل هذا بأن سن اليأس يورث المرأة الهم ، ذلك أنه انذار بفقد القدرة على الانسال ، وهذا له شأنه فى الريف .

وقد وجد الباحث ، فيما وجد ، ان الهم والشجن من أكبر أسباب ارتفاع الضغط عند الزولو .

ومن ذا الذى لا يقول : وعند الناس جميعا .

منك واليك

مرضها سببه صمام القلب الواقع بين البطين الأيسر والأذين الذى فوقه. كان ضيقا ووجب توسيعه .

وكشفوا عن فصيلة دمها، فوجدوه من فصيلة ا . وكان عندهم من هذا الدم المخزون الكثير ، ولكن دمها كان به عامل آخر نادر الوقوع فى الدم، وأشياء أخرى ، تضر بها لو ادخل الى دمها دم الفصيلة « ا » العادى .



وأمام هذا أعادوها الى البيت .

ثم قرأ الجراحون مقالة فى مجلة طبية شهيرة عن امكان امداد المريض بدم من دمه هو عند الحاجة. وطلبوها. وفى بضعة أيام أخذوا منها نحو ٣ أرطال من دمهما. وأجريت العملية بعد ذلك. اعطيت من دمها هى لا من دم غيرها. ونجحت التجربة تماما .

ويقول الأطباء ان هذا الدم هو أسلم دم يستخدم فى تدعيم دم المريض عند الحاجة. دمه هو نفسه . ويقولون ان هذا ممكن فى العمليات غير المستعجلة أعنى العمليات التى تأذن بالوقت اللازم لجمع الدم من المريض نفسه .

خسوف القمر .. وكسوف الشمس

● خسوف القمر يحصل عندما يكون القمر بدرا ، ويقع من الارض فى الناحية الأخرى المقابلة لموضع الشمس منها . بشريطة ان يتصادف أن الثلاثة الأجرام تقع على خط مستقيم واحد . وعندئذ تلقى الارض بظلها على القمر ، فتحبس عنه اشعة الشمس ، فيظلم . كل هذا دلتنا عليه بسائط علم الجغرافيا الذى درسناه فى المدارس . ولكن يجب أن نؤكد هنا أن كل سكان الارض لا يرون خسوف القمر ، وان بعضا يراه كاملا ، وبعضا يراه بعضا . والصورة تمثل اين من سطح الارض ، من خطوط عرضها،رأى الانسان خسوفا وقع فى الخامس والسادس من‌شهر يولية الماضى ، وكم رأى منه .

والجديد فى هذا الأمر أن العلماء انتهزوا فرصة هذا الخسوف ، فقاسوا على البعد درجة حرارة الجزء الذى أظلم من القمر بواسطة « الأشعة تحت الحمراء » ، واستنتجوا من ذلك القدرة التى بارضية القمر على توصيل الحرارة ، ووجدوا أن هبوط الحرارة وقع سريعا وفجاة ، فقد نزل فى بضع دقائق من + ١٢٠ درجة الى — ١٠٠ درجة . ومن هذا استنتج العلماء أن القدرة على توصيل الحرارة ، فى سطح القمر ، اضعف منها فى صخور الأرض الف مرة ، وهذا يناقض الرأى الذى ارتاه العلماء من أن سطح الأرض يتألف من تراب رقيق شديد الالتصاق بعضه ببعض .

وحدث بعد خسوف القمر ، بنصف شهر قمرى ، أى فى العشرين من يوليو هذا الماضى ، أن وقع كسوف الشمس ، اذ توسط القمر بين الأرض والشمس . وأعطى ذلك فرصة للعلماء أن يقيسوا القوة التى تجذب بها الشمس الأرض ، قياسا غاية فى الدقة ، والى الآن لم تظهر نتائج هذا . ولكن نذكر أن العلماء قاموا بمثل هذا القياس فى الكسوف الذى وقع فى ١٥ فبراير من عام ١٩٦١ ، وخرجوا بأن القمر ، اذ يتوسط بين الارض والشمس ، لا تأثير له مطلقا على

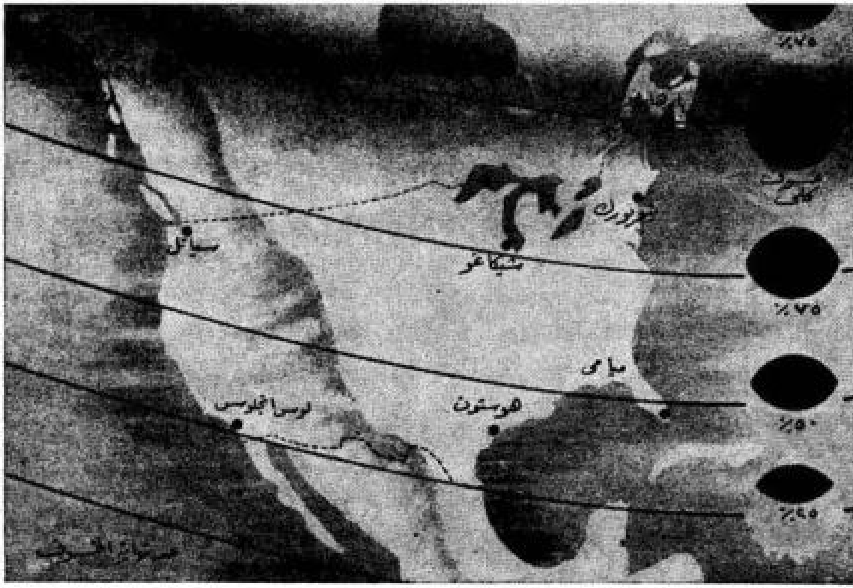
الحلم الذى تحقق :

حتى من المـــد والجزر يستمدون

● انه خليج بساماكودى Passamaquoddy فى الشرق من امريكا الشمالية ، بين الولايات المتحدة وكندا ، وهو فرع من خليج فندى Fundy ، أكثر مياه الأرض ارتفاع مد ، ففيه يصل الموج فى ارتفاعه الى ٥٠ قدما .

وهذا الخليج يصلح أن يختزن فيه الماء والمد مرتفع ، ثم هو يطلق منه من مخارج معلومة ، فيندير وهو فى طريقه خارجا تربينـات تدير مولدات تولد الكهرباء .





الجاذبية التى تشد الشمس بها الأرض اليها . وهذا له علاقة بالرأى الذى يقول ان جاذبية الأرض ، قوة كقوة المغناطيسية ، تتمثل فى أمواج .

ولقد نزيد فنقول ان العلماء انتهزوا فرصة هذا الخسوف الماضى فصعدوا لدراسته فى طائرات نفاثة سريعة ، أخذوا بها يلاحقون القمر فى مساره فى السماء ، فرأوا خسوفه زمنا أطول من زمن أهل الارض . وهم رأوه وقد خلفوا من تحتهم من الطبقة الهوائية ٧٥ فى المائة منها ، ولهذا فوائد ليست تجنى على سطح الارض .

القـدرة : كهربـاء

وقد حسبوا فوجدوا انه يمكن انتاج الكهرباء منه بمعدل مليون كيلووط ، لا سيما فى ساعات الاستهلاك القصوى ، ما بين ٥ ، ٦ مساء .

وقد تقدمت حكومة الولايات بهذا المشروع الى الرئيس الراحل كندى ، فوافق عليه ، وبقى أن توافق عليه حكومة كندا .

وكلفة المشروع ألف مليون دولار .

وليس هذا المشروع بجديد، فهو حلم راود الولايات منذ ٤٤ عاما . وقد راود أحلام الرئيس الراحل روزفلت، وتقدمت حكومته به الى مجلس الشيوخ الأمريكى فرفضه ، وكان ذلك عام ١٩٣٥ ، بحجة تكلفته المرتفعة . أما اليوم فيقرر المهندسون أن التكلفة هبطت كثيرا بسبب تقدم العلم والتكنية معا .

وكالامريكان يوجد عند الروس مشروع كهذا ، ويوجد عند فرنسا .

والعرب؟ أليس عندهم ذراع ماء يمتلىء ثم يفرغ ؟

كم دقيقة تستطيع أن تحبس أنفاسك تحت الماء ؟

● يعلم العلماء الباحثون أن حيوانات الأرض ، ومنهم الانسان ، اذا غطسوا فى الماء ، وانحبست انفاسهم ، فانقطع بذلك تزويد دمهم باكسجين الهواء عن طريق التنفس ، فاذ ذاك يحدث فى المخ تلف لا يمكن اصلاحه اذا زاد عن أربع أو خمس دقائق .

ولكنهم علموا كذلك ان من الطير ما يغوص فى الماء وراء السمك ليتغذى بـه . وهذه الطيور تستطيع الصبر تحت الماء اكثر من عشر دقائق .

كذلك هم علموا ان عجل البحر Seal ، وهو حيوان من ذوات الدم الحار ، يستطيع أن يبقى تحت الماء اكثر من عشرين دقيقة . كذلك الحوت ، وهو أيضا حيوان ذو دم حار (الأسماك ليست من ذوات الدم الحار) ، يستطيع أن يبقى تحت الماء ساعة أو ساعتين .

والسؤال : كيف تستطيع هذه الحيوانات المائية البقاء فى الماء فوق ما يستطيع الانسان ؟

وقد قام الدكتور شولندر Scholander باجراء تجارب على عجول البحر اتضح له منها انه عندما يغطس عجل البحر فى الماء يهبط عدد ضربات قلبه الى العشر. وكذلك اتضح ان هذا يحدث للانسان بدرجة اقل .

ومعنى ذلك أن الدورة الدموية تقل سرعتها فى الجسم .

ووجد أن الدورة الدموية تقل سرعتها علـى الأخص فى الأطراف ، فى هذه الحيوانات وهى تحت الماء ، وفى انسان ، وكذلك هى تقل فى الامعاء وفى الكليتين ، وفى كل مكان من الجسم ، الا المخ ، والا الرئتين والقلب ، لأن على هذه جميعا مدار الحياة .

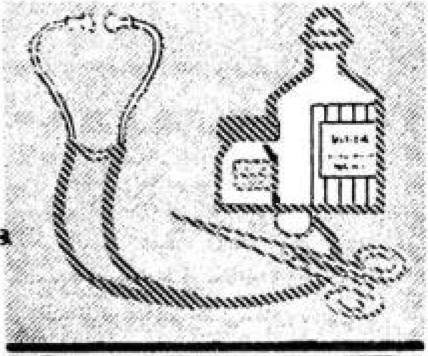
يعرفون كم فى الرحم من توائم ، من قبل ولادة

● انه جهاز جديد ، ترانستور ، يكشف عن ضربات قلب الجنين وهو فى رحم امه . يوصل طرفان لهذا الجهاز بجسم الأم ، فيحملان ما يخرج مع ضربات قلب الطفل من تيار كهربائى ضئيل ، يحملانه الى جهاز اذاعى للبث ، فيتحول فيه الى موجات اذاعية ، طول موجتها نحو بضعة أمتار ، تلتقط بأى جهاز راديو للموجات القصيرة لا يبعد عن مكان الأم اكثر من مائة متر .

وبهذا يتبين السامع كم قلبا فى الرحم يدق .

ويمكن استخدام هذا الجهاز فى الأسبوع الرابع عشر او الخامس عشر من الحمل ، لا قبل ذلك .

ويقول مخترع هذا الجهاز ان به يمكن الاطلاع على حالات الأطفال وهى فى الأرحام ، وتتخذ الآن ، بناء على ذلك ، الاجراءات التى سوف تمكن الولايات المتحدة من انقاص عدد الأطفال المشوهى الخلق الذين يولدون مشوهين ، ذلك العدد الذى يبلغ نحوا من ١٦٠٠٠ فى الولايات كل عام .



طبيب الأسرة

الصيام ، يأتي قصدا أو قسرا

ــ الصيام فريضة عند الكثيرين من اهل الاديان ، فارجو أن تخبرنا عما يصنع الصيام بجسم الانسان وما يصنع امتناع الطعام والشراب ؟ وما الأغراض التى تتوخى من الصيام والامتناع عن الأكل والشرب ؟

● أما الأغراض التى تتوخاها الأديان فنتركها لأهل الأديان فهم أحق بالقول فيها. وهم اقدر. أما نحن هنا فنستطيع ان نتحدث عن الوجهة الطبية .

ان الصيام هو الامتناع عن الطعام ، وهو الامتناع الذى يمارسه بعض الناس ومنهم الأطباء ، يوما او اكثر كل فترة من الزمان . والأصل فى هذا عندهم أن الجهاز الهضمى فى الجسم يُرهَق عادة بالطعام ارهاقا . ولما كان لكل شىء يوم راحة ، وجب ان يكون للجسم كذلك وقت راحة من طعام . والأجسام تصح لا شك على هذا .

أما امتناع الطعام غصبا ، كالذى يقع فى الحوادث والكوارث ، كضلال طريق فى صحراء ، او انحباس فى منجم ببطن الأرض ، واما امتناع الطعام كذلك قصدا ، كامتناع بعض الساسة عنه احتجاجا على غبن أو مظلمة ، فهذا امتناع يؤدى فى النهاية اذا هو اتصل الى الموت . .

ان الجسم ، اذ يحيا ، يحرق من غذائه . وتتلف خلاياه فيركب هو جديدا غيرها ، من غذائه كذلك . فان لم يدخله غذاء ، هدف الى المذخور فيه ، ومنه يتغذى ، والنتيجة نحول الجسم على الأيام ، وضعف ، ثم موت .

ويزيد فى فترة الحياة التى يتربص بها الموت أن يكون عند الشخص المنكوب وفرة من ماء .

ويعجل بالموت اجتماع أشياء اربعة : امتناع طعام. امتناع شراب. برد قارس. بذل مجهود جثماني فى محاولة التخلص من مازق ما .

احتمال الحمل عند الخمسين

ــ انا امراة حول الخمسين من العمر . وقد توقفت العادة عندى منذ ست سنوات فهل بعد هذه السنوات ، وفى هذه السن ، يمكن ان يجيئنى الحمل ؟

● ان الحمل فى هذه السن ليس ممتنع الوقوع ، ولكن يكاد أن يكون عدم وقوعه مؤكدا فى حالتك هذه بعد توقف العادة كل هذه السنوات .

ان احتمال وقوع الحمل اقل من واحد فى الالف فى كل سنة يتصل فيها الزوج بالزوجة فى السن ما بين التاسعة والأربعين والثانية والخمسين للزوجة ، ولا احتمال اصلا بعد توقف العادة ست سنين .

فى هذه الحالة قد يأتى الموت بعد ايام ثلاثة او اربعة .

وفى السجلات ان عدانين فى منجم فحم انسدّ عليهم المنجم ، ثم فتح بعد اسبوع ، وكانوا فى حالة غير سيئة ، وذلك لوفرة الماء الذى كان لديهم .

وفى السجلات كذلك أن الثائر الوطنى الارلندى « مكسويني » ، عمدة بلدة كورك ، فى حربه لتحرير بلده ارلندة ، امتنع عن الطعام فى عام ١٩٢٠ احتجاجا ولم يمت الا بعد ٧٤ يوما . ولكن بالطبع اتخذ الانجليز فى هذه الحالة كل الاحتياطات التى تربطه برمق الحياة حتى قلّ ، ثم اضمحل ، ومات الرجل البطل .

ولقد يذكر فى هذا الباب ان الصائم ، الذى طال صومه ، يجب أن لا يعود سيرته الأولى من الطعام الا بالتدريج : اخف الطعام اولا ، ثم الخفيف ، ثم الأثقل ... وهلم جرا .

قدمك فى حذائك ، تريك اياها الأشعة السينية

ـ ذهبت بولدى فى اوروبا الى مخزن كبير يبيع الأحذية ، وبعد ان اخترنا له الحذاء المناسب ، وضع البائع رجله فى جهاز ، ثم ضغط على شىء ، فاذا صورة رجل ابنى تظهر لنا ، بالأشعة السينية ، فى اوسط الحذاء . وعرفنا من ذلك ان القدم وقعت من الحذاء فى راحة ، وفى سعة كافية .

ولكن قال لى طبيب يعمل بالاشعة بعد ذلك ان التعرض للأشعة هو لا يرضاه ابدا . فما الرأى ؟

● هذا الجهاز ، ويسمى Pedoscope شائع الاستعمال فى امكنة الأحذية الكبيرة فى اوروبا . ولا شك هو يساعد على الحكم فى ان قدما ما توافق حذاء ما . والتعرض لهذه الأشعة لا يستمر غير

الحقنة الشرجية والامساك

ـ أنا يصيبني الامساك أحيانا، وطريقتى فى التخلص منه استخدام الحقنة الشرجية. فهل هذه العادة مضرة ؟ وهل هى تدعو الى الكسل فى الأمعاء ؟

● كل شىء فى اعتدال مقبول . وفهم معنى الامساك فى اعتدال كذلك واجب . فمن الناس من تعد انفسها قد اصابها الامساك اذا هى لم تذهب كل يوم الى بيت الراحة للافراغ . ذلك أن الافراغ قد يتأخر يوما ، وقد يتأخر يومين ، ولا يعد هذا التأخر مرضا . اما اذا هو زاد على ذلك فقد وجب علاجه .

ولا ضرر من استخدام الحقن الشرجية شريطة أن لا يصيب المستقيم جرح من استخدامها . وهى لا تؤلف عند الاعتدال فى استخدامها عادة لا تفرغ الأمعاء الا بها . وهى لا تصيب الامعاء بالشلل فتمنعها عن العمل كما يفعل كثير من المسهلات ولكن كذلك من الخير بلع ملعقة أو ملعقتين من الاراجول او نحوه، فهذه المزلقات تزلق الطعام فى سيره فى الأمعاء وتحتفظ بمقدار من الماء يسهّل مسيره . كذلك السنامكي ، بحبوبها الحديثة ، نافعة ، ولا ضرر منها ، وهى لا تؤلف عادة ، ولا تشل الأمعاء عند من يحسن استخدامها .

وغير ذلك . لا بد من تناول الطعام الذى يبقى فى الأمعاء فضلات : خضر . فاكهة . واشرب ما فيه الكفاية . وامش وتحرك . واقصد الى المستراح فى وقت لا يختلف .

برهة من الزمن .. بضع ثوان، ثم تختفي الصورة .

وامام نفع هذه الأشعة وقصر مدة التعرض لها ، وان الطفل والرجل والفتى والفتاة منا لا تشترى حذاء كل شهر ، امام كل هذا ارى من الغلو فى النصيحة بأن نقول بأن لا تتعرض الأطفال للأشعة السينية أبدا .

الأظافر ، ما فائدتها ، وما علاجها ، وكم طولها اذا هى لم تقص ؟

● ما فائدة الأظافر ، واذا تركها الانسان بغير قص ، فماذا يحدث لها ؟

● اظافر رجلى صارت ثخينة وجافة وهى اقرب الى التفتت عند القص . فما سبب هذا المرض الذى يعتريها ؟

ــ نجيب على السؤالين معا . اما الأظافر وفائدتها ، فهى تتضح من تذكرنا ماذا عند الحيوانات من اظافر . ان عندها المخالب ، وعند بعضها الأظلاف .

والمخالب تستخدم سلاحا عند الدفاع . والأظلاف ، كأظلاف الجديان والخرفان، تحمى مادة الأرجل اللينة عند السير .

والأظفار عند الانسان لها هذان الشيئان هدفا : فهى تحمى اطراف الأصابع اللينة ، وهى تستخدم عند الدفاع ، تعرف ذلك مما يحدث احيانا عندما يتشاجر رجل مع امراة . ان اول شىء يخطر لها فى الدفاع استخدام اظافرها مخالب تجرح بها وجه الرجل ، لا سيما عينيه .

اما ان اظافر الرجل تزداد سمكا ، فهذا يحدث على الكبر عادة ، وفى ابهام الرجل على الأكثر . وهو يتفتت عند القص . ولهذا اسباب كثيرة غير كبر السن ، او مع كبر السن . فقد يكون الأساس الذى ينمو منه الظفر داخل الجلد قد اصابه عور . وقد يكون هذا بسبب جفاف الجلد نفسه ، فالمعروف بالطبع ان الظفر كالشعر، ينمو من الجلد. وقد يصاب الظفر بالنباتات الضارة المعروفة بالفطريات . ولا بد ان نذكر ان علاج الأظافر، واستشفاف امراضها، ومعالجتها لا يزال له موضع فى الطب متخلف ظاهر . وعلى كل حال ، اذا استعصى على الطب علاج شىء من ثخانة الظفر او هشاشته ، عالجه المزين ، فى صالونه ، بالتنظيف ، وبالقص ، وبالمبرد احيانا . او عالجه صاحبه فى بيته اذا هو عرف أن يصنع به ما يصلحه فى حدود الفن المعروف .

اما عن الظفر ، ماذا يحدث له اذا ترك من غير قص، فالرأى انه قد يطول ،حتى يبلغ احيانا بضع بوصات .

الأثداء ترتخى من بعد ارضاع

ــ انا انجبت ثلاثة اطفال ، وارضعتهم بثديىَّ هذين . وقد لاحظت ان الثديين يصفران بعد رضاعة كل طفل ولا يعودان الى امتلائهما . فهل لهذا عندكم تفسير ؟

● ان الفتاة التى لم ترضع بعد ، يكون لها ثديان كبيران نسبيا ، وذلك للدهن الذى الذى تجمع فيهما . اما اذا هى ارضعت ، واطالت رضاعة ، فان الغدد التى تفرز الدم فى الثدى تزداد ويزداد نسيجها حجما ، فتضغط على الشحم فيضمحل . فاذا انتهى الرضاع، صغرت هذه الغدد الى احجام صغيرة حقا ، وصغر معها الثدى ، واسترخى واستطال .

■ فى عالم المسرح الاوروبى عمالقة كبار ، سطع بريقهم فى سماء الادب والفن الرفيعين فاستولوا على الافئدة والابصار . وظلوا نجوما ثابتة برّاقة على ممر الحقب والعصور ، لا يخبو نورها او يصيب بريقها الضعفُ والزوال . واذا حق للانكليز أن ينظروا الى شاعرهم الروائى الاكبر شكسبير نظرتهم الى نعمة من نعم السماء اختصهم بها الخالق دون غيرهم من البشر ، واذا كان للالمان ان يفخروا بجوته Goethe باعث نهضتهم الادبية ورافع فنهم المسرحى الى أعلى السِّماك والذُّرَى، فان للنرويجيين تراثا ادبيا وفنيا خالدا يَدينون بمعظمه الى عملاق ادبهم المسرحي « هنريك ابسن » صاحب المسرحية الشهيرة :



أعمدة المجتمع

اعداد : هنري مطر

ولد ابسن فى قرية صغيرة من أعمال النرويج فى عام ١٨٢٨ ، ولم يتسن له ان يتلقى تعليما عاليا بالمعنى الصحيح لضيق ذات اليد ، فاضطر أن يعمل كأجير لصيدلى فى بلدته الصغيرة وهو لم يتعدَّ الخامسة عشرة من العمر . وكان ابسن يمقت عمله هذا اشدَّ المقت . وكان يشعر فى قرارة نفسه بان مجاله الرحب الفسيح هو ميدان الادب والشعر . ولهذا كان يعكف فى أوقات فراغه وكلما سنحت له الفرصة العابرة ، على نظم القصائد وهو بعدُ فى أول ربيع الشباب .

وفى عام ١٨٥١ حنا عليه الدهر حينا ، فنال بعض ما كان يتمنى . فقد انتقل الى بلدة برجن Bergen فى النرويج ، واثار اهتمام عِليَةِ القوم فيها ، فاختاروه ليشرف على اعداد الروايات المسرحية لمسرح المدينة ، وظل ابسن يشغل هذا المركز حتى عام ١٨٥٧ . ولم يستطع ابسن أن ينال حظوة حقيقية لدى مجتمع الطبقة البرجوازية السائد آنذاك فى « برجن » ، بل لقد أثار نقمة المجتمع عليه وسخطه لجرائه فى القول والنقد ، وخاصة فى روايته المسرحية « كوميديا الحب » . وكان لابسن فيما لاقاه من جحود وعزوف أسوةٌ فى كبار ائمة الأدب الذين سبقوا

عصرهم بمراحل واشواط بعيدة ، امثال الشاعر الانكليزى شلى Shelley ، فاثر ابسن ان يرحل عن وطنه فترة من الوقت تجول فى اثنائها فى ربوع ايطاليا الساحرة الجميلة ، تلك الربوع التى طالما كانت ملاذا لامثاله من الادباء والفنانين . ثم القى عصا الترحال فى المانيا ، واقام اكثر وقته فى مدينة ميونيخ ما بين عامى ١٨٦١ الى ١٨٩١ . وكان أن انتج هذا الزمن القاسى عليه ، الذى قضاه اشبه ما يكون بالمنفى ، اشهر رواياته المسرحية امثال بير جنت Pear Gynt والدمغة Brand « ورواية اعمدة المجتمع » .

وفى عام ١٨٩١ عاد الى وطنه ، وكان الناس قد بداوا يعترفون بفضله ، فقضى أواخر حياته فى هدوء وطمانينة الى أن وافاه اجله فى عام ١٩٠٦ بعد مرض دام أربع سنوات كاملة وهدَّ قواه الجسدية والعقلية معا .

ابسن مجدد الأدب المسرحى فى أوروبا

ويعتبر ابسن بحق مجدد الأدب المسرحى فى اوروبا بعد أن نزل هذا الأدب الى أدنى الدركات، ذلك ان ابسن آثر ان ينفض عن الدراما غبار التقاليد المتراكم الذى جعل منها دراما ميكانيكية روتينية تهتم بالشكل والمبنى دون الروح والمعنى . وكان محور مسرحيات ابسن يرتكز الى فكرتين اساسيتين جعل منهما الكاتب هدفه المنشود .

اما الفكــرة الاولى فايمــانه العميق بقيمة النفس البشرية ، ذلك الايمان الذى دفعه ساعيا بكل ما اوتي من جهد فكرى لاعلاء حرية الفرد ولاصراره على أن الفرد ، اذا ما أتاحت له حريته الصحيحة انْ يختار طريقَ البعث بواسطة الثقافة الرفيعة والخلق القويم المتين ، سعىالى انقاذ نفسه ، ومن ثمَّ عمل على تطوير المجتمع واصلاحه وانقاذه .

اما الفكرة الثانية فهى تمسكه بقيمة الحب الحقيقى الخالص من شوائب النفاق والأثــرة والتمويه . واعتقد ابسن ان غاية ما يصيب الفرد الانسانى من ماساة فى هذه الحياة انما هو حرمانه من أن يَهَب وأن ينال مثل هذا الحب الحقيقى سواء بسواء .

وقد عُدَّ ابسنفىعصره الذى عاش فيه متشائما متوحــدا . ولكنه كان فى الحقيقة من اكبر المتفائلين ، لا بالنسبة لعصره وحده ، ولكــن بالنسبة الى أملــه فى الانسانية وما يستطيع الانسان عملــه فى سبيل بناء مستقبل أفضل ومجتمع امثل يقوم على المحبة والصدق .

روايته أعمدة المجتمع

ظهرت روايته هذه فى عام ١٨٧٧ . وقد يرى البعض ، كما ارى ، انها ليست بخير رواياته المسرحية اطلاقا . فهو لا يصل فيها الى ذروة التعبير الشعرى الرمزى الرقيق كما وصل فى رواية أخرى له هى « البطة البرية The wild Duck »، وكذلك لم يبلغ فى اعمدة المجتمعذروة العنف المسرحى كما بلغه فى « الدمغة » . على ان « اعمدة المجتمع » مع ذلك يمكن اعتبارها احدى مسرحياتهالخالدة ، وذلك لاهميتها الاجتماعية والفنية والتاريخية .

فمن الناحيتين التاريخية والفنية ، أصبحت « اعمدة المجتمع » مثلا يحتذى ونموذجا تحاك على غراره الروايات المسرحية الاجتماعية خلال السبعين أو الثمانين عاما التى تلت ظهورها .



خريطة النرويج : وفيها تبدو مدينة برجن ..

ولقد تأثرت المسرحيات العالمية ، وخاصة الأمريكية منها ، بحبكتها المسرحية ، ولم تتحرر من سلطانها الا حديثا ، أى بعد الحرب العالمية الثانية حين اتجهت المسرحية اتجاها واضحا نحو التكوين السيكولوجي الصرف وما يقتضيه هذا التكوين من اعتماد الكاتب المسرحي فى الدرجة الأولى على الحوار النفسى الداخلى دون التقيد بتسلسل الحوادث النظامى ، أو بوحدتى الزمان والمكان التقليديتين .

اما من الناحية الاجتماعية ــ وهنا تبرز اهمية اعمدة المجتمع اذ هى بحق رواية اجتماعية قبل كل شيء ــ فقد قصد ابسن أن يصور بوساطتها المجتمع البرجوازى فى بيئة صغيرة اجتماعية هى بيئة بلدة صغيرة فى الريف النرويجي . لم يكن يهم ابسن فى عرض هذه البيئة أن يصورها تصويرا فوتوغرافيا دقيقا ، وانما همه أن يطلق تيارا من الثورة التحررية على المجتمع تدعو الى الانطلاق الأخلاقى القويم والى تحرر الفرد من رواسب مفاهيم الطبقة البرجوازية السائدة والى الهاب روح الصدق والنزاهة والمحبة الخالصة فى النفس البشرية .

وتدور حوادث الرواية فى بلد صغير كما أسلفناه آثر أن ينكمش على نفسه وأن يحافظ على هذا الانكماش لاعتقاده انه مجتمع هادىء لا يأتيه الباطل من خلفه أو من بين يديه .

ويقف على رأس هذا المجتمع حاميه ورائده « كارستن برنك Bernik » ربيب الطبقة المذكورة وموجه البلد اقتصاديا وثقافيا وخلقيا . نما « برنك » وترعرع على الاحتكار والانتهازية والتمويه والخداع ، وسيطر بقبضته على البلد مع نفر من محتكرى التجارة البحرية فيه . وعاونه ماله الوفير فى أن يوهم الناس والأهلين انه مثال الرائد الاجتماعى الصالح . فرأى الجميع ، فى حياته المنزلية القائمة على تحكمه وسيطرته وكبته لحرية المرأة ، رأوا فى ذلك المثل الأعلى الذى لا بد وأن يحتذى .

وامعانا فى التمويه فقد استطاع « برنك » أن يجد فى رولند Rålund ، معلم القرية الأول ، عونا له يساعده على فرض نوع من التوجيه الخلقى على نساء البلد يحذرهن معه من خطر التفكير فى التغيير والانعتاق .

والمؤلف فى أول المسرحية قد لمس نوعا من الثورة على الركود المخيم على البلد فى شخص « مارتا » شقيقة « برنك » بالذات اذ طالما تطلعت الى مجتمع أميركا الخارجي . لذا يسارع « رولند » الى تحذيرها مخاطبا اياها : « لا يخدعنك هذا الخضم الصاخب ، ففيه يتكالب الناس على مصالحهم الذاتية فيرتدون صرعى دون ما يريدون . أما نحن فنتنعم فى مجتمعنا بالهدوء والدعة والطمأنينة . وما ذلك الا بفضل شقيقك « برنك » وما رسمه من مثل أعلى فى حياته المنزلية وما رفعه من أعلام المثالية فى هذا البلد » .

نعم كان هدوء ولكن ليس من النوع الصالح السليم . فقد أخفى الهدوء تحت ستاره الكثيف بناء متداعيا قام على أساس من الخداع والنفاق وعلى سلسلة من الأكاذيب . وتركزت رذائل الخداع والنفاق والتمويه فى شخص « برنك » الذى كان قد بنى مجده على الاحتيال والاجرام . فقد تورط فى أول حياته فى فضيحة أخلاقية وعلاقة آثمة مع ممثلة متغربة تدعى « مسز دورف Dorf » ليقضي نزوة شبابه . وعندما كاد زوج الممثلة السكير أن يكتشف هذه العلاقة الآثمة وما كان سيجره هذا الكشف من فضح أمر « برنك » أمام خطيبته ، رأى « برنك » أن يلبس الاثم زورا وبهتانا لصهره العتيد الشاب « يوهان » . وقد قبل هذا الشاب التضحية فى سبيل شقيقته المخطوبة آنذاك «لبرنك» ، فاختفى من مسرح البلدة ، وفر الى أميركا بصحبة شقيقته الكبرى « لونا هيسل Lona Hessel » . وغالى برنك فى التورط بالخداع فغذى اشاعات حامت حول «يوهان» زعم فيها انه هرب ليخفي جريمته ، وليخفي أيضا اختلاسه قدرا كبيرا من المال من والدة « برنك » . أما لونا هيسل فقد آثرت الفرار مع أخيها يوهان بعد أن خذلها « برنك » فى حبه لها ، وبعد أن تخلى عنها مفضلا عقد خطبته على شقيقتها الصغرى بتى « Betty » ، وقد آل الى هذه الأخيرة ميراث كبير رأى برنك فيه أكبر عون يساعده على تغطية وضع أسرته المالي المتدهور ، ويدفعه نحو مجده المالي والاجتماعى العتيد . كذلك تورط برنك فى جرائم أخرى مالية أتاحت له احتكار الملاحة البحرية والتجارة الداخلية عندما فكر فى مد خط سكة حديد داخلي بعد ان اشترى الأراضى التى كان

سيمر بها الخط بثمن بخس توقعا منه أن يرتفع ثمنها عند اتمام الخط وانتعاش التجارة عليه .

ولكن هل دام لبرنك ما أراد ؟ ان نقطة التحول أتت عندما عادت « لونا هيسل » برفقة أخيها يوهان ثانية وعلى حين غرة الى موطنهما الاصلي . وهنا يبدأ عمل تيار الثورة الأخلاقية المتحررة المعاكس ممثلا في شخص « لونا » وما اتصفت به من صراحة في القول وصدق في المعاملة وحب صادق ما تزال تكنه نحو برنك . تعود « لونا » لتحصر مهمتها في كشف الخداع وهتك أستاره . ويقابلها مجتمع البلدة الصغيرة الآمن بالتأفف والضيق الى حد أن « رولند » معلم الجيل المزعوم يأمر بانزال الستائر في منزل برنك لكيلا يتأذى ذلك المنزل برؤية الهاربين المارقين من أمثالها . الا أن « لونا » وقد تسلحت بسلاح الحق والصدق لا تخشى أمرا . وتقتحم المنزل فيفصح رولند لها عن امتعاضه من عودتها ويقول : « ليست العودة الى الوطن مناسبة سعيدة دائما» فترد عليه « لونا » بسخرية لاذعة : « انقرأ انجيلك يا حضرة الكاهن المحترم كل صباح ؟ ما أشد ما تفوح تقدمات احسانكم من رائحة كريهة تزكم الانوف . كأني بهذه الستائر أكفان للموتى . عفوا لم اعتد على هذه الرائحة في جو السهول الفسيح . أراكم قد أسدلتم الستائر . ولكن سرعان ما تشرق الدنيا ضياء عندما ترون أخي يوهان الذى رأى النور . اني أريد أن أخرجكم الى الهواء الطلق النقي » .

نعم لقد آلت « لونا » على نفسها أن ترد الكرامة الى النفس البشرية . فتحاول أن توقظ ضمير برنك وتختلي به كلما سنحت لها الفرصة وتسلط عليه لاذع قولها . ويحاول برنك التهرب من لهيب أسواطها ولكن عبثا ما يحاول . ولقد صفعته « لونا » عندما قالت له مرّة : « اذن فقد عشت طوال الخمسة عشر عاما المنصرمة على كذبة في سبيل المجتمع » . فيتساءل برنك في عجب ، « على كذبة » ، فتجيب « لونا » ماذا تعرف زوجتك عن كل ما كان مخبئا عنها قبل زواجك منها .

برنك : وهل تتصورين أن أقدم على البوح لها بذلك فأجرح كرامتها .

لونا : وهل أنت سعيد حقا في حياتك العائلية !

برنك : طبعا ان « بتي Betty » امرأة عاقلة طيبة . تعلمت أن تكيف نفسها حسب رغباتي وأن تتنازل تدريجيا عن نظرياتها الغريبة في الحب . ولذا فقد أصبح بيتنا مثلا يحتذيه اخواننا من المواطنين .

لونا : ولكن هؤلاء المواطنين لا يعلمون شيئا عن الكذبة . انها ليست أكذوبة واحدة . بل ثلاث أكاذيب . أكذوبة عليّ ، وأكذوبة على يوهان ، وثالثة على « بتى Betty » .

« لقد عدت الى هنا لأساعدك كيما تقف على أرض ثابتة من الصخر . كنت آمل أن أجد فيك بقية من ضمير . ولكنني لن أيأس أو أقطع الأمل » .

حقا انها لم تيأس . لقد أعد برنك بعد حديثه هذا مؤامرة اجرامية كبرى لاغراق أخيها يوهان على سفينة مبحرة الى أميركا عندما قرّر يوهان أن يترك موطنه ثانية مع حبيبته « دينا » ابنة « مسز دورف » . وهو عما قريب سيجني أعظم انتصار له لسحقه ليوهان . ولكنه رجل تعس لايستطيع أن يتخلى عن الاجرام مثله في ذلك مثل « مكبث » ، بطل شكسبير ، ذلك الذى قاده جرمه الأول الى التورط في الدم والانغماس به . نعم كان برنك رجلا تعسا بالرغم من الاحتفال الرائع الذى قررت البلدة أن تقيمه له اعترافا بفضله عليها . فهو يصرّح قبيل هذا الاحتفال للونا قائلا : « ما أشد ما أشعر به من الوحدة والعزلة هنا . ماذا جنيت من خدمتي للمجتمع غير الحقارة لنفسي » . فتسأله لونا : « أما آن لك اذن أن تمزق الستائر ؟ » فيجيب : « لا أستطيع. لقد فات الأوان بالنسبة لي . انما لي أمل واحد يراودني ، ذلك هو ولدى أولاف . فقد يتمكن من بعدى أن يخرج الى نور الحقيقة فيشيد بناء ترفرف عليه السعادة والثقة » .

وحتى هذا الحبل الأخير من الأمر تقطعه لونا عندما تضرب ضربتها صائحة في وجه برنك :

« سحقا لهذا الميراث تورثه لولدك . انه قائم على اساس من الغش والخديعة » .

وتشاء الاقدار أن تساعد « لونا » على تمزيق آخر خيط في حبل أمل برنك . فقد نما الى « برنك » ان ابنه « أولاف » قد هرب من منزله وصمم على الرحيل مع يوهان وحبيبته دينا على نفس الباخرة التى كان برنك قد دبر مؤامرة اغراقها . فيجن جنونه وترده هذه الصدمة الى صوابه سيما بعد أن يكتشف ان امرأته « بتي » التى طالما احتقرها واتهمها بالتقصير والاهمال ، قد تمكنت من العثور على ابنه أولاف ورده الى المنزل . ولذا يقابل برنك الجماهير الزاحفة الى بيته لازجاء المديح والهدايا ، يقابلها بالحقيقة ويكشف عن حياته الماضية ويبرىء ساحة يوهان ، ويعترف بتجنيه على المجتمع عن طريق انتهازية وحشية ، ويهتك الستر عن مؤامرته بشان خط سكة الحديد ، وعن مؤامرته الاخرى بشان اغراق الباخرة ، ويؤثر أن ينزوى في منزله بعيدا عن صخب المجد الزائف ، وقد تم خلاص نفسه وعادت اليه ثقته بالحب الخالص نحو زوجته وايمانه بسمو المحبة الصادقة التى حملتها له « لونا » طوال حياتها .

الحبكة الفنية لمسرحية أعمدة المجتمع

بقي لنا ان نبحث في الناحية الفنية الصرفة في روايتنا وأن نتساءل عن العوامل التى اعتمد عليها ابسن في بناء قصته وفكرته في قالب مسرحي .

هل اعتمد مثلا على الزمانية وما تنطوى عليه من ترابط منطقي وتسلسل منتظم للحوادث بحيث يأخذ بعضها برقاب بعض ، وبحيث تتم في فترة اراد لها أصحاب المسرح التقليدى أن لا تتجاوز يوما واحدا أو يومين على سبيل التجاوز . وهل اعتمد ابسن على الوحدة المكانية الكلاسيكية بحيث حصر حوادث الرواية وتجاوب شخصياتها في مكان واحد محصور ؟ ثم الى أى حد أخذ ابسن بمبدأ وحدة العمل التى تقتضي بأن يكون هناك محور رئيسى تتفرع عنه الاعمال المختلفة التى يقوم بها شخصيات الرواية وبأن يكون في المسرحية حبكة رئيسية واحدة لا غير . وأخيرا هل أخضع ابسن الحوار المسرحي لمتطلبات هذه الوحدات الكلاسيكية الثلاث أم تجاوز كل ذلك وأدخل نوعا من الحوار الجديد جعله العنصر الرئيسى في المسرحية لا الفرع الخاضع للقواعد المسرحية الأخرى .

الوحدة المكانية في الرواية

وللاجابة عن جميع هذه الأسئلة نقرر بسرعة ودفعا للبس ان ابسن تقيد بالوحدة المكانية الى أبعد حد . فجميع حوادث الرواية تجرى في نفس المكان في بلدة نرويجية صغيرة وحتى حوالى منزل المستر برنك : في داخله أو في حديقته أو بالقرب منه .

وحدة العمل في الرواية

كذلك تقيد ابسن بوحدة العمل الى حد كبير . فجعل من شخصية برنك المحور الرئيسى لجميع ما يصدر في المسرحية من أعمال . فجميع شخصيات الرواية تلتقي في تفاعلها مع هذا المركز الواحد . وقد يرى البعض ان هناك تيارا خفيا معاكسا لهذا التيار الجارف الذى يدفعه برنك نحو التحرك والجريان . واعني بذلك تيار العلاقة الغرامية التى قامت بين « يوهان » وبين « دينا » ابنة مسز دورف ، وكلاهما يمثلان الجيل الصاعد ، وما يعقده المجتمع المتطور على هذا الجيل من آمال كبار في اعادة بنائه . الا ان المتمعن في الحبكة الحركية للمسرحية يجد ان هذا التيار الخفي انما هو متصل أشد الاتصال بتيار برنك الرئيسى . ف «يوهان» صهر برنك وضحيته الرئيسية . ودينا ابنة مسز دورف التى كان لبرنك معها علاقات سرية في بدء حياته العملية . ودينا ، كذلك ، عاشت في كنف برنك بعد ان مات والداها .

واذا كان ابسن يتقيد بالوحدة المكانية والوحدة الحركية الى هذا الحد فمن الطبيعي ان تأتى حوادث المسرحية متصلة اتصالا منطقيا حتميا يفرضه واقع الوحدة المكانية والوحدة الحركية .

الحوار في المسرحية كان وسيلة المؤلف الكبرى

اذن فهل نعتبر اعمدة المجتمع مسرحية كلاسيكية

بكل ما فى الكلمة من معنى ؟ والجواب على هذا السؤال يستدعي منا كثيرا من التفكير وامعان الفكر لئلا نقع فى الزلل . واذا تم لنا مثل هذا الاعمال الفكرى فلا بد لنا من أن نلاحظ ان ابسن لم يكن كاتبا كلاسيكيا بل كانت مشاعره مع الحركة الرومانطيقية الثائرة على الكلاسيكية . ويتضح اتجاه ابسن الرومانطيقي فى انه ركز اهتمامه على كشف الطبيعة البشرية وسبر اغوار النفس بدلا من أن يجعل من روايته بناء ميكانيكيا. يدلنا على ذلك اعطاؤه الاهمية الكبرى للحوار الذى يقوم بين شخصيات الرواية بحيث جعل هذا الحوار هو الاصل لا الفرع الذى تتحكم فيه الوحدات الكلاسيكية للمسرحية . ونحن عندما نقرا المسرحية لا نهتم بالوحدة المكانية او الحركية او الزمانية بقدر ما نهتم باقوال شخصيات الرواية المختلفة وما تكشف هذه الاقوال من نفسيات هذه الشخصيات . لقد جعل ابسن الحوار المسرحي وسيلته الكبرى ليترك بوساطتها كل شخصية تتكلم عن نفسها وكانها تجرى نوعا من الحوار الداخلى النفسى الذى نراه فى المسرحيات الحديثة . فبرنك لا يتحدث لكي يجيب على غيره فى اغلب الاحيان ، بل لينفس فى اندفاع نفسى باطنى غير واع من التبرير لما يفعله . وهو أشد ما يكون انغماسا فى هذا التبرير الذاتى عندما يقف على أهبة أشد الأعمال اجراما . وكأنه بذلك يريد أن يسكت صراعا داخليا يعتمل فى نفسه مصدره الضمير . و«لونا» تستفيض فى الحوار الذى يكشف عن صفاء نفسها ومحبتها وسخريتها اللاذعة التى تلجا اليها مرارا وتكرارا كتيار متصل مع ما تجيش به نفسها من حب الاصلاح والانقاذ يظهر على السطح كفقاقيع الماء الغالى الجياش . و « دينا » تتحدث دائما عن ثورتها على النفاق المحاصر لها أينما ذهبت وتطلعها الى الانعتاق الى عالم جديد فسيح حر يتسم بالصدق وطيب السريرة .

رولند هو الشخصية الوحيدة النكدة التى لم يصبها التغير ابدا

أما رولند معلم الجيل فحديثه وكلامه هو الحديث الميكانيكي الوحيد . واعني انه قد درب نفسه على اتخاذ نهج المنافق المتملق والانتهازى المارق . ودرب نفسه على كبت عناصر الخير فى نفسه ، ولذلك فقد صدق ما يكذب به لكثرة ما أعاد التدريب والدرس . ولذا كان حديثه بحكم العادة لا يكشف تيارا باطنيا تحت نطاق الوعي . حتى فى علاقته مع « دينا » التى يدعي حبها فيظهر من حديثه انه انما يضفي عليها شرفا ومنة فى تنازله الى حبها وهي ابنة المراة الساقطة . وكأنما أراد ابسن أن يعمى ضمير رولند كليا وأن يعمي مع ذلك حديثه الباطنى الداخلي . ولذلك فرولند هو الشخصية الوحيدة التى تدعو الى الرثاء وهو الذى يمثل عنصر التراجيدية الحقيقية فى المسرحية . فهو قد غلظ حسه وتبلد الى حد انه لا يتوقع من برنك أن يرتد عن خطئه فيتهم ولي نعمته بالجنون عندما اعترف باخطائه ورجع عن غيه . وكأنما لم يشأ رولند أن يحطم الصنم الذى طالما عبده ، ولم يشأ أن يصدق ان مجتمعه كان فى حاجة الى اصلاح ، ولم يشأ أن يعترف ان الحب ليس منة بل هو صدق وتضحية وتواضع وبساطة وايثار ، فخسر هذه جميعها ، خسر الصنم الذى كان يحرق البخور أمامه ، والمجتمع الذى كان احد اعمدته ، والحب الذى ظن انه اتقنه . وكانت نهايته نهاية محزنة تدعو الى الاشفاق والرثاء .

الرمزية فى المسرحية

واخيرا فقد شاء ابسن ان يدخل شيئا من الرمزية فى روايته المسرحية بأن جعل من السفينة التى أراد برنك ان يغرقها بمن عليها رمزا لشبح الموت الذى يريد أن ينطبق على عنصر الخير فيرتد خاسرا امام قوة هذا العنصر وينتصر الخير على الشر . وهذه الرمزية هى نفحة شاعرية تربط ابسن بالرومانطيقية ، كما ربطت قصيدة كولبردج Colebridge « الملاح العتيق » لعالم سحرى رومانطيقي اخاذ قلما أتيح لغيره من الشعراء . وهذه الرمزية يطورها ابسن فى روايته التالية « البطة البرية » ويصوغ منها اطارا شعريا جميلا رقيقا يحيط بتلك المسرحية . ■■

هنرى مطر

دار المعلمين ــ عمان



نقد كتاب الشهر

غاريبالدى

موحّد إيطاليا

بقلم : الدكتور محمود السمره

■ فى تاريخ كل أمة رجال نقشت اسماؤهم على صفحات القلوب ، لما قدموا لأمتهم من خدمات . ومن هؤلاء الرجال جيوسيبى غاريبالدى Garibaldi منشىء ايطاليا الحديثة ، وموحّدها .

ولقد كتبت عن غاريبالدى كتب عديدة من أشهرها مؤلف المؤرخ الشهير تريفليان G. M. Trevelyan فى ثلاثة أجزاء صدرت عام ١٩٠٧ و١٩٠٩ و١٩١١ على التوالى ، و « صانعو ايطاليا الحديثة » لماريوت J. Marriott (١٨٨٩) ، ثم هناك أيضا مذكرات غاريبالدى نفسه (١) . وآخر ما صدر عن غاريبالدى هو كتاب « أسد كبريره » لجون باريس (٢) ، وهو الكتاب الذى نقدمه . وقد استغرق مؤلفه فى اعداده خمسا وعشرين سنة .

ولهذا الكتاب ميزات وعليه مآخذ .

فمن ميزاته أنه يصحح كثيرا من التفسيرات التى وردت فى كتاب تريفليان ، والتى اثبت البحث التاريخى بطلانها . كما أنه يكشف لأول مرة عن وثائق كانت مجهولة عند الدارسين المتقدمين . وأسلوب المؤلف حىّ ، عامر بالفكاهة .

ومع هذا ففى الكتاب عيوب بادية : فالقارىء يفرغ من الكتاب ليتساءل : ترى ما هى الأسباب التى جعلت غاريبالدى خالدا ؟ ان الكتاب لايجيب عن هذا ، مع أن توضيح سر عظمة غاريبالدى يجب أن يكون هو الموضوع الرئيسى فى كل دراسة تكتب عنه .

ويبدو لى أن المؤلف لم يستطع أن يهضم جيدا الأحداث التى كوّنت غاريبالدى ، ولهذا ملأ كتابه بقصص كثيرة تروى عن غاريبالدى ونسائه ، وهن كثيرات . وفى الكتاب رومانسية وبُعْد عن التحقيق التاريخى ، والموضوعية . والعجيب بعد هذا أن يخلو الكتاب من الخرائط الا من خريطة واحدة لا قيمة حقيقية لها .

★ ★ ★

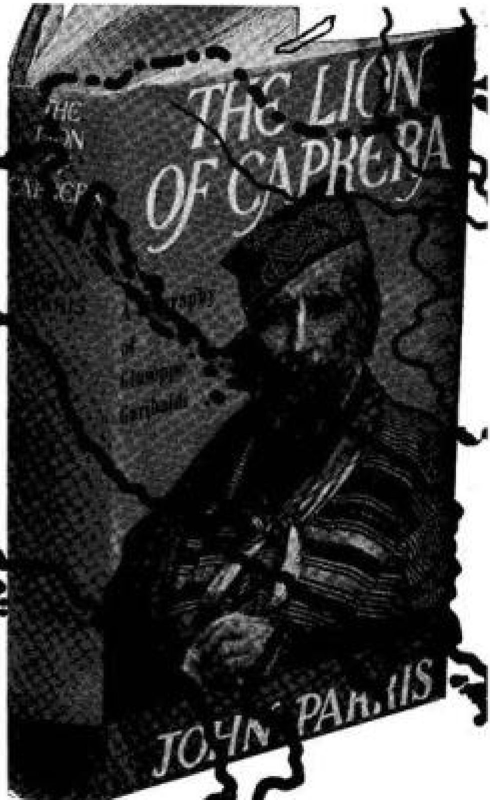
ومن هو غاريبالدى ؟

ليس هنا مجال تقصى حياة غاريبالدى ، ولكن هذا لا يمنعنا من الوقوف عند أبرز أحداث حياته ، لننتقل بعد هذا الى بيان الأسباب التى جعلت منه بطلا خالدا .

---

(1) Autobiograpy of G. Garibaldi, Translated by A. Warner. 1889.

(2) John Parris, The Lion of Caprera.



في الرابع من شهر [illegible] جيوسيبي غاريبالدي في نيس من اسرة فقيرة ،لأب يعمل بحارا. وكانت نيس في هذه الفترة التا[illegible] مدينة ايطالية ، وان كانت [illegible] فرنسية .

ولم يتلق الطفل جيوسيبي من التعليم الا قليلا، واصبح بحارا وهو لم يعد الثالثة عشرة من العمر. وطوَّف بين موانىء البحر المتوسط من اقصى الشرق الى اقصى الغرب .

وفي احد الايام رست سفينته في ميناء مرسيليا، ونزل الصبي غاريبالدي الى المدينة ، ودخل الى احدى الحانات ، ليجد على مائدة مجموعة من الشباب الايطاليين يتناقشون بصوت عال ، فانضم اليهم . ولاول مرة سمع بوجود منظمة تدعى باسم « ايطاليا الفتاة » ، وعلى رأسها شاب اسمه « متزيني Mazziin » . كان احد الشبان متحمسا لهذه المنظمة ، ولكن واحدا من الجالسين قاطعه قائلا : وماذا تعني بايطاليا ؟

هل تعني مملكة بدمونت ؟ أم مملكة نابلي ؟ ام ولايات البابا ؟ .. فاجابه الأول : انني أعني ايطاليا الجديدة .. ايطاليا المتحدة التي تضم جميع الايطاليين ..

ويقول غاريبالدي [illegible] هذا اللقاء [illegible] كان نقطة تحول في حياته [illegible] فهو الذي كان لا يطمع [illegible] من أن يكون ربان سفينة ، تفتحت امامه آفاق جديدة « و[illegible] بالنشوة التي احسَّ بها كولومبوس [illegible] بدت له الأرض بعد ضياع ... فلم [illegible] نفسي من أن أنهض لأشد بحرارة على [illegible] هذا الشاب » .

★★★

حقا ، لقد كانت كلمة ايطاليا غريبة على السمع ، اذ ان ما يعرف الآن باسم ايطاليا كان مقسما الى ممالك وامارات عدة : فهناك مملكة بدمونت في اقصى الشمال ، وهي الجزء الوحيد من ايطاليا الذي كان يحكمه ملك ايطالي ، اما سائر ايطاليا فكان مقسما الى ولايات تحكمها النمسا ، والبابا ، ومملكة نابلي ، حكما استبداديا قويا . [illegible] الأمل الوحيد في تحرير ايطاليا هو كسر شوكة الحكام المستبدين ، وجعل الايطاليين امة واحدة متحررة .

وتعلق الشاب غاريبالدي بفكرة ايطاليا الموحدة. وكانت خطة رجال« ايطاليا الفتاة » ، التي أصبح غاريبالدي عضوا فيها ، أن يقيموا جمهورية في بدمونت ، ومنها يسعون لتحرير باقي اجزاء ايطاليا . واعلنت المنظمة الثورة في فبراير(شباط) ١٨٣٤ ، ولكنها فشلت ، وتفرق رجالها ، وهرب غاريبالدي متخفيا ، ليقرأ في الصحف عندما وصل الى فرنسا انه قد حكم عليه بالموت .

★★★

وخلف غاريبالدي أوروبا كلها ، والتحق باحدى السفن متوجها الى البرازيل . وهناك شارك في الحركات التحررية التي من أهمها تكوينه فرقة من الايطاليين الموجودين في مونتفيديو عاصمة أرجواي ، لصد عدوان الأرجنتين عن هذه البلاد

الصغيرة . وقد عرفت هذه الفرقة التى الفها غاريبالدى باسم « القمصان الحمر » ، وهى فرقة اشتهرت فى هذه الحرب ، كما كان لها الدور الأول فى تحرير ايطاليا وتوحيدها فيما بعد .

وقد عرفت هذه الفرقة بهذا الاسم صدفة : فعندما كوّن غاريبالدى فرقته بحث لها عن ملابس رخيصة ، فلم يجد ارخص من قمصان حمر من الصوف موجودة بكميات كبيرة فى مخازن مونتفيديو وكانت هذه القمصان قد صنعت لتباع لعمال مذابح الماشية فى الارجنتين ، واختير لها اللون الأحمر حتى لا يظهر عليها دم الماشية عند الذبح . فلما نشبت الحرب بين الارجنتين وأرجواى بقيت هذه القمصان فى المخازن . وقد اشتهرت فرقة « القمصان الحمر » وطبقت شهرتها أوروبا ، وعلى رأسها قائدها غاريبالدى .

وكان غاريبالدى وهو فى منفاه على صلة مستمرة بمتزينى وأعضاء « ايطاليا الفتاة » .. ، التى اخذ نشاطها يمتد ، واعضاؤها يتزايدون . وكان اكثر الأعضاء من المتعلمين فى المدن الكبيرة من المحامين والأطباء وأساتذة الجامعات والكتاب والفنانين. اما كبار الملاك وأصحاب المناصب فكانوا يريدون بقاء الأحوال على ما هى عليه . وكانت افكار هؤلاء الشبان عن ايطاليا التى يريدون خلقها مختلفة ، ولكنهم مع هذا حافظوا على اتصال بعضهم ببعض ، وعلى اتصالهم بمتزينى الذى كان فى لندن . وقد ترامت اليهم أخبار شجاعة غاريبالدى ورجاله ذوى القمصان الحمر فى أمريكا الجنوبية ، فاتجهت قلوبهم اليهم بحب واعتزاز .

وفى عام ١٩٤٧ بدأ أولئك الشبان بالثورة من اجل حرية بلادهم، وارسلوا الى غاريبالدى ليعود الى ارض الوطن مع رجاله ، فلم يتلكأ ، وبادر الى تلبية النداء الذى ظل يحلم به مدة اثنتى عشرة سنة ، ومعه ستون من رجاله لابسى القمصان الحمر .

وفى معركة تحرير ايطاليا برز اسم غاريبالدى، واصبح عند الايطاليين رمز الحرية ، ورمز ايطاليا الموحدة ، وطغى اسمه على اسم متزينى . وليس هنا مجال تتبع معارك غاريبالدى ، وما لقى على ايدى الساسة من عنت ، وما تعرض له من تشرد ونفى مرات، وما لقى فى حروبه من جراح واصابات، ولكن الأمر الذى لا نستطيع أن نمر به دون ان نشير اليه هو احتلاله بقوة قوامها الف رجل جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، وقضاؤه على مملكة نابلى . لقد ابدى غاريبالدى ورجاله فى هذه الحرب بسالة فائقة ، وعرفت هذه الحملة باسم « الألف » ، وبهذا الاسم خلدت فى الأغانى والقصائد والقصص .

وقد ابحرت هذه الحملة فى ليلة الخامس من شهر مايو « آيار » ١٨٦٠، وليلة الابحار كتب غاريبالدى فى مذكراته : « يا ليلة الخامس من مايو ... ان جلالك يملأ القلوب ، ففيك يتقدم رجالى لتحرير المستعبدين .. ان الألف من هؤلاء الشبان من جنودى هم أبطال حرب الحرية ، وانى لفخور بهم ، واثق من اننى استطيع أن افعل اى شىء حتى المستحيل » .

وكان بين الألف ابن غاريبالدى مينوتى ، وكان حينذاك ابن تسعة عشر عاما .

★★★

ان غاريبالدى ما يزال حتى اليوم يعيش فى قلب كل ايطالى ، وفى قلب كل انسان محب للحرية ، وللكرامة الانسانية . ولقد اكتسب غاريبالدى كل هذا التعظيم لما تحلى به من صفات كقائد وانسان.

لقد جاهد من أجل الحرية، وكان على استعداد لأن يبذل حياته فى سبيلها . ولا تعنى الحرية عنده حرية ايطاليا فقط ، وان كانت هذه تاتى أولا ، ولكنه كان نصير الحرية فى كل مكان . ومن أقواله:

« ان من يذود عن بلاده ويدافع عن حريتها ليس الا جنديا يقوم بواجبه ، أما الذى يقدم دمه فداء لكل شعب يناضل من أجل حريته ، فانه اكثر من جندى .. انه بطل » .



خريطة تبين
تقسم ايطاليا
قبل توحيدها

وهو من أنصار العدالة الاجتماعية ، فقد هاجم الاستغلال ، وجعل واجب الحكومات الاول رفع مستوى الشعب خلقيا ، وفكريا ، وصحيـــا ، والناس عنده انما يمتازون بما فيهم من كفاءات ، وهذه الكفاءات متفاوتة فى الدرجة حتى تنتهى بالقائد الذى هو اكفا الجميع . وهذا القائد يختاره الشعب ليحكم حكما فرديا واضعا نصب عينيه مصلحة الشعب . ومن حق الشعب أن يعزله متى شاء .

ويشترط فى هذا القائد الحاكم ان يحيا حياة بسيطة زاهدة . وقد طبق غاريبالدى هذا على نفســه فى حياته ، فاشترى ارضا فى جـزيرة كبريره ، وهى جزيرة صخرية جرداء تقع الى الشمال من جزيرة سردينية ، وبنى بيديه فيها كوخا خشبيا بسيطا ، وكان اثناء وجوده فيها يقتلع بيديه الصخور ، ويحرث الارض الصلدة ، ويتعهد مواشيه بنفسه . وكان فى المعارك يلبس كرجال فرقته دون اى تمييز ، ويواسيهم كمـــا يواسى الوالد ابناءه ، ويبكى حينما يقعون قتلى فى المعركة .

وقد انهالت الألقاب والهبات على غاريبالدى ، فرفضها جميعا : عرض عليه الملك فكتور عمانويل قلعة ملكية ، وسفينة ، وضياعا ، والقابا لأبنائه ، وصداقا لكريمته ، فرفض هذا كله ، وعاد بعد ان ادى واجبه نحو وطنه ليعيش فى كبريره حياة زهد وتقشف بالغين . وفى عام ١٨٧٥ منحه المجلس الايطالى مليون ليرة ، ومرتبا تقاعديا قدره خمسون الف ليرة ، فرفضها قائلا : « لو أخذتها فلن تعرف عيناى النوم ، ولن أستطيع أن ارفع راسى خجلا » . !

ويشترط فى هذا القائد ، فى راى غاريبالدى ، أن يكون مقداما ، لا يكلف جنوده أمرا الا ويكـون هو على راسهم . وهكذا كان . لقد كان موقف رجاله القليلى العدد حرجا وخطرا فى احــدى المعارك فى صقلية ، فتجرا احد ضباطه ، وعرض عليه أن ينسحبوا ، فما كان من غاريبالدى الا أن اجابه باطمئنان : « اننا أتينا الى هنا لنصنع ايطاليا أو نموت » . وكان غاريبالدى فى موقفه هذا على حق ، لأن انسحاب الفرقة فى تلك المعركة كان من الممكن ، فى راى المؤرخين ، أن يضـــر بمستقبل ايطاليا اكثر من الضرر الناجم عن ابادة الفرقة باسرها فى المعركة .

وهذا التفاني والاخلاص هو الذى كان يجعل المواطنين يندفعون للانخراط فى فرقته مع انه لم يكن يملك شيئا يقدمه لهم سوى الموت فى سبيل قضية تحرير ايطاليا ، اذا لزم الأمر . وقد كان مجرد ظهور غاريبالدى مع رجاله ذوى القمصان الحمر كافيا لبعث الثقة والطمانينة فى نفوس المواطنين . وقد كتب أحد الشاهدين يقول :« حينما كان غاريبالدى يمر بقرية كنت لا تقول انك ترى قائدا ، بل صاحب ديانة جديدة يتبعه جماعة من المتعصبين » .

وكان يخاطب الجماهير المتحلقة بصوته الهادىء العذب قائلا : « هلموا الى . ان من يظل قابعا فى بيته لجبان . ولكن ليس عندى ما أعدكم به سوى التعب والمشقة والمعارك ، والانتصار او الموت ».

ان هذه الروح التى بعثها غاريبالدى فى نفوس الايطاليين ، هى التى كانت تدفع حتى الشباب المترف الى اللحاق به . وقد ذكر انجليزى انه سأل احد شباب مدينة ميلانو النبلاء عن سبب التحاقه بغاريبالدى ، مؤثرا الشقاء على حياته المترفة ، فاجابه : « منذ أسبوعين استولى على اليأس ، وقررت ترك القمصان الحمر ، وجاء غاريبالدى ووضع يده على كتفى ، وقال لى بصوته الهادىء : « تشجع .. اننا نحارب من اجل بلادنا » فاحسست وكأنه قد نفخ فى روحا جديدة لا تعترف بالتعب » !

وتجاوز تعلق الايطاليين بغاريبالدى درجة الحب الى التقديس : فعندما كان يمر بالقرى كانت النساء يحضرن أبناءهن ليباركهم ، وكان المواطنون يحتشدون ليتباركوا بلمس طرف عباءته عندما يمر ممتطيا حصانه الأبيض . وذهبوا الى ابعد من هذا فادعوا أن لمسة يده تبرىء الأعمى ، وتشفى المقعد . اما هو فكان يرد على كل هذا التقديس قائلا : « ليس عندى ما أعدكم به سوى التعب والمشقة والمعارك ، والانتصار أو الموت » .

★★★

وقد تجاوز حب غاريبالدى حدود ايطاليا فعم اوروبا ، ووصل الى امريكا : فعندما اعتزل غاريبالدى فى كبريره ، كان معجبون من أمريكا واوروبا يأتون لزيارته ، حتى ان شركة ملاحة سيرت سفينة بين جنوه وكبريره ، لتنقل المعجبين. وعندما كان يرقد فى الفراش بسبب شظية أصابته فى احدى المعارك ، التف حوله حشد من المعجبات من شتى انحاء العالم ، وانهالت عليه الرسائل وعلب السيجار الفاخر ، وشتى أنواع الهدايا ، من بقاع مختلفة من العالم . وحضر لمعالجته ما لا يقل عن ثلاثة وعشرين جراحا ، حضروا من فرنسا ، وانجلترة ، وروسيا ، ومن كل أجزاء ايطاليا ، حتى ليدى بلمرستون Palmerston وبلمرستون نفسه أرسلا اليه الهدايا .

★★★

وقد عاش غاريبالدى حياته كارها ومعارضا للاغتيال السياسى ، وكان فى هذا مخالفا لمتزينى. وقد عرض متزينى على غاريبالدى فكرة اغتيال نابليون الثالث ملك فرنسا ، فرفض الاقتراح بشدة وقال : « ان ايطاليا ستتحد ، لا شك فى هذا .. ولكن لا عن طريق خنجر يطلقه خائن فى الظلام » !

★★★

هذا هو غاريبالدى الذى خلد وعاش فى نفوس الاحرار ، وغاريبالدى هذا هو ما كنا نود ان نراه فى كتاب جون باريس ، لا غاريبالدى صاحب الغراميات الكثيرة .

ولا ينقص من قيمة غاريبالدى أن تكون لهغراميات وأخطاء ، فالانسان انما يؤخذ بمجموعه واثره ، وقد كان اثره كبيرا جدا فى تاريخ القرنالتاسع عشر .

ولغاريبالدى راى فى المراة والحب طريف .رُويت له مرة قصة فتى انتحر بسبب فشله فى الحب فقال : « يا للجنون ان ينتحر انسان منأجل امراة ، فالنساء فى الدنيا كثيرات . اننى عندما تعجبنى امراة اقول لها : اننى احبك فهلتحبيننى ؟ فاذا رفضت حبى قلت لها : يا لسوء حظك ! »

وغاريبالدى ليس من المتقيدين بالطقوسالدينية فى الزواج ، فقد عاشت زوجاته معه ، الواحدة بعد الاخرى ، قبل ان يكون قد تم قرانهبهن . كما أن جميع أولاده قد ولدوا قبل أن تكون مراسيم الزواج قد تمت .

★★★

وهناك جانب خاف من حياة غاريبالدى ، ذلك هو انه عكف فى أخريات حياته على كتابة القصص، فكتب « كليليه Clelia » ، وقصتين اخريين جعل موضوعيهما حملته على صقلية (٣) ولكن هذه القصص رديئة البناء الفنى.

★★★

واليوم يرقد أسد كبريره فى مثواه فىجزيرته التى أحبها ، وليس على قبره سوى كلمة واحدة هى « غاريبالدى » ،وبجانب الضريح يقف حارس ايطالى لا يفارقه ليل نهار ، منذ وفاته فى الثاني من يونيه «حزيران» ١٨٨٢ ، وكأن الحارس يخشى ان ينفض الأسد عن نفسه غبار القبر ، وينهض لينفخ فى الصور ■■

محمود السمرة



من خيوط الحياة

سامى الكيالى ـ حلب

● فى هذا الكتاب : من قصص الصلات بين الشرق والغرب،أطباؤنا الشعراء ، أحزان شاعر، هجرة الكواكبى ، رحلة الكواكبى ..

امل الأشقياء

حسنى نصار ـ الاسكندرية

● قصة تحوى بين دفتيها اخوات لها ثلاث ، قصد الكاتب بالربط بينها الى خلق لون من الترابط الفكرى فى ذهن القارىء .

الأسكيمو

تأليف رونالد اكوبلاند ، وترجمة عفاف فؤاد رقم ١٢ من سلسلة الف باء ـ القاهرة

● كتاب للصغار ، نصف للصور ، ونصف للكلام ، يقدم لهم فكرة واضحة عن حياة قبيل الأسكيمو الذين يسكنون منطقة المحيط المتجمد الشمالى .

---

(3) Cantoni il Volontario; I Mille

الطبيعة البشرية والسلوك الانساني

تأليف جون ديوي ــ ترجمة الدكتور
محمد لبيب ــ القاهرة

● المؤلف فيلسوف تربوي امريكي شهير . وهو في هذا الكتاب يبحث في الطبيعة الانسانية بحسبانها علما ، معتمدا بذلك على الواقع وعلى العلم الحديث ، وهو بذلك يساعد على فهم السلوك الانساني وتفسير ظواهر الأخلاق عند الناس . وبذيل الكتاب قائمة بالمصطلحات الانجليزية ومقابلها العربي . وحبذا لو فعل كل مؤلف وناشر هذا خدمة للغتنا الحاضرة .

دولة الادارة

تأليف فريتز مورشتين ماركس ــ ترجمة
ابراهيم علي البرلسي ــ القاهرة

● كتاب يدرس تشكلات الموظفين ثم يناقش بالتفصيل الاتجاهات المتعددة في اعداد الموظف العام وتدريبه واختياره ، كما يناقش فلسفة الخدمة الحكومية ، وما تتعرض له من ضغط في ظل الرأسمالية والاشتراكية على السواء . وهو يستمد من التجارب الالمانية والبريطانية واليابانية خاصة .

ديوان أحمد رفيق المهدوي

المطبعة الأهلية ــ بنغازي

● ولد الشاعر عام ١٨٩٨ وتوفي عام ١٩٦١ . من قصائد الديوان: فراق وشكوى ، جراح قلب، الشعر والشعراء ، ثغور الورد ، جاء الربيع ، وطني وحبيبي .. الخ .

تقدم العرب في العلوم والصناعات

عبد الله بن العباس الجراري. دار الفكر العربي ــ القاهرة

● كتاب فيه تقويم للحياة العربية كلها ، بل هو نظرة شاملة لنواحي الحضارة العربية، وكشف عن مآثر العرب في ميدان العلم والمدنية ، وعن مدى ما تعلمه الأوروبيون منهم .

الشعر والتجربة

ارشيبالد مكليش ــ ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي
مؤسسة فرنكلين ودار اليقظة العربية ــ بيروت

● مؤلف هذا الكتاب من رواد الشعر الأمريكي المعاصر. حفلت حياته وأعماله بتجارب واختبارات في حقول متعددة أهلته للخوض بشكل متفرد في مواضيع الشعر، والتحدث عن التجربة الانسانية كما يعرفها الشاعر .

بغداد مدينة السلام ، الجزء الأول

ريجارد كوك ــ ترجمة فؤاد جميل
والدكتور مصطفى جواد ــ بغداد

● كتاب جامع لتاريخ بغداد وخططها القديمة، من فصوله : تاسيس المدينة ، أيام الصفاء ، تدهور بطيء ، العباسيون المتاخرون ، الطوفان المغولي .. الخ .

دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية

اتكن ــ ترجمة الدكتور محمود زايد ــ مؤسسة
فرنكلين ودار العلم للملايين ــ بيروت

● كتاب في ستة فصول هي : التاريخ بين العلوم الاجتماعية، عرض لبعض مفهومات ووجهات نظر في العلوم الاجتماعية ، مشكلات التحليل التاريخي ، التغير والتاريخ ، الأساليب النظرية والممارسة ، العلوم الاجتماعية ومشكلة التركيب التاريخي .

تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب

الجزء الرابع ، القسم الاول : لابن الفوطي .
حققه الدكتور جواد علي . نشر وزارة الثقافة .
دمشق

● تاريخ الألقاب عند العرب والمسلمين واسع الميدان ، وقد ألف فيه المتقدمون والمتاخرون ، ولكن هذا الكتاب لا يزال يحتل الصدارة في هذا الفن من فنون التاريخ،وهو من تاليف ابن الفوطي البغدادي المولود ببغداد سنة ٦٤٢ هـ والمتوفى بها سنة ٧٢٣ هـ .

فلسطين

حدثينا يا فلسطين فقد ... شفنا الوجد لما خلف السدود
واستبد الشوق في أنحائنا ... فأعيدى سالف المجد أعيدى
وابعثى النخوة في أسْد الحمى ... ورجال – يصنعون المجد – صيد
يؤثرون الموت في ساح الوغى ... ومجاليها – على عيش العبيد
يجتـرون الذل في أصفاده ... ويطيحون بأسلاك الحدود
لايهابون صواريخ العدى ... لا. ولا يخشون طاقات الحشود
وإذا ما النار في آفاقهم ... غشيتهم هتفوا : هل من مزيد
يافلسطين اهتفى ثم اهتفى ... بهِم ُ يأتوك بالعزم الوطيد
إنهم فتيان صدق هزئوا ... بمعدات ونار وحديد
وهُم ُ ذخر الأعارب إذا ... أغطش الليل . وهم خير جنود
فاسألى الأمجاد عنهم فهُم ... في ذرى أوراس أو في بورسعيد
واذكرى بطشتهم في خصمهم ... صاحب العدة والجيش العديد
حين أردوا بغيه في غضبة ... أحرقت سورتها كل مريد
مزقوا أوصاله في عزمة ... ذكرتنا بمضاء ابن الوليد
عزمة صارت على الدهر سنى ... ومنارات لتمزيق الجمود
أسندتها صرخة الأحرار في ... مغرب الأرض وفي الشرق الصمود
أيدوا الحرية السمحاء إذ ... أيدوا الأحرار في الرأى السديد
هكذا الأحرار في أفعالهم ... هكذا الأحرار عشاق الصعود

★★★

يافلسطين كأنى بالحمى ... زلزل الأرض على الخصم اللدود
فاعصفى بالقيد لاتنتظرى ... أحبطى كيد أعاديك وزيدى
أطلقى الألحان في رحب القرى ... واهتفى ياعزمات العُرب عودى
وانشرى في الأُفْق أعلام الهدى ... وتغنى بالبطولات وجودى

فاضل خلف
سفارة دولة الكويت ـ تونس

أنت تسأل ونحن نجيب



يشرف على هذا الباب
عبدالوارث كبير

فهم العلم شيء وفهم الأدب شيء آخر

● انا احب العلم ، واحب اخباره ومواضيعه، واستطيع استيعاب الكثير مما يأتي في العربي من ذلك ، ولكني لا استطيع ان افهم كل شيء مما تكتبون ، فهل يمكن ان تبسطوا هذا الذي لا افهمه اكثر من ذلك ؟ اني رجل تعلمت ...واني مغرم بقراءة العلم لاني اعلم ان عالم المستقبل عالمٌ علم .

س ... الكويت

ـ يتضح من كتابك الذي تكرمت فارسلته الينا انك ، على الرغم من فواتك الثلاثين ، لم تواصل الدراسة الثانوية ، من هنا جاءت مشكلتك في استيعاب كل ما تقرأ من العلم . ان لتبسيط العلم حدا يقف الكاتب عنده مرغما ، والا اصبح هو الدجل بعينه . ان العلم غير الادب التقليدي . انك تقرأ في الادب عن ناس وعن حياة ناس ، فتفهم كثيرا (الا اذا عاقتك اللغة وعاقك ما حصلت من تعليم سابق ، فحتى الادب يحتاج الى سبق تلمذة وسبق مدرسة وتعلم) . وانت تفهم الكثير من الادب لانك مارست حياة الناس ، وجربت مشاعرهم والعواطف ، وخبرت الحياة عامة . ولكن العلم حصيلة دراسة متراكمة ، كالدور من البيت لا يقام الا على دور تحته متين . فمثلا اذا حدثتك عن خبر في الكهرباء يتعذر علينا ان نعود بالموضوع بعيدا الى الوراء ، فنشرح ما هو الفلت وما الأمبير وما الجهد وما الى ذلك . هذه امور مدرسية لا بد ان يحصلها قارىء « العربي » وغير « العربي » قبل ان يقرأ . والخطا عندئذ يكون ، لا نقص في المقروء ولكن نقص في القارىء ، وعزوف عند كاتب العلم ان ينزل بموضوعه العلمي الى مرتبة الاطفال . ومن الرجال في هذا الشان اطفال . والذنب ليس ذنبهم وانما هو ذنب ظروفهم . وقى الله الرجالَ شرَّ فوات فرص التعليم ، فهو فوات يظل المرء يعانيه طول حياته .

هل تطلق المرأة زوجها ؟

● نقرأ في بعض الصحف احيانا ان امرأة ما ، طلقت زوجها . فكيف تطلق المرأة زوجها ؟ وهل يتفق هذا مع قواعد الاسلام ، ام أنه لا يقع الا في المجتمعات غير الاسلامية ؟

الرياض — عبد الله سحيمان

ـ الطلاق في الاسلام من حق الرجل ، ولا يملك احد ان يسلب منه هذا الحق الا في حالتين :

(١) ان يطلق عنه القاضي ، سواء في حضوره او في غيابه ، اذا توفرت الاسباب الشرعية الداعية للطلاق .

(٢) ان يكون هو قد جعل للزوجة الحق في ان تطلق نفسها ان شاءت ، اما باشتراط ذلك في عقد الزواج ، او بورقة مستقلة ، عند انشاء العقد ، او بعد اتمامه في اثناء الحياة الزوجية .

وفي هذه الحالة يجوز للزوجة ان تطلق نفسها من زوجها طلقة واحدة رجعية ، كما يجوز لها ان تراجعه بعدها ويراجعها ، وليس لها ان تكرر ذلك الا اذا كان قد اذن لها في التكرار كأنْ ينصَّ على ان لها ان تطلق نفسها متى شاءت وكلما شاءت .

«وعلى الذين يطيقونه فدية»

● صمت رمضان الماضي ما عدا أيام الحيض وهي ثمانيــة ، وبما أنني منحرفة الصحة ولا أقوى على الصيام ، خصوصا أن لدي أربعة أطفال يتطلبون مني جهدا كبيرا ، فاني أسائل : هل يجوز لي أن أدفع الفدية التي نص عليها القرآن بدلا من الصيام ، وكيف ، وما هي حدودها ؟

ه . آ . م

ـ من القواعد الشرعية التي ليس عليها خلاف ان الدين يُسْر لا عُسْر . قال تعالى في نفس الآية الكريمة التي فرض بها صوم رمضان « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .. وتقدير اليسر والعسر في الصيام بنوع خاص يرجع الى ضمير الانسان ذاته ، وما يحسه من نفسه ، مهما أفتى المفتون أو تزمت المتزمتون .. ففي الحديث الشريف : «سل قلبك وان افتوك ، وان افتوك ، وان افتوك»،و«البر ما اطمأنت اليه النفس ، والاثم ما حاك في الصدر وكرهتَ أن يطلع عليه الناس » .

ومن المبادىء المقررة وجوب قضاء الصوم على من فاته في رمضان ، كلا اوبعضا ، بعذر صحي او شرعي يبيح له الافطار ، كالمرض والسفر والحيض والنفاس ، وفي هذه الحالات يجب القضاء يوما بيوم ، عملا بقوله تعالى « فعدة من ايام أخر » .

اما من يَشُقّ عليه الصوم لسبب خارج عن ارادته كضعف الشيخوخة والمرض المزمن والحمل والارضاع المتواليين ، اذا خيف على صحة الحامل او الجنين او المرضع او الرضيع ، ومن كان يحس في الصوم بمشقة ترهقه او ضرر يلحقه ، أو يخشى وقوعه ـ لا عن مجرد وهم او تخيل ـ فهؤلاء ابيح لهم الافطار دون قضاء ، واكتفي منهم بالفدية . قال تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ... والاطاقة هنا لا يعبّر بها عن اليسر والسهولة ، بل عن العسر ومشقة الاحتمال ..

والفدية هي ان يطعم الانسان بدلا عن كل يوم افطره مسكينا واحدا ، بما يشبعه في وجبتين ، من طعام متوسط ..

فلتحكمي في الأمر ضميرك دون سواه . فان كنت تستطيعين الصوم في سهولة ويسر ، فلا بد من الصيام ، ولا بد من القضاء . وان كنت « تطيقين » الصوم ـ أي تحتملينه ولكن في مشقة وعسر او مع خشية الضرر عن يقين او غلبة ظن ـ فقد رُفِعَ عنك التكليف بالصوم وابيح لك الافطار مع الفدية .

والله اعلم .

المرأة : رئيسة جمهورية ؟

● خطت المرأة في السنوات الاخيرة في سبيل مساواتها بالرجل خطوات جبارة اشبه ما تكون بالقفزات ، فبعد ان كانت تقتنع بوظائف التدريس او التمريض رأيناها محامية وطبيبة وقاضية ومهندسة .. ونائبة في البرلمان ، ثم وزيرة ، ورئيسة للوزراء !

ترى هل يأتي الوقت الذي نراها فيه رئيسة للجمهورية ؟

الكويت حسنية عبد الرحمن

ـ مهلا يا آنسة فلا داعي للتعجل .. فقد يدهشك ان تعلمي انه منذ ١٥٠ عاما ، رُشحت امرأة لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة الامريكية .. وكان ذلك عام ١٨٢٧ قبل ان تبلغ معركة المساواة بين الجنسين مرحلتها الحاضرة !

ففي ذلك العام رشح حزب الشعب ، وهو حزب كان يمثل الهيئات التقدمية المتطرفة ، سيدة اسمها فكتوريا كلافلين وودهل، لرئاسة الجمهورية في الولايات . لكنها لم تفز ، لان حزب الشعب كان من الاحزاب الصغيرة ، بالقياس الى الحزبين الديمقراطي والجمهوري اللذين يتناوبان الحكم في الولايات !



هذا هو «بوذا» وتلك هي البوذية

● كثر الحديث فى الشهور الأخيرة عن البوذية والبوذيين ، بسبب سياسة التمييز العنصرى التى كانت تنتهجها ضدهم حكومة فيتنام الجنوبية ، مما حمل بعض كهنتهم على احراق أنفسهم أحياء ، احتجاجا على تلك السياسة ، ثم ما أعقب ذلك من انقلاب انتحر فى أثره رئيس الدولة وشقيقه .. فما هى البوذية ؟ هل هى دين سماوى ؟ وهل كان بوذا نبيا أو رسولا ؟ وفى أى عهد ظهر ؟ والى أى شعب أرسل ؟ ولماذا لم يرد ذكره فى الكتب السماوية ؟

بيروت : م . ت

شقراء ـ سعودية : عبدالعزيز عبدالرحمن الحميدى

ـ لم يدَّعِ بوذا انه رسول أو نبى ، بل كان ينهى اتباعه عن أن يزعموا تجسد الاله فيه ، ويقول لهم انه ليس الا انسانا يبحث عن « الحقيقة » وينشد للبشرية حياة أفضل ، خالية من الآلام والأحزان ، وذلك عن طريق الأخلاق الفاضلة التى كانت عماد دعوته ومحور تعاليمه .

أمير .. وابن ملك

ولد « بوذا » عام ٥٦٣ قبل الميلاد ، واسمه الأمير « سداهارتا ساكايا مونى جوتاما » ، اذ كان أبوه « سوهدهانا جوتاما » ملكا لمقاطعة الساقية Sakya فى سهول نهر الجانج بالهند . وقد قضى سنى طفولته الأولى فى قصر « كابيلافستا » الملكى حتى بلغ الثانية عشرة ، ثم عهد به والده الى كبار الكهنة ليعلموه أسرار الديانة الهندوسية « البراهمية » بالاضافة الى ما ينبغى أن يتعلمه أمير ملكى سيخلف أباه على العرش . وفى السادسة عشرة زوَّجه أبوه الأميرة « يودوسودهارا » فعاش معها كاسعد ما يكون حتى بلغ الثلاثين . ولم يكن حتى هذه السن يعرف شيئا عن آلام البشرية من فقر ومرض وشيخوخة ، بل كان يظن الناس جميعا فى مثل سعادته ، حتى كان يوم خرج فيه الى السوق دون أن يصحب معه من حاشيته التى كانت ترافقه كلما غادر القصر الا حارسه الأمين « تشانه » ، فاذا هو يرى ـ ولأول مرة فى حياته ـ رجلا مريضا يتلوى من الألم ، وشيخا هرما أعجزه الكِبَر عن السَّير ، وأخيرا رأى ميتا يشيع جثمانه الى القبر . وكان كلما رأى منظرا من تلك المناظر سأل حارسه عن سببه ، فاذا هو يخرج من اجاباته بأن المرض والشيخوخة وغيرهما مما يتعرض له الانسان انما هى سُنّة الحياة ، وان الموت هو النهاية المحتومة للجميع .

البحث عن « الحقيقة »

وعاد الأمير الشاب الى القصر حزينا مهموما ، يفكر فى ما تعانيه البشرية من آلام كان يجهلها ، وظل مستغرقا فى تأملاته أياما أيقن بعدها أن كل ما تعلمه على أيدى الكهنة باطل لا أصل له ، وأن هناك « حقيقة كبرى » خفيت عنهم وعنه !

أيقن بطلان ما لقنوه من أن « براهما » هو الذى خلق العالم ، وانه هو « الروح الأعظم » و« الثالوث الأقدس : الخالق ، والحافظ ، والمدمّر » !

وايقن أن العالم قديم أزلي ، لا أول له ، ولا يمكن أن تكون له نهاية ..

وايقن أن الآلهة التي يعبدها قومه لا تملك القوة لتغيير قوانين الطبيعة التي لا تؤثر فيها الصلوات والقرابين ، فلا داعي لعبادتها أو تقديسها ..وأن « الفيدا » وبقية كتب الهند المقدسة ، ليست مقدسة !

وايقن كذلك أن تقسيم الناس الى طبقات أربع: الكهنة فالملوك فالصناع فالعامة ، تقسيم خاطىء لا عدالة فيه ، فالناس اما أخيار أو أشرار ، وليس الشر أو الخير بتفاوت الطبقات ولا وقفا على طبقة دون طبقة ..

يهجر الأمارة ليبدأ حياة التيه !

وظل الأمير في أفكاره وتأملاته اياما .. وذات ليلة القى على زوجته وطفله نظرة أخيرة وهما نائمان ، وتسلل من القصر الى حيث طلق حياة الملك والامارة ، وحلق شعره ، وارتدى ثياب النساك ، وبدأ حياة التيه والتأمل ، يريد الوصول الى « الحقيقة » عن طريق التقشف والزهد وتطهير النفس والجسد .. وبعد سنوات من التيه بين الفياف والقفار والغابات ، واتته لحظة « الاشراق » تحت شجرة تين عرفت فيما بعد باسم شجرة « بو » Bo ،ومن ثم راح يبشر بتعاليمه التي تتلخص في أن « الاعتدال » أو « الطريق الوسط » هو وحده طريق الخلاص من الآم البشرية ، فلا اغراق في الملذات والشهوات ، ولا اسراف في تعذيب الجسد والروح ، بالجلوس على المسامير أو النوم على شظايا الزجاج كما يفعل بعض الكهنة وفقراء الهنود .

الأركان الثمانية

وقد اقام « بوذا » دعوته على ثمانية اركان : الايمان الصحيح ، والنوايا الحسنة ، والسلوك الحميد ، والعمل الصالح ، والتفكير الخيّر ، والكلمة الطيبة،ومساعدة الضعفاء ، ثم الاستغراق في التأملات الروحية الصالحة .. ثم عاد فركز على المبادىء الخمسة الفاضلة وهي : « لا تقتل. لا تزن . لا تسرق . لا تكذب . لا تشرب خمرا ».

وسرعان ما ذاع أمر هذا الحكيم وتعاليمه ،ودعاه الناس « بوذا » أي « الرجل المستنير » ، وأقبلوا على اتباعه من كل حدب وصوب ، ومن بينهم ملوك وأمراء وكهنة من مختلف الديانات التي كانت منتشرة في ذلك الحين ، حتى بلغوا عدة ملايين ..

ومات « بوذا » عام ٤٨٣ (ق.م) وعمره ثمانون عاما ..

أتباعه يخالفونه .. ويؤلهونه

ولم يمض على موته الا قليل حتى اختلف اتباعه حول تعاليمه التي ما لبثت ان اختلط بها كثير من الشوائب والبِدَع التي شوهتها ، وخرجت بها عن جوهرها ، وراح بعض الكهنة يزعمون الوهية « بوذا » ويقولون ان الاله الأعظم تجسد فيه ليخلص العالم من خطاياه ، ويمنح الغبطة للحزانى والراحة للمتعبين ، مع أنه هو نفسه كان يوصي أتباعه قائلا : « لا تؤمنوا بي كمُمَثّل لله على الأرض ، ولا تعتبروني الها . فانما انا انسان مثلكم انشد الحقيقة الأبدية ، فاذا كان كلامي موافقا للعقل والمنطق فاتبعوني » ..

البوذيون وتناسخ الأرواح

ويؤمن البوذيون بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن « بوذا » قبل أن يصبح « الرجل المستنير » تقمصت روحه ٥٣٠ جسدا:٤٢ منها أجساد آلهة، و٨٠ أجساد ملوك .. وانه في بعض فترات التقمص كان لصا أو مقامرا أو حصانا أو ثعبانا أوضفدعة!! وانه كان في كل هذه الدورات عاقلا وحكيما ..

٢٥٠ مليونا أو يزيدون

ويتراوح عدد البوذيين في العالم بين ١٥٠ ، ٢٥٠ مليونا .. عدا بضعة ملايين أخرى محسوبة على الهندوس وأتباع كونفوشيوس وماهاريشا وغيرهم من مختلف الديانات .

واعجب ما في البوذية انه ليس في الهند ـ مسقط رأس بوذا ـ الا اقلية من أتباعها ،بينما تعيش الأغلبية في الصين واليابان وسيلان وتايلاند وبورما والهند الصينية وكوريا ومنغوليا وغيرها .. عدا ١٦٥٠٠٠ يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية ..

((ايفان)) : الرهيب !

● من هو « ايفان الرهيب » ؟ ولماذا سمى الرهيب ؟!

الاسكندرية هدى الناسترلى

ـ ايفان الرهيب هو قيصر روسيا فى الفترة ما بين سنتى ١٥٣٢ ـ ١٥٨٤ م .

وقد سمى الرهيب لانه خلال السنوات الاحدى والخمسين التى تربع فيها على عرش روسيا قتل آلاف الرجال بحروبه ، وعذب الآلاف من الرجال والنساء والاطفال ، من شعبه واقاربه على السواء ، فى معاركه السياسية .

يروى أنه غضب مرة على ابنه الأوحد اذ لم يرق له فستان زوجة ذلك الابن ، فما كان الا ان ضربه باداة حديدية ، فقتله .. وكان كل ما تولاه من أثر لمصرع ابنه أن قال : « انى آسف لما حدث » !

والعجيب فى الأمر ان الشعب كله اعلن الحداد طائعا مختارا عند موته ، لانه استطاع ان يجمع شتات روسيا تحت سلطان واحد ، ولانه كان عظيما ورائعا فى اصلاحاته الداخلية ..

مؤلف ((حياة محمد))

● فى اى سنة توفى الدكتور محمد حسين هيكل ، مؤلف كتاب « حياة محمد » ؟

الكاظمية محمد حسين فاضل

● متى توفى الدكتور محمد حسين هيكل ؟ وما هى الكتب التى اصدرها غير « حياة محمد » ؟ وشكرا .

جامعة بغداد محمد عبد الجبار امين

ـ توفى الدكتور محمد حسين هيكل فى الثامن من ديسمبر عام ١٩٥٦ . اما الكتب التى اصدرها فهى :

رواية « زينب » ـ وهى اولى مؤلفاته ـ وعشرة ايام فى السودان ، وثورة الادب ، وجان جاك روسو .. وهذه كلها صدرت قبل « حياة محمد » .. كما صدر له بعدها « فى منزل الوحى » و« الصديق أبو بكر » و « الفاروق عمر » و«مذكرات فى السياسة المصرية» و « هكذا خلقت » وهى الرواية التى ختم بها حياته الادبية ، كما بداها من قبل برواية « زينب » .

خطيبي .. هل هو أخى ؟!

● تقدم ابن خالتي الكبرى لخطبتي بعد ان تفاهمت واياه على الزواج ، وتأكد كل منا من حب صاحبه له . لكن خالتى فاجأتنا بأنها أرضعت أمى ، أى أختها ، مع ابنها الأكبر شقيق خطيبى، وانها لذلك تمانع فى هذا الزواج !

فهل من سبيل للتخلص من هذا الاشكال خصوصا وان امي لم ترضع مع خطيبي بل مع شقيقه الاكبر ؟

الكويت باسمة ...

ـ قبل الاجابة عن سؤالك لا بد من التحقق من امرين :

اولهما ان تكون امك قد رضعت من خالتك عن يقين ، وليس رضاعها منها مجرد ظن وتخمين.

ثانيهما ان تكون امك قد رضعت من امه القدر المحرّم للزواج ، وهو ما يقدره الشافعية بخمس رضعات معلومات مشبعات ، وما يقدره الامامية بخمس عشرة رضعة كاملة ، لا تفصل بينها اية رضعة من امراة اخرى ، وهو ما كان المغفور له الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر يميل الى تقليبه ، اذ كان يرى رحمه الله ان مدة الرضاعة يجب ان تمتد وقتا تشعر معه المرضعة بمعنى الأمومة التى وردت فى قوله تعالى «وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم » ، وكان يقول ان ذلك لا يتوفر فى الرضعات الخمس او الرضعات المعدودات المتفرقات .

فاذا تحقق أن والدتك رضعت من خالتك بالفعل ، وعن يقين ، عددا من الرضعات المشبعات المعلومات غير المتفرقات ، فانت لا تحلين لابن

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....
....
العنوان: ....
....
....

أشعب

● كثيرا ما اقرأ في مجلة « العربي » عن اشعب وخصوصا في باب طرائف عربية .. فمن هو اشعب؟ وما هي جنسيته وفي اي عصر عاش ؟

نابلس ـ الاردن　　　فاطمة عبدالرحمن محمود

ـ كان أشعب مولى للخليفة الثالث عثمان بن عفان . وُلِد عام ٦٣١م ، ونشأ في المدينة ، وكان حسن الصوت ، شديد الطمع ، كثير الطلب ، طفيليا ، حتى ضرب به المثل في التطفل والطمع .

دائرة المعارف المهنية

● في ختام مقال نشرتموه بالعدد ٥٨ بعنوان « معاهد ليس عندنا مثلها » خبر عن دائرة معارف وصلت العربي ، اسمها :

1963 Careers Encyclopedia

تصف مهن الحياة وحِرَفها وتفرعها ودرجة الثقافة التي تتطلبها كل منها ووسائل التحضير لها والتدريب عليها والكسب الذي ينتظر منها ، والعنوان الذي يستزيد منه طالب الحرفة او المهنة معرفة او نصيحة ..

فهل لمجلتنا الحبيبة أن تنشر اسم مؤلف دائرة المعارف المذكورة او مؤلفيها ، واسم ناشرها ، والمدينة والدولة التي نشرت فيها ، خدمة لنا ولأمثالنا من الشباب الذي يريد أن يشق طريقه في الحياة ؟

محمد طارق حلمي　　　يوسف غوشه
حلب　　　القدس

هائل مشربش ونايف عبد السلام
كلية الحسين ـ عمان

ـ العنوان المطلوب هو :

1963 Careers Encyclopedia ,
Edited by :
G. H. Chaffe and P.J. Edmonds .
Publisher : Macmillan and Cleaver Ltd. - London

تي . أي . لورنس

● قرات كثيرا من الكتب والمقالات التي تناولت حياة « لورنس » الذي يتحدثون عنه بوصفه صديقا للعرب .. كما شهدت فلما سينمائيا عرض اخيرا عن قصته ومغامراته .. والذي ادهشني في كل ما قرات او شهدت انهم لم ينشروا اسمه كاملا .. كل ما نشروه هو انه « تي . اي . لورنس : T. E. Lawrance » .. فهل تتفضلون بافادتي من اسمه الكامل ، وعن حقيقة شخصيته ؟

القاهرة　　　اسماعيل رأفت

ـ اسمه الكامل : « توماس ادوارد لورنس » ولد عام ١٨٨٨ ، ومات في حادث انقلاب موتوسكل كان يركبه عام ١٩٣٥ ـ وهو ثاني اخوة خمسة غير شرعيين للسير توماس روبرت تشابمان

خالتك لأنه أصبح بذلك اخا لأمك ، واصبحت بالنسبة له من « بنات الاخت » اللواتي يحرمهن القرآن بنص صريح . ويستوي في ذلك ان تكون امك قد رضعت مع خطيبك او مع اخيه الاكبر ، لان التحريم قائم سواء اتحد زمن الرضاعة أم اختلف . والقاعدة الشرعية التي ارساها الحديث تقول : « يَحْرُمُ من الرضاع ما يحرُم من النسب » ..

ويبقى بعد ذلك سؤال : هل انت واثقة من ان خالتك صادقة فيما تقول ؟!

اخشى ان تكون قد ابتكرت حكاية ارضاعها لشقيقتها ـ وهو امر قليل الحدوث ـ كي تحول دون زواج ابنها منك ، اما كراهية فيكِ او في احد والديك !!

بارون « وستميث » السابع في ايرلندة ، من « سارة مادن » مربية بناته الاربع من زوجته الشرعية .

في بداية الحرب العالمية الاولى التحق بادارة المخابرات السرية للجيش البريطاني في مصر . وفي عام ١٩١٦ التحق بالقوات العربية في ثورتها على الحكم التركي ، ولكنه اخفق في اقناع دول الحلفاء بمنح العرب استقلالهم في مؤتمر الصلح بباريس ، فاعتزل حينا في انجلترا .

تطوع بعد ذلك في السلاح الجوى البريطاني باسم « ج . هـ . روس » فلما اكتشف امره تحول الى سلاح الدبابات باسم « ت . أ . شو » ، ثم اتخذ هذا الاسم ، اسم شو ، رسميا بقضية واجراءات قانونية عام ١٩٢٥ .

اما اسم « لورنس » فقد كان الاسم الذى انتحله ابوه ، سير توماس روبرت تشابمان بعد ان هجر زوجته ورحل الى ويلز ليعيش مع « سارة مادن » حياة زوجية دون زواج شرعى لأن زوجته رفضت الموافقة على الطلاق .

آدم .. والتفاحة !

● هل كان آدم نبيا أو رسولا حتى يقرن اسمه في بعض الكتب بعبارة « صلى الله عليه وسلم » التي لا تقال الا للأنبياء والمرسلين ؟

وكيف كان آدم نبيا ومع ذلك عصى ربه وأكل التفاحة ؟ .

مصر الجديدة مصطفى عبد الوهاب

ـ لم يكن آدم رسولا بطبيعة الحال ، لأنه يوم خلقه الله لم يكن في الأرض من البشر سواه هو وحواء .. لكن ذلك لا يمنع أن يكون نبيا ،وليس يشترط أن يكون النبى رسولا ..

ونحن اذ نقرن اسمه بعبارة « صلى الله عليه وسلم » فمن قبيل الاحترام الواجب من الأبناء لأبيهم الأكبر وتحية له . ولأن هذه العبارة ليست وقفا على الأنبياء والرسل ، بدليل قول اللهتعالى

عن نفسه وهو يخاطب خلقه من البشر : « هو الذى يصلى عليكم وملائكته » ولم يقل « على الانبياء والرسل منكم خاصة » !

اما ان الشجرة التى نهى الله آدم عن أن يقربها هو وحواء كانت شجرة تفاح ، وان الثمرة المحرمة كانت تفاحة ، فليس عليه دليل قاطع ، لان الكتب السماوية لم تجزم بانها تفاحة ، بل منها ما عبر عنها بالثمرة ، ومنها ما عبر عنها بالفاكهة ،وهى فى القرآن « الشجرة » .

ردود خاصة :

● الآنسة زاهية العثمان : سوريا

ــ تستطيع صديقتك اجراء العملية التى تتطلبها حالتها ، فى القاهرة بدلا من أوربا ، حيث هناك اخصائيون عالميون فى جراحة العيون ، وفى التجميل .

● م . م : الاردن

ــ فقد احدى العينين ابصارها لا يمنع من دخول الجامعة ، ما دامت العين الاخرى سليمة . وهناك أطباء حكوميون ــ ومنهم اطباء عيون ــ ممن فقدوا ابصار احدى العينين ولم يمنعهم ذلك من دراسة الطب او التخصص او التوظف .

● عمر احمد صالح : الخرطوم

ــ الزار خرافة لا تشفى مرضا . اعرض نفسك على طبيب للامراض العصبية .

● الآنسة أماني حسن : عمان

ــ اخطأت اختك فى تأويل رؤياك .. يقول « ابن سيرين » وغيره من مفسرى الاحلام المسلمين ان هذه الرؤيا ــ اذا صدقت ــ ليست نذيرا بالموت كما زعمت اختك ، بل بشيرا بالسعادة والهداية والتوفيق .

« مِنْ أُحُدْ »

مقاطع من ملحمة عربية

أحُدَ الخيرِ يا افتراراً على الصحراء يندى الياقوتُ فيكَ سخيا
ويروحُ الزمرّدُ العفّ يحبو بينَ سفحيكَ بالضراعات حيا
ما أرى ؟... قمة أرى ، تستحم الشمسُ فيها أم كبرياء الثريا
وأراه التاريخ يجثو صغيراً عند جرح النبي يحدو نبيا
ههنا روضة تضوعُ بالطيب تضمّ الشهيد كنزاً غنيا
حمزةَ المجد والعلى ، سيد الأبطالِ ، دنيا من المروءات ريّا

★★★

أحُدَ الخير !.. ياصباحَ اليقينِ قمْ تحدثْ عن اليتيمِ الأمينِ
من دماه اكتحلت بالأحمرِ القانى ومن عزمه بشم الحصونِ
هزمَ الكفرَ والجهالات فانزاح عن الارضِ وطءُ غول حرونِ
وأفاقَ الأباةَ فالأرض مرمى للبطولاتِ ، غضة التكوين
وغدا العبدُ في الجزيرةِ حراً رافلاً بالشموخِ سمحَ اليمين
والوغى إن تكن لحقٍّ رياض من ورودٍ ومتعةٌ للعيونِ

★★★

حدّثي ياقبا عن الصّخرةِ المنتاف في حضنِ سيدِ الكائناتِ
ركزتها يداه معبدَ إيمانٍ مدلٍّ على ائتلاقِ الحياةِ
واستوتْ في الغياضِ يثربُ ترعاها بروْيا مخضلة الجنبات
وعليها من النبي ضياءٌ صامدٌ شقّ حلكةَ الظلماتِ
تتعالى « الله أكبرُ » منها من بلالِ المرصّعِ الكلماتِ
مسجدٌ للصلاةِ في سرحةِ الوحي تهادى على نشيدِ الحداةِ

★★★

ما لها تلةٌ تصبتّك كالعذراءِ في نظرةٍ الى الحب طفله
تتملّى سناكَ في الخفرِ الحلوِ فتبدو في وجنة الليل قبله
عصبتْ رأسها بدنيا من الأمجادِ تشتاق أن ترى الموتَ نهله
ولها من حديثها فوق ما يحلو تخلّى الزمانَ يرجمُ جهله
ذكرتْ خطوةَ النبي عليها فانتشت بالفخارِ بعدَ المذله
وتودُّ الكواكبُ الزهر لوكانت إطاراً يضمُّ أجملَ تله

صلاح الأسير ـ بيروت



تضحك الدنيا معك ... ابك تبك وحدك

سرعة بديهة !



● الاب : اسمع يابني ، في كل مرة تخطيء ، تصبح احدى شعرات راسي بيضاء .

الابن : ومع هذا فالشعر الابيض الموجود في راسك ، اقل بكثير من الشعر الابيض الموجود في راس جدي !!

بالمراسلة !

● شاهد شرطي المرور سيارة تسير بشكل يعرض حياة الناس للخطر ، فاوقف السائق وساله : لماذا تسوق بهذه الطريقة ؟

فاجاب السائق : انني اتعلم قيادة السيارة .

فساله الشرطي : ولكن كيف تتعلم بدون مدرب ؟

فكان جواب السائق : انني اتعلم قيادة السيارة بالمراسلة !!

شيء طبيعي !

● كان المجند يتدرب على « تدريب البصر » ، فساله الضابط أن يعد الجنود الموجودين على مسافة بعيدة جدا .

فقال المجند : انهم ستة عشر جنديا وشاويش .

فساله الضابط : صحيح ! ولكن كيف عرفت ان هناك شاويشا ؟

فرد المجند قائلا : ان الجنود يقومون بأعمال الحفر ، اما الشخص الواقف الذى لا يقوم بأى عمل فهو الشاويش !

الخطأ المتوقع !

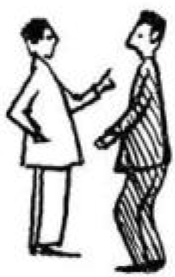
● اعطى رجل ابنه الصغير دينارا بمناسبة العيد ، فذهب الابن الى البقال وطلب منه تبديل الدينار بفكة . وأخذ الصبي العملة الصغيرة الى بقال آخر وطلب منه اعطاءه دينارا بدلا منها . وكرر عملية الصرف عدة مرات . فلاحظ والده ذلك، فناداه وساله عن سبب تكرار صرف الدينار، فقال الابن : سيخطىء أحد البقالين ان عاجلا وان آجلا فى عد النقود ، ولن اخطىء انا ابدا !! .

طريق طويل !

● وصلت السكرتيرة الى المكتب متأخرة عن موعد العمل ساعة بكاملها . وكانت ملابسها ملطخة بالدم وممزقة . فلما رآها المدير سألها : « اين كنت » ؟

فاجابت : لقد سقطت من الدور السادس .

فقال المدير : وهل استغرق سقوطك ساعة كاملة ؟ !



تهنئة قلبية !

● تم اقناع مرشح ساقط فى الانتخابات بحضور حفلة تقام تكريما لمنافسه الذى فاز عليه . وفى نهاية الحفلة طلب منه ان يلقي كلمة، فقال :

« انني اهنىء الذين نافسوني بصدقهم . لقد قالوا انهم سيهزمونني بشخص احمق ، وقد فعلوا » !



السيجارة التي تمنحك متعة كاملة
إل إم
إل إم هي سيجارة المدخنين
الذواقة. فإذا كنت ممن
يدخنون ليس لمجرد
نفث الدخان فحسب
فإن سيجارة إل إم تمنحك
المتعة كاملة.
إنها أسلس مذاقاً وأذكى
نكهة... بفضل
تبغها المختار بعناية من
أجود المحاصيل في العالم،
وفلترها الخاص
النقي الأبيض.
THE MIRACLE TIP
L&M
FILTERS
You get Lots More from L&M


انتظام
وقوة
وهكذا
ساعات
فاڤر - لوبا
FAVRE-LEUBA
GENÈVE
علامة الثقة
فخر الصناعة السويسرية، تعمل في كل الأجواء، وترضي جميع الأذواق..
نسائي و رجالي
الوكلاء العامون
العراق
عبد الجبار لطيف الساعاتي
شارع الرشيد - بغداد
البحرين
يوسف أحمد الساعي وشركاه
شارع باريت - ص.ب ٢١٨
الكويت
محمد عبد الله الشهاب
شارع عبد الله السالم (الجديد سابقا)
ص.ب ٢٣٨ - تلفون ٢٣٢٢
فرع: شارع فهد السالم تلفون ٥٣٤١


مؤسسة الاجهزة الالكترونية
تجارة عامة - استيراد - تصدير
وكلاء
شركة
سيرا
• اجهزة راديو
• تلفزيون
• آلات تسجيل
SIERA
الكويت - ص.ب: ٢٤٤٩ - برقياً "ترانستر"



D500 GVW 19,500 lbs.



D700 GVW 25,000 lbs.

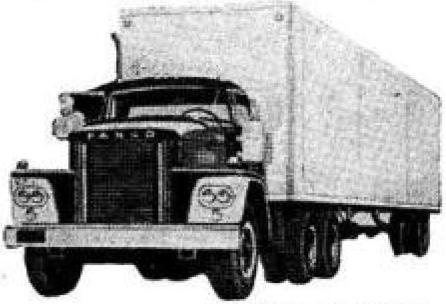
ان شراءك للشاحنة التي تناسبك تماماً عمل هام جداً بالنسبة لك ولعملك. فابحث عن الأفضل لك بين المجموعة الكبيرة والمختارة من الشاحنات من صنع كرايزلر. وان هذه الوحدات، من صنع دودج وفارغو، السهلة القيادة والجديرة بالاعتماد، تغطي مختلف أشكال الشاحنات، من البيك آبات الصغيرة ذات حمولة نصف طن، الى شاحنات الديزل المزدوجة الضخمة والجبارة ذات نوع ٧٦٫٨٠٠ ليبرة GCW. وكل شاحنة مصنوعة وفقاً لأعلى مقاييس التصميم والهندسة والجودة التي وضعت شركة كرايزلر في طليعة الصناعة طوال الـ ٣٩ عاماً الماضية. ولا يمكننا هنا ان نعرض عليك سوى العدد القليل من موديلات عام ١٩٦٤ فاطلب من موزع سيارات دودج وفارغو الذي تتعامل معه، المعلومات الكاملة عن الطراز المصمم خصيصاً لأعمال الشحن التي تواجهك، واطلب تجربة السيارة المناسبة لك.

اختر لنفسك من أي طراز من الشاحنات على ماركة دودج وفارغو. الموديلات المصنوعة في أميركا حمولة ١٣٫٤٠٠ الى ٢٥٫٠٠٠ ليبرة GVW مقصورة قيادة امامية حتى طاقة ٣٢٫٥٠٠ ليبرة GVW، بستة دواليب حتى طاقة ٥٣٫٠٠٠ ليبرة GVW، جرارات بقوة حتى ٧٦٫٨٠٠ ليبرة GCW شاحنات كير المصنوعة في بريطانيا بقيادة عادية حتى ٢٧٫٠٠٠ ليبرة GVW، قيادة امامية على المحركين بطاقة حتى ٢٣٫٥٠٠ ليبرة GVW، بثلاثة محاور حتى ٤٤٫٨٠٠ ليبرة GVW، جرارات حتى ٥٤٫٠٠٠ ليبرة GCW.



D100 6-man Crew Cab

في عام ١٩٦٤



NCT 1000 Tractor GCW 76,800 lbs.



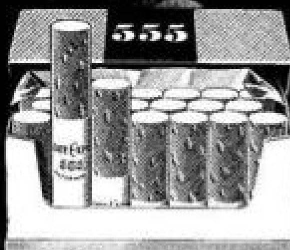
W500 GVW 20,000 lbs.

شركة "كرايزلر انترناسيونال" جنيف، سويسرا.

كرايزلر انترناسيونال

قبطان طائرة نفاثة . من نيويورك إلى لندن - ٣,٥٠٠ ميل - في ٦½ ساعة. طائرة تحمل مائة وأربعين راكبًا واثني عشر ملاحًا ، وثمنها خمسة ملايين دولار . عمل خطير يقوم به رجل ناجح . إنه يدخن السيجارة ذات النجاح العالمي - ثلاث خمسات فلتر كنج .



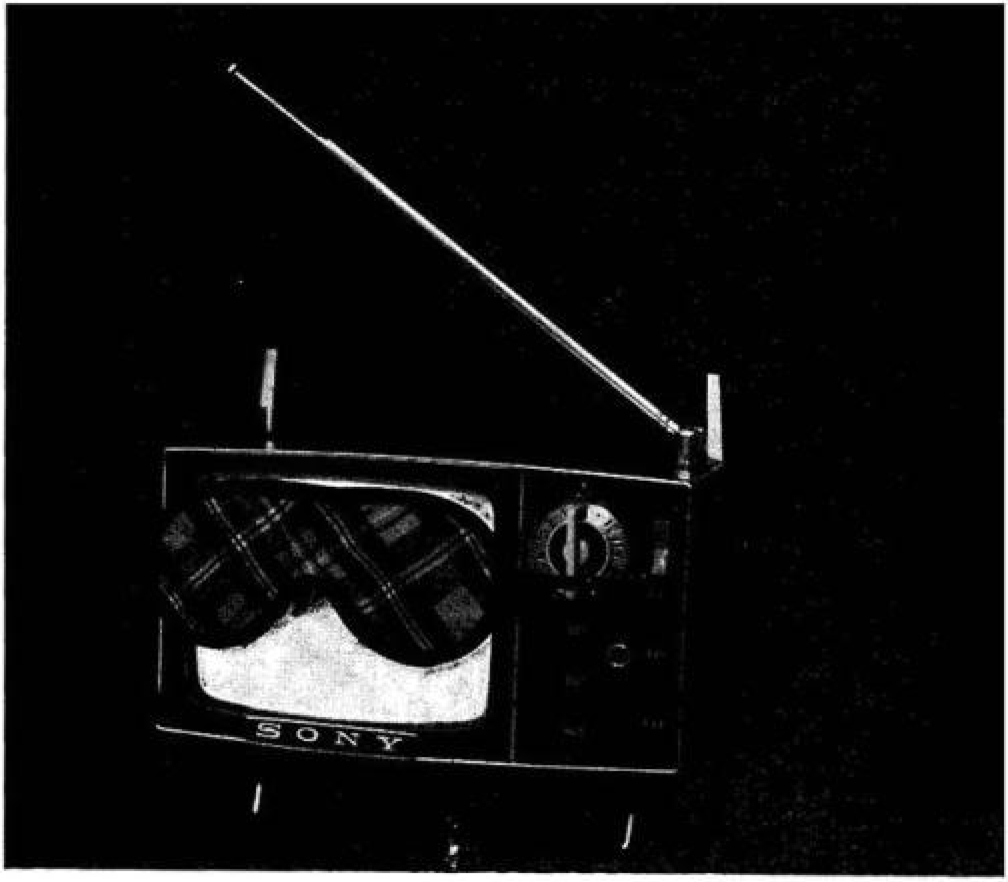


555

ثلاث خمسات

فلتر كنج سايز

ستيت اكسبريس - أحسن سيجارة في العالم



يكره التوقف

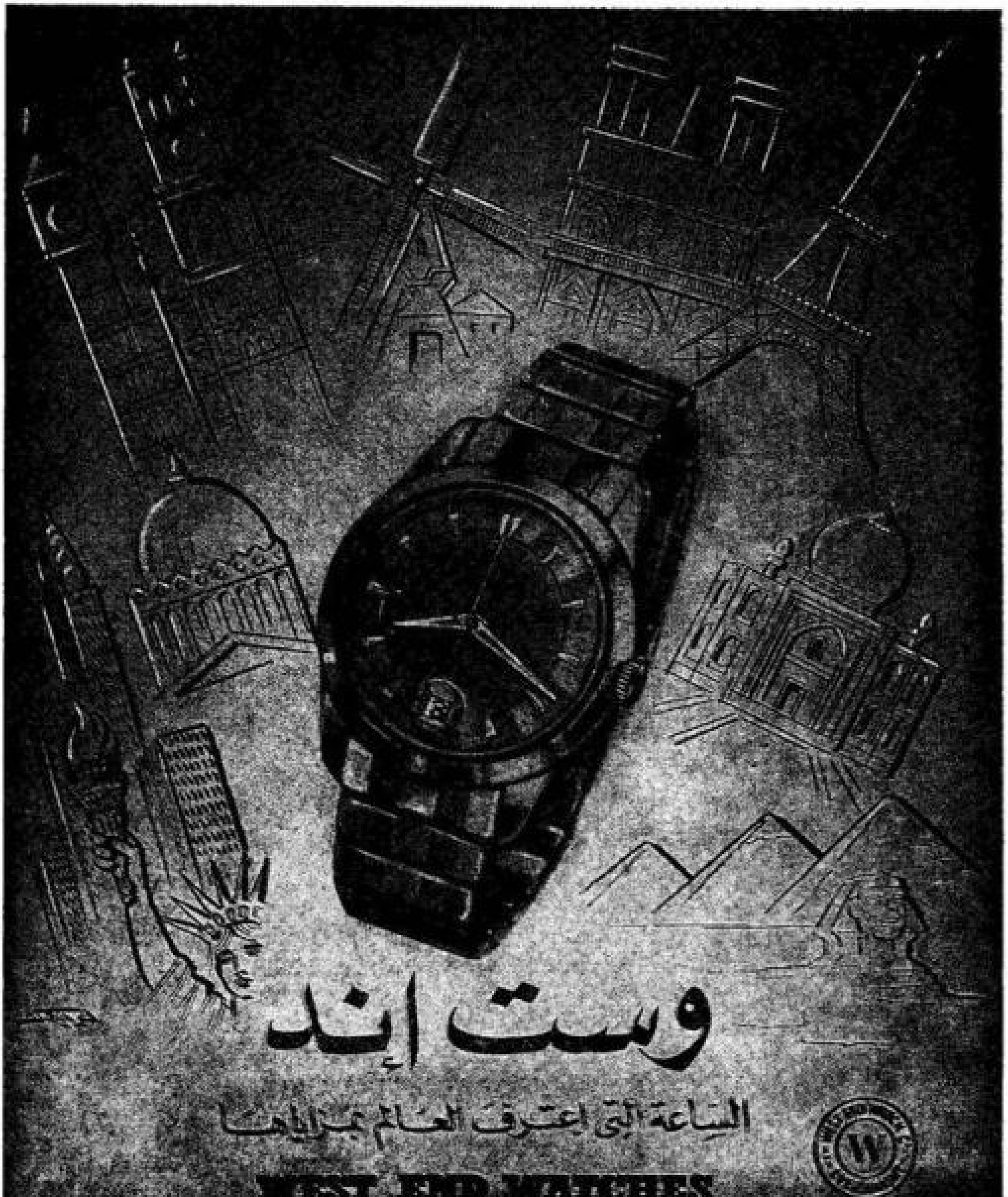
لا يمكنك الإستغناء عن جهاز التلفزيون الصغير " سوني " سوى في الليل عندما يأتي وقت النوم وباستثناء ذلك فانك ترى هذا الجهاز دائماً بالقرب منك . تأخذه اينما تشاء في أية غرفة من المنزل في الخارج ، في الرحلات ، في سيارتك وانت تقوم بالنزهة او اي مكان آخر حيث يمكنك ان تنقل ٨ ارطال من ارفع الأجهزة الالكترونية . القوة ؟ . ان جهاز التلفزيون " سوني " يعمل على التيار الكهربائي المنزلي ، على بطارية السيارة ١٢ فولت ، او على تيار بطارية الخاصة . واينما تستعمل جهازك التلفزيوني " سوني " ستعجب بفاعليته الثابتة " حتى داخل سيارة متحركة " ودقته ، ووضوح صورته .

سوني

SONY®

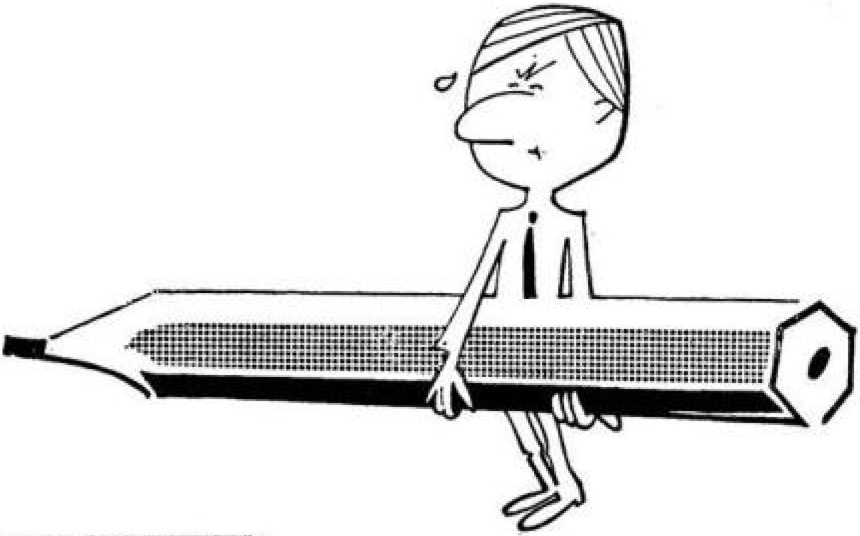
micro TV MODEL 5-303

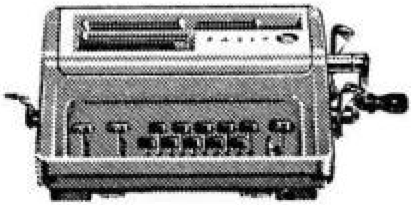
J-1272


وست إند
الساعة التي اعترف العالم بمزاياها
WEST END WATCHES


عِش سَعيداً ابدون ألم
بتناول أسپيرين
BAYER
"أسپيرين" هو الاسم المسجل للمستحضر الألماني الأصلي،
تأكد بأنك تستعمل "أسپيرين باير" الألماني الأصلي الصنع.
أطلب "أسپيرين" في علبته الخضراء التي تحمل علامة باير.
١. يزيل الالام
٢. يخفف الحرارة
٣. يعيد النشاط والعافية
"أسپيرين باير" لا يؤثر في القلب ولا يضر المعدة

هل هذه هي الأداة المناسبة ؟





تحوّل اليوم نشاط المعامل والمصانع في العالم الى الحركة المنظمة الميكانيكية للعمل السريع والانتاج المجدي.

اما بشأن المكتب، فهل في مكتبكم الآلات اللازمة لاعمالكم الحسابية اليومية ؟ وهل تعلموا كم يوفر من الوقت استعمالكم آلة حاسبة فاسيت ؟

تحققوا من ذلك بانفسكم باستعمال فاسيت CI-13 التي يمكن وضعها تحت تصرفكم مدة اسبوعاً كاملاً دون اي مقابل.

فاسيت

فروع للبيع والصيانة في ١٣٠ بلداً

فاسيت هي اسهل آلة حاسبة، تمارس طريقتها خلال ١٥ دقيقة.

مصنوعة من الفولاذ الاسوجي المشهور الذي يضمن متانتها مدى الحياة.

مليون آلة فاسيت تؤدي حاليا الخدمات الحسابية في جميع انحاء العالم

الكويت، دي سوزا اخوان - شارع الشيخ فهد - ص.ب ١٤١

العراق، الشركة العربية الشرقية - شارع الرشيد ١٤/٤٤١ - بغداد

عدن، شركة قلندس للتجارة - المعلا - ص.ب ٣٨٦

سوريا، شركة فيصي ومريم إخوان للتجارة - ص.ب ٢٤٦٢ - دمشق

البحرين، السيد مؤيد احمد المؤيد - ص.ب ٢١ - المنامة

السودان، السيد طوروس برسميان - ص.ب ١٢٧ - الخرطوم

الأردن، السيد الفرد فراج - ص.ب ١٣١٦ - عمان

الظهران، السيد احمد بن علي العوبين - ص.ب ١٦٤

لبنان، شركة التجارة العالمية - شارع القديس - ص.ب ٤٧٣ - بيروت

ليبيا، شل كرتس وشركاه (ليبيا) لمتد - ص.ب ٣٩٣ - طرابلس

المملكة السعودية، (جدة - الرياض - الدمام) زاهد اخوان - ص.ب ١٠٢ جدة

الميزانية العمومية

للبنك العربي (المحدود)

كما هي في ٣٠/٩/١٩٦٣

الموجودات	دينار
نقد في الصندوق والبنوك	٥٣٣٤٢٢٩٠
سندات حكومية	٩٥٨٨٦٢
اسهم شركات	٢٠٣١٦١
اسهم مؤسسات تابعة	٨٦٢١٤٧
اوراق مخصومة	٥٨٥٧١٦٢
حسابات مدينة	٢٤٣٥١٧٧٨
تعهدات العملاء مقابل كفالات	
واعتمادات تجارية (له مقابل)	١٩٣٣٢٦٠٥
عقارات (بعد الاستهلاك)	١٣٤٥٦٣٧
أثاث (بعد الاستهلاك)	٤١٠١٨٦
موجودات اخرى	٣٩٩٨٣٢٦
مجموع الموجودات	**١١٠٦٦٢١٥٤**

المطلوبات	دينار
ودائع وحسابات اخرى	٧٧١١٩١٠٩٥
شيكات مقبولة	٣٧٣٦٩٨
كفالات واعتمادات (له مقابل)	١٩٣٣٢٦٠٥
مطلوبات اخرى واستدراكات	٢٨٥٤٧٥٦
المجموع	٩٩٧٥٢١٥٤
رأس المال المصرح والمدفوع كاملا	
٢٧ر٥٠٠ سهم تاسيسي (١٠ دنانير للسهم)	٢٧٥٠٠٠
٥١٢ر٥٠٠ سهم عادي (١٠ دنانير للسهم)	٥١٢٥٠٠٠
رأس المال الاحتياطي	٣٤٢٠٠٠٠
الاحتياطي الخاص	١٨٤٠٠٠٠
ارباح غير موزعة	١٥٠٠٠٠
المجموع	١٠٩١٠٠٠٠
مجموع المطلوبات	**١١٠٦٦٢١٥٤**

(هذه الميزانية لا تشمل أرقام الفروع السورية المؤممة)

BRITAIN'S LEADING EXPORT CIGARETTE



تزيد صادرات بريطانيا
سجاير روثمان كنج ساي
على صادراتها من أي نـ
آخر من السجاير.
أينما تذهب تجد روثمان
في ١٢٠ قطرًا في خمس قارات
على ظهر البواخر في البحار الس
في أكثر من ٩٠ خطًا جويًا رئيسيًا
شارك الملايين في الاستمتاع بتدخين
روثمان كنج سايز
الأولى في بريطانيا- الأولى في العا

IRLD'S LARGEST SELLING KING SIZE VIRGINIA

الأستراليون يصنعون اليوم الفولاذ والسيارات

سُبُل العَيش لم تعُد تنحصِر في تربيَة الأغنام

مرّت حقبة من الدهر كانت خلالها أستراليا تكاد تعتمد في معيشتها على المزارع فقط. فكانت صادراتها تقتصر على الأصواف ولحم البقر والحنطة والسكر والمعادن الخام وكانت في ذلك تحت رحمة أسعار السلع العالمية.

١- ورغم أن منتجات أستراليا الأولية ما زالت تكوّن ٨٠ ٪ من دخل صادراتها فإنها ماضية في التصنيع بأسرع ما يمكن.

٢- وإذا شئت التعرف على أستراليا الجديدة، فاذهب إلى سيدني أو ملبورن على متن إحدى الطائرات، ستشاهد أميالاً شاسعة من الضواحي المتألقة والمدن الكبيرة الزاخرة بالرخاء والتوسع الصناعي.

صناعات جديدة

تبتلع مليوناً من المهاجرين

٣- بعدما وضعت الحرب أوزارها، جابهت أستراليا هذه المشكلة: كانت بحاجة إلى الصناعات، وكانت بحاجة إلى المهاجرين.. كانت بحاجة إلى صناعات أكثر لتضمن العمل لعدد أكبر من المهاجرين.. فأيهما الأجدر بالأسبقية؟

٤- في الواقع أقبل الاثنان بشكل موجات بعضها تلو البعض. فبانتهاء ١٠ سنوات استوعبت أستراليا مليوناً من المهاجرين، وارتفعت قيمة الإنتاج الصناعي بنسبة ٣٠٠ ٪.

٥- أصبح اليوم في أستراليا ٣٠ ٪ من الأيدي العاملة منهمكة في الصناعة، أي حوالي نفس النسبة المئوية الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية.

الطلبُ العظيمُ على النفط

٦- أسفرت الصناعات الجديدة، علاوة على ٣ ملايين من السيارات واللوريات، عن قفزة هائلة في الطلب على النفط، وذلك بنسبة ١١٠ ٪ في بحر ١٠ سنوات.

٧- ولسد هذا الطلب، ازدادت منتجات النفط في معامل التكرير الجديدة من مليون إلى ١٣ مليون طن في السنة. ونشأت مع معامل التكرير المذكورة، بصفة طبيعية، صناعة جديدة واسعة النطاق للكيماويات النفطية.

٨- بدأت حملة هائلة للبحث عن النفط. ولغاية ١٩٦٣ أُنفقت شركات النفط ١٨٦ مليون دولار أمريكي تحقيقاً لهذا الغرض وحده، محايل على الأهمية التي يعلقها ذوو الشأن على النفط المنتج محلياً بالنسبة إلى الاقتصاد الوطني.

اتجاه النظر نحو آسيا

٩- يشعر الأستراليون اليوم بأنهم أقل انعزالاً من ذي قبل، فأخذت أنظار الكثيرين منهم تتجه شمالاً نحو آسيا.

١٠- بالرغم من أن دراسة اللغات والحضارة الآسيوية قد تبدو بعيدة عن ميول الفرد الأسترالي الشغف بالألعاب الرياضية والشؤون الدنيوية، فإن اهتمامه بهذه الأمور آخذ بالنمو.

١١- وبموجب مشروع كولومبو، أخذ الألوف من الطلبة الآسيويين يدرسون في جامعات أستراليا وكلياتها الفنية، فأصبحوا يعرفون ويحترمون هذه القارة العظيمة الهادئة الناهضة.

قوس أستراليا الطبيعي

لتصريف المبيعات - آسيا، المحيط الهادئ، والقارتان الأمريكيتان

١٢- قامت أستراليا خلال السنوات العشر الماضية بتأسيس اقتصاد جديد، وتجارات جديدة، كما فتحت نوافذها على المحيط الهادئ.

١٣- كل ذلك يشير إلى المستقبل.. فقد أصبح اليابانيون الذين يميزون الجيد عن الرديء، من خيرة زبائن أستراليا في شراء فولاذها وحديدها (ولعلم لا يوجد أجود ولا أرخص منهما في العالم كله).

١٤- تستعد أستراليا اليوم لتكون سيدة الأمم الناهضة وزعيمتها في المحيط الهادئ.. لديها الموارد، والمهارة الفنية، والنشاط، والتفاؤل الطلق الذي يضاهي آفاقها اتساعاً... ولعلها ستفلح في ذلك!

شل والنفط العالمي

لكي تصبح أستراليا سبّاكة وورشة ستحتاج إلى نفط رخيص يعتمد عليه، شأن بقية العالم. والنفط من أوسع موارد الطاقة نمواً، والمترقب أن يتضاعف الطلب عليه خلال السنوات الخمسة عشر المقبلة.

وسد هذا الطلب يستلزم عملية عالمية، إذ أن لا تنقل أية سلعة أخرى بمثل هذه الكميات الهائلة عبر مثل هذا العدد من الحدود، أو تسفر عن تركيب مثل هذا العدد من المنتجات، أو تقتضي مثل هذا الاستعداد المبكر.. إن ذلك يتطلب تعبئة دقيقة تتناول العالم بأسره - كالتي كونتها شل طيلة سنين.

حقائق وأرقام

ولنقل النفط إلى الأسواق، يتحتم على شل استخدام ناقلات تزيد حمولتها عن ١١ مليون طن و٤٣ ألف كيلومتر من خطوط الأنابيب عبر الطرق البرية الكثيفة.. وتأسيس شركات للبيع فيما يزيد عن ١٠٠ قطر والمتاجرة بكل لغة رئيسية تقريباً، وتشجيع ٦٠٠٠ من علماء البحث على ابتكار منتجات مفيدة جديدة، ومواد وقود جديدة، ولدائن، ومزيتات، وأسمدة، وعقاقير مبيدة للحشرات.

إعتمد دائماً على شل

يمكن الاعتماد على شل لأنها تتناول جميع مراحل إنتاج النفط.. إنها تبحث عن النفط وتكتشف وتستخرج وتنقل وتركب من المنتجات وتوزع على الأسواق بانتظام دقيق عجيب. ومن جميع هذه العمليات لا يتجاوز معدل عمرها ٤ سنت أمريكي عن كل لتر يباع.

شل تفيد الجميع... تأتي بالمنتجات المطلوبة إلى المكان المطلوب في الوقت المطلوب.. تخدم الأقطار المستهلكة بإيجاد موارد للطاقة يعتمد عليها، والأقطار المنتجة بإيجاد أسواق يعتمد عليها.. عاماً بعد عام!



منظر لمرفأ سيدني، وهو مكتظ بسيارات القادمين من الضواحي للعمل في المدينة. ٩ من كل ١٠ سيارات في أستراليا مصنوعة محليًا، وواحد من كل ٣٫٥ من السكان يملك سيارة.

صداع ، أوجاع وآلام ، حمّى ، رشح وانفلونزا ؟

"أسبرو" يعيد لك الصحة ..





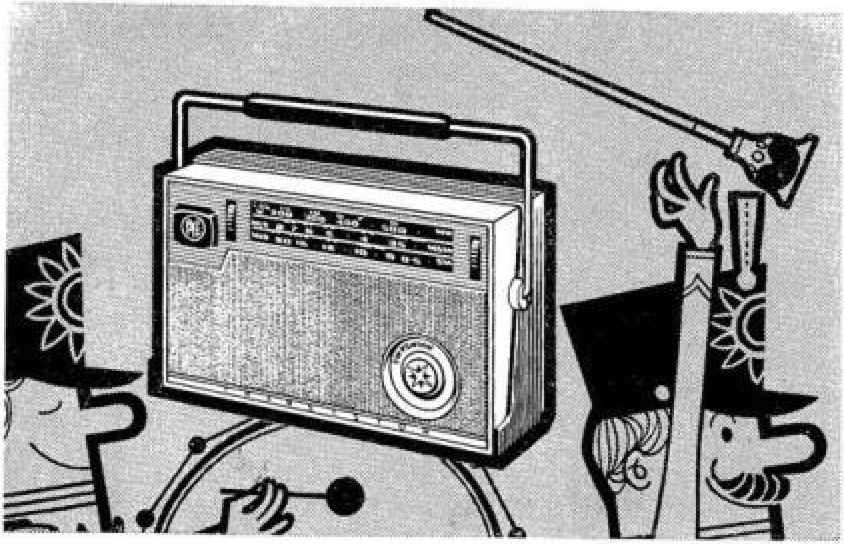
من منتجات نيكولاس

لأنّ "أسبرو" يجلب لك كل راحة !

١ يزيل **الصداع**
٢ يخفض **الحمّى**
٣ يهدئ **الأعصاب**
٤ يخفف **الأوجاع**
٥ يقصّر أجل **الرّشح**

إذا أصبت بألم فلا ينبغي أن تتحمّله قليلاً ، بل إنك تحتاجين إلى الراحة التامة التي يحققها لك "أسبرو". تذكري أن "أسبرو" هو الدواء الذي يستعمله أكبر عدد من الناس في العالم كله . أكثر من أي دواء آخر لإزالة الألم وتخفيض الحمّى . إجعلي "أسبرو" تحت يدك على الدوام .

"أسبرو" يجلب لك كل راحة !



باركر

هو أحسن حبر لجميع الأقلام



- **يحفظ الأقلام الجديدة سليمة**
- **ويعطى الأقلام القديمة حياة جديدة**

سـواء" أكان جديدا أم قديما ومهما كان نوعه أو حالته فانه يستحق التعبئة بحبر باركر سوبر كوينك . انه ليس عيب القلم عندما يكون بطيئا أو رديئا فى الكتابة ، بل عيب الحبر الذى تستعمله ! انّ الحبر الردىء يتجمّد ويسد أنابيب التغذية فتجف ريشة القلم . لهذا يجب عليك ان تستعمل حبر سوبر كوينك المحتوى على محلول . عبّىء قلمك بحبر سوبر كوينك ودع محلول X يذيب ذلك التجمد . انه ينظف قلمك وأنت تكتب .

استعمل للمنزل والأعمال المدرسية

« رويال أزرق القابل للازالة »

استعمل للسجلات المكتبية الثابتة

« الحبر الثابت الازرق ــ الاسود ــ الازرق الاسود ــ الاحمر ــ الاخضر ــ الازرق الفيروزى » .

انتاج شركة اقلام باركر

صانعة أكثر الاقلام رواجا فى العالم

العربي

شوال ١٣٨٣
مارس
(آذار) ١٩٦٤



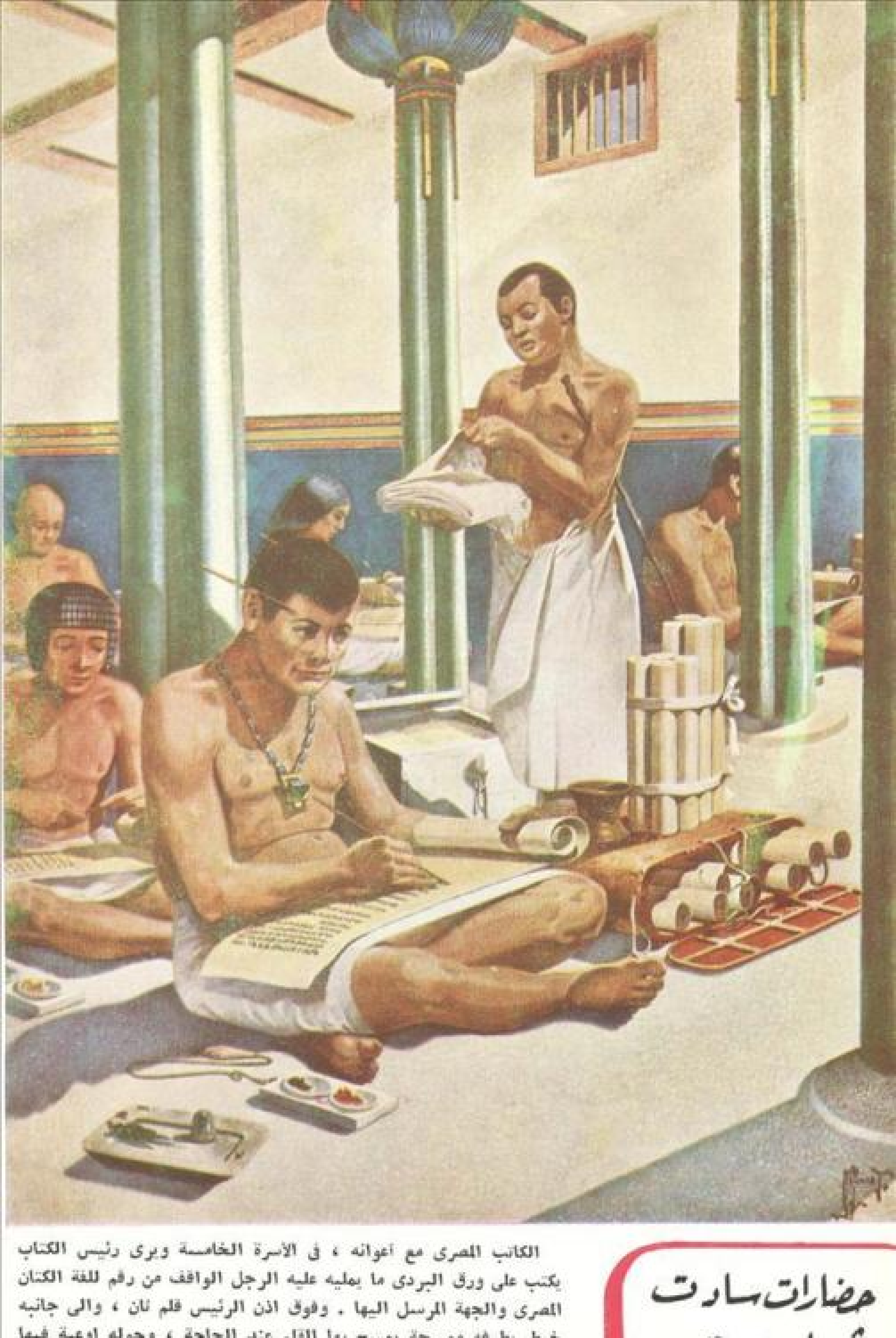
٢٦
صفحة
٤
الوان
+
العربي الصغير

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

عربية من تونس

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	روبية
السعودية	٢	ريال
اليمن	٣٫٥	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
ان	١٠٠	قرش
دن	١٠٠	فلس
ورية	١٠٠	قرش
ع.م.	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	فرنك
الجزائر	٢٠٠	فرنك
المغرب	٢٠٠	فرنك



حضارات سادت ثم بادت

الكاتب المصرى مع اعوانه ، فى الأسرة الخامسة ويرى رئيس الكتاب يكتب على ورق البردى ما يمليه عليه الرجل الواقف من رقم للفة الكتان المصرى والجهة المرسل اليها . وفوق اذن الرئيس قلم ثان ، والى جانبه خيط بطرفه ممسحة يمسح بها القلم عند الحاجة ، وحوله اوعية فيها الحبر والماء ، ولفائف البردى التى انتهى من كتابتها ـ انظر صفحة ١٥٤ من هذا العدد .

عزيزى القارىء :

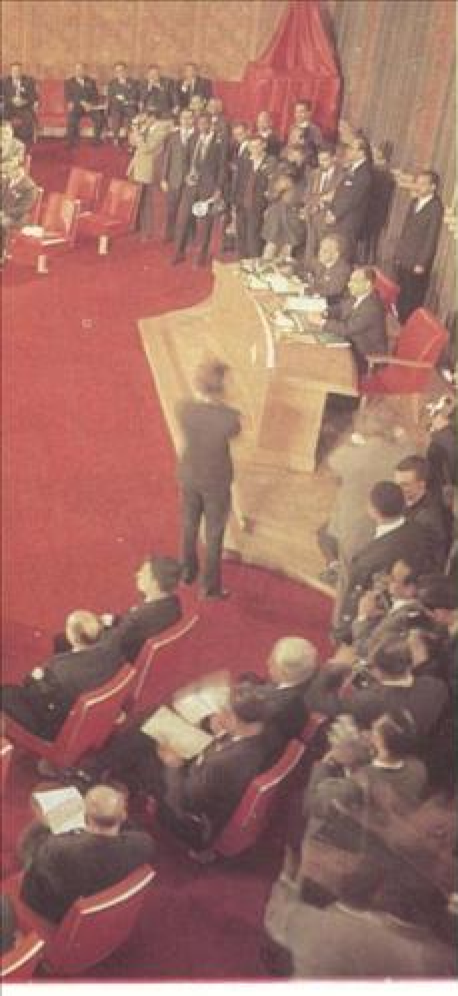
■ فى الخامس والعشرين من الشهر الثانى ، هـذا الذى أكتب فيه ، تحل ذكرى ميلاد سمو الأمير عبد الله السالم الصباح ، أمير دولة الكويت ، وهى ذكرى عاطرة ، تعطرها دائما مآثر له تذكر كل عام وتشكر .

ولعل من مآثر هذا العام مأثرة برزت مآثر هذا العام وسابق الأعوام ، ذلك النصيب الذى قام به سموه فى المؤتمر الأكبر والأخطر والأحفل الذى لم تشهد الأمة العربية له مثيلا منذ قرون ، مؤتمر ملوك العرب والرؤسـاء ، الذى توجنـا بصور منه رأس هذا العدد .

ونحن قد نذكر لسموه ، ما قام به ، باسمه وباسم دولة الكويت ، من نصيب جزل فى تحمل تبعات أقرها المؤتمر ، ولكن فوق ذلك ، وقبل ذلك، نذكر له نصيبه الأجزل من السعي بالود بين اخوة عز هم الود زمانا ، على ذلك الأسلوب البسيط الظريف الحبيب ، الذى يستمد قوته ، لا بالخوض فى متاهات الجدل والمنطق ، ولكن من وشائج القربى وحلب العروبة الذى منه رضعنا جميعا . فكان ذلك الصفاء الذى عم وشاع ..

حفظ الله الأمة العربية على الصفاء وعلى الوفـاء ، ووهب زعماءهـا التوفيق من عنده ، من ملوك ورؤساء .

المحرر



أنقذ العرب مرونة الزعماء
وأنه ليس حب على الزمن
بباق ، ولا بفضاء ..

مؤتمر القمة العربى

بقلم رئيس التحرير

■ العدد الماضى من « العربى » فرغنامن تحريره ومؤتمر ملوك العرب والرؤساء على وشك اجتماع ، فلم نستطع أن نتناول أمره ولا قضايا العرب المرهونة به ، وبخاصة تلك القضية الكبرى التى دفعتها الحوادث الى مسرح الحياة الأول والأوضح والأصرح والأخطر دفعا ، الا تناولا باغتا خاطفا ، تماما كما كان الاقتراح باجتماع مؤتمر القمة العربى هو نفسه اقتراحا باغتا خاطفا ، وتبلور سريعا حتى صار حقيقة ، فى غضون أيام ، للذى كان فيه من قوة

الوحدة العربية الكاملة ، لا تقوم كما



منظر عام للاجتماع التاريخى الأول لمؤتمر الملوك والرؤساء العرب ، الذى عقد فى مقر الجامعة العربية بالقاهرة يوم الاثنين ١٣ يناير ١٩٦٤ .

عارمة ، واصلة ، بناءة ، تاق العرب جميعا الى ما رجوه منها من وصل وبناء، بعد ان كان طال بينهم عهد بتقطيع علاقات وتخريب روابط .

و « العربى » الحاضر يصدر بعد فوات أوان

والعدد الحاضر من « العربى » ، هذا الذى نحن به ، نفرغ من تحريره ومؤتمر ملوك العرب والرؤساء قد انفض ، وعرفت قراراته ، ونشرت قطوفه المأمولة ، وقال

تقوم الصلاة ، جامعة شاملة ..



إنّ أقداماً مسّت الأرض في القرن العشرين ، فلا تتركها ترعى المرّ والحنظل من

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

الناس فيها، وقالت الصحف والاذاعات، ما لا مزيد عليه لقائل. وجئنا نكتب الآن، ونحن نتمثل بقول الشاعر العربى القديم:

هل غادر الشعراءُ من متردَّم ؟

ولكن لا بد من تسجيل

ومع هذا ، فلا بد من تسجيل .

ان للعرب احداثا كثيرة ، بعضها يهزّ ويمضي ، ولا يترك اثرا الا ذكرى ، وبعضها يَرْجف بالرجفة عميقة ، تصل الى الكيان ، تنذر الحياة .

ولكم كان من انذارات الحياة بشائر للحياة ، ايّ بشائر .

وهذا الحدث الأخير ، مؤتمر القمة ، الذى استجاب اليه الملوك والزعماء استجابةً عَفوية فوْرية ، لم يكد يمهل فيها العقل ليتروى،وعملت فيها الجبلّة صادقة ، وعمل الطبع صادقا لا يخطيء ، هذا الحدَث من تلك الرجفات العميقة التى تدخرهـا الأقدار لتَرْجف بها ، ولتنذر، ولتقول لأرباب السفينة العربية، قولا واضحا صريحا ، ان الماء دخلها من ثقوب فيها ، فاما جهادٌ فى سبيل الحياة يسد ثقوبها ، واما استسلام واستخذاء هو سبيل الموت . والأمم تَطوَى كما يطوى الرجال والنساء .

ولقد نسجل للمؤتمر ...

ولقد نسجل لمؤتمر القمة قرارات كثيرة .



لابد أن تحمل رؤوسها معها زرع ماضيات القرون

صورتان للاقطاب : الى اليمين ، فى طريقهم الى مقر الاجتماع .. والى اليسار ، فى الشارع من مقر الجامعة العربية الى فندق سميراميس .

فلقد نسجل للمؤتمر توحيد قيادة عسكرية تدفع عن العرب غوائل كل اعتداء اثيم قد يقع ، وهذا لا شك خير كثير .

ولقد نسجل للمؤتمر التعاون على استفادة العرب بماء ينبع اول ما ينبع فى بلادهم ، ومنع العدو بذلك من استخدامه فى زرع العداوة فى اقصى الأرض ، وهذا لا شك خير كثير .

ولقد نسجل للمؤتمر اتفاقه على ايجاد الكيان الفلسطيني ، تجسيدا للقضية الكبرى التى بقيت زمانا كالسحابة : تتشكل اشكالا شتى مع كل ريح ، وهذا لا شك خير كثير .

الخير الأكبر

ولكن الخير الأكبر الذى جاءت منه كل صنوف الخير هذه ، مما ذكرنا وما لم نذكر ، هو ذلك الصفاء الذى عمّ سماء العروبة كلها من خليجها الى المحيط .

ان القلم ، وان الدواة ، وان العقل الكاتب معهما ، لا يغنى شيء منها لانجاز كتابة ، الا ان يكون ورق يكتب عليه .

وان الفاس ، وان الحَبّ ، وان اليد الانسانية التى تحملهما ، لا يغنى شيء منها عن زرع ، الا ان تكون ارض تحفظ الحبّ وتسقيه فينبت .

وصفاء العرب كان لقرارات العرب كالورق لامكان كتابة ، وكأرض لامكان زرع . انه البساط الأول الذى لا بد ان تجرى عليه الأحداث العربية صالحة





سيادة الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل سمو الأمير الشيخ عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت عند وصوله الى مطار القاهرة،ويرى خلفهما السيد عبد الخالق حسونة امين عام الجامعة العربية وبعض كبار المستقبلين وسعادةالشيخ جابر الأحمد الصباح وزير المالية والصناعة بالكويت .

الى اليسار : في احدى الجلسات الخاصة ، ظهر الأمير عبد الله السالم الصباح والرئيس عبد الله السلال ، والملك حسين ، والملك سعود ، والرئيس جمال عبد الناصر ، والرئيس عبدالسلام عارف، وفي مواجهتهم السيد رشيد كرامي .



الى أعلى : سمو الأمير عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت يترأس الوفد الكويتي في الجلسة الاولى لمؤتمر القمة وخلفه أعضاء الوفد الكويتي وهم من اليسار سعادة الشيخ جابر الأحمد الصباح وزير المالية والصناعة وسعادة الشيخ صباح الاحمد الصباح وزير الخارجية والارشاد، وسعادة اللواء مبارك العبد الله الجابر رئيس أركان الجيش الكويتي وسعادة السيد عبد العزيز حسين وزير الدولة لشئون رئاسة الوزراء .



ناجحة . وانه التربة اللازمة اذا كان يرجى للشجر العربى ازدهار ، ويرجى لأزهاره اثمار .

رجاء جاء من بعد يأس

ولقد زاد فرحة العرب فى استقبال هذا الصفاء ، أنه جاء من بعد يأس .

« قال ربّ أنّى يكون لى غلام ، وكانت امرأتى عاقرا ، وقد بلغتُ من الكبر عتيًّا ، قال كذلك قال ربك هو علىّ هين ، وقد خلقتك من قبل ولم تكُ شيئًا » .

عزّ الصفاء على العرب ، كما عزّ على زكريا الولد .

ثم وقعت المعجزة .

ولكل معجزة الهام .

وانا لا ارى الذى كان الا الهاما . لأنه ما كان يمكن أن يكون ، مع شدة تلك العداوة التى كانت والبغضاء ، صفاء ، الا ان تتدخل ارادة الله .

وارادة الله لا تسقط كتابا من السماء ، وانما هى الوحى توزع ، انصبة شتى ، على الملوك والرؤساء . دعا الداعى فاستجابت له قلوب بارادة الله مؤمنة ، ولعروبتها مخلصة ، ولحكم الأقدار ووحدة المصير مُسلمة زمامها طيّعة راضية .

مرونة الانسان الفرد

ان شق الفرد الانسانى طريقه فى الحياة ، على ازدحامها ، وعلى اختلاطها ، وعلى تركبها وتعقدها ، ليس بالأمر السهل . وهو يزوّد بالكثير قبل النزول الى هذا المعترك الصارخ الصاخب .

يتزود فى المدارس بثروة شتى من علم وعرفان ، ويتزود فى اللغة بالحكم الكثيرة التى تضمن له النجاح وتؤمنه من الزلل ، وهو يحصّل فيما يحصل الكثير من سيَر الأشخاص وتاريخ الأمم ، حتى يتجنب عند اقتحام الحياة مواقع الزلل . ويدخل الفرد الانسانى الحياة من بعد هذا فيعلّمه اقتحامها ، والضربُ بذراعيه سبحا فى مائها ، والرفسُ بقدميه رغم أمواجها ، يعلّمه هذا الاقتحام القاسى من حقائق الحياة فوق ما كان فى الدرس من علم .



سيادة الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل سمو الأمير عبد الله السالم الصباح عند وصوله الى مطار القاهرة .

وسعيدٌ هو ذلك الفرد الانسانى الذى تريه الأقدار أين زلّت فى الحياة به القدم .

وسعيدٌ هو ذلك الفرد الانسانى التى تغريه الأقدار بالاقرار بهذا الزلل .

وتتم سعادة هذا الفرد الانسانى اذا كان من أولئك الموهوبين الذين اعطتهم الأقدار مزاجا انسانيا عزيز المنال ، لا يجد معه على النفس غضاضة فى الرجوع عن خطأ ، تلك هى المرونة التى تتمرن وتلين وتتجه بصاحبها الى الخير دائما .

ومرونة الانسان الزعيم

وكالفرد الانسانى زعماءُ الانسان ، حيثما حلوا ، وفى أى مكان .

انهم يخرجون الى الزعامات مزوّدين بعلم ، ومزودين بمعرفة ، ومزودين بأخبار الأمم ، وتاريخ الرجال ، وقصص الحروب ، انتصاراتها والهزائم .

ويخرجون الى الحياة أعم ما تكون ، واشمل ما تكون ، واعقد ما تكون ، على صهوة تلك الزعامة . وهم يقتحمون على تلك الصهوات ميادين انسانية جماعية شتى ، فيصاحبهم التوفيق أحيانا . ومن طبائع التوفيق الذى يصاحب الانسان احيانا انه يتخلف احيانا .



كان سمو امير الكويت واسطة خير كثير فى مؤتمر القمة . وتراه فى الصورة والى جانبه جلالة الملك سعود فسيادة الرئيس عبد الناصر .

والزعيم النابغ ، الجدير بالزعامة ، هو هذا الذي يدرك انه افتقد التوفيق فى اول لحظة يختفى التوفيق فيها ، ولا يكبر عليه ان يمسك بلجام جواده ، ويعود ادراجه فى وضح النهار ، يبحث عن التوفيق اين ذهب .

انها المرونة السياسية التى افتقدها زعماء امم فأودت بها وبهم .

وانها المرونة السياسية التى فطن لها زعماء امم ، وارتفعوا بشجاعتهم الى مستوى التبعات العليا ، فنجوا بأنفسهم وبأممهم ، وكسبوا مرضاة رب عظيم .

ولقد كان عند ملوك العرب والرؤساء اسباب لا شك فيها ، كانت من القوة بحيث يمكن أن يتعلل بها المتعلل فلا يستجيب للدعوة الصارخة التى دعا بها الداعى ، فى عيد النصر الثالث ، فى الثالث والعشرين من ديسمبر ، ببورسعيد. ولعل كان عند الداعى نفسه أسباب ، لا شك فيها ، كانت من القوة بحيث تحبسه عن دعوة . ولكن الجميع احتفظوا من المرونة ، التى هى جزء لا يتجزأ من كل زعامة تتخذ لها من الخير العام هدفا ، بالقدر الكبير الكثير .

وبهذا نجح المؤتمر .

وبهذا انتعشت العروبة فى كل ارجاء الوطن .

وان كان للعرب فى مستقبلهم رجاء فهو رجاء ينبنى فيما ينبنى على بقاء هذه المرونة عند الزعماء .

وهو مستقبل ينبنى كذلك على ادراك انه ليس حب يباق على الزمن ولا بغضاء .

وهو ينبنى على ادراك ان تحريك الكتل الانسانية، وايقاظها للخير ، فى كل الأرجاء وتحت كل الأجواء، ليس له طريق واحدة سواء لا طريق غيرها .

وهو ينبنى كذلك على ادراك ان الزمن عامل قوى فى كل عمل يرجى او يخاف . ان هذا هو قانون الطبيعة فى جوامد الأشياء . اضع العسل فى الماء فيذوب فى لحظة . واضع السكر فى الماء فيحتاج الى لحظات مسحوقا، والى اكثر من لحظات، بلورات . واضع الملح فى الماء فيحتاج الى دقائق . ولا أنسى أن الحجر لا يذوب ابدا .

وعامل الزمن فى الأشياء هو تماما كعامل الزمن فى الأحياء . من الناس من يتحول فى عشر سنين . ومن الناس من يتحول فى عشرين . وانظر فى بعض الناس فيغلبنى اليأس فأقول : ومن الناس من لا تحولهم القرون . وهذا قول خاطىء لانه باليأس مقرون .

الوحدة الكاملة ، لا تقوم كما تقوم الصلاة جامعة شاملة

ان الصفاء الذى أشاعه مؤتمر القمة العربى ، فى الجو العربى ، لم يكن رغبة نالها الناس بالتمنى ، رفع العرب بها اكفهم الى السماء فاستجابت لهم ، على الفور ، الدعاء .

ان السماء لا تستجيب لدعاء الا أن يعمل له الداعى أولا فوق هذه الأرض .

ولقد نظرنا فى أسباب العكر الذى كان ، فرضيناها قواعد تترك لكل بلد أعنته فى ايدى رجاله . ونتواصى ، ولكن على الرفق . ونجعلها حلبة سباق ، تسبق فيها الجياد الضامرات الفضليات فى كل





جانب من بناء الجامعة العربية ، تزينه أعلام الدول العربية وقد اجتمعت فى مؤتمر القمة العربى .



بناء الجامعة العربية ، كما بدا فى الليل

الاقطاب العرب فى قصر عابدين



مرفق من مرافق الحياة. وفي حلبة السباق يتعلم أصحاب الجياد الشيء الكثير .

واختصارا نعود الى المزاج العربي الذي كان سائدا عام ١٩٥٦ حين لم يكن بين العرب روابط الا روابط قلوب . حين وقع الاعتداء المسلح فاهتز له الوطن العربي بمثل ما لم يكن يرجى له أخيرا أن يهتز والدعوة الى « الوحدة الشاملة » قائمة مُسمعة تصم الآذان .

لقد علمتنا الأيام ـ على الأقل هذا ما علمتني اياه أنا الأيام ـ أن الوحدة لا يمكن أن تقوم هكذا جامعة شاملة ، كما تقوم الصلاة، يدعو اليها الداعي، جامعة شاملة.

ان الوحدة تكون وحدة ثقافية .

وان الوحدة تكون وحدة اقتصادية .

وان الوحدة تكون وحدة دفاعية .

وان الوحدة تكون وحدة سياسية .

وان الوحدة تتم آخر الأمر ، على صورة من صور شتى ، فتتسم بأنها وحدة كاملة شاملة .

وحدات أولى بالرعاية

والوحدة الثقافية أولى الوحدات بالرعاية . وهي أسهل شيء تحقيقا في مثل عالمنا العربي . لسان واحد ، وتاريخ واحد ، وعادات موروثة واحدة ، وجهاد واحد للخروج من تخلف ، آثاره في الوطن العربي كله واحدة . والثقافة تتأقلم ولكن لا يبلغ بها التأقلم حد التنافر .

والوحدة الاقتصادية كالوحدة الثقافية خطرا. الثقافة حاجة الروح. والاقتصاد حاجة البدن .

ولعل حاجة الابدان أكثر ربطا للأقوام من حاجة الأرواح . والوحدة الاقتصادية العربية بالطبع لا تسد النوافذ على أسواق الدنيا الواسعة العريضة .

تأتي بعد ذلك الوحدتان ، الدفاعية والسياسية ، ولهما أهداف سواء . وهما في مستقبل العرب ضرورة، فيهما للعرب النشر ، أو فيهما الانطواء .

الصفاء صفاءان

ولكن هذا الصفاء الذي تم ، بين دول الوطن العربي ، لا تحصل منه الفائدة كاملة ، الا أن يتم مثله صفاء في داخل كل دولة عربية ، والا أن يتم مثله صفاء بين الوطن العربي جملة وما يجاوره من أمم الأرض شتى .

الصفاء الداخلي

ففي داخل القطر العربي الواحد قد نجد الجفوة قائمة بين الطبقة والطبقة . حتى ونحن نحاول بحق ازالة الفوارق الطبقية المؤسسة على الارث دون الكفاية، ليحل التعاون آخر الأمر محل التنازع ، وتحل المحبة محل الكراهية والبغضاء . وكذلك نجد الجفوة مستحكمة بين الطائفة والطائفة ، والنحلة والنحلة . ونجد أقلاما ، ونجد ألسنة ، جعلت من اشعال نار العداوة والبغضاء رزقا لها ثابتا في الحياة . فهذه الأقلام يجب أن تقصف، وهذه الألسنة يجب أن تحبس في أفواهها، ويجب أن لا يعتذر عنها المعتذر بأنه الرأي الحر يجب أن يترك طليقا . ان الرأي الحر يجب ان لا يترك طليقا لا سيما في جماهير لم تبلغ بعد حد الكفاية من وعي. ان الرأي الحر ليس من حقه الهدم والتخريب .

الصفاء الخارجي

وبجوار الوطن العربي ، مشرقه ومغربه ، أمم تجافيها . ومنها أمم جمع التاريخ بيننا وبينها قرونا ، وقسم الزمان بيننا وبينها أرزاقه وأرزاءه ، حصصا ضروبا . وهذه الأمم ، وكل أمة ، هي اليوم في العالم الواسع العريض للعرب قوة . وأقرب الأمم استجابة لنا، أمم جمعت الدولة العربية الكبرى الماضية بيننا وبينهم ، وجمع في الحاضر بيننا الجوار .

ونعادي هذه الأمم لانحيازها ، وحق لنا ، وأي حق . وحق لنا هذا في الماضي خاصة ، لضرورات ماضية كانت قائمة ، ولكنا اليوم لا نعادي كل أمة تنحاز وذلك لضرورات حاضرة من صنع هذه الأيام الحاضرة . ولكنا كذلك لا نعادي تلك



خبراء العرب يطالعون مخطط تحويل نهر الأردن بمقر الجامعة العربية وقد امسك الدكتور محمد احمد سليم بالمؤشر يواصل الشرح .

الأمم الأخرى الكبرى الأصيلة التى انحاز هؤلاء اليها وكنا أولى بمجافاتها لأصالتها.

والكتاب، واساتذة الجامعات، واساتذة التاريخ خاصة، مغرمون بتقليب صفحات التاريخ ، ونشر ما يزيد صلاتنا ببعض هذه الأمم جفاء . احداث تتصل فى القديم الأقدم ، بعصر المأمون ، وما سبقه وما تلاه، وحتى بابن المقفع، شعوبيته وعروبته، او اسلامه ووثنيته ، وننسى انها اجيال طواها التراب ، وجاء من بعد الأجيال اجيال . وننسى، ان كان هناك اوزار ، انه لا تزر وازرة وزر اخرى . ان هذه العصور ماتت ، ودفنت وفنيت ، الا حبرا على ورق فى كتب . ولكنها تثار لتغذية احن فى القلوب حاضرة .

ولأى هدف ؟

للتخريب . والتخريب جوابه تخريب مثله . وتسوء الأمور .

والحاضر له مشاكله . والعرب لهم عند امم مجاورة حقوق لا يمارى أحد فيها ، ولا يضعف مرور الزمان من المطالبة بها . والحلال بيّن والحرام بيّن . ولكن فى الجدل واحتراره ، لا سيما اذا استعين فيه بنبش الماضى بعيده والقريب ، يتغبّش الجو ، وفيه يصبح الحق وكأنه الباطل . وفيه يصبح الباطل وكأنه الحق . وخصومة الانسان للانسان ، واقعة فى كل زمان ومكان ، ولكن يهدىء منها ، ويلين من عرامتها ، ويقربها من المصالحة على سلام، التركز على الحقائق الاصيلة دون الملحقات ، على الحقائق الراهنة ، التى تستمد قوتها من الحجج الحاضرة التى لا يقال فيها : ولكن فعل ابوك من قبلك ، وفعل جدك . .

وككلمة نقولها للعرب كلمة نقولها للآخرين : ان أقداما مست الأرض فى القرن العشرين ، يجب ان تحمل رؤوسها معها ، فلا تتركها ترعى المرّ والحنظل من زرع ماضيات القرون . *

ووسعت سماحتنا ، بل وصداقتنا ، امم الارض ، من ابيضها واصفرها ، واسودها واسمرها، مسيحيها ومسلمها والوثنى ، وهذا شىء جميل ، فكيف لا تتسع لشعوب شاركتنا فى صنع امجاد لنا ولهم قديمة ، وقاسمتنا ارزاء للزمان حاضرة .

دعوة للصفاء عامة

ان هذه دعوة للصفاء العام ، بين الأقطار العربية ، وفى داخل هذه الأقطار، وبين هذه الأقطار جملة وتلك الشعوب التى تعيش عند أطراف الوطن العربى ، وليست منه ، ولكن يجمعها واياها تاريخ متصل طويل وعواطف قائمة عميقة ، وهى تريد أن تمد الينا يدا مامددنا اليها يدا.

انها حاجة العصر . واكره ان اقول وانها حاجة العرب خاصة فى محنتهم الحاضرة.

والمرونة التى امسكت بلجام الفرس فعكست وجهته ، واخذت تبحث عن التوفيق الذى فاتها ، جديرة بأن تمسك اللجام مرة اخرى لتبحث عن التوفيق كله حيثما كان من الأرض . ■■

أحمد زكي

* بعد كتابة ما تقدم جاءت الاخبار بأن السيد المشير رئيس الجمهورية العراقية سيقوم بزيارة باكستان بدعوة من رئيس الجمهورية الباكستانية ، وأن وزير الخارجية العراقية قبل دعوة لزيارة ايران ليشرح لها قرارات مؤتمر القمة .



الى اليسار : الأقطاب العرب فى طريقهم الى المأدبة التى اقامها لهم السيد عبد الخالق حسونة أمين عام الجامعة العربية وهم من اليمين: الامير الحسن الرضا، والرئيس احمد بن بللا ، والسيد رشيد كرامى ، واللواء امين الحافظ ، والرئيس عبد السلام عارف ، والملك سعود ، والملك الحسن الثانى ، والرئيس بورقيبة ، والرئيس جمال عبد الناصر ، والملك حسين



الى اليمين : بعض الأقطاب العرب فى احدى قاعات قصر عابدين وظهر الرئيس عبد السلام عارف، والرئيس الحبيب بورقيبة فى لحظة تأمل ، وبجانبهما ظهر اللواء امين الحافظ والملك سعود والامير الحسن الرضا





الى اليسار : سيادة الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل جلالة الملك سعود عند وصوله الى مطار القاهرة .



لا تنسوا هؤلاء الشهداء

● فى باب « نحن نسال وانت تجيب » من العدد٦١ عن عدد الشهداء الذين أعدمهم الحياة السفاح جمال باشـــا التركى لاحظت ان اسماءهم جاءت ناقصة لانكم ذكرتم كثرتهم واغفلتم قِلةً فيهـا من أعلام الجهاد وأركان الحركة العربية كالشهيد سليم الاحمد عبد الهادى ، الزعيم الفلسطينى ومعتمد حزب اللامركزية فى جنين ـ نابلس ، وقد اشتهر بوصيته التى احتفظ بصورة عنها وفيها يقول : « أكتب هذه الوصية فى الساعة الثامنة ونصف من ليلة السبت الواقعـة فى ١٢ شوال سنة ٣٣٢ عربية حيث حكم عليَّ بالموت فى الساعة التاسعة من الليلة المذكورة ، أعنى أننى أكتب هذه قبل موتى بنصف ساعة . وانى مسرور بلقاء الله سبحانه وتعالى » والوصية ذات خط جميل يدل على استجماع عبقرى للذهن فى ســـاعة الموت الرهيب .

والشـــهداء : صـــالح حيـــدر رئيس بلدية بعلبك ، والشاب على الارمنازى صـــاحب جريدة العاصى فى حماه ، ومسلم عابدين ، ومحمـــود العجم ونايف تللو . وكلهم من أعضاء حـــزب اللامركزية . وقد اعدموا فى القافلة الأولى .

واسمحوا لى كذلك ان اذكر الشهداء الخمسة الذين لم تذكروهم فى عـداد القافلة الثانية : جلال البخارى ، وسيف الدين الخطيب (من أركان المنتدى الأدبى فى الآستانة) ، ورشدى الشمعة نائب دمشق فى البرلمان العثمانى ومن أركان الحركة العربية ، وشهيد آخر هو من رواد القضية العربية الأولين الذين تفخر فلسطين بانجابهم ، هو الدكتـــور على النشاشيبى بن الحـــاج عمر النشاشيبى . وكان طبيبـــا بيطريـــا وهو أحد اقطاب الجمعيـــة القحطانية وموقـــد جذوة الوطنية فى ناشئة القـــدس ، وقد اتهم بكونه « يشوّق الى استقلال العرَب » على حد تعبير المحكمة العرفية .

ولعله يلفت نظركم اننى عنيت هنا بتعريف الشهيدين سليم الاحمد عبد الهادى والدكتور على النشاشيبى خاصة . وما ذلك الا لان الشهيدين العظيمين قد غفل عن ذكرهما معظمُ مؤرخى الحركة العربية أولا ، ولأن استشهادهما وهما فلسطينيان قد دل على أن حركتنا العربية فى مطلع فجرها لم تكن اقليمية وأن فلسطين لم تتوان فى تضحيـــة ، ولم تقصر فى فداء منذ أشرقت الحركة القومية حتى يومنا هذا .

طهـــران — أكرم زعيتر

أنا غير مؤمنة بالمساواة

● أنا احدى بنات حواء ـ ولكنى مع ذلك لا اؤمن بالمساواة بين المراة والرجل .. فالرجـــل رجـــل ، والمراة مراة .. والله سبحانه وتعالى أعلم بنا منا حينما خلقنا جنسين مختلفين ..

لماذا نطلب المساواة بالرجل .. ألكي نشعره بانه خير منا ، ولذا نريد أن نساوى انفسنا به ؟

ام لأننا جنس غير مرغوب فيه فهو يحـــاول التمثل بمن هو أحسن منه وأعلى ؟

ثم لنفرض جدلا أن المراة حصلت على هذه المساواة المزعومة .. فهل هذا شيء جميل ؟! هل تريد المراة ان تشارك الرجل فى الأعمال الشـــاقة المتعبة كى تكون لها عضلات قوية ؟ او هل تريد ترك بيتها واطفالها لزوجها الذى ينتظرها فى البيت وقد غسل الصحون وطبخ الطعام واعتنى بالأولاد ؟ أو هل تريد الجلوس على المقاهى للاستراحة فترة من الزمن بعد عناء النهار ؟ !!!

ماذا تريد من هذه المساواة ؟!

وأيهما احسن ، والطف ، وأجمل فى نظر المجتمع؟ الأنثى الرقيقة ، اللطيفة ، الوديعة .. الأنثى

فقيه الشيعة الأكبر يؤيد رأى شيخ الازهر فى أرباح الأموال المودعة بالمصارف وصندوق التوفير

● لمناسبة ما نشرته مجلة « العربى » فى عددهاالممتاز لفضيلة قاضى بغداد يعترض فيه على راى فضيلة الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمـــودشلتوت فى تحليل الأرباح التى تدفعهـــا البنوك وصناديق التوفير عن الأموال التى يودعها بهـــاصحابها ، وقول قاضى بغداد ان راى الشـــيخ الاكبر مخالف لراى لجنة الفتوى بالأزهر بتحريمهذه الارباح بالكتاب والسنة والاجماع ، احب ان اضيف الى ردكم عليه أن اكبر فقهـــاء الشـيعةفى العالم الاسلامى والمرجع الأعلى لهم ، آية الله العظمى المرحوم حاج آقا حسين البروجردى،سبقان افتى بمثل ما افتى به المرحوم الأستاذ الاكبر محمود شلتوت ، اى بان الأرباح التى تدفعهـــاالمصارف وصناديق التوفير برضاها واختيارهـا للذين يودعون أموالهم فيها ليست منالربا ، وهىلذلك ليست حراما ..

وقد وردت هـــذه الفتوى فى كتاب آية اللهالمسمى « جامع الفروع » بالصفحة ٢٥٤ من الطبعة السابعة ، فليرجع اليها من شاء ..

الكويت « ابو فلاح »

بين الرجل والمرأة !

التى تستقبل زوجها المتعب المكدود وتزيح عنه عبء النهار . الام الرؤوم التى تحنو على اطفالها تغذوهم من عطفها وحنانها وتحل مشاكلهم وتمسح دموعهم ، وتجعل من بيتها جنة سعيدة .. ام تلك التى تخرج من الصباح تاركة بيتها كما هو ، ثم تعود ظهرا مع زوجها او ربما بعده ، فتعد الطعام السريع ، ثم تاخذ قسطها من الراحة ، وبعد ذلك تعود لمغادرة الدار ثانية، لا تعلم عن أطفالها شيئا، ولا تسال زوجها عن متاعبه ومشاكله ، لانها هى الأخرى لديها من المشاكل ما يكفيها ؟

بربكن يا بنات جنسى : ايتهما احسن ؟!

انا لا ارى باسا من اشتغال المراة بعمل يناسبها ويناسب تكوينها الجسمانى وطبيعتها الانثوية ولكن حذار من مجرد التفكير فى المساواة بالرجل ... لان الرجل يختلف بتكوينه الجسمى عن المـــراة اختلافا لا تنكره .. فالانثى انثى ، بطبيعتها الحلوة الجميلة ، وقوامها المشوق الذى لا يجوز ان تشوهه العضلات ، وبشرتها التى تفســدها الشمس والتراب ، والتعب والسهر ، ولا اظن امراة ترضى ان تضحى باناقتها وجمالها فى حين ان غايتها القصوى أن تكون موضع اعجاب الرجل لا أن تكون مساوية له .. فيقال عنها : انها رجل؟!

فلتكف المراة عن حديث المساواة ، وحسبها فخرا انها هى التى تصنع الرجال .. وبامكانها ان تخوضغمار الحياةكامراة لها كيانها وشخصيتها لا كشبه رجل او ذيل له .. انها تستطيع انتكون كل شيء وتساهم فى كل عمل بشخصيتها القوية المنفردة لا بالشخصية المزدوجة التى تجعلها حتما تفقد حتى طبيعتها الأولى .. ان من حقها انتنادى بحقوقها اذا هضمت ، ولكن يجب ان لا تقول : اننى اريد ان اساوى الرجل ..

وليكن معلوما انى انادى بحقوقى ، وانى موظفة كذلك ، ولكنى لا انادى ولا اطلب المساواة أبدا .. ابدا .. لانى واثقة من استحالة حدوثها ... والسلام ..

بلقيس عبد الله الحميميدى
بغداد ـ أعظمية ـ شيوخ

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكى

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 64 March 1964 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● شقت المرأة التونسية المعاصرة طريق النهضة فى خطى ثابتة بعد أن ظلت ترسف فى قيود الجهالة بضعة قرون .. انهـا اليوم تحتل مكانها فى الجامعة ودواوين الحكومة والشركات والمؤسسات وفى المصنع والحقل مع الرجل جنبا الى جنب ، وسواء بسواء .. بل انها سبقت الى احراز بعض المكاسب الثورية اذ استطاعت ان تقيد الطلاق ، وتتخلص من تعدد الزوجات. مما لا يزال امنية الكثيرات من بنات حواء . (اقرأ الاستطلاع على صفحة ٤٧)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس. مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٢ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الأردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر والمغرب ٢٠٠ فرنك . اليمن ٥ر٢ شلن. ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



الوطنية الحقة

عن مجلة « المصور »

● عندما كنت البس البنطلون القصير كنت أعلن عن حبى لبلادى بالهتاف لها بحنجرتى !
ولما لبست البنطلون الطويل اكتشفت أن بلادى لم تعد فى حاجة الى هتاف الحناجر .. انها فى حاجة الى هتاف العقول !
وعندما تهتف الحناجر ، تملأ الدنيا صراخا !
وعندما تهتف العقول ، تملأ الدنيا عملا !
ولهذا يجب أن نعلم اطفالنا الهتاف الجديد !
يجب أن نعلمهم أن حب الوطن ليس بمجرد الهتاف له ، وانما بالعمل له والبناء فيه !
واذا كان الطفل اضعف من ان يبنى .. فيجب أن نعلمه أن حب الوطن يكون بالمحافظة على كل ما فيه من ابنية واشجار وجمال !
يجب أن نعلمه أن الذى يحب وطنه لا يلوث جدران المبانى بالكتابة عليها !

يجب أن نعلمه أن الشجرة التى يراها فى الطريق هى جزء من وطنه ، وانه اذا قطع اغصانها ، فانه يمزق جزءا من وطنه الحبيب !

يجب أن نعلمه أن الشارع الذى يمشى فيه هو قطعة من وطنه .. ولذلك يجب أن يحافظ على نظافة هذا الشارع .. وأن هذا الشارع هو علم من اعلام بلاده .. فاذا لوثه ، فهو يلوث علم بلاده !

يجب أن نعلمه أن الضجيج يؤذى سمعة بلاده .. وانه اذا اراد أن يرفع سمعتها بين الأمم فيجب أن يسهم بحنجرته فى هدوئها !

يجب أن نعلمه أن يحب مدرسته ويحافظ على نظافتها لانها جزء من وطنه ! وألا يقطف الازهار من الحدائق ، لأن هذه الحدائق هى بعض جمال وطنه ! يجب أن نعلمه أن يحرس فانوس النور ، لا أن يطفئه بالحجارة والطوب !

السلطة الرابعة

عن جريدة « العرب » : بغداد

● قيل ان الصحفى يولد وفى رأسه الفكرة ، وفى فمه الكلمة ، وفى يده القلم .. وقيل ان مهنة الصحافة موهبة فطرية تنمو بالدراسة والاطلاع والتجربة الناضجة وحاسة سادسة ، حيث يستشعر الصحفى من خلالها ما يدور فى المجتمع والعالم من انباء وأحداث وقضايا الساعة الهامة .. وقيل ان الصحفى يذيب أعصابه وأفكاره ويعمل آناء الليل والنهار ، ليقدم للبشرية ، كل البشرية ، أضخم وأسرع خدمة فى دنيا اصبحت بفضل هذا التطور العلمى المدهش اشبه ما تكون بحبة خردل ..
قيل كل هذا فى الصحفى ، رئيس تحرير ،

ثقافتنا والثقافات العالمية

عن مجلة « الثقافة » القاهرة

● ان ثقافتنا ينبغى أن تكون ثقافة قومية ولغتنا العربية ينبغى ان تحتل المكان الأول . ونحن فى هذا انما نحرص على أن تكون لنا ثقافتنا المتميزة المعبرة عن قيمنا وتراثنا، وعن حاضرنا ومستقبلنا. ولا بد أن يكون واضحا تماما أن أى اتجاه ضد استخدام لغتنا العربية واحلالها فى المكان الأول انما هو اتجاه استعمارى مغرض ، وأن مثل هذا الاتجاه ، وان كان يبدو فى ظاهره احيانا انه لا يصدر الا عن عجز عن تقدير اصالة لغتنا العربية وتراثها وكفايتها فى مواجهة كافة الاحتياجات فى مجالات العلم والثقافة ، الا انه فى الحقيقة يمثل احتقارا للقيم الوطنية والقومية ذاتها .

انجميع الفرص يجبان تتاح امام لغتنا العربية لكى تؤثر فى الثقافة العالمية وتتأثر بها ، وفى هذا المجال تعتبر ترجمة الانتاج الثقافى وسيلة هامة ، سواء فى ذلك ترجمة الكتب والمؤلفات العالمية الى اللغة العربية ، أو ترجمة روائع ثقافتنا وادبنا وفكرنا العربى الى اللغات الأجنبية .

كذلك ينبغى العمل على توفير فرص التبادل الثقافى بين الأمة العربية وغيرها من الأمم ، فان هذا كفيلبايجاد تفاعل مثمر بينمختلف الثقافات.

مشكلة أخلاق

عن جريدة « الأنوار » ــ بيروت :

● مئات المقالات كتبت فى معالجة أزمة السير ، وعشرات الاجتماعات عقدها المسؤولون فى محاولات لحل هذه الأزمة المستعصية ، وقرارات عديدة صدرت ، وان كانت قد خففت الى حد ما من حدة الأزمة الا انها لم تتوصل الى الحل النهائى .

ولمشكلة السير وجه آخر ، غير وجهها التنظيمى المتعلق بنا نحن .. أبناء الشعب .. والسواقين.

أبناء الشعب .. مطلوب منهم أن يمروا عبر الممرات المسمرة وحسبتعليماتالاشارة الضوئية.

والسواقون .. مطلوب منهم أن يتوقفوا عند الاشارة الحمراء وأن لا يطلقوا «الزمور» بمناسبة وبدون مناسبة .. ومع ذلك ماذا نرى ؟

ــ المشاة لا يحلو لهم قطع الطريق الا خارج الممرات المسمرة ، ويتباهون بانهم استطاعوا قطع الطريق فى زحمة مرور السيارات ، ولا يتعظون باولئك الذين يتساقطون بين عجلات السيارات .

ــ السواقون لا يستطيعون ضبط اعصابهم فينطلقون باقصى سرعة ، ويجتازون المفارق بسرعة جنونية وقاتلة احيانا رغم وجود الاشارة الضوئية الحمراء..ولا يحلو لهمالتزمير الا عندالمستشفيات والفنادق والمؤسسات العامة .

اذن.. المشكلة.. مشكلة اخلاق قبل كل شيء .

أو مندوبا للأخبار ، أو كاتبا أو فنانا أو غير ذلك من الأعضاء الذين تضمهم أسرة الصحافة ، ونعرفهم بوجوههم وسحنالهم وملامحهم من أثر الحركة والدوران ، والطاقات المضنية التى تستنفد فى سبيل (صاحبة الجلالة) الصحافة ، أو صاحبة (السلطة الرابعة) فى الدولة !

واذا كان أمر الصحفى ورسالة الصحفى كذلك ــ وهو كذلك ــ فان الوسط من حول هذا (الجندى المجهول) مدعو الى مقابلة هذا الجندى الصحفى بالمثل أو ببعض المثل ، وأن يساعده أبدا على قطع طريقه الشاق الطويل ، ويمكنه أبدا من تسليط أضواء الصحافة على مجريات الأمور والاحداث العامة والخاصة ، وأن يقدم له المفاتيح لفتح الأبواب ، اذا كان فى هذا التقديم خدمة للناس والدولة والمجتمع بوجه عام ..

ولكن المؤسف بعد هذا وذاك، أن يعيش الصحفىفىبلادنا فىأزمات وجدانية ونفسية متلاحقة، وأن توصد بعض الأبوابالرسمية والشعبية من دونه ، وان تتخوف (بعض) الجهات والأشخاص منه حتى لكأنه(البعبع) وهو الملاك ! أو لكأنه اللص مع أنه صاحب الدار الذى يحميها من اللص !

هذه فكرتنا ، عن الصحفى ، بمفهومه وطبيعته وموضوعيته ، ومستواه .. فهل تفتح له بعد الآن الابواب والقلوب ؟

نتيجة مسابقة العدد ٦٢

أسماء الفائزين بالجـــوائز

■ بلغ عدد الاجابات التى تلقيناها لمســابقةالعدد الثانى والستين رقما قياسيا حطم جميع الأرقام التى سجلتها المسابقات الماضية .

وقد ذكر معظم المتسابقين أسماء المدن الأربععشرة كلها . كما رسم الطالب حسين عبد الله بانبيلة بتوجيهى الآداب بثانوية العزيزية ، بمكـةالمكرمة ، مجموعة من الخرائط للاقطار العربية بين عليها مواقع المدن موضوع المسابقة ، وان كانالحظ قد أخطأه ، اذ تخطته القرعة عند السحب الى غيره من المتسابقين .

ولاول مرة تلقينا اجابات من سيام « تايلاند »من القارىء عبد الرحمن العمران فى بانجكوك .

وبعث قارىء عربى يدعى عكروش غالب يقيم بباريس باجابة صحيحة ، ورجـا فى حالة فوزه باحدى الجوائز أن تحول لاسم اللاجىء (الياس عديلى ـ الفحيص ـ الاردن) وتلك لا ريب عاطفة نبيلة ومشكورة .

ومن الدنمارك تلقينا عدة اجابات صحيحة بينها اجابة من « دورين كونواى ده نيركارد » باللغـة العربية وبخط جميل .

وقد أجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة فاسفرت عن النتيجة الآتية .

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فـاز بهـا عشوى مرزوق : الجيش الكويتى ـ اللـــواء السادس ـ سرية اللاسلكى الأولى : الكويت .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بهـا سعيد مقداد: المجلس الأعلى للتخطيط ـ الرياض ـ السعودية .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : سعيد على كعوان : ديوان المحاسبة ـ طرابلس الغرب ـ ليبيا .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ فوزى أمين الجندى : المدرس بمدرســة سعد زغلول الابتدائية ـ كفر الشيخ ـ ج . ع . م

٢ ـ سحر محسنة : الطابيات ـ اللاذقية ـ سوريا .

٣ ـ الطالب الفلسطينى عاكف محمود حسين : كلية الهندسة بجامعة كراتشى ـ باكستان

٤ ـ عبد اللطيف ابراهيم القصاب جانب الكرخ محلة خضر الياس ـ بغداد ـ العراق .

٥ ـ حكمة زيادة : ابو سمرا ، بناية حلمى الفناوى ـ طرابلس ـ لبنان .

٦ ـ عبد العزيز محمد سليمان ـ جمـــارك بورسودان ـ السودان

٧ ـ ابراهيم محمد الصديق : الحى الجامعى ـ غرفة رقم ٤٣٩ ـ ظهر المهراز ـ فاس ـ المغرب

٨ ـ جانيت ماجد القاسمى : ص.ب رقم ٢٠ ـ الشارقة ـ الخليج العربى .

أبو الحسن الأشعرى



بدأ بالاعتزال
ثم مال الى أهل السنة
ولكن أبقى على أسلوب
المعتزلة فى الجدل

بقلم : الشيخ محمد ابو زهرة

استاذ الشريعة بجامعة القاهرة

■ اتسعت فرجة الخلاف فى الفكر الاسلامى بين الفقهاء والمحدثين وبين المعتزلة ، الذين كوّن واصلُ بن عطاء مدرستهم ، وكانوا يفكرون فى فهم العقيدة تفكيرا فلسفيا ، ولا يعتمدون فى أصول الاعتقاد الا على القرآن لا يَعْدونه ، ويؤولون بعض ألفاظه على مقتضى العقل ، ويجادلون فى الاسلام بحكم المنطق ، ويدفعون انحراف المنحرفين بالبرهان العقلى ولايعتمدون على شىء سواه واستمكن سلطانهم فى عهد المأمون والمعتصم والواثق ، وكان منهم كِبار القائمين بأعمال الدولة ، وشاعت عنهم فكرة القول بخلق القرآن ، وتكفير من لم يقلها ، وعُزِل القضاةُ والمفتون الذين لا يقولونها ، واضطهد الفقهاء والمحدثون الذين لا يرددونها ، ويستجيبون لدعاتها ، ونزل الأذى بامام السنة احمد بن حنبل رضى الله عنه .

دولة المعتزلة ادالها المتوكل ، ولكن بقى الاعتزال فى الناس جدلا

وجاء المتوكل بعد الواثق فادال من دولة

الاعتزال ، وانزلهم من عليائهم ، وادنى اليه الفقهاء والمحدثين ، وكان هؤلاء يفكرون فى العقيدة بغير منهاج المعتزلة ، فيعتمدون فى تعرفها على كتاب الله تعالى ياخذون بظواهره من غير تاويل ، ويعتمدون على السنة ، فما صح منها من اخبار فى العقائد سواء اكان متواترا او كان آحادا ، فهم يقولون ان الله يرى يوم القيامة ، ولا يؤولون آيات الرؤية ، ومنهم من يقول ان لله يدا ، لان النص القرآنى يقول : « يد الله فوق ايديهم » . وهكذا ياخذون بالنص ، ولا يحكمون فيه العقل ، ولكنهم يقررون التنزيه لله عن مشـابهة الحوادث والمخلوقات . « ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير » . ولا يستطيعون مجادلة الخصوم الا بنصوص القرآن ، ولا يسلكون مسلك العقـل فى الاستدلال ، لان المنطق نزعة فلسفية لا يريدونها ، ولا يرتضونها ، وبذلك لا يستطيعون الدفاع عن الاسلام ضـد المنحرفين والمخالفين لان عندهم النصوص ، وهى لا تروج الا عند من يؤمن بها ابتداء ، ولا بد قبل الايمان من حكم العقل .

واذا كان المعتزلة قد خلت منهم دور الحكم بعد الواثق ، فلم يخل منهم دور العقل ، فاذا عدموا نصرة السلطان ، فانهم لم يعدموا نصرة البرهان ، ولـم يكن الفقهاء والمحدثون بقادرين عليهم ما داموا ينهجون من النصوص منهاج العقل .

ابو الحسن الاشعرى ، وابو منصور الماتريدى ، توسطا بين اهل السنة واهل الاعتزال

كان لا بد بحكم المنطق من وجود ناس يتوسطون بين الفريقين ، ويخرجون بمنهاج بين المنهاجين ، وقد وجد اولئك ، ولكن فى نطاق ضيق ، حتى كان الامامان ابو الحسن الاشعرى وابو منصور الماتريدى. فقد ظهر الأول فى العراق وكان شافعيا، وظهر الثانى فى سمرقند ، وكان حنفيا .

نشاة ابى الحسن الاشعرى

ولد ابو الحسن الاشعرى ، من أسرة عربيـة تنتمى الى الاشاعرة الكرام الذين مدحهم النبى صلى الله عليه وسلم لفضل معاونتهم فى يسرهم وعسرهم .

وتربى بالبصرة فى حضانة اسرة عربية توارث عنها العزمـة القوية ، والارادة الماضية ، وكانت البصرة موطن الاعتزال ، وموطن فرق الشيعة ، والمكان الذى التقى فيه العقل العربى ، بالعلـم الهندى واليونانى . وهى كما تطل على البادية العريقة بصفائها ، وتحتضنها الحضارة بروائها ، قد التقى فيها ايضا العلم العميق والصفاء الذهنى، فالتقى علم الاسلام النقى الصافى ، بالفلسـفات المختلفة ، والآراء المتباينة ، والاهواء والانحرافات.

درس فى نشاته علوم الاسـلام الأولى . حفظ القرآن وطائفة من الاحاديث ، ومقدارا من الاحكام الفقهية يتعرف منها اوامر دينه ، وكان من الممكن ان يسلك مسلك الفقهاء والمحدثين ، ولكن كان علم هؤلاء علم رواية وتفريع الاحكام ، وتخريجها على اصولها من الكتاب او السنة او القياس الفقهى ، بالحاق امر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص لاشتراكهما فى الوصف الذى يُعَدّ علة للحكم .

ابو الحسن يتتلمذ للجبائى شيخ المعتزلة

وكان فى نفسه نزوع الى الدراسات العقلية فى ظل المبادىء الاسلامية ، ولم يجد هذا الا عنـد المعتزلة ، فقد كانوا يدرسون العقائد الاسـلامية ، ويؤيدونها بالبرهان العقلى ، ويؤولون كل ما جاء فى القرآن على مقتضى حكم العقـل القطعى ، ان خالفه ظاهر القرآن فى بعض آياته .

تتلمذ اذن ابو الحسن لشيخ من شيوخ المعتزلة، وكان امامهـم بالبصرة فى عصره ، هو ابو على الجبائى ، فلازم درسه ، ولكنه لم يكن تلميـذا كبقية التلاميذ يتبعون شيخهم فيما ينتهى اليـه ، او على الاقل يرجحون بالنسبة لاساتذتهم الاتباع، دون الابتداع ، بل كان ذلك التلميذ النابه يناقش شيخه فى كل ما يعرض من مسائل . واحيانا تنتهى مناقشة التلميذ للشيخ باسكاته وحيرته فى الجواب.

التلميذ ابو الحسن يناقش شيخه

ولنقص بعض القصص عن مذاكرة التلميـذ لشيخه . كان الجبائى ككل المعتزلة يرون ان الله تعالى لا يمكن ان يكون منه الا الاصلح الذى تدركه

عقولنا ، فهـــم يحكمون بعقولهم على الأشياء بالحسن ، او القبح ، ثم يوجبون أن يفعل الله ما يرونه هم أصلح . ولكن التلميذ لم يهضم هذا ، كيف نقرر نحن الأمر ، ثم نقرر انه يلزم ان يقع . فثارت بينهما المناقشة الآتية : ـ

قال التلميذ : ما قولك فى ثلاثة : مؤمن وكافـر وصبى . فما الله تعالى صانع بهم ، ويكون فيـه الأصلح لهم .

قال الشيخ : المؤمن اهل الدرجات ، والكافر من اهل الدركات ، والصبى من اهل النجاة .

قال التلميـذ : فاذ اراد «صبى» بعـد موته صبيا ، ان يكون من أهل الدرجات هل يمكن ؟

قال الشيخ : لا ، بل يقال له : ان المؤمن انمـا نال هذه الدرجة بالطاعة وليس لك مثلها .

قال التلميذ : فان قال الصبي : التقصير ليس منى ، فلو احييتنى كنت عملت الطاعات كعمـل المؤمن .

قال الشيخ : يقول الله تعالى كنتُ اعلم انك لو بقيت لعصيتَ وعوقبت فراعيتمصلحتك وأمتك قبل أن تنتهى الى سن التكليف .

قال التلميذ : فلو قال الكافر علمتَ حالى كما علمتَ حاله ، فهلا راعيت مصلحتى مثله ، فسكت الشيخ .

وان هذه المناقشة تنتهي بـلا ريب الى ان المصلحة التى تلزم مراعاتها فى جانب الله تعالى ليست هي المصلحة التى تقدرها بعقولنا ، وانما تكون هذه المصلحة بتقدير الله العزيز العليم الذى لا يخفى عليه شىء فى السماء ولا فـي الأرض .

الأشعرى ، لم يستغرق الاعتزال عقله

وان الذى يمكن أن يقدر فى حياة الأشعرى ، وهو يعيش فى ظل المعتزلة ويرضع من افاويقهم ، انه كان لا يستغرق الاعتزال عقله ، بل انه يفكر التفكير المستقل ، والتفكير الحر يجعله ينقب عن الآراء انى تكون ، وعن الأفكار حيثما تكون . وكذلك لم تقطعه دراسة الاعتزال عن دراسة آراء الفقهاء والمحدثين فى العقائد ، وقد كان يدرسها بعين عاطفة مقرِّبة ، لا بعين ساخطة مبعِّدة .

وكان كلما تقدمت به السن أو كلما نضج فكره يستنكر من آراء المعتزلة شيئا ، حتى اذا وصل الى الاربعين وبلغ اشده ، وهى السن التـي يكتمل فيها العقل والجسم ، وجد نفسه بعيدا عن الاعتزال بقلبه وعقله .

وقد اخذ من بعد ذلك يراجع بين ما يعتنقه المعتزلة وبين ما يعتنقه الفقهاء والمحدثون،معتمدين فيهعلى حكمالمنقول منالقرآن وعن الرسول،وعكف زمنا يوازن بينما فىكل منهما من حق،وانقدح بعد الموازنة رأى قرر فيه ان الاحتياط فى الاعتقاد ما يدعو اليه الفقهاء والمحدثون ، ولكن ينقصهم الاعتماد على العقل فى تقرير ما يقررون ، فانه لا بد لبيان الحق من نص يثبته ، وبرهان عقلي يقربه ويؤيده ، ولا بد للدفاع عنه من منطق عقلي يسدد السهام الى الخصوص .

وعلى اى حال قد فارق الاعتزال ، وان لم ينضو تماما تحت سلطان الفقهاء والمحدثين .

« من عرفنى فقد عرفنى »

بعد ان انتهى الى هجر آراء المعتزلة ، وان لم يهجر مناهجهم فى الاستدلال ، ذهب الى المسجد الجامع فى البصرة ، ورَقِيَ المنبر ثم قال :

« ايها الناس من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى انا اعرفه بنفسى . انا فلان بن فلان . كنت اقول بخلق القرآن وان الله تعالى لا يرى بالابصار ، وان افعال الشر انا افعلها ، وانا تائب مقلع ، متصد للرد على المعتزلة ، مخرج لفضائحهم .

« معاشر الناس :

انما تغيبت عنكم هذه المدة لأنى نظرت فتكافأت عندى الأدلة ، ولم يترجح عندى شىء على شىء، فاستهديت الله تعالى ، فهداني الى اعتقاد ما اودعته كتبي هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت اعتقد ، كما انخلعت من ثوبى هذا » .

وانخلع من ثوب كان عليه ، ودفع الى الناس كتبـه .

ولا شك ان هذا التحول قد اضاف الى الفقهاء

والمحدثين ناصرا قويا ، ورجلا مهر فى الكلام ، وفى الاستدلال . وان ما كتبه ابتداء من بعد ذلك يدل على انه كان متأثرا بالامام احمد بن حنبل ، وموقفه من المعتزلة ، وقد كانت حياته وأصداء مواقف الامام احمد لا تزال تردد فى التاريخ ، حيث لقى الأشعرى من لقوه ، فقد كانت وفاة الامام احمد سنة ٢٤١ هـ ، وحياة الأشعرى كانت ما بين ٢٦٠ ، ٣٢٤ هـ ــ فهو يقول فى مقدمة كتابه « الابانة » :

« ديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما رُوى عن الصحابة والتابعين ، وبما كان عليه أحمد بن حنبل ، نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته ، ونحن عمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق عند ظهور الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به المبتدعين وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمه الله تعالى من امام مقدم ، وكبير مفهم ورحمته على جميع أئمة المسلمين » .

آراؤه

وقد شرح خلاصة آرائه عند انتقاله ابتداء شرحا محكما فى مقدمة كتابه «الابانة» . وخلاصة آرائه فى هذا الكتاب :

أ ــ انه يرى أن بعض الصالحين تكون له آية ، أي علامة تدل على مكانته عند الله ، وهو ما يسمى كرامة الأولياء ، وقد أنكر المعتزلة ذلك ، وخصها الشيعة بأئمتهم ، فقد قالوا ان المعجزات تجرى على أيديهم كما تجرى على الأنبياء ، بيد انهم لا يتنزل عليهم الوحي .

وان الصوفية يرون اثبات الكرامة للصالحين ، بيد ان المخلصين المحققين منهم يطلبون الاستقامة ، بأن يسيروا على ما أمر به الشارع سيرا مستقيما ، ولا يطلبون الكرامة ، ويقول قائلهم فى دعائه : اللهم هبنا الاستقامة بدل الكرامة لأن الكرامة تستحق من العبد الشكر ، والاستقامة يرجو بها العبد الأجر .

ب ــ ويرى أن كل ما جاءت به السنة ، سواء أكانت أحاديث متواترة أم كانت غير متواترة ، حجة تثبت به العقائد ، فعذاب القبر يجب اعتقاده ، وغير ذلك من الأمور التى جاءت بها السنة ، لأنه ما دامت صحة الحديث قد ثبتت بالطرق التى يلتزمها المحدثون فى الرواية فهو حجة فى العمل والاعتقاد ، اذ لا فرق بينهما فى الاثبات . ولا معنى لأن نعمل بالحديث ، وننكر الأخذ بمثله فى الاعتقاد .

ولكن هل يكفر من لا يأخذ بأحاديث الآحاد ؟ ــ يظهر ان الأشعرى ، وهو شافعي المذهب لا يكفره ، لأن الامام الشافعى يقرر فى الرسالة ان العلم قسمان ، علم يثبت فى الظاهر والباطن ، وهو العلم الذى يكون طريقه قطعيا ، فهو يلزم فى الاعتقاد والعمل ، وعلم يثبت فى الظاهر دون الباطن ، وهو ما يكون دليله ظنيا ، فهو يلزم فى العمل الظاهر ، دون الاعتقاد ، ويعد من هذا القسم ما يكون طريقه خبر الآحاد .

فاذا كان الأشعرى أوجب الاعتقاد بحديث الآحاد ، فهو لا يكفر من لا يعتقد بما جاء فيه .

جـ ــ والأشعرى يأخذ بظواهر النصوص ، فيعتقد رؤية الله يوم القيامة ، وكان يرى أولاً ان لله وجها ليس مثل وجوهنا ، ويدا ليست كأيدينا ، وان هذا هو منهاج أحمد بن حنبل الذى أختاره فى هذا الباب اماما له أولاً .

هـ ــ وأبو الحسن الأشعرى يرى أن الاشياء ليس لها قبح ذاتى ، ولا حسن ذاتى ، انما التحسين والتقبيح من عمل الشارع وحده .

وسنجد أن كثيرين من السنيين يخالفونه فى الأمرين الأخيرين ، وقد رجع عن أولهما .

و ــ وهو يرى أن مرتكب الكبيرة ليس مخلدا فى النار ، ولكن يعاقب بمقدار ما أذنب ، الا انه يتغمده الله برحمته فيغفر له أو يعفو ، لحسنات قام بها ، كما قال تعالى : « ان الحسنات يذهبن السيئات » ، وأن عاقب فبالعدل وان عفا فبالرحمة .

الأشعرى أخذ من المعتزلة مناهجهم فى الجدل

والأشعرى مع انه يأخذ بالنقل ، متواتره وغير متواتره ، قد أخذ من المعتزلة مناهجهم فى الجدل ومدافعة المهاجمين للاسلام ، يأخذهم بالمنطق والبرهان ، وهو بهذا يتخذ العقل خادما للنصوص ، ولا يجعل النصوص محكومة بالعقل ، فهي فوق العقل ، والعقل اداة تقريبها والدفاع عنها .

وقد تصدى للمجادلة فى ميدانين ، أحدهما داخلى ، وهو الرد على المعتزلة ، وكان يلحن بمثل حجتهم ، ويتبع طريقهم فى الاستدلال فيحاربهم بمثل أسلحتهم ، ولا يقف عند النصوص فى الدفاع ، بل يقلب القول ويصرفه دفاعا عن النصوص .

اما الميدان الثانى ـ الخارجي : فقد تصدى ، للرد على الفلاسفة والباطنية من الشيعة الذين كانوا يثيرون ما يوهن العقائد الاسلامية ، والقرامطة الذين قوى امرهم ، وسال سيلهم فى آخر القرن الثالث واول القرن الرابع الهجرى ، وغيرهم ممن لا يفحمه الا الاقيسة المنطقية ، ولا يقطعه الا دليل العقل .

وفى الحق انه قد ضعف شان المعتزلة فى النصف الثانى من القرن الثالث ، وما وليه ، وقد كان لهم بلاء حسن فى الدفاع عن الاسلام ضد الذين يهاجمونه ، ويشككون الناس فى حقائقه ، ولكن الميدان لم يخل ، فقد حمل الأشعرى فى العراق ومن جاء بعده لواء الدفاع عن الاسلام . وحق القول : انه كلما افل للاسلام نجم بزغ له نجم آخر .

كتب أبو الحسن الأشعرى

والأشعرى قد اوتي صفات جعلته فى الذروة من المدافعين ، فهو مخلص ذو همة ، وهو قوى البيان بالقلم واللسان ، فكتبه التى كتبها بعد ترك الاعتزال وقبله تتسم بالعبارة والأسلوب البليغ المحكم ، وتفيض بقوة الايمان بما يقول .

وله كتب ألفها فى الاعتزال ، واخرى بعده ، وكلا النوعين يدل على الاحاطة الكاملة والعمق فى التفكير . ومن كتبه التى كتبها قبل أن يترك المعتزلة كتابه مقالات الاسلاميين ، وعباراته بينة واضحة ، واحسب انه اجمع كتاب للفرق الاسلامية التى ظهرت الى القرن الثالث الهجرى .

وله كتب بعد ترك الاعتزال منها كتاب الابانة ، ولعله اول كتاب كتبه بعد الانتقال الى معسكر الفقهاء والمحدثين ، فان التأثر بهم واضح ، كالشأن فيمن ينتقل من ميدان الى ميدان متأثرا بالمنهاج الذى انتقل اليه ، فان دفعة الانتقال تكون قوية . ولكن بعد أن يستقر فى الميدان يفكر فى الجو الذى انتقل اليه تفكيره المستقل الذى تغذى بمادة ، لا يجدها فى المكان الذى أوى اليه .

ولذا جاء كتابه ـ اللمع ـ من بعد ذلك معدلا بعض آرائه التى قالها فى الابانة ، فهو فى الابانة كان يمنع تأويل اليد بالقدرة ، والوجه بالذات ، ويلزم الاخذ بظواهر النصوص ، ولكن فى اللمع يقرر ذلك التأويل وهو فى الحقيقة ليس بتأويل ، ولكنه اخذ بمجاز مشهور ، والمجاز المشهور لا يعد تأويلا ، ومن ذلك المجاز قول العربى : وضع الأمير يده على المدينة ، فلا تراد الحقيقة ، بل يراد السلطان ، وكذلك الأمر « يد الله فوق أيديهم » .

منزلة الأشعرى فى أهل زمانه ، ومن بعدهم

● نال الأشعرى منزلة كبيرة عند الحكام فى زمانه ،ومن بعده ، حتى ان صلاح الدين الأيوبي كان حريصا على أن يحفظ أولاده منظومة تتضمن آراء الأشعرى .

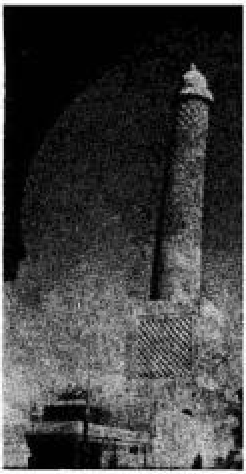
ولم يقتصر تقديره على الحكام ، بل صارت آراؤه عقيدة المسلمين أو اكثرهم، بل كان العلماء لفرط تقديرهم لا يتبعونه فيما وصل اليه من نتائج فقط ، بل ان من كبارهم من أوجب اتباعه فى الأدلة التى ساقها . ومن كان يخالف الأشعرى يعرض للنقد الشديد ، فتعرض الغزالى الى اللوم عند نقده ، وتعرض ابن تيمية للحبس عند مخالفته .

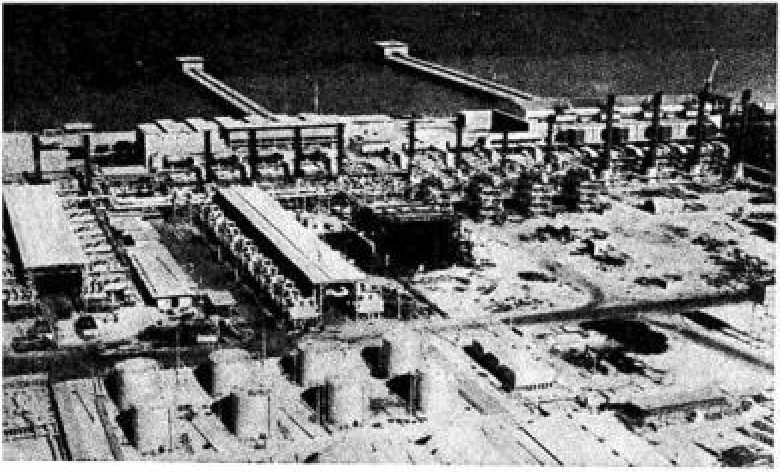
وتعرض ابن حزم الأندلسي للأذى عندما هاجمه .

وفى الجملة ترك الأشعرى أثرا واضحا فى علم العقائد ، كما ترك أئمة الفقه آثارا بيّنة فى علم الفروع .

والله هو الموفق ، وهو الهادى الى سواء السبيل . ■■

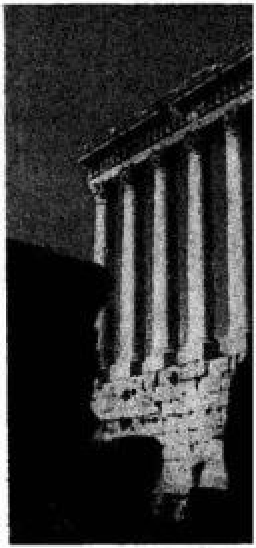
محمد أبو زهرة

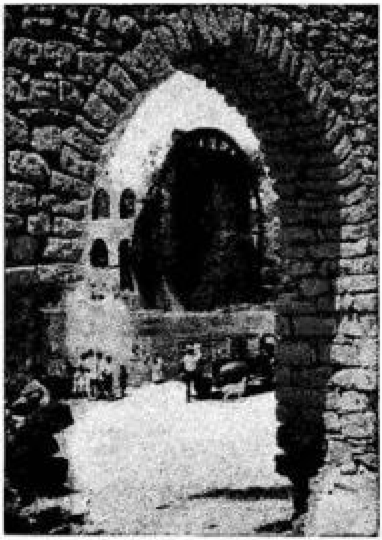




١ – . . . . . ٢ – . . . .

مسابقة ٦ وجوائز





٥ – . . . . ٦ – . . . .

● لا تعتمد مسابقة هذا العدد على حظ القارىء من ثقافة أو ذكاء ، بقدر ما تعتمد على ما تتمتع به ذاكرته من قوة ..

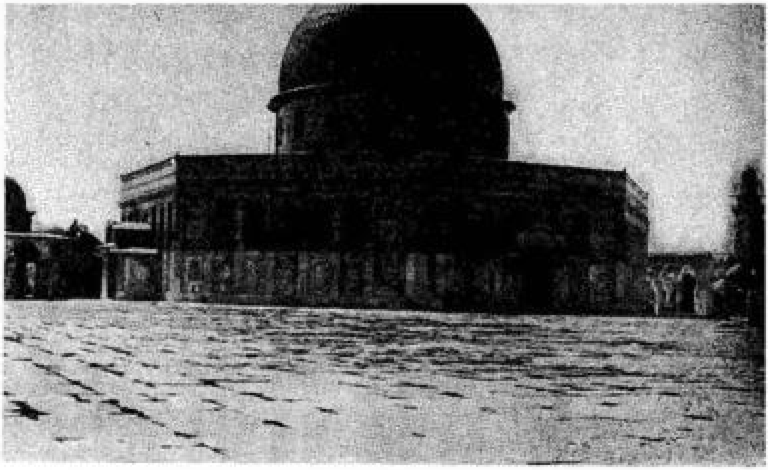
انها تتألف من مجموعة من الصور اقتبسناها مما سبق ان نشرته « العربى » فى استطلاعاتها عن اجزاء الوطن العربى الكبير . ولا بد قد بقى عنها فى ذاكرة القراء الشىء الكثير .

فأمامك ٨ صور ، من ثمانية اقطار عربية ، تمثل بعض معالم الوطن العربى ، سواء أكانت اماكن دينية او مرافق حيوية او آثارا عفت عليها القرون .

اذكر اسماء ٦ فقط من هذه المعالم ، مع اسم المدينة التى يقع فيها كل منها ، فقد يسعدك الحظ وتربح جائزة .

شروط المسابقة

١ – يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٤ من هذا العدد . وكل اجابة لا ترفق بها القسيمة تستبعد .





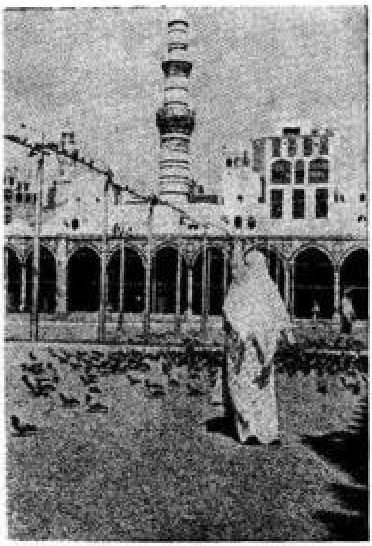
٣ ـ . . . .

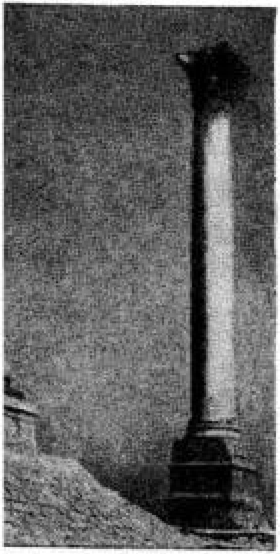
٤ ـ . . . .

العربي

صور

١٠٠ دينار





٧ ـ . . . .

٨ ـ . . . .

٢ ـ يكتب على الظروف عبارة ـ « مسابقة العربى ـ العدد ٦٤ » .

آخر موعد للاجابة

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر ابريل (نيسان) ١٩٦٤ . وترسل الاجابة مباشرة بعنوان مجلة «العربى» : صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربى وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة القرعة .

الجوائز ١٠٠ دينار

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا ..

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا ..

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ..

مقال يجب أن يقرأه
كل اب وكل ام

ضرب الأطفال

هل نعود اليه

كيف تعامل طفلك اذا اخطأ او أساء التصرف او كان ميالا « للشقاوة » ؟ اتتغاضى عن اخطائه وشقاوته ، أم تعنفه ،أم تضربه؟وكيف يكون ضربك اياه؟ أتضربه بعنف وقسوة ، أم بحنان وشفقة ؟!

هذه كلها اسئلة تتزاحم فى راس كل اب وام ، فلا يجد أحدهما لها جوابا شافيا .. ولذا تقدم لك « العربى » فى هذا المقال احدث ما وصل اليه علماء النفس والاجتماع والتربية فى هذا الشان .



■ ورد فى احصاء امريكى حديث ان نسبة المجرمين بين الأحداث الذين لم يتجاوزوا الثامنة قد ارتفعت بصورة واضحة ، حتى انهم هم المسؤولون عن نصف ما يرتكب فى الولايات المتحدة من جرائم .

والواقع ان تمرد اليافعين والأحداث على البيت والمدرسة ظاهرة انتشرت فى المجتمع الأمريكي ، لا سيما فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ثم تسربت عدواها الى المجتمعات الأوروبية، ونقلتها السينما والصحافة والقصص الى المجتمعات الأخرى ، ومنها مجتمعنا العربي .

ويكاد رجال التربيةوعلم النفس وعلم الاجتماع فى أمريكا وأوروبا يجمعون على ان من أهم اسباب هذه الظاهرة ، اتجاه نظريات التربية بعد الحرب العالمية الأولى الى سياسة الاغضاء عن اغلاط الطفل ، وتجنب العقاب البدني ، بزعم



في تربيتهم ؟

الخوف من ان يصاب الطفل بعقد نفسية .

وقد خرج اخيرا عالم نفسي امريكي ـ هو الدكتور « بيتر كرانفورد » Peter Cranford ـ بنظرية في التربية والتأديب ، اقامها على التجارب والخبرة .. وهي تدعو للعقاب البدني ، ولكن في حدود معينة ، رسمها نتيجة دراسة علمية وواقعية دقيقة .

رجعة الى منشا تحريم الضرب

بدات هذه السياسة في اول القرن الحالي ، عندما نشر « جون ديوى » Deuey رسالة له بعنوان « علم النفس وتطبيقه اجتماعيا » ، دعا فيها الى اقامة التعليم على اسس من علم النفس ، بحيث تراعي فيه ميول الطفل ورغباته ، قبل ان يراعي حشو راسه بالمعلومات ، فهو في طفولته يسعى لتكوين العادات التي ستلازمه في كبره . وقد وجدت هذه الفكرة تأييدا كبيرا عندما طلع العالم النفساني « فرويد » Freud في سنة ١٩٠٩ بنظريته التي تجعل « الجنس » عاملا مسيطرا في تكوين شخصية المرء . وبين مدى الضرر النفسي الذي يتعرض له الطفل من جراء ما يلقاه في طفولته من معاملة ..

وامتزجت آراء « ديوى » و« فرويد» في اذهان الناس في اعقاب الحرب العالمية الأولى ، حرب عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨م ، واحيطت بهالة زينت للتربويين ان التسامح مع الطفل ، وتركه يفعل ما يشاء ليجرب الخطأ والصواب من تلقاء نفسه ، يستوجبان تجنب الضرب كوسيلة من وسائل التربية .. !

ديوى وفرويد ينتقدان تطبيق آرائهما

وكان اغرب ما في الأمر ان « ديوى » و « فرويد » نفسيهما ، لم يذهبا الى ذلك .. ولقد هالهما هذا الاتجاه عندما بدات نتائجه الأولى في العقد الثالث من هذا القرن ، اى عندما شب الجيل الذى تنشىء على هذه التعاليم .

قال « ديوى » في كتابه « التجربة والتربية » :ـ

« ان للاغراق في التساهل مع الطفل اثرا مستمرا ينمي في نفسه المطالبة تلقائيا بان يترضى الكل رغباته ونزواته في المستقبل .. وهذا من شانه ان يجعله غير كفء لمعالجة المواقف التي تتطلب جهدا ودابا للتغلب على ما يعترضه من عقبات .. » .

وكذلك قال :

« ... ان الافتقار الى آداب السلوك في بعض المدارس التقدمية يرجع ـ الى حد ما ـ الى شغف الأطفال بالمضي فيما يفعلون .. ولكنه يمثل كذلك اخفاقهم في تعلم درس من أهم دروس الحياة :

ذلك هو التكيف والتوافق مع البيئةالتى تحيط بهم ، ومع المجتمع » .

ولم يكن « فرويد » أقل من «ديوى» انتقاداً للاتجاهات التربويةالتىبنيتعلى آرائه ، فكتب يقول :

« **ان المهمة الرئيسية للتربية هى أن يتعلم الطفل كيف يسيطر على غرائزه . فمن المستحيل أن تكفل له الحرية التامة فى أن يطيع كافة نوازعه دون قيود .. اذ ان هذا يجعل حياة الوالدين لا تطاق، ويوقع بالأطفال انفسهم أبلغ الضرر .. ومن ثم فوظيفة التربية هى أن تمنع ، وتردع .. وقد ادت هذه المهمة بنجاح يدعو للاعجاب ، فى كافة الأزمان . ولكنا علمنا من التحليل النفسى انكبت الغرائز بالذات ، هو الذى يؤلف خطر المرض العصابى** Neurotic » .

رجال التربية اشفقوا من المسئولية

لم يشأ رجـال التربية أن يتحملوا أوزار العقد النفسية التى انذر بهـا « فرويد » ، فاتجهوا الى أسهل حل .. وهو اطلاق الحرية للطفل فىصغرهليرضى نزواته ونوازعه ، مع التوجيه الرفيق ، الذى يساعده ـ اذا ما كبر ـ على أن يصلح من عاداته ، ونسوا أن التوجيه الرفيق وحده لا يمكن ان يحول الطفل عن عمل سيىء ما دام يجد فيه متعـة ومسرة . فان الطفل لم يؤت العقـل الناضج الذى يجعله يتدبر ما يلقى اليه من توجيه ، ويقتنع به ، ولا العزيمـة التى تجعله يتحول عـن العمل السيىء مضحيا بما يجده من متعة ولهو ...

« عصا التاديب » انزلها الى الأرض اله

كما انهم تغافلوا ـ فى الوقت ذاته ـ عن عبارة أوردها « فرويد » فى حديثـه الذى أبدى فيه قلقه من نتائج الاتجاهات التربوية الجديدة .. اذ قال : « **فوظيفة التربية هى أن تمنع ، وتردع ...** » وقد ادت التربية هذه الوظيفة بنجاح يدعو للاعجاب ، فى كافة الأزمان .. ولو أنهم تدبروها لوجدوا أن التربية ـ قبل ان يطلع « فرويد » بنظريته فى التحليل النفسى ـ كانت تقوم على أساس«الجزاء والعقاب » .

فكان قدماء المصريين يعتقدون أن الاله « توت » ـ رب التعليم والمعرفة ـ قد انزل على الأرض « عصا التأديب » .. وكان الاغريق يؤمنون بالجزاء والعقاب فى التربية ، وكذلك كان الرومان ، حتى لقد ذهب الخطيب الرومانى كاتو Cato الى ان للأب الحق فى أن يأمر بموت ابنه اذا استعصى على الاصلاح .

ولقد قال الفيلسوف القديس«توماس الاكـوينى Thomas Aquinas » ـ فى القرن الثالث عشر ـ ان بعض الأولاد لا يرتدعون بمجرد الكلام « لذلك كان لزاما كبحهم عن الشر بالقوة والخوف » .. وقال الفيلسوف « هيجل Hegel » ، فى القرن التاسع عشر ، ان عقاب الأطفال لا يستهدف العدالة بقدر ما يستهدف صدهم عن ممارسة حرية لاتزال الطبيعة تعمل فى تكوينها ..

ولو اننا تركنا التاريخ ، ورجعنا الى الأديان ، لوجدنا الكتب السماوية حافلة بالترغيب والترهيب . تعد المستقيمين بالجنة ، وتنذر المسيئين بالنار .. وفى تربية الصغار بالذات ، أوصت معظم العقائد ـ السماوية منها وغير السماوية ـ بالعقاب والضرب كوسيلة للتأديب .

حيرة بين الردع والنتائج النفسية

وهذا كله يؤيد ما قاله « فـرويد » **من أن التربية القائمة على المنع والردع والقمـع قد نجحت فى كافـة الأزمان « نجاحا يدعو للاعجاب »** ..

فما العمل اذن؟ وكيف يمكن التوفيق

بين ذلك وبين قوله : « **ولكنا علمنا من التحليل النفسي أن هذا القمع بالذات ، هو الذي يؤلف خطر المرض العصابي** »؟!

لقد شغلت هذه المشكلة اذهان كبار المشتغلين بالتربية الذين حاولوا ان يجدوا لها حلا ، واخيرا خرج العالم النفسي الأمريكي ، الدكتور بيتر كرانفورد ، بنظرية وسط ، اقامها على التجارب والخبرة ، وما اسفرت عنه دراساته الواسعة واستفتاءاته للآباء والأمهات والمشتغلين بالتعليم وعلماء النفس .. فضلا عن انه ، ككل عالم يتبع الأسلوب العلمي، اجرى عددا من التجارب لتطبيق نظريته قبل ان يدعو لها !

وتقوم نظرية كرانفورد على اساس العقاب البدني ، ولكن في حدود معينة ، وبشرط أن يقترن بالمكافأة والتشجيع .. أي أنها جمعت بين الجزاء والعقاب معا ، في منهج دقيق مدروس .

وقد أسمى كرانفورد نظريته « **الجزاء المتكرر** » . وبناها على ان للتأديب ثلاث طرق : **مكافأة الطفل على حسن السلوك وهذه اضعف الطرق ، وعقابه على سوء سلوكه ، وهذه افضل ، ثم الجمع بين المكافأة والعقاب ، وهذه هي أحسن الطرق الثلاث .**

وهكذا رد كرانفورد التربية والتهذيب الى أصلهما القديم : الجزاء ، والعقاب .

سياسة « الجزَرة والعصا »

ويقول كرانفورد ان طريقة « **الجزاء المتكرر** » أجدى ما تكون بين سن الثانية وسن الثالثة عشرة .. فبعد هذه السن الأخيرة ، يدخل الصغير طور المراهقة ، فيتطلب الأمر تعديلات جديدة .. وفي الوقت نفسه، كلما بكر الوالدان بالتأديب، استقرت في وعي الطفل عادات سليمة ، صحيحة ، تتأصل وترسخ فتلازمه بقية عمره ..

ويصف «كرانفورد» طريقته بانها جديرة بأن تسمى « **الجزَرة والعصا** » ، فهي تشبه الطريقة التقليدية التي بها يساس البغل العنيد .. التلويح له « بالجزرة » باحدى اليدين ، والتلويح بالعصا باليد الأخرى ... ولكني افضل أن نسميها « الترغيب والترهيب » حفظا لكرامة الانسان من ان يشبَّه بالبغل .. الترغيب بالمكافأة، والارهاب بالعقاب.

ومن الحدود التي وضعها «كرانفورد» لطريقته ، **هو ان تأخير المكافأة وتأخير العقاب يذهبان بجدوى الطريقة ... لذلك يجب على أي من الوالدين ان يبادر بضرب الطفل فور ارتكابه الذنب ، ومكافأته بمجرد أن يصدر عنه تصرف حسن ، دون انتظار أو ارجاء ، لكي يستقر في ذهن الطفل اقتران المكافأة بالاحسان ، والعقاب بالاساءة .**

وأهم تلك الحدود جميعا هو ان



سياسة الجزرة والعصا : ان لم تكن هذه ، فتلك

العقاب ليس **للانتقام** ، وانما **للتوجيه والارشاد** .. ولذلك يحسن ان يكون ضربة واحدة على مقعده ، بعصا خفيفة ، او باليد،في كل مرة يخطىء فيها .. فاذا كرر الخطأ فضربة اخرى ، لا اكثر ..وان اعاد فثالثة .. وهكذا ..

وقد دلت التجربة على ان الطفل العنيد لا يلبث أن يرعوى بعد المرة الخامسة عشرة على الأكثر .. وضربه ضربة واحدة خمس عشرة مرة ، اجدى واجدى،من خمس عشرة ضربة مرة واحدة .. لانه فى الحالة الأخيرة لن يلبث ان ينسى الدرس بعد ان يزول ألم الضرب، فى حين أن الحالة الاولى تذكره ـ فى كل مرة يخطىء فيها ـ بالعقاب ، فلا يلبث ان يرعوى ..

للضرب أصول يجب أن تراعى

وهذه الضربة الواحدة لا يتركها « كرانفورد » مطلقة ، بل انه يضع لها حدودا .. اذ يجب أن يتجنب الوالد ـ أو الوالدة ـ الغضب تماما ، وهو يمارسها ، حتى لا ينقلب التأديب الى عنف وقهر .. ذلك لأن المراد أن تكون الضربة رمزا بسوء الطفل دون ان يؤذيه ، حتى يستقر فى ذهنه اقتران الألم بالعمل السيىء .. فبالنسبة لعقلية الطفل يكفى هذا الرمز لاشعاره بالألم .

ولكى تكون الضربة اوقع اثرا فى نفس الطفل ووعيه ، يجب أن يقترن بما يبين استياء الوالد ، كنظرة الاستياء . ومع التكرار الذى توصى به الطريقة ،ستقترن هذه النظرة يوما ـ فى ذهن الطفل ـ بالخطأ والعقاب .. ومن منا ـ نحن ابناء الجيل الذى تجاوز سن الاربعين ـ لا يذكر وقع نظرة الوالد فى نفسه عندما كان يخطىء فى صغره ؟

وما لم يتبع الوالد الضربة الاولى بضربة ثانية ، عندما يعود الابن للخطأ ، فان تأثير العقاب يضعف ويفقد جدواه .

وكذلك الأمر بالنسبة للجزاء او المكافأة، يجب ان يكافأ الطفل فور احسانه ، وليست المكافأة بحجمها ، بل ان قطعة من الحلوى تكفى .. فالمهم ان تتكرر بتكرار الاحسان ، ليستقر فى ذهن الصغير أن الجزاء مقترن بحسن السلوك أو التصرف .. « وقطعة من الحلوى فور الاحسان ، افضل من دراجة ذات ثلاث عجلات يوعد بها عندما يحين عيد الميلاد» . على حد تعبير « كرانفورد » .

الضرب يريح الطفل من الحيرة

ولقد اثبتت التجارب التى أجراها « كرانفورد » لتطبيق نظريته، أن العقاب البدنى اخف وطأة على الطفل ـ من حيث رواسبه النفسية ـ من العقاب الانفعالى Emotional ، كأن تؤنب الطفل بقول لاذع تتعمد ان يؤلمه ، او كأن تظل عابسا فى وجهه فترة ، او كأن تقاطعه الأم برهة لا تكلمه فيها او تبتسم له خلالها ..

كذلك هو اخف وطأة من الحيرة التى تكتنف الطفل فى محاولته التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ .. فقد خرج الدكتور « كرانفورد » من تجاربه بأن الطفل لا يحب ان يتحمل وطأة هذا التمييز فهو يشعر فى قرارة نفسه ـ وان لم يفطن الى كنه هذا الشعور ـ بطمأنينة فى أن يتولى احد والديه البت فى الأمر .. لذلك فنحن بطريقة «الجزاء المتكرر» نترك له حرية الاختيار والتجربة ، ثم نبت فى الأمر،فنريه الصواب من الخطأ.

وبهذا نكفل للطفل الوقاية النفسية طيلة عمره ، اذ نروضه على العادات اللازمة ، متوسلين بالتأديب ، فنحميه من نفسه ومن نوازعه .. تنمّى فيه عادات تعمل من تلقاء نفسها فى توجيهه فى مواقف الحياة ، دون الحاجة ـ فى المستقبل ـ الى وعيد أو ترغيب ... وبذلك يعد اعدادا صحيحا لمواجهة صعاب الحياة وأخطارها . ■■

من روائع الشعر القديم

أحسن ما قيل

في رأي عبد الملك بن مروان

■ كان عبد الملك بن مروان فى سمره مع اهل بيته ، وولده ، وخاصته ، فقال لهم : ليقل كل واحد منكم احسن ما قيل من الشعر ، وليفصل رأى تفضيله .

فانشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم : النابغة ، وقال بعضهم : الأعشى. فلما فرغوا قال : اشعر الناس والله من هؤلاء الذى يقول، وانشد هذه الأبيات (وهى لمعن بن اوس) :

وذى رَحمٍ قلَّمت أظفار ضِغنه ... بحلمى عنه وهو ليس له حِلمُ
صبرت على ماكان بينى وبينه ... ومايستوى حرب الأقارب والسِّلمُ
ويشتم عرضى في مغيبي جاهدا ... وليس له عندى هوانٌ ولا شتم
إذا سُمتُهُ وصل القرابة سامني ... قطيعتها تلك السفاهةُ والإثم
ويسعى إذا أبنى لهدم مصالحى ... وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم
يود لو انى معدِم ذو خَصاصة ... وأكره جهدى أن يخالطه العُدمْ
ويعتدُّ غنما في الحوادث نكبتى ... وما إنْ له فيها سناءٌ ولاغُنم
فما زلت في لينى له وتعطفى ... عليه كما تحنو على الولد ... الأم
وخَفْضى له منى الجناح تألُّفا ... لتُدنيَه منى القرابةُ والرحم
وصبرى على أشياء منه تُريبنى ... وكظمى على غيظى وقد ينفع الكظم
لأستلَّ منه الضِّغن حتى سللتهُ ... وقد كان ذا ضغن يصوبه الحزم
رأيت انثلاما بيننا فرقعته ... برفقى أحيانا وقد يُرقَع الثلم
وأبرأت غل الصدر منه توسعا ... بحلمى كما يُشفَى بالادوية الكَلْم
فأطفأت نار الحرب بينى وبينه ... فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

■■



نحن ، دافعى الضرائب ، نعترض !

عن جريدة « الصندى اكسبريس » :

● غادر لندن الى هنكونج ، عضو من اعضاء مجلس ادارة شركة الطيران البريطانية عبر البحار، وبرفقته زوجته،فى زيارة ترفيهية .

ولعلك تتساءل : وما الغريب فى مثل هذا الخبر ؟

نعم ! لا غرابة فى ان يسافر رجل وامراته لقضاء الشتاء فى هنكونج ،ولكن الغرابة هى ان ثمن التذكرتين فى الدرجة الأولى انما دفعه انا وانت ، وكل دافع ضرائب فى هذا البلد .

ان شركة الطيران البريطانية عبر البحار مدينة للخزينة العامة بمبلغ ٨٠ مليون جنيه ، وهو مبلغ اقتطعناه جميعا من حاجاتنا وحاجات عائلاتنا ، ولكن الشركة تتصرف بعد كل هذا تصرف الموسر المدل بثرائه ، فتجعل لكل عضو من اعضاء ادارتها الحق فى أن يسافر مجانا على خطوط الشركة كما يشاء والى اى مكان يشاء ، كما تجعل له الحق فى ان يصطحب معه زوجته أو اى انسان على حساب الشركة ايضا .

والعجيب بعد كل هذا أن يصرح مدير الشركة مؤخرا بانه سيطلب من الحكومة اعفاء الشركة من هذا الدين . ونحن بدورنا نقول للمدير : « اننا نحن دافعى الضرائب ، سنقف فى وجه طلبه هذا . والواجب عليه أن يضع حدا لهذه الحماقات قبل أن يتقدم بمثل هذا الطلب » .

السجن اصلاح

عن جريدة « الصندى تلغراف » :

● من المبهج ان نقرا فى التقارير الرسمية ان نسبة من حكم عليهم بالسجن فى عام ١٩٦٣ اقل ٧٪ عن العام الذى سبقه . ومن المبهج ايضا ان نقرا فى هذه التقارير نفسها ان نسبة المحكوم عليهم بالسجن او بغرامات آخذة فى الهبوط عاما بعد عام ، خلال العشر السنوات الماضية .

ونحن هنا لا نريد ان نذهب بعيدا لنستقصى اسباب هذا الانخفاض ، ولكن مع هذا نحب ان نشير الى ان ما يلقاه السجين من توجيه واصلاح وهو فى السجن ، كان له تأثير كبير فى تهذيب نفسه ، وجعله مواطنا صالحا .

وتقول التقارير الرسمية ان كل سجين يكلف الدولة ..٥ جنيه سنويا، وليس هذا بالكثير، اذا كانت النتائج هى ما نرى .

خطوة نباركها

عن « ملووكى جيرنال » :

● ٥٠ بليونا من الدولارات ، هذا هو معدل ميزانية التسلح السنوية فى بلادنا ، الولايات المتحدة ، وهى ميزانية يقرها الكونجرس دون أن يتوقف لحظة . ولكن يبدو ان هذه الميزانية ستنخفض انخفاضا ملحوظا فى السنوات القادمة ، فقد عيّن الكونجرس لجنة للبحث فى وسائل الحد من التجارب النووية دون أن يعرض هذا الحد البلاد الى الخطر ، كما تبحث اللجنة فى الطريقة التى يمكن ان تتطور فيها الصناعة فى بلادنا بحيث تصبح صناعة مناسبة لبلاد تنتظر أن يعم السلم العالم دون أن يؤثر هذا فى الكيان الاجتماعى ، ويهدد بانتشار البطالة .

لقد كانت الصناعة فى بلادنا منذ ٢٥ سنة ، حتى الآن ، صناعة قائمة على أساس أن الحرب منتظرة فى اية لحظة ، ولهذا كان جزء من هذه الصناعة موجها الى الانتاج الحربى ، وتحسين ادوات الحرب .

اننا نحيي الكونجرس على هذه الخطوة الطيبة ، التى تفتح للبشرية بابا ، نامل أن تفضى الى السلم الذى طالما ظنناه امرا مستحيلا .

هدف الجامعة

عن جريدة الأوبزرفر :

● يشتد الجدل بين المسؤولين والمختصين فى هذه الأيام حول دور الجامعات فى بلادنا : هل دورها تخريج صفوة قليلة من المثقفين ثقافة عالية كما هى الآن ؟ ام أنها يجب أن تتطور ، وتتسع وتفتح ابوابها لعدد كبير من الراغبين فى الدراسة الجامعية بحيث يصبح هدفها خلق مجتمع مثقف ؟.

وانصار الرأى الأول يرون أن الكثرة فى الخريجين تعنى التدنى فى المستوى . كما أن كثرة الطلبة ستؤدى الى ارهاق الأساتذة ، وصرفهم عن البحث ، الذى هو رسالة الجامعة الأولى .

وفى رأينا أن اساتذة الجامعات الذين يدرّسون نحو سبع ساعات فى الأسبوع ، الذى ساعات العمل فيه ٤١ ساعة ، يستطيعون أن يتحملوا تدريس ثلاث أو أربع ساعات زيادة فى الأسبوع دون أن تضر هذه الزيادة بأبحاثهم .

وهناك حقيقة يتجاهلها انصار الرأى الأول ، هى أن بعض رجال الجامعة متميزون فى البحث دون أن يكونوا متميزين فى التدريس ، والعكس أيضا صحيح .

والسؤال الآن هو : لماذا لا نجعل فئة من رجال الجامعة همها الأول البحث العلمى ، وفئة اخرى شبه متفرغة للتدريس ؟!

ارهارد وتوحيد المانيا

من جريدة « الأبزرفر » :

● لقد اثبت المستشار ارهارد ، ووزير خارجيته الدكتور شرويدر ، انهما أبعد نظرا من الرئيس السابق الدكتور اديناور ، فهما يحاولان ان يقيما علاقات طيبة مع الغرب والشرق . كما ان ارهارد أبدى استعدادا للتفاهم مع المانيا الشرقية على جدار برلين ، وأيّد مفاوضات التقارب القائمة بين امريكا وانجلترة من جهة ، وروسيا من جهة اخرى .

ولكن هنالك امر لا يبرح ذهن ارهارد ، وهو توحيد المانيا . فقد ظهر جليا أن تحقيق هذه الوحدة هو ما يسيطر على تفكير ارهارد منذ ان تسلم زمام الحكم . ونحن نخشى أن يعرقل موقف ارهارد هذا الاتفاق مع روسيا فى مجالات اخرى . ورأينا أن تساهل ارهارد فى مسألة توحيد المانيا الآن ، سيؤدى الى الاتفاق على امور كثيرة معلقة ، وهذه الاتفاقيات ستكون خطوات الى الأمام تقرب يوم عودة الأمور الى طبيعتها فى المانيا الموحدة .

بعد ٣٦ عاما "تصبح الذرة مصدرا" لجميع القوى

الى أسفل : وزراء خارجية امريكا وبريطانيا وروسيا يوقعون وثيقة الحد من التجارب النووية . وذلك فى ذكرى اسقاط أول قنبلة ذرية على هيروشيما ٥ اغسطس ١٩٤٥ .



الطب والعلم

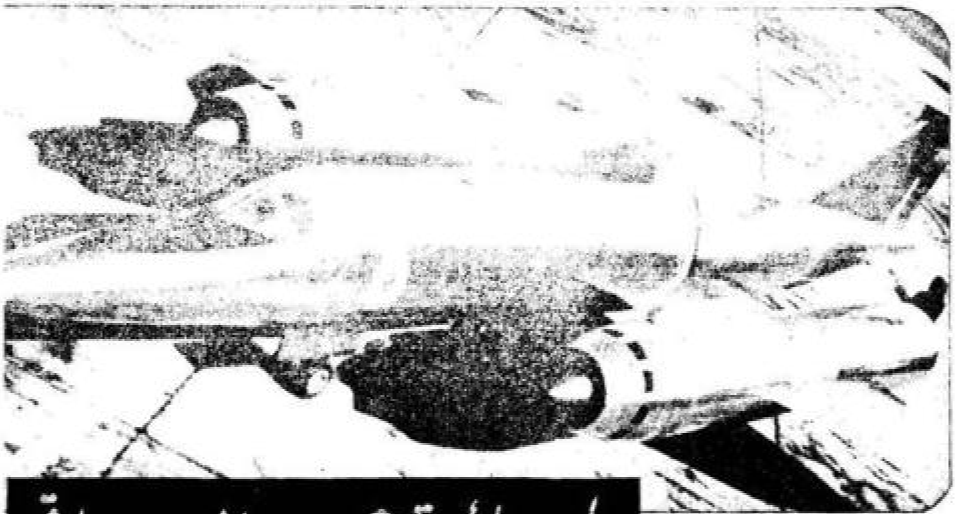
فى عام ١٩٦٣

■ ان الأحداث اللامعة التى وقعت فى عام ١٩٦٣ كثيرة ، لان هذا العام الذى انطوى لم يقصّر عن سـائر الأعوام فى محصول حصّله من العلم ، على ايدى الباحثين فى سائر الأمم . وقد ذكرنا الكثير من ذلك فى بحر هذا العام المترحّل .

التجارب الذرية

من تلك الأحداث حدث يتصل مباشرة بحيـاة الكثير الأكثر من الناس ، نعنى به الاتفاق الذى وقعته الولايات المتحدة،ووقعه الاتحادالسوفييتى، ووقعه معهما اكثر من مائة امة ، بوقف التجارب الذرية الا ما كان منها فى بطن الأرض الصلبة . وهو حدث لا يدرك قيمته كاملة الا العارفون ، والعارفون بما سبقه من جهود كثيرة . جهـود بعضها الدبلوماسى ، وبعضها النفسانى ، وبعضها العلمى . وهى جهود كان لا بد منها للوصول الى هذه النتيجة بحسبانها فتح باب الى ابواب تفتح من بعدها . ولقد أحدث هذا الحدث الدبلوماسى النفسانى العلمى فى الأمم ارتياحا كبيرا حدا بهم جميعا أن يقفوا عند ما وراء هذا البابمن ابواب، يطرقونها ، ويطرقونها فى غير فتور . والروس والأمريكان يطالبون جميعا ، وباخلاص ،بالذهاب الى ما وراء هذهالخطوة من خطوات.وفى هذا خير للعالم كثير ، وللعلم خاصة ،فنفقات تنفقفى سبيل

القمر كان يدور حول الشمس ثم استولت عليه الأرض !



طائرة جديدة تفوق سرعتها سرعة الشمس

بريستول ١٨٨ وهى الطائرة البريطانية التى اطاروها بقصد التجربة، ففاقت سرعتها ضعفى سرعة الصوت .

التهلكة ، سوف يتحول الكثير منها الى البحث العلمى النافع الناس فى شتى مرافق الحياة .

وبحوث الفضاء

وبحوث الفضاء ، المتصلة بالسلم ، جرى فيها الشيء الكثير . فالولايات المتحدة أتمت مشروع مركرى Mercury ، وذلك بان لف رائد الفضاء الأمريكى كوبر Cooper بمركبته حول الأرض ٢٢ مرة ، فى نفس الوقت تقريبا الذى صنع فيه الروس مثل ذلك ، بان اتم رائد فضائهم الذكر ، الكولونيل بيكوفسكى ، دورانه فى مركبة الفضاء (فستك الرابعة) ٨١ مرة حول الارض ، بينما أتمت رائدة فضائهم الانثى ، فالنتينا تيرشكوفا الدوران حول الارض ٤٨ مرة ، ونزل الاثنان الى الأرض سويا. (انظر الصور على الصفحة التالية).

وقامت هذه التجارب الفضائية بنصيبها فى ربط العواطف الانسانية ، فما لبثت فالنتينا ، رائدة الفضاء ، أن تزوجت برائد سابق ، هو اندريان نيكولاييف . وتقول الشائعة انهما سيكونان أول زوجين يصعدان معا الى الفضاء فى مركبة واحدة.

وكما فى الفضاء فكذلك فى الهواء

ومن الأحداث اللامعة الهامة التى تتصل بعيش الانسان من قريب ، ما جرى ويجرى فى عالم الهواء ، فى الطيران ، من طائرات ركاب أو طائرات بضائع .

فقد تم الاتفاق فى هذا العام ، بين عدة جوانب، على التقدم بالطائرات خطوة كبيرة ، مؤداها أن تبلغ هذه الطائرات من حيث السرعة مثلين من سرعة الصوت ، أى نحو ١٥٠٠ ميل فى الساعة أو تزيد . واذا علمنا أن الشمس ، عند خط الاستواء ، تدور حول الارض بسرعة ١٠٠٠ ميل فى الساعة ، ادركنا مقدار هذه السرعة المأمولة . انها تفوق سرعة الشمس فى دورانها حول الأرض .

● من سوف يصل الى « عباءة الأرض » أولا ؟ ـ ● الحصبة

ومعنى هذا ان الطائرة تسابق الشمس فتسبقها فى الاقطار التى تمر بها وهى ذاهبة غربا .

وضربوا لظهور هذه الطائرات فى الجو موعدا ، هو عام ١٩٧٠ .

وفى الاذاعة والتلفزة

ان هذه الطائرات ستقرب لا شك المسافات بين سكان الارض . فالمسافة بين نيويورك مثلا ولندن ٣٤٦٠ ميلا ، وبينها وبين باريس ٣٦٢٠ ميلا ، وبينها وبين القاهرة نحو ٥٠٠٠ ميل ، فالطائرات المرجوة سوف تقطع تلك المسافات فيما بين ساعتين الى ٣ ساعات تقريبا ، لا سيما والمطلوب لهذه الطائرات ، لا سرعة ضعف سرعة الصوت ، ولكن مثلين ونصفا وحتى ثلاثة امثال من سرعة الصوت .

وزاد ويزيد فى تقريب الناس، بعضهم من بعض، حتى كانهم يعيشون فى صعيد واحد ، ما جرى فى الاذاعة والتلفزة عن طريق القمر الصناعى « تلستار » Telstar وسنكوم Syncom واضرابهما. فقد ربطا الأرض، وسيربطانها بالاذاعة والتلفزة معا .

وكل هذا نشرناه فى « العربى » فى حينه .

وفى الذرة

وخطا العلم فى شئون الذرة خطوات طويلة كثيرة .

ففى الجانب العملى ، الحاضر النفع ، منها ، خطا العلم خطوات جبارة فى انتاج الطاقة الكهربائية من الذرة حتى قيل انه لن ياتى ختام هذا القرن، وياتى عام ٢٠٠٠ ميلادى ، حتى تصبح الذرة مصدر القوى جميعها التى تكون عند ذاك فى الولايات المتحدة . وكالولايات ، روسيا وبريطانيا وسائر الامم المتقدمة .

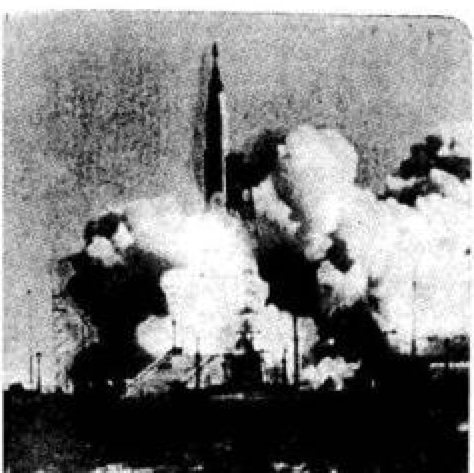
وختام هذا القرن لم يبق على بلوغه غير ٣٦ عاما .

واستخدام الذرة السلمى فى الزرع والعلاج

وفى الجانب النظرى البحت من الذرة ، من حيث الاجزاء الصغيرة الغاية فى الصغر التى تتالف منها نواتها ، هذا الجانب يعتمد على اجهزة جبارة تقوم بتحطيم هذه النواة . وهذه الأجهزة تسمى بالمعجِّلات ، لانها تزيد فى سرعة اجزاء نووية لتصل بها الى سرعات هائلة ، تتخذ قذائف تصيب نواة الذرة فتحطمها..ومن الحطام الناتج يستنتج العلماء الشيء الكثير . الشيء الذى قد يخرج منه فوق ما خرج الى اليوم من الذرة من منافع .

وقد وُضعت فى هذا العام خُطط لمعجِّلات اسرعَ من المعجِّلات العارمة الموجودة . خطط لصنع معجلات اكبر عرامة . وقد خصصوا لبناء واحدة منها ١٢ الف مليون ريال .

وهذا جانب من جوانب الذرة الأخفى عن



الصاروخ الجبار اطلس ، يرتفع الى الفضاء بالبحار الفضائى الأمريكى « كوبر » ، ليدور بمركبته بعد ذلك مرات عديدة حول الأرض وذلك فى مايو ١٩٦٣ .

والملاريا .. هـل قضى عليهما ؟!

الجمهور ، على اطلاقه ، لانه موغل فى شئون الذرة ايغالا كبيرا . ولكنه من الجوانب التى قد تحـدث آخر الأمر دويا فوق ما احدثت القنبلة الذرية الأولى .

وكما فى أعماق الفضاء فكذلك فى أعماق الأرض

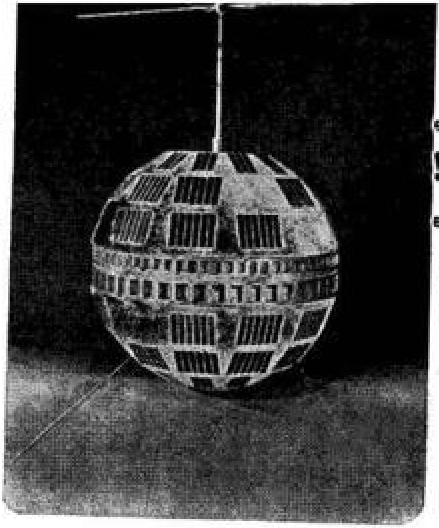
كذلك تقدمت بحوث خرق الأرض .. خرق قشرتها لينكشف ما تحت هذه القشرة .

ان بحوث السماء تقدمت كثيرا ، وتاخـرت الارض، وهى الاقرب الينا ، ولعلها الانفع . فكان لا بد من اجراء مقابلة تحفظ للعلم توازنه .

ان النظريات التى تحكى عما فى باطن ارضنا هذه ، التى نعيش فوقها ، كثيرة ، ولكنها نظريات غير مستقرة . وهى متضاربة . ويؤكد الصحيح



سيدة الفضاء فالنتينا تيرشكوفا، ورجل الفضـــاء اندريا نيوقولايف ، فى لحظة قرانهما وذلك بعد نجاحهما الباهر الذى كان فى الفضاء .



التلستار ، ذلك القمر الصناعى الذى اطلقوه ، فدار حول الأرض ، واتخـذوا منه محطة اذاعية يرسلون اليها الاذاعة من الولايات المتحدة فترتد أصداؤها عبر القمر الى باريس .

منها ، ويذهب بزيف الزائف ، نظرة يلقيها العلماء على صنوف الصخور التى يستخرجهـا الثاقبون للارض ، طبقة من بعد طبقة ، الى عمق خمسة اميال ، او ستة فى قاع البحر ، حتى يصلوا الى الطبقة التى تأتى بعد القشرة ، تلك التى اسموها « عباءة الأرض » .

ويقوم الأمريكان بخرق الأرض فى قاع المحيطات.

ويقوم الروس بخرق الارض بادئين فى ارض القارات ، فثقبهم لا شك سيكون اعمق لينالوا به « عباءة الأرض » .

وفى الطب : بديل للمُرْفين

وكذا فى الطب جرت ابحاث وجرت احـداث كثيرة ، ليس من اقلها ايجاد بديل للمُرْفين . ان المُرْفين عقار من انفع العقاقير . يعرف ذلك كلُّ من اجريت له جراحة فى جسمه ، اعقبتها الام ، لم يذهب بها ويسكنها غير حقنة المرفين . وفى غير الجراحة فائدة المرفين لا تنكر ، فالام الانسان اسبابها عديدة ، وظروفها مختلفة ، ولعل اسوا شىء فى الحياة آلامها .

ولكن المرفين اذا اضطروا لاستعماله استقرت له فى الجسم حاجة فيصبح الجسم يطلبه .

الطب والعلم عام ١٩٦٣

● الانسان عاش على الارض منذ مليون سنة ـ ● انفجـار فى مجرة

ويصبح المرفين بذلك عادة لا يمكن لمتعاطيهـا قطعها ، ويصبح ادمانا ، ويصبح الخير شرا .

ومن اخبار هذا العام المنصرم انهم اوجدوا للمرفين عقـارا بديـلا ، سموه بنتازوسـين Pentazocine يذهب بالالم ، ولكنه لا يولد فى متعاطيه عادة تعاطيه .

وفى الطب : لقاح للحصبة

ومن نتائج هذا العام الطبية لقاح يقى من الحصبة .

ان الحصبة مرض لا يكاد طفل ان ينجو منه ، لشدة عدواه . والصعوبة فيه التمريض . ومن الصعوبة فصْلُ الطفـل عن اخوته واخواته ، وكثيرا ما عرفنا الامهات ، اذا اصاب احدا من اولادها الحصبة ، جمعتهم جميعا لينالوا نصيبهم منها دفعـة واحدة ، حتى يكون التمريض مـرة واحدة ، للجميع .

فاول من يشكر للباحثين هذا اللقاح الواقي هم الأمهات ، وسيزيد شكرهن عندما يمضى الزمان فى تأكيد ان اللقاح واق حقا ، ومضطرد الوقاية على السنين .

وفى الطب : القضاء على الملاريا

وفى هذا العام اعلنت السلطات الصحية القضاء على الملاريا فى اوروبا كلها ، وهذا غنم للبشرية كبير . ولا تزال هذه السلطات العالمية تجاهد فى تخليص سائر الارض منها ، وهى وشيكة الوصول الى غاياتها ، ما اضطرد الوعي فى الامم التى اسميناها بالنامية .

وفى الطب : استبدال اعضاء مريضة فى الاحياء باعضاء سليمة من الموتى

وكان انجح هذه الاستبدالات استبدال الكلية الفاسدة بكلية غير فاسدة من شخص وافاه اجله . وقد خطا الطب فى هذا السبيل خطوات ناجحة تبشر بخطوات بعدها اكثر نجاحا . والأسباب التى تتصل بالحصانة ، تلك التى من اجلهـا يرفض الجسم قبول عضو غريب صحيح بدل عضو مريض فيه ، استبانوا الكثير منها .

والتخلف العقلى فى الناس بحثوه

وهال البحاث ان يكون التخلف العقلي فى الناس اكثر شيوعا مما حسبوا . وبحثوا فى اسبابه ، وردوا الكثير منه الى نقص يصيب المولود عنـد الولادة ، والى غير ذلك من الأسباب . وادرك العلماء خطورة هذه البحوث ، لا من الوجهة الانسانية فحسب ، ولكن كذلك من الوجهـة الانتاجية والاقتصادية ، فصاحب العقل المتخلف عالة على اهله وعلى بلده وعلى الناس جميعا . وكان من اول الامم التى ادركت هذه الخطورة الولايات المتحدة ، فقد رصدت لبرنامج يمتـد ٤ سنوات مبلغ ٣٢٩ مليون دولار تنفق فى اقامة مراكز للصحة العقلية تقام فى ارجاء الولايات



الديناصور وهو اسم لعدة صنوف من الزواحف القديمة، التى سكنت الارض يوما ما ثم انقرضت .

بالسماء وقع منذ ١ ١/٢ مليون سنة

للبحث والعلاج معا . والمهم فى هذا ان التخلف العقلي اعترف به مرضا كسائر الأمراض ، تتفق الدول على بحوثه وعلى علاجه .

وبالاحصاء والفحص وجد العلماء ان الاطفال الذين ينشاون فى بيوت ليس فيها كتب ، ولا موسيقى ، ولا سائر الوسائل الثقافية المعروفة ، هؤلاء الاطفال ينشاون متخلفين عقليا ولو لم يصبهم عند الولادة سوء .

وفى العلم القديم للانسان ...

واكتشف العلماء ، بطريقة التاريخ ، بواسطة عنصرى البوتسيوم والارجون ، ان الاباء الذين منهم انحدر الانسان الحاضر ، عاشوا فوق هذه الارض منذ نحو مليونين من السنوات . والمعروف فى علم الجيولوجيا ان الانسان كان على هذه الارض منذ مليون عام .

وبالتاريخ بطريقة الفحم ، وتطبيقها على ما خلف الانسان من فحومات وهو يمارس العيش ، اكتشف العلماء ان الانسان وجد فى امريكا منذ ٣٢٠٠٠ سنة ، اى منذ مدة هى ضعف الزمن الذى كان يعتقده العلماء فى هذا الامر قبل ذلك .

ومن بقايا هائلة من عظام لحيوانات شتى ، من تلك التى نألف ، وتلك التى لا نعرف ، فهى منقرضة ، اكتشفت فى افريقيا ، استنتج العلماء ان افريقيا كانت مهد الحيوانات الوحشية الاولى، لا آسيا ، ولا اوروبا .

وفى محجر من محاجر مقاطعة دورست بانجلترا اكتشف العلماء آثار اقدام ، فحصوها فعلموا انها اقدام الحيوان المنقرض ديناصور Dinasaur وقد عاش على الارض منذ ١٤٠ مليون عام .

وفى علم الفلك : انفجار وقع منذ ٥ر١ مليون عام

واكتشف العلماء اكبر انفجار عرف فى الدنيا ، ذلك الذى وقع فى المجرة المعروفة بالحرف والرقم (M - 82) ، وهى مجرة تبعد عن مجرتنا بمقدار



مَجرّات السماء ملايين ، وبكل مجرة ملايين النجوم ، ومن مثل هذه مجرتنا : « درب التبّانة » ، واقرب مجـرة الى مجرتنا ، مجرة اندروميدا تلك التى وقع فيها الانفجار العتيق منذ ١ ١/٢ مليون عام، ولم يبلغنا خبره الا هذه الايام .

ستين مليون مليون ميل ، وهى تتألف من ملايين النجوم .

ووقع هذا الانفجار فى هذه المجرة منذ ٥ر١ مليون من السنين ، ولكن لم يصلنا خبره الا هذه الايام ، اكتشفته تلسكوبات مراصد امريكا ، او بالتعيين تلسكوب مرصد جبل بوليمار ، بكلفورنيا ومرآته قطرها ٢٠٠ بوصة . وهو استغرق هـذا المليون والنصف من السنين ليصلنا خبره، فالضوء يحتاج لهذا الزمن للوصول من هذه المجرة الى الارض .

وليس معنى هذا ان كل نجوم هذه المجـرة انفجرت، فنجومها متباعدة بعضها عن بعض ،كتباعد نجوم لمجرتنا تلك التى نراها منتشرة من فـوق هذه الارض .

والطريف ان العلماء ينسبون ما يصل الارض من الاشعة الكونية ، الى انفجار فى النجوم ،

● ٣٢٩ مليـــون دولار لمكـــافحة التخلف العقـــلي في امريـــكا

وانفجار فى هذه المجرة خاصة . فالذى يخرج منها من مادة (هى نوَيات ذرات) يبلغ مقداره نحو ٥ ملايين شمس من شمسنا هذه ، وهى تندفع الينا اشعة ، بسرعة ٢٠ مليون ميل فى الساعة ؟

وفى علم الفلك : اول كوكب يكتشف خارج المجموعة الشمسية

نعم . اكتشفوه خارج اسرة شمسنا هذه ، واسموه Bernard Star B وهو جسم مظلم،اكبر من المشترى ، كوكب شمسنا المعروف، مرة ونصف مرة .

واكتشاف هذا الكوكب يثبت أن للنجوم (الشموس) كواكب كالتى لشمسنا . واذن فلم لا تكون فيها حياة كحياتنا او اشباه لها ؟

وفى علم الفلك : قارات الأرض أصلها من القمر

هذه نظرية جديدة تمخض عنها عام ١٩٦٣ : أن القمر لم يكن يدور فى فلك الارض ، وانما كان يدور فى فلك الشمس ، فهو كان كوكبا لها . ثم اقترب من الارض فجذبته واغتصبته من الشمس فدار حولها ، وصار قمرها . ثم هو ثقل بما حمل ، فتساقطت اجزاؤه الظاهرة على الارض ، بفعل الجاذبية ، فكانت القارات التى نعيش عليها . ومن هنا جاء بعض الاهتمام بثقب خروق فى الارض ، وكذلك الاهتمام بالوصول الى القمر ، ومقارنة مادة هذه بمادة ذاك ، لمعرفة هل هى واحدة حقا ؟ !

وفى علم الفلك : بعد جديد للمجرة ((اندروميدا))

انها اقرب المجرات الى مجرتنا ، وبها الملايين من النجوم كما بمجرتنا.وقد قدروا بعدها عنا من جديد فكان ٢ر٢ مليون سنة ضوئية . والضوء يسير بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية ، فهو يسير فى العام (السنة الضوئية)٦ مليون مليون‌ميل.واذن فهذه المجرة تبعد عنا بمقدار ٦ مليون مليون ميل مضروبة فى ٢ر٢ مليون سنة . أى تبعد عنا بمقدار ١٣ر٢ مليون مليون مليون ميل .

وفى علم الفلك : مجرتنا عمرها يمتد الى ١٥ الف مليون عام

هذه طريقة جديدة تعتمد على التأريخ بالنشاط الاشعاعي للذرات ، والذرة هنا هى ذرة العنصر رينويوم Rhenium . وقد استخدموه لتأريخ مجرتنا فوقع عمرها ما بين ١٠ الى ١٥ الف مليون عام .

وفى علم الفلك : أول بقع الشمس

وفى هذا العام ظهرت اول بقع الشمس ، تؤذن بقرب ابتداء الشمس فى نشاطها الموعود الذى يتزايد حتى يبلغ غايته ، ثم يتناقص حتى يبلغ بالشمس اهدأ حال ، وذلك فى دورة تمتد نحوا من ١١ عاما .

وستزداد هذه البقع على السنين ، وستزداد عواصف الشمس فتبلغ مداها ما بين عام ١٩٦٧ وعام ١٩٦٩ .

وفى سائر العلوم

وفى علم الوراثة اكتشفوا الكثير ، وكادوا ان يصلوا الى سر من اسرارها العميقة .

وفى الكيمياء ، وفى الفيزياء ، وفى الهندسة والتكنية . وفى غير ذلك كشف العلماء الكثير ، مئات ، مئات ، كلها آثار لوامع .

ويضيق المقام عن تناول كل هذا ، وكثير مما تركنا يتطلب ايغالا فى العلم تتعثر خطاه على هذه الصفحات .

■■

أ. ز

المرأة التونسية



قيدت الطلاق .. وتخلصت من تعدد الزوجات

وتخطت بشجاعة ما اعترض طريقها من عقبات

■ تعدد الزوجات .. الغوه !

الطلاق .. قيدوه ، وجعلوه بيد القاضى !

بيت الطاعة .. فقد الطاعة !

الاطفال المشردون .. خلت منهم الطرقات !

النصف الحلو المشلول .. تحرر واصبح عضوا فعالا متحركا ، يساهم فى بناء تونس الحديثة !

مكاسب كبار حققتها المراة التونسية فى وثبتها الحاضرة ، تلك التي لم تتجاوز الثامنة من الاعوام .

ان ما كان دائما يخيف من تحرر المراة هو مبالغة المراة وتطرفها فيما تاخذ به من تحرر .. ولكن المراة التونسية ،استطاعت تحطيم العوائق التي تحول

دون تطورهـا ، وفى نفس الوقت كانت بمنأى عن الانتقادات المعروفة ، لانتهاجها سبيلا وسطا فى ثورتها الهادئة ، فهى لم تسىء استعمال حريتها ، وتطلعت الـى تجارب نساء العالم ونهضتهن ، فأخذت منهـا ما رأته مناسبا لها ، ومزجتـه بالجميل من عاداتها وتقاليدها ، فجاءت وثبتها الحالية الرائعة ، تلك التي باركها الرجل التونسى قبل ان تباركها المرأة .

يوم فاصل

ان ١٣ أغسطس ١٩٥٦ هو اليـوم الفاصل فى تاريخ المرأة التونسيةالحديثة .. ففيه انتقلت الى مرحلة جديدة من حياتهـا ، اذ منحهـا قانون الاحوال الشخصية جميع حقوقها الانسانيـة فأصبح لهـا حق الانتخاب ، وحـق الاشتراك فى المجالس النيابية ، وحرّم تعدد الزوجات ، وقيد الطلاق ..

الزوجة الاولى تطلق الزوجة الثانية !

كانت المرأة فى تونس تعيش فى ظل فتوى جريئـة صدرت فى القرن الثاني عشر الهجرى عن علماء القيروان . كانت هذه الفتوى تقول :

عند تحرير عقد الزواج يجوز اضافـة شرط يتنازل بمقتضاه الزوج عن حقه فى عصمة زوجته الثانيـة لزوجته الأولى ، فيجعل لهـا « حق تحريمها » ، اى ان الزوجة الثانية تكون تحت رحمة تصريح بسيط تتفوه به الزوجـة الاولى فتنفصل عرى الزوجية بينالزوج والزوجة الثانية، ويعبر عن هـذا الشرط فى الاصـطلاح بلفظة : « الجعـل التحريمى » .. ويكتب نص الفقرة ، التي تضاف لعقد الزواج ، هكذا :

« وبعد انعقـاد الزواج وانبرامه طاع الزوج لزوجته بان جعل امر الثانية بيدها تطلقها متى شاءت وكيف شاءت » .

وهذا النص كان يكتب فى صيغة عقد الزوجة الأولى ، فيصير حقا من حقوقها



كانت المرأة التونسية ، قبل الاستقلال ، تشارك والمقاومـة الايجابية وجمع المال واعداد الطعـام تكوين جيشها الوطنى،تقدمت المرأة التونسية وتبرعت لبرعت بخاتم خطبتها ، حتى أصبحت جميع سيدات وامهات ! وهـذه الصورة التقطت لبعض السيدات

.. وكان يكفى لممارسة هذا الحق ، أن تذهب الزوجة الأولى للمأمور وتقول له :

« انى بموجب ما لى من حق بموجب قسيمة الزواج طلقت الزوجة الثانية لزوجي » ـ !!! ـ

ان هذه الفتوى قد وقفت مانعا دون تعدد الزوجات بعض الشىء ، وخاصة فى القيروان ، ولكن لم يكن معمولا بها كثيرا ، لأنها تجيز ولا تفرض ، ولرغبة الرجال عنها ..

ولكن قانون الأحـوال الشخصية الجديد حسم الأمر ، فجاء مانعا الزواج بأكثر من واحدة ، فى لفظ صريح واضح .

الغاء « انتِ طالق »

اما عن الطلاق فقد جعله فى يد الزوج والزوجة على حد سواء ، ولكن لا يمكنهما



فى الحركة القومية العامة بالمظاهرات والاحتجاجات للمجاهدين .. وعندما تحقق الاستقلال وارادت البلاد بمجوهراتها وحليها .. ومن لم تكن تملك مجوهرات تونس ، تقريبا ، بدون « دبلة » رغم انهن متزوجات يقدمن مجوهراتهن لرفع شأن الجيش ..

التصرف فى هذا الحق الا بعد موافقة القاضي ..

وهكذا لم تعد كلمة : « انت طالق » هى التى تقضى فى مصير الأسرة !

فرع فى كل ولاية

من هذه النقطة بدات انطلاقة المرأة التونسية فأسست الاتحاد النسائى القومى لرفع مستوى المرأة التونسية فى المدن والجبال والقرى ، والدفاع عن حقوقها .

وبدأ الاتحاد اجتماعه الاول بخمسة وعشرين عضوا .. وهو يضم اليوم ٦٠ الف سيدة !! يعملن فى ١٣ فرعا .. فقد أصبح للاتحاد فرع فى كل ولاية من تونس!

رئيسة الاتحاد تتحدث ..

ومن هذا الاتحاد خرجت عشرات الأفكار وانشئت عشرات المشاريع ..

ورئيسة هذا الاتحاد هى السيدة « راضية حداد » انها كتلة من النشاط صريحة جريئة .. لا تدارى او تجامل ، بل تسمي الأشياء بأسمائها بصراحة زائدة .. تصغى الى السؤال .. ولا تنتظر نهايته بل تقاطع كلماته بعبارات سريعة واعية .

قلنا : يقولون ان التونسية المودرن ..

قالت مقاطعة : معذرة .. فالمرأة فى تونس هى نفس المرأة فى الشمال والجنوب والشرق والغرب تعمل لرفع شأنها وشأن بلادها .. اما « المرأة المودرن » التى تستيقظ ظهرا بعد سهرات حمراء والجلوس فى الصالونات للدردشة وشرب السجاير ولعب الورق لقتل الملل فهذه لم يعد لها وجود فى بلادنا .. لقد ثرنا على هذه التقاليد وقضينا عليها ..

قلنا : اذن هل يمكننا معرفة نشاط المرأة الحالي ؟

قالت : عليكم أن تتجولوا لتروا بأنفسكم مدى العمل الذى تقوم به وتحكموا .. واقترح عليكم زيارة « الملبس القومى » بالذات ..

قلنا : ما رأيك فى الغاء تعدد الزوجات وتقييد الطلاق ؟ ..

قالت : ما دامت العائلة منحلة ، فلا تقدم يرجى لأى بلد .. ولا يختلف اثنان فى أن تعدد الزوجات فيه انهيار لجميع القيم الاجتماعية .. لقد كانت شوارعنا ملأى بالأيتام المشردين .. والمنازل تعشش فيها المآسى التى تنجم عن الزواج بالجملة والطلاق الخاضع للأمزجة .

وانا لا اظن ابدا أن الدين الاسلامى يهدف الى خراب البيوت بل العكس هو الصحيح فقد قيد الله تعدد الزوجات بقيود ثقال وضرب حوله نطاقا محكما اذ قال : « **فان خفتم الا تعدلوا فواحدة** »

وقال : **« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم »** .

اما الطلاق فيكفى أن الرسول قال : انه ما خلق الله شيئا ابغض اليه من الطلاق !

ان هدفنا بسيط واضح : اننا نريد سعادة الأسرة لنستطيع أن نبنى هذا الوطن على خير الأسس.. لقد كنت أقدر تعداد سكان تونس بمليونين ، أما اليوم فقد انضم اليهما مليونان جديدان يمثلان مجموع نساء تونس اللواتى كن يعشن على هامش الحياة . ويمكننا ان نقول الآن بكل فخر ان عدد سكان تونس هو اربعة ملايين نسمة يعملون جميعا دون فرق بين امراة ورجل ..

قلنا : ما هى المجالات التى دخلتها المراة التونسية ؟



السيدة راضية حداد : سيدة بيت ، وأم لاربعة أولاد .. ورئيسة للاتحاد القومى النسائى التونسى الذى يضم اكثر من ١٠٠ الف عضوة !

قالت : لقد دخلت المراة جميع مجالات الحياة تقريبا .. فهى عضوة عاملة مع مجلس الأمة (السيدة راضية هى أول نائبة دخلت المجلس سنة ١٩٥٩) ونحن على ثقة من ان عددنا سيزداد كثيرا بعد الانتخابات التى ستجرى هذا العام . وهناك ٢١ امرأة تم انتمائهن للمجالس البلدية فى مختلف انحاء الجمهورية ، فأصبح هناك اكثر من امراة فى كل مجلس بلدى . فضلا عن القاضيات ورئيسات الدوائر والمشرفات الاجتماعية والمدرسات ..

قلنا : .. ومع كل هذا فما زلنا نرى بعض النساء يغطين وجوههن بحجاب أسود ؟!

قالت : فى سنة ١٩٢٦ حاول المستعمرون الفرنسيون أن يعملوا على اجتذاب المراة التونسية الى صفوفهم باخراجها من مجتمعها التونسى العربى التقليدى الى مجتمع أوربى يتنكر للعروبة والقومية .. وتمثلت محاولات الاستعمار هذه فى الدعوة لرفع الحجاب والسماح بالاختلاط ، وفتح باب التعليم امام الفتاة على مختلف المستويات .. وكاد الشباب أن ينخدع بهذه المحاولة ، ولكن محاميا صغيرا فى ذلك الوقت فطن لهذا الخطر الداهم ، فقام بدعوة حازمة للابقاء على المراة داخل مجتمعها ، ومنع ارتمائها فى هذا المحيط المجهول الذى مهده الاستعمار لابتلاعها .. وكان هدف هذا المحامى الصغير ـ الذى هو حاليا رئيس جمهوريتنا ـ استبقاء أمر تطوير المراة الى حين ارتفاع كابوس التسلط الاستعمارى ..

وهكذا كان أول عمل قامت به حكومة الشعب بعد توقيع وثيقة الاستقلال هو



٧٠٠ طالبة فى مدرسة نهج الباشا الثانوية . انهن يتلقين مختلف الثقافات الفنية والعلمية . ويقبلن على تعلم العلوم والرياضيات ، أما التدبير المنزلى والتطريز فالاقبال عليهما معدوم ، والسبب أن الفتاة بمجرد تخرجها من هذا المعهد يمكنها أن تعمل موظفة بمرتب قدره ٣٠ دينارا تونسيا !





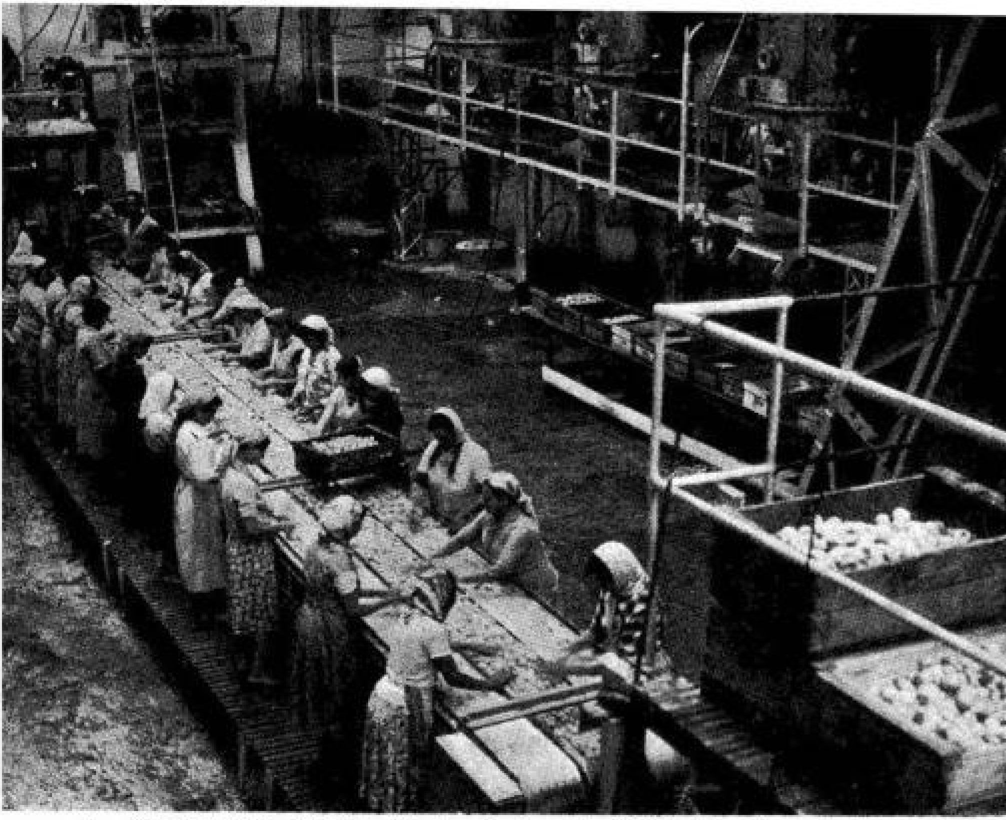
يتفرع من المعهد الرشيدى ، الذى يعمل للمحافظة على الفنون الموسيقية التونسية ، فرع يعمل لاحياء وتطوير الفنون الشعبية التونسية ، وترى هنا « زينة » و « عزيزة » تؤديان رقصة بدوية صامتة تعتمد على الانغام الموسيقية التونسية البحتة ، التى تصدر من نافخ فى « المِزْوِد » الذى يشبه موسيقى القِرَب ، ومعه دقاق على الطبلة ..

اعداد القانون العائلى الذى نظم الأسرة .. ثم دعا رئيس الجمهورية النساء الى خلع الحجاب فاستجابت له المراة التونسية، وبدات فى خلع الحجاب تدريجيا فلم تعد تجده على وجوه طالبات المدارس والمثقفات . وهذا شيء طبيعى لأنه عندما تعمل المراة وتنشط وتخرج من منزلها ، فالحجاب يزول بمفرده تلقائيا ..

حتى السجينات يعملن ..

واتجهنا الى « الملبس القومى » ودخلنا وكاننا فى خلية نحل : مقصات آلية تعمل فى تقطيع الاثواب الزرقاء بسهولة ويسر، وكانها السكين تقطع الزبد . ان هذه الآلات تبسط العمل وتضاعف الانتاج .. وبعد قص القماش ينقل الى قسم الخياطة حيث يفصّل ويربط بعضه ببعض ليكون اللباس المطلوب ..

ان « الملبس » لم يتعد الخامسة من عمره ، ومع هذا أصبح عدد فروعه ٤٥ فرعا ، منتشرة فى مختلف أنحاء تونس ، تعمل على فتح باب العمل الشريف أمام المراة التونسية ومعه الربح المعقول ،



مجموعة من النساء التونسيات يعملن فى مصنع لتعليب الفواكه والخضراوات وبفضل عملهن يستطيع هذا المصنع انتاج ثلاثة الاف طن من المعلبات فى السنة ، تشمل المشمش والطماطم ، والهليون (الاسبرج) والفلفل الأحمر ، وكلها من محاصيل الارض التونسية . هذا فضلا عن شراب الليمون والبرتقال ..

فتجعلها تشارك فى بناء نهضة البلاد الاقتصادية .

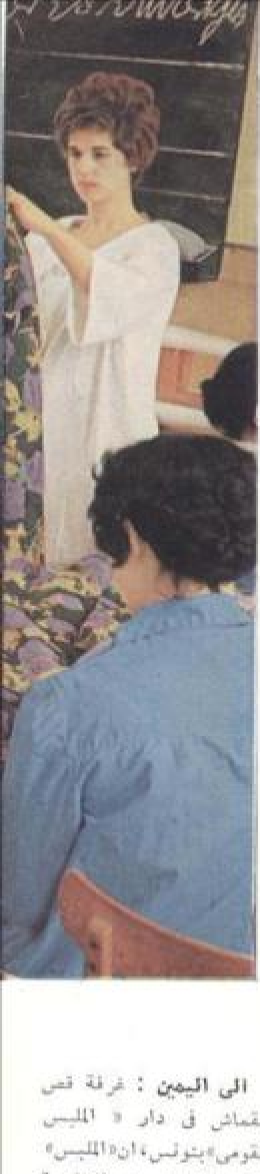
حتى السجينات لم يتركن بدون عمل . فقد فتح « الملبس القومى » فرعا له فى السجن المدنى بتونس لتمكين النسوة اللواتى ساقتهن الأقدار الى السجون من ممارسة العمل الشريف ، خلال المدة المحكوم عليهن بها .

« ان طلبات التشغيل » وعمل الملابس تنهال بالجملة على ادارة الملبس فتعددت فروعه ، وزاد عدد عاملاته فاصبحن اكثر من خمسة آلاف عاملة ..

اقبال .. وتبرعات

ومثل آخر لنشاط المرأة مصنع الصوف « بالمرسى » الذى تعمل به ٣٥٠ فتاة . وقد أصبح انتاجه يغمر الأسواق المحلية، التى تقبل عليه لجودته الزائدة .

وتقول السيدة سعيدة ساسى رئيسة منظمة الملبس القومى : .. « والى جانب عملنا فى الصناعة فاننا نقوم بتقديم الاعانات فى صورة ثياب واحذية للعائلات المعوزة والتلاميذ الفقراء فيما بين السادسة والرابعة عشرة .. اما الاطفال دون هذه السن فتابعون لمنظمة دار الرضيع التى انبثقت من الاتحاد القومى النسائى » .



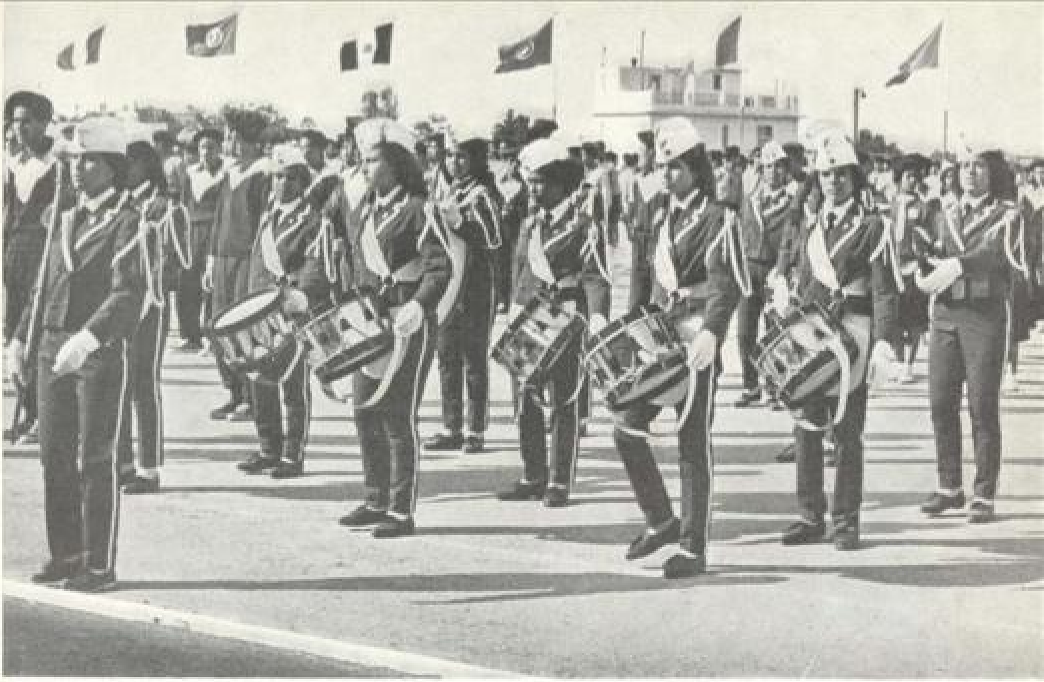


الى اليمين : غرفة قص القماش فى دار « الملبس القومى » بتونس، ان « الملبس » يأخذ القماش من الحكومة ويخيطه للعمال بأسعار مخففة . وهكذا تستطيع المراة أن تعمل عملا شريفا، ويستطيع العامل أن يلبس زيا نظيفا بأجر زهيد . وللملبس القومى فرع فى كل ولاية من ولايات تونس الثلاث عشرة .





ان الخياطة والرياضة يصادفان هوى عند قلة من الطالبات،لأن الأهل يريدون فتاتهم موظفة وهذا مايجعل الشباب التونسي يقبل على الزواج من خريجات معهد « نهج الباشا » ، والزواج في تونس مسموح به لكل فتاة تبلغ الخامسة عشرة من عمرها . ولكن مجلس الوزراء التونسي قرر أخيرا ، رفع هذه السن الى ١٧ سنة !



تعمل المنظمة الرياضية النسائية على تنمية الوعى الرياضى بين المواطنات التونسيات فتساهم فى مختلف أنحاء الجمهورية التونسية .. وعلى هاتين الصفحتين صورتان : الاولى لفرقة موسيقية من فتيات



هنا تونس !: الاذاعة باب جديد طرقته المرأة التونسية بعد الاستقلال ، فأصبحت تقدم نشرات الأخبار ، والاحاديث ، باللغة العربية ، بعد أن كانت تدور كلها بالفرنسية ..

ممنوع التشرد !

«ودار الرضيع» تعنى بالمواليد الذين الذين تخلى عنهم اهلهم على شرط الا تزيد سنهم عن خمس سنوات فتتكفل الدار بتربيتهم تربية قومية وتنشئهم تنشئة صحية ..

وقد استصدرت دار الرضيع قانونا يخولها حق منح الأبوة للمتقدمين بفرض تبنى اطفال من اطفال الدار ، على أن تتوفر فيهم مجموعة الشروط التى ذكرها القانون ..

وبقيام دار الرضيع بدورها هذا ، تم فى تونس ايجاد الحلقة الناقصة ، اذ كانت « قرى اطفال بورقيبة » لا تقبل الأطفال الذين دون الخامسة .

وهكذا لم يعد هناك اى مولود او اى طفل مشرد فى شوارع تونس ..



المهرجانات وتشترك فى الاحتفالات الرياضية مع الرجل جنبا الى جنب .. وللمنظمة أكثر من ١٢٠ فرعا فى الكشافة والثانية لبعض الرياضيات أثناء مرورهن أمام المقصورة الرئيسية بالاستاد الكبير فى تونس .

ثورة على الجمود

ان مجتمعاتنا العربية تكبلها التقاليد والعادات ، منها القديم ومنها المدسوس ومنها المستورد ..

وهناك فريق من الناس يأخذ الحياة كما تأتى اليه ، فى هدوء وسماح ، لا يتعجل شيئا،انما يعيش فى أحلام تخدره وتجعله لا يريد أن يستيقظ منها او حتى يحاول الخلاص منها ..

ولكن الى جانب هذا الفريق فريق ثان ثائر على الجمود ، وعلى القيود ، وعلى العادات العفنة ، يعمل جاهدا على تحطيمها واحدة تلو الأخرى ..

ويمكننا بكل بساطة أن ندرج المرأة التونسية بين أعضاء الفريق الثانى ، فهى تعيش منذ سبع سنوات فى ثورة هادئة للتخلص من كل الرواسب والمساوىء : قديمها وحديثها .. ■■



فى تونس العاصمة ، يطلقون على لباس المرأة الابيض كلمة :« سنسارى » وفى ولايتى الوسط : « الحايك » وفى الجنوب : « بخنوك » لأنه يخنق وجه المرأة ..



أول ما فكر فيه المسئولون بعد الاستقلال هو النهوض بنصف الأمة التونسية حتى لا يبقى عاطلا ، أو مهملا يعيش على هامش الحياة .. وما كادت تعطى اشارة الانطلاق ، حتى نفضت المرأة التونسية عن أكتافها ثوب الخمول ، وراحت تعمل بكل قواها لرفع شأن بلادها من جميع النواحى ، وخاصة الناحية الاقتصادية ، وهذه الصورة لقسم التطريز على المكنة فى « دار الملبس القومى » .. انها خلية نحل تعمل ولا تهدأ فى سبيل غد أفضل لها ولابنائها ولاطفالها ..

الأصل العربي في :

مأثوراتنا الشعبية

بقلم : فؤاد جميل

أستاذ بكلية التربية ـ جامعة بغداد

ان المأثورات الشعبية ، المعروفة عند الفرنجة بـ (Folklore) ، في الأقطار العربية اليوم ، وان عكست جانبا من الثقافة المحلية في المدينة والريف والبادية، فهي بمجموعها تمثل ، «الوجود الأساسي العام للوطن العربي» ، ما في ذلك شك . ذلك انها وشيجة مكينة بين الطبقة الشعبية في كل قطر ومثيلتها في القطر الآخر ، لذا كانت « المأثورات الشعبية » عاملا فعالا ذا خطر في بناء الوحدة العربية الشاملة المرتقبة . وعلى ذلك لا يصح لدُرّاسها أن يفسروا اية ظاهرة مأثورية شعبية في أي قطر عربي على « المستوى الاقليمي » فحسب ، اذ كان من الحتم اللازم التعمق فيها ورَجْعها الى أصلها العربي أو الانساني . وكل شيء ينبغي أن يرجع الى أصله .

وذكرت الأصل الانساني ، فللعلامة (بنفي) نظرية تقول بوحدة المأثورات الشعبية في المجتمع البشري لتشابه العوامل النفسانية لدى الشعوب كافة .

المأثورات العربية،طبعتها طوابع محلية

قلنا ان من الخطأ أن تدرس « المأثورات الشعبية » في الأقطار العربية على أساس محلي اذ سرعان ما يتضح خطل ذلك وأذكر ، على سبيل المثال لا الحصر ، ان احد دراسها العرب المعروفين قد بنى دراسته للسيرة الهلالية ، وهي من المأثورات الشائعة في أغلب الأقطار العربية ، على أساس محلي « مصري » ، ولعله كان محفوزا الى ذلك بالظاهر المحلي لها ، ولكنه سرعان ما تبين له أنها ، بوضعها العام وأشخاصها ووقائعهـا ومثاليتها (ايديولوجي) ، عربية الأصل والفحوى والمحتوى ، وان اختلفت فيها الفروع والتفاصيل وتلونت بالوان الطابع المحلي للقطر الذي مرت به أو رويت فيه .

المضيف منزل الفنون الجميلة في القبيلة

ان المأثورات الشعبية تقوم اليوم عندنا ، الى حد ما ، مقام « الفنون الملحونة » عند أسلافنا ، وكان اولئك الأسلاف يطلقونها على الفنون الشعرية العامية اللغة . وان النادي العربي الأول للمأثورات الشعبية هو المضيف وفيه كان القوم وما زالوا على ذلك يدأبون ، يتحلقون حول موقده ، ويروُون مآثر القبيلة في أيامها الغر المحجلة ، أيام الغزو الجاهلي أو الجهاد الاسلامي ،

وما كان من فرسانها وصناديدها من ضروب الشجاعة والاقدام . وقد يروون مآثر أجوادها فى الايام الجاهدة والأزمان الناصبة والسنين العجاف، والايام الحازبة ، وقد تقص فى المضيف هذه الأقاصيص وتنشد القصائد وتروى الأمثال ويفتش مفتش الحى ، وكل ذلك يبعث فى القوم النشوة والحيوية والأمل العذب واليقين الرصين، وناهيك بفعل هذه المأثورات الشعبية ، وتروى فى مضيف القبيلة عندما يقع على نفوس آحادها الرهفة هم ويلحق بعزائمهم الصارمة كرب وراء كرب ، فهى تذكى الهمم وتنشط العزائم وتذهب الهم .

بعد المضيف جاء المقهى

وبانتقال القبائل العربية من البادية والريف الى المدينة أصبح المقهى سليل المضيف ، يمثل النادى الأول للمأثورات الشعبية فى المدينة ، كما اصبح حىّ القبيلة ممثلا بالطرف او المَحلّة او الحارة او الدرب ، فلا غرو اذا كلِف الحضريون من سكان المدينة بالمقهى كَلَف العشائريين والبدو بالضيف ، فالكلف هذا مستقر فى أعماق اللاشعور منهم . ولا غرو اذا احب المختلفون الى المقهى فى ليالى رمضان الطويلة ، ورمضان ساهر الليل نائم النهار ، اذا احبوا الاستماع الى قِصَص البادية ، قصص البطولة والكرم والفضائل العربية الكبرى ممثلة بقصة عنترة ، وابى زيد الهلالى ، وسيف بن ذى يزن وغيرها ، ولا غرو اذا شغفوا فى المحافل العامة الاخرى ، بالمحرم الحرام ، بسرد قصة واقعة الطف (فاجعة كربلاء) التى تجمع الى اجلال آل النبى (صلعم) اكبار الاستشهاد فى سبيل الحق . وهذا لا يقتصر على قطر عربى واحد بل يشمل كثيرا من الأقطار العربية واصقاعا من (الوطن العربى) هى الآن ، ويا للأسف ، تحت حكم غير عربى ، كما فى (الاسكندرونة) و (عربستان) التى تسكنها قبائل كعب وتميم وبنى طرف وخيكان العربية وغيرها . انك تجد مثل المأثورات الشعبية المارة الذكر شائعة فيها ذائعة ، ويكلف السواد الأعظم من الشعب بها كلفا شديدا .

القصاصون والاخباريون

هذا وان « القاصّ الشعبى »الذى يعرفه كثير من أقطار الوطن العربى اليوم قديم الأصل العربى أيضا . فالسمعانى فى (الأنساب) يحدثنا عنه ، ويقول : « يقال لمن يروى الحكايات والنوادر : الاخبارى » .وما زالت كلمة اخبارى شائعة ذائعة على ألسنة العامة فى العراق ، وتدل على معنى « القاصّ » بعينه ، ولعلها شائعة بنفس المعنى فى الاقطار العربية الاخرى.وان السبب فى اختلاف ما يقصه قاص فى قطر عربى عما يقصه قاص عربى فى قطر آخر ، على وحدة فى أصل القصة ، يرجع الى ان السير والملاحم والحكايات الشعبية لم تنقل من جيل الى جيل على غرار انتقال سائر المأثورات الشعبية ، وانما نقلتها الذاكرة ورواها هؤلاء القصاص تبعا لتحسسهم الشخصى لميول سامعيهم من الناس، وتقربا لمشاعرهم ،واستجابة لذلك كله . لذلك ضاعت منها أشياء ، وخلطت الروايات فيها تبعا لاختلاف الاوضاع المحلية ، وهكذا أصبحت تروى بشىء من الاختلاف فى التفاصيل والفروع التى لا تودى بالأصل العربى أبدا . ولكن عبارة : « يا سادة .. يا كرام ! » التى بها يفتتح القاص الشعبى روايته ، اثر اعتلائه كرسيه المرفوع فى المقهى أو المحفل العام وتجمّع السامرين حوله ، ما زالت تتردد فى مقاهى بغداد والقاهرة ولبنان وسورية اليوم وفى غيرها من الاقطار العربية الأخرى .

وما من شك فى أن السير والملاحم والحكايات الشعبية التى تمتزج فيها أخبار الفرسان وأحاديث العشاق والحسان شاعت وتشيع كمأثورات شعبية فى الاقطار العربية لأنها صادفت هوى فى قلب العربى المرهف وطبعه الانسانى الأصيل أولا ، ولانه ورثها عن آبائه الأقدمين ، فاصلها ، على التحقيق واحد .

والمأثورات عن الأطفال فى البلاد العربية واحدة

وانت تسمع من صبيان العراق وصباياه هذا الذى يسمى بـ « المتواليات المتعاقبة » ، أى التى تحمّل كل قضية منها على الاخرى ،فينتقل فكرك الى هذا الذى رواه الجَبَرتى من أنه منذ ٢٠٠ سنة تقريبا (القرن الثامن عشر الميلادى والحادى عشر الهجرى) سمع الأطفال ينشدون :

« أحدُنك حَدُونه ، بالزيت ملتوتة ، حلفت

ما اكلها حتى يجي التاجر ، والتاجر فوق السطوح ، والسطوح عاوز سلم ، والسلم عند النجار ، والنجار عاوز مسمار ، والمسمار عند الحداد ، والحداد عاوز بيضة ، والبيضة ببطن الفرخة ، والفرخة عاوزة قمحة ، والقمحة فى الاجران ، والاجران عاوزة الدراس .. » .

ثم يرجع فكرك الى صبية العراق وصباياه لتسمعهم يقولون حتى اليوم : «يا خشبة نودى نودى ، ستمبلى على جدودى ، جدودى سافروا مكة ، جابولى ثوب وكعكة ، والكعكة وين أخبيها ، أخبيها بجمب الصندوق ، والصندوق يريد مفتاح ، والمفتاح عند الحداد ، والحداد يريد فلوس ، والفلوس عند العروس ، والعروس بالحمام ، والحمام يريد قنديل ، والقنديل واكع بالبير ، والبير يريد حبل ، والحبل عند الجاموس ، والجاموس يريد حشيش ، والحشيش يريد مطر ، والمطر بيد الله .. لا اله الا الله » .

فها انت ذا ترى ان الاصل حتى فى مأثورات الاطفال واحد مع تغير طفيف فيما يرد فيها من اسماء واشياء .

الموال فى المأثورات الشعبية

والأغانى الشعبية من « المأثورات الشعبية » ايضا . وانت تسمع فى العراق ، وفى مصر ، وفى لبنان ، وفى سورية ، وفى غيرها من الاقطار العربية (الموال) ، واصله عربى واحد ، وان اختلفت تفاصيله . لقد انتشر الموال ، أول مرة ، وذاع اسمه وشاع بين عمال (واسط) ، المدينة العربية العريقة الكبرى فى سواد العراق ، واتخذوا منه ما اتخذه قدماء العرب من (الرجز) : شعر العمل والكد . وكان الفلاحون والفعلة وسائر المهنيين يختمون كل صوت من هذا الغناء بـ (يامَوَاليا) اشارة الى مستخدِميهم وسادتهم ، فغلب عليه الاسم الذى عرف به . وقد اشتهر المَوَّال باسم البغدادى ونسب اليهم فقيل (موال بغدادى) . وزعموا ان صنائع البرامكة اخذوا يرددونه كثيرا اثر مصرع سادتهم بعد غضبة الرشيد المغربية وفتكه بهم ، ففيه شكاة ، وفيه لوعة ، وفيه اسىً ، ومن هذا القبيل ما روى على لسان جارية من جوارى البرمكى ترثى به مولاها :

منازل كنتْ فيها بعدْ بُعدك دُرْسْ
خراب لا للعزا تصلح ولا للعرْسْ
فأين عينك تنظر كيف فيها الفرْس
تحكم والسنة المداح فيها خرْسْ

يا مواليا (تعنى بنى برمك)

وشاع هذا المواليا أو الموال فى مصر ورُوى منه قديما :

طرقتْ باب الخبا ، قالت : من الطارقْ
فقلت : مفتونْ ، لا ناهبْ ، ولا سارقْ !

تبسمتْ ، لاح من ثغرها بارقْ
رجعت حيران فى بحر أدمعى غارقْ !

الغزل بالمذكر فى الشعر العامى

ويشيع فى كثير من الاقطار العربية اليوم « الغزل بالمذكر » فى الشعر المغنى العامى . والشعر هذا من مأثوراتنا الشعبية ، ولهذا النوع من الغزل حديث ، وارجو مخلصا ، قبل ان أتطرق اليه ان يصير الى زوال ، لان الاعراف العربية الاصيلة تنكره ، والرجولة العربية تأباه ، ما فى ذلك شك . والأصل التاريخى الذى انحدر منه شعرنا المغنى العامى من هذا القبيل انّ الغلمان والمخنثين فى العصر العباسى كثروا فى الكوفة والبصرة وبغداد ، وكانوا يتحلون بحلىّ الاناث ، ويتزيون بأزيائهن ، ويتثنون فى مشيتهم تقليدا لهن . واستملح ذلك من لا مروءة له من أهل المجون واللهو ، وأصبحت الجوارى يتشبهن بالغلمان والمخنثين هؤلاء .

وتردّى بعض الشعراء فى غزل المذكر وصار من علامات الظرف (كذا !) ببغداد ان يكون للشاعر والمغنى ايضا ، غلام يتغزل به ، وبقى ذلك حتى زمن قريب .

وهناك تفسير لطيف آخر لشيوع الغزل بالمذكر فى اغانينا الشعبية ، وهو تفسير ينطبق على المزايا العربية الأصيلة والشهامة والحفاظ على الاعراض عندنا . فانت تعلم ان العرب الاصلاء جد حريصين على طهارة الارحام والعفة الجنسية ، وانهم لم يعرفوا الشهوة الجنسية للعبث ، وانما للزواج الحلال وللخلف الصالح . فكان الرجل من ابناء الجيل الماضى ، وقد تكون لذلك اثارة

اليوم ، اذا أحب فتاة وتغزل بها أو غنى بذكرها، خاف على سمعتها وشرفها من قالة السوء أن تتقاذفهما الظنون ، وان بعض الظن اثم ، لذلك كان القوم يعمدون الى هذا الغزل بالمذكر صرفا للذهن عن الفتاة المقصودة وقطعا لدابر الشك والشبهات ، وهذا قد يكون تفسير آخر لشيوع الشعر الغلماني المغنى فى مأثوراتنا الشعبية ، وهو ، على ما قلت ، تفسير ينسجم مع شمائلنا العربية كما ترى . بينما التفسير الأول يرجعه الى بدعة طرأت على المجتمع العباسى وظهرت بفعل الزندقة والمانوية والمزدكية والمذاهب الشعوبية والاباحية الأخرى .

الأزجال فى المأثورات الشعبية

وأنت تسمع (الأزجال) التى تغنى بها أغانينا الشعبية الشائعة فى كثير من أقطارنا العربية اليوم . وتكاد تكون أغراض هذا الشعر العامى المغنى ، الزجل ، أو الزهيرى على ما يسمى فى العراق اليوم نسبة الى شاعر شعبى اشتهر به وهو مثلاً جادر الزهيرى ، هى نفس أغراض الشعر العربى الفصيح منذ القديم . كما أن كثيرا من معانيه هى نفس معانى هذا الشعر العربى الفصيح مع ملاءمة للظروف المحلية فى كل اقليم . وأصل هذه الأزجال أن الشعراء الذين نشأوا فى المجتمع العربى الذى طغت فيه العامية حاولوا أن يجعلوا شعرهم المغنى منتزَعا من البيئة الخاصة، معبرا باللهجة المحلية فى كل بلد من بلدان العرب ليكون مؤثرا فى نفوس سامعيه منتزعا من صميم حياتهم متجاوبا مع أحاسيسهم ومشاعرهم .وقد شجعهم على ذلك الحكام العرب الذين منيت بهم البلدان هذه . وبلغ الأمر مداه حتى أن شاعرا عربيا عراقيا فحلا فصيحا أخذ ينظم الأزجال ، ولعله فعل ذلك تظرفا ، ويرفع أواخر الكلمات التى يقف عندها ، كما فى العامية المصرية . انه صفى الدين الحِلى ، صاحب كتاب : العاطل الحالى والمُرخص الغالى فى الأزجال والموالى . انه صاحب الأزجال الغزلية الرقيقة اللطيفة ، ومنها ما نظمه لشهاب الدين أحمد فى دمشق :

ايش تجد لك بقتلى غبطة بالذى تعشقو
لـو تدع ما تبقى من عمرى كان عليك تنفقو
بالله يستعبد القلوب يا لطيف اللطيف
جل من لطّفك ومن خصك بالفعال الكثيف
وجمع فيك مع قلة انصافك كل معنى ظريف
قط ما تطلب من الجمالمعنى الا فيك تلحظو
لو تصيب من قديم جمال الله كان تسرقو

وارسال هذا الزجل الى من فى الشام دليل على شيوعه هناك ، وتذوق الناس فيها لمثله ، فهو ، على ما ترى خفيف ليس فيه ثقل ، ولا ينبو على الذوق السليم .

والأمثال العربية فى المأثورات الشعبية

والأمثال العامية السائرة والأقوال الدائرة هى من فنون المأثورات الشعبية . انها تتردد بكثرة على لسان السواد الأعظم من الشعب العربى . وهى ، وان اختلفت فىبعض ألفاظها أو صيغها أو تراكيبها ، تعكس لنا الصفات الانسانية الأصيلة التى امتاز بها المجتمع العربى فى مختلف الأقطار العربية من جهة ، وتجلى المزايا القومية التى امتاز بها أبناء هذا الشعب العريق من جهة أخرى .

قيل ان الحارث بن كلدة الثقفى كان يحادث كسرى أنو شروان ، فسأله الأخير أن يعرف مزايا العرب الأصيلة قائلا : « فما الذى يُحمَد من أخلاقهـا ـ أى أخلاق العرب ـ ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟» .

أجاب الحارث : « انفس سخية ، وقلوب جرّية ، ولغة فصيحة ، وأنساب صحيحة ، وأحساب شريفة، لا يرام عندهم ولا يضام جارهم، ولا يُستباح حريمهم ، ولا يذل كريمهم ، مطعمو الطعام فى الجدب ، يمرق الكلام من أفواههمأعذب من هواء الربيع » .

فاستوى كسرى جالسا وخاطب الحارث بقوله: « لله درك من عربى ، قد أعطيت علما وفطنة وفهما ، وكذا العاقل من أحكمته التجارب » .

ولما كانت الأمثال السائرة والأقوال الشعبية الدائرة بعامة ، وابتداء ، هى خلاصة تجارب الأمم وجماع مثلها العليا ، ومستودع كثير من صفحات تاريخها ، لم يكن مَندُى عن أن تسمع لكثير من الأمثال العامية والأقوال الدائرة على لسان السواد الأعظم من الشعب فى العراق

نظائرَ في سورية او مصر او السودان او لبنان ، او تونس او اى قطر عربى آخر . فما دام الأصل العربى واحدا ، لان المثل الاعلى واحد والتجارب مشتركة فالمثل في هذا القطر يجب ان يكون له صنو في القطر الآخر .

وليس من غرضى ان استقصى الامثال والاقوال السائرة في جميع الاقطار العربية واقارنها ،لأحمل النظير على النظير ، واقرن الصنو بالصنو ، فذلك عمل يستنفد العمر فيه وقد لا يتم، ولكنى سأضرب الامثال على ما اذهب اليه واقصد بها التمثيل لا الحصر ، بطبيعة الحال .

قره قوش وحكمه

ان العربى يتكلف بالحرية كلفا شديدا ، والحرية صفة مميزة لوطنه الأصلى الطليق : الجزيرة العربية. لذلك تجده يثور على الاستعباد والحكم الجائر والتعسف فينعت ذلك كله بـ(حكم قره قوش) ، وانت تسمع القول السائر هذا في المقهى البغدادى ، والحارة المصرية ، والنهج التونسى ، والشارع الدمشقى الخ ... وقرَه قوش كلمة تركية معناها « الطير الاسود » ، وتطلق على النسر . وقره قوش صاحب الحكم المشار اليه هو بهاء الدين الأسدى، الذى استخدمه صلاح الدين الأيوبى ، بطل الاسلام ، وأمره بان يبنى قلعة تشرف على القاهرة من جبل المقطم ويبنى حولها سورا ، فجمع العمال على ما رُوى ، وارخص لهم الأجر واثقلهم بالعمل ، وازال كل ما اعترض دونه من المساجد والقبور والقصور ، وارتكب ، على ما روى ايضا ، كثيرا من الوان الشدة ، فابغضه الناس. وكتب احدهم كتابا يجترح به اعماله ويصفها بالخروج عن الحق والشريعة السمحة، فشاع وذاع اسمه على السنة السواد الأعظم من الشعب العربى وانحدر ذلك الى أيامنا هذه . وقيل انه كان بريئا مما روى عنه . ولكن « قد قيل ما قيل ...» . واستقر القول السائر (حكم قره قوش) في مأثوراتنا الشعبية واصله قصة واحدة .

والمثل السائر والقول الدائر يحكى ، في الاغلب الاعم ، قصة . وقد ورد بهذا المعنى في القرآن الكريم .

الأمثال العامية أصولها عربية

وقيل ان في العربية الفصحى من الأمثال ما يزيد على ٥٠٠٠ ، وجلها اصول امثالنا العامية (المأثورة) . فانت تسمع في الشعر العربى الفصيح جرح الأحبة عندى غير ذى ألم ، فينتقل ذهنك الى القول العراقى السائر : ضرب الحبيب زبيب لو جان عصا رمان . وانت تسمع في العراق تطليم بسوك الغزِل ، يضرب للنكرة من الناس، وتسمع صنوه في لبنان : دوّر على قطيم في سوق الغزل ، وتسمع المثل نفسه بمصر : مين يعرف عيشة في سوق الغزل . وقيل في تاويله وتبيان اصله العربى البدوى ان البدو ياتون الى المدن يجلبون كبرى زوجاتهم معهم ، ويغلب على اسمائهن قطيم ، وبعد ان يفترقا يبدأ الزوج بالسؤال عن زوجه فيضحك الناس ويقولون له اذهب واسأل عنها في سوق الغزل .

وتشيع على السنة العامةفي العراق هذه القولة: جوز ممدود، بجراب مشدود ، لا ينكص ولا يزود. يضرب للرزق الشحيح لا امل في نمائه ، وتسمع نظيره في نجد : بيض ممدود ، بجراب مشدود .

كما تسمع في اقوال العامة في العراق : السلام يجر الكلام والكلام يجر بطيخ .

وهذا معروف في لبنان بلفظه أيضا وقيل في بيان أصله : كانت لزارع قطعة أرض يزرعها بطيخا، وكان الناس يمرون به في أرضه ويسلمون، ثم يتحدثون اليه ، فيقدم لهم البطيخ . ورأى اخيرا أنهم يتعمدون السلام لهذه الغاية فحسب، فصمم على عدم رد التحية ، لانها ستأتى على بطيخه بعد حين .

وانت تسمع في الأمثال العامية العراقية : الشادى بعين أمه غزال ، وتسمع صنوا له في المصرية العامية : القرد في عين أمه غزال . وفي الأمثال التونسية العامية : كل قرد في عين بّوه غزال . وهو يضرب فيما لروابط القربى من اثر في تحبيب القريب .

وتسمع في الأمثال العراقية العامية: شاور الأكبر منك والازغر منك وارجع على عقلك ، وهو يضرب للتدليل على أهمية الاستشارة ، ووجوب الركون

اليها والأخذ بما يمليه عقل الانسان نفســـه ، وهذا ينقل ذهنك الى البيت الفصيح الشائع :

اذا بلـغ الرأى المشـورة فاستعن
برأى نصـيح او نصيحة حـازم !

ثم يرجع الفكر كرة اخرى الى صنو له فى سورية : شاور أكبر منك وأصغر منك وارجـع لرأيك . وانت قد قرأت الحـديث الشريف : ان لصاحب الحق مقالا ، فاسمع صداه فى الاقوال العراقية السائرة : صاحب الحق مدلل وفى المثل السورى صاحب الحق سلطان وفى المثل المصرى صاحب الحق عينه قوية .

العازف على الربابة

وفى مأثوراتنا الشعبية هذا المنشد الجائـل العازف على الربابة يبعث اللعب على وتريها ، وكانت فى الأصل ذات وتر واحد ، نغمات حزينة متهدجة متواصلة لا تخلو من رقة وحنين . انها تساير صوت العازف وتماثله ، لذلك تهوى اليها افئدة كثير من الناس ، ومن العامة على وجه اخص فى اغلب الأقطار العربية لانها تمثل وحدة مزاجهم وتروح عن انفسهم باستجـابة انغامهـا الى « مكبوتات » السنين الطوال الغابرة . ففى الشعر الغنائى الذى ينشده المغنى الجائـــل العازف على الربابة اشادة بالفروسية والكـرم العربى والشجاعة ومدح النبى المختار والتشـفع به والصلاة والسلام عليه .

والأساطير والخرافات الواحدة شائعة بين السواد العربى

والأساطير والخرافات الشعبية ، وما يدور حولها من حكايات ، وما يتصل بها من معتقدات وتمائم ورقى ونشر وطيرة وهامةوفال واستخارة، وما ينبثق منها من عادات وتقاليد واوهام ، كلها من المأثورات الشعبية . انها شائعة اليوم بين ابناء السواد الأعظم من الشعب العربى شيوع مثيلاتها ونظيراتها فى الشعوب والأقوام الانسانية الأخرى. وانها فى الأغلب الاعم منحدرة من أصل واحد فى تاريخنا العربى ، يدلك على ذلك ما ورد فى هذا الباب فى كتاب الحيوان للجاحظ وخريدة العجائب لابن الوردى والحيوان للدميرى وعجائب المخلوقات للقزوينى و الهوامل والشـوامل للتوحيـدى وغيرها . وليس من هدفى ، بطبيعة الحال ، ان استقصى جميع ما يدخل فى هذا الباب، وفى جميع الأقطار العربية اليوم ، لرجعها الى الأصـل العربى المذكور ، فذلك موضوع يتطلب المجلد الضخم ، ولذا ساكتفى بالامثلة الدالة المغنية عن الحصر فى هذا المقام .

فالسعلوة ، على ما تسمى عند عامة العـراق ـ وتشيع لها نظيرات فى بدان العرب الاخرى ـ هى السعلاة او الدامية او الغولة فى كتب أجدادنا الاولين ، وهى التى كانت ، وما زالت العامـة ترعب أولادها بها .

ومن هذا القبيل ما ورد فى حوادث سنة ٣٠٤ الهجرية :

فلقد وقع ببغداد اضطـــراب عظيم لحادثة الحيوان الخراف الذى كانت العامة تسميـه (الزغيب) ، ومع أنه كان شيئا موهوما فلقد كانت العامة تخافه كثيرا وتزعم أنها تراه ليلا على السطوح ، وأنه يأكل أطفالها ، وربما عض يد الرجل وثدى المرأة فقطعهما ، فكان الناس فى صـيف السنة المذكورة يتحارسـون ويتزاعقون ويضربون بالطست والصوانى (وما زالت هذه العادة شائعة بين بعض أبناء السواد الأعظم من الشعب فى العراق وفى غيره اثناء خسوف القمر). وارتجت بغداد لهذه الحادثة واتفق أن أصحاب السلطان صادوا فى احدى الليالى حيوانا ابلق قصير اليدين والرجلين فقالوا هـذا هو الزغيب ، وصلبوه على الجسر فسكن الناس .

والفلام اذا سقط سنه فى مأثوراتنا الشعبية اليوم ، قذفها الى الشمس قائلا : خذى سن الحمار «كذا» واعطينى سن الغزال ، وهى عادة لا تقتصر على قطر عربى واحد اليوم ، ولهذه العادة أصل عربى فلقد ورد ان الفلام العربى قديما كان يقول : أبدلينى بها سنا أحسن ولتجر فى ظلمها « ماءها » اياتك «أى شعاعك» ، وزعموا

انه ان فعل ذلك أمن على أسنانه العوج ، والى هذا يشير طرفة فى بيته :

بدلتـه الشمس من منبتـــــــــه
بـــــردا أبيض مصـــــقول الاشـــر

* * *

واخترع البغداديون قديما الكان وكان وانتشر بعد ذلك الى سائر الأقطار العربية ، وسمي بهذا الاسم لأنهم نظمـــوا به الحكايات والأساطـــير والخرافات والراجعات ، فكان قائله يحكي ماكان وكان ، وما زالت له آثاره اليوم فى مأثوراتنا الشعبية ، فأنت تسمع مثلا حدوتة الديك الاخضر فى مصر تبدأ على لسان القاص الريفي : كان يا ما كان يا سعد يا كرام ما يحلي الكلام الا فى ذكر النبي عليه الصلاة والسلام ، كان ...

خيال الظـل

وكان أبناء الجيل الماضي ، على ما يحدثنا به من ادركوه نحن ابناء هذا الجيل ، يستمعون ، قبل ان تغزو اقطار العرب:السينما بما كان يسمى قره غوز ، وهو ضرب من التمثيل الهزلي كان يعرض فى المقاهي العامة ، وأصله العربى خيال الظل . وخيال الظل هذا يستند الى الرواية ، وكان من ملاهي القصر أيام دولة الفاطميين بمصر، وهو لعبة تتخذ أشخاصها من جلد وتحرك بعصا من وراء ثوب أبيض مشدود فيظهر خيالها فيه . وقيل ان الملك الناصر صلاح الدين فى القـرن السادس الهجرى أخرج من يعاني خيال الظل للقاضى الفاضل فسأله الملك الناصر : « كيف رأيت ؟ »

قال : « رأيت دولا تمضي ودولا تأتي ، ولما طوى الازار طي السجل للكتب ، اذا المحرك واحد » . فأخرج ببلاغته هذا الجد من هذا الهزل .

ومن كتاب (سلك الدرر) بيتان منسوبان الى الامام الشافعى (رض) وهما فى خيال الظل وما قيل فى معناه :

رأيت خيال الظـل أكبر عبرة
لمن هــو فى علم الحقيقة راقى

شخوص وأشباح تمـــر وتنقضى
وتفنى جميعـــا والمحرك باقى

وأولع الملوك بعد ذلك بهذه اللعبة كثيرا . وذكر ابن اياس فى القرن العاشر للهجرة ان السلطان سليما العثمانى لما قدم مصر شهد (خيال الظل) ، ومثلت له فيه قصةمقتل(طومان‌باى) آخر سلاطين المماليك ، فسر السلطان لذلـك ، وطلب الى صاحب الخيال أن يمضى الى الآستانة . وفى القرن الحادى عشر سافر بعض الفنانين من أصحاب خيـال الظل الى الآستانة ليشتركوا فى حفلات الابتهاج بزفاف ابنة السلطان أحمد ، وكان هؤلاء الفنانون هم (الرئيس داود المناوى) و (الشيخ سعود) فمثلوا هناك روايات أعجب بها السلطان العثماني .

ويذكر مؤرخو هذه اللعبة ان احد السلاطين العثمانيين أمر بابطالها واحراق شخوصها وكتب على اللاعبين العهود ألا يعودوا لها . ولكن الوقائع التاريخية عنها تثبت انها بقيت فى بغداد ، وفى غيرها من حواضر دنيا العرب ولم تمت الا عندما غزت السينما الأقطـار العربيـة ، اثر انقراض الامبراطورية العثمانية فى أوائل القرن العشرين .

ويقول صاحب كتاب شفاء الغليل ان الذى اخترع الخيال الراقص رجل اسمه (جعفر) ، وتثبت الشواهد التاريخية انهم كانوا يطلقون على الرسوم التى تمثل الشخصيات والابطال اسم (الشخوص) ، وانهم كانوا يطلقون على كل فصل من فصول الروايات التى يمثلها (خيال الظل) اسم (بابة) . وكانت كلمة (المخايل) ـ وما زالت مستعملـة فى مصر ولبنان حتى اليوم ـ والخيالى تطلق على من يدير شؤون هذه اللعبة التمثيلية .

وان هذه الروايات التى تمثل كانت تحتوى على اشعار وازجال ، وكانت تتضمن نقـدا لبعض الأوضاع وسخرية ببعض الناس . وقد افلتت من يد عوادى الزمن بعض شخوص هذه اللعبة ، وهى من جلد ، وتسربت الى متاحف الغرب ، كما بقي كتاب (طيف الخيال لابن دانيال) شاهدا على أصلها العربى . ■■

فؤاد جميل

طرائف عربية

أعرابى على مائدة الحجاج

● شهد اعرابى مأدبة اقيمت عند الحجاج . فلما قدمت الحلوى ، ترك الحجاج الأعرابى حتى اكل منها لقمة ثم قال :

من اكل هذا ضربت عنقه !

فامتنع الحاضرون كلهم عن الأكل، وبقى الأعرابى ينظر الى الحجاج مرة،والى الفالوذج مرة اخرى ، ثم قال :

ايها الأمير : اوصيك بأولادى خيرا .. واندفع يأكل .

الظن واليقين

● قال مروان بن الحكم لثقيل : انى اظنك احمق !

فقال : ظن" او يقين ؟

قال مروان : بل ظن .

قال الرجل : احمق ما يكون الشيخ اذا استعمل ظنه !!

أشعب ووالي الحجاز

● حدث لاشعب وهو صبي ، ان كان والي الحجاز سائرا فى الطريق ، فسأله :

هل تعرف القراءة يا غلام ؟

فقال : نعم .

فسأله ان يقول شيئا ، فقال :

انا فتحنا لك فتحا مبينا .

فسر الأمير من هذا الجواب واعطاه دينارا .. فرفض اشعب ان يقبل الدينار . فسأله الأمير عن سبب رفضه ــ فقال اشعب :

اخاف ان يضربنى ابى ..

فقال الأمير : قل له ان الامير هو الذى أعطانى الدينار ..

فقال أشعب : انه لن يصدقنى .

فقال الأمير : ولماذا ؟

فسكت اشعب لحظة ثم قال : لان هذه ليست عطية الملوك !

حزم

● قال رجل للمهدى:عندى نصيحة يا أمير المؤمنين .

فقال : لمن نصيحتك هذه ؟ لنا ام لعامة المسلمين أم لنفسك ؟

قال : لك يا أمير المؤمنين .

قال : ليس الساعى بأعظم عورة ولا اقبح حالا ممن قبل سعايته ، ولاتخلو من أن تكون حاسد نعمة ، فلا نشفى غيظك ، أو عدوا فلا نعاقب لك عدوك! .. ثم اقبل على الناس فقال:لاينصح

كلمة صدق دعا اعرابي فقال: اللهم اني اعوذ بك ان افتقر في غناك، او اضل في هداك، او اذل في عزك، او اضطهد والأمر اليك.

صيد الظباء حرام

راحوا يصيدون الظباء وإنني — لأرى تصيدها عليّ حراما
أشبهن منك محاجرا وسوالفا — فأرى عليّ لها بذاك ذماما
أعزز عليّ بأن أروع شبيهها — أو أن يذقن على يديّ حماما

(قيس بن الملوح)

أبيات في قاض

● قال داود عمون يصف قاضيا عرف بشدة احكامه:

يا قاضيا لو أتوه — بطفلة فوق مهد
واتهموها بنقل الـ — أهرام في يوم شرد
لجاءها منه حكم — يقضي بحبس وجلد
فلا البداهة تغني — ولا المحاماة تجدي

واحدة بواحدة

● تنبأ رجل وادعى انه نبي الله موسى، فبلغ خبره المامون، فأحضره وقال له: من انت؟

فقال: أنا موسى الكليم.

قال: اوهذه عصاك التي صارت ثعبانا؟

قال: نعم..

قال: القها من يدك ومرها أن تصير ثعبانا كما فعل موسى..

قال: قل انت «انا ربكم الأعلى» كما فعل فرعون!! وانا أصيرها ثعبانا.

المهدي

لنا ناصح الا بما فيه لله رضى، وللمسلمين صلاح، فانما لنا الابدان وليس لنا القلوب، ومن استتر عنا لم نكشفه، ومن بادانا طلبنا توبته، ومن اخطأ اقلنا عثرته. فاني ارى التاديب بالصفح ابلغ منه بالعقوبة، والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعاجلة، والقلوب لا تبقى لوال لا ينعطف اذا استعطف، ولا يعفو اذا قدر، ولا يغفر اذا ظفر، ولا يرحم اذا استرحم.



قَسَمًا..

■ أنا ماردٌ عالي الجبينْ	أنا صرخةُ الحق المُبينْ
أنا صخرة قد حطَّمتْ	خُطَط البغاة الغاصبين
أنا في زوايا خيمتى السو	داء أهزأ بالسنين
وتَمُدُّنى باللقمة الـ	عفناء أيدى الظالمين
لكى ألين : ولا ألين

***

قَسَما بتُربك يا بلادِي	قَسَمَ المشوقِ إلى الجِلادِ
قسما بقُدسك ، بالدما	ء المُهْرَقات على الوِهادِ
ما ذلنى يومى ومل	ء الأمس أوسمةُ الجهاد
مل الرقادَ سوادُ ليلى	فمتى ينادينى المنادى

***

الفجر يبزُغ فارقُبي	يا أمتى الحدثَ الخطيرْ
جيشٌ وأعلامٌ تسيـ	رُ غدا متى دوَّى النفيرْ
الفجر يبزغ إنَّهُ	ميلاد قوة للأسير



آمنت بالوطـن الكبـيـ ـرِ ليمسح العــار الكبير

***

الفجـر يا حـلم الجُـدو دِ وصيحة الحُـر الشهيدِ
فـوق المشـانق في المجـا زر في السهول على النجودِ
هـيا أطِلُّـوا مـن أعـا ليكم على الفجـر العتيد
فسـيشتري دمُـكم لنـا عـزَّ الكرامة والخلودِ

***

يـا ظُلْمُ يـا جـانى عـلى الأحـرار تشريـدا ونَكَدا
أحسبت أنـك مستطيـ ـع أن تـرد الحر عبـدا
أنسيت أنّـا نَسْـل من ملكوا الـدُّنَى شُهُبا وأُسْدا
يـا ظُلْمُ زدْ تجريحنـا حتى يُثيرَ القَدحُ وَقْدا

***

قَسَماً بتُربك يـا بـلادى قَسَمَ المَشُوق إلى الجهـاد
مـلَّ الرقـاد سـواد ليلى فمتى ينـاديني المنـادى ■■

اسمى طوبي ـ بيروت



فلسفة

عند الفيلسوف

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ علم الجمال المساعد بكلية الآداب - القاهرة

■ اذا كان لكل علم موضوع يبحث فيه ، فان موضوع علم الجمال هو « العمل الفني » . وحينما ندرك « العمل الفني » لذاته ، فان علماء الجمال يطلقون عليه اسم « الموضوع الجمالي » . ولكن الاختلاف قائم بين علماء الجمال حول طبيعة هذا « الموضوع الجمالى » : فهل هو موضوع واقعيّ ، عينيّ ، أو هو ظاهرة نفسية ذاتية هى ذاتية الناظر فيه ؟

وربما كان الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون Bergson (١٨٥٩ - ١٩٤١ م) فى مقدمة الباحثين الذين نسبوا الى الموضوع الجمالي طابعا واقعيا عينيا . وقد ذهب برجسون الى اننا لا ندرك فى العادة من الأشياء الا ماله ارتباط مباشر ، بمصالحنا ، ومن ثمّ فاننا لا نفهم الحياة الا من خلال علاقاتها بحاجاتنا . ولكن الفن هو الذى يجىء فيجعلنا نرى الواقع لذاته ، لا لذواتنا ؟

والفنان - فى رأى برجسون - انسان نافذ البصر ، حاد البصيرة ، عميق الحدس ، يملك قدرة هائلة على ادراك ما يفوتنا فى العادة ادراكه ، نظرا لأننا مشغولون بالعمل والتصرّف العادى فى الحياة ، فى حين انه هو مستغرق فى النظر والتأمل .

ولكن ، على الرغم من أن ادراك الجمال أو الخبرة الجمالية تنأى بنا عن دائرة المنفعة العملية فانها لا تقودنا الى عالم الحلم او دنيا الخيال ، بل هي تعيد اتصالنا بعالم الواقع ، وتنفذ بنا الى أعماق الحقيقة . فليس « الموضوع الجمالي » مناسبة للتهرب من العالم ، او الارتماء فى احضان فردوس الاحلام ، بل هو - على العكس تماما - اداة فعالة لتوثيق صلاتنا بالواقع ، ولازاحة النقاب عن عيوننا حتى تشهد الحقيقة التى تكمن من وراء تهاويل الحياة الحسية . ولما كانت ضرورات العمل هى التى تحدّ فى العادة من نظرتنا الى الوجود ، فان من شأن الخبرة الجمالية أن تنفذ بنا الى باطن الحياة ، وأن تكشف لنا عما فى الوجود ، من « قيم » . وهذا هو السبب فى أن برجسون يضع « الفن » على قدم المساواة مع « الفلسفة » ، كأن الفن « عين ميتافيزيقية » فاحصة ، تستطيع أن تتخطى المظاهر ، وتسبر اغوار الواقع ، وتنفذ الى القرار السحيق للوجود نفسه !

وهكذا ارتبط الفن فى نظر برجسون بالواقع ، وتوثقت الصلة عنده بين « الموضوع الجمالي » و « العالم الطبيعي » ، حتى لقد صار « العمل الفني » فى مذهبه مجرد نتيجة طبيعية تتولد عن الاحتكاك المباشر بالواقع ..

بين برجسون وسارتر

وأما الفيلسوف الوجودى المعاصر جان بول

الجمال الوجودى : سارتر

سارتر Jean-Paul Sartre ، فان الأمر لديه على النقيض تماما مما رأيناه لدى برجسون ـ ! حقا ان سارتر يفرق ـ كما فعل برجسون ـ بين مستوى الحُلم ومستوى الفِعْل ، ولكن معنى الخبرة الجمالية يختلف عنده اختلافا كبيرا عن معناها عند برجسون . وآية ذلك أن « الواقعي » في راى سارتر لا يمكن أن يكون « جميلا » على الاطلاق ، بل ان « الجمال » صيغة خاصة تخلع على الموضوع ضربا من «اللا واقعية»! وانت حين تنظر الى اى موضوع ما ، من وجهة نظر جمالية ، فان هذاه الموضوع سُرعان ما يكفّ عن الوجود في العالم الواقعي ، أو شَغل حيز في المكان ، فضلا عن انك لا تعود تهتم به باعتباره موضوعا نفعيا ذا قيمة عملية . ومعنى هذا ان الموضوع يصبح عندئذ كما لو كان متخفيا وراء ذاته ، ومن ثمّ فانك لا تعود تقوى على لمسه ، وكانما هو قد اصبح دون متناولك ، فلم يعد في وسعك سوى أن تستشعر بازائه ضربا من الاحساس الاليم بالعجز عن اخضاعه لمقاصدك .

والحق ان الجمال ـ في نظر سارتر ـ انما ينتمي الى عالم آخر هو « عالم المُخَيّلة » ، على نحو ما يكشف لنا عنه الابداع الفني . وليس الابداع سوى تلك القوة الانسانية التي تظهرنا على طبيعة « الوعي » البشرى ، باعتباره مصدرا لذلك « العدم » الذى تفرزه الحرية وتغلف به صميم الوجود الخارجي ! وحينما يقرر سارتر أن الانسان يقحم على العالم الخيال والفن ، فانه لا يعني بذلك ان ثمة عالما علويا يصدر عنه الابداع الفنى ، وانما هو يعنى أن الموضوع الجمالى يستدرجنا الى عالم لا واقعي ، دون أن تكون هناك سماء افلاطونية يحيا فيها مثال الجمال . !

« ان السمفونية ـ فيما يقول سارتر ـ تتجلى امامنا باعتبارها انفلاتا مستمرا ، أو غيابا مستديما ... ولكن حَذار من ان نتوهم انها توجد في عالم آخر ، كما لو كانت تحيا في سماء معقولة . اجل ، فهي لا توجد ـ مثلا ـ كالماهيات ، خارج الواقع ، او خارج الوجود ، وانا لا اسمعها في الواقع مطلقا ، وانما انا انصت اليها في عالم الوهم فقط » . واذن ادراك الجمال ـ في نظر سارتر ـ لا بد من ان يستند الى التخيل ، كما انه لا يمكن ان يتحقق الا في عالم لا واقعي .

... لقد كان برجسون يقول ان « الجميل » ينأى بنا عن مستوى « النافع » ، ولكنه لم يذهب قط الى ان « الجميل » يقتادنا الى « اللا واقعي » . وهكذا بقى « الموضوع الجمالى » عند برجسون سبيلا فذا للوصول الى « الوجود » بينما راح سارتر يقول ان العيان الفنى نفسه لا يخرج عن كونه فعلا من افعال ذلك « الوعى » الذى يَحُلّ عن طريقه « العدمْ » على العالم ! وعلى حين ان برجسون كان يعد « الحدس » الفنى حركة واعية تنقلنا من « الرمز » الى « الواقع » ، اصبح سارتر يقرر ان كل عمل فني انما هو في جوهرة احالة الى « اللاواقع » !

الموضوع الجمالى بوصفه موضوعا متخيلا

وهنا يصح لنا أن نتساءل : ما هو نوع « الوجود » الذى ينسبه سارتر الى « الموضوع الجمالى » ؟ أهو الوجود العينى الذى يتسم به اى شيء من الاشياء ، أم هو الوجود الذهنى الذى يتسم به اى تصور من التصورات ؟ هذا ما يرد عليه سارتر بقوله ان نوع «الوجود» الذى يختص به«الموضوع الجمالى»هو«الوجود المتخيّل». لان ما يركّبُ هذا الموضوع ويدركه انما هو الوعى البشرىُ الذى يستطيع عن طريق المخيلة ان يضعه باعتباره « لا واقعيا » .

وهذه النظرية التي يقدمها لنا سارتر في تفسير « الموضوع الجمالى » تستند الى نظريته العامة في الخيال ، وهي تلك النظرية التي يُوحد فيها بين « المخيلة » و « الحرية » ، على اعتبار ان المخيلة هى القدرة على وضع العالم ورفعه ، أو ثباته ونفيه في آن واحد . وهذا ما عبر عنه سارتر بقوله : « ان المخيلة هي الشعور بأسره ، من حيث هو قادر على تحقيق حريته » ، اعني انها

الشعور من حيث هو قادر على تجاوز الواقع ، وفرض دعائمه الخاصة على صميم بناء العالم الخارجي .

ولكن ، ماذا عسى ان يكون هذا « اللاواقعي » الذي يتحدث عنه سارتر ؟ اليس في الامكان ان يكون « اللاواقعي » اى شيء كائنا ما كان ، كما قد يحدث مثلا فيما نشهده اثناء الحلم او في بعض حالات الهذيان ؟ واذا صح ما يقوله سارتر من ان الموضوع الجمالي « لا واقعي » فهل يجوز أن يكون كل ما هو « لا واقعي » موضوعا جماليا ؟ واذا كان كل حالم هو ـ بمعنى من المعاني ـ فنان ، فهل يكون معنى هذا انه لاحاجة بنا الى التردد على المتاحف او المسارح ، ما دام كل ما قد نشهده هناك لن يكون بالضرورة سوى شيء واقعي ؟ ...

كل تلك اسئلة قد تثيرها في اذهاننا نظرية سارتر في « لا واقعية » الموضوع الجمالي .

ولكن من المؤكد أن سارتر لا يوافق مطلقا على القول بأن كل « حلم يقظة » هو صورة من صور « الابداع الفني » : فان الموضوع الجمالي في رايه لا يمكن أن يتجلى امام انظارنا ، الا حينما نكون في حضرة « العمل الفني » . ولئن كان سارتر يحصر مهمة « المخيلة » في رفض « الادراك الحسي » ، الا انه مع ذلك يربط « المخيلة الجمالية » بالادراك الحسي . وعلى الرغم من ان في استطاعة الوعي عن طريق « التخيل » أن يقوم بعملية سلب أو انكار للمُدرك الحسّي ، الا ان الوعي لا يمارس هذه القدرة بطريقة تعسّفية محضة ، بل يظل ظهور « المتخيّل » مشروطا دائما بالموقف الخاص للوعي في داخل العالم . وآية ذلك ان « الواقعي المدرَك » ـ وهو ما يطلق عليه سارتر اسم المعادِل الحسّي ـ سواء أكان الوانا ام انغاما أم الفاظا . اعنى ذلك « الشيء »، الذي يمكن أن يُدرَك باعتباره كذلك ، انما هو الذى يدعو « الوعي » الى تخيل « اللا واقعي » ، دون أي تطاول من جانبه على تلقائية هذا الوعي او الشعور . ولا يقوم « الواقعي » بمهمة « المعادِل الحسّي » الا حين يكف عن ان يكون « مُدرَكا » لذاته .

والحق أن « الصورة » لا تبرز الا فوق « ارضية » العالم ، كما ان « المخيّلة » تستلزم « الادراك الحسي » ، وان كانت في الوقت نفسه ترفضه أو تنكره .

ويضرب لنا سارتر مثلا فيقول ان السمفونية السابعة هي بلا شك « لا واقعي » ، ولكن هيهات أن يتمثل أمامنا هذا « اللاواقعي » ، ما لم نوجَد في احدى صالات العزف الموسيقى ، وما لم تكن آذاننا متفتحة لسماع الانغام الموسيقية . ولئن كان «المتخيّل» هو بمثابة انكار أو سلب للمُدرَك الحسي ، الا أن « المُدرَك » هو الواسطة أو الاداة الضرورية لقيام « المتخيّل » بدوره الاساسي ، دون ان يكون في وسع « المُدرَك » مع ذلك توجيه « المتخيّل » أو تحديد نطاقه .

ولكن ، اذا كانت السمفونية السابعة هي ما اتخيله عندما استمع الى بعض الانغام الموسيقية ، لا ما اسمعه بالفعل ، فما الذى يمنعني من أن اضع بديلا منها شتى احلام اليقظة التي تثور في نفسي بمناسبتها ، مهما كان من غرابتها او انحرافها ؟

واذا كان شارل الثامن هو الموضوع الجمالي ، لا اللوحة التي تقع عليها عيناى من رسمه ، فما العاصم لي من توسيع دائرة هذا الموضوع ، بحيث لا تمتد اليه شتى الارتباطات الذهنية أو المعاني التداعية التي قد يثيرها في ذهني شارل الثامن ؟

اليس من الواجب اذن أن يكون « الموضوع الجمالي » شيئا اكثر من مجرد « لا واقعي » ؟ أو بعبارة اخرى ، الا يحق لنا أن نقول عن « الموضوع الجمالي » انه ايضا « شيء » بمعنى الكلمة ؟

شيئية الموضوع الجمالي ...

اذا كان لكل موضوع جمالي « معادل حسّي » هو الذى يستثير الخيال لدى الشعور ، فان العناصر المتخيّلة مع ذلك لا بد من أن تمتزج بالسّمات العينية التي يمتاز بها هذا المعادل الحسي ، حتى يُدرَك « الموضوع الجمالي » بتمامه في صميم هذه الصورة المحسوسة . ويسوق سارتر مثلا يوضح به هذه الحقيقة فيقول ، انه حينما يتم اداء السمفونية السابعة على الوجه الاكمل ، فان المرء لا بد من ان يجد نفسه وجها لوجه امام هذه السمفونية ، وكأنه في حضرتها

شخصيا ! ولكن ، ماذا عسى أن تكون السمفونية فى صميم شخصيتها ؟ ...

انها ــ فيما يقول سارتر شيء ، يعنى انها حقيقة عينية ماثلة امامنا ، وهى تتمتع بضرب من الاستمرار فى الزمان ، فضلا عن انها تملك مقاومتنا بوجه ما من الوجوه . فاذا ما تساءلنا هل هذا الشيء واقعى أم غير واقعى ، كان رد سارتر على هذا التساؤل انه خارج عن نطاق الواقع . ومعنى هذا ان الموضوع الجمالي « لا واقعى » ، ولكنه مع ذلك شيء عينى . ولكن ، كيف يكون هذا الموضوع لا واقعيا ، مع كونه فى الوقت نفسه شيئا عينيا ؟ اليس ثمة تعارض بين طابع « اللا واقعية » وطابع « الشيئية » ؟ هذا ما يرد عليه سارتر بقوله ، اننا عندما نتحدث عن « شيئية » العمل الفنى ، فاننا نفكر فى ذلك العنصر الواقعى العينى الماثل فى صميم الموضوع الجمالى (كالاصباغ المستعملة فى التصوير ، أو الانغام الصادرة عن الجوقة الموسيقية .. الخ) . واما حينما نتحدث عن « لا واقعية » العمل الفنى ، فاننا نتجه بانظارنا نحو ذلك العنصر المتعالى المفارق الذى يحلق فوق الخبرة الجمالية ، وهو ما يعبر عنه « المعنى » الخصب الملىء الذى هيهات لأى تذوق فنى ان يستوعبه . فهناك اذن ضرب من الابهام أو الغموض فى كل عمل فنى : لانه من جهة موضوع حسى ماثل امامنا بتمامه ، ولكنه من جهة اخرى معنى « لا واقعى » يفلت بالضرورة من طائلة كل ادراك حسى .

الصلة بين المدرك والمتخيل

ولئن كان سارتر يقرر أن ثمة صلة وثيقة ــ فى داخل الموضوع الجمالى ــ بين المدرك الحسى والمتخيل اللا واقعى ، الا انه لا يجعل من الواحد منهما معادلا دقيقا للآخر ، ما دامت الصلة بينهما ليست صلة مساواة او تكافؤ . والحق أن المصور حين يرسم لوحة ، فانه لا « يحقق » صورته الذهنية فى صميم هذه اللوحة ، بل هو يقدم لنا « معادلا محسوسا » يمكن كل فرد من تكوين تلك الصورة لنفسه من خلال ادراكه لذلك المظهر المادى . وتبعا لذلك فانه لا بد من تصور اللوحة باعتبارها مجرد شيء مادى يسرى فيه بين الحين والآخر (اعنى كلما وقف منه المتأمل موقف المتخيل) عنصر « لا واقعى » هو على وجه التحديد « الموضوع » الذى أريد تصويره .

واذن فان الشيء الذى صنعه الفنان ، والذى يتم تحقيقه احيانا بفضل تضافر القائمين على ادائه ، انما هو مجرد وسيلة تتيح للخيال فرصة الظهور بحيث ان الادراك الحسى ليبدو فى خاتمة المطاف مجرد مناسبة للتخيل .

وهنا قد يحق لنا ان نتساءل : كيف يتسنى للشيء المدرك ان يثير على وجه التحديد تلك الصورة المعينة التي طافت بذهن الفنان ، دون غيرها من الصور الاخرى ؟ واذا كان التأمل الجمالي هو مجرد « حلم مستثار » ، فكيف السبيل الى التحكم فى مثل هذا الحلم ؟ الا يلزم ان يكون « المتخيل » نفسه ماثلا من ذى قبل بوجه ما من الوجوه فى الشيء المدرك ، بحيث يكون ثمة « بناء موضوعى » يقابل الصورة المدركة ادراكا ذاتيا ؟ ... يبدو لنا ان العلاقة القائمة بين الشيء الواقعى والشيء اللاواقعى لا يمكن أن تكون مجرد علاقة عرضية حادثة بين « مدرك » و « متخيل » ، بل هى لا بد من أن تكون علاقة ضرورية ثابتة بين قرينة ومعنى ، أو بين اشارة ودلالة . واذن فلا موجب لتحويل التعارض القائم بين الشكل والمضمون الى ثنائية جامدة بين « مدرك » و « متخيل » ، كما انه لا موضع للتضحية بوحدة الموضوع الجمالى فى سبيل عنصر التخيل ، وكأن هذا العنصر وحده هو الذى يحتكر كل سر الظاهرة الجمالية .

ومهما كان من غموض « الموضوع الجمالى » ، خصوصا بسبب ما فيه من معنى خفى قد لا يسهل استخراجه منه ، فانه لا بد لنا من أن نتذكر دائما ان الموضوع كله ــ بما فيه من مدرك ومتخيل ــ هو الظاهرة الجمالية ، لا العنصر المتخيل منه وحده دون باقى العناصر الاخرى .

● نقد نظرية سارتر فى الموضوع الجمالى

ونحن نأخذ على نظرية سارتر فى الجمال مأخذين :

الاول انه يقيم هذه النظرية على مذهبه فى الخيال ، فيوحد بين الموضوع الجمالى والموضوع الممثل (فى اللوحة مثلا) بوصفه متخيلا ، وكأن من شان اللوحة التى يرسمها الفنان لشخصية ما من الشخصيات أن تحيلنا بالضرورة الى الاصل ،

فندرك هذا الأصل في الصورة بفعل وساطة اللوحة، وفقا لعلاقة هي في جوهرها شبه سحرية ! ولكن الواقع اننا ندرك الموضوع الممثل في العمل الفني دون أية احالة الى الاصل ، بل دون حاجة الى القيام باية عملية من عمليات التخيل .

والمأخذ الثاني الذي ناخذه على سارتر هو انه يقيم تطابقا غير مشروع بين « اللاواقعي » و « المتخيل » . حقا ان في استطاعتنا ان نقول (بطريقة ساذجة) ان المعنى لا واقعي ، وذلك لأن من الواضح أن موضوع العمل الفني لا يوجد وجودا فعليا في العالم الخارجي ، ما دام هملت Hamlet الذي يمثله الممثل لورنس اوليفر ، او بارلو ، ليس هو هملت الحقيقي ، وما دمنا لسنا في حاجة الى فتح مظلاتنا حينما نستمع الى عاصفة السمفونية السادسة ! ولكن في استطاعتنا ان نقول ـ بصورة أعمق ـ ان الموضوع الجمالي « لا واقعي » لفرط ما فيه من واقعية ، أعني انه « لا واقعي » لاستحالة بلوغه او استيعابه .وآية ذلك ان في شخصية هملت التي تمثل أمامي ، وفي انغام السمفونية السادسة التي تعزف على على مسامعي ، شيئا هيهات لي أن ادرك كنهه او ان اتمكن من تفسيره ، لانني اشعر بما في العمل الفني من ثراء ، واحس في الوقت نفسه بما في عواطفي من خواء. ولكن أيا ما كان هذا «اللاواقعي» فانه لا يصدر عن وعي مستغرق في الخيال ، أعني عن شعور غافل شارد الفكر ، بل هو يصدر عن وعي متأمل منتبه الى المدرك الحسي تمام الانتباه . واذا كان « اللاواقعي » ـ بوصفه معنى الموضوع الجمالي ـ ليس شيئا متخيلا ، فذلك لانه « باطن في صميم ذلك الموضوع » ، وبالتالي فانه لا يمكن ان يدرك الا فيه . ومعنى هذا ان « المعنى » كامن في صميم الشيء . ولما كان الموضوع الجمالي وحدة لا تتجزأ ، فان العنصر اللاواقعي فيه هو نفسه « شيء » ، لأنه موجود في صميم الواقع ، أعني في الشيء المدرك ، مثله في ذلك كمثل النفس التي لا توجد الا في البدن ، ولا تستشف الا من خلال البدن .

ولئن كان الموضوع الجمالي يستلزم بالضرورة شعور المتأمل الذي يضمن له التحقق ، الا ان هذا الشعور نفسه لا يركب معنى ذلك الموضوع، بل هو يكتشفه فيما يدركه . فليس أبعد عن الصواب اذن مما قاله سارتر من أن الشعور هو الذي يخلق الموضوع الجمالي حينما يعزم على تخيله ، فيقيم بذلك علاقة تعسفية بين التصوير والموضوع الممثل على اللوحة ! حقا ان فعل الشعور ضروري لقيام عملية التذوق الفني ، كما ان وحدة الموضوع الجمالي لا بد من أن تظل معلقة على الادراك الحسي ، ولكن هذا لا يعني ان الشعور يرفض التصوير لكي يحل محله الموضوع المصور، بل معناه انه يحقق التصوير حينما يكتشف فيه الموضوع المصور . ولا شك ان سارتر حينما بالغ في تقرير الثنائية القائمة بين المدرك والمتخيل او بين المعادل الحسي والموضوع الجمالي ، فانه لم يزد المشكلة الا تعقيدا على تعقيد ! ولكن هذا لا يعني ان نهيب بضرب من « الواحدية الجمالية» الساذجة بدل تلك الثنائية،فنلغي الخيال لحساب الادراك الحسي ، وانما لا بد لنا من أن نتذكر دائما ان الموضوع الجمالي « شيء » و« معنى » في وقت واحد ، وأن كلا من « الشيء » و « والمعنى » في هذه الحالة انما يوجد خارج ذاتي ، وبفعل ذاتي في الآن نفسه .

فلسفة الأدب عند سارتر ...

ولكن فلسفة سارتر الجمالية لم تتوقف عند تحديد طبيعة « الموضوع الجمالي » ، بل هي قد امتدت أيضا الى مشكلات أدبية أربع عبر عنها سارتر في الجزء الثاني من كتابه « المواقف » على النحو التالي : « ما هو الأدب ، وما هي الكتابة ، ولماذا نكتب ، ولمن نكتب ؟ » وقد أجاب سارتر على هذه المشكلات الأربع اجابة المفكر الملتزم الذي يفهم حاجات عصره ، ويحاول الاستجابة لمواقف الانسان المعاصر في مجتمع ما بعد الحرب . وهو يقول في ذلك بصراحة :« ان الكاتب لا يستطيع أن يكتب عن المجتمع البشري ، ولا عن الانسان المجرد في كل العصور ، ولقارىء « لا زماني » ، بل هو يستطيع أن يكتب عن الانسان باسرة في عصره ولمعاصريه » . وقد قدم لنا سارتر في هذه الدراسة صفحات رصينة تدور في معظمها حول « علم الاجتماع الأدبي » ، فراح يدرس موقف الأديب الفرنسي في القرن السابع عشر ، ثم في القرن الثامن عشر ، وأخيرا في القرن الماضي. ولكن على الرغم مما في تحليلاته من عمق ، فان الطابع الالتزامي الذي غلب على ملاحظاته قد رسمها بصبغة التحيز أو عدم النزاهة ، فلم يعد في وسعنا أن

تدخل دراسته هذه في عداد الدراسات الجمالية العلمية بمعناها الدقيق . ونحن لا ننكر ما في هذه الدراسة من نظرات أدبية نفاذة،ولكننا لا نستطيع أن نلحقها بأبحاث علم الجمال.وربما كانت أصالة فلسفة الأدب عند سارتر اوضح ما تكون في دراسته للابداع الفني في مضمار النثر ، ولكنها أصالة الفيلسوف الذي يفهم أن النثر هو أولا وقبل كل شيء وجهة نظر العقل ، وان الكتابة هي طريقة معينة من طرق الالتزام او ارادة الحرية .

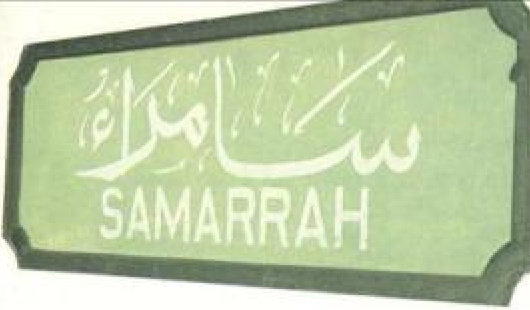
وقد كتب سارتر صفحات طويلة رائعة عنوظيفة الأدب الاجتماعية ، والعلاقة الجدلية المتبادلة بين الكاتب والقارىء ، وصلة الأدب بالعمل ، ومسئولية الأديب عن الكتابة او عدم الكتابة .. الخ . وكل هذه الصفحات (التي ترجمت أخيرا الى لغتنا العربية) قد اصبحت اليوم في متناول القارىء العادي ، فليس ما يدعو الى تلخيصها او الاجتزاء بخطوطها العامة . ولكن ما يستوقفنا منها على وجه الخصوص انما هو فهم سارتر لعملية تآزر الذات والموضوع لدى الفنان الذي يقوم بعملية الابداع . وسارتر يقرر هنا ان الملاحظ في الادراك الحسي (مثلا) أن الموضوع يكون عادة هي الشيء الجوهري ، بينما تبقى الذات بمثابة شيء غير جوهري . ولكن الذات تنشد الحصول على رتبة جوهرية ، فليس بدعا ان نراها تتجه نحو الخلق أو الابداع ، وعندئذ لا تلبث أن تصبح هي الشيء الجوهري ، بينما يصبح الموضوع شيئا غير جوهري . ويستطرد سارتر فيتحدث عن صلة الاديب بالقارىء ،ويقول ان العمل الأدبي لا يبلغ تمامه ، الا اذا وضع الكاتب نصب عينيه أنه يكتب ليواجه نفسه أمام حرية القارىء . ومعنى هذا أنه ليس ثمة فن الا للآخرين وبواسطة الآخرين.وليست عملية المطالعة او القراءة نفسها سوى مركب أو مؤلف منالادراك الحسي والابداع الفني .

سارتر يفرق بين النثر والشعر

وسارتر يفرق بين النثر والشعر ، فيقول ان النثر أدب ملتزم ، في حين أن الشعر أدب غير ملتزم . والأصل في هذه التفرقة ان الشاعر في رأي سارتر يتوقف عند الألفاظ كما يتوقف المصور عند الألوان ، أو الموسيقار عند الأنغام. واما الناثر فهو يستخدم الألفاظ ولا يخدمها ، أو هو يلزم نفسه في عالم اللغة دون أن يقوى على اتخاذ موقف الصمت . والواقع أن المعنى - بالنسبة الى الشاعر - مصبوب في قالب اللفظ ، مستوعب في جرس الكلمة ، فهو أشبه ما يكون بشيء عيني أزلي غير مخلوق ! واللغة - في نظر الشاعر - بناء من أبنية العالمالخارجي، فهو لا يرى في الكلمات رموزا تشير الى بعض مظاهر هذا العالم ، بل صورا واقعية لتلك المظاهر . وعلى حين أن الانسان العادي الذي يتحدث ، واقف خلف الكلمات ، على مقربة من الأشياء ، نجد أن الشاعر يهدف الى الكلمات في حد ذاتها . فالكلمة في نظره هي بمثابة فخ يصطاد في شباكه بعض الحقائق الهاربة ! ومن هنا فان الألفاظ الشعرية تتجمع بفعل بعض الارتباطات السحرية القائمةعلىالتوافق والتنافر، مثلها في ذلك كمثل الالوان أو الأنغام حينتتجاذب أو تتنافر . وهذا هو السبب في أن الانفعال نفسه سرعان ما يستحيل على يد الشاعر الى شيء ، ومن ثم فانه لا يلبث أن يصير في عتامة الأشياء . وأما لدى الناثر - على العكس من ذلك تماما - فان عملية الكتابة انما تعني توضيح الانفعالات والقاء الأضواء عليها . وعلى حين أن الكلمات عند الشاعر هي أشياء ، نجد أنها لدى الناثر دلالات أو اشارات الى موضوعات . واذا كان من السخف أن نطالب الشاعر بالالتزام ،فان من طبائع الأمور أن يكون الكاتب ملتزما ، ما دام الكاتب قد اختار الكتابة« مشروعا » له في الحياة.

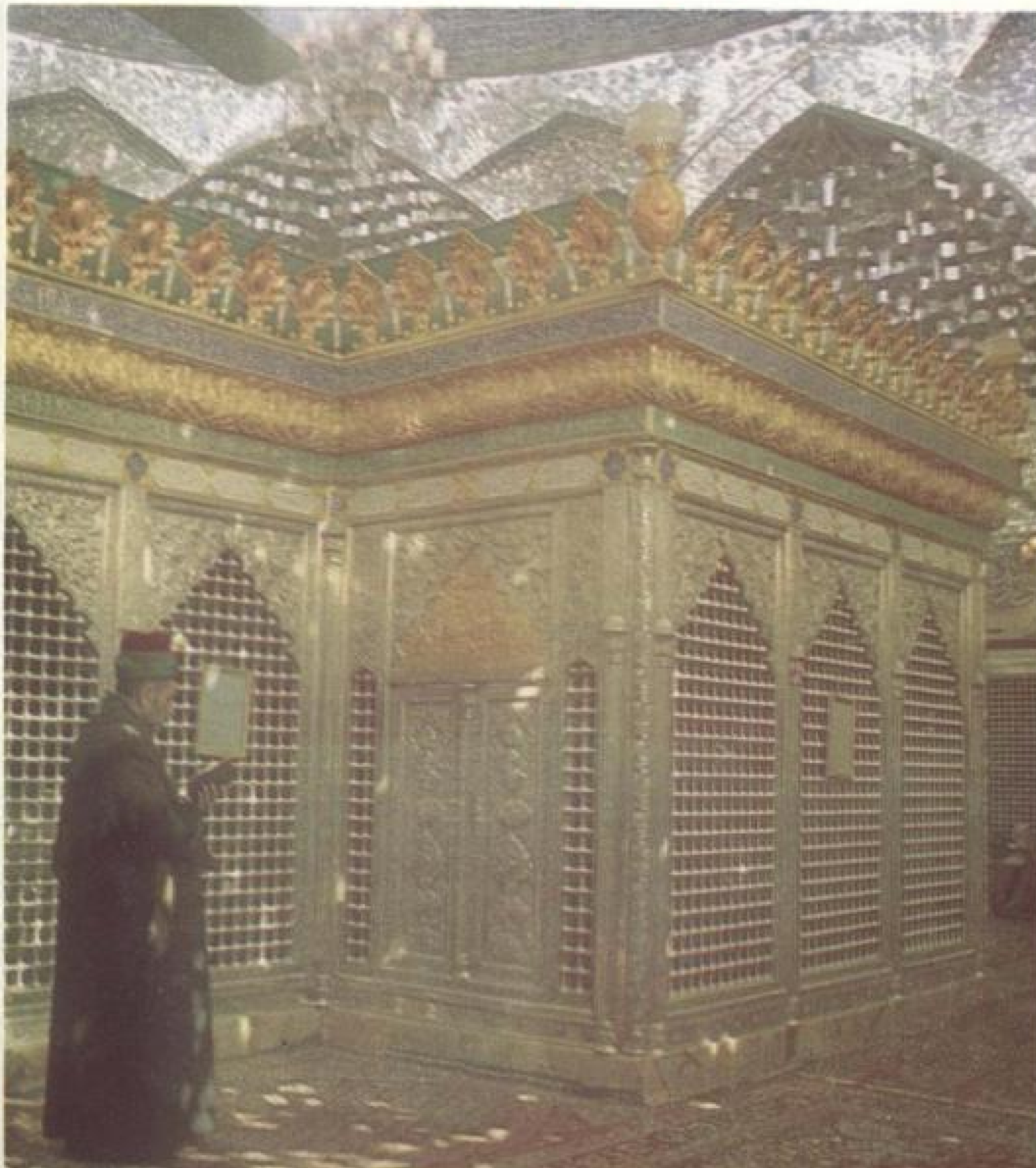
وهكذا وضع سارتر النثر في جانب ، وشتى الفنون الأخرى من شعر وتصوير وموسيقى وتحت في جانب آخر ، وكأن الالتزام وقف على الكاتب وحده ، أو كأن في استطاعة باقي الفنون الأخرى أن تستقل عن كل غاية اجتماعية . ■■

زكريا ابراهيم
جامعة القاهرة



اعرف وطنك أيها العربي

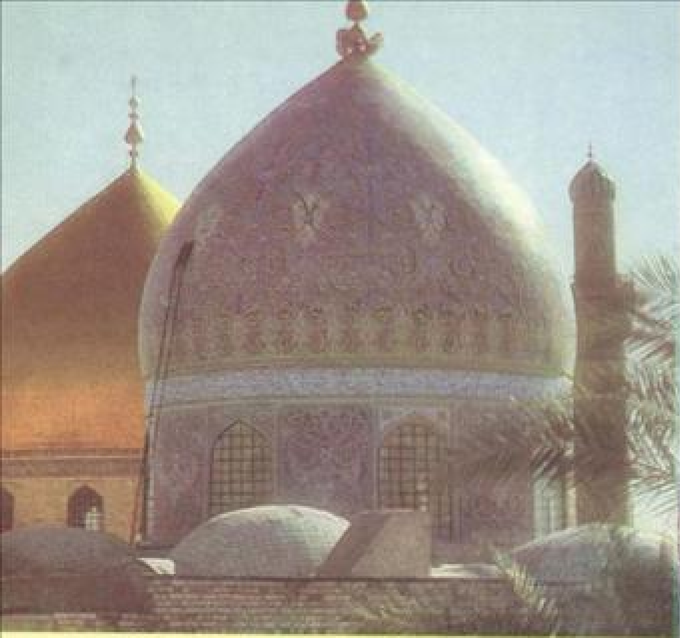
مدينة المعتصم التى انتزعت الزعامة من بغداد ـ انقلب اسمها سُرَّ



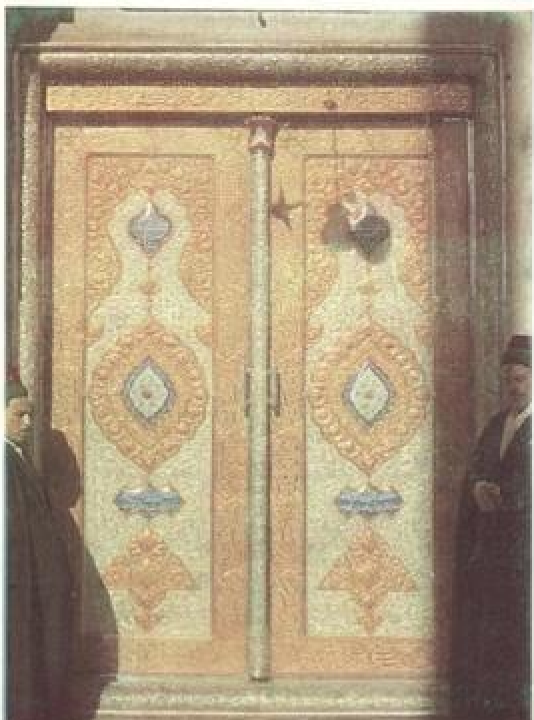
قام بهذا الاستطلاع :
سليم زبال
وصوره :
« اوسكار »

من رأى الى ساء من رأى





سامراء مدينة مقدسة : تحت أكبر قبة ذهبية في العالم (محيطها ٦٨ مترا وبها ٧٢ الف قطعة طابوق مذهبة) يقع ضريحا الامامين على الهادى وابنه حسن العسكرى **(الصورة اليمنى)** . والداخل لزيارة الضريحين يمر عبر باب مصنوع — مثل الضريحين — من الفضة والذهب والميناء الملونة الثمينة ! والى جوار القبة الذهبية قبة أخرى مغطاة بالقاشانى الملون ، هى « قبة المهدى » ويقع تحتها المسجد الجامع و « سرداب الغيبة » ..



■ سامراء .. مدينة المعتصم التى انتزعت الزعامة من بغداد فأصبحت احدوثة الزمان فى هاتيك الأيام اذ « لم يكن فى الأرض احسن ولا أجمل ولا أوسع ملكا منها » ..

لقد ظلت قبلة الأنظار اكثر من اربعة وخمسين عاما .

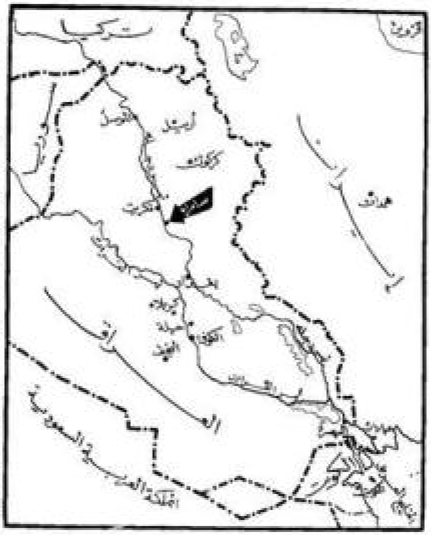
ثم سرعان ما هبت عليها ريح النسيان فيبست الأشجار واندثرت القصور ، وتداعت البيوت .. وكادت معالم المدينة ان تضيع فى ظلمات القرون ..

لولا ضوء من الايمان، كان ينير الطريق اليها بين آن وآن ، فياتيها الحجاج من الافغان والصين والهند والباكستان وايران الوفاً يزورون فيها سردابا مقدسا يسمونه : « سرداب الغيبة » .

« ويسند بعض الكتاب والمؤرخين الى الشيعة أمرا غريبا وهو انهم يعتقدون ان المهدى ، الامام الثاني عشر ، دخل هذا السرداب ومنه سيخرج ، وانه الآن فيه ، لا ياكل ولا يشرب حتى ياتى زمن خروجه ..

بينما لا يقول الشيعة باكثر من غيبته من هذا السرداب وانه سيخرج من مكة المكرمة ، أو من موضع آخر ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا ، بعدما مُلئت ظلما وَجُورا » (١)

وهكذا كان «سرداب الغيبة» وضريح الامام الهادى ، وابنه الحسن العسكرى، سببا فى الحفاظ على سامراء من الفناء حتى الآن ..



خريطة العراق ، وقد ظهرت فيها مدينة سامراء ، انها تبعد على الخريطة ١٢٠ كيلومترا عن بغداد . ولكن هذا البعد لا يعفيها من انها قضاء تابع للواء بغداد من الناحية الادارية !

تاريخها فى اسمها !

وكلمة سامراء هى تسجيل لتطور هذه المدينة التى بدا المعتصم بالله أصغر ابناء هارون الرشيد ، بناءها عام ٢٢١هـ ــ ٨٣٥ م .

واول ما يتبادر الى الأذهان سؤال : لماذا عمد المعتصم الى بناء عاصمة جديدة، بينما لم يكن قد مضى على بناء بغداد ، تلك التى بناها جده المنصور ، أكثر من خمسين عاما ؟ .

والاجابة على هذا السؤال نتركها للمؤرخ اليعقوبى كما ذكرها فى « كتاب البلدان » . قال :

« كان المعتصم أول من انشا جيشا من المماليك، الذين اشتراهم النخاسون من أسواق تركستان ، حتى بلغ عددهم ٧٠ الفا ، بين غلمان وشبان ، فكان وجود هذا الجيش الكبير فى عاصمته بغداد لا يخلو من الخطر ، وكان أولئك الأتراك الأعاجم، اذا ركبوا الدواب ، ركضوا فيصدمون الناس يمينا وشمالا ، فيثب عليهم الشعب فيقتلون بعضا ، ويتشاجرون دائما ..

« وخرج المعتصم من بغداد يبحث عن موقع جديد حتى وصل الى مكان سر من رأى الحالى ، فوجد ديرا وقف عنده وحادث رهبانه قائلا : ما اسم هذا الموضع ؟ .. قالوا : من كتبنا نعرف انه كان مدينة سام بن نوح، وانه سيُعمَّر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر . فقال : انا والله أبنيها وأنزلها » .

وانتقل اليها المعتصم مع عسكره فشيد

(١) نقلا عن كتاب العراق قديما وحديثا للاستاذ المؤرخ عبد الرزاق الحسنى صفحة ١١٠ .

فيها القصور الجميلة . والأسواق والثكنات والساحات ، والحدائق التى استحضر لها الأشجار من كافة الأرجاء ، وبعد الانتهاء منها اعجب بمنظرها فأسماها « سُرَّ مَنْ راى » ..

السرور ينقلب الى استياء

واستمرت « سُرَّ مَنْ راى » مركزا لخلافة ثمانية من خلفاء بنى العباس ، كان آخرهم الخليفة المعتمد ، فقد قرر المعتمد اعادة مقر الخلافة الى بغداد فانتقل اليها عام ٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م ، ومعه كنوز **« سُرَّ من راى »** ونقودها ، وكل أسباب الحياة فيها .. فهجرها الناس وتركوها .. فكان كل من يمر باطلالها الخربة يتحسر عليها .. حتى حرفوا اسمها فصار **« ساء من راى »** . ومع الأيام حوروه فأصبح **سامَرّاء** .

أين مجدها ؟

ووسط اطلال سامراء وما فيها من الخرائب والآكام ، وقفنا نتذكر ايامها الخوالى .. ايام العز والمنعة والجاه والسلطان التى مرّت بها هذه المدينة منذ اكثر من الف عام ، ونقرنها بحالها الحاضرة .

ان من يقرا تاريخ سامراء القديم ، يصيبه الذهول عندما يرى ما صارت اليه ويتساءل:اين مجدها؟ اين سطوتها؟ .. اين معتصمها ؟ . اين واثقها ؟ . اين متوكلها ؟ . اين منتصرها ؟ . اين مستعينها ؟ . أين معتزها ؟ . اين مهتديها ؟ . أين معتمدها .. ؟ .

اين هم هؤلاء الخلفاء العباسيون الثمانية الذين حلوها اكثر من اربعة وخمسين عاما ؟ . واين آثارهم ، تلك التى لم يبق منها اليوم سوى اطلال فوق رمال . كقصر العاشق ، والمنقور ،ودار الخليفة ؟! حتى البركة المصنوعة التى تغنى بها البحترى جفت وكادت ان تندثر .



«سرداب الغيبة» سرداب عميق ، استحدثت فيه تحسينات كثيرة ، اذ قسم الى ثلاث غرف متصلة تستخدم احداها كمصلى للرجال فى نهايتها باب الغيبة ، وتستخدم الثانية كمصلى للنساء . ومن جملة التحسينات ايصال الكهرباء الى داخل السرداب ، وانشاء درج للنزول اليه ،ويرى هنا السيد رياض الكليدار ، سادن الروضة العسكرية ، يهبط على الدرج المؤدى الى مصلى الرجال داخل السرداب تحت الارض .





التاهيل الديني : بعد موجة البرد القارس سطعت الشمس في سامراء فهرع طلبة المدرسة العلمية الدينية السنية الى الفناء للمطالعة. لقد مضى على بناء مدرستهم ٧٠ عاما ، وهي تقبل الطلبة من جميع انحاء العالم الاسلامي ليتعلموا العلوم الدينية والعربية التي تؤهلهم للعمل كقضاة شرعيين أو مدرسين أو خطباء مساجد .. والتعليم الحالي منقسم الى نظام قديم وحديث تشرف عليه وزارة الاوقاف ، ويتقاضى الطالب مبلغا يتراوح بين ٣ و ٥ دنانير غير الكتب والكراسات وملابس الشتاء والصيف .



طلبة معمرون : ٩٥ طالبا من الهند والباكستان وايران والافغان ، يتلقون علومهم في المدرسة العلمية الدينية الجعفرية التي يبلغ عمرها ٩٣ عاما وهي تقبل الطلبة من سن ١٥ الى ٩٠ سنة والشرط الوحيد ان يكون الطالب مسلما ويتقاضى الاعزب ٣ دنانير تزاد للمتزوج تدريجيا حتى تبلغ ١٠ دنانير .. وتأتيها التبرعات من تجار ايران والعراق .

→

مباراة في الكرة الطائرة : بين بعض طلبة « ثانوية سامراء » التي يزيد عدد طلبتها على ثمانمائة طالب . ان الضغط الزائد على التعليم أجبر المسئولين على جعل فترة الصباح للتعليم الثانوي وفترة بعد الظهر للتعليم المتوسط . وهذه الطريقة متبعة في معظم مدارس العراق ، لقلة الابنية وكثرة الطلبة .





كيلومتران بعد ٣٥ كيلومترا ! : كانت مدينة «سُر من رأى» القديمة تمتد مسافة ٣٥ كيلومترا كيلومترين فقط ، تقوم عليهما سامراء الجديدة التي اخذت مكان « سُر من رأى » القديمة ..

لمن شُيِّد سد الثرثار ؟

ان سامراء ما تزال حتى اليوم ، تدفع غاليا ثمن تعاليها القديم على بغداد ، ومحاولتها الجريئة لانتزاع مركز الصدارة منها . ويتمثل هذا الثمن في مظاهر التخلف الذي يكاد ان يخنق كل مرافقها الحيوية اليوم ..

ان اصابع الاتهام يرفعها اهل المدينة صوب بغداد ، باعتبارها المسئول الأول عن هذا التخلف .

ولكن بغداد لا تقر هذا الاتهام، وتنبرى تدافع عن نفسها فتقول :

ـ ما بال سامراء لا تكف عن الشكوى ؟ لقد شيدنا عند مدخلها سد الثرثار العظيم ! الا يكفيها هذا ؟!

وترد سامراء بقولها : حقيقة ان بغداد شيدت سد الثرثار عندى .. ولكن لمن شيدته ؟ .. لقد شيَّدته عندى لتنقذ نفسها من الغرق !!

وحقا ان بغداد ذاقت الأمرين من مياه دجلة ، تلك التي كادت ان تغرقها اغراقا عام ١٩٥٤ . وفي العام الماضي ، عام ١٩٦٣ ، حال سد الثرثار دون اغراقها مرَّة اخرى ، فقد حجز عن بغداد كمية من المياه تقدر بنحو ٦٧ الف مليون من الأمتار المكعبة .. فقد ارتفعت مياه دجلة في عام ١٩٦٣ ارتفاعا لم تشهد له مثيلا منذ ٤٠ عاما ..

وسد الثرثار على كل حال مفخرة من مفاخر العراق لا شك فيها .

البلهارسيا من السد ..

ومع هذا فيتابع اهل سامراء الشكوى، يقول لنا طبيب سامراء : انه بعد انشاء سد الثرثار ، وتحويل مجرى دجلة ، تكوَّنت عند سامراء بحيرة ماؤها راكد ، اغرت الصبية بالسباحة فيها فاصيبوا بمرض البلهارسيا ، وهو مرض لم يكن يعرفه اهل سامراء من قبل ..

من التصدير الى الاستيراد

ويشكو احد المزارعين بسامراء فيقول: ان حجز مياه دجلة خلف السد تسبب في غرق اراض لنا كنا نزرعها « رجّي » وكوسه وخضراوات ، ونصدرها الى كركوك والسليمانية والموصل وبغداد ، والبصرة ايضا ..

واليوم نحن نستورد اكثر تلك الخضر من تلك البلاد ! فالسد كان نعمة .. ولكن لغيرنا ..

كهرباء .. وظلام

ويرتفع صوت احد المهندسين من اهل سامراء يواصل الشكوى :

ـ ان الفائدة التي كان يمكن ان تجنيها هذه المدينة من السد هي الكهرباء ، ولكن حتى هذا المشروع اوقف تنفيذه ، واصبحنا ننظر الى المياه المتدفقة المندفعة من فتحات السد الست والأربعين ،



على الشاطىء الشرقي لنهر دجلة .. كان هذا منذ١١٢٨ عاما .. أما اليوم فقد تقلصت المسافة الى
ويلاحظ ارتفاع المدينة عن مستوى مياه دجلة ممايجعلها بمأمن من الفيضان .

متحسرين على هذه الطاقة الجبارة التى تضيع هبـاء ، والتى كان ولا يزال فى امكانها ان تدير تربينات محطة لتوليد الكهرباء قدرتهـا ١٠٠ الف كيلوواط ، فتنيراغلب أحياء المدينة التىتعيش اليوم فى ظلام ، لا ضيـــاء للناس فيه ، ولا



مقابر بالجملة ! ان مشكلة المشاكل فى سامراء تكمن فى مقابرها السبع المنتشرة بين منـازل الاحياء .. ان هذه المقابر تحتل اجمل المواقع فى سامراء ، ولا يستطيع احد منع الاهالى من دفن موتاهم فيها.انهم يريدون أن يكونوا بجوار ذويهم .

للشوارع والبيوت ، الا من البترول .. ان الثلاجات الكهربائية والمكيفاتالهوائية، لا وجـود لها فى سامراء لعـدم وجـود التيار الكهربائى الكافى لتشغيلها ..

حتى التجارة ..

وعن التجارة قال لنا احد تجار سامراء :

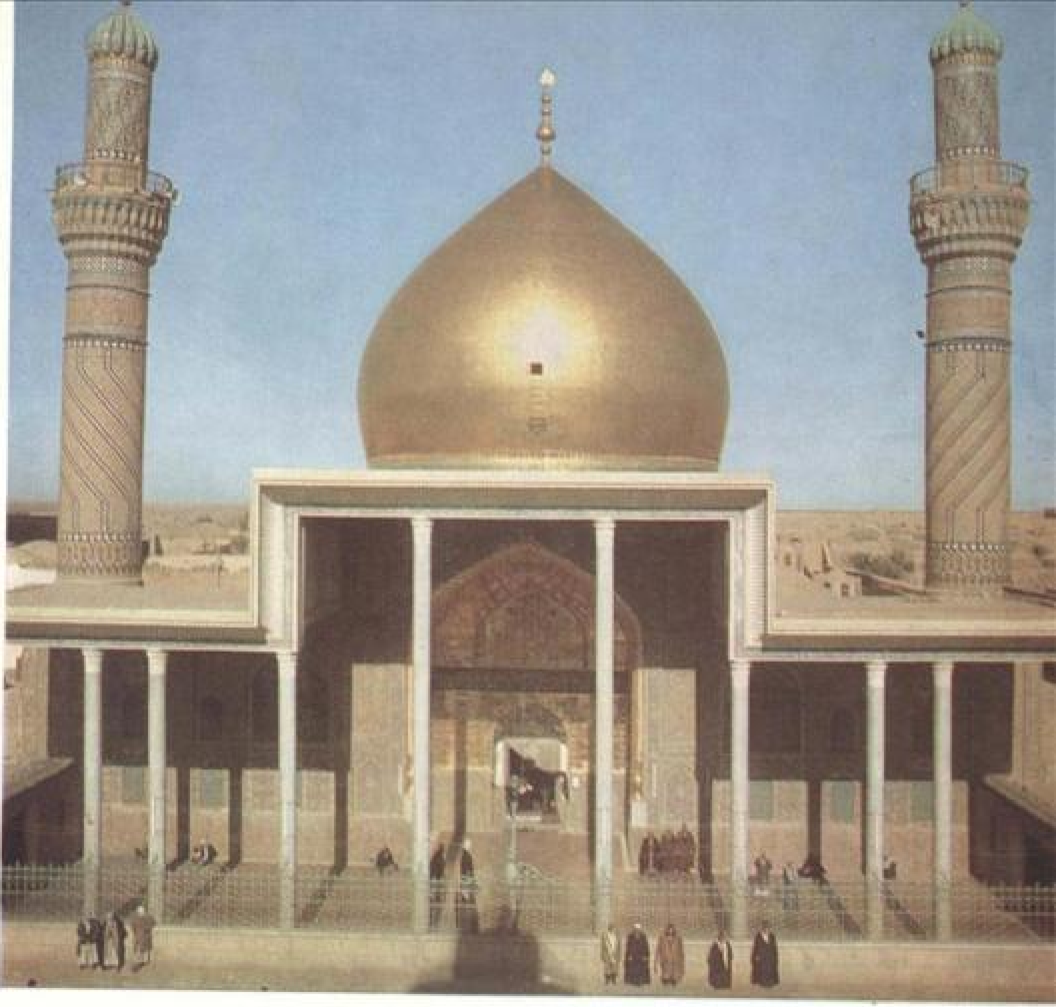
ان من اعجب العجبانه لا يحق لنا ان نستورد أى شيء من خارج العراق الا عن طريق تجار بغداد ، فترتفع أسعار الحاجيات فى سامراء .. والحجة فى ذلك اننا لسنا اعضاء فى الغرفة التجاريـة ، التى ببغداد ! ..

عصر الخان والتكايا !

استمعنا الى هذه الاتهامات ، ولـم يتسع بالطبع الوقتللتحقق منها. فنحن نكتفي بتسجيلها . ومهما كان منها فهى شارة الطموح الى حـال احسن ، ذلك الطموح الذى نجده فى سائر بلدان الوطن العربي ، الذى قضت عليـــه القرون بالتخلف الطويل . والشكوى الطامحة هى دائما بشير خير .

وبعد الاستماع الىكل هذه الاتهامات، بدأنا جولتنا فى المدينـــة ، التى تقول البيانات الرسمية أن عدد سكانها كان ١٦ الف نسمة عام ١٩٥٧ ، بينما يقدرهم قائمقام المدينة حاليـــا بنحو ٢٥ الف نسمة ..

ان المتجول فى شـوارع سـامراء

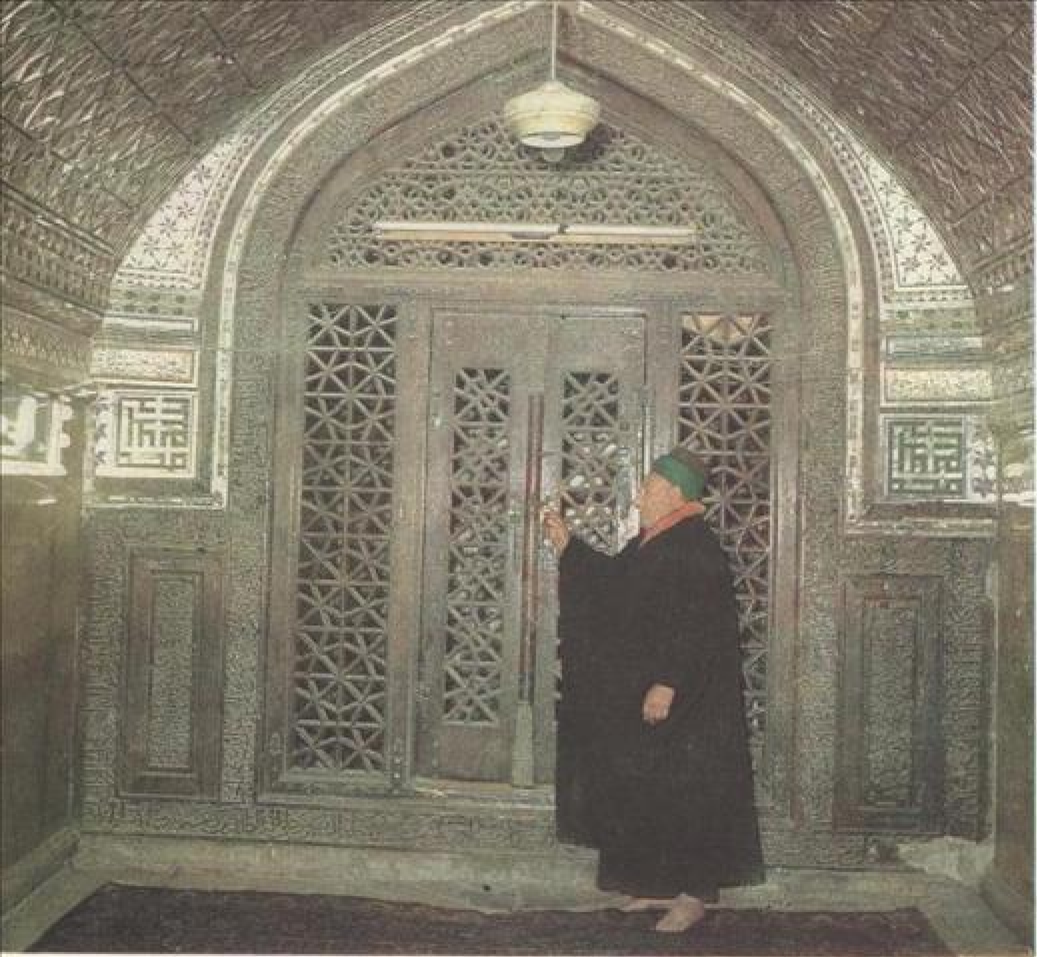


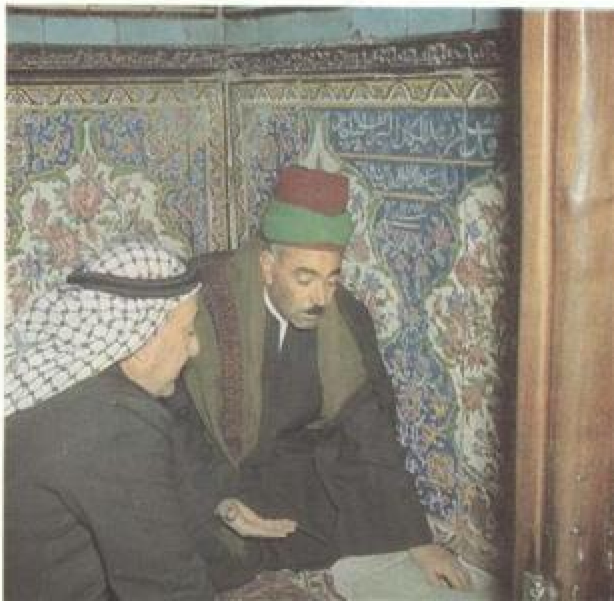
قبة من الذهب ، ومئذنتان من القاشاني : ان حوالى ٧٠٠ زائر يقصدون يوميا لزيارة ضريح الامامين على الهادى وابنه حسن العسكرى ، اللذين توفيا عام ٨٦٨ و٨٧٣ م . ودفنا فى قبور عادية ، ظل البناء يرتفع ويكبر فوقهما حتى جاء السلطان ناصر الدين شاه القاجارى عام ١٨٦٨ فأمر بتجديد شباك الضريحين ، وغشى القبة بالذهب الابريز ، والمآذن بالقاشانى الملون البديع .

→



مخلفات الإمام : تختلف كنوز الحضرة فى سامراء عن كنوز النجف وكربلاء ، فهنا لا تتعدى الكنوز أكثر من بعض مخلفات الإمام على الهادى البسيطة ، مثل السيفين المطعمين بالذهب والميناء الزرقاء والحمراء ، والدرعين الواقيين المصنوعين من جلد الجاموس القوى ، والمطعمين بالذهب ، وبعض الشمعدانات المجهولة الصاحب ..





اللهم اجعلها زيارة مقبولة : فوق هذا الكلام صورة الباب الأثرى الجميل الذى أمر بصنعه الخليفة العباسى الناصر لدين الله منذ سبعة قرون كاملة والذى ما زال محتفظا بروعة نقوشه وجمال كتابته ، وخلف هذا الباب يقع « سرداب الغيبة » الذى اختفى فيه الامام محمد المهدى ابن الحسن العسكرى ، وذلك حسب اعتقاد الشيعة الامامية ، والى اليمين ترى المطوف واحد زوار السرداب حول الحفرة التى يقال ان الامام اختفى فيها ، والمطوف يلقن الزائر الدعاء التالى : « اللهم عبدك الزائر فى فناء وليك المزور الذى فرضت طاعته على العبيد والاحرار وانقذت به أوليائك من عذاب النار ، اللهم اجعلها زيارة مقبولة ذات دعاء مستجاب من مصدق بوليك غير مرتاب الخ .

وازقتها، يهوله الجو الغريب الذى تعيش فيه هذه المدينة فيكاد ان ينسى انه يعيش معها فى القرن العشرين !! انها ما زالت تعيش فى عصر الخان .. والتكايا والعشائر .. والقبائل .. والمقابر المتناثرة بين المنازل .. حتى الماء تشربه من دجلة مباشرة دون تعقيم او تطهير ! .

جمال مُعبّأ

اما المرأة ، فزوار سامراء لا يرون نساءها ابدا ، فالشوارع محرمة عليهن .. واذا ما سرن فيها فهن مخبآت داخل عباءات سوداء من قمة الرأس الى اخمص القدمين !!

وسالنا عن تعليم المرأة فقيل لنا انه فى عام ١٩٥٣ بدأت محاولة لتعليم البنات ولكن بعض الأهالى هاجموا المدرسة ، واحرقوا المكاتب والكتب والدفاتر ! وكانوا يهاجمون آباء الطالبات فى الشوارع ويشيرون اليهم ويصيحون : هذا والد الكافرة .. !!

شيخ ينقذ الطالبات

كان عدد الطالبات فى ذاك الوقت لا يتعدى العشرة من بنات الموظفين .. وعندما قامت المظاهرات واحرقت الأدوات . أجبرت الطالبات على البقاء فى منازلهن .. ولم يعدن الى مدرستهن الا بعد ان قام المرحوم السيد عبدالوهاب البدرى باقناع الثائرين بان تعليم الفتيات ليس كفرا او بدعة ، ولكنه تطور لمسايرة مدنية هذا العصر . وبعد عدة اجتماعات استطاع السيد عبد الوهاب اقناع الأهالي فاستجابوا لدعوته . وعندما اعيد فتح المدرسة كانت حفيدات الشيخ فى مقدمة التلميذات الملتحقات بالمدرسة ..

واليوم أصبحت فى سامراء ٤ مدارس لتعليم الفتيات ، تضم اكثر من الف طالبة يتلقين دروسهن فى مدارس ذات ميزانية ، ولو انها ضعيفة ، لا تسمح باي نشاط اضافي او خارجي !

حتى السيارات التى تنقل الطالبات فى العادة من منازلهن الى المدرسة لا وجود لها فتضطر الطالبة للسير مسافة ٣ الى ٤ كيلومترات حتى تصل الى مدرستها .

ومع كل هذا ، فهذه المدينة ، بهذا التطور السريع الذى تقبلته ، ضربت مثلا لكثير من مدن الوطن العربى . انه التطور الذى لا يحتاج الا الى التوعية السليمة الصادقة المخلصة .

اين تقضى السهرة ؟

ومن الطريف ان عددا كبيرا من فتيات المدارس هن اليوم متزوجات او مخطوبات .. واصبح للفتيات المثقفات الحق فى ابداء رأيهن فى خطيبهن الذي دائما يكون من ابناء العمومة أو الأقرباء الأقربين .

اما الفتاة التى لم تنل حظا من التعليم ـ ونسبة الاميات للمتعلمات ١١ الى ١



عهد الخان ! و« الخان » هو مكان نزول المسافرين للاستراحة قبل « اختراع » الفنادق !! .. وفى سامراء ١٤ خانا ، يأتى اليها زوار الحضرة فى اوقات الزيارات مع عائلاتهم ، فيستعملون الأسرة والاوانى النحاسية ، ويدفعون لصاحب الخان ٥٠ فلسا يوميا عن كل شخص !!



شارع محمد عبد الوهاب الشواف: **ويجتمع فيه صباح كل يوم تجار الأغنام الذين يبيعون الخروف الواحد باربعة دنانير.. وتستهلك سامراء يوميا من ٢٠٠ الى ٣٠٠ راس غنم ، يرسل صوفها الى الموصل لغزله ، وجلدها الى بغداد لدبغه ، اما سامراء فتكتفي باكل اللحم السمين!**

تقريبا ـ فوالدها هو الذي يختار لها زوجها ، ويتحتم عليه ان يختاره من نفس القبيلة، وليس للفتاة حق الاعتراض على اختيار والدها . .

وغير ذلك فالمراة في سامراء تقضي وقتها في الدردشة مع صديقاتها ، وهن يقضين الساعات في الاحاديث التي تدور أغلبها حول السياسة العربية ومشاكلها.

اما السينما فلا اثر لها في سامراء ! فالقانون يمنع انشاء دار للسينما او ملهى او محل لبيع المشروبات في هذه المدينة المقدسة .

ولكن المراة في سامراء قد تفعل مثل ما تفعل شقيقتها بنت مدينة الخليل في الاردن ـ تقصد الى اقرب مدينة ـ بغداد في العراق ـ والقدس في الاردن ـ فتضع عباءتها في السيارة وتنزل الى المدينة الكبيرة لمشاهدة افلامها السينمائية . .

ان سامراء تبعد ١٢٠ كيلومترا عن بغداد وهي متصلة بها بطريق معبد تقطعه السيارة في مدة ساعة . والقطار السريع يسير بينهما مرتين يوميا، ويقطع المسافة في مدة ساعتين ، تتحملها الاسرة بصبر ليتمتع افرادها بمشاهدة الافلام في دور السينما ببغداد !! . .

. . لأن الشاشة صغيرة !

وقد فاتنا ان نذكر ان في المكتبة العامة بسامراء آلة عرض سينمائية تعرض افلاما ثقافية وصحية ، مرة كل ثلاثة اشهر ،بجوار مبنى المكتبة . . واستطاعت هذه المكتبة ان تحصل على اذن خاص لعرض هذه الأفلام، وقد جاءها التصريح بالموافقة « نظرا لان مبنى المكتبة بعيد عن الحضرة . . ولان شاشة العرض صغيرة » !!

والتلفاز موجود في منازل بعض العائلات ، وهي لا تستعمله الا عندما يكون الجو رطبا فيستطيع ان ينقل



أربعة من شـيوخ التكايا العشرة المنتشرة في سامراء والتي « بناها أهل التقوى والصلاح لاقامة الصلاة والذكر والعبادة » .. ان أهل سـامراء يقصدون الى شيوخ هذه التكايا مع مرضاهم كي يقرأوا لهم بعض الآيات ليبرأوا من أسقامهم .



الى اليمين : شارع من العهد العثماني ، مـا زال قائمـا حتى اليوم ، بمشربياته الخشبية المخصصة للنساء ، وأقواسه التي يمر من تحتها السابلة . لقد كانت سامراء محاطة بسور كبير ارتفاعه سبعة أمتار تقفل أبوابه في الليل وتفتح في النهار ، وقد هدم هذا السور حوالي عام ١٩٤٠.



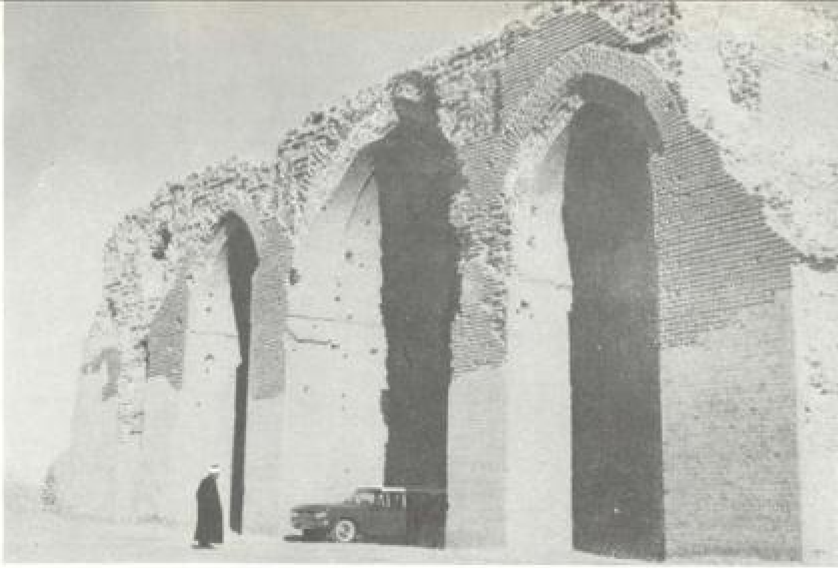
ميدان عدنان المالكي : أجمل ميادين سامراء ، وقلبها النابض ، فحوله يقع مدخل الصحن الشريف ، وفندق سُرّ من رأى والمقاهي والمتاجر .. ومما يذكر أن عدد الشوارع المعبدة في سامراء أربعة ، ويجري العمل في تعبيد شارع خامس !! أما عدد الأزقة فأكثر من ٨٠ زقاقا ! وآخر احصاء لعدد نفوس المدينة كان ١٦٣٩٩ نسمة ، منهم ٨٣٤٦ ذكرا و ٨٠٥٣ أنثى .





الى اليسار : يعمل أبناء سامراء في تجارة المبيدات الكيماوية والبذور ويبيعونها بكميات كبيرة للمزارعين داخل علب مكتوب عليها : طماطم من فرنسا .. خيار من أمريكا .. فجل من الدانمرك ..

اما البذور المحلية فلم نجد الا بذور الكوسة واصلة من الموصل . ان أخصب منطقة في العراق لا تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها ابدا ، فهي دائما في حاجة الى بذور .. خارجية !!!



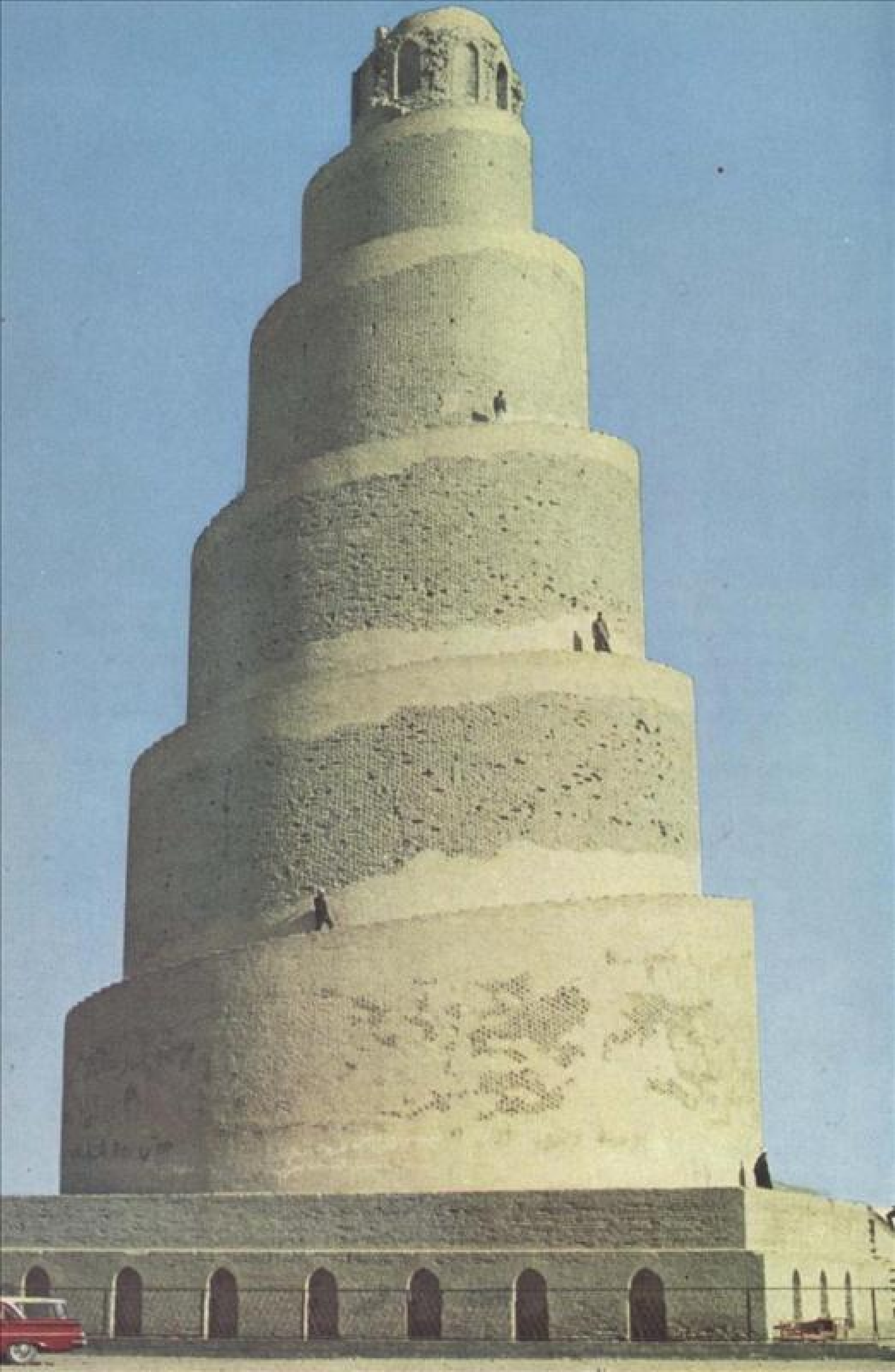
دار الخليفة المعتصم ، اول دار ارتفعت في « سُرّ من راى » لقد كانت مساحتها تصف مليون متر مربع ، تحيط بها البساتين والحدائق .. اما اليوم فلا شيء سوى اطلال تحيط بها الرمال ، وعلى مسافات قريبة تقع آثار بقية القصور التي كانت تزهو بها « سُرّ من راى » مثل العاشق ، والمنقور ، والتل .

البرنامج الذي يقدمه تلفاز بغداد ..
اما التلفون فما زال يعمل على البطارية الكهربائية !!

منفى للمغضوب عليهم !

لقد ظلت سامراء منفى للمسجونين يُرسلون اليها لقضاء المدة المحكوم عليهم بها .. واليها كان ينقل الموظف المغضوب عليه وكانها منفى او ليمان! مع ان مناخها في غاية الاعتدال ، وهذا الاعتدال كان من اسباب اختيار المعتصم لها عاصمة له ..
وهنا لا بد من تكرار السؤال : من المسئول عن هذا التخلف ؟
هل هي بلدية المدينة ؟
ان أهل الحل والربط في المدينة يقولون ان البلدية بريئة من هذا ، وان نظام الحكم المركزي — الذي يجري التفكير الآن في تعديله — لا يسمح لرئيس البلدية ان يتصرف في شأن تزيد نفقته على ثلاثين دينارا !! فاذا اراد انفاق ٣١ دينارا ، كان عليه الرجوع الى المتصرفية في بغداد ، فسامراء من ناحية التقسيم الاداري ، قضاء تابع للواء بغداد ..
وتتعطل بذلك الاعمال ويتوقف دولاب

الى اليسار : منارة « الملوية » ، أشهر آثار سامراء ، استوحى المعتصم بناءها من الزاقورات (الابراج) الاشورية القديمة التي كانت تقدم عليها الضحايا والقرابين . لقد تفككت هذه المنارة واصيبت بالخراب ، ولكن مصلحة الآثار رفعت الانقاض عنها ورممتها ، (لاحظ الجص الأبيض الحديث) وكانت « الملوية » في السابق بمثابة مئذنة للمسجد الجامع ، تنطلق من فوقها أصوات المؤذنين بينما المصلون يتصلون في جامعها الكبير ، الذي كان يتسع لستين الف شخص ، وقد اندثر هذا الجامع ولم تبق منه سوى أطلال . ويبلغ ارتفاع « الملوية » ٥٢ مترا يصعد اليها الناس على نفس الدرجات الحلزونية الدائرية التي كان يصعد عليها المتوكل على ظهر حماره «المريسي» ، كما يصعد اليها كذلك هواة الانتحار، فيلقون بأنفسهم من عاليها. وتقوم على بعد قليل من هذه «الملوية» ملوية أخرى تشبهها تماما ولكنها أصغر منها ، اذ يبلغ ارتفاعها ١٩ مترا ، وقد بناها الخليفة جعفر المتوكل مع مسجده المسمى « جامع ابى دلف » .





مشاكل المطبخ : درس في كيفية عمل كفتة اللحم المخلوطة بالبطاطا المسلوقة . ان أكثر ما يضايق المرأة عند الطبخ هو مشكلة الماء وخاصة في الصيف حيث يوزع الماء على نصف البلد ، لمدة يوم ثم يقطع عنه في اليوم الثاني ليوزع على النصف الآخر وهكذا .. والماء يصل الى المنازل بدون تعقيم ، فتعمد ربات البيوت الى اضافة قطعة من « الشب » لترويقه . ويبلغ عدد المشتركين في الماكينتين اللتين تسحبان الماء ٢١٢٥ مشتركا فقط ، بينما يقدرون عدد السكان ب ٢٥ الف نسمة .

الحياة في سامراء ، وتظل « الروضة » محاطة بالاكواخ والأطلال ، رغم وجود مشروع بشق طريق حولها ، ذلك الذى تقرر منذ اكثرمن عشر سنوات ، ولم يبت فيه الى اليوم .

مسئولية أهل سامراء

على ان مسئولية أهل سامراء فيما اصابها من تدهور على الدهور شيء لا يماري فيه أحد ..

انهم منقسمون الى ٢١ قبيلة او عشيرة ، يحفظون انسابهم وافخاذهم حفظا تاما ، وما يكاد أحدهم يجلس اليك ، حتى يبدأ بعرض شجرة عائلته معددا أسماء أجداده التى تتسلسل عبر السنين والقرون حتى يتصل نسبها بآل البيت الاطهار !!

انهم يقولون ان هذه العشائر جاءت من المدينة المنورة بالحجاز ترافق ركب الامام علي الهادى ، حين أمر الخليفة جعفر المتوكل باعتقاله واحضاره من المدينة المنورة الى سامراء ، لأن قوما دعوا بالخلافة له ، بينما المتوكل خليفة ، فظل الامام الهادي معتقلا في سامراء الى ان توفى .. وظلت العشائر تعيش في سامراء وتتناسل حتى يومنا هذا ..

ولكن رغم انحدارها من أصل واحد ، وتعارفها ، فهي لا تزال منقسمة الى سبع قبائل رئيسية ، كل منها يسكن حيا معينا من المدينة ..

ومساوىء هذا النظام القبلى أكثر من ان تعد، اذ تجدها كامنة تعرقل كل خطوة تخطوها المدينة الى الأمام .

وقد امتد هذا النظام الى خدم الحضرة العظيمة التى يرقد فيها الامامان علي الهادي وولده الحسن العسكرى . فخدم الحضرة كل منهم يتبع قبيلة مختلفة ، ومنعا لأي احتكاك بينهم فان خدم كل



الهاربات من التصوير !: عندما اتجهت بعثة «العربي» لتصوير مدارس الفتيات ، كانت مديرة كل معهد تطلب من اللواتي لا يرغبن في التصوير ، أن ينسحبن الى ركن في الفناء ، وكان عدد المنسحبات كل مرة ، يزيد عن النصف ، وبينما كانت العدسة تلتقط صورا لبعض الطالبات ، انحرفت قليلا والتقطت هذه الصورة خطأ ! انها للطالبات المنسحبات .. وقد ارتسمت على وجوههن تعبيرات مختلفة من الدهشة .. الى الهلع .. الى التردد مع بعض الرضا .. والتسامح .

قبيلة يتولون خدمة الحضرة مدةاسبوع، ليأخذ مكانهم في الاسبوع الذي يليهخدم آخرون من قبيلة اخرى .. وهكذا .

وكتفرقة بين الأحياء ، تفرقة بين الأموات

ولا تقتصر التفرقة على الأحياء ، بل تمتد الى الأموات !! فسامراء تضم سبع مقابر ، كل واحدة منها تابعة لقبيلة ، تدفن فيها موتاها !!

وقد حاولت بلدية سامراء اصلاح الوضع فعمدت الى انشاء مقبرة موحدة لدفن جميع الموتى معا بعيدا عن وسط المدينة .. ولكن هذه المقبرة ظلتخالية، وظل الأهالي يدفنون موتاهم في مقابرهم القديمة ليكونوا بجوار أهلهم وذويهم . ضاربين عرض الحائط بتعليمات وانظمة البلدية التي لا تسمح لها ماليتها (مائة الف دينار في السنة) بوضع الحراس على المقابر القديمة ، لمنع الأهالي من دفن موتاهم هناك !

والموظفون متهمون

ومن مساوىء هذا النظام العشائري ما يتعرض له الموظفون في المدينة .. فكل موظف هناك يتبع ، حتما ، قبيلة من القبائل السبع ، فاذا حاول القيام بأي تجديد او تغيير ، فان أفراد القبائل الأخرى يقفون في وجهه ويتهمونه بأنه يحاول استغلال وظيفته تشيعا لقبيلته ! ثم يجتمع رجال قبيلته ويستمعون الى ما يقال ، وينتهي المشهد بأن يقولوا له :

ـ نحن عائلة محافظة فاذا كانت عندك افكار حديثة فعليك ان تسويها في مكان غير هذا ، بعيدا عن مدينتنا ..

وهكذا تنعدم المبادرة عند الموظف الى الاصلاح !!

اول جيل من فتيات سامراء يتعلم فيها! كانت الفتاة السامرائية تذهب الى بغداد وبعقوبة والحلة والرمادي لتلقي علومها ، أما الآن فان معهد الفنون البيتية والمدارس في سامراء ، تقوم بتعليم الفتيات اللغات والحساب والكيمياء الى جانب التطريز والطبخ والأشغال والرسم والخياطة كما ترى في الصورتين المنشورتين على هذه الصفحة : الاولى لفتاة تجرى اللمسات الأخيرة في ثوب صنعته بيدها ، والثانية لفتيات يتلقين درسا في الخياطة . وتقول الآنسة غنية السامرائي ، مديرة معهد الفنون البيتية،ان جميع مدرسات المعهد من بنات سامراء نفسها ، وقد تلقين علومهن في كليات بغداد.







السفور ممنوع فى سامراء ! فالمرأة تسير فى الشارع وقد تغطت بالسواد من قمة رأسها الى أخمص قدميها ، وتحت الملاية السوداء توجد ملحقات لا بد منها : فوطة سوداء تحيط بالوجه مصنوعة محليا ، فوقها قطعة من الحرير الطبيعى الاسود يسمونه « كيش » ، ثم البوشية السوداء مع الملاية السوداء ! ولكن الفتاة المتعلمة تضرب بهذه التقاليد عرض الحائط ، فتجدها فى المدارس ترتدى الملابس الزاهية الالوان ، وتنسق شعرها على أحدث الطرق . وتطرح الملاية والبوشية جانبا ما دامت داخل المدرسة ، فاذا همت بالانصراف عادت الى ارتدائهما من جديد !

خوارق عادات ، وكرامات

وتنتشر بين منازل سامراء عشر تكايا ، يقصدها الزوار مع اقاربهم المصابين بأمراض عقلية ليقرأ لهم « الشيخ » ، او « سيد الروضة » ، بعض آيات الله ، لتهدأ ثائرة المريض ويبرأ من علته !

وتقام فى هذه التكايا حلقات يقصدها الناس بالمئات ، وخاصة عندما يقوم (السادة) بحركات خارقة للعادة ، كالوقوف وسط النار ، وادخال الحراب فى المعدة او الرقبة ، دون ان يتأذى الجسم او يتضرر . . وهي مناظر معروفة مألوفة فى كثير من بلدان الشرق ، أو هكذا كانت ثم زالت .

وسألنا السيد شكورى شيخ الرفاعية عن سر هذه القوة الخارقة فأجاب :

ـ ان الرفاعية ينحدرون من احسن الانساب ، واكرم البيوتات . . (وهنا جاء بورقة صفراء طويلة بدا يقرأ منها تسلسل نسب عشيرته حتى وصل الى موسى الكاظم ، وعلي بن ابي طالب رضى الله عنهما) وتابع كلامه قائلا : « ان ما نفعله ليس سحرا ولا شعوذة انما هو كرامة النبى الى آل البيت . . وهى ممتدة من ايام هولاكو ومتصلة الى يوم القيامة » .

من أجل حياة افضل

ان اهل سامراء يحدوهم امل كبير فى حياة افضل ، وعيش ارخى وانعم .

واذا صعد المرء فوق مئذنة الملوية (راجع المصورة وشرحها ص ٩١) تكشفت له منطقة صحراوية شاسعة يجرى العمل بهمة فى ركن منها . . انه مصنع يبنونه جديدا لانتاج البنسلين ومشتقاته . . ان الآمال الكبار معلقة بهذا المصنع بحسبانه نواة لسامراء صناعية جديدة ، تقوم حول هذا المصنع الاول ، وتضم ٤٠٠ منزل لايواء الالفى عامل



المقهى : هو المكان المفضل لاهل سامراء يقضون فيه اوقاتهم بالليل والنهار ، لانعدام وسائل الترفيه او التسلية فى المدينة . ويبلغ عدد المقاهى فى المدينة ٢٤ مقهى ، أى بمتوسط مقهى لكل ..٥ شخص تقريبا .

سيارة ابن بطوطة !: **حديث بين قائمقام سامراء وامين مكتبتها العامة حول هدية الكتب القيمة التى استلمتها المكتبة من الاستاذ ساطع الحصرى .. وتضم المكتبة ٣٢٢٨ كتابا ، وتملك سيارة ابن بطوطة وهي مكتبة متنقلة بين القرى المحيطة بسامراء تنقل اليها الكتب للاطلاع والقراءة .**



بلدية سامراء : **اجمل ما فيها ، مبناها الحديث .. ان اعضاء البلدية حائرون ، لا يدرون من اين يبدأ الاصلاح ؟ .. ان العمل كثير ، لكن الموارد شحيحة .. والذى يثير الاستغراب ان ارقام ميزانيات بلديات** القرى **المحيطة بسامراء تفوق ارقام ميزانية مدينة سامراء!**



الذين سوف يعملون فيه ..

واختير لهذا المصنع ، نواة سامراء الجديدة ، مكان بعيد عن سامراء الحاضرة ، وذلك تحايلا على قانون قديم .. فالمكان المختار يبعد عن الحضرة المقدسة بما يسمح ببناء مدينة كاملة بها كل وسائل الحياة العصرية ، التى يمنع القانون من قيامها فى كل مدينة مقدسة.

من الزخرفة الى البنسلين

ان هذا المصنع الذى سيبدأ عمله فى نهاية ١٩٦٥ سيكفى حاجة العراق من البنسلين ومشتقاته ، ويفيض شيء للتصدير .. وبناؤه فى سامراء هو اول خطوة صناعية فى هذه المدينة ، وهى مدينة لم تكن الصناعة بغريبة عنها ، فهى اشتهرت فى التاريخ بنقوشها وزخرفها وفسيفسائها الجميلة ..

ارزاق سامراء

ان اهالى سامراء يعيشون على تجارة الأغنام ، يربونها فى ضواحى المدينة ويصدرونها الى المدن القريبة وخاصة بغداد ، التى تأخذ يوميا نحو اربعة آلاف رأس من الغنم .. وهذا فضل لبغداد يجب أن تذكره سامراء !

ويحترف أغلب ابناء هذا البلد مهنة الزراعة ، وقد عمد الكثيرون الى انشاء شركات لتاجير الجرارات ذات المحركات البترولية للفلاحين أو بيعهم اياها ..

وعلى هذه الجرارات قامت ستة مصانع صغيرة لاصلاحها .

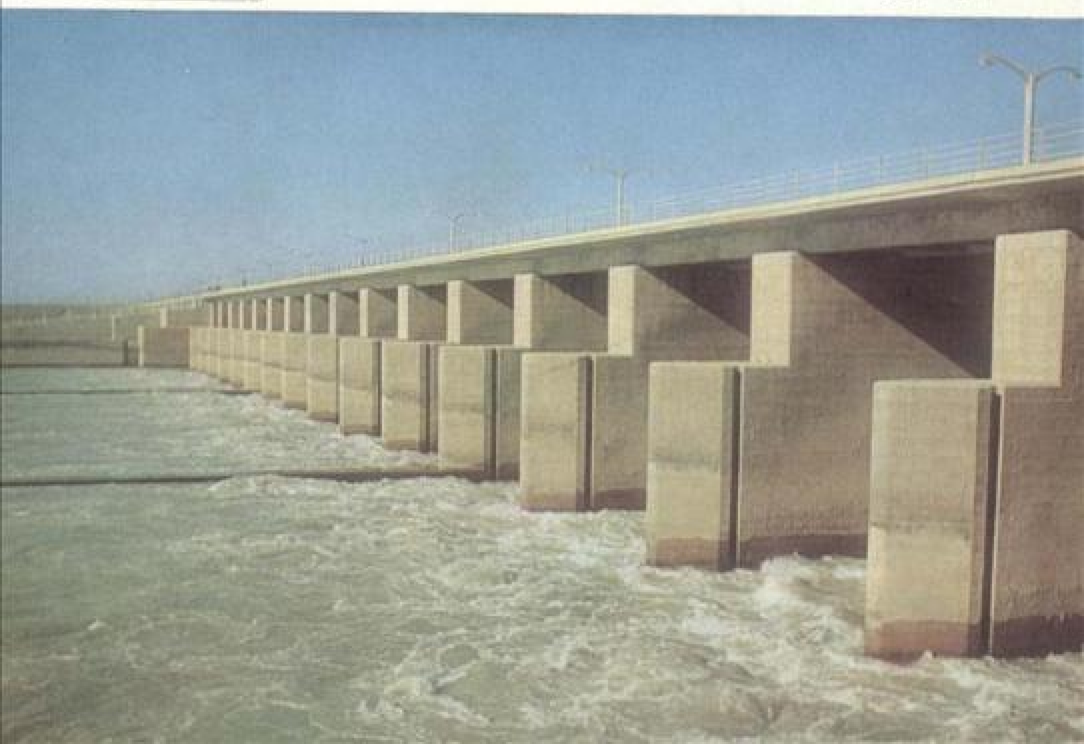
ومن الطريف ان المتجول فى المدينة يقرأ كلمات : مصنع المعتصم .. وشارع المعتصم .. ومدرسة المعتصم .. وسوق المعتصم .. الخ .. ولا غرابة فى هذا فالمعتصم هو بانى سامراء ، ولذا فان اهلها ما زالوا يعترفون بفضله ، ويطلقون اسمه على كثير من مرافق المدينة التى تعيش على امجاد ماضيها ، ورمزا للوفاء والاعتراف بالجميل !!! ■■

سليم زبال





أول سد على نهر دجلة : عند مدخل مدينة سامراء أقيم سد الثرثار (تكاليفه ١٦ مليون دينار) للتحكم فى تصريف مياه دجلة الى الجنوب ، وقد اقتضى المشروع تحويل مجرى النهر ، فضاعت أهمية الجسر القديم الممدود فوق الزوارق الحديدية (الصورة العليا) واستعيض عنه بالمرور فوق السد الجديد البالغ طوله ٤٤٩ مترا وبه ١٧ فتحة تقفل أيام الفيضان فتتحول المياه صوب قناة الثرثار ، وتسير فيها مسافة ٥٣ كيلومترا قبل أن تصب فى بحيرة الثرثار (أنظر الخريطة) ومن المؤسف أن الارض التى تمر بها هذه المياه ، أرض مالحة لا تصلح أبدا للزراعة ، ولكن نشأت فى بحيرة الثرثار فصائل جديدة ممتازة من الأسماك .. ومنذ انتهاء بناء السد (عام ١٩٥٦) وأهل سامراء يسمعون عن « الكازينو » الكبير الفخم المزمع انشاؤه عند بحيرة الثرثار !!



من تاريخنا العربي المجيد



المرأة والعقيدة

ام علقمة تقول للحجاج :

انت فى عيني اصغر من ذباب !

عمرة بنت النعمان ، تقول لمصعب بن الزبير ،وقد ارادها ان تتبرأ من زوجها بعد قتله :

كيف أتبرأ من رجل يقول ربى الله

بقلم : ألفه الادلبى

■ التفسير اللغوى لكلمة عقيدة هو :
العقيدة ما عقد عليه القلب والضمير .

يتراءى لنا من هذا التفسير ان العقيدة فى حاجة الى عاطفة تنبع من القلب ، والى عقل يرجع الى تحكيم الضمير . فاذا تم التوافق بين العقيدة والعاطفة نتجت العقيدة الراسخة التى لا يمكن ان يزعزعها شىء عن مبتغاها .

الوحدة العربية بين العقل والعاطفة

فقضية الوحدة العربية بالنسبة الى امة العرب قضية قد توافق عليها العقل والعاطفة ، وعقد عليها القلب والضمير حتى اصبحت عقيدة يؤمن بها كل عربى صميم ، مخلص لعروبته .

من حيث العقل لا يمكن ان يمارى

اثنان فى أن فى الوحدة العربية الخير كل الخير لأمة العرب . فلا يمكن أن يرقى العرب الى مصاف الأمم التى حققت نصرا حضاريا رفيعا الا بتحقيق الوحدة العربية .

أما من حيث العاطفة فاللغة، والتاريخ، والتقاليد ، والتلهف الى اعادة أمجاد الامبراطورية العربية ـ التى يعتز بها العرب كافة ـ الى سابق عهدها من العزة والازدهار ، والعطاء الانسانى ، هذا كله يجعل بين العرب تعاطفا ، ويربط الأقطار العربية بعضها ببعض ويوحد اهدافها .

أما الذى يُخشى منه هو ان تتأثر العاطفة ببعض العوامل التى تحد من اندفاعها ومن ثم تتخلخل العقيدة ويكون الانحراف .

المراة أخلص لعاطفتها من الرجل فاقل انحرافا

ولما كانت المراة اقوى عاطفة من الرجل، واخلص لعاطفتها منه ، كانت اقل انحرافا منه ، فى عقيدتها الوحدوية . ولعل بعدها عن الاغراءات التى يتعرض لها الرجل بحكم ما يمارس من الاعمال جعلها بمأمن من الانزلاق الذى يتعرض له الرجال . هذه الظاهرة دفعتنى لأن ابحث عن جذورها فى تاريخ المراة العربية، فالتاريخ كما يقول مؤلف كتاب ـ تاريخ الثورات ـ : « علم من حيث انه يروى الحوادث ويعللها فى تتابعها ، ولكنه يجب ان يكون فنا من حيث استنباط العبرة ، والبعث على القدوة ، ونحن حين نستمد قوة من الماضى نغتصب بذلك قوة أخرى من المستقبل » . فلنعد اذن عبر التاريخ ولنستمد من بطولة المراة العربية وصدق عقيدتها قوة نحن احوج ما نكون اليها فى ظروفنا الحاضرة .

البلجاء وعبيد الله بن زياد

كانت البلجاء مجتهدة من الخوارج ، وما عرف تاريخنا فئة مندفعة فى عقيدتها كهؤلاء الخوارج . فلما امعن فيهم القائد عبيد الله بن زياد قتلا وتعذيبا جاء البلجاءَ احدٌ زملائها ، ابو بلال ، ينصحها ان تتوارى ويقول لها :

ـ ان هذا المسرف فى نفسه الجبار العنيد قد ذكرك ـ يقصد عبيد الله بن زياد ـ

قالت :

ـ ان يأخذنى فهو اشقى بى ! .. اما انا فما احب ان يُعنَت احدٌ بسببى .

فوجه اليها عبيد الله بن زياد ، فاتى بها ، ثم امر ان تقطع يداها ورجلاها وان يُرمَى بها فى السوق. وظلت تنزف امام الناس حتى ماتت ثابتة على عقيدتها.وكم قتل وعذّب من هؤلاء الخارجيات وظللن رغم ذلك كله ثابتات على عقائدهن وفيات لها.

ام علقمة والحجاج

جىء بام علقمة الخارجية الى الحجاج بن يوسف، وهى من ربّات الفصاحة والشجاعة وقوة الحجة، فقيل لها : ان أردت النجاة فوافقيه بالمذاهب .

قالت :

ـ قد ضللت اذن ! وما أنا من المهتدين .

قال لها الحجاج :

ـ لقد خبطت الناس بسيفك خبط عشواء يا عدوة الله .

قالت :

ـ لقد خفتُ الله خوفا صيَّرك فى عينى اصغر من ذباب .

وكانت تكلمه منكسة الراس ، فقال لها :

ـ ارفعى راسك وانظرى الى .

قالت :

ـ اكره أن انظر الى من لا ينظر الله اليه .

قالت هذا القول للحجاج الذى ارعب الحجاز والعراق ، وقتل مئات الالوف من الناس ، ولكن على ما يبدو لم يُرعب ام علقمة هذه . كانت عقيدتها تمدها بشجاعة لا حد لها ، ويامر الحجاج ان تقتل . فقتلت وهى باقية على عقيدتها .

غزالة والحجاج

وما عُيِّر الحجاج،ذلك الجبار العنيد، بالجبن، الا لما اقتحمت عليه غزالة الحرورية الكوفة ، على راس جيش كبير بين افراده ما يقارب الثتين من النساء قد اعتقلن الرماح وتقلدن السيوف ، فاضطر الحجاج ان يتحصن فى قصر الامارة ، فعيّره احد الشعراء قائلا :

أسدٌ على وفي الحروب نعامةٌ
فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلاّ برزتَ الى «غزالة» في الوغى
بل كان قلبك في جناحيْ طائر

وظلت غزالة تجاهد في سبيل عقيدتها سنين طويلة حتى استشهدت .

النساء بين علي ومعاوية

وما يحدثنا التاريخ عن حرب اندفعت فيها المرأة العربية بحماسة وعقيدة بعد غزوات النبي (صلعم) كتلك الحرب التي نشبت بين علي رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان . كان عليٌّ على حق فانحاز اليه عدد كبير من النساء كن يدافعن عن الحق بجرأة قد يفتقر اليها بعض الرجال . ولما استتب الأمر لمعاوية أخذ يستقدم اليه هؤلاء النسوة ليحاسبهن أو يعاقبهن على ما ابدين نحوه من كره . ثم يحاول أن يستميل قلوبهن بحلمه وتسامحه ، وبما يبذل لهن من جوائز وعطايا . فما من واحدة منهن تنصلت من فعلها ، أو تبرأت من قولها ، بل كن يجابهن معاوية وهو أمير المؤمنين وفي مجلسه ، وبين أعوانه وحجابه ، بجرأة تبعث على الدهشة .

ذكر معاوية سَوْدةَ بنتَ عمارة حين وفدت عليه بشعر قالته يوم صفين تمدح به عليا وتذم معاوية وتحض اباها على قتاله ، فقالت له غير هيابة ولا وجلة :

ــ اي والله لقد قلت ما قلت وما مثلي من رغب عن الحق واعتذر بالكذب .

قال لها معاوية : وما الذي حملك على ذلك ؟
اجابته بصراحة لا لبس فيها :

ــ حبُّ عليٍّ ، واتباع الحق .

ولما امر لها بالعطاء سألته قائلة :

ــ الي خاصة أم لقومي عامة ؟

قال معاوية : مالك ولغيرك ؟

فأجابته : هي والله الفحشاء واللؤم ! .. ان لم يكن عدلا شاملا والا فأنا كسائر قومي .

لقد سبقت هذه المرأة البسيطة التي ملأ الايمان قلبها فيلسوف المعرة أبا العلاء حين قال قولته الانسانية الخالدة :

فلا هطلت عليّ ولا بأرضي
سحائبُ ليس تنتظم البلادا

وبين عميرة وزوجها مجاشع

كانت عميرة زوجة مجاشع الخارجي ترى وجوب الاشتراك بالحرب ، وكان زوجها يرى القعود عنها، فاضطرت أن تتركه وشأنه وتلتحق بالمحاربين من الخوارج ، وكتبت اليه تقول :

أبلغ مُجاشعَ ان رجعتَ فانني
بين الأسنّة والسيوف مقيلي

أرجو السعادة لا أحدّث ساعة
نفسي اذا ناجيتها بقفول

ووهبتُ خِدْري والفراشَ لكاعبٍ
في الحيّ ذات دمالج وحجول

لقد ضحت عميرة ببيتها وزوجها في سبيل الدفاع عن عقيدتها .

وعمرة بنت النعمان

وما من حادثة تدل على وفاء المرأة العربية وتمسكها بعقيدتها كحادثة عمرة بنت النعمان بن بشير الانصارية ، زوجة المختار الثقفي .

كان مصعب بن الزبير قد قتل زوجها ، واراد مصعب أن يتهم المختار الثقفي في دينه ليتحلل من قتله ، فجاء بزوجته عمرة وطلب منها أن تتبرأ منه ليتخذها كشاهدةٍ عليه . ولكن عمرة كانت ذات عقيدة ووفاء ، فأبت أن تتبرأ من زوجها . فأمر مصعب أن توضع عمرة في حفرة ، ووقف السيّاف على راسها شاهرا سيفه ، وبجانبه وقف مصعب يحثها على أن تتبرأ من زوجها . تارة كان يهددها بالقتل ، وتارة يغريها بالمال والجاه ، وهي تقول غير آبهة لوعوده ، ولا مبالية بالشر الذي يحيط بها :

ــ كيف أتبرأ من رجل يقول ربي الله ؟؟ كان صائمَ نهاره ، قائمَ ليلهِ ، قد بذل دمه لله ولرسوله . شهادة أرزقها ثم اتركها ؟ اللهَ أشهد ، اني متبعةٌ لنبيك ، ابن بنته ، واهل بيته ، وشيعته .

فأمر مصعب السيّافَ أن يضربها بالسيف ، فضربها ثلاث ضربات حتى ماتت باقية على العقيدة والوفاء .

وفيها يقول الشاعر عمر بن أبي ربيعة :

ان من أعجب الأعاجيب عندي
قتلَ بيضاء حرّة عطبول

قتلوها ظلما على غير جرم
ان لله درّها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

والعطبول هى المرأة الفتية الجميلة الطويلة العنق .

الأدب العربى لم يمجد فى المرأة غير جمالها وفتنتها

ولما كان الشىء بالشىء يذكر ، كان لا بد لنا أن نقول ان على أدبنا العربى مأخذا كبيرا . فشعراؤنا القدامى لم يمجدوا فى المرأة الا جمالها وصباها وفتنتها .

اما بطولتها ووفاؤها ، وتمسكها بعقيدتها ، واستشهادها فى سبيلها فقلما كان يوحى ذلك اليهم شيئا . فلو لم تكن عمرة بنت النعمان هذه بيضاء عطبولا ، اى فتية جميلة طويلة العنق ، لما وجد الشاعر قتلها ، من غير ذنب جنته ، من أعجب الأعاجيب ! ..

ان العجيب حقا هو أن هذا الشاعر ، الذى يقول كتب القتل والقتال علينا ، ما عرف عنه انه قائل كما قاتلت النساء العقائديات فى عصره ، انما عرفناه يجر ذيوله وراء كل حسناء دائما أبدا.

ملهمة الشعراء

وفى موازنة لذلك لا بد لنا أن نسجل مأثرة لأدبائنا المحدثين الذين بدأوا ينظرون الى المرأة شريكة للرجل ، لها ماله من حقوق ، وعليها ما عليه من واجبات . وان ما كتب عن جميلة بوحيرد وحدها لو جمع لكان اكثر من ديوان . وقد انتخبتها جمعية الأدباء فى دمشق مُلهمة لشعراء عصرها ، وارسلت اليها هدية وهى فى سجنها ، وما مُجّدت جميلة لأنها فتية او فاتنة ، وانما مجدت لموقفها البطولى وعقيدتها الراسخة ، وما جميلة الا رمزا لبطولة المرأة العربية فى الجزائر، وهى قد استطاعت أن تفرض احترامها على العرب وغير العرب من أمم .

وما أحسبنى ذكرت الا غيضا من فيض عن جهاد المرأة العربية وتمسكها بعقيدتها فما توخيت الحصر وانما ضرب الأمثال .



جميلة بوحيرد

وكامتحان المرأة العربية فى عقيدتها امتحان فى ولدها

وقد رأينا أن المرأة العربية حين كانت تمتحن فى سبيل العقيدة كانت تقبل على الاستشهاد راضية مطمئنة ، أو تتحمل السجن والعذاب بصبر جميل عجيب . كذلك كان شأنها حين تمتحن بولدها فلا تتوانى ابدا عن التضحية به . كانت عقيدتها القوية تنتصر على غريزة الأمومة ، أقوى الغرائز تحكما بالمرأة .

الخنساء تدفع أولادها للاستشهاد

لقد دفعت الخنساء أولادها الأربعة الى الاستشهاد فى حرب القادسية . ولما بلغها نبأ استشهادهم قالت قولتها المشهورة :

ـ « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » .

ولم ترثهم ، وهى الشاعرة الجياشة العاطفة التى رثت اخاها صخرا حين قتل بمراث لا مثيل لها فى أدبنا العربى . بكت الخنساء وأبكت كل من

قرا مراثيها ، وما ذال الا لان صخرا هذا لم يقتل فى سبيل عقيدة ، او هدف اسمى ليعوض بلوغ الهدف عن فقده ويكون تعزية لاخته المولعة به .

واسماء بنت ابى بكر كان كذلك شانها

كذلك كان شان اسماء بنت ابى بكر حين جاء ابنها عبد الله بن الزبير يستشيرها بعد ان خذله جنده واهله ، ايمضى فى الحرب حتى يستشهد ، أم يستسلم لأعدائه ؟ ولم تتخاذل الأم العجوز العمياء ، ولم تستطع عاطفة الأمومة ان تحملها على التضحية بالكرامة فى سبيل السلامة ، فقالت له هذا القول الجبار :

ـ القتل يا بنى أحسن ، كم خلودك فى الدنيا ؟

اليست اقصى مراتب الشجاعة حين تقول الأم لابنها :

ـ القتل أحسن .

وغير الزعيمات ، نساء اخريات

ولم يذكر لنا التاريخ من هؤلاء النساء ذوات الشجاعة والعقيدة الا الزعيمات أو ذوات الشان منهن ، أما لشجاعتهن الخارقة،واما لاقوالهن،ذات القيمة الأدبية . مع ان هناك الكثيرات من النساء اللواتى استشهدن أو سجن وعذبن فى سبيل البقاء على العقيدة ولم يصلنا من اخبارهن شىء .

ورد فى مروج الذهب للمسعودى انه حين مات الحجاج بن يوسف وجد فى سجونه أعداد من النساء كثيرة ، فلم سجن هؤلاء النسوة كلهن ؟ مما لا ريب فيه أن اكثرهن قد سجن فى سبيل عقائدهن السياسية مما يثبت لنا ان المرأة العربية كانت تعمل فى سبيل القضايا العامة عملا ايجابيا .

الماضى سبيل الانطلاق الى المستقبل

ان العودة الى الماضى سبيل الى الانطلاق فى المستقبل ، وكلما ازداد وعينا ازداد تعلقنا بتراثنا الذى منه نستمد القدوة والقوة .

ان أمتنا العربية تمر الآن فى ظروف حرجة عصيبة يقتضى الانتصار عليها أن ندرس مصادر القوة فينا ثم نستغلها الى ابعد حد ، فهل استطاعت المرأة العربية فى العصر الحاضر أن تستمد من ماضيها المجيد قدوة وقوة فتعمل على تحقيق الوحدة العربية التى هى السبيل الوحيد للانطلاقة العربية الشاملة ؟

يؤسفنا أن نقول أن ايماننا الحار بقضيتنا،الذى يشع فى نفوسنا كنور الله، لم يبرز الى حيز العمل بصورة تتناسب مع حرارة هذا الايمان ، ومع رصيدنا التاريخى الكبير .

الحاجة الى منظمات نسائية

ان عمل المرأة فى سبيل تحقيق الوحدة العربية لم يتعد على ما نعلم كتابة مقال، او القاء محاضرة ، أو اذاعة حديث . وهذا كله قليل الجدوى ، بينما تستطيع المرأة ان تدعم الوحدة العربية دعما فعالا اذا قامت بتأسيس منظمات نسوية فى جميع البلاد العربية غايتها السعى لتحقيق الوحدة عن طريق التوعية والتوجيه وتهيئة الأفكار ، يتغلغل أفرادها بين جميع الطبقات وبخاصة الطبقات المتخلفة فى الريف والمدينة .

ولعل قائلا يقول ان هذه الطبقة التى نعتها بالمتخلفة أشد تمسكا بالوحدة من غيرها . وردنا على هذا القول هو : ان اندفاع هذه الطبقة منا هو اندفاع عاطفى فقط لم يصل الى مرحلة العقيدة التى هى فى حاجة الى توافق تام بين العاطفة والعقل الواعى وعيا يؤهله لفهم مشكلات البلاد العربية وتطورها بين حين وآخر ، واذا لم تدعم العاطفة بهذا الوعى حتى تصبح عقيدة ، يخشى عليها أن تتلاشى امام أول صدمة كما تتلاشى رغوة الصابون دون ان تترك اى اثر .

وكم نتمنى ان تنبثق هذه المنظمات ، التى ستعمل خالصة مخلصة من اجل الوحدة العربية ، عن اتحادات الجامعيات فى البلاد العربية ، ففتياتنا المثقفات لا ينقصهن صدق العقيدة ، ولا اندفاع الشباب وتحمسه ، انما ينقصهن تنظيم العمل ، والثبات عليه . واننا على يقين بأن هذه الدعوة ستجد صدى عند نساء العرب كافة لضرورة الحاجة اليها .

■■

الفة الادلبى



دردشة

طريقة فعالة للقضاء على مزعجات التلفون

● ابتكر عمدة مدينة ممفيس بولاية تنيسى فى الولايات المتحدة الامريكية طريقة فعالة لوضع حد للمكالمات الهاتفية معه فى منزله فى ساعات الليل المتاخرة .

وتتلخص هذه الطريقة بانه حينما يرن جرس التلفون فى المنزل يسارع احد الخدم بالرد ، ويسال المخاطب عن رقم تلفونه ، ويقول له ان العمدة سيتصل به فى صباح اليوم التالى الباكر.

وينفذ العمدة هذا القول بدقة ويتصل بجميع الأشخاص الذين كانوا قد طلبوه فى الليلة الماضية من جهاز التلفون الموضوع فى سيارته ، اثناء ذهابه الى عمله فى الساعة السادسة صباحا .

ويقول العمدة : كانت هذه الطريقة فعالة .. اذ لم اتلق اية مكالمة متاخرة مرة ثانية من نفس الشخص .

الشريط هدية

● ذهبت سيدة انيقة الى مخزن يصنع القبعات لكواكب السينما ، وقالت انها تريد قبعة فى الحال ، لتلبسها فى حفلة دعيت اليها . فأخذ صاحب المخزن مترين من شريط ولفهما على شعرها ، وقال : اليك القبعة يا سيدتى !

فنظرت المراة فى المرآة فأعجبت بما رات وصاحت : مدهشة ! كم ثمنها ؟

فقال صاحب المخزن : خمسة وعشرون دولارا .

فقالت : ولكن هذا ثمن باهظ لمترين من الشريط !

فحل صاحب المخزن الشريط عن راسها ، ووضعه بين يديها وقال :

ــ اما الشريط فانى أقدمه اليك هدية !

حارس يحذر من لمس الجدران

● عهد الى رايك جديس فى الحرب العالمية الأولى ان يتولى اجراء التوفير اللازم فى اقسام الحكومة البريطانية ، فلاحظ مرة فى احد دهاليز الوزارات حارسا يرتدى ثوبا رسميا ، فسأل عنه فقيل له :

ــ انه واقف ليحذر الناس من لمس الجدران .

وقد تبين لجديس بعد بحث مستفيض ان زوجة احد الوزراء جازت ذلك الدهليز منذ ٣٣ سنة يوم كان دهان الجدران طريا ، فلمس كمها الجدار ، فعلق به الدهان ، فصدر الأمر فى مساء ذلك اليوم بتعيين حارس يحذر الناس من لمس الجدران !

كيف تحفظ السر ؟

✲ ان افضل طريقة لجعل المراة تحافظ على السر هى ان تخبرها بأن كل الناس تعرفه.

وجهات نظر

* اذا استسلمت حينما تكون مخطئا فانت ذكي . اما اذا استسلمت حينما تكون على حق فانت متزوج .

* المرأة هي الشيء الوحيد في العالم الذي لا يخاف من المرآة .

* قبل ان تقول بان فلانا قد نال حظا سعيدا في حياته ، اصبر قليلا كي تعرف كيف مات .

* المرأة تصف رجلا بانه ضعيف الارادة عندما ينفذ رغبات امرأة اخرى ، ولكنها تصفه بقوة الارادة وحسن التدبير عندما تتمكن من ارضاخه لتنفيذ ما تريد !

* معذب هو الشخص الذي يعرف كل شيء ولا يجد من يقول له ما يعرف .

* ما اتعس المرأة التي لديها سرّ ، وتلفونها معطل .

* الحياة قاسية ولكن تصوّر كم تكون قاسية لو لم تستطع ان تنام ثلثها !

* حينما لا يوجد اي شخص يخالفك الرأي فانك اما ان تكون خارق الذكاء او رئيسا .

الأمهات مرض

دعى احد اطباء الأطفال الى مأدبةعشاء .. فالتفت حوله الأمهات المدعوات ورحن يضايقنه بطائفة من الأسئلةالخاصة بصحة أطفالهن .. واتفق أن سألته احداهن : ما هو المرض الرئيسي للاطفال ؟

فقال في عصبية ظاهرة : الأمهات !

لويس الرابع عشر يقرض الشعر

كان لويس الرابع عشر يحب الشعروبقرضه ويتجشم عناء نظمه ، ومرة نظم قصيدة قال له رجال بلاطه انها من احسن الشعر ، فارتأى ان يدفعها الى الناقد الكبير «بوالو» وكان معروفا بجرأته وصراحته . ولما قرأ بوالو القصيدة ردهابعد ان ذيلها بقوله :

« ان جلالتكم لا يستحيل عليكم شيء ، وقد اردتم يا مولاي ان تنظموا قصيدة رديئة ، فجاءت بفضل همتكم وارادتكم اردأ القصائد قديما وحديثا !! » .

رؤساء لم يتخرجوا من الجامعة

هل تعلم ان تسعة من رؤساء الولايات المتحدة الأميركية لم يلتحقوا بالجامعة . وهؤلاء هم :واشنطن ، جاكسون ، فان بورين ، تيلور ، فيلمور ، لنكولن ، جونسون ، كليفلاند ، وآخرهم ترومان .

* يقول بعض الناس ان من غير المعقول ان ان نعتقدبما لايمكن اثباته ولكن كل خطوة خطوناها في مرحلة التطور التي بنيناها، كانت علىاعتقاد كهذا الاعتقاد .

كريستوفر فراي



المصريون يدحرون المغول فى:

معركة عين جالوت

ويطاردونهم حتى الفرات بعد أن جاوزوا الحد فى التخريب واستباحة الحرمات

بقلم: حسن الامين

■ لا احسب ان أمة تكبت بمثل ما تكب به العرب والمسلمون فى الغزو المغولى الذى بداه جنكيز واكمله هولاكو. ولا احسب ان شعبا استهدف لمثل ما استهدفت له الشعوب التى جاءت على طريق هؤلاء الغزاة الراعبين، الذين تجاوزوا كل حد فى القتل والتدمير والغدر والاباحة، والذين آنسوا وينسون بأهوالهم كل ما سطره التاريخ من اهوال!

فلم تكن غايتهم توسيع ملك وحكم شعوب وامتلاك بلاد، مما يمكن ان يكون غاية كل فاتح مجتاح، ولا كان الدافع لهم حب السيطرة والتحكم والاغتناء.

بل كان الدافع حقد الوثنية على التوحيد، وكره الجهل والعماية للعلم والهدى!!!

ومن هنا لم ينفع الناس مقاومة ولا تسليم، ولم ينجدهم أمان ولا ايمان، فالمدافعون المهزومون يبادون، والمصالحون المستأمنون يقتلون! ثم بعد كل ذلك احراق للكتب واستئصال للعلماء!

ومضى هولاكو على هذا السبيل، ودمّر ايران وقوّض العراق، ثم نفذ الى الشام مستهدفا مصر لتعم كارثته وتطغى مصيبته..

وبينما هو يهمّ بالخطوة الجديدة



اذ بلغه نعي اخيه ومليكه (منككوقا آن) وترامى اليه أن نزاعا بين اهله يوشك ان يحل ، فلم يشأ ان يستأثر غيره بسيادة الموقف الجديد ، فآب الى بلاده مخلفا جيوشه الكثيفة على اهبتها لغزو مصر بقيادة قائد من اشرس قواده اسمه (كيتوبوقا) .

التهديد

وانفذ قبل رحيله نذيرا الى حاكم مصر ، مع واحد واربعين رجلا من رجاله الفلاظ .

وكانت انباء انتصاراته قد عمت الدنيا كلها ، وكانت جيوشه ثمِلة بباسها ، وكان الناس في كل مكان يوقنون بالفشل ان قاوموه ، بعد ان كسر في زحفه ما لم يكسَر ، وفتح ما لم يفتَح !

في هذا الجو المشحون بمعنى الانهزام المملوء بالرعب ، المفعَم بالانخذال ،مضى

وفده يحمل الى حاكم مصر هذا الكتاب:

« ان الله تعالى قد رفع شان جنكيز خان واسرته ، ومنحنا ممالك الارض برُمّتها ، وكلُّ من يتمرّد علينا ويتعصى امرنا يُقضى عليه ، مع نسائه ، وابنائه ، واقاربه ، والمتصلين به ، وبلاده ورعاياه ، كما بلغ ذلك اسماع الجميع . اما صيت جيشنا الذى لا حصر له فقد بلغ الشهرة كقصة رستم واسفنديار . فاذا كنت مطيعا كخدم حضرتنا، فارسل الينا الجزية ، واقدم بنفسك واطلب الشحنة ، والا فكن مستعدا للقتال » .

الكتاب

وكانت كل جملة فى هذا الكتاب صحيحة صادقة ، فقد دانت لهم ممالك الارض ، وكل من تمرّد عليهم قُضى عليه وخُرّبت بلاده . وشهرة جيشهم المنتصر كانت أعرف من ان ينوه بها . وكبراء الناس قد صاروا خدم الحضرة المغولية ! .

هذا هو الانذار المخيف الذى حمله الواحد والاربعون مغوليا الى السلطات المصرية ، وهذا هو التهديد المروّع الذى وصل الى القاهرة ! .

وهبط الوفد مصر جبّارا متكبرا ، يزلزل بروعته العزائم ويُوهِي الهِمَم . هبط مصر وهبط معه تاريخ اسود من الانتصارات الكاسحة ، وماض بشع من التسلّط المهول ، كانا كافيين للتسليم والخذلان ، لولا ان جابهتهما حَمِيّةٌ شماء ورجولة اتوفة وبطولة فداء !

وكان قد سبق الوفد المغولى الى مصر وفود المنهزمين فى البلاد الاخرى من الذين أطاحت بهم الضربات المغولية فتساقطت بلادهم ، البلد بعد البلد ، فتجمعوا كلهم فى مصر لاجئين اليها .

وها هم المغول يلاحقونهم الى القاهرة وينازلونهم على النيل .

مؤتمر عسكرى

كان الأمر أخطر من أن يقطع فيه انسان واحد . وكانت مصر آخر معقل فاذا هوت ، لم تقم بعدها قائمة . لذلك لم يجرؤ رجلٌ فرد ، مهما أوتى من سداد الراى وقوة العزم ، ان يتفرّد بالقرار . فجمع الحاكم المصرى ، الملك المظفر قطز ، مؤتمرا عسكريا ، كان فى محاوراته ونقاشه فى أرفع مستوى عرفه التاريخ من الاجتماعات العسكرية والمؤتمرات الحربية . وجرت المداولة فيه بصراحة كاملة اقتضتها خطورة الموقف .

قال الحاكم المصرى للمؤتمرين ، وكانوا فى اكثريتهم من القواد اللاجئين :

« لقد توجه هولاكو من توران (١) الى ايران بجيش جرار ، ولم يكن لاى مخلوق من الخلفاء والسلاطين والملوك طاقة على مقاومته ، واستولى على جميع البلاد ، ثم جاء الى دمشق ، ولو لم يبلغه نعى اخيه لالحقَ مصر بالبلاد الاخرى ومع هذا فقد ترك فى هذه النواحى كيتوبوقا ، وهو كالاسد الهصور والتنين القوى فى الكمين، واذا قصد مصر فلن يكون لاحد قدرة على مقاومته . فيجب ان تدبروا الامر قبل فوات الفرصة » .

مناقشة الموقف

هذا هو البيان الموجز الذى افتتح به الحاكم المصرى الملك المظفر مؤتمره العسكرى .

انه يبسط الأمر على حقيقته لايحاول ان يهوّل ولا ان يهوّن ، ومن خير ما فيه هذه الشورى ، او اذا شئت بلسان العصر الحاضر هذه الديموقراطية السليمة .

---

(١) البلاد الواقعة فى شمال شرقى ايران

فبالرغم من أن المتكلم هو صاحب مصر، والجيوش جيوشه ، والبلاد بلاده ، والعواقب تعود عليه وعلى بلاده وبالرغم من انه مستطيع ان يفرض الرأى الذى يريد، فاما تسليم أو قتال ، فانه لم يشأ الا ان يشرك حتى ممثلى البلاد الاخرى فى الراى وان يستمع اليهم .

اصغى المؤتمرون الى بيان الحاكم المصرى بتفهم واستيعاب ، فكان أول المجيبين ناصر الدين قيمرى ، فقال من جملة كلام له :

ان البلاد الممتدة من تخوم الصين الى باب مصر هى الآن كلها فى قبضة هولاكو ، فلو ذهبنا اليه لطلب الامان ، فليس فى ذلك عيب وعار، ولكن تناول السم بخداع النفس واستقبال الموت أمران بعيدان عن حكم العقل ، انه ليس بالانسان الذى يُطمأن اليه ، وهو لا يفى بعهده وميثاقه ، فانه قتل فجأة خورشاه ، وحسام الدين عكه ، وصاحب اربل ، بعد ان اعطاهم العهد والميثاق ، فاذا سرنا اليه فسيكون مصيرنا مصيرهم » .

فرد الحاكم المصرى :

« ان كافة بلاد ديار بكر وربيعة والشام ممتلئة بالمناحات والفجائع ، واضحت البلاد من بغداد حتى الروم خرابا يبابا ، وقد قضى على جميع من فيها من حرث ونسل . فلو اننا تقدمنا لقتالهم فسوف تُخرَّب مصر خرابا تاما كغيرها . وينبغى ان نختار مع هذه الجماعة التى تريد بلادنا ، واحدا من ثلاثة . الصلح او القتال أو الجلاء عن الوطن . اما الجلاء عن الوطن فامر متعذر، ذلك لانه لايمكن ان نجد مقرا لنا الا المغرب وبيننا وبينه مسافات بعيدة »

القرار الأخير

كان يبدو من لهجة الحاكم المصرى انه ميّال الى المسالمة ، ولكن الحقيقة ان المسالمة لم تكن من رأيه ــ كما تبين فيما بعد ــ ولكنه لم يشأ أن يفرض الحرب ، بل فضل أن تكون بقرار جماعى او ان يفوض الأمر اليه ، وعندئذ يقررها اعتمادا على التفويض ، وهكذا كان .

فقد رد ناصر الدين القيمرى قائلا :

« وليس هناك مصلحة ايضا فى مصالحتهم اذ انه لا يوثق بعهودهم » .

واذن فقد اصبح الطريق ممهدا لاتخاذ قرار مشرف . ان المسؤول عن مصر يبرهن على استحالة الجلاء . والقيمرى يبرهن على استحالة المصالحة . ولكن بقى راى آخر باستطاعته أن يبرهن على عقم المقاومة ، على انه بعد الرايين السابقين ، وما فيهما من وضوح ، لم يعد باستطاعة هذا الراى الأخير الا ان يلجلج دون أن يفصح . لذلك راينا بقية الحاضرين ــ وكان معظمهم قد ذاق مرارة الهزيمة أمام هولاكو فخمدت عزائمهم وضعفت هممهم ومالوا الى التسليم ــ يقولون لصاحب مصر قطز :

ــ ليس لنا قدرة ولا طاقة على مقاومتهم فمر بما يقتضيه رأيك ؟

فقال الملك المظفّر :

ــ ان الراى عندى هو ان نتوجه جميعا الى القتال . فاذا ظفرنا فهو المراد والا فلن نكون ملومين امام الخلق .

وكانت كلمته حاسمة ، فقرّ الراى على وجوب المقاومة . ورأى بعضهم ان يفاجئوا المغول بأمر يدل على الحزم والمضى فى القتال دون هَوادة فأشاروا بقتل رُسُل المغول . فاستصوب الملك هذا الراى وامر بصلب الرسل فى الليل.

ولقائل ان يقول :

وما ذنب الرسل ، والرسل فى كل الشرائع لا تقتل ! ..

ولكن الذى يطالب بمثل هذا ينسى أن

المغول امتهنوا الشرائع، وغدروا بالرسل، وخانوا المستأمنين، ونقضوا العهود، وان كل ما يمكن ان يرهب هؤلاء القوم هو حلال في كل شريعة صحيحة، وان الامر كما قال على ابن ابى طالب: الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله.

المغول على أبواب مصر

كانت طلائع المغول قد وصلت الى غزة، وكان قد عسكر فيها جيش قوى بقيادة القائد المغولى (بايدر)، وكان هذا القائد يتهيأ للهجوم على مصر، فلما أتاه خبر صلب الرسل ارتاع لذلك وتردد في التقدم، ورأى أن يراجع قائده الأعلى (كيتوبوقا) الذى كان يعسكر بالقرب من مدينة بعلبك، فاستشاط هذا غيظا وامر (بايدر) بأن لا يتقدم قبل وصوله.

ولكن المصريين كانوا قد تخلوا عن الدفاع وعزموا على أن يبدؤوا بالهجوم، فاقتحم جيشهم غزة وطاردوا (بايدر) حتى نهر العاصى (١). فزاد هذا التحدى من غضب كيتوبوقا واسرع بجيوشه لتاديب المصريين واثقا من نفسه مطمئنا الى جبروت قواه.

المعركة الفاصلة

وكان المصريون موقنين ان الشجاعة وحدها لا تحسم الموقف، وان الاستماتة لا تكفى لرد الاعداء، فلا بد من اعمال الراى لأن الجيش القادم جيش خطر، كثير العدد، واضح الشجاعة، مرهوب الجانب. لهذا تعمّد الملك المظفر اعمال الحيلة فعبأ جيشه في كمين تعبئة محكمة، وخرج هو ببضعة آلاف يقابل المغول وجها لوجه في عين (جالوت)، فرشقته سهام المغول رشقا عنيفا، وكروا عليه كرة زلزلته عن مواقفه فانهزمت جنوده وتراجع، فتعقبه المغول واعملوا السيف في المصريين المنهزمين فقتلوا منهم كثيرا، ولكن لم تلبث أن طلعت عليهم الكمائن المصرية من ثلاث جهات فصدمتهم صدمة عنيفة صمدوا لها من الفجر الى منتصف النهار (٢) واستقتل الفريقان، ولكن المفاجأة المصرية اثمرت ثمارها في زعزعة صفوف المغول، فلم تلبث بشائر النصر ان لاحت للمصريين، ولم تلبث الجموع المغولية ان اخذت بالتصدع، ولم تلبث الهزيمة ان حاقت بها.

وابى (كيتوبوقا) ان ينهزم وآثر الموت على الفرار، وصمد يجالد بسيفه جلادا عنيفا، ولكنه في النهاية سقط أسيرا وسيق مكبلا الى الملك المظفر، فعنفه مذكرا اياه بالدماء التى سفكها والعهود التى نكثها. فعاد المغولى يهدد ويتوعد قائلا من جملة كلامه: « ستطأ سنابك خيل المغول من اذربيجان حتى ديار مصر، وستحمل رمال مصر في مخالى خيولهم الى هناك. ان لهولاكو ثلاثمائة الف فارس مثل كيتوبوقا، فافرض انه نقص واحد منهم ».

ولكن راس كيتوبوقا طاح عن جسده، ومضى المصريون يطاردون المغول في الديار الشامية ويطهرونها منهم حتى بلغوا شاطىء الفرات (٣)

ومضى تهديد كيتوبوقا في الهواء، ولم يكتب لسنابك خيل هولاكو ان تعود فتطأ تراب الشام ورمال مصر مرة ثانية.

■■

حسن الأمين
بيروت

---

(١) جامع التواريخ (٢) نفس المصدر (٣) المصدر السابق.

من أخطاء القضاء

كبش الفداء

بقلم : حسن الجداوى

المحامي لدى محكمة النقض ـ القاهرة

■ يفخر الانجليز بنظامهم القضائي ـ وخاصة الجنائي ـ ويعتقدون أنه لا يدع مجالا لأى خطأ أو ظلم فهم لا يتبعون القاعدة التى يأخذ بها غيرهم من أن المتهم برىء حتى تثبت ادانته فحسب بل ان مجرد الاتهام لا يوجه الى شخص الا بعد التثبت من ادانته ولا يقدم للمحاكمة الا بقرار من محلفين ولا تجوز مساءلته ـ أثناء المحاكمة ـ أو مطالبته بالدفاع عن نفسه الا بعد أن يتقدم الاتهام بأدلة مقنعة . وكثيرا ما أوقف القضاة محاكمات لأن أدلة الاتهام لم تقنعهم .

ومع ذلك فجميع هذه الضمانات لم تحل دون وقوع أخطاء قضائية صارخة ذهب ضحيتها أبرياء منهم من انتقل الى الدار الآخرة يشكو لخالقه ظلم الانسان لأخيه الانسان ، ومنهم من ذاق فى هذه الدنيا مرارة الاتهام الظالم وفقد حريته لفترة من الزمن طالت أو قصرت .. وفقد فضلا عن ذلك سمعته وثروته وصحته ونبذته الهيئة الاجتماعية بغير ذنب جناه .

ومن الذين كانوا كبش فداء لأخطاء القضاء الانجليزى مجموعة من الناس حوكموا وأدينوا سوف نعرض قضاياهم على صفحات هذه المجلة الفريدة فى العالم العربى وتبدأ هذه السلسلة بقضية :

« وليام هربرت والاس »

رجل فى الثانية والخمسين من عمره . من سكان ليفربول . وكيل شركة تأمين يتقاضى عمولة عن العمليات التى يأتى بها . متزوج . وليس له أولاد . ايراده السنوى يكفيه ويزيد ، وقد اقتصد مبلغا من المال لمستقبله . يقيم وزوجته جوليا ـ التى تزوجها منذ ستة عشر عاما ـ أى سنة ١٩١٥ ـ اذ نحن الآن فى عام ١٩٣١ ـ فى منزل صغير من المنازل المتجاورة ، له حديقة صغيرة أمامه وحوش خلفى . وهما متحابان على أتم وفاق وانسجام . هى فنانة وأديبة تتحدث الفرنسية بطلاقة . وهو رجل علم دقيق . درس الكيمياء ودرّسها . يحرص على كتابة مذكرات يومية ، وهوايته لعبة الشطرنج . وفى يوم ١٩ يناير ١٩٣١ كان عليه الدور ليشترك فى مباراة شطرنج تقام فى نادى الشطرنج الذى يعقد جلساته فى احدى مقاهى المدينة .

ووصل والاس الى النادى فى الساعة ٧٫٤٥ مساء وما كاد يبدأ اللعب حتى أقبل عليه كابتن النادى ـ المستر صامويل بيتى ـ وقال له :

ـ مستر والاس . عندى رسالة تليفونية لك من شخص اسمه كوالترو .

وقال والاس : « كوالترو ؟ من هو كوالترو ؟»

وأجاب بيتى : « اذا كنت لا تعرفه فأنا أيضا لا أعرفه . ولكنه يطلب منك أن تقابله غدا الساعة ٧٫٣٠ مساء برقم ٢٥ منلوف جاردنز ايست (شرق) . وهو يقول ان الأمر يتعلق بعملك . وقد اقترحت

عليه أن يتحدث بعد قليل ، فاعتذر لانشغاله بعيد ميلاد ابنته الواحد والعشرين » .

لم يكن والاس يعرف شخصا باسم كوالترو ، ولا اين توجد منلوف جاردنز ايست (شرق) ، وان كان اعتقد انها لا بد قريبة من شارع منلوف. فكتب الاسم والعنوان فى مذكرته ، واستمر فى اللعب وكسب المباراة بعد ساعتين . ثم توجه الى منزله وروى لزوجته موضوع المحادثة وما قد ينتظره منها من عمل مربح .

وكان اعتاد والاس كلما خرج فى المساء وترك زوجته بمفردها بالمنزل انيخرجمن الباب الخلفى. ففى الساعة السابعة الا ربعا من مساء ٢٠ يناير ١٩٣١ حمل معه الأوراق التى اعتقد انه بحاجة اليها ، واتجه الى الباب الخلفى حيث ودع زوجته ، واوصاها بان تغلق الباب بالزلاج ، ووعدها بان غيابه لن يطول الا بالقدر اللازم .

وبدأ يتحرى عن العنوان الذى يقصده بمجرد ركوبه الترام . سأل الكمسارى ان كانت وجهته منلوف جاردنز ايست (شرق) ، واكد عليه وهو ينقده الثمن أن ينزله حيث يمكنه أن يذهب الى العنوان المقصود ، واستبدل تراما بآخر ، وسأل عن منلوف جاردنز . وحين نزل من الترام وجد نفسه فى منلوف جاردنز وست (أى غرب) . فذهبالىرقم٢٥ ودق الجرسوسأل عن «كوالترو» فاجيب بانه غير معروف وانهم لا يعرفون مكانا باسم منلوف جاردنز ايست (شرق) .

ولكنه لم يستطع أن يصدق ذلك أمام صراحة الرسالة التى ابلغت اليه ووضوحها ، فاخذ يقرأ اسماء الشوارع المحيطة ويسأل كل من يقابله ويتلقى الاجابة نفسها. وقابل احد رجال البوليس ووجه اليه السؤال نفسه فقال له انه لا يوجد شارع بهذا الاسم . ولما كان بطبعه مثابرا ـ شأن كل المشتغلين بالتأمين ـ سأل رجل البوليس ان كان يعرف شخصا باسم كوالترو ، واخبره ان شخصا بهذا الاسم يقيم فى ٢٥ منلوف جاردنز ايست تحدث تليفونيا الى ناديه وحدد له موعدا بخصوص عملية تأمين . وقال رجل البوليس انه لا يعرف الاسم ولا الشارع .

وخطر ببال والاس انه ربما استطاع الاستعانة بدليل عناوين فاحاله الكونستابل الى مكتبة أرشده اليها ربما يجد فيها دليلا . ووجد والاس ان الفكرة صائبة اذا كان يستطيع ان يصلها قبل موعد اغلاق المكتبة ، ونظر الى ساعته وقال انها لم تصل الى الثامنة بعد .. ووافقرجلالبوليس انها الثامنة الا ربعا .

واتجه والاس الى المكتبة وطلب ان يطلع على دليل العناوين . وكان الضيق قد استولى عليه لما لقى من مصاعب فى سبيل العثور على عنوان العميل ولانه تأخر عن الموعد المحدد . وقال لعاملة المكتبة : « هل تعرفين ما الذى أبحث عنه ؟ »

كان السؤال سخيفا لا محل له . ولكنه كان قد بدأ يضطرب . فلما اجابته طبعا بأنها لا تعرف قال :«ابحث عن رقم ٢٥ منلوف جاردنز ايست» على امل ان ترشده هى وتوفر عليه عناء البحث .. وقالت السيدة انه لا وجود لهذا المكان . وبدت عليه علائم الاضطراب واخذ يبحث عن اسم كوالترو فلم يجده فى الدليل .

وفجأة بدأ ينتابه ذعر . أتراه موضع سخرية أحد السخفاء ؟ ولماذا يسخر منه ؟ لبعض الناس افكار سخيفة ولكن ما الذى يستفيده انسان من ارساله يجوب شوارع ليفربول بحثا عن عنوان لا وجود له ؟!

ولكنه رأى مع ذلك مواصلة البحث وتذكر ان رئيسه مستر كرو يسكن تلك الضاحية فاتجه الى منزله وطرق الباب ولكنه لم يتلق ردا .

ويئس من طول البحث وقرر العودة لمنزله وقد أخذ القلق يستولى عليه لأنه لا يعرف سببا للسخرية منه ـ ان كان الأمر سخرية . بالطبع ربما كان المستر بيتى قد اخطأ فى العنوان ولكن حتى لو حدث ذلك فان اسم كوالترو كان لابد ان يوجد فى دليل عناوين ليفربول .

ثم بدأ يسأل نفسه: كيفاستطاعهذا الكوالترو أن يعرف انه يستطيع أن يتصل به فى النادى ؟ ولماذا ؟ كانت كل نتيجة هذه السخرية ان ابعدته من منزله وأفسدت عليه تمضية سهرة ممتعة مع زوجته جوليا . لماذا أراد انسان ان يفعل ذلك ؟ لماذا أراد ابعاده من منزله ؟ .

لقد كان هو وجوليا يخشيان دائما اللصوص، ولذلك كان ينبه عليها باحكام اغلاق الباب خلفه،

فهو يحتفظ دائما ببعض المال .. انك تقرأ عن لصوص يقومون بمثل هذه الألاعيب لابعاد الرجل عن داره لينفردوا بزوجته .. وها هي جوليا قد مضى عليها بمفردها في المنزل ساعتان .

★★★

وهكذا تضاعف قلقه وارتباكه حتى وصل الى منزله . اتجه الى الباب الأمامي فوجد صعوبة في فتحه.واعتقد ان جوليا دفعت المزلاج من الداخل. ثم اتجه الى الباب الخلفي فلم يستطع فتحه ايضا. لا بد ان تكون جوليا قد اغلقته بالمزلاج كما نبه عليها . فاخذ يطرق الباب بقبضة يده . ولكن جوليا لم ترد .

وسيطر على اعصابه ولم يترك القلق يتسلط عليه .. ربما تكون قد خرجت تلقى خطابا في صندوق البريد . او لعلها مستغرقة في النوم . وقد لا يكون الباب الخلفي مغلقا من الداخل اذ لا يتصور ان تغلق البابين من الداخل وهي تتوقع عودته. ان المفتاح في بعض الأحيان يتوقف. ربما كان ذلك هو كل ما حدث .

واخذ يحاول فتح الباب من جديد . وفي هذه الأثناء اقبل عليه جيرانه آل جونستون . وقالت له مسز جونستون : « مساء الخير يا مستر والاس » .

ولكن القلق الذي كان متسلطا عليه جعله يقول لها : « هل سمعت شيئا غير عادي ؟ » .

وقالت مسز جونستون : « لا . لماذا السؤال ؟ هل حدث شيء ؟ » .

وشرح لهم الصعوبة التي يجدها في فتح الباب، وطلب اليه جونستون ان يحاول مرة اخرى ، واقترح ان يأتي بمفتاح منزله ـ لان هذه المفاتيح يحل بعضها محل البعض الآخر احيانا .

وجرب والاس مفاتيحه مرة اخرى فقتحت ، وقال والاس ها قد انفتح الباب ثم دخل الى منزله .

ونادى على جوليا في المطبخ فلم يجبه احد . واعتقد انها قد تكون نائمة فصعد الدرج ووجد السرير في الغرفة الامامية في مرتب ولكن لا اثر لزوجته . فعاد ادراجه في الظلام واشعل عود ثقاب ليوقد الغاز .

وعندها ابصر جوليا ملقاة على الارض .

وكانت اول فكرة تبادرت الى ذهنه انها مغمى عليها . ولكنه رأى ما يشبه بركة من الدماء ، وتبين ـ وقد اخذ الرعب منه مأخذا ـ ان الامر اخطر بكثير مما تصوره . واوقد الغاز بيد ترتعش . ورأى براس جوليا جرحا عميقا . يا للهول . وانحنى يجس نبضها فلم يجد لها نبضا. ونظر الى وجهها فتبين انها فارقت الحياة .

وجرى يطلب نجدة حين لات ساعة نجدة . اتجه الى الباب الخلفي حيث كان جونستون وزوجته لا يزالان واقفين وقال لهما : « تعاليا . انظرا . لقد قتلت ! »

كان يفخر دائما برباطة جأشه . واراد امام تلك المصيبة ان يبدو هادئا مسيطرا على اعصابه . فاشعل سيجارة لمجرد ان يفعل شيئا ، اذ كان لا بد له من عمل شيء والا انهارت قواه . وابعده جونستون وزوجته من امام جثة جوليا واتجها به الى المطبخ . وتحدثا عن احتمال حدوث سرقة . فاخذ يبحث ما اذا كان قد فقد شيء . وصعد السلم فوجد خمسة جنيهات في موضعها لم تمس .

وذهب جونستون يستدعي البوليس وبقي هو مع مسز جونستون بالمنزل . لم يستطع البقاء في المطبخ فعاد الى غرفة الاستقبال . ووجد عنده القدرة على ان ينظر الى جثة زوجته . حمل نفسه على النظر اليها فوجدها ملقاة على معطف مطر (ماكنتوش) عرف انه معطفه ولم يعلل كيف وصل هذا المعطف الى ذلك المكان . ثم عاد الى المطبخ ، واقترحت مسز جونستون التي كانت متوترة الاعصاب اشعال النار لمجرد عمل شيء يشغل بالا ..

★★★

وقال والاس : « لقد حدث امر فظيع يا حضرة الضابط » .

والقى الكونستابل نظرة على جثة جوليا وتساءل : « كيف حدث هذا ؟ »

واخذ والاس يشرح موضوع ذهابه الى منلوف جاردنز للبحث عن العنوان الذي كان يبحث عنه ، وعودته ، والصعوبة التي وجدها في فتح الباب ثم عثوره على الجثة ، وكان الكونستابل يصغي ولا

يكتب شيئا ثم دخل الجميع الى المنزل . وعند نزولهم من الدور العلوى كان رئيس الكونستابل قد وصل ، ثم حضر غيره من رجال الشرطة من بينهم رئيس المباحث « مور » . وطافوا مرة اخرى فى انحاء الدار ، ووجهوا للزوج اسئلة تتصل بالصعوبة التى وجدها فى فتح الباب ، والمعطف الماكنتوش ، ومشاعره وتصرفاته حين اكتشف الجثة .. هل ولول ؟ هل صرخ ؟ فأجاب بالنفى : « لقد أصابتْ الغاز وكنت أظنها فى اغماءة أستطيع افاقتها منها » .

واخيرا وبعد الساعة الحادية عشرة بقليل اشار عليه رئيس المباحث بأن لا يبيت فى المنزل ويبحث لـه عن مكان يمضى فيه ليلته لدى صديق او شقيقة زوجته .

★★★

ما اقساهم . ليتهم تركوه وحده يبكى جولياه . ولكنهم صاروا يستدعونه الى نقطة البوليس ، وفى كل مرة يقابل شخصا جديدا يمطره باسئلة جديدة . رئيس المباحث مور ، ورئيس المباحث توماس . والمفتش جولد وغيرهم . وكان كل اقوال يقولها تسجل ويطالب منه ان يوقع عليها وتوصف بانها « اقرارات » . وكان الكونستابل الذى حضر فى أول الأمر قد دون ما علق بذاكرته واعتبرت هذه اقرارات ايضا .

وبعد يومين مـن موت جوليا اخبره رئيس المباحث توماس انه تبين ان المكالمة التليفونيـة مصدرها كابينة تبعد ..؟ باردة من منزله . وبدا على رئيس المباحث انه ـ لسبب ما ـ يعتبر هذا الاكتشاف ذا مغزى خاص . وكان مهتما اشد الاهتمام بموضوع المكالمة التليفونية .

وخطر على بال والاس ان رئيس المباحث يعتقد ان المكالمة التليفونية مفتعلة او انها مزاح سمج من احد الناس . ووافقه والاس . وعندئذ قال رئيس المباحث « ربما كانت مقصودة » . وتركه ـ وحده ـ يحل هذا اللغز .

★★★

ليست مزاحا ولكنها مفتعلة او مقصودة ؟ كيف يمكن ان تكون مفتعلة او مقصودة ؟ وما وراء هذا القول ؟

وادرك والاس فجاة ما عناه رئيس المباحث . بل لعله ادرك من البداية ولكنه ابى ان يصدقه .

ومع ذلك فعليه ان يجابه الامر الواقع مهما كان فظيعا . ان رئيس المباحث يعتقد ـ او على الاقل يتصور ـ انه ـ هو ـ وليام والاس ـ الذى تحدث بالتليفون ـ بعد ان غير صوته ـ وترك رسالة الى بيتى كما لو كانت موجهة اليه هو ـ والاس ـ . وفعل ذلك ليمنح نفسه فسحة من الوقت بحثا عن عنوان لا وجود له ليثبت بذلك غيبته فى وقت ومكان ارتكاب حادث قتل زوجته بينما هو ـ والاس ـ الذى قتلها .

كيف امكن ان يخطر مثل هذا الخاطر ببال شخص ايا كان .

طبيعي ان يخطر ببالهم ان يكون قد قتل جوليا لان الاتهام يتجه ـ اول ما يتجه ـ فى مثل هذه الجنايات ـ الى الزوج . لقد خطرت له تلك الفكرة منذ البداية ولكنه لـم يحملها ابدا على محمل الجد لانهـا فكرة لا يمكن تصورها . ان الناس جميعهم يعلمون انه هو وجوليا زوجان سعيدان متحابان يخلص كل واحد منهما للآخر .

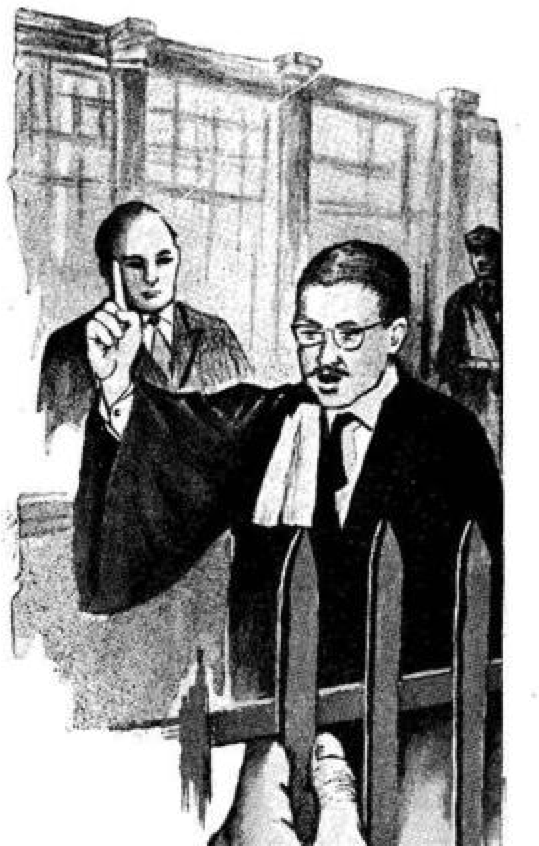
ويرافع محاميه فيقـال ... أرجوكم أن لا تنسـوا حب والاس لزوجتـه وانعدام كل باعث على الجـريمة ..



فكيف جاز لاحد أن يتصور ... ؟ ومع ذلك فقد قال رئيس الباحث عن المحادثة التليفونية انها « ربما كانت مفتعلة » وذلك ما رمى اليه .

وقابل والاس في الغداة بيتي بطريق الصدفة عند محطة الاوتوبيس فخطرت له فكرة أن يقضى على ذلك الشك الفظيع . لقد ترك والاس منزله — يوم الحادث — بعد السابعة بقليل . وقال مستر بيتي انه تلقى المحادثة التليفونية «الساعة السابعة او بعدها بقليل » . فاذا بقى الامر على هذا الوضع يكون من المحتمل ان يكون هو — اى والاس — مصدر الحديث التليفونى ... بالنسبة للوقت على الاقل . اما اذا ثبت ان المحادثة كانت فى الساعة السابعة تماما اصبح مستحيلا ان يكون هو الذى تحدث لانه غادر المنزل بعد السابعة .

واختمرت الفكرة لديه ووجد انها حل موفق فقال للمستر بيتي « بخصوص المحادثة التليفونية هل تستطيع ان تحدد وقتها بالضبط » ؟



فلما اجابه بيتى : « السابعة أو بعدها بقليل »

قال له : « الا تستطيع ان تحدد الوقت اكثر من ذلك ؟ » فقال بيتى انه لا يستطيع . وهكذا تلاشت فكرة بدت موفقة . وكان ذلك من سوء الحظ .

وكان سوء الحظ اكثر مما تصوره والاس . فقد دعاه فى اليوم التالى رئيس المباحث مور الى نقطة البوليس ، ووجد معه المفتش جولد ، وادهشه انهما احيطا علما بموضوع حديثه فى الشارع مع بيتي . كان واضحا ان بيتي قد ابلغهما به . ولكنه حديث عابر تافه لا قيمة له لا يتصور ان ينتقل المستر بيتي الى البوليس للتبليغ عنه . لا بد اذا ان شخصا ساله : « ماذا كان مستر والاس يقول لك ؟ » .

ومعنى ذلك انه هو — والاس — موضوع تحت المراقبة ورئى يتحدث الى بيتي .

لا بد اذا ان الشك فيه اصبح قويا حتى تتبعه عيون البوليس اينما ذهب . ففكر فى ان يُفقد حديثه مع بيتي — الذى ادرك الآن سخافته — كل قيمة . وخطر بباله — ومعه حق — ان هذا الموضوع أشبه بلعبة الشطرنج . اذا قمت بحركة خاطئة ، استغلها خصمك ، فلا بد لك من ان تبذل اقصى مهارتك فى الحركة التالية لتصحح موقفك ..

فلما ساله رئيس المباحث عن اهمية ذلك قال — واعتقدَ ان اجابته ماهرة لتصحيح الاوضاع — : « لقد خطرت لى فكرة .. وكل واحد منا تخطر له افكار .. لقد كان ذلك اقحاما منى لنفسى فيما لا يجب » .. ولم يبد على مستر مور انه مقتنع .. فطلب منه ان يزيد الامر ايضاحا .

قال : « لا استطيع . انني اعترف ان ذلك كان منى تطفلا » .. ولكن لم يظهر ان مور اقتنع .

★★★

وسارت الامور . مزيد من الاسئلة . ومزيد من التلميحات . واستجوابات تتكرر . وملاحظات تؤخذ واقرارات تقدم اليه ليوقع عليها . حتى اختلطت المسائل فى فكره واصبح لزاما عليه ان يتنبه ويتذكر ما قاله عن كل موضوع منذ ايام . فاذا تضاربت اقواله فى اتفه الامور وجد من يقول

« لكنك قلت منذ ثلاثة ايام » .!! ويبرز له اقراره السابق .

وتفاقمت الامور لدرجة انه لم يعد يذكر جوليا . شغله عنها انشغاله بما يمر بخاطر المحققين من شكوك ، وماذا يقصدون بهذا السؤال أو ذاك .. بينما كان يجب ان يتركوه يفكر في جوليا .

★★★

وذات يوم قبضوا عليه وحذروه ووجهوا اليه تهمة قتل زوجته عمدا . كانت صدمة له ـ رغم انه كان قد توقعها ـ وقال : « ماذا عساى ان اقول في هذه التهمة التي انا بريء منها ؟ » .

وبدات محاكمته في الثاني والعشرين من ابريل ، وشعر بأغرب شعور له في حياته وهو يستمع الى كاتب الجلسة يوجه الحديث للمحلفين : « ان المتهم الماثل امامكم ، وليام هربرت والاس متهم بالقتل العمد ، وذلك انه في يوم ٢٠ يناير سنة ١٩٣١ بمدينة ليفربول قتل جوليا والاس . ووجهت اليه التهمة فأنكرها وهو يضع نفسه بين يديكم انتم مواطنيه ، لتبحثوا ما اذا كان مذنبا أو غير مذنب وتقرروا ذلك بعد سماع ادلة الاتهام . » .

وبدأ ممثل الاتهام مرافعته ثم وجه كلامه الى المحلفين .

يرى الاتهام ان الذي تحدث من تليفون الكابينة ـ هو المتهم نفسه ..

قد تظنون ان الشخص الذي تكلم وحدد ذلك الموعد اراد ابعاد المتهم عن طريقه في الليلة التالية ؟ وقد تقتنعون بأنه اراد ان يحمل الناس على الاعتقاد ان شخصا ما اراد ان يبعده في الليلة التالية ؟

قد تحسبون ان الاحاديث مع سواقي الترام وغيرهم امور طبيعية .. وقد تتبينون انها ليست طبيعية ؟

قد تعيرون اهتماما خاصة بواقعة اخراج الساعة لكي يؤكد لرجل الشرطة الوقت الذي تقابلا فيه ؟

ترى لماذا خامره الشك لأن شخصا اعطاه عنوانا خاطئا ؟؟؟ من الصعب تفسير ذلك .

لنفرض انكم سوف تنتهون الى انه لم تكن هناك صعوبة حقيقية في فتح ابواب المنزل .. عند ذلك تجدون انفسكم امام شخص كان يستطيع ـ بكل سهولة ـ فتح الأبواب ولكنه تظاهر بأنه لم يستطع فتحها .

ربما توقعتم منه صرخة ألم وحزن مرير ؟ لننظر ما الذي حدث ؟ خرج وقال : « تعاليا انظرا لقد قتلت » .

وقد يتبادر الى فكركم ان السؤل الموجه لمستر بيتي والمحادثة التالية مع البوليس توحي بأن المتهم كان يعد دفاعه . فلماذا تصوّر نفسه في خطر ؟ وما الذي عناه بقوله « خطرت لي فكرة وكلنا تخطر له افكار » .

سيقول لكم الشهود ان كان قد ظهر بمظهر الزوج المكسور الجناح او انه كان ـ في الظاهر على الاقل ـ هادىء الاعصاب ؟

فاذا تبينتم أن الادلة المقدمة لكم تؤدي حتما الى نتيجة لا مجال للشك فيها في أن هذا الرجل لسبب لا نستطيع أن نفسره قتل زوجته في تلك الليلة فلن تترددوا في أداء واجبكم .

★★★

ولم يدرك والاس الحكمة في عدم ترك الشهود يدلون بما لديهم من معلومات بغير حاجة الى تلك الاسئلة والاجابات التي بدت له مجرد اضاعة للوقت . كذلك السؤال الذي وجه الى خادمة المقهى .

س ـ ما حجم ذلك المقهى ؟ هل هو مكان فسيح؟

ج ـ نعم

س ـ وبه عدد كبير من الطاولات ؟

ج ـ نعم

س ـ وبه نادي شطرنج يشغل بعض الطاولات في ايام معينة ؟

ج ـ نعم

ما دخل هذا في موضوع التهمة ؟ ومع ذلك كانت هذه الاسئلة ضرورية لمعرفة كيف استطاع كوالترو ، ان كان انسانا حقيقيا ، ان يعرف ان المتهم سيكون بالمقهى يوم ١٩ يناير . لقد كان نادي الشطرنج يقيم مباريات في امسيات مختلفة وكان يوجد كشف معروضا بالمقهى به اسماء المتبارين والاوقات المحددة لهم . كان في متناول اي شخص يدخل المقهى ليتناول قدحا من القهوة ان يراه .

بهذه السهولة امكن حل هذا اللغز واشياء

كثيرة اخرى كانت غير واضحة فى البداية .

ومع ذلك فان ممثل الاتهام كان يحوِّر كل اجابة ليجعلها تبدو موضع شك مريع . واستمر يقول للمحلفين « قد تجدون غريبا .. »

ومضى الاتهام فى هذه السياسة . يبسط ابسط الاعمال واكثرها وضوحا لامتحان قاس وينظر اليها من عدة جوانب ويهتم بها اهتمام الكلب بقطعة من العظم ثم يقول عنها انها تدعو للاستغراب . فمن مواضع الاستغراب – وبالتالى من مواضع الشك الكبير – ان المتهم حين قيل له انه لا يوجد ما يسمى منلوف جاردنز ايست استمر يبحث ويسأل قبل ان يعدل نهائيا . ولكن اليس ذلك هو ما يفعله الانسان فى اغلب الاحيان ؟ تقول زوجتك أن بائع اللبن الذى يوزعه فى الصباح لم يحضر . فتقول لها « حقا ! » ، وتذهب لترى بعينيك . لا شاكا فى أقوال زوجتك . ولا متهما لها بالكذب . ولكن لمجرد التأكد . كل واحد منا يفعل ذلك . ولكن حين يوصف بالغرابة – فى ساحة المحكمة – انك لم تتقبل قول زوجتك دون مراجعة يصبح الامر غريبا . ولانه غريب فلا بد انه يخفى دوافع مجهولة ... مما يثبت ادانتك .

ثم كانت هناك التناقضات الغريبة فى اقراراته .

فحين خرج من منزله قاصدا منلوف جاردنز ايست اوصلته جوليا الى الباب الخارجى تودعه واوصاها بان تغلق الباب بالمزلاج . انه يذكر ذلك بوضوح . ولكن ظهر الآن انه كان قد قال فى احدى اقراراته – امام الكونستابل التى كتبها فيما بعد – « وعادت زوجتى واغلقت الباب خلفى بالمزلاج » . بينما قال فى اقرار آخر « واغلقت زوجتى الباب ولا اذكر ان كانت قد دفعت المزلاج ام لا » .

وصف هذا التضارب بانه غريب ، ولم يبد على احد انه يظن أن هذا هو الأمر الطبيعى . لقد قال لجوليا أن تغلق الباب بالمزلاج . وافترض أنها لا بد فعلت فهى دائما تفعل أمثال هذه الأمور حين يطلبها منها ... ولكنه فكر فى الأمر بعد ذلك فوجد انه لا يستطيع الجزم بانه سمع المزلاج يغلق فقال ذلك .. وكان صادقا دقيقا . ولكن دقته اتخذت دليلا ضده . وقال ممثل الاتهام للمحلفين : « قد تعتقدون أن من الغريب فى موضوع كهذا يفترض فيه أن يتذكر الانسان جميع التفاصيل بوضوح لأنها المقابلة الاخيرة فلماذا يصدر عنه قولان متناقضان؟ » .

ومع ذلك فهناك اناس غيره سمح لهم بالوقوع فى أخطاء لم يعرها احد اى اهتمام ... ذلك لانهم لم يكونوا داخل قفص الاتهام ... هناك مثلا رجل اسمه ماكفول – استاذ علم الطب الشرعى بجامعة ليفربول – وممتحن التشريح الطبى بجامعات جلاسجو وادنبره ومانشستر وبرمنجهام. فاذا كان انسان مطالبا بأن يكون دقيقا فى تعبيراته فهو ذلك الانسان . لقد وقف يدلى بشهادته عن علامات تشريحية ، خاصة بتيبس رمى يحدث تقريبا « بعد ساعتين من الوفاة » . وقال له ممثل الاتهام « الست تقصد ثلاث ساعات ؟ » .

فاجاب البروفسور بهدوء « نعم ثلاث ساعات ».

ولم يقل احد ان فلتة اللسان هذه – او هذا التناقض ، أمر غريب يدعو للدهشة . ولم ينظر احد للبروفسور بريبة كما لو كان يستحق الشنق .

وعلى هذا النمط تجرى الامور . اما اذا دخلت قفص الاتهام فكل امر صغير لا أهمية له عند الاخرين يحسب عليك .

وكثر الكلام حول المعطف الذى وجد تحت جثة جوليا . لقد قال لمسز جونستون انه معطفه . وقال للكونستابل انه معطفه . وقال لرجال آخرين من رجال البوليس نفس القول . فلما سأله رئيس المباحث مور « هل هذا معطفك ؟ » . شعر – امام كثرة الاسئلة ان ملكيته للمعطف موضع شك فاحتاط فى اجابته هذه المرة وقال جوابا ليس فيه انكار لملكيته للمعطف ، بل توكيد لها ، ولكن تلك الاجابة انقلبت عليه واخذت ضده ككل شىء فى القضية . فقد وقف رئيس المباحث مور يدلى بشهادته امام المحكمة فقال : « سألته ان كان المعطف معطفه فأطرق قليلا ووضع يده اليسرى على ذقنه ، ونظرت اليه فظل صامتا نحو نصف دقيقة ... ثم قال ، ان كان به رقعتان فى الداخل فهو معطفى ، ووجدنا الرقعتين فقال ، نعم . معطفى » .

فلما سأل محامى الدفاع رئيس المباحث مور فيما بعد لماذا استغرب ما حدث ، قال :

« كان يجب أن يقول على الفور معطفى » .

فلما سأله المحامى : « ماذا تستنتج من تردده

مع أنه قرر من البداية لمدة أشخاص ثلاثة منهم من رجال البوليس ان المعطف معطفه ؟ » .

قال : « انه بدأ يعتقد أن المعطف خطر » .

وهكذا انقلب الامر الطبيعي اتهاما له . ولم يفكر احد ـ ولا حتى محامى الدفاع ان يسأل :

« لماذا يكون غريبا أن يبحث هو ويدقق فى البحث عن منلوف جاردنز ايست ، ولا يكون غريبا ان يُسأل ـ هو أربع مرات ـ عن ملكيته المعطف ؟

وترافع محاميه فقال :

« ستبين لكم بكل سهولة أن تصرفات هــذا الرجل فى يومى ١٩ و ٢٠ يناير كانت تصرفات رجل طبيعى ، وانه ـ اذا كان قد دبَّر وارتكب تلك الجريمة النكراء ، فقد استمر فى هذين اليومين يتصرف دون أن تظهر عليه أية دلائل ارتباك .

« لعب الشطرنج لمدة ساعتين ، بينما على حسب نظرية الاتهام ، فى جيبه تلك الرسالة المهدة لارتكاب الجريمة، ومع هذا كسَب المباراة. لو أن هذه الرسالة صدرت عنه ـ وأنها الخطوة الأولى لترتيب جريمة قتل زوجته ، فأى نوع من الشطرنج كان يلعب وأى نوع من التركيزالذى تتطلبه اللعبة كان يقوى عليه ؟

« وفى ليلة الجريمة فتش تفتيشا دقيقا فلم توجد به آثار دماء .. لا فى ملابسه ولا فى يديه ولا فى وجهه ولا فى حذائه . ومع ذلك فما من شك أن القاتل تلوث بالدماء الغزيرة .

« لا يوجد أى دليل الا شكوك البوليس .

« ما مصلحته فى التظاهر بأن الباب استعصى على الفتح؟ انه لم يكن يعرف أن جونستون وزوجته سوف يقبلان عليه ؟

« أرجوكم أن لا تنسوا حب والاس لزوجته وانعدام كل باعث على الجريمة . ضعوا نصب أعينكم ما عرفتموه من هدوء أخلاقه ورقة ذوقه . ومع ذلك فهذا هو الرجل الذى يطلبون منكم أن تحكموا عليه بأنه قاتل ..

★ ★ ★

وانتقل والاس من قفص الاتهام الى مقعد الشهود ليوجه اليه محاميه بعض الأسئلة .. لم يستجوبه ممثل الاتهام . وفى هذا الدور صمم والاس أن يكون دقيقا فى اجاباته ـ فقد عودته دراساته العلمية ان يكون دقيقا ـ تلك الدقة التى لم يستطع التخلص منها حتى بعد أن تبين أن اجاباته الدقيقة تحور كلها ضده .

قال له محاميه : « أنا مضطر لتوجيه هــذا هذا السؤال اليك : هل وضعت يدك على زوجتك فى تلك الليلة ؟

كان هذا أهم سؤال فى المحاكمة وكان المتوقع أن تكون اجابته « لا مطلقا .. » ، ولكن مثل هذه الاجابة لا تكون دقيقة كل الدقة لذلك اجاب :

« أظن اننى أثناء خروجى من الباب الخلفى ربَّتُّ على كتفها كما أفعل كل مرة ، وقلت لها لن أتأخر الا بالقدر الضرورى » .

وتبين على الفور أن رده لم يكن موفقا . حتى محاميه امتعض وقال : « ليس ذلك ما عنيته . هل فعلت شيئا لايذائها ؟ » .

عندئذ قال : « لا .. لا .. بكل تأكيد » .

وتساءل هل سيحسب عليه انه احتــاج لأن يسأل مرتين لينفى التهمة . ولكن كيف يطلب منه أن لا يقول الحقيقة . والواقع انه وضع يده على زوجته فى تلك الليلة بتلك الطريقة فاجاب بما اجاب به احتراما للحقيقة والدقة .

ولم تصادفه بعد ذلك أية صعوبة فى الرد على اسئلة محاميه . ولكن الصعوبة بدأت حين بدأ ممثل الاتهام يستجوبه . كان فى صوته هــدوء وصداقة وعطف سرعان ما اختفت . كان عليه ان يحتاط كل الاحتياط لأن بعض تلك الأسئلة أريد بها خداعه والبعض الآخر أريد بها اغاظتــه وتهييج أعصابه .

س ـ « انتا نعلم أن مستر كوالترو حين تحدث فىالتليفون مساء يوم الاثنين كان على مسافة بضع مئات من الياردات من منزلك ؟ » .

جـ ـ « لا أدرى »

س ـ « لقد سمعت انه كان يتحدث من كابينة التليفون العمومى ؟ » .

جـ ـ « المظنون أنه تحدث من هناك ولكننى لا أعرف » .

س ـ « هل تشك فى أن المحادثة تمت من الكابينة ؟ » .

جـ ـ « أمام الأدلة المقدمة لا أشك » .

س ـ « حسنا . اذا تستطيع أن تقول «نعم»ٍ.

هل من شك فى أن المقصود من هذا اثارة أعصابه ولكنه كان قد صمم (كما قال فيما بعد) أن لا يسمح لأحد ان يثير غضبه وانه يحب أن يقابل التهمة الحقيرة بكل ما يستطيعه من كرامة وضبط النفس .

ومن المتاعب الأخرى التى تعرَّض لها أن الامور كانت تؤخذ « نقشا » . وتوَجّه اليه اسئلة عن الصعوبة التى وجدها فى فتح الابواب ، فيركز تفكيره على هذا الموضوع ليذكر بالدقة جميع التفاصيل وما صدر عنه من اقوال واقرارات تتعلق بالأبواب والأكر . فاذا بسؤال يوجه اليه عن المعطف فيضطر لتغيير تركيز افكاره وينتقل من الابواب الى المعطف الذى لم يكن يفكر فيه . لقد كان حقا امتحانا عسيرا .

★ ★ ★

ومع هذا شعر بانه مسيطر على الموقف . وانتهت شهادته وادلى كثيرون باقوالهم فبينوا انه اذا كان هو الذى قتل جوليا فلم يكن لديه من الوقت ـ لارتكاب تلك الجريمة والتخلص من آثارها ومن السلاح الذى استعمله الا ربع ساعة على الأكثر .. فبدأ الاطمئنان الى النتيجة يدخل قلبه .

وعلق محاميه على اقوال الشهود بقوله :

« أود أن أضيف لكل ما سمعتموه أن تصرفاته ، كشاهد أقسم اليمين ، هى تصرفات رجل برىء كل البراءة .

« حضرات المحلفين . هل تدينونه بتهمة القتل ؟ هل تعقلون أن مثله يقدم على مثل هذا العمل ؟

كيف يمكن أن لايشعر والاس بالاطمئنان الكامل . لقد قاربت أزمته وقارب الكابوس الجاثم على صدره أن ينقشع . وسوف يقرر المحلفون ـ لا محالة ـ أنه غير مذنب ويردون له حريته .

★ ★ ★

ولكن ممثل الاتهام وقف يترافع من جديد :

« انى مضطر أن أعرض عليكم ـ من جانب الاتهام ـ أن علاقة هذا المتهم بالحديث التليفونى صلة متينة أثبتتها الدلائل كلها . وأن الدليل على تصرفات هذا الرجل حين عاد الى منزله ينهض قويا على أنه لم يتصرف تصرف الرجل البرىء .

« هل تصدقون لحظة أنه لم يتمكن من فتح الباب ؟ هل تصدقون أنه لم يستطع فتح الباب الخلفى ؟ ان الوقائع تتحدث بنفسها . لقد قال فى أول الأمر أنه لم يستطع فتح الباب . ولكن مستر جونستون وزوجته حضرا ، وعرض مستر جونستون أن يحضر مفتاح منزله اذا احتاج الأمر ، فاذا بالباب ينفتح .. بقدرة قادر » .

وأخذ والاس يتطلع الى وجوه المحلفين فوجد أن لكلام الاتهام وقعا قويا عليهم . وأحس أن الاتهام يعرض وجهة نظره فى قوة واقناع أكثر بكثير من الدفاع . وطريقة العرض هذه هى التى أثرت فى المحلفين وحولتهم نحو الادانة . فلم يعودوا يعيرون بالا ، لأن الوقائع حرّفت وحورت وجعلت تبدو « غريبة » و« مريبة » . ولا بدا عليهم أنهم يقدرون ان الزوج الذى عاشر زوجته فى سعادة وانسجام ستة عشر عاما لا يستطيع ـ ولا تطاوعه نفسه ـ على قتلها . ولكنهم وقعوا تحت سحر حجج الاتهام القوية .

وهكذا فقد والاس كل ثقته . لم يعد لديه اى امل الآن . واعتقد أن حياته قد انتهت .

ولكن وقت اصدار المحلفين لقرارهم لم يئن بعد اذ لا بد أن يسبقه تلخيص من القاضى لكل ما جرى فى جلسات المحاكمة . ولكن أى فائدة تنتظر من تلخيص القاضى بعد أن قرّ قرار المحلفين . قال القاضى :

« حضرات المحلفين . لقد انتهينا من جميع فصول هذه المحاكمة الا الفصل الأخير .. ان هذه الجريمة ـ فيما أتصوره ـ لا مثيل لها فى تاريخ الجرائم .. » .

أخذ والاس يفكر فى أن كل ذلك كلام مردد لا أهمية له ولا معنى له . ولكنه دهش اذ وجد أن القاضى لا يكتفى بذكر الحوادث والحجج بل يقدم أدلة جديدة لم يتعرض لها الاتهام .. ولا الدفاع .

« لقد قيل ان ما من أحد كان يستطيع أن يعرف ـ بطريق الجزم ـ أن المتهم سيكون فى النادى فى تلك الليلة . وربما لم يكن أحد يستطيع أن يعرف بطريق الجزم ولكننا نعلم وجود لوحة معروضة فى المقهى .. عليها أسماء اللاعبين . وواضح منها انه قد حدد للعب المتهم تلك الليلة .. ويبدو لى ، وان كان الأمر من اختصاصكم وحدكم ، أن فى الأدلة ما يشير الى أن من الجائز أن يكون شخص آخر قد علم تحركات المتهم المنتظرة واطمأن

الى انه يستطيع أن يتصرف على أساس علمه ذلك » .

« وقدمت لكم أدلة من الصوت الذى تحدث فى التليفون .. ان من الصعب جدا على رجل مثل المستر بيتى أن لا يتعرف على صوت المتهم ـ مهما حاول اخفاءه ـ لو أن المتهم هو الذى حدثه فى التليفون » .

« أما عن المحادثة التى جرت بين المتهم ومستر بيتى بخصوص مطالبته له بتحديد موعد المحادثة فلا يجوز أن تتخذ دليلا بدين المتهم » .

وكان المحلفون يصغون الى القاضى باهتمام زائد يتبعونه بنظراتهم ويصغون اليه بكلياتهم . فما من شك ان أقواله سيكون لها أثر كبير فى قرارهم . وعاد الأمل يراود والاس .

قال القاضى :

« حين يلفتون نظركم الى بعض التناقضات فى أقوال المتهم فاننى لا أملك الا أن أقول انتصريحاته وأقواله كانت واضحة كل الوضوح وفى غاية الدقة .. ويبدو لى أن من الغريب أنهــا كانت بهذا التماسك وبتلك الدقة . »

« ويجب أن تدخلوا فى حسابكم ما اذا كان الوقت القصير الذى ترك له ، والذى قد لا يزيد على عشر دقائق ، يكفى المتهم لو أنه ارتكب جريمته .. لقد كان أمامه الكثير .. ومع ذلك عثر عليه بعد ذلك بملابسه كاملة لا يبدو عليه اى اثر لانزعاج أو قلق وهو فى الترام .. فلا بد أن يكون قد تصرف بسرعة البرق . وليس معنى ذلك انه لم يرتكب الجريمة ولكن يجب أن تتريثوا فى تقدير ذلك كله » .

★ ★ ★

وكان والاس وهو يستمع الى تلك الأقوال التى ظهر بها القاضى وكأنه محاميه ـ محام فصيح لبق مقنع ـ قد راوده الأمل وعادت الثقة الى نفسه . ما من شك ان المحلفين لن يلتفتوا لحجج الاتهام وسوف يتبعون هـذا الرأى الصريح الشريف . أليس يقول لهم بصراحة « ان المتهم برىء ! »

كيف يمكنهم ان يقولوا عكس ذلك ؟ كيف يقولون : « لا ، اننا وجدناه مذنبا ! » .

او لعلهم سيقولون ذلك ؟؟؟

ونظر والاس من جديد الى وجوه المحلفين يقرأ ما تخفيه عيونهم . وتصور انهم لا شك قد تأثروا بأقوال القاضى واقتنعوا بها . واستمر القاضى :

« من أى ناحية نظرتم الى الأمر فان من الصعب القول ـ وان كان الأمر مرجعه كله اليكم ـ ان من الممكن توجيه الاتهام لشخص بذاته . هل تستطيعون الجزم بأن من المستحيل أن يكون شخص آخر قد ارتكب الجريمة ؟ اذا لم تقتنعوا ولم يثبت أمامكم بما يكون اعتقادكم التام فان واجبكم أن تقرروا أن المتهم غير مذنب . أما اذا كنتم قد اقتنعتم بادانته فان واجبكم أن تقرروا ما استخلصتموه من الأدلة التى قدمت اليكم طوال هذه الأيام الثلاثة .

« تدارسوا الموضوع اذا وقرروا هل ترون أن المتهم مذنب أو غير مذنب ؟ » .

★ ★ ★

وانسحب المحلفون الى خلوتهم ليتداولوا فى قرارهم .

ويصف لنا والاس احساساته فى تلك الفتـرة الحرجة فيقول :

« وقادنى الحراس ونزلوا بى الى ممر أسفل المحكمة .. وبدأت لحظات من توتر الاعصاب . أسأل نفسى كلما مرت الدقائق من غير أن أدعى لسماع القرار ـ فيم يتناقش المحلفون ؟ ... ومرت اربعون دقيقة كأنها الدهر بطيئة .. قاتلة ثم دعيت ووقفت مرة أخرى فى قفص الاتهام .

« كيف أستطيع أن أعبر عن شعورى ؟ كل ما أذكره أن فكرة واحدة تسلطت على وأخذت على مشاعرى .. هى أن أحافظ على كرامتى أيا كان القرار ..

« وكانت أعصاب من بالقاعة متوترة مثلى ، وخيم عليها صمت رهيب . ثـم التفت كاتب الجلسة وسألهم ان كانوا قد أجمعوا على قرارهم، فكان رد رئيسهم : مذنب بالاجماع .

« والى هذه اللحظة لا أدرى ماذا قلت » .

(ولكن الثابت فى المحاضر انه حين سئل ان كان لديه ما يقوله ليحول دون صدور حكم عليه بالاعدام ، قال : لست مذنبا ولا أريد أن أزيد على ذلك قولا) .

« كنت ارسل النظر فى فراغ لا نهائى ولا أرى شيئا . ولم يعلق القاضى على قرار المحلفين ثم نطق فى صوت بطىء خفيض بحكم الاعدام . وختمه بقوله « وليرحمك الله » وقال القسيس « آمين » بصوت بدا لى أكثر خفوتا » .

« ودفعونى دفعا سريعا الى الدرج الهابط ، ثم

الى زنزانة أسفل المحكمة ، وأحضروا لى عشائى فلم أستطع حتى مجرد النظر اليه .. وبعد نحو الساعة نقلونى الى السجن ، وفى هذه المرة الى الزنزانة المخصصة للمحكوم عليهم بالاعدام . وجدت نفسى محاطا بعدد من رجال السجن البسونى الملابس الرمادية التى نص عليها القانون لأمثالى . وتملكنى عند ذلك يأس مرير ،وفقدت ـ لاول مرة ـ السيطرة على أعصابى فغلبنى البكاء .. » .

« وظلت أعصابى متوترة من ليلة السبت التى صدر فيها الحكم الى منتصف يوم الاثنين،وجاءت الصدمة الكبرى حين زارنى محافظ السجن وأبلغنى أن يوم تنفيذ حكم الاعدام قد تحدد .. » .

« ومر أسبوعان . ثم سلمونى اعلانا بتحديد يوم ١٨ مايو لنظر الاستئناف ، ونقلونى الى سجن آخر » .

★★★

وكان القانون الجنائى الصادر فى عام ١٩٠٧ يبيح الاستئناف ضد حكم الادانة أو ضد تقدير العقوبة . واستئناف الادانة يرتكز على سبب واحد هو ان يكون القاضى قد تحيف فى عرض ملخص القضية على المحلفين . وواضح أن تلك لم تكن حالة قضية والاس ، فقد كان تلخيص القاضى فى صالح المتهم ، ولكن المحلفين تجاهلوه.

ومع ذلك ففى القانون نص يبيح لمحكمة الاستئناف ان تقبل الاستئناف وتلغى الحكم اذا اعتبرت ان قرار المحلفين لا يستند على الأدلة المقدمة فى الدعوى .. بشرط ان تتبين المحكمة ان خطأ قضائيا قد وقع .

ومن النادر أن يستند الى هذا النص فى جريمة قتل . واندر من ذلك ان ينجح هذا الاستناد فلم يحدث منذ صدور القانون سنة ١٩١٧ حتى سنة ١٩٣١ ـ أى فى مدى ربع قرن ـ ان قدم استئناف مستند الى هذا النص .

★★★

ويروى لنا والاس فى مذكراته التى ملأ فراغها بعد ذلك :

١٨ مايو ـ يوم استئناف . ذهبت الى المحكمة فى الساعة ١٠٫٣٠ صباحا . الحديد فى يدى . ولكن بملابسى العادية . فى الساعة ١١ مثلت أمام المحكمة . بعد خمس ساعات تأجلت القضية وأعادونى الى السجن .

١٩ مايو ـ رفع رئيس القضاة الجلسة للمداولة بعد استماعهم لمرافعات الدفاع والاتهام .أخرجونى خارج القاعة الى ممرات المحكمة فلبثت أقطعها ذهابا وايابا لمدة ساعات تنتابنى فترات أمل ويأس . وكانت أعصابى مشدودة لأقصى الحدود .

ثم عاد القضاة وأعادونى للقفص ... وساد القاعة صمت مهيب . ما من حركة تسمع . ولا ورقة تطوى .. وبعد فترة بدت لى دهرا أخذ قاضى القضاة يتلو حكمهم . لم أستطع متابعة كل ما قاله . كل ما أذكره أننى صممت على اخفاء شعورى وبقيت بأعصاب متوترة لا أحس بما هو جار حولى الا بشعورى بأن القاضى بطىء بطىء وصوته خافت كأنه يصدر من مكان بعيد بعيد ، ثم سمعته يقول :

«قبلت المحكمة الاستئناف والغت الحكم»

وانقلب سكون المحكمة فجاة الى حركة ، وبدا هتاف من المقاعد سرعان ما اختفى.. وتبينت أننى كسبت المعركة وعدت حرا .

ويشرح لنا والاس ـ فى مذكرات تالية ـ ما عاناه خلال هذه الاشهر الأربعة وما لحق به بعد حكم البراءة .

« لم أكن أتصور أن الحزن والقلق سيقضيان على .. لا سبيل لمودتها الى .. والقاء الماضى .. حتى القبض على القاتل الحقيقى لن يفيدنى ولن يعيد السكينة الى نفسى » .

وقد شقى بشعور الوحدة هذا كما شقى بما احس به من نظرة الناس اليه .

« أظن أنه لا مفر لى من العدول عن العودة الى عملى بليفربول نهائيا . فسوء ظن الناس بى أقوى مما تصورت .. لقد وجدت جميع جيرانى ضدى .. » .

« قابلت جورج العجوز . ظهر لى أن هذا الحيوان المتعجرف يتحاشى التحدث الى .. أعتقد أن هذا الاحساس نحوى سوف يستمر .. ولن أستطيع ان أقضى عليه ..أعصابى كلها قد انهارت .. وتملكنى يأس قاتل .. وغلبنى الحزن والدموع » .

ولم يمض على براءته أقل من سنتين حتىساءت حالته الصحية وقضى نحبه شهيد خطأ قضائى لم يخفف من أثره أن محكمة الاستئناف استطاعت ان تصححه وتنقذ المحكوم عليه من حبل المشنقة .

■■

حسن الجداوى
القاهرة





قصر السلام : أحد قصور الكويت ، وهو بيت ضيافة للحكومة ، ينزل فيه ضيوفها العظام . والصورة تعبر أبلغ تعبير عن جمال هندسة هذا القصر .

الكويت من الجو



الى اليمين : شارع فهد السالم ، هذا هو اسمه الرسمى ويعرفه الناس أيضا باسم « شارع الجهراء » . والى الجهة اليسرى من الشارع يجثم « برج الكويت » أعلى عمارة فى الكويت ، وتشغلها وزارة المالية والصناعة . ويمتد هذا الشارع مسافة تزيد عن الكيلو متر وينتهى عند ساحة الصفاة ـ الساحة الرئيسية فى مدينة الكويت .. وتقوم على جانبى الشارع العمارات الكبيرة المتعددة الادوار ، المتناسقة الالوان ، وتشغل جزءا منها المكاتب التجارية ، والجزء الآخر المساكن الاهلية .. أما واجهات المحلات التجارية ، وهى تزيد عن الالف عددا ، فلا تقع على الشارع مباشرة فبين هذه الواجهات وبين الشارع ممرات مسقوفة ، تحمى المارة من أشعة الشمس صيفا ، ومن المطر شتاء .



الى اسفل : ميناء الكويت : يستطيع مرفأ الكويت ان يستقبل البواخر التى يبلغ طولها ٦٠٠ قدم ، وفيه اربعة مراس عميقة مجهزة بأحدث وسائل التفريغ . وتوجد على الرصيف ١٦ رافعة كهربائية تبلغ حمولة ١٢ رافعة منها ٢ر٥ طن للرافعة الواحدة ، والاربعة الباقية ٦ أطنان للرافعة الواحدة . وتعمل هذه الرافعات على نصف قطر يبلغ ٦٥ قدما .. وتنقل الروافع البضائع المرفوعة الى الارصفة ، ومن الارصفة تحمل اما الى مستودعات مؤقتة عددها أربعة ، طول الواحد منها ٤٤٠ قدما وعرضه ١٠٠ قدم ، واما الى مناطق التخزين فى المنطقة المجاورة للميناء . وهناك فى الميناء رصيف جانبى طوله ٨٠٠ قدم ، على الطرف الغربى للرصيف الرئيسى ، لرسو البواخر ذات الغاطس المحدود . وهناك رصيف آخر طوله ٤٠٠ قدم للبواخر الصغيرة التى لا يزيد غاطسها عن ١٢ قدما . وهناك رصيف مؤقت الى الشرق من الرصيف الرئيسى وهو ملائم للبواخر التى لا يزيد غاطسها عن ٢٦ قدما ..أما اذا كانت جميع المراسى مشغولة بالبواخر فيمكن تفريغ حمولات البواخر بواسطة الصنادل بعد ارساء البواخر فى المرفأ الخارجى .





الى اليسار : يبدو وسط هذه الصورة قصر السيف ، والسيف معناه الشاطىء ، وهو المقر الرسمى لسمو أمير دولة الكويت . « وعنده سهم فى الصورة » . وقد تم مؤخرا توسيعه وأضيفت اليه ، فى أحد أركانه منارة عالية ، على رأسها ساعة جميلة . وفى هذا القصر يحتفل بتقديم أوراق اعتماد سفراء الدول الى صاحب السمو . ويشغل مجلس الوزراء الكويتى جزءا من هذا القصر . وبجانب القصر وزارة الجمارك والموانىء وهو بناء غير كبير ، توجد الى جانبه مخازن متطاولة هى بقايا المرفأ القديم . ولا تزال هذه المنطقة تحمل اليها الخضر والفواكه وسائر الحاجات الواردة من خارج البلاد .

● **الكويت من الجو**



الى اليمين : الواجهة الأمامية لمباني ثانوية الشويخ ، والتي ستصبح « جامعة الكويت » . وفي وسط الفناء الرئيسي كرة ارضية ضخمة ، أقيمت حولها ساريات اعلام ترفع عليها أعلام الدول العربية في المناسبات التي تستدعي ذلك.وفي صدر الصورة المبنى الرئيسي وتحتل بعضه الادارة .. وتعلو البناء قبة جميلة وترى خلف القبة مباشرة « ساعة الجامعة » ، وبجانبها نادي الكشافة البحرية . وفي وسط الصورة الى اقصى اليسار يرى مسجد المدرسة بمئذنته العالية الجميلة .





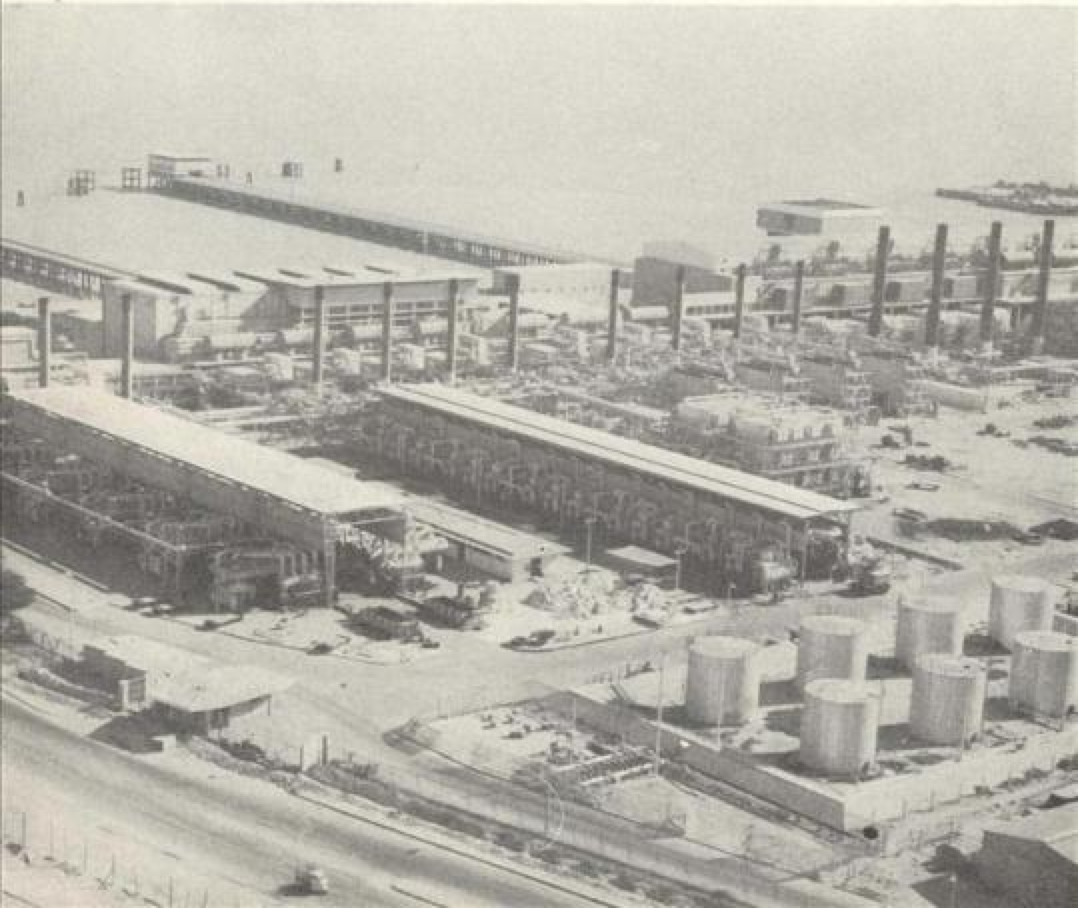
رئة المدينة : كانت هذه الارض الى ما قبل ثلاث سنوات مقبرة مهجورة ولكن يد الاعمار امتدت اليها فحولتها الى هذه الحديقة الجميلة . وتتوسط الحديقة بركة ماء على شكل مثلث تقطعه ثلاث طرق قائمة فوق جسور ، وبالبركة نوافير ترسل الماء رذاذا تسلط عليه الانوار الملونة فى الليل فيعطى منظرا خلابا . وحول البركة ممر مرصوف بالحصى على شكل منجل ، تقوم فوقه العرائش ، ولهذه الحديقة خمسة مداخل ويلفها سور من الحديد المطروق المزخرف بالنحاس طوله ٧٠٠ متر ، ويفصل بينها وبين شارع فهد السالم (الى اليمين) موقف للسيارات يتسع ل ٢٥٠ سيارة . ولهذه الحديقة قسم مخصص للاطفال . وهى بمسطحاتها الخضراء واحواض الزهور تقوم فى مدينة الكويت مكان رئة تتنفس منها وتوفر لسكانها الراحة والتسلية.

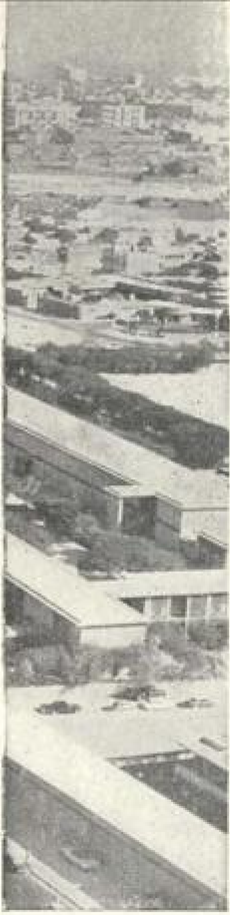


الى اليسار : محطة تقطير مياه البحر كما تظهر من الجو .. وهى اضخم محطة تقطير فى العالم . وقد انتهى العمل من انشاء اول مقطرة لماء البحر فى هذه المحطة فى مارس ١٩٥٣ وكانت طاقتها الانتاجية آنذاك مليون جالون فى اليوم . اما الآن فتوجد خمس وحدات للتقطير تنتج ستة ملايين جالون من الماء يوميا . وهذان اللسانان الظاهران فى الصورة يمتدان الى مسافة ٦٠٠ قدم داخل البحر وفى نهايتهما مضخات قوية غير ظاهرة تضخ ماء الخليج الى محطة التقطير فى الداخل بواسطة انابيب ضخمة مركبة فوق اللسانين وهما مصنوعان من الحديد . وتبلغ تكاليف انتاج الالف جالون فى هذه المحطة دولارا واحدا ويعزى الانخفاض فى التكاليف الى استخدام الغاز الطبيعى الذى ينتج فى الكويت عند استخراج بترولها ، وتستهلك المحطة ٣٠ مليون قدم مكعب من الغاز يوميا .



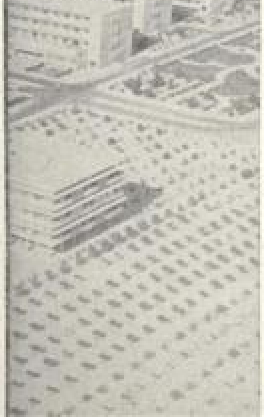
الشارع الهلالي : وسمي كذلك لانه يشبه الهلال ، اذا اعتبرنا كل طوله ، وهو غير ظاهر كله في الصورة وقد اعترض الطريق مسجد ، يعرف بمسجد الشملان ، فدار الطريق حوله . ويبدو المسجد في الصورة، بعد تجديده مزدانا بمئذنتيه الجميلتين . ومآذن الكويت تضاء بالكهرباء كل ليلة جمعة .





الى اليسار : صورة لمنطقة من المدينة هامة ، تجمع فيها عدة من أبنية تضم مرافق معروفة ـ (أ) وزارة الارشاد والأنباء ، وفى الدور الثانى منها مجلة «العربى» وفى دورها الأول والأرضى مطابع الدولة التى تقوم بطباعتها . (ب) وزارة الكهرباء والماء . (جـ) وزارة الأشغال العامة . (د) المدرسة المتوسطة للبنين ، واسمها مدرسة الصديق .





مبنى البلدية : ويقع عند تقاطع شارع عبد الله السالم والهلالى . ولاحظ فى بنائه الضخامة والتناسق والجمال . فى مقدمة الصورة ثلاثة مبان ذات هندسة واحدة تبدو فيها الضخامة والتناسق والجمال ، والمبنى البادى فى مقدمة الصورة الى اليسار هو مجلس الامة ، تشغل بلدية الكويت المبنيين الآخرين .





الى اليمين : مستشفى الصباح ، من الجو . وهو اكبر واحدث مستشفيات الكويت . وفي مقدمة الصورة مبنيان قريبا الشكل من ثلاثة ادوار خصصا لسكن الاطباء المتزوجين الذين يعملون في المستشفى .. وتبلغ مساحة الارض المقامة عليها المباني ٢٢٥٥٥ مترا مربعا أما مساحة الأرض الكلية للمباني والحدائق ومواقف السيارات فهي ٧٤ فدانا . وقد استغرق بناء هذا المستشفى سنتين ونصف السنة ، وتم افتتاحه رسميا في ١٩٦٢/٦/٢٠ .

مقطوعات شِعْرِيَة

للدكتورة عاتكة الخزرجي

حَيرة

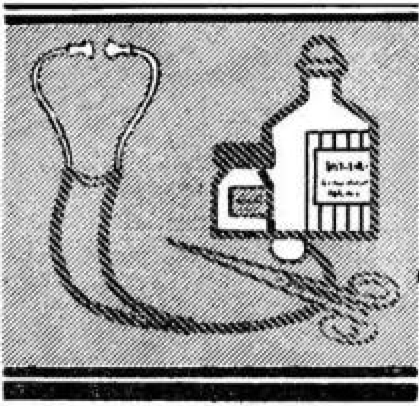
تفديكَ روحي ألفَ مَـــرَّة
لله بُعْدُك ما أَمَـــرَّه .. !
إنّي أكادُ أُجَنُّ فيكَ .. فهل إليكَ اليوم نظره..؟!
إنّي لَيُفزِعُني الفراقُ وأتّقِي في الحبِّ شَرَّه ..!
وأَعوذ من صَرْف الزمـــان ولست آمنَ منه مكره..!
كيف السبيل ؟! وبيننا قَدَرٌ يهاب القلبُ أَمرَه..؟!
ومتى نعود ؟! متى أَراكَ ؟ ونلتقي في الله مَرَّة ..؟!

شَكوى

إنّي لأستحييـــكَ ياسيِّدي
أنْ بِتُّ أشكوك وأشكو إليكْ..!
حَسبُكَ أنْ قد ضاق بي مرقـــدي
مِن لهفة الروح ووجدي عليكْ..
واحسرتا .. أَفلَتّهُ من يـــدي
قلبـاً .. أمالي من شفيعٍ لديك ؟
حَسبُكَ أنْ أشْمَتَّ بي حُسَّدِي
وذي حياتي كلُّها في يديكْ..!

عفاف

أخال بالورد من أنفاسه نَسَمـــاً
فأنتشي إنْ عبير الورد حيّـــاني
وكم تعفّفتُ عن تقبيل وجنتـــه
لأنّها وحبيب الروح سِيّان..!



طبيب الأسرة

الرضاعة من الثدى ، أم من الزجاجة ؟

ــ تدل الظواهر على ان الأطفال الذين يرضعون اللبن من بزازة الزجاج هم دائما فى صحة جيدة ، فلماذا تتعب الأمهات فى ارضاع الاطفال من اثدائهن ، وهو مجهود كبير يكلف الام عناء كبيرا ؟

● ان الأطباء ينصحون دائما بالارضاع من ثدى الأم ، ويقولون انه لا بديل له ، ويعززون وجهة نظرهم هذه بأمور عدة. منها ان الاحصاء دل على ان الاطفال الذين يموتون فى سنتهم الأولى ، ٨٥ فى المائة منهم رضعوا من الزجاجة . وفى احصاء آخر شمل ٩٧٤٩ طفلا ارضعتهم امهاتهم من اثدائهن بلغت الوفاة فيهم ١٫١٥٤ فى المائة ، فقط، واحصاء آخر شمل ١٧٠٧ طفلا أرضعتهم الزجاجة ، بلغت الوفاة فيهم ٨٫٤٤ فى المائة .

واحصاء آخر ، فى مستشفى لأمراض الاطفال شهير ، دخله فى عام واحد ١٦٧ طفلا مصابين بالتهابات معدية معوية ، فهؤلاء لم يكن فيهم غير طفل واحد فقط ارضعته امه من ثديها .

ويذكر الأطباء المختصون ايضا ان ارضاع الثدى يحمى من الاصابة بالاسهال الصيفى ، ومن الاصابة بالكساح الباكر.

ولبن الأمهات عندهم اسهل هضما، ودرجة حرارته أوفق درجة ، وهو لا يتلوث بالمكروب . ومص الطفل لثدى امه عملية تهدف الى حسن تشكيل فمه .

والارضاع يفيد الأم ، فهى تصح عليه، وهى تنظم حياتها وطعامها وفقه، والتنظيم ذو فائدة . والأم ، على الرضاع اقرب الى عودتها الى حالتها الطبيعية التى كانت عليها قبل الولادة .

سل المواشى هل يصيب الانسان

ــ أعلم أن بعض المواشى يصيبها السل، فهل فى أكل هذه المواشى خطر من انتقال السل عن طريق اكل لحومها .

● ان بعض المواشى يصاب بسل المواشى ، وهو مرض له نسب بسل الانسان ، وهو خطر على الانسان . ومكروبه يشيع فى الناس عن طريق لبن الأبقار واشباهها ، وما يصنع من هذه الألبان . وفى الامم الحية تفحص المواشى بكاشف السل المعروف بالتوبركلين ، وصاحبه العالم البكتريولوجى كوخ . وفى الولايات المتحدة تعدم البهيمة التى تصاب بالسل ، وتعقم زريبتها تعقيما شاملا كاملا قبل أن يحتلها غيرها .

أما من حيث اللحوم المصابة فأكلها غير مأمون الا اذا هى طبخت طبخا جيدا يقتل المكروب الذى فيها ، وعلى الأخص فى الريف البعيد حيث الرقابة الصحية ليست دائما كاملة كل الكمال .

كرات الدم الحمراء لاتصنعها الكبد

ـ قيل لى ان كرات الدم الحمراء ، التى تصيب الانسان بفقر الدم ، سببها ان الكبد لا تصنع منها الكفاية . فهل هذا صحيح ؟

● لا بد انك تقصدين ان تقولى «كرات الدم الحمراء التى يصيب النقص فى عددها الانسان بفقر الدم » .

اما الكرات فهى تصنع فى مخ العظام بجسم الانسان، وذلك لأن الكرة الحمراء لا تعيش الى الأبد . ان عمرها يبلغ فى المتوسط ١٢٠ يوما او نحو ذلك ، فهى تفنى ، واذا لا بد من تجديد الذاهب منها وتجديده كل يوم اذا شئنا أن تبقى أعداد هذه الكرات ثابتة كافية تقوم فى الجسم بوظيفتها . ومعنى هذا أن جزءا من ١٢٠ جزءا من هذه الكرات لا بد أن يتجدد كل يوم . ومعنى هذا انه لا بد أن يصنع فى مخ العظام كل يوم ما بين ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ كرة حمراء لكل مليمتر مكعب من الدم .

ومحلل الدم يستطيع ان يعد هذه الكرات المجددة فى الدم كل يوم ، ومن عددها نستنتج ان كان مخ العظام قائما بعمله ناشطا فيه او غير ذلك .

السمك أم اللحم اكثر غذاء ؟

ـ لماذا كان السمك أرخص من اللحم ، وأيهما به الغذاء الأكثر للجسم ؟ .

● نعم ، السمك فى عمومه ارخص من اللحم فى عمومه .

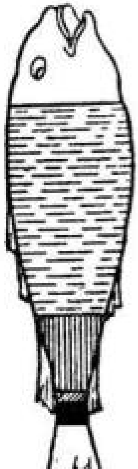
وهذا يتفق مع ما لكل منهما من قدرة على الوفاء بتغذية الانسان . ولكن لا يفهم من ذلك دائما أن اثمان الاطعمة وانخفاضها يتسبب عن قدرتها الغذائية وحدها ، ارتفاعا او انخفاضا ، ولكن عن ظروف كثيرة أخرى منها قدرة الوارد من الطعام فى السوق وتكلفة انتاجه .

واللحم ليس كله ثمنا واحدا ، ولا السمك .

فاذا نحن قارنا السمك المعروف بالقد ، وهو يمثل اغلب الأنواع الشائعة العادية فى الاسواق ، باللحم المتخذ من اضلاع الخراف مثلا ، خرجنا بنتيجة هذه المقارنة المصورة بالشكل التالى :

سمك القد : الرطل يعطى ٣٠٠ سعر غذائى .

لحم الضلع : الرطل يعطى ١٤٧٥ سعرا غذائيا



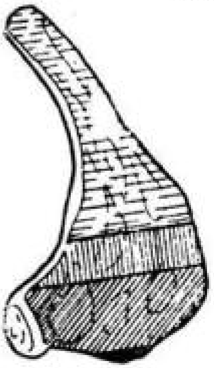
التركيب

ماء : ٨٢ر٦٪

بروتين : ١٥ر٨

دهن : ٤ر٠

رماد : ١ر٢



التركيب

مـاء : ٥٣ر١٪

بروتين : ١٧ر٦

دهن : ٢٨ر٣

رماد : ١ر٠



تألمت بطنى ، فاخذت مسهلا

ـ ذكرت عند الطبيب انى شعرت بالم فى بطنى ، فاخذت مسهلا ، فطلب منى ان لا افعل ذلك الا بعد التأكد من سبب هذا الالم الذى فى بطنى ، فما الذى يعنيه الطبيب من ذلك ؟

● الطبيب يعنى انه فى بعض الأحوال يكون المسهل خطرا جدا ، ومن الأمثلة الظاهرة لذلك التهاب الزائدة الدودية ، ومن أعراضها آلام فى البطن . وهذه الزائدة عبارة عن عضو صغير يخرج من الامعاء الفلاظ فى الجزء الأول منها ، وليس لها فى الظاهر عمل ذو بال فى الجسم ، فاذا أصابها عدوى فالتهبت ، وتحولت الى مثل تحول البثرة الصغيرة الى الدمل ، فعندئذ قد يسبب المسهل الشديد انفجارا فى هذا الموضع وهو على هذه الحالة ، فينتشر مكروبه فى الجسم ، ولا سيما فى الغشاء المغطى للأحشاء المعروف بالبريتون فيصيبه الالتهاب ، وهو التهاب خطير .

لهذا ينصح الأطباء الناس دائما بأن لا يتعاطوا مسهلا وفى البطن الم شديد .

★ ★ ★

هل عندى فقر دم ؟

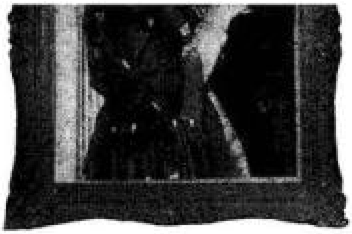
ـ حلل المحلل دمى فوجد به عدد كراتى الحمراء ٢٠٠٠٠٠٠٤ كرة ، فما معنى هذا ، وهل معناه ان عندى فقرا فى الدم . وهل يتغير مقدار هذه الكرات فى الحياة ولاسيما بتقدم السن ؟

● عدد الكرات الحمراء التى يخرج بها المحلل هو عددها الذى يجده فى المليمتر المكعب من الدم . ومتوسط هذه الكرات فى الرجل السليم ٥٠٠٠٠٠٠ كرة ، تزيد أو تنقص بمقدار ٧٠٠٠٠٠ كرة على الصحة ايضا . ومتوسط عدد هذه الكرات فى المراة اقل من ذلك ، فهو ٤٥٠٠٠٠٠ ، يزيد او ينقص بمقدار ٥٠٠٠٠٠ كرة .

وعدد الكرات فى الطفل الوليد اعلى من هذه الأعداد قليلا ، ولكنه يهبط فى الشهر الثانى الى نحو ٤٠٠٠٠٠٠ ، ويبقى عند نحو هذا الرقم عدة أشهر ، ثم يأخذ فى الازدياد الى ٤٥٠٠٠٠٠ من العام الأول الى البلوغ .

اما فقر الدم فالشخص يعتبر فقيرا فى الدم ، على العموم ، اذا نقص عدد كراته الحمراء عن ٤٠٠٠٠٠٠ .

والى جانب عدد الكرات الحمراء يوجد مقدار ما فيها من الصبغ الأحمر ، من الهيموجلوبين ، فهذا اذا نقص مقداره فى الدم عن ١٢ر٥ جرام فى كل ١٠٠ سنتيمتر مكعب من الدم عد صاحبه فقير دم . ومقداره فى الرجل السليم يبلغ عادة ١٥ جراما ، ودون ذلك قليلا فى المراة .



امرأتان

وصف احداهما غربيٌّ فجرّد وعمّم ..

ووصف الأخرى عربيٌّ

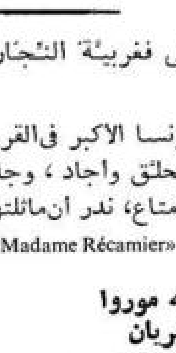
بقلم : ظافر القاسمي

■ فأما المرأة الأولى فغربيّة النّجار، باريسية الشّعار ، عجيبة الألوان ، رائعة التركيب .

ووصفها كاتب فرنسا الأكبر في القرن التاسع عشر ، شاتوبريان (١) ، Chateaubriand فحلّق وأجاد ، وجاء بالمعجب المطرب، ونسجت فيها بلاغته فنونا من الابداع والامتاع، ندر أن ماثلتها الأشباه ، او قاربتها النظائر . تلك هي « مدام ريكاميه (٢) «Madame Récamier» .

كتاب اندريه موروا عن شاتوبريان

قرات هذا الوصف فى الكتاب النفيس الذى الفه « اندريه موروا » عن شاتوبريان. وما اعرفنى قرات او سمعت مثل هذا الوصف فى هذا الوصف اليسير الذى قرات فى آداب اللغة الفرنسية . ، وما اظن ان احدا وُفق اكثر مما وُفق شاتوبريان فى وصف الروعة التى تعترى



شاتوبريان

المعجبين ، وتأخذ عليهم طرائق حسهم وشعورهم وعقلهم جميعا ، فيخرجون عن مألوف القول ، وتند على اقلامهم تعابير قد لا يستسيغها المتزمتون من الرجال، ويرون فيها انحرافا عن تقديس المفاهيم، ان لم يروا فيها الكفر الصراح.

ترجمة ، هي دون الأصل الفرنسي

وانا محاول فى هذه الأسطر القليلة ان انقل هذا الوصف الرائع اليك ، الى لغة العرب. ويقيني ان بينها وبين الأصل الفرنسي كثيرا من الفوارق ، وانني مهما وفقت فى الأمانة والدقة ، فلن ابلغ مبلغ كاتبها العظيم من البلاغة والعمق .

وصورتان

فشخّص وخصّص ..



مدام ريكاميه

وحسبى أننى أحاول ، وحسبك أن تفهم محاولتى .

وان كنتَ ممن رُزق معرفة هذه اللغة، فارجعْ الى الأصل الفرنسى، من الكتاب . ولست أشك فى أنك واجد فيه ما لايمكن أن تجده فى ترجمة أية لغة من اللغات ، ويقينى أنك مستمتع ببراعة هذا الكتاب العظيم فى اختيار الألفاظ ، كالجوهرىّ النقّاد ، وفى سبك الجمل ، بأسلوبه الشعرى السحرى ، حتى كأنك تستمع الى لحن موسيقى فنّان ، من ألحان الخلود .

قال مؤلف الكتاب ، أندريه موروا :

« و فى بيت مدام دوستال De Staël(٣) راى — أى شاتوبريان — ذات يوم مدام ريكاميه Recamier ، وكانت أجمل

(١) شاتوبريان (١٧٦٨ — ١٨٤٨ م) ، هو الكاتب الفرنسى الشهير ، ساح فى امريكا ، وعاد الى فرنسا والثورة الفرنسية قائمة . وترك فرنسا ليعيش فى انجلترا عام ١٧٩٢ . وعاد الى فرنسا عام ١٨٠٠ ، ولكن ساء ما بينه وبين نابليون . ثم عمل سفيرا لفرنسا فى لندن بعد عودة حكم آل بربون ، ثم وزيرا للخارجية من عام ١٨٢٢ الى عام ١٨٢٤ . تحققت شهرته الأدبية بنشره كتاب « العبقرية المسيحية » (١٨٠٢م) . وقد ألحق بهذا الكتاب روايته ، الأولى أتالا Atala ، والثانية رينيه René . وقد اشتهر الكاتب بقوة خياله وومضات أسلوبه . وكان أثره بالغا فى الحركة الرومانسية — العربى .

(٢) هى جين فرانسواز برنارد ريكاميه (١٧٧٧ — ١٨٤٩ م) ، احدى شهيرات نساء فرنسا ، اشتهرت بقوة روحها ، وبجمالها ، وبصالونها الذى كان يجتمع فيه نوابه رجال فرنسا ونسائها ، بعد عودة آل بربون الى الحكم. كانت صديقة مخلصة الود للكاتب شاتوبريان . والصورة التى لها بهذه الصفحات مأخوذة عن صورة زيتية لها فى متحف اللوفر بباريس — العربى

(٣) كاتبة فرنسية شهيرة ، كان لها أثر كبير فى الحركة الرومانسية فى فرنسا . كانت تنزع الى الآراء الحرة ، أضطهدها نابليون ثم ساقها الى الجيلوتين — العربى .

امرأة فى عصرها ، وكان سبق أن قدمه اليها « كريستيان دولا مينيون » ولكنه كان عند ذاك ما زال وحشيا لم يكد يخرج من غاباته، فلم يجرؤ على أن يرفع عينيه الى هذه المرأة المحوطة بالعابدين فما رآها . وبعد ان نشر قصته اتالا Atala ، استقبلته مدام دوستال فى بيتها ذات صباح ، وبينما كانت وصيفتها تلبسها ثيابها فى داخل البيت ، دخلت عليه مدام ريكاميه فجاة ، وكانت ترتدى ثوبا من الحرير الابيض .

وهنا نقل موروا ما كتب شاتوبريان عن هذا اللقاء حرفا بحرف :

« كنت لا أكاد اجيب، وعيناى معلقتان بمدام ريكاميه (٤) . وكنت اسائل نفسى: هل كنت ارى صورة لطهر العذارى ، او للذة . اننى لم اخترع ابدا شيئا مماثلا . واصابنى انهيار لم اعرف له مثيلا فى اى وقت قط . ان اعجابى العاشق قد تحول الى غضب على نفسى . واظن اننى دعوت الله فى أن يطيل عمر هذا الملاك ، وفى أن ينزع عنه قليلا من الوهيته لتضيق المسافة فيما بيننا . انى حينما كنت احلم فى (سيلفيد Sylphide) كنت اسبغ على نفسى كل صفات الكمال لكى احوز اعجابها ، اما حينما كنت افكر فى مدام ريكاميه، فقد كنت اجرّدها فى بعض مفاتنها لأقرّبها منى . كان واضحا اننى كنت أحب الحقيقة اكثر مما كنت أحب الخيال » .

هذه هى الصورة الفاتنة التى رسمها شاتوبريان للمراة التى شغلت الناس ، وملأت الدنيا، فى القرن التاسع عشر ، وحملت المسيو هريو Herriot (١٨٧٢ ــ ١٩٥٧) رئيس مجلس نواب فرنسا ، واحد اعضاء الأكاديمية الفرنسية الأربعين الخالدين ، على ان يخصص لها كتابا ، سماه « مدام ريكاميه واصدقاؤها » ، وقال فى مقدمته : انما يدرس من وراء حياة هذه المرأة، جميع ما اضطربت فيه فرنسا خاصة ، واوروبا عامة ، خلال القرن التاسع عشر، من شؤون السياسة والعقل والأدب والعلم (٥) .

الست ترى معى أن هذه الصورة التى رسمها شاتوبريان قد تغنى من الناحية العاطفية ، عن كتاب او عن كتب ، وانه قد جمع فى اسطرها القليلة ، كثيرا من المعانى التى قد تضيق عنها المجلدات الضخام ؟

انظر الى انهياره حين رآها ، والى اعجابه العاشق ، الذى دفعه الى الثورة على نفسه ، وهو احد النبلاء الاباة الذين لم تلن لهم قناة ، ولم يعرفوا فى حياتهم الملق او الخضوع ، فلما كان لا بد من خضوع ترك باريس وهاجر الى لندن احتفاظا بحريته وكرامته .

وتأمل معى هذا التردد بين طهر العذارى وبين اللذات ، كلاهما قد توحى به صورة هذه المرأة الفريدة ، حتى يحار رجل كشاتوبريان بأيهما يمسك ، والى ايهما يتجه !

وما هذا الشعور الغريب الذى ينتاب الكاتب العظيم ، فيحمله على ان يدعو الله لينزع عنها قليلا من صفات الالوهية التى سكبها فيها ؟ وما هذا الاضطراب

(٤) شبيه لهذا قول أبى صخر الهذلى :

فما هو الا ان اراها فجاءة ... فابهت لا عرفٌ لديَّ ولا نكرُ

(٥) المسيو هريو مات حديثا . والكتاب المشار اليه كان اطروحته التى قدمها لنيل الدكتوراه عام ١٩٠٤ ــ العربى .

العميق الذي يكرهه على ان يجرّدها من بعض مفاتنها لتضيق مسافة الخلف فيما بينه وبينها ؟

ان شاتوبريان قد صورفي هذه الأسطر القليلة اروع صورة لأروع امراة !

المراة الثانية

واما ثانيتهما ، فلست أدرى هل هى عربية النسب ، شرقية السبب ، ام انها من بنات الفرنجة ، او من أولاد الأعاجم . فنحن لا نعرف شيئا عن اسمها ، ولا عن اصلها ، وكل ما حفظه لنا التاريخ عنها اسطر قليلة ، قراتها فى نفس اليوم الذى قرات فيه وصف (مدام ريكاميه) ، فى الكتاب النفيس الذى خلف لنا بعض اجزائه الامير شكيب ارسلان رحمه الله، وادركته المنية قبل اتمام اجزائه الأخرى . ذلك الكتاب الذى سماه (الحلل السندسية، فى الآثار الأندلسية) .



الأمير شكيب ارسلان

لم تكن المراة الثانية التي احدثك عنها الا جارية من آلاف الجوارى اللواتي امتلأت بهن قصور الأندلس ودورها . ولم يكن فى عصرها للمراة ما لها فى هذا الزمان ، فلم يعنَ المؤرخون بأكثر من ذكر صفاتها ، دون الاشارة الى اسمها او الى قبيلتها او الى منبتها . وحسبك ان تقرأ هذه الصفات لترى عجبا من العجب ، ولتدرك ان هذه المراة ، اذا كانت عربية (وهو ما اشك فيه لأنها جارية تباع وتشترى) فهى دليل على نبوغ المراة العربية وتقدمها . واذا كانت اعجمية ، فهى دليل ايضا على انتشار الثقافة العربية وأثرها العميق فى الشعوب المستعربة . ومهما يكن من امر ،وسواء اكانت هذه المراة شرقية أم غربية ، فهى انسانة من ولد آدم ، والرسول العربى الأعظم يقول:كلكم لآدم ، وآدم من تراب. فاذا كان قد بقى لنا شىء من مفاخرنا فى الأندلس ، فانها من صنع الناس ، عربا كانوا او مستعربين .

لقد اشار الأمير شكيب رحمه الله الى هذه الجارية فى موضعين من كتابه ، مما يدلك على أنها استأثرت ببعض اهتمامه . وهو نقل ما جاء عن الجارية عن كتاب (البيان المغرب ، فى أخبار ملوك الأندلس والمغرب) لابن عِذارى(٦) وقد جاء فيه :

« اشترى ابن الأصلع جاريةَ الطبيب ابى عبد الله الكتانى بثلاثة آلاف دينار. قال ابن حيان فى تاريخه : لم يُرَ فى زمانها أخفُّ منها روحا ، ولا أسرع حركة ، ولا الين اعطافا،ولا أطيب صوتا، ولا أحسن غناء ، ولا اجود كتابة ، ولا خطا ، ولا أبدع أدبا ، ولا أحضر شاهدا ، مع السلامة من اللحن فى كتابتها وغنائها، لمعرفتها بالنحو واللغة والعَرُوض ، الى المعرفة بالطب ، وعلم الطبائع ، ومعرفة التشريح، وغير ذلك مما يقصّر عنه علماء الزمان . وكانت محسنة فى صناعة الثقاف(٧)، والمجاولة بالتّراس ، واللعب بالرماح والسيوف والخناجر المرهَفة ،

---

(٦) هو محمد بن عذارى المراكشى مؤرخ عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادي . كتابه المذكور نشر فى ليدن عام ١٨٤٨ .

(٧) صناعة تقويم الرماح اى تثقيفها .

لم يسمع لها فى ذلك بنظير ولا مثيل ولا عديل » .

فهل ترى ، وقاك الله الفتنة ، أعجب من هذه الصورة وأغرب ؟

ولقد كنت أحدث نفسى وانا اقرأ هذه الكلمات عن شعور الأمير رحمه الله حين اختارها فيما اختار لكتابه ، واذا به قد اغنانى عن التساؤل ، فكتب فى الحاشية ما نصه : هذه المرأة ريحانة وقهرمانة معـا .

ومع هذا التعليق الموجز ، يتضح لك ما اعتلج فى نفس الأمير من مشاعر ، وما اضطرم فى نفسه من احاسيس .

الصورتان معا

ولست أبغى الى المقارنةبين الصورتين فما بينهما وجه للمقارنة . ولكنى لا احب ان تفوتنى الاشارةالىأنهما رائعتان فتانتان ، كل واحدة منهما على طريقة قوم من الناس .

واذا كان لى أن استخلص شيئا من النصين ، فانني لا أجد مفرا من ان اشير الى هذا الخلاف الواضح فى الطريقة بين قوم وقوم ، ولست ارده الى اختلاف العصر ، وانما ارده الى اختلاف الطبائع، والى افتراق فى الخصائص .

ولست ازعم ان هذا المثل يصح ان يكون قاعدة تبنى عليها دراسة طبائع الشعوب وخصائصها ، ولكنه قرينة صالحة ، قد يأنس بها الذين يهتمون بهذا النوع من الدراسات فى أيامنا هذه.

هذا الاختلاف ، وذلك الافتراق ،هو فى نظرى ميل الغربيين على الأعم الأغلب الى التجريد والتعميم،وحرص الشرقيين على الأعم الأغلب على التخصيص والتشخيص .

ففى الصورة الاولى لم يشأ مبدعها أن يدلك على مواضع الفتنة فى صورته ، ولا أن يحدد لك علىوجه الدقة ألوان حسنها، ولا فنون مزاياها ، وانما تركك أنت تستخلص من المجردات التى القاها اليك ما يزينه لك خيالك ، وما يوحى اليك الهامك، على النحو الذى ترى فيهالفتنة، وتتصور فيه السحر .

وفى الصورة الثانية ، اخذ الكاتب بيدك ، وسار معك خطوة خطوة ، ليدلك على ما ترى وما لا ترى ، يعدد لك الصفات،ويكاد يرقم المزايا،كأنهاحصائى اختصاصى ، لا يغادر موضعا من جمال الا ذكره ولا بارقة من حسن الا اشار اليها ، ولا فضيلة الا نصها . .

وانا لست ارى أن أدب الفرنسيين خاصة ، والأوروبيين عامة ، قلا خلا من مثل هذا الوصف الذى تركهلنا ابن عذارى . كذلك لست ازعم ان ادبنا قد خلا من التجريد والتعميم . ولكنى اضرب مثلا ارى انه قد يستقيم للنقد المطلق العميق ، فيما اذا اردنا تغليب الشائع ، واستبعاد النادر .

وسواء أكان هذا أم ذاك ، فانه اذا كان همّ الأدب والفن ، تنمية الشعور بالجمال ، وصقل الأذواق ، والتقرب من المثل الأعلى،فاننى ارىان الصورتين على ما بينهما من خلاف، تتممانبعضهما بعضا،وتبعثان فى القلب رقيق العاطفة ، وتنشران عبقا من الأرج ، لا يكاد يطيف بالمرء ، حتى يرفعه عن أوضار المادة ، ويربطه بالملأ الأعلى . ■■

ظافر القاسمى

قصة للكاتب الايطالى
لويجى بيرانديللو



الحرب

لزاما على المسافرين الذين غادروا روما بقطار الليل السريع ، أن يتخلفوا فى محطة «فابريانو» الصغيرة حتى الفجر، تمهيدا لاستئناف رحلتهم بالقطار المحلى الصغير ، العتيق ، الذى يربط الخط الرئيسى ومدينة « سولمونا » .

وعند الفجر ، دخلت مركبة من مركبات الدرجة الثانية ، اثقل الدخان والأنفاس هواءها اذ قضى خمسة اشخاص ليلتهم فيها ، امرأة بدينة فى ثياب سوداء، وكأنها حزمة غير متناسقة. وتبعها زوجها وهو يتأفف . وكان رجلا ضئيل الجسم ، نحيفا ، ضعيفا، ذا وجه شاحب شحوب الموتى ، وعينين ضيقتين لامعتين ، يتراءى فيهما الخجل والضيق .

واذ استقر أخيرا فى مقعد ، شكر المسافرين الذين ساعدوا زوجته وافسحوا لها مكانا ، ثم التفت الى المرأة محاولا أن يخفض ياقة معطفها ، متسائلا متجاملا : « أانت بخير يا عزيزتى ؟ » .

وبدلا من أن تجيبه زوجته بالشكر ، رفعت ياقة معطفها ثانية ، حتى كادت تمس عينيهـــا ، لتخفى وجهها ، فتمتم الزوج وعلى شفتيه ابتسامة حزينة : «هكذا الدنيا » .

واحسن بان من واجبه أن يطلع رفاق السفر على ان زوجته المسكينة جديرة بالعطف والرثاء ، لان الحرب كانت في سبيل انتزاع ولدها الوحيد منها . فتى في العشرين من عمره ، اوقفا عليه حياتهما ، وهجرا بيتهما في « سولونا » ، ليتبعاه الى روما ليكمل دراسته ، ثم لما وقعت الحرب سمحا له بان يتطوع فيها ، بعد أن اطمأنا الى انه لن يرسل الى الجبهة قبل ستة اشهر على الاقل . ولكن ها هما قد تلقيا الآن فجأة برقية تقول انه قد طلب للسفر خلال ثلاثة ايام.وسألهما ان يَخفا اليه ليودعاه .

وكانت المرأة تتلوى وتتململ تحت المعطف الفضفاض ، وتزداد انفعالا ـ في بعض الأحيان ـ فتبدو كالحيوان المهتاج . فقد كانت تشعر بأن كل هذه الايضاحات التي جاء بها زوجها غير كافية لان تثير ظلا من العطف لدى أولئك القوم الذين كانوا ـ في الغالب ـ في مثل موقفها .

قال واحد منهم ، وكان يصغي بانتباه : «جدير بكما أن تشكرا الله لان ابنكما انما طلب اليه ان يذهب الى جبهة القتال ، اما ابني فقد ذهب في اول يوم من أيام الحرب.وقد عاد مرتين ليتداوى من جراحه ، وفي كل مرة كان يُرَدُّ الى الجبهة ثانية » .

وقال آخر : « وما قولكم في حالي ؟ .. ان لي ابنين وثلاثة اخوة في الجبهة » .

فخرج الزوج عن صمته ليقول : « ولكن هذا ابننا الأوحد » .

ـ وما الفارق ؟ .. انك قد تفسد وحيدك بالاسراف في الرعاية والحدب ، ولكنك لا تملك أن تحبه أكثر مما تحب أولادك الآخرين اذا كان لك سواه . ان الحب الأبوي ليس كالخبز يمكن ان تجزئه وتقسمه على الأولاد بالتساوي . فالاب يولي أولاده كل حبه دون تفرقة ، سواء انجب واحدا او انجب عشرة . واذا كنتُ اتألم الآن من اجل ولديَّ الاثنين ، فلست اخص كلا منهما بنصف اساي ، بل انني أعاني الأسى ضعفين » .

فزفر الزوج المُحرَج قائلا : « صدقتَ .. صدقت .. ولكن هبْ ـ وكلنا نرجو الا يحدث لك هذا ـ هب ان والد الاثنين فقد واحدا منهما .. انه اذذاك سيجد في الآخر عزاء . أما..»

واجاب الآخر متأثرا : « اجل ، سيبقى له ابن يعزيه ، ولكنه ـ من ناحية أخرى ـ ابن لا بد للاب من ان يعيش لاجله . في حين أن الاب ، ذا الابن الواحد ، يستطيع أن يموت اذا ما مات ابنه ، فيضع حدا لحزنه . فأي الوضعين أسوأ ؟ .. الا ترى أن حالي أسوأ من حالك ؟ » .

وكان في المسافرين مسافر آخر ، بدين ، أحمر الوجه ذا عينين محتقنتين ، باهتتي المقلتين ، يستمع . فقاطع المتحدث قائلا « هذا هُراء ! » .

كان يرسم .. وكأنما كانت عيناه الجاحظتان تشعان بعنف ، تؤججه حيوية لا يكاد يقوى جسده الواهن على احتمالها .. وعاد يردد ، وهو يحاول أن يحجب فمه بيده ليتستر على سنتين افتقدهما في مقدم فمه : « هراء واي هراء . اتحسبون اننا نلد اولادنا ، ونعطيهم الحياة من اجل مصلحتنا نحن خاصة ؟! »

فحملق المسافرون الآخرون فيه واجمين . وزفر الذي ذهب ابنه للجبهة منذ اليوم الاول ، وقال : « أصبت . أن أولادنا ليسوا ملكا لنا ، فهم ملك للوطن ... » .

فزمجر المسافر البدين ذو العينين الجاحظتين ، وقال : « وي ! .. هل نحن نفكر في الوطن عندما نمنح اولادنا الحياة ؟.. انما يولد أبناؤنا لاننا... لانهم لا بد ان يولدوا . وهم حين يغدون الى الحياة يستولون على حياتنا . هذه هي الحقيقة. انما نحن ملك لهم ، ولكنهم ليسوا ملكا لنا البتة. فاذا بلغوا العشرين ، اصبحوا كما كنا نحن تماما في تلك السن . فقد كان لكل منا اب وام ، ولكن كانت هناك اشياء اخرى تشغلنا بها كذلك .. نساء سجائر ، نزوات ، وروابط جديدة .. والوطن طبعا ، فكان لزاما أن نجيب دعوته لو أنه دعا ونحن في العشرين ، ولو اعترض الاب والأم.. واليوم لا يزال حب الوطن عارما طبعا ، ولكن حبنا لأولادنا أقوى منه . فهل بيننا هنا من لا يقبل راضيا أن يحل محل ابنه في الجبهة اذا استطاع ؟ » .

وسيطر الصمت ، وأخذ كل يهز راسه موافقا .

فاستأنف البدين حديثه قائلا : « لماذا ـ اذن ـ لا نقدر مشاعر اولادنا وهم في العشرين ؟ .. اليس الطبيعي ان يضعوا في سنهم هذه حب الوطن ـ وانا اتكلم عن الاولاد الصالحين طبعا ـ فوق حبهم لنا ؟ .. اليس من الطبيعي ان يكون الامر كذلك ، وهم ـ برغم كل شيء ـ لا بد يرون فينا كهولا وشيوخا لم يعودوا قادرين على الحركة ، ومن الواجب ان يمكثوا في البيت ؟ .. واذا كان

للوطن وجود ، واذا كان الوطن ضرورة كالخبز الذى لا بد لنا ان ناكله لكيلا نموت جوعا ، فلا بد ان يكون هناك من يذهب للذود عنه . ولهذا يذهب أولادنا حين يبلغون العشرين ، وهم فى غير حاجة الى الدموع ، لانهم اذا ماتوا فانما يموتون متحمسين وسعداء .. وانا أتكلم عن الاولاد الصالحين طبعا . واذا مات شخص وهو شاب وسعيد ، ولم يبتل بالاشياء الكريهة فى الحياة ـ السام ، الآلام ، خيبة الآمال ، فماذا نريد له اكثر من هذا ؟ .. فليكف كل امرىء منا عن البكاء ، وليضحك كما اضحك .. أو ـ على الاقل ـ ليحمد الله كما أحمده لان ابنى ارسل لى قبل موته ، يقول انه كان يموت راضيا ، وقد ختم حياته احسن ختام كان يتمناه ، وهذا هو السر فى اننى لم أحفل حتى بارتداء ثياب الحداد عليه ... » .

وهز الرجل سترته الخفيفة المصنوعة من الجلد ـ وكأنه يريهم ثيابه ـ وشفته الشاحبة ترتجف فوق سنتيه الناقصتين ، وعيناه جامدتان وراء طبقة من الماء رقراقة . ثم اطلق ضحكة حادة كان من المحتمل أن تؤخذ مأخذ الصرخة المعولة .

وقال الآخرون يقرونه : « هو كذلك .. هو كذلك » .

وكانت المراة المكومة فى ركنها ـ تحت معطفها ـ قد حاولت طيلة الاشهر الثلاثة الماضية أن تجد فى كلمات زوجها واصدقائها ما يخفف عنها اساها العميق .. أن تجد شيئا يريها كيف تروّض أمّ نفسها على أن يرسل ابنها ولو لمجرد خطر محتمل ، دع الموت .. ولكنها لم تكن قد وجدت كلمة واحدة فى كل ما كان قيل لها ، وزادها حزنا انها لم تجد شخصا واحدا يشاطرها مشاعرها . فكذلك خيل اليها .

اما الآن فكلمات المسافر هذا قد اذهلتها ، بل افحمتها . فقد تحققت ان الذنب لم يكن ذنب الذين كانوا حولها ، فليسوا هم الذين عجزوا عن أن يفهموها ، وانما هى التى لم تستطع أن ترقى الى صف اولئك الآباء والامهات الذين راحوا يروّضون انفسهم ـ بدون بكاء ـ لا على رحيل ابنائهم فحسب ، بل على موتهم .

ورفعت رأسها ، ومالت عن ركنها ، واخذت تصغى للتفصيلات التى راح البدين يدلي بها لزملائه عن طريقة استشهاد ابنه ـ فى سبيل وطنه ـ وهو سعيد ، غير نادم ولا محسور . وخيل اليها انها وقعت على دنيا لم تحلم بها يوما .. دنيا كانت مجهولة لديها .. وسرّها أن تسمع كل امرىء يشترك فى تهنئة الرجل البدين ، الوالد الباسل ، الذى كان يتكلم عن موت ابنه بهذه الفلسفة .

وفجأة ، التفتت اليه متسائلة ، وكأنها تستيقظ لفورها من حلم : « اذن .. فقد مات ابنك حقا » .

وحملق الجميع فيها . وتحول الرجل كذلك فنظر اليها ، متفرسا فى وجهها بعينيه الجاحظتين الباهتتين البشعتين . وظل يتفرس ، وكأنما فطن اذ ذاك فقط ـ وبهذا السؤال غير المناسب ـ الى أن ابنه قد مات حقا .. وانه ذهب الى الأبد !

واختلجب أساريره بانفعال شديد ، وتجهم وجهه ، ثم انتزع منديلا من جيبه فى عجلة .. ولدهشة كل امرىء انطلق ، متجهشا ببكاء مسموع مزّق قلوب الحاضرين جميعا . ■■

ترجمة : محمد بدر الدين خليل

نقد كتاب الشهر

ألدوس هكسلى

(١٨٩٤ - ١٩٦٣)

الأديب الذى أفزعه مستقبل الجنس

بقلم: الدكتور محمود السمرة

■ فى الثانى والعشرين من شهر نوفمبر الماضى (١٩٦٣) ، قضى الدوس هكسلى Aldous Huxley بمرض السرطان عن تسعة وستين عاما ، بعد أن قدم للمكتبة الانجليزية خلال أربعين سنة ، أكثر من خمسين كتابا بين قصص ، ومسرحيات ، ومقالات ، وأشعار ، ونقد ، وفلسفة .

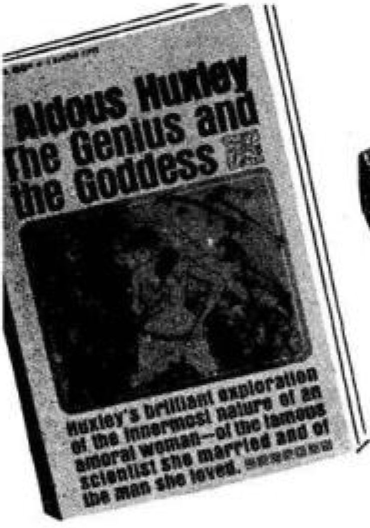
والدوس هكسلى من عائلة علم وأدب : فهو حفيد توماس هكسلى العالم البيولوجى الشهير وتلميذ داروين ، وشقيق العالم المعروف جوليان هكسلى ، وابن بنت شقيق الشاعر ماثيو آرنولد . وقد كان الدوس يطمح الى أن يكون عالما كجده وأخيه ، الا انه أصيب وهو طالب فى كلية ايتون بمرض فى عينيه ، افقده البصر كلية ، وجعله يعيش فى ظلمة دامسة مدة عامين . ولكن العلاج ، ان كان قد رد اليه البصر ، الا انه لم يشفه تماما ، فعاش طيلة حياته بعينين مجهدتين .

وبعد أن انهى الدوس دراسته فى كلية ايتون التحق بجامعة اكسفورد ليدرس الأدب الانجليزى القديم والأدب الاغريقى واللاتينى ، بعد أن حال ضعف عينيه بينه وبين دراسة الطب .

وفى عام ١٩١٩ تزوج فتاة بلجيكية كانت لاجئة فى بريطانيا . وعمل بعد هذا فى مجلة « اثنيوم » و « فوج » و « فنيتى فير » ، وكتب فيها مقالات فى مواضيع مختلفة : مقالات فى الأدب والنقد ، وفى السجاد العجمى وتزيين الغرف ! وفى رأى هكسلى أن العمل فى الصحافة مفيد للكاتب الناشىء ، لانه أشبه بفترة تمرين يكتسب فيها الكاتب الأسلوب السلس السهل الذى هو من مقتضيات الصحافة كما انه يعوده أن ينظر الى الامور نظرة شاملة من عدة زوايا ، وذلك بسبب اضطراره الى الكتابة فى أى موضوع يمكن أن تطلبه منه المجلة .

وبين عامى ١٩٢٣ و ١٩٣٠ عاش هكسلى فى ايطاليا برفقة صديقه دى . اتش . لورنس Lawrence وزار أمريكا الوسطى عام ١٩٣٤ . ولما ملّ التطواف أخيرا قرر الاستقرار عام ١٩٣٧ فى كاليفورنيا .

وفى ١٤ مايو ١٩٦١ حلت بهكسلى كارثة كانت فى رأيه أسوأ ما حل به فى حياته : فقد أتت النيران على بيته والتهمته بما فيه من تحف ثمينة ، ومخطوطات نادرة ، وكتب قيمة ، وأوراق خاصة لا تعوض . وقد نجا هو وزوجته من النيران بأعجوبة ، ولم يستطع أن ينقذ الا مخطوطة قصته «جزيرة» . وقد أتت هذه النار على أربعة وعشرين





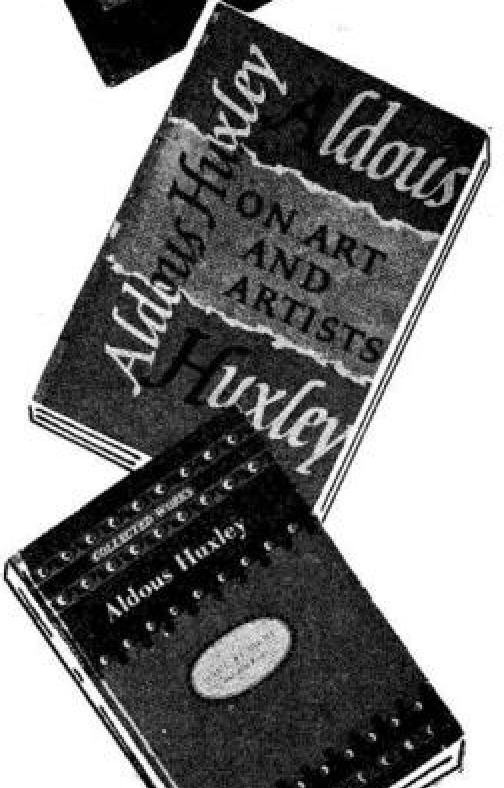
« لا مكان للمجتمع السليم ، فى عالـم شرير مريض » .

بيتا فى تلال هوليود ، ودمرت أرضا مساحتهـا ١٢٠٠ فدان .

وعـاش هكسلى حياته وهو يؤمن ان الكتـابة واجب يومى مفروض عليه ، ولهذا فانه كان يخصص للكتابة خمس ساعات كل يوم: فى الصباح وقبل العشاء . أما الليل فللقراءة . ويقـول هكسلى انه قد أعاد كتابة ما صدر له من مؤلفات عددا كبيرا من المرات، قبل أن يرضى عنها ويرسلها للنشر ، ولكنه بعد أن يدفع بها الى الناشر لايعود اليها أبدا . ولا يهمه ما يقوله النقاد فيها .

أما قصصه فانه يكتبها فصلا فصلا ، دون أن تكون فى ذهنه عند البدء سوى الصورة العـامة للقصة .

وقد وقع هكسلى فى شبابه تحت تأثير ثلاثة من الكتاب الفرنسـيين هـم : أناتول فرانس France ومارسيل بروست Proust واندريه جيد Jide ولكنه يقول أنه عندما عاد اليهم بعد أن تعدى طور الشباب ، أصيب



بخيبة امل ، وخاصة بالنسبة لاناتول فرانس الذى لم يعد ، فى رايه ، يماشى هذا العصر .

★ ★ ★

ووسط انتاج هكسلى الغزير المتنــوع تنفرد بالتميز ثلاثة كتب هى « عالم جديد شجاع » و « العودة الى عالم جديد شجاع » (١٩٥٩) و«جزيرة» ١٩٦٢ (١)، وهى كتب تتناول ازمة الانسان الحاضر ، ومستقبله وكيف ينتظر أن يكون .

والتفكير فى مستقبل الانسان ، وما يخبئه له المستقبل ، ورَسْمُ الطريق لمستقبل افضل ، من الموضوعات التى استأثرت باهتمام الفلاسفة منذ افلاطون فى « جمهوريته » (القرن الرابع قبـل الميلاد) حتى الدوس هكسلى فى « جزيرته » (١٩٦٢) . والواقع ان الكاتب الذى يتناول مستقبل الجنس البشرى ليس معنيًا بالمستقبل بل بالحاضر ، فهو انما يجسد فى كتابه العوامل الفاعلة فى تطوير الانسان، الحسنة منها والسيئة، فكأنه بهذا يخاطب البشر قائلا لهم : « انظروا هذا هو واقعكم ، وهذا الواقع سيؤدى بكم الى مثل هذا المستقبل » . ولا يعنى هذا بالضرورة ان راى الكاتب صحيح بل الأرجح انه غير صحيح . واذا القينا نظرة على ما صدر من كتب عن مستقبل الجنس البشرى ، منذ القرن التاسع عشر حتى الآن ، بدا لنا واضحا صواب هذا الرأى الذى نراه .

★ ★ ★

ولكنْ هناك فرق بين كُتّاب القرن التاسع عشر وكتاب القرن العشرين : فبينما نجد كتاب القرن التاسع عشر متفائلين ، متطلعين الى مستقبل زاهر ينعم فيه البشر بالسعادة ، نرى عند كتاب القرن العشرين تشاؤما حادا ، فهم لا ينتظرون للبشر فى المستقبل سوى الهلاك .

ومن اشهر الكتاب الذين يصورون روح القرن التاسع عشر وما ساده من تفاؤل اتش.جى. ولز H. G. Wells، ووليم موريس Morris وادورد بلامى Bellamy وروبرت بلاتشفورد Blatchford

لقد كتب ولز قصصا طوبائية تصور عـالم المستقبل وقد سادته الرفاهية والسعادة والطمأنينة ومنها قصته « الزمن الآلة Time Machine » (١٨٩٤) التى تقع احداثها فى عام ٨٠٢٧٠١ ، وذلك بسبب التقدم الصناعى . والذى جعل ولز يؤمن مثل هذا الايمان العميق بالعلم ، وانه كفيل بتحقيق السعادة للبشر ، انه هو نفسه كان عالما ، كما ان الذى شجعه على هذا الاعتقاد ما شهده بعينيه من تقدم سريع فى الميادين العلمية . ولكن ولز غاب عن باله ان العلم لم يوجه نحـو سعادة الانسان ، وانما استحال الى نقمة تهدد الجنس البشرى بالفناء ، وهذا ما احسسنا به جميعـا ، نحن ابناء هذا القرن . ولماذا حَدَّدَ ولز هذا العام الغريب ، عام ٨٠٢٧٠١ ، ليتحقق فيـه المستقبل السعيد ؟ هذا ما لا نجد جوابا عليه .

ومثل هذا الايمان بالعلم نجده عند برنارد ولف Wolfe فى قصته « ليمْبو ٩٠ Limbo 90» فهو يتخيل البشر عام ١٩٩٠ وقد اتخذوا لهـم اطرافا صناعية بدلا من اطرافهم الانسانية .

★ ★ ★

ومن الكُتّاب الذين تظهر فى كتاباتهم تشاؤمية القرن العشرين ، تشسترتون Chesterton فى قصته « الكرة والصليب » (١٩١٠) ، وهى قصة ضعيفة البناء الفنى . وفى راى تشسترتون ان ازمـة المستقبل هى ازمة تدين ، وتدور احداث القصة بين كاثوليكى متدين ، وملحد ، هو ابن هذه البيئة العلمية الصناعية ، وتنتهى القصة بسيطرة حزب سياسى على مقاليد الأمور ، فينكل بهما ، لان الجدل الحر لا يرضيه . ازمة المستقبل عند تشسترتون ، اذا ، هى ازمة تدين اولا تنتهى بسيطرة حزب سياسى يحكم بالاكراه ، ويكـم الافواه ، والطرفان فى المصيبة سواء

(1) Brave New World ; Brave New World Revisited; Island

وظهر بعد هذا كتاب بعنوان « ١٩٨٤ » لجورج اورويل Orwell ، وازمة المستقبل عنده هى ازمة تطاحن سياسى حزبى تسلب الحياة بهجتها، وتحرم الانسان حريته . يقول احد ابطال قصته لرفيقه ، وهو قول يلخص لنا رأى اورويل فى المستقبل : « اذا اردت منى ان اعطيك صورة لهذا المستقبل ، فان اوضح صورة له فى نظرى هى صورة انسان ملقى على الارض ، وقد وقف فوقه انسان آخر يسد فمه بحذائه » !

ونجد هذا التشاؤم نفسه فى كتابى انجوس ويلسون ونيفل شت (٢) . فنيفل شت يتصور ان حربا ذرية قد اشتعلت فدمرت نصف الكرة الشمالى ، ولكن الهلاك يهدد سكان نصف الكرة الجنوبى ايضا ، فالاشعاع الذرى يتجه نحوهم ، وهم مستمرون من الرعب فى انتظاره .

★ ★ ★

والذى لا شك فيه ان خير ممثل لروح التشاؤم من المستقبل التى سادت هذا القرن ، نجده فى كتاب الدوس هكسلى « عالم جديد شجاع » ، وهذا الكتاب رد عنيف على طوبالية ولز ، وقد حدد هكسلى تاريخ عالمه بالقرن السابع بعد فورد، ملك السيارات ، امعانا فى التهكم من ايمان ولز بالعلم وانه سيحقق السعادة للبشر !

ان هكسلى يصور عالم المستقبل فى كتابه هذا وقد سيطر فيه العلم : فالبشر فيه هم ابناء البواتق ، وكلمة أم قد حذفت من القاموس لانه لا وجود لها فى واقعهم ولذلك فهم يفغرون افواههم دهشة عندما يسمعون بهذه الكلمة من قادم غريب وجد نفسه فجاة بينهم ، ويطلقون عليه لذلك اسم « المتوحش » ، لانه ابن امراة لا ابن بوتقة .

ويعود هكسلى ثانية فى عام ١٩٥٩ ليعالج الموضوع من جديد فى كتابه « العودة الى عالم جديد شجاع » ، على ضوء التطورات التى حدثت فى العالم خلال السنوات الماضية . وهو فى كتابه هذا يؤكد ان العالم يسير نحو الهاوية لاسباب اخرى ، تضاف الى سيطرة العلم على الانسان ، وهو الموضوع الذى عالجه فى كتابه السابق .

ان ازمة الانسان فى كتابه هذا متعددة الجوانب: فهى ازمة ناجمة عن المفاهيم الخاطئة ، والوعى الناقص، والزيادة المطردة فى عدد السكان زيادة مذهلة . وفى رأيه ان هذا كله سيؤدى حتما الى القضاء على الحكم الديمقراطى ليحل محله الحكم الديكتاتورى الذى تذوب فيه ارادة الفرد . وهذه هى خاتمة المأساة . وهنا يسود المجتمعات قلق اقتصادى ، وتحفز لثورة كلما سنحت بارقة . وهذا بدوره سيساعد على تركيز السلطة فى يد فئة تحكم بالعنف والبطش .

ويقترح هكسلى للحيلولة دون هلاك الانسان ان تقوم هناك حركات جادة تسعى الى تطهير فكر الانسان مما فيه من مفاهيم خاطئة، ووعى ناقص، وذلك بالتوجيه والاقناع . كما انه يرى ان على الجنس البشرى ان يسارع الى تحديد النسل بحيث لا يزيد عدد المواليد عن عدد الوفيات . ومثل هذه المقترحات يصعب تطبيقها ، اذ كيف يمكن حمل الناس على تحديد النسل مثلا ، والانسان ما زال حتى اليوم يخضع للغريزة فى هذا الجانب من حياته ؟! ان البشر لم يستطيعوا ان يتفقوا حتى على ما هو ادنى من هذا بكثير .

ويعود هكسلى فى عام ١٩٦٢ الى الموضوع للمرة الثالثة ، ولكن لا ليرسم لنا صورة لاهوال عالم المستقبل ، بل ليقيم دولة مثالية فى جزيرة تقع فى مكان ما قريب من اندونيسيا ، فكانه فى قصته الجديدة هذه المسماة « جزيرة » يقول لنا : هذا هو المجتمع الانسانى الذى ارجو ان يتحقق على هذه الارض . وجزيرة هكسلى جميلة ، وسكانها مكتملو الاجسام ، جذابون ، يدينون بدين هكسلى الذى هو مزيج من الصوفية واليوجا . ورغم غنى الجزيرة بالنفط،الا ان اهلها يرفضون استنباطه، ويسدون حاجاتهم والتزامات دولتهم ، باستخراج

(2) Angus Wilson, The Old Men at the Zoo; Nevil Shute, On The Beach.

جزء من الذهب الذى تكتظ به مناجمهم ، وتحسين طرق الزراعة . وتحديد النسل مطبق فى هذه الجزيرة ، والتلقيح الصناعى أمر شائع فيها ، ولكن من لقاح صفوة رجالات الجزيرة عقلا وجسما ، وهو لقاح يحفظ فى انابيب فى جو مناسب . وكل فرد فى هذه الجزيرة يجد حاجته من الطعام ، وينال حظه من التعليم المناسب له على أحدث الاساليب التربوية . وسكان هذه الجزيرة لا يعرفون الأمراض النفسية، ولا التوترات العصبية، ولا يشكون من الظلم الاجتماعى ، ولا الحكم الديكتاتورى . ان كل فرد فيهم سعيد ، وهذه السعادة نتيجة للعناية بهم فى أجسادهم ونفوسهم.

ولكن هذه الجزيرة الصغيرة السعيدة تثير جشع جارتها القوية الطامعة فى ثروتها النفطية ، الكارهة لهذه السعادة المحققة على الأرض ، فتهاجمها وتحتلها وتقضى على هذا الحلم الجميل. وما يريد أن يقوله هكسلى فى هذه القصة هو انه لا مكان للمجتمع السليم فى عالم شرير مريض .

★ ★ ★

وهكسلى الأديب مهتم بدراسة العلوم اهتمامه بكل فروع المعرفة الانسانية ، فهو بسعة اطلاعه اشبه بموسوعة متحركة من الأدب والعلم معا ، ويستطيع أن يتحدث فى العلم حديث الخبير المتخصص ، كما هو فى الأدب .

وقد استهوته فى حياته فكرة استحضار نوع من العقاقير اذا تناوله المرء صار أحد ذكاء ، وأصفى نفسا ، وأخصب خيالا . ومن أجل هذا كان يقضى الساعات الطويلة فى المختبر ، منكبا على استحضار هذا النوع من العقاقير . وقد توصل أخيرا الى استحضار نوعين من العقاقير هما الميسكالين والليسيرجيك اسيد .

وكان أول من أوحى لهكسلى بهذه الفكرة طبيب نفسانى بريطانى اسمه همفرى أوزموند . وكان هذا الشاب يقوم بتجارب تهدف الى معرفة أثر أنواع من المخدرات فى فئات مختلفة من الناس . ولما سمع هكسلى بهذا الطبيب الذى كان يعيش فى كندا ، سارع الى الاتصال به ، وقدم نفسه له ليجرى عليه التجارب . ثم أصبح هو نفسه بعد هذا منجذبا الى دراسة أثر العقاقير المخدرة فى صنوف البشر .

وقد وصف هكسلى تجاربه فى هذا الميدان فى كتابه « أبواب الادراك الحسى » The Doors of Perception (١٩٥٤) . ومن النتائج التى توصل اليها أن هناك فروقا شاسعة فى ردود فعل الناس الى هذين المخدرين ، ولكن الثابت عنده أن أيا من هذين المخدرين يجعل المرء اكثر ادراكا للناس حوله ولحياته ، كما يجعل المرء يدرك أن الكون الرتيب حولنا ليس هو الكون الوحيد الموجود .

وهذا المخدر يعين الموهوبين على الابداع ، سواء منهم الادباء أو العلماء ، ولكنه لايستطيع أن يخلق من غير الموهوبين موهوبين ، وان كان يزيد فى ادراكهم .

ويتساءل هكسلى : ترى لماذا نجد أن بعض الناس تبقى عقولهم متفتحة حتى سن الشيخوخة؟ ولماذا يفقد غيرهم هذا التفتح فى سن مبكرة ؟

وفى رأيه أن هذه مشكلة تقع ضمن اختصاص الكيمياء الحيوية ، وأن باستطاعة الكيمياء الحيوية علاج مثل هذه الحالات ، اذا وجد المتخصصون المخلصون وتوفروا على دراسة هذه المشكلة .

★ ★ ★

لقد قال هكسلى عن نفسه : « ان من المزعج ان يعيش المرء فى القرن العشرين متحملا بثقافة مناسبة للقرن السابع عشر » . وكان بهذا ظالما لنفسه ، لأنه فى الحقيقة قد جمع فى نفسه من المعارف الانسانية اقصى ما يستطيع أن يعيه أى انسان . ■■

محمود السمرة

من الكتب التي وصلتنا

المملكة العربية السعودية

امين المميز ـ بيروت

● يروى المؤلف فى كتابه هذا مشـــاهداته فى المملكة العربية السعودية

الأهرامات المصرية

تأليف الدكتور أحمد فخرى ـ ترجمة الدكتور أحمد فخرى ـ مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● هذا الكتاب لا يتناول اهرام الجيزة فحسب، وانما يعالج الأهرامات جميعها ، ما يوجد منها فى الجيزة ، وما يوجد منها فى جبانة منف ، وأبى رواش ، وزاوية العريان ، وأبى صير ، وغير ذلك من المناطق الأثرية الشهيرة .

الحمل والولادة

للدكتور مصطفى الخالدى ـ بيروت

● من فصول الكتاب : تاريخ الولادة ، تشريح الأعضاء التناسلية والحوض، فيزيولوجية الحمل، علامات الحمل وأعراضه ، نمو الجنين شهرا بعد شهر ، طعام وغذاء الحامل ، العناية بالحامل ، الطبيب والحامل ، زمن الولادة وعلاماتها .. الخ

تقدم التعليم العالى فى العراق

حسن الدجيلى ـ مطبعة الارشاد ـ بغداد

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة الموضوعات التالية : عرض تاريخى ، جامعة آل البيت ، تأسيس الجامعة قبل تشريعها ، تأسيس مجلس التعليم العالى ، تأسيس جامعة بغداد .

نفحات الخليج

عبد الله سنان محمد ـ مطبعة حكومة الكويت

● ديوان من الشــعر الوطنى الاجتمــاعى والوجدانى من قصائده : كويت العرب ، الذئب، فهد العسكر ، الاعتراف المزعوم ، هيا للكفــاح ، الجزائر ، بورسعيد ، الدستور ، الهندية ، ذات البرقع ..

ينابيع الحياة

اسحق اسيموف ـ ترجمة الدكتور ثابت جرجس قصبجى. مؤسسة فرنكلين ومكتبة منيمنة ـ بيروت

● كتاب فى اربعة ابواب هى : الحياة والنوع ، الحياة والخلية ، الحياة والجزىء ، الحياة .

شخصيات القدر

دونالد كارلوس بيتى ـ مكتبة النهضة ـ بغداد

● كتاب يعرض ترجمات لاكثر من أربعين شخصية من الشخصيات المشهورة فى العالمين العربى والغربى فى مختلف المجالات .

الأمثال الشعبية فى قلب جزيرة العرب ثلاثة أجزاء

عبد الكريم الجهيمان ـ بيروت

● كتاب فى امثال قلب جزيرة العرب ، وهـو مرتب ترتيبا أبجديا .

الفنون الأدبية واعلامها

انيس المقدسى ـ دار الكاتب العربى ـ بيروت

● يتناول هذا الكتاب عرضا عاما للفنون النثرية فى أدبنا الحديث ، وهو يتناول بالاكثر الاعـلام الراحلين . وتتناول فصول الكتاب ما يلى من الفنون الأدبية : المقالة ، الخطابة ، القصة ، السيرة ، النقد .



منطق امرأة !

● **كان** الزوج يقود السيارة، ولما وصل الى تقاطع الطريق خفف السرعة ، وسأل زوجته أن تنظر الى جهة اليمين لترى ان كانت هناك سيارات قادمة من تلك الجهة .

فالتفتت الزوجة .. وقالت : **كلا** وسكتت قليلا وانطلق الزوج بسيارته ،

فاذا بالزوجة تكمل جوابها : **ولكن توجد سيارة شحن واحدة !**

سبب رئيسي !



● **سلم مدير** المحل التجارى بطاقة الى احد الزبائن لتعبئتها ، والاجابة على سؤال واحد فيها ، وهو ما هو السبب الرئيسي الذي يجعلك تشتري بضاعتنا ! فامسك الزبون القلم وكتب على البطاقة :

ـ السبب الرئيسي الذي جعلني اشترى منتجاتكم هو زوجتي !!

مثل مخيف

● المزارع : اريدك يا ابنى ان تأكل فى المطبخ اثناء موسم الحصاد ، ولكن لا مع العمال المستأجرين .

الابن : لماذا يا ابي ؟ الا يليق بي ان آكل معهم .

المزارع : ليس هذا هو الموضوع ، ان شهيتك للاكل تعتبر مثلا مخيفا !!



تضحك الدنيا معك ابك تبك وحدك

كي يحيا الاطباء !

● ان ثلث الطعام الذي تاكله يبقيك حيا ، والثلثين الآخرين يبقيان الاطباء احياء !

سؤال .. لا يتغير

● يعيش الرجل العشرين سنة الاولى من حياته وهو يسمع أمه تساله الى اين هو ذاهب .

وبعيش السنوات التي تليها وهو يسمع زوجته تساله نفس السؤال !!



اجرة سفر !

● دخل رجل مطعما وطلب دجاجة . فساله الجرسون هل تريد دجاجة بلدية ام مستوردة ؟

فسال الزبون : وما هو الفرق ؟

فاجاب الجرسون : الدجاجة المستوردة تكلف ١٠٠ فلس اكثر .

فرد الزبون : اريد دجاجة بلدية ، لماذا ادفع اجر سفر الدجاجة الاخرى الى هذه البلاد ! ■■

أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب

عبد الوارث كبير

حزانى .. فى عيد الأم

● كلما اقترب شهر مارس من كل عام أحسست وكأنما بدأت تلفنى غمامة من الحزن ما تلبث أن تثقل وتثقل وتثقل حتى اذا ما اقبل اليوم الحادى والعشرون من هذا الشهر بلغت ازمتى ذروتها ، واسودت الدنيا فى عينى ، فكرهت الحياة بالرغم من كل ما يشيع فيها الربيع من متعة وجمال .

فأنا سيدة فى الثلاثين أو نحوها ، أى فى السن التى تجد كل سيدة فيها نفسها وقد اصبحت اما لطفلين او ثلاثة او اكثر ، يملأون عليها حياتها ودنياها ، تفرح بكبيرهم . وهو ذاهب الى مدرسته وبأوسطهم وهو يلعب فى الشارع مع لداته ، وبأصغرهم وهو يداعب ثديها أثناء الرضاع .. بينما انا لا أجد حولى كبيرا ولا صغيرا ، ولدا ولابنتا ، فاذا اقبل عيد الام هرع الاطفال والكبار يقدمون لأمهاتهم الهدايا والقبلات ، وأنا أنظر اليهم وقلبي يتقطع لرؤيتهم حسرات !

ان فى العالم آلافا مؤلفة من مثيلاتى اللواتى حرمن نعمة الذرية يكرهن شهر مارس ، وعيد الأم بالذات ، وتنفطر قلوبهن كلما رأين من يعرفن من الامهات يتنبأن بما سوف يقدمه اليهن ابناؤهن وبناتهن من هدايا فى عيد الام ، بينما لا نجد نحن التاعسات حتى من يطبع على خدودنا قبلة وهو يقول : كل عام وأنت بخير .. يا أمى !

كيف غفل الذين ابتدعوا بدعة «عيد الأم» هذه ، من أن هناك عشرات الآلاف ، بل مئاتها ، حرمتهن الطبيعة نعمة الأمومة ؟

كيف غفلوا من ان « عيد الام » الذين ابتدعوه ان كان يدخل السرور على قلوب آلاف وملايين الامهات ، فهو فى الوقت نفسه يصيب باقى الطمئنات — بالاضافة الى قلوبنا نحن المحرومات من نعمة الأمومة — قلوب آلاف وملايين أخرى من الابناء والبنات ، اختطف الموت امهاتهم فهم ليسوا اقل منا حسرة فى هذا العيد كلما رأوا ابنا يقدم لامه هدية ، أو اما تطبع على خد ابنها قبلة .. فبدلا من ان يشاركوا فى هذا العيد ، يتخذون منه مأتما يجددون فيه البكاء على العزيزات الراحلات ؟

لماذا لا تطالبون بالغاء هذا العيد ، بل هذه البدعة المنكرة من بدع الغرب ، فتجنبوا بذلك من قست عليهن الطبيعة مثلى ، اللوعة والحسرة والدموع ومرارة الحرمان ؟

الاسكندرية — « هدى »

ــ صدقيني يا سيدتي اذ اقول لك مخلصا اننى ارثى لك ، واقدر ظروفك واحس بمدى ما تعانينه من جراء ازمتك ، ولا اقول محنتك ... لكن الا توافقينني على انك قد ذهبت فى نقمتك الى حد يكاد يدمغك بالأنانية وحب الذات ؟!

الأنك حُرمت نعمة الأمومة تريدين أن ينسى العالم كله فضل الامهات وتضحياتهن وما يعانينه من اجل تنشئة اطفالهن تنشئة طيبة ليجعلن منهم مواطنين صالحين ، يساهمون فى بناء مجتمعهم ، وتشييد مجد اوطانهم !

ثم لماذا تيأسين من رحمة الله ، ولا ييأس من رحمة الله الا الكافرون ؟!

تقولين انك فى الثلاثين أو نحوها .. وأنا أعرف سيدات لم يرزقن أطفالا الا عندما كن على عتبات

بدوى فوق السبعين ، له أربع زوجات ويريد أن يشتري فتاة فى السادسة عشرة !

● أطرح على مجلتكم مشكلتى راجيا أن تساعدونى على حلها .

فأنا رجل بدوى أقطن فى البادية ، عمرى يناهز السبعين عاما ، وعندى من النساء أربع تحت عصمتى ، وكلهن أمهات ، لأولاد وبنات . ولكنى رأيت فتاة تبلغ من العمر ستة عشر ربيعا وأريد أن أضمها الى زوجاتى . وبما أن الدين لا يسمح للانسان بالزواج بأكثر من ٤ نساء ، فأنا لا أعرف ماذا أصنع . ولو طلقت احدى زوجاتى الأربع ، فسيتعذب أطفالها ..

علما بأني راودت أهل الفتاة على أن يبيعوها لى ، فهل فى ذلك حل للمشكلة شرعا ؟

ع. م. م.

ـ أى رجل انت يا هذا ؟؟

ناهزت السبعين ، ولك أربع زوجات ، فلا تكتفى بهن ـ وفى واحدة منهن الكفاية كل الكفاية ـ ثم تريد أن تضم اليهن خامسة !!

خامسة فى السادسة عشرة .. أى فى عمر واحدة من حفيداتك يا مناهز السبعين ! وليتك تكتفى بذلك .. بل تراود اهلهاعلى أن يبيعوك اياها بيعا !

أى أنك تريد ان تعود بعالم القرن العشرين ، عالم الذرة والصواريخ وسفن الفضاء ، الى اشد العهود ظلما وظلاما : عهد الرقيق !!

ان مجرد زواج رجل فى مثل سنك بفتاة فى السادسة عشرة وحده جريمة لا تغتفر !

ومجرد تفكيرك فى الزواج ، وعندك اليوم أربع نساء ، هو الآخر جريمة لا تغتفر !

اما تفكيرك فى أن تشترى فتاة فى السادسة عشرة ، بالمال ، لتضمها الى حريمك تحايلا منك على الشرع الشريف ، فتلك لعمرى هى كبرى الكبائر التى ينبغى أن تنال عنها العقاب اشد العقاب ، لا فى الآخرة وحدها ، بل هنا فى الدنيا !

ولو أن أهل الفتاة وافقوك على جريمتك ، لوجب أن يشاركوك ما يجب أن ينزل بك من عقاب ..

الاربعين .. ومنهن من كن قد مضى على زواجهن اكثر من عشرين عاما لم ينجبن خلالها ولدا ولا بنتا !

ام تحسبين ان الله قد اغلق دونك أنت وحدك ابواب رحمته ؟

ثم أليس خيرا من هذا النواح والعويل، والنقمة والحقد ، أن تتخذى من عيد الأم فرصة انسانية تفيضين فيها من حنانك المختزن ، على اولئك اليتامى الذين تذرفين عليهم فى رسالتك الدموع، فتعوضيهم فى هذه المناسبة عما فقدوا وفقدن من حنان الأمهات . .الذاهبات !

افعليها ، ولو مرة فى العام ، فقد تتحقق المعجزة ، ويجزيك الله بما تفعلين أن تصبحى فى العام المقبل أمّا تحتفلين مع العالم كله بعيد الأمهات ..

ومن يدرى .. فقد يهبك الله من فضله عشرة من الاولاد والبنات !

جحا .. وحماره

● كثيرا ما نسمع بعض الناس يتحدثون من «جحا» ونوادره وحماره ، ويروون عنه قصصا غاية في الطرافة .. فمن هو « جحا » هذا ، وفي اى عصر عاش ، وفي اى البلاد كان يقيم ؟ !

ام انه ، كما سمعت بعضهم يقول ، شخصية خيالية لا وجود لها في عالم الحقيقة ؟

كويت ابراهيم الصالح

ـ ليس « جحا » شخصية خيالية .. فقد كان انسانا كبقية الناس ، مع فارق واحد ، هو انه لم يكن شخصا واحدا ، بل كان اكثر من شخص ، عاش في اكثر من عصر ، وفي اكثر من بلد !

ولقد كان « جحا » في مختلف شخصياته المتعددة ، وبلدانه المختلفة ، والعصور التى ظهر فيها ، شخصية ظريفة ساخرة ، متباهة احيانا ولكن عن تصنع لا عن طبيعة ، يهزل صاحبها في كلامه ويتظاهر بالغفلة ، ويمزج هزله بالجد ، ولا يقول الا حقا ..

اما تعدد شخصيات « جحا » فراجع الى ان اكثر من شعب ، وفي اكثر من عصر كانت تتخذ من ظرفائها شخصا او اكثر ، وتلبسه « الشخصية الجحوية » وتجعل منه رمزا للسخرية اولا ، وللفكاهة ثانيا . وتنسب اليه او تلصق به الكثير من النوادر والطرائف والحكم التى يبتكرها بعض اعلام الفكاهة والادب الساخر ، ليرفهوا عن الشعب ، وينفسوا عنه همومه او ينتقدوا ظلم الحكام او غلاء الاسعار او انتشار الرشوة والمحسوبية ولكن بطريقة لا تعرضهم للعقاب ، فلا تلبث هذه النوادر أن تنتشر بين الناس وكانها حقيقة واقعة !

وقد عرفت البلاد العربية اكثر من «جحا» واحد .. وان يكن اعظم جحواتنا شهرة « ابو الغصن دجين بن ثابت » الذى عاش في الكوفة ايام ابى مسلم الخراسانى الذى هزم الدولة الاموية واقام الدولة العباسية مكانها ، اى في القرن الثانى للهجرة .. فلم يلبث أن اشتهر امره واطلقوا عليه اسم « جحا » وراحوا ينسبون اليه كل دعابة او فكاهة يستظرفونها ، فاذا هو يصبح علما على هذا الفن من فنون الفكاهة في الشرق يتناقل الناس نوادره جيلا بعد جيل الى ظهر « جحا تركيا » نصر الدين خوجة في القرن الثامن الهجرى وساعدته معاصرته لتيمورلنك طاغية التتار على ذيوع صيته ، ورواج فكاهاته ، واصبح شخصية عالمية ما تزال ينسب اليه معظم النوادر الجحوية، القديمة والحديثة على السواء !

وهناك غير جحا تركيا : « ارتين » جحا الارمن، و « جورج » جحا لندن ، و«بات» جحا ارلندة و « تل » جحا المانيا ، ثم جحا روسيا وجحا الصين وغيرهم ممن لا تحضرنا الآن اسماؤهم .

بالانجليزية .. أم بالفرنسية ؟

● أخى يريد أن يدرس الطب بعد أن يحصل على الشهادة التوجيهية. فهل تنصحونه بأن يختار اللغة الانجليزية في دراسته أم اللغة الفرنسية ؟! ولماذا ؟

علما بأنه سيدرس في البلاد التى تتكلم اللغة التى ستختارونها له ، ونحن محتارون مثله ، لا ندرى اى اللغتين يختار ؟

وأى الجامعات أفضل لدراسة الطب بهذه اللغة أو تلك ؟

وهل صحيح أن أى جامعة للطب تحتوى على قسمين ، أحدهما افرنسى والثانى انجليزى ؟!

حلب ـ سوريا وليد ..

ـ عن الفقرة الاخيرة من سؤالك : لا نعرف جامعة او كلية تدرس باللغتين الافرنسية والانجليزية معا .

اما النصيحة التى نسديها لاخيك فهى ان يدرس الطب باللغة التى يتقنها اكثر من اختها . واذا كان لا بد من المفاضلة ، فليدرس بالانجليزية لانها اكثر تداولا في الأوساط العلمية عامة ، والطبية خاصة ، ولان كليات الطب في انجلترا من احسن كلياته في العالم ، ان لم تكن بالفعل احسنها جميعا .

لا طلاق لسكران

● منذ سنة أو نحوها حلفت على زوجتي بالطلاق بالثلاث أن لا تزور بيت أهلها ، وكنت اذذاك ثملا الى درجة أنني لم اعلم باليمين الا بعد أن أخبرتني بها زوجتي في اليوم التالي ..

فما هي الطريقة التي تستطيع بها زوجتي أن تعود لزيارة اهلها دون أن يقع الطلاق ، علما بأنني حنفي المذهب .

ص. ع بالعراق

ـ اليمين التي حلفتها على زوجتك اما أن تكون صيغتها : « اذا ذهبت الى بيت أهلك فانت طالق بالثلاث » وهذا هو الطلاق المعلق . واما ان تكون قد قلت لها : « عليّ الطلاق بالثلاث الا تزوري بيت اهلك » وهذا هو الحلف بالطلاق . وقد اتفق اغلب الفقهاء على ان الطلاق المعلق لا يقع ، خصوصا اذا كان بقصد التخويف اوالتحذير ولم يكن الزوج كارها لزوجته او راغبا في التخلص منها .

وحتى الذين يقولون بوقوع الطلاق المعلق اذاما خالف الشخص المحلوف عليه ، فانه يقع طلقة واحدة رجعية ، ولو كان بلفظ الثلاث او الثلاثين!

اما الحلف بالطلاق ـ الصيغة الثانية ـ فليس ايقاعا للطلاق بل هو يمين وحلف لا أثر له في الحياة الزوجية .. والصيغتان على اي حال من لغو القول الذي لا يترتب عليه أثر من الآثار ، وقد الغاهما القانون في بعض البلاد الاسلامية .

فسواء صدرت منك هذه اليمين وانت سكران او في كامل قواك العقلية ، فلا أثر لها في حياتكما الزوجية وتستطيع زوجتك ان تذهب الى بيت اهلها وقتما تشاء !

وعلى كل حال فالقاعدة الشرعية هي ان طلاق السكران لا يقع ..

في مرض الموت

● مريض طلق زوجته ثم مات في ذلك المرض : هل ترثه هذه الزوجة أم أن الطلاق يغدو نافذا ؟ أفيدونا ولكم خالص الشكر .

مراكش ـ مدينة　　　أبو جمال علي

ـ من المبادىء القانونية المسلم بها ان كل تصرف يصدر عن المحتضر في مرض الموت يقع باطلا .

وقد اختلف في امارات مرض الموت ، ولذا اتفق على ان يترك للقاضي تقديره وتقدير انطباقه على المريض الذي تعرض تصرفاته عليه .

اما طلاق المريض مرض الموت ومن في حكمه ، فان كان رجعيا فله حكم الطلاق الرجعي كاملا ، واذا مات في العدة ورثته الزوجة لان الطلاق الرجعي لا يمنع التوارث في العدة ، ولو كان المطلق صحيحا حين اوقعه .

اما الطلاق البائن فانه يمنع الميراث في الصحة ، ويمنعه عند الشافعي ايضا في المرض . اما عند الحنفية فلا يمنع ، وحجتهم ان عثمان بن عفان ورّث من طلقها عبد الرحمن بن عوف في مرضه الذي مات فيه ، ولم ينكر ذلك عليه احد من الصحابة .

وعند ابن حنبل أن زوجة المطلق في مرض موته الذي قصد بطلاقه الفرار من الميراث ، يكون لها حق الارث ، ولا ينقطع هذا الحق الا اذا تزوجت قبل موته ، وذلك ليُرَدَّ عليه قصدُه ، وهو الفرار من توريثها . وهي لذلك ترثه ما لم يوجد مانع يقطع فرض قيام الزوجية بينهما قطعا تاما .

وعند مالك أن حقها في الارث لا ينقطع حتى ولو تزوجت قبل موته ، ما دام قد ثبت قصده الآثم بالتهرب من توريثها ، ودلت القرائن على أنه كان يقصد حرمانها من الميراث .

وتميل الاغلبية الى راى الحنفية ، وبه تأخذ محاكم الاحوال الشخصية في معظم البلاد الاسلامية .

ردود خاصة

● **المخدوعة** : الكويت

ـ رسالتك مما لا يجوز نشره .. وعلى كل حال فانت متضامنة في تحمل مسؤولية ما حدث .

● **معلمة من لبنان**

ـ ما دمت واثقة من نفسك ، فخذيه معك الى طبيب أو طبيبة .. فلكل قاعدة شواذ ، والذى حدث ليس امرا بعيد الحدوث ، وان يكن من هذه الشواذ ..

● **باقر احمد** : الكويت

ـ سيبويه هو بشر عمرو بن عثمان ، ولد بالبصرة ، وهو اعلم المتقدمين والمتأخرين فى النحو، بعد امام البصريين ، كما أن الكسائى امام مذهب الكوفيين .

● **فايز مصطفى ابو عرجا** : الكويت

ـ ليس ما لاحظته خطأ مطبعيا كما زعمت ، بل الخطأ هو ما توهمته . فلم يقل ان مدار السرطان فى نصف الكرة الجنوبى أحد سواك .

● **فيصل الشريف** : عمان

ـ قد يكون الأطباء الذين استشرتهم غير أخصائيين . فاستشر اخصائيا فى جراحة العيون كالدكتور عبد المحسن سليمان أو غيره من أساتذة أمراض العيون بالقاهرة وهم كثيرون .

● **محمد الفواز الصميل**: الهفوف ـ السعودية

ـ موسى الذى رباه فرعون هو النبى موسى أما موسى الذى رباه جبريل ، والذى ورد فى الشطر الأول من بيت الشعر الذى اشرت اليه انه كافر فهو موسى السامرى ، الذى انتهز فرصة غياب موسى عن قومه ليضلهم ويدعوهم لعبادة عجل صنعه لهم !

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....

....

العنوان : ....

....

....

● **محمد الصالح المديفر** : الدمام ـ السعودية

ـ نقل الدم من شخص لآخر لا يحرّم التزاوج بينهما ، بعكس الرضاعة .

● **محمد اسامى** : دمشق

ـ القصيدة التى تسأل عنها لشاعر يدعى أبا الحسن التهامى . وسنعمل على ارسال نصها الكامل اليك لتعذر عن نشرها فى « العربى » .

● **أحمد علي بن محمود** : الدوحة ـ قطر

ـ المهلب من كبار قواد بنى أمية . حمل بالحرب الى بلاد افغانستان والهند ثم الى سمرقند . ناصر عبد الله بن الزبير ، ثم بايع عبد الملك بالخلافة ، وظفر بالخوارج الأزارقة ، وتوفى عام ٧٠٢ م.

الكاتب المصرى

● **كانت وظيفة الكاتب فى مصر القديمة وظيفة مرموقة مربحة . وسعيد الحظ من الشباب من يستطيع ان يلتحق بمدرسة فى « ممفيس » ، والأسعد منه حظا من يستطيع بعد تخرجه من هذه المدرسة ان يلتحق بمدرسة الكتاب العليا فى « طيبة » . وكان يشترط فى الكاتب بعد تخرجه ان يجيد القراءة والكتابة ، والرسم وأن يكون واسع الاطلاع على علم اللغة وآدابها ، وتاريخ البلاد ، متمكنا من علم الحساب ، وعارفا بالقانون ، ومسك الدفاتر ، وعلم المساحة والرسم المعمارى .**

وبعد ان ينال الشاب شهادة الكتاب يصبح واحدا من رجالات الطبقة المثقفة من موظفى الدولة ، ومعنى هذا ان طريق الترقي فى وظائف الدولة يصبح مفتوحا امامه ، فاذا اثبت كفاءة استطاع ان يرقى الى اعلى وظيفة فى الدولة .

وكان الكتاب يستعملون اقلاما من البوص دقيقة السن ، ويكتبون على ورق البردى الممتاز ، فى خطوط عمودية من اليمين الى الشمال ، ويضعون معجون الحبر فى أحواض صغيرة من المرمر . والكتاب فى الرسم « ص٢ » يسجلون محصول احد المصانع من الكتان الذى اشتهرت به مصر القديمة ، وتتدلى من عنق رئيسهم ، الجالس امامهم ، سلسلة فى طرفها الختم الرسمي الذى يختم به السجلات .


في كافة الأقطار العربية..
الجميع يفضلون
شسترفيلد
ستتمتع بالنكهة الزكية الخاصة بسيجارة شسترفيلد،
أطيب سيجارة أميركية بدون فلتر. إذ أن التبغ
فيها يؤلف من نخبة منتقاة من أجود الأنواع في
العالم، ويعتق بعناية ودقة تحت اشراف خبراء
اختصاصيين فتصبح بذلك سيجارة شسترفيلد
من السلاسة بحيث لا تحتاج الى فلتر وذات لذة لا تفوت
Chesterfield
CIGARETTES
MADE IN U.S.A.
KING
عادي
كنج
انها ترضيك حتماً!


وست إند
الساعة التى اعترف العالم بمزاياها
WEST END WATCHES
الوكيل العام بالشرق الأوسط :
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا تليفون ٣٢٢٤٩ ص.ب ٣٢٤ دولة الكويت

قبطان طائرة نفاثة . من نيويورك إلى لندن - ٣,٥٠٠ ميل - في ٦½ ساعة.
طائرة تحمل مائة وأربعين راكبًا واثني عشر ملاحًا ، وثمنها خمسة
ملايين دولار . عمل خطير يقوم به رجل ناجح . إنه يدخّن
السيجارة ذات النجاح العالمي - ثلاث خمسات فلتر كنج .



555

ثلاث خمسات

فلتر كنج سايز

ستيت اكسبريس - أحسن سيجارة في العالم

افتتاح مكتب تمثيل
درسدنر بنك
في بيروت

افتتح درسدنر بنك ش.م مكتباً لتمثيله في الشرق الأوسط في بناية ستاركو في بيروت وذلك في أول شهر كانون الثاني ١٩٦٤ وبهذه المناسبة يسر ادارة بنك درسدنر ان تقدم للقارئ لمحة موجزة عن تاريخ هذا البنك ونشاطه الواسع . تأسس درسدنر بنك في مدينة درسدن الألمانية عام ١٨٧٢ ومنذ تأسيسه قام بمساعدة العديد من المشاريع التجارية والصناعية والمالية في ألمانيا وأوروبا والخارج وانتشرت شبكة فروعه في جميع انحاء ألمانيا بسرعة ويعتبر درسدنر بنك اليوم احد المصارف الرئيسية الأولى في ألمانيا . ان مراكز البنك الرئيسية تقوم في فرانكفورت ودوسلدورف وهمبورغ وتشرف هذه المراكز على ٤٠٠ فرعاً لها في ٢١٣ مدينة في ألمانيا الاتحادية .
بعد الحرب العالمية الثانية ساهم درسدنر بنك بإعادة بناء الاقتصاد الالماني وتمكن في الفترة الواقعة بين عام ١٩٥٢ وعام ١٩٦٢ من زيادة ميزانيته أربعة أضعاف ، فقد بلغت ميزانية البنك في نهاية عام ١٩٦٢ مبلغ ٩٩٦٠ (تسعة آلاف وتسعمائة وستون) مليوناً من الماركات أي حوالي مليارين ونصف من الدولارات ان الرأسمال الاسمي للبنك البالغ ٢٤٥ مليون مارك موزع على ٤٥ الفاً من المساهمين الألمان والأجانب وفي العام الماضي بلغ احتياطي البنك ٣٣٠ مليون مارك ، وتمكن درسدنر بنك في السنوات الأخيرة من دفع ١٦٪ فوائد على قيمة الأسهم الاسمية . يقوم درسدنر بنك بممارسة مختلف العمليات المصرفية والمالية وله علاقات متينة مع ٣٤٠٠ مصرفاً في جميع انحاء العالم وهو يمارس نشاطات واسعة في الأسواق العالمية ويعمل درسدنر بنك كوسيط في اصدار الاسهم والسندات وفي شراء وبيع مختلف الأوراق المالية . ويساعد البنك زبائنه في تأمين توظيف ثرواتهم على افضل وجه ممكن باعطائهم النصائح حول مختلف امكانيات الاستثمار المفيد مستنداً على خبرته الواسعة في هذا النطاق .
ولا يسعنا بهذه المناسبة الا ان ننوه بالأهمية التي يترتب عليها افتتاح وكالة لهذا البنك في بيروت من حيث تنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية بين ألمانيا الغربية والدول العربية . انا نهنئ السيد هورنيت والسيد منير هدار المديران المسؤولان عن ادارة وكالة البنك في لبنان للثقة التي اولاهما اياها المركز الرئيسي لبنك درسدنر في ألمانيا الغربية والتي لاقت استحساناً في الأوساط المالية اللبنانية والعربية لما يتمتع به المديران من صفات واخلاق حسنة وطيبة بالاضافة الى خبرتهما الواسعة بالأعمال المصرفية والمالية والاقتصادية .



مبنى درسدنر بنك في مدينة فرانكفورت بالمانيا الغربية


BRITAIN'S
LEADING
EXPORT
CIGARETTE
تزيد صادرات بريطانيا
سجاير روثمان كنج ساي
على صادراتها من أي نو
آخر من السجاير.
أينما تذهب تجد روثمان:
في ١٢٠ قطرًا في خمس قارات
على ظهر البواخر في البحار السب
في أكثر من ٩٠ خطًا جويًا رئيسيًا.
شارك الملايين في الاستمتاع بتدخين
روثمان كنج سايز
الأولى في بريطانيا - الأولى في العالم
Rothmans
KING SIZE
WORLD'S LARGEST SELLING KING SIZE VIRGINIA

المشكلة : كيف توجد متسعاً لتعليم أطفال هونغ كونغ تعليماً جيداً.
الجواب : بناء المدارس على أسطحة عمارات السكن.

مُعْجِزَة هُونغ كونغ اليَوْمِيَّة

تيسّير العَيش الطيب لـ ½ ٣ مليون نسَمَة فوق صَخرة عَطشى صَغيرة

هونغ كونغ، كما يقولون، بلد لا يعرف النوم. ففي هذا البلد الذي هو عبارة عن مدينة زاهية جميلة تقوم على جزيرة تجاه ساحل الصين الجنوبي، ملايين من الناس يؤدون أعمالهم، ويؤدونها دائماً بحرص وحساب لا يسمح معهما بضياع شيء.

١ – في السنوات العشر الأخيرة مرت هونغ كونغ بعواصف متعددة اجتازتها بسلام. فقد استوعبت الموجة تلو الموجة من المهاجرين. واستحالت من ميناء لتجارة الترانزيت إلى مركز للصناعة. وتعرضت للدمار الذي أحدثه فيها الإعصار الذي عرف باسم واندا. ومع ذلك كله، كانت صادراتها في عام ١٩٦٢ أكثر منها في أي وقت مضى (بزيادة ١١ في المائة).

تجارة هونغ كونغ

٢ – مضى على هونغ كونغ وقت لم تكن فيه تعتمد على شيء سوى ميناء كان أسرع موانئ الشرق الأقصى خدمة للسفن التي تؤمه، وسكان عرفوا بفطنتهم وذكائهم.

٣ – ثم كان أن تناقصت أهمية هذا الميناء في طرق الملاحة، فتمكنت هونغ كونغ بهمة ودأب على إنشاء بعض الصناعات. وكان عدد المشاريع الصناعية فيها عام ١٩٤٩ لا يزيد على الألف. فغدت اليوم تضم من هذه المشاريع ٧٥٠٠، ونفذت إلى مرحلة النمو الذاتي.

٤ – إن مصنوعات هونغ كونغ من المنسوجات (البلوزة بدولارين!) ومن أجهزة الراديو الترانزيستر معروفة. أما ما قد يثير الغرابة فهو أن أهلها يصنعون أيضاً السفن وصفائح الصلب والآلات واللدائن والطيارات والاسمنت، وأنهم يشيدون الأبنية بأسرع مما تشاهد في أي مكان آخر، وأنهم صوروا وأخرجوا ٢٧٦١ فلماً من الأفلام الطويلة عام ١٩٦٢.

مصدر الطاقة الوحيد

٥ – تستورد هونغ كونغ مقادير كبيرة من الزيت عن طريق أربعة أرصفة فيها للناقلات. وبهذا الزيت تسير محطات الكهرباء التي تشتغل بقوتها مصانع هونغ كونغ وتضاء بها أنوارها التي لا تحصى ولا تعد.

٦ – تلقى السفن التي تؤم ميناء هونغ كونغ للتزود بالوقود (نحو ٥٠٠٠ باخرة كبيرة في السنة) خدمة ممتازة أسهمت في اشتهار الميناء بسرعة خدمته للسفن ورخص تكاليفها.

سكان الشقق

٧ – كانت المأثرة الكبرى في الحقل الاجتماعي إعادة إسكان ٥٠٠٠٠٠ نسمة في عمارات ضخمة للسكن. وبعض هذه العمارات أشبه بمدن مستقلة بحد ذاتها، فتجد في الطابق الأرضي منها الدكاكين ودور السينما والمصابغ وتجد على أسطحتها المدارس ورياض الأطفال.

الأطفال في كل مكان

٨ – تتحول هونغ كونغ ثلاث مرات في كل يوم، عندما تقرع أجراس المدارس، إلى روضة أطفال هائلة. فلا بد من الاعتناء بأمر ٧٥٠٠٠٠ طالب وتلميذ تراهم يلبسون للمدرسة آنق لباس. ومع ذلك فإن الآباء يبدون على قدر لا بأس به من الاطمئنان إلى مستقبل أولادهم.

٩ – والواقع أن الماء والسكن هما مشكلتا هونغ كونغ الرئيسيتان. فإذا أمكن لهاتين الوشيتين أن يجاريا الطلب عليهما، فليس هنالك ما يحول بين أهلها وبين أن يظلوا في رخاء وازدهار قادرين على أن يواجهوا التغير في الأحوال بالهمة التي عرفت عنهم من قبل.

شل والزيت العالمي

اذا أريد لهونغ كونغ تنشئ مزيداً من الصناعات وتوجد مزيداً من الأشغال والوظائف، فإنه لا بد لها من الحصول على زيت رخيص من مصدر يمكن الاعتماد عليه، شأنها في ذلك شأن العالم كله. والزيت من أسرع مصادر الطاقة نمواً واتساعاً، وإنه لينتظر للطلب عليه أن يتضاعف خلال ١٥ سنة.

أما تلبية هذا الطلب فلا بد من أن تكون عملية عالية. إذ ليس هنالك من سلعة أخرى تنقل بمثل هذه المقادير الهائلة عبر حدود هذا العدد الكبير من البلاد، وتحول إلى هذه الكثرة من المنتجات، وتخطط لها سلفاً بهذا الطول من الزمن. فذلك أمر يحتاج إلى نظم معقدة التركيب، عالمية النطاق – كتلك النظم التي أنشأتها شل على مر السنين.

حقائق وأرقام

وإيصال الزيت إلى الأسواق يعني بالنسبة إلى شل تشغيل ما يزيد حمولته على ١١ مليون طن من الناقلات وما يزيد طوله على ٤٣٠٠٠ كيلومتر من خطوط الأنابيب في المسالك البرية الرئيسية. ويعني كذلك إقامة شركات للتسويق في أكثر من مائة بلد، كما يعني تصريف الأعمال التجارية في جميع لغات العالم الرئيسية تقريباً. وهو يعني أيضاً تشجيع ٦٠٠٠ من المشتغلين بالبحوث العلمية على إيجاد منتجات مفيدة جديدة كالأنواع الجديدة من الوقود واللدائن والأصماغ الاصطناعية والأسمدة ومبيدات الحشرات.

اعتمد دائماً على شل

إن في استطاعتك أن تعتمد على شل لأنها تشتغل في جميع مراحل صناعة الزيت. فهي تبحث عن الزيت وتجده وتستخرجه وتنقله وتحوله إلى منتجات توصلها إلى السوق. وهي تفعل ذلك كله بانتظام كانتظام عقارب الساعة. وهي إذ تفعل ذلك تربح في اللتر الواحد مما تبيعه ما متوسطه ½ سنت أميركي.

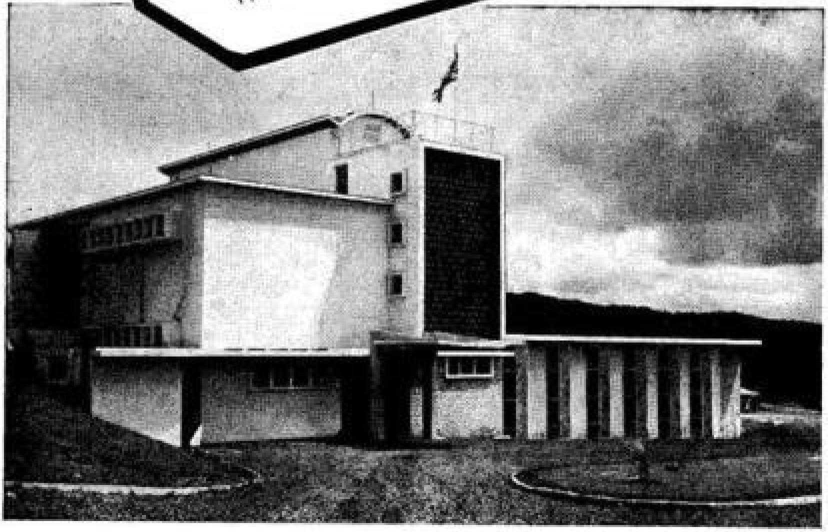
وشل تقوم بوظيفة مفيدة. فهي تأتي بالنوع المطلوب من المنتجات إلى المكان المطلوب في الوقت الذي يطلب فيه. وهي تخدم الأقطار المستهلكة بإيجادها مصدراً للطاقة يمكن الاعتماد عليه، وهي تخدم الأقطار المنتجة بإيجادها أسواقاً يمكن الاعتماد عليها. ذلك هو شأن شل عاماً بعد عام.



تطلب مشروع ادارة المياه
الجديد في **سوفا**

نوافذ خاصة لمقاومة الزوابع الهوجاء

فيجي: شهر اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٢



مشروع ادارة المياه فى سوفا — فيجى المهندسون الاستشاريون : Messrs. Sandford, Fawcett & Partners

هذا وقد تمكنت شركة وليامز ووليامز ' Williams & Williams ' من حل هذه المشكلة بتوريد نوافذ مزدوجة مصنوعة من الالمنيوم وتركيبها فى كل فتحة مع اضافة نوافذ خشبية من الخارج. وكانت النتيجة مرضية جدا الى ابعد حد كما اعجب بها الجميع.

ويعلم المهندسون المعماريون تمام العلم بأن فى مقدورهم الاعتماد على شركة وليامز ووليامز ' Williams & Williams ' لحل اية مشكلة فى اية بقعة من العالم، كما أن خدمات هذه الشركة لا تبارى. فعليكم الاتصال بمدير البيع الفنى فى منطقة الشرق الأوسط الذى يسعده أن يزودكم بالنصح والمشورة فى اى وقت وعنوانه :

مستر كوفير A. R. C. Govier

الكويت : طرف السيد محمد عبد الرحمن البحر وشركاه، ص. ب ٦٠٩. **البحرين** : الشركة الافريقية والشرق الادنى المحدودة، ص. ب ٤٩.
قطر : المناع اخوان، ص. ب ٤٩ الدوحة. **العراق** : الشركة الافريقية العراقية التجارية المحدودة، ص. ب ١٧ بغداد.

WILLIAMS & WILLIAMS منتجات للمبانى الحديثة خدمات محلية ممتازة

WILLIAMS & WILLIAMS of CHESTER, ENGLAND
Operate Throughout the World.

وتقوم الشركة بصنع ستائر الجدران، والنوافذ الالمنيوم والفولاذ، واشغال المعادن، ومعدات لحجب اشعة الشمس، وفتحات السقوف وغيرها.

التقدّم

مع

ـر

لم يسبق ابداً ان كانت قيادة السيارات بمثل هذه اللذة والسهولة ... ولم يسبق ان وجدت سيارات باناقة وفخامة سيارات كرايزلر الجديدة ! انظر اليها ! انها رشيقة ممشوقة القد، وجميلة المنظر . وتبدو حزينة كئيبة لوقوفها في مكانها بسبب قدرتها الفائقة على القيام بالمعجزات . كل واحدة منها تدعوك الى الجلوس وراء مقودها ، والانطلاق بعيداً نحو الافق . وحسب ظننا بكم نعتقد بان هذه ستكون فرصتكم التي تنتظرونها لشراء سيارة صنع كرايزلر . فاختر الطراز الذي تفضله .

فاليانت ١٩٦٤ ، انه الطراز الذي يجمع بين الاداء الأكمل من جهة والراحة والجمال من جهة اخرى ، انها السيارة الذواقة في العمل تماما كما يوحي بذلك مظهرها .

دودج دارت ١٩٦٤ ، هذه سيارة جديدة مصممة لاداء المعجزات . فمحركها الجديد طراز ثلاثة ٦ يكشف روح بطل السباق في قلب كل مغامر ، ومع ذلك ، فانها تحيطه بهالة من الاناقة والرحابة والتألق لا مثيل لها في اية سيارة اخرى من درجتها .

بلايموث ١٩٦٤ ، سيارة جميلة ذات صورة فائقة على الانطلاق المجاني ، بدون ضجيج ولا زخرفات ولا حواشي ، تبدو متانة في كل جزء من اجزائها الحاملة بهيكل فاخر من جميع النواحي ، انها سيارة خلابة النظر من الداخل والخارج .

دودج ١٩٦٤ ، هذه سيارة تثبت بان الجدارة لا تعني الكآبة والخشونة وظلمة المظهر . وان الدودج ٦٤ تعقد اساسا على الجدارة ثم تهتم بكل تلك الاشياء التي تعطيك اللذة اذ في قيادتها او في التمتع بمظهرها .

كرايزلر ١٩٦٤ ، هذه مفخرة سيارات كرايزلر كوربوريشن الكبيرة ، انها في منتهى الأناقة والفخامة . وقد رسم شكلها أحد كبار رسامي السيارات في العالم ، وصممها مهندسون قاموا بتصميم اشكال سيارات تفوقت بشكلها مرات عديدة . انها سيارة طالبي الكمال ، اليست هي سيارتكم ؟

ڤاليانت - دارت - بلايموث - دودج - كرايزلر - امبريال

صل بوكيل بلدتك أو اكتب الى كرايزلر انترناسيونال ، جنيف - سويسرا

واقتن سيّارة عام ١٩٦٤
صنع كرايزلر كوربوريشن



فاليانت ١٩٦٤



دودج دارت ١٩٦٤



بلايموث ١٩٦٤

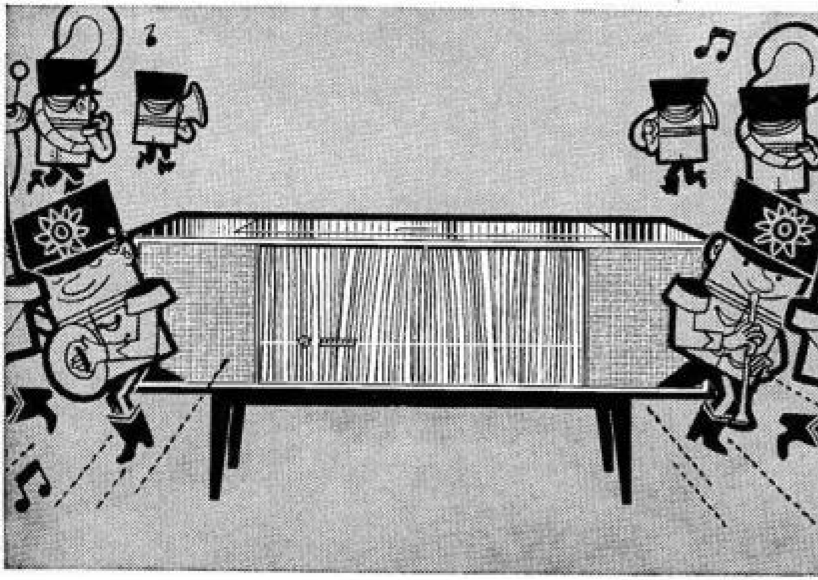


دودج ١٩٦٤

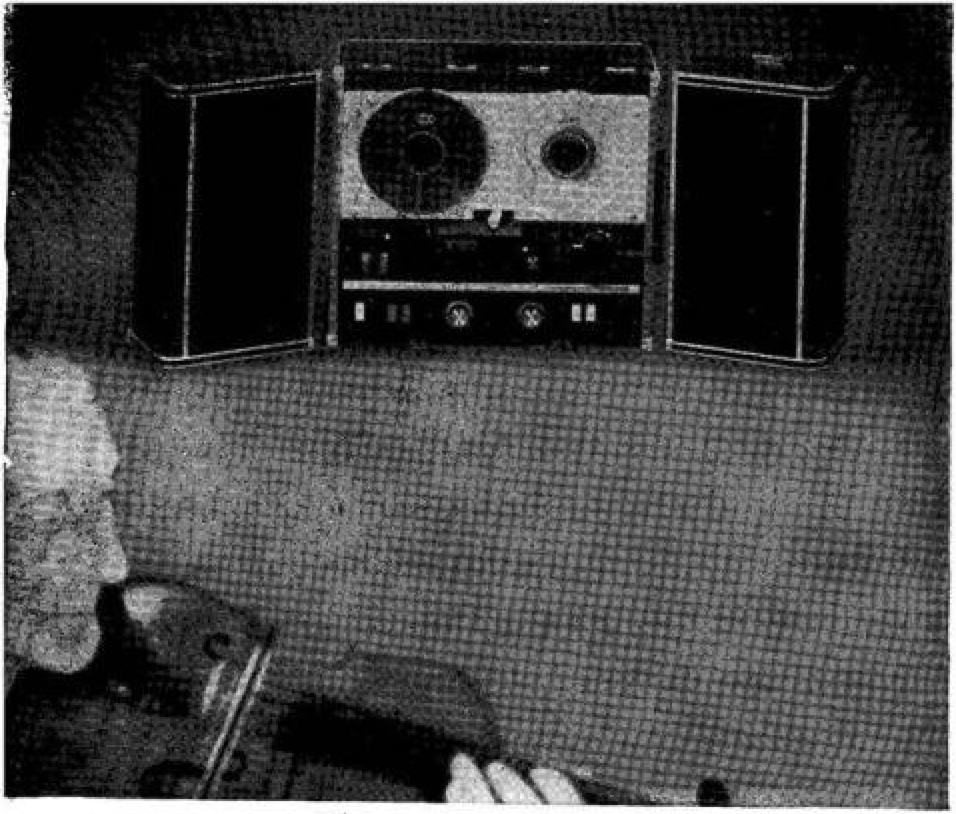


كرايزلر ١٩٦٤

كرايزلر
انترناسيونال




سيجارة ڤايسروي - سيجارة الرجل العصري
VICEROY
Filter Tip
CIGARETTES



جوقة موسيقية واقعية

هل خطر ببالك يوما ان إستعمال آلة تسجيل للموسيقى تغنيك عن فرقة موسيقية بكاملها ؟ لا شك انك ستقتنع بذلك عند سماعك تلك الموسيقى الساحرة التي يقدمها لك جهاز سوني TC-500 فان تسجيل الشريط النقال الذي يضاهي أدق الأجهزة يلتحق بمذياعين لتأمين مستوى جديد في أجهزة الصوت النقالة . ولكن هذا هو فقط نصف مقدرة جهاز سوني TC-500 للتسجيل، طاقة مختلطة ، ميزان معيران VU ومذياعان فعالان سوني . ان جهاز سوني الدوّار TC-500 يمتاز بصوته الفريد على أجهزة تسجيل الصوت .

سوني

ان الفرق ينتج عن الاعجاب

SONY®

آلة تسجيل ستيريو ٥٠٠

I-1383

العربي

لقعدة ١٣٨٣
ابريل
سان) ١٩٦٤

٢٠
صفحة
ألوان
+
الصغير

جوائز
١٢٠
ار سنويا

ع الربيع ..

الثمن

	١١٠	فلوس
العربي	٢	روبية
ية	٢	ريال
	٢٫٥	شلن
	١٢٠	فلسا
	١٠٠	قرش
	١٠٠	فلس
	١٠٠	قرش
	١٠	قروش
	١٠	قروش
	١٥	قرشا
	٢٠٠	مليم
	٢٠٠	فرنك



طلبت الأسواق العربية ١١٠٠٠٠ نسخ



حضارات سادت .. ثم بادت

• يمثل هذا الرسم الملك حمورابى ، سادس ملوك السلالة الاولى فى بابل ، ومؤسس امبراطوريتها الذى حكم ما بين عامى ٢٠٦٧ ــ ٢٠١٥ قبل الميلاد ، اى منذ اكثر من اربعة آلاف عام ، والذى وضع مجموعة من اقدم الشرائع التى عرفها العالم والتى عرفت فيما بعد باسم شريعة حمورابى . (البقية على صفحة ١٤٣)

عزيزي القارىء

تأتينا من القراء رسائل عدة تتصل بالأمور الآتية :

● عدد أول يناير معه هدية هي خريطة العالم . مع كل عــدد خريطة . ادعت قلة قليلة جدا من الباعة بأن الأعداد التى وصلتهم كانت خالية من الخريطة . ثم عادوا فباعوها مستقلة من بعد ذلك..

ونحن نأسف لهذا ، ولا نرى له حلا !

● الأعداد الماضية يطلبها كثيرون فاتهم تحصيلهـــا فى الوقت المناسب لسرعة نفاد العربى فى أسواقهم . لا سبيل الى الحصـــول على مثل هذه الأعداد الا بالاتصال بالموزع العام فى البلد الذى يقيـم فيه طالبوها .

● وكذلك يتصل بهؤلاء الموزعين فى كل ما يتعلق بالاشتراك فى مجلة العربى ، داخل الوطن العربى، وقد نشرنا على الصفحة الخامسة اسماء متعهدى توزيع العربى فى مختلف اجزاء الوطن العربى فليرجع اليها من شاء .

« المحرر »

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

طب وعلوم :

فلســفة :

دين :

تاريخ :

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARABY = No. 65 April 1964 — P.O.B. 748 =KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»
الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

الكويت : وكالة المطبوعات عبد الله حرمى وشركاه ـ **ج.ع.م** : توزيع الأخبار ـ **سوريا** : عبدالرحمن الكيالي ـ **العراق** : مكتبة المثنى قاسم محمد الرجب ـ **الاردن** : رجاء العيسى ـ **السودان** : زكي بطليموس ـ **تونس** : مكتبة المنار ـ **المغرب** : مكتبة الوحدة العربية ـ **لبنان** : الشركة العربية للتوزيع ـ **ليبيا** : بشير الفرجاني ـ **العربية السعودية** : **الرياض** : عبد الله باحمدان **الخبر** : ناصر السالم باجبع **الطائف ومكة** : صالح محمد جمال **جدة** : أحمد حامد دخيل **المدينة** : محمد زين العابدين ضياء ـ **عدن** : محمد قائد محمد ـ **البحرين** : ابراهيم محمد عبيد ـ **قطر** : عبد الله حسين نعمة ـ **دبي** : الرستماني المحمدى ـ **حضرموت** : مكتبة الشعب بالمكلا .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣ر٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الأردن ١٠٠ فلس .السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس ٢٠٠ مليم . الجزائر والمغرب ٢٠٠ فرنك . اليمن ٣ر٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأســا بين المشترك والموزع .



أشبيلية .. وقرطبة

● قرأت في العدد ٦٢ تعقيب السيدة سلمى الحفار الكزبري على مقال الاستاذ أنيس الخوري المقدسي عن الأندلس . فلاحظت أنها صوبت بعضما ورد في المقال وأهملت البعض الآخر ، اذ انه جاء في الصفحة ٣٥ من العدد ٦٠ تحت عنوان :« اشبيلية والمعتمد على الله » ما يأتي :

« ... وهي تبعد عن قرطبة نحو ٢٥٠ ميلا نحو الجنوب الغربي ... » .

والحقيقة ان اشبيلية تبعد عن قرطبة نحو ١٤٠ كيلو مترا فقط . وقرطبة تتوسط مدن الأندلس الرئيسية الثلاث مالاقا وغرناطة واشبيلة ولا تبعد عنها بمسافات كبيرة وهذا ما دفع الامويين الى اتخاذها عاصمة لهم أيام حكمهم .

وهناك ملاحظة أخرى لا تخفى على كل من زار الأندلس ، بلد المجد المفقود ، وهي أن الصورة المنشورة في الصفحة ٣٩ من العدد ٦٠ على أنها صورة احد المنازل القديمة في الأندلس كنموذج للدار العربية ذات الصحن المكشوف ، تتوسطه بركة ماء وحوله غرفة ارضية وأخرى ذات شرفات، هذه الصورة بالذات هي جانب من جوانب قصر الحمراء الذي يطلق عليه الاسبان اسم : الهمبرا Al Hambra وهي لا تنفصل عنه وتسمى عادة (حوش الريحان) كما تسمى بقية الأجزاء باسماء أخرى كقاعة السفراء وقاعة الاختين وساحة الاسود وغيرها . ويتعدد مثل هذا البناء في بقية المدن الأندلسية .

الدار البيضاء مصطفى سهيل عاشور

متى نسترد

● لا شك في أن الشعب العربي قد قطع في السنوات الأخيرة شوطا بعيدا في التخلص من آثار الاستعمار السياسي ، واصبح في معظم اقطاره يتمتع بالحرية والاستقلال . لكننا مع ذلك ما نزال – في كثير من أجزاء الوطن العربي – نعاني من آثار الاستعمار الروحية والاخلاقية والثقافية وهي أشد خطرا من آثاره المادية ، اقتصادية كانت او عسكرية .

وأول ما نلاحظه أن عددا كبيرا جدا من الشبان والشابات يحاولون تقليد شباب الغرب تقليدا أعمى، فيما يزعمون انه من مظاهر التقدم والرقي، مع انه يتنافى مع عاداتنا العربية وتقاليدنا الموروثة .

أنا لا أنكر أن من تقاليدنا ، ما لم يعد يصلح لمسايرة روح العصر ، وخاصة فيما يتصل بالمرأة، ولكن ليس معنى ذلك أن تحاول المرأة العربية – سيدة كانت او آنسة – أن تقلد الغربية في كل شيء ، حتى في مباذلها !

وأنا أقصر الحديث اليوم على بعض ما نشاهده في بيروت ، وما لا أظنه الا مشاهدا في غيرها من

((التقييم)) خطأ .. وصوابه ((التقويم))

● شاع فى عصرنا الحديث استعمال كلمة ((التقييم)) بمعنى تقدير القيمة ، واذا كنا نسمع هذا الاستعمال اللغوى من كتاب الصحف فلا نعيبهم عليه ، فاننا لا نسيغه فى مقالات أهل اللغة والبيان. فقد قرأت فى مجلة الرسالة مقالا للأستاذ أحمد حسن الزيات عنوانه ((النقد للأدب تقويم وتقييم)) وفى كتاب ((تجارب حياة)) للأستاذ أمين الخولى جاء فى صفحة .) ((واعتقد أن القارىء الفطن سيجد حين يحاول ذلك التقييم الخ)) . وفى مقال بجريدة أخبار اليوم عنوانه ((الصوم جهاد ومجاهدة)) للدكتور محمد البهى الخولى وزير الاوقاف وشئون الأزهر جاء فيه ما يأتى : ((ان ((تقييم)) شهر رمضان لا يأتى مما يفعله المسلمون فى عهدنا اليوم وانما يجب أن يكون هذا التقييم من المبدأ نفسه))، ثم يستطرد فى استعمال هذه الكلمة فى موضع آخر فيقول سيادته : ((لكن لو حاولنا ((تقييم)) عبادة الصوم مما نفعله اليوم لبعد الصوم فى نظرى عن أن يكون عبادة .. الخ)) .

ان استعمال كلمة التقييم بمعنى التثمين والتقدير من أمثال الأساتذة الزيات والخولى والبهى وكلهم كانوا أساتذة يقومون على تقويم اللغة ، شىء يدعو الى التساؤل ، فلم يرد فى كتب اللغة مادة ((قيم)) بل ((قوم)) الشىء بمعنى أزال عوجه ، وقوم السلعة ثمنها وقدر قيمتها .. جاء ذلك فى مختار الصحاح والقاموس المحيط والمصباح المنير والمعجم الوسيط . وهذا ما أردت التنبيه اليه لعلى أتبين عند أحد منهم وجه الصواب فيه .

دسوق — السيد احمد الصدرى

خصيتنا ؟

العواصم العربية .. فقد أصبحت الفتاة العربية لا ترى مانعا من أن تخرج فى صحبة شاب أو أكثر ، وترتاد معهم مختلف الأماكن والنوادى ، ولا تجد غضاضة فى مراقصتهم ، بل وحتى فى احتساء الخمر معهم فى بعض الأحيان ! وذلك وان كان يبدو طبيعيا أو عاديا بالنسبة للفتاة الغربية ((المتحررة)) ــ أو ((المتحللة)) بعبارة أصح ، لكنه لا يتناسب مع عوائدنا الشرقية وتقاليدنا العربية ، التى تعتمد على الشرف والفضيلة ومكارم الاخلاق .

وكم كنت أحب لو أن الفتاة العربية بدلا من أن تقلد الغربيات فى تلك الرذائل ، عمدت الى تقليدهن فى تواضعهن وبساطة ثيابهن .. فأنت لا ترى الطالبة العربية وهى ذاهبة الى كليتها أو مدرستها فى كامل زينتها تحسبها دمية ، أو غانية، أو عارضة أزياء !

وثمة ظاهرة ثالثة ليست أقل خطرا . تلك هى حرص الكثيرات والكثيرين من شباب العرب ، وخاصة فى الطبقة المثقفة ، على اقحام التعبيرات الأجنبية فى أحاديثهم .. فأنت هنا ، فى بيروت مثلا ، لا تكاد تسمع حديثا عربيا خالصا ، سواء فى المتاجر أو الفنادق أو الحفلات والسهرات .. بل لا بد من تطعيم الحديث ببعض العبارات أو الكلمات الفرنسية ، والفرنسية الركيكة فى بعض الاحيان ، لا لشىء الا ليثبت المتحدث أو المتحدثة الالمام بالفرنسية !

انا لا أعترض على تعلم اللغات الأجنبية ، بل على العكس ارى أنه لا بد ان يتعلم الانسان أكثر من لغة ، ولكن اعتراضى ينصب على اهمال لغتنا القومية فى مجالسنا الخاصة وحياتنا اليومية ، فى حين لا نكاد نجد أجنبيا فى بلادنا ، أو فى بلاده، الا ويعتز بلغته القومية ولا يتكلم غيرها الا مضطرا!

لقد كنا فيما مضى نلتمس الاعذار لهذه المظاهر المزرية بقوميتنا وباخلاقنا لأننا كنا نرزح تحت نير الاستعمار .. اما وقد تحررنا من هذا الاستعمار فقد آن الأوان لكى نتحرر من كل ما خلف لنا من آثار ، فنبنى وطننا الجديد بالمفاهيم التى تحفظ لنا قوميتنا وتتفق معما ورثنا من فضائل وتقاليد.

بيروت ــ بثينة الطيبى

حديث الشهر

■ الرَّبيعُ مِهْرَجانُ الحياةِ

■ الكيانُ الفلسطينيُّ نَسْمَعُ فيه

■ مجامعُ اللغةِ العربيَّةِ ثلاثةٌ : إنتاجٌ مُبعثر

الناس ثم يصحون . وهم يصحون من بعد نوم أنشط ما يكونون ، واكثر ما يكونون على الحياة اقبالا .

الطبيعة تنام وتصحو

وكذلك الطبيعة ، هذه التى خلقها الله ، لها النوم عادة .

وهى تنام الأشهر . فتلك اشهر الشتاء .

ثم تأخذ تتحرك فى فراشها وتتقلب ، وتدبُّ فيها اليقظة كما تدب اليقظة فى الرجل المستيقظ . وتستغرق فى استتمام يقظتها أشهرا . فتلك هى اشهر الربيع .

ثم هى من بعد استيقاظ تأخذ تسعى للحياة أسرع ما تكون رِجلا ، واقوى ما تكون بالرجل عضلا ، واكمل ما تكون بالعضل قوة . وهى فى هذا تحصّل ، وهى فى هذا تجدّد . وهى من الشمس الساطعة تأخذ ، ومن أشعتها الحارة تنفق . وهى تختزن لأيام تأتى من بعد ذلك أقل كسبا . وهى تستمر تفعل ذلك الأشهر . فتلك أشهر الصيف .

ثم يعترى الطبيعة من بعد رجولة كهولة ، فتبطىء الرِّجل الجارية ، وتخفّف من وطئها القدم الساعية ، ويدبُّ فى

بقلم رئيس التحرير

الأكبر للشاكين ، ونرفض المشككين

وحدة مفقودة - وجاه غير عريض

اطرافها الخمول من بعد نشاط . وتثقل اجفانها فيضيق ما بينهما من بعد اتساع . وتستمر على ذلك اشهرا . فتلك اشهر الخريف .

ثم تأوى الطبيعة الى فراشها مرة اخرى ، فتنام .

وتنام لتستيقظ . وهكذا دواليك .

الطبيعة يطول نومها ويقصر باختلاف مواقع الناس من الأرض

واختلاف الطبيعة هذا يحس به اهل الشمال على هذه الأرض اكبر احساس ، ويحس اهل الجنوب على هذه الأرض اكبر احساس . اما الذين هم من هذه الارض على استواء ، بين شمالها وجنوبها ، فما يكادون ان يحسوا من الطبيعة يقظة او نوما . ان الطبيعة عندهم تكاد أن تكون فى مهرجان دائم .

ونحن العرب نقع بين هؤلاء وهؤلاء . فالطبيعة عندنا تنام شتاء ولكنها اقل اغفاءة . وهى من اجل هذا اسرع يقظة . وهى لا تكاد تستيقظ حتى تقوم تعمل للحياة ، فربيعنا ، ربيع العرب ، ربيع قصير . ومع هذا ، وعلى الرغم من هذا ، هو ربيع اى ربيع . ربيع يعلن عن مجيئه الزهر ، ويغنى لدخوله الطير .

وجعلوا البَيْض رمز الربيع

ولكل بلد يوم فى احتفال بربيع ، هو عندها عيد .

وجعلوا البيض رمزا لهذا العيد ، وما اوفقه رمزا ، وما اجمله رمزا . فالبيض رمز الحياة . ان البيض فجر الحياة ، أو هو الاشراقة الاولى لصباح الحياة . وما أسرع ما يتفقس البيض فتخرج منه الافراخ كتاكيت ، صفراء سوداء رقطاء ، بلهاء ، تدب على الأرض لأول مرة دبيب الحياة .

وتنقر الأرض .

وأنت تتساءل : من علمها النقر ؟

وتلتقط الحب .

وأنت تتساءل : من علمها التقاط الحب ؟

وتجرى وراء امها تتقى بها وتحتمى .

وتتساءل : من علمها ان العيش على هذه الأرض يحتاج الى وقاية وحماية .

ان من البيض ، ومن أشباه البيض ، تخرج الحياة .

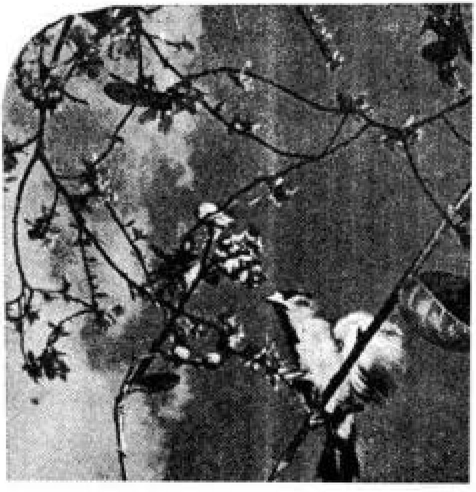
والربيع موعدها .

الحب علة الحياة

ان الربيع ربيع الحب ، عند كل ما دبّ على هذه الأرض .

عند كل ما دبّ على جامد سطحها ، أو طار فى هوائها ، أو سبح فى مائها .

ويجرى الحب فى الأحياء . وبعض



يدرى . وبعض لا يدرى .

بعض ينجذب وهو لايدرى انه ينجذب ، ولأى غاية . فذلك هو الزهر .

وبعض ينجذب ويحس فى حاضره انجذابا ، ويحس لهذه الجاذبية شدة وهيمنة . فذلك هو الطير ، وكل ذى جناح ، وكل ذى زعنفة ، وكل ذى قدم . انه يحس بحاضرها فى يومه ويغفل عن اعقابها فى غده . ثم تكتشف الأنثى ان الطبع قد فعل فيها ما فعل . ولا احسب انها تستطيع ان تربط الاسباب بمسبباتها ، ولا ان تربط ما يحدث فى يومها هذا الاخير بأمسها ذلك البعيد . ان هناك من يتولى هذه الشئون عنها ، بأدق مما تتولاه ، وبأفعل مما تستطيع ان تفعل ، وبأفهم مما تستطيع هى او أحد من الخلائق ان يفهم .

وعلى راس هؤلاء الخلائق الانسان . مدار السنة عنده كله ربيع ، وكله حب ، وكله انتاج . وهو افهم للذى يأتى . ويعلم أن هذا من ذاك . واكثر ربطا للمسبّبات بأسبابها . وانما هو فى حُمَيّا الحب يرتفع بأحاسيس الحب الى سماء من صنعه هو فيبتعد بها عن حقيقة الأرض ، حقيقة الخلق . حتى ليشجب التقاء الذكر بالأنثى ، بأنه الدنس ... أقدس شىء ، واعقد شىء يلتقى به الفكر المتأمل فى الكون والكائنات ، هكذا يمتهنه الانسان امتهانا .

ومن الناس من يجعل من الحب شهوة ، يقف عندها ، ويتبذل ، وفى سبيلها يأكل من كل لون ، ويجلس على كل مائدة ، ويقوم عنها جميعا غير شبعان .

ومن الناس من يجعل الحب فوق الشهوة ، ويختلق حبا باطلا ، ويبعد بالحب عن غايته فى الكون ، تلك وصل الحياة . ويسميه حبا عذْريا ، وما فى مخطط الخلق شىء كان او يكون ، عذريا .

الحب وصل الحياة ، على الطهارة .

فلا ارتفاع به فى متاهات من الخيال يمنع الوصول الى الغاية .

ولا الهبوط به الى لذاذة ، عابرة تسخر بالحياة ، وبصانع هذه الحياة ، ومخططها .



صورة تاريخية لجانب من أحد اجتماعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة وقد عكف بعض الأعضاء على الكتابة، وهم من اليمين الاساتذة : ابراهيم بيومى مدكور، عبدالحميد العبادى، زكى المهندس، عبدالوهاب عزام ، احمد حسن الزيات ، توفيق الحكيم ، محمد توفيق دياب ، عباس محمود العقاد * .

مجامع اللغة العربية ثلاثة :

● انتاج مبعثر ● ووحدة مفقودة ● وجاه غير عريض

● اجتمع مؤتمر مجمع اللغة العربية فى القاهرة من ٢٤ فبراير ، الى ٧ مارس، آذار ، وقد القيت فيه محاضرات ، ونوقشت فيه اقتراحات . ولكن اهم من هذا كله أن آلافا من المصطلحات مرت بين يدى اعضائه ، مجتمعين فى مؤتمر ، هى ثمرات اعمال لجان ظلت تجتمع الأسابيع، طوال هذا العام المنصرم.

وتيرة واحدة، جرى عليها المجمع هذا العام ، كما جرى فى سوابقه من الأعوام.

وفى نفس الوقت الذى كان مؤتمر مجمع اللغة العربية القاهرى مجتمعا ، انتظم فى بغداد عقد مؤتمر عربى آخر ، هدفه الثقافة بين الدول العربية ، ضم وزراء التربية فى هذه الدول .

وقبل ان ينفض اجتماع مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، اجتمع كذلك مؤتمر الاعلام العربى ، فى القاهرة ، ولا يزال فى اجتماعه ، وانا اكتب هذا .

ثلاثة مؤتمرات ، تسألنى ما الداعى الى ربطها كلها فى هذه الكلمة معا .

والجواب : انى اربطها للذى بينها من ترابط .

ان اجهزة الاعلام العربى منصرفة ، على ما ارى ، اكبر انصراف ، الى اعلام غير العرب بالذى يجرى عند العرب ، والظاهر أن هذه الأجهزة لا تكاد تعنى باعلام الدول العربية بالذى يجرى فى الدول العربية الأخرى . وهذا مؤتمر اللغة العربية اجتمع ولم يكن احد يعلم

---

* بعد كتابة هذا المقال وأخذه سبيله الى المطبعة ، فوجئنا بنعى صديقنا الكاتب العربى الكبير عباس محمود العقاد .. نعته الجمهورية العربية المتحدة فى ساعة متأخرة من ليلة الثانى عشر من مارس (آذار) فلم نملك فى هذه اللحظة البالغة أكثر من ان نلفت نظر القارىء الى هذه الصورة التى كانت قد اعدت من قبل لتنشر مع المقال ، وفيها صورة الكاتب الكبير فى أقصى اليسار .. رحم الله الفقيد رحمة واسعة .

عنه وعن نتائجه شيئا . واعطته الصحف من النشر جزءا من مائة جزء مما تعطى لبعض الحفلات الرياضية التى هى من الدرجة الثانية .

وهذا مؤتمر توحيد الثقافة ، اجتمع فيه وزراء التربية جميعا ، وانفض ، ولم نقرأ عنه فى الصحف الجارية الا اسطرا ، جاز لأى كاتب ان يكتبها من قبل انعقاد المؤتمر .

ثم رابطة اخرى تربط بين مؤتمر مجمع اللغة ومؤتمر توحيد الثقافة بين الدول العربية .

ان مؤتمر التوحيد اجتمع ، ونشرت الصحف شيئا مقتضبا من مقرراته، ولم يكن فيها شيء عن توحيد اللغة العربية بين اقطار الوطن العربي .

ان الثقافة وعاؤها اللغة ، فلتوحيد الثقافة لا بد من أن تتوحد اللغات . واللغة العربية الآن فى أقطار العروبة غير واحدة . واخص لغة التعليم ، لغة الدراسة ، لغة المدرسة ، والجامعة ولغة الثقافة العامة . حتى لغة المدنية ، اللغة اليومية، لغة البيت ، لغة الصالون ، والمتزين ، وحجرة النوم ، والمطبخ ، والسيارة ، والمصنع ، والمزرع ، لا يكاد يأخذ الكاتب فى تناولها،ليفهم بها اهل العربية جميعا، حتى يتعثر .

والمفروض فى هذا أن تقوم مجامع اللغة بهذه الشئون ، تهيىء لها ، وتنظّم ، وتدبّر . ولنا من هذه المجامع مجمع فى القاهرة ، ومجمع فى دمشق ، ومجمع فى بغداد ، والمكتب الدائم لمؤتمر التعريب بالمغرب .

ولكل من هذه الجهات الأربع جهود محمودة .

ولكنها جهود مبعثرة .

فأنا ، ولي نسب بالمجامع الثلاثة ، لا أكاد أحصل على المصطلح الذى اريد ، مما صنعت هذه المجامع، ان كانت صنعته، الا بالجهد الجهيد .

المصادر متفرقة . وهى فى أوراق للمجمع الواحد مشتتة . حتى الصنف الواحد منها موزع ، فأنت لاتدرى مكانه.

والمعنى الثانى من البعثرة ، يتضح فى تبعثر الانتاجات الثلاثة ، فهى لايجمعها جامع .

وعدا هذا وذاك فهى ليس عليها اتفاق . فالمصطلح القاهرى ، غير الدمشقى،غير البغدادى،وانت لا تستطيع ان تقول حتى هذا ، لأنه ليس هناك وسيلة الى مقارنة هذا بهذا . لن تجد بسهولة ما تريد ان تقارن .

ثم أمر الالتزام . ليس هناك التزام قائم فى مدرسة أو جامعة، يلزم بمصطلح واحد يلتزم به الجميع ، ويتفاهم به الجميع . وحتى لو جاز ان يكون هناك على المصطلحات اتفاق ، فليس هناك سلطة عليا تلزم ، كتلك التى توجد فى المجالات السياسية واخواتها الاقتصادية .

والصحافة،حتى تلك التى تحزم بعض امورها الدولة ، تجول فى مجال المصطلحات بما تهوى وتصول ، لانه يأتيها كل يوم جديد لا بد أن تضع له اللفظ العربى الجديد ، وهى لا تستطيع ان توقف عجلات المكنات الطابعة حتى يأتيها اسعاف من المجامع .

وكيف تستطيع المجامع ، بامكاناتها الحاضرة وميزانياتها الحاضرة ، ونظمها الحاضرة ، ان تسعف الصحف فى يوم ، وهى عاجزة عن اسعاف المدارس والناس فى سنين .

ومع هذا ، فالصحافة صانعة اللغة . ان قوتها فى نشر الكلمة الجديدة تساوى قوى الف من المجامع مجتمعة بأساليب اعلامها الضعيفة الحاضرة .

ولكم خطر ببالي ان يدخل مختارون من رؤساء التحرير بالصحافة مجامع اللغات ، أو ان يكون للصحافة مجامع لغات خاصة بها تشرف عليها الدولة ، حتى تلاحق النهضة اللغوية فى الوطن العربى سائر النهضات .

ان اللغة العربية فى حاجة الى نهضة ثورية ، لا لتهبط بها الى العامية ، ولكن لترفعها الى مستوى المسئولية،مسئولية نشر المدنية ، ونشر العلم ، والتكنية ،



وكل معنى جديد من المعانى الحضارية ، والابقاء على الوحدة العربية ، بتجديد لسانها ، فلا ينطلق انطلاقا فى شئون من الحياة عزيزة علينا قديمة ، ثم هو يستعجم استعجاما فى شئون من الحياة لنا حاضرة .

نسمع فيه للشاكين ونرفض المشككين

● الكيان الفلسطيني كان من المنتوجات التى انتجها مؤتمر القمة العربى ، مؤتمر ملوكهم والرؤساء. وهو كسائر المقررات الأخرى آخذ سبيله الى التنفيذ ، بالسير الى غايته ، سيرا سهلا حثيثا يبشر به ما لقيه من نجاح فى البلد الأم التى طوت جزءا من فلسطين ، تلك المملكة الاردنية، التى هى بطبيعة الحال المنطلق الأول والأقرب الى الغاية الكبرى . وسوف تجد الحركة المزيد من النجاح فى كل بلد عربى يذهب اليه الداعون من بعد ذلك .

ولقد شكا الشاكون من بعض التفاصيل، وقد حقّ لكل شاك ان يشكو، وحقّ لأولى الأمر دائما أن ينصفوا . وفى معترك الآراء الحرة تنتفع الفكرة بأحسن ما يتقدم به فيها المتقدمون .

يشككون فى الكيان ، يكون أو لا يكون

ولكنْ غير الشاكين المشككون، الذين يأخذون ، فى هذا الدور من العمل ، يجادلون فى هذا الكيان، أيكون أو لايكون. وكذلك الذين يوحون للناس بأن يرتابوا فى النيات ، لا سيما نيات القائمين بالأمر، أو الداعين له أو الساندين اياه .

حتى لقال بعضهم ان الكيان معناه تصفية القضية الفلسطينية بزحزحتها لتحطّ على أكتاف الفلسطينيين ، ولو كان المراد ان تحط على أكتاف الفلسطينيين وحدهم دون أكتاف الآخرين من شعوب العرب ودولهم ، لصدق قولهم ، ولكن احدا لم يقل بذلك .

الذى يشكك فى نية الزعماء انما يعصف بفكرة التحرير من اساسها

ان القائلين بأن القضية الفلسطينية تصفّى بصنع كيان لفلسطين ، انما يشككون فى نية الزعماء من ملوك ورؤساء. والذى يشكك على هذا النحو فى نية الزعماء ، ففى مقاصد الشعوب العربية فى الأمة العربية التى يمثلها هؤلاء الزعماء. انما يقوم هو نفسه بتصفية القضية الفلسطينية ، ويعجّل بذلك ، منذ ساعة ينطق بهذا التشكيك ، ومن قبل ان يكون كيان . . ذلك لأنه لا تحرير لفلسطين بغير العون الاكبر يأتى من شعوب الوطن العربى ، فالذى يشكك فى نيات هذه الشعوب ، وهى بالضرورة وبحكم الواقع ممثلة فى نوايا ملوكهم والزعماء ، انما يعصف بفكرة التحرير كلها من أساسها .

صفة الممثلين لفلسطين

ثم هم يشككون فى انتخابات تجرى لاختيار الممثلين لفلسطين . اما أن يكون للفلسطينيين ممثلون ، فأمر لا شك فيه. وأما ان يكون ذلك عن اختيار ــ هو اختيار المضطر ــ او انتخاب حرّ ، فأمر لا شك فيه أيضا . أما صفة الرجل الذى يختار ، فعندها يحسُ الواصف لها بضرورة التريث . ثم لا يلبث ان يقع عنده أن من الخطأ أن يكون الثراء أساس اختيار . ومن الخطأ ان يكون علو المنصب . ولكن كذلك من الخطأ أن يكون الفقر وحده أساس اختيار أو تكون وضاعة المنصب وحدها أساسه ، ولا ان يكون الجهل ، ولا أن يكون التحمس الفاجع من دون روية . وخيرٌ من يمثل

الفلسطينيين ، لا سيما بين النازحين ، الفلسطيني المتنوّر ، المطّلع على شئون الحياة عامة ، وعلى الحركات السياسية خاصة ، ويحسن أن لا يكون من يسر الحال في البلد الذي قد نزح اليه بحيث يغريه ذلك بالقعود،ويكسبه فتور الهمة. الذي نختار لا بد ان يكون من اولئك الذين لا يزال يصاحبهم القلق الذي يصحب كل نازح عن دياره ، ولا يزال يصاحبهم الحقد الذي يصاحب الذاكر لتخريب داره واغتيال اهله واغتصاب ارضه ، واخراجه على افواه البنادق عن المنابت التي ظلت قرونا منابت رزقه ، والمراحات والمغادي التي غدا فيها وراح العدد العديد من آبائه واجداده ، ادهرا طوالا ، وكان من حقه ان تُوارَى في تربتها آخر الأمر عظامه .

المشكلة الفلسطينية
مشكلة عربية في المقام الأول

ثم يجب ان لا ينسى احد ان المشكلة الفلسطينية لا تخص الفلسطينيين وحدهم ، ولا من اخرجوا من ديارهم وحدهم ، وانما هي مشكلة عربية في صميمها . انها مشكلة فلسطينية ، نعم ، ولكنها مشكلة اسرائيلية في المقام الأول . ان اسرائيل ليست الا « كوبا » زرعتها الدول الغربية الاستعمارية في المنطقة العربية ، تماما كمثل ما زعمت امريكا ان كوبا انما زرعتها الدول الشرقية ، وروسيا خاصة، في المنطقة الكاريبية وما وراءها من مجتمعات قارئة لاتينية .

ولا يجب أن ننسى أن المشكلة الفلسطينية ليست معادلة جبرية ، فيها مجهول واحد ، هو س . اذن لكان من ابسط الأشياء حلها .

انها معادلة جبرية ذات مجاهيل عدة: س ، ص ، ع ، ل ، م ...

وكل مجهول جبري يتطلب معادلة . وتعدد المجاهيل فتتعدد المعادلات ، بهذا تقضى قواعد الجبر والحساب .

وهذه المعادلات لم تتجهز بعد ، ولم تتكشف بعد . واولو الأمر منا لا يزالون يتحسّسون الطريق ، وهو طريق وعر ، دقيق في بعض جوانبه ، حسّاس ، سواء في داخل البلاد أو خارجها ، لا تسهّل السيرَ فيه صرخاتُ الفتوة الفاضبة ولو مخلصةً غايةالاخلاص ،ولاالصيحات تأتي من رجال لا يقع على اكتافهم الثقيل من التبعات .

وقد تتجهز هذه المعادلات، وتتكشف، وتنحلّ آخر الأمر ، ثم يتضح ان س ليست باكثر هذه المجاهيل مقدارا ، ولا بأثقلها وزنا .

هدفان : قريب ، واقل قربا

ان الذين خططوا للمشكلة جعلوا لها هدفين : قريبا ، واقل قربا .

اما الهدف القريب فالانتفاع بروافد النهر ، نهر الأردن ، بما يفسد على اسرائيل خطة التوسع الذي سبيله الماء. وهذا يتطلب الحماية ، والحماية تتطلب الجيوش ، الجيوش العربية . وقد تنشأ عن ذلكحرب. وللقادة الراى اولا وآخرا، لأنهمابصربالأمور. وهم يتحملونالتبعات. وهذا هو النظام ، وغيره الفوضى .

اما الهدف الأقل قربا ، فاعادة الأرض السليبة الى اهلها ، وطرد اللصوص . وهذا يأتي ، من حيث الزمن والتخطيط، لا من حيث الخطورة ، في المحط الثاني . وهو زمن يعطى العرب الفرصة للتحضير والتجهيز . فالحروب لا يدخلها الداخل مجازفة . ولا يدخلها لمجرد شفاء غلة . ومستقبل العرب جملة ، لا يقامر به ، في حرب سريعة مبتسرة ، تدفع اليها وتحضّ عليها العاطفة الهائجة ، في سبيل نصر يوهمون الناس بأنه نصر سريع ، ثم يتكشف،بالذي يأتي للاعداد من امداد ، انه خذلان ذريع . ومن التاريخ نتعلم ولكم خذل الحق في الدنيا،خذلته القوى الفاجرة .

ان النصر المؤكد ، المدبّر ، المخطّط له ، آت لا شك فيه . آت على الصبر ، وعلى الحذر في غير خوف . وعلى الرويّة في ايمان بقوة العرب المتزايدة على الأيام.

احمد زكي ■■

مسابقة العدد

لكى لا ننسى !

وجوائز ١٠٠ دينار

■ يشهد العالم العربى فى هذه الآونة أحداثا سيسجلها التاريخ ، لأنها هى نفسها من الأحداث التى تكتب التاريخ.

وفى طليعة هذه الأحداث تكتل الجبهة العربية من جديد ، ملوكا ورؤساء وشعوبا وحكومات ، من أجل الدفاع عن حقوق عرب فلسطين وعودتهم الى الوطن السليب ..

ومسابقة «العربى» هذه المرة ، محاولة متواضعة للتذكير ببعض جوانب تلك المأساة ، وما صاحبها أو ترتب عليها ، لكى لا ننسى ، فان الذكرى تنفع المؤمنين.

١ – **كان « وعد بلفور » بمثابة حجر الزاوية فى ماساة فلسطين ..** ففى أى تاريخ صدر هذا الوعد المشؤوم ؟

٢ – **فى اى تاريخ أعلن قيام اسرائيل كدولة ؟**

٣ – **ما هى أول دولة اعترفت بقيام اسرائيل ؟ ومن كان رئيس تلك الدولة فى ذلك الحين ؟**

٤ – **فى الجولة الأولى من حرب فلسطين كان النصر حليف الجيوش العربية حتى كانت الهدنة الأولى ، وبعدها انقلبت الأوضاع ، وكانت الهزيمة وكان الضياع ..** ففى أى تاريخ أعلنت تلك الهدنة المشؤومة ؟

٥ – **على أثر تأميم قناة السويس اشتركت اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا فى محاولة اجرامية لغزو مصر ، وانتهت بفشل الدول الثلاث كما هو معروف ..** فى أى تاريخ وقع العدوان الثلاثى على مصر ؟!

٦ – **بالاضافة الى الدول العربية ، ما تزال هناك بعض دول غير عربية ، شرقية وغربية لم تعترف بعد باسرائيل . اذكر اثنتين من هذه الدول على الأقل ، احداهما شرقية ، والأخرى غربية .**

٧ – **ما اسم الأمين العام لجامعة الدول العربية الذى عاصر ماساة فلسطين فى حرب عام ١٩٤٨ ؟**

٥ أسئلة .. على الأقل

والمطلوب من المشتركين فى هذه المسابقة الاجابة عن خمسة أسئلة على الأقل من هذه **الأسئلة السبعة .**

شروط المسابقة

١ – يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٠ من هذا العدد .

٢ – يكتب على الظروف عبارة – « مسابقة العربى – العدد ٦٥ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر مايو (أيار) .

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الأولى : ٣٠ دينارا ..

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا ..

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ..

وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

ترسل الاجابات مباشرة بعنوان مجلة «العربى» : صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربى .

■■

تلتقى انظار الناس جميعا على الشيء الجميل فتتفق على جماله ، ثم يبدأ اختلاف الراى فيما بينهم حين يبدأون فى التفسير والتعليل ، فماذا فى هذا الشيء أو ذاك قد جعله فى اعين الناس جميلا ؟ أهو — فى نهاية التحليل — ما به ينفع الناس فى حياتهم الكاملة ؟ ام هو صورة بنائه وتكوينه بغض النظر عما ينفع وما لا ينفع ؟ ام هو شيء غير هذا وذاك ؟

افلوطين فى تاسوعاته

ان لكل فيلسوف عن هذا السؤال جوابه الذى يتفق وفلسفته العامة ، وسنختار لك اليوم افلوطين Plotinus . وهو ولد بصعيد مصر سنة ٢٠٥ ميلادية .

اننا نستطيع ان نلخص رأيه عن الجمال فى كلمة واحدة ، هى « الروح » ، فالشيء جميل بمقدار ما يعبر بمادته عن روح الاله الخالق الواحد . كان افلوطين يكتب او يملى على عجل ، ثم يدع لتلميذه بورفوريوس Porphyry مراجعة الأوراق ، فلما توفى أفلوطين ، جمع بورفوريوس رسائله وقدم لها بترجمته لحياة أستاذه ، وقد قسم تلك الرسائل ستة اقسام ، جعل فى كل قسم منها تسع رسائل (مجموع الرسائل أربع وخمسون رسالة) ولذلك سميت بالتاسوعات ، وفى احدى هذه الرسائل ترى رأيه فى الجمال مبسوطا فى سلاسة ووضوح نادرين . فماذا يقول ؟

الجمال المرئى والمسموع

الحاستان اللتان تتأثران بالجمال هما حاستا البصر والسمع ، على أن الأشياء الجميلة قد تكون جميلة فى ذاتها كما هى الحال فى الأفعال الفاضلة ، وقد تكون جميلة بمشاركتها فى مبدأ أسمى ، هو المبدأ الذى يخلع عليها جمالها بمقدار مشاركتها فيه . وان الرواقيين ليزعمون ان هذا المبدأ الذى يكسب الجميل جماله هو تناسب الأجزاء وتناسق الألوان ، ولو صح ما يزعمون لما وصفنا بالجمال الا الأشياء المركبة من جملة عناصر ، لان التناسب والتناسق لا يكونان — بالبداهة — الا بين اكثر من شيء واحد . وأما اذا

ليس الجمال متناسقة أعداد ولا قياس أبعاد



نظرنا الى عنصر واحد بسيط ، او الى لون واحد بسيط ، لما راينا فيه جمالا ، فعندئذ لا نستطيع أن نقول — مثلا — ان لون الذهب جميل ، أو ان النغمة الواحدة جميلة . ودع عنك الجمال الذى نراه فى مجالاة الفكر والاخلاق والروح ، لأن هذه كلها مجالات قد لا تكون كائناتها مركبة حتى يجوز لنا ان نقول ان فى عناصرها تناسبا وتناسقا ، وذلك لأن التناسب والتناسق صفتان كميتان يتناولان المقادير العددية فى مقاييس



ان المشاهد للشيء الجميل يجد فيه صورا تربط بين الانسان وبين الله

الفنان العظيم لا يحاكي الطبيعة وانما يخلق خلقا جديدا

بقلم الدكتور
زكى نجيب محمود
استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

الأشياء ، واذن فهما لا ينطبقان على الحقائق الروحية ما دامت هذه الحقائق لا عدد فيها ولا قياس .

كلا ، فما الجمال فى الأشياء الجميلة الا صفة ندركها فندرك ان بينها وبين الجانب الروحى فينا شبها من حيث الجوهر . وعلى عكس ذلك الشىء الذى نصفه بالقبح ، انما هو شىء يحمل صفة تتنافر مع حقيقة ارواحنا . فالأشياء الجميلة تذكر الروح فينا بطبيعتها الروحانية ، وذلك لأن هذه الأشياء كلها تشترك فى « الصورة » المستمدة من عالم الروح . واذا ما خلا شىء من تلك « الصورة » كان قبيحا ، واذا شئت لغة اقرب الى الافهام، فقل عن هذه«الصورة» انها هى قوة دلالة الشىء على المصدر الالهى، أليست « الصورة » تعمل على تنسيق الأجزاء وتوحيدها فى كيان واحد ؟ ثم أليس معنى ذلك هو ان « الوحدة »التى تجمع الكثرة برباط يوحدها هى سر جمال الشىء وماذا تكون الوحدة فى أعلى

مراتبها الا « الواحد » الذى انبثقت منه شتى الكائنات ؟ واذن فادراك الوحدة فى الشىء هو ضرب من الصعود الى الحقيقة الالهية الأولى .

الجمال غير المرئى والمسموع

واترك مستوى المرئى والمسموع الى المستوى الذى لا يتوقف فيه جمال الشىء على بصر او على سمع ، وهناك تدرك الروح منا جمال الشىء بغير استخدامها للحواس اذ يكفيها أن تجد شبها بينها وبين ما ترى ، ولكن متى يكون هذا الشبه قائما ؟ انه يكون قائما حين يخلو الشىء من كل اضافة لا تجانس ماهيته وطبيعته ، وعندئذ تواجه الروح الخالصة ماهية «خالصة» ، على ان روح الانسان الرائى قد لا تكون خالصة ، وعندئذ لا تكون روحا جميلة وبالتالى لا يتاح لها أن ترى جمالا ، وذلك حين تشوبها العواطف الجموح ، فتكون كأنها الجسم قد تلطخ بالطين ، فلا مندوحة لصاحبها ـ اذا أراد تخليصها وتنقيتها ـ عن أن يزيل عنها أوشابها ، ووسيلة هذا التطهر الروحي هى ـ كما قال افلاطون فى محاورة فيدون ـ انتهاج السلوك الفاضل ، فالسلوك الفاضل هو بمثابة تطهير الروح من أدرانها ، وحينئذ تصبح صورة خالصة ، أو تصبح معنى خالصا ، قوامه روحانى خالص ولا أثر للجسد المادى فيه، وحينئذ أيضا تصبح الروح الصافية الخالصة شبيهة بالله ، وفى هذه المشابهة جمالها الحق، وبالروح الجميلة فى صفائها ندرك الجمال فى الأشياء الجميلة .

الجمال لا صلة له بالحساب والأبعاد

كلا ، ليس الجمال صفة حسابية تقاس أبعادها لتكشف لنا ما فى الشىء من تناسب بين أجزائه ، انما هو فى مقدار دلالة الأشياء على روح خالقها أو قل هو فى قوة التعبير الذى عبر به العقل الكبير عن نفسه تعبيرا محسوسا تراه العين او تسمعه الأذن ، فصور الجمال المختلفة ضروب مختلفة اختارها الروح الكلى حين أراد أن يطبع ماهيته على المادة فيصنع منها هذا الشىء الجميل أو ذاك، فصاحب الروح الصافية والنفس الحساسة اذا ما شهد شيئا وتأمله فوجد فى طيه « معنى » يربط له الصلة بينه وبين الله ، أو قل بينه وبين سائر الكون، فهو عندئذ انما يشهد جمالا ، لأنه يشهد شبها بين الشىء المحسوس من جهة والأفكار العقلية من جهة أخرى .

الجمال مرده آخر الأمر الى الروح ، لا الى المادة

ان الأشياء الجميلة فى هذه الدنيا ، ما كانت لتكون كذلك عند المشاهد المتأمل لولا أن كل شىء منها يتدرج تحت نموذج فى عالم الروح، فكائنات الأرض «نسخات» من كائنات السماء ، وادراك الجمال فيها معناه ادراك ما قد اندس فى ثناياها من هذه الكائنات السماوية ، فبرغم أن العين هى التى ترى الشىء الجميل ، الا انها تراه لكى تترك العقل بعدئذ يجاوز السطح المرئى الى ما وراءه من معنى كامن ، وبهذا يكون الجمال مرده الى الروح لا الى المادة ، الى العقل لا الى الحواس ، الى التأمل لا الى المشاهدة بالبصر ، ولهذا لم يكن الجمال أمرا مرهونا بمزاج الفرد الواحد المشاهد ، بحيث يجوز أن يختلف الأفراد فى تمييز الجميل من القبيح، بل هو أمر عام يدركه كل ذى بصيرة على حد سواء . نعم ان الفرد الواحد يقدر الشىء حين يراه «قريبا» الى نفسه ـ اى شبيها بها ـ ولكنه لم يكن هو الذى خلع عليه الجمال

بميوله الشخصية ونزواته ، بل الذى خلع عليه جماله هو الذى خلقه وصاغه ليكون اداة تعبر عن حقيقته ، وما على الانسان الفرد الا أن « يدرك » ما هناك، لا ان يوجده من عدم ، فكأنما الانسان الفرد المشاهد للشيء الجميل يجد من ذلك الشيء حلقة تربط بينه وبين الله ، وذلك حين يرى صورة الله مطبوعة على الشيء ، ثم يرى الشبه بينها وبين صورة نفسه ، لأن أنفس الناس انما انبثقت من النفس الكلية ، وعلى غرارها جاءت .

ليس الفنان من يحاكى الطبيعة

وننتقل من هذه المبادىء الفلسفية العامة المجردة ، الى الفنان الذى ينتج لنا اللوحة الجميلة أو القصيدة من الشعر او غيرهما من الوان الفنون، فبأى مقياس نقيس قيمة فنه ؟ اننا نقيس ذلك بمقدار ما قد وفق فى تجسيد « الحق » فى عمله الفني، ان الفنان العظيم لا يحاكى الطبيعة ابدا ، بل يخلق بخياله خلقا جديدا يبث فيه « الحق » ، فلئن كانت المحاكاة تنقل ما قد صادفه الفنان فى حياته ، فالخيال يخلق للفنان ما لم يره فى حياته قط . أن الفنان العظيم لينظر بعين بصيرته الى النماذج العقلية التى كان الله قد طبع صورتها على الأشياء المحسوسة ، ينظر اليها ليستلهمها مخلوقا جديدا يخلقه هو فى فنه بأن يطبع صور تلك النماذج العقلية على مادته، حتى لا يكون فرق جوهرى بين خلق الله وخلق الفنان من حيث طبع المادة بصورة معينة ، فتتمخض عن كائن جميل . ان الفن خَلْق بأدق معنى لهذه الكلمة ، بل بأسمى معنى لها وأدومها بقاءً على الزمن . فهنالك من القيم الروحية ما ليس ينكشف سره وجوهره الا عن طريق الفن، وذلك لان الفنان يتمتع فى خلقه بحرية لا تتوافر لسواه من أفراد الناس حين ينشطون فى مناشط حياتهم اليومية أو حياتهم المهنية ، لما يضبط هذه الحياة او تلك من قيود وحدود لا يتقيد بها الفنان وهو يقيم بناءه الفنى .

خلاصة الرأى عند افلوطين

خلاصة الرأى عند افلوطين ـ نسوقها لتتضح فى ذهن القارىء قبل أن ننتقل الى مرحلة التطبيق ـ هى ان الشيء الجميل جميل لما يكون فيه من روح ومعنى يجعلانه وسيطا يصل الانسان المتأمل بالله ، لان الجانب الروحانى المعنوى فى الشيء الجميل شبيه بالروح الالهى من جهة وبالروح الانسانى من جهة أخرى، ولذلك كانت النشوة عند الاستغراق فى الشيء الجميل قريبة من نشوة الحب التى تدمج نفس المحب فى نفس حبيبته ، فهل رأيت محبا صادقا يلتمس فى حبيبته جانبا ظاهرا كالشكل واللون والقوام ، اما تراه دائما يلتمس فيها روحا خافيا عن الأعين ، روحا لا لون له ولا شكل ولا قوام ؟ وحتى ان اعجب العاشق بما فى معشوقته من خصائص بدنية كتناسق أجزاء جسدها ، فهو فى الحقيقة يعجب بهذه الخصائص لما هو مستتر وراءها من « صورة » تدرك بالعقل ولا تدرك بالحواس .

ما الفرق بين قطعة الحجر قبل أن يمسها ازميل الفنان وبعد ان يمسها ؟ بديهى أن الحجر لا يستمد جماله بعد نحته من كونه حجرا ، والا لتساوى التمثال المنحوت فى قيمته الجمالية مع اى حجر آخر فى مثل حجمه ووزنه ، بل يستمدها من الصفة التى أضافها الفنان اليه ، وهى صفة لم تكن فى قطعة الحجر بادىء ذى بدء ، بل كانت فى نفس الفنان ـ لا من حيث هو كائن ذو عينين ويدين ـ بل من حيث هو كائن ذو خيال ، ففى

خيال الفنان كانت تكمن الصورة الفنية التى سينقلها بازميله الى قطعة الحجر ، واذن فقطعة الحجر بعد نحتها تمثالا انما استحدث جمالها من الروح ـ اى من الخيال ـ لا من اية ظاهرة ماديةفى الحجر او فى غيره من اشياء .

ان الجمال ـ فى الفن وفى الطبيعة على السواء ـ ليستقى قيمته كلها من كونه وسيلةتبرز الروح الالهى فى جوهرها وصميمها، فترى هذا الروح مشعا خلال القطعة الفنية او خلال المنظر الطبيعى ، مشعا من التمثال او من الصورة او من مقطوعة الشعر او الموسيقى ، ولو كان الامر امر تناسب فى الأجزاء الظاهرة من الجسد او من المادة المستخدمة فى البناء الفنى ، لكان الوجه الجميل جميلا وهو حى كما هو جميل وهوميت على السواء، لكن لا ، ان العبرة كلها هى بما وراء السطح الظاهر من روح ومعنى .

تمثال نفرتيتى ، مثل للذى أراده افلوطين من الجمال

ونتنقل الآن الى امثلة تطبيقية لهذه الفلسفة الجمالية التى عرضناها ، أول مثل اسوقه هو تمثال اجمع رجال الفن على تقديره ، الا وهو تمثال نفرتيتى المعروف ، فأين سر جماله ؟ اهو فى كونه كتلة من الحجر الجيرى ، ام هو فى المعانى الكامنة وراء ملامحه ؟ الا ترى سر جماله هو فى طائفة كبيرة من المعانى والقيم تتزاحم عليك وانت تتأمله ، منها هذه الانفة التى تترفع عن ظواهر الخلاعة والاستهتار الرخيص ، ولكنها انفة تجىء فى هدوء ، صادرة عن نفس مترسّلة على سجيتها ، فلا تكلف فيها ولا تصنّع ، ان فى الوجه قوة روح ومضاء عزيمة وارادة ، لعلهما نابعان من وضوح ملامحه ومن بروز عظام الخدين والذقن ، ولكنه وضوح تنبسط فيه الأساريرولا تتجهّم، فالجبهة مشرقة والفم رقيق باسم فى هدوء وفى وداعة ، والعنق طويل يوحى اليك بالرشاقة المصاحبة لجلال العظمة الآمرة المسيطرة، فهل فى وسعك ان تنظر الى راس نفرتيتى نظرة فيها ابتذال او سخرية ؟ هل فى وسعك ان تنظر الى هذا الراس ولا يرتسم فى خيالك الوجود الذكى اليقظ الواعى المرهف الحساس ؟ هل فى وسعك أن تنظر اليه ثم تشعر بالعبث والتفاهة والاغلال والفوضى ؟ لا أظن ذلك ، وكل ما سيطوف بذهنك وانت تنظر اليه متأملا هو صفات مما ننسبه للكائن الالهى فى سموه وسمائه ، ومما يتشوق الانسان الى محاكاته فيها، وذلك هو الجمال الحق بالمعنى الذى اراده أفلوطين كما فهمناه وشرحناه .

الكوميديا الالهية مثل آخر للجمال عند افلوطين

ونسوق مثلا آخر من روائع الأدب العالمى : الكوميديا الالهية لدانتى Dante فأى شىء ندرك حين ندرك فيها جمالا ؟ اهو مجرد الارتجال فى ارجاء الجحيم وفى الأعراف ثم الفردوس ؟ أم هو النفاذ خلال تفصيلات الرحلة الى ما يكمن وراءها من روح ومعنى ؟ ان رحلة دانتى فى قصيدته الكبرى هذه تبدأ بأن يجد نفسه ضالا فى غابة مظلمة لا يهتدى فيها الى مسلك يخرجه منها الى حيث الفضاء والنور ، الا شعاعا ضئيلا يتسلل اليه خلال ثغرة فيها ، فيسرع على هداه لعله ينجو قبل أن يغرب ، لكنه لا يلبث ان يجد وحوشا ثلاثة تسد عليه الطريق : ذئبة وأسدا وفهدا ، فيرتد الى الظلام يتخبط فيه من جديد ، الى ان يصادف



فرجيل فيطلب منه الأخذ بيده الى طريق النجاة ، لكن فرجيل يبين له ان طريق الخلاص طويل تكتنفه الصعاب ، فلا بد له أولا من اجتياز درجات الجحيم كلها قبل أن يصعد الى الاعراف حيث يتطهر، وعندئذ فقط يستطيع الصعود الى الله. لكن هداية فرجيل تنتهى عند الاعراف، وسيتولى هدايته بعدئذ الى الشهود الالهى روح حبيبته بياترتش .

ذلك هو المخطط العام للرحلة ، لكن المتامل فى تفصيلات القصيدة وفى طريقة بنائها ، سرعان ما يجد نفسه قد سما الى منزلة روحانية لعلها هى المنزلة التى ارادها الشاعر لنفسه وللناس ، وفى هذا السمو الى مرتبة الروح سر جمال الكوميديا الالهية ، فما الغابة المظلمة التى وجد نفسه فيها الا حياة الخطيئة والرذيلة والشر التى عاشها الشاعر وهو بعد بين الأحياء على وجه الارض ، وما الضوء الذى تسلل اليه واغراه بمحاولة الخلاص الا قبس من الله ، لكن أين المفر والوحوش الثلاثة تسد عليه الطريق ؟ وهى رموز مأخوذة من سفر ارميا لترمز الى الرذائل الاساسية الثلاث كما اوردها ارسطو،وهى رذيلة الجشع حين تنحرف الغريزة ، وهذه هى الذئبة ، ورذيلة الضراوة والافتراس حين تنحرف شجاعة القلب عن حدها المعقول ، وهذا هو الأسد ، ثم رذيلة الغش والخداع حين ينحرف الذكاء عن طريق الخير الى حيث المكيدة والغدر ، وهذا هو الفهد . فلما أن التقى فيرجيل به ليهديه ، كان رمزا لما يتبقى للخلف أن يتمسك به من تراث السلف ، فعلى هداية اسلافنا نستطيع ان نشق طريقنا الى مستقبل مرجو مزدهر . كما يرمز كذلك فيرجيل الى حكمة العقل ، ولذلك فلن يهديه هذا الحكيم العاقل الا الى حد محدود ،وهو الخروج من الجحيم الى حيث الاعراف. وأما الطريق من الاعراف الى الله فتلزم لها هداية من نوع آخر غير حكمة العقل، يلزم لها الحب ، ويلزم لها القلب ، ويلزم لها الايمان ، ولذلك فالهداية عندئذ متروكة لمن ترمز عند دانتى الى الحب والقلب والايمان ، اذ هى متروكة لبياترتش بعد ان فرغ « العقل » (أى فرجيل) من مهمته الى آخر حدودها المستطاعة .

وماذا اقول لك فى مرامى هذه القصيدة الكبرى ، الا ان تقراها مشروحة لترى بنفسك كيف يكمن سر جمالها فى الصعود بك وراء تفصيلاتها الظاهرة الى حيث القيم الاخلاقية والروحية ، الى حيث الوجود الالهى الخالص وذلك هو مكمن الجمال فى كل شىء جميل ، على مذهب افلوطين . ■■

زكى نجيب محمود

مرآة الرأى الغربى



رئيس الوزراء الصامت

من جريدة « الصنداى اكسبريس » :

● عجيب والله صمت رئيس الوزراء ، فى الوقت الذى ينتظر منه الجميع أن يتكلم ، ويرفع صوته موضحا سياسة حكومته وحزبه تجاه بعض الامور المعلقة .

لقد تعرض حزب المحافظين لنكسات عديدة ، وهجوم شديد ، وكان ينتظر من سير « اليك » أن يقود السفينة الموشكة على الغرق الى بر السلامة ، ولكنه آثر الصمت المطبق . أتراه يرى السلامة فى الصمت ؟

كيف ينتظر رئيس الوزراء أن يفوز حزبه فى الانتخابات القادمة ، وهو لم يكلف نفسه عناء الخروج من قوقعته التى سجن نفسه فيها منذ أن تولى الوزارة ؟ لقد ذهب بعض المهتمين بمصير هذا البلد الى القول ان رئيس الوزراء لا يدرك تماما خطورة المشاكل الداخلية والخارجية التى تجابهها . ونحن لا نحب ان نشارك هؤلاء رأيهم ، ونغلو فى التقليل من شان رئيس الوزراء ، ولكن مع هذا نحب أن نسمع منه أجوبة شافية توضح سياسة حكومته وحزبه تجاه بعض القضايا التى تهمنا . ومن هذه القضايا :



❋ ترى هل ستجدد حكومة المحافظين اذا فازت فى الانتخابات القادمة، محاولتها للدخول فى السوق الاوروبية المشتركة ؟

❋ وهل ستبقى على تبعيتها الحالية للسياسة الامريكية ، رغم ما منيت به هذه السياسة من فشل ؟

❋ وهل ستخطو خطوة جريئة تحفظ لبريطانيا كرامتها امام التحالف الجديد بين ديجول والصين؟

❋ وهل ... الخ ؟

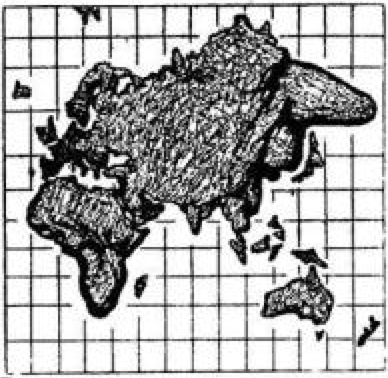
نريد من رئيس الوزراء جوابا شافيا ، يكذب الشائعات المتواترة ، والقائلة : ان الوساطة لا الكفاءة ، هى التى جاءت به الى سدة الرئاسة .

وانا لمنتظرون .

زعامة امريكا للعالم الغربى .. خرافة

عن مجلة « نيوز ويك » :

● اذا كانت المخترعات النووية قد جعلتنا نعيش فى رعب دائم ، فانها ايضا قد جعلت امر



ديجول العملاق

عن جريدة « يا Ya » ـ مدريد :

● كل الدلائل تشير الى ان ديجول ، رئيس الجمهورية الفرنسية العنيد ، مصمم على أن ينقل فرنسا الى دولة من الدرجة الأولى ، تستطيع ان تقول بملء فيها كلمة « لا » لكل من الولايات المتحدة وروسيا . انه الآن يرفض أن يكون تابعا للسياسة الأمريكية في جنوب شرقي آسيا ، كما رفض من قبل محاولة أمريكا أن تجعل فرنسا تأتي في الدرجة الثانية ، بعد بريطانيا، في سياسة القارة الأوروبية .

ان ديجول يقف الآن عملاقا في السياسة الأوروبية بعد ان اثبت انه يستطيع ان يسيّر سياسة بلاده كما يهوى ، مستقلا تمام الاستقلال عن اى نفوذ خارجي . وهو الآن يمد يده لا الى الصين فقط ، بل الى دول جنوب شرق آسيا وهي فيتنام ، وكمبوديا ، وتايلاند ، واندونيسيا . كما يمد يده الى المنطقة العربية المترامية الاطراف ، والى الدول الافريقية ، وحتى لدول أمريكا اللاتينية .

انها سياسة تدل على بعد نظر الجنرال ، وهي ولا شك ، سياسة ستفيد منها الدول الصغيرة التى تريد أن تحيا بعيدة عن نفوذ اي من الغرب أو الشرق .

نشوب حرب شاملة في المستقبل شبه مستحيل ، ذلك لأن كلا من المعسكرين الغربي والشرقي يدرك أن الحرب معناها الدمار التام للمتحاربين اولا ، وللعالم ثانيا . وهكذا كانت المخترعات النووية ، في رأينا ، نعمة للجنس البشري .. ولكنها نعمة خافية عن الأعين يحجبها عنا ما نعانيه من خوف.

والدول ، خارج الولايات المتحدة وأمريكا تدرك هذه الحقيقة ، وهي أن الحرب الشاملة شبه مستحيلة . كما تدرك ايضا انها تستطيع الاستفادة من التناقض القائم بين الشرق والغرب . وهذا يفسر لنا لماذا لم تعد قادة المعسكر الغربي النافذي الكلمة ، فنحن لم نستطع حتى الآن أن نقنع حلفاءنا في أوروبا بمقاطعة كوبا والصين ، ونحن لم نجد من هؤلاء الحلفاء ايضا اذنا صاغية لكل ما قدمناه من مقترحات بشأن اتحاد أوروبا ، ونحن لا نستطيع حتى ان نحول دون دخول تركيا واليونان في حرب ، اذا اردنا ذلك مع انهما حليفتان لنا .

هذه الحقائق تقول لنا ان زعامة واشنطن للعالم الغربي ليست الا خرافة .

منطق لا نقبله

عن جريدة « الأوبزرفر » :

● وزير خارجية أمريكا المستر « رسك » ، عاتب على دول غرب أوروبا ، بل وغاضب .

وسر عتبه وغضبه أن هذه الدول تتجر مع كوبا. والاتجار مع كوبا ، في رأي مستر رسك ، أخطر من الاتجار مع أية دولة شيوعية «لأن نظام كاسترو يهدد النفوذ الأمريكي في أمريكا اللاتينية » .

وهذا منطق من مستر رسك قد نقبله ، لو كان يرى لغيره ما يراه لنفسه . وهذه برلين الغربية شاهدة على ذلك . ان المنطق نفسه هو المنطق الذى تتذرع به روسيا في مطالبتها بضرورة جلاء القوات الغربية ، ومنها الأمريكية ، عن برلين الغربية .

كلمة نهمس بها في اذن مستر رسك قائلين له : اذا أردت من حلفاء أمريكا أن يطيعوها ، فان أول ما يجب عليك عمله هو أن تقنعهم بأن مصلحتهم تهمك كما تهمك مصلحة أمريكا نفسها . فاذا جانبت هذا اداروا لك ظهورهم .

لِمَ الهجرُ والصدّ ؟

للشاعر : أحمد السقاف

■ ياحبيبي قُلْ لى لِمَ الهجرُ والصّدْ ... وأنا في هواك باكٍ مُسَهّدْ؟
أنت عندى كلُّ الحياةِ وإنى ... قسماً ما أسأتُ واللهُ يشهدْ
إن يكن قد أتاك عنى كلامٌ ... فكلامُ الوشاةِ زورٌ مُفنّدْ
أنت في ناظرى أعزُّ من النو ... رِ وأنت النعيمُ بل أنت أزيدْ
كيف ترضَى لى العذابَ فقلبي ... في همومٍ والفكرُ منى مشرّدْ
وطعامى قد عِفتُهُ ومَنامى ... لم أذقه، وكلُّ عيشى منكّدْ
وعلى العكسِ أنت في كل يومٍ ... نزهةٌ حلوةٌ وحالٌ مجدّدْ
أىّ ذنبٍ جنيتُ حتى أجازَى ... بأبى أنتَ - بالشقاءِ المؤبّدْ؟
سائلِ الشارعَ الذى فيه دارٌ ... أنت فيها على الجميع مسوّدْ
كم حَوانِي ، أطوفُ حولك حتى ... خالَنى ناسكاً أتى يتعبّدْ
رِقّ لى ، بالذى براك من الحسـ ... ـن وسوّاك فرقداً أىّ فرقدْ
بالقَوامِ الرشيقِ بالبسمةِ الزّهـ ... ـراءِ بالناعِسَيْنِ بالثغرِ بالخدْ ■■

ابراهيم النظَّام



صار المعتزلة من بعده عيالاً عليه

"طالب العلم لا يكون كحاطب ليل"

"الشك سبيل الإنسان إلى كل يقين"

بقلم : ابراهيم قطان

■ « الأوائل يقولون في كل الف سنة رجل لا نظير له ، فان صح ذلك فابو اسحاق ابراهيم النظام من اولئك » .

« الجاحظ »

أبو اسحق ابراهيم بن سيار بن هانيء البصرى، من ائمة المعتزلة ، ومن كبار علماء الكلام الأعلام ، ومن الشعراء المجيدين . تبحر في علوم الفلسفة واطلع على اكثر ما كتبه رجالهـــا من طبيعيين والهيين . وانفرد بآراء خاصة واصبح صاحب مذهب خاص وله اتباع من المعتزلة اطلق عليهم « النظامية » نسبة اليه .

كان النظام آية في النبوغ،حدة ذهن ، وصفاء قريحة ، واستقلال فكر ، وسعة اطلاع ، وغوصا على المعانى الدقيقة ، وصياغة لها في أحسن لفظ واجمل بيان .

تتلمذ للعلاف في الاعتزال ، ثم انفرد عنـــه وكون مذهبا خاصا ، وعاش في بغداد حينا ، ومات وهو شاب في نحو السادسة والثلاثين من عمره .وكان أستاذ الجاحظ .

كان للنظام ناحيتان بارزتان : ناحية أدبيـــة وناحية كلامية .

فهو من ناحيته الأدبية قد عرف بالغوص على المعانى الرقيقة الدقيقة ، وصوغها في قالـب ظريف .

بين النظام والخليل بن أحمد

روى انه دخل على الخليل بن احمد وهو صغير، وفي يد الخليل قدح زجاج ، فقال له الخليل : صف هذه الزجاجة ، قال : أبمدح أم بذم ؟ قال بمدح ، قال : تريك القذى ، ولا تقبل الأذى، ولا تستر ما وراءها ، قال : فذمها ، قال : يسرع اليها الكسر ولا تقبل الجبر . قال : فصف لي هذه النخلة ، وأوما الى نخلة في داره . قال : بمدح أم بذم ؟ قال : بمدح : قال : حلو جناها ، باسق منتهاها ، فاخرٌ اعلاها ، قال : فذُمّها . قال : صعبة المرتقى ، بعيدة المجتنى ، محفوفة بالأذى . فقال الخليل : « يا بني نحن الى التعلم منك أحوج » .

من لطائف نثره

وقد أُثر عنه نثر لطيف جُمَله قصيرة .فقد ذكر عنده عبد الوهاب الثقفي ، فقال فيه : «هو أحلى من أمن بعد خوف ، وبره بعد سَقَم ، ومن خِصب بعد جَدْب ، وغنى بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب ، وفرج المكروب ومن الوصال الدائم والشباب الناعم » .

ومن كلامه : وقد سمع وقع الصواعق ودَوِيّ الريح : اللهم ان كان عذابا فاصرفه ، وان كان صلاحا فزد فيه ، وهب لنا الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء . اللهم ان كانت منحة فمُنّ علينا بالعصمة ، وان كان عقابا فمُنّ علينا بالمغفرة .

رأيه في الجود بالمال

وكان كريما يجود بماله ، وله بصرٌ بوجوه الإنفاق ، وكان السلطان يصله بالكثير ، فاذا اجتمع له مال حبس لنفسه ما يكفيه . وفرّق الباقي في أبواب المعروف . وقد عوتب في ذلك فقال : « من حق المال عليّ أن أطلبه من معدنه ، واصيب به الفرصة عند أهله ، ومن حقي عليه أن يقيني السوء بنفسه ويصون عرضي بابتذاله ، ولا يفعل ذلك الا بأن اسمح به. الا ترى ذا الغنى، ما ادوم نَصَبَه ، واقلّ راحته ، واخس حظه ، واشد ضرره ، ثم هو بين سلطان يرعاه ، وذوى حقوق يَتَسَخّطونه ، واكفاء ينافسونه ، وولد يرقبون فراقه ، قد بعث عليه الغنى من سلطانه العناء ، ومن اكفائه الحسد ، ومن أعدائه البغي ، ومن ذوي الحقوق الذم ، ومن الولد الملال ، وذو البُلْغة قنع فدام له السرور ، ورفض الدنيا فسلم من المحذور ، ورضى بالكفاف فتنكبته الحقوق » .

مع العلاف في زيارة عزاء

وحكي عنه قال : مات لصالح بن عبد القدوس ولد فمضى أبو الهذيل العلاف والنظام معه ، وهو غلام حدث . فكان صالح منزعجا على فقد ولده فقال ابو الهذيل : لا اعرف لجزعك وجها . فقال صالح : يا أبا الهذيل انما اجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك . فقال ابو الهذيل : وما كتاب الشكوك ؟ قال : كتاب وضعته ، من قرأه شكّ فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان ، فقال له النظام : فشك انت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان مات، وشك أيضا في انه قد قرأ هذا الكتاب وان لم يكن قرأه . فبُهت صالح .

ومن كلامه يخاطب بعض طلابه: « اذا كان في جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق ، فلا تحضر الجنازة ، فان المصيبة عندك اكثر منها عند القوم ، وبيتك أولى بالمأتم » .

لماذا اشتهر بالنظام

وأما شهرته بالنظام فاشياعه يقولون انها من اجادته نظم الكلام ، وخصومه يقولون انه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ، وهو له شعر رقيق نحا فيه نحوا خاصا في دقة المعنى وحسن السبك ، ومما تقدم من أقواله وشعره يترجح أن شهرته بالنظام من اجادته نظم الكلام سواء أكان نثرا أم شعرا . وما ضرّه لو كان ينظم الخرز في سوق البصرة .

ومن بعض شعره

ومن شعره قوله :

ذكرتك والراح في راحتي
فشِبْتُ المدام بدمع غزير

فان ينفد الدمعُ فرطُ الأسى
بكيتك الحَشَى بدموع الضمير

وقــوله :

يا تاركى جـــــدا بغير فـؤاد
أسـرفت فى الهجـران والابعـاد
ان كـان يمنعـك الزيـارة أعـين
فادخـل الى بعلـة العـواد
ان العيـون على القلوب اذا جنت
كانت بليتـهـا عـلى الأجساد

ويقــول :

هـو البـدر الا أن فيه رقائقـا
من الحسن ليست فى هلال ولا بدر
وينظر فى الوجه القبيح بحسنه
فيكـسـوه حسنا باقيا آخر الدهر

وقــال :

توهمه طرفى فآلم خـده
فصار مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحه قلبى فآلم كفـه
فمن صفح قلبى فى أنامله عقـر
ومر بقلبى خاطرا فجرحتـه
ولم أر جسما قط يجرحه الفكر
يمر فمن لين وحسن تعطف
يقال به سكر وليس به سكر

وهكذا نراه يتفلسف فى شعره ونثره فتغزر معانيه ، وتجود الفاظه ، وكان يعجبه أبو نواس للطف معانيه ورقة طبعه ، وتفلسفه أحيانا وقربه الى نفسه .

قال الجاحظ : « سمعت النظام يقول ـ وقد أنشد شعر لأبى نواس ـ : كان هذا الفتى جمع له الكلام فاختار أحسنه » . يعنى أبا نواس .

كان النظام واسع الثقافة

كان النظام أديبا رقيق الطبع ، دقيق المعانى، يعجبه القول الحسن والكلم الطيب . ويقول الشعر الرقيق . والنثر المنتقى . وقد كان ذا ثقافة واسعة : فمن ثقافة أدبية، فهو يحفظ كثيرا من الأشعار والأخبار ، ومن ثقافة دينية ، فقد روى المرتضى « أنه قرأ القرآن والتوراة والانجيل وتفسيرها ، الى معرفة فقهية واسعة فى الأحكام والفتيا ، الى ثقافة فلسفية ، فقد قرأ بعض كتب ارسطو ورد عليه . ذكر جعفر بن يحيى البرمكى ارسطو ، فقال النظام: قد نقضت عليه كتابه ، فقال جعفر : كيف وأنت لا تحسن أن تقرأه ؟ فاندفع النظام يذكر منه شيئا وينقض عليه ، فتعجب منه جعفر » .

عقلية النظام وخلقه

صور الجاحظ نفسية النظام وعقليته تصويرا حسنا ، وقد كان أعرف الناس به وأكثر خلطة له . قال فى كتاب الحيوان يصفه بالصدق فيقول: « كان ابراهيم مأمون اللسان قليل الزلل والزيغ فى باب الصدق». ثم عابه عيبا عقليا دقيقا فقال« انه كان جيد القياس ، جيد الاستنباط ، ولكنه لا يتحرى الدقة فيما يقيس عليه . فهو يظن الظن ثم يقيس عليه ، وينسى أن بدء أمره كان ظنا ، فلو كان بدل تصحيحه القياس يلتمس تصحيح الأصل لكان ذلك أولى . وكان يحكى حكاية المستبصر المتيقن ، ولكنه كان لا يقول سمعت ولا رأيت ، والسامع لا يشك أنه امتحنه بنفسه مع أنه لم يسمعه ولم يمتحنه » . فالجاحظ يعيبه بسرعة الجزم فى المسائل الأصلية قبل التثبت منها ، فاذا عمل القياس والاستنباط أتى بالعجب العجاب ، ولكنه يتهمه بأنه مع صدقه ، « كان أضيق الناس صدرا بحمل سر ، وكان شرما يكون اذا يؤكد عليه صاحب السر الخ .. » .

الشك والتجربة عند النظام

وأما عقليته فهى عقلية قوية سابقة لزمنها ،فيها الركنان الأساسيان اللذان سببا النهضة الحديثة فى أوروبا ، وهما الشك والتجربة . أما الشك فقد كان يعتبره النظام أساسا للبحث فكان يقول: « الشاك أقرب اليك من الجاحد ، ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك ، ولم ينتقل احد من اعتقاد الى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك » .

وأما التجربة فقد استخدمها كما يستخدمها الطبيعى أو الكيماوى فى معمله اليوم .

يسقى الخمر للكلاب والأبقار

ومن طريف ذلك انه اتصل بمحمد بن على بن سليمان من الأمراء العباسيين ، فشاركه النظام فى عملية لطيفة هى أن يسقى الخمر للحيوانات ليرصد نتائج ذلك . فجربوها على كل عظيم الجثة كالابل والجواميس والبقر ، ثم على الخيل العتاق والبراذين ، ثم على الظباء والشاء ، ثم على النمر والكلب وابن عرس ، ثم أتوا بحاو فكان يحتال على الأفاعى حتى يصب فى حلقها بالاقماع. وشاهدوا فعل الخمر فى هذه الأجناس المختلفة ،

وساعد على ذلك مالُ الأمير وجاهه ، حتى احتالوا على أسد فسقوه ليعرفوا مقداره فى الاحتمال . « قال النظام انى لم أجد فى جميع الحيوان اصلح سكرا من الظبى ، ولولا أنه من الترف ، لكنتُ لا يزال عندى الظبى حتى أسكره وأرى طرائف ما يكون منه » .

رأيه فى الطِيَرة والأحلام والجن والغيلان

وكذلك جرب على ذكر النعام كيف يبتلع الجمر والحجارة المُحماة ، والحديد والزجاج والمسامير وغيرها ، وفى هذه الأعمال مَثَلٌ من امثلة البحث العلمى والتجربة الصحيحة الدقيقة . ثم هو ، أبعدُ ما يكون عن الخرافات ، يبحث الأمور بعقله فى هدوء وطمأنينة ، ويجانب أوهام العوام ، ويقيم على ذلك الأدلة ، فهو لا يؤمن بطِيَرة ، ولا احلام، وهو يعرض لما رُوى فى الشعر العربى من أحاديث الجن والغيلان ، وأن بعض الأعراب سمعوهم وصدقوهم ، فيحلل ذلك تحليلا نفسيا دقيقا فى حديث طويل لا يتسع المقام له ، ومن أراد فليرجع الى كتاب الحيوان للجاحظ .

وهو يقول :
طالب العلم لا يكون كحاطب ليل

وعندما تكلم عن الكتب كان كمن يضع منهجا بديعا للدرس، فينقد من يسير فى تعلمه على طريقة حشو المعلومات فى الذهن حشوا بدون تدبر ولا تخصص ، ويرى أن موقف طالب العلم من الكتب يجب أن لا يكون كحاطب ليل ، بل ينبغى أن يتخير مما فيها ولا يسمح أن يدخل فى نفسه الا الجيد المنتقى . ويقول : ان الكتب لا تحيى الموتى ، ولا تحول الأحمق عاقلا ، ولا البليد ذكيا ، ولكن الطبيعة اذا كان فيها أدنى قبول فالكتب تشحذ وتفتق وترهف وتشفى . ومن أراد أن يعلم كل شىء فينبغى لأهله أن يداووه ، فمن كان ذكيا حافظا فليقصد الى شيئين أو الى ثلاثة أشياء ، ولا ينزع عن الدرس والمطارحة ولا يدع أن يمر على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ما قدر عليه من سائر الأصناف فيكون عالما بخواص ، ويكون غير غفل من سائر ما يجرى فيه الناس .

فهو يرى أن العالم يجب أن تكون له ثقافة عامة فيأخذ من كل شىء بطرف ، وثقافة خاصة وهى أن يتخصص فى بعض المواضيع ويتعمق فيها ويتبحر .

النظام وعلم الكلام

كثر البحث فى العقائد فى العصر العباسى الأول، وتشعب الكلام فيه ، واتخذ ألوانا جديدة لم تكن أيام النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا فى زمن الصحابة الأولين ، وأخذت هذه البحوث تتركز حتى تكوّن منها علم جديد يساير سائر العلوم التى نشأت فى ذلك العصر وهو علم الكلام .

وخاض المسلمون فى هذا العلم واهتموا فيه لأنه يتعلق بالجدل ومقاومة الملاحدة والمتفلسفين والزنادقة ، وكان المعتزلة من أهم الفرق التى بحثت فى علم الكلام بما أثاروا من مسائل ، وبسطوا من شرح . ووضعوا من أصول .

أصول خمسة تجمع بين المعتزلة

وللمعتزلة مبادىء يكادون يشتركون فيها جميعا ، ومبادىء خاصة ببعض رؤسائهم . فأما المبادىء العامة التى يكاد المؤرخون يجمعون عليها فخمسة أصول .

(١) القول بالتوحيد (٢) القول بالعدل (٣) القول بالوعد والوعيد (٤) القول بالمنزلة بين المنزلتين (٥) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

قال الخياط (أحد زعماء المعتزلة فى القرن الثالث) : « وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة (وهى التى ذكرناها) فاذا كملت فيه هذه الخصال فهو معتزلى » .

وقد كان لهم فضل كبير فى وضع أسس علم الكلام ، وعلم الجدل ، والمناظرة ، كما أنهم كانوا المنفذ الأول الذى دخل منه فلاسفة المسلمين الى الفلسفة اليونانية ، لأن المعتزلة أول من استعان بالفلسفة اليونانية ، واستقوا منها فى تأييد نزعاتهم . فأقوال كثيرة من النظام وأبى الهذيل والجاحظ وغيرهم ، بعضها نقل نقلا من أقوال فلاسفة اليونان ، وبعضها دخله شىء من التعديل .

النظام يردُّ على الدهريين

وقد اهتم النظام بالدفاع عن الاسلام ، والرد على الملحدين ، وخصص جزءا من زمنه فى الرد على الدهريين ، وهم فرقة كانت منتشرة فى زمن

النظام في العراق وغيره ، لا تؤمن بدين ، ولا تقر بالله ، ولا تؤمن الا بالمحسوس، ولا تعتقد أن وراء هذا العالم المادى عالما . فلا معاد ولا ثواب ولا عقاب ، ونسبتهم الى الدهر اخذا من حكاية الله عنهم قولهم : « وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » .

فهم يقولون بقدم العالم وابديته ، وما يحدث فى العالم فانما يحدث بقوانينه الطبيعية . فهم اشبه بما نسميهم اليوم بالماديين او الطبيعيين ، وهؤلاء قدماء وقد تسلسل الرد عليهم من اليونانيين انفسهم الى فلاسفة القرون الوسطى ، ومنهم المعتزلة ، وعلى رأسهم النظام الى العصور الحديثة وفى مقدمتهم جمال الدين الافغانى فى رسالته الرد على الدهريين .

وقد بقيت لنا من ردود النظام على الدهريين بعض فقر حكاها عنه الجاحظ فى كتاب الحيوان ، فحكى عن النظام انه قال : « ان الدهرية قالت فى عالمنا هذا اقاويل ، فمنهم من زعم انه من اربعة أركان ، حر وبرد ويبس وبلة ، وسائر الأشياء نتائج وتركيب وتوليد . وجعلوا هذه الأربعة أجساما . ومنهم من زعم ان هذا العالم من اربعة اركان : ارض وهواء وماء ونار ، وجعلوا الحر والبرد واليبس والبلة اعراضا لهذه الجواهر ، ثم قالوا ان سائر الأراييح والألوان والاصوات ثمار هذه الأربعة على قدر الاخلاط ، والقلة والكثرة والرقة والكثافة الخ .. »

ثم اطال الرد عليهم ، وكان رده من الناحية الطبيعية العقلية ، كما رد على الديصانية(١) قولهم : « ان أصل العالم انما هو من ضياء وظلام ، وان الحر والبرد ، واللون والطعم والصوت والرائحة ، انما هى نتائج لهما على قدر امتزاجهما » . وقد أدى هذا البحث مع هؤلاء وهؤلاء وغيرهم الى اثارة مسائل طبيعية كثيرة . وقد اطال الجاحظ فى شرح مذهب النظام وزاد هو على نظريته ، وداخل بين كلامه وكلامه مما لا يسعه المقام .

وبحث النظام فى مسألة الجزء الذى لا يتجزأ (او الذرة كما نسميه بالعربية اليوم) ، وهى قضية دار حولها الجدل طويلا فى الفلسفة اليونانية ، والف النظام فى ذلك كتابا سماه « الجزء » واقام البراهين على انكاره ، فكان رأيه ان « لا جزء الا وله جزء ، ولا بعض الا وله بعض ، ولا نصف الا وله نصف ، وان الجزء جائز تجزئته ابدا ولا غاية له فى باب التجزؤ » .

وبحث فى أشياء كثيرة طبيعية يطول شرحها ، كبحثه فى الأعراض ورؤيتها ، وفى الانسان هل هو الروح فقط أو الروح والجسم ، وفى الأصوات والخواطر ، وفى النار والنور ، وفى العلل والتولد والطفرة والحركة والسكون الخ ..

كان يخطىء أرسطو، والذريين والطبيعيين

وعلى الجملة فان النظام كان شخصية غريبة حقا ، يشعر هو بقوة شخصيته وقوة عقليته فلا يريد أن يقف أمامها شىء ، فقد كان جبارا فى عقله وتفكيره وقوله لا يرضى عن الفقهاء فى كثير من اقوالهم ، حتى ولا يرضى عن المعتزلة فى مجموعهم ، ويهجم على اكبر الفلاسفة فلا يعترف لهم بسلطان ، فيخطىء أرسطو ، ويخطىء الذريين ويخطىء الطبيعيين . وهكذا كان عقله فوق عواطفه ورأيه وفكره فوق رأى الفقهاء ، يريد ان يخضع كل شىء للمنطق ، وفاته أن الدنيا منطق وفن ، والانسان عقل وشعور ، والحياة رأى وعاطفة .

وقد كان المعتزلة بعده عيالا عليه ، قال الجاحظ : « لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الأمم ، ولولا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جميع النحل ، فان لم اقل ولولا أصحاب ابراهيم وابراهيم النظام لهلكت العوام من المعتزلة ، فانى اقول انه قد انهج لهم سبلا ، وفتق لهم امورا ، واختصر أبوابا ظهرت فيها المنفعة ، وشملتهم بها النعمة » .

رأى الجاحظ فى النظام

لا يمكن لرجل عنده هذه الحرية فى التفكير ، والقوة فى الجدل والمنطق والرد على كثير من معاصريه أن يسلم من أقوال الناس ، فقد كان الجاحظ معجبا به غاية الاعجاب ، يكبره ويحترمه ويمدحه ويجله ، فهو من تلاميذه وأصحابه واهل معتقده ، ولولا الجاحظ لضاع كثير من علم النظام وأقواله ، ومع هذا فاننا نرى الجاحظ لا يتمالك بعد أن حكى عنه بعض تصريحاته الجريئة

---

(١) نسبة الى الفيلسوف السريانى بارديصانس Bardesanes ، وهو مؤلف مذهبا لا ادريا Agnostic وعاش ما بين القرن الثانى والثالث الميلادى

فى نقد بعض الأحاديث ان يقول : « لا رحم الله النظام ولا من يقول بقوله » .

رأى ابن قتيبة فى النظام

والمحدثون يكرهونه كرها عميقا ، لانه يهاجمهم، وهم يصورونه فاسقا سكيرا ، فيقول ابن قتيبة : « وجدنا النظام شاطرا من الشطار ، يغدو على سكر ، ويروح على سكر ، ويبيت على جرائرها، ويدخل فى الأدناس ويرتكب الفواحش والشائنات، وهو القائل :

ما زلت آخذ روح الزق فى لطف
واستبيح دما من غير مجروح
حتى انثنيت ولى روحان فى جسدى
والزق منطرح جسما بلا روح »

وهذان البيتان لأبى نواس وليسا للنظام وهما موجودان فى ديوان أبى نواس، وهذا دليل التحامل عليه ، أن ينسب اليه ما ليس له .

أبو نواس يهجو النظام

وصاحب الأغانى يصوره محبا لجمال الغلمان ، وأبو نواس يهجوه بقوله :

قولا لابراهيم هيشرا
فليتنى زندقة وكفرا
ان قلت : ما تشرب ، قال : خمرا
أو قلت : ما تترك ؟ قال : برا
أو قلت : ما ترهب ؟ قال : بحرا
أو قلت ما تقول ؟ قال : شرا
أسلاه ربى لهبا وجمرا

وأبو نواس لا يعتمد بهجوه فليس فى هجائه مقياس الصدق،فقد هجا كثيرين ، وهذه الصفات التى عددها من أبرز صفاته هو . وكذلك قال فيه السمعانى فى كتاب الأنساب .

رأى الشهرستانى فى النظام

وقال عنه الشهرستانى ، أى عن النظام » ، فى الملل والنحل، انه قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة ، وانفرد عن أصحابه بمسائل ، وأكثر ميله أبدا الى تقرير مذاهب الطبيعيين منهم ، أى الفلاسفة ، دون الالهيين ، وأورد آراءه التى انفرد بها ورد عليها باسهاب .

رأى ابن نباتة فى النظام

وقال ابن نباتة فى شرح رسالة ابن زيدون الهزلية : شيخ من كبار شيوخ المعتزلة وائمتهم ، متقدم فى العلوم ، شديد الغوص على المعانى ، وانما اداه الى المذاهب التى استبشعت منه تدقيقه وتغلغله ، فانه كان قد اطلع على كثير من كتب الفلاسفة ومال فى كلامه الى الطبيعيين منهم ، والالهيين ، فاستنبط من كلامهم رسائل ومسائل وخلطها بكلام المعتزلة وانفرد بها عنهم الخ » . وقال فى مكان آخر : لم يخل من سقطات عدت عليه لكثرة اصابته .

رأى المعتزلة فى النظام

اما المعتزلة فانهم ينكرون هذا كله ويجعلونه من وضع المحدثين والمجان ، ويحمدون للنظام دينه ، ومواقفه فى الدفاع عن الاسلام ، فقد رد على الدهريين والملحدين،وقضى حياته هو وامثاله فى حياطة التوحيد ونصرته .

النظام فى سكرة الموت

قال الخياط فى الانتصار : « ولقد اخبرنى عدة من أصحابنا ان ابراهيم النظام رحمه الله قال وهو يجود بنفسه : اللهم ان كنت تعلم انى لم اقصر فى نصرة توحيدك ، ولم أعتقد مذهبا من المذاهب اللطيفة الا لأشد به التوحيد ، فما كان منها يخالف التوحيد فانا منه برىء ، اللهم فان كنت تعلم انى كما وصفت ، فاغفر لى ذنوبى وسهل على سكرة الموت .

وقيل له وهو فى مرضه ، وفى يده قدح مملوء من بعض الأدوية ، ما حالك ؟

فقال :

أصبحت فى دار بليات
أدفع آفات بآفات

ومهما قيل فيه فان له مكانته الخطيرة فى تاريخ الفكر الاسلامى لما قدم من خدمات فى الذود عن الاسلام ومحاربة أصحاب الأهواء والنزعات من الملاحدة .

توفى فى بغداد سنة احدى وعشرين ومائتين للهجرة وله من العمر ست وثلاثون سنة . رحمه الله .

■■

ابراهيم قطان

نتيجة مسابقة العدد "٦٣"

هؤلاء هم الشعراء الخمسة

وهذه أسماء الفائزين بالجوائز

■ اخطأ معظم الذين اشتركوا فى هذه المسابقة فى اسم اكثر من شاعر من الشعراء الخمسة الذين تدور حولهم ، وهم احمد شوقى ومسرحية مجنون ليلى ، وخير الدين الزركلى ، وفدوى طوقان ، ونزار قبانى ، والياس فرحات . فمنهم من قال ان الشاعر الذى عنيناه بالسؤال رقم ٢ هو عمر ابو ريشة . ومنهم من قال ان الشاعر المعنى بالسؤال الخامس هو « الشاعر القروى » ..

وقد اجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة فكانت نتيجتها كما يلى :

الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها **المهندس الزراعى عاطف محمد شريف** ـ شارع عظيم الدولة ـ بنى سويف : ج.ع.م.

الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فازت بها **الآنسة فريال نافع احمد** بمدرسة البنات الثانوية بالزرقاء : الاردن .

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها **عبد الواحد محمد** ـ محلة باب المسجد رقم الدار ٣٦٣/٨ الموصل : العراق .

٨ جوائز مالية قيمتها اربعون دينارا ، كل منها خمسة دنانير ، فاز بها كل من السادة :

١ ـ **الملازم محمد احمد العيسى** : الضابط بمخفر كيفان ـ الكويت .

٢ ـ **حسن عبد الله القرشى** : المكتب الخاص ـ وزارة المالية والاقتصاد الوطنى ـ الرياض ـ السعودية .

٤ ـ **الطالب الفلسطينى عاكف حرب محمودحسين** : كلية الهندسة بكراتشى ـ باكستان .

٣ ـ **السيدة سميرة حقى** : برن ـ سويسرا .

٥ ـ **السيدة نرمين جميل** : بناية آقبيق الطابق الثانى مسطبة الجادة الخامسة ـ مهاجرين ـ دمشق ـ سوريا .

٦ ـ **محمود عبد الله نجم** : كلية الآداب والتربية ـ بنغازى ـ المملكة الليبية .

٧ ـ **الآنسة آسيا البدوى سعدان احمد** بواسطة محمد محمد المهدى ـ قسم وقاية النباتات ص.ب ١٤ ـ الخرطوم بحرى ـ السودان .

٨ ـ **خليل يوسف حداد** ـ كفر حونة ـ لبنان الجنوبى .

وسترسل الجوائز الى مستحقيها . ■■

• القط يطلب الرزق فردا .. سبيله فيه المخلب والناب
• إن جاءه سهلا فبها .. وإلا عمد فيه إلى انتهاب واغتصاب
• القط به إباء، وبه فضول .. وبه فهم وذكاء، وبه صبر يطول

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ قلت سأكتب فى القط .

قال صاحبى : وهل فى القط بقية من علم لا يعرفها الناس ، وهو أقرب الحيوانات اليهم ، وألصقها بهم صباح مساء ؟

قلت : كم مخلبا للقط ؟

فأجاب وأخطأ

قلت : وكم سنا للقط ؟

فأجاب وأخطأ

قلت : فكم تلد القطة ؟

فأجاب وأخطأ

قلت : هل يأكل الخضر ؟

فأجاب وأخطأ

قلت : فكم سنة يعيش القط ؟

فأجاب وأخطأ

قلت : أيهما أقدم ، القط أم الانسان ؟

فأجاب وأخطأ

قلت : هل يحزن القط ويفرح وهل يبكى ويضحك ؟

وهنا فغر فاه ، وضحك ، وحسب السؤال مزاحا ؟

بعد هذا رأيت أن القط موضوع جدير بالكتابة .

وابدأ أكتب فى القط فلا أدرى من أى باب أدخل ، فالأبواب كثيرة ومتفرقة ، ومآرب الناس فى القط مختلفة .

القط اسم مشترك بين الأمم

فاللغوى يبدأ همه فى القط باسمه . القط ؟ من أين جاء ؟ وفى أى لغة ؟ وهو يبحث فيدرك وشيكا أنه اسم وجد من



القط ، وهو من الفصيلة السنورية . وهذه صورة للقط المستانس العادى المنزلى ، قصير الشعر . فروته مخططة ومرقطة . وتكون بيضاء وسوداء ورمادية وبرتقالية واخلاطا من هذه .



الفهد ، وهو من الفصيلة السنورية . ويكون أسود اللون . قارن بينه وبين القط : النظرة الفاحصة . الوجه المستدير . الاذن القصيرة . الأنف . الفم . الشوارب . الفرو المرقط .

قديم فى أكثر من لغة . فهو فى العربية قط . وظهر فى الرومانية القديمة كاتس Catus ، وهو فى الايطالية اليوم كاتو Gatto ، وهو فى الألمانية كتسه Catze وفى الانجليزية كات Cat ، وفى الفرنسية Chat وفى النوبية سُمّى القط منذ بضعة آلاف من السنين قادس .

ولهذا الشبه المتواتر بين هذه الأسماء للقط معنى عند المؤرخين . فهم لهذا ولغير هـذا ، يرون أن القـط كان بريا مستوحشا فى بلاد النوبة،ثم استأنسوه. واستأنسه المصريون القدماء منذ أكثر من ٥٠٠٠ عام قبل الميلاد وقدّسوه . ومنه انتقل القط الى اوروبا والى الشرق القريب ، وانتقل معه اسمه .

ويذكر المصريين وتقديسهم للقط نذكر أن القطط حظها من الانسان ، فى شتى العصور ، لم يكن حظا سواء . المصريون القدماء قدسوها،واهل اوروبا فى العصور المتوسطة حرقوها ، لا سيما السوداء منها ، بحسبان ان الساحرات كانت تتقمّص اجسادها .

والنبى قال : دخلت امراة النار فى قطة حبستها ، فلا هى اطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض .

ومن بين رجال اليوم من يلوى عنق القطة ، اذ يضبطها وهى تسرق . وهى انما تسرق لما عزها طلب الرزق الحلال.

ومن الأمم اليوم من اتخذ القطط نزلاء فى بيوتهم ، فهى بعض الأسرة ، لها راتب من غذاء . وصنعت المصانع للقطط الطعام ، واعلن اصحابها عنه فى صحفهم

وتلفازاتهم، كما صنعوه للانسان . فضلٌ من العيش ربما عزّ على من ليس عندهم من الرزق أفضال .

مكان القطط فى مراتب الحيوان

وعالم الحيوان من بعض همه بالقطط الصلة القائمة بين صنوفها ، فالحيوانات عنده ، كالسلم الموسيقى ، لكل نغمة فيه موضع ، ومن انغامه يتخلق الفن الذى تطرب له العقول وتهتز باشد ما تهتز به الأسماع .

وعالم الحيوان اذ يبلغ فى تصنيفه الحيوانات الى رتبة آكلات اللحوم ، يدخل فيها القطط والكلاب والضباع والدببة وعجول البحر .

ثم هو يعود الى تقسيم هذه مرة اخرى فيبلغ بها الى فصيلة القطط Family Felidae

وتحسب أن هذه الرتبة مقصورة على قطط منازلنا ، وهنا انت تخطىء خطأ كبيرا . فالأسد فى العلم قطة Felis leo والنمر قطة Felis tigris والفهد قطة، والقطة البرية قطة بالطبع ، وكذا المستأنسة *

ولستَ فى حاجة الى علم الحيوان ليقول لك ان هذه الحيوانات تجمعها فصيلة واحدة ، هى فصيلة القطط . يكفيك أن تنظر محدّقا فى وجه نمر ، ثم فى وجه قط البيت ، لتدرك ما بينهما من شبه قريب : شبه تجده فى النظرة الثاقبة ، فى الوجه المستدير ، فى الشوارب الطويلة والآذان القصيرة . وتترك الوجه تدور بعينيك فى سائر الجسم فلا يضعف الشبه ابدا : الجلد الملون ، المخطط والمرقط . القدم والمخلب . الذيل . القعدة والرقدة .

القط البريّ



ويتأكد الشبه بالدخول فى التفاصيل ووصف الطباع . وسوف أصف القط فيما يلى ، فعليك ان تذكر ، بالذى اصف به القط ، الأسد والنمر والفهد واشباهها .

ان تسمية هذه الفصيلة بفصيلة القطط ، وتسمية افرادها كالأسد والنمر والقط ، بالقط ، يؤدى الى خلط عظيم .

وقد هرب علماء الافرنج من هذا الخلط باتخاذ الاسم اللاتينى فيلس Felis ، ومعناه باللاتينية القط، اسما علميا لأفراد هذه الفصيلة. فالفيلس الأسد هو الاسد ، والفيلس النمر هو النمر ، والفيلس القط هو القط .

ونحن جديرون بأن نتخذ اسم السنّور (وهو القط لغة) اسما لأفراد هذه الفصيلة ، مقابل لفظة فيلس اللاتينية ، دفعا للبس ، فنقول الفصيلة السنّورية .

وكذلك فعل الأمير مصطفى الشهابى ، واذن نسمى الأسد علميا السنور الأسد ، والنمر السنور النمر ، وهلم جرا .

مكان القط فى أطواء الزمان

ومن همّ العالم الجيولوجى ، عالم الأرض ، عالم طبقاتها ، أن يكشف فى أى الطبقات ، من حديثها والقديم، توجد حفائر من بقايا الحيوانات. واذ قد علم تاريخ هذه الطبقات استطاع تعيين الزمن الذى عاشت فيه هذه الحيوانات على الأرض او فى البحر. وقد كشف العلماء فى العصر الجيولوجى الايوسينى Eocene period منذ ٤٠ مليون عام ، عن صنف من حيوان خالوه ابا للفصيلة السنورية من قط وأسد ونمر .

ولكن، بدراسة العصر الجيولوجى الأوليجوسينى Oligocene Period كشفوا عن آباء صريحة للقطط ، والدببة ، والكلاب . وهذا العصر يمتد فى القدم ما بين ٢٦ الى ٣٤ مليون عام مضت.

وجاء بعد ذلك العهد الحديث الذى يمتد فى القدم مليون عام . وفيه ظهر الانسان .

* حدث اختلاف على اسم النمر بين العربية وعامة الناس . فالذى يسميه الافرنج Tiger تسميه العربية البَبْر ، وتسميه العامية النمر . وهو الحيوان المخطط . وقد استخدمنا فى هذا المقال الاسم الشائع بين الناس .

ومن هذا يتضح حداثة الانسان وقدم القط وحيوانات الفصيلة السنورية عامة .

فهذا ما يقول به العلماء .

القط من اطرى الحيوانات اجساما ، واقواها

ان اول ما تتميز به الحيوانات عند النظر اجسامها .

وجسم القط صغير حقا ، ولكنه من اطرى الاجسام واكثرها مرونة ، وهو مع هذا من اقواها، مقارنة حجم بحجم .

وهو يمتاز بقوة عضله ، وبالقدرة على التحكم فيه ، وبسرعة هذا التحكم . فالقط يقفز القفزة التى لو قفز الانسان مثلها ، لرفعته فوق اسطح المنازل ، ولو لطابق واحد .

والقط انت ترفعه عن الأرض ، ولو قريبا منها، ثم تتركه يسقط وبطنه فوق ظهره فيستطيع أن يعدل من وضعه فى لحظة ، ويسقط دائما على اقدامه الأربع .

وانت تطارده فى المنزل ، فى الحجرة المزدحمة بالأثاث ، فيجرى بسرعة البرق ، ولا يمس شيئا من طرفها فيسقط ويتحطم .

وتسال عن سبب ذلك ، فتعلم أن بجسم القط ما يزيد على ٥٠٠ عضلة يتحكم القط فيها ، واكثر من ٢٣٠ عظمة ، وأن فقرات ظهره تبلغ نحو الخمسين !

والجلد ؟ جلد القط كالثوب الفضفاض . فالجسم يتحرك داخله فى حركات عنيفة واسعة ، ثم هو لا يتاذى .

وجلد القط مكسو بالشعر ، طويلا أو قصيرا، وفقا لصنف القط . فالقط المصرى والسودانى ذو شعر قصير . والقط الفارسى ذو شعر طويل.

أسنان القط

وفكا القط مزودان باسنان شديدة ، ٢٤ فى الصغر،و ٣٠ فى الكبر.وانياب القطط كالخناجر ، يدقها فى فريسته دقا .

وعلى الجانبين من فكيه اسنان عظام لتمزيق اللحم وكل ما خشن واستعصى من الطعام .

وفك القط مستدير من امام . وغير ذلك فك الكلب والذئب .



هذه القطة كان لها أولاد خمسة ، ففقدت أربعة منها ، فتبنت هذين الارنبين الطفلين ترضعهما

اصابع القط والمخالب

والقط بالطبع يسير على أربع .

واني سائلك : هل سمعت قطا ابدا يدخل الحجرة ، او يخرج منها ، أو يسير اليك منها ؟ انك لا تسمعه لأنه يسير وكأنما لبست أقدامه وسائد من قطن .

ان للقط ١٨ مخلبا ، يحملها ١٨ اصبعا . خمسة مخالب فى كل قدم من أمام ، واربعة مخالب فى كل قدم من خلف .

والقط يسير على أصابعه ، وهو يطوى فيها مخالبه طيا . وتضعه على حجرك فلا تحس لأقدامه الا مس الحرير .

ولكل قدم من أمام ، ومخالبها مطوية ، عمل اليد . فالقط يستطيع بها أن يمسك الأشياء ، ويقربها من فمه . وبها ينظف وجهه وأذنيه .وبها يضرب فريسته ضربة شديدة اذا شاء كما يلكم الانسان الانسان بيده . وهو قد يلعب بالكرة وقدمه الضاربة لها . والمخالب فى كل هذا فى غيبة . فاذا جد الجد واحتاج الى مخالبه ، سلتها كما يسل الانسان سيفه من غمده .

القط لا يرى فى الظلام اذا اكتمل

وتسمع ان القط يرى فى الظلام .

والحقيقة انه ليس فى الدنيا عين ترى فى ظلام كامل . ان العين خلقت للنور فلا بد من نور مهما قل .

وانسان عين القط ينفتح على اوسعه فى الليل والنور قليل ، حتى ليملأ العين . ولا تنس ان الليل ذو نور دائما ، وان للنجوم نورا .

والانسان عن القط يضيق أكثر ما يضيق فى النهار والنور شديد ساطع ، حتى ليصبح كالشق ضاق واستطال .

وهو بين هذا الضيق وتلك السعة ، يعدل من وضع انسان عينه بحيث يأذن بالكفاية من ضوء تدخل العين .

وعين القط تختلف ألوانا . والعجيب انه كثيرا ما يحدث أن يختلف لون عين عن لون أختها .

اذن القط تسمع ما لا يسمع انسان

وللقط أذن هى أرهف ما تكون سمعا ، وهى تسمع ما لا يسمع الانسان درجات، فوقه كثيرة .

والقط يمهر فى استبانة الصوت من أى جهة يجىء . وهو بالعادة يتعرّف على صاحب الصوت من أهل البيت . ويتعرف على صوت السيارة . ويفرق بين صوتها وصوت سيارة الجار ، فلا يسرع الا اليها .

وأصوات تخرج من المطبخ ، يسمعها القط ولو ضعيفة ، ومن بعيد ، وقبل أن تدركها أو دون أن تدركها ، اذن الانسان .

ولسان القط مقشط وملعقة فى آن

وللقط لسان به نتوءات حادة، معقوفة ، تتجه بمعقفها نحو الحلق . وبهذا اللسان ينظف القط فروه . وبه يلعق الماء واللبن ، وقد غابت الملعقة، وبه ينزع اللحم قشطا من على العظام .

وبذكر اللسان نذكر أن القط من أنظف الحيوانات . فهو يلعق فمه بعد طعام ، وهو يقضى الوقت الطويل فى نظافة رأسه وجسمه وسائر فروه .

شوارب القط

وللقط شوارب طويلة ، عند جذورها أعصاب حساسة . وبها يهتدى فى الظلام .

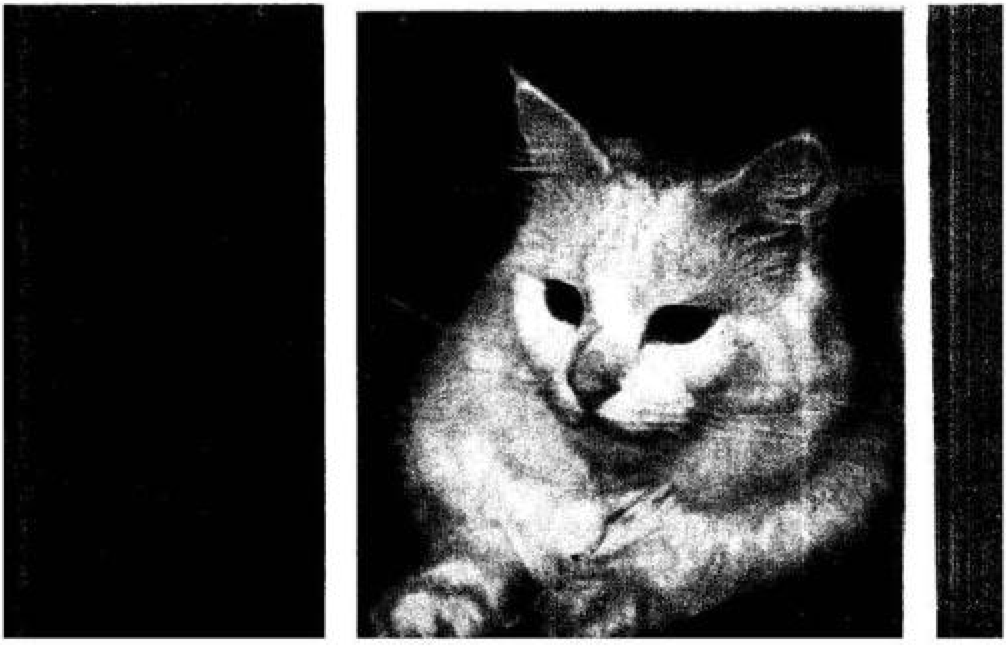
القط يأكل اللحم والخضراوات

والقط من آكلات اللحوم ، واللحم والسمك طعامه الأول . ولكنه يأكل الحشيش والخضراوات . ومن القطط ، ما يحب عصير الفاكهة وحتى الفاكهة نفسها من مثل العجور والشمام .

والقط يحب اللبن طبعا ، وما يخرج من اللبن .

والقط لا يأكل الا وجبتين فى اليوم . وهو فى حاجة الى الأملاح المعدنية فاذا خلا الطعام منها ، عمدت القطة الى أكل صغارها ، كما تفعل الكلاب تماما وتفعل الخنازير .

ومعدة القط أوسع نسبيا من معدة غيره من الحيوانات ، وهى تتسع لعدة قطع من اللحم تبلع





قطة شارترو ، وهى فرنسية ، منسوبة الى دير شارترو وهو الدير الواقع فى أحضـــان الجبال المسماة بهذا الاسم . فهناك نشأ هذا النسل مــن القطط وتربى . ويتميز بحلاوة طبعه . ومع هذا فهو صياد للفئران عظيم .

كما هى ، فالقط لا يمضغ . والقط يستطيع الصوم أسبوعا دون ضرر كبير .

القط له عمر واحد ، لا سبعة أعمار

والقط يعيش فى المتوسط ١٤ عاما ، ولكن من القطط ما يعيش ١٨ و ١٩ و ٢٠ ، وفوق ذلك سنين .

وحديث الناس يجرى بأن للقطط سبعة أعمار، ولعل ذلك لسرعتها وخفتها وبهما تتجنب المخاطر . ولكن من القطط ما يموت أشنع موتة وهو فى عمر الأزهار .

القطط من أكثر الحيوانات اخصابا

والقط الذكر يبلغ فيما بين الشهر التاسع والعاشر من ولادته

والقطة الانثى تبلغ فيما بين الشهر الخامس والثامن .

والقطة تحتر ، فتستعد لانتاج الولد ما بين ٣ أيام الى ١٥ يوما مرتين أو ثلاث مرات فى العام. وهى تلد فى المرة الواحدة ٤ أطفال فى المتوسط ، وأعنى بذلك قطة البيت العادية التى ألفناها نحن العرب وألفها الافرنج .

ومعنى هذا أن القطط ، اذا لم تجمَح ، ملأت الدنيا قططا . وفى الأمم التى ترعى صــوالح الانسان والحيوان معا ، بدأت حركة لا ترضى عن كثرة انتاج القطط ثم تشردها الذى ينتج عن ذلك، فأخذت تطالب بتعقيم بعض الذكور والاناث على السواء . وهذا ميسور عندهم ، لأن لكل قط عندهم بيتا .

حمل القطط وولادتها

ومدة الحمل عند قطة البيت تبلغ عادة ٥٥ يوما.

ومن الولائد التوائم ، توائم متطابقــة وغير متطابقة . أما المتطابقة ، وهى التى تخرج من بيضة واحدة تلقحت ، فتولد متساوية فى الجنس من ذكر وانثى ، وفى الوزن ولون الشعر والعين وفى الطباع . انها قوانين الخلق تعمل واحدة فى حيوان أو انسان .

والقط الوليد ينزل أعمى ، أصم ، ولكنـه

يحس بالمس ، ثم يسترد ما أعوزه تباعا فى أيام .

والقطة الأم تحفظ أبناءها حيث الضوء قليل ، وحيث الهدوء. واذا عبث بهم عابث فوق مايجب، حملتهم بأسنانها من جلد أعناقها حملا ، واحدا من بعد واحد ، الى حيث ترجو لهم الراحة والأمان .

أمومة القطط عارمة

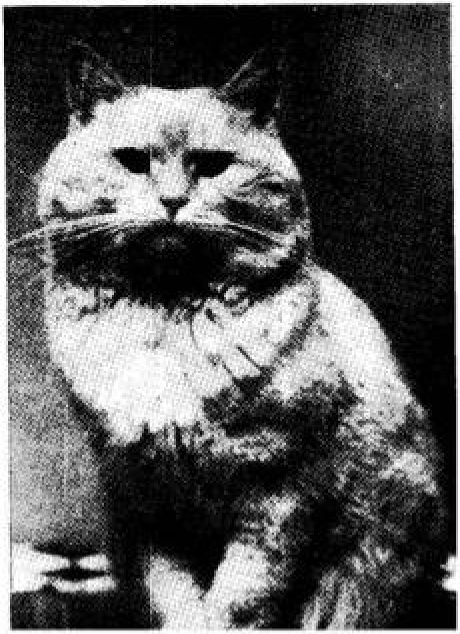
وللقطة أمومة عارمة ، فهى تدفع عن أولادها وتستقتل . وقد تفقد القطة أولادها فترضع الصغار التى فقدت أمهاتها ، من كلب أو أرنب أو سنجاب أو نحو ذلك .

عندما يلتقى قط بقط

ان القط يعيش فردا ، واحدا وحيدا ، يجاهد فى الحياة ، اذا لم يكن له بيت يؤويه ، أو اذا كان مستوحشا ، اعتمادا على نفسه . انه ليس له اب يعين أو ام أو اخ او اخت . انه يطلب الزاد اغتصابا حيثما وجده .

ومن أجل هذا يجعل القط ، من حيث ما يدور فيه من الأرض ، منطقة خاصة بنفسه، هو سيدها دون سائر القطط . فاذا استأنس قلت فيه

قط تركى « مامى » . انظر ضخامة فكيه ، واقعاته اقعادة الهادىء الساكن الواثق من نفسه.



معانى السيادة هذه . وقد يحتمل أن يمر غيره به فى أرضه فيُغضى . ولكن ، اذا التقى القط الذكر بقط ذكر مثله ، فاغلب الظن ان يقوم بينهما القتال . ويزداد هذا اذا كان بالقرب منهما انثى .

يلتقيان : فتجرى بينهما نظرتان فاحصتان قد تستمر دقائق . ثم يزيد غضبهما ويزيد صراخهما . ثم اذا باحدهما يلقى على وجه الآخر بلطمة قوية من يده ، فاذا بالملطوم يلوذ بالفرار. ان القط يقر بالهزيمة

ولكم رأيت قطا يتخاذل امام قط ، ثم يتراجع حتى لم يبق له مكان يتراجع فيه . ثم يكتفى المهاجم بسطوته هذه ويقصر من غلوائه . ويتخذ المغلوب فرصة ذلك فيخرج من ركنه ويفر ، لاسيما ان كان اصغر سنا او أضعف جسما . ولكنى كذلك كثيرا ما رايت النحيل يتحدى الضخم ، فعرفت ان الشخصية توجد فى القطط قوية كما توجد فى الرجال .

والعجيب أن القط لا ياتى القط فى حرب من ورائه . انه ياتيه وجها لوجه . ويعطيه الزمن ليستعد .

وما رأيت قطا نازع قطا ، فابى الآخر النزاع ، ورفد غير حافل ، حتى حَسَم ذلك نزاعا جاز أن يقوم بينهما .

عندما يلتقى قط بفار

وغير ذلك عندما يلتقى قط بفار

ان القط يتلصص نحو فريسته ، يأتيها من وراء ، على أقدام لا يُسمَع خطوها أبدا . ثم هو يقفز على ظهرها ، وينال أول ما ينال باسنانه أعناقها ، فينال بذلك مقاتلها .

وكالقط فى ذلك الأسد والنمر وسائر الفصيلة .

وأفراد هذه الفصيلة لا يجتمع اثنان منها أو ثلاثة أو عشرة فى مطاردة فريسة كما تفعل الكلاب والذئاب .

ان القط والأسد والنمر تصيد صيدها فرادى. واحد لفريسة واحدة ، يتلصص لها حتى يقفز عليها .

عندما يلتقى قط بكلب

واذا التقى قط بكلب ، فتحداه القط ، فكثيرا ما يتوقف الكلب ليتبصر فى عواقب الأمور .لاسيما



قط فارسي ابيض : كالعروس جمالا واختيالا



قط فارسي اسود : شعر طويل له مس الحرير

بالليل . فالقط في الليل ابصر من الكلب .

وقد يهرب القط ويتسلق الشجر، ولا يستطيع الكلب تسلقا .

فاذا تحرجت الامور ، ولم يكن للقط مهرب ، نام على ظهره ، واخذ يدفع بمخالبه .

ومن غريب امر القطط انها اذا غضبت هزت ذيلها .

ومن غريب أمر الكلاب انها اذا رضيت هـزت ذيلها .

ويعزو بعض الباحثين كثيرا من الشجار الذى يكون بين القط والكلب الى انهانما يقعبسبب سوء التفاهم هذا . يهز الكلب ذيله فيحسب القط انه فى اهتياج .

على ان الكلب والقط يعيشان على الصـفاء فى البيت الواحد .

كان لنا كلب وقطة منذ عشر من السنين وعشر . وركبنا السيارة وركب الكلب . واذا به يرى قطتنا يأتيها فى الشارع كلب غريب من ورائها . فاذا به يقذف بنفسه من السيارة أمتارا طوالا ، ويقع على الكلب . وهربت القطة .

وامن الكلب قطتنا ولم تامن له قط . وكانت تمر به ، فيشيح بوجهه الناحية الأخرى توكيدا لها بالامان . ان للحيوانات عقولا بها شبَه من عقول الرجال .

الفة القط للمكان والانسان

والقط ، حتى قط البيت ، يالف ارضه . انها أرض الناحية . يدور فيها كل يوم ، وفى اوقات لا تكاد تختلف .

وهو يتعرف عليها بانفه .

وهو يدرك المدى الذى يصل اليه فلا يتعداه خشية أن لا يقدر على العودة . ويقال انه بحاسة الشم يهتدي ويعود .

هنا فى الكويت

وعرفت هذا من قط كان يصحبنى كلما خرجت امشى . ولكنه كان يتوقف على بعد ٢٠٠ متر من البيت . مع ان المنزل بعيد عن المدينة ، والاهتداء فى الناحية أيسر .

والقط يالف اهل المنزل. فاذا فارق الأهلمنزلا، واضطر القط لاختيار ، بقى فى المنزل .

وقع لنا هذا ونحن نترك بلدا اجنبيا اوروبيا عشنا فيه سنين . وأدرك القط أن الرحيـل وشيك،فاخذ يموء فى هلع . ولما تحملنا «طلباته»

فابى أن يغادر البيت . ولكنه جرى وراء السيارة يصيح ، لم تخلف .

البيت عنده والناحية أولى . والناسُ يتعوّضُ عنهم بناس . واوصينا به من خلّفنا فى المنزل خيرا .

للقط شخصية ، وللقط ذكاء

يا للانسان ، ما اشد كبرياءه !

اذا ذُكرت الشخصية ، فَهِمَ انه هو المقصود بها . او ذكرنا الذكاء فهم أننا اياه نعنى .

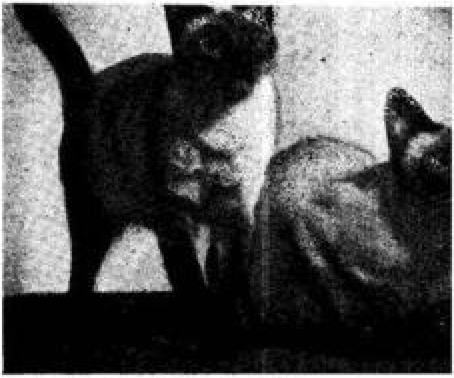
وينسى أن الحيوانات انما خلقت على مثال الانسان ، ولو اختلفت درجات .

ان من الحيوانات ما يفرح ، وان من الحيوانات ما يحزن ، وان من الحيوانات ما يفهم ويسمع ويعى ويعمل ، ولو لم يستطع نطقا .

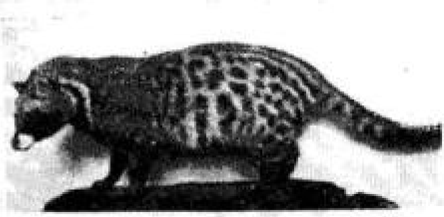
والقط خرج عنه كتاب منذ سنوات قليلةلباحث المانى ، هو بول لاى هوسن Paul Leyhausen شرح فيه نفسية القط شرحا وافيا .ولم يبق الكتاب فى السوق طويلا حتى اختفى .

ذكاء القط

اما ذكاء القط ووعيه فمشهودان مألوفان . فمن ذلك انه يدرك من يألفه من بنى الناس

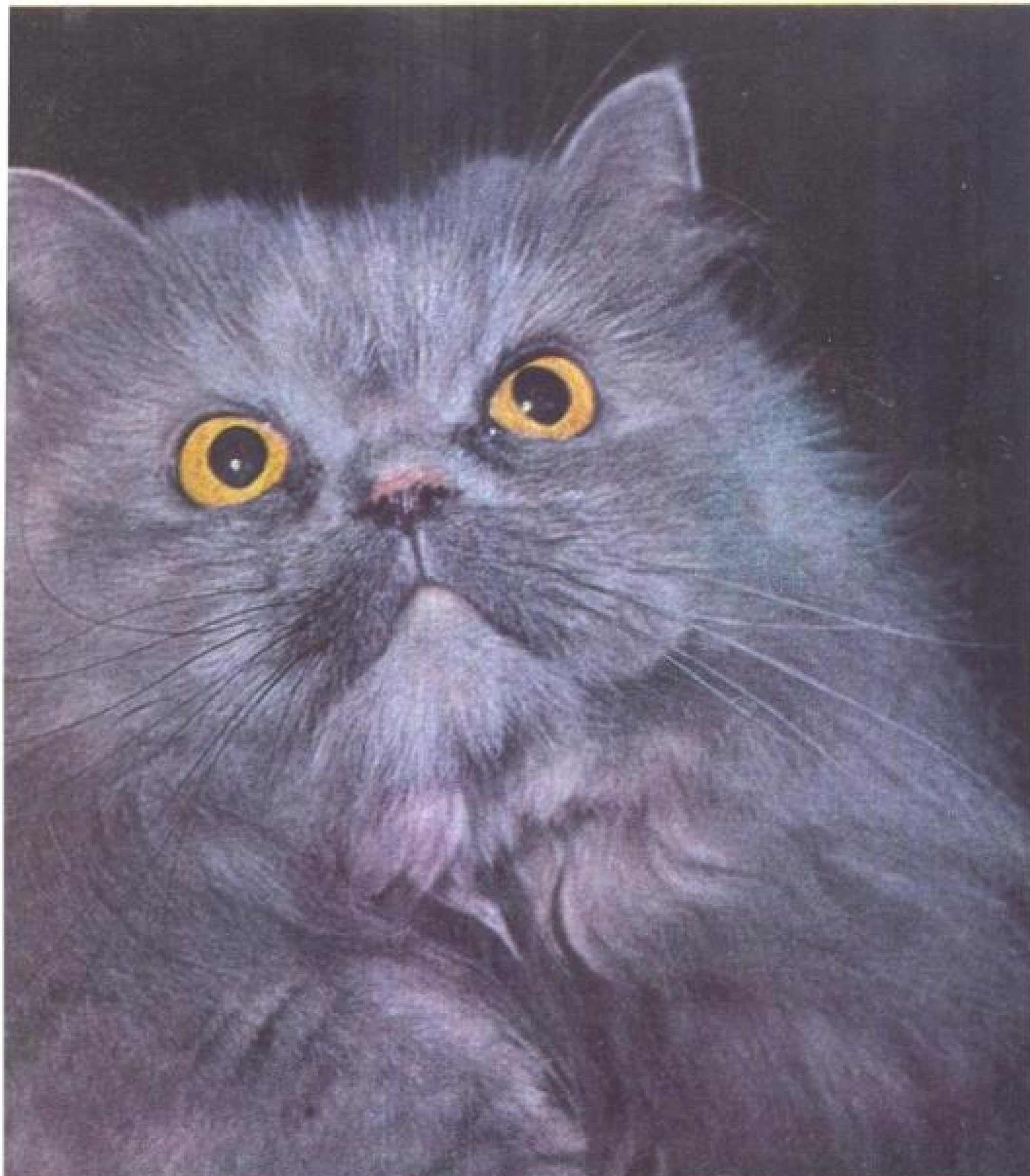


زوج من قطط سيام . تولد بيضاء ، ثم يتلون فروها بلون البن أو الشكلاطة . وهى ذكية ويمكن تدريبها للقيام بحيل كثيرة . وقد يخرج بهـا صاحبها يقودها بمقود كما يقود الكلب .

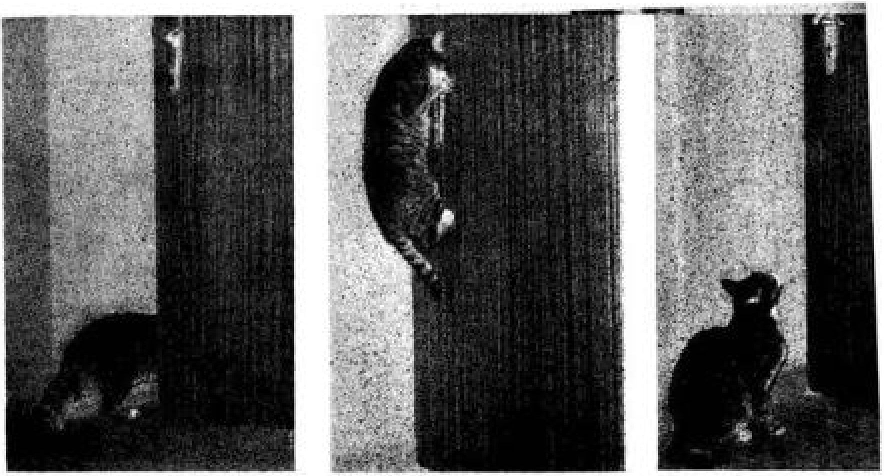


▲ قط الزباد، وتخرج من بطنه عند استه غدّة تفرز مادة عطرة تعرف بالزباد، وهو ليس بقط فى العلم ، ولا يدخل حتى الفصيلة السنورية التى منها القط والفهد والنمر . انه من فصيلة اخرى من رتبة اكلات اللحوم تعرف بالفصيلة الزبادية . وقط الزباد امـا افريقى واما أسيوى . وطوله بذيله يبلغ نحو متر وربع متر وذيله وحده نحوه ٤٥سنتيمترا، وعلى طول جسمه فهو قصير الأطراف . وهذه صورة لقط الزباد أو سنور الزبادالافريقى





قط فارسي ، طويل الشعر ، أزرقه ، ومنه الأبيض ، ومنه الأسود ، وغير ذلك . وقد كان قط انقرة يسبق القط الفارسي في المعارض ، والآن تبدل الحال ، وصار القط الفارسي هو السابق والمتميز ، وذلك بسبب عناية المربين له والناسلين .



ذكاء القط : بدون تعليق

فيقترب ، ويدرك من لا يألفه فيبتعد . وتحدثه فيدرك أن كنت راضيا ، وتحدثه فيدرك أن كنت غاضبا .

وقطة انست" الىّ زمانا . وذات مرة راق لها أن تأخذ يدى بين اسنانها وتضغط . واقول لها اياك . فتخف ضغطا . ثم تعود ، فاصيح بها محذرا فتكف . انها تفهم .

وهى تأتيك وقت الطعام فى ساعة لا تختلف ، فكانما هى تحمل ساعة على معصمها . ويكون الطعام الذى نعطيها اياه ساخنا ، فلا تتركه . انها تصبر . انها تعلم أن الساخن يبرد ، وأن الزمن عامل فى ذلك . وتظل تحسه حتى يصبح مستطاعا.

وتمنعها من الشىء أن تأتيه قدما ، فتحتال له ، وتأتيه دورانا .

والقطة تذكر ، والذاكرة بعض الذكاء . وقد ذكروا قطة غابت عن أصحابها ست سنوات. فلما عادت اليهم ، عرفت المسكن القديم ، وعرفت أهله ، ودارت تتمسح بهم وتصيح . وذهبت بعد ذلك الى ركنها المختار الذى كانت تعودت أن تركن اليه عند كل هدوء .

شخصية القط

وللقط شخصية لا تخفى على احد .

انه يطيع ، ولكن الى حد . ويحتفظ باستقلاله الى مدى بعيد . ويأبى ان يدفع الى شىء دفعا . فهو اقل من الكلب مع أصحابه انسجاما وانطواعا.

وبالقط فضول . اعطه شيئا ملففا ، فلا يزال يعبث به حتى يفتحه ويرى ما فيه .

والقط يغضب حتى تقول ما اشد مراسه . وهو يرضى ويتلطف حتى تقول ما أرقه وما احلاه . ومن علامة رضاه وطيب حاله انبساطه على الأرض وقد طوى قدميه تحت صدره .

وهو يختص بوده بعض أفراد الأسرة ، والى هذا المختار أو المختارة يؤوب فى كل وقت راحة .

والقط غيور . يحزن أكبر الحزن اذا دخل البيت قط آخر يأخذ أهل البيت باعزازه .

ويتأثر القط وينفعل حتى لتدمع له عين . بهذا قال الباحثون القائمون على دراسته .

القطط قبيل واحد

أو كما يقول العلماء هى نوع Species واحد ، يجمعها الجنس Genus أو الفصيلة Family مع السباع الاخر ، كالأسد والنمر وما اليهما .

والقطط نوع واحد مهما اختلفت الوانها وأحجامها والفراء . ودليل النوع الواحد عند علماء الحيوان انها تتناسل معا .

ولكن القطط ، وهى نوع واحد ، انسال وضروب . ولكل ضرب متميز منها صفات تميزه جملةً ، من قصر شعر أو طول ، ومن اختلاف لون مع تخطط او تبقع او ترقط ، ومع صغر حجم أو كبر ، الى غير ذلك من صفات . ومن انسال القطط وضروبها السيامى ، والتركى ، والفارسى والبِرْمى والحبشى . وهذه الأنسال خرجت عن بلادها الأولى وصارت تنسل فى أوروبا وامريكا انسالا « صافية » ، ولها معارض مشهودة مشهورة . ■■

احمد زكى



الشاعر الذي أحوجه سمعه الى ترجمان

عوف بن محلم الخزاعي

صدق في شعره، ووفى لوليه وأخلص لصاحب أمره فلما هرم واشتد حنينه لأهله رق له ووده الى وطنه

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هدارة

المدرس بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية

■ يعتبر القرن الهجرى فى تاريخ حياة الشعر العربى من أخصب فتراته الزاخرة بفرسان حلبة الشعر ، الفياضة بأجمل الاشعار التى تعبر عن أحاسيس النفس البشرية ، وتتغور فى أعماقها لترسم أرق المشاعر وأدق الخلجات .

وقد ملأت أسماعنا أسماءُ شعراء هذه الفترة الذين استفاضت شهرتهم فى عصرهم ، وفرضوا أنفسهم على التاريخ الادبي حتى يومنا هذا ، من أمثال بشار بن برد ، وأبى نواس ، وأبى العتاهية وأضرابهم ،ممن وَقَرت شهرتهم فى نفوس الناس، ووعت أشعارَهم صدورُ أبناء العربية فى كل زمان ومكان .

بيد ان هنالك طائفة من الشعراء عاصرت اولئك الاعلام ، وأحرزت في عصرها من الشهرة ما كفل لها الذيوع والاعجاب ، ولكن حظها وقف بها عند حدود عصرها ، فلم تقتحم اسماع الناس بعده الا لماما، ولم تغز اشعارها قلوب الجماهير الا بالبيت او البيتين ــ وللاشعار حظوظ واقدار كالناس سواء بسواء ــ فظلت اسماء هذه الطائفة من الشعراء رهينةفي بطون الكتب وصفحات المؤرخين. وها نحن اولاء نجلو اليوم علماً من هذه الطائفة التي لم ترزق مع شعرها الجيد الشهرة الواسعة.

كان ابو مُحلِّم (او ابو المنهال في رواية اخرى) عوف بن محلم الخزاعي من اهل حرّان ، وقال قوم من رأس العين ، وهي تقع بين حران ونصيبين ، واصله من قبيلة بني سعد ، فهو اذن شاعر عربي في ذلك العصر الذي كانت فيه كثرة الشعراء من غير العرب . ولعل خمول ذكر عوف راجع الى هذه العصبية الشعوبية من جانب رواة الشعر ، وكان كثرتهم ايضا من الموالي ذوي الاصول الاعجمية .

ويفيض رواة الادب والاخباريون في تعداد محاسن صفات عوف بن محلم ، فهو من الشعراء الظرفاء ، وهو صاحب أخبار ونوادر ومعرفة بأيام الناس ، وهو من البلغاء الفصحاء والندامى الظرفاء ، وهو الى جانب ذلك كله سخي على الطعام ، صاحب شراب ولهو وخلاعة ، وصاحب فضل على الاصدقاء وأصاغر الشعراء ، يعطيهم جميعا ويصلهم ويبرهم .

نحن اذن بازاء شخصية شاعرة ، لها كل ما للعربي من شمائل وصفات ، فصاحبها يمتاز بالكرم والفتوة وبلاغة القول وفصاحة اللسان ، الى جانب علمه بالاخبار والنوادر والايام ، وهو معدود في عصره من كبار الشعراء ، والا ما ذكر له الرواة فضله على اصاغر الشعراء وأخذه بيدهم.

ومما يؤكد هذه الحقيقة ايضا قول ابن المعتز عن شعره : « كله مختار ليس فيه بيت ساقط ولا ناقص » .

اتصال عوف بكبير قواد الخليفة المأمون

ويبدو أن عوف بن محلم اراد أن يتلمس الشهرة في بلاط احد القادة البارزين في عصره حيث يمكن ان يجد المال والجاه ، فعلقت يداه بحبل طاهر بن الحسين ، أكبر قواد الخليفة المأمون، الذي أحرز له الانتصار على اخيه الأمين ، وعلى أكثر أعدائه ووطد دعائم ملكه . ولا ندري متى وأين تم الاتصال بين عوف بن محلم وطاهر بن الحسين ، وكل ما روته لنا الأخبار في ذلك الصدد أن عوفا كان واقفا على الجسر (ولعل ذلك في بغداد) ، وطاهر في حراقة ينحدر الى دار السلطان . والحرّاقة سفينة فيها مرامي للنيران يرمى بها العدو . فقال عوف رافعا صوته بهذه الأبيات الرقيقة :

عجبت لحرّاقة ابن الحسيـ
ـن كيف تَسير ولا تَغرقْ
وبحران ، من تحتها واحدٌ
وآخر من فوقها مُطبِق
وأعجب من ذاك عيدانها
وقد مسّها كيف لا تورق

واقتحمت هذه الأبيات العميقة المعنى قلب طاهر ، فدعاه لصحبته واختاره لمنادمته ، فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر . وكان اذا سافر فهو عديله يحادثه ويسامره ، واذا اقام فهو جليسه يذاكره العلم ويدارسه كما يقول ابن المعتز .

ولو اننا قلبنا صفحات تاريخ تلك الفترةلمعرفة موعد اتصال عوف بن مُحلِّم بطاهر ابن الحسين لادركنا أن هذا الاتصال لا بد أن يكون قد تم بعد أن ألقت الخلافة قيادها للمأمون عام ١٩٨هـ. وفي تلك السنة ولى المأمونُ طاهرَ بن الحسين الموصلَ والجزيرة والشام والمغرب ، ثم استدعاه في عام ٢٠٤ هـ الى بغداد وقلده ولاية خراسان والمشرق ، وظل في ولايته تلك حتى قضى نحبه في عام ٢٠٧ هـ كما يذكر الطبري . فلو أن عوف ابن محلم اتصل به في الشام منذ ولي أمره في حدود عام ١٩٨ هـ ، يكون قد ظل في صحبته زهاء عشر سنوات ، وهي فترة معقولة يؤيدها منطق الأحداث التاريخية التي أشرنا اليها ،ولهذا نشك في قول ابن المعتز ان عوفا اقام مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه ، الا اذا كان قد صحبه قبل ظهوره على مسرح السياسة في الحقبة التي ذكرناها .

عوف وهب قلبه للعذارى الجميلات

ومما لا شك فيه أن عوف بن محلم كان اثناء صحبته لطاهر ــ التي بدأت في وقت مبكر على رواية ابن المعتز ــ شاعرا ناضجا ، ونديما مسامرا، يعيش بعواطفه ، ويتغنى باحاسيسه ، يَهَب قلبه

للعذارى الجميلات ويفتن في القاء شباكه حولهن، فهو يقول :

وصـــــفيرة علقتهـــــا
كانت مـن الفتن الكبـار
كالبــدر الا انهـــا
تبقى على ضــوء النهار
قــالت : غبـار قـد عـلا
ك فقلت ذا غـير الغبار
هــذا الـذى نقل الملـو
ك الى القبور من الديار
يا هــذه ارايت ليـــ
ـلا يستنير بلا نهار
قــالت : ذهبت بحجتـى
عنى بحســن الاعتذار

وكان ذلك العصر زاخرا بالوان المفاتن التى تصبى قلب الشاب وتستميل حياته الى فنون من اللهو والعبث ، فهو يقطع لياليه بالهوى العابث الذى لا يغضى على حياء ، وكيف لا ، وتيار المجون يدعو الى الترف والتطرف الاجتماعى فى هـذا العصر ، كما تدعو اليه الآراء الجـديدة التى استحدثها الغلاة الاباحيـون من ذوى الحركات الهدامة الذين أرادوا هدم مقومات المجتمـع الاسلامى آنذاك . وقد ساعد على احداث ذلك كله وجود الجوارى الأجنبيات بوفرة فى المجتمع ، وقد دربن منذ نعومة أظفارهن على التهتك والخلاعة وسلب عقول الرجال . ويصف لنا عوف احدى لياليه العابثة بقوله :

وكم ليلة طابت وطاب بهـا الهـوى
الى أن بـدا أو كاد منسلخ الفجر
فمـا عدلتهـا ليلـة ذات نعمـة
ولا ليلـة الأضحى ولا ليلة الفطر
اذا هى قيست بالليالى وجدتهـا
يكاد يسـاوى فضلها ليلة القـدر
تملّيتهـا حتى الصـباح بطفلة
مصورة أبهى من الشمس والبـدر
قتول بعينيها ، خلوب بدلّهـا
سلوب لألباب الرجال ، وما تدرى

عوف يجد فى حبه أحيانا

ونجد عوفا يجد فى حبه أحيانا ، فنلمح من خلال أبياته نار الجوى ترعى فى فؤاده ، وهو يكشف لنا عن هوى صادق حقيقى ، صادفه فى حياته العابثة التى أشرنا الى طرف منها ، وان كان عبثها لم يصل به الى هوة الشذوذ التى وصل اليها بعض شعراء ذلك العصر ، من أمثال ابى نواس والحسين بن الضحاك وغيرهما ، وهذا الهوى الذى نلمحه فى شعر عوف لا ينم عن نزوة عابرة او عبث طارىء ، ولكن يبدو انه قد تمكن منه ، ورعت ناره فيه فما استطاع له ردا ، وتحير فى امره . فمحبوبته لا تواصله ولا تجزيه حبا بحب ، ولا هو يستطيع ان ينتزع هواها من فؤاده فماذا يصنع ؟ .انه يلجأ الى المحبين من قبله ينشد عندهم الجواب ، عسى ان يكون فى جعبة تجاربهم دواء يشفيه مما به . ولم تكن حكمتهم التى اشاروا بها عليه غير حكمة ابى نواس من قبله (ودَاونى بالتى كانت هى الداء) .فالحب لا يذهبه الا الحب ، آلا فليس امامه غير اليأس القاتل ، الذى ربما يحمله على الصبر والسلوى ، او يحمله على الموت . يقول عوف :

سألت المحبين الذين تجشموا
تباريح هـذا الحب فى سالف الدهر
فقلت لهم : ما يذهب الحب بعدما
تنشب ما بين الجوانح والصدر
فقالوا : شفاء الحب حب تفيده
لآخر أو نأى طويل على الهجر
أو اليأس حتى تذهل النفس بعدما
رجت طمعا،واليأس عون على الصبر
نعيذك من حب ، أمالك رحمة
ولا بك عنى من توان ولا فتر
وقتلتنى حينا ، وحينا أعشتنى
فأفنيت عمرى بالاماتة والنشر

الشراب فى عصر عوف

ولعل عوف بن محلم كان يستعين على نسيان حبه بالكأس يذيب فيها همه ، ولعله كان يجد من تمام فتوته واستكمالا لحياته العابثة اللاهية ان يستعين بالشراب شأن الكثرة الغالبة من أهل عصره الذين هيأت لهم أسباب وعوامل مختلفة سبل التحلل من اثم الخمر . فالى جانب شيوع الترف وتسلط التأثيرات الأجنبية على حضارة المجتمع الاسلامى،وخاصةفى جانبها المادى، وجدت فرق مذهبيةكثيرة تتصرف تصرفا واسعا فى مسائل المنع والتحريم ، ولها رأى فى درجات الآثام ، ما يكبر منها وما يصغر ، وفى عفو الله

ومدى اتساعه لهذا الاثم أو ذاك ، حتى لقد ادعى بعض المعتزلة ان آيات القرآن الكريم لا تدعو الى تحريم الخمر، وانما نهى الله عن شربها تأدبا ! هذه العوامل وغيرها جعلت الخمر سهلة ميسرة فى المجتمع الاسلامى ، وجعلت الاقبال عليها يتعاظم، والتحرج الدينى يزول شيئا فشيئا .

ويبدو ان عوف بن محلم كان نديما لطاهر بن الحسين يسامره ويذاكره وهما عاكفان على الشراب، لا يقطعهما عنه صلاة أو دعاء . يقول عوف فى ذلك:

فمـا زالـت الكـأس تغتـالنا
وتذهـــــــب بالأول الأولِ
الى أن توافت صــلاة العشــا
ءِ ونحــن من الســكر لــم تعقل
فمَن كان يعـــرف حــق النعــ
ـم وحـــقَّ الجليس فـلا يَجهلِ
وما أن جـرتْ بيننـــا مَزْحَةٌ
تهيـــج مِــراءً علــى السلسل

حياة عوف لم تكن كلها عبثا

ولم تكن حياة عوف بن محلم عبثا خالصا كما قد يتبادر الينا من الأشعار التى سقناها ، ولكن هذا العبث كان ضئيلا فى شخصيته لو اننا قسناه بمقياس عصره . اما الأشعار التى تكشف لنا عن جانبه الجاد ، فلا بد أن تكون كثيرة اذ صحب طاهر بن الحسين سنوات طويلة ، وطاهر ، كما نعلم من كتابات المؤرخين ، لم يقر له قرار منذ تولى قيادة جيوش المأمون ، فهو دائم التنقل لمواصلة الحرب والجهاد ضد اعداء الدولة الطامعين فيها ، ولا بد أن عوفا كان يتغنى بانتصارات طاهر فى هذه الحروب التى طالما تغنى بها الشعراء المعاصرون له . ولكن مما يبعث على الأسف ان لا نجد اشعار عوف فى طاهر ، وكل ما نجده له من شعره الجاد أبيات يتغنى فيها بشمائل نفسه ، فهو ذو حِلم ، ولكنه يغضب حين يُمَس عرضه ، وهو يبسط كفه لمن يريد سلامه ، ويستطيع أن يميز بين الخبيث والطيب، وهو يعتبر ان الرجال ليسوا بأقوالهم بل بأفعالهم ، وهو بعد ذلك كله يبذل وده لمن اراد ، وعداوته لمن استكبر . يقول:

واني لذو حلــم علــى أن ســوْرتى
اذا هــزنى قــوم حميتْ بهـا عرضى
وان طلبــوا وُدّى عطـفتُ عليهــم
ولا خيــر فيمن لا يئــول ولا يَغضى
وما كــل ذى غش يضــرك غشــه
ولا كــلُ من يؤتى كرامتَه يَرضى
ومعترض فى القــول غرّبت قــوله
وقلتُ لــه ليس القضاء كما يَقتضى
ركبتُ بــه الأهــوال حتى تركتــه
بمنزل ضـَنْك لا يَلِدُ ولا يمضــى
وانى لأجــزى بالكرامَة اهلَهــا
وبالحقد حقدا فى الشدائد والخَفْض

شعر عوف صورة صادقة من نفسه

وواضح أن شعر عوف بن محلم مطابق لحياته فى جوانبها المختلفة ، فهو صورة صادقة من نفسه لا زيف فيها ولا طلاء . فاذا حدثنا الرواة عن ميله الى العبث وجدنا من شعره ما يؤيد قولهم ، واذا امتدحوا لنا جوانب شخصيته الجادة ادركنا ان فخره بنفسه لم يكن فخر شاعر يهيم بالقول فى كل مسلك ، ولكنه لايفخر الا بما فيه ، بل يصعب علينا أن نسمى مثل هذه الأبيات التى مرت بنا فخرا، فهى مجرد تحليل دقيق لشخصية صاحبها. وما دام الرواة قد تحدثوا عن بر عوف بن محلم باصدقائه وحدبه عليهم ، فهم صادقون . فهذا عوف يطلعنا على صفاء قلبه وعدم تلونه للأصدقاء فى حال العسر واليسر، وكيف انه لا يخونهم ويبتغى حمدهم دائما ويتقى ذمهم ، يقول :

وانــى لِمَــن احببتُ حبِّىَ دائمٌ
ولســت بذى لونـين اسـودَ ابلـقَ
مَذْوفٍ(١) يــرى الخلان منه تظرفا
لــه خلــق عنــد البلاء ممــزّق
يخـــالط اخــوانا لــه بملاقــة
وشر الأخــلاء الخئون الملــق
وانــى لأســتحيى الصديق واتقى
وكل امــرىء لا يتقى الذمَّ احمــق

عبد الله بن طاهر يمسك بعوف نديما

واذا كانت كتب الرواة والمؤرخين لم تحفظ لنا شيئا من اشعار عوف فى طاهر بن الحسين ، فقد حفظت لنا بعض أشعاره فى عبد الله بن طاهر. ويذكرون فى معرض الحديث عن صحبة ابن محلم لآل طاهر ان عوفا حين اتصل بطاهر بن الحسين

(١) المذوف : المخلوط ويقصد هنا المتلون فى خلقه .

خلف اهله وراءه فى مسقط رأسه ، وظل بعيدا عنهم طوال صحبته لطاهر وتنقله معه فى الآفاق وكلما استبد به الحنين اليهم والى وطنه سأله الاذن فى الالمام بهم فلا يجيبه الى ذلك ، ويعوضه عن بعد الأهل والاحباب بالجزيل من المال . فلما مات طاهر ظن عوف انه قد استرد حريته من نديمه بعد أن فرق الموت بينهما ، فاراد ان يلحق باهله ويصير الى بلده فيستمتع بما افاءه الله عليه من مال كثير ، ولكن عبد الله بن طاهر الذى خلف أباه فى مكانته عند المأمون ، وفى ولاياته التى كانت له ، رأى ان يمضى على سنة ابيه فى الابقاء على نديمه ، بل أنزله فوق المنزلة التى كانت له عند ابيه . ويذكر الرواة من اسباب ذلك ان عبد الله بن طاهر كان من آدب الناس وأعلمهم بأيام العرب ، واجودهم قولا للشعر وتذوقا له ، فكان يعلم مكانة عوف ومنزلة شعره فى عصره وقيمة مدائحه فيه، ولهذا استمسك به وأغدق عليه، فانطلق عوف يَشْدُو بفضل عبد الله وابيه وأجداده آل مُصْعَب ، يقول فيهم :

بنو مصعب للمُلْك فى السلم زينةٌ
وفى الحربِ دونَ الملك بيضٌ بواترُ
وحول رِواق المُلْك من آل مصعب
ليوثٌ لأعناق الليوث هَواصر
فما حالَ عن ودِّ الخليفةِ طاهرٌ
ولا زال حتى غيَّبته المَقابر
وخلّف عبد الله للمُلك ناصرا
وهل مِثْلَ عبدِ الله للمُلك ناصر
فتى لو أسرَّتْ نفسُه كُفر نعمة
لحاربها حتى تصحَّ الضمائر

عوف يزكّى طاهر وابنه عند الخليفة

وفى تلك الأبيات نجد عوفا يحاول فى مديحه لعبد الله ان يزكيه عند الخليفة وأن يبرىء أباه طاهرا من تهمة شق عصا الطاعة عليه . وهذه الاشارة تؤكد حقيقة تاريخية ذكرها الطبرى فى احداث سنة سبع ومائتين وهى السنة التى مات فيها طاهر وكان واليا على خراسان . ذلك انه صعد الى المنبر يوم الجمعة فخطب ، ولما بلغ الى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له فقال : « اللهم اصلح امة محمد بما اصلحت به اولياءك ، واكفها مؤونة من بَغَى فيها وحَشد عليها ، بِلَمِّ الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين».

فاضطر عامل بريد خراسان بحكم وظيفته ــ وكان حاضرا الصلاة ــ أن يبعث الى المأمون ، ولولا موت طاهر فى اليوم التالى لخلعه المأمون ، فقد ذكر أحد شهود مجلسه انه لما اتاه نعى طاهر قال: « لليدين وللفم ، الحمد لله قدَّمه وأخرنا » .

ومن هذا يتضح لنا اهمية وجود شاعر قوى مثل عوف بن محلم يؤيد عبدالله بن طاهر بمدائحه، وهذا سر تمسكه به بعد أن ثارت الأقاويل ضد طاهر ، وهمّ المأمون بتنحية أبنائه عن اختصاصاته التى كانت له فى حياته . وتوالت مدائح عوف فى عبد الله بن طاهر ، وكلها فرائد رائعة نستبين منها شخصية ابن محلم القوية ، بل ان قصائده فى آل طاهر تذكرنا بقصائد المتنبى فى سيف الدولة، وقد اشار الى ذلك من قبل صاحب شذرات الذهب الذى قال : « غير أن عوفا لم يلحقه طمع ابى الطيب الذى فارق له بنى حمدان » . يقول عوف فى احدى مدائحه :

اليك ، فما حظِّى لغيرى بصائر
ولا اجلى ان حُمَّ عنى بقاصر
أعَفُّ واستغنِى وانى لَمُقْتِرٌ
فتستر عِفَّاتى على مَفاقرى
وانى ليأتينى الغنى غيرَ ضارع
فأدنو به من صاحبى ومجاورى
لسانى وقلبى شاعران كلاهما
ولكن وجهى مُفحَمٌ غير شاعر
ولو كان وجهى شاعرا أكسب الغِنَى
ولكنْ وجهى مثلُ وجه ابن طاهر
فتى يختشى أن يخدش الذمُّ عِرضه
ولا يتقى حد السيوف البواتر
غليلٌ(١) وقد أمددتُ دَلْوى ببحره
ولا عيب فى ورد البحور الزواخر

كان عوف أمير الشعراء

وكانت مكانة عوف فى حاشية عبد الله بن طاهر تشبه منصب امير الشعراء أو رئيسهم ،ومثل تلك المنزلة كانت للرقاشى عند البرامكة ، وكانت لغيره فى دوائر الأمراء والقادة . ويكون لرئيس الشعراء هذا حق الولاية والاشراف على كل شاعر يأتى لمدح الأمير ، بل كان له فى بعض الأحيان أن يمنع من يشاء من الانشاد وله أن يحدد المكافأة التى يستحقها كل شاعر . وكان عوف فى مكانه

(١) الغليل : الشديد العطش .

هذا محبوبا من الشعراء لأنه كان نصيحا صادقا، ولم يكن حاقدا أو طامعا . قَدِمَ مرةً شاعر" على عبد الله بن طاهر يقال له رَوْح" من البصرة فامتدح عبد الله بقصيدة ومدح فيها عوفا بأبيات وقد أنزله عنده وأحسن اليه : فلما سمع عوف أبياته وجدها ضعيفة جدا ، قال : انشدني ما قلت في الأمير ، واستدل بما سمع على ضعف أسلوب الرجل ، فأنشده ، فقال : لا توصلها اليه ، فان الأمير بصير بالشعر ، وهو يقول منه الجيّدَ القوى ، ومثل هذا الشعر لا يقع منه موقعا ينفعك ، ولكني أقول فيه مِدحة" فانتحلها والتقه" بها . فأبى روح" وظن أنه يقول ذلك حسدا . وكان الرجل رقيعا لا يفطن لعيب نفسه، فقال له عوف : فشأنك اذن وما تريد . فأنشد روح قصيدته عبد الله ، فقال له : بمثل هذا الشعر يلقَى الملوكُ والأمراء ؟! أيقبل مثلَ هذا حر" ؟! وردها عليه . فصار الى عوف وشكا اليه، فقال له : ألم أنصحك ؟ ألم أقل لك انه لا يقبل مثل هذا الشعر؟ . فلما دخل عوف على عبد الله، قال : ويحك يا أبا محلم ، أما سمعت شعر هذا القادم علينا هنا ؟ قال عوف : بلى أعز الله الأمير قد سمعته ونصحت له فلم يقبل .

وفي تلك الحادثة يقول عوف ساخرا :

أنشدني رَوْحٌ مديحاً له
فقلت شعراً ؟! قال لي : فايش ؟
فخلْتُ لمّا أن بدا منشداً
كأنني في قبة الخَيْش
فقلت : زدني ، وتغنّمْته
والثلجُ في الصيف من العيش !

عوف يشتد به الحنين لأهله

وعلى الرغم من هذه المكانة العالية التي كانت لعوف عند عبد الله بن طاهر الا ان الشوق كان قد استبد به ، فافتقد أهله وأحبابه ، ونزعت نفسه الى وطنه ، فبدأ في مدائحه لعبد الله ابن طاهر يذكر وطنه وأهله ويتحدث عن كبر سنه، وكيف أن شبابه قد ولى في خدمة آل طاهر ، وآن له أن يستريح في أحضان بلده وبين أهله . وحدث في احدى المناسبات أن قدم عوف على عبد الله فحادثه ، فقال له عبد الله : كم سنك ؟ فلم يسمع عوف ، وكانت السن قد علت به وأضعفت سمعه ، فلما أراد أن يقوم قال عبد الله للحاجب: خذ بيده ، فلما توارى قال له الحاجب : ان الأمير سالك : كم سنك ؟ فلم تجبه ، فقال له : لم أسمع،ردني الى الأمير، ردني الى الأمير: فردّه ، فوقف بين يديه وقال له :

يا ابن الذى دانَ له المشرقان
وألبس الأمنَ به المغربان
انّ الثمانين ـ وبلّغتها ـ
قد أحوجَتْ سمعي الى ترجمان
وأبدَلتني بالشَّطاط (١) انحناً
وكنت كالصَّعْدة تحتَ السِّنان
وعوّضتني من زَماع (٢) الفتى
وهمّه همَّ الهجين الهِدان(٣)
وقاربت مني خُطاً لم تكن
مقاربات وثنت من عِناني
فأنشأت بيني وبين الورى
عنانة من غير نسج العنان (٤)
ولم تدع فيَّ لمستمتع
الا لساني ، وبحسبي لساني
وهمتُ بالأوطان وَجداً بها
وبالغواني أين مني الغواني
فقرِّباني ـ بأبي انتما ـ
من وطني قبل اصفرار البنان
وقبل منعاي الى نسوة
أوطانها حرّان فالرّقمتان
سقى قصور الشاذياخ الحيا
من بعد عهدي وقصور الميان
فلم وكم من دعوة لي بها
أن تتخطاها صروف الزمان

وهذه القصور التي ذكرها عوف في شعره كلها بمَرْو ونيشابور ، وهي مساكن آل طاهر ، وكان عوف قد ألفها لكثرة غشيانه اياها ومقامه معهم فيها، ولذلك يدعو لها ، وهو في الوقت ذاته يلمّح لعبد الله برغبته في ترك صحبته والعودة الى أهله ووطنه . ولكن عبد الله لم يستجب له وضن به فبقي في صحبته حتى كان عام خروجه الى خراسان بعد أن رضي المأمون عنه وأعاد اليه ولاية أبيه ، وكان ذلك في عام ٢١٤ هـ .

---

(١) الشطاط : الاعتدال وحسن القوام
(٢) الزماع : المضاء في الأمر
(٣) الهدان : الأحمق
(٤) العنان ومفرده عنانة : السحاب .

عبد الله يخرج بعوف الى خراسان

وكان عبد الله قد صحب عوفا فى قبّته وجعله عديله يسامره ويحادثه ، فلما شارف الركب الرى وقد اولجوا سحرة ، اذا بقمرى يغرّد على سَرْوة باشجىَ صوت وارق نغمة ، فالتفت عبد الله الى عوف فقال : يا ابا محلم ! اما تسمع هذا الصوت ، ما ارقه واشجاه ! قاتل الله ابا كبير الهذلى حيث يقول :

الا يا حمام الأيك فرخك حاضرٌ
وغصنك ميّادٌ ففيم تنوح ؟

قال عوف : احسن والله ابو كبير واجاد ايها الأمير. كان فى هذيل اربعون شاعرا مذكورا محسنا سوى المتوسطين،وكان ابوكبير من اظهرهم واقدرهم على القول . قال عبد الله : عزمت عليك الا اجزت هذا البيت. قال عوف : اصلح الله الأمير، شيخ مسن وأحمل على البديهة وعلى معارضة مثل ابى كبير وهو من قد علمتَ ! قال عبدالله: عزمت عليك وسألتك بحق طاهر الا فعلت ، فانشا يقول :

أفى كل عام غربةٌ وتنزوح
أما للنوى من ونية فتريح
لقد طلّح البينُ المُشتّ ركائبى
فهل أرَيَنّ البينَ وهو طليح
وأرّقنى بالرّى نوحُ حمامة
فنحتُ وذو اللب الحزين ينوح
على أنها ناحت فلم تر عَبْرةً
ونحتُ وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما
ومن دون افراخي مهامهُ فيحُ
الا يا حمام الأيك فرخك حاضرٌ
وغصنك مَيّادٌ ، ففيم تنوح ؟
أفقْ لا تنحْ من غير شىء فاننى
بكيتُ زمانا والفؤاد صحيح
وَلُوعا فشطّتْ غُربةً دار زينب
فها انا أبكي والفؤاد قريح
عسي جود عبد الله أن يعكس النوى
فتضحى عصا التسيار وهى طريح
فان الغنى يدنى الفتى من صديقه
وعدم الغنى بالمقترين طروح

وهكذا ابان عوف فى هذه الابيات حبه العميق لوطنه بعد ان علت به السن وتراكمت على ظهره السنون ،وفرقت النوى بينه وبين اهله ، فاثارت حمامة الأيك دفين اشواقه وحبيس دمعه .ونراه يتلطف لعبد الله بن طاهر فى طلب ترك صحبته ورده الى اهله واحبابه فى وطنه .

عبد الله يرق للشيخ فيرده لأهله

وقد فهم عبد الله ما أراد ، بل استعبر ورقّ له عندما سمع ابياته الرقيقة ، فقال : يا ابا مُحلّم ، ما أحسن ما تلطفت لحاجتك، واستأذنت فى الرجوع الى اهلك وولدك . وامر له بثلاثين الف درهم . وفى اقوال اخرى انه اعطاه ستين الف دينار . ويزيد صاحب تاريخ بغداد عليها مركبا وكسوة . ويعقب صاحب معجم البلدان (مادة الرّى) على هذه الرواية بقوله : ان خاصة عبد الله اقبلوا عليه يلومونه ويقولون : أتجيز أيها الأمير شاعرا فى مثل هذا الموضع المنقطع ستين ألف دينار ولم تملك سواها ، قال: اليكم عنى فانى قد استحييت من الكرم ان يسير بى جملى وعوف يقول : عسى جود عبد الله ، وفى ملكى شىء لا ينفرد به .

وهكذا جمع عوف ثروة من مديحه لطاهر ولابنه عبد الله الذى صحبه بعد وفاة أبيه سبع سنوات كما هو واضح من الأحداث التاريخية .

ولم يشأ ابن المعتز أن يجعل نهاية عوف سعيدة بعودته ثريًا الى اهله وولده ووطنه ، ولكنه جعل لها نهاية مثيرة اذ قال انه ودع عبدالله وخرج من عنده على أسرّ حال ، فلما كان فىبعض الطريق عاجلته منيته فلم يصل الى اهله ،واتصل الخبر بعبد الله فاشتد ذلك عليه وجزع له ، لأن عوفا لم يطفىء لاعج شوقه الذى كشف عن تاججه فى أبياته الأخيرة . ولكننا نشك فى النهاية التى وضعها ابن المعتز لحياة عوف ، فقد اثبتنا من المصادر التاريخية أن خروج عبد الله بن طاهر من العراق الى خراسان ومعه عوف كان فى عام ٢١٤ هـ . ونحن نعلم من صاحب فوات الوفيات ان عوفا قد توفى فى حدود العشرين والمائتين هـ ، فهو اذن قد عاد الى وطنه ، ولقى أهله وصحبه ، وسعد بهم وسعدوا به ، وتنعم بثرائه وتنعموا زهاء ست سنوات ، حتى فرقت بينه وبينهم تلك الشعوب التى تفرق بين الناس اجمعين ، وانطوت صفحة عوف بن مُحلّم بعد أن حقق الله امله بلقاء أهله والاياب الى وطنه . ■■

محمد مصطفى هدارة

طرائف عربية

فكاهة عن اشعب

● جلس اشعب وهو صبى مع قوم ياكلون .. فبكى ، فسالوه : مالك تبكى ؟

فقال : الطعام ساخن !

فقالوا : دعه حتى يبرد ..

فقال : أنتم لا تدعونه !

رد على شاتم

● قال ابو على الفضل بن جعفر البصير لشخص شاتمه : والله ما تعيا عن جوابك ، ولا نعجز عن مسابك ، ولكننا نكون خيرا لنسبك منك ، ونحفظ منه ما اضعت ، فاشكر توفيرنا ما وفرنا منك ، ولا يغرنك بالجهل علينا حلمنا عنك .

اعرابية تنصح ابنا لها مسافرا

● قال ابان بن تغلب : شهدت اعرابية توصى ولدا لها أراد سفرا وهى تقول : اى بنى ، اجلس امنحك وصيتى ، وبالله توفيقك .

قال ابان: فوقفت مستمعا لكلامها، مستحسنا لوصيتها ، فاذا هى تقول: اى بنى اياك والنميمة ، فانها تزرع الضغينة ، وتفرق بين المحبين . واياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا . واياك والجود بدينك، والبخل بمالك. واذا هززت فاهزز كريما، يلن لهزتك، ولا تهزز اللئيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤها ، ومثل بنفسك مثال غيرك ، فما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فان المرء لا يرى عيب نفسه .

يا نوح !

● تنبأ رجل يسمى نوحا ، وكان له صديق نهاه فلم يقبل . فأمر السلطان بقتله فصلب ، فمر به صديقه فقال له : يا نوح ! ما حصلت من السفينة الا على الصارى !

كثير عزة عند عبد

● دخل كثير يوما على عبد الملك بن مروان فقال: نشدتك هل رايت اعشق منك ؟

فقال : يا أمير المؤمنين .. لو سالتنى بحقك لاخبرتك ، نعم بينا انا اسير فى بعض الفلوات اذا انا برجل قد نصب حبالته ، فقلت له: ما اجلسك ها هنا ؟ قال اهلكنى واهلى الجوع ، فنصبت حبالتى لأصيب لهم ولنفسى ما يكفينا سحابة يومنا قلت : ارايت ان اقمت معك فاصبنا صيدا ، اتجعل لى منه جزءا ؟ قال : نعم . فبينما نحن

أقوال مأثورة

* قال عيينة بن حصن بن حذيفة لعثمان رحمه الله : عمر كان خيرا لى منك : أرهبنى فأتقانى ، وأعطانى فاغنانى .
* من كان له من نفسه واعظ ، كان من الله عليه حافظ .
* ليس يعد حكيما من لم يكن لنفسه خصيما .

الغنى والفقر

متى ما يرى الناسُ الغنيَّ وجارُهُ فقيرٌ ، يقولوا عاجزٌ وجليدُ
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاظٍ قُسِّمت وجدودُ
وان امرأ يمسى ويصبح سالماً من الناس ، الا ما جنى ، لسعيدُ

(عبد الرحمن بن حسان)

الجاحظ وابن أبى دؤاد

● كان الجاحظ مائلا عن ابن ابى دؤاد الىمحمد بن عبد الملك الزيات ، فلما نكب محمد ابن عبد الملك أدخل الجاحظ على ابن ابىدؤاد مقيدا ، فقال له ابن ابى دؤاد : والله ما اعلمك الا متناسيا للنعمة ، كفورا للصنيعة، معددا للمساوىء .

فقال الجاحظ : خفض عليك،اصلحك الله،فوالله لان يكون لك الأمر عليّ خير من ان يكون لى عليك ، ولان اسيء وتحسن ، احسن فىالأحدوثة من ان احسن فتسيء ، ولأن تعفو عنى على حال قدرتك عليّ ، اجمل بك من الانتقام منى .

فعفا عنه .

فى أي شيء كنا منذ الصباح!

● كان فى «بغداد» رجل قد ركبته ديون كثيرة وهو مفلس ، فأشار القاضى بألا يقرضه احد شيئا ، ومن اقرضه فليصبر عليه ، ولا يطالبه بدينه . وامر القاضىاعوانه بأن يطوفوا بالرجل فى الأسواق ليعرفه الناس ، ويتحرزوا من معاملته .. فاستأجر الرجل بغلا يركبه لهذه المهمة ، فلما فرغ من الطواف فى البلد ووصل الى باب داره واراد ان ينزل ، قال له صاحب البغل :

ــ اعطنى اجرة بغلى ..

فقال له : يا أحمق ، فى اى شيء كنا منذ الصباح !!

الملك بن مروان

كذلك اذ وقعت ظبية ، فخرجنا مبتدرين فاسرع اليها فحلها واطلقها . فقلت : ما حملك على هذا؟ قال : دخلتنى لها رقة لشبهها بليلى ، وانشا يقول :

ايا شبه ليلى لا تراعى فاننى
لك اليوم من وحشيةٍ لصديقُ
اقول وقد اطلقتها من وثاقها
لأنتِ لليلى ما حييتُ طليقُ



دردشة

من قصص الحرب العالمية الثانية

● لما حلقت الطائرات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية فى جو بوهيميا ومورافيا والقت على أهليهما المنشورات ، أمر رجال السلطة الالمانية أهل البلدين بان يسلموهم كل ما يعثرون عليه من تلك المنشورات . فما كان من بعضهم الا ان الصقوا نماذج منها فى الطرق والساحات والصقوا بجانب كل منشور اعلانا جاء فيه : كل من وجد منشورا من المنشورات التى ترى نموذجا منها ، عليه أن يسلمه فورا الى السلطات الالمانية والا عرض نفسه لعقاب شديد !

★ ★ ★

الضرائب والنظام الديمقراطى

● من أهم مزايا العيش فى نظام ديمقراطى أننا لنا القول الفصل فيما يختص بكيفية دفعنا الضرائب : نقدا ، أو بواسطة شيك أو حوالة مالية !!

★ ★ ★

يغيرها حتى لا تتسخ !



● سمع سعد زغلول أحدهم يطعن فى بعض الأشخاص الذين تنقلوا بين الأحزاب ، فقال لمن حوله :

ـ بالعكس أنا شايف أنه من أصحاب المبادىء النظيفة ...

فدهش الحاضرون وسألوه : وكيف ذلك ؟

فأجاب : لأنه دائما يغيرها حتى لا تتسخ !!

كلهم أعداء

● اعتقل تاجران سويسريان فى اليابان فاحتجا الى موظف يابانى فابتسم معتذرا وقال : أنا أعلم أنكما محايدان . ولكنكما عدوان محايدان .

فقال أحدهما : اذاً ماذا تعد الامريكيين والبريطانيين ؟

قال : أعدهم أعداء محاربين .

فقال أحد السويسريين : والايطاليين والألمان ؟

فقال اليابانى : أعداء متوددين .

ماذا تفعل عندما تسقط القنابل

● سالت « مرغريت ايتكن » خادمتها العجوز فى لندن : ماذا تفعل حين تسقط القنابل ، أتبرح فراشها ، أم تلزمه ، أم تذهب الى المخبأ ، أم تظل حيث هى لا تتحرك ؟

فقالت : كنت فيما مضى الزم الفراش ولكننى أبرحه الآن . ولما سالتها : لماذا ؟ قالت : المسالة بسيطة يا سيدتى ، نحن ندفع نفقات هذه الحرب ، ولذا يحسن بنا أن نشاهد ما ندفع نفقته !

تمثال روسينى

● عندما علم الموسيقار روسينى ان بعض المعجبين بموسيقاه من الفرنسيين اقاموا له تمثالا سالهم : كم يكلف التمثال ؟

قالوا : عشرة ملايين فرنك .

فصرخ قائلا : اننى استطيع ان اقف مكان التمثال طول حياتى بنصف هذا المبلغ !

الجميلات وغير الجميلات . ممنوعات

● يفسر السير توماس بيتشام ، قائد الفرقة الموسيقية الشهير ،سبب رفضه استخدام موسيقيات من النساء بقوله : اذا كن جميلات فانهن يصرفن افكار الموسيقيين الرجال عن التركيز ، اما اذا لم يكن جميلات،فانهن يشغلنني انا .

نوعان من النساء

● هناك نوعان من النساء .
نوع يستطيع ان يتحدث ويتحدث فى اى موضوع .
ونوع لا يحتاج الى اى موضوع ليتحدث فيه !

كل منا يهمه أمر وطنه



● كان لويد جورج يخطب فى « لنكشير » بانكلترا ، مبينا وجوب منح كل من ارلندا واسكتلندا ويلز استقلالا اداريا ، ويظهر أن هذا الرأى لم يرق لأحد النواب فقاطع الرئيس وقال متهكما :

ـ اجل ! واستقلال ذاتى لجهنم أيضا ..

فأجابه لويد جورج : انت محق يا صديقى ، فكل منا يهمه امر وطنه !!

عادات غريبة فى الزواج

هناك عادات غريبة تروى عن الطرق التى يتم بها الزواج فى بعض بقاع العالم :

● فالمحارب الصومالى يضرب عروسه أثناء احتفالات الزواج ليجعلها تسلم منذ البدء بأنه سيكون السيد المطاع فى البيت .

● وفى الاقاليم الريفية من جزيرة غرينلاند يسود الأعراس اسلوب انسان الكهف الاول اذ كان يذهب الى بيت عروسه ويجرها من شعر راسها الى ان يوصلها الى الكنيسة .

● والعروس فى جزر كوك تسير الى الكنيسة على بساط من الآدميين ، اذ حسب تقاليد تلك الجزر يستلقى شباب قرية العروس على الارض ووجوههم الى اسفل ، وتدوس العروس فى سيرها على ظهورهم حتى تصل الى المكان الذى تقام فيه الاحتفالات .

● والعروس فى بورما تطرح أثناء الاحتفال ارضا ويقوم رجل عجوز بثقب أذنيها فتتالم وتتوجع وتطلق الصرخات المدوية ولكن ليس هناك من سميع لان الفرقة الموسيقية تبدا بالعزف بأصوات صاخبة تغطى على صرخات العروس .

● وتصبغ العروس فى جزيرة جاوة اسنانها باللون الاسود وتغسل قدمى زوجها اثناء حفلات الزواج كدليل على استعدادها لخدمته طيلة حياتها .

● وابسط طقوس الزواج واقلها تعقيدا تلك الطقوس التى تمارسها قبيلة (نيجريتو) فى جنوب المحيط الهادى، ففى تلك الجزيرة يذهب الخطيبان الى عمدة القرية فيمسك هذا براسيهما ويدقهما بعضا ببعض .. وبهذا يتم الزواج .



التنويم

- سيدة ترفض، تحت التنويم ...
- وأخرى ترفض، تحت التنويم، كشف ...
- التنويم في الجراحة .. وفي الكشف عن العم...

التنويم ليس سحراً أو شعوذة

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

استاذ علم النفس بجامعة دمشق

■ اقترن التنويم فى اذهان الناس بأعمال وظواهر جعلته فى نظر عامتهم اقرب الى السحر وخوارق الطبيعة ، وأدنته فى مفاهيم خاصتهم من الشعوذة والدجل . ولكن للتنويم وجها مختلفا كل الاختلاف عما يظن عامة الناس وما يحسبه خاصتهم ، وعن هذا الوجه العلمي سأحاول ان اتحدث فى مقالى هذا معرّفا به تعريفا علميا ، ذاكرا شيئا عن تاريخه والتجارب التى اجريت عنه ، واصفا مظاهره محددا حدوده ، منوّها بالنظريات التى تعلله والتطبيقات التى له فى مجالات الطب وعلم النفس .

كلمتان

هذا وتفرق اللغات الاجنبية عادة بين كلمتى Hypnotism التى ترجمتها بالتنويم ، واستعملتها عنوانا لمقالى هذا والتى تعنى (فن احداث حالة نوم) ، وبين Hypnosis التى اترجمها بالنوم الذى يحدثه هذا الفن وهي كلمة يونانية تعنى النوم فعلا . ولقد كان أول من وضعها واستعملها واشاعها العالم الانكليزى بريَد Braid لأسباب سأعرض لها .



بل ظاهرة أصيلة لا يكتنفها غموض أو أسرار!

على اني احب ان انبه الى أن النـــوم المقصود هنا، والذي يشبه النوم العادي، يختلف عن النوم الطبيعي اختلافـا بينا كما سيظهر من كلامي فيما بعد .

وثمة كلمتان لا بد من الالمام بهما منذ بداية هذا المقال وهما المنوِّم (بالكسر) واقصد بها الشخص الذى يحدث حالة النوم ، والمنوَّم (بالفتح) وأريد بهـا الشخص الذى يقع فى حالة النوم .

ولقد اختلف العلماء اختلافا كبيرا فى تعريف النوم الذى أتحدث عنه ، ولعل أقرب تعريف الى الصحة العلمية هو : « حالـة نفسية مصطنعة تفرض على المخلوق ، وهى تشبه النـــوم وتتميز بقابلية للايحاء مبالغ فيها واتصال مستمر بالمنوِّم . »

فان هلمنت ، أول من اهتم بالتنويم

ويبدا تاريخ التنويم بمعناه العلمى عام ١٨٤٢ ، وذلك حين اوجد له العالم الانكليزى بريد Braid التسمية التى نوهت بهـا فى المقطع السابق . بيـد ان بعض الحوادث والحالات النفسية غير السوية ، والمشابهة لما يحدث فى حالة التنويم ، قـد لوحظت فى معظم بلاد العالم ومنذ أقـدم العصور . ومهما يكن من ذلك فان الاهتمام الجدى بموضوع التنويم لا يرجع الى ابعد من اخريات القرن السادس عشر حين قال العالم فان هلمنت (١) Van Helmont ان سائلا مغناطيسيا يشع مـن الناس جميعا ويمكن جعله مؤثرا فى نفوس الاخرين واجسادهم عن طريق العمل الارادى .

« مسمر » والمغناطيسية الحيوانية

ولقد قدر لهذه النظرية فيما بعد أن تثير نقاشا وضجة اثر أعمال مسمر Mesmer الذى اخترع تعبير « المغناطيسية الحيوانية » مشيـرا به الى السائل الذى ادعى فان هلمنت انه يشع من الناس . ومسمر هذا طبيب نمساوى ولد عام ١٧٣٤ ، وادعى عـام ١٧٦٦ انه بالامكان خزن المغناطيسية الحيوانية فى الجمادات التى تلامس الاشخاص الذين يملكون مثل هذه المغناطيسية ، وان ملامسة هـذه الجمادات ، ولا سيما المعادن منها ، تشفى المرضى !

ومن هنا كانت تسمية هـذا النوع من الطب بالمسمرية Mesmerism نسبة الى مسمر . والى ان اوجد (بريد) التسمية الجديدة فقد كان الاسم الشائع هو المسمرية . ولقد بلغت الضجة التى اثارها مسمر واتباعه ، لا سيما بعد أن قال

(١) فان هلمنت طبيب وكيماوى بلجيكى ، درس الغازات وكشف عن السائل الهضمى بالمعدة (١٥٧٧ – ١٦٤٤ م) .

بانتقال المغناطيسية الحيوانية بالملامسة ، وعقد لذلك حلقات اختلط فيها الجنسان عاريين. اقول بلغت الضجة حدا دعا المجمع العلمي في باريس الى تأليف لجنة نظرت في الامر ، وقررت عام ١٧٨٤ رفض وجود سائل مغناطيسي وشجّبَ الدجل الواضح والفجور الداعر اللذين كانا يشوبان اجتماعات اتباع مسمر ، وان كانت لم تنكر النوم (المغناطيسي) وامكان شفاء بعض الامراض بواسطته .

« برتران » يعيد الثقة الى التنويم

ولقد قل اهتمام الناس بالمغناطيسية الحيوانية اثر هذا التقرير حتى اعادها الى الاذهان طبيب افرنسي اسمه الكسندر برتران Alexandre Bertrand بان استخدمها طبيا . فحمل هذا لجنة جديدة من المجمع الطبي الافرنسي عام ١٨٣١ على النظر في الامر والخروج بتقرير اكثر تأييدا وعطفا ، وحينئذ شاع استعمال التنويم في كثير من الاوساط الطبية الاوروبية ، وذلك باستثناء انكلترا ، فقد حاول فيها طبيب مشهور وأستاذ في كلية الطب الافادة من المغناطيسية الحيوانية في تطبيقاته الطبية ، فمنعه قرار من مجلس كليته في جامعة لندن سنة ١٨٣٨ من تنويم مرضاه، فاستقال وحرّم على نفسه المرور من امام باب الكلية او مستشفاها طيلةّ حياته .

« بريد » يعطي التنويم اصالته

وفي عام ١٨٤١ بدأ الطبيب الانجليزي جيمس بريد James Braid يهتم بامر التنويم ، وكان حين بدأ يعتقد ان التنويم محض دجل ، ولكنه ما كاد يشهد تجربة من تجارب التنويم حتى قرر ان يقوم هو نفسه ببعض التجارب ، وحينئذ اقتنع بصحة التنويم ، ولكن الجمعية الطبية البريطانية رفضت عام ١٨٤٢ ان تستمع الى تقريره عن الموضوع ، فدعا هو الى اجتماع تلا فيه تقريره ، وبذلك اعاد الى التنويم اعتباره وأعطاه صفته العلمية بعد ان اعطاه اسمه الجديد على ما سبق ان ذكرنا .

والجدير بالذكر ان خصوم « بريد » لم يكونوا من الأطباء الجادّين فقط ، فقد كانوا ايضا من الدجالين المستمرين الذين شعروا بان نظريات « بريد » وتطبيقاته ، وما سينجم عنها من تنقية للتنويم من أوشاب الدجل ، ستحرمهم عند الجمهور قواهم « المغناطيسية » التي كانت تدر عليهم أرباحا طائلة ، ولعل اكثر ما أزعجهم من « بريد » اصراره على ان العلاج بالتنويم يجب ان ينحصَر في الاطباء المؤهلين له .

فرويد واهتمام فرنسا بالتنويم

وفي فرنسا اعلن العلامة شارل ريشيه Charles Richet عام ١٨٧٨ انه يعتبر ظاهرة التنويم اصيلة . ثم قام تلميذه الشهير شاركو Charcot باستخدام التنويم في علاج الهستريا ، وكذلك فعلت مدرسة « نانسي » . وقد حمل هذا الطبيب الشاب (سجموند فرويد Sigmund Freud) على الحضور الى فرنسا من النمسا ، ودفعه الى تبني التنويم طريقةً في العلاج النفسي . ولكنه اضطر الى التخلي عنها فيما بعد لأسباب لا مجال لذكرها في مقالنا هذا .

وفي عام ١٨٩٢ اقرت لجنة بريطانية خاصة ، الفتها الجمعية الطبية الملكية ، أصالةَ ظاهرة التنويم وقيمتها في شفاء المرضى مما دفع الأوساط العلمية المترددة الى الاعتراف بالتنويم .

التنويم والايحاء

في التعريف الذي اقترحته للتنويم قلت انه « حالة نفسية مصطنعة تتميز بقابلية للايحاء وتقبّل له » . والواقع ان التنويم ايحاء بالنوم وحث عليه ، والذي شاهد منوما يقوم بعمله ، ولا سيما اذا كان ينوم المنوَّم للمرة الأولى ، يلاحظ ان العملية كلها مجموعة ايحاءات . واذا كنت لا اسمح لنفسي أن أصف بالتفصيل طريقة التنويم ومراحلها والأوامر التي تعطى اثناءها حرصا مني على الا يستعملها من لا يجب ان يستعملها ، فاني لا أرى ضررا من ذكر ان عملية التنويم هي ـ في جوهرها ـ سلسلة ايحاءات تؤول الى النوم ، ثم الى تنفيذ بعض الأوامر أو النواهي .

ومن هنا كان اختبار الأفراد بالنسبة لقابليتهم للتنويم ، وهو اختبار يحسن القيام به قبل تجربة التنويم الفعلي ، انما هو اختبار لقابليتهم للايحاء وتقبلهم اياه .

ومن هنا أيضا كان في كل ايحاء نوع من التنويم والتوجيه الى الوجهة التي يحبها المنوّم . ومن هنا كذلك كانت الرقصات الايحائية لبعض القبائل المتوحشة وللقائمين بحفلات الزار محتوية على الكثير من الحالات التنويمية للقائمين بها ولمشاهديها.

أمثلة من الظواهر التجريبية

ولعل فى الاشارة الى بعض الحوادث التجريبية التى يقوم بها بعض المنومين توكيدا لما قلت . على ان من الجدير بالملاحظة كون محاولة هذه الامور من قبِل غير المجرِّب الخبير أمرا خطيرا ، قد تكون له عواقب وخيمة .

من هذه التجارب مثـلا تجارب « التصلب » Catalepy ذلك بانه من الممكن احداث تصلب العضلات عند المنوم بايحاءات كالتالية :

« ذراعك يتصلب تدريجيا ، لقد أصبح كقضيب من فولاذ ، انك عاجز عن تحريكه .»

ويلاحظ ان كل هذه الاقوال ايحاءات تعطى ثمرة يفيد منها الذين يجرون استعراضات فى المسارح ، وهى حوادث ثابتة لا دجل فيها .

ومن هـــذه التجارب ضبط الحواس . فمن الممكن أن يُطلَب الى المنوم عدمُ سماع أى صوت الا صوت المنوم ، وبذلك ينقطع المنوم عن كل ما فى العالم الخارجى ، ويرهف سمعه حتى يسمع اشد الهمسات خفوتا ومن بعد بعيد حين يرسلها اليه المنوم . كما ان من الممكن الغاء الشم والذوق واللمس والحس بالألم (مما يسمح باجراء عمليات جراحية دون الم) ، بل ومن الممكن زيادة حـدة البصر وايهام المنوم برؤية أشياء خيالية ، وزيادةُ حسه بالألم ، والغاء الشعور بالجوع والعطش ، وكل ذلك بالايحاء .

كذلك مـــن الممكن الايحـــاء للمنوم تقمصُ شخصيات مختلفة ، شريطة الا يكون فى هـــذا التقمص مـــا يخالف عقله الباطن ويتناقض مع مطاليب هذا العقل . كذلك يمكن اعادة المنـــوم الى طفولته ، أو الى مراحل سـابقة من حياته عن طـريق الايحاء ، فاذا أعيـــد الى مرحلتين مختلفتين ،وطولب بكتابة رسالتين ، لاحظنا الفروق فى الاملاء والتهجئة وتركيب الجمل بما يتناسب فى كل رسالة مع المرحلة التي اعيد اليها .

الايحاء بعد التنويم

ويعتبر هذا الايحاء من الناحية التجريبية اهم انواع الدراسات التى قدمهـا التنويم . وليس المقصود بهذا النوع من الايحاء ذلك الذى يُعطى بعد استيقاظ المنوم ، وانما المقصود الذى يعطى للمنوم وهو فى حالة النوم العميق ويطلب اليـــه تنفيذه بعد الاستيقاظ .

هذا واذا كان المنوم من النوع المناسب فـــان التجارب التي اشرت اليها فى الفقرة السابقـــة يمكن أن يوحى بها ويطلب المنوم ان ينفذها بعد ان يستيقظ . وفى كل الاحوال فان من المنـــاسب أن يكتفى المنوم فى البدء بطلب اشياء بسـيطة يقوم بها المنوم بعد الاستيقاظ بوقت قصير ، ثم تزداد درجة تعقيد هذه الأشياء تدريجيا ، كمـــا تزداد المدة الفاصلة بين الاستيقاظ والتنفيذ .

وهكذا فمن الممكن ان يقول المنوم للمنوم انه بعد عشرين دقيقة من استيقاظه ستضيع قدرتـه على الكلام بحيث يعجز عن الكلام تماما مدة عشر دقائق ، يعود بعدها الى حالته الطبيعية وقدرته الكلامية العادية وسيتم الأمر على النحو المطلوب .

ومثل هذا يمكن أن يحـدث اذا أوحى للمنوم برؤية أشياء وهمية،أو عدم رؤية بعض الاشخاص أو الاشياء أو غير ذلك .

وبديهى ان حواس المنوم تبقى سليمة ، وكل ما فى الأمر انه يتوهم أو لا يدرك ، وان كان يحس ، أى ان احساساته تبقى صحيحة سليمة ولكنـــه يُمنع من ادراك اعمالها ومنقولاتها . هذا ويجب التنبيه الى ان المنوم لا يتذكر شيئا عن الطـلب الموحى به لا سيما اذا أُمر بذلك ، لكنه اذا نـوم مرة ثانية تذكر كل شيء . كما يجب التنبيه الى انه بهذه الطريقة يمكن ان يطلب اليه أن يلعب دور الوسيط مع الأرواح ، وحينئذ يقوم بهـذه المهمة غير شاعر ولا متذكر ، مما يمكِّن المنـــوم الدجالَ من زعم الاتصال بالأرواح .

المدة بين الايحاء والتنفيذ

والسؤال الأول الذى يطرأ على الذهن فى هـذا الصدد هو ، ما طول المدة التى يمكن ان تفصل بين الايحاء والتنفيذ ؟ والحق ان الجواب القاطع عن هذا السؤال عسير ، ذلك بأن الامر يتوقف على شدة الايحاء وطبيعة المنوم ونوع العمل المطلوب وغير ذلك من العوامل ، وقد سجلت حالات كان الفاصل فيها دقائق كمـــا كان شهورا . على ان المهم ان اشير الى ان بعض المنومين يملكون قدرة لا شعورية غريبة علىحساب الوقت الفاصل للقيام بالعمل بعده تماما ، ان اخطاء بعضهم ــ فى هـــذا الخصوص ــ لا تكاد تذكر وتقل حتى عن الاخطاء الحسابية الاحتمالية .

والسؤال الثانى الذى يخطر فى البال هو :

هل يكون الانسان سويا حين ينفذ ايحاء بعد تنويمه ؟

ان الجواب على هذا السؤال عسير ، ولكنني استطيع ان اقول ان حالة المنوم تتراوح آنئذ بين الحالة التنويمية الواضحة والحالة السوية التامة .

للايحاء التنويمي حدود لا يتجاوزها

وبعد ان وصلت هذا الموضع من الحديث يتحتم علي ان اشير الى حدود الايحاء التنويمي ، ذلك بان ما قدمت في الفقرة السابقة قد يحمل بعض القراء على الاعتقاد بان في استطاعة المنوم ان يخضع المنوَّم لارادته وان يوحي اليه بما يشاء ، والواقع عن هذا بعيد . ان المنوَّم يرفض تنفيذ كل ايحاء يتنافى مع مبادئه الاخلاقية (بمعناها الواسع وليس بمعناها الجنسي فقط) .

سيدة ترفض ذبح كلبها

هذا واجب ان انبه في هذا المقام الى ان التنويم مستحيل اذا لم يتعاون المنوم مع المنوم ، وحتى لو تعاون المنوم في المرة الأولى ورفض في المرة الثانية فان حالة النوم الخفيف التي قد تفرض على المنوَّم لا تحتم عليه تنفيذ أوامر المنوِّم، ومن هنا كانت ضرورة موافقة ايحاءات المنوِّم لمبادىء المنوَّم والا تمرَّد هذا الاخير . وفي تجربة أجراها العالم (كدون Cuddon) ناول فيها السيدة التي نومها حقيبة يدها موهما اياها انها كلبها العزيز عليها ، ثم اعطاها قلمها الذي اوهمها انه مُدية ، ثم طلب اليها ذبح كلبها ، وبعد أن قبلت الايحاءين الأولين رفضت ذبح الكلب ، وبكت ولم تعد الى حالتها الطبيعة الا بعد زمن أُوحي اليها خلاله عكسَ ما أُوحي به في البداية . ولعل الطف ما في الأمر ان هذه السيدة نفسها رفضت التصريح بعمرها رغم الحاح المنوِّم وتبيانه ضرورة معرفة عمرها للحصول على جواز سفر لها ! ترى هل يخالف التصريح بالعمر المبادىء الاخلاقية للنساء ؟!

سيدة ترفض كشف ثديها

ومن غرائب الأمور ان المنوم يرفض في حالة النوم أحيانا ما يقبل في حالة اليقظة ، لقد رفضت امرأة منومة ان تكشف صدرها لطبيبها الذي يعالجها والذي طالما كشفت له عن صدرها في حالة اليقظة . ولما اوقظت وطولبت بكشف صدرها للطبيب فعلت ! قد يكون تعليل ذلك الحذر الغريزي الذي تتمتع به المرأة في مثل هذه الاحوال .

وهنا يحسن التساؤل عما اذا كان في الامكان حمل منوم على القيام بجريمة وهو في حالة النوم أو بعد اليقظة بناء على ايحاء اعطي له اثناء تنويمه ؟!

متى يقوم المنوَّم بجريمة توحى اليه

لقد سبق أن قلت ان المنوَّم يرفض العمل بالايحاءات المخالفة لمبادئه الاخلاقية ولذلك فانه لن يقبل الايحاء باقتراف جريمة الا اذا كان من النوع الذي يقترف مثل هذه الجريمة في حالة اليقظة ، فاذا كان كذلك كان من المحتمل ان يقوم بالجريمة أو يحاول القيام بها . على انه يجب أن يكون في حالة النوم العميق حين يوحى اليه بمثل هذه الجريمة .

ومن المناسب ان اذكر هنا بأن اكتشاف المجرم المنوم أسهل من اكتشاف المجرم العادي وذلك لتركيز انتباه المجرم المنوم على الجريمة وغفلته عما في المحيط من ظروف قد تؤدي الى فضحه او القبض عليه . كما ان من المناسب ان اذكر بأن مثل هذا المجرم يقوم بعمله غير واع ولا قاصد وبصورة آلية ، واذا كان المنوم قد اقترح عليه بعض الاحتياطات فانه يتخذها ، ولكن هل في استطاعة المنوم ان يتنبأ بجميع ما قد يطرأ من ظروف ؟ واستطيع أن أؤكد ان صعوبات اخفاء الجريمة الموحى بها كبيرة لدرجة ان اي منوم عاقل يتردد كثيرا قبل الاقدام على مثل هذا العمل .

لا يتسع المقام لبسط النظريات المختلفة التي

تعلل ظاهرة التنويم ، ولذلك فسأكتفي بذكر اهمها ثم اقف عند واحدة منها تبـــدو لى اقرب الى الصحة والعقل .

ويمكن تلخيص النظريات التى حاولت تعليل ظاهرة النوم واجمال هذه النظريات فى ثلاثـــة اصناف : (١) النظريات المرضية (٢) النظريات الفسيولوجية (٣) النظريات النفسية .

النظريات المختلفة فى تفسير التنويم

اما **النظرية المرضية** فأشهر من قـال بها العالم الفرنسى (شاركو) واتباعه ، وهى ترى ان هذا النوع من النوم انمـا هو حالة مرضيـــة اصطناعية يحمل عليهـــا الاشخاص المصابون بالهستريا فقط ،وانها تحدث نتيجة لمؤثرات حسية فقط ، ودون علم من المنوِّم . ولعل مـن المفيد ان اذكر ان القائلين بهذه النظريــة كانوا مـــن العاملين فى مستشفى يهتم بالهستريا وانهم لم ينجحوا فى تنويـــم مرضاهم الا فى حالات قليلة .

والنظريات الفسيولوجية

واما **النظرية الفسيولوجية** ويقول بها علماء من مثل براهويل Bramwell وسواه فتقول بأن حوادث التنويم ترَدّ الى اسباب فيسيولوجية عصبية . ان بعضهم يردها الى ايقاف وظائف المراكز والعقد العصبية فى الدماغ ، وبعضهـــم يردها الى شلل هذه المراكز العصبيـــة نتيجةرتابة المؤثر او الى تعب هذه المراكز بسببالضغط أو غير ذلك من الأسباب.
ولعل اهم الردود على هذه النظرية هو عدم حصول النوم نتيجة هذه المؤثرات فقط ، بل بمؤثرات وطرائق اشرت اليها فى مطلع كلامى .

واما **النظرية النفسية** فانها اقربها الى الصواب ، وهى تعلل حادثة النوم بعمل العقل الباطن والحياة الشعورية عـــلى النحو التالى: الحياة النفسـية اللاشعورية حقيقة واقعة لا مجال لنكرانها ، والحياة الشعورية ــ على بساطة شأنها ــ تلعب دور الموجِّه والرقيب ، وتستخدم قوى الذكاء والخبرة فى مواجهـــة الظروف الطارئة للحياة . ولكن هذه الحيـــاة الشعورية قد تتوقف ــ كمـا هو الحال أثناء النوم ــ عن عملها هذا ،تاركة للحياة اللاشعورية الواسعة الفنيةحرية العمل.
والحياة اللاشعورية هذه (أو العقـــل الباطن) هى التى تقبل الايحاء سواء فى حالة التنويم او فى الأحوال العادية ، وهى ترسل ما تلقته من ايحاءات الى النفس الشاعرة فى الأحوال السوية ، او تنفـذ هذه الايحاءات بذاتها ودون اســتئذان الحياة الشاعرة فى حالة التنويم .

وهكذا يكون النوم ، النـــوع الذى نتحدث عنه ، حالة تتوقف خلالها كـل معارضة من النفس الشاعرة لقبـــول النفس غـــير الشاعرة ايحاءات المنوم وتنفيذها الا فى الاحوال التى تتعارض فيها هذه الايحاءات مع مبادىء المنوِّم.
ويكون هذا النوم مشابها للنوم العادى ظاهريا ، ولكنه فى الواقع يختلف عنــه اختلافا بينا كما وضح لنا حتى الآن .

التنويم فى الطبيَّن الجسدى والنفسى

استعمل الطبيب (ايسديل Esdail) ــ وجاراه فى هذا عدد عديد من الأطباء ــ التنويـــم لتخدير المرضى واجراء العمليات الجراحية دون الم . ولا شك فى أن اكتشاف الكلوروفورم قد قلل من قيمة التنويم فى هذا الخصوص .

التنويم لمنع آلام الولادة والجراحة

وفى الولايات المتحدة الاميركية يستعمل اليوم بعض الأطبـــاء التنويم لمنع آلام المخاض والوضع وللاطمئنان النفسى ، لا سيما وان الايحاء عن طريق التنويم يدفع الوالدة الى اطاعة أوامر الطبيب والقيام بالأفعال التى تسهل عملية الولادة. وقد اســتعمل التنويم فى بعض مستشفيات الولايات المتحدة أخيرا لاجراء العمليات الجراحية .

ويلاحظ هنا ان من ميزات اجـــراء العمليات الجراحية تحت تأثير التنويم

تمكين المنوّم من أن يطلب الى المنوّم عدم الشعور بالألم بعد انتهاء العمليـة والاستيقاظ ، وفي هـذا تخفيف على المريض . ومما يجدر ذكره ان منـع الألم بواسطة التنويم أمر ممكن الحدوث، لا بعد العمليات فحسب ، بل بالنسبة الى كل الآلام . لكن اخفاء الآلام لا يعني الشفاء ، والألم ـ في الاصل ـ دليـل المرض ، ومنبّه الى خطورته ، ولذلك فان منع الألم لا يكون مفيدا الا في بعض الأحوال .

التنويم والاضطرابات العصبية

ولا تتجلى فائدة العلاج بالايحاء التنويمي في ميدان ما كتجليها في شفاء الاضطرابات الوظيفية العصبية ، اما في الميادين الاخرى فقيمته هي في تخفيف الألم فقط .

هـذا والتنويم مفيدا ايضا في علاج المخاوف المرضية والقلـق المرضيّ ، واعني بذلك المخاوف والقلق التي يعرف المريض انها لا تنهض على أساس معقول، كمثل الخوف من الامـاكن الواسعة المفتوحة ، او الأماكن المغلقة ، والأرق، وصعوبة تركيز الانتباه ، وسواها .

ثم ان التنويم طريقة ناجحة في تمتيع المريض بالنوم الطويل العميق مما يجنب المريض استعمال المنومات وما ينجم عن هذا الاستعمال من الاخطار . على أن من الواجب ان اذكر انه ليس من المحتم دوما نجاح العلاج ودوام أثره ، ولذلك فقد يكون من المناسب تكراره عـدة مرات ، كما ان من المفيـد ان يطالب المنوم باعادة ايحاءات المنوم لنفسه قبيل النوم العادي .

ادمان التدخين والخمر والانحراف

ويستخـدم التنويم في شفاء بعض الناس مـن بعض العادات السيئة كالتدخين وادمان الخمر . ولا بد في مثل هذه الأحوال من صبر طويل وتكرار للايحاءات للحصول على نتائج ايجابية ، كما لا بـد من تعاون المريض وارادته للشفاء وتكراره الايحاءات لنفسه .

وقد أثبت التنويم فائدته في عـلاج بعض الأشخـاص المصـابين بازدواج الشخصية واعادتهم الـى شخصيتهم العادية السوية .

وأخيرا فان بعض المحللين النفسيين يستعملون التنويم للكشف عن الحياة اللاشعوريـة لبعض المرضى وتشخيص عقدهم النفسية والايحاء اليهم بالعلاج اللازم . والمعروف ان (فرويد) نفسه اكتشف ان ثمة مرضى لا يمكن تنويمهم ، وحينئذ يكون التنويم غـير ذي فائدة بالنسبة اليهم ، ولذلك فقـد اقترح طريقته المشهورة في التراخي والتمـدد على مقعد مريح في غرفة هادئة التنوير ، والتحـدث الحرّ المرسَل او الموجّه ، وتحليل الأحلام والخواطر وغير ذلك من طرائقه المعروفة .

والخلاصة

فان التنويم ـ بحد ذاته ـ عمليـة واضحة بسيطة ، والنوم الناتج عنهـا ظاهـرة أصيلة لا يكتنفهـا غموض او اسرار ، وهي تعلل بالايحاء . ومن الممكن الافادة منها افادة مشروعة .

اما ما يقال عن كشف المنوم للغيب والمجهول ، ومعرفة الماضي او المستقبل ، او عن معجزات التنويم في شفاء الأمراض والدفع الى القيـام بأعمال خارقـة ، فأمورٌ تتحدد بالحدود التي أشرت اليها، ومتى تعدّتها دخلت في حيز الدجـل والكسب غير المشروع .

والملحوظ بعد هذا أن التنويم الذي احتل شأنا عظيما في النصف الثاني من القرن الماضي تراجع عن هذه المكانة وبدا يأخـذ محله الصحيح ، لا سـيما وأن الطبّين ، الجسدي والنفسي ، أصبحا يملكان اليوم من المعارف والطـرق والاساليب والمستحضرات ما يمكنهمـا من الاستغناء عن التنويم او التقليل من شأنه الى حد بعيد . ■■

فاخر عاقل

أغنية في الكفرون

على غير ما قصد .. سفح الشاعر كأسه فآذى جارته الصغيرة على النبع ..

لا تلوميني ..ولومي القدحا — أسكرته لفتة فانسفحا
قطرة شاعرة حنت إلى — شاطئ السحر فطارت فرحا
نجمة بيضاء فرت من يدي — فهبيها في الندامى مطرحا
سمرة الورد .. على «نبع الصفا» — لامس الورد الندى فانفتحا
ما على أوراقه إن رشفت — نهلة من عمري أو قدحا ؟
ما عليها – والندامى وتر — في لهاتي – إن تصفق مرحا؟
سكر الطفل على ألحانكم — ويحه سكران .. ماذا اجترحا؟

***

غزل الكفرون أحلام السما — طيلسانا أخضرا .. واتشحا
وتفيأنا هواه خيمة — ما احتمى عطشان فيها وصحا
ونقلنا حلبا في موسم — من جنون اللحن ..يجتاح الضحى
رد هذى الشمس عن أقداحنا — أنجمي السمر ملأن المسرحا
ردها .. لو نزل القفر بنا — نديت أضلاعه واستروحا
حسبنا فيروز تسقينا ... فما — مر كرم بعدها إلا استحى
حسبي النبع ... وحورياته — أنا والنبع هنا .. لن نبرحا
نعصر الشعر المصفى قبلا — ومواويل «العتابا» ملحا ..

***

اسقني يا ناقر الدف الهوى — ربح الكفرون رهني ..ربحا
مد لي من ضفتيه شركا — وتحداني لهاة أسمحا
لم أقاوم .. لاتلمني .. كيف لي؟ — هو والسحر علي اصطلحا
مارهبت الجرح من عاصفة — خفت هفهاف الصبا ان جرحا
ها هنا كل حصاة شاعر — كل عنقود قصيد فصحا
موجة خضراء عامت بالشذا — يا شذا .. أنا هنا كي نسبحا
أنا روح ضاع ..لموا غيمة — تجدوني خلفها منسرحا

سليمان العيسى – الكفرون

* احدى القرى في سوريا

مشروع الموحدين لغزو مصر

• هل بالغ ابن جبير فيما زعم، وصل

• بلغت دولة الموحدين ذروة قوتها في عهد خليفتها يعقوب المنصور

كما بلغت مصر ذروة قوتها في عهد صلاح الدين

• استنصر صلاح الدين الخليفة المنصور ضد

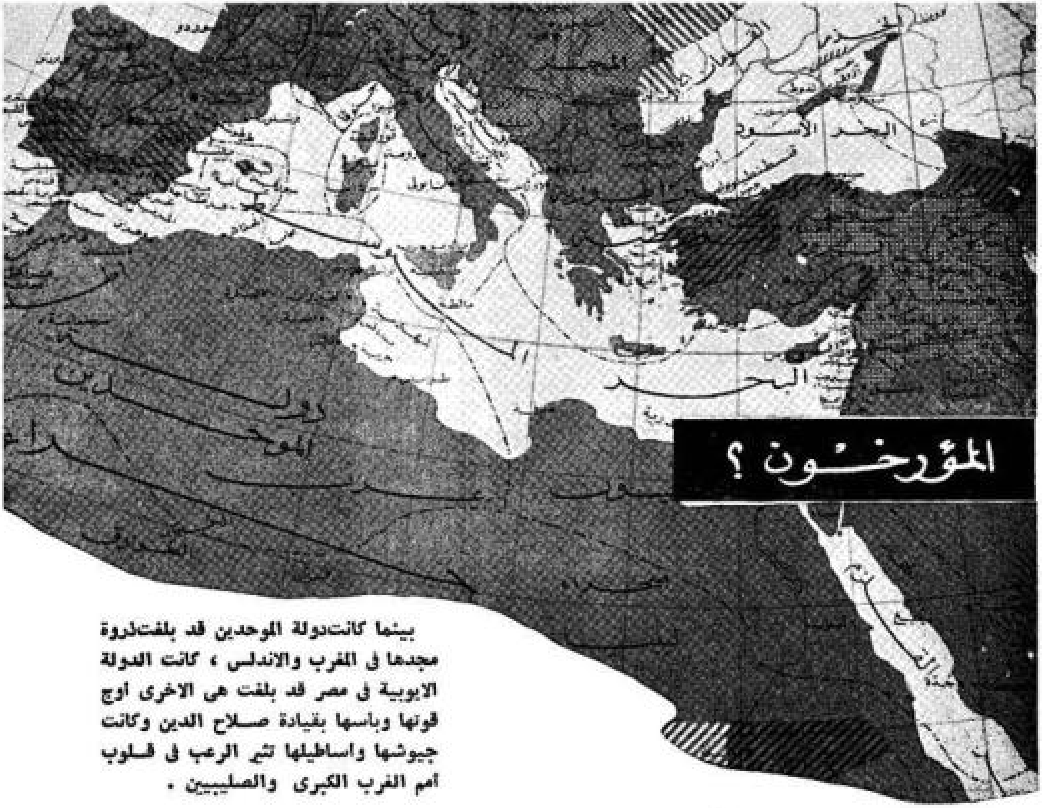
بقلم : محمد عبد الله عنان

■ بلغت الدولة الموحدية الكبرى، التى قامت بالمغرب والأندلس، على أساس الدعوة المهدية ـ دعوة المهدى محمد بن تومرت ـ ذروة عظمتها وقوتها فى عهد الخليفة ابى يوسف يعقوب المنصور، الذى تولى الخلافة منذ سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤م) حتى وفاته سنة ٥٩٥هـ (١١٩٩م) وكان المع حادث فى عهده، انتصاره الباهر فى موقعة الارك العظيمة على جيوش قشتالة فى سنة ٥٩١ هـ (١١٩٤ م) .

هذا الخليفة القوى الظافر، تقترن باسمه مسألة من مسائل التاريخ الغامضة، التى لم تفطن اليها معظم الروايات المتأخرة، والتى تجد مع ذلك صداها القوى، فى بعض الروايات والنصوص المعاصرة، ونعنى بذلك بذلك مشروع الموحدين ونيتهم فى غزو مصر .

دعوة المهدى بن تومرت

وقد قامت دعوة المهدى بن تومرت على نظرية دينية أخلاقية اجتماعية هى: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو كان خلال رحلته الدراسية بالمشرق



المؤرخون ؟

بينما كانت دولة الموحدين قد بلغت ذروة مجدها فى المغرب والاندلس ، كانت الدولة الايوبية فى مصر قد بلغت هى الاخرى أوج قوتها وبأسها بقيادة صلاح الدين وكانت جيوشها واساطيلها تبث الرعب فى قلوب أمم الغرب الكبرى والصليبيين .

الصليبيين فلا يعقل أن يغزو المنصور ديار المصريين

يتخذ من هذه النظرية شعاره اينما حل ، ففى سنة ٥١١ هـ اخترق محمد بن تومرت مصر للمرة الثانية فى طريق عودته الى المغرب ، ونزل بالاسكندرية ، واقام بها حينا يتلقى دروسه على العلامة ابى بكر الطرطوشى . وهنا نشط الى بث دعوته فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واشتد فى ذلك ، وخرج من القول الى الفعل ، بالتعرض للناس وزجرهم حتى حدث من جراء ذلك شغب ، قيل انه كان سببا فى حمل الوالى على نفى ابن تومرت من المدينة . وعلى أى حال فقد غادر ابن تومرت مصر وثغرها ، وهو يحمل عن الحياة الاجتماعية المصرية ، وما يتخللها من ضروب البدع ، وعن المجتمع المصرى ، وما يجنح اليه من ضروب المتعة والرفاهية ، واللهو والمرح ، أسوأ الفكر ، واقسى الاحكام .

وشاء القدر أن يكتب الظفر لدعوة ابن تومرت ، وأن تقوم الدولة الموحدية بالمغرب ، وشعارها التوحيد ، واحياء الشريعة ومحاربة البدع ، على انقاض الدولة المرابطية التى دمغتها دعوة المهدى ، بالاغراق فى الضلال ومخالفة أحكام الكتاب والسنة ، والخروج على شريعة الاسلام .

الخليفة الموحدى يعقوب المنصور

وكان الخليفة يعقوب المنصور ، وهو ثالث الخلفاء الموحدين ، بعد جده الخليفة عبد المؤمن ابن على ، وابيه الخليفة أبى يعقوب يوسف ،

يجمع الى عظمة السلطان السياسى ، رسوخ العقيدة ، وشدة الحرص على أحكام الشريعة وسنتها ، وبالرغم من انه لم يكن من الغلاة فى تقدير تراث المهدى بن تومرت وتعاليمه ، وقد أحدث ما يمكن ان يسمى انقلابا حقيقيا فى ميدان المذهب والعقيدة فى الدولة الموحدية فانه كان يتشدد فى تطبيق أحكام الشريعة على حقيقتها ، وفى الدعوة الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واقامة الحدود حتى فى أهله وعشيرته ، وكان يذهب فى ذلك الى حدود بعيدة ، حتى قيل انه عاقب على شرب الخمر بالقتل ، وكان يشدد فى الزام الناس باقامة الصلوات الخمس ، ويأمر بالمناداة عليها ، ويعاقب على تركها .

الى يعقوب المنصور ينسب مشروع فتح مصر

وهذا الخليفة الموحدى التقى الورع ، الحريص على احياء الشريعة وسنتها ، هو الذى ينسب اليه مشروع فتح مصر ، وضمها الى الامبراطورية الموحدية ، لأنها كانت فى نظر الموحدين ، منذ أيام امامهم المهدى بن تومرت ، بلدا يغرق فى الضلالات والبدع ، وتشيع فيه المنكرات ، والاستهتار باحكام الشريعة ، ولم يكن ذلك قول رواية عابرة ، ولكنه بالعكس مشروع ينوه به غير واحد من المؤرخين الرواة .

ما قال الرحالة ابن جبير فى ذلك

فيقول لنا المراكشى وهو مؤرخ موحدى النزعة ، ومعاصر لعهد المنصور فى كتابه « المعجب » انه « قد بلغه من غير واحد أن المنصور صرح للموحدين بالرحلة الى الشرق ، وانه كان يذكر البلاد المصرية ، وما فيها من المناكر والبدع ، ويقول نحن ان شاء الله مطهروها . ولم يزل هذا عرفه الى أن مات » .

ما قال الرحالة ابن جبير فى ذلك

بيد انه يوجد الى جانب هذا النص الموجز ، عرض أوفى ، وأكثر تفصيلا ، فيما يذكره لنا الرحالة الأندلسى ابن جُبَيْر ، فى رحلته ، عن هذه النية الموحدية فى غزو مصر ، وصداها فى مصر ذاتها . وابن جبير ، معاصر ايضا للمنصور ، ومن أولياء الدولة الموحدية ، وممن خدموها ، وأزجوا اليها المدائح الكثيرة . وقد قام ابن جبير برحلته الأولى الى الشرق فى سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) ، وفيها أدى فريضة الحج وجاور بمكة ثم عاد الى الأندلس . وقام برحلته الثانية الى المشرق فى سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م) . وعاد الى المغرب . ثم رحل للمرة الثالثة فى سنة ٦٠٢ هـ (١٢٠٥ م) وجاور بمكة وبيت المقدس ، وتوفى فى الاسكندرية فى سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) .

ابن جبير يحمل على أحوال المشرق العربى

ويبدأ ابن جبير فى رحلته ، بالحملة على أحوال البلاد الشرقية ولا سيما ما كان يقع فى عصره ببلاد الحجاز من ظلم الحجاج ، وانتهاب اموالهم ، ويُعرب عن أمله فى ان تقمَع هذه البدع المجحفة بالمسلمين « بسيوف الموحدين انصار الدين ، وحزب الله اولى الحق والصدق ، والذابين عن حرَم الله عز وجل والغائرين على محارمة ، والجادين فى اعلاء كلمته ، واظهار دعوته ، ونصر ملته » .

ثم يقول ابن جبير فى التنديد بأحوال الشرق وضعف اسلامه : « وليتحقق المتحقق ، ويعتقد الصحيح الاعتقاد ، ان لا اسلام الا ببلاد المغرب ، لانهم على جادة واضحة ، وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فاهواء وبدع ، وفرق ضالة وشيع ، الا من عصم الله عز وجل من اهلها ، كما انه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه ، الا عند الموحدين اعزهم الله ، فهم ائمة العدل فى هذا الزمان ، وكل من سواهم من الملوك فى هذا الاوان ، فعلى غير الطريقة يعشرون تجار المسلمين كانهم اهل ذمة ، ويستجلبون اموالهم بكل حيلة ، ويركبون طرائق من الظلم لم يُسمع بمثلها ، اللهم الا هذا السلطان العادل صلاح الدين ، الذى قد ذكرنا سيرته ومناقبه ، لو كان له اعوان على الحق » .

ابن جبير ينوه بصدى الدعوة الموحدية فى مصر

واهم من ذلك ما ينوه به ابن جُبَيْر من صدى الدعوة الموحدية بمصر ، وانتشارها بصورة تدعو الى الدهشة ، ومن ان اهل مصر ، بل كلهم

يرمزون بذلك رمزا خفيا ، وينسبون ذلك الى آثار حَدَثانية وقعت بأيدى بعضهم وانذرت باشياء من الكوائن ... ولم يبق الا الكائنة السعيدة من تملك الموحدين لهذه البلاد ، فهم يستطلعون بها صبحا جليا ، ويقطعون بصحتها ، ويرتقبونها ارتقاب الساعة التى لا يمترون فى انجاز وعدها ، شاهدنا من ذلك بالاسكندرية ومصر وسواهما ، مشافهة وسماعا، امرا غريبا، يدل على ذلك الامر العزيز، امر الله الحق، ودعوته الصدق. ونمى الينا ان بعض فقهاء البلاد المذكورة ، وزعمائها ، قد حبَّر خُطبا اعدَّها للقيام بين ايدى سيدنا امير المؤمنين (يريد الخليفة الموحدى) وهو يرتقب ذلك اليوم ارتقاب يوم السعادة ، والله عز وجل يَبسطها من كلمة ، ويعليها من دعوة ، انه على ما يشاء قدير » .

وكان للمهدى بمصر أصحاب يؤمنون بدعوته

ونستطيع ان نربط بين هذه الاقوال ، التى يصف فيها ابن جبير صدى الدعوة الموحدية بمصر ، ويعرب عن امله فى امتلاك الموحدين لها ، وذلك خلال مروره بها سنة ٥٧٩هـ (١١٣٨م) اعنى قبيل عهد الخليفة المنصور بقليل ، وبين ما ذكره الفقيه ابو القاسم المؤمن المصرى فى كتابه المسمى « بالانساب فى معرفة الصحاب » ، ونقله البيذق مؤرخ المهدى ، عن اصحاب المهدى بمصر ، فقد ذكرلنا من هؤلاء الصحاب المصريين واحدا وخمسين رجلا باسمائهم ، وقال انهم « كانوا من اعيان بلادهم ، وانهم كانوا سامعين لقوله (اى قول المهدى) مجيبين لامره مؤمنين به ، مختارين صحبته ، مؤثرين لحقه ، معظمين لحديثه » .

فكرة غزو مصر سبقت الى المهدى بن تومرت ، قبل يعقوب المنصور

ويستخلص مما تقدم ، ومن اقوال ابن جبير خاصة ، انه كانت توجد ثمة فكرة موحدية لغزو مصر ، والاستيلاء عليها ، وتطهيرها من « البدع » وان هذه الفكرة ترجع الى ما قبل عهد المنصور ، بل هناك ما يدل على انها ترجع الى عصر المهدى ذاته ، فقد راينا كيف كان المهدى اثناء مقامه بالاسكندرية يبشر بدعوته للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكيف انه كان يبالغ فى ذلك الى حد انه وقع من جراء تصرفاته شغب ترتب عليه اخراجه منفيا من المدينة ، بل قيل اكثر من ذلك ، وهو ايضا مما يرويه لنا المراكشي فى كتابه « المعجب » وهو ان المهدى قال ذات يوم لاصحابه فيما قال ووعدهم به ، وكانوا يجلسون تحت شجرة خروب ظليلة تواجه مسجد تينملل (وهى عاصمة المهدى) : « لَيَبْتَصِرَنَّ منكم من طالت حياته ، أمراء مصر مستظلين بهذه الشجرة ، قاعدين تحتها » . وهذه الفكرة الموحدية لافتتاح مصر ، قد تبلورت فيما يبدو فى عهد الخليفة يعقوب المنصور ، واتخذت طابعا قويا ، وذلك لما ابداه المنصور من عـزم ، وتوسع ضخم فى أهباته العسكرية ، وما وُفّق اليه من انتصارات باهرة فى شبه الجزيرة الاسبانية ولا سيما فى معركة « الارك » الكبيرة (سنة ٥٩١ هـ) وهى التى سحقت فيها الجيوش القشتالية ، ورفعت سمعة الموحدين العسكرية الى ذروتها .

ومصر ، فى ذلك العهد ، كيف كانت ..

بيد انه يجب لكي نقدر مدى هذه الفكرة ـ فكرة الموحدين فى فتح مصر ـ ، من الرصانة ، ان نذكر ما كانت عليه مصر ، فى الوقت الذى يشير اليه ابن جبير فى حديثه .

مصر كانت ، تحت قيادة صلاح الدين فى الذروة من القوة

فقد كانت مصر فى ذلك العهد ، الذى القى القدر فيه بقيادتها الى الملك الناصر صلاح الدين ، قد بلغت اوج قوتها وباسها ، وكانت جيوشها واساطيلها الزاخرة ، قد احرزت على الصليبيين سلسلة من الانتصارات الباهرة ، وقضت على المملكة اللاتينية الصليبية فى بيت المقدس ، واضحت قوتها مثارا للروع بين امم الغرب الكبرى .

صلاح الدين استنصر بعاهل المغرب يعقوب المنصور

اجل ان الملك الناصر صلاح الدين ، حينما

هرعت جيوش الغرب واساطيله الضخمة الى الشام ، عقب افتتاحه لبيت المقدس (٥٨٣هـ) كان قد فكر في ان يستنصر بعاهل المغرب الخليفة يعقوب المنصور ، لكي يمده بشطر من الأساطيل الموحدية لتعاونه على رد عدوان الصليبيين ، وكان قد ارسل بالفعل الى الخليفة الموحدي رسالة بليغة بهذا المعنى ، مدبجة بقلم القاضي الفاضل، وذلك في سنة ٥٨٥هـ ، ولما لم يستجب المنصور الى ندائه ، عاد في العام التالي (٥٨٦هـ) فبعث اليه سفارته الشهيرة على يد وزيره ابن منقذ يكرر نفس الصريخ ، ويشرح للخليفة ما يواجهه من عدوان الحشود الصليبية الضخمة ، البرية والبحرية . وكان الخليفة المنصور يشتغل يومئذ بالحرب في اراضي البرتغال . فلما عاد الى مراكش ، استقبل السفير المصري ، ووقف على مضمون سفارته ، ولكنه اعتذر بعدم امكان الاستجابة الى صريخ زميله عاهل المشرق .

ما استنصر صلاح الدين يعقوب المنصور عن وهن وضعف

اجل قام صلاح الدين بهذا المسعى لدى الخليفة الموحدي ، ولكن ذلك لم يكن عنوان الضعف او الوهن ، ولكنه كان عنوان فكرة نبيلة ، هي فكرة التضامن الاسلامي ، والتعاون المشترك في مكافحة العدو المشترك ، والجهاد المشترك في سبيل الله .

ان صحت النية في غز مصر فما كانت الا حلما

ولم يكن ثمة ريب في ان الموحدين كانوا يعرفون ما كانت عليه مصر من القوة ، وضخامة الموارد والحشود البرية والبحرية في هذا العهد ، فكيف نستطيع مع ذلك ان نؤمن بان الموحدين كانوا يحتضنون مشروع افتتاح مصر بصورة جدية ، وان الخليفة المنصور ، كان حسبما يخبرنا المراكشي ، ينوى تنفيذ هذا المشروع الضخم ؟ اكبر الظن ان مثل هذا المشروع ، ان كان ، لم يكن سوى امنية تجيش باذهان الموحدين ، وهم في ذروة حماستهم الدينية . امنية ربما كانت تطبعها في نفس الوقت الوان من الاطماع السياسية الضخمة في فتح قطر عظيم كمصر ، كانت ثرواته وموارده الزاخرة ، تجذب انظار دولة قوية عظيمة كالدولة الموحدية .

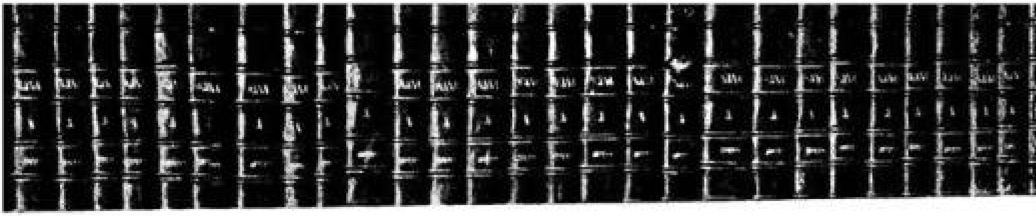
سابقة الفاطميين هل اغرت الموحدين ؟

ولقد كان ثمة سابقة بارزة،وهي الفتح الفاطمي لمصر ، وهو ايضا مشروع دولة مغربية قوية ، تسير غازية خلال القفر ، وتفتح هذه الدرة الخضراء ـ مصر ـ بايسر امر . ولكن شتان بين العصرين وبين الظرفين . وذلك ان مصر كانت في عصر صلاح الدين ، وايام المنصور ، اعظم دول المشرق واقواها ، فلم يكن من المعقول ان يفكر الموحدون في غزو مثل هذه الامبراطورية الاسلامية الضخمة التي تحطمت على صخرة قوتها الراسخة حملات الصليبيين المتوالية . ومن جهة اخرى فان قصور الموحدين في هذا الوقت بالذات ، عن القضاء على ثورة بني غانية في افريقية بصورة حاسمة ، واستمرار هذه الثورة العتيدة ايام المنصور ، ومن بعده اعواما طويلة، يقطع بان فكرة غزو مصر ، ان كانت ، لم تكن لدى الموحدين سوى امنية خيالية بعيدة المنال .

وابن جبير ، لعل أتباع المهدي في مصر خدعوه

كذلك يلوح لنا ان ما يذكره الرحالة ابن جبير عن انتشار فكرة الغزو الموحدي بمصر ، وما كان يهمس به الناس من ذلك الامر ، وما كان يخالجهم من امل في تحقيقه ، انما هو مبالغة ترجع الى ولاء ابن جبير للدولة الموحدية التي خدم في ظلها وتمتع برعايتها . واغلب الظن ان ابن جبير تلقى اخباره من بعض الغلاة الهائمين من اتباع المهدي وانصاره بمصر ، فصورها على انها تعبر في اتجاه اغلبية الامة المصرية ، وهو ما يعتبر في نظرنا من ضروب المغالاة التي لا يوجد ما يسوغ الاخذ بها او الاعتقاد في صحتها . ■■

محمد عبد الله عنان

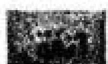


مِن بَيت الحِكمَة..

إلىَ دَار الحِكمَة

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

مدير جامعة الكويت



المؤرخون على ان دورالكتب، قد ادت فى العصر الاسلامي الزاهر ، ما تؤديه معاهد العلم والجامعات فى العصر الحاضر . فقد كانت الكتب قبل اختراع الطباعة ان هى الا مخطوطات غالية الثمن لا يطيق اقتناءها الا الاغنياء . ومن حسن حظ العلم والحضارة الاسلامية ، ان لجأ عدد من هؤلاء القادرين من محبى العلم الى انشاء المكتبات ، واباحة الاستفادة منها لجمهور الراغبين فى الاستزادة من المعرفة ، فعرفت مكتبات خاصة كثيرة كان لها شان أى شان .

منها « خزانة الحكمة » التى انشأها على بن يحيى المنجّم فى ضيعة له بالقرب من بغداد ، ويروى ياقوت أن الناس كانوا يقصدونها من كل بلد ، يتعلمون منها ألوانا من العلم وضروبا من المعرفة . والكتب مبذولة لهم ، والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة فى كل ذلك من مال «على ابن يحيى » .

ومنها « دار العلم » التى انشأها بالموصل ، ابو القاسم جعفر بن محمد ابن حمدان الموصلى ، جعل فيها خزانة كتب ، وقفها على كل طالب علم ، واذا جاءها غريب فقير ، اعطاه صاحب الدار ورقا وورقا . ومكتبة « ابن سوار » بالبصرة . ومكتبة «خالد بن يزيد » وهو أول من عرفت له مكتبة فى الاسلام فيما يروى « كرد على » ، فقد عنى باخراج كتب القدماء ،واحضر جماعة من فلاسفة اليونان وامرهم بنقل الكتب الى اللغة العربية . ومن هذه المكتبات الخاصة ، مكتبة « الناصر لدين الله » و « المعتصم بالله » و « الفتح بن خاقان » و «حنين ابن اسحق » ، و « القفطى » و « ابن الخشاب » ، و« الأصفهانى » و « ابن العميد » وغيرها كثير .

مكتبة الاسكندرية

اما المكتبات العامة ، فلعل اشهرها فيما يروى « مكتبة الاسكندرية » التى كانت ملحقة بجامعة الاسكندرية القديمة، والتى انشأها البطالمة فى القرن الثالث

قبل الميلاد ، والتى احترقت فى عهد قيصر ، ويروى انه كان بها آنئذ نحو خمسمائة الف مجلد ، وقد نقل اليها « انطونيو » ما كان بمكتبة « برجامون » بآسيا الصغرى من كتب ، قيل انها بلغت نحو مائتى الف مجلد. اهداها «انطونيو» الى «كليوباطرة» ليعوضها بعض الخسارة عن حرق مكتبة الاسكندرية .

وهناك مكتبتان ، يزدهي بهما العصر الاسلامى ، هما « بيت الحكمة» فى بغداد و « دار الحكمة » بالقاهرة .

بيت الحكمة

انشا «بيت الحكمة» هارون الرشيد، ووصل النشاط فيها ذروته فى عهد « المأمون » حيث نشطت الترجمة لنقل العلوم من اللغات اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية . وكان الرشيد قد نقل اليها ما وجده من كتب فى انقرة وعمورية وبلاد الروم التى غزاها المسلمون . وقلد « يوحنا بن ماسويه » الاشراف على ترجمة الكتب القديمة ،كما عين المأمون « سهل بن هارون » مشرفا على هذه المكتبة ، وكانت بها مجموعات من الكتب اليونانية اهديت الى المأمون من صاحب جزيرة قبرص، واخرى جاءته من القسطنطينية ، كان المأمون قد طلبها من ملك الروم . وقد صنفت الكتب حسب موضوعاتها،واختير لها المترجمون ممن لهم خبرة علمية بهذه الموضوعات ، التى يترجمونها ، فضلا عن اجادتهم للغتين العربية واليونانية .

ومن مشاهير المترجمين فى عهد الرشيد « ابو سهل الفضل » و «يوحنا ابن ماسويه » و « ابن البطريق » و « حنين بن اسحق » و « عمر بن الفرحان » و « ثابت بن قره» وغيرهم . وكان بالمكتبة نساخ يؤتى لهم بالكتب لينقلوا صورا منها ، واذا ضن صاحب الكتاب،انتقل النساخ اليه، وكان النساخ يتبادلون العمل ليلا ونهارا .

وقد بلغت مكتبة بيت الحكمة اوجها فى عصر المأمون . لقد كانت بمثابة مركز علمى ممتاز ، شمل علوم الطب والفلسفة، والحكمة ، وكان المأمون مثال الخليفة العالم الذى يهب العلم وقته ورعايته ، يعطف على العلماء ويزين بهم مجالسه ، ويغدق عليهم . قيل انه كان احيانا يدفع وزن ما يترجم ذهبا . وكان المأمون اول من نادى بأن لا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء ،فهيأ للعلماء ارزاقا يتقاضونها من أوقاف ثابتة .

ويعتبر بيت الحكمة اول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الاسلامى،انفقت عليها الدولة العباسية بسخاء ، كان يجتمع فيها العلماء للدرس والبحث ، ويلجأ اليها الطلاب للقراءة والتعلم ، ومن أسف ان اهمل المعتصم شأن هذه المكتبة العظيمة ، وتوالت الاحداث بعد ذلك ، الا انها ظلت محتفظة بكيانها الى ان داهم التتار بغداد ، فدالت دولة هذا المعهد العظيم ، الذى لعب دورا عظيما فى نقل العلوم والمعارف الأجنبية الى اللغة العربية .

دار الحكمة

اما «دار الحكمة» فقد انشأها بالقاهرة الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥ هـ . ويروى المؤرخون ان قد حملت اليها الكتب من خزائن القصور ، وحمل اليها من خزائن الحاكم من الكتب ما لم يُرَ مثله مجتمعا لأحد الملوك او الخلفاء قط . واجرى الحاكم بأمر الله الأرزاق على من فى دار الحكمة من العلماء والفقهاء والأطباء ، وأباح دخولها للناس للقراءة والكتابة والنسخ والتعليم والترجمة ، كما أباح عقد الاجتماعات العلمية، فيحضر العلماء للمناظرة فى المسائل العلمية . وكان الحاكم حريصا على حضور هذه الاجتماعات بنفسه ،وكان يخلع على العلماء الخلع السنية . وقد اوقف الحاكم بأمر الله على بيت الحكمة اوقافا عظيمة ، وكان يؤكد انها ابدية ، لا يوهنها تقادم السنين . لولا ان الزمن الدوار كان

لها هى الأخرى بالمرصاد ، فدالت دولتها فى القرن السادس الهجرى .

المؤرخ بلنتون يصف المكتبات العربية العامة

ويروى المؤرخ « بلنتون » الكثير عن مدى اهتمام المسلمين بأبنية المكتبات العامة، فيقول كان البناء مزودا بحجرات متعددة ، تربطها اروقة فسيحة ،وكانت الرفوف مثبتة بالجدران لتوضع فيها الكتب ، وكانت تخصص بعض الأروقة للاطلاع ، كما تخصص اماكن للنسخ ، واخرى لعقد حلقات الدراسة والمناظرة. ويروى غيره أن ثمة حجرات تخصص للموسيقى ، يلجأ اليها المطالعون للترفيه وتجديد النشاط،وكانت جميع الحجرات فاخرة الأثاث والرياش . وقد فرشت الأرض بالأبسطة ، وارخيت على النوافذ والابواب الستائر الجميلة ، وثمة ستارة سميكة تغطى المدخل ، حتى تحول دون دخول تيارات الهواء البارد فى الشتاء .

المقريزى يشيد بدار الحكمة

وكذلك يروى « المقريزى » أن دار الحكمة بالقاهرة ، لم تفتح ابوابها للجماهير الا بعد أن فرشت وزينت وزخرفت ، وعلقت على جميع ابوابها وممراتها الستور ، وعين لها القوام والخدم . يقول وكان البناء عظيما جدا، اذ كانت عدة الخزائن برسم الكتب فى سائر العلوم اربعين خزانة ، تتسع الواحدة منها لنحو ثمانية عشر الف كتاب وكانت الرفوف مفتوحة ، والكتب فى متناول الجميع ويستطيع الراغب أن يحصل على الكتاب الذى يريده بنفسه، ما تيسر له ذلك ، فاذا ضل الطريق استعان بأحد المناولين .

فهارس منظمة

وكان لهذه المكتبات فهارس منظمة ، يروى ابن سينا والحسن بن سهل ، والبيهقى وابن الجوزى وغيرهم من دقة هذه الفهارس الشىء الكثير ، وكانت الاستعارة مباحة،عدا قيود يسيرة لتنظيم العمل ، واحيانا يطلب الى المستعير أن يدفع ضمانا،ولكن يعفى العلماء وافاضل الناس من دفع هذا التامين .

وكان يتولى أمانة هذه المكتبات علماء ممتازون من امثال سهل بن هارون وكان أمينا لبيت الحكمة ، و « على بن محمد الشابشتى » وكان أمينا لدار الحكمة .

ماذا كان يؤول اليه الحال لو بقيت هاتان المكتبتان تؤديان وظيفتهما فى نشر العلم والمعرفة فى ربوع الوطن العربى ، لقد كان لهما فعل السحر فى اذكاء روح النهضة العلمية فى المشرق والمغرب العربيين على السواء ، فى الوقت الذى كانت فيه اوروبا غارقة ما تزال فى دياجير الجهالة والظلام . وقد كانت هذه الحقبة التى ازدانت بهاتين المكتبتين من ازهى عصور الحضارة العلمية الاسلامية،وسطع فى سمائها عدد من العلماء ، ممن يزدهى بهم العلم فى كل عصر وآن ، ممن نقلوا ودونوا معارف الاغريق ، وزادوا عليها وأضافوا اليها ، وممن ابتكروا فى علوم الطب والفلك والكيمياء ، والجبر والفلسفة والنبات والحيوان والمعادن وما اليها من معارف ، وذلك بطبيعة الحال بالاضافة الى العلوم الدينية واللغوية ، وعنهم نقل علماء أوروبا، بل ظلت كتب بعضهم هى العمدة عند اهل الصناعة فى كثير من جامعات أوروبا فى القرون الوسطى ، وكان بعضها يدرس فى تلك الجامعات حتى القرن السابع عشر .

لو كتب لهذه النهضة العلمية التى شع نورها من بيت الحكمة فى بغداد ، ودار الحكمة فى القاهرة ، أن تبقى متوقدة متوهجة خلال قرون الظلام التى رانت على الوطن العربى من التتار والترك والاستعمار الغربى ، لكان وطننا العربى قائد هذه النهضة العلمية التى يدل بها الغرب علينا فى هذه الايام .. ■■

عبد الحليم منتصر

الكسائى

شيخ أئمة الكوفة

وأحد الأوائل الذين أرسوا اللغة على قواعد ثابتة



الرجل الذى لم يهزم قط فى مناظرة !

بقلم : محمد مرسى الخولى

■ يحفل تاريخ الأدب العربى بالمناظرات العلمية التى كانت تتناول كل فن على أيدى المتخصصين فيه . وتبدو تلك الظاهرة واضحة فى القرنين الثانى والثالث ، حينما بدأ العلماء فى وضع قواعد العلوم عامة ، وارساء دعائمها قبل البدء فى تدوينها على ما انتهى اليه الرأى السليم فيما بينهم بعد امعان النظر واجالة الفكرة والاستناد على النص الوارد والخبر الصحيح .

وكانت اللغة بموادها المختلفة هي الناحية التى اشتد اقبال العلماء على تناولها بالبحث والنظر ، ففضلا عن انها الناحية المأمونة التى لا يخشى الباحث فيها من الوقوع فى مزالق الزلل ومهاوى الضلال ، فقد اشتدت الضرورة الى تدوينها بعد ان اختلطت الأمة العربية بغير المتكلمين بلغتها من الشعوب .

ولهذا فقد امتلأت محافل علماء اللغة ــ فى البصرة والكوفة وبغداد ــ بالعديد

من المناظـــرات التى كانت تبحث عن الحقيقة وتنشد المعرفة ، وهى فى اثناء ذلك تثير فى النفس الكثير من المتعة بما تحوى من طرافة .

ويحفظ لنـا تاريخ تلك المناظـرات اللغوية ومحافلها ، شخصية عالم كبير ، كان من اقوى المناظرين شكيمة وارسخهم قدما ، حتى ليصح أن نطلق عليه لقب : المناظر الذى لم يهزم قط ، ذلك هو علي ابن حمزة الكسائي .

الكسائي ، ومنزلته العلمية

يحتل الكسائي منزلة سامية بين علماء عصره ، فهو شيخ ائمة الكوفة فى النحو ، واحد القـــراء السبعة المشهورين فى الأمصار ، ومن أوائـل من اسهموا فى وضع قواعد العربية وارساء دعائمها .

ومن المعروف انه نشأ بالكوفة ، ونال مركز الصدارة بين علمائها ، ثم رحل الى بغداد حيث استفاضت شهرته فيها ، وعرف له الخليفة المهدى هذه المكانة فأسند اليه مهمة تثقيف ولده الرشيد ، ولما تولى الرشيد الخلافة عهد اليه بمهمة تأديب ولديه : الأمين والمأمون ، فقـام الكسائي بأداء المهمة على خير وجه ، اذ رفعه الرشيد بعدها من طبقة المعلمين والمؤدبين الى طبقة الجلساء والمؤنسين .

اتجالسني وأنت تلحن

ومن العجيب ان الرجل الذى وصل الى هـــذه المنزلة ، قضى شبابه كله وصدرا من كهولته ، وهو أبعد الناس عن العلـم ، ولو ان عرافا اسر اليـه بأنه سيصبح من ائمته فى المستقبل لظنـه يسخر منه أو يهزا به ، ولكن الذى حدث أن الكسائي ، وكان يذهب كثيرا لمجالسة صديق له من العلماء ، ذهب ذات مرة الى صديقه هذا ، وهو فى حالة شديدة من التعب والارهاق ، فلما سأله الرجل عن حاله ، قال الكسائي : لقد عَيِيتُ ، فاظهر الرجـل اشمئزازه وسخطه من هذه الكلمة وقال له : اتجالسني وانت تلحن ؟ فقـال الكسائي كيف لحنت ؟ فقال لـه : ان كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحير فى الأمر ، فقل : عَيِيت مخففـا ، وان كنت أردت من التعب ، فقل : أعْيَيْت .

فأنف الكسائي من هذه الكلمة ، ثم قام من فوره ذاك ، فسأل : من يعلّم النحو ؟ فأرشدوه الى معاذ بن مسلـم الهراء ، فلزمه حتى انفد ما عنده .

من اين اخذت علمك هذا

ثم لم يكتف الكسائي بما أخذه عـن استاذه من علم كان كفيلا على التحقيق الا يجعله يقع فيما استنكفه من نفسه من لحن . يبدو أن نفسه قد تفتحت للعلم، وطمح بآماله الى بلوغ مرتبة اعلى من مرتبة الذين اخذ بعضهم عليه زلة الوقوع فى اللحن ، فرحل الى البصرة حيث جلس فى حلقة عالمها الكبير الخليل بن احمد ، وقـد أدهشـه ما يتمتع به الخليل من وفرة العلم واتساع المعرفة ، فسأله فى لحظة من لحظات اعجابه به مأخوذا : من اين اخذت علمك هـــذا ؟ فأجاب الخليل : من بوادى الحجاز ونجـد وتهامة ، وسُرعانَ ما كان الكسائيُ يشد رحاله الى تلك البوادى ، يسمع عن اعرابها من غـريب اللغة ونوادرها ما انفـد فى كتابته خمس عشرة قنينة حبر ، سوى ما حَفِظ ، ورجع بعد ذلك الى الكوفة ، وقد وعى من العلم الشيء الكثير .

اولى مناظراته العلمية
أاهمز الحوت كما اهمز الذئب

لم يكن الكسائي بعد ذلك فى حاجة الى شيء الا ان يعترف له جمهور اهل العلم فى الكوفة بما حصله من علم حتى يجد له مكانا لالقاء دروسه فى المسجد الجامع ، وكان أقصر الوسائل الى ذلك لديه ، هو ان يخوض غمار مناظرة مع احد الأعلام على مرأى من جمهورهم ، حتى يعترفوا بحقه فى ذلك .

ويروى خلف بن هشام البزاز ـ احد تلامذته ـ ان الكسائي دخل مسجد السبيع بالكوفة مع اذان الفجر ، وكان حمزة بن حبيب الزيات ، احد قراء الأمصار السبعة الأعلام ، يتصدر للاقراء فيه . وكان من عادته ان يجلس لتلامذته بعد الصلاة يستمع الى قراءتهم مصححا لهم وموجها ، فلما قضيت الصلاة تقدم الكسائي للقراءة بين يديه ، فابتدأ بسورة يوسف ، فلما بلغ الى قصة الذئب ، قرأ : « فأكله الذيب » بغير همز ، فرمقه القوم بابصارهم ، وقال له حمزة مصححا . فساله الكسائي : وكذلك أهمز الحوت فى قوله تعالى : فالتقمه الحوت ؟ قال : لا . قال : فلم همزت الذئب ولم تهمز الحوت ؟ وهذا فأكله الذئب وهذا فالتقمه الحوت ؟ فرفع حمزة بصره الى خلاد الأحول أنبغ تلامذته ، فتقدم اليه فى جماعة من اهل المجلس ، فناظروا فلم يصيبوا شيئا . فقال خلاد : اذا أفدتنا يرحمك الله فقال الكسائي : السببُ فى هذا انك اذا نسبت الرجل الى الذئب تقول : قد استذأب الرجل ، ولو قلت : قد استذاب بغير همز لكنت انما نسبته الى الهزال ، تقول : استذاب الرجل اذ استذاب شحمه ، من غير همز ، واذا نسبته الى الحوت : تقول : استحات الرجل ، أى كثر اكله ، لأن الحوت يأكل كثيرا ، ولا يجوز فيه الهمز . وفيه معنى آخر : لا تسقط الهمزة من فرده ولا من جمعه ، وانشدهم :

أيها الذئب وابنه وابوه
أنت عندى من أذؤب ضاريات

وحقق الكسائي بهذه المناظرة ما كان يهدف اليه ، فقد اعترف له جمهور أهل العلم فى الكوفة بما كان يرجوه ، ومازالت مكانته العلمية بينهم تعلو حتى أصبحت له الصدارة على علمائها الى أن فارقها الى بغداد .

احدى مناظراته فى بغداد

رحل الكسائي الى بغداد تسبقه شهرته كعالم فذ من علماء اللغة ، وكان عليه لكي يقرر هذه الحقيقة ويزيدها تأكيدا ان يخوض كثيرا من المناظرات اللغوية التى كان يخرج منها كلها غالبا منتصرا .

وقد حدث ذات مرة ان اجتمع الكسائي وأبو يوسف القاضي عند الرشيد ، فجعل أبو يوسف يذم النحو ويقول : وما النحو ؟ فاظهر الكسائي دهشته واستياءه لصدور هذا القول عن عالم مثله ، وقال له : ما تقول فى رجل قال لرجل : أنا قاتلُ غلامِك ، وقال له آخر : أنا قاتلٌ غلامَك ، أيهما كنت تأخذ به ؟ قال : آخذهما جميعا . فقال له هرون : اخطأت ـ وكان له علم بالعربية . فاستحيا ، وقال : كيف ذلك ؟ قال الكسائي : الذى يؤخذ بقتل الغلام هو الذى قال : انا قاتلُ غلامِك بالاضافة لأنه فعل ماض ، واما الذى قال : أنا قاتلٌ غلامَك بالنصب فلا يؤخذ لأنه مستقبل لم يكن بعد ، كما قال الله عزوجل : « ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله » ، فلولا ان التنوين مستقبل ما جاز فيه غدا .

قصة العقرب والزنبور

ولعل اشهر مناظرة خاضها الكسائي فى بغداد ، هى تلك المناظرة المعروفة ، التى جرت بينه وبين سيبويه امام النحاة البصريين ، على مشهد من العلماء في محفل البرامكة ، وهى تتلخص فى ذلك السؤال الذى وجهه الكسائي الى سيبويه قائلا : كيف تقول : كنت اظن أن العقرب اشدُّ لسعة من الزنبور فاذا هـو هى ، أو فاذا هو اياها ؟ فقال سيبويه : أقول : فاذا هو هى ، ولا يجوز النصب . فقال له : اخطأت ، العرب ترفع ذلك وتنصبه. وحينئذ أصر سيبويه على رأيه ، وصمم الكسائي على ورود الوجهين . وكان أن استدعى يحيى بن خالد البرمكي الاعراب الواقفين على بابه لتحكيمهم فى الأمر ، فشهدوا أن القول ما قال الكسائي .

هذه هى خلاصة المناظـرة الشهيرة ، التى كان من نتيجتها ان ترك سيبويـه بغداد ، ورحل الى قريته « البيضاء » فى فارس ، ثم لم يلبث بعد ذلك أن مات وهو فى ريعان رجولته حزينا آسفا .

هل كانت تمثيلية مرتبة ؟

ولا شك أن مـا منى به الرجل من فشل ، ثم انزواءه وموته ، كان لهمـا اكبر الأثر فى اعطاء هذه المناظرة اكثر مما تستحق من نقاش وجدل ، فقد انبرى انصار سيبويه لمهاجمة الكسائى والحط من شأنه ، فاتهموه بالجهل ، وقالوا : ان هذه المناظرة لم تكن الا تمثيلية مرتبـة أحكم وضعها مع الأعراب الذين شهدوا معه وقبضوا ثمن شهادتهم قبل الادلاء بها ، وان الكسائى خشى على مكانته من خصمه ففعل ذلك وهو يعلم أن الحـق ليس معه . الى غير ذلك من التهم التي يطول بنا الأمـر لو اوردناها ، وأوردنا الردود عليها .

والواقع ان الرجـل كما يتضح من تاريخ حياته العلمية يبـدو اكبر من ان يسلك هذا المسلك فى سبيل النيل مـن خصمه ، وقد ادلى فى مناظرته معه بمـا كان يعتقـده صوابا ، وبما صح لديه من كلام العرب حتى قبل ان يعرف ان ثمة مناظـــرة ستجرى بينهما فى يوم من الايام . ونظرة الى مذهب مدرسة الكوفة فى النحو توضح لنا الراى الذى ادلى به الكسائى ، فمن المعروف ان مذهبهم في اللغة يقوم على الفسحة والتوسع فيها ، ولهذا فهم مثلا يعتبرون الشاذ والضرورة من كلام العـرب ليسا خطأ ــ وان كانا قليلين ــ ويجيزون القياس عليهما بنـاء على ذلك ، على حين ان مدرسة البصرة التى يمثلها سيبويه تتشدد فى ذلك وتأبى الاعتراف بغير المتواتر الكثير الورود من الكلام ، وما عـداه خطأ لا يجوز القياس عليه ، وقد ادلى كلا الرجلين بما يؤمن به وما صح عنده ،من غير حاجة الى تواطؤ من الكسائى مع الأعراب لتقرير شيء لم يرد فى كلام العرب اختلاقـا وكـذبا ، وكيف وهو الذى شهـد له معاصروه بالصدق والعلم . يقول ابن الاعرابى : ما جربت على الكسائى فى كذبـة قط . ويقول اسحق الموصلى : ما رايت أعلم بالنحو قط منه ، ولا أحسن تفسيرا ، ولا أحذق بالمسائل .

المناظرة المزعومة

ولعل من أطرف المفتريات التى حاكها خصوم الكسائى فى حقـــه ، هى تلك المناظرة التى يروون انها جرت بينه وبين اثنين من المتكلمين الحذّاق ، وانه قـد هزم فيها هزيمة ساحقة .

فقد ذكـر عبد الرحمـن بن علي اليزدادى اللغوى فى كتابه «جلاء المعرفة» ان ابراهيم النظام وضرارا الكوفى اجتمعا بين يدى الرشيد فتناظرا فى القدَر حتى دقّت مناظرتهما فلم يفهمهما ، فقال لبعض غلمانه: اذهب بهذين الى الكسائى

حتى يتناظرا بين يديه ثم يخبرك لمن الفَلَجُ منهما ، فلما صارا في بعض الطريق ، قال النظام لضِرار : انت تعلم ان الكسائي لا يحسن شيئا من النَظَر وانما معوّله على النحو والحساب ، ولكن تهيىء له مسألة نحو واهيىء له مسألة حساب فنشغله بهما ،لانا لا نأمن، ان سمع منا ما لم يسمعه ولم يبلغه فهمه ، ان ينسبنا الى الزندقة . فلما صارا اليه سلما عليه ، ثم بدأ ضِرار فقال : أسألك ــ أصلحك الله ــ عن مسألة في النحو . قال : هاتها ، قال ، ما حد الفاعل والمفعول به ؟ قال الكسائي: حد الفاعل الرفع أبدا ، وحد المفعول به النصب أبدا . قال : فكيف تقول ضُرِبَ زيدٌ ؟ قال : ضُرِبَ زيدٌ . قال : فلم رفعت زيدا وقد شرطت أن المفعول به منصوب أبدا ؟ قال:لأنه لم يُسَمَّ فاعله. قال له اذن أخطأت في العبارة اذ لم تقل ان من المفعول من اذا لم يُسَمَّ فاعله كان مرفوعا .

ثم تقدم بعدذلك ابراهيم النظام فقال: أسألك ــ أصلحك الله ــ عن مسألة في الحساب . قال : قل . قال : كم جذر عشرة ؟ قال : أجمع الحسّاب على انه لا جذر لعشرة . قال : فهل علم الله جذرها ؟ قال : الله عالم كل شيء . قال : فما أنكرت أن يكون الله اذ علم كل شيء القاه الى نبي من انبيائه ، ثم القاه ذلك النبي الى صفي من أصفيائه فلم يزل ذلك العلم ينمى حتى صار علم جذر عشرة عندي ، واكون أعلم جذرها ، ولا تعلمه انت وتكون مخطئا فيما قلت .

وتقول القصة بعد ذلك : ان الكسائي التفت الى الفلام ، وقال له : اذهب بهذين الى امير المؤمنين فقل له : انهما زنديقان كافران بالله العظيم . ولكن الفلام ــ وكان لبيبا حصيفا ــ احسن العبارة عنهما عند الرشيد فأمر لهما بجائزة سنية وصرفهما .

ونظرة واحدة الى سذاجة المادة التي كوّنت منها تلك المناظرة تظهر بجلاء صُنعها وافتعالها . ويقول ياقوت الذي نقل القصة عن ذلك الكتاب المفقود : ان هذه الحكاية عندي مصنوعة باردة ، وانما كتبتها لكوني وجدتها بخط رجل عالم .

آخر مناظرة له

بعد المناظرة التي جرت بين الكسائي وسيبويه ، يمكننا أن نقول : ان سيبويه كان ولا شك آخر الشخصيات العظيمة التي ناظرها الكسائي ، فقد كان انبغ من انجبتهم البصرة من رجالها بعد الخليل ، وحسبه مكانة انه صاحب « الكتاب » الذي لم يؤلف في العربية اتم ولا اكمل منه حتى الآن .

وقد عاش الكسائي بعد ذلك علما شامخا معترفا بنبوغه ووفرة علمه من علماء عصره جميعا ، ويتضح ذلك بجلاء من قصة مناظرة ، لعلها آخر مناظرة جرت بينه وبين أحد من العلماء ، وهو الفرّاء .

يقول الفراء : مدحني رجل من النحويين فقال لي : ما اختلافك الى الكسائي وانت مثله في النحو ؟ فأعجبتني نفسي فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء ، فكأني كنت طائرا يغرف من البحر بمنقاره .

وقد مات الكسائي في سنة تسع وثمانين ومائة ، وهي السنة التي مات فيها الفقيه الكبير محمد بن الحسن الشيباني ، وكانا معا في صحبة الرشيد في رحلة بالرّي ، فحزن الخليفة عليهما حزنا شديدا ، وعبر عن حزنه وتقديره بقوله : دفنتُ الفقه والنحو في يوم واحد بالري . ■■

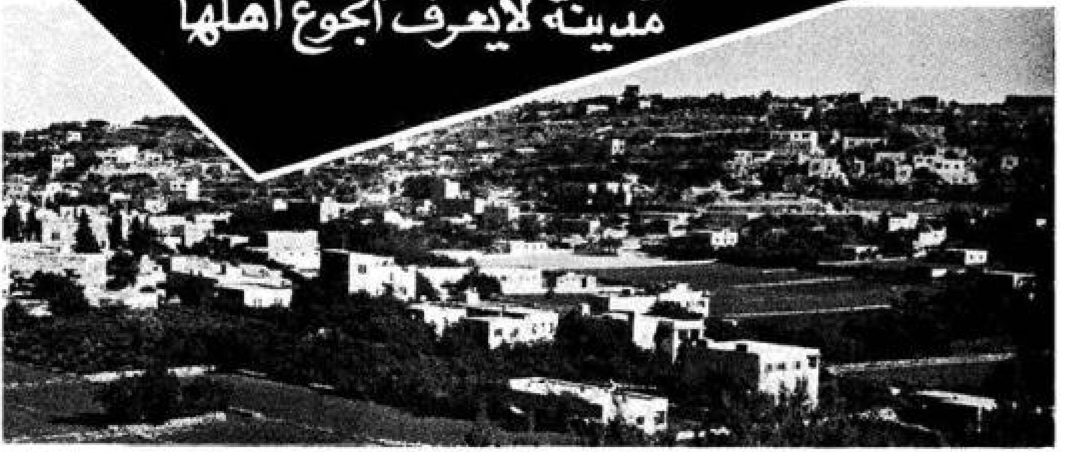
محمد مرسي الخولي

معهد المخطوطات ــ جامعة الدول العربية بالقاهرة

اعرف وطنك أيها العربي

الخليل

مدينة لا يعرف الجوع أهلها



قام بهذا الاستطلاع **سليم بسيسو** وصوره **((أوسكار))**

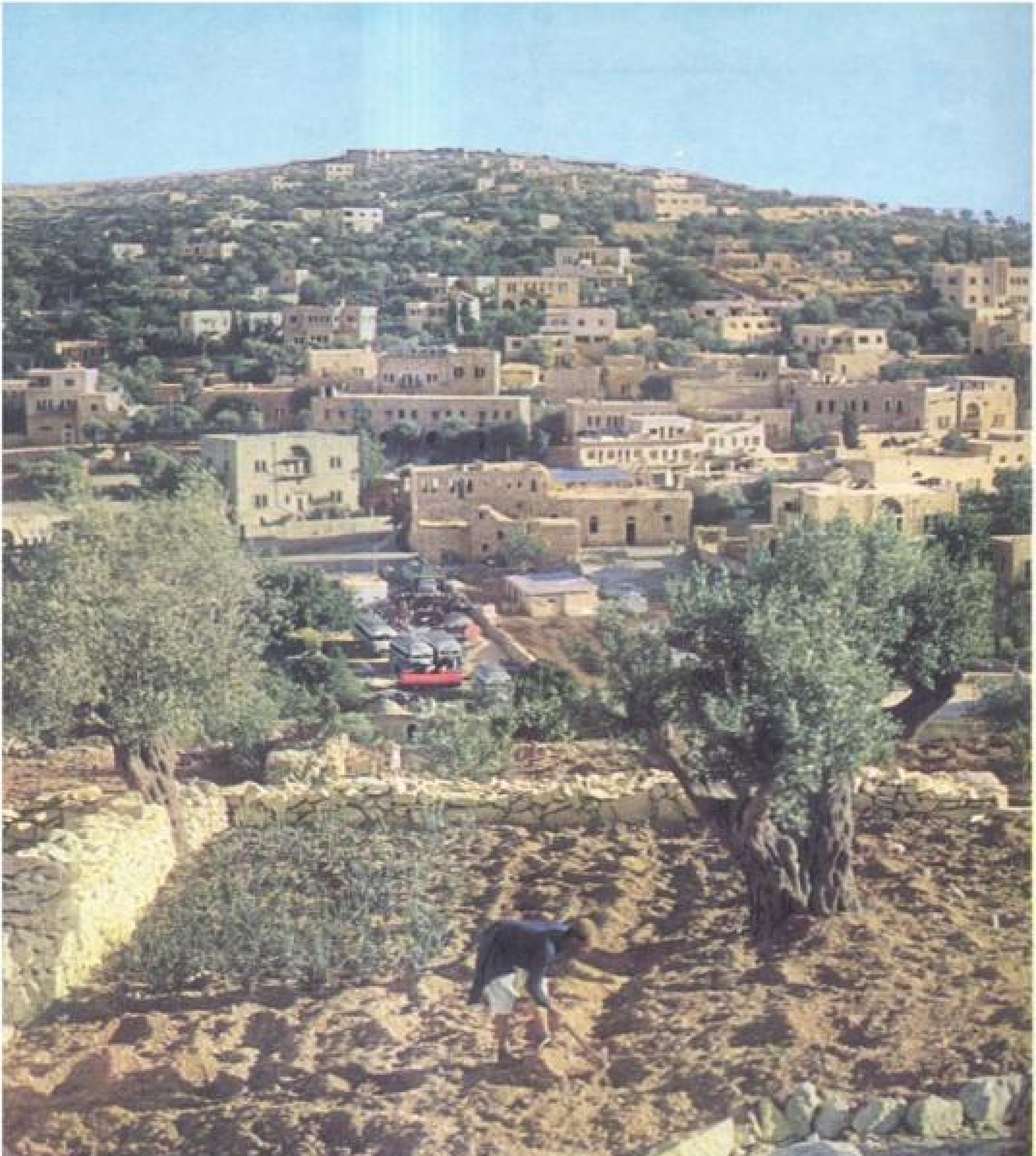
■ هل يتصور انسان وجود مدينة ليس فيها من لم يتناول في امسه او في يومه طعاما لفقر او لفاقة ؟ وهل يتصور أحد مدينة يقرب عدد سكانها من اربعين الف نسمة ولا توجد فيها سينما حتى هذه السنة ، سنة ١٩٦٤ ؟ ان هذه المدينة موجودة فعلا . انها مدينة الخليل ، او خليل الرحمن ، او مشهد الخليل ، كما اسماها العرب عند فتح فلسطين في اوائل العهد الاسلامي . وكان اسمها قبل ذلك حَبرون .

لا بد وان هناك سببا لعدم وجود أثر للجوع في هذه المدينة ، ولعدم وجود دور للسينما ، وكذلك لعدم وجود خمر تشرب ، او مكان قمار يلعب او ملهى او ناد ليلي . والسبب واضح وهو أن هذه المدينة قد اقيمت حول الحرم الابراهيمي الشريف ، ولهذا الحرم مكانته وقدسيته وحرمته وقد أوقفت عليه الأوقاف الكثيرة منذ اوائل الفتح الاسلامي ، وخصص ربع هذه الأوقاف لخدمة الحرم ، وصيانته واعماره ، واطعام الطعام لكل من يطلبه من اهل المدينة او الغرباء في كل يوم .



بلوطة الخليل ابراهيم في موقع ممرا أو نمرة بالخليل ، وفي قول انها البلوطة التي اخذ ابراهيم ابنه اليها ليذبحه تحقيقا للرؤيا . وفي قول آخر أن يوسف النجار استراح تحتها هو والسيدة مريم والسيد المسيح عليه السلام ، أثناء هروبهم الى أرض مصر . ويفد الزوار لمشاهدة هذه البلوطة من جميع أنحاء المعمورة ، وأصبحت ، وقد تجاوزت من العمر أربعة آلاف سنة ، تستند الى دعامات من الحديد كما يتوكأ الرجل العجوز على عصا .





منظر عام لجزء من مدينة الخليل يبين طبيعتها الجبلية وتبدأ المباني من بطن الوادي وتتسلق سفوح الجبال حتى تصل الى قممها . وفي الصورة تلة من التلال الأربعة التي بنيت عليها مدينة الخليل ونسبت اليها وكانت تعرف باسم « أربع » وهناك من يقول انها سميت بذلك الاسم نسبة الى أربع بن حث بن كنعان ابن حام بن نوح عليه السلام .

موقعها

« على سمت بيت لحم ، في الجنوب ، مدينة صغيرة ... في وهدة بين جبال كثيرة ، كثيفة الأشجار . وأشجار هذه الجبال ، وسائر جبال فلسطين وسهلها ، زيتون وتين وجميز وعنب » .

بهذا وصفها الاصطخري في «المسالك والممالك»

وقال فيها ابن بطوطة :« مدينة صغيرة الساحة كبيرة المقدار ، حسنة المنظر ، عجيبة المَخْبَر ، في بطن واد » .

تقع مدينة الخليل على بعد ٢٠ ميلا الى الجهة الجنوبية الغربية من القدس ، وترتفع عن سطح البحر بحوالي ثلاثة آلاف قدم ، وتربطها بالقدس



جامع الشيخ على البكاء ويقع في محلة الشيخ بالخليل ، وقد بنيت مئذنته في عهد الناصر بن قلاوون قبل ٦٦٠ عاما .

طريق معبّدة ، كما كانت تربطها ببئر السبع ، في جنوب فلسطين ، طريق معبّدة ايضا . ومن هناك كانت الطريق تتفرع الى فرعين : احدهما يصلها بغزة ، والآخر يصلها بالقاهرة . ولكن كارثة فلسطين،واحتلال اليهود لجزء من الوطن العربي، قد فصل بين الخليل وبين هذه الأجزاء من الوطن العربي .

كانت المسافة بين الخليل وبئر السبع تقرب من خمسين كيلو مترا ، ومن بئر السبع الى غزة مثلها أو أقل قليلا . وكانت السيارة تقطع المسافة من الخليل الى غزة في ساعتين من الزمن لا تزيدان .

اما اليوم فالمسافر من الخليل ، ووجهته غزة ، عليه أن يسافر بالسيارة الى القدس في ساعة على الأقل ، ومن مطار قلنديا القريب من القدس ، يستقل الطائرة ، وبعد طيران ساعتين يهبط بالقاهرة . ومنها يأخذ القطار يقطع به شبه جزيرة سيناء ليصل الى غزة بعد ثماني ساعات . أي أصبح الوقت احدى عشرة ساعة بعد أن كان ساعتين، وأصبحت المسافة اطول من ألف كيلومتر ، ولم تكن في السابق تزيد عن المائة ، وأصبحت اجرة الانتقال حوالي خمسة وعشرين دينارا وكانت في السابق لا تزيد عن ربع الدينار .. مع أن المدينتين لم تنتقلا من مكانيهما ولم تتغيرا.ولكن شيئا ما قد تغير . فبعد ان كانت فلسطين عربية خالصة ، الفا وبضع مئات من السنين ، دبر الاستعمار وحلفاؤه الصهيونيون وحضّروا ونفذوا أبشع جريمة عرفها تاريخ البشرية منذ ان كان على وجه هذه الأرض بشر . واغتصب الصهيونيون جزءا من فلسطين العربية ، وفصلوا الخليل التي يرقد فيها ابو الأنبياء ابراهيم ، عن غزة التي يرقد فيها هاشم جدّ خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

تاريخها

مدينة الخليل من أقدم مدن العالم. تقول التوراة انها ــ وكان اسمها حَبْرون ــ بنيت قبل تنيس عاصمة مصر السفلى بسبع سنين ، أي حوالي سنة ١٧٠٠ ق.م. وورد ذكرها في التوراة قبل دمشق . وحكم منها نبي الله داود أكثر من سبع سنين . وقد دمرها الرومان وأحرقوها بقيادة



كنيسة المسكوبية وقد انشأها المسكوب (الروس) فى عهد القياصرة بالقرب من بلوطة ابراهيم
وهى مشيدة بالأحجار الحمراء والرمادية المائلة الى السواد .

فسباسيان Vespasian كما خربها الفرس سنة ٦١٤ ميلادية . ودخلها المسلمون فى عهد الفتوحات الاسلامية الأولى فانتعشت وازدهرت واصبحت مدينة هامة . واستولى عليها الصليبيون وجعلوا منها اسقفية لاتينية سنة ١١٦٧ ، وبعد عشرين سنة أي فى سنة ١١٨٧ استردها منهم السلطان صلاح الدين الايوبى . وقد احتلتها القوات البريطانية فى الحرب العالمية الأولى فى ١٢/٤/ ١٩١٧ .

نزلها سيدنا ابراهيم . وتقول التوراة فى هذا الصدد : « فنقل ابرام خيامه واتى واقام عند بلوطات ممرا التى فى حبرون » . وابرام هو الاسم الذى كان يسمى به ابراهيم حتى بلغ من العمر تسعا وتسعين سنة ، وفى تلك السن تذكر التوراة ان الله سبحانه قال له : « ان اسمك لا يدعى بعد ابرام بل يكون اسمك ابراهيم » .

والمكان الذى اقام فيه ابراهيم عند بلوطات ممرا يعرف الآن باسم (نمره) ويقع فى الجهة الشمالية من المدينة .

جو المدينة ومحاصيلها

تمتاز الخليل والمنطقة المحيطة بها بجو رائع : فهواؤها جاف ونسيمها عليل وهى مصيف ممتاز ، لا يزيد معدل الحرارة فيها فى شهر يونيه على ٢٠ درجة مئوية . تحدث أخصائى فى الامراض الصدرية فقال ان سلسلة الجبال الممتدة من الخليل جنوبا حتى رام الله شمالا بفلسطين هي افضل منطقة فى العالم كله واكثرها ملاءمة للمصابين بالأمراض الصدرية .

ولا غرابة فى ذلك فجبالها بعيدة عن البحر الابيض المتوسط ، وهى مكسوة باشجار الزيتون والعنب والتين والخوخ والتفاح والمشمش واللوز . اما فى الشتاء فجوها بارد وتسقط فيها الثلوج فى بعض السنين وقد يصل ارتفاع الثلج بها الى علو نصف متر .

وتشتهر الخليل بمحاصيلها الزراعية ، ففيها من الفواكه كل ما تشتهى النفس. وتزرع فى أراضيها اجود انواع الخضر . وتمتد بساتين الفاكهة والخضر المحيطة بالمدينة الى مسافة قد تصل الى سبعة كيلومترات . وزراعة العنب فى الخليل قديمة قدم المدينة نفسها ، ولذلك تجد أهل الخليل يتفننون فى صناعة مشتقات العنب : فهو يؤكل فاكهة ، أو يعصر ويطبخ على شكل رقائق مرصعة بالصنوبر ويعرف بالملبن ، أو يطبخ على



لا يعني تمسك اهل الخليل بالدين والابتعاد عن الموبقات العزوف عن تعليم الفتاة . وفي الصورة فتيات من المدرسة الثانوية في المكتبة يقرأن احدث الكتب . ويلاحظ ان التقاليد ما زالت تشد شعرهن فتركته طويلا . وكذلك اكمامهن كانت هي الاخرى طويلة .





الى اليمين : الجمعيات الخيرية في الخليل تعمل في شتى المجالات وبنشاط وافر . وفي الصورة عضوات من جمعية الهلال الأحمر يشرفن بأنفسهن على اطعام الاطفال الذين تعنى بهم الجمعية .



الى اليسار : ليس اقبال الفتيات على تعلم العلوم الطبيعية بأقل من اقبال الفتى .. وعندما لا يتوفر العدد اللازم من المدرسات لتدريس هذه العلوم للفتيات ، يقوم مدرسون من الرجال بتدريسها

شكل مربى ويعرف بعتب طبيخ ، أو كما يلفظه الخليليون « عنطبيخ » . ومنه يصنع ايضا الدبس .

وللاستفادة مما سخت به الطبيعة على هذه المدينة من هواء لطيف عليل وخصب في التربة والمحاصيل فان جزءا كبيرا من أهل الخليل يقضي أشهر الصيف في البساتين الواقعة خارج المدينة وتعرف « بالكروم » ، فيكسبون بذلك صحة ونشاطا قلما يتوافر لغيرهم من سكان المدن الاخرى .

امتداد الخليل

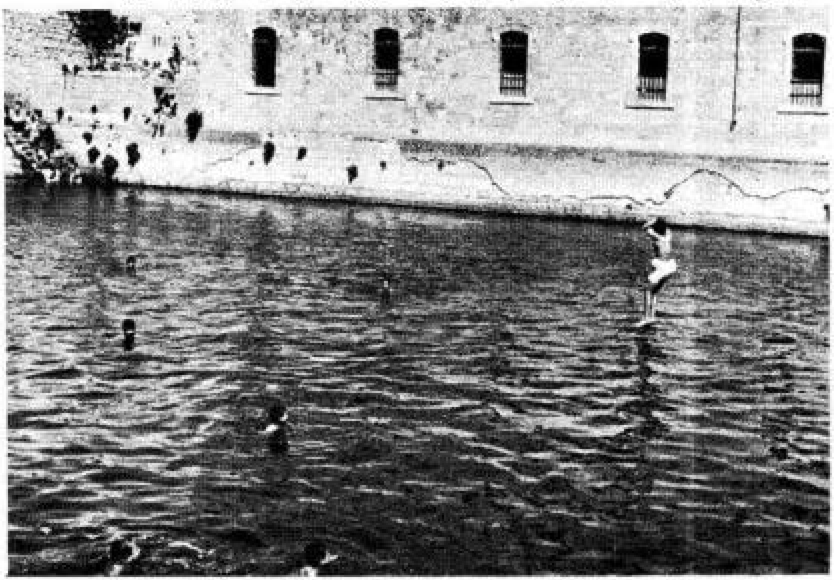
الخليل ، ككل مدينة قديمة أخرى ، تتألف من بلدين : البلد القديم ، والبلد الجديد . اما البلد القديم فابرز ما يميزه تلاصقه وتماسكه ، والشوارع فيه ضيقة متعرجة ، وابنيته من الحجارة الصخرية تتسلق سفوح التلال وترتفع الى دورين وثلاثة . والمباني القديمة ذات القباب في السفح الشرقي من الوادى الضيق متصل بعضها ببعض لا يفصلها شيء ، حتى الشوارع والازقة التى تجرى بينها مسقوفة بعقود تربط المباني بعضا ببعض . وتوجد من حين لآخر بعض الكوى في سقوف الشوارع يتسلل منها شعاع الشمس فيرتمي على الارض أمام المارة بصيصا من نور . وتقوم على جوانب الشوارع الدكاكين المليئة بالبضائع المختلفة التى تسد طريق العابرين او تكاد . وهذه الشوارع والازقة مرصوفة بالحجارة ، ربما كانت هي نفس الحجارة التى كان يسير فوقها الناس ايام صلاح الدين وقبله .

ولقد كان لزيادة عدد السكان وتضاعفهم ، من عشرين الفا الى أربعين الفا ، في فترة قصيرة ، وازدهار المدينة في شتى النواحى والمجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أثر فعال في مساحة المدينة . فأخذت تزحف متوسعة في مختلف الاتجاهات، وقامت المبانى الحديثة وسط الحدائق الجميلة، وقفزت المدينة ، طفرة واحدة ، ألف سنة من حيث فن البناء وطراز العمارة . ومن أحياء الخليل عين سارة ، وعين خير الدين ، ومحلة قيطون ، ووادى التفاح ، والمشارقة التحتا ، وحارة القزازين ، وجبل جوهر ، وجبل بيلون وفيه حي الشيخ على البكا ، الذى يوجد فيه جامع يحمل نفس الاسم ، وحي القلعة .

مدينة طابعها دينى

يتحلى أهل الخليل بأخلاق طيبة . والخليل

« بركة السلطان » ، أنشأها أحد سلاطين المماليك على الطريق البرى للحج وقوافل التجار ، وتتجمع مياهها من الأمطار ، ويستحم فيها أبناء الخليل وتستقى منها المواشي والحيوانات .



مدينة ذات طابع اسلامي وفيهم قلة من الاخـوة المسيحيين العرب يبلغ عددهم نحو مائة وعشرين شخصا . واهلها اوفياء كرماء وعلى جانب كبير من الشجاعة والاقدام .

ولعل طبيعة بلدهم الجبلية منحتهم النشاط والقوة والصبر والجلد وحب العمل ، كما ان خصب تربتها يَفيء عليهم من النعم ما يجعلهم يجودون بما جاد الله به عليهم . وعيشهم الى جوار الحرم الابراهيمي جعلهم يتمسكون بالدين ويبتعدون ما امكن عن المعاصي . ومن الظواهر البينة في المدينة كثرة تسمية الأبناء بأسماء الانبياء ، فاسماء ابراهيم ، ومحمد ، ويعقوب ، ويوسف ، وخليل شائعة جدا .

الزواج فى الخليل ، ومراسمه

ويزوج اهل الخليل اولادهم وبناتهم فى سن مبكرة خشية الغواية وفساد الاخلاق . وقد اطلعنا على نشرة احصائية حديثة جاء فيها ان ١٧ فتاة قد تزوجن وأعمارهن ١٣ او١٤ عاما فقط. وبمناسبة الزواج تقام الافراح لمدة ثلاثة ايام . وتتم الزيجات عادة يوم الجمعة ليلة السبت . وهناك من يفسر هذه العادة بأن كلمة السبت من الثبت ــ أى الثبات ــ لفظت ثاؤه سينا.ويتفاءلون لذلك بان الزواج سيكون ثابتا راسخا . وتقضي مراسم الزواج بأن تذهب النساء على شكل موكب الى دار العروس ، ويحضرنها معهن الى باب دار العريس ، فتضع العروس على هذا الباب غصنا اخضر قبل دخولها . اما العريس فيزف من الحرم الشريف بعد صلاة العشاء الى بيته ، وهناك يتركه أصدقاؤه ، وهو يدخل بعد ذلك البيت ويجلس على منصة مرتفعة يسمونها « العرش » ، وتدخل العروس بثياب الزفاف وعلى راسها اكليل ابيض محلى بالماس واللآلىء ، وعلى وجهها حجاب من « التل » وهو نوع من « الشاش » الابيض ، فيتقدم العريس ويكشف عن وجهها الحجاب ، وتعطيه هي من يدها قطعة حلوى كي تصبح أيام زواجهما حلوة .

ويفرح الأهالي بالمولود الذكر ، ويقيمون الحفلات لولادته ولختانه . الا أن هذه العادات أخذت تخف تدريجيا ولا يتمسك بها من الناس الا الذين يرون ان القديم يجب أن يبقى على قدمه .



أزياء جيلين : جيل حديث وجيل متوسط .. وهذه هى سنة الحياة .. سنة التطور والارتقاء .

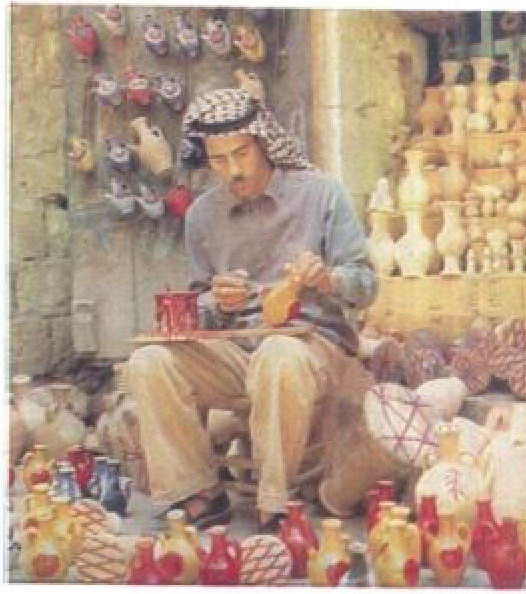
أزياء النساء والرجال فى الخليل

اما زى اهل الخليل فخليط من الأزياء البعيدة فى القدم والأزياء الحديثة وما بينها ، أو هى أزياء ثلاثة أجيال متعاقبة . فالعجائز من النساء يرتدين ما يسمى بالدراعة وهي من الحرير الاصلي ، لونها أزرق وفوقها المنشفة وهى بيضاء اللون . وتغطى الرأس والجسم حتى الكعب ، وتعقد أطرافها الى الخلف من أسفل . وغطاء الوجه منديل ليس بشفاف ولا يستشف ما تحته وهو فى الغالب مُعَرَّق .

اما السيدات المتوسطات السن فيلبسن الملايات أو « الكابات » .

وترتدى الفتيات الشابات ، وهن طالبات



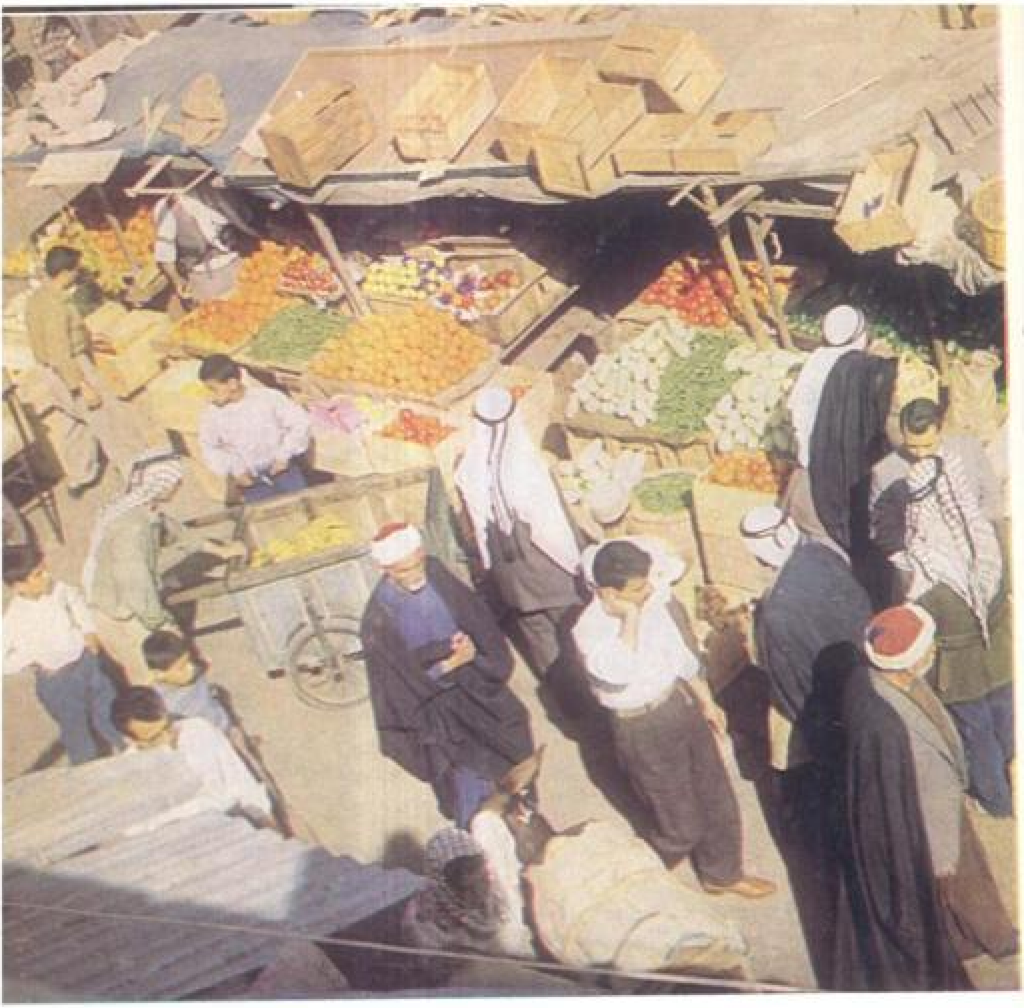


بائع أوان فخارية ، امامه الطبول والاباريق الصغيرة
يلونها باللون الاصفر والازرق والاحمر ليغرى الاطفال
على شرائها ويسمونها « بلتنبول » .





فى الخليل ثمانية محلات لخياطة الفراء ، ويباع
القطعة بستة دنانير ، والزبائن هم السائحون وأبناء
المدينة والقضاء لأن جو الخليل بارد جدا فى فصل
الشتاء .



سوق الخضر والفواكه التي تشتهر بها الخليل بصورة خاصة ، وأسعارها معتدلة جدا ، فيباع كيلو الطماطم بأربعين فلسا أما كيلو الخيار فيباع بثلاثين فلسا .



من الصناعات اليدوية في الخليل دباغة الجلود . وتستعمل الجلود المدبوغة بطانات وشبابات للأحذية . اما جلود الابقار والجمال فتصقل وتصبغ وتكوى وتباع كجلد يستعمل في صنع الاحزمة والاحذية وخلافهما .



انقاض المبانى القديمة وفى قسم منها كان «حارة اليهود» .. ولكن أهل الخليل هدموها فلم يسكنها أحد منهم

المدارس الثانوية والجامعات، والمدرسات والممرضات والطبيبات ، اللابس العصرية ، وهن سافرات لا يضعن حجابا . والحجاب كذلك فى طريقه الى الزوال فى هذه المدينة كما زال فى غيرها من المدن . ولكن الوقت اللازم لذلك قد يطول هنا اكثر من اى بلد آخر ، ذلك لان غالبية الناس هنا تتعصب للقديم وتستنكر كل فكرة مستحدثة ، ولا تقبلها الا بعد درس وفحص وتمحيص ، لا ياخذون الاشياء التى اخذها غيرهم على علاتها بل لابد أن يدرسوها هم انفسهم ويمروا بنفس الدور الذى مر به غيرهم فى غير اسراع .

كذلك يتدرج لبس الرجال من قديم الى متوسط فحديث . يضع الشيوخ المتقدمون فى السن على رؤوسهم طرابيش بدون قش ، حمراء اللون ، لها شرابة كثيفة زرقاء ، ويلف حول الطربوش قماش من « الروزة » السادة أو المشجرة . ويرتدون « قمبازا » لونه فى الغالب ازرق داكن ، ويربطون وسطهم بزنّار يلفونه اكثر من مرة حتى يبدو بارزا ويهيىء مكانا امينا لحفظ الساعات أو محافظ النقود . وفوق القمباز معطف من الصوف طوله ثلاثة ارباع القمباز . وفوق هذا وذاك عباءة من الوبر أو فروة .

اما اهل الجيل الثاني من الرجال فيرتدون فوق القمباز معطفا وعلى الراس يضعون الطربوش العادى أو الكوفية والعقال .

وشباب اليوم وهم الاطباء والمدرسون والشباب المثقفون وغيرهم فيرتدون اللابس التى تسمى « باللابس الافرنجية » وهم حاسرو الرؤوس .

الدواوين والزوايا والتكايا

الدواوين او الديوانيات نظام قائم بذاته . فلكل عائلة فى الخليل تقريبا ديوانها الخاص بها ، وهو عبارة عن مكان يجتمع فيه افراد العائلة من الذكور فى افراحهم واحزانهم وفى الاعياد والمناسبات الاخرى التى تهم العائلة كمجموعة . والديوان ملك للعائلة كلها ومفروش على حسابها، كما أن نفقاته توزع على افراد العائلة كل حسب مقدرته المادية. وعلاوة على ذلك فالديوان يستخدم كمضافة ينزل فيه ضيوف العائلة واصدقاؤها .

والزوايا أمكنة منعزلة تجتمع فيها جماعات من الزهاد الذين انقطعوا لعبادة الله . وفى الخليل الآن عدد من هذه الزوايا ، زال الى جانبها عدد آخر واندرست آثاره .

اما التكايا فهي الأماكن التى يطعم فيها الطعام. وفى الخليل تكية تسمى بتكية سيدنا ابراهيم وهي من اقدم التكايا فى الاسلام وما زالت تقدم يوميا بعد صلاة الظهر السماط المعروف ب «الدشيشة» وهو قمح مطبوخ . وفى لواء الخليل وحده اوقفت على هذه التكية عشر قرى ــ هذا خلاف القرى الموقوفة عليها فى ألوية أخرى ــ ويقدم سكان هذه القرى عشر محصولاتهم الزراعية للوقف .

وبسبب وجود الدواوين والزوايا والتكايا لا تجد المدينة نفسها فى حاجة الى الفنادق مع انها مركز لعشرات القرى التى حولها . وعدد الفنادق ضئيل جدا لا يتعدى الاثنين وهما عاديان لا يرقيان بحال من الاحوال الى فنادق الدرجة الثانية . كما أن عدد المطاعم فى المدينة قليل .

النهضة التعليمية

اشتهرت الخليل منذ القدم بمدارسها . فمنذ تأسيس الازهر الشريف وعدد ليس بالقليل من



يعيش جماعة من اليهود فأطلق عليه اسم بعد ثورة سنة ١٩٢٩وطردوا اليهود منمدينتهم منذ ذلك التاريخ .

أهالي الخليل يرتاد الجامعة الازهرية انتهالا للعلم من مورده. وكان هؤلاء العلماء يعودون الى الخليل لينشئوا حلقات للتدريس في المسجد الابراهيمي . وتأسست حول المسجد مدارس كثيرة بلغ عددها قبل سبعمائة سنة سبعا وعشرين مدرسة . أما اليوم فمجموع عدد مدارس البنين والبنات الحكومية عشرون مدرسة ، واذا اضفنا اليه عدد المدارس الاهلية وهى خمس ، ما وصلنا الى عدد المدارس قبل سبعة قرون .

ومجموع طلبة المدارس فى الخليل ٧٨٠٠ ، منهم ٤٨٤٩ من الذكور و ٢٩٥١ من الاناث أى حوالي خمس السكان البالغ عددهم حسب الاحصاء العام الأخير الذى أجرى فى ١٨ نوفمبر ١٩٦١ اى قبل أكثر من سنتين ، ٣٧٨٦٨ نسمة منهم ١٩٤٩٩ من الذكور ١٨٣٦٩ من الاناث .

وفى الخليل مدرسة « الحسين بن علي » ، أضخم مدرسة ثانوية فى الاردن ، وتقتصر على الصفوف الثانوية ، وبها ٩٠٠ طالب . وقد حققت هذه المدرسة نتائج باهرة فى امتحانات الثانوية العامة . وقد حصل احد طلابها وهو بدوى اسمه سليمان عواد الصانع ، من عرب بئر السبع ، على كأس سباق الضاحية الذى تتنافس عليه جميع مدارس المملكة . ومسافة هذا السباق ٥ كيلومترات ، وقد قطعها سليمان فى ١٥ دقيقة و ٧ ثوان .

وهناك مدرسة ثانوية للبنات ، وهى حكومية ، ونتائج الامتحانات فيها لا تقل عن نتائج مدرسة الذكور ، وكان ترتيبها الثانية بين مدارس البنات فى المملكة من حيث النجاح ، وفيها ٣٦٠ طالبة ، موزعات على ثلاثة صفوف اعدادية ، وثلاثة صفوف ثانوية .

ومما يستلفت الانتباه بشكل خاص ان غالبية البنات شعرهن طويل وهو على شكل جدائل ، كما ان اكمام ملابسهن طويلة . وقلة منهن يرتدين ملابس بنصف كم . ومنهن من يضعن الحجاب وهن خارج أبواب المدرسة .

رابطة الجامعيين

وهناك جهتان لهما ارتباط وثيق بالتعليم .

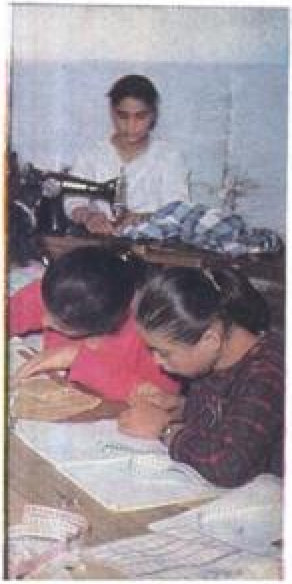
الاولى : رابطة الجامعيين : وهى جمعية خيرية تأسست قبل عشر سنوات،أعضاؤها من الجامعيين وعددهم ٧٢ عضوا . واول أغراض هذه الرابطة تشجيع التعليم .

ومن أغراضها أيضا تقديم المساعدات المادية والأدبية للطلاب ، وكذلك القيام بأى عمل يستهدف رفع مستوى الحياة الاجتماعية والعلمية فى لواء الخليل . وقد ساعدت الرابطة منذ تأسيسها مائة وخمسين طالبا جامعيا . وشكل المساعدة مادية ، وتقدم للطالب قرضا يسدده بعد التخرج والتحاقه بعمل ، على أقساط شهرية حسب امكانياته . وترصد هذه الاموال من جديد لمساعدة طلاب آخرين .

وقد انشأت الرابطة قبل ثماني سنوات معهدا تدرس فيها مواد شهادة التوجيهى المصرية ، تخرج منه أكثر من خمسمائة طالب وطالبة .

كذلك أسست الرابطة مكتبة عامة استأجرت لها بناء حديثا ، وفى اقل من سنة واحدة كان فى المكتبة ثلاثة آلاف كتاب . ورواد المكتبة هم كل من يرغب فى القراءة من أهل المدينة . ولكل من الذكور والاناث أيام مخصصة لارتياد المكتبة . وتحتوى





تستخدم احدث الالات الكهربائية فى الصناعات الزراعية وعصير الزيوت حيث يصنع معجون الطماطم ومربيات المشمش والتفاح والخوخ والسفرجل . وتعلب الخضراوات كالبازيلا والفاسوليا وورق العنب .

هذا بالاضافة الى عصير البرتقال والليمون . ويزيد انتاج هذه المصانع عن طنين يوميا ويصدر ما يفيض عن احتياجات الاسواق المحلية فى الاردن الى العراق والسعودية والكويت .



في الخليل أكبر شركتين للنسيج في الاردن تنتجان الملابس الداخلية والأقمشة الكتانية والمناشف والعباءات وتستخدم في ذلك الأنوال الميكانيكية . وقد بلغ انتاج احدى شركتي النسيج عشرين ألف عباءة وأكثر من نصف مليون قطعة من الملابس الداخلية سنويا ، ويباع الانتاج في الأسواق المحلية .



دروس في التفصيل والخياطة تنظمها احدى الجمعيات الخيرية في الخليل ، وتهدف الى تعليم الفتاة مهنة لكسب الرزق كي لا تكون عالة على غيرها ولكي تعول اسرتها اذا لم يكن لها عائل .

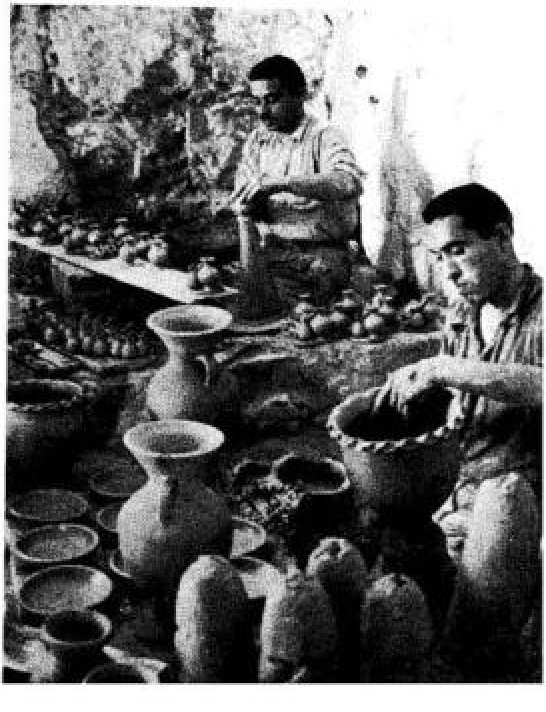
المكتبة على مخطوطات منها : الفية ابن مالك ، وشرح الاجرومية ، و « حياة الحيوان الكبرى » للدميري ، وتشريع الأحكام وغيرها .

المكتبة المتنقلة

في كل مدرسة من المدارس مكتبة ، ولكن هذه المكتبات لا تضم عددا كبيرا من الكتب ، ولهذا نشأت فكرة انشاء مكتبة متنقلة تابعة لوزارة التربية والتعليم الغرض منها تزويد الطلاب بقراءة خلاف المنهاج المقرر ، لتنمية حب المطالعة كي تصل الى الهواية . وهي تسد حاجات الطلبة في جميع مراحل الدراسة .

وطريقة الاستفادة من هذه المكتبة تتم على النحو التالي : يحصى عدد الصفوف في مدارس لواء الخليل وترسل لهذه المدارس كتب تتناسب مع مستوى صفوفها بمعدل ١٠ نسخ من كل كتاب . وتعاد الكتب بعد شهر ونصف لتعطى لمدرسة اخرى ، بينما تأخذ المدرسة التي أعادت الكتب ما اعادته مدرسة أخرى . وبتبادل الكتب بين المدارس من جهة ، وبين الطلاب من الجهة الاخرى في المدرسة الواحدة والصف الواحد ، يستطيع الطالب ان يقرأ حوالي أربعين كتابا اثناء السنة الدراسية خارج منهاج الدراسة .

في سرعة مذهلة تتحول الكتل الطينية بين يدي الفاخوري الى أباريق وجرار وأصص للزراعة .وقد اشتهرت الخليل بهذه الصناعة منذ آلاف السنين . واسم التراب الأبيض « قلاطي » والأحمر اسمه « سمقة » ، ويعجنان بالماء بعد تنقيتهما من الشوائب والحصى .



الجمعيات الخيرية

وفي الخليل جمعيات خيرية يربطها اتحاد لوائي . منها ، غير رابطة الجامعيين ، جمعية سيدات الخليل ، وجمعية الهلال الأحمر ، وجمعية رعاية الاطفال الاسلامية . وتتعاون هذه الجمعيات فيما بينها تعاونا وثيقا من اجل تحقيق الغايات والاغراض التي انشئت من اجلها .

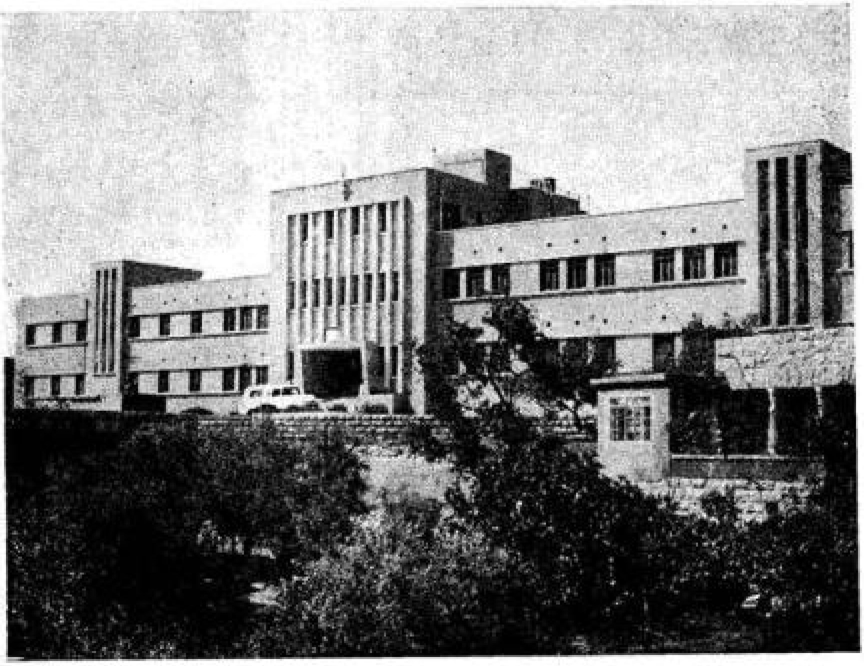
وتنفق اموال الجمعيات في شتى الوجوه كاعانة العائلات الفقيرة وفتح صفوف لتعليم الاميين ، وتعليم الاسعاف الاولي ، وتعليم الفتيات التطريز والخياطة واشغال الابرة .

وقد لمسنا حاجة هذه الجمعيات الى الموارد المالية . ويأمل القائمون والقائمات عليها في أن يساهم ابناء البلد الموجودون في الخارج في تمويل هذه الجمعيات حتى تتمكن من تحقيق اغراضها على احسن وجه واكمل صورة .

الخليل والحركات الوطنية

ساهم أهل الخليل بنصيب وافر في الثورات المجيدة التي أوقد عرب فلسطين نيرانها منذ فرضت عصبة الامم الانتداب البريطاني على فلسطين وما جاء به ذلك الانتداب من سياسة تهدف الى خلق وطن قومي لليهود في فلسطين . ولهذه الاحداث قصص يطول ذكرها .

واشترك لواء الخليل اشتراكا فعالا في ثورة عام ١٩٣٦ وفي جبالها استشهد البطل سعيد العاص على يد القوات البريطانية .



مستشفى الأميرة عالية الحكومى بالخليل ، وبه مائة سرير . وقد تأسس قبل ست سنوات ، ويعالج فيه الأطفال والرجال والنساء . وبه قسم للعمليات الجراحية .

الخليليون وحرب سنة ١٩٤٨

على أثر صدور قرار التقسيم فى نوفمبر ١٩٤٧، وهو نفس الشهر الذى كان قد صدر فيه وعد بلفور قبل ذلك بثلاثين سنة ، حصلت اشتباكات دموية بين العرب واليهود،الاولون يريدون فلسطين عربية خالصة للعرب،والآخرون يريدون استخلاص الاسلاب التى خصصتها لهم قرارات التقسيم والتى لم يكن لهم أى حق فيها ، بل ولم يكونوا يحلمون فى الحصول عليها .

كان اليهود يخططون للمستقبل منذ سنوات فاقاموا مستعمرات بين القدس والخليل فى مواقع ستراتيجية يسيطرون منها على الطريق الرئيسى الوحيد . وكانت مستعمرة كفار عصيون اكبر تلك المستعمرات وأمنعها ، اذ كانت حصنا اكثر منها مستعمرة سكنية . ولقد شكلت المستعمرة خطرا كبيرا على الطريق ، وقطعتها أكثر من مرة لتحول دون أى اتصال بين القدس والخليل ، ولكن العرب كانوا يعيدون فتح الطريق فى كل مرة . واخيرا وجدوا انه لا بد من الاستيلاء على كفار عصيون مع ما فى ذلك من صعوبة وما يستلزمه من تضحيات جسام . وقام الجيش العربى الاردنى بالاشتراك مع المتطوعين من الاهالى باحتلال مستعمرة كفار عصيون فى الفترة ما بين ١٢ و ١٥ مايو ١٩٤٨ وأبادوها . وكان من بين اسراهم فيها ابنة وزير خارجية اسرائيل السابق موشه شاريت .

لواء الخليل ونتائج حرب فلسطين سنة ١٩٤٨

فقد قضاء الخليل نتيجة للحرب الفلسطينية ست عشرة قرية نذكر منها : برقوسيا ، بيت نتيف ، بيت جبرين ، الدوايمه ، رعنا ، زكريا ، ذكرين ، زيتا ، عجور ، القبيبة ، كدنا ، مغلس . كما فقد عرب قضاء الخليل ما يقرب من

نصف أراضيهم . وفيما يلى ما كان عليه الحال قبل الحرب .. وبعدها .

فى سنة ١٩٤٧ : كان العرب يملكون ٥٢١٢٥٨ فدانا . وكان اليهود يملكون ١٥٣٣ فدانا . وفى سنة ١٩٤٩ : اصبح العرب يملكون ٢٦٧٢٥٠ فدانا . واصبح اليهود يسلبون ٢٧٦٩٤٥ فدانا .

وبدلا من الأرض المفقودة ، استقر على الأرض العربية الباقية اكثر من ثلاثين الف لاجىء تنتظمهم اكثر من خمسة الاف اسرة ، يعيشون الآن على امل واحد هو العودة ، ولا سبيل اليها الا باسترداد الوطن المغصوب ، كى يصل عرب فلسطين ما انقطع بين ماضيهم المجيد ومستقبلهم المشرق .

الصناعات المحلية

اشتهر اهل الخليل بالتجارة فهناك جالية خليلية كبيرةفى القدس تقدر بعشرة الاف شخص ، ومنهم كبار التجار . كذلك توجد فى الجمهورية العربية المتحدة جالية تقدر بمثل هذا العدد . وكنت ترى الخليليين هناك ينافسون اليونان فى تجارة البقالة وكانت احسن البقالات فى القاهرة ليونان ان لم تكن لخليليين ، أو من هم من أصل خليلى .

وعلاوة على التجارة اقام أهل الخليل فى مدينتهم صناعات محلية ، منها صناعات ما زالت بدائية كما كانت قبل مئات السنين،ومنها صناعات حديثة تستخدم فيها احدث الآلات العصرية . ومن الصناعات الرائجة والناجحة صناعة الموازين التى يتم انتاجها فى الخليل وتتراوح قوتها من ٥٠ كيلو جراما الى خمسين طنا لوزن سيارات «اللورى». وبالرغم من انه لم يمض على قيام هذه الصناعة سوى اثنى عشر عاما الا انها استطاعت ان تسد حاجة البلاد وأن تصدر كميات من انتاجها الى الاقطار العربية .

وفى الخليل اكبر شركتين للنسيج فى الاردن ، تقومان بانتاج الملابس الداخلية والاقمشة الكتانية والقطنية والحريرية والعباءات .

ولوفرة وجود المحاصيل الزراعية قامت صناعة تعليب الخضار والفواكه بواسطة أحدث الآلات . ومن منتوجاتها: معقود الطماطم ،ومربيات المشمش والتفاح والخوخ والسفرجل والتين ، ومعلبات البازيلا والباميا والفاصوليا وورق العنب . وكذلك شراب الليمون والبرتقال والتوت .

وهناك صناعات تقليدية قديمة اشتهرت بها المدينة كصناعة الاوانى الفخارية والزجاجية ، وصناعة دبغ الجلود والفراء . وفى الخليل ثمانية محلات لصنع الفراوى . ويستورد جلد الغنم المستعمل فى هذه الصناعة من قبرص ومن ذبائح المدينة والقضاء.وتباع الفروة الواحدة ـ والزبائن هم السائحون وابناء البلاد لشدة البرد ـ من ٥ الى ٦ دنانير .

ماذا فى الخليل أيضا ؟

وفى الخليل اشياء كثيرة لا بد من ذكر بعضها . فهناك « حرم الرامة » عند مدخل المدينة الى جهة الشمال ، وهو بقايا سور يقال ان الملك سليمان بناه ليكون هيكلا ولكنه لم يكمله . وهناك أيضا بلوطة ابراهيم فى موقع « ممرا » حيث ضرب ابراهيم خيامه قبل ما يقرب من أربعين قرنا .

وفى الخليل أيضا كنيسة المسكوبية ، وهى عبارة عن دير وكنيسة بنيا فى عهد القياصرةالروس قبل اكثر من نصف قرن ، بالقرب من بلوطة ابراهيم ، وفى المكان الذى استراحت فيه مريم والمسيح عليهما السلام عندما هربت بابنها مع يوسف النجار الى أرض مصر .

واخيرا وليس آخرا نرى فى الخليل بركة السلطان، وهى بركة طولها خمسون مترا وعرضها خمسون مترا وعمقها ١٢ مترا وقد انشاها سلاطين المماليك ليجمع فيها ماء المطر ليستقى منها الحجاج فى طريقهم الى الحجاز .

الخليل كلواء

والخليل مركز لواء يعرف بلواء الخليل . والرجل الادارى الاول فيه هو المتصرف . وفى



أسواق مسقوفة بالعقود الحجرية تعود الى آلاف السنين ، ومع ذلك فقد مددت في السقف الاسلاك الكهربائية لتدخل النور الى الأجزاء التي لا يدخلها النور الطبيعي .. نور الشمس .

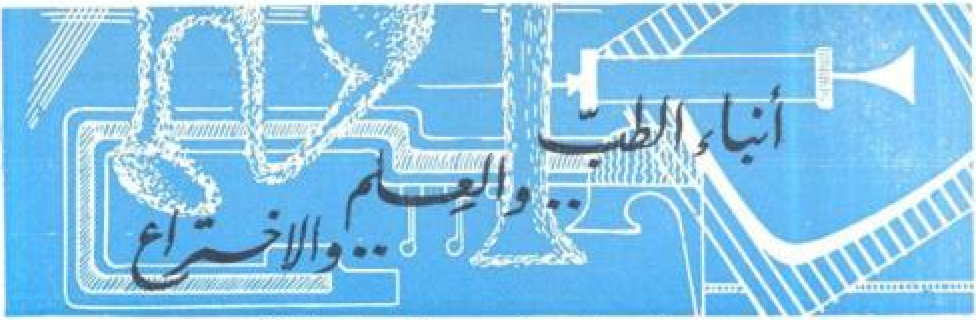
الخليل قائد منطقة منوط به حفظ الأمن . وفيها من الدوائر : الصحة والمالية والمحاكم والزراعة والبيطرة والمواصلات والجمارك والاراضي والاصلاح الريفي والمصرف الزراعي وكلها مرتبطة بوزاراتها في عمان .

وفي المدينة مستشفيان احدهما حكومي والآخر تابع لارسالية مار لوقا .

وينوب عن الخليل نواب في مجلس النواب الاردني وأعيان في مجلس الأعيان ومن هذين المجلسين يتكون مجلس الامة او البرلمان .

ويكاد يكون للخليل وزير في كل وزارة تتولى الحكم في الاردن . ■■

سليم بسيسو



أقدم فرن ذرى يحال على التقاعد

● أقدم مفاعل ذرى يعمل اليوم هو مفاعل كلنتن Clinton فى أوك بردج Oak Bridge بالولايات المتحدة ، وضابطه مادة الجرافيت . (المادة التى تهدىء من سرعة النترونات المنبعثة فى المفاعل) ، وهو يعمل منذ عشرين عاما دون أن يتوقف . وهو الذى انتج عنصر البلوتنيوم المشع اول انتاج بمقادير تحسب بالجرامات .

هذا المفاعل احيل اليوم على التقاعد !

النجوم تشيخ كما يشيخ الناس

● نعم . ان من النجوم ما هو شاب،ومنها ما بلغ رجولته ، ومنها ما تدهور الى الشيخوخة ، وانطوى على نفسه انطواء .

وقد حسبوا فوجدوا ان عشر نجوم السماء المتدهور Degenerate .

والنجم الشيخ المتدهور يتالف من نويات الذرات والكتروناتها ، وقد تقاربت وتلاصقت وتزاحمت حتى ليبلغ ثقل ما يملأ الكستبان منها طنا !

واسطع نجوم السماء هو النجم الذى اسمه الشعرى اليمانية Sirius .

ولهذا النجم صاحب صغير لا يبرحه ، يعرف بالشعرى اليمانية ب Sirius B فهذا هو احد هذه النجوم المتدهورة الشيخة . وقد كشفوا عنه آخر كشف بالتلسكوب العالمي الشهير ، تلسكوب جبل بالومار Palomar ، ذى المرآة ذات القطر الذى طوله ٢٠٠ بوصة اى نحو ٥ أمتار . وحللوا الضوء الخافت الواصل منه فعلموا ان له درجة حرارة تبلغ نحو ١٦٨٠٠ درجة مطلقة ، أي ١٦٥٢٧ مئوية . ومن درجة حرارته قدروا حجمه ، بل قطره ، فبلغ تسعة اجزاء من الف جزء من قطر الشمس . فهو فى النجوم شىء ضئيل لا يكاد يذكر ! انها ضالة الشيخوخة !

اتضح هذا فى مؤتمر العلوم المنعقد منذ حين قريب بمدينة كليفلند .

الدخان

هل تشرع

● ظهرت فى انجلترا تقارير تدمغ الدخان بأنه سبب سرطان الصدر .

وظهرت امثال هذه التقارير فى الولايات المتحدة .

ويتحفز المسئولون عن الصحة العامة فى كلا البلدين ، والمشرعون فيهما ، لصياغة تشريع يحد من اضرار التدخين الى درجة ما ، ولا يمنعه ، لان هذا المنع صعب تنفيذه .

وقد راج فى أمريكا بعض اقتراحات اقترحتها انجلترا للحد من التدخين ، وهي تتضمن :

التلفاز والعين

● يقول الباحثون انه لا ضرر من مشاهدة التلفاز على العين ، وانما الضرر يقع على الأطفال الذين لم تتكون بعد عندهم القيم التي تتصل بحوادث المشاهد التي يشهدونها متلفزة .

مثال ذلك أن المناظر التي تثير في الكبار الرحمة ، قد تفقد هذه الاثارة عند الطفل الذي لم تتكون بعد عنده معاني الرحمة التي تحصل بالنمو وممارسة الحياة . ويزيد في ضياع هذه الاثارة التكرار ، والتعود على النظر الى البؤس دون كبير اهتزاز له .

كذلك مشاهد الاعتداء التى يأتي بهاالتلفاز تؤثر فى الأطفال تأثيرا مباشرا ، بمعنى انهم ، فى الحياة ، عندما يقفون مثل هذه المواقف، يكون رد الفعل عندهم هو نفس هذا النمط من الاعتداء .

وكمشاهد الشر ، فكذلك مشاهد الخير ، تؤثر فيهم أثرها الطيب .

من اجل هذا كان لا بد ، عند هؤلاءالبحاث ، من العناية فى اختيار المشاهد التي يشهدها الاطفال خاصة .

ومن مكاسب الأطفال ، من مشاهدةالتلفاز ، كسب فى المحصول اللغوي ، يسبقون به من لا يشاهدونه .

اضرار ومنافع ، لا بد من الموازنةبينهما .

والحق انه ليس كل ما ينفع الأطفال ،ينفع الرجال ، فى تلفاز او اذاعة او سينما ، وبالطبع ولا فى كتاب .

أول مدينة تضيئها الكهرباءالذرية

● انها مدينة فارستا Farsta بالسويد بالقرب من العاصمة ، استكهلم . انها تستمد النور للاضاءة والحرارة للدفء من الذرة ، وقد بنوا مفاعلها خارج المدينة ، وهو يبعد عنها بنحو ٣ كيلومترات .



انجلترا وأمريكا ما يحد من بيعه ؟

١ ــ ازالةكل مادة من الطباق تضر بالصحة . واذا استخدم فى صناعة السجائر مرشح وجب ان تفحص هذا المرشح مؤسسة مسئولة .

٢ ــ تغيير فى بعض عادات التدخين ، ومن ذلك الاقتصار على تدخين النصف الاول من السجارة ، ورمي الباقي بسبب الذى ترسب فيه من مواد ضارة .

٣ ــ استبدال تدخين السيجار والبيبة بالسجائر .

٤ ــ عدم تشجيع المراهقين والبالغين على التدخين .

٥ ــ الحد من الاعلان عن السجائر ، واذاعة اضرارها بين الجمهور ليتعظ .

٦ ــ يوضع على كل علبة سجائر مقدار ما بالسجارة الواحدة من القطران ، ومن مواد طيارة ، وكذلك من نيكوتين . وهي مادته الفعالة .

٧ ــ الحد من الاذن بالتدخين فى الأماكن العامة .

٨ ــ زيادة الضريبة على الطباق .

لقاح جديد ضد الأنفلونزا

● يوجد الآن لقاح ضد الانفلونزا ، يعطى كل عام ، لان حصانته من المرض ليست بالطويلة . وهو يحدث في الجسم حمى بعد التلقيح به ، ويحدث كذلك التهابا في اذرع بعض الناس بعد الحقن به .

واللقاح الجديد هو لقاح في قاعدة من زيت ، وهو لا يحدث التهابا ، ولايصيب المحقون به بالحمى . وهو يحدث في الجسم حصانة تبقى ثماني سنوات على الاقل . وقد اذنت السلطات ببيعه في بريطانيا .

وهنالك لقاح آخر، في قاعدة من ماء ، يتألف من حطام من فيروس الانفلونزا بعد تنقيته ، وقد دلت التجارب الأولية على أن حصانته من الداء عالية . وهو لم يتجهز بعد للخروج الى السوق ، ويرجى ان تأذن بتداوله السلطات هناك قريبا .

الكوكب المشترى ،

● لا يكاد يوجد اليوم مثقف لا يعرف الرادار . انها نبضات من امواج لاسلكية ، تطلق من موضع ما لتصيب هدفا ما ، ثم هي لا تلبث ان ترتد عن هذا الهدف ، صدى راجعا كاصداء الصوت ، الى الموضع الذى منه انطلقت اول الأمر .

وبما انها تسير ، كما يسير الضوء بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية ، فقد جاز بحساب زمن ارتدادها ان يحسب الانسان بعد الهدف. هذا غير مآرب اخرى عند العلماء .

والخبر الذى نورده اليوم ان الروس نجحوا فيارسال الرادار الىالكوكبالمشترى، والتقاط صدى له على الارض . وكان البعد بين الارض والمشترى عندئذ ٣٧٠ مليون ميل.

عقار جديد ، ينزل بمقدار

● واسمه اتروميد (س) Atromid S وله اسم آخر هو كلوفبرات Clofibrate وهو يعطى مع الهرمون الذكرى،المسمى اندروستيرون Androsterode على سبيل التجربة . وهو مستخدم في انجلترا ، وتسعى الولايات المتحدة في التجهز لاستخدامه في الولايات ايضا .

وتسأل وما الخطورة في هذا ؟

والجواب : ان الذبحة الصدرية سببها انسداد الشريان التاجي الذى

أول سفينة ذرية المانية

● تقوم المانيا الاتحادية ، بميناء كيل Kiel ، ببناء اول سفينة تجارية لها تدفعها القوة الذرية . وستكون لحمل الخامات المعدنية ، وستكون حمولتها ١٥٠٠٠ طن ، وتقدر تكاليفها اليوم بمقدار ٥٠ مليون مارك .

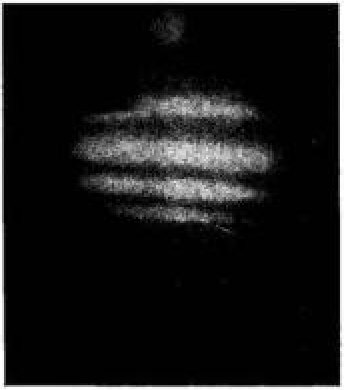
يناله الانسان بالرادار!

والمشترى هــو اكبر الكواكب التى تدور حول الشمس ، واقربها عطارد ، فالزهرة ، فالارض ، فالمريخ فالمشترى فزحل فاورانس ، فنبتيون ، فبلوتو .

والموجة الرادارية التى بلغت المشترى كانت قدرتها ١٠ وطات فقط ، فلما ارتدت لم تكن لها من القدرة غير وط واحد .

فالعجيب ان يستطيع جهاز الرادار الروسى ، بشبه جزيرة القرم ، أن يلتقط هذه اللقطة ، وهى راجعة على هذا الضعف ، وعلى هــذا البعد الهائل .

والموجــة استغرقت للذهاب والإياب ٦٦ دقيقة لقطع هذه المسافة .



وبالطبع كان لهذه التجربة هدف : ذلك معــرفة نوع الســطح الذى يغلف الكوكب المشترى .

والمشترى هو الكوكب الرابــع الذى ناله الانسان بالرادار ، وارتــد عنه الرادار ، والتقط الانسان صداه على الارض . فقــد نال الانسان بالرادار قبله عطارد ، والزهرة والمريخ . وبالطبع القمر ، وقد مسه العلماء بالرادار منذ ١٨ عاما .

• الدهن فى دم الانسان

يغذى عضلات القلب بالدم ، واذ ينسد هذا الشريان ، يتوقف القلب بغتــة ، ويموت صاحبه على الفور .

وقد نسبت البحوث الحديثة انسداد هذا الشريان الى كثرة وجود مادة (الكول استيرول) Cholesterol فى الدم بكثرة . وتشير البحوث الأحدث الى اشراك الدهون ايضا فى احداث هــذا ، كدهن الزبد واللحم .

وفى سبيل البحث عــن عقاقير تنزل بمقدار (الكول استيرول) فى الدم عثروا على هذا العقار الجديد وقد وجدوه أفعل فى النزول بمقدار الدهون العادية التى ذكــرنا ، (وهى التى تعرف عنــد الكيمــــاويين بالجلسرينيـــات الثلاثية للأحماض الدهنية) .



وكل ما ينــزل بأسباب هذا المرض الوبيل خير .

الكهــرباء
بين الروس وأمريكا وكندا

● شرعت كندا فى انشاء شــبكة كهربائية عالية الضغط جدا ، يبلغ ضغطها ٧٠٠٠٠٠ فلط ، وسيبلــغ جزء منها التمام فى عام ١٩٦٥ وتستفاد عندئذ منه الكهرباء . وعندما يحدث هذا يكون قد حدث بعد سنتين من انجاز روسيا شبكتها الكهربائية التى يبلغ ضغطها ٧٥٠٠٠٠ فلط . اما الأمريكان فالظاهــر انهم يريدون ان يرتفعوا فوق هذا الضغط ، فهم الآن فى سبيل تجربة خط يحمل من الضغط الكهربائى ٨٥٠٠٠٠ فلط .

وكل هذا تنافس فيما يفيد الناس ، ويزيد فى العلم ، ويوسع فى آفــاق التكنية والقدرة الصناعية .

كلية قرد مكان كلية انسان

اسباب الموت كثيرة ، ولكن من اسبابه الظاهرة ، مرض الكليتين فى الشخص الواحد ، وتوقفهما عن العمل ، فالتسمم العاجل الذى يعقب هذا ، وفى اعقاب هذا التسمم الموت السريع .

وقد لجأ الجراحون ، كما هو معروف ، الى نقل كلية من شخص صحيح مكان كلية مريضة فى شخص مريض . هذا علما بأن الكلية الواحدة تكفى الشخص الواحد لاجراء الحياة .

وقد احصى الأطباء فى مؤتمر قريب لهم عدد الجراحات التي نقلت فيها كلية صحيحة من شخص سليم مكان كلية مريضة فى شخص مريض . واتضح لهم ان هذه الجراحات بلغت ٢٤٤ جراحة ، اختلفت فى مقدار النجاح الذى صحبها والخيبة . فالجسم يأبى ان يدخل اليه عضو من جسم آخر . انه يدرك بفطرته انه غريب ، فيصنع بحكم جبلته موادكيماوية تطارده من الجسم حتى لا يأتلف معه ، وذلك جريا على اسلوب الحصانة الذى تتبعه الأجسام نحو كل ما يدخل الجسم من أشياء غريبة . ومطاردة الجسم أقل للكلية تأتى لتوام من توام مطابق له ، اى توامين تولدا من انشقاق بيضة ملقحة واحدة . ومطاردته اشد للكلية تأتى من غريب عنه بالمرة .

فمن هذه الـ ٢٤٤ حالة ، وجدوا أن ١٢٠ منها نقلت اليهم كلية من غريب : حي ، أو وشك موته . فهؤلاء لم يبق منهم حيا بعد عام من الجراحة ، غير واحد .

ووجدوا ان ٩١ منها نقلت اليهم الكلية من اقارب ، أب ، أو أم ، او اخ او اخت ، فهؤلاء لم يبق منهم حيا بعد عام من الجراحة غير خمسة .

ووجدوا أن ٢٨ منها نقلت الكلية فيها من توام الى توامه المطابق ، فهؤلاء مات منهم الى اليوم سبعة فقط ، وسائرهم ، اى ٢١ ، أحياء .

وقد انتقلت هذه الجراحات اليوم الى نقل الكلية من القردة الى الانسان . وقد اجروا عددا من هذه الجراحات ، وقد نجحت فيما يختص بالجراحة وحدها ، والأطباء اليوم فى انتظار ما ستكون نتائجها فهي تحتاج الى زمن للظهور .

وهم يحاولون التغلب على كراهة الجسم الطبيعية للعضو الغريب يدخل فيه او يضم اليه ، وذلك بالعقاقير وبالاشعاع .

وقافلة الأبحاث لا تزال تسير ، تمضى احيانا ، واحيانا تتعثر فى ظلمات المجهول .

بريطانيا وغاز بترول الجزائر

● فرغت بريطانيا من اقامة الجسر النهرى ، وذلك بجزيرة كنفى Canvey Island ، بنهر التاميز بجوار لندن . وسيستخدم هذا الجسر فى نقل غاز الميثان السائل الوارد من الجزائر الى انجلترا مضغوطا فى صهاريج فى سفن خاصة بها . وهذه الحصة من غاز البترول الجزائرى المنقولة بهذه الطريقة تبلغ عشر ما تحتاجه انجلترا من غاز البترول .



نزول المرأة إلى ميدان العمل

انقلاب يمس جميع النواحى فى المجتمع العربى

■ انقضى الزمن الذى كان فيه دور المرأة فى الحياة مقصورا على تدبير شئون البيت وانجاب النسل وتربيته وخرجت تشارك زوجها وأباها وأخاها العمل .. وتدل أحدث احصاءات منظمة العمل الدولية على أن بين كل ١٠٠ من العمال فى العالم الغربى توجد ٣٠ امرأة عاملة .. وبين كل ١٠٠ من العمال فى الكتلة الشرقية ٤٠ عاملة .

وها هى ذى المرأة العربية ، تسير فى هذا الاتجاه بخطوات ربما كانت أسرع من خطوات زميلاتها فى الغرب أو الشرق . ذلك لأنها كانت الى سنوات قلائل قعيدة البيت ، أسيرة الحجاب رهينة التقاليد ، فنزولها الى ميدان العمل حدث قريب نسبيا ، ومع ذلك فقد استطاعت ان تقطع شوطا كبيرا ، لا سيما فى السنوات الخمس الأخيرة . ففى الجمهورية العربية المتحدة ، بلغ عدد النساء العاملات فى نهاية سنة ١٩٦١ نصف مليون امرأة من بين ٦ ملايين من العمال . وهذا العدد يزداد بمعدل ٦ فى المائة سنويا .

العمل ضرورة للمرأة .. والأسرة ... والمجتمع

وهكذا لم تعد المرأة قوة متعطلة فى مجتمعنا العربى .. والعمل أصبح « ضرورة لها ، وتأكيدا لوجودها الانسانى » ، على حد تعبير الدكتورة حكمت ابو زيد ، وزيرة الشؤون الاجتماعية بالجمهورية العربية المتحدة ، فى مؤتمر « المرأة العاملة » الذى عقد فى القاهرة منذ اشهر ، واشتركت فيه وفود من بعض الدول العربية ، ومنها الكويت .

فلم يعد الزواج وتدبير البيت هما كل وظيفتها فى المجتمع ، بل صار عليها ان تعمل وتتكسب ، لأن العمل :

(١) يقيها الزلل والانحراف اذا فقدت العائل.

(٢) يمكنها من رفع مستوى معيشة الأسرة اذا كانت متزوجة .

(٣) يساعد على ضمان مستقبل الأبناء اذا عجز دخل الأب عن ان يهيىء لهم اسباب هذا المستقبل ، او اذا انحرف الأب وتخلى عن مسئولياته نحوهم ..

(٤) فضلا عن ان عمل المرأة مجهود لا غنى عنه للمجتمع الناهض النامى ، فى سبيل تأمين الاقتصاد

القومى ، وفى سبيل رفع مستوى معيشة المجتمع كله .

توصيات .. وضمانات

ولقد اعترفت المنظمات الدولية بمركز المراة ، ودعت الأمم المتحدة ـ فى دورتها السابعة عشرة ـ الدول الى تطوير تشريعاتها لمساواة المراة بالرجل فى الفرص المتاحة والمعاملة الطيبة فى الاستخدام.. وأوصت منظمة العمل الدولية الدول الأعضاء ـ فى العام الماضى ـ بتوصيات ، اهمها :

١ ـ توفير افضل تعليم واحسن تدريب مهنى وحرفى وفنى للمراة فى الدول النامية .

٢ ـ توسيع نطاق فرص الاستخدام للمراة ، لا سيما فى القطاعات غير الزراعية بالدول النامية، مع تحطيم الحواجز التقليدية التى تقف ضد تشغيل المراة .

٣ ـ المساواة بين المراة والرجل فى الاستخدام، وفى الأجور ، وفى المعاملة بوجه عام .

٤ ـ حماية الأمومة والسلامة الصحية للعاملات .. بانشاء دور رعاية صحية لهن ، وحضانة لأطفالهن .

٥ ـ تامين التقدم المطرد للمراة فى البلاد النامية ، فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى ، وتأهيلها للاستجابة للحاجات المتغيرة التى تتطلبها التنمية القومية .

ومع الحقوق واجبات

على أن مقابل هذه الحقوق التى تطالب بها المنظمات الدولية للمراة ، تقوم مسئوليات عليها نحو المجتمع ، أجملها مؤتمر « المراة العاملة » فى ما يلى :

١ ـ العمل على زيادة دخل الأسرة لرفع مستواها المعيشى بالوقوف مع الرجل جنبا الى جنب ، فى العمل وفى البيت .

٢ ـ ان تكون مصدر قيادة واشعاع لأسرتها ولبنات جنسها سواء فى بلدها او البلدان الشقيقة .

٣ ـ التمسك بالقيم الروحية النابعة من الاديان ، والقيام بدور قيادى فى تنظيم الأسرة ، لاسيما فيما يتعلق بتحديد النسل وتربية النشء.

انقلاب اجتماعى .. أى انقلاب !

على ان نزول المراة الى ميدان العمل ـ فى الدول العربية بالذات ـ ليس بالظاهرة الهينة ، بل انه انقلاب من شانه ان يمس كل نواحى حياة هذا المجتمع بالتغيير ..

علاقة المراة بالرجل

هناك ـ مثلا ـ علاقة المراة بالرجل ..

فقد درج المجتمع العربى على أن تكون للرجل القوامة على المراة .. وهو الذى يعولها ، وهو الذى يدبر لها شئون حياتها .. حتى لقد كان الأب ، او الأخ حالة غياب الأب ، يختار لها الزوج الذى تعيش معه بقية حياتها . وكان الرجل يصر على أن يرسم لابنته او اخته حياتها ، حتى ولو كان أمياً وهى متعلمة ! .. فكيف يصبح الوضع اليوم ، وقد اصبحت المراة تكسب على قدم المساواة مع الرجل ، ولم يعد هو العائل ، وهى العالة ؟

من الطبيعى ان السيطرة الواسعة التى كان الرجل يستمتع بها فى محيط الأسرة ـ بوصفه ولى الأمر او العائل ـ لم يعد لها مجال .. لم يعد للاب او الأخ ـ مثلا ـ ان يملى ارادته على ابنته او اخته ـ التى تعمل وتكسب ـ كى تتزوج شخصا معينا ، تؤمن هى بان التكافؤ بينها وبينه غير متوفر ... بل لم يعد له أن يملى عليها أن تتزوج فى سن معينة ، اذا كانت هى ترى أن وقت الزواج لم يحن فى الخطة التى رسمتها لحياتها ...

لا بد من تخطيط ..
ولا بد من توعية

وهذا الانتقال فى الأوضاع ـ بين الرجل والمراة ـ خليق بالا يتم بسهولة فى كافة قطاعات المجتمع ... فنحن نراه واقعا فى كثير من الأوساط المتعلمة المستنيرة ، ولكن هناك أجزاء من المجتمع لم تؤت



● المرأة العاملة

فقد كانت مهمة الزوجة فى الماضى هى انجاب النسل واعداد البيت ، بينما كانت مهمة الرجل هى كسب موارد الانفاق للأسرة ... ولكن هـذا التوزيع فى العمل بين الزوجين قد تغير .. بدخول المرأة ميدان العمل . ومن شان العمل الا يمكن الزوجة من التدبير المنزلي بالدرجةالتي كان عليها عندما كانت متفرغة له ... كذلك من شـأنه ان يجعلها ترى أن انجاب النسل اعتباطا يعطلها عن الكسب ويفوّت عليها فرص الارتفاع فى عملها .

ثم انها قد ترى أن من حقهـا الاحتفاظ بكل دخلها لتنفقه على مطالبها الخاصة ، استنادا الى ان الرجل هو المكلف قانونا بالانفاق على أسرته .. وتنسى انها عند قيامها بالعمل والتكسب لم تعد تعالج شؤون البيت والأسرة المعالجة الكافية التى كانت حين كانت متفرغة لها ..

هذه ناحية أخرى تحتاج الى برامج للتوعية ، حتى يفهم الرجل العامل والمرأة العاملة أن المسألة مسألة تعاون وزمالة وشركة لانشاء أسرة ناجحة سعيدة ...

وعندما يصطدم عمل المرأة بحقوق زوجها !

وهناك نتائج لنزول المرأة الى ميدان العمل ، تمتد الى القانون ، والى النظم الحكومية ذاتها ..

فالأصل ان المرأة تتبع زوجها اينما ذهب ..

ولكن ماذا يحدث لو ان الزوج انتقل ـ بحكم عمله ـ الى بلد آخر ، وكانت الزوجة تشغل ـ فى بلدها الراهن ـ مركزا ممتازا ، تتفتح امامه ابواب المستقبل ، بحيث يتعذر عليها التضحية به .

لقد عالجت التشريعات الادارية فى بعض الدول العربية ـ كالجمهورية العربية المتحدة ـ هـذه المشكلة ، اذا كان الزوجان موظفـين حكوميين ، فوضعت من اللوائح ما يكفل أن يكون الزوجان فى بلد واحد ..

ولكن ، ماذا يحـدث اذا لم يكونا موظفـين حكوميين ؟

واذا ابت الزوجـة انتضحى بمركزها لتلحق بزوجها ، بينما أصر هو على حقه فى أن تتبعه .. وذهبت الزوجة فى موقفها الى درجة المطالبـة

بعد الجرأة على الانقضاض على الأوضاع التقليدية، والتسليم بالواقع .. كما ان هناك ، من ناحيـة أخرى ، قطاعات فى المجتمع يُخشى على الفتاة فيها أن تشتط وتجمح فى تحررها من سـلطان الرجل ، وفى اعتدادها بوضعها الجديد .

ومن ثمّ فان الحاجة ملحة الى أن ينشط رجال الاجتماع والفكر ، والسلطات المشرفة على التربية والشؤون الاجتماعية وتنظيم المجتمع الى رسـم برامج شاملة للتوعيـة والتوجيه والارشـاد ، تستخدم فى نشرها كافة الوسـائل الممكنة وفى مقدمتها وسائل الاعلام .

مشاكل ... للمتزوجات

وهناك ناحية أخرى ليست اقل اهمية .. تلك هى علاقة المرأة العاملة المتزوجة ، بزوجها ..

بالطلاق ، فتشبث الزوج بحقه الشرعى وأبى وتمسك بما يلزمها به الشرع من طاعة له ؟

حق تاديب الزوجة

وثمة موقف يبين مدى الحاجة الى اعادة النظر فى القوانين المدنية وقوانين الأحوال الشخصية ، للتهيؤ لهذا الوضع الجديد .. فالقانون مثلا يجيز للزوج حق تأديب الزوجة ، فى حين أن هذه الزوجة قد تكون ارقى من زوجها منصبا ، واكثر نفوذا ، واوفر دخلا ؟!

وهناك آثار أخرى لنزول المراة الى ميدان العمل ، كفيلة بان تنعكس على حياة المجتمع كله.

وأول هذه الآثار ، ان وضع المراة الجديد سيكون أهم عامل فى تحديد النسل ، لأن المراة لم تعد متفرغة لهذه المهمة .. وتحديد النسل من شأنه أن يصرف جهود الابوين الى العناية بعدد أقل من الأولاد ، مما سيساعد على زيادة العناية بهم ، ولا سيما وقد أصبح التعليم بالمجان ــ فى بعض مراحله على الأقل ــ فى كثير من الدول العربية ..

عمل المراة وازالة الفوارق بين الطبقات

وبدخول المراة ميدان العمل ، سيصبح للأسرة موردان للدخل ، لا مورد واحد ، ومن ثم فسيرتفع مستوى معيشتها .. وبالتالى ، سترقى الطبقة التى تؤلف هذه الأسرة نواتها ، وتحتل مكانة أرفع فى المجتمع .. وسيتغير التقسيم الطبقى فى المجتمع ، ويزداد التقارب بين طبقاته .

كذلك يلاحظ أن تفتح أبواب العمل للفتيات ــ فى المعامل والمصانع ــ بدأ يقضى على فئة خادمات البيوت ، حتى أصبحت بعض الدول تعانى ازمة خادمات .. ولما كانت الزوجة لم تعد متفرغة للبيت ، فمن الطبيعى أنها ستلجأ الى الأدوات الحديثة للاستعانة بها فى تدبير شؤون بيتها . والى جانب أن هذا ــ فى حد ذاته ــ تجديد فى النظم المنزلية فان من شأنه ان يشجع الصناعة المحلية على الاتجاه الى انتاج الأدوات ، والاستغناء عن استيرادها من الخارج كما حدث فعلا فى بعض الدول العربية .. وهكذا يؤثر نزول المراة لميدان العمل ، فى توجيه الصناعة ، والاقتصاد القومى.

★ ★ ★

ونخلص من هذا الى تاكيد القول بان عمل المراة ليس مجرد ظاهرة عادية فى المجتمع ، بل انه انقلاب يمس كافة نواحيه ، ويتطلب نشاطا من جميع الهيئات لمواجهته بما يجعله مصدر خير مستمر للمجتمع كله ..

لغة الأرقام .. بالنسبة للمراة العاملة

اجرى استفتاء فى ٥٨مؤسسة من كافة القطاعات ــ بالجمهورية العربية المتحدة ــ بالنسبة لعمل المراة فاسفر عن :

٦٠ فى المائة من المؤسسات تفضل استخدام المراة فى الأعمال الكتابية والفنية ..

٣١ فى المائة ترى الاقتصار على استخدامها فى الأعمال اليدوية .

٣٠ فى المائة ترى الاقتصار على استخدامها فى الأعمال الآلية .

وقد تضمن الاستفتاء دراسة الاستعداد الطبيعى للمراة فى العمل ، وتدل هذه الدراسة على :

فى ٤٠ حالة تتجاوز الاناث حدود الاجازات المقررة لهن بنسبة ٧١٪ بسبب الحمل والأمومة ، فى حين ان الرجال لا يتجاوزون هذه الحدود باكثر من ٦٪

فى ٢٤ حالة تبين أن مطالب المراة تزيد كثيرا على مطالب الرجل .

فى ١٧ حالة وجدت مشكلات بسبب اشتراك الجنسين فى عمل واحد .

ظهر فى٤٣ مؤسسةان انتاج المراةيقل بعد الزواج. وفى ٥ مؤسسات ظهر أنه زاد بعد الزواج .. اما اما فى العشر الباقية .. فلم يتأثر الانتاج بالزواج.

■■

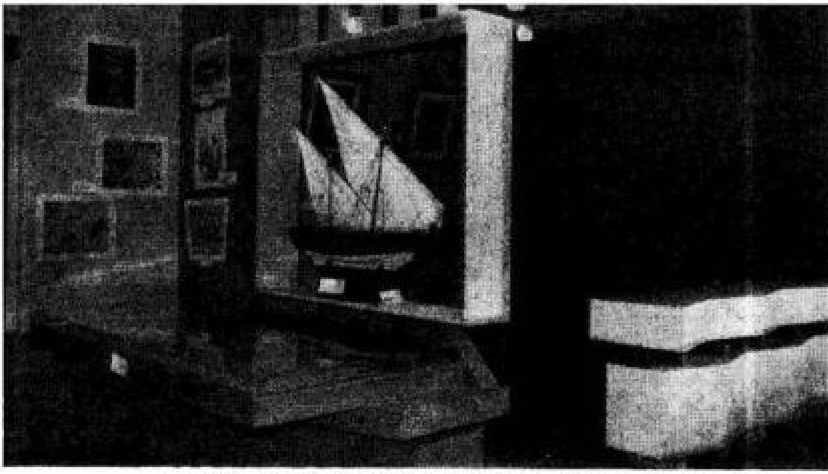
بعد أيام تشترك فى معرض ميلانو العالمى

■ لا جدل فى ان المعارض من أهم الوسائل التى تستطيع كل دولة بواسطتها نقل ما توصلت اليه من رقى وتقدم فى ميادين الصناعة والعمران والاقتصاد الى أذهان شعوب العالم فى مختلف اجزائه ، وما ان لمست الكويت تلك الأهمية ، حتى عملت مختلف أجهزتها فى وزارة المالية والصناعة ، وبالتحديد فى أوائل عام ١٩٦٢ ، على انشاء قسم خاص بالمعارض يقوم بالاشراف على ابراز مختلف أوجه النشاطات المعبرة تعبيرا صادقا عن مدى ما توصلت اليه الكويت ـ فى غضون الفترة القصيرة التى اجتازتها ـ من تقدم فى شتى الميادين الاجتماعية والثقافية والعمرانية والصحية . فكان معرض تونس الدولى العاشر الذى أقيم فى الفترة ما بين ١٩ اكتوبر ٦٢ و ٤ نوفمبر ٦٢ أول مساهمة فعالة لها .

وعندما أنشئت وزارة التجارة فى أوائل ١٩٦٣ كان عليها تعزيز قسم المعارض



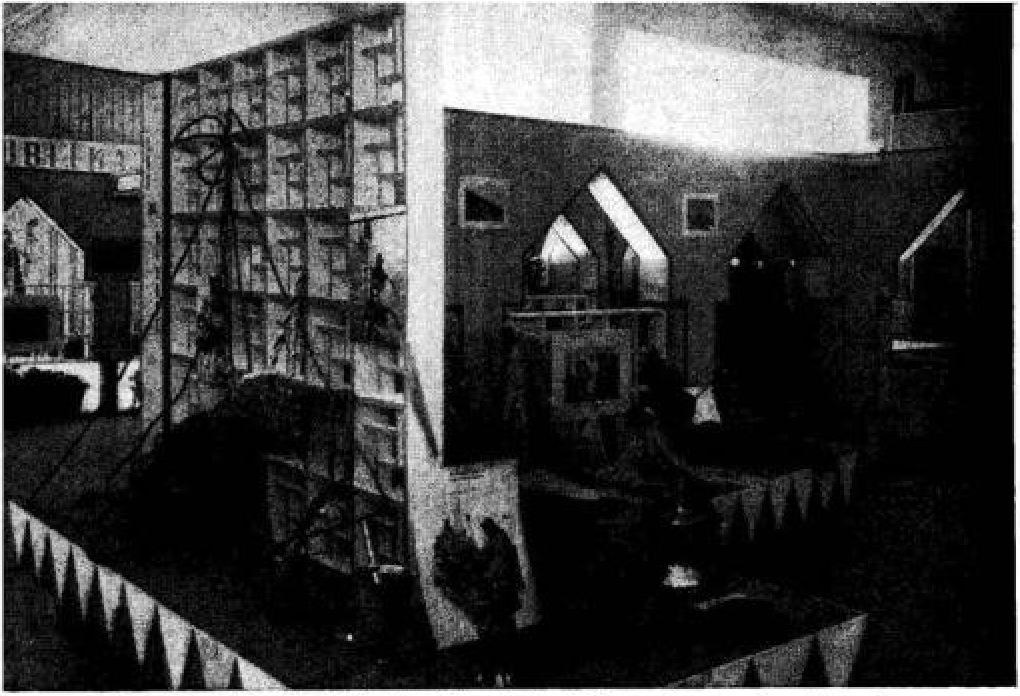
تصميم آخر لأحد معارض الكويت وترى فيه خريطة الكويت على الواجهة .



في معرض تونس : منظر داخلي لجناح دولة الكويت في معرض تونس وتمثـــل السفينة الأسطول التجاري الذي كان لدولة الكويت حينما كان اقتصادها يعتمد الى حد كبير على التجارة والملاحة .

في معرض طرابلس الغرب : منظر عام للجناح الكويتي في معرض طرابلس وكتب على جانب من واجهته الامامية اسم دولة الكويت ورسمت على الجانب الآخر خريطة رمزية لها . وفي داخل الجناح صور لانابيب النفط وبعض مظاهر العمران في الكويت





أجهزة الغوص في معرض زغرب : وقد ابرزت فيه بشكل خاص الأدوات التى كانت تستخدم في الغوص بحثا عن اللؤلؤ الذى كان يعتبر مصدرا رئيسيا من مصادر الرزق في الكويت .

بالامكانيات الفنية التى تستطيع بواسطتها الاشتراك باكبر عدد ممكن من المعارض الدولية . وبالفعل فقد تم اشتراكها في نفس العام في خمسة معارض دولية هي حسب الترتيب التالى :

معارض عام ١٩٦٣

١ ـ معرض طرابلس الدولى بليبيا من ٦٣/٢/٢٨ الى ٦٣/٣/٢٨ .

٢ ـ معرض طوكيو الدولى الخامس من ٦٣/٤/١٦ الى ٦٣/٥/٦

٣ ـ معرض دمشق الدولى العاشر من ٦٣/٨/٢٥ الى ٦٣/٩/٢٠

٤ ـ معرض زغرب الدولى بيوغسلافيا من ٦٣/٩/٧ الى ٦٣/٩/٢٢

٥ ـ معرض تونس الدولى الحادى عشر من ٦٣/١٠/١٨ الى ٦٣/١١/٣ .

معارض عام ١٩٦٤

أما في السنة المالية الحالية ، ١٩٦٤ ، فقد اشتركت الكويت حتى الآن في معرض بغداد الذى اشتركت فيه الدول العربية وقد استمر لمدة شهر من ٦٤/٢/٨ الى ١٩٦٤/٣/٧ .

كذلك اشتركت الكويت في معرض طرابلس الدولى الذى أقيم في ٦٤/٢/٢٨ الى ١٩٦٤/٣/٢٠ .

في معرض ميلانو

كما يجرى عمل الترتيبات لاشتراك دولة الكويت في معرض ميلانو الدولى الذى سيقام في المدة من ١٢ ابريل ١٩٦٤ الى ٢٥ ابريل ١٩٦٤ . وفى هذا المعرض ستكون الكويت على موعد مع ١٤٠٠٠ منتج ، من ٨٤ دولة ، فضلا عن مئات الآلاف من زواره الذين سيجدون في اشتراك الكويت فيه فرصة طيبة للوقوف



وهذه صورة فوتوغرافية لجزء من ميناء الزيت في الكويت ـ الاحمدى ـ وبها احدى ناقلات النفط الضخمة محملة بالزيت الى شتى بقاع العالم وفي داخل المعرض صورة فوتوغرافية لآبار الزيت ومخازنه .

في معرض طوكيو : جناح دولة الكويت في معرض طوكيو . ونرى على احدى واجهاته رسم فوتوغرافي لشارع فهد السالم بمدينة الكويت وما فيه من مبان ليدل على التقدم العمراني والتجاري .



الى أسفل : في معرض زغرب بيوغسلافيا ـ وضع تصميم جناح الكويت في معرض زغرب على الطراز العربي وقد كتبت في مدخل المعرض عبارة . « الكويت ترحب بكم » باللغات الاجنبية .







في معرض تونس : سيادة الرئيس الحبيب بو رقيبة رئيس الجمهورية التونسية يزور جناح دولة الكويت اثناء الاحتفال بافتتاح معرض تونس الدولي وبجانبه سفير دولة الكويت لدى تونس السيد رجب الرفاعي .

على أحدث مظاهر التقدم والعمران فيها.

كما يجرى عمل الترتيبات اللازمة لاشتراك دولة الكويت فى معارض دولية منها معرض دمشق الدولي الحادي عشر ومعرض زغرب الدولي اللذان سيقامان فى أواخر صيف هذا العام .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الاقبال على اجنحة الكويت فى المعارض الدولية كان شديدا وقدر عدد زوارها بمئات الالوف . وقد كانت تلك الاجنحة موضع اعجاب الزائرين .

زيارة رؤساء الدول لأجنحة الكويت

وقد تفضل رؤساء الدول بزيارة اجنحة الكويت فى المعارض التى أقيمت فى دولها .

حيث قام الرئيس الحبيب بورقيبة بزيارة جناح دولة الكويت واشاد بنهضة الكويت الفنية .

كما زار الرئيس المارشال جوزيف تيتو جناح الكويت فى معرض زغرب وابدى اعجابه بمعروضات الكويت .

وقد زار ولى عهد امبراطور اليابان جناح الكويت فى معرض طوكيو الدولى.

أخيرا وليس آخرا فقد تفضل المشير الركن السيد عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية بزيارة جناح دولة الكويت فى معرض بغداد وكانت زيارة سيادته لهذا الجناح هي أول زيارة يقوم بها لاجنحة المعرض . وبعد تفقد معروضات دولة الكويت ابدى سيادته للمشرفين على ادارة الجناح اعجابه بالمصنوعات الكويتية وخاصة صناعة منتوجات الاسبست ومصنع الطابوق الجيرى . وقد تمنى سيادته لدولة الكويت كل تقدم وازدهار . ■■



القضية الواحدة

عن جريدة العرب ــ بغداد :

● فى القرون الوسطى ، وعلى عهد الاقطاع الطائفى ، التقى فى مكان ما اثنان من الفرسان وقد اختلفا على لون ترس شاهداه هنالك . اذ ادعى احدهما بان الترس اسود اللون ، وادعى الآخر بان الترس ابيض اللون ! وكاد الفارسان يتخاصمان فيتبارزان من جراء الاختلاف الذى حدث بينهما على هذه الصورة ، وبسبب لون الترس .. وقد تبين فى الاخير ان الترس المتنازع عليه كان ذا لونين ، اذ كان احد وجهيه ابيض ووجهه الثانى اسود ، وكان كل من الفارسين محقا من جهة ، ومخطئا من جهة اخرى لانه كان يرى احد وجهين من الترس ويظل غافلا عن الثانى!

وحكاية الترس هذه كما يرويها لنا التاريخ قد تكون مقبولة فى القرون الوسطى ، وفى غمرة التاخر والجهل والجمود يومذاك ، الا ان هذه الحكاية غير مقبولة مطلقا ونحن نعيش روح العصر العلمى والسياسى والاقتصادى ، ونعيش روح النقد الذاتى .. فما اكثر الفرسان أو المفكرين أو الساسة الذين يتنازعون فيما بينهم بسبب لون الترس ، اسود او ابيض ، وما افجع الأحداث والويلات التى انصبت علينا من اجل نزاعات من هذا القبيل .. ؟؟

ان القضية الواحدة ، او الحادثة الواحدة قد تتداخل العوامل والاسباب فيها ، وقد تصطلح المظاهر والاختلافات عليها ، ولكن الفكر الواعى والتجربة الرائدة وحدهما هما اللذان يلقيان النور الكشاف على تلك القضية أو الحادثة .. فلو تسلحنا دائما بسلاح الفكر والتجربة والحكمة والاناة ، ولو نظرنا الى الترس من كلا وجهيه وليس من وجه واحد ، لهبط رصيد الخلاف والنزاع كثيرا ، ولكانت حياتنا اكثر راحة ونعمة وسعادة ..

الصلابة الديغولية

عن جريدة الكفاح ــ بيروت :

● هذا الجنرال البالغ من العمر ٧٤ عاما لايزال يفكر ويقاتل بطموح الشباب . وهو فى صلابته وعناده يحظى باعجاب خصومه انفسهم . فى سبيل ايمانه تحدى بريطانيا رغم أنها آوته أثناء الحرب، وتحدى الجنرالات فى الجزائر رغم انهم قاموا بثورة لكى ياتوا به الى السلطة . وتحدى الولايات المتحدة ، رغم انها اعتبرت مجيئه خشبة الخلاص للديمقراطيات فى غرب اوروبا . وانتصر فى عزل بريطانيا عن السوق الأوروبية ، وفى اقامة تحالف المانى غربى ، وها هو فى محاولته لاعادة اعتبار فرنسا يهم بالدخول فى تقرير مصير المناطق البعيدة من العالم ، وهو فى اعترافه بالصين وبحديثه عن الحياد فى شرقى آسيا ومد يده للدول العربية، يجذب اليه تكتلا هائلا قد يكون له دور حاسم فى تقرير مصير البشرية .

وهنا تجدر الاشارة بأن حديث الاعجاب بديغول لا يعنى ابدا التسليم بكل مواقفه . ونحن العرب اذ نرحب بيد ديغول الممدودة ، لدينا من الصلابة العربية التى تميزنا ما لا يقل عن الصلابة

التفرقة العنصرية فى اسرائيل

عن مجلة الهلال :

● اسرائيل دولة تقوم على التفرقة العنصريةوالتفرقة الدينية معا ..

فهى تضطهد العرب المقيمين بها لانهم عرب منجهة ، ولانهم مسلمون ومسيحيون من جهة اخرى.

هى دولة تقوم على اساس ايجاد درجتين منالمواطنين . فى الدرجة الاولى تقف سلالة الدم اليهودى وحدها ، وفى الدرجة الثانية ياتىالآخرون !

نفس الاضطهاد الذى كان يشكو منه اليهودفى اوروبا فى عصور الاضطهاد ، مع انعكاس الآية .. فقط لا غير ..

هذه الحقيقة الكبرى من حقائق الحياة فىاسرائيل ، مجهولة تماما فى العالم الخارجى .

ولا اظن ان الدعاية العربية والسياسة العربيةقد بذلت كل ما فى الطاقة لتاكيد هذه النقطة .

ثم ان هناك ما هو اعمق اثرا من الدعايةالكلامية ..

فلا ادرى مثلا ، لماذا لا تطلب الدول العربيةمن الامم المتحدة ان ترسل لجنة دولية ، تحقق فى احوال العرب المقيمين فى اسرائيل ، لجنة تسالهذه الدولة عن هؤلاء العرب الذين تعتبرهم رعايا: ما هو نصيبهم من المشروعات العامة ومن الوظائفومن ميزات التعليم ومن فرص السفر ومن حقوق التنقل ومن الحريات العامة والخاصة ؟

ثم ان..المقاومة السلمية التىنهض بها الزنوجفى امريكا كانت كافية لان تثير ضمير العالم كله وبالنسبة لاوضاع فى دولة كبرى كالولايات المتحدة.. فلماذا لا يعمل العرب على تنظيم مثل هذه الحركة داخل اسرائيل ، لتكون نقطة بدء فى لفتانظار العالم الى حقيقة ما يجرى هناك ؟ ..

الديغولية . ونحن نود ان نقول لديغول اذ نضع يدا واثقة فى يده ، ان مفتاح الطريق الى الصداقة العربية هو التخلى النهائى الحاسم عن مساندة الغدر الصهيونى . فاذا اقتنع الرئيس الفرنسى بهذه الحقيقة ، عندئذ يستطيع ان يصنع الاعاجيب فى الشرق الاوسط وافريقيا وآسيا .

استعمار ديمقراطى

عن جريدة « فلسطين » ــ القدس :

● الاكتفاء باعلان الاستياء من خطاب الرئيس الامريكى جونسون ، موقف سلبى ، لن نفيد منه اكثر من تسجيل واقعة اخرى من سلسلة وقائع التحيز السافر الذى تقفه الولايات المتحدة فىتاييد الصهيونية،وفى محاربة الحقوق والاماني العربية.

فامريكا كانت ، وما تزال ، تقف وراء اسرائيل، وقفة ظاهرها الرحمة والشفقة وباطنها المصالح الخاصة لرجال السياسة ، الذين يخضعون انفسهم لنفوذ اليهود كطريق مختصر للوصول الى اطماعهم السياسية ، والى كراسى الحكم .

واذا كان جونسون ، قد حذا حذو من سبقه فى كرسى الرئاسة الامريكية ، فهذا امر عادى ، ولكنه قد تجاوز موقف التاييد لليهود، الى موقف يصح ان نصفه بانه تحد للعرب .

فقد وقف جونسون يخطب فى مادبة عشاء يهودية ، اقيمت لجمع المال لمؤسسة صهيونية تستهدف تخريج خبراء فى علم الذرة . وكانتوقيت هذا الخطاب فى اعقاب مؤتمر الذروة العربى الذى انعقد ليبحث شؤون العدوان اليهودى على المياه العربية ، اول ما يستلفت النظر ... وكانه جاء كرد امريكى على مؤتمر القمة !

ان هذا الاستعمار المقنع بالتحدى ، يجب ان لا يقابل منا باعلان الاستياء ، وتحبير الحملات الكتابية واذاعة الحملات الهوائية . انه يجب ان يقابل بعمل عربى مشترك ، يلفت النظر على الاقل الى اننا نفهم اللغة التى يخاطبنا بها جونسون ، ونعرف كيف نرد عليها بمواقفنا الدولية،ومواقعنا الاستراتيجية ، وخيراتنا الطبيعية .

القصاص العالمي

سومرست موم يتحدث عن الحياة والموت

في سن التسعين

■ « لست أراني راغبا في اطالة حياتي بعد هذه السن التي بلغتها ، والتي لا أرى في بلوغها ما يدعو الى الزهو ! » .

بهذه العبارة استقبل الروائي الانجليزي « سومرست موم » العام التسعين من عمره ، في فيلته التي يقيم فيها ، في الرفييرا الفرنسية ، « فيلة موريسك » ... ولقد قال لسكرتيره عندما نزل الى الدور الأسفل من داره ، صبيحة يوم ميلاده ، فوجد حشدا من الزهور ارسلها اليه المعجبون : « ما هذا ! لكأني في مقبرة ، وهذه زهورها » !

وعلى هذه الصفحات ، يسجل « سومرست موم » خواطره يوم بلغ التسعين .

أشد ذكرياته ألما : ذكرى وفاة أمه

« لقد أصبحت ذاكرتي تنسى الكثير مما يستحب تذكره . اني – وأنا اجتاز الحاجز الرفيع الذي يفصل بين الحياة والموت – أجد كثيرا من ذكريات أعوامي التسعين معتمة غير واضحة ، فامتلىء بذلك حسرة على الماضي .

لعل أوضح ذكرى تبقت لي ، هي تلك الذكرى التي عاينتني أكثر من ٨٠ عاما ... ذكرى وفاة امي . كنت في الثامنة عندما ماتت ، ولكن الحس لفقدها لا يزال قائما عندي بنفس الحدة التي كان عليها يوم حدثت الوفاة في دارنا بباريس .

وغير ذكرى أمي ذكريات أخرى ، ولكن معظمها غير واضح ، حتى لصار النسيان أسهل عليّ من من التذكر .

فرغ الماضي حتى من الذكريات ، والمستقبل بعد بلوغ التسعين لا شك افرغ ..

لا يخشى من الموت الا ألمه

انني أسير مع الموت ، يدا بيد ، ولكن يد الموت أكثر دفئا من يدي . وفي كل مساء عندما أحيي سكرتيري«الان سيرى Alan Searle » – ذلك الذي رافقني في رحلة حياتي ٤٠ عاما – أناشده أن يدعو الله أن يجعل نومتي متصلة فلا أصحو منها. اني لم يعد لي رغبة في الحياة .

ان الموت أمر لا مناص منه،وليس يدفعه اي حال يكون عليها المرء حين يلقاه . ولا أظن أن المرء يلام اذا هو رجا ان لا يعلم بمجيء الموت قبل مجيئه ، او اذا هو جاء ، أن يعفى من الامه .

اني متيقن منذ عهد غير بعيد بمرض قاس شديد. والواقع انه تمر بي ايام عصيبة لمرض وضعف. لقد حدث ذات صباح اني بلغت من الضعف حدا خيل اليّ عنده انه يكفي أن يزداد هذا الضعف قليلا لكي أموت . وقلت لنفسي : اذا كان الموت سهلا بهذه الدرجة ، فمرحبا به .

ولم يضايقني كثيرا انه لن يتاح لي أن أتم كتابا كنت عاكفا على تأليفه . فقد خطر لي أن كتابا كهذا لا يلبث أن ينساه الناس بعد عام أو عامين من نشره .



اعتاد ان يعيش فى المستقبل

ولقد اعتدت طويلا ان اعيش فى المستقبل ، وصرت حتى والمستقبل الآن بالغ القصر ،لااستطيع ان اطرح هذه العادة ، وينشرح صدرى كلما تراءى لى احتمال اكتمال النهج الذى رسمته فى الحياة ، ولو فى وقت غير معين .

الموت يمنحه الحرية المطلقة

انى تمر بى لحظات اصبو فيها الى الموت ، حتى لأتمنى ان اطير اليه بنفس اللهفة التى اطير بها الى احتضان حبيب . فهو يبعث فى نفسى تلك الهزة الحافلة بالعواطف التى بعثتها الحياة فىّ فى سنواتى الماضية . انى لمل بفكرة الموت . يلوح لى أن الموت سيمنحنى الحرية المطلقة . ولسوف اسف لفراق اصدقائى . ولا املك الا اكترث لخير بعض الذين هدبتهم وحميتهم ، ولكنه سيكون من صالحهم ان يتمموا هم الآخرون بالحرية ، اينما قادتهم ، بعد ان ظلوا طويلا يعتمدون علىّ .

هو وكلابه الثلاثة فى شيخوخة طاعنة

ان من علل الشيخوخة ــ وانا الآن فى الشيخوخة الطاعنة ــ انى اليوم مشغول بها .. تماما كما كنت مشغولا بالحياة فيما مضى .

انى لا ازال أتمشى فى حديقتى بعد ظهر كل يوم ، مع « الان » ــ سكرتيرى ، وكلبى الكبير « جورج » ، واكبر كلبين من نوع « البكين » سنا فى اوروبا ، وهما « تشيبخ » ــ وعمره ١٥ سنة ــ و « لى » وهو فى الرابعة عشرة .

لقد اصبحت انا والكلاب ، نؤلف صورة للشيخوخة رائعة . ان الشيخوخة لتراءى حتى فى خطونا البطيء ونحن نسير الى البستانى لنراه قائما فى عمل قد لا نرى نحن تمامه ابدا .

لم يعد له حتى متعة العمل ليملأ بها ايامه

لقد عملت فى سنى عمرى التسعين الكثير.عملت اكثر بكثير مما يجوز لاى رجل ان يعمل ، وقد مللت الآن الحياة التى احياها. واعباء الشيخوخة واسواها يجعلان هذه الحياة لا تطاق.لقد شُبّبتُ على حب التمتع والآن لم يتبق لى سوى متع قليلة ..لم تعد لى حتى متعة العمل التى املأ بها ايامى. انى لا ازال استطيع ان استمتع بالوجبة الطيبة ، واستمتع بشرابى.ولكن الصمم يلاحقنى ،واللعثمة تلحّ علىّ ، وبصرى لم يعد كما كان ، ولعل هذا بالذات هو اكبر ما يزعجنى ، لانه يجعل القراءة عسيرة جدا علىّ .

تنازله عن مكتبته

وبالطبع انا تنازلت عن مكتبتى ، فهناك اليوم من هم أحوج اليها منى . وهذا التصرف لم يرق للمرحوم أخى عندما زارنى آخر مرة . على اننى احتفظت ببعض الكتب لما خيل الىّ ان اختتم حياتى بالقراءة كيفما يحلو لى.ومن أشد صنوف العجز ان يهن بصرى فيسبب لى عناء يصرفنى عن القراءة بالمرة .

لو طلب اليه انيحيا الحياة من جديد

سئلت فى احدى المناسبات عما اذا كنت اقبل ان اعيش حياتى مرة اخرى.والواقع انها كانت حياة طيبة ، ولعلها كانت اطيب من حياة معظم الناس. ولكنى لا ارى حكمة فى تكرارها . انها ستغدو تكون مملة ، اشبه بقراءة قصة بوليسية اكون قد قرأتها من قبل . ولكن اذا صح ان هناك تناسخا

سومرست موم : في سطور

* ولد في ٢٥ يناير ١٨٧٤ في باريس حيث كان والده المستشار القانوني للسفارة البريطانية فيها.
* وفي باريس اشتهرت والدته بصالونها الأدبي الذي كان يؤمه كبار الكتاب والفنانين ، ومنهم مالارميه .
* توفيت أمه وعمره ثماني سنوات فكانت وفاتها أعنف صدمة أصيب بها في حياته ، كما قال . وتوفي والده وعمره عشر سنوات .
* ترك باريس بعد وفاة والده وعاش في رعاية عمه قسيس كنيسة وايت ستيبل White Stable
* كان في طفولته يشكو من ضعف صحته وعيه في الكلام . وقد بقيت هذه العاهة ملازمة له حتى شفاه منها عام ١٩٤١ الطبيب الذي شفى الملك جورج السادس .
* وكان في صباه يعاني من مرض السل .
* ولما بلغ الثامنة عشرة من العمر ذهب الى جامعة هيدلبرغ لقضاء سنة ، كان لها أثر بالغ في تكوينه ، ففيها استمع الى محاضرات قيمة من الفلاسفة وشاهد مسرحيات لابسن وزودرمان، وكفر بالايمان الديني . وعاد الى انجلترا وهو مصمم على أن يكون كاتبا .
* وجابه موم عند عودته عمه برغبته هذه ، فثار العم الذي كان يعده ليكون من رجال الدين، واخيرا وجدا حلا وسطا بأن يدرس الطب ، وهكذا التحق موم بمستشفى سانت توماس بلندن وتخرج منه عام ١٨٩٧ .
* وفي العيادة الخارجية في هذا المستشفى استوحى أول قصة له وهي « ليزا أوف لامبث » التي نشرت وهو ما زال ابن ثلاثة وعشرين عاما ، وفي السنة النهائية من دراسته . وقد لقيت هذه القصة رواجا لا بأس به .

في الارواح من بعد موت ـ وهو اعتقاد يؤمن بـه ثلاثة ارباع الجنس البشري ـ وكان للمرء ان يختار ان يعود الى حياة جديدة على هذه الأرض، فقد كان يخطر لي في الماضي انني اميل الى خوض هذه التجربة على أمل ان استمتع بالتجارب التي منعتني الظروف وصفاتي الخاصة ـ من روحية وبدنية ـ من ان استمتع بها ، وان اتعلم الأمور العديدة التي لم يتح لي الوقت ولا الفرصة ان أتعلمها .

ولكني الآن اوثر الرفض ، فقد نلت كفايتي . والواقع انه تمر علي ايام اشعر فيهـا انني قد فعلت كل شيء اكثر مما ينبغي .. عرفت من الناس اكثر مما ينبغي ، وقرأت الكتب، وشهدت من الصور والتماثيل والكنائس والبيوت البديعة ، واستمعت الى الموسيقى .. اكثر مما ينبغي . والخلود لا اشتهيه ، واتمنى ان اموت في هدوء وبلا الم، وانا راض بان اتأكد ان روحي ستتلاشى عندما الفظ آخر انفاسي ، وستتلاشى معها ما كان بها من عجز ومن طموح .

تمنى ان يفرغ للأسفار ، وتحقق مناه

كنت ، منذ عقد من الزمن ، اصبو الى سنوات اعتزل فيها العمل واقبل على الأسفار. وقد حظيت بهذه السنوات ، وزرت ارجاء كنت قد ذهبت اليها منذ ٣٠ او ٥٠ سنة مضت . وكان من الطبيعي ان ازور هيدلبرج بالمانيا ، حيث كنت ادرس في صغري . وفي خلال هذه الزيارة الباكرة لهذه المدينة التقيت برجل انجليزي عقدت معه صداقة ، تعلمت عن طريقها الكثير من الأدب ، وهي التي علمتني السفر الى كثير من ارجاء العالم بحثا عن الحياة . اني من هذه الأسفار استخلصت الكثير الذي هيأني لأصبح قصاصا . ولقد كان من دواعي سروري ـ في السنوات القريبة الاخيرة ـ اني منحت لقب الشيخ الفخري لجامعة هيدلبرج، انها منحة روت غرور رجل عجوز مثلي .

ورحلة يقوم بها الى مراكش

ان الرحلات الآن تتعبني ، ولكني لن اكف عن

* وتخرج موم طبيبا ولكنه لم يمارس المهنة . وانصرف للكتابة ، وتنقل بين اسبانيا التى أحبها ، وباريس التى عشقها ، ولندن التى بقيت دوما مهوى فؤاده .

* وفى عام ١٩٠٨ حقق موم نجاحا باهرا ككاتب مسرحى ، حيث كانت أربع من مسرحياته تمثل على مسارح لندن فى آن واحد .

* وفى الحرب العالمية الاولى عمل جاسوسا لبلاده ، وكان اختياره موفقـا ، لانه ككاتب يستطيع أن ينتقل من بلد الى آخر ، دون أن تحوم حوله الشبهات . وتنقل فى بلدان الشرق الأقصى ، وذهب الى الولايات المتحدة ، وزار روسيا فى مهمة رسمية .

* وفى عام ١٩١٦ تزوج سيدة مطلقة هى سيرى Syrie ، أنجبت له ابنته الوحيدة ليزا التى سماها باسم بطلة أول قصة له . وقد انفصل موم عن زوجته عام ١٩٢٧ ، ولم يتزوج بعدها . وقد توفيت هذه الزوجة عام ١٩٥٥ .

* وفى العالمية الثانية عمل ضد النازية ، فسجل اسمه من أجل هذا فى قائمة غوبلز السوداء .

* وقد سجل موم الكاتب صورا من حياته الخاصة فى ثلاث من قصصه هى : « العبودية الانسانية OF Human Bondage » و « القمر وستة بنسات The Moon and Six Pence » و « كعك وجعة Cakes and Ale » .

* وبالاضافة الى هـــذه القصص الثلاث نشر سبع عشرة قصة أخرى ما بين عامى ١٨٩٧ و ١٩٤٨ ، وهو العام الذى أعلن فيه توقفه عن كتابة القصص .

* له مجاميع عديدة من القصص القصيرة التى تقوم عليها شهرته .

* وله أيضا اثنتان وثلاثون مسرحية ، وكتب أخرى تتناول مواضيع مختلفة : من دراسات فى النقد ، الى مذكرات ، ورحلات .

الأسفار . سأذهب الى مراكش ، انها مدينـة تقع فى بقعة من العالم كان أبى يهواها كثيرا وفيها رأى أبى التعويذة المراكشية التى تطرد السوء ، تلك التى يراها الداخل عند مدخل دارى ، او يراها على اغلفة كتبى جميعا .

رحلة عاطفيـة يتمناها ، الى قرية فى ادغال كمبوديا

وعلى ذكر هذه الدار العتيقة التى تناقض العصر الحديث الذى نعيش فيه ، وتكلفنى من النفقة الشىء الكثير ، اقول انى اشتريتها منذ قرابة اربعين عاما ، وادور فيها احيانا فيتراءى لى ان الوقت قد حان لاغلقها وانطلق أهيم فى جنبات الأرض .. فقد قضيت حياتى هائما متنقلا ، ولا بأس من ان يأتينى الموت وانا فى رحلة تهز عاطفتى الى مكان من الدنيا أرى فيه جمالا وغبطة لم أجدهما فى مكان سواه .. واقصد بهذا القول ، وبالذات قرية « انجكوروات » فى كمبوديا . فقد بقيت لى فى الحياة امنية واحدة ، هى ان اعود الى هذه القرية المنسية فى ادغال الشرق الأقصى . انى عندما زرتها آخر مرة ـ منذ حوالى العام ـ كنت أعتزم البقاء يوما او اثنين ، فاذا بى امكث ثلاثة اسابيع .

ان السفر الى هناك الآن قد يقضى علىّ ، ولكنى لن اشعر بحسرة اذا مت فى اوسط هذا الجمال الذى يتسم به ذلك المكان .

يسرّه أن لا يموت فقيراً

ان بيتى هذا ينتمى الى الماضى .. وكذلك انا . ولست اشعر بميل نحوه او نحو غيره من مظاهر الثروة . فلست اراني اقلق بمقتنياتى على اختلافها الى درجة انى اسف طويلا عليها اذا فقدتها . ولقد بيع من كتبى حتى الآن ما يزيد على ٨٠ مليونا من النسخ ، ولكن النقود التى اكتسبتها منها كانت ـ بالنسبة لى ـ اشبه بحاسة سادسة ، ما كنت لأستمتع بالحواس الخمس الاخرى بدونها ،

درس لكتاب القصة

انك لا تكتب القصة بمجرد انك تريد كتابة قصة . انك تنتظرها حتى تواتيك هي... انا لم اكتب في حياتي قصة واحدة طلبتها ،وانما القصة هي التي كانت تأتيني وتطلبني .. انني حين أتأمل كل القصص التي نشرتها ، لا ادري كيف قدر لها أن اكتبها . الحق انني أحس انها لا بد قد انسابت من قلمي انسيابا.فلست استطيع ان اعتقد انني بذلت فيها مجهودا يذكر ».

«سومرست موم » قبيل التسعين من حديث له مع ابن اخيه

ولكم يسرني انني سوف لا اموت فقيرا . ان الشيخوخة والفقر مصيبتان لو اجتمعتا . فليس يطاق ان يعتمد المرء على الاحسان ليحظى بالسقف الذي يظله واللقمة التي تغذيه .

وصور الفن الرائعة التي عنده ، تخلص منها

لقد قضيت سنوات عديدة اشتري من صور الفن ما راق لي ، من قديمها والحديث ولست افتقدها اليوم وهي لم تعد في حوزتي . ان البعض يقول ان بيتي عار بدون هذه الصور . فاذا صح انه كذلك ، فلست ادرك انا ذلك . ولقد تخلصت فيما تخلصت من زجاج بابي الذي رسمه الفنان « جوجان » في جزيرة تاهيتي ذلك الذي ابتعته اثناء زيارة للجزيرة.انه الآنملك شخص في امريكا.

انني كل ما تبقى لي من الصور، انما هي الصور المسرحية ، وهي لم تعد ملكا لي ، فقد اهديتها الى «المتحف فكتوريا » و « البرت » (بلندن) ، وقد تكرم رجال المتحف فردوها الي ـ على سبيل الاعارة ـ الى ان اموت .

لم يتعود ان يحفل برضاء الناس عن آرائه

انني ما تعودت ان احفل ـ وما ازال لا احفل ـ ان يقرني الناس على آرائي او لا يفعلوا . انا بالطبع ارى نفسي على صواب ، والا ما كنت لافكر على النحو الذي انتهجه ، واراهم على خطأ،ولكنه لا يسوؤني ان كانوا هم المصيبين وانا المخطيء .

ولقد كنت ـ في نظر نفسي ـ اهم شخص في الدنيا .. ولكن في الواقع وعلى المستوى المعقول المقبول ، انا لست شيئا ابدا . ولو انني لم اوجد قط ، لما احدث هذا بالكون اختلافا يذكر .

حياة تامة كاملة طلبها ، وتحققت

لقد خطر لي يوما ـ ولست اتذكر في اي سن ـ انه ما دامت لي حياة واحدة ، فلآخذ من هذه الحياة اقصى ما استطيع . ولقد رغبت في ان ارسم لحياتي نهجا ، تكون الكتابة فيه عنصرا اساسيا ، ولكنه يضم كذلك كافة الوان النشاط اللائق بالانسان ، حتى اذا جاء الموت اخيرا ، اختتمت به حياة تامة كاملة .

ان هذه الحياة التامة الكاملة قد تحققت فعلا ، واني لراض بان افسح المكان الذي احتللته طويلا من الدنيا ، ليشغله سواي في القريب . ان الخطة المرسومة لا بد ان تكتمل . والفنان اذا اكمل رسمه ، ولم يعد هناك ما يضاف اليه ليزيده جمالا تحول عنه .

نصحوه بزيارة الطبيب ، فابى

لقد اقترحوا علي من عهد قريب ان اسافر الى سويسرا لازور الدكتور « نيهان » وكنت قد زرته في عيادته من قبل . ولكنني لا ارى داعيا لاطالة حياتي بعد هذه السن ، وارادة الحياة لم يعد لها عندي وجود .

خلا راسه من الفكر ، فالقى قلمه

ولست ارغب في أن اكتب بعد الآن ، فقد خلا راسي من الافكار ، ومن العقد القصصية ، ومن القصص عامة . لقد صببت على الورق من زمن كل الكلمات التي كانت في اعماقي وفرغت منها والقيت قلمي من يدي .

ولهذا سوف يقول الناس عندما يظهر نعيي آخر الامر « في التيمس » : عجبا ! .. لقد حسبناه مات منذ ستين » !

وعندئذ سيسمع طيفي من بعد موتي هذا ، وسيضحك في رفق ضحكة ساخرة غير مسموعة .

■■

قصة للكاتب الفرنسي الفونس دوديه



الدرس الأخير

تأخرتُ في ذلك الصباح عن موعد المدرسة، وكنت في أشد الخوف من التأنيب، فان السيد هامـيـــل كان يعتزم سؤالنا فيما درسناه عن اسم الفاعل والمفعول ، ولم أكن ملمّاً بهما . وخطر لي – لحظـــة من الزمن – أن أهرب من المدرسة ، وأن أتجول في الحقول .

وكان اليوم دافئا وصحوا ، والطيور تغرّد في حواشي الغابات ، والبروسيّون الألمان يتدربون في مَرْج « ريبر »، وراء مصنع نشر الأخشاب . وكانت كل هذه الأمور أشد اجتذابا لي من قواعد استخدام اسم الفاعل واسم المفعـول . ولكنى استجمعت قوتي لمقاومة الاغراء ، وأسرعت الى المدرسة .

واذ بلغت دار البلدية في الطريق ، رأيت جمعا من الناس يحومون حول لوحة اعلانات المدينـة ، يقرأون البيانات الرسمية . وكان كل نبأ سيىء يعلن الينا ، خلال العامين الأخيرين ، مـن تلك اللوحة . فهناك كنا نقرأ عن المعارك التى خسرناها، وعن المطالب المفروضة علينا . وهناك كنا نعلم الأوامر الصادرة من القيادة . ومع انني لم اقف مع الواقفين ، فقد سـاءلت نفسي : « ترى ماذا هناك الآن من جديد ؟ » .

وبينما كنت اجتاز الميدان مهرولاً، صاح الحداد « وختر » ، الذى كان مستغرقا في قراءة الاعلان مع مساعده : « لا تسرع هكذا يا بني ... ستصل الى مدرستك في وقت مناسب » .

واعتقدت انه كان يسخر مني .. فمضيت في طريقي غير ملق بالا ، حتى اذا وصلت الى مملكة السيد هاميل ، كنت متقطع الأنفاس .

وكان المألوف أن يبدأ الدرس في ضجيج يمكن سماعه من الشارع . فالقماطر تفتح وتقفـل ، والدروس نعيد تلاوتها بأعلى الأصوات ، والكل يصيحون حتى لنسد آذاننا اشفاقا .. لم كانت

مسطرة المدرس الكبيرة تهوى على مكتبه ، وهو يصيح : « صمتا ، صمتا ! » .

وكنت اعول على الدخول اثناء هذه الفوضاء ، والسعي الى مقعدي متسللا . ولكن الجميع كانوا في ذلك الصباح صامتين . كان السكون الشامل مسيطرا. واستطعت ان ارى خلال النافذة المفتوحة ان زملائي كانوا قد استقروا في مقاعدهم، ورايت السيد هاميل نفسه يروح ويغدو ، ومسطرته الحديدية الصلبة تحت ابطه .

وكان لزاما عليّ ان افتح الباب ، وان ادخل اثناء هذا الصمت العميق . ولست بحاجة الى ان اقول ان الدم تدافع الى وجهي ، وان الذعر استبدّ بي .. والعجيب ان نظرة السيد هاميل جاءت خلوا من الغضب حين حدجني بعينه ، قال في لطف بالغ : « اسرع بالجلوس في مكانك يا صغيري . لقد اوشكنا ان نبدا وانت غير موجود » .

واتخذت مجلسي . وما ان افرخ عني الروع قليلا ، حتى لاحظت ان معلمنا كان يرتدي سترته الرسمية الخضراء ، وقلنسوته الحريرية الموشاة السوداء ، التي لم يكن يرتديها الا في ايام التفتيش او في مناسبات توزيع الجوائز والمكافآت . وفوق هذا ، كان يسيطر على زملائي خشوع غير معتاد . على ان اكبر المفاجآت واشدها دهشة عندما وقعت عيناي على المقاعد التي في الطرف الخلفيّ من الحجرة . فقد كانت شاغرة عادة ، ولكن القرويين جلسوا فيها ـ في ذلك الصباح ـ خاشعين مثلنا .. كان هناك العمدة الكهل ، وعامل البريد المسنّ ، وبعض الشخصيات الهامة الاخرى . وكان الحزن يتراءى على الجميع . وقد احضر « هوزر » كتابا لمبادىء القراءة ، قديما متآكل الحواف ، فوضعه مفتوحا على ركبتيه ، واستقر منظاراه الكبيران على الصفحة .

وبينما كنت اسائل نفسي في عجب عن كل هذا ، استوى السيد هاميل على مقعده ، وقال يخاطبنا بعين اللهجة الوقورة الرقيقة التي استقبلني بها :

ـ هذا آخر يوم اعلمكم فيه يا اولادي ، فقد جاء الامر من برلين بان التدريس في مدارس الالزاس واللورين يجب ان يكون كله ـ منذ اليوم ـ باللغة الالمانية وحدها . ولسوف يصل معلمكم الجديد غدا . اما اليوم ، فستستمعون الى آخر درس القيه عليكم بالفرنسية ، فارجو ان تولوه اقصى انتباه .

« آخر » درس القاه بالفرنسية ! وانا لم اكد اعرف كيف اكتب !! .. اذن فلن اتعلم البتة ، فقد كتب على تعليمي ان ينقطع . ولكم تحسرت في تلك اللحظة على كل دقيقة اضعتها ، وكل درس فوّته على نفسي لاصيد الطيور من اعشاشها ، او لانزلق على جليد النهر . واذا الكتب التي كانت تبدو قبل لحظة ـ جافة كئيبة ثقيلة الحمل ـ كتب قواعد اللغة وتاريخ التوراة ـ تلوح الآن وكأنها وجوه اصدقاء قدامى لا اطيق وداعهم .. كما ان فكرة اعتزام السيد هاميل الرحيل ، فلن اعود اراه ، انستني وقع مسطرته، والجزاءات العديدة التي نلتها على يديه .

مسكين ! .. لقد تزيا بابدع الثياب ، التي لم يكن يرتديها الا في ايام الاحد ، اكراما لهذا الاجتماع . وبدات افهم سر تجمع القوم في مؤخرة حجرة الدرس . فقد بدا حضورهم في مناسبة كهذه تعبيرا عن اسفهم ان لم يكونوا اكثر ترددا على المدرسة .. قبل ذلك .. كانت هذه وسيلتهم لشكر المعلم على اخلاصه في عمله خلال الاربعين عاما الماضية ، ولاعلان مشاعر التقدير والاجلال للدولة التي كان حكمها يطوى .

وفيما كنت مستغرقا في هذه الخواطر ، سمعت اسمي ينادى به . كان دوري قد حان لالقي ما حفظت من الدرس . اواه ! .. ما كنت لاضن بشيء في سبيل ان اتمكن من ان اردد قواعد اسم الفاعل واسم المفعول ـ من البداية الى النهاية ـ بصوت مرتفع جهوري ، ودون خطأ ما . ولكني تعثرت في الكلمات الاولى ، وظللت واقفا في مكاني المايل من جانب الى آخر ، والاسى يعتصر قلبي، ولم اجسر على ان ارفع راسي . وراح السيد هاميل يخاطبني قائلا :

ـ انني لن اؤنبك يا صغيري فيرنتز .. فكفاك ما ستلقاه عقابا . اجل . اننا لا نفتا نقول لانفسنا كل يوم : « لا يزال الوقت فسيحا ، وساتعلم غدا » . وها هي ذي النتائج . ان من اسوا ما ابتلي به اقليمنا « الالزاس » ، انه كان ميالا الى ان يرجيء التعليم الى الغد . فحق لهؤلاء الاجانب ان يقولوا لنا اليوم : « ما هذا ؟ .. اتزعمون انكم فرنسيون وليس بينكم من يستطيع التكلم والكتابة بلغته ؟ » .. ولستَ بالمقصر الوحيد في هذا ، يا بني المسكين ، فعلى كل منا يقع نصيب من اللوم .

« ان ابويك لم يبديا غيرة كافية على تعليمك ،

بل كانا يؤثران ان يرياك تغزل الخيط او تفلح الأرض، ما دام هذا يعود عليهما ببضعة دراهم فوق ما يكسبان . ثم أليس عليَّ انا جزء من اللوم ؟ .. الم أكن ارسلكم — في كثير من الاحيان — لترووا حديقتي في حين كان ينبغي ان تتوفروا على واجباتكم ؟ .. وعندما كنت ابغي صيد السمك ، افكان ضميري يتحرج من ان اعفيكم من الدرس ؟ »

وتطرق السيد هاميل من موضوع الى موضوع، فتكلم في اللغة الفرنسية قائلا انها كانت اقوى واوضح واعذب اللغات في العالم ، فعلينا ان نصونها كميراث لنا ، فلا ندعها تُنسى . وقال ان « الذى يصون لغة بلاده ، يملك المفتاح الذى يخلصها من اغلالها » .

ثم تناول كتاب قواعد اللغة ، فقرا علينا درسنا، وادهشه استيعابنا اياه . فقد بدا كل قوله سهلا ميسورا . وما اعتقد انني اصغيت يوما لاحد مثل اصغائي اليه اذ ذاك ، ولا انه ابدى يوما من طول الاناة في الشرح ما ابداه في هذه المرة . حتى لكان المسكين كان تواقا لان يفرغ كل ما كان يعرف قبل ان يفارقنا ، وكان راغبا في ان يحشو عقولنا ، دفعة واحدة ، بكل علمه .

واعقب ذلك درس في الخط . وكان السيد هاميل قد اعد لهذه المناسبة بعض امشاق جديدة تمام الجدة ، وكتب عليها بخط جميل : « فرنسا، الالزاس !.. فرنسا الالزاس ! » .

ولم تكن الكلمات اقل الهاما من مرأى الاعلام الصغيرة التي كانت مثبتة الى قماطرنا . وكان الناظر يرتاح الى مرآنا وقد انهمك كل منا في الكتابة ، والصمت يلفنا ، فلا يُسمَع سوى صرير الاقلام تجرى على الورق .. حتى اصغر التلاميذ .. فقد استغرق الصغار في تتبع الخطوط المستقيمة — التي كانوا يتدربون عليها في اول عهدهم بالكتابة — في تحمس واهتمام ، وكانها كلمات فرنسية . وكانت الحمائم ترسل هديلا خافتا على سطح المدرسة ، فقلت في نفسي وانا استمع لها : « هل سيكون حتما عليها هي الاخرى ان تشدو بالالمانية ؟ » .

ومن وقت الى آخر ، كنت ارفع عيني عن الصفحة فارى السيد هاميل جامدا في مقعده ، وعيناه تتفرسان كل شيء حوله ، وكانه كان راغبا ان يثبّت في ذهنه — الى الابد — كل صغيرة في مدرسته . ولم يكن قد طرا عليهـــا كثير تغيير خلال الاربعين عاما التي ظل يحتل فيها مكانه هذا من حجرة الدراسة هذه ، المواجهة لفناء المدرسة .. كانت القماطر قد صقلها البلى لطول الاستعمال .. واشجار الجوز القائمة في الفناء قد نمت ، وتَبْتة اللبلاب التي زرعها بيده قد لفت فروعها حول النوافذ واستطالت الى سطح المبنى .

اى اسى كان يفعم فؤاد المسكين وهو يفكر في انه مفارق كل هذه الاشياء ، ويسمع وقع قدمي اخته — في الطابق الاعلى — وهي تروح وتغدو ، تحزم امتعتهما . فقد كانا راحلين في الغد دون عودة . ومع ذلك فما تزعزع جلَده ، ولا اغفل درسا واحدا . فاردف بدرس الخط درسا في التاريخ ، ثم اخذ الصغار يرددون معا ما كانوا يتعلمونه من مبادىء القراءة ، با . بي . بو . جا . جي . جو ... وقد امسك « هوزر » — الشيخ المسن — كتاب مبادىء المطالعة بين يديه ، ووضع منظاريه على عينيه ، وراح يقرا الحروف مع الصغار .. وكان هو الآخر مستغرقا، وصوته يتهدج بالانفعال ، وقد بدا منظره مضحكا ، حتى اننا جميعا اوشكنا ان نضحك ونبكي في آن واحد .

اواه ! .. لن انسى ما حييت هذا الدرس الاخير !

وفجاة ، دق ناقوس الكنيسة ايذانا بالساعة الثانية عشرة ، وترامت الينا التراتيم . وفي اللحظة عينها ، سمعنا صوت النفير تحت نافذتنا معلنا ان البروسيين في سبيل عودتهم من تدريباتهم . ونهض السيد هاميل عن مقعده ، وقد اشتد شحوبه ، ولكنه لم يتراء لي يوما اطول مما تراءى في تلك اللحظة .

وقال : « اصدقائي .. ا .. ان .. انني يا اصدقائي ... » .

ولكن صوته اختنق ، فلم يستطع ان يتم عبارته .

ثم تناول قطعة من الطباشير ، وكتب باكبر ما وسعه من خط ، وهو يضغطها بكل قوته: « لتعش فرنسا » !.. وظل واقفا عند السبورة ، وراسه مسند الى الجدار ... ولم ينبس ببنت شفة ، ولكن اشارة من يده قالت لنا : « انتهى الدرس . انصراف ! » . ■■

ترجمة : محمد بدر الدين خليل

سطور من كفاح فلسطين

حياة سليم البلبيسي

بقلم : فائزة عبد المجيد

■ منذ ان اعلنت الامم المتحدة قرارها الجائر بتقسيم فلسطين ، والفتاة « حياة » معلمة القرية ، قرية دير ياسين الواقعة في ضواحي القدس ، وهي تاخذ طريقها اليها كل يوم ذهابا وايابا . لا تكاد تسمع الا نداء راعدا ينطلق مرددا : فلسطين عربية ولا يمكن ان تكون لليهود .

ونصحها ذووها بالتوقف عن الذهاب الى القرية — وهي تجازف بروحها — ريثما تهدأ الأمور ، فلم تقبل النصح ، ورأت ان عليها لوطنها رسالة ولأهل القرية الطيبين عهدا . فلقد اخذت على عاتقها تدريب طالباتها ، فتيات القرية على الاسعاف الاولي وضمد الجراح ، بعد ان تدربت هي على ذلك في القدس منذ ان اعلن قرار التقسيم ، وبثت صادق العزم فيهن للتقدم الى ساحة المعركة اذا جد الجد ، وانها سوف تكون معهن في الطليعة . افتتخلى عن رسالتها الان في الموقف الجلل ؟ .

وانطلقت « حياة » ذات صباح تحت وابل من الرصاص الى القرية لتواجه غدها الرهيب . وكان هاتفا من وراء الغيب يردد : ان المعركة الفاصلة قد غدت على الأبواب .

نشأة قاسية

ولدت « حياة سليم البلبيسي » عام ١٩٣٠ ، لأبوين فلسطينيين من عائلات نابلس ، هما : « سليم البلبيسي » و « وسيلة القطب » . وهاجرت اسرتها الى مدينة السلط . ولكن والدها ما لبث ان توفي هناك . فانتقلت الام — مع ابنتيها الصغيرتين — الى القدس لتعيش هناك في كنف شقيق لها . ولكنها تصاب فجأة بالشلل ، وتغدو طريحة الفراش . وكان هذا كافيا لتفتح الفتاة الكبرى « حياة » عينيها على المأساة ، ولتبدو عليها منذ الصغر بوادر جد وادراك عميق لمسؤوليتها . واذ كان خالها يغدق على الأسرة الصغيرة الكثير من حنانه الغامر ورعايته ، فقد تسنى لحياة أن تنتقل في المدرسة من صف الى صف بتفوق وتميز الى أن أنهت السنة الثانية الثانوية . والتحقت الفتاة بعد هذا الى دار المعلمات بالقدس . ولكنها ما تكاد تخطو في تلك المدرسة خطواتها الأولى ، وتقبل بحماسة على الدراسة لتهيىء لأسرتها موردا ولنفسها مستقبلا ، حتى يعود القدر فيجور عليها من جديد ، ويد الموت تتخطف خالها ، وعائل اسرتها الوحيد . وتصهر المحنة الفتاة من جديد ، ولكن لتفجر فيها طاقة اخرى لتحمل الأعباء . ومن ثم نراها تتقدم للبحث عن عمل تستطيع به اعالة امها العليلة وشقيقتها الصغيرة . وتجد « حياة » الفرصة الوحيدة السانحة امامها في وظيفة مدرسة منفردة يعرضها عليها رجال المعارف بالقدس . وكانت مدرسة اناث، تلك القرية، قرية دير ياسين.

وحذرها الناس من قبول المهمة — والمستعمرات اليهودية تحيط بالقرية من كل جانب — ولكنها صممت على قبولها . ولم يمض وقت طويل ، حتى اصبحت « حياة » المثل الأعلى لفتيات القرية وموضع تقدير اهلها لاخلاصها وكفاءتها .

ولكن الأحوال ما لبثت أن تغيرت حين قررت هيئة الأمم تقسيم فلسطين ، وأخذ الجو ينذر باحداث خطيرة لم يكن في الامكان أن تكون القرية الصغيرة عنها بمعزل .



وقع قرار التقسيم على عرب فلسطين

ويقع القرار الجائر ،قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ، وقوع الصاعقة على عرب فلسطين ، وتميد له البلاد من اقصاها الى اقصاها .

وتتدفق طلائعها الثورية من القرى والجبال الى المدن كالأمواج المتلاطمة تشق بصرخاتها واناشيدها الحماسية كبد السماء . وتشهد ساحاتها ما لم تشهده منذ الفتوح العربية ،والمرأة القروية تنزل الى الساحات لترقص مع الرجل رقصات الحرب داعية الى الكفاح والاستشهاد . وفي المدن تنتظم صفوف" المرأة وحدة" روح وهدف لكفاح عظيم جامع . فهي اما كاتبة تثير الحميات وتشد العزائم ، او خطيبة في الجموع تلهب المشاعر . ومنذ اللحظة الاولى تداعت المرأة في كل بلد ـ كما توافدت من القرى ـ للتدرب على الاسعاف وتضميد الجراح . وأدت الجمعيات النسائية انذاك واجبها اصدق اداء ، اذ تطوعت بصفوفها للعمل والوقوف جنبا الى جنب مع الرجل في ثورتها المقدسة للوطن ، كما حولت مؤسساتها كافة الى مستشفيات للجرحى واعداد العدة لليوم العصيب .

ولم يكن التقسيم هو اول كارثة فلسطين ، فقد كان الانتداب البريطاني قد اخذ على عاتقه وضع البلاد في حالات سياسية واقتصادية وادارية تؤدي الى قيام هذا الوطن القومي اليهودي ، اذ كان الذي يضع القوانين للبلاد هو : « بنتويتش » ـ أحد غلاة الصهيونية ـ كما كان مدير التجارة والهاجرة والسفر من اليهود أو البريطانيين .ومنذ اول عهد الانتداب بدأت عملية انتقال الأراضي من ايدي العرب الى ايدي اليهود . وفي عهد السر هربرت صموئيل ـ المندوب السامي الصهيوني ـ الذي اقطعهم ـتنفيذا للوعد الذي قطعته بريطانيا على نفسها لليهود ، بلسان وزيرها بلفور لتهويد البلاد ـ اكثر اراضي الدولة واجودها كما حمى صناعاتهم . ومضت بريطانيا في سياستها للقضاء على عروبة الأرض المقدسة وهي تفتح لليهود ابواب الهجرة ، وتسهل لهم شراء الأراضي ، مما سبب نزوح اهالي العشرات من القرى ، وتمنحهم امتيازات استغلال الثروة المعدنية في البلاد .

ثورات ثمان في ٣٠ عاما

وأدرك اهل فلسطين من اول الامر انهم في خطر، وغلت الثورة في عروقهم ، وما لبثت ان اشتعلت في ٤ ابريل ١٩٢٠ ، ثم تلتها ثورة اخرى في ١ مارس ١٩٢١ . وتتابعت الثورات حتى بلغت الثماني خلال ثلاثين عاما .

وكانت اشد الثورات ، ثورة ١٩٣٦ ، وهي التي اضربت فيها البلاد كلها اضرابا شاملا برا وبحرا، وتوقفت فيها الأعمال والمدارس والمحاكم طيلة ستة شهور احتجاجا على الهجرة اليهودية . ولم يثن الشعب الفلسطيني قمع الحكومة البريطانية للثورة ونسفها لمناطق واسعة . بل كان هذا داعيا له الى القيام بالكثير من عمليات التدمير ونسف القطارات والجسور .

وتميزت الثورة الأخرى الثانية التي تلتها عام ١٩٣٧ بالمقاومة الشديدة المسلحة ، وحكموا بالاعدام على ١٤٨ من العرب لحيازتهم للاسلحة . وفي سجن عكا ، شنقت السلطات البريطانية الثائر المجاهد : القائد الشيخ فرحان السعدي ـ وهو صائم في رمضان ـ كما نسفت اكثر من خمسة آلاف بيت ، وملأت السجون بالمعتقلين ، حتى بلغ عدد من اعتقل انذاك ، لمدد مختلفة ، نحو خمسين الفا .

كي أجساد وخلع أظافر

وفي تلك السجون استهدف الكثيرون من المجاهدين ، لعذاب رهيب من كي للأجساد بالنار،

ومن خلع للاظافر ، وتسليط للكلاب الجائعة تنهش لحوم السجناء الاحرار . وبلغت التضحية مداها ، حين اخذ الجيش البريطاني يفتش القرى للبحث عن الثوار حتى اذا اعياه البحث ، وما من شاهد يشهد ، التجأ الى جمع الرجال في العراء لينتقي منهم عدة شباب يطلق عليهم النار امام ابائهم وذويهم .

ويتجاوز عدد الشهداء في هذه الفترة ، ثلاثة الاف ، كما يتجاوز عدد الجرحى سبعة الاف . كل هذا ، وفلسطين ماضية في جهادها وتضحياتها، بل لقد نسجها العذاب صفا واحدا ، اذ حينما اخذت السلطات البريطانية تنكل بمن يلبسون الكوفية والعقال من القرويين ، لانهم ـ كما قلت ـ هم الذين يشعلون نار الثورات، نادى قادة الثورة بان على رجال البلاد جميعا ان يتخذوا هذا الزى ، وقد كان ، اذ لبس الجميع الكوفية والعقال .

لم يكن للحق لكى يتغلب على الباطل ، الا وسيلة" واحدة ، وللمظلومين ليفصح عن ظلاماتهم الا لسان" واحد ودرب" وعر" يسيرون فيه .كانت هذه الوسيلة هى القوة ، هى الثورة ، هى الكفاح. وتدفقت ، بدل الكلام ، القذائف ، واشتعلت الدروب بالنار .

ثورة عام ١٩٣٨

واستمد شعب فلسطين من تاريخه ومبادئه ، من حقه ودم شهدائه وعذاب سجونه ، ايمانا وعزيمة وطريقا لخلاصه ، فاندفع ١٩٣٨ ، في ثورة عارمة احتل بها من المدن القدس القديمة ، الخليل ، بئر السبع وطبريا بعد غزو احيائها اليهودية.ولم تستطع الحكومة البريطانية استعادة تلك المدن ، الا بنجدات عسكرية كبيرة .

ويستمر كفاح الشعب الفلسطيني ، ومقاومته لبريطانيا وسياستها لتهويد بلاده في جميع الميادين السياسية الثورية ، اذ تراه يعقد المؤتمرات الوطنية في نابلس والقدس ويافا ، لتقرير مصيره وتنظيم حركاته ، وتشكيل الوفود للدفاع عن قضيته في الخارج ، وذلك منذ اول عهد الانتداب.

وتقع المعارك اثر التقسيم في فلسطين ، وتبرز منها بطولات خالدة .

فترى شابين من بيت لحم والقدس هما : انطوان داود ، وعبد النور جنحو ينقلان المتفجرات التى تنسف بها الثوار ، الوكالة اليهودية وشارع هاسوليل في القدس ، كما ترى مجاهدا اخر يقود فرقة للتدمير ، هو فوزى نامق القطب .

وخلال هذا التاريخ ، تكتب قرى فلسطين ، اروع قصص الفداء ، ويشترك في هذا النضال العظيم ، كل فتى يستطيع حمل السلاح . وتقدم النساء للرجال حليهن ليشتروا بها السلاح ، ويرهن الثائر اقل ما يملك ليحصل على بندقية ، يرهن بيته ، ليدفع الخطر عن وطنه .

وفي القدس ، ترى الفتى صباح الدين قحف ـ ولما يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ـ ينسف ثلاثة منازل يهودية تحصن في داخلها اليهود لقتال العرب ، ثم يستشهد ، وهو يشعل الفتيل لنسف الرابع .

وفي معركة الزراعة التى وقعت بين جيش الانقاذ وبين اليهود ، ترى بطل تلك المعركة الفدائي الشهيد نعيم عبد المجيد ، الذى ابلى اعظم بلاء ، وهو يراس فرقة الفدائيين لبث الالغام وقد زحفت الى المستعمرة ـ وعلى ظهورها صناديق الالغام ـ حتى اذا احكم وضعها مع رفقائه ، اذ بعضها ينفجر ، فيصيب عددا منهم . ولكنه لم يترك مكانه ، وقد انتبه اليهود واخذوا يطلقون عليهم النار من كل جانب ، الا بعد ان حملهم واحدا واحدا الى العسكر ، وقد استشهد فيما بعد في حادث مماثل .

ويخط الكثير من القادة ـ بعد هذا ـ صفحات مجيدة فداء للوطن ، فيستشهد القائد حسن سلامة ، قائد المنطقة الوسطى في يافا ، اثر استرداده لراس العين ، كما يجرح قائد الخليل ابراهيم ابو دية جرحا مميتا ، واما الشاعر عبد الرحيم محمود فيحمل روحه على راحتيه ، فدى لارضه وعروبته ، وليخضب ثراها ، ويهز افاقها بدمه ونشيده :

« سأحمل روحى على راحتى
وارمى بها في مهاوى الردى
فاما حياة تسر الصديق
واما ممات يغيظ العدى »

وعبد القادر الحسيني

وحتى الثامن من ابريل ١٩٤٨ ، والمعارك تحتدم ، والنار تشتعل في فلسطين من كل جانب، وابناؤها يتسابقون الى الموت للذود عن قدس

الوطن العربى ، وما جرحوا شرف امتهم ــ بعار او هزيمة ــ ، او سقطت لهم حتى ذلك التاريخ ، راية عن قرية او مدينة . وفى القدس ، يناضل مجاهدو المدينة وضواحيها ــ على راسهم قائدها البطل عبد القادر الحسينى ــ نضالا جبارا . وتتدفق عليها النجدات من كل جانب . ويتبلور ايمان فلسطين هناك متجمعا فى عزائم متاججة ، ويرتفع صوت للكفاح عاليا مدويا ، وهى تحارب فى كل حى من احياء المدينة ، تنسف الشوارع والمؤسسات اليهودية والأنابيب التى تحمل الى سكانها من اليهود المياه ، وطرق المواصلات . وتتوقف اذ ذاك القوافل التى تحمل التموين ، فيرفع السكان سكان اليهود فى القدس الجديدة الأعلام البيضاء استعدادا للتسليم . ولكن ، هل جنت فلسطين ثمار هذا النصر الذى اوشك ان يحول مجرى تاريخها ، ويخلد قدس نضالها ؟ اللهم لا .

فى خضم هذا النضال الذى تتزلزل له راسيات الهمم ، يسقط قائد القدس عبد القادر شهيدا فى معركة القسطل ، بعد ان حمل راية الكفاح لوطنه منذ عام ١٩٣١ .

المذبحة الحمراء فى دير ياسين

ايقن اليهود ، ان قرار التقسيم ، قد زاد من موقف العرب فى فلسطين لهبا والتهابا ، وان هذا الشعب العربى الذى دك الصعاب ، وخاض الأهوال ، ولوى حديد الاستعمار ، بصلابته ووحدة نضاله فى تلك الثورات العاتية التى سبقت القرار ، ولم يخضع ، او يهزم ، لن يستطيعوا ان يكونوا له اندادا فى المعترك . وها هو ذا فى القدس ، والخليل ، وباب الواد ، كما فى يافا ، وسلمة ، وبازور ، وحيفا ، وعكا ، والطيرة ، وقلقيلية ، وسائر المثلث العربى ، يسدد الى مقاتلهم الضربات ويجلجل كالاعصار ليسحق كل من يغتصب وطنه .. وطنه مقر امجاده ومستقر عظام آبائه ، وموطن ذكرياته ، وسر كيانه ووجوده ومبعث عزته .

اذن لا بد من جريمة يقترفونها ليجدوا لهم مخرجا من ذلك الهلاك المرتقب ، وليخفف عنهم وطأة العرب الذين قطعوا عنهم أنابيب المياه ، وحالوا دون وصول القطارات التى كانت تحمل اليهم التموين . وكان استشهاد عبد القادر ، هو الذى تقووا به ، ثم الأسلحة التى نهبوها من المعسكر البريطانى .

واستقر راى قادتهم على ان يكون هدف الجريمة دير ياسين ــ وهى من قرى القدس ، وتقع على بضعة امتار منها الى الغرب ــ ويبلغ عدد سكانها ٧٧٥ نسمة ، يحيط بها ما يتوف على مئة وخمسين الفا من اليهود الذين يسكنون فى المستعمرات . وكان بين اهلها وبين اليهود عهود جرت بينهم بالهاتف عند نشوب القتال فى القدس ، ان لا يعتدى احدهم على أحد . واطمأنت دير ياسين ولكن لتستيقظ على هجوم طائرة تقذف بحممها البيوت الآمنة ، وخمس عشرة دبابة ومدافع تصليها نارا من الشمال والجنوب والشرق والغرب ، كما رابطت قوة اخرى عند مداخل القرية ، لتحول دون هروب السكان .

ووقعت الواقعة حين دخل اليهود القرية ، وشرعوا يفتكون باهلها . وارتفعت صيحات الاستغاثة من كل بيت حتى اطباق السماء ، فلم يغثهم احد ــ وكان الجيش البريطانى على مقربة منهم ــ ولم يكن فى القرية سوى ٨٥ مسلحا ، اخذوا يدافعون عنها دفاع الأبطال . وشهدت تلك الارض فى تلك الليلة الليلاء ، آيات من البطولة والفداء ، ونساء القرية ، يقاتلن جنبا الى جنب مع الرجال ، يعبئن القوى للجهاد ، ويشحذن العزائم . وتستشهد منهن : حلوة زيدان ، وقد نزلت الى المعركة تدافع دفاعا عظيما بالسلاح . بعد ان استشهد امامها ابنها ، ثم زوجها ، كما اصيبت رفيقتاها جميلة صلاح ، وذيبة عطية بجراح خطرة ، وهما تقاتلان فى قلب المعركة . وكان هناك من الشهيدات اخريات كثيرات . منهن ثلاث فى طيرة بنى صعب استشهدن الى جانب الرجال فى ساحة الشرف ، والقرية العربية الجبارة تظل صامدة حتى بعد سقوط فلسطين بعام واحد ، وهى تقاتل وتجالد وتدفع بصدورها وعزائمها ما يربوا على اثنى عشر الف جندى يهودى وما تستسلم او تخضع حتى تخضب كل شبر منها بالدماء .

حياة البلبيسى فى ساحة الموت

فى ليلة قاتمة لفها الظلام والأسى ــ كما لف

فلسطين بلهيب النار والفجيعة ـ استيقظت « حياة » من نومها على أزيز الرصاص ودوي المدافع فهبت من فورها الى صندوق الاسعاف تحمله . ولم تنس ان تضع شارة الصليب الاحمر على ساعدها ، لتستطيع التنقل بين الجرحى ، وهي تؤدي واجبها الانساني .

وانطلقت « حياة » الى القرية ، قرية دير ياسين ، وهي تفكر في فتيات القرية اللواتي دربتهن على الاسعاف هناك . انهن لا بد استيقظن مثلها ليؤدين رسالتهن ويضمدن الجراح ، اذ لا شك ان هناك الآن ضحايا وجراحات كثيرة ، والمعركة مستعرة اللهيب . ولم تدر ، وهي تتنقل بين الجرحى ، وتذوب المًا مع الجراح ، ماضية في رسالتها في ارض العذاب ، ترد الروح لهذا بقطرة ماء ، ولذاك بمسحة ورباط ، لم تدر ان اولئك الفتيات اللواتي علمتهن الواجب كيف يقام به ، والموقف الحرج كيف يتصدى له ، قد اصبحن اشلاء متراكما بعضها على بعض في بئر القرية . فلقد ذبح الهجانا ـ الجيش الاسرائيلي ـ بالاشتراك مع منظمتي شتيرن والارافون ٢٥٠ عربيا وعربية في هجومه على القرية ، كان منهم اثنان وخمسون من الامهات والمرضعات ، وخمس وعشرون امرأة من الحوامل ، وستون امرأة اخرى وفتاة . بقروا البطون بالحراب ، ومزقوا فيها الاجنة . قتلوا الاطفال الابرياء على مرأى من امهاتهم ومزقوهم اربا اربا . وقذفوا بنحو مائة وخمسين جثة مشوهة في البئر بالقرية .

وظلت « حياة » مع المدافعين تقوم بواجبها ، بثبات واخلاص ، حتى انتهت المذبحة ، تلك التي ظلت متصلة من الفجر حتى عصر اليوم التالي ، وبانتهائها تحول اليهود لاقتحام المنازل للسلب والنهب . كانت « حياة » عندئذ تتسلل الى خارج القرية الذبيح ، وقد ران عليها سكون الموت ، برفقة صديقة عجوز ، لتصل الى القدس عن ذلك الطريق الوحيد الوعر ، ولكنها ما كادت تجتاز مواطن الخطر ، حتى طرق سمعها نداء خافت لجريح يستغيث بها .

فعادت لتضمد له جراحه . وكان كل ما لديها من اربطة وضماد قد نفد ، فخلعت غطاء رأسها وراحت تمزقه وتشد به ساق الجريح الذي كان ينزف دما . ابصرها اليهود من بعيد تنقذ فتى عربيا كانوا قد حسبوا انهم قضوا عليه ، عندئذ سددوا نحوها نيرانهم فاصابتها رصاصة قاتلة ، فسقطت شهيدة مع الشهداء في دير ياسين العربية .

ويخيم الظلام على القرية ـ وعلى افقها المخضب بدم الشهداء وشاح ـ ويفتح الشاب العربي الجريح عينيه بعد اغماءة طويلة ، فيرى اليهود يقطعون الفتاة العربية بعد استشهادها . ويقهقه القدر الهازىء ، وهناك ضمائر تغفو ، وهاتف يهتف ، وجراح تصيح :

« سرى الموت في الظلماء والقوم في الكرى
وقام على ساق ، ونحن قعـــــود »

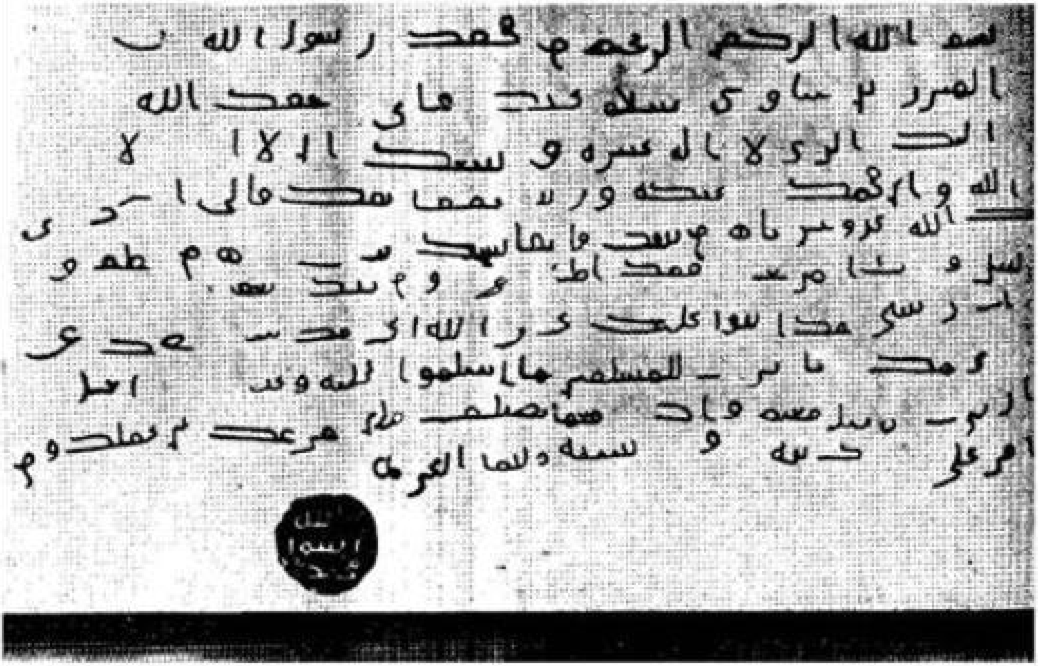
★ ★ ★

في الصباح الباكر الموافق ١٠ ابريل ١٩٤٨ ، بينما كان اليهود يحتفلون بانتهاء المجزرة الحمراء وهم يسوقون امامهم الاسرى ممن بقي من سكان القرية العربية، دير ياسين، رجالا ونساء واطفالا، ويطوفون بهم في شوارع القدس ، رافعي الايدي، حاسري الرؤوس ، حفاة الاقدام ـ وعلى مشهد من السكان العرب في الطرف الآخر من القدس ـ محظورين بالجنود المدججة بالسلاح من عصابات الهاجاناه ، في ذلك الوقت ، كان يطرق باب ذوي الفتاة الشهيدة « حياة » ، ذلك الجريح الذي كان آخر ما انقذته . جاء متحاملا لينبىء اهلها بنهايتها الاليمة وليبكي معهم تلك الفتاة الباسلة التي عرفت كيف تموت راضية وهي في زهرة شبابها ، في الثامنة عشرة من عمرها .

« دير ياسين ما تزال على الافـــــق دمــــاء تسيل عبر الحدود
قــــسما بالقرى ، وبالمسجد الاقـ ـصى وبالقدس والتراب الشهيد
ما انهــــزمنا يوما ، ولا دب فيـنـــا خور في عراكنــــا المشهـــود
قــد حملنــا الكفاح رايتنـــا الكبـ ـرى وســرنا لمجدنا المنشود »

اجل ، ان المعركة لم تتم ، وما زال الكفــاح لنا شريعة ، وما زال للوطن خلاص ، وللمشردين عودة . ■■

فائزة عبد المجيد



نسخة من خطاب النبى (ص) الى ابن ساوى امير البحرين ، ويبدو فى نهايتها ختم الرسول واضحا

أنا المستنصرية !

- عمري أكثر من ٧٠٠ عام
- استغرق بنائي ٦ سنوات
- وتكلف ٧٠٠,٠٠٠ دينار ذهبا
- كان في مكتبتي ٤٠,٠٠٠ مجلد

قام بهذا الاستطلاع : سليم زبال

■ ستون الف دينار انفقها العراق لترميم مبنى قديم متهدم ، ظل مهجورا قرابة سبعة قرون ، لا يهتم به أحد ، أو يحاول اصلاحه ..

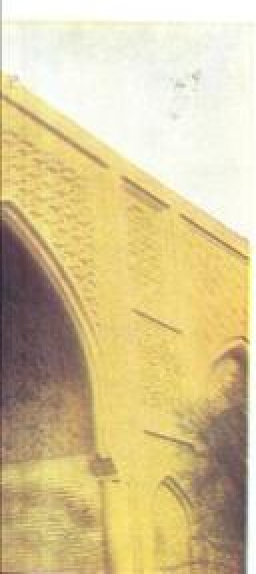
ترى ما هى اهمية هذا المبنى العتيق حتى يحظى بهذه العناية بعد ذلك الاهمال الطويل ؟

انه مبنى عجيب ، تطوّر وتبدّل ، مرّت عليه السعود والنحوس ورأى العز والذل ، ونعم بحلاوة المجد ، كما ذاق مرارة النكبات ..

ولهذا المبنى القديم قصة طويلة ، فلنتركه يحدثك عن نفسه ويروى لك قصته ، بل مأساته :



هكذا تبدو المستنصرية بعد ترميمها وتبدو نقوشها العربية المزخرفة الدقيقة الصنع (الى يسار هذا الكلام) وكلها مصنوعة من الآجر .



ـ انا « المستنصرية » .. احدى جامعات العرب الاسلامية القديمة .. فرغوا من بنائي عام ٦٣١ هـ (١٢٣٣ م) بعد أن بلغت جملة تكاليفه نحو ....٧٠٠ دينار من الذهب ! وقد اسموني « المدرسة المستنصرية » .. ففي رحابي كانت تدرس علوم القرآن ، والدين واللغة ، والطب ، والرياضيات منذ اكثر من ٧٠٠ عام . حتى قال عني بعض المؤرخين انى من اقدم جامعات العالم من حيث تنوع ما يدرس فيّ من علوم .

وترجع تسميتي « المستنصرية » الى مشيدي « المستنصر بالله »





الخليفة العباسي السابع والثلاثين ، الذى دامت خلافته ٢٧ عاما (٦٢٣ ـ ٦٤٠ هـ ـ ١٢٢٦ ـ ١٢٤٢ م) .

لقد أعطى هذا الخليفة ، اشــارة الانطلاق للبدء فى تشييدى من السنة الثانية من خلافته . ففى أوائل عام ١٢٢٧ م استيقظت ، على أصوات معاول العمال ولقطهم . الأرض الجرداء التي أقومُ عليها فى بغداد بجوار نهر دجلة ، وهم يعملون على ازالة الأنقــاض التى كانت متناثرة فوقها . وكان الخليفة يتوق الى أن يكون بنائى غاية فى الروعة والابــداع ، فكان كثيرا ما يأتى ليشرف بنفسه على البناء ، وليشاهد لصق قطع الآجر المزخرفة بعضها الى بعض ، لتؤلف فى النهاية منظرا واحدا متماسكا رائعا أخاذا .

ظل العمال يعملون فى بنائى ست سنوات كاملة ، خرجتُ بعدها ،

أنا المدرسة ، مزهوة بروعة الزخارف المتشابكة ، والكتابات العربية الجميلة ، والصحن الرائع المستطيل الذى ترتفع فى وسطه نافورة يدفع مياهها دولاب مقام عند شط دجلة .. وعلى هذا الصحن المستطيل تطل جميع الأواوين والغرف والحجرات ، التى يضمها بنائى الحجرى، وكذلك المسجد والصيدلية والساعة المزولة ..

وكان يوم افتتاحى عيدا للجميع !

اليوم هو الخامس من شهر رجب ٦٣١ هـ . ١٢٣٣ م.) وفيه كملت" زينتى بعد أن فرغ المهندسون والبناؤون والنقاشون من صنع جدرانى وساحاتى وقاعاتى ..

ان الخليفة المستنصر بالله أراد أن يجعل من هذا اليوم عيدا ، فأمر بافتتاحى فى احتفال كبير يشهده بنفسه ، ويحضره العلماء وأهل الفضل وأعيان البلاد ، حتى ضاقت ساحاتى ، على سعتها بجموعهم ..

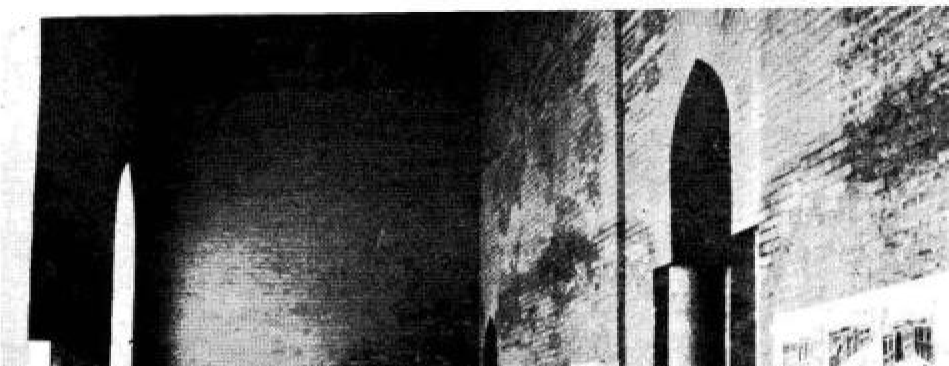
وبدأ توزيع الهدايا ، فنال كل من ساهم فى بنائى « خلعة » . .

وظن الناس أن الخلع سيقتصر توزيعها على من اشتركوا فى بنائى ، ولكن الخليفة أمر بتوزيع خلع على جميع من شهد الاحتفال من العلماء والفضلاء والمدرسين والمعيدين فى مختلف المعاهد والمدارس ، وكذلك الشعراء والضيوف الأجانب.

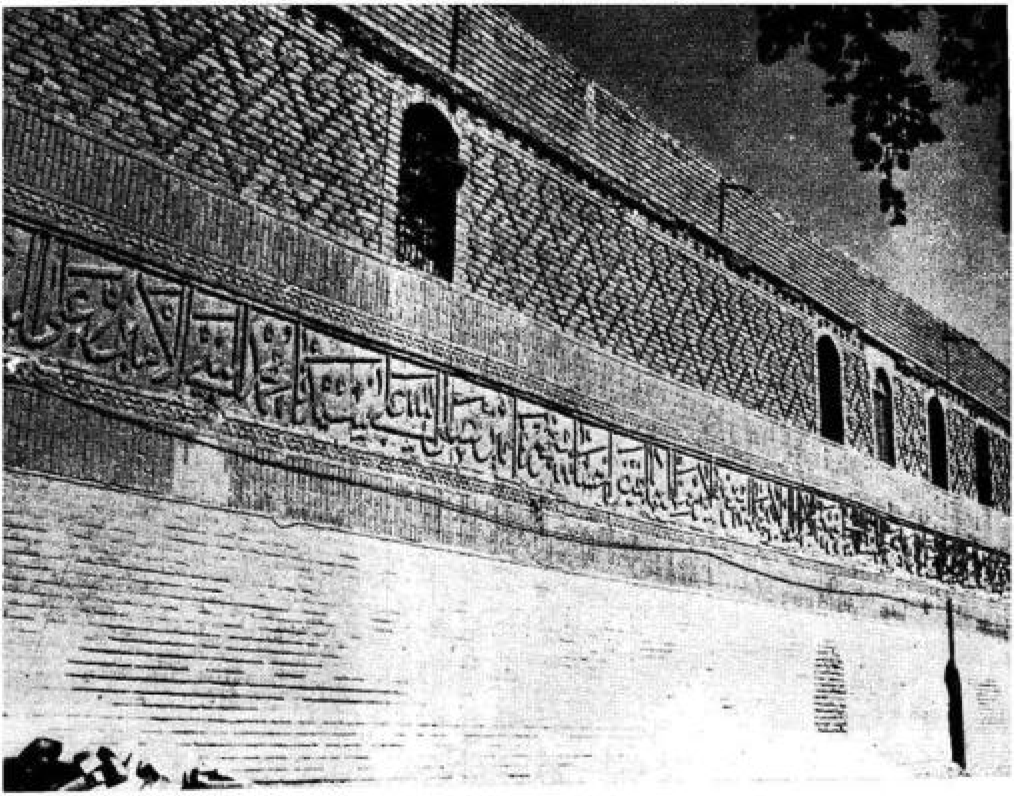
وعلى شاطىء دجلة كانت رائحة الطعام والشواء تملأ جو الاحتفال فأكل المدعوون وشربوا ، ولكن الطعام ظل وكأنه لم يمس لكثرته ، فأمر الخليفة بتوزيعه على أهل بغداد ، «فلم يبق بيت من بيوت الخواص والعوام الا ونالته حصة .. » .

٨٠٫٠٠٠ مجلد من مكتبة الخليفة

وبدأ المدعوون بعد الانتهاء من تناول الطعام بزيارة



ايوان الصلاة ومحراب الجامع القديم فى المستنصرية القديمة ، أصبحا اليوم معرضا مفتوحا لصور تمثل المستنصرية والقصر العباسى وخان مرجان قبل اصلاحات مديرية الآثار العراقية وبعدها .



واجهة المستنصرية المطلة على نهر دجلة وتبدو فيها كتابة بخط ثلث جميل كبير ، جدد معظمه ايام السلطان العثمانى عبد العزيز خان عام ١٨٦٥ م . ثم أعيد تجديده بين عامى ١٩٤٦ ـ ١٩٦٠ .

حجراتى ، فبدأوا بالمكتبة ليشاهدوا هدية المستنصر اليَّ .. انها هدية ثقافية لا تقدر بثمن تتمثل فى ٨٠ الف مجلد وكتاب ومخطوط أمر الخليفة بنقلها من مكتبته الخاصة الى مكتبتى.

وبعد زيارة المكتبة اتجه المدعوون الى قاعات التدريس .. ان تلاميذى يجب أن يكونوا على مستوى عال من التحصيل العلمى ، لان التعليم سيكون اساسه التخصص ..

واعجب الزوار بطريقة تدريس الفقه ، وفق المذاهب الفقهية الأربعة : الحنفية ، والمالكية ، والحنبلية والشافعية .. فقد خصص لكل مذهب منها جناح وزاوية فكان « التلاميذ » يجتمعون حول الأستاذ الجالس على مقعد مفروش بالسجاد، وقد ارتدى حلة سوداء ، والى يمينه معيدان ، والى يساره مثلهما ، لاعادة ما يمليه الأستاذ من الدروس .. وبالاضافة الى الأساتذة والمعيدين كان هناك نواب الأساتذة .. ومن هذه العناصر الثلاثة كانت تتألف هيئة التدريس ..

وكان اساتذتى من اكبر علماء عصرهم ومنهم المؤرخون والفقهاء والمختصون بالطب والجغرافيا والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم ..

نظام الغذاء الكامل للجميع

وانتقل الزوار بعد ذلك الى مخازنى فشاهدوا المؤن والمأكولات المخصصة للطلبة والأساتذة ، لأن الخليفة أمر بتطبيق نظام الغذاء الكامل ، لجميع الطلاب والعاملين من الأساتذة والمدرسين والمستخدمين .

ولهذه المناسبة يجب ان اقول لكم انى كنت



قاعة المخطوطات القديمة : وفيها تماثيل ونماذج مجسمة وصور فوتوغرافية للخطوط العربيـــة القديمة ، تمثل مراحل تطور الخط العربي .

أتمتع باستقلال مالى واداري وكانت لى ميزانية خاصة تعتمد على الأوقاف الكثيرة التى اوقفت عليّ ، والتى بلغت نحو المليون دينار كانت تدر دخلا سنويا قدره ۷۰,۰۰۰ دينار ذهبي ! وأرجو أن تلاحظوا القيمة الفعلية للدينار الذهبي فى تلك الأيام !

ساعة عجيبة !

وفى ايوان الطب ، مقابل باب الدخول ،أصيب الزوار بذهول وهم يشاهدون ساعتى العجيبة ، التى صنعت على هيئة نصف دائرة لها ١٢ طاقة لكل منها باب من الذهب ، وفى أسفل الدائـرة من جانبيها بازان من ذهب ، وبعد مرور كل ساعة ينفتح فما البازين وتسقط منهما بندقتان من شبه، وكلما سقطت بندقة انفتح أحد الأبواب المذهبة وتحول الى فضي ، وحينئذ تكون قد مضت ساعة زمانية .. وبهذه العملية القائمة على أسس فلكية وهندسية يتمكن تلامذة وأساتذة المستنصرية من

(بقية المقال على صفحة ١٣٠)

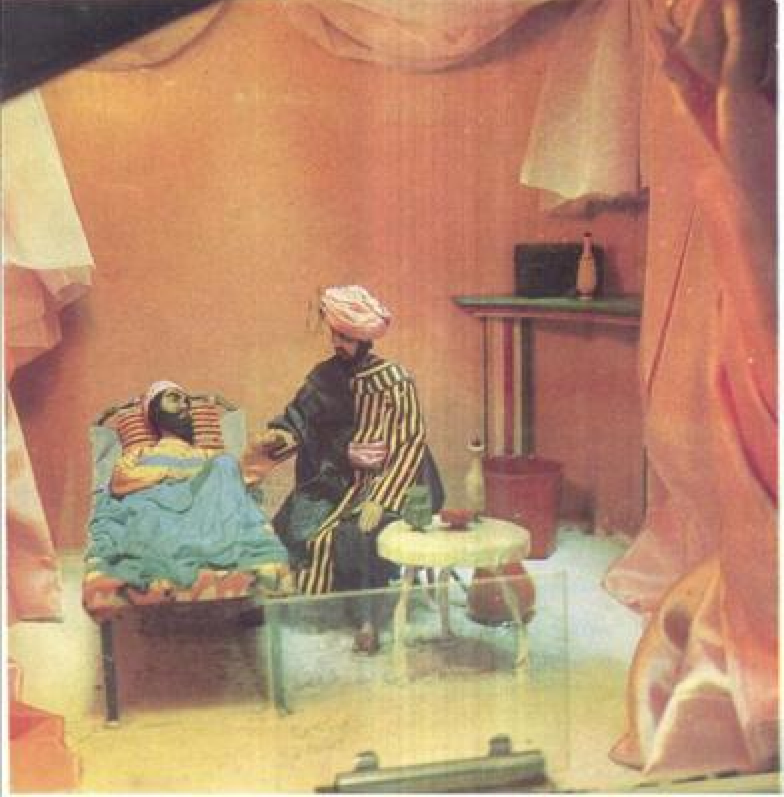


تكييف الهواء : تتميز المستنصرية بممراتها العاليـة ، وحوائطها التى يبلغ سمكها مترين ونصف المتر ، أما التهوية والانارة فتأتيها من الكوى المفتوحة فى السقف .. ومما يذكر انه كانت هناك ممرات هوائية داخل الجدران تمر فوق مجار للمياه النقية لتبريد الهواء قبل دخوله الى الغرف والقاعات .



.. وابن الهيثم : بينما كان أبو علي الحسن بن الهيثم من البصرة يقرأ كتاب المناظر، كان أبو القاسم عمر بن علي من الموصل يفحص عيون احدى المريضات .. انه نموذج آخر من النماذج المجسمة الاربعة التي تضمها المستنصرية ..





الى اليسار : نموذج مجسم صنعه الفنان محمد يحيى الباكستاني ويمثل أبو علي الحسين ابن عبد الله بن سينا يفحص نبض احد المرضى .

معرفة الوقت بالساعات ، من تسلسل الأبواب المفتوحة ..

كما صنعوا لهذه الساعة شموسا من ذهب تطلع مع الشمس الحقيقية وتدور بدورانها ،حتى اذا غربت وجاء الليل طلعت بدلها أقمار مضيئة لامكان قراءة الوقت في الليل كذلك ..

وانتهى الاحتفال وخرج الزوار ، وبدأ الطلبة يحصلون دروسهم ، ليتخرجوا وليصبحوا أعلاما في مختلف الاختصاصات .

وازدهرت المكتبة واتسعت حتى وصل عدد مجلداتها نحو ..٤ ألف مجلد ، وغدت محجة للعلماء والباحثين، يقصدونها من كل مكان للاستفادة من كنوزها في أبحاثهم وتآليفهم ..ولم يكن يسمح بادارتها والاشراف عليها الا لكبار العلماء ..

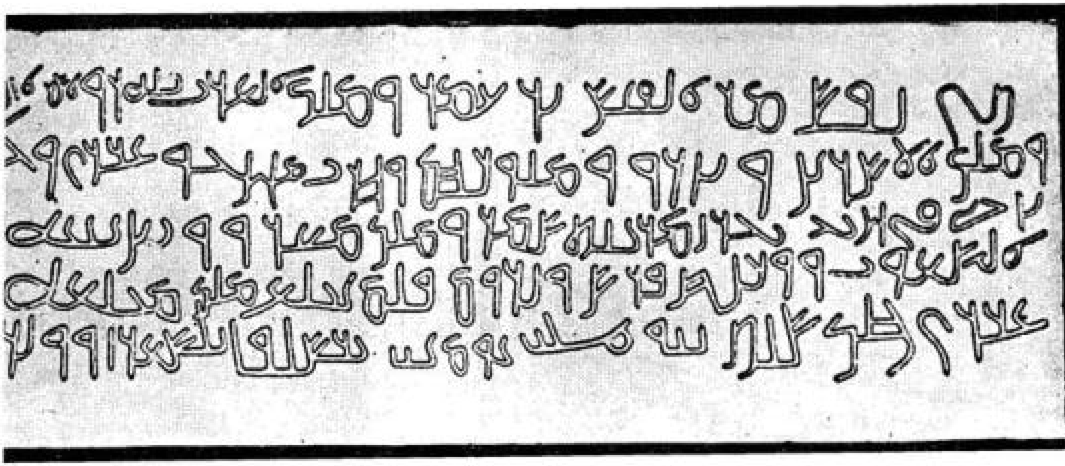
عصر النكبات

وبلغت مكتبتى أوج ازدهارها خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، كانت خلالها منارة للعلم لا تخبو .

حتى جاء ذلك التترى الأحمق تيمورلنك فاجتاح بغداد عام ٧٩٥هـ (١٣٩٢م) وجاء جنوده الرعاع



استعمل بعض الاهالى حجارة المستنصرية القديمة وزخارفها لتجميل مبانيهم، وترى بقايا الكتابات الأصلية التى كانت تزين المستنصرية من الجهة الغربية المطلة على النهر ، موجودة داخل مقهى شعبى ، وقد أضيفت اليها ألوان وزيادات شوهتها !



في معرض الخطوط العربية القديمة وضعت هذه الصورة لخط يسمى نقش النمارة يرجع تاريخه الى عام ٣٢٧ م.

الى بنائى الجميل فخربوه وشوهوه ، ودخلوا مكتبتى فحملوا منها نفائسها وجعلوها طعمة للنيران التى أوقدوها ليطهوا عليها طعامهم ..

وخرج الجنود من رحابى بعد ان اثقلونى بجراح عميقة ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحرقوا جميع كتبى لكثرتها .. فكان لى فى ما تبقى من هـذه الكتب بعض العزاء والسلوى ..

ولكن هذا العزاء لم يدم طويلا فقد عاد ذلك التترى الأهوج فاردف غزوته الأولى بغزوة ثانية .. جاء على أثرها جنوده الى مكتبتى ونهبوا بقية كتبى ، وألقوها طعمة للنيران ..

محاولات .. ولكن بلا طائل

وخرج التتار من بغداد وجرت محاولات كثيرة لترميمى واعادة مكتبتى الى سابق عهدها ولكن دون طائل ..

وبدأ اقبال الطلبة يقل ، وانعدم الزائرون ، وبدأت البوم تعشش مكان كل حجر يسقط من بنائى .. وانعدم الاصلاح حتى كان عام ٩٤٠ هـ. (١٥٣٣ م) وفيه توقف المدرسون عن التدريس ، وهجرنى الطلبة نهائيا .. وبذلك أكون قد عشت ثلاثة قرون أو دون ذلك .

وأصبحتُ تكية .. ثم خانا للمسافرين !

وبعدها شهدت وجوها لم أعهدها البتة ، وتقلبت بى الأحوال فاتخذت لغير ما بُنيتُ من أجله ، فصرت حصنا .. ثم تكية .. ثم خانا للمسافرين .. فدارا للمكوس .. فمخزنا لملابس الجنود فمسكنا لجنود احدى الكتائب ، فمكتبا لادارة الجمارك وتمادى بعض الناس فى اذلالى فاتخذوا من بنائى مقهى ! وعمد آخرون الى حجارتى ونقوشى فراحوا ينقلونها على ظهور الحمير يستخدمونها فى أبنيتهم الخاصة !

عودة الروح

واستمر الاهمال والنسيان يخيمان عليّ حتى جاء عام ١٩٤٦ ، وفيه استطاعت مديرية الآثار العامة أن تضع يدها فى يدى ، وتأخذنى من الأوقاف



يشتمل معرض الخط العربي على أربع صور لخطابات يقولون ان النبي (ص) أرسلها الى بعض ملوك وزعماء الأمم في عصره ، كالنجاشي في الحبشة والمقوقس في مصر ، والمنذر ابن ساوى أمير البحرين . وهي مكتوبة بخط تمثل فيه أولى مراحل الانتقال من الخط النبطي المتأخر الى الكتابة العربية

بايجار طويل ، لاعادة بنائي وترميم أطلالي .

وظل البناؤون يجرون عمليات التجميل في بنائي مدة أربعة عشر عاما .. والحق انهم بذلوا في ذلك جهدا مشكورا .. صحيح انهم اختصروا غرفي الى ٧٠ غرفة لكن هذا لا يهم فقد أعادوا اليّ على أي حال بعض جمالي ورونقي ..

لقد حاولوا في عام ١٩٦٠ أن يعيدوا اليّ الحياة من جديد ، فجعلوا من احدى قاعاتي مكتبة للمخطوطات نقلوا اليها ٢٢٤٠ مجلدا مخطوطا من خزانة المتحف العراقي ، وجعلوها تحت طلب المطالعين الذين كانوا يتزاحمون على مطالعتها ، وخاصة أيام الجمعة .. وأحسست بعودة الروح الى هيكلي ، ولكن فرحتي لم تستمر طويلا ، فسرعان ما عادوا وسحبوا مني هذه المجلدات ، حتى احسست بغصة ذكرتني بالأيام السوداء التي عشتها مع جنود تيمورلنك ، وان كان قياسا مع الفارق !

وبانتقال المكتبة من رحابي عاد النسيان يسيطر على بنائي الجميل من جديد .

فقالوا : « سنقيم معارض داخل المبنى وسيأتي اليه الزوار » .. وفعلا أقاموا بعض المعارض لكن معروضاتها الهزيلة لا تشجع البتة على الزيارة! فقسم الخط العربي تتناثر فيه صور فوتغرافية قديمة لتطور الخط العربي ، بعضها بالخط النبطي ، والبعض الآخر بالكوفي والنسخ .. وجناح الخرائط فيه نسخ من خرائط قديمة تساقطت عنها الوانها فاصبحت النسخ الجديدة قديمة ! .

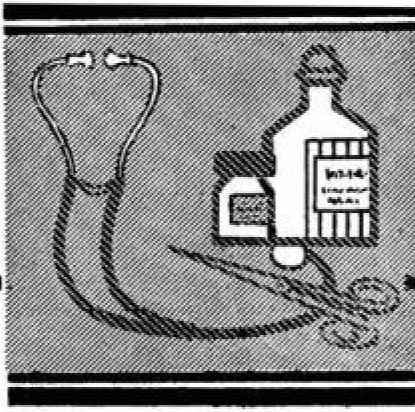
وفي ركن من غرفة الخرائط نموذج لاسطرلاب عربي مصنوع من الكرتون .. !

والشيء الوحيد الذي يمكن أن يحظى ببعض الاقبال هو اللوحات المجسمة التي صنعها فنان باكستاني ..

وعد لم ينفذ !

وقبل ان اختم قصتي ، أو مأساتي ، احب ان اذكّر المسئولين بتصريح كان قد اعلنه حاكم بغداد ، ووعد فيه بانه سوف يهدم الأسواق القديمة التي التصقت بي حتى يبرز جمال بنائي ويستطيع الناس والسياح أن يصلوا اليّ بسياراتهم بدلا من المرور وسط هذه الكتل البشرية المتزاحمة في تلك الأسواق .. فمتى يا ترى يُنفذ هذا الوعد ، حتى أشعر بأن الحياة قد عادت فعلا الى بنائي .. وانني لست مجرد أربع حوائط صماء ، تزينها زخارف من الجص قد تكون رائعة ، ولكنها هي الاخرى صماء ! ■■

سليم زبال



طبيب الأسرة

اللبن المجفف ، ولبن الأبقار ، فى ارضاع الأطفال

ــ فى تغذية الأطفال الرضع ، هل يمكن استبدال لبن الأبقار بلبن الأمهات المرضعات . وهنالك اللبن المسحوق فاين مكان هذا اللبن من تغذية الأطفال والتغذية عامة ، لا سيما ونحن نعيش فى مكان من الصحراء منعزل ، يعز فيه لبن البقر ، ولكن يسهل الحصول على اللبن المسحوق مختوما فى العلب . وهذا اللبن المسحوق ، هل هو لبن طبيعى أم تدخله الصناعة ؟

● اولا عن لبن الأبقار ، هذا اللبن يقوم مقام لبن الأمهات لا شك فى هذا ، وينمو عليه الطفل نموا طبيعيا . والشرط الوحيد أن يكون مصدره بقرة سليمة غير مريضة ، وأن تكون عمليات الحلب ، والتوزيع كذلك نظيفة ، ثم تأتى من بعد ذلك طريقة البسترة المعروفة للتعقيم . ولا بد على العموم من غلى اللبن لضمان السلامة ، ثم تبريده على عجل . ولبن الأبقار فيه دسم كثير ، وهو للأطفال الرُّضَّع يُنزَع بعض دسمه . والغلى يذهب بفيتامين حـ (C) من اللبن ، واذن لا بد من تعويضه على الطفل .

أما اللبن الجاف أو المجفف ، ذلك الذى انت تسميه مسحوقا ، فهو لبن طبيعى ، ذهب عنه ماؤه بالتجفيف . وهو فى عملية التجفيف بالحرارة يجرى تعقيمه ، والمتفق عليه اليوم أن طريقة تعقيمه هكذا هى آصل طريقة للتعقيم ، وانجح ، واقل اضرارا لأصول التغذية التى باللبن . والتجفيف يجرى بطريقتين .

فى الطريقة الاولى يساق اللبن الى اسطح اسطوانات من الصلب دوارة على محاورها ، يمر فى داخلها بخار شديد الحرارة . واذ يمس اللبن سطح الاسطوانة الحار يتبخر ماؤه فيما بين ثانيتين او اربع . وهو اذ يمس هذا السطح الحار يتعقم على التو تعقما تاما . وهو يلصق بالطبع جافا على سطح الأسطوانة . ولكن الأسطوانات تدور ، فتمر سطوحها بسكاكين تكشط اللبن الجاف من عليها .

وفى الطريقة الثانية يرش اللبن من رشاشات فى خزانات يدخلها ويمر بها هواء ساخن . ويلتقى الاثنان ، فيتبخر الماء على الفور ، ويسقط اللبن الى القاع .

واللبن المجفف بالطريقة الأولى يحتفظ بفيتاميناته . أما المحضر بالطريقة الثانية فتتلف بعض فيتاميناته . وهو شىء منتظر بسبب فعل الهواء وبه الأكسجين .

واللبن المجفف بالطريقة الأولى أسهل هضما من المحضر بالطريقة الثانية أو من لبن الأبقار كما هو . وذلك لأن مسه الحرارة كسر بروتينه فانشطر الى بروتينات اسهل هضما .

وبقى أن نقول أن النقص فى الفيتامينات تسده الشركات القائمة بالتجفيف باضافة تلك الفيتامينات وتزيد فيه ما تشاء من أملاح نافعة اذا شاءت .

وقد صار هذا اللبن المجفف بضاعة

كبرى لميل اكثر الأمهات فى بلاد الغرب الى الارضاع به دون الأثداء .

الأسبرين ، له اسماء عدة

ـ يوجد فى السوق عدة اصناف من الأسبرين من الذى نستخدمه لازالة الصداع ، وله فى كل امة تصنعه اسم له خاص ، وكل يدعى له قوة خارقة فى ازالة الام الراس ليست لغيره، فهل هذا صحيح ؟ . وعلمت من صيدلى ان الاسبرين يعطى فى حالات اخرى غير الصداع .

● اقراص الاسبرين جميعها ، مهما اختلفت اسماؤها ، وتعددت البلاد التى تنتجها ، بها اساس فعال واحد ، وهو مركب كيماوى يعرف بحامض الاستيليك الاستيلى Acetyl Salicyclic Acid وعلى هذا فكل هذه الاصناف التى تذكر واحدة من حيث المفعول . ولكن قد يستحب منها ذلك القرص الذى اذا وضعته فى الماء انتفش ، وهو هكذا ينتفش فى المعدة فيكون اكثر ذوبانا واسرع امتصاصا وافعل .

وصحيح ان الاسبرين يستخدم فى غير الصداع ، فهو يستخدم لازالة الالم ، ولخفض درجة الحرارة فى الحمى ، الروماتزمية وغير ذلك .

أسباب العمى

ـ ما هى اسباب العمى ؟ وهل هناك احصاءات ترد حالات العمى الكثيرة الى اسبابها ؟

● ليس عندى حاضرا مما تسأل عنه سوى احصاء لعام ١٩٥١ اجرى فى انجلترا . او على الأقل هذا هو ما ورد فى سجلاتها القائمة فى ٣١ من شهر مارس آذار ١٩٥١ . وقد جاء بهذه السجلات ان بانجلترا وويلز ٨٦٣٨٩ من العمى :

بينهم ٤٠ طفلا عمرهم اقل من عام .

و٤٨٧ طفلا عمرهم بين العام والأربعة الأعوام .

و ١٤٤٢ عمرهم بين الأربعة والخمسة عشر عاما .

ثم ٤١٨٧٤ من البالغين الى سن السبعين .

ولكن يجب ان نقول ان هذا التسجيل، تم بناء على تعريف العمى فى قانونهم لعام ١٩٤٨

وهو يعرف العمى بأنه الحالة التى يكون

المعدة لاتقوم بكل الهضم

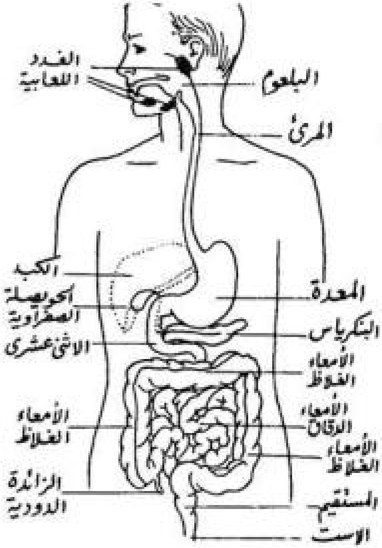
ـ المعروف ان المعدة هى عضو الهضم فى الجسم ، فكم يستغرق الطعام فيها ، وايهما افضل من الوجهة الصحية ، تناول اكلة الطعام الكبرى فى الغداء ام فى العشاء؟

● هذا سؤال ذو ثلاث شعب .

اما ان المعدة هى عضو الهضم فى الجسم فهذا يغمط أعضاء أخرى حقوقها فى الهضم ، كالأمعاء . الحق أن المعدة تبدأ الهضم فى الأشياء ، وهى مع هذا لا تتمه . وتفسير ذلك أن الهضم عملية كيماوية ، وسيلتها الخمائر .

والمعدة تفرز جدرانها خميرتين ، احداهما الببسين Pepsin ، والأخرى الرنين Rennin . اما الأولى فتهضم البروتين من لحم واشباهه ، وتحوله الى « بتونات » ابسط تركيبا ، وهذا هضم غير كامل ، وهو يتم فى الامعاء . واما الخميرة الثانية ، الرنين ، فهى كالتى بالمنفحة ، تجبن اللبن .

من هذا يتراءى ، اجمالا ، أن المعدة انما تحضر للهضم الذى يأتى بعدها فى الامعاء . والعصارة الهضمية بالطبع فيها غير ذلك حامض الكلوردريك ، وذلك لأن البيسين لا يعمل الا فى بيئة حامضية . وكذلك لأن الحمض يمنع تعفن المواد



الاخرى فى الطعام . وللحامض اغراض اخرى .

وكذلك المعدة ، بهذه العملية الكيماوية ، وبعملية الخض المتواصل التي تجرى فيها ، تمزج الطعام مزجا ، وهى تحيله الى شبه عجينة ناعمة تعرف بالكيموس Chyme . وعند احساس المعدة بتمام ذلك ، تفتح بابها الى المصران الاثنى عشرى فالأمعاء . فاذا احست جدرانها بأن فى الكيموس شيئا صلبا جامدا ، اغلقت بابها . فهم عجيب ، تصنعه لك المعدة ، وانت لا تدرى .

المعدة اذن ، هاضمة بعض الهضم ، ولكنها مازجة تكاد تكون طاحنة ، ولكنها تطحن بالكيمياء .

الشعبة الثانية من السؤال : فى كم يتم الهضم ؟

والمقصود هنا هضم المعدة . فان كان الطعام خفيفا ، خبزا وزبدة ، ومربى وشايا او قهوة ، استغرق الهضم نحو ساعة . فان كان اثقل ، كأن تضمن لبنا وبيضا ، أو مقدارا من اللحم قليلاخفيفا، استغرق الهضم ما بين ٣ ساعات الى ٤ . اما ان كان ثقيلا بحيث احتوى حساء ولحما وخضرا وأرزا وحلوى ، لم تفرغ منه المعدة الا من بعد ٦ ساعات . هذا فى عموم الاحوال .

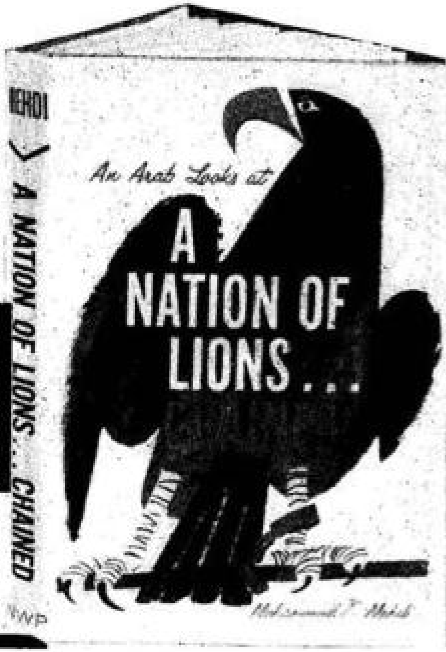
والشعبة الثالثة من السؤال ، تختص بالوجبة الثقيلة ، تكون فى الغداء أم فى العشاء ؟

والجواب ان الوجبة الثقيلة يجب ان لا تكون . توزيع الطعام خفيفا على الوجبات المتعددة اولى . فان كان لا بد، فاهل اوروبا ، يتخففون فى الظهر لأنهم يعملون قبله وبعده . ثم يعودون الى منازلهم مساء فتكون الوجبة الأصيلة ، ولا اقول الثقيلة . فان تكن ثقيلة تولى المساء والنوم بها .

معها الشخص لا يستطيع عمل اى شيء يكون البصر ضروريا فى اجرائه .
أما أكثر الأسباب الذى تنسب اليها العمى فهى :
اظلام عدسة العين Cataract ، سبب ١٧ر٤ ٪ من مجموع الحالات .
تدهور بقعى يحدث فى احس جزء فى شبكية العين ، وذلك فى الشيخوخة ، وسبب ١٨ر٨ ٪ من الحالات .
والجلوكوما او شدة التوتر فى العين وسببت ١٤ر٣ ٪ من الحالات .
ومرض السكرى وسبب ٩ر٤ ٪ من الحالات .
وشذوذ عند الولادة وسبب ٥ ٪ من الحالات .
والزهرى وسبب ١ ٪ من الحالات.

كتاب الشهر

القضية والدعاية الصهيونية



بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ عندما صدر كتـــاب « الأمريكى الكريه » لمؤلفه لدرر وبردك (١) عـــام ١٩٥٩ اضطربت الدوائر الأمريكية المسؤولة فى واشنطن لما حوى من حقائق، فقد كشف هذا الكتاب لهم عن ان ممثليهم فى الخـــارج لا يدركون شيئا عن البـــلاد التى يرسلون اليها . ونحن نجد فى هـــذا الكتاب دراسة موضوعية صريحة لسياسة امريكا فى الشرق الأقصى ، والأسباب التى جعلت سكان تلك المنطقة يكرهون امريكا . وقد هلل المفكرون الأحرار ، وبعض كبار الكتاب الذين كتب لهم أن يطوفوا فى العالم ، لهذا الكتاب حتى قالت الكاتبة الأمريكية الشهيرة بيرل بك Pearl S. Buck : « لقد جاء أخيرا من يقول فى سياستنا الخارجية الكلمة التى كان يجب أن تقال ... وهذا كتاب جرىء صريح ، وبمثل هذه الروح يجب أن نستقبله » .

وبعد صدور الكتاب ، انهالت الرسائل العديدة على المؤلفين تطلب المزيد من التوضيح ، فما كان من احد المؤلفين ، وهو الكابتن لدرر ، الا أن لبى النداء ، وأصدر كتابه الثانى « امة من النعاج » (٢) . وفى هذا الكتاب أيضا ينقد المؤلف السياسة الأمريكية فى لاوس، وتايلاند، وفورموزا، وكوريا ، ويبين للشعب الأمريكى أن عليه أن يفهم الحقائق عن الشعوب الأخرى لا أن يبقى قطيعا من النعاج تسيره الدعايات والأكاذيب .

واذا كانت الجراة قـد واتت كاتبين امريكيين فتقدما لكشف النقاب عن تردى السياسة الأمريكية فى الشرق الأقصى ، فان « الأمريكى الكريه » فى

(1) The Ugly American, By Lederer and Burdick.
(2) A Nation of Sheep, By Lederer, 1961.



فى أمريكا

الشرق العربى بقى مجهولا عند الأمريكيين انفسهم، وذلك بفضل الدعاية الصهيونية القوية والواسعة الانتشار فى أمريكا ، الى أن تقدم الدكتور محمد مهدى فاصدر كتابه هذا الذى نقدمه . وقد جعل المؤلف عنوان كتابه ردا على كتاب لدّرر فدعاه « أمة من الأسود ... مقيدة » (٣) ، والذى يعنيه الدكتور مهدى ان الأمة الامريكية امة من الأسود ، لا من النعاج ، ولكنها أسود مقيدة بقيود المعرفة الخاطئة والدعايات المضللة ، وعليها أن تحطم هذه القيود .

والدكتور محمد مهدى ، عراقى ، درس فى أمريكا ،ونال شهادة الدكتوراه فى العلوم السياسية من جامعة كليفورنيا ، وهو الآن مدير مكتب الجامعة العربية فى سان فرنسيسكو ، وهو فى الوقت نفسه يشغل وظيفة استاذ مساعد فى « المعهد الأمريكى للدراسات الأسيوية » فى سان فرنسيسكو .

وهذا الكتاب فى مقدمة ، وستة فصول ، ونتيجة ، وخاتمة . وهو يبدأ بمقارنة بين الحضارتين الشرقية والغربية ، ثم يرسم صورة للأسباب التى جعلت أمريكا مكروهة فى الشرق العربى . ولكنّ أهم فصل فى الكتاب هو الفصل الذى يتناول فيه القضية الفلسطينية ، وفيه يبين للأمريكيين خطأ الصورة التى يحملونها عن القضية الفلسطينية ، وذلك لما نالها من تشويه على أيدى الصهاينة .

وبسبب هذا الفصل رفضت خمس وعشرون دار نشر قبوله ، وحجتها فى هذا أن الكتاب يعرض القضية الفلسطينية عرضا لا يرضى عنه القراء الأمريكان .. وهذا الرفض يدل بوضوح على مدى قوة النفوذ الصهيونى ، والدعاية الصهيونية فى أمريكا . واخيرا تقدمت لنشره « مطبعة العالم الحديثة » بسان فرنسيسكو .

ولا يستطيع القارىء أن يتبين مدى ما بذل المؤلف من جهد فى كتابه الا بقراءته : فهو كتاب يعتمد المنطق السليم ، والأرقام ، والوثائق ، أساساً لمناقشته . ومثل هذا الكتاب هو ما تحتاج اليه القضايا العربية والقضية الفلسطينية خاصة .

الحقوق التاريخية

والادعاء الأول الذى به تبرر الصهيونية حقها فى

(3) A Nation of Lions . . . . Chained, by Mohammad T. Mehdi, 1962.

فلسطين ، هو أن فلسطين كانت أرضا لليهود قبل ألفين من السنين . ولو طبق مثل هذا المنطق لكان من حق روسيا ان تطالب بالاسكا ومن حق الهنود الحمـــر أن يطالبوا بامريكا نفسها ، ... الخ . ومعنى هذا أن علينا أن نغير خريطة العالم . ان الواقـــع يجسّد لنـــا هزال الادعاء الصهيونى ، ففلسطين عربية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا .

وهذا المنطق الصهيونى منطق عجيب ، فهـــو باعتباره فلسطين وطنا لجميع اليهود فى العالم ، وباعتباره اليهود الذين يعيشون خارج فلسطين « يهودا فى المنفى » ، يخلق عنـــد اليهودى ولاء مزدوجا : ولاء للوطن المدّعى ، وولاءً للوطن الذى يعيش فيه . فولاؤه فى البلاد التى يحمل جنسيتها هو لهذه البلاد أولا ، فى نظر حكومة هذه البلاد ، ولكنه لا يحمل فى نفسه الا ولاء واحدا هو ولاؤه للوطن المدّعى . وهذا المنطق الصهيونى يجعل من اليهودى المقيم خارج فلسطين ، غير مأمون الجانب أينما حلّ .

وقد أكد هذا الولاء اليهودى لاسرائيل ، رئيس وزراء اسرائيل السابق ديفيد بن غوريون ، حيث يقول : عندما يقول اليهودى فى امريكا او جنوب افريقية او اى مكان ، « حكومتنا » فانه انما يعنى « حكومة اسرائيل » ، وعندما يقول « سفيرنا » فانه يعنى « سفير اسرائيل » ! كما قال كلاما مماثلا لهذا الدكتور ناحوم غولدمان ، المواطن الأمريكى الذى لعب دورا كبيرا فى السياســـة الأمريكية ، والصهيونى العريق الذى أعلن استعداده للتخلى عن جنسيته الأمريكيـــة ، والتجنس بالجنسية الاسرائيلية .

ومع هذا ، ففى امريكا جماعة من اليهود تنكر على اليهود هـــذا الحق التاريخى ، وتطلق على نفسها اسم « المجلس الأمريكى لليهودية » ، فهذا المجلس يرى ان اليهودية دين لا قومية ، كما يرى ان وطن اليهودى هو الوطن الذى يقيم فيه . وفى امريكا أيضا مجلة اسمها « أخبار يهودية » تقول بما تقول به هذه الجماعة ، ويشرف عليها يهود بارزون مثل روجر بلدوين Baldwin ، وابراهام كرونباك Cronback ، وديفيد ريزمان Riesman ... الخ ، ولكن صوت هاتين الجماعتين يضيع وسط ضجيج الصهيونية وتهويشها ، فلا تصل الى مسامع المواطن الأمريكى .

أرض الميعـــاد

ومن الادعاءات الصهيونية التى تتذرّع بهـــا اليهود لاقناع الشعب الأمريكى بحقه فى فلسطين ، قولهم ان الله قد وعدهم فى التوراة بان يرجعهم الى فلسطين . وقد لقى هذا الادعاء آذانا صاغية من المسيحيين المتدينين ، من امريكيين وأوروبيين . ونحن لو سلّمنا جدلا بان مثل هذا الوعد قد ورد فى التوراة ، فان الرد على هذا الادعاء نجده عند الاســـتاذ الفرد جيوم Guillaume ، استاذ دراسات العهد القديم فى جامعة لنـــدن سابقا ، فهو يقول « لقد تحققت هذه النبوءة التى وردت فى « العهد القديم » ، فعـــاد اليهود الى أرض يهوذه ، وبنوا أسوار القدس ، واعادوا بنـــاء الهيكل ، وحكموا لحقبة قصيرة من الزمن . لقد تحققت هذه النبوءة ، ولا يمكن ان تتحقق مـــرة ثانية . وليست هناك آية نبوءة فى «العهد القديم» تنص على عودة اليهود ثانية الى فلسطين بعـــد عودتهم من الأسر البابلى » . ومثل هذا التفسير أورده الدكتور فرانك ستاج Stagg استاذ دراسات « العهد الجديد » فى نيو أورليانس ، والأب شيرمان Sherman ، الأسقف فى لونج آيلاند .

والمنطق السليم نفسه يقر بأن فلسطين لسكانها العرب الذين سكنوها مدة تزيد عن ثلاثة عشـــر قرنا ، ولا يمكن ان يقر انها لبن غوريون البولونى الذى ربما كان أجداده من السلاف الذين تهوّدوا قبل بضع مئات من السنين !

الاضطهاد

والشعب فى أمريكا يحس بعطف على اليهـــود

بسبب ما لقوا على أيدى ألمانيا النازية ، ولكن هذا العطف يجب الا يكون على حساب العرب الأبرياء فى فلسطين . ان العرب ليسوا هم الذين اضطهدوا اليهود ، فاذا كان من حق لليهود فانه عند ألمانيا النازية . ولماذا يُفتَرَض فى عرب فلسطين أن يكفّروا عن اضطهاد هتلر لليهود ؟

لقد قصّ علينا الكاتب الصهيونى ليون اوريس فى قصته «الخروج» (4) التى ذاعت، ثم أُخرِجَت فلما ، ما لقى اليهود من اضطهاد فى أوروبا ، ثم كيف خرجوا الى أرض فلسطين عائدين . ولكنه لم يستطع أن يثبت ان العرب هم المسؤولون عن هذا الاضطهاد ، كما ان عصبيته العمياء جعلته يغفل الجريمة النكراء التى اقترفها أولئك الذين يريد أن يستدر عطف العالم عليهم . وقد قال المؤرخ البريطانى الشهير آرنولد توينبى Toynbee « ان جرائم الصهيونية فى العرب أمعن فى الاثم من جرائم النازية » .

اليهود أقدر على تحسين البلاد !

ويبرر الصهيونيون حق اليهود فى فلسطين بانهم أقدر على استصلاح الارض ، واستخراج خيراتها ، من سكانها العرب . ونحن لو فرضنا ان اليهود فعلا اقدر من العرب على تحسين البلاد ، فان هذا ليس مبررا لطرد أهلها العرب ، واحلال اليهود محلهم . ان مثل هذا المنطق قد استعمله هتلر فى احتلاله لبولنده . ولو صدق مثل هذا القول لكان من حق روسيا عندما اثبتت تفوقها فى ميدان الصواريخ على أمريكا ، أن تطالب باحتلال امريكا لتعلم شعبها كيف تصنع الصواريخ ، وكيف ان بالامكان قذف رجل الى الفضاء !

والعجيب أن يلقى مثل هذا الكلام قبولا عند الأمريكيين . والأعجب منه ان الامريكيين انفسهم لا يدركون أنهم هم أنفسهم كان لهم الفضل الأول فى جعل اليهود قادرين على تحسين البلاد . لقد جاد الأمريكيون على اسرائيل فى العشر السنوات الأولى بمبلغ يزيد على بليونى دولار ، وهو مبلغ لو وضع حتى بين أيدى العرب لينفقوه على هذه البقعة الصغيرة من الأرض ، لجعلوا الدنيا غير الدنيا !

اليهود اشتروا أرض فلسطين !

وقد نشر اليهود بين الأمريكيين دعوى كاذبة ، وهى أنهم قد اشتروا أرض فلسطين من أهلها العرب . والصهيونية فى سبيل تحقيق غاياتها تستحل اقتراف كل الآثام ، والكذب أهونها . وهذه لجنة شو الانجليزية تقول : « ان الفلاح العربى فى فلسطين وطنى صميم ، متحمس للنضال السياسى ضد الصهيونية والاستعمار البريطانى . ولهذا السبب فقد ثبت لنا أن معظم الفلاحين متمسكون بأراضيهم على الرغم من الظروف القاسية المحيطة بهم ، تمسكا شديدا ، ولا يقبلون التنازل عنها باي ثمن لليهود » .

ان الاحصائيات الرسمية تقول ان اليهود كانوا يملكون من أرض فلسطين عام ١٩٢٠ ، ما نسبته ٢ر٥٪ من مجموع مساحتها البالغة ٣٢ر٢٧ر٢٧ دونما . وكانت نسبة ما اشتروه ووهبته لهم حكومة الانتداب حتى عام ١٩٤٥ لا تزيد عن ٣ر٥٦٪ من مجموع الأرض الفلسطينية . أى أن مجموع ما كانوا يملكونه حتى هذا التاريخ هو ٦ر٠٦٪ . وحسب أعلى التقديرات الرسمية تملك اليهود اقل من ١٪ ما بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٨ . وهذا يجعل مجموع ما كانوا يملكونه لا يزيد عن ٧٪ من أرض فلسطين . وتفصيله كما يلى :

٦٥٠٠٠ دونم امتلكها اليهود فى عهد الدولة العثمانية خلال آماد طويلة .

٣٠٠٠٠ دونم منحتها حكومة الانتداب للوكالة اليهودية من أملاك الدولة بلا مقابل .

٢٠٠٠٠ دونم منحتها حكومة الانتداب لليهود بأثمان رمزية .

٦٠٠٠٠ دونم اشتراها اليهود فى مرج ابن‌عامر

(4) Exodus by Leon Uris

والحولة ووادى الحوارث وما بين خليج عكا وحيفا، من ملاكها غير الفلسطينيين، ولا القاطنين في فلسطين، وكانت اقطاعيات لعائلات سورية ولبنانية في العهد التركي .

٢٥٠٠٠٠ دونم اشتراها اليهود من أصحابها العرب الفلسطينيين .

والعرب المقيمون الآن في اسرائيل ، وعددهم ١٨٠ الفا ، يملكون ١٢٪ من الأرض ، ومعنى هذا ان ٨٠٪ من الأرض الموجودة في اسرائيل هي ملك لأصحابها من الفلسطينيين اللاجئين ، وقد وضع اليهود يدهم عليها بالقوة . وقد أكد هذا الاحصاء تقرير لجنة هيئة الأمم عام ١٩٥١ . وجاء في هذا التقرير أيضا أن اليهود قد استولوا بالقوة على اكثر من ٤٠٠ مدينة وقرية ، و١٠ آلاف دكان ، و١٢٠ الف دونم من بيارات البرتقال ، و ٤٠ الف دونم من الكرمة ، وما لا يقل عن ١٠ آلاف دونم من الفواكه المختلفة ، واكثر من ٩٥٪ من مزارع الزيتون . وكل هذا الذي ذكرناه ، حسب تقرير هيئة الأمم المتحدة ، لم يدفع اليهود مليما واحدا ثمنا له !!

الاقطاعيون هم الذين يعادون اسرائيل !!

ومن الدعايات التي لقيت رواجا في أمريكا والغرب ما أذاعه اليهود من أن الاقطاعيين فقط هم الذين يعادونهم ، أما باقي الشعب الفلسطيني فتواق الى التفاهم معهم . ومما لا شك فيه أن الاقطاعيين يعادون اسرائيل ، ولكن عداء باقي أفراد الشعب من مثقفين ، وعمال ، ورجال أعمال ، وطلاب .. لا يقل عن عداء الاقطاعيين . وقد أثبتت تقارير مندوبي هيئة الأمم كذب هذا الادعاء .

العرب يعارضون قرار هيئة الأمم

ويقول اليهود ان العرب يعارضون قرار التقسيم الذي وافقت عليه هيئة الأمم عام ١٩٤٧، وهم بهذا القول يريدون أن يظهروا العرب بمظهر المعتدين ، والمتحدين لأعلى سلطة دولية . حقا أن العرب يعارضون قرار التقسيم ، ولو صدر عن هيئة الأمم ، كما ولا بد أن تعارض الولايات المتحدة نفسها في تقسيم الاسكا واعطاء جزء منها للروس البيض من سكانها ، أو تقسيم كليفورنيا واعطاء جزء منها للهنود الحمر. ولا شك ان كل بلاد العالم لا ترضى واحدة منها بأن يقتطع جزء من أرضها ويسلخ عنها . ومعارضة العرب للتقسيم تصدر عن هذا المنطق الذي تقره كل القوانين ، والمفاهيم .

أشعل العرب الحرب ثم هربوا !

ويدعي اليهود أن العرب هم الذين اشعلوا الحرب ، وكانوا هم المعتدين ، ثم تركوا الأرض بعد هزيمتهم ولاذوا بالفرار . وبهذا تصبح الأرض ملكا لاسرائيل . وهذا الادعاء ذو شقين : أولهما : أن العرب كانوا هم المعتدين ، وثانيهما أن هربهم جعل املاكهم ملكا لاسرائيل .

اما أن العرب كانوا هم المعتدين فينقضه ما جاء في كتاب مناحم بيجن « ثورة » (٥) ، حيث يعترف أن وحشية رجاله في الفتك بالعرب العزل كانت السبب في مغادرة العرب لأرضهم . ويقول توينبي، وهو المؤرخ الثقة ، أن اليهود بوحشيتهم قد اضطروا العرب الى ترك بيوتهم واملاكهم ،واللجوء الى البلاد العربية المجاورة . وهذا القول نفسه ورد في كتاب بن غوريون (٦) .

وهل اذا ترك المرء أملاكه وراءه يخسر ملكيتها، ويمنع من العودة اليها ؟ هذا ما لم يقل به أي قانون دولي . وهل خسر الفرنسيون أملاكهم عندما تركوها أمام الغزو الألماني ؟!

توطين اللاجئين !

واشاعت الصهيونية في أمريكا أن الدول العربية تقف في وجه توطين اللاجئين ، لأنها وجدت في اللاجئين قضية مربحة ، تستطيع أن تساوم بها في المجال الدولي . ومثل هذا القول يفترض مقدما

---

(5) Revolt, by Menahim Begin.
(6) Rebirth and Destiny of Israel, 1954, pp. 530-1.

ان اللاجئين ليسوا سوى أدوات صماء يُسَيِّرون كما تهوى الدول العربية .

والحقيقة هى ان اللاجئين انفسهم يرفضون الاستيطان . وهم مصممون على العودة . وجميع الذين تولوا رئاسة وكالة الغوث الدولية التى تعنى بشؤون اللاجئين اكدوا هذه الحقيقة . أكدها هنرى لابويس Labouisse ، احد مدراء وكالة الغوث ، والدكتور جون ديفيز Davis مديرها السابق. وقد جاء فى أحد هذه التقارير الرسمية:

« ان هؤلاء اللاجئين المعوزين الذين فقدوا منازلهم ، وموارد رزقهم ، ويعيشون الآن على المعونة والتبرعات نتيجة للعدوان الصهيونى على فلسطين ، ليتساءلون اليوم عن مصيرهم ، وعما يخبئه لهم القدر فى طياته . انهم لا يطلبون غير العودة الى وطنهم ، والاستقرار فى بلادهم ، ولا أمل لهم فى الحياة الا اذا أجيبت طلباتهم ، ونالوا حقهم فى العودة » .

وقد أكد هذه الحقيقة أيضا كل من زار مخيمات اللاجئين من صحفيين، وممثلين رسميين ، وزائرين.

قلعة الديمقراطية !

والدعاية الصهيونية مولعة بترديد هذه الدعوى، وهى أن اسرائيل هى قلعة الديمقراطية فى الشرق الأوسط ، وأن الحكومات العربية حكومات ديكتاتورية . ونحن نجد هذه الدعوى تتردد على ألسنة الساسة من الأمريكيين ، مما يدل على أن الدعاية الصهيونية قد وجدت طريقها اليهم .

ولكن هل اسرائيل ، حقا ، هى قلعة الديمقراطية فى الشرق الأوسط ؟ ان الأساس الذى قامت عليه اسرائيل أساس دينى أو عنصرى ، يقول ان الدين اليهودى هو خير الأديان ، وان الجنس اليهودى هو افضل الأجناس البشرية . أما أن يكون الدين أساسا لقيام دولة ، فهذا مفهوم كان يمكن أن يكون مستساغا فى القرن السادس عشر، وما قبله. وأما الايمان بالجنس اليهودى وتفوقه ، فهذه خرافة ، ومن أجل القضاء على خطر هذا المفهوم الخاطىء قامت الحرب العالمية الثانية .

لقد كان أولى بمن اطلقوا على اسرائيل اسم « قلعة الديمقراطية » أن يسموها « قلعة الحكم الدينى » .

وأين الديمقراطية فى اسرائيل ؟

ان العرب فيها يعيشون مواطنين من الدرجة الثانية ، لا يستطيعون الانتقال من مكان الى آخر الا باذن مسبق وتحت شروط قاسية . مع ان الأرض أرضهم والبلاد بلادهم ، والصهيونية التى تحكمهم مغتصبة طارئة على البلاد . فهل فى التفاوت بين المواطنين ، وفى الاغتصاب ، ديمقراطية ؟!

الاعتراف بالواقع !

ومن أكثر الحجج المبررة لوجود اسرائيل رواجا ، القول ان اسرائيل قائمة ، ولهذا فان من العبث تجاهل وجودها. ومثل هذا المنطق يطلب من العرب التسليم بالواقع دون نظر الى شرعية هذا الواقع. لقد أقامت الصهيونية دولة بالقوة فى أرض عربية، بعد أن شردت أهلها ، واغتصبت أملاكهم . فاى منطق هذا الذى يطلب من العرب التسليم بواقع ظالم ؟ ان مثل هذا المنطق قد جعل العرب يؤمنون ان اسرائيل التى قامت بالقوة لا يمكن أن تزول الا بالقوة ، وهم لهذا اليوم يستعدون .

ترى كيف يستسيغ الغرب قيام دولة لجماعة طارئة على أرض بعد تشريد أهلها ، ولا يستسيغ زوال هذه الدولة؟ان المنطق الذى لا يجد غضاضة فى العمل الأول ، يجب الا يجد غضاضة فى العمل الثانى ، الا اذا كان الهوى هو الحكم ! .

★★★

هذا طرف من التشويه الذى نال القضية الفلسطينية على أيدى الصهيونية . وهو تشويه استساغته الصهيونية لأنه يحقق لها مآربها ، ولو كان قائما على الكذب والتضليل والأكاذيب .

وماذا كانت نتيجة هذا التشويه ؟

نتيجته أن « الأمريكى الكريه » الموجود فى الشرق الأقصى ، موجود أيضا فى العالم العربى. ومن المحال أن تزول هذه الصورة من أذهاننا الا اذا استطاع هذا الأمريكى أن يتخلص من الدعاية الصهيونية التى تكبل فكره ، وآمن أن الدولار لا يستطيع شراء كل شىء . ■■

محمود السمرة

من الكتب التي وصلتنا

الشمس والقمر والنجوم

فريمان ـ ترجمة الدكتور امام ابراهيم أحمد
مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● ما الذى يجعل القمر يضىء ؟ وما هو النجم؟ وما الشكل الذى تبدو عليه الكرة الأرضية من الفضاء المحيط بنا ؟ هل الشمس فى حالة احتراق مستمر ؟ وهل توجد حياة على اى كوكب من الكواكب الأخرى ؟

هذه أسئلة يجيب عنها هذا الكتاب الصغير الذى كتب للقراء الناشئين .

فى الحضارة العربية الاسلامية والمجتمع العربى

الدكتور شوكت الشطى ـ مطبعة جامعة دمشق

● بحوث تتصل بالحركة العلمية والطبية ،منذ العصر الجاهلى والذى تلاه من عصور اسلامية . ويقع فى نحو ١٠٠ صفحة .

فهرس ابن عابدين

جمع وترتيب الأستاذ أحمد محمد الخضر
المطبعة السورية ـ حلب

● هو فهرس أبجدى لحاشية ابن عابدين . وهو احد الفهارس المتفق على وضعها لموسوعة الفقه الاسلامى التى انبثق مشروعها عن مؤتمر الفقه الاسلامى الذى عقد فى السربون بجامعة باريس سنة ١٩٥١ وتولت أمرها جامعة دمشق .

كتاب الطب عند العرب فى العصور الحديثة

الدكتور شوكت الشطى ـ مطبعة جامعة دمشق

● كتاب يشمل فصولا عن الطب الحديث فى لبنان والعراق والكويت والسعودية والاردن .

قصة الطاقة الذرية

لورا فيرمى ـ ترجمة عمر كامل الوكيل
مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● يجد القارىء فى هذا الكتاب قصة كان ابطالها هم اعلام العلماء ، وكانت حياتهم فيها جهدا فى تواضع ، ونفعا للناس مع تضحية بالنفس ، وسيرى القارىء كيف كانت الفكرة تنتقل من راس الى راس ، ليكون لها فى كل نقلة زيادة ونماء .

العالم يغرق

ياسين رفاعية : دار ابن زيدون ـ دمشق

● مجموعة قصص منها: المطر،جدران الصمت، بلا احلام ، جبل الضياء ، المرايا ، القتلى ، عالم الآخرين ، البحر ليس ازرق ، العالم يغرق.

النظام الاجتماعي فى الاسلام

راشد الفرحان . الكويت .

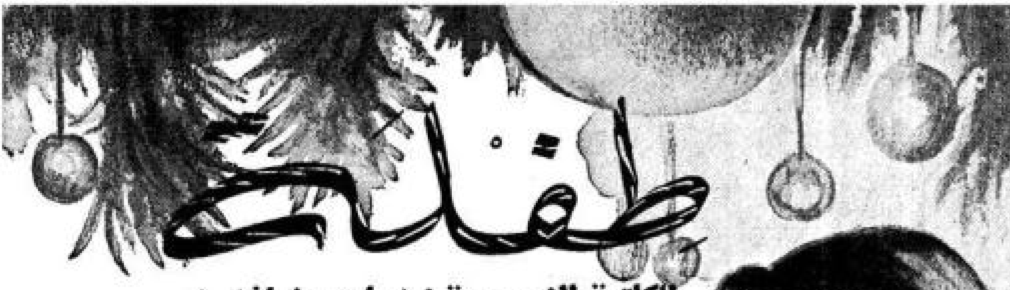
● « حاولت أن أعرض فى هذا الكتاب صورة من بدء الحياة الاجتماعية للزوجين حتى انتهائها ، وما يترتب على ذلك أثناء الاجتماع والافتراق ، وذلك من وجهة نظر الاسلام ، مستدلا على كل ما أذكر بالكتاب والسنة ... »

دعوة الى السفر

الدكتور عبد السلام العجيلى . منشورات عويدات . بيروت .

● « لم أرد فى هذا الكتاب سوى أن أصف انطباعات نفسى امام ما رأيته فى عالم أسفارى الغريبة . » فى هذا الكتاب ، رحلة الى تدمر ، فتاة من زوريخ ، عنتر فى بغداد ، ذكريات باريسية ....

■■



طفلة

للكاتبة النمسوية : (مارى شافنر)

■ كانت صفوف غفيرة تمشى فى بطء وعناء ، على طول الطرق الممتدة الى ما لا نهاية .

وكانت الوجوه تعكس الم عصر من العصور لم يعرف ما الرحمة .

كانت بشرية لا تنفك تهيم من بلد الى بلد ، تبحث عن ماوى لا يرضى احد ان يمنحهم اياه .

ان الاعصار الذى عصف باوربا فى الحرب *الماضية اقتلع وشائج لم يكن فى ميسور انسان ان* يفكر فى انها يمكن ان تنبت ابدا .

فى ليلة من تلك الليالى الحالكة المشؤومة انطلقت صرخة تنادي « اماه » . ثم غمرها الصمت فلم تسمعها اذن .

وظلت الام والاب يضربان ، يائسين ، فى الطرق الطويلة ، بحثا عن طفلهما الضائع .

سعيد ذاك الذى لم يبل من ذلك العذاب سوى ما تادى الى سمعه من حديث عنه ، انه كهذا الشرطى الذى كان يدندن ، فى ليلة صافية ساجية ، باغنية لطيفة ، فيما كان يقوم بجولته فى شوارع مدينة راقدة . ها هو ذا يبصر بطفلة صغيرة مقعية على حيد الطريق ، بطفلة بادية الاعياء ، غير انها لا تحفل بكلماته الودية ، لعل حزنا عميقا قد اجتاح قلبها . حسنا ، سوف يدعها تتكلم فى مركز الشرطة . وياخذ بيدها بلطف .

★★★

ويتحلق حول الطفلة نفر من رجال الشرطة ، بالبستهم الرسمية . انهم فى حرج ظاهر ، فالطفلة تابى ان تنطق بكلمة واحدة .

ـ ولكن ، لا بد انك تعرفين اسمك على الاقل .

اجل . انها تعرف : التفريد اشنيدر . ستة سنوات .



.. كانت تشتاق دائما الى لعبة مثل هذه ، ذات عينين تنفتحان وتغتمضان ..

قالتها بوجل ، وقد شرقت عيناها بالدمـــع ، وحاولت ان تمسحه براحتها .

ـ والآن ، اسمعى ، قولى من هم اهلك ؟

ـ لا أدرى ، حقا لا أدرى .

ـ ان فتاة مثلك لا تدرى من هم أهلها ، هـذا غير معقول .

وتهز الطفلة كتفيها ، يائسة . وينال المفتش اليأس منها ، ولكن يخطر له ان ثمة وسيلة يعين بها الطفلة ويعين نفسه هى : النوم .

وهكذا ، وبأيديهم المرتبكة الضخمة ، أعـد ضباط الشرطة سريرا للطفلة التى ما عتمت ان استغرقت فى نوم هنىء قرير .

وعند منبلج الفجر ، تقدم المفتش من سرير الطفلة بحذر ، وما ان طرفت عيناها حتى [illegible] بنظرة حادة ، وسألها بقسوة :

ـ أين تسكنين ، يا الفريد اشنيدر [illegible]

وجاء الجواب منها على الفور : ٢٦ ، شارع مول
واجالت الطفلة بصرها حولها كالضائعة ، تحاول ان تتعرف المكان الذى انتهت اليه . وفرك المفتش راحتيه راضيا ، وقال :

ـ حسنا ، أنت تعلمـــين الآن ، اين تسكنين ، هل يسكن أهلك هناك أيضا ؟

ـ اوه ، لا ، أرجوك .

وفاءت الصغيرة الفريد الى اليقظة .

ـ لا ، ليسوا بأهلى، لا أدرى ماذا حل بأهلى ، ان الذى يسكن هناك هو . . .

وامسكت عن الكلام ، تفكر ، ثم قالت بهدوء :

هو فرنز اشنيدر .

ـ أليس هو أباك ؟

ـ بلى ، لا .

وغصت عيناها بالدموع .

وقال الشرطى الذى عثر عليهـــا فى الشارع :

ـ خير ما نفعله هو ان امضى الى عنوان ٢٦ ، شارع مول .

فقاطعه المفتش :

ـ ليس ثم ضرورة لهذا العناء . انا خبرت هـــذا النمط من الحوادث . ان الساعة تقارب السابعة ، انظره . هذا هوذا آت

وسمعت جلبة فى الخارج ، وفتح الباب ودخل الغرفة رجل بثياب العمل ، قد جهم القلق محياه، فلما رأى الطفلة ، اشرق وجهه وابتسمت شفتاه ابتسامة جذلى ، وهتف : الفريد !

وارتمت الطفلة بين ذراعيه باكية ، وجهد الضابطان فى الاحتفاظ بوقار المهنة .

قال المفتش :

ـ هذه الطفلة العنيدة تحاول ان تدعنا نعتقـد انها لا تدرى من هم أهلها .

وأجاب فرنز اشنيدر :

ـ انها لا تدرى ، فى الواقع ، من هم أهلهـا ، ولقد كانت تجهل حتى امس ، اى مأساة يخبئها القدر لها .

بدأت القصة فى عام ١٩٤٤ .

كان الجندى فرنز اشنيدر قد قدم ليقضى بين ذويه اجازة قصيرة ، وكانت زوجته قـد وضعت



منذ امد قريب طفلة . وحمـــل الطفلة بذراعيه ساعات معـــدودات ، ثم تعين عليه ان يعود الى الجبهة .

ولم تكد تمر سنة ، حتى حدث ما الجأ جموعا من البشر الى الفرب في كل سبيل من الارض ، بعضهم طُرد من حقله الذى فلحه وفلحه اجداده من قبل . وبعض طرد من بيته ، وبعض ازيح مـن مدينته . وانتظمتهم جميعا مواكب طويلة اتجهت الى الشرق ، ليحتجزها هناك نطاق" ونطاق من الاسلاك الشائكة . وتفرق الأهـــل ، وانقطعت الصلات .

واطلق سراح فرنز اشنيدر مـن الاسر ، وشرع يبحث عن زوجته وابنته ، وعن مأوى .

وفي مدينة يلهج اهلها بلغته وجد عملا ومسكنا ، ولكنه لم يعثر على اسرته . كانت محنته مضنية حقا . كان يدور ، عبثا ، من مكتب الى مكتب . فقــد كانت انشئت مكاتب للبحث عن التائهين ، تعلن في الصحف اسماء الغائبين وتذيعها في الراديو، ولكن هذا النداء لم يكن يصل الى كل مكان .

ووجد اشنيدر ، ذات يوم هناءه في شخص بنت صغيرة اسمها الفريد ، عثر عليها وحيدة ، لا اهل لها ، في محطة ،اثر مرور قطار من اللاجئين ، وكان يتدلى ، حول عنق الطفلة ، صفيحة معدنية تقش فيها اسمها . ولم يتح له معرفــة اسم امها ، وكيف تفربت . كانت الاحداث الرهيبة تتجاوز قدرة الفهم لدى الطفلة . ان كل ما كان في مكنتها ان تقوله هو : ماما مريضة ، ذهبت . مُفصحة بذلك عن القدَر الحزين الذى كان على فرنز ان يتقبله .

ومرت سنتان ، كانت البنت الصغيرة خلالهـــا مصدر سعادة فرنز الوحيدة . وأمس كان يوم عيد ميلادها السادس .

واستيقظت الفريد ، في الصباح ، فوجدت الى جانب سريرها منضدة صغيرة مغمورة بالورد ،وجمع لها عليها ابوها كل الدمَى التى كان يقدّر انها ستدخل البهجة الى قلبها : اقلام ذات الوان زاهية وطابة كبيرة ، ولعبة كانت تشتاقها دوما : لعبــة ذات عينين تنفتحان وتغتمضان . ومضى بها ابوها ، بعد ظهر ذلك اليوم الى حديقة الحيوانات . ذاك يوم سيظل ، عمرها كله ، ماثلا في خاطرها . على ان كآبة مبهمة ملات قلب الطفلة في المساء .

كان الأب والبنت جالسين الى المنضدة ، وهما يتناولان طعام العشاء ، حين رن جرس البـــاب . وبادرت الفرد الى الباب وفتحته ، فرات امامهـــا سيدة مجهولة وبنتا صغيرة . وسألتها المـــــراة الغريبة :

ــ هل يسكن هنا السيد فرنز اشنيدر ؟

ولما ردت الفريـــد بالايجاب ، جازت السيدة المطبخ ، ممسكة بيد طفلتها ، واتجهت الى الغرفة المجاورة ، وقرعت بابهـــا ثم دخلت ، واذ تركت الباب مشرعا خلفها ، تيسر لالفريد ان ترى مـــا يجرى هناك ، وصاحت السيدة : فرنز .

وارتمت على صـــدر الأب والدموع تهمى من مآقيها ، بينا نهض فرنز مشدوها وانشا يبكى مرددا :

ــ مارى ، مارى ، حمدا لله ، انك حيــة ... الفريد ...

وكان النداء الاخير موجها في الظاهر الى الطفلة التى كانت تصغى خلف الباب ، بيد ان قدميهـــا تسمّرتا في الارض عندما رات الطفلة الغريبة تجيب النداء ، وتتعلق بعنق الأب ، وهو يقبلها ويضمها الى صدره مرتعشا .

وتهاوت الطفلة التى خارج الحجرة ، على وصيد الباب ، واسندت راسها الى الجدار واخـــذت تبكى ، دون ان تدرى ، على التحقيق ، ماذا جرى. ورددت السيدة وقد ملا الفرح عطفيها :

ــ فرنز انك لم تنس حتى عيــد ميلاد الفريد . انظري يا الفريد ، كل هذه الهدايا لك .

واشارت الى الدمَى التى اشتراها الأب لالفريد الاخرى .

وفجأة ، ادركت الفريد الحقيقة ، ادركت ان الغريبة هي زوجة الأب ، وان الطفلة الصغيرة التى كان اسمها الفريد ايضا هي ابنة الأب الحقيقية ، اما هي فلم تكن سوى لعبة من لعبات القدَر .

لقد مات اهلها بعد الحرب ، وقذف بها في قلب تيار من الجموع المهاجرة ، في الطرق الطويلة حتى اقبل اليوم الذى اشرق فيه حظها ، فالتقت

في غمرة هذه الحقبة المفزعة من الزمن بأب، ثان لها . وحتى امس الدابر ، لم يكن في ميسور الأب والفريد ان يعلما بالتاكيد ان ثم وشيجة تربط بينهما ، ومع ذلك عاشا سعيدين معا .

وتذكرت الاسرة المجتمعة الطفلة القابعة في المطبخ ، كانت هذه الطفلة قد اعتزمت ما ينبغي ان تفعل : ان هذا الأب الوافر الطيبة قد وجد اسرته .

وحين خلد الجميع الى النوم ، تسللت الطفلة من السرير ، فداعبت ، بلطف شعر لعبتها المطروحة على منضدة عيد ميلادها ، وهربت من البيت .

لم يكن لديها فكرة عن المكان الذى ستفزع اليه. كل ما كانت تعرفه ان مكانها قد شغلته غيرها . لقد فقدت اليوم اباها العزيز . اما اهلها فقد استأثر بهم القدر العتي ، ورأت الطفلة نفسها مهجورة .

في تلك الاثناء ، عثر الشرطي على طفلة صغيرة ، على رصيف شارع معتم .

واصغى المفتش مفكرا ، الى الرجل الذى كان يضم هذه الطفلة الى صدره بينما كان يسرد القصة ، ثم يقول لطفلته ، وعلى شفتيه ابتسامة مشجعة :

ـ والآن ، تعالي يا بنيتي ، سوف تعود الى البيت ، ان امك قد أعدت فطور الصباح ، وستستيقظ اختك عما قريب .

وهتف المفتش :

ـ شيء جميل ، جميل جداً ، يا سيد اشنيدر.
قالها بصوت رقيق ، ثم تظاهر بانه كان يتكلف ذلك ، اذ لم يكن من اللائم لرجل الامن ان يفصح عن عواطف ليس لها مكان مناسب في مركز الشرطة.

■■

ترجمة وتلخيص : **الدكتور بديع حقى**

في جميع ارجاء العالم...

كرافن كنج سايز فلتر



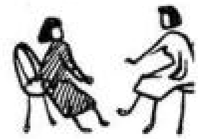
التوازن المثالي بين الفلتر والتبغ لإعطاء نكهة ألطف وأنقى

مصنوعة في انجلترا


قياس
الزمن
الدقيق
بساعات
فافر - لوبا
FAVRE-LEUBA
GENÈVE
علامة
الثقة
فخر الصناعة السويسرية، تعمل في كل الأجواء، وترضي جميع الأذواق..
نسائي و رجالي
الوكلاء العامون
العراق
عبد الجبار لطيف الساعاتي
شارع الرشيد - بغداد
البحرين
يوسف احمد الساعي وشركاه
شارع باريت - ص.ب ٢١٨
الكويت
محمد عبد الله الشهاب
شارع عبد الله السالم (الجديد سابقا)
ص.ب ٢٣٨ - تلفون ٣٢٣٢٢
فرع: شارع فهد السالم تلفون ٥٣٤١



كلاهما مر !



ـ هــل دعوت مارى الى حفلتك ؟

ـ كلا ، فان زوجى لا يميل اليها ..

ـ ومرجريت ؟

ـ ولا هـذه .. فان زوجى شديد الميل اليها .

ضريبة السن ..

قالت الأم لابنتها التى كانت تتأهب للخروج : « لا تنسى أن عليك أن تعودى قبل الساعة التاسعة .. »

فصاحت الفتاة فى احتجاج : « ولكنى لم أعد صغيرة يا أماه .. »

وكان رد الأم : « ولهـذا بالذات أطالبك بالعودة قبل التاسعة .. »

بطل فى حمل الاثقال

سأل صحفى رجلا مشهورا يوم احتفاله بعيد ميلاده التسعين : « ما هى الرياضة التى تمارسها لتظل بصحة جيدة ؟ » .

فاجابه الشيخ : « وما حاجتى الى رياضة ، وانا احمل اثقال ٩٠ سنة ؟ » .

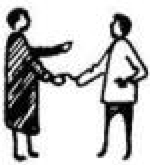


تضحك الدنيا معك ابك تبك وحدك

له حق ..!

فى مطعم اشتهر بحرصه على المظاهر اكثر من اى شىء ، طلب زبون قطعة من الشواء . فلما استقرت امامه ، حاول ان يعمل فيها سكينه دون جدوى . فما كان منه الا ان امسكها وراح يشدها باسنانه ، ومع ذلك لم يقو على اقتطاع جزء منها .. وفى غيظ استدعى خادم المطعم وصاح فيه : « اسمع .. خذ هذه واحضر لى شواء يؤكل ! » .. فتأمل الخادم قطعة اللحم مليا ، وتفحصها ، ثم قال : « آسف يا سيدى ، فان الشد افسد نظام اطرافها » !!

ردء التحية بأحسن منها



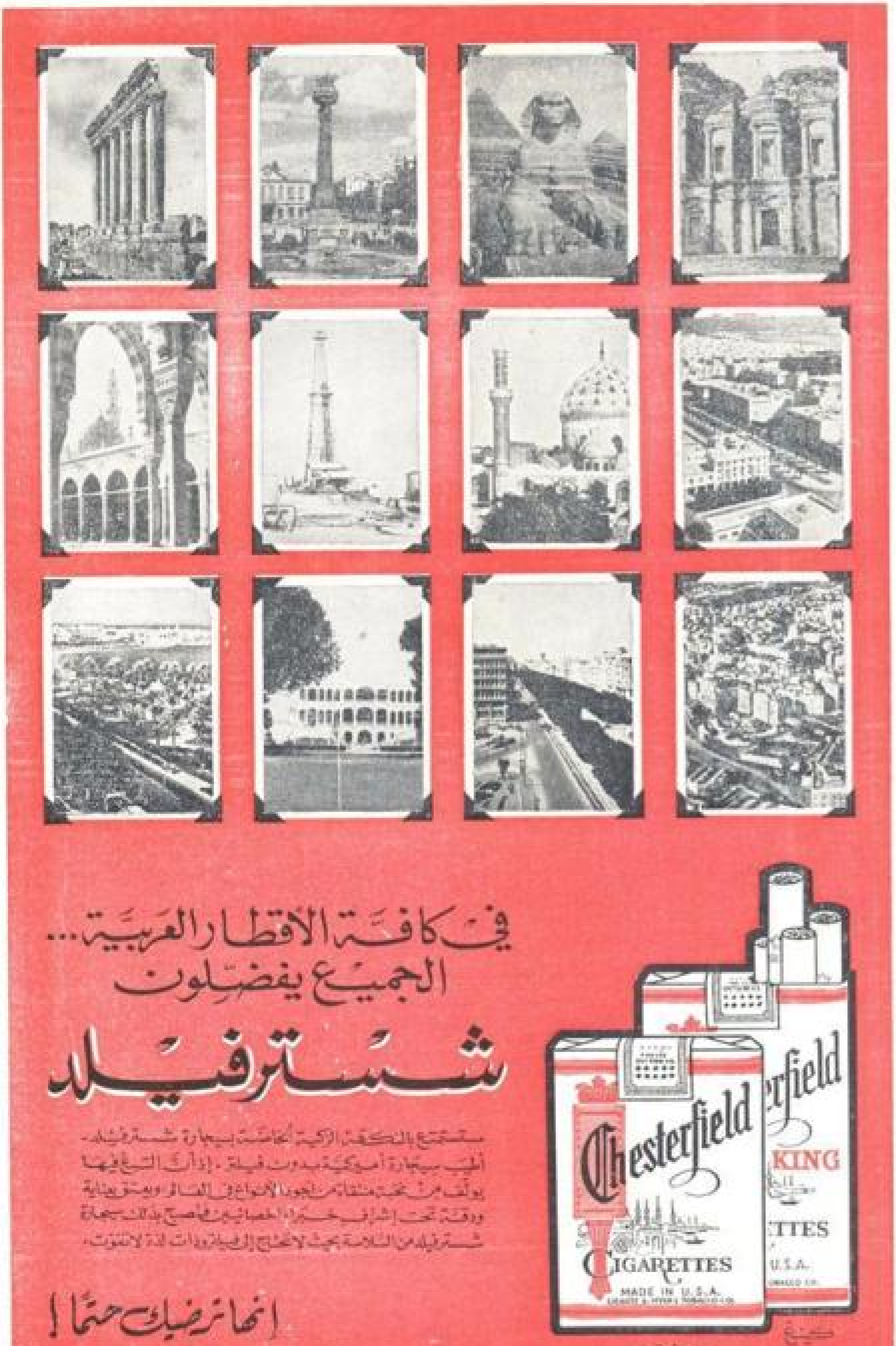
ـ ما هذا ؟ .. يدك اليوم دافئة ، مع انك بارد عادة ..

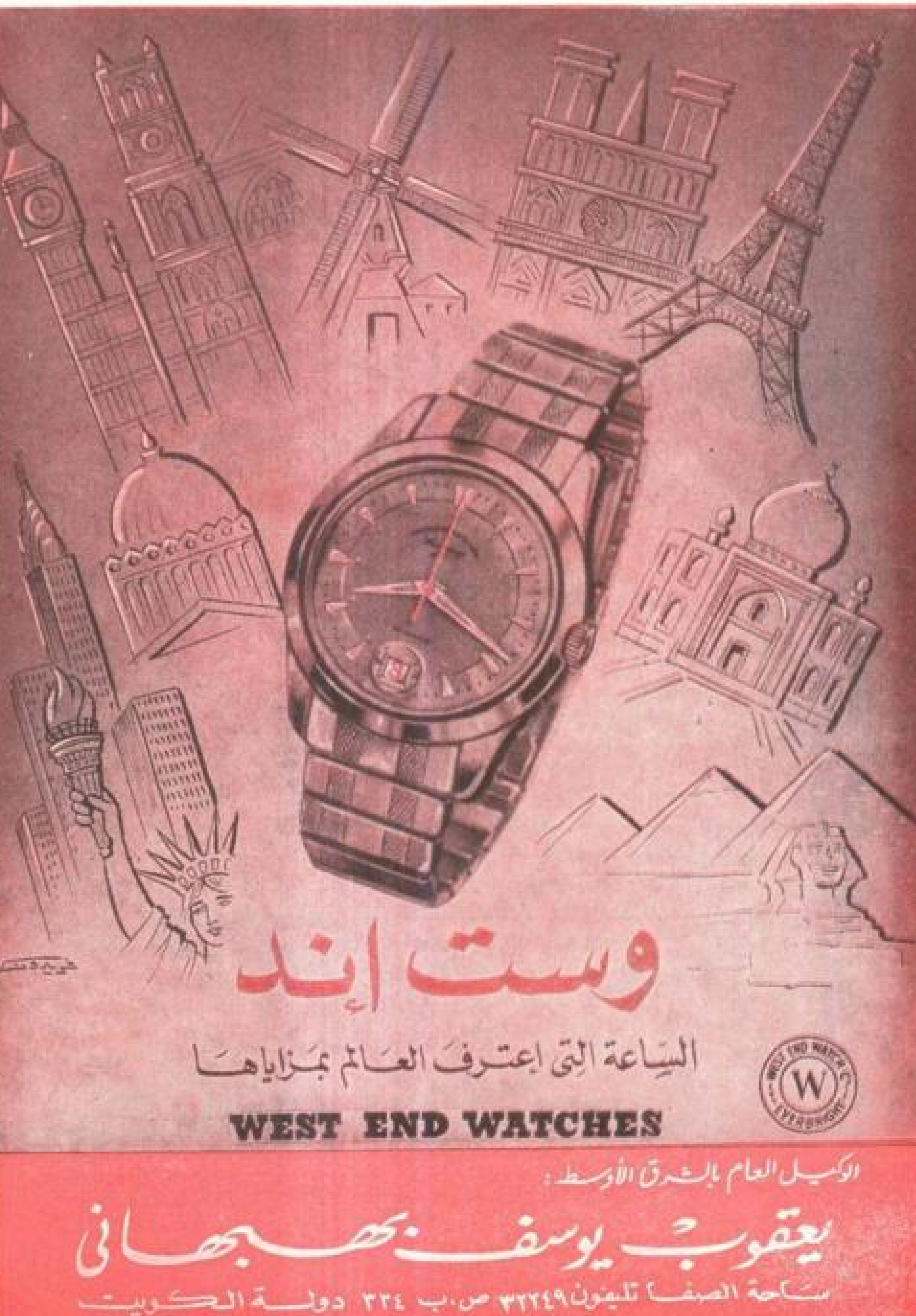
ـ لا بد انك أبرد ، والا ما شعرت بدفء يدى .

منتهى البرود

ضاق الرجل بخطيب ابنته الذى ظل جالسا معها فى الدار حتى تجاوزت الساعة الحادية عشرة مساء .. وأخيرا دفعه الغيظ الى ان يقول له : « لقد اعتدنا ان نطفىء أنوار البيت فى الساعة العاشرة .. ولكنا تاخرنا الليلة اكراما لك » .

فقال الشاب : « ما كان ينبغى .. بوسعكم أن تطفئوها ، فلست اقرأ ، ولا هى تطرز ؟ » .


في كافة الأقطار العربية...
الجميع يفضلون
شسترفيلد
ستتمتع بالنكهة الزكية الخاصة بسيجارة شسترفيلد -
أطيب سيجارة أميركية بدون فلتر. إذ ان التبغ فيها
يؤلف من نخبة منتقاة من أجود الأنواع في العالم ويحضّر بعناية
ودقة تحت إشراف خيرة الاختصاصيين فأصبح بذلك سيجارة
شسترفيلد من السلاسة بحيث لا تحتاج الى فلتر وذات لذة لا تفوت.
إنها ترضيك حتماً!
Chesterfield
CIGARETTES
MADE IN U.S.A.
KING



وست إند
الساعة التى اعترف العالم بمزاياها
WEST END WATCHES
الوكيل العام بالشرق الأوسط :
يعقوب يوسف بهبهانى
ساحة الصفا تليفون ٣٢٢٤٩ ص.ب ٣٢٤ دولة الكويت

احفظ أموالك في لندن في حساب ودائع

بفائدة ٥٪

ان حساب ودائع مع مصارف لومبارد المحدودة يعني الراحة الفكرية التامة . لن تخصم اية ضريبة دخل مفروضة في المملكة المتحدة ان نقودك تتراكم طوال الوقت ولا تتاثر ابدا بالأحوال الاقتصادية ويمكن اجراء السحوبات بسرعة وفقا للشروط الموضوعة عند فتح الحساب . ولكي تحصل على ٥٪ سنويا فان الحد الادنى للوديعة الأولية هو ١٠٠ جنيه استرليني ! ان الحد الأدنى للفترة بين الايداع والاشعار بالسحب هي ستة اشهر ولكن المائة جنيه قابلة للسحب عند الطلب . ان الاستثمار مع مصارف لومبارد المحدودة يدعمه راس المال المدفوع والاحتياطي فيما يزيد على ١٢٠٠٠٠٠٠ جنيه.

اكتب الآن الى المدير العام للحصول على تفصيلات اخرى وعلى نسختك من « حساب الودائع » الكتيب رقم A. O. 182

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: Lombard House, Curzon Street, Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)


بدأ
الخط الجوي الجديد
الى اوروبا
على طائرات كوميت ٤ سي
ثلاث
رحلات
اسبوعيا
لندن
فرانكفورت او جنيف
او باريس
بيروت
الكويت
الدوحه
كراتشي
بومباي
الخطوط الجوية الكويتية
في تقدم مستمر
للاستعلامات والحجز : اتصلوا بمكاتبنا تلفون الكويت ٣١٨٢١/٢٢/٢٣
احمدي ٧٨٣٥ او بوكيل سفركم المعتمد لدى «الياتا»



من بين أنواع السجاير العديدة التي يفيض بها العالم،
يختار الرجل العصري سيجارة فايسروي -سيجارة الذوق المدقق!

فايسروي - السيجارة الأمريكية العالمية

هل هذه هي الاداة المناسبة؟





ان المصانع والمعامل مجهزة حاليًا للعمل السريع والانتاج المجدي. ففي مكتبكم، هل لديكم الآلات اللازمة؟

فاسيت هي الآلة الكاتبة الوحيدة التي لها كل الميزات للقيام بمراسلاتكم اليومية العديدة. تحققوا من ذلك عمليًا بتجربة فاسيت الكهربائية التي يمكن وضعها تحت تصرفكم لمدة اسبوع كامل بدون مقابل.

بعض الميزات الرئيسية للآلة الكاتبة الكهربائية فاسيت ET-3

مصنوعة من الفولاذ الاسوجي - سهلة الاستعمال - ذاكرة ميكانيكية فريدة من نوعها لرسم الجداول تلقائيًا. بنيت التجارب التي تعادل خدمة ١٨ سنة في مصانع "فاسيت"

فاسيت

فروع البيع والصيانة في ١٣٠ قطراً

كويت، دي سوزا اخوان - شارع الشيخ فهد - ص.ب ١٤١

عدن، شركة فلندس للتجارة - المعلا - ص.ب ٢٨٦

بحرين، السيد مؤيد احمد المؤيد - ص.ب ٢١ - منامة

الأردن، السيد الفرد فرزاج - ص.ب ١٣١٦ - عمان

العراق، الشركة السورية الشرقية - شارع الرشيد ١٤/٤٤١ - بغداد

سوريا، شركة قبيسي ومردم بك للتجارة - ص.ب ٢٤٦٢ - دمشق

السودان، السيد طوروس برسميان - ص.ب ١٢٧ - الخرطوم

الظبي، السيد احمد بن علي العويس - ص.ب ١٦٤

لبنان، شركة التجارة العالمية - شارع القديسين - ص.ب ٤٧٣ - بيروت

ليبيا، متشل كوتس وشركاه (ليبيا) ليمتد - ص.ب ٢٩٣ - طرابلس

المملكة السعودية، (جدة - الرياض - الدمام) زاهد اخوان - ص.ب ١٠٢ جدة

صداع ، أوجاع وآلام ، حمى ، رشح وانفلونزا ؟

'أسبرو' يعيد لك الصحة..





لأن 'أسبرو' يجلب لك كل راحة!

١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصر أجل الرشح

إذا أصبت بألم فلا يكفي أن تخففيه قليلاً، بل إنك تحتاجين إلى الراحة التامة التي يحققها لك 'أسبرو'. تذكري أن 'أسبرو' هو الدواء الذي يستعمله أكبر عدد من الناس في العالم كله. أكثر من أي دواء آخر لإزالة الألم وتخفيض الحمى. اجعلي 'أسبرو' تحت يدك على الدوام.

'أسبرو' يجلب لك كل راحة!

قبطان طائرة نفاثة . من نيويورك إلى لندن - ٣٫٥٠٠ ميل - في ٦½ ساعة. طائرة تحمل مائة وأربعين راكبًا واثني عشر ملاحًا ، وثمنها خمسة ملايين دولار . عمل خطير يقوم به رجل ناجح . إنه يدخن السيجارة ذات النجاح العالمي - ثلاث خمسات فلتر كنج .



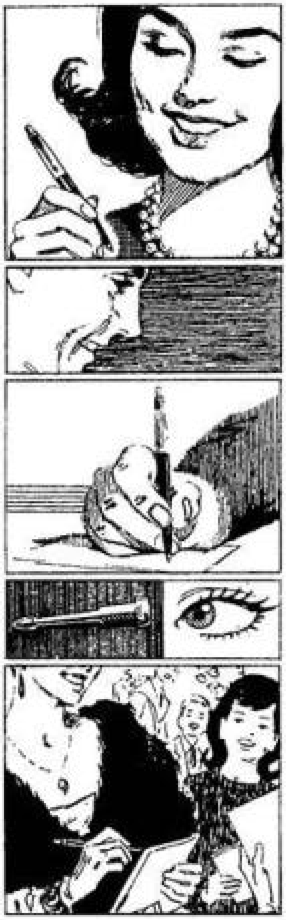
555

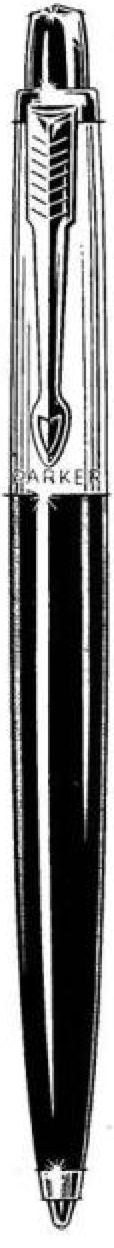
ثلاث خمسات

فلتر كنج سايز

ستيت اكسبريس - أحسن سيجارة في العالم

لماذا يفضل الكثيرون قلم باركر تى - بول؟





غنياً كان الرجل أم فقيراً فانه لا يُقدم على التبذير ، لذلك تجد بحوزة الكثيرين قلم باركر تى - بول ذا الحبر الناشف. انه قلم عملى يتميز بالكفاءة والتوفير ، وهو موثوق به ثقة لا تتمتع بها الأصناف العادية .

واذا اعتبرنا ناحية التوفير فيه ، فان قلم باركر تى - بول يواصل الكتابة بعد أن تكون الأقلام الأخرى قد جفت منذ مدة طويلة ، وهو فى الواقع يكتب خمسة اضعاف ما تكتبه الاقلام العادية . وعندما يحين الوقت لتبديل الانبوب ، فان بامكانك اختيار اى لون من الوان الحبر الأربعة ، وأى حجم من الرّيش الأربع .

لقد تمّ تجهيز قلم باركر تى - بول بحيث يمنع التنطيط فى الكتابة . وفى كل مرة تضغط على الزّر يدور الأنبوب ربع دورة لمقاومة تآكل الريشة . واذا لم تكن حتى الآن واحداً من الأربعين مليوناً الذين يملكون قلم باركر تى - بول فلماذا لا تصبح واحداً منهم حالاً ؟

باركر

الشركة التى تصنع أكثر الأقلام رواجاً فى العالم

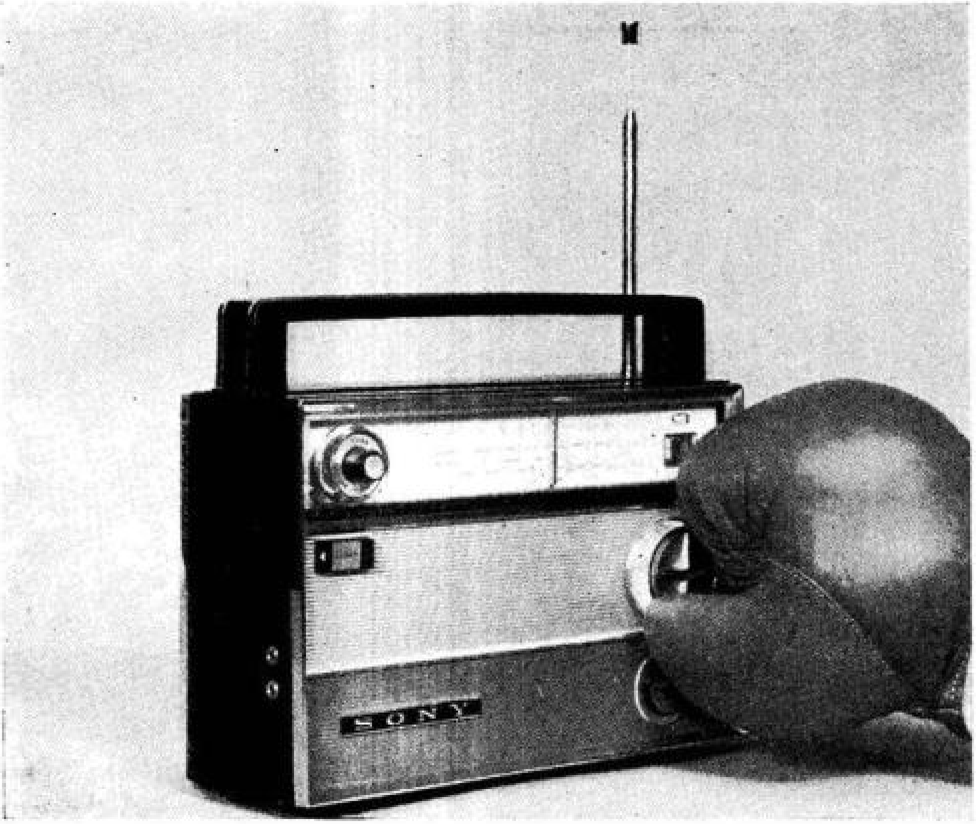
شركة أقلام باركر جينزفيل ، وسكونسن
الولايات المتحدة الاميركية

BRITAIN'S LEADING EXPORT CIGARETTE

تزيد صادرات بريطانيا من
سجاير روثمان كنج سايز
على صادراتها من أي نوع
آخر من السجاير .
أينما تذهب تجد روثمان :
في ١٢٠ قطرًا في خمس قارات
على ظهر البواخر في البحار السبع
في أكثر من ٩٠ خطًا جويًا رئيسيًا .
شارك الملايين في الاستمتاع بتدخين
روثمان كنج سايز
الأولى في بريطانيا - الأولى في العالم .



WORLD'S LARGEST SELLING KING SIZE VIRGINIA



نغم دقيق

مما لاشك فيه ان بامكانكم دوماً ان تضبطوا نغم جهازكم سوني 911 - TR بكفوف الملاكمة ولكنها تبين مدى التفاصيل الدقيقة التي توصلنا الى ادخالها في هذا الراديو. وتدركون ان ضبط النغم، وخاصة بموجات قصيرة، مشكلة واقعية حتى للبيب النابغة. ولذلك يسرنا انه بفضل آلة الضبط الدقيقة والتي هي حقاً عملية في الحجم، يمكنكم ضبط الموجات البعيدة بسهولة فائقة. وقد أخذنا بعين الاعتبار عدة تفاصيل هامة في هذا الراديو الترانزستور ذات الاشرطة الثلاث. ترصيد لاشارة الضبط والبطارية. مراقب لضبط الصوت. لوحة اضافية مدرجة مع مفتاح للاضاءة. ان جهاز سوني 911 - TR يعتبر فخر لهندسة وتصميم أجهزة الراديو.

سوني

تفوق الشرق ينتج عن الابحاث

SONY®

I - 1391

أسبيرين

خصيصًا للأطفال





باير تقدم لكم:

أسبيرين الأطفال

الجديد

المحضر خصيصًا بنسبة ثلاثة أعمار أولادكم وبتركيب يتناسب مع أذواقهم فهو محلّى بطعم الفريز اللذيذ مما يسهل تناوله مذابًا أو ممضوغًا.

أسبيرين الأطفال يحتفظ بكافة خصائص أسبيرين باير الشهير فهو:

- يزيل الصداع وآلام الأذنين والأسنان
- يخفض الحرارة
- يساعد على التخلص من الرشوحات والأنفلونزا

أطلبوا أقراص أسبيرين الأطفال بلونها الزهري في الغلاف الأبيض داخل العلبة الخضراء

عش سعيدًا بدون ألم بتناول أسبيرين

أعظم اختراع في عالم

لارك

السيجارة الجديدة بفيلتر

السيجارة الوحيدة التي يصفى دخانها بواسطة حبيبات الفحم، ذات النكهة الحقيقية الملسة التي لا مثيل لها

هاهي السيجارة التي تحمي المدخنين من الغازات المهيجة في الدخان .. السيجارة الوحيدة المزودة بفيلتر "كيث" الاختراع الجديد، الذي يحتوي على حبيبات الفحم المشحونة بالقوة التي تمتص الغازات المضرة. لقد صُمم فيلتر "كيث" بطريقة علمية، وهو مؤلف من ثلاث طبقات، الوسطى تحتوي على حُبيبات الفحم، وطبقتين في طرفي الفيلتر مصنوعتين من أسيتات السليلوز الخاصة لتصفية القطران والنيكوتين.

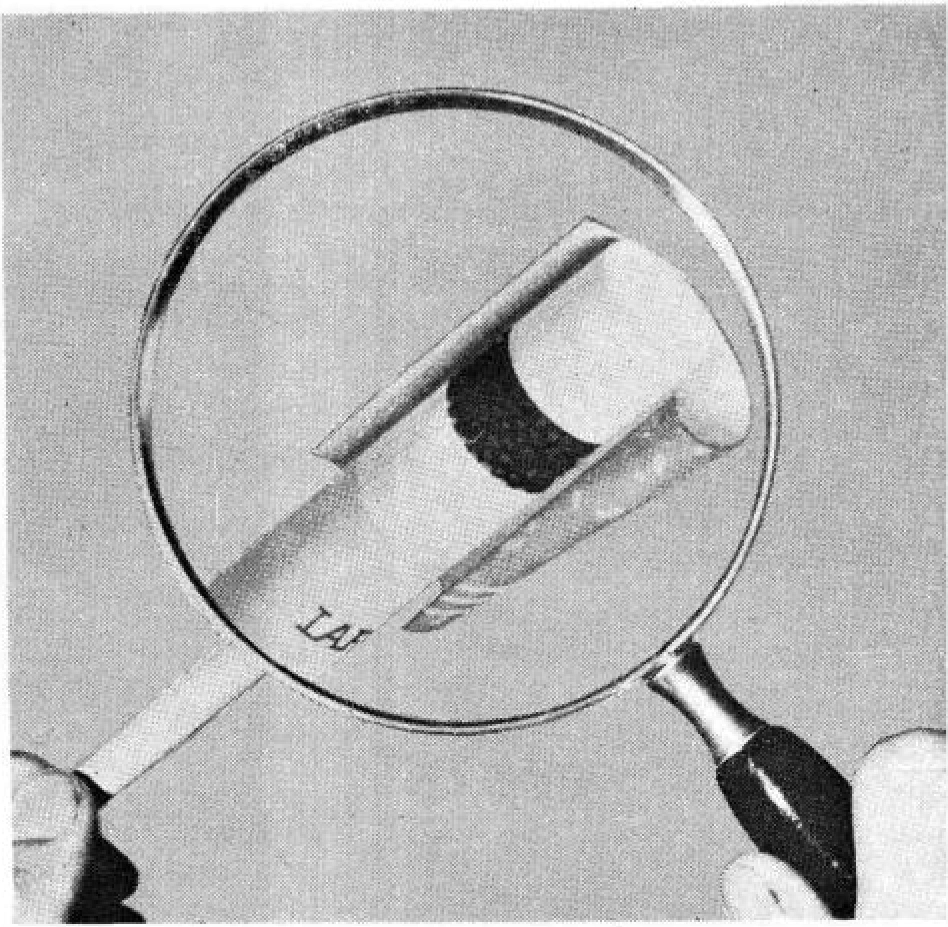
إن حبيبات الفحم، وهي مادة يستخدمها العالم لتنقية الهواء في عشرات من الأغراض الإنسانية والعصرية، قد استعملت في الكمامات الواقية من الغازات السامة في الحرب العالمية الأولى، وهي تستخدم اليوم في الغواصات العادية والنووية لتحويل هوائها الفاسد إلى هواء نقي. كذلك يحافظ عمال المناجم على حياتهم من خطر الغازات السامة بلبس كمامات تحتوي على حبيبات الفحم.

واليوم، بعد تسع سنوات من الابحاث والتجارب، تم ادخال حبيبات الفحم المشحونة بالقوة في فيلتر "كيث" ذي الثلاث طبقات، الفيلتر الذي يحمي الشعيرات الدقيقة التي تكسو مجاري التنفس والرئتين، أكثر من أية سيجارة أخرى صنعت حتى اليوم.

سيجارة **لارك** تنفرد بطريقة خاصة في التصفية فلا تمر عبر فيلتر "كيث" سوى نكهة التبغ الحقيقية، نكهة لارك الطيبة السلسة التي لم تعهدوها من قبل.

من انتاج شركة ليجت اند مايرز - نيويورك











سيارات ١٩٦٤ من صنع كرايزلر كوربوريشن

انها لحقًا ستة من أجمل سيارات صنعتها كرايزلر كوربوريشن حتى اليوم . فلكل منها طراز فريد يجعلها تختلف عن بعضها البعض كذلك عن باقي السيارات . وقد ادخل مهندسو كرايزلر تحسينات هامة ملموسة تجعل سيارات ١٩٦٤ رمز الجمال وضمانة الكمال المتناهي . فداخل السيارة قد ازداد فخامة بينما الألوان الخارجية تمتاز

برونقها وجمالها المثير وبالاضافة الى هذا كله مازالت سيارات كرايزلر محافظة على ميزاتها السابقة التي اوصلتها الى ما هي عليه من الشهرة فهي تحتوي على جهاز التوازن من نوع "تورشون بار" المشهور . ومولد التيار المتناوب لتأمين انطلاق سريع وحياة طويلة للبطارية . كما أن هيكلها غير المجزأ يزيدها متانة وتماسكاً . اقتنائك سيارة







جذابة . فريدة . مثيرة

امريكية من صنع كرايزلر كوربوريشن. يمكنكم أن تتمتعوا
بلذة قيادة احدى هذه السيارات، بلايموث، دودج
دارت، كرايزلر وامبريال المزودة بمحرك كرايزلر ٦
او ٨ سيلندر ذات الشهرة العالمية.
ولكم الاختيار من بين مجموعة فاخرة من
أكثر من ٠ طراز.

راجعوا اليوم وكيل
كرايزلر أو دودج

كرايزلر
انترناسيونال

جميلة أنت بفضل

اليزابيث آردن

Elizabeth Arden



جديد ومثير . هذه ثلاثة اقتراحات لتجميلك يا سيدتى . اللون الجديد لأحمر الشفاه : برونز فضى" وهو نحاسى" وبر"اق . قلم جديد لتخطيط العيون : برونز للامسيات المشرقة المتلألئة . ونوع جديد من الكريم الأساسية (ڤيلد ريديانس) لونه بيج شمسى". ان هذا الكريم ناعم الاستعمال وقد ابتكر ليتناسق تماما مع جميع اصناف اليزابيث اردن للمكياج .



احمر شفاه. كريم اساسيه (ڤيلد ريديانس) . سائل لتظليل العيون . بودرة (انڤزبل ڤيل) ـ و(ڤلڤا) مرطبة .

NEW YORK · LONDON · PARIS

باريس لندن نيويورك

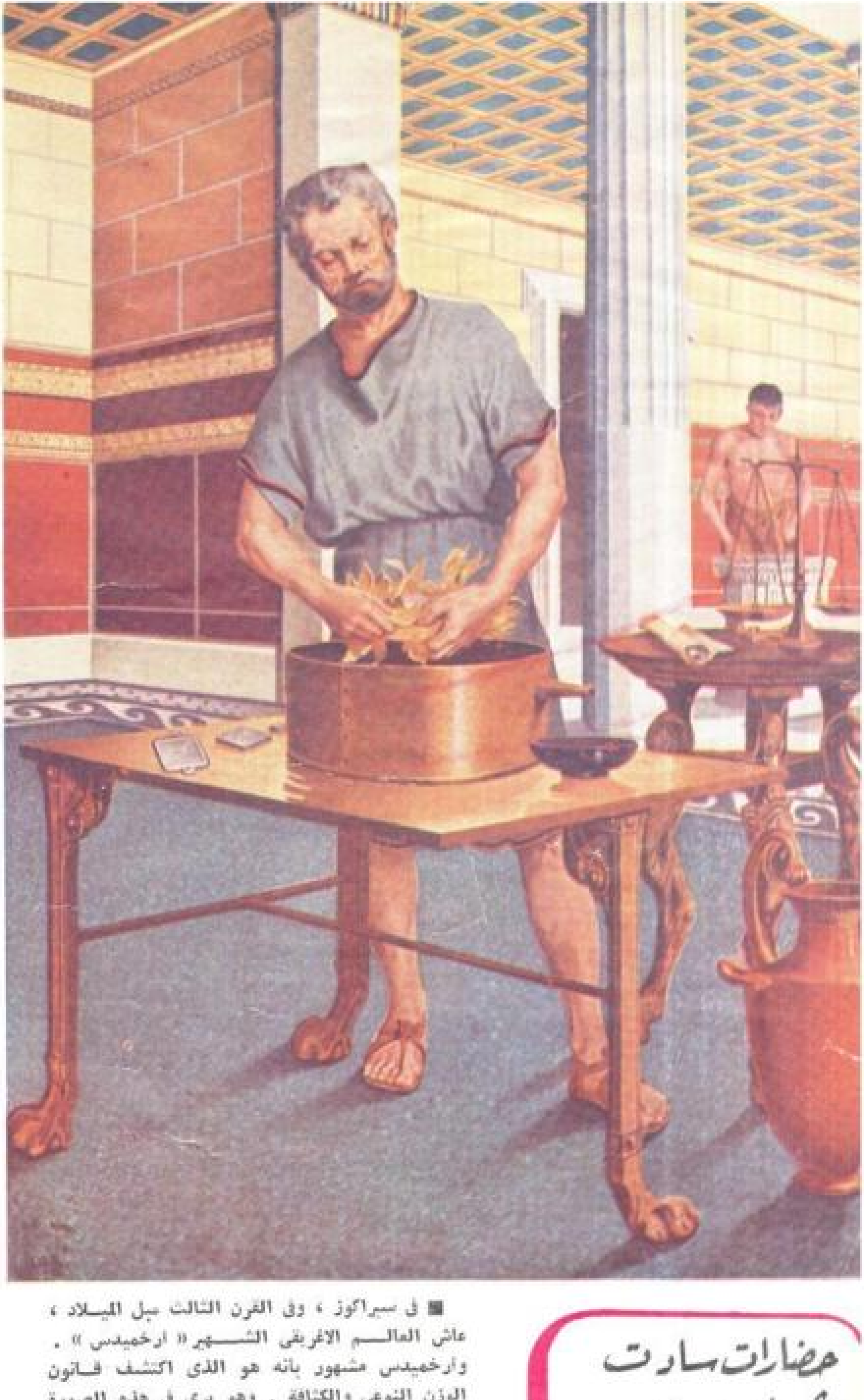
العربي

العـدد ٦٦
ذو الحجة ١٣٨٣
مايو
(أيار) ١٩٦٤



السد العالي والنيل الخالد

جوائز
١٢٠٠



حضارات سادت ثم بادت

■ فى سيراكوز ، وفى القرن الثالث قبل الميلاد ، عاش العالـم الاغريقى الشـهير « ارخميدس » . وارخميدس مشهور بانه هو الذى اكتشف قانون الوزن النوعى والكثافة . وهو يرى فى هذه الصورة يقوم بتجربة للتأكد من أن الذهب الذى أعد لصنع

(البقية على صفحة ١٦٠)

عزيزى القارىء

● حقيقة يدركها اكثر قرائنا .

وقد تخفى على القلة القليلة منهم .

تلك ان مجلة العربى فى صميمها ليست بالمجلة الأدبية ، وانما هى مجلة ثقافية عامة .

والأدب كان قديما يطلق على الثقافة عامة ، والتادب عند العرب كان التثقف . وضاق معناه على الأيام فهو اليوم غير ما كان بالأمس .

ومجلة العربى اليوم تتالف من صنوف من الثقافة شتى، أحدها الأدب ، بالمعنى الحديث ، عندما تقول الأدب العربى ، والأدب الانجليزى ، والروسى والصينى والفرنسى .

والأدب لو حسبنا نسبة ما يرد منه فى مجلة العـربى لا يكاد يزيد على عشر ما ينشر فيه .

والكتابة فى كـل صنوف الثقافة هـذه صارت اليوم اختصاصا .

وكتاب الأدب صاروا أساتذة مختصين .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكى

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 66 May 1964 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»
الإعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

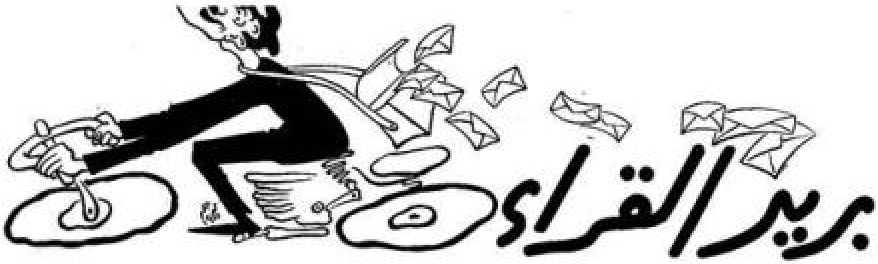
صورة الغلاف

● فتاة عربية ، وراءها القناة التى اليها سيتحول النيل فى ١٥ مايو القادم بانتهاء المرحلة الاولى فى بناء السد العالى. ان هذه الفتاة قد ندبتها شركتها بالقاهرة لترود تلك المناطق ، التى تتحول سريعا الى اسواق عظيمة . ان المراة العربية تتقدم الصفوف الى العمل المثمر فى وقار وأدب واحتشام .

(انظر استطلاع السد العالى ابتداء من صفحة ٣٦ فى هذا العدد)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الأردن ١٠٠ فلس .السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . المغرب ٢٠٠ فرنك . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



((زَبيد)) وحفيدات بلقيس

● لفت نظرى ما جاء بالعدد ٦٢ من « العربى »الاغر من أن « زبيد مدينة فى اليمن على الطريق بين عدن ومكة الخ .. » هذا الوصف الغامضلهذه المدينة اليمانية قد يضلل القارىء العربى ولا يشبع رغبته ولذلك آثرت أن أجلو للقارىءذلك الغموض على صفحات العربى الزاهرة .

ــ تقع مدينة زَبيد فى الشمال الغربى من بلدة« حيتس » بمسافة ٣٨ كيلومترا ، والقادم اليها من البحر يشاهدها وهي تشرف على سهل فسيحيقرب مشارفها من البحر الاحمر بحوالى ٣٠ كيلومترا ، وهى ليست واقعة بين عدن ومكة بلبين « الحديدة » و « بيت الفقيه » .

ان من أول من اختط مدينة زبيد هو (محمدبن عبد الله بن زياد الاموى) بأمر المأمون الخليفة العباسى فى شهر شعبان سنة ٢٠٤ هجرية . وهيمدينة كبيرة اشتهرت بالعلم والفضل والصلاح ، وتخرج من معاهدها الدينية عدد لا يحصى منالعلماء . وهي حاضرة المذهب الشافعي فى منطقة تهامة .

والمدينة مدورة الشكل وفى جنوبها واديهاالمسمى (المبارك) وفى شمالها وادى (رمع) وهى تقع بين واديين .

وتعتبر زبيد العقدة الفاصلة بين سهل تهامةوالمنطقة الجبلية الوعرة ، ففى الشرق من المدينة وعلى نفس البعد الكائن بينها وبين البحر الأحمر تمتد ذرى الجبال الشامخة والسلاسل المزدحمة بالقرى الآهلة ، تحيط بالمدينة النخيل الباسقة والقصور الرائعة . وبينها وبين صنعاء مائة كيلومتر .

ومدينة زبيد كثيرة المياه والفواكه عظيمة البساتين ، وفيها كثير من الفل الأبيض والياسمين والكاذى وسائر الأزهار التى يستخرج منها اهالى زبيد العطور ، وفى المدينة عدة أنوال وطنية تصنع الثياب الفاخرة واشهرها البردة اليمانية التى لا تزال مستعملة . ويبلغ عدد سكان المدينة حوالي ١٠٠٠٠ نسمة معظمهم من اتباع الامام الشافعى (رضى) ، ومن مدينة زبيد هاجر الأوائل الى ارض السواد من العراق وسكنوا المنطقة الواقعة بين لوائي الحلة والكوت ولا يزالون يعرفون باسم (زبيد) وهم من أشهر القبائل العراقية الآن .

محمد حسن المحاويلي — بغداد

مؤلف كتاب « قلب اليمن »

تشابه الاسماء

● أرجو أن أعرف اذا كان لي سمي أم أن الأمر مجرد خطأ مطبعي ؟ فقد جاء فى العدد ٦١ من « العربى » يناير ١٩٦٤ فى الكتب التى تصلكم كتاب « التفكير التأملي » ترجمة السيد محمد العزاوى والدكتور خليل ابراهيم شهاب . فمن هو هذا السمي ان وجد ــ فأنا لم أترجم كتابا لحد الآن .

شكرا مقدما وعاشت جهودكم الجبارة .

الدكتور خليل ابراهيم شهاب

طبيب الامراض المتوطنة ــ بعقوبة ــ العراق

ــ الدكتور مترجم الكتاب هو ، دكتور فى التربية ، وهو يعمل الآن استاذا مساعدا بكلية المعلمين بالجمهورية العربية المتحدة .

حول « سرداب الغيبة »

● أنا من عشاق مجلة « العربى » ومن الذين يترقبون طلوعها بفارغ الصبر عند مطلع كل شهر وزادها اكبارا فى عينى حرصها على مراعاة العواطف . لذا أعجبت حينما قرأت فى عدد ٦٤ (ان سرداب الغيبة هو الذى اختفى فيه الامام محمد المهدى ابن الحسن العسكرى وذلك حسب اعتقاد الشيعة الامامية) .

بين يديك يا سيدى نضائد كتب الشيعة الامامية تتضمن معتقداتهم اجمالا وتفصيلا ، وليس هناك من يقول ان الامام المهدى اختفى فى السرداب أو انه يخرج منه ، وبودى لو ارشدنا الأخ المعاصر الاستاذ عبد الرزاق الحسنى الى مصدر نرجع اليه .. ان السرداب المجاور لمرقد الامامين العسكريين يقع فى الدار التى يسكنها الأئمة من اهل البيت عليهم السلام ولأنه تشرف بسكناهم اصبح مزارا تستوحى منه ذكرى ساكنيه .

وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

النجف الاشرف ـ العراق الخطيب : جواد شبر

نسب ولد المرأة المتوفى عنها زوجها

● اطلعت بالعدد ٦٥ من مجلة « العربى » الغراء على سؤال سعدية الملا فاضل حول نسب الولد الذى يولد بعد ثلاث سنوات من وفاة الزوج ، وردكم عليه بأنها مسألة فيها نظر .. والواقع أن المذاهب الاسلامية والفقهاء المسلمين اختلفوا فى نسب ولد المتوفى عنها زوجها ومدة الحمل كما اختلفت التشريعات الوضعية فى ذلك.

ولقد اتفق الفقهاء على أن اقل مدة للحمل هى ستة اشهر من تاريخ العقد عند الحنفية ومن تاريخ الوطء عند الجعفرية .

اما اقصى مدة الحمل ، فلقد قال مالك انها خمس سنين وقال الشافعى انها اربع ، وهو رأى عند المالكية ورأى الحنابلة ، وعنهم ان اقصى مدة الحمل سنتان وهو رأى الحنفية ، وقال محمد بن عبد الحكم أن أقصى مدة الحمل سنة قمرية وقال الظاهرية أن أقصى مدة الحمل تسعة اشهر ولا تزيد عن ذلك . أما الجعفرية فلقد قالوا بأن المتوفى عنها زوجها يثبت نسب ولدها اذا جاءت به لتسعة أشهر فان ولدت لأكثر من تسعة أشهر فلا يثبت نسب ولا تقبل دعوى الورثة لو ادعوه ، كما لا تسمع دعواهم بعدم وطء الزوج لها قبل موته بمدة اذا أرادوا نفي نسب الولد عن الميت ولا تسمع دعواهم أيضا بعدم دخول الزوج بها ان كانت تدعى الدخول اذا جاءت به لتسعة أشهر.

ولقد ترك قانون الأحوال الشخصية العراقى رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ الحكم فى هذه المسألة الى الأحكام الشرعية وعندئذ يجرى تطبيقها حسب مذهب المتوفى .

وأخذ القانون المصرى رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ باعتبار أن أقصى مدة الحمل سنة شمسية (٣٦٥ يوما) بالنسبة لسماع دعوى نفقة العدة وسماع دعوى النسب وثبوت الأرض للحمل .

ويعلق الاستاذ محمد ابو زهرة على ذلك بقوله (وهذا قريب من مذهب ابن عبد الحكم ، وليس هو بالنص ، لأن السنة عند ذلك الفقيه المالكى هلالية ، ولأن الأساس عنده ألا يثبت النسب ان جاء الولد بعدها، لا الا تسمع الدعوى فقط).

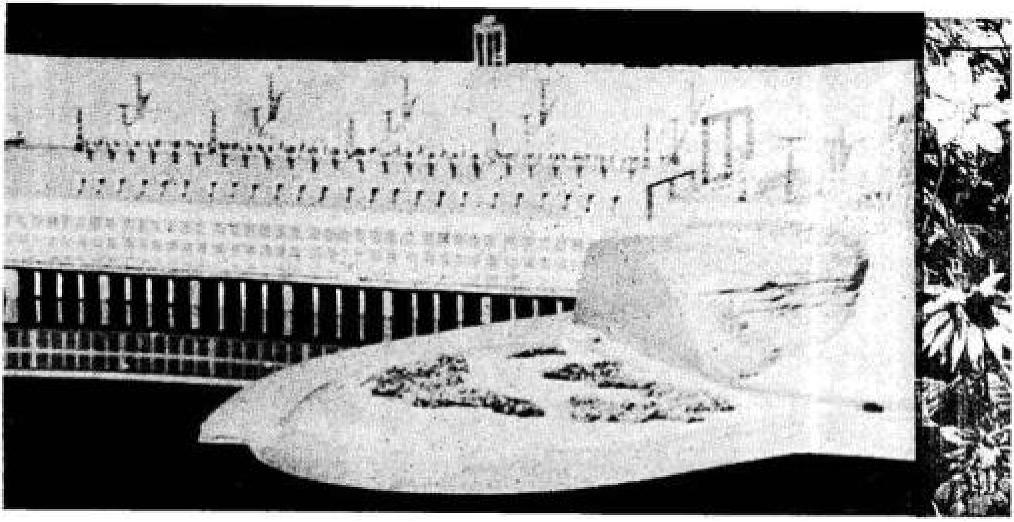
هذه نبذة مختصرة عن الحكم الشرعى فى هذه القضية وعسى أن توضحها بعض التوضيح .

المحامى نادر الشيخ خزعل

■■

هذا شهر أيار

شهر الورد والريحان



■ هذا شهر مايو ، شهر ايار ، شهر الورد والريحان .

هذا الذى قال فيه ابو العلاء :

تشتاق ايار نفوس الورى
وانما الشوق الى ورده

وايار هذا ، سيهبط الى احفادنا فى التاريخ ، بانه شهر خالدة ايامه ... خالدة ذكراها . فما يوم على الزمان بخالد .

سينزل هذا الشهر الى الأعقاب بأنه شهر السد العالي ، الشهر الذى ألجم فيه اطول نهر ، واقدم نهر يذكره الخلق ، الجاماً . الجاماً كالجام الفرس تماما . والفرس يلجم حتى لا يجرى على مشيئته . والنيل جرى على مشيئته عارما عاتيا ، طوال القرون . ويفيض كل عام ، فيهرب القدماء من شطآنه ، اذ يغمرها ارضاً بسيطة ، ثم يعودون اليها ، يبذرون الحب ، وينتظرون الحصاد ، الى ان يعود النهر الى فتوته مرة اخرى ، والى عنفوانه ، والى فيضه الغزير الكثير .

هكذا كان النهر الخالد فى مصر الفرعونية .

وهكذا كان النهر الخالد فى مصر العربية .

ويفيض فلا يجرؤ احد أن يقف فى سبيل فيضه ، كالثور الهائج ، فيرمي بمائه فى البحر رمياً . ذلك الماء الذى جاء بمجهود من الطبيعة كبير ، وتدبير من رب الخلق عظيم . جاء أولا من البحر ، فزجته الريح سحبا ، وماء عذبا ، فأهطله منهطله الى الأرض ليعطي الزرع النماء ويعطى الانسان والحيوان مع الزرع السقيا والحياة . ذلك الماء كان يذهب الى البحر هدرا ، ساخرا بجهود الطبيعة ، وتدبير الله ، متحديا ذكاء الانسان عبر القرون . ويحاول

والسد العالي ..



بقلم رئيس التحرير

الانسان ان يقف فى طريقه ، يحجز منه بعض الخير ، فيحتجز منه القليل الاقل ، وينفلت منه الكثير الاكثر ، كما ينفلت الذهب الابريز ، ولا سبيل الى احتباسه .

تحدّى النيل ، واخوات اشباه للنيل فى انحاء من الارض كثيرة ، تحدّت مهارة الانسان ، أن يركب صهوتها كما يركب الرجل ظهر الفرس الوحشي ، فيقودها ، ويسوسها . ووجب على الانسان ، لكي يبلغ غاية مجزية من ذلك ، ان يصبر حتى يطلّ عصر العلم بقرنيه ، وعصر التكنية ، وعصر الآلة الجبارة .

ورويدا رويدا تعرّف الانسان سبيله للوصول الى هذه الغاية .

وانّ تنظر اليوم ، فى شتى انحاء الارض ، فى كل امة متقدمة ، فلن تجد نهرا نافرا ، الا وعلى ظهره سرج ، وفى فمه لجام . وعلى السروج جلس رجال العلم والتكنية والفن ، وقد أمسكوا من اللجامات باطرافها . يشدونها ان شاءوا فيحتبس النهر ، او يرخونها ، فتجرى الأنهر على اعنتها .

ان للانسان ، بالعلم ، جبروتا فوق جبروت الطبيعة .

والانسان نفسه ، ما هو ؟ أليس هو بعض جبروت الطبيعة ؟

والطبيعة ما هي ؟ أليست الا وجها من وجوه ذلك الشيء الكبير العظيم الضخم الفخم الذي يتقمّص كل الأشياء ، ويحل بكل الانحاء ، ويملأ كل الأرجاء ، صانع النغم كله ، وضابط النغم كله . مهما تعددت أوتاره ، واختلفت طبوله ، وتباينت صنوجه .

نعم .. ألجموا النيل

نعم . ألجمَ الانسان النيل بعلمه وفنه ، وسد عليه المسالك . لقد حَبس ماؤه . حبسه السدُّ العالى . ويتجمع الماء وراء السد ، بعد الفيضان يتلو الفيضان ، ليصنع اكبر بحيرة صنعها الانسان . فيها يَختزِن الماء . وتصبح خزانة الماء هذه كخزانة المال ، يُنفق منها بحساب .

ويخرج الماء من السد ليروى الأرض العربية الطيبة . وليس له غير مخرج واحد . عليه اقيمت تربينات يديرها الماء فتنتج الكهرباء .

والماء رِيٌّ وحياة ، وسعة فى الأرض . والكهرباء قوة ، وصناعة ، والصناعة رَفَهٌ وعزّة .

وكل هذا فصّلناه فى استطلاع السد بهذا العدد من « العربى » تفصيلا .

ولم يبق الا ان اقف عند السد وقفة، انظر ما توحى به الىّ من معان تتصل بالناس ، وتتصل بالاحداث ، وتتصل بالكيان الانسانى العربى الذى يرقد اليوم على ضفاف ذلك النهر العظيم .

السد : عمارة كبرى

ومن المعانى التى يوحى بها السد ، ان السد عمارة كبرى شاءت الأقدار ان تكون بمصر ، البلد العربى . وجازت ان تكون فى اى بلد عربى آخر . والعمارات الكبرى ، فى اى بلد من بلاد العروبة تكون ، انما هى مكاسب تنعكس على سائر البلاد العربية . ان العمائر قوة ، والعمائر ثروة ، والقوة فى مصر هى قوة وثروة لدمشق وبغداد والرياض والكويت والمغرب ، ولسائر الوطن العربى مهما بعدت اطرافه . فهذا هو معنى الوطن الواحد . قوة أخى قوة لى ، وكذلك قوة ابن عمى . والفرح بالسد اليوم ، فى سائر بلاد العروبة ، فرح شامل . واللطيف الذى يذكر ان الغبطة بالسد خرجت حتى عن الوطن العربى ، الى سائر المواطن الانسانية ، بحسبان أن السد عمل مجيد من اعمال الانسان الخالدة على ظهر هذه الأرض .

السد : روحٌ جديدة

ومن المعانى البسيطة الظاهرة ، الجهدُ الذى قام به فى بناء السد عمّاله ، وقام علماؤه ، ومهندسوه ، ومنهم طائفة كريمة من غير مصر ، تمثلت فيهم صورة حبيبة من صور التعاون بين امم الأرض فى هذه العصور الحديثة كيف تكون . ويوغل الانسان فى هذا الجهد العارم فيصل الى ما وراءه من حوافز نفسية ، هى التى اعطت العمال الصبر ، وزادت فى بذل الجهد . فلعل هذه هى أول مرة فى تاريخ

الى اسفل : سد روزفلت الشهير، مقام على نهر كولورادو، فى الجنوب الغربى من الولايات المتحدة. وهو اعلى سد فى النصف الغربى من الكرة الارضية ، ويبلغ ارتفاعه من اعمق نقطة فى اساسه ٢٢١ مترا . وهو من الخرسانة . وهو مقوس الشكل . ومقاومته لضغط الماء يسببها هذا التقوس وكذلك ثقل البناء . وهو يحجز الماء وراءه فى بحيرة سعتها ٣٦٨٠ مليون متر مكعب ، او نحو ٣٫٥ مليار متر مكعب. وهى من اكبر البحيرات الاصطناعية العالية . والسد من اضخم سدود الولايات . وهدف السد : ضبط ماء الفيضاء فاتقاء اخطاره ، والرى ، وانتاج الكهرباء ، وتربية الأسماك . والسد العالي باسوان له كل هذه الأهداف ، وسعة بحيرته ، لا ٣٫٥ مليارات من الأمتار ، وانما ١٧٥ مليارا.





.. ولأول مرة يحس العامل العربي المصرى انه يعمل لنفسه ولاخيه ولابنه ..

مصر الحديث يعمل العامل وهو يحسُّ انه يعمل لنفسه ، ولاخيه العامل معه ، ولابنه الذى خلّف فى البيت فلم يقوَ بعدُ على عمل . وكذا هو يعمل لأخ وأخ واخت يعملون فى نواح من البلاد أخرى فى اعمال صالحة أخرى، تعددت اشكالها، وتباعدت أماكنها ، ولكنها فى الذهن جزء من بناء واحد ، هو بناء شعب عربى واحد ، يعمل ويكد ليعيش أهله سواسية بما يستجدون من أسباب للرخاء ، يتقاسمون ثماره فيما بينهم على مقدار ما بذلوا فى احداثه من جهود .

روح جديدة هى وحدها كسب عظيم، يدوم ان شاء الله ، ما دامت الكفاية عند الفرد ، والعدالة فى التقسيم .

والسد : صلابة قوم ، وعناد زعامة

ومن المعانى التى يوحى بها السد ، صلابة سكان مصر يوم العدوان الثلاثى، وعناد زعيمهم الضخم الذى عمد هذه الصلابة من وراءها ، كأنما يقول للناس : « العدو أمامكم ، والبحر من ورائكم » ، وليس لكم الا القتال ، فالنصر او الموت. واى عدو كان ؟! وتسمىّ هذه المعركة بمعركة بورسعيد ، أو السويس ، وهى بمعركة السدّ أحق وأولى .

الم يقف السد العالى وراء كل هذه الأحداث ؟!

طلبت مصر السد تقيمه، عماداً أولَ، وعماداً ارسخ واشد ، فى بناء اقتصادها، وبالتبع بناء استقلالها . واحتاجت للمال وبعد دراسة قضى البنك الدولى بتمويله، وقضت الولايات المتحدة ، ثم باغت وزير خارجية الولايات ، دَلّس ، بحكمته النادرة ، وذكائه الفذ ، باغتَ مصر والعالم، بالعدول عن تمويل السد واعانة مصر على اقامته .وكان رد الزعيم المصرى ضخما ، كضخامة السد وضخامة أهدافه . قال : لا ، بملء فيه . قالها قولة صارخة أسمعت الدنيا كلها . قالها بلغة القتال ، باعلانه مرفقا مصريا عربيا مؤمما . كان لا بد من المال، فكان القنال اظهر موارده. وكان الاعتداء المثلث ، وكانت المقاومة النادرة .



دَلّس

افليست معركة بورسعيد احق بأن يقال لها معركة السد ، السد العالى ؟

والسد : غباء ساسة غرب ، وحنكة ساسة شرق

ومن المعانى المتصلة بهذا المعنى الفائت نكبة الغرب فى الساسة من رجاله .

اغباء هو ؟ والله لست أدرى . ان أهل الغرب ، وامريكا خاصة ، فهمْ



.. وكانت المحنة الكبرى ، محنة الاعتداء المثلث الفاشم ، فثارت شعوب العرب قاطبة ، فى الوطن العربى الواحد ..

العلم ، وفيهم الثراء ، ولكن كذلك فيهم النقائض. والذى صنعه وزير الخارجية الأمريكى كان من الغباء فى أقسى درجاته. انه قرار غبى غير مجرى التاريخ .

والتقط ساسة الشرق الكرة التى رماها ساسة الغرب ، واحسنوا بها لعبا .

واليوم نحتفل بتمام الخطوة الأولى من السدالعالى،ومع المحتفلين خروشوف لا جونسون ، فهل يكون فى هذا المشهد لأهل الغرب درس ، وهل يكون فيه عبرة ؟!

ان الغارة على « حريب » اليمنية ، تدل على أن الغباء متصل، أو أن الذكاء موجود ولكنه معطل ، وحبس القدر التوفيق عن القوم لغاية يعلمها الله .

« معركة السد » لا « معركة بورسعيد »



والسد العالى : مساك للعروبة قوى

ومعنى يتصل بالمعنيين اللذين سبقا.

لم نكن فى ذلك العام ، عام ١٩٥٦ ، نتحدث عن الوحدة العربية . كانت محبة بين الشعوب العربية فى الوطن العربى الواحد قائمة،ولكنها كانت عائمة، لايعرفاحد ابعادها ولا يقيسحدودها.

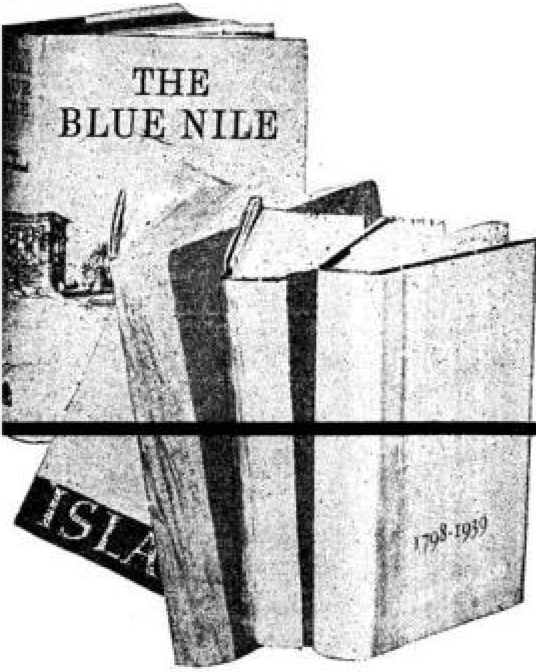
وكانت المحنة الكبرى ، محنة الاعتداء المثلث الفاشم ، فثارت شعوب العرب قاطبة ، فى الوطن العربى الواحد ، بما لا اذكر فى حياتى انها ثارته بمثل هذه القوة ، ومثل هذه الفتوة ابدا . ثورة ملأت أعينهم بدموع الغضب . وتقوم الأذرع العربية تقطع موارد الزيت . وتخشىمصر الغائلة على طائراتها المقنبلة فتهبط فى السعودية بدون استئذان . البلد واحد والنكبة واحدة ، والخلاص واحد . ومصر ، قلب العروبة النابض ، اذا أصماه العدو ، فكيف يكون لجسم الطير وجناحيه من بعد ذلك قيام ؟ انه معنى كان فى قلب كل عربى ، وعلى كل لسان .

ان الاعتداء الثلاثى على بورسعيد كان مساك العروبة .

والسد العالى كان والد هذا الاعتداء.

فلنذكر بالسد العالى مساك العروبة الذى كان . ■■

احمد زكى



كُتُبٌ كَثيرَةٌ عَنَّا

كتبٌ كتبها الغرب عن العرب والإسلام .. كانت مئات ، فصارت ألوفاً !

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد

كُتُبُ المستشرقين لَيْسَتْ كلها شَراً .. فمنهم مَنْ لهم عَلَى العربيّة فضل غير منكور

عصر العلم ، وسادة هذا العصر هم الذين يعلمون . والذين فقدوا بالأمس امبراطوريات الجيوش والأساطيل يعيدون بناءها اليوم بالعلم . وهذا يفسر لنا فيض الكتب في الغرب اليوم ، عنا وعن غيرنا ..

سيل متدفق من الكتب عنا ..

قبل الحرب العالمية الماضية كانت في أوروبا ست دور كبيرة لنشر الكتب عن العرب والاسلام والشرق عامة ، هي دور جوتز وميزون ـ نيف (في باريس) ، ودار اوتو هاداسوفتش (في فيسبادن في ألمانيا) ، ودار بريل (في ليدن بهولاندة) ، ودار لوزاك ودار هيفر (في انجلترا). وكانت كل واحدة من هذه تنشر نحو العشرة من الكتب الجديدة في العام ، يضاف اليها نحو عشرين كتابا تنشرها الجامعات والمعاهد المتخصصة وجمعيات الاستشراق ، فكان متوسط ما يصدر من الكتب عن الشرق في أوروبا ثمانين كتابا ومجلدا يخص العرب والاسلام منها نحو النصف ، ولهذا كانت متابعة هذه الكتب يسيرة لمن توفر على دراساتها وعرف اللغات التي تنشر فيها .

وكانت هذه الكتب كلها كتب تخصص ، لا يقرؤها الا من فرغ للدراسات العربية والاسلامية،

فكان الناشرون يقصرون الطبعة على عدد متوسطه خمسمائة نسخة تباع على مدى خمس سنوات او اكثر . ولهذا أيضا كانت قوائم كتب هذه الدور كراسات صغيرة يتجدد طبعها كل بضع سنوات ، مع اضافات قليلة .

أما اليوم فقد تغير الأمر تغيرا يستوقف النظر : أصبح عدد الدور حوالى الأربعين ما بين صغيرة وكبيرة. وقامت فى بلاد أوروبا وامريكا أقسام شرقية فى كل جامعة محترمة، ونشأت معاهد تخصص كثيرة. وكل جامعة او معهد تنشر ـ أو ينشر ـ سلسلة مطبوعات بالاضافة الى صحيفة دورية . وكل دار من دور النشر هذه تنشر فى العام الواحد ما بين عشرين الى اربعين كتابا فى المتوسط ، ولهذا فقد تضخمت قوائم كتب دور النشر حتى أصبحت هى الأخرى كتبا تطبع منها ألوف وترسل الى الجامعات. والمكتبات العامة ومعاهد التخصص بصورة دورية كل ستة أشهر . وقد كثرت هذه القوائم وتوالت حتى أصبحت ملاحقتها أمرا عسيرا . والذين يشرفون على أقسام الدراسات الشرقية والعربية والاسلامية فى المكتبات العامة ومكتبات الجامعات ومعاهد التخصص يرصدون أوقاتا معينة لقراءة فهارس المكتبات واختيار ما يريدون منها ، وبدون هذا تضيع كتب كثيرة ، وتتأخر المكتبة ـ وقراؤها تبعا لذلك ـ عن ملاحقة الركب السائر دون توقف . فالقائمة الاخيرة لدار هيفر تضم ١٨٧٢ عنوانا لكتب عن الشرق والاسلام ، وقائمة دار اوتوهاداسوفتش تضم أكثر من ذلك بقليل ، ومعظم أسامى الكتب الواردة فيها تهم الدارسين والباحثين . والكتب الجيدة لا تستطيع انت ان تقول عن واحد منها أنك لا تحتاج اليه ، ورب كتاب تزهد فيه فى وقته ثم تجىء لحظة وانت فى سياق البحث تحس فيها أنك مستعد لدفع اضعاف ثمنه لمن يضعه بين يديك .

والأسعار تضاعفت

ثم ان أسعار هذه الكتب زادت زيادة كبيرة ، فاصغر كتاب من كتب الاستشراق أو المباحث الشرقية لا يقل ثمنه عن جنيه أو دينار ، ومنها ما يصل ثمنه الى عشرين جنيها ، بل هناك ما يتعدى ثمنه المائة . فمن الكتب التى ظهرت سنة ١٩٦٢ كتاب جليل يسمى « رؤيا خيرونا » " La vision de Gerona " او جرندة كما كان العرب يسمونها ، وهو نص فى لاتينية العصور الوسطى يضم أسطورة حول ما وقع بين المسلمين والنصارى فى أقصى شمال اسبانيا على أول أيام الفتح العربى ، وهو يضم مكان الرسوم الصغيرة التى تعرف بالمنمنمات ، وهو من ذخائر الكتب المستعربية التى كتبها نصارى اسبانيا أيام العرب وعدد صفحاته ٥٦٨ صفحة. فهذا يباع بسعر ١٤٠ جنيها للنسخة الواحدة فى مجلدين .

ومجموعة النصوص والدراسات العربية والفارسية المعروفة باسم «سلسلة جيب التذكارية The Gibb Memorial Series وعدد مجلداتها ٢٥ ، صدر آخرها فى العام الماضى ، تباع بسعر ٨٥٠ جنيها ! وقد حسبت متوسط ثمن الصفحة الواحدة فى كتب الاستشراق التى تصدر فى أيامنا فوجدت انه قرابة القرش والربع، فالكتاب الذى يقع فى ٢٠٠ صفحة مثلا يباع فى حدود جنيهين ونصف ، فاذا ضم صورا وخرائط فلا مقياس للثمن فى هذه الحالة .

والطريف أن هذه الكتب كلها تباع بيعا طيبا . واذا كان من الحقائق المقررة عند أجدادنا أن « الورّاق اغنى من الجوهرى » ، فان الوراقين (أى بائعى الكتب) فى أوروبا وامريكا اليوم أغنى من بائعى الجوهر بمراحل كثيرة .

والكتب من السلع القليلة التى يغلو ثمنها كلما مر الزمن ، اقصد الكتب الجيدة ، لأن الكتب غير الجيدة لا يمكن خداع الناس فيها . وربما جاز الخلاف فى شأن قصة أو ديوان شعر ، أما كتب العلم والأبحاث فان قارئها يعرف قدرها لأول اطلاعه عليها . فاذا وجدتَ كُتُبًا يشكو الكسادَ ، فذلك لا يخرج عن ثلاثة أشياء : اما أن يكون غير عارف بصنعته ، فهو لا يعرف ما يطبع ، أو يكون جاهلا بفن التوزيع ، فهو يطبع للمخزن لا للسوق، أو يكون غير صادق فيما يقول.

الاستشراق اتسعت أسواقه

وقد اتسعت أسواق كتب الاستشراق خلال

السنوات الاخيرة اتساعا عظيما . ففى أوروبا وامريكا يوجد نحو ٧٠٠ مكتبة عامة ، ومكتبة جامعة ، ومعهد تخصص أو قسم للدراسات الشرقية . وفى بقية بلاد الدنيا يوجد نحو ١٥٠ من هذه تهتم بكتب الاستشراق وتحرص على الحصول عليها . وبالاضافة الى ذلك هناك نحو ١٥٠ متخصصا وباحثا فى كل فرع من فروع الشرقيات . فالناشر الأوروبى أو الأمريكي العارف بصنعته يضمن بيع ما بين ٥٠٠ الى ١٠٠٠ نسخة من أى كتاب جيد ينشره خلال العام الأول لصدوره ، وبيع ألف أخرى خلال السنوات الخمس التالية . ففى حين أن ناشر كتب الاستشراق فى الماضى كان يطبع ٥٠٠ نسخة أو اقل من أى كتاب جيد ينشره ، يطبع الناشرون اليوم ٣٠٠٠ نسخة ، والخمسمائة الأولى منها تغطى نفقاته كلها والباقى بعد ذلك كسب خالص . ومن هنا فان هذه الدور فى بحث مستمر عن الكتب الجيدة ، ولدى كل منها متخصص او اكثر يقرأون الكتب ويقدرون قيمتها ومتى استحسنوا منها واحدا نشروه فى الحال ، لأن الكسب مضمون .

الاستعمار بالعلم :
من يعلم يسود من لا يعلم ..

ثم ان الدراسات الشرقية لم تعد الآن مقصورة على المستشرقين ومعاهدهم واقسام البحث فى الجامعات ، ولم يعد الاهتمام بها مقصورا على ادارات المستعمرات فى الدول الأوروبية . لقد تغيرت الأحوال فى أوروبا وامريكا تغيرا عميقا بعيد المدى ، والاستعمار نفسه أخذ صورا جديدة : أصبح استعمارا علميا ، اذا جاز هذا التعبير . لم يعد استعمارا بالجيوش والأساطيل وأساليب السياسة التى جرى العمل بها خلال القرن الماضى والى منتصف هذا القرن ، بل أصبح استعمارا بالعلم . أصبح استغلالا منظما لا يحتاج الى قوى عسكرية تؤيده . الذين يعلمون يستغلون الذين لا يعلمون . والذين لايعلمون لا يستطيعون محاربة هذا اللون الجديد من الاستغلال الا اذا تعلموا . اذا كانت شركة فرنسية مثلا تنتج أدوات كهربائية جيدة ورخيصة نسبيا فهى واثقة من أنها ستبيع منتجاتها الى كل من لا يستطيعون صنع مثلها ، ستبيعها بالثمن الذى تحدده ، والناس مضطرون الى الشراء أرادوا أم لم يريدوا ، لأننا فى عصر لا يمكن الاستغناء فيه عن الأدوات الكهربائية . وهى لن تبيع الأجهزة فقط بل سترسل معها أولئك الذين يستطيعون ادارتها واستعمالها ، ولا يستطيع بلد مثل السنغال مثلا أن يشترى محطة كهربائية الا اذا اتفق مع الشركة البائعة على أن ترسل المهندسين والأخصائيين اللازمين لادارتها . وقل مثل ذلك فى كل أدوات الحضارة الراهنة ، صغيرة كانت أم كبيرة .

والبلاد الشرقية الناهضة جميعا فى حاجة الى هذه الأدوات ، وليس لديها المال اللازم لشرائها ، وهى اذا اشترت شيئا عجزت عن شراء أشياء اكثر وأكثر كلها لازم وضرورى ، والدول الاستعمارية القديمة ، وهى دول العلم اليوم ، تعرف ذلك ، ولهذا فهى تتقدم للمساعدة . وهى تعرض مساعداتها « الفنية » بشروط . تحالف" اقتصادى فى الظاهر ، سياسى" فى الباطن . فهى اذا كانت ستعاون .. الدولة الصغيرة على انشاء المستشفى والمحطة الكهربائية ومحطة تنقية المياه والمطار ، فهى تشترط على هذه الدولة أن تشترى منها كل حاجاتها الأخرى : النسيج والسيارات والصابون والأدوية وأجهزة الراديو ، وتشترط أيضا ان تكون المقدمة فى شراء منتجات وخامات البلد : البن أو الكاكاو أو الموز أو الاسبستوس أو البترول . وهى تقدم المعاونة العلمية أيضا فتعرض انشاء المدارس والمعاهد وتتعهد بارسال المدرسين ، وفى هذا كله تجعل لغتها هى اللغة الأساسية فى التدريس ، أى أنها فى الحقيقة « تحتكر » البلد ، أى تستعمره دون جيوش أو أساطيل ، تستعمره استعمارا حقيقيا دون غزو أو ارهاب .

وهذا هو الاستعمار الجديد ، وهو استعمار بالعلم والتكنيكة . لهذا كله تركت البلاد الأوروبية « مستعمراتها » الماضية و « منحتها » الحرية ، لأنها تعرف أنها فى الحقيقة لم تمنحها شيئا ، وانما وفرت على نفسها نفقات الجيوش ومتاعب

المسئوليات الاستعمارية . وما دام فى الدنيا من يعلم ومن لا يعلم ، فان السيد هو الاول ، سيد فى بلاده وفى بلاد الآخرين .

الاستعمار الجديد زاد اهتمام الغرب بشئون الشرق

هذا الاتجاه الجديد وسع مجال الاهتمام بشئون الشرق واهله اضعافا كثيرة ، فكل شركة صناعية فى اوروبا وامريكا تدرس شئون العالم حفاظا على مصالحها واسواقها . وفى الماضى كانت هذه الدراسة مقصورة على وزارات المستعمرات والخارجية والدفاع ، وكانت الشركات تلجأ الى المتخصصين فيها لسؤالهم عن موارد الثروة فى هذا البلد أو ذاك وامكانيات استغلالها ، أما اليوم فالشركة هى التى تبحث وهى التى تدرس ،وهى التى تفتح لنفسها الأسواق . هى التى تعرف مثلا ان فى هذه الناحية بترولا ، فعليها أن تدرس وترسل مندوبيها ليعرفوا الامكانيات السياسية والطبيعية ، وهى التى تعقد الاتفاقات على نحو يحمى مصالحها ، لأن حماية مصالحها تعتمد على علمها لا على جيوش الدولة التى تتبعها ، لأن الجيوش والأساطيل لم تعد تتحرك لحماية مصالح الشركات بعد درس تلقتهفىالسويس سنة ١٩٥٦. والشركات الفرنسية بالذات تحمى حقوقها فىالبلاد الافريقية عن طريق العلم : فى كل مصنع تبنيه ، فى كل جهاز تركبه ، فى كل مطار تقيمه . هناك اجزاء خفية من العمل لا تعرفها الا الشركة ، وفى حالة توقف الشركة ، عن العمل يصبح المصنع او الجهاز أو المطار شيئا من الاسمنت والحديد والالومنيوم وما اليها ، شيئا لا ينفع فى أى غرض. ومنذ عشر سنوات صادرت احدى حكومات الأرجنتين مصنعا ضخما لشركة سيارات مرسيدس ثم لم تستطع ان تنتج سيارة واحدة ، وأوشك المصنع على التعطل وتعرض ٩٠٠٠ من العاملين فيه لضياع الرزق ، ولهذا لم يكن هناك مفر من اعادة المصنع الى الشركة دون حرب أو ضرب .

الوف كثيرة من الناس تريد ان تقرا عنا ..

لهذا ، فهذه الشركات كلها تدرس وتقرا ، أى فيها من يقرا ويدرس ، فيها من تخصصهم الشركة لهذا الغرض ، وفيها من يفرض عليه علمه ان يدرس حتى لا تخطو الشركة الا على علم ، فاذا كان كتاب مثل «رحلات فى بلاد العرب الصحراوية» لتشارلس داوتى قد طبع فى القرن الماضى فى حدود ٥٠٠ نسخة ، لأن هذا كان كافيا لرجال الاختصاص عند ذاك ، فان هذا الكتاب اعيد طبعه سنة ١٩٦١ فى حدود خمسة الاف نسخة ، لأن رجال شركات البترول ، وهم الوف ، فى حاجة الى قراءته والاستعانة به . بل لقد عمل له مختصر فى نصف حجمه وسمى « جولات فى جزيرة العرب » ونشر هذا العام ، واذا كانت أبحاث المستشرق الروسى بارتولد Barthold قد نشرت اوائل هذا القرن فى مجلات علمية لا يقرؤها الا المهتمون بها ، فهى تجمع اليوم فى سلسلة من المجلدات وتطبع منها الوف ، وقد ظهر المجلد الاول منها فعلا هذا العام ، لأن الروس وغيرهم ممن يتتبعون الاحداث فى وسط آسيا لا بد أن يقراوها . وكذلك هم يفعلون اليوم بمقالات الباحث الهولندى سنوك هورجرونيه Snouk Hurgronie ، فقد جمعت وترجمت الى الانجليزية ونشرت منذ عامين ، لانها فى رأى الغربيين من أحسن ما كتب عن الاسلام . وكذلك كتاب هويد Heyd المعروف عن تجارة اوروبا مع الشرق اعيد طبعه بعد نحو نصف قرن من صدور الطبعة الأولى .

ولجأت دور النشر الى اعادة الطبعات

والمتصفح لفهارس دور النشر الأوروبية اليوم يدهش من الاهتمام بطبع كل نص جديد يظهر عن العرب والاسلام واعادة طبع ما نفدت نسخه من زمن بعيد ، مع أن اعادة الطبع هذه تتكلف أضعاف ما ينبغى ، فهم يصورون الصفحات ويطبعونها كليشيهات ليتغلبوا على مصاعب جمع الحروف العربية . ومن كبار الكتب التى ظهرت الى النور بعد طول احتجاب بهذه الصورة طبقات الأطباء لابن أبى اصيبعه ، وجزء كبير من الوافى بالوفيات لخليل بن ايبك الصفدى ، وصفة جزيرة العرب

لابن المجاور ، وكتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ ، وتحقيق ما للهند من مقولة للبيرونى ، وجداول الخوارزمى وغير ذلك كثير . وقد اسهمت فى هذا العمل دار نشر عربية هى دار المثنى فى بغداد ، فنشرت الكثير من هذه الكتب بتلك الطريقة .

وفى نفس الوقت يعاد طبع كتب اوروبية قديمة، وقد اشرنا الى بعض ذلك ، والباقى كثير جدا ، حتى انه ليصعب أن تجد كتابا اساسيا مما الفه المستشرقون فى القرن الماضى لا يعاد طبعه اليوم ، ومن ذلك مؤلفات اشتاينشنايدر عن حركة الترجمة من العربية الى اللاتينية فيما بين القرنين الحادى عشر والثانى عشر ، وكتاب روبرت H. Roberts عن مدن آسية الصغرى ، وكتاب برتشارد E. Britchard عن حفائر «الجب» فى بيت المقدس، وهو المسمى باسم « جبيبون » Gabeon او كتاب اومان عن تاريخ الحرب فى العصور الوسطى، ومجموعة النصوص العربية التاريخية عن الحروب الصليبية وغير ذلك كثير .

وما يعجزون عن طبع نصوصه من الأصول العربية القديمة يترجمونه وينشرونه فى لغاتهم او يعيدون طباعة ما نشر منه فيما مضى ، ومثال ذلك مما تقرا عنه فى قوائم المكتبات الأخيرة : ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى ، والافادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادى ، وتاريخ الدولة العثمانية ليورجا (وهو حافل بالنصوص التركية المترجمة)، وترجمات كليلة ودمنة والف ليلة وليلة ، وترجمة سيرة ابن اسحق ، وفهرس الفاظ القرآن لفلوجل، وفهارس الشاهنامة للفردوسى .

نظرة عامة على ما يكتب عنا اليوم

اما الكتب والمؤلفات الجديدة فكثيرة جدا ، لا تكاد تجد بلدا عربيا او حتى مدينة عربية ذات اهمية الا وجدت عنها كتبا جديدة ظهرت هذا العام أو العام الماضى ، وهذه الكتب تتناول كل شىء ، من الوصف الجغرافى او الطبغرافى العادى الى تاريخ آخر الأحداث السياسية وتحليلها من وجهة نظر المؤلف طبعا . وكل كتاب من هذه الكتب يضم فوائد لا يستغنى عنها لأن معظمها مؤلف بناء على دراسات وزيارات وتجربة شخصية ، ولولا ما يشوبها دائما من التحامل والنظرة الى الأمور من زاوية المصلحة الأوروبية وحدها لكانت كلها كتبا نافعة .

ومن اكبر الأمثلة على ذلك سلسلة الكتب التى تصدرها فى كل عام وزارة الخارجية البريطانية عن بلاد العرب ، فهناك كتاب شامل عن الشرق الأوسط ثم هناك كتب متفرقة عن كل بلد عربى ، وكل كتاب منها يقوم بتصنيفه قسم من اقسام المخابرات البريطانية ، ويكتب على غلافه أنه للاستعمال الرسمى فقط .. ، ولكنها كلها معروضة للبيع لمن يريد ، وهى كتب كلها احصائيات وبيانات ومعلومات نافعة بشرط أن يكون قارئها العربى حصيفا قادرا على تمييز الصادق من غير الصادق من مادتها .

كتب يصدرها عنا الأمريكان

وهذا التمييز غير عسير فيما يتصل بالكتب التى تصدر عن الشرق العربى فى الولايات المتحدة، فان الذين يصدرون هذه الكتب المعاصرة هناك اما افراد زاروا هذا البلد او ذاك من بلادنا أو اقاموا فيها ، ومعلوماتهم تتوقف على مصادرهم ، ومعظمها مستقى من ناس هامشيين ، من أولئك الذين تجدهم فى بعض البلاد العربية وبيروت خاصة ، ومعظمهم اجانب من أرمن ويونان أو ايطاليين ممن اقاموا فى البلاد العربية للتجارة وما اليها ، وعرفوا لغتها وبعض شئونها ، ولكنهم لا يفهمونها ابدا . واولئك يتبرعون بالمعلومات والبيانات لمن يطلبها من الامريكيين تقربا اليهم ، ومعظم هذه المعلومات خاطىء او سطحى . والأمريكى الذى يسمع من افواههم هذا الكلام يحسب انه وقع على ضالته المنشودة وما اسرع ما يكتب كتابا . وانت لا تحتاج الى كبير عناء لكى تتبين قيمة ما فيه .

كتب يكتبها الفرنسيون عنا

ولا يعسر عليك كذلك أن تميز النافع من غير النافع فيما يصدر من الكتب الفرنسية ، لأن هوة عميقة تفصل الفرنسى عن العربى من زمن بعيد ، وهى هوة ترجع الى الحروب الصليبية . ثم تزايدت مع الأيام ، حتى اصبحت عقدة نفسية

بعد حرب السويس واستقلال المغرب العربى . والفرنسى فى العادة يعرف ما يكتب ، فان المراجع عنا فى تلك اللغة كثيرة جدا ، ولهذا يندر ان تجد فى كتاب الفرنسى خطأ أساسيا فى تاريخ أو وصف بلد او معالم حياة شخصية من شخصياتنا ،ولكن الخطأ يقع فى التفسير والتعليق ، وهو خطــا متعمد أحيانا وغريزى أحيانا أخرى ، فمن النادر جدا ان تقرأ لفرنسى شيئا طيبا عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لانه حتى لو هو وجـد شيئا طيبا فان لسانه لا يطيعه فى كتابته ، ولو قاله فانه يتحفظ فى قوله تحفظا بالغا حتى يخيل اليك انه يخشى الوقوع فى النار . واذا كتبوا عن العرب المعاصرين فلا يمكن لكتابتهم ان تنفصل عن الحوادث الجارية وصداهافى نفوس الفرنسيين، فالأمر يتوقف على وقت ظهور الكتاب ، فاذا ظهر الكتاب ايام كانت تونس تطالب ببينزرته وتهدد الفرنسيين بالعنف فى اجلائهم عنها ، فان تونس بلد سيىء جحود يسير فى طريق سيىء ، واذا صدر فى ظروف صفاء فان تونس بلد طيب متحضر يسير فى طريق النهوض الصحيح .

الكتب الانجليزية
تكتب عنا ، أعسر تعرّفا

أما الكتب الانجليزية فان تمييزها أعسر بكثير ولا بد لهذا من أن تقرأ الكتاب من اوله الى آخره ان كنت تريد ان تعرف وزنه وقيمته ، لان اولئك الناس تعلموا كيف يسترون عواطفهم وكيــف ينظرون الى المسائل بعيدا عن عواطف اللحظة الراهنة ، ثم انهم حددوا مصالحهم فى الشرق الأوسط من زمن بعيد ، فهم يدافعون عـن هذه المصالح فى حماس ووضوح ، ولا يعنيهم غيرها ، وهم اقرب الأوروبيين الى التحفظ فى تاليف الكتب، والناشرون هناك يدققون فى اختيار ما ينشرون ، ثم ان الانجليزى مستعد دائما لاعادة النظر فى آرائه، فبينما نجد الفرنسى حدد موقفه من حركة العروبة فحكم عليها بانها حركة معادية له ، ومن ثم فهى حركة ضارة ، تجد الانجليزى لا يحكم عليها هذا الحكم القاطع بصفة نهائية ، ولهذا فانك تجـد شتى الآراء عنها فى كتب الانجليز . اضف الى ذلك ان الانجليزى يحب ان يسمع رأى الغير ،

ولهذا فان كثيرا من الكتب الانجليزية من تاليف عرب ، وبعض هذه الكتب يعرض وجوه نظرنا بصراحة تامة .

والكتب الأوروبية الاخرى التى عنا

أما الكتب الالمانية والايطالية والاسبانية المعاصرة فهى على وجه الاجمال قريبة من الانصاف، ومن حسن الحظ ان مشاكلنا مع هذه البلاد قليلة وقديمة وقد حلها الزمن . والمانيا بالذات لم يقع بينها وبين العرب مشاكل . اما ايطاليا فقد نسيت ليبيا ، واسبانيا تحاول ان تفهمنا من جديد ، ولكنك تلاحظ مع الأسف ان بعض كتاب الالمان يتابعون بعض ما يكتبه غلاة الانجليز والفرنسيين دون قصد فى الغالب فيسيئون الينا دون ان يشعروا .

كتب الاستشراق ليست كلها شرا ..

وما دمنا نتحدث عن هذه الكتب فى مجموعهــا بالصراحة الواجبة بين الكاتب والقارىء ، فينبغى ان ننبه ذهن القارىء العربى الى حقيقة هامة .

فمنذ زمن بعيد ونفر ممن لا يقراون الكتب الغربية فى لغاتها يصرون على ان كل ما كتبــه المستشرقون عنا تحامل وعصبية ، حتى ثبت فى اذهان بعض قرائهم ان كل مستشرق عدو .

وهذه فكرة خاطئة ، فان الكثيرين جدا من المستشرقين منصفون ، وقد قالوا الحق كما تصوروه . حقيقة هناك ناس متحاملون من امثال الويس استيرنجر وهنرى لامانس Henri Lammans والاب زويمر Zweiemer ومن اليهم ، ولكن الى جانب هؤلاء هناك علماء اجلاء لا يستطيع الانسان الا تقديرهم واحترامهم ، واذا وجد المسلم فى كتاباتهم ما لا يرضيه فليس من الضرورى أن يكون ذلك صادرا عن سوء نية ، بل هذا هو الحق كما رآه ، وما دام قد صدر فيما يكتبه عن اخلاص فنحن نحترم رأيه وان لم يرضنا .

فقد كتب ستيفن رونسيمان Steven Runciman

كتابا كبيرا معروفا عن الحروب الصليبية جعله تاريخا للمسيحية فى الشرق العربى ، ونظر الى هذه البلاد على انها كانت بلادا مسيحية انتزعها الاسلام ، وان الحرب الصليبية على هذا محاولة من المسيحية لاستعادة ما كان بيدها . وهذه وجهة نظر لا نرضاها ، ولكنها وجهة نظر جديرة بالمناقشة الهادئة على أساس من البحث الأصيل ، واختلافنا معه ليس معناه ان كتابه لا قيمة له أو انه رجل متحامل ، بل هو مؤرخ جدير بكل احترام .

وكتب آسين بلاثيوس Asin Palacios كتابا عن ابن عربى ذهب فيه الى أن آراءه التصوفية صدى لتأثره بالمسيحية فى الاندلس ، وهذه وجهة نظر لا نرضاها ، ولكنها وجهة نظر جديرة بالاحترام ، ولا ننسى أن هذا الرجل هو الذى اثبت أن دانتى اخذ مادة الكوميديا الالهية من أصول عربية .

المستشرقون خدموا لغتنا العربية

ولا ننسى كذلك أن أولئك المستشرقين خدموا لغتنا وعلومنا خدمات جليلة ، ويكفى اننا تعلمنا منهم تحقيق النصوص ونشرها ، وطريقة البحث العلمى الصحيح على أساس من النصوص ، ومهما كان فى آرائهم مما لا يرضينا فهى آراء لا تنقص من قيمة الخدمة التى قاموا ويقومون بها .

ولا اذهب الى الماضى البعيد بل اذكر طائفة من المؤلفات لا يجوز الاقلال من شانها بحال . فمن هذه كتاب آسين بلاثيوس عن ابن حزم ، وكتابه عن الأصول العربية للكوميديا الالهية وترجمة فرانشيسكو جابرييلي Francesco Gebrieli لابن بطوطة ، وهى ادق واحسن ترجمة للنص ، وقد ظهرت من عامين ، وترجمة سيرة ابن اسحق لالفرد جيوم Alfred Guillaume وترجمة آربرى A. J. arberry للقرآن ، وقد سماها « القرآن مفسرا » اى انها تفسير لا ترجمة . وقاموس العربية المعاصرة لهانز فير Hans Wehr ، وهو احسن قاموس عربى المانى ظهر فى ايامنا ، ودراسات شارل بيلا عن الجاحظ وما نشر من نصوصه ، وكتابى مونتجومرى واط Montgomery Watt عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومجموعة الدراسات عن تاريخ الاسلام وحضارته التى ينشرها تباعا برتولد شبولر Bertold Spoler فى هامبورج ومؤلفات ليفى بروفنسال عن التاريخ الاندلسى ، ودراسات خرسيه خومس عن الأدب الاندلسى ، وكتاب يوسف شاخت J. Schacht عن أصول التشريع الاسلامى ، ومجموعة النصوص الاسلامية التى ترجمها آرثر جيفرى Arthur Jeffery ونشرت فى العام الماضى فى مجلد كبير بعد وفاته وفهرس البحوث الاسلامية الذى ينشره بيرسون J. D. Pearson ودراسات جوستاف فون جروبناوم وغيرها كثير .

لكى نقف على اقدامنا ينبغي أن نعلم ..

وبعد ، فان الكتب التى تصدر عنا فى الغرب كثيرة جدا ، ومع اجتهادى الشديد فى متابعتها الا اننى أعجز عن ذلك ، فان الكتب لا يحكم عليها من عناوينها ، بل لا بد أن تقرأ بعناية ، والقراءة تتطلب الوقت والوقت قليل .

ومن اليسير أن يرمى القارىء العربى هذه الكتب كلها على قوس واحدة ويقول : هراء وتعصب .

ولكن ذلك لا يحل المشكلة . فاننا كما قلت لك فى عصر العلم . من يعلم يسود من لا يعلم ولا استثناء لهذه القاعدة .

والناس هناك من وراء البحار يدرسون كثيرا ويقرأون كثيرا ويكتبون كثيرا ، وما من كتاب يظهر عندنا الا يقرأونه هناك ، ولعلك تدهش اذا علمت أن أول من تنبه الى القيمة الفنية لقصص نجيب محفوظ راهب فرنسى هو الأب جوميه : قرأ ثلاثية بين القصرين وكتب عنها بحثا فريدا ، فكان هذا فاتحة التنبه الى ملكات هذا القصص العربى المبدع ، ومن يومها ونجم ادبنا فى صعود.

فهل قرأت أنت هذه الثلاثية ، وهى أعظم عمل ابداعى فى أدبنا العربى بعد روائع توفيق الحكيم ؟ ■■

حسين مؤنس

الفنان العربي

موقفه من التيارات الفنية المعاصرة

بقلم : الدكتور عز الدين اسماعيل

كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

■ من أهم المشكلات التي نصادفها الآن في حياتنا الفنية مشكلة تحديد موقفنا من التيارات الفنية العالمية: أنأخذ بها، أم نرفضها نهائيا ، أم نتوسط فنأخذ منها في حرص ونرفض منها في حرص كذلك . وهي مشكلة قديمة وليست بنت اليوم، بل ربما كانت مشكلة تقليدية يتحتم مواجهتها عندما تتشابه الظروف في الفترات التاريخية والحضارية المختلفة. فقد سبق أن واجهت الحضارة العربية نفس المشكلة حين أخذ تراث الفكر الاغريقي يفد الى العرب من خلال الترجمة ، كما أننا واجهنا نفس المشكلة منذ مطالع القرن العشرين ، حين نشطت حركة الترجمة عن الآداب الأوروبية ، الفرنسية والانجليزية في البداية ، ثم الآداب العالمية في وقتنا الحاضر .

هل نصنع كما صنع أسلافنا

وقد يبدو من السهل تحديد موقفنا الراهن اذا نحن أردنا أن نكتفي بعبرة التاريخ فننظر كيف نهج أسلافنا في حل هذا الموقف : كيف أخذوا عن غيرهم ، ولماذا أخذوا ، وماذا أخذوا وماذا تركوا . وفي ضوء معرفتنا بهذا المنهج الذى أتاح لأسلافنا أن يقيموا بناء متكاملا خاصا بهم من الحضارة ، فكريا ومدنيا ، نستطيع أن نضع الأسس العامة التي تسدد خطانا فيما نأخذ وفيما ندع . لكن المسألة فيما يبدو ليست بهذا اليسر ، اذ ينبغي علينا ـ فيما يبدو ـ أن نأخذ فكرة أن التاريخ يكرر نفسه بمنتهى الحذر . فمع أن الموقف القديم يبدو في ظاهره مشابها بل مطابقا للموقف المعاصر ، فما تزال هناك فروق تاريخية وحضارية جوهرية بين الموقفين تحتم علينا أن نناقش الموقف المعاصر مناقشة خاصة ، وأن نستبصر بالأسس التي نبني عليها سلوكنا من صميم الواقع المعيش والظروف الراهنة .

فالعرب حين أخذوا قديما عن الاغريق لم يكونوا يأخذون عن شعب معاصر لهم في التاريخ ، في حين يختلف الوضع بالنسبة الينا في العصر الحاضر ، اذ أن الشعوب التي نأخذ عنها شعوب حية معاصرة ولها مكانتها العالمية . وقد يبدو هذا الفارق هينا اذا نظرنا الى المسألة على أنها مجرد عملية أخذ شعب عن آخر ، لكنه في نظري فارق جوهري . ذلك أن موقف العرب القدامى من التراث الاغريقي كان موقف شعب ناهض من شعب انتهى دوره التاريخي وصار نتاجه الفكري في ذمة التاريخ ،

الفنون التشكيلية تجمعها لغة واحدة عالمية لا تحتاج الى ترجمة

الفن الغربي اليوم فن عالمي ، لا يمنع الفنان العربي من أصالته

يأخذ منه من يشاء ما يشاء ، دون الشعور باى ارتباط بهذا الشعب . وبعبارة أوضح أقول : لم يكن العرب حين اخذوا عن الاغريق او غيرهم من الشعوب القديمة يخشون من تغلغل هــذه الحضارات فى الكيان العربى بما يطمس معالمه . اما نحن فنواجه الآن موقفا مخالفا تماما . فالشعوب التى يمكن أن ناخذ عنها شعوب معاصرة وقوية ، ومن أهم ما يعنيها ان يمتد نفوذها السياسى فى اوسع رقعة ممكنة من الأرض . فان تكن الشعوب قد تنبهت فى الحاضر الى هذه الحقيقة ، وأخذت ترفض التبعية السياسية ، وفقد الاستعمار نفوذه السياسى فيها ، فلا اقل من استخدام وسيلة أخرى معوضة تبدو مشروعة هى النفوذ الثقافى .

وقد تتبع هذه الدول وسائل مشروعة من الناحية الدولية فتنشىء لها فى بلادنا مراكز ثقافية ومكاتب للنشر ، لكن الذى يعنينى ليس ما تقدمه هذه المكاتب من مطبوعات وانما ما تتطوع نحن بنقله واخذه ، فهذا المجال لا تتحكم فيه علاقات أو مواضعات دولية معترف بها ، وانما هو نشاط مستقل الى حد بعيد . وحين نناقش موقفنا من التيارات الفكرية والفنية المعاصرة ينبغى ان نناقشه فى هذه الحدود ، اى حدود نشاطنا التلقائى فى الاخذ بهذه التيارات ، وهو المجال الذى لاتستطيع الدولة ان تتحكم فيه الا فى حالة واحدة ، هى ان تمنع ورود كل المطبوعات الاجنبية او بعضها ، وهو الشىء الذى لم تصنعه الدولة عندنا ، واغلب ظنى انها لن تصنعه .

وحمى العرب قديما عصبية فكرية امدهم بها الاسلام

هذا فارق . وفارق آخر لايقل اهمية عن الفارق الأول هو أن العرب حين أخذوا عن الحضارات القديمة لم يكونوا عزلا من أى ميراث حضارى ، بل كانت بين أيديهم نظرية كونية شاملة امدهم بها الاسلام ، فكانت هذه النظرية بمثابة العصب الفكرى ونقطة الارتكاز التى انطلق منها كل تفكير . ومن ثم كانت العلوم العربية ، بل الفن العربى كذلك ، شديد الصلة بهذا المركز . وحين نظر العرب فى علوم الاغريق لم يأخذوا منها ما أخذوا اعتباطا او لمجرد الطرافة وانما اخذوا منها وسائل تعينهم فى المنهج وتوطد اركان النظرية بالفكر الانسانى . ومن ثم امكن الحديث عن الحضارة العربية والتراث الفكرى العربى .

نهضتنا الحديثة لم تبدأ باستيعاب تراثنا القديم

اما بالنسبة لوضعنا الراهن فالظروف مختلفة . ذلك أن نهضتنا الحديثة لم تبدأ من البداية الصحيحة . فلم تبدأ باستيعاب تراثنا القديم والتعرف على مكونات الأرضيّة الفكرية والروحية لكل نشاط من شأنه أن يبرز معالم شخصيتنا . ولست أنكر أن محاولات مشكورة بذلت فى هذا الميدان فى مطالع القرن العشرين ، وانها امتدت فيما بعد الى الدراسات الجامعية ، ولكنها مع ذلك محاولات فردية وجزئية ، كان لها نصيب التلفت الى هذه الحقيقة وان ظلت هذه الحقيقة حتى اليوم ــ بكل أسف ــ بعيدة عن أن تكون هدفا جماعيا يتحتم الوصول اليه قبل نشاط آخر .

فوجئنا بالفكر الغربى يغزو أرضنا

لقد فوجئنا منذ البداية بالفكر الغربى يغزو أرضنا وتلمع أضواؤه فى كل واجهة وتتسرب من كل نافذة ، فاقبلنا عليه ، وما زلنا ، فى شغف ونهم ، وحصّلنا منه الكثير ، بل لعلنا صرنا مواكبين لأحدث التيارات الفكرية والفنية فى العالم ، ولكن أين الأساس الذى نرتكز عليه فيما نأخذ وفيما ندع ؟ أين الأساس الذى يمثل

عصبنا الفكرى الروحى؟ ان علاقتنا المبتورة بتراثنا كفيلة بأن تتركنا فى مهب الرياح ، وتجعلنا عرضة لتقبل كل شىء طارىء كما هو ، دون أى استبصار بمدى جدوى ما نأخذ فى تأصيل شخصيتنا وبناء كيان حضارى يمثلنا . ان أقصى ما نستطيعه هو أن نكون نسخة جوفاء من الآخرين ، ولن يكون هذا بحال من الأحوال هو الوسيلة الفعالة فى اثبات كياننا الفكرى والفنى الذى تجد فيه الشعوب الأخرى شيئا أصيلا ومخالفا لما لديها .

العزلة امحت هذه الأيام

والفارق الثالث والأخير ، وهو فارق يزيد المشكلة تعقيدا ، هو أن العرب القدامى قد شغلوا وحدهم فترة تاريخية امتدت قرونا ، فكانوا يبنون وحدهم ، ولم تكن هناك منافسة من شعب آخر تعكر عليهم صفو العمل ، أو تفرض عليه وجهة بذاتها . وربما كانت هذه الظروف بعينها هى التى لاءمت قيام الحضارات القديمة ، حيث كانت الشعوب تعيش فى عزلة نسبية أو كلية ، مما أتاح لكل شعب أن يتحرك دائما من داخله، وبدوافع فرضتها عليه ظروف حياته ومطالبها القريبة المباشرة ، واذن فقد وجد العرب القدامى زمنا كافيا لأن يصنعوا حضارتهم ، فى هدوء واطمئنان، وأن تكون لهم زعامة الفكر الانسانى طوال هذا الزمن .

أما بالنسبة لوضعنا الراهن فان الظروف العالمية قد اختلفت، فلم يعد فى مقدور أى شعب ان يغلق دون نفسه الأبواب ، ويعتزل العالم ، ويتقوقع داخل ذاته لكى يجتر ما عنده ، أو يبدأ بداية جديدة . حتى الشعوب التى فرضت على نفسها هذه العزلة ما لبثت أن أخذت تفتح الابواب والنوافذ، وتتيح للناس استنشاق الهواء الوافد. وكل هذا يؤكد أن الاحساس بضرورة التواصل بين الشعوب قد صار أمرا لا سبيل الى انكاره ، وأن الحياة قد تطورت بالشعوب الى نوع من « العالمية » ما زال يتأكد يوما بعد يوم .

وعلى هذا اختلفت ظروفنا الراهنة عن ظروف أسلافنا ، فليس الزمن لنا وحدنا ، وانما تشاركنا فيه شعوب أخرى كثيرة . ولسنا كذلك بحيث نستطيع الانسلاخ تماما عن هذه الشعوب ، لأن الانسلاخ يمنعنا من متابعة ما يصل اليه العالم من كشوف متلاحقة ، ويحرمنا الوجود فى الاطار العالمى ، وفعاليتنا فى هذا الاطار .

وبعد ، أنغلق النوافذ ، أم نفتحها وسعها؟

وبعد أن استعرضنا هذه الفروق الجوهرية بين موقفنا أمس واليوم نتساءل : ماذا يستطيع فناننا اليوم أن يصنع ؟ تراه ينصرف الى تراثه القديم يتفهمه ويتشرب روحه ويستمد منه دوافعه وموضوعاته وأساليبه وطرزه ، أم يفتح النوافذ للتيارات الغربية الحديثة ويتركها تحمله معها ؟

والغريب أن مشكلتنا هذه وان تكن عامة الا انها لا تثار فى الغالب الا بمناسبة الحديث عن فنوننا التشكيلية . فكثير من فنانينا التشكيليين فى الوطن العربى ـ ان لم يكن معظمهم ـ قد غلبت على أعمالهم الفنية النزعات الغربية الحديثة ، من تأثرية الى رمزية الى سيريالية الى تكعيبية الى تجريدية ، حتى صار الانسان لا يكاد يجد فرقا بين تصاويرهم وتصاوير غيرهم من الفنانين الغربيين. ولهذا تبرز المشكلة حادة عندما نواجه أعمالهم الفنية هذه ، لأننا لا نجد فيها أى ظل لوجودنا .

مشكلة عامة تتصل بالفنون جميعا

والحقيقة أن المشكلة ليست مشكلة الفنانين التشكيليين وحدهم ، وانما هى ـ كما قلت ـ مشكلة عامة ، ترتبط بالمثقفين والأدباء ، والفنانين على السواء . وأضرب مثالا على هذه الأنواع الروائية المختلفة التى يكتبها أدباؤنا من قصة قصيرة الى رواية الى مسرحية، فكل هذه الأشكال من التعبير أشكال أجنبية صرف ، أخذت عن الأدباء والكتاب الغربيين ، هذا فضلا عما قد يمثله هذا الكاتب أو ذاك فيما ينتج من هذه الأشكال من اتجاه فنى مذهبى بعينه . ومع ذلك فقد صرنا نغض النظر عن هذه الحقيقة ، ولا نثير المشكلة الا اذا وقفنا أمام لوحة تجريدية مثلا لأحد فنانينا التشكيليين . وكان الأمر يقتضينا ونحن نرفض مثل هذه اللوحة ، أن نرفض كذلك تلك الأنواع الأدبية الأخرى بشتى مذاهبها وأساليبها .

وليس هذا دفاعا عن الفنانين التشكيليين أو مهاجمة لأدبائنا وكتابنا ، فلست هنا فى موقف دفاع أو هجوم ، وانما هو تأكيد لعمومية المشكلة فى حياتنا الفكرية والروحية ، وأن ما ينسحب على موقف الفنان التشكيلى المعاصر ينسحب كذلك على موقف الآخرين .

متناقضات

وقد أوضحنا فى خلال تحليلنا لموقفنا الراهن وموقف أسلافنا الظروف التى يعيش فيها الفنان المعاصر والاطار الذى يمكن أن يتحرك فيه . فهو أولا لا يجد مندوحة عن الاتصال بالتيارات الأجنبية، يؤيده فى ذلك المبدأ السائد الذى لا يستطيع عاقل أن يرفضه وهو مبدأ : « لنفتح كل النوافذ » . وهو ثانيا معرض لأن يجرفه أحد التيارات فينتج ما قد لا يستساغ عندنا أو لاغلبيتنا ، أو ينتج مالا حاجة لنا به ، أو ما لا يتواءم مع حركة تطورنا واتجاهه . وهو ثالثا مطالب بأن يثبت وجوده فى الاطار العالمى كما يثبته فى الاطار المحلى . وهو رابعا مطالب بأن يتمثل أولا وقبل كل شىء تراثه الخاص ويهضمه ويتخذ منه دائما نقطة الانطلاق الى ما يبدع . وهو أخيرا مطالب بان ينجز ذلك كله فى مساحة زمنية قصيرة ودون تعثر أو توقف أو تقوقع .

فهل من سبيل الى حد كل هذه المتناقضات ؟

الفنون التشكيلية ، لغتها عالمية

لنمعن النظر قليلا فيما هو واقع ، أى فيما ينتجه فنانونا التشكيليون ، ولننصت الى وجهة نظرهم فى اتجاههم المتزايد نحو التيارات الفنية الغربية ، فهم يؤمنون بان لغة الفن لغة عالمية ، وأن القيم الفنية كذلك قيم لها نفس الطابع ، وأن أعمالهم بذلك تختلف عن الفنون القولية التى تخرج فى لغة بذاتها ، فتحتاج لكى تصبح أعمالا عالمية ـ الى ترجمتها الى أكبر عدد من اللغات الحية.وما دامت لغة الفنون التشكيلية لغة عالمية فانه من الطبيعى أن تنتشر الأساليب والمذاهب الفنية فى كل بقاع العالم ، دون أى احتفال بمبتكرها الأول . فاذا كان براك وبيكاسو وبول كليه هم أقطاب المذهب التجريدى فانفضلهم فى انهم ابتكروا هذا الأسلوب الفنى الجديد الذى صار من حق كل الفنانين الآخرين أن يستخدموه فى التعبير عن أنفسهم . ولا يمكن أن يكون كل فنان آخر استخدم الأسلوب التجريدى فى تعبيره الفنى مجرد مقلد ، بعد أن دخل هذا الأسلوب ضمن معجم أساليب الفن العام . فاذا أخذ أحد فنانينا التشكيليين بهذا الأسلوب واستخدمه فىالتعبير عننفسه فانه يصنع هذا دون أى احساس بالتبعية ، وانما لا تعدو المسألة تفضيله هذا الأسلوب على غيره . فاذا فهمنا من الأسلوب هنا الاطار الشكلى الذى يخرج فيه الموضوع كان فى وسع فناننا أن يكون حرا فىاختيار الموضوع بما تمليه عليه ظروفه الخاصة ومشاعره الخاصة .

يستطيع الفن أن يكون عالميا ، ونابعا من مجتمعه فى آن

واعتقد أن وجهة النظر هذه تمهد لنا السبيل الى حل كل متناقضات الموقف . فاتصال فناننا بالتيارات الفنية الأجنبية أمر مطلوب ولا يمكن كفه عنه لأى سبب من الأسباب ، لأنه بذلك يفتح لنا نافذة على عالم آخر يصل بيننا وبينه . وأما الخوف من أن يجرفه تيار بعينه فينساق فيه دون وعى كاف وخبرة لازمة فان هذا من شانه أن يضعه فى غربة عن مجتمعه هو الخاسر فيها لا المجتمع ، كما انه يكون بذلك عرضة للتورط فى التقليد المقيت الذى يلغى أى قيمة عالمية لأعماله الفنية وهو لكى يجمع فضيلة التجاوب مع مجتمعه مع استشرافه القيمة العالمية لعمله الفنى يتحتم عليه أن يخلص لنفسه أولا فيخلص بالضرورة لمجتمعه ، وعندئذ تتميز موضوعاته بالاصالة والجدة ، الأمر الذى يضمن له الارتباط بمجتمعه من ناحية،ولفت العالم الى هذه الاصالة والجدة من ناحية أخرى. فليس الأسلوب وحده هو ما قد يلفت الى فنانينا أنظار العالم ، لأن الآخرين يعرفون هذا الأسلوب جيدا ، بل لعلهم متخمون به ، فهم على كل حال أصحابه ، وانما يلفتهم اليه لفتا قويا الموضوع والتنفيذ معا . وأكبر معوان لفنانينا على أن يبلغوا هذه الاصالة هى أن يتفهموا أنفسهم بوصفهم حلقة فى سلسلة ممتدة من التراثالفكرىوالروحى لشعبنا ، وأن تعبيرهم عن روح شعبهم،عن أفكاره وخيالاته ، عن أوهامه ومعتقداته،عن آماله وآلامه، عن مخاوفه ومطامحه، عن فكاهته وحزنه وسخريته ـ هو السبيل الرشيدة الى احراز الاصالة ،بل انهم عندئذ لحريون أن يبتكروا كذلك الأساليب التى تميز لهم طابعا مستقلا ما يلبث أنيأخذ به الآخرون . فلهذا السبب كان للفن العربى القديم والفن الفرعونى والفن الصينى تأثير عالمى ، ما يزال معترفا به حتى اليوم . وليدرك فنانونا بعد كل هذا أنهم فى سباق مع الزمن ، يحتاج منهم الى مضاعفة النشاط ، والى البذل والجدية . ■■

عز الدين اسماعيل

واصل بن عطاء

بقلم : الشيخ محمد أبو زهرة

استاذ الشريعة بجامعة القاهرة

■ كان الحسن البصرى يعقد فى جامع البصرة مجلسا للقصص ، ومجلسا لدراسة المسائل التى تشغل العصر بالنسبة للعقيدة أو بالنسبة للأحكام العملية ، وكان مرة يتذاكر مع تلاميذه المقربين اليه ، فى مسألة شغلت العصر ، أثارها الخارجون على الامام علي كرم الله وجهه ، وهى اعتبار مرتكب الكبيرة كافرا ، وسرى الكلام فيها من عصر عليّ الى العصر الأموى ، وشغلت المفكرين فيه كما شغل الخوارج الدولة بخروجهم . وبينما الحسن يذاكر تلاميذه هذه المسألة اندفع من بينهم صوت جرىء قوى ، واخذ يجادله مدعيا أن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين الايمان والكفر ، فلا هو بمؤمن ولا هو بكافر ، الا أن يتوب توبة نصوحا ، فانه ينتقل من هوة الحيرة المفرّقة بين المنزلتين الى منزلة اهل الايمان ، ذلك التلميذ الجرىء الذى علا صوته على سيد علماء البصرة هو واصل ابن عطاء .

واصل من اصل غير عربى

وواصل هذا ليس من أصل عربي ، ولكنه من اصل فارسى من جهة أبيه ومن جهة امه ، وقد عقدت اسرته عقد ولاء لبني مخزوم من قريش ، وعقد الولاء كان امرا سائغا من كل فارسى او غير عربى بشكل عام ، يعقده غير العربى مع اسرة عربية فيكون كاحدهم يدفعون عنه الدية اذا وجبت عليه دية. ويرثونه اذا لم يكن له وارث من اقاربه، وكذلك يسمّى غير العرب الموالى ، لعقد الكثيرين منهم ذلك العقد .

وكانت السيادة العلمية فى هذا العصر للموالي ، ذلك انهم أبعدوا عن السلطان والرياسة فاستبدلوا برياسة الحرب والولاية رياسة العلم والدراية ، ذلك انهم عكفوا على الدرس والبحث ، اذ رأوا فراغا فازجوه بالدراسة والتنقيب والاطلاع والتمحيص ، فسدوا بذلك النقص بفقد السلطان ونالوا شرف المعرفة ، فالنقص قد يؤدى الى الكمال ، والحرمان قد يدفع الى كبرى الغايات .

فى المدينة

وقد ولد واصل بن عطاء بالمدينة حيث كان يقيم ابواه وكانت ولادته سنة ٨٠ من الهجرة حيث كان الحكم الاسلامى قد آل الى عبد الملك ابن مروان وأولاده وأحفاده ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفى حاكم العراق يحكمه حكم الطغاة . ويظهر ان واصلا استمر بالمدينة ، وتربى تربية أهلها، فحفظ القرآن وأخذ من الحديث أشطرا ، ولكن لم يتجه الى دراسة الرواية ، بل اتجه الى الدراسات العقلية .

فى العراق

ولم تظهر عقليته مكتملة الا فى العراق ، واختص



ولم تنقطع مودته ، ولم ينقص تقديره .

انتقل واصل الى العراق ، فاخذ عن بعض قادة الفكر ، ولكنه اخذ من الجو العلمي بمقدار لا يقل عن الذى أخذه من الشيوخ ، فقد كان العراق مضطربا فسيحا للفكر المختلف الألوان . كان فيه الفقه ، وكانت فيه الفلسفة ، وكانت فيه الفرق المختلفة . وكان الخوارج فى باديته ، والشيعة فى داخله ، وكان فيه العلم بكافة ضروبه ، ففيه علم النحو ينشأ وليدا ، ورواية الشعر تتنقل على ألسنة الرواة . واليه انتقل العلم اليوناني والحكمة الفارسية ، كما ترى فى كتب ابن المقفع والتصوف الهندى . وهكذا كان العراق مستزادا لكل مذهب ، وبيئة خصبة نبتت فيها كل نحلة .

أخذ واصل غذاء عقليا من كل هذا ، ولم

البصرة باقامته ، ولا ندرى متى انتقل من المدينة الى العراق ، وربما كان انتقاله اليه بعد أن زالت يد الطغيان بموت الحجاج ، وذلك تقدير معقول لأن الحجاج مات ، وواصلٌ لا يزال حوالي سن المراهقة ، وما كان له أن ينتقل قبل هذه السن الا أن تكون أسرته قد انتقلت فانتقل معها ، ولم يعرف ذلك ، ولم يعرف مسوغ ظاهر لانتقالها ، الا أن يكون تثقيف ولدها بثقافة اهل العراق .

انتقل واصل الى العراق ، فالتقى بكبراء الخوارج فى باديته ، والتقى بزعماء الشيعة فى ربوعه ، واخذ عن بعض ذرية علي كرم الله وجهه، فاخذ عن أبى هاشم، عبدالله بن محمد بن الحنفية، وهو حفيد علي رضى الله عنه من غير فاطمة الزهراء ، ومحمد بن الحنفية كان غواصا عظيم المعرفة أخذ قبسا كبيرا من علم ابيه مدينة العلم، فنقله عنه ولده أبو هاشم . ثم اخذ واصل عن الحسن البصرى ، وكان يختصه الحسن بتقريبه ، ويختص هو الحسن بتقديره ، ولما اختلف معه فى مسألة مرتكب الكبيرة اعتزل مجلس الحسن ، يزدرده ازدرادا بل انتقى منه، وعصر مما انتقى مزيجا ، له خاصة غير خواص اجزائه ، واستساغه فكان هو علم واصل بن عطاء ، هضم كل ما اخذ ، ودخل فى كيانه العقلي الذى لم يفارق الايمان والتدين .

كان ألثغ الراء فكان يتجنبها

ومع هذه الآفاق الواسعة التى عاش فيها ، والعناصر المختلفة ، كان يراقب نفسه ، ويهذبها ، ويجنبها عيوبها ، ويدرأ شرها بشدة المؤاخذة والمراقبة ، وكان فى ذلك قوى الارادة ، مسيطرا على نفسه ، فكان لارادته أثر كبير فى حياته ، وقد ظهرت ارادته القوية فى امرين .

احدهما : أنه كان ألثغ بالراء لثغا فاحشا ، فاخذ نفسه بالابتعاد عن الراء فى كلامه ، فكان يجادل المجادلات الكثيرة ، ويخطب الخطب الطويلة ، ولا يسمح للراء أن تجيء على لسانه ، وقد نقل الأدب العربي عدة خطب له تبلغ المرتبة الأولى فى البلاغة ، ولا تجد حرف الراء فيها ،

وقد ساعده على ذلك بديهة حاضرة ، ولغة فيها الترادف الكثير ، وعلم بدقائقها ، وله في ذلك عجائب . ويقول الجاحظ في ذلك : « لولا استفاضة هذا الخبر ، وظهور هذه الحال ، حتى صار لغرابته مثلا ، لما استجزنا الاقرار به ، والتأكد له . ولست اعنى خطبه المخطوطة ورسائله المخلدة ، لأن ذلك يحتمل الصنعة ، وانما عنيتُ محاجته الخصوم ومناقلة الأكفاء ومفاوضة الاخوان » .

ثانيهما : امتناعه التام عن الغضب في جدله الذى كان يدافع به عن الاسلام . وقد كان يتواصى مع اخوانه الذين يقومون بمثل رسالته أن يمتنعوا عن الغضب . رأى صاحبه عمرا بن عُبَيد يجادله انسان فيغضب فقال له : « يا أبا عثمان ، اياك واجوبة الغضب فانها مُتندمة ، والشيطان يكون معها ، وله في بضاعتها همزة ، وقد أوجب الله تعالى على نبيه أن يستعيذ من همزات الشياطين .. بقوله أعوذ بك من همزات الشياطين « وقلما شاهدت أحدا تثبت في جوابه وما ينطق به لسانه، فيلحقه لوم » .

كان المجادلَ القوى

اعطى الله واصلا قوة جدلية لم يكن في اهل عصره من يزيد عليه فيها ، وقد كان قديرا في جدله الى درجة ترهب خصومه ، ويتحفظون في لقائه ، وما كان جدله الا للدفاع عن الاسلام .

وقد اعتصم في جدله بثلاثة جوانب تحمي الحق :

أول هذه الجوانب انه كان يحسن الصمت في موضعه ، والقول في موضعه ، فقد كان يطيل الصمت . ومن لا يحسن الصمت لا يحسن الكلام. ولقد كان في مجلس استاذه الحسن صامتا ، حتى اذا تكلم كان كلامه فصلا ونطقه حكما . وكان وهو صامت يتعرف مدى ما عند الآخرين من حق وباطل ، فيحسن الاستماع ، كما يحسن القول .

والجانب الثاني مقدرة واضحة على تصريف القول ، وحيله وضروبه واتجاهاته ، فلا تعتريه حبسة فكرية، اذا ادلهم الأمر. التقى مرة بالخوارج، وقد كانوا يتمسكون بظواهر الالفاظ القرآنية ، ولا يغوصون في فهم معانيها ومراميها وغاياتها ، واحاطوا به وبرفقة معه، فان قالوا لهم انا مسلمون لا نذهب مذهبكم قتلوهم ، لأنهم في زعمهم كافرون، وان قالوا لهم نحن منكم طلبوا الاثبات . فلما رأى واصل أنهم قد أحيط بهم قال لرفقته ، اتركوني معهم . فلما سألوه من هم : قال مشركون ممن قال الله فيهم : « وان استجارك احد من المشركين فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه » ، فاجيرونا حتى نسمع ما عندكم ، ثم ابلغونا مأمنا . وبذلك نجوا جميعا ، وساروا في حراسة الخوارج حتى بلغوا مكان الأمن .

الجانب الثالث : بديهة حاضرة تأتيه أرسال المعاني في وقت الحاجة اليها ، فيحكم المعنى ويجمل اللفظ في اقل قدر من الزمان ، ويقوى ذلك علم غزير ، واطلاع واسع ، وحفظ كامل مع ادراك سليم لمعاني العقيدة .

ومع هذه الجوانب التى اعتصم بها في جدله ، كانت له فراسة قوية يدرك بها اغوار نفس مجادله ويدخل بها الى قلبه ويستولى على فكره .

الزهادة وقول الحق وقوة الايمان

كان واصلٌ متعرضا عن مطامع الدنيا ، لا يتدلى لطلب عطاء ، ولا يطمع في جاه او منصب او ازدلاف للحكام . كانت له موارد تأتيه من تجارة الغزْل ، ولذا سمّى واصلا الغزال ، ولم ينقطع لهذه التجارة ، بل اناب عنه من يقوم في السوق مقامه ، وشأنه في ذلك شأن أبي حنيفة ، لولا أن أبا حنيفة لم ينقطع عن السوق انقطاعا تاما ، لأنه يفيده في فقهه .

وفي الجملة لم يمس واصل مالا لسلطان أو بغير حل ، ولقد قال فيه الجاحظ : « لم يشك أصحابنا في أن واصلا لم يقبض دينارا ولا درهما» وفي ذلك قال بعضهم في مرثيته :

ولا مس دينارا ولا مس درهما
ولا عرف الثوب الذى هو قاطعه

وكان واصل يقول في وصف المؤمن : « اذا جاع صبر ، واذا شبع شكر » . وقد اخذ نفسه بذلك .

ولقد كان شديدا في جنب الله ، لا يمالىء صديقا في دين الله ، ولا يتملق حاكما في غير مرضاة الله . كان صديقا لبشار بن برد ، فلما عرف فيه الالحاد ، قاطعه ونافره ، وقال فيه : « ان من اخدع حبائل الشيطان لكلمات لهذا الأعمى الملحد » .

وكان بشار يمدحه ، ويقول فيه :

تكلّف القولَ والأقوام قد حَفِلوا
وحَبّروا خطبا ناهيكَ من خُطَب

وقـال مرتجـلا تغلى بديهتـه
كمِرْجَل القَيْن لما حُفَّ باللهب
وجانب الـراءَ لم يشعر بـه أحـد
قبـل التصفـح والاغـراق فى الطلب
فلما قاطعه واصل فى سبيل الله انقلب الى هجائه .

فى الدفاع عن الاسـلام

كان واصل كما اسلفنا من القول ذا قوة جدلية، جامعا لكل الصفات التى تجعل منه خصما قويا اذا جادل . وكان ذا أجوبة مسدّدة قوية ، وقد جعل ذلك فى أمرين :

أحدهما فى الدفاع عن الاسلام ، وثانيهما فى الدفاع عن آرائه .

أما دفاعه عن الاسلام . فقد بدا فى مناظرته لأهل النِحَل المختلفة والزنادقة وغيرهم ممن يهاجمون الحقائق الاسلامية ، وكان عليما بمذاهب أولئك المنحرفين ، وله تفكير يسد عليهم المسالك التى يعرف انهم سالكوها،ويرسل اليهم فى مواطنهم ويمد رسله بالحجج ان اعوزتهم ، ويتتبع اخبارهم ويتصل بهم اتصالا فكريا مستمرا ، ولقد اسلم أو تاب على يده وأيديهم كثيرون .

وقد كان يقيد مناظراته وردوده ويرسلهـا ليستأنسوا بها فى مناظراتهم .

وأما دفاعه عن آرائه فقد كان يفكر دائما فيما ينازله به مخالفه ، وما يقطع به السبيل على حججه . وكان يتلمس حججه من القرآن دائما ، لأنه لا يعتمد فى العقائد الا على القرآن الكريم ، وكان لا يعتمد على السنة فى الاستدلال للعقائد ، لان كلها او جلها ليست اخبارا متواترة ، والأخبار غير المتواترة لا تثبت بها العقائد ، وكان يفكر فى حججه من القرآن ، وهو يصلى . ولقد قالت امرأته فى بعض حاله : « كان واصل اذا جنّه الليل صفّ قدميه يصلى ، ولـوح ودواة موضوعان ، فاذا مرت به آية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها ، ثم عاد فى صلواته » .

مدرسة واصـل

كان لواصل مدرسة فى العقائد اختصت بآراء حول العقيدة ، وناظرت مدافعة عنها ، وتسمى هذه المدرسة «المعتزلة» وتسمى نفسها اهل العدل.

واشهر الآراء التى كان يدافع عنها واصل ، واعتنقتها مدرسته هى :

أ ـ انه يرى أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرا ، ويصح أن يسمى مسلما ، وهو مخلد فى النار اذا مات من غير أن يتوب ويقلع عن ذنبه ، وذلك لانه رأى أن عبارات القرآن فى وصف المؤمنين لا تنطبق على الفاسقين المصرين على فسقهم ، وأن أوصاف الكافرين التى ذكرت فى القرآن وأحكامهم لا تنطبق على هؤلاء الفاسقين ، واذن لا يمكن بحكم القرآن ان يكون احدهم مؤمنا، اذ لا تنطبق عليه أوصافه ، ولا كافرا اذ لا تنطبق اوصافه ، ومعاملته ، فلم يبق الا أن يكون بينهما ، وأن الجنة لا يستحقها فلا يمكن الا أن يكون فى النار .

ب ـ وانه يرى أن الصفات التى ذكرت فى القرآن مقرونة بالذات العلية كالسميع والبصير ، والقادر والمريد ، والعليم ، ليست اشياء مغايرة للذات بحيث تتصور غير متصلة بالذات العلية ، أو تتصور الذات العلية من غيرها ، بل هى والذات شىء واحد ، وهى أسماء لله تعالى ، وله سبحانه الأسماء الحسنى .

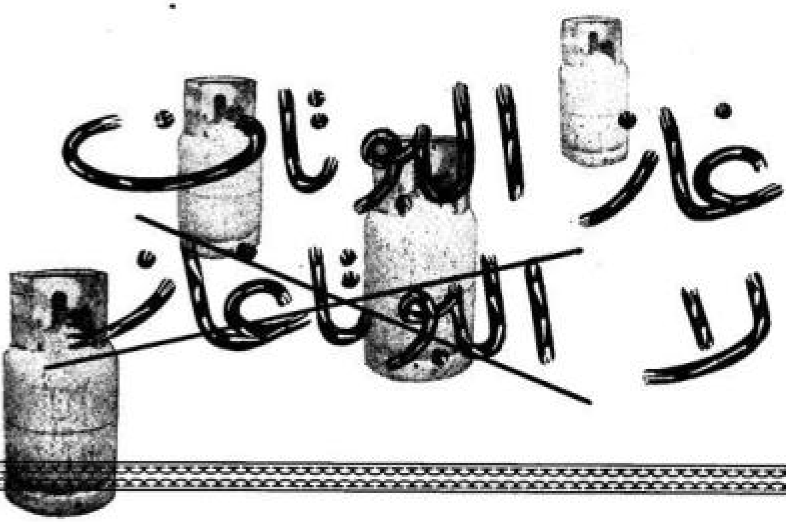
جـ ـ وكان يرى ان افعال الانسان التى يثاب عليها بقوة أودعها الله تعالى فيها ، وانه مختار فيما يفعل ، وفعله منسوب اليه لا الى الله تعالى ، فلا جبر ، بل اختيار كامل .

د ـ ويرى أن الأمر ملازم للارادة ،فلا يريد الله سبحانه وتعالى أمرا ينهى عنه ، ولا ينهى عن أمر أراده . فالمعاصى لا تكون بارادة الله تعالى ، لأنه نهى عنها ، ولا تكون الطاعات الا موافقة لارادة الله .

هذه آراء واصل التى دافع عنهـا ، وسواء أكانت حقا أم كانت باطلة ، فهى تدل على عقل يدرك مستقل ، لا يتبع غيره ، ولا يقلد أحـدا ، فهو شخصية مستقلة تتلقى المعلومات مـن نواحيهـا المختلفة ، وتخرجها بعد تمثيلها فى نفسه غذاء فكريا جديدا ، يتبعه الناس فيه ، وهى فى جملتها آراء لا تخرج صاحبها عن الاسلام ، بل فى بعضها تنزيه واضح للذات العلية .

وبهذه الشخصية المستقلة وضع فى صرح العلماء المتازين ، وكان من رُوّاد الفكر الاسلامي . فرضى الله عنه وعفا عنـه .

محمد أبو زهرة



■ وللتعريف بهذا الغاز نبدأ بنظرة سريعة فى أصناف الوقود المستخدمة فى المنازل :

اصناف الوقود

انها فحم الخشب ، ولعله من اقدم انواع الوقود استعمالا . ويستخدم الى اليوم فى البيوت للتدفئة فى الشتاء ، ولشيُّ الكستنة فى الليالي الباردة .

وانها الكحول ، وله مصباحه ، وعليه قد تصنع القهوة اليوم، ويصنع الشاى.

ولما جاء عصر البترول دخلت الى البيوت مشتقاته. وعرفنا من مشتقاته فى البيت الكيروسين (ويسمى الجاز فى بعض الاقطار) ، ولعب دوره الكبير فى الطبخ ، وفى التدفئة ، ولا يزال .

ثم اخذ ينافسه فى البيت ، من مشتقات البترول ايضا ، غاز البوتان ، مضغوطا فى اسطواناته الخاصة، وبمواقده الخاصة ، فى طبخ وفى تدفئة .

وجاءت الكهرباء آخر الامر تنافس الجميع ، ولكنها لا تزال ، من حيث القدرة الاقتصادية ، بعيدة عن متناول الكثير .

وأنا اتحدث عن الشرق خاصة ، وفى عمومه . ولهذا لا اتناول صنوفا من الوقود اخرى، مثل غاز الاستصباح، ويأتى من تسخين الفحم الحجرى بمعزل عن الهواء .

غاز البوتان لا البوتاغاز

ان البوتان غاز كيماوى بترولي ، يعرفه كل دارس للكيمياء بادىء .

ان اول ما يدرسه دارس الكيمياء العضوية ، كيمياء الحياة ، غاز الميثان . ويتألف اصغر جزء منه (جزيئه) من ذرة واحدة من الكربون (اى الفحم) واربع ذرات من الادروجين. ويسمى احيانا بغاز البرك ، لأنه ينبعث فى المستنقعات عند تحريك قاعها بعصا. وهذا الغاز ابسط هذه المركبات الكيماوية .

يليه أخ له اكبر منه . انه غاز الايثان. ويتألف جزَيئه من ذرتين اثنتين من الكربون ، وست ذرات من الادروجين .

يليه اخ لهما اكبر . انه البروپان ، ويتألف جزَيئه من ٣ ذرات من الكربون، ومن ٨ ذرات من ادروجين .

ثم اخ اكبر . انه البيوتان . ويتألف جزَيئه من ٤ ذرات من الكربون ، ومن ١٠ ذرات من الادروجين (وهو صاحبنا الذى عنه نحكي الآن فى هذا المقال) .

ثم مركب اكبر . انه البنتان ، ويتألف جزيئه من ٥ ذرات كربون، ومن ١٢ ذرة



ادروجين . والبنتالفظة Penta معناها فى الاغريقية خمسة . ويليه الهكسان ، ويتألف جزيئه من ٦ ذرات كربون ، و١٤ ذرة ادروجين . والهكسا Hexa معناها بالاغريقية ستة .

وهلم جرا .

انها سلسلة لا يخفى على اللبيب الاستمرار فى كتابة تراكيب افرادها .

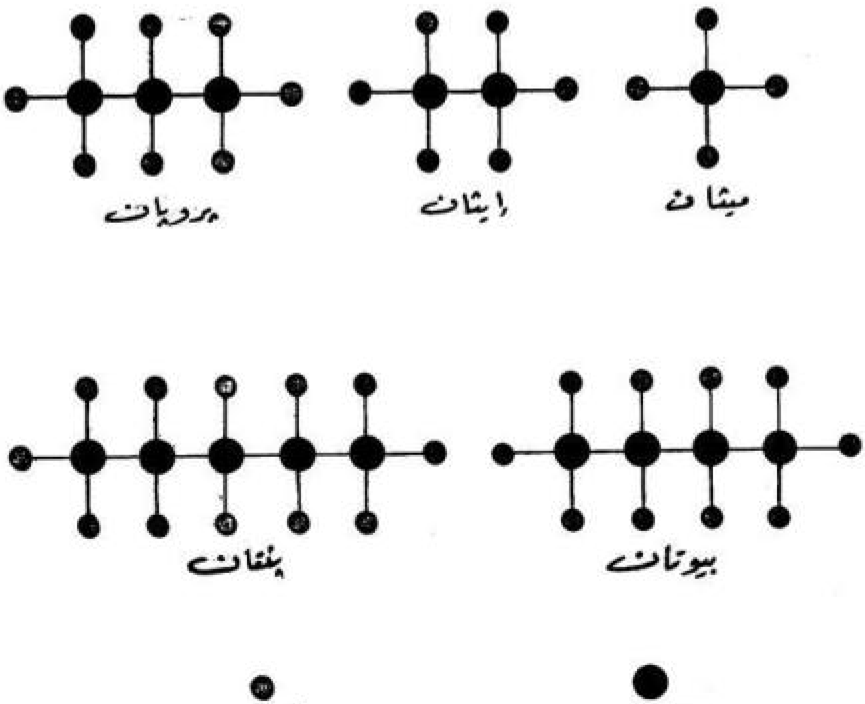
وانه من هذه الافراد، صغيرها والكبير، يتألف زيت البترول . فهو مزيج منها .

وانها هذه الافراد ، هذه المركبات الكيماوية ، هى التى تحترق فتعطى الحرارة ، اما الكربون الذى بها فيعطى ثاني اكسيد الكربون ، واما الادروجين الذى بها فيعطى اكسيد الادروجين اى الماء . وكذلك تعطى سائر المحروقات .

اللفــة

ونعود للفــة .

ان هذا الغاز الذى يوزع على المنازل



فى انابيبه انما هو هذا الغاز، غاز البوتان، ومعه أخوه الأصغر ، غاز البروبان . وغلب اسم الأكبر فصار الغاز الذى يوزع على المنازل هو غاز البوتان ، لا البيوتان غاز .

ان الافرنج يقدمون الصفة على الموصوف ، فيقولون مثلا الأحمر كتاب ، The Red Book ، ولكن العربية تقول الكتاب الأحمر .

والافرنج يقولون « القمة مؤتمر » The Summit Conference ، ولكن العربية تقول مؤتمر القمة .

وكذلك هم يقولون بيوتان غاز (بيوتا اختصار بيوتان) .

والعربية تقول غاز البيوتان (أو ان شئت اختصارا فغاز البوتا) . او البوتان . او البوتا . فتقول نطبخ فى المنزل بالبوتان او بالبوتا . وفرغت زجاجة البوتان او البوتا .

البترول : سائله وغازه

ليس من احد لا يعرف ما زيت البترول .

انه ذلك السائل الدفين فى بطن الأرض ، ومعه ، او وفيه ذائبا ، يوجد غاز البترول .

وقد ذكرنا من اى المركبات يتألف البترول السائل ويتألف غازه .

انها مركبات تبدأ بالميثان ، وبجزيئه ذرة كربون واحدة ، وينتهي بمركبات مثله ، اى كربونية ادروجينية عليا ، مثالها مركب بجزيئه ١٦ ذرة كربون و ٣٤ ذرة ادروجين . انها سلسلة ، تتزايد .

والأربعة المركبات البسيطة الأولى غازية فى الأحوال العادية ، ثم تصير المركبات التى تليها سائلة بعد ذلك، حتى اذا بلغنا الجزيء الذى به ١٦ ذرة كربون ، بدأت المركبات تكون صلبة ، ولكنها ذائبة فى الذى معها من سوائل .

غاز البترول

ان هذا الغاز يوجد فى بطن الأرض ، مع زيت البترول ، على ثلاث حالات :

١ ــ اما ذائبا فى الزيت ، ويخرج منه عند التقطير .

٢ ــ واما يوجد فوقه فى مخابئه فى الأرض ويسمى بالغاز الطبيعي Natural Gas

٣ ــ وقد يوجد الغاز وحده . ويسمى كذلك بالغاز الطبيعي .

غاز البوتان

مصدره غاز البترول .

وذلك ان غاز البترول اذا ضُغِط ، مع خَفْض درجة حرارته ، خرج منه كل مركب تسهل اسالته . ومن هذه البوتان والبروبان .

ويخلطان معا ، وعادة بنسبة ٥٠ فى المائة من كل ، ثم يُعبَّئان تحت الضغط فى الاسطوانات الفولاذية المعهودة ، وعليها الصمام الضابط لها ، يعطيك منها ، فى البيت ، بالقدر الذى تريد .

وغلب عليه اسم البوتان ، ولو انهما غازان ، كما قلنا ، مع اشباه وأنساب لهما ، يحترقان كاحتراقهما .

ولم يجمعوا فى التحضير بينهما وبين الميثان ، الأخف ، لصعوبة اسالته تحت الظروف العادية ، ولغُلُوّه فى غازيته . ولا بينهما وبين غاز البنتان، الذي يليهما، من حيث كبر جزيئه، لغلوّه فى سيولته .

وجمعوا بين البيوتان والبروبان ، اتباعا للحكمة التى تقول خير الأمور اوسطها، فهما طيّعان فى الاسالة، طيعان عند الاطلاق فى المطابخ للاحتراق فى مواقدهما الخاصة ، مواقد البوتان ، او مواقد البوتا ، لا مواقد البوتاغاز ، ذلك الاسم يذكرنا بعجمة الذى يلبسون القبّعات .

والغريب انه اسم لا تجده فى انجلترا ولا فى امريكا ولا فرنسا فهم يسمونه الغاز الطبيعي ، او الغاز المزجج Bottled Gas ، اى الموضوع فى زجاجة معدنية، او الغاز المضغوط Compressed Gas او البوتان Butane فحسب ، وهذا اسمه التجارى فى فرنسا .

نتيجة مسابقة العدد ٦٤

الاجابات الصحيحة ..

■ (١) منارة الجامع النورى الكبيرفى الموصل : العراق (٢) محطة تقطير المياه فى الكويت (٣) مسجد الصخرةالمشرفة بالقدس (٤) قبر المهدى فى السودان (٥) الاعمدة الستة لمعبدجوبيتر فى بعلبك (٦) نواعير حماه (٧) المسجد الحرام (٨) عمودالسوارى بالاسكندرية .

هذه هى الاجابة الصحيحة لمسابقةالعدد الرابع والستين .

.. والفائزون بالجوائز

وقد اجريت عملية القرعة بين الاجابات الصحيحة فكانت النتيجة ما يلى :

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازبها **محمد السعد العثمان** : كلية الملك عبدالعزيزالحربية ــ الرياض ــ السعودية

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها كل من **هدى وعبد الهادى سلو** : محل احذية السيد مصطفى سلو :كلاسة ــ جسر الحج ــ حلب ــ سوريا .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها **الآنسة وفاء عبد الملك عليان** : محل السيد عبد الله عليان ــ باب الرمل ــ طرابلس ــ لبنان .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

(١) **عتيق عبد الله العتيق** : مكتب بريد الصفاة ــ الكويت .

(٢) **عبد الحميد احمد قطب**: المدرس بمدرسة اسيوط الاهلية ــ شارع ثابت : اسيوط ــ ج ٤٠٤٠ع

(٣) **محمد سعيد عبد الغفور** :المدرسة الثانوية ــ سامراء ــ العراق .

(٤) **حسن رشدى بن حامد حشيشو**: شارع عمربن الخطاب ــ اربد ــ الاردن .

(٥) **ناصر اليوسف** : ص.ب ٥٣٦ المنامة ــ البحرين .

(٦) **مهدى احمد بشير جوده** :ص.ب ٨ واد مدنى ــ السودان .

(٧) **عبده محمد ثابت** : دكان رقم ٣٧ تحت مسجد النور ــ الشيخ عثمان ــ عدن .

(٨) **سليمان بن حمود بن احمد الكندى** : ص.ب ١٧ مسقط ــ عمان .

■■

مسابقة العدد

هذه المربعات السبعة اجعلها خمسة فقط..

جوائز ١٠٠ دينار

■ هذه مسابقة سهلة ، تجمع بين التسلية واختبار الذكاء وصفاء الذهن وسلامة التفكير ، قد تبدو لك لأول وهلة عسيرة الحل ، لكنك ما تكاد تعمل فكرك وتقدح زناد عقلك ، حتى تخرج بالجواب الصحيح .

جلس حسن يقطع الوقت فى انتظار وصول الطائرة التى ستقله الى الكويت، فلم يجد ما يتسلى به سوى علبة من اعواد الكبريت بها ٢٠ عودا ، فأخذ يصل بعضها ببعض فاذا هو امام شكل هندسى تراه هنا ، يتألف من ٧ مربعات متساوية .

ولكن حسن تملكه العجب عندما وجد ان هذه المربعات السبعة قد اصبحت خمسة فقط مع أنه لم يفعل اكثر من ان حرك ثلاثة اعواد كل واحد من مكانه الى مكان آخر .

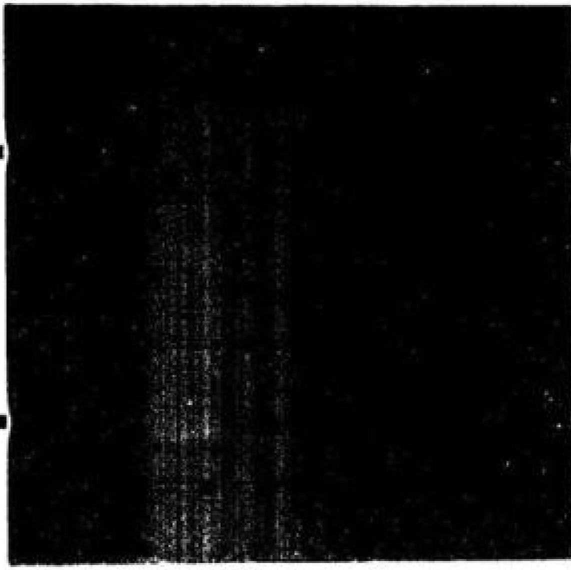
فهل تستطيع ان تفعل ما فعله بأن تحول هذا الشكل المرسوم من شكل ذى سبعة مربعات الى شكل ذى خمسة مربعات .

شروط المسابقة

١ ـ ارسم الشكل الهندسى الذى تراه هنا على ورقة خارجية ، وابدأ فى تحريك اعواد الكبريت ، وعند ما تصل الى الحل الصحيح . ارسمه على ورقة بيضاء ، بالقلم الرصاص أو الحبر ، وارسله الينا ..

٢ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٩ من هذا العدد. وكل اجابة لا ترفق بها القسيمة تستبعد.

٣ ـ يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربى » ـ العدد ٦٦ .



آخر موعد للاجابة

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر يونيو (حزيران) ١٩٦٤ . وترسل الاجابة مباشرة بعنوان مجلة « العربى »: صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربى .

الجوائز ١٠٠ دينار

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير

اما المبلغ المتبقى ، ومقداره ٤٠ دينارا، فقد قسمناه الى ثمانية جوائز متساوية، مقدار كل منها خمسة دنانير ، توزع على الفائزين الثمانية التالين .

واذا تعددت الاجابات الصحيحة فان اللجنة ستقوم باجراء القرعة بين الاجابات الصحيحة لاختيار اسماء الفائزين بالجوائز ..

نقترح عليك ان تبدأ فى الحال بالبحث عن الحل الصحيح لهذه المسابقة ، وترسل اجابتك لنا قبل الموعد المحدد

الزَّبَداني..

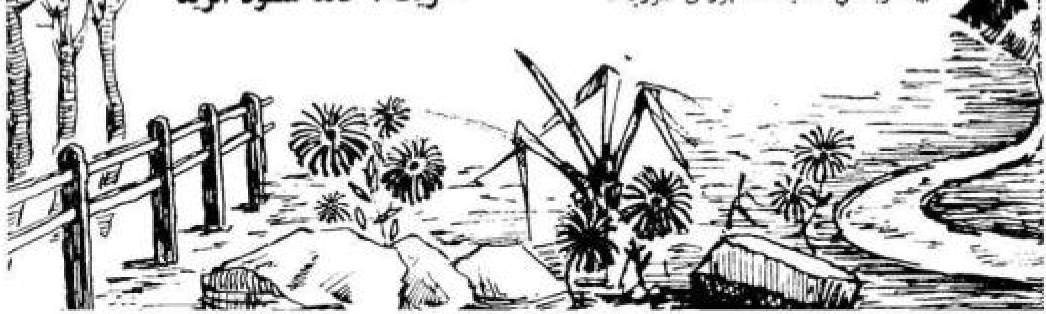
■ بأبي مَغيبُ الشمس في الزَّبَداني   وقد انثنتْ كالمُدْنَف النشوانِ
حيرَى تقلب طرفها بكآبـــة   نحو الوجود بحسرة الهيمان
وقفت قبيل وداعها وتلفَّتت   حول الرياض تلفُّت الولهان
وتململت بيد الغروب فأجهشت   بدم يسيل على الرُّبَى مُتَوان
حوريّـةٌ جذب النسيم إزارها   فبكت بمنهَل المدامع قان
فتحمّلتْ خجلَى تلوذ بشامخ   يزهو على الأيام ليس بفان
جبل أقام على الوداد مُلوحا   بيديه رغم تقلُّب الحدَثان
لم يخش زورات الظلام وبأسه   فدنا إليها في ثبات جنَان
وتعانقا فجرى اللُّجَينُ سبائكا   قد ذَوَّبته حرارة الأشجان
ينشقُّ عن نهر تبارك نسجُهُ   متلألئ الأذيال والأردان
ينساب كالقدر المُصيب على هُدًى   من وردِه وصُدوره الريان
مسترسلا في سيره متدفقا   نِعَما يفيض بها على الوديان
متمهل الخطوات في جنباته   تتلاحم الأغصان بالأغصان

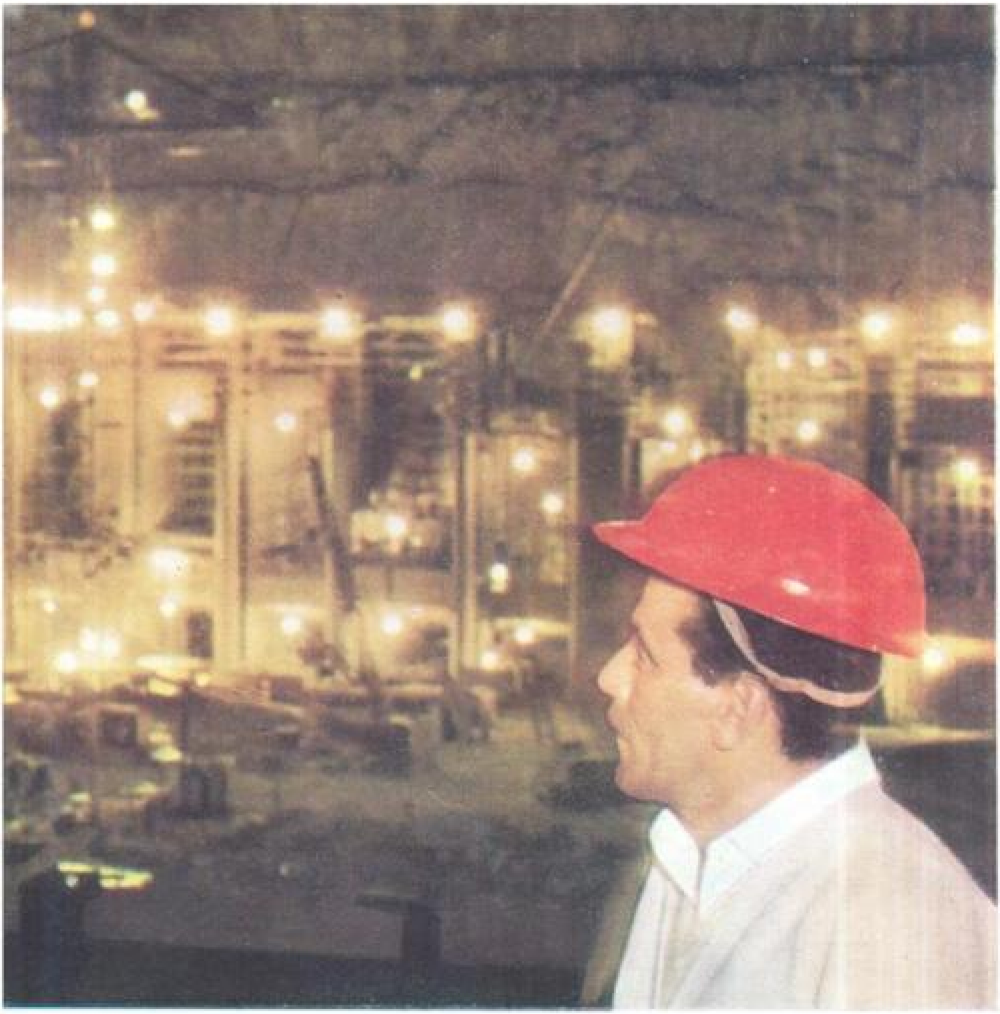


ويداعب الأزهار وهي براعمٌ ... فتثور فهي شقائقُ النُّعمان
وتهبُّ تَنْهل من رحيق صفائه ... والكلُّ من خوف الفراق يعاني
تدنو إليه مقبِّلاتٍ ثغرَه ... فهما بدمع لقاهما شَرِقان
والشمس أدركها المغيب وغادرت ... والليل أقبل ضارباً بجران
فجرت من الأفق البعيد نسائم ... سكرى تبث روائع الألحان
رُسُل من البدر التمام تدفّقتْ ... وسرت تُلاطف مُهجة الأكوان
وتُشيع في تلك السهول بشاشة ... وتزفُّ للوديان عهد أمان
وتهيم في الأُفُق الفسيح طليقةٌ ... تسرى ركائبها بغير عنان
وتذوب كالنغم الشجيِّ رقيقةٌ ... مُنسابةٌ في المُطلَق المُزدان
وتمرّ تسكب في الوجود كؤوسها ... من كوثر صافٍ ومن ريحان
والبدر يلحظها بباسم ثغره ... فيُثيرها بصفائه الوسنان
فتعوم تغمر نفسها بسنائه ... وتغور في كفّيه والأحضان
حتى إذا فاض الصباح بنوره ... ومحا الدجى بشعاعه الفتّان
قال الرفاق أفِقْ لكأسك واستقمْ ... فلقد أضاع صوابك الزَّبَداني*
فأفقتُ أجمع شمل منفرط الهوى ... فإذا الهوى في قلب كلِّ كيان
تالله ما هذا الجماد بساكن ... فانظر إليه تجده ذا خفقان
وأجِلْ فؤادك في الوجود محدّقا ... تلقَ المهيمنَ قائما كعيان
آمنت بالله العظيم ، بصنعه ... بخفائه عن مرصد الأجفان
لكنما هو في الحقيقة قائم ... في العقل ، في الأعماق ، في الوجدان

الكويت : خالد سعود الزيد

* الزبداني مصيف مشهور في سوريا .





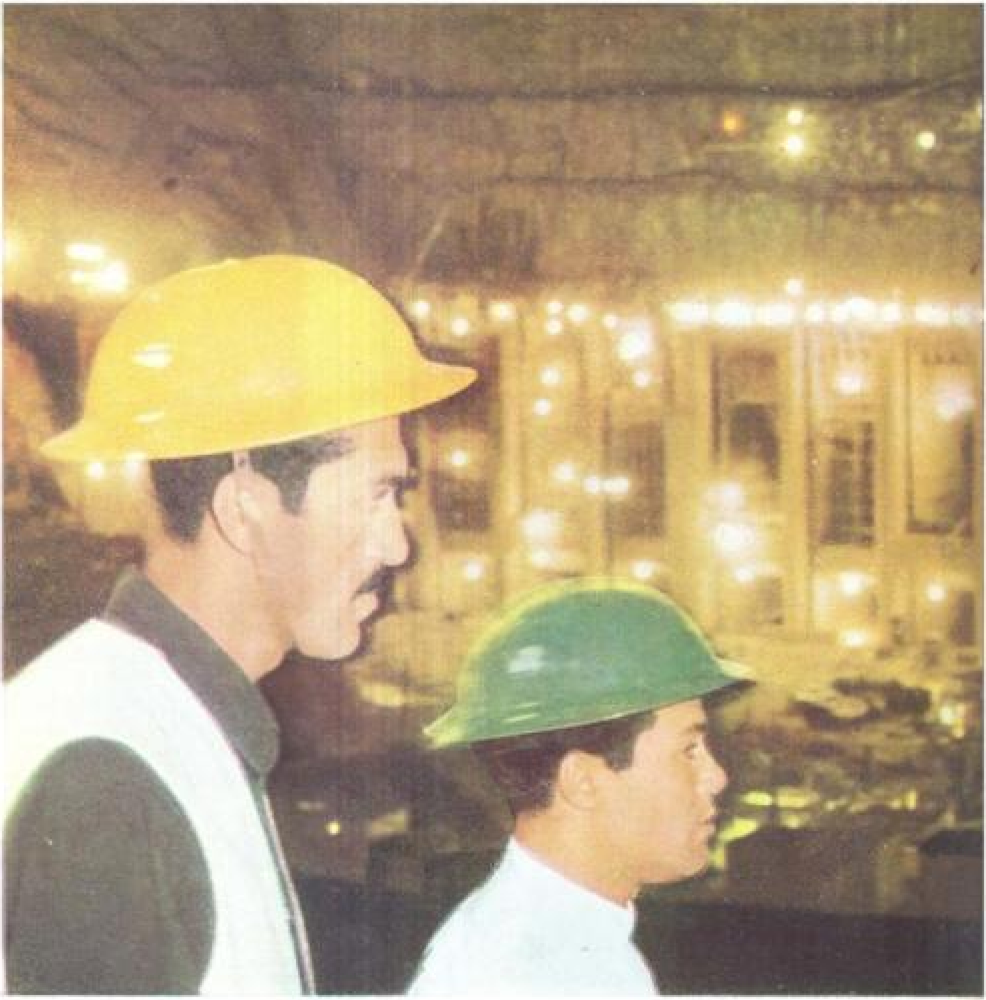
ان العمل في السد العالي لا يتوقف بالليل أو بالنهار . ولقد كان من المقرر أن تنتهي المرحلة الاولى في

اعرف وطنك أيها العربي

السد العالي

صار اليوم حقيقة واقعه

حجمه ١٧ مرة حجم الأهرام - بحجزه ١٧٥ الف مليون متر مكعب



نهاية ديسمبر ١٩٦٤ ، ولكن المجهود الجبار الذى بذله العاملون العرب قدم هذا التاريخ الى ١٥ مايو ١٩٦٤ .

قام بهذا الاستطلاع سليم زبال وصوره « أوسكار »

تنقلك « العربى » فى هذا الاستطلاع الى الضفة الشرقية للنيل ، عند الكيلو ٧ جنوبى اسوان ، لتشهد معها صفحة جديدة خطيرة من تاريخ وطننا العربى الكبير .. لقد طارت بعثة « العربى » الى هذا المكان النائى لتقدم لك هذا الاستطلاع الوافى عن أعظم مشاريع القرن العشرين التى من نوعه ، انه السد العالى الذى أصبح حقيقة كبيرة واقعة ، بعد أن كان صورة فى الخيال .. لقد انتهت الجولة الأخيرة ، من المعركة الأولى ، بانتصار ساحق للعرب .. وبعد ١٥ يوما ستبدأ مياه النيل تتحول عن مجراها القديم قدم الدهر ، الى مجراها الجديد ، لأول مرة فى التاريخ المعروف .

من الماء .. ويعطى ١٠ آلاف مليون كيلووط ساعة من الكهرباء

■ لا تصدقهم عندما يقولون لك انهم يبنون سدا عاليا جنوبي أسوان .. لأن الذي يبنى هناك ليس سدا عاليا بل مجدا شامخا لي ولك ولكل العرب ..

فالسد العالي هو النصب التذكاري لمعركة اشترك فيها العرب .. انه تذكار حي خلاق ، وليس مجرد حجر أصم !

ان المعجزة التي بدأت تظهر جلية واضحة في هذه المنطقة قد أذهلت العالم وجعلته يقف مشدوها .. حتى روسيا لم تصدق ما سمعت فأرسلت خبراءها ليتعقبوا هؤلاء الجبابرة العرب ويكشفوا سر عملهم المعجز ..

ومن السهل القول بأنه « عمل معجز » ، ولكن اذا ترجمنا هذا الاعجاز الى لغة الأرقام ، ـ وخاصة اذا كانت مقتبسة من تقرير الخبراء العالميين ـ لكان هذا تأكيدا وتثبيتا للمعجزة ، ويتناول التقرير ارقام العمل في خزانات العالم الكبيرة فيقول :

« ان أقصى ما توصل اليه الأمريكان والكنديون من اعمال حفر في مشروع شلالات نياجرا كان ٢٥٠٫٠٠٠ متر مكعب من الركام في الشهر . وفي مشروع جراند كولي ـ بأمريكا أيضا ـ وصلت أقصى كمية للحفر ٣٢٧ ألف متر مكعب في الشهر ..

وفي روسيا بلغ أقصى رقم للحفر ـ بمشروع براتزك ـ ٣٤٠ ألف متر مكعب في الشهر .. » .

ان الدول الكبرى تعتز بهذه الارقام وتفخر بها وتعتبرها الدليل على العمل المنظم الجبار الذي قامت به .. وقد تم تسجيلها كأقصى ارقام قياسية وصل اليها العالم كله ..

وجاء دور السد العالي .. وبدأ العمال العرب بالحفر في صخور تعتبر أقسى وأصلب صخور في العالم ، انها : الجرانيت ..

وارتسمت ابتسامة صفراء على شفاه خبراء العالم وهم ينظرون مشفقين أو ساخرين ، الى العامل العربي ولسان حالهم يقول : « ان أقصى ما سيتوصل اليه هذا العامل لن يتعدى ٢٠٠ ألف متر مكعب من الحفر في الشهر ! » .

واقبل العامل العربي على عمله يفتت الصخر ويحفر الجبل .. وبدأت الارقام تتجمع وتنتشر ، وقدموها للخبير الذي ما كاد يطالعها حتى سقط فكه دهشة واستغرابا .. وأسرع بتقديمها الى رئيسه الذي طيرها برقيا الى العالم ..

وكان نص البرقية :

« توصل العامل العربي الى حفر ٥١١ الف متر مكعب من الصخور في الشهر الواحد ! » .

ووضع تحت رقم ٥١١ ألف خطين .. لأن العامل العربي استطاع بهذا الرقم أن يضرب جميع الأرقام القياسية العالمية ، ويحولها الى أرقام عادية لا تثير الدهشة !!

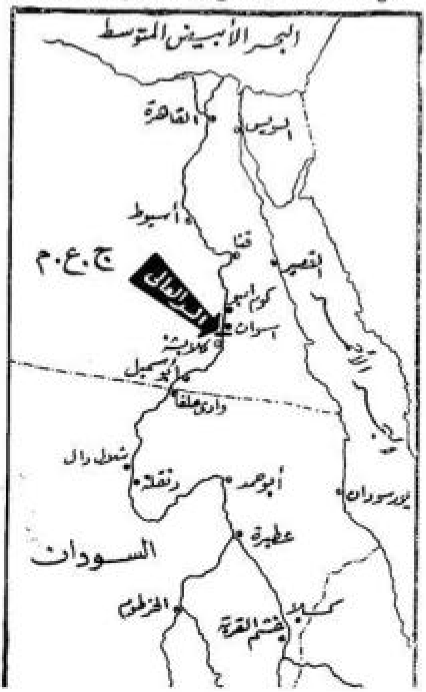
عربي أولا ...

وجلسنا الى جمال الدين البطراوي ، مدير عام المقاولين العرب الذين يتحملون اكبر الاعباء في بناء السد ، جلسنا اليه نستوضحه السر وراء هذا الرقم الكبير فقال :

« ان هناك دائما جبارا وراء كل عامل في السد .. دائما يجعله ينتج أكثر مما هو مطلوب منه .. انه الايمان ..

« الايمان بخطورة العمل الذي يقوم به .. والايمان بقوميته وعروبته ..

الى أسفل : خريطة تبين موقع السد العالي ، من مختلف المدن التي ورد ذكرها في المقال





فوق جسم السد الذى وقف اليوم عند هذا الحد من البناء ، سار ، هؤلاء العمال الشباب مغتبطين فخورين .. انهم عمال التراحيل ، أولئك العمال الرحل الذين يتنقلون وراء أعمال البناء والتعمير من مكان الى مكان ، أولئك الذين لم يلقوا أية عناية فى أى عصر من العصور .. ان هؤلاء العمال قد بنيت لهم اليوم المساكن الصحية ، وتقرر أن يكون الحد الأدنى لما يتقاضاه العامل منهم ٢٥ قرشا يوميا ..

انه لا يعمل كمصرى ، بل يعمل باسم كل العرب الذين ساندوه عندما كان فى محنته ، ولم يتخلوا عنه.

« انه يريد أن يرفع رأس العرب جميعا فى عمله .. وهو فى تخطيه للعقبات والمراقيل يشعر بالزهو ، لأنه أتم عملا صالحا من أجل رفاهية الأجيال القادمة .. » .

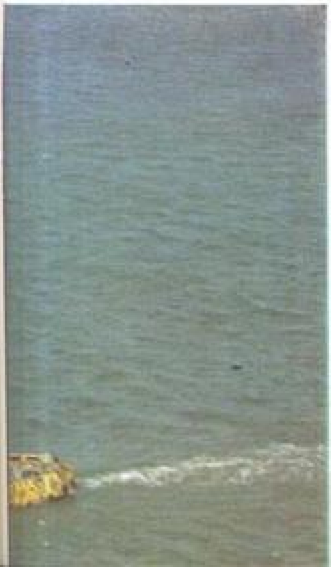
١٢ عاما فى أربعة أعوام !

ويستمر جمال الدين البطراوى فى حديثه فيقول :

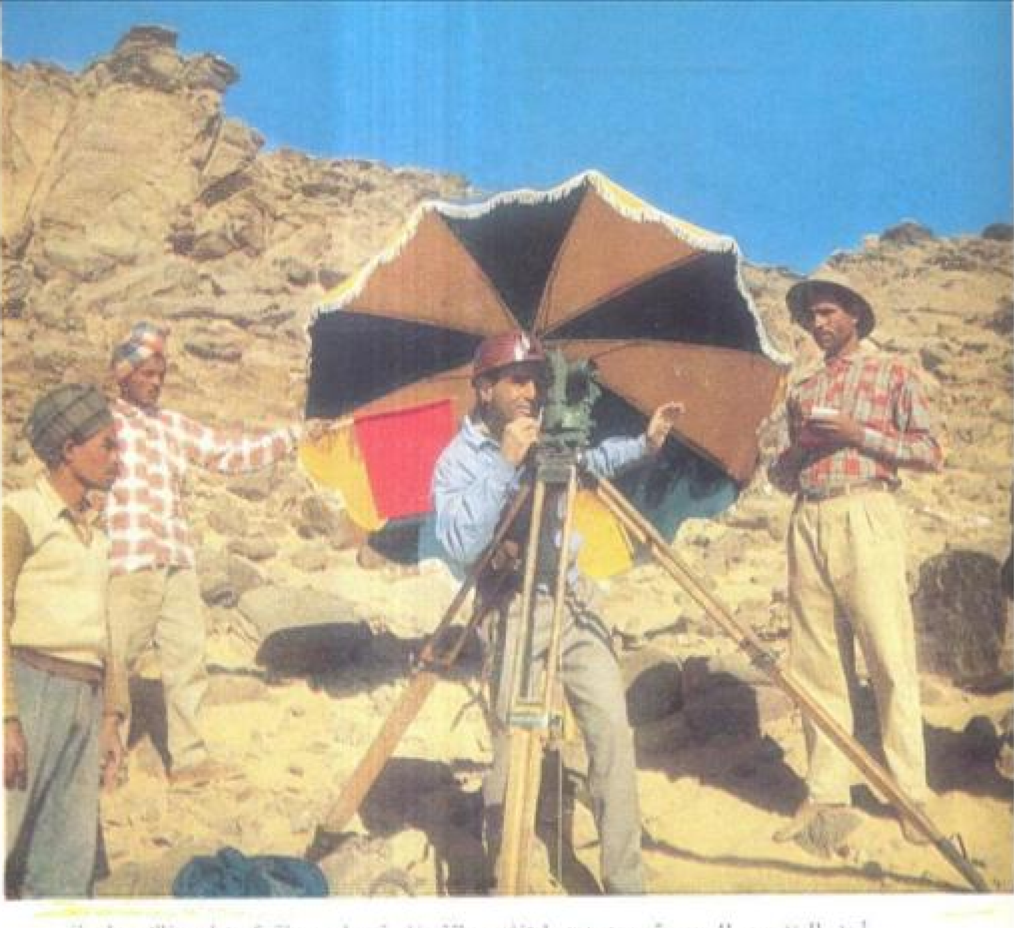
« قد يقول البعض ان المادة هى التى تدفعه للعمل ، ولكنى أستطيع ان أؤكد لك أنه لو عرض على أى موظف أو عامل أن يؤدى فى ظروف أخرى ، نفس العمل الذى يؤديه هنا ، بأجر مضاعف ، لما بذل للعارضين سوى نصف المجهود الذى يبذله هنا .. اننا نقوم بهذا العمل من أجل الوطن بأسره .. ونحن لا نحسب اليوم بالساعات .. ولا نحسب الأسبوع بالأيام ، لأننا نعمل فى كل يوم ، ثلاثة

ان التفجيرات فى الجبال الجرانيتية ، لها أصوات لا تكاد تسكت فكأنما هى تذكر الناس دائما بأنهم فى السد العالى !! .. ان متوسط التفجير اليومى يتراوح بين ٢٠ و٢٥ طنا من الديناميت، وأكبر كمية من الصخر المنهار كانت ٧٠ الف متر مكعب . وبعد النسف تحمل الصخور الناتجة من الانهيار بمغارف كهربائية جبارة وتوضع فى سيارات حمولة الواحدة منها من ٢٥ الى ٣٠ طنا .. وهذه تنقلها بدورها الى الصنادل التى تتسع لخمسمائة طن من الصخور ، وتتجه الصنادل الى مكان جسم السد فتلقى بحمولتها عنده (انظر الصورتين السفليتين)









أحد المهندسين العرب يقوم بتحديد ارتفاع منطقة خاصة يراد معرفة كم تعلو وذلك بواسطة استخدام المزواة المساحية « التيودوليت » . ويقوم بالعمل على هذه الأجهزة المساحية وأمثالها مهندسون وعمال مصريون أظهروا كفاية ممتازة « من ناحية التخطيط ومن النواحي الفنية عموما . .



ايام !! اى علينا أن نستقبل الفجر ثلاث مرات فى اليوم الواحد !

« لقد مضى علينا اربعة أعوام نعمل ، وقد عملنا خلالها لمدة ١٢ عاما !! » .

١٧ هرما لوقف النيل

واخذت عشرات من علامات الاستفهام تتراءى أمامنا ، وخيل الينا ان « دينامو السد » قد شاهدهامعنا ، فزادنا ايضاحا :

« لم يحدث ابدا أن اشتغل العالم اياما بأكملها اتصلت حتى بلغت أربع سنوات .. وستستمر متصلة أربع سنوات تالية أخرى .. » .

وسكت هنيهة ثم اخذ يقول :

« انى أعتبر هذه العملية عملية تنظيم وتشغيل قبل أن تكون عملية انتاج .. اذ عندنا ٣٠ ألف عامل ، مقسمين الى ثلاث فرق ، وهذا يعنى أننا يجب ان تدخل ١٠ الاف عامل منهم الى ساحة العمل ، ثم نسحبهم بعد ثماني ساعات ، ليدخل



تحت رسم السد العالى ، جلس المهندس جمال البطراوى مدير عام « المقاولين العرب » الى اليمين ، يدرس خطة العمل مع المهندس بهجت حسنين عضو مجلس الادارة المنتدب .

١٠الاف آخرون محلهم . وهكذا تتكرر هذه العملية ٣ مرات فى اليوم ، أى أنها تكررت حتى الآن ١٥ ألف مرة ، دون أن يحدث اى تخلف أو تعطل » .

« اننا نلقى فى النيل كل يوم من ٢٢ الى ٣٠ الف متر مكعب من الصخور،وهذا رقم هائل أذهل الخبراء مرة ثانية ، لانهم كانوا يعتقدون بأننا لن نستطيع أن نلقى فى البحر بأكثر من ١٣ ألف متر فى اليوم !

وهذه الأرقام الكبيرة هى السر فى انهاء المرحلة الأولى قبل موعدها المحدد بسبعة شهور .

« أما مجموع كميات المواد المطلوب وضعها فى جسم السد العالى ، من ركام صخرى وطمى ورمال وخراسانات وما الى ذلك ، فتبلغ حوالى ٤٣مليون متر مكعب ، أى أننا سنضع فى النهر مواد تكفى لبناء ١٧ هرما بحجم هرم الجيزة الأكبر !! » .

لماذا يبنون السد ؟

نعم لماذا يبنون السد ؟ ان هذا هو أول سؤال يخطر على البال .. والرد هو أن مصر اصبحت تضيق بسكانها .. الناس يتكاثرون ويتضاعف عددهم بنسبة أكبر كثيرا من الزيادة فى انتاج المواد الغذائية ..

والاحصاءات التالية تعطينا فكرة واضحة عن هذا التضخم غير المتناسب ، بين زيادة السكان ، وزيادة المنطقة المزروعة ..

السنة	عدد السكان	المساحة المزروعة بالفدان
١٩٣٧	١٦ مليونا	٥ر٢٨٠ر٧٠٠
١٩٤٨	١٩ مليونا	٥ر٧٦١ر٣٨٩
١٩٦٠	٢٦ مليونا	٥ر٧٨٦ر٤٨٢

وعلى هذا المعدل سيكون سكان مصر عام ١٩٧٠ اكثر من ٣٠ مليونا ، أى نحو ضعف عدد سكان عام ١٩٣٧ . وبما ان أقصى رقم لاستصلاح الأرض بلغ ٢٠ ألف فدان فى السنة ، لهذا كان التفكر فى مضاعفة مساحة الأرض المزروعة ضربا من الخيال.

تحديد النسل مستحيل

وفكر المسئولون فى تحديد النسل ، ولكن أهل مصر ، وخاصة فى الريف ، يربطون بين مسألة انجاب الأطفال وبين عقائدهم ، وتقاليدهم،ومفهوم العلاقات العائلية عندهم ، فهم يعتبرون تحديد النسل خروجا على مشيئة الله .. الى حين .



خسر النيل جزءا كبيرا من حريته عندما اقاموا عليه خزان أسوان ، الذى كان أول حل عملى لمشكلة تخزين ماء النيل .. وقد بدىء فى بناء هذا الخزان عام ١٨٩٨ وانتهى فى ١٩٠٢ . وبعد تعليته مرتين (سنة ١٩١٢ وسنة ١٩٣٣) ، أصبحت سعته ٥ مليارات متر مكعب من الماء .. وفى موسم الفيضان ، يوليو وأغسطس وسبتمبر، تفتح عيون الخزان الـ ١٨٠ لتصريف مياه الفيضان التى تندفع بمعدل ٦٠٠٠ متر مكعب فى كل ثانية ! ولتضاعف هذه الكمية أيام الفيضانات العالية ..وعندما تبدأ مياه الفيضان فى الانحسار ، يشرع المختصون فى قفل عيون السد تدريجيا لحجز المياه ولا يكون تصريفها بعد ذلك الا بمقدار حاجة الرى . وهذا التفاوت الكبير فى نسبة كميات المياه المتدفقة يؤثر فى قوة توليد الكهرباء من الخزان فيجعلها تنخفض، فى بعض الاحيان، الى ثلث الكمية المقدرة للانتاج العادى . ولكن بعد الانتهاء من بناء السد العالى ، ستصبح بحيرة خزان اسوان ملآنة دائما بالمياه ، وهذا سيسمح لمحطة توليد الكهرباء ، التى بهذا الخزان ، بالعمل بكامل قدرتها على مدار السنة ، فيتضاعف انتاجها من الكهرباء ، الذى يبلغ حاليا ٢٤٥٦ مليون كيلووط ساعة سنويا ..

.. والهجرة كذلك

وفكروا فى الهجرة ، ولكن تمسك أبناء مصر بارضهم وتعلقهم بها ، لا يوازيه سوى تمسك الصينى بارضه وتعلقه بها !

النيل هو السبيل الوحيد

ونظرت مصر الى النيل ، فوجدته يقذف بنفسه منتحرا فى البحر المالح ، بعد صراع عنيف ورحلة طويلة تدوم مائة وخمسين يوما ، يقطع خلالها ستة آلاف كيلو متر ، من خط الاستواء الى مصبه فى رشيد ودمياط .

ان النيل يلقى فى البحر الأبيض سنويا كمية من المياه تزيد على ٣٠ مليارا (*) من الامتار المكعبة تذهب هباء .. بينما الأرض الطيبة تشكو الظما وقلة الماء ..

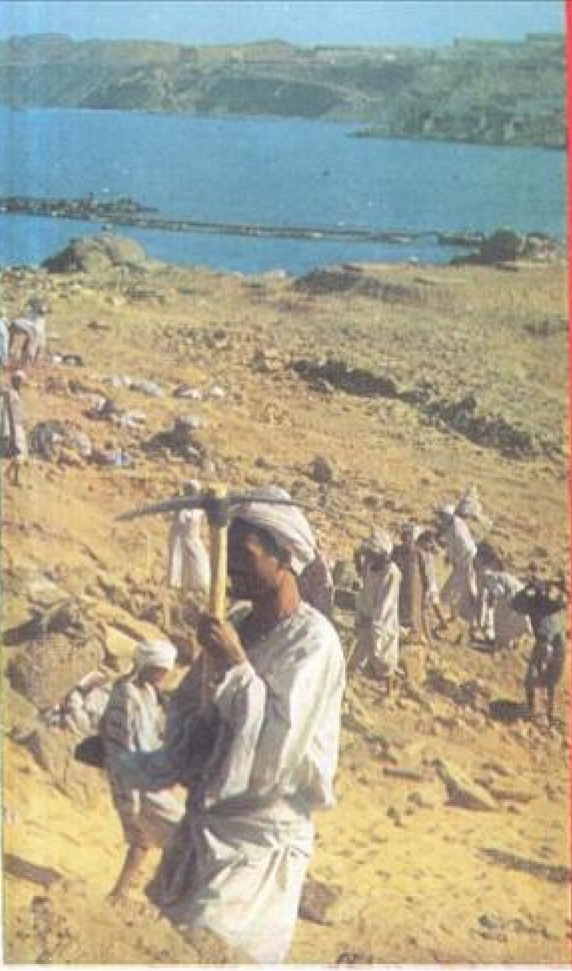
والأراضى المزروعة حاليا فى مصر تحتاج الى ٥٢ مليار متر مكعب من المياه لريها .. والنيل لايثبت على ايراد واحد فى جميع السنين ، فمرة ياتى ايراده شحيحا ضعيفا فيقتل الزرع ، كما حدث فى عام ١٩١٤ ، اذ جاء بايراد لم يتجاوز ٤٢ مليارا من الأمتار المكعبة .. ومرة ياتى مزبدا هائجا غزيرا فيغرق الزرع ، كما حدث عام ١٨٧٩ ، اذ جاء حاملا ماء مقداره ١٥١ مليارا من الامتار المكعبة !!

وهذا التذبذب يجعل الانسان عبدا للطبيعة ، تتحكم فيه وتخضعه لها .. والانسان يهدف دائما الى السيطرة على الطبيعة !!

انتقام النيل

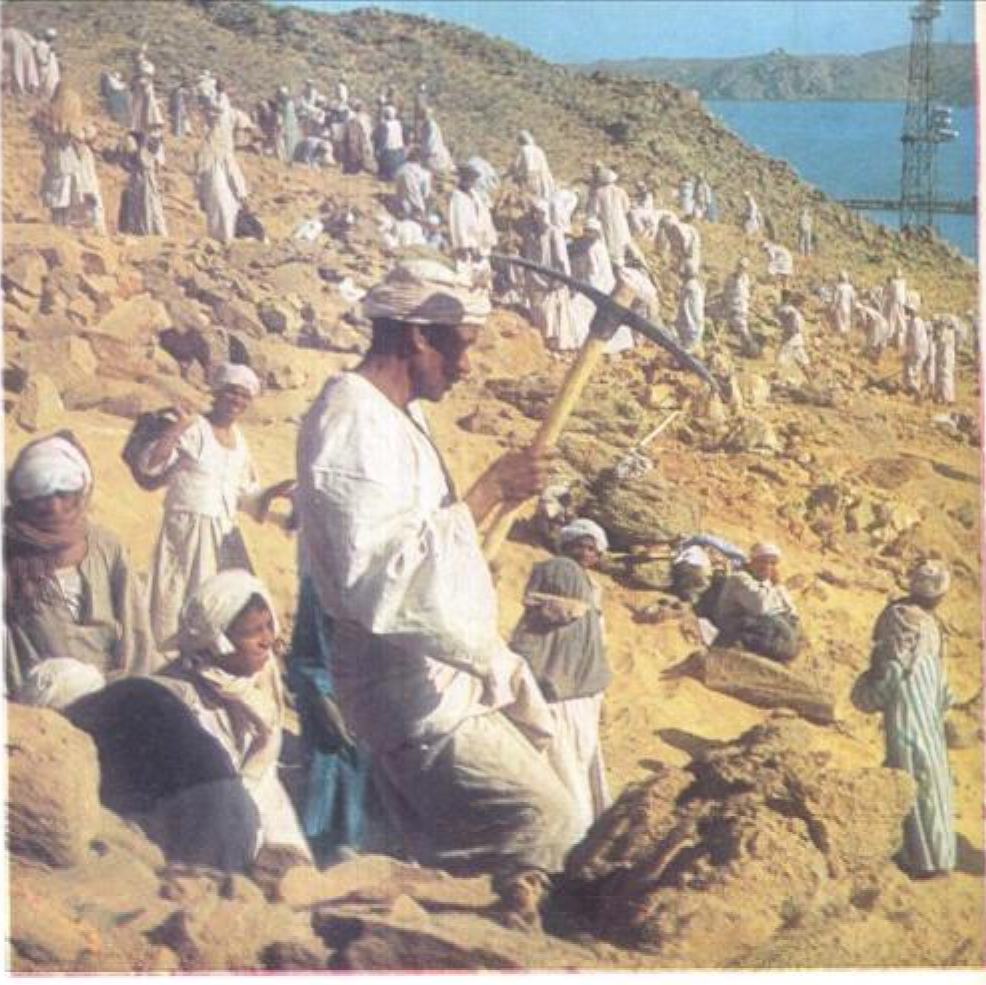
ومن هنا جاءت فكرة السيطرة على مجرى النهر الجبار ، واخضاعه لارادة الانسان فكانت الجولة الأولى التى خسر فيها النيل جزءا كبيرا من حريته ، عندما أقاموا عليه خزان أسوان منذ ستين عاما ، ولكن السيطرة لم تكن تامة ، فالنهر المقهور لا يعترف بالهزيمة ولا يقبلها ، بل يعمد

(*) المليار هو ألف مليون . وأصل اللفظ فرنسى Milliard وعربناه



(الى اليسار) : على الضفة الغربية للنيل بدأ العمل لبناء الجناح الأيسر لجسم السد الذي سيمتد مسافة ٧٥٥ مترا على اليابسة ، ليحجز خلفه المياه التي سوف تفيض الى جوانب السد عندما تمتلىء بحيرته .. ان الآلاف من أبناء النوبة يعملون في تمهيد الجبل لترتكز عليه الآلات الضخمة .. ان هذه الصورة ترجع بالخيال الى آلاف السنين ، الى عهد بناة الأهرام، فهؤلاء لا شك كانوا بناته. انهم يعملون بعزيمة مبدعة. حقيقة ان تفاصيل ما يبنون خافية عليهم، ولكنهم يعرفون جيدا أنهم يبنون سدا هائلا سيجلب الخير لهم ولأبنائهم .. ووسط صوت الدق، وصدى المطارق ، وقرقعة الأحجار وهى تتزلق على المنحدر ، ترتفع دمدمتهم وهم يدندنون « جئلنا جتنبني ، وآدي احنا بنبنا السد العالي » .. والصورة السفلى تريك اياهم عند الأصيل ، وقد فرغوا من العمل ، وهرعوا الى ساحات مدينة السد ، يلتقون في حلقات ليرقصوا بالعصي رقصة « التحطيب » الشعبية .







الى اليسار: «تنظيم العمل والعاملين ، واخضاعهم لنظام دقيق هو السر الكبير لهذا النصر الباهر الذى حققه الانسان على النيل الجبار ...» هكذا قال لنا المهندس امين عمر المدير الادارى المسئول للمقاولين العرب ، وتراه فى الصورة يراجع على اللوحة الصفراء أسماء المهندسين العاملين ..

دائما الى الثورة ، فيجمع قواه في صيف كل عام ليندفع ثائرا مزبدا هائجا ، يحاول قلع الخزان من مكانه .. وينذعر المسئولون عن الخزان فيفتحون فتحات الخزان بأسرها وهي ١٨٠ ، لتتدفع منها المياه حرة ، وذلك خوفا من غضبتها الكبرى .. وهكذا تضيع المياه رغم هذا الخزان الكبير ، الذي اعتبر من عجائب العالم في مطلع هذا القرن ..

مطلوب جبل لصد مياه النيل

واتفق المسئولون على أن السيطرة على مياه النيل تحتاج الى عمل أضخم من خزان أسوان يستطيع أن يقف بقوة أمام مياه الفيضان ولا يخافها ..

فقالوا : نضع سدا هائلا عبر النهر ، يكون أصم لا تنفذ منه المياه ، تتجمع المياه خلفه ، ثم توصل هذه المياه المتجمعة خلفه بقنوات ، نضع في نهايتها تربينات لتوليد الكهرباء . وبهذا نتحكم في كمية المياه التي تنفذ الى الشمال ، تلك التي تحتاجها البلاد كل يوم ، وكذلك نستخرج من دفع الماء المنتظم للتربينات قوة كهربائية كبيرة ..

أصلح مكان

وهذه الصورة هي أبسط الصور للسد العالي .. وبعد أن زادت هذه الصورة اتضاحا ، اجتمع أكبر خبراء السدود في روسيا وأمريكا وانجلترا والمانيا وفرنسا مع الخبراء العرب لدراسة مشروع السد العالي ووضع تصميماته .

وبعد الاتفاق على المبدأ ، بدأت عملية البحث عن المكان الملائم ..

ان جميع مشاريع النيل الكبرى التي تنفذت ، والمقترح تنفيذها ، يقع أكثرها خارج الجمهورية العربية .. وفكر المسئولون في وضع هذا السد في المنطقة الواقعة شمال عطبرة . ولكن كمية التبخر هناك كانت كبيرة ، فعدلوا عن المكان ..



كان العمران ينتهي عند أسوان .. وبدأ السد ، وبدأت عملية بناء مساكن للمهندسين والموظفين .. وكانت الحياة في أول الأمر هناك شاقة .. أما اليوم فقد أقام « المقاولون العرب » مدينة عند طرف السد ، يسكنها المهندسون والموظفون ، والعمال . وترى في الصورة المباني التي خصصت للعمال . وفي هذه المدينة سينما تتسع لسبعة آلاف شخص .. ومحلات لبيع الفواكه والبقالة والتصوير والحلاقة وبنك وللفراف ومستشفى ، وكل ما يلزم الحياة . وستسلم هذه المباني بعد الانتهاء من السد الى الحكومة لتكون نواة مدينة واسعة جديدة .. ومما يذكر أن أهل أسوان أصبحوا يقصدون مدينة السد هذه لقضاء الصيف فيها حيث أن الجو فيها أقل حرارة ، وخاصة في الليل !.



« عندما أرى الوزير لابسا قميصا نصف كم ، والعرق يتصبب منه ، أشعر كأن طاقة جبارة تدفعني للعمل بقوة عشرة رجال .. »

هذا ما قاله لنا عامل بالسد عندما سألناه عن شعوره وهو يرى الوزير يمر بجواره كل يوم .. أن العصر الذى كان يجلس فيه الوزراء خلف مكاتبهم بالقاهرة، بينما العمل يجرى فى مناطق بعيدة ، هذا العصر قد انتهى الى غير رجعة، وأصبح الوزير يقيم بصفة مستمرة فى مقر عمله ، يعيش ويتعب كأى فرد عادى .. وهذا ما يحدث فى السد العالى ، وتبينه الصورة العليا التى التقطت للسيد صدقى سليمان وزير السد العالى وهو يشرح للسيد على صبرى رئيس مجلس الوزراء ، الخطوات النهائية للمرحلة الاولى . بينما وقف الى أقصى اليسار المهندس عثمان احمد عثمان رئيس مجلس ادارة « المقاولون العرب » الذين يقومون بتنفيذ ٦٠٪ من أعمال السد العالى .. علما بأن الـ ٤٠٪ الباقية تقوم بها مؤسسات عربية أخرى ..

واتجهوا الى ما بين حلفا وأسوان ، فاختير موقعان : احدهما يقع على بعد ٤٩ كيلو من خزان أسوان عند كلابشة ، والآخر على بعد ٧ كيلو مترات جنوب أسوان . وبعد دراسات دقيقة اختير هذا الموقع الثانى كأصلح مكان لاقامة السد.

خطوط سير الغزلان

وعلى الفور بدأت عملية المسح ، فاتجه ٢٠ مهندسا من مصلحة المساحة المصرية ، مزودين بأحدث المعدات، الى تلك المنطقة الصخرية الرملية التى أخذت لونها من لون الشمس ..

كانوا يسيرون على أرجلهم فى الرمال ،ويتسلقون بأيديهم الصخور . كانت مهمتهم شاقة لكنهم أتموها على أحسن وجه . ورسموا ٢٠ خريطة تفصيلية كاملة تبين كل شىء فى هذه المنطقة الجرداء حتى خطوط سير الغزلان كانت واضحة على الخرائط ! .

وما زالت هذه الخرائط حتى الآن هى المرجع فى مختلف أعمال السد ..

من أين نبدأ

ولكن مسح المنطقة قبل اقامة السد لم يكن كافيا.

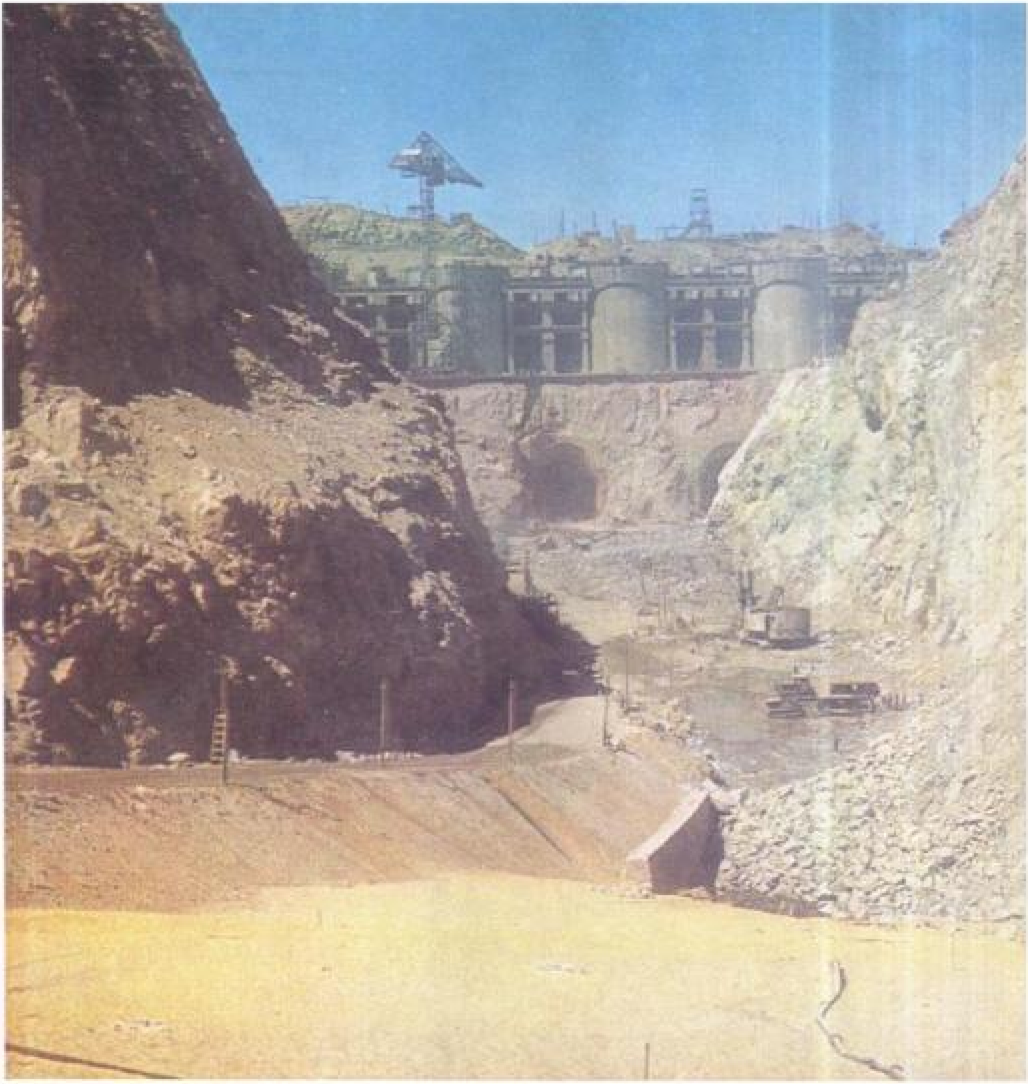
وكان السؤال الحائر : من أين يبدأ العمل ؟ هل يبدأ بحفر قناة التحويل التى اليها سيتحول ماء النهر ، أم بحفر الأنفاق التى سيمر منها الماء المحول لادارة التربينات التى تولد الكهرباء ؟

وجاء الرد: بالاثنين معا، حتى لا يضيع الوقت..

فقام مهندسو مصلحة المساحة المصرية برسم لعمل نفق توصيل مؤقت يؤدى الى مستوى فيمان الأنفاق المقترحة ، يكون وسيلة مؤقتة لحفر هذه الأنفاق الستة ، ثم يردم بعد زوال الغرض منه .

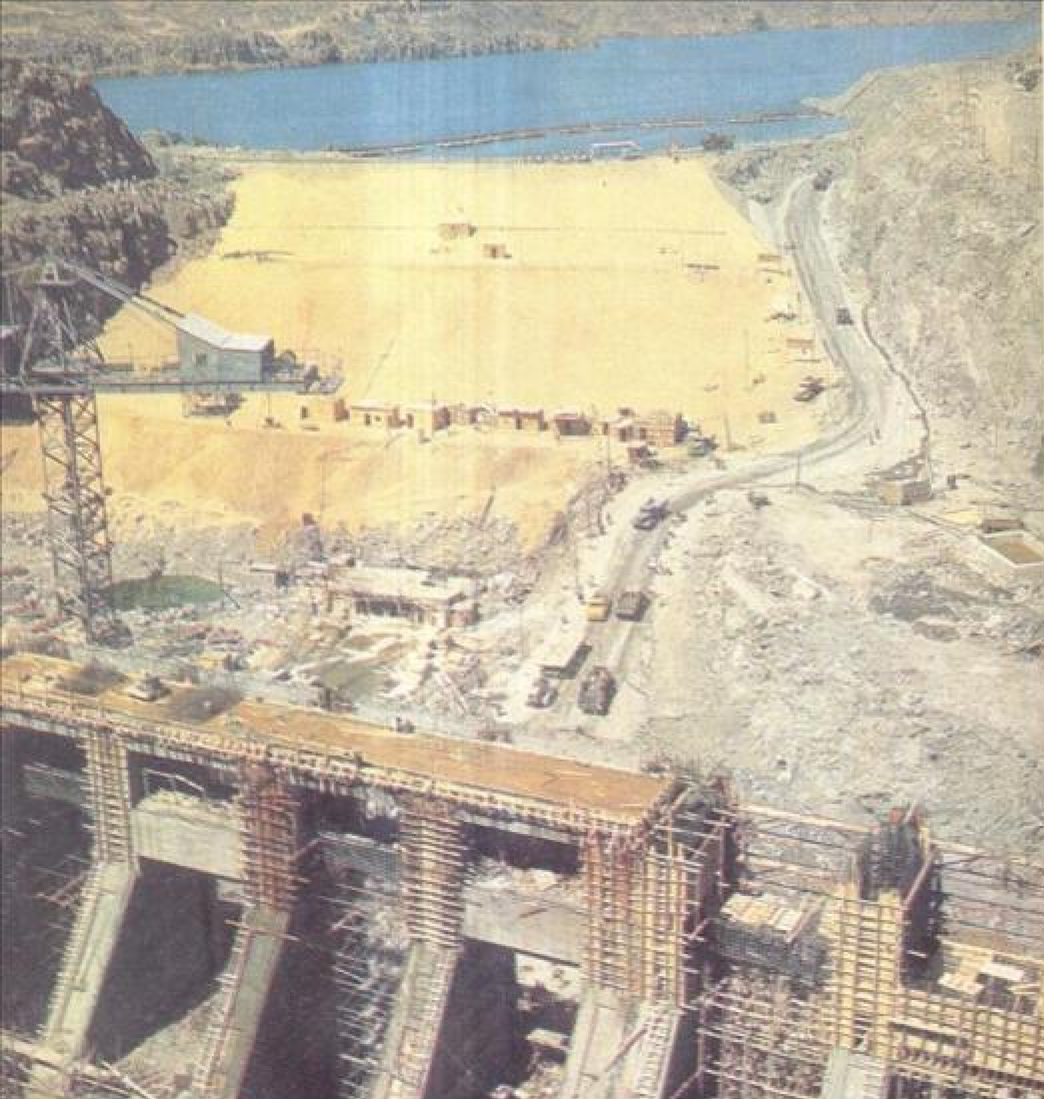
وفى نفس الوقت بدأ العمل مستقلا فى حفر قناة التحويل ، فى جنوب الأنفاق ، وكذلك فى شمالها . فصارت القناة المحفورة فى واقع الامر قناتين .

وبهذا أمكن توفير سنتين من العمل بفضل ابتداع هذا النفق المؤقت الذى تكلف ٧٠٠ الف جنيه .



الى هذا المجرى الجديد سيتحول مجرى النيل

هذا هو مدخل القناة التى سيتحول اليها مجرى النيل .. ان هذا الفراغ الهائل الذى تراه ، هو من صنع الآلات والانسان ، لقد نقل الجرانيت الذى كان فيه الى النيل ليكون جزءا من جسم السد العالى ... والجزء الأقرب الواطىء في الصورة هو السد الترابى المؤقت ، وطوله ٣٠٠ متر ، وقد وضع هنا ليقى العاملين في داخل القناة من مياه النيل التى لولا هذا السد الترابى لأغرقتهم . وفي يوم ١٥ مايو ستوضع المتفجرات داخل هذا السد الترابى ، فتنسفه لتفتح الطريق أمام مياه النيل ، التى ستتحول عن طريقها الأزلى الى هذه القناة ، وهى قناة طولها في اتجاه جريان الماء ١١٥٠ مترا ، وعرضها متراوح بين ٦٠ و ١٢٠ مترا ، وعمقها ١٠٠ متر مقيسا من مستوى قاع النهر .. وقناة التحويل هذه تستطيع تمرير كمية مياه تقرب من ألف مليون متر مكعب في اليوم الواحد ، وهى قدرة تفوق قدرة أى قناة صناعية مماثلة في العالم !.. وفي نهاية الصورة تظهر مداخل الأنفاق التى ستمر منها المياه لتصنع كهرباء قبل رحلتها شمالا .. ومما يذكر أن هذه القناة ستغطيها المياه تماما عندما تمتلىء البحيرة بمياه الفيضانات المتعاقبة ، ولن يظهر منها أى شىء بعد عام ١٩٦٨ .



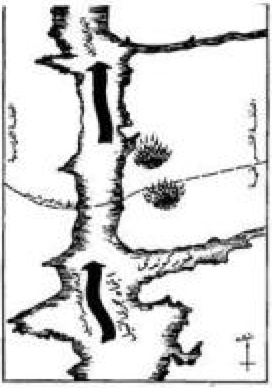
.. وبعد عبور المياه للانفاق ، تدخل محطة توليد الكهرباء ..

وهذه الصورة لقناة التحويل شمال الانفاق .. وفي الجزء القريب من الصورة تبدو أعمال البناء في أساسات محطة الكهرباء ، تلك المحطة التي سيتم تركيب كل وحداتها عام ١٩٧٠، لكن بعض هذه الوحدات سيبدأ انتاجه عام ١٩٦٨ فيعطي ٢٥٠٠ مليون كيلووط ساعة في السنة ويصل الانتاج الى ذروته ، أي الى ١٠ مليارات كيلووط عام ١٩٧٠ وهذا المقدار من الكهرباء يساوي ضعف الطاقة الموجودة حاليا في البلاد .. وبعد مرور المياه بمحطة توليد الكهرباء ، ستتابع سيرها في قناة التحويل ، التي تتمثل في هذا الفراغ الكبير الظاهر في الصورة بين الجبلين الصخريين ، الى اليمين والى اليسار ، وهو فراغ يبلغ عرضه ٢٧٨ مترا ، وطوله في جريان الماء ٤٨٥ مترا . بقي أمر السد الترابي ، الذي تراه واضحا أصفر في الصورة ، فهذا بالطبع يقف سير المياه . وهو سوف يزال بتفجيره بالديناميت يوم ١٥ مايو الجاري لتستطيع المياه القادمة من قناة التحويل ، الاتصال بمجرى النيل التقليدي القديم الظاهر في الصورة أيضا ..

وبعد كتابة ما تقدم جاءت الأنباء بأن تعديلا قد أدخل بحيث أن قناة التحويل ستملأ بالماء قبل التفجير ، بواسطة الطلمبات ، ثم يتم التفجير في جزء من السد الترابي حتى يكون الاندفاع على الأبواب متدرجا .

مــع مراحل العمــل
.. خطــوة خطــوة

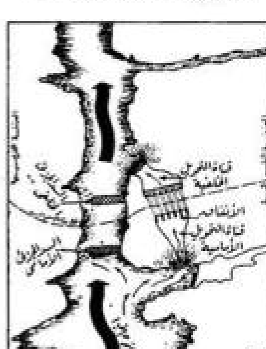
ولكي نفهم مختلف مراحل المشروع لا بـد مـن الاسـتعانة بالخـرائط التوضيحية للعملية .

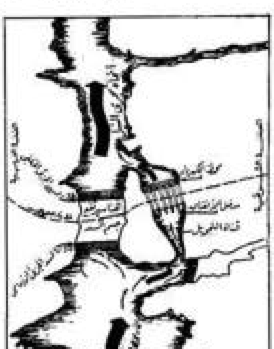


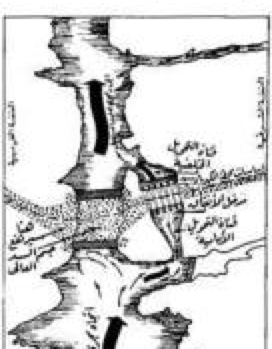
١ ـ ٩ يناير ١٩٦٠ : بدأ العمل الفعلى فى منطقة السد ، اذ فجر سيادة رئيس الجمهورية ، الرئيس جمال عبد الناصر ، ومعـه جلالة ملك المغرب الراحل محمد الخامس ، ومعهما سيادة الرئيس الأسبق للجمهورية السورية ، شـكرى القوتلى ، فجروا معا ١٠ أطنان من الديناميت على الضفة الشرقية للنيل فارتفع فى الفضاء ٢٠ الف طن من الصخور فتتها تفجير الديناميت ، وكانت هذه بداية حفر قناة التحويل شمال خليج صغير يسمى خوركوندى ، وقد اختيرت المنطقة الواقعة شمال هذا الخور لاقامة السد العالى عليهـا ..

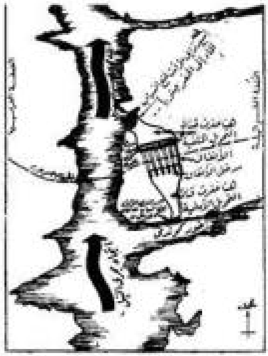
٤ ـ وفى ١٥ مايو المقبـل سيجرى بالتفجير ازالة سدين ترابيين ، وضعا مؤقتا عند مدخـل قناة التحويل جنوبا ، وعند مخرجها شـمالا ، ليمنعا المياه من التدفق خلال العمل ، وعنـد ازالة السد الترابى المؤقت الجنوبي سـتتدفق المياه منه ، وتمر من الانفاق لتتابع سيرها . ثم يزال السد الترابى الثانى ، فتخرج المياه لتسير فى مجرى النيل القديم . وحتى لا يتوقف النيل عن امداد مصر بمائه ، خلال عملية التحويل ، فقد ترك ١٢٠ مترا من السدين، الامامي والخلفى، مفتوحين ، لارواء الأراضى .

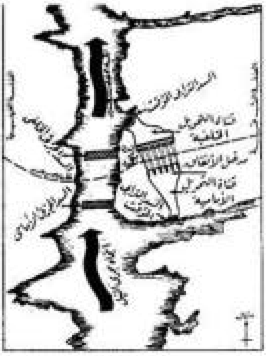
٥ ـ .. ولكن بمجرد اندفاع المياه فى قناة التحويل ، سيبدأ العمل باقصى سرعة لردم المنطقة الباقية من السدين الجزئيين . وستتم هــذه العملية خلال ثلاثة أيام من بعد فتح قناة التحويل. اى ان مجرى النيل القديم لن يغلق تماما الا يوم ١٨ مايو ١٩٦٤ وبعد عملية الاغلاق هذه يبقى الفراغ بين السدين الأمامى والخلفى مملوءا بالماء الساكن وبملء هذا الفراغ بمختلف الأحجـار والمواد سيتم بناء جسم السد العالي . كما يبدو فى الرسم الذى باسفل هذا الكلام .









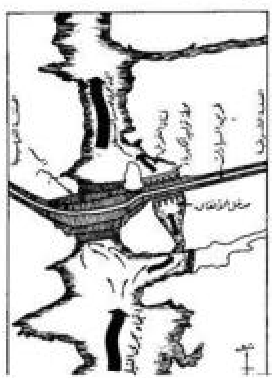


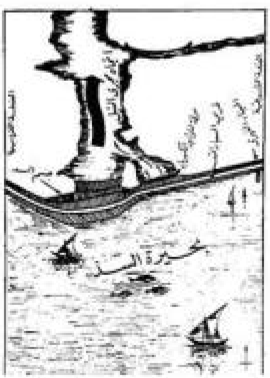
٢ ـ بدأ العمل فى شق قناة تحويل مجرى مياه النيل قبل البدء بانشاء جسم السد نفسه .. فمن شمال خوركوندى ابتدأ العمل بشق هذه القناة . وكان الرأى الأول عمل سبعة أنفاق ،ولكن استعيض عنه بقناة مفتوحة ، ترقد فى وسطها قطعة من الجبل ، حُفر فى أسفله ستة أنفاق لتنقل المياه من جنوب السد لشماله . وفى نهاية الأنفاق وضعت أساسات محطة توليد الكهرباء ، أى عند النصف الشمالى من قناة التحويل . وفى نهاية المرحلة الأولى سيتم بناء أساسات المحطة فقط . أما محطة الكهرباء نفسها ومعداتها فسوف تتم عام ١٩٧٠ .

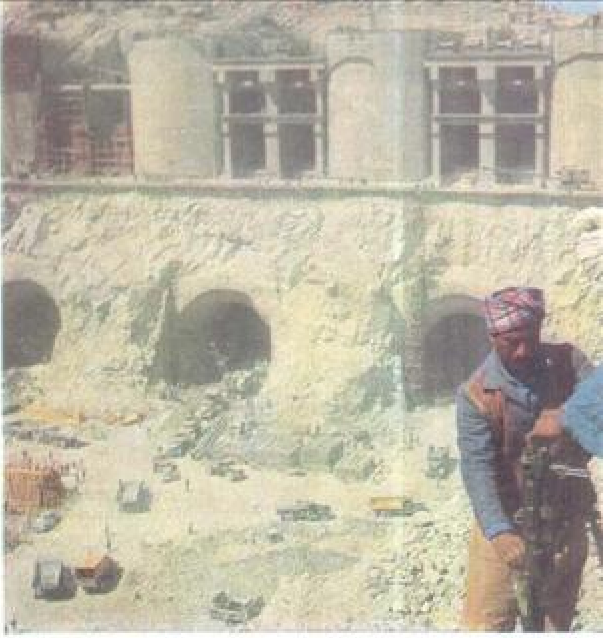
٣ ـ وفى يناير ١٩٦٣ بدأ العمل فى بناء جسم السد نفسه ، فأخذت السيارات والصنادل تنقل الصخور التى نشأت عن حفر قناة التحويل ، شمالها وجنوبها ، لتلقى بها فى النيل .. وبدأ العمل فى مد لسان من ركام الجرانيت ، سمى بالسد الجزئى الأمامى (فى الجنوب) ، وهو أول كتلة من جسم السد ستتعرض للمياه القادمة من الجنوب،وسيكون ارتفاعها ٥٠ مترا من قاع النهر .. وفى نفس الوقت ، بدأ العمل فى بناء السد الجزئى الخلفى (فى الشمال) ، جنوب مخرج قناة التحويل،ووظيفته منع ارتداد المياه الخارجة من قناة التحويل الى منطقة العمل لقيام السد..

٦ ـ ان اغلاق مجرى النهر نهائيا ، كما وصفنا فى شكل ٥ ، عملية ضرورية ليبدأ العمل من جديد لبناء جسم السد « العالى » ، فهو سيرتفع .. حتى يصل الى علو ١١١ مترا فوق قاع النهر ، وهذا يستغرق ٤ سنوات أخرى . ولما كانت المياه التى سيحجزها ستفيض على جانبى النهر جنوبا، فقد وجب أن يمتد بناء جسم السد على اليابسة فوق شاطىء النيل ، الشرقى والغربى . وهكذا يصبح طول السد عند القمة ٣٦٠٠ متر ، بينما عرض النهر لا يتجاوز ٥٢٠ مترا .

٧ ـ بعد انتهاء العمل فى السد ، سترتفع المياه جنوبه وتغطى قناة التحويل وشواطىء النهر مكونة بحيرة هائلة تمتد الى الجنوب ٥٠٠ كيلومتر وتحجز ١٧٥ مليار متر مكعب من المياه .. وفوق السد ، وبطوله سيمتد طريق للسيارات عرضه ٤٠ مترا، ليربط الشاطىء الشرقى بالشاطىء الغربى . وعند تمام الأمر كله لا يكون منفذ للماء الى الشمال الا عبر الأنفاق فمحطة توليد الكهرباء .. أما جسم السد نفسه فليس فيه بالطبع أى منفذ ..

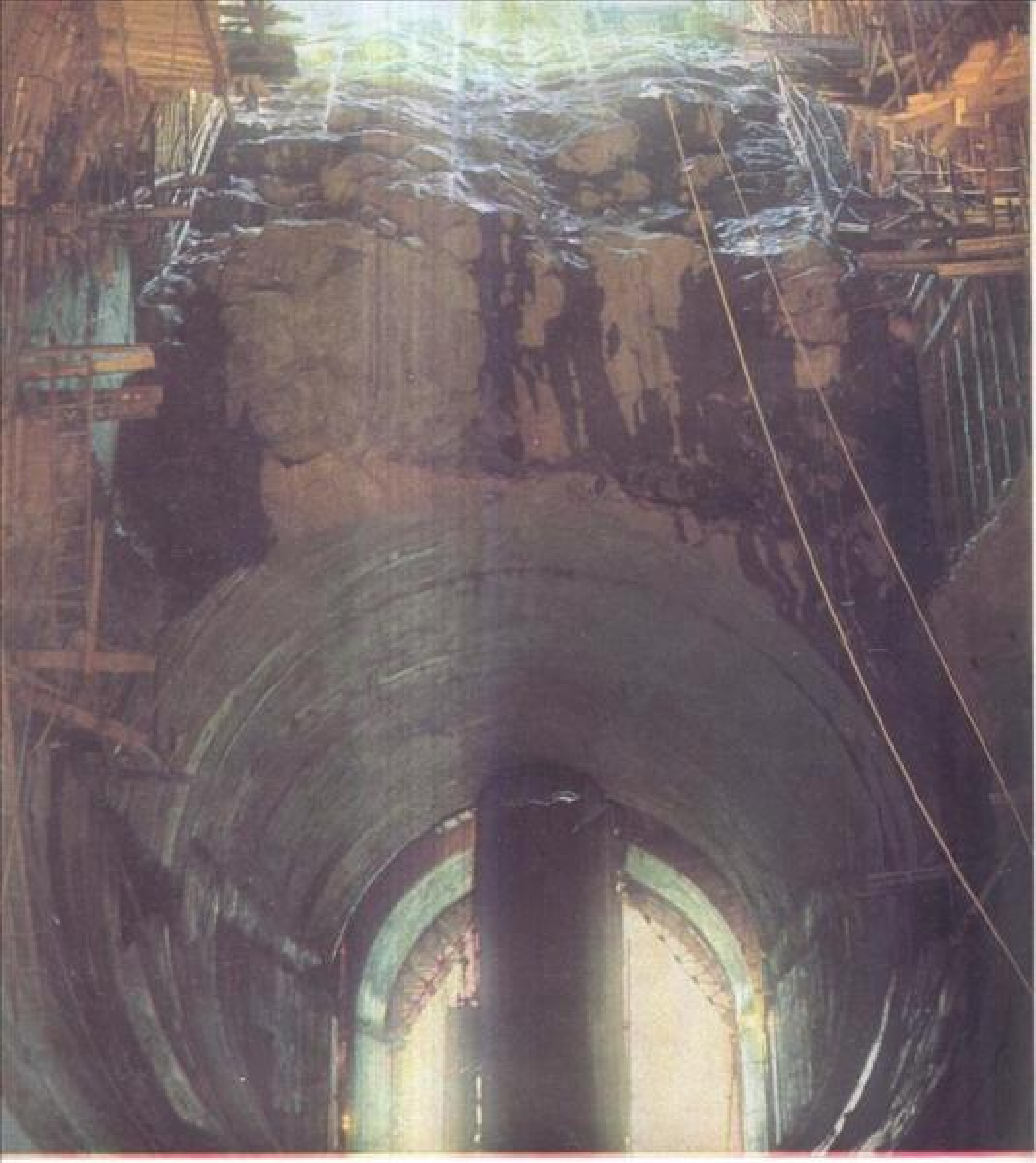






« **الى اليمين** » : عاملان يقومان بخرم الصخور بالهواء المضغوط عند مدخل الانفاق التي تبدو ظاهرة جلية في الصورة . كذلك ترى في هذه الصورة المدخل السفلي للانفاق، وهي التي ستبدأ بالعمل في ١٥ مايو القادم، ولكن عندما ترتفع المياه في البحيرة تأخذ المداخل العليا في العمل وتسد المداخل السفلى نهائيا خوفا من أن يسدها الطمي الذي عمل حساب تراكمه بدقة « **والى الاسفل** » ترى البوابات الضخمة التي ستوضع عند مدخل الانفاق . ويبلغ وزن الواحدة منها ٤٠ طنا ، وستضاف لها اجزاء أخرى وزنها ٣٠ طنا ، فيصبح وزن كل بوابة ٧٠ طنا تقريبا . ولكن فتحها وغلقها سيتم بطريقة حديثة لا تطلب سوى تحريك دولاب في حركة سهلة من غرفة على سطح جسم السد .





٦ **أنفاق هائلة** تم حفرها فى الصخر بقاع الخانق العريض التى اشتق من الجبل فى وسط قناة تحويل النيل . ان طول كل نفق ٢١٥ مترا وقطره ١٧ مترا ؛ ولكنهم بطنوه بخرسانة ؛ سمكها متر ؛ فأصبح قطر النفق ١٥ مترا .. والانفاق عند مدخلها الجنوبى تبدأ بست فتحات ؛ وفى نهايتها تنقسم الفتحة الواحدة الى قسمين حتى لا تتسبب شدة اندفاع المياه فى تكسير تربينات الكهرباء التى ستوضع عند المخرج . ولهذا جعلت هذه التربينات الكهربائية ١٢ لا ٦ . وقد بدأت اعمال الحفر داخل الانفاق فى يوليو ١٩٦٢ ؛ واستخرج منها ٥٣٠ ألف متر مكعب من الصخور « كل متر مكعب ٣ طن تقريبا » . ويسمح كل نفق بمرور ١٦٠ مليون متر مكعب من الماء فى اليوم . والصورة التى فوق هذا الكلام التقطها المصور وهو داخل النفق موجها عدسته الى المدخل الذى ستوضع عنده البوابات الحديدية الضخمة لموازنة تصرف مياه البحيرة ..

ماذا تم فى المرحلة الاولى

وبعد هذا الاستعراض المصوّر السريع الكامل لعملية انشاء السد نتساءل : ماذا تم فى المرحلة الأولى ؟

ان المرحلة الأولى هى التى بدأت فى ٩ يناير ١٩٦٠ ، والتى تنتهى فى ١٥ مايو ١٩٦٤ . والذى تم عمله خلال هذه المرحلة هو :

١ ـ شق قناة التحويل ، أى التى يحوّل اليها ماء النهر .

٢ ـ حفر ستة انفاق ، قطر كل نفق منها ١٥ مترا .

٣ ـ بناء قواعد وأساسات محطة الكهرباء .

٤ ـ انشاء قاعدة السد وهى تسد الماء ،وعليها يبنى بعد ذلك جسم السدّ ويعلو .

٥ ـ بدء العمل فى أجنحة السد على الضفتين الشرقية والغربية ..

هذه الصناديق التى جلس عندها العمال ليست الا الصناديق المملوءة بالديناميت الذى يستخدم فى تفتيت الصخور .. ان كمية المتفجرات التى كانت تفجر يوميا ، تتراوح بين ٢٠ و٢٥ طنا .. أما اليوم فقد خفت المتفجرات بعد أن كاد العمل ينتهى فى قناة التحويل والانفاق ..وترى فى الجزء الأبعد منك من الصورة مدخلا من مداخل الأنفاق .







ضاحية امين الشريف: وهو أول مدير للمقاولين العرب، وقد سقط شهيدا فى ساحة العمل بالسد العالى من فرط الاجهاد . وتخليدا لذكراه أطلق اسمه على هذه الضاحية الجديدة التى أقيمت فى مدينة أسوان ، وهى تضم العمارات الكبيرة ويسكنها الآن موظفون فى السد من فنيين وخبراء

من بين الفوائد التى جنتها أسوان من السد العالى هذا المبنى الجميل الذى قدمه لها المقاولون العرب هدية تذكارية .. ليقام فيه أول ناد للتجديف فى النهر الخالد .

.. وماذا سوف يتم فى المرحلة الثانية

اما المرحلة الثانية ، وتبدأ من منتصف مايو ١٩٦٤ حتى منتصف ١٩٦٨ ، فتشمل :

١ ــ الانتهاء من بناء جسم السد « العالى » بارتفاع ١١١ مترا عن قاع النهر .

٢ ــ استكمال محطة الكهرباء ، من مبان ومعدات .

٣ ــ انشاء الميناء النهرى للمواصلات بين مصر والسودان وذلك على الساحل الشرقى للبحيرة العظيمة المتجمعة جنوب السد .

٤ ــ انشاء شبكة لنقل الكهرباء الى مختلف مدن الجمهورية حتى الاسكندرية ..

يد سحرية تلمس بلد السد العالى

ان السد لم ينته العمل به بعد .. ومع هذا بدأ السد يعطى ثماره الطيبة من الآن .

واول من بدأ يجنى هذه الثمار مدينة أسوان.

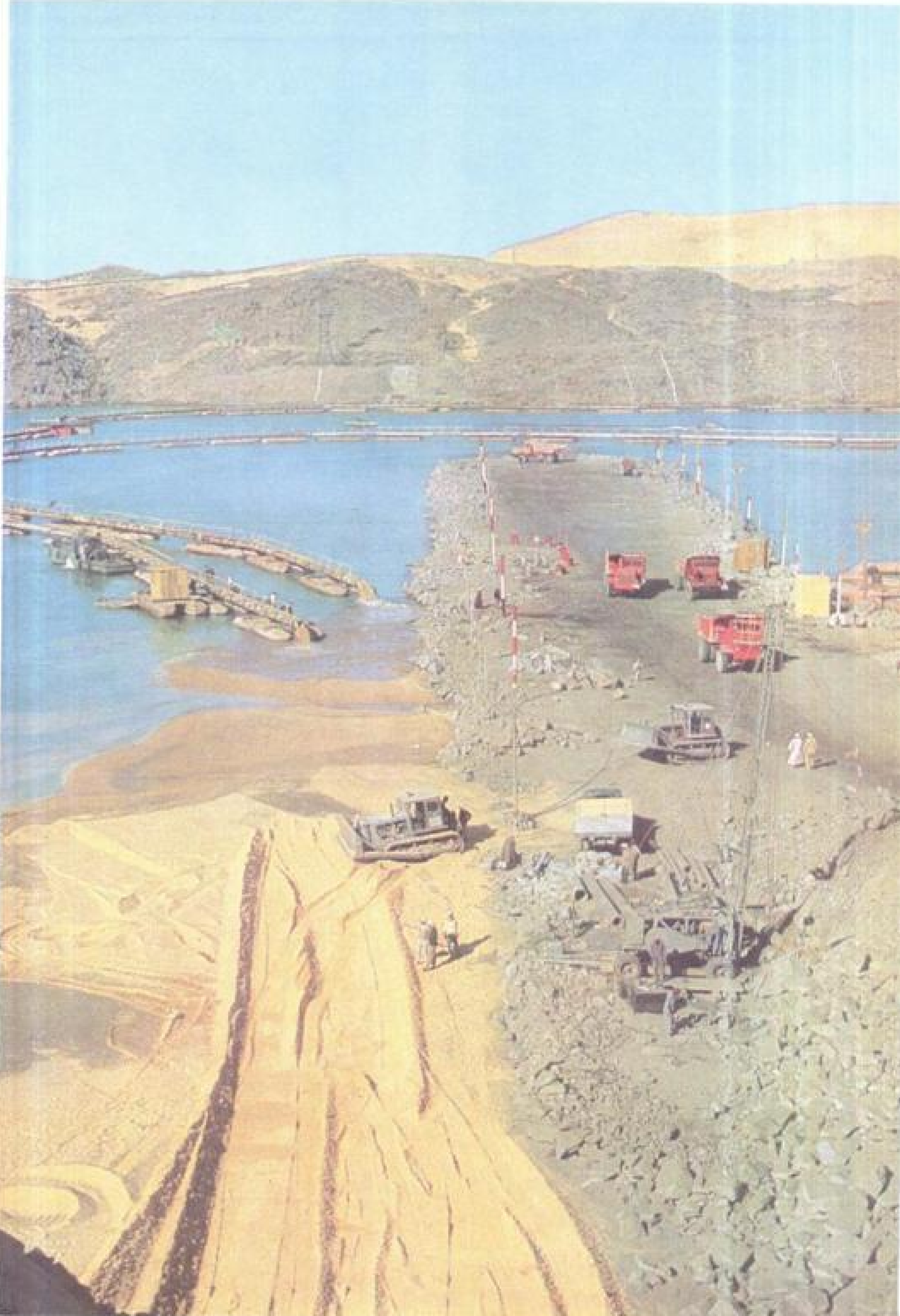
لقد مستها يد سحرية ، ففى كل شارع وكل حارة تعمير وبناء ، انها أسوان الجديدة التى أصبح الوصول اليها شيئا غير يسير ، فالطائرات المتجهة اليها محجوزة مقاعدها كلها مقدما ... وقطارات السكك الحديدية ملأنة لآخرها رغم متاعبها ومشقاتها الزائدة ، والفنادق كاملة العدد لمدة سنة !!

ان وجود أسوان على بعد ٧ كيلو مترات فقط من السد العالى،قد جلب لها الانتعاش والازدهار، فجزء كبير من الموظفين والعمال وجميع الزائرين للسد يقيمون فى أسوان ..

كان عدد سكانها ٢٠ ألف نسمة .. فاصبحوا ١٢٠ الف نسمة .

كان القطار يأتيها مرة واحدة فى اليوم ، فأصبح يأتيها ١٢ مرة فى اليوم ..

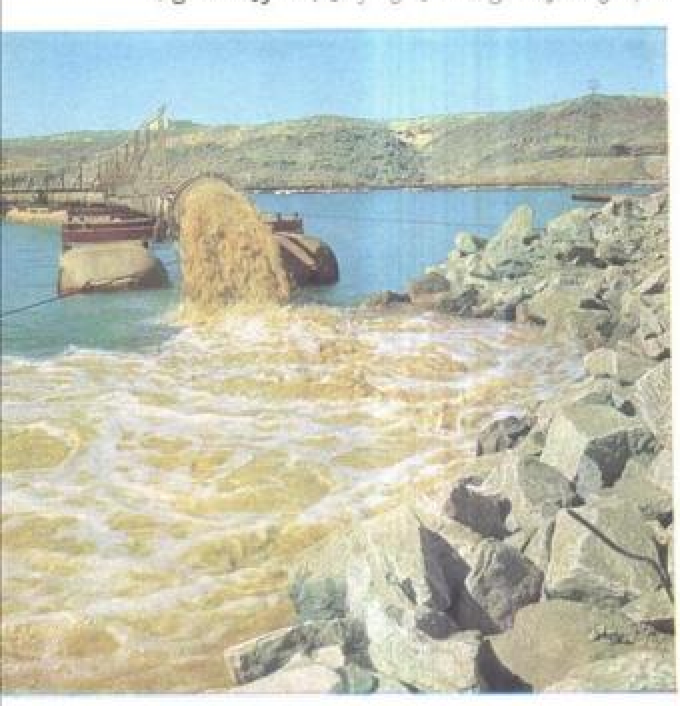
كان بها مدرسة ابتدائية واحدة ، فاصبح







السد حائطان متوازيان يقومان عبر النيل ، حائط شمالي ، وحائط جنوبي ، يملأ ما بينهما فيما بعد ، بالصخر والرمل ليتم بذلك بناء جسم السد" . وأنت في الصورة اليمنى لا ترى غير الحائط الشمالي ، وهو لم يصل بعد الى الضفة الغربية ليسد مجرى النهر ، وسوف يصل بعد ٣ أيام من الاحتفال بانتهاء المرحلة الاولى لبناء السد" . وفي كل دقيقة تلقي سيارة ضخمة مقدار ٢٥ طنا من ركام الصخور لاكمال هذا السد الشمالي ، الذي سوف يحتاج الى ٠٠٠ ٧٠٠ ٤ طن لاكماله !.. والفراغات الموجودة بين الصخور ستملأ بالرمال التي تجلب الى هذا المكان بالطريقة الهيدروميكانيكية التي تتلخص في دفع مياه النيل بالطلمبات الى مكان تجمع الرمال على الشاطىء الغربي ، ثم شفطها مخلوطة بالمياه ونقلها داخل المواسير الى موقع السد ، ويحتوي كل ١٠٠ متر مكعب من المخلوط على ٨ أمتار من الرمال **(الصورة السفلى)**



فيهـا مدارس ثانوية للبنين والبنات ، وصناعية ثانوية ، وابتدائية مشتركة ، وغير هذا كثير ..

كان أهلها يهجرونها للعمل في القاهرة والسودان فاصبحت هي اليوم ملتقى هجرة أهل القـاهرة والسـودان !!

ان المستقبل الذي ينتظرها سيجعلها المدينة الصناعية الأولى في الجمهورية ، فعشرات المصانع تستعد لفتح أبوابها فيها ، وفي مقدمتها مصانع الحديد والألومنيوم والماء الثقيل ..

والطرق البرية الجديدة الموصلة لها ترسم وتعد استعدادا لشقها ، وفي مقدمتها الطريـق البري الذي سيربطها بشاطئ البحر الأحمر ، فيصلها بالعالم الخارجي ..

هذا بعض ما ربحته أسوان من السد العالي..

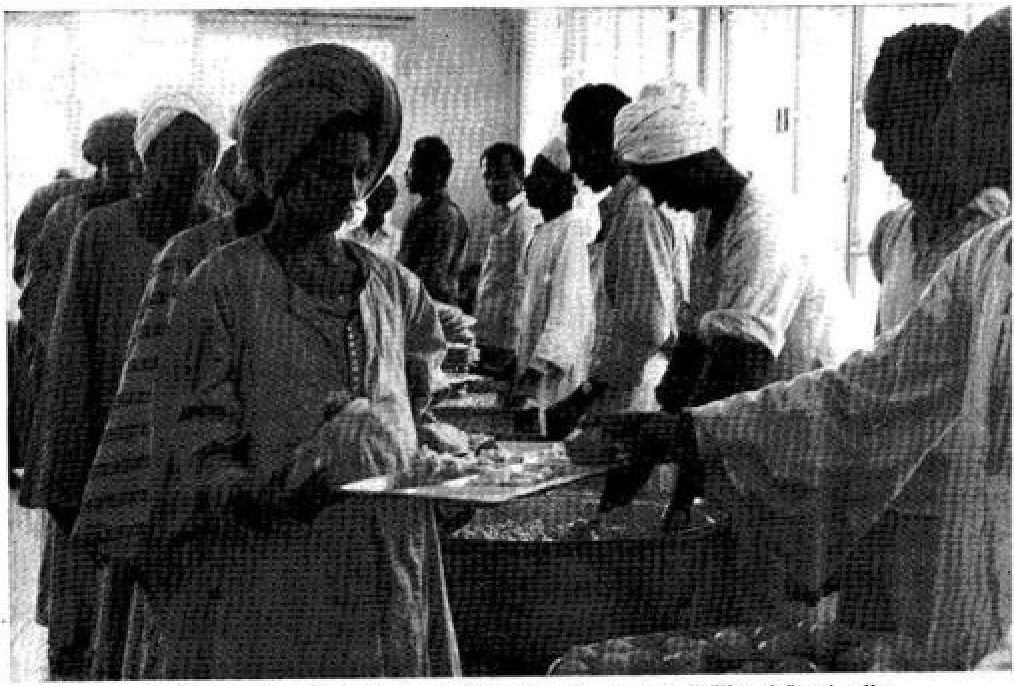
والى جانب الربـح توجـد دائمـا الخسارة .. والخسارة التي نعنيها لا تتصل بالنفع المادي، ولكن بالتراث الحضاري .

من أنفس ما صنع الانسان على الارض

فقد استيقظ العالم ذات صباح على نداء لمدير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ، (اليونسكو) يقول فيه :

« أن تراثا حضاريا ، من أنفس ما صنعتـه يد الانسان على وجه البسيطة ، يوشك أن يختفي .. ان هذه الآثار ليست ملكا لبلد واحد أو لعدد من البلاد ، وانما هي ملك للعالم كله ، اذ هي تراث مشترك . انها كنوز عالمية يجب أن نحميها وحمايتها في حاجة الى جهود عالمية .. »

واستجاب العالم لنداء مدير اليونسكو ، فجاء الخبراء الفنيون من أمريكا وروسيا وبولندا



مطاعم شعبية في منطقة السد : وهي تقوم بتقديم ألفي وجبة طعام في اليوم ، ويحق لكل مقيم في المنطقة أن يتناول غداءه في هذه المطاعم بسعر ٣٠ مليما للوجبة الكاملة ، التي تبلغ تكاليفها الفعلية ١٠٠ مليم . وفرق السعر تتحمله الهيئة العامة للسد والمقاولون العرب الذين يعملون في انشاء السد .

وسويسرا والدانمرك واسبانيا وغيرها .. يسجلون وينقبون عن كل اثر فى منطقة النوبة قبل ان يفوت الأوان ، وتغمرها المياه ، تلك التى سوف ترتفع مع ارتفاع جسم السد ..

التاريخ لا يعيد نفسه

لقد كان على المسئولين العرب فى مصر الاختيار بين احد أمرين : رخاء المستقبل أو أمجاد الماضى؟

ولم يترددوا لحظة فى اختيار «الرخاء للمستقبل» وكأنهم يعوضون عما اقترفه المسئولون من الأجانب عام ١٩٠٢ فى حق الشعب المصرى، عندما استجابوا لاحتجاج علماء الآثار ، فخفضوا ارتفاع خزان اسوان من ١٠٠ قدم الى ٧٢ قدما ، بحجة المحافظة على الآثار !!

وقد علق ونستون تشرشل ، وهو ما هو ، على ذلك العمل فى ذاك الوقت بسخرية لاذعة قال فيها: « ان هذا القربان الذى يتمثل فى ٥ر١٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ قدم مكعب من الماء ، الذى قدمه حكماء الغرب الى الآلهة « هاتور » ، هو أقسى أنواع القرابين وأشدها حماقة ، اذ كيف تناضل الدولة ويشقى الشعب ، فى سبيل ارضاء حفنة من العلماء ، وقلة من السائحين ، يبتهجون بنقش اسمائهم فوق الصخور !! »

٣٠ مليون دولار لانقاذ معبد كلابشة

اما اليوم فلم ترتفع أصوات بالاحتجاج على بناء السد العالى ، على الرغم من أن بناءه يهدد آثارا اكبر قيمة من معبد فيلة الذى اغرقه خزان اسوان ..

ويجرى العمل الآن لانقاذ ما يمكن انقاذه . فمثلا تم نقل معبد كلابشه من على بعد ٥٠ كيلو مترا جنوب السد ، الى قمة جبل يشرف على جسم السد العالى وتكلفت العملية ٣٠ مليون دولار ، وقام بها خبراء من المانيا الغربية ..

تقطيع أبو سمبل !

اما معبدا أبو سمبل فقد اخذ العالم على نفسه



هذا جهاز الحس الصوتى موضوع فى لنش فوق البقعة التى يراد فيها سبر عمق ماء النهر وهو يعمل عن طريق ارسال صوت الى الأعماق، ثم ارتداده صدى ، وبحساب المدة التى استغرقها الصوت ذهابا وايابا بالثوانى ، ومعرفة سرعة الصوت فى الماء يحسب الفنى المختص مدى بعد القاع . وبالطبع يحتاج البانون للسد الكشف عن الأعماق كلما ارتفع جسم السد تحت الماء .

مسئولية انقاذهما على يد هيئة اليونسكو ، التى جمعت حتى الآن مبلغ ٥ر٢١ مليون دولار من ٢٥ دولة ، منها مساهمة الجمهورية العربية المتحدة بمبلغ ٥ر١١ مليون دولار .. والمبلغ المطلوب هو ٣٦ مليون دولار ، وستواصل اليونسكو جمع المبلغ الباقى من الافراد والهيئات فى جميع انحاء العالم ..

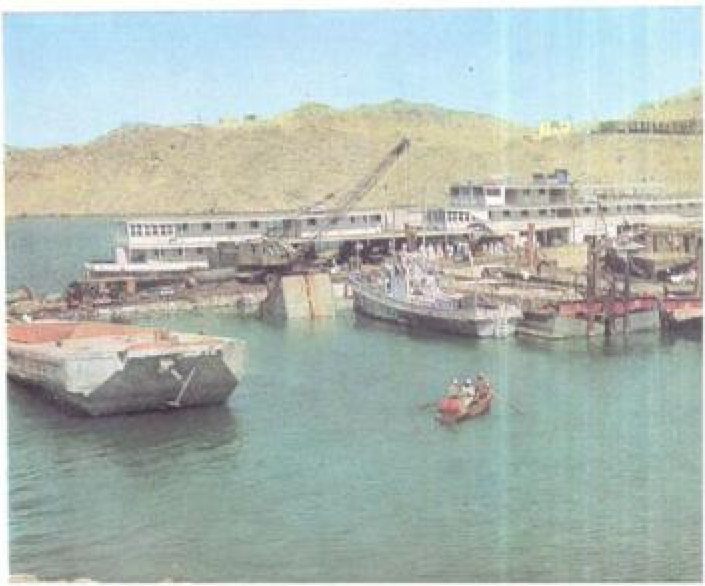
ان المهندسين متفائلون بنجاح المشروع ، لكن علماء الآثار قلقون بسبب الدقة التى تتطلبها العملية التى ستنفذ على الصورة الآتية :

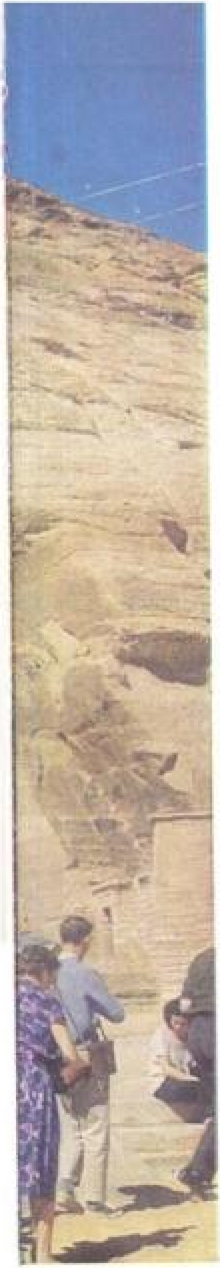
سيقام سد ترابى مؤقت طوله ٤٠٠ متر وارتفاعه ١٣٥ مترا، لحماية المعبدين من مياه بحيرة السد التى

... في مدينة أسوان ، وهذه المدينة تمر بمرحلة تبدل شامل منذ بدأ بناء السد العالى ، ومن مظاهر هذا الانتعاش ، الارتفاع الهائل في أسعار الاراضي ، فمثلا كان ثمن المتر من الاراضي المطلة على كورنيش النيل هناك ٥ جنيهات ، فارتفع اليوم الى ٤٠ جنيها .



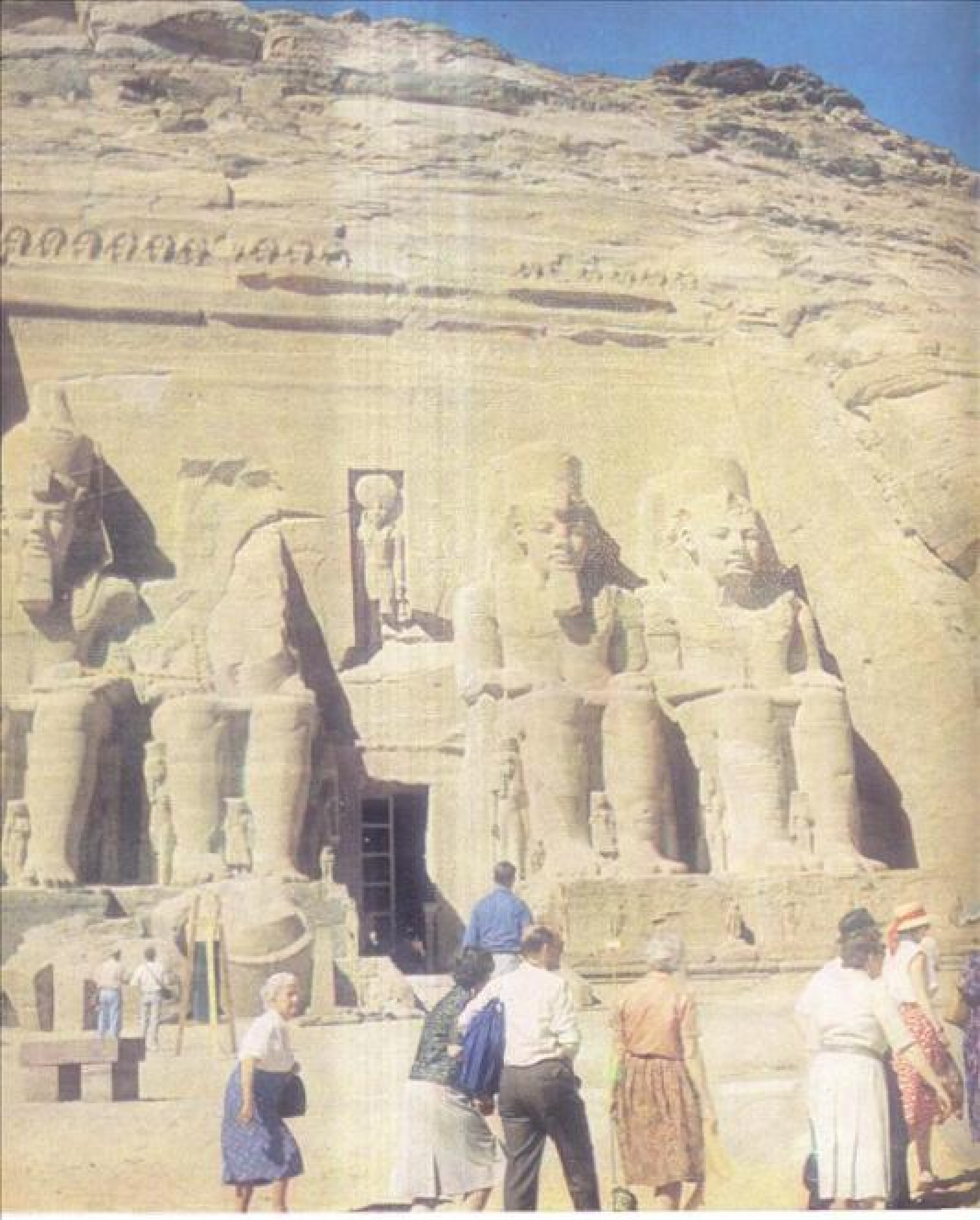
الى أسفل : هذا الميناء المؤقت سيغرق تحت مياه ارتفاعها ١١١ مترا : سيقطع السد العالى الملاحة النهرية بين الشمال والجنوب .. ولكن تبقى المواصلات جارية بين الاقصر والسودان . فترسو السفن القادمة من الجنوب عند الميناء النهرى الذى سيقام على جسم السد بالضفة الشرقية للنيل ، فينزل اليه المسافرون ليستقلوا القطار الى أسوان ومنها الى القاهرة .. والميناء الذى تراه في الصورة السفلى أعد مؤقتا منذ ١٩٦٢ ، جنوبي جسم السد ، ليستقبل السفن القادمة من الجنوب ، وصالاته مصنوعة بطريقة يمكن الارتفاع بها كلما ارتفعت مياه بحيرة السد ..





انقاذ ابو سمبل

٢٠٠٠٠٠ طن ترفع لعلو ٦٤ مترا !



على الضفة الغربية للنيل تقوم اربعة تماثيل متشابهة لرمسيس الثاني ، منحوتة فى صخر الجبل نفسه ، ارتفاعها ٢٠ مترا . انها هنا منذ ٣٠ قرنا ، تقوم بحراسة معبدى أبى سمبل ، الرائعين المنحوتين ، داخل الجبل .. ان الباقى من عمر هذه التماثيل ومعبديها ، من حيث بقاؤها فى مواضعها هذه ، أصبح يعد بالأيام ، او شهرا - ان لم تكن قد بدأت فعلا - عملية تقطيعها الى أجزاء صغيرة نسبيا - ٣٠ طنا اقصى وزن للقطعة - قبل رفعها من مكانها الازلى ، الذى سوف تغمره مياه بحيرة السد ، الى قمة الجبل .. ان تكاليف العملية ٣٦ مليون دولار ، وتستغرق ٥ سنوات أى تنتهى فى نهاية ١٩٦٩ « لزيادة التفاصيل راجع المقال » .

سترتفع اثناء العمل . اما النقوش والرسوم الأثرية فقد غطيت حاليا بمواد كيماوية خاصة لحمايتها اثناء عملية التقطيع، اذ ستقطع التماثيل الأربعة ومعبديها الى اجزاء متساوية مرقمة ، لا يزيد وزن كل منها عن ٣٠ طنا ، وبعدها تغلف كل قطعة بعناية تامة قبل نقلها بالونشات الى ظهور السيارات ، التي ستحملها الى قمة الجبل على ارتفاع ٦٤ مترا .

ومن شروط العقد عدم استعمال الديناميت في تفتيت الصخور ، وعدم استعمال الماء في تقطيع التماثيل ، حتى لا يؤثر اهتزاز الديناميت على نقوش المعبدين ، ولا يؤثر الماء على الحجر الرملي الذي يتكون منه المعبدان .

وسيبدأ التقطيع من اعلى الى أسفل، وسيعمل في المشروع ستة آلاف عامل ومهندس ، ستبنى لهم مدينة صغيرة كاملة في هذه البقعة النائية ..

اما بقية الآثار ، التي لن يتمكن من نقلها ، فتجرى عملية تصويرها وتسجيل كل دقائقها قبل غرقها ..

علماء الآثار مستريحون

ان البحث عن آثار النوبة وتسجيلها ، يجريان منذ عام ١٩٥٨ ، والحكومتان ، العربية المتحدة والسودانية ، تقدمان تسهيلات كبيرة للباحثين .. واخيرا نشرت بعثة المعهد السويسري بالقاهرة ومعهد الدراسات الشرقية في شيكاغو بيانا بعد رحلتهما الطويلةفي النوبةبحثا عن آثارها قالتا فيه:

« ثبت لنا أن المنطقة قد استنفدت أغراضها الأثرية « الاركيولوجية » وليس هناك ما يخشى عليه اذا غمرتها مياه السد العالي الى الأبد »

النوبة وأوروبا

وهكذا سيُسدل الستار على النوبة ، تلك البلاد التي كانت تسمى قديما بلاد « كوش » ، وكان أهلها ذوي حضارات ذات معالم ، خلفوا وراءهم منها آثارا خلدها التاريخ ..

« لقد سطر « الكوشيون » صفحات خالدة في قصة حياة الانسان ، بينما كان أهل أوروبا وبريطانيا يجرون الصخور فوق الوديان القفرة ، ليقيموا ملجأ يدفع عنهم تقلبات الجو وهجمات الوحوش .. !! » .

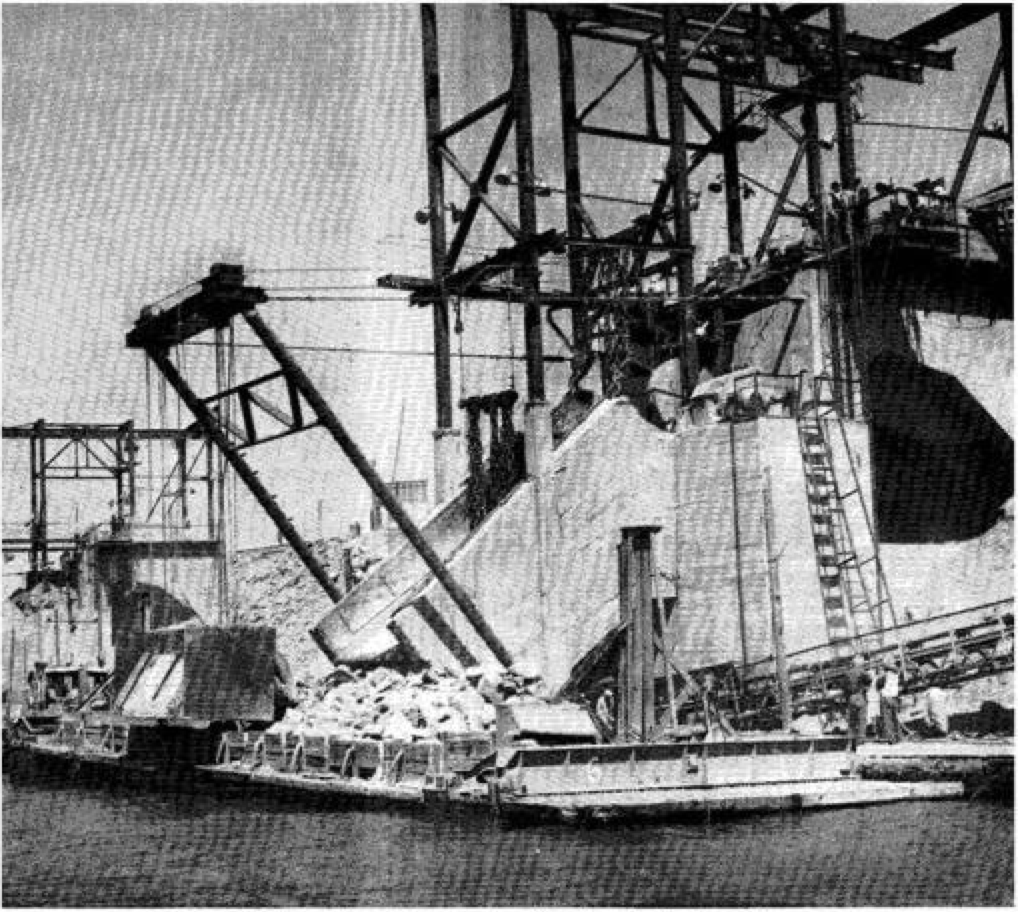
١٧٥ مليارا !!

ان المياه التي ستغرق هذه الآثار هي مياه البحيرة الضخمة التيسوف تتجمع وتختزن مياهها خلف السد العالي، وهذه البحيرة هي بيت القصيد من السد ، فهي خزانة الماء الكبرى التي سوف تكفي حاجة بلاد الجمهورية منري أراضيها، فل ايراد النهر على السنين أو ازداد . وهي فوق ذلك سوف تقي البلاد من أخطار الفيضانات العالية ومتاعبها الكثيرة المعروفة .

وستكون مساحة البحيرة عند اكتمالها خمسة الاف كيلو متر مربع ، وتستطيع أن تستوعب كمية من المياه تبلغ ١٧٥ مليارا من الأمتار المكعبة ، تأتيها من الفيضانات العادية المتكررة لمدة عشر



هؤلاء الزوار الذين تراهم في الصورة ، دخلوا هذا المبنى ليطلعوا فيه على نموذج للسد العالي ، وترى جزءا من هذا النموذج واضحا في ارض المكان .



ميناء تحميل الصخور ! : تقف سيارات النقل فى أعلى هذا الميناء ، وتلقى فيه بحمولتها من ركام الصخور المتجمع من تفتيت الجبل ، ويتدحرج هذا الركام فوق اسطوانات حديدية متباعدة وهذا التباعد يسمح للصخر الصغير ، الذى يقل حجمه عن ١٥ سنتيمترا ، والذى يكون مختلطا مع ركام الصخر بالسقوط من بين الاسطوانات فينزلق على حزام ناقل ينقله الى مكان بعيد .. أما الصخور الكبيرة فتندفع الى الصندل الطويل ويسمونه « الجبار » ، وتظل تتجمع فيه حتى يصل وزنها الى نحو خمسمائة طن ، وتلك هى أقصى حمولة للصندل ، الذى يتجه الى وسط النهر فيلقى فيه بحمولته الثقيلة فى الاماكن التى تحدد له .. ولمة ١٦ صندلا من هذا النوع تعمل فى الشحن .

سنوات متتالية . اى انها ستسمح باتباع نظام التخزين المائى المستمر .

ولاعطائك فكرة عن حجم هذه البحيرة نقول انه لو أمكن تفريغ مياه ثلاث من أكبر البحيرات الصناعية فى العالم ، وصبها فى بحيرتنا هذه وهى فارغة ، لما استطاعت أن تملأ سوى نصف مساحة بحيرة السد !!

الثروة السمكية تتضاعف ٧ مرات

وستتجمع فى هذه البحيرة ثروة سمكية هائلة ، اذ اسفرت الأبحاث التى أجريت هناك ، عن وجود أصناف مختلفة من الأسماك النيلية تمتاز بضخامة الحجم ..

وعندما تمتلىء البحيرة بالماء تماما ، سيرتفع

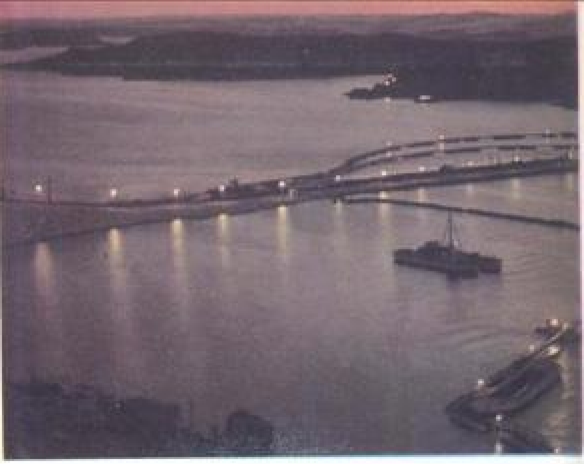


الى اليسار: هذا الهدوء لا يعنى بأن العمل متوقف فى السد ، فالهزاز المائى الضخم ، الذى تشهده مرتفعا على القوائم الحديدية يعمل على ضغط الرمال ودكها تحت سطح الماء حتى تمنع هبوط جسم السد الذى سيقام فوقها .. بينما ينهمك الفنيون فى المركب المجاور « للهزاز » ، بأخذ عينات من الأعماق المختلفة للنهر للتأكد من التركيب الجيولوجى للأرض التى سيرتفع عليها جسم السد .

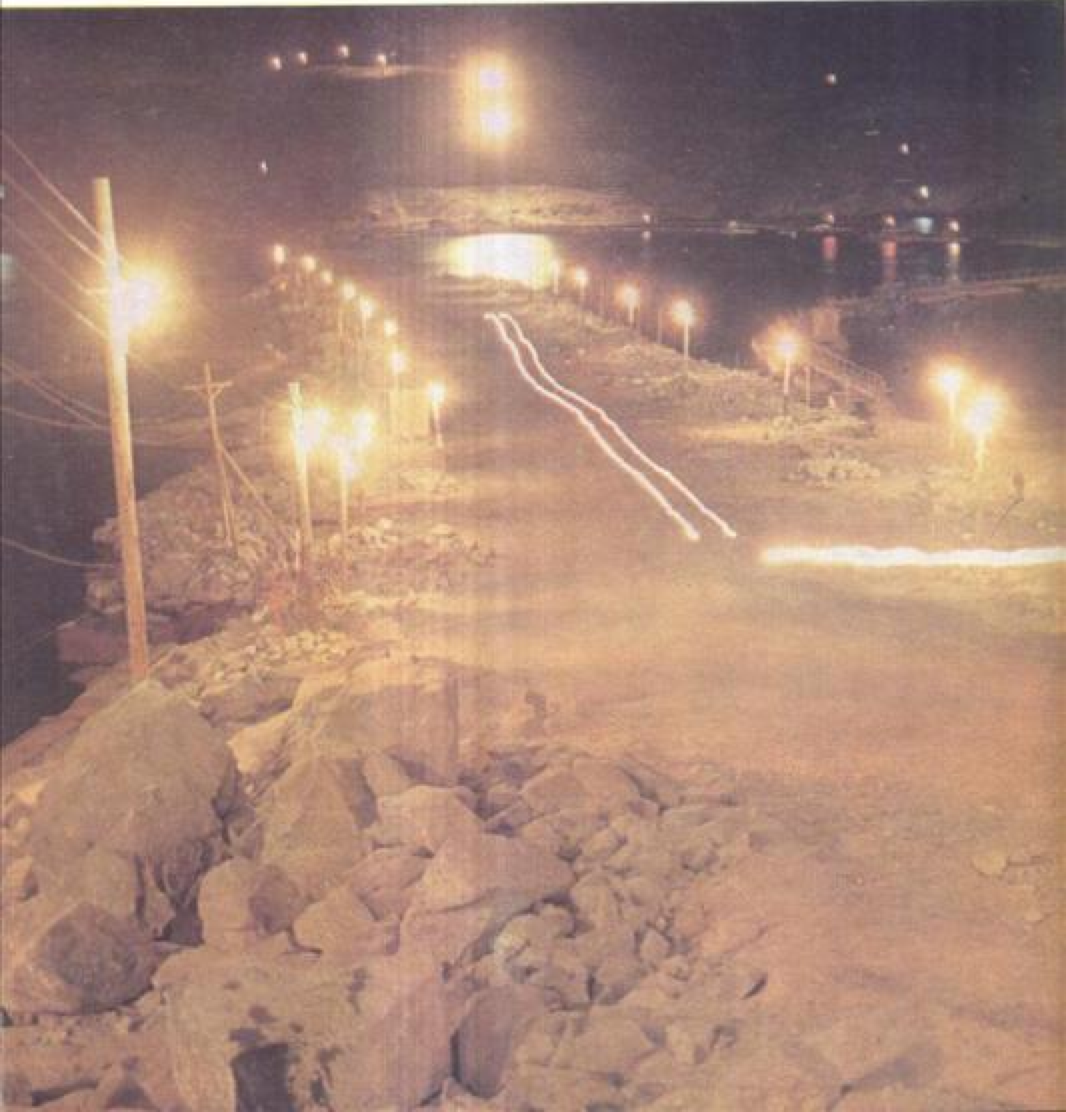




لا يوجد فرق بين الليل والنهار داخل الأنفاق ، انما عمل مستمر على ضوء المصابيح التى لا تطفأ ، الا عندما يتم تفجير الديناميت داخل النفق ، فتنزع المصابيح لتعاد مرة ثانية بعد انتهاء التفجير ..



الى أسفل : يقوم خزان أسوان بعملية امداد موقع العمل فى السد العالى بالتيار الكهربائى اللازم ، فيقدم له ٢٠ ألف كيلووط ، تتيح للعاملين فى السد فرصة متابعة عملهم فى الليل على ضوء نور ساطع . وهذه القوة من الكهرباء تكفى لانارة عدة مدن كبيرة ... وفى الصورة يبدو السد الجزئى الشمالى وقد سطعت الأنوار عليه وعلى جانبيه ..





هذه القرية الحزينة هجرها أهلها ..

بعد بضعة أشهر ستغرق هذه القرية تحت مياه بحيرة السد العالى .. انها « نجع دابود »، وهى تبعد ثمانية كيلو مترات جنوب السد ، وهى اولى قرى النوبة التى تم تهجير أهلها . لقد حملوا معهم كل شىء فيها ، حتى الابواب والنوافذ ، وتركوها لمصيرها المحتوم .. والواقع أن قرى النوبة كانت مهجورة فعلا ، حتى قبل التفكير فى السد ، اذ كان شبابها يرحلون عنها متجهين الى الشمال بحثا عن العمل ولا يمكث فيها سوى الشيوخ والنساء والاطفال ..

محصول الاسماك النيلية فى الجمهورية العربية المتحدة إلى سبعة اضعاف كميته الحالية ... وتجرى الآن الدراسات لتحسين وتوفير وسائل الصيد الحديثة ، وايجاد وسائل المواصلات لنقل الانتاج مثلوجا الى مختلف انحاء الجمهورية.

٣٥٠ كيلو فى مصر و ١٥٠ فى السودان

وسيكون طول هذه البحيرة ٥٠٠ كيلو متر من الشمال الى الجنوب ، ومتوسط عرضها من الشرق الى الغرب ١٠ كيلومترات، واقصاه ٢٥ كيلومترا. واقصى عمق لها يصل الى ٩٧ مترا . اى انها ستغرق كل ما هو موجود على امتداد هذا المستوى من مبان ، وآثار ، واراض وقرى ..

وتقاسم الجمهورية العربية المتحدة والسودان هذه المساحة الغارقة ، ففى مصر منطقة طولها ٣٥٠ كيلو مترا وفى السودان منطقة طولها ١٥٠ كيلو مترا ..

يهجرون بلادهم للمرة الرابعة

ويعيش فى الجزء المصرى ٥٠ الف مواطن ،حمل اليوم اكثرهم متاعه واتجه للاستيطان فى القرى الجديدة بمنطقة كوم امبو ، شمال أسوان .. وليست هذه اول مرة يحملون فيها متاعهم ويرحلون .. فقد حملوه قبل هذا عام ١٩٠٢ عندما بنى خزان اسوان . ثم حملوه ثانية وثالثة عامى ١٩١٢ و١٩٣٢ عند تعلية خزان أسوان ..

ان هذه هى المرة الرابعة التى يرحلون فيها عن ديارهم .. ان جملتهم الخالدة التى يقولونها



.. ليقيموا فى هذه القرية الجديدة

بعيدا عن مياه طوفان السد شيدت قرية دابود الجديدة فى منطقة كوم امبو .. انها تحمل نفس اسم القرية القديمة ولكنها تتميز عنها بنظافتها وقربها من المواصلات ، ووجود المدارس والمحلات والمساجد فيها ... وستعطى قطعة ارض مساحتها تتفاوت بين فدانين وخمسة أفدنة ؛ لكل أسرة فى القرية . وسيسبق عملية التوزيع أن تزرع السلطات الارض أول زرعة لتسلمها بما عليها من الحاصلات لمستحقيها .. وهكذا سيعود الشباب الى قراهم ليزرعوها ويخدموها .

لأهل الشمال والجنوب دائما هى :

ـ ضحينا ببلادنا من أجل بلادكم ..

من أكواخ الى منازل

ولكن الواقع يخالف هذا ، فهم كانوا يعيشون فى قرى نائية معزولة عن العالم ، تمر عليهم « الباخرة البطيئة » مرة فى الأسبوع لتنقل لهم البريد والمؤن وضروريات حياتهم . اما اليوم فيعيشون فى منازل صحية ، وأماكن خصبة ،وعلى طريق السيارات ، وتحت امرتهم جميع المرافق العامة ، وماء عذب صاف مرشح . وأبناؤهم يذهبون الى المدارس ويتعلمون .. لقد صرفت الجمهورية العربية حتى الآن ١٢ مليونا من الجنيهات لبناء ٣٣ قرية جديدة تضم ١٧ الف مسكن ..

وأخيرا أعلن وزير الاسكان عن تقديم مواعيد تهجير أهالى النوبة عشرة ايام ، بحيث يستقر جميع الأهالى فى مساكنهم الجديدة ، فى كوم امبو ، قبل نهاية شهر مايو الحالى ..

١٥ مليون جنيه للسودان ..

أما المنطقة التى ستغمرها المياه فى السودان فتمتد ١٥٠ كيلو مترا من وادى حلفا حتى شلال دال ..

وقد دفعت الجمهورية العربية المتحدة مبلغ ١٥ مليونا من الجنيهات لحكومة السودان بصفة تعويض للاهالى الذين ستغرق قراهم مياه البحيرة ، وعددهم ٦٠ الف نسمة . وقد تم تهجير جزء كبير

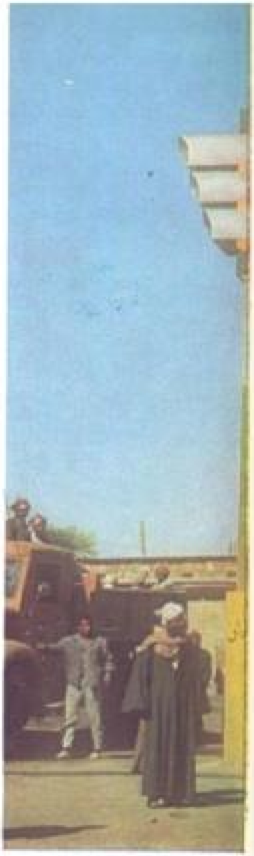




.. وبعد أن ينتهى العشرة الاف عامل من عملهم الليلى يقصدون الى غرفهم للنوم ، بينما يكون عشرة الاف رجل غيرهم قد نهضوا ليكملوا بناء السد .. وهذه مجموعة منهم تمر من تحت قوس النصر الذى يرتفع عند مدخل المدينة ... وفى ركن آخر تأتى سبعة قطارات كل يوم من ابو الريش واسوان حاملة معها الوف العاملين فى السد (الصورة اليسرى) .. ان الركوب فى هذا القطار مجانى والمسافة التى يقطعها هى ١٨ كيلو مترا ..



قلنا لسعد رزق العامل في السد العالي : نريد أن نزورك في منزلك! وفتحت لنا زوجته الباب ، فدخلنا الى منزل صغير مرتب نظيف فيه بوتاجاز وراديو وتلفزيون وفريجيدير ، وقدمت لنا سيدة البيت مرطبا وكيكا صنعته بيديها على فرن البوتاجاز ، بعد أن تعلمت طريقة صنعه من التلفزيون .. ان هذه الأسرة السعيدة واحدة من الاف الاسر التي جاءت لتقيم في أسوان بالقرب من عائلها العامل بالسد ، الذي تضاعف أجره ، فضلا عن شهر المكافأة الذي يتقاضاه كل ثلاثة أشهر .





تختلف معروضات المتاجر في مدينة السد عن معروضات متاجر القاهرة ، فهنا تجد الضروريات هي الطابع الغالب .. وأكثر المبيعات هي من الأحذية والبنطلونات ، ووابور الغاز ، وأباريق الشاي ، والمشط والحلل والترموسات .

منهم الى منطقة خشم القربة حيث بنت الحكومة السودانية لهم ٢٥٠ قرية نموذجية .

وثلاثة ملايين وربع مليون فدان جديد

وستعود هذه البحيرة بفوائد عديدةعلىالسودان كذلك .. فاولا : ثروة سمكية هائلة .. وثانيا : التوسع فى زراعة حوالي ثلاثة أمثال المساحة المنزرعة حاليا ، أى زيادة حوالي ثلاثة ملايين وربع مليون فدان ، وبذلك يزيد مقدار الدخل للسودان من الزراعة وحدها بمقدار ٣٠٠٪ . ثالثا : التوسع فى زراعة القطن طويل التيلة .

جميع الملايين صادقة !

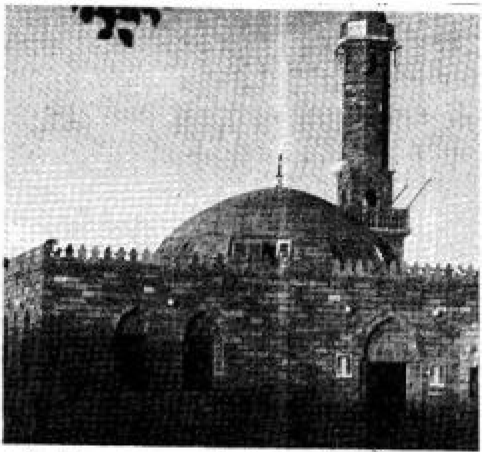
اما الفوائد التى ستجنيها مصر من السد العالى فمتعددة وكثيرة ، تأتى فى مقدمتها ملايين الفدادين الجديدة المستصلحة ، التى يقدرها البعض بمليون وثلاثمائة ألف فدان ، والبعض الآخر بمليونين من الفدادين . بينما يؤكد وزير الاصلاح الزراعي بأنها ستكون ٢٫٧٦٠٫٠٠٠ فدان على المدى الطويل ..

وهذا لا يشمل السبعمائة الف فدان المزروعة حاليا ، والتى ستتحول من رى حياض ، لا يعطى الا محصولا واحدا فى العام ، الى رى مستديم يعطى ثلاثة أو اربعة محاصيل سنويا ..

فوائد كثيرة ..

والمشاريع التى ستنجم عن البحيرة كثيرة، ومنها مشروع شق ترعتين تخرجان من البحيرة : واحدة تتجه الى الصحراء الشرقية والأخرى الى الصحراء الغربية .. ولكن هذه من المشاريع البعيدة الأجل .

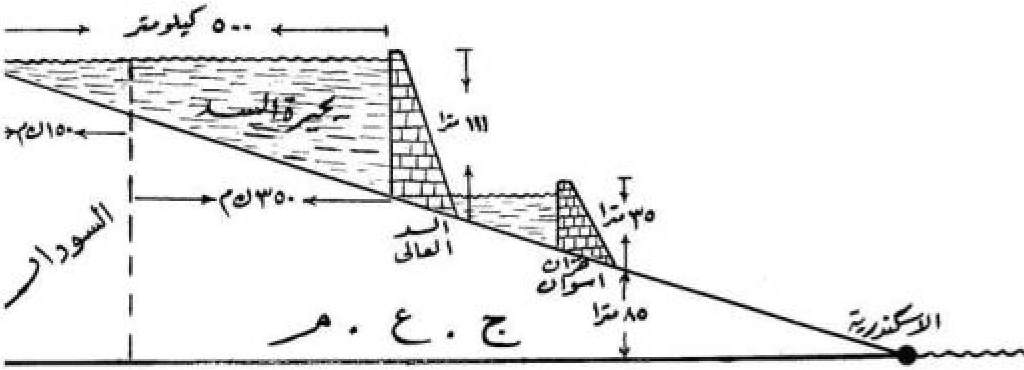
وبما أنه سوف يرتفع عن مصر أخطار الفيضانات العالية ، فلن تكون هناك حاجة الى تعلية الجسور او تقويتها ، وبذلك تقتصد النفقات التى كانت تنفقها مصلحة الرى المصرى فى سبيل الوقاية من الفيضانات ، وهى مبالغ باهظة تقرب من عشرة ملايين جنيه سنويا . هذا عدا تفادى



هذا المسجد الجميل مصنوع من الجرانيت الوردي وقد سمعه « شهيد السد » المهندس أمين الشريف ، فأطلق اسمه على الجامع .. ان أمين الشريف هو الرجل الذى يحفظ له كل عامل فى السد ذكرى طيبة ، وذلك لكفايته ، ودقته ، وعطفه على جميع العاملين فى المشروع .



تتعرض أقسام العلاقات العامة فى هيئة السد والشركات العربية الى ضغط عمل زائد.. فالزوار أصبحوا يأتون بمتوسط ١٥٠٠ زائر فى اليوم لمشاهدة السد، والاحتفالات تقام فى مختلف المناسبات ـ وما أكثرها ـ حتى أنهم صنعوا ورودا من الورق الملون يحفظونها لاستعمالها بدلا من الورود الطبيعية فى الاحتفالات . ويقول الأستاذ أحمد محرم مدير العلاقات العامة : ان كل شيء يقع على عاتق العلاقات العامة ، فمثلا اذا تأخر أحد العاملين فى كتابة خطاب الى زوجته ، أسرعت هذه بالكتابة للعلاقات العامة ، التى تتصل بالزوج وتذكره بأنه لم يكتب خطابات لأسرته !!



رسم يوضح موقع السد العالى وخزان اسوان بالنسبة للاسكندرية ، التى تمثل مستوى سطح البحر .. وبمقارنة الارقام نجد أن ارتفاع السد العالى ١١١ مترا من قاع النهر ، بينما لا يتعدى ارتفاع خزان اسوان ٢٥ مترا .. كما يوضح هذا الرسم البحيرة الكبيرة التى ستكون خلف السد والتى سيكون طولها من الشمال للجنوب ٥٠٠ كيلومتر منها ٣٥٠ فى ج.ع.م و ١٥٠ فى السودان .. وهذه الاراضى كلها ستغمرها المياه ..

التلف الكثير الذى كان يصيب الزراعات نتيجة لرشح المياه فى أرضها .

زيادة القدرة الصناعية مرتين

ومن ناحية الكهرباء سينتج السد نحو ١٠ مليارات كيلووط ساعة فى السنة ، بينما قوة الوجود حاليا فى جميع انحاء الجمهورية العربية لا تتعدى الخمسة مليارات .. أى ان السد سيعطى الجمهورية ضعف محصولها الحالى من الكهرباء .. وبمعنى آخر يزيد قدرتها الصناعية مثلين فوق القدرة الموجودة حاليا ..

وتبعا لهذا سيهبط سعر انتاج الكيلووط فى المناطق القريبة من السد الى نصف مليم للكيووط، بدلا من ٢٨ مليما ! وحوالي ٢ مليم فى منطقة القاهرة .

وبزيادة الكهرباء ورخصها ، ستزيد حتما الثلاجات والمراوح ، والمكيفات ، والاجهزة الاذاعية والمستقبلات التلفازية ، وهذا يزيد فى رفه المجتمع .

ثروة فنية حية

لقد كان أحد كبار الاقتصاديين العرب يزهو دائما ويفتخر بأن عنده ٢٥ عاملا فنيا يجيدون عملية اللحام بالكهرباء ، ويقول : « بهؤلاء العمال الفنيين جعلت بلدى بلدا صناعيا » .

وفى السد العالى تقوم شركة المقاولين العرب (عثمان أحمد عثمان سابقا) بنحو ٦٠٪ من أعمال السد ، فهل تعرف عدد الفنيين الذين فى هذه الشركة وحدها ؟ سنعطيك بعض الارقام على سبيل المثال :

- ٩٧ لحام كهرباء
- ٨٥ لحام اكسجين
- ٢٥٩ كهربائيا
- ٢٤ لحام اطارات
- ٥١ سباكا
- ١٤٧ خراطا
- ٨٢٣ ميكانيكيا

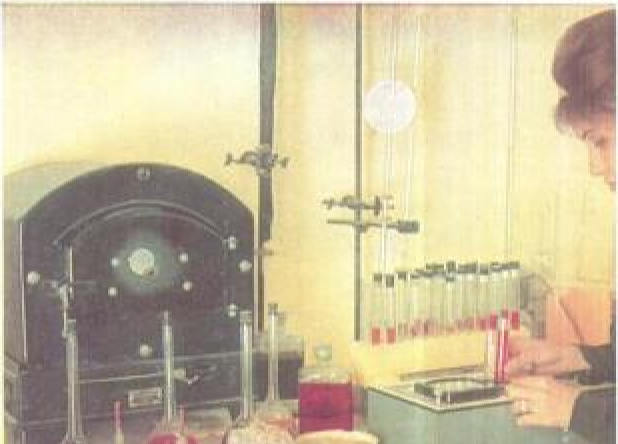
وبالجملة عندهم ٢٢٤، عاملا فنيا من الدرجة الاولى . هذا عند شركة عربية واحدة تعمل فى السد .. فكيف بسائر الشركات ؟

ان السد العالى مدرسة فنية هائلة قفزت بمصر الى حقل الصناعات وتقدمت بها عشرات السنين ..



هنا السد العالى ! : اذاعة محلية صغيرة أقامها المقاولون العرب ، تذيع لمدة ١٦ ساعة فى اليوم ، وفى كل يوم تذيع أغنية أم كلثوم الجديدة « انت عمرى » التى لحنها عبد الوهاب ، كما تذيع النشرات والتعليمات الخاصة للعاملين فى السد ، وهى تبث برامجها فى منطقة مساحتها ٨ كيلو مترات مربعة .





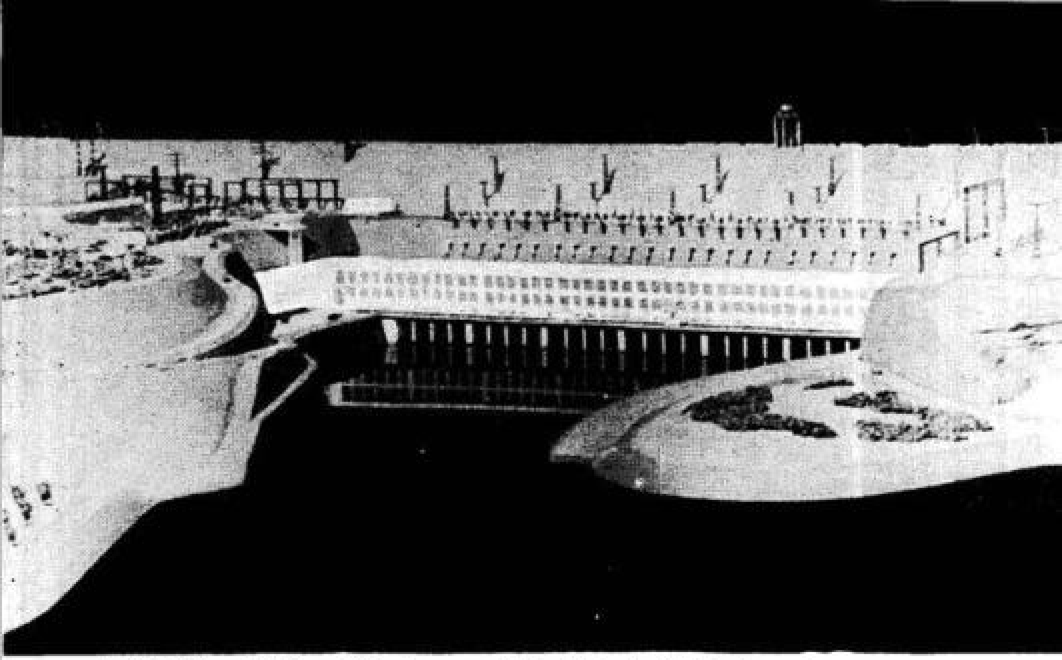
المرأة الوحيدة التى تعمل فى السد هى السيدة كولر السكى ...يا تعمل كيماوية فى ادارة البحوث الفنية ، وتتحمل ادارة البحوث ...سئوليات كبيرة فى السد ، منها القيام بتحليل المواد المطلوبة لمراحل ...لسد المختلفة ، ومعرفة مدى صلاحيتها قبل استعمالها .

الى اليسار : ساعدت المعدات الميكانيكية التى تعمل فى السد ، وأغلبها روسى الصنع ، على سرعة العمل وتقدمه .. وقد زود الموقع بورش كبيرة من أحدث طراز لاصلاح هذه المعدات .



لم تعد أوقات الفراغ مشكلة بالنسبة لأولئك الأبطال ، الذين كرسوا أنفسهم لاقامة السد ، فقد أقيمت لهم ثلاثة أندية مجهزة بكافة أنواع التسلية ، من بلياردو ، وحوض للسباحة واذاعة ، وتلفزيون.





تصميم السد العالى قام به الخبراء الروس .. وخبرة الروس فى المشاريع المائية الكبيرة لا خلاف عليها ، ولكنهم لا يهتمون بالزخرفة والتجميل .. وقد سمعنا بأنه ستوكل لشركة ايطالية القيام بعملية تجميل لهذه الكتلة الصماء بعد الانتهاء منها ! وفى هذا سألنا المهندس أمين عمر مدير ادارة المقاولين العرب فقال لنا متعجبا : « يجب الا يغيب عن بال أحد أننا بناؤون منذ خمسة الاف من السنين فى حين من الدهر كان فيه سكان ايطاليا والعالم كله يعيشون داخل كهوف وجحور ! ان مهمة تجميل جسم السد لن يقوم بها الا المهندسون المصريون .. » وهذه الصورة التقطت لنموذج للسد العالى كما سيكون بعد الانتهاء منه .

بطاقة شرف

والسؤال الذى يدور الآن ؟ ما الذى سنفعله بهذه القوة الفنية الهائلة ؟ واجاب وزير السد على هذا السؤال بقوله : العمل سيستمر حتى آخر ١٩٦٨ ومستقبل العاملين فى السد بعد تمامه مضمون ، لأنهم سيعملون فى المشروعات الصناعية الكبرى ، وستكون لهم الأولوية على غيرهم ، كما سيعمل منهم ٦٠٠٠ فى محطة الكهرباء ..

« ان العمل فى السد العالى سيكون بطاقة شرف تمنح صاحبها الأولوية فى الالتحاق باى عمل متناسب مع خبرته .. » .

التعب اللذيذ ..

ان السد العالى سيغير مصر العليا ويعيد اليها رونقها الماضى .. وسيتسع عرض الخط الأخضر الرفيع على جانبي النيل ، وتزداد رقعة الأرض المزروعة .

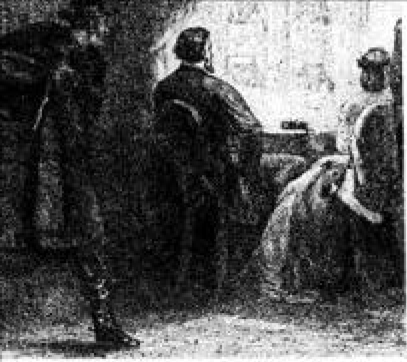
ان بناء السد عمل متعب ، لكن هدفه حماية ٣٠ مليون نفس من نقص فى التغذية تؤدى اليه زيادتهم المطردة ، هذا الهدف يجعل من التعب لذة .. ومن المشقة متعة !

اعجاز ..

وأخيرا لا بد أن تعلم أنه لا يمكن لأحد ، مهما أوتى من فصاحة البيان ، أن يبين لك ما هو السد على حقيقته ..

انه أكبر بكثير مما تظن وترى وتتصور ، ولا يمكنك أن تقدر عظمته الا اذا زرته بنفسك ، وشاهدته بعينيك قبل أن يغمره النيل .. ■■

سليم زبال



لنكلن يخطب على قبور الشهداء

ويدفع دمه ودروحه ثمناً لتحرير العبيد!

● قامت الحرب الاهلية الامريكية عام ١٨٦١ ،بين شمال الولايات وجنوبها وكان من اسباب الخصومة ، الشمال يريد تحرير العبيد، والجنوب يرفض تحريرهم . وانشق الجنوب على شماله . وقامت الحرب بينهما . وتولى رئيس الولايات ابراهام لنكلن ، قيادة جيوش الشمال . وانهزم الجنوب بعد أربع سنوات عام ١٨٦٥ . فى اثناء الحرب ، قام ابراهام لنكلن ، فى الاحياء من جنده، يخطب فى مناسبة تدشين مقبرة للساقطين فى الحرب منهم . خطب فيهم قال :

منذ ثمانية عقود من الزمان ، زادت سبع سنين ، اقام آباؤنا المهاجرون على هذه القارة امة جديدة ، صاغوها من معنيين كريمين ، معنى الحرية ، ومعنى ان الناس انما خلقوا سواسية . والآن نحن مشتبكون فى حرب اهلية عظيمة ، نجوز بها امتحانا عسيرا ، سيقضي فى مصير هذه الامة التى هكذا صنعناها . امتحان سيكون له القول الفصل فى امكان استمرار وجود هذه الامة ، واية امة أخرى مثلها ، تقوم على المساواة والحرية .

نحن اليوم مجتمعون فى ميدان كبير من ميادين هذا الصراع . وقد اجتمعنا لنكرس جزءا من هذا الميدان لضحايانا ، لتستريح فيه اجسادهم ، تلك التى اراحها الموت بعد ان اتعبها الجهاد الطويل المرير . هؤلاء الضحايا الذين ماتوا لتحيا من بعدهم امة .

نصنع هذا لنمجدهم ونباركهم ولنقدسهم . ولكنا بصنعنا هذا لا نستطيع ان نسبغ على هذه الارض الكثير من التبريك والتقديس ، فقد كرسها هؤلاء الراقدون فيها وهم باركوها وقدسوها بما عملوا فوق ما نستطيع نحن ان نستزيد من تبريك وتقديس .

ان الكلمات الطيبة التى ننطق به هنا، فوق قبورهم ، سوف يسمعها الناس ، ثم ما أسرع ما تنسى . ولكن اعمال هؤلاء الرجال سوف تبقى خالدة ، فهى لن تنسى ، ما مجد الناس حوافز هذا النضال .

ان هؤلاء المجاهدين قد افرغهم الموت مما كان قد وجب عليهم ، وبقي علينا واجبنا ، نحن الاحياء ، ان نواصل ما بداوا الى نهايته المحتومة ، وان نستمد من قوة ايمانهم قوة لايماننا بالأهداف التى من اجلها جاهدوا ونجاهد ، وبهذا وحده نطمئنهم ، لو انهم علموا ، على ان جهودا بذلوها وارواحا أعطوها ، لم تذهب هدرا .

على هذه الامة ان تظل تجاهد حتى تولد هذه الحرية الجديدة التى تطلبها .

وعلى هذه الامة ان تجاهد ، فى ظل الله ، لتثبت لخلق الله عامة ، من بيض وسود ، ان حكومة الشعوب ،بالشعوب، من اجل الشعوب ، لها البقاء فوق سطح هذه الارض .

وكسب ابراهام لنكلن حرب الحرية ، وحرر العبيد من رقهم ، ولكن ما لبث فى عشية النصر ، ان اطلق عليه قاتل ، الرصاص ، وهو فى مسرح فجاءه الدور ليلحق بسائر الضحايا . وذهبت اقواله ، وبقيت اعماله ، خالدة فى الخالدين وعند تمثاله ، فى عاصمة الولايات ، اجتمع منذ اشهر قليلة ، مئتا الف من الزنوج ، يريدون استكمال حريتهم تلك التي بداها ابراهام لنكلن ، ودفع عنها ثمنا غاليا من رجاله ، ومن نفسه . ■■

نجوم الليل



للقصصى الفرنسى الفونس دوديه

« الفونس دوديه » فى مقدمة كتاب القصة الفرنسية الذين امتازت قصصهم بالتنوع ، وحفلت بالعواطف الانسانية ، وبالأسلوب الشاعرى .. وقد ولد « دوديه » فى مدينة « نيم » سنة ١٨٤٠ ، وتوفى عن سبع وخمسين سنة .. ومن أروع رواياته « سافو » و « تارتان التاراسكونى » .. ومن اعظم اعماله الأدبية « حكايات يوم الاثنين » .

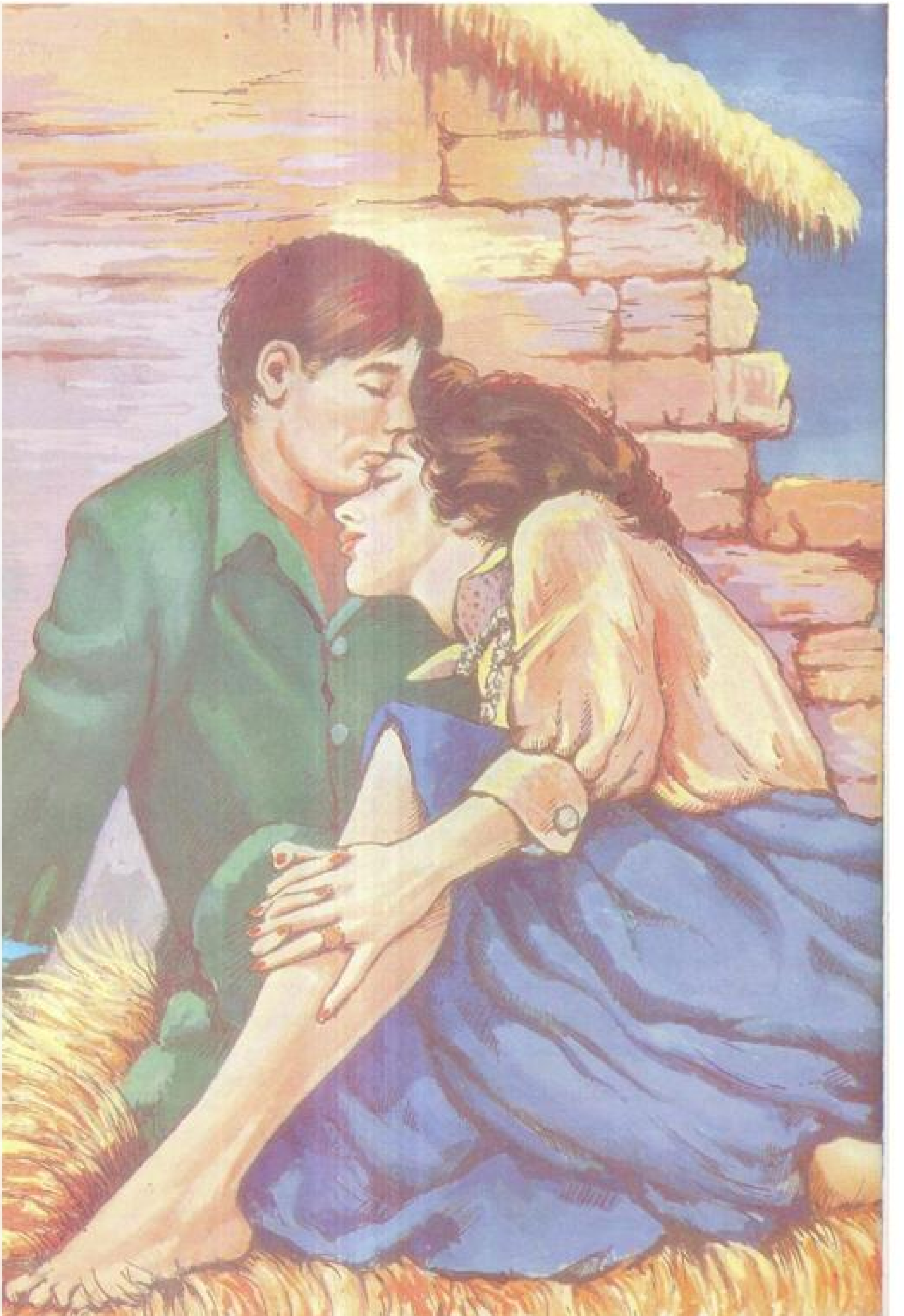
■ كان يرعى الماشية على قمة الجبل وفى سفوحه المونقة ، وكان يعيش فى عزلة تامة مع القطيع ، لا يرى انسانا ولا يسمع صوتا الا فيما ندر . فقد كان يمر من حين الى حين ناسك متعبد أو بعض عمال الفحم ، وكان الراعي يشاهدهم من بعيد وهو موقن انهم منطوون على ذواتهم لفرط احساسهم بالوحدة حتى لقد فقدوا الميل الى الكلام ، وعادوا لا يعرفون شيئا عما يجرى فى القرى والمدن فى أسفل الجبل الشاهق تحتهم .

وكانت مؤونة الراعي تحمل اليه مرة كل خمسة عشر يوما ، على ظهر دابة ، تنبئه الاجراس الصغيرة المعلقة برقبتها بمجيئها وهي تتوقل فى الجبل وتضرب فى شعابه ، ولا ينفك صبي المزرعة يحثها على السير ويخزها لكي تظل تصعد الجبل دون تلكؤ أو تريث . وفى أحيان أخرى كانت العمة العجوز « نوراد » هي التى تسوق الدابة التى تحمل الى الراعي مؤونته المعتادة .

الا انه كان هناك ما هو أهم من هذا كله .

لقد كان الراعي يتلهف على معرفة ما يحدث للآنسة « ستيفانيت » ابنة أسياده أصحاب المزرعة الواسعة . لقد كانت معروفة بجمالها الباهر وحسنها الأخاذ فى قريتها وفى القرى المجاورة جميعا ، فكان يستقط اخبارها وهو يواري اهتمامه بها ، ويسأل صبي المزرعة أو العمة « نوراد » عما اذا كانت الآنسة « ستيفانيت » لا تزال تحضر محافل الأعياد والأفراح والسهرات . وكان يجيب عما يدعوه الى الاهتمام بها ، وهو الراعي البسيط ، بانه شاب فى العشرين من عمره وان الآنسة « ستيفانيت » أجمل من رأى فى حياته .

وكان الراعي يجد السعادة فى قمة الجبل ، وكان



يستشعر الغبطة عندما يحدثه صبي المزرعة أو العمة « نوراد » بما يقع في القرى المبعثرة حول الجبل . وهكذا كان يعرف كل خمسة عشر يوما انباء الاعراس او المآتم او العماد في تلك النواحي.

وذات يوم من ايام الاحاد تاخر وصول المؤونة الى الراعي ، وعبثا ارهف اذنيه لعله يسمع من بعيد صلصلة الاجراس المعلقة في عنق الدابة ، وحسب ان صلاة الاحد هي التي اخرت وصول المؤونة اليه ، او لعلها تقلبات الجو كانت هي السبب. وعند العصر كان الجو قد صفا وانقشعت الغيوم وانقطع المطر وبدت قمة الجبل مشرقة مزهوة بشجرها الوريق وخضرتها المتالقة . وعلى حين غرة سمع تلك الصلصلة الحبيبة ، صلصلة الاجراس في عنق الدابة المقبلة . وشد ما كانت دهشته بعد قليل حين لم ير صبي المزرعة او العمة « نوراد » هي التي تسوق الدابة وانما كانت الآنسة « ستيفانيت » نفسها هي التي تسوقها اليه في دروب الجبل ومراقيه الوعرة .

وقالت الآنسة ستيفانيت ان صبي المزرعة مريض ، والعمة « نوراد » سافرت لترى أولادها، فاضطرت هي نفسها أن تأتي له بمؤونته ، وقد تأخرت لأنها ضلت طريقها الى الجبل .

وكانت الدهشة قد عقدت لسان الراعي وهو يتأمل الحسناء في ثياب الاحد الجميلة المهفهفة ، والمخرمات الانيقة التي ازدانت بها ثيابها ، كما ازدانت بالاتاشيط الملونة الرائعة والازاهير الفواحة بالعطر ، لقد كان يبدو عليها كانها مقبلة من مرقص انيق وليس على ظهر دابة تصعد بها شعاب الجبل الاشم . كانت عيناه لا تنفكان تتأملان حسنها ، فانه لم يتح له ان يراها عن كثب حتى اليوم ، وهو لا يذكر قبل هذه الساعة انه شاهدها الا اختلاسا في قاعة الطعام بالمزرعة في أيام الخريف والشتاء التي لا يذهب في اثنائها بقطيعه الى الجبل ، كانت اذ ذاك تمر امامه بسرعة خاطفة ، آنوفا ، عيوفا ، متابية ، متبرجة ، لا تلقي اليه بنظرة .. اما الآن فها هي امامه ، مزدانة بجمالها وحليها له ... وحده ...

وبعد ان افرغت المؤونة التي أتت له بها ، راحت تنظر من حولها في دهشة واستغراب . ثم ارادت ان ترى الحظيرة التي يأوي اليها وينام فيها ، فقادها اليها ورات بأم عينها حشية القش التي يرقد عليها وجرة الماء التي يشرب منها وفراء الخروف المبسوط على الأرض ، وبندقيته المعلقة .. وسرها ذلك وراحت تقول : « والآن فانت تعيش هنا أيها الراعي الطيب ، لا ريب في ان الحياة على هذا النحو تسئمك .. فماذا تراك تفعل وفي أي شيء عساك تفكر ؟

واشتهى الراعي أن يجيبها قائلا : « انما أفكر فيك يا سيدتي » ، الا أن اضطرابه كان قد بلغ حدا لم يستطع معه ان ينبس بكلمة واحدة .

ثم عادت الفتاة الجميلة من حيث أتت ، وظل الراعي يسمع وقع حوافر الدابة وصلصلة اجراسها الى ان ابتعدت وتوارت عن الانظار . وكان الراعي مبتهجا بلحظات السعادة التي اتاحها له القدر . ولما اختفى شعاع الشمس واقبل المساء ، وغدت قيعان الأودية تبدو معتمة أو ضاربة الى الزرقة ، واخذت الاشياء تلتصق بعضها ببعض . وقد ارتفع ثغاؤها في عودتها الى حظيرتها،في هذه اللحظة سمع الآنسة «ستيفانيت» تناديه عند سفح الجبل ، فخف اليها جازعا ، فاذا هي قد ضلت طريق العودة الى المزرعة في غبشة المساء ، وهالها كذلك عبور النهر الذى ارتفعت مياهه بعد هطول الأمطار . ولم يكن في مقدور الراعي أن يترك قطيعه ليذهب بالآنسة ستيفانيت الى القرية ، ولم يكن يسعها هي أن تعود وحدها ، فما أسرع ما أعانها على الصعود الى قمة الجبل حيث أوقد نارا من أعواد الشجر تدفأت بها الحسناء الغالية وجففت ملابسها .

وهبط الليل ، وبدت نجومه تتوامض في فجاج السماء ، ولم تستطع الغانية الرائعة الحسن أن تنام فآثرت أن تجلس قرب الراعي وغير بعيد عن النار الموقدة . والقى هو على كتفيها فراء ، وراح يوقد النار ، وساد الصمت ، وسكن كل

شيء حولهما . ان لليل لسحرا ، وجمـــالا لا يعرفهما الا من راح يسامر النجوم في ذروة الجبل العالي . ان عالما من الخفاء والسحر يستيقظ في مثل هذا الوقت من الوحدة والصمت ، ولا تعود تسمع غير نشيد الكون المنبعث من خرير الميـاه وحفيف الشجر الوريق ، ولا تعود العين ترى غير شُعَل صغيرة من النار ، تطفو وتتألق فـوق الغدران ومسايل الماء ، وانه ليخيل للمرء عندئذ ان ارواح الجبل تذهب وتجيء حرة طليقة من كل قيد ، ويقع في روعه ان همسا يسري في الهواء واحتكاكا خفيفا يحدث في الفضاء ، وان صوتا كئيبا بعيد المدى ينبعث من الغدير المتلالىء عند اسفل الجبل . وكانت « ستيفانيت » كلما أحست بشيء من هذا انتابتها القشعريرة فتزداد التصاقا بالراعي .

وفي لحظة من تلكم اللحظات رأت نجما ينساب ثم ينحدر متقوسا من السماء . وسألته بصوت خفيض : ما هذا ؟ .

واجابها وهو يرسم علامة الصليب فوق صدره : انها نفس تدخل الفردوس يا سيدتي .

فخشعت* لحظة ثم قالت : أصحيح اذن انكم سحرة أيها الرعاة ؟

وقال الراعي : ليس هذا صحيحا على الاطلاق أيتها الآنسة ... الا اننا فوق قنن الجبال نعيش اقرب الى النجوم من غيرنا ، وعلمنا بما يحدث فيها أصح وأفضل من علم سكان السهول .

واستمرت مشدودة النظر الى السماء وقـد اعتمدت رأسها على راحة يدها ، ثم راحت تهمس : ما أجمل السماء ... وما أروع نجومها .. أتعرف أسماء هذه النجوم أيها الراعي ؟

فأجابها :

أجل يا سيدتي هاهي المجرة ـ أم النجوم ـ تتلألأ فوق رأسينا ، ونحن نسميها في هذه المنطقة طريق القديس جاك ، وعلى بعد منها عربة الأرواح التي يعرفها الفلكيون باسم الدب الأكبر . اما الكواكب الثلاثة التي تتقدم الدب الأكبر ، وتلك الشارة من النجوم الصغيرة المتلألئة حولها ... فهي الأرواح التي يأبى الله عليها دخول ملكوته ... أما الجوزاء فها هي ، انها أكثر انحدارا من سابقاتها ... وهي التي تدلنا على الوقت ، ويكفي الآن أن ألقي نظرة واحدة اليها لأعلم ان الليل قد انتصف ... أما أجمل هاتيك النجوم والكواكب يا سيدتي فهي نجمتنا نحن الرعاة . انا ندعوها نجمة الراعي ، فهي التي تضيء لنا سبيلنا ساعة نخرج مع الماشية عند الفجر أو نعود بها مع المساء . ويبدو أن نجمتنا مغرمة بزحل تلاحقه سبع سنوات كاملة لتقترن به .

وقالت ستيفانيت : وهل بين النجوم والكواكب زواج أيها الراعي ؟

وقال الراعي : أجل يا سيدتي .

وفيما كان الراعي يحاول أن يشرح لها كيف يكون الزواج بين الكواكب والنجوم أحس بشـيء لطيف يثقل على كتفه قليلا . وكان هذا الشيء هو رأس « ستيفانيت » الذي مال على كتفه مثقلا بالنعاس . وظلت كذلك دون حراك حتى اللحظة التي شحبت فيها نجوم السماء وراحت تخبو مع الصباح الوليد . اما الراعي فلم ينفك يتاملها وهي نائمة على كتفه .

وقد هزه الاضطراب من اعماقه دون أن تساوره فكرة سوء ... واستمرت النجوم من حولهمـا تحث* خطوها الصامت نحو المغيب ، في اذعان ووداعة ، كأنها قطيع من الأغنام ... في حين كان يخيل للراعي ان احدى نجوم الليل ، بل اجمل هاتيك النجوم واروعها واكثرها لألاء* قد ضلت* سبيلها فأتت تستريح وتنام فوق كتفه . ■■

ترجمها
محمود سيف الدين الايراني

العرب مارسوا الدبلوماسية

هكذا كانت السفارة والدبلوماسية

في الجاهلية .. وعهد الرسول

ثم في العهدين الأموي والعباسي وعند انقسام الدولة الاسلامية

بقلم : حسن فتح الباب
ماجستير فى العلوم السياسية

■ الدبلوماسية فى مدلولها الحديث ، تعنى ادامة العلاقات الخارجية للدولة وتمثيل مصالحها قِبَل الحكومات والدول الأجنبية .

وهى فى تعريف آخر اتخاذ الدولة من الأساليب السلمية ما يكفل تنفيذ سياستها فى المحيط الدولى .

وثمة معان اخرى متنوعة تستعمل فيها كلمة الدبلوماسية، فهى عند بعض علماء القانون الدولى العام ـ وقد تفرع عنه القانون الدبلوماسى ـ استعمال الكياسة والذكاء فى ادارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة .

غير أن المدلول الحديث الذى أشرنا اليه هو المعنى المألوف الذى انتهى اليه تطور ذلك المصطلح منذ استخدمه الاغريق (١) قديما بمعنى الوثيقة او المكاتبة التى تطوى كما يطوى الخطاب ويبعث بها أصحاب السلطة بعضهم الى بعض فى علاقاتهم الرسمية ويخلعون على حاملها امتيازا معينًا .

السياسة شىء ، والدبلوماسية شىء

وعلى الرغم من أن العرب عرفوا الدبلوماسية منذ اقدم العصور ، شانهم فى ذلك شان سائر الأمم والشعوب ، اذ كانت بينهم وبين جيرانهم سفارات شتى حفلت بأخبارها كتب السِّيَر ، وسجلتها الوثائق والأسانيد ، الا انهم لم يعرفوا كلمة الدبلوماسية ولم يستخدموها حتى بعد استقرار تلك الكلمة فى العصور الحديثة ، وكانوا يستخدمون لفظ السياسة للتعبير عن وضع الخطط السياسية ووسائل تنفيذها معا . ومازال

---

(١) لفظ دبلوما Diploma اليونانى ، معناه ورقة خطاب مطوى . ومن ذلك جاء معنى الدبلوما اى الشهادة التى تعطيها المدارس والجامعات بأن طالبا ما أتم دراسته فيها بنجاح ـ العربى .

مِنْ أَيَّام الجَاهِلِيَّة ..



... وأرسل الامويون بعثات دبلوماسية ، تضطلع بما تضطلع به الدبلوماسية فى العصر الحديث،من سعى لتأكيد الروابط العلمية،والسياسية والاجتماعية.

بعض الساسة والكتاب حتى اليوم يستخدمون كلمة السياسة بمعنى الدبلوماسية مما ادى الى الخلط بينهما حينا والى عدم تقدير الدور الذى تضطلع به الدبلوماسية حينا آخر .

فالسياسة على معان كثيرة، لكل منها اصطلاحه فى العرف الحديث ، وان جمعتها كلمة السياسة

في اللغة العربية . ومن هذه المعاني ما يكون بين الدول من المراسم والمباحثات التي تفضي الى عقد المعاهدات وتوثيق العلاقات ، وهو ما يطلق عليه مصطلح الدبلوماسية .

وفي ضوء هذا التمييز بين الدبلوماسية والسياسة الخارجية ، يتبين ان الدبلوماسي هو عماد رجل السياسة في تنفيذ المنهج الذي يخططه لتسيير الدولة بمقتضاه في علاقاتها السلمية ،حتى تستطيع ان تحقق اهدافها في جو من الهدوء والحكمة والاحاطة بالمصالح العامة . وقد تلجأ الدولة الى الحرب الطاحنة لتنفيذ اغراضها اذا فشلت تلك الأساليب التي تقوم بها الدبلوماسية .

فالدبلوماسية اداة لتحقيق السياسة السلمية، في حين ان الحرب اداة لتحقيق السياسة بالقوة، ومن ثم يجمع كلا من الدبلوماسية ، والحرب ان كلتيهما وسيلة من وسائل السياسة الخارجية.

الدبلوماسية في الجاهلية

مارس العرب الدبلوماسية في جاهليتهم ، فدخلوا فيعلاقات ودية وروابط عهدية مع جيرانهم. ومن ثم سارت البعثات والوفود بين العرب بعضهم وبعض ، وبينهم وبين غيرهم من الأمم والشعوب . فالعربي بطبعه كما يقول الشاعر القديم :

حمّال ألوية ، شهّادُ أندية
قوّال محكمة جوّاب آفاق

وكانت وسائل الاتصال وانشاء العلاقات الودية وتعزيزها في الجاهلية هيالأسفار والانتقال بقوافل التجارة ، أو الاجتماع في الأندية والاسواق وشهود مواسم الحج، أو سير الوفادات والشعراء الى ملوك فارس والحيرة وغسان وحمير .

وكما كانت وحدة اللغة باعثا على توثيقصلات العرب بعضهم ببعض قبل الاسلام ، فان مركزهم التجاري الممتاز بين كل هذه الممالك والبلاد الأخرى في الشرق والغرب والشمال ، كان باعثا على الاتصال وقيام العلاقات الدبلوماسية .

وروى الواقدي أن قريشا في الجاهلية كانت اذا ارسلت رسولا الى بعض الملوك قالت له :

« احفظ شيئا : انتهز الفرصة ، فانها خِلسة ، وبتّ عند رأس الأمر لا ذنبه . واياك وشفيعا مهينا فانه اضعف وسيلة، واياك والعجز فانه اوطأ مركب . وعليك بالصبر فانه سبب الظفر . ولا تخض الغَمْر حتى تعرف القدْر » .

وعرف من سفارات الجاهلية سفارة عبد المطلب ابن هاشم الى أبرهة ، وهو في طريقه الى مكة ، مفاوضا اياه على رد الابل التي استولت عليها طلائع جيوش الحبشة .

ووجد منقوشا على سد مأرب ، باليمن ما يفيد قدوم سفارات التهنئة على أبرهة من شتى الأمصار والممالك سنة ٥٤٣ ميلادية ، اثر انتصاره على الحميريين وتأسيسه أول دولة مسيحية باليمن . ونص المنقوش ما يلي :

(وجاءت الينا سفارة النجاشي ، وسفارة الروم ، وسفارة ملك فارس ، ومبعوث المنذر ، ومبعوث من قبل الحارث بن جبلة ، ومبعوث أبي خير بن خابلة . جميعهم طلبوا مودتنا بقوة من لدن الرحمن ! » .

غير أن دبلوماسية العرب في الجاهلية ظلت قاصرة على هذه الحدود ، فلم تستوعب فيميدان العلاقات الدولية ما هو أفسح وأهم من مجرد العلاقات التجارية والودية المرتهنة بظروفها .

الدبلوماسية في الاسلام

فلما جاء الاسلام حدث تغير جذري في الدبلوماسية ، شأنها في ذلك شأن سائر الميادين من سياسية واجتماعية واقتصادية . فاصبحت منهجا ذا قواعد ونظم محددة ترسمها الدولة في تسيير علاقاتها بغيرها من الدول عبر العصور المختلفة .

ومن ثم نشأت الدبلوماسية الاسلامية وتطورت في أغراضها ونظمها وأساليبها تبعا لتطور ظروف الدعوة الاسلامية . فاتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة اسلوبا لنشر الدعوة ، وسبيلا الى تأليف القلوب ، ودستورا في معاملاته وعلاقاته العامة في الجزيرة العربية ومع الأمم والشعوب الأخرى . وينتظم هذا الأسلوب الاصول الثابتة والقواعد المحددة التي وضعها الرسول الكريم فكانت المنهاج القويم الذي اتبعه خلفاؤه من بعده في سبيل تثبيت بناء الدولة الاسلامية والدفاع عن كيانها .

وتتجلى تلك الدبلوماسية فيما سطر عليه السلام من كتب وما أوفد من بعوث الى القبائل العربية والى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها للدعوة الى الاسلام .

الدبلوماسية فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين

فلما كانت الهجرة الى المدينة وتحققت وحدة العرب السياسية ، وتأسست الدولة الاسلامية الاولى فى يثرب فى كنف النبى صلى الله عليه وسلم ، دخلت الدبلوماسية فى مرحلة جديدة أكثر تقدما فى شكلها ومحتواها ، فاتسعت آفاقهــا وتوطدت أركانها ، واصبحت احدى الوسائل الأساسية لتنفيذ السياسة الخارجية للدولة الناشئة .

واستخدمت الدبلوماسية فى تلك المرحلة أداة لتنظيم المؤتمرات والاجتماعات ، وعقد المعاهدات للمحالفة أو الهدنة وفداء الأسرى ، أو تبادل المعونة وتحقيق المصالح المشتركة فى غير ذلك من الأغراض .

ويعد عصر الخلفاء الراشدين امتدادا لعهد النبى صلى الله عليه وسلم، اذ ظلت الدبلوماسية احدى وسائل الدعوة الى الاسلام ونشر رسالته ، واعلان الحرب دفاعا عن ذماره ، والتمكين له بعقد المعاهدات مع ممثلى الأمصار والمدن المفتوحة .

الدبلوماسية فى العهد الأموى

وكذلك كانت الحال فى عصر الدولة الأموية ، فاستخدمت الدبلوماسية سبيلا للدخول فى دين الله او دفع الجزية ، كما استخدمت فى تنظيم عقد الهدنة او فترات السلم ، فكانت بديلا للحرب أو مساعدا لها فى تقرير سياسة الدولة الخارجية فى التوسع ونشر الدعوة الاسلامية او مقارعة اعدائها .

الدبلوماسية فى العهد العباسى

وفى عهد الخلفاء العباسيين انعكس التطور الكبير الذى عاصر هذه المرحلة على الدبلوماسية ، فاصبحت وسيلة لتيسير تبادل العلاقات الودية بين الدولة الاسلامية وغيرها من الدول القائمة فى ذلك الحين . وتقدم الفن الدبلوماسى فاصبح التمثيل السياسى بين الخلفاء واباطرة الروم ذا طابع منظم ، واتسع نطاق العلاقات الدولية ، وتعددت أغراض السفارات ووظائفها بحيث أصبحت وسيلة لدعم الصلات التجارية والثقافية والعلمية وتبادل الاسرى ، وتبادل العطايا وفض المنازعات وعقد المعاهدات . وسارت السفارات بين الدول الاسلامية وبين القسطنطينية وروما ومملكة البلغار ودولة الفرنجة والهند والصين .

الدبلوماسية عند انقسام الدولة العباسية

وحين انقسمت الدولة الاسلامية الى ولايات وممالك مستقلة فى نهاية عصرهــا ، اضطلعت الدبلوماسية بمهام جديدة ، منها دعم الروابط الودية بين الخليفة فى بغداد وتلك الولايات التى كانت تتنافس فى الظفر بالحظوة لدى الخليفة تقوية لنفوذها وشدا لأزرها . وكان الخليفة يبعث بمندوبيه الدائمين الى السلاطين والأمراء المحليين لتمثيله فى ممالكهم فى نيسابور،ومرو ، والمَوْصل، ودمشق وغيرها من العواصم . ومن هذه المهام أيضا توحيد صفوف المسلمين والاصلاح بينهم وتدعيم العلاقات بينهم وعقد المعاهدات والمحالفات بين سلاطينهم اذا اعتدى على ديارهم مغير أجنبى .

الدبلوماسية بين الأمويين بالأندلس ودول الفرنجة

وانشأ الامويون دولة لهــم فى الأندلس كان عبد الرحمن الداخل اول رؤسائها . وكانت لهم علاقات دبلوماسية مع دولة الفرنجة المتاخمة لحدودهم ، والتى انشقت من اضلاع بيزنطة واصبحت نِدًّا مناوئا لهــا . واتخذ التمثيل الدبلوماسى فى عهد الخلفاء الامويين فى الأندلس طابعا منظما ، واتسعت اغراض الوفادات الدبلوماسية وأهدافها كما اتسعت فى عهود العباسيين المعاصرة للأمويين ، واصبحت تضطلع بما تضطلع به الدبلوماسية فى العصر الحديث من سعي لتأكيد الروابط العلمية والاجتماعية والسياسية .

خصائص الدبلوماسية الاسلامية

افاد المسلمون من النظم والتقاليد الدبلوماسية عند غيرهم من الأمم مثل البيزنطيين واليونانيين والفرس والهنود فنقلوا كثيرا منها . وكانت لهم خبراتهم وتجاربهم فى هذا المضمار . وقد ذاع صيت شعرائهم وحكمائهم الذين استحدثوا من التعاليم الدبلوماسية ما زاد رصيدَهم منها .

وحفلت كتب التاريخ بوصاياهم فى شأن أصول السفارة وصفات السفير ووسائل اختياره واختباره ، وما ينبغى أن يكون عليه من طباع ومناقب حتى يصبح أهلا للرسالة وتمثيل مرسله.

رسول المعتصم يخاطب ملك الروم

ومن أبلغ ما كتب فى هذا المجال ما ورد فى كتاب رسل الملوك لابن الفراء على لسان رسول المعتصم من قوله لملك الروم :

« ان للخلفاء خدَماً يتصرفون فى أنحاء الخِدَم، لكل طائفة مذهب يتخصصون له ويحتملون عليه ، ولا يكلفون سواه ، ولا يراد منهم غيره . فمنهم من يُعدّ للفتوح ، فهو يلبس السلاح ويقود الجيوش . ومنهم من يعد للقضاء ، ومنهم مثلي من يصلح أن توفده الخلفاء للملوك ، ويتحمل رسائلهم الى مثلك من أهل الجلالة والقدر والسناء والذكر . فلولا ثقتهم بي ، وعلمهم بمناصحتي وصدقي فيما أورد وأؤدي ، صادرا وواردا ، لما رأوني أهلا للتوجه فيما توجهت فيه اليك ، وقليل لمثلي هذا الرزق مع هذا التحمل وهذا المحل من الخلافة ، وهى من الجلالة على ما هى ».

اختيار السفراء

وقد أدرك المسلمون منذ القدم شرف السفارة وأقدار السفراء ، فاختاروهم من الشخصيات المبرزة فى عصرها ذات المكانة الرفيعة فى العلم والأدب والرجاحة والحصافة وسرعة البديهة وحسن التصرف ، ليكونوا أقدر على تمثيل الخلفاء والأمراء والرؤساء . ومن ثمّ اختير كثير من القضاة والفقهاء والعلماء والمتصوفين لأعمال السفارات . كما انتخب من موظفي الدولة كالوزراء والكتاب والأطباء من يصلح لمهام الوفادة.

وكان مقياس اختيار السفراء أهليتهم لتولي المهام الدبلوماسية وكفايتهم فيها بغض النظر عن أديانهم ومعتقداتهم ، فأوفد بطارقة أنطاكية والقدس والاسكندرية للقيام بالسفارات فى بيزنطة والحبشة .

ويحسن أن نشير فى هذا المقام الى ما جاء فى « رُسُل الملوك » على لسان أحد الحكماء فى صفات من يصلح للسفارة وما يُستحَب فيه من رداء ، ونبل ، وحسن رأى ، ورجاحة عقل وتصرف ، ونزاهة عن بيع الأمانة أو خيانة مرسله، وحذره من تجاوز ما رُسم له ، أو أن يغير من اختبر ثقته أو رد من أرسل اليه .

(اختر لرسالتك فى هدنتك وصلحك ومهماتك ومناظرتك والنيابة عنك رجلا حصيفا ، حوّلا قلّبا ، قليل الغفلة ، منتهز الفرصة ، ذا رأى جزْل ، وقول فصْل ، ولسان سليط وقلب حديد ، فطِنا للطائف التدبير* ، ومستقلا لما ترجو أو تحاول بالحزامة واصابة الرأى ، ومتعقبا له بالحذر والتمييز ، ساميا الى ما يستدعيه اليك ويستدفعه عنك .. حاضر الفصاحة مبتدر العبارة ظاهرة الطلاقة ، وثابا الى الحجج مُبرِما لما نقضَ خصمُك ، ناقضاً لما أبرم ، يحيل الباطل فى شخص الحق ، والحق فى شخص الباطل .. جامعا مع هذا العلم الفرائضَ والسنن والأحكام والسيَر .. عالما بأحوال الخراج والحسابات وسائر الأعمال .. وليكن من أهل الشرف والبيوتات ، فانه لا بد مقتفٍ آثار أوليته، محب لمناقبها ، مساو لأهله فيها ..) .

وعرفت الدبلوماسية الاسلامية نظام التمثيل السياسى الدائم ، كما عرفت التمثيل المؤقت ، وان كان النظام الأول قاصرا على اعتماد بعض مندوبى الخليفة لدى السلاطين والملوك المحليين من المسلمين . أما فى علاقات الدولة الاسلامية مع الدول غير الاسلامية فلم يعرف المسلمون سوى السفارات المؤقتة ينتهى عملها بانتهاء العمل الذى توفد من أجله .

أعضاء البعثة الدبلوماسية

لم تختلف البعثات الاسلامية كثيرا عن السفارات الحديثة فى مبدأ التمثيل السياسى . فكان السفير الاسلامى يمثل رئيس دولته فيما يوفد فيه من مهام . وله حق التحديث والمفاوضة باسمه ، وله ابرام العقود والمعاهدات نيابة عنه . وكذلك كان مبعوثو الرسول صلى الله عليه وسلم الى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها والى القبائل العربية ، وكان سفراء الخلفاء والملوك والسلاطين من بعده .

وكانت البعثة الاسلامية تتألف عادة من السفير وحاشيته . وقد تتكون البعثة من أكثر من شخص لدعمها وتعزيزها فيما اذا كانت لها أهمية خاصة وتعلق بها تحقيق مقاصد تمس السياسية العليا للدولة ، أو اذا لم تتوافر الكفاية المنشودة فى

شخص واحد . فكان يوفد رجلان « أحدهما صاحب سيف ، والآخر من أهل الشريعة . وقد تعزّز بثالث من الكتّاب . فصاحب الشريعة يقرر ما يسوغ فيها ويدفع ما لا يسوغ ، وصاحب السيف يرتّب ما لا مضرة فيه على الملك وجنده ، ولا حيف فيه ولا مخاطرة . والكاتب يحفظ قوانين السياسة ورسوم المكاتبات وأدب المخاطبات » .

ويختلف عدد أعضاء السفارة وفقا لخطر المهمة ومكانة السفير ورئيس دولته . من ذلك أن سفارة قتيبة بن مسلم الى بلاط امبراطور الصين سنة ٩٦ هجرية قد بلغت نحو ١١ أو ١٢ شخصا . وزاد عدد أعضاء البعثات زيادة كبيرة في عهود سلاطين المماليك حتى بلغت احدى سفاراتهم الى بغداد سنة ٧١٢ هجرية ـ ١٣١٢ ميلادية ١٧٤ شخصا .

ولم يكن حق ايفاد البعثات السياسية مقصورا على الخلفاء ورؤساء الدولة ، بل امتد هذا الحق حتى شمل ولاة الاقاليم والحكام المحليين . من ذلك أن معاوية بن أبي سفيان ـ وكان واليا على الشام ـ أوفد بعثة الى بيزنطة وعقد معها هدنة لمدة ثلاث سنوات . كذلك بعث الحجاج بن يوسف الثقفي الى بيزنطة ـ وكان حاكما على العراق ، سفارة مماثلة .

فاذا أنجز رئيس البعثة ما أوفد له من مهام وعاد الى دولته ، كان عليه أن يحرر تقريرا بما وصل اليه من نتائج ويرفعه الى الخليفة أو السلطان . وقد حفلت دار المحفوظات في الدولة العباسية بتقارير مسهبة عن أراضي الدولة البيزنطية ومسالكها ومرافقها . وأفادت تلك المعلومات في تيسير التبادل التجاري بين الدولتين كما حققت بعض الأغراض العسكرية .

ديوان الرسائل

انشأت الدولة الاسلامية ، في صدرها الأول ديوانا رسميا يسمى ديوان الرسائل ، اختير له أكفأ الكتاب وأبرعهم . وكانت مهمتهم تحرير المكاتبات الى الملوك ورؤساء الدول المجاورة واستمر هذا التقليد عهود الأمويين والعباسيين. وقد اختص كتاب الرسائل بصياغة اعتماد السفراء والرد عليها ، واعداد صيغ المعاهدات وفقا للسياسة المرسومة . وأنشأ هؤلاء الكتاب لغة دبلوماسية رفيعة أصبحت مع الزمن لونا رفيعا من الوان الأدب لما امتازت به من بلاغة وقوة في البيان . وقد تطورت هذه الرسائل على مر العصور فلم تجمد في قوالب نثرية معينة ، واختلفت صيغتها باختلاف الغرض منها،واختيرت عباراتها وفقا لمقتضيات الحال ، فلكل مقام مقال .

ولم يكن منها ثابتا غير الديباجة التقليدية . ففي المكاتبات الى رؤساء الدول غير الاسلامية يبدأ الكتاب بالصيغة المألوفة : « من ... الى ... » أما الرسائل المتبادلة بين رؤساء الدول الاسلامية بعضهم وبعض فتبدأ عادة ب « بسم الله الرحمن الرحيم » أو « باسمك اللهم » ثم يتلوها حمد الله ثم عبارة « أما بعد » ... وهكذا . هذا فضلا عما يدون بالكتاب أو خطاب الاعتماد من ألقاب التعظيم والتكبير لخليفة المسلمين وأمير المؤمنين من الملوك والسلاطين . كذلك كان لانتقاء نوع الورق ولونه ونوع المداد الذي يكتب به ، أهمية ظاهرة ، يقوم بتوفيرها وتحضيرها جهاز الموظفين في ديوان الرسائل .

خطابات اعتماد السفراء

حين يتم تجهيز البعثة الدبلوماسية وتهيأ لمغادرة الديار الاسلامية يزوّد رئيس البعثة بخطاب اعتماد يحرره ديوان الرسائل باسم رئيس الدولة الاسلامية مخاطبا رئيس الدولة التي توفد اليها البعثة ، معتمِدا اشخاص المبعوثين ، مبينا أسماءهم وألقابهم والرغبة في اعتمادهم ممثلين له. وكان خطاب الاعتماد كذلك على مقاصد السفارة وأغراضها .

ومن طريف ما يذكر في هذا الصدد أن الدول كانت تتنافس في كتابة أوراق الاعتماد على أنواع ثمينة من الورق وبماء الذهب دلالة على أهمية السفارة ورفعة شأن الموفد والسفير معا ، والتماسا لاستقبالها بما يليق بها من حفاوة وتكريم .

وكانت أوراق الاعتماد تكتب بالعربية في كل من سورية والعراق ومصر ، وأحيانا يحمل السفير ترجمة بلغة البلد الموفد اليه .

جوازات سفر السفراء

وكان الممثل الدبلوماسي يزود كذلك بجواز

السفر أو « ورقة الطريق » كما أطلق عليها كتاب الرسائل . وقد بدأ السفراء المسلمون في حمل هذه الجوازات ابتداء من القرن السادس الهجري مدونا عليها اسم السفير ولقبه وصفته والجهة التي يقصد اليها مع رجاء الى السلطات المختصة بتيسير انتقاله وحسن استقباله .

استقبال السفراء

وحين يصل السفير وحاشيته الى البلد التي يقصد اليها تبدأ مراسم استقباله ، حتى اذا قدّم خطاب اعتماده تلقّى عنه ردا يكون عادة شفويا ، ومن ثمّ يشرع في محادثاته مع حاشية رئيس الدولة الموفد اليها ثم مع الرئيس نفسه . وتوفد هذه الدولة عادة بعثة دبلوماسية مماثلة ردا على ما جاءت به السفارة الاسلامية .

فاذا بلغت سفارة الدولة التي تتبادل التمثيل السياسي مع الدولة الاسلامية ديار الاسلام بعد اعداد الرسائل التمهيدية لهذا الغرض ، خرج مندوبو الخليفة أو السلطان يستقبلون السفارة في أطراف الدولة ويرافقون أعضاءها الى حاضرة الاسلام . ويعد هذا الاستقبال بمثابة الموافقة على اعتماد السفير القادم فيما هو موفد من أجله . وليس ثمة سوابق ـ فيما عدا النادر الذي لايقاس عليه ـ لرفض استقبال السفراء . ويكون هذا الرفض غالبا في حالة قطع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين كما يحدث في أوقات الحروب . من ذلك رفض القاهرة قدوم سفراء ملك حلب سنة ٥٩٧ هجرية ، ورفض الملك الظاهر بيبرس الموافقة على استقبال سفراء الصليبيين في مصر بسبب ما كان بينهما من علاقات عدوانية .

وقد استقر على مر العصور قواعد استقبال السفراء في كل من الدولة الاسلامية وبيزنطة ابان ازدهار العلاقات الودية بينهما . وكانت ثمة مبالغة واسراف في هذه القواعد والمراسم لاتستثنى في ذلك احدى الدولتين . فكان السفراء ينزلون في مساكن تليق بهم ويجرى عليهم من النفقات والأطعمة ما يَرغَد به عيشهم . وكذلك يقام لهم بوظيفة المراكب حسبما تدعو الحاجة اليه .. وان كانت الطرق والمسالك تحتاج الى خفراء كان أجود ان يسير معهم الخفراء والأدلاء .

وعندما يقترب ركب السفير من عاصمة الدولة الاسلامية ، تعد الاستقبالات الفخمة وتقام الزينات ويجتمع الناس على جوانب الطرقات التي سيسلكها الى دار الضيافة : « ويترك في دار الضيافة ثلاثة أيام ، ولا يمكن الاجتماع به ، ثم يُستدعى ، وقد رُتّبت دار الملك في ذلك اليوم . وتجتمع العساكر والجند ، ويجلس الملك على سرير الملك في أحسن أبهة وزي ، وتصطف السلحدارية حوله بالسيوف . ثم يُمَدّ السماط وتأكل الناس أكل خدمة لا أكل نهمة ، واركان الدولة جلوس على قدر مراتبهم وقيام في الخدمة. ويدخل الرسول والحاجب معه والمهمدارية تقدمه. فاذا وصل بحيث يلمحه الملك ، يخدم (يؤدى التحية حسب المراسم المتبعة) الرسول ثم يتقدم الى وسط الدار ، ثم يتقدم الى المكان الذى يليق به لمخاطبة الملك ، « فيخدم » ، ويقف الحجاب ، والتراجم حوله ، فيبلغ سلام مرسله « ويخدم » عنه الخدمة اللائقة بهما ، فيقابل الملك تلك التحية بما يليق بها من الجواب بالقيام « والخدمة » ، أو القيام حسب ما يقتضيه حال المرسل والمرسل اليه . ثم يُخرج الكتب التى معه فيضعها على وجهه وعينيه ثم يطرحها بين يدى الملك ، فاذا اراد الملك اكرام صاحبها فليقم لتناولها ، وليشر « بالخِدْمة » عند فضها وقراءة اسم مرسلها . ثم يلبث قليلا حتى يشير اليه الملك بالجلوس فيتاخر ويجلس حيث يجلسه الحاجب أو أمير المجلس .. فان سأله الملك عن شيء من أحوال مرسله أجاب عنه بما ليس فيه سر ولا كتمان، ويترك ما عنده من المشافهة والأسرار الى مجلس الخلوة .. ثم يشير الى حاجبه بانصرافه الى دار الضيافة للاستراحة ، وان كان معه هدية فليخاطب الحاجبُ عنه الملك ، « انّ الملك الفلاني قد بعث هدية يلتمس قبولها » ، فيشير الملك بحضورها ، وهى محصّلة عند اقرب الأبواب ، فتعرض عليه بما فيها من دواب وجوارح وثياب ، مع ثبْت يتضمن ذلك ، الا الجوارى ، فلا تعرض ، بل يمضى بها الى دار الحريم بعد استئذانه مع الخدام ، والقَهْرمانة تعرض ذلك » . ■■

حسن فتح الباب

ماجستير في العلوم السياسية
القاهرة

عبد القاهر الجرجاني



بقلم الدكتور
احمد أحمد بدوى
استاذ البلاغة بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

ان اختلف الناس في أنه أسّس علم البلاغة ، فهم لايختلفون في أنه صاحب علم المعاني وعلم البيان

■ ولد عبد القاهر الجرجانى فى أوائل القرن الخامس الهجرى فى مدينة جرجان باحدى ولايات خراسان ، من أسرة رقيقة الحال ، لم تجد معها فضلة من المال تنفقها على ابنها لكى يستطيع أن يتنقل فى البلاد يأخذ العلم عن رجاله ، فظل فى مدينته يتعلم بالقدر الذى تهيئه له تلك المدينة ، وكان يفد اليها بعض الرجال ، فيأخذ العلم عنهم المتطلعون الى الثقافة العالية .

ونشأ الطفل ولوعا بالعلم ، ووجد بغيته في الكتب . فأقبل عليها فى شوق جامع ، وبخاصة كتب النحو والأدب . وكانت الكتب أكبر ما استمد منه عبد القاهر ثقافته ، فتتلمذ عليها ، يقرؤها بفكر واع ، ويقف امام نصوصها فى أناة ، يريد أن يدرك ما تدل عليه هذه النصوص والتحصيل. وقد رأينا أثر هذا الاطلاع الواسع فيما نقله فى كتبه عن سيبويه ، والجاحظ وأبى على الفارسى ، وابن قتيبة ، وقدامة الأسدى ، والقاضى الجرجانى ، وأبى هلال العسكرى ،

والمرزبانى ، والزجاج ، وغيرهم من كبار المؤلفين.

ولما كان العصر الذى عاش فيه عبد القاهر عصر حروب ومغامرات بين طلاب الملك فى الرقعة الواسعة التى كانت الدولة العباسية تحكمها ـ رأى كثير من العلماء ان الحياة الجميلة الهادئة انما تكون فى ظلال العلم والمعرفة ، فانصرف اليها واخلص لها ، ووقف عليها حياته وجهوده . وكان من هؤلاء العلماء عبد القاهر ، فانا لا نعلم انه اتصل بسبب من أسباب الدنيا سوى العلم ، وربما فكر فى أن يكون أحد أساتذة المدرسة النظامية التى أنشأها الوزير نظام الملك فى بغداد سنة ٤٥٩، وكان هذا التفكير هو السبب الذى دفع عبد القاهر الى أن يمدح الوزير بشعر يقول فيه :

ذو شِيَمٍ لو أنها
فى الماء ما تغيّرا
وهِمّة لو انها
للنجم ما تغوّرا

ولكنه لم يعين أستاذا بهذه المدرسة ، وظل فى مدينته لم يفارقها الى أن مات بها سنة احدى وسبعين وأربعمائة .

غير انه صار فى مدينته علما من كبار العلماء ، وذاع صيته فى الآفاق ، وتصدر للافادة والتأليف فشُدّت اليه الرحال ، وقصده الطلاب من جميع الأرجاء ، يقرءون عليه كتبه ويأخذونها عنه ، وهو يفيض عليهم من علمه وذكائه . ويخص بعض وقته بتاليف كتب يودعها آراءه ونظراته .

ومع العلم كان الفقر

ومع هذا العلم الغزير ، والانتاج القيم ، نرجح ان عبد القاهر كان مقترا عليه فى الرزق ، ولم تكن حياته رغدة سعيدة ، ولسنا ندرى مورد رزق عبد القاهر ، وربما كان هبات بعض الأثرياء الذين ألف لهم كتبه . ولكن ما تركه لنا من الشعر ينبض بالسخط على حظ العلماء فى هذه الحياة ، اذ تسمعه يقول :

كبّر على العلم ، لاترمْه
ومِلْ الى الجهل ميل هائم
وعشْ حمارا تعشْ سعيدا
فالسعدُ فى طالع البهائم

وقد اعجب مؤرخوه بعلمه وخلقه ، ولا يذكرون اسمه الا مقرونا بالاكبار والتبجيل .

كتابه « المختار »

وترك عبد القاهر آثارا اهمها ما كان فى النحو والبلاغة ، ونشر له « عبد العزيز الميمنى » كتاب « المختار » من دواوين المتنبى والبحترى وأبى تمام . ويصدّر عبد القاهر كتابه « المختار » مبينا الأساس الذى بنى عليه اختياره اذ يقول : « هذا اختيار .. عمدنا فيه لأشرف أجناس الشعر ، وأحقها أن يُحتفظ ويروى ، ويتوكّل به الهمم ، ويفرغ له البال ، وتصرف اليه العناية ويقدم فى الدراية .. وذلك ما كان مثلا سائرا ، ومعنى نادرا ، وحكمة وأدبا ، وقولا فصلا ، ومنطقا جزلا » .

وهو على مذهب أستاذه القاضى الجرجانى فى تقديم أبى الطيب على الطائيين ، ثم تقديم البحترى على أبى تمام ، ولذلك جرى فى عرض مختاراته على هذا الترتيب .

ومما اختاره للمتنبى قوله :

انى لأجبُنُ عن فراق أحبتى
وتحسُّ نفسى بالحمام ، فأشجُعُ
ويزيدنى غضب الأعادى قوةً
ويُلمُّ بى عتب الصديق ، فأجزع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل
عما مضى منها ، وما يُتوقَّعُ
ولمن يغالط فى الحقائق نفسه
ويَسُومها طلبَ المحال ، فتطمع
أين الذى الهرمان من بنيانه
ما قومه ؟ ما يومه ؟ ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها
حينا ، ويدركها الفناء فتتبع

ومما اختاره للبحترى قوله :

ان البكاء على الماضين مَكرمةٌ
لو كان ما من اذا بكّيته رجعا
صعوبة الرزء تلقَى فى توقعه
مستقبلا ، وانقضاء الرزء ان يقعا

ومما اختاره لأبى تمام قوله :

السيف أصدق انباءً من الكتب
فى حدّه الحد بين الجد واللعب
والعلمُ فى شُهُبِ الأرماح لامعة
بين الخميسين، لا فى السبعة الشُهب
أين الرواية ؟ أم أين النجوم وما
صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

تخرُّصـــا وأحـاديثا ملفقــة
ليستْ بنبْع، اذا عُدَّتْ، ولاغَرَبِ
بَصُرتَ بالراحةِ الكبرى فلم ترها
تُنال الا على جسْر من التعب

رسالته الشافية فى اعجــاز القرآن

وله كذلك الرسالة الشافية فى اعجاز القرآن. وقد فصل عبد القاهر هدفه من الرســالة ، وانها جمل من القول فى بيان عجز العرب ، حين تحدّوا ، عن معارضة القرآن ، واذْعانهم وعلمهم ان الذى سمعوه فوق القوة البشرية .

ويتعرض عبد القاهر فى هذه الرسالة لدحض شبهة لم أر غيره تعرض لها ، تلك هى شبهة الانفراد بالعظمة البيانية فى عصر من العصور، فلم لا يكون الرسول من هؤلاء المتفردين بعظمة البيان.

ويرد على هذه الشبهة بان الشرط فى المزية الناقضة للعادة أن يبلغ الأمر فيها الى حيث يبهر ويقهر ، حتى تنقطع الاطماع عن المعارضة ، وتخرس الألسن عن دعوى المداناة ، وحتى لاتحدث نفس صاحبها بأن يتصدى ، ولا يجول فى خلد أن الاتيان بمثله يمكن .

وينكر عبد القاهر أنه كان فى وقت من الأوقات مَنْ بلغ أمره فى العلو على أهل زمانه من تنقطع الأطماع عن معارضته ، فقد كان فى وقت امرىء القيس مثلا من يباريه ، ولا يتحاشى من أن يدّعى الفضل عليه ، فقد رأى علقمة الفحل انه أشعر منه ، ولم يستقر رأى الناس على تقديم شاعر استقرارا يرفع الشك .

كما يرد على شبهة من زعم أن عجز العــرب قد نشأ من انهم لا يستطيعون النظم فى مثل معانى القرآن ، لا لأنهم لا يستطيعون مثل ذلك النظم . يرد على ذلك بأن تلك الشبهة يكون لها وجــه اذا كان التحدى بأن يعبّروا عن معانى القرآن انفسها بلفظ يشبه لفظه ، ونظم يوازى نظمــه ، وهذا تقدير باطل ، فان التحدى كان الى أن يجيئوا فى أى معنى شاءوا من المعانى بنظم يبلغ نظم القرآن فى الشرف ، أو يقرب منه . يدل على ذلك قوله تعالى : « قل : فاتوا بعشر سور مثله مفتريات » أى مثله فى النظم ولكن المعنى مفترى .

وينتقل عبد القاهر بعدئذ الى الرد على القائلين بالصرفة ، وهو مذهب طائفة تزعم أن العرب كانوا قادرين على أن يأتوا بمثل القرآن ، ولكن الله صرفــهم عن أن يأتوا بمثله ، لأنهم منعوا من الفصاحة منزلة كانوا عليها قبل نزول القرآن .

ويرى عبد القاهر ذلك رأيا لا سداد فيه ، فلو انهم ادركوا انهم صاروا عاجزين بعد أن كانوا قادرين ، لقالوا للرسول : انا كنا نستطيع قبل هذا الذى جئتنا به ، ولكنك قد سحرتنا ، وحلت بما جئتنا به بيننا وبين مقدرتنا علــى معارضته . وكان من الواجب أن يتذاكروا ذلك فيما بينهم ، وأن يشكوه بعضهم الى بعض ، فيقولوا : مالنا قد نقصنا فى قرائحنا ، وحدث كلل فى اذهاننا . ولكن لم يرد أن كان منهم قول فى هذا المعنى .

كتابه « دلائل الاعجاز »

اما كتاب عبد القاهر : « دلائل الاعجــاز » فاحد كتابيه المهمين الخالدين . وثانيهمـــا : « أسرار البلاغة » .

وقد عالج فى كتابه « الدلائل » وجه اعجاز القرآن ، وأن هذا الاعجاز يكمن فى بلاغته وحدها، وأن هذه البلاغة انما هى فى نظم القرآن على هذا الاسلوب الذى نزل به ، لا فى ألفاظ منفردة عن هذا النظم الذى جاء به ، ولا فى أن عبارة القرآن قد جاءت على ضرب من الوزن يعجز الخلق عن أن يأتوا بمثله،ولا فى الجريان والسهولة وسلامته من أن تلتقى فيه حروف تثقل على اللسان ، ولا للفواصل فى آخر الآيات ، ولا لما فى القرآن من استعارة وكناية ومجاز .

ويمضى عبد القاهر فى كتابه مبرهنا على رأيه: فليس الاعجاز فى معانى الكلمات المفردة ، لأنه يؤدى الى أن يكون قد تجدد فى المفردات أوصاف لم تكن لها قبل نزول القرآن ، وذلك ما لم يكن، وذلك محــال ، لأنه لم يتجدَّد للحمــد والرب والعالمين مثلا ، وصفٌ بعد نزول القرآن لم يكن لها قبل نزوله .

ولا يجوز أن يكون الاعجاز فى تركيب الحركات والسكنات ، حتى كأنهم تحدوا الى أن يأتوا بكلام تكون كلماته على تواليها فى زنة كلمات القرآن لأنه يخرج الى ما تعاطاه مسيلمة من الحماقــة عندما قال : « انا أعطيناك الجماهر ، فصــل لربك وجاهر » ، وقوله : « والطاحنات طحنا ».

وكذلك لم يتحداهم القرآن الى أن يأتوا بكلام يجعلون له مقاطع وفواصل كالذى نراه فى القرآن، لأنه ليس بأكثر من التعويل على مراعاة لون من الوزن .

وكذلك ليس الاعجاز فى سهولة القرآن ، وخلوه مما يكد اللسان ، لانه لو كان يصح شىء من ذلك وجب أن يكون السوقى الساقط من الكلام ، والسفساف الردىء من الشعر فصيحا اذا خففت حروفه .

وليس معنى ذلك أن عبد القاهر يأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يؤكد امر الاعجاز ، ولكن الذى ينكره هو أن يجعل ذلك سبب الاعجاز ، ويعده الاصل فيه .

ولا يصح أن تكون الاستعارة واخواتها الأصل فى الاعجاز لأن ذلك يؤدى الى أن يكون الاعجاز فى آى معدودة فى مواضع من السور الطوال مخصوصة .

الاعجاز يكمن فى نظم القرآن

وهكذا انتهى عبد القاهر بعد أن قلب أمر الاعجاز على وجوهه ـ الى أن الاعجاز يكمن فى نظم القرآن ، ولذلك مضى فى كتابه يشرح فكرة النظم .

ولكى يوضح هذه الفكرة فرّق بين الحروف المنظومة والكلم المنظومة ، فليس نظم الكلمة ناشئا عن معنى دفع اليه ، اذ لا صلة بين الكلمة ومعناها ، ولم يقتف واضع اللغة رسما عقليا اقتضاه المعنى ، فلو أن واضع اللغة قال : « ربض » مكان « ضرب » لما كان فى ذلك ما يؤدى الى فساد .

وليس الأمر كذلك فى نظم الكلم ، لانك تتبع فى نظمها المعانى التى فى النفس ، وليس ضم شىء الى شىء كيفما جاء واتفق ، كما حدث فى نظم الكلمات المفردة ، كما ذكرنا .

ومعنى ذلك أن الاعجاز قد نشأ من أن المعنى قد فهم على نحو خاص ثم جاء اللفظ تابعا لهذا المعنى ، ومن اجل ذلك اكثر عبد القاهر من حديثه وبرهنته على أن البلاغة تعود الى المعنى وليس اللفظ الا تابعا لهذا المعنى .

مثل يضرب

ولاضرب مثلا يوضح فكرة عبد القاهر فى النظم ذلك هو شيب الرأس ، فمن القائلين من يدرك مطلق ورود الشيب الى الرأس فيأتى نظمه معبرا عن هذا المعنى الذى أدركه ، فيقول : شاب رأسى . ومن الناس من يدرك أن الشيب قد ملأ رأسه ، فتأتى عبارته مصورة هذا الشعور أيضا فيقول : امتلأ رأسى شيبا .

وليس فى هذين التعبيرين اعجاز لانهما عبرا عن معنى عادى : وانما الاعجاز فى قول القرآن : « واشتعل الرأس شيبا » لأن قائله قد أدرك معنى لا يدركه غيره من القائلين ، فقد أدرك أن الشيب يدب فى الرأس دبيب النار فى الحطب ، وأن هذه النار اذا اشتعلت لا تبقى على شىء ولا تذر ، كما أدرك أن الرأس هو مظهر الشباب والشيخوخة ، وأن هذا الرأس قد خلص للشيب وحده ، فقال : « واشتعل الرأس شيبا » .

ومن أجل هذا وجب أن نقف عند الألفاظ فى جملها ، لندرك الأسرار التى تفهم من مجىء الكلمة على نحو خاص من تعريف وتنكير ، وفى مكان خاص من تقديم وتأخير ، وفى لون خاص من الوان الاعراب كأن تكون مبتدأ أو خبرا او حالا أو غير ذلك لكى ندرك المعنى الذى صورته تلك الجملة . وتلك هى فكرة النظم عند عبد القاهر .

البلاغة اذا تعود الى أن المعنى فهم على نحو خاص ، فجاء التعبير صورة لهذا المعنى .

الألفاظ خدم للمعاني

وقد توهم كثير من الناس عندما سمع عبدالقاهر يعلن فى صراحة أن الألفاظ خدم للمعانى وتابعة لها ، وأن البلاغة تابعة لها ، وأن كل صفة فصاحة وصف بها اللفظ كان وصفه بها باعتبار معناه ـ توهم أن عبد القاهر من أنصار المعنى لا اللفظ ، وانه على رأس المعنويين .

كما توهم عندما استمع الى قول الجاحظ : « والمعانى مطروحة فى الطريق ، يعرفها العجمى والعربى ، والقروى والبدوى ، وانما الشأن فى اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة الماء ، وجودة السبك ، وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير » ـ توهم أن الجاحظ من أنصار اللفظ ، وجعله على رأس اللفظيين .

وذلك كله خطأ فى التصور ، وغلط فى التصوير ، فلا عبد القاهر من أنصار المعنى دون اللفظ ، ولا الجاحظ من أنصار الصياغة ، حتى المتكلف منها وما اغتصب .

والواقع أن الرجلين متفقان فى النظرة الى الكلام ، وأن عبد القاهر لا يهمل الصياغة ، بل يعنى بها عناية كعناية الجاحظ ، ويدلنا على

ذلك أن عبد القاهر يستدل على مذهبه في الصياغة بكلام الجاحظ نفسه ، ويقره عليه ، ويؤمن به ، ويؤول موهمه ، ويؤكد ايمانه به في غير موضع من كتابه ، مما يدل على ان الرجل كان يرى رأى الجاحظ في شأن صياغة الكلام .

ذلك أن عبد القاهر قصد الى بيان السر في بلاغة التعبير ، وأن ذلك يعود الى ما بين المعاني المدلول عليها بالألفاظ من تآخ وارتباط ، فكلما كان التآخي شديدا ، وكلما كان الارتباط معجبا ، وكلما كانت الصلة مؤثرة ، كان ارتقاء الكلام في درجات البلاغة .

الجرجاني ناصر المعنى والصياغة معا

لم يزد عبد القاهر على ذلك ، ولم يقل في أى سطر من سطور كتابه : بأن الذى أعنى به هو المعنى من حيث عمقه أو سطحيته ، أو من حيث شرفه أو ضعته ، أو من حيث عاميته أو خاصيته ، أو من حيث هو في حد ذاته ، ولا يعنينى بعد ذلك جاء اللفظ على أى وجه من الوجوه : جيدا أو رديئا ، مختارا أو غير دقيق .

لم يقل عبدالقاهر ذلك في أى موضع من كتابه ، ولو أنه قال ذلك لعددناه من انصار المعنى الذين لا يعنون بالصياغة .

ولو أنه كان كذلك لقبل المعقد من الكلام ، لأن له ، بلا شك ، معنى ، بل لو أنه كان كذلك ما رفض كلاما يقال ، لأن لكل كلام يقال معنى ، ولو أنه كان كذلك لعنى بمعنى الكلام ، ودرجات هذا المعنى .

ولكنه على العكس من ذلك يعنى بالصياغة عناية لا حد لها ، ويجعل البلغاء يتفاوتون في هذه الصياغة .

بل يرى عبد القاهر أن المعنى لا يتقدم به الشعر ، ويريد بالمعنى هنا نوع الفكرة التى يريد الشاعر ايضاحها ، حكمة او أدبا أو معنى نادرا . يقول عبد القاهر في صراحة : واعلم أن الداء الدوى والذى أعيا أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه ، وأقل الاحتفال باللفظ ، وجعل لا يعطيه من المزية ، ان هو أعطى ، الا ما فضل عن المعنى . يقول : ما في اللفظ لولا المعنى ، وهل الكلام الا بمعناه ؟ فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة وأدبا ، واشتمل على تشبيه غريب ، ومعنى نادر . فان مال الى اللفظ شيئا لم يعرف غير الاستعارة ..

وأن الأمر بالضد اذا جئنا الى الحقائق ، والى ما عليه المحصلون ، لأنا لا نرى متقدما في علم البلاغة مبرزا في شأوها الا وهو ينكر هذا الرأى ، ويعيبه ، ويزرى على القائل به ، ويغض عنه .

وليس ذلك ناشئا عن الجهل بأن المعنى اذا كان أدبا أو حكمة ، أو كان غريبا نادرا ، كان أشرف من غيره ، ولكن لأن التقديم اذا كان على أساس المعنى لم يكن للكلام من حيث هو شعر وكلام .

وبذلك يلتقى عبد القاهر بالجاحظ في أن أساس التفاضل بين صناع الكلام ، ليس هو المعنى الذى يورده الأديب ، وانما يتفاضلون بحسن الصياغة ، واقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وجودة السبك ، لأن ذلك يدل على أن الأديب قد ادرك المعنى على نحو خاص به لم يشركه فيه سواه .

وقد مضى عبد القاهر يوضح فكرة النظم ، فأبان ما يفيده التقديم والتأخير في العبارة ، وما يدل على الذكر والحذف ، والتعريف والتنكير ، مطبقا فكرته على أبواب التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية مبينا أن سر الجمال فيها جميعها انما هو نظمها على نحو خاص .

وأورد ما يمكن أن يعترض به على هذه الفكرة ، وفند جميع هذه الاعتراضات .

القرآن ودلائل الاعجاز

وكتاب « دلائل الاعجاز » كله شرح لهذه الفكرة وتطبيق عليها . ولكننا نأخذ على عبد القاهر أنه برغم أن الكتاب معنون بدلائل الاعجاز لم نجد فيه علاجا طويلا لآيات القرآن واتخاذها الأساس في تطبيق فكرته ، وكنا ننتظر منه أن يجعل القرآن هو المحور لبيان الفصاحة والبلاغة ، وتناهى بلاغة الى ان تصل الى درجة الاعجاز . وان ذلك ليفتح بابا للموازنات بين القرآن وغيره من الكلام البليغ ، نتبين فيها سمو التعبير القرآني .

لم يتخذ عبد القاهر القرآن الأساس الأول لبيان البلاغة والاعجاز ، بل كان يقف عند أمثلة الشعر وآى القرآن موقفا متشابها يعرض الفكرة ويوضحها في الشعر والقرآن على السواء . وقد يعلق على الشعر الرائع بقريب مما يعلق به على آى القرآن . وكان واجب عبد القاهر يجعل هدفه بيان امتياز القرآن على غيره من الكلام حتى صار معجزا لا يدانيه سواه ، يصل الى ذلك حينا بالشرح ، وأحيانا بالموازنة .

ولعل عبد القاهر بتفسيره لفكرة النظم فى كتابه دلائل الاعجاز والحاحه فى هذا التفسير وتكريره للشرح فى فصول الكتاب كان يريد أن يضع فى يدنا المقياس الذى نقيس به بلاغة القرآن ، تاركا الينا تطبيق هذا المقياس .

كتاب ((أسرار البلاغة))

والى جانب كتابه : ((دلائل الاعجاز)) الذى تحدث فيه عن أبواب تعد من أهم ابواب البلاغة من تشبيه واستعارة ومجاز . وهى أبواب لها اتصال وثيق بعضها ببعض .

ويريد عبد القاهر من دراسته البلاغة أن يصل الى وضع القوانين الشاملة ، وبيان الأقسام فى كل شيء وذكر الفروق بين العبارات ، ويرى فى ذلك فائدة لا تنكر .

وهو من أجل هذا لا يقنع بادراك الفرق بين تعبير وتعبير ، بل يريد أن يصل من ذلك الى قانون شامل ، واقسام واضحة ..

منهج عبد القادر الجرجانى

ومنهجه فى عرض افكاره انه يلح على الفكرة الحاحا شديدا ، يجمع كل ما يملكه من جهد فى شرحها والتمثيل لها ، ودفع الشبه عنها ، فهو بحق يعرض ما يؤمن به ، ولذلك لا يدخر وسعا فى رد ما يعرض لفكرته من الشبه ، وكثيرا ما يكرر الفكرة لتثبيتها .

ومن خصائصه الدقة فى التعبير ، والالحاح فى طلب الدقة ، والبعد عن المناقشات اللفظية التى ليس لها نتيجة عملية ، اذ كل مناقشاته تهدف الى استخلاص الحقيقة ، والوصول اليها ، وبلورة الفكرة وتوضيحها .

ولا يقف عند حد ذكر الأحكام ، بل يبحث عن اسبابها .

ويوضح فكرته بالأمثلة الكثيرة ، ثم يشرحها ويحللها ، شرحا وتحليلا واضحين . بل انه فى شرحه وتحليله قريب الى ذوقنا المعاصر قربا بينا .

وهو فيما يكتب ذو شخصية قوية مستقلة ، تشعر وأنت تقرؤه انك امام استاذ يقرر لك آراءه فى اطمئنان وثقة ، ويعرض عليك الموضوعات مصبوغة بصبغته الخاصة ، واسلوبه الخاص .

ولا يقلل من قيمة هذه الشخصية انه استفاد من العلماء الذين سبقوه ، فرأيناه ينقل عن سيبويه ، والجاحظ ، واستاذه القاضي الجرجاني وغيرهم ، ولكنه النقل الذى يستند به رأيه بعد أن يكون عبد القاهر قد أوضحه من جميع جوانبه ، والقى عليه من شخصيته . على انه قليل النقل الى درجة ملحوظة .

وربما كانت اشارات السابقين مما يفتح أمامه طرقا واسعة للاستنتاج والوصول الى قواعد شاملة .

ولا يتقيد عبد القاهر برأى لا يراه صوابا ، وان صدر عن عالم له مكانته فقد أورد هذه الأبيات :

ولما قضينا من ((مِنىً)) كل حاجة ..
ومسّح بالاركان من هو ماسحُ
وشُدّت على دُهْم المطايا رحالنا
ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا
وسالت باعناق المطيّ الاباطحُ

وبرغم أن بعض النقاد الممتازين لا يرى فى هذا الشعر أكثر من عبارات جيدة لا تحمل معنى رائعا رأى عبد القاهر فيها شعرا قوى التعبير ، ذا صورة مؤثرة ، وخواطر صحيحة قيمة .

وهكذا كان منهج عبد القاهر منهج الشخص الواثق بنفسه المطمئن الى افكاره ، المؤمن بما يقول .

لادراك الجمال لا بد من ذوق موهوب

وهو ممن يؤمنون بالفروق ايمانا عميقا ، ويؤمن بان الذوق المصفى هو الأساس الضروري لادراك الجمال ومعرفة اسبابه ، وأن ذلك طبع موهوب لا بد منه لمن يريد أن يميز بين النصوص جيدها ورديئها ، وأن يفرق فى الحسن بين صورة واخرى .

والى جانب الذوق الحساس يجب أن يكون هناك ذكاء لماح يدرك ما بين العبارات من الفروق الدقيقة التى تمتاز بها العبارات ، وتختلف المعاني .

ويؤمن عبد القاهر بأن هذا الذوق الفطرى لا يمكن أن يكتسب ، ولا يستطيع المربى أن يخلقه فى نفس تلميذه . ولذلك يمكن أن يصل الناس الى المسائل العلمية ، وأن يصل المؤلف الى اقناع الناس بها ، اما المسائل المبنية على الذوق فمن المستحيل أن توصلها الى النفوس الا اذا اعتمدت على الطبيعة الموهوبة .

وبهذا الذوق المرهف ، والذكاء المطبوع يمكن

الوصول الى معرفة العلة فى الجمال .

وهو يؤمن بأن الذوق البلاغى قليل فى الناس ، وذلك هو البلاء ، والداء العياء ، فى نظر عبد القاهر . وكذلك يكون البلاء اذا ظن العادم لهذا الذوق انه قد أوتيه ، وأنه مستحق لان يحكم ، وأهل للقضاء ، فجعل يقول القول لو علم فساده لاستحيا منه .

وقد برهن عبد القاهر على ذوق بلاغى ممتاز ، وقريحة وقادة ، تدرك أسرار الجمال ، وتميز الفروق الدقيقة بين صور الكلام ، حتى انه ليحس بأن المعنى يتألم ويتظلم اذا لم يؤد بالعبارة الصالحة .

الجرجانى أظهر فى البلاغة علما جديدا

وقد تأثرت البلاغة العربية تأثرا قويا واضحا بعبد القاهر : درست آراؤه ، وأوحت بأفكار جديدة أضيفت اليها ، وكانت مثارا لمناقشات العلماء ، موافقين ومخالفين .

وبرغم أن جهود عبد القاهر فى البلاغة جعلت صاحب « الطراز » يعلن فى فاتحة كتابه ان عبد القاهر واضع علم البلاغة اذ يقول : « وأول من أسس من هذا الفن قواعده ، وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ، ورتب أفانينه ، الشيخ العالم النحرير ، علَم المحققين ، عبد القاهر الجرجانى، فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد .. وفتح أزهاره من أكمامها ، وفتق أزراره بعد استغلاقها واستبهامها ، فجزاه الله عن الاسلام أفضل الجزاء . برغم ذلك لسنا ندعى أن عبد القاهر قد ابتكر البلاغة العربية ، وكان الواضع الأول لها ، فقد سبقته جهود مضنية فى دراسة الكثير من مسائلها ، ولكن كان له الفضل فى ابراز علم جديد من علومها ، هو « علم المعانى » .

ولم يكن هدف عبد القاهر يوم تكلم على النظم، وأن البلاغة تعود اليه ، وأن النظم ليس سوى توخى معانى النحو التى تعقد الصلة بين الكلم ، لم يكن يفكر الا فى البرهنة على هذه الفكرة ، وتجليتها ، ودفع الشبه عنها ، ولم يدر بخلده انه يضع فى البلاغة العربية أساس علم جديد عرف بعده « بعلم المعانى » .

فقد رأى من جاء بعد « عبد القاهر » أن المسائل التى أثارها فى كتاب « دلائل الاعجاز » أمور يتصل بعضها ببعض ، وترتبط كلها بالمعانى التى تستفاد من الجملة عندما توضع على نحو خاص : من تقديم أو تأخير ، وذكر أو حذف ، وتعريف أو تنكير ، وتوكيد أو عدم توكيد ، الى غير ذلك من ألوان الصياغة فربطوا بين الأبواب وسموها « علم المعانى » .

ولا ريب فى أن الفضل فى ابتكار هذا العلم يعود الى « عبد القاهر » وحده ، فان مسائل هذا العلم لم تدرس ولم تعالج قبله على هذا النحو الذى قام به عبد القاهر ، واذا كان لبعض مسائل هذا العلم ذكر" فيما ألفه العلماء قبله ، فلم يكن ذلك سوى نتف لا تغنى ، ولا تسلب عبد القاهر ميزة ابتكار هذا العلم ، وفضيلة السبق الى دراسة موضوعاته .

لسنا نشك فى أن زيادات أضيفت الى المسائل التى اهتدى اليها عبد القاهر ، ولكن هذه الزيادات كانت متأثرة بتوجيهه اليها ، وبانه فتح الأبواب أمام الباحثين ، ليضموا الى المسائل التى ذكرها ما يشبهها ويقرب منها .

ولعل تعب عبد القاهر فى الحديث عن معانى النحو ، وأن النظم ليس شيئا الا توخى هذه المعانى ، هو الذى أوحى بتسمية هذا العلم : « بعلم المعانى » .

ومما هو جدير بالذكر أن كثيرا من أمثلة عبد القاهر فى كتابه : « الدلائل » قد وجد سبيله الى الكتب التى ألفت بعده فى علوم البلاغة ، واذا استثنينا حديثه القصير عن الجناس والسجع الذى وضعه فى صدر كتابه « أسرار البلاغة » ، والذى كان الاولى به أن يكتفى فيه بوضعه فى كتاب « الدلائل» لانه يتفق مع فكرة هذا الكتاب ـ اذا استثنينا هذا الحديث وجدنا مسائل الكتاب وَحدَةً يتصل بعضها ببعض وكلها تدور حول المجاز .

فلكى يفهم المجاز لا بد من معرفة الحقيقة ، ولا بد من أن يذكر فصل يوازن فيه بين الحقيقة والمجاز .

وهذا المجاز منه ما يكون فى الاسناد ، وهو المجاز العقلى ، ومنه ما يكون فى الكلمة ، وهو المجاز اللغوى . والمجاز اللغوى منه ما تكون علاقته المشابهة ، وذلك الاستعارة ، ومنه ما تكون فيه العلاقة غير المشابهة،وذلك هو المجاز المرسل.

ولما كانت الاستعارة مبنية على التشبيه كان من الواجب ذكره ، لكى تفهم الاستعارة على وجهها الصحيح .

فضل الجرجاني في علم البيان

ولقد ادرك عبد القاهر هذه الصلة الوثيقة التي تربط هذه الابواب بعضها ببعض ، وادرك وجه ترتيبها الترتيب الطبيعي .

هذه الابواب ذات الصلة المتشابكة ، والتي جمعها عبد القاهر في كتاب ، معترفا باهميتها في البلاغة العربية، وقرر ان البلغاء ينظرون اليها نظرة تقدير واعجاب ، هي التي جمع شملها من جاء بعد عبد القاهر في علم واحد دعوه « علم البيان » مضيفين اليه باب الكناية ، لصلتها بالمجاز من ناحية احتياجها الى قرينة تدل على المعنى المراد منها ، كما ان المجاز في حاجة الى هذه القرينة ، غير ان قرينة المجاز تمنع من ارادة المعنى الأصلي ، وقرينة الكناية لا تمنع من ارادة المعنى الحقيقي .

وفضل عبدالقاهر في هذه المسائل التي عرفت « بعلم البيان » يبدو في محاولته تحديدها ، وذكر اقسامها، ومعرفة اسباب بلاغتها ،والوقوف عند امثلتها ، يستوحي سر جمالها ، وذلك ، مجتمعا ، امر لم يقم به بلاغي قبل عبد القاهر .

ولقد صار ما وضحه عبد القاهر من مسائل هذا العلم جزءا اساسيا من علم البيان ، واذا رجعنا الى كتاب كالايضاح ، الذي اصبح تقريبا الصورة النهائية لما انتهت اليه البلاغة العربية ، وجدت آثار عبد القاهر فيه واضحة جلية ، ووجدت ما وصلت اليه مسائل البيان قد بدت فيها جهود الرجل متميزة بين ما زيد عليها من مسائل العلم.ووجدت بصفة خاصة ان عبدالقاهر، حين يجري تقسيما لباب من ابواب تلك المسائل ، انما يجريه على ما بين يديه من نماذج بليغة ، يستنتج منها ، ويجعل اقسامها مبنية عليها ، ولا يلجأ الى العقل ، ليضع اقساما عقلية ، لا حظ لها من بلاغة القول ، ولا جمال التعبير ، كما فعل من جاء بعده من علماء البلاغة .

وعلم البديع

وبقي من علوم البلاغة بعد علم المعاني وعلم البيان ما عرف باسم علم البديع الذي نما مع الزمن ، حتى اصبح كثير الفروع متشعب المسالك . وليس لعبد القاهر اثر يذكر في هذا العلم سوى ما اراد ان يثبته من ان ما يظهر ان الحسن يعود فيه الى اللفظ ، انما يعود الجمال فيه الى معناه ، كالسجع والجناس ، اما ما عدا ذلك فلا مجهود له .

اسلوبه وأهل العصر الحاضر

واذا وازنا بين بلاغة عبد القاهر والبلاغة من بعده ، وجدنا الاولى خالصة للدراسة البيانية الخالصة ، لا دخل فيها للفلسفة ، ولا خضوع فيها للمنطق ، ولا لمناقشات الفلسفة والمنطق ، تلك المناقشات التي باعدت بين البلاغة العربية وبين ما كان يرجى لها من تاثير في الذوق وتربية له.

وأسلوب عبد القاهر اسلوب واضح ، برغم ما قد يكون فيه أحيانا من جدل ، وان كنت تحتاج الى التريث ، لفهم الاعتراض والرد عليه ، لانه رجل قوي الحجة واضح الدليل .

وهو يترك قلمه يسترسل في الايضاح والتفسير، لا يتكلف سجعا ولا ازدواجا ، وان كان يأتي بالعبارة مسجوعة احيانا عندما يكون ممتلىء العاطفة ، وكأنه يأتي بهذا السجع الطبيعي ، لانه يراه وسيلة من وسائل نقل عاطفته الى السامع .

ويميل الى البسط في عرض آرائه ، حتى يقنع قارئه بسلامتها . ولذلك كله كان عبد القاهر قريب التذوق في عصرنا الحاضر ، لأسلوبه الواضح من ناحية،ولارتكازه على النفس الانسانية في أحكامه من ناحية ثانية ، ولاعتماده في هذه الاحكام على النصوص التي بين يديه ، ولحسن عرضه لما يشعر به من الجمال ازاء الأدب :شعره، ونثره .

وبرغم كثرة ما اثاره عبد القاهر من النقاش ، لم يكن نقاشه كنقاش البلاغيين الذين جاءوا من بعده نقاشا لفظيا مداره الاعتراض على النقطة، او المؤاخذة على عبارة ، مما يباعد بين الدارس ، وبين الموضوع الذي يدرسه ، فيشتت فكره ، ويعوقه عن متابعة دراسة الموضوع ، كما نرى ذلك في الكتب البلاغية التي الفت بعد عبد القاهر .

اما مناقشة عبد القاهر فمناقشة في لب الموضوع وصميمه ، لا تبعدك عن الفكرة ، ولكن تفسرها وتجلوها .

وكان هدفه الأول استثارة الذوق الى ادراك الجمال ، ثم محاولة تصنيف ما يهدي اليه الذوق ، ووضعه في اطار علمي ذي قواعد وقوانين.

■■

احمد احمد بدوي



الحذاءُ الأحمَر

شريط سينمائي

للشاعر : الياس فرحات

ياهندُ ، يا قيثارةَ الحُب
يا أقرب الناس إلى قلبي
يابسمة في ثغرِ نيسانِ
يتهدى سناها كلّ حيران
ياقطرة الطلّ على الوردِ
يلمحها الساري فيستهدي
واحيرتي ! ماذا أسميك ؟
كل الملاحات التقت فيك !

***

الليلة القمراء والفجرُ
والواحة الخضراء والنهر
والبلبل الصدّاح والطلّ
والنرجس الفوّاح والفلّ
والفن من شعرٍ وألحانِ
والروض من عطرٍ وألوان
ماحار مثلي شاعر صب
في وصف ما أبدعه الحُبّ

***

ياهند ياقارورة الطيبِ
يامن سمتْ عن كل تشبيب
ماكان أحلاها سويعاتِ
كانت لنا بين البحيراتِ
الجو صافٍ والهوا دافي
والكون عنا غافلٌ غافي
والطير سكرى من أغانيكِ
والصبُّ يستجلي معانيك
يُوحي إليه الحُب ما يوحي
من طيّبات القلب والروح
شعراً له — واللحظ تفسير —
كالخمر أو كالسحر تأثير
ألقيهِ معسولا بأذنيكِ
همسا فألقاه بعينيك
صدرك منه هابطٌ صاعدْ
والقلب فيه قائم قاعدْ
الحب ! ياويلي من الحُبّْ
كم فيه من مستسهلٍ صعبِ

***

ساعاتُنا ، الزهراءُ ياهندْ
مرّتْ ولم نشف الجوَى بعد
لم نُفرغ الكاس التي رُحنا
نمتصّها مُذ بالهوى بُحنا
هذا لهيب الشوق في صدري
مازال يمتد ويستشري
لي فيك آلام وآمالُ
إن الهوى العذريَ قتال
آليت أن أكتم أوجاعي

حتى ولو فاجأك الناعي !
أشقى ولا ألتمس السعْدا
كي لا تقولي أخلف الوعدا ..

★★★

قد كنت في التفكير غرقانا :
ياليتها تُسعدني الآنا !
لما رأيت الخوف يغشاكِ
مماترى في الجوّ عيناكِ
تبهني قولَكِ : ياربُّ
من أين جاءت هذه السحْبُ ؟!
قم قبل أن يجرُفَنَا السيلُ
قم قبل أن يُدركنا الليل .
قمنا ورُحنا ننهب الأرضا
أحداقُنا مماترى مَرضَى
برقٌ كهذا البرق إنذارُ
يُعلن أن الغيثَ مِدرارُ
ياليتَ نلقي حولنا بيتا
أو خيمة في القرب ـ ياليتا !
والله ماخوفي على نفسي
لكن على من أذهبت تَعْسي !

★★★

كنا كعصفورين ، إذ نمشي
أقصتهما الريحُ عن العش
ضلا وعصف الريح يشتد
والغيم يسوَدُّ ويمتـد
والغيث قد باشر تَهتانَهْ
والقبة السوداء ملآنه
حتى وصلنا كوخ صيَّادِ
تملأه ضجةُ أولادِ
هذا هو المأوى الذي كنَّا
نرجو ليمضي خوفُنا عنا
قابلَنَا الأولادُ في البابِ
مثلَ قُرود دون أذنابِ
كانوا مع الخنزير والكلب
بالركض يلهوْن وبالوثب
تجمعهم في ذلك القفرِ
آصرةُ الوحشةِ والفقرِ
كُسوتهم واحدةُ الجِنسِ
وحلٌ من الرجل الى الرأس
لاتَفْرق الأمُّ بلا تفكيرِ
بين ابنها والكلب والخنزير !
رباه إن الفقر والجهلا
يستنزفان ، الروح والعقلا

★★★

بعد قليل جاءت الأمُّ
بالضيفة الحسناء تَهتمُّ
مثلَ آماليـد « كُوبكَبانه » (١)
لكنَّ عُرْيَ العُسْر والذل
ليس كعري اليُسْر والدَلّ !
قالت لنا : عذرا ، وذا المقعدُ
عريانةٌ أو نصفَ عُريانهْ
فالقطر لايلبث أن يَنْفَد
والمقعدُ المغنيُّ لوحان
لم يعرفا فُرشاةَ دَهّان
قلت اقعدي ياهند ياعيْني
لسنا هنا إلا أسيرين

---

(١) Copacabana اجمل شواطيء البرازيل واشهرها

الماء في الخارج طوفانُ
والدرب أنهارٌ وغُدرانُ
والنوم في زاوية الكوخ
أمنية تبلغ يافوخي !
هذا هو الشهد الذي يُحلِي
دون جنَاه إبَرُ النحــلِ
وهي التي تلسعنا الآنا
كي لايكون الشهد مجانا !
فافترَّ لي ثغرُكِ عن بسمهْ
فيها عبير الورد والطعمه
بسمة من يستنكر الشهدا
فضلا عن استنكاره المَهْدا !

★ ★ ★

قد كنت كالصياد أو يَصْلِي
لما وضعتُ الجدَّ في هزْلِي
حتى اذا ما انقطع الوبلُ
والشمس عادت مثلَها قبلُ
تكسو الثَرىَ والجوَّ ديباجَا
يَنداح في الآفاق موّاجــا
أعطيتُ مما كان في جيبي
شيئا لعارٍ غير ذي عيــب
والشكر للأم زففناهُ
ينضح بالإخلاص معناه
ثم انصرفنا لايجارينا
إلا محبٌ فيه مافينا
نقفز فوق الماء أحيانا
والوحلُ رِخْو يتلقّانا

تَمْشين قُرْبي مشية الأعفرْ
خوفا على (بابوجك) الأحمر !
آنــاً أمامي ، آنةً خلفي
آونة كفُكِ في كَفِّي
والحق في جنب الذي خافا
ولاتُصنَع الأزهار اخفافا !
هذا شقيقٌ فوق منثور
رجلاك فيه موجتا نُورِ
لم تُخلقَا من ناصع ناعمْ
إلاّ لوَطءِ العنبر الفاغِم !

★★★

ثم انتهى الشوط بنا لما
أقبلت السيارة العظمى
فاحتملتنا وانثنت فــورا
لاتتّقي نجدا ولاغورا
حتى دنت من معبد البلدة
وانتثرتْ رُكّابُها عنده
سرتُ إلى البيت وإياكِ
ندعو ليوم ضاحكٍ باكِ
يوم سألنا الدهر إرجاعَه
فالعمر من ساعاته ساعَه
ما أضيع الأيام ياهندُ
يفصل فيها بيننا البُعدُ
عمر طويلٌ أجوفٌ معنا
لفظٌ كثير ماله معنى
كاسٌ تَقِي نفسي من الحُزْنِ
عن ألف زقٍّ فارغٍ تُغني !

البرازيل ــ الياس فرحــات

ركن الأسرة والمرأة

ابن الرابعة عشر..

■ كتبت ام تقول :

« لم أعرف الحزن والأسى فى حياتى قدر ما عرفته فى هذه الأيام .. تصور أن ابنى ، الذى حملته فى احشائى،وعانيت الآلام فى وضعه ،وغذوته وسهرت الليالى اعنى به ، وقضيت أربعة عشر عاما ـ هى مجموع عمره ـ اعنى به وأرعاه .. ابنى هـذا ، وهـو ثالث اولادى ، قد امتنع عن الحديث الىّ ، وقاطعنى ، لمجرد اننى انبته ، اذ تعود اخيرا ان يطيل لسانه فى النيل من أخويه اللذين يكبرانه ، اذا اختلف معهما فى أمر ..

« واذا كان هذا مسلكه ازاء تأنيبى اياه ، وهو بعد يعتمد فى حياته على أبيه وعلىّ ، فماذا يكون شأنه اذا كبر وأتم دراسته ، وتولى عملا ، ولم يعد عالة علينا ؟ .. اننى اخشى أن أشكوه لوالده فيعنف معه ، أو يقسو عليه ، فيزيده جموحا فى شراسته .. ولكنى فى الوقت ذاته،أتألم أشد الألم لما يبديه من استغناء عنى، وعدم اكتراث لغضبى .. » .

سن التغير الفجائى

رسالة مؤثرة ولا شك ، فليس أقسى على قلب الأم من تصرف ابن كهذا ، وفى سنه هذه ، لاسيما وانه لا يزال يعيش فى كنف ابويه ..

ولكن الرسالة تكشف ـ فى الوقت ذاته ـ عن ان الألم العاطفى شغل الأم عن أن تتعمق فى تحليل المشكلة ، لتعرف اسبابها الأولى .. وهى لـو فعلت لسهل عليها علاج الموقف ..

وسن الصبى هى اول الأسباب .. سن الرابعة عشرة .. سن التغير الفجائى الذى يطرأ على الصغير وهو ينتقل الى مرحلة المراهقة ، ويقف على أعتاب النضوج .. وقد جرت التقاليد فى أسراتنا العربية على تجنب الحديث الى الأبناء عما يصيبهم فى هذه السن ، وعن اعدادهم لخوض التغير الطارىء .. لذلك يجد الصغير نفسه ـ ولدا كان أو بنتا ـ موزعا بين الحيرة والقلق .. اذ يرى تطـورا فى بعض أجزاء جسمه ، كظهور الشعر تحت ابطيه ، أو فى فوديه ـ مثلا ـ فلا يدرى سر ظهور هذا الشعر ، أو هو عرفه من زملائه،عرفه مشوها أو غير دقيق ، نتيجة نقص معرفتهم هم الآخرين ونتيجة الآراء المنحرفة التى يسمعونها من سواهم، والتى تحول التربية التى جرينا عليهـا دون تبصيرهم بصحتها ..

الحيرة والقلق يثيران أعصاب الصغير

ظهور الشعر،واخشوشان الصوت، والانفعالات التى تعتور الصبىّ اذا رأى فتاة ، أو مجـرد صورة لأنثى فى مجلد ، والأحلام الغريبة التى تراود خياله .. كل هذه ظواهر يقف ازاءها الصبى بين الفرح والخوف .. الفرح لشعوره بأنه مقبل على أن يستكمل رجولته ، والخوف من الأعراض التى تصحب هذه الظواهر ، فهو يجهل ان كانت هذه الأعراض طبيعية ، أو هى تنم عن اضطراب فى صحته .. ومن شأن هذا الجهل ان يحمله على التوجس والقلق .. وهو ـ فى الوقت ذاته ـ يخشى أن يكشف عنها لوالديه أو يسألهما فيها ، ظنا منه ان هذا يخرج به عن نطاق الاحتـرام والأدب كما درج على فهمهما ..

والشعور بهذه الأعراض ، مع الحيرة والقلق ،

فى حاجة إلى الحنان والتفاهم !



كفيلة بأن تثير اعصابه ، فهو يضيق بكل شيء ، وهو يثور لأتفه الأمور ..

الشعور بالظلم والتفرقة فى المعاملة

هذا سبب .. وهناك سبب آخر ، هو ان حساسية الصبى فى هذه السن ، تجعله يشعر بأنه مظلوم أو مغبون اذا اشتم أتفه تفرقة فى المعاملة بينه وبين اخوته الذين يكبرونه ، أو حتى بينه وبين أقرانه من الجيران أو من زملاء الدراسة .. وهذا الشعور بالغبن ، مع الحمية التى تدب فى عروقه من جراء التفاعلات الطبيعية التى تجرى فى كيانه، يحملانه على التمرد ، والاحتجاج .. وكلما اوغل التطور فى عملياته ، اتخذ من هذا التمرد والاحتجاج طابع الخشونة والعنف ..

ومن السهل على الصبى المراهق أن يجد ما يوحى اليه بالتفرقة فى المعاملة بينه وبين سواه فى أتفه الأمور والتصرفات التى يراها الكبار تافهة .. مجرد أن يطرى المدرس فى الصف أحد الطلبة لنشاطه ، كفيل بأن يوحى لجار هذا الطالب أن المدرس يؤثر زميله عليه .. مجرد أن يستخسر الأبوان ثوبا جيد النسيج ضاق على الأخ الأكبر ـ لسرعة نموه ـ فيفكرا فى أن يفيد منه الأخ الأصغر ، كفيل بأن يوحى لهذا أن أبويه يعطيانه فضلات أخيه .. ولو أنهما عمدا الى الحيلة والمنطق الرقيق فى بيان محاسن الثوب واستخسار اهماله،ثم حرصا بعد هذا الايحاء على تخيير الصغير، لنجحا فى حمله على أن يطالب بالثوب مختارا ..

اللوم العلنى يؤذى شعوره

من هذا ترين يا سيدتى ، أن « سلاطة » لسان

ابنك ذى الأربعة عشر عاما ، وشراسته فى معاملة اخويه قد ترجع لفوارق تافهة فى المعاملة لا تفطنين انت وابوه اليها لغفلتكما عما يدور فى كيانه ..

ان الصبي حين يتشاجر مع اخويه اللذين يكبرانه ، قد لا يصدر فى ذلك عن حنق على هذين الاخوين ، بل انه قد يكون ضيق الصدر لتصرف صادفه فى المدرسة أو فى الطريق ، فهو يفثأ حنقه فى البيت .. وهذه حال طبيعية .. وكم من كبير يطلق العنان فى بيته لرد فعل ما يلقاه فى الخارج من امور تجرح شعوره أو تمس كرامته !

واقسى الأمور فى نفس الراهق ـ فى مثل هذه الظروف ـ أن يتعرض للوم أو الزجر أو العقاب امام اخوته الذين يكبرونه او الذين يصغرونه .. فهو ـ فى هذه الحال ـ يرى فى التأنيب والعقاب استصغارا لشأنه ، وجرحا لكبريائه .. وهو اذ تدفعه العوامل الطبيعية التى تنتابه الى الخشونة والعنف ، قد يؤثر ان يمسك لسانه ويتجنب صاحب التأنيب ـ أبا أو أما أو مدرسا ـ حتى لا يدفعه نزق المراهقة الى الاستسلام للميل الى الخشونة والعنف نحو شخصية يحبها ويحترمها.

انه ليس شرسا ولكنه حائر

ومن ثم فان تصرفه معك يا سيدتى لا يجب أن تحمليه على محمل المقاطعة ، والاستغناء عنك ، وعدم الاكتراث لغضبك.. فابنك ـ فى هذه السن ـ ليس شرسا وقحا كما يخيل اليك ، وانما هو حائر ، مسكين ، أشد ما يكون حاجة الى عطفك وحنانك وفهمك .. وبدلا من أن تنالى منه ، او توغرى صدرك عليه ، حاولى أن تفهميه وأن تتفاهمى معه ..

ان مرحلة المراهقة من ادق المراحل واقساها على الصبي ، وجدير بالوالدين ان يتجنبا فى خلالها الشدة معه فى التأديب ، اذ ان الشدة قد تحمله على تجنبهما ، فاما انطوى على نفسه ، واستسلم للشعور بالاهانة والغبن .. واما لجأ الى سواهما يشكو اليه ما به ، وهو عادة يلجأ الى زملائه الذين يشبهونه فى نقص المعرفة والتجربة ، وقد تؤدى نصائحهم الجاهلة ـ التى تتسم بالنزق لأنهم مثله يجتازون عين التطور ـ الى انحرافه ..

واذا رأى الأبوان الا بد من الشدة فى تقويم الصبي لتصرف نابٍ صدر منه ، فيجب أن يحرصا على أن يكون ذلك فيما بينهما وبينه ، بعيدا عن أسماع وأنظار اخوته أو أى شخص آخر ، حتى لا يشعر بالذلة وجرح الكبرياء ..

اكتساب صداقته خير سبيل لعلاجه

ان مسئولية الوالدين ازاء الابن ـ أو البنت ـ فى سن المراهقة ، تفوق مسئوليتهما ازاءهما فى آية سن أخرى..وخير ما يفعلانه هو أن يسعيا للتقرب اليه ـ دون أن يمس هذا احترامه اياهما ـ الى أن يظفرا بصداقته .. والأم ـ فى هذه الحال ـ اقدر من الأب .. فان مشاغل الأب كثيرا ما تعوقه عن بذل هذا الجهد بالانتظام الواجب .. فضلا عن أن طبيعة الأم ـ وهى التى يكون الابن اكثر التصاقا بها ـ وما طبعت عليه من حنان ولطف ، يسهل عليها اجتذاب ثقة الابن واطمئنانه ..

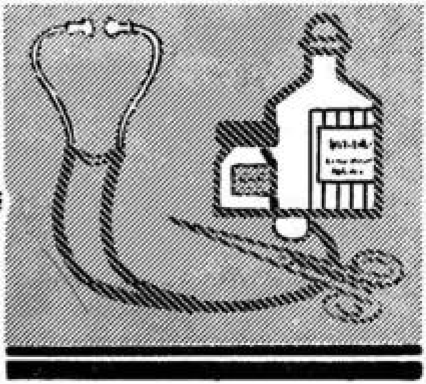
وباكتساب صداقة الابن وثقته ، تستطيع الأم أن تعوّده على أن يبوح لها بما يصادفه فى حياته اليومية ، وبهذا تظل على دراية بما يمر به فتواليه بالارشاد والتوجيه ..

ثم ، أى شيء يمس وقار الأبوة ، فى أن يحاول الأب أن يشرح لابنه أسرار الطبيعة التى تتفاعل فى كيانه ؟ .. ان هذا يقيه شر معرفة هذه الأسرار من زملاء يضارعونه حيرة وجهلا .

ومن الطبيعى ان هذا يتطلب من الأب أن يلم بهذه الأسرار الماما صحيحا ، لا أن يخبط خبط عشواء .. وكم فى المكتبات اليوم من كتب ـ عربية وغير عربية ـ تتناول هذه الموضوعات على أصول علمية مبسطة .. ومن واجب الآباء أن يعنوا بالدرس والاطلاع اللذين يساعدانهم على أداء واجب الأبوة ..

احسب ـ بعد هذا ـ أن السيدة صاحبة الشكوى قد ادركت حقيقة وضع ابنها وتصرفاته .. ادركت أنه ليس شرسا ولا وقحا ، وانما هو حائر ، قلق ، فى حاجة الى قلب حنون ، والى عقل واع ، والى شخصية تجمع بين الرفق ـ لتستطيع فهمه وتوجيهه ـ والحزم لتستطيع تأديبه بالطريقة الصحيحة اللائمة اذا دعت الضرورة .. ■■

بدر الدين



طبيب الأسرة

أصيب والدى بالاستسقاء

ـ أصيب والدى بمرض الاستسقاء ،واضطر الأطباء الى عمل بزل له فى البطن. فما هو هذا المرض ، وكيف يحدث ؟

● الاستسقاء لفظ عربى قديم . وهو،كما هو ظاهر ، من السقى ، ومعناه تجمع ماء داخل أجزاء الجسم تجمعا غير طبيعى .

واقول غير طبيعى لأن كل انسجة الجسم تغمرها السوائل ، فهى رطبة دائما ، ولكن الى حد . تأتيها السوائل من شعريات الدورة الدموية ، فتنفذ ومعها الغذاء من جدرانها، فتغمر خلايا الأنسجة وكل فراغ بينها. وهذا أشبه برى الأرض . ولكن لا بد من بعد تغذية ، من سحب الماء الفائض . وطريق ذلك أوردة الجسم ، وكذلك الأوعية اللمفاوية . وهذا توازن لو اختل ، تجمع بسببه الماء فى فجوات الجسم وفاض. فهذا هو الاستسقاء .

وهو ليس بمرض . انه عرض ، يظهر لأسباب شتى .

فمن ذلك ضعف فى جدران الشعريات نتيجة اذى وقع للعضو الذى هى فيه ، او ضعف فى الجسم عامة، او فقر فى الدم الجارى فى الجسم وقلة تغذيته ، أو دخول سموم الى الدم نفسه . ومن اسباب الاستسقاء كذلك بطء فى جريان الدم بسبب حوائل تقوم فى الأوردة ، اوعوائق تخفض من جريان السوائل فى الأوعية اللمفاوية .

وتجمع السوائل فى الاستسقاء يقع فى أعضاء من الجسم شتى، ويسمى باسمها. فهو يقع فى البطن ، وقد يقع فى الصدر ،وقد يقع فى الدماغ وهلم جرا. وقد يكون عاما .

اما العلاج فيكون بعلاج أسباب الاستسقاء ، اى علاج المرض الذى هو عرضه .

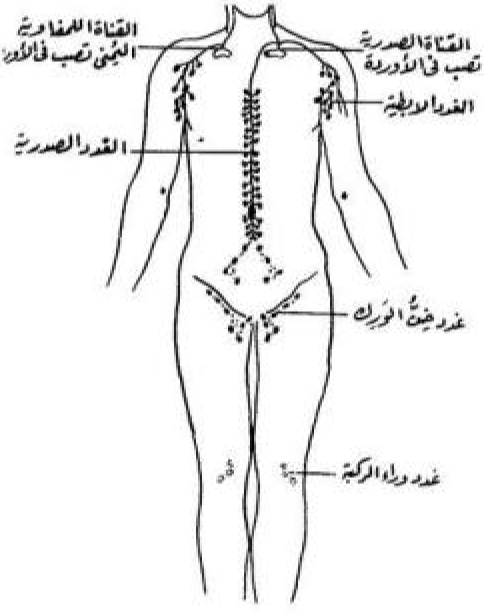
أنا مريض بالسكر ، وأريد أن أنظم طعامى

ــ أنا مريض بالبول السكرى ، وقد قدر لى الطبيب وجبات محدودة ، وقال لى انى استطيع ان استبدل شيئا من الطعام بشىء مساو له فى مقدار ما يحتويه من المواد السكرية ، فكيف يمكن معرفة ما تحتويه الأطعمة العادية من مواد سكرية حتى يمكن الاستبدال .

● اولا يجب معرفة ما نكرره دائما من ان مكونات الغذاء الأصلية ثلاثة ، هى المواد السكرية التى انت ذاكرها ، وهى تتضمن السكر بشتى انواعه وما ينحل فى الجسم بالهضم ويعطى سكرا ، ومثل ذلك النشا . ثم المواد البروتينية وهى تتمثل فى مادة اللحوم اكثر ما تكون . ثم المواد الدهنية .

وهاك بعض أمثلة من محتويات بعض الأطعمة الشائعة من هذه المكونات الثلاثة ، معبرًا عنها بالنسبة المئوية من وزنها ، وكل ذلك بالتقريب لأن الأطعمة تختلف بعض الشىء ، وتركنا بالطبع ما بها من ماء ومن أملاح :

	السكريات	البروتينات	الدهنيات
	٪	٪	٪
لبن البقر	٥ر٤ الى ٠ر٥	٠ر٣ الى ٥ر٣	٥ر٣ الى ٥ر٤
الزبدة	٤ر٠	٠ر١	٨٢
الجبن الجاف	٩ر١ الى ٤ر٣	٢ر٢٥الى٠ر٢٦	٤ر٣١الى١ر٣٢
اللحم البقرى المطبوخ	ــ	٢٥ ــ ٣٠	٨ ــ ٢١
العجل المشوى (فلتو)	ــ	٥ر٣٠	٥ر١١
الضان المشوى	ــ	٠ر٢٥	٤ر٢٠
الضان المسلوق	ــ	٨ر٢٥	٦ر١٦
السمك المقلى	ــ	١٨ الى ٢٢	٣ر١ الى٩ر١٨
البيض	٦ر١	٣ر١٢	٣ر١١
الخبز الابيض	٥٠	٠ر٧	٠ر١
الخبز الاسمر (دقيق كامل)	٥٥	٣ر٦	٠ر١
الارز	٨٠	٨ر٦	٦ر٠
مكرونة	٧٦	٤ر١٣	٩ر٠
بسلة خضراء	١٦	٠ر٦	٤ر٠
فاصوليا	٥٥	٠ر١٥	٣ر١
بطاطس	١٩	٠ر٢	١ر٠
موز ناضج	٢١	٢ر١	١ر٠
لــوز	١٦	٨ر١٨	٥٥
جوز عين الجمل	١٤	٦ر١٣	٦٦



الغدد اللمفاوية

طبيب يتنبأ

ـ شكوت من ورم فى أعلى فخذى من الباطن ، ولما ذهبت الى الطبيب ،وفحص الورم ، سالنى على الفور ان كان هناك فى قدمى جرح . وقد كان . فكيف عرف ذلك . قال انها الغدد اللمفاوية . فما هى هذه الغدد التى كشفت عن هذا الجرح دون أن يعلم به الطبيب ؟

● الدورة الدموية معروفة : قلب ، ودم يخرج الى الجسم فى شرايين ، ومن الشرايين الى شعريات ، ومن الشعريات تتغذى الخلايا والأنسجة ، ثم يعود الدم الى الأوردة الى القلب وهلم جرا .

والمهم فى هذا ان الدم لا يخرج من الشعريات الى خلايا الجسم وانسجته ، وانما يخرج اليها منه سائل ، هو مصل ، به ما يلزم من غذاء لهذه الخلايا والأنسجة. ولكن ليس كله يعـود الى الشعريات فالأوردة . بعضـه يبقى يملأ ما بين الخلايا من فراغ ، ولا بد مـن نزحه . والذى ينزحه ويمتصه أوعية أخرى هى التى تسمى اللمفاوية ، والسائل الذى تجمعه هو اللمف . وهو سائل أصفر شفاف . وهذا تسير به هذه الأنابيب الى أعلى اليدين والرجلين ، والجذع ، لتصب آخر الأمر فى أوردة الدم الكبرى التى فى أعلى الصدر .

فهـذه الدورة تعمل اشـبه شيء بمصارف المزارع من بعد ريهـا .

ولها عمل آخر مهم : تمتص ما انهضم فى الامعـاء من الدهن ، وتذهب به الى الدم كذلك .

وهذه الأنابيب ، وهى أشـبه بأوردة الدم ، تقوم فيها ، على مسافات ، غدد يتصفى عندهـا اللمف . ولو كان به مكروب ، قامت أجسام فى هذه الغـدد باعلان الحرب عليه . وقـد تغلب على أمرها ، فتلتهب ، وتتورم .

وهذا ما حـدث لك . عرف الطبيب من تورم الغدد أن عدوى مكروبية دخلت الجسم ، وهى لا بـد فى حالتك دخلت الجزء الأسفل من الرجل . منطق بسيط جميل .

أنا سمينة

ـ أنا سمينة ، وثقيلة الحركة ، وقيل لى ان اضمن شيء وأسلمه للنحافة هو الرجيم ، فكيف يكون ذلك .

● الرجيم هو تنظيم الطعام . وهو فى حالتك الأخذ من عناصر الطعام بأدنى الحدود بدون اضرار بالجسم ، والبعد ما أمكن عن السكريات من سكر ونشا وأضرابهما وكذلك عن الدهنيات . وانت واجدة فى الصفحة الفائتة جدولا يعين على ذلك . ونصيحة الطبيب على كل حال واجبة .



دردشة

برنارد شو يساوم ولف

● روى س . ج . ولف ، الرسام الأمريكي ، انه طلب الى برنارد شو أن يأذن له برسمه فرفض فكتب اليه :

عزيزي مستر شو ، قلت منذ سنين ان السبب الوحيد الذي حملك على أن تأذن « لرودان » أن يصنع لك تمثالا هو انك وجدت التمثال خير وسيلة لتخليد شهرتك ، وهذا يصدق على اوروبا . اما في أمريكا فاقول لك انك لن تخلد فيها حتى يتاح لك ان ارسمك . واعلم أن ذلك لن يستغرق اكثر من نصف ساعة من وقتك وهذا يسير جدا .



فجاءني الرد : لي تجربة وافية بما يطلبه المصورون والمثالون أجرا عن أعمالهم ، ولكن شرطي هو أن أتقاضى منك ٣٧٥ دولارا لكل ساعة ، ثم انني لا استطيع أن اتحلل من أشغالي قبل سنة .

فأحسست أن الرد المناسب كفيل بأن يجدي . فكتبت له : قبلت شرطك واما ما اتقاضاه انا عن الرسم فهو ٣٧٥ دولارا لكل ساعة ولا ينبغي لك ان تتحلل من اشغالك وانا ارسمك ، فمتى احضر ؟

وجاء الجواب : الآن .

فطرت اليه وكانت المسافة بيننا الفميل .

العرج أم العمى

● نفحت سيدة متسولا أتقن تمثيل العرج ببعض المال ثم قالت تواسيه : من المؤلم حقا أن يفقد المرء احدى ساقيه ، ولكن عليه أن يحمد الله على انه أحسن ممن فقدوا نعمة البصر .

فقال المتسول : صدقت يا سيدتي ، فحينما كنت « أعمى » كانت الهبات التي أحصل عليها أكثرها من النقود المزيفة !

نعم .. نعم .. نعم .. !

● ارسل شاب لعاملة فى متجر خطابا يسألها فيه ان كانت توافق على الزواج منه .. فأسرعت الى أقرب مكتب تلغراف واعطت الموظف المختص كل ما كان معها من نقود ، ثم قالت له بعد ان اعطته عنوان الشاب : اكتب له :

نعم .. نعم .. نعم .. نعم .. وهكذا حتى يبلغ أجر البرقية ما أعطيتك من نقود !

أقل الوسطاء نفوذاً

● تقدم شخص الى « دوق بكنفهام » (وكان مغضوبا عليه من الملك) وطلب منه ان يتوسط له لدى البلاط الانكليزى لقضاء حاجة له ، ومما قاله للدوق :

ـ ليس لى من اعتمد عليه غير الله وانت ..

فاجابه الدوق ساخرا : اذا فقضيتك ميؤوس منها ، لانك اخترت اثنين هما اقل الوسطاء نفوذا فى البلاط !!



بسمارك يعتذر

● كان العالم الالمانى « رودولف فيرشانو » كثير النقد لسياسة بسمارك ، مما اضطر بسمارك ان يتحداه ، ويدعوه الى المبارزة . فارسل اليه العالم يقول :

ـ ما دمت انت المتحدى ، فان لى حق اختيار سلاح المبارزة .

ولما وافق بسمارك ، ارسل اليه العالم كعكتين متشابهتين ، وقال له : ان واحدة من هاتين الكعكتين ملوثة بجراثيم الكوليرا الميتة ، والاخرى نظيفة من الميكروبات ، فهل تتفضل باكل احدى الكعكتين ، وساكل انا الكعكة الثانية !

فلم يسع بسمارك الا ان يعتذر ..

وجهات نظر !

❊ اليوم هو الغد الذى كنت قلقا منه بالأمس ، فهل يستحق كل هذا القلق ؟!

❊ قد يكون أفقر الناس هم أحسن الأصدقاء .

❊ اذا نظرنا الى بعض الزيجات اعتقدنا بأن كيوبيد كان فى بعض الأحيان أحمق .

❊ يعمل بعض الناس بكد وتعب حتى الموت كى يعيشوا عيشة افضل !

❊ يقول احدهم : ان الكتب المثيرة ليست شيئا جديدا . انها قد انتقلت الى موائد غرف الجلوس ، بعد أن كانت مخبأة تحت الوسائد .

❊ الزواج الحديث هو الزواج الذى تشتغل فيه الزوجة لكى تستطيع شراء الملابس التى تذهب بها الى المكتب الذى تشتغل فيه .

❊ فى مقابل كل رجل يعلم ابنه الادخار توجد امراة تعلم ابنها التبذير .

هيئة الأمم فى رأى ساخط

● فى مؤتمر سياسى عقد فى روما ، جرت المناقشات حول المهام التى تضطلع بها هيئة الأمم فقال احد الساخطين على الهيئة :

ـ انها لمهمة خطيرة تلك التى تضطلع بها هيئة الأمم ، ولا سيما فى حالة نشوب نزاع بين دولتين من الدول الاعضاء فيها ، فهى تسعى لازالة هذا الخلاف ان كان بين دولتين صغيرتين ، فاذا كان بين دولة كبرى واخرى صغيرة فان الهيئة تسعى لازالة الدولة الصغيرة ! اما ان نشب خلاف بين دولتين كبيرتين ، فان الهيئة نفسها تصبح فى خطر ، اذ يتجه التفكير الى ازالتها هى !

ابن زاكور

بقلم : الدكتور نقولا زياده

الاستاذ بالجامعة الامريكية ـ بيروت

■ ابن زاكور من نتاج عصر من عصور المغرب الزاهر فى العصور الحديثة ، اذ كان يتولى اموره المولى اسماعيل (١٠٨٢هـ/١٦٧٢م ـ ١١٣٩هـ/١٧٢٦م) وهو الذى وحد البلاد ورد عنها العدوان وشجع الادب واقام لاهله دولة .

نشأته

وابن زاكور فاسى المولد ، ويرجح الاستاذ عبد الله كنون انه من مواليد سنة ١٠٧٥ هـ ١٦٦٤م ، وقد توفى سنة ١١٢٠هـ ١٧٠٨م . وفاس كانت دوما من مراكز العلم الكبرى لا فى المغرب فحسب ولكن فى العالم العربى والاسلامى . ولذلك فقد اتيح لأبى عبد الله محمد بن زاكور الجو الملائم لاقتباس المعرفة ، والعلماء الاجلاء ياخذ عنهم .

وقد كان فيمن تلقى العلم عنهم فى فاس أحمد بن الحاج وقاضى بردلة وابو على اليوسى . لكن ابن زاكور رحل الى مراكش وتطوان والجزائر ، وكان يسير منفتح الذهن محبا للمعرفة ، فاخذ عمن لقيهم هنا وهناك ، ومنهم ابو العباس العطار (بمراكش) والشيخ على بركة (بتطوان) والشيخ محمد بن سعيد قدورة وعمر المانجلاتى (بالجزائر).

وبدا ابن زاكور بنظم الشعر وهو بعد صبى غض الاهاب ، وذلك قبل رحلته التى دونها فى « ازاهر البستان » . ويبدو أن تنقله زاد ، وحبه للارتحال نما مع السنين ، حتى أصبح « جوابة اقطار وحِلف اسفار » وهذه الاسفار وسعت صفاته وصقلت نفسه واكسبته اختبارات وتجارب كثيرة ، ولذلك نضج نظمه وجاد نثره ، لا من حيث الاسلوب فحسب ، ولكن من حيث المحتوى .



أثر أبى على اليوسى فى ابن زاكور

ويعزو الأستاذ عبد الله كنون الى اتصال ابن زاكور بأبى على اليوسى بعض الفضل فى توجيهه الأدبى . فهو يقول فى ذلك : « ثم هناك عامل آخر اثر جدا فى توجيهه الأدبى وطبعه بهذا الطابع اللغوى الذى ظهر به كعالم لغوى يشرح ديوان الحماسة ولامية العرب ويفسر غريبهما واشارالهما وامثالهما ، الى غير ذلك من نظم عدة قصائد على مذاهب شعراء البادية ومن نحا نحوهم من علماء اللغة مرتكبا فيها انواع الغريب ، وملتزما للقوافى الصعبة كالثاء المثلثة والذال المعجمة ونحوهما ، هذا العامل هو اتصاله بأبى على اليوسى وأخذه عنه وكرعه من حياض معارفه الأدبية واللغوية ونسجه على منواله فى شعره . فان أبا على اليوسفى كان ريّان من علوم اللغة والأدب ناسلا الى فنونهما من كل حَدَب . وقد أتى فى شعره من ذلك بكل غريب ، وامتلا ديوانه بما فيه متعة للغوى والأديب » .

وعلى كل فقد كان ابن زاكور يعرف لأبى على اليوسى فضله ؟ وكثر ما ذكره فى نثره وشعره . فمن ذلك قوله عنه « وأما حَبْر الأحبار ، وجُهَينة الأخبار ، وزَيْن القرى والأمصار ، العديمُ النظير فى سائر الأقطار ، مَنْ أسعد بمطالع أنواره كواكب نحوسى ، مولانا أبو على سيدى الحسن بن مسعود اليوسى أطال الله مدته ، وحمى من نوائب الحدثان حَوْزته ، فقد ورد فى شوال سنة خمس وتسعين لهذه الحضرة واعارها بقدومه ابتهاجا ونضرة .. فاقام بها اماما ، ونقع بها لكل ظمآن الى ورده أُواما ، وأعاد نيران الجوامع على الأفئدة بردا وسلاما ، فلازمتُ منه بحرا زاخرا ، ونظمتُ من نفيس فوائده لؤلؤا فاخرا » .

ولما توفى اليوسى رثاه ابن زاكور بهذه الأبيات :

يا جميل الصبر لَبِّ من دعا
قبل أن يقضى مما فجعا
لب شخصا جزعا من موت من
ذاب من خشية ربى جزعا
واحتسبْ يا طالب العلم امرأ
مات فيه العلم والدين معا

ما قال معاصروه فيه

وابن زاكور ، مثل معاصريه ، درس الفقه والحديث والأصول والتاريخ والأدب ، وكما تعلم فقد علم . فاشتغل بالتدريس طويلا ، وبرع فى هذا الفن . ويبدو أن معاصريه عرفوا له ذلك ، ودوّنوه ، على طريقتهم ، فى غير مكان واحد ولعل شهادة الشيخ على بركه وتحلية ابن الطيب العلمى كافيتان للدلالة على ذلك . فقد قال الأول « من شبّ به زمامُ الأدب بعد الهَرَم ، وهبّ به أوان المجد والحسب وقد أشفى على العدم ، الذى ركض فى مضامير البلاغة صافنات جياده ، وعقد شذور البراعة على لبّات عصره وأجياده : الجهبذ الأريب، المصقع الأديب، الثقيف اللقِن المتفنن

المشارك المتقن الفقيه النبيه الزكي الوجيه ذو الفضل المعروف غير المنكور أبو عبد الله سيدى محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور » .

وتحلية ابن الطيب العلمي توضح دور ابن زاكور المدرس . فقد قال العلمي « وحيد البلاغة، وفريد الصياغة ، الذى أرسخ فى أرض الفصاحة اقدامه ، وأكثر وثوبه على حل المشكلات واقدامه، فتصرف فى الانشاء ، وعطف انشاءه على الأخبار واخباره على الانشاء ، وقارع الرجال فى ميادين الارتجال ، وثار فى معترك الجدال ما شاء وجال ، فهو الذى باسمه فى الأوان هتف،وهو الذى يعرف فى كل العلوم من اين اكل الكتيف، جلس للاقراء فى شبابه فاتى بيت التدريس فى بابه ، وتاشى فى الصلاح بأربابه ، ولم يصب لربوبه ولا ربابه ، فتكلم فى المذهب وذهب فى التحقيق كل مذهب ، واوجز ما شاء واسهب ، وطاول فى الفـــروع ابنَ قاسم واشهب . وخاض فى المعقول فبهر العقول ، ووقف التحقيق عندما يقول ، وتصدر فى السيرة واحكم القرآن وتفسيره ، وحرر حرز امانيـه وتيسيـره ، وتجـاق فى الروايـة مـن الغـواية ، والف فى الأصـول ما لم يزل به بين الأقران يصول ، وقام للعروض بالنوافل والفروض ، ففك منه الدوائر ، وسلم فيه من الدوائر ، واختار المراقبة فبرىء من المعاقبة » .

كتب ابن زاكور

وقد ترك لنا ابن زاكور ستة عشر كتابا ورسالة، اكثرها لم ينشر بعد . والمهم أن اكثر هذه الكتب هى فى الواقع تعليقاته وشروحه وتفاسيره لبعض ما درَّس . فهى ، لو أردنا أن نطبق عليه ما نقوله عن الأساتذة المحدثين ، محاضرات منسقة مرتبة . فقد اقرأ ابن زاكور ديوان الحماسة وقلائد الفتح ابن خاقان وبديعية الصَفىّ الحِلى ولاميـــة العرب ، فشرح هذه لطلابه ، ودون هذه الشروح فى أسفار تحدرت الينا . كما انه تعرض لأمور اللغة فقرأ طلابه عليه المقصور والممدود لابن مالك، ووضع رسالة فى قصْر المفعول علـى الفاعل والفاعل على المفعول . وهناك أمور أخرى سمعها طلابه منه . ولذلك فمؤلفات ابن زاكور هى من نوع الكتب المدرسية ، لكنه فى الواقع وضعها بشكل مرتب يدل على ادراك لواجبه وفهم عميق لمادته .

وصفه متنزهَا

وكان ابن زاكور ، فيما عدا الكتابة المدرسية يكتب بعد أن يحس ويشعر، فتبدو عباراته وكانها جوارحه تسيل على الورق . وان كان يلجا الى السجع غالبا ، فسجعه خفيف على السمع والنفس. فمن ذلك وصفه لكيتان وهو متنزه بتطوان اذ قال:

« وهذا الكيتان من أجمل المواضع وأفضل المتنزهات والمصانع ، تطرد خلال رياضه أنهار ، تجرى فى الصباح بذائب اللجين وفى الأصيل برائق النضار ، وتسجع بادواحه اطيار، لاتدانيها نغمات الأوتار ، فقد اعتدل هواؤه ، واشتمل بالابتهاج بهاؤه ، تغص الزهـراء بطلاوة مرآه ، وتود الزهرة لو ترتدى حلاه ، وتحسد جماله النضير ، وطرازه المونق محاسن السدير ، وببدائع الخورنق ترتاح النفوس فى بساتينه وتحيا الأرواح بشم رياحينه ، ان حل من انحله الوجد برباه ، صاح من حينه : واطرباه!واسلاه تسلسل غدرانه وتغريد ورشانه عمن قطف لبه باجفانه ، ومزق قلبه بهجرانه » .

شعر ابن زاكور

وجمع ابن زاكور شعره فى ديوان سماه« الروض الأريض فى بديع التوشيح ومنتقى القريض » . وقد نشر الأستاذ عبد الله كنون مختارات منه فى العرائش (بالمغرب) سنة ١٩٤٢ . وقد قدم ابن زاكور لديوانه ، على طريقة الكثيرين من السلف الصالح ، بخطبة مختصرة ، اشار فيها الى انه كنَّى فيه كثيرا مع انه كان بريئا . فهو يستعمل « المدام والراح كناية عن الطرب والارتياح ، وما يَرد على القلب من الأفراح » .

وكان ابن زاكور مغرما بالأماكن النزهة الجميلة، فيتاثر بها ، وعندها ينطلق شعره نابضا بالحياة معبرا عن جمال الأمكنة . وكان وفيا لأصدقائه ، لذلك كان شعوره بالمكان يمتزج بشوقه للصحب، فيكون من ذلك شعر صاف جميل ، وهو من امتع شعره . فقد وصف لمطة بابيات اربعة هى :

لَمْطةٌ فيها ما تحـب النفوسْ
وما يريـح القلب مـن كل بؤسْ
هواؤها يُحيى قتيل المنـــى
وماؤها يقتـل حـىَّ النحـوس
وتربهـا يُنبت مجلى الفنـا
وجوهـا يُطلـع مسلى النفوس

لو حلّ فيها من يراه الجوى
عللّه الانس بأسنى الكئوس

وله قصيدة طويلة يتشوق فيها الى تِطّوان ويتحرق الى لقيا اصحابه فيها ، نجتزىء منها بالأبيات التالية :

قفا حدّثاني عن مغان وأربُع
بجزْع النقا بين الهضاب فانقع
فبانة جرعاء الحمى ، فظبائه
فآرامه اللاتى رتعن بأضلعى
ومن ذى حباب بالرياض مسلسل
يسيح كما انساب الحباب بأجرع
فشبّه به والشمس راق أصيلها
جمانا على سيف بتبر مُلفّع
سقى مرتع الأحباب ديمة واكف
وهل غير أوطان الأحبة مرتعى
وانى وان أمسيت فى فاس ثاويا
لتطوان آمالى وفيها تولّعى
ديار أناخ الحسن فى عرصاتها
وأرخى على أرجائها كلّ برقع
اذا نفحت من جانب الجوف نفحة
تسيح على خدّى مذانب مدمعى
حنينا الى تلك الأباطح والربى
وشوقا الى ذاك الجمال المرقّع
رعى الله أحبابا بتطوان كلما
ذكرتهم اهتاجت شمائل أضلعى
أحبابنا فيها هل الدهر سامح
بلقياكم قبل الحلول بمرجعى
وهل لى فى الكيتان نزهة وامق
عسى أشتفى من لوعتى وتفجعى
فيا نهر الكيتان جادتك ديمة
من الوابل الهتّان غير مصدع
ويا منزل الأحباب لا زلت آهلا
بأهل العلا تزهو بكل سَمَيْدع
ويا جملة الأحباب منى عليكم
سلام كأنفاس العبير المشعشع

ومما يدل على انسجام ابن زاكور بالأماكن التى كان يقصدها وغرامه بالطبيعة الأبيات التالية يصف فيها البحر ، وهى من قصيدة طويلة .

البحر قد أبدى سنا تغرته
فهامت الأعين فى بهجته
قد خلع الحسن عليه حلى
وانتظم الابداع فى لبّته
كأنه والشمس قد أودعت
شعاعها الأنضر فى لجته
مطارف العقيان قد طرّزت
باللازورد الغضّ من زرقته
ذكّرنى عهد لنا قد مضى
بأرض تطوان على ضفته
فى جنة أربت على جلّق
علمها الحسن بالوبته
ما شئت من نور كدرّ على
زبرجد يسبى سنا خضرته
ومن غصون قد سقاها الحيا
فعربدت بالرقص من خمرته
دبّجها النوّار من أصفر
يحكى النضار الغض فى كهبته
وأحمر يشبه خدّ الذى
أنحلنى الشوق الى رؤيته

ولابن سهل موشحة جميلة مطلعها « ليل الهوى يقظان »، وقد عارضها ابن زاكور بموشحة ننقلها فيما يلى للقراء . قال :

من علّم الغزلان
الفتك بالليث الجرى
وسلّط العينان
على قلوب البشر
يا ضرّة الشمس
الله فى الصب الكئيب
يا منية النفس
هجرك للنفس مذيب
حدّثنى حدسى
أنك للب سليب
بأسهم الأجفان
ذات العذاب الأكبر
منصمية الولهان
بالدمع والحسّر
ما ضرّ يا محبوب
يا هاجرى بلا ذنوب
لو تنعش المطلوب
بلفظك العذب الخلوب
بغاية المرغوب
من وصلك المحيى القلوب

تذكر يا وسنان
يا ذا الرُّواء الأنضر
ليالي البستان
تحت العريش الأخضر
وأنا في نشوة
من خمر ثغرك النقي
منهيج الصبوه
لكل من لم يعشق
لم تعرنا جفوة
تثير نار حرقتي
ما بيننا ندمان
الا اريج الزهر
او نغمة الورشان
على غصون الشجر
والبدر من بعده
يرقبنا بكل عين
ارسل من وجده
عينا علينا الفرقدين
فخاب في قصده
وخيبة الرقبان شين
والورق في الاغصان
فاقت حنين الوتر
بمطرب الالحان
عند الصباح المشفر
تثير أشواقي
بصوتها المبثري السقم
قامت على ساق
اذ عنبر الليل بسم
من ثغر اشواق
تشدو بطيب النغم
مقال ذي أشجان
حليف اسى وضرر
(ليل الهوى يقظان
والحب ترب السهر)

وعلى مقربة من مكناس ، في المغرب ، تقوم بلدة زرهون في رقعة من الأرض لم تبخل الطبيعة عليها بأي من عناصر الجمال. الى هذا فان زرهون فيها مقام الفاتح الاكبر ادريس بن عبد الله . وقد اشرف ابن زاكور على المقام فقال يحييه .

هذا هلال المغرب
هذا مجلي الغيهب
هذا الذي أنواره
تفوق كل كوكب
هذا الذي من أمه
لا يختشى من توب
هذا الذي من زاره
ليس يرى من تعب
هذا رفيع الرتب
هذا عظيم المنصب
هذا عريق الحسب
هذا شريف النسب
هذا الرضي ادريس نجـ
ـل (الكامل) المهذب
شمس الهدى ابن حسن
بن حسن المنتخب
ابن علي والبتو
ل خير أم وأب
بنت الرسول المصطفى
المجتبى المقرب
محمد أزكى الورى
من عجم او عرب
صلى عليه الله ما
لاح ضياء الشهب
وآله وصحبه
من كل ليث مجرب

ولابن زاكور موشحات كثيرة ، وقد كان هذا أمرا شائعا بين الأدباء ، تقليدا للموشحات الاندلسية والمغربية الأقدم . ومن موشحاته ما قاله في المولى اسماعيل ، سلطان المغرب في أيامه.

له هيبة الأسد — وفتك البزاة
وفيه حيا الخود — وحلم الثقات
وعفة ذي النسك — ونفع المطر
ورائحة المسك — وحسن القمر
بقيت سنا الملك — منير الغرر
تعل ذوى الود — بكاس الهبات
أيا كوكب السعد — وعين الحياة
أمولاي اسماعيل — اشمس الملوك
بمدحك صار القيل — كدر السلوك
وكاد من التسهيل — على من يحوك
ينال بلا قصد — رقيق السمات
كما فاح من نجد — لطيف النبات

■■

نقولا زيادة



ابن المقفع

له رأى فى المرأة عجيب

بقلم ظافر [illegible]

■ ابن المقفع، امام البلغاء، وخدين عبدالحميدالكاتب . الذى قيل ان الكتابة ابتدأت به وانتهت بابن العميد . ما زال الناس منذ اكثر من الفسنة يقرؤون الباقى من آثار ابن المقفع، فيعجبون أيما اعجاب ، لهذه السلاسة العذبة ، والالفاظ الجزلة ، والسهولة الممتنعة ، ويقينى أن ابن المقفع يوم قال :

« البلاغة هى التى اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها » .

ما كان يتصور ان ينطبق هذا القول على آثاره، اكثر من انطباقه على آثار غيره من الكتاب والمنشئين.

كليلة ودمنة

ولقد كتب لجيلنا ، قبل أربعين سنة، أن يصحب ابن المقفع منذ نعومة الاظفار . وتلك نعمة قد فاتت غيرنا ، ممن جاء بعدنا . فقد كان عهد مشايخنا الى اتخاذ «كليلة ودمنة» كتابا للقراءة، فى السنين الاخيرة من الدراسة الابتدائية ، والمرحلة الاولى من الدراسة الثانوية . ولقد كان طبيعيا أن تفتتن فى تلك السن المبكرة بما فى « كليلة ودمنة » من اقاصيص ، على ألسنة الحيوانات فنطرب حينا لوقائعها ، ونضحك اكثر الاحيان لفكاهاتها ، ولم تكن لدينا القدرة على تذوق ما فى الكتاب من بلاغة ، وعلى ما فى طريقته فى الانشاء

من سموٍّ ، وعلى ما في التأليف بين ألفاظه من موسيقى .

« الأدب الصغير » و « الأدب الكبير »

صحبتُ ابن المقفع منذ أن فرض علينا في المدارس « كليلة ودمنة » ، وكان في مكتبة أسرتي كتاب « رسائل البلغاء » ، وهي مجموعة طبعها قبل خمسين سنة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، بإرشاد باعث النهضة الفكرية في ديار الشام الشيخ طاهر الجزائري . ومما فيها « الأدب الصغير » و « الأدب الكبير » لابن المقفع . ولقد اعتدت أن أعود الى « الأدبين » بين الحين والحين ، فأجد كل مرة فيهما ما لا أجد في غيرهما من روائع الحكم ، وتجارب الحياة ، والخبرة بالحاكم والمحكوم ، والتحليل العميق لأخلاق المجتمع ، فضلا عن الترسل الذي يرقى الى ذروة البلاغة ، التي عزت على التشبيه والنظير .

وكان ان عدتُ هذه الأيام اليهما ، فاستوقفتني نظرة ابن المقفع الى « المرأة » . والناس في هذه الأيام ، في شرقنا العربي ، يكثرون من الحديث عنها ، والخوض في شؤونها . وندر أن ترى صحيفة يومية ، أو مجلة أسبوعية أو شهرية ، ليس فيها صفحة أو صفحات عن المرأة وشؤونها ، على اختلاف برامجها ومناهجها ، فزيّن لي شيطاني ان ابعث رأي ابن المقفع في المرأة من مَرقده ، وأن انشره من لحده ، لا سيما وأنني لم أر باحثا قبلي قد أولاه شيئا من العناية ، أو تناوله بالبحث والدرس .

رأى في المرأة ينكره أكثر الناس

وسترى أنه رأي سينكره أكثر الناس كل الانكار وسيصفونه بالرجْعة والتخلف ، هذا اذا لم يروا فيه مخالفة للطبائع الانسانية ، أو جنوحا عن الحق الصريح الذي رسمته الشرائع السماوية والوضعية . ولعل فريقا من الناس ، هم قلة قليلة ، يرون فيه الصواب كل الصواب . وليس من شأني في هذا البحث أن أسخط المرأة وأنصارها ، ولا أن أرضي الرجعية وفلولها . فسواء لدي أرضي هؤلاء أم سخط أولئك ، وانما الذي يعنيني هو أن أدرس رأي ابن المقفع ، دراسة موضوعية خالصة ، ليس فيها الا ما اعتقدت صوابه . فعساي بذلك أكون قد قدمت الى عشاق النقد والأدب ، بابا من أبواب الحديث ، ان لم تكن فيه الفائدة ، فآمل أن تكون فيه المتعة !

ابن المقفع يحذّر من الغرام بالمرأة

ويبدأ ابن المقفع حديثه عن المرأة بالغرام بها ، فيحذر منه ويقول :

« اعلمْ أن من أوقع الأمور في الدين ، وأنهكها للجسد ، وأتلفها للمال ، وأقتلها للعقل ، وأزراها للمروءة ، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار ، الغرامَ بالنساء »!

فهل كان أستاذنا ابن المقفع ، جاف القلب ، مسلوب الفؤاد ، حتى نهى هذا النهي الرهيب ، عن الغرام بالنساء ، فجمع مساوىء الحياة كافة ، المادية والمعنوية ، فيمن أصيب بالعشق ، فلم يغادر دينا ولا جسدا ولا مالا ولا عقلا ولا مروءة ، ولا جلالة ولا وقارا الا قضى عليها بالفناء والدمار ؟ ولو أن ابن المقفع خصص ولم يعمم ، لكان رأيه الى الصواب أقرب . فمن الناس من يذهب العشق بجميع مزاياه ، ويَنْكُبه في دينه ودنياه ، ويرزؤه بأُولاه وآخراه . ولكن فريقا آخر من الناس يُرهف العشقُ حسّه ، ويَصقل نفسه ، ويلطّف ذوقه ، ويوسّع أفقه ، ويبعث فيه الكامن من المواهب ، وينشر من محاسنه العجائب . والشواهد على ذلك كثيرة ، في بدو الأمم وحضرها ، وقديمها وحديثها ، وشرقيها وغربيها ، فاعجبْ لهذا الاطلاق الذي أرسله ابن المقفع ، كأنه حقيقة رياضية ، وما أبعد العاطفة عن العلم ، وما أبعد الشقة بين القلب والعقل .

الفقيهان العظيمان ، ابن القيّم وابن حزم يفردان في حب المرأة كتابا

ولو أن ابن المقفع اعتمد على قواعد الدين ، لجانبه الصواب ، ولكان الحق عنه بعيدا ، ولا أدل على ذلك بأكثر من امامين عظيمين ، من

أئمة الشريعة ، أحدهما مشرقي : ابن القيّم ، وهو من هو ، أفرد للحب كتابا برأسه ، فسماه « روضة المحبين » ، وثانيهما أندلسي : ابن حزم ، إمام أهل الظاهر ، خلف لنا جوهرة فريدة في الحب ، سماها « طوق الحمامة ، في الألفة والألاف » ، وارجع إلى هذين الكتابين ان شئت ، فسترى في أقوال هذين الإمامين وتقولهما ، ما يخالف كل المخالفة تقرير ابن المقفع ، وحكمه الجاف القاسي على الغرام بالنساء .

وعند ابن المقفع : ان كل النساء عند كل الرجال سواء

وينتقل ابن المقفع بعد هذا الى انكار الوفاء عند الرجال ، والى اعتبار الرغبة عندهم جامحة الى جميع النساء فيقول :

« ومن البلاء على المغرم بهن : انه لا ينفك يأجم(١) ما عنده ، وتطمح عيناه الى ما ليس عنده منهن » !

وكأني بابن المقفع هنا لا يتحدث عن الغرام بالمرأة ، وانما يتحدث عن الغرام بالجنس . وما من شك في أن بين الناس من ينطبق عليه حكم ابن المقفع ، ولكنهم ليسوا كل الناس ، فالرجل الذي تطمح عينه الى كل امرأة رجل مريض ، والمرض حالة شاذة ، لا يصح أن تكون قاعدة عامة ، في وصف الطبائع ، وتصوير الخصائص . وقد وجد في تاريخ الماجنين من العشاق ، من جمع ولم يفرّق ، وعمّم ولم يخصّص ، كما رأينا في تاريخ فريق آخر من العشاق من انقطع لامرأة واحدة ، لم يشغل قلبه غيرها ، ولم يستأثر بغرامه أحد سواها . حتى هؤلاء المجان ، عرفنا منهم من آثر احداهن على الأخريات ، وفضّلها على غيرها .

وعند ابن المقفع ان النساء طعام واحد

وليت ابن المقفع وقف عند هذا الحد من الجمود ، ومناقضة الطبائع الانسانية ، ولكنه مضى الى أبعد من هذا ، فكان في تصويره للنساء بدائي النزعة ، مشتّتات الفطنة ، ولا أبالغ اذا قلت حيواني الغريزة ، حيث يقول :

« وانما النساء أشباه . وما يتزين في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن، على معروفاتهن ، باطلٌ وخدعة . بل كثيرٌ مما يرغب عنه الراغب ، مما عنده ، أفضلُ مما تتوق اليه نفسه منهن . وانما المرتغب عما في رحله (٢) منهن الى ما في رحال الناس ، كالمرتغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس . بل النساء بالنساء ، أشبه من الطعام بالطعام ، وما في رحال الناس من الأطعمة أشد تفاضلا وتفاوتا مما في رحالهم من النساء » .

الخليل يشيد بعقل ابن المقفع

واني لأحار في تعليل هذا الكلام . فلقد كان ابن المقفع رجلا عالما وعاقلا ، ولو ألقيت نظرة عجلى على فصوله الأخرى في « الأدبين » ، لرأيت مالا ينقضي منه العجب ، من العقل والعلم .

سئل ابن المقفع عن الخليل بن أحمد فقال : « علمه أعظم من عقله » .

وسئل الخليل عن ابن المقفع فقال : « عقله أعظم من علمه » .

وما في هذا الكلام الذي نقلته لك عن ابن المقفع شيء من العقل ولا من العلم .

لم تكن المرأة يوما طعاما من الأطعمة

فأخبار النساء في الجاهلية والاسلام،لا تدل في جملتها على أن « النساء بالنساء ، أشبه من الطعام بالطعام » . فقد عرفنا من سير بعضهن ما أقام الدنيا وأقعدها ، وما بنى الممالك وهدمها . واذا كانت هذه سيرة القلة القليلة منهن ، فليس فيما حفلت به كتب الأدب والتاريخ ، ما يدل على أن المرأة لم تكن الا طعاما من الأطعمة ، يغني بعضه

(١) يأجم : يكره ويمل من المداومة عليه . (٢) الرحل : يعني المنزل

عن بعض . كذلك لم نعرف ان النساء فى نظر الرجال اشباه . وما زلنا حتى فى ايامنا هذه نرى الخاصة والعامة من الرجال على السواء ، يميزون بين النساء ، فلا يرضى احدهم الا بامرأة معينة ، لما تراءى له من مفاتنها الجسدية أو النفسية او العقلية ، أو لبعض هذه البواعث ، او لها جميعا . وأين ما نرى ونسمع ، وما نقرأ فى الكتب ، عن اسباب افتتان الرجال بالنساء ، فى القديم والحديث ، وما يحدثنا به ابن المقفع عن تشبيه المرأة بالطعام ؟

ماذا دهى ابن المقفع حتى قال ما قال ؟

فما هو سبب موقف ابن المقفع من المرأة ؟

هل كان ذلك من رواسب اصله الفارسى الذى جرت دماؤه فى عروقه ؟ وهل كان الفرس الأقدمون ينظرون الى المرأة نظرة ابن المقفع اليها ؟

هل اصيب ابن المقفع فى علاقته بالنساء ، بما حمله على أن يسلق المرأة بهذا اللسان الحاد ؟ ان ما فى كتب التراجم ، لا يهدينا الى شىء فى هذا ؟!

هل كان ابن المقفع رجلا مصابا بضعف الغريزة الجنسية ، حتى نظر الى المرأة هذه النظرة السوداء ، بدافع من الحرمان الأليم ؟

ام هل كان انسانا شاذا يرى ما لا يراه اكثر الناس ، فى القديم والحديث ؟

وهل كان ابن المقفع يرى فى الرجال صورة لنفسه ، ومرآة لشعوره ، فوصم الناس بما ابتلاه الله به ؟

ام هل كان ابن المقفع مدخول الاسلام ، كما روى ذلك بعض من أرخ لسيرته ، ولذلك لم ينظر الى المرأة نظر الاسلام اليها ، لان الاسلام اعتبرها مخلوقا ساميا ، كرمه أعظم تكريم ، فجعل الجنة تحت أقدام الأمهات ؟

الرسول رق قلبه لمغيث خادمه فشفع له عند حبيبته

هلا ذكر ابن المقفع موقفا عظيما للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، يوم شفع عند بريرة لمغيث؟ كان مغيث خادما للرسول ، وكانت بريرة زوجا له فطلقها ، ثم ندم ، فاراد أن يعيدها فامتنعت فكان يجرى وراءها ويبكى ، وهى تفر منه . ولم يجد حرجا فى أن يوسط سيده الرسول ، فقال لبريرة : هل لك فى مغيث حاجة ؟

فاجابت بروح المؤمنة الصادقة : وهل تأمرنى يا رسول الله ؟

قال : لا انما أنا شافع !

اين هذا من قول ابن المقفع ان «النساء بالنساء، اشبه من الطعام بالطعام » ؟ لم يجد مغيث فى اية امرأة أخرى فى الدنيا ، شانه فى ذلك شأن المحبين كافة ، ما يغنيه عن بريرته . وقد رق له الرسول، فتوسط لقلبه المدنف لدى التى تيمته . وهذا من معانى رسالة الرحمة التى بعث بها محمد للعالمين ، فاين هذه الانسانية المثالية ، التى سنها الرسول ، من هذه المادية الطعامية التى أسف اليها ابن المقفع ؟

ظافر القاسمي

دمشق ـ (نقيب المحامين سابقا)

بيطرى وضابط بوليس

● كان الطبيب البيطرى فى احدى المناطق ، هو ضابط البوليس ، وفى يوم دق جرس التليفون وامسكت زوجته السماعة وقالت : ماذا تريد من زوجى ؟ هل تريده كطبيب او كضابط ؟ فأجاب المتحدث : أريد الاثنين معا ، فنحن لم نستطع ان نفتح فم كلبنا وبين فكيه أحد اللصوص !

من روائع الشعر القديم

أنا الجار

■ وقع الأمير الفارس ، أبو فراس الحمدانى ، أسيرا فى أيدى الروم ، بعد أن أفزعهم بغاراته ، فأخذوه الى القسطنطينية ، وسجنوه . وهناك فى السجن نظم القصائد العديدة متشوقا الى والدته وزوجته وبنته ، والى خوض المعارك من جديد ضد الروم . وقد عرفت هذه القصائد بالروميات ، لأنه نظمها فى بلاد الروم . وهذه أبيات من قصيدة من هذه الروميات :

أَمَا لجميلٍ عندكُنَّ ثوابُ ... ولا لمسيءٍ عندكُنَّ متابُ ؟
لقد ضلَّ من تَحْوِي هواهُ خريدةٌ ... وقد ذلَّ من تقضى عليه كَعَابُ
ولكننى - والحمدلله - حازمٌ ... أعزُّ إذا ذلَّتْ لهن رقابُ
ولا تملك الحسناءُ قلبيَ كلَّهُ ... وإن شَمِلَتْها رِقَّةٌ وشبابُ
وأَجرِى ولا أُعطى الهوى فَضْلَ مِقْوَدى ... وأَهفو ولا يخفى علىَّ صوابُ
صبورٌ ولو لم تبق منى بقية ... قَؤُولٌ ولو أن السيوف جواب
وقورٌ وأَحداثُ الزمان تَنُوشُنى ... ولِلمَوْت حولى جيئةٌ وذهابُ
وأَلْحَظُ أَحوالَ الزمان بِمُقْلَةٍ ... بها الصدقُ صدقٌ والكِذَابُ كِذَابُ
إلى الله أشكو أننا بمنازل ... تحكَّمُ في آسادهن ذئابُ
تمرُّ الليالى ليس للنفع موضعٌ ... لدىَّ ، ولا للمُعْتَفِينَ جَنَابُ
ولا شُدَّ لى سرجٌ على ظهر سابح ... ولا ضُرِبَتْ لى بالعراء قِبَابُ
ولا بَرَقَتْ لى في اللقاء قواطعٌ ... ولا لمعت لى في الحروب حِرَابُ
ستذكر أيامى « نُمَيْرٌ » و« عامرٌ » ... و« كَعْبٌ » على علاتها و« كِلابُ »
أنا الجارُ لازادى بطىءٌ عليهم ... ولا دون مالى في الحوادث بابُ

■■

الإصلاح الاجتماعي لابُدَّ لهُ مِنْ :

بقلم : الدكتور محمد فتحي الشنيطي

استاذ الفلسفة المساعد ـ جامعة القاهرة

ابرز التقدم العلمي الفذ مشكلة الحياة الانسانية على اوسع نطاق ، وحرك رغبة الانسان الجياشة الى النقاش والجدل حول مصيره : آماله وآلامه واحلامه ، حقوقه وواجباته ، الحرية التى ينبغي أن ينعم بها، مفهومها وحدودها ، المساواة التى يطمح الجميع اليها، كنهها ومراميها .

وهذه المعاني واشباهها يطلق عليها المخلصون من اعلام الفكر ، القيم الانسانية . ويلوح ان الانسان فى هذا العصر الذرى الذى نعيش فيه أخذ يتشبث بهذه القيم ، فضاعف البحث فى استكناه أصولها واستطلاع ضرورتها . وتجلي ذلك فيما تعاقب من أزمات سياسية حادة فى مختلف بقاع الدنيا هزت الضمير العالمي على نحو لم يكن له من قبل مثيل .

روع الشعوب المتخلفة تخلفها ، مع سبق الآخرين

وقد تيقظت الشعوب الصغيرة ، ما ظفر منها باستقلاله ، وما لا يزال يجاهد من أجل هذا الاستقلال ، فروعها أن يقترن التقدم العلمي والمادى الجبار عند الشعوب المتقدمة فى هذا المضمار ، بتخلف انسانى مؤسف عند مجتمعات عديدة تدعى بالمجتمعات المتخلفة ، وندعوها نحن بالمجتمعات النامية تشبثا بالامل وتفاؤلا بمستقبل افضل قريب باذن الله .

الحاجة الى الاصلاح الاجتماعي

ومن هنا كانت الحاجة الى الاصلاح الاجتماعي ، وضرورة نهوض هذا الاصلاح الاجتماعى فى الامم النامية على اسس علمية لكى يؤتى اطيب الثمار فى اقصر زمن ممكن . وكثيرا ما باءت مشروعات الاصلاح الاجتماعي بالفشل ـ رغم توافر النوايا الطيبة ـ لافتقارها الى أساس علمي سليم .

مجال البحث فى الشئون الاجتماعية ، مختلف عنه فى العلوم الطبيعية

لقد قطعت العلوم الطبيعية شوطا بعيد المدى فى تقدمها ، بفضل ضبط تجاربها والاستعانة بالملاحظة الدقيقة والاستقراء الواسع . وأخذت العلوم الاجتماعية منذ استهلال هذا القرن تسترشد بقواعد المنهج العلمي عساها تصل الى نتائج فى مثل ما وصلت اليه تلك العلوم من دقة وضبط . فشاعت فى الدراسات الاجتماعية مصطلحات علمية دالة على مفهومات محددة كمثل ، التفاعل ، التركيب ، الديناميه ، المتغيرات . وغدت الاساليب الاحصائية قاعدة للبحث الاجتماعي .

بيد أن مجال البحث الاجتماعي مختلف عن قرينه فى البحث الطبيعي ، فالخامة هنا خامة مادية من الميسور التحكم فيها واخضاعها لقواعد

● البحث العلمي بحث عازل ، والبحث الاجتماعي بحث متكامل

تخطيط شامل متكامل

المنهج العلمي من ملاحظة وتجريب . اما موضوع البحث الاجتماعي فهو المجتمع البشرى ، وهو خامة فكرية انفعالية تتميز بالمرونة والتشكل والتغير . ولذلك يستلزم البحث الاجتماعي لونا من الجدل العقلي .

ولو اننا نظرنا فى المنهج التجريبي العلمي لرأينا انه ينهض على تحليل ظاهرة بعزلها وضبطها والتحكم فيها . ولنأخذ على ذلك مثلا دراسة العلاقة بين حجم الغاز وضغطه ، فان هذه الدراسة تستلزم عزل الظاهرة والتحكم فيها وتحليلها ، وبذلك يمكن الوصول الى نتائج فى الوسع تكرارها فى عين الملابسات والظروف . ويؤدى مثل هذا البحث التجريبي الى استنباط قوانين عامة صادقة فى الحالات المماثلة على اساس ان عوامل الزمان والمكان لا تتغير .

ولكن عزل العناصر اذا جاز فى الميدان المادى فهو متعذر بل مستحيل فى المجال الاجتماعي . فان العناصر الاجتماعية متداخلة متشابكة متفاعلة مرتبطة فيما بينها فى اعماقها ارتباطات معقدة . وعلى ذلك فهناك موقف اجتماعي متكامل لا بد من استطلاع جميع زواياه بالبحث الاحصائى ومناقشة الاحصائيات على ضوء المقارنة والقياس . ويستلزم ذلك من الباحث ثقافة واسعة وخبرة جامعة وصبرا طويلا .

مستوى المعيشة مستويان : مادى اقتصادى وفكرى روحى

المنهج التكاملي عند علماء الاجتماع

من اجل هذا اتجه علماء الاجتماع المعاصرون الى المنهج التكاملي بحيث ينظر للمجتمع على انه وحدة عامة تشمل عناصر عديدة ، وتستمد هذه العناصر وظائفها ودلالاتها من تفاعل هذه العناصر كلها . وفى المنهج التكاملي يستعين الباحث بالاصول العلمية المتبعة فى العلوم الطبيعية ويضيف اليها الدراسات التاريخية والجدل العقلي .

التخطيط عام وهو يستهدف جميع قطاعات المجتمع

والاصلاح اساسه التخطيط ويستهدف الاصلاح الاجتماعي رخاء المجتمع بتنمية الثروة الاقتصادية والفكرية ، ويتم ذلك بتنسيق العمل بين هيئات المجتمع المختلفة من اجل هذه الغاية العامة .

والتخطيط الاجتماعي نوعان ، تخطيط عام شامل للمجتمع ، وتخطيط خاص لبعض جوانبه . والتخطيط العام الشامل هو الذى يعنينا فى مجتمعاتنا العربية ، وهو يقتضى رسم برنامج شامل طويل الاجل يختص بالاقتصاد والصحة والثقافة . وقد بدأت الدول الحديثة تنزل هذا

النوع من التخطيط منزلته من عنايتها ، فلم يعد هناك اصلاح مرتجل أو محدود فى جانب دون سائر الجوانب . فالتخطيط العام يستهدف اصلاحا تاما ونهضة شاملة للمجتمع فى جميع قطاعاته .

ان التخطيط العام هو بمثابة اعادة بناء الشخصية الاجتماعية على أسس متينة متكاملة . فالشخصية الاجتماعية لمعظم الشعوب العربية احوج ما تكون الى اصلاح عام يشمل جميع المرافق. ولا بد أن ينهض هذا الاصلاح على أساس التخطيط المستوعب وعلى ضوء الموازنة بين احتياجات هذه المجتمعات وامكانياتها .

والتخطيط فى المجتمعات حديثة النمو الزام واجبار ، وهو كذلك فى مجتمعنا الأكبر ـ المجتمع العربي ـ وليس مجرد أماني عِذاب ، بل هو ارتسام غايات وتوسل اليها بالوسائل الفعالة . ومن غاياته الأولى رفع مستوى المعيشة بين الناس.

الوعي الثقافي هو الدعامة الوطيدة لتكامل المجتمع

ويتحدد مستوى المعيشة بمعرفة مبلغ التوافق بين مطالب الانسان وحاجاته ، وبين ما يبذله من جهد من أجل اشباعها . بيد أن هذا التحديد ذاته لا يخلو من مشقة وصعوبة ، فمن الحاجات والمطالب ما هو ضرورى ومنها ما هو كمالى . واذا كان ثمة نسبية فى تقدير مستوى المعيشة فى البيئات المتخلفة والمجتمعات المتباينة ، فثمة أصول عامة تكفل تحقيق حد أدنى للمستوى الانسانى اللائق ماديا ومعنويا .

فلا يخفى أن مستوى المعيشة من وجهة النظر الحضارية يشمل عنصرين متلازمين متكاملين ، هما العنصر المادى والاقتصادى ، والعنصر الفكرى والروحي .

ويكشف لنا البحث الاجتماعى عن الأسس الضرورية لمستوى المعيشة اللائق فى التغذية والمسكن الصحى والماء النقى والطب الوقائى والعلاجى ، وتوافر العدالة الاجتماعية ونشر التعليم وتيسير سبل الثقافة فى أجهزتها العامة والخاصة من صحافة واذاعة وتلفزة ومسرح وسينما وما الى ذلك .

وارتفاع مستوى المعيشة اذ يقتضى زيادة الدخل القومي يستلزم فى الآن نفسه بث الوعى فى المواطنين بحيث لا يندفعون فى تيار النشاط الاستهلاكي المسرف . فهناك اذن جانب تربوى هام ينهض على تكوين العادات الاستهلاكية المفيدة .

وفى رأينا ان الاصلاح الاجتماعى المنشود لن ياتى بنتائج مثمرة فى أى قطاع من قطاعات الصحة والطب والاقتصاد ما لم ينهض على أساس توعية ثقافية واسعة النطاق .

فالثقافة هى الدعامة الوطيدة لتكامل المجتمع. وكلما ارتفع المستوى الثقافى فى جماعة نضج الوعى، واستقرت الحياة العامة على أوضاع سليمة ، وشق المجتمع طريقه الى التقدم المتصل . وتكامل الحياة الاجتماعية انما يتحقق بتكامل شخصيات المواطنين ، واحساسهم بالتوازن السعيد بين حقوقهم وواجباتهم .

ومهما اختلف الأفراد فى الميول والمشارب والمهن والهوايات ، فانهم يلتقون عند اطار ثقافى عام يؤلف بين جهودهم ويوفق بين رغباتهم ، ويربط بين بعضهم والبعض الآخر برباط وثيق . ان لكل شخصية قسماتها المميزة لها ، وتمايز الشخصيات فى المجتمع شرط أساسى لحركته وفعاليته وتطوره . بيد أن شخصيات المواطنين ، على ما بينها من تمايز ، تندمج معا فيشملها اطار القومية التى تجمع أبناء مجتمع واحد على آمال وأماني واهداف متجاوبة ومشتركة . ثم ينطلق الجميع الى دائرة أوسع من هذا ، يلتقون فى رحابها مع سائر الشعوب ، الا وهى دائرة الانسانية بقيمها العزيزة من خير وعدالة وسلام ومحبة ومساواة وصدقة .

العناية بالتربية والتعليم

ومن هنا كانت عناية الدول الناهضة بالتربية والتعليم فى المدارس والمعاهد المتخصصة والجامعات . وتتجه الدول حديثة النمو الى ذلك بالنهوض بالتعليم جنبا الى جنب مع محو الامية والتوسع فى الأجهزة الثقافية كلها على تنوعها .

وليس من شك فى أن التعليم فى المدارس والمعاهد المتخصصة والجامعات يعد المواطنين للمساهمة مساهمة فعالة فى الحياة الاجتماعية ، باداء واجباتهم فى مختلف المرافق الحضارية ، ويؤدى هذا بالتالي الى ارتفاع مستوى المعيشة فى مختلف جوانبها . وتعتبر الامية تقصيرا مشينا فى حق أبناء المجتمع ، وكلما اتسعت دائرتها كان هذا دليلا على تخلف المجتمع ، وبالتالى شلل مرافقه وهبوط مستواه .

ومع اختلاف التقديرات فى مجال الامية ففي وسعنا أن نصطلح بالنسبة لأبناء المجتمعاتالعربية تقديرا متواضعا ، فنعتبر الأمى من يجهل القراءة والكتابة وتخطى الثانية عشرة من عمره. فالنهوض بالتعليم فى الأقطار العربية يقتضى على هذا اجراءين ، أحدهما وقائى بفرض التعليم الاجبارى حتى مرحلة معينة تكفل اعداد المواطن الصالح ، والآخر علاجي بمكافحة الامية بين الكبار تمكينا لمن فاته القطار من اللحاق بغيره من المواطنين فى ركب الحضارة والتقدم . والتعليم الاجبارى هو القاعدة اللازمة التى ينهض عليها صرح التعليم العام ، وتختلف فترة الالزام بين الدول من خمس سنوات الى اثنتى عشرة سنة . والواجب أن يكون الهدف من هذا التعليم تزويد المواطن بالمعارف الأساسية فى الميادين العلمية المختلفة وتهيئته لاداء واجباته كمواطن صالح فى مجتمع ناهض .

فاذا انتقلنا الى اجهزة الثقافة العامة لرأينا ان تنمية هذه الأجهزة من كتب ومكتبات وصحف ومجلات واذاعة وتلفاز ومسرح وسينما يجب ان تسير ايضا جنبا الى جنب مع النهضة التعليمية من اجل ارتقاء مستوى الوعيالاجتماعى. ولا يخفى ان هذه الأجهزة جميعها تؤدى رسالة تربوية حضارية عميقة الأثر . وهي تساعد على تحقيق الهدف الذى تطمح اليه الامة الناهضة الا وهو اعداد المواطن المثقف المتكامل المتجاوب فى المشاعر والعواطف مع غيره من المواطنين ، والمتعاطف مع القيم الانسانية الأصيلة .

القيم الاخلاقية ضرورة لكل أصلاح

ان يقظة الوعي الاجتماعى تقترن لا محالة بالتكامل الاخلاقى . ويتمثل هذا التكامل فى ظواهر اجتماعية عديدة تتكشف فى العلاقات البسيطة والمعقدة التى تجرى بين أبناء المجتمع . من ذلك مثلا النظام العام فى الحياة اليومية ، من حيث الالتزام بقواعد المرور ، وانتظار الدور فى ركوب السيارات العامة وأمام شباك التذاكر فى السينما والمسرح والملاهي ، وعدم التكالب على اختزان المواد التموينية لمجرد انتشار الشائعات بنقصها . ومن ذلك ايضا حرص الموظف على أن يكون فى خدمة المواطنين ، وأن يجعل من ضميره اولا وبالذات رقيبا على حسن ادائه لواجبه ، وتفاني المدرس فى النهوض بمهمته على الوجه الأكمل ، واحساس الطبيب بأن المهنة التى ربط حياته بها هى فى صميمها مهنة انسانية يقصد بها الخدمة العامة قبل أن يقصد بها الكسب .

والخلاصة ، اننا نجد فى جميع قطاعات المجتمع اساسا ينهض عليه العمل الصالح وتنجح بفضله المشروعات ، هذا الأساس هو الأخلاق . ولا ريب انه كلما تقدم الوعى الأخلاقى فى مجتمع نجحت المشروعات الاصلاحية فيه ، وحققت أهدافها فى اقصر فترة ممكنة .

ونحن انما نوجه النظر فى نظرتنا التكاملية للاصلاح الاجتماعى الى ضرورة التشبث بالقيم الاخلاقية – وفى تراثنا الروحي معين لا ينضب لها – لما نلاحظه آسفين فى كثير من المجتمعات من انتشار الرشوة والاهمال والسفسطة ، والتهريج على اشكال والوان . ومن هنا تأتى دعوتنا الى أن تقترن النهضة العلمية المادية بنهضة انسانية اخلاقية ، والى ضرورة الارتقاء بمرافق التربية القومية والدينية والرياضية والفنون المسرحية والموسيقية ، فان هذه جميعا وسائل وغايات لصقل شخصية المواطن وتعزيز المعاني الأخلاقية الكريمة فى اعماق ذاته .

فعسى ان تتكتل الجهود لتحقيق الرخاء الاجتماعى للمواطنين العرب فى ظل وحدة الماضى والحاضر والمستقبل ، وليس هذا على الله بعسير. ■■

محمد فتحى الشنيطي



التقدم الصناعي والضمان الاجتماعي

عن جريدة « نيويورك تايمس » :

● من الأمور التى تباهى بها دوما ان الصناعة فى امريكا متقدمة عنها فى اى بلد من بلاد العالم ، وأن انتاجها الغزير يجعل المواطن يعيش فى رخاء لا ينعم به أى مواطن فى اى بلد آخر .

وهذا الحكم هو حكم على ظاهـــــر الأمور .

والحقيقة هى ان فى بلادنا اكثر مـــن ٥ ملايين من العاطلين عن العمل ،بسبب سيطرة الآلة علـى مرافـــق حياتنا ،واستغنائنا بها عن الايدى العاملـــة . وتقول الاحصائيات ان معـدل الزيادة الاسبوعية فى العاطلين عن العمل هى بين ٢٠ الفا و ٤٠ الفا .

ومعنى هذا أن التقدم الصناعى فى هذه البلاد لم يجلب الرخاء للمواطن ، بـل انه يهدده كل يوم بالتعطل ، ولهذا فهـو محروم من اهم نعم الحياة ، اعنى نعمة الاستقرار والطمأنينة ، وهو ما ينعم به المواطن فى الدول الأوروبية .

ومعنى هذا أيضا أن التقدم الصناعى والتكنى لا تعم فائدته جميع المواطنين ، ما لم يصحبه تقدم فى النظم الاجتماعية والاقتصادية . وهنا موطن الداء .

الأمير ...

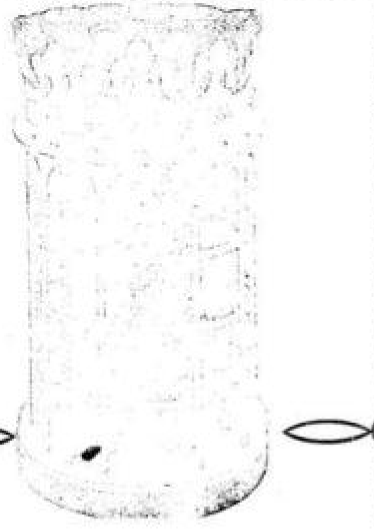
عن جريدة « الصندى اكسبريس » :

● الأمير فيليب ، زوج الملكة اليزابث ، رجل طموح ذكى .

ولكنه كزوج للملكة كتب عليـــه ان يعيش ضمن حدود ضيقة لا يستطيـع ان يتخطاها .

لو كان الأمير فيليب جنديا لعاش على امل ان يرقى ويرقى الى اعلى رتبة فى الجيش .

ولو كان رجل اعمال لاستخدم ذكاءه فى مشاريع تدر عليه المال الوفير ، وعلى بلاده الخير العميم .





السعادة الباقيـة

عن جريدة ((نيويورك هيرالد تريبون)) :

● فى عام ١٩٢٠ وما بعده لمع اسم نجمة سينمائية هى ماى مرى Mae Murray وكانت هذه الفتاة الجميلة الفاتنـةمهوى افئدة الشباب والشيب ، والمثل الذى تتطلع اليه الفتيات : فيقلدنها فىملبسها ، وطريقة تصفيف شعرها .

وكانت (ماى مرى) تكسب ٢٥٠٠٠جنيه فى الأسبوع .

والآن تعيش (ماى مرى) وحيـدة ،فقيرة ، مريضة، فى احد ملاجىء العجزة.

وانى لعلى يقين من انها تتمنى لو انهالم تكن نجمة مشهورة ، ولم تكسب الملايين، وكانت عاملة بسيطة تنعم بالبيت البسيط الهادىء ، ثم تزوجت وأنجبت ووجدت نفسها فى سنها هذه يحيط بهاالأبناء والأحفاد .

فى حياة هذه السيدة عبرة تعلمنا أن السعادةالتى تنشدها موجودةبين ايدينا، ولكنا نجرى دوما وراء السراب . ولكن هل من معتبر ؟!

سيارات كهربائية ؟!

عن جريدة ((الصندى تايمس)) :

● توصل مجلس ادارة كهرباء الجنوب الغربى الى اختراع سيارة كهربائية . وقد لبت هذه الجريدة شاكرة دعـوة المجلس للاشتراك فى رحلة تقوم بهـا هذه السيارة الجديدة . وكانت الرحلة ناجحة حقا .

وتحضرنى الآن عدة اسئلة .

ترى من يمول البحث العلمى الجارى الآن ، لاختراع سيارات كهربائية باعداد ضخمة للاستعمال العام ؟

وهل صحيح ما يقال من ان شركات النفط مهتمة باختراع سيارات تسير بدون بنزين ؟ وما تفسير هذا الاهتمام ؟

وهل هناك تشجيع من الدولة لمثل هذه البحوث ؟

هذه اسئلة تنتظر أجوبة صريحة .

...ى صـمـت !؟

ولو كان مدرسا لطمح الى أن يكون ناظرا .

ولكنه بحكم واقعه لا يستطيع أن يكون الا زوج الملكة لا غير ، منذ زواجه بها الى يوم يوارى تحت الثرى .

ويبدو أن هذا الموقف الغريب يحز فى نفس الأمـير فيليب ، حتى أنه ليبوح بمكنون قلبه ، وبما يعانى من ضـيق ، فى مجالسه الخاصة .

والأمير فيليب محروم حتى من احب حقوق الزوج الى نفسه ، أعنى شعوره انه هو رب أسرته التى تضم زوجتـه وابناءه . فادارة شؤون أسرته هى فى يد زوجته الملكة ، وفى يد آخرين لا سلطان له عليهم .

والأمير فيليب محروم ايضا مما كان يتمتع به الأمير البرت زوج الملكةفكتوريا: فالأمير البرت كان المستشار والناصح للملكة فيكتوريا ، وكان لرايه وزن كبير . أما الأمير فيليب فلا يؤخذ رايه فى أى أمر من الأمور السياسية .

أبعد هذا يوجد من يحسد الأمـير الطموح الذكى ؟

تحية منا للرجل المتألم فى صمت .

جنائز في السماء بعد جنائز الأرض

■ يظهر أن رجال الفراغ يؤمنون اليوم أكبر الايمان بأنهم الى القمر ذاهبون ، وأنهم على القمر سوف يحطّون . ومن بعد القمر سفرات أخرى بعيدة تستغرق الأيام والأسابيع والاشهر .

لهذا هم بدأوا ينظرون فى كل ظرف يتوقعون ، حتى فى أبعد الظروف فى الآونة الحاضرة عن مجال الفكر .

انهم يسألون : ان هذه الأسفار ستكون طويلة ، وفيها مخاطر كثيرة ، فماذا يصنع الصانع فى المركبة القمرية أو المريخية ، وبها الثلاثة الرجال والأربعة ، اذا مات منهم واحد ؟

انه خاطر خطر على بال رجال الفضاء فعلا ، أولئك المختصين ببحوثه وتوقع احتمالاته . وهم لا يتركون احتمالا الا نظروه ، ووصلوا فيه الى غاية .

وهذا الخاطر أيضا ، خاطر أن يموت من رجال الفضاء ، وهم فى الفضاء ، أحدهم ، ماذا يصنعون به ... هذا الخاطر تناولوه بالبحث والفكـــر وجابوا فيه بمقترحات .

الجواب الحاضر عند كل انسان لمثل هـــذا الخاطر ، وللسؤال الذى تضمنته ، أن الذى يموت تلقى جثته من مركبة الفضاء ، فى الفضاء .

وينتقد المنتقدون هذا الجواب من ناحيتين : ناحية علمية ، وناحية نفسية .

أما الناحية العملية فان جسما يلقى به من مركبة الفضاء ، وهى تسير فى الفضاء ، لا يبعد عن المركبة . فهو يصحبها حيثما ذهبت . انه ترك المركبة وله نفس سرعة المركبة ، وله نفس اتجاهها . واذن هو يسير ، ولو وراءها ، وكأنه جزء منها .

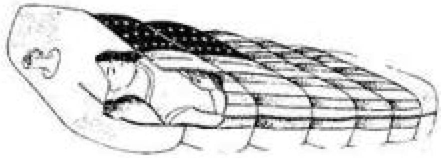
أما الناحية النفسية ، فان جسما يلقى فى الفضاء الواسع العميق هكذا القاء ، بصرف النظر عن قوانين الطبيعة التى تعمل فيه ، يورث أنفس الأحياء الباقين فى المركبة ، وهو لهم صديق عزيز ، الكآبة والتخاذل النفسانى ، فى حين أنهم أحوج ما يكونون الى الأمل . والموت شر هازم للنفوس .

والنفوس البشرية اعتادت ، عند موت الأحبة أن تؤدى ما وجب لها من احترام ، ومن تحية ، ومن طقوس دينية ، تقى النفوس من غوائل اليأس القاتل ، وتثير فى الجو شيئا كالذى يثيره البخور المحروق والعطر ، تتخدر به الأحاسيس ، وتقوم فيه الأخيلة تصنع من الصور المطمئنة ما يغطى على حقيقة الواقع المر وينير أرجاء الحاضر المكفهر .

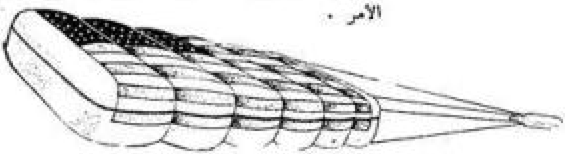
من اجل كل هذا رأى بعض رجال الفضاء :

أولا : فيما يختص بمراسم الموت أن تقـــام للموتى فى سفينة الفضاء مثل تلك المراسم التى تقام للمتوفى فى السفن وهى بعيدة عن موانيها : تقام له الصلاة وقد وضع جثمانه فى كيس مصنوع بحيث يأتلف والغاية التالية ، وعلى الكيس علم البلاد .

ثانيا : أما الغاية التالية فهى التى تختص بابعاد الجثة عن مركبـة الفضاء حتى لا تظل



الصورة العليا للكيس الذى يحمل الجثة ، وهو منفوخ بالهواء . فاذا فتح للهواء مخرجه فخرج، بحيث تتجه قدما الجثة نحو الشمس، اندفع الكيس بجثته اليها ، وبها يحترق آخر الأمر .



الصورة الدنيا ، كالصورة الأولى . الا أن بها ما يشبه القنيْنة ، وهو صاروخ صغير ، يدفع بالجثة ناحية الشمس لتحترق بها . واتجاه الجثة يكون بالصاروخ أكثر انضباطا .

تصحبها . ويظل الراكبوها يذكرون أن الجثة انما تصحبهم ، وانما هى تجرى وراءهم .

ولقد اعتاد الأحياء على الارض أن يفرّقوا بينهم وبين موتاهم فى اقرب وقت ، حتى ينقطع ما بينهم، وتنقطع الذكرى .

ورجال الفضاء يخططون ، لابعاد الجثة عن المركبة ، بان يودعوها كيسا ، كالمرتبة ثم ينفخونه بعد ذلك . ثم هم يخرجونه خارج المركبة .

ولهم بعد ذلك طريقتان لابعاد الجثة بكيسها .

الطريقة الأولى ، أن يكون بالكيس المنفوخ تحت الضغط مخرج للهواء الذى فيه، اذا فتحوه عمل الهواء عمل الصاروخ، فخرج مندفعا فى اتجاه، فدفع بالكيس فى الاتجاه المعاكس ، ذلك الذى هم يريدون أن تتجه اليه الجثة .

الطريقة الثانية أن يربطوا بالكيس صاروخا صغيرا ، أشبه بالقنينة ، اذا أطلقوه ، اتجهت الجثة ، بعد توجيهها المناسب ، الى الجهة التى يريد رجال الفضاء أن تتجهها .

بقى أمر الجهة التى تُوجَّه اليها الجثة .

والرأى عندهم انها تُوجَّه ناحيةَ الشمس ، فاما أن ترتطم بها آخر الأمر ، واما تدور حولها .

وفى الحالتين تحترق الجثة احتراقا .

وبحرق الجثة ، أو حتى بالتفكير أن هذا سوف يكون مآلها ، تطيب أنفس أصدقاء الرجل الفقيد من ركاب مركبة الفضاء .

وسوف تعجب من قولنا « وتطيب الأنفس .. ».

وهذا حق لا مرية فيه .

انها عادة أهل الارض .

الدفن فى بطن الأرض غايته الفناء . والناس تدفن لتفنى الجثة فى التراب . وهذا اكرام لها .

ومن الناس من يحرق الجثث ، كذلك اكراما لها ، ومنعا من أن يعبث بها العابثون . وقد شاع هذا فى أهل الغرب شيوعا كثيرا . ومن الكتّاب الذين حضرت حرق جثثهم الكاتب الانجليزى الشهير هـ . ج . ولز ، احرقوه فى محرقة Crematorium فى ضاحية شهيرة فى الشمال الغربى من لندن ، بعد اقامة المراسم الدينية المعتادة . فعندهم أن الدين لا يمنع من ذلك .

لقد شغل الناس الى اليوم بجنائز الأرض .

والظاهر أن عصر الفضاء سيفرض عليهم الشغلَ بجنازات السماء . ■■

أنباء الطب .. والعلم .. والاختراع

المرور .. الى اليمين

● هكذا هو فى اغلب بلاد العالم . السيارات . والعربات ، والخيل ، تسير فى الشارع ، فى جانبه الأيمن . اى ان يمين السائر الى يمين الشارع ، ويساره الى اوسط الشارع . وفى النصف الآخر من الشارع ينعكس اتجاه السير .

الا فى انجلترا ، وقلة قليلة جدا من البلاد الأخرى .

ومن هذه البلاد السويد .

وقد تقرر ان يبدأ السير فيها الى اليمين ، بدل الشمال ، وذلك من اول يناير عام ١٩٦٦ .

تغيير يتراءى بسيطا . وما هو بذلك .

انهم يقدرون ان هذا التغيير سيتكلف نحوا من ٣٠ مليون جنيه .

وبهذه المناسبة نذكر ان السيارات الانجليزية ليس لها رواج كبير فى العالم بسبب أن مكان السائق منها فى يمين العربة . وراجت السيارات الامريكية والألمانية . هذا ثمن المحافظة الشديدة .

سيارة هائلة

● انها لحمل الأثقال الكبيرة ، وجرها . وهى تزن ٣٢٨ طنا ، وطولها ٣٤ مترا . وهى تستطيع أن تحمل ٢٥٠ طنا . أو بلغة اخرى تستطيع ان تحمل ٣٠٠ سيارة من السيارات العادية . وعجلاتها لا تقل عن ٥٦ ، كلها بالطبع من المطاط ، منفوخة . انها صناعة فرنسية .





يبلع الاطفال اشياء من حديد ، على غير عمد . وقد ابتدعت شركة جنرال الكترك اداة مغناطيسية تنزل الى المعدة وتلتقط ما ابتلع الطفل . وهذه صورة أخذت بالاشعة السينية ، تريك التقاط الدبوس من المعدة ، وطرفه المدبب الى اسفل . والعمود الفقرى ظاهر فى الصورتين .

كيف بدأت الحياة على هذه الارض

● المعروف ان الحياة ، على صورتها الأوليّة الأولى ، بدات على ظهر هـذه الأرض منذ أكثر من ٢٥٠٠ مليون عام ، او بتعبير اخصر ، منـذ أكثر من ٢ ١/٢ مليار من الأعوام .

والذي يبحث فيه العلماء اليوم هو كيف بدات الحياة . والزعم الحاضر عندهم ان جو الأرض كان في أول أمره مزيجا من غاز البرك ، المعروف كيماويا بالميثان (ويتالف جزَيْئَتُهُ من ذرة كربون واربع ذرات ادروجين) ، ومن غاز النشادر (ويتالف جزَيْئَتُهُ من ذرة نتروجين وثلاث ذرات ادروجين) .

فان صح هـذا ، فأول ما تحتاجه الحياة ، لتصنعه ، هو مادتها الأولى ، البروتين ، مادة اللحم .

وقد استطاع عالمان ، باستخدام الحرارة فقط ، أن يصنعا من الميثان والنشادر مواد بروتينية تشبه عن بُعْدٍ مادة الحياة الأولى .

وقد سبقهما غيرهما الى صنع هذا ، ولكنهم استخدموا ، لا الحرارة ، ولكن صنوفا من الطاقات ليست مما يُخال وجودها ، والأرض بادئة . من ذلك التفريغ الكهربائي ، والأشعة البائية ، والأشعة الجيمية. ان استخدام الحرارة اقرب الى المعقول . والبحوث جارية .

القمر الصناعى الثانى ومولده ذرى

● اطلقت الولايات المتحدة من قريب قمرها الصناعي الثاني ، المزود بمولد ذري ، وذلك من قاعدة الإطلاق فاندنبرج بكلفورنيا . والمفروض في هذا المولد أن يظل يعمل ٥ سنوات . أما القمر نفسه فالمفروض فيه أن يظل يدور حول الارض نحوا من تسعة قرون !!

البدرة ممنوعة

● محرم على النساء ، العاملات في مصانع الأجهزة الدقيقة للشركةالأمريكية « لوك هيد » أن يمسحقوا وجوههم بالبدرة او ان يصبغوها بأية صبغة . وسبب ذلك أن حبات الأرز المستخدمة في تحضير هذه المساحيق ، وامثالها من الدقائق ، تتسرب الى أجهزة القياس الزائدة الدقة التي تصـنعها الشركة فتصيب دقتها ، وذلك في معاملها التي فتحتها حديثا .





قطط للفضـــاء

● هذه صور لطائفة من القطط ، فى مركز البحوث الطبية الفضائية ، تمر بتجربة من التدريب شديدة ، كالتى تجرى على رجل الفضاء قبل اطلاقه فى الفضاء . ومن بعد تدريب ، ستختار من هـذه القطط أصلحها لارسالها الى الفضاء ، لاختبار تأثيره فيها .

ان الحياة عزيزة . ولكن حياة الانسان ، عند الانسان ، اعز من حياة الحيوان .

ومعنى آخر يستفاد من هذه التجارب : ان الأجسام ، من انسان وحيوان ، اشباه .

تراكيب متشابهة ، وكذا الوظائف . وقوانين تعمل فى شتى الأحياء واحدة .

أقوى الصواريخ جميعا

● انه صاروخ ساترن Saturn . ولو ترجمنا اسمه لكان زُحَل . ولكنها ترجمة تحدث التباسا بين الصاروخ وبين الكوكب . فليبق « ساترن » .

وقد اطلقه الأمريكان فى أول هـذا العام .

وقد اطلقوه وهو ذو قسمين : اما القسم الأول ، وهو يمثل المرحلة الأولى من انطلاقه من الأرض ، فقد بلغت قوة دفعه ١ ١/٢ مليون رطل . وهذه كانت المرة الأولى الذى يطلق فيها هذا المحرك الصاروخي بثمانية وحداته كاملة ، ليبلغ هذا الدفع .

اما القسم الثانى من الصاروخ ، وهو يمثل المرحلة الثانية بعد استهلاك القسم الأول فى المرحلة الأولى ، فوقوده من الادروجين السائل .

وهذا الأدروجين السائل ، بحسبانه وقودا للصواريخ ، سيكون له مستقبل عظيم .

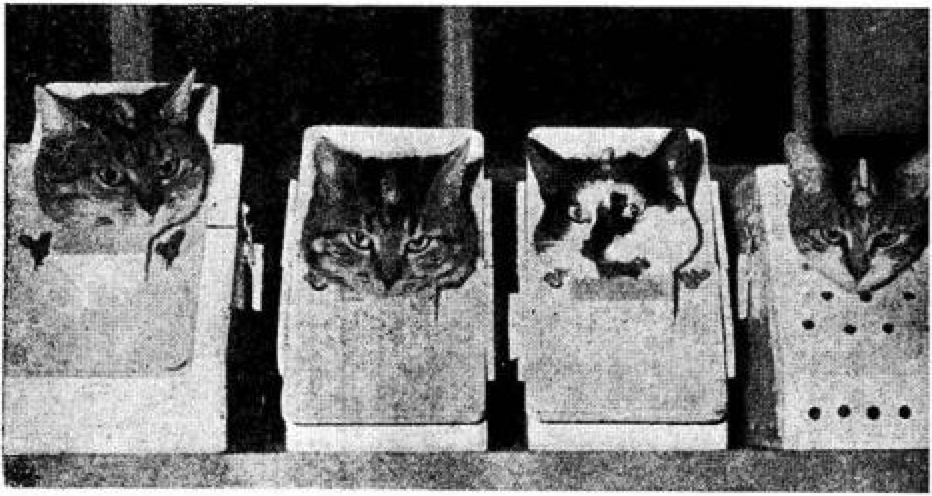
والصاروخ ، بمرحلتيه ، رفع ثقلا مقداره ١٩ طنا ، يدور به حول الارض .

ان هذا الصاروخ عندما يتم نموه ، سيكون هو الصاروخ الـذى يحمل الرجال الى القمر ، فى الموعد المضروب ، وهو عام ١٩٦٩ .

صلةُ العقل بالكيمياء

● كثيرا ما يصاب الانسان بفقدان الذاكرة ، وبخلل من صنوف أخرى تتصل بالذاكرة . وقد نجح العلماء فشفوا من ذلك ، وذلك بحقن المصاب بمادة حامض الرِّيبوتكليك Ribonucleic وهي مادة توجد فى الخلايا الحية ، ومن مصادرها الخميرة العادية .

وهذا يتفق مع الفرض النظرى الذى يقول ان الذاكرة ، والقدرة على التحصيل عامة ، ترتبطان بالذى فى خلايا المخ من مقادير هذا الحامض . فالعقل يرتبط بكيمياء المخ ، وما فى المخ من كيماويات يحدد وظائف العقل .



الألم : أسوأ شيء فى الدنيا

حياة بلا الم . تلك هى الحياة المثلى.

والمقصود بالألم هنا ، الم الأجسام . فى اى موضع كان .

ومـــن مشاغل الطب الآن تخليص الانسان مـــن آلام لا تعرف بالضبط اسبابها .

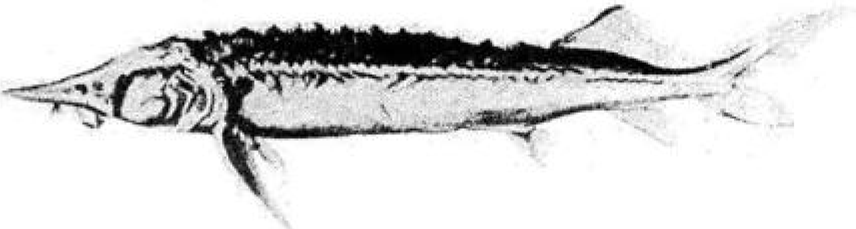
وقد تقع فى ايدى الأطباء اجســام اشخاص ماتوا ، عاشوا حياتهــم لا يحسون ألما ، لا عندما تجرح لهم ذقن عند الحلاقة ، او تحرق لهم يد او يضغط لهم ذراع . وعندئذ هم يفحصون هذه الأجسام فحصا دقيقا عسى أن يجدوا فيهـــا شيئا غير عادي يفسر ضيـــاع الاحساس بالألم .

اول فحص كامل لجسم انسان من هذا الصنف وقع فى عام ١٩٦٠ . ولكنهم لم يجدوا فى الجسم ، بعد هذا الفحص الدقيق ، ما يختلف به عن سائر أجسام الناس .

وقد وقع اخيرا للدكتور ماجى مثـل هذا البحث : رجل مات بأزمة قلبية . ولكنه كان ممن لا تحس اجسامهم الآلام ، أيا كانت ، وانتهز الدكتور الفرصة ففحص الجسم ، ووجد ان فى مقدم المخ شيئاً من التغير فى انسجته . ورابه هذا ، ولكنه ، وهو الباحث الحذر ، لا يريد ان يربط هذا بذاك .

ولو صح ما ارتاب فيه الدكتور ، اذن لأمكن ازالة الم الرجـــال باقتطاع ذلك الجزء من المخ . انه باقتطاعه يذهب عن الانسان الألم . والبحوث فى هذه الشئون لا تزال جارية .

ولكن . من منا يريد جسما بلا الم ان الألم ينذر الجسم فيعلم أن به عسر هضم . وهو ينذره فيعلم أن به ضيق انفاس . وهو ينذره فيعلم أن قدمــه اصابهـــا الحريق . ان الألم منذر لا يستغنى عنه انسان ابدا ، على هذا النحو الذى يراد به تخليص الجسم منه كله .



كفيار ...

● سدٌ اقامه الروس على نهـــر الفلجا ، بالقرب من مدينة ڤلجوجراد، Volgograd ، صنع الماءُ الذى تجمع وراءه بحيرةً عظمى امتدت نحو ٦٠٠ كيلو متر . ففى هـذه البحيرة وضع الروس ... ١٥٠ من صـغار سمك الزجر Esturgeons ، وهـو سمك عظيم يبلغ طول السمكة الواحدة منه ستة أمتار ، ووزنها ٢٠٠ كيلوجرام . والانثى منه تبيض ما بين ٣ الى ٤ ملايين من البيض، ذلك المعروف باسم الكڤيار (بطارخ) . مربى عظيم للسمك ، ومصدر جديد للكڤيار .

ارتفاع الطائرات من الأرض الى السماء رأسا

● كلٌ يعلم أن الطائرات فى مطاراتها، لكى ترتفع الى السماء ، لا بد أن تجرى طويلا على ارضها ثم تأخذ فى الارتفـاع تدريجيا . ولا يوجد اليوم الا الهليكبتر ترتفع رأسا الى السماء . ومعنى هـذا ان المطارات جميعـــا لا بد أن تشغـل مساحات كبيرة من الارض . وكل دولة من الدول ، ذات البحوث ، تحاول أن تجد لهذا الأمر حلا . والظاهـــر ان انجلترا قد تقدمت فى هذا الميدان تقدما عظيما . فهى اهتدت الى تصميم نوع من المحركات النفاثة . تركبها أربعةً، أربعةً، فى الطائرات ، ولكن فتحات هذه المحركات ، التى يخرج منها غاز الحريق الحار الذى يدفع الطائرة فى عكس اتجاه خروجه ، هذه الفتحات يمكن تحريكها فيمكن توجيهها ناحية الارض ، راسا ، أو فى اتجاه أفقى مواز لسطح الارض ، أو فيما بين هذين الاتجاهين .

وهى فى اتجاهها بفتحاتها راسا نحو الأرض ، تدفع الطائرة راسا الى السماء. وهى فى اتجاهها نحو الارض ٤٥ درجة فقط تدفع الطائرة الى الراس والامام معا، فَيقتَصُر على كل حال المسارُ الذى تحتاجه الطائرة فى المطار لكى ترتفع .

والمهم « كفاية » هذه المحركات، ويقال انها كفاية عظيمة، وانها ليس فيما ابتدعت الأمم ما يضاهيها . وهى على الوشك الانتاج فى المصانع .

ان هذه البحوث خطرها عظيم كما قلنا من حيث تصغير مساحة المطارات وتقصير طولها تقصيرا كبيرا .

الأسواق

في الكويت

قديمها والحديث

■ كانت دولة الكويت وما زالت بلدا غير زراعي لندرة الماء فيها ، ولكن الله حباها موقعا جغرافيا ممتازا ، جعلها الميناء الطبيعي للمناطق الواقعة في الأجزاء الشمالية من شبه جزيرة العرب ومركزا تجاريا مزدهرا .

وسكان الكويت منذ قديم الأزمنة حتى يومنا هذا يعتمدون بشكل رئيسي على المواد الغذائية المستوردة وان اختلفت الكميات والأنواع من وقت لآخر . لقد كان الغذاء الرئيسي الى ما قبل ربع قرن هو اللحم والارز والسمك ، تصنع منها اصناف شتى من الأطعمة ، وكانت تجارة الاستيراد تتركز في استيراد التمور من العراق والارز والقمح والسكر والشاي والقهوة ، من ايران والهند والشرق الأقصى وزنجبار وشرق أفريقيا .

وكانت الجاليات الأجنبية التي تعيش في الكويت في ذلك العهد قليلة جدا حتى ان الأوروبيين والأميركيين واضرابهما كانوا في سنة ١٩٢٩ يعدون على الأصابع .

الكويت مركز لتجارة المرور

كانت سفن الكويت تبحر الى افريقيا والهند ، محملة بجلود الأغنام وأصوافها تأتيها من الجزيرة العربية ، لتعود محملة بالمواد الغذائية والخشب والأقمشة تتوزع على ما حولها من بلاد . وكانت تجارة مقايضة ، فكان البدوي يأتي من الصحراء الى المدينة يقايض بأغنامه وأصوافها وألبانها وزبدها وجلودها على ما يحتاجه من غذاء ، كالأرز والتمر والقهوة والشاي ، وكذلك ما يحتاجه من كساء .

كذلك الخليج العربي هو ، على ما هو معروف، موطن لأجود أنواع السمك ، فهي تعيش فيه بوفرة . ولذلك كان السكان يعتمدون على السمك كغذاء رئيسي . وكان الخليج العربي سخيا بما فيه من اللؤلؤ الذي كان يشكل أهم موارد الرزق .

كيف كان الحال قبل نصف قرن

تحدثنا الدكتورة اليانور كالفرلي Eleanor T.



فى الخليج العربى أنواع عديدة من السمك تصل الى ٧٥ نوعا ولهذه الأنواع موسم خاص تكثر فيه ومن أصناف السمك الممتازة الزبيدى والسبيطى والشيم والميد يأتي بعدها النقرور والصبور والروبيان والبربور والسمك غذاء رئيسى فى الكويت وأسعاره رخيصة لوفرة الصيد وهو يباع فى سوق خصصت لبيع السمك .

Calverley — التى وصلت الكويت فى اواخر شهر ديسمبر سنة ١٩١١ — فى الكتاب الذى الفته عن الكويت وأسمته «أيامى وليالىّ فى بلاد العرب» وتقول انها حينما وصلت شاطىء الكويت لاول مرة لم تر شجرة نخيل واحدة ولا رقعة من الارض خضراء . وان ما كان يوجد فى الأسواق من مواد غذائية لم يكن يتجاوز اللحوم والفراخ والانواع الممتازة من السمك . اما البصل والباذنجان والقرع ، وفى بعض الأحيان البامية ، فكانت جميعها تجلب من الخارج عن طريق البحر . أما شراء سلة من البطاطس فكان أمرا نادرا لا يحدث الا حينما تمر بالكويت سفينة قادمة من بومباى فى الهند . وتستطرد المؤلفة فتقول : ان الخضر المعلبة التى كانت تحتفظ هى بها كانت تشحن اليها من بومباى بناء على طلبها، وكانت تأكل الخبز العربى وتشرب من حليب معزى كانت تربيها ، كما كان يفعل معظم الناس ، يأخذها الراعى صباح كل يوم الى الصحراء لترعى ، ويعود بها فى المساء ، ليقدم لها البرسيم والشعير لتكملة غذائها الذى لم تكن المراعى لتكفيه .

أما عن الزهور فتقول المؤلفة انه لم يكن هنالك شىء منها حتى أنها اضطرت مرة أن تزين مائدة الطعام التى كانت دعت اليها بعض الضيوف بوضع برسيم فى زهرية، ورشته بعطر البنفسج.

التطور المفاجىء

وما لبث هذا الحال أن تطور بظهور النفط تطورا مفاجئا . واخذ عدد السكان يتزايد بسرعة مذهلة واصبحوا خليطا من مواطنين وأجانب . لقد تدفق الايرانيون على الكويت لا سيما بعد تأميم النفط الايرانى فى مدينة عبدان ، كذلك جاء الهنود والباكستانيون بأعداد كبيرة . وجاء من أبناء البلاد العربية الآف أسهموا فى تطوير البلاد واعمارها مع اخوانهم اهل البلاد .

وفى الكويت الآن من العناصر الأجنبية جنسيات كثيرة جدا ! وأصبح اهل الغرب يعدون بالالوف بعد أن كانوا قبل خمسة وثلاثين سنة يعدون بالآحاد .

سوق الخضار المركزى الجديد الذى انشىء
وغيرهما الواردة عن طريق البر أو البحر ، وقـ





هكذا كانت البضائع تعرض قديما وما زالت تعرض بهذه الطريقة في الأسواق القديمة التي لم تتناولها معاول الهدم لاقامة اماكن حديثة محلها . وستزول هذه الأسواق في يوم من الأيام قريب

التغيير شمل كل شيء

لقد تغير مع الزمن كل شيء . وتغيرت المباني

اطراف المدينة وفيه يتم تفريغ الخضراوات والفواكه حدد لكل تاجر مكان خاص يضع فيه بضاعته .



والشوارع والمدارس والمستشفيات . حتى السفن التي كانت تنقل البضائع من الكويت واليها تغيرت هي الأخرى . فصارت الكويت تصدر النفط في الناقلات الضخمة ، وتستورد كل شيء بالسفن عابرة المحيطات . والميناء القديم الذى كان مرسى للسفن الصغيرة – أو المراكب الكبيرة – تغير هو الآخر واصبح للكويت ميناء حديث يستقبل أضخم السفن .

ولم يعد نوع معين أو أنواع معينة من الغذاء هي الغذاء الرئيسي للسكان ، كما كان الحال من قبل ، بل أصبحت أنواع الأغذية متعددة بتعدد ما في الكويت من جاليات اجنبية .

وأصبحت الكويت تستورد ما يلزمها من مواد غذائية من اركان العالم الأربع ، من الدانيمارك ، وأوستراليا ، واليابان ، وهولندا ، وامريكا ، وأوروبا ، وافريقيا . وبعد أن حلت مشكلة الماء قامت في الكويت مزارع الدواجن والأبقار ، ومع ذلك فالكويت تستورد شهريا أكثر من نصف مليون بيضة ، كما تستورد الحليب مسحوقا

ومكثفا وسائلا طبيعيا في زجاجات بعد تعقيمه . ويستورد كذلك الدجاج والديكة الرومية مثلجة مجمدة من استراليا والدانيمارك ، كما يستورد اكثر من اربعين صنفا من اللحوم المثلجة . هذا بالاضافة الى ما يذبح في الكويت من اغنام وابقار وجمال . واكثر هذه مستورد من الخارج .

وهناك اسواق قائمة في البلاد العربيةوالشرقية تكاد تكون متخصصة في تزويد الكويت بما تحتاجه من خضار وفواكه ، ترد الى الكويت بالبر والبحر والجو .

والاردن هو المصدر الرئيسي لما تحتاجه الكويت من خضر كالطماطم والباذنجان والفول والفاصوليا والكوسا والبازلة والزيتون وزيت الزيتون والجبن والبطيخ والموز . ولبنان تزود الكويت بالليمون والبرتقال والتفاح وغيرها من الفواكه والخضار.

اما ايران فتزود الكويت بالثوم والبصل والبطاطس . وبعض أصناف الخضر والفواكه .

ومن الهند ترد الى الكويت كميات ضخمة من الموز والمانجو .

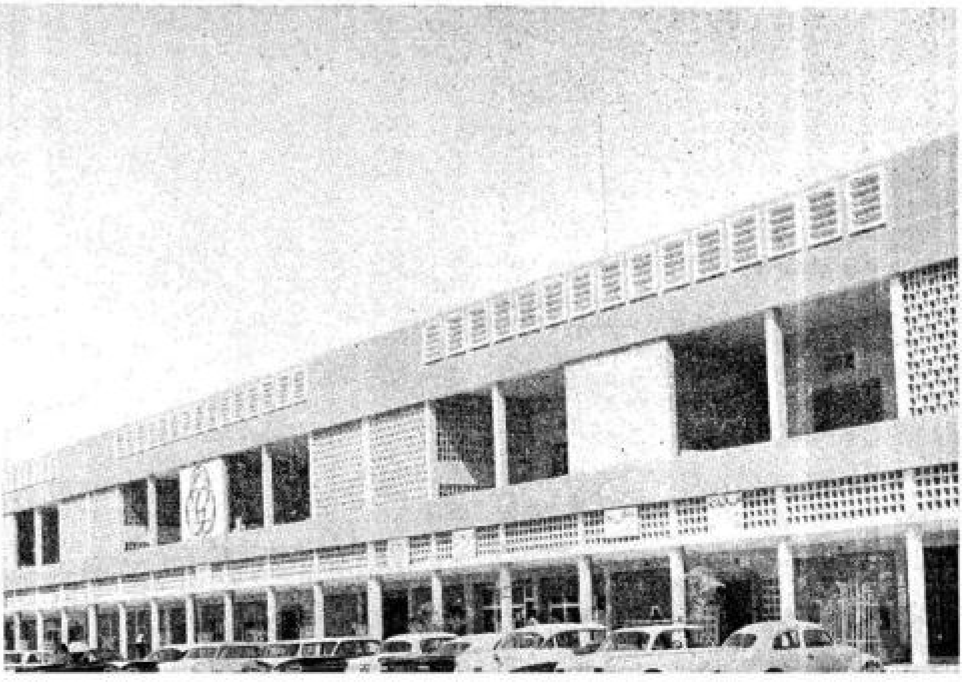
اما الطحين والسكر والأرز والشاي والسمن النباتي وغيرها من المواد فتستورد من أهم البلاد المصدرة لهذه السلع .

والى جانب الخضر والفواكه الطازجة تستورد الكويت كميات هائلة من الخضار والفواكه المعلبة والمثلجة ومن عصير الفواكه والمربيات .

فكرة عن الأسعار

يباع كرتون البيض الذي يحتوي على ٣٠ بيضة ب ٤٠٠ ـ ٤٥٠ فلسا للاصناف المستوردة من الدانيمارك واستراليا . اما البيض اللبناني فيباع

اخذت الجمعيات التعاونية تلعب دورها في حياة الناس . وفي الصورة جزء من السوق الذي تديره الجمعية التعاونية لمنطقة الشامية ، وفيه مطعم ومقهى وصالون حلاقة للرجال وآخر للسيدات وترزي وكواء ومخبز عربي وافرنجي وجزار وبائع دجاج ومواد بقالة للجملة وتوزيع غاز وسوق مجمع تجد فيه الى جانب المأكولات الاسطوانات وبطاقات المعايدة .





معلبات تحوى خضرا وفواكه ومربيات واجبانا وبقولا مستوردة من كل مكان ، تعرض بأساليب حديثة جذابة ، وتسهل على الزبون انتقاءها . وهذا محل بقالة فى الكويت يبدو فيه الاتساع والتنظيم .

ب ٧٥٠ فلسا لأنه ينقل بالطائرة . والرحلة البحرية من الدانيمارك أو استراليا الى الكويت تستغرق شهرين .

اما الخس مثلا فيباع بسعر ٥٠ فلسا للكيلو فى الجملة بينما يباع بالتجزئة بسعر ١٥٠ فلسا للكيلو . ويستورد الخس من ايران بواسطة اللنشات وتستغرق الرحلة ١٤ ساعة ويشتريه تجار الجملة بسعر يتراوح ما بين ٢٠ ـ ٣٠ دينارا للطن الواحد .

ويباع الموز الهندى بالجملة بالقطف (ويحتوى القطف على ٧٠ ـ ٨٠ حبة) بحوالى ٧٠٠ فلس . أما سعر المفرق فهو ٢٠٠ـ٢٥٠ للدزينة(الدستة) .

اما الخبز ، الذى لا غنى لانسان عنه ، فسعر الكيلو منه ٨٠ فلسا .

ويباع اللحم باسعار مختلفة تبعا لنوع اللحم ، هل هو لحم غنم أو بقر أو جمال ، وما اذا كان بعظم أو بدون عظم . وأما السمك فقد كان فى السابق يباع بالاوقية ـ والاوقية عبارة عن ٥ أرطال انجليزية كانت ترفع الى الضعف فى السمك . اما اليوم وبعد أن أدخل نظام الأوزان العشرية (الكيلو وأجزائه ومضاعفاته) أصبح بيع السمك بالكيلوجرام . وما زال السمك محتفظا بمكانته بين شتى أصناف الطعام .

والسعر الذى يباع به « الزبيدى » وهو اجود

انواع السمك في الكويت ٣٢٠ فلسا للكيلو .

اما عن الأرز والسكر والشاي والسمن النباتي وغيرها من المواد فهذه أسعارها في الوقت الحاضر عرضة للتقلب تبعا لقانون العرض والطلب .

	فلس/دينار
ارز « بشاور » الشوال ٩٠ كيلو	٨/٠٠٠
الارز – امريكي الشوال ١٠٠ رطل	٢/٨٠٠
السكر – روماني الشوال ١٠٠ كيلو	١٠/٠٠٠
السكر – انكليزي الشوال ١٠٠ كيلو	١٠/٥٠٠
الشاي – كلكتا وسيلان الصندوق ١٠ أرطال	٢/٠٠٠
السمن النباتي – هولندي الكرتون (٨ علب الواحدة ٥ أرطال)	٣/٠٠٠
عصير المنجة – ج.ع.م الكرتون (٤٨ علبة)	٢/٠٠٠

هذا اذا اشترى الشاري ٥٠٠ شوال أو صندوق مرة واحدة . والا ازداد الثمن .

الأسواق الحديثة

كانت الخضر والفواكه تفرغ في سوق الخضر ، وكان يقع على شاطىء البحر ويسمى بالسيف . و« السيف » كلمة عربية معناها ساحل البحر. وفي منتصف مارس ، آذار ، من هذا العام انتقل سوق الخضر من موقعه القديم على ساحل البحر الى موقع آخر جديد على طريق بلدة الجهرة في مبان حديثة واسعة أعدت خصيصا لهذا الغرض وهي عبارة عن مبنيين مستطيلي الشكل يتسعان لآلاف الأطنان والصناديق المعبأة بالخضر والفاكهة والبيض .

اما عن أسواق البيع بالتجزئة فقد كانت المواد الغذائية من بقالة وخضر وفواكه تباع في الأسواق القديمة الضيقة المتعرجة غير المعبدة ، أو هي

كان الخبز العربي هو النوع الوحيد الذى كان يأكله سكان الكويت من مواطنين وأجانب ولكن أنواعه تطورت هي الاخرى وهذه ستة أصناف منه الاول من اليمين يسميه أصحاب الافران « توست » وبعده الخبز الارمني أو « جراي » والذى يليه «بريوش» ثم « برد لوف » وفوقه الصمون وأخيرا العربي أو المصري، وهناك الخبز الايراني وهو على شكل رقائق





مئات وألوف من قطوف الموز معروضة للبيع في سوق الجملة . ويستورد الموز من الهند ويباع القطف الواحد من أجود أنواعه بـ ٧٠٠ فلس أما النوع المتوسط والاصغر حجما فيباع بـ ٤٠٠ فلس ويباع الموز هنا بالعدد لا بالوزن والموزة الواحدة ثمنها ٢٠ فلسا تقريبا .

تفرش على الارض . ولكن التقدم الذى شمل كل شيء انتقل بتجارة المواد الغذائية الى أحدث أساليبها . فقامت الأسواق المركزية ، والاسواق المجمّعة ، بعرض البضاعة وحفظها بنظام وترتيب ونظافة لا تقل من حيث مستواها عن أسواق العالم. واصبحت واجهات محلات البقالة زجاجيــة ، والبضائع مصفوفة على حاملات فولاذية علـى جوانب المحل وفي وسطه ، تتخللها طرقات وممرات تجعل التنقل بين مختلف أركانها متيسرا .

وحفظت الخضر والفواكــه واللحوم والبيض والدجاج والآيس كريم والزبدة في الثلاجات الكبيرة ذات الواجهات الزجاجية .

لقد أصبح في وسع الانسان أن يشترى كـل ما يحتاج من مأكول من سوق مركزية واحدة .يجر عربة يضع فيها ما يريد .. ويدفع الثمن ،تحسبه الآلة الحاسبة ، وتلف البضاعة او ترتب داخـل صناديق يحملها الموظف ويوصلها الى السيارة .

الجمعيات التعاونية

نظرا لاتساع مدينة الكويت وامتدادها قامت في بعض الضواحي مراكز عرفت باسم مراكز الضواحي اقامتها الحكومة وجعلت فيها مكتبا للكهرباء والماء ، ومسجدا ، ومسرحا ، وسوقا تؤجره الى جمعية تعاونية أعضاؤها من سكان الضاحية يساهمون في رأس مال الجمعية ، وهى تقوم بفتح مطعم ، ومخبز ، ومحل جزارة ، وحلاق (مكان للرجـال وآخر للسيدات) وترزى ، ومكوجى ، ومحـل لبيع الفراخ والبيض ، وآخر للسمك ، ومحـل لتوزيع الغاز ، وسوق مجمع فيه كل شيء . وهكذا تكفى الضاحية نفسها بنفسها وتستغنى عن سوق المدينة ، وهى تحقق غرضا آخـر اذ تحقق للأعضاء ربحا حلالا .

هذه هى الأسواق في الكويت والمراحل التى مرت بها .. ولن تقف عند هذا الحد ، فالقافلة تسير .

طرائف عربية

خير الرجال

● قيل لحكيم : اى الرجال افضل ؟ قال : الذى اذا حاورته وجدته عليما ، واذا خبرته وجدته حكيما ، واذا غضب كان حليما ، واذا ظفر كان كريما ، واذا استُمنِحَ مَنَح جسيما ، واذا وعد وفى ، وان كان الوعد عظيما، واذا شُكِيَ اليه وُجِدَ رحيما .

علامة النبوة !

● ادعى رجل النبوة فقيل له : ما علامات نبوتك ؟

قال : انبئكم بما فى نفوسكم .

قالوا : ماذا فى نفوسنا ؟

قال : فى انفسكم انى كاذب مخادع لست بنبى !

حكمة باقية

● قال علي بن ابي طالب رضى اللهعنه : اَعجَبُ ما فى الانسان قلبه ، فان سنح له الرخاء اذله الطمع ، وان هاجهالطمع أهلكه الحرص ، وان ملكه اليأس قتله الأسف ، وان اسعد بالرضا نسىالتحفظ ، وان اتاه الخوف شغله الحذر، وان اتسع له الأمن استلبته الغِرّة ،وان اصابته مصيبة فضحه الجزَع ، وان استفاد مالا اطغاه الغنى ، وان عضتهفاقةٌ بلغ به البلاء ، وان جهد به الجوع قعد به الضعف ، وان افرط فى الشبع كظّته البِطنة ، فكل تقصير به مضر ، وكل افراط له قاتل .

غزل أبى العتاهية فى عتبة

● كان ابو العتاهيــة بالكوفة لما نُفِيَ يذكر عتبة ، ويكنّى باسمها ، فمن ذلك قوله :

قل لمن لستُ أسمّي بابى انتِ وامّى
بابى انت لقد اصبحت من أكبر همي
ولقد قلت لأهلي اذ اذاب الحبُّ لحمى
وارادوا لي طبيبا فاكتفوا منى بعلمى
من يكن يجهل ما الـ قى فان الحب سقمى
ان روحى لبغدا د وفى الكوفة جسمى

وفدينــــاه

● ولى رجل قضـــاء الأهواز ، فابطات عليه ارزاقه. وحضر الأضحى وليسعندهما يضحىبه ولا ما ينفقه. فشكا ذلك الى امرأته .

فقالت له : لا تغتم فان عنــدى ديكا جليلا قــد سمنته فاذا كان الأضحى ذبحناه. فبلغ جيرانهالخبر، فأهدوا اليه ثلاثين كبشــا وهو فى

« من مشى مع ظالم ليعينه ، وهو يعلم أنه ظالم ، خرج من الاسلام »
(حديث شريف)

سهل بن هارون والرشيد

● دخل سهل بن هارون على الرشيد وهو يضاحك المأمون فقال : اللهم زده من الخيرات ، وابسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من أيامه مربيا على امسه ، مقصرا عن غده .

فقال له الرشيد : يا سهل من قال مثل قولك هذا شعرا ؟

فقال سهل بن هارون : يا أمير المؤمنين ما ظننت ان احدا تقدمني الى هذا المعنى .

قال : بل أعشى همدان حيث يقول :

رأيتك أمس خير بني لؤيّ ... وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غداً تزيد الخير ضعفا ... كذلك تزيد سادة عبد شمس

ذم الكذب

● قال اعرابي لابنه وسمعه يكذب: يا بني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه، وانما يدل على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه ، فالآثام له عادة ، والاخبار عنه متضادة ، ان قال حقا لم يصدق ، وان اراد خيرا لم يوفق، فهو الجاني على نفسه بفعاله ، والدال على فضيحته بمقاله ، فما صح من صدقه نسب الى غيره ، وما صح من كذب غيره نسب اليه ، فهو كما قال الشاعر :

حسبُ الكذوب من المها ... نة بعض ما يُحكى عليه
ما ان سمعتَ بكذبة ... من غيره نُسبت اليه

بذبح عظيم

المصلى لا يعلم . فلما صار الى منزله ورأى ما فيه من الأضاحي ، قال لامراته : من اين هذا ؟ قالت : اهدى لنا فلان ، وفلان ، وفلان .

فقال لها : احتفظي بديكنا هذا ، فانه أكرم على الله من اسماعيل بن ابراهيم لأنه افتدى بكبش واحد وقد فدى ديكنا بثلاثين !!



نحن وأمريكا

عن جريدة الرائد – ليبيا :

● مهما كانت السياسة الأمريكية واشتطاطها فى الضغط .. ومهما كان من تاثير اصوات اليهود على سير الانتخابات الأمريكية .. بل ومهما كان من امر الضغط الأمريكى على السياسة الغربية .. فان قضية فلسطين سوف تبقى قضية الشعب العربى .. قضية انسان وارض – . وفلسطين هى الأرض .. والشعب الفلسطينى هو الانسان . وليس يسيرا ان يفصل الانسان عن ارضه ، وهذه حقيقة .

وحقيقة اخرى نذكرها ، ان عرب عام ١٩٦٤ غيرهم عرب عام ١٩٤٨ وما قبلها . لهم مطالب ..

وعلى الصعيد الوطنى .. او فيما يختص بالعلاقات الليبية الأمريكية فانها تحتاج الى توضيح جدى ، يساعد على التفهم وادراك الواقع الليبى كما هو ، لا كما تصوره اغلب التقارير الأمريكية البعيدة عن ادراك مشاكلنا وآمالنا وأهدافنا .

اننا لا نقول بكره امريكا وكل ما هو امريكى .. وانما نطالب بايجاد حلول تساعد على تدعيم العلاقات .. وتعطى لأمريكا الفرصة لأن تساعد الشعب الليبى على ان يظهر ويبنى وجوده ليس بالدقيق الفاسد .. والقمح المسوس والجبن النتن .. وانما على اساس العدل والمساواة ، والاعتراف بالحق الليبى فى ارضه وفى خيراته .

ولأمريكا عندنا مصالح كثيرة ..

عندها ملايين الدولارات فى صحرائنا تنقب عن البترول .

وعندها قواعد عسكرية ضخمة .

ودولتنا الناشئة ارتضت أن تفتح ابوابها لأمريكا وغيرها ليس خوفا او وجلا .. وانما محاولة للاستفادة لمساعدة ركب التقدم أن يسير بسرعة .. ويتجاوز الحواجز الموضوعة امامه . واننا لأحرار فى مملكتنا اذا وجد من يفهم العملية على اساس انها استجداء او ركوع او لتقبيل الأقدام الأمريكية . ولا نقصد بهذا أن نطالب لأنفسنا بكل الحق .. وانما نطالب بالعدل حتى لا تهضم حقوقنا .

الارنب والفأر

عن جريدة « فلسطين »

● الأرنب ، فى الحيوانات ، سريع الحركة، يقفز فى عدة اتجاهات ، فيصعب اصطياده .

والأرنب فى مفهوم السياسة الأمريكية هو كوبا ، البلد المعادى الصغير القائم فى قلب القارة الاميركية .

واميركا تخشى كوبا كما لا تخشى روسيا او اى بلد آخر ، لان الكاسترونية بدأت تنتشر بسرعة فى نصف الكرة الغربى ، مهددة بذلك النفوذ الأميركى ، وقبل النفوذ : المصالح الأمريكية .

والأرنب الكوبى الذى يزعج اميركا ، ويشغل زعماءها بالتصريحات ليل نهار ، جميل المنظر على الأقل ، كل ذنبه انه يقفز — وبسرعة — من فوق اميركا ، ومصالحها ، ونفوذها ، الى بنما وفنزويلا وغواتيمالا وهاييتى ، وغيرها من دول اميركا الوسطى والجنوبية .

واذا كان هذا موقف اميركا من الارنب ، فماذا يكون موقفها لو كان فأرا .

كما هى الحال مع اسرائيل .

ان الفأر الاسرائيلى مزعج ، كريه ، المنظر ، فوق الأضرار التى يخلفها عن طريق القرض الذى يتقنه ، والذى يتلف عن طريقه القوت والملبس .

انا نحن العرب نحاول القضاء على هذا الفأر بالطعم السام ، أو بالمصيدة معه ، اذا ظلت تقوم مقامه فى اللعبة المعروفة !

الفكرة الناجحة لا تموت

عن مجلة « الصور » :

● الطوب الذى يلقيه اعداء الفكرة الناجحة لا يدفنها ! انه يزيد حلاوتها وقوتها ومناعتها ، ويحولها من حبر على ورق ، الى أهرام ضخمة ، يستحيل هدمها .

فلا تغضب من هجوم الناس حتى لو ظلموك بهجومهم !

فان الطوب قد يكسر لوحا من الزجاج ، ولكنه لا يحطم قلعة !

والأفكار الصحيحة مثل القلاع فى مناعتها وصلابتها وقوتها .

والنقد اللاذع لا يمكن أن يحطم عملا ناجحا ، أو يزعزع ثقة الناس فيه ! انه يكشف للناس عن مزاياه ، ويحمسهم للدفاع عنه ، والايمان به . ولولا القسوة التى واجهها المفكرون عندما عرضوا افكارهم على الناس ، لماتت بعض هذه الأفكار ، أو تأخر وصولها للملايين . فان العنف الذى استقبلت به هذه الأفكار ، هو الذى نشرها وحولها من همسات الى صرخات تهز البشرية كلها !

فاذا لم يعارض بعض الناس افكارك ، لا تفرح .. ولا تتصور انك اقنعت كل الناس !

ان معارضة بعض الناس لفكرتك هو اكسير الحياة لها !

ولهذا احمد الله دائما عندما اسمع صراخ الذين يعارضوننى ويلعنوننى !

نقد كتاب الشهر

مقام العقل عند العرب

بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ قال العرب : ان الله عقل ، وهو المصدر لجميع العقول .

وقال ابن سينا : ان الله عقل .. ولما كان الله عقلا فالذى يصدر عنه عقل ...

هذان قولان يدلان على مدى تمجيد العرب للعقل ، وهناك أقوال كثيرة أخرى تؤكد هذا التمجيد للعقل .

وهذا الكتاب الذى بين ايدينا للاستاذ قدرى حافظ طوقان يتناول « مقام العقل عند العرب » ، وهو كتاب متوسط الحجم ، ولكنه ممتع ، وهو فى خمسة أبواب: يتناول فى الباب الاول معنى العقل فى الاسلام متحدثا عن مقامه فى القرآن الكريم، وعند الرسول، والصحابة، والفقهاء والحكماء .

ويتحدث فى الباب الثانى عن الاجتهاد فى الاسلام فيبين تأييد الدين للاجتهاد وحرية العقل والرأى .

ويفيض فى البابين الثالث والرابع فى الحديث عن سلطان العقل عند المعتزلة ، ومقام العقل عند بعض الفلاسفة العلماء .

وينتهى فى الباب الخامس الى عرض مسهب للنزعة العلمية فى التراث العربى .

هذا الكتاب :
ميزات ومآخذ

ويتميز هذا الكتاب بكثرة الرجوع الى الأصول، ورد الاقوال الى اصحابها ومصادرها ، والاحاطة بجوانب الموضوع .

وخير أبواب الكتاب ، فى رأيى ، الباب الثالث « سلطان العقل عند المعتزلة » ، ثم الباب الرابع « مقام العقل عند بعض الفلاسفة والعلماء » . وأضعف أبوابه الباب الأول .

ويبدو لى أن تحويرا بسيطا فى العنوان قد يجعله أكثر قربا من الواقع ، وهذا التحوير يقترح احلال كلمة « المسلمين » مكان كلمة « العرب » ، ذلك لأن كلمة المسلمين واضحة الدلالة فى التاريخ الاسلامى ، وكثير من الفقهاء والفلاسفة الذين تناولهم المؤلف كانوا مسلمين لا عربا .

أما كلمة « عرب » فى التاريخ الاسلامى ، فليس فيها مثل هذا الوضوح ، وهى نفسها لها دلالات مختلفة حسب العصر الذى تقال فيه . وقد حاول الاستاذ برنارد لويس فى كتابه « العرب فى التاريخ » ان يحدد مفهوم كلمة « عرب » عبر التاريخ



الاسلامى فلم يوف البحث حقه من الدقة والاستقصاء ، وحاول ذلك ايضا الاستاذان جب Gibb وجرينباوم Grunebaum فكان كلاهما مبتورا .

ولى كلمة هنا ايضا فى طريقة المؤلف فى التاليف: فهى طريقة قائمة على اختيار الأقوال المضيئة المعجبة ، وهذه الطريقة ليست طريقة الدارس الموضوعى ، ولكنها طريقة من يريد أن يبعث الثقة فى النفوس القلقة ، وسبيل من يهدف الى التوجيه . ونحن أحوج ما نكون ، فى هذه الفترة من تاريخنا ، الى ابراز الجوانب الخيّرة فى تراثنا .

مقام العقل فى القرآن الكريم

ومقام العقل فى القرآن الكريم ، قيل فيه الكثير جدا ، ولكن الجانب الذى ما زال محتاجا الى مزيد من القول والتفسير هو التوفيق بين الآيات التى تبدو فى ظاهرها ، متناقضة . وهذا ما تجنبه المؤلف ، ولعله تجنب طرقه لأن الطريق شائك ، أو لأنه معنيّ بالجوانب المضيئة المشرقة فقط .

والذى لا شك فيه أن للعقل مقاما كبيرا فى القرآن الكريم : فهو يجادل بالبرهان ، ويدعو الى امعان النظر والفكر ، ويحمل على المقلدين الذين يعطلون عقولهم ولا يستعملونها ، ويدعو الى الخروج على التقاليد البالية . وهو يامر باحسان استعمال السمع والبصر والعقل للوصول الى الحقيقة . وهو فى هذه الآيات انما يتبع سبيلين : سبيل المشاهدة ، وسبيل التفكير . وهاتان هما الطريقتان اللتان تتبعان فى العلم .

وفى القرآن الكريم أيضا آيات ترفع من شأن العلم والعلماء .

« ... العقل أصل دينى ... »

وأقوال الرسول ، التى تنظر الى العقل نظرة تعظيم واجلال ، كثيرة . فالرسول نفسه كان يرى أن العقل أصل الدين وأساسه ، وأن لا دين لمن لا عقل له . ومن هذه الأقوال الكثيرة : « ... العقل أصل دينى ... » ، وبيّن الرسول الكريم أن الله ياخذ بالعقل ، ويعطى به ، ويثيب ، ويعاقب على أساسه ، فقال : « .. أول ما خلق الله العقل فقال له : أَقبلْ ، فأقبل . ثم قال له : أَدبرْ ، فأدبر . ثم قال الله عز وجل : وعزتى وجلالى، ما خلقت أكرم عليّ منك: بك آخذ وبك أعطى ، وبك أثيب ، وبك أعاقب ... » .

وقال أيضا : « الناس يعملون الخيرات ، وانهم يعطون أجورهم يوم القيامة على قدر عقولهم » .

وكان عمر بن الخطاب أكثر الصحابة استعمالا للعقل . وللفاروق ، الخليفة الثاني لرسول الله، دعوة صريحة الى أعمال العقل والفهم والقياس فيما لم يرد فيه نص ، فقد ورد فى كتابه الى ابي موسى الاشعري :

« ... ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهُديت فيه لرشدك ، ان ترجع الى الحق ، فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي فى الباطل . الفهمَ الفهمَ فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة . ثم اعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند

ذلك ، واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق .. » .

والصحابة انفسهم لم يقفوا عند النصوص ، بل رجحوا عليها القياس ، وسار في طريقهم التابعون والائمة من بعدهم . وقد سُمّيَ الفقهاء الذين جعلوا الراى اصلا من اصول الاحكام « اهل الراى » . وقد اطلق الفقهاء والمؤرخون على مذهب الامام ابى حنيفة اسم « مذهب اهل الراى » ، لانه كان للامام ابى حنيفة مقدرة واسعة على تحكيم الراى والمنطق .

وحين قدم الامام الشافعي الى القاهرة ، غيّر مذهبه القديم ، وخرج على الناس بآراء جديدة . ولما سئل عن سبب ذلك قال انه راى أشياء جديدة ، وسمع أقوالا جديدة ، دعته الى التغيير .

ونادت مدرسة احمد بن حنبل بمبدأ اعتبار المصلحة ، وتقديم المصلحة التى يقول بها العقل، على النصوص الدينية .

ولما كثر البحث في العقائد ، وتفرع الى بحوث متنوعة ، وموضوعات متعددة ، لم تكن زمن النبى أو صحابته ، اخذت هذه البحوث والموضوعات ، ولا سيما في العصر العباسى الأول ، تتركز ليتكون منها علم أطلق عليه « علم الكلام » . وهو علم يبحث في العقائد الدينية بايراد الحجج لها ، ودفع الشبه عنها . ويقول الامام الغزالي في علماء الكلام « ان اهل هذا العلم متمسكون أولا بالاخبار والآيات ثم بالدلائل العقلية » .

والثابت أن العقل عند الفقهاء هو المرجع والمعول عليه حين لا نص في الكتاب أو السنة . وهم يرون ان التقليد الأعمى باطل في الشريعة ، وفي هذا اعزاز للعقل ورفع لشانه . وقد بلغ بهم الاعتزاز بالعقل حدا ذهبوا فيه الى « ان قول الصحابى ليس بحجة ، ولا يجب تقليده » . واعتبر الغزالى قول الصحابى منالأصول الموهومة .

المعتزلة

« اذا تعارض النقل والعقل وجب تقديم العقل »

وفي القرن الثاني للهجرة ظهر المعتزلة ، وهم من أعظم المصلحين الدينيين الذين ظهروا في هذا القرن : فقد قالوا بسلطان العقل ، وآمنوا به ، واطلقوا له العنان ، وجعلوه حكما في كل شيء . فالعقل عندهم هو المرجع ، وهو الأساس . وهم يأخذون بالنقل اذا ساير العقل والبرهان العقلي. ويرمونه اذا خالفه وناقضه ولم يحتمل تعليلا أو تأويلا .

ويقول الاستاذ احمد امين : « وفي رأيي أنه لو سادت تعاليم المعتزلة في هذين الأمرين ــ أعني سلطان العقل وحرية الارادة ــ بين المسلمين في عهد المعتزلة الى اليوم لكان للمسلمين موقف آخر في التاريخ غير موقفهم الحالي وقد أعجزهم التسليم ، وشلهم الجبر ، وقعهد بهم التواكل ... » .

وقد مهد المعتزلة الطريق لمن أتى بعدهم من اخوان الصفاء وفلاسفة العرب والاسلام . وللمعتزلة كذلك الفضل الأول في وضع الأسس الأولى لعلم الكلام وعلم البلاغة .

وقد وسع المعتزلة دائرة التفكير فقالوا بسلطان العقل في معرفة الخير والشر وان الحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل . ووصل بهم تمجيد العقل حدا دفعهم الى محاولة اخضاع النقل للعقل ، وتحوير العقائد الدينية بحيث توافق التعاليم الفلسفية ، ومن أقوالهم : « اذا تعارض النقل والعقل ، وجب تقديم العقل لأنه أساس النقل. » ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل كثيرا ما هاجموا النقل ، وشنوا على رواة الحديث حملات قاسية.

وقالوا ان الحسن حسن ، لا لان الشرع أمر به ، بل لانه حسن بذاته ، وكذلك القبيح قبيح، لا لان الشرع نهى عنه ، بل لانه قبيح بذاته .

وذهبوا الى « ... أن العبد قادر خالق لأفعاله، خيرها وشرها ، ومستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة ، والرب تعالى منزه أن يضاف اليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية ، لانه لو خلق الظلم كان ظالما ... » .

وبين أيدينا تفسير الزمخشري في كشافه . وهذا التفسير يعد مثلا واضحا علىتفسير المعتزلة. وهو عندنا معتبر من كتب التفسير الأساسية .

وقد ظهر فى المعتزلة مفكرون من الطراز الأول امثال واصل بن عطاء الذى يرجع اليه الفضل الأكبر فى تأسيس الاعتزال على أسس علمية ، وعمرو بن عبيد ، وأبو الهذيل العلاف ، والنظام. ويرى الاستاذ احمد امين أن النظام ذو عقلية قوية سابقة لزمانها « ...فيها الركنان الأساسيان اللذان سببا النهضة الحديثة فى أوروبا وهما : الشك والتجربة ... » يقول النظام : « .. الشاك اقرب اليك من الجاحد . ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك . ولم ينتقل أحد من اعتقاد الى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك ... » .

واستخدم النظام التجربة فى بعض الحالات ، كما يستخدمها الكيميائى أو عالم الفيزياء اليوم . والجاحظ يروى عنه هذه الحادثة :

« ... فلقد سقى الخمر للحيوانات ليرصد نتائج ذلك ، فجربها على كل عظيم الجثة : كالابل ، والجواميس ، والبقر ، ثم على الخيل العتاق والبراذين ، ثم على الظباء والشياه ، ثم على السنور والكلب وابن عرس ، ثم أتى بحاو فكان يحتال على الأفاعي حتى يصب فى حلقها بالاقماع ، وشاهد فعل الخمر فى هذه الأجناس المختلفة ... وكذلك احتال النظام على أسد مقلم الأظفار ، فسقاه ليعرف مقداره فى الاحتمال ... » .

والجاحظ من أبرز رجالات المعتزلة : مخلص للحق ، محب للمعرفة ، شغوف بالصدق والانصاف . وكان رائده الحق، وضالته الحقيقة، ينشد الوصول اليها عن طريق التثبت والتجربة والعقل والبرهان ، ولعل خير ما قيل فى الجاحظ ما قاله ابو الفضل بن العميد الوزير : « ان كتب الجاحظ تعلم العقل أولا ، والأدب ثانيا ... » .

اخوان الصفاء :

« العقل أشرف الموجودات ، وأفضلها بعد البارى عز وجل »

وظهرت فى القرن الرابع الهجرى جماعة « اخوان الصفاء » ، وهى جماعة تألفت بالعشرة والصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة والتعاون . وقد اقامت هذه الجماعة لها مذهبا أساسه البحث والنظر للوصول الى الحق والحقيقة والكمال . وكان اخوان الصفاء يجتمعون سرا ، ويتناولون فى اجتماعاتهم البحوث الفلسفية والدينية والالهية على اختلافها ، ويتذاكرون فى العلوم الرياضية والطبيعية على انواعها . وقد جعلوا من علومهم وفلسفتهم سبيلا للنفع العام والخير المشترك .

وقد صنف اخوان الصفاء مذهبهم فى كتاب رتبوه رسائل عدتها احدى وخمسون رسالة . ويقول الاستاذ « دى بور » انهم قد نالوا حظا وافرا من الرقى الفكرى ، وان من يطلع على رسائلهم يجد فيها دعوة صريحة الى استعمال العقل ، وانعام النظر ، وأعمال الفكر . والواقع انهم قد ذهبوا الى أبعد من هذا فقالوا : ان العقل أشرف الموجودات وأفضلها بعد البارى عز وجل ، وهو نوعان : غريزى ومكتسب .

والحقيقة عند اخوان الصفاء واحدة مهما اختلفت آراء الفلاسفة ، وتباينت نظريات العلماء. والحكيم فى رأيهم هو الذى لا يقصر الحق على واحد ، بل يبحث عنه أنى وجده فهو ضالته وهو مبتغاه . وطالبوا فى رسائلهم بان ينزل الانسان على حكم العقل لا على أقوال القائلين ، وفى ذلك ما يعصم عن الخطأ ويبعد عن الزلل. ومن أقوالهم « ان أسوأ الناس مذهبا ، واشنعهم رأيا ، من يعتقد أمرا ويكون عقله منكرا عليه ، ونفسه مرتابة » .

الاجتهاد :

« ان من أصول الاسلام النظر العقلى لتحصيل الايمان »

والدعوة للاجتهاد دعوة لحرية العقل وحرية الرأى وتدعيم لهما . ويرى بعض الأئمة من الفقهاء ورجال الدين « ... ان من أصول الاسلام النظر العقلى لتحصيل الايمان ، وتقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض .. » وهذا مبدأ

هام بعيد النتائج ، لو عمل به . وقد أدرك الفقهاء أهمية الاجتهاد وخطورته ، ولهذا وضعوا للمجتهد شروطا دقيقة حتى يصح أن يكون مجتهدا .

وقد كان الاجتهاد في العصر العباسي الأول يساير روح العصر ومقتضياته ، ويتغير مع المصلحة والعدل . وفي أواخر الدولة العباسية ، وبعد سقوط بغداد ، رأى الفقهاء ، ولا سيما السنيون منهم ، سد باب الاجتهاد خوفا من الاضطهاد ، ومن اساءة الاجتهاد في وضع الأحكام التي لا تقوم على الخير المطلق ، والعدل الحقيقي ، والمصلحة العامة . ولهذا نجد أن الفقهاء السنيين قد اكتفوا بالمذاهب السنية الأربعة .

وبما أن المبررات والعوامل التي دفعت الفقهاء السنيين الى سد باب الاجتهاد قد زالت ، فانه ليس من المصلحة أن يتقيد العرب والمسلمون باجتهاد الفقهاء الأقدمين . وهذا هو ما دعا الأفغاني ومحمد عبده الى الدعوة لفتح باب الاجتهاد . وقد أثبت الفقهاء من علماء الشيعة والسنة في العصور الحديثة ان الاجتهاد واجب على كل من اتصف بصفات المجتهد ، وأتوا بأدلة شرعية واضحة من الكتاب والسنة والاجماع والقياس تدعم رأيهم ، وتؤيد ما ذهبوا اليه من أن سد باب الاجتهاد مخالف لنصوص الشريعة ومفاهيمها وروحها ، ففي سد باب الاجتهاد تجميد للفكر والشريعة .

يقول جمال الدين الأفغاني : « ما معنى أن باب الاجتهاد مسدود ؟.. وبأي نص سد ؟ ومن قال لا يصح لمن بعدي أن يجتهد ليتفقه في الدين ، ويهتدي بهدى القرآن وصحيح الحديث والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم الحديثة وحاجات الزمن وأحكامه .. ؟ ان الفحول من الأئمة اجتهدوا وأحسنوا ، ولكن لا يصح أن نعتقد انهم أحاطوا بكل أسرار القرآن ، واجتهادهم فيما حواه القرآن ليس الا قطرة . والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده ... » .

ويرى الأفغاني أن سد باب الاجتهاد من عوامل تأخر المسلمين ، وأن على المسلمين من أصحاب العقول المرنة النيرة أن يجتهدوا ، وأن يسايروا الزمن في الاجتهاد ، وأن لا يكونوا جبناء في اذاعة ما يعتقدونه ويرونه في صالح الجماعة ، أو في جانب الحق ، حتى ولو كان ذلك مخالفا للرأي العام .

وسار على غرار الأفغاني تلميذه الشيخ محمد عبده ، فكان في فتاواه ، وفي مقالاته وتفسيره ، مجتهداً ، ودعا الى فتح باب الاجتهاد ، ومراعاة روح العصر وصرح بأن الاجتهاد « ... ضرورة عقلية ودينية .. » .

ومن علماء الدين المحدثين الذين دعوا الى الاجتهاد بحرارة وحماسة الشيخ عبد العزيز جاويش ، والشيخ محمد مصطفى المراغي .

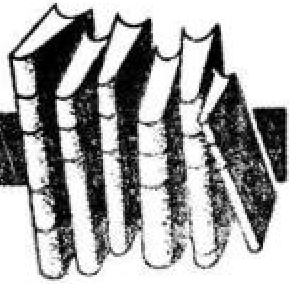
★ ★ ★

هذا هو مقام العقل عند العرب ، وقد نوه بهذه الحقيقة الاستاذ برنارد لويس ، الاستاذ بجامعة لندن ، وقال ان أوروبا تحمل دينا مزدوجا للعرب : فقد حافظ العرب على التراث الفكري والعلمي الذي خلفه اليونان ، وتوسعوا فيه ، ونقلوه الى أوروبا . ومن العرب تعلمت أوروبا طريقة جديدة في البحث ، وهي طريقة تضع العقل أولا ، وتنادي بوجوب البحث المستقل والتجربة .

ونحن في حاضرنا في أشد الحاجة الى هذه الروح التي تجلت في التراث العربي الاسلامي وسادت المعتزلة وبعض فلاسفة العرب وحكمائهم ، تلك الروح التي تمجد العقل، وتدعو الى التجدد، وتقدس حرية الفكر، وتنزع الى الخلاص والانعتاق من قيود الماضي وأغلال التقليد ، وتقول بالتحرر من سلطان القدر .

ان هذه الروح هي التي تنير الطريق لحل المشاكل العديدة التي تجابه العرب في هذه الأيام ، وتعوق سيرهم . ■■

محمود السمره



ديوان أبى العتاهية

دار صادر ودار بيروت

● أبو العتاهية كنية غلبت على الشاعر واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيان . أما سبب كنيته بأبى العتاهية ففيه قولان : احدهما أن الخليفة المهدى قال له يوما « أنت انسان متحذلق معتّه» فاصبحت هذه كنيته بين الناس، والقول الثانى لمحمد بن يحيى قال : « كنى بأبى العتاهية اذ كان يحب الشهرة، والمجون والتعته.

ديوان بهاء الدين زهير

دار صادر ودار بيروت

● ديوان أبى الفضل زهير بن محمد بن على المهلبى ، المعروف ببهاء الدين ، ينتهى نسبه الى المهلب بن أبى صفرة . ولد بمكة أو بوادى نخلة ، وهو مكان بالقرب من مكة . سنة احدى وثمانين وخمسمائة . ولما شب توجه الى مصر ، واتصل بالسلطان الملك الصالح . وتوفى سنة ست وخمسين وستمائة .

القديسة العارية

عبد الله الشيتى

● مجموعة قصص منها : أبواب الله ، درس لا ينسى ، ورقة فى شجرة ، القديسة العارية ، حب فى جهنم ، جسر النجاة . .

مواجهة الطفل للأزمات

جورج مهر Mohr ترجمة الدكتور محمد خليفة بركات ـ مؤسسة فرنكلين ومكتبة النهضة المصرية

● من فصول الكتاب : تشجيع الاتجاهات الاستقلالية . اضرار التجاهل . الاطفال فى حاجة الى الوالدين معا . التهيؤ للمستقبل .

حول مائدة المعرفة (٨)

ترجمة عثمان نويه . مكتبة الانجلو المصرية ومؤسسة فرنكلين

● فى هذه المجموعة عرض لخمسة كتب فى موضوعات متفرقة هى : « التقدم والفقر » لهنرى جورج ، و « السفراء » لهنرى جيمس ، و«الاب» لستر ندبرج ، و « السيد العميد على مائدة الافطار » لهولز ، و « المبادىء الأولى » لسبنسر.

النشاط التلقائى والتعلم الخلاق

تأليف دارو Darrow وألن Allen ـ ترجمة الدكتور مصطفى فهمى والدكتور نجيب اسكندر مؤسسة فرنكلين ودار النهضة العربية ـ القاهرة

● كتاب يتناول سلوك الأطفال وكيف يمكن تحسين قدراتهم ، والتعاون بين الاباء والمدرسين والأطفال الموهوبين وبطيئى التعلم .

رسائل فى حضارة البؤس

ندره اليازجى ـ دمشق

● ست عشرة رسالة يكتبها المؤلف الى صديق، ويتناول فيها الانسان وقيمته ، ووجوده ، وخلقه لمفاهيمه التى أدت الى شقائه .

الامامة فى التشريع الاسلامى

محمد مهدى الآصفى ـ مكتبة النجاح ـ النجف

● محاولة لتبسيط مفهوم الامامة ، وعرضها بشكل جديد على ضوء العلوم البشرية الحديثة .

ظـــلال

عبد الكريم شمس الدين ـ دار الانطلاق ـ بيروت

● ديوان شعر فيه : تذكار . عودى الىّ . الى مرضع . سابحة . الى شال . صلاة . عيناك . ستعودين . .

وداعا يا دمشق

الفة الأدلبى ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ دمشق .

● مجموعة قصص منها : وداعا يا دمشق . الله كريم . خيط العنكبوت . سراب . الصقيع. بوران ...

كونكاس بوربا

ماشادو دواسيس ـ ترجمة الدكتور سامى الدروبى ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ دمشق

● قصة من قصص الكاتب البرازيلى ماشادو دواسيس . وقد ولد هذا الكاتب عام ١٨٣٩ فى بيت من بيوت العمال بمدينة ريو دو جانيرو ولاسرة فقيرة ملونة . كان ابوه دهانا . وكانت امه خادمة .

أسس النقد الأدبى عند العرب

الدكتور احمد احمد بدوى ـ مكتبة نهضة مصر

● فى هذا الكتاب : موضوع النقد الأدبى ، فوائد النقد الأدبى ، نقد الشعر ، المؤثرات فى الشعر ، فنون الشعر ، بناء القصيدة ، مقاييس نقد المعنى ...

أعياد

عبد الله نيازى ـ دار الآداب

● مجموعة قصص منها : درهم ، أعياد، قلق، حسن افندى ، الحمارة البيضاء ، الدليل ، قتلت اخى ...

المنهل فى تاريخ الأدب العربى

ثلاثة اجزاء : روكس بن زائد العزيزى ـ القدس

● موجز شامل لأعصر الأدب العربى .

البحرين

محمود بهجت سنان ـ بغداد

● كتاب جامع شامل عن البحرين فى تاريخها القديم والحديث .

دور الثقافة فى اعداد المديرين

روبرت جولدوين ـ ترجمة ابراهيم على البرلسى ـ مؤسسة فرنكلن ومكتبة الأنجلو المصرية

● يضم هذا الكتاب اثنين وعشرين مقالة تتناول اثر التعليم الحر فى تكوين المديرين المنفذين ، واعدادهم للاضطلاع بالوظيفة الادارية على مستوى عال .

الفن خبرة

جون ديوى ـ ترجمة الدكتور زكريا ابراهيم ـ مؤسسة فرنكلين ودار النهضة العربية بالقاهرة

● مؤلف هذا الكتاب من عمالقة الفكر المعاصر. وهذا الكتاب من أهم ما انتجته قريحة ديوى ، وقد كتبه ليفسر به الفنون تفسيرا يتفق مع وجهة نظره العامة .

تاريخ الحضارة الأوروبية

كلود ديلماس ـ ترجمة كوليت حبيب . وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ دمشق

● كتاب فى ثلاثة فصول هى : المغامرات الكبرى فى العصر الوسيط ، فى فجر العصر الصناعى ، بحثا عن المستقبل .

محاضرات الموسم الثقافى

الجزء الرابع ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى دمشق

● من محاضرات هذه المجموعة : رسالة الطب فى المجتمع الحديث ، الثقافة العربية والثقافة الأجنبية ، الرمزية فى الشعر ، التعليم اساس نهضتنا ، التربية والمجتمع ، أدب البطولة ..

شاعرية يوسف عز الدين

خضر عباس الصالحى ـ مكتبة المثنى ـ بغداد

● دراسة لشعر الشاعر العراقى الدكتور يوسف عز الدين .

الظما والينبوع

فاضل السباعي ـ دار الآداب ـ بيروت

● قصة تصور سمو خلق شاب شرقي يدرس في المانيا ، وصموده أمام اغراء فاتنة المانية .

ويهدي المؤلف قصته « الى الذين ما زالوا على ايمانهم بمكارم الاخلاق.. »

رسالة في تقدم العلوم الطبية في البلاد العربية خلال القرنين الماضيين

للدكتور شوكت الشطي ـ مطبعة جامعة دمشق

● واسمه يدل على موضوعه . فهو كتاب يتناول دراسات في الطب والصيدلة ، ونهضة مدارس الطب ، وما ترجم من الكتب ، وكذا المصطلحات .

معجم الالفاظ الكويتية

للشيخ جلال الحنفي البغدادي ـ بغداد

● معجم أبجدي للالفاظ الكويتية في الخطط واللهجات والبيئة .

امهاتنا والنضال

ابراهيم الناصر ـ الرياض

● مجموعة قصص منها : امهاتنا والنضال ، ابتسامة ، الزائفون ، العذاب ، الصديقة ، الحذاء السعيد ..

صحة أسرتك

ايلبوم ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ

مؤسسة فرنكلين ومكتبة الخانجي

● كتيب يبحث في صحة الفرد ، وكيف يمكن المحافظة عليها .

في العشايا

رشاد دارغوث ـ دار الكتب ـ بيروت

● مجموعة مسرحيات وقصص وأحاديث تستهدف تثقيف الأبناء وتربيتهم .

تجربة الشيوعية في الصين

محمود الدرة

دار الكفاح ودار الكاتب العربي ـ بيروت

● أول كتاب باللغة العربية يجمع بين ماضي الصين بتاريخها العريق وحضارتها المجيدة ،وكفاح شعبها الدامي ... وبين حاضرها بمختلف صور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية » .

المقامات

عبد السلام العجيلي ـ المطبعة الهاشمية ـ دمشق

● مجموعة من المقامات الهزلية . بدأ المؤلف بكتابتها منذ أن كان طالبا في كلية الطب بدمشق .

الطب والأطباء في المغرب

عبد العزيز بنعبد الله ـ الرباط

● « يلذ لي ان أقدم اليوم محاولة متواضعة حول الطب المغربي في مختلف مراحل التاريخ الاسلامي بهذه البلاد ، وهي محاولة لا تستهدف أكثر من رسم صورة مكبرة عن بعض مظاهر النشاط الطبي عندنا ... ».

دروس التاريخ المغربي

عبد الله بن العباس الجراري الرباطي ـ الرباط

● كتاب فيه ملخص لتاريخ الدولتين اللمتونية (٤٥٣ ـ ٥١٤ هـ) ، والموحدية (٥١٤ ـ ٦٦٣ هـ) .

في الملايو وبورنيو الشمالية

عبد الرحمن أبو قوس . منشورات دار الوطن بحلب

● كتاب يروى قصةالاستعمار واتحاد ماليسيا، والأحلاف والقواعد العسكرية في أجلى مظاهرها .

المتعـة

توفيق الفكيكي . القاهرة

● دراسة متعمقة للمتعة ، ورد على المفتريات التي وجهت اليها .

■■

أنت تسأل ونحن نجيب



يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

تائهة في أرض الله
فمن ذا يأخذ بيدها!

● أنا فتاة في الثامنة عشرة ، انهيت دراستي الثانوية ثم توقفت بسبب وفاة والدى .. لى أم عاجزة ، وثلاث أخوات ، وأخ صغير .. أصبحنا بعد وفاة والدى ولا عائل لنا ، فلما حصلت على الشهادة الثانوية كان أول ما فعلت أن طرقت أبواب المصالح الحكومية والمؤسسات الاهلية ، طالبة عملا ! انني اريد أن أعول اخوتي الصغار ، وأهيىء لهم الفرصة كي يتموا دراستهم .. فما تركت مصلحة أو مؤسسة الا تقدمت اليها بطلب توظف . وبدأ الأمل يداعب قلوب والدتي واخوتي ، في أني سأجد عملا مناسبا عما قريب .

نسيت أن أقول لكم اني ــ لسوء الحظ ــ على جانب من الجمال ، كانت صديقاتي يقلن لي انه سيفتح لي الابواب ، وسيكون شفيعي للحصول على عمل قبلهن ..

لكن هذا الجمال مع الأسف لم يلبث أن غدا شؤما علي وعلى من أريد أن أعول !

كلما تقدمت لواحد ممن يستطيعون توظيفي كان ينظر الى بنهم ، ثم لا يلبث أن يلقى

نعم .. هو ربا

● قرأت البحوث القيمة التى نشرتموها عن الربا وفوائد البنوك وأرباح صندوق التوفير ، واحب أن اعرف رأيكم في نوع من المعاملة منتشر عندنا في السعودية دون أن يعترض عليه أحد .

فاذا احتاج شخص الى قرض ، قصد الى أحد التجار مثلا وطلب منه أن يقرضه المبلغ الذى هو في حاجة اليه ، فلا يعطيه التاجر نقودا بادىء الامر بل يبيعه سلعة من السلع ، مائة كيس من السكر مثلا أو من الأرز أو نحو ذلك ، بسعر يتفقان عليه ، ثم يعود فيشتريها هو نفسه بسعر أقل من ثمن البيع ببضعة ريالات ، ويدفع له

فى أذنى كلاما عجيبا لم أتعود سماعه .. ولقد أجترأ أحدهم ذات يوم فأمسك بيدى لم قبلنى بالقوة .. ولما حاولت التخلص منه قال لي : « لكي تحصلي على الوظيفة يجب أن تفعلى ما أريده ، والا فمكانك خارج الباب » .

وفعلا كان مكانى بعد دقائق خارج الباب !

أما الثاني فكان أكثر تأدبا .. انه اكتفى بأن دعانى لمرافقته الى السينما .. وطبعا لم أذهب ، وضاعت الوظيفة المنشودة !

والثالث دعانى لقضاء بعض الوقت فى احدى الحدائق العامة ..

وهكذا ..

لقد تملكنى اعتقاد بأن كل أصحاب الاعمال وكبار الموظفين ليسوا الا وحوشا يريدون أن يفترسوا الفتيات .. ولذا فقد أصبحت أحتفظ فى حقيبتي بخنجر ، اعتزم أن أغمده فى قلب من يحاول افتراسى من هؤلاء الوحوش .. وان كنت أخشى أن ينتهى بى الأمر الى ان أغمده فى قلبي أنا كي أموت وأستريح !

بربكم ما ذنبي اذا كنت فتاة .. وجميلة ؟

وهل لكى تحصل فتاة على عمل شريف تعول منه أمها واخوتها يجب أن تفرط فى عرضها وتتجر بجسدها ، أو تموت من الجوع ؟!

قولوا لهم كلمة كي يتقوا الله ؟؟؟

بغداد **هـ . هـ**

تائهة فى أرض الله

ـ ماذا نقول لهم ، وهم ـ كما تقولين ـ وحوش كاسرة ؟!

لا .. بل ان من الوحوش ما يترفع عن أن ينزل الى ما يفعلون !

لو كان الأمر بيدى لعلقت لهم المشانق فى الميادين ..

ولو كنت قاضيا لحكمت بسَحْلِهم فى الشوارع على نحو ما كان يجرى فى عهد قاسم المجنون ..

لكني مع الأسف لا أملك من أمرهم شيئا .. لا أملك لك الا أن أنشر مأساتك عسى ان يقرأها احد ممن بيدهم الأمر من ذوى النخوة والمروءة ، وهم ولله الحمد كثيرون ، فيأخذ بيدك ويهيىء لك عملا مناسبا ، ان لم يكن تقديرا لتمسكك بالشرف والفضيلة ، فليكن اكراما لوالدتك العاجزة واخوتك الأطفال الصغار .

الثمن ويكتب عليه صكا بالمبلغ الذى باع به اليه السلعة أول مرة ، وبذا يكون الفرق بين السعرين سعر البيع وسعر الشراء ، هو الربح أو الفوائد .. ويزعم الطرفان أن ذلك ليس ربا ، وانما هو بيع وشراء ، «وأحل الله البيع وحرم الربا» ! فما رأيكم فى ذلك ؟

ابقيق **عبد الله يوسف**

ـ اذا لم يكن هذا ربا ، فماذا يكون الربا اذن؟

ان عملية البيع والشراء ليست الا عمليةصورية زائفة يراد بها الايهام بان ما يمارسه الطرفان ليس حراما . وهو فى رأينا عين الحرام ، بل أشد حرمة ، لأنه به مع الحرمة التحيل على الحرام .

(يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون) .

الطلاق المعلّق ... وطلاق السكران

● ان المكانة التي تتمتع بها مجلتكم ومجلتنا « العربي » في نفوس قرائها في مختلف انحاء العالم تدفعني لان أستدرك على ما نشرتموه في باب « انت تسأل ونحن نجيب » عن الطلاق المعلق وطلاق السكران ، فقد ذكرتم ان طلاق السكران لا يقع ، دون أن تستندوا في ذلك الى آية أو حديث شريف ، مع أن هذا الرأي يتناقض مع ما ورد في « كتاب الفقه على المذاهب الاربعة » تأليف الاستاذ عبد الرحمن الجزيري ، وهو يقطع بأنه وان كان طلاق المجنون لا يقع ، الا ان الذي لم يزل عقله ولكنه يغطى ويستتر بسبب تناول مسكر من خمر أو حشيش وافيون وكوكايين ونحو ذلك من المخدرات التي تغطي العقل ، فان تناولها وهو عالم بأنها تزيل العقل ليسكر ويطرب فذهب عقله وطلق امراته فان طلاقه يقع عليه ، عقابا له ، وان تناولها وهو يعتقد أنها لا تسكر أو تناولها لتوقف ازالة مرضه عليها ، فغاب عقله وطلق فان طلاقه لا يقع ..

وظاهر من رسالة صاحب المشكلة أنه شرب الخمر وهو عالم بما شربه ، وعالم انه محرم وانه مسكر ، وانه وصل الى درجة الهذيان في السكر ، ولذا فان طلاقه يقع عليه بالمذاهب الاربعة .

ابراهيم حسن الزيتاوي ـ الكويت

ـ اكتفينا بهذا القدر من رسالتك ، لان المجال لا يسمح بنشر ما نقلتموه عن كتاب الفقه على المذاهب الأربعة من نصوص . ونحب أن نوجه نظرك الى أن هذا الكتاب صدر منذ أكثر من ربع قرن ، وفي هذه الفترة ادخلت على قوانين المعاملات والاحوال الشخصية ، وخاصة الزواج والطلاق ، تعديلات عدة تهدف كلها الى السماحة واليسر والحرص على كيان الاسر أن يتهدم أو ينهار .. من هذه التعديلات ما هو خاص بالطلاق المعلق ، وبصيغة ايقاع الطلاق ، وبعدد الطلقات ، ومعنى الطلاق بالثلاث ، ثم طلاق السكران ... وقد تضمنت هذه التعديلات احكاما جديدة تاخذ بها وتسير عليها المحاكم الشرعية ومحاكم الأحوال الشخصية في معظم البلاد الاسلامية .

والرأي الذي نشرناه ليس من مستنبطاتنا ، انما هو مما افتى به الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وتجده مفصلا في فتاواه فارجع اليها ان شئت .. ففيها تفصيل الأسباب التي استند اليها المشرع عندما قال ان الطلاق المعلق لا يقع خصوصا اذا كان مقصودا به التخويف والتحذير .. وان الطلاق « بالثلاث » بالصيغة المعروفة لا يقع الا مرة واحدة رجعية ، وان الحلف بالطلاق ليس ايقاعا للطلاق بل هو مجرد يمين لا أثر لها في الحياة الزوجية ..

اما عن طلاق السكران فقد افترض المشرع انه عندما شرب لم يشرب بقصد ان يفقد عقله حتى لا يعي ما يفعل او لا يفرق بين السماء والأرض او الرجل والمراة كما يقول مالك ، ولا حتى بقصد ان يهذي أو يختلط عقله أو يصل الى حد الجنون، بل غلب عليه ظنه انه لن يتجاوز حد السرور الذي لا يعتبره الاحناف سكرا، فسكِرَ ثم طلّقَ دون أن يعي ، او دون أن يكون قد بيت النية لا على السكر ولا على الطلاق ، ولذا فان طلاقه لا يقع ..

ومن هنا فان طلاق « ص. ع » صاحب المشكلة، وهو ثمل الى حد انه لم يعلم بما صدر منه حتى سواء أكان قد صدر منه وهو في كامل وعيه ، أو اخبرته به زوجته في اليوم التالي ، مجرد يمين عادية لا يقع بها طلاق ..

خطيبتي أطول مني !

● انا مواطن عربي غادرت بلدي عام ١٩٥٨ الى النمسا لدراسة الهندسة ، وحدث أن زرت مدينة زغرب في يوغوسلافيا ، فتعرفت بفتاة يوغوسلافية وظللنا نتراسل بضعة أشهر ، سافرت بعدها لزيارتها . وهناك اتفقنا على الخطبة ، وأن يتم زواجنا بمجرد انتهائي من الدراسة ، وقد وافق اهلها على ذلك ، ثم افترقنا وعدنا الى التراسل من جديد .

المهم أنني في الاجازة الدراسية قصدت الى زيارتها ، واذا بي الاحظ شيئا لم يخطر لي ببال من قبل .. لاحظت أن فتاتي رائعة الجمال مستكملة كل أسباب الحسن فضلا عن الخلق الكريم ، الا ان بها عيبا واحدا هو انها أطول مني بعشرة سنتيمترات ، اذ أن طولها ١٨٠ سم ، وطولي لا يتجاوز ١٧٠ سم ، فكنت كلما سرت الى جوارها

هذا الولد .. من هو أبوه ؟

● قرأت بالعدد الخامس والستين سؤالا من امرأة ولدت بعد ثلاث سنوات من وفاة زوجها .. ولما كانت عندي مشكلة قريبة الشبه من ذلك ، أردت أن أطرحها عليكم لاعرف رأيكم فيها ، خاصة وهي معروضة على القضاء ليقول كلمته العادلة .

لي ابن عم كان يدرس في انجلترا ، رأى والده أن يزوجه مبكرا لانه وحيده ، فعقد له غيابيا على احدى قريباته بعد أن حصل على توكيل منه باجراء العقد .. لكن القدر كان له بالمرصاد فما لبث أن أصيب بمرض لم يمهله الا أياما ، عاد بعدها الى بلده جثة هامدة .

الى هنا وكل شيء عادي .. لكن المفاجأة الكبرى أنه في تلك الفترة ظهرت أعراض الحمل على العروس التي لم يدخل بها زوجها ! ولما اتمت أشهر الحمل ووضعت طفلا أبى والد الزوج أن يقيده باسم ابنه المتوفى وادعى أنه ابن سفاح .. بينما زعم أهل الزوجة أن الزوج المتوفى كان قد جاء الى البلد في اجازة عيد الميلاد ورأس السنة حيث دخل بعروسه في خلوة شرعية ، وطلبوا احالة الموضوع للتحقيق .

فما هو يا ترى رأي الشرع في تلك المشكلة ؟

بيروت — أ . ح . حسني

ـ يقول أبو حنيفة ان العقد الصحيح يكفي لثبوت النسب ، حتى ولم يلتق الرجل بالمرأة .. فلو انها كانت في بلد وكان هو في بلد آخر ، بل لو كانت هي في اقصى المغرب وهو في اقصى المشرق ، وتزوجا بالمراسلة ، ثم أتت بطفل فانه يثبت نسبه له ، ولو لم يتلاقيا بعد العقد قط !

ولست ادري كيف يقول أبو حنيفة بذلك ، وهو رأي غريب لا يقبله عقل ولا منطق ولا شريعة !

اما الشافعي ومالك وأحمد وابن تيمية فيقولون بثبوت النسب ـ سواء أجاء الطفل في اثناء قيام الزوجية او في فترة العدة ـ اذا كان العقد صحيحا ، وكان الدخول ممكنا . فاذا ثبت أن الدخول غير ممكن ، وان الزوجين لم يتلاقيا قط ولم يكن لقاؤهما ممكنا ، فان النسب لا يثبت .

وأما الشيعة الامامية فيقولون ان العقد الصحيح وحده لا يكفي لثبوت النسب ، بل لا بد من الدخول الحقيقي .

وأما المشكلة التي نحن بصددها فلا يجوز لنا أن نبدي فيها رأيا ما دامت معروضة على القضـاء .

احسست بالخجل والخوف من ضحك الناس ، خصوصا أن منهم من كان يشير الينا في بعض الأحيان وهو يضحك ، كما يضحك لرؤية لوريل وهاردي أو رقيقة هانم والسبع أفندي ! مما سبب لي عقدة نفسية ، كانت تحملني أحيانا على البكاء ، وأحيانا على التفكير في فسخ خطبتنا .. بل لقد كنت بدافع من ضيقي أسيء معاملتها واقسو عليها .

ساعدوني برأيكم وانقذوا مستقبل شخصين معذبين وأعيدوا اليهما الأمل في حياة زوجية سعيدة ومستقبل باسم .

سمير توفيق

ـ لماذا تعقد الأمور يا سيد سمير ؟

ان فارق الطول بينها وبينك تافه لا يدعو الى الحزن ، بل ولا لمجرد التفكير ..

ان في العالم عشرات الملايين من الأزواج اقصر من زوجاتهم بكثير ، حتى ليقرب الفارق بين الاثنين من ثلاثين سنتيمترا ، ومع ذلك لم يَشْكُ منهم أحد، أو يؤثر قصره وطول زوجته عنه في سعادتهما الزوجية .

فانزع من مخيلتك هذه الأوهام ، واياك أن تتخلى عن فتاتك خصوصا بعد الذي اقدمْتَ عليه من تضحيات أشرت اليها في خطابك ، فذلك ما يأباه الشرف والمروءة والخلق العربي الكريم .

دم البقر .. والتجاعيد !

وهل يصلح العطار ما أفسده الدهر ؟

● قرأت فى كثير من الصحف العربية أنباءتقول ان شركات مستحضرات التجميل الامريكية أنتجت نوعا جديدا من العطور «لوسيون» لاخفاء تجاعيد الوجه ، المادة الاساسية فيه دم الابقار ، لأن البروتين الذى يحتويه هذا الدم يتسلل خلال أنسجة الوجه ويكسبه نعومة ويغطى الفجوات الصغيرة التى تكون التجاعيد ، ولكن مفعوله لا يدوم لاكثر من ٨ ساعات فقط .

أرجو التفضل بنشر اسم هذا المستحضر وعنوان الشركة التى أنتجته أو تتولى توزيعه وشكرا جزيلا .

الاسكندرية **روفية حقى**

ـ قرأنا هذه الأنباء كما قرأتها ، وحتى كتابة هذه السطور لم يعلن اسم هذا المستحضر ، ولا اسم الشركة التى أنتجته ، وكل ما نشر عنه ليس الا تمهيدا لحملة الدعاية التى هى لا بد آتية !

هل تذكرين « هـ ٣ » الذى طبلت له معظم الصحف والمجلات ونشرت عنه مقالات استغرقت صفحات وصفحات ، مؤكدة انه يقضى على الشيخوخة ويعيد الشباب ، ثم تبين آخر الأمر انه سراب فى سراب ؟!

أغلب الظن أن العطر الجديد ، ليس سوى وهم جديد ، لا يرد الشباب ولا يمحو التجاعيد .. وان غدا لناظره قريب .

التحية .. بالمدافع !

● لماذا تطلق المدافع لتحية رئيس الدولة عند حضوره حفلا رسميا ، أو عند زيارة رئيس دولة أخرى ؟ ولماذا تطلق المدفعية فى هذه المناسبات ٢١ طلقة ، لا عشرين ؟!

ولماذا تطلق أيضا ١١ طلقة فى بعض المناسبات لا عشر طلقات مثلا ؟

وما هى أصل عادة اطلاق المدافع هذه ، وكيف بدأت ؟!

محمد عبد السلام ـ بنغازى

ـ اطلاق المدافع تحية لرؤساء الدول ، هو أحد تقاليد التحية الرسمية المتداولة ، والتى تكاد تكون موحدة فى العصر الحديث .

ولهذه التحية أصل عسكرى قديم . فقد كان المتبع فيما مضى أن تطلق كل مدافع الحصن أو الكتيبة أو السفينة ، تحية للقادم لزيارتها من الملوك أو الرؤساء أو كبار القواد ، رمزا الى انها قد افرغت كل ذخيرتها ، اذ كانت اعادة تعبئة المدافع القديمة مهمة عويصة تستغرق وقتا.

أما الآن ، فالأغلب الاقتصار على اطلاق مدفع واحد أو أكثر ، واصبح ينظم عدد الطلقات ومناسباتها عرف دولى ، فتطلق ٢١ طلقة ـ مثلا ـ لتحية رؤساء الدول ، ورؤساء الحكومات ، وأعضاء الأسر المالكة ومن فى درجتهم .. ثم يعزف ـ اثرها ـ النشيد القومى لدولة الرئيس الزائر. أما السفراء ـ ذوو البعثات الخاصة ـ والوزراء، وحكام الولايات والضباط الذين ترقى رتبهم على « اميرال » أو « جنرال » ، فتحيتهم ١٩ طلقة تتبعها دقات على الطبل ، فى أربع دفعات سريعة متلاحقة ، ثم اطلاق البوق ، وعزف نشيد عسكرى .. وهناك تحيات للعسكريين قوامها ١٧ طلقة ، أو ١٥ ، أو ١٣ ، أو ١١ ، أو ٧ حسب الرتب العسكرية .

والاصرار على أن يكون عدد الطلقات فرديا ، جدير بان يستلفت الانتباه . ويقال انه يرجع الى اعتقاد قديم لدى رجال البحر بأن العدد الزوجى شؤم .. ومع ذلك ، ففى بريطانيا تطلق ٦٢ طلقة عند مولد ولى للعهد ، أو عند ارتقائه العرش

[redacted]

● دأبت مجلة « العربى » على التعرض لمسألة السفور والحجاب بما يصور السفور على أنه تقدمية والحجاب على أنه تخلف وتقليد .. وقد كان آخر ما نشرته ترويجا لرأيها صور طالبات معهد سامراء للفنون البيتية ، وذلك فى الاستطلاع الذى نشرته بالعدد الرابع والستين عن سامراء ، مما أحدث فى المدينة ضجة كبرى وأثار استياء الناس ، ولست أدرى كيف سمحت مديرة المعهد لمصوركم بالدخول الى المعهد وتصوير طالباته وهى تعلم أن ذلك مناف لتقاليد أهل المدينة ، بدليل أن ناظرات المدارس الأخرى من ثانوية وابتدائية رفضن أن يسمحن بتصوير التلميذات لانهن يعلمن أن ذلك مناف للدين الاسلامى .

فهلا استأذنتم أولياء أمور الطالبات قبل أن تنشروا صورهن ، فتتجنبوا بذلك ما أثاره عملكم من استياء ؟

أيوب .. سامراء



[redacted]

ـ وهل أنابك أولياء أمور الطالبات فى الاحتجاج باسمهم على نشر صور بناتهم ؟ أم انك تتطوع بهذا الاحتجاج من عند نفسك ؟

بل من قال لك ان أولياء أمور الطالبات مستاءون لنشر صورهن ؟

ومن قال لك ان ناظرات المدارس الثانوية والابتدائية للبنات رفضن السماح بتصوير التلميذات . والى جانب هذا الكلام واحدة من عشرات الصور التى التقطها مصور « العربى » فى ثانوية البنات فى سامراء .

واخيرا من قال لك ان ذلك مناف للدين يا سيدأيوب ؟!

يبدو أنك ما تزال تعيش بعقلك فى القرون الوسطى ، وان كنت تعيش بجسمك فى القرن العشرين !

ام انك تريد أن تثيرها فتنة جديدة كتلك التى أثرتموها من عشر سنوات ، عندما بدأت أول محاولة فى سامراء لتعليم البنات فحرضتم على مهاجمة المدرسة واحراق الكتب ، ورحتم تتهمون آباء الطالبات بالكفر ؟!

لا يا سيد أيوب .. دع الفتنة نائمة ، ولعنة الله على من يريد ايقاظها ..

.. بينما تطلق ٤٨ طلقة فى أمريكا فى ٤ يوليو ، وهو عيد اعلان الاستقلال .. بعدد الولايات التى وقعت ذلك الاعلان .

.. والتأمين على الحياة ليس حراما !

● أريد أن أؤمن على حياتي حتى اذا مت واولادى صغار وجدت أمهم ما يعينها على تربيتهم ، اذ ليس لنا مورد سوى مرتبى .. وقد سألت صديقا لى من رجال الدين اشتهر بالتقى والورع والتبحر فى العلم ان كان التأمين على الحياة يتعارض مع الاسلام الصحيح ، فقال بانه حرام قطعا ، لانه تحايل على التهرب مما قدّر الله وأراد . مع أننى قرأت منذ سنوات فى احدى الصحف أن الامام الشيخ محمد عبده أفتى باباحة التأمين على الحياة واصدار أوراق اليانصيب للأعمال الخيرية .

لذلك جئت أسألكم ان كان ما قرأته صحيحا ، وأين أجد فتوى الامام الراحل ؟ وما هو رأيكم أنتم فى التأمين على الحياة ؟

صالح ابراهيم السعيد ـ أبو قير

ـ يؤسفنى يا سيد صالح أن أقول لك ان صديقك الذى استشرت ليس « متبحرا فى العلم» كما زعمت ، ولا هو جدير بأن يكون من رجال الدين .

وسواء أكان للامام محمد عبده فتوى تبيح التأمين على الحياة أم لم يكن له مثل هذه الفتوى، فالذى لا شك فيه هو أنه ليس فى الاسلام نص ما بتحريم التأمين ، لا فى كتاب الله الكريم ، ولا فيما أثر عن الرسول المعصوم ..

ذلك أن نظام التأمين لم يكن معروفا أيام الرسول، ولو أنه كان حراما لما خلا كتاب الله من الاشارة اليه ، كما اشار الى كثير مما لم يكن موجودا ولا معروفا يوم نزل القرآن ..

بل انى أزيد فأقول لصاحبك « المتبحر فى العلم » ان نظام التأمين ، وخاصة التأمين على الحياة ، هو اليوم احدى ضرورات العصر ومستلزمات الحياة ..

أما القول بأنه تحايل على التهرب من قضاء الله ، فهل يستطيع أن يهرب من قضاء الله انسان ؟!

وعلى كل حال فان للأستاذ السيد على السيد، الرئيس السابق لمجلس الدولة بالجمهورية العربية المتحدة ، بحثا قانونيا وفقهيا فيما يقطع فيه بأن التأمين على الحياة جائز يقره الاسلام ولا يحرمه .

البنك التجاري

حساب الارباح والخسائر للسنة المنتهية

١٩٦٣ دينار كويتي		١٩٦٢ دينار كويتي
٢٩،٣٠٠	الاحتياطى القانونى ١٠ بالمائة من الارباح	٣٠،٥١٤
١٤٤،٨٧٩	الاحتياطى العام	١٤٢،٧٤٨
١٣٥،٠٠٠	مخصص مقسوم الأرباح المقترح دفعه بواقع ٩ بالمائة	١٢٠،٠٠٠
٣٦،٨٧٦	الرصيد المنقول الى ما بعده	٥٣،٠٥٠
٣٤٦،٠٥٥		٣٤٦،٣١٢

الميزانية العمومية فى

دينار كويتي واحد =

١٩٦٣ دينار كويتي	الموجـــودات	١٩٦٢ دينار كويتي
٢،١١٤،٦٨٥	النقد والأرصدة لدى البيوت المصرفية	١،٤٨٦،٧٥٠
٤،٤٥٠،٠٠٠	مبالغ تحت الطلب وباشعارات قصيرة الأمد	٥،٧٨٠،٠٠٠
١،٠٠٠،٨٧٠	سندات خزينة الحكومة البريطانيةوسندات مصرفية ممتازة	٣،١٦٧،١٧٢
١٧،٢٥٠،٠٠٠	ودائع لدى البنوك والمصارف الصناعية	١٨،٠٠٠،٠٠٠
٦،٢٥٠،٣٨١	سلفيات للعمـــلاء وسندات مخصومة وحسابات أخرى	٤،١٦٨،٩٣٦
٢٣٠،٠٠٠	العقارات والاملاك بسعر التكلفةناقصا المبالغ المستنزلة فى ١ يناير ١٩٦٣ ١٠٠،٠٠٠ الاضافات خلال سنة ١٩٦٣ ناقصا المبالغ المستنزلةخلال سنة ١٩٦٣ ١٣٠،٠٠٠	١٠٠،٠٠٠
٤،٣٣٠،٠١٢	تعهدات العملاء مقابل اعتمادات وكفالات والتزامات أخرى (له مقابل)	٣،٧٦٧،٦٤٤
٣٥،٦٢٥،٩٤٨		٣٦،٤٧٠،٥٠٢

دبليو . اف. ادامز

المدير العام

تقرير مدققى الحسابات الى مساهمى البنك التجارى

اشهد انى فحصت الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر المرفقين وقد حصلت على جميع البيانات والايضاحات التى وجدتها فى رايى ضرورية .

وانى اشير انه طبقا لقانون الشركات التجارية رقم ١٥ لسنة ١٩٦٠ فان الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر :

١ ـ يتفقان مع الأصول المصرفية المتبعة وعلى هذا الأساس يعبران بأمانة ووضوح عن المركز المالى الحقيقى للشركة فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٣ وعن الربح المحقق بالنسبة للاصول المذكورة عن السنة المنتهية بذلك التاريخ .

٢ ـ مع الأخذ فى الحسبان الملاحظة على الميزانية فانهما يتفقان مع القانون .

وفى رايى :

١ ـ أن الشركة تمسك حسابات منتظمة .

٢ ـ ان البيانات الواردة فى تقرير مجلس الادارة بالنسبة للحسابات متفقة مع ما هو وارد فى دفاتر الشركة وان الجرد قد أجرى وفقا للأصول المرعية .

٣ ـ انه فى حدود المعلومات التى توافرت لدى

الكويتي (ش.م.ك)

في ٣١ ديسـمبر ١٩٦٣

١٩٦٣ دينار كويتي		١٩٦٢ دينار كويتي
٥٣،٠٥٠	الرصيد المنقول	٤١،١٧٧
٢٩٣،٠٠٥	ربح السنة المنتهية في ٣١ ديسمبر ١٩٦٣ بعد خصم جميع المصاريف وبعد تحويل مخصصـات للطوارىء واسـتهلاكات الموجودات	٣٠٥،١٣٥
٣٤٦،٠٥٥		**٣٤٦،٣١٢**

٣١ ديسـمبر سـنة ١٩٦٣

جنيه استرليني واحد ١٩٦٣ دينار كويتي	المطلـوبات	١٩٦٢ دينار كويتي
	راس المال المصرح به والمدفوع ٢٠٠،٠٠٠ سـهم بسعر ٧/٥٠٠ دينار كويتي للسهم	
١،٥٠٠،٠٠٠	الواحد مدفوعة بالكامل	١،٥٠٠،٠٠٠
٨٢،٤٣١	الاحتياطي القانوني	٥٣،١٣١
٣٦٠،٠٠٠	الاحتياطي العام	٢١٥،١٢١
٣٦،٨٧٦	حساب الارباح والخسائر	٥٣،٠٥٠
١،٩٧٩،٣٠٧		١،٨٢١،٣٠٢
	ارصدة مستحقة للبنوك الأخرى	٣٥٥،٥٢٢
٢٩،١٨١،٦٢٩	حسابات جارية وودائع وحسابات اخرى متضمنة التبعات	٣٠،٤٠٦،٠٣٤
١٣٥،٠٠٠	مخصص مقسوم الارباح المقترح دفعه	١٢٠،٠٠٠
٤،٣٣٠،٠١٢	تعهدات لقاء اعتمادات وكفالات والتزامات اخرى (له مقابل)	٣،٧٦٧،٦٤٤
٣٥،٦٢٥،٩٤٨		**٣٦،٤٧٠،٥٠٢**

ملاحظة : ان الميزانية العمومية وحساب الأرباح والخسائر لم ينظما بموجب الملحق ج ـ من اللائحة التنفيذية لقانون الشركات التجارية رقم ١٥ لسنة ١٩٦٠. بل طبقا للأصول المصرفية المتبعة .

عبد العزيز احمد البحر
رئيس مجلس الادارة

أعضاء مجلس الادارة

عبد العزيز الأحمد البحر	رئيس مجلس الادارة
خالد اليوسف المرزوق	نائب الرئيس
محمد احمد عبد اللطيف الحمد	عضـو
فيصل سعود الزبن	عضـو
جاسم الأحمد البحر	عضـو
عبد الله يوسف الغانم	عضـو
يعقوب يوسف النفيسي	عضـو
دبليو . اف . آدامز	المدير العام

الكويتي (ش. م . ك)

فانه لم تكن هناك مخالفات لأحكـام القانون او نظام الشركة على وجه يؤثر في نشاط الشركة او مركزها المالي خـلال السنة .

ب. و. أ. النجهام
زميل مجمع المحاسبين القانونيين بانكلترا وويلز
سجل مراقبي الحسابات رقم ١١ الكويت
من ويني مري وشركاهم
محاسبون قانونيون
مدققون
الكويت في ٢٧ يناير ١٩٦٤







تضحك الدنيا معك ابكِ تبكِ وحدك

الجنة أفضل ، ولكن ..؟

● سئل فيلسوف مرة ــ عما اذا كان يحب أن يكون مصيره فى الجنة أو ان يكون فى النار ، فقال :

ــ الواقع انني أفضل الجنة .. ولكن النار ستكون أكثر ملاءمة لى ، اذ انها ستضم خيرة أصدقائى !

فـرق ...!

● اجتمع فرنسى وأمريكى ، وراحا يتذاكران عادات قوميهما، فقال الأمريكى:

ــ فى بلادى اذا قبّلتَ امرأة عنوةً ، دفعتَ خمسين دولارا غرامة .

فقال الفرنسى : « أما فى بلادى ، فانك تدفع أكثر ، اذا قبّلتها برضاها » .

منتهى الفشر

جلس « فشاران » يتباريان في الزهو الكاذب. فقال أحدهما :

« أجل ، ان بلادنا بلاد خيرات .. حتى البعوض عندنا تجده وافيا ناميا .. تصور اننا ضربنا معسكرا بقرب الساحل ، في منطقة صحراوية منعزلة ـ في العام الماضي ـ فاذا ببعوضتان هائلتان تنقضان فتخطفان قماش خيمة من خيام المعسكر وتهربان .. وفي اليوم التالي ، عادتا تحملان فاسين لتسويا الأرض مكان الخيمة .. »

وهنا قاطعه صاحبه ، لا ليسفه كلامه ، وانما يقول : « وكيف عرفت انهما كانتا نفس بعوضتي الأمس ؟ » .

فأجابه الآخر : « كيف عرفت ؟ .. كانت كل منهما ترتدي زيا من أزياء العمال مصنوعا من قماش الخيمة »



الطبيعة أفضل ..

كان احد السياح يجوس خلال ريف ولاية بنسلفانيا الامريكية ، التي اشتهرت بان جميع العمليات في مزارعها اصبحت تؤدى بالآلات .. لذلك ، ذهل الرجل يوما حين لمح فلاحا عجوزا يدفع جوادا يجر محراثا ، فاقترب منه وقال :

« عفوا » .. كيف تسنى لك أن

في الوقت المناسب !

● نفد صبر المزارع وهو يحاول عبثا سَوْق زوج من البغال داخل احدى المزارع ، وصدف ان مر به قسيس وهو يسب ويلعن . فطلب منه

تحرث باستخدام الحصان ونحن فى عصر الآلات ؟ » .

فاجابه الفلاح : « ان الآلات لا تدوم .. وكلما بليت او خربت اضطررت لشراء غيرها » .

قال السائح وهو يضحك : « وهل يدوم الحصان الى الأبد ؟ » .

فاجاب الفلاح : « اضحك ما شئت .. ولكنى اختار جيادى اناثا ، وقبل ان تموت الواحدة تكون قد انجبت خليفة لها ! » .

القسيس ان يكف عن شتم الحيوانات البكماء وان يعاملها برافة .

فقال المزارع : انك جئت فى الوقت المناسب ، لانني اريد ان اسالك كيف استطاع سيدنا نوح ان يُدخل كل الحيوانات فى سفينته !!

(كوبون)
ترفق مع الـرد

الاسم : ....

....

العنوان : ....

....

....

تقدير ... !

● قال الضيف لصاحب البيت وهو يجيل بصره فيما حوله :

ــ الواقع انك حظيت بزوجة ماهرة ..

فاجاب الآخر : « فعلا .. الى درجة اننى اتمنى لو ظفرت باثنتين آخريين مثلها »

■■

حضارات سادت .. ثم بادت « بقية المنشور على الصفحة الثانية »

تاج ملك « سيراكوز » ذهب خالص .

ويروى التاريخ أن « ارخميدس » فطن الى كشفه العلمى هذا ، وهو يغوص فى حوض الحمام، فقد لاحظ أن الماء كان ينساب من جوانب الحوض وهو يغوص فيه ، فاطلق صيحته المأثورة : « وجدتها .. وجدتها ! »

ويروى المؤرخون قصة طريفة تفسر الدافع الذى دعا ارخميدس الى اختراع الرافعة : انهم يقولون ان ارخميدس كان يوما فى حضرة «هيرون» ، ملك سيراكوز ، وكانا يتحدثان فى العلم ، فقال له ارخميدس : ان بوسعه أن يزحزح الأرض عن مكانها لو اتيح له مكان معين يقف عليه فى الفضاء ، فتحداه الملك أن يزحزح الى الشاطىء سفينة كبيرة كان أعوانه عاجزين عن نقلها الى البر . وهكذا اخترع ارخميدس رافعة استطاع بها أن ينقل السفينة الى البر وحده .

وعندما حاصر الرومان « سيراكوز » ـ عقب وفاة الملك « هيرون » بسنوات ـ اخترع « ارخميدس » عدة ادوات حربية ، منها كلابات ترفع سفن العدو ـ من احد اطرافها ـ عن الماء ، ثم تسقطها فيه ثانية فتغرقها .. ومنها آلات ضخمة تقذف الأحجار (المنجنيق) ، ومرايا تجمع اشعة الشمس ، ثم تعكسها مركزة على سفن العدو .

وعندما تم للرومان النصر فى النهاية ، أصدر قائدهم اوامر مشددة بالحفاظ على حياة « ارخميدس » ، الا أن جنديا تترقا قتل العالم الكبير عندما ابى ان يستسلم له ، ويسير معه ، قبل أن يفرغ من حل مسألة رياضية كان عاكفا عليها حين جاء الجندى لاعتقاله . ■■


في كافة الأوطان العربية..
الجميع يفضلون
شسترفيلد
ستتمتع بالنكهة الزكية الخاصة بسيجارة شسترفيلد أطيب سيجارة أميركية بدون فلتر. إذ أن التبغ فيها يؤلف من نخبة منتقاة من أجود الأنواع في العالم، ويعتق بعناية ودقة تحت اشراف خبراء اختصاصيين فتصبح بذلك سيجارة شسترفيلد من السلاسة بحيث لا تحتاج الى فلتر وذات لذة لا تفوت
Chesterfield
CIGARETTES
Chesterfield
KING
عادي
كينغ
انها ترضيك حتما!

شاحنات دودج
وفارغو

وتتميز شاحنات دودج وفارغو عن غيرها بأنها تستطيع العمل في أصعب الظروف بمصروف قليل وراحة تامة للسائق. وهي قد برهنت بأن في مقدورها القيام بالمهمات الشاقة على أتم وجه مؤمنة أفضل خدمة بأقل ثمن لسنين طويلة. وباستطاعتكم اختيار الطراز الذي يناسب عملكم، حمولة خفيفة، وسط أو ثقيلة. محرك على المازوت أو البنزين، قمرة سائق عادية أو فوق المحرك مباشرة أو تتسع لستة أشخاص وهناك الطراز المجهز بقوة دفع على الدواليب الأربعة. وطراز القاطرة. فمنذ ٣٩ سنة وشاحنات دودج وفارغو تلبي طلبات أكثر الزبائن دقة وما عليكم إلا الإتصال بوكيل دودج أو فارغو.

فارغو د ١٠٠

تجمع ما بين الأناقة وجمال الشكل. حجم صندوق الحمولة ١٥٥ قدماً مكعباً أنها توفر لكم المتانة والقدرة التي تميزت بها شاحنات فارغو. هذا كله بالإضافة إلى سهولة قيادتها في الأماكن الزحمة والضيقة.

دودج د ٥٠٠

وزنها القائم ١٩٫٥٠٠ ليبرة ووزنها القائم مع القاطرة ٣٤٫٠٠٠ ليبرة مجهزة بمحرك "بوكيرم" "٦ سلندرات" وجهاز نقل السرعة ذي الدرج ودعامات بالإضافة الى محور خلفي بسرعتين ... ١٥٫٠٠٠ ليبرة. ويمكن الحصول على محرك ٨ سلندر (V8) حجم ٣١٨ أو ٣٦١ بوصة مكعبة مع جهاز نقل السرعة ذي خمس دعامات ومحور بسرعتين حمولته ... ١٥٫٠٠٠ ليبرة

فارغو N.C.T. ٨٠٠ محرك على المازوت

الحد الأقصى للوزن القائم ... ٤٥٫٠٠٠ ليبرة. الحد الأقصى للوزن القائم مع القاطرة ... ٦٥٫٠٠٠ ليبرة. مزود بمحرك "كامينز ١٨٠ NH" وبالإمكان استبداله بنوع آخر. جهاز ناقل السرعة بخمسة دعامات مجهزة بفرامل على الهواء وترس صمامات ... مع قمرة السائق ...

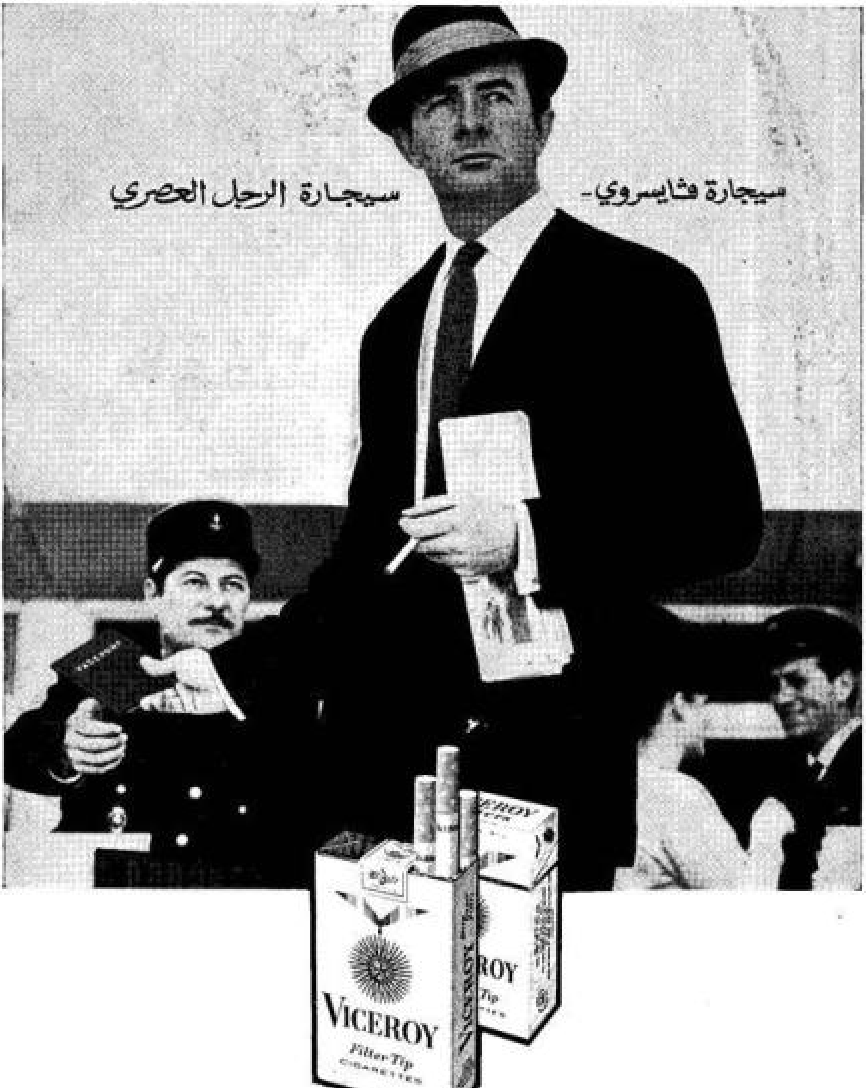


وهذه تشكيلة شاحنات دودج وفارغو التي يمكنكم الاعتماد عليها أيضاً: صنع الولايات المتحدة: طراز عادي - الوزن القائم بوزن ربع بيك ... ١٣٤ د ... ٢٥ ليبرة مع قمرة السائق فوق المحرك - الوزن القائم لغاية ... ٢٣٥٠ ليبرة. بستة دواليب الوزن القائم لغاية ... ٥٣٠٠ ليبرة. طراز قاطرة - الوزن القائم مع القاطرة لغاية ... ٧٦٨٠ ليبرة. صنع بريطانيا، طراز عادي - الوزن القائم لغاية ... ٢٧٠٠٠ ليبرة. مع محورين خلفيين - الوزن القائم لغاية ... ٣٣٥٠ ليبرة مع ثلاثة محاور خلفية - الوزن القائم لغاية ... ٤٤٨٠ ليبرة. مع قاطرة - الوزن القائم مع القاطرة لغاية ... ٥٤٠٠ ليبرة.

كرايزلر انترناسيونال ش.م. جنيف - سويسرا

كرايزلر
انترناسيونال


رمز القوة والمتانة
دودج ١٠٠ W ٤×٤



من بين أنواع السجاير العديدة التي يفيض بها العالم،
يختار الرجل العصري سيجارة ڤايسروي-سيجارة الذوق المدقق!

ڤايسروي - السيجارة الأمريكية العالمية



مؤسسة الأجهزة الالكترونية
تجارة عامة - استيراد وتصدير
وكلاء مصانع وشركات
وكلاء عامون لشركة
اجنس
ثلاجات
غسالات أتوماتيكية
غلايات مياه
أفران غاز
الكويت - ص. ب ٢٤٤٩ - برقيا: ترانزستور

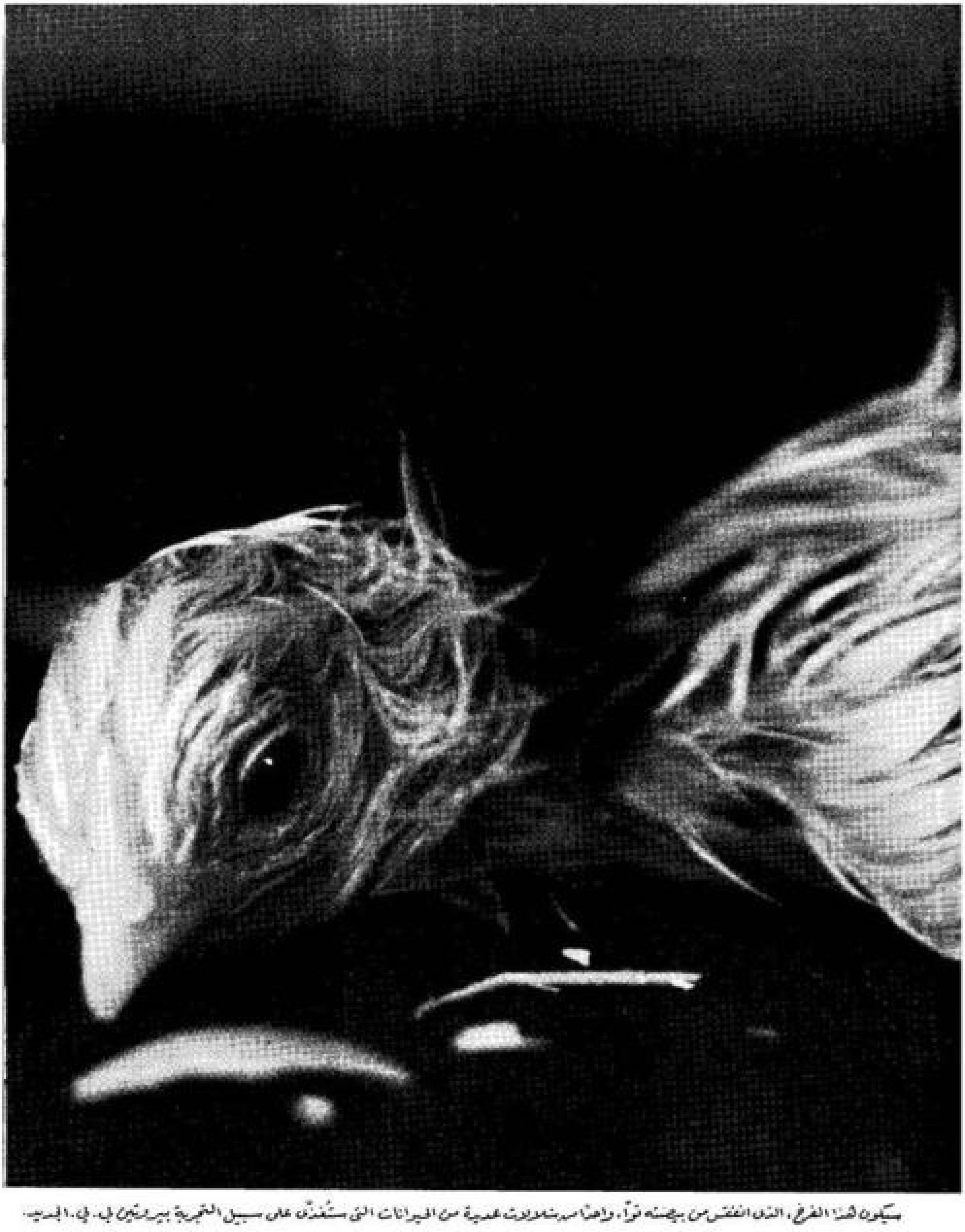


للفَـــرَج عِـدّة أبْـوابٍ

.. وقد يأتي الفرج اليوم إلى هذا العالم الذي فتكت به المجاعة، عن طريق سلالة من الكائنات الصغيرة التي تقوم بتنميتها الآن شركة بي. بي. في بريطانيا العظمى وفرنسا.

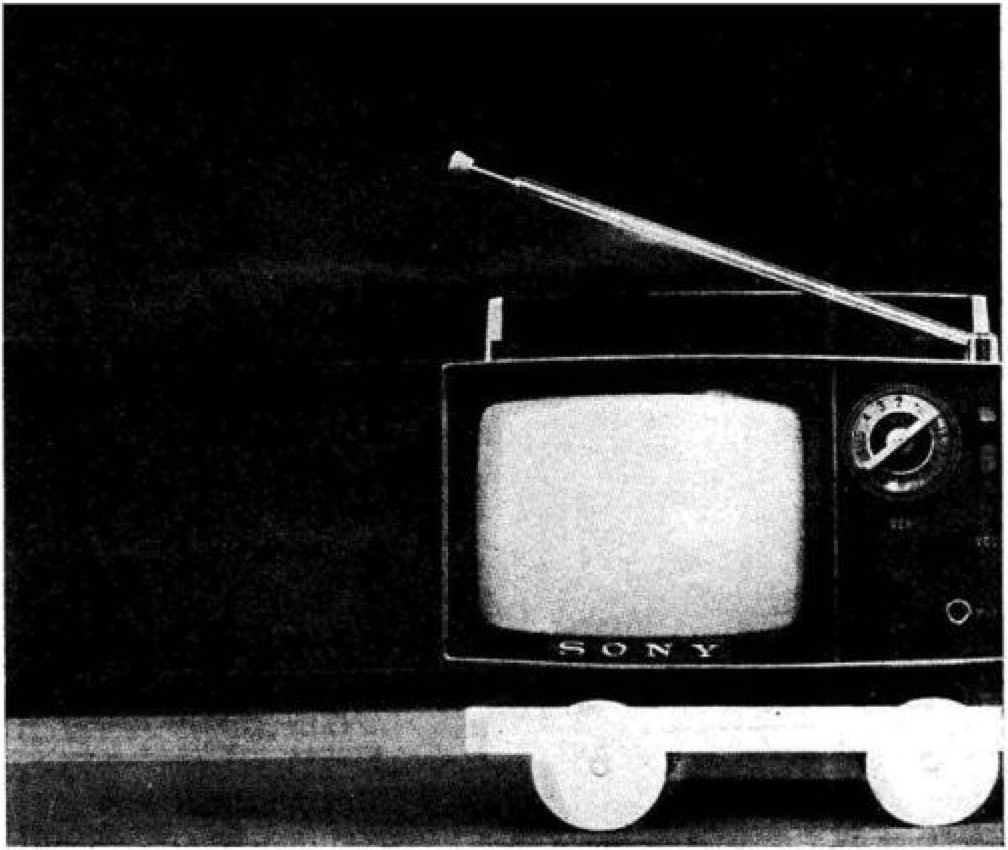
البروتين من النفط

ثبت أن هذه الكائنات الدقيقة بعد تربيتها على الشمع المؤلف في النفط الخام، إنما هي مصدر غني بالبروتين، ذلك العنصر الحيوي الذي يفتقر إليه غذاء نصف سكان العالم



سيكون هذا الفرخ، الذي انفقس من بيضته توًّا، واحداً من ملايين عديدة من الحيوانات التي ستُغذّى على سبيل التجربة ببروتين بي. بي. الجديد.

على وجه التقريب .. ولعل في هذه الكائنات مصدرًا جديدًا للطعام يجمع بين الرخص والوفرة. إلا أنه ما زالت هنالك عدة مشاكل لا بد من حلها .. فمن الضروري اختبار هذا المصدر الجديد للبروتين اختبارًا دقيقًا شاملاً قبل استعماله بثقة والمحسّنات كغذاء للحيوانات. ومع أنه لم يحن بعد أوان البت في الأمر، فإن علماء بي. بي. موقنون بأنهم اكتشفوا شيئًا في غاية الأهمية .. مصدرًا جديدًا للغذاء لا عهد لنا به من [illegible] الإنسانية الجائعة.



جهاز تلفزيون نقال

عندما تقوموا برحلاتكم، يمكنكم أخذ جهاز التلفزيون معكم اذا كان هذا من ماركة سوني. ان هذا الجهاز الصغير يزن ٨ ليبرات فقط وهو بحجم آلة التلفون ويمكنكم نقله أينما تشاؤون. في أية غرفة من المنزل. في الحديقة في نزهاتكم. في السيارة اثناء تجولكم. ان جهاز التلفزيون ميكرو سوني يعمل على أي تيار كهربائي - تيار المنزل - بطارية سيارة او باخرة ١٢ فولت أو على بطاريته الخاصة. لكن لا تقارنوا الحجم مع الجودة. ان الاداء الثابت لجهاز سوني التلفزيوني (حتى في سيارة متحركة)، وصورته الواضحة يجعلان منه رمز الجودة والمتانة

سوني

ان الفرق ينتج عن الابحاث

SONY®

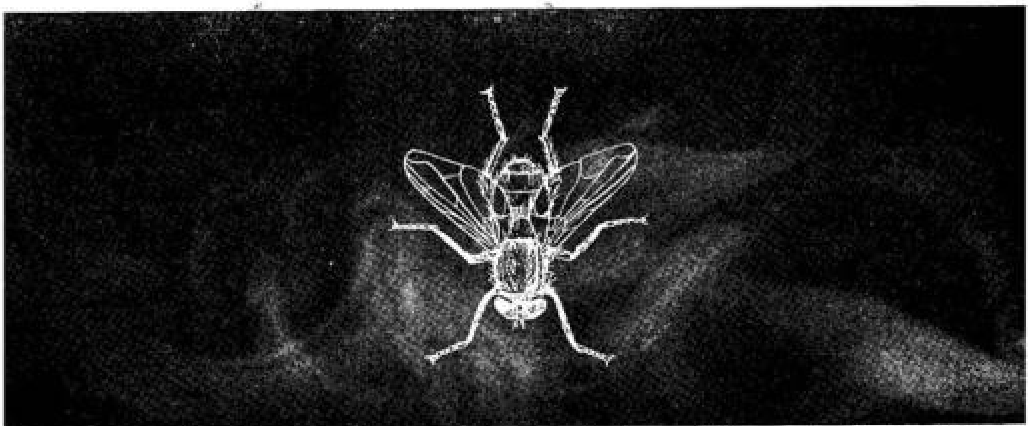
micro TV MODEL 5-303

I-1529



ڤاپونا
"ماركة مسجلة"

ڤابونــا هو مبيد «شـل» الحشرى الفسفو
الجديــد، السريع التبخــر. واساسه مــا
«د.د.ف.پ.» D.D.V.P.



بونا : من أهم مزياه مفعوله التبخيرى ونظرا لأنه يوصى باستعماله بصفة
اصة فى الأماكن المقفلة. ويعتبر ڤابونا أصلح ما يكون للاستعمال فى
لأغراض الصحية العامة والأغراض المنزلية، وعلاج الحيوانات التى تعيش
اخل المنازل، ولحماية البضائع المخزونة والمحاصيل النامية فى البيوت الزجاجية.
لا يقتصر مفعول ڤابونا على إبادة الحشرات بطريق الملامسة المباشرة، بل
ه يطلق أبخرة تقتل الحشرات الطائرة والمختبئة فى الشقوق والفجوات البعيدة
ن نقطة استعمال المبيد.
بونا مبيد قوى . . إذ أن كية قليلة جدا منه، تكفى لإبادة الذباب والبعوض
لزنابير والعث والسوس والخنافس والصراصير والنمل والسمك الفضى والبراغيث
القمل . . وكثير منها لديه مناعة ضد المبيدات الحشرية الأخرى.
بونا مبيد مأمون . . إذ أن الجرعة الضئيلة جداً اللازمة لإبادة الحشرات،
تبر أقل بكثير جدا من المستوى الذى قد يحدث منه ضرر للإنسان أو
الحيوان. فضلا عن أنه يتحلل بسرعة فى الهواء أو على الأسطح المعالجة.
ڤابونا لا يترك بقع أو رائحة.
ڤابونا ليس سوى واحد فقط من مجموعة مبيدات «شل» الحشرية، التى
تشمل الدرين، وديلدرين، واندرين، وفوسدرين، وتيلودرين، ود.د.ت، وبيباجون.

شل للكيماويات

اتصلوا بشركة «شل» فى منطقتكم لطلب مزيد من البيانات وتفاصيل
الخدمة الفنية.

لكلّ هولنديّ شريكان

نهر الراين وبحر الشمال

يُ هل هناك ما يعوض أهل هولندا عن عيشهم جزئياً تحت سطح البحر حيث لا يقيهم من ر الشمال شيء سوى شبكة عجيبة من السدود والقنوات والقناطر؟

- سل الخريطة تجبك. ان هولندا تزاول تجارتها في نس المكان الذي يلتقي فيه أعظم أنهار العالم بمواجهة كثر بحار العالم تجارة. فتجني - وهي التي تحس بالوفادة ن موقعها الفذ - فوائد اقتصادية عديدة.

تجار أوروبا

- وذلك لأن لها ميزات حسن الموقع بوضوح في كل ركن هولندا تقريباً. ولكنها أوضح ما تكون في روتردام.

- روتردام هي أعظم ميناء لتجارة الزيت في العالم. انها أعظم ميناء للزيت في أوربا. وهي المدخل إلى منطقة روهر التي هي قلب أوربا الصناعي. والواقع أنها من أكثر المواني ذيوعاً. فالقسم الأوروبي من الميناء قادر على استقبال السفن التي تبلغ حمولة الواحدة منها ١٠٠ ألف طن. وهو مرتبط بمواني الملاحة الداخلية يه مرافق لخزن الزيت وخط أنابيب يمتد إلى الرور بحوض هائل لاصلاح السفن.

الاتجاه إلى الصناعة

- بيد أن هولندا لا تستطيع أن تعيش على دخلها البحري فقط. فهولندا التي يبلغ عدد سكانها ١٢ مليون من محصورين في رقعة مساحتها ٣٢٠٠٠ كيلو متر مربع، هي من بلاد العالم كثافة في عدد السكان. ولابد من تيسير سباب العيش لسكانها المتزايدين.

- وهذا يقتضي التوسع في الصناعة من أجل يجاد المزيد من الوظائف والأعمال. ثم إن ولندا عليها أن تصدر أو تموت بكل ما لهذه العبارة ن قوة. وقد كانت محصلة عمل هؤلاء العاملين أن ضاعف انتاج هولندا الصناعي خلال السنوات لثلاثي عشرة الماضية. فغدت من أهم الأقطار لمنتجة للأجهزة الكهربائية والمنتجات الكيماوية لمنسوجات ومنتجات البترول. بالإضافة إلى إنتاجها التقليدي من الزراعة منتجات الألبان.

بلد منتج للزيت

- الزيت والاقتصاد الهولندي متلازمان يرتبط واحد منهما بالآخر أوثق ترابط. والواقع أن هولندا من أحد بلاد العالم القليلة التي تتمتع بصناعة ت متكاملة كل التكامل. فعندها حقول للزيت خاصة بها. وهي تزهو بأعظم مصفاة للزيت أوروبا (مصفاة مجموعة شركات شل الهولندية الملكية في بيرنس). وهي تقف في طليعة بلاد العالم في صنع الكيماويات من النفط. وهي تملك ثاني أسطول للناقلات في العالم، ثم هي بالطبع مركز الأقطار المستهلكة. وكان من شأن التفاعل بين فحص الزيت وتوزيع

الصناعي، أن قفز استهلاكها للزيت من ٣,٣ مليون طن متري في ١٩٥٢ إلى ١٣,٢ مليون في ١٩٦٢.

٧- يضاف إلى ذلك أن مكامن الغاز الطبيعي التي اكتشفت في الآونة الأخيرة تفتح امام هولندا وأوربا بأسرها آفاقاً واسعة جديدة.

الطباع الهولنديين وصفاتهم

٨- سئل أهل هولندا في استفتاء أجري لديهم عن رأيهم فيما يظنونه في أنفسهم من صفات. فذهب ٣٥٪ ممن تم استفتاؤهم إلى أن الصفة المعروفة عنهم هي النظافة والترتيب، وقال ١٩٪ أنها حب العمل. وأجاب ١١٪ أنها الاقتصاد في إنفاق المال، ورأى ٩٪ أنها مزاجهم الهادئ البدني.

٩- أما ما يتصف به الريف الهولندي من الهدوء والنظام فانه قد يعطي، من بعض النواحي، انطباعاً خاطئاً. فالفلاحون ومربو المواشي وغارسو أزهار التيوليب، مع التمسك بطريقة حياتهم الناصحة الهادئة، لا يغفلون عن تجارب استخدام ومنتجات إنتاجهم على عرض ثمار المزاحمة في الأسواق الأجنبية.

مستقبل منتظم متعدد الجوانب

١٠- لا مفر من أن يكون التخطيط للمستقبل في هولندا من أشق الفنون في العالم، فان ذلك يقتضي أخذ مائة من العوامل بعين الاعتبار في وقت واحد والتوفيق فيما بينها.. من هذه العوامل: التنبؤات بسير التجارة الأوروبية والعالمية، وكلفة استصلاح الأرض واستنقاذها من البحر، وعامل الأجور في أسعار التصدير والزيادات في عدد السكان، وفوق هذا كله - والماء أيضاً - مستويات الماء والعواصف وما ينتظر أن يكون عليه مسلك بحر الشمال. على أنه إذا جاز لنا على الإطلاق أن يستدل من الماضي على المستقبل، فان ما لابد أن يطمئن إلى أن الهولنديين سيفيدون من الوضع، أي وضع، على أحسن وجه ممكن ويكسبون لأنفسهم مزيداً من التجارة.

شل والزيت العالمي

إن الصناعة الهولندية في حاجة إلى زيت رخيص من مصدر يمكن الاعتماد عليه لكي تحد من تكاليف صادراتها، شأنها في ذلك شأن العالم كله. والزيت من أسرع مصادر الطاقة نمواً واتساعاً. والمنتظر للطلب عليه أن يتضاعف خلال ١٥ سنة.

أما تلبية هذا الطلب فلابد من أن تكون عملية عالمية. إذ ليس هناك من سلعة أخرى تنتقل بمثل هذه المقادير الهائلة عبر حدود هذا العدد الكبير من البلاد، وتحول إلى هذه الكثرة من المنتجات، ويخطط لها سلفاً بهذا الطول من الزمن. فذلك أمر يحتاج إلى منظمة معقدة التركيب، عالمية النطاق - كتلك المنظمة التي أنشأتها شل على مر السنين.

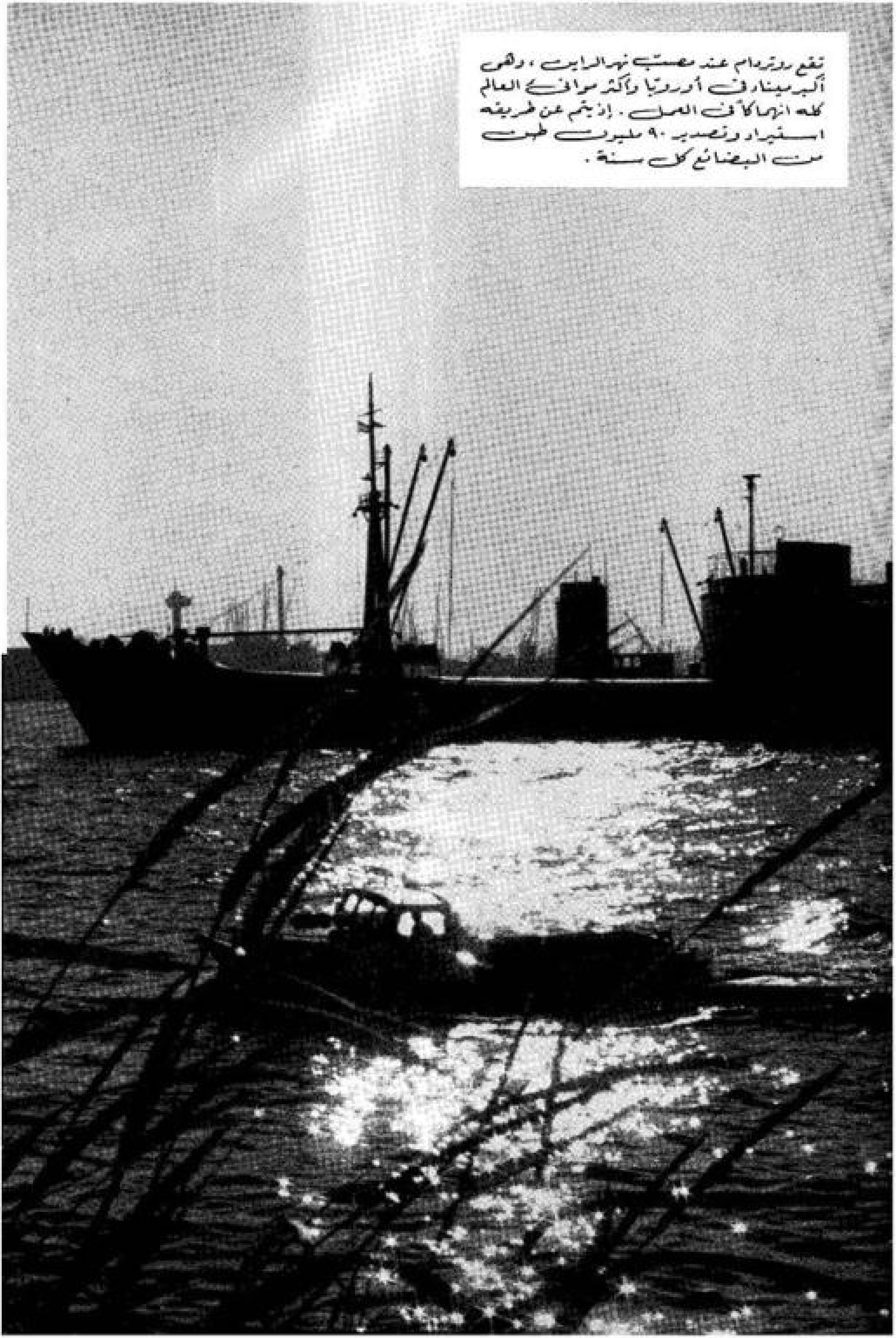
حقائق وأرقام

وإيصال الزيت إلى الأسواق يعني بالنسبة إلى شل تشغيل ما تزيد حمولته على ١١ مليون طن من الناقلات وما يزيد طوله على ٤٣٠٠٠ كيلو متر من خطوط الأنابيب في المسالك البرية الرئيسية. ويعني كذلك إقامة شركات للتسويق في أكثر من مائة بلد، كما يعني تصريف الأعمال التجارية في جميع لغات العالم الرئيسية تقريباً. وهو يعني أيضاً تشجيع ٦٠٠٠ من المشتغلين بالبحوث العلمية على ايجاد منتجات مفيدة جديدة كالأنواع الجديدة من الوقود والشحوم والأصباغ الاصطناعية والأسمدة ومبيدات الحشرات.

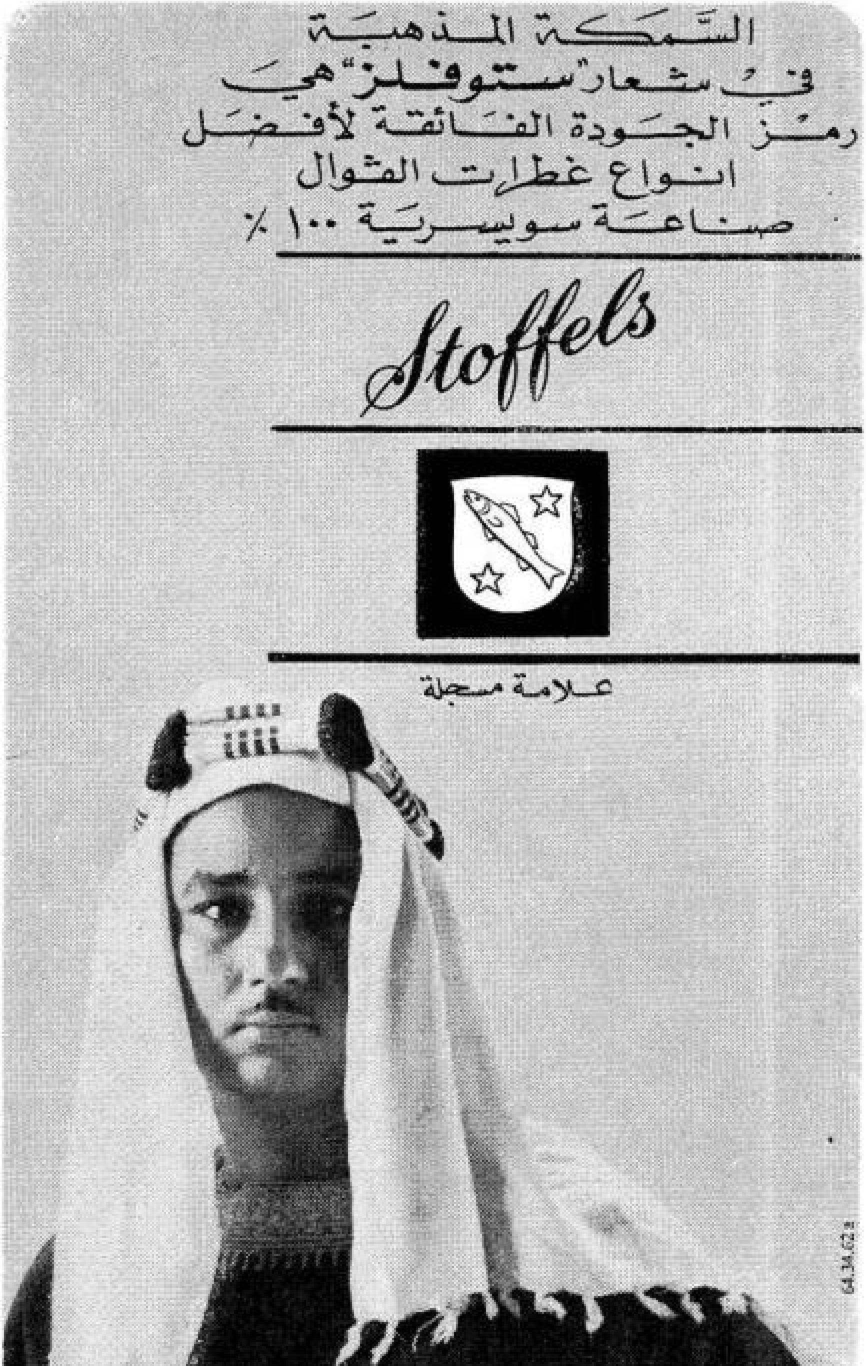
اعتمد دائماً على شل

إن في استطاعتك أن تعتمد على شل لأنها تشتغل في جميع مراحل صناعة الزيت. فهي تبحث عن الزيت وتجده وتستخرجه وتنقله وتحوله إلى منتجات وتوصل هذه المنتجات إلى السوق. وهي تفعل ذلك كله بانتظام كانتظام عقارب الساعة. وهي إذ تفعل ذلك تربح في اللتر الواحد من مبيعاتها ما متوسطه ¼ سنت أميركي.

وشل تقوم بوظيفة مفيدة. فهي تأتي بالنوع المطلوب من المنتجات إلى المكان المطلوب في الوقت الذي يطلب فيه. وهي تخدم الأقطار المستهلكة بإيجادها مصدراً للطاقة يمكن الاعتماد عليه، وهي تخدم الأقطار المنتجة بإيجادها أسواقاً يمكن الاعتماد عليها. ذلك هو شأن شل عاماً بعد عام!



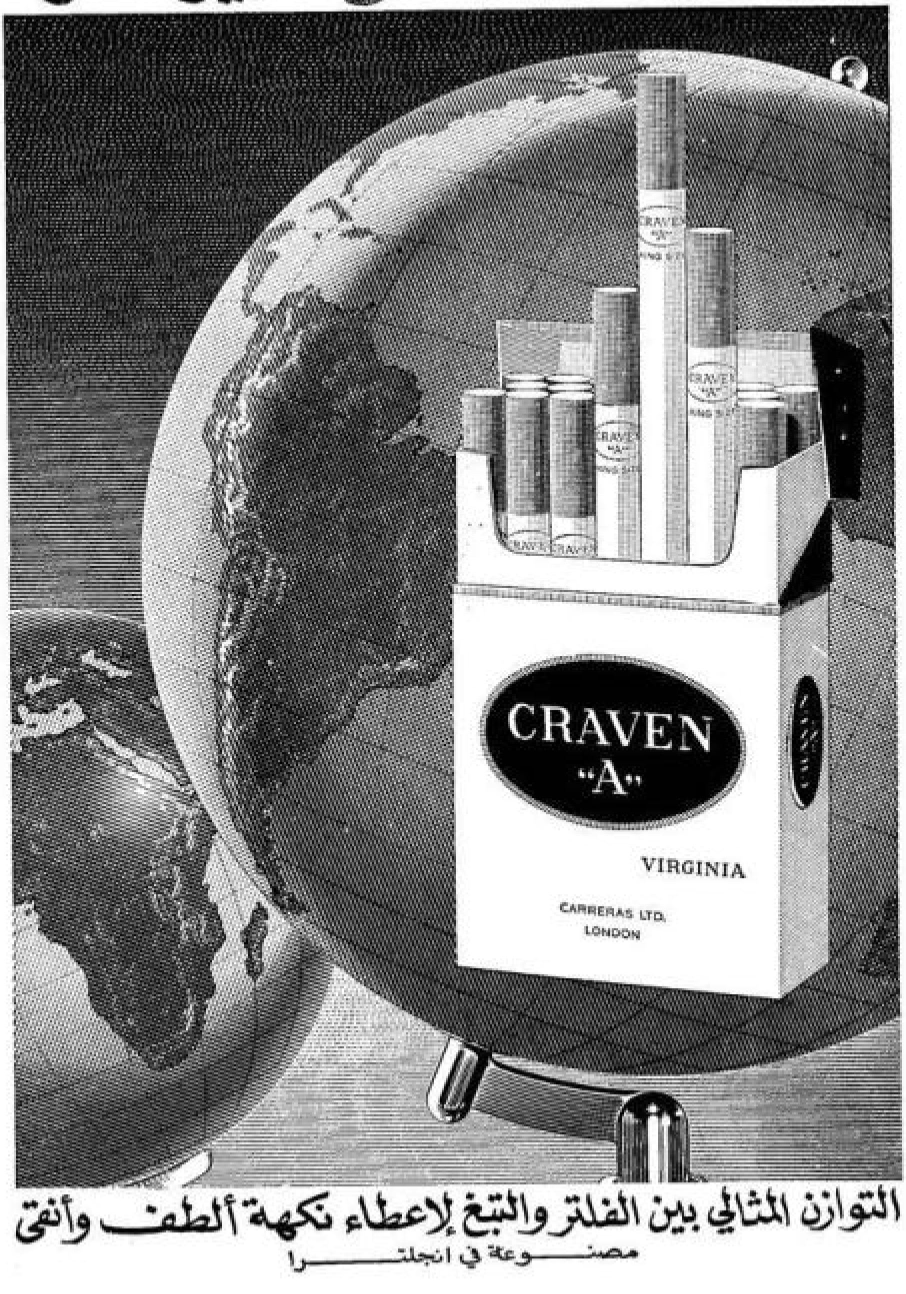
تقع روتردام عند مصب نهر الراين ، وهي
أكبر ميناء في أوروبا وأكثر موانئ العالم
كله ازدحاماً في العمل . إذ يتم عن طريقه
استيراد وتصدير ٩٠ مليون طن
من البضائع كل سنة .



السمكة المذهبة
في شعار "ستوفلز" هي
رمز الجودة الفائقة لأفضل
انواع غطرات الشوال
صناعة سويسرية ١٠٠ ٪
Stoffels
علامة مسجلة

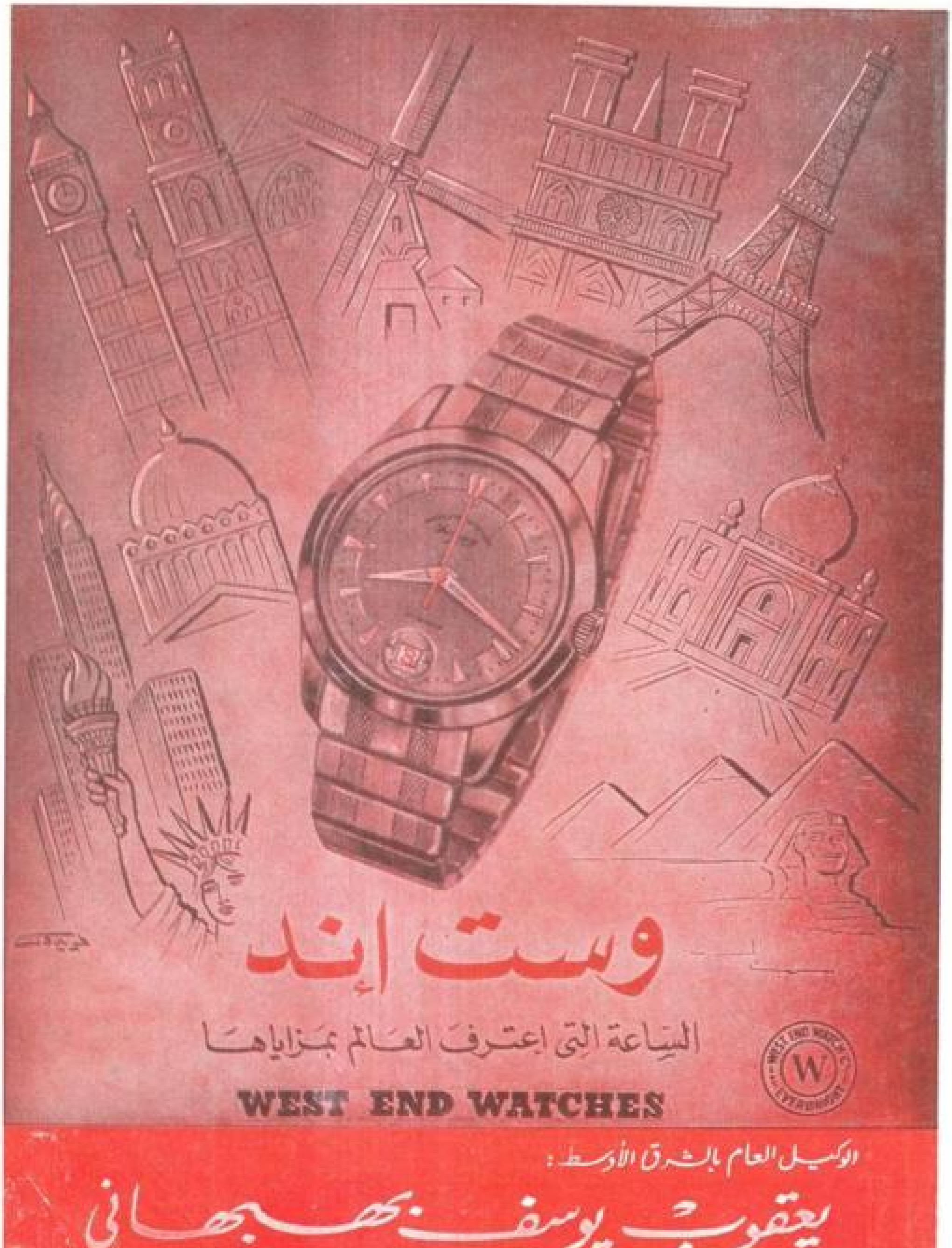
في جميع أرجاء العالم...

كرافن كنج سايز فلتر



التوازن المثالي بين الفلتر والتبغ لإعطاء نكهة ألطف وأنقى

مصنوعة في انجلترا


وست إند
الساعة التي إعترف العالم بمزاياها
WEST END WATCHES
الوكيل العام بالشرق الأوسط :
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا تليفون ٣٢٢٤٩ ص.ب ٣٢٤ دولة الكويت

العربي

العدد ٦٧
محرم ١٣٨٤
يونيو
(حزيران) ١٩٦٤



[illegible]

جوائز
١٢٠٠



حضارات سادت .. ثم بادت

● هكذا بدأت الصناعات المعدنية : كان لاكتشاف المعادن وقابليتها للصهر والطرق ، أثر كبير في تطور المدنية ، لا يوازيه الا اكتشاف البخار بعد ذلك بزمن طويل .. وكان السومريون (حوالي ٣٠٠٠ قبل الميلاد) هم أول من نقل نتاج هذا الكشف الجديد الى بلاد ما بين النهرين .. وهذا الرسم يمثل جماعة من السومريين ، يعرضون مصنوعاتهم ، وقد بدت الدهشة في عيون المتفرجين .

اسرة تحرير « العربى »

عزيزي القارىء :

● منذ صدرت مجلة « العربي » وأنت تسأل ويسأل اخوان لك كثيرون : من هم أسرة تحريرها ، وكم هم ؟

واستجابة لهذه الرغبة نقول ان أسرة تحرير « العربي » منذ صدورها آخر عام ١٩٥٨ حتى الآن ، تتألف من :

أحمد زكي	: رئيس التحرير
محمود السمرة	: نائب رئيس التحرير
عبدالوارث كبير	: سكرتير التحرير
سليم زبال	: مخرج فنى ومستطلع
اوسكار مترى	: مصور

اما الاسرة الكبرى فتضم بطبيعة الحال كل من تقرأ لهم فى « العربى » من كرام اساتذة الجامعات وكبار الكتاب العرب النابهين ، الذين يزودوننا من مواطنهم المختلفة بالقيم من محصول آرائهم مشكورين .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

طب وعلوم :

لغات وآداب :

شعر وشعراء :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

دين :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 67 June 1964 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● فى متحف الكويت ، وقفت هذه الفتاة الكويتية ، امام نموذج مصغر لسفينة الغوص ، تلك التى كانت تقلع فى البحار بحثا فى قيعانها عن المحار الذى يحوى اللؤلؤ الثمين .. كانت هناك حوالى الف ومائتي سفينة تخرج كل عام للعمل فى الغوص .. اما اليوم فلم يعد يخرج من الكويت سوى مركب واحد فقط ! . والسبب تجده فى المقال المنشور ابتداء من صفحة ١٦ من هذا العدد ..

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس. مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الأردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر والمغرب ٢٠٠ فرنك . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



حول مجامع اللغة العربية

جاءنا التعليق الآتى من الدكتور ابراهيم بيومى مدكور، الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة:

● الزميل العزيز الدكتور احمد زكى

تحية طيبة وبعد : قرات فى « العربى » تعليقك الخاص بمجامع اللغة العربية ، وانست فيه بما يانس به قراؤك فى كل ما تكتب من اصالة النظر ، وقوة الروح ، وعذوبة الحديث . ويبدو لى انك فيما تلاحظه انما تتعجل تحقيق الآمال المعقودة بسير المجامع ، وبما يكون لها من سلطان .

على أن المرحلة التى قطعناها خليقة أن تبعث على التفاؤل ، وأن تبشر بالخير ، حتى فى العناصر الثلاثة التى تناولها تعليقك : الانتاج ، والوحدة، والجاه . ويطيب لى أن أسرك بأن المصطلحات، التى أخرجها مجمع اللغة العربية خلال أعوامه الثلاثين، قد أصبحت بين دفاف مجموعات مطبوعة متنوعة بحسب التصنيف العلمى والفنى ، بلغت عدتها خمسة مجلدات، وان البحوث والمحاضرات التى القيت فى مؤتمره قد استوعبتها كلها مجلته فى سبعة عشر جزءاً صدرت منها، الى جانب خمس مجموعات ، لكل عام من الاعوام الأخيرة مجموعة مستقلة .

وأما الوحدة فانها متحققة نوعا بهذا التبادل الثقافى المتصل بين مجامع اللغة والهيئات العلمية فى البلاد العربية عامة ، ولعل مما يطمئنك فى شأن الوحدة أن مجمع القاهرة يضم صفوة من ممثلى بلاد العروبة ، وأنهم يسهمون فى عمله بالنصيب الأوفى ، ولولا أن يظن بمجمعنا التباهى والاستعلاء لجاز القول بانه مجمع المجامع ، بما يتلاقى فيه من الاعضاء العرب خلال مؤتمرهم السنوى ، وبما يتواصلون به على مدار السنة بالرأى والملاحظة والتوجيه .

وبقى ما سميته الجاه . وان مما يعتز به المجمع ان جاهه عند العلماء والباحثين والمترجمين مستمد من رغبتهم فى أن يستفيدوا بما للمجمع من عمل ، ويفيدوا بما لهم فى التعبير العلمى من جهد ،وذلك جاه عريض نرجو أن يزداد مع الوعى العربى نموا وازدهارا .

وانى لسعيد بأن أتاح لى تعليقك أن أجاذبك الحديث ، بهذه الرسالة الموجزة التى أطويها على أخلص الود وأجمل التمنيات .

ابراهيم بيومى مدكور

القاهرة

لا .. بل الوحدة

● قرات بكثير من الامعان والتدقيق كلمة السيد محمد العربى الخطابى عن « الوحدة الثقافية قبل الوحدة الاقتصادية والسياسية» (عدد ٦٣) . وانى لا أشاطره رأيه اطلاقا للأسباب التالية :

أولا : ان التاريخ يشهد بأن الوحدة التى تقوم على أسس اقتصادية تصمد أمام الأزمات وتنعم بحياة سياسية سليمة . والاتحاد السويسرى خير دليل على رأينا . فهذا البلد ينقسم لغويا وثقافيا ، فاللغات الرسمية للاتحاد ثلاث هي: الفرنسية والالمانية والايطالية، علاوة على لغة رابعة قليلة الاستعمال هى الـ Romanche يعمل الآن على احيائها وبعثها فى بعض المناطق . وكل اقليم سياسى Canton يمتد باستقلاله الداخلى . ولذلك فاننا نلحظ أن برامج الدراسة مثلا تختلف من اقليم الى اقليم . بل ان مدينتى جنيف ولوزان ، ولو أنهما متحدثان من حيث اللغة

« العربى » والقضايا القومية

● تحية عربية أصيلة .. أبعثها اليكم من رياض دمشق الفناء ومع أريج زهرها الفواح ..

ثم انه يسرني أن أقول فى « العربى » كلمة الانصاف : انها مجلة علمية قيمة .. أرجو أن يضطرد نجاحها فى اصابة الحقيقة لخدمة أمة العرب ، ورفع مستواها العلمى والثقافى ..

ولقد اطلعت على مسابقة الشهر (للعدد ٦٥) واستلفت نظرى اهتمامكم بالقضايا القومية .. فحمدت الله ، وأثلج صدرى وجود بعض العالمين - أمثالكم - فى وطننا العربى الكبير الذين يرصدون الأحداث القومية والعالمية ، ويسمعون أنات شعبهم ، ويألمون لحالهم ومصائبهم . فيكونون صدى صرخاتهم ورجع خلجاتهم .. فيعكسون مشكلاتهم للعالم ذى الضمير الحى .. ويذودون عنهم . وهذا ما أغبطكم عليه ..

ثم ان لدى بعض خواطر أخرى ، كنت أرغب اثباتها هنا ، ولكن خوفى من ضيق الوقت جعلنى اختصر وأرجىء ..

لكم تحياتى واعجابى واطيب امنياتى ..وفقكم الله لما فيه الخير .. والسلام .

محمد كوجك - جامعة دمشق

من هو السائل

● لقد ورد فى العدد الخامس والستين فى باب « أنت تسأل ونحن نجيب » اسمى مذيلا تحت سؤال . والحقيقة أننى فوجئت بذلك . وبما أنى لم أرسل الى مجلتكم - مع تقديرى لها واعجابى برسالتها - أى سؤال .. فاننى أستنكر أشد الاستنكار ما وقع.. وأقل ما أقوله فيه أن استغله بعض ذوى العقول السقيمة والنفوس الرخيصة تحقيقا لمآرب أخرى. ومن ثم تستروا وراء اسمى.

انى أطالبكم أيضا أن تتأكدوا قبل الاجابة على أى سؤال من حقيقة المرسل . وأكرر استنكارى راجيا أن تنشروا كلمتى هذه فى الموضع الذى ورد به اسمى مزورا .

هاشم عثمان - اللاذقية

العربى : فيم كل هذه الضجة يا سيد هاشم ، والسؤال الذى نشرناه ليس من الخطر بمكان ؟ وكيف تريدنا أن نتحقق من شخصية المرسل ؟ ثم أليس جائزا أن يكون هناك من يحمل هذا الاسم سواك ؟

على أى حال ان استغلال اسم الغير سواء أكان عن جبن أو عن سوء نية عمل غير صالح ..

الاقتصادية قبل الوحدة الثقافية !

والثقافة ، الا أن نظام التعليم فيهما لم يوحّد بعد . فالكتب المدرسية التى يتداولها طلبة جنيف تختلف تمام الاختلاف عن الكتب التى يتداولونها فى لوزان .. وعلى الرغم من انعدام الوحدة الثقافية فان جميع أقاليم الاتحاد السويسرى متحدة من الناحية الاقتصادية .

ثانيا : اذا درسنا تاريخ أوروبا الحديث ، وتاريخ الوحدات التى قامت فى القرن التاسع عشر خاصة ، فاننا نرى أنها نجحت وكانت لها الغلبة لأنها شيدت على معايير اقتصادية سليمة . فالوحدة الالمانية مثلا التى تمت بفضل جهود بسمارك مهدت أولا باجراءات اقتصادية فوحّدت الجمارك عام ١٨٥٢ ، ثم العملة ، ثم الجيش .. وأعلنت أخيرا الامبراطورية الالمانية على يد الامبراطور غليوم الأول عام ١٨٧١ بعد انتصار الجيوش الالمانية الموحدة على جيوش نابليون الثالث .

ثالثا : واننا نرى اليوم دول أوروبا تسعى حثيثا الى اقامة وحدة اقتصادية فالسوق المشتركة Marché Commun خير دليل وأحسن برهان على أن الوحدة ممكنة ومحمودة العواقب اذا درست دراسة اقتصادية واقعية. ومما يحيّر الألباب أن نرى بلدين،مثل المانيا وفرنسا ، كانا فى عراك وحروب مدة طويلة من الزمن ، نراهما اليوم وقد تصافيا وتناسيا الماضى السياسى القريب والبعيد ..

هذه بعض الأمثلة التى أسوقها تعزيزا لرأيى وبرهانا قاطعا على أن الوحدة الاقتصادية اذا قامت أولا فانها أصلح وأسلم من الناحية العلمية .. وان كنت أشاطر السيد الخطابى رأيه فى تعزيز الروابط الثقافية بين البلاد العربية حتى يسود السلام وتغلب المحبة على القلوب .

موريس يوسف أشقر
المدرس بالكوليج دى ليمان
فرسوا - سويسرا

حديث الشهر لرئيس التحرير

العُرُوبَة

• العُرُوبَة لفظ تطوّر معناه على الأجيال

■ السُنن صنفان .

سنن للطبيعة ، يجرى عليها الكون ، فهي من سنن الله .

وسنن يجرى عليها عيش الانسان ، فوق هذه الأرض ، فهى ، ولو ظاهرا ، من صنع الانسان .

سنن لا تتبدل

وسنن الطبيعة ، سنن الله ، لا تتبدل ولا تتغير .

الشيء تسقطه فيهبط رأسا الى الأرض .

والماء تضعه فوق نار فيتبخر ويختفى عنك .

وانت تصيح فى بطن الجبل فيرتد اليك الصوت . وتقول انه الصدى .

وتحبس القِط وتمنع عنه الغذاء فيموت .

سنن هي اليوم حقائق قائمة ، وكانت

مُعظَمُ العَرَب وكلهم مسلمون

الغرب أعطى العروبة معنى كاد أن يحمل معنى العداوة للإسلام

مَنْ يَتنصّل مِنْ إسْلامِه ، أو مسيحية ، فى سبيل عُرُوبَة ، إنما يُناصِر عروبة بالدَّقّ على طَبْلٍ أجْوف



والإسلام

• واقع العالم العربى جمع بين معنى العروبة والإسلام فى دساتيره

بالأمس قائمة ، والى يوم يبعثون .

وسنن تتبدل

وغير ذلك سنن الانسان ، تلك التى صنعها ، أو هو اتخذها ليُجرىَ عليها العيش، كما زعم حقا ، أو كما زعم سهلاً، فى هذه الحياة . هذه السنن ما صنعت الا لتبديل وتغيير . وهي ، حتى فى منطوقها العام ، جاءت على حال مبهم يأذن بالتبديل والتغيير .

خذ أعم تعبير عن أهداف تلك السنن : الخير والشر . سنة الحياة تستهدف الخير نظاما . ثم ينظر الانسان فى الخير على القرون ، فيبدّل فيما احتواه معناه، ويغيِّر . حتى لقد يدخل بعضَ الذى كان قديما قائما فى حظيرة الشر ، الى حظيرة الخير . ويدخل الذى كان فى حظيرة الخير ، الى حظيرة الشر .

وتجد هذا أظهر ما يكون فى الأخلاق . والأخلاق أسلوب حياة . كم من خلق قديم محرَّم هو اليوم مباح ، يتقبله الناس عملا ، ويتقبلونه حكما . وكم من خلق قديم مباح ، هو اليوم محرم ، لا يرضاه الناس اليوم ممارسة ولا يرضونه عقيدة .

وقد يرتد المباح ، مع الزمن ، الى تحريم .

وقد يرتد المحرم ، مع الزمن ، الى اباحة .

من اقل السنن استقرارا سنن الحكم والسياسة

ولعل من اقل سنن الانسان استقرارا سننا يستنّها الانسان لاجراء العيش وتنظيمه فى كتل الناس الكبيرة ، تلك التى تسميها سننَ الحكم ، سنن السياسة ، وهو اسم صار فى العصر الحديث ليس بالشامل ولا بالكامل . أقصد تلك السنن العامة الكبرى ، التى تصبح عقائد فتكون أشبه بالعقائد الدينية قوة ، عنها يصدر كل ما ينتظم به العيش فى امة ، فى اقتصاد ، واجتماع، وحرية .

فلكم تحورت هذه السنن ، التى نسميها بالسياسة فى غيبة اسم أحسن وأشمل . كم تحورت على السنين وكم تبدلت، وكم سوف لا تألو تغييرا وتبديلا ما تعاقبت القرون والسنون .

والعروبة عقيدة ما فتىء مضمونها يتغير

والعروبة انما هي بعض هذه السنن.

وانها لعقيدة ما فتىء مضمونها يتبدل ويتغير .

نبىٌ عربى وَسِع نطاقه أهلَ الأرض جميعا .

جاءت من بعده دولة اموية ، فلما اتصلت بغير العرب ، أورثها اتصالها هذا واحتكاكها زيادة احساس بعروبتها ، فاعتصمت بها ، وتعصّبت لها .

ثم دولة عباسية ، اتصلت بغير العرب كذلك ، ولكن على مدى اقرب ، فأورثها اتصالها هذا واحتكاكها رغبة فى امتزاج، فامتزجت ، وكان من ذلك ان فقدت من عروبتها بقدر ما كسبت فى فكر وفى علم وفى مدنية .

ونشأت بعد ذلك ، او مع ذلك ، دول فى مشارق الأرض ومغاربها ، مزجت بين العروبة والاسلام درجات متفاوتات ، حتى لم يعد احد يدرى اين حدود العروبة وأين حدود الاسلام . حتى غير المسلمين من العرب تثقفوا ثقافة الاسلام، وان لم يتخذوه عقيدة .



« لعل من أقل سنن الانسان استقرارا سننا يستنها الانسان لاجراء العيش »
وهذا حمورابى مؤسس الدولة البابلية ، واليه ينسب اول قانون صنعه انسان لتنظيم الحياة (١٨٤٨ ـ ١٨٠٦ ق.م) .
فاين هو من نظم الحياة الآن .

وفى القرون الحديثة

وتنحدر بنا القرون الى العصور الحديثة القريبة : أمة تركية سيطرت على الدولة العربية ، ما بقى منها .وكانت قوية السلطان فاتبعها الناس. ثم هبطت فى الميزان ، فكان الفقر ، وكان الجهل ، وكان الظلم . ثم صارت وبالا على اهلها ، ونقمة على العرب فى آن . وقاوم العرب النقمة ، وارادوا الخلاص ، فنشأ معنى للعروبةاظهر ما فيه العداءلتركيا .لتركيا المسلمة .

فكان هذا أحد الأسباب الذى أعطت العروبة ، فىأوائل هذا القرنعلى الأخص، معنى كاد ان يشبه معنى العداء للاسلام، على الأقل عند بعض الفلاة .

ونقول « أحد الأسباب » لأن هناك كانت أسبابٌ أخرى .

منها ان فى الأقطار العربية المجاهدة طوائف منسكانها من غير المسلمين،ومنهم طائفة كريمة دخلت فى زمرة المجاهدين ، فعمل هذاعلى الفصل بين ما اسموه العروبة والدين .

ومنها انه نشأ فىالأقطار العربيةجماعة تقول برابطة اسلامية سياسية ، تحلها محل الرابطةالعربية . فزاد هذا القائلين بالعروبة محضا ، الحاحا فى فصل العروبة عن الدين .

هكذا كانت العروبة أيام اذنت حياتى بالاتصال برجالها .



السلطان عبد الحميد ، سلطان الدولة التركية (١٨٤٢ - ١٩١٨م) ، وقد تمثل فى عهده الظلم اقبح الظلم ، فى قومه وغير قومه ، وكان هذا احد الاسباب التى اعطت العروبة معنى كاد ان يشبه معنى العداء للاسلام .

العروبة فى بلد نشأت فيه

وكنت نشأت فى بلد اعود فيه الى منزلى ، فيخبرنى خادمى بأن زائرا زارنى ، فأقول : خواجة ؟ فيقول ، لا ، بل ابن عرب ، يعنى انه مصرى .

فهو بلد يأخذ عروبته امرا مسلما ، وكذلك الاسلام فيه طبع ، فهو لا يفرق بين عروبة واسلام . وزاد فى اغفاله هذا التفريق ان صلته بالترك انقطعت من زمن بعيد ، وجاءت أجيال لا تعرف السلطنة العثمانية الا دروس تاريخ تقف غالبا عند أواخر القرن الثامن عشر .

والمسيحيون عندنا مسيحهم نبينا ، وآمنهم امننا ، وارزاقهم ارزاقنا . وعبث المستعمرون بهذا الأمن حينا ، ومع هذا ظل الريف ، ريف المسلم والقبطى على السواء . واثرى المسيحيون كما اثرى المسلمون ، وصنعوا الخير وصنعوا الشر على مثال واحد .

لهذا احدث اتصالى اول الأمر ببعض الفلاة ، من الزاعمين حمل لواء العروبة خالصة ، اضطرابا فى فكرى واختبالا .

محمد كان عربيا

حتى لقيل لى ، فى سبيل ترجيح العروبة على الاسلام ، ان محمدا (صلعم) كان عربيا قبل ان يكون مسلما .

حجة لا يزال البعض يرددها الى اليوم ، لا افهمها ، ولا افهم كيف يترجح بها اسلام على عروبة ، او عروبة على اسلام .

وعلى هذا المثال جاز لى ان اقول : ان عمر كان وثنيا قبل ان يكون مسلما ، زعما بأنه هكذا كان ، لاستنتج من ذلك ان الوثنية خير من الاسلام .

ان سبق حال ، فى الزمن ، على حال ، لا يفيد ابدا ترجيح حال سابقة ، على حال لاحقة ، لمجرد هذا السبق واللحاق .

وقيل لى بل المقصود أن الاسلام عبقرية ، وهى عبقرية عربية . وهذا

معنى ايضا لم افهمه . اهـــذا اطراء للاسلام ، ام اطراء للعروبة ، ام لكليهما ؟! ام هو مروق ، وحبالة صيغت من كلام.

ومن المسيحيين من اطرحوا دينا بدين

ومن العرب المسيحيين ، كمن العرب المسلمين ، قوم يدعون الى فصل العروبة عن الدين ، عن دينهم المسيحى،ولو انهم ليس عندهم العوامل التى عند العرب المسلمين . انهم انما يفعلون ذلك طرحَ دين بدين . حتى لصار منهم من يتبرأ من دينه المسيحى نصرة لعروبته .

ولم افهم لهذا معنى ايضا .

انها الحماقة والله .

وعندى ان الذى يتبرأ من دينـــه ، مسلما كان أو مسيحيا ، لنصرة عروبته،

ما اوشكه ان يتبرأ من عروبته نصـرة لدينه ، اذا تبدل حال بحال .

فانا عربى ومســـلم . وانت عربى ومسيحي . ولقــد يكون ثالث عربيـــا ويهوديا ، كما كان السموءل بن عاديا ، ذلك الذى سجل عروبته أروع تسجيل، فى قصيدته العربية العصماء التىمطلعها :

اذا المرء لم يَدنس من اللؤم عرضه
فكــل رداء يرتـديه جميـــل

ولا مناقضة فى هذا ، ولا غباء ، وانما الغباء فى غير ذلك .

ذلك ما دمت انا عربيـــا صـادقا . ومسلما او مسيحيا صادقا .

ارتاب فى بعض من يفصلون

ولكنى ارتاب فى أن الكثير ممن يفصلون بين العروبة والدين ، قوم ، فى دخيلتهم، لا يؤمنون بدين ، لا بمسيحية ولا اسلام، ولست اعتب عليهم الا ما عتب الله . والله يهدى من يشاء ، ويضل من يشاء .. وللانســان أن يؤمن وله أن يكفـر فهذا شانه فى امر نفسه . ولكن ليس من حق احد ان يفرض ما اصابه ، فى دخيلته ، من اطراح ايمان ، على جمهور الناس ، يعطيه اياهم ، غير واعين ، فى برشامة عليها اسم العروبة .

استشراف ما وراء هـذه الحياة فى الناس طبـع

ان العروبة بحسبانها عقيدةسياسية، شاملة ، انما ترسم اسلوب التعاون فى الحياة على هذه الأرض. والانسان بطبعه يريد أن يستشرف ما وراء هذه الحياة من وجود . وليس لك ان تقول انـــه استشراف ضلَّة ، فما كان شيء له فى الطبع هذه الاَصالة ان يكون ضـلّة . والحيـــوان لا يستشرف ، واستشرف الانسان . وبدافع من جوهره استشرف الانسان . وكل ما وقع عليه الانسان نتيجة استشراف فهو دين ، كان ذلك عن وحى نبى او ايحاء نفسى ، أو هما معا ، أو كان ذلك عن ايغال فى سر الحياة علمى . بذلك ، وبذلك وحده يشبع الانسان الجانب الآخر الوجدانى منه ، الذى لم يكن له هو تبعة فى صنعه، وانما هو بعض خلقه،فهو مدفوع الى اشباعه، مجذوب ، كوقع اجتذاب الارض على كل ما حملته من أشياء .

ان العقيدة السياسية، ومنها العروبة محضة ، ضرورية لحياة الناس ، ولكنها لا تكفى لاشباع هذا الوجود فى المخطط الانسانى العام . ان العقيدة السياسية محضة ، هدفها الأخير أمن الانســان العربى ، ورفهه على هذه الأرض ، ثم ينطوى المنشور ، ويحترق، ولا يبقى منه الا الرماد . واذا اكتفت الخراف بالأمن والرفه فى حياة ، وبالرماد من بعد موت، فلن يكتفى الانسان . وعذره فى ذلـك جبلّته . ولا تجادلنى فيما جبل عليه الانسان ، والحيوان ، ولا حتى الأشياء الجامدة .

معنى العروبة فى تغير وتبدل

وامضى مع رجال العروبة ، تلـــك

التى هى فى بلدى طبع وتسليم ، سنين ، واستمع لألسنة كثيرة تحللها وتشققها وتحاول ان تخلق من هذا الحس البسيط الذى تحسه كل القلوب معانى كثيرة كبيرة ضخمة تجعل منه فلسفة عظيمة ، فاقول لا بأس ، فهذا شأن الفكر يدخل الى الأشياء بالتمديد والتعقيد .

واتابع ، فاذا الصوت ، الذى يقول بالعروبة محضة يخفت ، والصوت الذى يقول لا بأس بأن يكون مع العروبة دين ، مسيحيا كان او اسلاميا ، يرتفع . واذا هذا الصوت يجلجل فيضع العروبة والدين مراتب سواء . واذا بالدساتير ، دساتير الدول العربية تخرج، وفيها «أنها دولة عربية دينها الاسلام». وكان آخرها دستور صنعاء ، وقد خرج من أيام ، وتلاه دستور بغداد ، وفى كليهما الجمع بين العروبة والدين .

ولم يعد أحد من العقائديين ، ذو بال، يقول ان هذا نشاز فى العروبة كما كان يقول منذ بضع سنوات .

واقع الوطن العربى

الحق انه ما كان يكون غير الذى كان.

ان واقع الوطن العربى قضى بهذا .

نحن لا نقول بالعنصرية فى العقيدة العربية . يكفى اللسان لأن تكون عربيا. ويكفى التاريخ الواحد ، واسلوب العيش المتوارث الواحد ، والشركة فى نعم الحياة ومآسيها ، ما غبر منها ، فهو ذكرى ، وما حضر منها ، وما ينتظر .

ولكن فى أطراف الوطن العربى طوائف كبيرة من الناس ، تتكلم العربية ولا تكاد، وتحتفظ بعنصرية معتدلة ، تخرج منها حينا ، وتتقوقع فيها حينا . . ومن اظهر هذه الطوائف جماعة صلاح الدين الايوبى ، فى شمال العراق (الاكراد) ، وجماعة بنى تاشفين وغير بنى تاشفين فى المغرب (البربر) ، وهم عدة ملايين .

فهؤلاء لا يزال العنصر فيهم قويا، وكذلك اللغة لا تزال حية ، وهم رضوا العروبة دائما ويرضون مظلتها يستظلون بها مستقبلا ، ما دامت هى مظلة العروبة

وعى الخراف يقصر همها على هذه الدنيا ، دون الفكر فيما وراءها



والاسلام معا . والعروبة عندهم غالية لان نبيهم عربى ، ولسان نبيهم عربى . وعندهم ان لا عروبة بغير اسلام .

هذا الواقع يعززه ان الوطن العربى ، من قناة السويس الى المحيط الأطلسى، لا يفرق جمهوره بين اسلام وعروبة . فالعربى مسلم ، والمسلم عربى . ومع هذا لا يقول احد منهم ان المسلم هو وحده العربى .

فهذا واقع الوطن العربى ، واقع جمهوره ، فى حيث المواطن العربية اكثر سكانا واكثر كثيرا .

ومن الاسلام فى الوطن العربى الى الاسلام خارج الوطن العربى

ومن التطور الذى وقع داخل الوطن العربى ، من حيث العروبة والاسلام ، انتقل العرب الى وراء الحدود العربية ، يربطون الاسلام العربى بالاسلام غير العربى .

وتتوج هذا التطور ، فى العام الحاضر، بمؤتمر اسلامى دعت اليه القاهرة حضر اليه كثير من مشارق الأرض ومغاربها . لم تلبث دمشق ان دعت الى مثله ،فكان مؤتمر وزراء الأوقاف . ثم تفاجئنا بغداد فى هذا الشهر الماضى باقتراح بدعوة لمؤتمر قمة اسلامى .



« مؤتمر باندونج : اجتمع فيه رؤساء العرب برؤساء من دول شتى ، فيهم المسلم ، وفيهم المسيحى ، وفيهم الهندوكى والبوذى والوثنى ، لغاية هي : التكتل فى سبيل التحرير » .



« .. ومثل مؤتمر باندونج، كان مؤتمر الذروة الافريقى، اختلاف اديان ، ووحدة غاية ..» . وهذه الصورة لهذا المؤتمر يترأسه امبراطور الحبشة والرئيس نكروما وكلاهما مسيحي..

وما كانت هذه المفاجأة ، مفاجأة للدارسين المتتبعين .

وما نظن ان التقوى وحدها كانت هى العامل الأول فى هذه الدعوة ، وانما كان الحافز اليها كذلك سياسيا ، هو التزود بالنصراء فى عصر قل فيه النصير . وليس كالتزود بنصير يجمعك واياه شقاء واحد . والمسلمون فى شتى جوانب الأرض، فى شقاء من استعمار اهل الغرب واحد . فالدعوة الى مؤتمر ذروة للمسلمين دعوة الى التكتل ضد الظلمة الغاصبين .

مؤتمر ذروة للمسلمين ، سبقه مؤتمر ذروة من مسلمين ومسيحيين ووثنيين

ومؤتمر ذروة للمسلمين ، قد تثير الدعوة اليه ريبة عند البسطاء الغافلين .

ولكن ينفي هذه الريبة ان رؤساء الدول العربية المسلمين سبق ان اجتمعوا فى « باندونج » برؤساء من دول شتى ، فيهم المسلم ، وفيهم المسيحي ، وفيهم الهندوكي والبوذى والوثنى ، لغاية ، هى التكتل فى سبيل التحرر .

ومثل مجتمع الذروة بباندونج ، كان مجتمع الذروة الافريقى، اختلاف اديان ، ووحدة غاية .

وكذلك سوف تجمع المسلمين غاية ، هى التكتل فى سبيل التحرر .

وغاية اخرى . ان من المسلمين من خدعوا ، فوقفوا من التحرر موقفا اشبه ما يكون بموقف العداء منه . فمؤتمر ذروة قد يتكشف عن تصحيح الأوضاع .

ان اهل الارض اليوم قسمان ، متقدم ومتخلف . عند الأولين الخير اكثر الخير وعند الآخرين الشر اكثر الشر . وشرهم جاء بسبب ما جاء الآخرين من خير . وأداة ذلك كان الاستعمار ، وبقيت منه بقية كبيرة ، ووسيلة ذلك الحاضرة بغى القوة على الضعف ، والثراء على الفقر .

والضعفاء والفقراء وضحايا الاستعمار، ماضيا وحاضرا ، هم أمم آسيا وافريقيا وأمريكا الجنوبية . واديانهم شتى . فاذا هم تكتلوا مسلمين ، او تكتلوا مسيحيين، او تكتلوا وثنيين ، او اخلاطا من كل هذه، فما هى الا الوشائج تطلب لتكون لحاما يلحم الأجزاء المتقطعة ، ورباطا يربط الأجزاء المتفرعة ، ليوم التلاقى الذى لا تنفع فيه الا السواعد المرفوعة، والوجوه المتجهمة ، والحناجر الصارخة . تصرخ فى وجه السبع فلا يلبث ان يتذاءب ، فى زمان لا تزال القوة فيه هى المحكمة التى يلجأ اليها المتخاصمون عند كل نزاع . ■■

احمد زكى

• كان للكويت

الكويت قبل الزيت



• كان بالكويت دائما عدالة اجتماعية واشتراكية اسلامية

• تجار الكويت ارتبطوا

بقلم رئيس مجلس الأمة
عبد العزيز حمد الصقر

ان الحكم على اى مجتمع من اى ناحية من النواحي لا يكون صحيحا اذا لم يكن صدور هذا الحكم على ضوء ماضيه القريب بل وماضيه البعيد . فقد يكشف هذا عن أن ما قد يبدو للعين المجردة كأنه طفرة كبيرة ، ليس الا تطورا طبيعيا لماضي المجتمع ، واستكمالا منطقيا لحلقات تطوره العادية المتتابعة . وقد يكشف النظر الى الماضي عن عكس ذلك تماما . لهذا راقني وقد شغل الكثيرون بالكلام عن حاضر الكويت فى عهد الزيت ، أن اتكلم عن ماضي الكويت قبل الزيت .

ومثل هذا الكلام لا تكمل حلقاته الا اذا تناولت هذا الماضي من النواحي الأساسية الثلاث :

الاقتصادية .

والاجتماعية .

والسياسية .

ملتزما الايجاز الذى لا يتسع المقام لاكثر منه ، وذلك على النحو التالى .

الناحية الاقتصادية

قبل ان يبرز النفط كمورد رئيسى للكويت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، كان لهذه البلاد اقتصاد قومي مزدهر تزايد ازدهاره بصفة خاصة خلال الفترة التى مرت من بدء الحرب العالمية الأولى

أسطول من السفن بلغ ٣٠,٠٠٠ طن



بكلمة الشرف المنطوقة ، لا بالمواثيق المكتوبة

حتى نهاية الحرب العالمية الثانية (وذلك باستثناء فترة الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت العالم حوالى سنة ١٩٣٠، وكان لها بالطبع صدى فى الاقتصاد الكويتي).

ويمكن القول بأن ذلك الاقتصاد الكويتي السابق على النفط كان يقوم على ثلاثة مقومات اساسية هى : الغوص وراء اللؤلؤ ، والملاحة ، والتجارة . وسأحاول اعطاء فكرة عن كل من هذه المقومات الأساسية للمجتمع الكويتي القديم .

الغوص

كان استخراج اللؤلؤ مهنة أساسية فى الكويت ذات دور رئيسى فى الدخل القومى ، وكانت ترتبط بها وتكملها مهنة الاتجار فى اللؤلؤ . وقد بلغت مهنة الغوص اوجها منذ حوالى الخمسة والاربعين عاما ، حيث بلغ عدد السفن الكويتية العاملة فى الغوص حينذاك حوالى الالف والمائتى سفينة ، وكان يتراوح عدد افراد السفينة بين خمسة اشخاص وخمسة وسبعين شخصا تبعا لحجمها. وكان هؤلاء الأشخاص ـ فيما عدا الربّان ـ مجموعة ممن يسمون « الغيص » و « السّيب » ، ويقصد بالاول الشخص الذى ينزل الى البحر لاستخراج اللؤلؤ ، أما « السيب » فهو الشخص المكمل لعمل « الغيص » اذ أنه هو الذى يشده الى سطح الماء عند تلقى أول اشارة منه بذلك ، بالاضافة الى أعماله الملاحية الاخرى باعتباره المسؤول عنها دون « الغيص » ، الذى تقتصر مهمته على عملية « الغوص » وحدها .

مهنة تقليدية تتلاشى

وانه لمن دواعى الأسف الشديد أن هذه المهنة

التقليدية فى الكويت ، وفى الخليج عامة ، قد اخذت بعد ذلك الازدهار الذى أشرت اليه تتلاشى عاما بعد عام . فاذا بعدد السفن الكويتية السابق ذكره يتناقص حتى لم يبق منه فى الوقت الحاضر الا سفينة واحدة (يملكها السيد راشد بن علبان) . ويعمل عليها حوالى الخمسة والأربعين شخصا .

ولا شك أن لهذه الظاهرة المؤسفة أسبابا متعددة أدت الى اندثار تلك المهنة وانقراض السفن الكويتية ، ومن اهم هذه الأسباب فى نظرى ظهور اللؤلؤ الذى يربيه اليابانيون فى المحار اصطناعا (المعروف فى الانجليزية باسم الكلتشر Culture ، وانتشاره على نطاق واسع ، وتأثيره الكبير على سوق اللؤلؤ الطبيعى .

كما أن التطورات الفكرية والاجتماعية فى العالم قد طورت فى نفس الوقت نظرة الانسان الى الكماليات ، ومنها اللؤلؤ ، فتحول الكثيرون عنه الى مظاهر كمالية أخرى مستحدثة أصبحت معها النظرة الى اللؤلؤ الطبيعى والاقبال عليه غير ما كانت عليه الحال قبل هذا التطور .

كذلك أدى ظهور مورد النفط فى الكويت الى مضاعفة هذا التحول عن مهنة الغوص ، فقد نجم عن ظهوره هذا تغيير كبير فى حياة الكويت الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، ففتح أبوابا جديدة مريحة للعمل وكسب الرزق ، وهى لا شك اقل مشقة بكثير من مهنة الغوص ، وأكثر فائدة ودخلا ، فتحولت اليد العاملة عن الغوص الى غيره مما زاد أجورها فيه بدرجة كبيرة ، وذلك فى الوقت الذى تدهور معه دخل الغوص وانخفضت أسعار اللؤلؤ الطبيعى فى الأسواق العالمية .

تجارة اللؤلؤ

اما الشق المكمل لعملية استخراج اللؤلؤ فهو تجارة اللؤلؤ ، فقد تخصص البعض فى هذه التجارة فى الكويت وسائر بلدان الخليج العربى ، وكان عمل هؤلاء التجار مرتبطا بعملية الغوص ، يبدأ ببدئها ، ويساير رحلات سفن الغوص ، وكان التجار يتنقلون بين هذه السفن وموانيها ويشترون محاصيلها . وكانوا كثيرا ما يقدمون بعض القروض مسبقا الى بعض أصحاب سفن الغوص ، فيلتزم هؤلاء بأولوية البيع للتاجر الذى قدم القرض . وعند نهاية الموسم ــ وكانت مدته أربعة أشهر ــ كان بعض تجار اللؤلؤ يبيعون بضاعتهم محليا أو فى البحرين ذات الأهمية الكبيرة فى تجارة اللؤلؤ ، فى حين كان البعض الآخر يسافرون الى « بمباى » أو يرسلون بضاعتهم اليها ، باعتبارها المركز الرئيسى فى الشرق لتجارة اللؤلؤ بمثل ما تعتبر باريس مركزا لهذه التجارة فى الغرب .

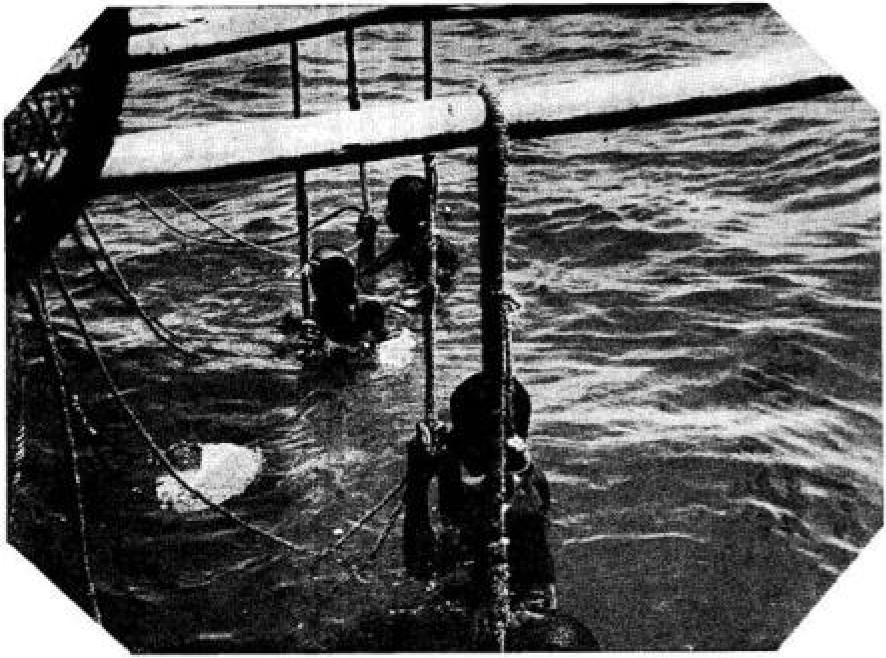
ومن الطبيعى أن يمتد التطور والكساد السابق ذكرهما بخصوص استخراج اللؤلؤ الى تجارته كذلك ، فاخذ التجار يهجرونها تدريجيا لذات الأسباب حتى اصبح هذا النوع من التجارة فى حكم المنعدم بالكويت فى الوقت الحاضر .

الملاحة

مارست الكويت النقل البحرى منذ تاريخها القديم ، وقد ازدهرت الملاحة فى هذا البلد مع الزمن ، وبخاصة بعد نشوب الحرب العالمية الأولى حيث طرأ على السفن الكويتية تطور ملموس ، فازداد عدد قطعها وارتفعت كمية حمولاتها ، ثم تتابع هذا التطور حتى الحرب العالمية الثانية . وقد وصل عدد هذه القطع الى حوالى مائة وثمانين سفينة يتراوح عدد أفراد



فتح المحارة بحثا عن اللؤلؤ



« الغيص » هو الاسم الذى يطلق على الغواص الذى يغوص ليأتى بالمحار الذى فيه اللؤلؤ .. ان هذه المهنة التقليدية فى الكويت ، وفى الخليج عامة ، أخذت تتلاشى ..

الواحدة منها بين ١٢ و ٤٥ شخصا ، كما تراوحت حمولة السفينة الواحدة بين ٩٠ و ٥٠٠ طن ، وقد بلغت جملة الطاقة المقدرة لحمولات مجموع سفن الاسطول التجارى وقت ازدهاره حوالي الثلاثين الف طن .

ويلاحظ أن جملة البضائع التى كانت تشحن سنويا بهذا الاسطول كانت تزيد على هذا التقدير الاسمى للحمولات نظرا لتعدد رحلات السفينة الواحدة (ذهابا وايابا) خلال العام الواحد .

كذلك يلاحظ أنه بالاضافة الى سفن الاسطول التجارى الكويتي كان التجار الكويتيون يستأجرون الاكثرية العظمى من السفن المملوكة لغير الكويتيين فى مختلف بلدان الخليج والجنوب العربى ، وبخاصة فى تجارة التمور . وقد كانت هذه السفن المستأجرة تقارب الأسطول التجارى الكويتي من حيث الطاقة وعدد السفن .

وقد كان موسم رحلات السفن يبدأ فى الشهر الثامن ، اغسطس ، من كل عام وينتهى بعودة جميع قطعه فى أواخر الشهر الخامس ، مايو ، من العام التالى ، وقد يمتد الى الشهر السادس.

سفن الكويت تحمل التمور خاصة الى الهند وشرق افريقيا

أما الوجهة الأساسية للرحلات المذكورة فهى شط العرب ، بالعراق وايران ، حيث يتم شحن السفن بالتمور (العراقية منها بصفة خاصة) لحساب التجار الكويتيين، وذلك مع امكانيةشحن نسبة ضئيلة تكاد لا تجاوز ثلاثة فى المائة تقريبا من مجموع حمولات السفن،من الحبوب وبصفة خاصة الاذرة العراقية . وكانت هذه السفن تتجه بحمولاتها المذكورة الى الهند ، شاملة حينذاك دولتى الهند وباكستان الحاليتين . والى ساحل

المهرة وحضرموت وعدن والبحر الأحمر ، وكذلك الى شرق افريقيا وخصوصا الصومال (البريطانى والايطالى حينذاك) على أن الهند (بالمعنى الواسع القديم) كانت هى التى تستهلك الجزء الأكبر من كميات التمور المذكورة ، أى ما يقارب ٧٠٪ منها .

السفن تعود الى الكويت بالأخشاب والقهوة وسائر المؤونة

وكانت السفن ترجع من الهند وباكستان محملة بالأخشاب اللازمة لسد حاجة الكويت فى أعمال الانشاءات والتجارة وكذلك لبناء السفن . كما كانت تحمل غير ذلك من البضائع مثل الأقمشة والأطعمة والتوابل والحبال وغيرها مما يحتاج اليه الكويتيون فى حياتهم اليومية .

أما ما كان يرد من عدن وبلاد البحر الأحمر فقد كان قليلا جدا ، وكان أهم ما فيه القهوة .

ومن ساحل المهرة كان يرد ما يسمى «الصل» (أى دهن السمك) وذلك بكميات موفورة تستعمل بصفة خاصة فى دهان أنواع السفن الشراعية ، المصنوعة من الأخشاب .

وكانت الكويت تستورد من شرق افريقيا خشب « الجندل » المستعمل فى تسقيف المنازل بالكويت والخليج وقسم من منطقة البصرة ، ولا تزال بعض المنازل الكويتية المسقفة بهذه الطريقة قائمة للآن منذ أكثر من مائة عام . وكان من بين هذه الواردات الافريقية كذلك أصناف أخرى كالفحم الصومالى وزيت الجوز وغيرها . ويلاحظ أن بعض هذه السفن كانت لا تقوم خلال الموسم برحلة واحدة فحسب ، بل باثنتين أو ثلاث تبعا لطبيعة الرحلات التى تقوم بها .

على هذا النحو قامت الملاحة الكويتية بدور بالغ الأهمية للكويت خاصة ولبلدان الخليج بصفة عامة وكان لها دور فعال فى تموينها وسد حاجاتها ، وبخاصة أيام الحروب حيث تشل القيود العسكرية الملاحة التجارية الى حد كبير . وأكبر دليل على ذلك أن الكويت لم تشعر فى تلك الأوقات بانعدام اى من المواد الغذائية أو البضائع كما حدث فى غيرها من البلدان ، بل كانت هذه المواد موفورة فيها كل الوفرة .

الكويت أكبر ميناء لبناء السفن بالخليج العربى

ولا يفوتنى أن أنوه بأن الكويت كانت كذلك أكبر ميناء لبناء السفن بالخليج العربى كله ، وقد عرفت السفن الكويتية بأنها من أحسن السفن صناعة وأصلحها للملاحة من حيث التصميم . ولكن صنع هذه السفن قد تضاءل بعد الحرب العالمية الثانية بشكل ملموس ، كما بيعت أكثر السفن الكويتية من الحجم الكبير والحجم المتوسط الى بعض الملاك بالخليج ، بحيث يمكن القول بأنه منذ حوالى العشر السنوات قد توقف فى الكويت بناء السفن الكبيرة أو الصالحة للأسفار البعيدة ، واقتصرت هذه الصناعة التقليدية عندنا على بناء القليل من السفن الصغيرة وسفن صيد الأسماك . ومما يدعو للأسف أنه لم يبق الآن من سفن الكويت الصالحة للأسفار البعيدة أكثر من عشر سفن من الحجم المتوسط والصغير ، كما أن اليد العاملة على هذه السفن القليلة أيد غير كويتية .

وقد تأثر ذلك التدهور فى صناعة بناء السفن بالوضع الذى صارت اليه الملاحة الكويتية الشرعية فى جملتها ، كما أثر هذا التدهور بدوره فى تلك الملاحة .

الأسباب التى من أجلها تراجعت ملاحة الكويت وبناء سفنها

أما أسباب هذا المصير الذى صارت اليه الملاحة وصناعة السفن الشراعية فى الكويت فمتعددة أهمها ما يلى :

أ ـ بروز النفط كمورد رئيسى للبلاد ، فقد ضاعف فعالية غيره من الأسباب ، كما أضاف اليها من ذاته سببا جديدا أسهم بدوره فيما سبقت الاشارة اليه ـ عند الكلام عن «الغوص» ـ من التطورات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية التى عمت الكويت والتى تفتحت معها أبواب جديدة للرزق أكثر من الملاحة ربحا ، وأقل منها مشقة وأخطارا .

ب ـ النقص الملموس فى كمية التمور التى كانت تشحن بالسفن الشراعية الى الهند وباكستان ، وذلك لأنه بعد أن كان التصدير الى تلك الجهات حرا ، أصبح ـ عقب استقلالها واتجاهها سياسة


التمور العراقية : كانت سفن الكويت التجارية تنقلها الى الهند وبلاد شرق أفريقيا

التوجيه الاقتصادى كغيرها من الدول ـ خاضعا لانظمة خاصة بالاستيراد كالاجازات اللازمة لذلك.

فنجم عن هذا ان ضاق الخناق على تصدير التمور بالسفن الشراعية ، بل ان تصديرها الى الباكستان قد توقف نهائيا . ولا يخفى ما لهذا من تأثير على ايراد تلك السفن نظرا لأن تصدير التمور كان يمثل جزءا كبيرا من ايراد رحلة السفينة .

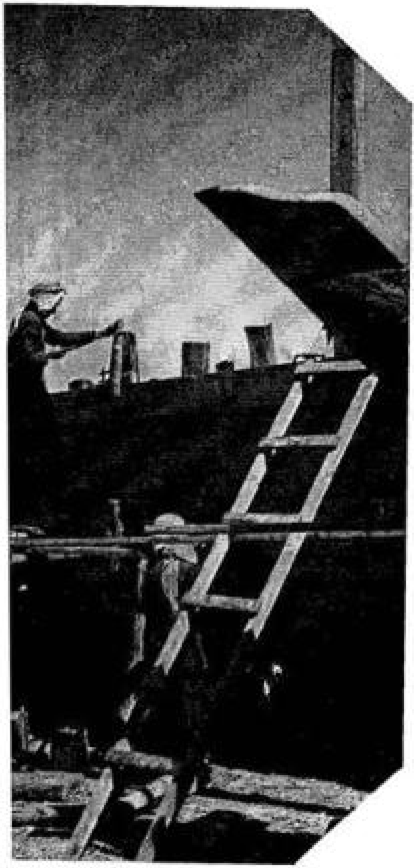
جـ ـ كانت الكويت وسائر بلدان الخليج العربى تستورد من ميناء « كليكوت » بالهند كل حاجتها من الأخشاب اللازمة للبناء ولأعمال النجارة ولصناعة السفن ، وكانت هذه الأخشاب تشكل نسبة كبيرة جدا من حمولة السفن الشراعية الكويتية وهى عائدة ، فتناقص استيراد هذه الأخشاب ونزل الى حوالى عشرة فى المائة مما كان عليه او الى أقل من ذلك . ويرجع السبب فى هذا التناقص الكبير الى ما حدث من تطور فى الكويت خاصة وفى بلدان الخليج بصفة عامة ، بحيث استعيض عن الأخشاب الهندية التى كانت تستورد للتجارة بأنواع أخرى أفضل منها بدأت تستورد من بورما وبانكوك ، وكذلك من اليابان واوروبا . هذا بالاضافة الى التناقص الكبير الذى طرأ كذلك على بناء السفن الشراعية ذاتها،

وقد كان بناؤها يستنفد فيما مضى كميات كبيرة من الأخشاب .

د ـ لم تكن البواخر ترد الى الكويت حتى أواخر القرن الماضى ، ولذلك كان اعتماد الكويت كليا حينذاك على سفنها الشراعية .

وفى أواخر القرن الماضى بدأت بعض البواخر القادمة من « بمباى » تصل بين فترة وأخرى الى بعض موانىء الخليج ـ ومنها ميناء «المحمرة» بشط العرب بايران (وتسمى الآن خرم شهر) ـ وحينئذ أخذت ترد بعض البضائع من « بمباى » الى هذا الميناء برسم الكويت وتنقل بواسطة سفن شراعية الى الكويت ، ولكن منذ مطلع القرن الحالى أخذت البواخر تصل رأسا الى الكويت . وظل ذلك فترة من الزمن بمعدل باخرتين كل شهر تقريبا . وقد ساعد ازدهار اقتصاديات الكويت واتساع نطاق تجارتها مع الخارج على اتجاه هذه البواخر العالمية اليها وهى فى طريقها بين الشرق والغرب، وبخاصة ما كان يأتى منها من الشرق ، فكانت تحمل فى طريقها وضمن حمولتها الكبيرة أى كمية من البضائع المراد شحنها الى الكويت ،فضيقت بذلك مجال العمل على السفن الشراعية الكويتية ، ووجدت هذه السفن نفسها فى وضع غير متكافىء مع هذه البواخر الحديثة المكتملة الشروط والموفورة الامكانيات . هذا برغم أن بعض مالكي السفن الشراعية قد شرعوا منذ حوالي سنة ١٩٤٦ فى ادخال بعض التطوير على سفنهم بأن زودوها بمحركات بحرية (موتورات ديزل) ، وأخذت هذه الظاهرة تعم تدريجيا حتى شملت معظم السفن المتبقية حينذاك .

والواقع أن هذه الخطوة كانت ارتجالية ، بدليل أنه لم يوجد بالكويت آنذاك أكثر من واحد أو اثنين من القادرين فنيا على تشغيل هذه المحركات ، فاستعان أصحاب السفن بأشخاص غير كويتيين من البلدان المجاورة ودون أن تكون لهم الخبرة الفنية اللازمة الا نادرا . وقد كانت النتيجة ارتفاع تكاليف هذه المحركات وصيانتها الى حد جعل هذه الخطوة غير عملية من الناحية الاقتصادية ، وبخاصة بالنسبة الى هذه السفن غير الكبيرة الحجم اذا ما نظرنا الى رحلاتها المعتادة الى الموانىء النائية .



كانت الكويت أكبر ميناء لبناء السفن
توقف بناء السفن الكبيرة ، واقتصر

لا بد من تطوير الملاحة بالكويت

ونتيجة لكل ما ذكر يمكن القول بأنه ما لم تتطور الملاحة بالكويت لتجارى المستوى الملاحي العالمى الذى تقتضيه ضرورات العصر الحاضر بجميع متطلباته ، بما فى ذلك نوع السفن وحجمها وتدريب الملاحين والعمال على العلوم والأساليب الحديثة ، فستصبح الملاحة بالكويت خاصة والخليج عامة أثرا بعد عين . ولهذا أرى أن الكويت ـ وهى ليست بلادا زراعية ولا صناعية بل هى بلد ساحلى اعتمد طول حياته على الملاحة، وأصبح له فيها تاريخ مشرف وباع طويل ـ



بالخليج العربى .. أما اليوم فقد
الأمر على بناء السفن الصغيرة .

من واجبها حكومة وشعبا التضافر للحفاظ على هذا المقوم الأساسى للمجتمع الكويتى .

ولنأخذ فى ذلك مثلا لنا بلدانا، كالنرويج واليونان، يعتمد أهلها اعتمادا كبيرا على الملاحة برغم ما لديها من امكانيات أخرى صناعية وزراعية وغيرها. وهناك دول لم يكن لها تاريخ طويل فى الملاحة العالمية كالهند مثلا قد أولت هذه الناحية عناية فائقة بحيث يؤمل أن تصبح بعد سنوات قليلة جدا فى مصاف الدول الملاحية العريقة ، اذ ينتظر أن تصل حمولة أسطولها التجارى بضعة ملايين من الأطنـــان . وللباكستان كذلك سياسة مماثلة فى هذا الاتجاه.

هذا مع العلم بان شركة ناقلات النفط الكويتية المؤسسة سنة ١٩٥٧ (براسمال كويتي) قد بدأت انشاء ناقلات نفط ، وستصل جملة حمولاتها فى أوائل سنة ١٩٦٥ الى حوالي ١٥٣٠٠٠ طن ، ولكن للأسف لم يتحقق للآن أمل الشركة فى أن يقبل الكويتيون على العمل فى الملاحة .

يجب المحافظة على هذا التراث

فى ذلك كله رد على من قد يقول أن للكويت فى النفط غناء عن التفكير فى الملاحة . فهذا القول مردود عليه بأن النفط بطبيعته مورد يستنزف مع الزمن ، فى حين أن الملاحة مورد متزايد غير متناقص . هذا بالاضافة الى ما تضفيه الملاحة على الأفراد من الرجولة وقوة الشكيمة وقدرة على مجالدة الزمن والاعتماد على النفس وعدم الاتكال على الغير والصلابة فى مواجهة المصاعب . وقد كانت هذه صفات الكويتين على مر الأجيال بحيث أصبح لنا فى هذا المضمار تراث نعتز به ونحرص على أن لا يندثر . ولذلك أرى من واجبنا المحافظة على هذا التراث المنبثق من طبيعة بلدنا ، وعلى تلك الصفات التى نرجو أن يزيدها مورد النفط قوة بدلا من أن ينال منها أو يوهنها.

التجـارة

تحدثت بمناسبة الغوص عن جانب هام من جوانب التجارة كمهنة رئيسية فى الكويت وكأحد المقومات الجوهرية لمجتمعنا . والآن أتحدث عن هذه المهنة بمختلف جوانبهـا دون تخصيص . ويمكنني القول أن الكويتي ليس صانعا ولا زارعا وانما هيأته طبيعة بلاده لأن يكون تاجرا ماهرا . ولذا نرى التجارة امتدت حتى الى القائمين على الملاحة من أبناء الكويت ، أعنى من يركبون السفن على النحو السابق ذكره. فهؤلاء كذلك قد أصبحوا بالفطرة تجارا وكان أغلبهم يتولون بأنفسهم تصريف أمورهم ومعاملاتهم التجارية بالخارج ، وذلك بالاضافة الى مسؤولياتهم ومهامهم الملاحية ، ولهذا برز من بينهم تجار مهرة . وانسجاما مع حكم الطبيعة والفطرة على هذا النحو كان لا بد وان يعتمد الكويتيون على أنفسهم ، وأن يجعلوا عملهم داخـل بلدهم متممـا لتجارتهم

الخارجية . وبذلك كان للكويت دور تجاري هام في هذا الجزء من العالم .

الكويت مركز تجاري لجيرانها عامة

وبالطبع قد تفاوتت أهمية هذا الدور تبعا لما مر بالبلاد من فترات متباينة وأدوار مختلفة، فمثلا كانت الكويت قبل الحرب العالمية الأولى مركزا تجاريا على جانب من الأهمية ، لا بالنسبة لها فقط وانما بالنسبة لجيرانها عامة وللمملكة العربية السعودية خاصة .

الكويت كانت المموّن الرئيسى للسعودية

وكانت تعتبر حينذاك المون الرئيسى للسعودية. وحتى بعد أن أصبح ميناء جدة الميناء الهام للمملكة السعودية ، وأخذ يساهم في تموينها بالبضائع ظلت الكويت الممون الأكبر للمملكة الى عهد قريب. ولكن بعد أن اتسع ميناء الخُبَر من جهة، وسُيِّرت قطارات السكة الحديدية الى الرياض ، انخفض الصادر من الكويت الى المملكة السعودية وكان هذا الانخفاض أمرا طبيعيا ونتيجة حتمية . فمن جهة ـ ولعلها أهم الاعتبارات ـ لا جدال في أن مصاريف النقل بواسطة الخط الحديدى جاءت أنسب وأقل تكلفة وذلك برغم تطور وسائط النقل بين الكويت وبلدان نجد وتحولها من الابل الى السيارات الكبيرة .

..ومع السعودية امتدت تجارة الكويت الى العراق وايران

كذلك امتدت صادرات الكويت في أحوال كثيرة الى العراق والى ايران ، فقد كانت الكويت في الماضى ، وهى تصدر ما يتجاوز حاجة استلاكها المحلى ـ تصدر حوالى النصف من هذا الصادر للمملكة السعودية والنصف الآخر لايران والعراق وغيرهما من البلدان ، وكان ما تصدره الى المملكة هو الأرز والأقمشة والقهوة والسكر ، أما الآن فلا تزال الكويت تصدر الى المملكة ، ولكن بنسب أقل بكثير مما كانت تصدره اليها قديما . وتحتوى هذه الصادرات على جانب من الكماليات ، وهو كذلك الحال بالنسبة لايران والعراق .

ومما لا شك فيه أنه قد ساعدت على هذا الازدهار التجارى بالكويت عوامل شتى أهمها وضع الكويت الجغرافى ، وأسطولها التجارى ، وعدم القيود على التجارة فيها ، وانخفاض الرسوم الجمركية بها ، والتسهيل في الاجراءات وشرف المعاملة . كل هذه العوامل مجتمعة جعلت من الكويت مركز الثقل التجارى بالنسبة للخليج وغيره .

تجار الكويت ارتبطوا بكلمة الشرف المنطوقة ، بدون الوثائق المكتوبة

ولا يفوتنا ونحن بصدد التاريخ التجارى للكويت أن نورد شيئا عن العرف التجارى ونوع المعاملة التجارية آنذاك ، فلقد غدا معلوما للكافة أن التاجر الكويتى كان يعتمد على كلمته وشرفه التجارى ، فلم يكن يوجد بالماضى أى تبادل خطى، ومعظم الصفقات كانت الى عهد قريب تتم بين التجار بدون واسطة. وقد تأصلت الأعراف التجارية على هذا النحو ، حتى ان التاجر كان يأنف بل ويغضب لو سألته أن تكون الصفقة بواسطة أو أن تثبت بشيء خطى . وكان التاجر يعتبر مثل هذا الطلب اهانة له واشعارا بعدم الثقة به ، وفعلا كان الناس يتباعون ويشترون فيما بينهم شفويا .

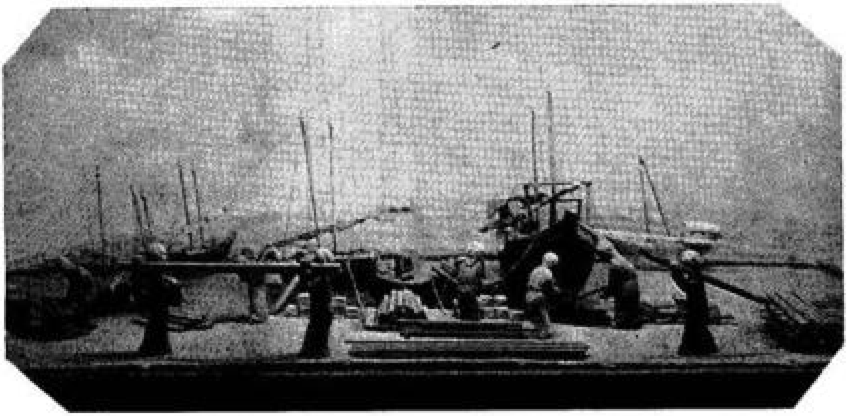
وكانت البضاعة تبقى في مخزن البائع مدة ، وقد تزيد الأسعار في خلال تلك المدة الى حوالى ٢٠ في المائة أو أكثر، ومع ذلك كان يسلمها البائع للمشترى دون أى تكول أو محاولة للنكول عن الصفقة ولم نجد في تاريخ التجار الكويتيين أى حادثة نكول في مثل هذه الحالات .

كان بين تجار الكويت تفاهم وتعاطف

كان من التقاليد العربية المستحبة في الكويت وفي سائر المنطقة ما عرف باسم « البضعة » ، وهو أسلوب تعاونى كريم يقدم بموجبه أحد التجار مالا أو بضاعة لفرد يسعى في استثمارها تجاريا ويقسم صافى الربح عند التصفية بينهما بنسبة الثلثين للأول (التاجر) والثلث للثانى .

أما في حالة الخسارة أو الهلاك فان التاجر ـ أى المالك ـ هو الذى يتحمل هذا العبء وحده. وكانت هذه « البضعة » مظهرا كريما للتعاون والتعاطف بين الناس .

كذلك كان الشأن بين التجار المستوردين وبين



... ومن الهند والباكستان كانت سفن الكويت ترجع محملة بالاخشاب اللازمة لسد حاجة الكويت

التجار المحليين ، فقد كان رائد الجميع دوما في الكويت التسامح في المعاملة ، فلم يكن أحد فعلا يتجاهل ظروف عملائه من حيث مدة السداد أو شروطه ، بل كان يتفادى كل ما يرهقهم أو يحرجهم .

كما أنه قل أن نجد في تاريخ هؤلاء التجار خلافات أو قضايا تحتاج للالتجاء الى القضاء . وحتى عند وجودها لم يكن الكويتيون يؤثرون طريق التقاضي بل كان هنالك دائما تاجر معروف من بينهم ارتضوه ليكون حكما في هذه الحالة . وفعلا كان ذوو الشأن يأتون اليه فيفصل بينهم ، وكان هذا الفصل يتم في دقائق معدودة أحيانا ، يخرج الجميع بعدها راضين بحكمه .

تغير الأوضاع

على أن الكثير من هذا النهج في الحياة قد تغير مع الزمن وبخاصة منذ الحرب العالمية الثانية تبعا لاتساع الكويت وكثرة من هاجروا اليها من الخارج بعد توسع مجالاتها الاقتصادية كنتيجة لظهور النفط . كما أن سبل المعاملات التجارية قد تغيرت تبعا لكون صلات التاجر الكويتي قد أصبح أكثرها مع تجار خارج الكويت . فنجم عن ذلك كله تبدل في الأوضاع الاجتماعية وفي أسلوب المعاملات التجارية .

وفي ختام هذا « الجانب الاقتصادي » من كلمتي أود أن أشير الى ما سيأتي ضمن حديثي عن الجانب الاجتماعي من مظاهر التكافل المادي بين الكويتيين على أساس اسلامي عربي يحقق أفضل صورة للاشتراكية الاسلامية العربية التي نشأ عليها مجتمعنا ، واستقرت على أساسها نظرتنا الأصيلة للخير العام وللعدالة الاجتماعية .

الناحية الاجتماعية

لقد عاشت الكويت ـ وبخاصة الى ما قبل الحرب العالمية الثانية ـ في شكل أسرة كبيرة تقوم على التعاطف بين أفرادها والتكافل الاجتماعي، بكل ما في ذلك من معنى وما له من صور وتطبيقات ، حتى شمل جميع ضروب الحياة في الكويت .

ولما كان الكلام عما وراء هذا الاجمال من تفصيل أمر يطول شرحه ولا تحصى تطبيقاته ، فانني أقتصر على ذكر بعض التطبيقات الهامة على سبيل المثال :

عندما تغرق سفينة أو تتحطم

معلوم أن الكثيرين من الكويتيين الملاحين كانوا هم ملاك السفينة ، وكانت هي مصدر رزقهم ورزق عائلاتهم . ومن المعلوم كذلك أن مثل هذا العمل

محفوف بالمخاطر وبخاصة في الأزمنة الماضية ، لذلك كان هذا المجال احد المجالات التى برزت فيها روح التعاطف والتكافل بين الكويتيين ، فاذا ما وقعت كارثة باحدى السفن ـ ولا مفر من وقوع بعضها كل عام ـ كغرق السفينة او تحطمها أو ما الى ذلك ، كان يسارع الأصدقاء والمعارف كافة وبدون استعطاف أو طلب الى جمع التبرعات دون علم من أصابته الكارثة ، وكانت هذه التبرعات التى تجمع عاجلا كفيلة بتغطية الخسارة كلها ، بل كانت تزيد على جملة الخسارة .

عندما تجنح سفينة أثناء رحلتها

وبمثل هذه الروح كان يسارع الكويتيون دون تفريق الى انقاذ السفن التى تجنح فى الخليج أثناء رحلاتها او تلاقى من الأهوال ما يلزم العاملين عليها لتركها فيه لاستحالة عملية الانقاذ عليهم . وكان تكوين هذه الحملات الانقاذية بصورة تطوعية وسريعة وشاملة تبعث العجب ، ويجب أن نعتز بها كصورة لتعاطف مجتمعنا وتآزره . وقد يبلغ عدد افراد الحملة الانقاذية الواحدة أحيانا مائة شخص . اما مصاريف الحملة الفعلية فكان يتكفل بها واحد او أكثر من الموسرين ان تعذر على صاحب السفينة أو أصحابها تحملها .

عندما تنزل سفينة الى البحر

وكانت تبرز روح التعاون والاخوة كذلك فى عملية انزال السفن الجديدة الى الماء ، فكان رفع العلم الكويتى عليها ايذانا بالشروع فى عملية انزالها الى البحر ، وكان كذلك ايذانا بتهافت ممثلين لمختلف العائلات من أصحاب السفن ليسهموا متكاتفين فى العملية المذكورة . وكان هذا التطوع يتم أيضا دون طلب صاحب السفينة أو التماس العون من الآخرين .

اذا شب حريق

واذا تركنا الملاحة عند هذا الحد ونظرنا الى حياة المدينة وجدنا ذات الوضع ، ففى حالات الحريق مثلا كانت نجدة أهل الحي تحصل بسرعة خاطفة ، وفى جراة نادرة رغم بساطة الوسائل والامكانيات حينذاك .

كلٌ مسئول عن أسرة جاره عند غيابه

وبمثل هذه الروح لم تكن الأسرة الكويتية تفتقد الطمأنينة الى الأمن أو الى توفير حاجياتها فترة غياب عائلها أثناء رحلات السفن الطويلة ، بل كان كل مقيم من أهل المنطقة يشعر بأنه مسئول أدبيا عن اسرة جاره او صديقه أو أخيه المسافر ، وكان يتحسس فى أدب جم أحوال جيرانه وعشيرته لجلب ما قد يحتاجونه (زيادة على ما كان يتركه المسافر لأهله قبل سفره لسد حاجاتهم المعيشية) نظرا لطول فترة السفر مثلا عما كان مقدرا لها . كذلك كان كل رجل فى حيه أشبه بحارس يقظ لهذا الحي بحيث كان لا يسهل لغريب أن يدخل الى الحي .

كان فى الكويت ، اشتراكية اسلامية وعدالة اجتماعية

ولعل أكبر شاهد على قيام التكافل الاجتماعى والعدالة الاجتماعية والاشتراكية الاسلامية فى المجتمع الكويتى هو ذلك النظام الذى اتبعته الكويت فى توزيع حصيلة السفن من رحلاتها (وكانت أكبر موارد البلاد حينذاك) ، فقد اعتبر دخل السفينة فى كل سفرة حصيلة مشتركة توزع بين الجميع ـ بما فيهم المالك ـ على أسس اشتراكية عادلة ، وذلك بعد خصم المصاريف الفعلية لطعام العاملين على السفينة ورسوم الموانىء المقررة (وكان الجميع يطعمون معا وعلى مستوى واحد دون تفريق او امتياز لأحد) . اما أسس توزيع تلك الحصيلة فقد جرى بها العرف والتزمها الناس كافة . ويمكن باختصار القول بانها كانت توزع على النحو التقريبي التالي :

١٠ فى المائة تقريبا لمصاريف الطعام المذكورة ورسوم الموانىء .

٤٥ فى المائة تقريبا جملة ما يؤول الى العاملين فى السفينة على اختلاف أنصبتهم .

٤٥ فى الماء تقريبا جملة ما يؤول لصاحب السفينة ويتحملمنها مصاريف الصيانة وما اليها.

مجتمع الكويت الحديث يستمد من مجتمعه القديم : تكافلا وتعاونا

هذا هو المجتمع الكويتي القديم ، لم أذكر عن حياته الا النزر اليسير من تطبيقات التكافل الاجتماعي والتعاون والعدالة الاجتماعية فيه . وان مجتمعا هذا شانه لا شك فى انه بيئة صالحة للعديد من الاصلاحات الاجتماعية التى استحدثتها

دولة الكويت بعد ذلك كما حدث مثلا فى العلاج وفى التعليم وفى غيرهما ، ولم يكن غريبا كذلك أن يأتى دستور هذا المجتمع الكويتي الصادر يوم ١٩٦٢/١١/١١ موليا هذا الجانب الاجتماعي عناية خاصة فى نصوصه وأحكامه . والأمل كبير أن تتابع الكويت هذا الاتجاه النابع من ديننا وتقاليدنا والمتفاعل مع أحاسيسنا وأفكارنا ، حتى يكون هذا البلد انموذجا للتضافر القومي الشامل فى سبيل الخير المشترك وتحقيق الرفاهية للجميع ، وحتى نكون – كما قال الرسول الكريم – كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

الناحية السياسية

لقد كانت الكويت من اقرب بلاد العالم العربى الى التقاليد الاسلامية والروح العربية الأصيلة فى شأن علاقة الوالي بافراد الأمة ، فقد كانت هذه العلاقة اقرب الى روح العائلة الواحدة منها الى مجرد الرباط السياسى الذى يضم الناس تحت لواء امارة أو دولة باوضاعهما الشكلية المرسومة ، وكنت تجد هذا الاحساس عند الجميع وفى مختلف المناسبات . وزادت من قوة هذه الصلات العائلية روح التعاون والتكافل بين ابناء المجتمع الكويتي من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية السابق الكلام عنهما .

لا حجاب بين حاكم ومحكوم

أما الشورى كأساس اسلامي للحكم فقد كانت تتمثل فى الكويت قبل الدستور فى بساطة مظاهر الحكم السياسى وعدم اقامة حجاب بين الحاكم والأفراد ، مع ما جبلت عليه نفوس الكويتيين من احترام للنظام والتقاليد ، وتوقير الصغير للكبير ، وعطف الكبير على الصغير ، مما جعل الأمور العامة للدولة محل الاستشارة وتبادل النظر مع ذوى الرأى فى البلاد .

النظام النيابى الجديد لم يكن طفرة

ولهذا لم نشعر – كما قد يظن الشخص الغريب عن حقيقة الكويت – بأن فى الأخذ بالنظام النيابى الدستورى سنة ١٩٦٢ أية طفرة او اى سبق للزمن ، بل بالعكس شعرنا بان هذا هو التطور الطبيعي السليم ، وانه هو التسجيل العادل لمنطق تطور افكارنا وأساليبنا فى الحكم والسياسة، وبخاصة اذا لوحظ ما سبق بيانه من مقومات مجتمعنا المتطور فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية والفكرية مما يقتضى بالضرورة تطويرا مماثلا فى مقومات هذا المجتمع السياسية والحكومية .

وهنا أيضا اذكر ظهور النفط وما تبعه من ثراء عام كسبب آخر للتطور السياسى وكعامل تقوية لأسباب التطور الأخرى التى اشرت اليها .

الشعب الصغير أقدر على مراقبة نوابه وحكامه

ويمكننى أن أضيف الى هذه العوامل مجتمعةعاملا آخر يخص الكويت بالذات ، وهو أن صغر هذه الدولة وقلة عدد سكانها بالنسبة للدول الأخرى يجعل بيئتها أكثر صلاحية لمتابعةرقابة الشعب لأعمال نوابه ورقابته لحكامه حتى أن الحكم النيابى فيها يكاد يكون فى واقعه حكما مباشرا للشعب .

كما أن هذه البيئة الصغيرة السريعة التطور ، الموفورة الامكانيات ، أقدر على تعرف المسائل العامةعلى وجهها الصحيح دون مجال للتمويه السياسى الذى قد يتسع مجاله فى الجماعات الكبيرة ويستشرى ضرره .

ولهذا أود – رغم ما لا بد وان يكون هنالك من ملاحظاتعلى تجربتنا النيابية الدستورية – أن أسجل تفاؤلى بالتنافس المشروع داخل مجلس الأمة وفى دوائر الحكومة لتحقيق أكبر قدر من الاصلاحات الشعبية على أحسن مستوى، وفى أسرع وقت ، وبأقل ثمن . وهذه كلها اهداف نسير نحوها ولا يمكن أن تتحقق كاملة بين يوم وليلة ، ولكن من الأهمية بمكان أن يكون اتجاهنا صحيحا نحوها ، وان نقوم عيوبنا ، وأن تكون وسائلنا لبلوغها ديمقراطية سليمة ، لا تنسى ماضينا ، ولا تتنكر لتراثنا ، أو تفقد مجتمعنا المتطور أيا من مقوماته السليمة سواءمن الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية .

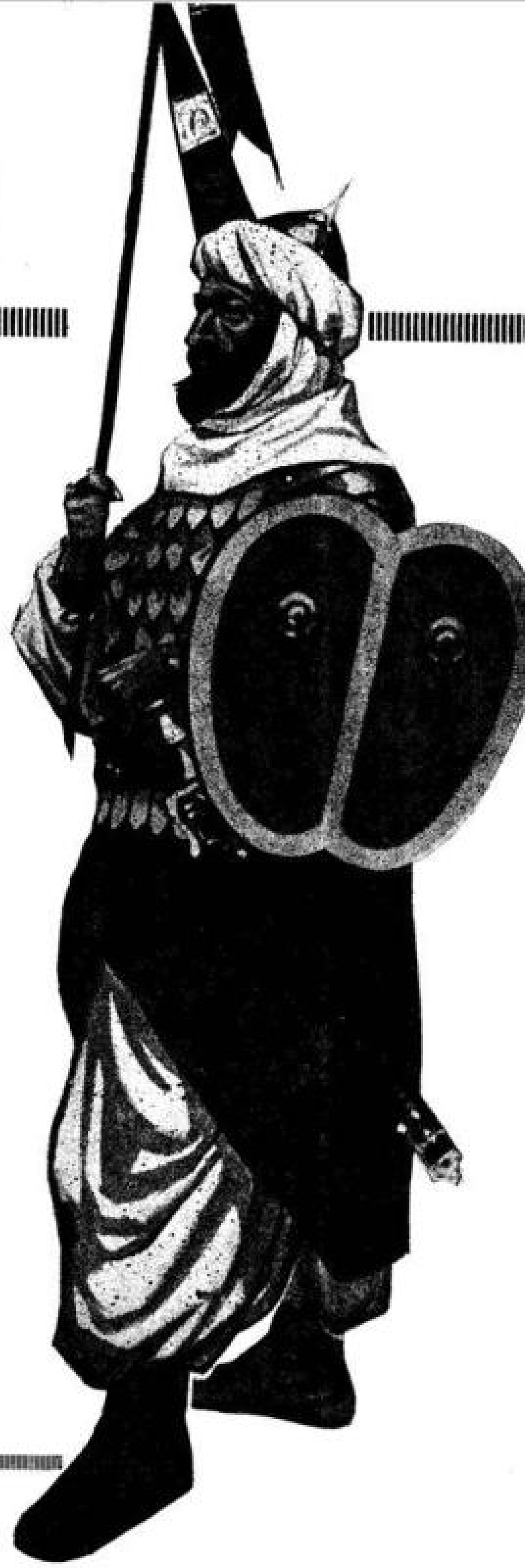
وعلى الله التوفيق . ■■

الكويت : عبد العزيز حمد الصقر

التنظيم العسكري

بقلم : الدكتور نبيه عاقل

استاذ التاريخ في جامعة دمشق



■ كان الغزو قبل الاسلام ركنا اساسيا من اركان الحياة القبلية ، تقوم به القبيلة مجتمعة في وقت معين من كل سنة لتقتص من قبيلة اخرى لها عليها الثأر ، او لتحقق مغانم تعينها على اقامة أود أفرادها الذين قل ما عندهم من زاد وتهددهم الجوع . ويرى البعض بحق ان الغزو الى جانب هذا كان محاولةً للانعتاق من حياة الصحراء الرتيبة ، واذكاءً للحماسة الكافية في النفس العربية مما يتيح للفرد اظهار بطولته وتفوقه في ميدان من أهم ميادين الحياة في الصحراء ، الا وهو ميدان الحرب والفروسية .

الاسلام غير القتال : هدفا وأسلوبا

وقد اضفى الاسلام، بعد قيام دولته ، ثوبا جديدا على عملية القتال وربطها ربطا وثيقا بالمثل الأعلى الجديد وجعلها في خدمته ، فتطورت هذه العملية ، لا من حيث الهدف فحسب ، بل من حيث الأسلوب والطريقة ايضا .

● كان الجيش الإسلامي جيشا

فى الإسلام

لم يكن جيش المسلمين فى عهد الرسول يزيد على ثلاثة آلاف فقفزوا فى عهد الأمويين الى أربعين ألفا

أعداد الجيوش فى أول الاسلام صغيرة

كان المهاجرون أول من قام بأعباء القتال من المسلمين ، فقد كان الرسول الكريم يرسل فئات منهم من المدينة على شكل سرايا لاستطلاع أحوال قريش واعتراض قوافلها . ولم تكن هذه السرايا كبيرة فى العدد، فقد كان عدد أفراد السرية الأولى لا يتجاوز الثلاثين ، ووصل هــذا العدد الى الستين فى السرية الثانية . اما عدد أفراد السرية الثالثة فكان لا يزيد على العشرين . وكانت غزوة بدر أول معركة يشترك فيها الأنصار . وكان عدد أفراد الجيش الاسلامى الذى سار للقاء قريش فى بدر ثلاثمئة مقاتل بينهم سبعون مهاجرا والباقون من الأنصار . وازداد هذا العدد فى غزوة أحد حتى بلغ على ما تزعم المصادر الالف مقاتل، يقابلهم ثلاثة آلاف من المشركين . وكان فى جيش المشركين يوم أحد مئتا حصان، وسبعمئة من لابسى الدروع، مقابل حصانين فقط ومئة من لابسى الدروع فى جيش المسلمين .

ولما اشتد عود دولة الاسلام وسارت قدما فى طريق تثبيت كيانها تمكنت من أن توفر جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل أرسلهم الرسول فى السنة الثامنة للهجرة الى مؤتة ووجههم بعد ذلك الى مكة لفتحها .

كان المقاتلون الذين اشتركوا فى هذه العمليات العسكرية من الرعاة القبليين الذين لم يتلقوا تدريبا عسكريا خاصا ، ولكن طول تمرسهم بالحرب واسهامهم فى أكثر من معركة أعطاهم الخبرة والدراية وجعلهم على مستوى عال من الكفاية والمقدرة .

أعداد الجيوش فى زمن الراشدين

وفى زمن الراشدين تزايدت أعداد الجنود حتى بلغ عدد أفراد الجيش الذى خاض معركة اليرموك، على حد زعم بعض المصادر ، سبعة وعشرين الف مقاتل ، انضم اليهم تسعة آلاف آخرون بقيادة خالد بن الوليد . واذا كانت هناك شكوك حول هذا الرقم ، سيما وأن بعض المصادر كتاريخ الطبرى وغيره تبالغ فى عدد جيش الروم الذى خاض العرب هذه المعركة ضده مبالغة شديدة ، فان هذه الشكوك لا تصح بالنسبة لأخبار الفتوحات الأخرى اذ أن الأعداد التى تذكرها المصادر أعداد مقبولة ولا تصل الى هذا الحد .

البصرة نشأت من مضارب خيام أيام عمر

وكلما تقدم الزمن بالدولة الاسلامية وازداد عدد رعاياها من العرب وغير العرب ازداد عدد أفراد جيشها . ففى العراق مثلا كانت الحامية

عربيا صافيا، ثم دخله المرتزقة من الفرس والأتراك

التى تعسكر فى موقع البصرة أيام عمر بن الخطاب لا تتجاوز الثمانمئة مقاتل تصحبهم زوجاتهم واولادهم . وكانوا لقلة عددهم يسكنون فى خيام ضربت لهم فى هذا الموقع . ولما ازدادت اعدادهم وتكاثروا بنيت لهم القرى ، وما لبثت هذه القرى ان تقاربت وتجمعت حتى شكلت مدينة واحدة كبيرة هى مدينة البصرة . وهكذا ، وفى اقل من ربع قرن ، انتقلت البصرة من أرض خراب ضرب عليها عدد من الخيام الى مدينة كبيرة يقطنها ثمانون الف رجل قادرون على حمل السلاح ، ومئة وعشرون الف امراة وطفل وشيخ ، كما يدل احصاء أجرى زمن ولاية زياد بن ابيه عليها .

وكما نشأت البصرة ، نشأت الكوفة

وما قلناه عن نشأة البصرة يصح على الكوفة فقد بدأت الكوفة حياتها كمعسكر ضربت فوقه خيام الجنود المحشدين للعمليات العسكرية على الحدود الشرقية ، وما لبثت أن أصبحت مدينة كبيرة تضم ستين الف مقاتل وثمانين الف طفل وامرأة وشيخ .

جيش أموى قوامه ٤٠٠٠٠ رجل

وكدليل على القوة الهائلة فى الرجال التى كانت تتوفر فى الجيش الاسلامى زمن الأمويين يمكننا ان نذكر أن الدولة الأموية استطاعت أن توفر فى العام ٩٦ للهجرة جيشا مؤلفا من أربعين الف جندى من قبائل البصرة الخمس فقط من أجل عملية عسكرية واحدة قامت بها فى شرقى خراسان . وقد عرف الجيش القبلى المؤلف من رجال القبائل البصرية الخمس (وهى قبائل : عليه ، وبكر ، وتميم ، وعبد القيس ، والأزد) باسم جيش الاخماس ، كل خمس يشكل وحدة مستقلة لها امرها .

الجيش العربى تدخله عناصر غير عربية

وقد ظل الجيش الاسلامى جيشا عربيا صافيا حتى تم للمسلمين فتح فارس ، وانضوى أهلها تحت لواء الاسلام ، فدخل بعضهم الجيش الاسلامى كمتطوعة ، ودخله بعضهم كجنود مرتزقة . كما دخلته بعد فتح بلاد ما وراء النهر اعداد من سكان بخارى وخوارزم وكش ونسف تقدر بعشرين الف مقاتل أجبرهم القائد الأموى قتيبة بن مسلم الباهلى ان يتوجهوا مع بقية عناصر جيشه الى الشاش (طشقند الحالية) لفتحها وضمها الى جسد الامبراطورية الاسلامية . وهكذا ، ومنذ عصر الفتوحات أخذت الصفة العربية تزول عن الجيش الذى دخلته عناصر مسلمة غير عربية فاصبح جيش الاسلام اكثر منه جيش العروبة .

ولا بد من التفريق هنا بين من حملوا لواء الدفاع عن الاسلام فى أول عهده وبين الذين سيقوا فيما بعد الى ميادين القتال ، اما مكرهين او طامعين فى عطاء او غنيمة . لقد كان حملة الاسلام الأول زاهدين فى كل ما قد يجلبه لهم الجهاد من مغنم ، وكثيرا ما كلفهم الجهاد أموالهم وممتلكاتهم الى جانب أرواحهم ، وحديث عثمان بن عفان وجيش العسرة ليس عنا بغريب . ومع تقادم الزمن اخذ الدافع المادى يتسرب الى نفوس عدد كبير من المقاتلين فساروا الى الحرب تحملهم احلام الثراء لا الرغبة الصادقة فى لقاء وجه بارئهم وجنات خلده . ومن هنا ، من هذا التحول الذى اصاب نفوس عدد كبير من الذين الت اليهم راية الجهاد ، الى جانب ضغط الحاجة المادية ، كان لا بد أن يقام ديوان للجند تدون فيه أسماء المقاتلة وارزاقهم .

ديوان للجند ، وأعطية وعِرافات

وكان عمر بن الخطاب أول من حقق هذا العمل الكبير ، واليه يعود الفضل فى تنظيم الناس فى طبقات ، وتقدير العطاء الواجب لهم حسب سابقتهم فى الاسلام وقرابتهم من رسول الله وتفانيهم فى الجهاد . وقد قسم الجيش من أجل هذا الغرض الى « عِرافات » أو زُمَر اختلفت فى عددها حسب تطور الزمن ونظام الخدمة . فقد كان عدد أفراد كل « عِرافة » أول الأمر عشرة أشخاص ، ثم أصبح زمن عمر بن الخطاب ثلاثة وأربعين رجلا ، يقابلهم عدد مماثل لهم من النساء والأطفال . وكان عطاء كل عِرافة على زمنه مئة ألف درهم فى العام .

وقد ازداد هذا العدد بعد معركة القادسية اذ دخلت الجيش عناصر غير عربية فاصبح عدد افراد العرافة الواحدة اكثر من ثلاثة واربعين الا ان عطاءهم ظل على حاله .

رتب الجيش

وفي ظل الخلافة العباسية قسمت وحدات الجيش تقسيمات جديدة وأصبح كل تسعة جنود تحت امرة شخص عاشر له رتبة عريف . ويعلو العريف في الرتبة شخص اسمه الخليفة ويتبعه خمسون جنديا(اى خمس عرافات) ويعلوه القائد وتحت امرته مئة جندي . وطبيعي ان يكون القائد اعلى رتبة من العريف والخليفة .

تأمين أعطية الجنود

وكانت اعطيات الجند تدفع اول الأمر من الغنائم التي تقع في يد الجيش بعد المعركة . وحين قلت الغنائم واعتمدت الدولة في تأمين مصروفاتها على الضرائب تجبيها من سكان البلاد المفتوحة ، وقع العبء على بيت المال في تأمين عطاء الجند . وقد لجأت الدولة في بعض الأحيان الى منح جنودها المتازين وقوادها المبرزين الاقطاعات مقابل خدماتهم العسكرية . ولم يعمل بنظام الاقطاعات العسكرية على مقياس واسع في أيام الدولة الاسلامية الاولى ، ولم ينتشر هذا النوع من العطاء الا زمن الدولة السلجوقية .

اعطية الجنود عبء على خزانة الدولة

وهكذا أصبح عطاء الجند منذ زمن الأمويين عبء خزانة الدولة الرئيسي . وكمثال على مقدار ما كان يدفع للجندي مقابل خدمته في الجيش يمكننا ان نذكر انه كان في مصر اثناء حكم معاوية ابن أبي سفيان حامية مؤلفة من أربعين الف مقاتل كان يدفع لكل فرد من أفرادها مقدار مئتي دينار سنويا ، مما أدى الى استنزاف معظم واردات ولاية مصر ، وعدم وصول شيء مما يجبى منها الا اليسير الى بيت مال المسلمين . وكان الحال مماثلا في سورية ، فقد كانت بلاد الشام مقسمة الى أجناد ، ولكل جند حامية ، ويقع على عاتق الخزانة المحلية دفع عطاء افراد هذه الحامية .

القبائل تزود الخلافة بالجند

وحتى تضمن الخلافة الأموية معينا دائما من الرجال فقد لجأت الى عقد معاهدات مع شيوخ بعض القبائل الضاربة في انحاء الامبراطورية تدفع الدولة بموجبها لهؤلاء الشيوخ مبالغ من المال مقابل تزويدها باعداد محددة من المقاتلين حين تدعو الحاجة لذلك . ومن هذا القبيل الاتفاق الذي عقدوه مع بعض القبائل القحطانية التي كانت تنزل في سورية والذي كان ينص على ان تزودهم هذه القبائل بالفي مقاتل مقابل ان يدفعوا لشيخ القبيلة مليوني درهم ، وأن يضمنوا له حق تعيين من يريد ليخلفه في منصبه بعد وفاته. وقد وسع الخليفة يزيد الثاني حدود هذا الاتفاق فجعله يسري على بعض القبائل النازلة في أرض عمان التي رضيت أن تمده بثلاثة الاف مقاتل حين يطلب اليها ذلك .

واستمر العمل بهذا النظام زمن بني العباس ولا سيما في عهد خلفائهم الاول الذين اقاموا معاهدات مماثلة مع شيوخ بعض القبائل . وفي خلافة المنصور بنيت ملطية على الحدود البيزنطية ونقل اليها أربعة الاف محارب من رجال القبائل العربية النازلة في العراق . وقد منح الخليفة كل رجل منهم مبلغ عشرة دنانير علاوة على عطائه المقرر، كما منح كلا منهم مئة دينار هبة لا تدخل في حساب ما هو مقرر لهم من مصاريف . وكانت العادة أن القبيلة التي لا تنفذ اتفاقها مع الخليفة وترسل رجالها للانضمام للجيش تجبر على دفع مبلغ من المال يستعمل لاستئجار آخرين يحلون محل افراد القبيلة التي امتنعت عن تنفيذ الاتفاق. وكان على كل من يتقاضى العطاء والارزاق من الدولة ان يكون على أهبة الاستعداد دوما لتلبية ندائها حين تدعوه للانخراط في صفوف الجيش وحمل السلاح ، واذا تلكأ فمن حقها أن تجبره على ذلك .

فئتان الى جنب الجيش : المرتزقة والمتطوعة

وقد وجد الى جانب هذا الجيش النظامي الذي يتقاضى أفراده راتبا دائما فئتان من المقاتلة: فئة المرتزقة وتدعى للخدمة عند الحاجة مقابل اجر معين وتصرف بانتهاء الحاجة اليها ، وفئة المتطوعة التي تسارع للانخراط بالجيش وتحمل السلاح بدافع الحماس والايمان وحب الجهاد . وهذه الفئة الاخيرة لا تتقاضى من الدولة شيئا ، وتتحمل هي نفقات السلاح وعدة الحرب، وقد تشارك في مصروفات المعركة وتجهز المرتزقة او تتبرع بنصيبها من الغنائم الى بيت المال .

العهد العباسي اعتمد على الجيش الخراساني

ومنذ أوائل العهد العباسي اصبح الاعتماد على العناصر غير العربية في الجيش ، حجر الاساس في سياسة الدولة العسكرية . فقد كانت الخلافة منذ الدور العباسي الاول تعتمد على جيش رجال القبائل الخراسانية الذي الفه أبو مسلم الخراساني واستعمله لاستلاب السلطة من البيت الأموي . وقد وصل عدد افراد هذا الجيش في اخريات أيام أبي مسلم الى ما يزيد على السبعة الاف مقاتل تمنحهم الدولة بين الحين والآخر هبات مالية غير كبيرة . وقد ازدادت أعداد افراد الجيش الخراساني مع مرور الأيام بما انضم اليهم من رجال الجيش الأموي المهزوم ، وظلت الدولة العباسية تعتمد على جيش القبائل الخراسانية هذا وتستعمله في عملياتها العسكرية ومن اجل حماية الخلفاء انفسهم مدة قرن تقريبا .

جنود مرتزقة من الترك

وفي حوادث العام ١٩٢ هـ يذكر لنا الطبري ولأول مرة اخبار عن جنود مرتزقة من الترك حاربوا الى جانب رافع بن الليث في ثورته ضد المأمون الذي كان على رأس جيش الخلافة . ومن ثم وبعد سنتين من هذا الحادث نقرأ عن قوات من الترك والخوارزميين والبخاريين تحارب في صفوف جيش المأمون ابان الصراع بينه وبين أخيه الأمين من أجل السلطة .

عناصر فارسية تدخل جيش الدولة

ولما آلت الخلافة الى المعتصم سنة ٢١٨ هـ ٨٣٣ م قامت فئات من العناصر الفارسية التي كانت في جيش الدولة واعلنت عصيانها على الخليفة الجديد وتأييدها للعباس بن الخليفة المأمون .

المعتصم يستغني عن خدمات العرب في جيشه

وبعد ان قضى المعتصم على هذا العصيان بمساعدة العباس نفسه شعر ان لا بد له من التخلص من العنصر الفارسي في جيشه والاستعاضة عنه بعنصر جديد أكثر ولاء لشخصه فالتجأ الى القبائل التركية النازلة في شرقي فارس ، واشترى عددا كبيرا من افرادها ، وجاء بهم الى بغداد ، وجعل منهم حرسه الخاص ونواة الجيش الجديد الذي اسكنه بغداد أول الأمر ، ومن ثم نقله الى القاطول ، وبعدها الى سامراء ، العاصمة الجديدة . واضطر المعتصم بنتيجة هذا ، وبسبب عدم ثقته بعناصر جيشه الأخرى ، والاعباء المالية التي يتطلبها تشكيل الجيش الجديد ، الى شطب أسماء الجند العرب من ديوان الجند في مصر والاستغناء عن خدماتهم .

وظلت الادارة العربية في مصر لا تستعمل الجند العرب في جيشها حتى ولاية احمد بن طولون الذي عاد ـ على حد زعم المقريزي في خططه ـ الى استخدامهم .

واعتمد المعتصم على عناصر أخرى غير الترك

على ان المعتصم لم يعتمد على الأتراك وحدهم ، بل استعان ببعض العناصر الأخرى ولا سيما المغاربة الذين شكل منهم فرقا خاصة شاركت جيشه التركي في حصار عمورية سنة ٢٢٣هـ ٨٣٨م . كما شكل فرقا من الفرغانيين والمصريين والعبيد وغير ذلك .

تسلط الأتراك بعد مقتل المتوكل

وقد أدى التفريق في المعاملة المالية بين رجال الفرق المختلفة زمن المتوكل ، الذي كان يحابي الشاكرية ويفضلهم على الأتراك والمغاربة ، الى اضطرابات دامية كلفت المتوكل حياته . فقد قتل بيد أحد قواده الأتراك المسمى باغر ، وكان مقتله فاتحة عصر طويل من التسلط التركي كان خلاله القواد الترك يهبون الخلافة لمن يريدون ويحجبونها عمن يريدون . وحديث خلفاء الدور العباسي الثاني ، الذين سُمِلت أعين الكثيرين منهم ، أو حبسوا في الشمس حتى ماتوا ، ليس بغريب عن الكثيرين منا .

اقطاعات عسكرية

وقد اصبح هذا العدد الكبير من الأتراك عبئا ثقيلا على خزانة الدولة مما اضطرها في بعض الأحيان الى منحهم الاقطاعات العسكرية للتخلص من دفع رواتبهم . وظل العمل بنظام القطائع قائما حتى زمن السلاجقة الذين طوروه واستخدموه على مقياس واسع . ففي سنة ٥١٥ هـ اقطع

السلطان السلجوقي محمـــود مدينـة الموصل والأراضى المحيطة بها الى الأمير اق سنقر مكافأة له من أجل بعض الأعمال العسكرية التى قام بها. ولم يؤت هذا النظام أكلـه وأدى الى انتكاس الزراعة وافقار الفلاحين وخراب اقنية الرى لجهل المقطعين بأساليب العمل الزراعى مما اضطر الدولة الى العدول عنه .

البويهيون بعد الأتراك

والمهم ان البويهيين الذين خلفوا الأتراك فى السيطرة على الجيش وبالتالي على الخلافة لم يكونوا أحسن حالا من سابقيهم ، وظل العمل العسكرى من اختصاص فئات أجنبية متسلطة تستأثر بالنصيب الأوفر من موارد الدولة وتعرقل سيرها وتفرض ارادتها الحاقدة علـى الخلافـة والخلفاء والأمة أجمع .

السلاجقة بعد البويهين

وفى عهـد السلاجقة الذين انتزعوا السلطة والتسلط من البويهيين بنيت السلطة السياسية على اساس من القوة العسكرية مما اضطرهم الى تقوية جيشهم وزيادة عدده حتى بلغ على حد زعم نظام الملك ، الوزير السلجوقي ، اربعمائة الف مقاتل .

رؤساء الجيش ومراتبه

كان الخليفة ، باعتباره خليفة رسول الله ، القائد الأعلى للجيش ، واليه يعود أمر تسييره واعلان الحرب وتدبير العدة والسلاح . ويلـي الخليفة من الرئاسة العسكرية القادة يتولـون سلطاتهم بأمر منه . وكثيرا ما كان الخلفاء يعهدون بالقيادة الى ابنائهم أو بعض افراد أسرتهم شريطة ان يكونوا من ذوى الخبرة فى القتال والبأس فى مواجهة الأعداء . ويعـين قادة الجيوش قوادا يأتمرون بامرتهم ويشرفون على سير عمليات القتال. وقد جرت العادة ان يقود رؤساء القبائل أو من ينوب عنهم أفراد قبائلهم أثناء المعركة وذلك تحت امرة القائد العام الذى كان يعرف باسم الامير .

وتنسب الى عمر بن الخطاب فكـرة ترتيب الجيش فى مراتب ، ويقال انه كتب الى قائد جيشه فى فـارس ، وكان حينئذ فى القادسية ، يأمره أن يقسم الجيش الى عشرات وأن يعين عليهم العرفاء والأمراء . وكان يلي الأمير فى الرتبة أمَراء وحدات التعبية ويليهم العرفاء ، وحملة الرايات ، وأخيرا الرؤساء القبليون . ويبدو انه كان هناك أمراء خاصون لفرق الخيالة ولكن ليس لدينا ما يساعدنا على تحديد وضعهم ومراتبهم .

والى جانب القادة المحاربين ، كان الجيش يضم عددا من الأشخاص الذين تعتبر خدماتهم متممة لعمل القادة وهم : الأطباء ، والقاضي الذى كان من أهم واجباته الاشراف على توزيع الغنائم وضمان العدل فى هذا التوزيع ، والداعية الذى كان عليه أن يحمّس الجنود ويدفعهم للقتـال ويشرح لهم الهدف الذى من أجله ندبهم الخليفة لهذه المهمة ، والرائد الذى يتقدم الجيش وينتقي له قبل وصوله مكانا لنزوله تتوفر فيه شروط المخيم الجيد الأمين . هذا الى جانب ترجمان يحسن لغة العدو،وكاتب يتولى مراسلات الجيش.

التشكيل العسكرى : خماسى

وكان التشكيل العسكرى الأكثر شيوعا عند العرب ، سواء أثناء العرض أو السير أو القتال، هو التشكيل المعروف باسم التعبية . وبموجب هذا التشكيل ينقسم الجيش الى خمسة اقسام وهى : القلب والجناح الأيمن والجناح الأيسر والمقدمة والساقة . ويضم كل قسم رجالا من نفس القبيلة أو على الأقل من قبائل صديقة . وكان مكان الأمير فى القلب ومعه رجال حاشيته ، أما معاونوه فكانوا فى الجناحين الايمن والايسر . وتتكون المقدمة من رجال الطليعة الأشداء الذين يترأسهم قائدهم ويميزهم علمهم الخاص . أما السـاقة فكانت مهمتها حماية الجيش وحمل المؤن والذخائر والعتاد وأدوات الحصار الثقيلة .

وحدات فى الجيش منفصلة

والى جانب هذا التشكيل الخماسي الذى كان يتألف منه الجيش كانت هناك وحدات منفصلة أهمها الفئة التـى كانت تسمى بالجردة ، وهى فئة خفيفة الحركة تعتمد على الأسلحة الخفيفة وتنتقل الى ميدان المعركة بسرعة . وفئة الطلائع التى هي عبارة عن فريق من الكشافـة تسبق الجيش فى سيره وتتعرف على أوضاع العدو ، وتستطلع أخباره، وقد تناوشه لتختبر مدىقوته.

التشكيل الخماسى منذ اول الاسلام

وكانت الأقســام الخمسة الرئيسية للجيش

تقاتل أحيانا وهي متلاحمة متراصة الصفوف ، أو تقاتل منفصلة حسب ظروف المعركة وما يراه قائدها لضمان النصر . وقد استعمل هذا التشكيل الخماسي منذ الأيام الأولى لدولة الاسلام ، فسار عليه المسلمون في بدر واعتبر حينئذ فتحا جديدا في عالم التكتيك العسكري . وظل استعماله شائعا لقرون طويلة فيما بعد ، ورغم ما أدخل عليه من تعديل وتطوير فقد ظل هو الاساس المعتمد في أغلب المعارك الكبيرة التي خاضتها جيوش اسلامية في مختلف العصور .

الشعراء في المعارك

وقد جرت عادة العرب الاوائل أن يفتتحوا معاركهم بوقوف الشعراء منشدين الشعر الحماسي، مذكين نار الحمية في نفوس المقاتلين ، مذكرين بأمجاد الآباء والأجداد .

المبارزة قبل بدء القتال

وكان من تقاليدهم أيضا أن يخرج أبطال الفريقين للمبارزة قبل بدء القتال . وقد اتبع هذا التقليد منذ الجاهلية وظل شائعا بعد قيام الاسلام واستعمله بعض القادة في معاركهم مع البيزنطيين .

تطور الأسلحة عند العرب

ولا بد لنا في نهاية هذا العرض السريع للتنظيم العسكري في الاسلام من أن نذكر أن الجيش الاسلامي الأول كان يفتقر الى السلاح افتقاره الى الرجال ، وأن الزمن والتطور والتقدم في الميدان العسكري والاتصال بالأمم الأخرى كانت كلها عوامل ساعدت على تطوير السلاح العربي حتى أصبح في المكان الأول بين أقرانه . ولقد كانت الأسلحة التي تستعملها فرق المشاة في أول الأمر لا تعدو الحراب والرماح والسيوف . وكانت أسلحة الفرسان تتألف من القسي والحراب أو السيوف . ويرد في بعض المصادر ، كتاريخ ابن الأثير ، ذكر المقاليع التي كان يحملها بعض المحاربين ، ولكنها لم تكن على ما يبدو سلاحا أساسيا من أسلحة المعركة .

وكان المحارب يرتدي الخوذة والدرع ، ويحمل الترس لحماية نفسه من طعنات وسهام العدو . والطريف أن المحاربين الذين كانوا يذهبون في مهمات بعيدة كانوا يحملون معهم الخيوط والابر والمقصات والمخارز وغير ذلك من أدوات قد يحتاجونها في غيبتهم الطويلة .

وكان القادة والأمراء يرتدون درعا سابغا تشير اليه بعض المصادر باسم التنور . وكثيرا ما كان الدرع الطويل عبئا ثقيلا على لابسه يعيقه عن الحركة ويمنعه عن العمل السريع .

وظل السيف والترس السلاح الوحيد للمتبارزين . وكان السيف يحل دوما محل القسي والسهام في عمليات القتال القريب والالتحام . وقد يستعاض عن السيف في بعض الأحيان بالخنجر . وهناك نوع خاص من الخناجر تدعوه المصادر باسم الدبوس .

سلاسل من القلاع عند الحدود

ومن أجل العمليات العسكرية الطويلة الامد بني العرب سلسلة من القلاع العسكرية على الحدود التي تفصلهم عن أعدائهم ولا سيما الحدود مع بيزنطة . وكانت هذه القلاع ، أو بالأحرى المدن العسكرية ، تعرف باسم العواصم .

كما حفروا الخنادق وعسكروا فيها لمدد قد تطول أو تقصر حسب متطلبات المعركة وظروفها . وغني عن القول أن الرسول الكريم كان أول من استعمل الخندق في عملية عسكرية في الاسلام ، وأنه تقبل في هذا نصيحة صاحبه سلمان الفارسي فحمى المدينة من شر المكيين المهاجمين . وقد استعمل الخندق بعد هذا كتدبير اضافي في عملية تحصين المدن التي كانت في خطر من هجوم الاعداء.

وبنوا الأسوار حول المدن

وكانت أسوار المدن تبنى ثخينة من مواد صلبة وتحشى بألواح من الخشب لتقاوم ما ترميها به أدوات الحصار الثقيلة . أما البوابات والاقسام الاخرى من السور التي قد يتسلل منها العدو فكانت تحصن بالمنجنيقات والمقاليع الكبيرة لرمي الحجارة على من يهاجمها . وكانت تخصص فرق من الجيش لحفر الخنادق وتركيب أدوات الحصار ، وتعتبر هذه الفرق ملحقة بالجيش ، واذا لم تتوفر فعلى قطعات الجيش نفسه أن تقوم بهذه الاعمال .

المنجنيق والقلاع

ان المنجنيق والقلاع من أقدم الأدوات التي استعملها الجيش الاسلامي في أعمال الحصار .



المنجنيق ... والقلاع ... والدبابات الخشبية من اقدم الادوات التى استعملها الجيش الاسلامى فى أعمال الحصار ...

الصليبيين استعمل الجيش الاسلامي ولأول مرة آلة حربية جديدة هي « الزيار » ، ويبدو انها آلة تستطيع رمي أعداد كبيرة من السهام الثقيلة دفعة واحدة مما لا يستطيعه رماة الأسهم باليد . ويذكر ابن الأثير اسم نوع من القسي الكبيرة التى تستعمل باليد وتستطيع اطلاق السهام الثقيلة. وهذا النوع هو « الزَّمْبورَك » الذى ظل شائعا لأمد طويل والذى يستمد اسمه من طنين النحل للتشابه بين صوت السهام وصوت النحل الطائر .

الدَّبابات

ومن الآلات التى كانت تستعمل فى الحصار الدبابة وعملها الاساسى الهجوم المباشر على على اسوار المدن المحاصرة . والدبابة نوع من البرج الخشبي المتحرك ذى طبقات عديدة فى كل منها عدد من الرجال الجاهزين للانقضاض متى جاء الوقت المناسب . وكان سلاح الرجال الموجودين فى الطبقة السفلى من الدبابة المعاول والمثاقب ويستعملها هؤلاء لهدم السور المهاجم او لاحداث ثغرة فيه ينفذ منها رجال الجيش الصديق . أما الموجودون فى الطبقة العليا فكان سلاحهم القسي والسهام ومهمتهم حماية رجال الطبقة السفلى أثناء عملهم ورمي جنود الأعداء المنتشرين فى أعلى السور . ويسير عمل الرجال الموجودين داخل الدبابة مع عمل فريق « النقابين » الذين تنحصر مهمتهم فى حفر نفق تحت السور ينفذ منه المقاتلون ، ويحميهم اثناء اداء مهمتهم هذه فريق من رماة السهام يقيمون سداً من سهامهم بينهم وبين رماة العدو . وقد استعمل الكبش أيضا فى الحصار ، واذا كان السور أقوى من كل هذه الوسائل كان المقاتلون ينصبون السلالم الطويلة ويصعدون عليها ويقوم الرماة بتامين الحماية الأرضية لهم .

وبعد فهذه هى بعض نواحى التنظيم العسكرى فى الاسلام أعلم انى لم أوفها حقها ، فالبحث أطول من أن تستوعبه صفحات قليلة . ولأعترف ان نواحى كثيرة ظلت دونما معالجة ولم تحظ حتى باشارة . وعذرى أنى لم أغفلها جهلا باهميتها ولكن ضنا بوقت القارىء الكريم فقد اتسع الحديث وتشعب .

نبيه عاقل ■■

وقد استعملا فى حصار دمشق سنة ١٣ هـ ، كما استعملها محمد بن القاسم فى حصار الديبل فى بلاد السند . وكان لمحمد بن القاسم هذا منجنيق مشهور يدعوه « العروس » يعمل على تحريكه والرمي به طاقم من الجنود عددهم خمسمئة جندى . وكانت المهمة الاساسية للمنجنيق كسلاح رمي الحجارة الثقيلة على اسوار العدو وما وراءها . وقد استعمل فى بعض الأحيان لرمي النار والنفط المشتعل على العدو . ويقال ان الرشيد فى حصار هيراكلية كان يرمي على الروم حجارة مخلوطة بالكبريت والنفط بعد أن يلفها بقطع من قماش الكتان ويضرم فيها النار . وكانت هذه الكتل المشتعلة تتعلق باسوار العدو التي ما تلبث أن تتصدع بفعل الحرارة الشديدة . وقد الحقت بالجيش فيما بعد فرق خاصة يعرف أفرادها باسم « النفاطين » ومهمتهم تحضير هذه الكتل من الحجارة الملتهبة ورميها ، أو اطفاء الحرائق التى قد يتعرض لها معسكر المسلمين اذا ما رمي بنار مماثلة .

وفى بعض معارك صلاح الدين الأيوبي ضد

الشعر العربي كيف تطور على العصور ؟



ابو تمام

• الكلاسيكية: انتهت بانتهاء القرن التاسع عشر

بقلم : أنيس المقدسي

استاذ اللغة العربية وآدابها بالجامعة الامريكية (سابقا) بيروت

ليس غرضنا فى هذا المقال ان نتحدث عن الشعر العربي وعصوره التاريخية ، فقد كثر الكلام فى ذلك حتى لم يبق بعدُ مجالٌ لمتكلم . وانما هي نظرة فى الشعر من حيث هو فن ذو اطوار يتميز كل منها بطابعه الخاص .

وسنحصر حديثنا فى ثلاثة منها هى الكلاسيكي والرومانسي والرمزى . ولقد وضع البعض للاولين اسمين عربيين فترجموا الكلاسيكي بالتقليدى او الاتباعى او الاصولي ، والرومانسي بالحر او الابداعي . على اننا سنحافظ هنا على ما اصطلح عليه النقاد فى جميع اللغات ايثارا للوضوح فى الكلام .

الكلاسيكية

ولنبدأ بالقول ان الكلاسيكية لا تنحصر فى عصر من العصور التاريخية . فشعراء الجاهلية مثلا كلاسيكيون بالنسبة الى العباسيين ، وهؤلاء كلاسيكيون بالنسبة الى أهل هذا العصر . بل الشاعر الواحد قد يكون أصوليا متبعا حينا ، وحرا مجددا حينا آخر . خذ شاهدا على ذلك ابا نواس . فهو فى مدائحه ومراثيه لا يخرج عن طريقة من سبقه ، ولكنه فى خمرياته يحاول الخروج عنها فيستهزىء بالذين يقفون على الطلول ويصرفون الشعر فى وصف الحياة البدوية . ومثله ابو تمام والبحترى وابن الرومى والمتنبي والمعرى وسواهم من نوابغ الشعر القديم ــ كل منهم على كونه يسير على الجادة العامة ، يخرج عنها أحيانا ويسير فى طريق خاصة يعرف بها ويصدق هذا القول على كثيرين منقدماء ومحدثين .

على اننا لا ننكر ان الكلاسيكية تطبع أدبنا القديم بطابع عام . فما هو هذا الطابع وكيف نحدده ؟

ولعل أول من حدده لنا هو ابن قتيبة فى مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » اذ قال « سمعت



البحترى



ابن الرومى



المتنبى



ابو العلاء المعرى

• الرومانسية قيثارة الأسى والألم ...

• الرمزية موسيقيّة الأساس، إيحائيّة اللّفظ

بعض أهل العلم يقول ان مقصد القصيدة انما ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار ، فشكا وبكى وخاطب الربع واستوقف الرفيق . ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين . ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا ، شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصبابة ، ليميل نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه ويستدعي بها اصغاء الاسماع اليه . فاذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء اليه ، عقب بايجاب الحقوق ، فرحل فى شعره ، وشكا النصب والسهر وسرى الليل وانضاء الرحلة ... فاذا علم انه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمام التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره فى السير ، بدأ المديح . فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب وعدل بين هذه الاقسام، ولم يطل ويمل السامعين ، ولم يقطع والنفوس ظماى الى المزيد » .

« خصال الشعر » القديم عند المرزوقى

فهناك نحن امام طريقة كان يفرض على الشعراء سلوكها ، وقد حددها لنا ابن قتيبة وهو من اهل القرن الثالث الهجرى ، وظلت متبعة حتى عهد قريب . الا انها تغيرت قليلا مع الزمن من حيث معالمها الرئيسية . فأصبح النقاد القدماء يشددون على يسمونه « عمود الشعر » ويعنون بذلك صحة المعنى ، والاصابة فى الوصف، وعدم الهجنة فى اللفظ ، وتناسب الاستعارة ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، واقتضاؤها للقافية ، وما الى ذلك من صفات . هكذا يحددها لنا المرزوقى فى شرحه ديوان الحماسة ثم يقول « فهذه الخصال هي عمود الشعر عند العرب . فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها ، فهو عندهم المفلق المعظم ، ومن لم يجمعها كلها فبقدر سهمته فيها يكون نصيبه من التقدم والاحسان » .

واذا اضفت الى كل ذلك ما دخل عمود الشعر من أصول التفنن البديعي استطعت أن تقول ان الطريقة الكلاسيكية فى الشعر العربى هي على العموم ـ الابتداء بالغزل وقوفا على الدمن والآثار ، أو تشبيبا بالحبيبة الراحلة ، والافتنان بوصف أشواق الفؤاد وما يحتمله من الم البعاد ، ثم حسن التخلص الى الغرض المقصود من مدح أو سواه على ان يراعى فى كل ذلك حسن البيان وطلاوة اللفظ وملاءمته للمعنى والقافية .

وعلى هذه الحال وصل الشعر الى عهد اليقظة فى القرن التاسع عشر فتناوله رواد النهضة . ولكنهم مع تحسينهم لديباجته ، بعد ان غشيه

الفساد فى عصر الانحطاط ، ظلوا يتبعون الطريقة القديمة . ولم يحدث تجدد يذكر حتى أوائل قرننا الحالي . ففى مطلع هذا القرن كان الشعر العربى يتمخض بحركة جديدة . ولم يمر عليها غير بضع سنوات حتى ظهرت . ثم أخذت بعد الحرب العالمية الأولى تتسع وتنتشر . فانقسم الأدباء من جرائها قسمين ـ أحدهما محافظ يحاول التمسك بالقديم ، والآخر مجدد يطلب نبذ القديم والأخذ بما تتطلبه الحياة الجديدة . وقد اشتدت الخصومة بين الفريقين ، ثم انجلت عن ظهور شعراء متأثرين بأدباء الغرب وخصوصا شعراء القرن التاسع عشر منهم ، مما أدى الى دخول الشعر فى طور جديد هو الطور الرومانتيكي فى أدبنا الحديث .

الرومانسية فى الشعر العربى



جبران خليل جبران

وهي حركة شعرية يراد بها التحرر من قيود الأصول التقليدية . وبكلمة أخرى هي انطلاق الشخصية على سجيتها حرة من كل عرف جرى عليه الناس ، أو طريقة تواضعوا على اتباعها . اذ تدعو الى حرية التعبير وبساطته وبعده عن الأوضاع الصناعية . ومن مزاياها أنها تعيش عادة فى عالم خيالي بعيد عن الواقع ، بل هى ترى الواقع موحشا فتفر منه الى جنة تشيدها الأحلام حيث تجد الهناء والراحة والسلام .

ومن مزاياها تقديس الطبيعة والتغني بجمالها ـ كما فعل جبران اذ قال مخاطبا الأرض :

« ما أكرمك أيتها الأرض وما أطول أناتك . نحن نجدف ، وأنت تباركين . نحن ننجس وأنت تطهرين . نحن نهجع ولا نحلم ، وأنت تحلمين فى سهرك السرمدى . نحن نكلم صدرك بالسيوف ، وأنت تغمرين كلامنا بالزيت والبلسم . نحن نستودعك الجيف ، وأنت تملئين بيادرنا بالأغمار ومعاصرنا بالعناقيد ، نحن نصبغ وجهك بالدم ، وأنت تغسلين وجوهنا بالكوثر . نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف ، وأنت تتناولين عناصرنا وتكونين منها الورود والزنابق ».

ومثل نظرها الى الطبيعة نظرها الى الحياة الريفية وما فيها من بساطة وهناء وراحة . وهى تشعر مع الفلاح الذى يتعب ليستخرج الخير من الأرض ولكنه لا ينال منه شيئا كقول أحمد الصافي النجفي :

رفقا بنفسك أيها الفلاح
تسعى وسعيك ليس فيه فلاحْ
هذى الجراحُ براحتيك عميقة
ونظيرها لك فى الفؤاد جراح
عرق الجبين يسيل منك لآلئا
فيُزّان منه للغنىِّ وشاحُ

وأقوال الشعراء فى الطبيعة والحياة الريفية كثيرة لا يمكن حصرها فى مقال .

الرومانسية والمثل العليا

ومن مزايا الرومانسية ـ الارتفاع بالخيال الى المثل الانسانية العليا. فالشاعر ينشد الجمال المعنوى كما ينشد الجمال الطبيعي . وكما يتأثر بالمحاسن البشرية والطبيعية فيعزف تأثيرها على أوتار رفيعة النغم ، يتأثر بمحاسن المثل الانسانية ، فكثيرا ما تراه محلقا فى عالم من أحلامه حيث يسحره جمال المحبة والخير والحق والحرية فلا يتورع عن أن يخاطب القوة المادية الطاغية بقوله :

أيها القوة مهلا فاحذَرى
أن فى التاريخ للناس خَبَرْ
والىَّ اصغى قليلا وانظرى
ومعى سيرى ترَىْ فيه العِبَرْ
كم هوتْ من قوةٍ قبل الأجل
وعروشٍ وشعوب ودولْ
بعدما صالوا بجند وخَوَلْ
أنهم بالسيف قاموا وعَلَوْا
وبه أيضا من الأوج هَوَوْا

أجل هووا الى مدافن التاريخ حيث تطوى أمجاد القوى الغاشمة .

ههنا السيف سيعلوه التراب
ههنا المِدْفعُ يَصْدا فى الظلام
ههنا الرمح سيبلى والحراب
ويذل الفخر فى جوف الرّغام
ليس للقوة سلطان الوجود
ليس للسيف العلىّ أو للجنود
انما الحق سيعلو ويسود
أيها القوة هلا تَعقلين
هوذا ، الحكمة تدعو العالمين

ولكنه لا بد من ان يرجع الى الارض وهنا يصطدم بالواقع المرير ، فاذا باحلامه تتلاشى واذا بقيثارته تعزف الحان الاسى والكآبة .

والرومانسية قيثارة الأسى والألم

والاسى مزية اخرى من مزايا الرومانسية بل لعله ابرز مزاياها واعمها . وعلى قيثارة الاسى نرى كثيرا من الشعراء ينشدون مثل قول ابي القاسم الشابي من انشودته « اغنية الاحزان » :

لا تغنيني أغاريد الصباح
بلبل الأفراح
فؤادي وهو مغمور الجراح
بتباريح الحياة الباكية
ليس تستهويه ألحان السرور
وأغاني النور
غني يا طير أناشيد الجحيم
واسقني الآلام
واترع الكأس بأوجاع الحياة
واسقني اني كرهت الابتسام
غنني ندب الأماني الخالية
والليالي السود
غنني صوت الظلام المكتئب
انتي أهواه

ونزعة الأسى شائعة في شعر الحب قديما وحديثا . على انها في الرومانسية تمس مواضيع لم يمسها الشعر القديم ، ولم يعرفها . فالشاعر الحديث قد ينشد السعادة أو الحقيقة فيقضي العمر عبثا في التفتيش عنها ، ثم يرجع مع ايليا ابي ماضي يائسا اذ يقول في ختام قصيدته « العنقاء » :

حتى اذا نشر القنوط ضبابه
فوقي فغيبني وغيب موضعي
عصر الأسى روحي ، فسالت أدمعا
فلمحتها ولمستها في أدمعي
وعلمت، حين العلم لا يجدي الفتى،
ان التي ضيعتها كانت معي

او هو قد ينظر الى الاشجار في فصل الخريف فيتنهد تنهد « رشيد أيوب » وينفث من قلب حزين :

نثر الخريف على الثرى أوراقه
فتناثرت كتناثر العبرات
يتركن أغصانا ألفن عناقها
ويقعن فوق الارض مضطربات

فكأنهن ، اذا خفقن ، جوانحي
وحفيفهن كأنه زفراتي
زفرات مصدور تقارب يومه
فحياته معدودة الساعات

ولعله يشهد مصرع فنان فيتألم كما تألم عمر ابو ريشة فيصفه بقوله :

نام عن كأسه وعن أحبابه
قبل أن ينقضي نهار شبابه
ان في سفر عمره
صفحات من الألم
ليس يرجو من الورى
بسمة تغسل الندم
أحزم الناس عاقل
لمس الجرح وابتسم

ويبلغ الأسى ذروته في قول الشابي اذ يراجع ما مر عليه من الزمن :

وتغشى الضباب نفسي فصاحت
في ملال مرة الى أين أمشي
قلت سيري مع الحياة فقالت
ما جنينا ترى من السير أمس
فتهافت كالهشيم على الار
ض وناديت أين يا قلب رفشي
هاته علني أخط ضريحي
في سكون الدجى وأدفن نفسي

وعلى هذا الشعر الغربي الاسلوب مسحة من روح جبران في مقاله حفار القبور .

اما الياس ابو شبكة فيجعل من الأسى والألم اعمق مصدر للالهام :

اجرح القلب واسق شعرك منه
فدم القلب خمرة الاقلام
واذا انت لم تعذب وتغمس
قلما في قرارة الآلام
فقوافيك زخرف وبريق
كعظام في مدفن من رخام

الرومانسية أعادت الى النظم الاسلوب التوشيحي والغربي

بقي أن نقول ان الرومانسية تتميز بالذاتية ـ بحرية التعبير دون التقيد بتقاليد سابقة . وهي بذلك قد أطلقت العنان للشاعر ليخرج لنا عواطفه بطريقته الخاصة . فأعادت في النظم الأسلوب التوشيحي الذي عرف به الاندلسيون ، وزادت

عليه ما اكتسبته من أساليب النظم عن الغربيين حتى صرنا نرى من ذلك افانين لم نعهدها من قبل . وقد شاعت فى شتى الأقطار العربية حتى اصبحت تنافس القصيدة التقليدية ذات الروى الواحد .

ولم يكد يدنو العقد الرابع من قرننا الحالى حتى رأينا انبثاق نزعة جديدة فى الشعر العربى تعرف باسم الرمزية . وهى حرّيّة بأن نقف عندها قليلا .

الرمزية فى الشعر

ولا نقصد بها هنا الرمز الى المعانى عن طريق التصوير الحسى ، فذلك أمر معروف فى أدبنا منذ اقدم عصوره . يكفى للتمثيل أن نذكر منه ما وضع على ألسنة الحيوانات كقصص كليلة ودمنة وما جرى مجراها ، أو ما جاء مجازا فى أقوال الشعراء القدماء وخصوصا الصوفيين منهم ، أو ما نراه حديثا فى بعض فصول جبران ، وروايات توفيق الحكيم وغيرهما من رجال الأدب .

وانما نقصد نوعا من الشعر ظهر أولا فى لبنان على يد فئة متأثرة بالأسلوب الرمزى الذى سلكه بعض شعراء فرنسا كالبرسامان ، Albert Sameain وبول فاليرى Valery وغيرهما .

وعند هذه الفئة أن كلتا الكلاسيكية والرومانسية قد أخفقت فى التعبير عن الجوهر الشعرى أو الوصول الى ابعاد أغوار الذات والحياة . فالأولى عندهم تقريرية يسودها ما يسود النثر من وعى عقلى وصناعة تقليدية ، والثانية ذاتية عاطفية ولكنها لا تمس الحياة الا مسا سطحيا فتكتفى بأن تعبر عنها بما يتناول الافهام عن أقرب طريق وأوضحه ، ولذا يفوتها ما للألفاظ من دلالات بعيدة وما وراء المعانى من ظلال المعانى . ويرون فى الرمزية المورد العذب الذى يستقى منه الشعر الصافى . وقد عرف بالرمزية عدد من شعراء العصر وفى طليعتهم سعيد عقل . وهو يرى أن الشعر موسيقى ، وأن الشاعر الحق لا يكون له افكار وصور وعواطف قبل النظم ، وأن عناصر الوعى لا تلعب فى الشعر أقل دور .

وكأنه يريد بذلك أن حالة موسيقية يجب أن تسيطر على الشاعر أولا ، متى غرق فى لجتها رأى وسمع ما لم يره أو يسمع به من قبل . فهو لا يفكر عن وعى بما سيقول ، ثم يلبسه حللا من موسيقى النظم ، بل وهو فى نشوة النظم الموسيقى تتحرك فيه عملية الخلق فتتوالى عليه فى اثنائها الخواطر والأفكار .

فالشعر الرمزى له مزيتان رئيسيتان . أولاهما أنه موسيقىٌ الأساس ، وثانيهما أنه يُعنى بايحائية اللفظ لا بمعناه القريب . وبمعنى آخر انه ينصرف عن الواضح أو القريب المأخذ الى المبهم الموحى للبعيد المرمى حيث يشعر العقل أنه اتحد بموسيقى الكون وجماله .

والنزعة الايحائية فى الرمزية تقتضى فى الغالب غير المألوف من التعابير كقولهم ــ الشهوة الحمراء ــ الجمال الخجول ــ الثلوج الخرساء ــ العدم الضرير ــ الطعم الرمادى ــ الضوء البليل ــ ضباب القنوط ــ كبرياء النهار ــ وما شاكل من هذه الأوصاف الجديدة . ومن أمثلة الشعر الرمزى قول صلاح لبكى :

تومى بنا نتشى
أنشودة الآزال
وترتمى تمتمات الـ
ضياء فوق الجبال

وقول سعيد عقل :

تفكّرتِ فالبال سكنى الربيع
وقطّبت فالصحو ــ ذاك ــ ارتحل
وأنملك البيض نقلٌ الوعود
عليها وفى الهدب وقفٌ الأجل

وقوله :

جرح على النور الهوان
ومأتم معه الجنان
وباضلع الأحرار آبا
د صغيرات حسان

على أن هذه النزعة الى غير المألوف قد تصل عند بعضهم الى حد الغموض فتكون لمحات خفية لا تدرك الا بعد كد وتعب مضن يفقدها الجمال الفنى . أو قد تصل ببعضهم الى التوغل فى مهامه فارغة الا من الرمال التى لا حياة فيها . فتراهم يأتون بل يثرثرون بما لا معنى له من التراكيب الشعرية التى لا طائل تحتها .

ومهما قيل فى الرمزية فاننا اذا نظرنا الى وجهها الأفضل الذى يتبين لنا فى فن اعلامها ، رأيناها ذات أثر فعال فى الشعر الحديث . وهى ، وان لم تستطع أن تتغلب على الرومانسية ، فقد جعلتها تتحرر مما شابها على أيدى كثيرين من ابتذال وتميع ، وأصبحت تعنى أكثر بالروعة الفنية العالية .

طور الرومانسية الجديدة

والواقع ان الشعر اليوم فى طور من اطواره التاريخية ، يجوز أن ندعوه طور الرومانسية المتجددة . فهو يلبس ثوبا قشيبا من الجمال اللفظى والمعنوى ، وأربابه العصريون يعنون بطلب البعيد من المعانى وتوخي النفيس من الحُلَل اللفظية . ومن امثلة ذلك قول بشارة الخورى فى خَمْرِيته « بأبى أنتَ وأمّى » .

بأبى أنتَ وأمى – اسقينيها
لا لتجلو الهمَّ عنى – أنتَ هَمّى
صُبَّها من شَفَتيكْ
فى شَفَتَيَّا
ثم غرِّقْ ناظريكْ
فى ناظريّا
واختصرها ، ما عليك
أو عليّا
ان تكن انت أنا ، وجعلنا الزمنا قطرة فى كأسنا

وفى مرثاته للزهاوى يصف حاله فى طريقه الى بغداد فيقول :

بغداد ما حمل السُّرى
منى سوى شبح مريبِ
جفلتْ له الصحراء والـ
تفت الكثيب الى الكثيب
يتساءلون من الفتى الـ
عربى فى الزى الغريب
أنا دمعة الأدب الحزيـ
ـن رسالةُ الألم المذيب
من قلب لبنان الكئيـ
ـب لقلب بغداد الكئيب

وقول « الياس أبو شبكة » فى قصيدته (شمشون) مخاطبا دليلة :

مُلتقيهِ ففى أشعة عينيـ
ـك صباحُ الهدى وليل القبور
وعلى ثغرك الجميل لمـار
حجبت شهوة الردى فى العصير
مُلتقيه فبين نهديك غامت
هَوةٌ الموت فى الفراش الوثير
هوة أطلعت جهنمُ منها
شهوات تفجّرت فى الصدور

وقول عمر أبو ريشة واصفا بؤس بلاده أيام كانت تحت سيطرة الأجنبي :


عمر ابو ريشة

أنا من أمة أفاقت على العز
وأغفت مغموسة فى الهوان
عرشها الرثُّ من حراب المغيرين
ن وأعلامها من الأكفان

وقوله فى طلل ثابت على عاديات الزمان :

رمال وأنقاضٌ صخر هوتْ
أعاليه تبحثُ عن أُسّهِ
لقد تعبت منه كف الدما
ر وباتت تخاف أذى لمسه
هنا ينفض الوهم أشباحه
وينتحر الموت من يأسه

وقول فوزى المعلوف مخاطبا قلمه :

رب دمع كفكفته من عيونى
سال حبرا فى الطرس يخفق خفقا
وعذاب نزعته من ضلوعى
أجَّ بين السطور يحرق حرقا
يا يراعى رافقتَ كلَّ حياتى
فازوِ عنى ما كان حقا وصدقا
أنا لم ألق مثل صمتك صمتا
حولته عرائس الشعر نطقا

ومثل هذه الأقوال النابضة بالحياة والمشرقة بنور الابداع كثيرة فى أدبنا الحديث .

الواقعية ليست من الاطوار الفنية

بقى أن نقول ان بعضهم يحسب الواقعية من الأطوار الفنية وليست كذلك عند التحقيق ، وانما هى تغير قد طرأ على مواضيع الأدب لا على أساليبه الفنية، اذ خرج الأدب عن اطاره التقليدى فلم يعد هَمّه التزلف الى ذوى النفوذ والسلطان كما كان قديما ، أو السبح فى عوالم خيالية لاعلاقة لها بحياة الناس وواقعهم ، بل فتح عينيه على أحوال مجتمعه فرأى ما فيه من مشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وراح نثرا ونظما يكشف عن نواحى النقص فى هذا المجتمع ويعالجها بما يراه خيرا للشعب عامة لا لطبقة خاصة منه .

هذا النظر الواقعى الى الحياة قد شاع حديثا فى جميع المناحى الأدبية فتناولته المقالة والخطبة والقصة والشعر والمسرحية ، ولكنه لم يغير شيئا يذكر من أصولها اللغوية وأساليبها الفنية. ■■

أنيس المقدسي



شمس السلام الدافئة

عن جريدة «الصندى اكسبريس» :

● هل هناك ما يدعو الى التفاؤل فى الجو الدولى ؟

والجواب على هذا السؤال هو : نعم بكل تأكيد .

فالعلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا قد تحسنت ، والأدلة على هذا التحسن كثيرة ، منها عودة آخر طيارين أمريكيين محتجزين فى المعسكر الشرقي الى بلادهما ، وهما الطياران اللذان كانت طيارتهما الاستطلاعية قد اسقطت فوق المانيا الشرقية . وقد اطلقت السلطات الروسية سراحهما بعد احتجازهما مدة تقل عن الأسبوعين .

كما عادت الى أمريكا ايضا فتاة أمريكية كانت قد اتهمت بالتجسس ، وحكم عليها بالسجن ست سنوات فى المانيا الشرقية ، ولما تمض نصف مدة الحكم .

وقد اصبحت هذه التصرفات الدالة على حسن النية عادية .

ونحن اذا عدنا ببصرنا سنوات الى الوراء ، وجدنا الفرق شاسعا بين ما كانت عليه الصلات بين الشرق والغرب ، وما آلت اليه : ففى عام ١٩٥٤ كان الروس يهددون بضرورة حل حلف شمال الأطلسي .. وفى فبراير من العام نفسه فشل مؤتمر وزراء خارجية الدول الاربع الكبرى . وكانت الدولتان الكبيرتان تتباريان فى اجراء التجارب النووية فى كل من سيبيريا والباسفيكي . كما أن برلين كانت دوما تهدد باندلاع نار حرب عالمية جديدة .

ونحن لا ننكر أنه ما زال هناك بعض التوتر بين واشنطون وموسكو . ولكن الحرب الباردة قد انتهت ، ولم يعد هناك من يتحدث عنها ، او يجريها على لسانه .

ان شمس السلام تشرق اليوم دافئة ، وانا لنرجو أن يعم دفؤها العالم كله .

مشكلة ..

عن جريدة « الأوبزرفر » :

● تطالب نقابات العمال بأن تكون ساعات العمل ٤٠ ساعة فقط فى الأسبوع . ومعنى هذا ان تزداد ساعات العمل الاضافى ، وبهذا يزداد دخل العامل .

والواقع ان ساعات العمل عندنا فى المصانع هى أطول ساعات عمل فى العالم : فاحصائية عام ١٩٦٣ تقول ان معدل ساعات العمل الأسبوعية فى المصانع كانت كما يلي : ٤٦ر٨ فى بريطانيا ، و ٤٦ر١ فى فرنسا ، و ٤٤ر٢ فى المانيا ، و ٤٠ر٧ فى الولايات المتحدة الأمريكية .

ماذا أستطيع أن أفعل من أجـل بلادى ؟

عن جريدة « نيويورك هيرالد تريبيون » :

● قـــول طيب للرئيس الأمـريكي الراحل ، كنيدى ، ما زلنا نذكره . لقد قال مخاطبا كـل مواطـن فى الولايات المتحدة : « لا تسأل ماذا تستطيع الدولة ان تفعل من اجلك ، بل اسأل نفسك ماذا تستطيع انت أن تفعل من اجل بلادك » .

ويبدو ان هذا القول الجميل قـد وجد صدى فى بعض النفوس الواعية : ففى ولاية كولمبيا ضاقت احدى المدارس بطلابها ، وردّت طلاباً آخرين لعدم وجود أمكنة . واخيراً تفتق ذهن ناظر المدرسة عن حل للمشكلة ، فاخذ يجمع المال من الطلاب والأساتذة ، والناس الذين يعرفهم فى البلدة ، حتى تجمع لديه مبلغ الف دولار ، وبهذا المبلغ قرر بناء جناح للمدرسة .

ولكن الألف دولار لا تكفى لبناء جناح ، فما العمل ؟ وجاء الحل بأن اشـترى الناظر بالألف دولار الاسمنت والحديد ، وقام طلاب المدرسة بالبناء . ولما رأى أهل البلدة ما يفعله الطلاب من اجـل ايجاد أماكن لأبنائهم ، هرعوا لمساعدتهم .

هذا مثل حي على ما يمكن ان يفعله المرء من أجل وطنه .

ومدارسنا فى كل مكان مكتظة بالطلاب ، كما ان هناك اماكن كثيرة ليس فيهـا مدارس كافية . وانت ، ايها المواطن ، تستطيع ان تساهم فى حل هذه المشكلة ، وتلبي نداء الرئيس الراحل .

اذا سألت نفسك بعـد اليوم : ماذا استطيع ان افعـل من اجـل بلدى ؟ فالجواب على هذا : ادع الى بناء مدرسة ، وساهم فى البناء .

خلاف فى الرأى

عن جريدة « بفالو ايفننج نيوز » :

● يقول هارولد ستاسن Stassen ان كل يوم يمضى يزيده يقينا بأنه سيكون مرشح الحزب الجمهورى للرئاسـة . ونحن لا اعتراض لنا على ثقة (ستاسن) بنفسه ، بل ان من الخير للمرء أن يكون واثقا بنفسه ، ولكن على شرط الا تتجاوز هذه الثقة الحدود ، فتجعل المرء يتعلق بالأوهام ، ويؤمن بالمستحيلات .

اننا بدورنا نقول للسيد (ستاسن) : ان كان مر الأيام يزيده يقينا بأنه سيكون مرشح الجمهوريين للرئاسة ، فان مـر الأيام ايضا يزيد كـل فرد فى الحـزب ايمانا بأن (ستاسن) ليس أهلا للثقة ، لأن من كان ثرثارا ، مدعيا ، لا يصـلح لقيادة امة .

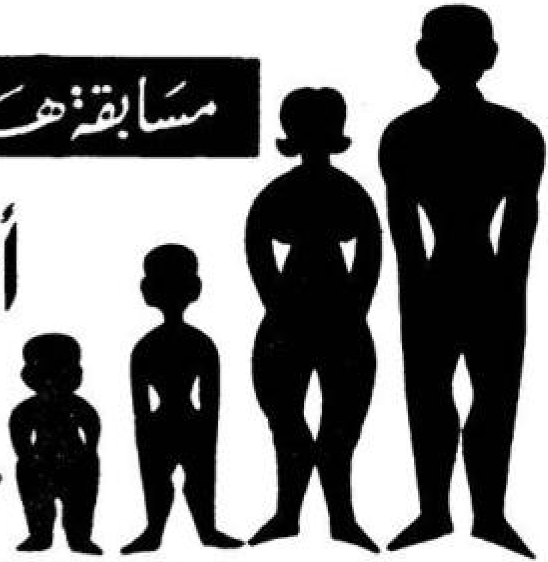
سهلة الحل

ومن هذه الاحصائية يتبين لنا معنى مطالبة نقابات العمال بأن تكون ساعات العمل ٤٠ ساعة فقط فى الأسبوع : انها تعنى ارتفاعا كبيرا فى دخـل العامـل للحصول على الانتاج نفسه .

وفى رأينا اننا امة تجهد نفسها كثيرا دون داع ، وكـان بالامكـان أن نخفض ساعات العمل ونحصـل على الانتـاج نفسه ، لو اهتممنا بتطوير الجانب الآلى فى صناعتنا ، كما هو الحال فى الولايات المتحدة الامريكية .

انها مشكلة سهلة الحل ، ولا تحتاج من المسئولين غير عقد العزم على حلها .

مسابقة هذا العدد



أعمار الأسرة وجوائز ١٠٠ دينار

■ كان موظفو الاحصاء والتعداد يطوفون بمنازل الضاحية لتسجيل أسماء المواطنين وأعمارهم وما يتطلبه التعداد العام من بيانات . فمروا بمنزل يقطنه رجل وزوجته وولد وبنت لهما صغيران ، فلما سئل رب الأسرة عن عمره قال انه لا يعرف أكثر من أن عمره يزيد على عمر زوجته ٤ سنوات ، ويساوى أربعة أمثال عمر ابنهما محمود ، وعشرة أمثال عمر ابنتهما سلمى !

ولما طلب منه أن يكون أكثر وضوحا فى اجابته قال ان مجموع عمره وعمر زوجته وولديه هو ٩٠ سنة !

وضاق به موظفو التعداد ذرعا ، وكادوا يسوقونه الى الشرطة لامتناعه عن الادلاء بالبيانات الصحيحة ، ولكن واحدا منهم سأله عن عمر زوجته ، فقال انه يساوى تسعة أعشار عمره هو!

واكتفى هذا الموظف بهذه الاجابة وطلب الى زملائه ان يتركوا الرجل وشأنه لأنه ـ اى موظف التعداد ـ قد عرف أعمار أفراد الأسرة ، وان الرجل كان صادقا فى كل ما قال .. !

فكم هو عمر الرجل ؟ وكم هو عمر زوجته ؟ وكم عمر كل من ولديه ؟!

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٦٠ من هذا العدد .
٢ ـ يكتب على المظروف عبارة ـ « مسابقة العربى ـ العدد ٦٧ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر يوليو (تموز) .

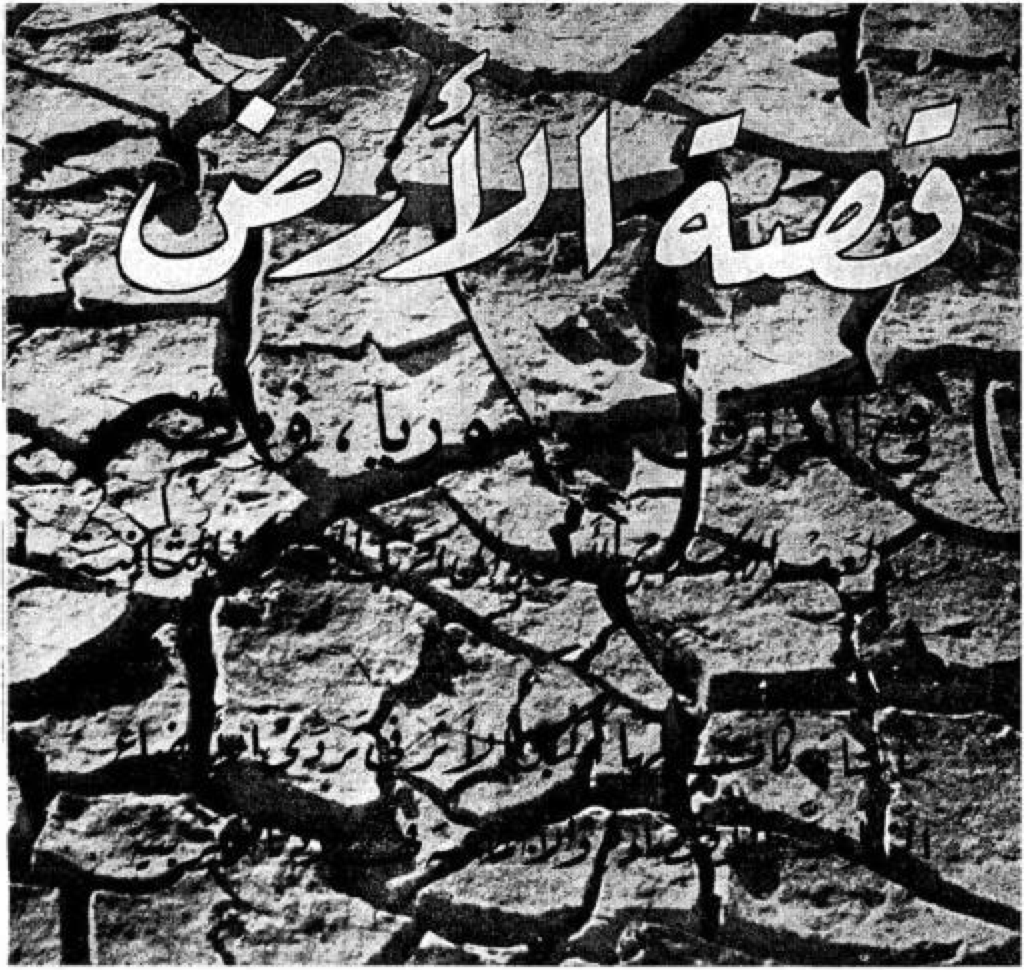
● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الأولى : ٣٠ دينارا ..
الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا ..
الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ..

وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

ترسل الاجابات مباشرة بعنوان مجلة «العربى» : صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربى .



بقلم : عبد الرزاق الهلالي

المصرف الزراعي ـ بغداد

■ ان لقصة الأرض ونظام حيازتها فى الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق تاريخا طويلا حافلا بالمتاعب والمشاحنات والمنازعات ، ولما كانت بلادنا العربية موطن الاسلام الاول فان أصول نظام حيازة الأرض فيها تمتد الى العصور الاسلامية المتعاقبة .

حيازة الأرض فى صدر الاسلام

فقد كانت الأرض فى صدر الاسلام كما هو معروف خاضعة لأحكام الشريعة الغراء ، فاذا ما تم فتح البلاد عنوة وقهرا يكون (الامام) بالخيار ، فان شاء احتفظ بخمسها لبيت المال وقسم الاخماس الباقية بين الفاتحين ، وان شاء تركها بيد اهلها ملكا لهم ووضع الجزية على رؤوسهم والخراج على اراضيهم . وان شاء تركها وقفا على المسلمين وفيئا لهم (اى انه يحتفظ بها لبيت المال ولا يقسمها على أحد) .

اما اذا فتحت البلاد صلحا فكان يطبق بشأن الأرض فيها شروط الصلح ، وهي أما أن تقضي ببقاء الأرض بيد أصحابها ملكا ويفرض عليها الخراج ، واما أن تقضي بصيرورة الأرض ملكا للمسلمين .

يفهم من هذا ان الأراضي كانت في صدر الاسلام على نوعين هما :

أ ـ الأراضي المملوكة : وهي الأراضي التي لها مالك معين له ان يبيعها ويرهنها ويوقفها ويتصرف بها جميع أنواع التصرفات ، وتشمل الأراضي العشرية والخراجية المملوكة .

ب ـ الأراضي غير المملوكة : وهي الأراضي العائدة لبيت المال التي تحدّد الشريعة تصرفات المنتفعين بها حسب نوعها .

حيازة الأرض في الدولة العثمانية

وقد ظل العمل بهذا النظام جاريا حتى العهد الأول لقيام الدولة العثمانية التي قامت على اساس (الخلافة الاسلامية) غير انها نظرا لنزعتها العسكرية (لا سيما بعد اتساع الفتوحات) ابتدعت نظاما جديدا يقضي بتقسيم الأرض المفتوحة الى مقاطعات ، تختلف اسما باختلاف وارداتها ، وتتخلى عن حقوقها الى السلاطين والقادة والامراء والوزراء وحتى الجنود والاغوات لقاء استعدادهم لتهيئة الفرسان المحاربين لها عند اعلان الجهاد .

الأرض في ظل قانون الأراضي العثماني لعام ١٨٥٨

وقد استمر العمل بهذا الاسلوب فترة طويلة من الزمن حتى تسرب اليه الفساد ، فقررت الدولة الغاءه في سنة ١٨٣٩ م . وفي سنة ١٨٥٨ م أصدرت (قانون الأراضي العثماني) . ولما كانت جميع البلاد العربية خاضعة للدولة العثمانية (عدا مصر التي كانت آنذاك تحت حكم محمد علي الكبير) فقد طبق هذا القانون على اراضيها ايضا . وبموجب هذا القانون اصبحت الأراضي في اطار الأنواع الآتية :

١ ـ الأراضي المملوكة .
٢ ـ الأراضي الاميرية .
٣ ـ الأراضي الموقوفة .
٤ ـ الأراضي المتروكة .
٥ ـ الأراضي الموات .

ثم لما اختلفت وجهة نظر الدولة العثمانية ، لا سيما بعد ان اصبحت بحاجة ملحة الى المال ، راحت تتجه صوب استغلال الأرض . ولذلك اجازت للافراد الحصول على الأرض والتصرف بها بالطريقتين الآتيتين :

أ ـ التعويض بالبدل .

ب ـ اكتساب حق التصرف : اي ان يكون لصاحب الأرض حق الانتفاع والاستغلال دون ان يكون له (حق الرقَبة) الذي هو حق عائد (لبيت المال) .

النظام العشائري والأرض

ولما كانت الدولة العثمانية قد اهملت شؤون الري والزراعة والعمران في جميع البلاد العربية تقريبا ، وكان هم الولاة لا سيما في عهدها الأخير جباية الضرائب وجمع الأموال بحق او بدون حق من هذه الولايات وارسالها الى (الباب العالي)، فقد وجدوا في نظام (التزام الضرائب والرسوم) أيسر السبل لهم للوصول الى هذه الغاية . ولذلك راوا ان ايداع هذا الواجب الى شيخ القبيلة (او الآغا) ، لا سيما في المناطق الزراعية، أضمن وابعد لهم من اثارة المشاكل والمتاعب .

ولما لم يكن للدولة في تلك الأصقاع من السلطة الا الاسم فقط ، فقد اصبح رئيس القبيلة أو (آغا) القرية هو الحاكم المطاع الذي يحتمي الأفراد بحماه،وإذا ما علمنا ان الفوضى واضطراب الأمن وضياع هيبة القانون هي الصفات المميزة لأواخر أيام الحكم العثماني ، لا سيما في المناطق الريفية ، أدركنا السبب الذي جعل للنظام العشائري الأثر الكبير في ادارة تلك الأصقاع ، ولشيوخ العشائر ورؤسائها الكلمة العليا في ظل هذا الوضع والنظام .

وهكذا كان سكان المناطق الزراعية ، لا سيما في العراق وسوريا ، تتوزعهم عشائر متعددة ، سكنت كل عشيرة في منطقة معينة من الارض خاصة بها تسمى (ديرة) العشيرة ، يقوم كل فرد من أبنائها بزراعة البقعة المخصصة له دون ان يكون له حق الادعاء بملكيتها ، فالأرض جميعها ملك للعشيرة كلها . وعلى هذا الأساس سارت الزراعة فيها على نظام (الزراعة الجماعية) حيث لم تكن تهدف منها الا الى ضمان القوت والطعام



سوريا : كان نظام حيازة الأرض فيها فوضى

للعشيرة فقط في الأغلب الأعم .
واذا ما علمنا أن الفلاح العشائري كان ملزما بدفع حصة من ناتجه الزراعي ، على تفاهته ، الى (السركال) (١) وأخرى الى (المضيف) (٢) ، ادركنا سبب تردي وضعه المادي وانخفاض مستوى معيشته في ذلك المجتمع الذي يسيطر عليه الجهل والفقر والمرض سيطرة تامة .

وعلى الرغم من المحاولات التي قام بها بعض الولاة المصلحين أمثال مدحت باشا في سبيل تنظيم ملكية الأرض الزراعية ، فان سكان هذه الأصقاع ما كانوا يؤمنون باخلاص الدولة لهم لهذا لم يستجيبوا لأي دعوة من هذا القبيل اذ كانوا يحسبونها فخا تريد الحكومة أن تضمن لها عن طريقه جباية الضرائب والرسوم منهم ، وتسوق أبناءهم للقرعة والخدمة العسكرية . وهكذا ظلت معظم هذه الأراضي تحت تصرف العشائر دون أن تكون مسجلة باسم أحد في دوائر « الطابو » حتى انهيار الحكم العثماني بانتهاء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨م .

فرنسا وانجلترا تواصلان في سوريا والعراق سياسة اقطاع الارض للانصار

وعندما تقاسمت بريطانيا وفرنسا نتيجة للحرب العالمية الأولى بلاد الشرق العربي كان العراق من نصيب بريطانيا بينما كانت سوريا من نصيب فرنسا ، ولما كان نظام حيازة الأرض فيهما على ما وصفنا ، من الفوضى ، والاضطراب فقد وجدت كل منهما في هذا الوضع خير سبيل تكافىء به أولئك الذين آزروها أبان الحرب أو وقفوا الى جانبها عند قيام الثورات الوطنية في هذين القطرين ، كما راحت كل منهما تحاول كسب أنصار لها اذ حافظت على أصحاب الملكيات الكبيرة وعقدت معهم اتفاقيات تحمي مصالحها ، وأوجدت متنفذين مالكين جدُدا . فلما أصدرت الحكومة السورية التي كانت تعمل تحت ظل الانتداب الفرنسي القانون رقم ٣٣٣٩ ، وقانون السجل العقاري ، وقانون أملاك الدولة ، فان هذه القوانين لم تغير شيئا من واقع الملكية الواسعة ، بل ثبتتها على أسماء واضعي اليد عليها ، ولم تغلق الباب في وجه كبار الراسماليين والاقطاعيين والمتنفذين من الاستيلاء على أرض الفلاحين ، بل انها أخذت تشجعهم على اغتصاب هذه الأراضي .

في سوريا بعد الجلاء

أما بعد جلاء فرنسا عن سوريا عام (١٩٤٥) فلم يصدر أي تشريع يتوخى وضع حد لهذا التفاوت في الملكية الزراعية ، بل على العكس ، راحت الراسمالية تتعاون مع ملاك الأراضي ومع شيوخ القبائل مما ادى الى فتح الباب على مصراعيه لنشوء ملكيات زراعية واسعة على حساب الدولة . فقد اظهرت الاحصائيات الرسمية ان المساحات التي تزيد عن الحدود التي عينها قانون الاصلاح الزراعي للملكية الزراعية بلغت حوالي ٢ر٧٥ مليون هكتار ، وهذه المساحة التي تبلغ ما يقرب من نصف المساحة المزروعة ، يملكها ٣٢٤٠ مالكا فقط .

وفي العراق

اما في العراق فقد ساعد كل من قانون تسوية

---

(١) كلمة (السركال) فارسية أصلها(سركار) أي رئيس العمال المنظم للزراعة .
(٢) المضيف : ديوان الشيخ الذي يستقبل به ضيف العشيرة .

حقوق الاراضي ، وقانون منح اللزمة ، اللذين أصدرتهما الحكومة عام ١٩٣٢ . وما لحقهما من تعديلات ، على تسجيل مساحات شاسعة من اراضي الدولة بأسماء الشيوخ والرؤساء والاغوات وبعض المتنفذين ومحترفي السياسة الموالين للسلطات الحاكمة . وأصبح الفلاحون الذين كانوا يعملون معهم في زراعة تلك الأرض ، بصورة تعاونية جماعية ، أصبحوا أجراء عندهم . وتعاظم استغلال جهودهم بعد زيادة اتصال الريف بالمدينة وتغيير المزارعين من مبدأ الاكتفاء الذاتي الى مبدأ الاقتصاد النقدي. وقد دلت الاحصائيات الرسمية المتعلقة بتوزيع الملكية الزراعية في العراق قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ على أن عدد المتمتعين بملكية الأرض الزراعية كان يقل عن ٢٪ من سكان البلاد وأن حوالي ٣/٤ الأراضي الزراعية كانت بحوزة افراد يكونون (٤٪) من مجموع الملاكين البالغ عددهم ١٢٥ ألف شخص.

مشكلة الأرض في مصر

أما مشكلة الأرض الزراعية في مصر فقد مرت بادوار متعددة منذ فتحها السلطان سليم الاول ، ففي أيامه أمر بتوزيع الأرض بين جنوده ومن والاه من المماليك الذين وجدهم في مصر ، اذ اقطعهم ارضا يستغلونها كما يشاؤون وأسماها رزقة .

العراق : كان عدد المتمتعين بملكية الأرض الزراعية ، يقل عن ٢٪ من سكان البلاد



فلما ضعف الحكم العثماني وزاد نفوذ المماليك ، وحدثت اضطرابات في هذه المرحلة الانتقالية ، انتهز فلاحو مصر هذه الفرصة وتشبثوا بقطع الأرض التي يفلحونها ، وأصبحت صلتهم بالملوك أو الملتزم أو شيخ البلد الذي يجبي لهم الضريبة صورية . وبمرور الأيام أصبح الفلاح الذي يزرع الأرض ثابتا فيها تنتقل منه الى ذريته بالارث ...

محمد علي يعد ويخلف

وتدرجت حقوق ملكية الفلاحين من التوريث الى البيع مع اخطار (الملتزم) بما يتم من تصرف .

ولما قضى محمد علي الكبير على الحكم التركي اقسم أمام قادة الشعب المصري بأنه « لن يبرم امرا ولا يفرض ضريبة بغير موافقة مندوبي الشعب » . ولكنه ما لبث أن نكث بالوعد ، لا سيما بعد ما استتب له الأمر ، اذ أحرق عقود التزام ملتزمي تلك الأراضي ، وقدم لهم مقابل ذلك مساحات من الأراضي سميت ارض الوسية، يستغلونها مدة حياتهم ، ولا يدفعون عنها ضرائب. وبهذا الاجراء أصبح بامكانه تحويل الفلاحين الى ارقاء مباشرين للأرض يزرعونها ويحاسبهم عن طريق عماله عن كل نبتة أو حبة تنتجها الأرض حسابا عسيرا .

الفلاحون يتركون الأرض هربا

وفي الفترة ما بين (١٨١٣ ـ ١٨١٨) قسم اراضي مصر كلها مساحات ثابتة ، وقسم القرى الى أحواض ، وعين لكل حوض عددا من الفلاحين الذين يقومون بزراعته ، ووضع لهم نظاما خاصا تمثلت به فظاعة استغلاله لجهود هؤلاء المساكين . وفي سنة ١٨٢٥م أصدر أمره لعموم جهات مصر بيّن فيه بان قسمة القطر الى اقسام هو لغرض تقسيم عمارته وتقدم زراعته ، وراح يحاسب المأمورين حسابا عسيرا ان هم أهملوا في تأدية ما يطلبه منهم ، فتشدد هؤلاء في اضطهاد وظلم الفلاحين الذين فضلوا اهمال الزراعة والهرب من الأرض ما دام خيرها لا يعود عليهم ، وقرر كثيرون منهم أن يتركوا القرى الى المدن .

محمد علي يعيد تقسيم الأرض

فلما أحس بنتائج هذه التعسفات قرر اعادة



مصر : كانت الأرض تخضع لاستغلال تسنده السلطة الحاكمة

النظر في تقسيم الأرض اذ قسمها الى ثلاثة انواع هي :

١ ـ أرض بور يعطيها لواحد يصلحها .

٢ ـ أرض جيدة يعطيها لآخر على ان يؤدى ضريبتها.

٣ ـ أرض يعطيها لثالث ويعفيها من الضرائب .

وقد أسمى النوع الأول من هبات الأراضى اسم (الابعديات) وقدرت مساحتها في مصر بحوالي (٢٠٠ الف) فدان ، وكانت من نصيب الأعيان ورجال الادارة والحربية .

والنوع الثانى كان من نصيب أسرته وقد حصلوا على أجود الأرض وأكثرها غلة وأسهلها ريا ، وسمى هذا النوع باسم (الشفالك) . وهكذا وجدت طبقة جديدة من ملاك الأراضى مثلت الارستقراطية التى نشأت مع قيام حكم محمد علي وكانت سندا لحكمه اذ ارتبطت مصالحها باستمرار مع مصالحه .

الخديو اسماعيل يزيد ملكيته من ٢٥ الفا الى ٩٥٠ الف فدان

ولما مات محمد علي وتولى بعده خلفاؤه كانت كانت مشكلة الأرض تتعقد وحال الفلاحين تسوء ، ويكفى أن نشير الى أن الخديوى أسماعيل لم يكن يملك عند توليه الحكم سوى (٢٥ الف) فدان ولكنه بعد مضى (١٧ سنة) من حكمه زادت الأرض التى يملكها فاصبحت (٩٥٠ الف) فدان ، اى خمس المساحة المنزرعة في مصر .

ولم يقتصر الامر على أن يحوز هو لنفسه على هذا القدر الهائل من الأرض بل انه استأنف سياسة محمد علي في منح الأرض ، والاحسان بها على العديد من النساء والرجال أصحاب الحظوة عنده ، اذ بلغ مجموع مساحة هذه الهبات والاحسانات (٨٧٦٨٦٣) فدانا .

واحتل الانجليز مصر فخصوا انصارهم باقطاع الأرض

ولما احتل الانكليز مصر في عهد الخديوى توفيق عام ١٨٨٢ م ، راحت الحكومة في هذا العهد تبيع أملاكها الخراجية وتغير من قيود الملكية الزراعية وبذلك أصبحت الملكية المطلقة من حق المالكين للأرض الزراعية وسقط حق الرقبة الذى كانت تحتفظ به الحكومة لنفسها .

وعندما صفيت الدائرة السنية وبيعت أملاكها راعى الانكليز ، وهم يوجهون هذه الحركة ، أن يخصوا بعض الأسر بأجزاء طيبة من هذه الأرض . وفي نفس الوقت أقبل على الشراء أعيان آخرون من الذين لم يلحقهم اى اتهام بعد تسوية الحساب مع الثورة العربية . ومنذ ذلك الوقت نشأ نظام اقطاع جديد على أسس جديدة ، وظهرت أسماء جديدة في طائفة ملاك الأراضى الواسعة في الوقت الذى زالت فيه من الوجود أسماء الوطنيين الذين ناصبوا توفيقا والانكليز من بعده العداء .

وعندما جاء النظام النيابي الى مصر

ولما نشأ النظام النيابي في مصر عام ١٩٢٣ أدى التنافس على كراسى البرلمان الى أن يحاول الراغبون فيها من مرشحى الأرياف أن يزيدوا من فرص النجاح بالاندفاع على اقتناء الأرض وربط أكبر عدد من الفلاحين ، أصحاب الأصوات ، بهم، عن طريق السيطرة على مصادر رزقهم . وأدى هذا التنافس بدوره الى الزيادة في أثمانها حتى وصل ثمن الفدان الواحد ما بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ جنيه ، والنتيجة الطبيعية لهذه الزيادة هي ارتفاع القيم الايجارية التى يدفعها المستأجر الصغير .

ولما كان من عوامل اقتناء الأرض زيادة النفوذ فقد ظهر بين ملاكيها عدد كبير من أبناء المدن

الذين يستغلون أرضهم عن طريق التأجير فأدى هذا التنافس بدوره الى الزيادة في أثمانها حتى وقع الفلاح الصغير بين شقي رحى لا ترحم ولا تكف عن طحنه وزيادة الضغط عليه .

وهكذا انتهى الأمر الى أن يكون ٩٤٪ من المالكين يملكون ٣٥٪ من الاراضي المتزرعة عام ١٩٥٢ في حين أن ٦ بالالف منهم كانوا يملكون ٢٠٪ من هذه الأراضي ، أي أن الغالبية العظمى من الملاك الذين يزيد عددهم على ٢/١٤٠./... يملكون مساحات ضئيلة ، في حين أن اقلية من الملاك وعددهم ٢١٣٦ مالكا يملكون مساحات من الأراضي .. تبلغ مساحتها ١/١٧٦/٨.١ فدان من مجموع الأراضي الزراعية البالغ مساحتها ٥/٨٩٢/٢٦١ فدان .

حَشَفٌ وسوء كَيْلة

وبنتيجة هذا الاستغلال الذي سندته السلطة الحاكمة في هذه البلاد عند ذاك ظلت الاكثرية الساحقة من ابناء البلاد وهم الفلاحون فريسة للجهل والفقر والمرض ، وليس لها مما تكد وتكدح الا (حَشَفٌ وسوءُ كَيْلة) . وراحت حياتهم تسوء يوما بعد يوم بسبب تفاعلات الظروف الطبيعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وليس لهم من يمد لهم يد العون التي تنقذهم من تحكم النظام شبه الاقطاعي وشرور التعسف والاستغلال ، وتعمل على رفع مستوى حياتهم الى المستوى الذي يليق على الأقل بحياة الانسان العادي .

دعوات المخلصين للاصلاح

ولقد صدرت عن بعض المخلصين من دعاة الاصلاح الاجتماعي في كل هذه البلاد دعوات صادقة تهيب بالمسؤولين الى ضرورة تطبيق مبدأ العدالة الاجتماعية في المجتمع الريفي ، والتخفيف من حدة التفاوت في الملكيات الزراعية ، والعناية بسكان الريف من جميع الوجوه ، وتغيير وجهة نظر الحكومة للفلاح الذي « نظرت اليه كمنتج ومكلف ، واهملته كمواطن وتجاهلته كانسان » .

وقد حاولت حكومات هذه الدول القيام ببعض المشروعات تظاهرا منها بالاصلاح ، غير ان هذه الاجراءات لم ترض ذوي القلوب العامرة بالايمان لخدمة هذا الشعب اذ راح بعضهم ينادي بضرورة دعم هذه الجهود بسلسلة من التشريعات التي تهدف الى اصلاح بعض الأوضاع الشاذة فتعيد النظر في نظام تملك الأرض والوقوف بالملكية عند حدود معقولة .

وقد كانت هذه الدعوات أشبه بالنذير لمن كان بيدهم الحل والعقد ولكن ما كان لها من سامع ومستجيب .

وفي يوم ١٩٥٠/١٢/١ قال الدكتور ابراهيم بيومي مدكور : « هذا هو الريف المُهمَل ، فما أحوجنا أن ندرسه ، وأن نتتبع شؤونه المختلفة . وكل ما نرجوه هو أن نخرج من هذه الدراسة بسياسة ايجابية علمية ، لا بمجرد مقترحات وآراء نظرية ، فقد قضينا زمنا طويلا في ترديد تلك الآراء والمقترحات ، فمشينا دون ان نحقق امرا ، ووعدنا دون أن نفي بوعد ، وقد تفتحت أذهان واتسعت أحداق وعيون لترى نتيجة تلك الآمال والوعود ، وليس شيء أدعى الى القلق بل الى الاضطراب والثورة من خيبة الأمل وزوال الوعود » ..

الوضع عند انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م

وهكذا لم تكد تنتهي الحرب العالمية الثانية حتى بات المجتمع الزراعي في مصر وسوريا والعراق تحت رحمة قلة من الناس تتحكم في مصائر اكثرية الشعب . الا أن الوعي العام والمطالبة بالحقوق الأساسية للمواطنين قد عمَّ بين أوساط الشعب، وراحت الأفكار الاقتصادية والاجتماعية الحديثة تقول ان الاتجاه لاشباع حاجات الفرد يتحقق باتجاهين ، الأول في تحقيق زيادة الانتاج القومي واستنفاد امكانيات هذه الزيادة ، والثاني في اعادة النظر في توزيع الدخل القومي بين طبقات الشعب وأفراده . ■■

بغداد : عبد الرزاق الهلالي

العربي : في العدد القادم « قصة الأرض قبيل الثورات العربية الحديثة ومن بعدها » .

مِنْ أخطاء القضاء



الحُكم بإعدام مُتَّهم بريء لِجريمةٍ اعترف غيره بارتكابها !

بقلم : حسن الجداوى

المحامى أمام محكمة النقض ـ القاهرة

■ كانت الضحية الثانية ـ أو لعلها الأولى من حيث الزمن ـ فى مجموعة أخطاء القضاء الانجليزى التى نستخرجها من أضابير المحاكمات رجل اسمه « جورج كنط » . كان يملك ويدير فى احدى ضواحى مدينة لندن محلا عاما ومطعما أطلق عليه اسم « قصر وندزور » .

وقد ازداد الاقبال على هذا المطعم بمناسبة تتويج الملكة فكتوريا وقرب زفافها الى البرنس ألبير ـ فنحن الآن فى عام ١٨٣٩ . فقد كان « جورج كنط » يحبه المترددون على محله ، وسرعان ما اكتسب ثقة عملائه الجدد . وكان قد مضى على انشاء مطعمه أكثر من عشر سنوات حالفه فيها النجاح ، ووجد عمله فى ازدهار متواصل . فهو سعيد راض عن نفسه وعن عمله ، ينظر الى المستقبل فى ثقة واطمئنان ، بالرغم من أن ادارة محل عام بمدينة لندن والاحتفاظ له بالسمعة الطيبة لم يكن من الأمور الهينة فى تلك الأوقات .

من أجل ذلك حرص صاحبنا على أن يشرف بنفسه على كل كبيرة وصغيرة فى مطعمه . واكتفى بالاستعانة بزوجته ـ وقد كانت أصلح امرأة تقوم

بتلك المساعدة . فهى سيدة جميلة بشوشة تحسن استقبال الزبائن ، تبتسم لكل قادم ، ولكنهـا تعرف كيف توقف المتهوّر منهم عند حده دون اغضابه لأنها عفيفة لا تعرف التفريط فى نفسها .

ولكن الاقبال الكبير على محله اضطره ــ على كره منه ــ أن يستعين بفتاتين تستقبلان الزبائن وتقدمان لهم ما يطلبون . ولم يكن العثور على فتيات يصلحن لهذا العمل بالأمر السهل ، اذ كان لا بد أن يكن وسيمات بشوشات من النوع الذى يجتذب الزبائن . ومثلهن يحتاج الى مراقبة شديدة لمنعهن من الاغتراف من درج الايـراد لحسابهن أو الاساءة الى سمعة المحل بتصرفاتهن مع الزبائن . وجرب « كنط » عددا كبيرا من الفتيات كان يضطر كثيرا ــ لسبب أو لآخر من هذه الأسباب ــ الى الاستغناء عن خدماتهن .

واخيرا وقع اختيار زوجته على فتاة جديدة اسمها « جين بولاند » ، قالت عنها انها فتاة تحترم نفسها ليست من النوع الخليع وأنه يمكن الاطمئنان اليها لأنها ــ برغم جمالها الذى يجلب الزبائن ــ لا يسهل استهواؤها ولا يخشى أن تسيء الى سمعة المحل .

وكان « قصر وندزور » مكونا من ثلاثة ادوار : الدور الأرضى للمطعم ، والمحل العام ، والدور الذى يليه يشغله جورج كنط وزوجته ، وبجوار غرفتهما غرفة يقيم فيها ــ من وقت لآخر ــ شاب اسمه « جوزيف ادواردز » ، ليس عميلا بل هو اشبه بصديق للعائلة . والدور الثالث ، وبه أكثر من غرفة ، أعِدّ لسكنى العاملات بالمحل . ولذلك قرر جورج كنط تخصيص غرفة لكل فتاة واحدة من الفتاتين اللتين تعملان عنده . قرر ذلك بناء على الحاح زوجته التى وجدت أن الغرف متوفرة فلا داعى لوضع الفتاتين فى غرفة واحدة . قرر ذلك بالرغم من أنه كان يرى فى ذلك اسرافا كبيرا .. حتى لكان الفتاتين من سـيدات المجتمع يجب تخصيص غرفة لكل واحدة منهما .

وحدث أن لازمت زوجة « كنط » الفراش لمدة ثلاثة أيام بسبب وعكة طارئة . ووجد جورج كنط نفسه مضطرا لتولى أعمال نظافة البار مستعينا بالفتاة جين بولاند . لقد كانت فتاة جميلة حقا . بديعة القوام . وسيمة الوجه . ذات ابتسامة جذابة . وبينما هما يعملان معا . وقعت عينه على عينها فابتسمت له ابتسامتها الجذابة ووجد نفسه ــ دون أن يشعر ــ يربت على خدها بالفرشاة التى كانت بيده بلطف . فلم تنفر ولم تبد أى اعتراض . لقد كان يكبرها بعشرين سنة . ولم يتصور ولا خطر بباله ان مثله يغرى مثلها ولا هو اراد ذلك . فهى اذا حركة استلطاف تحمل طابع الأبوة . ولكن الفتاة قابلت حركته بابتسامة ثانية مغرية ، حركت فيه بعض الاطماع . فلماذا لا ينتهزها فرصة للترفيه عن نفسه ؟ وطالما انه لا يريد بالفتاة شرا ولا ينتوى ارتكاب فاحشة فلا بأس من شىء من التسلية البريئة .

جرت هذه الأفكار سريعة فى عقله . والانسان ضعيف أمام الاغراء والفرصة سانحة ، فهمـا الآن وحدهما ، والزوجة فى فراش المرض . فاذا به يتجه الى غرفة الاستقبال بعيدا عن الأنظار ويشير للفتاة بأن تلحق به . فلا تخيِّب له املا . بل تتقدم نحوه وقد انفرجت شفتاها للمرة الثالثة عن تلك الابتسامة العريضة .. ابتسامة الفتاة المدركة لما هى مقبلة عليه . فلما اقتربت أحاط خصرها بذراعيه وحاول تقبيلها . ولكنها قاومته .

★ ★ ★

لقد كان يعلم من تجاربه الماضية فى مثل هـذه المواقف أن كل فتاة مهما كانت رغبتها ، تبدى تمنعا ومقاومة.لاعتقادها أنها انلمتفعل ظن الرجل بها الظنون واعتبرها من النوع الرخيص المفرّط فى عرضه .. ولكنه كان يعلم ايضا أن هـذه المقاومة لا تستمر طويلا خشية أن تضيّع الفتاة فرصة الاستمتاع . أو كما قال شوقى :

فازورّ غضبانا ، وأعرضَ نافرا

حـالٌ من الغيد الحسان عرفتُهُ

ولكن راع صاحبنا أن مقاومة هذه الفتـاة استمرت طويلا حتى افقدت القبلات لذتهـا ، واعتقد انه اذا وضع شفتيه على شفتيها واحست بحرارة قبلاته انهارت مقاومتها .. فقد حدث له مثل ذلك فى مرات سابقة .. ولكن محاولته هذه باءت بالفشل،واستمرت الفتاة تقاوم ولاتستجيب لقبلاته كما لو كانت فتاة بريئة ليس لها خبرة بمثل هذه الأمور . واحتار ماذا يفعـل . ان الطريقة التى لبت بها دعوته لها الى قاعـة الاستقبال لا تتفق مع هذه المقاومة العنيفة .

ولما لم يجد فائدة من المحاولة تركها لحـال سبيلها . فلم تصرخ . ولم تستنجد . واكتفت بأن هددته بأنها ستبلغ زوجته بما حدث وانذرته بأنها ستترك العمل . وبدا أنها جادة فيما تقول .



.. ولكن محاولته هذه باءت بالفشل ، واستمرت الفتاة تقاوم ولا تستجيب لقبلاته ..

ولكن الذى حدث بالفعل أنها لم تبلغ زوجته ولكنها بقيت طوال اليوم مقطبة الجبين غاضبة .

« كل ذلك من أجل لحظة مزاح برىء لا خطر وراءه ، ولا ضرر وقع منه . يا لها من فتاة غريبة ..» .

وجاء المساء فاذا بالفتاة جين بولاند تحاول أن تغرق آلامها فى الشراب . أو هكذا اعتقد هو وزوجته لما بدا من عدم قدرتها على الوقوف على قدميها . وكان ذلك عكس ما كان منتظرا منها . اذ أن اساس العمل فى البار أن لا تشرب العاملة الخمر أثناء العمل ، ومن باب أولى أن لا تفرط فى الشراب . فعنفها « كنط » وزوجته ، ووصفاها بانها سكيرة عربيدة مستهترة ، جلبت العار الى محلهما .. ووجدا من الخير لسمعة « قصر وندزور » أن تترك العمل عندهما فليس من مصلحتهما بقاء فتاة من هذا النوع فى خدمتهما .

وفى الساعة الثامنة مساء ازدادت حالة الفتاة سوءا فلم يجد كنط بدا من ارسالها لغرفتها . ولما كان واضحا أنها لا تستطيع الصعود اليها بمفردها طلب الى الفتاة الأخرى — جين هولتيار — أن تذهب معها وكرر تعنيفه لها بأنها سكيرة عربيدة مستهترة .

★ ★ ★

وبعد مضى بعض الوقت أبدت الزوجة مخاوفها من أن تكون حالة الفتاة جين بولاند ليست ناتجة عن افراط فى الشراب وقد تكون تشكو مرضا . وذهبت هى وزوجها للاطمئنان عليها . فلما دخلا غرفتها وجداها ملقاة على السرير بكامل ملابسها وفى شبه ذهول فايقنا ان ذلك كله من أثر الخمر ، وازداد امتعاضهما منها ومن سوء تصرفها .

وفى صباح الغد المبكر ، بينما « كنط » وزوجته يرقدان فى سريرهما آمنين ، سمعا طرقا على باب غرفتهما . فقامت الزوجة فزعة معتقدة أن الطارق جاء يخطرهما ان النار قد شبت فى الدار . ولحق بها زوجها الى الباب . فتبينا أن الطارق هو الفتاة جين بولاند ، ووجداها تبكى وتهذى ، ولم يستطيعا أن يتبينا ما الذى تقوله . وأخذت السيدة « كنط » تسكن من روعها فاستسلمت لها ، ولكنها أبت أن يقترب جورج كنط منها ، وأخذت تصيح فى وجهه « ابتعد عنى أيها الوغد . ابتعد » .

ولما استطاعت مسز كنط أن تهدىء من روع الفتاة اندفعت جين بولاند فى البكاء وقالت ان اعتداء وقع عليها أثناء نومها ، وأن المعتدى هو جورج كنط .

وطبعا لم تعر مسز كنط هذا الاتهام اية اهمية لأنه لا يُعقل .. بل لاستحالته . فقد كان زوجها بجوارها فى السرير طول الليل لم يبارحه ... وهى لم تنم نوما عميقا يسمح له بترك السرير دون أن تشعر . وفوق ذلك فالذى تعرفه من أمر زوجها أنه لا يقدم على مثل هذا العمل .. قد يربت على خد فتاة .. أو يمزح معها .. أما أن يقتحم غرفة فتاة ويعتدى عليها فليس ذلك طبعه ولا يتفق مع ما خَبَرَته من خلقه .

لذلك لم تحمل الزوجة هذا الاتهام على محمل الجد . وقابلته بأن صبت جام غضبها على الفتاة المفترية وأمرتها بجمع حوائجها على الفور ومغادرة « قصر وندزور » . وهددتها بأنها لن تدفع لها باقى استحقاقها ولن تعطيها شهادة بحسن السلوك .

★ ★ ★

ومن هنا نستطيع أن نتصور الصدمة التى أصابت الزوجة حين أقبل البوليس بعد أقل من ساعة ليقبض على الزوج بتهمة الاعتداء على الفتاة جين بولاند واغتصابها كرها .

★ ★ ★

وذهب الجميع الى مركز البوليس . أما جين بولاند فاصرت على اتهام جورج كنط بأنه اغتصبها كرها . وأما جورج كنط فقد أنكر التهمة بشدة . ومع ذلك احتجزه البوليس لمدة يومين .

ثم عرضت القضية على محكمة البوليس .وهى محكمة اجراءات تقرر ما اذا كانت تعتبر الأدلة كافية لتوجيه الاتهام أم غير كافية فتقضى بأن لا وجه لاقامة الدعوى .

واستمعت المحكمة الى أقوال جين بولاند . فروت روايتها . وكان واضحا من الأسئلة التى وجهتها لها المحكمة أن المحكمة غير مقتنعة باقوالها. واطمأن جورج كنط الى أنهم سيقررون حتما أن لا وجه لاقامة الدعوى .

ولكن المحكمة ـ وهى محكمة اجراءات كما قلنا ـ وجدت نفسها أمام اتهام خطير ، عقوبته ـ حينذاك ـ الاعدام . فرأت أن تحيل المتهم الى محكمة الجنايات ليحاكم أمام أنداده ـ المحلفين ـ .

واظهرت المحكمة مع ذلك اقتناعها ببراءة المتهم بأن أحالته مُفرَجا عنه لحين المحاكمة .

★ ★ ★

لم يكن جورج كنط يتوقع أن تسير الأمور هذا السير . انه موقن ببراءته . ويبدو أن محكمة البوليس هى الأخرى مقتنعة ببراءته. فلماذا يبقى هذا الاتهام معلقا فوق رأسه مدة أخرى . لقد كان يتصور أن محكمة البوليس ستوجه اليه أسئلة بعد سماعها أقوال الفتاة وتمكنه من الادلاء بروايته ، التى كان يستطيع أن يؤيدها بالاستشهاد بزوجته التى كانت ستشهد بأنه لم يفارق سريرها فى تلك الليلة المشئومة . ولو تم ذلك لظهرت براءته وانكشف كذب الاتهام . وخرج بريئا .

ولكن الذى حدث أن أحدا لم يطلب منه الادلاء بأقواله ، ولا دعيت زوجته للشهادة . وظلت الحقيقة مختفية بين صدريهما . ذلك أنه لم يكن ملما باجراءات التقاضى أمام محكمة البوليس التى يقتصر دورها على سؤال المتهَم ان كان يعترف بالتهمة أو ينكرها . فان أنكرها تركت له ابداء دفاعه أمام محكمة الجنايات .

وبقى جورج كنط متعجبا لاخلاء سبيله من غير أن يوضح الحقيقة للمحكمة ، ولكنه كان مطمئنا الى أن الفرصة آتية وأنه سيبدى أقواله أمام المحكمة وتسمع شهادة زوجته .

لذلك استيقظ فى اليوم المحدد لمحاكمته مبكرا ـ غير قلق ـ واتجه الى سوق المدينة يسوق أمامه أربعة عجول ليبيعها ـ فقد كان من بعض عمله الاتجار فى الماشية ـ ثم تناول افطارا شهيا ـ قبل أن يسلم نفسه ـ فى اطمئنان تام على نتيجة المحاكمة ـ الى محكمة « أولد بايلى » الرهيبة .

★ ★ ★

وهناك ـ ولأول مرة ـ فوجىء جورج كنط ـ

بأنه باعتباره متهما لن يسمح له بالادلاء بأقواله. وبأن زوجته ـ بسبب صلة القرابة ـ لا يجوز لها أن تشهد له أو عليه .

وهكذا أصبح مصيره معلقا على مدى الثقة التي يضعها المحلفون في أقوال تلك الفتاة التي اتهمته بالباطل ولا تزال تصر على اتهامه .

★ ★ ★

وبدأت المحاكمة بسماع أقوال جين بولاند .

كان منظرها ـ وهي تدلي بشهادتها ـ يوحي بأنها فتاة بريئة تستحق الشفقة . وشرحت للمحكمة ـ في حياء صادق أو مصطنع ـ كيف ربّتَ مخدومها بالفرشاة على خدها . وكيف ذعرت بادىء الأمر . ثم كيف استردت روعها حين وجدت أنه لم يعقب هذه الحركة أي فعل آخر . فاعتقدت أنها حركة جاءت عفوا عن غير قصد . فلما استدعاها مخدومها الى الصالون لبت دعوته بحكم واجبها معتقدة أنه يريد أن يكلفها بعمل . وأنها دهشت ـ بل صعقت ـ حين وضع يده عليها وأحاط خصرها بذراعيه . وقبلها رغما عنها .. ورغم ممانعتها .. وأنها قاومته بكل قوتها ثم افلتت منه وانقذت شرفها . ثم رجاها أن لا تذكر ما حدث لزوجته قائلا : « ان ما لم تره العين لا يشعر به القلب » .

وسألتها المحكمة عما فهمته من هذا الكلام . فأجابت أنها لم تدرك ما الذي أراد أن يقوله ، ولكنها اعتقدت أنه ندم على ما فعل ، فلم تخبر زوجته ، واكتفت بأن ابلغته أنها قررت ترك العمل .

وذكرت للمحكمة أنها يتيمة الأبوين ولها أخ واحد هو « هنري » ، جاء الى قصر وندزور بعد ظهر ذلك اليوم ، وأنها لشدة قلقها وفزعها مما حدث لها لم تر بدا من الافضاء اليه بمخاوفها . وسألته رأيه في ترك العمل دون انتظار مهلة الأسبوع التي يحتمها القانون قبل ترك العمل خشية أن يصيبها ضرر أفدح . ولكنه طمأنها ونصحها بالانتظار وقال لها انه لا خوف عليها ما دام مخدومها قد أظهر الندم .

وانكرت أنها افرطت في الشراب أو أنها سكرت. صحيح أنها أحست بدوار ولكن ذلك يحدث لها كثيرا لأنها تتعرض لنوبات . وقالت انها اعتبرت مصاحبة الآنسة هولتيار لها أثناء صعودها الى غرفتها عطفا كبيرا منها بعد أن اتهمها مخدومها ـ دون أن يدرك حالتها المرضية ـ انها سكيرة عربيدة .

وقالت انها عندما وصلت الى غرفتها ألقت بنفسها على السرير بكامل ملابسها وأنها افاقت بعد ذلك فوجدت شمعة مضاءة بالغرفة ورأت على ضوئها مستر « كنط » يقف بجوار سريرها مرتديا ملابسه العادية . وطبعا فزعت أشد الفزع لوجود رجل بغرفة نومها ، الأمر الذي لم يسبق لها حدوثه طوال حياتها .. ثم وضع مخدومها يدا على فمها .. ومد يده الأخرى الى جسمها .

وقالت انها فزعت .. وقاومت .. وحاولت أن تصرخ ولكنها لم تستطع لأن يده كانت على فمها .

ثم غابت عن وعيها . فلما أفاقت كانت الغرفة لا تزال مضاءة بتلك الشمعة . ووجدت أن مستر « كنط » لا يزال بالغرفة بجوار الباب من الداخل .. وليس عليه من الملابس الا قميص نومه ..

وطبعا أحست برعب قاتل وصاحت به « لا تدخل . أيها الوغد . لا تدخل » .

ولما ناقشتها المحكمة في مدى مقاومتها له قالت انها لا تدري كيف كانت تستطيع مقاومته الا بالصراخ والاستغاثة بمن في المنزل .. وكادت تفعل ذلك الا أنه قال لها انها سكرى .. وغادر الغرفة.

وبعد انصرافها اكتشفت أن ملابسها قد عبث بها ، وأحست بالآم في عظام مقعدها وتبينت ما حل بها من عار . فاتجهت فورا الى غرفة السيدة « كنط » . لم تفكر في الالتجاء الى الآنسة هولتيار المقيمة معها بنفس الدور بالغرفة المجاورة لأنها فتاة ، ولأنها اعتقدت أن السيدة المتزوجة اقدر على مساعدتها .. وطرقت باب غرفة مسز «كنط» تستأذن في الدخول . ولما فتحت لها الباب روت اليها ما حدث . ولكن مسز « كنط » ، وكان زوجها يقف بجوارها ، بدلا من أن تعطف عليها كذّبتها .. وتساءلت على أي أساس كذبتها وهي لم تكن حاضرة . ولم تكتف بتكذيبها بل عنفتها وقالت لها انها سكيرة عربيدة مستهترة وأمرتها بمغادرة المنزل على الفور .

فعادت الى غرفتها وجمعت حوائجها وكانت سعيدة لمغادرة المكان آسفة انها لم تفعل ذلك قبل أن يحدث لها ما حدث .. واحتارت فيمن يحمل لها صندوق ملابسها فتقدم منها شاب من بين سكان المنزل ـ فيما تعتقد ـ اسمه جوزيف ـ

حمل لها الصندوق ورافقها الى منزل أخيهـا .. وكان الصباح قد بزغ .

وجاء شهود تقدم بهم ممثل الاتهام ، ـ أيدوا ـ الى حد ما ـ « جين » فى اقوالها .

شهد اخوها ـ هنرى بولاند ـ بان اختـه تتعرض لنوبات وانها كثيرا ما تفقد وعيها . وانها اخبرته فى اليوم السابق بحادث غرفة الاستقبال. وانها كانت متهيجة محمرة العينين من أثر البكاء حين وصلت فى صباح الغد بصـحبة جوزيف ادواردز .

وشهدت زوجته أنها فتشت ملابس جين بولاند الداخلية وتبينت فيها آثارا واضحة الدلالة .

وجاء طبيب اكد انها فقدت بكارتها من وقت قريب ..

★ ★ ★

وانتهت بهذا ادلة الاتهام . لقد كان الأمر مؤلما للغاية . روت الفتاة ما قالت انه حـدث لهـا بعينين مسبلتين والخجل آخذ منها كل ماخذ . وطبيعى ان يكون لمثل هذا تأثير على المحلفـين يستجلب عطفهم ويحملهم على صب جام غضبهم على الوحش المفترس الذى لم يحترم براءة الفتاة الصغيرة .

ولولا ان جورج كان مطمئنا الاطمئنان كلـه لبراءته ، لتعهد بالدفاع عن نفسه الى محام من اقدر المحامين . ولو انه فعل لوجدت جين بولاند نفسها أمام وابل من الأسئلة المحرجة يوجههـا اليها محاميه تظهر ما فى روايتها من تفكك ، وما فى اجاباتها من ضعف ، وتفضح ما فى ادعائها من كذب .

كان الدفاع سالها ـ ما هو ماضى حياتها ؟ هل سبق لها العمل فى بار ؟ وان كان قد سبق لها فهل وصلت الى سن الثالثة والعشرين دون أن يقبلها رجل أو يحاول ؟ وما الذى حدا بهـا للذهاب فى اطمئنان الى غرفة الاستقبال بعد حادث التربيت على خدها بالفرشاة ؟ واذا كانت أحست من محاولة تقبيلها بالقوة انتهاكا لها ورغبة فى الاعتداء عليها فلماذا رغبت فى البقاء أسبوعا ، ولم تغادر قصر وندزور على الفور ؟ ولماذا لم تحاول حماية نفسها بتبليغ زوجة كنط ما حدث لها ؟ ولماذا حين وجدت نفسها عاجزة عن الصراخ لأنه كان يضغط على فمها بيده لم تحاول عض تلـك اليد ؟ ولماذا ـ اذا صح أنها كانت فى حالة هياج ـ حين اكتشفت ما حل بها من عار ـ وقفت فى أدب تطرق باب غرفة كنط وزوجته فى حين أن طالب النجدة لا يتمسك بتلك الأدبيات ؟ وماذا قصد اخوها حين قال انها تتعرض لنوبات ؟ هل قصد انها تفقد وعيها ؟ أم قصد انها تتخيل خيالات ؟

★ ★ ★

ولكن لسوء حظ جورج لم يكن المحامى الذى وقع عليه اختياره للدفاع عنه فى المستوى الذى تتطلبه قضية بهذه الخطورة . فقد اعتقد انه قادر على الحصول على براءة موكله دون حاجة الى استجواب المجنى عليها ؟ ووضع بيضه كله فى قفص واحد كما يقول الانجليز فبنى دفاعه كله على ورقة آمن بأنها رابحة وانه لا سبيل الى تجاهلها.

طلب سماع شهادة جين هولتيار. فشهدت بانها تعتقد أن جين بولاند كانت سكرى فعلا حين أمرتها مسز « كنط » بترك البار والذهاب الى غرفتها. وانها متأكدة أن جين بولاند لم تكن لتقوى علـى الصعود الى غرفتها بمفردها ، واستدلت على ذلك بأنها عجزت عن مجرد خلع ملابسها قبـل أن تأوى الى سريرها ورفضت أن تساعدها الشاهدة على خلعها . وقالت الشاهدة أنها تركت جـين بولاند بالغرفة وأخذت معها الشمعة الوحيـدة وتركت الغرفة مظلمة . وكان ذلك فى السـاعة الثامنة مساء .

وانها ـ فى منتصف الليل ـ بعد أن أتمت عملها بالبار ـ وقبل أن تأوى الى غرفتها ـ حملت الشمعة الوحيدة لتضىء الطريق لها وللمسـتر ادواردز ، صديق العائلة ، الذى صعد معها الى الدور الذى تقيم فيه ليعود بعدها الى الدور الذى يقيم فيه صاحبا قصر وندزور . وانها رأت واجبا عليها أن تطمئن على مس بولاند لترى ان كانت استطاعت ان تخلع ملابسهـا وتأوى الى فراشها . وكان المستر ادواردز لا يزال معها لعدم وجود شمعة أخرى . فتركته طبعا خارج الغرفة ودخلت بمفردها فرأت جين بولاند ملقاة علـى السرير بكامل ملابسها . واعتقدت أنها مستغرقة فى النوم ، فاكتفت بان ألقت عليها غطاء وتركت الغرفة . وسارت الى غرفتها هى ، وناولت مستر ادواردز الشمعة عند باب غرفتها ليتبين طريقه للدور الأسفل حيث غرفة نومه . ورأته يتجـه نحو السلم ولكنها لا تستطيع أن تقسم أن كان قد نزل الى الدور الأسفل لأنها بطبيعة الحال دخلت غرفتها بغير ابطاء .

واستدعى الدفاع ورقته الرابحة التى علـق

عليها كل آماله فى كسب القضية واقتناص البراءة ـ جوزيف ادواردز .

طلب القاضى من ادواردز أن يقسم اليمين بأن يقول الصدق . كل الصدق . ولا شيء غير الصدق . ثم ـ قبل أن يوجه أحد الى الشاهد أى سؤال ـ لفت القاضى نظره الى انه غير مطالب بالاجابة على أى سؤال يوجه اليه . ولكنه ـ ان أجاب ـ تحمل ما قد ينجم من مسئولية من اجابته . سئل عن عمله : فقال : انه بدون عمل الآن ولكن مهنته الاصلية جزار .

سأله محامى الدفاع ان كان قد ذهب ـ فى ليلة الحادث ـ الى غرفة مس بولاند فأجاب ـ بعد تردد ـ « نعم . ذهبت » .

وهنا أعاد القاضى تحذيره للشاهد بانه غير ملزم بالرد اذا اعتقد أن فى الرد ما قد يدينه . فقال الشاهد انه يدرك ذلك تمام الادراك .

وقال انه قد وقع نظره لأول مرة على مس بولاند عندما جاءت فى الصباح للعمل فى قصر وندزور ولكنه لم يوجه اليها أى حديث واكتفى بالنظر اليها ولم يظهر أى اهتمام بها .. ثم لم يلبث أن ابتسم لها .. فقابلت ابتسامته بابتسامة منها .

وقال انه وجدها جميلة جذابة للغاية وانه اعتقد ـ حين ابتسمت له ـ أنها من النوع السهل اللين التى لا يصعب الوصول اليها .

وفى ليلة الحادث ـ بعد أن تناول الشمعة من الآنسة هولتيار ليضيء طريقه ـ تعمد أن يتجه الى السلم ليوهم الآنسة هولتيار انه متجه الى غرفته ، ثم انتظر حتى تأكد انها دخلت الى غرفتها ، فاتجه الى غرفة الآنسة جين بولاند . ولم يجد صعوبة فى معرفة الغرفة لأنه رأى مس هولتيار وهى تدخلها ولمح مس بولاند مستلقاة على سريرها . واستمر يقول ـ ودخلت غرفة نومها والشمعة فى يدى فوجدتها مستيقظة وفى كامل وعيها . فابتسمت لها وابتسمت لى ، وتقدمت نحوها فلم تنفر ، ووضعت يدى عليها فلم تمانع . وجذبتها الى فلم تقاوم . وكانت راغبة . بل اننى لم أصادف فى حياتى امرأة أكثر منها رغبة .

كانت هذه الشهادة هى الورقة الرابحة التى وضع فيها محامى جورج كنط كل آماله ، والتى اطمأن اليها فلم يفكر فى أن يضيف اليها شيئا . لقد ظنها قاطعة فى التدليل على براءة موكله . ولكنها ـ مع الأسف ـ لم تكن بالقوة التى تصورها المحامى . فقد سألت المحكمة الشاهد ادواردز عما حدث فى صباح اليوم التالى فقال : «صحبتها الى منزل أخيها حاملا لها صندوق حوائجها . ولم أشأ أن أذكرها بما حدث فى الليلة الماضية . ولكنها تحدثت عما حدث بيننا وقالت انها ستتخذ من ذلك وسيلة للانتقام من المستر « كنط » لأنه جرح كرامتها حين وصمها بالسكر والعربدة ، وأنها جلبت العار على محله » .

وتحدث عدد من الشهود عن أخلاق المتهم فوصفوه بالعفة ودماثة الطبع واستبعدوا أن يحدث منه ما نسبته اليه جين بولاند .

وبعد ذلك انتهى الدفاع . ذلك أن القانون الانجليزى ـ فى ذلك الوقت ـ لم يكن يسمح للمتهم أن يحلف اليمين ويقف موقف الشاهد ويدلى بروايته كاملة ثم أن يستجوبه محاميه ومحامى الاتهام ، فاذا صمد للاستجواب الأخير واقتنع المحلفون بصحة أقواله صدقوه وبرأوه ـ كما هو حادث الآن ـ بل كان كل ما يستطيعه الدفاع ـ فى ذلك الوقت ـ أن يتقدم بالأدلة والشهود ولا يسمح له بالتعليق عليها . فأمر التعليق كان متروكا لممثل الاتهام وللقاضى فى تلخيصه .

★ ★ ★

واستغل ممثل الاتهام تلك الرخصة التى يبيحها له القانون فى الاضعاف من قيمة شهادة جوزيف ادواردز . فقال : انه لا يمكن الاطمئنان الى أقواله . وان روايته مصطنعة . اذ لو كانت صحيحة لتقدم من بادىء الأمر وأدلى بها للبوليس . ترى لماذا لم يفعل ؟ هل أراد أن يستجمع شجاعته ليدلى بشهادة قد تدينه ؟ ان الأمر لم يكن يتطلب أية شجاعة فقد احتاط لنفسه وزعم أن الفتاة كانت مقبلة عليه راغبة فيما حدث لها وبذلك وضع نفسه فى اطار من القانون لا يمكن معه توجيه أى اتهام اليه . أم يكون قد تأخر فى توليف رواية من نسج خياله أو من نسج دفاع المتهم ؟

ما هى الحقيقة اذا ؟ الحقيقة التى لم تعد تحتمل جدلا هى أن المتهم هتك عرض الفتاة المسكينة بالطريقة التى روتها لنا . أما هذا

الشاهد ادواردز ـ الذي يعرف المتهم والذي يهمه أمره والمدين له ولا شك ـ فاتما يتقدم لكم برواية مكذوبة مفضوحة باطلة من أساسها يريد بها ـ دون أن يلحقه منها أي ضرر ـ أن ينقذ صديقه من الجريمة البشعة التي أقدم عليها .

ان أوراق القضية جميعها أمامكم ووقائعها كلها معروضة عليكم وليس فيها ما يشير ـ من قريب أو بعيد ـ أن هذه الفتاة الصغيرة الطاهرة مستهترة مفرطة في عرضها كما يزعم ادواردز . فالتهمة التي وجهها لها ادواردز بادية البطلان ، يظل التلفيق من جميع جوانبها ، ولا يمكن لعقول المحلفين الراجحة أن تعيرها أي اهتمام .

ان المحلفين افراد من الشعب عاديون . ليست لهم خبرة قانونية ولا يزنون الأدلة دائما بميزان دقيق . وهم ككل انسان يتأثرون بعواطفهم . ومنظر فتاة شابة جميلة تتحدث في خجل عن ضرر بليغ حاق بها من شأنه ان يؤثر في افراد الشعب. لكل واحد منهم بنت أو أخت قد يقع بها ما وقع لهذه الفتاة . وهم ـ لعدم ممارستهم الحكم في القضايا كالقضاة المحترفين ـ تسحرهم الأقوال البليغة ويجرفهم الكلام المنمق .

وقد صدقوا الرواية المؤثرة التي ادعتها جين بولاند ، ولم يعيروا ادواردز أية أهمية واصدروا قرارهم بالادانة . والقاضي الانجليزي مقيد بقرار المحلفين ـ مهما كان رأيه فيه ـ فلم يسعه الا أن ينطق بالحكم الذي يقرره القانون في حالة الادانة ... وهو الاعدام شنقا .

ورفع المتهم يديه الى السماء يشهدها على ذلك الظلم الذي وقع عليه وصاح بكل قوته « انا برىء» وأدرك جميع من كانوا في قاعة الجلسة صدق نبرات المتهم وهو يهتف ببراءته واستقبلوا الحكم بالاستنكار الشديد .

★ ★ ★

وخرج الناس من القاعة يتحدثون عن احساسهم بالظلم الذي وقع . وخرج مراسلو الصحف الى دور صحفهم يعلقون على هذا الحكم بالقدر الذي تبيحه القوانين ولكنهم لم يستطيعوا الا أن يذكروا أثره على الجمهور . وهكذا سرى بين الناس احساس قوي بضرورة تقويم هذا الخطأ القضائي الفاحش . وأخذوا يتساءلون « هل يجوز اعدام رجل لعمل أقر رجل آخر انه هو الذي ارتكبه؟» .

وعلى فرض أن اعتراف ادواردز مشكوك في صحته فأين الدليل القاطع على ادانة « كنط » ؟ ان الطبيب لم يقل الا أن الفتاة فقدت بكارتها من وقت قريب .. ولكنه لم يحدد ان ذلك وقع حتما في الليلة المشئومة . وتلوث ملابس الفتاة ـ الذي شهدت به زوجة أخيها ـ قد يرجع الى هتك عرضها أو لأسباب أخرى . وسواء قالت لادواردز أنها ستتخذ مما حدث لها سبيلا للانتقام من « كنط » أو لم تقل فقد يكون لها دوافع أخرى تنسب الاعتداء عليها لشخص أو لآخر ، وأوحى لها حادث الصالون أن تتهم « كنط » .

ومع ذلك فليس في رواية الفتاة نفسها دليل مباشر على أن كنط اعتدى عليها . فان كل ما قالته انه دخل غرفتها ووضع يده عليها . وهذا ـ اذا صح ـ يكون شروعا ولا تكون عقوبته الاعدام .

والرأى العام حساس لكل ظلم يقع على احد الافراد . لذلك هاج هياجا شديدا .ورفع استئناف عن الحكم ، رفعه عمدة لندن ، وقد كان حاضرا المحاكمة . وأجاب العمدة أن الأدلة ـ في رأيه ـ غير كافية وانه ـ لو انه كان احد المحلفين لما وافق على قرار الادانة .

وكان لهذا الرأي قوته ـ واتجه أفراد من الشعب استنادا الى هذا الرأي الى وزير الداخلية وطلبوا منه انقاذ العدالة ، فدرس ملف الدعوى ، وحصلوا منه على اعتراف بوجود بعض الشكوك في صحة الحكم . ولكن نظام المحلفين جزء أساسي في نصوص الدستور الانجليزي . ووزراء الداخلية يتحرجون من المساس بأحكامهم لما لها من قدسية وأمام ذلك لم يسع وزير الداخلية أن يلغي الحكم ولكنه اضطر ـ ارضاء للرأي العام الى تعديل العقوبة ـ وبدل عقوبة الاعدام كان النفي الى ما وراء البحار .

وهكذا وجد « جورج كنط » نفسه ـ وهو الذي اعترف رسميا بوجود شك في ادانته منفيا من بلاده وكل الذي استطاعته القوى المؤمنة ببراءته أن تفعله هو انها انقذت رقبته من حبل المشنقة . ■■

حسن الجداوي

[redacted]

قرأ الشاعر هذه القصيدة ، فاستحسنها وبادر الى ترجمتها شعرا . وهى للشاعر الانجليزى هارولد فيلدنج هول

ساحةَ المجد ، ترى اين حِمَاها … انني لا اشتفى حتى اراها
هاجني الشوقُ الى آفاقِها … ليتني اعرف شيئا عن رُباها
فاروِ لي قصة ارض حرة … تهب الأبطال مجدا لا يُضاهَى
خضّبوا ساحاتها من دمهم … فاستحقوا الخلد فى رَحْب فضاها
اين تلك الأرض مني يا ترى ؟ … حيث عمّ الكونَ فيضٌ من سناها
تهب الفيض ولا تنْبع ما … وهبتْ مَنّاً ولا بعض اذاها
اين ساحُ الحرب ؟ من اطرافها … يَعْرجُ القتلى الى أوْجِ سماها
ربما كانت بأقصى بقعَة … حيث يسرى الدفء فى رحب قراها
حيث تجرى عَذْبَةً انهارُها … فى رمال اخذت تروى ظماها
فى ثراها يلتقى ابطالها … ليموتوا فيفوزوا بعلاها
اين تلك الأرض ؟ ما قصتها ؟ … ادْوِها كاملةً منْ مبتداها
انني اهوى الردى فى ساحها … آخر العمر . لاحظى بضياها
هكذا استفسر طفل عن ربىً … وهو يهوى مَيْتة تحت لِواها

فأتاه الرد من والده … يحمل البشرى وانغام صداها :
ساحة المجد اذا رمت لقاها … فمن اليوم ـ اذن ـ انت فتاها
ولماذا آخر العمر ؟ اما … لفتى مثلك حظٌ فى نداها ؟
انها فى كل ارض حرة … تهب الشبان والشيب جَناها
تمنح المجد لأبطال غدوا … ـ فى سبيل الحق والخير ـ فداها
انها توجد فى كل ثرىً … يمنح الأمجادَ فى ابهى رُواها
انها لم تقتصر يوما على … ساحة الحرب اذا دارت رحاها
حيث يَدْوى المدفعُ الرعاد فى … عرَصات فقدتْ كلَّ حجاها
بل رأت فى كل ارض موطنا … نزلت فيه واهدت من هداها
وثوى فى رحبها كلُّ فتىً … عاش فى الدنيا شريفا يتباهى
فاذا احببت أن تخلد فى … هذه الساح وتحظى بلقاها
فمن اليوم أقمْ فى رحبها … واتخذ بيتك فى اعلا ذراها
فاذا ادركك الموت غدا … « لا تسل عنها ولا اين حماها »

ترجمة : فاضل خلف

سفارة الكويت ـ تونس



دردشة

من هو خير الازواج ؟

● قالت الكاتبة الروائية « اجاثا كريستى » : ان العالم الأثرى هو خير زوج تحظى به اية امراة ، لأنها كلما تقدمت هى فى السن ازداد شغفه واهتمامه بها !

غنى عصامى ..!

● نزل رجل من كبار الأثرياء الذين جمعوا ثروتهم بكدهم فى فندق ، ولم تبد عليه مظاهر البذخ الذى يتناسب مع غناه .

فساله الخادم : ان ابنك يا سيدى اذا نزل بهذا الفندق انفق عن سعة فما بالك لا تطلب الا اقل الأشياء نفقة ؟

فاجاب الرجل : ان ابنى والده من كبار الأثرياء فيحق له هذا البذخ ، اما انا فوالدى رجل من عامة الناس وفقرائهم !..

بخل الاسكتلنديين

● **كتب احد الاسكتلنديين الى جريدة التايمز : اذا لم تكف الجريدة عن نشر الدعاية التى تصور بخل الاسكتلنديين فانني سوف امتنع عن استعارة نسخ جريدتكم من جارى للاطلاع عليها !**

حيرة !

● **قالت فتاة :** اننى حائرة بين هذين الشابين .. الأول جميل وغني وذكي ويعرف الدنيا .. والثاني يريد أن يتزوجنى !

مشادة فى البرلمان الفرنسى

● كان النائب « برتو » يلقى خطبة فى البرلمان الفرنسى، فعزم بعض المتطرفين على مقاطعته ، فصاح برتو بالحجاب :

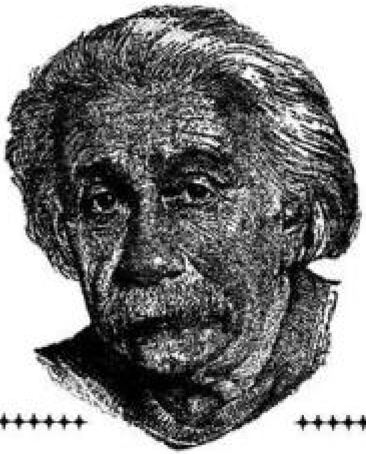
ـ افتحوا الشبابيك من فضلكم .

فقاطعه زعيم المعارضة بقوله :

ـ انزل عن المنبر ايها الراعى الشرير !

فصاح برتو :

كيف يستطيع الراعى أن يكون صالحا ما دام تيس القطيع على شاكلتك !



نصف الاعتقاد

● سألت احداهن صديقا لها : **كم تظن عمرى الآن ؟**

فأجابها : ٣٠ سنة ..

قالت : **حقا انك لطيف .. وكيف عرفت ذلك ؟..**

قال : من عادتى انى كلما سألتنى سيدة عن عمرها قلت لها نصف ما اعتقد .

آينتشين يشرح النظرية النسبية لسيدة

● دعى آينشتين الى حفل اقامته احدى السيدات ، وفى اثناء الحفل ، طلبت اليه احداهن ان يشرح لهن نظرية النسبية ، فروى القصة التالية : سرت مرة مع رجل مكفوف البصر ، فذكرت له انى أحب اللبن ، فسألنى : « ما هو اللبن ؟ » .

فقلت : « انه سائل ابيض .. » .

فقال : « انى أعرف ما هو السائل ، ولكن ما هو اللون الأبيض ؟ » .

قلت : « انه لون ريش البجع » .

قال : « اما الريش فاننى أعرفه ، ولكن ما هو البجع ؟ » .

قلت : « انه طائر برقبة ملتوية » .

قال : « أما الرقبة فاننى اعرفها ، ولكن ما معنى ملتوية ؟ » .

عندئذ اخذت ذراعه ومددتها ، ثم ثنيتها ، وقلت له : هذا معنى الالتواء .

فاقتنع وقال : الآن عرفت ما هو اللبن !

ثم التفت الى السيدة وقال : « الا تزالين ترغبين فى معرفة ما هى نظرية النسبية ؟ »

المرأة وقيادة السيارة

● ذهب رجل يطلب رخصة لقيادة سيارته ، فسأله أحد رجال المرور : ما معنى أن يخرج السائق يده من النافذة ؟

فأجابه : ان كان السائق سيدة فمعنى ذلك انها تتجه الى اليمين ، او الى اليسار ، أو تنفض سيجارتها ، او تتوقف ، او تشير الى قبعة فى احدى الفترينات.

مقال يصف من أمر الصوفية والصوفيين ما يصف ، فى الفترة التى بين القرنين السادس والسابع الهجرى ، وهو يدور حول أبى الحسن الشاذلى خاصة ، ويذكر فيمن يذكر من مشهورى رجالها ، السيد أحمد الرفاعى ، وأبا مدين التلمسانى ، ومحيى الدين بن عربى ، والشيخ أبا الفتح الواسطى ، والسيد أحمد البدوى ، وعبد السلام ابن مشيش ، وأبا العباس المرسى وغير هؤلاء . وقد جمعتهم حقبة من الزمان واحدة ، وتنقلوا من حيث المكان فى رقعة من الارض واحدة ، امتدت من واسط عند الرافدين ، الى سبتة عند بوغاز جبل طارق . فتلك هى الأمة العربية الاسلامية الواحدة التى تنقل فيها العرب والمسلمون ، لا تقفهم حدود ، ولا تمنعهم من اجتياز سدود .

حقق الله الآمال . « العربى »

بقلم الدكتور
جمال الدين الشيال
المستشار الثقافى فى سفارة ج.ع.م. فى الرباط

نشأ فى جو تصطرع فيه قوى العلم والفكر الحر مع قوى الرجعية والتزمت والكبت وضيق الفكر

■ ابو الحسن الشاذلى عالم من أعلام الصوفية وقطب من أقطابهم ، ولد فى المغرب الأقصى وعاش معظم سني حياته فى تونس ومصر ، وأنشأ مدرسة صوفية كبير ، ما زال اتباعها وتلاميذها ينتشرون فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى ويكوّنون فرَقا صوفية كثيرة تشعبت كلها عن الفرقة الأصلية التى أنشأها وتسبت اليه ، وهى الفرقة الشاذلية .

نشأة الشاذلى

ولد أبو الحسن الشاذلى فى أواخر القرن السادس الهجرى فى سنة ٥٩٣ هـ فى قرية غمارة بالقرب من مدينة سَبْتَة بالمغرب الأقصى[١] .

وهو نور الدين أبو الحسن على بن عبدالجبار ابن يوسف .

وينتمى الى قبيلة عموان احدى قبائل المغرب

(١) سبتة اليوم ميناء على البحر الأبيض ، عندبرزخ جبل طارق عدد سكانه ٥٠٠٠ نسمة .



وهى التى ينتمى اليها ولىالله سيدى عبدالرحيم القِنائى(٢) .

وهو حَسَنىّ علَوىّ اى انه ينتهى بنسبه الى الحسن بن على بن أبى طالب .

رحلة الشاذلى الى تونس

نشا ابو الحسن فى قريته غمارة ، وفيها تلقى علومه الأولى وحفظ القرآن ، ثم اراد أن يستزيد من العلم فرحل الى تونس . لقد كانت مدن المغرب الأقصى الكبيرة مثل سبتة أو مراكش أو فاس أقرب اليه من تونس ، ولكنه اعرض عنها جميعا وابعد فى الرحلة فذهب الى تونس . ولتفسير هذا لا بد من القاء نظرة سريعة على الحالتين السياسية والعلمية فى المغرب الأقصى ، وفى العالم الاسلامى بوجه عام ، فى ذلك الوقت .

سيادة المذهب الشيعي فى القرن الرابع الهجرى

كان المذهب الشيعى قد انتصر فى القرن الرابع الهجرى،وبانتصاره قامت دولتان شيعيتان كبيرتان أصبحت لهما السيادة فى طرفى العالم الاسلامى الشرقى والغربى : (١) فالدولة الفاطمية فىالغرب

(٢) ضريحه بمدينة قنا ، بالوجه القبلى ـ الصعيد ـ بالجمهورية العربية المتحدة .

وتنضمُ اليها بلاد المغرب جميعا ، ومصر ،واليمن، والحجاز والشام (٢) والدولة البُويهيّة فى الشرق ، ولها السيادة فى العراق قلبِ الدولة العباسية نفسها .

سيادة المذهب السنى فى القرن الخامس الهجرى

وفى القرنين الخامس والسادس الهجرى حدث ردُ فعل قوى ، وبدأ المذهب السُنىّ يسود من جديد بعد أن ضعفت الدولتان الفاطمية والبويهية، وقامت دولٌ سنية كثيرة كان هدفها القضاء على الدول والمذاهب الشيعية فى كل مكان ، فكانت دول السلاجقة والاتابكة فى الشرق ، ودولتا الأيوبيين والمماليك فى مصر والشام ، ودولة الموحدين فى المغرب والأندلس . وكان بعض حكام هذه الدول السنية مغالين فى محافظتهم على المذهب السنى ، ويرون فى كل الحركات والآراء الفلسفية جنوحا نحو العودة الى المذهب الشيعى ، فهو مذهب كان يدرس الفلسفةَ وعلوم الأوائل ويتأثر بها الى حد بعيد .

انقسام العالم الاسلامى اغرى اوروبا بالهجوم عليه ، من الشرق ومن الغرب

وهذا العصر بعينه هو العصر الذى شَهِد انقسام العالم الاسلامى الى دول كثيرة شَغَل بعضها عن البعض ، وهو الذى شهد ضعف هذا العالم الاسلامى وجرأة أوروبا المسيحية على اقتحام ربوعه فى الشام على أيدى الصليبيين ، وفى الاندلس على أيدى الراغبين فى اعادتها الى حظيرة المسيحية والقضاء على الدويلات الاسلامية القائمة بها .

فى هذا الجو الغريب نشط التصوف

فى هذا الجو الغريب قويت الحياة الروحية وتَنشط التصوف وكثر المتصوّفة ، فقد أحس المجتمع الاسلامى بعجزه عن حماية نفسه من المغيرين الوافدين من الخارج ، فراح المسلمون يبحثون عن قوة عليا يلجأون اليها فى محنتهم ويحسون فى كنفها بالاطمئنان النفسى ، فلجأوا الى التدين ، واغرقوا فيه وفى العبادة والزهد ، يلتمسون فى هذا كله سكينة الروح وينسون فى رحاب الله ما يكتنفهم من عوامل الفزع والقلق والاضطراب . ومن هنا تنشيطت الحركات الصوفية فى القرنين السادس والسابع .

وانقسم المتصوفة فى هذين القرنين الى قسمين: قسم سُنّيّ حياة روحية خالصة ، وقسم خلط التصوف بالفلسفة والروح بالفكر .

وقد شهد المغرب عند نشاة الشاذلى به هذين النوعين من المتصوفة .

الصوفىُ الكبير أبو يعزى بن يلنور

ففى مدينة فاس بالمغرب الأقصى كان يقيم فى أواخر القرن السادس الصوفىُ الكبير الشيخ أبو يَعْزّى بن يَلّنّور . وكان الناس يفدون اليه من جميع أنحاء المغرب والأندلس ، يأخذون عنه ويستمعون اليه ويلتمسون منه البركات .

أبو مَدْين التلمسانى

وفى مقدمة من وفد عليه القطب الغوث أبو مَدْيَن التلمسانى ، فعاش معه سنين يقتبس من طريقته بالاقبال كل الاقبال على الصوم والزهد والصلاة والتقشف والعبادة . حتى اذا قبس قبسة من روح استاذه أبى يَعْزّى ، رحل الى المشرق ليقبس قبسات أخريات من شيوخ التصوف هناك، وعن سيدى عبد القادر الجيلانى قطب العراق بوجه خاص .

وعاد أبو مَدْين الى المغرب فاقام فى بجاية ، وفاقت شهرته شهرة أستاذه أبى يعزى ، ولقبه القوم هناك بالغَوْث ، وتتلمذ عليه العشرات من كبار العلماء وفى مقدمتهم الفيلسوف المتصوف الكبير محيى الدين بن عرَبى ، والشيخ أبو عبد الله محمد بن حرازم أحد شيوخ الشاذلى .

الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف يقرب أهل الفكر ثم يتنكر لهم

وكانت الدولة القائمة بالحكم فى المغرب وقتذاك هى دولة الموحدين ، ومن ملوكها من كان راعيا للحياة الفكرية مشجعا للعلماء والمفكرين ، ومنهم من كان متزمتا مضطهدا لرجال الفكر والمشتغلين بالفلسفة. فمن أمثلة النوع الاول الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، وكان رجلا واسع الفكر محبا للعلم صديقا للعلماء ،

وللفلاسفة منهم بوجه خاص ، فقرب اليه عددا كبيرا منهم ، وفي بلاطه عاش الفيلسوف المغربي ابن طفيل ، وهو واحد ممن حاولوا المزج بين الفلسفة والتصوف ، وهو مؤلف قصة حي بن يقظان التي حاول فيها أن يثبت أن العقل والشرع يؤديان الى نتائج واحدة .

وابن طفيل هو الذي قدم للخليفة يعقوب صديقه الفيلسوف ابن رشد فرحب به وقربه اليه وولاه قضاء اشبيلية .

ولكن المجتمع الاسلامي في المغرب وقتذاك لم يرض عن سياسة الخليفة الموحدي يعقوب ، اذ كان رد الفعل السني ذا أثر قوي عليه ، فقد كان المجتمع سنيا متزمتا ينكر الفلسفة والمشتغلين بها، وقد استجاب الخليفة أبو يوسف يعقوب بن الخليفة السابق لرغبات المجتمع ، فاضطهد العلماء والفلاسفة ورجال الفكر ، وأصابتهم في عهده مِحَن شديدة . فاتهم ابن رشد في عهده بالزندقة وحوكم في سنة ٥٩١ .

واضطهد الفيلسوف الكبير أبو مدين وأرسل الخليفة يستدعيه من بجاية لمحاكمته ، فأتى به مكبلا بالحديد ، حتى اذا وصل تلمسان مرض ومات سنة ٥٩٤ .

أهل الفكر والفلسفة والتصوف يرحلون عن المغرب

هذا الجو ، الذي كان يشيع فيه ضيق الفكر ، ويسود فيه الكبت والاضطهاد والمحاكمة ، دفع الكثيرين من رجال الفكر والفلسفة والتصوف الى الرحيل عن المغرب الأقصى ، وفي مقدمتهم محيي الدين بن عربي ، فقد رحل عن الاندلس والمغرب في سنة ٥٩٨ بعد أن شهد محنة استاذه في الفلسفة ابن رشد وأستاذه في التصوف أبي مدين.

لم يكن غريبا اذن أن يشيح الشاذلي بوجهه عن مدن المغرب الأقصى الكبيرة ويرحل الى تونس ليستكمل علومه بها . فانه يبدو ان الجو في تونس كان أصلح منه في المغرب الأقصى وحرية الفكر والدراسة مكفولة هناك الى حد ما ، وفيها على ذلك الوقت كان يقيم عدد كبير من أعلام المتصوفة من أمثال الشيخ محمد صالح بن بنصار والشيخ أبي محمد المهدوي والشيخ أبي سعيد الباجي وهم من تلاميذ الغوث ، وقد عاصر الشاذلي أثناء تلقيه العلم في تونس هؤلاء العلماء الأعلام ، ولا شك أنه اتصل بهم وتتلمذ عليهم وأخذ عنهم .

وكان الجو في تونس كلها يَضُوع من شذى تعاليم أبي مدين وروحانيته ، والكل هناك من تلاميذه الذين يسلكون طريقته . وقد تأثر الشاذلي بهذا الجو تأثرا شديدا وعشق التصوف وحياة المتصوفة منذ ذلك الحين وبدأ فتلقى الطريقة على أبي عبد الله بن حرازم ، أحد تلامذة أبي مدين ولبس على يديه خرقة التصوف .

ابو الحسن الشاذلي في تونس

رحل أبو الحسن الشاذلي من قريته غمارة الى تونس حوالي سنة ٦٠٢ وهو بعد حدث صغير السن في نحو العاشرة من عمره ، وبدأ هناك فتلقى على علمائها الفقه على مذهب مالك ، وعلوم اللغة من أدب ونحو وصرف وعلوم الدين من تفسير وحديث وكلام توحيد . ولازم حلقات الدرس حتى نبغ في هذه العلوم جميعا . ثم شاقه التصوف واتصل بشيوخه ولبس الخرقة أول ما لبس على يد أبي عبد الله محمد بن حرازم ـ كما أسلفنا ـ

في هذا الجو الذي كانت تتجاوب في جنباته آراء الفلاسفة من أمثال ابن رشد وابن طفيل وابن عربي، وتنتشر في نواحيه روحانيات المتصوفة من أمثال القطب الغوث أبي مدين وأبي عبد الله ابن حرازم وأبي سعيد الباجي .. في هذا الجو الذي كانت تصطرع فيه قوى العلم والفكر الحر مع قوى الرجعية والتزمت السني . في هذا الجو نشأ أبو الحسن الشاذلي نشأته الأولى ، وتلقى علومه الأولى ، ولكنه لم يكد يبلغ سن الشباب حتى أحس أن غلته لم تشتف وأن ظماه للعلم والمعرفة لم يُرْوَ ، فاعتزم الرحلة الى المشرق لأداء فريضة الحج وزيارة الأرض الطيبة المقدسة والقبر الطاهر أولا ، ثم لاتمام علومه واستكمال دراسته على أيدي شيوخ الشرق ثانيا .

الشاذلي وأبو الفتح الواسطي

ولسنا نعرف متى رحل الشاذلي رحلته الشرقية الأولى على وجه التحديد ، ولكننا نحسبه بداها حوالي سنة ٦١٥هـ وهو في نحو الثانية والعشرين من عمره، فاننا سنسمع بعد قليل أنه قابل شيخه أبا الفتح الواسطي في العراق في سنة ٦١٨ هـ .

بدأ الشاذلي رحلته فدخل مدينة الاسكندرية

ومر بأرض مصر ، ثم دخل الحجاز فادى الفريضة ثم زار فلسطين والشام والعراق . وكان فى كل بلد يزوره يقصد من بها من العلماء والفقهاء يأخذ عنهم ويستمع اليهم ، وكان أكثر اتصاله بالعُبّاد والزهاد والمتصوفة ، وكان أكثر تأثره فى رحلته هذه بالشيخ أبى الفتح الواسطى ، وهو من أكبر تلاميذ سيدى أحمد الرفاعى (١) ، وكانت له منزله عظيمة عند الرفاعية مما دعاهم الى ارساله الى مصر ليعمل على نشر طريقتهم فيها ، ووصل أبو الفتح الواسطى الى الاسكندرية فى سنة ٦٢٠ واقام بها مدة يعظ الناس ويدعوهم الى طريقته ، وكان يلقى دروسه فى مسجد العطّارين ، وقد قامت بينه وبين علماء الاسكندرية وفقهائها مساجلات وخصومات علمية كثيرة ، وتوفى بالاسكندرية فى سنة ٦٢٢ ولا زال ضريحه موجودا بالقرب من ضريح أبى الدرداء .

السيد احمد البدوى

وقد حزن الرفاعية فى العراق حزنا بالغا لوفاة الشيخ أبى الفتح الواسطى ، واختاروا قطبا آخر كان يقيم بينهم فى ذلك الوقت وأرسلوه الى مصر ليتزعم طائفة الرفاعية بها ، وكان لهذا القطب شان كبير فيما بعد وأنشا له طريقة جديدة ، ذلك هو القطب الكبير سيدى أحمد البدوى فقد أرسله الرفاعية فى سنة ٦٣٥ من العراق الى مصر ليشرف على شؤون الاتباع بها .

تأثر الشاذلى بأبى الفتح الواسطى

على هذا الشيخ العالم الكبير أبى الفتح الواسطى أخذ الشاذلى أثناء مقامه فى العراق ، واعترف انه لم يلق هناك من العلماء من هو خير منه قال : « دخلت العراق ولقيت جملة من المشايخ فلم أر أحسن من الشيخ أبى الفتح الواسطى » .

الشاذلى يبحث عن « القطب »

وقد كان الشاذلى أثناء تقلبه فى بلدان الشرق لا يسعى لطلب العلم وحده ولكنه كان يبحث عن ضالته المنشودة ، يبحث عن القطب ، وللقوم آراء وأقوال كثيرة فى القطب . فأول من قال به وتحدث عنه من المتصوفة ذو النون المصرى ، ويبدو من أقوال المتصوفة أن الأقطاب فى كل وقت كثيرون وأن الرئاسة دائما على هؤلاء الأقطاب لقطب واحد مفرد هو ما يلقبونه بالقطب الغوث . ويبدو هذا واضحا فى حديث الشاذلى نفسه لأحد تلاميذه وهو شمس الدين بن كتيلة .

وروى ابن كتيلة انه كان جالسا يوما بين يدى استاذه الشاذلى فخطر له أن يسأله عن القطب فقال له :

ـ يا سيدى ما معنى القطب ؟

فقال الشاذلى :

ـ الأقطاب كثيرة فان كل مقدَّم قوم هو قطبهم. أما القطب الغَوْث الفرد الجامع فهو واحد .

وقد عرّف صاحبُ كتاب المفاخر القطبَ الغوثَ بأنه رجل عظيم وسيد كريم ، يحتاج اليه الناس عند الاضطرار ، فى تبيين ما خفى من العلوم المبهمَة والأسرار ، ويُطلب منه الدعاء لأنه مُستجاب الدعاء ، لو أقسم على الله لأبرّه ، ولا يكون القطب قطبا حتى تجتمع فيه جميع صفات الأقطاب الذين هو رئيسهم .

الواسطى يقول للشاذلى:عدْ الى المغرب فالقطب هناك

عن هذا القطب كان يبحث الشاذلى أثناء تجواله فى الشرق ، فلما اطمانت نفسه الى شيخه أبى الفتح الواسطى فاتحه بدخيلة نفسه وحدثه عن أمنيته ، ولكن الشيخ أبا الفتح أخبره أن القطب فى وطنه الأصلي ، فى المغرب ، فان كان يبحث عنه حقيقة ليعد الى المغرب . واستمع أبو الحسن الى نصيحة شيخه وعاد الى المغرب .

الشاذلى يعود الى المغرب ، فيلتقى بالقطب عبد السلام بن مشيش

وظل يوالي الرحلة والبحث الى أن التقى بالقطب ، الى أن التقى بشيخه وأستاذه الأكبر الذى أخذ عنه الطريقة ولبس على يديه خرقة التصوف ، والذى ظل ينتسب اليه ، وهو الشيخ

---

(١) أحمد الرفاعي ، هو المتصوف الشهير ، ولد فى قرية حسن من أعمال واسط فى العراق . قبره فى قرية أم عبيدة يزوره خلق كثير . ولد عام ٥١٢ هـ (١١١٨ م) ومات عام ٥٧٨ هـ (١١٨٣ م) .

(٢) أحد أقطاب الصوفية ، ولد فى المغرب عام ٥٩٦ هـ ـ ١١٩٩ م ، ومات فى طنطا بمصر عام ٦٧٥ هـ ـ ١٢٧٦ م .

عبد السلام بن مشيش (١) .

يستطرد الشاذلي في وصفه لمقابلته الأولى مع الشيخ ابي الفتح الواسطي فيقول :

« وكنت أطلب القطب فقال لي : أتطلب يا علي القطب بالعراق وهو ببلاد المغرب ؟ ارجع الى المغرب فانك تجد القطب هناك، فرجعت الى المغرب واجتمعت باستاذي عبد السلام مشيش » .

وبعد رحلة طويلة قابل الشاذلي استاذه القطب سيدي عبد السلام بن مشيش ، وكانت مقابلته الاولى له في رأس جبل حيث يقيم مرابطا ومتفرغا للعبادة .

وقد روى الشاذلي خبر هذه المقابلة قال :

« لما قدمت عليه وهو ساكن برباطه برأس جبل ، اغتسلت وخرجت من علمي وطلعت اليه فقيرا ، واذا به هابط علي ، فلما رآني قال : مرحبا بعلي بن عبد الله بن عبد الجبار ، وذكر نسبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا علي : طلعت الينا فقيرا من علمك وعملك ؟ أخذت منا علمي الدنيا والآخرة. فأخذني الدهش، واقمت عنده أياما الى أن فتح الله علي بصيرتي، ورأيت له خوارق وعادات وكرامات » .

استقرت نفس الشاذلي اذن ، فقد قابل القطب الغوث ، وأدلى اليه القطب بآية القطبية منذ اللحظة الأولى ، فقد ناداه باسمه ونسبه مكتملا ، ووعده بأن يلقنه علمي الدنيا والآخرة ، لهذا لزم الشاذلي استاذه ملازمة تامة منذ هذه اللحظة ، يأخذ عنه ويتتلمذ عليه .

فماذا أخذ الشاذلي عن ابن مشيش ؟

أخذ الشاذلي عن ابن مشيش : حب الله والايمان بالله ، والاعراض عن الخلق ليخلو لله

أخذ عنه حب الله والفناء في هذا الحب ، فهو القائل : « أدمن على الشرب والمحبة وكأسهما مع السكر والصحو . كلما أفقت او تيقظت شربت ، حتى يكون سكرك به ، وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشرب والشراب والكأس ، بما يبدو لك من نور جماله وقدس كماله وجلاله».

وأخذ الشاذلي عن استاذه ابن مشيش الايمان، والايمان القوي الكلي بالله ، حتى يجد الله في كل شيء . فهو القائل :

« أنظر ببصر الايمان تجد الله في كل شيء ، وعند كل شيء ، ومع كل شيء ، وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، وفوق كل شيء ، وتحت كل شيء، وقريبا من كل شيء ، ومحيطا بكل شيء ، بقرب هو وصفه ، وبحيطة هي نعته ، وعد عن الظرفية والحد ، وعن الأماكن ، وعن الصحبة والقرب والمسافات ، وعن الدور بالمخلوقات ، امح الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو هو هو ، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان » .

وأخذ ابن مشيش تلميذه الشاذلي بأن يعرض عن الخلق وأن يلجأ الى الله وحده، روى الشاذلي انه كان في احدى سياحاته ، فأتى غارا يبيت فيه ، فسمع رجلا يتحدث ، فعجب من وجود انسان في هذا المكان المنعزل المهجور ، ولكنه لم يشأ أن يقلق هذا المتحدث في الليل ، فبات عند مدخل الغار ، فلما كان السحر تيقظ أبو الحسن فسمع الرجل يدعو ربه بقوله :

« اللهم ان أقواما سألوك اقبال الخلق عليهم وتسخيرهم لهم ، اللهم اني اسألك اعراضهم عني واعوجاجهم علي حتى لا يكون لي ملجأ الا اليك ».

قال الشاذلي :

« ثم خرج الرجل من الغار فاذا هو أستاذي ابن مشيش ، فقلت له : يا سيدي اني سمعتك البارحة تقول كذا وكذا ، فقال لي : يا علي ، انما خير لك ان تقول : «كن لي» بدلا من أن تقول «سخر لي قلوب خلقك»، فاذا كان لك كان لك كل شيء».

بهذه المبادىء الروحانية العليا التي تنادي العبد بأن يقبل على حب الله وأن يفنى في هذا الحب تخرج أبو الحسن الشاذلي على أستاذه ابن مشيش . قال أبو الحسن :

« سألت أستاذي – رحمة الله عليه – عن ورد المحققين ، فقال : عليك باسقاط الهوى وصحبة المولى ، وآية المحبة الا يشتغل محبه بغير محبوبه » .

ابن مشيش يأمر الشاذلي بترك فاس الى تونس

واقبل الشاذلي – وهو في صحبة أستاذه – على العبادة فطهر نفسه من حب الدنيا ومن الاقبال

---

(١) عبد السلام بن مشيش ، هو أحد أقطاب الصوفية في المغرب . مات عام ٦٢٦هـ ، ١٢٢٨م ، ودفن في جبل العلم قرب دزان . وله مخطوط في لندن « اعانة الراغبين في الصلاة » .

على الخلق ، وأقبل على حب الله وفنى في حبه ، فلما صفت نفسه واصبح اهلا للولاية ووراثة القطبانية أمره أستاذه ان يرحل عن فاس الى تونس ، وتنبأ له بما سيحدث له في مستقبل أيامه، فقال له :

« ارحلْ الى افريقية ، واسكنْ بها بلدا تسمى شاذلة ، فان الله يسميك الشاذلي ، وبعد ذلك تنتقل الى مدينة تونس ، ويؤتى عليك من قبل السلطنة وبعد ذلك تنتقل الى بلاد الشرق وترث القطبانية » .

الشاذلي يصل تونس ثم الى الشاذلة بجوارها

ترك أبو الحسن مدينة فاس واتجه تنفيذا لأمر أستاذه نحو تونس وعند دخوله اليها تقابل مع رجل حطّاب فقير هو أبو الحسن على الابرقي، من اهل شاذله ، وهي قرية قريبة من مدينة تونس ، فصحبه معه . وخرج الرجلان واتجها نحو شاذلة ، وفي الطريق راى الابرقي شواهد كثيرة من زُهد أبي الحسن وصلاحه ، فاقبل عليه وقبّل يديه وساله الدعاء . وتقول الرواية ان بركات أبي الحسن حلت برفيقه فاقبلت عليه الدنيا ووُسّع عليه في الرزق بعد ذلك .

ونزل أبو الحسن بطرف من أطراف شاذلة ، وقابل فيها اول من قابل الشيخ الصالح أبا محمد عبد الله بن سلامة الحبيبي . وقد فرح الحبيبي بلقاء أبي الحسن فقد كان يترقب هذا اللقاء منذ مدة . قال الحبيبي :

« كنت احضر بتونس مجلس سيدنا الشيخ العارف أبي حفص الجاسوس ، فاخذت بيده يوما أطلب منه أن يقبلني تلميذا له وقلت له : يا سيدي اني اتخذتك شيخي ، فقال لي : يا بني ارتقب أستاذك حتى يصل من المغرب ، وهو شريف حسنى ، من كبار الأولياء . وهو أستاذك واليه تنتسب . فكنت ارقب كل من يأتي من الفقراء المغاربة واصحبه ، الى أن منّ اللهُ عليّ بلقاء الشيخ أبي الحسن فاتخذته شيخي وصحبته» .

أبو الحسن يرابط في الغار

وفي شاذلة تأسّى الشاذلي بأستاذه ابن مشيش، فلم يسكن في القرية وانما لجا الى غار في جبل زغوان المطل على شاذلة ، واتخذ هذا الغار رباطا له يقيم ويتعبد فيه ، وكانت حياة الشاذلي في هذا الغار كلها تقشف وزهد واغراق في العبادة ، وكان يشاركه هذه الحياة في معظم الاوقات تلميذه الجديد الحبيبي .

أبو الحسن ، في شاذلة ، غلب عليه اسم الشاذلي

وأقام أبو الحسن في شاذلة وطالت اقامته وذاعت شهرته وعرف الناس له فضله وصلاحه وتقواه وآمنوا بولايته ، وبدأ الجزء الأول من نبوءة أستاذه ابن مشيش يتحقق ، فعُرف منذ ذلك الحين بالشاذليّ وغلبت عليه هذه الشهرة ، وقصده الناس من الأماكن والبلدان المجاورة ، وبدأ يخرج عن رباطه بعض الوقت فيقيم باحدى الدور في مدينة تونس يدرّس ويعظ وينشر دعوته وطريقته بين تلاميذه ومحبيه مريديه .

وعاد الى تونس رجلا ، بعد أن كان عرفها طفلا

ولم تكن تونس غريبة على أبي الحسن فقد دخلها من قبل طفلا واقام بها شابا يافعا ، وفيها تلقى دروسه الأولى ، وفيها كانت له مناظرات سابقة مع علمائها وفقهائها ، وقد وفد عليها هذه المرة رجلا مكتمل الرجولة عالما وافر العلم ، صوفيا صاحب حالات وكرامات ، لهذا لم يكن غريبا أن يقبل عليه الناس من كل حدب وصوب يغترفون من علمه ، ويتأدبون بآدابه ، ويستمعون الى دروسه ومواعظه وتعاليمه ، ويلتمسون منه الدعاء والبركة فاتسعت حلقات دروسه وكثر أتباعه ومريدوه ، فكان اذا جلس للدرس والوعظ تحلقوا حوله بالعشرات ، واذا سار أو انتقل ساروا في ركابه بالمئات .

قال المناوي في الكواكب الدرية :

« كان الشيخ أبو الحسن اذا ركب تمشي أكابر الفقراء وأكابر الدنيا حوله ، وتنشر الاعلام على رأسه ، وتضرب الكاسات بين يديه » .

اقبال الناس على الشاذلي آثار حقد العلماء

هذا الاقبال آثار حقد العلماء وحسد الفقهاء في تونس ، وجر على الشاذلي شرا كثيرا ، فتعرض لمحنة كبيرة ، فقد كان قاضي الجماعة وعالمها في مدينة تونس على ذلك الوقت هو أبو القاسم ابن البرّاء ، وقد ضاق ابن البراء بأبي الحسن

عندما رأى الناس يتفضثون من حوله ويتحلقون حول الشاذلى فى كل مكان يحل به . والمتـــه هذه المواكب الحافلة تتقدمها الاعلام والطبول كلما انتقل الشاذلى من مكان الى مكان .

قاضى الجماعة ، ابن البرّاء ، يكيد للشاذلى عند السلطان

فبدأ يكيد لأبى الحسن ، وسعى به لـدى سلطان تونس ابى زكريا الحَفْصىّ ، واتهمـــه لديه بأنه يتآمر على سلطانه فهو حسنى علوى ، ولعله يسعى لاقامة ملك لنفسه كما اقام الفاطميون ملكهم من قبل فى تونس نفسها .

ولم يقنع ابن البرّاء بهذه التهمة الخطـــيرة فاتهم ابا الحسن بتهمة اخرى لا تقل عنها خطورة، اتهمه بالزندقة والالحاد والخروج على الدين ، ليغرى به علماء تونس وفقهاءها كما أغرى بـه السلطان .

قال صاحب درة الأسرار :

« دخل قاضى الجماعة ابن البرّاء على السلطان ابى زكريا فقال : ان ها هنا رجلا من أهل شاذلة سرّاق الحمير يدّعى الشرف ، وقد اجتمع عليه خلق كثير ، ويدّعى انه الفاطمى ، ويشوش عليك فى بلادك » .

كان ادعاء ابن البرّاء ماهرا ماكرا ، وكانت التهمة خطيرة ، ففى تونس اقام عبيد الله المهدى من قبل الخلافة الفاطمية ، والشيعة يؤمنون بفكرة المهدى المنتظر ، ومنذ زالت الخلافة الفاطميـــة وهم يتطلعون الى اعادتها ، وأبو الحسن الشاذلى ينتسب الى الحسن بن على بن ابى طالب ، والناس يؤمنون بقطبانيته ، وابن البراء لا يرى فى كلمة القطب الا انها ستار يخفى وراءه معنى الامام الفاطمى او المهدى . ولكن الحقيقة ان أبا الحسن لم يكن يُعنَى بالسياسة ولم يكن يفكر فى الملك ، بل انه لم يكن يساير غلاة الشيعة فى معتقداتهم ، فالشيعة لا يؤمنون الا بعلى وينكرون خلافة أبى بكر وعمر وعثمان،أما ابو الحسن فقد كان يعترف بهؤلاء الصحابة الأجلاء وانه يغترف من فضلهم ، فقد كان يجيب من يسأله عن شيخه بقوله :

« أما فيما مضى فعبد السلام بن مشيش ، وأما الآن فانا أستقى من عشرة أبحر : خمسة آدمية ، وخمسة سماوية ، فالخمسة الآدمية : ابو بكـر وعمر وعثمان وعلى والنبى صلى الله عليهوسلم».

السلطان يأمر بعقد مجلس للعلماء يناقش فيه أبو الحسن

على كل فان السلطان أبا زكريا لم يأخذ بأقوال ابن البراء ، بل كان حكيما عادلا ، فامر بأن يُعقد مجلس يحضره أبو الحسن والعلماء والفقهاء ، وأن يناقش أبو الحسن فى كل هذه الدعاوى وغيرها ، ويعطى الفرصة للدفاع عن نفسه .

وعُقِد المجلس وحضره السلطان ، وجلس وراء حجاب .

قال صاحب درة الأسرار :

« اجتمع ابن البراء وجماعة من الفقهـاء ، وجلس السلطان خلف حجـاب ، وحضر الشيخ رَضِى الله عنه ، وسألوه من نسبه مـرارا ، والشيخ يجيبهم عليه ، والسلطان يسمع ،وتحدثوا معه فى العلوم كلها فأفاض عليهم بعلوم أسكتهم بها، فما استطاعوا أن يجاوبوه عنها من العلوم الموهوبة، والشيخ يتكلم معهم بالعلوم المكتسبة ويشاركهم فيها » .

وأفحم ابن البراء وصحبه ، وعلت كلمـة الشاذلى ، واقتنع السلطان ببراءته ، بل وآمن بولايته ، فالتفت الى ابن البراء ومن معه وقال لهـم :

«هذا رجل من أكابر الأولياء وما لكم به طاقة».

وأحس ابن البراء بحرج الموقف ، فقد كان اهل تونس جميعا واقفين بالباب ينتظرون نتيجة المحاكمة فاراد أن يعود الى تحريض السلطان على أبى الحسن وان يخيفه من ثورة الناس ان هـو اطلق سراحه ، فقال له :

ـ والله لئن خرج فى هذه الساعة ليدخلن عليك اهل تونس ويخرجوك من بين اظهرهم ، فانهم مجتمعون على بابك .

ولكن السلطان لم يعر هذا القول التفاتا ، وأمر ان ينصرفوا ، واستبقى الشيخ ابا الحسن ،ولبث معه وقتا يحدثه ويلاطفه ، الى ان حضر اخـو السلطان ابو عبد الله اللحيانى ـ وكان مـن المعتقدين فى الشيخ ـ ، فامره أن يصحب الشيخ الى داره معززا مكرما .

أبو الحسن يضيق بتونس فيخرج عنها للحج

خرج ابو الحسن من هذه المحنة منتصرا ،ولكنه

بدأ يحس أن المقام لم يعد يطيب له في تونس ، فانه توقع أن القاضي ابن البراء لا يمكن أن يخضع للهزيمة التي منيّ بها ، وانه لا بد مدبر مكيدة اخرى ، وأن الفتنة توشك أن تنشب بين أتباعه وبين الفقهاء من أصحاب ابن البراء ، وهو رجل صوفي ينشد الصفاء والهدوء والحياة الصافية ، لهذا أزمع على مغادرة تونس ، وأخذ يدبر الأمر للرحلة ، وسمع السلطان بالخبر ،فتألم وقال لمن حملوا اليه الخبر :

ـ أيّ شيء يُسمَع عن اقليمنا ؟ انه أتاه ولي من أولياء الله فضاق عليه حتى خرج فارا بنفسه.

ثم أرسل الى الشيخ أبي الحسن من يحاول أن يثنيه عن عزمه ، ولكن الشيخ اعتذر اعتذارا لطيفا وقال للرسول :

ـ أنا ما خرجت الا بنية الحج . واذا قضى الله حاجتي أعود ان شاء الله تعالى .

وعلى أساس هذا الوعد بالعودة الى تونس بعد أداء فريضة الحج سمح السلطان للشيخ أبي الحسن بالسفر . وقبل أن يغادر الشاذلي تونس أرسل الى ابن البراء رسالة قصيرة بها جملة واحدة يسخر فيها منه ومن أطماعه وحقده ، قال فيها :

ـ أتراني أوسع لك مدينة تونس ؟

ابن البرّاء يدبر للشيخ أبي الحسن مكيدة تسبقه الى مصر

ولكن ابن البراء كان قلبه لا يزال عامرا بالحقد على الشيخ أبي الحسن منذ منى بالهزيمة في مجلس السلطان ، فدبر للشيخ مكيدة اخرى ، لقد أعد رسالة الى سلطان مصر ، وقع عليها معه عدد من الشهود ، وحدّثه فيها حديث الشيخ ، واتهمه فيها بأنه شريف علوي وأنه يسعى الى اعادة ملك الفاطميين ، وقال في ختام الرسالة :

ـ ان هذا الواصل اليكم شوش علينا بلادنا وكذلك يفعل ببلادكم .

وأمر حامل الرسالة أن يسرع بها ليصل الى مصر قبل وصول الشيخ اليها .

وكان سلطان مصر في ذلك الوقت هو الملك الكامل محمد الأيوبي ، والأيوبيين سنيو المذهب ، وهم الذين قضوا على المذهب الشيعي والدولة الفاطمية في مصر ، وكان أخشى ما يخشونه الحركات الشيعية التي تعمل لاعادة الملك للفاطميين ، لهذا وجدت هذه الرسالة عند السلطان أذنا صاغية ، ولم يكد الشيخ يصل الى الاسكندرية حتى قبضت عليه السلطات المصرية ، وأرسل محروسا الى القاهرة ، وعند وصوله اليها صُعِد به الى القلعة حيث عقد السلطان مجلسا من القضاة والعلماء والفقهاء ، ووجه السلطان التهمة الى الشيخ أبي الحسن وقال له :

ـ هذا عقد مشهود فيك ، وجهه ابن البرّاء من تونس ، وعلامته فيه .

ثم أطلعه على العقد .

وكانت محاكمة ثانية ، وتحدث الشيخ فبهر الجميع بحديثه ، وأخذ بألبابهم ، وخاصة الملك الكامل ، فقد كان رجلا عالما مثقفا واسع الفكر ، فعرف للشيخ أبي الحسن مكانته ، وأدرك أن التهمة مفترضة ، ولم يجد في الشيخ شرا يخافه ، وخاصة أنه لم يكن معتزما المقام في مصر ، بل كان متجها في طريقه الى الحج ، فقربه اليه وأكرمه . يقول الشيخ أبو الحسن :

ـ وأقمنا عنده ـ أي عند الملك الكامل ـ في القلعة أياما ، واهتزت لنا الديار المصرية الى أن طلعنا للحج .

أبو الحسن الشاذلي يعود الى تونس وفاء بوعده سلطانها

وبعد أداء فريضة الحج أسرع الشيخ أبو الحسن بالعودة الى تونس .

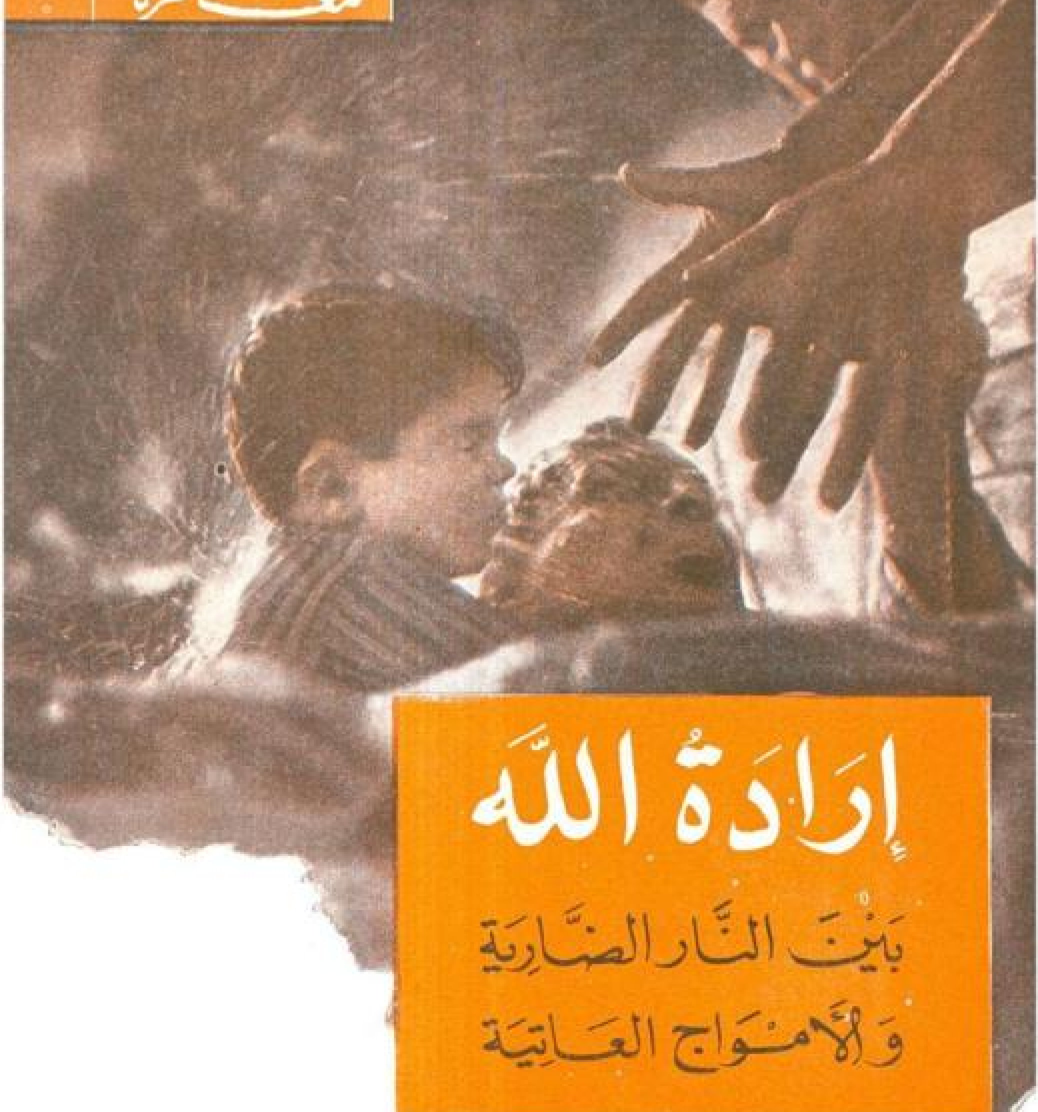
ترى هل نسي الشيخ ما فعله به ابن البراء وكيف سعى به لدى سلطان تونس ثم لدى سلطان مصر ؟ وابن البراء كان لا يزال حيا يمارس القضاء في تونس .

ان الشيخ أبا الحسن لم ينس هذا كله ،ولكنه عاد وفاء بالوعد الذي وعده للسلطان ان يذهب للحج ثم يعود ، وعاد لغرض آخر أهم من هذا كله، عاد ليلتقي بتلميذه وصفيه وخليفته أبي العباس المرّسي ، فانه يروى عن أبي الحسن انه قال :

ـ ما ردني الى تونس الا هذا الشاب يقصد أبا العباس المرسي . ■■

الدكتور جمال الدين الشيال

ملاحظة : اقرأ في العدد القادم من العربي : أبو الحسن الشاذلي ، في مصر .



إرادة الله

بين النار الضارية والأمواج العاتية

■ كان معظم ركاب الباخرة البريطانية « دارا » قد أووا الى مخادعهم ، وهي تجتاز الخليج العربي في ليل ٨ ابريل سنة ١٩٦١ ، عندما انفجر ٢٤ لغما دستها ايد مخربة خفية .. وتحولت الباخرة الى أتون متأجج ، ودب الفزع وتدافع الركاب الى قوارب النجاة ، فنجا منهم ٥٨٤ ، وراح ٢٣٦ طعاما للنار وللبحر ..

كان الذعر هو السيد المسيطر .. ذعر أعمى ، أهوج ، استبد بقلوب وحواس أكثر من ثمانمائة رجل وامرأة وطفل، وهم يكافحون للافلات من الجحيم العائم ..

وفي احدى القمرات ، وقف « جون

لويس » ـ الذى كان يوما من رجال فرق الادغال بالجيش الهندى ـ حائراً..

بينما ركعت زوجته « سيفرن » على الأرض تصلي .. وفجاة ، وقع انفجار جديد ، احدث ثغرة في أرض القمرة . واذ ذاك انتبه « جون » الى الخطر ، فهتف : « عونك يا الهي ! » . ثم دفع الى زوجته بابنهما الأصغر « روبين » ـ وكان في شهره الرابع عشر ـ ، ورفع ابنه الآخر « رونالد » ، الذى كان في الخامسة من عمره ، واندفعوا جميعا يصعدون السلم المفضى الى سطح الباخرة ، بخطوات مضطربة متعثرة .. والهرج والصراخ والصخب تحيط بهم من كل جانب ..

★ ★ ★

وتذكر « جون » انه راى في اليوم السابق مجموعة من السلالم المصنوعة من الحبال ، حول سياج الباخرة ، في احد الأركان ، فاتجه نحو ذلك الركن ، ثم تناول الطفل الأصغر ، فشده الى ظهر أمه بالسارى الذى كانت ملتفة به شدا محكما ، وقبلهما قائلا :

ـ علينا الآن ان نهبط الى الماء .

وترددت زوجته وهي تطل على الدخان الذى حجب السطح الأسفل للسفينة ، ولكن زوجها هتف بها :

ـ ليس امامنا منفذ آخر ، والنار تشتد ، ولن تلبث ان تصل الى مخازن الوقود .. فلا سبيل للتردد !

وتدافعت الى ذهنه ـ في لمحة خاطفة ـ الأماني التى كانت تراود ذهنها ، وهما في طريقهما الى الهند ـ وطن « جون » ـ بعد ان قضيا سنوات في « البحرين » ، كان الرجل خلالها يعمل في حقول البترول .. ولكنه عاد ينتبه الى الخطر ، فساعد زوجته على أن تعلو حافة السفينة ، وأن تهبط بكل حرص درجات سلم من الحبال ، ووجهها نحو السفينة ، وظهرها ـ الذى شد اليه الطفل الصغير ـ نحو البحر .. ثم احكم وضع ابنه الآخر على كتفيه ، وأوصاه أن يتعلق بعنقه ، وشرع يهبط على احد الحبال ، بمهارة اكتسبها من خدمته في الجيش ، فسرعان ما صار بجوار زوجته ..

★ ★ ★

ولم يكن الهبوط بالمهمة السهلة ، اذ كانت السفينة تهتز وتترنح ، فيلقى « جون » عناء في مقاومة الهزات ، وهو متعلق بالحبل .. وكان في بعض الأحيان يرتطم بجدار السفينة ، وكان اشبه بالحديد المحمى .. وكان ثقل ابنه على كتفيه ، وتوتر عضلات ذراعيه لتشبثه بالحبل ، اكثر مما يطيق .. فلما بلغ السطح الأسفل للسفينة ، حاول أن يستريح ، ولكن سخونة السفينة جعلته يسرع باستئناف الهبوط .

واستقبلته والصغير الذى على كتفيه أمواج باردة ، بللت ثيابهما .. وباغتته موجة منها ، فانساب الماء الى فمه ، وكاد يختنق .. وعندما تمالك انفاسه ، لم ير أثرا لزوجته التى كانت تهبط على مقربة منه .. وتحول ـ في جزع ـ ينظر في الماء ، يبحث عنها ، دون جدوى ..

وكما افتقدها فجاة ، اكتشفها فجاة ، فاذا بها الى جواره متعلقة بالسلم ، تحاول ان تصد الأمواج .. واستطاع بجهد جبار أن يساعدها حتى امسكت بحبل آخر ، وصاح :

ـ لا تشديه ، ودعي جسدك للماء ، حتى اذا ابتعدت الموجة التى تهاجمك ، انزلقي على الحبل بيديك هكذا ..

وراح ينزلق بدوره .. ولم يكن ثمة وقت للتفكير والتدبير ، اذ كانت الظروف هي التى توحي للفريزة الكامنة ـ غريزة حب البقاء ـ بالتصرف .. وكان الماء

باردا ، والريح قد بدات تشتد فتزيد الثياب المبتلة برودة ، والظلام مقبض.. ومياه الخليج حافلة بأسماك القرش ولا مهرب منها اذا شنت هجوما ، الا بالعودة الى تسلق الحبل .. وكان « جون » موقنا من ان زوجته لن تقوى على ذلك.

★ ★ ★

وخيل اليه ان ساعات طويلة قد انقضت قبل أن يبصر احد قوارب النجاة ، ولكنه لم يستطع أن يتأكد ما اذا كان القارب يسعى الى السفينة او يبتعد عنها .. ولم يكن من سبيل الى التاكد الا بأن يسبح اليه . فصاح : « اثبتى فى مكانك ، وسأحاول ان اسلم رونالد الى القارب » ..

ولم تكن المسافة تتجاوز خمسين قدما ، ولكنه كان مرهقا ، والطفل يثقل عليه ويكاد يقعده عن الحركة .. وراح يبذل جهدا جبارا .. والماء الذى ابتلعه يكاد يسد حلقه ، ورئتاه تكادان ان تتمزقا، وهو يمسك انفاسه كلما هاجمته موجة . وكان الخوف يستبد بالصغير المتعلق بعنقه ، فيقول له :

ـ لقد اقتربنا يا بنى .. اطمئن .. كل ما عليك ان تتنفس ما استطعت ..

ورآه الذين كانوا فى القارب ، وقد اصبح على عشر اقدام منهم ، فمدوا اليه مجدافا ، استعان به حتى وصل ، فهتف بهم :

ـ خذوا هذا الطفل .. انقذوه بالله ! .

وما أن رفع الطفل الى القارب ، حتى استدار عائدا الى السفينة .. ومرة اخرى ، راح يقاوم الارهاق المضنى وهو يتذكر الخطر الذى ترك زوجته وابنه الثانى بين انيابه ..

★ ★ ★

واستطاع اخيرا ان يصل اليهما ، فخلص الصغير من السارى الذى شده به الى ظهر امه، وحمله صائحا لزوجته :

ـ أن رونالد فى امان ... امكثى حتى اعود اليك ! ..

ومرة اخرى ، عاد يناضل الامواج والتعب المبرح .. وكان يضطر الى التوقف ـ من آن الى آخر ـ ليسوى وضع الصغير حتى لا يغوص رأسه تحت الماء فيتعذر عليه التنفس ..

وخيل اليه ان دهرا قد انقضى ، قبل ان يبلغ القارب ، فيسلم ركابه ابنه الثانى ، ثم .. يسعى الى العودة للسفينة وانفاسه تتهدج ، وعضلاته تكاد تتمزق ، ورأسه يدور .. ولكم تاقت نفسه الى أن يستريح لحظات ، ولكن الخطر المحدق بزوجته كان يدفعه الى المضى ..

ولم يقو على الكلام حين وصل اليها ، وانما أشار يدعوها الى ان تتعلق بجسمه ثم عاد يسبح فى الظلام .. وكانت الظروف قد سلبت زوجته كل قدرة على تمالك نفسها ، فاذا به يكاد يفقد وعيه وزاد هذا فى ثقلها عليه .. ولكنه لم يكن يملك سوى أن يستنزف كل قطرة باقية من طاقته ليواصل السباحة ..

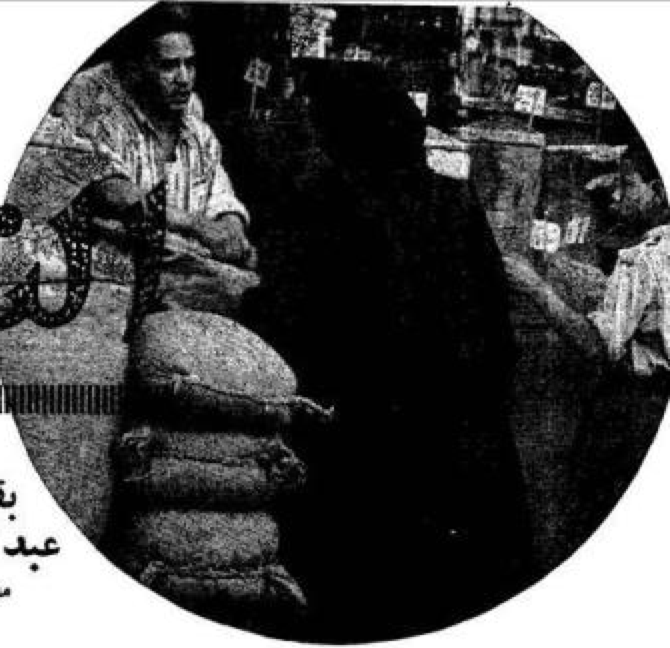
ولم يدر « جون » كيف وصلا الى القارب ، ولا كيف رفعا اليه .. ولكنه حين فطن الى انهما وابنيهما فى امان ، وجد نفسه يصلى لله ، شاكرا ، ساجدا، منبطحا على الأرض ، لا يقوى على النهوض ..! ■■

لخصها : محمد بدر الدين خليل

عن كتاب Last Hours on Dara

تاليف ب . ج . ابراهيم

توابل



بقلم الدكتور :
عبد الحليم منتصر
مدير جامعة الكويت

■ التوابل ما تعالـج به الأطعمـة ، والأفاويه ما يعالج به الطيب .

وهي جميعا غالبا ما تكون نباتات، أوأجزاء نباتية ، أو خلاصـات منها ، تستعمل في اكساب الأطعمة نكهة طيبة،أو في تحضير انواع مختلفة من الطيب والروائح .

وكانت فيما مضى من ازمان ، لايقتنيهاالا الأثرياء ، ولا توجد الا لدى المترّفين، وكان الناس يَجِدّون في البحث عنها ، كأنما يبحثون عن معدن نفيس من ذهب او نحوه .

وكان معظمها لا يكاد يُجلب الا من أواسط آسيا الاستوائية ، ثم عرفت لها مواطن اخرى ، في انحاء مختلفة على سطح المعمورة .

مواطن التوابل والأفاويه

فقد اشتهرت آسيا وجزر الهند الشرقية وسيلان بالفلفل والحبهان والقرفة وجوز الطيب .

كما عرفت جزر ارخبيل الملايو بالقرنفل والكركم والزنجبيل ، والخولنجان الكبير .

كما تكثر السنامكي والخولنجان الصغير في الصين، والفانيليا والشطة والبيمنتو وهو ثمار لشجرة جافة قوية الرائحة واشجاره تنمو في جزر الهند الغربية ويسمى أيضا « فلفل جمايكا » أو « كل البهار ». وتوجد كذلك أشجاره في أمريكا الاستوائية .

أما أوروبا وشمال آسيا ، فتكثر فيها الكزبرة والكمون ، والكراوية والخردل وقصب الذريرة ، وهو نبات توجد في جذوره زيوت عطرية قوية تستعمل في الطب ، كما يوجد كثير من هـذه التوابل والافاويه في افريقيا واستراليا ، وبذلك لا تكاد تخلو منها قارة من قارات الارض .

جزء النبات الذى يعطى التابل والفوه

على أنه يمكن تصنيف هذه النباتات تبعا للجزء النباتي الذي يستعمل تابلا ، فمنها ما يستعمل برعمه الزهري كالقرنفل ، ومنها ما تستعمل ثماره مثل جوز الطيب والفانيليا والشطة والفلفل، ومنها ما تستعمل سوقه الأرضية كالزنجبيل والكركم ، ومنها ما يستعمل قلف شجرته كالقرفة والسنامكي .

والأفاويه

محاصيل مستديمة وعابرة

ومنها ما يزرع فى مزارع واسعة حيث تكون محاصيل مستديمة تبقى فى الارض عددا من السنين ، مثل جوز الطيب والقرنفل والفانيليا . ومنها ما يزرع كمحاصيل ثانوية فى الحدائق مثل الزنجبيل والشطة والفلفل ، ومنهـا ما يزرع محصولا حقليا لموسم واحد،مثل الكزبرةوالكمون. ومنها ما لا يكاد يزرع ، وانما ينمو بريا هنا وهناك ، شجريا كان او عشبيا مثل السنامكى فى الملايو وقصب الذريرة ، ويكثر الاخير ليستعمل فى الطب ، كما يستقطر منه زيت يستغل فى مصانع البيرة حيث يكسب المشروب نكهة طيبة .

منافعهـا

ويمكن أن يقال ان التوابل جميعا ما هى الا أجزاء أو خلاصات نباتية عطرية تستعمل فى اكساب الأطعمة والاشربة نكهة طيبة . وهناك ما يستعمل منها فى صناعة العطور والصابون المعطر وهو ما نسميه فى هذه الحالة بالافاويه مثل الفانيليا والقرنفل وغيرهما . ومنها ما يمزج بغيره ليدخل فى صناعة الروائح العطرية القوية ، مثل القرفة وغيرها ، ومنها ما يستغل فى الطب اما لاكساب الأدوية نكهة ، أو لأنها ذات قيمة علاجية خاصة مثل الحبهان والزنجبيل وجوز الطيب .

ويستعمل الكركم فى الصباغة ، وخاصة لدى العامة .

والمعروف كذلك أن زيت القرنفل فضلا عن استعمالاته الطبية والعطرية ، فانه يستعمل كمطهرفى التحضيرات المجهرية التى تعد للدراسة بالمختبرات .

الى غير ذلك من الفوائد والاستعمالات التى لا تكاد تدخل تحت حصر ، اذ انها تختلف باختلاف البيئات والمواطن التى توجد بها ، تبعا لعادات السكان وطريقتهم فى استعمالها .

بدائل عن التوابل والأفاويه

وقد أثر التقدم العلمى على تجارة التوابل والأفاويه ، حيث أمكن تحضير كثير من المواد البديلة التى تعطى النكهة المطلوبة أو الرائحة الخاصة صناعيا ، وغدت المواد البديلة المصنعة من الكثرة بحيث تأثرت اقتصاديات التوابل الى حد كبير ، ومع ذلك ما تزال تجارتها رائجة فى بعض الجهات ، وما زال الطلب عليها شديدا عند بعض الشعوب وخاصة فى البلاد الشرقية .

مناطق تنمو فيها التوابل

وتنمو التوابل فى المناطق الاستوائية وتحت الاستوائية فيما بين خطى عرض ٢٥ شمالا ، و٢٥ جنوبا حيث تزدهر فى كثير من المناطق المتباينة الأجواء .

وتعتبر منطقة الغابات الاستوائية أكثر المناطق ازدهارا بالتوابل ، حيث تزرع بنجاح فى مساحات شاسعة . ويلائمها الجو الحار الرطب الغزير الأمطار ، اذ لا يكاد يوجد موسم جاف ، فدرجة الحرارة عالية على مدار السنة ، وكمية المطر السنوية كبيرة ، ومنتظمة طوال السنة تقريبا .

وهناك مناطق اخرى تتميز بفصل جاف يستمر بضعة أشهر ، يعقبه فصل ممطر غزير الأمطار . ومعظم أشجار هذه المناطق تكون سلبية ، تسقط أوراقها فى فصل الجفاف ، أما الأشجار المستديمة الخضرة مثل القرنفل وجوز الطيب ، فانها تسكن فى فصل الجفاف . وتشتهر هذه المناطق بزراعة

التوابل الحولية . التى تزرع فى الحقل مثل الكزبرة ، والكمون ، كما تزرع كذلك التوابل الريزومية ذات السوق الأرضية مثل الزنجبيل والكركم ، وتسقط أوراقها فى فصل الجفاف ، اما الشطة والزنجبيل فزراعتهما أوسع انتشارا وفى مناطق كثيرة .

وثمة عدد من نباتات التوابل لا تكاد تنجح زراعتها الا فى الجزر أو لعل زراعتها فى الجزر أنجح بما لا يقاس من زراعتها فى الداخل ، اذ انها تجود بالقرب من السواحل البحرية مثل جوز الطيب والقرنفل ، والفانيليا والقرفة والحبهان. ومعظم التوابل تحتاج الى مناخ عالى الرطوبة مع ارتفاع فى درجة الحرارة ، فرطوبة المناطق الباردة لا تلائمها ، فالبيئة الصالحة لها هى الاستوائية الرطبة . فهى تضعف وينصل لونها ، اذا لم تجد وفرة من الماء فى التربة أو وفرة من الرطوبة فى الجو ، فتصفر الأوراق، وتصبح أكثر حساسية للتعرض للاصابة بالحشرات والفطريات . وينبغى أن تختار لها التربة الصالحة لتزرع فيها ، مع تجنب الاراضى الرملية (عدا القرفة) والاراضى الغدقة المشبعة بالماء ، والأراضى الدبالية والملحة.

اصفرار أوراق ، وتلف جذور

واصفرار الأوراق من الآفات التى تصيب نباتات التوابل ، ويكون نذيرا بأمراض مختلفة ، ثم هو دليل على أن النبات ليس سليما معافى، وقد يكون سببه نقص فى الغذاء لتلف أصاب الجذور ، أو لعدم توافر العناصر الغذائية فى التربة ، أو لفرط تعرض للحرارة العالية والاضاءة الشديدة .

وقد ينشأ تلف الجذور نتيجة لاصابتها بأمراض فطرية أو حشرية ، او نتيجة لنقص فى بعض العناصر المعدنية من التربة ، كأن تكون التربة فقيرة فى عنصر أو آخر ، أو تكون غدقة سيئة الصرف ، وبالتالى رديئة التهوية .

وتحتاج نباتات التوابل الى أسمدة وفيرة ، ينبغى أن تضاف الى التربة من حين الى آخر فى المواعيد الملائمة ، كما ينبغى مقاومة آفاتها وخاصة وأن الجو الذى تزدهر فيه من حرارة ورطوبة ، انما يساعد كذلك على ازدهار النباتات الفطرية التى تصيبها وكذا الحشرات التى تهاجمها. ومن هنا وجب الاستعداد لمواجهة هذه الآفات باعداد المبيدات الحشرية والمبيدات الفطرية ، حتى يعالج النبات من آفته بمجرد اصابته بها ، فيقضى عليها قبل أن تفتك بالمحصول الثمين .

ولا يتسع المجال لعرض صورة كاملة لحياة نباتات التوابل والافاويه واستعمالاتها ، وانما نكتفى بذكر بعض منها ، مما يعطى فكرة عامة عن بيئتها وحياتها وطرائق الاستفادة منها .

الفانيليا

فالفانيليا ، نبات متسلق من فصيلة الاوركيد، موطنه الأصلى امريكا الوسطى ، ويزرع بكثرة فى المكسيك وجواتيمالا وكوستاريكا وجاوه وتاهيتى وسيلان وجزر الهند الغربية وغيرها ، وهو نبات متسلق ، يزدهر فى المناخ الاستوائى الحار الرطب المطر ، لا يحتمل الجفاف ، ولا الرياح العاصفة القوية ، ويحتاج الى تربة خفيفة غنية بالدبال. ويكثر بالعقل ، ويبدأ النبات فى انتاج محصول يذكر بعد ثلاثة أو أربعة أعوام ، وتصاب الفانيليا بمرض فطرى يسبب سواد الثمرة وسقوطها بعد يوم أو يومين ، كذلك تهاجمها آفة حشرية فتقضى على البراعم الغضة والأزاهير الصغيرة ، ويتم تلقيح الأزهار بوساطة الانسان ، فينقل حبوب اللقاح الى مياسم الازهار مستعملا شظية من الخشب ، وخير الأوقات لاجراء العملية فيما بين الثامنة صباحا والثانية بعد الظهر . ويستطيع الرجل أن يلقح ألفى زهرة فى اليوم الواحد ، وتنضج الثمرة تماما بعد نحو أربعة أشهر ، وهى عندئذ لا رائحة لها ، وانما تكتسب رائحتها الممتعة بعد أن يحدث فيها نوع من التخمر ويتغير لونها من الاصفر الى البنى القاتم ، وتتكلف زراعة الفدان نحو الخمسين دينارا ، على انه يعطى

محصولا يقدر بنحو مائتين وخمسين دينــــارا ، وتــستعمل الفانيليــا فى صــــناعة الحلــوى ، ولتحضير عطر الفانيليا ، وفى الطب ، كما أنها تمزج بأفاويه أخرى لتعطى روائح رائعة مبهجة .

القرنفل

أما القرنفل الذى يستعمل فى التوابل والأفاويه، فهو عبارة عن براعم زهرية غير متفتحة لنبــــات « يوجينيا » ، وهى شجرة صغيرة تــستوطن المناطق الاستوائية وتحت الاستوائية ، وتــسمو الشجرة الى أربعة أو سبعة أمتار.ويزرع القرنفل من البذرة الا أنه يكثر كذلك بالترقيد . ومن أشهر مناطق زراعة القرنفل « زنجبار » . وتبدأ أشجار القرنفل فى انتاج محصولها من البراعم الزهرية فى السنة الرابعة أو الخامسة من عمرها. وتجمع البراعم الزهرية باليد أو بالطرق علــى الأفرع ، وقد تنتج الشجرة الواحدة نحو عشرين رطلا من القرنفل ، فاذا قدرنا أن الفدان به نحو مائة شجرة قدر محصول الفدان بنحو الف دينار سنويا .

ويستعمل القرنفل أساسا كتابل ، له قيمته فى اكساب كثير من الأطعمة والحلوى نكهة طيبة ، فضلا عن حرافته المحببة ، ولذلك فانه يستعمل كذلك فى صناعة العلك ، ويستعمل فى طب الأسنان لتقوية اللثة ، ويستعمل القرنفل بكثرة فى الأفاويه لصناعة الروائح والعطور والصابون وما اليها من أدوات التجميل .

القرفة

أما القرفة فهى عبارة عن قلف (قشر)أشجارها التى تستوطن سيلان والهند وبورما والملايــو ، وتستعمل فى التوابل والأفاويه ، كما تستعمــل فى الطب بكثرة . وتسمو الشجرة الى نحو سبعة أمتار . وقد تصل الى نحو خمسة عشر مترا ، وتفضل لزراعتها الأرض الرملية الغرينية ، على أن يضاف اليها قدر كبير من السماد ، وتزرع من البذور وتبدأ فى المرابى ، للعناية بها ، ثم تنقل الى مكان الزراعة. كذلك تنجح زراعة القرفة بالعقل والترقيد . وتقشر القرفة بسكين خاصة تساعد على نزع القلف سليما دون تفتت ،وفضلا عن استعمالات القرفة فى التوابل والأفاويه فانها تستعمل فى الطب والصباغة كذلك ، ويستخرج منها زيت القرفة وانه ليستعمل كذلك فى صناعة الصابون .

وبعد ، فهذه لمحة موجزة عن التوابل والأفاويه، وقد كان لها فى الماضى القريب شأن أى شأن ، وما زالت شعوب الشرق خاصة تلح فى طلبهــا واستعمالها على أن العلمقد استنبط أخيرا بديلات لها كما ذكرنا ، تعطى روائح شبيهة بالروائــح الأصلية ، ولعلها أن يكون لها نفس الأثر .

■■

الدكتور عبد الحليم منتصر

جحا عند تيمورلنك

● لما أغار تيمولنك على الأناضول ،واقترب من قرية نصر الدين جحا ، خرج لاستقباله ومعه هدية له ، وكانت أوزة مقلية . ولما نهكه الجوع فى الطريق ، أكل فخذا منها . ولما دفعها لتيمورلنك سأله : أين فخذ الأوزة ؟

أجاب : أيها الملك ان الأوز جميعه برجل واحدة ..

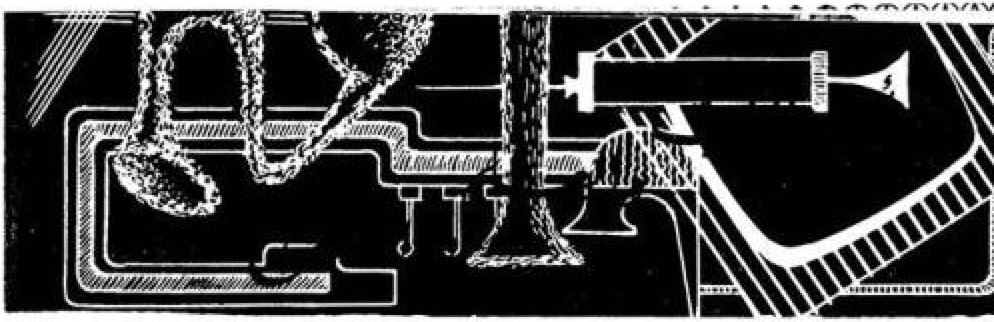
فقال : وكيف ذلك ؟

قال جحا : أنظر الى أسرابه بين يديك .

وكان أمامه سرب منها واقف على رجــل واحدة . فلما رأى تيمورلنك ذلك ، أمــر بضرب الطبول ، فلما ضربت هاج الأوز ومشى على رجليه .

فقال لجحا : ألا ترى أنه برجلين ؟

فأجاب جحا : أيها الملك الصالح ، والله لو هددتنى بمثل هذا الطبل لمشيت على أربع!



ارضنا ، تبطيء دورانا

● الأرض تدور ، وهي بهذا تصنع الأيام ، ونحن من الأيام نصنع الساعات والدقائق والثواني .

فالأرض ساعتنا الكبرى .

وفي المراصد ساعات من صنع الانسان ، دقيقة .

وقد تبين العلماء ان ساعتنا الكبرى، وساعات المراصد قد اختلفتا . واتضح من هذا أن الأرض ابطأت في دورانها وذلك منذ ابريل عام ١٨٦٣ . واذن ظهرت ساعات المراصد وهي متقدمة .

وكان لا بد من اصلاح .

وبناء على ذلك أخر العلماء ساعة المرصد لتتفق مع ساعة الأرض، ساعتنا الكبرى .

والاختلاف بالطبع لا قيمة له في حياة الناس . ولكنه ذو قيمة كبرى في حسابات العلماء ومراقب النجوم والأفلاك .

المكروب في خدمة الكاشفين عن البترول

● هذا وقع في بولونيا . فقد قام معهد البترول هناك ، بمدينة كراكاو ، باستخدام صنوف من البكتير الذي يعيش بمعزل عن الهواء ، في الكشف عن البترول في الأرض ، او عن غازه . ان هذا البكتير يتكاثر حيث لا يوجد الاكسجين ، وحيث يتشبع المحيط الذي حوله بالادروكربونات البترولية . وقد يقومون بوضع زُرَيعات من هذا البكتير في حفر خرقوها في الارض ، التي يحتمل ان يكون فيها بترول ، عمقها نحو متر من السطح . فان كان بهذه الطبقات بترول ، تكاثر البكتير ، وان لم يكن ، فهو يموت .

طريقة بديعة لا شك للبحث عن البترول .

الحد من التسليح

● ونتخذ روسيا أو الولايات المتحدة مثلا .

ولتكن الولايات ، لحضور أرقامها لدينا .

فقد قررت حكومة الولايات نقص انتاجها من اليونيوم والبلوتنيوم (ومنهما تصنع القنابل الذرية) بمقدار ٢٥ ٪ ومعنى هذا ان مخزون هذين العنصرين القابلين للانشقاق سوف لا يتزايد بالمقدار الذي كان يتزايد به عاما بعد عام .

وقد قالوا تعليلا لهذا الاستقطاع في الانتاج ان الولايات المتحدة عندها عشرات الألوف من الاسلحة الذرية ، تلك التي تتراوح ما بين قنابل ادروجينية

السرطان وتصنيف الدماء

● من المعروف أن دماء البشر مصنفة فمنها صنف الدم المعروف بصنف الف. ثم صنف الدم المعروف بصنف باء . ثم الثالث المعروف بصنف ألف باء . والرابع المعروف بصنف صفر . والمعروف كذلك ان الاشخاص الذين صنف دمهم واحد ، يمكن لأحدهم اخذ دم من الآخر بدون ضرر ، فى الحوادث او الجراحات التى يفقد فيها الشخص الكثير من دمه .

اما اذا اختلف صنف دم الشخصين، فلذلك قواعد يتبعها الأطباء، تأذن أحيانا بنقل الدم ، واحيانا برفضه لخطره على المريض بسبب اختلاف الفصيلة .

وليس تفصيل هذا من شأننا الآن .

ولكن الخبر الـذى نـورده هو ان الاحصاء دل على انه ، بفحص ٣٠٠ حالة، مصاب اصحابها بقرحة فى المعدة ، وجدان اربعين فى المائة من هؤلاء دمهم من الصنف الف ، وان اقلهم اصابة أولئك الذين دمهم من الصنف صفر !

ترمومتر شديد الحساسية جدا

● انه ترمومتر اساسه بلورة من الكورت QuartZ وهو اكسيد العنصر المعروف بالسلسيوم ، أو هو الرمل فى اصفى نقائه . وهو يكشف عن كل تغير يحدث فى درجة الحرارة قد يبلغ مقداره من الصغر جزءا من ١٠٠ الف جزء من الدرجة المئوية الواحدة.

بوفر على الدول البلايين

قدرتها تساوى ملايين الاطنان من المفجر القياسى ت.ن.ت ، وبين تلك القنابل الصغيرة التي يطلقها الجند من قذائفهم الصغيرة فى الميادين ، وتساوى قدرتها مئات من الاطنان فقط من المفجر ت.ن.ت .



وهذا الاستقطاع بمقدار ٢٥ ٪ فى عنصرى القنابل الذرية لو ترجمناه الى الوفر فى الأموال لبلغ الف مليون دولار فى بحر السنوات السبع الباقية ، اى الى عام ١٩٧٠ ، هذا مع العلم بأن الولايات لا تدفع شيئا فى الخامة التي منها تنتج هذين العنصرين .

وستقول انت ان هذا وفر كبير .

ولكنه كسر صغير جدا من المقدار الذي يرجى توفيره لو ان المقترح الذى هو اليوم معروض على مؤتمر نزع السلاح بجنيف وافقت عليه الأطراف المعنية . وهو يقضى بتخفيض انتاج كل ما ينتج من الاسلحة ، مهما كان نوعه ، بمقدار ٣٠ فى المائة .

الحوامات تأخذ مكان قطر السكة الحديدية ؟

● كل شيء جائز .
نحن فى عصر التحول الكبير من عصور الانسان .
تبدأ الفكرة صغيرة ، ثم اذا بها تكبر ، ثم تصبح حقيقة تملأ العين والسمع .

والحوامة بدأت فكرة ، ثم اذا بها سيارة تمشي على الأرض البسيطة ولا تمسها ، أو على الماء ولا تمسه . وتنوعت أشكالها وصنوفها . وبدأت فى دولة ، ثم ظهرت فى دول عدة كلٌ يزيد فيها ، وفى اغراضها .

واليوم فى انجلترا يتحدثون عن الحوامة ، تربط بين المدن الهامة ، فتؤدى ما لم تستطع ان تؤديه السكك الحديدية الى اليوم ، ذلك اختصار ما بين هذه المدن من مسافات .

ان الحوامة تسير بسرعة ٢٠٠ ميل فى الساعة .

انها سرعة تقلب جغرافية انجلترا رأسا على عقب . ذلك أن البعد بالأميال غير البعد بالساعات . وسوف تصبح بذلك المدن الكبرى لا يفصلها ، بعضا عن بعض ، غير ساعة . بين العاصمة لندن ، وهى فى الجنوب ، ونيوكاسل ، وهى فى أقصى الشمال ، ساعة . وبين العاصمة وليدز ، وبينها ومنشستر ، وبينها وبين ليفربول أو برستل ، ما دون الساعة .

تنكمش المسافات انكماشا ، وتقترب البلاد .

وكثافة السكان ، التى اتجهت أكبر اتجاه ، الى الجنوب الشرقى من انجلترا ، وسوف يزيد اتجاهها هذا بالموافقة على وصل انجلترا بفرنسا بنفق تحت سطح المانش ، وبه يزيد شمال انجلترا وغربها كساد سوق ، وبطالة أهل ، ومحنة رجال ونساء . هذه الكثافة سوف

الزعيق فى العمال ، فى مصنع أو مكتب ، يفقد أثره سريعا

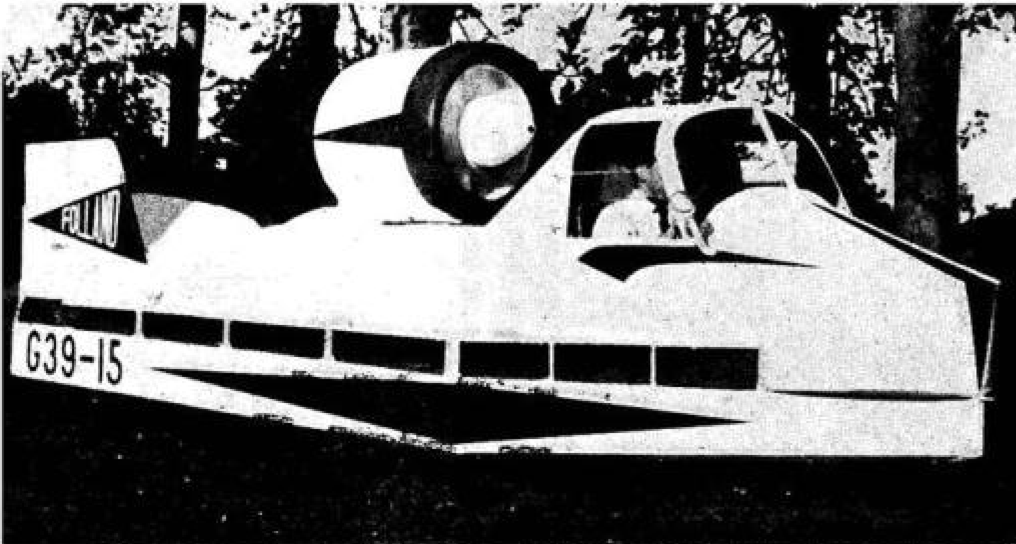
● هكذا يقول باحث نفساني ، له فى شئون العمال تجارب .

انه يقول أن صريخ رئيس العمل ، فى مكتب بالمدينة ، أو فى مصنع بالضاحية ، قد يأتى بأثر طيب فى أول الأمر . ثم يتعوده العامل اذا الصراخ اضطرد ، وعندئذ ينساه ، كما ينسى تماما ثيابه التى هو لابسها ، فهو يحس بها عند اللبس مرة واحدة ، تفوت .

وعند هذا الباحث النفسانى ان رئيس العمل لا بد ان يبحث عن الأصل الذى تصدر عنه أخطاء العامل ، فيصحح هذه الأصول ان أمكنه ذلك .

ويجب على صاحب العمل ان يتنبه الى ان العمال ، من اى نوع ، ليسوا فى المرتبة والذكاء سواء . وان رتابة العمل تميل بالذى له حظ من الذكاء أن يقوم بعمله الراتب ، وهو يحلم بأشياء أبعد ماتكون عن عمله ، واذن تقع أخطاء .

على صاحب العمل ، ان يؤلف بين نوع العمل ، ذلك الذى يحتاج الى حكم او ذلك الذى لا يحتاج غير المتابعة ، ونوع العامل وقدرته واحتماله الفكرى والعاطفى كذلك .



توقف او ينعكس اتجاهها ، بسرعة المواصلات التى تاتى بها الحوامات ، فيُقبل الناس على سكنى الشمال اقبالهم على سكنى الجنوب ، وسكنى الشرق والغرب .

واثر ذلك فى انجلترا ، فى العشرات من السنوات القادمة ، اذا هو تحقق ، سيغرى وجوده بوجود آثار له مثله فى سائر الدول .

ان الناس يجب ان لا تنسى خطر المواصلات فى توزع الناس على الارض ، وتوزع العمل ، وتوزع الانتاج .

ولا بد من أن نذكر أن هذه السيارات الحوامة ، أكثر نفقاتها سوف يكون فى بناء ما تتطلبه من سكك مغلقة . وهى لن تكون من الحديد ، ولكن من الخرسانة يتقوس سطحها فى خط طويل هو خط السير ، ومن فوق هذا السطح تجرى الحوامات ، وبينها وبين مسه بوصة او نصف بوصة . (راجع مقال الحوامة « بالعربى » سنة ١٩٥٩ شهر ٨ عدد ١٠)

أصغر مصباح فى العالم

● لا نورد هذا الخبر بقصد التهويل او اثارة القارىء، وانما لنؤكد قوة الاتجاه العام الذى دفع بالصناعة والمخترعين الى ابتداع أصغر الأشياء ، وتقليل الاحجام ، ذلك الاتجاه الذى كان من اوضح أمثاله الانتقال من مصابيح الفراغ فى اجهزة الراديو الى الترنسستورات .

وخبر اليوم يختص بمصباح كهربائى صنعته شركة كيه الكتريك Kay Electric Co. بالولايات المتحدة ، على شكل أنبوبة طولها مليمتران اثنان ، وقطرها الأصغر ٨ر. من المليمتر . وهو مصباح لا يستهلك اكثر من ٣ من الف من الامبير الواحد .

أمراض القلب ، أمراض مدنية

● فى الصومال ، عند حدود كينيا ، يعيش صوماليون رُحّل . طعامهم كثير الشحم ، ومعنى هذا ان مادة الكول استيرول Cholestrol التى بدمهم مقدارها كبير او يجب ان يكون . وهذه المادة هي التى اليها يعزو الأطباء اليوم بعض أمراض القلب. وعدا هذا فالعيش عند هؤلاء الأقوام أخشن ما يكون : نومهم على الأرض . نصيبهم من الماء قليل . الغبار عندهم كثير. الطقس عندهم،غاية فى الحرارة مرة ، وغاية فى البرودة مرة.

ومع هذا فهم أصحاء قلوب سليمة .

ان مرض القلب من أمراض المدنية الحديثة المترَفة .

طريقة جديدة لمنع الحمل

فى سبيل وقف النسل ، المتزايد ، وزحمة الأرض بسكانها ، يطرق العلماء كل باب للبحث عن طريقة .

ومن الطرق الأخيرة التى بحثوا فيها طريقة عجيبة، هى خلق أجسام فى جسم الأنثى تمنع الاخصاب أن يتم عند لقاء الذكر والأنثى .

وتفسير ذلك أن الناس تحصّن ضد الأمراض المكروبية بحقنها بالمكروب ،ميتا او مضعّفا ، وبدخول هذا المكروب الى دم الرجل ، يأخذ جسم الرجل ، ومن طبعه الدفاع ، فى خلق مواد تعرف بالمواد العاكسة Antibodies او المضادة ، تقوم بتحصين الجسم ضد ما قد يدخله من بعد ذلك من المكروب الحى بالعدوى . ومن اقرب الأمثلة التحصن من داء شلل الاطفال بحقن لقاحه فى الجسم .

ولقد قامت الدكتورة آن مكلارن ، بأدنبرة ، بتحصين اناث الفئران ضد الحيوانات المنوية لذكور الفئران ، بأن جعلت من منيّها مستحلبا حقنته فى دم الاناث . والتقت اناث الفئران بذكورها ، وظل الانسال يضعف ثم يضعف بزيادة الحقن ، حتى توقف أخيرا ، فلم تعد تحمل الاناث المعقّمة .

وهى تفسر ذلك بأن هذه الحيوانات المنوية ، بحسبانها مواد غريبة فى دم جسم الانثى ، حفزت هذا الجسم الى صنع مواد عاكسة ، جرت فى الدم الى الرحم ، وهناك كانت تلتقى بالحيوانات المنوية لذكور الفئران عند التقائها بالأنثيات ، لقاء العدو ، فتشلها ، فلا تعمل .

ومع هذا فالدكتورة لا ترى انها طريقة يمكن تطبيقها فى اناث بنى الناس ، لأسباب منها انها ما نجحت حتى أعطت اناث الفئران ٣ حقنات فى الأسبوع ، بكل حقنة ما بين ١٠ الى ١٥ مليون حيوان منوى ، وذلك لمدة سبعة أسابيع . ومع هذا فهى لم تبلغ بذلك حد الكفاية . كان لا بد لها أن تزيد حتى يمتنع الاخصاب امتناعا تاما .

والاخصاب اذا امتنع ، فأغلب الظن انه لا يعود ؛ والنساء بحبوب منع الحمل السيّارة اليوم ، تعود الى الحمل متى شاءت .

لو اقتطعوا ١/٢ فى المائة من ميزانيات الحرب ..

● نعم ، لو اقتطعت الولايات المتحدة ، والروس ، وبريطانيا ، وفرنسا ، من ميزانياتها هذا المقدار البسيط ، ١/٢ فى المائة من ميزانيات الحرب ، لما اختل توازن القوى بينها . ولو أعطِىَ هذا المبلغ لبحوث السرطان لكفل ذلك نفقة بحوث ، يقوم بها معهد دولى تؤدى حتما الى تخليص الجنس البشرى من هذا الداء الوبيل الذى لا نعرف حتى الآن أسبابه ، وهو ماض يقتل من الناس كل عام مليونين من الأنفس .

ان هذه الميزانيات يبلغ مجموعها الآن نحو ٤٣ الف مليون جنيه استرلينى ، والنصف فى المائة يبلغ نحو ال ٢١٥ مليون جنيه فى العام ، وهو مبلغ يأذن بزيادة المختبرات آلافا ، وبزيادة البُحاث ، ويعجّل بانتصار الانسان الحاسم على هذا الداء وسبقه الى ذلك بنحو عشر سنوات أو خمس عشرة سنة .

أسماء الفائزين فى مسابقة العدد ٦٥

إجابات ممتازة .. ودراسة واعية لقضية فلسطين

■ انها لظاهرة تبعث على الرضا وتدعو الى الاغتباط ، أن كثيرا من الاجابات التى تلقيناها لمسابقة « لكى لا تنسى » لم تكن مجرد اجابات عادية أوردت المعلومات المطلوبة فحسب ، بل ان بينها عشرات من الاجابات هي فى الواقع دراسة واعية لقضية فلسطين وعدوان الصهيونية الآثم عليها وما وقع من الانتداب البريطانى وخيانة بريطانيا لقضية العرب ، وما احاط بالنكبة من ملابسات أو ادى اليها من مؤامرات .

والاجابات الصحيحة هي :

١ ـ وعد بلفور : ٢ نوفمبر ١٩١٧ .

٢ ـ قيام اسرائيل : منتصف ليلة ١٤/١٥ مايو ١٩٤٨ .

٣ ـ أول دولة اعترفت باسرائيل : الولايات المتحدة ، ورئيسها اذ ذاك هارى ترومان .

٤ ـ الهدنة الأولى : ٢٩ مايو سنة ١٩٤٨ .

٥ ـ العدوان الثلاثى على بورسعيد : ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ .

٦ ـ من الدول التى لم تعترف بعد باسرائيل : اسبانيا ، الصين الشعبية ، كوبا ، المانيا الغربية ، الفاتيكان ، يوغسلافيا ، اليونان ، أندونيسيا ، الباكستان ، افغانستان . الخ ...

٧ ـ الأمين العام لجامعة الدول العربية الذى عاصر النكبة : عبد الرحمن عزام .

وقد جرى الاقتراع على الجوائز بين الاجابات الصحيحة فكانت النتيجة ما يلي :

الجائزة الأولى : وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها **يوسف حسن عبد الرحيم** بواسطة يوسف عبد الرحيم : مكتب مصالح مارنجان مديرية النيل الازرق ـ السودان .

الجائزة الثانية : وقيمتها ٢٠ دينارا فازبها **الضابط الرئيس محمد عبود الكثيرى** ـ الشرطة المسلحة القعيطية ـ المكلا : حضرموت .

الجائزة الثالثة : وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها **محمود شوقى عبد القادر احمد** مدرسة اللاجئين الاعدادية : ـ رفح ـ فلسطين .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير . فاز بها كل من :

١ ـ **عوض محسن أبو عبيد** الملحق الاول بالسفارة الاردنية ـ واشنطون .

٢ ـ **حسن محمد حسن قطيش** ـ ديوان متصرفية اللواء ـ الخليل ـ الاردن .

٣ ـ **روميو خوسن شليمون** المراقب اللاسلكي بمطار بغداد المدنى بغداد ـ العراق .

٤ ـ **خالد خلف العتيبى** الفحيحيل ص.ب ٧٠٨٤ الكويت .

٥ ـ **أحمد محمد عطية** هيئة قناة السويس ـ الاسماعيلية (ج.ع.م) .

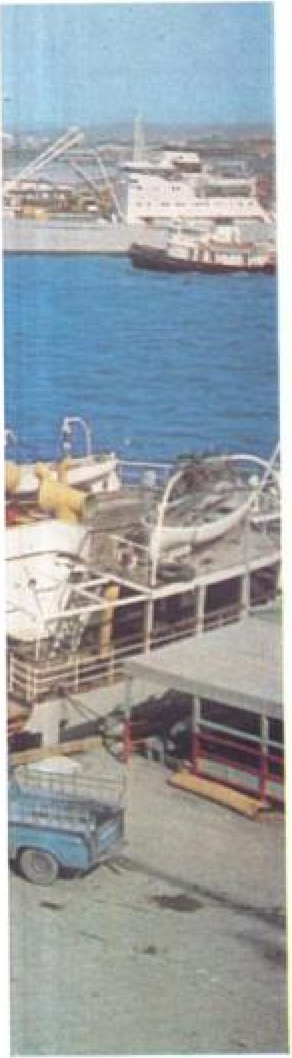
٦ ـ **عبد الكريم نمر الصالح** المدرس بمعهد الثقافة العربى : الدمام ـ السعودية .

٧ ـ **حسين مهدى محمد حماد** بالمعهد التجارى للغرفة التجارية ٤ ميدان الفلكي بالقاهرة (ج.ع.م) .

٨ ـ **محمد علي نعمان** المنزل رقم $\frac{٥٣٩}{٢٠٢}$ قسم ب/٧ : الشيخ عثمان ـ عدن .

■■

وسترسل قيمة الجوائز الى اصحابها





منظر عام لجزء من مدينة جدة التى اخذت فى التوسع عموديا ببناء العمارات المتعددة الادوار ، والتوسع أفقيا بالزحف فى جميع الجهات ما عدا جهة البحر . وقد التقطت هذه الصورة من سطح فندق الحرمين وهو من أعلى العمارات فى جدة .

اعرف وطنك أيها العربى

جدة

باب الحاج إلى بيت الله الحرام

قام بهذا الاستطلاع سليم بسيسو وصوره ((أوسكار))



ميناء جدة ، والبواخر راسية بجانب الارصفة ، والمراكب الصغيرة تنتشر على صفحة البحر الاحمر ، وفي آخر الصورة يظهر « بحر الطين » الواقع أمام مبنى وزارة الخارجية .

بعد سبع ساعات من مغادرتنا الكويت في الخليج العربي وصلنا جدة التي تقع في منتصف الساحل الشرقي للبحر الاحمر . تركنا سلم الطائرة لنجد الاستاذ غالب أبو الفرج ، مدير عام الصحافة والنشر بوزارة الاعلام بالمملكة العربية السعودية ، ومعه أحد كبار موظفيها في استقبالنا ، وكانا يرتديان الجلباب الابيض وفوقه عباءة خفيفة . وكانت الحرارة في جدة وقتها ٣٠ درجة مئوية .

أردنا أن نضبط ساعاتنا حسب التوقيت المحلي . ولما سألنا عن الوقت جاء الفرق كبيرا لا يبرره عدد خطوط الطول وهو ١٠ درجات بين جدة والكويت ، أي ما لا يزيد على ٤٠ دقيقة في حساب الوقت . كانت الساعات في جدة تشير الى العاشرة . وعرفنا أن التوقيت في السعودية يتم حسب التوقيت العربي وهو أن يكون عقربا الساعة فوق بعضهما على رقم ١٢ عند غروب الشمس ، لا عند منتصف النهار كما هو العمل

فى التوقيت الافرنجي . والتقويم المستعمل هناك هو التقويم الهجرى لا التقويم الغربى ، وكان تاريخ وصولنا ، وهو ٣٠ يناير ، يصادف ١٦ رمضان ، وهو الشهر التاسع من شهور السنة الهجرية .

وفى جدة توقيت ثالث وهو توقيت جرينتش ويسير عليه برنامج القسم الشرقى فى الاذاعة والطيارون وكذلك متدربو الطيران .

جدة .. مدينة الفنادق

غادرنا المطار ، وسرنا فى طريق سميت باسمه ، الى أن وصلنا الى الفندق الذى سننزل فيه . وجدنا الفندق من حيث البناء والزخرفة والاثاث والخدمة يضارع أحدث وأرقى الفنادق فى العالم العربى .



خريطة توضيحية تبين موقع مدينة جدة ..

وفى جدة من فنادق الدرجة الاولى ـ فندق جدة بالاس ـ حيث نزلنا ، وقصر الكندرة ، وقصر البحر الاحمر ، ويحتوى كل واحد منها على اكثر من ستين حجرة . وأجور الاقامة والاكل فى هذه الفنادق ٦٩ ريالا فى اليوم . اما فنادق الدرجة الثانية والثالثة فتصل الى العشرين عددا ان لم تكن اكثر ، واجرة الاقامة فيها من ٢٠ ريالا الى ١٠ ريالات للنوم فقط . علما بأن الجنيه الاسترليني يساوى ١٢١/٢ من الريالات .

لقد اشتهرت جدة بالفنادق منذ القديم بوصفها مدينة يمر بها الحجاج فى طريقهم الى بيت الله الحرام . وقد جاء فى رحلة ابن جبير : « وفيها ـ أى جدة ـ فنادق مبنية بالحجارة والطين ،وفى أعلاها بيوت من أخصاص كالغرف ، وبها سطوح يستراح فيها بالليل من أذى الحر » . كان هذا الكلام فى القرن السادس الهجرى . أما اليوم ونحن فى القرن الرابع عشر الهجرى ـ ففنادق جدة بها مكيفات هواء او اجهزة تدفئة وتبريد مركزية ، وحجرها مزودة بأجهزة هاتف وحمامات خاصة تجرى فيها المياه الباردة والساخنة بدون انقطاع .

جدة مدينة القناصل

واذا كانت الرياض هى العاصمة السياسية والوطنية للمملكة العربية السعودية ، واذا كانت مكة هى العاصمة الدينية للمملكة والعالم الاسلامى بملايينه التى تعد بالمئات ، فان جدة هى العاصمة الدبلوماسية للمملكة العربية السعودية . وقد ذكر الدبلوماسي والمستكشف والمؤرخ الهولندى د. فان در ميلن D . Van Der Meulen فى كتابه « آبار ابن سعود « The Wells of Ibn Saud أن جدة كانت تسمى « بلاد القناصل » أو « مدينة القناصل » . ويرجع سبب التسمية الى أن جزيرة العرب ـ باستثناء أجزاء صغيرة ـ كانت تحت السيادة العثمانية الاسمية ، وكان اهتمام الدول الاوروبية الرئيسى فى الجزء من البلاد الذى يشمل الاراضى المقدسة ينصب على



منظر عام لجزء من جدة ترى فيه المباني الحديثة وقد ارتفعت عدة أدوار في مكان الدور القديمة .

توفير الحماية ، خلال أشهر الحج ، للرعايا المسلمين من البلاد التابعة لتلك الدول الاوروبية، وكذلك للتأكد من عدم انتشار الامراض المعدية من قبل الحجاج العائدين . وكان القناصل الذين يذهبون الى جدة لفترة موسم الحج يغادرونها بعد انتهائه مباشرة . ومع ذلك فقد كانت لهم أغراض اخرى سياسية وتجارية .

سكان جدة .. عددهم ومن أين هم ؟

كان أقصى تقدير لعدد السكان قرأناه عن جدة هو ثمانين الفا . ولما أشرفنا على جدة من الجو، ورأينا اتساع المدينة، ادركنا للتو أن عدد السكان لا بد وأن يكون أكثر من هذا بكثير . وتراوحت التقديرات التى وصلتنا ما بين مائة ألف وأربعمائة الف، ومع ان تقريرا احصائيا يقول ان سكان جدة سنة ١٩٦٢ بلغ عددهم ١١٤ الفا الا اننا نميل الى الاعتقاد بأن عددهم يزيد على مائتى الف نسمة . وسواء أصح هذا الرقم أو ذاك فان الذى لا شك فيه أن عدد سكان جدة يزداد بمقدار ربع مليون شخص سنويا فى موسم الحج ، يفدون اليها برا وبحرا وجوا ، بوصفها البوابة البحرية لمكة وينتمى هؤلاء الحجاج الى جنسيات وأجناس مختلفة ، ولكنهم يجمعهم دين واحد هو دين الاسلام ، حيث لا فرق بين جنسية وجنسية ، وجنس وجنس ، ولون ولون . وكانت البلاد ، الى ما قبل ظهور البترول ، تعتمد على رسوم الحج ورسوم الجمارك كمصدر أساسى لايرادات الدولة .

ولقد تخلف على مر السنين الوف من الحجاج، ومكثوا فى جدة ولم يعودوا الى بلادهم . وتزاوجوا أو تناسلوا ، وتزايد عددهم حتى انه يقال ان

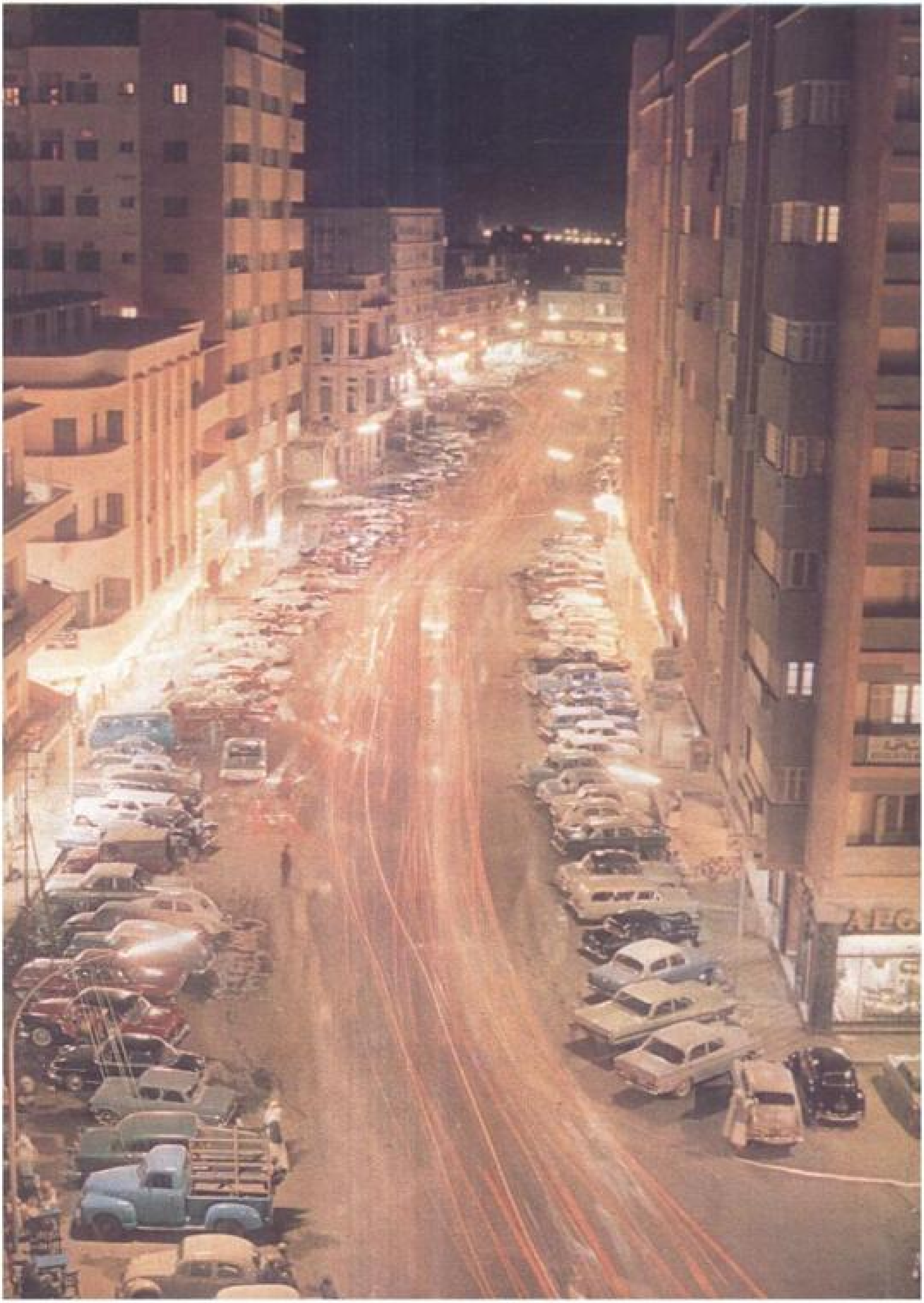


شارع عبد العزيز ، المركز التجارى الرئيسى فى جدة وقلبها النابض .

شارع عبد العزيز فى الليل ، ولا تنقطع الحركة فى هذا الشارع الذى تعبره يوميا عشرة آلاف سيارة .

« **أبحر** » . . . ويعنى هذا الاسم فى جدة : خلجانا تدخل فى البر على بعد ٣٢ كيلومترا الى الشمال من جدة . وشواطئها عبارة عن بلاجات جميلة جدا أقيمت فيها الفيلات الصغيرة والشاليهات ، واليها يهرع أهل جدة صيفا للاستحمام .





سكان جدة ، الذين هم من أصل عربى ، لا تزيد نسبتهم عن ٤٠٪ من مجموع عدد السكان ، أما ثلاثة أخماس سكان جدة الباقون فهم اما هنود او صوماليون او جاويون . او بخاريون اوفرس. وفى جدة جاليات كبيرة من أصل حضرمى ويمنى. وقد سميت بعض أحياء جدة بأسماء الجاليات التى استقرت بها على شكل تجمعات ، مثل محلة الهنداوية والبخارية واليمانية ، ومحلة الشام ، والمحلة البغدادية . وان كان هناك من يقول ان بعضها قد سمى لوقوعه فى اتجاه اليمن أو الشام. وقد تطبعت هذه الجاليات التى مضى على وجودها فى جدة عشرات ومئات السنين بطباع أهل البلاد وتكلمت لغتهم وأسهمت بنصيب وافر فى ميادين التجارة والاقتصاد والعمران والادارة .

ومشكلة تخلف الحجاج ما زالت قائمة حتى الآن وخاصة بين الحجاج الافريقيين ويندس هؤلاء المتخلفون وينتشرون بين الناس ليعملوا كعمال او حمالين .. أو متسولين ومن تضبطه السلطات ترحله الى بلده .



تقودك هذه البوابة الى قبر « حواء » أم البشر جميعا . والناظر من بين هذه القضبان لا يرى الا ساحة غير ممهدة من الأرض يلتف حولها سور مرتفع . أما القبر فقد هدم عام ١٩٢٧ . أما أن حواء قد توفيت ودفنت هنا فأمر علمه عند الله .

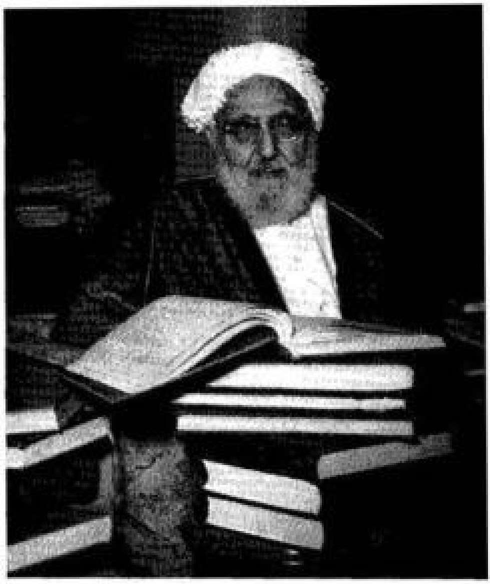
موقع جدة وتاريخها

تقع جدة فى منتصف الساحل الشرقى العربى الآسيوى للبحر الأحمر ، وتبعد عن السويس ٧١١ ميلا ، وعن بورسودان على الساحل الغربى الافريقى للبحر الاحمر ١٩٠ ميلا . وهى الميناء الرئيسى للمملكة العربية السعودية فى ساحلها الغربى كما تعتبر البوابة البحرية لمكة أو بوابة الأماكن المقدسة . والمسافة من جدة الى مكة المكرمة شرقا ٧٣ كيلو مترا . والطرق التى تصل جدة بمكة وتصلها بالمدينة معبدة بالاسفلت .

ويرجع تاريخ جدة الى ما قبل الاسلام ،وتكاد المراجع التاريخية تجمع على أن أول من أسسها هم تجار من الفرس . وقد أصبحت جدة ميناء لمكة فى عهد ثالث الخلفاء الراشدين ، عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، سنة ٦٤٦ ميلادية . وأصبحت لجدة اهمية كميناء تجارى منذ القرن الخامس عشر الميلادى اذ كانت تشحن اليها البضائع القادمة من الهند والشرق ومنها كانت تشحن الى مصر . وقد أدى تحسين وسائل الشحن البحرى الى اضعاف مركز جدة كميناء تجارى ولكن مركزها كميناء للحجاج أصبح قويا فى القرن السابع عشر الميلادى . وكان لفتح قناة السويس أثر على ميناء جدة اذ أصبحت البواخر الكبيرة القادمة من الشرق الى الغرب او بالعكس تمر منها دون حاجة الى تفريغ حمولاتها فى جدة .

ومناخ جدة حار ، وتصل الحرارة فيها صيفا الى ٤٧ درجة مئوية . أما معدل الحرارة شتاء فهو ٢٧ درجة . وجدة شديدة الرطوبة خصوصا فى فصل الخريف وفيه تصل نسبة الرطوبة الى ١٠٠٪ . أما الحد الأدنى للرطوبة فى فصول السنة الأخرى فهو ١٠٪ .

وقد عانت جدة فى تاريخها الطويل من الشدائد والمآسى والكوارث ما يعجز عنه الوصف . فقد تعرضت سنة ١٦٦٧ الى أسوأ مجاعة فى التاريخ حتى اضطر الناس الى أكل الكلاب والقطط



الشيخ محمد نصيف ، أمير الكتب في جدة وصاحب أكبر مكتبة خاصة فيها . قال عنه أحد المؤرخين انه أعلم رجال العلم في جدة والصديق التقليدى للمستشرقين .

والجرذان والفئران ، وكان الموسرون يبيعون كل ما يملكون في مقابل ما يسدون به الرمق . وكان عدد كبير من الناس يجلس ولا يستطيع الوقوف من شدة الجوع فيموت حيث هو جالس. وبعد نصف قرن تعرضت جدة الى حريق هائل اتى على ثلث المدينة وجعله رمادا .

طراز البناء

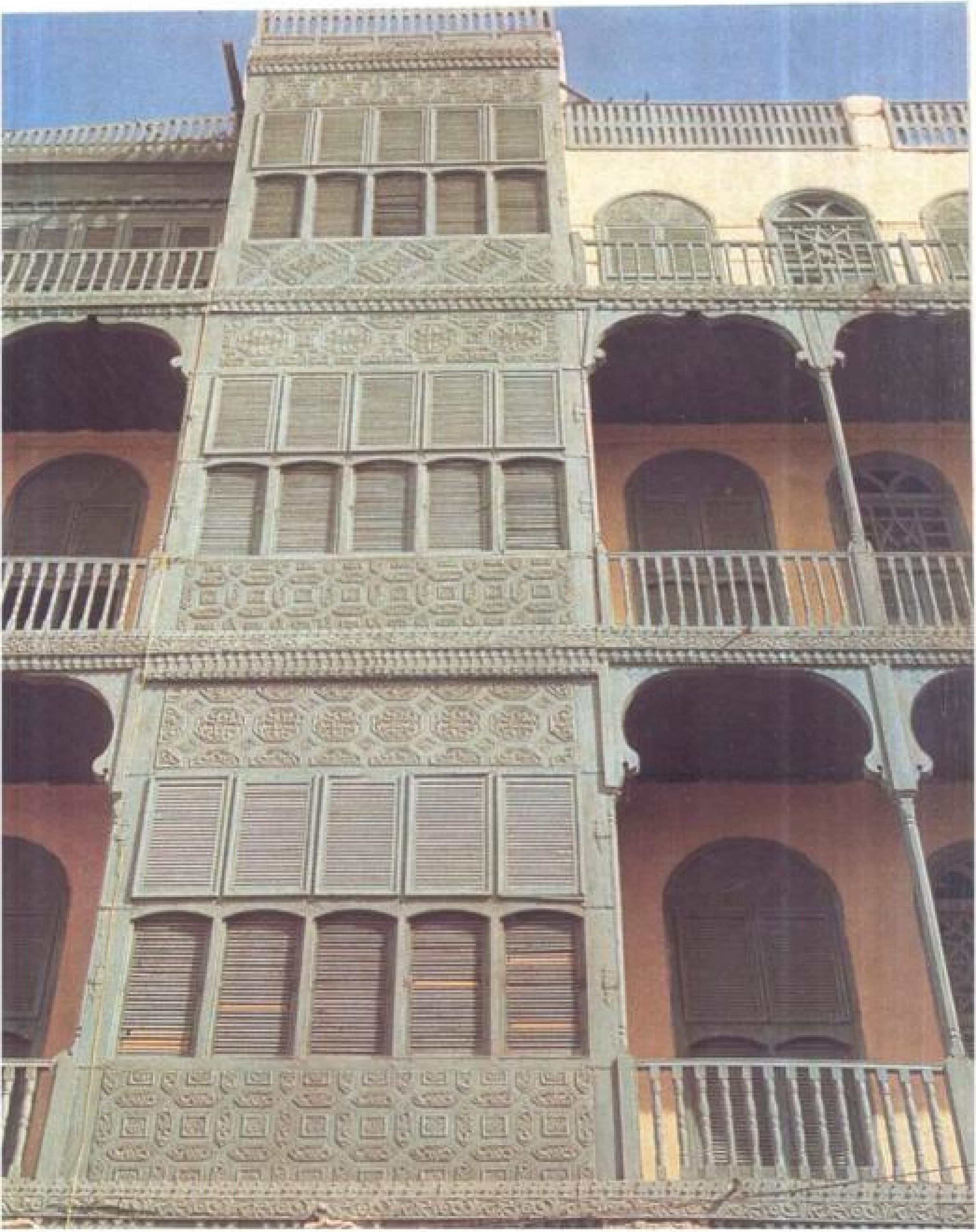
اذا القينا نظرة على جدة القديمة رأينا مبانيها تعكس أطرزة قديمة ، بعضها أصبح متداعيا والبعض الآخر ما زال متينا قويا راسخا نتيجة للصيانة والترميم . وهذه الاطرزة شرقية اسلامية يغلب عليها الطابع التركى . وترتفع المباني على جوانب الأزقة الضيقة المتعرجة الى علو أربعة ادوار ، ومنها ما يصل الى الستة . وقد طليت جدران معظمها من الخارج باللون الأبيض . وقد سدت نوافذها وشرفاتها بالخشب المشبك او المحفور المطلى باللون الاخضر ان لم يكن قد ترك بلونه الطبيعي . ويشغل هذا الخشب المحفور أو المشبك مساحة كبيرة من واجهات المنازل . وتدل دقة الصنع على الوقت والمال اللذين انفقا على هذه الستائر الخشبية التى كان الغرض منها مزدوجا : فهي تسمح للهواء بالدخول وهى تسمح للنزلاء – وخاصة النزيلات – باختلاس النظر الى الخارج دون عائق ، وتحجب في الوقت ذاته رؤية ما في الداخل من قبل المارة في الازقة والطرق . لقد أسدلت تلك الستائر الخشبية على تلك الواجهات وسدت النوافذ والشرفات بحيث اضفت عليها رونقا وجمالا . وما زالت هذه الستائر – البالية المهلهلة منها والسليمة – تخفى وراءها الحياة شبه الغامضة والمتوارثة والتى تستعد الحالة للانطلاق منها الى الحياة المكشوفة .. الى البيوت والفيلات الجديدة المليئة بالنور والتى انتشرت في أطراف المدينة وراحت تزحف في اتجاه الصحراء .

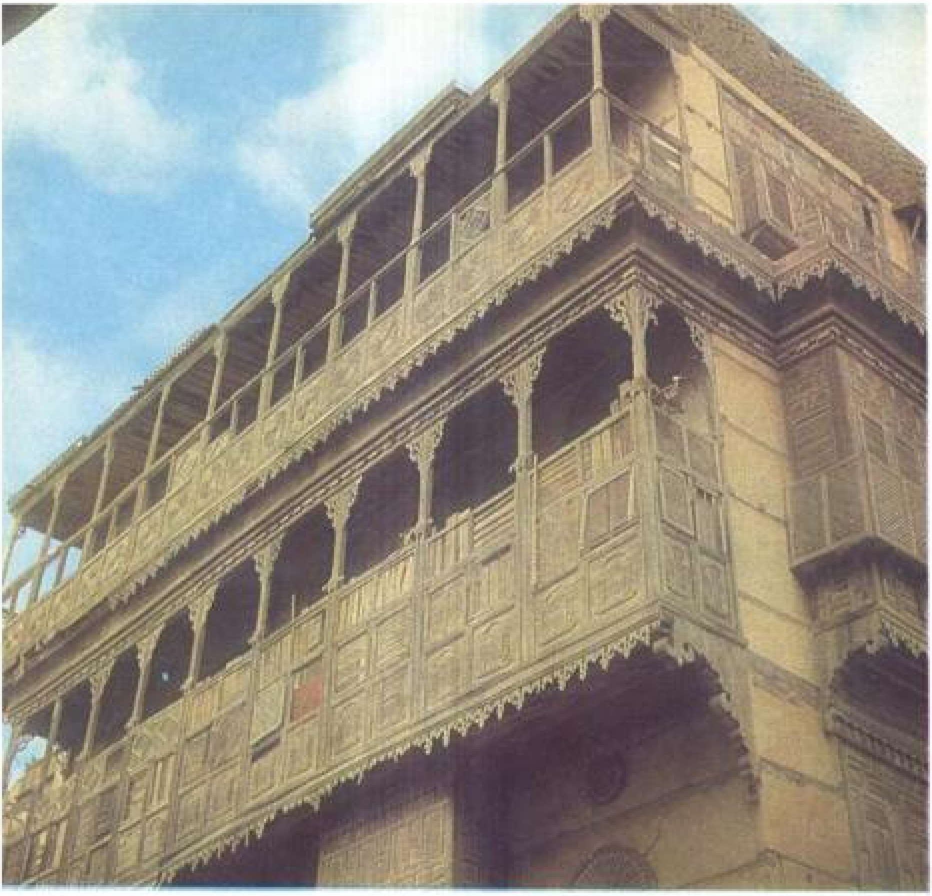
ومنذ ثلث قرن بدأ استعمال الاسمنت في البناء، وحدث تطور في أسلوب البناء وطرازه ، فصارت المباني تبنى بالاسمنت القابل للتكييف على الطراز الحديث ، سواء أكانت المباني معدة للسكن او محلات تجارية . وقد انتشرت في جدة وعلى الاخص في المركز التجارى العمارات الضخمة التى تصل في ارتفاعها الى عشرة ادوار وتحتوى على عشرات الشقق بعكس الحال في أطراف المدينة حيث انتشرت الفيلات الحديثة التى تحيط بها الحدائق الجميلة . ولم يعد اللون الابيض هو اللون الغالب بل الألوان المستعملة الآن تختلف من ازرق الى احمر واصفر واخضر الى آخر ما في قائمة الالوان من أسماء .

الميناء

كانت البواخر التى تأتى الى ميناء جدة تقف في عرض البحر لتنزل حمولتها من ركاب أو بضائع الى قوارب شراعية أو زوارق بخارية. ولكن زيادة عدد الحجاج وغيرهم من الوافدين ، وزيادة الاستيراد نتيجة لازدهار التجارة على اثر تدفق البترول ، ولكون النقل البحرى هو الوسيلة

طراز المباني القديم في جدة . ويلاحظ ان المباني كانت ترتفع الى اربعة ادوار او خمسة وجدرانها سميكة وعتبات النوافذ التي يسمونها « روشان » عريضة يستطيع الانسان أن ينام فيها .







الستائر الخشبية المحفورة والمتشابكة تغطي النوافذ والشرفات ليرى من بداخلها ولا يُرَون من الخارج . وقد أخذ هذا الطراز في الاندثار تدريجيا لأن المباني الحديثة تحل محل المباني القديمة التي تهدم للتنظيم .

الرئيسية لربط البلاد بالعالم الخارجي ، فقد كان لا بد من بناء رصيف ترسو عليه السفن الكبيرة لجعل ميناء جدة ميناء عصريا يتناسب مع مركزها كاهم ميناء للسعودية في البحر الاحمر. وقد تم بناء رصيف على بعد ميل الى الجنوب من رصيف الجمرك القديم . ويمتد هذا الرصيف مسافة ٧٧٤٣ قدما داخل البحر حيث عمق الماء ٣٢ قدما وقت الجزر . ورأس الرصيف طوله ٥٦٠ قدما ، وعرضه مائة قدم ، ويستقبل على كل جانب سفينتين كبيرتي الحجم . كذلك يمكن ان ترسو سفينتان كبيرتان على الرصيف الواقع امام الميناء مباشرة ، ويصل راسَ الرصيف بالميناء جسر عرضه ٢٤ قدما . وقد خصص الجزء الواقع الى الجنوب من البحر لرسو قوارب الصيد وغيرها من المراكب الشراعية .

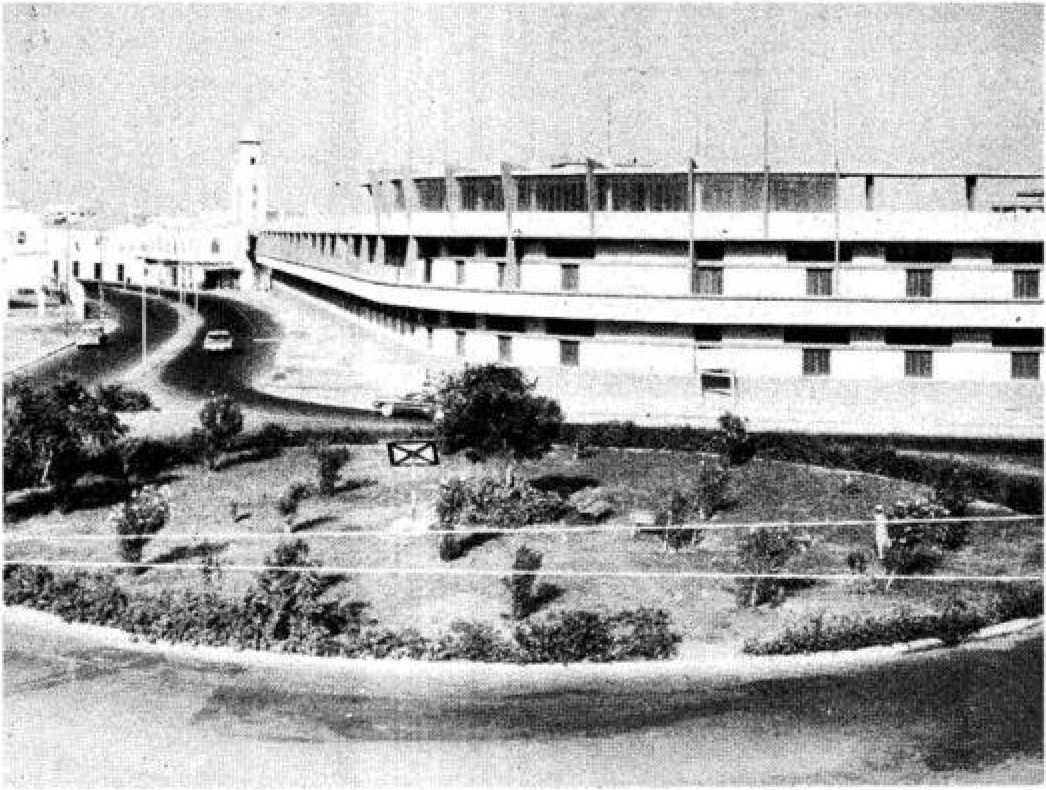
وفي الميناء مكاتب حديثة لجوازات السفر والجمارك وخفر السواحل لتسهيل دخول القادمين الى جدة . ويزيد وزن البضائع المفرغة أو المحملة في ميناء جدة على مليون طن سنويا كما يقدر عدد الحجاج وغيرهم الذين يزورون السعودية عن طريق الميناء بمئات الالوف .

المطار

ان المسافات الشاسعة بين مراكز السكان في مملكة مساحتها ٨٥٠ الف ميل مربع ـ اى ثلث مساحة الولايات المتحدة الامريكية أو اكبر من الجزر البريطانية وفرنسا وايطاليا والمانيا مجتمعة من حيث المساحة ـ جعلت الطيران شيئا طبيعيا كوسيلة للنقل داخل البلاد وكذلك الى العالم الخارجي . لذلك فقد أصبح لمؤسسة الخطوط الجوية السعودية أسطول ضخم من الطائرات

أهم ما تتميز به جدة في هذه الأيام هو شق الطرق واقامة المباني الحديثة وها هو الجرار يقوم بعملية ازالة الانقاض لتعمل الأيدي البناءة في اقامة المحلات التجارية والمباني السكنية في الأحياء القديمة من جدة .





مدينة « حجاج البحر » فى جدة وهى تستقبل الحجاج القادمين عن طريق البحر ليوم أو يومين الى أن يحين موعد سفرهم الى مكة المكرمة أو المدينة المنورة

وأصبح فى السعودية مطاران دوليان أحدهما فى الظهران والثانى فى جدة ، كما أصبح لديها أكثر من عشرين مطارا أو مكانا لهبوط الطائرات فى مختلف أنحاء البلاد .

كان مطار جدة حينما تمّ انشاؤه يبعد عن المدينة مسافة ميل ونصف ميل ، أما اليوم فالمطار يقع على حافة المدينة مباشرة الى الجهة الشمالية الشرقية . ومع أنه مطار حديث به مَدْرجان طول أحدهما ٦٠٠٠ قدم وثانيهما ٦٥٠٠ قدم ، تستطيع جميع أنواع الطائرات الهبوط عليهما ليلا ونهارا ، وهما مزودان بالأنوار ، كذلك برج مراقبة ممتاز وكافة الخدمات والتسهيلات اللازمة لمواجهة الاعداد الكبيرة من القادمين الى البلاد عن طريق الجو ، الا أن ضرورة سلامة سكان المدينة تستدعى نقل هذا المطار الى مكان آخر بعيد عن العمران .

وفى جدة مركز تدريب الطيران المدنى التابع لمؤسسة الخطوط الجوية السعودية .

لقد تأسس هذا المركز قبل ست سنوات وكان الغرض من تأسيسه تعليم الطيران ، ولكنه تطور واصبح مركزا لتعليم الطيران والتدرب على جميع الاعمال المرتبطة بخطوط الطيران ، كمبيع التذاكر والحركة والشحن ، وكذلك تعلم هندسة الطيران. وتدرّس جميع هذه المواد باللغة الانكليزية .

مدينتان للحجاج

بالرغم من كثرة ما كان فى جدة من فنادق على مر السنين ، الا أن الحجاج القادمين من جميع البلاد الاسلامية كانوا يملأون اسواق جدة باجسادهم المتعبة المنهكة التى اضناها السفر بحرا أو برا على الأقدام أو الجمال . ولتوفير الراحة التامة للحجاج القادمين بحرا تم بناء مدينة للحجاج فى الجزء الجنوبى من المدينة القديمة ، وهذه المدينة قريبة من رصيف الميناء الجديد بحيث



موظف سعودي يعمل في قسم الاستعلامات في السنترال الاوتوماتيكي بجدة .



السيد علي المغربي ؛ مهندس سعودي ورئيس صيانة السنترال الاوتوماتيكي يفحص احد أجهزة شبكة الهاتف .



عبد القدوس الانصاري (٦٠ سنة) صحافي واديب ومؤرخ وروائي وعالم آثار .. وخبير في الشؤون المالية !

مباني وزارة الاعلام السعودية في شارع المطار بجدة وتضم أيضا الاذاعة . وهناك مشروع لبناء دار جديدة للاذاعة والتلفزيون على أحدث طراز .





الدكتور مالك رفيق أحد الأطباء السعوديين المعروفين ، ومدير مستشفى الملك سعود في جدة .



كابتن نهار نصار ، ٢٨ سنة ، أول طيار سعودي يقود طائرة بوينج ٧٢٠ ب النفاثة الضخمة .



كابتن بهاء الدين أسعد أول مدير سعودي لمركز تدريب الطيران المدني في جدة .

فندق جدة بالاس ، أحد فنادق الدرجة الأولى في جدة ، المدينة التي اشتهرت بالفنادق منذ ما يقرب من ألف سنة ، لكونها المدينة التي يعبر منها الحجاج إلى بيت الله الحرام .



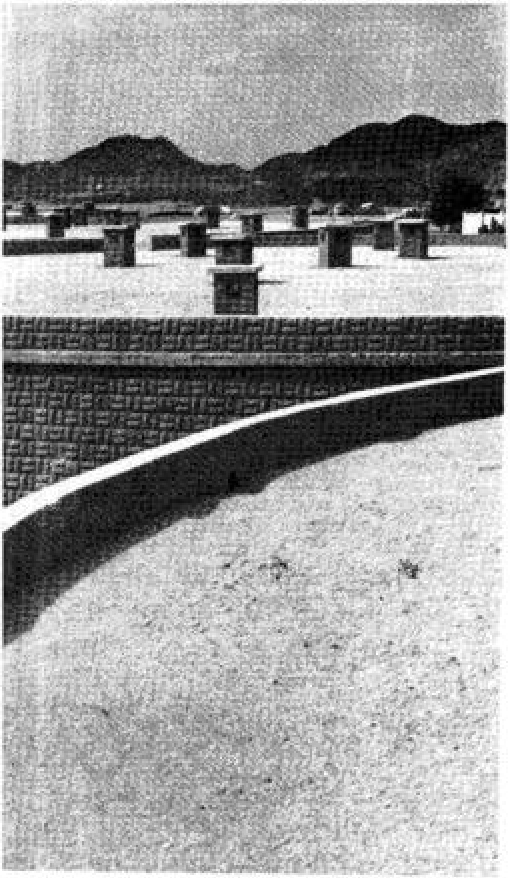
يستطيع الحاج أن يأتى من السفينة الراسية على الرصيف الى « مدينة حجاج البحر » سيرا على الأقدام بعد انهاء معاملات الجوازات والجمارك. ويعود الى السفينة عند مغادرته البلاد بنفس السهولة . و « مدينة حجاج البحر » واسعة جدا وتتوفر فيها الكهرباء والماء ، ويمكث الحاج فيها يوما او بعض يوم الى ان يتم عمل الترتيبات اللازمة لسفره الى مكة أو المدينة او مغادرته البلاد بعد فريضة الحج .

وهناك ايضا « مدينة حجاج الجو » ، وهى مبنية بجانب المطار بناء فخما حديثا من أربعة ادوار ، وبها جميع الدوائر والمرافق اللازمة لتسهيل دخول الحجاج وخروجهم ، واقامتهم فيها قد لا تتجاوز الساعات .

التعليم فى جدة قديما .. وحديثا

كتب سنوك هرخرونيه Snouck Hurgronj الأستاذ السابق فى جامعة ليدن ، والذى اعتنق الاسلام فى شبابه واصبح خبيرا وحجة عالية فى العلوم العربية والاسلامية ، كتب وصفا عن التعليم فى الفترة التى اقام فيها فى هذه البلاد سنة ١٨٨٤/١٨٨٥م ضمنته كتابه « مكة فى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر » جاء فيه : «يذهب الأطفال الى الكتّاب حيث يُدعى المدرّس معلما او فقيها ». اما الأطفال الذين لا يستطيع آباؤهم دفع نفقات التعليم القليلة هذه فقد كانوا يتعلمون بالسماع من شخص متعلم. كذلك كان الآباء الذين لا يريدون لأبنائهم الاختلاط كثيرا مع غيرهم من الأطفال يستأجرون فقيها يأتى كل يوم الى البيت او يتفقون مع أسر اخرى على أن يتلقى أطفالهم تعليما خاصا . وكانت الفتيات الصغار يذهبن الى هذه الكتاتيب مع الأولاد حتى اذا ما بلغن الثامنة من العمر بقين فى البيت او أرسلن الى معلمة .

وتطور التعليم فى جدة على مراحل متعددة الى أن وصل الى الحالة التى نراه عليها الآن وهى : رياض اطفال ، تعليم ابتدائى ، تعليم متوسط ، تعليم ثانوى ، والتعليم الفنى ـ الصناعى أو التجارى ـ يقع بعد مرحلة التعليم المتوسط . وهو الآن مماثل فى خطته وبرامجه لنظم التعليم الحديثة فى البلاد العربية .



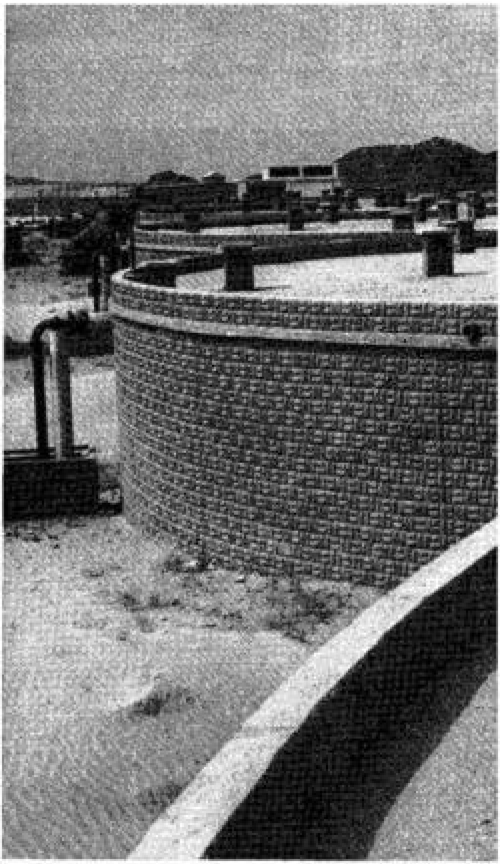
خزانات المياه الضخمة التى تخزن فيها مياه وادى فاطمة . وتبعد هذه الخزانات مسافة طريق مكة. وقد حلّ هذا المشروع مشكلةالعطش

وكان فى جدة قبل أربعين سنة ثلاث مدارس فقط احداها أهلية وهى مدرسة الفلاح ـ وقد تأسست سنة ١٣٢٣هـ ـ وثانيتهامدرسة تحضيرية، وثالثتها ابتدائية ، وكان مجموع الطلاب حوالى الف طالب .

اما اليوم ففى جدة اكثر من خمسين مدرسة حكومية او أهلية تحت اشراف الحكومة وهذه المدارس اما ثانوية او ابتدائية أو ليلية أو نهارية. وفى هذه المدارس أكثر من أربعة عشر الف طالب .

تعليم البنات

كان تعليم الفتاة يقتصر فى السابق على المرحلة



العين العزيزية التي تجلب بواسطة الانابيب من ١٤ كيلومترا عن جدة الى جهة الشرق على التي كانت جدة تعاني منها على مدى الزمن .

التحضيرية وبعدها تكمل الفتاة تعليمها على أيدي المدرسات الخصوصيات وتتقدم للامتحانات من المنزل أو تذهب الى المدارس خارج البلاد .ومنذ أربع سنوات صدرت التعليمات الملكية بفتح مدارس البنات ، وانشاء دور للمعلمات ، كي تنال الفتاة قسطها من العلم والمعرفة . وتدفقت البنات على المدارس كالسيل المنهمر بالالوف ووصل عددهن في جميع مدارس البنات بالمملكة ٢٠ الف طالبة .

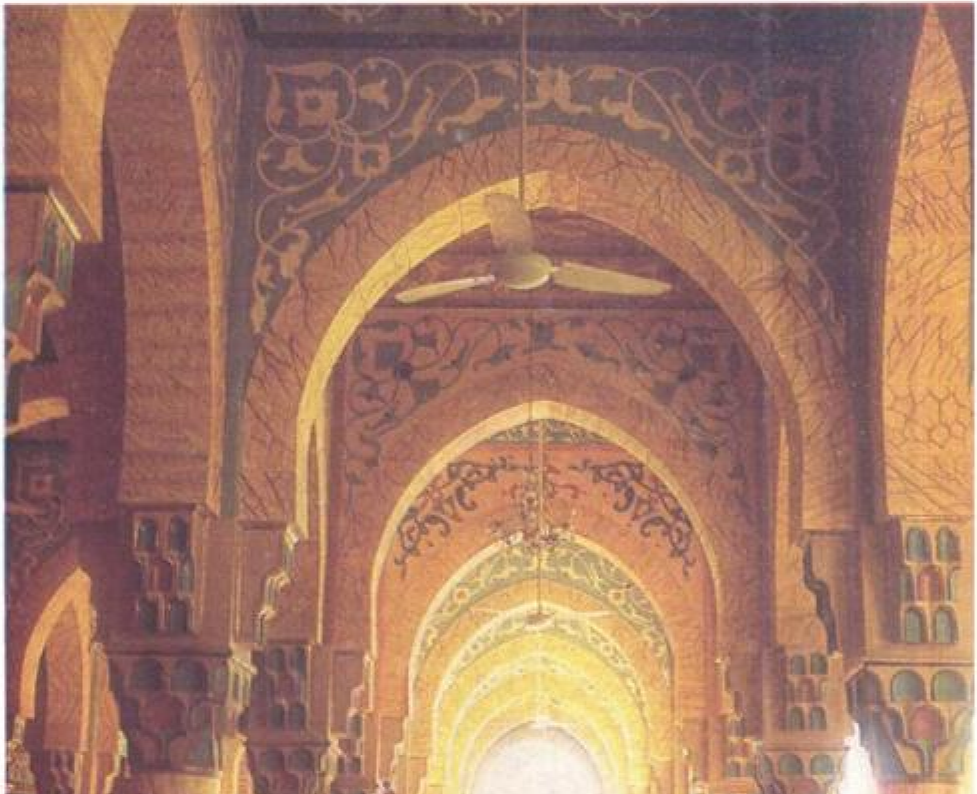
ولما كان لا بد من كبح جماح هذا التطور السريع في مجتمع تشده التقاليد بقوة الى الماضي ،وللتوفيق بين مستلزمات العصر والمحافظة على التقاليد ، فقد جعلت المرحلة الابتدائية في مدارس البنات تابعة للرئاسة العامة لمدارس البنات ، وهذه بدورها تابعة لهيئة « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». اما المرحلتان الاعدادية والثانوية فهما تابعتان لوزارة المعارف . وتولي برامج هذه المدارس ومناهجها عناية تامة للعلوم الدينية (١٤ حصة من ٢٨ حصة في الاسبوع في السنة الاولى الابتدائية) حيث تدرس الطالبة في المرحلة الابتدائية القرآن الكريم والتفسير والتجويد والتوحيد والفقه والحديث . كذلك يعنى باللغة العربية . وتدرس في هذه المرحلة المطالعة والاملاء والخط والتعبير والمحفوظات والنحو . هذا الى جانب المواد الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا (وتسمى هنا التقويم) والصحة والعلوم . أما العلوم الرياضية فتشمل الحساب والمقاييس (الهندسة) والزخرفة (الرسم) . وأخيرا هناك التربية النسوية ويدخل ضمنها أشغال الابرة وتربية الطفل والتدبير المنزلي.

والفتاة حينما تبلغ العاشرة من العمر يجب ان ترتدي العباءة قبل خروجها من البيت أو المدرسة وحتى قبل هذه السن يجب أن يكون لباسها طويلا ويحرم عليها ممارسة الالعاب الرياضية التي تكشف عن جسمها .

جدة وقصتها مع الماء

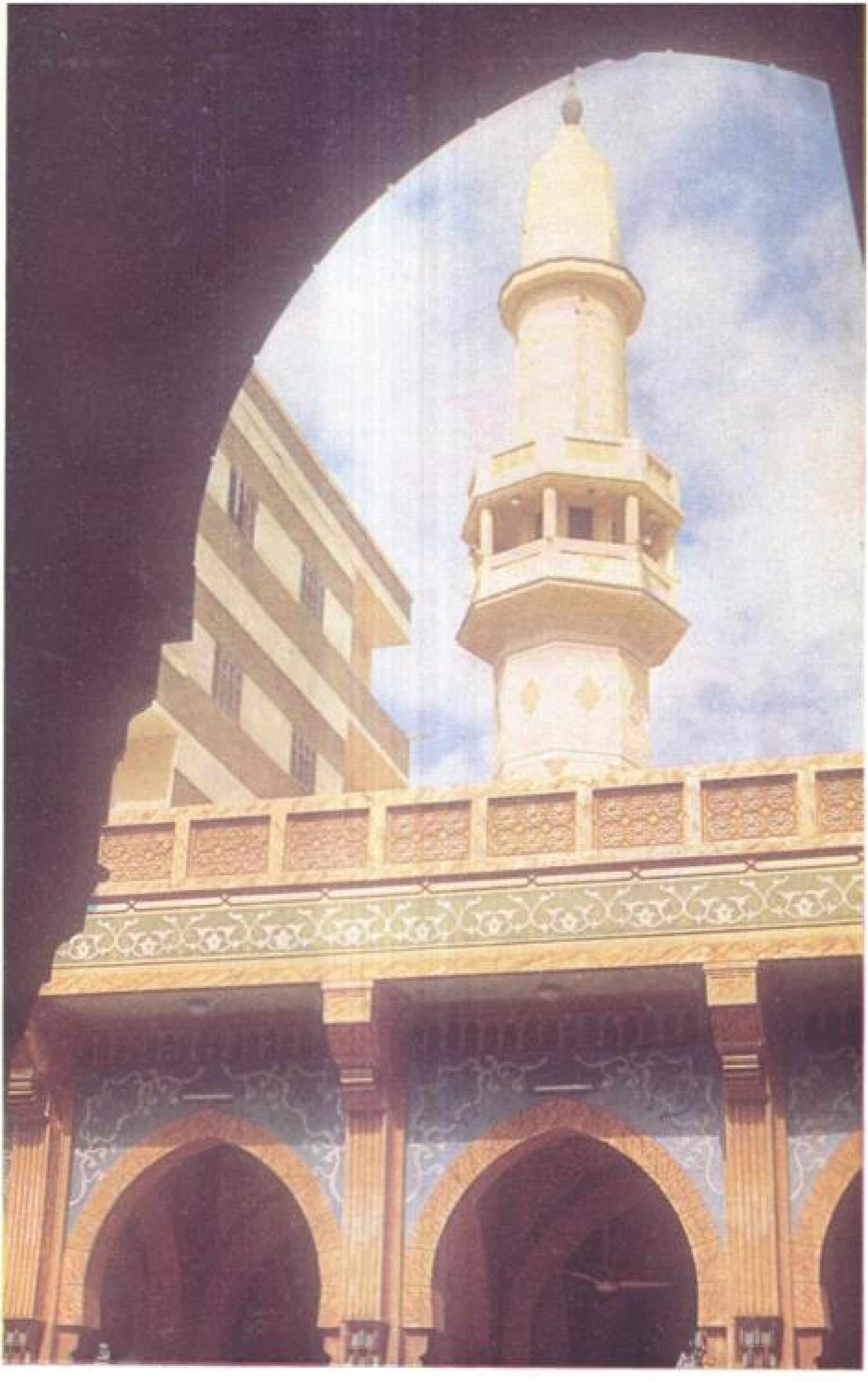
كانت جدة تشكو من ندرة الماء طوال تاريخها. وكانت أزمة الماء تشتد وتصل الى ذروتها في موسم الحج . وكانت أهم موارد الماء الآبار التي يتدفق منها الماء المالح أو الآبار التي يتجمع فيها ماء المطر . ولسد هذا النقص جلب الأتراك الماء من عين الوزيرية التي تبعد مسافة ١١ كيلو مترا الى الشرق من جدة . وفي سنة ١٩٢١ أهدى تشارلز كرين Charles Crane الامريكي طاحونة هوائية مع مضخة وانابيب لرفع ٤٠ جالونا من الماء في الدقيقة ، واستخدمت لجلب المياه من عين الوزيرية ليشرب منها أهل جدة ـ بالاضافة الى صهاريج ماء المطر . وكانت في جدة محطة لتقطير ماء البحر ـ عرفت بالكنداسة ـ تقطر ١٣٥ طنا من الماء في اليوم ، وكانت تعتبر المورد الرئيسي للماء. وتم تركيب محطة تقطير ثانية . ولكن هل كانت موارد المياه هذه تكفي مدينة جدة الآخذة في الاتساع يوما بعد يوم ؟ .

لاحظنا أول ما لاحظنا ، ونحن نحلق فوق جدة،



جامع الموفق أو جامع ابن محفوظ ، آية من ايات الجمال والفن والزخرفة وهو أوسع مساجد جدة ويتسع لخمسة الاف مصل ، منهم الفان فى الدور الثانى الذى يطل على داخل الجامع .

هكذا تبدو مئذنة جامع الموفق من الصحن المكشوف فى الداخل . والى اليسار توجد عمارة من عدة ادوار بناها ابن محفوظ وأوقفها على الجامع المسمى باسمه والذى يعرف أيضا بجامع الموفق . ومدخل الجامع من الرخام الأبيض والأسود الجميل .



ان الحدائق والاشجار منتشرة في المدينة وحولها فكان ان سألنا عن حالة الماء في المدينة ، وعرفنا ان الطن الواحد (المتر المكعب) من الماء يباع بنصف ريال سعودي (٥٠ فلسا أو ٤٠ مليما) للمساكن التي مدت اليها الانابيب وركبت فيها العدادات. اما أصحاب البيوت الذين لم تربط بيوتهم بشبكة المياه العامة بواسطة الانابيب فانهم يحصلون على الماء بواسطة السقائين . وهناك اكثر من ٣٠ نقطة لتوزيع الماء ، الواحدة منها تعرف باسم (بازان) وينقل الماء اما بواسطة براميل مثبتة على عربات تجر بواسطة الحيوانات ، أو بواسطة صفيحتين يثبتهما السقاء على عصا تستخدم حاملا توضع على الكتفين ، وأحد الحبلين المربوط بهمـا الصفيحتان أقصر من الآخر ليسهل على السقاء صعود السلالم . والمياه من هذه البازانات توزع بالمجان .



طبيبة المانية تجرى الفحص الطبي على طفل في المستوصف التابع للجمعية النسائية الخيرية في جـدة .

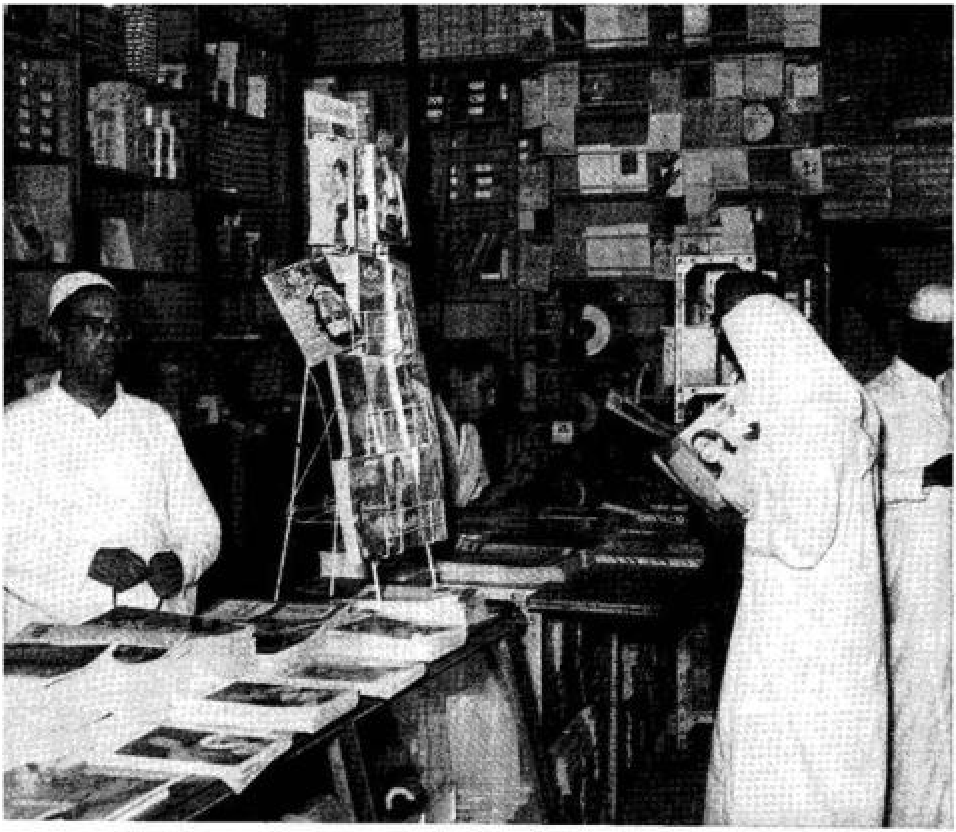
ولقد اطلعنا على أحد التقارير وعرفنا أن معدل استهلاك الفرد من الماء ١٣٠ لترا في اليوم وهو معدل مرتفع بالمقارنة بغيرها من المدن .

فمن أين جاءت هذه المياه العذبة التي أحيت جدة وما حواليها ؟ يوجد في الشمال الشرقي من جدة واد اسمه وادي فاطمة ، وفي هذا الوادي اكثر من ٣٥ عينا غزيرة يؤخذ الماء من سبعة عيون منها بمعدل الثمن من كل عين ، مقابل تعويض سنوي . وسمي المشروع بمشروع «العين العزيزية» نسبة الى الملك عبد العزيز آل سعود ، ذلك انه هو الذي امر بجلب هذه المياه الى جدة ، وأوقف عليها اوقافا كثيرة لينفق ريعها على صيانة العين واصلاحها وتوسعتها وكلما يلزم لاستمرار جريانها. وقد تم الاحتفال بايصال الماء الى جدة في ٢٠ نوفمبر ١٩٤٧ . وتبعد أقصى نقطة الى جهـة الشمال من هذه العيون مسافة ٨٠ كيلو مترا عن مدينة جدة .

الجمعيات والاندية

كتب الدكتور هرخرونيه وصفا للمرأة السعودية قبل ثمانين عاما جاء فيه ما معناه انه ليس للمرأة وظيفة الا ان تجعل الرجل يتمتع بفتنتها وأن تنجب له الاولاد . وهذا الوصف ينطبق على كل نساء العالم ، ولكن تطور الزمن جعل للمرأة وظائف أخرى فراست الدول والحكـومات ، ورادت الفضاء . وفي اللحظة التي أتيحت فيها للفتاة السعودية أن تتعلم اقتحمت المدارس باعـداد ضخمة . ويقال هذا أيضا عن دور المعلمات ومعاهد التمريض . ومعنى هذا أن الفتاة الجداوية تدرك أن عليها واجبات تجاه وطنها وأمتها .

وها هي المرأة الجداوية تعمل الآن بطوعهـا واختيارها في ميدان الاعمال الخيرية. لقد تأسست في شهر مارس من العام الماضي الجمعية الخيرية النسائية بجدة،وهي الجمعية الاولى من نوعها،ليس في جدة فحسب، ولكن في المملكة كلها. وكان عدد العضوات المؤسسات ١٢ عضوة ، وبلغ مجموعهن الآن ٩٤ عضوة.والجمعية تحت رعاية سمو الأميرة عفت حرم سمو الامير فيصل نائب الملك وولي العهد



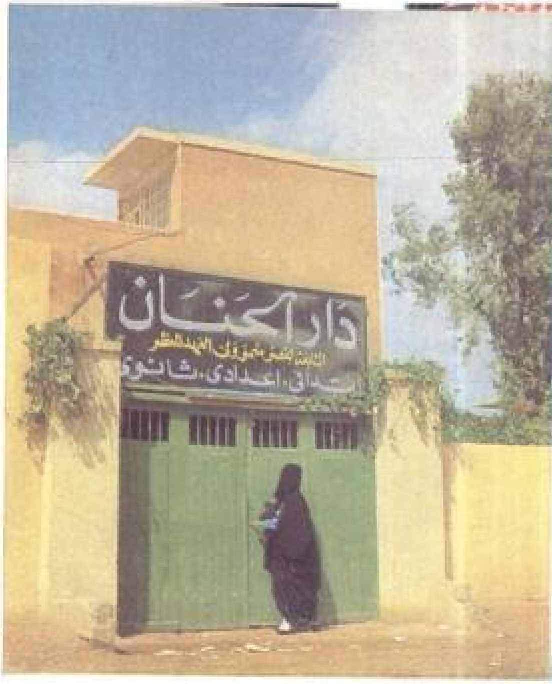
توجد فى جدة محلات عديدة لبيع الكتب والمجلات والصحف وخصوصا العربية منها ويقبل الأهالي على القراءة لما فيها من فوائد ومنها التسلية وقطع الوقت حيث أنه لا يوجد فى جدة وسائل للترفيه .

ورئيس الوزراء . وتهدف الجمعية الى رعاية الطفولة والأمومة والنهوض بمستوى المرأة الاجتماعي والصحي والثقافى والاقتصادى . وقد افتتحت لهذا الغرض مستوصفا لرعاية الاطفال والحوامل كما أسست مشغلا لتعليم التطريز وشغل الابرة. وتقوم الفتيات فى هذا المشغل بتحضير ما يلزم من ملابس للمواليد الجدد الذين ترعاهم الجمعية. كذلك أسست الجمعية مركزا لمكافحة الأمية ومكتبة. وتدفع كل عضوة فى الجمعية اشتراكا سنويا مقداره ١٢٠٠ ريال وهو مبلغ ضخم مما يدل على أن المرأة السعودية مستعدة للتضحية بالجهد وبالمال فى سبيل رفع مستوى المجتمع .

أما عن أندية الرجال: فلم تعرف جدة فى تاريخها القديم من الأندية الا ناديين : نادى الصلاة ونادى الشباب . أطلق على النادى الاول ذلك الاسم لأن أعضاءه ــ وكانوا سبعة من اعيان جدة ــ كانوا يجتمعون على ربوة قرب الثكنة العسكرية قبيل غروب الشمس ، وحينما تحين صلاة المغرب يؤدونها ، وبعد ذلك يتحدثون فى شؤون الدين والدنيا . وكان هناك فى نفس الوقت ناد آخر للشباب لرياضة الجسم والفكر والعقل .

أما اليوم فتوجد فى جدة ثلاثة أندية رياضية هى الاهلى ، والاتحاد ، والهلال البحرى . وتعنى هذه الاندية بكرة القدم ، ولها جمهور كبير فى جدة ، وكرة السلة ، ، والكرة الطائرة ،وكرة الطاولة . وتقام المباريات بين هذه الاندية وبينها وبين الأندية الأخرى فى مختلف مناطق المملكة ،

احدى مدارس البنات فى جدة . وتعليم الفتاة حديث العهد ومع ذلك أقبلت الفتيات على المدارس بالألوف . وكل فتاة يصبح عمرها عشر سنوات وأكثر يجب أن ترتدى الزى الذى ترتديه الفتاة الظاهرة فى الصورة .

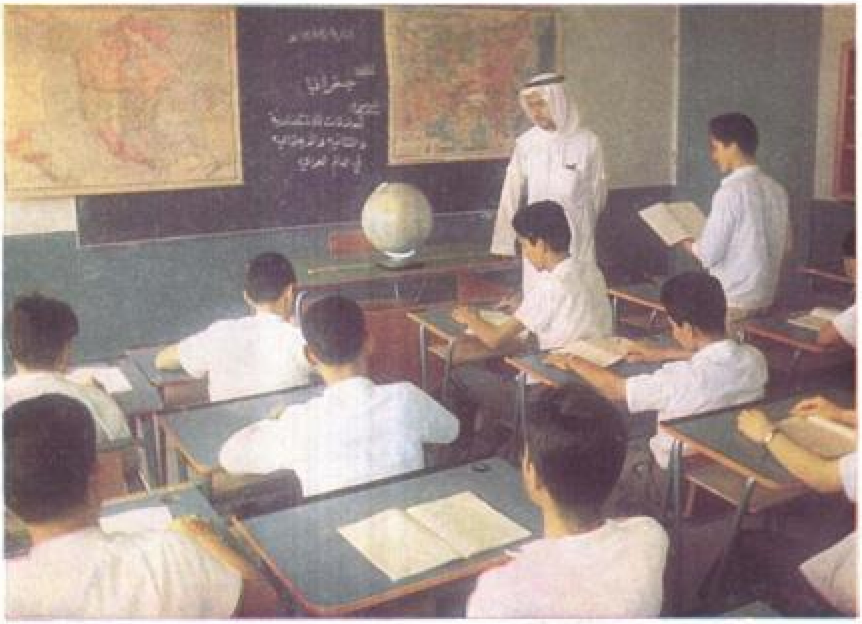


درس احياء وطلاب مدرسة ثانوية ومعمل به من الوسائل والأجهزة ــ وأخص بالذكر الميكروسكوب الذى تراه فى الصورة ــ ما لا يتوافر الا لطلبة العلوم فى الجامعات .





طلاب مدرسة الثغر النموذجية بجدة يؤدون امتحانات نصف السنة في قاعة فسيحة تصلح كمسرح
وكقاعة للاحتفالات والمحاضرات ؛ والصورة السفلى لأحد الفصول في درس «جغرافيا» (أو علم التقويم).



أو مع الفرق القادمة من الخارج كالنادى الأهلى ونادى الزمالك القاهريين وغيرهما .

ماذا فى جدة من تجارة وصناعة

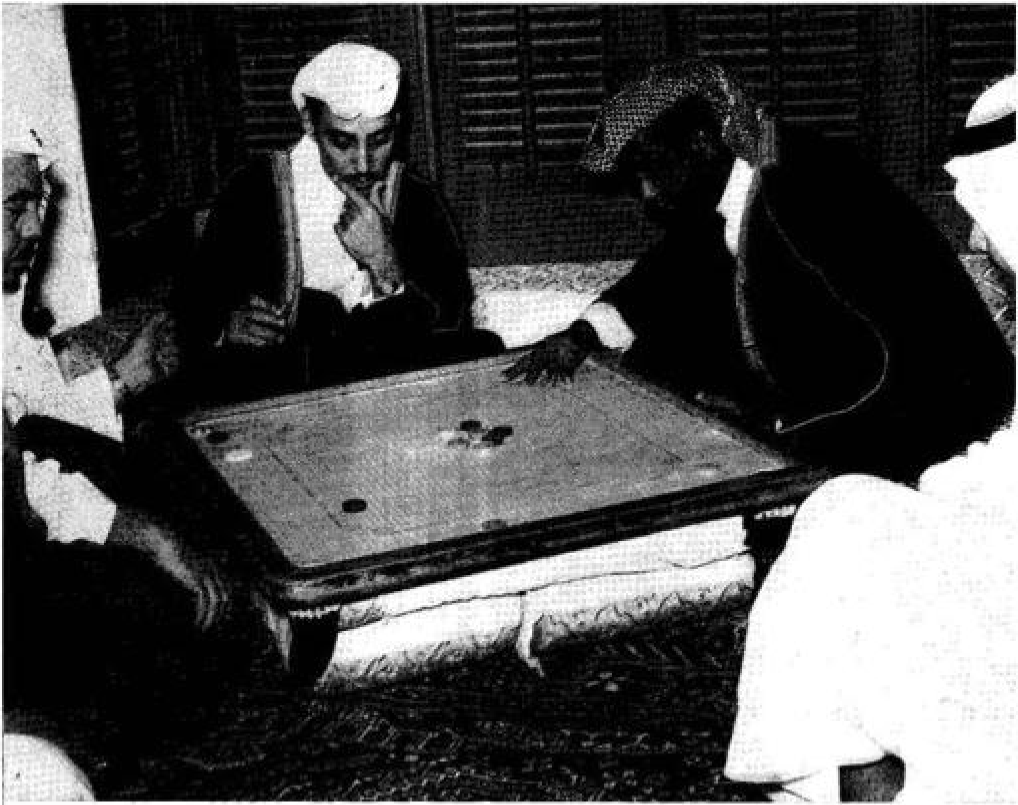
الذى ينزل فى الفنادق الكبيرة يلاحظ ان معظم نزلائها من رجال الأعمال ووكلاء الشركات الأجانب الذين جاءوا لعقد صفقات تجارية أو عرض سلع جديدة . والذى يسير فى شوارع جدة الرئيسية وينظر الى واجهات المحلات التجارية ويقرأ اللافتات المكتوبة عليها باللغة العربية واللغات الأجنبية ويتفحص ما فى تلك المحلات من بضائع يشعر لأول وهلة أنه يسير فى مدينة ذات مركز تجاري هام . فهناك أعداد لاحصر لها من التوكيلات العامة ، والشركات الكبرى والمحلات التجارية كما أن البنوك التى تعمل فى جدة كثيرة . ومن هنا نشأت جماعة من كبار التجار ورجال الأعمال والمال وأصحاب العقارات، منهم من قفزت ثرواتهم وتجاوزت حد المليون ريال ، ومنهم من يعدون من أصحاب عشرات الملايين ومئاتها . ولكن كل هذه الملايين لم تأت من الخارج ، فما تصدره جدة شىء لا يذكر ، انما هى ثروة البلاد وما ينفقه المستهلكون لشراء السلع الاستهلاكية .

والخضار والفواكه ومواد البقالة معظمها ـ ان لم يكن كلها ـ مستورد من الخارج . فهذا تفاح من لبنان ، وبطيخ من الحبشة ، وموز من الهند والحبشة . ووحدة الوزن فى جدة هى الأقة وهى تساوى كيلوجراما ونصفا اى حوالي ثلاثة أرطال انجليزية . وأسعار الخضار والفواكه معقولة نسبيا .

كان لا بد أن نسأل ان كان هناك زراعة وصناعة.

اقسام العزل فى المحجر الصحى بجدة . ويمكن اعتبار محجر جدة مدينة صغيرة اذ يتسع لعزل حوالي ٢٥٠٠ شخص . وقد أقيم المحجر على أرض مساحتها ٥٧ فدانا ، بعيدا عن العمران ومحاطا بالأسلاك الشائكة لمنع الاختلاط .





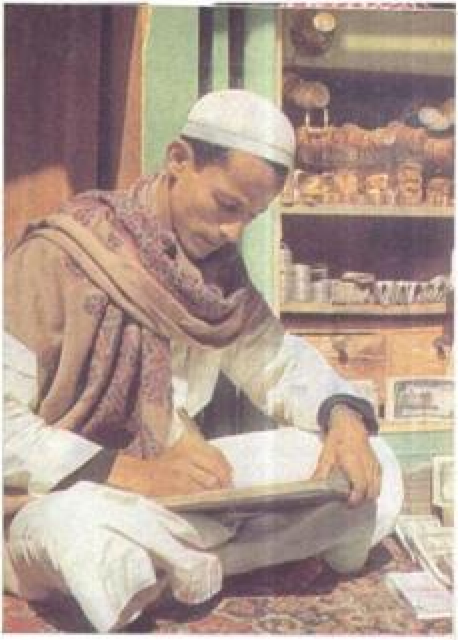
جداويان يجلسان في عتبة نافذة يزيد عرضها على المتر ونصف المتر وأمامهما لوحة مربعة الشكل وهي عبارة عن لعبة تعرف باسم « كيرَم » وتشبه هذه اللعبة الى حد ما البليياردو ويستعمل الظفر فيها لضرب قطع الخشب المستديرة بدل المضرب الذى يستخدم فى البلياردو لضرب الكرات .

فعرفنا أن هنالك زراعة فى وادى فاطمة ولكنها لا تسد حاجة السكان . أما الصناعة ففى جدة مصانع للمكرونة والكبريت وأنابيب الاسمنت والاثاث والزوارق والمرمر والاسمنت ولم يسعفنا الوقت الا بزيارة مصنعي المرمر والاسمنت .

ولعل الذى دعا الى اقامة مصنع المرمر هو ان صاحبه محمد بن لادن مقاول .. او هو قد اصبح أكبر مقاول فرد فى العالم . ولهذا أقام مصنع المرمر واشترى المحاجر التى يجلب منها الحجر الخام واستورد أحدث وأضخم المناشير وآلات الصقل . ويعمل فى مصنع المرمر ٤٠٠ عامل يستعينون بخبرة خمسة من الخبراء الطليان . وفى المحاجر يعمل ١٣٠ عاملا . وقد قام المصنع بصنع الرخام اللازم لتكسية عمارة المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة ، وعمارة الحرم الشريف بمكة المكرمة ، بالاضافة الى القصور والمبانى الضخمة فى المملكة .

ومصنع الاسمنت يقع شمال جدة بالقرب من منطقة الامتياز التى يستخرج منها التراب اللازم لصنع الاسمنت . وقد حدثنا عضو مجلس الادارة المنتدب السيد عبد الله السعد أن هناك فكرة لتوسيع طاقة المصنع الحالية وهى ١٠٠ الف طن الى ٣٠٠ الف طن سنويا . وهذه بشائر سارة لمصنع لم يمض على تأسيسه أكثر من سبع



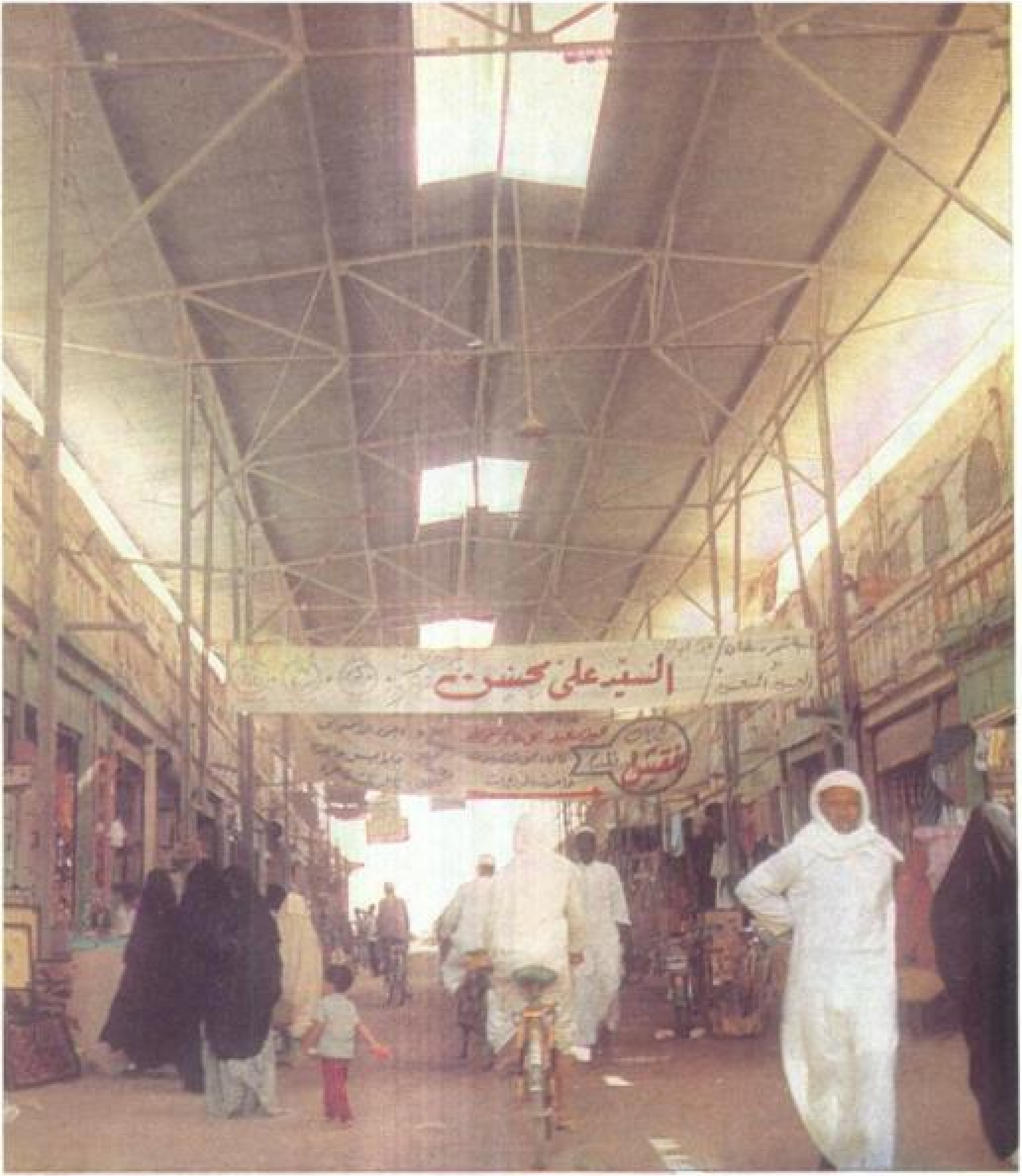


صراف بيده قلم ودفتر يجلس على دكة من الخشب وبجانبه خزانة تحوى كل انواع العملة الورقية والمعدنية من ذهب وفضة .

احد محلات بيع الأقمشة فى سوق الخاسكية وقد التقطت الصورة فى الليل حيث تنشط الحركة فى رمضـــان .

احد المحلات التجارية الحديثة حيث تباع الزهريات الكريستال والأواني الصيني والقضيات ذات الشهرة العالمية . والى جانب كل هذا يوجد خارج المحل قفص كبير يسير على عجلات يحتوى على عدد كبير من طيور الزينة .





شارع قابل ، أحد الأسواق القديمة المسقوفة ، وهو متفرع من شارع عبد العزيز . في هذا الشارع تجد كل شيء : ملبوسات مأكولات ، أدوات زينة ، أحذية ، لبانا ، راديوات ترانزستور ، صرافين ، تحفا وطوابع . ولو ضربت حصارا حول عشرين شخصا وتحققت من جنسياتهم لوجدت أنهم قد ينتمون الى عشرين جنسية لكل منها لهجتها الخاصة وزيها الخاص . وحينما يزدحم هذا الشارع بالناس يكاد المرء لا يجد فيه موطئا لقدم .

سنوات خصوصا وان مرحلة تاسيسه قد مرت بعقبات .

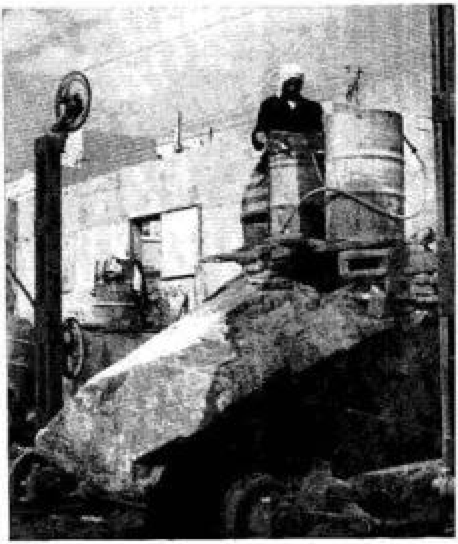
المحجر الصحى والحالة الصحية

في جدة خمسة مستشفيات حكومية للولادة وأمراض النساء والرمد والامراض الباطنية والجراحة وفيها سبعة مستوصفات . والعلاج في هذه المستشفيات والمستوصفات مجاني ، فيما عدا مستشفى واحد هو مستشفى الملك سعود ، اذ يدفع المريض ٥ ريالات قبل الفحص ، واذا دعت الحاجة الى دخوله المستشفى يدفع ـ ان كان من نزلاء الدرجة الاولى ـ ٣٠ ريالا مقابل السرير والفحص والاشعة والتحاليل والعلاج .

ومما يلفت النظر بشكل خاص في أسواق جدة وجود صيدليات ومذاخر للادوية بكثرة ، ووجود أكثر من عشرين عيادة خاصة ، منها ست عيادات على الاقل لطبيبات من الجمهورية العربية المتحدة وألمانيا وايطاليا والهند ، ولعل زبائنهن من السيدات اللواتي لا يقبلن أن يكشف عليهن طبيب . وأسعار الادوية في جدة رخيصة جدا ، وقد تكون أرخص من أي بلد عربي آخر ، لانه لا يُدفع أي رسم عليها .

ومما يميز جدة عن غيرها وجود محجر صحي فيها .

وتستقبل جدة في شهر ذي القعدة من كل عام ـ وهو الشهر السابق على شهر الحج ـ حوالي عشرة آلاف شخص يوميا عن طريق الميناء . يصل هذا العدد الضخم وفي نفس اليوم ينتهي من اجراءات الميناء والجمارك وقد يسافر في نفس اليوم او اليوم التالي الى مكة او المدينة . وقد



قطعة ضخمة من الصخر يقسمها المنشار الى قسمين او أكثر . وتجلب الحجارة اللازمة لصنع المرمر من المحاجر في وادي فاطمة ومَدْرَكَة وقُرَيسان . وألوانها الأسود والأبيض والاحمر والوردي



قطعة من الحجر كبيرة ثبتت على حاملة بواسطة الاسمنت وفوقها المنشار ذو السكاكين المتعددة يعمل فيها نشرا بحركة أفقية وفي أثناء ذلك يتدفق الماء ليطري الصخر ويطفيء حرارة المنشار .

انشىء هذا المحجر الصحى لتأمين سلامة الحجاج من الناحية الصحية اثناء وجودهم في المملكة وحماية المواطنين من الامراض الوافدة والمحافظة عليهم ووقايتهم ، واخيرا فهو يحافظ على البلاد التى قدم منها الحجاج بعد عودتهم اليها .

ماذا ياكل الجداويون وكيف يقضون أوقاتهم

تمتاز جدة باكلة كفتة السمك . ويصنع من السمك أيضا - وانواعه تزيد عن ١٢٠ نوعا - حوالي عشرين صنفا من الطعام ، غير المقلي والمشوى ، مثل الكبة المشوية والنيئة والمقلية . وأكثر أهالي جدة يجعلون السمك أحد الاصناف الرئيسية في طعام السحور برمضان . ومن الأكلات السعودية المشهورة : السليق - وهو عبارة عن



هكذا تحولت الصخرة الضخمة الى بلاطات سمك الواحدة منها حوالى البوصة وهي معدة لتأخذ طريقها الى الصقل والجلي والتشكيل حسب الشكل المرغوب .

خروف يقع من ٦ الى ١٠ قطع ، ويوضع في قِدْر كبير الى أن ينضج ، فيملح ويرفع من المرق ، ويوضع في مكانه الارز الى أن ينضج ويصبح طريا . وبعد ذلك يؤخذ الارز ويفرش فوق طبق كبير ويسكب فوقه السمن البلدى ، وتكدس فوقه قطع اللحم الكبيرة . والاكلة الثانية : الزربيان - يفرم البصل ويحمر ، وبعد أن يبرد يُدَكّ ويخلط باللبن الزبادى ، ويرش عليه قليل من الزعفران ، ويعصر عليه الليمون ، ثم يضاف الى هذا المخلوط اللحم على شكل قطع ويترك على النار مدة ساعتين . ويؤتى بالارز وهو نصف ناضج ويوضع فوق المخلوط ، ثم يسكب فوق الجميع كوبان من الحليب ، ويغلق القدر الى أن يتم نضج الطعام .

والسيدة السعودية ربة بيت ممتازة تهتم بشؤون بيتها ولا تعتمد على الخدم . واجرة المساكن في جدة معقولة فالشقة او البيت المؤلف من ٣ غرف وصالة بمائتي ريال شهريا والفلة المكونة من دورين وتشمل ٨ غرف بخمسمائة ريال شهريا .

لا توجد في جدة دور للسينما حتى الآن ، مع أن هناك فكرة لانشاء محطة تلفاز ، ومع ذلك فان دور السفارات تعرض افلاما داخل ساحات دورها . والزيارات هي المتنفس الوحيد الذى يجعل الجداوى أو الجداوية ينطلقان من عزلتهما . ويسمر الرجال وحدهم وكذلك النساء الى وقت متاخر من الليل ، يلعبون الورق او الشطرنج أو الكيرَم - وهى لعبة هندية الأصل .

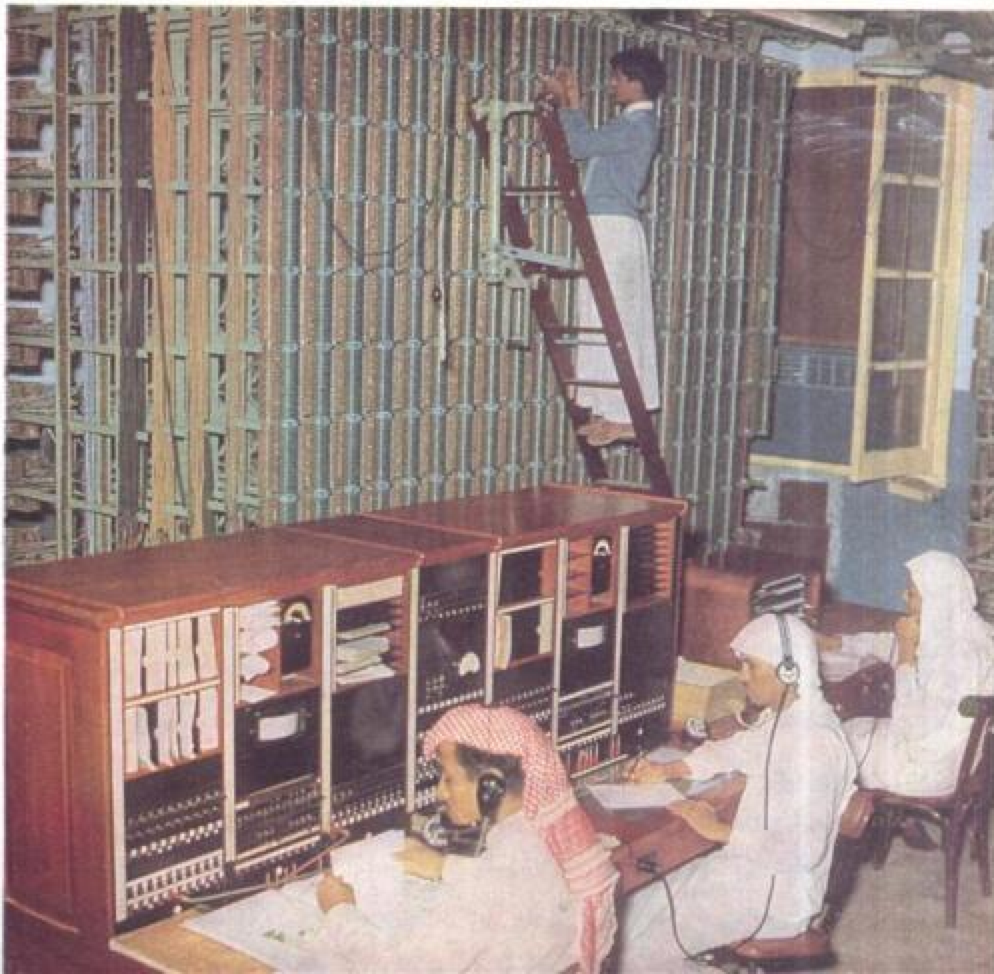
وعلى طريق مكة يوجد متنزه جميل اسمه متنزه واستراحة الكيلو ١٠ ، وفيه يقضى الجداويون وقتى الفراغ والعُطَل .

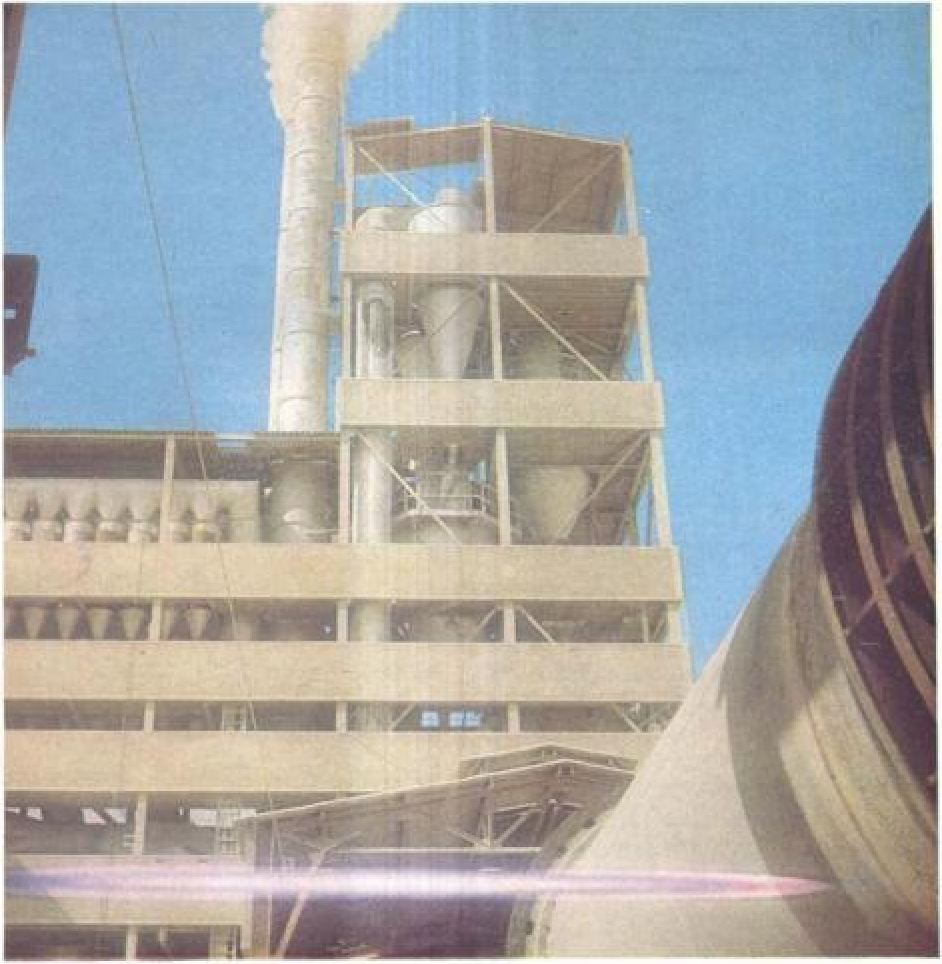
كذلك توجد منطقة على بعد ٣٢ كيلومترا الى الشمال من جدة - على طريق المدينة ، تعرف باسم أبحر ، وهي عبارة عن خليج داخل اليابسة



تعليم الطيران يبدأ بواسطة جهاز الطيران الآلي الأرضي حيث يدخل المتدرب هيكلا مثبتا على محور ويقود هذا الجهاز حسب تعليمات المدرب الظاهر في الصورة .

جهاز التجربة للخطوط الهاتفية الداخلية والخارجية بالنسبة لمدينة جدة ويحتوي السنترال الأوتوماتيكي على ٤٠٠٠ خط . وفي الصورة أيضا نرى موظفي الشكاوى والاستعلامات ساهرين على خدمة الجمهور .





مصنع الاسمنت ، والى اليمين الفرن الضخم الذى يحرق فيه مخلوط الحجر الجيري والطين لدرجة التسميت (حوالى ١٤٥٠ درجة مئوية) . وينتج هذا الفرن ٣٠٠ طن من الاسمنت المحروق يوميا .

مطار جدة الدولي ، وهو المطار الدولى الثانى فى المملكة السعودية والاول هو مطار الظهران . ولمطار جدة أهميـة كبيرة فى ربط جدة بالمواسم والمدن المهمة فى الخارج .



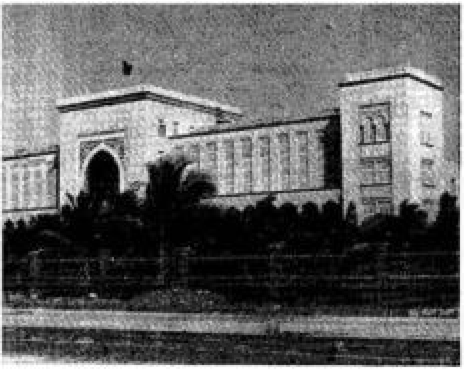
حوله بلاجات جميلة اقيمت فيها الفلات والشاليهات الخاصة لرواد تلك البلاجات .

الوزارات الموجودة فى جدة

اتخذت وزارتان من وزارات الدولة جدة مقرا لهما ، وهاتان الوزارتان هما الخارجية والاعلام .

وتمثل باقى الوزارات فى جدة بواسطة مندوبيات أو ادارات أو مديريات . وقد ذكرنا فى مقدمة هذا الاستطلاع أن جدة كانت تعرف بمدينة القناصل وهي المدينة التى ترفع فيها أعلام الدول الأجنبية الى جانب العلم السعودى . ولهذا كان مقر وزارة الخارجية فى جدة .

والاذاعة السعودية تذيع بثلاث لغات : العربية والاندونيسية والأردية،واللغتان الاخيرتان للبرامج الموجهة . ويستمر الارسال فى رمضان ١٣ ساعة و ٤٥ دقيقة . والى ما قبل سنة لم تكن الاذاعة تذيع الأغانى ، وقد حصل تطور فاصبحت برامج الاذاعة عامرة بالبرامج المختلفة من أغان وموسيقى وتمثيليات وقرآن واحاديث وأركان للمرأة والأطفال وغيرهما .



مبنى وزارة الخارجية فى جدة . وقد اتخذت هذه الوزارة جدة مقرا لها لأن جدة كانت قبل قرن وربع قرن ـ عند تعيين أول قنصل ـ هي المدينة الوحيدة فى المملكة العربية السعودية التى يسمح لغير المسلمين بدخولها ولهذا عرفت بمدينة القناصل ، ولهذا أيضا يطلق عليها البعض اسم العاصمة الدبلوماسية للمملكة السعودية .

ولما كانت اجتماعات مجلس الوزراء تعقد فى العاصمة الرياض فان وزيرى الخارجية والاعلام يتنقلان بين الرياض وجدة . ولوزارة الخارجية وكيل وزارة فى جدة وللاعلام وكيل وزارة أيضا فيها .

السفر

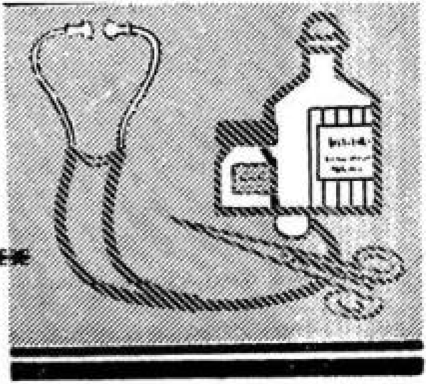
حان موعد السفر وأخذنا مقاعدنا فى الطائرة وجلسنا ننتظر الاقلاع ونحن نستمع الى الألحان الموسيقية والأغانى الشجية التى قطعها صوت المضيفة بقولها : « نرحب بكم على طائرتنا البوينج ٧٢٠ب المتجهة الى بيروت . ستطير الطائرة على ارتفاع ٣٢ ألف قدم بسرعة ٦٠٠ ميل فى الساعة ، وستصل الى بيروت بعد ساعة و٥٠ دقيقة » .

خلفنا جدة وراءنا رابضة فى سهول التهائم التى تمتد الى شرق سلسلة جبال الشراة : خلفنا جدة .. عروس البحر الأحمر والبوابة التى يتدفق منها الحجاج الى الأراضى المقدسة . ■■

سليم بسيسو



البوابة الرئيسية للقصر الملكي فى جدة المعروف باسم « قصر خزام » ويحيط بالقصر من جهاته الاربع سور مرتفع طوله يصل الى عدة كيلومترات ويقع القصر فىالجهة الجنوبية الشرقية من جدة .



طبيب الأسرة

عينى ترى بقعا وخيوطا فى السماء عائمة ؟

ـ كثيرا ما انظر فاجد فى مجال بصرى بقعا وقطعا من خيط سابحة غير مستقرة، فما سبب هذه البقع العائمة ، وهل هى تخيل ، وهل هى خطرة ؟

● ليس ما تراه خيالا ولكنه حقيقة واقعة . غير ان الذى تراه من اشياء تتراءى كالبقع وكالخيط ليس واقعا خارج عينك ، وانما هو فى داخلها .

وتفسير ذلك ان كرة العين تملؤها مادة كالهلام تعرف بالجسم الزجاجى او الرطوبة الزجاجية بالعين . وهى ليست من زجاج ، ولكنها فى شفافية الزجاج . وهى تقع بين عدسة العين ، والشبكية التى هى كالشاشة التى تقع عليها الصورة المرئية .

وهذا الجسم الزجاجي الشفاف تمر فيه الأشعة التى تأتى من العدسة فترتمى على الشبكية فتصنع الصور .

من اجل هذا قضت الضرورة بأن يكون شفافا

ولكن يحدث ان تتكوّن فيه مواد تعكّره ، فهذه هى التى انت تراها بقعا وقطعا من خيوط ، لا سيما وانت تنظر الى الضياء والى السماء ، لان ظلال هذه البقع تقع على الشبكية أوضح .

وهذه لا خطر منها . ولا علاج لها . وما دامت قليلة فهى لا تحجب البصر ، الا بمقدار وعيك لها واحساسك بها . ونصيحة الأطباء فى هذه الحالة دائما ان ينساها صاحبها ، وعند النسيان لا يكاد يحس بها .

الا بالطبع ان يكون تكونها بسبب مرض فى العين ، لا سيما عندما تظهر لصاحب العين بغتة . وفى هذه الحالة يستشار طبيب العين .

لبن الحمير ، يورث الغباء ؟

ـ كثيرا ما نجد من الناس من يصفون لبن الحمارة للمرضى ، بحسبان انه يشفى من بعض الأمراض . فهل هذا صحيح . وهل لبن الحمير يعطى شاربه ثخانة فى العقل وقلة فى الفهم ؟



● اما ان لبن الحمير به خواص خاصة به ، تشفى من الامراض ، فذلك أمر لم يدخل بعد فى دائرة البحث العلمى ، وتستطيع ان تجيب انت على ذلك بمقارنة

متوسط تحاليل الألبان الثلاثة الآتية ، وهى لبن الانسان ، ولبن الأبقار ، ولبن الحمير :

لبن الانسان :

الماء بالمائة	نسبة البروتين	نسبة الدهن	نسبة السكر
٨٧ر٥٨	٢ر٠١	٣ر٧٤	٦ر٣٧

لبن البقر :

الماء بالمائة	نسبة البروتين	نسبة الدهن	نسبة السكر
٨٧ر٤١	٣ر٤٠	٣ر٧٤	٤ر٧٠

لبن الحمير :

الماء بالمائة	نسبة البروتين	نسبة الدهن	نسبة السكر
٩٠ر١٢	١ر٨٥	١ر٣٧	٦ر١٩

من ذلك ترى الشبه القريب بين الألبان الثلاثة . وليس فى أحدهما شىء لا يوجد فى الآخر . وهى كلها لبناء الطفل: طفل الانسان ، أو طفل البقر ، أو طفل الحمير . فهى غذاء .

اما عن الغباء ، فلست أدرى أيهما اغبى ، الحمير أم البقر .

وانت تعلم ان اوروبا ، تغذى فيها اكثر الأمهات اطفالهن وتنميهم على لبن البقر . والطفل ينمو على لبن البقر وليس به شىء من ذكاء البقر او غبائه ! واحسب ما يجوز على البقر يجوز على الحمير .

قال الطبيب : ان قدمى رحاء .. ؟!

ـ احس بآلام فى قدمى . وقد رآنى الطبيب ، وبعد الفحص قال لى ان عندى ما يعرف بالقدم الرحاء . فارجو ان تفسروا لى ما هذه القدم الرحاء وما اسبابها ؟ ..

● طبيبك كان فى استطاعته أن يخفف عنك وصف ما بك فيقول لك ببساطة ان بقدمك انبساطا واستواء وفرطحة . وهذه هى المعانى التى تتضمنها لفظة القدم الرحاء . القدم

أريد أن أعطي بنك الدم من دمى

ـ اردت ان اعطى بنك الدم من دمى ، احتياطا لمرض قريب لى عزيز على . واخذوا عينة من دمى ، فوجدوها صالحة ، اعنى من نفس صنف دم قريبى . وبعد ذلك سالونى كم سنى . قلت ١٦ عاما . عندئذ رفضوا اخذ دمى ، مع انى نامية الجسم . فهل لاخذ الدم سن لا يجوز الا عندها ؟

نعم . ان اعطاء الدم عمل مجيد ، وهو ككل عمل مجيد ، نفعه متضمَّن فيه وعلى الفور وساعة ادائه ، ذلك الاحساس بالمساعدة على احياء نفس، لا سيما اذا كانت هذه النفس كالنفس التى وصفتها بأنها عزيزة

انطباعة القدم السليمة (أ) على الارض وانطباعة القدم المفرطحة (ب) على الارض . الاولى ارتفع قوسها فلم يمس الارض . والثانية انبطح قوسها فمست كلها الارض .





عليك . ولكن الاعطاء لا يكون الا عند المقدرة ، ومع الوثوق بأن ضررا ما لا يحدث للمعطي . والمعطي يعطي من دمه ، وجسمه سليم قادر ، فهو ما أسرع ما يصنع من الدم بدلا عما فقد. والسن عامل في ذلك . وقد جعلوا السن ١٨ سنة ، لا تقل عن ذلك ، لمن يعطي دما .

ولزيادة الفائدة نقول ان الدم يطلب للمريض الذي فقد جزءا من دمه . وبالطبع يصنع جسم المريض الدم مجددا ما فقد ، ولكنه لا يصنع الكفاية منه .

والرجل البالغ السليم يستطيع ان يعطي من دمه نحو رطل كل بضعة أشهر بدون اضرار بصحته ، لأن جسمه القوي السليم يعوضه عما فقد .

وجسم الانسان يحتوي على نحو جزء من ١٣ جزءا من جملة وزنه . فالشخص الذي وزنه ١٥٥ رطلا ، بجسمه نحو ١٢ رطلا من الدم .

الرحاء هي التي لا أخمص لها . وأظن هذه الكلمة تحتاج هي الأخرى الى شرح . والاخمص هو الجزء من أسفل القدم الذي لا يمس الأرض .

ولتفسير ذلك في سهولة نقول انك عندما تقف بقدمك المبتلة على البلاط فيبتل البلاط ، تجد ان جزءا منه ، هو المقابل لأوسط قدمك ، من الداخل ، لم يبتل ، وسبب ذلك ارتفاع هذا الجزء . فهذا هو أخمص القدم . والقدم عنده مقنطرة الشكل .

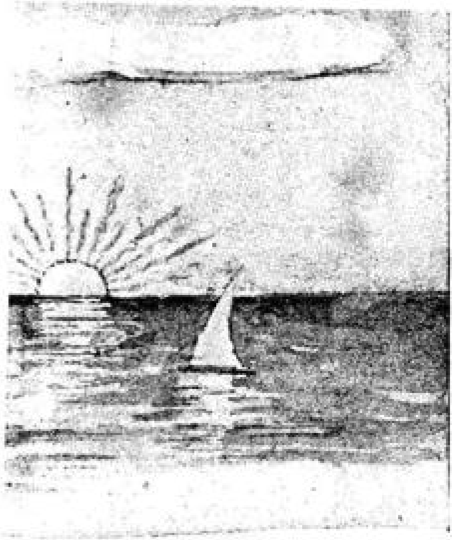
وهذه القنطرة هي نتيجة شد العضلات لروابط فيها ، تقنطر باطن القدم . وهذا هو الوضع الطبيعي للاقدام السليمة .

فاذا ضعفت هذه العضلات ، فارتخت الروابط ، هبط السقف الذي بأسفل القدم عند الوقوف ، ووقوع ثقل الجسم على الأقدام . وفي ذلك الم عظيم .

وهذه هي القدم المفرطحة او المنبسطة ، أو الرحاء . والرجل الذي يصاب بهذا يقال له ارح .

والداء يجب أن يلفت النظر من اول ظهور اعراضه ، لا سيما في الأطفال . وبالتغذية والفيتامينات ، والتدليك وبالرياضة يمكن تحقيق نفع كبير . فاذا اغفل الداء ، فهو اما أن تتجمد عليه القدم ، وعندئذ يصعب علاجه . واما ان يكون من النوع المعروف بالمرن ، وفيه يمكن للجراح أن يعمل الشيء المريح الكثير .

طبيبك خير ناصح في هذا .



حقيقة الجمال ماهي؟

الجمال يبدأ شعوراً محسوساً، ثم فكرة معقولة، ثم يتدر...

بقلم : الدكتور زكى نجيب محمود
استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

ما ايسر على الانسان ان يقف أمام الشيء فيقول : **الله، ما أجمله!** يقول ذلك عن السماء لمعت انجمها فى الليلة الظلماء، ويقوله عن البحر اصطخب فيه الماء او سكن ، وعن الشمس مشرقة وغاربة، وعن الجبل والزهر. ثم يقوله عن فاتنات النساء ، وعن روائع الأدب وبدائع الفن، وعن الوف الألوف من مخلوقات الله وعن مصنوعات الانسان ، نعم ما ايسر على الانسان ان يقول عن هذه الأشياء كلها انها ((**جميلة**)) ، تروعه بفتنتها .

حيرة المتسائل فى الجمال

حتى اذا ما عن له ــ كما يعن للفلاسفة عادة ــ ان يسال نفسه **ماذا يكون فى الشيء عندما يكون الشيء جميلا ؟** فعندئذ تراه فى حيرة لا يدرى من حقيقة الأمر شيئاً، الا ان يطيل الوقوف ويطيل التحليل . فما هو باليسير عليه ولا على الفلاسفة انفسهم ، ان يقع او يقعوا على الصفة التى

لا بد من توافرها فى هذه الألوف من مختلف الأشياء التى يقال انها **((جميلة))**، اذ ما دمنا نطلق هذه الكلمة الواحدة لتصف هذه الأشياء كلها بالجمال ، فلا بد ان يقابل تلك الكلمة الواحدة جانب واحد مشترك يدخل فى طبيعة كل ما هو جميل : السماء ، والبحر ، والشمس ، والجبل ، والزهر ، والغادة الفاتنة ، ولوحة المصور ، وقصيدة الشاعر !! فماذا عسى ان يكون **هذا الجانب** الواحد المشترك بين امثال هذه المختلفات ؟



فوق ذلك درجات في سبيل الخير، في سبيل الكمال، في سبيل الله

الجمال فى محاورات أفلاطون

لعل افلاطون أن يكون فى مقدمة الفلاسفة الذين طرحوا هذا السؤال على أنفسهم ليحاولوا عنه الجواب المحكم الدقيق . طرحه أفلاطون فى مواضع كثيرة من محاوراته ، لكنه اختص به محاورة بأكملها ، هى محاورة « هيباس الكبير » : بدأ سائل بقوله ان الأشياء الجميلة انما توصف بالجمال لشىء فيها ، فما هو ؟ ثم مضى الحوار على الطريقة الافلاطونية المعروفة ، فيجيب مجيب عن السؤال المطروح ، لكن اجابته سرعان ما يتبين فيها شىء من عدم الدقة ، ويظل المتحاورون يدخلون على العبارة تعديلا فى أثر تعديل حتى يستقيم الأمر ويتضح .

الأشياء جميلة ، بسبب شىء مشترك مجسم فيها

وكان أول ما لفت أنظار المتحاورين فى هذه الحالة ، هو ضرورة أن تكون هنالك حقيقة « واحدة » هى التى نراها متمثلة فى هذه الأمثلة الكثيرة من الأشياء « الجميلة » . فمهما تعددت هذه الأشياء ، فهى جميعا تشارك فى فكرة واحدة ، أو فى صفة واحدة . كأفراد الأسرة ينتمون جميعا — على اختلاف افرادهم — الى أم واحدة . فالفرس الجميلة ، والقيثارة الجميلة ، والانسان الجميل (وهذه هى الأمثلة نفسها التى ساقها أفلاطون فى محاورته المذكورة) كلها — على بعد ما بينها من اختلاف — تنتمى الى أسرة واحدة هى أسرة « الجمال » ، فهل يكون ذلك الا أن تكون هذه الأشياء كلها مجسّدة لفكرة واحدة وان اختلفت المادة المجسدة فى كل حالة ؟

الأشياء تتفاوت جمالا ، بنسبة ما فيها من عامل الجمال المشترك

ولكن هل يكون معنى ذلك أن هذه الأشياء الجميلة كلها على درجة سواء من الجمال ما دامت كلها تجسّد فكرة بعينها ؟ كلا ، فنظرة سريعة تكفى للدلالة

على أن الجمال فيها درجات تتفاوت بتفاوتها فى قسطها من الحقيقة التى تجسدها . فما من شك فى أن الفتاة الجميلة والفرس الجميلة لا تقاس اليهما القيثارة والاناء فى جمالهما . وها هنا يستشهد سقراط (فى المحاورة) برأى ينسب الى هرقليطس ، وهو أن أجمل القردة قبيح اذا قورن بالانسان . فيستطرد هبياس قائلا : **وكذلك أجمل الأوانى قبيح اذا قورن بفتاة جميلة . ثم هكذا يقال فى أجمل الفتيات اذا قورنت بالآلهات .**

جمال الشىء لا يرد الى نفاسة المادة التى صنع منها

ترى ما هو ذلك الشىء الذى تسهم فيه الأشياء الجميلة بأنصبة متفاوتة ؟

أيكون مرد الأمر الى نفاسة المادة التى هى قوام الشىء الجميل ؟ وعندئذ يكون ما صنع من ذهب « **أجمل** » مما صنع من نحاس أو من خشب أو من حجر ؟ كلا ! فنظرة سريعة أخرى تبين أن حجر التمثال قد يكون أجمل من أى شىء آخر صنع من الذهب ، وها هو ذا فدياس يصنع تمثالا رائعا لأثينى ، فيقد العينين من الحجر ، وكان فى مستطاعه أن يصوغهما عاجا ، فهل يقال : انه لو صاغهما من العاج لكانتا أجمل منهما وهما من الحجر ؟

أيكون الجمال ملاءمة الشىء لما أريد منه أداؤه ؟

لا ، ان نفاسة المادة لا شأن لها بجمال الشىء المصنوع منها ، واذن فننتقل الى فرض آخر ، **أفيكون مرجع الجمال الى ملاءمة المادة لما أريد منها أن تؤديه ؟**

وبهذا تكون كل مادة جميلة اذا ما وضعت فى موضعها الصحيح ، فالذهب جميل فى موضعه الملائم ، كما أن الحجر جميل فى موضعه الملائم ، وهكذا ؟ ـ انه لو كان الأمر كذلك وكفى ، لكان جمال الشىء ليس نابعا من طبيعته ، بل كان جماله مرهونا بما ليس منه ، كما تكسو الرجل الدميم بثياب جميلة ، ثم نقول ها هو ذا قد أصبح رجلا جميلا ، ما دام محوطا بمحيط جميل ! ان اجابتنا عن حقيقة الجمال لا تكمل الا اذا كان الجميل جميلا مَخْبرا ومظهرا فى آن معا .

ثم أيكون جمال الشىء بسبب ما فيه اكتمال نفعه ؟

لكننا نعود الى فكرة ملاءمة الشىء للعمل الذى أريد له أن يؤديه ، فنقف وقفة قصيرة حيالها ، لنسأل: أيكون جمال الشىء كائنا فى نفعه ، وعندئذ يكون الجميل هو النافع والنافع هو الجميل ؟ ألا انها لفكرة تستحق النظر ، لأن الأمثلة على صوابها كثيرة .. فالعين الجميلة لا تكون عمياء ، أى انه اذا ما عجزت العين عن أداء ما جاءت لتؤديه استحال عليها فى الوقت نفسه أن توصف بالجمال . وكذلك قل ان الجسم الجميل هو الجسم الخفيف الحركة القوى القادر . وكذلك قل أيضا فى عالم الحيوان : اذ ماذا يكون الحصان الجميل الا أن يكون هو الحصان الذى توافرت فيه الصفات المطلوبة من سرعة وقوة . وقل هذا نفسه أيضا فى الأشياء بعد أن قلناه عن الانسان والحيوان : فالعربات والسفن وآلات العزف وغيرها لا توصف بالجمال الا لحسن أدائها لوظائفها . بل قل هذا نفسه عن التنظيم وطرائق العيش ، كالنظم السياسية ونظم التعليم وأوضاع الحياة العملية من تجارة وصناعة وزراعة وغيرها ، تجد كل شىء « جميلا » اذا هو أدى الى الغاية منه خير أداء ـ ولو صح هذا كله لصح أن نقول ان جمال الشىء هو نفعه وملاءمته لوظيفته ، فالقدرة جمال والعجز قبح ، والمعرفة جمال والجهل قبح ، والقوة جمال والضعف قبح ، والصحة جمال والمرض قبح .

مجرد الأداء لا يكفى ، لأنه وسيلة وغاية

لكن المتحاورين فى محاولات افلاطون سرعان ما يتنبهون الى أن الأداء مجرد الأداء لا يكفى ، اذ قد يؤدى الشيء سوءا وشرا ، أفنقول عندئذ انه جميل ؟ كلا ، فلا بد ان يضاف شرط هام ، وهو أن يكون الشيء قادرا على اداء ما هو خير لكى يستحق أن يوصف بالجمال . غير اننا هاهنا بازاء طرفين ، هما : الشيء الذى هو أداة ، ثم الفعل الذى يؤديه ، أى اننا بازاء علة ومعلول ، فهل نطلق كلمة الجمال على الطرفين معا وفى وقت واحد ؟ اننا لو فعلنا لوقعنا فى خلط فكرى يدمج جانبين مختلفين فى شيء واحد ، واذن فلا بد أن تبقى من الطرفين على أحدهما دون الآخر ، ولا مندوحة لنا أن نبقى على الغاية لا على وسيلتها ، والغاية هى ــ كما قلنا ــ الخير المرتجى لبلوغه عن طريق تلك الوسيلة ، واذن فالخير فى ذاته هو نفسه الجمال .

ثم ما بال الأحاسيس ، ومتعتها بالشيء الجميل ؟

على ان هذه النتيجة قد بدت للمتحاورين كأنما هى تتجاهل عنصرا هاما فى الأشياء « الجميلة » وهو المتعة الحسية التى يستمتع بها من يرى الجميل أو يسمعه أو يلمسه أو يتصل به بأية حاسة أخرى غير البصر والسمع واللمس ؟ فما من شك فى ان التذاذ حاسة معينة فى كل حالة من حالات الجمال هو جانب من الموقف لا يجوز تجاهله واهماله عندما نبحث عن طبيعة الجمال ؟ والا فهل يجوز ان اتجاهل استمتاع الأذن «بالصوت» فى الموسيقى ، والعين « باللون » فى التصوير ؟ هل يجوز أن أغض النظر عن متعة « الحواس » بالتمثال الجميل وبالشعر المنظوم وبالقصص بروكى فيشتن ؟.. أقول ان المتحاورين فى حقيقة الجمال كان لا بد لهم أن يتنبهوا الى هذه المتعة الحسية فيفسروها على ضوء النتيجة التى انتهوا اليه ، وهى أن الجمال هو نفسه الخير .

فكان لا بد لهم بادىء ذى بدء أن يفرقوا بين لذاذات الحواس المختلفة،لأن لذة الطعام والشراب والجنس لاتجعل من هذه الأشياء أشياء «جميلة»، ولأن الحاستين الوحيدتين اللتين لا تتعارض اللذة فيهما مع الجمال، هما حاستا البصر والسمع ، فبالبصر نشهد المناظر الجميلة فى الطبيعة وفى الفن على السواء ، وبالسمع نسمع الأصوات الجميلة فى الطبيعة وفى الفن على السواء كذلك .

الجمال مزاوجة بين المتعة والفائدة

ولكن هل يكون المرئى جميلا لأنه مرئى بالعين ، والمسموع جميلا لأنه مسموع بالأذن ؟ اننا لو أجبنا بالايجاب لكنا بمثابة من غض النظر عن أهم مشكلة فى الموضوع كله ألا وهى ما هو الجانب «المشترك» بين المرئى والمسموع ، الذى جعلهما معا يندرجان فى مجموعة واحدة يطلق عليها اسم واحد ، هو اسم « الجمال » ؟ انه لا مفر من الاعتراف بأن مصدر الجمال « المشترك» بين البصر والسمع ، لا بد أن يكون شيئا غير البصر والسمع ، شيئا وراءهما يتخذ من البصر وسيلة كما يتخذ من السمع وسيلة ، وذلك الشيء لا يكون الا«الخير». أو ان شئت كلمة أدنى الى أفهامنا اليوم فقل هو « النفع » أو « الصلاحية » أو الزيادة من لياقة الانسان للقيام بوظائفه الحيوية بحيث يصبح انسانا أكمل .

وبهذا يتحدد معنى الجمال بالمزاوجة بين المتعة والفائدة ، فلا الذى يمتع بغير فائدة ذو جمال ، ولا الذى يفيد بغير متعة بذى جمال ، بل لا بد من اجتماع الجانبين معا ، على أن يفهم من « الفائدة » معنى « الخير » بكل ما تدل عليه هذه الكلمة من سمو وكمال .

كيف تستخدم الفكرة الأفلاطونية فى تقويم مظاهر الجمال

هــــذا هـــو رأى شيخ الفلاسفــة ــ افلاطون ــ فى حقيقة الجمال ، كما ورد فى محـاورته « هيباس الكبير » ، وانى لأوثر الا أقف بك عند حد الفكرة وسردها فذلك ان أفاد من الناحيــــة العقلية الصرف ، فجدواه قليلة من ناحية الذوق الفنى وغرسه وتدريبه ، فكيف تستخدم هــذه الفكـرة الأفلاطونية فى تقويمك لمظاهر الجمال على اختلافها ؟

كيف تصنع وانت بازاء شيء جميل ، يُرى

انك ـ فيما ارى ـ لتحسن صنعا ، وانت بازاء شيء جميل ـ فى الطبيعة او فى الفنون ـ اذا انت ارتفعت فى موقفك عندئذ درجة فى اثر درجة ، فتبدأ أول الأمر بامتاع الحاسة المعنيّة بالجانب الحسى الظاهر من ذلك الشيء الجميل ، فان كان منظرا ـ فى الطبيعة أو فى الفن ـ فاملأ بصرك بادىء ذى بدء بأطياف اللون كما تقع على حاسة البصر ، ولا تتعجل هذه الخطوة لأنها اساسية وهامة ،حاول ان تمعن النظر فى شتى درجات اللون ، وستجدها تعَدّ فى المنظر الواحد بالمئات ولا اقول بالعشرات او بالآحاد ، ثم حاول ان تدرك ما بين تلك الدرجات اللونية من تشابك وامتزاج ، حتى اذا ما امتعت حاسة البصر بما انت حياله من بناء لونى ، اخذت بعد ذلك تنظر ـ بعين العقل هذه المرة لا بعين الجسد ـ تنظر الى ما قد يؤدى اليه هذا المنظر الذى امامك من فكرة وراءه ، فانت عندئذ لم تعد تنظر الى الجزئية الواحدة التى امامك على أنها غاية فى ذاتها، تقف عندها ولا تنفذ خلالها ، بل تنظر اليها على انها احد الأمثلة الكثيرة التى جاءت لتجسّد فكرة بعينها ، فليست هى بذات قيمة جمالية الا اذا أوصلتنى بواسطة التأمل العقلى الى مستوى اعلى من مستواها ، اى الى المستوى المعقول الذى هو اعلى درجة من مستواها المحسوس . ولو استطعتُ هذا الصعود فى مدارج عن طريقها ، ازددتُ لها تقديرا بقدر ما تمكننى من أن اجاوزها والا اقف عندها مكتفيا بها .

والى هنا تكون قد نظرت الى المنظر على بعدين : البعد الحسى ، والبعد العقلى .

ثم ماذا ؟

ثم تحاول بعد ذلك أن تنظر الى الفكرة العقلية التى وصلت اليها ، لا على انها نهاية الطريق،بل على أنها بدورها مرحلة وسطى ، اتخطاها الى ما هو اعم منها فى مدارج الافكار ، ثم الى ما هو أعم ، وهكذا دواليك حتى تبلغ القمة العليا فى الصعود ، وما تلك القمة العليا ـ عند افلاطون ـ الا الخير ، لانه اذا كان العالم كله مستهدفا فى سيره هدفا ، فانه انما يستهدف ما فيه كماله بعد نقص ،وهذا الكمال المنشود هو الخير فى لغة افلاطون. وتستطيع ان تقول عنه انه هو الله اذا اردت لغة اخرى اقرب الى الفهم . فتأمَّلْ الجمال الذى يبدأ ـ كما رايت ـ من مشهد مرئى بالعين ، ينتهى بالتأمل الى حالة من الشهود الصوفى ، الذى شأنه ان يرفع الانسان الى اعلى درجات الكمال .

كيف تصنع وانت بازاء شيء جميل يُسمَع

واضرب لك مثلا تطبيقيا آخر بشيء « مسموع » بعد ان ضربت لك مثلا بشيء « مرئى » . فافرض أن الشيء الجميل الذى أنت بازائه هو قصيدة من الشعر ـ ولتكن قصيدة أبى العلاء : « غير مجد فى ملتى واعتقادى ، نوح باك ولا ترنم شاد » الخ ـ كيف اتذوقها مستعينا بالرأى الأفلاطونى الذى بسطته لك عن حقيقة الجمال ؟

تبدأ بالمركَّب الصوتى الذى تتلقاه الأذن من تلاوة القصيدة بصوت مسموع،

ومرة اخرى أوصيك الا تتعجل هذه المرحلة من مراحل الطريق،لأنها اساسية وهامة . فأنصت الى كل نبرة صوتية تأتيك من كل حرف منطوق ، حتى تملأ سمعك بالنبأ الصوتى كله كيف تتشابك نبراته على تأليف مركب موسيقي واحد. حتى اذا ما فرغت من هذه المرحلة الحسية ، كنت بمثابة من جاوز عتبة الدار ، لا ليقف عندها ، بل ليوغل صاعدا فى طبقاتها العليا . فها هنا تصعد من مستوى « المحسوس » الى مستوى « المعقول » ، اعنى أن تحاول ادراك الفكرة التى جاءت هذه القصيدة لتجسدها ، فكأنما هذه القصيدة اداةمن ادوات كثيرة غيرها ، مهمتها أن توصلنا الى ادراك فكرة بعينها .

واحسب ان الفكرة التى نصل اليها وراء السطح الصوتى فى هذه القصيدة، هى حيادية الحقيقة الكونية الكبرى حيال عواطف الانسان على اختلافها ، فبكاء الباكي وترنيم الشادى كلاهما عند الحقيقة الكونية ـ وان شئت فقل عند العلم الطبيعى ـ موجات من الصوت تقاس اطوالها وترسم مساراتها وتحسب سرعاتها وهكذا ، واما ان يكون بعضها متبطنا بحزن وبعضها الآخر مُبطّنا بسرور ، فذلك شيء يرد فى حياة الانسان الخاصة ، ولا يرد فى الحقيقة الكونية الموضوعية الخارجية التى فى خضمها تنطمس معالم الافراد ، وان القصة لتؤكد هذه الفكرة فى صور متلاحقة ، فصوت النعيِّ وصوتُ البشير كلاهما «صوت» لا أكثر ولا اقل، وهديل الحمامة على غصنها « صوت » كذلك ، ربما سمعته انت فخلعت عليه من عندك بطانة عاطفية فتقول انه بكاء او انه غناء ، واما عند الحقيقة الكونية فلا هو هذا ولا ذاك ، ولكنه « صوت » وكفى ، والصوت من ظواهر الطبيعةالتى يضبط العلم قوانينها .

بعد مستوى الحس ، ومستوى الفكر، نصعد الى آخر الشوط : الكمال

وصلنا اذن الى مستوى « فكرى » بعد المستوى « الحسى » فى قراءتنا لقصيدة ابى العلاء .

ثم ماذا ؟

ثم نمضى فى الطريق نفسها ، فلا نترك الفكرة التى بلغناها متوحدةمعزولة كأنما هى صخرة فى فلاة ، بل ننظر فى صلاتها بغيرها من الأفكار ، صاعدين من تخصيص الى تعميم ، حتى نبلغ آخر الشوط ، وهو دائما ـ عند افلاطون ـ حالة الكمال التى يسعى اليها الكون بكل ما فيه من متناقضات ظاهرة ومن جزئيات ماضية عابرة .

اننا بهذا الصعود من المستوى الحسى اولا ، الى المستوى العقلى ثانيا ، ثم الى المستوى الخلقى ثالثا ، نكون قد اعتصرنا كل ما نستطيع أن نعتصره من جمال فى الشيء الجليل الذى ننظر اليه نظرة متفوقة عميقة، نهتدى فيها بالفكرة الافلاطونية عن حقيقة الجمال .

وانى لأعلم اننى بمحاولة التطبيق ربما اكون قد بعدت قليلا او كثيرا عن الفلسفة الافلاطونية بمعناها الذى يعرفه الدارسون فى قاعات الجامعات ، لكن شفيعى فى ذلك هو أن أزيد من القدرة على « تذوق » الجمال عند القارىء،الى جانب الزيادة من حصيلته « العلمية » المجردة .

ومَوعدنا مقالات اخرى ، نبسط فيها مذاهب اخرى فى حقيقة الجمال . ■■

زكى نجيب محمود



خير دعاية

عن جريدة « الاهرام »

● أفضل الدعايات اطلاقا الدعايات غير المباشرة ، ذلك أنها تتسلل الى العقول والقلوب بلا استئذان وتأتى فى العادة بأطيب الثمار . ولنأخذ مثلا السياحة انها وسيلة من وسائل الدعاية غير المباشرة التى تجلب عطف السائح على البلد الذى يزوره وبالتالى على قضايا هذا البلد . فبالسياحة استطاعت ايطاليا ان تكسب عطف العالم بعد ان ظل ساخطا عليها منذ ان استولت جيوش الدوتشي على اثيوبيا قبيل الحرب العالمية الثانية . وقد اثبت الشعب الايطالى ـ عمليا ـ لزواره الذين يعدون بالملايين انه يكره العنف وأنه مسالم بطبيعته محب للفنون على اختلاف انواعها . وبالسياحة كذلك بدأنا نأسر قلوب زوارنا بحيث استطعنا أن نمزق الصورة المشوهة التى حاولت الصهيونية ومن يدور فى فلكها رسمها عنا وتقديمها للعالم .

كما استغلت الصهيونية القصص السينمائية أحسن استغلال للدعاية لقضيتها ويمكننا نحن بوساطة مؤسساتنا السينمائية ان ننزل الى هذا الميدان بعد ان أصبح لدينا من الامكانيات ما يساعد على تحقيق اهدافنا .

وبعد ، فان الدعاية لا تأتى بنتائج طيبة الا اذا احسن تنسيقها . وانا على ثقة من ان اجهزة الاعلام العربية ستتولى تنسيق الدعاية فى البلاد العربية شأنها فى ذلك شأن القيادة العسكرية المشتركة .

سلاح الدعاية اصبح اليوم امضى من القنابل والصواريخ ، بدليل انه كسب عددا من المعارك دون ان تراق قطرة واحدة من الدم .

رسـ

عن مجلة « الفكر » ـ تونس

● توجه الكاتبة الوجودية « سيمون دى بوفوار » فى الجزء الثالث من يومياتها الذى هو بعنوان « الأشياء » ، اللوم الشديد على بعض المفكرين ـ وخاصة مالرو ، الكاتب الشهير والوزير فى حكومة فرنسا ـ الذين قبلوا بعض « الوظائف » السياسية وانبروا يشيدون بفلسفة الحكم الذى يتحملون مسؤوليته ، ملاحظة ان « وظيفة » الكاتب او رجل الفكر انما هى « الشهادة » على ما يجرى حوله ، وتقويم الرجال والأشياء وتسليط الأضواء على هذه « المغارة الظلماء »

اللغة العربية فى الجزائر العربية

عن جريدة الجماهير ـ اللسان المركزى لجبهة التحرير الوطنى الجزائرية

● اللغة العربية فى بلادنا . جزائرناالعربية ، تندب حظها من تصرفات بعض الناس ، حيث تكثر الأخطاء فى كل مانشاهده مكتوبا بالعربية فى الشوارع ، والواجهات،والمطاعم والمقاهى والدكاكين،وما يصدر عن الادارات الرسمية .

ولكن اذا وجدنا عذرا للشعب فيمايكتب بالعربية ، فهل يمكن ان نجد للادارات الحكومية مثل هذا العذر ؟بالتاكيد لا ، لأنها اول من يجب أن يعتنى باللغة العربية من جهة ، ولأنها يجب أن تؤكد طابعها الرسمى من خلال كل ما يصدر عنها من جهة اخرى ، هذه هى نظرة جميع الناس ، الى كل ما يأتى من الجهات المسؤولة .

ولكن يبدو أن الادارة لاتعتقد ولا تؤمن بهذه النظرة ، ولذلك نجد مثلا البلدية تكتب «الأمم المتحيدة» بدلا من «المتحدة» وشارع محمد « اخميستى » بدلا من « خميستى »، الخ وهناك غلطات فادحةاخرى ، نشاهدها فى كل مكان ، ونقراها فى مناسبات مختلفة ، ان الارتجال وعدم الشعور بالمسئولية فيما يصدر من الادارات الحكومية فى هذا المجال ، سوف يجعل حكم الناس عليها قاسيا .

فى الجزائر آلاف ممن يتقنون اللغة العربية فما الذى يضر البلدية لو طلبت من اى متعلم بالعربية أن يصحح لها ، أويكتب لها ما تشاء باللغة العربية . ان الدول الأجنبية لا تقع اطلاقا فى مثل تلك الغلطات عندما تصدر اى شىء بالعربية ، فما أحرانا نحن باحترام لغتنا !؟

...ل الفكر

ـ على حد قول افلاطون ـ التى هى مجتمعنا اليوم ! . . . ثم تستثنى رجال الفكر والمثقفين فى البلاد النامية ، خصوصا اذا أعوزت هذه البلادالاطارات الكفئة .

والمسالة من الاهمية بمكان .

وفى راينا أن الواجب والوفاء لأسمى معانى « الفكر » يقتضيان رجل الفكر أن يعمل عملا كاملا ، صادقا ، بالفكر واللسان والجوارح، من اجل تجسيم ما يراه الحق والخير والجمال والعدالة، وكل القيم التى هى حلم البشر ، والتى « يسبق » المفكر معاصريه فى ادراكها وتشخيصها بعد أن « يصدمهم » بنقد ما جف وجمد من المعانى الموروثة والتصورات الجماعية السلبية ، سواء انتسب الى بلاد متخلفة او متقدمة .

فالمثقف اذن معول يحطم الأصنام ، وصوت مجلجل يوقظ الضمائر ، ونور يهدى الى سواء السبيل ، ثم هو جندى يساهم فى العمل من أجل الغد الأسعد والعالم الأفضل.

على هذا الأساس تلعب النخبة دورها التاريخى ، وتجتنب الانزوائية العميقة والثورية والفوضوية ، وتكون فى طليعة القوى المحركة للتاريخ،السائرة بالبشرية الى غدها المشرق وربيعها الزاهر .

العبّاس بن الأحنف

«لولا أنه أحذق الناس وأشعرهم، ما استطاع أن يكثر ويجيد في فنّ واحد، هو النسيب، فلا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب من شعره» الجاحظ

● شهد له معاصروه، ومنهم بشار، وأخذ عنه لاحقوه، كالبحتري، والمتنبي والشريف الرضي ومهيار

بقلم: الدكتورة عاتكة الخزرجي
الاستاذة بكلية التربية - جامعة بغداد

■ لقد كان لشعر العباس بن الأحنف صدى في آذان معاصريه على اختلاف طبقاتهم، ولا شك ان لرقته وموسيقاه وطرافة موضوعه أثرا في اقبال الناس جميعا عليه، خاصتهم وعامتهم.

رأى الصولى في العباس

وكان أدباء العصر يعنون به ويجلونه ويقدرونه حق قدره، وعلى رأسهم ابن أخته الكاتب الشاعر ابراهيم بن العباس الصولى، وحسبك أن تقرأ له قوله فيه:

« ما سمعت كلاما محدثا أجزل في رقة، ولا أصعب في سهولة، ولا أبلغ في ايجاز من قول العباس بن الأحنف:

تعالى تجدّد دارس العهد بيننا
كلانا على طول الجفاء ملوم
أناسية ما كان بيني وبينها
وقاطعة حبل الصفاء ظلوم ؟!

رأى بشار في العباس

ولعل من المفيد أن نروى لك هنا رواية تؤكد اعجاب بشار شيخ المدرسة الغزلية في عصره ببعض شعر العباس الفتى حينئذ.

يروى لنا الخطيب البغدادي أن بشارا أنشد قول العباس بن الأحنف أول ما قال الشعر:

لما رأيت الليل سدّ طريقه
عنّي وعذّبني الظلام الراقد
والنجم في كبد السماء كأنه
أعمى تحيّر، ما لديه قائد



فى المِيزَان

ناديت من طرد الرقاد ، بنومه
عمّا ألاقى ، وهو خِلْوٌ هاجد

قال : قاتل الله هذا الغلام ! ما رضى أن يجعله اعمى حتى جعله بلا فائد ! .

واللاحظ ان بشارا يدعو العباس تارة بالفتى واخرى بالغلام لا استخفافا به ، بل للفارق بينهما فى السن .

ويحدثنا صاحب الأغانى على لسان الصولى أنَّ أبا العتاهية قال : « ما حسدت أحدا الاَّ العباس ابن الأحنف فى قوله :

اذا امتنع القريبُ ، فلم تنله
على قرب ، فذاك هو البعيد

فانى كنت اولى به منه وهو بشعرى أشبه منه بشعره » .

العباس وابن بشار

ولعل خير ما يترجم لنا حسد الناس للعباس على سيرورة شعره ، الرواية التى تنقل لنا من ان محمد بن بشار بن برد لقى عمر بن شبة وهو ينقل شعر العباس فما لبث أن قال له :

« والله لن اروى لك شعر أبى وانت تكتب هذا .. !! »

العباس والأصمعى

اما الأصمعى فانه يشهد للعباس بين الحين والحين بالبراعة على الرغم مما كان بينهما من خصومة . فهذا صاحب الأغانى ينقل أنه : «قيل للاصمعى ما أحسن ما تحفظ للمُحْدَثين ؟ قال : قول العباس بن الأحنف :

لو كنتِ عاتبةً لسكّن لوعتى
أملى رضاك ، وزرتُ غيرَ مراقب
لكن مللتِ فلم تكن لى حيلة
صدُّ الملول خلاف صد العاتب

وفى رواية اخرى ان الأصمعى انشد للعباس بن الأحنف :

أتأذنون لصب فى زيارتكم
فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يُضمر السوءَ ان طال الجلوس به
عفُّ الضمير ولكن فاسق النظر

فقال : « ما زال هذا الفتى يدخل يده فى جرابه فلا يخرج شيئا حتى ادخلها فاخرج هذا .. ومن أدمن طلب شىء ظفر ببعضه ! » .

العباس وابن الضحاك

والحسين بن الضحاك يشهد له تارة بالايجاز فى قوله :

لعمرك ما يستريح المحب حتى يبوح بأسراره
فقد يكتم المرء أسراره فتظهر فى بعض أشعاره

واخرى بالابداع فى قوله :

الحب أملك للفؤاد بقهره
من أن يرى للستر فيه نصيب
واذا بدا سر اللبيب فانه
لم يبد الا والفتى مغلوب

ودعبل يصرح انه لا يعرف أحسن من شعر العباس فى الشعر :

هى الشمس مسكنها فى السماء
فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود
ولن تستطيع اليك النزولا

اما اسحق الموصلى فكان يقدمه علي ابى العتاهية بالرغم من علمه أن الرشيد يفضله عليه وكان يستظرف أبياته فى السهد :

قفا خبراني أيها الرجلان
عن النوم ، ان الهجر عنه نهاني
وكيف يكون النوم أم كيف طعمه
صفا النوم لى ان كنتما تصفان

وابياته التى اولها :

أبكى ومثلى يبكى من حب جارية
لم يترك الله لى فى قلبها لينا

رأى الجاحظ فى العباس

وبعد ان نقلنا لك صورة موجزة من اعجاب معاصريه به لا بد لنا أن نعرف رأى مؤرخى الادب القدامى فيه .

وحسب العباس فخرا أن الجاحظ شهد له بما نصه :

« لولا أن العباس بن الاحنف احذق الناس واشعرهم وأوسعهم كلاما وخاطرا ما قدر ان يكثر شعره فى مذهب واحد لا يجاوزه لانه لا يهجو ولا يمدح ، ولا يتكسب ولا يتصرف ، وما نعلم شاعرا لزم فنا واحدا لزومه فاحسن فيه واكثر » .

وقد لا يكتم الجاحظ اعجابه ببعض أبيات العباس .

وينقل لنا فى كتابه « البيان والتبيين » اقبال الرواة على شعر العباس بما نصه :

« وقد أدركت رواة المسجديين والمربديين ... ولقد شهدتهم وما هم على شىء أحرص منهم على نسيب العباس بن الأحنف » .

وفصاحة شعر العباس استحوذت على اعجاب الأعراب . واستشهد به النحاة من امثال ثعلب ، وشهدت له طائفة من العلماء والفقهاء والفلاسفة من أمثال ابن الاعرابى والزبير بن بكار وسلمة بن عاصم وابن عائشة والكندى :

« ولم تزل العلماء تقدمه على كثير من المحدثين ولا تزال قد ترى له الشىء البارع جدا حتى تلحقه بالمحسنين » .

والمبرد ، وأبو الفرج ، والثعالبى ..

وحسبك أن تعلم أن أبا العباس المبرد « قدمه فى كتاب الروضة على نظرائه ، واطنب فى وصفه وقال : رأيت جماعة من الرواة للشعر يقدمونه » كما يروى لنا أبو الفرج فى أغانيه .

وابو الفرج نفسه يشهد أن العباس « شاعر مطبوع » و « له مذهب حسن ، ولديباجة شعره رونق ، ولمعانيه عذوبة ولطف » .

والثعالبى ينقل لنا على لسان واحد من رواته هذه الشهادة : « سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف :

وصالكم هجر ، وحبكم قلى
وعطفكم صد ، وسلمكم حرب
وأنتم بحمد الله فيكم فظاظة
وكل ذلول من مراكبكم صعب

فقال : هذا والله أحسن من تقسيمات اقليدس » .

والبحترى والعباس

وبعد ان عرضنا عليك هذه النخبة من آراء طائفة من العلماء والفقهاء والفلاسفة فلا بد لنا أن نعرض عليك شهادة الشعراء .

فالبحترى ـ وهو عندنا تلميذ العباس كما سترى ذلك فيما بعد ـ يرى أن العباس « أغزل الناس واغزل شعره قوله :

أحرم منكم بما أقول وقد
نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأنى ذبالة نصبت
تضىء للناس وهى تحترق

وابن المعتز الخليفة الشاعر

وهذا عبد الله بن المعتز الشاعر الخليفة يعجب بالعباس الى حد يقول فيه : « لو قيل ما أحسن شيء تعرفه لقلت شعر العباس بن الأحنف :

قد سحّب الناس أذيال الظنون بنا
وفرّق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذبٌ قد رمى بالظن غيرَكم
وصادقٌ ليس يدري انه صدقا

ونقدة الأدب استشهدوا بشعر العباس ، واقتبسوا منه ، وجمعوه

ولم يكتف نقدة الأدب الاقدمون بالثناء على شاعرية العباس انما زينوا كتبهم بالمختار من شعره ومهدوا لها بما حلا لهم من آيات الثناء .

فهذا المبرد استشهد في الكامل بأبيات العباس في عتاب من اتهمه بافشاء سره :

تعتّبتُ تطلب ما استحق
به الهجرَ منك ولا تقتدرْ
وماذا يضرك من شهرتي
اذا كان سرّك لا يُشتهرْ
أمني تخاف انتشار الحديـ
ـث وحظي في ستره أوفر
ولو لم تكن فيَّ بقيا عليـ
ـك نظرتُ لنفسي كما تنظر

وهذا ابن سلاّم استشهد في الذخائر والاعلان مرتين بشعر العباس ، وهذا ابن عبد ربه يستشهد بشعره في عيادة المريض ، وابن قتيبة في الشعر والشعراء أورد مجموعة طيبة من شعر العباس ، ولم يفته الاستشهاد به في عيون الأخبار ، وكذلك فعل القالي في أماليه ، فقد أورد طائفة رائعة من شعر العباس في مختلف اغراض النسيب .

وابن المعتز افتتن بشعر العباس افتتان أسلافه فاورد له مجموعة نفيسة من الشعر (طبقات الشعراء ١١٩ ـ ١٢٠) ولم يبخل عليه بعبارات الاعجاب والسمو به الى اعلى المراتب كأن يقول معلقا على بيتيه الشهيرين اللذين هما :

أحْرَمُ منكم بما أقول وقد
نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذُبالة نُصبت
تضيء للناس وهي تحترق

« .. ومن بديع ما للعباس وظريفه ما ليس لأحد في معناه شيء يدانيه » .

ولا ينسى ابن المعتز أن يستشهد بشعر العباس في فصول التماثيل ، وكذلك فعل صاحب الزهرة والوشاء في موشاه .

وقد اختار الثعالبي للعباس تحت باب : « مما لا يزيد على حسنه قول بعض المولدين » وباب « في النساء والتشبيب » ، وكذلك أورد للعباس في ثمار القلوب .

وكذلك اختار ابو حيان التوحيدي للعباس بن الأحنف في « الصداقة والصديق » ، والحصري في زهر الاداب ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، وأبو هلال العسكري في الصناعتين ، وديوان المعاني مشفوعا بارفع آيات الاعجاب ، وابن الشجري في حماسته ، والجرجاني في دلائل الاعجاز ، والأصفهاني في محاضرات الأدباء ، وابن حمدون في التذكرة ، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ، والمقدسي في اللطائف والظرائف ، والشريشي في شرح المقامات . والنويري في نهاية الأرب ، والصفدي في تشنيف السمع ، وابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق .

مؤاخذات الشعراء على العباس بن الأحنف

فانت ترى بعد هذه القائمة الطويلة مدى اعجاب نقدة الأدب القدامى بشعر العباس ، والى اى حد بلغ استحسانهم لهذا الشعر حتى انهم اقبلوا عليه هذا الاقبال ، وبوسعنا أن نقول بعد ذلك أن نقدة الأدب القدامى كلهم مجمعون على تفوق العباس وبراعته في ميدان النسيب مع تفاوت في درجات هذا التقدير .

ولا تنس من بعدُ أن شاعرا من هذا الطراز لا بد وأن يكون له الى جانب جمهرة المعجبين فريق آخر يروم انتقاص ما له من فضل أو يتسقط ما له من شطحات او خلقها له ان لم يكن لها وجود. وهذا الفريق كان وسيبقى قائما ما بقيت الشهرة وبقي الحسد في الناس . ومع ذلك فخصوم العباس قلة اذ لا نكاد نجد في كتب الأدب الا طرفا من اخبار الشاعر مع خصومه كحاله مع مسلم بن الوليد ، وأبي هذيل العلاّف ، والأصمعي ، وخصومات مثل هذه كانت شخصية ، تصدى له فيها خصومه من جوانب شخصية صرفة لم تمس جوانبه الأدبية ، أما ما اوخذ به العباس فهو والحق يقال ، امتا اقوال عامة ، أو مؤاخذات تافهة ، ولولا امانة التاريخ لأغفلنا ذكرها جميعا .

فأبو الفرج ينبؤنا تارة ، راويا عن الصولى انه قال :

« قيل لمصعب الزبيرى ان الناس يستبردون شعر العباس بن الأحنف، فقال « لقد ظلموه !.. »

وينبؤنا تارة أخرى أن الرشيد كان يفضل أبا العتاهية على العباس بن الأحنف فى رواية ..

وصاحب الموشح يروى لنا :

« تذاكروا بحضرة الأصمعى شعر العباس بن الأحنف فتسخطه وقال : ما يؤتى من جَوْدة المعنى ، ولكنه سخيف اللفظ ، الا ترى قوله :

اليوم مثل الحول حتى أرى
وجهك والساعة كالشهر
ان الذى أُضمر عند الذى
أُظهر كالنقطة فى البحر
لو شُقّ عن قلبى ترى وسطه
ذكرك ، والتوحيد ، فى سطر

ثم قال :

يا من تمادى قلبه فى الهوى
سال بك السيلُ ولا تدرى
أبعد أن قد صرت أحدوثة
فى الناس مثل الحسن البصرى

.. لعمرى أن الحسن البصرى مشهور ولكن ليس هذا موضع ذكره .

وفى رواية أخرى انه قال :

« والعباس بن الأحنف فى الغزل مثل ابى العتاهية فى الزهد يكثران الحز ولا يصيبان المفصل » .

وأبو هلال العسكرى يروى لنا ان دعبل قال :

« ان جيد العباس قليل » .

هذا كل ما وقعنا عليه من مؤاخذات القدامى للعباس ..

واظنك بعد ذلك توافقنى فى أن الأمانة التاريخية وحدها هى التى فرضت علينا ذكرها ولولاها لوجب اهمالها لأنها ليست بذات قيمة .

رأى النقد الأدبى الحديث فى العباس

وماذا يرى النقد الأدبى العربى الحديث فى العباس ؟ ومن هم المَعْنيّون من نقدة الأدب الحديث بشعر العباس ؟

الواقع أن العباس لم يكن محظوظا حتى اليوم، فكما انه لم يقدر لديوانه أن يطبع طبعة علمية ، كذلك لم يكتب لشعره أن يدرس أو أن يعنى به العناية التى يستحقها . فقد مرّ به نقدة الأدب مرور الكرام واذا ذكروه الحقوا به حيفا كبيرا .

زكى مبارك يرى العباس شاعرا عفا

اللهم الا اذا استثنينا منهم واحدا هو الدكتور زكى مبارك الذى اشاد به كثيرا فى أغلب كتبه ، وهو يشهد له بالتفوق فى ميدان الغزل والنسيب وحسبك أن تقرأ له فيه مثل هذه الشهادة :

« من المؤكد أن العباس فى غزله وتشبيبه اقوى من الطائى والمتنبى وهو ارق حاشية من كُثيّر وجَميل » (انظر العشاق الثلاثة) .

وهو يشهد بأصالة شعره وبكون محبوبته شخصية حقيقية « فما يقضى شاعر عمره كله فى التغزل بمحبوبة من صنع الخيال » . وهو يشهد بعفاف العباس حتى أنه ليحلو له أن يدعوه بشاعر العفاف (انظر العشاق الثلاثة) ، ويذهب الى ابعد من ذلك حتى انه ليرى فى العباس متصوفا فى الهوى وهو يقارنه بابن الفارض الصوفى المعروف (انظر التصوف الاسلامى) .

طه حسين يرى العباس شاعرا متهترا

على أنه من الغريب بعد ذلك ان نجد اماما من ائمة النقد العربى الحديث وأديبا كبيرا من أدباء الجيل ، نريد به الدكتور طه حسين ، يضع العباس بن الأحنف بين المجّان المتهرين ــ وهو من عرفنا عفافا ــ فى كتابه حديث الأدباء بما نصه:

« ولقد وجدت بعد هذه الطبقة التى ذكرنا بعض أسمائها ، طبقة أخرى كانت اشد منهـا مجونا ، وأكثر منها فجورا ، واقل منها حرصا على الاستتار . وكان أبو نواس من زعماء هذه الطبقة . وكان معه الرقاشى والعباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد والحسين الخليع وغيرهم من الشعراء . كان هؤلاء الناس لا يستترون فى معصية ولا يكفون عن فاحشة ، وكانوا يتنقلون بمعاصيهم وآثامهم بين بغداد والكرخ والبصرة والكوفة والرقة .. (انظر حديث الاربعاء ج ٢) .

نعم ان العباس صحب هذه الطبقة ، وشهد بعض مجالسها التى لم تتعد حـدود الشرب وارتجال الشعر المرح الطروب الهادىء الرزين . ولئن قدر للعباس أن يفاخر هؤلاء الخلعاء العابثين وأن يجتمع بهم بحكم طبيعة الظروف ، فليس من اللازم أن تكون سيرته ــ وهى من عرفنا استقامة وحشمة ــ كسيرتهم ، ولا أن نلصق به ما هو منه برّاء بشهادة كل من أرّخ له وكل ما أثر عنه من قول وفعل .

ولا يقف ظلم طه حسين للعباس عند حد سيرته انما يتعداه الى شعره ، فرأيه فى العباس غير جميل ، فهو عنده « سقط بين كرسيين » اذ أن شعره ـ عنده ـ « لم يبلغ اتقان الغزليين من شعراء بنى امية ، ولم يبلغ اتقان العابثين من شعراء بنى العباس ، وانما جاء فاترا قلما يترك فى النفس أثرا قويا لان الفن الذى أراد أن يختص به كان قد انقضى عصره وانتهت الأسباب التى أوجدته ومكنت الناس من اتقانه والاجادة فيه . (انظر حديث الأربعاء ج ١) .

آراء الأقدمين والاحدثين فى العباس ، كانت سريعة تحكمها العاطفة

والآن وقد فرغنا من تحليل أدب العباس وعرض آراء جمهرة مؤرخى الأدب قدامى ومحدثين علينا أن نقول كلمتنا فى شعر العباس الذى اشتغل به كل هؤلاء على اختلاف الزمان والمكان .

اذكر أننا قلنا ان آراء الأدباء الأقدمين بوجه عام لا يمكن الاعتماد عليها لأنها غير قائمة على أسس نقد علمى صحيح كما نفهمه اليوم ، انما هى أحكام سريعة يحكمها فى أغلب الأحيان العاطفة، وهى لا تتعدى الحكم على الشاعر من وراء بيت أو بيتين . وغنى عن البيان أن حكما مثل هذا سطحى لا يقبله العقل العلمى الحديث . واذكر أننا قلنا أيضا ان ادب العباس لم يكن محظوظا حتى الآن اذ أنه لم يسبق لأحد أن يدرسه دراسة علمية من قبل . واغلب ما كتب عنه حتى الآن لم تكن قيمته باكثر من قيمة ما قاله الأوائل فيه ان لم تكن باقل . فهل بوسعنا نحن أن نرفع عن العباس بعض الحيف الذى لحقه وأن نحله المكان اللائق به؟

مآخذ على العباس ، على فرط اعجابى به

الواقع أنى مفتونة بالعباس جد الفتون ، وافتتانى به من قديم يرجع الى الوراء سنوات . الا أن هذا لا يمنعنى أن أؤاخذ العباس باشياء كثيرة .. وليت شعرى أى الشعراء سلم من مؤاخذات ؟

مثل من اسفافه

الملاحظ أن شعر العباس قد يسهل حتى أنه ليصل مستوى الكلام العادى وقد لا يبقى له من ميزة الشعر سوى وزنه وقافيته ، اقرأ له مثلا قوله :

عَصَبتْ رأسها فليت صُداعا
قد شكتْهُ اليّ كان براسى
ثم لا تشتكى ، وكان لها الأجر
وكنتُ السقامُ عنها أقاسى

ونحن هنا لا نبحث الأسباب الداعية لهذا الاسفاف ، انما نحن نحلل كلامه على أنه شعر بصرف النظر عن بواعثه وظروفه .

سقطات أخرى

وقد لا يخلو شعر العباس من التعابير العامية، وتراكيبه لا تخلو من ركة أحيانا . وقد تنحط معانيه لدرجة السخف .

وقد ينحط أسلوب العباس من فرط ما يرد فيه من تكرار مخل أو حشو لا فائدة فيه ، فهو يكرر مثلا كلمة سيدتى ست مرات فى أبيات ثلاثة متعاقبة ، وقد يكرر كلمة « سخط » خمس مرات فى ثلاثة أبيات متتالية .

وقد يبدو على شعره أحيانا طابع التكلف من اثر المبالغة المفرطة التى تخرج الى حد السخف.

وقد يعرض علينا العباس صورا مضحكة لنبوها وما يظهر عليها من التكلف والافتعال من مثل قوله:

ولست أغفى ان كفّ الهوى
تطرفُ طرفى كلما غمّضا

وقوله :

وللهوى جرسٌ يدعى المحبُ به
فكلما كدت أغفى حرّك الجرسا

وقد ترد فى شعره الاستعارات النابية السخيفة من مثل قوله فى وصف الحبيبة بضمور الخصر :

بكى وشاحاها ولم يشكيا
وانما أبكاهما الجوع

وقد تستعصى عليه القافية أحيانا فتجيء مقحمة مما تؤدى الى سخف المعنى من مثل قوله:

وبقيت أسبح فى بحور هواهم
ما أحسن الحالات ان لم نغرق

وقوله :

ما بال خلخالك ذا خرسة
لسان خلخالك مقطوع

والعباس الى ذلك قد ارتكب عيبا فى احدى قوافى قصائده اذ غفل عن كون التاء المربوطة تقلب هاء عند الوقف فجاء بها مع التاء الطويلة الساكنة فى المقطوعة التى مطلعها .

أذّن مجتازا بنا الصلاة
وغارت الأنجم مستوسقات

وقد وردت الأبيات ٩ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ فى هذه المقطوعة وبها العيب المشار اليه أعلاه .

مكانة العباس الأدبية

والآن بعد أن أطلعناك على أدب العباس محاسنه ومعايبه ، فاين قيمة شعره ؟ وما درجة تاثيره فى الأجيال ؟ وأين مكانه اللائق به من بعد ؟

الواقع اننى لم اجد خيرا من الجاحظ يترجم عن قيمة العباس الأدبية فى قوله الذى ذكرناه لك من قبل وقد يحسن بنا اعادته هنا : يقول الجاحظ :

« لولا ان العباس بن الأحنف احذق الناس ، واشعرهم ، واوسعهم كلاما وخاطرا ، ما قدَر أن يكثر شعره فى مذهب واحد لا يجاوزه ، لأنه لا يهجو ولا يمدح ، ولا يتكسب ولا يتصرف ، وما نعلم شاعرا لزم فنا واحدا لزومه فاحسن فيه واكثر » .

اعلم انك ستذكر عمر بن ابى ربيعة ، فكلا الشاعرين قصر شعره على الغزل دون غيره ، الا ان عمر امامُ الغزل العابث الضاحك ، فى حين ان العباس امامُ الغزل الجاد الباكى . وعمر قد يتفجَّر فى شعره ، فى حين ان العباس هو ابدا امام المتصوفين فى الحبّ .

ومن هنا كان اثر العباس بالغا فيما بعده من الأجيال وقد كان له فيما بعد تلامذة من كبار شعراء العرب سنذكرهم لك مرتبين حسب درجة تاثرهم به .

البحترى أول من تاثر بالعباس بن الأحنف

اولهم البحترى وهذا دون ريب من مدرسة العباس فهو تلميذه الأول فى تلقائية الأسلوب ورصانته وخفاء الصنعة الفنية . وخلاصة القول أن أسلوبه كأسلوب أستاذه مما يسمى فى الأدب « بالسهل الممتنع » . وكثيرا ما تاثر البحترى بمعانى استاذه فظهرت فى شعره ، فالعباس مثلا يقول :

هى الشمس مسكنها فى السماء
فعزّ الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود
ولن تستطيع اليك النزولا

والبحترى حوَّل المعنى من النسيب الى المديح فى قوله :

دنوتَ تواضعا وعلوت قدرا
فشأناكَ انحدارٌ وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامى
ويدنو الضوء منها والشعاع

المتنبى يلى البحترى فى التاثر بالعباس

ويلى البحترى أهمية فى التلمذة على العباس المتنبى وهو قد تاثر بالعباس فى معانيه فجاءت مصوغة فى قالبه الخاص فبدت فى الظاهر مغايرة للاصل ، ومهارة المتنبى فيها آتية من كونه نقلها من النسيب الى المديح ، انظر مثلا الى العباس يقول للفوز :

فمنك بك استجرت

اخذه المتنبى فقال لسيف الدولة :

فيكَ الخصامُ ، وأنت الخصْمُ والحكَمُ

والعباس يصف طول الليل فيقول :

والنجم فى كبد السماء كأنه
أعمى تحيَّر ، ما لديه قائد

والمتنبى يقول فى نفس المعنى :

ما بال هذى النجوم حائرة
كأنها العُميُ ما لها قائد

والعباس يقول :

قد حسَّن الله فى عينىَّ ما صنعت
حتى أرى حسنا ما ليس بالحسن

وابو الطيب يقول :

يقضى على المرء فى أيام محنته
حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

ولم يعنَ المتنبى وحده بشعر العباس ، وانما عنى به أميره سيف الدولة ، فيحدثنا صاحب العمدة أن سيف الدولة استجاز شاعره أبا الطيب قول العباس بن الأحنف :

امنى تخاف انتشار الحديث
وحظّىَ فى ستره أوفر

فصنع القصيدة المشهورة :

هواك هواى الذى أضمر
وسرك سرى فما أظهر

وسيف الدولة نفسه متأثر بشعر العباس ، فالعباس يقول :

الآن لما صار مُرتهَنا
قلبى وصار بذكرك الشغل

اعرضت ما اعرضت راغبة
عني فهلا كان ذا قبل ؟

لخصه سيف الدولة بهذا البيت :

واعرض لما صار قلبي بكفه
فهلا جفاني حين كان لي القلب ؟!

والشريف الرضي تأثر بالعباس

وهناك تمليذ آخر منهم هو الشريف الرضي صاحب الحجازيات المشهورة ، وهو متأثر برقة معاني العباس ، وهما عندي في العفة وطهارة الذيل سيان :

العباس يقول :

اذا انت لم تعطفك الا شفاعة
فلا خير في ود يكون بشافع

والشريف يقول :

ابغي هواه بشافع من غيره
شر الهوى ما نلته بشفيع

العباس يقول :

تلفت خلفي حيث لم تبق حيلة
وزودت عيني نظرة وهي تدمع

والشريف يقول ويزيد :

وتلفتت عيني ، فمذ خفيت
عني الطلول تلفت القلب

ومهيار كذلك

وقد تأثر تلميذ الشريف مهيار الديلمي فأخذ عنه لطائف معانيه ورقائق حواشيه. يقول العباس:

لا تجمعي هجرا علي وغربة
فالهجر في تلف الغريب سريع

ويقول مهيار :

جمعت عليه حرقة الهجر والنوى
وما اجتمع الداءان الا ليقتلا

وآخرون تأثروا بعض الشيء

وهناك طائفة من الشعراء يلون هؤلاء في درجة التأثر بشاعرنا ، نخص بالذكر منهم ابا تمام فقد تأثر ببعض معاني العباس في الطيف .

وتأثر به من معاصريه من الشعراء ابن اخته ابراهيم بن العباس الصولي .

وقد تأثر من الشعراء الخلفاء بشعره الخليفة المأمون ، فقد قال العباس :

ان تشق عيني بها فقد سعدت
عين رسولي وفزت بالخبر
وكلما جاءني الرسول لها
رددت عمدا في طرفه نظري
تظهر في وجهه محاسنها
قد اثرت فيه أعمق الاثر

فقال المأمون :

بعثتك مرتادا ففزت بنظرة
واغفلتني حتى أسأت بك الظنا
فناجيت من أهوى وكنت مباعدا
فيا ليت شعري عن دنوك ما أغنى
أرى أثرا منه بعينيك بينا
لقد أخذت عيناك من حسنه حسنا

وقد تأثر الخليفة الشاعر ابن المعتز بشعر العباس أيضا .

وابو فراس الأمير الفارس الشاعر . وابن عبدوس الفاسي .

ومن المغاربة من تأثر بشاعرنا فابن زيدون الشاعر الاندلسي المعروف هو أحدهم ، وكذلك ابن رشيق .

ولم تقتصر مدرسة العباس على الأدباء القدامى انما تعدته الى المحدثين ، فهذا شوقي متأثر به في بعض معانيه ، هاك قول العباس :

وكان هواك لي قدرا
فكيف أفر من قدري ؟!

وشوقي يقول :

يا لائمي في هواه والهوى قدر !

والعباس يقول :

تحدث عنا في الوجوه عيوننا
ونحن سكوت والهوى يتكلم

وشوقي هو صاحب البيت السائر في الحب :

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت
عيني في لغة الهوى عيناك

ترى .. اعرفت العباس بعد كل من ذكرنا لك من تلامذته من أعيان الشعراء وأمراء البيان ؟

أتبينت الآن عمق نظرة الجاحظ ومدى حظها من الصدق ؟ أيحق لنا من ثم أن نعتبر العباس بن الأحنف امام النسيب الحضري العفيف وحامل لوائه منذ القرن الثاني حتى اليوم . ■■

عاتكة الخزرجي
كلية التربية ـ جامعة بغداد

طرائف عربية

الامين والمأمون

● لما عقد الرشيد البيعة للأمين ، وهو اصغر من المأمون ، لأجل امه زبيدة وكلام اخيها عيسى بن جعفر ، وقدمه على المأمون ، جعل يرى فضل عقل المأمون فيندم على ذلك فقال :

لقد بان وجه الراى لى غير اننى
غلبت على الأمر الذى كان احزما

يربطون الحجارة !

● دخل اعرابى مدينة لاول مرة فهاجمته كلابها وكادت تعضه ، فاراد ان يأخذ حجرا من الأرض فاستعصى عليه فقال :

ـ لعن الله اهل هذه القرية يطلقون الكلاب ويربطون الحجارة !

مغفل

● حدث المدائنى قال : جاء رجل من اشراف الناس الى بغداد فاراد ان يكتب الى ابيه كتابا يخبره بوصوله ، فلم يجد احدا يعرفه ، فانحدر بالكتاب الى ابيه وقال : كرهت ان يبطىء عليك خبرى ولم اجد احدا يجىء بالكتاب فجئت انا به . ثم دفعه اليه !

حسنة لم تقبل

● قال ابن ابى ليلى : انى لأساير رجلا من وجوه أهل الشام ، اذ مر بحمال معه رمان ، فتناول منه رمانة فجعلها فى كمه ، فعجبت من ذلك ، ثم رجعت الى نفسى ، وكذبت بصرى ، حتى مر بسائل فقير فاخرجها فناوله اياها .

قلت له : رأيتك قد فعلت عجبا ..

قال : وما هو ؟

قلت : رأيتك اخذت رمانة من حمال واعطيتها سائلا .

قال : اخذتها وكانت سيئة واعطيتها فكانت عشر حسنات .

قلت : بل اخذتها فكانت سيئة ، واعطيتها فلم تقبل منك !

أخلاق

● قال الحسن البصرى : من اخلاق المؤمن ، قوة فى دين ، وحزم فى لين ، وحرص على العلم ، وقناعة فى فقر ، واعطاء فى حق ، وبر فى استقامة ، وفقه فى يقين ، وكسب فى حلال .

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن السماك : خير الاخوان اقلهم مصانعة

« احتمال الفقر أحسن من احتمال الذل ، لأن الصبر على الفقر قناعة ، والصبر على الذل ضراعة . »

الامام علي رضي الله عنه

طيلسان ابن حرب

● كان احمد بن حرب المهلبي من المنعمين على الحمدوني الشاعر ، والمحسنين اليه ، وله فيه مدائح كثيرة ، فوهب له طيلسانا اخضر لم يرضه ، فنظم فيه عشر مقطعات طارت كل مطار ، وسارت كل مسار ، فمنها :

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا ... مل من صحبة الزمان وصدا

فحسبنا نسج العناكب قد حا ... ل الى ضعف طيلسانك سدا

طال ترداده الى الرفو حتى ... لو بعثناه وحده لتهدى

وقال :

قل لابن حرب طيلسا ... نك قوم نوح منه أحدث

أفنى القرون ولم يزل ... عمن مضى من قبل يورث

واذا العيون لحظنه ... فكأنه باللحظ يحرث

يودى اذا لم أرفه ... فاذا رفوت فليس يلبث

كالكلب ان تحمل عليه الدهر ... أو تتركه يلهث

وصية نافعة

● تظلمت رعية اردشير بن بابك اليه فى سنة مجدبة لعجزهم عن الخراج ، وسألته ان يخففه عنهم ، فكتب لهم : اما بعد فانا نحمد الله تعالى حمد الصالحين ، وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رافتنا اتاوتنا الموظفة عليهم سنتنا هذه ، ونحن كاتبون لهم مع ذلك بوصية تنفع الكل : لا تستشعروا الحقد لئلا يغلب عليكم العدو ، ولا تحبوا الاحتكار لئلا يشملكم القحط ، وكونوا للغرباء مؤوين ، ولا تعدوا هذه الدنيا شيئا فانها لا تبقى على احد ، ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال الا بها .

المؤمن

فى النصيحة ، وخير الاعمال احلاها عاقبة ، وخير الثناء ما كان على افواه الأخيار ، واشرف السلطان ما لم يخالطه البطر ، واغنى الاغنياء من لم يكن للحرص اسيرا ، وخير الاخوان من لم يخاصم ، وخير الاخلاق اعونها على الورع . وانما يختبر ذل الرجال عند الفاقة والحاجة .



هل يمنع وقار من حب ؟

■ .. انها قصة زوجة اسبانية ــ فى الثامنة عشرة من عمرها ــ تلقت ذات يوم رسالة غرامية .. وكان الناس فى أيامها ــ القرن الثامن عشر ــ شديدى التمسك بالمبادىء الخلقيــة .. وكانت الضمائر ــ فى ذلك العهد ــ مفرطــة الحساسية. لذلك افسد راحتها التفكير هل تطلع زوجها على الرسالة ؟ ... صحيح أنها لم تكن تحمل اسم كاتبها ، ولكن زوجها ربما عرف الكاتب من خطه، اذ لا بد انه صديق للأسرة ، والا فكيف رآها وهام بها ؟ .. وقد تثور حميــة الزوج فيقتل كاتب الرسالة،وهى لا تريد له أذى ، اذ كانت العبارات التى اطرى بها جمالها عفة،ورقيقة ارضت شعورها الأنثوى .. ولكن ضميرها لم يدع لهــا سبيلا الى الراحة ، حتى سارت الى زوجها ــ وقد خلا فى حجرة مكتبه ــ وقالت له انها تلقت رسالة من عاشق .. ولكنها لا تعرف هذا العاشق ، وقد أعدمت الرسالة حتى لا يتعرف علــى كاتبها فيؤذيه ..

وبكل وقار ورصانة سألها الزوج :

ــ هذا كلام عجيب .. فلماذا تخبريننى اذن ؟

قالت :

ــ رأيت ان هذا واجب على ، فأنت زوجى .

ولانت معالم وجه الزوج ، وقال :

ــ لقد احسنت التصرف يا عزيزتى ..

وازداد شعور الزوجة الشابةالجميلة بالحيرة وعدم الارتياح ، فقد كانت تتوقع ان يثور الزوج ، وأن يغضب لتجــرؤ شخص ما ــ وان كان مجهولا ــ علــى كتابة رسالة غرامية الى زوجته ... ولكنه ــ على العكس بدا هادىء النفس، لطيفا ..

ومرت الأيام ، والزوجان يعيشان كما كان نبلاء اسبانيا يعيشون فى تلك الايام .. كل فى جزء خاص من القصر ، لا يتقابلان الا وفقا لـ **«بروتوكول»** معين ، ولا تجمعهما الا مائدة الطعام ، حسب تقاليد **« رسمية »** .. ولكن هــــذا التباعد لم يحل دون ان تلمح الزوجــة ان زوجها صار كثير الشرود والوجوم وانه اصبح قليــل الأكل ، حتى بــدت عليه امارات الهزال .

وفى ذات يوم تلقت الزوجة رســالة

ثانية ، من العاشق المجهول .. ومرة أخرى ، دفعتها يقظة الضمير ، وقوة الخلق ، الى أن تذكر الأمر لزوجها .. وتجرات ـ فى هذه المرة ـ وقالت بصوت متهدج :

ـ يبدو انه مستهام بحبى .. ان رسالته الجديدة شعر !

ولم يستشط الزوج غضبا ، بل استمع فى هدوء ، ثم سالها :

ـ اهكذا دفعه الجنون الى قرض الشعر ؟ .. وهل قصيدته مستساغة ؟

فدفعت اليه الرسالة ، ولكنه ردّ يدها بلطف قائلا :

ـ يحسن الا اراها خشية ان أتعرف على صاحبها .. ولكن ، اقرئى علىّ شعره .

وقرات عليه الأبيات بصوت خافت ، ناعم ، متهدج .. واغمض الزوج عينيه وهو يصغى وكانه منتش بجمال الشعر .. فلما انتهت ، قالت له :

ـ الا تراها قصيدة جميلة ؟

قال :

ـ ليست هذه اول مرة يهيم فيها رجل بامراة لا يجد سبيلا الى مصارحتها بهواه ، فيعمد الى الكتابة والشعر . لقد عرفت انا الحب بلا امل ، ولذلك فانى أعطف عليه ..

ومن جديد ، تأملت الزوجة الشابة زوجها ، وكان بادى الوهن والهزال ، وهى حائرة ازاء هدوئه وتسامحه ... ولكنها ازدادت تقديرا له ، وتعلقا به ، اذ تبينت مدى ثقته فيها ..

ورحل الزوجان الى ضيعتهما ، فقضيا فترة من العام ، ثم عادا الى مدينتهما وقد ازداد الزوج نحولا وضعفا .. وان هى الا ايام ، حتى تلقت الزوجة رسالة جديدة من العاشق المجهول .. فلم تتردد فى أن تخبر زوجها بالأمر ... واردفت :

ـ انك لا تتمالك نفسك من البكاء حسرة عليه، اذا قرات هذه القصيدة .

وكما فى المرات السالفة، رفض الزوج ان تقع عيناه على الرسالة ، وسألها أن تقراها عليه .. وراح يصغى وهو مغمض العينين ، وكان الأبيات الشعرية قد اسكرته .. حتى اذا انتهت ، هتف فى اشفاق :

ـ يا للمسكين ! .. انه مجنون بك !

وسألته وهى تبتسم تغالب خجلها :

ـ اتظن ان احدا احب بهذه الدرجة يوما ؟

فأجاب فى رقة :

ـ لقد جربت بنفس الحب بدون امل . ومدى ما يؤدى اليه من جنون .. وقد اروى لك القصة يوما . على اننى صارحتك من قبل باننى اثق فيك ، واراك زوجة مثالية !

فتهدج صوت الزوجة وهى تقول :

ـ لكم اتمنى لو انك انت وهو كنتما شخصا واحدا ..

ثم اسرعت بالانصرف لتوارى خجلها مما قالت .

ومرّت فترة ازدادت فيها صحة الزوج سوءا ، الى ان مات ذات يوم .. وعلى مكتبه وجدت الزوجة رسالة .. ودهشت اذ تعرفت على خط العاشق المجهول .. ثم اشتدت دهشتها حين رات توقيع زوجها فى نهايتها .. كانت رسالته الأخيرة ، وفيها يصارحها بأنه العاشق المجهول، فقد أحبها بكل حواسه، ولكن تقاليد الطبقة التى كانا ينتميان اليها ، والفارق الذى كان بين عمريهما، كانا يمنعانه من ان يردد على مسمعيها اهازيج الحب ، وما كان قلبه يهمس به من مناجاة !!

هذه قصة فيها درس وعبرة . نترك للقارىء والقارئة ان يستخلصاهما منها .

الظلام

للقصاص الفلبيني

بيانفيدو سانتوس
Bienvenido Santos

■ لم ينظر اليها الشيخ حين وصلت ، وانما قال لها : « ما كان ينبغى أن تمكثى حتى يهبط الظلام يا سِدْرا » .

وكان يقف امام موقد مشتعل .. فقالت سِدْرا: « آسفة يا أبى فما فطنت الى اننى اطلت المكث».

فرفع الشيخ الغطاء عن قدر على النار ، ولم ينبس ببنت شفة .

ولكنهما استأنفا الكلام بالليل ، وان لم يذكرا شيئا عن الرجل الذى أبحر مضطرا منذ مدة ..

قالت الفتاة:« ألم تنته الحرب بعد يا أبت ؟».

فأجاب الشيخ : « لا اظنها .. ولكنها سرعان ما تنتهى » .

ــ وهل سننتصر ؟

ــ أجل . اعتقد اننا سنكسب الحرب ، يا بنيتى .

ــ وماذا يعنى كسبنا للحرب ؟

ــ .. لا شىء فيما أحسب . لا شىء الا .. نامى يا سدرا ، نامى .

ــ أن الوقت ليس متأخرا ، أليس كذلك ؟ .. ترى لماذا لم يظهر القمر الليلة ؟ .. ان الظلام دامس .. ألا تسمع صوتا يا أبى ؟

وأرهفا آذانهما . كانت الريح تهز الشجر ، ولكن الصوت كان ينبعث من ارتفاع عال .. صوت متصل ، رتيب .. انه أزيز فى السماء . فقال الشيخ : « انها طائرات » .

ــ أتراها كثيرة ؟

ــ ربما .

ــ أهى طائراتنا ؟

لست أدرى . ربما يا سدرا ، ولكنى لا أدرى تماما .

وكانت تدور فى ذهن سدرا أسئلة أخرى كثيرة ولكنها كانت تدور حول حياتها ، وحول الحاضر الراهن منها .. ومع هذا آثرت أن تصمت ، اذ كانت هذه الأسئلة تكشف عن عميق قلقها على زوجها ، وتلهفها الى عودته . وما لبث الهدوء أن لف الليل ، فلم يعد هناك سوى هزيز الريح تتخلل الأشجار ، وارتطام الأمواج بالشاطىء .

وراحت سدرا تنتحب فى خفوت .. ان « سيلْمو » لم يعد ، وما كان من عادته أن يطيل على البعد الغياب .. وراحت تتمتم باسم « سلمو » ، وهى تطمع ــ لسذاجة عقلها ــ أن يسمع زوجها النداء ، أينما كان ..

★ ★ ★

واذا كان الشيخ قد فطن الى مقدار الأسى الذى غمر نفس ابنته ، فقد حرص على الا يبدى انه فطن.ولكن الجيران والأقارب أخذوا يبدون اهتماما واضحا، ويعربون عن هواجسهم .وشعرت « سدرا » بالخجل لأنهم ادركوا حزنها . فصار قلبها مكشوفا يراه الجميع .. وكانت تدرك أنهم فى قلقهم صادقون . وعندما قالت لأبيها ان اهتمام الناس بها يحرجها ، قال الشيخ : « الحمد لله يا سدرا ، فالقلوب رحيمة » .. ولم تعلق على ما قال ، اذ انها لم تفهم كلماته ، ومع هذا فقد



... وهتفت سدرا :
«يا الهي..انه يموت !..

بعثت هذه الكلمات الدفء في قلبها فلم تعد تشعر بالتعاسة .. ولو مؤقتا .

ثم جاءت الحرب الى الجزيرة فجأة ، بعد فجر ذات يوم .. جاءت من السماء ، في شكل كتلة سوداء من الدخان ، تنقض بسرعة في ضجيج .. وحدث كل شيء بسرعة فلم ير احد من أهل الجزيرة حقيقة ما جرى ، ولكن الكثيرين سمعوا الأزيز المعول الصارخ يزداد ، وسمعوا حفيف اجنحة تقترب منهم بشدة وسرعة حتى لاح لهم أنها تجرى فوق أسقف الدور .. ثم انفجارا مدويا ، قاصفا ، طغى على صراخهم وذعرهم والعويل .

وانكشف الأمر. ان طائرة قد هوت وسط حقل، تلفها غلالة من اللهب اضاءت الجزيرة بأسرها ، فكان شمس الضحى قد سبقت الفجر خلسة .. وضاعت صرخات سدرا ، وسط ضجيج النسوة والأطفال المذعورين .. ورأت الفتاة أباها يسرع عبر الحقول نحو الطائرة المحترقة ، فجرت ، وهى تصرخ : « سلمو .. سلمو ! .. وكأنما كان ما تراه نهاية صبرها الطويل الحزين . »

وشقت لنفسها طريقا وسط حلقة القوم الذين بدَوا على وَهَج اللهب نصف عرايا في أسمالهم ، ووجوههم تختلج بالخوف والرهبة . وكانت « سدرا » أول من لمح الرجل .. لمحت قدمين بارزتين من الحطام في تهدل ، وألسنة اللهب تلسعها وهى تئز وتفح .. فصاحت الفتاة مشيرة اليهما : « انظروا ! » .. وما لبثت ان ظهرت ذراع ويد تحاولان التشبث بالهواء .

واندفعت « سدرا » نحو الحطام ، ولكن أباها الشيخ اسرع فجرها الى الخلف ، وطرح بها بعيدا عن اللهب ، فسقطت في بقعة موحلة ،وهى تصرخ : « سيحترق .. سيحترق ! » وتحاملت ناهضة ، واندفعت مرة أخرى نحو الطائرة ،ولكن

الرعا قوية صدتها . واخذت تناضل برهة ، ثم شعرت بعجزها فكفت . واسندتها امراة مسنة وهى تهوى على الارض ، حيث استلقت مغمضة العينين .

وعندما عاودتها قواها ، شعرب بضباب ينعقد على عينيها،ولكنها استطاعت ان تبصر خلاله جسد رجل ، قلة فى الحجم ، وقد احترق ، وتزفت دماؤه . وكان يحاول ان ينهض على قدميه ، اذ كان عدد من الرجال قد جروه بعيدا عن الطائرة، ولكنه لم يلبث ان تهالك وسقط على ارض الحقل المحروث .. فخلصت سدرا نفسها من يدى المراة المسنة ، وتقدمت خطوات من الرجـــل المسجى عند اقدام قومها . ولم تفقه ـ فى بداية الامر ـ شيئا من اللغط الذى كان يدور حولها ، ولكنها ما لبثت ان فهمت ، حين اطالت التحديق فى الرجل .. كان طيارا من الأعداء .

وصرخت النسوة : « رحمة به ، فهو بعد صغير السن » .

ولكن بعض الرجال دعوا الى تركه فى الامـــه وعذابه .. وكان نحيل العود ، قصير القامة ، يبدو فتى صغيرا حقا ، وهو مسجى لا يحير حراكا ـ وكانما رانت عليه سكينة يائسة ، جاءت بعد محاولاته الواهنة ليتحامل على نفسه ، وبعد الفزع الذى استبد به . ولكنه لم يلبث ان فتح عينيه ببطء ، وتلفت حوله وكانه يستوثق من شيء كان يطوف بخاطره ..

وصاحت سدرا : « اما من احد يساعده ؟ ».

فصاح شخص من الجمع : « دعيه يمت ! » .

وهتف آخر : « لعله مسلح » .

ـ فتشوه !

ومن الذى يتولى تفتيشه ؟

ـ لعله يتظاهر بما هو فيه .

وكانت العيون كلها مركزة على الغريب الذى راح يحتضر ، وآخذ يبسط ذراعيه نحوهم ،ونحو السماء ، وهو يدمدم باصوات تثير الاشفاق .. ورأوه يحاول أن يرفع جسده معتمدا على مرفقه ، ولكنه تهالك ثانية وهو يصرخ .. واقترب البعض منه يتفرسون فيه ، ويشيرون الى لون بشرته الشاحب ، والى الدماء المتجمدة عليه ، والى حلته العسكرية الملطخة ..

ـ الا ترون انه يحتضر ؟

ـ فليمت !

وتناول شاب حجرا ، وهوى به على جانب من وجهه ، فصرخت النسوة : « كفى ! .. ارحموه بالله عليكم !! »..وانضمت اليهن اصوات اخرى.

★ ★ ★

واستمرت الطائرة تحترق ، والرجل مسجى لا يتحرك .. وجلست « سدرا » بين القوم محنية الظهر اسى ، وهى تحملق فى الرجل ، تحـاول ان ترى اقصى ما تستطيع العين المجردة أن تراه مما يجرى فى كيان كل محتضر ، غريبا كان او قريبا ، عدوا او صديقا .

وانحنى ابوها الشيخ ، واهاب بمن حوله أن يساعدوه على حمل الرجل الى حظيرة مـسقوفة فى داره ، فتقدم نفر لمساعدته وقالوا وهم يرون الدم يخضب أيديهم وثيابهم : « لسوف يموت».

ولكن الضحى اقبل والشاب راقد فى حظـــيرة الشيخ ، وسدرا ، وقابلة الجزيرة ، تنظفـــان جروحه بماء مغلى .. كان فى اسوا حال ، وما من سبيل لانقاذ حياته .. ولكنه بدا انظف مظهرا، ولاح جسده نصف العارى اقرب الى اجســـام الفتية الصغار حقا .

ولم يات لمشاهدة ما طرا عليه سوى نفر قليل ، اما الباقون فقد آثروا الذهاب الى الحقل الذى كانت الطائرة تحترق فيه ، ليصبوا دلاء من الماء عليها عسى أن يستطيعوا استخلاص شيء لانفسهم منها .. وانتهزت النساء الوجوم الذى ران على صغارهن وهم يرقبون المحتضر ، فتسللن وهرعن الى حطام الطائرة.. حتى اذا مل الأطفال التحديق فى الرجل ، راحو يبكون مفتقدين امهاتهم ... واستلقى بعضهم على الأرض ، وناموا عند قدمى المحتضر الذى كانت الحياة تتسرب منه حثيثا . والصقت« سدرا » بشفتيه قطعة من قماش مبللة، فحرك ذراعيه وصرخ ، ثم احنى رأسه على صدره، وكانه لم يعد يحفل بشيء .. ولكنه ما لبث ان فتح عينيه المتورمتين لحظة وجيزة ، واختلجت شفتاه .

وازداد الشيخ والمراتان اقترابا منه ، وكانهم

يرجون أن يسمعوا منه كلمة يفهمونها .. وأخذ الشاب يدمدم بلسان ثقيل ، ويحاول أن يحرك عينيه ليسبغ على الدمدمة معنى يفهم .. ويبدو انه كان يحاول أن يذكر لهم من هو ..

وقالت سدرا : « انه يقول اشياء وينظر الينا»

فقال الشيخ : « انه لا يرانا » .

ــ انه فى ريعان الشباب يا ابى ، اليس كذلك ؟ .. ما اظنه أكبر من ..

وقالت العجوز : « انه يبدو كما لو كنت أعرفه .. اننى أعرفه ، أعرفه ! »

فقالت سدرا : « أجل ، أجل . أخال اننى اعرفه . ألم تره من قبل يا أبى ؟

فقال أبوها : « كلا ، اننا لم نره من قبل .. ولكنا نعرفه .. أجل ، نعرفه ! »

ووضع يده على راحة الشاب الذى ارتجف حين لمسه .. وأطبقت اليد الشاحبة الواهنة على قبضة الشيخ تتشبث بها . واستطاع الشاب بجهد أن يرفع يد الشيخ الى شفتيه .

وصاحت المرأتان : « لقد قبل يدك » .

فقال الشيخ بصوت متهدج : « يا بنى .. اننى لأعرف من أين جئت ، وماذا فعلت بنا ، ومع ذلك .. فليباركك الرب » .

وهتفت سدرا : « يا الهى .. انه يموت ! » .

فقال الشيخ : « سينتهى عما قليل » .

وما لبثت يد الشاب أن هوت الى جواره .. ومات .

ورفعت « سدرا » يدها الى فمها تكتم صرخة ، وأشاحت بوجهها . بينما كان الشيخ يقول : « لقد كان لى أبناء فارقونى .. منهم من لقوا نحبهم قبل الأوان ، ومنهم من رحلوا ولم يعودوا . ولقد رأيت ابنتى الوحيدة هذه ، وهى تتحمل حزنها بشجاعة ، بينما كان شاب آخر ــ مثلك الى حد كبير ــ يقبل يدى مودعا ، منذ مدة قصيرة .. وقد لا يقدر له أن يعود أبدا » .

★ ★ ★

واوشك الأصيل أن ينقضى قبل أن يأتى بعض الرجال ويحملوا الجثة وقد لفت فى حصير بالية .. ونقلوها الى حافة الغابة ، فى جوف الجزيرة . وقد صادفوا فى طريقهم الرجال الآخرين عائدين من الحقل ، فصاحوا فيهم : « هل استخلصتم من الطائرة كل شىء ؟ »

ورددت الحقول أصواتهم ..

وأصبح القبر عميقا جدا ، فان الشيخ كان يقول للحافرين كلما توقفوا : « امضوا فى الحفر» .. وراح رجل بارز عظام المنكبين يصنع صليبا ، ثم تمتم :

ــ أليس من الغريب اننا لا نستطيع أن ننقش اسما على هذا الصليب ؟

فقال رجل آخر : « انقش اسمك ! » .

وظلت سدرا تنتظر والدها الذى كان آخر من انصرف عن القبر .. اذ راح يعنى بدك التراب بيديه وقدميه قائلا : « هكذا يظل القبر مغلقا وفى مأمن .. فى مأمن من الريح يا سدرا ، ومن وحوش الغاب ! » .

وقالت له أخيرا : « لقد أظلمت الدنيا يا أبى ، فهيا » .

★ ★ ★

وفى أوائل الليل ، رأى الأب وابنته أضواء فى الحقول ، فتساءلا : ألا تزال الطائرة تحترق ؟ .. وسارا الى البقعة التى سقطت فيها الطائرة ، ولكن النار كانت قد أتت عليها وخبت . بيد أن نفرا من الرجال راحوا ينبشون فى الحطام ، وهم يرفعون مشاعل لتبديد الظلام .

وقال الشيخ : « ما شىء بناج ! » .

ولكن الريح حملت صوته بعيدا عن المرأة التى كانت تسير بجواره منكسة الرأس . ■■



نقد كتاب الشهر

وِليَم فُوكْنَر

١٨٩٨ - ١٩٦٢

أديب الجنوب الأمريكي

بقلم الدكتور محمود السمره

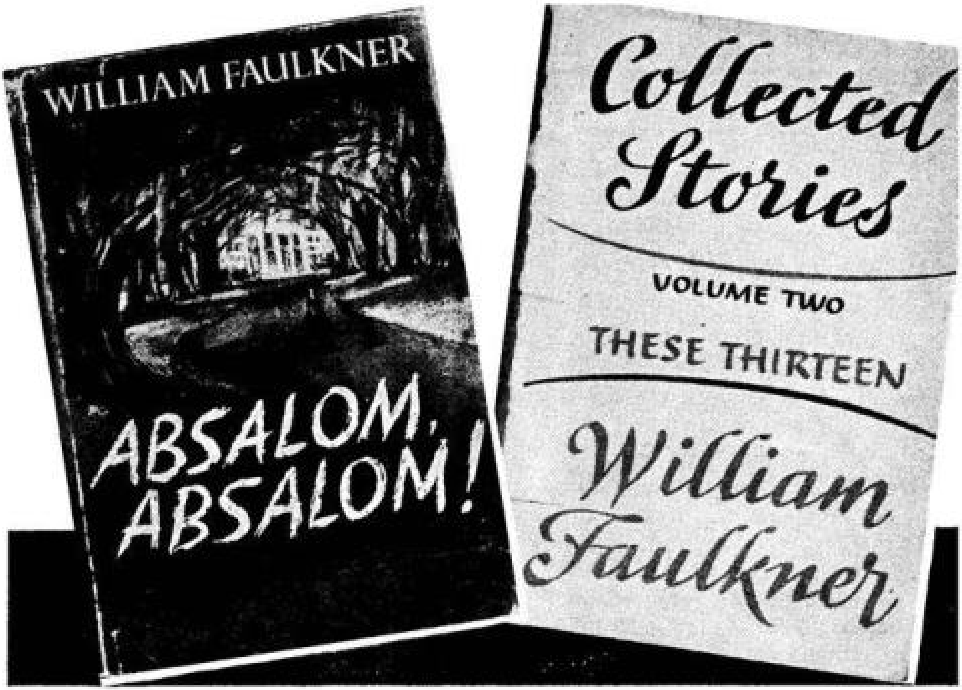
■ فى يوم الجمعة ، وفى السادس من شهر يولية (تموز) من عام ١٩٦٢ ، توفى الكاتب الأمريكى الشهير وليم فوكنر Faulkner عن اربعة وستين عاما . ونقلت وكالات الأنباء فى ذلك الحين ان الكاتب الكبير قد بوغت بنوبة قلبية لم تمهله ، بينما كان فى بيته باكسفورد - الميسيبى . ولكن السر الذى حاولت عائلة فوكنر كتمانه ، لم يلبث ان ذاع على لسان سائق السيارة التى نقلت جثمانه من مصح قريب لمدمنى المشروبات الكحولية والمخدرات الى بيته . ومن هذا السائق عرف العالم ان الأديب العبقرى الذى قضى حياته معاقرا لابنة الحان ، وجد نهايته ايضا على يديها .

رابع اديب امريكى نال جائزة نوبل

وفوكنر هو رابع اديب امريكى منح جائزة نوبل للآداب ، وقد منح هذه الجائزة فى شهر نوفمبر (تشرين الثانى) عام ١٩٤٩ . أما الذين نالوا هذه الجائزة ، من الأمريكان ، قبله فهم : الكاتب القصصى سنكلر لويس Sinclair Lewis (١٩٣٠) ، والكاتب المسرحى يوجين اونيل Eugen O'Neill (١٩٣٦) ، والكاتبة القصصية بيرل بك Pearl Buck (١٩٣٨) .

بين المديح والقدح

وفوكنر من الادباء الذين اختلف النقاد حولهم كثيرا : فالمنتقصون من قدره يرون انه يغرق فى البلاغة لدرجة تثقل على القارىء ، كما يرون انه غامض غموضا يجعل من العسير قراءته . وهذه



حقيقة دفعت احدى قريباته الى ان تسأله قائلة : « قل لى ، يا ويلى ، اتراك تكتب قصصك وانت ثمل ؟! » .

أما المعجبون بادبه فيزعمون أن العيب ليس فى ادب فوكنر ، بل فى ناقديه العاجزين عن فهم طبيعة عبقريته .

وهذا الناقد الشهير الن تيت Allen Tate وهو الذى لم يكن يستلطف فوكنر كانسان ، رثاه عند وفاته فقال : « ان فوكنر خير كاتب قصصى نمته الارض الأمريكية منذ وفاة هنرى جيمس عام ١٩١٦ . وهو فى رأيى اكثر اصالة ، وأعمق معانى من معاصره ، ارنست همنغواى ، الذى فاقه شهرة » (١) .

وبمثل هذا القول رثاه الرئيس كندى فقال : « اننا نودع اليوم اديبا ما شهدت له بلادنا نظيرا منذ هنرى جيمس » .

وفى رأينا ان فوكنر يقف وسطا بين مغالاة القادحين والمادحين : فهو قد انتج سبع عشرة قصة واحدى وتسعين أقصوصة ، تتمتع كلهـا بالعمق ، وأصالة الاسلوب ، وتنوع الشخصيات، والفكاهة القاتمة ، والتوتر . ولكن هذه بمجموعها فى الوقت نفسه لا تعبر عن وجهة نظر واحدة متطورة للكون والانسان ، كما هو الحال عنـد ارنست همنغواى .

شذوذ العبقرية

ولعل السبب الذى جعل الكثرة الساحقة من النقاد لا تحفل بفوكنر هو شذوذ شخصيته : فقد عاش حياته محبا للعزلة ، كارها للمجتمعات ، وخاصة مجتمعات الأدباء والمثقفين ، وكان يقول عن نفسه دوما : « اننى لست سوى مزارع ، ولا صلة لى بالأدب».وقد بلغ من كراهيته للمجتمعات ان رفض حضور حفلة العشاء التى اقامها الرئيس كندى تكريما لحائزى جائزة نوبل من الامريكان .

وكان اذا اضطرته الظروف الى الالتقاء بجماعة من الأدباء ، ينكمش على نفسه ، وتصدر عنه

(1) New Statesman, 28 Sept. 1962 .

بين حين وآخر عبارات قاسية تدل دلالة واضحة على اضطرابه . ولكنه اذا خلا الى اصفيائه من المزارعين البسطاء ، ورفاقه في صيد الحيوانات البرية ، كان ذلك الرجل المرح ، الواسع الصدر، والمحدث اللبق الذي لا يمل المرء الاستماع اليه .

ويبدو الشذوذ واضحا في شخصية هذا الكاتب الكبير ، القصير القامة (طوله ١٦٢ سم) ، انه كان يمر احيانا بأصدقائه هؤلاء وهو يطوف في شوارع اكسفورد ، فلا يحاول أن يحييهم أو أن يكلمهم ، وقد يحتجب عن مقابلتهم شهورا . وهذا هو ما دعا أحد رجالات بلدته الى أن يعلق بعد فوز فوكنر بجائزة نوبل قائلا : « ان فوكنر هو ابن اكسفورد الشهير ، ولكنه ليس ابنها الأثير».

خدين بنت الحان

ولعل مما زاد في ضيق الناس بفوكنر ، أنه كان سكيرا لا يترك الكأس حتى يتعتعه السكر . وكان منذ شبابه الباكر يجرى خلف الويسكى بدلا من أن يسعى الى تحصيل المعرفة ، ولهذا فانه لم يتعد في تحصيله العلمي السنة الأولى في الجامعة . وقد بلغ من سيطرة الخمرة عليه ، وتحكمها فيه ، أنه كاد يتأخر عن الموعد المحدد لتسلمه جائزة نوبل في ستوكهلم ، لو لم يصح من نوبة السكر قبل الموعد المحدد بيوم ، ويسارع الى استقلال أول طائرة .

يكره المخترعات الحديثة

وهناك جوانب في حياة العباقرة تعز على التفسير: ففوكنر كان يكره الطائرات والتلفونات وكل المخترعات الحديثة ، التي كان يرى فيها تشويها للطبيعة . واذا كان الكاتب القصصي الانجليزي دكنز يرى أن جمال الطبيعة الانجليزية قد بدا بالأفول منذ اخترع القطار ، فان فوكنر يرى أن سحر الطبيعة في امريكا قد تبدد باختراع السيارة .

فرنسا هي التي اكتشفت فوكنر

وفوكنر شبيه بالكاتب الايطالي المعاصر اجناتسيو سيلوني Ignazio Silone : فكلاهما اشتهر أولا خارج وطنه ، ثم انتقلت شهرته بعد ذلك الى وطنه . وكان الأدباء والنقاد الفرنسيون هم أول من أدرك قيمة أدب فوكنر ، وذلك في منتصف العقد الرابع من هذا القرن .

ولعل السبب الذي جعل أدباء القارة الأوروبية يعجبون بفوكنر ، هو أنه كان يعبر عن الأزمات النفسية التي كانوا يعيشونها : فقد نشأ فوكنر في المسيسبى مشدودا الى الماضي القريب بما فيه من ارستقراطية قد أوشكت على الانقراض، وناقما على الحاضر ، وما أحدث من تغيير في تلك الأرض البكر . وهكذا عاش فوكنر طيلة حياته ناقما على هذه الفترة التاريخية من حياة بلاده .

وكان الأدباء في أوروبا يحسون بمثل هذا ، وان كانت بواعث الاحساس مختلفة : فقد شهد أدباء القارة الأوروبية أهوال الحرب العالمية الأولى ، وما تلاها من أزمات اقتصادية ، كما شهدوا سيطرة الآلة على كل مرافق الحياة ، حتى تراءى لهم أن هذه الآلة قد سحقت بين عجلاتها انسانية الانسان. ولهذا كره أولئك الأدباء عصرهم أيضا ، وعبروا عن هذه الكراهية في أدبهم .وشعر الشاعر السويدي اريك لندرجرن Erik Lindergren خير مثال على هذه الروح التي كانت سائدة(٢) . وقد كان هذا الشاعر شديد الاعجاب بفوكنر .

سارتر ينتقد فوكنر

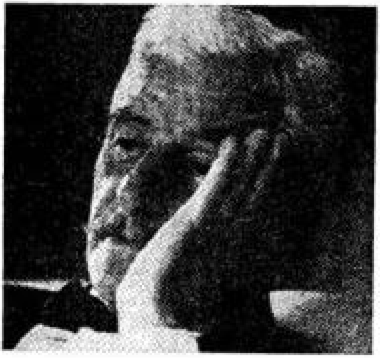
ولكن هذا لا يعني أن الاعجاب بأدب فوكنر في أوروبا كان اعجابا عاما : فهناك من وجهوا له نقدا في الصميم : وفي رأي سارتر Sartre أن فوكنر أديب موهوب ، ولكن عيبه أنه يرسم للانسان صورة قاتمة : فهو يعيش دوما في الماضي، يائسا من المستقبل ، فهو ذو ماض ، ولكن ليس له مستقبل » .

والواقع ان الحياة في كتابات فوكنر تبدو لنا كما تبدو الطريق لراكب سيارة تنهب الأرض ، وقد أدار ظهره لسائقها .

---

(٢) عنوان ديوانه الذي نظمه ما بين عامي١٩٣٩ و ١٩٤٠ هو :
Mannen Utan Vag (Man Without a way)







فوكنر فى لحظات تأمل وتفكير

عالم فوكنر : بين الحقيقة والاسطورة

وأحداث قصص فوكنر تقع فى مقاطعة أسطورية أسماها « يوكنابتوفا » Yoknapatawpha وجعل قصبة لها مدينة أسماها (جفرسن) . وهـــذه المقاطعة بقصبتها منطقة اسطورية وحقيقية فى آن واحد ، بحيث يصعب فرز الحقيقة عن الأسطورة. ويوكنابتوفا هى مقاطعة لافاييت فى الواقـــع ، وجفرسن هى أكسفورد بلدته ، فهو بهذا يصــور فى قصصه حياة هذه المقاطعة من الجنوب الأمريكى بما فيها من هنود حمر ، وعبيد ، وأرباب مزارع، وعصابات ، ومحاربين قدماء وعجائز ، ومستغلين، ووعاظ ، ومحامين ، وأطباء وفلاحين . انها قصص عامرة بعشرات المشاهد الحية ، ويعرض فيها فوكنر تاريخ المقاطعة بما فيها من عذاب ومقاساة وألم ، ولكنه فى الوقت نفسه تاريخ حافل بالولاء والمحبة .

ومن تربة هذه المقاطعة السوداء الغنية ، خلق فوكنر تربة أكثر سوادا ، واناسا ينهالون بفؤوسهم على الأشجار المعمرة تقطيعا ليبنوا مكانها بارا أو فرنا ، وبهذا يسلبون التربة الخيرة جمالها ، ولكنهم لا يلبثون هم أنفسهم ان يتحطموا تحت ضربات المجتمع القاسى ، أو تدمرهم قوى شريرة قابعة فى أعماقهم .

البيض والسود : كلكم لآدم وآدم من تراب

ومن الموضوعات الكثيرة الورود فى كتابات فوكنر شعور الرجل الأبيض بالاثم تجاه الرق . ونحن نقرأ مجموعته القصصية « انزل يا موسى » (٣) التى صدرت عام ١٩٤٢ ، فنحس فيها بما يشين علاقة البيض بالسود من عار . ان فوكنر فى هذه المجموعة يقول لنا ان الموقف الصحيح من الطبيعة لا بد أن يؤدى الى موقف سليم من الزنوج . وقد زاد هذه الفكرة توضيحا فى قصته « مقتحـــم التراب » (١٩٤٨) (٤) حيث يصور بطريقة مؤثرة ما يدور بين شيخ زنجى وصبى أبيض من علاقات، ثم يبين لنا كيف ينتهى الأمر بالصبى الأبيض أن ينظر الى الشيخ الزنجى كانسان مساو له . وهذه القصة تذكرنا بقصة مارك توين الشهيرة « هكلبري فن » .

وفى رأى فوكنر أن الاختلاط بالزواج بين البيض

(3) Go Dawn, Moses. (4) Intruder in the Dust .

والسود يرعب بيض الجنوب ، أكثر من زوال الفوارق الاجتماعية . وقد حاول معالجة هذه العقدة المتمكنة من نفوس بيض الجنوب بالتأكيد على المعنى الاسلامي الكريم « كلكم لآدم وآدم من تراب » ، وتنمية المحبة الانسانية في نفوس البيض .

وله في المرأة رأي غريب

ولفوكنر رأي في المرأة عجيب ، أقل ما يقال فيه انه رجعي ، وهو رأي شبيه برأي ابن المقفع فيها : فالمرأة عنده عاجزة عن التفكير ولهذا فهي تحكم على الأشياء في ظواهرها ، وهي لا تؤمن بالخلق القويم ولا بالشرف الرفيع ، ولهذا فهي تستمرىء الخيانة ، وهي تستمتع بضرب الرجل لها بين حين وآخر ،وهي تستخدم مفاتنها للوصول الى أهدافها ، وهي أخيرا مضيعة لمستقبل الرجل محطمة لحياته . هذه هي صورة المرأة في أدبه .

روائع أربع

وخير قصص فوكنر التي تعرض لنا هذه المعاني السابقة كلها أربع هي :

« الصخب والعنف » ، « والحرم » ، «ونور في آب » ، و « أبشالوم ، أبشالوم ! » (*) .

وقصة « الصخب والعنف » في رأي أكثر النقاد هي خير ما كتب فوكنر بل انها في رأيهم احدى روائع القصص التي كتبت في القرن العشرين ، وهي قصة عائلة انكفأت على نفسها لتعيش حياتها في الماضي . وهي بهذا صورة صادقة لحياة الجنوب الامريكي ، ولحياة فوكنر نفسه الذي نشأ في بيئة طغى فيها الماضي على الحاضر ، حيث ما زالت فيها الحرب الأهلية تعيش في أذهان الشباب وكأنها ما زالت قائمة . وقد نجم هذا الشعور عن اصغاء الشباب الى أحاديث الكبار عن ماض انقضى ، ولكن لم ينقض بانقضائه ما فيه من بغضاء وشحناء ، وما زال الحقد والثأر يغليان فيه .

وقصة « الحرم » هي التي أكسبت فوكنر شهرته في بدء حياته الأدبية . ويروي فوكنر في مقدمته لها انه سأل نفسه يوما : ما الذي يجعل القراء يقبلون على كتاب ما ؟ ولما وجد الجواب عن سؤاله كتب قصة فيها هول ورعب ، وهي قصة اغتصاب مجرم فيه شذوذ جنسي لطالبة فتية . ولما أرسل هذه القصة الى الناشر جاءه رده وفيه يقول : « ربّاه اني لا أستطيع أن انشر هذا الكتاب، لأن كلينا سيسجن ان فعلت» . ولكنه فوجىء عندما وردت اليه من الناشر ملازم الكتاب .

وقصة الحرم بكلمة موجزة تهجم على كل ما هو عصري وحديث .

وقصة «نور في آب » دعوة الى أن يعامل الناس بعضهم بعضا بالحسنى ، وأن يتسامحوا ازاء ما في الانسان من ضعف ونقص ، وهم ان لم يفعلوا هذا ، مهدوا السبيل لضروب الاضطهاد والعسف والشذوذ والعنف .

وقصة « أبشالوم ، أبشالوم ! » من روائع فوكنر دون شك . وقد قدم فوكنر لها بمقدمة غريبة : اذ رسم خريطة كتب تحتها التعليق التالي :

« مقاطعة جفرسن ، مسيسبي . المساحة ٢٤٠٠ ميل مربع . السكان : البيض ٦٢٩٨ والسود ٩٣١٣ نسمة . صاحبها وربها الأوحد : وليم فوكنر . »

وهذه القصة تدور حول العداوة القائمة بين السود والبيض . وهي قصة تنبض بالحياة ، والحركة المستمرة . انها أشبه بدوامة تدور فيها الأحداث والاشخاص بعنف . والجمل فيها طويلة، وقد تطول الجملة الواحدة فتبلغ الصفحة أو أكثر.

★ ★ ★

لقد تمنى فوكنر على الله في حياته أمنية واحدة ، وكانت هذه هي أمنيته :

« لو كان لي أن أعود الى الحياة بعد الموت ، فانني أتمنى أن أخلق طائرا من الطيور التي لا نفع منها : لا يكرهها أو يحسدها أحد ، ولا يحتاج اليها أو يرغب فيها أحد . ولا تفزعها أية أخطار، ويكفيها أي شيء لتقتات به » .

وقد كان هكذا في حياته عازفا عن كل ضروب المجد والشهرة . ■■

محمود السمرة

---

(5) The Sound and the Fury; Sanctuary; Light in August; Absalom, Absalom !

من الكتب التي وصلتنا

أبو الحسن الحصرى القيروانى

محمد المرزوقى والجيلانى بن الحاج يحيى ــ مكتبة المنار ــ تونس

● **كتاب عن أبى الحسن الحصرى القيروانى ، من أدباء القرن الخامس الهجرى . وهذا الكتاب يبحث فى عصره ، وحياته ورسائله .**

كنوز العلم فى أسئلة وأجوبة

وليم فرجارا ــ ترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة والدكتور محمد جابر سليم
مؤسسة فرنكلين ودار النهضة العربية

● **يجيبك هذا الكتاب عن : هل أمطرت السماء سمكا ؟ هل تصاب الحشرات بالأمراض ؟ ماذا تعنى النظرية النسبية لأينشتين؟ ماذا يسبب مرض الحساسية ؟ ما السبب فى زرقة السماء ؟ ..الخ**

سويسرا .. شعبها وأرضها

براجدون ــ ترجمة كمال الملاخ
مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● **هذا هو الكتاب الرابع من سلسلة « حول العالم فى كتب » ، وهى سلسلة تستهدف أن تمحو الحدود بين الثقافات ، وتفتح النوافذ بين أقطار العالم .**

نفط الكويت

اعداد ادارة شؤون النفط العامة . الكويت

● **يتضمن هذا الكتاب ما يلى :**

لمحة جغرافية وتاريخية عن دولة الكويت ، صناعة النفط ، ايرادات النفط ، سياسة الدولة تجاه النفط . هذا بالاضافة الى الرسوم البيانية وخريطة امتياز الشركات .

ريبكا

كيت دوجلاس وبجن : ترجمة محمود عزت موسى
مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● **تتمثل فى هذه القصة ألوان ومظاهر شتى من حياة الطفولة والشباب ، وأحلام الصبا ، وبدواته ، وصور من حياة الأسرة والمرأة الصبور المناضلة ، والمرأة الرقيقة الفياضة بالعاطفة النبيلة .**

الاقتصاد الافريقى

دكتور محمد رياض والدكتورة كوثر عبد الرسول
دار النهضة العربية ــ القاهرة

● **« ليس هذا الكتاب كتاب اقتصاد بحت عن افريقيا ، انما هو كتاب يعنى بالنشاط البشرى من أجل توفير الغذاء ، ويعنى بدراسة سلبية الطبيعة أو ايجابية الانسان أو بالعكس .. » .**

عاشق المظاهر

جورج كيلى . ترجمة كامل يوسف . مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● **يرى بعض النقاد أن هذه المسرحية هى أحسن ملهاة تخرج من قلم أمريكى الى الآن .**

الشرارة الأولى

مراد السباعى . وزارة الثقافة والارشاد القومى
دمشق

● **مجموعة قصصية فيها : الشرارة الأولى ، القارب ، قبور تتزاور ، هروب من المدينة ، العودة ، سجين الدار ، معركة ..**

مجنون ليلى

الدكتورة عاتكة الخزرجى . القاهرة

● **مسرحية شعرية ذات خمسة فصول .**

دكتور سبوك يتحدث الى الأمهات

سبوك . ترجمة عايدة أبادير وسعد الجبلاوى
مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● لا يقتصر المؤلف في هذا الكتاب على النفسيات بل يلمس في بعض الصفحات مشاكل مرضية وصحية ، مثل التبول الليلى ، وفوائد الهواء النقى ، وفوائد ومضار اعطاء الحلوى للاطفال ، ومشكلات الشهية للطعام ..

كيف تلقى درسا

معروف زريق : دار النشر للتربية الحديثة
دمشق

● دراسة علمية واقعية لأصول التدريس في المدارس الابتدائية ، تطلع المعلم على احدث الاتجاهات في التربية والتعليم .

محركات الديزل

كيتس . ترجمة الدكتور حسن محمد السبيلجى
فرنكلين ومكتبة النهضة المصرية

● كتاب يشرح محرك الديزل ، والمحرك ذا نسبة الانضغاط العالية الذى يستخدم الوقود الغازى .

ابن أبى زرع

عبد الله كنون . دار الكتاب اللبنانى . بيروت

● ابن أبى زرع احد مشاهير رجال المغرب . وهذا بحث في تاريخه واثبات انه هو مؤلف كتاب « الذخيرة السنية » .

مذكرات مراهق

رشاد دارغوث . دار الريحانى . بيروت

● « هذه المذكرات كتبتها منذ عهد بعيد ، بعد أن استمعت الى مراهق يسردها على مسمعى بانفعال وحرقة تاثرت بهما ، املا ان يقراها أولادى واولاد الأمة جمعاء ، فيروا الفرق بين النعيم الذى يعيشون فيه اليوم ، وبين الشقاء الذى عاناه ويعانيه سواهم .. »

الكويت باقلام نخبة من الكتاب العرب

دار الكاتب العربي . بيروت

● مجموعة من المقالات المتنوعة عن الكويت .

أدب المغتربين

الياس قنصل . وزارة الثقافة والارشاد القومى
دمشق

● كتيب في أدب المهاجرين العرب الى الأمريكتين، يتناول فيه مؤلفه : المغتربون الأوائل ، الصحافة، الرابطة القلمية ، العصبة الأندلسية ، الرابطة الادبية ، ادب الشمال ، ادب الجنوب ، في سبيل العيش، جزاء الادب ، مصير ادب المغتربين.

قصة الكهرباء

فريمان . ترجمة الدكتور محمد أحمد ثمر .
فرانكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● سيعرف القارىء لهذا الكتاب ما تعمله الكهرباء في مصباح الجيب ، والمكنة الكهربائية ، والسيارات ، والمصانع ، والاقمار الصناعية .

فريسة أبى ماضى

روكس بن زائد العزيزى . عمان

● دراسة للشعر في البادية .

حياة الفنان عبد الوهاب أبو السعود

عادل أبو شنب . وزارة الثقافة والارشاد القومى
دمشق

● عبد الوهاب أبو السعود فنان موهوب ، برع في الرسم والتمثيل ، وهو رائد الفنين في سورية .

وقد ولد عبد الوهاب أبو السعود في مدينة نابلس عام ١٨٩٧ وتوفى عام ١٩٥١ .

تاريخ الآلة والتصنيع وتطوراتهما

جميل كنه . حلب

● كتاب يبحث في تاريخ الآلة واسم ومكان مخترعيها ، وتاريخ وصولها للشرق الأوسط ، واسم من جلبها واستعملها لأول مرة بحلب .

المهدى والمهدية

عبد الرزاق الحصان . مطبعة العانى . بغداد

● نظرة فى تاريخ العرب السياسى .

النظام الدولى والسلام العالمى

كلود . ترجمة الدكتور عبد الله العريان . فرنكلين ودار النهضة العربية

● كتاب يعرض كفاح الانسانية من اجل اقامة نظام دولى ، وسعيها نحو السلام العالمى .

فن الصحافة

رفيق المقدسى . وزارة الثقافة والارشاد القومى دمشق

● من فصول الكتاب : الصحافة اليومية ، الصحافة والتجارة ، الصحفى الناجح، الصحافة والجمهور ، الصحافة والحرية ..

العلوم فى المدرسة الابتدائية

كريج . ترجمة الدكتور محمد صابر سليم . فرانكلين ودار القلم

● المؤلف أستاذ بكلية المعلمين بجامعة كولومبيا، وهو هنا يعرض الآراء والتوصيات التى اتفق عليها السواد الأعظم من الباحثين حول تدريس العلوم فى المدارس الابتدائية .

ربيعة العراق جزءان

عبد الرزاق الحصان . مطبعة بغداد

● يبحث الجزء الاول فى تاريخ العراق العربى، ويدعو الجزء الثانى الى تكوين رأى عام عربى .

عباقرة العلم

فيليب كين . ترجمة أديب يوسف . وزارة الثقافة والارشاد القومى . دمشق

● فى هذا الكتاب دراسة لخمسين عالما ، منهم: فيثاغورس ، اقليدس ، ابقراط ، سقراط ، ارخميدس ، جالينوس ، هارفى ، نيوتن .

شتاء فى الربيع

جوزف فاخورى . لبنان

● مجموعة قصص منها : شتاء فى الربيع ، شىء اسمه الحب ، السرير المعزول، بنت آوادم..

الفجر الراقص

عبد السلام حافظ . دار الفكر العربى . القاهرة

● ديوان شعر صدّره شعرا الأستاذ أحمد رامى .

العيون الخضر

عمر أبو قوس

● ديوان شعر من قصائده : عينالا ، شاعرة ، الطالبة الصغيرة ، فراشة الشاعر ..

حيث لا رجوع

الجزء الثانى: جون ماركاند . ترجمة احمد عرابى مراجعة سميرة عزام . فرانكلين والمؤسسة الأهلية. بيروت

● قصة طويلة للقاص الامريكى الشهير . وقد حولت هذه القصة الى تمثيلية،وقد مثلت بنجاح على مسارح برودواى .

جدار العار

عبد الله الشيتى . دمشق

● مجموعة قصص منها : خبر وصورة ، الامتحان الأخير ، صندوق الاحلام ، امراة فى النار ، اجازة ليوم واحد ..

كفاح الشعب العربى السورى (١٩٠٨ ـ ١٩٤٨)

الرائد احسان هندى . منشورات ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي . دمشق.

● دراسة تاريخية عسكرية فازت بالجائزة الأولى لمسابقة الأبحاث القومية والعسكرية لسنة ١٩٦٢ .

■■

أنت تسأل ونحن نجيب



يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

أتبيع زوجتك الشريفة وأولادك الأربعة

من اجل امرأة لعوب .. لا وفاء لها ؟

● أرجو عفوك ، وصبرك ، كما أرجو نصيحتك ...

انني زوج لسيدة على درجة عالية من الشرف والاخلاق الفاضلة ، ولى منها أربعة أطفال .. لكنها غير مثقفة ، كما أنها متوسطة الجمال .. فضلا عن أنها عنيدة الى درجة تجعلنى أنسى كل فضائلها ، وأكرهها ، وأكره أولادها من أجلها !

ونتيجة لتصرفاتها تعرفت منذ عامين الى سيدة على جانب عظيم من الجمال والذكاء ، مطلقة من ٦ سنوات ، وتعيش مع ولدها وابنتها عيشة هادئة . وان كان زوجها السابق يعيش معها ومع ولديه منها تحت سقف واحد ..

ومنذ عام خطب ابنتها احدى قريباتى ، وبالاتفاق معها راح كل منا يحاول اقناع اقاربه حتى تمت الخطبة ، ولم يبق على الزواج الا القليل . وتتلخص خطتنا فى أنه

الحبس الاحتياطي ..
بين حرية الفرد وتحقيق العدالة

● نقرأ فى بعض الاحيان أن النيابة العامة أمرت بحبس هذا المتهم اذ ذاك حبسا احتياطيا .. هل لكم أن تفسروا لنا معنى « الحبس الاحتياطى » ومسوغاته ، وهلا ترون فيه نوعا من الاعتداء على حرية الفرد أو تقييدها ؟

منير فوزى ـ طرابلس

ـ الحبس الاحتياطى تقييد لحرية الفرد ، وليس اعتداء عليها ، أباحه القانون وقصد به الشارع تحقيق العدالة ، خوفا من فرار المتهم بجناية أو جنحة ، مما يحدده قانون العقوبات ، أو خشية تاثيره على جمع الادلة التى تثبت ادانته.

ويصدر الأمر بالحبس الاحتياطى أول ما يصدر، من النيابة العامة ، ثم بعد ذلك من القاضى الجزئى ، واخيرا من « غرفة المشورة » التى تتألف عادة من ثلاثة قضاة .

أما النيابة العامة فلا تملك حبس أكثر من أربعة

بمجرد اتمام الزواج أترك زوجتي نهائيا ، وأتزوجها هي ، علما بأن كلا منا يحب صاحبه حب عبادة ، وقد قضينا هذين العامين كزوجين لا ينقصهما الا عقد الزواج .. وقد أقسمنا على القرآن الكريم أن يظل كل منا مخلصا للآخر حتى الموت !

الا أن شيئا ما يجثم على صدري كلما تذكرت أنها منذ أربعة عشر عاما تركت زوجها ـ مطلقها الحالي ـ وتزوجت شخصا من غير دينها بعد أن غيّر دينه ، وعاشت معه ٤ سنوات توفي بعدها في حادث ، فرجعت الى زوجها الاول من أجل ولديها ، مع أنه يكبرها بحوالى خمسة وعشرين عاما !

انني أنتظر بفارغ الصبر رأيك الذي يتوقف عليه مصير أسر ثلاث .. وشكرا ..

« المنتظر ـ دمشق »

ـ صدقني انكما ـ أنت وصاحبتك ـ شخصان لا خلاق لكما ولا وفاء !

هي تترك زوجها الأول ، وطفليها ، لتتزوج رجلا من غير دينها ، وأنت تريد أن تترك زوجتك الفاضلة ـ باعترافك ـ وأولادك الأربعة ، لتتزوج من امرأة لعوب ، تغير أزواجها بنفس البساطة التي تغير بها فساتينها أو أحذيتها !

هي تطلق من زوجها ومع ذلك تقيم معه في مسكن واحد ست سنوات ، ولا تتورع أن تكون خليلة لرجل آخر ، هو حضرتك ! وأنت تخون زوجتك وتبيع أولادك من أجلها ، هي التي باعت زوجها الاول وأولادها من أجل رجل آخر ، لا بد أنها كانت خليلة له قبل أن تتزوجه !

كلاكما من طينة واحدة .. فهي لا تصلح الا لك ، وأنت لا تصلح الا لها ..

فتزوجها .. وأنا على يقين من أنها لن تحفظ لك عهدا أو تصون لك عرضا .. ستقلب حياتك عما قريب الى جحيم لا يطاق .. ولسوف تتركك يوما ، ليس ببعيد ، لتهرب مع آخر أصغر منك سنا وأوفر شبابا !

ومن يدري ، فقد تخونك دون أن تهرب ـ كما تخون أنت زوجتك معها الآن ـ ودون أن تكتشف خيانتها ، كما لم تكتشف زوجتك بعد خيانتك !

واذا كان ابنها سيتزوج قريبا ، فمعنى ذلك أنكما لستما شابين طائشين .. انتما لا ريب قد جاوزتما الأربعين .. أليس كذلك ؟ فهل يليق برجل مثلك جاوز الأربعين أن ينحدر الى مثل ما انحدرت اليه ، ويلقي بنفسه في الهاوية التي تريد أن تتردى فيها ؟

ثب الى رشدك يا رجل ، وعد الى زوجتك الفاضلة وأولادك الأبرياء ، وتب الى الله مما اقترفت في حقه وحقهم ، والا فاني مبشرك بسوء المصير ..

أيام (في القانون المصري) قد تمتد الى سبعة أيام « في القانون الكويتي » فاذا انقضت هذه المدة دون أن تنتهي النيابة من جمع الأدلة واستيفاء التحقيق فعليها أن ترفع الأمر الى القاضي الجزئي ليأذن بمد مدة الحبس ١٤ يوما ، قابلة للتجديد بأمر جديد ، لمدة ١٤ يوما أخرى ، وهكذا ، بحيث اذا لم ينته التحقيق خلال ثلاثة أشهر لجأت النيابة الى المحكمة الكلية التي تنعقد بهيئة « غرفة مشورة » لترى ان كان هناك وجه لاستمرار حبس المتهم أو الافراج عنه بالكفالة أو بالضمان الشخصي ، أو صرف النظر عن محاكمته والافراج عنه بلا شرط .

ويجوز للنيابة أن تستخدم حقها في الحبس الاحتياطي مع المتشردين أو المشتبه فيهم أو الذين صدر لهم انذار من البوليس أو الموضوعين تحت رقابته ، وذلك عند وجود قرائن على ارتكابهم جرائم أو شروعهم في ارتكابها .. وفي هذه الحالة لا تتقيد بالشروط السابقة من ضرورة استئذان القاضي في مد مدة الحبس الاحتياطي .

وللمتهم المحبوس احتياطيا على ذمة التحقيق ان يعارض في أمر حبسه ، بشروط أوضحتها قوانين تحقيق الجنايات أو ما شابهها من قوانين الاجراءات الجنائية .

القتل بدافع الرحمة !

● قرأت في احدى الصحف أن سيدة ولدت طفلا برأسين ، ورحمة به حقنه الطبيب حقنة قضت عليه في الحال ، وذلك بدافع من انسانيته، وبرجاء من والديه ، انقاذا له من مستقبل مظلم وحياة لن يناله فيها غير الشقاء والعذاب .

فهل يقر القانون مثل هذا العمل ؟ وهل يقره الدين الحنيف ؟

يوسف السيد حسين ـ المحرق

ـ قد يبدو عمل الطبيب هذا عملا انسانيا في ظاهره ، لكنه في رأى الدين جريمة قتل نهى الله عنها : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق .. » .

وهو في نظر القانون الوضعي ايضا جريمة ، وان كان المشرعون قد اختلفوا في وصفها القانوني، كما اختلفوا في عقاب مرتكبها ، وذهب بعض القضاة الى القضاء ببراءته ، بحجة انه انما ارتكبها بدافع الرحمة ، وانقاذا لانسان معذب لا امل في حياته ولا رجاء ..

على أن هذا الطفل الذى تذكر كان سبيله الموت لا محالة ، حقنه الطبيب أو لم يحقن . انما المشكلة تشتد عندما ينزل الوليد مشوها كان يكون فاقدا طرفا من اطرافه . انه قد يعيش ، ولكن على العجز والشقاء .

لا مانع من زواجهما

● تزوج احمد من آمنة ، ورزق منها بولد اسمه خليل ، ثم افترقا بالطلاق . وتزوج احمد من زهرة وأنجبت منه طفلا اسمه سعيد ، كما تزوجت آمنة من عبد الله وأنجبت منه طفلة أسمتها سامية .

وبعد أن كبر الأطفال الثلاثة شاءت الاقدار أن يقع سعيد في حب سامية .

فهل يصح شرعا أن يتم هذا الزواج ، أى أن يتزوج سعيد (وهو أخو خليل من والده) بسامية التى هي أخته من أمه ؟

فؤاد ابراهيم دبدوب

ـ ليس هناك أى مانع شرعا من اتمام هذا الزواج فكل من سعيد وسامية من أبوين مختلفين، وان كان خليل يشترك معهما في أنه اخو سعيد من ابيه واخو سامية من أمها .

شكسبير لي

● كثر الحديث في هذه الشهور الأخيرة عن شكسبير شاعر بريطانيا الأكبر لمناسبة مرور أربعة قرون على مولده .. ولقد كان مما قرأت عن شكسبير في هذه المناسبة انه شخصية وهمية لم يكن لها وجود ، وأن كل ما ينسب اليه من انتاج أدبي خالد انما هو من صنع رجل آخر اختلفوا في حقيقة شخصيته هو الآخر من يكون .. فهل هذا صحيح ؟

وهل صحيح أن شكسبير كان عربيا في خلقته وصورته ،وفي أدبه وصوفيته ، وأن معظم قصصه مستقاة من ألف ليلة وليلة أو غيرها من القصص العربية ؟

وأخيرا ما هى أشهر آثار شكسبير وأحقها بالخلود ؟

نادية شيرين ـ القاهرة

ـ القول بأن شكسبير شخصية وهمية لم يكن لها وجود ليس بالشيء الجديد . وهو لا يختلف كثيرا عن القول بعروبة شكسبير .. كلاهما مجرد قول لم يقم عليه أى دليل ..!

رد

● **رفيق محمد ابراهيم محمود : مدرسة العضيلية ـ الكويت .**

ـ يمكنك تسجيل فكرتك أو اختراعك بوزارة الصناعة في القاهرة أو في بيروت .

● **الحائرة هدى : دمشق**

ـ شخص غريب عن بلدك ، يختلف عنك في عاداته ، ويتشاجر معك باستمرار ، وهو مهمل جدا لنفسه ولصحته ، وعيناه مصابتان بمرض معد ، ما الذى يحملك على حبه ، وأنت ـ كما تزعمين ـ من عائلة مرموقة ؟

أميرة على ناصر : الدسمة ـ الكويت .

الصدق شيء والصراحة شيء آخر .. هو ضد الكذب ، وهي ضد الابهام والغموض .. وهما صفتان حميدتان ، ولكن قد تتوفر في شخص ما ، احداهما دون الأخرى ..

● **ح . أ . س : جدة**

ـ تجديد الوضوء وحده في هذه الحالة كاف .

خصية وهمية

فالقول بوجود شبه كبير بين ملامح شكسبير والملامح العربية لا يمكن ان ينهض دليلا على انه ينتمي الى اصل عربي .

والقول بان مسرحيات « عطيل » و « تاجر البندقية » و « مكبث » و « العاصفة » كلها ماخوذة عن « الف ليلة وليلة » او شبيهة بقصص « قمر الزمان» و « مسرور التاجر » و «الساحرات الثلاث » و « حكاية جزيرة الكنز » او ان « روميو وجولييت » مزيج من قصة « مجنون ليلى » و « قيس ولبنى » لكثرة ما جاء بها من عبارات مشابهة لعبارات وردت في هاتين القصتين .. كل ذلك لا ينهض هو الآخر دليلا على عروبة شكسبير، والا لادعاه الايطاليون مثلا او اليونانيون اذا صح ان معظم تلك المسرحيات ماخوذة فكرتها عن اساطير يونانية او ايطالية او دنماركية كما يزعم بعض النقاد !

اما اى روائع شكسبير احق من غيرها بالخلود ، فامر ما يزال موضع خلاف بين النقاد حتى الآن .

صة

● **شمس الدين الموسوى : الحى ـ العراق**

ـ في مثل هذا الباب من العدد الستين ، جواب ما تسأل عنه من فنار الاسكندرية وعجائب الدنيا السبع .

● **يوسف محمد قاسم ـ العراق**

ـ الزوج مسئول أمام الله عن تصرفات زوجته التي يعلم بها ، فاذا ما خرجت مكشوفة الصدر او الظهر ، ورضي عن ذلك ، كان عنه مسؤولا .

الى هـ . هـ .
التائهة في أرض الله

على أثر نشر رسالتك في العدد الماضي اتصل بنا كثيرون من اهل الخير ، رسميين وغير رسميين ، يعرضون استعدادهم للاخذ بيدك وتهيئة العمل المناسب لك .
نرجو موافاتنا بعنوانك كاملا

● **شهاب الدين احمد الجبورى ـ ناصرية ـ العراق .**

ـ الانتساب الى الجامعات ممكن في الكليات النظرية فقط ، والاجازة العلمية التي يحصل

● **محسن بن محمد الزهر ـ ظفار ـ سلطنة مسقط .**

ـ تستطيع الزوجة المسلمة التي يسيء زوجها معاملتها ، أو التي لا يكون زوجها أمينا عليها ، أن تطلب من القاضي تطليقها منه .

● **المعذب س . ص : حلب**

ـ ان كنت تنشد ارضاء الله ورسوله كما تقول في خطابك فلا تطلق زوجتك ، فتجني عليها ماديا وأدبيا .. وحتى لو كانت قد أخطأت فاصفح عنها واغفر لها يضاعف الله لك الثواب .

● **شاكر فضل الله : اربد ـ الاردن**

ـ صديقك مخطيء ، وأنت على صواب ، فالاستاذ توفيق الحكيم مسلم . ولكن ماذا يهمكما ان يكون مسلما او مسيحيا ؟

● **السيد محمد عدنان مرتضى : دمشق**

ـ ليس في جوابنا نظر كما تقول . فيجوز للمسلم ان يتزوج من غير المسلمة ما دامت من أهل الكتاب ، دون اشتراط اسلامها . اما الآيات التي استدللت بها فتحرم زواج « المشركات » و « الكوافر » ، وليس الكتابيات بمشركات ولا كوافر ..

● الزواج ايجاب وقبول ، على أية صورة من الصور ، سواء اكان بالكتابة او بالقول أو حتى بالاشارة ، أو بغير ذلك مما تعارفت عليه طائفة أو جماعة ، فكل ما يقع من هذا القبيل ينعقد به الزواج شرعا .

خليل صرصور : القامشلي

للمسلم أن يتعبد على أى مذهب شاء وليس في الاسلام ما يحتم على المسلم أن يتقيد بمذهب من المذاهب ، فالاصول واحدة ليس عليها خلاف.

عبد العزيز سعود حارب : مسقط

لا علاقة لقراءة كتاب « أسماء أهل بدر » وما أصاب صاحبك . ولا بد من عرضه على طبيب متخصص ، لأن قراءة أحد « المطاوعة » عليه لا تكفي .

صرخة وأنة عذاب .

● كثيرا ما ترددت وعانيت قبل الكتابة اليك .. رسالتي هذه صرخة الم وأنة عذاب ، مستغيثه .. عَدّاء الكون بأكمله بدا لي ، فاستفزني ، وحقدت ، وانغمست في الرذيلة والمنكر والفحشاء .. فترديت ! انسانيتي ، فضيلتي ، ارادتي ، كلها هجرتني ، وفي العالم الآخر أصبحت .. أفبعد هذا أعيش ؟! .. عجبي !

من يوم خلقت بواقع مجهول ، اتسمت حياتي بالتشرد ، وستنتهي بالضياع .. حاليا أشغل وظيفة روتينية سقيمة مريضة ، تعلوها صفرة الأموات ـ كم أكرهها ! الا أنها سبيل عيشي الوحيد ، والمهدد دائما !

أنا شيء غريب الشكل ، لا أَمُتّ الى عالم التكوين البشرى بصلة ! فأعضائي متفقة على التنافر والتباعد .. فقير معدم لا أملك من حطام دنياي غير احساس مرهف ، ونفس وليدة ساعتها !

تأثرت بالخَيّام وانسقت في نسقه وسبله ، ضمن حدود امكانياتي المحدودة ، وعلى ارفع مستويات الرخص والدناءة !

والمعرى أيضا تأثرت به .. مما حدا بي الى اعادة النظر في معتقداتي .. فاهتز ايماني وتزعزعت أركانه ، بسبب ذلك التوزيع المادى غير المتكافىء في العالم !

كم أود ومن الاعماق أن أشعر بدفء الايمان يعمر قلبي الذى أبحث عنه في زوايا وحنايا نفسي المظلمة ، فلا أجد له أثرا . كل ما أجد هو آثار لومضات انطفأت ، فأتحسر وأتألم !

كم أود أيضا أن تستقر نفسي التائهة على أى وضع ، ولو أسوأ وضع . ان أحاسيسي لا يمكن لورقة وقلم أن ينقلاها ، فهي أكبر من الأوراق جميعا ، وأكثر تعبيرا بحد ذاتها من أى قلم . كل ما توخيته هنا هو الاختصار الشديد لحالتي ، مع مراعاة دقة التعبير ، آملا أن أجد لديكم ما يناسب ، علما بأني لا أقبل أية مواساة .. وشكرا .

أ. م. أ

الكويت

ـ وأنا كم كنت أود لو عرفت كم مضى من عمرك ، وما هو مبلغ ثقافتك ، لأعرف الى أى مدى تأثرت بالخَيّام وأبى العلاء .. فانه ليخيل لي ـ ومعذرة اذا ما كنت مخطئا في تخيلي ـ انك ما زلت مراهق الفكر ، وان لم تكن مراهقا بالعمر ، وان دراستك لفلسفة الخيام وأبى العلاء ليست الا دراسة سطحية ربما لم تتعد قراءة قصيدة هنا أو بيت من الشعر هناك ، فتأثرت بما فيهما من صور مظلمة ، لم تلبث أن لفتك ، وصبغت روحك بهذا اللون الأسود الذى غشى فكرك ، فجرى به قلمك !

م . باتافع : الجنوب العربى .

اذا ثبت للزوج ، بيقين لا عن ظن وتخمين ، أن زوجته انما هي أخته في الرضاعة وجب عليه اعتزالها ، واعتبر الزواج فاسدا غير صحيح ، ولكنه لا يحتاج الى طلاق ، وتترتب عليه العدة كعدة الطلاق أو الموت ، وينسب الاولاد لأبيهم الذى تجب عليه نفقتهم وتحتضنهم الأم حتى تنتهي مدة الحضانة الشرعية ، ويرثون الأب كما يرثون الأم ، ولكن الزوجين المفترقين لا يتوارثان .

فان تماشرا بعد ذلك فهو الزنا . أما ما سبق ففي عرف الفقهاء « من وطء الشبهة » ويسقط معه الحد .

محمود محمد الحيمى : رام الله ـ الاردن

هذه عملية بسيطة يمكن اجراؤها بواسطة أحد أساتذة جراحة العيون بالقاهرة ، دون حاجة للسفر الى أوروبا .

لكن فى غير موجب أو مبرر !

وكم كنت اود ايضا لو عرفت ما هى تلك « الوظيفة الروتينية السقيمة المريضة » التى تشغلها ، والتى تكرهها ، لعلى أجد فى التفاوت بين ثقافتك وبين وظيفتك ، ما يبرر هذا السخط الذى تفيض به رسالتك ، والذى جعلك تعتقد أن الحياة قد ظلمتك ، ومنعتك حقا لا شريك لك فيه !

واخيرا اود لو انك سالت نفسك ، كما سالت انا نفسى قبلك عشرات المرات ومئاتها، وكما احب ان يسأل كل ناقم على الحياة مثلك نفسه : من أنت حتى تريد أن تنزل الحياة عند رغباتك ؟ أنسيت انك ، مهما يكن من حسبك ونسبك ، ومن ثقافتك او عبقريتك ، لا تعدو أن تكون واحدا من ملايين الملايين من البشر عاشوا قبلنا ، وسيعيشون بعدنا ، واذا هم جميعا ، مجرد ذرة فى صحراء لا أول لها ولا آخر ، وقطرة فى محيط ليس له قرار ؟!

ان فى الدنيا الاف الملايين ، لا يجد الواحد منهم مثل تلك « الوظيفة السقيمة المريضة التى تعلوها صفرة الأموات » ! بل ان منهم من لا يكاد يجد لقمة العيش الا ممزوجة بالعرق والدموع ، والتراب !!

الم يقع بصرك يوما وانت فى الطريق الى عملك او الى منزلك ، على أولئك المساكين الذين يعملون فى شق الطرق او رصف الشوارع أو حفر الارض لأنابيب المجارى ، تحت وهج الشمس المحرقة ، دون ان يجد الواحد منهم حتى شربة ماء باردة ، تبل ريقه وتطفىء ظماه ؟!

باى شىء ترانا نفضلهم او نمتاز عنهم ؟ لا تذكر الحسب والنسب من فضلك .. فكلنا لآدم .. وآدم من تراب .. ولا تقل اننا نفضلهم بعلمنا وثقافتنا ، فذلك شىء لا فضل لنا فيه ، ولا ذنب لهم فى حرمانهم منه .. انه قدَر ، كالموت ، سواء بسواء ، ليس لأحد منا جميعا فيه رأى او ارادة ..

وصدقنى .. انهم افضل منك ومنى !

انهم يشقون طريقهم بين صخور الحياة ووسط اشواكها ، راضين قانعين ، غير عابئين بما تخلفه الصخور والاشواك فيهم من جروح أو ندوب .. بينما ننعم نحن بالطعام الوفير والفراش الوثير ، والماء المثلج ، والهواء المكيف ، ومع ذلك تفيض قلوبنا بالحقد والنقمة والسخط على الحياة .. ولو اننا نظرنا الى من هم دوننا ، لسجدنا لله شكرا على نعمه ، ولوجدنا أن الحياة قد سخت علينا واعطتنا فوق ما نستحق !

واذن ، لطابت نفوسنا ، واحسسنا بالسكينة ، وسلام النفس وراحة البال ..

عبد الرحمن سالم عاليه: مدرس بالكلية الزراعية: الطائف

الأذواق تختلف باختلاف البيئة ودرجة الثقافة. والأغانى التى تعجبك قد لا تعجب سواك . والعكس أيضا صحيح ..

والفنانون الذين أشرت اليهم كانوا عباقرة بالطبيعة ، لا بالدراسة وحدها .. وكل ميسر لما خلق له .

● عبد الله احمد يوسف : جدة

ــ القطرة التى تستعملها الآن لا ضرر منها ، وكذلك النظارات الشمسية .. حبذا لو استعملت غسولا للعيون للوقاية من الغبار .

صالح عبد الله : الرياض ــ السعودية

نعم . يمكن اجراء جراحة لاعادة الكسر وجبره جبرا صحيحا ، على أن يقوم بذلك أخصائي .

واذا لم يتيسر اجراء هذه الجراحة فى الكويت، فعليك بالقاهرة أو غيرها .



من بين أنواع السّجاير العديدة التي يفيض بها العالم،
يختار الرجل العصري سيجارة ڤايسروي - سيجارة الذوق المدقق!

ايسروي - السّيجارة الأمريكيّة العالميّة



القلم الذي يعمل بالامتصاص

باركر ٦١

اي تذكار احدث منهم اجمل من هدية



اصبحت رمز الكمال ... باركر ٦١

ان قلم الحبر باركر ٦١ ابدع التصميم

والذي لا يجاريه في الأداء اي قلم آخر ، هو تعبير عن اعجابك للمهدى اليه ، ودليل على تقديرك الصائب . انه قلم من نوع جديد تماماً ، وهو الذي حقق اهم تقدم ملموس في عالم الأدوات الكتابية ، ذلك انه ليس فيه اجزاء متحركة تتعرض للتلف من جراء الاستعمال . ومع ذلك فان قلم باركر ٦١ يملأ نفسه بنفسه تماماً ، على غرار عملية الامتصاص الشعرية نفسها . انه الهدية الوحيدة التي تشرف كل مناسبة ، قلم باركر ٦١ النفيس .

يفوق سائر اقلام الحبر بأربع نقاط مهمة !

انه لا يتأثر بالصدمات ابداً .
لأن كمية الحبر « المبيسة » فيه تقاوم الهزات العنيفة

انه لا يرشح مطلقاً .
لأن له خزاناً خاصاً يضبط تدفق الحبر .

انه سهل الاستعمال .
لانه ليس فيه اجزاء تقتضي معالجتها باليدين ، وبالتالي تتعرض للتلف من جراء الاستعمال .

انه يملأ نفسه بنفسه .
لأن الحبر يعبأ في خزان قلم باركر ٦١ بالقوة الطبيعية المؤثرة ، اي عملية الامتصاص الشعرية ، وذلك بصورة تامة نظيفة ، تحول دون تلطخ اصابع اليدين .

منتوجات شركة اقلام باركر

اِضْحَكْ تَضْحَكْ الدنيا مَعَكْ

فى ضيافة أكلة لحوم البشر

هبط فريق من الرحالة احدى الجزر النائية ، فاستقبلوا بتهليل ، وانبرى من بين الاهالى شخص حدثهم بانجليزية ركيكة مرحبا بهم .. وما لبث ان اقبل عملاق ضخم ، اخذ يهز يد كل منهم ، متحسسا ذراعيه وساقيه ، ثم يحتضنه ولا يلبث ان يرفعه عن الارض قليلا ، ثم يرده اليها ..

واخيرا ، بدا عليه الرضى ، فابتسم .. ومال احد الرحالة على الشخص الذى يفهم الانجليزية وساله : « من يكون هذا ؟ .. أهو الوفد لاستقبالنا رسميا ؟ » .

فاجاب الرجل : « انه مفتش الأغذية لدى أمير الجزيرة ! » .

طريقة لاطالة الوجه !

● اتصلت السيدة بورشة اصلاح اجهزة التلفاز وشكت الى المسؤول ان جهازها به عطل . فسالها الرجل اذا كانت هناك اعراض مرئية لهذا العطل. فاجابت السيدة : ان وجه مذيع الاخبار يبدو طويلا .

فرد عليها المسؤول قائلا : اذا قمت انت يا سيدتي باذاعة ما يحدث فى هذه الايام فان وجهك ايضا سيكون طويلا !!

[redacted]

● وقعت فتاة من عائلة محترمة فى حب متسول ، وطلبت منه أن يتزوجها فقال لها :

ـ لكى تثبتى بانك تحبينني يجب ان ترافقينى فى انحاء البلاد تتسول سويا ، واذا فعلت ذلك فساتاكد من انك تحبينني .

وبعد تردد وافقت على ذلك كي تثبت له حبها . وتزوجا وامضيا سنة كاملة وهما يتسولان من باب لباب . ولما انتهت السنة قال المتسول لزوجته :

ـ لقد مضت فترة التجربة وثبت حبك لي .. والآن يجب أن نترك التسول ونعيش فى بيتنا حياة عادية .

فقالت الزوجة : « حسنا ، ولكن دعنا ننتهي من هذا الصف من البيوت أولا ! » .

بكِ تَبْكِ وضْحَكْ ..

ارستقراطية

فى معرض للكلاب ، سألت سيدة صاحب المعرض وهى تتأمل كلبا :

« هل لهذا الكلب سلالة عريقة ؟ » .. فنظر اليها الرجل مستنكرا وقال :

« سيدتى ، لو استطاع هذا الكلب أن يتكلم لترفع فلم يتحدث الينا ! » .

تفكير يهودى

● كان الدرس حول « توماس اديسون » ومخترعاته العديدة .. وفى نهايته ، سأل المدرس تلاميذه :

ــ ما هو اكبر دليل على عبقرية اديسون ؟

وفكر الصغار طويلا ، وما لبث أحدهم أن رفع اصبعه ، فأذن له المدرس بالكلام ، واذ ذاك قال :

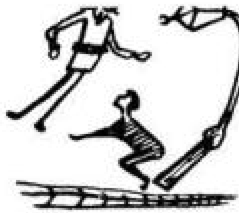
ــ لقد كان اختراعه الحاكى (الفونوغراف) هو اكبر دليل على عبقريته .. لأنه يغرى الناس بالسهر والاستماع الى « الأسطوانات » .. وهذا يجعلهم يستهلكون كثيرا من التيار والمصابيح الكهربائية التى اخترعها ادسون نفسه .

له حق !

● تشاجرت الزوجة فى نهاية الأسبوع الأول من شهر العسل مع زوجها ، وكان ذا أنف ضخم مشوه . فقالت تعيره به :

ــ الا يكفينى اننى احتملت انفك أسبوعا كاملا ؟

فأجابها بكل هدوء : « اما انا فقد احتملته ثلاثين عاما » !



معقول .. ؟!

فى ساعة متأخرة من الليل ــ رأى الشرطى رجلا ثملا يدور حول عمود مصباح الشارع ، وهو يحبو على يديه وركبتيه ، فسأله : « ماذا تفعل ؟ »

فأجاب السكران : « أبحث عن نقود وقعت منى »

ــ اين وقعت بالضبط ؟

ــ على الجانب المقابل من الشارع .

ــ فكيف لا تبحث عنها هناك ؟

ــ لأنه لا يوجد نور هناك .

طموح

وقف كاتب انجليزى يخطب فى احدى الهيئات الامريكية ، فاستبد به الزهو بانتمائه الى انجلترا ، لدرجة دفعته الى أن يقول : « لقد ولدت انجليزيا .. ولقد عشت انجليزيا .. وأرجو أن أموت انجليزيا .. » .

فارتفع صوت من آخر القاعة يقول : « يا الهى ! .. انه لا يريد ان يتطور .. انه عديم الطموح ! » .



(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....

....

العنوان : ....

....

....

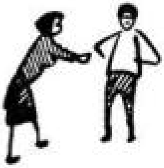
سر العطف

● طلب الطفل من أمه نقودا ، فقالت له : « **وماذا فعلت بالنقود التى أعطيتك اياها البارحة ؟** » .

فأجاب الصغير : « اعطيتها لامرأة عجوز مسكينة » .

وسرت الأم لروح البر المبكر لدى ابنها ، فأعطته ما طلب . ثم أرادت أن تختبر حسن تصرفه ، فقالت : « **ولماذا اعطيت العجوز نقودك بالأمس ؟** » .

فأجاب : « لأنها كانت تبيع حلوى جيدة » !!



معقول

الزوج : كم نبهتك الى تثبيت هذا الزر .. ها هو قد انفصل نهائيا .

الزوجة : سأثبته لك فى لحظة ... لست أدرى ماذا كنتم تفعلون يا معشر الرجال بدوننا ؟

الزوج : كنا نحتاط للامـر فنلبس اقمصة بدون أزرار . ■■

بريد القــراء

(بقية المنشور على صفحة ٦)

الفكر العربى ليس عقيما

● جمعتني واياه فرص العمل . وطبيعة العمل المشترك محك للفهم والآراء ، وما كان أسرع ما تكشف صاحبي عن آراء عجيبة ، لعلها منبثقة عن طبيعة ثقافته الغربية ، فهو يدرس الادب الغربى ، ويجهل ما سواه من التراث الثقافى العربى . وما أكثر من ينخلعون عن نطاق الامة العربية وهم يعيشون فى صميمها !

دخل صاحبنا فوجدنى اناقش زميلا آخر فى مسالة اعرابية ، فداخله من ذلك العجب ، وانكر، وبدأ يفصح عما يجيش فى نفسه من أننا نحن العرب قد شغلنا انفسنا بهذه الأمور ، دون أن نلتفت الى ما يجرى حولنا من دوران سريع لعجلة الحضارة والثقافة والفكر ، وعلة ذلك ان أجدادنا رحمهم الله صنفوا المصنفات العديدة فى مناقشة المسائل النحوية والأدبية وما اليهـا ، دون ان يضيفوا جديدا فى التراث الانسانى ، فجاءت مصنفاتهم عديمة الجدوى ، وظل الفكر العربى مجدبا لم يأت بجديد فى علم او ادب ...

وأحب ان اقول لصاحبنا واضرابه ، وهم مع الأسف كثيرون ، ان ذلك شيء ينكره علماء النهضة الثقافية الحديثة الغربيون ، فهم يعترفون ان كثيرا من مظاهر تلك النهضة انما قام على دعائم عربية ، واستمد جذوره العميقة من نسغ الفكر العربى . وحسبك ما ذكره (غوستاف لوبون) فى مؤلفه القيم (حضارة العرب) ، وهو

اعتراف صريح بفضل العرب على الحضارة الانسانية بعامة ، وعلى النهضة الغربية الحاضرة على الأخص ، فهو يذكر فى كتابه فضل العرب ومدى ما قطعوا من اشواط بعيدة فى شتى ميادين التقدم الفكرى، سواء فى الثقافة او العلوم العملية والتجريدية أو الآداب أو الفن المعمارى وما الى ذلك .

ثم اننا اذ نحكم على النقاش فى المسائل النحوية بالعقم نضع حائلا كثيفا وحجابا كتيما بيننا وبين أن نفهم تراثنا الفكرى ونتمثله ، ونحن أحوج ما نكون الى أن نفعل ولئن انكر منكر هذا التراث فلا يقلل ذلك من قيمته ولا ينزله من عليائه ، وقد مر عبر القرون المتطاولة بأفواج من افذاذ المفكرين ممن اغنوه وأضافوا اليه ، بله التنكر له والاعراض عنه .

انى لانصح لصاحبي وأضرابه أن يقرأوا قراءة موضوعية شيئا من هذا التراث حتى لا يحكموا عليه وهو جاهلون ، فالانسان عدو ما جهل !

دمشق عمر الاسعد

.. شكرا

● ضمن التحقيق الصحفى عن مدينة سامراء جاء قول أحد تجارها « أن من أعجب العجب أنه لا يحق لنا ان نستورد اى شيء من خارج العراق الا عن طريق تجار بغداد .. الخ » .

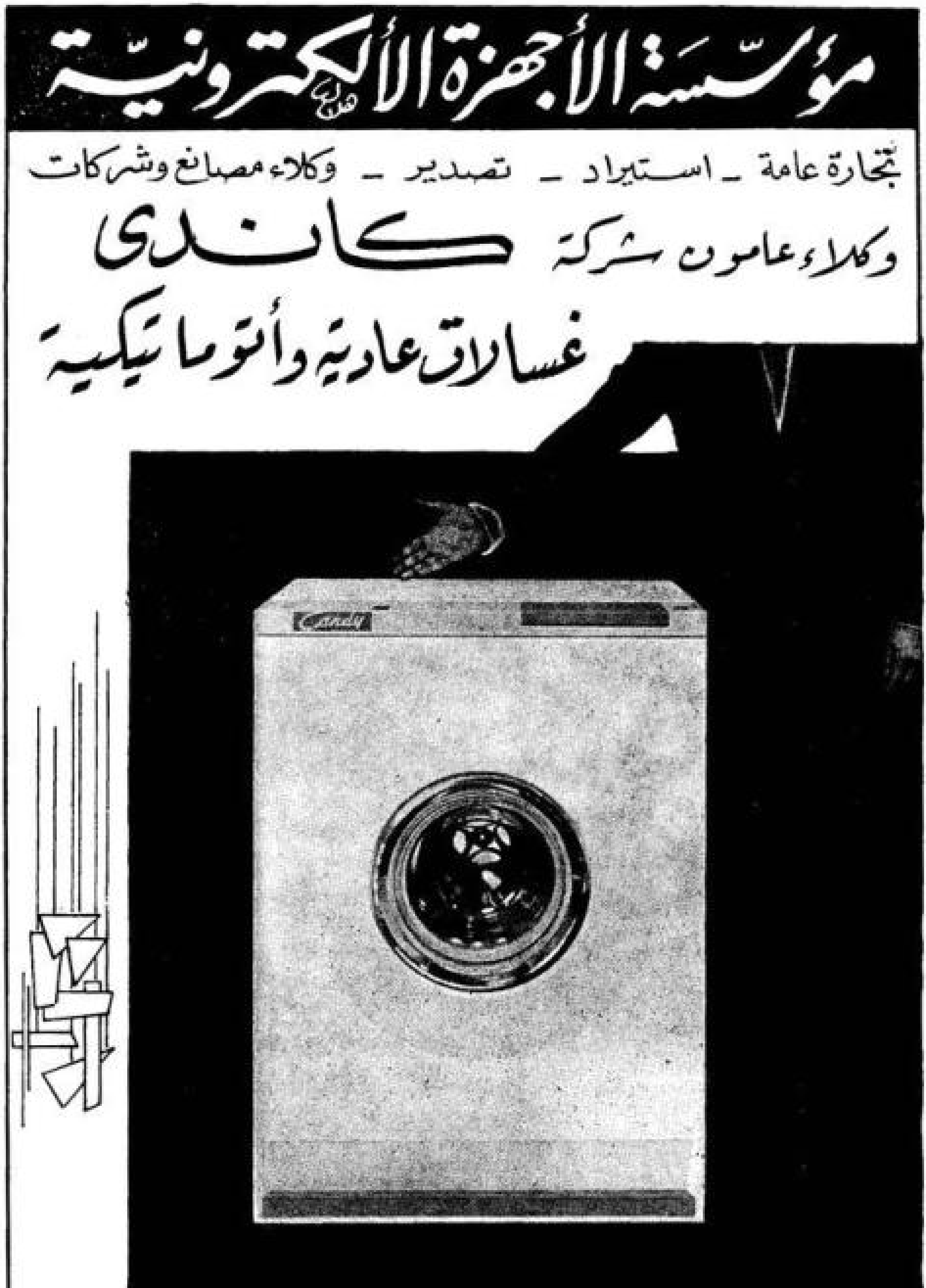
والواقع ان انظمة الاستيراد فى العراق توجب على من يرغب مزاولة الاستيراد أن يكون عضوا فى غرفة التجارة التى تقع فى مركز عمله ومن درجة معينة ومصنفا لديها . ولذلك فانه ليس صحيحا ان تجار سامراء ليس من حقهم الاستيراد مباشرة لان كل شخص له هذا الحق فى اى مكان يزاول عمله فيه بمجرد ان ينتمى الى غرفة التجارة .

وللحقيقة نذكر ان عددا من تجار سامراء هم اعضاء فعلا فى الغرفة ومن حقهم الاستيراد اذا كانوا مصنفين فى مديرية الاستيراد والتصدير العامة بصورة مباشرة لا عن طريق تجار بغداد . والغرفة ترحب بقبول انتساب الاخ المذكور اذا ما تقدم بطلب لتسجيله .

كاظم عبد الحميد المهيدى

المدير العام لغرفة تجارة بغداد

■■


مؤسسة الأجهزة الالكترونية
تجارة عامة - استيراد - تصدير - وكلاء مصانع وشركات
وكلاء عامون شركة كاندى
غسالات عادية وأوتوماتيكية
الكويت: ص.ب ٢٤٤٩ - برقيا: ترانزستور



في جميع أرجاء العالم...
كرافن كنج ساين فلتر



التوازن المثالي بين الفلتر والتبغ لإعطاء نكهة ألطف وأنقى

مصنوعة في انجلترا

يجيريا تعكف على التعليم والبناء

ت نيجيريا بداية موفقة في تنفيذ مشاريعها الضخمة للتنمية بمقتضى برنامج سنوات الست. فها هي المدارس الجديدة تفتح فيها، وها هي الجرارات تعمل في تسوية الأرض في البقعة التي سيقوم عليها أكبر سد في أفريقيا.

لا يزال مستوى المعيشة في نيجيريا، حتى يومنا هذا، مرتبطاً بالسعر العالمي للفول السوداني وزيت النخيل والكاكاو والمطاط وغير ذلك من حاصلاتها الأولية.

أهل نيجيريا مدركون لهذا الاختلال في ن مصادر الإنتاج كل الإدراك، وقد شرعوا، من ل إصلاحه، في القيام بأكبر جهود اضطلعت دولتهم في تاريخها. ويقتضي هذا المشروع استثمار ما يزيد على ١٦٨٠ مليون دولار في عليم وتوليد الطاقة والتصنيع. وسيكون سد نجي العظيم جزءاً لهذا المشروع وحجر الزاوية فيه.

وفرة في المواد البشرية

إن أثمن ما عند نيجيريا من موجودات ثروات د سكانها يربو على ٤٠ مليون نسمة. فهي في يقيا القليلة السكان أكثر البلاد تعداداً. ن من الناحية الاقتصادية سوق كبيرة ن الآن، ولقد تصبح سوقاً هائلة إذ ترتفع مستويات المعيشة فيها.

ومن الناحية البشرية، يتصف أهل نيجيريا بنشاط والروح المرحة وبحدة غريزة التجارة فيهم، لقد كانوا الحيلة عصور، التجار الذين يمسكون ة أفريقيا الغربية بأيديهم).

تعاني نيجيريا كلها، ابتداءً من مستنقعات دلتا النيجر في الجنوب حتى تخوم الصحراء الكبرى في الشمال، عجزاً كبيراً في الفنيين، ولا سيما في مستوى المتوسط. ومن حسن الحظ أن الشعب النيجيري شغوف بالتعليم بشكل فيه أمر لا طائلة. في نيجيريا الآن خمس جامعات ناشئة، وكثير من مدارس التدريب الفني، وفي النية زيادة عدد الطلاب في المدارس الثانوية إلى ثلاثة أضعافه بحلول عام ١٩٧٠. فإذا سارت الأمور على ما يرام فإنه لن تمضي عدة سنوات حتى تنقلب القلة الموجودة من الفنيين إلى جيش جرار.

نهر النيجر الخالد

ليست نيجيريا، إذا استثنينا خام الحديد والقصدير، بلداً غنياً بالمواد الخام الصناعية، ولكنها محظوظة بوجود هائلين من موارد توليد الطاقة: نهر النيجر والزيت.

١. فنهر النيجر ونهر البنوي اللذان يلتقيان معاً كالتقاء نهرين في شكل العرب، من الأهمية في حياة نيجيريا بحيث إن صورتهما تظهر في الشعار الوطني. وسيكون سد كاينجي المزمع إنشاؤه أعظم مصدر للكهرباء في البلاد.

٨. وبالإضافة إلى تزويد نيجيريا بالكهرباء، فإن هذا السد سوف يروي وادي النيجر ويجعل النهر صالحاً للملاحة حتى الحدود الغربية، ويوجد بحيرة هائلة بما تحمله معها من ثروة في الأسماك. (ولهذا أهمية عند النيجيريين لأنهم يتغذون من السمك المجفف بمعظم البروتينات التي يحصلون عليها).

٢١ سنة من البحث عن الزيت

٩. في نيجيريا الآن حقل ثابت من الزيت تكاد تنفرد بوجوده دون سائر بلاد أفريقيا الواقعة إلى الجنوب من الصحراء الكبرى. ولم يكتشف الزيت فيها بكميات كافية إلا بعد أن استنفد ٢١ سنة من الجهود والمخاطرة التي اشتركت في تحملها شركتان من شركات الزيت (شل وشركة البترول البريطانية) وتكلفتا في ذلك ١٣٦ مليون دولار. أما تنمية الإنتاج منذ ذلك الوقت حتى ارتفع إلى معدله الحالي، وهو ٤ ملايين طن في السنة، فقد زاد قائمة الحساب إلى نحو ٣٥٠ مليون دولار.

١٠. ويجري الآن بناء مصفاة سوف تكرر ٤٥٠٠٠ برميل في اليوم من الزيت الخام النيجيري عند إنجازها في أوائل ١٩٦٥. وقد بدأت نيجيريا منذ زمن في تصدير زيتها إلى أوروبا وسائر الأقطار الأفريقية.

آمال متفتحة

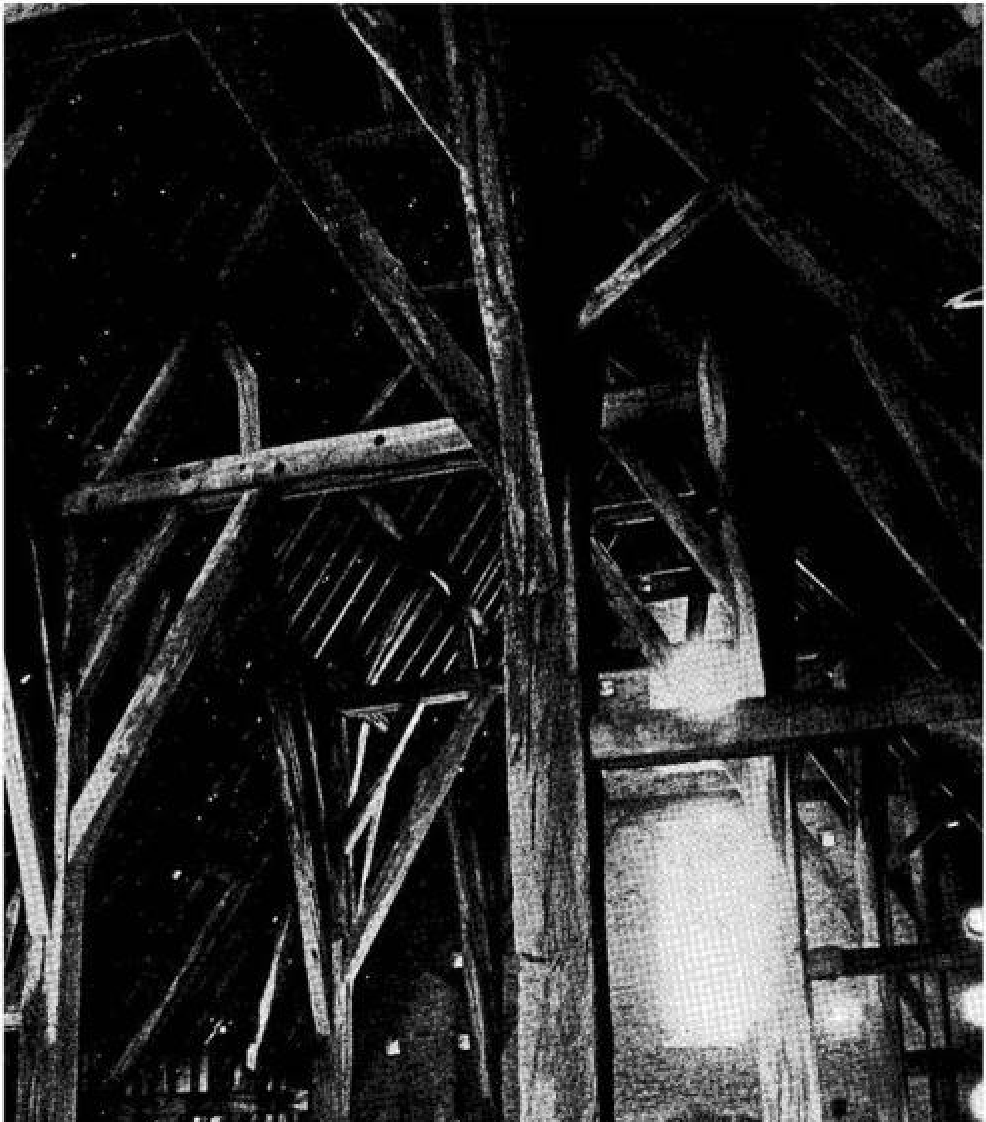
١١. لا تزال نيجيريا تواجه مشكلات تماثلها في ضخامتها، كالجهل والمرض وعدم الكفاية الإنتاجية في الزراعة والنقص في بعض النواحي. ومن المشكلات الأخرى ما تتوقعه ذبابة مرض النوم من خسائر في قطعان الماشية الهائلة وهذا أمر خطير جداً بالنسبة إلى أناس يفتقر غذاؤهم أشد افتقار إلى البروتين الموجود في اللحوم.

١٣. ولكن الصناعة بدأت تزدهر وتوفر على البلاد جانباً من المستوردات. فالصناعات الخفيفة راحت تنمو بشكل متواصل، والاستثمارات الأجنبية أخذت تتدفق على نيجيريا وقد استهوتها الإعفاءات الضريبية وإمكانات سوقها المغرية.

١٣. ودلائل النمو والتغير كثيرة في كل مكان، فبنايات المكاتب والمصانع ترتفع في المدن وضواحيها، والسيارات تزدحم في الشوارع والمستوصفات والمدارس تنبثق في أنحاء الأقاليم



المدرسة الثانوية في «كلية الملكة» وهي من أرقى المدارس العصرية في لاغوس.



مُستودع شُيد في عام ١٢٥٠ - وڤابونا في عام ٦٤

وأخيراً يُمكن القضاء على الحشرات بسهولة

ڤابونا "Vapona"، هو أحدث مبيد حشرى انتجته شركة شل "Shell"، وهو يتبخر وينفذ الى جميع الشقوق التى تختبىء فيها الحشرات الى مسافة ١٠٠ قدم من نقطة انطلاقه. وهو سهل الاستعمال لانه مركب من مادة د. د. ڤ. ب "DDVP" ويمكن استعماله بسهولة سواء بالنثر او على هيئة ضباب او بالرش او بالمعايرة. وهو فعّال يقضى على الحشرات حتى السلالات المنيعة منها، ولم يسجل بعد اى نوع من الحشرات لها مناعة ضد مادة «د. د. ڤ. ب». وهو متعدد الاغراض يقضى على الحشرات الموجودة بمخازن الاطعمة، ومعامل الألبان، والماشية، والطائرات، والمستودعات، والبواخر، وشواطىء الاستحمام، والمزابل. وهو فى الواقع يقضى على الحشرات الموجودة فى اى مكان تقريبا. ومع ذلك فهو سريع التحلل لا يترك اثرا ولا رائحة. وڤابونا "Vapona" ما هو إلا واحد من مجموعة مبيدات «شل» الشاملة المفعول للحشرات التى تقدم الجواب الفعّال ضد مشاكل الحشرات فى جميع قارات العالم

ڤابونا

شل للكيماويات

ماركة مسجلة لشركة شل

للحصول على اى بيانات او تفاصيل اضافية أو للاستعلام عن خدمات وشاى الفنية، الرجاء استشارة شركة شل بمنطقتكم.

انه عام



للانطلاق بسيارة بلايموث

ان سيارة بلايموث ٦٤ بطرازها الجديد وشكلها الانسيابي
جعلت من نفسها سيارة الموسم - تصميم جديد في كافة نواحيها
اناقة في داخلها مع نسيج فاخر . محرك مقتصد ٦ سيلندر
محرك فعال طراز V-8 . سريعة . عنيفة . نشيطة . اذا اخترتم
هذا العام لشراء سيارة جديدة فتكونوا بذلك قد اخترتم
سنة جميلة لشراء واقتناء سيارة بلايموث . ٢٦ موديلا
فاخرا يمكنكم الاختيار منها سيارتكم المفضلة .

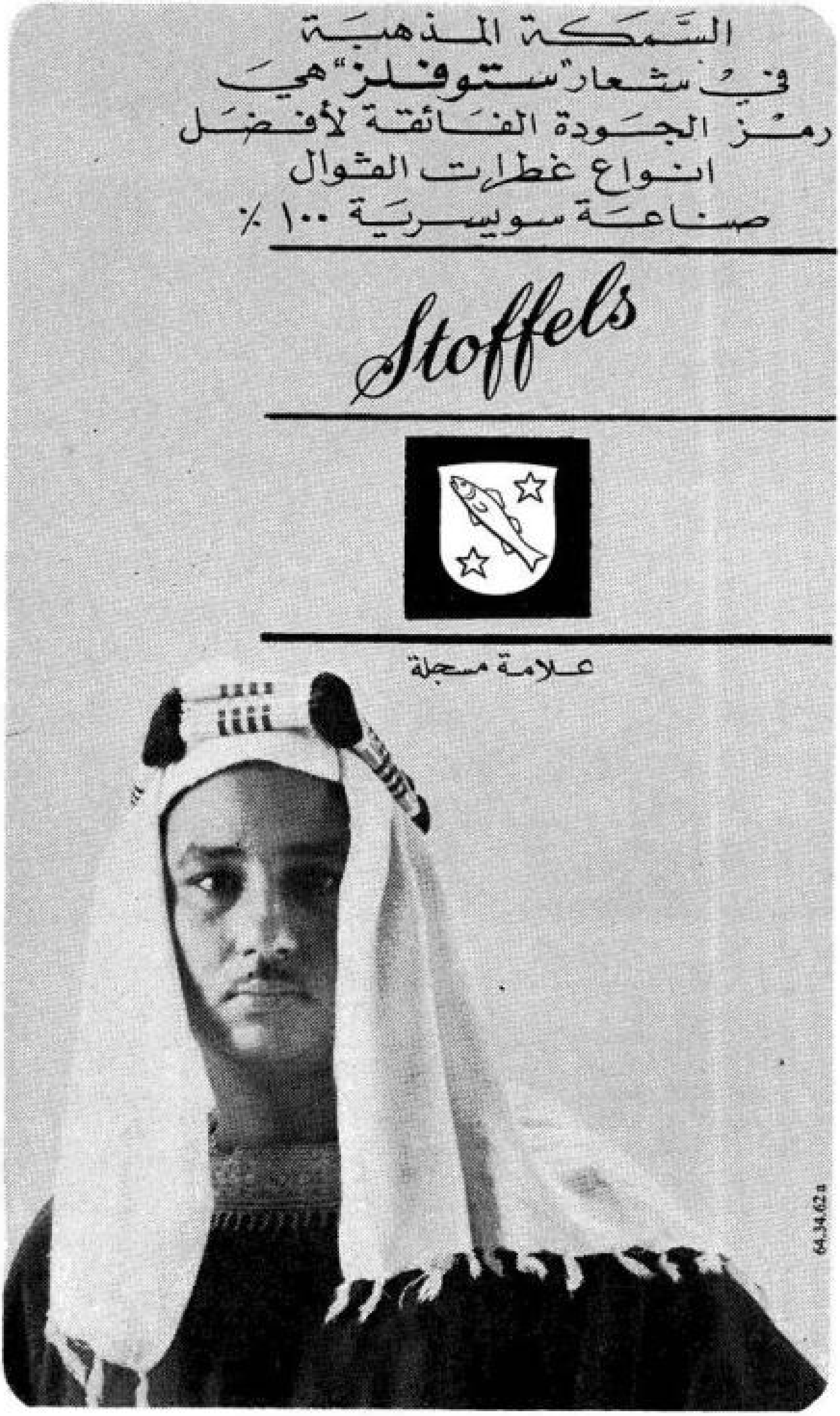
جميل

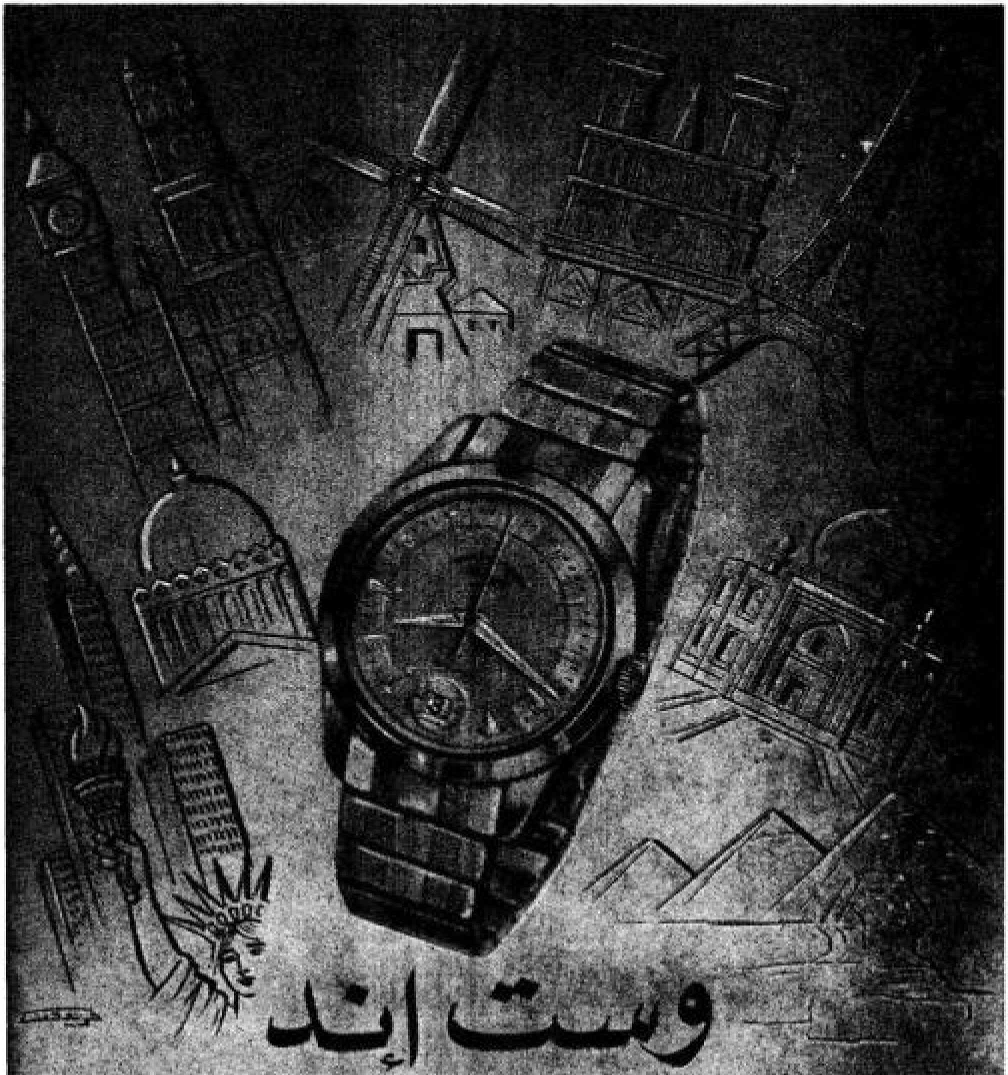


لقيادة سيارة الكومباكت ڤاليانت

ان ڤاليانت ٦٤ هي افضل سيارة في فئة الكومباكت. قارنوا مظهرها، وجمالها، قيادتها واتساعها، وسعرها المعتدل مع اية سيارة اخرى من فئتها. ان ڤاليانت تقدم لكم الرفاهية والأناقة التي لا تجدونها في باقي السيارات من فئتها، نسيج فاخر، متانة في كافة اجزائها مظهر جذاب فريد من نوعه. اختاروا منذ اليوم سيارتكم الڤاليانت من مجموعة ٩ موديلات فاخرة هاردتوب. مكشوفة. سيدان. ستايشن واكن.

كرايزلر
انترناسيونال

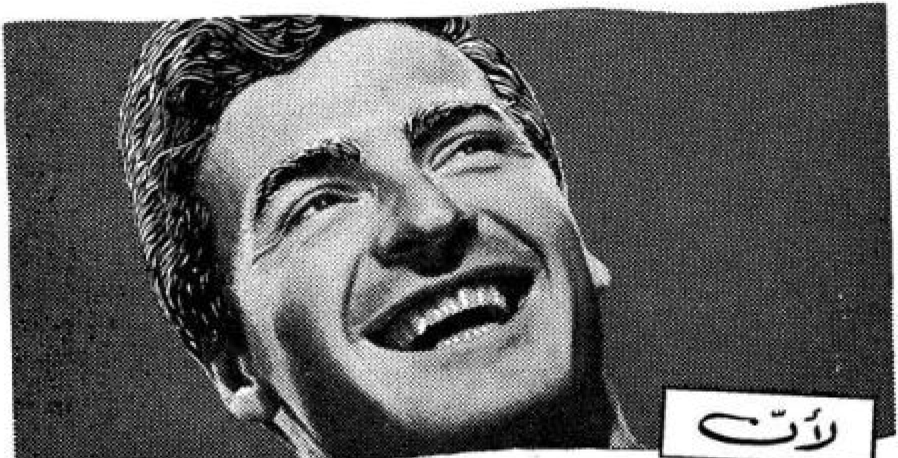

السمكة المذهبة
في شعار "ستوفلز" هي
رمز الجودة الفائقة لأفضل
انواع غطرات الشوال
صناعة سويسرية ١٠٠ ٪
Stoffels
علامة مسجلة


وست إند
الساعة التي إعترف العالم بمزاياها
WEST END WATCHES
الوكيل العام بالشرق الأوسط :
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا تليفون ٣٢٢٤٩ ص.ب ٣٢٤ دولة الكويت


ثلاجات جنرال الكتريك
الجديدة
اشهر من
ان تعرف
مكيفات
جنرال الكتريك
١٩٦٤
مصممة خصيصاً بمروحة ذات دفع مركزي
تلطف الجو وتجدد النشاط
الوكيل العام:
محمد عبد الرحمن البحر
تلفون الادارة: ٣٢٨٨١ - كويت
المعارض
بتلفون:
• شارع فهد السالم ٣٢٣٢٦
• سينما الحمراء ٣٤٢٤٠
• شارع علي السالم ٢٣٥٢٨
ورشة الصيانة ٨٤٤٠

صداع ، أوجاع وآلام ، حمى ، رشح وانفلونزا ؟

'أسبرو' يُعيد لك الصحّة ...



لأنّ

'أسبرو' يجلب لك كل راحة

إذا أُصبتَ بألم فلا يكفي أن تخففه قليلاً ، بل إنك تحتاج الى الراحة التامة التي يحققها لك 'أسبرو'. تذكّر أن 'أسبرو' هو الدواء الذي يستعمله أكبر عدد من الناس في العالم كله ، أكثر من أي دواء آخر لإزالة الألم وتخفيض الحمى . اجعل 'أسبرو' في متناول يدك على الدوام.

١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصّر أجل الرشح



من منتجات نيكولاس

K/5/AA

'أسبرو' يجلب لك كل راحة !

أجمل جواهر الدنيا



"البرتغالية" احدى الماسات النادرة التي تضمها مجموعة هاري ونستون ووزنها ١٢٧ قيراطاً وكانت من قبل ملكاً لأحد أباطرة البرتغال .

يتربع هاري ونستون على قمة صناعة الجواهر في العالم ، وتضم مجموعته التي تعتبر المجموعة الاولى في العالم بعد مجموعة العائلة المالكة في بريطانيا ماسات ودرراً شهيرة لها صيت ذائع وتاريخ حافل وتتوزع هذه المجوهرات بين صالة الرئيسية في نيويورك (٧١٨ فيفث افنيو) والصالتين الاخريين في باريس (٢٩ شارع مونتيني) وفي جنيف (٢٤ غران كي) حيث يستطيع كل زائر من عشاق الجواهر ان يطلب موعداً ليشاهد أروع جواهر الدنيا في اي واحدة من هذه الصالات الثلاث . ومن أشهر المجوهرات التي يملكها هاري ونستون ماسة الجونكر النادرة ووزنها ٧٢٦ قيراطاً ، وماسة هوب الفريدة من نوعها وهي ماسة لويس الخامس عشر ، وماسة نياركوس وتزن ١٢٨ قيراطاً ولها شكل اجاصة . وهنالك ايضاً ماسة اليوبيل وهي واحدة من اكثر الماسات شهرة في العالم ، وعقد نابليون الذي يتألف من ٤٧ ماسة كبيرة وكان يزين عنق ماري لويز زوجة نابليون ،

نابليون الجواهر

- والحديث عن الجواهر التي تضمها مجموعة هاري ونستون لاينتهي ، وقد اطلق على هاري ونستون لقب " نابليون الجواهر الثمينة " لأنه فعلاً الملك غير المتوج في هذا الميدان وصاحب اكبر مراكز في العالم لبيع المجوهرات الثمينة النادرة . وفي كل مركز ، سواء في نيويورك ام باريس ام جنيف ، خبراء اخصائيون يتولون الاهتمام بتزويد عشاق الجواهر بكل ما يريدونه من معلومات ، كما يروون لهم قصة كل جوهرة وتاريخها الحافل .

ويعمل لدى هاري ونستون أشهر مشذبي الماس في العالم ، والمهارة التي يتمتعون بها تكون سحرية ، فبالاضافة الى صعوبة وخطورة عملية التشذيب هذه ، يتوجب على المشذب ان يعيش بطريقة خاصة جداً ، فقبل البدء بعملية من العمليات عليه ان يتوقف عن التدخين وتناول الكحول واللهو لأسابيع مسبقاً ، وهذه الاستعدادات اقسى بكثير من الاستعدادات التي يقوم بها الرياضي او المغني مثلاً ، ومن خصائص المشذب الاساسية ان تكون يداه ثابتتين هادئتين كيدي طبيب جراح تماماً اذ يتوقف على هاتين اليدين مصير جواهر تساوي الملايين .

وسوف يقوم قريباً السيد جاك تيمينيه ممثل هاري ونستون في اوروبا بجولة على بعض الدول العربية (ومن بينها الكويت ومنطقة الخليج) للتعرف على طبيعة هذه المنطقة وليتم صلة بينها وبين مؤسسة هاري ونستون العالمية .

العربي

العدد ٦٨
صفر ١٣٨٤
يوليو
(تموز) ١٩٦٤



جوائز
١٢٠٠

الكويت
الخليج العربي
السعودية



حضارات سادت
.. ثم بادت

تمثال « أثينا » .. من عجائب الدنيا السبع

● كان « بركليس » من أشهر ساسة الاغريق وأكثرهم نفوذا على شعب « أثينا » . وكان يؤمن بوجوب توفر العمل باستمرار لعامة الشعب ، (البقية على صفحة ١٥٢)



عيد الكويت الوطني

عزيزي القارىء

● العيد الوطني للكويت يقع في التاسع عشر من الشهر السادس من كل عام . هكذا كان . وهكذا هو سبق فوقع هذا العام . واستقبلته البلاد استقبالا، في اعتدال ، ووداعا ، في آن . فهو لن يقع في الشهر السادس في مستقبل الأعوام.

ان في الشهر السادس تشتد الحرارة، والعيد احتفال، والاحتفال ازدحام. ومع العيد تفد وفود البلاد العربية تهنىء . قدّر مجلس الوزراء كل هـذا ، فرأى أن يزحزح العيد الى شهر الطف ، وفيه الصدور اشرح ، والخطـوات اخف ، فوقع على الشهر الثاني موعدا لاحتفال . ويشاء القدر المتاح أن يكون الشهر الثاني قد حظي من قبلُ بعيد آخر ، بعيد وطني آخر ، ذلك ذكرى اعتلاء أمير الكويت امارة الكويت . فجمع مجلس الوزراء بين العيدين ، كما يجمع بين التوامين .

فالذكريان اشبه ما يكونان بالشيء وخياله في المرآة ، كلاهما يتصل بالكيان الوطني ، والنظام الديمقراطي ، والرخاء الشعبي . وهما معنيان عند الشعب الكويتي سيان ، لولا أن سمو الأمير أكثر تجسيدا لهما ، فهـو الذي مشى الى الاستقلال أولا ، والى الدستور ، والى الشعب . وامتدت زهادة نشأت فيـه طبعا ، فزهد في الحكم ، وتركه الى ابنائه ، الا أن تتعثر الأمور .

حفظ الله الأمير .

ووفق الله البلاد ، الى الخير في ظل العروبة دائما أبدا .

المحـرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

تاريخ وتاريخ أشخاص :

طب وعلوم :

دين :

شعر وشعراء :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 68 July 1964 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٣٩٤١١ ــ تلغرافيا «العربي»

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● اربع فتيات عدنيات فى لباسهن الشعبى الجميل ، يتطلعن للمستقبل .. ان المراة العدنية تعيش فترة انتقال هامة فى تاريخها ، فهى تسعى وسط الأحداث ومشاكل الحياة التى يشهدها هذا الجزء الصغير من الوطن الكبير ، تسعى لاثبات وجودها ، ونيل ما تستطيع من حقوقها .. والرجل العدنى يبارك نهضتها ويوافق على اعطائها حقها ، بعد تمنع استمر أجيالا طوالا ..

(انظر استطلاع عدن ابتداء من صفحة ٣٦)

اجتماع :

فنون :

ركن الأسرة والمراة :

قصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الأردن ١٠٠ فلس .السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب درهمان . اليمن ٥ر٢ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



خيال الظل بين الامام الشافعي وعثمان جلال

● في مقال الاديب العراقي فؤاد جميل عن المأثورات الشعبية ، المنشور بالعدد ٦٤ من العربي بيتان من الشعر وردا بصفحة ٦٥ نقلا عن كتاب « سلك الدرر » قيل ان الامام الشافعي نشرهما في « خيال الظل » وهما :

رايت خيال أكبر عبرة	لمن هو في علم الحقيقة راقي
شخوص واشباح تمر وتنقضي	وتفنى جميعا والمحرك باقي

واحب أن ألفت النظر الى أن هذين البيتين هما للمرحوم عثمان بك جلال صاحب كتاب « العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ » ، وهو والد المرحوم ابراهيم بك جلال القاص الشهير الذي كان مديرا للمطبوعات في مصر قبل ربع قرن من الزمان .

وغنى عن البيان ان شعر الامام الشافعي ليس من هذا الطراز على كل حال .

محمد على الطاهر

أسرة تحرير « العربي »

● في عدد مايو ذكرنا أسماء الرجال الخمسة الذين منهم تألفت أسرة « العربي » منذ صدورها ، وتحملوا تبعة تحريرها واخراجها تحملا كاملا طوال السنوات الخمس الماضية . وزيادة في الخير نذكر الآن اسم سليم بسيسو رئيس شعبة الارشيف ، ذلك الاسم الذي عرفه القراء مما نشرنا له من استطلاعات قام بها في الكويت وبعض الأقطار العربية ، كما قام باعداد « العربي الصغير » في السنة الأخيرة وعاون في اعداد وترجمة « مرآة الرأى الغربي » و « دردشة » وباب « اضحك » ، باشراف نائب رئيس التحرير .. وكذلك نذكر اسم محمد بدر الدين خليل وقد التحق بالعربي منذ أشهر .. ونذكر اسمى أحمد الوردجي رسام العربي ، وحسن هلال خطاط العربي . ولا ننسى اسم عبد الحفيظ يونس سكرتير رئيس التحرير الذي كتب على الآلة الكاتبة كل مقالات العربي تقريبا ، واسم منذر الدندشي موظف الارشيف الجديد الذي ساعد في اعداد فهرس السنوات الخمس الماضية ، واسم محمد شاكر شيمي وهو الصلة بين المخرج والمطبعة ..

ولا نبخل على هؤلاء جميعا أن يكونوا من « أسرة العربي » بالمعنى الأوسع .

الكويت ومياه « شط العرب »

٢٣ر٠٪ فقط وليس ٥٪

● قرأت بشوق واهتمام المقال المعنون « الكويت هل تستقي من مياه شط العرب بالعراق ؟ » المنشور بالعدد ٦٣ من مجلة « العربي » . وقد استرعى انتباهي ما ورد في صفحة ١٩ ، وهذا نصه :

« مائة مليون غالون يوميا لمختلف الاغراض أي بنسبة ٥٪ فقط من كمية المياه التي يصبها شط العرب في الخليج يوميا ! » .

أن مياه شط العرب لغزيرة حقا ، لذلك دهشت من القول ان نسبة ٥٪ ما هي الا ١٠٠ مليون غالون في اليوم فقط ، وان بالامكان ضخ هذه النسبة الكبيرة ، أي ٥٪ ، من الشط العظيم في أنبوب أو أنبوبين . فعمدت رأسا الى الارقام المذكورة في المقال ، فاتضح لي أن مائة مليون غالون في اليوم الواحد تعادل ٢٣ر٠٪ فقط مما يصبه النهر يوميا في الخليج لا ٥٪ كما ذكر بالمقال ، وأن النسبة الأخيرة ـ أي ٥٪ ـ تعادل ٢١٥٠ مليون غالون في اليوم بدلا من المائة مليون غالون المزمع ضخها الى الكويت .

أخيرا أود أن أشكر مجلة « العربي » على هذا المقال القيّم ، ولكن حبذا لو أسهبت في دراسة الموضوع خصوصا في المفاضلة بين مشروعي الأنابيب والقناة ، اذ أن مشروع القناة ، في اعتقادي هو الحل الجذري الوحيد الطويل الامد لمشكلة المياه في الكويت ، وان مشروع الانابيب ، بما له من مزايا طارئة ، لا يفي بالغرض المنشود الا لجيل واحـد .

الدكتور حلمي سمارة
مدير حقـول نفط البصرة

الطراز القوطي والبيزنطي

● نشرتم في العدد ٦٢ من مجلة « العربي » ،بصفحة ١٢٩ في معرض الحديث عنمساجد الكويت ان مسجد ضاحية الدسمة يشابه كثيرا طرازالمساجد التي انشئت في تركيا وهي مقتبسة من مسجد اياصوفيا وطرازها المعماريقوطي . وأرجو أن تسمحوا لي بتعقيب بسيط ، هو ان مولد ونمو الفن القوطي كان في شمالفرنسا ، وهو مشتق من الفن الرومانيسك ، وهو لا يخص القبائل القوطية التي غزت معظم ممالكاوروبا وكان ظهوره على التحديد في القرن الحادي عشر الميلادي . ومن أشهر المباني القوطية كنيسةنوتردام في فرنسا وكتدرائية كولون في المانيا وميلان في ايطاليا .

اما مسجد اياصوفيا فبيزنطي الطراز وليسقوطيا ، لان عاصمة روما الشرقية كانت تسمى بيزنطة وهو الاسم القديم للقسطنطينية ، ولماتم فتحها على يد السلطان محمد الفاتح سنة ١٤٥٢ ميلادية سميت اسلام بول (اسطنبول) اى مركزالاسلام فيكون الصحيح أن طراز كنيسة اياصوفيا بيزنطي الطراز وليس قوطيا واشكركم .

المهندس المعماري والاخصائي بهندسة الجوامع
الحاج عبد الله الصفير ـ العراق ـ الاعظمية



جمعية العصر

زارني نفر من الناس ، اربعة ، مثلوا جمعية اسموها جمعية « العصر الحديث » .

اعضاء غير متجانسين

كان اسم الجمعية طريفا . ولكن كان اكثر منه طرافة من تألفت الجمعية منهم من أعضاء . لم يكونوا فى العرف الجارى متآلفين متناسقين . كانوا من طبقات من المجتمع عدة ، بعضها ألفنا تسميته بالرفيع ، وبعضها الأرفع ، وبعضها الأدنى . وكان هذا التوليف مقصودا ، لتتعلم كل طبقة من طبقة ، ولتتقارب الطبقات ، ولتعود الى ما كانت عليه فى الأعصر القديمة ، كل على حصير ، وهذا راس القوم، وهذا غير البعيد عن الذنب .

وعلمت انه من مثل هذا تتألف الجمعية . وهذا امر لا بأس به ابدا ، اذا نجح واضطرد . ورجوت له النجاح . وتحدث الاخوان فى فنون من الحياة شتى ، وتابعت ، وتابعوا . ثم خطر لى ان امتحنهم .

الحقوق واضحة ، والواجبات مبهمة

كم يفهمون من « العصر الحديث » ؟

كم يطلبون من « العصر الحديث » ؟

فوجدت الحديث احتر عندما تناولنا الحقوق ، حقوق الفرد فى الدولة . كانت الحقوق واضحة وضوح الأشياء اذ تقوم فى الشمس الضاحية . فلما تحدثنا عن الواجبات خيّم الابهام على الكلام .

مثال لما يطلب فى الحياة

وعلى سبيل المثال سألت احدهم ، وكان فى الثلاثين من عمره ، ماذا يطلب من الحياة . قال اطلب الزوجة المثقفة (وكان هو ذا ثقافة وسطا) ، واطلب البيت الذى أملك . واطلب التلفون والراديو والتلفزيون .

وسألت : كيف تنتقل .



الحديث

بقلم رئيس التحرير

قال : عفوا ، والسيارة .

قلت : هذه اشياء كثيرة التكلفة ، فهل عندك ما تشترى به ؟

قال : انا اعمل طاقتي ، وهذا واجبى ، وعلى الدولة أن تقوم بواجبها فتوفر للمواطن الحياة الكريمة .

قلت : فهل عند الدولة ما تشترى به لك كل هذا الذى تطلب من طيبات الحياة ؟

فغمغم ولم يجب .

قلت : ان الذى تستطيع ان تشتريه الدولة هو ما تستطيع انت ان تشتريه، مجموعا الى ما يستطيع ان يشتريه جارك، مجموعا الى ما يستطيع أن يشتريه جار جارك ، وهكذا الى أن تأتى على الأربعة الملايين او الخمسة التى تتألف منهم دولتك . والدول فيها الغنىّ وفيها الفقير ، وفيها المتوسط الحال ، كما فى الأفراد تماما .

مثال آخر للمطالب أرحم على الدولة

وانتقلت بالحديث الى ممثل للجمعية، جمعية « **العصر الحديث** » ، آخر ، كان أرحم على الدولة من صاحبنا هذا . سألته : ما تطلب فى عصرنا هذا الحديث؟

قال : أنا لا اطلب ما طلب صاحبى من طيبات الحياة . فالتلفاز أراه فى حياة الأُسَر مُزعج ومُضيعة للاطفال. والسيارة عندى المشى اصح منها . ولكنى اطلب لأولادى التعليم . أريد لأحدهم ان يكون طبيبا ، ثم يتخصص ليبلغ الذروة . والآخر مهندسا الكترونيا كأحسن ما يوجد المهندسون فى اى أمة .

ومضى يعدد آماله .

قلت : هذا شيء جميل ، فهل عندك نفقته ؟

قال : نفقة التعليم على الدولة ، وهى بالمجان .

قلت : هذا صحيح ، وهذا ما يجب ان يكون . ولكن هل عندك أولا النفقة التى تبقى أولادك فى التعليم الى سن كبيرة وانت قائم فى البيت بالنفقة عليهم ؟ ثم هل عند الدولة التى اليها تنتمى النفقة على التعليم ، فى طب ، وهندسة ، وسائر المهن والحرف الى ان تبلغ بتخصصاتها جميعا تلك الذروة التى تطلب ؟ ان مئات الملايين لا تكفى لبلوغ الذروة بالناس جميعا ، فى كل هذه المطالب . الدولة الثرية وحدها هى التى تستطيع أن تستجيب لكل هذه المطالب .

قال : وكيف تثرى الدولة .

قلت : بالأفراد . بعملك أنت . بانتاجك انت ، وانتاج جارك ، وجار جارك ، وهكذا الى أن تأتى على الأربعة الملايين او الخمسة من الأنفس التى تتألف منهم دولتك . وبأن تتعلم ، وبأن ينتج العلم

علما ، وينتج الحذق حذقا أرقى .

فكرة خاطئة «وراء الآمال» لا بد من كشفها

ولست اريد ان اطيل فيما جرى في حديث هؤلاء الاخوان ، اخوان جمعية « العصر الحديث » . فيكفيني منه ان اكشف عن هذه الفكرة الخاطئة التي تستتر وراء الكثير من افكار الناس وآمالهم : ان الدولة شيء وان الأفراد شيء ، وان على الدولة تحقيق المطالب.

الطفلة ، وبنك في الطريق

ذكرني هذا بطفلتي وهي صغيرة ، في نحو الأربع سنوات . خرجتْ والدتها معها في ذلك البلد الأجنبي تستبضع . وفرغ المال الذي معها . وتاقت الطفلة الى شيء جديد وجدته في نافذة بدكان . فطلبت الى والدتها ان تشتريه .

قالت الوالدة : فرغت الفلوس .

فأشارت الطفلة الصغيرة البريئة الى بنك صادفها في الطريق وقالت : نعم ، ولكن هذا بنك سنمر عليه بعد خطوات .

لم تدر الطفلة ذات السنوات الأربع ان المرء انما يستطيع أن يأخذ من البنك بمقدار ما كان ما أودع فيه .

الدولة ، لا تاخذ منها الا بمقدار ما تعطى

ان كثيرا من الناس ينبهم عليهم الامر، فينسون ان الدولة ، لا يستطيعون همْ ان يأخذوا منها الا بمقدار ما كانوا أودعوا فيها من عمل، ومن انتاج ــ انتاج راديو ، انتاج سيارة ، انتاج طائرة ، انتاج دواء ، انتاج طبيب ، انتاج مهندس ... ــ ومن ثروة . وينسوْن ان الدولة قد تفلس كما يفلس أفرادها، وبسبب افلاس افرادها ، وقد تغنى وتستغنى بغناهم واستغنائهم .

فقر الدولة من فقر افرادها وغناها من غناهم

تقول : فكرة واضحة ؟

ولكنها غير واضحة عند السواد .

السواد لا يكاد يدرك أن مسئولية



..لقد ذهب معنى العامل القديم،وحل محله معنى العامل الجديد،الذي يشمل

الدولة مسئولية أفرادها ، وأن فقر الدولة وغناها انما يكون بفقر أفرادها وغناهم ، فرداً فرداً ، وما غناهم الا العمل ، والا الساعات التى يقضونها فى العمل ، وفى وعيهم الواعى أشد الوعى انهم ، بكل خطوة يخطونها الى أمام ، وكل خطوة يخطونها الى خلف ، انما هم يخطونها بأمتهم الى امام والى خلف ، وان خطى الأمة جميعا انما هى مجموع خطوات أفرادها .

الزارع فى زرعه ، عندما يزيد ساعة فى عمله ، يزيد نفسه ثروة ، وهو بهذا القدر يزيد قومه ولا يدرى .

والصانع ، يزيد ساعة فى عمله ، يزيد نفسه ثروة ، ويزيد بقدر ذلك أمته .

وكل عامل فى الدولة ، يزيد ساعة فى عمله ، ويزيد قيراطا من اخلاص ، انما يزيد بمثل ذلك ثروة الدولة .

والعامل هو كل من له يد تمسك ، ورجل تمشى ، ورأس يفكر ، من ضارب الأرض بفأسه حفرا ، الى رئيس الدولة الذى يمضى بقلمه الذهبى ، أو النحاسى ، قوانين الدولة. معنى العامل القديم ذهب وحل محله معنى العامل الجديد ، الذى يشمل رجل الحقل ، ورجل المصنع ، ورجل الشرطة ، وكاتب الحسابات ، وطبيب الأسرة وقاضى المحكمة ، حتى الواقف فى الشارع يحرس السيارات لأصحابها ، كلهم عامل ، لأنه اما انه ينتج ثروة تقاس وتوزن ، فهى مادية ، أو ينتج ثروة لا توزن ، فهى ذهنية قلبية ، أو يمنع الثروة أن تضيع ، أو يمنع الخلافات بين الطاقات أن تكون ، لأن بها ضياع الثروة .. الثروة فى أوسع معانيها .

يريد ست ساعات عملا فى اليوم ، أربعة أيام فى الاسبوع

ويحفزنى الى ترداد هذا المعنى ما سمعته من أحد هؤلاء الزائرين الذين ذكرت،يمثلون جمعية**((العصر الحديث))**.

كان عامل مصنع. وسألته،ما أمنيته.

قال : ان أعمل ، فى هذا العصر الحديث ، ست ساعات فى اليوم لا تزيد،



طبيب الاسرة ورجل الحقل،ورجل الشرطة،ورجل المصنع،ورجل الفضاء،ومن حافر الارض الى رئيس.

وأن أعمل في الأسبوع أربعة أيام ، وهذا أمل لا شك آت قريب .

وقلت : من أدراك ؟

قال : عمال السكك الحديدية والمواصلات في نيويورك أضربوا منذ أسبوع يطالبون بهذا ، وهم لا شك بالفوه . وهم امة راسمالية ، فكيف بنا ونحن نطالب بغير الراسمالية نظاماأحدث وارحب ؟

منطق مقلوب

وجدتني اقف امام هذا المنطق الباغت المقلوب اول الأمر في حيرة ، وكأنما غلبت على امرى . الأمل حلو . وهو لا شك غاية كل مفكر حديث يفكر فيمستقبل الانسان على ظهر هذه الأرض . انه الفراغ الذى سوف يناله الانسان، تنيله اياه مايبتدع من آلات تقوم عنه بأكثر جهوده ، فيفرغ ليمتع نفسه بلذائذ الفكر ، ولذائذ الفن، وباستجلاء الطبيعة في أزهى مجاليها .

التشبه بعمال نيويورك منطق مقلوب ..



اقول انه الفراغ الذى سوف يناله الانسان . ولكن اى انسان ؟ انسان نيويورك ، حيث المدنية في الذُروة ، والصناعة في القمة، والحياة بالعمل اغنى ما تكون ، ام انسان جمعية « العصر الحديث » هذا ، في بلده المتخلف هذا ؟

«العصر الحاضر» غير «العصر الحديث»

ورحت اقارن بين هذه الدولة ،دولة جمعية « العصر الحديث » ، وقدرتها على العمل ، وحظها من العلم والفن والتكنية ووسائل الانتاج جميعا ، من مادية وذهنية ، واذن ثراءها ، وبين تلك الأمة التى أشار اليها عضو الجمعية ، والتى بها يطلب عمالها ٦ ساعات عمل في اليوم، وعمل **٤ أيام** بدل **٧** في الأسبوع ، اقارنها من حيث كل ذلك ، فوجدت أن الخطأ الكبير هو في اسم هذه الجمعية .. وانها جمعية « العصر الحديث » .

وخلت ان الأمم كالأفراد ، قد تعيش في قرون حديثة وهى في الواقع ليست منها .

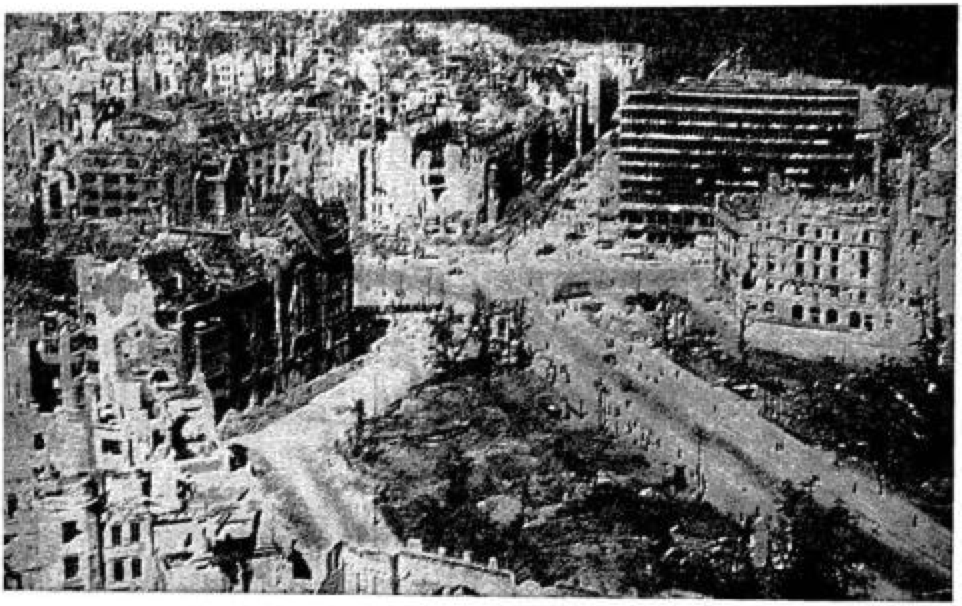
وسألت نفسي : « العصر الحديث » لمن ؟

ووقع في نفسي : أن «العصر الحديث» له معنى غير « العصر الحاضر » .

العصر الحاضر يقابله العصر الماضي ، وكلاهما يدل على موضع عصرين من الزمان ، ولا يصفهما ، وقد يكونان كالماء لا لون لهما ، وقد يكونان من لونين ، مختلفين ما بين الأحمر والأزرق .

ولكن العصر الحديث يقابله العصر العتيق . والعرف جرى ، وآمال الناس جرت ، بأن تقدُم الزمان يتقدَم الانسان. فالحديث احس واوفق ، واصلح واكثر تقدما .

والأمم اليوم طبقات، صنفٌ يعيش في العصر الحديث فهو متقدم ، ولكنه عاش قبل ذلك ، وتمهد لذلك ، في « عصور عتيقة » لا بد ان يمرق منها ، على العرق الصبيب ، سنين .



الالمان كسبوا معركة البناء ، بعد ان خربت الحرب مدنهم ، بالعمل كل الساعات فى كل الأيام .. لا ست ساعات فى اربعة ايام ، كما يطالب عضو جمعية « العصر الحديث ».

وصاحبنا ، عضو جمعية « العصر الحديث » ، الذى يطلب ست ساعات عملا فى اربعة ايام ، ينسى انه لم يصل بعد الى « العصر الحديث » . انه لايزال يعيش عصره العتيق ، عصر العرق الصبيب ، عصر التحصيل ، عصر البناء ، عصر الوثبات الكبرى التى لا بد ان يثبها ، وتثبها جماعته ، لتلحق ببعض ما فاتها اللحاق به فى القرون العجاف من حياة امته . فترة من حياة الأمة لا بد ان يستمرئها كل عامل ولو مرة . انها فدية الخلاص . وهى مزاج لا يأتلف مع المزاج الذى يقول اليوم ، فى البلد المتخلف ، بست ساعات فى اربعة ايام .

المانيا من بعد حرب

ولقد اذكر بهذا عام ١٩٤٩ . ففى هذا العام زرت المانيا من بعد حرب . وكانت مدنها قد دكتها الحرب وتهدمت . ونزلت عند ذلك فى فندق فى قبو هو كل ما بقى من بناء . مناظر سوداء باكية امتدت فى طرقات المدينة كلها ، كان فيها قبس للرجاء واحد : جماعة البنائين يقومون بالبناء نهارا ، ويقومون به ليلا ، وعلى ضوء المشاعل . وقضت قوانين العمل بثمانى ساعات فى اليوم ، وعمل العمال فوق ذلك ما أطاقوا من ساعات.

والنتيجة ؟

المانيا جديدة من بعد حرب ، صناعتها متقدمة ، تجارتها مزدهرة ، تقوم باقراض اولئك الذين زعموا انهم كسبوا الحرب . وهم كسبوها حقا ، وخسر الالمان . ولكن الالمان كسبوا السلم بالعمل ، لا ست ساعات فى اربعة ايام ، كما يطلب عضو جمعية « العصر الحديث » ولكن كل الساعات فى كل الأيام .

امة العرب لا بد لها من كسب السلم

ونحن ، امة العرب ، على السلم ، نريد أن نكسب السلم .

بالعمل ، كل فى حدود طاقته ، وبرضاه ، من حامل الفأس ، الى حامل القلم ، وفى حدود الضمائر ، وهى اوسع من حدود القوانين والشرائع . ■■

احمد زكى



خطوة هامة نحو المدرسة الجزائرية الموحدة

من جريدة الشعب ــ الجزائر :

● نشرت الجريدة الرسمية قرارا خاصا يقضى بادماج المعلمين الاكفاء من رجال التعليم الحر .. ان هذا القرار يعبر بكيفية ملموسة عن مدى اهتمام الحكومة بالتربية وشغلها الشاغل فى توحيد المدرسة الجزائرية وموظفيها .. الآن أصبح رجال التعليم ينتمون الى اطار واحد ، لهم حقوق واحدة ، وعليهم نفس الواجبات ، وعملهم موحد فى سعيهم لترقية بلادنا الثقافية والفنية .

ثم فى اتخاذ هذا القرار انصاف لهؤلاء المعلمين الذين خاضوا الكفاح بكل قواهم وفى ظروف صعبة، وقاوموا سياسة الاستعمار فى محاولاته لتجريد الشعب الجزائرى من شخصيته ، فقاسوا من جراء ذلك أنواع التعذيب والتنكيل والنفى والأسر. وكانوا فى طليعة المقاومة الروحية ضد ارادة المستعمر فى فرض الادماج والتجنيس ، قبل أن يلتحقوا بصفوف حرب التحرير . ويعتبر المرسوم خطوة هامة فى سياسة التعريب ، اذ يعد تعريب التعليم حقا « أصعب أهداف الثورة وأخطرها » ، ورغم هذا فعلى الحكومة ان تحققها فى اطار الاشتراكية التى اختارها الشعب وصادق عليها.

وفعلا يحق أن تساير سياسة التعريب ثورتنا الاشتراكية حتى لا يعوق نظامنا عائق . ولن تكتفى لغتنا القومية باسترجاع ماضينا وتراثنا الوطنى المغتصب من الشعب طيلة ١٣٠ سنة ، بل يجب أن تتطور وأن تكون موضوع ابحاث مستمرة لتصير اداة ثقافية ثورية وعلمية فتساعد على تعميم المعارف الحديثة .

والتعريب ــ ان اعتمدنا فيه على أسس علمية ــ سيساهم فى رفع مستوى بلادنا العلمى والفنى والاقتصادى دون شك ، ولن يقبل الشعب ابدا أى تراجع عن العمل الخلاق الذى يرفع من مستوى معيشته ويعمل على المحافظة على شخصيته .

اتجاهاتنا القومية من داخلنا

عن جريدة الرائد ــ طرابلس/ليبيا :

● الصحف الغربية هذه الأيام تشن حملة فظيعة وخبيثة تشكك فى أن التهاب الشعور القومى فى ليبيا الذى ينادى بتحرير البلاد من القواعد الأجنبية .. وينادى بسياسة عربية صريحة .. ليس وليد تفجرات داخلية يعبر عن نفسية المواطن الليبى .. بقدر ما هو وليد قوى خارجية تحاول أن تستفيد من الهاب شعور المواطنين ضد الغرب ومصالحه فى ليبيا حتى تحل محل الغرب وتحصل على امتيازاته ، بدافع من سد الثغرات التى يحدثها ..

وهذا أمر لا يحمل من الصحة أى نصيب ... واذا كان الغرب يأبى الا أن يكون التشكيك القومى سلاحه لايهام الرأى العام العالمى بأن هناك قوى خارجية تحرك الشعوب ضد الغرب ومصالحه فان الماضى البعيد والقريب أكد أن الشعوب النامية

العربية غريبة فى وطنها

عن جريدة « العلم » ـ الرباط :

● **من حقنا أن نتساءل :**

الى متى سيبقى المثقفون بالعربية يعيشـــون على هامش الحياة كالمنبوذين ؟

والى متى ستبقى هاته اللغة وهى لغة البلاد بحكم التاريخ وبنود الدستور ، تأخذ مكانتها فقط على الجانب الايمن من الأوراق والمطبوعات الادارية دون أن يعول عليها حتى فى أبسط المعلومات ؟ انها والله لمأساة ، مأساة العربية ومأساة أولئك الذين حتمت عليهم الظروف أن ينهلوا من منابعها بدافع الاخلاص لقضية الوطن ، والتطرف فى الوطنية ، ومعاداة الأجنبى الذى جاء وفى نيته فرنستنا .

ان الذين يناهضون العربية ويقولون اليوم بعدم التعريب ، حجتهم أضحت واضحة . هم يتهمون العربية بأنها لا تتسع لكل المعانى التى يراد التعبير عنها ، وأنها لا تفى بكل حاجيات العصر ومقتضياته لأنها ليست فقط ـ على حد تعبيرهم ـ الا لغة البحترى والمتنبى . ومعنى ذلك عندهم بصريح العبارة أنها لغة الشعر والمديح ، لا لغة العلم والحضارة .

قد يكون منهم ذلك مكابرة وجحودا لحاجة فى نفس يعقوب ، وقد يكون جهلا بالوجوه المشرقة التى أتاحت للغة العربية الازدهار والسيادة فى مختلف العصور كلغة استوعبت كل جوانب العلم والحضارة ، ولعلهم لم يدروا أن راية العربية لم تنتكس الا يوم أن طلـــع بين العـــرب المنهزمون واليائسون أمثال هؤلاء الدعاة : دعـــاة اليأس والهزيمة .

ومهما يكن فان العربية ستنتصر وتشق طريقها ولو كان هناك من يناهضها ويعمل بالطرق الملتوية لمحاربتها .

وليست بتوجيه خارجى

لم تتمكن من التقدم والتطور الا بعد أن أزاحت كابوس الاستغلال الفظيع الذى يستبيح كل قدراتها وامكانياتها ويتركها تعيش عالة عليه غير قادرة على الاعتماد على نفسـها .

ان تجربة الشعوب الحديثة تؤكد بجلاء أن مسألة تدخل القوى الخارجية للتأثير على الشعوب ... عملية مفضوحة ولا تمت للحقيقة بصلة وكل ما هنالك أن الغرب الذى تمرس على أساليب الدهاء والخداع والتشكيك يأبى الا أن يواجه يقظـــة الشعوب وحرصها على تحقيق انتصاراتها ... بشكوك خبيثة تتهمها فى وطنيتها .. وتهينهـــا فى اتجاهاتها التحررية .

وقد يكون من العجيب حقا أن تنسى صـحافة الغرب .. أن الفكر الانسانى دائم التطور والحركة .. وأن العصر الذى نعيشه لا يؤمن بغير المساواة، والعدل والحرية .. وأن هذه المبادىء والقيم ليست بالتأكيد وقفا على شعب دون آخر .. ولا هى هبة السماء لأمم معدودة فقط .. وانما هو التاريخ الانسانى المنساب عبر القرون .. المؤكد للحقيقة التاريخية .. أن للشعوب ارادة تختار بها ما تشاء من النظم والمبادىء مما يخدم مستقبل أجيالها القادمة ..

وهذا كله تتناساه صحافة الغرب لتقف فى منتهى السطحية والجهل فتتهم الشعوب فى وطنيتهـا وتشكك فى نواياها التحررية التى تهدف لخيـر السلام العالمى .

ومهما تعنتت تلك الصحافة وهرّجت فانها لن تستطيع ايقاف عجلة التاريخ ، وسوف يأتى عليها يوم تتأكد فيه أن « ليبيا » التى تتهمها اليوم فى وطنيتها واتجاهها القومى ، انما هى جـادة فى استخلاص حقوقها ، ومصممة على وجهها العربى التحررى .

وضاح اليمن

مأساة في بلاط الخلافة

الشاعر الذى قاده حبه إلى حتفه، في أسفل بئر

بقلم : الدكتور محمد محمود الدش

■ هذا الشاعر ، عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد كلال بن ابي احمد بن قحطان ، احد شعراء الغزل المعدودين في العصر الاموى ، بين عمر بن ابي ربيعة ، وجميل ، ومجنون ليلى ، وقيس بن ذريح ، وعبيد الله الرقيات ، والأحوص ، وغيرهم ممن افاضت الكتب في الحديث عنهم وعن حبهم .

على ان وضاحا ، او عبد الرحمن ، كان موضع اختلاف شديد لدى مؤرخي الادب العربي حين ذهب بعضهم الى انه هو الذى اخترع الشعر التمثيلي ، وأضافه الى تراثنا الادبى القديم ، وذهب البعض الآخر الى انكاره انكارا بعيدا ، وزعم انه لم يكن الا خيالا اخترعه القصاصون وانتحلوا شعره ونسجوا حوله من الاحاديث والاخبار ما فيه لذة ومتعة .

ولسنا نريد الآن ان نتصدى لهذه القضية التى يختلفون فيها على هذا النحو ، فنحكم فيها بشيء قبل ان نستعرض قصة هذا الشاعر ، التى تعتبر من القصص الفريدة في قصص ابطال الغرام ، والتى ما زالت – كما يقال – تصلح موضوعا لقصة غرامية موسيقية حديثة ، من ذلك الذى يسمى بالاوبرا او المأساة الموسيقية .

الاختلاف في نسبه

والذى نريد ان ندل عليه قبل كل شيء هو ان وضاحا من اصل عربي يماني ، يتصل نسبه لابيه بحِمْير بن سبأ بن قحطان ، كما ان جدته ام ابيه اسماعيل كانت بنت ذى جدن ، وام جده كانت من كِندة ، وكلهم يمانيون وان زعم البعض

ان وضاحا من الابناء ، اولاد الفرس ، الذين قدموا اليمن مع قائد الفرس وَهْرِز لنصرة سيف ابن ذى يزن على الأحباش ، وانا اعتقد ان ابا عبيدة معمر بن المثنى ، وهو من اكبر الشعوبيين واخطرهم هو الذى زعم هذا الزعم وروّجه ، وقد حاجّه في ذلك خالد بن كلثوم – على نحو ما جاء في الاغاني – فاسكته وافحمه .

وقد ساعد ابا عبيدة ومن لف لفه على هذا الزعم ان احد اجداد الوضاح اسمه داذ ، وان ام الوضاح كانت فارسية ، فلما مات ابوه اسماعيل وهو طفل انتقلت الام الى اهلها من الفرس ، حتى حتى انقضت عدتها فتزوجت رجلا من الابناء من اهلها ، وشب وضاح في رعاية امه وزوجها ، حتى ذهب يطلبه منهما عمه وجدته ام ابيه ومعهم جماعة



داخل صندوق مقفل!

من اهل بيته من حِمْيَر وغيرهم ، فادعى زوج امه انه ولده، فاحتكموا فى امره الى الحاكم ، واجتمع من اجل ذلك نفر كثيرون من الحميريين والابناء . واقيمت البينة على انه وُلد على فراش اسماعيل ابن عبد كلال ابيه ، فحكم به الحاكم لهم . وكان الوضاح جميلا رائع الجمال ، فأعجب به الحاكم، ومسح يده على راسه ، وقال له : اذهبْ فانت وضّاح اليمن . فعلقت به هذه الكلمة منذ يومئذ، فصارت له لقبا على الدوام . ويروى انه ـ بسبب هذا الجمال الباهر ـ كان لا يَرِد مواسم العرب الا مقنّعا يستر وجهه خوفا من العين وحذرا على نفسه من النساء .

وقد حَفِظَتْ لنا شعرُ الوضّاح حقيقة نسبه حيث يقول فى بنات عمه من كِنْدة :

إن قلبي معلّقٌ بنســـاء
واضحاتِ الخدود لسنَ بِهُجْنِ
من بنات الكريم «داذ» وفي كنـ
ـدة يُنسَبْن من أُباة اللّعْنِ

وحيث يقول فى فخره بآبائه :

فقلت لها : إنى امرؤٌ فاعلَمِنَّـــه
إذا ماأخذتُ السيف لم أحفلْ العَدَدْ
بنى لى إسماعيلُ مجدا مؤثّـــلا
وعبدُ كلال بعده ، وأبو جَمَــد

واختلفوا فى نسب من عشق

ولما شب عبد الرحمن ، وضاح اليمن ، عشق واحدة من قريباته ، هى روضة بنت عمرو ، من ولد ذى المروع الكِندى . وكما كان الشك فى نسبه واصله السببَ الأول الدافع الى انكار وجوده ، فان الشك فى نسب عشيقته روضة هو السبب الثانى الدافع الى ذلك الانكار عند من شكّوا فى وجوده ووجود شعره اصلا . غير اننا نستطيع ان نؤكد أن روضة من أصل عربى . ومن كندة بالذات ، وليست فارسية كما زعم الزاعمون لاسباب عدة . اهمها ، اننا اذا نظرنا الى الشعر

الذى مر منذ قليل نجد ان قلب الوضاح معلق بهؤلاء البنات الواضحات الخدود من كندة، وروضة واحدة من هؤلاء البنات ، فاذا عدنا الى مصادر الخبر نجد أن مصدرا واحدا هو الذى زعم نسبتها الى الفرس ، بينما نجد مصادر متعددة تبلغ الخمسة، لكل مصدر سلسلة من الرجال الثقات من امثال الاصمعى والخليل بن أحمد ، يؤكدون ان روضة عربية يمانية ، وكذلك لدينا من الأدلة القوية فى هذا السبيل ما نجده فى قول الوضاح لروضة :

قد يكتم المرءُ حبَّه حقبـــــا
وهو عميدٌ وقلبه كَمِـــــدُ
ماذا تريدين من فتـى غَـزِلٍ
قد شفَّه السقم فيك والسَّهَــدُ
يهـد دونى كيما أخافهــم
هيهات أنَّى يُهدَّدُ الأســد

وفى قوله لها ايضا :

قالت، فزرنا، قلت كيف أزوركم
وأنا امرؤ لخروج سرك خاشـى
قالت فكن لعمومتى سلما معـا
والطُفْ لأخوتى الذين تماشـى
فتزورنا معهم زيارة آمــن
والسر ياوضاح ليس بفاشـى

وهذه الأبيات جميعا تحدد العلاقة بين عبد الرحمن وعشيقته روضة ، اذ يهدده اهلها وهو لا يخشى هذا التهديد، فليس من الجائز أن يهدده قوم من الفرس وهو من عرب اليمن ، ولكن الجائز ان يكون هؤلاء الذين يخوفونه من العرب الذين يستطيعون تخويفه ويقدرون عليه ، ثم هى تطلب اليه ان يكون صديقا لطيفا لاخوتها وعمومتها حتى يتمكن من زيارتها ويحتال للقائها ، وهذا يحدد بدقة قرابته لهم لانه يماشيهم ويستطيع ان يدخل دارهم ويلقى نساءهم .

اتصال غرامه ((بروضة))

واتصل الغرام بعد ذلك بين عبد الرحمن وروضة وجعل يردد أشعاره فيها ما اقام وما رحل ، وما أكثر ما كان يرحل بين الحجاز حيث تقيم محبوبته وبين الشام حيث حاضرة الخلافة الأموية فى دمشق . وشعره خلال ذلك كله فى روضة رقيق الحاشية ، عفُّ اللفظ ، سهل العبارة ، خفيف الوسيقى ، جميل الايقاع ، مما جعله يدور كثيرا على السنة المغنين والملحنين . حتى ليقول صاحب الاغانى: ((وله فى روضة هذه أشعار كثيرة فى أكثرها صنعة)) ، يعنى صناعة التلحين والغناء .

وتمضى قصة هذا الغرام فتحكى لنا أن ما بينهما ذاع واشتهر أمره ، وطلب من اهلها ان يتزوجها، ولكنها زُوجت من غيره ، ورغم ذلك ظل على حبها مدة طويلة ، حتى أتاه خبر مرضها بالجذام وعزلها مع المجذومين، فبكى للخبر، ثم مضى اليها فزارها واعطاها بعض ما تنفقه ، وعاد الى صحبه يبكى غما فى قصيدة طويلة منها :

ياروضـــةَ الوضَّاحِ قــد
عنَّيتَ وضَّاحَ اليمـــنْ
أنَّى تَهيَّجنـى إليـــ
ـك حمامتان على فَنَـنْ
لو قيــل يا وضاحُ قــمْ
فاختَر لنفسك أو تَمَـنْ
لم أَعْدُ روضــةَ والــذى
ساقَ الحجيجَ لهالبُـدُنْ

قصة غرام له أخرى مع زوجة الوليد

وتنقطع قصة غرامه لروضة او تنتهى لتبدأ قصة له أخرى عجيبة الشان ، خطيرة الأثر فى تاريخ السياسة والأدب ، تلك قصة غرامه ، أو مأساته، مع أم البنين، بنت عبد العزيز بن مروان، زوجة الوليد بن عبد الملك خليفة المسلمين الأموى.

حينما ارادت أم البنين أن تمضى فى رحلة الى الحج كان لا بد أن تستأذن زوجها الخليفة الوليد فى ذلك ، وحينما أخذت تعد العدة للرحيل جعلت تنتقى رفيقاتها فى هذه الرحلة الطويلة فاختارتهن من أجمل الجوارى وأحلاهن ، وكأنها كانت تقصد ذلك قصدا وتتعمده تعمدا لتلفت أنظار الناس الى ركبها، وخاصة هؤلاء الشعراء الذين كانوا ينتظرون مواكب الحج وينصرفون الى التشبيب والتغزل فيما ياسر قلوبهن ويخلب البابهن من جمال ورقة ونضارة.

ولذلك يقول احدهم فيما جمع هذا الموكب من جمال وحسن : « فكنتَ لما حجتْ أم البنين لا تشاء ان ترى وجها حسنا الا رايته معها » . وتحدثنا الروايات أن الشعراء كانوا ينتظرون هذا الموكب الجميل ليفتتنوا به ويطلقوا وجداناتهم وأحاسيسهم بالشعر ، لولا ذلك الكتاب الذى أصدره الخليفة متوعدا الشعراء جميعا انْ ذكر احد منهم أم البنين او ذكر أحدا ممن تبعها . ومع ذلك فقد كان هؤلاء الشعراء يُسرون بعضُهم الى بعض بما يقولون من غزل وتشبيب أو يحتالون بوسائل اخرى فى هذا السبيل ، كالذى يروى من ان عبيد الله بن قيس الرقيات سئل : بمن تشبّب من هذا القطين ، فقال :

وما تصنع بالسر إذا لم تك مجنونا
إذا عالجت ثقل الحب عالجت الأمرينا

ثم يقول عبيد الله لصاحبه : اكتم عليَّ فانك موضع للامانة . وينشد صاحبه قصيدة غزل فى أم البنين ، منها :

أصحوتَ عن أم البنـــــــــ
ين وذكرها وعنائهـــــــــا
قرشـية كالشمس أشـــــــ
ـرق نورها ببهائهـــــــــا
زادت على البِيض الحســـا
ن بحسنها ونقائهـــــــا

وكالذى يروى من ان ام البنين نفسها ارسلت الى كُثيِّر والى الوضاح ليتغزل كل منهما فيها ، فمضى كُثيِّرٌ يتغزل فى جاريتها غاضرة ، وخشى ان يتغزل فيها .

عينا أم البنين تقعان على وضاح اليمن

ومهما يكن ، فقد وصل موكب أم البنين وجواريها الحسان الى الحجاز ، وكان أن وقعت عيناها على عبد الرحمن ، وضاح اليمن ، فخلبها جماله ، وهَويته ، دون سائر شعراء الغزل ، وما اكثرهم حينذاك . ومن هنا لم يتردد الوضاح ــ حينما طلبت اليه أن يتغزل فيها ويَتشبب بها ــ فى أن يرسل شعره فى زوجة الخليفة فى غير خشية ولا خوف . ويبدو ان شعره هذا لم يصل الى مسامع الخليفة الا بعد حين ، لأننا نعلم أن لقاءات تمت بعد ذلك بين الوضاح وبين أم البنين ، وأن الوضاح قال شعرا فى مديح الوليد ، ووعدته أم البنين ان ترفده عنده وتقوى أمره لديه ، فقدم عليه الوضاح بالشام ، ومدحه بعدة قصائد ، فأحسن اليه الوليد رفده وأجزل صلته .

وأقام الوضاح قريبا من أم البنين ، وكان يزورها خلسة فى دارها .

ويروى أبو الفرج أن أم البنين مرضت ووضاح مقيم بدمشق وكان نازلا عليها فقال فى علتها :

حتام نكتم حزننا حتـــــــــاما
وعلام نستبقِى الدمـــوع علامـــا
إن الذى بى قد تفاقـــــم واعتـــلى
ونما وزاد وأورث الأسقـــــاما

كما يُرْوَى ايضا ان وضاحا كان مقيما عند أم البنين حينما ورد عليه كتاب ينعى أخاه واباه . وهنا لابد ان نقف وقفة قصيرة عند هذا الكتاب الذى ينعي اباه فى حين اننا نعرف ان اباه مات وهو طفل وانه شب فى كنف امه وزوج أمه على نحو ما رأينا . ونفس هذا الاختلاف من الأسباب التى دفعت الى الشك فى وجــود الوضــاح . والحقيقة ان الكتاب كان ينعى اخاه فقط ، لان اباه قد مات منذ زمان طويل . والدليل القوى على ذلك القصيدة التى انشاها حينما ورد عليه الكتاب الناعي . فالذى يقرأ هذه القصدة قراءة فاحصة دقيقة يرى ان معظمها ــ وهى طويلة ــ فى رثاء اخيه ، ثم ينتهى فى آخرها ، فى ابيات قليلة منها ، برثاء جماعة من اهله من بينهم ابوه . هذا بالاضافة الى ان ابياتا بعينها تشير اشارة صريحة الى ان الكتاب جاء ينعى اخاه فحسب ، اذ يقول :

فمــا أنفكُّ أنظــر في كتــاب
تدارى النفس عنه هوى زهـــوق
يخبِّر عن وفاة أخ كريـــــم
بعيد الغَوْر نفاعٍ طليـقِ

وهو لا يكتفي بهذه الاشارة الصريحة ، بل يمضى فيؤكدها بعد ذلك فى نفس القصيدة اذ يقول :

وأعظم ما رُميت به فجوعا
كتابٌ جاء من فجّ عميقِ
يخبر عن وفاة أخ ، فصبرا
تنجز وعدُ منّان صدوق

وهكذا تسقط الدعوى القائمة على هذا الاساس في الشك في وجود عبد الرحمن وضاح اليمن .

ام البنين تؤوى الوضاح في دارها

ويبدو أن نكبة الوضاح باخيه كانت ارهاصا لنكبة اخرى فادحة قضت على حياته في بلاط الوليد بن عبد الملك بسبب غرامه من زوجته ام البنين ، اذ تمضي قصة هذا الغرام العجيب فتخبرنا انه نما الى الخليفة أن الوضاح شبّب بزوجته فيجفوه الخليفة ويأمر بان يُحجب عنه، ثم يدبّر تدبيرا لقتله . ويشير الوضاح الى ذلك الجفاء في قصيدة بعد ذلك في مدح الخليفة حين يقول :

فعلى ابن مروانَ السلامُ من امرىء
أمسى يذوق من الرقاد أقلَّه
شوقا إليك فما تنالك حالُه
وإذا يَحِلُّ البابَ لم يؤذَن له

قال ابو الفرج : فلم يزل مجفوا حتى وجد له غرّة .

وتختلف بعد ذلك الروايات اختلافا كبيرا في تفصيلات الطريقة التي تم بها قتله ، ولكنها كلها تنتهي الى أن الوليد قتله ودفنه في داره ، ولم يوقف له على خبر . وتقول احدى هذه الروايات وهي التي ذكرها الاخفش في كتاب المقتالين :

الوليد يفتك بالوضاح

عشقت ام البنين وضاحا ، فكانت ترسل اليه فيدخل اليها ويقيم عندها ، فاذا خافت ، وارته في صندوق عندها ، واقفلت عليه . فاهدِي للوليد جوهر له قيمة ، فأعجبه واستحسنه ، فدعا خادما له فبعث به معه الى ام البنين ، وقال : قل لها ان هذا الجوهر اعجبني فآثرتك به. فدخل عليها مفاجاة ووضاح عندها ، فأدخلته الصندوق ، وهو يرى ، فادى اليها رسالة الوليد ودفع اليها الجوهر ، ثم قال يا مولاتي هبيني منه حجرا ، فقالت : لا يا ابن اللخناء ولا كرامة . فرجع الى الوليد فاخبره ، فقال كذبتَ يا ابن اللخناء . وأمر به فوُجئت عنقه . ثم لبس نعليه ودخل على ام البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط ، وقد وصف له الخادم الصندوق الذي ادخلته فيه ، فجلس عليه ثم قال لها : يا ام البنين ، ما احب اليك هذا البيت من بين بيوتك ، فلم تختارينه ؟ فقالت : اجلس فيه واختاره لانه يجمع حوائجي كلها فاتناولها منه كما اريد من قرب . فقال لها : هبي لي صندوقا من هذه الصناديق . قالت : كلها لك يا امير المؤمنين. فقال : ما اريدها كلها ، وانما اريد واحدا منها فقالت له : خذ ايها شئت ، قال : هذا الذي جلست عليه . قالت : خذ غيره فان لي فيه اشياء احتاج اليها . قال : ما اريد غيره ، قالت : خذه يا امير المؤمنين . فدعا بالخدم وأمرهم بحمله ، فحملوه حتى انتهوا به الى مجلسه ، فوضعه فيه، ثم دعا عبيدا له فامرهم فحفروا بئرا في المجلس عميقة ، فنحى البساط وحفرت الى الماء ، ثم دعا بالصندوق فقال : انه بلغنا شيء ان كان حقا فقد كفناك ودفناك ودفنا ذكرك ، وقطعنا اثرك الى آخر الدهر ، وان كان باطلا فانا دفنا الخشب وما اهون ذلك . ثم قذف به في البئر ، وهيل عليه التراب ، وسويت الارض ورد البساط الى حاله، وجلس الوليد عليه . ثم ما رؤى بعد ذلك لوضاح اثر في الدنيا الى هذا اليوم . قال وما رات ام البنين لذلك اثرا في وجه الوليد حتى فرق الموت بينهما.

والذى لا نشك فيه هو أن الوليد حَنِقَ واصابه غيظ شديد حينما علم بتشبيب الوضاح بام البنين ، وخاصة بعد ذلك التهديد الذى اصدره للشعراء جميعا . فاذا كانت العلاقة قد تجاوزت التشبيب الى هذا الحد الذى رأيناه ، فانه لا شك ايضا انه قد دبّر مقتله دون ان تثار من وراء ذلك فضيحة . ويبدو من الاخبار ان الوليد كان قد أمر بقتله في ثورته حينما علم بخبر التشبيب لولا ان تدخل ولده عبد العزيز في الامر، وقال له : افعل به كما فعل معاوية بابى دهبل ، فانه لما شبب بابنته شكاه يزيد وسأله ان يقتله ، فقال : اذا تحقق قوله ، ولكن تَبِرُّه وتحسن اليه فيستحي ويكف ويكذّب نفسه . كما قال عبد العزيز لابيه الوليد : ان قتلته فضحتني وحققت قوله وتوهم الناس ان بينه وبين امي ريبة . فامسك الوليد عنه على غيظ وحنق .

هل كانت أم البنين وراء هذه المأساة

والذى نراه فى هذه القصة ، او هذه المأساة الغرامية ، ان ام البنين هى التى قتلت الوضاح، وان الذى دفعها الى هذا القتل هو غرامها الشديد به وحبها القوى له ، وان نار الغيرة والاثرة الشديدة التى ركبت فى غريزة المراة ، هى التى حثتها فى عنف على ان تقوم بهذه الفعلة دون رحمة او هوادة .

حقيقة نحن نرى ان فى القصة مواضع ضعف ومواطن للشك ، وخاصة حينما تؤكد انه كانت بين الوضاح وزوجة الخليفة علاقة مشبوهة ، وانه كان يتردد عليها فى مسكنها بما يريب فى هذه العلاقة او يؤكد سوءها . وان كنا لا نشك فى ان ام البنين أغرمت بالوضاح غراما شديدا ، وانها يسرت له الاتصال بالخليفة ومهدت له الطريق الى القصر بما يجعله مقربا من الوليد مفضلا عنده ، وانها طلبت اليه ان يشبب بها ، فاندفع فى غير خوف ولا تردد ، يحثه على ذلك غرامه بها وحبه لها . وانها كانت تلقاه لتستمتع بالنظر الى جماله الباهر والاستماع الى شعره فيها ، ولكن فى غير ارابة او اثارة شبهة . وابيات الوضاح دليل على هذا الغرام الشديد ، اذ يقول :

صدع البينُ والتفرّقُ قلبي
وتولّتْ أم البنين بلبّى
ثوت النفس في الحمول لديها
وتولى بالجسم مني صحبي
ولقد قلت والمدامع تجرى
بدموع كأنها فيض غرب
جزعا للفراق يوم تولّت
حسبي الله ذو المعارج حَسْبي

والذى يقرا شعره فى مديح زوجها الوليد يجد فى صدره غزلا لا نشك فى انه فى ام البنين .

وكل ذلك يؤكد لنا ان ام البنين ، المراة الاثيرة الغيور ، هى التى دبرت لقتل صاحبها وعشيقها الوضاح ، بعد ان علمت بان الشاعر ليس لها وحدها ، وان هناك اخريات جميلات فتنّ صاحبها فقال فيهن الشعر الرقيق ، من مثيلات حبابة جارية يزيد بن عبد الملك التى شاهدها بالحجاز وأعجب بها وبغنائها اعجابا شديدا ، وهند التى يقول فيها :

أيها الناعب ماذا تقولُ
فكلانا سائلٌ ومسؤولُ
حيثُ تنبي أن هندا قريبٌ
يبلغ الحاجاتِ منها الرسولُ

وسلمى ، التى يقول فيها :

ألا يالقومي أطلقوا غلّ مُرتهنْ
ومنّوا على مستشعر الهم والحزَنْ
تذكّر سلمى وهي نازحة فحنْ
وهل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطن

ولكن الذى اثار حفيظتها ، وهيج غيرتها ما شاع عنه من انه شبب بفاطمة بنت عبد الملك وهى اخت الخليفة الوليد ، وكانت زوجة عمر بن عبد العزيز وقال فيها :

بنتُ الخليفة والخليفةُ جدّها
أختُ الخليفة والخليفةُ بعلُها
فرحتْ قوابلها بها وتباشرتْ
وكذاك كانوا في المسرّة أهلُها

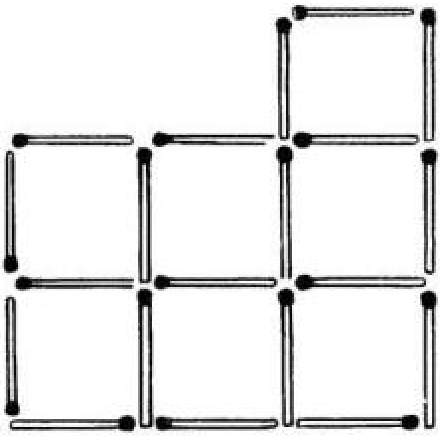
هنالك ثارت ثائرتها ، واشتعلت النيران فى دمائها ، وخاصة بعد ان تأكد لها الخبر ، وبلغ مسمعَ زوجها كما بلغ مسمعه خبرها ، فاحتنق واشتد غيظه . وقال : اما لهذا الكلب مزدجَر عن ذكر نسائنا واخواتنا ، ولا له عنها مذهب .

فعملت ام البنين على استدراجه الى دارها ، وتعمدت ان تريه للخادم الذى اتاها بالجواهر ، وان تريه الصندوق الذى خبأته فيه ... ولكن هل اشتفت ام البنين ؟ قالوا انها حجت بعد ذلك فكانت متحجبة ولم تكلم احدا ، وعادت من الحج على هذه الصورة .

ومات الخادم ، ودُفن العشيق ، ولكن المأساة الغرامية ظلت باقية يتحدث بها الناس ، وقد قيض الزمان لذكرها من الشعوبيين الذين ظهروا وبرزوا فى العصر العباسي من يكتب هذه القصة ويسجلها، وان تزيد فيها، حتى تضيع. ■■

محمد محمود الدش

أسماء الفائزين



رقم قياسي

قراء من ٣٢ دولة أوربية وآسيوية وافريقية

■ قفز عدد الاجابات التى تلقيناهـا عن مسابقة العدد السادس والستين الى رقم قياسى جديد ، آلافا عديدة ، لم تسجله مسابقات العربى من قبل ، وكانت من بينها اجابات من أكثر من ٣٠ دولة اوروبية وامريكية وآسيوية وافريقية ، اكبرها عددا من سيراليون والحبشة ويوغسلافيا وايطاليا والمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ، واقلها من السويد والنمسا واسبانيا فلم يزد عدد الاجابات الواردة من كل منها عن خمس ..

ومع ان المسابقة كانت سهلة ، الا ان عددا غير قليل من المشتركين فيها لم يوفقوا الى الحل الصحيح ، فجاءت المربعات الخمس التى رسموها غير متساوية ، فى حين ان الحل الصحيح هو الذى يراه القارىء فى الرسم المنشور على الصفحة المقابلة ..

★ ★ ★

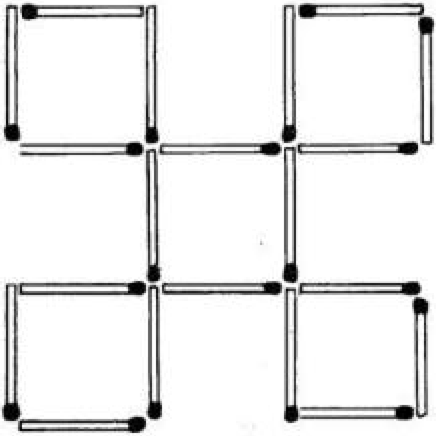
وقد اجريت عملية الاقتراع على الجوائز بين مجموع الاجابات الصحيحة فكانت النتيجة كما يلي :

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :

عبد الواحد الحاج جبر الصالح ــ دائرة الاحصاء المركزية ــ وزارة التخطيط ــ بغداد ــ العراق .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :

الطالب محمد عبد العزيز القطامى



فى مسابقة العدد ٦٦

فى عدد المتسابقين

يشتركون فى حل هذه المسابقة

عضو البعثة الكويتية بانجلترا .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها :

الآنسة فاطمة محمد عامد بقسم البرامج البريدية بالاذاعة والتلفزيون ـ الرباط ـ المغرب .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ عبد الغنى دربعى : بناية أمين السنكرى ـ شارع النجمة ـ طرابلس ـ لبنان .

٢ ـ صالح مصطفى محمد ـ ص.ب ٢١٧٣ الكويت .

٣ ـ عادل ماهر : ص.ب ٧٦ دمشق سورية .

٤ ـ محمد عبد العال هلال : المعهد الدينى ـ دمياط ـ الجمهورية العربية المتحدة .

٥ ـ احمد صبري ـ مكتب البريد ـ قلقيلية ـ الاردن .

٦ ـ عبد القيوم عبد الحليم سعيد ـ مكتب بريد الميناء بورسودان ـ السودان .

٧ ـ على محمد عمر الجديدى المدرسة الاعدادية ـ طرابلس ـ ليبيا .

٨ ـ عبد الغفور عبد الواحد الخاجه : ص.ب ٥١ الشارقة ـ الخليج العربى .

وسترسل الجوائز الى مستحقيها .

أربع



الوجه الجديد للكويت : مصانع جديدة عديدة ، يتولى بنك الائتمان دعمها بالمال لتتوسـ

بنك الائتمان يمثل

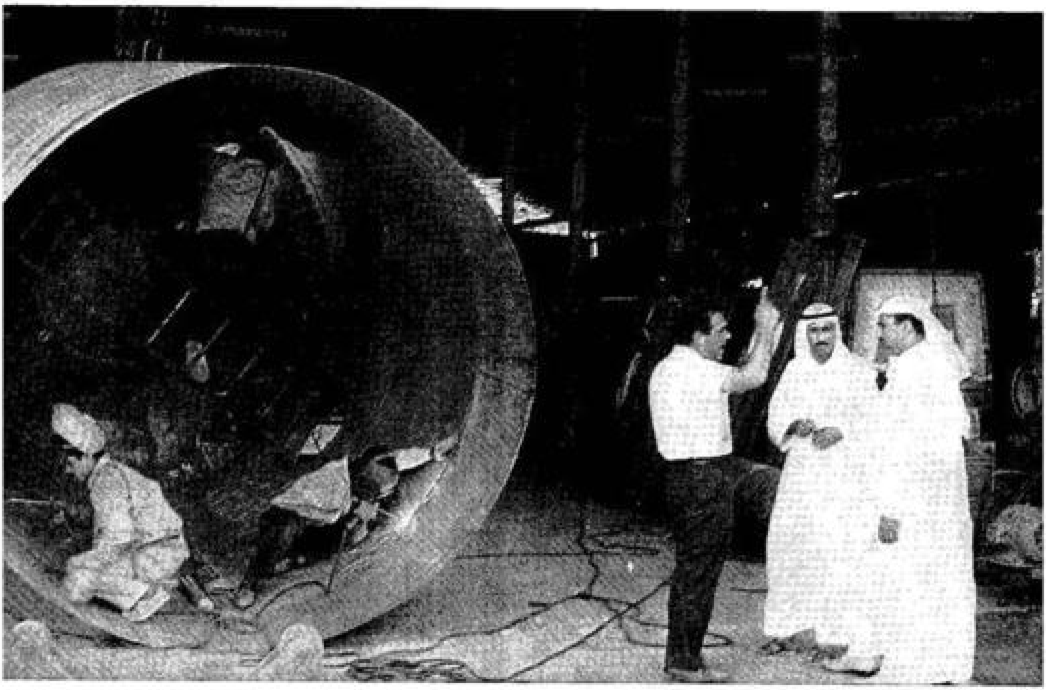
■ نحن نعيش فى عصر البترول ..
ذلك السائل الأسود الذى انتشر وفاض بسحره على أبناء هذا الجيل ، فالسيارات ، والطائرات ، وعابرات المحيطات ، وحتى مواقد الغاز اصبحت كلها تعتمد على النفط ومشتقاته ..

وشهدت الدول التى تسيطر على هذا المارد الأسود ، ازدهارا وتقدما لايجاريهما ازدهار أو تقدم فى العالم ..

والكويت تأتى فى مقدمة هذه الدول.. اذ هى تحتل الصف الرابع فى العالم من حيث كمية انتاج النفط .. والصف الثانى من حيث كمية تصديره .. وتقفز الى الصف الأول من حيث كمية احتياطيه ..

ويتقدم العالم بخطوات مذهلة ..

بنوك في بنك واحد ..



وتكبر .. ان الهدف هو ايجاد مصادر جديدة للدخل القومى فى الكويت ..

وجه الكويت الجديد

فيفتت الذرة .. ويسخر الهدروجين ..وينطلق الأقمار الصناعية والصواريخ .. حتى بات الوصول الى القمر محتملا خلال السنين القليلة القادمة ..

الخطر الخفى ..

كل هذه التبدلات والاختراعات وضعت الدول المنتجة للنفط امام سؤال قلق : ماذا لو اكتشف العلماء مواد احتراقية جديدة ، أو طاقات حرارية تغنى عن النفط ومشتقاته ؟!

كان هذا السؤال بمثابة ناقوس الخطر .. الذى دفع بالكويت الى الاستعداد لمواجهة الاحتمالات الخفية القادمة فى موعد مجهول لتزيح هذا المارد الأسود عن عرشه التليد ..

وشهدت قاعات وزارة المالية والبترول اجتماعات طويلة لدراسة مشروعات واقتراحات لخلق مصادر جديدة للدخل القومي ..

وسرعان ما تحول الكثير من هذه المشاريع الى حقائق ، فشهدت سماء الكويت أولى مداخن المصانع العالية ، وكأنها تنافس ابراج البترول المتشابكة ..

أربعة بنوك في بنك واحد !

وكان لا بد لهذه المشاريع من تموين . ومن بين المشاريع التي شهدت النور ، مشروع أسموه



تشجيع الأهالي على العناية بزرع أرضهم ، من الأهداف التي يسعى البنك لتحقيقها ..

بنك الائتمان .. رصدوا له عشرة ملايين ونصف مليون دينار ، ليؤدي اغراض بنوك أربعة متخصصة ، للتسليف الزراعي .. والصناعي .. والعقاري ، بالاضافة الى اقراض الموظفين في وقت واحد !

ومن خلال سطور قانون انشاء بنك الائتمان يستطيع القارىء أن يلمس مدى المسئولية الكبيرة التي انيطت بهذا البنك ..

فتشجيع أبناء الكويت على اقتحام مجالات جديدة تقع مسؤوليته على هذا البنك ..

وتقديم الدراسات الصناعية لهم تقع مسئوليته على هذا البنك ..

وفي مجال الانشاء والتعمير . كانت الكويت تعاني ازمة سكن حادة ، وهي تستكمل بناء نهضتها ، فكان لا بد من ايجاد جهة تؤمن الأموال اللازمة لتعمير المساكن الخاصة وتساعد في حل ازمة السكن .. فكان بنك الائتمان هو هذه الجهة التي تقرض أصحاب المساكن والعمارات الخاصة لانهاء عمائرهم ..

احياء الزراعة

وفي ماضي الكويت كان الاقبال على أكل الخضراوات قليلا ضعيفا ، وكانت الكويت تكفي نفسها بانتاجها القليل .. وازداد العمران وتوسع ، وراجت الخضراوات .. واليوم يقع على بنك الائتمان مسئولية استغلال الأرض وتعهدها .

وكان موظفو الدولة يقترضون الأموال من السوق السوداء بفوائد فاحشة ، فجاء بنك الائتمان يعرض عليهم القروض بفوائد قليلة لحمايتهم من جشع المرابين ..

ان الهدف من كل ذلك هو تثبيت أركان النهضة العمرانية ، وتدعيم الاقتصاد الوطني ، وبناء مجتمع يستطيع استغلال الثروات الطبيعية التي في البلاد .

جولة بين الارقام

ان لغة الأرقام هي لغة البنوك المفضلة ، فما



يجتمع مجلس ادارة البنك مرة كل اسبوع، على الاقل، ليقول الكلمة الأخيرة في اعطاء القروض، ورئيس المجلس ، الاستاذ عبد العزيز الدوسرى ، هو مدير البنك في نفس الوقت ، وتراه في وسط الصورة يتصدر اجتماعا للمجلس وعن يمينه نائب الرئيس السيد محمد الشايجى ، فالأعضاء عبد الوهاب عبد اللطيف المصفور ، وعبد الحميد منصور المزيدى ، ومحمد عبد العزيز الوزان ، وجلس في مقدمة الصف الأيمن الاعضاء عبد الله عمر الياقوت ، وبدر يوسف بن عيسى ، والحاج مساعد عبد الله السابر ، ومعهم عبد الرحمن معروف أمين سر المجلس .

بالك والائتمان هو أربعة بنوك في بنك واحد !

ان للأرقام في بنك الائتمان معنى خاصا فهى تعكس صورة لتطور الكويت ، والتبدل الجذرى الذى تعيشه ..

في عام ٦٣/٦٢ قدم بنك الائتمان قرضا واحدا لتربية الماشية .. وفي السنة الثانية ارتفع عدد القروض لتربية الماشية الى ثمانية قروض .. وقفزت معها قيمتها من الفى دينار الى ٤٧ الف دينار ..

وفي المجال الصناعى ساعد البنك على انشاء العديد من الصناعات في الكويت ، لأول مرة في تاريخه !

ان الذى يقوم بزيارة مصانع المدينة الصناعية ، التى اقيمت في منطقة الشويخ ، على بعد عشرة كيلومترات تقريبا من العاصمة ، يستطيع أن يرى وجه الكويت الجديد ..

لقد ساهم بنك الائتمان في نهضة هذه المصانع مساهمة ايجابية فعالة جعلت الكثير منها يضاعف انتاجه ، ويوسع مجال عمله ..

وتضم هذه المصانع أحدث الآلات ولا عجب في هذا ، فهى قد أنشئت حديثا جدا ..

توفير الملايين

ومصنع الأسبست خير مثال لهذا ، فهو ينتج نوعا من الأنابيب ينفرد بمزايا مقاومة فعل الأحماض ، والصدأ .. لقد كانت الكويت تدفع ملايين الدنانير سنويا ، ثمنا لاستيراد هذا النوع الثقيل من الأنابيب الذى أصبح اليوم يصنع محليا ..

والى جانب مصنع أنابيب الاسبست يرتفع أكبر وأحدث مصنع من نوعه في المنطقة .

انه مصنع الخشب المضغوط الذى بدأ انتاجه

منذ شهور قليلة (ديسمبر ١٩٦٣) ، وما كاد هذا الانتاج ينزل للاسواق حتى جاءت الطلبات للمصنع من الكويت وخارج الكويت تطلب استيراد منتجاته من الواح الخشب المضغوط الذى تصنع منه المنازل الجاهزة ، والمفروشات والأبواب والشبابيك ..

وهنا جاء دور بنك الائتمان فاقرض المال للمصنع ليتوسع ويستطيع تلبية الطلبات المتكاثرة من الداخل والخارج ..

صناعات بالجملة ..

ان مجموع ما قدمه بنك الائتمان من قروض صناعية لتأسيس المصانع او توسيعها ، او تحسينها ، بلغ أكثر من نصف مليون دينار فى السنتين الماضيتين .

وقد ساعدت،وتساعد،هذه القروض،على ايجاد مصنع الانابيب الحديدية ، ومصانع للصناعات المعدنية والهندسية ، ومخازن للتبريد وأخرى للثلج والرخام والبلاط والموزاييك ، ومصنع لاعادة تلبيس اطارات السيارات المستهلكة ، وآخر لصنع مبردات السيارات (رادياتورات) .

حتى النهضة الصحفية فى البلاد اعتمدت على بنك الائتمان فى وثبتها ، فاخذت قروضا بلغت ٢٥ ألف دينار لشراء مكنات الطباعة ..

ومع هذا فان مجال التمويل الصناعى ما زال محدودا ، ويأمل البنك ان يكون صدور قانون تنظيم الصناعة وحمايتها ، فاتحة عهد جديد لتوجيه أموال خاصة أخرى نحو الاستثمار الصناعى فى ظل برنامج مخطط لصالح اقتصاديات البلاد ... وهنا سيكون دور بنك الائتمان دورا هاما فى سبيل مساعدة هذه الصناعات والأخذ بيدها ..



يهتم بنك الائتمان بالنهضة العمرانية بالبلاد ، فيساعد الأهالى فى بناء منازلهم وتحسينها وشم

مشروع دبغ جلود ½ مليون رأس ماشـية

وتحقيقا للأهداف المرسومة ، عهد البنك الى الاستعانة بالخبراء لدراسة موارد البلاد وخاماتها، ليمكن انشاء شركات صناعية أو زراعية ..

وكانت باكورة هذه الأعمال الانتهاء من وضع الدراسات المبدئية لانشاء صناعة تمليح الجلـود ودباغتها في البلاد ..

ان الكويت تأكل سنويا لحوم نصف مليون رأس، من اغنام وماعز ، وابقار ، وجمال.. تباع جلودها وتصدر الى خارج البلاد بأبخس الأثمان ..

وبعد دراسة المشروع وجه بنك الائتمان الدعوة الى تجار الجلود والدباغين في الكويت لينضموا اليه في هذا المشروع الذي يعتبر تدعيما لمورد من موارد الاقتصاد الكويتي ..

الادخار بعد الاسراف

ومـن المشـاريع التي ما تزال تحت البحث مشروع : الادخـار ..

لقد تعود ابن الكويت في السنين العشر الماضية على حياة البذخ والاسراف والتبذير ، ويرى بنك الائتمان ان الوقت قد حان ليبدأ في تعلم الادخـار الذي لا بد منه في كل زمان .

ان هذا المشروع لا يهدف الى تجميع أموال الشعب لمساعدة مالية الحكومة ، فلها من مواردها، ما يجعلها في غنى عن مثل هذه الأموال ، انمـا الهدف هو خلق وعي اقتصادي سليم بين طبقات الشعب ..

٣ ملايين دينار لاقراض ١١ ألف موظف

وقد رصد بنك الائتمان مبلغ ثلاثة ملايين دينار



راضي اللازمـة .. كمـا تبنى البنك مشروع اقامة ألف مسـكن شعبي لذوي الدخـل المحـدود .

لاقراض موظفى الدولة بفائدة لا تتعدى ٢٪ ، انه يسعى الى ايجاد حياة استقرار فى بيت الموظف، ويقضى على المرابين الجشعين ..

ولا يقتصر الاقتراض فى هذا البند على على الموظفين الكويتيين فقط ، كما الحال فى القروض الزراعية والصناعية والعقارية ، بل يتعداهم الى جميع الموظفين ، بضمان المكافآت المستحقة لهم عن سنى خدماتهم ..

وقد بلغ عدد الموظفين الكويتيين المقترضين من البنك فى العام الماضى ٤٦٩٦ موظفا يمثلون ٤٥٪ من مجموع الموظفين المقترضين ..

بينما وصل عدد الموظفين العرب المقترضين ٥٨٨٧ موظفا يمثلون نسبة ٤٩٪ .. ثم يأتى الموظفون الاجانب وعددهم ٦١٢ موظفا يمثلون ٦٪ من المجموع ..

وقد تعددت جنسيات المقترضين حتى بلغت ٣٢ جنسية ، عدا الكويتيين .

اما قيمة القروض التى اقترضها جميع الموظفين فى العام الماضى فبلغت ٢٨٨٩٣٩٢ دينارا وزعت على ١١١٩٥ موظفا .. بينما لم يتجاوز فى السنة التى قبلها ١٥٤١١٢٩ دينارا ، وزعت على ٦١٢١ موظفا فقط ..

وابتداء من هذا العام اصبح من حق العمال الكويتيين المصنفين الاقتراض من البنك ، مما سيترتب عليه ازدياد كبير فى نسبة القروض فى العام القادم .

ومما يذكر ان موظفى وزارة الصحة هم اكثر الموظفين اقتراضا ، يليهم موظفو وزارة التربية والتعليم ، ثم موظفو وزارة الدفاع ..

مسكن لكل ذى دخل محدود

وفى حقل البناء والتعمير قام البنك بتقديم ما يقرب من مليون ونصف مليون دينار ، فى السنتين الماضيتين كقروض لمساعدة الاهالى فى تشييد وتحسين منازلهم وشراء الاراضى اللازمة .

كما تقرر للغرفة التجارية الكويتية قرض بمبلغ ٣٠٠ الف دينار لاقامة مبنى لها .

وقد تبنى البنك مشروع بناء الف مسكن لذوى الدخل المحدود ليساهم مع الحكومة فى حل ازمة السكن ، اذ أن قانون البنك يسمح له بالقيام بأى مشروع يتفق مع اهدافه ، تحقيقا لهدف الحكومة ، التى لم تكتف بجعل التعليم والعلاج بالمجان ، بل قررت أن يكون هدفها كذلك تأمين المسكن اللائق لكل ذى دخل محدود من أبنائها .

مصنع لصنع الجبن

ومن الحقول الاخرى التى ساهم فيها البنك



انتشرت تربية الدواجن فى أطراف العاصمة ان الكتاكيت ترد من مختلف البلاد ، لتربى

مساهمة فعالة ، حقل الثروة الحيوانية ، وزيادتها فى البلاد ..

لقد فتح البنك بابه واسعا أمام أصحاب الماشية والأغنام ، فقدم لهم ٤٧ الف دينار فى العام الماضى ليشد أزرهم ويساعدهم ..

ان تربية الماشية فى الكويت تختلف عنها فى البلاد الأخرى،فالأبقار الممتازة تأتيها من الدانمرك وهولندا بالطائرات والسفن .. والكويت ، كما هو معروف ، بلد صحراوى ، لهذا كان طعام هذه الأبقار يستورد معها على شكل كسب مخلوط بالبروتين والشعير والرادة ، وبه فيتامينات تعوض الحيوانات عن الخضرة التى تفتقدها فى الكويت .

وبالرغم من هذه المتاعب تتكاثر الحظائر ويزداد عددها .



ـ أصبح الانتاج المحلى يكفى حاجة البلاد ..
ـيت ..

وقد قمنا بزيارة لمزرعة أبقار من التى يساعدها البنك فوجدنا فيها الأبقار الهولندية البيضاء ذات النقط السوداء ذات الشهرة العالمية .. لقد تضاعف عدد هذه الأبقار خلال وجودها فى الكويت اذ تكاثرت وتوالدت حتى أصبح عددها اليوم ٦٦ بقرة .. تنتج الف كيلو جرام من الالبان يوميا .. مما حدا ببنك الائتمان الى تقديم مبلغ ١٠ آلاف دينار قرضا لصاحب المزرعة ، يبنى به مصنعا لبسترة اللبن ، وصنع الجبن الطازج الذى ما زالت الكويت محرومة منه ، بسبب نقص الثروة الحيوانية فيها ..

الدجاج يكفى البلاد

والى جانب الأبقار يقوم البنك بتقديم القروض لمساعدة أصحاب مزارع الدواجن ، حتى أصبح فى الكويت سلالات ممتازة من دجاج اللجهورن Leghorn الايطالى،والرود ايلند Rhode Islands الامريكى ، والسكس Sussex الانجليزى ، وغيرها من الأصناف التى لكل منها صفة خاصة .

ان الدجاج كان يستورد من الخارج اما اليوم فاصبح فى الكويت مزارع تكفى حاجة البلاد وتغنيها عن الاستيراد ، اذا هى أرادت ..

العودة الى الأرض الطبيعية .. الضيقة

وفى حقل الزراعة قدم بنك الائتمان قروضا للمزارعين بلغت ٤٠ الف دينار خلال العامين الماضيين،ليساعدهم على شراء البذور ،والأسمدة، والآلات الزراعية ومد أنابيب المياه ، وحفر الآبار ..

ان الأراضى الزراعية الصالحة للزراعة فى الكويت تقبع فى قرى صغيرة متفرقة ، كان أصحابها يزرعون فيها الخضراوات بنجاح ، ولكن أضواء العاصمة جذبتهم فجعلتهم يهجرون أرضهم الطيبة

الصغيرة .. واليوم يحاول بنك الائتمان اعادتهم الى ارضهم ليحرثوها ويتعهدوها ويساعدهم بتقديمه القروض اللازمة لهم .. وارشادهم لأحدث طرق الزراعة .

البنك لا يبعثر الأموال

ويتلقى السيد عبد العزيز الدوسرى ، مدير البنك ورئيس مجلس ادارته ، يوميا طلبات عديدة وغريبة ، يطلب أصحاب بعضها دفع قيمةالقروض التى يطلبونها فى الحال .. ولكن مدير البنك ينجح فى اقناعهم ، بأن هناك اجراءات لا بد منها قبل استلام القروض ، فبنك الائتمان حريص جدا على عدم بعثرة امواله فى غير وجه نفع ، وفى نفس الوقت لا يعطى الا اذا تأكد من أن ما أقرضه سيرجع ثانية الى خزانة البنك .. لاجل هذا رُفضت جميع أنواع الكفالات الشخصية ، وأصبح القرض لا يعطى لصاحبه الا اذا كان مُوثقا برهون عينية ..

الائتمان يعنى الاطمئنان

ان مجهود بنك الائتمان فى سبيل زيادة ثروات البلاد ، وايجاد الاطمئنان الاجتماعى مجهود كبير يذكر فيشكر .

انه تجربة ناجحة جاءت بنتائج باهرة مما دفع بادارة البنك ، التى تحتل حاليا مقرا مؤقتا الى الاعلان عن حاجتها لاستئجار مبنى يضم ٥٠ غرفة ، لأن اعمال البنك فى توسع وازدياد ..

ان بنك الائتمان هو عنوان الأمان والاطمئنان لأنه يعمل على خلق مجالات ومشروعات تؤمن للبلاد مستقبلا يرتكز على أكثر من دخل قومى للبلاد .. ■■



مزرعة للأبقار الهولندية الأصيلة . انها واحدة من نحو ٢٠ مزرعة اخرى أصبحت منتشرة فى مختلف أنحاء الكويت ، يعمل بنك الائتمان على مساعدة أصحابها بتقديم القروض لهم ..



التحية

في قديم الزمان وحديثه

● شعوب ماتزال تتبادل التحية بحك الأنوف وأخرى بالركوع والسجود، والانبطاح على الأرض !

■ استقرت في الناس اليوم عادات كثيرة، كان لها أصل بينهم، ونشأت عن علة، وعن حاجة.

ثم انبهمت العلل بتقادم الزمن، وخفيت الحاجات. وننظر اليوم في هذه العادات، فلا نجد فيها، مؤقتين، الا رموزا لمعان لا نشك فيها، وان نحن شككنا في الأصول.

المصافحة

خذ مثلا المصافحة باليد.

انك تلقى صديقك فتصافحه يمينا بيمين. وكما تصافح من تعرف، تصافح من لا تعرف عند التعرف به.

فمن أين جاءت هذه المصافحة ؟

ولم كانت باليد ؟

ولم كانت باليد اليمنى خاصة ؟

وتبحث في الآثار عن منشأ هذه العادة فلا تجد الا ظنونا. ومن الظنون ما يعقل. ومن الظنون غير المعقول.

ومن التعليل المعقول لمنشأ المصافحة، ان الانسان، في عصره البدائي الاول، كان أعز شيء لديه الأمان. كانت الحياة حربا، والسلام عزيزا، والغدر لا يؤمن. واذن، فاذا أخرج الرجل يده الى الرجل، وهي فارغة، طمأنه ذلك على أن الغدر غير قائم.

والمرء يعمل بيمينه لا بشماله، ويغدر بيمينه لا بشماله. واذن فاخراج اليد اليمنى اظهر للامان.

ويفعل الثاني مثل ذلك.

وتلتقي اليدان اليمينيّان فتكون المصافحة.

تفسير معقول.

التحية بالكلام والسلام

وقد يلتقي الرجل بالرجل، على غير قرب في الطريق، فينادي الرجل الرجل بالسلام، أو بما يفيد بينهما السلام.

ونحن العرب نسمي هذا بالسلام. ونقول السلام عليكم، والسلام هو الأمن، وهو نقيض الحرب. ويعبر الانجليز عن هذا فيقولون Salute أو ما يشتق من هذه اللفظة، ومعناها الأمن. والفرنسيون يقولون "Salut"، ومن معانيها الصحة، ولكن كذلك الأمن، كاللفظة الانجليزية تماما. وحتى لفظ التحية في العربية مشتق من الحياة. ونقول للرجل حياك الله، نطلب له بقاء الحياة وطولها، ولا حياة الا على الأمن.

فالأمن كان مطلب الحياة الأول.

ولا يزال.

التحية برفع اليد

ويلقى الرجلُ الرجلَ من بعيد أيضا ، فلا يقتحم اليه الطريق ، فيكتفي بالتحية ، بالكلام والسلام كما قلنا ، أي برفع يده . وكثيرا ما يكون رفع اليد الى الرأس .

ولا أحسب أن رفع اليد الى الرأس الا بدأ عند أهل الغرب .

وهم يقولون في ذلك انهم في العصور الوسطى كان فرسانهم يحيون أمير اقطاعهم برفع خوذاتهم اشارة الطاعة ، وقد كانت تغطي رؤوسهم فيالحرب تغطية كاملة .

ورفعوا خوذاتهم عند اللقاء كشفا عن ذواتهم، على الأمن والسلام .

وذهب عصر الخوذات في الجيوش ، وجاء عصر القبعات ، فرفع ضباط الجيش قبعاتهم للرؤساء عند اللقاء ، ورفع الجند . ثم اختصرت هذه التحية ، فصارت الأيدي ترفع الى القبعات ، ولكنها لا ترفعها . فكان السلام المعروف برفع اليد فقط الى حيث تكون الرأس .

وفي الجيش الأمريكي تؤدى التحية برفع اليد الى حافة القبعة والكف الى أسفل .

وفي جيوش غير هذا الجيش تؤدى التحية هكذا ، ولكن الكف مبسوط الى الأمام .

والتحية برفع القبعة عادة أهل الغرب من المدنيين . وانتقلت اليهم لا شك من العسكريين .

والطريف أن رفع القبعة تحية عند أهل الغرب، وهو دليل احترام . والداخل الى الكنيسة يرفع قبعته .

وغير ذلك أهل الشرق . ان رفع غطاء الرأس عندهم، تحرر ، لا يجوز في موقف يوجب الاحترام. والصلاة عند المسلمين ، البعض يراها لا تجوز، والرأس عار .

التحية بحك الأنف

ومن أطرف التحايا ، التحية بحك الأنف . وهي عادة نشأت في جزُر بولينزيا Polynesia والملايو ، وبرمَا ، ثم انتشرت في سائر أنحاء آسيا .

التحية بالركوع والسجود

والركوع والسجود ، وحتى الانبطاح على الأرض ، كان لونا من ألوان التحية . وما جاز هذا أن يكون لغير الله .

ومن يدري ، فلعلها عادة لا تزال توجد في بعض أركان الدنيا المنسية .

وبقيت بقايا من هذا اللون ، مخففة الى عهد بعيد . فانحناء الرأس عند التحية ، وهي لا تزال اليوم شائعة في أرقى المجتمعات المدنية ، ليست الا الحركة الأولى في سبيل الركوع . الا أنه انتفى عنها اليوم معنى الخضوع .

ويحني الرجل رأسه للمرأة ، دليل الشهامة والنشأة الطيبة .

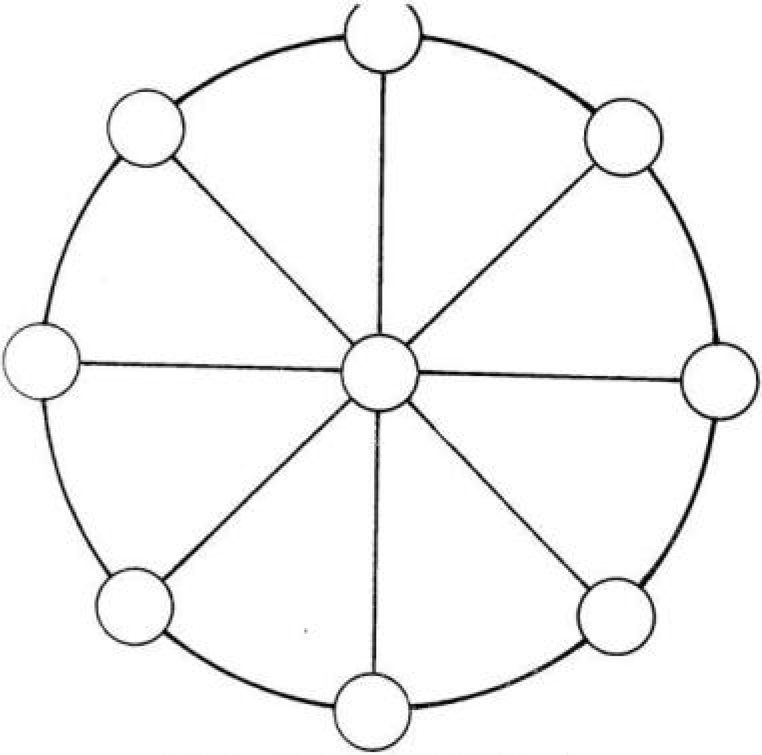
ثم التحية بالقبل

ومن التحيات التي يُرَدُّ أصلها الى الساميين والآريين كذلك ، التحية بتبادل القبل .. وقد ذكر المؤرخ اليوناني القديم «هيرودوت» أن الفرس ـ في زمنه ـ كانوا يتبادلون التحية بالقبلات .. وكانت القبلة تطبع على الفم اذا كان الطرفان متكافئين . أما اذا كان أحدهما أرفع مكانة من الآخر ، فان الأوضع يقبل الأرفع في خده .

ولا تزال عادة تقبيل يد الأب ـ أو الشخص الأكبر مركزا أو سنا ـ منتشرة في بعض مجتمعاتنا. وهي ترجع في الأصل الى قدماء الأغريق. وكانت القبلة تطبع أحيانا على الركبة ، اذا كان الفارق شاسعا في المكانة والقدر .

ولقد اكتسبت التحية بالتقبيل صبغة دينية، عندما اعتبرتها المسيحية تحية الأخوة . على أن الكنيسة ما لبثت أن قيدتها عندما خشيتْ اساءة استخدامها ، فلم يعد للرجل أن يقبل سوى رجل مثله ، والمرأة لا تقبل الا امرأة .. ثم عمدت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الى قصر تبادل القبلات ـ في المناسبات والقداسات ـ على رجال الدين . أما غيرهم ، فيقدم اليهم صليب أو ايقونة للتقبيل .

على أن القبلة ظلت تحتفظ بجانب ذلك بمكانتها كوسيلة للتحية الاجتماعية . ولكن تبادلها تضاءل بين الرجال في المجتمعات ذات المدنية الحديثة .. وفي بعض الأقوام ، يكتفي بذكر التقبيل دون ممارسته . ففي اسبانيا والنمسا لا يزال هناك من يقول اذا حيا من هو أكبر منه سنا أو قدرا : « أقبل الأيدي » .. ولكنه لا يمارس التقبيل فعلا . ■■



مسابقة العدد

٩ أرقام .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ على محيط الدائرة المنشورة فوق هذا الكلام ٨ دوائر صغيرة ، وفى مركزها دائرة تاسعة ، ويصل بين كل ثلاث من هذه الدوائر التسع خط مستقيم يمر بدائرة المركز كما ترى فى الرسم .

والمطلوب هو أن تضع فى كل واحدة من الدوائر التسع الصغيرة رقما ، من ١ الى ٩ ، بحيث يكون مجموع كل ثلاثة أرقام تقع على خط مستقيم واحد ، هو : ١٥ .

شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٢ .

٢ ـ يكتب على الظروف عبارة « مسابقة العربى ـ العدد ٦٨ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر اغسطس (آب) ١٩٦٤ .

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .. **الجائزة الثانية** : ٢٠ دينارا .. **الجائزة الثالثة** : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .. ■■

اعرف وطنك أيها العربي

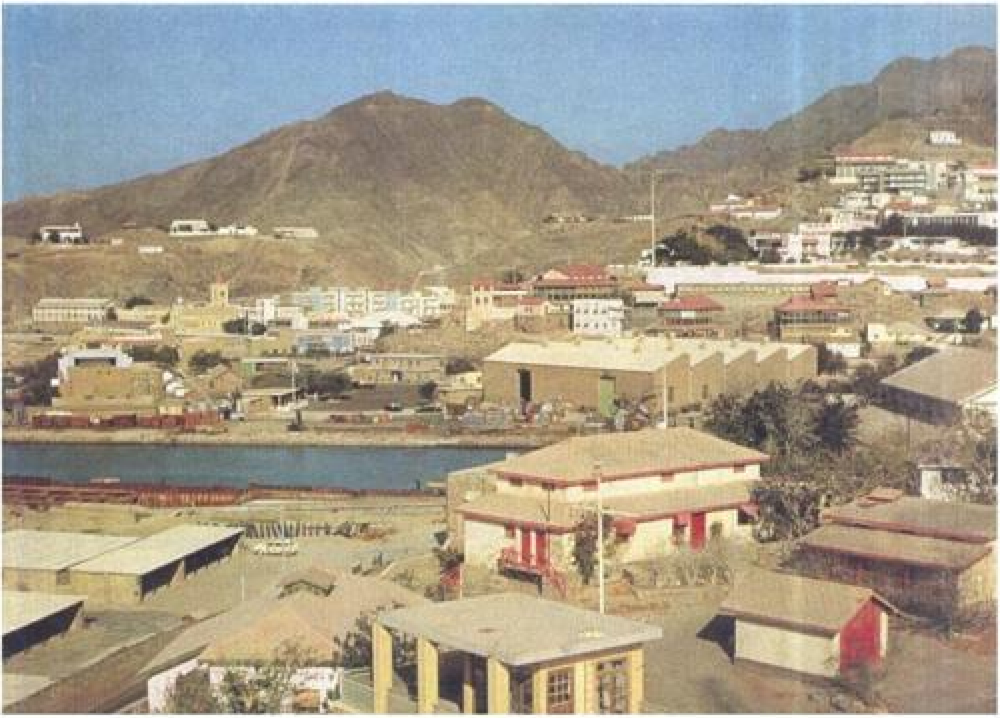
عدن

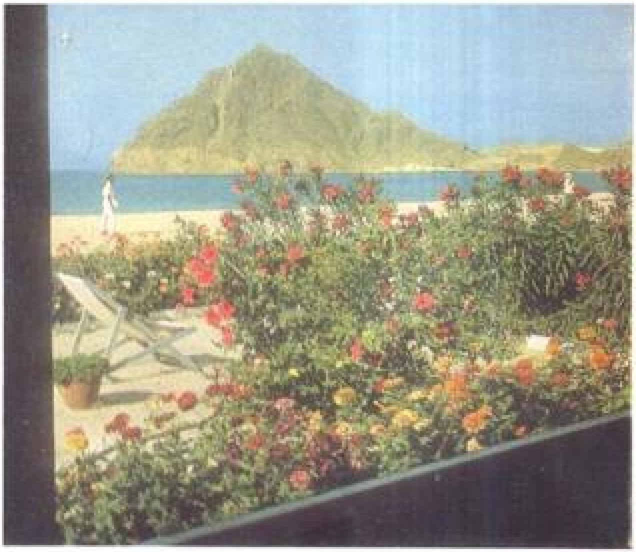
مدينة مبنية فى فوهة بركان

تقع على الطريق الرئيسي للعالم

تدخل ميناءها ٧٠٠٠ سفينة فى العام ، ويسيطر

كل ٣٠ دقيقة تدخل سفينة مرفأ عدن الستراتيجى الهام ، الذى يستطيع أن يستقبل على أرصفته





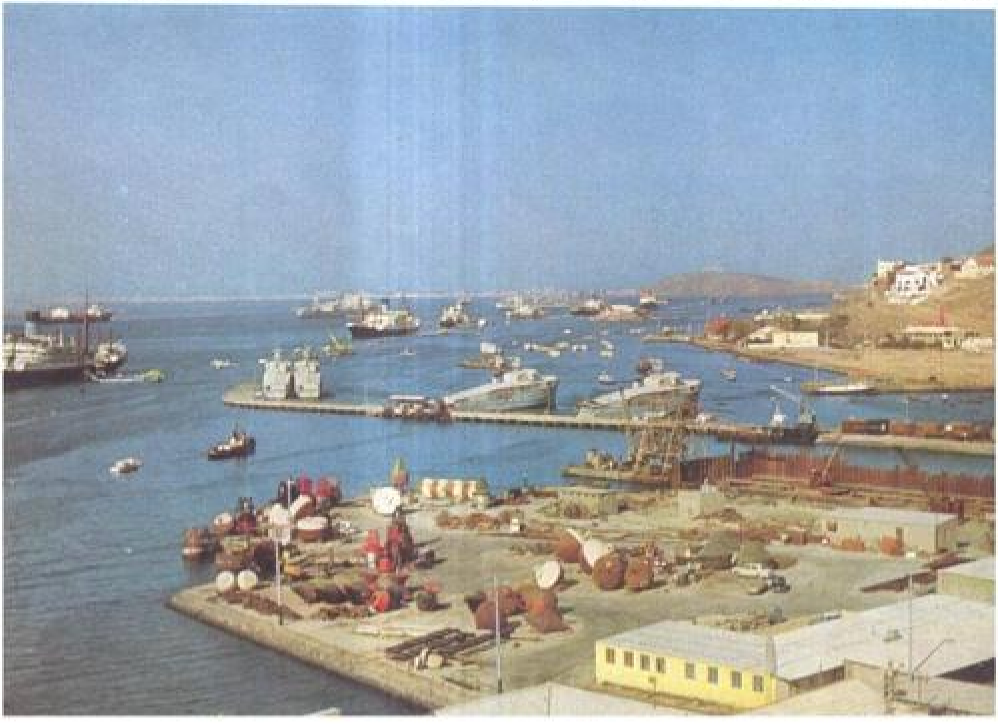
قام بهـذا الاستطلاع
سليم زبال

وصـوره
« اوسكار »

صخرة عدن : تنافس جبل طارق وسنغافورة بأهمية موقعها ، اذ تقف كالحارس وسط الطريق الدولي للمواصلات، الذي يربط أوربا بالشرق.

تجارها على التجارة من الحبشة حتى الهند

رابطه ٢٤ سفينة مرة واحدة .. أما مجموع السفن التى تدخل الميناء كل عام فقد بلغ فى العام الماضى نحو ٧٠٠٠ سفينة



■ التواهي.. كريتر .. خور مكسّر.. المعلى .. البُريقة .. فقم ..
هل سمعت بهذه الأسماء من قبل..؟

ان فى ردك يكمن مقدار عدم الالمام باجزاء وطننا الكبير .. فهذه الأسماء ما هى الا أسماء مدن وقرى تقع فى بقعة عزيزة من هذا الوطن الكبير .. انها عدن ..

ومعرفة القارىء بهذا الجزء الغالى ،لا تتعدى نطاق الاطار السياسى ، غير الطبيعى ، الذى تعيشه عدن حاليا .

أما حياة الناس ... وعاداتهم ...وتقاليدهم .. وحضاراتهم ..وتاريخهم .. فهذه لا شك مجهولات عن الكثير .

الى هذه المنطقة الحساسة طارت بعثة « العربى » ، لتتابع تقديم سلسلة استطلاعاتها عن مدن الوطن العربى الكبير ، فى محاولة لسد النقص فى مكتبتنا العربية ..

متناقضات

عدن بلد غريب عجيب يجمع بين المتناقضات والمتنافرات ..

فمتاجره تفتتح فى أى ساعة من الليل أو النهار، ما دامت هناك باخرة جديدة فى الميناء !!

وأهله يجففون مياه البحر ليقيموا عليه مدنهم بعد أن ضاقت بهم اليابسة على الأرض !!

وفى عدن أجمل الشوارع والعمارات ، ولكن تستقل بها أقبح الأزقة والأكواخ .. !!

وفيها أحدث ما وجد من الكماليات والضروريات .. ومع هذا لا يزال أهلها يؤمنون بأن وليهم ـ العَيْدروس ـ قد طيّر حجرا من أعلى الجبل ليسد ثقبا فى سفينة جانحة ، فأنقذها من الغرق!!

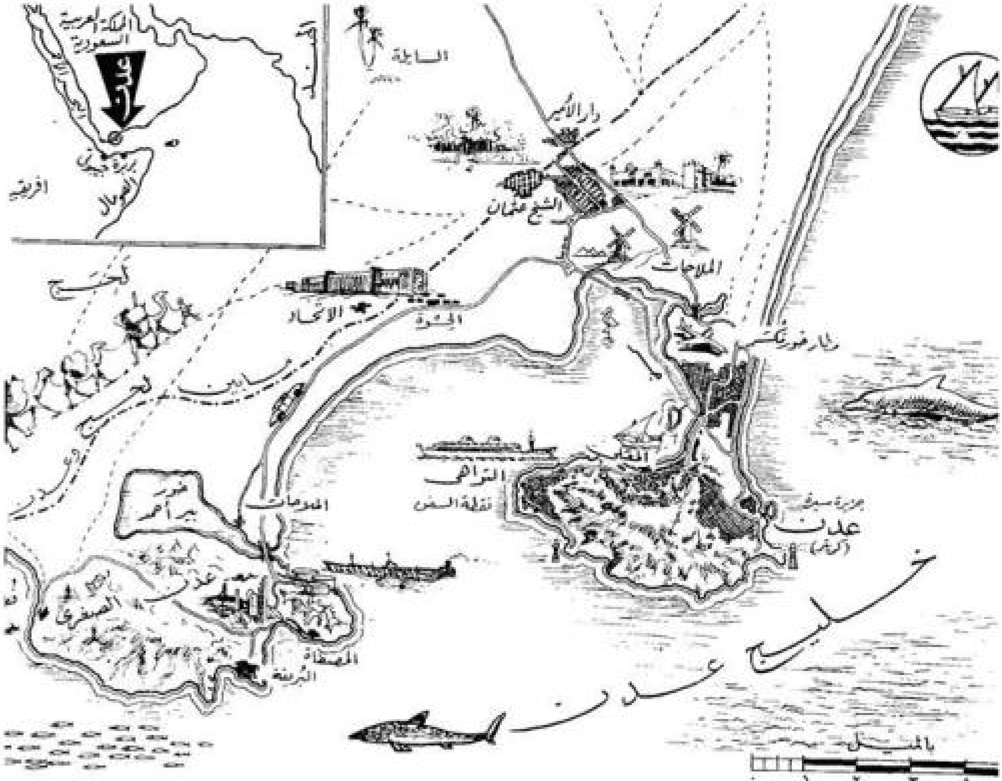
والأوروبيون فى عدن يتسابقون باليخوت ، ويمارسون رياضات الجولف والتنس والسباحة والصيد ، بينما يكتفى المواطنون بلعب الكرة ومضغ « القات » مساء كل يوم !!

صراع مرير فى أرض البراكين

انهم يقولون ان سفينة نوح بنيت هنا .. وان



هكذا انتهى الصراع العنيف بين البركان والمحيط ، فأصبح للجبال حدودها ولمياه المحيط شواطئها التى تنتشر عليها حمامات السباحة ، ولكن سمك القرش المفترس ، ويسمونه اللخم ، يجعل من الضرورى وضع شباك حديدية لمنع اقترابه من المستحمين .. ان جميع الجاليات قد أقامت بلاجات خاصة لها على طول الشاطىء، أما أهل البلد العرب فترجو أن يتبرع موسروهم بتكاليف بناء مثل هذا النادى ليسبح فيه الشباب بدلا من سباحتهم الخطرة داخل الصهاريج .



يعتقد الكثيرون أن عدن تقع عند مدخل البحر الأحمر على باب المندب ، وهذا اعتقاد خاطىء اذ تقع عدن على بعد ١٠٠ ميل شرقى هذه البوابة الهامة .. ومساحة عدن لا تتعدى ٧٥ ميلا مربعا ، وهى عبارة عن راسين بركانيين يطبقان على خليج صغير عرضه سبعة اميال . وفى « الراس » الشرقى تقع مدينة عدن القديمة أو كريتر ، وكذلك مدينتا التواهى والمعلا .. وتقوم خور مكسر بمهمة ربط هذا الراس بالارض الام حيث تقع مدينتا الشيخ عثمان ، والاتحاد ، وقرية الحسوة .. وفى الراس البركانى الثانى أى عدن الصغرى ، تقع مصافى النفط الكبيرة وقرى البريقة وبير فقم .

قبر هابيل موجود فوق جبال شمسان .. وان بلقيس ملكة سبا اقلعت من عدن مع جواريها الحسان وهداياها الثمينة لمقابلة سليمان الحكيم ..

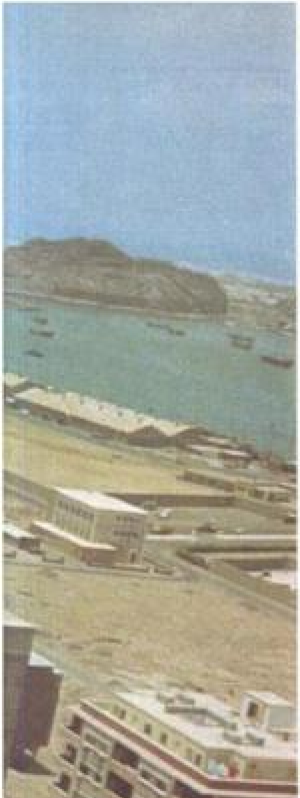
ان تاريخ عدن قديم قدم الدهر .. فهى أرض البراكين التى شهدت منذ ملايين السنين صراعا وحشيا مريرا بين عناصر الطبيعة المتبدلة الثائرة فى ذلك الحين ..

كانت سلسلة جبال السراة تسير متصلة هادئة من الشام عبر الجزيرة العربية ، ولكنها ما كادت تصل الى شواطىء المحيط الهندى ، فى منطقة عدن ، حتى تحولت الى براكين ثائرة هادرة ، تقذف الحمم الى كل جهة ، وكأنها تسعى يائسة لارهاب مياه المحيط الهادئة .

ويستمر الصراع عنيفا قاسيا عدة أجيال .. وتأتى النهاية واضحة ، فقد تغلبت المياه الباردة على النيران الحارقة .. وهدأت البراكين الثائرة ، وخمدت حممها اللاهبة ..

فى فوهة البركان ..

ويستغل الانسان نتيجة هذا الصراع ، فيتجه

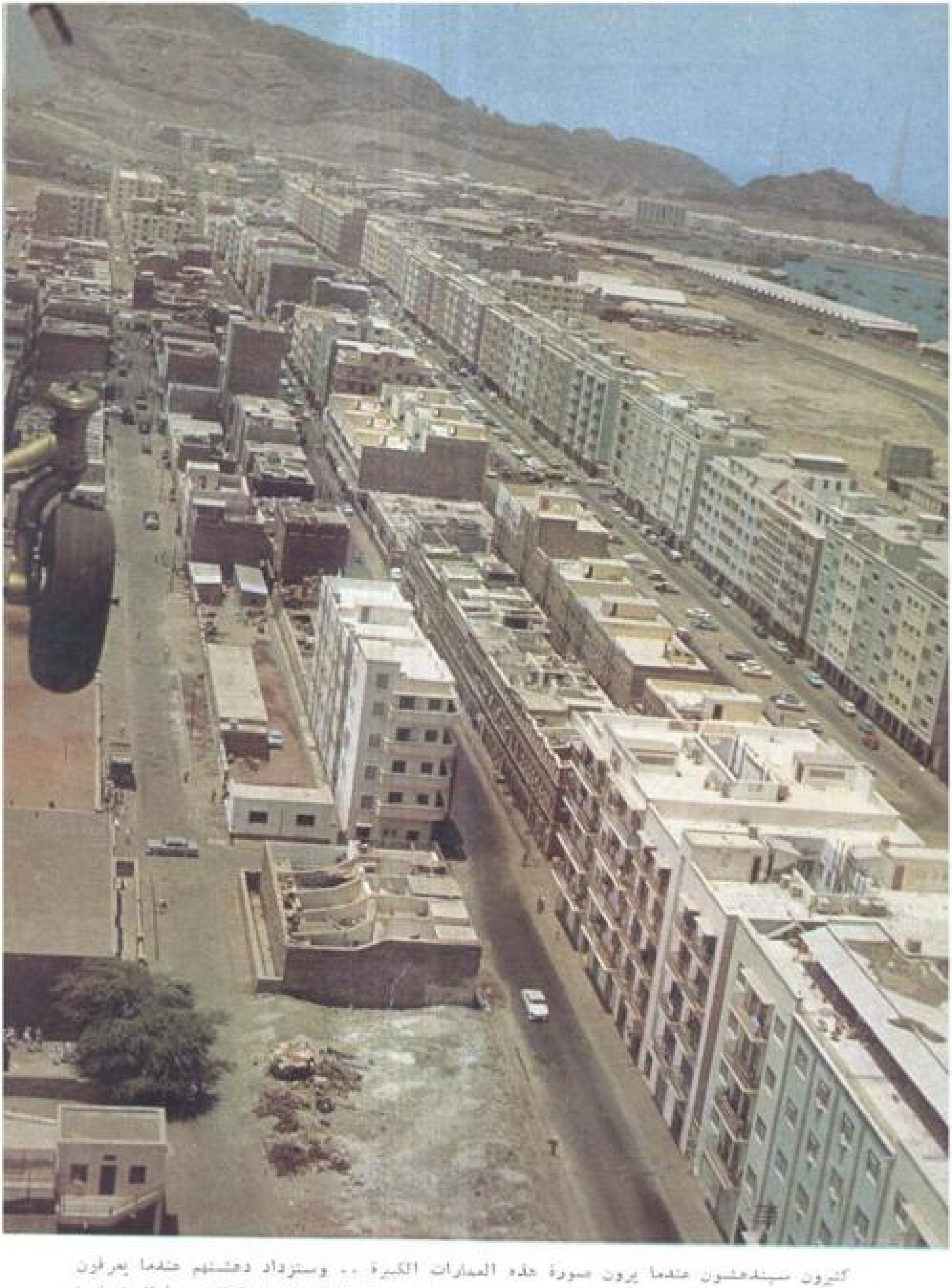




السياحة في عدن : ٤٠٠ ألف سائح يدخلون عدن سنويا ليقضوا فيها ٦ ساعات أو أقل ، ريثما تنتهي سفينتهم من أخذ تموينها من زيت الوقود ، والمأكولات والماء .. ان هؤلاء « السياح المؤقتين » يدفع الواحد منهم ٣ ١/٢ شلن ليدخل البلاد دون ابراز تذكرة أو جواز سفر . وما يكاد ينزل الشاطىء ، حتى يتجه للمتاجر فيشتري المسجلات والكاميرات والترانسستور وغيرها .. وينتهز التجار فرصة ضيق وقت السائح فيضاعفون أسعار بضائعهم ! .. ويقدر ما يصرفه هؤلاء السواح سنويا بنحو ٢ مليون جنيه استرليني ، وتعمل مصلحة السياحة العدنية على تنمية هذه السياحة . لأن عدن والمحميات المحيطة بها تشكل مراكز سياحة من الدرجة الأولى ، لأنها مناطق مجهولة مقفلة .



اجمل شوارع عدن ، سرقوا أرضه من البحر ! :



كثيرون سيندهشون عندما يرون صورة هذه العمارات الكبيرة .. وستزداد دهشتهم عندما يعرفون انها ـ كلها ـ ملك للعرب القادمين من اليمن وحضرموت . انها مدينة المعلا الحديثة التي بدأ البناء فيها عام ١٩٥٠ وقد أقيمت العمارات (التي الى اليمين) على ارض مسروقة من البحر ! ان طول هذا الشارع الانيق يزيد على خمسة أميال ترتفع على جانبيه نحو ١٠٠ عمارة تضم ٢٥٠٠ شقة لا يقل ايجار الواحدة منها عن ٥٠ جنيها استرلينيا في الشهر .. وتقيم فيها عائلات الضباط والجنود البريطانيين . ويربط شارع المعلا هذا بين مدينتي التواهي ، وعدن القديمة (كريتر) . ومما يذكر أن العمل قد أوشك على الانتهاء من بناء مدينة جديدة لعائلات الضباط والجنود في منطقة بير فقم ، تكلفت ١٣ مليونا من الجنيهات .

الى فوّهة أكبر هذه البراكين الخامدة ، فيبنى فيها لنفسه مدينة : عدن الخالدة .

لقد جاء مولد هذه المدينة فى منطقة محصورة داخل صخور بركان عال ، وكان متنفسها الوحيد من ناحية البحر، اما من ناحية البر فكان السبيل الوحيد هو تسلق الصخور المرتفعة الى ١٧٧٥ قدما ..

((نبوخذ نصّر)) و ((أبرهة)) فى عدن

ولم يستمر هذا الحصار الطبيعى طويلا ، فقد عمد الانسان الى الجبل البركانى فشق فى وسطه ممرا لتسلكه الدواب ، والجمال ، والعربات .. التى كان نغمها هادئا خفيفا ..

ولكن ما كادت تمر فترة بسيطة ، حتى تغير صوت النغم الجميل الرتيب ، الى نغم صاخب سريع لقرقعة السلاح ، وجعجعة الجنود ، ووقع حوافر الخيل لجيوش جاءت غازية طامعة ..

جاء نبوخذ نصّر البابلى فغزاها عندما غزا الحجاز عام ٥٧٤ ق.م.

وتبعه الرومان ، فجاءوها قبل الميلاد ب ٢٤ عاما طامعين فى تحويلها الى قاعدة لخطوط تجارتهم ..

ثم جاءها جيش حبشى كبير يتقدمه ((ابرهة الأشرم)) قبل الاسلام بتسعين عاما ، ولكن البطل اليمنى سيف بن ذى يزن عاد ومعه جنود كسرى أنو شروان فحارب الأحباش وأخرجهم من عدن واليمن ..

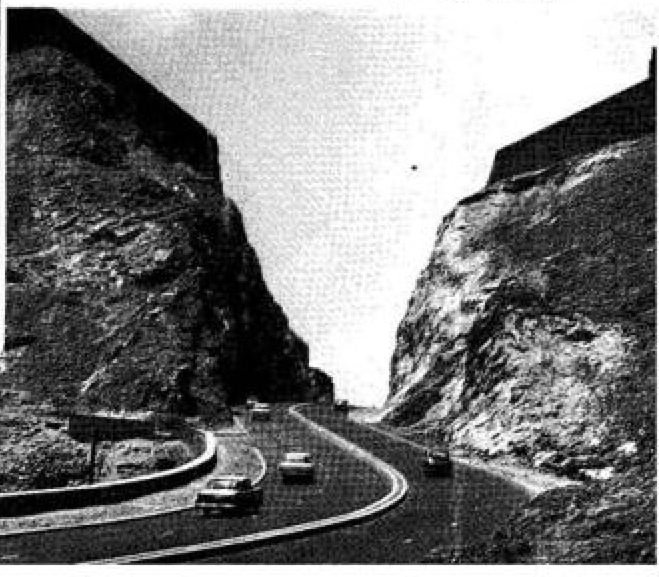
غموض ... وبلبلة

.. وبعد هذه الحقبة يقف المؤرخ تائها حائرا ، فالغموض يكتنف تاريخ المنطقة،والمعلومات شحيحة،

طريق الحياة ! : يقول الهمدانى المؤرخ : « كانت عدن محصورة بين الجبال ليس لها طريق الى البر ، فقطع فى الجبل باب لسلوك الدواب والجمال والحامل والجفنات » ..

وفوق هذا الممر بنى الاقدمون جسرا سمى بجسر العقبة ، وكان الممر ضيقا ، بالكاد يسمح بالمرور لسيارة فى اتجاه واحد .. وتطورت عدن وتقدمت وزاد عدد السيارات بالآلاف .. وفكروا فى توسيع الممر وحاولوا الحفاظ على الكوبرى الأثرى . ولكن فى ١٨ ابريل ١٩٦٢ اتخذ قرار بهدم الكوبرى خوفا من سقوطه .. وهكذا تم توسيع الطريق الضيق وتحويله السير باتجاهين . ويقدرون عدد السيارات التى تجتازه يوميا ب ١٢ الف سيارة ..







٧ مليون طن من النفط تكررها هذه المصافى سنويا: عندما ضاعت مصافى النفط بعبادان فى عام ١٩٥١ من يد بريطانيا ، بعد تأميم « مصدق » لحقول النفط الايرانية ، اتجه البحث عن مكان لاقامة مصفاة جديدة ، فوقع الاختيار على منطقة عدن الصغرى ، كانت منطقة صحراوية تحوى أكواخا لبعض صيادى الاسماك . وبدأ ١٥ الف عامل يعملون تحت ظروف طبيعية قاسية .. وبعد ٢١ شهرا انتهى العمل من انشاء احدث مصفاة مجهزة بالالات الالكترونية ، تكلفت ٤٥ مليون جنيه استرلينى واستعمل فى بنائها ١١٠ الف طن من الحديد والصلب و٣٠ الف طن من الاسمنت ، كما القى فى الماء ٦ مليون قدم مكعب من الصخور والرمال لاقامة حاجز لميناء النفط . وفى ٢٧ ابريل عام ١٩٥٤ افتتحت الملكة اليزابيث هذه المصافى ، التى صممت لتكرير ٥ مليون طن من البترول الخام فى العام ، ولكن زيادة الطلب جعلها ترفع انتاجها الى ٧ مليون طن سنويا .

والقليل الموجود منها يناقض بعضه بعضا ، مما يبلل الخواطر والاذهان ..

وتمر البلاد بفترة حروب متتالية تمزقها الى دُويلات صغيرة متنافسة .. ويبدأ الغموض ينزاح بظهور اسم بنى مَعْن عام ٤١٢ هـ . وبعدهم يأتى الصليحيون (٤٣٩ ـ ٤٥٩ هـ) وهى سلالة حكمت اليمن تحت سيادة الخلفاء الفاطميين فى مصر ، ويعقبهم توران شاه الايوبى ، الذى أرسله شقيقه صلاح الدين الايوبى عام ٥٦٩ هـ . على راس ثلاثة آلاف مقاتل .. وتدين عدن بالولاء للخلفاء العباسيين ..

وما تكاد البلاد تستريح قليلا حتى يأتيها البرتغاليون على مرتين ، عام ١٥١٣ وعام ١٥١٦ ، محاولين الاستيلاء عليها دون جدوى ، فيكتفون بسلب السفن وتدميرها فى الميناء .

مكر وغدر

وتستمر قرقعة السلاح تسمع على الشاطىء وعلى رؤوس الجبال ، حتى يأتى السلطان التركى الماكر سليم الاول ، فيشرع فى بناء اسطول كبير فى السويس ، بمعاونة صناع البندقية ، ويتوجه الأسطول ، وعلى ظهره ٥٦٠٠ بحار ، فيصل عدن فى ٣ أغسطس ١٥٣٨ فيعطى الأمان لحاكمها «عمر ابن داود » ، ويصدق المسكين وعد الأتراك فيصعد



أربع صور من عدن الصغرى حيث مصافى البترول : الصورة الاولى لجهاز التقطير الذى يقوم يوميا بتقطير ٣٠٠ الف برميل من النفط الخام .. والى اسفل صورة من داخل مستشفى المصافى لبعض الأطفال المرضى من ابناء العاملين فى المصفاة وتسهر عليهم ممرضتان واحدة بريطانية ، والاخرى هندية ، لعدم وجود ممرضات عدنيات .. والى اليسار صورتان متناقضتان : العليا لمدينة البريقة الجميلة الملآنة بالورد حيث يقيم موظفو شركة المصافى .. والصورة السفلى لقرية برفقم ، باكواخها وعششها الكئيبة التى يسكنها الصيادون !!







لظهر سفينتهم،وفي الحال يقطعون رقبته ويستولون على البلاد ..

ويتابع الأسطول التركي سيره لاحتلال الهند فيفشل ..

ويثار اهل عدن لمقتل حاكمهم فيثورون على حامية الأتراك ويتغلبون عليها ، ويسلمون المدينة طوعا واختيارا للبرتغاليين ..

ويعود الأتراك ثانية فيطردون البرتغاليين ... حتى يأتي عام ١٦٣٠ فيهجم اليمنيون على الأتراك ويعيدون عدن الى اليمن ..

وفي عام ١٧٢٨ يتمرد شيخ العبادلة في لحج على امام اليمن ويستقل بعدن ..

ويعلل بعض المؤرخين كثرة سفك الدماء هذه بسبب مقارنة عدن لبرج الكوكب زحل .. الذي يعني الحروب دائما !!

عدن ثمنها ٢٠ ألف جنيه !!

وفي عام ١٨٣٧ غرقت السفينة التجارية « دريادولت » عند شواطىء عدن ، وكانت تحمل بضائع قيمتها ٢٠ الفا من الجنيهات .. ولم يترك قطاع الطرق الفرصة تفوتهم ، فاتجهوا لمكان السفينة الغارقة يحمل كل منهم ما أمكنه من بضائعها ..

واحتجت بريطانيا لدى سلطان لحج ، وقالت :

ان ابن سلطان لحج كان على رأس السارقين لبضائع السفينة التي كانت تحمل العلم البريطاني .

وانكر السلطان علمه بالحادث ورفض الاحتجاج ..

ميناء عدن هو أكبر موانىء العالم فيما يختص بتموين السفن بالبترول :

تمر ناقلات النفط بعدن ، وتقف على رصيف شركة المصافي حيث تقوم بمهمة مزدوجة ، اذ تفرغ حمولتها من النفط الخام ، الذي حملته في صهاريجها من حقول الخليج العربي وفي نفس الوقت تحصل على حصتها من النفط المكرر لتتابع رحلتها ، ويتسع رصيف شركة المصافي لرسو ٤ حاملات نفط مرة واحدة ، حمولة كل منها ٤٠ الف طن وترى هنا احداها بجانب الرصيف المزود بالانابيب





لميناء عدن ادارة خاصة تتولى ادارته .. انهادولة داخل دولة .. فهى تتحمل مسئولية ٧٠٠٠ سفينة تدخل الميناء سنويا .. وقديما كان ميناءعدن يمون السفن بالفحم ، وكانت العملية تستغرق بين يومين وثلاثة . وعندما استعيض عن الفحم بالبترول بلغ عدد السفن التى أخذت نفطا من عدن ٩٨ سفينة فى عام ١٩٢٠ زودت ب ٤٥ الف طن من البترول . أما اليوم فقد قفز عدد السفن فى عام ١٩٦٣ الى ٥٦٠٠ سفينة تتزود ب ٣٥٠٠٠٠٠ طن من البترول !! وفى ميناء عدن ٨ محطات لتوزيع البترول على السفن بمعدل ١٥٠٠ طن فى الساعة .. هذا غير ميناء المصافى الذى يغذى ٤ سفن أخرى

فارسلت بريطانيا سفينة حربية ، بها ٣٠٠ جندى مسلح ، تطلب دفع التعويض ، ورفض السلطان دفع أى شىء .. فتحول طلب التعويض الى طلب بتنازل السلطان عن الحكم .. ولكنه لم يحفل ..

وفى ١٩ يناير عام ١٨٣٩ بدأ قصف عدن بنيران حامية ، ودافع الأهالى عن مدينتهم بعنف ، ولكنهم لم يصمدوا طويلا ..

وهكذا احتلت بريطانيا عدن بحجة تحصيل ٢٠ الف جنيه قيمة بضائع السفينة الجانحة ...

وكانت عدن أول مستعمرة يتم احتلالها فى عهد الملكة فيكتوريا .

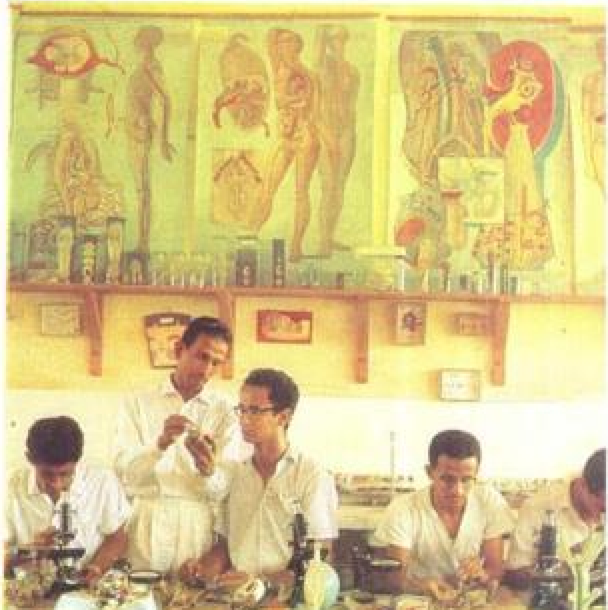
وظلت عدن تحكم بواسطة شركة الهند الشرقية حتى عام ١٩٢٣ ثم تحولت الى حكومة الهند .. وفى عام ١٩٣٧ أصبحت عدن مستعمرة من مستعمرات التاج البريطانى يحكمها حاكم بريطانى ..

من الهند واليمن والصومال

كان عدد سكان عدن وقت الاحتلال البريطانى



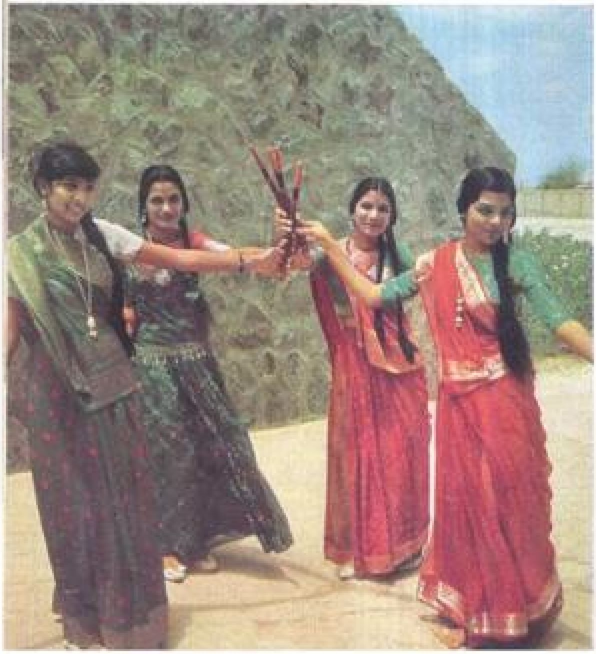
مدارس البنين في عدن : ١٢ مدرسة ابتدائية و ٥ متوسطة ، وثانويتان ، ومعهد فني ، وكلية البيومي ، وجميعها يضم ٨٤٨٤ طالبا .. هكذا تقول الاحصاءات الرسمية .. والأرقام صحيحة .. ولكن مستوى التعليم والمعلمين هو الذي يعترض عليه ، فالمدرسون من دول الكومنولث وانجلترا ، وعدد قليل جدا بدأ يأتي من البلاد العربية ، ان المشكلة الاساسية تكمن في مستوى هؤلاء المدرسين ، وبالذات المتخصصين في اللغة العربية .. وقد أرسلت وزارة المعارف على نفقتها ٧٥ طالبا لتكملة علومهم في الخارج ، كما قامت الاحزاب والبلدية وشركة المصافي وادارة الميناء بارسال ٢٠٠٠ طالب للتخصص في الخارج على نفقتها .. والتعليم الابتدائي والمتوسط مجاني ، أما الثانوي فيدفع عنه الطالب ستة جنيهات في السنة .. والى أسفل بعض طلبة كلية البيومي يدرسون « علم الحياة » .. ان اجتهاد الطلبة وذكاءهم المتوقد يغطي كثيرا على انخفاض مستوى الاساتذة ..





الى اليسار : ليس في عدن رياض للأطفال اذ تبدأ الدراسة من سن السابعة للبنين والبنات .. ويبلغ عدد مدارس البنات ١٤ مدرسة : منها ٨ ابتدائية ، و ٣ متوسطة ، وكلية ثانوية ، مجموع طالباتها ٤٣٠٧ طالبة .. والصور اليسرى الثلاث ، التقطت في كلية البنات .. والعليا منها التقطت للطالبات اثناء حصة التدريب على الخياطة .. والصورتان السفليان للطالبات الاولى وهن يتدربن على رقصة « الدبكة » اللبنانية بمعاونة مدرسة لبنانية ، والثانية لبعض الطالبات يتدربن على الرقص الهندي .. ومما يذكر ان عدد طالبات الكلية ٣٢٦ طالبة ، مقسمات الى ١٢ « ناديا » ، يختص كل ناد بهواية من الهوايات .. ومن بينها هواية الرقص ..







١٢٩٧ نسمة وكانت المدينة الحالية قرية صغيرة بها ٩٠ منزلا حجريا ، واغلب سكانها يمتهنون حرفة الصيد .. ولكن سرعان ما بدأت أهميتها تتزايد بسبب موقعها الحساس وسط الطريق البحرى الدولى الموصل من أوروبا للهند .

وبدأ البناء الحديث فى عدن بطيئا متثاقلا .. فالمواد الأولية اللازمة معدومة .. والعمال نادرون .. وهنا اتجهت أنظار الحاكمين الى الهند ، فجلبوا من بومباى التجارين والحدادين والبنائين .. واتجهوا الى اليمن فأتوا بالخبازين من بلدة مُخا .. واتجهوا صوب الصومال فجلبوا منها العمال والخدم والخادمات ..

وكان الهدف الرئيسى هو بناء الثكنات لاقامة الجنود ، ذوى المعاطف الحمراء التابعين لشركة الهند الشرقية ..

حياتها التجارة

ولكن المسئولين بداوا يدركون أن عدن مركز للتجارة ، وليست مدينة للاقامة .. فقليل من موانىء العالم يشتهر بسوء المناخ مثل عدن : من مايو لسبتمبر حر زائد ورطوبة هائلة .. ومن اكتوبر لابريل جو معتدل .

كان الناس يهجرون المدينة خلال موسم الصيف هربا من شدة الحر والرطوبة ، فيفرغ الميناء من السفن ، وتتوقف قوافل الجمال عن المسير .

وأحس البريطانيون بأن عدن حياتها التجارة ، ولكن الموانىء المحيطة بها تخنقها بمنافستها القوية لها ..

ففى الشمال ميناء مخا اليمنى الكبير .. والى الغرب ميناء جيبوتى .. والى الجنوب الغربى بربره وزيلع فى الصومال .

البن يغرق عدن !

ولم يستمر هذا التفوق طويلا اذ ما كاد عام ١٨٤٨ يحل حتى بدا الميزان التجارى يميل لصالح عدن .. فالحروب فى اليمن دفعت بقوافل الجمال من طريق مخا الى طريق عدن، حاملة معها محصول البن الثمين الذى أغرق أسواق عدن .

ويقدرون عدد تلك الجمال بنحو ٢٥ ألف جمل، يحمل كل منها ٥١٢ رطلا من البن ، أى أن مقدار البن الذى كانت تصدره اليمن ، كان ١٣ مليون رطل تقريبا .

وكان هذا المحصول ينقل من مخا الى امريكا على ظهر سفن أمريكية . وبعد أن تحوّل طريق قوافل الجمال الى عدن ، أحجمت هذه السفن

هواية القواقع : تعمد ادارة كلية البنات فى منطقة خور مكسر الى تنمية الهوايات والمواهب بين الطالبات ، فهناك هواية جمع القواقع من البحر ، وهواية ترتيب وجمع طوابع البريد







الشيعر والمراة : المراة العدنية في بيتها كأي امرأة في العالم المتحضر ، ترتدي الملابس الحديثة وتتزين بزينة المراة الحديثة . ولكنها ما تكادتخرج من عتبة منزلها حتى يستحيل عليك تمييزها أو معرفتها، فالعباءة السوداء تغطيها كلها.. ولكن فتاة اليوم طرحت العباءة ، ويسمونها « شيدر » وخرجت سافرة .. ويتدرج السفور في عدن على عدة مراحل تمثلها هذه الصورة أحسن تمثيل .. فالأولى من اليمين طرحت الحجاب والشيدرجانبا .. والثانية ارتدت البالطو وعصبت شعرها برباط حريري .. والثالثة وضعت البالطو وغطت وجهها .. والرابعة وضعت الشيدر واسفرت عن وجهها .. والخامسة وضعت الشيدر وجعلت على وجهها منديلا شفافا ..

عن نقل البن منها ، بسبب ارتفاع الرسوم الجمركية فيها ، فتكدس البن في أسواق عدن بكميات هائلة!

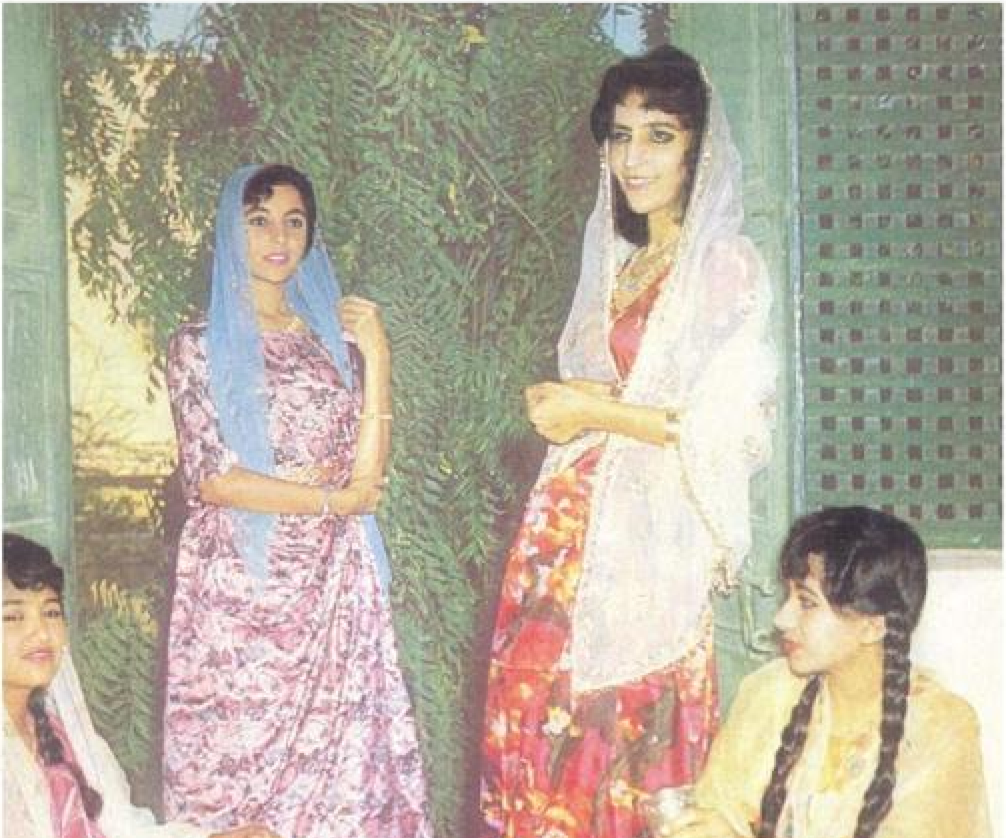
وكان هذا من الأسباب الرئيسية التي دفعت الى اعلان ميناء عدن ميناء حرا عام ١٨٥٠ .

وكانت هذه الخطوة نقطة تحول كبيرة في تاريخ عدن ، اذ بدات مختلف السفن تقصدها لتفرغ فيها بضائعها ، وتحمل بضائع المنطقة مكانها ، وتتزود بنفس الوقت بكميات الفحم اللازمة لها .



مطلوب ٣٤٠٠ دينار لانقاذ المرأة العدنية ! : تعاني المرأة العدنية الامرين لعدم وجود ناد تقضي فيه وقتها .. وفي الانتظار تجتمع السيدات في منازلهن ، فيلعبن لعبتهن المفضلة « الكيرم » أو البلياردو الياباني .. لقد بدأت جمعية المرأة العدنية في بناء ناد لها دفعت فيه حتى الآن ١٣٢ الف شلن ، ولكن العمل توقف بسبب عدم وجود ٦٨ الف شلن أخرى .. وقد ارسلت الجمعية خطابات الى جميع رؤساء الدول العربية تطلب منهم مساعدتها في تكملة المبلغ .





واسلاماه فى عدن ! : رغم تأخر تعليم الفتيات ، فانهن استطعن أن يلحقن بالطلبة ، وان يتفوقن عليهم فى بعض الأحيان ، وخاصة فى ميدان التمثيل .. ونرى الى اليمين مشهدا من مسرحية « واسلاماه » تؤديه طالبات كلية البنات بعدن بلغة عربية صحيحة .. ويلاحظ أن بعض الطالبات قد ارتدين ملابس رجال البادية .. فالاختلاط ممنوع .

ازياء للقات ! : كان الفراغ الهائل الذى تعيش فيه المرأة المدنية ، من أهم أسباب اندفاعها لمحاكاة ومنافسة الرجل فى مضغ وتخزين القات ، حتى أصبحت نسبة السيدات اللواتى يمضغن القات تقرب من ٣٠٪ من عددهن ! وتتطلب جلسة القات الجلوس على الأرض ، بهذا الزى الفضفاض الجميل ، الذى يسر اتساعه الجلوس والوقوف بسهولة .. وترتديه هنا أربع من فتيات المدارس ..



ازمة المساكن : تعانى عدن أزمة سكن مستعصية فعدد السكان يزداد بسرعة عجيبة ، وهذه مجموعة من المنازل الشعبية أقيمت لتحل جزءا من المشكلة ويقطنها العمال وصغار الموظفين بايجار شهرى زهيد يتراوح بين ٢٥ و ٤٠ شلنا أى جنيهين على الاكثر ، بينما يصل ايجار الشقة فى شارع المعلى الى نحو ١٢٠٠ شلن فى الشهر !



اغنام من الصومال : لا توجد زراعة فى عدن لعدم وجود مياه ، وبالتالى لا توجد تربية مواشى. انما تستورد البلاد حاجتها من الأغنام من الصومال وبعض المحميات المجاورة ، حيث تعرض للبيع فى أسواق مدينة الشيخ عثمان بسعر يتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ شلنا أى ٥ و ٧ جنيهات استرلينة للراس . والأغنام كلها من الكباش ، أما النعاج فتأتى بطريق التهريب ويرتفع ثمنها الى ٢٥٠ شلنا للواحدة .. وتأتى الجمال من الامارات المجاورة وتباع بسعر يتراوح بين ٤٠٠ والف شلن للواحد

سقوط المنافسين ..

ومع السفن القادمة جاء عشرات الالوف من التجار وخاصة من الهند فتمركزوا فى عدن .. وفى عام ١٨٧٠ بدا التلغراف اللاسلكى يعمل لاول مرة فى عدن ، فاصبح بامكان تجارها الاتصال مباشرة بتجار أوروبا .. ولم تكن الموانىء المنافسة تملك مثل هذا الجهاز .. فبدا نجمها فى الافول واحدة تلو الاخرى .. مثلا هبط عدد سكانها من ٢٠ الفا الى ١٢٠٠ وتبعتها جيبوتى .. وبربره .. وزيلع.

وغرقت أسواق عدن بمنتجات افريقيا : من الصمغ والجلود وسن الفيل .. الى جانب قهوة اليمن ..

سفينة كل ٣٠ دقيقة

وتضاعفت أهمية عدن بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ اذ غدت وسط « الطريق الرئيسى للعالم » فاصبحت جميع السفن المارة من القناة تقف فى عدن لتتزود بالوقود .. حتى بلغ عددها فى العام الماضى ٧٠٠٠ سفينة .

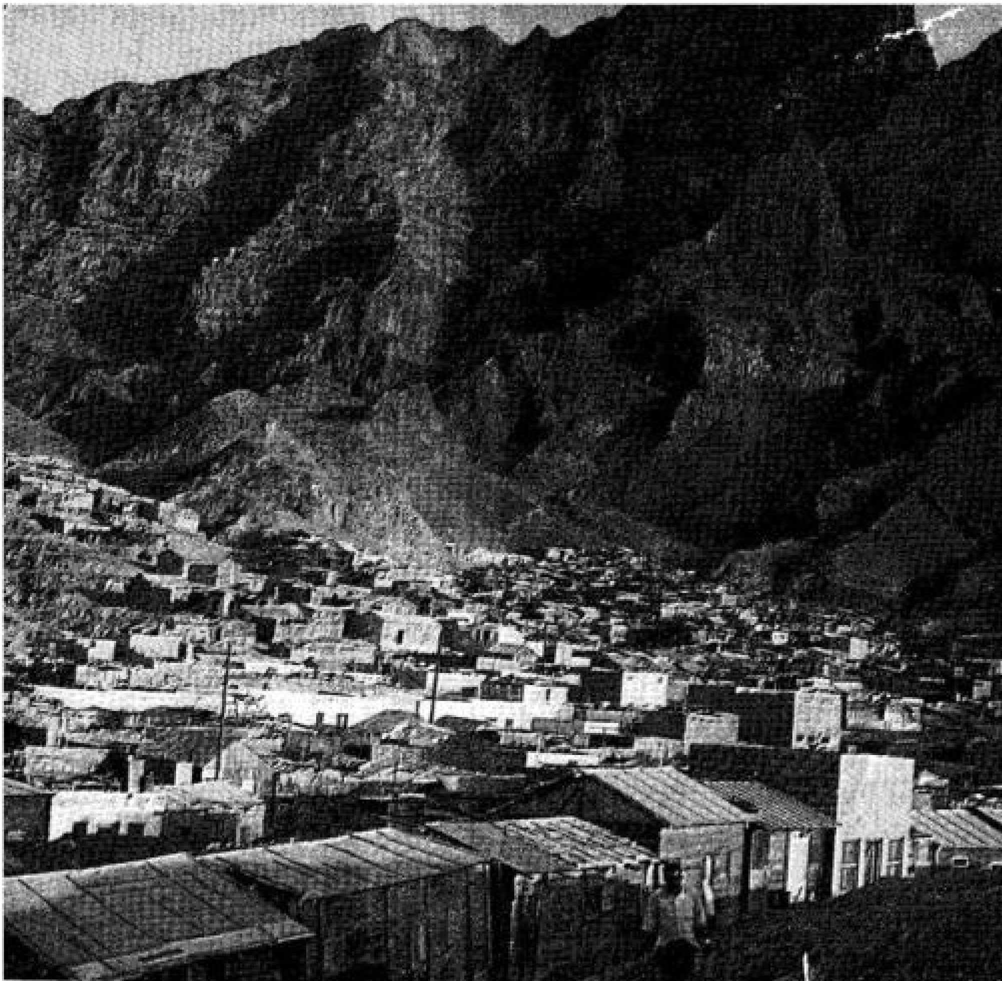
وقد أصيبت عدن بكارثة كبرى كادت تخنقها فى عام ١٩٥٦ – ١٩٥٧ عندما اقفلت قناة السويس فى وجه الملاحة اثناء الاعتداء الثلاثى .

مناطق نفوذ

وكلمة التجارة فى عدن لا تعنى البيع والشراء فى المحلات فقط .. بل تتجاوزها الى خارج عدن، حيث يمتد نفوذ تجارها من موزمبيق فى جنوب افريقيا ، حتى السويس شمالا .. ومن وسط الحبشة غربا ، حتى سواحل الهند وايران شرقا .. ان تجار عدن أذكياء ، أقوياء لهم ممثلون فى مختلف تلك البلاد ، يشترون لهم مختلف المنتجات المحلية ليعيدوا تصديرها الى امريكا وانجلترا واوروبا والهند ، فيربحوا العملات الصعبة يشترون بها ما يريدون .

« ... ممثلنا فى عدن ... »

ويسيطر تجار عدن،من ممثلى الشركات الكبرى



تناقض : تنتشر عند سفوح الجبال البركانية أكواخ خشبية كئيبة يعيش تحتها القادمون الى عدن من مختلف البلاد والامارات المحيطة بها .. وعلى بعد امتار قليلة من هذه الاكواخ، ترتفع العمارات فى شارع المعلى الأنيق .. انه التناقض الذى تلحظه بوضوح فى عدن

– واغلبهم من الأجانب – على هذه المنطقة الواسعة بيد قوية تخنق كل تاجر يحاول أن يتنفس عن غير طريقهم ..

وبمعنى آخر ، اذا اراد تاجر فى اليمن أو الصومال ، او الحبشة ، أن يشترى بضاعة من شركة كبيرة فان الرد يأتيه : اتصل بوكيلنا فى عدن ، لانه ممثلنا فى المنطقة كلها . وتذهب البضاعة مباشرة من أوروبا لليمن مثلا .. ولكن بسعر مرتفع عن سعر عدن .. لان الوكيل فى عدن يقبض عمولته مباشرة من الشركة التى تضيفها الى سعر البيع للتاجر اليمنى ..

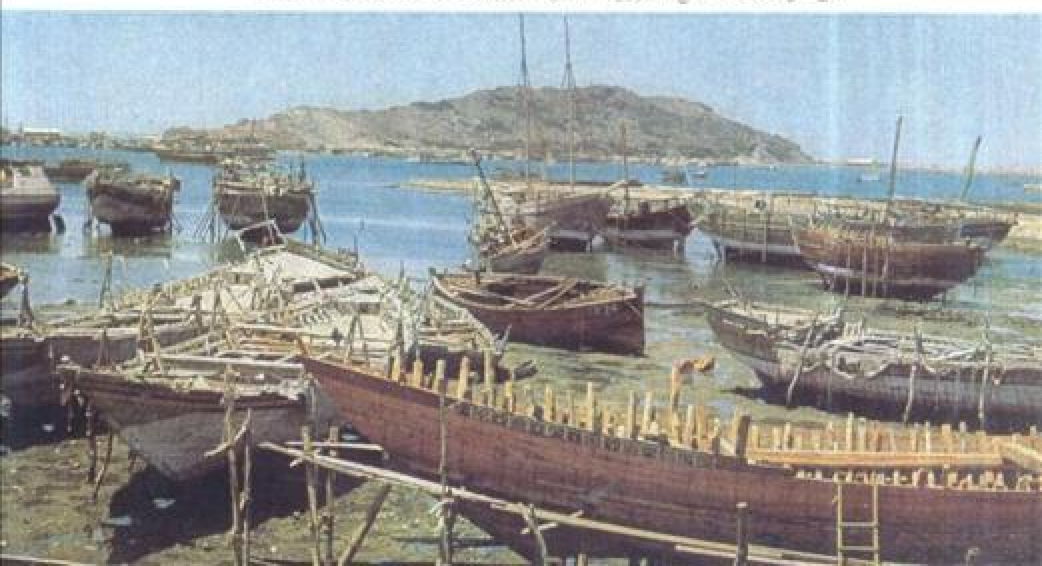
٨٠٠٠ يهودى يصبحون ٨٠٠

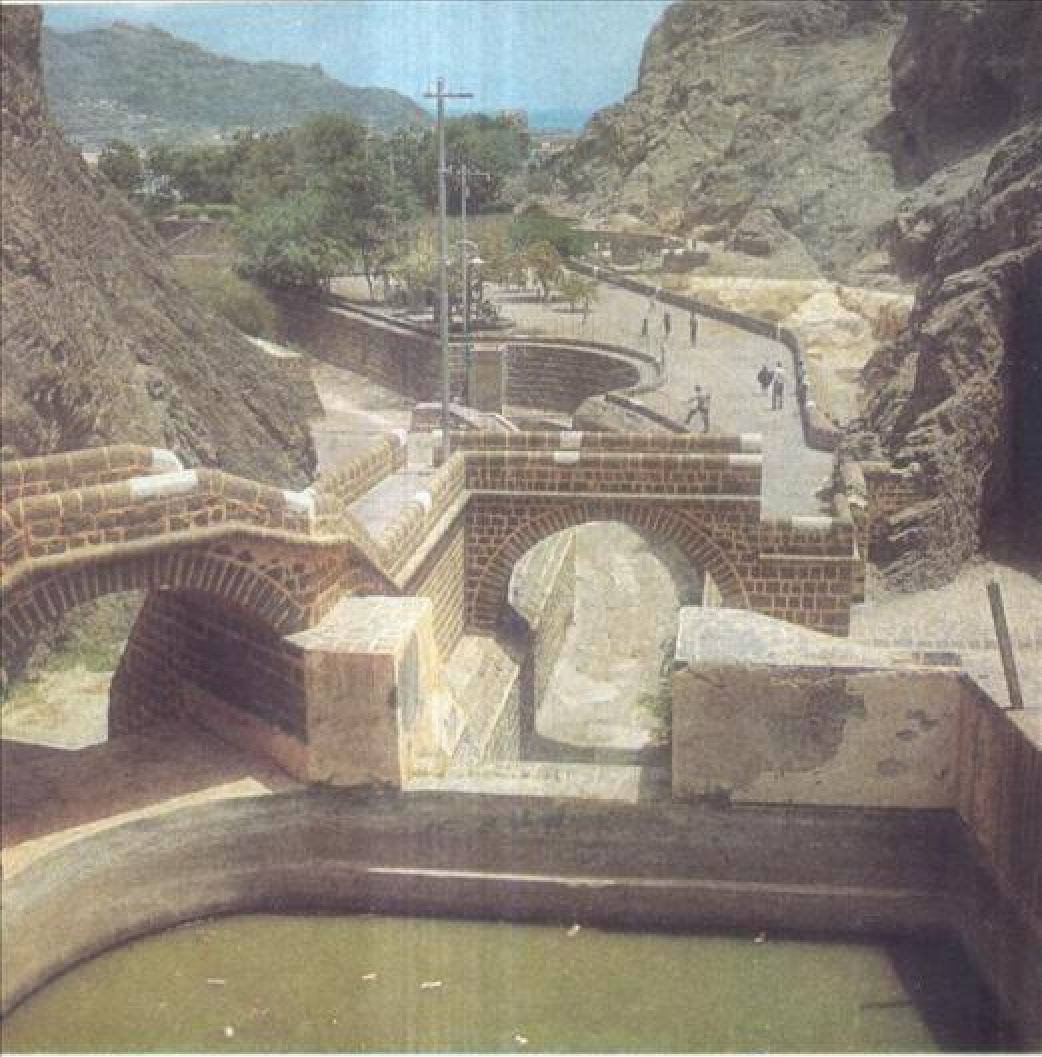
والى جانب هؤلاء الوكلاء الأجانب ، برز عدد من التجار العرب من حضرموت واليمن وعدن .. فضلا عن فئة التجار العرب الصغار الذين عملوا



ابناء ردفان لا يخافون الاسود او النمور : يقولون لك فى عدن : عندنا أصغر حديقة حيوانات فى العالم .. ويسكتون .. ولكن وجب عليهم أن يكملوا الحديث بقولهم : « .. وفيها اعظم مروض وحوش فى العالم ، يدخل على الأسود والنمور بغير سلاح ، ولا حتى عصاة ، فتسكن له وتخاف منه وهو الاعزل .. » ان اسمه حسين قاسم القطيبى ، ويقيم فى حديقة الحيوان فى الشيخ عثمان .. ولكنه جاءها من بلده الأصلى الذى هو جبل ردفان فى محمية الضالع .. !

هنا بنى فلك نوح : هذا ما يؤكده لك كل عدنى .. أما اليوم فلم يعد أحد يبنى أو يصنع المراكب الكبيرة بل يكتفون بصنع الصغير منها . ان السفن العربية التقليدية لها ميناؤها الخاص فى منطقة معلى دكة" الذى ترسو فيه سنويا ١٤٠٠ سفينة تأتى حاملة ٢٧٠٠٠ طن من البضائع تفرغها هنا لتحمل مكانها ٩١ ألف طن من البضائع توزعها على موانىء الساحل العربى والافريقى . وفى شهرى ديسمبر ويناير ، تأتى من دول الخليج العربى السفن الكبيرة محملة بالتمور والسجاد ..





صهاريج عدن : أروع آثار العــرب فى الهندسة . .

تجلت عبقرية العرب الجنوبيين فى اقامة السدود لحجز مياه الأمطار . . فسد مأرب يعتبر من معجزات العالم ، ومن بعده تأتى صهاريج عدن القديمة ، التى تعتبر من أروع الاعمال الهندسية ، وهى مبنية فى وادى الطويلة (طوله ٧٥٠ مترا) قرب مدينة عدن ، وكانت السيول تندفع خلاله فتصيب المدينة بالأضرار، ولكن عندما بنيت هذه الصهاريج أصبحت مياه الامطار تسقط عليها فتمتلىء بها الصهاريج الاثنا عشر ، التى تتسع لعشرة ملايين جالون من الماء ، ولكنها نادرا ما تمتلىء بالماء ، فالأمطار فى عدن شحيحة للغاية أما بناة هذه الصهاريج فمن المؤسف أنه لا يوجد أثر يشير اليهم ولو من بعيد ، البعض يقول انهم بنو حمير فى القرن الاول الميلادى ، والبعض يصل بها الى ١٥٠٠ عام قبل المسيح . . وكانت هذه الصهاريج منسية مهملة مغطاة بالركام والأوساخ ، وبطريق الصدفة اكتشفها الكابتن بليفير Playfair عام ١٨٥٤ فأزيلت القاذورات وهدمت بعض الصهاريج القديمة ، ورممت الجدران ، حتى أصبحت تستوعب اليوم ٢٠ مليون جالون . . ولكنها لم تعد تستعمل كخزان بل أصبحت أثرا يزوره أبناء البلد والسياح . ويحلو لبعض الشباب القفز الى مياه هذه الصهاريج للاستحمام ، ولكنهم كثيرا ما يصابون باصابات قاتلة ، اذ ترتطم رؤوسهم بجدران الصهاريج أو تعلق أرجلهم بالطين المترسب فى قاعها فيصعب عليهم الخلاص فيغرقون . .

فى السابق فى السعودية وامريكا وفرنسا ثم جاءوا برأسمالهم الصغير للعمل فى عدن ..

ومن العجيب ان « خلو الرجل » يكلف اكثر من ثمن البضاعة التى فى المحل . وكلما اقترب المتجر من البحر كلما زاد بدل « الخلو » حتى وصل الى ٦٥٠ الف شلن دفعها اخيرا تاجر عربى لتاجر اسرائيلى غادر البلاد .

ومما يذكر ان عدد اليهود كان ٨٠٠٠ شخص عام ١٩٤٦ أصبحوا اليوم اقل من ٨٠٠ يقيم اغلبهم فى منطقة التواهى حيث يعملون فى التجارة.

خور مكسر يربط عدن باليابسة

وهنا نتوقف قليلا لنتحدث عن عدن ومدنها .. تعم مدنها .. فعدن ليست مدينة واحدة .. كانت كذا منذ ١٢٠ عاما ، اما اليوم فاصبحت تضم المعلى بمبانيها الأنيقة الشاهقة .. والتواهى بفنادقها الكثيرة وشواطئها الجميلة العديدة .. وبين المدينتين بنى الصوماليون والنازحون من الامارات المجاورة اكواخا لهم فى سفح جبل شمسان .. اما عدن القديمة فقد تضاعف حجمها وامتدت فى كل اتجاه ..

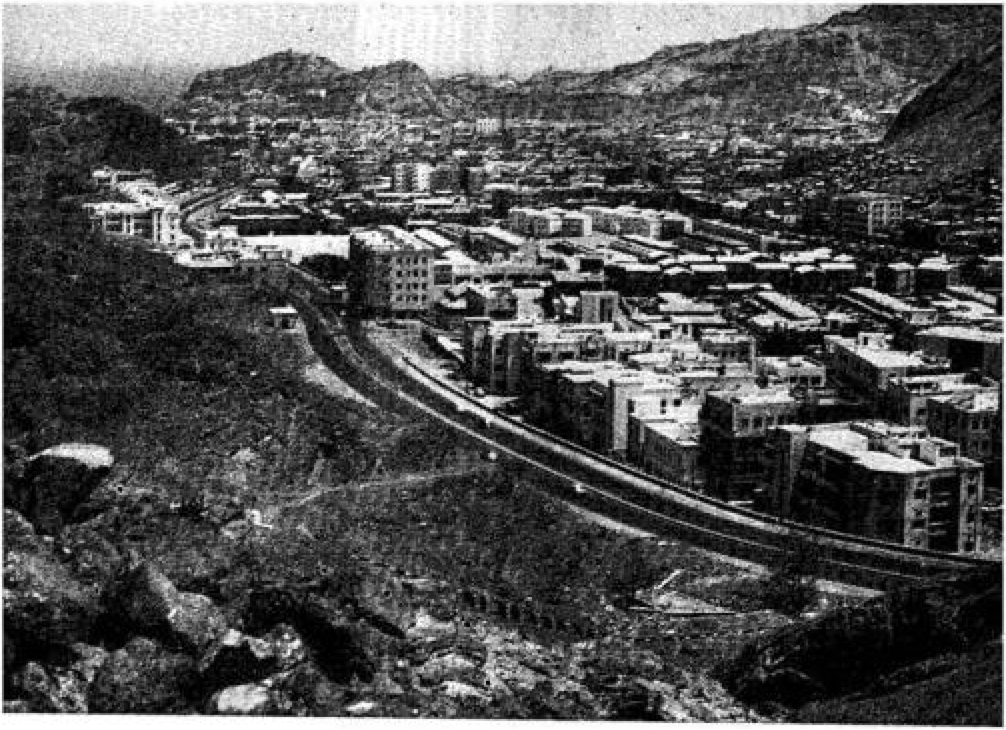
ان جميع هذه المدن تقع فى دائرة قطرها لا يتجاوز الخمسة الاميال ، هى فى نفس الوقت شبه جزيرة يربطها باليابسة عنق زجاجة يسمونه « خور مكسر » وهو ارض رملية ، بدأ البناء الحديث يغطيها ، وفيها مطار عدن المدنى والحربى ومعسكرات الجيش البريطانى ، وطواحين الهواء التى كانت تجذب



اصلاح وترميم : لا يقوم ميناء عدن باستقبال السفن فقط ، بل يعمد الى ترميمها كما ترى هنا أثناء العمل فى اصلاح قاع السفينة « عرفات » السعودية التى تعمل على نقل الحجاج من المكلا الى جدة .. ان حمولتها ٢٠٠٠ طن وقد دفعت نحو ١١٥ الف شلن ثمنا لاصلاح قاعها فى مدة اسبوع . وتعتبر « عرفات » أكبر سفينة يمكن ان تتسع لها الورشة البحرية ..



غموض ! : يجهل أبناء عدن تاريخ بلادهم ، مع انها بلاد ذات ماض قديم ، كما يقول هذا الحجر ، الذى وجد قرب مدينة عدن ، وهو لقطعة من حمم البركان بداخلها عظام انسان مات منذ ٢٠ ألف عام ! ان الغموض يحيط بكثير من جوانب تاريخ هذه البلاد ، وآثار متحف عدن لا تعدو أن تكون أحجارا عادية ، اذا قيست بقطع آثار عدن الموجودة فى متحف لندن ..



مدينة فى فوهة بركان :

انها عدن القديمة ، او كريتر ، Crater وهى الترجمة الانجليزية للفظ « فوهة البركان » .. ان الحياة لم تكن تتعدى هذه المدينة القديمة التى ظلت تنمو دون أى تخطيط أو تهذيب ، فأصبحت وكأنها مجموعة قرى مختلط بعضها ببعض ، طرقها ضيقة تمج بالسيارات والدواب والمترجلين .. انها المسكن الوطنى لمعظم السكان ، وفيها أغلب المتاجر التى تجذب السياح ..

ماء المحيط الى احواض واسعة يترك فيها الماء معرضا لأشعة الشمس حتى يجف ، فيؤخذ ملحه المتبقى ويباع فى الأسواق ..

٧ ملايين طن من النفط سنويا

وما يكاد المرء يعبر عنق الزجاجة هذا حتى يجد نفسه فى ارض واسعة فى شمالها مدينة « الشيخ عثمان » التى لم يتغير طابعها العربى .. وفى العربى ، الذى انضمت اليه عدن عام ١٩٦٣ .. وبعد « مدينة الاتحاد » تقع عدن الصغرى، بمصافى الزيت الكبيرة التى اقيمت فيها ، والتى تكرر سبعة ملايين طن من البترول كل عام .
غربها مدينة «الاتحاد» وهى عاصمة اتحاد الجنوب

١٠٠ سيارة فى الميل الواحد !

من هذه المدن تتكون مستعمرة عدن ، التى تبلغ مساحتها كلها ٨٠ ميلا مربعا ، تربطها طرق للسيارات معبدة يمكنك ان تقطعها كلها فى ساعتين لولا مصاعب المرور .. وما أدراك ما المرور وما مشاكله فى عدن ..

ان ١٥ الف سيارة تسير على طرق طولها ١٥٠ ميلا ، اى ان كل ميل عليه ١٠٠ سيارة وهى نسبة كثيفة جدا تتسبب فى وقوع الفى حادث تصادم سنويا ! هذا فضلا عن الازدحام الزائد وخاصة فى أسواق عدن القديمة ..

ان شق طرق جديدة يحتاج الى ردم البحر ، وقد اتبعت هذه الطريقة فى مد طريق خور مكسر

القات : أهم مشك





يأكلونه ويلعنونه ! انهم لا يستطيعون منه خلاصا ، انهم يمضغون ويخزنون في افواههم القات الحبشي المفتخر المسمى بالهرري .. تنفق عدن يوميا ١٠٠ الف شلن ، أي خمسة آلاف جنيه استرليني ، ثمنا لشراء القات ، الذي يرد من الحبشة على متن طائرتين خاصتين كل صباح !. فاذا تأخرتا او تأخرت احداهما عن موعدها ، تضاعف سعر القات. وسوقه تبدأ ظهر كل يوم . انهم يبيعون أغصان هذه الشجرة الملعونة داخل ربطة تسمى « عَقَّارة » وزنها نصف كيلو وسعرها الرسمي ١٠١/٢ شلن ، ولكنها تباع ب ٢١ شلنا في السوق السوداء .

ومعظم اهل عدن ينفقون على القات أكثر مما ينفقون على منازلهم . واذا عرفت ان ٣٠٪ من السيدات يمضغن القات كذلك هالك الامر . وتبدأ جلسة القات في الساعة الثانية بعد الظهر ، وتمتد حتى التاسعة مساء في بعض الاحيان ، يجلس خلالها المدمن على الارض ويختار الاعواد الرطبة يمضغها ثم يخزنها في فمه ، ويشرب معها الكوكا كولا والماء المثلج . لقد منعت السلطات استيراد القات من الحبشة عام ١٩٥٢ فكان الاهالي يركبون السيارات ويقطعون ٢٠ ميلا للذهاب الى « دار سعد » قرب حدود لحج لمضغ القات هناك؛ لان لحج لم تمنع القات القادم اليها من اليمن .

ان مشكلة القات لن تحل الا باتفاق بين البلاد التى تتعاطاه كلها .. لقد درست الأمم المتحدة هذه المشكلة من جميع نواحيها ، ولكنها لم تنشر نتائج دراساتها حتى الآن .

وفوق هذا الكلام يظهر احد باعة القات يبيع بضاعته للجمهور المتلهف على شرائها . وفي الصورة اليسرى يبدو بعض المواطنين في احد « المبارز » وهى كلمة تطلق على مجالس القات ..

تماعية يواجهها أهل عدن ، دون أن يجدوا لها حلا ..!



ـ عدن القديمة ، وكذلك فى الطريق الموصل من المعلى الى عدن الصغرى .

ظلموهم ..

وسائقو سيارات الأجرة فى عدن يتمتعون بسمعة دولية سيئة ! حتى الحكومة تحذر السواح منهم فتقول : « معظم الذين يزورون عدن قد عانوا من بلطجة سائقى سيارات الأجرة المزودة بعدادات لا تستعمل الا نادرا .. وعليك الاتفاق مع السائق على الأجرة قبل ركوب السيارة ، ولا تدفع اكثر من شلن للميل الأول ثم نصف شلن لكل ميل » .

وهاج سائقو هذه السيارات عندما واجهناهم بذلك . وقالوا : ـ ظلمونا واتهمونا زورا ... ان عددنا لا يتجاوز ٢٠٠ سيارة أجرة رسمية .. ولكن الى جوارنا تعمل ٢٠٠٠ سيارة خاصة ينافسنا أصحابها دون أن يكون لديهم تصريح بالعمل .. وهذه السيارات هى التى تشوه سمعتنا .. وقد حاولنا كثيرا أن تمنعها من العمل لكن القانون يحميها اذ لا يمكن معاقبة صاحبها الا اذا ضبط وهو يقبض نقودا من الراكب .. وهذا لا يتم لحرص هؤلاء السائقين على استلام النقود من الركاب وسط الطريق .. » .

سكة حديد حربية

وفى عام ١٩١٥ كانت عدن مرتبطة بسكة حديد حربية مع قرية الخدّاد فى شمال لحج وقد مد هذا الخط ، لأن الأتراك كانوا يهاجمون الانجليز



قريبا نشاهد هذه الوجوه فى بلاد العروبة الأخرى :
يقبل الشباب العدنى على لعبة كرة القدم بحماس زائد ، يلعبها فى كل ميدان يجده شاغرا . وقد انتظمت هذه اللعبة تحت ادارة الاتحاد الرياضى العدنى الذى أصبح يشمل ٥١ ناديا ، تضم ١٤ فريقا من الدرجة الأولى و ١١ فريقا من الدرجة الثانية .. وقد بدأت هذه الفرق تستعد للسفر الى الخارج لتنقل فنها الى باقى الدول العربية .. وترى هنا أعضاء فريقى المُعلى ، والشيخ عثمان بعد مباراة حامية فاز فيها الأول .. والى جانب كرة القدم بدأت لعبة « الهوكى » فى الانتشار ..

فى عـدن مـن اليمـن ، حتـى وصـلوا فى هجومهم الى احتـلال لحج فتمركزوا فيهـا واجتاحوا فى احدى هجماتهم مدينة الشيخ عثمان .. ولم يخرجوا منهـا الا بخروجهـم من المنطقة كلها ، طبقا لمعاهدة الصلح ..

وظلت هذه السكة الحديد تعمل حتى توقفت نهائيا عام ١٩٣٢ .

وفى عام ١٩٦٢ فتح طريق معبد يربط بين عدن ولحج طوله ـ من مدينة الشيخ عثمان ـ حتى لحج ٢٢ ميلا .

مخازن الخضر فى الامارات المجاورة

واصبح باستطاعة سكان عدن الذهاب الى لحج لقضاء عطلة نهاية الأسبوع وسط مزارعها الخضراء، فعدن مدينة ليس فيها ماء ، ولا بساتين ، انمـا تشرب من مياه لحج التى تأتيها بالانابيب ..

اما الخضراوات فتأتيها فى الليل عبر هـذا الطريق المعبد، على شاحنات كبيرة فتفرغ حمولتها فى سوق المنتجات الزراعية قرب مطار عدن ..

ويتهافت التجار على هذه السوق فيشـترون سنويا ١٥ الف طن من القرنبيط والكرنب والجزر والطماطم والخس والخوخ والشمش والبرقـوق والعنب .. وكلها من المزروعات التى تنمو بنجاح كبير فى لحج ومكيرس ـ قرب حدود اليمن ـ وأرض الظاهر بالسلطنة العوذلية ..

وتزداد الحركة فى السوق عندما يصل متعهدو تموين السـفن فيشترون الخضراوات والفواكـه بكميات كبيرة ضخمة ..

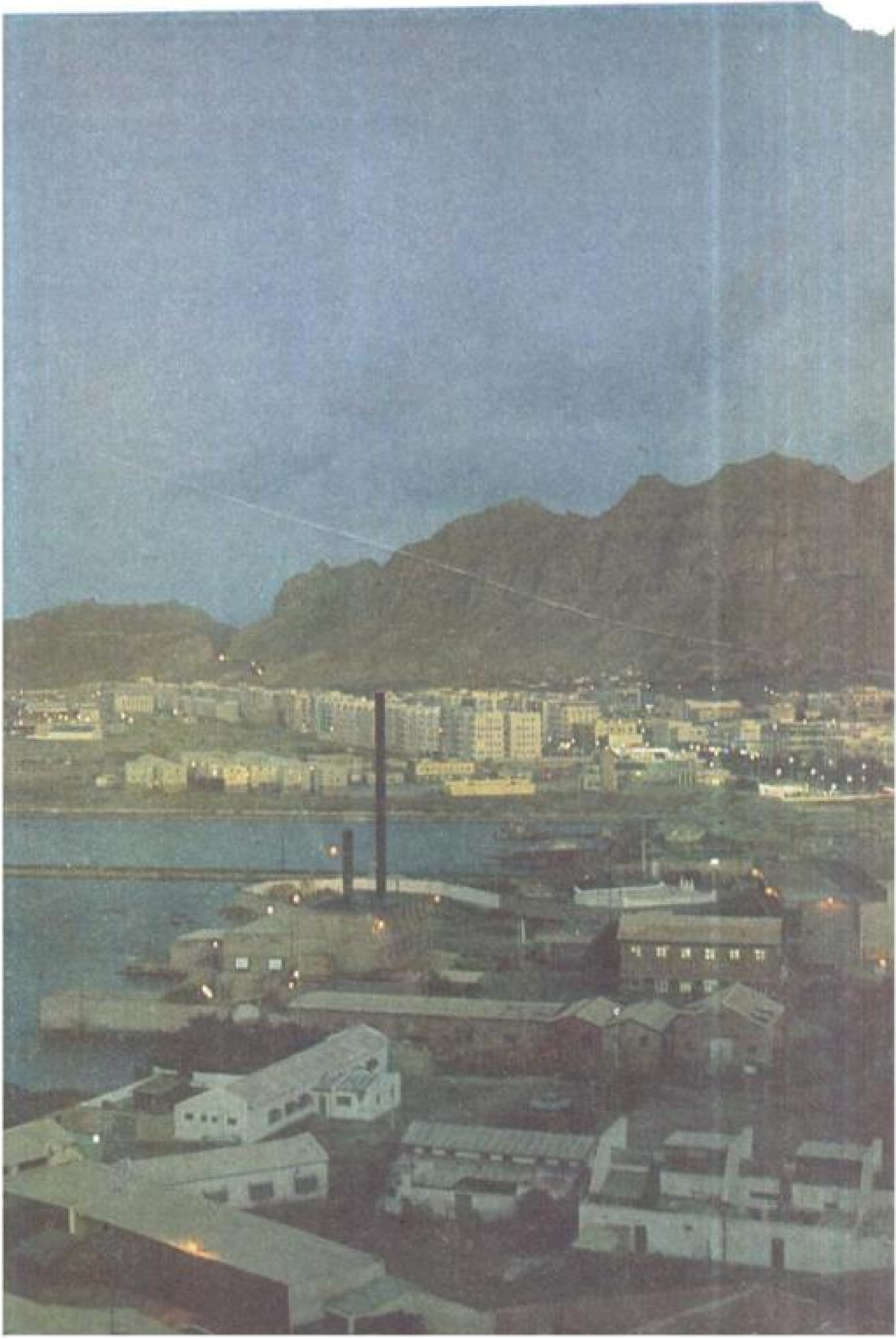
كيف تطبخ « الذُرْبيان » ؟

ولكن ابن البلد فى عدن لا يميـــل كثيرا الى الخضراوات ، بل يفضل عليها أكلتـه الشـعبية « الذُرْبيان » ، ولكنـه لا يأكلهـا ـ عـادة ـ الا فى المناسبات والافراح والمآتم لانها أكلة معقدة



حيث يوجد طين توجد صـناعة الفخـار ،
ولكن الطين فى عدن يحتوى على كمية كبيرة من الأملاح، ومع ذلك فهم يصنعون منه الجرار والقلل باليد ، وعلى مراحل حتى لا تتكسر الجرة ... وأول من أدخل صناعة الفخار الى عدن هم بعض أهالى مدينة مخا اليمنية . ويصل انتاج العامل فى اليوم الى نحو ٢٠ جرة متوسطة يتناول عن كل منها نصف شلن من المتعهد الذى يتولى بيعها .

يحتاج طبخها الى يوم كامل تقريبا .. ! وتبـدا عملية طبخ الذربيان بخلط اللحـم بالبهارات والتوابل واللبن الزبادى ، ويترك الخليط فى حلة مقفلة لمدة ساعتين حتى يختمر .. وبعدها توضع فوق الخليط قشرة بصلة كبيرة عليها قليل من السلى ، فى وسطها جمرة موقدة ويغطى الكل لمدة نصف ساعة .. تفتح بعدها الحلة ، لاضافة الأرز والبطاطس والزعفران مع الحب الهال أو الحبهان والقرفة والكمون ، وتقفل الحلة وتوضع وسط فحم موقد حولها وفوقها لمدة ٤ سـاعات حتى



اين تقضى السهرة فى عدن ؟ : أبداخل غرفتك فى الفندق ؟ ام فى السفينة التى أبيت عليها ؟! .. فليس فى المدينة غير ناد ليلي واحد هو أشبه بالمقهى منه بالنادى ... حقيقة أن هناك ١٣ دارا للسينما ، تتسع لـ ١٢ ألف متفرج ، لكن الصفير والضجيج وأصوات الباعة الجائلين يجعل هذه الدور كالأسواق العامة .. والليل فى عدن مظلم كئيب ، بينما يمكن أن يتحول الى شعلة من النور ، تعكس صورة ضاحكة للجبال الحزينة المرتفعة فى كل مكان ، لأن محطة كهرباء عدن ، التى تمون لحج كذلك ، يمكنها أن تضاعف قوتها ، فهى لا تأخذ سوى ١٥ ألف طن من غاز الاحتراق من شركة المصافى ، فى حين يتم حرق كمية هائلة من هذا الغاز فى الهواء لعدم الحاجة اليه !!



سر توقف طواحين الهواء ؟ : كانت هذه الطواحين تدور فتسحب ماء البحر المالح من القنوات الخاصة ، الى أحواض فسيحة كبيرة ، وتحت أشعة الشمس وحرارة الجو يتبخر الماء ، ويبقى طبقة كثيفة من الملح تغطى الأرض وكأنها الثلوج البيضاء . وقد وصل انتاج عدن من الملح فى عام ١٩٤٦ الى ٥٠٠ ألف طن ، كانت تصدر كلها الى الهند واليابان ... وبعد عام واحد من هذا التاريخ توقفت الهند عن الاستيراد وتبعتها اليابان .. واتجه كل من البلدين الى ميناء صليف باليمن ليستورد الملح من هناك بأسعار أدنى من أسعار عدن . فالملح فى اليمن موجود على شكل جبال طبيعية هائلة . فضلا عن أن كلا من الهند واليابان قد أنشأ العديد من الملاحات فى بلاده . وهكذا أغلقت الأسواق فى وجه الملح العدنى فتوقفت طواحين الهواء عن الدوران، وتوقفت معها الصناعة الوحيدة التى كانت تشتهر بها عدن .

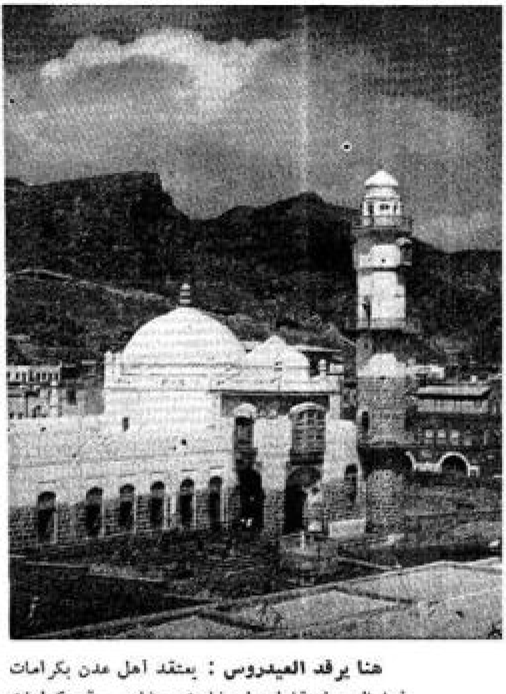


تنضج . نسينا زهرة الليمون التى لا بد من اضافتها للحم !!

يقظة بعد سبات عميق

كانت المرأة العدنية تقضى يومها فى طبخ هذه الاكلة ، أما اليوم فقد تركتها لطهاة مختصين يقومون بطبخها نيابة عنها .. لانها بعد استيقاظها من السبات العميق الذى كانت تغط فيه عبر الأجيال ، وجدت نفسها مشغولة جدا ..

وكانت خطوتها الأولى تكوين جمعية تسعى لحل مشاكلها المتراكمة ، وفى مقدمتها الجهل المطبق



هنا يرقد العيدروس : يعتقد أهل عدن بكرامات أوليائهم اعتقادا راسخا ، وخاصة بكرامات « شمس العلماء الحسيب النسيب السيد أبى بكر بن عبد الله العيدروس » حامى عدن ووليها .. الذى ما زال أحفاده يعيشون فى قرية الحسوة وبعد كل زفاف ، يركب العروسان السيارة ويطوفان بالمسجد للتبرك قبل الذهاب لبيت العريس

الذى كانت تعيش فيه أغلب النساء بسبب عدم وجود مدارس للبنات فى القديم ..

هجوم ناعم ..

وكانت فكرة بناء ناد هى أول قرار اتخذته جمعية المرأة العدنية ، اذ سيتاح لها استعمال بناء النادى كروضة للاطفال فى الصباح ، وناد للسيدات فى المساء ..

ولكن من أين المال ؟ والمرأة العدنية مكبلة بتقاليد وعادات شديدة ؟

ولكنها ضربت عرض الحائط بهذه العادات واتجهت السيدات ، يقرعن الأبواب ، فقصدن التجار فى متاجرهم ، واقتحمن مبارز القات ، المحرمة عليهن، وطلبن من الرجال مساعدتهن لفتح اول ناد لهن ..

ولم يخيب الرجال ظن النساء فتبرعوا بمبلغ ١٣٢ الف شلن كانت نواة طيبة للبدء فى اقامة مبنى النادى الكبير .. وارتفع البناء عاليا .. ولم يستمر الحلم الجميل طويلا اذ توقف البناء ، فالمقاول يطالب بـ ٦٨ الف شلن آخرى لانهاء المبنى !

لم يجب أحد ...

واسقط فى يد المرأة ، وعقدت الاجتماعات الطويلة حضرها فى مرة من المرات ٥١٧ امرأة عدنية ، كن يدرسن ويناقشن وضعهن .. واقترحن اقامة حفلة كبرى تجمع اثناءها التبرعات .. ولكن بلدية عدن امتنعت عن اعارتهن قاعتها الكبرى .

واتجهت السيدات المكافحات الى رؤساء وملوك العرب فكتبن الى كل منهم خطابا مؤثرا يطلبن فيه العون والمدد .

واصبح الناس يتهربون منهن ..

كل هذا بسبب ٢٤٠٠ جنيه استرلينى !!

ان المرأة العدنية تقف اليوم مكتوفة الايدى



فتوى من الأزهر تنقذ مسجد النور : مدينة الشيخ عثمان ، هى أول واحة تقع على بعد ١٠ أميال من عدن فى الطريق الى اليمن،وطابعها العربى القديم ما زال كما هو لم يتبدل .. وسميت ب « الشيخ عثمان » نسبة لولي يقع قبره فيها .. وترى هنا مسجد النور ، اكبر مساجد « الشيخ عثمان » ، الذى اقيم فى جدرانه ٦٠ متجرا اعترض رجال الدين فى عدن على بنائها للاجرة فى جدار الجامع، وطلبوا راى لجنة الفتوى بالأزهر ، فجاء الرد بأن ذلك جائز شرعا .. وهكذا بنيت هذه المتاجر ، التى اصبحت تدر على المسجد ربما يقرب من ٦٠٠٠ شلن شهريا ..

امام ٦٨ الف شلن .. ان هذا المبلغ سيعمل على رفع مستواها وييسر لها تعلم القراءة والكتابة والخياطة والتطريز .. كما سيعمل على فتح أول روضة يتعلم فيها أطفال عدن !!

٩٠ الف مواطن قدموا من الشمال

ان عدد سكان عدن اليوم ٥٢٠ الف نسمة تقريبا ، منهم ٢٠٠ الف عربى والباقون اوروبيون وهنود ومن أبناء افريقيا الشرقية ..

ونسبة النساء الى الرجال متساوية تقريبا بين المقيمين فى عدن ، ما عدا بين العرب القادمين من شمال البلاد والامارات المجاورة ، اذ تنخفض نسبة النساء بينهم الى ١٠٪ فقط .

ويقدرون عدد الذين قدموا من الشمال بنحو ٩٠ ألف مواطن ، ينقسمون الى طبقتين : التجار، وهؤلاء اندمجوا مع اهل البلاد ، وكون بعضهم ثروات طائلة .. والعمال ، وهؤلاء قليلو الاندماج وهم يأتون الى عدن تاركين عائلاتهم فى قراهم ، ويعيشون عيشة بسيطة صعبة ، فكثيرون منهم لا يقيمون فى منازل أو حتى فى عشش ، بل يضعون فى الليل،اسرتهم الخفيفة على الأرصفة وفى الميادين والساحات القريبة من الميناء ، وحتى فى سفوح الجبال فينامون عليها فى الهواء الطلق .. !

من هو ((كركيم شو)) ؟

ونجذب عدن اليها خليطا عجيبا من الناس



الاغنية الهندية كادت أن تقتل الأغنية العدنية : يطرب أبناء عدن بالأغاني ويولعون بتسمع الاخبار .. حتى انك تستطيع سماع أغنية بأكملها وانت متنقل في الاسواق ، لان الراديو موجود ومفتوح في كل متجر ! وتقوم اذاعة عدن ببث اذاعتها مدة ١١ ساعة في اليوم على موجتين قصيرة ومتوسطة .. والبرنامج العربي منفصل تماما عن البرنامج الانجليزي . ان ميزانية الاذاعة ـ سبعة آلاف جنيه ـ لا تسمح كثيرا بتنويع البرامج ولكن الشباب العدني يقبل بشدة على العمل دون النظر للمادة . وقد استطاع بعض المغنين الشباب ، أن يخرجوا من حصار الأغاني الهندية ، الذي كاد أن يقتل فنهم الشعبي ، فلمعوا وابرزوا الاغنية العدنية ، وأصبحوا من المغنين المحبوبين في عدن والامارات المجاورة .. وفي مقدمتهم الفنان الشعبي ذو الصوت الحنون محمد مرشد ناجي (صورته فوق هذا الكلام) ، والفنان المجدد ، ملك العود ، أحمد بن أحمد قاسم ..

يأتونها يوميا على اقدامهم ، وعلى ظهور الجمال ، وسيارات اللاندروفر ، وعلى السفن العربية القديمة .. انهم لا يؤمنون بالحدود الفاصلة ، لانهم يعتبرون المنطقة كلها وحدة واحدة ، وبلدا واحدا .

والى جانب هؤلاء المواطنين تهطل على عدن هجرة اخرى تتعارض ومصالح شعب هذا البلد ، انهم يأتون الى عدن بالطائرات والسفن الكبيرة ، وسرعان ما يمنحون كافة الحقوق والاحتكارات والمراكز الحساسة .. فينافسون ابن عدن في رزقه وعمله ومستقبله ..

واليك نموذجا لما تنشره صحف عدن من اعلانات غريبة .. فقد قرأنا في احداها تحت عنوان : « تجنس » ما يلي :

« هذا اعلان للجمهور بان « كوكيم شو » تقدم بطلب التجنس وكل من له اعتراض ، عليه أن يكتب رسالة بامضائه يضمنها كافة الاعتراضات .. » .

واول اعتراض يمكن أن يوجه لهذا الاعلان يكمن في اسم صاحبه : « كوكيم شو » .. ترى من أي مكان يمكن أن يكون ؟ من الهند أو السند أو انجلترا أو الصومال ؟ ان هذا كله غير مهم لان قانون الجنسية عرّف العدني بهذا التعبير « اللطيف » :

« العدني هو كل من ولد في عدن ، وقطع صلته ببلده الأصيل ، وعليه ان يفهم ويتكلم العربية !! » .

هل فهمت ... ؟!!

اموال السائح هي الهدف

.. وتستيقظ عدن مبكرة احيانا ، ومتأخرة احيانا أخرى ، طبقا لحركة السفن في الميناء التي تقرر مواعيد فتح واغلاق المتاجر المتشابهة في بضائعها ومعروضاتها .

وليس لتجار عدن من هدف سوى اموال السائح ،

وخاصة الذى لا يمكث سوى ساعات معدودة ، فهذا ترفع له الاثمان حسب ما يتراءى للتاجر الذى ليس عليه اى رقيب او حسيب .

وليس صحيحا ان الاسعار فى عدن دونها فى سائر البلاد العربية .. فقد وجدنا فيها ان السجاير والعطور وكثيرا من الكماليات تباع باسعار أغلى بكثير من الاسعار المتداولة فى الكويت وبيروت مثلا .. ولكن مما لا شك فيه ان اسعار ادوات التصوير والسينما والساعات تقل كثيرا عن مثيلاتها فى كل الدول العربية .. والاوروبية كذلك .. والسبب الرئيسى هو عدم وجود ضريبة جمركية عليها ، بعكس السجاير والعطور والخمور ..



ماما عديلة : أحب سيدات عدن الى قلوب الاطفال ، فهى تقدم لهم برنامجهم الاسبوعى المفضل .. ومما يذكر ان عدد المطربات فى اذاعة عدن كن ثلاثة لم تبق واحدة منهن .. والسبب ان اثنتين تزوجتا .. أما الثالثة فبدأت بالغناء ، وهى صغيرة ، وعندما بلغت سن الـ ١٤ « تحجبت » اى وضعت الحجاب على وجهها وامتنعت عن الغناء ! وهكذا انعدمت أصوات المطربات من اذاعة عدن ، ولم تبق سوى المذيعات ، وفى مقدمتهن ماما عديلة .. ومن المنتظر ان يبدأ فى اكتوبر القادم البث من محطة التلفزيون الجديدة .

حفلة فى الحافلة !!

وفى ميدان الهلال بمدينة التواهى ، اى عدن الحديثة ، تقف الحافلات لتنقل الركاب بنصف شلن الى عدن القديمة ..

وتمر الحافلة وسط المقابر العديدة التى تحتل أجمل المناطق .. ثم تعرج على البيوت الشعبية الملونة فى منطقة الروضة ، ان اغلب سكانها من الصوماليين ..

وتتابع الحافلة سيرها وسط شارع المعلى الانيق فيزداد عدد الركاب ويقفون على السلالم ..

ان الملابس هنا تشعرك وكأنك فى حديقة للملاهى ، فالفوطة المزركشة بالالوان ، والخطوط المربعة تغطى الساقين والوسط ، وفوقها قميص من النيلون .. وعلى الراس عمامة حمراء او صفراء او خضراء ، يتفنن كل رجل فى طريقة لفها ، بعضهم يتركها ضخمة كبيرة ، وبعضهم يجعلها صغيرة لطيفة .. ويكتفى البعض بطاقية عادية مصنوعة بأيدى سيدات المنزل وعليها رسوم أعلام وكتابات متناثرة . انها نفس الملابس المنتشرة فى اليمن نقلوها معهم الى عدن ..

وفى شارع المعلى تصعد الفتيات الصوماليات اللواتى يعملن عند العائلات الأجنبية ، ان بشرتهن السوداء وصفر أجسامهن وألوان ملابسهن الزاهية يجعلهن محط انظار ركاب الحافلة ..

وتقف الحافلة فى المحطة ويصفر السائق فتقع احدى السيدات على الارض فيبدأ ركاب الحافلة فى الكلام والصراخ مرة واحدة ، كل منهم يلقى باللوم على السائق والكمسارى .. وتتعطل السيارة وتقف السيدة .. ولا يظهر عليها انها اصيبت باذى ، فيصفر الكمسارى وتنطلق الحافلة التى لا بد انها اشتقت اسمها من هذا الخلق المتباين الذى تحفل به !!

آســف ...

ان الحديث عن عدن شيق وكثير .. ولكن عدد الصفحات لا يتسع له ويجد القارىء تحت الصور شرحا وافيا لكثير من النقاط التى لم يرد ذكرها .

غيوم ... وسياسات

ولا يمكن أن يتم الحديث عن عدن ويكمل الا

بالحديث عن الغيوم السياسية التى تغطى سماء البلاد ..

ان التيارات السياسيةفى عدن كثيرة ومتشعبة، تلعب فيها الدسائس والرشاوى دورا كبيرا هاما ، حتى ليصعب على الغريب القادم الى البلاد ان يميز او يفرق بين الوطنيين وادعياء الوطنية .

وتلعب الأحزاب السياسية دورا هاما وخطيرا فى عدن ، وحزب الشعب الاشتراكى هو اقوى هذه الأحزاب واكثرها تنظيما .. ورئيســـه عبد الله الاصنج ، وقد قال لنا : ان حزبنا يطالب بجلاء القوات البريطانية ، واستقلال البلاد .. ولكن هذا ليس هدفنا النهائى ، بل نعتبره « هدفا مرحليا » يقودنا لتحقيق الوحدة الطبيعية مع اليمـن .

« وهذه الوحدة متروك أمرها للشعب ،الذى عليه ان يقرر ان كان يريدها أم لا . وذلك فى استفتاء شعبى بعد الجلاء والاستقلال .. » .

والحزب الثانى فى عدن هو حزب رابطة أبنـاء الجنوب ، وهو اقدم احزاب عدن اذ تألف عـام ١٩٥٠ ولكن قادته يعيشون خارج عدن منـذ عام ١٩٥٦ .

وقد توصل قادة هذا الحزب أخيرا الى الاتفاق مع قادة حزب الشعب الاشتراكى على هــدف موحد وهو أن يتركا للشعب العدنى حرية تقرير مصيره بعد الجلاء ونيل الاستقلال ..

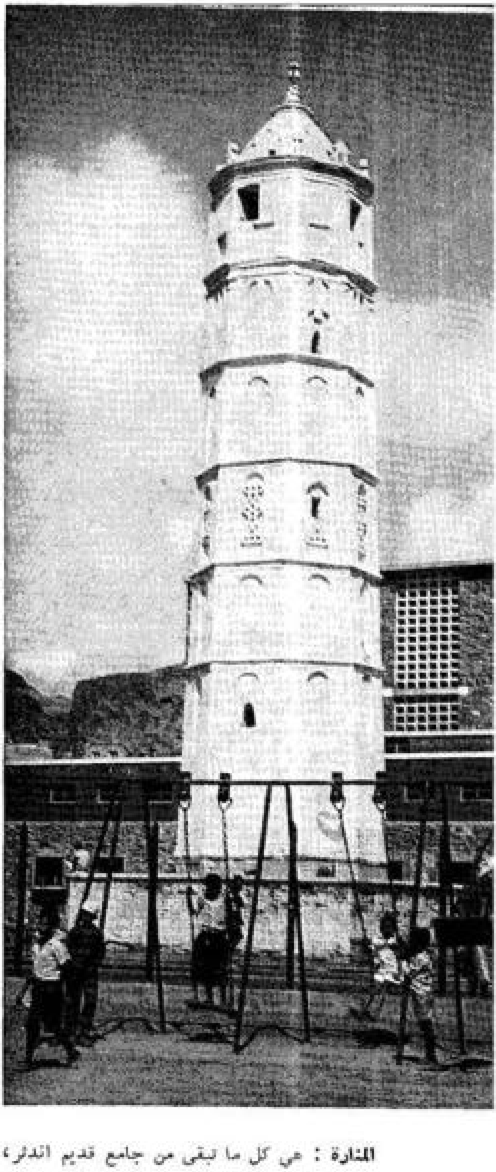
زواج المتعة

اما الأحزاب الاخرى فهى حزب الاتحاد الوطنى، وحزب المؤتمر الشعبى ، والأول هو الذى بارك ما يسمونه هناك « زواج المتعة » الذى تم فى اوائل عام ١٩٦٣ ، بين امارات اتحاد الجنوب العـربى الثلاث عشرة وبين عدن ..

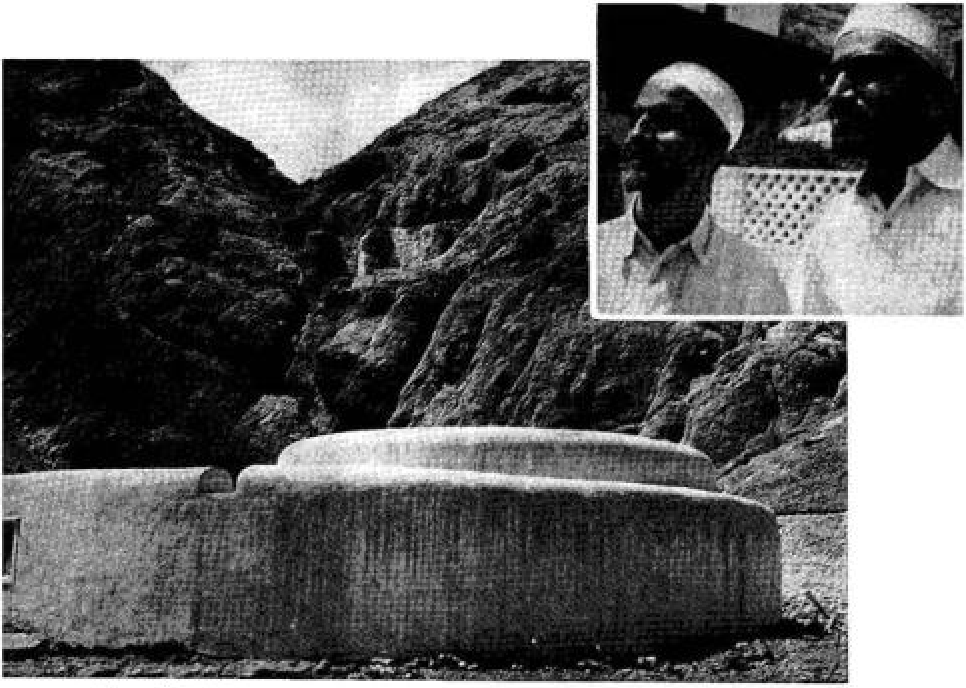
ان عدن قبل « زواجها » هذا كانت أمّا لثلاث مجموعات من الجزر ، هى : كمران .. وبريم .. وكوريا موريا .. ولكنها بعد زواجها نزعت منهـا بناتها الثلاث وأصبحن تحت السيطرة البريطانية المباشرة .

منطق ومفهوم القرن العشرين

وغنى عن البيان التأكيد بأن هذا الاستطلاع لا يعنى باى حال أنه ليست لنا مآخذ على الحـالة



المنارة : هى كل ما تبقى من جامع قديم اندثر ، ولا يُعرف بالضبط اسم مشيده ، البعض يقول الخليفة الأموى عمر بن عبدالعزيز منذ ١٢٧٠ سنة، والبعض يقول انها واحدة من أميرات ملوك بنى رسول تدعى أم الملوك منذ ٦٠٠ سنة .. بينمـا يؤكد العامة من افراد الشعب بأن تحتها كنـزا ثمينا !.. وتحت ظل هذه المنارة الأثرية أقيمت ساحة كبيرة يلعب فيها الأطفال .



اول صورة تنشر لابراج الصمت ! يعيش فى عدن مجموعة من الفارسيين Parsees من أتباع زرادشت Zoroaster الذى ظهر فى ايران قبل الف عام من ميلاد المسيح . فأصبحت تعاليمه هي الدين الرسمى لايران . وعندما جاء الاسلام الى ايران عام ٦٣٦م . هرب أتباع زرادشت الى بومباى بالهند .. ومع موجات الهنود التى هاجرت من بومباى جاء عدد كبير من الفارسيين ومعهم عاداتهم وتقاليدهم الغريبة الى عدن .. انهم يعيشون فى سفح جبل شمسان ، فى منطقة مغلقة محظور على الاجانب دخولها .. ففيها معبدهم الذى يحوى « ابراج الصمت » ، وهذه الابراج ارتفاعها ١٢ مترا وموضوع على قوهتها أسياخ من الحديد توضع فوقها جثة الميت وتترك معرضة للشمس فتأتى الطيور والغربان تنهشها .. فجثة الميت لا تحرق ولا تدفن فى التراب .. وفى راس السنة الفارسية يقوم الفارسيون مبكرين من فراشهم فيغتسلون ويتطهرون وبعد صلاتهم يلبسون ملابس جديدة ويذهبون الى معبدهم للسجود للنار المقدسة الموقدة دائما بالمعبد ، تلك التى يعبدونها .

المتدهورة فى المنطقة لاننا نؤمن بان الطوفان قادم .. وان كل من سيقف فى طريقه سيبتلعه .. ان بريطانيا سترحل عن عدن كارهة أم راضية .. ومهما حاولت أن تطيل بقاءها فان النصر الأخير للشعب العربى ..

ان العالم بأسره يطالبها بهذا الجلاء :

فى الأمم المتحدة .. فى مجلس العموم البريطانى .. على صفحات الجرائد والمجلات العالمية والبريطانية .. الرأى العام العالمى كله يستنكر عدم اتاحة الفرصة للشعب العربى فى الجنوب المحتل كى يعبر عن حقيقة أمانيه فى الحرية .. والاستقلال .. والوحدة ..

ان الغد سيشهد تحولا جذريا فى هذا الجنوب المحتل .

ان هذا ليس بحلم .. بل ايمان نابع من مفهوم ومنطق القرن العشرين الذى نعيش فيه ، والذى يتادى ابناؤه جميعا ـ بما فيهم عقلاء الانجليز انفسهم ـ بتصفية الاستعمار وقواعده من العالم ..

وعدن قاعدة استعمارية ..

اذن لا بد من تصفيتها .. وفى أسرع وقت .

■■

سليم زبال



إقليدس :

آن للعرب أن يخشوشنوا الطباعا

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ تحدثت فيما سلف فيما صنع العرب ، لبنى الناس ، فى حساب ، وفى جبر . والآن اتحدث فيما صنع العرب ، وخلف العرب ، لبنى الناس ، فى علم الهندسة .

ان العلوم التى نتحدث عنها ، اكثرها لا يجرى على السنة اكثر الناس وهم فى سبيل عيشهم فى نهار ، ولا عندما يسكنون فى بيوتهم عند دخول ليل . ولكنها علوم تتراءى آثارها فى اى سبيل يمشون فيه فى هذه الحياة الحاضرة... هذه الحياة المدنية الحاضرة . تتراءى لهم فى شارع . تتراءى لهم فى بيت يقام او هو قائم . تتراءى لهم فى ترعة تشق او مصرف يحفر . وهى علوم تقف وراء صوت المؤذن وهو يؤذن صباحا للفجر وظلام الليل دامس ، وتقف وراءه وهو يؤذن للظهيرة ونور النهار ساطع حارق ، وعندما يخرج الناس الى العراء يستوثقون من رؤية الأهلة ، عند كل صيام وعند كل عيد .

الناس أمزجة شتى

ان الناس امزجة . ومن الامزجة مزاج الرجل الشاعر والمرأة الشاعرة . ومن الأمزجة مزاج الرجل العالم والمرأة العالمة . أما مزاج الشاعر فمزاج الخيال، ومزاج العاطفة ، ذلك المزاج الذى كثيرا ما ينشط فينتج شعرا . وهو كثيرا ما يلتذ الحياة فليتذها حباً ويلتذها ، ضلة ، خمرا . وهو كثيرا ما يعمل ، فيعمل الشىء الخير الكثير الخير ، او هو يسىء عاطفة فيفعل الشر . اما مزاج العالم فمزاج العقل ، ذلك الذى ينظر فى الأشياء فيلتذ نظراً ، ويفكر فى شتى الأمور فيلتذ فكرا .



حفظه العرب ، لأهل الغرب ، قرونًا طويلة

ويحوشوا أسماعًا ، وأنْ [illegible] هم فوق قلوبهم

وقد يأتيه الفكر بفائدة ، فيغتبط . وقد لا يأتيه بفائدة أو عائدة ، فيكفيه النظر فائدة ، ويكفيه الفكر عائدة .

العلماء ، هم شيدوا للشعراء ، ثم لا تسمع لهم ذكرا

وانت تقف امام الهرم الاكبر ، من اهرام مصر ، تسأل عمن بناه، فيقولون خوفو . وما بناه خوفو ، ولكنه اراد له بناء ، واراد عن عاطفة ، هي هنا عاطفة دين ، وعاطفة قداسة ، وبناه القياسون المهندسون ، وبناه الفلكيون ، وبناه العلماء . ومع هذا لا تسمع لأحد منهم ذكرا .

ولقد وقفت في الهند امام عروس العرائس في البناء . وما كان عروسا ولكن قبرا لعروس . فهذا هو « تاج محل » . وتسأل عمن بناه ، عمن بنى هذه الدرة الفريدة ، فيقولون بناه « شاه جيهان » . وتسأل لمن بناه ، فيقولون ليضم رفات احب نسائه اليه، « ممتاز محل » . وهو ما بناه ، ولكنه اراد له بناء ، واراد عن عاطفة . وهي هنا عاطفة حب وعاطفة حزن . وبناه المهندسون ، وبناه الفنانون والعلماء . ومع هذا لا تسمع لاحد منهم ذكرا .

ونحن في امجاد العرب ، نجد للعرب امجادا صدرت عن عاطفة ، وعن خيال وعن احاسيس قلوب ، وعن جراة ومفامرة. وهذه انتجت الشعر ،وانتجت الحروب ، ومع الحروب النصر . وهذه يقراها الناس اليوم فتهز حواسهم فيغتبطون .ونجد للعرب الى جانب هذه

الهرم الاكبر : نسأل عمن بناه ؟
فيقولون : خوفو .. وما بناه خوفو ..



امجادا صدرت عن عقل ، وعن فكـر ، وهذه آن للعرب اليوم ان يفتحوا لها آذانهم، وان تعيها عقولهم ، وان يجدوا فيها اللذة التى يجدونها عند رواية شعر او قصة حب . انه فى النهضة العربيـة الحاضرة لا بد ان يخشوشن العـرب اسماعا ، وان يخشوشنوا طباعا ، وان يستمعوا للغناء أقل مما يفعلون ، وان لا يثيروا قلوبهم فوق ما يجب ، على حساب عقولهم . فهذه الدنيا الحاضرة ، ما قامت أكثر ما قامت ، الا علـى اسس بنتها العقول، وكذلك قامت مدنيةالعرب وقامت امجادهم. ولكن احفادهم سمعوا بالكثير مما انتجته القلوب ، وبالقليـل الاقل مما انتجته العقول ، فاختل بذلك ميزان التقدير . ومال الميزان لما مالت به طبيعة الانسان . فتحريك الخيـال وايقاظ العاطفة عند الناس اسهل مـن تحريك العقول وايقاظها .

الهندسة كان للعرب فيها جولة وجولة

والهندسة ، هذا المجال العقلى ، كان للعرب فيه جولة، وجولة . فما الهندسة هذه ، التى جال العرب فيها وصالوا ؟

ان الصبى اليافع ، تلميذ المـدارس الثانوية ، لا تذكر له الهندسـة الا تراءى فى ذهنه خطوط متوازية ، وخطـوط متقاطعة ، وتراءت زوايا ، من حـادة وقائمة ومنفرجة ، وتراءت مثلثـات ، وتراءت مربعـات ، ومستطيـلات ، ومنحرفات . وان كان ممن أوغـل فى الشباب قليلا ، ففى التعليم الثانوى ، فهو تتراءى له المجسّمات من مكعبات ومنشورات ، وكرات ، ومخروطات .

وعنده أن الهندسة نظريات ،تصف خواص الأشكال والأجسام . فنظـرية تقول اذا وازى مستقيم مستقيـمين ، فهذان المستقيمان متوازيان . ويتدخل المنطق ليثبت ذلك . ونظرية تقول اذا تساوى فى مثلث ضلعان ، تساوت فيه زاويتان . ويتدخل المنطق ليثبت ذلك .

ولكن الذى لا يتراءى فى ذهن هـذا الطالب ، ولا يخطر له ببـال ابدا ، ان صبيْة مصر ، صبية الاسكندرية ، فى القرن الثالث قبل الميلاد ، كانت تجلس من الدرس الى مثل ما جلس هو اليه . وكانت تستمع من النظريات الى مثل ما استمع هو اليه والى مثل هذهالبراهين. وكذلك جلس صبية العرب ، صـبية بغداد وغير بغداد ، فى القرن التاسـع الميلادى والذى بعده ، ممن طلبوا العلم، يستمعون ويدرسون .

هندسة اقليدس صمدت على القرون

انه «اقليدس»اليونانى ،الاسكندرى، هو صاحب هذه النظريات،وصاحب هذه البراهين ، جمعها جميعا فى كتب، بضعة وعشرة .

قال المؤرخون : لم يوجد كتاب مثـل هذا الكتاب فى قدمه ، عاش كل هـذه القرون . انه عاش فوق الألفين والمائتين من السـنين . وهو لم يكد أن يصيبه فى كل هذا الزمان الطويل تغيير . وقبله الأقدمون ، وقبله الأحدثون . ولقد قام جماعة من الامريكان ، فى منتصف القرن الماضى،يتزعمون حركة تطيح باقليدس ، وكتب أقليدس . وقاموا على عادة بعض الناس بالضيق بكل قديم . ونافـوا

تاج محل : تسأل عمن بناه ؟ فيقولون « شـاه جيهـان » .. وهو ما بنـاه ..



اقليدس تاليفا، ونافسوه كتبا . وتعددت الكتب فى الهندسة ، وتعددت البراهين ، واختلطت . ولكن اقليدس بقى على الرغم من كل هذا ، كتاب الدنيا الأوحد ، والأصلد والاصمد .

وتسال . ومن اين جاء اقليدس بهندسته هذه، وبراهينه هذه . والجواب هو دائما واحد . ان فى الذى جاء به اقليدس الطريف والتالد . ان العلم يورث كما تورث الارض ، وكما يورث العقار ، لا تشترط فيه لوارث وشيجة من دماء .

وقد ورث اقليدس مما ضمنه كتبه الكثير . ففي التاريخ ادلة على أن الكثير مما جاء به اقليدس علم سبق .

اقليدس الرجل

والحق انه من العسير ان يتحدث المرء عما حدث وراء هذا العدد الكبير فى القديم من القرون . ان اقليدس نفسه، على الرغم من اثره الهائل فى كل المدنيات التى جاءت من بعده ، لا نكاد ان نعرف عن حياته شيئا . اكثر ما نعلمه ان علم واسس مدرسة فى الاسكندرية ، فى عهد بطليموس الأول . وهذا حكم مصر من عام ٣٠٦ قبل الميلاد الى عام ٢٨٣ق م. ونعلم كذلك أن بطليموس ساله ، ايوجد طريق الى الهندسة اقصر من طريق طويل اليها خطهٔ فى كتبه . فأجاب اقليدس : ايها الملك ، ليس الى الهندسة طريق ملكى قصير .

ونعلم ايضا ان اقليدس جاءه طالبٌ يتعلم فلما تعلم النظرية الأولى من هندسته، سال استاذه : ما الذى يعود علىّ من تعلم الهندسة ؟ فما كان من اقليدس الا ان نادى عبده ، وقال له : أعط هذا الطالب بضعة دراهم ، لأنه من الصنف الذى يريد ان يكتسب مالا من كل ما يتعلم .

فهذا اقليدس ، وهذا كتابه .

ذلك الكتاب الذى طلبه هارون الرشيد، أول طالب . ترجمه له الحجاج بن يوسف . وليس هو بالحجاج بن يوسف الثقفى ، سفاح بنى امية ، الذى ولى مكة ، وولى من بعدها العراق ، ولاه عليها عبد الملك ابن مروان ، هذا الذى قال فى مسجد البصرة ، ليخيف الناس ويرعب العامة:

أنا ابنُ جَلاً وطلّاعُ الثنايا
متى اضعُ العِمامة تعرفونى

لا . ان الحجاج بن يوسف ، حجاج الرشيد ، هو الحجاج بن يوسف بن مطر ، كان اهدا نفسا ، وابعد الناس عن دم ، وعن سيف . كان صاحب قلم ، وصاحب علم، وترجم للرشيد اقليدس. وامره المامون فصنع له نسخة افضل . وتتابعت من بعد ذلك لاقليدس التراجم. وتتابعت الشروح .

راهب انجليزي ينقل اقليدسَ العربِ الى الغرب ، أول ناقل

وينتشر اقليدس فى مشرق الدولة العربية وفى مغربها ، وتنتشر الشروح . وتنتشر التآليف .

ويمضي قرن فقرن فقرن . ويأتى راهب انجليزى ، اتلهارد Athelhard من مدينة باث Bath بانجلترا . ويترحل فى البلاد العربية الاسلامية لطلب العلم ، فيقع على كتب فى الهندسة كثيرة ، ولا سيما على كتب اقليدس العربية . فيخطر له أن يترجمها الى اللاتينية . ثم هو يفعل ، فتكون ترجمته هذه اول ترجمة عرفت لاقليدس فى اوروبا.

فهذا مجد من أمجاد العرب ، فى ناحية خافية من النواحي التى عمل فيها العرب، وعملوا كثيرا . ثم نسيت . نسيتها الاحفاد . نسوا اجدادا لهم امجاد . وما اجدرهم اليوم أن يذكروا . ■■

احمد زكى

طرائف عربية

ابن الأشعث لأصحابه

● **قال ابن الأشعث لأصحابه ، وهو على المنبر :** قد علمنا إن كنا نعلم، وفهمنا إن كنا نفهم ، ان المؤمن لا يلسع من جحر مرتين ، وقد والله لسعت بكم من جحر ثلاث مرات ، وانا استغفر الله من كل ما خالف الايمان ، واعتصم به من كل ما قرب من الكفر .

طمع اشعب

● **قيل لأشعب :** ما بلغ من طمعك ؟

قال : ما رايت عروسا تزف الا وظننتها لي، ولا رايت جنازة الا وظننت ان صاحبها أوصى لي بشيء .

ثلاثة .. وثلاثة ..

● **قال رسول الله :** « ان الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا » : يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا ، وان تناصحوا من ولاه الله امركم .

ويكره لكم : « قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال » .

قولان لبزرجمهر

● **قيل لبزرجمهر :** اى الاكتساب افضل ؟

قال: العلم والأدب كنزان لاينفدان، وسراجان لا يطفآن، وحلتان لا تبليان، من نالهما أصاب الرشاد ، وعرف طريق المعاد،وعاش رفيعا بين العباد.

● **وقال انو شروان لبزرجمهر لما ظفر به :** الحمد لله الذى اظفرنى بك .

قال له : فكافئه بما يحب ، كما اعطاك ما تحب .

قال : وبم اكافئه يا فاسق ؟

قال : بالعفو عمن اظفرك به اليوم ، كما تحب ان يعفو عنك غدا .

اعتذار ينجي من

● كان فى ملوك فارس ملك عظيم المملكة ، شديد النقمة ، فقرب له صاحب المطبخ طعامه ، فنقطت نقطة من الطعام على المائدة ، فزوى له الملك وجهه ، وعلم صاحب المطبخ انه قاتله ، فعمد الى الصحفة فكفأها على المائدة ثم ولى .

فقال له الملك : ما حملك على ما فعلت ، وقد علمت ان سقوط النقطة اخطأت بها يدك ، ولم يجز بها

تعلموا العلم

● **قال عبد الملك بن مروان لبنيه :** « يا بني ، تعلموا العلم ، فان كنتم سادة فقتم ، وان كنتم وسطا سدتم ، وان كنتم سوقة عشتم » .

كُثَيِّر عند عبد الملك

● دخل كثير على عبد الملك بن مروان فى اول خلافته فقال : انت كثير ؟ فقال نعم .

فاقتحمه وقال : تسمع بالمُعَيْدى خير من ان تراه ! .

فقال : يا امير المؤمنين كل انسان عند محله رحب الفناء ، شامخ البناء ، عالى السناء ، وانشد قصيدته التى منها :

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفى اثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير
ضعاف الأسد اكثرها زئيرا ... واصرمها اللواتى لا تزير
وقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
يقوده الضعيف بكل أرض ... ويصرعه على الجنب الصغير
فما عظم الرجال لهم بزين ... ولكن زينهم حسب وخير

فقال قاتله الله : ما اطول لسانه ، وأمد عنانه ، وأوسع جنانه ، انى لأحسبه كما وصف نفسه .

القتل .. فقط

تعمدك ، فما عندك فى الثانية ؟

قال : استحييتُ للملك ان يوجب قتلى ، ويبيح دم مثلى ، فى سنى وحرمتى، وقديم اختصاصى وخدمتى، فى نقطة اخطأت بها يدى ، فأردت ان يعظم ذنبى ، ليَحْسن بالملك قتلى !

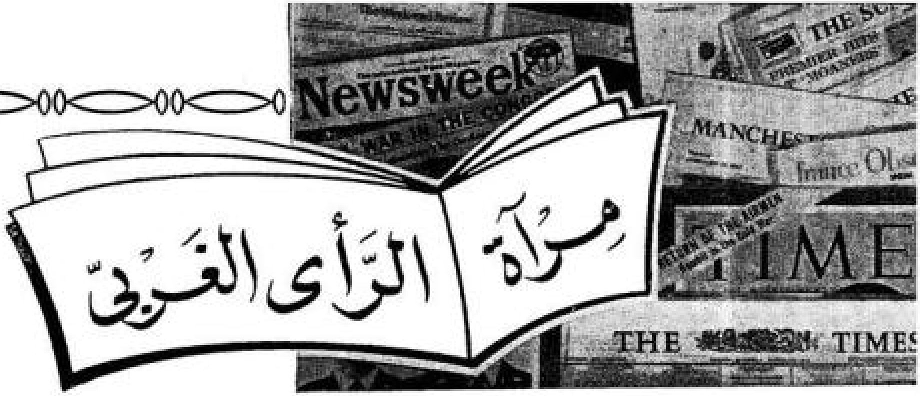
قال : لئن كان اعتذارك ينجيك من القتل، فليس ينجيك من التأديب، اجلدوه واخلعوا عليه خلع الرضا .

أدب الحاجب

● **قال بعض الملوك لحاجبه :** انك عينى التى انظر بها، وجنتى التى أستنيم اليها، وقد وليتك بابى ، فما تراك صانعا برعيتى ؟

قال : انظر اليهم بعينك ، واحملهم على قدر منازلهم عندك ، واضعهم لك فى ابطائهم عن بابك ، ولزومهم خدمتك ، مواضع استحقاقهم ، وأرتبهم حيث جعلهم ترتيبك ، وأحسن ابلاغك عنهم وابلاغهم عنك .

قال : قد وفّيتَ بما عليك قولا ، ان وفيتَ به فعلا ، والله ولى كفايتك ومعونتك .



أزمة أخلاق فى كل مكان

عن جريدة « كريستشان سينس مونيتور » :

● يطيب لنا عادة ان تدل على البلاد المتاخرة،ونفيض فى تعداد مزايانا ، وتجسيم نقائصها ، ومن ذلك ادعاؤنا ان الأخلاق بيننا اسمى وارفع ،وان ازمة البلاد المتاخرة الأولى ازمة اخلاق . ويلذ لصحافتنا ان تروى الفضائح عن هذه البلاد،وكيف ان كبار رجالاتها لا يتورعون عن مد أيديهم لقبض رشوة .

ونحن فى هذا كالنعامة التى تخفى راسها فى الرمال ، ظنا منها انها بهذا تخفى الحقيقة . ولو فتحنا أعيننا لرأينا اننا نعانى ازمة اخلاق كالتى تعانى منها تلك البلاد ، ان لم تكن اسوا . وهذه الأزمة موجودة حتى بين رجالات الكونغرس ، أعلى سلطة فى هذه البلاد : فقد كشفت لجنة التحقيق المنبثقة عن مجلس الكونغرس عن حقائق مذهلة ، من ذلك أن وزير مالية سابق حصل على مبلغ كبير من المال لاتمامه عقد اتفاق مع شركة تقوم بتوريد نيكل للدولة . وثبت للجنة أن عددا من رجالات الكونغرس قد قبضوا اكثر من ٢٠٠ مليون دولار من شركة تنتج اليورانيوم ، وذلك مقابل ان تقوم هذه الشركة بتزويد الدولة باليورانيوم . ولا ننسى طبعا عضو مجلس الشيوخ الذى اطلقت عليه الصحافة « سناتور البوينج » وذلك لتواطئه مع شركة البوينج التى تزود الحكومة بهذا النوع من الطائرات . وحكاية عضو مجلس الشيوخ الذى اشترته جواتيمالا معروفة مشهورة .

هذا قليل من كثير .

أبعد هذا نفاخر غيرنا باخلاقنا الكريمة ؟

ومن كان بيته من زجاج ، عليه الا يقذف بيوت الآخرين بالحجارة !

السد العالى

عن جريدة « الصندى تايمس » :

● لا شك ان الجمهورية العربية المتحدة فخورة ببناء السد العالي ، وحق لها أن تفخر به . فقبل خمس سنوات كان الاعتقاد السائد أن انجاز مثل هذا المشروع مستحيل بالنسبة لمصر ، ولما بدىء بالشروع قيل ان العمل فيه لن ينتهي : ولكن خابت الظنون ، وها هو السد قائم ليدل دلالة واضحة على أن العزيمة والاخلاص يفعلان الاعاجيب .

والسد العالى سيزيد الدخل القومى بمقدار ٢٠٠ مليون جنيه ، وطاقته الكهربائية البالغة ١٠ بلايين كيلوواط ساعة ، قادرة على أن تجعل من الجمهورية العربية دولة صناعية كبرى .

هذه الحقائق تجعلنا نعتقد أن يوم الخامس عشر

لنــدن وباريس

عن جريدة « نيويورك تايمس » :

● لندن وباريس مدينتان كبيرتان يجد المرءفيهما أرقى مستويات الحضارة ، ولكنهما مع هذا ، في راينا ، مختلفتان جدا : ففي باريس يحس الالمان والانجليز والصينيون والأتراك وكل الناس انهم يعيشون ويتمتعون بحياتهم دون ان يفقدوا خصائصهم أو قومياتهم . ان بامكانهم ان يتصوروا ان باريس وطنهم ، ولا يقوم ضد هذا التصور دليل .

اما في انجلترة ، وفي لندن خاصة ، فان الغرباء يعيشون في عزلة عن المجتمع ، والمجتمع نفسه يتجاهلهم ، ما لم يكونوا قادرين على ان يكيفوا انفسهم ويصبحوا انجليزا في سلوكهم ، ولن يستطيعوا ان يفعلوا هذا الا اذا تخلوا عن شخصياتهم وخصائصهم القومية .

وهذا يفسر لنا السبب في الفروق التي نشاهدها بين مواطنينا الذين قضوا سنوات من حياتهم في باريس او لندن . اننا نلاحظ ان سلوك أكثر من درسوا في انجلترة او عاشوا فيها ، يدعو الى الاستهجان ، بل والسخرية . انهم يبدون لنا دون طعم ، فهم قد فقدوا شخصياتهم دون ان يستطيعوا اكتساب شخصية جديدة .

الى هؤلاء نقول : قليلا من الايمان بالنفس ، والاعتزاز بالشخصية القومية !

هل الرقابة أصبحت لا تطاق ؟

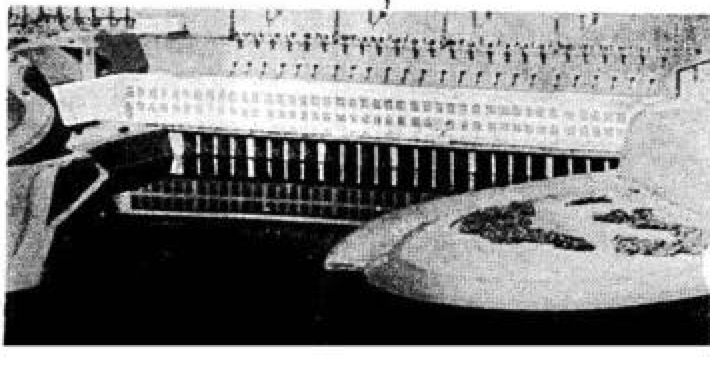
عن مجلة « دير شبيجل » الألمانية :

● يبدو أن الرقابة على الانتاج الفكرى والفنى فى العالم تزداد حساسية يوما عن يوم ، وآية هذا ما حدث لفلم « المنتصرون » The Victors فالحكومة الفرنسية طلبت حذف منظر يطلق فيه جنود فرنسيون النار على جنود المان ، وذلك بعد أن رفعوا العلم الأبيض واستسلموا ، واصرت الرقابة الايطالية على حذف منظر من الفلم يبدو فيه طفلان من نابلي يسلبان جثتين ، ورأت الرقابة فى الولايات المتحدة الأمريكية ضرورة حذف المنظر الذى تبدو فيه الممثلة ايك سومر Eike Sommer عارية ، لأنه منظر لا اخلاقى . وثار الروس لمنظر فى الفلم يبدو فيه ضابط روسى فى حالة سكر .

ترى لو حذفت كل هذه المناظر من الفلم نزولا عند اوامر الرقابة ، فماذا يبقى من الفلم ؟ ان مثل هذه التصرفات تدلنا على ان الدول ، مهما ارتقت ، فان اجهزة معينة فيها تبقى مغلقة على نفسها ، غير قادرة على اللحاق بالركب .

مان من الفقر

من مايو يوم خالد فى تاريخ الجمهورية العربية المتحدة ، بل انه يوم له دلالته الكبرى للعالم اجمع . ان جهد الثلاثين الف عامل مصرى هو الذى حقق هذه المعجزة ، حققوها بالجهد المتواصل ، بالايمان بانهم يبنون شيئا خالدا ، لا يتوقفون عن العمل سوى دقائق معدودة يتناولون فيها طعامهم ، أو يؤدون صلواتهم . ان هؤلاء العمال ، بتغييرهم مجرى النيل ، قد غيروا وجه مصر .



ابن حزم

الفيلسوف الأندلسي الذي أرّخ لمجتمع الطوائف

● عايش انحلال الخلافة الأندلسية، وقيام دول الطوائف، فوصف مجتمع هذه الدول الصغيرة الحقيرة أقبح وصف

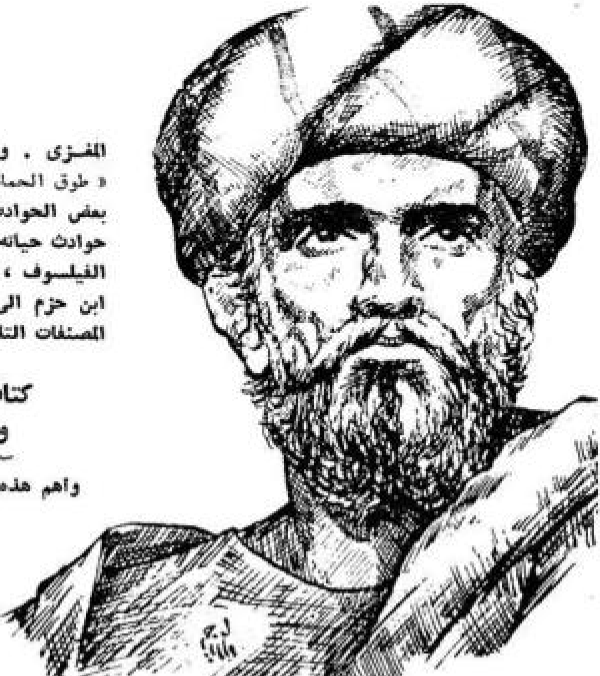
"ولا يغرنكم المنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن"

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ لم تكن صفة المؤرخ لدى ابى محمد علي بن حزم ، صفة عارضة ، اجتمعت الى جانب صفاته الأساسية الأخرى ، وهى انه فيلسوف من أعظم فلاسفة الشرق والغرب ، وامام من أعظم ائمة الاسلام فى علم الكلام والفقه . ولكننا نستطيع ان نقول ان صفة المؤرخ هى أيضا من صفات ابن حزم الأساسية .

ابن حزم ، يعرّف علم التاريخ

ولم ينس ابن حزم نفسه ان يبرز لنا هذه الناحية من نواحي تفكيره ، فهو يتناول فى رسالته « مراتب العلوم » علم التاريخ ويصفه بأنه علم الأخبار، ويعرض لنا أساليب كتابته ، ويتحدث عن التواريخ الصحيحة والمعتلة ، من الناحية الاخبارية . وفى رأيه ان أصح التواريخ ، هو تاريخ الملة الاسلامية ، وينصح طالب الأخبار بألا يشغل نفسه ، الا بما افتى هو بصحته . ولم ينس ابن حزم فى نهاية تعريفه لعلم التاريخ ، أن يقول لنا ان علم النسب هو جزء من علم الخبر ، فاذا تقرر ذلك ، فان ابن حزم ، وهو



على قلوب السباع ”

صاحب كتاب « جمهرة انساب العرب »، يمكن أن يوضع بهذا المصنف وحده ، في عداد أكابر المؤرخين .

النزعة التاريخية تسود كثيرا من مصنفاته الفلسفية

وفضلا عن ذلك ، فقد ترك لنا ابن حزم تراثا تاريخيا جليلا ، يمتاز بتنوعه وقوته ، وروعته في احيان كثيرة . ولنلاحظ أولا ان النزعة التاريخية، تسود كثيرا من مصنفاته الكلامية والفلسفية . فنحن نستطيع ان نعتبر مصنفه الجامع « الفصل في الملل والاهواء والنحل » تاريخا مقارنا للاديان والمذاهب الدينية . ولم تخل معظم رسائله ومؤلفاته الفلسفية من الاشارات التاريخية ذات المغزى . ونستطيع أن نخص بالذكر كتابه « طوق الحمامة » فانه يشير فيه في غير موطن الى بعض الحوادث التاريخية المعاصرة ، والى بعض حوادث حياته ذاتها ، ومنها نعرف الكثير عن حياة الفيلسوف ، وعن خطط قرطبة المعاصرة . ثم ان ابن حزم الى جانب ذلك كله يقدم الينا بعض المصنفات التاريخية الخاصة .

كتاب « جوامع السيرة » و « نقط العروس »

واهم هذه كتاب « جوامع السيرة » ، وهو عرض سريع للسيرة النبوية وذكر الصحابة . وكتاب « نقط العروس » ، وهو يحتوى على مجموعة من النوادر والمقارنات والنظائر التاريخية المدهشة، التى التى يقتضى جمعها وتنسيقها مقدرة فائقة ومعرفة شاملة لمختلف التواريخ والسير . ونستطيع اخيرا أن نذكر من بين مصنفات ابن حزم التاريخية ، رسالته في ذكر فضائل علماء الأندلس وكتابها ، وهى رسالة تعتبر بالرغم من ايجازها تاريخا للتفكير والآداب الأندلسية حتى أوائل القرن الخامس الهجرى اعنى الى عصر ابن حزم .

ابن حزم عايش انحلال الخلافة الأندلسية ، وقيام دول الطوائف

على ان ابن حزم لم يكن مع ذلك مؤرخا عاديا ، يكتفى في فهم مقدرته التاريخية باستعراض مؤلفاته . بل الأمر في ذلك بالعكس ، ذلك أن ابن حزم كان مؤرخا من طراز خاص ، بل ومن طراز نادر . كان من طراز اولئك المؤرخين الذين تعتبر كلماتهم احكاما لا تقبل الجدل على حوادث عصرهم وعلى شخصياته . وقد عاش ابن حزم في عصر فياض بالاضطرابات والأحداث المثيرة ، وهو عصر انحلال الخلافة الأندلسية ، وقيام دول الطوائف، وشهد الكثير من احوال هذا العصر وتقلباته ، ومن تصرفات امراء الطوائف ، ومثالبهم ، وبغيهم واستهتارهم . وهزت هذه الأحداث والصور مشاعره الى الأعماق .

ولقد شغل عصر الطوائف من حياة الامة

الأندلسية ، نحو ثمانين عاما ، وشغل حياة ابن حزم منذ فتوته الى وفاته .

عصر الطوائف عصر انحلال شامل

وكان عصر تفكك وانحلال سياسى واجتماعى شامل ، وذلك بالرغم مما كان يبدو فى بعض نواحيه من جوانب براقة .

والواقع ان هذه الدول الصغيرة التى قامت على انقاض الأندلس الكبرى ، والتى كانت تتسم بسمة الملك ، وتزعم كل منها لنفسها الاستقلال بشئونها ، لم تكن ، اذا استثنينا القليل منها ، سواء برقاعها الاقليمية ، أو مواردها المادية ، تستطيع الحياة بمفردها .

دول الطوائف كانت وحدات اقطاع ، لا وازع لها من دين أو أخلاق

كانت دول الطوائف أقرب منها الى وحدات الاقطاع، والى عصبة الأسرة القوية ذات العصبية، ومن ثم فانه لم تكن بها حكومات منظمة بالمعنى الصحيح ، تكون مهمتها الأساسية ان تعمل لخير الشعب ورخائه ، وصون الأمن والنظام ، والذود عن الوطن والدين، وانما كانت بها أسر أو زعامات تعمل قبل كل شىء لمصلحتها الخاصة ، وتنمية ثرواتها ، وتدعيم سلطانها وبذخها . وكانت حكومات الطوائف عبارة عن قصور مترفة ناعمة ، يسودها امراء ضعاف فى وطنيتهم ، ضعاف فى دينهم ، غلبت عليهم الاثرة والأهواء الشخصية ، ونسوا فى غمارها وطنهم ودينهم ، بل نسوا حتى اعتبارات الكرامة الشخصية ، واستساغوا لأنفسهم أن يتراموا على أعتاب الملوك النصارى ، يستمدُّونهم بعضهم على بعض ، فى سبيل اقتطاع بلدة أو حصن من بلد شقيق ، أو التنكيل بأحد الأمراء المجاورين . وقد انتهوا فى ذلك الى دَرْك يستحق أن يوصف بأقسى النعوت .

ولم يكن أمراء الطوائف فى سياستهم الداخلية، وازاء شعوبهم أفضل موقفا ، ولا أكرم تصرفا . فقد كانوا طغاة قساة على رعيتهم ، يسومونهم الخسف ، ويثقلون كواهلهم بالفروض والمغارم لملء خزائنهم وتحقيق ترفهم وبذخهم . ولم يكن يردعهم فى ذلك رادع لا من الدين ولا من الأخلاق .

وقد كانت سياستهم الداخلية هذه مثل سياستهم الخارجية، موضع السخط من شعوبهم، والطعن المر من معاصريهم من الكتاب والمفكرين .

مؤرخان كبيران آخران فى عصر الطوائف: ابن حيّان ، وابن بسّام

ذلك هو المجتمع الذى عاش فى ظله ابن حزم . ولقد حظى عصر الطوائف الى جانب ابن حزم ، بمؤرّخين كبيرين ، هما أبو مروان ابن حيّان ، وأبو الحسن ابن بسّام الشنتريني ، وقد عاش أولهما ثلاثة عشر عاما بعد ابن حزم ، وعاش الثانى الى ما بعد انتهاء عصر الطوائف بنحو نصف قرن ، واشترك كلاهما فى تدوين الكثير عن عصر الطوائف وأحداثه وخواصه . وعكف الأول على تاريخ حوادثه السياسية ، واختص الثانى بتدوين نواحيه الأدبية .و بالرغم مما يمتاز به ابن حيان من براعة فى الاستيعاب والتحقيق ، ومن مقدرة نقدية فائقة فى استعراض الحوادث ، وبالرغم مما يمتاز به ابن بسام من جزالة وبيان مشرق ، فى تصوير الأحداث والشخصيات ، فان أحدا منهما لم يوفق الى شىء من تلك النظرات الصادقة ، والأحكام الصائبة النافذة ، التى أبداها ابن حزم نحو أحداث عصره ، ونحو مجتمع الطوائف .

بدأ ابن حزم نظراته الى مجتمع الطوائف بملاحظات ساخرة لاذعة

وقد بدأ ابن حزم نظراته نحو مجتمع الطوائف فى عصر مبكر ، وبدأها بتوجيه بعض الملاحظات الساخرة نحو بعض الاحداث . ومما ورد فى كتابه « نقط العروس » ومن ذلك تعليقه على ما حدث من قيام أربع خلافات بالأندلس فى وقت واحد ، ثلاثة يدعيها ثلاثة من أمراء بني حَمّود ، وهم محمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة ، ومحمد بن ادريس بن علي بن حمود بمالقة ، وادريس بن يحيى بن حَمّود بببَشْتر ، والرابعة يشبغها القاضى بن عباد صاحب اشبيلية على شخص زعم أنه المؤيّد بالله . يقول ابن حزم فى سخرية لاذعة « انها اخلوقة لم يقع فى الدهر مثلها ، وفضيحة لم يقع فى العالم الى يومنا مثلها ، يقوم أربعة رجال فى مسافة ثلاثة أيام فى مثلها ،

كلهم يتسمّى بإمْرة أمير المؤمنين ، ويُخطَب لهم فى زمن واحد » .

ثم يعلق بعد ذلك على ما حدث من تصالح خليفتين من بنى حمود، وهما يحيى المعتلى صاحب قرطبة ، والقاسم بن حمود المستعلى صاحب اشبيلية ، وتهادنهما ، واعتراف كل منهما بصفة صاحبه بقوله « انه لم يسمع بخليفتين تصالحا ، وهو أمر لم يسمع فى الدنيا بأشنع منه ، ولا أدل على ادبار الأمور » .

ابن حزم يدمغ ملوك الطوائف لا يستثنى أحـداً

بيد أن هذه الملاحظات التهكمية اللاذعة وأمثالها، تستحيل بعد ذلك عند ابن حزم ، الى نظرات تحليلية عميقة لأحوال مجتمع الطوائف ، وأحكام قاسية يصدرها الفيلسوف على هذا المجتمع المستهتر الذى تقضم أسُسَه عواملُ الانحلال والتفكك المادى والأدبى . ويلتزم ابن حزم التعميم فى نظراته وأحكامه ، ولكنه صريح فيما يقصد ، لا يلجأ الى مداجاة أو تورية ، وهو يدمغ سائر ملوك الطوائف لا يستثنى فى ذلك أحداً .

ابن حزم ووزير غرناطة اليهودى

وقد وردت هذه الأحكام بالأخص فى موضعين من رسائل ابن حزم ، الاول فى مستهل رسالته فى الرد على ابن النغريلى أو ابن نغرالة وزير غرناطة اليهودى . واليك ما يقوله الفيلسوف فى هذا الموطن :

« اللهم انا نشكو اليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن اقامة دينهم ، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم فى معادهم ودار قرارهم ، وبجمع أموال ربما كانت سبباً الى انقراض أعمارهم ، وعوناً لأعدائهم عليهم ، عن حياطة ملتهم التى بها عزوا فى عاجلتهم ، وبها يرجون الفوز فى آجلتهم ، حتى استشرف لذلك أهل القلة والذمة ، وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك ، بما لو حقق النظر أرباب الدنيا ، لاهتموا بذلك ضِعْفَ همّنا ، لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء ، والحميّة للملة الغراء . ثم هم بعد ذلك مترددون بما يؤول اليه اهمال هذه الحال ، من فساد سياستهم ، والقَدْح فى رياستهم ، فللأسباب أسباب ، وللمداخل الى البلاء أبواب ، والله أعلم بالصواب » .

ومن الواضح أن ابن حزم يقصد بكلامه أمراء الطوائف ، وهو هنا يركز اهتمامه حول رمى هؤلاء الأمراء باهمال حياطة الدين والذود عنه ،لمناسبة ما حدث من قيام اسماعيل ابن نغرالة اليهودى بتاليف رسالة فى الاسلام ، رأى فيها ابن حزم طعناً فى بعض آيات القرآن ، ورأى تقصير باديس ابن حبوس أمير غرناطة فى ردع وزيره وفى الدفاع عن الدين . بيد أنه لا يتجه هنا الى ذكر باديس دون غيره ، وانما يتجه الى مخاطبة امراء الطوائف جميعاً واتهامهم بنفس الاتهام المر . فهم جميعاً فى نظره سواء فى التقصير فى حق دينهم ، وفى الاشتغال عن صونه ، ببناء القصور والشئون الفانية .

ابن حزم يجمع مساوىء الطوائف فى كلمة ـ المحنة والفتنة

ثم ابن حزم لا يقف عند هذا الحد فى الحكم على ملوك الطوائف ، فان هذه لم تكن فى نظره سوى ناحية واحدة من نواحى استهتارهم وفسادهم. وهو يعود بعد ذلك فى بعض رسائله الأخرى ، فيصدر حكمه الشامل ، على أولئك الأمراء وعلى سياستهم الداخلية والخارجية ، وعلى تصرفاتهم الباغية فى حق رعاياهم . ولم يكن ابن حزم تحدوه فى ذلك آية نزعة أو عاطفة شخصية كتلك النزعة التى نراها أحياناً تحدو ابن حيان أو ابن بسام أو ابن خاقان. بل كانت تحدوه فى ذلك قبل كل شىء نزعة قومية وانسانية. كانت تلك الحياة التى يحياها ملوك الطوائف ، وتلك الفوضى التى تغمر أعمالهم وتصرفاتهم ، وذلك الفساد الشامل الذى يسود ممالكهم ، وذلك الجور الفادح الذى ينزلونه بشعوبهم ، يجعلون منهم عبيداً يستصفون ثرواتهم ، وثمار كدهم ارضاء لشهواتهم فى انشاء القصور الباذخة واقتناء الجوارى والعبيد ، والانهماك فى حياة الترف الناعم ، والاغداق على الصحب والمنافقين ، هذا فضلا عن حشد الجند لتأييد سلطانهم وتدعيم طغيانهم، وما ترتب على ذلك من انهيار المعايير الدينية

والأخلاقية ، واختلاط الحق بالباطل والحلال بالحرام ، كل ذلك يجمله لنا ابن حزم فى كلمة واحدة ـ المحنة أو الفتنة ـ ثم يصور لنا تلك المحنة أو الفتنة فى كلمات قليلة ولكن قوية رائعة.

ابن حزم يصف « الفتنة » فى رسالته ، رسالة التلخيص

وترد هذه الصورة القوية الحاسمة التى يجمل فيها ابن حزم فتنة الطوائف ، فى رسالته المعنونة « رسالة التلخيص لوجوه التخليص » ، وهى عبارة عن ردود على بعض أسئلة فى شئون دينية وفقهية وجهت اليه من بعض أصدقائه ، ومنها سؤال يتعلق بأمر الفتنة ، وآخر عن وجه السلامة فى المطعم والملبس والكسب .

يقول ابن حزم فى الرد على سائليه :

« وأما ما سألتم من أمر هذه الفتنة وملابسة الناس بها ، مع ما ظهر من تربص بعضهم ببعض، فهذا أمر امتحنا به ، نسأل الله السلامة .وهى فتنة سوء ، أهلكت الأديان الا من وقى الله من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب ، وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصن فى أندلسنا هذه ، أولها عن آخرها ، محارب لله تعالى ورسوله وساع فى الأرض بفساد ، والذى ترونه عيانا من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التى تكون فى ملك من ضارهم ، واباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التى يقضون على أهلها ، وانهم ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين ، مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين فى أخذ الجزية والضريبة من أهل الاسلام ، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله، غرضهم فيها استدامة نفاذ أمرهم ونهيهم ، فلا تغالطوا أنفسكم،ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون الى الفقه ، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع ، المزينون لاهل الشر شرهم ، الناصرون لهم على فسقهم » .

ففقهاء ذلك الزمان كانوا عون الفساد والطغيان

ولقد كان الفقهاء فى الواقع ، فى هذا العصر الذى ساد فيه الانحلال والفوضى الأخلاقية والاجتماعية ، أكبر عضد لأمراء الطوائف فى تبرير طغيانهم وظلمهم ، وتزكية تصرفاتهم الجائرة ، وابتزازهم لأموال الرعية ، وقد كانوا يأكلون على كل مائدة ، ويتقلبون فى خدمة كل قصر ، ليحرزوا النفوذ والمال، ويضعون خدماتهم الدينية والفقهية لتأييد الظلم والجور ، وخديعة الناس باسم الشرع.وقد انفسح لهم ، بالأخص فى ظل الطوائف مجال العمل والدس والاستغلال . واحتضنهم الأمراءالطغاة ، وأغدقوا عليهم العطاء . وقد فطن الى ذلك ، الى جانب ابن حزم ، قرينه ومعاصره المؤرخ ابن حيان ، فحمل على الفقهاء، ونوه بصمتهم عنفضح الظلم الذى يرتكبه الأمراء، لانهم على قوله « قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم وخابط فى أهوائهم » .

وينوه ابن حزم باختلاط الحرام بالحلال فى مجتمع الطوائف

ثم يعود ابن حزم وهو فى صدد الاجابة عن وجه السلامة فى المطعم والملبس والمكسب ، فينوه بما كان يسود مجتمعالطوائف من اختلاط الحرام بالحلال ، وانعدام الكسب الحلال ، وسيادة الظلم فى جباية الضرائب ، ومجانبتها لحكم الشرع ، وهى حالة يقدم الينا عنها الصورة الآتية :

« وأما الباب الثانى ، فهو باب قبول المتشابه، وهو فى غير زماننا هذا باب جديد لا يؤثم صاحبه ولا يؤجر ، وليس على الناس أن يبحثوا عن أصول ما يحتاجون اليه فى أقواتهم ومكاسبهم ، اذ كان الأغلب هو الحلال ، وكان الحرام مغمورا. وأما فى زماننا هذا وبلادنا هذه ، فانما هو باب أغلق عينيك،واضرب بيديك ، ولك ما تخرجه، اما تمرة واما جمرة . وانما فرقت بين زماننا هذا والزمان الذى قبله لان الغاراتفى أيام الهدنة لم تكن غالبة ظاهرة كما هى اليوم ، والمغارم التى كان يقبضها السلاطين ، فانما كانت على الأرضين خاصة ، وأما اليوم فهى جزية على رؤوس المسلمين يسمونها بالمعلمية ويؤدونها مشاهرة ، وضريبة على أموالهم من الغنم والدواب والنحل برسم على كل رأس ، وعلى كل خلية شيء ما ، وقبالات ما يؤدى على كل ما يباع فى الأسواق ، وعلى اباحة بيع الخمر من المسلمين فى البلاد .

هذا كله ما يقبضه المتغلبون اليوم . وهذا هو هتك الأستار ، ونقض شرائع الاسلام ، وحل عراه عروة عروة ، واحداث دين جديد ، والتخلى من الله عز وجل » .

ويبلغ ابن حزم ذروة العنف فى الحملة على أمراء الطوائف

هذا وان ابن حزم ليبلغ ذروة العنف والقسوة فى الحملة على أمراء الطوائف ، واستهتارهم باحكام الدين ، وما اتسموا به من ضعف فى الايمان والعقيدة حينما يقول بعد ذلك :

« والله لو علموا أن فى عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لبادروا اليها ، فنحن نراهم يستمدون النصارى ، فيمكنونهم من حُرَم المسلمين وأبنائهم ورجالهم ، يحملونهم أسارى الى بلادهم ، وربما يحمونهم عن حريم الأرض وحشرهم معهم آمنين . وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا ، فأخلوها من الاسلام وعمّروها بالنواقيس ، لعن الله جميعهم، وسلط عليهم سيفا من سيوفه » .

وانا لا نستطيع أن نتصور ابلغ من ذلك واروع، فى تصوير مجتمع الطوائف ، وتحليل عوامل ذلك الانحلال الشامل الذى كان يحيق بحياته الدينية والاجتماعية، وفى تصوير استهتار أمراء الطوائف، وضعف ايمانهم ، وجنوحهم الى البغى وخرق أحكام الدين . واننا لا نذكر انه قد اتيح لمؤرخ ، قبل ابن حزم أو بعده ، أن يجمل مثل هذه الأحداث الضخمة لعصر بأسره ، وتلك الأحوال الشنيعة المتباينة، وهذه التصرفات الذميمة المبيرة لطائفة كبيرة من الأمراء والحكام ، فى مثل تلك العبارات الموجزة التى يجمل فيها ابن حزم حكمه على مجتمع الطوائف .

فهل كان ابن حزم مبالغا ؟ وهل كان بالأخص متحاملا ؟

هذا ما لا نعتقد . لقد كان ابن حزم يشير باسلوبه القوى اللاذع الى وقائع وظروف تؤيدها كل الروايات والوثائق المعاصرة ، وكان بحكم مركزه الاجتماعى الممتاز، ورفيع مكانته العلمية والدينية يستطيع أن يرى من اوضاع الأمور ما لا يستطيع أن يراه غيره . وقد اصدر ابن حزم أحكامه على دول الطوائف وامرائها ، بأسلوبه القوى الصارم، الذى لا تعتوره هوادة ولا تردد،وبطريقته الحاسمة التى تطبع سائر آرائه ونظرياته .

ابن حزم مات قبل أن تنزل ممالك الطوائف ادنى الدركات

وقد توفى ابن حزم فى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م)، وممالك الطوائف فى ابان قوتها وازدهارها ، وقبل أن تنحدر الى ما انحدرت اليه فيما بعد من الانحلال المعنوى الشامل . بل لقد كان كل ما انتهت اليه تلك «الفتنة» القومية ـ فتنة الطوائف على حد قول ابن حزم ـ من سقوط طليطلة حصن الأندلس الشمالى ، وانخذال ممالك الطوائف ، ووقوعها جميعا تحت رحمة ملك قشتالة، كان ذلك كله مما يؤيد أقوال ابن حزم وتنبؤاته . ولو شهد الفيلسوف هذه المرحلة الأخيرة من انحلال ممالك الطوائف،لكان بلا ريب فى نظراته وأحكامه، أشد قسوة وعنفا .

لقد كان ابن حزم مؤرخا عظيما ، كما كان فيلسوفا عظيما ، واماما من أعظم ائمة التفكير الاسلامى . ■■

محمد عبد الله عنان

● قضى أميرال متقاعد فى الجيش الفرنسى سنوات فى الصين . وعندما هم بمغادرتها نهائيا الى اوروبا اقام له بعض الأهالى حفلة عشاء .

وفاجأ الجنرال المتقاعد مضيفيه بأن أهدى الى كل واحد منهم نسخة من كتاب يحمل اسمه كمؤلف . وكان عنوان الكتاب : ((**ماذا أعرف عن الصين**)) . وكانت كل صفحات الكتاب بيضاء لم يكتب فيها حرف واحد !!



نَصيحَة جَدّتى

إلى الفتاة التى تزوّجت رجلاً لم تره ولم تعرفه

بقلم : سعاد ..

■ كان البؤس يتجلى على اساريرها، وهى تقول : « **ولكنى لا احبه ، فكيف اتزوجه ؟** »

وسألتها : « **وهل تحبين غيره ؟** »..

فصاحت مستنكرة : « **يا عيب الشوم!.. وكيف وانا اعيش فى وسط لا يباح فيه الاختلاط بين الجنسين الا فى اضيق حدود ؟** » .

وعدت اسألها : « **اذن كيف تتوقعين أن تجعلى الحب مقياسك فى اختيار الزوج ؟** » .

وارتج عليها القول .. وتولتها حيرة قاسية ، اشفقت عليها منها ، فشرعت اعالج لها موقفها فى ترفق ومنطق مبسط .

انى افهم ان تتمسك المراة بالا تتزوج الا عن حب ، اذا كانت فى مجتمع يشيع فيه الاختلاط بين الجنسين ، وفى أوسع نطاق ، حتى يتسنى لها أن تلتقى بأكبر عدد من الرجال الذين تتباين شخصياتهم وطباعهم ومسالكهم فى الحياة ، ليكون اختيارها اقرب الى الصواب ..

وافهم كذلك الحيرة الأليمة التى تكتنف فتاة فى سن تفتح العواطف وارهاف الأحاسيس ، وقد قدّر عليها أن تحتجب فلا تختلط ، وفى البيت مذياع يردد على سمعها طيلة اليوم اغانى الحب والهوى .. و « تلفاز » يقدم لها صورا لفتيات مثلها ولكنهن متحررات، يختلطن بالرجال على قدم المساواة ، ويشاركنهم أعمالهم، وتتاح لهن فرصة اختيار الزوج على ضوء التعارف والتفاهم ..

ولكن ... ما الحيلة ؟

هنا يرتد بى الفكر الى الوراء اجيالا

.. ما الذى كانت تفعله جداتنا ؟
كانت جدتى تقول دائما ، كلما اثرنا حديث الحب وارتباطه بالسعادة الزوجية: « صدقونى يا أولاد .. الحب وليد المعاشرة .. والسعادة هى من صنع الانسان ! » .

وكانت تنطلق بعد ذلك ، تحدثنا عن الزواج فى ايامها : كانت الفتاة تزف الى رجل لم تره يوما ولا عرفت عنه اى شىء .. فاذا كانت عاقلة ، سارعت الى الاعتراف بالواقع ..

وكانت تدرك ان المجتمع ـ اذ ذاك ـ ينظر الى « الطلاق » نظرة قاسية ... ولا جدال فى ان ذلك المجتمع كان يتحيز الى الرجل ، ولكن .. هكذا كان ، ولم تكن لها حيلة ولا قوة لتغييره ..

واذن ، فلم يكن امام الزوجة الا ان تتكيف وفقا لهذا الوضع الذى فرضته عليها الحياة .. اذا لم يكن بوسعها ان تغير المجتمع ، فلتغير من نفسها هى لتتمشى مع هذا المجتمع .. ولتسعد ايضا فى هذا المجتمع برغم ظروفه ، فما كان من المعقول أن تقضى حياتها شقية تعسة .

وتستطرد جدتى فتقول :

.. ان اتجاه المراة الى التكيف وفقا للمجتمع والبيئة ليس دليلا على الضعف، وانما هو دليل على القوة .. انها تسعى الى الابقاء على الحياة الزوجية ، والى حمل زوجها على أن يحبها ، والى ان تسعد بهذا الزوج وبهذه الحياة ، برغم كل شىء .

كان اول ما تفعله العاقلة من النساء ان تحاول فهم زوجها ، وهى تعلم أن جمال الخلقة ليس كل شىء ، ولكن فى الانسان ـ أيا كان ـ نواح كثيرة اخرى للجمال ، غير الشكل والمنظر .. فعلى الزوجة التى تزوجت من رجل لم تعرفه من قبل ، أن تبحث عن هذه النواحى ، وأن تترك له هو ايضا فرصة للكشف عنها فى نفسها ، وأن تتجنب مبادرته بالنفور او الصدود او التمرد ..

ومن الفهم للزوج ، أن تتعرف طباعه، وان تسايره وفقا لهذه الطباع ، .. فاذا رات منه يوما جفاء،أو خشونة ، فلتتذكر أنه خارج البيت يخوض معركة كبيرة لانتزاع لقمة العيش .. ويلتقى بأشياء كثيرة قد لا تسره ، وقد لا ترضيه .. فهو يعود الى البيت منهوك الأعصاب ، مثقل الصدر .. اذا قدرت هذا ، سهل عليها ان تهون الامر على نفسها وعليه..

ان الزواج شركة بين الزوج والزوجة .. واذا كانت ظروف المجتمع الذى يعيشان فيه قد قضت بأن ينفرد الزوج بالعمل وكسب العيش ، وبأن تقتصر مهمة الزوجة على البيت، فلتقم بواجباتها كما ينبغى أن تقوم .. ولتحرص ما استطاعت على أن تقدم لزوجها ـ فى مقابل ما يقدمه ليعول الأسرة ـ لقمة هنيئة وبيتا مريحا ، وصحبة مؤنسة .

واى زوج يظفر بكل هذا من زوجته ، ثم لا يحبها ؟

واية زوجة بعد كل هذا الفهم والتفاهم، لا تجد ان المعاشرة تنتهى بها الى حب زوجها ؟

ومتى ولد الحب .. ولدت معه السعادة ! .

وبعد ..

ليس هذا دعوة الى المراة لتكف عن السعى فى الطريق .. ولا ان تكف عن طلب ما لها من حقوق ، ومن مثل تلك المكانة للمراة التى تجدها فى المجتمعات المتطورة .

ولكن هذه دعوة الى التى ابت عليها الظروف أن تنعم بما بلغته زميلاتها . دعوة الى ان تعالج حياتها بحكمة واناة ، حتى لا تشقى ولا تشقى زوجا فرض عليه المجتمع وضعه ، كما فرض عليها وضعها ..

وهى اذا اكتسبت حب الزوج، اكتسبت معه الثقة .. واذا اكتسبت الثقة ، استطاعت ان تخطو وئيدا ـ وبالاقناع والمحبة ـ الى نيل كل ما بلغته زميلاتها من حقوق .. ■■

سعاد ...

أمام الباب المغلق

للشاعرة فدوى طوقان



■ أحزانُ الأرض على كتفيّ وأهوالُ القـدَرِ الجبار
فافتحْ لى بابك قد وهنتْ كفّى وأنا أطرق بابكْ
أنا جئتُ رحابكَ أستجدى بعضَ سكينه
وطمأنينـه
لكنّ رحابكَ مغلقـةٌ في وجهِي غارقـةٌ في الصمتْ
ياربَّ البيـت
مفتوحـا كان الباب هنا أيامَ القلبُ خفيفٌ غـضْ
أيامَ المنزل مأوى المُتعَب والمسحوق بثِقْل الأرضْ
أنا أعرفه مفتوحا كان الباب هنا والزيتونـهْ
خضـراءَ تسامتْ فارعـةً تحتضن البيـتْ
والزيت يضـيء بلا نـارِ
يَهْدى في الليل خُطَى السارِى
يعطى المسحوق بثِقْل الأرضطمأنينـهْ
ورضـىً وسكينـهْ
هـل تسمعُنى يارب البيت ؟
أنا بعد ضياعى في الفَلَوات بعيدا عنك أعود إليكْ
لكنّ رحابكَ مُغلَقةٌ في وجهى غارقة في الصمتْ
لكنّ رحابك كاسية بتراب الموتْ
إن كنت هنا فافتح لى بابك لاتحجب وجْهكَ عنّى
وانظرْ يُتْمى وضياعى بين خرائب عالَميَ المُنهار
وعلى كتفِي أحزانُ الأرض وأهوالُ القَدَرَ الجبار

... ...

... ...

عبثـا ، عبثا ، لا رَجْع صدى ، لاصوت
... عودى ، لاشيء هنا غيرُ الوحشة والصمت وظل الموت .

■■

(٢)

قبيل الثورات العربية الحديثة وبعدها

نشرنا فى العدد الماضى الجزء الأول من هذا البحث . وفى المقال التالى يتحدث الكاتب عن الاصلاح الزراعى فى البلاد العربية الثلاث التى كانت قصة الأرض فيها موضوع مقاله السابق .

بقلم : عبد الرزاق الهلالى

المصرف الزراعى ـ بغداد

■ كانت مصر أسبق من غيرها من دول الشرق العربى فى التظاهر فى تشجيع الملكية الزراعية اذ اصدرت فى عام ١٩١٣ القانون رقم (٤) وهو قانون (الخمسة افدنة) الذى ارادت به حماية الملاك من نتائج كثرة استداناتهم من البنوك والمرابين ثم راحت هذه المحاولات تتسع حتى عام ١٩٣٩ عندما قامت وزارة الشؤون الاجتماعية بدراسة مشروعات الاصلاح الريفى واقامة المراكز الاجتماعية . ومع كل ما قدم كان الريف المصرى مثالا للاستغلال الفظيع . فقد كانت الظاهرة البارزة لنظام الارض فيها هى الافتقار المجسد للتكافؤ ، والزيادة المضطردة فى الاجحاف ، حتى أدى تضخم السكان فى الريف الى اتاحة المجال للمالكين لاستخدام سلطانهم الاحتكارى على الارض ولفرض اجور اعلى على المزارعين الذين يرغبون فى استئجارها .

اما فى العراق فقد ظلت الأمور على حالها من حيث سيطرة النظام العشائرى ، وخضوع الزراعة والعمل الزراعى الى العرف المحلى . وراحت دوائر التسوية تسجل المساحات الشاسعة باسماء الشيوخ والرؤساء والمتنفذين ، وقد جرت محاولة شبيهة بمشروع (الخمس افدنة) المصرى فى عام ١٩٣٦ ولكنها قبرت فى المهد وفى عام ١٩٤٥ قامت الحكومة بمشروع (الدجيلة) الذى قررت توزيع الأراضى فيه على صغار المزارعين وفق شروط معينة، ثم وسعت عام ١٩٥١ مدى شمول هذه الفكرة على جميع (الاراضى الأميرية الصرفة فى العراق) فاقامت مشاريع (الحويجة والمسيب الكبير وشهرزور ومخمور واللطيفية الخ) . ومن هذا يتبين للقارىء أن هذه الجهود انصرفت الى الاراضى الأميرية فقط دون أن تمس الملكيات الزراعية التى هى تحت تصرف أولئك الشيوخ والمالكين على الرغم من

تردّى أوضاع الفلاحين العاملين فى هـذه الملكيات، ولم تكن المحاولات الا محاولات فاشلة كما يقول (كين) لأن « تأثير هذه الينابيع لا يعدو أن يكون تأثيرا مخدرا فحسب ، ومعالجـة الازمة الطارئة بمثل هـذه الاصلاحات المخدرة انما تؤدى الى استفحال تلك الأزمة » .

اما فى سوريا فقد كان وضع الفلاحين،وما كانوا يلاقونه من اصحاب الملكيات الكبيرة من تعسف وعَنَتٍ وارهاق،أشدّ واقسى . فقد ظن الفلاحون أن زوال دولة الانتداب وقيـام عهد الاسـتقلال سيكون فاتحة عهد خير وبركة عليهم،الا أن حلمهم هذا توارى عندما انتقل الحكم الى أيدى كبار المالكين والرأسماليين تحت شعارات ظـاهرها الوطنية وتحرير الشعب ، ووافقها خلق امتيازات وقيود جديدة . حتى اذا تأزم الوضـع فى البلاد قام (حسنى الزعيم) بانقـلابه الذى اعلن فيه « انه جاء لتحـرير البلاد من الفساد والفوضى وتحرير الفلاحين من سلطة الاقطاع » . لكنه ما لبث أن تنكر لما وعد ، فجاء بعده حكم انبثق عن جمعية تأسيسية وضعت دستورا نصّ فى المادة (٢٢) على وجوب وضع قانون لتحديد الملكية الزراعية ولحماية الفلاحين ، ولكنه بقى حبرا على ورق . حتى اذا جاء (أديب الشيشكلى) زعم أنه قام لحماية الفلاحين وتحريرهم واعـادة حقوقهم اليهم فى أراضى الدولة . واصدر من أجل ذلك المرسوم رقم (٩٦) لسنة ١٩٥٢ ، الا ان هذا المرسوم أُلغى فيما بعد عندما ظن أن الامر استتب له . فلما انتهى حكم الشيشكلى راح الفلاحـون يطالبون بوضع حد لمآسيهم واعادة حقوقهم اليهم، ولكن بدون جدوى . وفى عام ١٩٥٧ وفى جلسـة ٤ آذار ١٩٥٧ ، أثير موضوع (تهجير الفلاحين) المستمر من قراهم ذلك الذى كان يقوم به رجال الاقطاع ، وحاول بعضهم وضع تشريع يمنع به هذا التهجير، الا أن اكثرية نواب المجلس انسحبت لأن فى ذلك تعارضا مع مصالحهم .

وهكذا لم تكن الحكومات السورية تهتم بانقاذ الفلاحين من هذه المظالم على الرغم من التطـور الذى حدث فى الأقطار العربية الأخرى .

فى مصر ، بعد الثورة

ولما قامت فى مصر ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ واقتلعت النظام الملكي من جذوره كان موضـوع الاصلاح الزراعي فى مقدمة الأهداف التى صمم قادتها على تحقيقها ، اذ لم تكد تمضى ستة أسابيع على قيام هذه الثورة حتى صدر قانون الاصلاح الزراعي رقـم (١٧٨) لسـنة ١٩٥٢ . وقالت المذكرة الايضاحية له بانه « قد حان الوقت اخيرا لتنفيذ الاصـلاح فى مصر كاساس لاعـادة بنيـان المجتمع المصرى على اسس جديدة توفر لكل فرد من جمهرة الشعب حياة تحوطها الحرية والكرامة، وتقضى على البون الشاسع بين الملاك ، والفوارق العميقة بين الطبقات ، وتزيل سببا من اسباب القلق الاجتماعى والاضطراب السياسى » .

واصبح بموجب هذا القانون « لا يجوز لأى شخص أن يمتلك من الاراضى الزراعية أكثر مـن ٢٠٠ فدان». الا أن هذا الحدّ قد خفض بموجب القانونين رقم ٢٤ لسنة ١٩٥٨ ورقم ١٢٧ لسـنة ١٩٦١ ــ فاصبح « لا يجوز لأى فرد أن يمتلك من الأراضى أكثر من ١٠٠ فدان » .

ونتيجةً لتطبيق قانون الاصلاح الزراعي الأول تم الاستيلاء على مساحة قدرها ٤٧٩٢٣٩ فدانا ، وُزّعت على ١٨٨٢١٧ أسرة من الفلاحين ، كمـا « سيترتب ــ بعد تنفيذ القانون رقم ١٢٧ لسـنة ١٩٦١ ــ الاستيلاء على نحو ....د...٣ فدان لتوزع على فلاحين آخرين » .

فى العراق ، بعد الثورة

ثم قامت ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ وهدّت هى الأخرى النظام الملكي فى العراق من اساسه ، وجعلت الاصلاح الزراعي الهدف الأول، لها لأنها رأت فى تحقيقه القضاء على الاستعمار، وعلى النظام الشبه الاقطاعى فى البلاد ، وضمان العدالة بين أبناء الشعب كافةً ، وتحريرهم من عوامل الفقر وأسباب الخوف ، وتخليصهم من الجهـل والمرض .

ولذلك لم يكـد يمضى على الثورة شـهران ونصف ، حتى صدر قانون الاصلاح الزراعى رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ، الذى بموجبه تحددت الملكية الزراعيـة بحيث « لا يجـوز أن تزيد مسـاحة الأرض الزراعية التى تكون مملوكة لشخص مفوضة له بالطابو أو ممنوحة باللزمة عن ١٠٠٠ دونم من

الاراضي التي تسقى سيحا او بالواسطة او ٣٠٠٠ دونم من الاراضي التي تسقى دَيْما » .

وهكذا وبموجب هذا القانون تم الاستيلاء على (٦ ملايين) و (٣٦٠ الف) دونم منذ مباشرة العمل به حتى يوم ١٩٦٣/٩/٣٠ وقد وزعت منها مساحة قدرها (١/١٢٥/٤٠٠) دونم على (٣٦٦١٠) أسرة فلاحية .

في سوريا ، بعد الثورة

اما الاصلاح الزراعي في سوريا فقد كان هو الاخر هدف الشعب الأول اذ لم تكد تقوم الوحدة بين القطرين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ حتى اصدرت حكومة الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ ٧ أيلول ١٩٥٨ قانون الاصلاح الزراعي رقم ١٦١ وبموجبه حددت الملكية الزراعية في الاقليم السوري على الوجه الآتي :

١ ـ لا تزيد الملكية الزراعية عن ٨٠ هكتارا في الأراضي المروية والمشجرة .

٢ ـ لا تزيد الملكية الزراعية عن ٣٠٠ هكتار في الأراضي البعلية .

فلما تم فصم عرى الوحدة بين القطرين في ٢٨ أيلول ١٩٦١، وقيام الجمهورية العربية السورية، اكدت قيادة الانقلاب على التمسك « بمبادىء الاصلاح الزراعي باعتباره أساسيا في زيادة الانتاج القومي وتعلق سكان الريف بالأرض تعلقا وثيقا ». غير ان ذلك التأكيد لم يكن جادا ، لأنها نسفته بالقانون رقم ٣ حتى اذا حدث الانقلاب على الانقلاب في يوم ٢٨ آذار ١٩٦٢ قال قائد الانقلاب الجديد « لقد تسللت بعض العناصر .. وتمكنت من تعطيل سائر التشريعات والقوانين والأنظمة التي حققت وضمنت مكاسب الفلاحين والعمال وبقية فئات الشعب ، فراحت هذه العناصر تصدر التعليمات والأوامر التي تناقض التشريعات والقوانين ، وتعمل على ضرب الفلاحين وطردهم من قراهم ، وانتزاع أراضيهم منهم ، وحملهم على تركها والهجرة منها ، واعادة سيطرة انصارهم ومحاسيبهم وأعوانهم ، فهدمت بيوت الفلاحين على رؤوسهم ، واحالت أراضيهم المزروعة بعرقهم ودمهم وجهودهم الى خراب » .

ولما جاءت الحكومة الجديدة أعلنت بتاريخ ٢١ نيسان ١٩٦٢ عن عزمها على الغاء القانون رقم (٣) والعودة الى القانون رقم ١٦١ لعام ١٩٥٨ وأصدرت فعلا المرسوم التشريعي رقم ٢ بتاريخ ٢ أيار ١٩٦٢ . وبموجب هذا المرسوم رفع الحد الأعلى للملكية الزراعية في الأراضي البعلية في محافظات الحسكة ودير الزور والرشيد الى ٤٥٠ هكتارا بدلا من ٣٠٠ هكتار .

ثم قامت ثورة (٨ آذار ١٩٦٣) فاطاحت بنظام الحكم الانفصالي فاعلن المسؤولون الجدد بأن هدف الحكومة « تقويم الاصلاح الزراعي وازالة التشويهات التي الحقتها تشريعات عهد الانفصال وكادت تمحو معالمه الاشتراكية » .

وبتاريخ ١٩٦٣/٦/٢٣ أصدر المجلس الوطني لقيادة الثورة المرسوم التشريعي رقم ٨٨ الذى حددت فيه الملكية الزراعية على الوجه الآتي :

لا يجوز لاى شخص ان يملك اكثر من :

١ ـ في الأرض المروية .

(أ) ١٥ هكتارا في منطقة الغوطة .

(ب) ٢٥ هكتارا في منطقة الساحل .

(ج) ٢٥ هكتارا في منطقة البطحية وتوابعها .

(د) ٤٥ هكتارا فيبقية الأراضي المروية بالراحة.

(هـ) ٥٠ هكتارا في الأراضي التي تروى بالرفع باي واسطة من الأنهر .

(و) ٥٥ هكتارا في الأراضي التي تروى من مياه الآبار في محافظات الحسكة ودير الزور والرقة .

(ز) ٤٥ هكتارا في بقية الأراضي التي تروى بالرفع .

٢ ـ في الأراضي البعلية المشجرة بالزيتون والفستق الحلبي .

(أ) لا تزيد عن ٣٥ هكتارا في محافظة اللاذقية.

(ب) لا تزيد عن ٤٠ هكتارا في بقية المحافظات .

٣ ـ في الأراضي البعلية .

(أ) لا تزيد عن ٨٠ هكتارا في المناطق التي يزيد فيها معدل الامطار عن ٥٠٠ مليمتر .

(ب) لا تزيد عن ١٢٠ هكتارا في المناطق التي يتراوح فيها معدل الامطار بين ٣٥٠ر٥٠٠ مليمتر.

(ج) لا تزيد عن ٢٠٠ هكتار في المناطق التي يقل فيها معدل الامطار عن ٣٥٠ مليمترا .

وترفع هذه المساحة الى ٣٠٠ هكتار في محافظات الحسكة ودير الزور والرقة .

تلك هي القواعد القانونية التي استقر عليها

العمل فى تحديد الملكية الزراعية فى هذه الأقطار الثلاثة حتى اليوم .

ماذا وراء الاصلاح الزراعى ؟

ومهما يكن من شيء فان « الاصلاح الزراعى » بمفهومه الحديث لم يعد عملا يقتصر على توزيع الأرض على صغار الفلاحين فحسب انما هو ينادى بسياسة شاملة لا تقتصر على فرصة تملك الأرض فقط بل تشمل مختلف الاجراءات الضرورية لمساعدة الفلاحين عن طريق منحهم ضمانة فى حالة التملك واتاحة انظمة افضل لتقديم القروض لهم وتقديم التسهيلات التسويقية والخدمات الاستشارية والثقافية والزراعية وما شابهها وعلى هذا يعتبر (الاصلاح الزراعى) اليوم سياسة زراعية بالاضافة الى كونه سياسة اجتماعية تهدف الى خدمة المجتمع الريفى خدمة شاملة .

ومما لا شك فيه ان السياسة الزراعية (فى البلدان التى تعتمد على الزراعة بصفة اساسية) جديرة بأن تكون من أهم العوامل ان لم تكن أهمها جميعها فى تحديد المستوى الاقتصادى للشعب ــ لأن الظروف التى تحيط بالزراعة من عدل أو ظلم فى توزيع ملكية الأرض وما تتميز به من حكمة او سوء تدبير فى تنظيم وسائل الانتاج وما تؤدى اليه من زيادة المنتجات الزراعية او قلتها وتنويع المحاصيل او اقتصارها على عدد قليل منها كل ذلك جدير بأن يحدد عدالة توزيع الدخل الزراعى وكفاية الزراعة أو عجزها عن انتاج الخدمات اللازمة للتقدم الصناعي وزيادة أو ضعف القوة الشرائية للفلاحين ورواج أو كساد الصناعة فى الدولة وارتفاع أو انخفاض مستوى معيشة ابنائها ومستواهم المعاشى والثقافى .

الاصلاح الزراعى بعد التطبيق

لم يكن الطريق معبدا أمام المسؤولين الذين اعلنوا المباشرة بتطبيق قانون الاصلاح الزراعي فى هذه الأقطار اذ كان مليئا بالاشواك والمتاعب والتفاعلات المتشابكة الأطراف . ولكن هذه المتاعب والعقابيل تختلف شدة وضعفا وتقل أهمية وشأنا بين دولة وأخرى تبعا لما صاحب التطبيق فى كل منها من تفاعلات وتطورات سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة ، ففى مصر راحت حكومة الثورة بكل اندفاع وتصميم تطبق هذا القانون يدفعها ايمانها بضرورة انقاذ اكثرية الشعب مما هم فيه من فقر وجهل ومرض ولانها ترى أن الوقت قد حان لاعادة بنيان المجتمع المصرى على أسس جديدة ، توفر للمواطنين حياة تحوطها الحرية والكرامة . وها قد مرت عشر سنوات على تطبيق هذا القانون والعمل جار بكل قوة واندفاع لتحقيق الأهداف المرجوة منه .

وقد كفلت الهيئة العامة للاصلاح الزراعى امكانيات الاستغلال الزراعي لمن وزعت عليهم الأرض وقامت بتوفير الموظفين الفنيين ذوى المؤهلات لخدمتهم فضلا عن توفير المرافق الصحية والاجتماعية والثقافية وهيات المساكن الصالحة لهم ، وتطبيقا لفكرة العمل التعاونى فقد قامت (٢٧٥) جمعية تعاونية محلية و (٥٤) جمعية تعاونية مشتركة حتى نهاية عام ١٩٦٢ نال الأعضاء فيها كل مساعدة وعون .

واذا اضفنا الى ما تقدم جهود الحكومة فى استصلاح الأراضى وما ينتج من انجاز السد العالى ومشروع تجميع الحيازات الضئيلة المتناثرة تبين لنا سعي الحكومة فى منح أكبر عدد من الفلاحين الارض ورغبتها فى زيادة الانتاج وتنويعه ورفع الدخل القومي . ليتسنى لها التخلص من آثار المشكلتين البارزتين فيها الا وهما :

١ ــ ضيق الأرض الزراعية وعدم قدرة الأرض الصالحة للزراعة على ضمان العيش للسكان الذين يتكاثرون بسرعة رهيبة .

٢ ــ التخلف الصناعي الذى يضطر السكان الزائدين عن حاجة الزراعة من الطاقة البشرية الى الاستمرار فى كسب عيشهم من الزراعة .

وقد بذلت حكومة الجمهورية العربية المتحدة كل ما فى طاقتها فى هذا السبيل وهى سائرة بكل جد لوضع حد لآثارها لا سيما بعد صدور القوانين الاشتراكية المشهورة .

اما فى العراق فقد جاء قانون الاصلاح الزراعى فيه بنفس الأسس والأهداف التى جاء بها قانون الاصلاح الزراعى فى مصر تقريبا الا أن الظروف والتفاعلات والتطورات السياسية التى طرأت على حكومة الثورة وتسلط النفوذ الشيوعي على بعض الأجهزة التى اوكل اليها امر تطبيقه قد أدخلت البلاد فى دوامة من المشاكل والمصاعب ولم يعد

(الاصلاح الزراعى) فى نظر معظم العاملين فى الزراعة الا مصدرا لعرقلة الزراعة فى البلاد عامة فلما قامت ثورة (١٤ رمضان ١٩٦٣) قال وزير الاصلاح الزراعى الجديد :

(ان ثورة ١٤ تموز قامت لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية أهمها تحقيق العدالة الاجتماعية فى القطاع الزراعى وبناء على ذلك شرع قانون الاصلاح الزراعى ولكن قيام الحكم الدكتاتورى الأسود وما رافقه من فوضى سياسية فى البلاد اوجد عقبات كبيرة فى طريق تنفيذه بشكل مثمر فجاء التنفيذ بطيئا ومشوبا بكثير من الأخطاء والمغالطات وقد قامت ثورة ١٤ رمضان لتصحيح الانحراف الذى طرأ على خط سير ثورة ١٤ تموز) .

ونظرا للاضطراب والفوضى التى شملت العمل الزراعي فقد أصدرت الحكومة قانون حماية الانتاج الزراعى رقم ٩٩ لسنة ١٩٦٣ ولكنها مع هذا لم تستطع الوصول الى ما يهدف اليه قانون الاصلاح الزراعى فى زيادة الانتاج ورفع مستوى حياة صغار المزارعين والفلاحين أو مساعدتهم صحيا وثقافيا واجتماعيا المساعدة المرجوة ،حتى اذا حل يوم (١٨ تشرين الثانى ١٩٦٣)قام الجيش العراقى بحركته المشهورة لتصحيح الأوضاع من جديد فأكد المنهاج الوزارى للحكومة الجديدة قائلا (ستعمل الحكومة على تطبيق الاصلاح الزراعى بعد تعديله بما يضمن مصالح الزراع تطبيقا سليما وحازما يؤمن القضاء على مصادر التخلف الاقتصادى والاجتماعى والصحى والثقافى فى الريف) .

وهكذا مرت (خمس سنوات) ولم يعد للبلاد من نتائج الاصلاح الزراعى الا ما أكد عليه المسؤولون أنفسهم من انحراف عن أهدافه وقلة فى الانتاج وفوضى فى الوسط الزراعى ادت بالعراق (وهو المصدر للحبوب) الى أن يستورد الحنطة من الخارج لضمان قوت أبنائه .

ولعل فى ضمان الهدوء والاستقرار واستتباب الأمن والقضاء على الفوضى وجعل القانون رائد الجميع فى المناطق الزراعية وهو ما تسعى الحكومة على تحقيقه سيتيح للمسؤولين فى الاصلاح الزراعى الفرصة للسير بجد واخلاص للوصول الى ما يصبو اليه قانون الاصلاح الزراعى من أهداف .

أما فى سوريا فان حصيلة تطبيق قانون الاصلاح الزراعى تكاد تكون شبيهة بما حدث فى العراق ان لم تكن أكثر اضطرابا وتعقيدا ، فمنذ أن قام الانفصال حتى اليوم والاصلاح الزراعى ما بين مد وجزر ما دام ذوو المصالح والغايات المركزة من رجال الاقطاع وتجار السياسة قد وجدوا فى التطورات والأحداث السياسية التى قامت بعد ٢٨ أيلول ١٩٦١ حتى اليوم المنفذ الذى ينفذون منه لعرقلة عمل الاصلاح الزراعى وهكذا كتب للفلاح أن يظل على ما كان عليه ان لم يكن قد تعرض لمشاكل نتيجة تلك التفاعلات .

وان صدور قانون الاصلاح الزراعى الجديد الذى صدر بعد ثورة (٨ آذار ١٩٦٣) قد جاء بأسس جديدة كما رأينا ولذلك لا بد من مرور فترة أخرى لمعرفة نتائج تطبيقه .

خاتمة وأمل ورجاء

وهكذا وبهذه الصفحات القليلة العدد لخصنا للقارىء الكريم الأسباب التى حملت المسؤولين فى هذه الأقطار على تطبيق قانون الاصلاح الزراعى وألقينا ضوءا على التفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى كل قطر منها وما تسبب عنها من ردود فعل فى حقل العمل الزراعى وهى على كل حال تتفاوت كما رأينا بين قطر وآخر ... وكان لاستقرار الوضع السياسى فى مصر وتوافر العناصر الفنية المتخصصة فى جميع مراحل العمل الزراعى وتنظيم شؤون الرى والصرف وسيطرة القانون والصرامة فى تطبيقه بحق المسيئين ، كان لهذه العوامل وغيرها الأثر الكبير فى السير قدما بتحقيق كثير من الأهداف التى جاء بها القانون خلال السنوات العشر الماضية .

واننا لنرجو مخلصين ان يسود الهدوء والاستقرار المناطق الزراعية فى كل من العراق وسوريا بعد تلك الرجات والانحرافات التى حدثت خلال السنوات الماضية ليكون القانون رائد الجميع فى العمل على تحقيق العدالة الاجتماعية والوصول الى الغايات النبيلة التى شرعت من أجلها قوانين الاصلاح الزراعى فى هذه البلاد .

■■

بغداد : عبد الرزاق الهلالي



دردشة

أسباب عجيبة موجبة للطلاق ..!

● **حينما** طلبت النجمة السينمائية الطلاق من زوجها لامتناعه عن الضحك على النكات التى تقولها علق القاضى على طلب الطلاق بما يلى :

« ان من المحال أن تسعى الزوجة للانفصال عن الزوج لمجرد انه لا يرى فى تعليقاتها ما يثير الضحك، وانى شخصيا أجد هذه النكات أبعد ما تكون عن اثارة الضحك » .

واستطرد القاضى قائلا : « اننا نعيش فى زمن عجيب حقا ، واذا ما قدر لمثل هذه القضايا ان تنجح ، فانه سيُطْلَب عما قريب من القضاة ان يمنحوا الطلاق لأن الشريك يشخر فى نومه او يتلعثم أويتهته فى كلامه ، أو لأنه يسرح شعره على الجانب الذى لا ينال استحسان الزوجة » .

● ومن المحتمل أن لا يكون ذلك القاضى على علم بأن طلبا للطلاق قد قدم فعلا للمحاكم على أساس أن الزوجة كانت تتهته . وقد حصل هذا فى مدينة شيكاغو اذ طلب شاب بولندى الطلاق من زوجته الأمريكية الجميلة لأنها كانت تتهته حينما تنطق اسمه ، وشكا الزوج من أن اسمه يبدو غريبا شاذا حينما تنطق به زوجته .

● **وقدم** رجل أعمال من ميامى طلبا للطلاق لأن احدى عينى زوجته كانت تؤلمها ، وكان الألم يجعلها تغمز بعينها مما أوقعها فى مشاكل أثارت غيظ الزوج ، اذ ادعى بأنه كان يتورط مرة فى الأسبوع على الأقل فى شجار مع الرجال الذين كانوا يخطئون ويفسرون غمز الزوجة على أنه دعوة للمعاكسة والغزل .

● **وادعى** تاجر من بورتسموث ، أثناء نظر دعوى الطلاق ، أن زوجته تصر على أن تضع ببغاءها الصغير فى الفراش الذى ينام فيه الزوجان .

● **وورد** فى بعض التقارير التى نشرت مؤخرا عن الطلاق أن زوجة طلبت الطلاق من زوجها لأنه كان يرمى ملابسه كيفما اتفق على الأرض دون نظام أو ترتيب ، ولا يعلقها على المشجب .

تعريفات

الأعزب : من لا يجد من يلوم غير نفسه .

الجاذبية : القدرة على جعل شخص آخر يعتقد بأن كليكما مدهش .

رجل الأعمال : هو الذى يحصى النجوم لكى يودعها فى البنك .

الخبرة : هى المبرر للوقوع فى أخطاء جديدة عوضا عن تكرار الأخطاء السابقة .

اللباقة : القدرة على خلق الشعور لدى الضيوف بأنهم فى بيتهم عندما تتمنى لو كانوا هناك فعلا .

الزوج المثالى : الرجل الذى يعامل امرأته كما يعامل سيارته الجديدة .

رخصة الزواج : هى الشهادة التى تعطى المرأة حق القيادة .



مقابلة ناجحة

● قبل انضمام جون هاى الدبلوماسى الأمريكى الشهير الى نقابة المحامين استدعى امام لجنة من المحامين البارزين للمقابلة . وحاول احد أعضاء اللجنة احراج المحامى الشاب بالأسئلة فسرد على مسمعه قضية معقدة بكل تفاصيلها ودقائقها وقال للمحامى : لنفرض ان احد الزبائن جاء يوكلك فى قضية كهذه فماذا تقول له ؟ .

ارتبك المحامى الشاب ووقع فى حيرة ولكنه تدارك الموقف وقال لعضو اللجنة السائل : « اننى اطلب ٥٠ دولارا مقدم اتعاب ، واطلب منه ان يأتى فى اليوم التالى الى مكتبى مرة أخرى » .

وقبلَ جون هاى عضوا فى النقابة .

يشنق بعد وفاته !!

● بعد تولى شارل الثانى ملكَ بريطانيا ، أمر باخراج جثة أوليفر كرومويل من القبر ، وعلقه مشنوقا مدة اسبوع ، وذلك انتقاما لوالده شارل الأول الذى كان كرومويل قد اعدمه سنة ١٦٤٩ .

التأهيل الصحيح قبل الالتحاق بالعمل

● لا احد يفكر فى التقدم لشغل اى وظيفة قبل أن تكون لديه خبرة سابقة .. حتى فى ابسط الحرف والمهن والأعمال الكتابية .

ومع هذا فكم من فتاة فكرت فى تلقى دورات تدريبية فى أعمال المنزل لاعداد نفسها لوظيفتها الاجتماعية .. الا وهى الزواج ؟!

انك لو ذهبت الى اى مكتب من المكاتب ، حيث تعمل الفتيات ، تجدهن بدون استثناء قد تعلمن الطباعة والاختزال واللغات وأعمال السكرتارية .. قبل الالتحاق بالعمل .. ولكن واحدة منهن لم تفكر فى تعلم الطبخ والكى والغسل .. قبل الالتحاق بالزوج ..

أبو الحسن الشاذلي وخليفته أبو



... ووصل الشيخ أبو الحسن ، وصحبه وركبه الى عمود السوارى ، ودخلوا الاسكندرية من باب سدره ..

العبادة عند الشاذلي عمل وسعي وليست بطالة ولا تسكعًا ولا شططًا

بقلم الدكتور جمال الدين الشيال

المستشار الثقافي في سفارة ج . ع . م في الرباط

في العدد السابق تحدث الكاتب عن « أبي الحسن الشاذلي » وما تعرض له من محن في تونس والمغرب ومصر ، ثم عودته الى تونس وهو يقول : ما ردني الى تونس الا هذا الشاب « يقصد تلميذه وصفيه وخليفته أبا العباس المرسي » .. وفي هذا المقال ما تلا ذلك من سفرة ثانية الى مصر وما جرى له حتى فارق الدنيا .



العباس المرسى

عاد أبو الحسن الشاذلي الى تونس ، بعد أن هجرها للحج ، وضيقا بمؤامراتها ، وذلك لسببين . أولهما الوفاء بوعده لسلطانها أن يعود . وثانيهما أن يلتقى بتلميذه وصفيه وخليفته أبي العباس المرسى .

قال أبو الحسن : **ما ردّنى الى تونس الا هذا الشاب .**

أبو العباس المرسى

كان أبوالعباس المرسى قد خرج من مدينته سبته(١) هو وابوه وامه واخوه، فى سنة ٦٤٠ هـ . يقصدون الحج ، وحملتهم سفينة عبر البحر الابيض ، ولكن السفينة غرقت بالقرب من بونة (٢) ، وقدّر لابى العباس واخيه أن ينجوا من الغرق ، فاتجها الى تونس واقاما بها الى ان عاد اليها أبو الحسن الشاذلى رجلا من بعد ان كان عرفها طفلا ، فتعرف اليه أبو العباس ، ولازمه منذ ذلك الحين .

أبو الحسن يقضي فى تونس سنتين يتهيأ فيهما لمغادرتها نهائيا الى الاسكندرية

ولم يقم الشيخ ابو الحسن فى تونس طويلا هذه المرة ، بل سرعان ما صحب تلميذه ومريديه ورحل نهائيا الى مدينة الاسكندرية فى سنة ٦٤٢هـ.

ولمقابلة التلميذ بالشيخ قصة يعنينا منها أن نعرف ان ابا الحسن كان يترقب هذه المقابلة ، وانه كان قد أُلقىَ اليه خبر أبي العباس واتصاله به منذ أمد طويل، فقد قال لابى العباس فى ختام مقابلته الاولى له :

« رُفِعتَ الىّ منذ عشر سنين » .

وبعد ان تحققت النبوءة لم يعد هناك ما يربط الشيخ بتونس ، لهذا لم يمكث بها هذه المرة غير سنتين ، وعمل خلالهما على تصفية اموره ، فباع داره بها ثم أعد العدة للرحيل الى الشرق ، وكان هذا تحقيقا للجزء الأخير من نبوءة أستاذه ابن مشيش التى كان قد ختمها بقوله : « وبعد ذلك تنتقل الى بلاد الشرق وترث القطبانية » .

وفى سنة ٦٤٣ هـ اذن له النبى صلى الله عليه وسلم بالانتقال الى مصر ، فقد روى عن الشيخ انه قال : « رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : يا على انتقل الى الديار المصرية فانك تربى فيها أربعين صديقا » .

الشاذلى يرحل هو وأتباعه وأبو العباس المرسى ، الى الاسكندرية فى موكب يتزايد عدده فى الطريق

وكان الشاذلى قد مر بالديار المصرية مرارا اثناء روحاته السابقة الى الحج وغدواته منه ، وقد

١ـ مدينة فى المغرب على البحر المتوسط عند بوغاز جبل طارق
٢ ـ بونة أو عنابة مرفأ فى مقاطعة قسنطينة فى الجزائر

أعجب ولا شك أشاء زياراته هذه بمدينة الاسكندرية، ولهذا آثر أن يحط رحاله بها ، وكان فى صحبته عند رحيله عدد كبير من تلاميذه ومريديه الذين آثروا صحبته على البقاء فى أوطانهم ، وكان فى مقدمتهم تلميذه الأثير أبو العباس المرسى ، وخادمه الأمين أبو العزائم ماضى بن سلطان ، والحاج محمد القرطبى ، وأبو عبد الله البجائى ، وأبو الحسن البجائى ، والخراز وغيرهم كثيرون . وكان الركب وهو فى طريقه الى الاسكندرية يتزايد عدده كلما مر بمدينة من المدن ، فينضم اليه الأتباع والمريدون يؤثرون الرحلة مع الشيخ على البقاء فى أوطانهم ، يلتمسون فى صحبته البركة ، وكانوا أثناء السير يتسابقون على القرب من دابته، ويقضون الوقت فى السمر والحديث اللطيف ، وعين الشيخ ترقبهم من بعيد ، وأذنه تستمع الى حديثهم فيشاركهم مرة ويعلن اعجابه بما يسمع مرة أخرى .

ابو الحسن يتسمع لرجلين والموكب سائر الى الاسكندرية

روى صاحب المفاخر العلية أن رجلين كانا يمشيان قريبا من دابة الشيخ يستظلان برحله . « فقال أحدهم للآخر يعاتبه : « يا فلان ، رأيت فلانا يسىء معك العشرة وأنت له محسن ؟ فقال صاحبه ان فلانا هذا من بلدى ، وأنا أتمثل فى معاملتى اياه بقول مجنون ليلى :

رأى المجنون فى البيداء كلبا
فجرّ له من الاحسان ذيلا

فلاموه على ما كان منه
وقالوا كم أنلت الكلب نيلا

فقال دعوا الملامة ان عينى
رأته مرة فى حى ليلى

وسمع الشيخ ـ رضى الله عنه ـ حديث الرجلين ـ فأعجبه ، وأخرج رأسه من المحارة وقال للرجل : « أعدْ يا بنى ما قلت » ،

فأعاد الرجل مقالته ، فاهتزت نفس الشيخ طربا وأخذ يتمايل فى مكانه وهو يردد البيت الأخير :

فقال : دعوا الملامة ان عينى
رأته مرة فى حى ليلى

ثم خلع غفارته وألقاها الى الرجل وقال له :

« خذها يا بنىّ والبسها فأنت أولى بها منى، جزاك الله يا بنى على حسن عهدك » .

هذه القصة الطريفة تدل على أن الشيخ كان ذا ذوق أدبى رفيع يطرب للقول الجميل والمعنى السامى ، كما تدل على الأسلوب الذى كان يصطنعه لتأديب مريديه وأتباعه ، فهو لا يترك فرصة ـ وان كانت عارضة ـ الا انتهزها للمكافأة على الخلق الكريم ليتسابق الكل فى التحلى به والاقتداء بصاحب المكافأة .

أبو الحسن وصحبه يدخلون الاسكندرية

وقد وصل الشيخ أبو الحسن وركبه وصحبه الى عمود السوارى ودخلوا الاسكندرية من باب سدرة المقابل لهذا العمود ، واتخذ الشيخ له دارا يقيم فيها بالقرب من كوم الديماس ، كوم الدكة الحالى .

وبدأ الشيخ يلقى دروسه ويعقد الحلقات يعظ الناس ويدعو الى طريقته ومبادئه ، وجذبت اليه الدروس والمواعظ الجلة من علماء المدينة وفقهائها وفضلائها فلازموه ملازمة تامة ، وقد صار هؤلاء التلاميذ فيما بعد قادة الحياة الفكرية والروحية فى المدينة ، نذكر منهم تلميذه الأثير أبا العباس المرسى ، والشيخ مكين الدين الأسمر ، والشيخ عبد الحكيم بن أبى الحوافر ، والشيخ أبا القاسم القبارى ، والشيخ أمين الدين جبريل ، والشيخ ابن المنير، والشيخ شرف الدين البونى ، وكثيرين غيرهم .

وكان الشيخ يعقد حلقات درسه فى مسجد العطارين ، وهو أقرب المساجد الى داره ، وروى صاحب « المفاخر العلية » أن الشيخ كان يعقد كل ليلة فى داره مجلسا يأتى الناس اليه من البلد يسمعون كلامه .

عند الشاذلى : ان الصوفية ليست رهبانية ، ولا لبس المرقع من الثياب

وقد أخذ الشيخ أبو الحسن الشاذلى تلاميذه ومريديه بالمبادىء المثلى فى التصوف ، فهو لم يكن يفهم التصوف كما كان يفهمه بعض معاصريه وبعض المتدروشين حتى اليوم على انه بطالة تامة بحجة

الزهد والتفرغ للعبادة ، بل كان يفهمه على أنه صفاء تام فى النفس وتقوى خالصة لله وحب لله تعالى وتعلق به وارتفاع بالروح وبالعمل وبالقول عن الدنايا .

وان هذا كله لا يمكن ان يقعد بالانسان عن السعى والعمل وطلب الرزق . وكان يكره من المتصوفة التظاهر بالفقر فهو نوع من الادعاء ، ولكي يضرب لاتباعه المثل والقدوة كان يحيا هو حياة نظيفة منعمة ، فكان يلبس فاخر الثياب ، ويركب فاره الدواب ، ويتخذ الخيل الجياد . وكان يكره ان يلبس الصوفيةُ الملابس المرقعة التى اصطلح الفقراء واهل الطريق على لبسها ، لانه كان يرى ان هذا اللباس ينادى على صاحبه : أنا الفقير فأعطونى شيئا ، وينادى على سره بالافشاء ومن لبس الزى واتخذ المرقعة فى رأيه فقد ادّعى . ومن اقواله :

« ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة ، وانما هو بالصبر على الأوامر واليقين فى الهداية » ، « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » .

ودخل على الشيخ أبى الحسن مرة فقير عليه ملابس شعر ، فلما فرغ الشيخ من كلامه ، دنا منه ذلك الفقير وأمسك ملابسه وقال :

« يا سيدى ما عُبِد الله بهذا اللباس الذى عليك ؟ » .

فأمسك الشيخ بملابس الفقير فوجد فيها خشونة فقال له :

« ولا عُبِدالله بهذا اللباس الذى عليك ، لباسى يقول للناس أنا غنى عنكم فلا تعطونى ، ولباسك يقول أنا فقيرٌ اليكم فأعطونى » .

عند الشاذلى : ان العبادة عمل وسعى، لا بطالة وتسكع

وكان أبو الحسن يدعو اتباعه الى العمل والسعي ، ويكره المريد المتعطل الذى يركن الى البطالة ويرتزق من سؤال الناس ، فالاسلام دين عزة وكرامة وجد وعمل ، وهذه الطريق الصوفية فى رأيه لا يجب أن تخرج عن التعاليم الأساسية للاسلام . وان كان لها من هدف بعد هذا فانما هو الدعوة الى صفاء النفس وتقوى الله ، بل انه كان يغالى فيرى فى العمل نوعا من العبادة بل هو خير عبادة . انه التسبيح الدائم باسم الله . لهذا كان يقول لمريديه :

« عليكم بالسبب – أى العمل والسعى وراء الرزق – وليجعل أحدكم مكّوكه (٣) سبحته ، أو تحريك أصابعه فى الخياطة أو الضفْر سُبحته» .

وقال ابن عطاء الله السكندرى :

«كان الشيخ أبو الحسن يكره المريد المتعطل ، ويكره أن يسأل تابعُه الناس . وقد كان جوادا بما يملك ، وكريما يكره البخل ، ويحثُّ على طرق باب الأسباب والعمل » .

وعند الشاذلى : العبادة ليست شططا

وكان الشيخ يرى ان عبادة الله لا تستلزم أن تشق على نفسك وتعذبها وتكلفها من امرها شططا، فانك اذا حمدت الله وأنت متألم مما بك من فقر وفاقة ، أو مما تحس من تقشف وخشونة ، فان حمدك يكون مشوبا بالمرارة والضيق . ولكنك لو حمدته ونفسك راضية مرضية بما يحيط بك من نعم الله الوفيرة ، وروحك هادئة مطمئنة بما هو مبسوط لديك من خيرات الله العميمة ، فان حمدك يكون صادرا من القلب والنفس والروح والجسم جميعا ، بل ان كل عضو من اعضائك يشارك فى هذا الحمد، وما أجمل قول أبى الحسن فى هذا المعنى :

« يا بنى : برّد الماء ، فانك اذا شربت الماء الساخن فقلت الحمد لله تقولها بكزازة ، واذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله ، استجاب كل عضو فيك بالحمد لله » .

أبو الحسن يتنقل بين مدن مصر الكبرى

لم يقصر أبو الحسن الشاذلى نشاطه العلمى والروحى على مدينة الاسكندرية وحدها ، بل كان دائم الرحلة الى المدن المصرية الكبرى ، فتردد اول ما تردد على مدينة دمنهور اقرب المدن الى الاسكندرية.وقد زوّجابنته رُقَيّة الىرجلفاضل

---

(٣) المكوك آلة فى الحياكة .

من اهلها هو الشيخ علي الدمنهوري . ثم زار دمياط ، وزار معظم مدن الوجه القبلي الكبرى في سفراته العديدة للحج . وتردد كثيرا على العاصمة القاهرة .

الحلقات التى عقدها بالقاهرة

وفي كل هذه المدن كان الشيخ يعقد حلقاته المعتادة للدرس والوعظ لتفقيه الناس في أمور دينهم ولنشر مبادئه ودعوته . وكانت أهم هذه هذه الحلقات هي الحلقات التى عقدها بمدينة القاهرة ، وتذكر المراجع انه كان يلقى دروسه بها في مسجد المقياس بجزيرة الروضة، او في المدرسة الكاملية ، وهي المدرسة التى بناها السلطان الملك الكامل محمد الايوبي لتدريس علوم الحديث خاصة .

وكانت القاهرة وقتذاك عامرة بنخبة ممتازة من العلماء الكبار من أمثال الشيخ عز الدين بن عبد السلام العالم القوى الجرىء ، وتقى الدين ابن دقيق العيد أحد علماء مصر وقضاتها ، وعبد العظيم المنذرى المحدث الكبير وشيخ المدرسة الكاملية ، ومحيي الدين بن سراقه ، وهو علم آخر من أعلام المدرسة الكاملية ، والشيخ الورع التقي مكين الدين الأسمر شيخ القراء بالاسكندرية ، وأبى عمرو عثمان بن الحاجب من أبرز علماء العصر بالنحو وعلوم العربية . وابن الصلاح مفتى الشام ومحدثها على ذلك الوقت .

وكان هؤلاء وكثيرون غيرهم يجلسون الى الشيخ أبي الحسن يستمعون الى دروسه وشروحه ومواعظه ، وكثيرا ما كانت تدور بينه وبينهم المناقشات العلمية والمساجلات الصوفية الطريفة المفيدة ، وقد اعترفوا له جميعا بالعمل والفضل والتقوى والقرب من الله . قال الشيخ مكين الدين الأسمر :

« مكثت أربعين سنة يشكل على الأمر في طريق القوم ، فلا أجد من يتكلم عليه ويزيل عني اشكاله حتى ورد الشيخ أبو الحسن الشاذلى ، فازال عني كل شيء أشكل علي ، ورأيت الناس يدعون الى باب الله ، وابا الحسن يدخلهم على الله تعالى » .

وقال عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد :
« ما رأيت أعرف بالله من الشيخ الشاذلى » .



هـذا مسجد ابى العباس المرسـ
استاذه ابى الحسن الشاذلى . وفـ

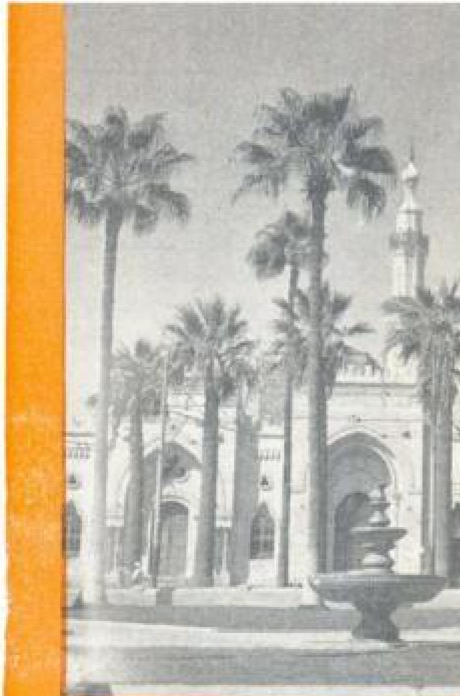
وقال الشيخ بدر الدين بن جماعة :

« ان بركة الشيخ حلت بالديار المصرية منذ اقام فيها » .

الكتب التى كان يقرأها ابو الحسن في حلقاته

هذه هي حلقات الدرس التى كان يعقدها أبو الحسن الشاذلى في مدن مصر الكبرى ، وخاصة في الاسكندرية والقاهرة . ونستطيع ان نتعرف من أخباره المتناثرة في الكتب التى ترجمت له على الكتب التى كان يقراها او يدرسها او يشرحها في هذه الحلقات ، وهي من أمهات الكتب التى وضعها كبار المتصوفة الذين عاشوا قبله . ومنها على سبيل المثال :

كتاب ختم الأولياء ، للحكيم محمد بن عبد الله الترمذي من رجال القرن الثالث .



...اسكندرية ، التي رحل اليها مع ... ن فيها بعد أن ورث عنه « القطبانية »

وكتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي ، من رجال القرن الرابع .

والرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري ، واحياء علوم الدين لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي — وهما من رجال القرن الخامس .

وكتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ، للقاضي عياض من رجال القرن السادس .

كُفَّ بصر أبي الحسن بعد وصوله مصر بأربع سنوات

وقد كُفَّ بصرُ الشيخ أبي الحسن بُعَيد وصوله الى مصر بقليل ، ونستطيع ان نقول انه أصيب بهذه المُلِمَّة في سنة ٦٤٦ على وجه التحديد ، أي بعد وصوله الى مصر بأربع سنوات ، فقد روى صاحب كتاب المفاخر العلية انه لما كُفَّ بصر الشيخ دخل عليه تلميذه أبو العباس المرسي فقال له الشيخ :

« يا أبا العباس : انعكس بصري في بصيرتي ، فصرت كلي مبصرا ، بالله الذي لا اله الا هو ، ما أرى في زماني أفضل من أصحابي ، وأنت والله أفضلهم » .

ثم سأله :

« كم سنك يا أبا العباس ؟ »

قال :

« يوشك أن يكون ثلاثين » .

قال الشيخ :

« بقيت عليك عشرة أعوام وترث الصديقية (القطبانية) من بعدي » .

فاذا عرفنا أن أبا العباس ولد سنة ٦١٦ ، فاننا نستطيع أن نؤرخ لهذا الحديث بسنة ٦٤٦ هـ . فقد قال أبو العباس ان سنه وقتذاك كانت ٣٠ سنة ، ونحن نعرف أيضا ان الشيخ أبا الحسن توفي سنة ٦٥٦ وقد ورث القطبانية بعده أبو العباس وقد بشره الشيخ أبو الحسن في هذا الحديث أنه يرثها بعد عشر سنوات . فاذا طرحنا عشر سنوات من سنة ٦٥٦ وصلنا الى ٦٤٦ .

والراجح أن الشيخ أصابه مرض مما يصيب العيون افقده بصره . ويقول الاستاذ السندوبي انه أصيب أثناء أيامه بالماء فقضى على بصره .

عندما استولى لويس التاسع الصليبي على دمياط ذهب أبو الحسن الى المنصورة مع سائر العلماء

وفي سنة ٦٤٧ ألمت بمصر ملمة كبرى ، فقد وصلت اليها حملة من الحملات الصليبية الكبرى هي حملة الملك لويس التاسع ، واستطاعت هذه الحملة أن تستولي على دمياط . واتجه الملك الصالح نجم الدين أيوب جنوبا الى مدينة المنصورة وعسكر بجيوشه شمالها ، غير انه لم يلبث أن اشتد به المرض ومات ، فأخفت زوجه « شَجَرة الدر » موته ، وأرسلت فاستدعت ابنه توران شاه من حصن كيفا .

وكان المصريون جميعا في ذلك الوقت في هم عظيم يترقبون نتائج الحرب بنفوس ملأها الهلع

والخوف ، وكانت الانظار كلها تتجه الى مدينة المنصورة مقر الدفاع .

ووجد علماء البلد أن من واجبهم أن لا يتخلفوا عن موضع الخطر ، فسارعوا جميعا الى مدينة المنصورة يثبتون من جاش الشعب ، ويبعثون الحمية فى نفوس الجند المحاربين ، ويثيرون فيهم روح الجهاد للذود عن الوطن وحريته ،وكان فى مقدمة هؤلاء الشيخ أبو الحسن الشاذلى .

وتقول الرواية أن الشيخ كان يجتمع أثناء مقامه فى المنصورة بغيره من علماء البلد فى خيمة يتدارسون ويتناقشون فى أمور الدين وعلومه ، وكانت الصدارة فى هذه المجالس للشيخ أبى الحسن .

روى ابن عطاء الله السكندرى فى كتابه لطائف المنن عن الشيخ مكين الدين الاسمر انه قال :

« حضرت بالمنصورة فى خيمة فيها مفتى الانام عزالدين بن عبدالسلام ، والشيخ مجد الدين على ابن وهب القشيرى المدرس ، والشيخ محيى الدين ابن سراقة، والشيخ مجد الدين الاخيمى والشيخ أبو الحسن الشاذلى ، ورسالة القشيرى تقرأ عليهم ، وهم يتكلمون ، والشيخ أبو الحسن صامت ، الى أن فرغ كلامهم ، فقالوا : يا سيدى نريد أن نسمع منك فقال ـ تواضعا : ـ أنتم سادات الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم، فقالوا : لا بد أن نسمع منك ، قال : فسكت الشيخ ساعة ، ثم تكلم بالأسرار العجيبة والعلوم الجليلة ، فقام الشيخ عز الدين وخرج من صدر الخيمة وفارق موضعه وقال : اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله » .

وكان الشيخ يقضى وقته كله فى المنصورة ـ مستيقظا ونائما ـ ولا تشغل باله وفكره الا هذه الملمة التى توشك أن تنزل بمصر والاسلام . الا هذه الحرب الطاحنة الدائرة رحاها بين عدو وافد من الخارج وجيش مجاهد باسل يدافع عن الوطن والاسلام ، فكان الشيخ اذا نام تكاثرت عليه الاحلام يرى فيها ما يشغله فى اليقظة ، ويلتمس فى عالم الروح مخرجا من هذه الأزمة ، الى أن وافته البشرى اخيرا ، وأتاه الرسول عليه السلام فى الحلم يبشره بالنصر .

ولم تنقض الا أيام قليلة حتى تحقق الحلم ، وانتصر المصريون وهزم الفرنجة وأسر ملكهم لويس التاسع ، ثم جلوا جميعا عن مصر بعد قليل .

أبو الحسن يعود الى الاسكندرية يتابع سيرته الأولى فيها

كان الشيخ أبو الحسن الشاذلى أشد الناس فرحا بهزيمة الصليبيين ورحيلهم عن مصر ، وقد عاد بعد هذا الى الاسكندرية ، وتابع فيها سيرته الأولى فى الحياة ، يدرس ويعظ ، ويتعهد ارواح تابعيه ومريديه بالتهذيب .

أبو الحسن يقوم بالشفاعات عند أولى الأمر

واصبحت لأبى الحسن مكانة مرموقة فى المجتمع المصرى يقصده الكبار ورجال الدولة والعلماء والعامة فى حاجاتهم . يقصده الكبار والعلماء يستزيدون من علمه وتعاليمه ، ويقصده الصغار والعامة يلتمسون منه البركة ويستشفعون به لدى رجال الدولة لقضاء مطالبهم .

وكان الشيخ لا يرد انسانا يقصده بل يسعى لاجابة كل الى مطلبه . روى ابن عطاء الله ان فقيها من طلاب العلم قصد الشيخ مرة يستشفع به لدى القاضى تاج الدين بن بنت الاعز كى يزيد فى راتبه عشرة دراهم فذهب الشيخ الى تاج الدين، واكبر تاج الدين مجيئه اليه فأسرع يرحب به وسأله فيم مجيئه ، فقال الشيخ :

« من أجل فلان الطالب كى تزيده فى مرتبه عشرة دراهم » .

فحاول القاضى أن يعتذر ، وشرح للشيخ كيف أن لهذا الطالب مرتبات أخرى من جهات متعددة، فقال له :

« يا سيدى هذا له فى المكان الفلانى كذا ، وفى المكان الآخر كذا ، وفى الموضع الفلانى كذا وكذا . » .

ولكن الشيخ لم يقتنع بهذا الجواب وقال للقاضى :

« يا تاج : لا تستكثر على مؤمن عشرة دراهم تزيده اياها ، فان الله لم يقنع بالجنة للمؤمن جزاءا حتى زاده النظر الى وجهه الكريم » .

وكان الشيخ يحمل نفسه الشاق ـ على كبر سنه ـ فى سبيل قضاء حاجات أتباعه ومريديه ورعاية شؤونهم .

روى ابن عطاء الله ايضا ان أحد أتباع الشيخ

فى الاسكندرية أصابه رمد فى عينه ، فاستدعى له الشيخ طبيبا يهوديا من أطباء الثغر لمعالجته ، ولكن الطبيب اعتذر عن مباشرة العلاج وقال للشيخ :

« لقد جاء مرسوم من القاهرة أنه لا يداوى أحد من الأطباء الا باذن من مشارف الطب بالقاهرة »

فلما خرج الطبيب قال الشيخ لخدامه :

« هيئوا أسباب السفر » .

وسافر فى الحال الى القاهرة ، وحصل على الاذن للطبيب ، وعاد مسرعا الى الاسكندرية ، ولم يبت خارجها الا ليلة واحدة ، واستدعى الطبيب وأطلعه على الاذن ، فاكثر الطبيب اليهودى التعجب من هذا الخلق الكريم ، ثم اخذ فى شأنه ومباشرته للعلاج .

وروى ابن عطاء الله أنه سمع الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد يقول :

« جهل ولاة الأمور بقدر الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، لكثرة تردده فى الشفاعات » .

وعلق ابن عطاء الله على هذا الرأى بقوله :

« ويجب أن تعلم أن هذا الأمر لا يقوى عليه الا عبد متخلق بأخلاق الله ، بذل نفسه وأذلها فى مرضاة الله ، وعَلِمَ وَسِع رَحمةَ الله فعامل عباد الله متمثلا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الراحمين يرحمهم الرحمن ، أرحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » .

أبو الحسن يؤلف كتابا كتبى هى تلاميذى

ومع أن الشيخ أبا الحسن الشاذلى كان واسع العلم والمعرفة ، يستمع اليه كبار علماء عصره فيبهرهم حديثه ، ويقول كبيرهم الشيخ عز الدين ابن عبد السلام :

« اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله » .

مع هذا فانه لم يعرف أن أبا الحسن الف كتبا ، وكل ما وصلنا من آثاره العلمية الصوفية هو ما نقله أصحابه عنه من وصايا وأقوال مأثورة وادعية وأحزاب وأوراد ، وكان الشيخ يرى ان كتبه هى تلاميذه وأنه خير له ان يخرج على يديه تلميذ يفهم عنه علومه وروحانيته من أن يؤلف كتابا قد يقرأه البعض أو لا يقرأونه ، وقد يفهمه البعض ويعجز عن فهمه البعض الآخر .

روى ابن عطاء الله أن أحد الأتباع سأل الشيخ مرة :

« لم يا سيدى لا تضع الكتب فى الدلالة على علوم القوم »

فاجاب الشيخ : « كتبى أصحابى » .

غير أن الأقوال والاحزاب التى وصلتنا عن الشيخ تدل على أنه كان قد رقَّ قلبه ، ورقَّ حتى لم يعد يشغله غير حب الله ، وأن نفسه صفت وصفت حتى لم تعد تلجأ الا الى الله ، وان روحه علت وعلت حتى أصبحت أقرب ما تكون الى الله .

أبو الحسن أديب ذو أسلوب رائع

وهذه الاحزاب تدل كذلك على أن أبا الحسن كان أديبا ممتازا ذا أسلوب جميل رائع ، فانى لا أكاد أعرف أنى قرأت فى الأدب المأثور أجمل مما قال الشيخ أبو الحسن فى حزب البر .

استمع معى اليه وهو يقول :

« اللهم انا نسألك لسانا رطبا بذكرك .
وقلبا منعما بشكرك .
وبدنا هَنيئا ليِّنا بطاعتك .
واعطنا مع ذلك ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطرَ على قلب بشر — كما أخبر به رسولك صلى الله عليه وسلم — حسب ما علمته بعلمك .
وأغننا بلا سبب .
واجعلنا سبب الغنى لأوليائك .
وبَرْزخا بينهم وبين أعدائك .
انك على كل شىء قدير .
اللهم انا نسألك ايمانا دائما .
ونسألك قلبا خاشعا .
ونسألك علما نافعا .
ونسألك يقينا صادقا .
ونسألك دينا قيِّما .
ونسألك العافية من كل بليَّة .
ونسألك تمام العافية .
ونسألك دوام العافية .
ونسألك الشكر على العافية .
ونسألك الغنى عن الناس .

واستمع الى هذه المناجاة الالهية فى قوله :

« اللهم وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها .

وأرحنا من هموم الدنيا وغمومهـا بالروح والريحان الى الجنة ونعيمها .. ..

اللهم وباعدْ بيننا وبين العناد والاصـرار والشبَه بابليس رأس الغواة .

واجعل سيئاتنا سيئاتِ من أحببتَ .

ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضتَ .

فالاحسان لا ينفع مع البغض منك .

والاساءة لا تضر مع الحب منك ...

اللهم رضّنا بقضائك .

وصبّرنا على طاعتك ، وعن معصيتك ، وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك .

وهبْ لنا حقيقة الايمان بك حتى لا نخاف غيرك ، ولا نرجو غيرك ، ولا نحب غيرك ، ولا نعبد شيئا سواك .

وأوزعنا شكر نعمائك .

وغطّنا برداء عافيتك .

وانصرنا باليقين والتوكل عليك .

وأسفرْ وجوهنا بنور صفاتك .

واضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك .

واجعل يدك مبسوطة علينا وعلى أهلينا وأولادنا ومن معنا برحمتك .

ولا تكلنا الى أنفسنا طرفةَ عينٍ ولا أقل من ذلك ـ يا نعم المجيب ».

وكان الشيخ اثناء مقامه فى مصر يخرج للحج كل سنة ، ذكر ابن بطوطة أن الشيخ ياقوت العرشى ، انباه رواية عن شيخه ابى العبـاس المرسى ، أن الشيخ أبا الحسن الشاذلى كان يحج فى كل سنة ، ويجعل طريقه على صعيد مصر ويجاور بمكة شهر رجب وما بعده الى انقضاء الحج ، ثم يزور القبر الشريف ، ويجعل طريقه على صعيد مصر ويعود على الدرب الكبير الى الاسكندرية .

وفى سنة ٦٥٦ هـ بلغ الكتابُ أجله ، وأحسَّ الشيخ بدنو موته .

ويستطرد ابن بطوطة حديثه السابق فيقـول :

« فلما كان فى بعض السنين وهى آخر سنة خرج فيها ، قال لخديمه : استصحبْ فأسـاً وقفّة وحَنُوطا وما يُجهّز به الميت » .

فقال له : ولماذا يا سيدى ؟

فقـال له أبو الحسن : فى حميثـرا سـوف ترى .

وفى شوال من تلك السنة وصل الشيخ أبو الحسن وصحبه حميثرا، وهى موضع فى الصحراء المؤدية الى عيذاب (٤) على البحر الاحمر، أصابه مرض شديد فجمع أصحابه وأوصاهم بأشـياء كثيرة وخاصة بحزب البحر ، وقال لهم حفّظوه أولادكم ، فان فيه اسم الله الاعظم . وخـلا بتلميذه الحبيب أبىالعباس المرسى وأوصاهباشياء يقول صاحب المفاخر :

« واختصه بما خصه الله به من البركات ، وقال لاصحابه : اذا أنا متُّ فعليكم بأبى العباس المرسى فانه الخليفة من بعدى ، وسيكون له مقام عظيم بينكم وهو باب من أبواب الله تعالى».

وبات الشيخ ولسانه لا يفترُ عن ذكر الله ، فلما كان الفجر صَعِدت روحه الى بارئها ، وصلى عليه القوم يؤمُّهم الشيخ أبو العبـاس ، ودفن أبو الحسن حيث مات فى حميثرا .

قال ابن بطوطة :

وقد زرت قبره وعليه قبريّة (٥) مكتوب فيها اسمه ونسبه متصلا بالحسن رضى الله عنهما » .

واختلف القوم بعد وفاته هـل يعودون أم يستأنفون الرحلة للحج ، فقال أبو العباس :

الشيخ أمرنى بالحج .

وبعد ، فهذا هو ولى الله العـارف به ، قطب الاقطاب ، الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله ، فارق الدنيا بعد أن ملأها علما وروحانية ، وبعد أن خلّف بعده من تلاميذه الذين ساروا سيرته بعد أن قبسوا من علمه وفضله وخلقـه وروحه ، وكلهم بعد هذا من روح الله مقتبس . ■■

دكتور جمال الدين الشيال

---

(٥) عيذاب مرفأ على ساحل البحـر الاحمر ،فى مصر ، قرب حدود السـودان ، تقع قبـالة جدة فى الحجاز . كان طريق الحجاج الى بيتالله الحرام . (٥) نصيبة



نحتفل بذكرى الرجال العاملين
فلِمَ لا نحتفل بذكرى :

الأسبر

في عامه الخامس و

٢٧ مليون رطل
من الاسبرين
تستهلكها الولايات المتحدة سنويا

■ الاسبرين ، اكثر العقاقير شيوعا بين الناس ، له قصة :

وليس هو اكثر العقاقير شيوعا بين الناس فحسب ، فلعله كذلك أرخص العقاقير . وسوف تباع الحبة منه في مصر بمليم .

يكفي لهذا ان تذكر انك لا تصاب بصداع الا وتطلب قرص الاسبرين ، في بيتك ، أو من صاحبك ، أو جارك ، ذلك أن الاسبرين اصبح بعض عقارات البيت الدائمة ، في الأمم المتمدينة ، وهي الأمم التي بها من مشاغل الحياة ومن همها ما يورث أهلها بالنصيب الفخم من صداعها .

٢٧ مليون رطل في العام

ويحصون ما تستهلك الولايات المتحدة من الاسبرين سنويا فيجدون انها تصنع منه في العام ٢٧ مليون رطل ، لو عبَّرنا عنها عدد اقراص لبلغت ١٦ بليون قرص . والبليون في امريكا وفرنسا غيره في انجلترا . فهو في امريكا وفرنسا مليون مليون . وهو المقدار الذي يصنع اقراصا للرجال والنساء ، ولكن مثل هذا المقدار يصنع لأهداف اخرى : كأقراص صغيرة للأطفال ، ولمساحيق مركبة منه ومن غيره ، وغير ذلك .

ونحن نذكر الولايات المتحدة لأنها البلد الأول في العالم الذي يُعنى بالاحصاءات ونشرها . ثم لأنها البلد الأكثر صناعة ، وصناعتها في عمومها اكثر تقدما . ثم هي البلد الذي يمثل الرخاء الانساني النسبي في اعلى مدارجه . قولة حق لا مراء فيها .

الاسبرين : للآلام ، والحمى ، والروماتزم

والمشهور ان الاسبرين لصداع الراس. ولكن غير المشهور انه يكاد يكون لكل صنوف الألم التى تعترى الانسان ، فهو يذهب بها .

ومن غير المشهور بين الناس استخدامه فى الحمى . وله فيهـا فعلان : يهبط بحرارتها ، ويذهب بألمها .

ولعل الأخطر من هذا وهذا استعمالا، يعرفه المصابون بالأمراض الروماتزمية. وله فيها كذلك فعلان : يهبط بحـرارة المفاصل والعضـل الملتهب ، ويذهب بآلامها. ويقف كذلك تقدّمَ الداء . وهو فى هذه الشئون لا يزال سيد العقاقير .

الاسبرين لا يشفى

ولا تعجب من بعد هـذا اذ تسمعنا نقول: ان الاسبرين ، هذا العقار الخطير، لا يشفى من مرض . ذلك ان الألـم والحمى عرض ، فهو يذهب بالعرض ، ولكنه لا يذهب بأسبابه ، بالمرض .

الاسبرين لا ندرى كيف يفعل

وتسأل : وكيف يفعل فى الجسم ؟

وسوف تعجب مرة اخرى : ذلـك لأن العلماء ، على الرغم من نحو الخمس والسبعين من السنين التى مضت على تداوله بين الناس ، وعلى الرغم مـن البحوث الجارية ، على الرغم من ذلك لا يعرف العلماء من فعله فى الجسم الا القليل .

وانت عند سماع هذا لا بد سائل ، كيف اذن عرفوه ، وعرفوا نفعه .

ولهذا قصة .

عند ابقراط

ولعل القصة تبدأ عند ابقراط ابي الطب عند الاغريق .

كان ابقراط يصف خلاصة لحاء شجر الصفصاف ليتعاطاها المريض لتذهب عنه بالألم والحمى .

والهنود الحمر ذُكر عنهم انهم كانوا يغلون لحاء الصفصاف ويعطونه لمرضى الملاريا ليخفف عنهم نوباتها .

وفى عام ١٧٦٣ صنع قسيس انجليزى اسمه ادوارد استون Stone شايا من شجر الصفصاف ووجد انه يخفف من أوجاع الملاريا حقا .

ولا بد انك ادركت من هذا وجود مركّب فعّال فى لِحاء الصفصـــاف هو الذى يذهب بالحمى فيخفض من درجتها ، وهو الذى يذهب بآلامها ، ويخفف منها .

أسرة من مركبات

والحق ان هنالك ، لا مركبا واحدا فعالا ،ولكن أسرة من المركبات ، ابوها وجدها وأصلها ، الذى عنه تفرعت وتتفرع ، هو حامض عُـرف بحامض الساليسيل ، فصله الكيماويون من أصله النباتى عام ١٨٤٠ . وهـذا الاسـم ، الساليسيل ، مشتق من الاسم الاغريقى لشجرة الصفصاف ، وهو ساليسيس ، Salicis ، ولو اننا أسميناه بحامض الصفصاف ما ابعدنا .

ووجدوا لهذا الحامض خواص طيبة . الا انه كان له مع هذه آثار فى الجسم غير طيبة .

ميلاد الاسبرين

وتمضى السنون ، حتى اذا جاء عام ١٨٥٣ قام الكيماوى جرهارد Gerhardt ، وموطنـه استراسبورج عاصمة الالزاس، يدرس فى مختبره الكيماوى حامض الساليسيل شتى الدراسات التى يتوخاها عادة كل كيماوى ليزيد عرفانا بكل مركب جديد . وادخل فى تركيب هذا الحامض جزءا هاما من حامض الخل العادى المعروف ، وكانت النتيجة خروج مركب جديد ، يَنتسِب الى حامض الساليسيل ، وكذلك الى الخل . وفيه خواص من حامض الساليسيل ، وبه منافعه ، وليس به مضاره .

بلورات بيضاء جميلة .

ولم يكن هذا خروج مركب جديد كالآلاف التى تخرج ، بل كان ميلاد عقّار عظيم .

انه الاسْبِرين .

ولكن واأسفاه . صاحبنا جرهارد لم يتنبـه

لمنافعه ، كان كيماويا قحا ، ولم يكن طبيبا . ولم يكن من أولئك الكيماويين الذين يجرون وراء المركبات الكيماوية التي يصنعونها جديدة ، يطلبون ما يحتمل أن يكون بها من شفاء .

ومضى ما قارب الاربعين عاما قبل ان يلتقط كيماوي آخر طرف ذلك الخيط الذي انقطع عند جرهارد .

اكتشاف الاسبرين من جديد ، وتسمية المولود

كان هذا الكيماوي فيلكس هفمان Felix Hofman . كيماوي ألماني يعمل في شركة باير الالمانية

كان أبو هفمان مريضا بالروماتزم . وجرّب هفمان في ابيه هذا المركب، مركب ارهارد ، خلّيّ الساليسيل، فراعه انه ذهب بآلام ابيه .

واخبر بذلك رئيسه في الشركة ، هينرش دريسر Dresser . فلما تحقق من ذلك أسمى هذا المركب الجديد بالاسم الشهير المعروف الى اليوم : الاسبرين(١) Aspirin . وسجله في براءة تجارية . ومن بعد تسجيله صنعوه واطلقوه في الأسواق .

فعمره الآن ٧٤ عاما .

وفي العام القادم يحين عيده . عيد ذكراه الخامسة والسبعين .

فلم لا نحتفل بأمثال هذه العقاقير احتفالنا بالرجال ، وهي صنعت ما لم يكد أن يصنع الكثير من الرجال . وامتد صنيعها الطيب الى العديد من الأجيال . ولو احصينا المرضى الذين خفف عنهم هذا الاسبرين أوجاعهم ما استطعنا لهم عدا . وفي الحاضر أعداد ، وفي المستقبل أعداد ، كلها لا تحصى . والعجيب ، أن الاسبرين انتشر أول ما انتشر ، بحسبانه دواء للروماتزم ، وهو كذلك الى اليوم . وكثيراً ما عرف الأطباء عن طريق مرضاهم انه يذهب بالصداع أيضا .

الاسبرين ليس عقّارَ انتحار

واللطيف في امر الاسبرين أنه لا يدفع متعاطيه الى ادمانه ، كما تدفع الخمرُ والحشيش . ان المريض يتعاطاه ، فاذا بلغ منه غرضا ، قطعه . ثم نسيه .

وليس كذلك المورفين ، وهو العقار الآخر الذاهب بآلام الناس .

والمنتحرون لا يطلبون الاسبرين ليتخلصوا من حياتهم ، كما يفعلون ببعض العقاقير المنوّمة . ذلك لأن الاكثرية الكبرى من الناس تستطيع أن تأخذ من الاسبرين مقادير اكثر كثيرا من جرعاته العادية ولا يموتون .

يستثنى من ذلك الأطفال . فالجرعة الكبيرة قد تقتل .

الاسبرين ، واصحاب القرح المعدية

والاسبرين ، كسائر العقاقير النافعة، لا يخلو من اضرار في بعض الحالات .

فمن ذلك انه يميل الى اهاجة الغشاء المخاطي من المعدة ، وهذا يضر بالطبع بمن عنده في معدته قرحة . انه يهيّجها، ويعطيه من آلام في البطن فوق الألم الذي أراد أن يزيله من راسه . وقد يصل الأمر الى أن يخرج الدم من جدار المعدة عند القرحة ، وقد يتخرّق جدارها .

فعلى أصحاب القرح المعدية تجنب الاسبرين .

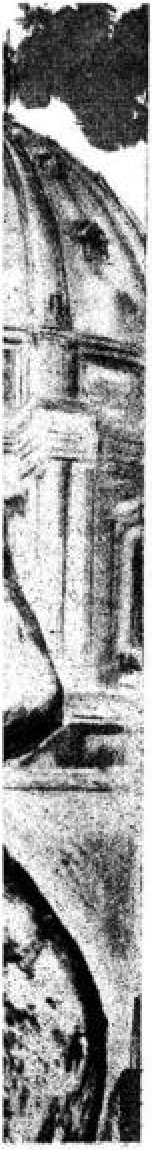
كذلك في بعض الناس حساسية تجاه الاسبرين ، حتى والجرعة عادية . فيصيبهم دوخة ، وميل للتهوع ، وقد يظهر على جلدهم رشح ، وقد تصيبهم نوبة ربو .

ولكن هذه كلها حالات شاذة .

والنفع كل النفع في الاسبرين ، اشهر العقاقير ، واكثرها انتشارا ، ولعله كذلك أرخصها ■■

---

(١) جاء باسم اسبرين من اسم قديم لحامض الساليسيل هو حامض اسبيري Spirae ، وهو لفظ لاتيني يطلق على جنس من أجناس النبات يعرف بالاسبيري أو الاكليلي .



منذ

٤٠٠ عام

مات فنان كبير :

نعم ، ٤٠٠ سنة انقضت منذ وفاة هذا الفنان العظيم الشهير . انها الشخصية العجيبة التى اشتهر صاحبها فى ميدانى الرسم والنحت ، ثم كشف التنقيب فى تاريخه عن انه كان الى جانب نبوغه هـذا مهندسا ، ومعماريا ، وشاعرا ، ومناضلا قوميا ، وقد ترك فى كل ميدان من هذه الميادين آثارا باقيـة .. ذلك هـو :

ميكل أنجلو

أحد أعمدة عصر النهضة فى أوروبا



عندما رزق « لودوفيكو ليوناردو بوناريتي سيموني » ثاني ابنائه ـ في السادس من مارس سنة ١٤٧٥ ـ لم يخطر بباله قط انه قد انجب عبقريا أعد له التاريخ بين اقطابه مكانة رفيعة ..

وعندما اختار « لودوفيكو » لابنه هذا اسم « ميكل انجيلو Michel Angelo » لم يحلم قط بأن هذا الاسم قد كتب له ان يعلو ويتالق ، حتى يغني الابن عن لقب « بوناريتي سيموني » Bounarreti-Simoni الذي كان الأب يعتز به ، ويزهو بعراقته ، ولا يكف ـ وهو عمدة لبلدة « كابريسي » Caprese ـ عن أن يردد : « اننا نبلاء .. اسرتنا تضارع أسرة مديتشي Medice في العراقة .. فنحن نتوارث اسم بوناريتي منذ ثلاثمائة سنة » .

وبايحاء من هذه العراقة ، كان الأب يستنكف ان يمارس احد من اسرته عملا يدويا ، ولو اضطر بسبب هذا الترفع الى ان يقنع برزق ضيق ، فيقتر على نفسه وأهله ايما تقتير ..

الازميل والمطرقة منذ الصغر

وعلى ضوء هذا الزهو ، قدر الأب لابنه الثاني هذا ـ عندما ولد ـ ان يتعلم ، ثم يشتغل بالتجارة .. ولكن الأقدار ارادت للوليد مستقبلا غير الذي اراده له أبوه ..

وعهد به ابوه الى مرضعة كانت زوجا لعامل يقتطع الاحجار من التل القريب من البلدة .. وتعلق الصغير بمرضعته ، لاسيما حين افتقد حنان الأم ـ اذ توفيت امه وهو في السادسة من عمره ـ فكان يقضي معظم وقته في الحجر ..وبلغ من اعزاز الحجار له ، أن اعد له ازميلا ومطرقة صغيرين،ليحاول بهما أن يقلده في تشذيب الاحجار ..ولعل يدي « ميكل انجيلو » الفتا الازميل والمطرقة وتمكنتا منهما من ذلك الحين ، وان لم تكن مواهبه في النحت قد تفتقت في ذلك الحين ..

بساتين فلورنسا وعمارتها ..

وعندما بلغ « ميكل انجيلو » العاشرة ، انتقلت



كانت قبة كنيسة القديس بطرس وتمثال النبي موسى هما اعظم أعمال ميكل انجيلو الذي يرى رسمه الى اليسار .

الأسرة الى فلورنسا .. وأتيح للصغير أن يلحق بالمدرسة ، دون أخوته ـ وكانوا خمسة ـ اذ توسّم فيه الخير ..

ولكن المدرسة لم تكن تستهويه قدر هوايتين اتجهت اليهما نفسه : التجوال في حقول القمح وبساتين الزيتون ، والتلال الموشاة بالكروم مما منحه صفاء الروح والذهن ثم الزيارات المتكررة لمعالم فلورنسا وكنائسها ، وكانت فى حد ذاتها نماذج لفن العمارة ، فضلا عما احتوته هذه الكنائس من تحف فنية رائعة ..

وكان من اثر هذا أن نزعت نفسه الى الفن .

تلميذ يتقاضى استاذه أجرا

واذكى هذه النزعة فى نفسه ، أن تعرف الى فتى يكبره ، كان تلميذا يتعلم الرسم على يدى فنان معروف بالمدينة ، هو « دومينيكو غرلانديو » Domenico Ghirlandio .. واذ شاهد هذا الفتى ما كان « ميكل انجيلو » يرسمه من أشكال بفطرته ، حبّب اليه أن يتلقى أصول الفن معه على أستاذه . ولم يتردد « ميكل انجيلو » ـ وكان فى الثالثة عشرة من عمره ـ فى القبول ، وصحبه الى مرسم الأستاذ الفنان . فلما تبين هذا الأستاذ ثبات يد الفتى ، واستعداده ، ضمه الى تلاميذه . وبدلا من ان ياخذ منه أجرا على التعليم ، وعده بأن يدفع له قطعتين ذهبيتين من عملة فلورنسا « الفلورين » ـ فى الأسبوع ..

وعرف أبوه بما فعل الصبى ، فضربه ضربا مبرحا . ولكنه رضى حين عرف انه سيتقاضى أجرا لقاء التتلمذ على الأستاذ الفنان .

بداية طيبة

وكان تلاميذ «غرلانديو» يستخفون بزميلهم الجديد ، لنحوله ، وكبر رأسه ، وخلو ملامحه من الوسامة .. ولعل هذا ترك فى نفسه أثرا ـ حين كبر ـ جعله يتباعد عن أهل الفن ، ويرتاب فى تقربهم اليه ، ويوجس من منافستهم وغيرتهم.

على أنه استطاع ـ بما كان يبديه من ذكاء وموهبة ـ أن يحمل استاذه على أن يعلمه أساليب اعداد الألوان ، والرسم على الجص ، وطرق استخدام مختلف الأدوات .. ولم يمض قليل حتى أدرك أهل الفن فى فلورنسا أنهم ازاء فتى غير عادى المواهب ، تبشر بدايته بعبقرية نادرة ..

فى رعاية دى مديتشى

ومرة اخرى ، كان القدر يمهد له طريقه .. فقد رأى أمير فلورنسا « لورنزو دى مديتشى » ـ فى تلك الأثناء ـ أن ينشىء أكاديمية للفنون ، يلحق بها صفوة منتقاة من الناشئين ، يعهد بهم الى نحات تماثيل ذاع صيته ، هو « برتلدو » Bertoldo .. وكان « ميكل انجيلو » بين هؤلاء التلاميذ ، فسرعان ما أبدى براعة فى الرسم البارز ، والحفر والنحت .. وكان فن « برتلدو » يجمع بين الأخذ عن القديم ، والروح الفردية ، والدقة فى رسم الأجسام ، فأخذ عنه الفتى فى تقبّل واستيعاب ..



تمثال الملاك الراكع الذى أقامه « ميكل انجيلو» على قبر القديس دومينيك ، مؤسس مذهب « الدومينيكان » ، فى بولونيا ..

وقدّر لميكل انجيلو ان يحظى بمكانة لدى « لورنزو مديتشى » فاقام فى قصره عامين ، توثقت خلالهما الصداقة بينه وبين أسرة مديتشى ــ وكان ربها هو الحاكم الحقيقى للمدينة ــ وأن يشهد ما كان يحفل به القصر من تحف فنية ، وأن يحضر مجالس صفوة القوم من اهل العلم والرأى ، فيتثقف باحاديثهم ومناقشاتهم ..

بين الانسان والكنيسة

وعن هؤلاء ، عرف « ميكل انجيلو » مذهبا كان قد بدأ يشيع فى ايطاليا ، لملء الفراغ الناشىء عن ضعف الكنيسة .. ذلك هو مذهب الاعتداد بالانسان والايمان بقدرته الخلاقة ، والعودة الى احياء حضارات اليونان والرومان القدامى .. الحضارات الوثنية . وقد اثار هذا راهبا من «الدومينيك» يدعى «سافونا رولا» Savona Rola (١٤٥٢ ــ ١٤٩٨م) فى فلورنسا ، فراح يهاجم هذا المذهب ، ويبشر بمبدأ الاثم والتوبة ، ويدعو الى العودة الى الكنيسة . وكان قوى الشخصية، استطاع أن يجتذب القوم ، ويؤلبهم على آل مديتشى الذين كانوا يشجعون «الحركة الانسانية» القائمة على ذلك المذهب الجديد ..

ووجد « ميكل انجيلو » نفسه موزعا بين الاعجاب بالدعوتين..كانت التماثيل والتحف التى خلفها الاغريق والرومان تستهويه..وكانت فطرته الدينية تزين له أن يستجيب لدعوة « سافونا رولا » ، ويعزف عن الحضارة الوثنية .

أخيرا .. بدأ أسلوبه يتبلور

وانجلى الصراع الذى دار فى نفسه ، وانتهى الى الاسلوب الذى امتاز به فى المستقبل . فاذا به يطوع اساليب الاغريق والرومان القدامى ، ليسجل الهامات يستمدها من الدين والكتاب المقدس .. وقد تجلى هذا أول ما تجلى فى لوحته التى اشتهرت باسم « عذراء السُلّم » Madonna of the Stairs اذ انه أوغل فى حفرها حتى بدت بارزة أكثر من الرسوم المحفورة المعتادة ، ثم جعل لها ببعض اللمسات معنى ، بعد أن كان الرسم يؤخذ على أنه مجرد تصوير لمناظر تهدف للزينة والزخرف أكثر منها لأى شيء آخر . فقد بدت العذراء فيها متشيحة عن المسيح ، وهى ترمق ــ بجانب من عينها ــ سلّما كان الخدم ينشرون عليه ستائر الحداد ، موعزا بها الى المستقبل الذى كان يرتقب المسيح .

كذلك كشفت هذه اللوحة عن طابع آخر امتاز به أسلوب « ميكل انجيلو » فيما بعد ، هو اهتمامه بالحركة .. فبعد أن كان الفنانون يعتمدون على ملامح الوجوه فى التعبير ، عني هو بأن تكون حركة الجسم هى المعبرة عن كل ما يريد اظهاره من انفعالات .. وكان هذا هو ما جعله يقبل على الخطوة التالية ، وهى رسم الأجسام عارية ..

« ميكل انجيلو » فى روما

وانهارت أسرة « مديتشى » تحت حملات « سافونا رولا » ، اذ ثارت فلورنسا ضدها ، فاضطرت الى الهرب .. ونزح «ميكل انجيلو» بدوره الى البندقية ، خشية نقمة القوم لصلته بالأسرة المغضوب عليها ، ولما عرف عن ميوله لمذهب الانسانيين ..

وامتدت حركة « سافونا رولا » حتى تصدت للبابا نفسه .. والصراع يحتدم فى نفس « ميكل انجيلو » وذهنه ، بين النزعة الى الماضى ، وبين التزمت الدينى .. ولعل خير تعبير عن حيرته ، انه فى تلك الفترة صنع تمثالين، احدهما لكيوبيد، والآخر ليوحنا المعمدان .. احدهما وثنى ، والآخر كنسى .

وفى سنة ١٤٩٦ ، انتقل « ميكل انجيلو » الى روما ، حيث وجد عالما حافلا بمختلف التحف الفنية والآثار الرومانية ، وحيث شغلت سلطات الفاتيكان عن التزمت الدينى بالانصراف الى البذخ واللهو ..

وقدر للفنان الشاب أن يصنع ــ فى الفترة بين ١٤٩٦ و ١٥٠٠ ــ تمثالين يعدان من أبدع انتاجه ويبينان تطور اسلوبه ومنهاجه وتعمقه وراء المعنى .. وكان احدهما للاله « باكوس » وقد بدا فى ظاهره مثالا للسكر والاثم اللاحقين باله الخمر.. ولكن المتعمقين فى تفهم التمثال ، استطاعوا أن يروا فيه شواهد على المام « ميكل انجيلو » بالاساطير

القديمة وبعلم التشريح ، وعلى خصب خياله . فان « باكوس » لم يكن اله الخمر فقط ، بل كان اله الموت والبعث كذلك ، وهذا ما عنى « ميكل انجيلو » باظهاره .. فالخمر التي في يمناه كانت خمر الحياة ، تسري في الجسد فتحرك ما جمد من أعضائه .. وقد ابرز هذا بلمسات فنية رائعة ..

اما التمثال الثاني ، فهو للعذراء الحزينة ، وقد حملت جسد المسيح بعد صلبه .. وفيه تحرر الفنان من التقيد بالتنسب ، ليبين المعنى ـ فاذا رأس العذراء المنكس يشي بالحزن والانكسار الذي لم يذهب بجلالها .. واذا جسد المسيح يبين دراسة رائعة لأوضاع الجسم وعضلاته ..

بدء ارتباطه بالبابوات

وكان مقدرا لميكل انجيلو أن يعيش موزعا بين فلورنسا وروما .. وقد عاد الى فلورنسا بعد استقرار الجمهورية فيها ، فعهدت له حكومتها بمهمة أخفق في ادائها كثير من الفنانين ومنهم « ليوناردو دافنشي » .. تلك هي أن يصنع من كتلة هائلة من الرخام الابيض حلية لقبة كاتدرائية المدينة . وبعد ثلاث سنوات من العمل الدائب ، أمسكت المدينة أنفاسها مبهورة ، اذ طلع عليها بتمثال ضخم للنبي داود ..

وتفتحت أحضان الشهرة للفنان الذي كان في الثانية والثلاثين ..

وكانت الأحداث تجري بسرعة في روما . فقد تعاقب على كرسي البابوية ثلاثة في أسابيع قلائل .. ولكن القدر شاء للثالث « يوليوس الثاني » ، أن يبقى ليصبح من أقطاب عهد النهضة . وقد بلغته شهرة « ميكل انجيلو » فاستدعاه الى روما، ليعهد اليه بانشاء ضريح يليق بمقامه البابوي .. ونشط الفنان الشاب لاداء المهمة ، فوضع تصميم المبنى والتماثيل التي تزينه ، واشرف بنفسه على اقتطاع الرخام اللازم من المحاجر الشهيرة محاجر « كارارا » ..

تمرد على سلطة البابا ..

ولكن طوفان نهر «التيبر» أغرق الشحنات الاولى.. وأسرع الفنان يلوذ بفلورنسا وهو كسير النفس ، مثبط الهمة . ولكن البابا ارسل يستدعيه وأصر على وجوب عودته حين رفض ، وسلط عليه سلطات فلورنسا ، حتى اضطر بعد سبعة اشهر الى الرضوخ وهو ساخط يردد أبياتا من نظمه، منها :

« هنا خوذات وسيوف صنعت من طقوس الدين .

« وهنا يباع بالمال دم المسيح ،

« وسيفه، وأشواكه وحرابه ودروعه،

« ولن يطول الوقت حتى ينفد صبره .. »

ولم يستأنف « ميكل انجيلو » العمل في مقبرة البابا اذ كلفه هذا بان يصنع تصميمات لرسوم تزين كنيسة « سيستين» Sistine ، وهي من كنائس الفاتيكان. وكان مقدرا لمقبرة يوليوس الثاني الا تتم قبل .. أربعين عاما !

أربع سنوات على ظهره

وكان سقف كنيسة « سيستين » أقسى امتحان لمواهب « ميكل انجيلو » وأساليبه الفنية ، فاذا به ينتج تحفة نادرة ، بعد ان قضى أربع سنوات مستلقيا على ظهره ، على منصة مرتفعة ، ليرسم على السقف قصة الخلق ، وهبوط الانسان ، وشخصيات التوراة .

ومن الشعر الذي نظمه يصور به حاله في تلك الفترة :

« تتجه لحيتي الى السماء ، ويتهدل شعر مؤخر راسي ،

« وأنا مسمّر على سلسلتي الفقرية ، وعظام صدري ،

« تبرز كالقيثارة .. ووشي كثيف يزركش وجهي ،

« من القطرات المتساقطة من فرشاتي ..

« وعَجزي كالركيزة يحمل ثقلي .. »

وكان هذا العمل الفني من معالم تطور الرسم، وشاهدا على بلوغ « ميكل انجيلو » الأوج في



رأس تمثال العذراء الحزينة فى كنيسة القديس بطرس بروما . وفيه تحرر « ميكل انجيلو » من التسيب فى سبيل ابراز الغاية .. فالرأس صغير بالنسبة للجسد ، ولكن ملامحه تنطق بالطهر وبالحزن الذى لا ينال من وقار القداسة .

المزج بين ايمانه بأمجاد الانسان وايمانه بتعاليم الكنيسة ..

تمثال موسى النبى

وكان صيف سنة ١٥١٢ حافلا بالأحداث ، اذ تحالف البابا مع نابولى والبندقية ضد فرنسا .. كما تحالف مع أسرة دى مديتشى ـ ممثلة فى الكردينال جيوفانى ـ الذى جعله على رأس قواته ، فهزم الفرنسيين ، ثم سار الى فلورنسا فاخضعها وأعادها تحت سيطرة أسرته ..

وما أن مات البابا « يوليوس الثانى » ، حتى نشط « جيوفانى » فعمل بدهائه على أن يخلفه ، واتخذ لنفسه اسم « ليو العاشر » .. ومع أنه كان يعرف « ميكل انجيلو » من حداثتهما ، الا انه لم يقربه كثيرا اليه ، اذ كان الفنان فى تقشفه وصراحته يوقظ ضميره وينغص عليه استمراءه باللذات .. ومن ثم انصرف « ميكل انجيلو » الى العمل فى مقبرة « يوليوس الثانى » ، وبلغ ذروة الابداع حين نحت تمثالا ضخما للنبي موسى ، حرص على أن يكون معبرا عن فكرة ، وليس مجرد شكل من الرخام .. اذ جعل الجسم فى وضع يبين القوة العارمة ، التى يكبح العقل فورانها البدائية .

وقد اعجب ميكل انجلو بالتمثال بعد الفراغ منه حتى انه ضربه بالازميل صارخا : « تكلم !! انطق ! » فاصاب الازميل ركبة التمثال اليمنى ، واطار قطعة صغيرة .

على أن نقمة البابا « ليو » على سلفه ، أغرته بان يعمل على اهمال المقبرة ، فعهد الى الفنان بتصميم واجهة جديدة لكنيسة «سان لورنزو »، التى كانت أسرته قد شيدتها فى فلورنسا .

يرفض دعوة البابا

وهكذا عاد « ميكل انجيلو » الى فلورنسا سنة ١٥١٦ ، وهو فى الحادية والاربعين، فانهمك عامين فى التخطيط والتصميم ، واختيار الرخام من « كارارا » .. ولكن الكردينال « جيليو » ـ ابن عم البابا ، والموكل بكثير من مهامه التنفيذية ـ راح يعرقل جهود الفنان ويناوئه ، حتى أثار غضبه فطلب اعفاءه من العمل .. واضطر الى أن يعتصر موارده ليرد الى البابا ما كان قد تسلمه من نقود ، برغم انه انفق معظمها على الاعداد للمشروع ..

ولكن البابا لم يلبث أن دعاه ليزين جدران الفاتيكان، ولكن الفنان الغاضب رفض .. وكذلك رفض رغبة البابا فى أن يشيد لأسرة « دى مديتشى » ضريحا فى كنيسة « سان لورنزو » بفلورنسا ، ولم يلن لرغبات البابا الا بعد عدة اشهر من الحاحه ..

واقبل على المشروع بحمية ، الى أن قدر للبابا أن يموت فى ديسمبر سنة ١٥٢١ ، فوجد « ميكل انجيلو » الفرصة سانحة ـ فى عهد خلفه ـ ليتم ما استطاع مقبرة « يوليوس الثاني » .. ولكن البابا الجديد لم يلبث أن مات ، وتمكن « جيليو دى مديتشى » ـ غريم « ميكل انجيلو » ـ من أن يرقى الكرسى البابوى بدهائه ، تحت اسم « كليمنت السابع » فأمره بان يتفرغ لمقبرة آل

مدينتشي ، ثم باعادة بناء مكتبة الأسرة .. بينما كان ورثة « يوليوس الثانى » يلاحقونه ليتم مقبرة مورثهم ..

يشرف على تحصينات فلورنسا

وأسلمت هذه الظروف « ميكل انجيلو » للهموم والقنوط .. وضاعف من اضطرابه النفسي والذهنى ، تطور الأحداث . اذ ما لبثت ، جيوش اسبانيا ان زحفت ــ فى سنة ١٥٢٧ ــ ففتحت روما ، وعاثت فيها فسادا ، ووقع « كليمنت السابع » أسيرا .. وثارت فلورنسا على مظالم آل مديتشي،واعلنت قيام جمهورية جديدة . فأغلق « ميكل انجيلو» أبواب مقبرة دى مديتشي،ليعود للتفرغ لمقبرة «يوليوس الثانى».. ولكنه لم ينعم بهذا التفرغ طويلا ، اذ ما لبث « كليمنت السابع » أناستطاع التحالف مع اسبانيا ، وسار على راس جيش ، ليسترد لأسرته نفوذها على فلورنسا ..

وهبت المدينة للذود عن حريتها . وقدر لميكل انجيلو ان يعين ــ فى ديسمبر سنة ١٥٢٨ ــ فى مجلس الدفاع ، وأن يعهد اليه بالاشراف على كافةالتحصينات اللازمة للمدينة .. ولكنالحصار الطويل أشاع الاضطرابفى نفوس الفلورنسيين ، واغرى بضعة من الانتهازيين بالخيانة.. وما لبث « ميكل انجيلو » أن استسلم لليأس ، فهرب الى البندقية .

مسخر فى خدمة البابا

ولكن فلورنسا استمرت فى النضال طيلة سنة ١٥٢٩ ، برغم الخيانة. مما جعل « ميكل انجيلو » يخجل من هربه وجبنه ، ويبادر الى العودة ، ويشرف على التحصينات .. ومن الطريف انهكان اذا شعر بالارهاق ، سرّى عن نفسه بالاقبال على الرسم .. وكانت لوحاته فى تلك الفترة ، دراسة رائعة فى الرمزية والتعبير بحركات الأجسام عن الانفعالات ..

وفى اغسطس سنة ١٥٣٠، أحكم الخونة غدرهم، فاستسلمت المدينة ، ولاذ الفنان بمخبأ امين ، الى ان اعلن « كليمنت السابع » العفو عنه ، على شريطة الا يشغل بشىء سوى اتمام مقبرة آل مديتشي .

واقبل على العمل وهو يشعر بانه مسخر كالرقيق .. وحز فى نفسه ما أصاب مدينته من ذلة .. واقعدته الشيخوخة عن ان يتكيف مع الظروف .. وازدادت حالته النفسية سوءا ، حين قام ورثة « يوليوس الثانى » بمناصبته العداء لعدم اتمامه مقبرة مورثهم ، فاذا القنوط والهم والانفعالات تنال من صحته.. ثم تلقى صدمة كبرى اذ مات ابوه فى ربيع سنة ١٥٣١ ، فلم يقو على البقاء فى فلورنسا ، وغادرها الى روما ..

حملات مسمومة

وقضى عامين يتنقل بين روما وفلورنسا .. وفى تلك الاثناء ، رسم لوحة « الحساب الاخير » Last Judgement ، على جدار كنيسة « سيستين » ، .. كما التقى فى الفترة ذاتها باول انسان اطمان اليه ، واولاه صداقة قوية خالصة .. وهو « توماسو كافاليرى » ــ وكان شابا جميلا ، من أسرة عريقة ..

وقد قدر لتلك اللوحة ، ولهذه الصداقة ، ان يستحيلا الى سلاحين مسمومين يهاجمه بهما ــ وقد تجاوز الستين من عمره ــ كاتب فينيسى عرف بفحش قلمه ، هو « بيترو أرتينو » الذى وصف الاشكال العارية فى لوحة « الحساب الأخير» بأنها استهانة بقداسة المكان الذى رسمت فيه .. فما كان من الفنان الا أن رسم وجه « أرتينو » وراء راس القديس « بارتليو » ، ورسم وجهه هو على جلد كان يتدلى من أصابع القديس الذى كان يطالب بالانتقام لشهداء الكنيسة .. واغتاظ الكاتب فراح يشوه علاقة « ميكل انجيلو » بكافاليرى ، ويدمغها بالشذوذ الجنسى .. ولكن مكانة الشاب لم تفسح مجالا لتصديق هذه الفرية.

وفى سنة ١٥٣٤ ، مات « كليمنت السابع » ، وخلفه « بول الثاني » الذى احب « ميكل انجيلو» فبسط عليه رعايته ، وسوى النزاع الذى كان بينه وبين ورثة « يوليوس الثانى » ، فاستطاع ان يفرغ من المقبرة بعد تعاقده على انشائها باربعين عاما ، مما أرضى ضميره وأراح باله ..



سقف كنيسة « سيستين » ، وهى معبد من معابد الفاتيكان ، ويبلغ ارتفاعه حوالى ٧٠ قدما ومساحته ١٣٢×٤٣ قدما . وقد قضى « ميكل انجيلو » شهورا وهو راقد على ظهره ، فوق منصة عالية ليرسم المناظر التى تزين هذا السقف.

بين المرض وحملات الشائنين

وتفرغ الفنان لخدمة البابا سبعة عشر سنة ، وهو قرير النفس .. ولكن انهماكه فى العمل طويلا ، واقلاله من الاكل والنوم ، أثرا فى صحته وقد عدَت عليه الشيخوخة . فاصيب فى سنة ١٥٤٤ بمرض خطير ، لم يتماثل للشفاء منه الا بعد بضعة اشهر .. ولكن المرض عاوده فى نهاية العام التالي ، وتكالبت عليه صدمات نالت من روحه المعنوية .. وراحت روما تتقول عن تداعى كفاءته وعن سوء ادارته لمشروعات الفاتيكان ، وعن تبديده الأموال على هذه المشروعات . ثم مات البابا « بول الثاني » الذى أحبه واطمان اليه ـ فى خريف ١٥٤٩ ـ .

ومع أن « بول الثالث » ـ البابا الجديد ـ اكرمه وكفل له منصبه ، الا أن حملات الشائنين والحاسدين ظلت تلاحق « ميكل انجيلو » .. وكان قد بلغ الثمانين عندما مات « بول الثالث » ، وخلفه « مارسيلس الثاني » ، وكان من خصومه .. وقبل أن يفكر الفنان فى أن يهجر الفاتيكان ، مات البابا الجديد ـ ولما يعتل الكرسى البابوى أكثر من ثلاثة أشهر . وخلفه « يوليوس الثالث ، الذى » حفظ عليه كرامته ومكانته ..

بداية النهاية

وهكذا ظل « ميكل انجيلو » مرتبطا بالفاتيكان، منصرفا الى مشروعاته،وأهمها قبة كنيسة القديس بطرس بالفاتيكان،التى راح يرهق نفسه لاستكمالها برغم سنه ، وضعفه وتتابع الأمراض عليه ..

واستمر فى العمل فى عهد البابا التالي « بيوس الرابع » .. ولكن صحته اخذت تزداد انهيارا ، حتى أنه كان يشكو ـ فى خريف سنة ١٥٦٣ ـ من حصوة فى الكلى وتصلب فى المفاصل .. وبات لزاما عليه أن يستريح . ولكنه كان قد بدأ يفقد السيطرة على أعصابه وافكاره ، حتى لقد وجد فى ١٣ فبراير سنة ١٥٦٤ ـ هائما على وجهه تحت المطر الغزير ، برغم أنه كان يقترب من التاسعة والثمانين من عمره .. فاعيد الى فراشه بيد انه راح يتململ ويتفجر ..

وأخيرا مات الفنان

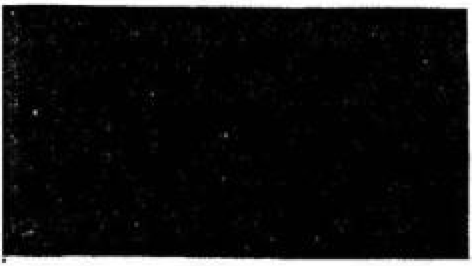
وفى ١٨ فبراير ، حانت النهاية ، وعندما سأله الفتى الذى أقبل يؤدى الطقوس الأخيرة عن رغباته ، أوصى بروحه لله ، وبجسده للأرض ، وبممتلكاته لأسرته .. الجهات الثلاث التى استأثرت باهتمامه فى حياته ..

وفى ساعة متأخرة من أصيل ذلك اليوم ، مات « ميكل انجيلو » .. الفنان الذى خلد التاريخ اسمه ، كأحد أعمدة عصر النهضة . ■■

اقتباس : محمد بدر الدين خليل



الـبـ

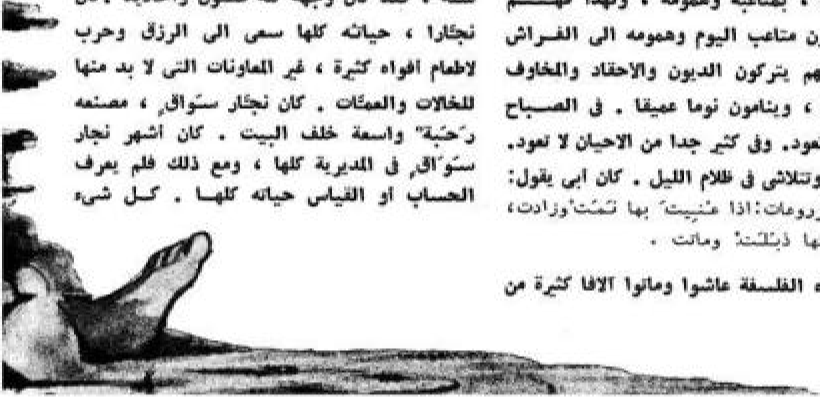


لا ادرى على وجه التحديد متى ولدتُ ، فقد كان ذلك فى واحدة من تلك الالوف من القرى التى تعمر بطن الريف فى مصر ، حيث كان الناس لا يحرصون على ضبط تاريخ ولادة او قيد اسم مولود . كان ذلك منذ سنوات كثيرة جدا .شهادة الميلاد التى أحملها الآن كتبها لى طبيب بعد ان صرت رجلا ثابت القدم فى الحياة ، كتبها بحسب ما اردت ، وهى تقول ان سنى بعد الخامسة والخمسين بقليل ، ولكننى أكبر من ذلك بكثير . اذا كنت أستطيع أن أكذب على الناس فاننى لا أستطيع أن أكذب على نفسى ، لأن حمل السنين فوق عاتقى باهظ وثقيل . ستعرف أنت أيضا ثقل هذا العبء عندما تتعالى طبقات السنين فوق كتفيك . ستشعر بمثل الرغبة التى أشعر بها الآن ، وهى أن أحط عن كاهلى هذا العبء وأهرب منه . ولكن كيف ؟ والى اين ؟ ولماذا ؟ لكى أعيش حياتى من جديد ؟ ليس فيها ما يغرى بالاستعادة، وقد أخذت من هذه الدنيا حقى ، وآن أن أترك مكانى لغيرى ..

ثم اننا كنا فى بلدنا ــ ولا نزال فيما أظن ــ نكره قياس الاعمار وحساب السنين ، لأنالزمان عندنا عدوٌ يترقب بالانسان الدوائر ، ولا بد لهذا من مراوغته وخداعه والاحتيال عليه، وهو ــأقصد الزمان ــ آخر الأمر فى حسابهم يوم واحد يتكرر. الأمس مات ولن يعود ، والغد لم يولد بعد ، فما معنى التفكير فيه ؟ . ان العالم يموت مع غروب كل شمس ، ومع شروق شمس اليوم التالى يولد عالم جديد ، بمتاعبه وهمومه ، ولهذا فهم لا يصطحبون متاعب اليوم وهمومه الى الفراش معهم . انهم يتركون الديون والاحقاد والمخاوف على الباب ، وينامون نوما عميقا . فى الصباح يمكنها ان تعود. وفى كثير جدا من الاحيان لا تعود. انها تتبدد وتتلاشى فى ظلام الليل . كان ابى يقول:

الهموم كالمزروعات: اذا عُنيتَ بها نمَتْ وزادت، واذا أهملتها ذبُلتْ وماتت .

على هذه الفلسفة عاشوا وماتوا آلافا كثيرة من السنين ، فان قريتنا هذه لا بد قد ولدت عند الخليقة ، فكل ما فيها كان عتيقا قديما حزينا . حتى ابى كنت أتصور وانا طفل أن عمره خمسمائة سنة ، فقد كان وجهه كله غضون وأخاديد .كان نجّارا ، حياته كلها سعى الى الرزق وحرب لاطعام افواه كثيرة ، غير المعاونات التى لا بد منها للخالات والعمّات . كان نجّار سَواقٍ ، مصنعه رَحْبَةٌ واسعة خلف البيت . كان اشهر نجار سَوَاقٍ فى المديرية كلها ، ومع ذلك فلم يعرف الحساب او القياس حياته كلها . كل شىء







قصة واقعية

بقلم

الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد

الدراسات الاسلامية بمدريد

كان عنده بالنظر والتقدير . ولماذا القيــاس والتدقيق ؟ ان الساقية عجلة ضخمة ليس مـن الضرورى أن تكون كاملة الاستدارة ، وأوطابها آنية من خشب يفرّ الماء من شقوقها فلا يصل منه الى القناة الا ثلثه أو ربعه . ومحور العجـلة لا ينبغى أن يكون مطابقا لثقب مركزها . وانعدام الدقة فى عمل الساقية هو الذى يجعلها عنصرا من عناصر الفن فى حياة الفلاح . انه هو الذى يجعلها تبكى وتنوح وتصاحب الفلاح فى الموّال !

كان المفروض أن أصبح نجارا مثل أبى، ولكن صاحبا له كان يعمل بناءً ، واحتاج الى صبى ، فامرنى أبى ان اصحبه واعمل معه . هكذا تقـرر مصيرى وصرت بناء . ليس فى الدنيا أقل رزقا من بناء فى قرية مثل قريتنا ، فالناس هناك لا يحتاجون اليه لانهم يبنون مساكنهم بأيديهم . القليلون ، الذين يبنون بيوتا باللّبن أو الطـوب الأحمر، هم العُمَد والمياسير من أصحاب الضياع، لهذا كانت أيامى مع هذا الرجل رحلة دائمة من قرية الى قرية بحسب مطالب الرزق والتساهيل.

ولكن مورد رزقنا الحقيقى فى هذه القرية كان حفر الآبار وبناءها ، فان قريتنا على الطرف الشرقى للدلتا حيث لا يصل الماء الى الترع الا بضعة أسابيع تعقب الفيضان . عماد الناس بقية السنة على مياه الآبار . فى هذا الفن كان معلمى أستاذا عظيما : كان يعرف طبيعة الارض ونوع الحفرة التى ستحفر للبئر وسعتها واتجاهها ، فاذا فرغ الحفارون من عمل الحفرة ، ووصلوا الى رأس الماء ، بدأ عمله الحقيقى . وهو عمل دقيق عسير يتلخص فى « بناء الحفرة » أى تبطينها بالحجر من أسفل الى ارتفاع ثلاثة أمتار ثم بالطوب الأحمر بعد ذلك ، وبناء سـلالم حلزونيـة أو زجزاجة تنتهى بمصطبة عند الماء يقفعليهـا الناس لاستخراج ما عسى أن يقع فى البئر أو لتنظيفه . وكنت ــ ككل صبى يعمل مع معلم ــ أقوم بأعسر جزء من ذلك العمل : كانوا يُدَلّونَنى فى الحفرة الى قاعها لكى أسوى الجدران وأتقن استدارتها قبل البدء فى البناء . كانوا ينزلوننى فى الصباح جالسا على لوح من الخشب مربـوط من طرفيه بحبلين ، والى جانبى شمعة ومعى علبة ثقاب ، لان الظلام فى القاع دامس ، وعلى ضوء الشمعة كنت أعمل فى الجدران بآلات بدائيةعلاها الصدأ . ولا أصور لك رعبى الدائم وأنا أعمـل فى هذا القبر طول النهار : كنت صبيا فى الثامنة من عمرى ، وليس هناك أشد ارعابا لصبى فى مثل هذه السن من البقاء ساعات متوالية فى الظلام تحت الارض ، والحشرات والديدان تجرى علـى الجدران وتسقط علىّ أو تجرى على يدى .

قاسيت مع هذا المعلم خمس سنوات أو ستا ، تعلمت فيها شيئا كثيرا . ولكن اقصى ما وصلت اليه من الاجر كان خمسة قروش فى اليوم فىمقابل عشر ساعات أو أكثر من ذلك العمل الذى وصفته لك . وفى الشهور الأخيرة لعملى معه كنت أقوم بكل شىء ، حتى تبطين الحائط كنت أقوم بـه ، والمعلم جالس قرب حافة البئر يدخن الجـوزة ويحتسى الشاى كوبا بعد كوب . ولقد حـاولت الفرار مرارا من ذلك الشقاء ، ولكن والدىأصر على أن أستمر حتى أصبح « معلما معتبرا » كما كان يقول . وعندما انقضى من عمرى ستة عشر عاما فكرت فى ترك المعلم والاستقلال بنفسى ،ولكن آداب المهنة فى بلدنا لم تكن تسمح للصبى بأن يستقل عن معلمه ، الا اذا مات هذا أو أذن له فى الاستقلال ، فلم يكن لى بد من احتمال متاعبى والسير بها مع الايام .

وفى ذات مساء عدت من العمل ففوجئت بأن أبى قد مات . مات بعد خروجى الى العمل فى الصباح ، ولم يعرفوا مكانى ليستدعونى ،فدفنوه دون أن أراه ، ولم يبق لى الا أن أتقبل العزاء فى الدوّار . وبعد ذلك بشهور قلائل مضى المعلم هو الآخر الى حال سبيله ، وخلفه فى عمله ابن'شاب لاعب لا خبرة له بالعمل ، ولكنه ورث عمل ابيه واسمه ، وأراد أن يرثنى أنا الآخر ضمن التركة ، واصر على أن أظل فى العمل بنفس الشروط . وأَنِفَتْ نفسى ذلك ، فانفصلت عنه ، ومضيت ابحث عن عملاء فلم أوفق كثيرا ، لأن الناس جاملوا الابن بل لامونى على انفصالى عنه ، فقبعت فى دارى واجتهدت فى أن أشق طريقى وحدى .

وكانت الاحوال قد تغيرت تغيرا كبيرا فى بيتنا : عقب موت ابى بايام اقبل اخى الاكبر وزوجته البدينة واولاده الستة فاحتلوا البيت علىّ وعلى امى ، ولم يبق لنا الا ركن صغير . ومضى اخى يستثقلنى ويتبرم بوجودى ، لائما اياى صباح مساء ، وقائلا اننى متبطل لا اريد العمل وأرجو ان أعيش عالة عليه . وضاقت الدنيا فى وجهى .

ثم جاء الفرج ذات ليلة . زارنا خال لى كان يعمل فى مصنع يملكه رجل يونانى فى الاسكندرية . وفى حديثه مع امى قال لها ان المصنع فى حاجة الى بناء ، وعرض عليها أن تأذن له فى اصطحابى معه. كنت اذ ذاك راقدا فى غرفة مجاورة أسمع ، وأنا يقظان نائم،ما يجرى بينهما من حديث ، فاصغيت عندما سمعت ذلك ، وسمعت امى ترفض رفضا قاطعا أن امضى لأعمل بعيدا عنها ، ثم ترجوه الا يقول لى أو لأحد شيئا عن الموضوع . ولكننى وَعيت الحديث كله ، وكنت أعرف عنوان خالى فى الاسكندرية ، فمضيت طول الليل ادير الفكرة فى خاطرى . واستقرَّ رايى قبيل الفجر على أن امضى بنفسى الى هناك ، اذ لا معنى لأن اظل فى هذا الفقر والشقاء مراعاة لعواطف امى ، ولو أطاع الأبناء عواطف الأمهات لما ظهر فى الدنيا بطل او مغامر .

وبعد ثلاثة أيام بارحت الدار مع تباشير الصباح زاعما ان ورائى عملا فى قرية بعيدة ، ومضيت أسأل من القاهم فى الطريق عن«سكة الاسكندرية» حتى وصلت بعد ايام اربعة . كنت اسير طول النهار ، فاذا هبط الظلام بحثت عن موضع مهجور انام فيه . وكانت معى قروش قليلة اشترى منها ما تيسر من الطعام . ودخلت البلد الكبير فكأنما ألقى بى فى بحر : شوارع كثيرة متشابهة ، وألوف من الناس تروح وتجىء مُعْجَلَة كأنما قامت القيامة ، وعربات وترام وباعة جوالون، ودنيا لا أول لها ولا آخر . وغرقت فى هذا البحر: ادخل فى شارع وأخرج من آخر ، وكلما سألت انسانا عن العنوان – وكنت أحفظه – نظر الى متفحصا كأننى أتيت من كوكب آخر ، أو كأننى لا أتكلم «العربية» ، وتاملنى ساخرا وضحك واستضحك من حوله ومضى . وجاء المساء وكنت قد هلكت ، فمضيت أبحث عن شىء أبيت فيه ، ومررت ببائع خبز وطعمية على ناصية حارة، فمضيت اليه واعطيته قرشا ، فناولنى به ما تيسر ،ورآنى آكل فى نهم فنظر الى فى عطف ، وتشجعت فسألته عن العنوان ، فمضى يسأل من حوله ، حتى عثرنا آخر الأمر على غلام يعرفه ، فتطوع ليدلنى عليه . وسرت خلفه حتى اذا بلغنا طرف البلد – فيما اتصور – أشار الى مبنى كبير تتصل به ساحة يدور عليها سور طوله طول قريتنا كلها ، وقال « ها هو محلج جالانو » . واعطيته قرشا فمضى يجرى فرحا ، وكنا حوالى منتصف الليل. وكان نباح كلاب كثيرة يترامى الى من داخل المحلج ، فابتعدت عن السور ولجأت الى جدار كوخ خشبى ، ووضعت جنبى على الارض ونمت فى الحال .

لانسى ما حييت منظر هذا الرجل أول مالقيته. كان طويلا عريضا احمر الوجه أبيض الشعر ، وكان له شارب كبير ابيض وقور . كان رجلا هادئا رزينا يتحدث فى تؤدة بصوت عميق ينم عن كمال ورجولة. أصغى الى قصتى وهو يدخن سيجارا ، فلما فرغت ابتسم، واحسست أنه أعجب بالمغامرة التى قمت بها ، ولم يسألنى عن خبرتى فى البناء، وكأنما اكتفى بما لقيت من العناء فى سبيل الحصول على العمل ، فربت على كتفى وقال بلهجة مصرية خالصة : « حماسك جيد يا بنى ، ولك مستقبل! ستعمل عندى بناء فى العزبة ، وساعطيك عشرين قرشا فى اليوم » ثم التفت الى خالى وقال : خذه عندك الليلة ، واطعمه جيدا ، فقد هلك المسكين، وفى الصباح تقدمه الى استيفانيدس » .

عندما قابلت استيفانيدس فى الصباح تبينت أن الخواجا جالانو قص عليه خبرى وأوصاه بى.

كان شابا لطيفا من مواليد مصر ، يتحدث المصرية ويقرأ العربية ويكتبها كأنه عربى ، وكان آية فى الذكاء والطيبة والكفاية ، وكان خاله « الخواجا » قد أقامه مديرا للعزبة ، وكانت تقع قريبا من بحيرة مريوط . أخذنى فى سيارته ، وملكنى الذهول وأنا أتامل هذا الشىء الهائل الذى يسميه عزبة : مساحات شاسعة مزروعة فواكه من كل صنف ، ومئات الصفوف من شجيرات

صغيرة قيل لى انها عنب ، وحقل واسع مزروع قطنا وآخر قمحا ، ثم مرعى فسيح تسرح فيه ابقار لم أر فى حياتى مثلها . وكان اسطفان ـ وهكذا كانوا ينادونه ـ يمر بن مسرعا من جانب لجانب ويتحدث وأنا بالكاد أستطيع ملاحقته ، ثم مضى بى الى مجموعة من المساكن الجميلة تقوم فى اربعة صفوف، وقال ان هذه هى مساكن العمل، وأعطانى مسكنا فى الدور الثانى من واحد منها ، ثم مضى بى الى موضع فى طرف الضيعة رأيت فيه اربع آبار أو خمسا ، وقال لى : « أنت بناء آبار ، أليس كذلك ؟ » قلت : « نعم ! » فقال : هذا عملك : تمنى بهذه وتبنى لنا ستا أخرى حددت مواضعها ! » . ثم أمر أحد مساعديه أن يأخذنى عنده الى الغد ويسرع باعداد مسكنى ، وقال انه ينتظرنى من الغد فى السابعة صباحا عند موضع الآبار لأبدأ العمل .

وشعرت بخيبة أمل كبرى : لقد عدت الى العمل فى الآبار ! هربت منها هناك لأجدها فى انتظارى هنا ! محكوم على أن اقضى عمرى كله فى هذه الحفر كأننى ولدت للموت البطىء دفينا تحت سطح الأرض .. وعدت الى بيت زميل لى ثقيل القلب ، وانتقلت مساء نفس اليوم الى سكنى الجديد ، فأحسست أننى ولدت من جديد: غرف جميلة نظيفة ناصعة البياض ، تضيئها مصابيح كهربائية، تدير المفتاح فاذا بها تملأ عليك البيت ضياء .. وماء صاف كالبلور ينصب من الصنبور أنى شئت .. وفراش وفير وأثاث جميل، ما كنت احلم بمثله ابدا . احسست كأنما كنت ميتا وبعثت حيا . احسست أننى اعيش ،ومس قلبى للمرة الاولى فى حياتى فرح بالحياة وبشر لها . احسست أننى انسان وأن الحياة جديرة بان تعاش ، وهان عندى العمل فى الآبار، ما دام هو سبيلى الى هذا العيش الكريم ..

وبكرت فى الصباح لألقى اسطفان ، وفحصت أمامه بئرين واقترحت ما يصلحهما ، ثم ذهبنا فعاينا مواقع الآبار الجديدة . وانقضى اليوم وأنا فى عمل متصل مع الشاب اللطيف . ومضت الأيام بعد ذلك تترى، ووجدت معى زملاء طيبين سعداء فاشرقت نفسى ، ورضى عنى اسطفان فمضى يصطحبنى معه فى كل عمل . كان مهندسا ممتازا، كنا نسميه الباشمهندس ، وتعلمت منه كثيرا من أصول البناء والمعمار فلم اقتصر على الآبار ،وزاد مرتبى الى ثلاثين قرشا فى اليوم ، ثم قدروا لى مرتبا كافيا قدره عشرة جنيهات . وكتبت لأمى بما أنا فيه من السعادة ودعوتها للعيش معى، فاقبلت ، وطوتنا السعادة فى أعطافها . ومضت الأيام رخاء ..

وفى ذات مرة قال لى اسطفان : أليس عارا على شاب ذكى مثلى أن يظل أميا لا يقرأ ولا يكتب ؟ فاخذت دروسا على شيخ ، وما مضت شهور حتى صرت أقرأ وأكتب ، وانفتح أمامى باب القراءة الواسع ، فاقبلت اقرأ الصحف والمجلات والكتب وكل ما تصل يدى اليه ، وتحسست أننى أمضى الى عالم جديد جميل ، وأننى أصبح انسانا أحسن يوما بعد يوم ..

★ ★ ★

وكانت تسكن الدور الارضى فى بيتنا امرأة كريمة تسمى نفيسة . كان زوجها يعمل فى الضيعة ثم مات فى حادث ، فعرضوا عليها أن تظل فى الضيعة وتقوم بغسل الملابس ويجرى عليها راتب زوجها، فقبلت وكان لها ابن صغير وحيد يسمى «سلامة»، كان قطعة من الظرف وخفة الروح. كان فى السادسة من عمره ، فتعلقت به وتعلق بى حتى صرت لا أخطو خطوة الا وهو فى أعقابى ، فاذا عدت الى البيت مع الليل تعشى معى وأمى وظل معنا يلعب ويصخب ، وأنا اقرأ والاحظه كأنه ابنى ، حتى اذا تعب وادركه النوم أخذته أمى الى فراشها، أو نام على أريكة فى غرفتى ، لكى استمتع بصحوه فى الصباح وأستمع الى هذه العبارات اللطيفة التى لا تصدر الا عن الاطفال فى سنه .

وأخذنى اسطفان لأعمل معه فى عمارة كبيرة كان الخواجا يبنيها فى الاسكندرية . هناك أصبحت مساعدا للباشمهندس ، فعلمنى الرسم والقياس واستعمال ادوات المهندسين . وصار اذا تغيب قمت بالعمل مكانه ونفذت المشروع كما هو فى الرسم ، فلما فرغت العمارة أعطانى عشرين جنيها ، ثم جمع مجموعة من رسوم المبنى وأعطانى اياها وقال لى : أنت الآن أكثر من معلم ، أنت مهندس ..

★ ★ ★

وفى ذات يوم عدت من الاسكندرية حوالى



ومن قاع البئر سمعت صوتا ينادينى ، ولكن ضجيج الناس كان عاليا فصرخت فيهم فسكتوا .

الحادية عشرة مساء . وسألت عن «سلامة» قبل ان اجلس الى مائدة الطعام فقالت لى أمى انه يلعب مع الاطفال ، فاذا نحن فى هذا سمعنا ضجة واصواتا ووقع اقدام تجرى ، فنظرت من النافذة وسألت ، فقالت امرأة تعدو : سلامة ! قلت : ماله ؟ ولم ترد على فهرولت الى الطريق وتبعت الناس ، وعلمت فى الطريق أن سلامة وقع فى بئر مهجورة فى طرف الضيعة كانوا يسمونها « الغولة » لرهبتها . ووصلت الى الموقع فاذا الناس حول الحافة فشققت طريقى بينهم، ونظرت فى البئر وسألت :

ـ أنتم متأكدون أنه وقع ؟

فقال غلام وصوته يشرق بالبكاء والفزع :

ـ نعم .. كنا نلعب هنا ، وقال لنا انه مثلك مهندس آبار ، ثم نزل بضع درجات ليرينا مهارته، ثم زلقت قدمه ووقع .

وانبطحت على الارض وتدليت فى البئر قدر ما استطعت وناديت سلامه ! سلامه !

ومن قاع البئر سمعت صوتا ينادينى ، ولكن ضجيج الناس كان عاليا فصرخت فيهم فسكتوا ، وناديت مرارا أخرى ، وسمعت الصوت الصغير ينادى امه وينادينى ويبكى .

وهذه الآبار كما قلت لك ليست مجرد حفر ، فانا نبنى أسفلها عند رأس الماء مصطبة من الحجر يقف عليها عمال التنظيف أو الانقاذ ، ثم طلبت قنديلا علقته فى ذراعى ، ومضيت أنزل سلالم البئر ، ثم وجدت السلالم تنتهى بعد نحو متر ونصف ، فعلمت لماذا سقط المسكين ، فصعدت وطلبت حبلا ، فجاءونى به ، وثبته على الحافة ، وربطت القنديل على صدرى ، فاذا أنا أهم بالنزول اذا أمى مقبلة تصرخ وتستغيث ، ثم أنشبت يديها فى عنقى وأخذت تولول وتبكى وتقسم أننى لن أنزل ابدا ، وحاولت التخلص منها عبثا ، فقد كانت يداها قد ماتت حول عنقى ، وقالت ان الغلام مات من زمن ولن تتركنى أموت أنا الآخر ، وحاولت اقناعها بأنه حى وأننى سأعود به ،ولكنها كانت قد جنت ولم تعد تفهم شيئا ، وانضم اليها نفر من الرجال وأحاطوا بى جميعا وحملونى وأنا أحاول الفكاك منهم ، وأخذ واحد منهم الحبل والقنديل وجرى قائلا انه من الجنون أن أقتل نفسى على هذه الصورة .

ويبدو أن احدهم ضربنى على رأسى بيده ضربا متتابعا ، لاننى لم أعد أرى شيئا ، وأفقت بعد ساعات فوجدت نفسى على الأريكة فى بيتى، فنهضت أتسحب مخافة أن تستيقظ أمى ،وأخذت أدواتى ومصباحى ومضيت بمفردى نحو البئر . كانت الساعة الرابعة والنصف صباحا ، وثبتُّ الحبل ، ومضيت أنزل فى البئر حتى وصلت القاع ، وهناك وجدت الغلام منطرحا نصفه الاعلى على المصطبة وقد تدلت رجلاه فى الماء . جسست نبضه فاذا به جثة هامدة . ساعتها شعرت بغضب لا أنساه عمرى ، فهذا الغلام لم يمت غريقا ولكنه مات فزعا ، لقد جاهد فى البقاء على المصطبة

قدر المستطاع ، حتى اذا خارت قواه ارتمى وتدلى نصفه الاسفل فى الماء ومات . كان حيا عندما حاولت انقاذه ، ولو تركتنى امى لانتشلته ومر الامر بسلام .

وحملت جثمان الصغير بذراع ومضيت اتسلق بيد واحدة وقد قيدت قدمى فى الجدران،ووصلت الى الارض بعد ساعة او نحوها وانا خائر القوى، ووسدته الثرى وجلست امامه ابكى مصيبتى فيه. واقبل واحد من الخفراء ، ثم تجمع الناس حولنا، وبعد قليل اقبل اسطفان ورآنى على هذه الحال ، وقصصت عليه الأمر ، فاخذ بذراعى ومضى بى الى بيتى يعزينى ويواسينى .

لم احضر جناز الغلام ولا دفنه.لم اكن استطيع ذلك ، فمضيت مع اسطفان الى الاسكندرية طول اليوم . وعندما عدت فى الليل لم اطق النظر فى وجه امى . انها هى التى قتلت سلامة . كان دافعها الخوف على ولكنها قتلت الغلام على اى حال .

وهبط ستار كثيف بينى وبينها . لم اعد احتمل رؤيتها او سماع صوتها فضلا عن المقام معها . كنت أخرج الى العمل مع البكور واعود مع الليل فاوى الى غرفتى دون أن يدور بينى وبينها اكثر من التحية . وشعرت بضيق شديد يتزايد يوما بعد يوم.كرهت الضيعة وما فيها، واصبحت اقضى الليالى المتوالية دون نوم ، حتى خفت على نفسى . ومضت أمى تشكونى للجيران والجارات ، فاخذوا يلوموننى لوما شديدا .. اما أم سلامه، فقد نزل بها ذهول وصمت ، وما رأتنى مرة الا اطالت النظر الىّ دون أن تقول شيئا،ثم أجهشت فى البكاء ..

فلما طال الأمر ، نظر الى اسطفان وقال :

ـ ان حالك لا تعجبنى يا محروس .. انت لست مسئولا عن موت هذا الغلام ، فلماذا تعذب نفسك على هذه الصورة ؟

ـ كان من الممكن ان انقذه يا باشمهندس لولا امى ..

ـ وما ذنبك انت ؟

ـ انا وامى واحد ، وانا الذى اتيت بها الى هنا ..

ـ وماذا يجدى الحزن الآن ؟ وما وقع وقع ولا حيلة لك فى اصلاحه ..

ـ تلك هى مشكلتى ، لو كانت هناك اى وسيلة لاصلاحه لما ضاقت الدنيا فى وجهى على هذه الصورة .. اننى ارى صورة سلامه كلما اغلقت عينى . كلما رايت امى بدا لى هول جريمتها .. ان امى قاتلة يا باشمهندس ، ولا استطيع ان اعيش معها .. قتلت طفلا مسكينا ..

ـ لا تبالغ يا محروس .. انها لم تقتله .. لقد فعلت ما كانت تفعله اى أم فى مثل هذه الظروف : حالت بينك وبين الموت ..

ـ باشمهندس!ماذا كنت تفعل لو كنت مكانى؟!

ـ كنت أعيد أمى الى قريتها بعض الوقت ..

ـ هذا لا استطيعه .. لا استطيع اخراجها من بيتى .. ثم ان اخى فى القرية لا يريدها ..

اذن ماذا العمل ؟ لا بد من حل ، لن تستطيع الاستمرار طويلا على هذه الصورة ..

فظللت لحظة صامتا ، ثم وضعت يدى على كتفيه ونظرت اليه طويلا ثم قلت :

ـ الحل ان اذهب من هنا . انتهت سعادتى فى هذا المكان وماتت مع سلامه فى البئر الملعون !

فابتسم متعجبا ، وهز رأسه وقال :

ـ هذا جنون .. انت لم تبدأ هنا بعد.المدة الماضية كانت مدة تعلم وأنت الآن اهل لعمل أكبر ومسئوليات أكثر .. من ايام كنت أتكلم مع الخواجة فى امر تعيينك مكانى هنا لكى انتقل انا الى الاسكندرية واشرف على المبانى التجارية .. الخواجه هو الذى اقترح ذلك .. أتدرى ما معنى ذلك ؟ معناه ان راتبك سيرتفع الى اربعين او خمسين جنيها فى الشهر ، وستأخذ دارى هنا بما فيها ..

فهززت راسى وقلت :

ـ ليتنى استطيع قبول ذلك .. أريد ان ابتعد عن هنا عامين او ثلاثة .. أريد ان اذهب الى حيث لا ارى أمى ولا البئر ولا الأماكن التى كان سلامه يلعب فيها .. اننى لا انام يا باشمهندس

ولا آكل .. شيء انهدم داخل كياني ولا بد أن ابنيه بعيدا عن ذكريات المأساة ..

ـ والى اين تريد أن تذهب ؟ ..

ـ الى آخر الارض .. الى مكان لا تستطيع أمي الوصول اليه .. ساعدني ياباشمهندس ارجوك .. انتم تعرفون الدنيا اكثر منا ..

ـ تريد أن تهاجر مرة أخرى .. ؟

ـ نعم .. اريد أن اهرب من نفسي ومن أمي .. ومن سلامه ..

وافترقنا . عدتُ الى عملي وشعرت كأن حملا ثقيلا قد انزاح عن صدري . كنت واثقا من ان اسطفان قد فهمني . ولم نتحدث في الأمر اياما كثيرة ، وفي ذات مساء كنت أجلس معه في مقهى على شاطىء البحر صامتا فأمسك بذراعي وقال:

ـ تسافر الى المكسيك يا محروس ؟

ـ المكسيك ؟ .. هذه بلد .. ؟

ـ بلد واسع عظيم ، مساحته ثلاث مرات أو اربعة أكبر من مصر ..

ـ وبعيد ؟

ـ جدا .. بيننا وبينه قارات وبحور ..

ـ أي أن أمي لن تستطيع ادراكي هناك ؟ .

ـ ولا الشيطان ..

ـ هل لك معارف توصيهم بي هناك ؟ ..

ـ أمي بالذات .

ـ اذن سأذهب الى هذا المكان ..

ـ ولكن هناك حروب وثورات ..

ـ لا يهم ..لو بقيت هنا فمصيري الىالجنون.

ـ وتعود الينا بعد سنتين .. ؟

ـ أعدك بذلك .

وتصافحنا .. وابتسمت للمرة الاولى من شهور ..

★ ★ ★

رسمتُ خطة السفر مع اسطفان وكيل صاحب الضيعة اليوناني . وعارض الخواجة صاحب الضيعة اول الأمر في المشروع ، ولكن اسطفان ما زال به حتى رضي.وكان لاسطفان صديق يعمل ربانا لسفينة تجارية يونانية تعمل بين موانيء اليونان وامريكا ، فكلمه في أن يأخذني عاملا أو بحارا .

كنت اذ ذاك في الثانية والعشرين من عمري ، ولكن تجارب أيامي جعلتني أكبر من سني بكثير . وكانت صحبتي لاسطفان قد اوسعت ذهني وقلبي وحبَّبت اليَّ المغامرة والمخاطرة ، فلم يعد لي بعد ذلك تفكير الاَّ في ذلك البلد الكبير ، الغريب البعيد المكسيك ، الذي سأمضي اليه . وخففتُ عن نفسي هموم أمِّي وسلامة . وكان لديَّ ٢٥ جنيها ادخرتها ، فاعطيت مائتين منها لاسطفان لكي يعطيها لأمي بعد سفري ، فتشتري بها فدانا في بلدنا وتعيش في سلام . وكانت امرأة حازمة واعية تستطيع السير وحدها في الحياة معتمدة على هذا المِلْك الصغير .

ومضيت في الاستعداد في طي الكتمان فلم تعلم أمي بشيء ، ولا لاحظ خالي شيئا . واستخرجت جواز السفر،وتأشيرة دخول وهجرة الىالمكسيك. وفي العاشر من نوفمبر سنة ١٩٢١ ، وقفت على ظهر باخرة البضائع اليونانية « كرينيا » ... انظر الى الاسكندرية ، وهي تبتعد عني رويدا رويدا . كان ضباب البكور يغشاها ، واشعة الشمس تمتد خيوطا ذابلة من ذهب رقيق لتوقظ عروس البحر الابيض المستسلمة للنعاس ،وطيور البحر تحوم وتدور وتتنادى ، ثم تتبع الباخرة حتى ابتعدت عن الشاطىء . وشيئا فشيئا اختفى الميناء الجميل وراء الأمواج .. وانحدرتمن عيني دمعات ، ولكن فرحا عظيما كان يملأ قلبي ...

وفجأة صاح صوت :

ـ أنت ، هناك ! الى العمل .. !

ونظرت خلفي فاذا بالخواجه ديمتري ،رئيس عمالالمركب،وكانوا قد قدموني اليهقبلأسابيع ، يرمقني بنظرة حازمة ، فاستدرت اليه وقلت :

ـ لا مؤاخذة يا خواجة .. ان فراق الوطن عسير ..

ـ أنا أعرف ذلك ، ولكن وقوفك هنا لن يغني عنك . لن يسرِّي عنك الا العمل ، اتبعني ..

وسرت خلفه ، فهبطنا دورين ، ثم وقف عند رأس سلم حلزوني يهبط الى قاع المركب ،وقال:

ـ النظام هنا أن يتدرب البحار على كل أنواع العمل في المركب ، بادئا بالافران . انزل من هنا، ستجد رئيس الافران في انتظارك تحت . انه مصرى مثلك وسيسر برؤيتك ..

ومضيت أهبط السلم الحديدى الدائر . أحسست بقلبى يهبط ، عدت الى الحفر والظلام مرة اخرى ! لا فرار لى من هذا ابدا . حتى على المركب تنتظرنى هذه القبور . هل من المعقول يا ربى أن أولد لأعيش عمرى كله تحت الأرض .. وأين أدفن اذن عندما اموت ؟

واستقبلنى وهج الافران الرهيبة فعدت الى نفسى . وجدت المعلم خِضْر في انتظارى . كان عملاقا ضخما حازم الوجه كأنه تمثال شيخ البلد. كان حليق الرأس نافذ النظرات مثله ، وكان عارى الصدر يأتزر ببنطلون،ومثله كان كل العمال. سلمت عليه . ودون كلمة ناولنى جاروفا ،وقال : تعمل على الفرن رقم ٤ . أفراننا غيلان فحم ، لا تتوقف عن العمل أبدا . المركب سيزيد السرعة الآن ، ولا بد من تسخين هذا الفرن ٤٠٠ درجة . أنظر الى هذه الساعة . المؤشر على ٢٢٠ ولا بد أن تدور الى ٤٠٠ درجة ويستمر على ذلك ..

ونظرت الى مؤشر الساعة والى الفرن ، وخلعت جاكتتى وقميصى، واخذت القى الفحم في التنور، وكان زملائى يغنون ، فمضيت أغنى معهم ...
كان زملائى على المركب خليطا غريبا : هنودا وعربا ، وسودا ، ويونانا ، ومالطيين وقبرصيين وايطاليين وسوريين . كان فيهم جميعا عنف وجفوة ، ولكنهم كانوا طيبين ظرفاء . كنا نتحدث لغة غريبة فيها من كل لغة لفظ ، وكانو يسمونها انجليزية . تعلمتها خلال أيام ، ولم يكن ذلك عسيرا ، لأن موضوعات الحديث كانت لا تخرج عن الطعام والخمر والنساء . كانوا يعطوننا أربع شلنات في اليوم يصرفونها لنا جملة عندما يرسو المركب في ميناء ، فيأخذ كل منا عشرين أو خمسة وعشرين شلنا ، وننزل الى الشاطىء ، فيسرع زملائى الى بارات وأماكن يعرفونها ولا يعود واحد منهم بشلن واحد ، وأنزل الى البر ، وأجتهد في تدبير نفسى به طول النهار .

ورغبت في تعلم اللغة الانجليزية ، فاشتريت من بيروت كتيبا يقول عنوانه انه يعلمك الانجليزية في شهر بدون معلم ، وجعلت أقضى وقت فراغي مع هذا الكتاب . وارادوا نقلى الى قسم شحن البضائع وتفريغها ، ولكن المعلم خِضْر تمسك بى ، وزادوا أجرى شلنين، فبقيت أعمل في المواقد حتى عبرنا المحيط الاطلسى ، وارست بنا المركب في ميناء نيويورك . كنت قد قرأت عنه كثيرا ، ونصحنى بعض زملائى أن اغادر المركب هناك ، فالحاجة الى العمال ـ من اى صنف ـ كبيرة . مكثنا هناك ثلاثة أيام في المنطقة الصغيرة المحيطة بالميناء . هناك قدمنى المعلم خضر الى رجل سورى يعمل مقاولا ، فعرض علىّ أن يستخرج لى اذن اقامة وتصريح عمل ، وقال انه سيعطينى عشرة دولارات في اليوم ، ولكن الحياة لم تعجبنى هناك . شعرت بخوف من الوف الايطاليين والصقليين الذين كانوا يعمرون منطقة الميناء . ولما عرف ديمترى بأنهم يفاوضوننى لأترك المركب عرض علىّ أن أكون رئيس عمال الشحن بأجر قدره جنيه انجليزىفىاليوم ،فقبلت واقلعنا من نيويورك . وقد اشتريت من هنالك قلم حبر وكتابا مصورا ، فلما فتحته في المركب لأقراه وجدته مجموعة صور نساء عاريات ، فبعته لأحد زملائى بضعف الثمن الذى اشتريته به .

ورآنى ديمترى منهمكا في استذكار كتاب اللغة الانجليزية ، فقال لى اننى لن احتاج الى ذلك ، لأن الناس في المكسيك يتكلمون الاسبانية ، وانها لغة أخرى تختلف عن الانجليزية تماما ، ولم اكن سمعت بهذه اللغة من قبل هذا ابدا .

وبعد زوابع وأعاصير وصلنا الى البحر الكاريبي ، أعاذك الله من أعاصيره ، في حياة هذا البحر هان علىّ الجنيه اليومي الذى أغرانى بالاستمرار ، بل هانت علىّ الحياة . وعندما دخلنا خليج المكسيك دهمنا نوه عاصف دفع المركب دفعا خطيرا نحو مرفا يسمى كواتزاكوالكوس ، وعلى مرأى من ذلك المرفا تعطل المركب تماما ، فجروه الى الشاطىء ،ونزلنا الى البر ، فاذا نحن في مكان لا يوصف الا بانه جهنم : بيتان او ثلاثة والباقى أكواخ يسكنها ناس معظمهم هنود مكسيكيون . ومن اللحظة الأولى تبينت أن المكان تسيطر عليه عصابات من القتلة والسفاحين ، ولا بد أن تؤدى لهم ضريبة لكى يأذنوا لك في البقاء على الشاطىء . فعدت الى المركب .

وبعد يومين جمعنا ديمترى ، وقال ان خلل المركب كبير ولا يمكن اصلاحه فى هذا الوضع ،ولا بد من سحبه الى ميناء سانتا كروز ، وهناك سيحتاج الى ثلاثة شهور للاصلاح . ولهذا فان ربان السفينة قرر الاستغناء عن كل العمال عدا اليونانيين وانهم سيصرفون لكل منا خمسة جنيهات تعويضا. وحاول بعضنا أن يحتج ويعتصب ،ولكن الربان كان قد سلح اليونانيين واوقفهم على المركب مستعدين للقتال . ولم يكن هناك قانون ولا كانت معنا عقود ، فرضخنا للأمر الواقع ، وانزلونا الى البر ، سبعة وعشرين رجلا بعد أن اعطونا مكافآت وشيئا من الزاد ، ثم ابتعدت السفينة عن الشاطىء يجرها لنشان بخاريان . ووقفنا على الشاطىء والحسرة تملأ قلوبنا ، وقد اجتاحنا شعور باننا شرذمة حكم عليها بالموت ، أو حطام ألقت به الأمواج على الشاطىء .

وتزعمنا رجل هندى يسمى باندا ، وكان لى صديقا ، فقال : ان سلامتنا مرهونة باتحادنا ، فلا حكومة هنا ولا أمان ، واقترح أن يشترى كل منا سلاحا وان نسير كلنا جملة واحدة مسلحة، وانه كان جنديا فى الجيش البريطانى ويعرف كيف يحمينا ، وتبعناه طبعا ، فسرنا حتى دخلنا البلد، واحتللنا مقهى حقيرا ، ومضى هو ليساوم فاشترى لكل منا «طبنجة» ورصاصا ، واكترى لنا كوخين، عشنا فيهما أياما كأننا مواش ارسلت الى الذبح، فهى تنتظر الموت فى اى لحظة .

وسرِّىَ عنا الرعبُ بعد أيام ، واعتدنا حياة الشقاء هذه ، والانسان يتعود بسرعة على أى لون من الوان الشقاء اذا لم يكن له من ذلك مفر . واتصل بعضنا ببعض الهنديات وتزوجوهن قبل أن تمضى عشرة أيام ، وانفصلوا عنا ، واشترك الهندى باندا مع اربعة من أبناء جنسه ونفر من المكسيكيين والهنود ، وبدأوا تجارة تهريب جعلوا مركزها البار القذر الذى كنا نجلس فيه ، وانفصلوا عنا هم الآخرون ، وما استتم الشهر حتى وجدت نفسى مع ثلاثة فقط فى الكوخ الحقير ، كان واحد منهم لحسن الحظ سوريا ، فتعزيت بصحبته وصرنا لا نفترق ، ثم انتقلنا معا الى نزل – ليس أحسن من الكوخ – تديره امرأة ضخمة مرهوبة الجانب فى الناحية كلها ، وقد عرضت علينا هذه السيدة أن تتوسط لنا لنحصل على اذن رسمى بالاقامة والعمل مقابل خمسة جنيهات لكل منا ، وبالفعل



وتزعمنا رجل هندى يسمى باندا ، وكان لى صديقا ، فقال : ان سلامتنا مرهونة باتحادنا ، فلا حكومة هنا ولا امان ، واقترح أن يشترى كل منا سلاحا .

حصلنا على هذه الأوراق ، وزال خوفنا من ان تقبض السلطات علينا. ثم تعلقت السيدة بصاحبى الباقى ، وبدأت بينهما حكاية طويلة ، واحسست أن بقائى فى النزل لم يعد مرغوبا فيه ، فبدأت أبحث عن مخرج .

ثم سمعت أنه غير بعيد من كواتزاكوالكوس هذه تقوم مدينة صغيرة تسمى « سايولا » آهلة عامرة يحتاج اهلها الى بنائين، فعولت على الانتقال اليها. وكان الناس لا يسافرون اذ ذاك الا قوافل فى حراسة فرق من البستوليروس (أى الضاربين بالرصاص) ، وكانت السيدة صاحبة النزل تشترك فى تنظيم هذه القوافل مقابل مال معلوم يدفعه كل مسافر ، فانضممت الى قافلة ،ووصلنا سايولا على ظهور الخيل يحيط بنا ذلك الحرس.

كانت سايولا اقرب الى مفهوم البلدان من ذلك الركن الخرب الذى كنا فيه . كانت مركزا زراعيا غنيا يسيطر عليه نفر من الاقطاعيين يتناوبون حكمه كأنهم امراء مستقلون . كان البلد يتكون من ميدان صغير تقوم فيه كنيسة الى جانبها دار الحكومة ويسمونها الكابيلدو ، وفي مواجهتها قصران كبيران هما اشبه بالحصنين، يملك أحدهما حاكم البلد في تلك الأيام السنيور كارلوس ريباس دي موفتويا، ويملك الآخر الحاكم السابق السنيور فيستني جارفيا بيريرا ، وكانا متنافسين لايتوقف القتال بينهما ، ولكل منهما جيش صغير من البستوليروس يسمونه البوراً أى الهراوة . ويتصل بالميدان شارع طويل على جانبيه مبان متوسطة الحجم يملك نصفها هذا ونصفها ذاك ، وحول الميدان والشارع مجموعات من مساكن الأهلين ، وكلها فقير حقير ، وحول البلد من كل ناحية مزارع واسعة ممتدة يعمل فيها الهنود رقيقا .

كان سيد البلد عندما وصلنا اليها السنيور موفتويا ، وكان من انصار رئيس المكسيك اذ ذاك فرانسيسكو ماديرا،وكان رجاله وانصاره كثيرون يسيطرون على كل شيء . وقبل وصولنا بعام كان الحكم في يد منافسه السنيور بيريرا ، وكان من انصار ديكتاتور المكسيك المشهور بورفيريو دياث ، وعندما سقط بورفيريو سقط معه انصاره ، ومنهم بيريرا ، ولكن هذا الأخير كان رجلا قويا جريئا ، فلم يستطع موفتويا انتزاع كل شيء من يده ، وظلت الحروب بينهما سجالا ، وما كان يمر يوم الا وتدور فيه معركة يموت من اهل البلد فيها من حان حينه . وكان من المناظر المألوفة أن تدخل عصابة مسلحة المقهى الذى كنا نجلس فيه ، وتاخذ رجلا بعينه من خصومها ، وتصرعه بالرصاص امام الناس ، فلا يزيد الجالسون في المقهى على النظر الى القتيل لحظة ، ثم مواصلة الحديث كأن شيئا لم يحدث.

ولم يكن قد بقي معي من النقود اذ ذاك الا نزر ضئيل ، فاكتريت غرفة صغيرة علقت على نافذتها لافتة تقول اني بناء ، وبدأت اقوم باعمال قليلة يؤجروني عليها بعدد من ارغفة الذرة الصغيرة التى يسمونها هناك بالتورتيا ، وقطعا من الجبن أو بضع بيضات . وعشت على هذا أسابيع ، وكنت ادهش كلما صحوت من نومى كل صباح فاجدنفسي لا ازال على قيد الحياة .

وفي ذات يوم كنت اشرب فنجانا من القهوة في المقهى ومن حولي ناس كثيرون يشربون الخمر المكسيكي المعروف بالتكيلا اذ دخل نفر من أعوان الحاكم موفتويا وسألوا عني بالاسم ، ثم اقتادوني الى دار الحكم (الكابيلدو) ، وادخلوني غرفة واسعة مظلمة وجدت فيها ستة او سبعة من أمثالي ثم اغلقوا الباب وتركوني . ظللت هناك من الصباح الى المساء لا أدري فيم أتوا بي ولا ما سيجري عليّ . ولم يتملكني الخوف ، فالحقيقة أن حياتي كانت اذ ذاك من التفاهة والشقاء ، بحيث كنت ارحب بالموت . وكان الى جانبي رجل جالس القرفصاء محتبيا باللباس المكسيكي المعروف بالبونشو، ويغطي رأسه بقبعة هائلة من الخوص. وسمعت هناك أن صاحبنا الهندي يانذا قد قتل ، فشرعت اقرأ الفاتحة دون وعى منى ، فرفع ذلك القابع الى جواري رأسه وقال : ماذا تفعل ؟

قلت : أصلي على صاحب لي قتلوه .

فقال بكل هدوء : صلّ على نفسك أيضا ، فان مصيرك ليس أحسن منه !

ثم مال رأسه واستند على ركبتيه تحت القبعة كما كان ، ولم يتحرك غيرهذه الحركة طول النهار.

وقرب الغروب ، دخل جندى . وناداني ،فقمت اتبعه وأنا اتشهد على نفسي ، وسار بي الى باب اوقفني عنده وقال : سينادونك فلا تتحرك من هنا .

ثم مضى فجلس على الارض ، ووضع مسدسه الى جواره ، واخرج شيئا اظن انه فول سوداني ومضى يأكله كأنه فار .

وبعد قليل فتح الباب وأمرت بالدخول ،فوجدت رجلا يلبس زيا عسكريا جالسا الى مكتب ، ومن حوله نفر من اصحابه وهم يضحكون ، وأمرني جندى بان اقف مؤدبا امام « السنيور الوَثيل» اى مدير مالية البلد . وقد علمت بعد ذلك ان لفظ الوثيل أصله عربي وهو الوزير . وكان هذا الرجل واسمه خافيير ناردو اليد اليمنى للسيد موفتويا . فنظر اليّ من وراء شاربه الضخم

وسالنى عن السبب فى عدم قيد اسمى فى دفتر المقيمين فى البلد،وقال ان عقوبة ذلك هى الاعدام، لاننا فى وقت حرب واوامر السيد موفتوبا مشددة بان كل غريب لا يقيد اسمه فى سجل السكان يضرب بالرصاص فى الحال . فقلت له : اننى لم اعلم بأمر هذا السجل الا الساعة ، وانى مستعد لقيد اسمى فيه ، فقال بعد أن فتل شاربه :

ــ انت بناء ، أليس كذلك ؟

ــ نعم ...

ــ وتمارس المهنة دون تصريح ؟

ــ معى تصريح من عمدة كواتزالكوالكوس ...

ــ أرنى اياه ..

فناولته الورقة التى حصلت عليها هناك ،فنظر فيها وقال : مزورة . ثم مزقها ، والقى بها على الأرض ... وسادت لحظة صمت ، ثم قال واحد من الجالسين :

ــ لاداعى لاعدامه ، يبدو أنه لا يعرف القوانين.

فقال ناردو :

ــ لا أدرى كيف سمع السنيور موفتوبا بأمرك . قالوا له انك مهندس معمارى ، فما رأيك فى أن نخفف العقوبة عنك الى عشر سنوات تعملها فى خدمة الحكومة دون مقابل .

ــ اننى لست مهندسا ، اننى بناء ، ويستوى عندى أن تقتلونى أو تدعونى اعمل لكم عشر سنوات او عشرين سنة .. الأمر أمركم ..

ــ لا تنكر أنك مهندس ، فذلك لا يعفيك من العمل . انصرف الآن ، وعد الىّ غدا فى الساعة العاشرة لتبدأ العمل .

وفى صباح اليوم التالى كنت عنده . كان فى الغرفة وحده ، وادهشنى ان وجدته فى غاية من اللطف معى . دعانى الى الجلوس الى جانبه ، وقال لى :

ــ اسمع يا هذا ، ان السيد موفتوبا يريد أن يبنى لابنه الصغير خوانيتو بيتا ، وقد بحث عن معمارى فدلوه عليك ، وقد تحدثت فى أمرك معه ، فقال انه مستعد للعفو عنك واعطائك اذنا حقيقيا بالاقامة واوراق جنسية مكسيكية ، اذا أنت بنيت له البيت .

وذكرت وهو يتكلم اننى اتيت معى برسوم البيت الذى بناه اسطفان فى الاسكندرية ،فقلت:

ــ يريد أن ابنى له مثلا بيتا حديثا من اربع طوابق فى كل طابق مسكنين ..

ــ الحقيقة انه كان يريد قصرا ، ولكن فكرتك أحسن ، لانهم يستطيعون تأجيره فى هذه الحالة..

ــ أظن أن هذا أوفق ..

فضحك وقال :

ــ أنت ذكى يا هذا .. تعال معى ..

واخذنى الى حيث قابلنا السيد الكبير ، فتفضل واصدر امره بالبدء فى العمل . وخرجت فى صحبة ناردو لنرى الموضع ، وبعد أن عايناه اخذنى جانبا وقال همسا :

ــ اسمع .. ان هذا الحمار ــ يعنى السيد موفتوبا ــ لا يفهم شيئا ، وأنا أعمل له كل شىء، وابنه خوانيتو هذا طفل فى السادسة من عمره . تصور أنه كان يريد أن يبنى قصرا لطفل ! المهم ، ستبدأ العمل وسأصدر أمرا بالعفو عنك،واعطيك اذن الاقامة ، ولى عليك شرط : هو أن توقع كل كشف حساب أرسله اليك دون مناقشة .

واومات بالايجاب ، فقد كنت فى يده يستطيع أن يفعل بى ما يريد . ولم يكن فى استطاعتى أن اعارض ، فان موتى لن يكلفه الا اخراج مسدسه ، ثم قلت :

ــ ولكنى لا املك شيئا ، أقصد ليس معى ما أقتوت به ولا ما ادفع به ايجار غرفتى ..

ــ سأعطيك كل يوم ٥ بيزو (كانت قيمتها اذذاك نحو ٢٥ قرشا) .

ــ اشكرك ، وسابدأ العمل فى رسم المشروع من غد .

ــ أسرع بقدر ما تستطيع ، ولا تنس ماشرطت عليك ..

★ ★ ★

واطلعته على الرسوم بعد أسبوع ، فاخذ

يتأملها واحدا واحدا ، ثم نظر الىّ وقال :

الم اقل لك انك مهندس ! أقسم انك تخرجت من لندن أو باريس ! هذا شيء لا يعمله الا مهندس عظيم .. من الآن فصاعدا سنعمل معا . سأسجلك فى الدفاتر مهندسا معماريا ، وسأكلم الباترون .. (أى الرئيس ويريد به السيد موفتويا) ، لكى يعينك مهندسا للبلدية .. انت منجم عظيم ...

وفهمت ما يريد : منجم يستغله هو !وبلعتها وابتسمت ، فقد كنا فى أيام لا يطلب الانسان فيها شيئا بعد السلامة.وأعطانى اربعين هنديا ليعملوا معى ، ومضيت الى الموقع ، واخذنا نعمل .حفرنا الارض والقينا الأساس ، واخذ البناء يعلو . كنت أسير على الرسم كأنه كتاب مقدس ، وكنت أسرع فى العمل مخافة أن يطلبوا تغييرا أو تعديلا فلا أستطيع ادخاله . لم يكن لى مفر اذ ذاك من أحد أمرين : اما أن أظل مهندسا معماريا أو يرمونى بالرصاص .

وبعد شهور أربعة كنا قد وصلنا الى الدور الرابع . ومرّ بنا الباترون فى صحبة ناردو ،وتفقد العمل وسر بما رأى سرورا عظيما ، وزادوا أجرى الى ١٠ بيو كنت احتفظ لنفسى باثنين منها ، وأوزع الباقى على العمال ، لأن المساكين لم يكونوا يتقاضون أجرا . كان هناك رجل معين من قبل ناردو . كان يقف طول النهار ومسدسه فى يده لكى يصرع به اى عامل يتهاون أو يفكر فى التمرد، ووعدنى موفتويا بأن يمنحنى ٥٠٠ بيو اذا انتهى البيت .

وانتهى البيت قبل أن يحول الحوْل.. لاأتذكر تماما كم من الأوراق وقعتها اثناء ذلك . مبالغها الوف كثيرة صارت كلها الى جيب ناردو . من بينها كشوف بأجر يومى قدره ٢ بيو لكل عامل و ٥٠ لى ، اى ١٩٠ فى اليوم لم يكن يصلنا منها الا عشرة . كان لابد أن أوقع خوفا من المسدس الرهيب الذى يمسكه الحارس .

وتسلموا البيت فى حفل كبير ، وصرفونا كما يصرف قطيع من الغنم . ولم يعطنى احد المكافأة التى وعدوا بها ، وانما أعطانى ناردو أوراق اقامة رسمية حقيقية ، ولم يعد يرانى بعد ذلك . أما الهنود فبعد أن انتهى العمل اختفوا دون أن يطالبوا بشيء . حمدوا الله على النجاة من المسدس وصاحبه وعدت الى حياة الخمول الاولى .

★ ★ ★

ولكن اسمى طار بين الهنود . كانوا يعيشون فى محلات متواضعة حول البلد يزرعون الذرة والتيكيلا فى مزارع جماعية صغيرة . كان عمادهم على مياه الآبار الملعونة وحياة الظلام ..

وفى عصر أحد الايام كنت عائدا من جولة بين مزارع الهنود ، ومعى بعض أرغفة الذرة المعروفة بالتورتيا ، وبضع بيضات هى أجر عمل يوم فى ثلاثة آبار . فبينا أنا ادخل البلد سمعت صيحة اعقبتها صيحات ، واذا الناس تجرى فى اتجاه واحد كأن شيئا خطيرا وقع هناك ، فجريت معهم ، وفى أثناء الطريق عرفت ما حدث : لقد وقع خوان ــ أوخوانيتو كما يسمونه ــ الابن الوحيد للسيد موفتويا فى بئر فى مزارع أبيه فى طرف البلد.كانت بئرا سيئة خطرة تهدمت حافتها وسقط الكثير من جدرانها ، وطلبوا الىّ اصلاحها فلم أستطع ، فنصحت بأن تغطى بالخشب والحجارة مخافة أن يقع فيها أحد ، ولكن الاهمال أو القدر حال دون ذلك ، ذهب الصغير مع نفر من رفاقه يلعبون حولها ، ووقع المحذور .

ووصلت الى المكان فاذا جمع غفير حول الحافة، ودفعت الناس حتى افضيت اليها ، هناك كان السيد موفتويا بنفسه والى جانبه ناردو وأم الغلام السيدة أميليا وقس القرية الأب اجناسيو، وكانوا جميعا يصرخون كالمجانين ويستحلفون من يستطيع أن ينزل ليخرج الغلام ، ولم يتحرك أحد ، لأن البئر فى الحقيقة كانت مخوفة ، وكان السيد موفتويا يبكى ويصرخ ويرفع يديه الى السماء ويدعو ! الآن عرف الله ! ثم قال :

ــ انتى أعطى ١٠٠٠ بيو لمن ينزل ويأتى بالغلام..

وكان غريمه السيد بيريرا قد حضر فقال له :

ــ أخرجها من جيبك وأعطها الأب اجناسيو قبل أن يغامر أحد بحياته .. انتى أعرفك .. وبسرعة البرق أخرج ناردو ربطة كبيرة وناولها للأب وقال : هذه فيها أكثر من ألف .. وحاول رجل أن ينزل ولكنه عاد مسرعا ، وتبعه ثان وثالث .. وصرخت السيدة أميليا قائلة :



ـ انني اعطي البيت الذي بنيناه لمن يأتيني بابني ...

وتلفتت الوجوه ذاهلة ، ولكن احدا لم يتحرك، وقال بيريرا للسيد موفتويا : اكتب وثيقة بذلك وناولها للأب اجناسيو ...

ومضوا يبحثون عن ورق وقلم . كنت اقف جامدا .. سبح فكري الى مزرعة الخواجة في مصر وطفرت صورة سلامة أمام عيني .. الآن استطيع أن انقذه ! الغلام الذي غرق في مصر ، استطيع ان انقذه هنا .. كانت معي ادواتي كلها فتقدمت وقلت انني سآتي بالغلام ، فاسرع بيريرا وقال : ايها الأب اجناسيو : البيت ملك لهذا الرجل اذا أتانا بالغلام ..

فهز الأب رأسه مؤمنا ، واقسمت السيدة اميليا على ذلك ..

وثبتت عارضة من الحديد على فوهة البئر . وربطت حبلي ، وعلقت قنديل الآبار على صدري، وقلت : سأجذب الحبل مرتين كل بضع دقائق لتعلموا انني على قيد الحياة ، واذا وجدت الغلام حيا فسأجذبه عشر مرات ..

ومضيت انزل على مهل . بعد نحو ثلاثة أمتار انتهت البطانة الحجرية الا من قطع هنا وهناك . وبعد امتار اخرى وجدت قصبة الحفر تنحرف الى اليسار ، وهذا كثير في الآبار ، وهو علامة سيئة . وشيئا فشيئا أخذ الظلام يسود ، وتلاشت اصوات الناس على سطح الأرض . وعندما صرت على نحو ٢٠ مترا نظرت الى أسفل وصرخت : خوانيتو ! خوانيتو ! فلم اسمع شيئا ، فنزلت نحو خمسة أخرى وناديت ، ثم وقفت أصغى . واذا بصوت الغلام يجيء خافتا ضعيفا يستنجد بأبيه وأمه : بابا بيتو ..! ماما بيتو !

ودق قلبي سريعا ، وهتفت : سلامة ! ومضيت انحدر مسرعا حتى وصلت الى جزء من الجدار كان لا يزال مبطنا بالحجر ، فوضعت قدما في اليمين ، وأخرى في اليسار ، وناديت : خوان ! خوانيتو !

فعاد صوت المسكين وهو يشرق بالدمع : بابا بيتو .. ماما بيتو ! ...

ونزلت في حذر بالغ حتى استقرت قدمي على المصطبة ، ونظرت على ضوء القنديل ، فاذا الغلام ملقى عليها ، نصفه الأسفل في الماء .. كما كان سلامة ! ورفعته في رفق ، ووضعته على عاتقي وطلبت اليه أن يمسك برأسي ، ولم أكن بحاجة الى ذلك . فقد أحاطت ذراعاه بعنقي في عنف حتى كاد يخنقني ، ثم جذبت الحبل عشر مرات . ومن العمق الذي كنت فيه ، ترامت الى سمعي أصوات الناس تردد جماعة : واحد ... اثنان .. ثلاثة ... حتى اذا عدوا العشرة انطلقت صرخة فزع هزت كياني هزا ...

وبدات اصعد في حذر فقد كنت احاذر أن يقع القلام ، خاصة وقد احسست انه وقد اطمان ، ودفؤ جسمه على جسمي ، استرخت يداه وثقلت راسه على راسي ، ونام ! فكان لا بد ان أرفع يدا واضعها خلف ظهره ، واكتفى بيد واحدة للصعود ، كنت اصعد شبرا في دهر طويل ، وتسلخت يدى وسال دمها على ذراعي فابدلتها باليد الأخرى ، ومضيت اصعد وأصعد معتمدا على قدمي وذراع واحدة ، وسقط القنديل واصبحت في ظلام دامس ، ولكنى مضيت : أضع رجلا في الحائط حتى اذا تأكدت من ان موضعها ثابت رفعت الأخرى ، وتشبثت بالحبل وجذبته لأصعد خطوة ... وهكذا ..

ووصلت الى قرب الحافة ، وسمعت الأصوات، حتى اذا صار رأسى والقلام على مستوى الأرض انقضت الأم واختطفت ابنها فاضطرب توازنى وكدت اسقط في القاع ! ولكنى تشبثت وصعدت ، ثم جذبني الناس ووقفت بينهم لا أدرى مما اسمع شيئا .. كان رأسى يدور وجسمي يتهافت ضعفا ، وهجم عليّ السيد موفتويا يعانقنى، بينما كانت دموعى تملأ عينى : لقد أنقذت سلامة ! بعد أربع سنوات عدت به حيا !!

ومد الأب اجناسيو يده بوثيقة البيت وقال :

ـ بوركت يا ابنى وبورك لك بيتك ... بيدك بنيته ، وهو الآن لك !

فنظرت اليه كأننى أفيق من حلم ، وتناولت الوثيقة ، ونظرت الى السيد موفتويا فاذا به يرمقنى بنظرة احترام وشكر عميقين ووجهه كله يضحك ، وقال :

ـ نعم .. البيت لك ، وكل ما تريده ... ومن الآن أنت مهندس البلد ... و ...

فقاطعته وقلت وانا أنظر اليه والى غريمه بيريرا ..

ـ هذا البيت بنيته لخوانيتو .. ولخوانيتو سيظل .. كل ما أريده أن تتصافحا أيها الرجلان وتنسيا ما بينكما ... الآن تريان هباء الدنيا .. في لحظة كان من الممكن أن تفقد أعز ما لديك في الوجود يا سيد موفتويا ، وانت أيضا يا سيد بيريرا من الممكن ان يحدث لك ذلك واسوأ ..ان الناس معكما في شقاء ، فما ضركما لو تركتما الظلم والعسف والعداوة وعشتما في خير معنا ؟!

ونظر اليهما الأب اجناسيو وقال :

ـ صدق هذا العربي .. آن ان تعودا الى الرشد والاحسان .. نحن معكما في ذلك ، وقد اذل الله واحدا منكما كما تريان .. فماذا تنتظران ؟

ولم اصدق نفسى عندما رأيت العاتيين يعانق احدهما الآخر .

وقال الأب اجناسيو :

ـ الآن اقسما امامى على أن ما بينكما قد انتهى ، وأنتما اليوم أخوان صافيا القلب تباركما الكنيسة ..

ومدا يديهما .. وساد صمت ، بينما كان الأب يقرأ صلاة ..

وهممت أن امزق الوثيقة ، ولكن موفتويا صاح:

ـ لا ، والله لا تمزقها ..! البيت لك وهو قليل في حقك ..

وقال بيريرا ..

ـ وأنا أعطيك ضيعة « فروندوسا » فهي لك ، واشهد أيها الأب ..

وصاح موفتويا : اكتب وثيقة بذلك .. اننى اعرفك !..

فقال الأب اجناسيو وهو يضحك :

ـ عدت الى طبعك يا موفتويا ..

وضحك الجميع وتعانقوا ...

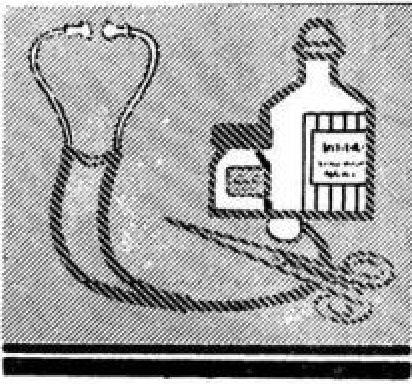
★ ★ ★

اقاموا ليلتها حفلا عظيما في الكابيلدو (دار الحكومة) ، وجلست في مكان الشرف بين موفتويا وبيريرا .. وبينما كان الناس يرقصون ويغنون ، سبح خيالى الى بلدى وملأ قلبى الفرح . لقد صالحت نفسي واديت دين أمي وانقذت سلامة ! اصبحت غنيا ووضعت يدى على أول خطوة من خطوات السعادة والوفرة التى انعم بها الآن ...

لم أعُد الى بلدى لان الله اعطانى بلدا آخر ، وكل مكان ينبت العز طيب ، وعندما أعود بذهنى عبر نصف قرن مضى ، وأسرح الطرف في حدائقى ورياضى ومزارعى ، واتأمل أولادى وقد كبروا وتزوجوا ، وملأ اولادهم عليّ بيوتى .. عندما أجلس في شرفة قصرى المحبب الى نفسى وأرسل النظر عبر الخضرة ويسبح خاطرى عبر السنين تنهل الدموع من عينى ، واصلي في صمت للخالق سبحانه ... خلق رجلا في مصر ، ورزقه في المكسيك ، وامات غلاما في مصر ، وأحيا مثله على بعد منه بلغ عشرة آلاف كيلومتر ... ■■

حسين مؤنس

طبيب الأسرة



التطعيم ضد الجدرى والرجل كهل ، هل فيه خطر ؟

ـ هل التطعيم ضد الجدرى ضرورى ؟ثم انى قد زاد عمرى على الخمسين سنة ، ولم اصب بالجدرى قط . ومع هذا نصحونى بالتطعيم ضده لانى ذاهب فى عمل لبلد فيه احتمال عدوى . فهل التطعيم بعد هذه السن خطر ؟

● اما ضرورة التطعيم فأمر مفروغ منه . ولعلك تسأل ذلك لعلمك أن الجدرى لا يصيب الناس فى هذه الأيام . ولكنك تنسى انه لا يصيبهم بسبب انهم طعّموا وقاء من الجدرى وهم صغار . فأنت تعيش فى محيط آمن من هذا الداء القديم اللعين بسبب الذى كان ، والذى هو كائن وقائم دائما ، من تطعيم .

ولعل من اجل هذا انك لم تصب بالجدرى بعد ، لنظافة محيط انت تعيش فيه . اعنى نظافته من هذا الداء .

والصبية تطعّم اول مرة وهم صغار . والقاعدة تجرى على ضرورة التطعيم بعد كل سبع سنين . الا اذا مر انسان بالوباء أو باحتماله ، وعندئذ يجب التطعيم على الفور .

وسنك ، وانت فى الخمسين ، لا تمنعك من تطعيم . كل الذى قد سوف تجده ان ردّ الفعل عندك يحتمل أن يكون اشد منه عند الصبية ، لأنك تطعّم به لأول مرة . ولا خطر من ذلك ما دام ان التطعيم يجرى تحت ظروف مطهّرة .

هل ضعف البصر يورث ؟

ـ لى ابن صغير لا يزيد عمره على خمس سنين . وانا ابوه ذو بصر ضعيف حملني على أن ألبس النظارة فى صغرى من وقت مبكر . فهل فى الامكان أن يرث ولدى ضعف بصرى ؟ والآن استعد لارساله للطبيب فى سن مبكرة كما فعلوا بى فى صغرى ؟

● ان فى عيون الآباء نقائص ، بعضها يورث وبعضها لا يورث . وضعف البصر الذى عند الوالد ليس من الضرورى أن يرثه الابن . وبما أن الضعف له اسباب شتى ، فقد وجب أن تعرض ابنك على طبيب العيون ، وهو الذى يستطيع أن يقول لك فى هذا الصدد قولا نافعا .

قدماي تورَّمتا

ـ انا عملي يقتضيني ان اسافر طويلا، وان اسافر بعيدا ، وسواء في سيارة ، او في سكة حديد ، اجد ان كعوبي تتورم . فما سبب ذلك وما علاجه ؟

● سببه ظاهر: قلةالحركة أو انعدامها ساعاتطويلة تختل فيها الدورةالدموية. ينزل الدم الى الاقدام ، ثم يتباطأ في الصعود ، فتتورم الكعوب .

ولقد قرات قريبا لطبيب فسيولوجي معروف انه سافر من اوروبا الى الى استراليا سفرا طويلا ، تورّم فيه كعباه . وشاقه الفضول العلمي الى ان ينظر الى كعوب الرجال ، ليعلم هل تورّمت، فلم يستطع رؤيتها، لانها مغطاة واضطر أن ينظر الى أقدام النساء ، لا تغزّلا ، ولكن تعلّما ، وبالقدر الذي رأى منها ، رآها قد تورمت .

ان السفر الطويل ، في المقعد الضيق، لا يسمح للرجل برفع رجليه ليساعد الدورة الدموية على الجريان .

وكان من صاحبنا العالم الفسيولوجي، وهو عائد من سفرته الطويلة ، أن ظل يحرك قدميه والكعبين بقدر المستطاع ، وان يقبض عضلات رجليه وفخذيه حينا بعد حين ، ثم يرخيها ، وذلك ليسهّل على الدم جريانه . وقد نجحت محاولته هذه ، ولم تتورم قدماه .

فعليك بهذه يا صاحبي .

ثم ان الحركة في الطائرة عسيرة نوعا ما، ولكن في السكة الحديدية تستطيع ان تقوم عن مقعدك الى الطرقة . والسيارات تقف ، فاتخذ من موقفها فرصة للمشي والنط والرقص اذا شئت . انفضْ جسمك نفضا كلما استطعت فالجسم انما خلق للحركة والسكون ، يتعاقبان بمقدار .

في أمعا[ئي]

ـ قال لي الطبيب ان في امعائي الفلاظ تشنجا . وأخافتني الكلمة ، فسألت ، فعلمت انه التقبض . ولكني اعرف ان التشنج يحدث عند الصرع ...؟

● في اللغة شَنِج الجلدُ أي تقبَّض وتقلص .

وهو كذلك في الطب ، ويقابلها بالانجليزية لفظ Spasm .

وهو في الطب تقبض العضلة أو العضلات من دون ارادة صاحبها ، ويصحبه في العادة الم يخف أو يشتد . وكل عضلة في الجسم يجوز عليها هذا التشنج ، هذا التقبض . وهو قد يحدث في عضلات الأطراف كالرجلين واليدين Cramp . وهو قد يحدث في عضلات اي تجويف في الأحشاء كالبطن والمصران، ونسمى ذلك مفصا Colic . وقد يحدث في عضلات القلب في الذبحة الصدرية Angina Pectoris فيكون مؤلما وغاية في الخطورة في آن .

اما التشنج الذي قال الطبيب انه في امعائك الفلاظ ، فهو تقبض حائط هذه الامعاء ، ومعه اما احساس بغير ارتياح، او احساس بألم شديد Spasm .

شخصية الرجل القوى ، هل تأتى بالبنين دون البنات ؟

ـ يقول اصدقاء لي ان خِلقة الذكر او الأنثى ترجع الى ما في الأبوين من شخصية ، فالشخصية الأقوى هي التي تتغلب . فان كانت شخصية الأب هي



الغلاظ تشنج

وسببه عصبي غالبا ، وهو اكثر وقوعا فى النساء ، ولا سيما فى الذين واللاتى يعيشون فى المدن ، مع قلة فى الرياضة ، وكثرة من الهموم والقلق، وكثرة التدخين، وسوء استخدام المسهلات عند الامساك . كل هذه اشياء تؤدى الى شنج الأمعاء .

والشنج شيء ليس من السهل تشخيصه . وتعين على ظهوره الأشعة السينية ، على شرط ان تؤخذ صورها والشنج قائم . ولكن مما يؤسف له ان الشنج كثيرا ما يذهب عن صاحبه أو صاحبته عند باب حجرة الأشعة السينية .

والعلاج يتضمن اولا طمانة المريض طمانة كاملة بأن مرضه لا يتصل بمرض السرطان من قريب أو بعيد ، وشرح الداء له بالتفصيل حتى يقتنع . والقلق من اى سبب يجب محوه . والرياضة لا بد من ممارستها على قدر الطاقة . وعادة الطعام والافراغ لا بد من توقيتها واصلاحها . والراحة من بعد طعام ، وكذا الاسترخاء ، لا بد منهما .

ويمكن وصف المسكنات من العقاقير، ولكن لفترات قصيرة .



الأمعاء الغلاظ وهي القلون الصاعد والمستعرض والهابط

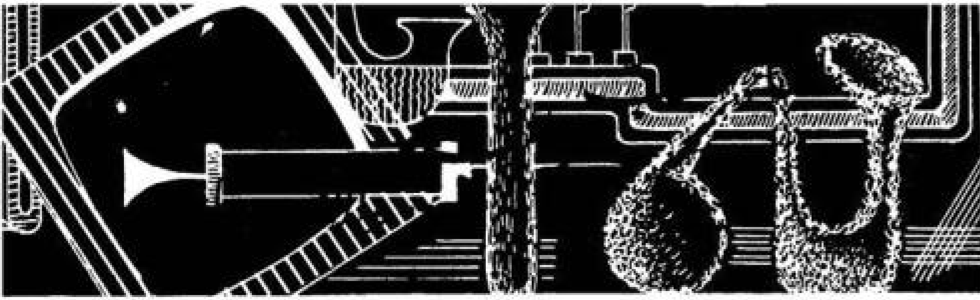
ونسيت ان اقول ان الذى يصاب بالصرع، تصحب نوبات صرعه تقلصات فى عضلات جسمه فيتخشب. ومن اجل ذلك أصابك الخوف يا سيدتى عندما سمعت ان بأمعائك تشنجا ، وهو شنج ليس بالصرع .

الاقوى جاء الأولاد ذكورا . وان كانت شخصية الأم هى الاقوى جاء الأولاد اناثا. وان تعادلت الشخصيتان كان الأولاد خليطا من ذكور واناث . فهل هذا راى يصح ولو فى اكثر الأمور . فقد راجعت عددا من الأسر التى اعرف فوجدته ينطبق على كثير منها ؟

● لا . لا صحة فى الذى تقول مع الأسف الشديد . الشخصية ، وهي معنى فى حديث الجنس غاية فى الابهام ، لا علاقة لها بانجاب الذكور او انجاب الاناث . وانت تستطيع ان تصنع اى نظرية ، وتروح تجربها فيمن تعرف من الأسر ، وتستطيع أن تجد فى هذه الأسر ما يوافقك على الخروج بنتائج تؤكد نظريتك . لان النظرية تقوم عندك اولا ، ثم انت تأخذ فى تلمس ما يؤدى اليها عند هذه الأسر ، وتتغافل عما لا يؤدى اليها ، بالطبع غير واع . وهذا هو المنطق الذى يسمونه بالمتراجع .

لا . ان الشيء الوحيد الذى يحدد نوع الوليد هو الحيوان المنوى الذى يسبق الى بويضة المراة فيلقحها . ان بويضة المراة تقبل أن تتلقح فتعطى الذكر ، او تتلقح فتعطي الأنثى . والذى يعطيها الذكر او الأنثى انما هو الحيوان المنوى الذى يأتى من الرجل . وهو نوعان. حيوان منوى به الكروموسوم س، فهذا اذا لقح البويضة خرجت من ذلك الانثى. ثم حيوان منوى به كروموسوم ص، فهذا اذا لقح البويضة خرج من ذلك الذكر. وهذا حديث فى «العربى» معاد .

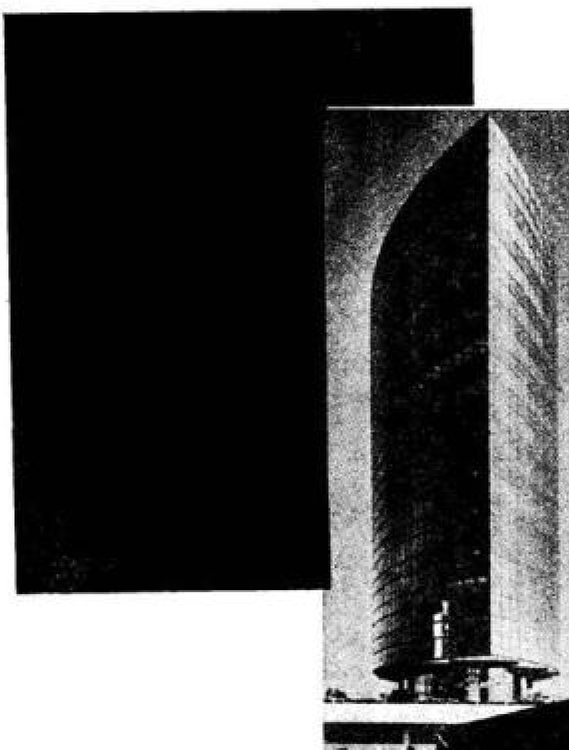
■■



ثلاجات فى أحضان الطبيعة
تحفظ فيها الاطعمة متجمدة، كما فى الثلاجات الصناعية!

● قررت الحكومة السوفيتية أن تتخذ من كل موقع لائق من مواقع الأرض، فى المنطقة المتجمدة الشمالية، ثلاجة طبيعية تحفظ فيها الأطعمة والأقوات. ذلك أن الحافر الأرض الى عمق لا يزيد كثيرا على ٢٠ سنتيمترا، فى بقاع كثيرة من تلك المناطق، يبلغ صخرا باردا متجلدا كالثلج، يمكن ان تحفر فيه مخازن لحفظ الأطعمة تتجمد فيها كما تتجمد فى الثلاجات الصناعية او أشد تجمدا. والحكومة السوفيتية تقوم الآن بالتجربة الأولى. فان صحت النتائج المترتبة على ذلك، فلن ينتهى هذا العام حتى يكون للحكومة الروسية بتلك الانحاء ٢٣٥ مخزنا: ثلاجات قائمة فى أحضان الطبيعة.

ان الطبيعة، حتى التى ظاهرها غير الخيِّر، بها منافع لا يَجتليها الا ذوو الحيلة والأبصار النيِّرة.

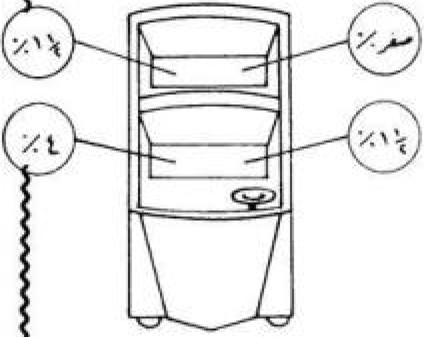


اليابان والفضاء

● تنوى الحكومة اليابانية هذا العام ان تنشىء مركزا عاما لعلوم الفضاء، يكون هدفه صناعة الصواريخ والتوابع، وارسالها الى الفضاء. وهم يقترحون ان يبداوا بالعمل بالاشتراك مع مؤسسة الفضاء الامريكية ناسا Nasa.

اخطر مكان فى السيارة هو الجلوس بجوار السائق

.. وأسلم مكان هو الجلوس خلف السائق



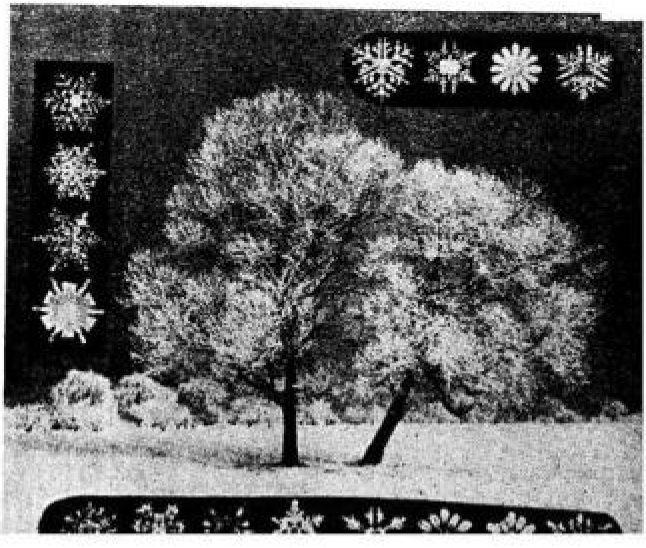
● دل الاحصاء على ان أسلم مكان فى السيارة هو الذى يقع وراء السائق، وان اكثر مكان خطرا هو الذى يقع الى جانب السائق . ان الحوادث الذى احصيت تفيد أن الموت يصيب السائق بنسبة ٥ر١ فى المائة من الحوادث وتصيب جاره بنسبة ٤ فى المائة ، والراكب الذى وراءه بنسبة صفر فى المائة ، والراكب فى مقعد الوراء الى يمين السائق بنسبة ٥ر١ فى المائة .

ومعنى ذلك ان الرجل الذى يسوق السيارة ، ويضع زوجته الى جواره ، يعرضها لخطر اكثر من ضعف مايتعرض هو نفسه للخطر .

عندما تمسك الطبيعة بريشة الرسام

● انها عندئذ تعجزه ، فى اكثر من موقف ، وفى اكثر من موضع من مواضع الكون ..

وموضوعنا الآن موضوع الثلوج التى تهطل حيث يبرد الجو فى شمال الأرض . ان هذه الثلوج تنزل على الشجر ، وقد خلا شتاء من ورقه ، فهو فى لون الرماد ، فتكسوه زواقا من صنع اهل عبقر . وينظر العالم فى هذه الثلوج فيكشف فيها عن ملايين من البلورات . انها من ماء. ولكنها تجمدت فخرجت اشكالا بلورية عَجَبا ، لا يتطابق منها اثنان . وفى الصورة ترى مصداق ما نقول .



أغاريد الطيور تختلف لغـات ، ولهجـات

● هذه الأرض،تنتشر على سطحها من الحيوانات أجناس :الانسان. القردة . الخيل . الذئاب . الطير .

والانسـان وحده هو بينها الناطق،وهو صاحب اللغات . والحيوانات تنطق ، اى تخرج منها الأصوات . فهل هذه الأصوات لغات ؟

وكان الطير أسهل عند العلماء بحثاً لغة .

واجتمع علماء الطير Ornithologists فى مؤتمر لهم قريب ، وتدارسوا من بحوث الطير ما تدارسوا .

وادلى الدكتور ادوارد ارمسترنج ، من جامعة كمبردج ، ببحثـه . ويتضح منه ان أحس علماء الطير آذانا ، ومنهم الدكتور ارمسترنج ، لـم يجدوا فرقا ظاهرا بين تفريدة يفردها طائر من جنس ما ، منتشر فى بقاع الأرض ، وآخر مثله يفردها فى شمال الأرض او جنوبها ، او فى شرقها أو غربها . فالقُبَّرة تفرد تفريدتها فى انجلترا ، هى هى ، فيما تحسه آذانهم تفريدتها فى أقصى الجنوب من الأرض .

ثم يتدخل جهاز التسجيل. انه يحلل الأصوات،ويرسمها ،ويعيدها، سريعة الأداء ، او بطيئة الأداء .

المنتحرون ليسوا أغبى الناس !

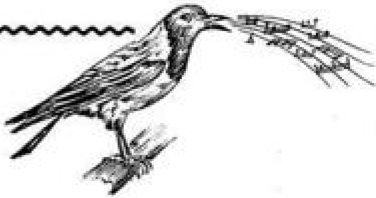
● هكـذا قـال الدكتـور دجـلاس دارلـخ ، الطبيب النفسـانى ، فى خطاب القاه أمام الرابطة الأمريكية لعلم النفس . قـال أن البحاث فى جامعـة كرنوول كشفوا عن أن الطلبة الذين يميلون الى الانتحار هم أكثر الطلبة احتمالا لنيل درجات عالية فى الامتحانات .



وقال انه ليس معنى هـذا ان كـل طالب ينال فى الامتحانات درجات عالية هو طالب يميل الى الانتحار .

وحـاول البحاث أن يكشـفوا عـن الحوافز التى تحفز المنتحرين الى قتل

باختلاف البــلاد ..!



والأجهزة الالكترونية التى ابتدعها الانسان ادق كثيرا من احـاسيس الانسان .

وقد اتضح من هذه الأجهزة ان ما ظنه الانسان شيئا واحدا مـن الأغاريد ، لم يكن كذلك ، وان للطير لهجات تختلف باختلاف البلاد .

واتضح ان «الجملة» التغريدية ، ينطق بها الطير ، تختلف عن اخرى . وان الجملة ذات الصورة الواحدة ، يكررها الطائر . فلا بد انه يكررها فى الظرف الواحد ، يَعنى بها المعنى الواحد ، ويطلب بها الطلب الواحد ، لا سيما بين الالفين ، الذكر والأنثى .

واتضح كذلك ان صوت الطير كصوت الانسان ، منخفض النغمات عند البعض ، وعاليها عند البعض ، لا سيما فى الغناء . ومن نغمات الطير النغمة المرتفعة التردد ، فهى قد يبلغ ترددها فى الهواء ، قد يبلغ ارتفاع ذبذبة الى ٤٠٠٠ ذبذبة او ٥٠٠٠ او ٦٠٠٠ فى الثانية الواحدة فما فوقها . والكمان يصل الى ٣٠٠٠ ذبذبة ، والبيان يصل الى ٤٠٠٠ ذبذبة .

وعدا هذا فاذن الطير احدّ مرات عشرا من اذن الانسان ، وفى هذا النطاق الصوتى هى تستطيع ان تدرك من الفروق ما لا تدركه اذن الانسان، تلك الفروق التى قد تصنع بين الطير اللغات ، وتصنع اللهجات .

النفس ، فخرجوا من ذلك البحث على اربعة حوافز :

١ ــ **يرغب** الطالب فى محو نفسه لانه لم يعد يحتمل الفرق الكبير بين ما يريده لنفسه ، وبين ما يجد فى واقعه .

٢ ــ **يرى** الطالب ان سبب فشـلـه يعود الى شخص بعينه ، او اشـخـاص بعينهم ، ويرى فى الانتحار عقوبة لهـذا الشخص او هـؤلاء الأشخاص اذ يثير عندهم الأسف والندم على ما فعلوا او قصدوا عندما يعلمون بانتحاره .

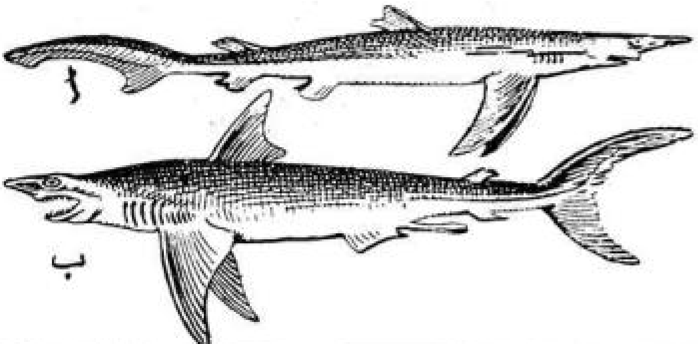
٣ ــ **يأتى** الطالب خطيئة كـبـرى ، تستحوذ بالندم على ضميره ، فلا يجـد مخلصا الا الفرار بالانتحار .

٤ ــ **يصبح** الطالب بسبب من الأسباب فى حالة ذعر ، ويصرخ انجدونى ، ثم لا يجد النجدة ، فيجد فى الانتحار مخلصا .

وينصـح الدكـتـور فى حالة هـؤلاء الطلبة ، اذا تبين عندهم شىء من ذلك ، بأن تعطيهم الجامعة اجازة يبتعدون فيها على الأقـل عما قد يكـون فى وسـط الجامعة من ضيق .

الكوكب عطارد به الادروجين وثاني اكسيد الكربون

● هذا الكوكب هو أقرب الكواكب الى الشمس . وقد كان المظنون انه لا جوّ له . ولكن كشف العالم الفلكي الروسي كوزيريف منذ قريب ، في طيفه ، ما دل على وجود عنصر الأدروجين به ، وكشف صاحبه ، وهو عالم روسي آخر ، عن وجود غاز الكربونيك اى ثاني اكسيد الكربون .



أ

ب

قرش ، لا كالقروش

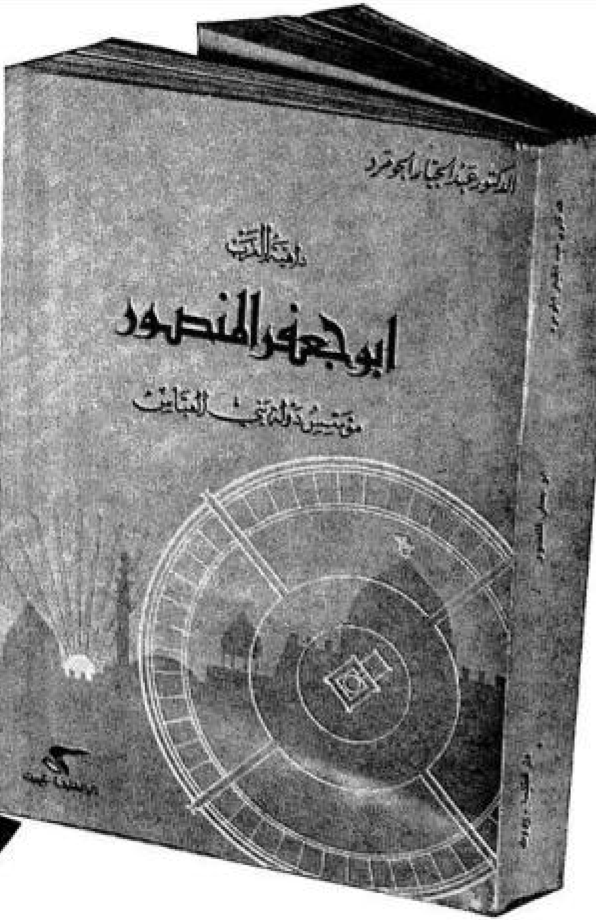
يقضم شباكا مصنوعة من سلك الفولاذ !

● ليس من لا يعرف ما القرش . انه سمك البحر الشرس الخطر ، الذي اذا صادف رجلا في الماء قضم رجله أو ذراعه . وقد حدث اخيرا ان قرشا ذكرا ، وقع في شبكة خاصة ، مصنوعة من سلك من الفولاذ ، قطره ١١ مليمترا ، استطاع أن يقضم الشبك بأسنانه ويهرب .

انه قرش لا كالقروش .

والعجيب في قروش البحر (او كلاب البحر كما يسميها البعض ، وهي بالانجليزية Sharks وبالفرنسية Requins) ان بها نوعا ، هو اكبرها حجما ، فيطول حتى يبلغ ١٥ مترا ، ويثقل حتى يبلغ ٨ اطنان وزنا ، فاتته الشراسة عادةً ، وهو اذا أكل ، تغذى مما طفا في ماء البحر من غذاء ، ذلك المعروف بالبلانكتون ، اى الهائمات ، وتتألف من حيوانات غاية في الصغر ومن نباتات .

كتاب الشهر



أبو جعفر المنصور

مؤسس دولة بني العباس

بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ كثيرة هي الاقلام التى تناولت ابا جعفر المنصور ، ثاني خلفاء بني العباس ، بالدراسة والتحليل . وهي اقلام قديمة وحديثة ، عربية واجنبية (١) .

والآراء في أبي جعفر كثيرة كثرة ما كتب عنه ، ومتضاربة تضارب ما يروى عنه من قصص ، وما يعزى اليه من آراء . ولكن هذه الروايات ، مهما تضاربت ، لا تستطيع أن تنكر انه كان رجل

(١) من الغربيين الذين كتبوا عن ابي جعفر المنصور : ملر Muller ، وميور Muir ونولدكه Noldeke ، وبروكس Brooks ولسترانج Le Strange ، وتوماس آرنولد Arnold ، وبالمر Palmer .

دولة من الطراز الأول ، وانه هو الذى أرسى دعائم الدولة العباسية على أسس متينة كان لها الفضل فى الازدهار الذى حققته هذه الدولة .

والدكتور عبد الجبار الجومرد ، مؤلف هـذا الكتاب الذى نقدمه « داهية العرب أبو جعفر المنصور معقد تعقد أحداثها . وقد حاول المؤلف أن قدم للمكتبة العربية دراسات قيمة عن « هرون الرشيد » و « يزيد بن مزيد الشيباني » و « الأصمعى » . وهـذا الكتاب الجديد فيـه ما فى كتب المؤلف السالفة الذكر من استيعاب للمصادر ، وافاضة فى السرد . وهو فى ستة فصول وخاتمة .

وتاريخ الفترة التاريخية التى عاشها أبو جعفر المنصور معقد تعقد أحداثها . وقد حاول المؤلف أن يجلو الغامض ، ويفسر المبهم ، فنجح فى هـذا الى حد بعيد . ونحن هنا لا نحب أن ندخل فى هذه الأحداث ، ونؤثر أن نعرض للأسباب التى أوردها المؤلف والتى جعلت من أبى جعفر المنصور حاكما من الطراز الأول .

صورته ومظهره

ولعله من المفيد أن نبدأ بوصف لمظهره حتى ترتسم له فى أذهاننا صورة واضحة . وصـفه أحد معاصريه فقال: « رأيته أسمر رقيق السمرة، نحيفا طويل القامة ، موفتر اللمة ، معرق الوجه ، خفيف العارضين ، رقيق اللحية ، أقنى الأنف بيّن القنى ، أدعج العينين كأنهما لسانان ناطقان . تخالطه أبهة الأملاك بزى النساك ، تتقبله القلوب، وتتبعه العيون. يُعرف الشرف فى تواضعه، واللب فى مشيته » .

غزا الشيب رأس أبي جعفر فى سن مبكرة ، لطول ما عارك الدهر ، فكـان يخضب شـعره بالزعفران . ويضع على رأسه عمامة سـوداء من الخز الناعم الثمين . وكان فى صوته بحة تزيد تأثيره فى السامعين ، مع صفاء لهجة ، وعذوبة بيان . يُحفى شاربه ، ويطيل ذقنه قليلا ، كما هى السنة .

وكان بين حياته الخاصة وحياته العامة تناقض فى المظهر : فهو فى بيته زاهد من الزهاد ، فاذا خرج الى الناس ظهر بأبهة الملوك ، وعظمة كبـار السلاطين . يروى عنه أنه عندما تم بناء قصره « باب الذهب » بمدينة السلام ، واكتملت زينته وأبهته ، استدعى أحد البنائين ، وأمره ببنـاء بيت ورواق منعزل عن القاعات والمقاصير ، وأثثه بأثاث متواضع رخيص ، وجعله سكنا له ، وكان يحيا فيه حياة الزهاد .

شجاعته واقدامه

تجمع كل الروايات ، وهي التى تناقضت فى أخباره ، على أنه كان شجاعا مقداما ، ولا تجـد أية رواية تقول عكس هذا . حاصر يزيد بن هـُبيرة، رجل الخليفة الأموى مروان ، فى واسط ، وهى المحصنة تحصينا شديدا ، فما انفك عنها حتى احتلها . ولعل خير شهادة هى التى تصدر عـن الأعداء ، فقد وصفه يزيد بن هـُبيرة هذا ، وهو القائد المقدام ، فقال : « ما رأيت رجلا قط فى حرب ، ولا سمعت به فى سلم ، أمكر ولا أبرع ، ولا أشد تيقظا من المنصور . لقد حصرني فى مدينـة واسط وما فى رأسي شعرة بيضاء ، فخرجت اليه وما فى رأسي سوداء ... » .

ومعاركه مع الثائرين العرب فى أرض الجزيرة الفراتية ، أيام أخيه السفاح ، تشهد له بذلك أيضا . فقد استسلم له الثائرون مع قائدهـم المقدام اسحاق بن مسلم العقيلي ، واسحاق هذا هو الذى يقول فى أبى جعفر : « قد والله سبَرته ولمست عوده ، فوجدته خشنا ، وغمزته فوجدته صلبا ، وذقته فوجدته مرا » .

ولا شك ان الطريقة التى قضى بها على أبى مسلم الخراسانى تدل على شجاعة خارقة ، قـد تصل الى درجة التهور : استدعاه الى المدائن وليس حوله سوى نفر قليل من رجاله ، ومع أبي مسلم ثلاثة آلاف فارس أقسموا له الولاء حتى عبده بعضهم ، ومع هذا أقدم على الفتك بـه ، ثم ألقى اليهم برأسه . وفى هذا يقول له الفرج ابن فضالة : « يا أمير المؤمنين ، ان عبد الملك ابن مروان كان محاطا باثنى عشر ألفا من جنده ومواليه

حين قتل خصمه في قصره ، وقتلت أنت أبا مسلم وأنت في خرق من الارض ، وكل من حولك له ، ومنه ، واليه » .

ورأينا أبا جعفر في الهاشمية وقد خرج عليه الراوندية ، وأحاطوا بقصره يريدون قتله ، فركب فرسه ، وخرج اليهم محاربا ، وليس معه غير افراد من خدمه. وكاد يقضى عليه لولا أن قيض الله له معن بن زائدة ، فارس بني شيبان . ثم رأيناه في ثورة العلويين في جنوب العراق يتصدى لهم في جند قليل دون أن يضعف أو يهن ، حتى وصفه احدهم فقال : « ان حشو ثياب هذا العباسي لشجاعة ، ومكر ، ودهاء » .

حزمه وعدله

والحزم والعدل صفتان بارزتان في أبي جعفر المنصور ، وقد بلغ من عدله أن أمر ولاة البريد في الآفاق كلها بأن يكتبوا له بسعر كل مأكول ، وبكل ما يقضى به القاضي في نواحيهم ، وبما يعمل الوالي ، وبما يرد الى بيت المال ، وبكل ما يحدث عندهم . فاذا وردت كتبهم نظر فيها ، فاذا رأى ارتفاعا في الأسعار سأل عن سبب ذلك وحاول ان يزيل العلة . وان هو شك في شيء من تصرفات القضاة والولاة كتب اليهم بذلك .

وهذه الرواية الطريفة تدلنا على مبلغ عدل أبي جعفر المنصور . قال المنصور يوما لجلاسه : « ما أحوجني الى أن يكون على بابي أربعة نفر ، هم أركان الملك لا يصلح الا بهم ، كما لا يصلح السرير الا بأربع قوائم . قالوا : من هم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ، وصاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فاني عن ظلمها غني ، والرابع – ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات ، يقول في كل مرة « آه » – قالوا : من هو ؟ قال : صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة » .

وكان حبه للعدل يدفعه الى الانصاف حتى من نفسه : « قدم مرة الى المدينة وقاضيها محمد ابن عمران الطلحي ، فاشتكى الجمالون الى القاضي أن الخليفة لم يدفع لهم حقهم كاملا مقابل أتعابهم . فقال القاضي لكاتبه : اكتب لأمير المؤمنين بالحضور أمامي . فخاف الكاتب مغبة ذلك واستعفى ، فلم يعفه . فكتب الكتاب ثم ختمه . فقال القاضي : قم وأوصله بيدك . ففعل . وأقبل أبو جعفر الى مجلس الحكم ومعه وزيره الربيع ابن يونس ، فلم يقم لهما القاضي ، ولم يعبأ بقدومهما ، بل حل رداءه واحتبى به . ثم دعا بالخصوم ، وسألهم أن يبينوا اثبات حقهم ، ففعلوا ، فقضى لهم على الخليفة فلما فرغ ، قال له المنصور: « جزاك الله عن دينك أحسن الجزاء، قد أمرت لك بعشرة آلاف دينار » .

وكان حبه للعدل أيضا يدفعه الى تقدير حتى الأعداء من عظماء الرجال : « فقد روى عنه أنه قال يوما لبعض جلاسه : أخبروني عن صقر قريش من هو ؟ قالوا : أمير المؤمنين ، لقيامه بكذا وكذا. قال : لا . قالوا : فمعاوية . قال : ولا هذا . قالوا : عبد الملك بن مروان . قال : ولا هذا . قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن ابن معاوية (الداخل) الذى عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل مفردا بلدا أعجميا (الاندلس) ، فمصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين، وأقام ملكا بعد انقطاعه ، بحسن تدبيره ، وشدة شكيمته ... » .

رجاحة عقله

وكان دقيق الملاحظة سريع البديهة ، مع ذكاء لماح . لا يغضب من كلمة الحق اذا قيلت بصدق نية . يستعين على قضاء حوائجه بالكتمان ، وهو من أمارات العقل الراجح . والقصص التى تروى عنه في هذا كثيرة .

ومن جميل ما يروى عن سرعة بديهته أنه صعد المنبر يوما ، فقال : « الحمد لله ، وأومن به ، وأتوكل عليه » ، فقاطعه رجل من السامعين قائلا : « ونحن نذكرك بمن ذكرت به ». فقطع المنصور خطبته وقال : « مرحبا مرحبا ، لقد ذكرت جليلا، وخوفت عظيما ، وأعوذ بالله أن أكون ممن اذا قيل له : اتق الله أخذته العزة بالاثم . والموعظة

منا بدت ، ومن عندنا خرجت . يا قائلها ، احلف بالله ، ما الله أردت بها ، وانما اردت أن يقال : قام فقاطع فعوقب فصبر . ويلك اني قد غفرتها . واياكم معشر الناس وأمثالها » . ثم أردف قائلا : « واشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ... ثم مضى في خطابه وكأنه يقرأه من قرطاس .

دينه وعبادته

وكان المنصور مؤمنا عميق الايمان ، مؤديا لشعائر الدين ، غيورا عليه ، كثير الصلاة ، كثير الحج ، لا يشرب النبيذ ، ولا يرضى بالحرام . وصفه الطبرى فقال : « كان اذا مضى الثلث الثاني من الليل ، قام من فراشه ، فاسبغ وضوءه ، وصَفَّ محرابه حتى يطلع الفجر ، ثم يخرج فيصلي بالناس » . وكان يكثر من ذكر الله في أحاديثه وخطبه ، ويعنى برواية الحديث .

ومرد هذا الايمان العميق الى عاملين : أولهما تربيته في بيت ورع وتقوى على يد جده علي ابن عبد الله بن عباس الملقب بالسجّاد لكثرة سجوده، وثانيهما صلته القوية برجال الفكر الاسلامي ، من امثال الزاهد المعتزلي عمرو بن عبيد ، والقاضي المتعبد ابن أبي ليلى .

والى جانب تدينه العميق ، كان رجل دنيا ناجحا في دنياه . ولعل اجتماع هذين النقيضين في شخصه : حب الدنيا ، وطلب الآخرة ، هما اللذان أوجدا هذا التوازن الناجح في حكمه ، لأن حب الدنيا وحده يقود الحاكم الى الطغيان وحب الآخرة وحده لا يصلح لسياسة دولة كدولة أبي جعفر المنصور .

ومن طريف ما يروى عن صلته بالزاهد المعتزلي عمرو بن عبيد ، أن هذا الزاهد كان يتهرب منه بعد أن أفضت الخلافة اليه، وكان المنصور يشتاق الى مجالسته والتحدث معه ، رغم أنه كان جريئا في حديثه معه ، شديدا في نقده لأعماله . قيل أن المنصور دعاه مرة الى مجلسه ، فدخل عليه ، وانتقده ، ووعظه حتى أبكاه . فقال بعضهم : يا أبا عثمان ، أبكيت أمير المؤمنين ! قال : وماذا عليه أن يبكي من خشية الله ؟ فأمر له المنصور بمال فرفضه ، وقال : لا حاجة لي به ، فحلف المنصور أن يأخذه ، وحلف عمرو أن لا يأخذه ، فقالوا : أيحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟ قال : لئن يحنث أمير المؤمنين أيسر من ان أحنث أنا، لأنه اقدر على الكفارة مني. ثم قام، فقال له المنصور: يا أبا عثمان ، هل من حاجة فاقضيها لك ؟ قال : نعم ، لا تبعث الي حتى آتيك ، ولا تعطني حتى أسألك . قال المنصور : اذن والله لا نلتقي ! قال : عن حاجتي سألتني . فلما خرج عمرو من عنده ، أنشد المنصور :

كلكم يمشي رُوَيْدْ
كلكم يطلب صَيْدْ
غيرُ عمرِو بنِ عُبَيْدْ

فذهبت مثلا .

ولما توفي عمرو بن عبيد (عام ١٤٤هـ) ، وتوفي بعده القاضي عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، قال المنصور : ما بقي أحد يستحى منه .

بلاغته وأدبه وعلمه

وكان المنصور أديبا ، وخطيبا مفوها ، حافظا لأشعار العرب . وكان هو نفسه شاعرا مجيدا رغم قلة ما روى عنه . وأخباره مع الشعراء المجيدين تدل على حسن ذوقه وفهمه للشعر ، ومقدرته على معرفة غثه من سمينه .

يروى أن ابن أخيه عيسى بن موسى العباسي أرسل اليه يحذره مغبة قتل أبي مسلم ، وكان قد أدرك أن المنصور عازم على ذلك ، وكان من جملة ما كتب له في الرقعة هذا البيت :

اذا كنت ذا رأى فلا تعجلنْ به
فان فساد الرأى أن تتعجلا

فرد اليه المنصور الرقعة بعد أن كتب عليها من شعره :

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة
فان فساد الرأى أن تترددا

ولا تمهل الاعداء يوما بقدرة
وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا

وفوق هذا فان المنصور كان يتحين الفرص فيكتب ، ويدون ، ويؤلف ، على الرغم من مشاغله الكثيرة . ويروى ابن خلدون والطبرى ان المنصور كتب فى أخبار الناس ، وفى شؤون السياسة وغيرها من العلوم ، سبعة مجلدات ، وكراسة صغيرة ، تركها بعده لابنه المهدى يستفيد منها ، ويهتدى بآرائها . وشهد له الجاحظ فقال فيه :

« كان المنصور مقدما فى علم الكلام ، ومكثرا من كتابة الآثار ... » .

بخله واقتصاده

ومن القضايا التى وقف عندها المؤرخون وافاضوا بخل المنصور ، حتى انهم سموه « الدوانيقى » أو « أبو الدوانق » لانه كان يحاسب عماله على الدرهم والدانق .

يقول ابن الأثير : حاسب المنصور قواده الذين اشرفوا على بناء مدينة السلام (بغداد) عند فراغهم منها ، فالزم كلا منهم ما بقي عنده فاخذه ، حتى أن خالد بن الصلت بقي عليه خمسة عشر درهما فحبسه واخذها منه .

ويروى الطبرى انه ولى رجلا عملا فى ناحية ، فاتمه ودخل عليه ، وقدم له الحساب ، وقام لينصرف ، فاراد المنصور معرفة أمانته ، فقال له : اشركتك فى أمانتى ، ووليتك فيئا من فىء المسلمين ، فخنته ؟! قال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ، ما صحبنى من ذلك الا درهم فى كمى ، صررته لكي اكترى به بغلا يوصلنى عيالي ، فادخل بيتي وليس معي شىء من مال الله ولا مالك . فقال المنصور: ما أظنك الا صادقا، هلم درهمنا !.

ومن يقرأ مثل هذه الاخبار يرى المنصور بخيلا الى أبعد غايات البخل ، وخاصة انه صاحب دولة تمتد من السند الى أقصى بلاد المغرب ، وكان فى بيت ماله ما يزيد على « ثمانمائة الف الف درهم » حسب تقدير بعض المصادر . وقد وضع الدكتور الجومرد تفسيرا طيبا لاقتصاد أبي جعفر المنصور فقال : « ان هذه الاخبار التى أوردنا بعضها هنا، لها ظروف خاصة . كما أن لتصرفاته البخيلة أهدافا أبعد مما تتصور : يرمى بعضها الى ردع عمال الدولة عن أن يتصرفوا بالاموال التى فى ايديهم ، أو افهام من يحن من الشعراء الى كرم الامويين ، بانهم كانوا يبذرون اموال المسلمين بأعطياتهم السخية . ثم افهام من يعمل لخدمة الدولة ان اموال خزينة المسلمين يجب ان لا تكون نهبا للمتملقين والمتزلفين لشخص الخليفة أو أمراء أهل بيته وأخيرا اعطاء درس لولي العهد وغيره ممن سيتحمل المسؤولية ، بوجوب عدم التبذير واضاعة الاموال فى غير محلها ... ولو تتبعنا ما بقى من اخباره لوجدناه يجود بالمال عند الضرورة الى حد يمكن أن يقال عنه كريما ، ويسخو بالبذل عند الحاجة فى تجهيز الجيوش وضرب الأعداء ، حتى كانه لا يحسب للمال حسابا ... ونستطيع القول ان ابا جعفر لم يكن بخيلا كما يريد البعض أن يصفه ، ولا كريما متلافا شأن الكثير من الخلفاء ، ولكنه بين بين ، أميل الى الاقتصاد منه الى البذل والتبذير ... وربما كان هذا اللون من التدبير والاقتصاد لجمع المال صفة من صفات معظم مؤسسى الدول ، وبناة الممالك ، اذ من عادات هؤلاء اختزان الأموال لدرء الطوارىء . وقد ترك المنصور وراءه خزانة عامرة أراحت خلفه المهدى ، وجعلته ينفق عن سعة ولا يخشى نفادا » .

ولعل أحسن ما جاء فى وصفه فى هذا المقام ما قاله المسعودى فيه : « كان يعطي الجزيل والخطير ، ما كان اعطاؤه حزما ، ويمنع الحقير اليسير ما كان اعطاؤه تضييعا » .

لله دره !

هذا هو المنصور موطد أركان دولة بني العباس، وباني بغداد . شخصية فذة خلقت لتقود وتبنى .

ولما استبدت به أمراض معدته حتى لم يعد يستطيع أن يهضم طعامه الا بدواء يستعين به على الهضم ، وشعر ان أجله قد اقترب ، قال : « اني

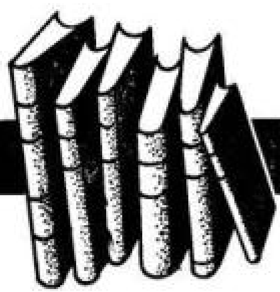
ولدت في شهر ذي الحجة ، وتوليت الخلافة في ذي الحجة ، واهجس في نفسي اني اموت في ذي الحجة ، هذه السنة » . ولذلك قرر السفر الى مكة ليموت ويدفن فيها ، وأوعز الى وزيره الربيع ابن يونس أن يهيىء الموكب ، ويتخذ له وسائل الراحة والأمن ، وأوصى ابنه المهدي بوصية مشهورة جاء فيها : « أحكم بالعدل ولا تشتط ... واياك والاثرة والتبذير لأموال الرعية ... واياك وتأخير عمل اليوم الى الغد ... واعد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ، ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل ... وباشر الأمور بنفسك ، ولا تضجر ولا تكسل ... » ثم ودعه وبكى كل واحد منهما .

ووصل الركب مكة ، وفي هداة الفجر من ليلة السبت ، في السادس من شهر ذي الحجة عام ١٥٨ هـ ، خرجت روحه الى بارئها ، بعد أن عاش ثلاثا وستين سنة وحكم اثنين وعشرين عاما . وبهذا انتهت حياة جد ملوك بني العباس ، ومؤسس دولتهم التي دامت بعد موته نحوا من خمسمائة سنة (١٥٨ ـ ٦٥٦ هـ) ، والتي حكم فيها بعده خمسة وثلاثون خليفة كلهم من أبنائه وأحفاده . وكان قبل وفاته بيوم قد خط على رقعة هذه الأبيات ، يرثي بها نفسه :

المرء يأمل أن يعيش   وطول عمر قد يضره
تبلى بشاشته ويبقى   بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى   لا يرى شيئا يسره
كم شامت بي ان هلكت ، وقائل : لله دره !

لله درك أبا جعفر !

محمود السمره



مِنَ الكتب التي وصلتنا

مختارات

بسيم الذويب . بغداد

● يتضمن هذا الكتاب مقالات في الأدب والاجتماع والسياسة ، كتبها المؤلف خلال سبع سنوات .

الحمى الصفراء

بول دي كرويف وسدني هوارد . ترجمة حازم علي فوده . فرانكلين ومكتبة الانجلو المصرية .

● مسرحية تاريخية تصور تفاني جماعة من العلماء في مقاومة الحمى الصفراء في كوبا والكشف عن ميكروبها ، حتى يمكن أن يستخلص منه مصل يخلق المناعة لمن يتعرضون للاصابة بها .

تاريخ الاشتراكية الأوروبية

ايلي هاليفي . ترجمة الدكتور جمال الاتاسي . وزارة الثقافة والارشاد القومي . دمشق

● كتاب قام بانشائه مجموعة من أصدقاء ايلي هاليفي وتلامذته بالاعتماد على المذكرات التي أخذت عن دروسه ، وقدم له ريمون آرون .

الصواريخ والأقمار الصناعية

المهندس وجيه السمان . وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق .

● « يعالج هذا الكتاب موضوع فتح الفضاء على يد الانسان . ويعرض شتى الوسائل التي استعان بها العلماء والمهندسون للوصول الى الفضاء ،وعديد المحاولات التي كان نصيبها الفشل الى أن تكللت المساعي بالنجاح في هذه الأعوام الأخيرة » .

آفاق العلم

لين بول : ترجمة الدكتور سيد رمضان هداره . فرانكلين ومكتبة النهضة المصرية .

● كتاب حرص فيه مؤلفه على أن يقص قصصا علمية ، وكل قصة تشرح كيف ان العلماء حاولوا استكناه اسرار الطبيعة .

فصول فى الأدب والنقد

مرهون عبد اللطيف . البصرة

● كتيب فيه : الأدب والفن ، عوامل التذوق الفنى .

كرستوفر كولمبوس

موريسون . ترجمة فوزى قبلاوى . فرانكلين ودار مكتبة الحياة . بيروت

● يروى المؤلف حياة كولمبوس فى واحد وعشرين فصلا . ومن هذه الفصول يبدو لنا كولمبوس شخصية مثيرة تبعث على الاعجاب ، الى جانب كونه مكتشفا حقق اعظم واهم اكتشاف جغراف سجله تاريخ الانسانية .

أرض السحر

شفيق جبرى . وزارة الثقافة والارشاد القومى، دمشق .

● خواطر وذكريات سجلها المؤلف عن رحلتين قام بهما الى الولايات المتحدة الأمريكية .

نداء الثأر

أكرم عرفات . دار الفكر الحديث . القاهرة .

● ديوان شعر فيه : نداء الثأر ، مولد فجر ، وقفة خلف الحدود ، صرخة الأمل ...

زهر الربى

ميخائيل خليل الله ويردى، المطبعة الهاشمية بدمشق .

● ديوان شعر من قصائده : يائسة ، المصير، صوت سورية ، ذكرى المتنبي ...

تاريخ جبل نابلس والبلقاء ــ الجزء الأول

احسان النمر . مطبعة ابن زيدون بدمشق .

● من فصول الكتاب : العرب فى سوريا ، نظام الحكم العثمانى ، الفوارق وعوامل الفتن ، الفتن والثورات، جبل نابلس فى اول الفتح الاسلامى، النهضة العلمية الأولى ، الامراء الوطنيون ، الحكام الغرباء ...

أبو المحاسن

سلمان هادى الطعمة . كربلاء .

● بحث أدبي يعتمد على اوثق المصادر عن شاعر الثورة العراقية المرحوم الحاج محمد حسن ابو المحاسن الكربلائي . وكان الشاعر وزيرا للمعارف فى العراق .

منتصف مارس

ثورنتون وايلدر . ترجمة أحمد قاسم جودة . مؤسسة فرنكلين ومكتبة النهضة المصرية .

● هذه رواية تعد من أروع القصص التاريخى اسلوبا وفنا وموضوعا . وقد اختار لها المؤلف قالب الوثائق ، والرسائل المتبادلة بين أبطال الرواية ، ومعظمهم ان لم يكونوا جميعا ، من الع الأسماء فى التاريخ الرومانى ، فمنهم : يوليوس قيصر ، وشيشرون ، وكيلوباطرة ، ومارك انطونى ...

هل ينقذنا العلم ؟

لندبرغ . ترجمة الدكتور امين أحمد الشريف . مؤسسة فرنكلين ودار اليقظة العربية . بيروت .

● فى هذا الكتاب : هل يمكن للعلم حل المشكلات الاجتماعية ؟ التحول نحو العلم فى العلاقات البشرية . التربية فى عصر العلم ...

الأمثال العامية فى نجد

محمد العبودى . دار احياء الكتب العربية . القاهرة .

● يشتمل على الف مثل مرتبة على الحروف.

■■

أنت تسأل ونحن نجيب



يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

المستشرقون لم يفتروا ، ولكن هذا ما قاله المفسرون

● كلنا نعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ابنة عمته السيدة زينب بنت جحش، حفيدة عبد المطلب بن هاشم ، وسيدة أبناء عبدشمس ، بعد أن كانت زوجة لمولاه ومتبناه ، زيد ابن حارثة ، وأنه صلوات الله عليه تزوجها بأمر السماء وبوحى من الله، كما ورد فى سورة الأحزاب، لابطال ما كان سائدا اذذاك من حقوق التبنى والادعاء . لكن بعض المستشرقين قد أفحش فى سرد حوادث هذه القصة وجعل منها قصة غرام طويل واضفى عليها من أستار الخيال ما لا يتفق وجلال النبوة ، وما عرف عن خلق الرسول الكريم .

فما هو السبيل لدحض هذه المفتريات التى يكررها ذلك النفر من المستشرقين والمبشرين بدافع الخصومة القديمة المتأصلة فى نفوسهم منذ الحروب الصليبية ؟!

عبد القادر الكيلانى ــ الزرقاء ــ الاردن

ــ يظهر أن السيد الكيلانى لم يقرأ ما ورد فى كتب التفسير عن قصة زواج الرسول الكريم بالسيدة زينب بنت جحش . ولو أنه فعل لرأى أن المستشرقين الذين عرضوا لهذه القصة لم يأتوا بجديد من عندهم ، وبالتالى لم يفتروا ولم يختلقوا .

يقولون ان حب زينب قد وقع فى قلب الرسول عندما رآها حاسرة فى بيت زوجها ، فقال : « سبحان مصرف القلوب » ، وأنه قاوم عاطفته نحوها الى أن طلقها زيد فتزوجها ..

وليس فى هذه الرواية شىء جديد .

روى الطبرى بسند مرفوع الى محمد بن يحيى ابن حيان : أن الرسول افتقد زيدا فقصد الى منزله يطلبه ، فهرعت زينب تستقبله ، وقد أعجلتها اللهفة عن استكمال ثيابها للقاء الرسول ، فقالت : « ليس هو هنا يا رسول الله . فادخل بابى انت وامى » ..

● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■

مجنون ليلى وقيس لبنى

● استمعت الى الحلقات المذاعة من اذاعة الكويت عن قصة قيس ولبنى ، وقد لاحظت أن المؤلف كان يسمى البطلة حينا ليلى وحينا لبنى ، وان القصة تروى لنا أن قيسا تزوج لبنى ، ثم فارقها كرها . والمشهور أن قيسا ، مجنون ليلى، لم يتزوج ليلى !!

فما هو سبب هذا التضارب ؟

ابراهيم حسين الفيفى
معهد الاحساء العلمى

ــ قيس لبنى ، غير قيس ليلى ...

اولهما قيس بن ذريح، والآخر قيس بن الملوح.

أولهما صاحب لبنى ، وثانيهما صاحب ليلى العامرية وهو المشهور بمجنون ليلى .

وليس فى الحلقات التى سمعتها من اذاعة الكويت أى تضارب ، لكن الأمر قد اختلط عليك بين القيسين .

■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ●

هجر زوجك لك لا يبرر خيانتك

● تركني زوجي منذ أكثر من خمس سنوات .. حتى كلامه لي أصبح قليلا .. ومع اني أحب أولادي واكرس وقتي لخدمتهم وتربيتهم الا اني أحس بحاجتي الى رجل يضفي عليّ الحب والحنان والعطف ، خصوصا واني ما زلت دون الأربعين ، أي في السن التي تبلغ المرأة فيها ذروة نضجها الجنسي ...

ترى هل أكون آثمة اذا ما أحببت رجلا آخر ، حبا بريئا ، ما دام هذا حال زوجي معي من الهجر والاهمال ؟

أم أظل محافظة على طهارتي مع ما في ذلك من قضاء على شبابي ، وقتل لعواطفي وخروج على سنة الطبيعة البشرية ؟!

الحائرة : زهيرة ... الموصل

ـ هل تظنين ان امرأة متزوجة ، في ذروة الشباب تستطيع أن تحب رجلا غير زوجها ، حبا طاهرا شريفا ؟!

انت لا ريب معذورة في أن تفكري مثل هذا التفكير . لكن هلا فكرت قبل ذلك في الأسباب التي حملت زوجك على هجرك واهمالك ؟

الا يجوز ان يكون هو الآخر معذورا في الالتجاء الى هجرك والبعد عنك ؟

اليس من الجائز ان يكون قد لاحظ أن حبك لاولادك قد طغى على حبك لزوجك وصرفك عن رعايته والقيام بحقوقه كزوجة مخلصة تحب زوجها وترى في سعادته سعادتها .

خير لك ان تفكري في الأمر مليا ، وأن تتعرف أسباب انصراف زوجك عنك واهماله اياك ، فان كانت ترجع الى تصرفاتك أنت ، فبادري الى ازالتها،كي تستردي عطفه ومحبته، وان كانت في حياته امرأة اخرى فحاولي أن تستردية منها بحسن سياستك .

اما اذا كان رجلا لا خير فيه ولا أمل في عودته ، فليس خيرا من الطلاق ، ولن تعدمي اليه الوسيلة ، وسوف يرزق الله كلا من سعته .

اما ان تفكري فيأن تتصلي برجل آخر ، متذرعة بما تلقين من هجر زوجك لك ، فشيء يأباه الشرف والدين والفضيلة ، وسيعود عليك وعلى أولادك باوخم العواقب .

وفي رواية أخرى أوردها الطبري وأيده جمهور من المفسرين ان الرسول جاء يطلب زيدا وعلى باب زينب ستر من شَعَر ، فرفعت الريح الستر ، فانكشف عنها وهي في حجرتها حاسرة ، فوقع اعجابها في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانها دعته الى الدخول فأبى ، وولى وهو يهمهم بكلمات ميزت فيها قوله « سبحان الله العظيم .. سبحان الله مصرف القلوب » ..

وايد الرواية معظم المفسرين ، وعلى راسهم الزمخشري الذي اسهب في تفسير ما نزل من السماء من آيات في حق زينب وزواجها من زيد اولا ، ثم من النبي (ص) ثانيا ، وخاصة في تفسير قوله تعالى لرسوله الكريم « وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » ..

فالمستشرقون الذين اشرت اليهم في كتابك ايها الأخ لم يأتوا بشيء من عندهم ، ولعلهم استندوا في ما كتبوا الى ما سبقهم اليه المفسرون .

وقد عرض المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل في مؤلفه «حياة محمد» لما ذكر المستشرقون عن هذه القصة وأنكرها عليهم انكارا شديدا وقال : « ويكفي لهدم كل القصة من أساسها ان تعلم أن زينب هي ابنة عمة رسول الله ، وأنها ربيت بعينه وعنايته ، وأنه كان يعرفها ويعرف أهي ذات مفاتن أم لا قبل أن تتزوج زيدا ، وأنه شهدها في نموها تحبو من الطفولة الى الصبا الى الشباب ، وأنه هو الذي خطبها على زيد مولاه » .

واستطرد الدكتور هيكل يقول :

اذا عرفت ذلك تداعت امام نظرك كل تلك الخيالات والاقاصيص، من انه مر ببيت زيد فرأى زينب فبهره حسنها وقال «سبحان مقلب القلوب» او انه لما فتح باب زيد عبث الهواء بالستار على غرفة زينب ، فالفاها فى قميصها ، وكانها « مدام ريكاميه » !!

ويؤكد الدكتور هيكل فى ختام تفنيده لهذه القصة ان زواج الرسول من زينب لم يدفع اليه ميل ولا عاطفة ، وانما اراد ان يأتمر بحكم الله فيما أبطل من الحقوق المقررة للتبنى والادعاء ، ثم اشفق مما يمكن أن يقول الناس فى خرقه لعادة لديهم قديمة متاصلة ، فلم يرض الله له ان يخفى فى نفسه ما الله مبديه ، ويخشى الناس والله احق أن يخشاه ، وان الخصومة القديمة المتاصلة فى نفوس المستشرقين والمبشرين منذ الحروب الصليبية هى التى املت عليهم ما كتبوا وجعلتهم يتجنون على التاريخ،ويلتمسون اضعف الروايات فيه مما دس عليه ونسب اليه .

وسواءأصحت رواية المفسرين أم لم تصح ، وسواء أكان رأى الدكتور هيكل هو الصواب أم لم يكن ، فليس فى قصة زواج الرسول الكريم من السيدة زينب ما يتنافى وجلال النبوة ، بل هى على العكس تضرب لنا مثلا اعلى لما اتصف به الرسول من سمو خلق وعفة ضمير ، اذ أشاح بوجهه عمن أعجبته وهو يسبح باسم الله العظيم مقلب القلوب ، فقد كانت قبل زواجها بزيد تجفوها نفسه ولا تريدها ، ولو ارادتها لخطبها لنفسه ، بدلا من أن يزوجها زيدا وهى واهلها كارهون ، حتى لقد قالت يومئذ فيما قالت : « لا أتزوجه أبدا وأنا سيدة أبناء عبد شمس » ، لولا أن نزل فيهما قرآن ، ليتم للرسول ما اراد من تحطيم الفوارق بين الطبقات ، كما تم بزواج الرسول منها بعد ذلك ما أراد الله من نقض عادة التبنى والادعاء .

والله أعلم ..

كليلة ودمنة

● من هو بيدبا مؤلف كتاب كليلة ودمنة ؟

وما هو سبب تأليفه هذا الكتاب حيث أنى لم أعثر فى النسخة العربية على ذلك السبب ؟

بنغازى صالح محمود

ـ كتاب كليلة ودمنة ماخوذ من كتاب هندى باللغة السنسكريتية يسمى « بنج تنترا Panchtantra » وضعه فيلسوف هندى يدعى « وشنوشرما Vishnusharma » لا « بيدبا » كما فى كتاب كليلة ودمنة .

اما سبب تاليفه ، كما هو مذكور فى مقدمة «بنج تنترا » فهو ان أحد ملوك الهند كان حكيما عاقلا بصيرا بشؤون الحياة ، نابغا فى مختلف الفنون ، وكان له ثلاثةابناء آية فى الفلفلة والبلادة، فعهد الى وشنو شرما أن يعلمهم ويبصرهم بأمور الدنيا ويشحذ اذهانهم ويجعل منهم عقلاء حكماء، فالف هذا الكتاب ، معتمدا على بعض الحكايات التى تضمنتها الكتب الهندية القديمة ، مثل « ويدا » و «مهابهارتا » وغيرهما .

« الصلبة » بين العرب والصليبيين

● ندرس فى المدرسة « جغرافية الاجناس البشرية » ومن ضمنها الأجناس البشرية فى دولة الكويت . ومن ضمن الجماعات التى يقال انها تسكن أرضنا العربية « الصُّلَّب » وقد قيل لنا انها من أصل عربى .. فهل هذا صحيح ؟!

أرجو أن أجد عندكم الشرح الواف عن جماعة الصُّلَّب هذه ، وأن يكون فى أقرب وقت ممكن ، فالامتحانات كما تعلمون قد باتت على الابواب .

لطيفة الضاحكة ـ رابعة أدبى
ثانوية البنات

ـ يقول الانثربولوجى « كارلتون كون » فى كتابه « القافلة » أن « الصُّلَّبة » أو « الصُّلَّبا »

الألوان : لا وجود لها !!

● انني لا أعتقد بوجود الألوان ، بل هي شيء وهمي تصوره لنا الأعين اما أحمر أو أصفر أو أخضر الخ ...

والسبب عندي هو أن كل جسم يعرض للنور بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يمدنا بأشعة ، وهذه الاشعة تجعلنا نتصور أن لهذا الجسم لونا . وسبب اعتقادي هذا .. أن هناك أجساما اذا مزجت اعطت لونا جديدا لا صلة له بالالوان السالفة . وهناك تجربة قام بها بعض الأساتذة ، فمزج جسمين لونهما أبيض فحصل لدينا جسم ثالث له لون أحمر . فمن اين اتى هذا اللون ؟ لقد تغيرت كمية الاشعاع أو نوعه فصرنا نتخيل له لونا أحمر . والماء عندما يصبح ثلجا فانه يصبح أبيض اللون مع انه لم يتغير جوهره بل بقيت جزيئاته تتألف من ذرتين هيدروجين وذرة أوكسجين.

التمس منكم أن تفيدوني عما اذا كان قولي خطأ أم صوابا .

ابراهيم محمد ابراهيم
لبنان ـ بنت جبيل

ـ الالوان لا وجود لها ، معنى ، الا في المخ . تقع أمواج الضوء المختلفة على شبكة العين ، فتنقلها الى المخ ، والمخ يحسها حمراء أو زرقاء أو خضراء . وتقع الأمواج الضوئية المختلفة على الشبكية معا ، فيجد المخ لها معنى آخر غير معنى الموجتين المنفردتين اذا وقعتا منفردتين على الشبكية . وليس احد يدري كيف يصنع المخ ذلك . أما أن استاذا مزج مادة بيضاء بمادة بيضاء اخرى فحصل منهما على جسم ذي لون أحمر ، فالذي حدث أن وقع بين الجسمين تفاعل كيماوي أحدث جسما جديدا ، لا هو بالجسم الأبيض الاول، ولا هو بالجسم الأبيض الثاني . هو جسم جديد لونه أحمر . أما ان الماء لا لون له والثلج لونه أبيض ، فسبب ذلك أن الماء شفاف فهو يأذن بالاشعة البيضاء أن تمر فيه فلا تنعكس على العين ، أما الثلج ، لا سيما المتفتت فيعكس الضوء وهو أبيض، فتراه العين .

هي احدى الفئات العربية الخارجة من الطبقات الأرستقراطية ، والتي يرفض العرب ذوو النسب الأصيل التزاوج مع أفرادها ، مثلها في ذلك مثل طبقة الصناع والعبيد . وان الصلبة ينتمون الى جماعة عنصرية صغيرة تعيش جماعات متناثرة ، تتكون كل منها من عائلة أو عائلتين في مضرب يقوم بتربية الجمال . وهم يركبون الحمير ويضربون خياما صغيرة في أطراف المضارب البدوية . ويشتغلون أدلاء في الصحراء، ويحسنون الصيد، وهم ايضا نحاسون يصلحون أواني البدو ، ويجيدون أشغال الخشب والسروج والاشغال الجلدية ، وترقص نساؤهم أمام العامة ومنهن من يحترفن الدعارة .

وهناك قول يزعم بانه حينما يتجمع البدو في الصيف بالقرب من الآبار وضفاف المياه ، يضرب الصلابية في الصحراء المكشوفة حيث يرتوون من آبار وينابيع سرية لا يعرفها سواهم ، ويسرحون ويمرحون .

ويعتقد كثير من العرب بأن هؤلاء من بقايا الصليبيين ، لأن بعضهم شقر . غير أن الانثربولوجي لا يجد فرقا بينهم وبين اقدم سكان الصحراء .

الخوارج غير الصابئة

● أتوجه اليكم بهذا السؤال بالنيابة عن لفيف من زملائى ، اذ اختلفنا حول أصل الخوارج . فمن يكونون ؟ ولماذا سموا بالخوارج ؟ وفى اى الاقطار يعيشون ؟ وهل هم مسلمون .. أم انهم ممن صبأ عن الاسلام ؟

اسماعيل الشريف ـ طرابلس

ـ الخوارج غير الصابئة .. انهم احدى الفرق الاسلامية ، بل هم اقدم الفرق الاسلامية وأولها ظهورا ، وان كانوا اقلها عددا واقصرها عمرا ..

لا تختلف عقائدهم فى العبادات عن عقيدة اهل السنة الذين كانت تتالف منهم جماعة المسلمين فى عهد الرسول، وفى عهد ابى بكر وعمر من بعده، اذ لم يكن المسلمون قد تفرقوا بعد الى ما نعرف وما لا نعرف من فرق ومذاهب وطوائف يحارب بعضها بعضا أو ينكر بعضها آراء بعض .

وكان بدء حركة الخوارج عام ٦٥٧ م يوم تخلى عن علي بن ابى طالب اثنا عشر الفا من جنوده اثناء معركة صفين على أثر ما أثير من خلاف حول الخلافة ، اذ ذهب جماعة الى انه ليس فرضا على المسلمين أن يختاروا خليفة عليهم من قريش . بل ذهب بعضهم الى أنه لا ضرورة لوجود خليفة أصلا .. وكان هذا سببا فى أن تخلوا عن علي وقطعوا علاقتهم به وخرجوا عليه ، فسموا « الخوارج » .

وفى عام ٦٥٨ م قتل معظمهم وتفرقت فلولهم بعد معركة « النهروان » بينهم وبين علي .

ولم يبق فى زماننا هذا من الخوارج الا قلة ضئيلة تعيش فى عمان وزنجبار وفى بعض مواقع منعزلة فى شمال افريقيا مثل واحة غرداية وجزيرة جربة ، واهل هذين الموقعين من بقايا البربر ، ويتكلمون اللغة الزناتية .

صارحي أمك فورا ـ ولا تكتمي عنها الحقيقة

● انى فتاة فى الثامنة عشرة ، عذراء ، غير متزوجة ، ومع ذلك فمنذ شهرين بدأت أشعر بانتفاخ فى بطنى ما يزال يتزايد اسبوعا بعد أسبوع ، كالمرأة الحامل . وقد سألت بعض صديقاتى فقلن ان هذا الانتفاخ قد يكون أعراض مرض لا يعرفنه . وقالت احداهن : انه وربما كان من أعراض الحمل ! ولذا فأنا فى أشد الخوف من ذلك . علما بأنه ليس لى صديق ، وبأن حجم الثديين لم يتغير شأن المرأة الحامل ! وأخشى أن يشعر أبي أو أمي بحالى فيظنا بى الظنون .. فماذا أفعل ؟!

لواحظ . ج . ـ حلب

ـ اذا كنت واثقة من انك عذراء ، فلماذا تخافين من أبيك ؟ ولماذا تكتمين الامر عن أمك ؟

ان حديثك عن حجم الثديين ينم عن تخوفك من أن يكون هناك شيء مريب !

وسواء أكان هذا الانتفاخ عن حمل أو عن مرض ، فلا بد أولا وقبل كل شيء من مصارحة والدتك بالامر ، وأن لا تخفى عنها الحقيقة .. كاملة .. فهى الانسان الوحيد الذى يستطيع أن يأخذ بيدك فى محنتك ان كانت هناك محنة .

مكتبة طرابلس

● المقال النفيس الذى كتبه الدكتور عبدالحليم منتصر فى العدد ٦٥ من « العربى » عن مكتبة بيت الحكمة فى بغداد ودار الحكمة فى القاهرة، هذا المقال ذكرنى بمكتبة ثالثة لا تقل عن هاتين المكتبتين فيما احتوته من كتب وفيما بثته من معرفة وفيما خلفته من أثر ، هذه المكتبة هى مكتبة بنى عمار فى طرابلس الشام .

ولا بد قبل التعريف بهذه المكتبة من التعريف ببنى عمار الذين انشؤوها وقاموا عليها ، تعريفا موجزا تتسع له هذه الملاحظة .

كان بنو عمار اول امرهم قضاة طرابلس ، ثم صاروا أمراءها وحكامها ، وتشاء المقادير أن تلقى على كاهلهم عبء الدفاع عنها فى وجه الغزو الصليبى ، وأن يحمل ثقله أحد أبطالهم عمار بن عمار الذى كان يلقب بملك الساحل ، فقد ظل ينازل الصليبين حاميا لعاصمته منهم خمس سنين أنزل خلالها بهم أفدح الخسائر فى الارواح والاموال.

ومنهم الحسن بن عمار الذى قالت عنه دائرة المعارف الاسلامية : « كما كانت حلب فى عهد سيف الدولة مركزا للشعر ، كذلك كانت طرابلس فى عهد الحسن بن عمار ، وقد ازدهرت المدينة فى عهده واصبحت مركزا للحياة الفكرية فى بلاد الشام ، فانشا مدرسة كبيرة ومكتبة » .

أما هذه المكتبة التى أشارت اليها دائرة المعارف فقد كانت من أحسن المكتبات التى عرفها العالم الاسلامى ، واذا كانت مكتبة بغداد ومكتبة القاهرة على مثل ما وصفهما الدكتور عبد الحليم منتصر ، فقد كان ذلك متناسبا مع عاصمتين لخلافتين ملكت كل منهما الاقطار الشاسعة ودانت لكل واحدة منهما الاحوال والنفوس الى ما لا غاية بعده لمستزيد .

أما أمر مكتبة طرابلس فقد كان يدعو الى الكثير من الاعجاب الذى ستظل تحسه الاجيال مهما تعاقبت ، واختلف المؤرخون فى تقدير عدد الكتب التى اشتملت عليها ، وأقل تقدير لعدد كتبها كان نيفا ومائة الف كتاب . على أنه مهما كان عدد الكتب فان الاسلوب الذى كان متبعا فى ادارة المكتبة والنظام المفروض لها هو الذى يحملنا على الاشادة ببنى عمار كل الاشادة . فقد كان فى تلك المكتبة مائة وثمانون رجلا لا عمل لهم الا نسخ الكتب ، يتناولون مقابل ذلك رواتب معينة . كما كانت لها ميزانية معلومة لشراء الكتب وضمها اليها ، وموظفون مخصوصون للتفتيش عن الكتب والبحث عنها فى كل مكان .

وقد سقطت طرابلس فى أيدى الغزاة الصليبيين عام ٥٠٢ بعد كفاح بطولى طويل ومن ذلك الحين ضاع كل أثر للمكتبة. على أن المؤرخين الاوروبيين يطنبون فى الحديث عنها وعما احتوته ويبالغون فى عدد ما كان فيها من الكتب .

ومن ابلغ ما قيل فيها قول أحد المؤرخين المسلمين: « من هذه المكتبة انتشر العلم فى أنحاء المدينة حتى قال المؤرخون ان طرابلس صارت جميعا دار علم».

حسن الأمين ـ بيروت

الاثبات أولا ...

● توفى جدى عن ولد وأربع بنات ، وترك أرضا وماشية كثيرة . وقبل تقسيم التركة بين الابن وشقيقاته قام الابن ـ وهو خالى ـ بشراء أرض زراعية باسمه من مال التركة التى خلفها جدي . ثم قسم التركة دون ادخال الارض التى اشتراها لنفسه من مال التركة ضمن التقسيم ليحرم شقيقاته من انصبتهن فيها .

نرجو التكرم بالافادة عما اذا كان للشقيقات نصيب بقطعة الارض الزراعية أم لا ؟؟ .

احمد محمد علي
وزارة الداخلية ـ محافظة الاحمدي

ـ اذا ثبت ان خالك دفع ثمن الارض التى اشتراها باسمه من مال التركة كان عليه أن يعطى شقيقاته انصبتهن فيها كاملة .. المهم هو أن تتمكنوا من اثبات ذلك أمام القضاء ...

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....
....

العنوان : ....
....
....

تمثال أثينا ..
من عجائب الدنيا السبع

بقية المنشور على الصفحة الثانية

ومن ثم كثرت فى عهده الصروح والمنشآت المعمارية، وفى مقدمتها « البارثينون » الذى انشىء ليضم تمثالا هائل الحجم للالهة « أثينا » ، صنع من العاج والذهب ، حتى لقد بلغ وزن ما فيه من ذهب ٥٤٥ر٢ رطلا انجليزيا ، تقدر قيمتها الحالية بحوالى ٦ ملايين من الدولارات . وقد تولى عمل التمثال الفنان الاثينى « فيدياس » . ويرى « بركليس » و « فيدياس » فى الرسم أمام التمثال .

وبلغ ارتفاع « البارثينوس » ـ وهو الاسم الذى اطلق على التمثال ـ ٤٥ قدما تقريبا . وصيغت أجزاء الجسد فيه من العاج ، اما بقيته فكانت من الذهب ، وقد رُكِّبَت بحيث يمكن نزعها لتفيد منها خزانة الدولة كقرض فى أوقات الشدة .. ويؤخذ من البيانات والرسوم التى انتهت الى عصرنا ـ وان كانت متضاربة فى تفصيلاتها ـ أن التمثال أقيم على قاعدة من المرمر ، زينت مقدمتها بلوحة محفورة تمثل مولد « باندورا » ، التى تزعم الأساطير الاغريقية انها أول امرأة خلقها « هيفايستوس » Héphaistos صدوعا لأمر الاله « زيوس » Zeus ، وقد خلعت عليها الالهة « أثينا » Athéna ـ ربة الحكمة ـ كل آيات الجمال والمواهب .

وبجانب التمثال درع ذهبية كبيرة ، صور عليها « فيدياس » المعارك التى دارت بين الاغريق و« الامازون » ، وهن قوم من النساء المحاربات ، كما ورد فى الأساطير .. وقيل ان « فيدياس » صوّر نفسه فى أحد هذه الرسوم ، فاتهم بانتهاك حرمة الربة ، ونزح الى « أوليمبيا » حيث صنع تمثالا هائلا للاله « زيوس » من العاج والذهب كذلك .

وكان الضوء الوحيد الذى يتسرب الى «البارثينون» ، يأتى من مدخله الشرقى ، الذى كان يواجه الشمس مباشرة .

وقد قضى « فيدياس » فى صنع تمثال « أثينا » تسع سنوات ، من ٤٤٧ الى ٤٣٨ قبل الميلاد . وقد اختفى هذا التمثال تماما ، وكان من عجائب الدنيا السبع . ■■



تضحك الدنيا معك   ابك تبك وحدك

من اختصاصه ...



● صرخت الأم وهى فى السيارة العامة :

ــ ابنى .. انقذوه .. لقد ابتلع قطعة من النقود .

فاقترب منها أحد الركاب ، وقال :

ــ لا تجزعى .. دعينى أساعدك ، فهذا فى نطاق اختصاصى .

ثم أمسك بالصغير من أحدى قدميه ، وقلبه راسا على عقب ، وراح يدق على ظهره .. واذا بقطعة من النقود تهبط ..

وتهلل وجه الأم ، واقبلت عليه تشكره ، ثم سألته :

ــ أطبيب أنت ؟

فأجابها :

ــ كلا .. ولكنى مفتش بالجمارك !



نجاح مؤكـد

● كان الزوجان يحتفلان بمرور ٢٥ سنة على زواجهما . وسألت احدى المدعوات الزوج أمام زوجته :

ـ وهل تراها استطاعت ان تكون زوجة طيبة ؟

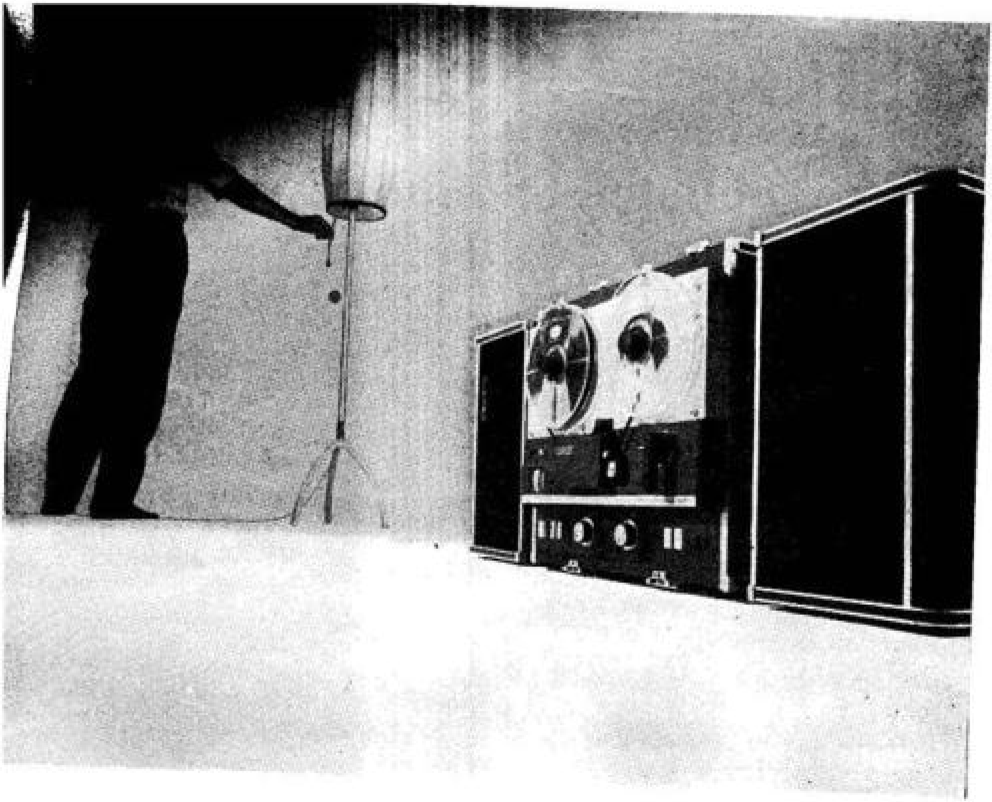
فبادرت الزوجة بالجواب :

ـ بل استطعت ما هو اكثر .. جعلته هو زوجا طيبا !

اعلى من هدير الميـاه

● قال الدليل بعد أن قاد السياح الى شلالات نياجرا العظمى ، فى امريكا :

ـ لو تكرمت السيدات وامسكن عن الكلام ، فسيتسنى لكم ان تسمعوا هدير المياه وهى تهوى الى النهر هويا !



إطفئ نور الغرفة واستمع الى آلة التسجيل

في ساعة متأخرة من الليل ، يذهب الجميع الى النوم . اما انت فلا ترغب بالنوم في تلك الساعة. تفكر اذن بالاستماع الى الراديو ولكنك تخشى بأن تكون الموسيقى من نوع " الروك اند رول " او بمشاهدة التلفزيون ولكنك تخشى ايضاً بان تكون خاتمة البرامج من سلسلة افلام طرزان . والاكثر من ذلك لا تريد ان تقلق راحة أحد . عندئذ يمكنك ان تستمتع بمزايا المسجل الستيريو سوني TC-500 مثلاً اذا ادرت المفتاح للحصول على صوت عميق ، يمكنك دائماً ان تستمتع بصوت عذب ناعم بصرف النظر عن الاداء الصامت لهذا المسجل .

سوني

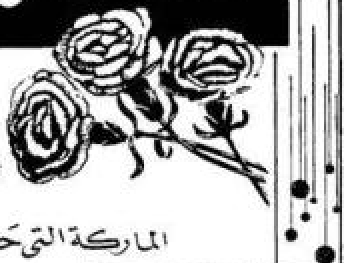
ان الفرق ينتج عن الابحاث

SONY®

مسجل ستيريو TC-500

-1890

كارنيشن

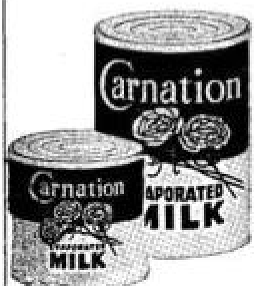


الحليب ذو القيمة الغذائية الكاملة

يحتوى فيتامين "د" بكميات أوفر

الماركة التي حققت أكبر مبيعات في العالم للحليب المبخر





إن أغلب الأطفال تغذيهم حليب كارنيشن أكثر من أي نوع آخر من أصناف الحليب المبخر

الوكلاء والموزعون : شركة بولند والغربللي ص . ب ٦٤٩ تلفون ٣٢٦٢٨ كويت

استعملوا بلاكات شامبيون









على جميع سيارات "فورد"

ان جميع سيارات فورد تجهز ببلاكات شامبيون، وذلك منذ صنعها منذ اكثر من ٥٠ سنة .

لكي يؤدي المحرك مهمته على أكمل وجه وبالانطلاق فورا مع الاقتصاد الملموس في استهلاك الوقود (البنزين) جهزوا سيارتكم ببلاكات شامبيون لأن هذه البلاكات تحقق ذلك وتعتمد من قبل خبراء ومهندسي فورد .

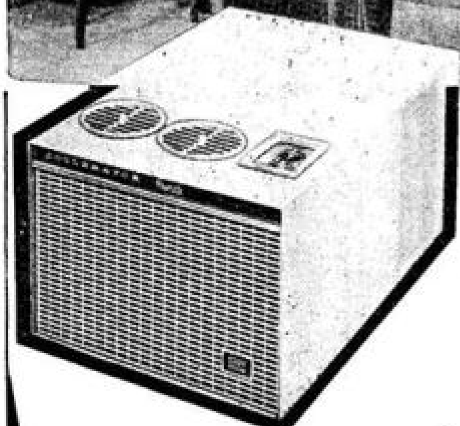
شامبيون

شامبيون هي البلاكات المفضلة عالميا للاستعمال في البر والبحر والجو .

مؤسسة الأجهزة الألكترونية

تجارة عامة - استيراد - تصدير - وكلاء مصانع وشركات





وكلاء عامون لشركة

"ماكرو اديسون"

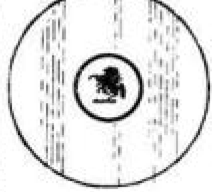
المنتجة لمكيفات

"توماس اديسون" و"كوليريتور"

أجود مكيفات في العالم

الكويت : ص. ب ٢٤٤٩ - برقيا : ترانزستور





Blue Grass
Dusting Powder



Blue Grass
Hair Spray



Blue Grass
Hand Lotion



Blue Grass
Flower Mist

بلو جراس
مزيج لروائح ألف زهرة

(**بلو جراس**) احدى الروائح العطرية الحائزة على محبة الجميع
(**بلو جراس**) نقية ـ ملطفة ـ جميلة
وهناك العديد من مستحضرات « بلو جراس »
فلاورست ـ هاندلوشن
هيرسبراى ـ وستنج باودر ـ صابون

Elizabeth Arden
اليزابيث آردن
NEW YORK · LONDON · PARIS
باريس · لندن · نيويورك

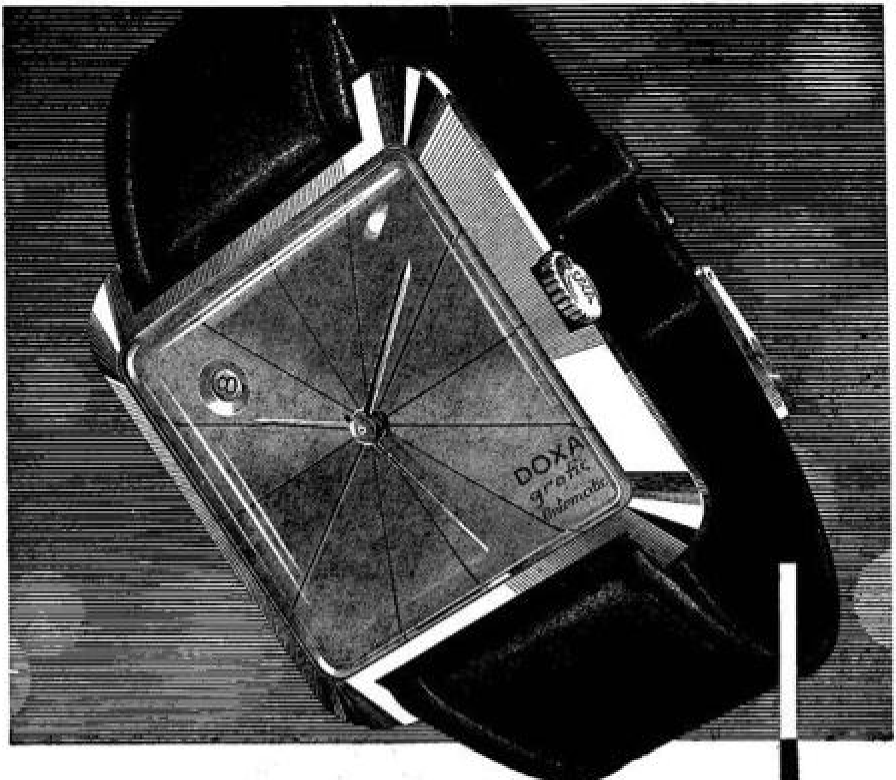


هــذه واحدة من ســيارات الانتــاج بالجملة
التى تحمــل الخاتم الشخصي لـ ٥٥٠٠ فني

يعتقد البعض ان انتاج السيارات بالجملة عملية سهلة لا تتعدى جمع الاجزاء وتركيبها بسرعة بدون عناية ... ولكن هذا لا ينطبق على « تويوتا » . فمصانعنا تعمل اوماتيكيا ولكن ليس هناك أى ضعف فى نوعية العمل . فلدينا خمسة آلاف وخمسماية فنى مهمتهم هى التأكد من خلو منتجاتنا من أى عيب . فاذا جرى تركيب أحد الأبواب مثلا فان الآلة لا تنقل للعملية التالية الا بعد التأكد من الاتقان. اما نتائج هذا العمل (أو بالاحرى هذا الاخلاص) فتظهر فى صورة السيارة أعلاه .

وموديل « الكراون دى لوكس » مثال جديد على الجهود التى تبذلها « تويوتا » وهى أكبر مصانع الشرق للسيارات لتلافى أى عيب فى الانتاج .

« موتورات تيوتا ـ اليابان » TOYOTA MOTOR, JAPAN



فوز الخطوط الحديثة

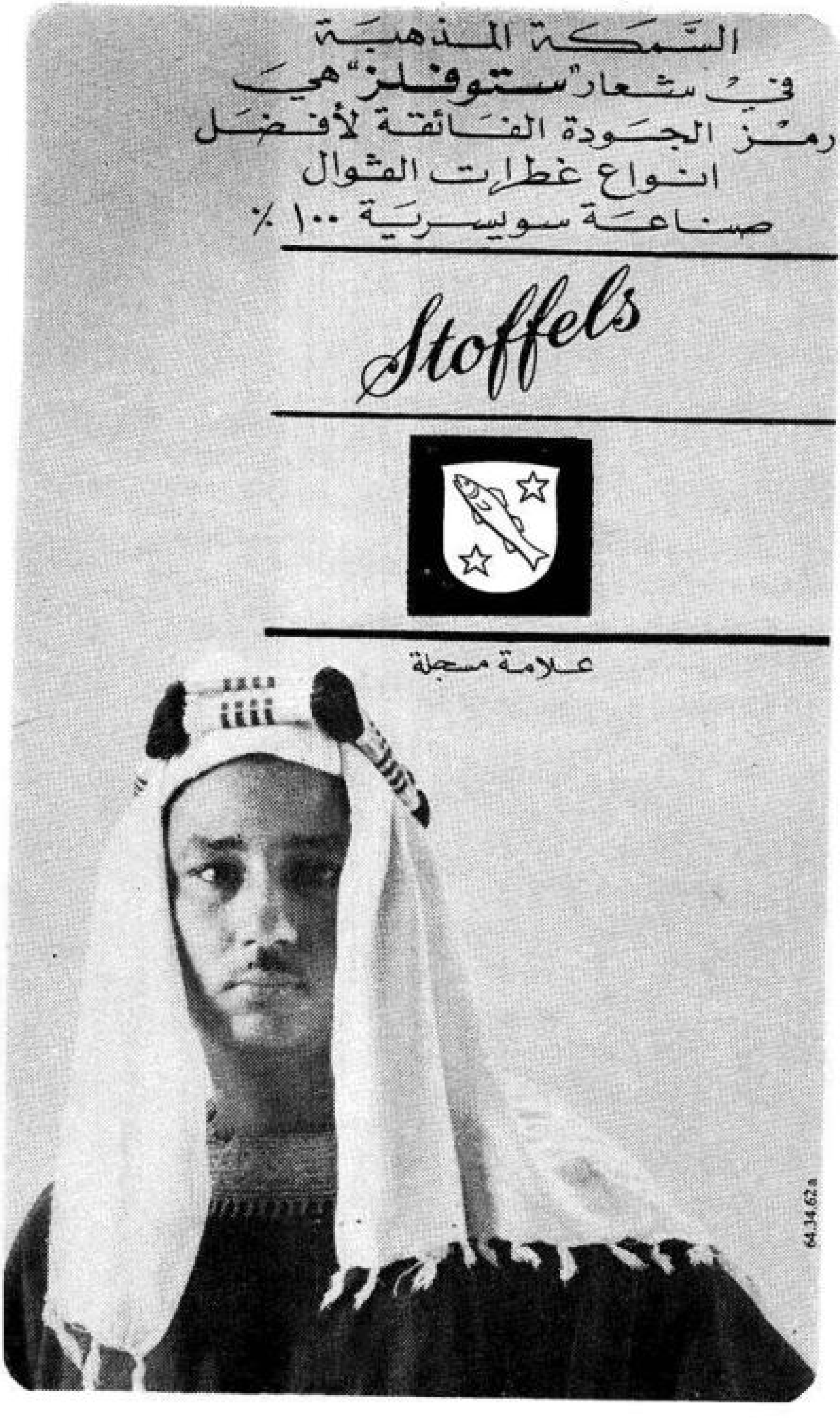
اقتناء دوكسا غرافيك ساعة المستقبل . ستكون لك ينبوعا دائما من السعادة والفخر . وستكون متأكدا من اقتنائك الساعة الراقية التي علاوة على مظهرها الخارجي الأنيق تضمن لك الدقة العالية

كشف بأسماء موزعي دوكسا

استكو المحدودة ـ شارونو ـ كابول ـ افغانستان ، مخازن السكسيور ـ عدن ، اكسلنت ميزيوم ص.ب ٢٤ دوحة ـ قطر ـ الخليج العربى ، جوزيف جيراكو ص.ب ٢٨٩٤ ـ بيروت ـ لبنان ، فخري جواد ـ ساحة الناصر ـ البتاوين ـ بغداد ـ العراق ، خليفة وعمر بن يوسف ـ أبو ظبي ـ الخليج العربى ، اسحاق عبد الرحيم الكوهجي ـ ص.ب ٥٧ ـ الخبر ـ العربية السعودية ، روبين كيتشجيان ـ ص.ب ٢٦٩ ـ عمان ـ الاردن ، كرابيد ميناسيان ـ ص.ب ٥٧٠ ـ حلب ـ سوريا ، شركة العثمان التجارية ـ ص.ب ٥٢٠ ـ الكويت ، ميشال أوسطايان ص.ب ٩٢٥ ـ دمشق ـ سوريا ، مؤسسة بونو للساعات والتجارة شارع الملك عبد العزيز ـ جدة ـ العربية السعودية ، شركة ش. بن سعود وم. شيخ ـ ص.ب ١٤١ ـ بنغازى ـ ليبيا .

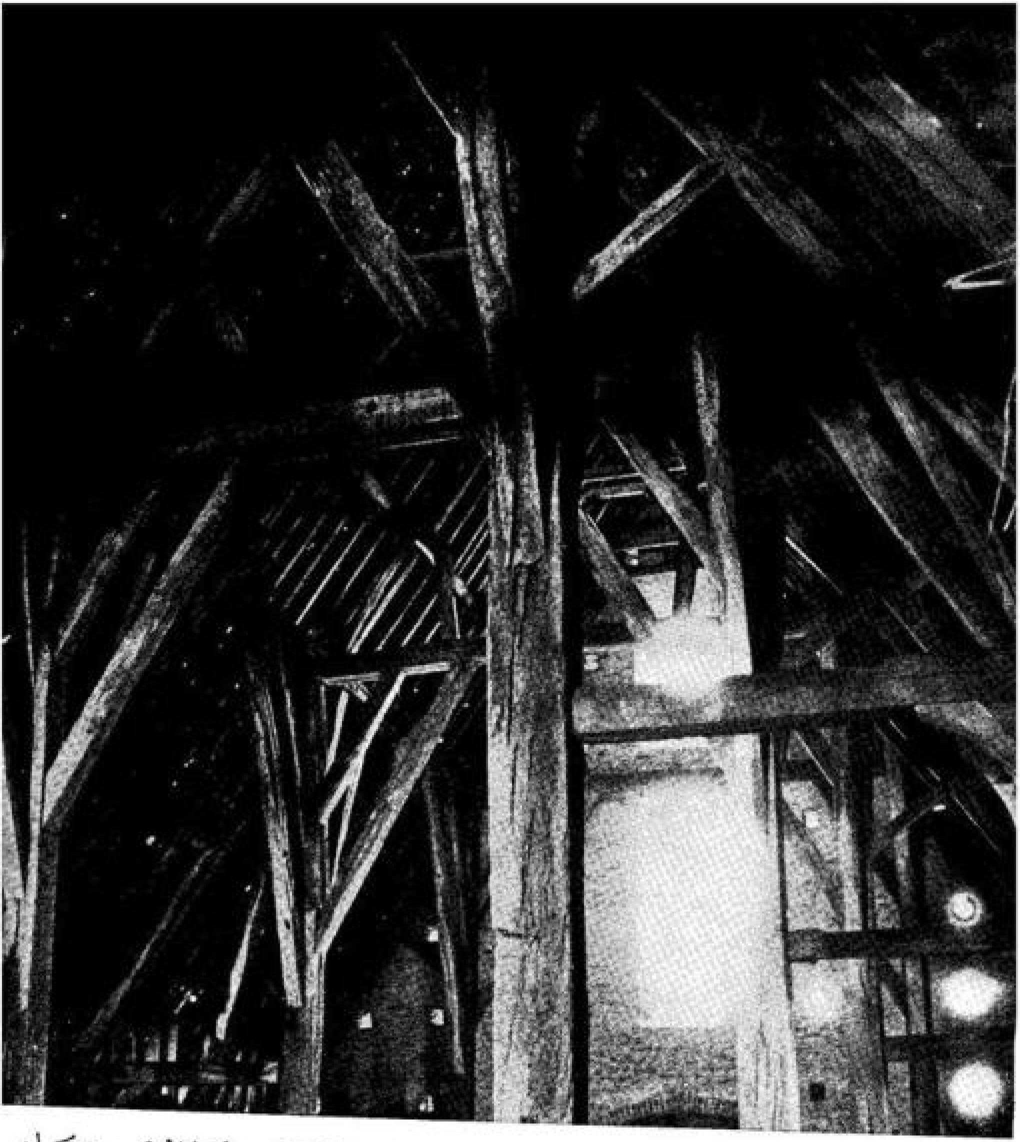
DOXA
grafic

معامل ساعات دوكسا ش.م.لو لوكل ـ سويسرا



السمكة المذهبة
في شعار "ستوفلز" هي
رمز الجودة الفائقة لأفضل
انواع غطرات الشوال
صناعة سويسرية ١٠٠ ٪
Stoffels
علامة مسجلة


سيجارة ڤايسروي - سيجارة الرجل العصري
VICEROY
VICEROY
Filter Tip
CIGARETTES





ثلاجات جنرال الكتريك
الجديدة
اشهر من
ان تعرف
مكيفات
جنرال الكتريك
١٩٦٤
مصممة خصيصاً بمروحة ذات دفع مركزي
تلطف الجو وتجدد النشاط
الوكيل العام :
محمد عبد الرحمن البحر
تلفون الادارة : ٣٢٨٨١ - كويت
المعارض
تلفون :
• شارع فهد السالم ٣٣٣٣٦
• سينما الحمراء ٣٤٣٤٠
• شارع على السالم ٢٣٥٢٨
ورشة الصيانة ٨٤٤٠



أول ما يلفت النظر في مدن الفلبين: الزرافات الهائلة من الناس. ففي أوقات

المشكلة التي تواجه ٣٠

كيف تجد متسعا لمليون

...نزت عقبة من الحصى المدببة الرؤوس ...ضحمل تجد أمامك صورة تقريبية للفلبين. ...بارة عن ٧١٠٠ جزيرة منتشرة في المحيط ... على شكل هلال مقوس طويل.

...لهذه الجزر الجزيرة تشغل فيما بينها ٩٠٪ ...من مساحة البلاد البرية. أما الجزر ...ة فتلك القاصية الصغر حتى أن الناس ...إذا جمعتها جميعاً فإنها تصبح بلداً ...تعادل تقريباً نصف رقعة قبرص.

...لعيش في هذه الجزيرة من الجزر الاستوائية ...ة في عرض المحيط، قد جعل من أهل ...ين أناساً أشداء ذوي جد ونشاط. فتجد ...ن حتى في مانيلا، العاصمة، الأولاد ...ن على لعبة الكرة اليدوية (البيلوتا) وكأنهم ... [illegible] في الأدغال.

النمو في عدد السكان ... في النمو في الاقتصاد

...لغ عدد السكان في الفلبين الآن ٣٠ ...نسمة. ولكن عدد السكان في تلك ...د الأخيرين أصبحا مشكلة حقيقية. ففي مطلع ...ة دراسية لابد من إفساح مكان لـ ٦٠٠٠٠٠ تلميذ جديد. (تبلغ نسبة المتعلمين في الفلبين ٧٢ في المائة، وهي من أعلى النسب في الشرق الأقصى). ولابد للحكومة كذلك من تدبير مليون آخر من السكان في كل سنة والتماس الوسائل لإطعامهم وإسكانهم وإلباسهم.

٥. ولكن المشكلة الصعبة الكبرى في الفلبين هي الفائض في اليد العاملة، ففي كل يوم هناك ألف عامل جديد يبحثون لأنفسهم عن عمل يعيشون منه.

الاقتصاد يتوسع ليخفف من الوطأة

٦. كان اقتصاد الفلبين في الماضي يعتمد على التربة السوداء الخصبة. فكانت صادرات البلاد من القنب والسكر ولب جوز الهند والأخشاب هي عماد الدخل فيها.

٧. أما الآن فان أهل الفلبين يعملون، من أجل زيادة الأعمال والأشغال (وزيادة الصادرات)، على تصنيع محصولاتهم الزراعية. فيجدلون القنب حبالاً، ويكررون السكر، ويصنعون منتجات جوز الهند، ويحولون كتل الخشب إلى ألواح من الخشب المعاكس أو الملبس.

٨. وهم يحفرون الأرض فيجدون في جوفها مناجم هائلة من معادن الكروم (والفلبين من أكبر مصدريه في العالم) والنحاس والمنغنيز والذهب. ولقد ارتفع إنتاج الفلبين من التعدين منذ الحرب إلى أكثر من الضعفين.

٩. ومن أجل ايجاد المزيد من الأشغال، تعمل الفلبين على إنشاء الصناعات الكبيرة الثقيلة فتبني مصانع الاسمنت والزجاج والسيراميك والكيماويات والمعادن. ولقد أصبحت صناعة المنسوجات فيها الآن قادرة على تلبية الطلب المحلي، مما يحد من الاستيراد في المستقبل.

كيف تمد ٧١٠٠ جزيرة بالطاقة

١٠. تحتاج الفلبين الى مصدر للطاقة يمكن الاعتماد عليه من أجل الاحتفاظ بصناعاتها الجديدة والحفاظ على سيرها. والمجال أمام الكهرباء المولدة من الماء في بلاد تتكون من عدد كبير من الجزر مجال محدود. وليس هناك مصدر رئيسي محلي آخر للطاقة سواها.

١١. ولذا فان صناعة الفلبين تسير على الزيت، فيكرر منه في مصافي الفلبين كل



الآن وعام تبدو أرصفة الشوارع مكتظة بأعلى نسبة من الجماهير في العالم.

مليون نسمة في الفلپين

آخرين في كل عام

سنة ثلاثة ملايين طن تسد ٩٠ ٪ من حاجات البلاد من الطاقة.

البناء والإنشاء

من أجل القضاء على البطالة

١٢. وسوف يرتفع الطلب على الزيت خلال السنين القادمتين وبنسبة عن هذا المستوى. فالفلبين تنوي إقامة مصنعين للصلب لكي تمد به صناعة الآلات الناشئة التي تبشر طلائعها بالنجاح، وثمة شبكات جديدة للري من أجل زيادة المحصولات الزراعية المبرمجة، ومبان ومساكن جديدة لـ ٧٥٠٠٠ عائلة، وتنفيذ مائة مشروع ومشروع.

١٣. ومن شأن هذا النمو، المتحقق منه والمترقب، أن يوجد في فترة ١٩٦٢-١٩٦٦ أكثر من مليون وظيفة أو عمل جديد تكفي مجتمعة لاستيعاب الجانب الأكبر من القوة العاملة المتزايدة. وتكاثر الأشغال والأعمال سبيل لا بد منه للاقتصاد السليم. وتكاثرها في الفلبين يعني أن يوجد من الطعام واللباس والسكن ما يكفي للجميع، بل ربما ما يفيض عنهم فيصيب الجيران بعضه.

شل والزيت العالمي

وسوف تحتاج الفلبين إلى المزيد من الزيت عاماً بعد عام لتقيم به صناعتها الناشئة، شأنها في ذلك شأن العالم كله. والزيت من أسرع مصادر الطاقة نمواً، وإذ ينتظر للطلب عليه أن يتضاعف خلال ١٥ سنة.

أما تلبية هذا الطلب فلا بد من أن تكون عملية عالمية، إذ ليس هناك من سلعة أخرى تنقل بمثل هذه المقادير الهائلة عبر حدود هذا العدد الكبير من البلاد، وتحول إلى هذه الكثرة من المنتجات، ويخطط لها سلفاً بهذا الطول من الزمن. فذلك أمر يحتاج إلى منظمة معقدة التركيب، عالمية النطاق. كتلك المنظمة التي أنشأتها شل على مر السنين.

حقائق وأرقام

وإيصال الزيت إلى الأسواق يعني بالنسبة إلى شل تشغيل ما يزيد حمولته على ١١ مليون طن من الناقلات، وما يزيد طوله على ٥١٠٠٠ كيلومتر من خطوط الأنابيب في المسالك البرية الرئيسية، ويعني كذلك إقامة شركات للتسويق في أكثر من مائة بلد، كما يعني تصريف الأ... التجارية في جميع لغات العالم الرئيسية تقريباً. وهو يعني أيضاً تشجيع ٦٠٠٠ المشتغلين بالبحوث العلمية على إيجاد منتجات مفيدة جديدة كالأنواع الجديدة من الوقود والأصماغ الاصطناعية والأسمدة ومبيدات الحشرات.

اعتمد دائماً على شل

إن في استطاعتك أن تعتمد على شل تشتغل في جميع مراحل صناعة الزيت، فهي تبحث عن الزيت وتجده وتستخرجه وتنقله وتحوله إلى منتجات وتوصل هذه المنتجات إلى السوق، وتفعل ذلك كله بانتظام كانتظام عقارب الساعة. وهي إذ تفعل ذلك تربح في اللتر الواحد من مبيعاتها ما متوسطه ٣/٤ سنت أمريكي.

وشل تقوم بوظيفة مفيدة. فهي تأتي بالمطلوب من المنتجات إلى المكان المطلوب في الوقت الذي يطلب فيه. وهي تمد الأقطار المستهلكة بإيجاد مصدر لها يمكن الاعتماد عليه، وهي تخدم الأقطار المنتجة بإيجاد أسواق يمكن الاعتماد عليها.

لهو شأن شل عاماً بعد عام.



القلم الذي يعمل بالامتصاص

باركر ٦١

اي تذكار لحدث مهم اجمل من هدية

اصبحت رمز الكمال ... باركر ٦١

ان قلم الحبر باركر ٦١ البديع التصميم

والذي لا يجاريه في الاداء اي قلم آخر، هو تعبير عن اعجابك للمهدى اليه، ودليل على تقديرك الصائب. انه قلم من نوع جديد تماماً، وهو الذي حقق اهم تقدم مفيد في عالم الادوات الكتابية. ذلك انه ليس فيه اجزاء متحركة تتعرض للتلف من جراء الاستعمال. ومع ذلك فان قلم باركر ٦١ يملأ نفسه بنفسه تماماً، على غرار عملية الامتصاص الشعرية نفسها. انه الهدية الوحيدة التي تشرف كل مناسبة، قلم باركر ٦١ النفيس.

يفوق سائر اقلام الحبر بأربع نقاط مهمة!

انه لا يتأثر بالصدمات ابداً.
لان كية الحبر "المبيسة" فيه تقاوم الهزات العنيفة

انه لا يرشح مطلقاً،
لان له خزاناً خاصاً يضبط تدفق الحبر.

انه سهل الاستعمال.
لانه ليس فيه اجزاء تقتضي معالجتها باليدين، وبالتالي تتعرض للتلف من جراء الاستعمال.

انه يملأ نفسه بنفسه.
لان الحبر يعبأ في خزان قلم باركر ٦١ بالقوة الطبيعية الموثوقة، اي عملية الامتصاص الشعرية، وذلك بصورة تامة نظيفة، تحول دون تلطخ اصابع اليدين.

منتوجات شركة اقلام باركر

العربي

العدد ٩٩
ربيع اول ١٣٨٤
اغسطس
(آب) ١٩٦٤



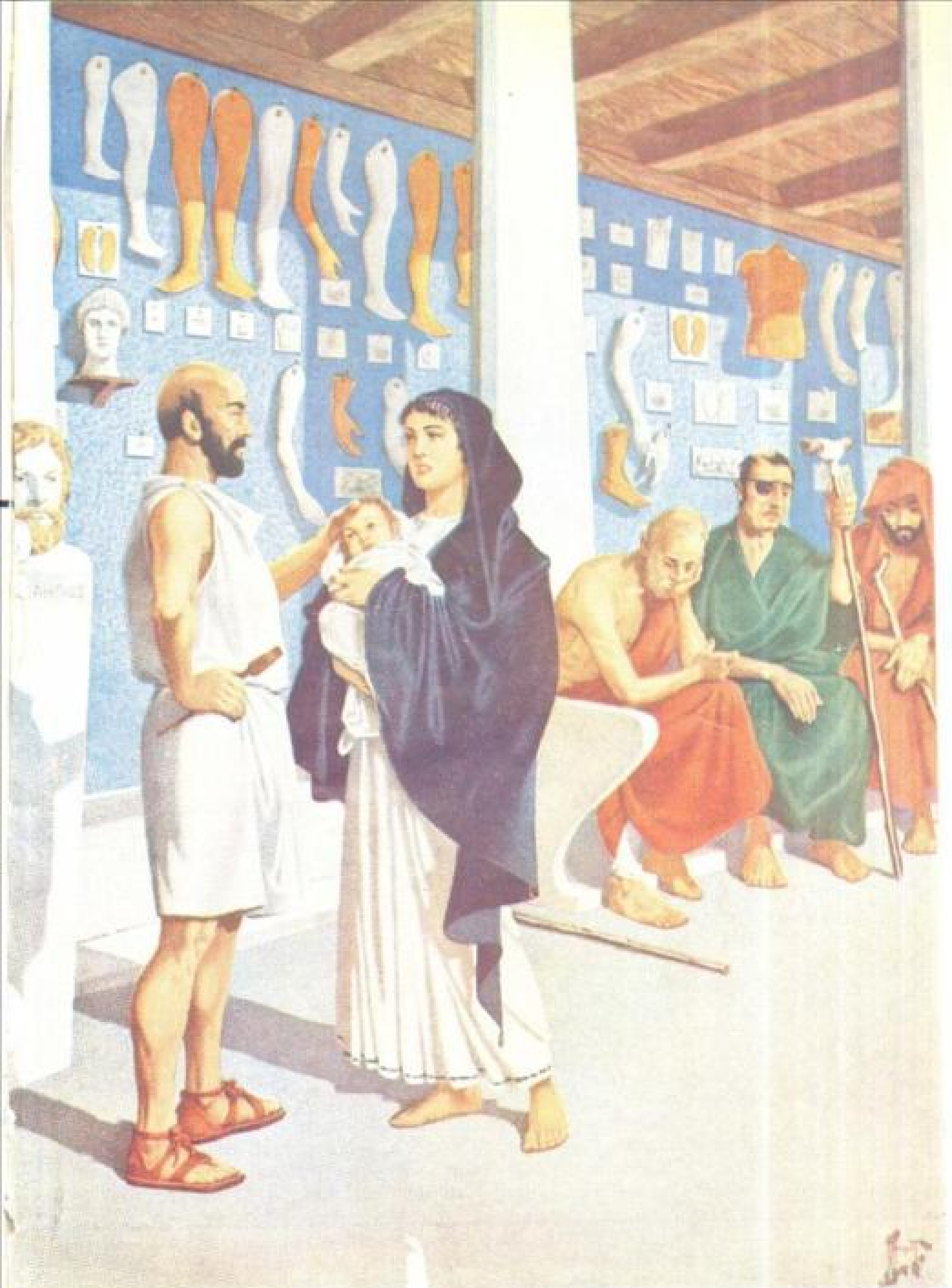
فتاة العراق تطل على العالم من خلال معمل للكيمياء

(اقرأ الاستطلاع بصفحة ٣٥)

جوائز
١٢٠٠
نار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس				السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٢٫٥	شلن	سورية	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مليم
العراق	١٢٠	فلسا	ج.ع.م.	١٠	قروش	المغرب	٢٠٠	فرنك



حضارات سادت .. ثم بادت

أبو قراط .. أبو الطب

(اقرأ صفحة ٩٩)

تبرع كريم وأريحية مشكورة

عزيزى القارىء :

● فى الاستطلاع الذى نشرناه بالعدد الماضى عن عدن ، قلنا ان جمعية المراة العدنية كانت قد بدأت فى اقامة مبنى لها يســتخدم فى الصباح كروضة للاطفال ، وفى المساء كناد تستطيع المراة العدنية عن طريقه ان تتعلم القراءة والكتابة والخياطة والتطريز ، ولكن العمل لم يلبث ان توقف لعجز الجمعية عن دفع ٦٨٫٠٠٠ شلن يطالب بها المقاول لاكمال البناء ، بعد ان رفضت بلدية عدن السماح باقامة حفلة خيرية فى قاعتها لجمع مزيد من التبرعات لتغطية هذا المبلغ •

وقد هز هذا النبا اريحية حرم الشيخ دعيج السلمان الصباح ، فما ان قراته حتى تبرعت بالمبلغ المطلوب (اى ٣٤٠٠ دينار) مساهمة منها فى تمكين الجمعية من تحقيق رسالتها التى تستهدف رفع مستوى المراة العدنية كى تشق طريقها مع شقيقاتها المتحررات ••

ونحن اذ نرجو جمعية المراة العدنية أن توافينا بعنوانها كاملا ، او باسم البنك الذى تحب ايداع المبلغ فيه لحسابها ، لا يسعنا الا ان نثنى على هذا التبرع الكريم وتلك الأريحية المشكورة ••

« المحرر »

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
ALARABY = No. 69 August 1964 — P.O.B. 748 = KUWAIT
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صوره الغلاف

■ مجموعة من طالبات قسم الرياضيات بكلية البنات ببغداد يعملن فى معمل الكيمياء بالكلية التى تهدف لاعداد الفتاة العراقية لتصبح مواطنة صالحة تقدر مسئولياتها تجاه أمتها ، وتساهم فى بناء مجتمعها العراقى والعربى .. وتعدها لتصبح مدرِّسة قديرة وربة بيت متعلمة ، وزوجة صالحة تساعد زوجها وتخفف عنه ، ولا تكون عالة عليه ..

(انظر استطلاع كلية البنات ابتداء من صفحة ٢٥)

فلسفة :

ديـن :

ركن الاسرة والمرأة :

جرائم وقضايا :

قصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٢ر٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس .السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢٠٠ فرنك . اليمن ٢ر٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



تقـويم وتقييم

قرأت فى « العربى » بالعدد ٦٥ كلمة عنوانهاالتقييم خطأ وصوابه التقويم .
وبمطالعة كتب النحو واللغة اتضح لنا ما يأتى :

اولا : ان التقويم مصدر الفعل قوّم مضعفالوسط وفعله الثلاثى قام الذى اصل الفه واو فقياس مصدره التقويم بمعنى تقدير القيمة اوازالة اعوجاج الشىء .

ثانيا : جاء فى القاموس قوّم وقيّم بضم القافوتشديد الوسط جمعا لقائم ، وقول بضم القاف وتشديد الوسط جمعا لقائل مما يدل على أن الواوالمشددة فىوسط الكلمة قد تنقلب ياء لغة فىالنطق.

ثالثا : ليس كل الكلمات اللغوية محصـورةفى القواميس التى بأيدينا ويجوز لنا أن نستانس بكتب النحو واللغة لاستخدام القياس فى مثل هذاالضعف الواوى فكثيرا ما نجد افعالا ثلاثية عينها واوا مثلقام ومضعفها واو أو ياء فاب يئوب بمعنىرجع مضعفة الفعل اقرب بتشديد الواو ومصدره التاويب أو التأييب ونقيس عليه الفعل قـوّممضعف الواو فيكون مصدره التقويم والتقييم .
ونجد الفعـــل الثلاثى ناف ينوف مضعفه نيّفبتشديد الياء مع أن عينه فى الثلاثى واو ومصدره التنييف .

رابعا : اذا استعمل كبار الكتاب والصحفيين التقييم بمعنى قدر القيمة فىالعلم والادب والرجال والمصلحة العامة ، فهذا استعمال يرضاه الذوق والقياس للفرق بين تقييم الشىء وتقويم المعوج. وفوق كل ذى علم عليم .

حسنين حسن مخلوف ـ حلوان الحمامات

مستحيل

● يسرنى أن أطلب من سيادتكم باسمى وباسم الآلاف من قراء مجلتكم المحبوبة والتى هى أيضا مجلتنا المفضلة ، نشر أسماء الأشخاص الذين يشتركون فى المسابقة الشهرية باجابات صحيحة لكى يطمئن القراء على وصول رسائلهم .

ابو بكر بادحدح
جدة

« العربى » : لو فعلنا ذلك لاستغرق نشر هذه الأسماء صفحات« العربى » كلها ، ولم تكف!!

كـــلام ،

● اننى أستغرب من كتابنا حينما يترفعون ـ ولا أدرى لماذا ـ عن استعمال بعض الصيغ التى يستخدمها الناس فى التخاطب والحديث ، على الرغم من أن قواعد العربية لا تأبى هذه الصيغ ، بل انها بعينها فى كتب الأدب والتاريخ،وشواهدها اكثر من أن تحصى . ومن الانصاف أن نقول بأن اللغـة العامية لها الفاظ أو صيغ من صميم الفصحى ، من ذلك أنهم يقولون : « شيّال » لمن يحمل الحقائب ، وكذلك يقولون « بطال » فى وصف الرجل المسىء ، أو المتعطل . وكتابنا حين يعبرون عن الشيال يقولون حمال ، وكذلك حين يعبرون عن البطال يقـولون متعطل ، أو سيىء السلوك ، وهذا على حين أن كلمة شيال فصيحة، فهى من شال الشىء اذا رفعه . وأما كلمة بطال فهى من البطالة أى اللهو والعبث . ونثبت هنا كلمة للفيلسوف « ابن رشد » يسجل فيهـــا استعمال كلمة بطال، فهو يقول فى كتاب «الخطابة»: (فان كان انسان بطّالا ، أو متعطلا ، أشـار

رقم مبالغ فيه !

● جاء فى مقال للاستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر فى العدد السابع والستين من « العربى » عن « التوابل والافاويه » ان معدل انتاج الفدان الواحد من القرنفل يساوى ألف جنيه على اعتبار أن الفدان ينتج الفى رطل من القرنفل ، ولا ادرى على اى اساس بنى تقديره هذا ، لان معدل ثمن الرطل من القرنفل فى زنجبار فى خلال الخمس السنوات الماضية لم يتجاوز سبعين سنتا اى ما يعادل خمسة وثلاثين فلسا ، وعلى فرض ان سعره فى مكان استيراده فى اى مكان فى العالم بعد نفقات النقل والضرائب ، وفوائد تاجر الجملة والقطاعى هو بنسبة ٢٠٠٪ عن ثمنه الاصلى فى زنجبار ، فان ثمن الطن لن يتجاوز مائتين وثلاثين جنيها .. ولو كان ما ذكره الدكتور منتصر عن الاسعار حقيقة لفرّج اكبر ازمة عن اهل زنجبار التى تنتج ٨٠٪ مما ينتجه العالم من القرنفل .

الكويت م. ى. ا

من وحى المولد

محمّدُ : أنتَ طريدُ الدّيارْ
فكيف هزَمْتَ الشعوبَ الكِبارْ ؟
طلعْتَ على الدّهرِ فى ليْلهِ
فدالَ الظلامُ وضاءَ النّهارْ
وهاجرتَ للخلدِ من مكّةٍ
فكنتَ على الأرضِ أعلى منارْ
يُناجيكَ جبريلُ فى وحْدةٍ
فنِعْمَ السّفيرُ ، ونِعْمَ السِّفارْ
عشقْتَ السّلامَ ، وخضْتَ الوغى
فأرْسيتَ ديناً بعيد القرارْ
فلا هوَ للبغْى يدعو لهُ
ولا هوَ للزّهْدِ يدعو لِغارْ
محمّدُ جدّدْتَ ضميرَ الوجو
دِ ، فقلْبُ الوُجودِ علاه الصّغارْ
وعِشْ فى ضميرى
ودُمْ للدّهورْ

عبد الله كبير ـــ القاهرة

والله ، معقول !

بتنحيته عن البلد) .. والعامة يقولون مثلا : ضربه حتى « موّته » ، فيابى الكتاب الا أن يقولوا اماته لا موّته والشاعر يقول :

يُمَوّتني شوقى وتحيينى المنى
فلست بحى فى الحياة ولا الردى

ومن اساليب العامة فى حديثهم ايضا قولهم : « جاء على غفلة او سقط على غفلة » والكتاب يسكتون عن هذا التعبير ، وهو من ناحية اللغة واضح السلامة ، ولكننا نضيف الى ذلك أنه تعبير قديم ، وقد نقله ياقوت فى معجم الادباء اذ جاء فى صفحة ١٢٠ من الجزء الثالث عشر قوله : (فاتا على غفلة اذ دخل فى خُفّه وازار ..) وكذلك الناس يستعملون فى لغة الحديث (عود كبريت) اما الكتاب الفصحاء فيؤثرون أن يقولوا عود ثقاب .. وكلمة كبريت معرفة منذ اقدم العصور ومن الامثال المشهورة : اندر من الكبريت الاحمر .. بل ان كلمة (عود الكبريت) نفسها كانت مستعملة ايضا فى العصور العربية الماضية ، وهذا الشاعر الأديب « ابن رشيق » فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى يقول من ابيات فى الغزل :

أشِرْ بعودٍ من الكبريت تحرقنى
وانظر الى زفرانى كيف تلتهبُه

فهل يابى الكتاب فى العصر الحديث ما استعمله الشعراء الفصحاء من كلمات منذ عهد بعيد يزيد على تسعة قرون ؟

ويسمى الناس : اسماعيل « اسماعين » ، بالنون بدلا من اللام ، وقديما قال اللغويون : اللام والنون تتعاقبان على لفظ واحد ، وهما اختان والشاعر يقول :

قالت جوارى الحى لما جيتنا
هذا ورب البيت اسماعينا

واخيرا ، فهل يستطيع كتابنا أن يجيبوا : لماذا لا يستعملون هذه الصيغ فى كتاباتهم ؟

سامى عبد الرزاق الحمدانى
بصرة ـــ محلة الأصمعى

(البقية على صفحة ١٤٦)

نهرو

بقلم رئيس التحرير

■ الموت حق على البرية .

والبرية كل ما برا الله ، من انسان ، وحيوان ، ونبات .

والنبات يموت فنكبر عليه ان نقول عنه انه مات . نقول انه ذبل . ونقول ذوى .

والحيوان يموت فنكبر عليه ان نقول انه مات ، ونقول انه نفق . وبالطبع لا نترحم .

والانسان يموت كل يوم ، وكل ساعة، وكل دقيقة. الناس تتساقط من حولنا، ولا نحس بها . و « المحظوظون » هم الذين نقرأ عنهم فى الصحف انهم ماتوا . وهم جزء من الف الف الف ممن يكونون قد ماتوا فى صباح ذلك اليوم، او مسائه.

الانسان فى غفلة من الموت ، ويجب ان يكون . ان ممارسة هذه الحياة تتطلب هذه الغفلة . اذن لتوقفت عجلة الحياة .

الا ان يكون الراحل ابا ، او اخا ، او ولدا ، فعندئذ تصبح ممارسة هذه الغفلة محالا . ان الاحساس بالفقد يفرض نفسه على الباقين فرضا . ثم يأتى النسيان رويدا رويدا، فيخف الاحساس بالنكبة . ثم اذا الحياة تجرى على العهد بها .



نهرو ، مسجى فوق فراشه ، فوق عربة ، فى الموكب

ثوب الحياة ، ينسج من خيوط

ومن الناس من نسجوا ثوب حياتهم من من خيوط استمدوها من حياة قريتهم . فهؤلاء اذا ماتوا احست القرية بفقدهم ، وحزنت عليهم . وادار اهل القرية الاحاديث عنهم فى الاصباح ، وعندما يفرغون الى « دوأراتهم » او «دواوينهم »فى الامساء. وتطول الذكرى .

ومن الناس من نسجوا ثوب حياتهم من

« من الناس قِلَّة ، نسجوا ثوب حياتهم من خيوط استمدوها من حيـاة الأمم ، فاذا قالوا ، أنصتت الدنيا ، وان خطبوا ، ارهفت الدنيـا اليهـم الأسـماع » .



الجنازى المتجه نحو المكان الذى أحرق فيها الجثمان

خيوط استمدُوها من حياة المدينة .

ومن الناس من نسجوا ثوب حياتهم من خيوط استمدوها من حياة امتهم .

ومن الناس ، قلة ، نسجوا ثوب حياتهم من خيوط أستمدُوها من حياة الأمم أجمعين . اذا قالوا أنصتت الدنيا . واذا خطبوا أرهفت الدنيا أسماعها . واذا احتجبوا علمتَ الأمم باحتجاب . وان ظهروا بعد احتجاب ، علمت الأمم بظهور .

اهل الذكر صنفان

وهؤلاء صنفان .

صنف توجه اليه الأضواء احتفـالا بمركزه الحاضر ، أو اعتبارا لقوة امته . أى صنف قيمته ليست مستمدة من ذاته . ثم يموت . فما اسرع ما تنطفىء من حوله الأنوار .

مثل هؤلاء زعماء امريكا ورؤساؤها الاحدثون . اهل السياسة فيهم والرياسة .

ومثل هؤلاء زعماء بريطانيا ، أهـل السياسة فيهم والرياسة .

من منهم يُذكر اليوم ، ويُذكـر ويُحمد ؟ أو على الأصح من منهم تذكره الدنيا وتحمده . وكم منهم من خلّف طابعا ، على حياة الأمم باقيا على الزمان .

واستثنى العلماء .

وقد استثنى الرئيس كِندى ، فلو أنه عاش لانتهى الى مثل ما انتهى اليه لنكولن من كريم الذكرى .

أما الصنف الثانى من الرجال ، فذلك الذى خرج من الدنيا بعد أن ترك فيها اثرا لا يُمحَى ، رأيا أو عملا ، دفع به عن انسان هذه الارض شرا ، أو جلب به لانسان هذه الارض خيرا .

هذا الصنف ذكراه لا تخبو . وهى ذكرى تحييها الناس كل عـام . وهى ذكرى حية كل يوم من أيام العام . ولعلها ذكرى فلسفة تمخضت عن أسلوب حياة دخل رؤوس الناس فاستقر بها ، أو ذكرى انموذج يحتذيه الناس فهو واقع

تحت انظارهم صباحا ، واقـــع تحت ابصارهم مساء .

والغريب أن هذا الصنف كان حـظ الأمم الفقيرة المتخلفة منه ، فى عصورنا هـذه الحديثة ، اكثر كثيرا من حـظ الأمم الغنية الثرية التى تعتز بمالهـــا وعلمها وصناعتها ومدنيتها .

انه نبات طيب لا ينبت الا حيث الفقر ، وحيث البؤس . والا حيث الجهل ، والا حيث المرض يستشرى فى أجسام وارواح .

ولقد اذكر من هؤلاء الرجال غاندى .

ولقد اذكر من هؤلاء الرجال نهرو .

ولقد اذكر رجالات اخرى يزيدنى جرحا ذكرُها . ومنهم من لا يزال فى زهرة العمر ، أمدَّ الله فى عمر هـــذه الزهرة .

عندما امتدت يدى الى المذياع ذات صباح

كنت شغلت أياما فلم افتح المذياع ، ومع الاشتغال عنه سآمة مما كنت أسمع منه . وامتدت يدى الى مفتاحه صباحا ، فماذا سمعت منه ؟ سمعتُ تعَنىَّ نهرو . وانتقل المذياع الى غيره من الأخبار ، وانا واقف عند نعى نهرو . كنت أتوقع لـه الموت أقرب مما كان يتوقعه لنفسه ، ولكنْ فرق بين التوقع واليقين . ووقع عندى أن الأنباء فى الأشهر القادمة وفى السنين المتعاقبة سوف تخلو من اسم نهرو . والحوادث على مسرح الحياة لن يكون من بين محدثيها ، والمشاركين فيها ، بعد اليوم نهرو . والمستضـــعفون فى الأرض لن يكون لهم صـــوت نهرو . والعروبة ، ورفضُ التبعية ، والحرية يأخذ الأبيض والأسود والاسمر نصيبه منها ، كل هذه فقدت ذلك اليوم نصـيرا كبيرا . وكره نهرو الاستعمار طبعـا ، وكرهه نشأةً ، وكرهه هو المستعمرون ، ولكن صـــحب كراهتهم اياه احترام مفروض ، وحيث نزل ، من أرض الخصوم ، نزل على البساط الأحمر المبسوط .

فى الهند قابلت نهرو

وأخذت أذكر لقاء قديما بينى وبينه .



نهرو يخطب فى جمهور لا يحصى ، يفتتح به الحـ

كنت فى باكستان ، فى أوائل ١٩٥٢ ، فدعيت الى أن ازور الهند .

ورسموا لى خطة اطوف بها مـــدن تلك البلاد ، اطلع على ما كان بها من بحوث علمية . وقد كنت اذ ذاك مدير مجلس فؤاد للبحوث « العلميـــة » فى فى الدولة المصرية (المركز القومى للبحوث اليوم) وكان صاحب ضيافتى فى نيودلهى ، من كان له مثل منصبى فى الهند ، الدكتور بتناجا ، رحمه الله . وكان صديقـــا حميما للبنديت نهـــرو . وكان فزيائيا عظيما .

وكان يوما قضيناه معا فى زيارة معمل الفزياء القومى بالعاصمة الهندية . وفى نهاية اليوم عرض علىَّ أن يكـــون من برنامجى لقاء البنديت .

وتحدَّد الموعد فكان يوم الأحد ، فى الساعة الخامسة من بعد الظهر . وفى وزارة الخارجية .

ويوم الأحد يوم عطلة . والخارجية بعد الظهر فى ذلك اليوم فارغة . وطلبت توكيدا ، فقيل نعم ، انه الأحد ، وانه بعد الظهر ، ولن يكون معى الدكتور بتناجا .

وعند باب الوزارة استقبلنى رجل كان ينتظرنى . ودخلنا الوزارة ، وهى خالية



الانتخابية الثالثة ، وذلك فى يناير عام ١٩٦٢

وصعدنا السلم . وفى حجرة السكرتير حططنا . وفى الخامسة تماما اخذنى السكرتير الى الحجرة المجاورة ، فكان بها نهرو ، وحده .

كانت حجرة صغيرة جدا لا تنمّ مطلقا عن مكانة الهند،ولا مكانة رئيس وزرائها؛ ولا نمّ المكتب الصغير الذى جلس اليه .. وقام وسلم،فى حركة بطيئة وابتسامة حبيبة .

وجلست ، واخذ الحديث مجراه .

كانت مصر فى حالة اضطراب ، وعلم البنديت بوجودى ، فأوعز الى صاحبه ، صاحب ضيافتى ، أن يرانى . كان يريد ان يسمع عن مصر من رجل مثلى ، لا يتصل بالسياسة . فرجل العلم عنده كالمرآة الصادقة ، يرى فيها الصورأقرب ما تكون صحة . فكان هذا الموعد ، فى ذلك اليوم ، يوم الأحد ، من بعد ظهر .

وسألنى عما رأيت فى عاصمة الهند . فذكرت من ذلك طرفا . واطريت . وعلمت صداقته بالدكتور بتناجا فكنت اكثر تفصيلا لمختبرالفزياءالقومى . وقلت: ورأيت فى المختبر الموقد الشمسى ، وطبخوا لى فيه طعاما للغداء ، على حرارة الشمس ، وأكلنا . وذكرت انه لم يكن فيه لحم . فضحك البنديت . وقلت انه موقد رائع . فقال البنديت : اننا نهدف الى ان ترخص ثمنه الى سبع روبيات ، ليكون فى متناول الفلاح الهندى ، يطبخ به ، ويوفر الوقود . قلت : وفلاحونا فى حاجة الى مثل ذلك . قال سوف اهديكم اول موقد عندما نبدأ بتلك الصناعة .

وسألنى : كيف وجدت بتناجا .

قلت : رجل عالم ، والى العلم لطف وفكاهة .

فابتسم البنديت مترقبا متوقعا أن ازيد : قلت كنت اسير معه فى الطابق الأعلى من المختبر ، وكانت الأرضية جديدة ، وهى من الرخام الصقيل،فكدت انزلق ، فأمسك بى الدكتور بتناجا . وسألنى : عن نوع الحذاء الذى البسه . قلت : انجليزى . قال : ان كل شىء انجليزى زلق خدّاع .

فضحك البنديت نهرو طويلا . ثم قال: ان بتناجا لا يفتأ يقسو على الانجليز وعلّمه منهم .

ثم انتحى الحديث ناحية أخرى كانت هى المقصودة أكبر القصد .

الأثر الذى تركه نهرو فى نفسى

كان هذا اول لقاء لى بالرجل . كان عندئذ فى الثانية والستين وخرجت من عنده وأنا اذكر فيه أشياء .

فأولا انجليزيته : كانت لهجة صافية غير تلك اللهجة التى نسمعها من أهل الهند، تلك التى لو انا سمعناها وعيوننا مغلقة ، لعرفنا أن المتحدث بها هندى .

وثانيا مَحضر الرجل. كان المَحضَر الفخم البسيط. حركته الوئيدة ،وكلماته المحكمة التى كان كأنما يصيغها صياغة، وفكره الحر ، الذى كاد أن يصنع منه انسانا قبل أن يصنع منه هنديا ، وهيهات . .

وشىء أخفى من هذا وذاك . احسست انه من اولئك الرجال الذين تجد فى رحابهم الراحة والطمأنينة ، هكذا يسبغونها عليك اسبغا ، كالشجرة العظيمة الظليلة البليلة فى اليوم الصائف .

ووقف نهرو فى مشكلة كشمير وقفته العنيدة المشهورة ، وعلل ذلك بحبه لكشمير ، وأن اقتطاعها منه كاقتطاع قطعة من قلبه . وكان له فى الدين راى ، أن لا تؤسس عليه الدول ، فصلا أو ضمنا . ونسى واقع الهند وما جره عليها اختلاف الدين، بل والاديان ، من مآس .

فى جامعة عليكرة ، بالهند

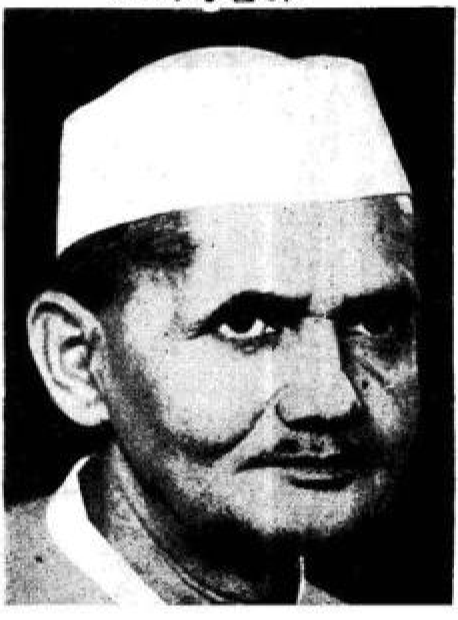
وتركت عاصمة الهند ، وزرت عدة من بلادها . زيارة عالم لا زيارة سياسة . ومع هذا لقيت فى هذه الزيارة ما ذكرنى دائما بتلك المآسى التى يؤدى اليها ، على الجهالة ، اختلاف اديان .

زرت فيما زرت جامعة عليكرة ، وهى جامعة اسلامية . كان رئيسها زاكر حسين ، نائب رئيس دولة الهند اليوم . وكان غائبا عن البلاد . واحتفل بى القوم احتفالا طيبا . وأقاموا وليمة عامرة حضرها العالم الطيب المسلم المجاهد الكبير النووى ، أطال الله عمره . كانت العاطفة الدينية فى هؤلاء القوم قوية . وكانوا يمثلون العلوم التربوية الاسلامية .

خليفة نهرو

لال بهادور شاستري ، متدين متفقه ،

لم يخرج عن الهند قط



ولكنى وجدت هناك جنفا من الرجال أهل العلوم الحديثة . احسست كأن بهم خوفا ان يصطحبونى . . . الدكتور بتناجا الهندوكى يأخذنى فى وضح النهار ، يزود بى هذا المختبر وذاك ، وهو آمن فى هندوكيته ! ولعله لا يؤمن بها ! وهذا عالم الفزياء المسلم يزور عنى . ورأيت وفهمت ، وعذرت . كانت الخصومة عند ذلك لا تزال مشتعلة . لم يكن خمد بعد ضرامها . وخشى العالم المسلم الريبة بلقائى ، فاحتاط لفقده .

وفى مدينة لكناو

وحادث آخر ذكرنى بتلك الخصومة التى كانت متأججة عند ذاك .

حادث وقع فى مدينة لكناو .

وقف بى القطار عندها . كان لا بد من زيارة مختبرها. وبلغت الفندق قرب المساء . ومن بعد ساعة جاءنى شاب فى نحو الثامنة عشرة . قال انه مسلم . وان عمه يريد ان يرانى . وانه لا يستطيع ان يجيء الى الفندق ، فهل اسمح بزيارته ؟ فعجبت اولا . قال الشاب ثق بى ، فنحن فى ازمة . ووجدتنى من غير وعي اقول للشاب : نعم أزور عمك . قال : فى الثامنة تكون هنا سيارة عند الباب ، وتجدنى فى داخلها .

ودارت السيارة بنا فى المدينة فى شوارعها القديمة والأزقة . وانتهينا الى بيت كبير عتيق ، عليه مهابة .

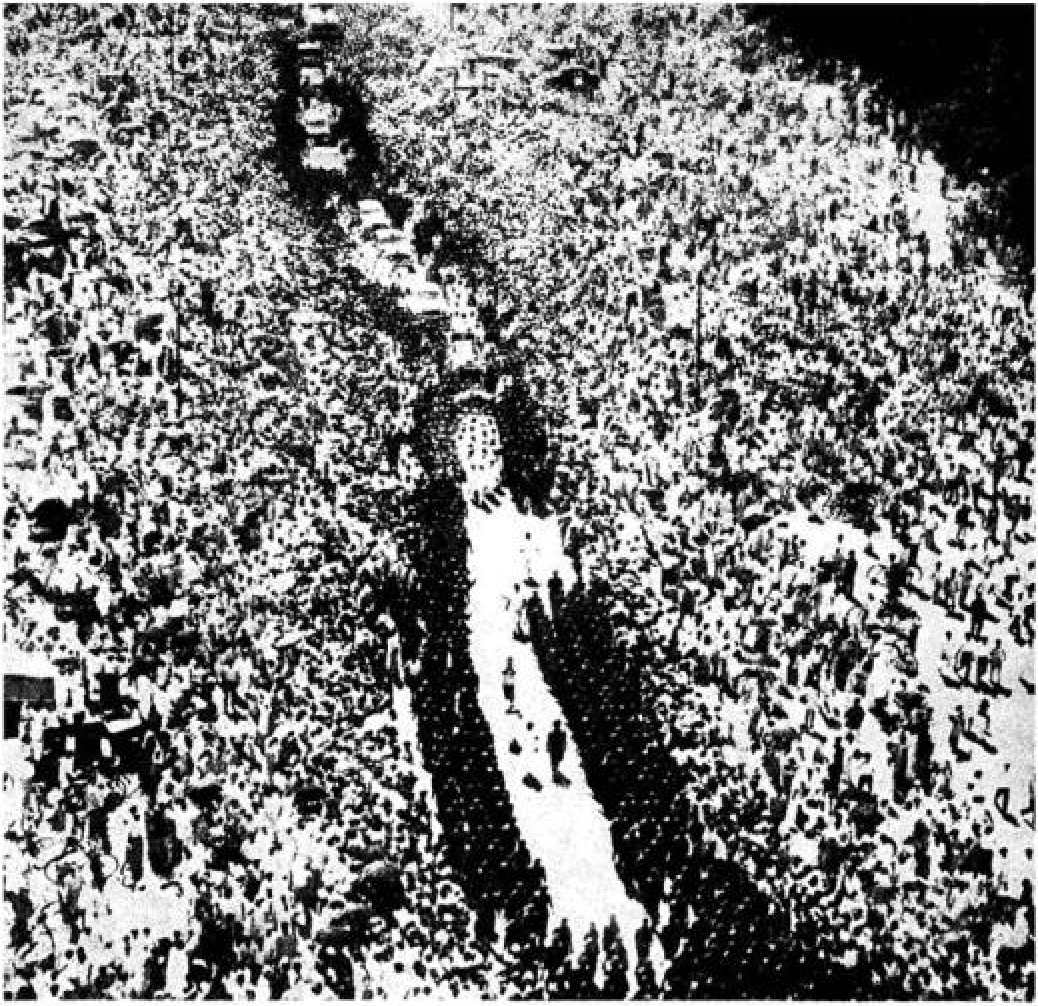
وفى ساحة الدار تلقانى العم . وكان معه أستاذ فى الجامعة، قريب من اقربائه، وجرى بينهما حديث لم أفهمه ، وتركنا الأستاذ على عجل .

وقدم العم لى عشاء ، وما كنت على موعد من ذلك .

وعلى العشاء حدثنى عن نفسه . انه عضو فى المجلس التشريعى بالمدينة .

واخذ يحدثنى عن خوف المسلمين وهلعهم فى الهند ، وقد صاروا قلة بعد خلق باكستان .

قلت : كم عددكم ؟ قال : أربعون مليونا



الجنازة فى طريقها الى غايتها ، على دق الطبول الخافت ، وقد قامت اللالاين على الطريق ، تودع الزعيم الراحل

ولكنهم متفرقون فى شتى الانحاء .

واخذ يحدثنى عما جرى فى لكناو وما يتوقع ، حديثا لا ينفع أحدا ان اعود اليه الآن ، بعد ١٢ عاما ، وقد هدات على ما احسب الأحوال .

واخذ يستنجد . وحملنى رسالة ، باسم المسلمين ، الى ملك مصر ، ملك المسلمين ، أن يتدخل عند السلطات فى الهند لتدفع عنهم تلك النكبات .

وخرجت وقلبى ملىء . ملىء أسى على المسلمين الذين مثل بهم الهندوك حيث المسلمون قلة ، وملىء اسى على الهندوك الذين مثل بهم المسلمون حيث الهندوك قلة .

وسألت الله ما سألته اياه من قبل الملائكة : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟

وجاءنى جواب الله حاسما : انى أعلم ما لا تعلمون .

وانتهت الرحلة اخيرا

وانتهت رحلة الهند. بعد أن طوّفت

بمدن الهند ما طوّفت . ووقفت فى مطار بمباى ، انتظر الطائرة ، والريح فى الشهر الثالث من السنة تهب حارة كاوية ، فكأنما هى تخرج من تنّور .

وبلغت القاهرة .

وأديت الرسالة ، ولكن الى اذن غير صاغية

ونسيت ما وعدت : تبليغ رسالة باسم المسلمين ، الى ملك المسلمين ! ! انسانيها قلة جدواها . ثم اذا بالظروف تفرضها علىَّ فرضا .

فذات يوم جاءنى من القصر ، وانا فى القاهرة ، طلب بلقاء الملك فى قصر المنتزه بالاسكندرية . وكنت كتبت مقالا فى جريدة « الأخبار » ، افردت له صفحة كاملة ، فى مهاجمة ناحية معروفة من نواحي الرجعية . ومسَّ هذا طرفا خطيرا معنيًا . فلما جاءنى طلب بالحضور الى القصر ، اوجست شيئا . والرجعية هى الرجعية دائما ، تعجز عن مقارعة الحجة بالحجة ، فتتخذ الى القصور سببا .

وتحقق ظنى او ايجاسي عندما وصلت الى القصر ، ووجدت ممثل ذلك الطرف الخطير المعنىّ الذى كنت شجبته فى مقالى ، قد سبقنى الى لقاء الملك ، فى نفس الساعة . وبلغ بى التحدى انى اعتزمت ان افرغ ما فى جعبتى عند اللقاء افراغا ، وليكن ما يكون .

ولكنى دخلت على الملك فلم اجد عنده مما أوجست شيئا . أَحَبَسَ ما كان عنده ؟ لا ادرى .

وجرى الحديث فى شتى الأمور ، وخرجت وانا لا ادرى لماذا دعانى .

ويسألنى فأجيب . ولم يكن لى علم بالسياسة قريب ، ولا بالساسة . سعد زغلول ما رايته ، فقد كنت غائبا عن مصر منذ قام يدعو دعوته الى ان مات . ومحمد محمود ما قابلته . والنحاس ، وكان يوما رئيسي ، اذ كان مجلس البحوث يوما يتبعه ، فهذا لم اسمع له صوتا الا على المذياع .

تحدثت الى الملك ، وانا لا ازال فى غمرة التحدّى التى لم تكن خفت بعدُ ، ونسيت انه الملك . ولم يكن حال مصر بحاجة الى السياسي الخبير ليتحدث فيه . كان الشر قد تبدى للعيان . كان عمَّ وانتشر . واحس كل انسان وكل انسانة بأن واقعة ما ، لا بد واقعة ، ولكن واحدا لم يدر ما هى ، ولا متى تقع ، ولا كيف . وتسمع الناس تتمنى الفرج ، وتسالهم من اى باب يجيء فيلوذ كل بالصمت ، لا خوفا ، ولكن جهلا ، ولكن يأسا .

كانت الأمور تنحدر الى هاوية ، كما ينحدر الصخر الثقيل من كنف الجبل ، يهوى الى غاية لا سبيل الى وقفه دونها . ولكن اى غاية ؟ كان علم ذلك عند الله .

ولست اذكر كيف وصل بى حديث الملك الى الجيش ، فانطلقت أحدثه عما سمعت من مآسيه . وحدثته فيما حدثت ، حديث الضباط الالمان الذين جاءوا بهم فلما حضروا ظلوا طويلا لا يجدون حتى المكتب والكرسي الذى يجلسون عليه . ثم احسست بأنى اندفعت . قلت : عفوا نسيت أن جلالتكم رئيس الجيش الأعلى .

قال : « قل ، انى منصغ » .

وتحدثت ، واصغى ، ولم يقل شيئا .

وذكرت رسالة العم ، عم الصبى الذى لقينى فى لكناو بالهند ، فقلت هذه هى الفرصة قد أمكنت . وذكرت للملك ما كان . ولكن الملك كان غارقا فى فكر عميق ، لعل حديثى عن الجيش وغير الجيش اغرقه فيه . واستمع الىَّ ولم يسمع . ظل ، وانا أحدثه عن الهند ، بعيدا عنى كل البعد . وينظر الى النافذة المطلة على الحديقة ، احيانا ، نظرة ملؤها القلق . عندما سكت . فانتبه .

ووقف وشكرنى .

والوقوف علامة انتهاء المقابلة .

وبعد شهرين أو ثلاثة كانت الثورة المصرية . ■■

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد السابع والستين :

عربي في أسبانيا يفوز بالجائزة الأولى

إجابات من أكثر من ٣٠ دولة أجنبية

● الاجابة الصحيحة لمسابقة العددالسابع والستين :

عمر الرجل ٤٠ سنة
عمر الابن ١٠ سنوات
عمر زوجته ٣٦ سنة
عمر البنت ٤ سنوات

وقد تلقينا اجابات من اكثر من ٥٠ بلدا ،بينها نحو ثلاثين بلدا اجنبيا، من دول اوربا وامريكا وآسيا وافريقيا وكان عدد الاجابات الواردة من كل من امريكا والمانيا الغربية اكبر من الاجابات الواردة من غيرهما من البلاد الاجنبية .

ولوحظ ان هناك عددا غير قليل من الاجابات مرسلا من بلاد الكتلة الشرقية ، كالاتحاد السوفييتي وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغسلافيا .

وعند اجراء القرعة على الفوز بالجوائز فاز بالجائزة الاولى طالب اردني يدرس في اسبانيا . كما فاز ببعض الجوائز الاخرى مواطنون عرب يقيمون الآن في روسيا وامريكا ، وايطاليا وبلجيكا .

وفيما يلي اسماء الفائزين بالجوائز :

الجائزة الاولى : وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها سامي ابو الوفا ـ طالب اردني يدرس الطب في جامعة قادش باسبانيا .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارافاز بها : **الربيع ابن الجناشي الدراجي** ـ عمارة (أ ٣) الدار رقم ٣٠ ديار الشمس ـ الموراديه ـ **الجزائر** (ج.د.ش)

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **عبد القادر محمد عبد الوهاب الجنيد ـ المقتبية** ـ تعز ـ **الجمهورية العربية اليمنية** .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها :

١ ـ المواطنة الكويتية **سميرة عبد العزيز المطوع** ـ نيويورك ـ **الولايات المتحدة الامريكية** .

٢ ـ **أميرة حمزة على الكناني** : الرحمانية ـ الكرخ ـ **بغداد** رقم الدار ٩٧/٢٨ ـ العـــراق.

٣ ـ المواطن السورى **اسامة سالم** : بيروجيا ـ **ايطاليـا** .

٤ ـ **ليلى غوراني** : ص . ب ١٠٩ **دبي** ـ الخليج العربى .

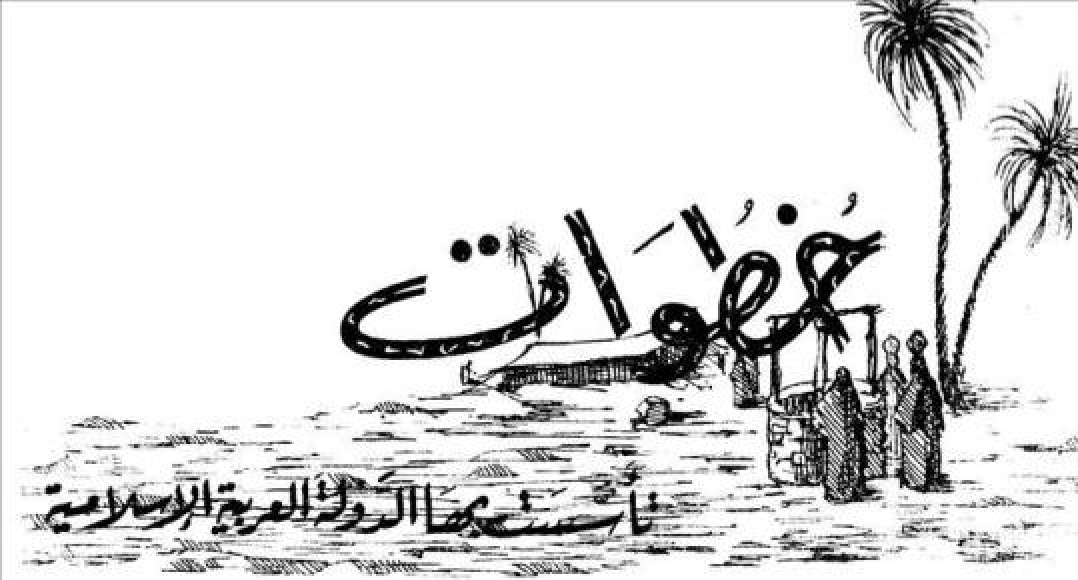
٥ ـ المواطن اللبنانى **عدنان مرحبا** : هولشوف ـ **الاتحاد السوفييتي** .

٦ ـ **حسين عبد الله ابراهيم** : الجوهر ـ المبرز ـ المنطقة الشرقية ـ **السعودية** .

٧ ـ الطالب الليبي **ابو القاسم الطيب الشريف** ـ **وافر ـ بلجيكا**

٨ ـ **خليل ابراهيم عسقلاني** مدرسة مجمعة السراقنة الابتدائية القومية ـ ج.ع.م.

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■



بقلم : الدكتور محمد جمال الدين سرور
استاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

■ بينما كان يسود أقاليم جزيرةالعرب ومدنها الاضطراب السياسى ، ويخضع بعض اطرافها للنفوذ الأجنبى ،وتهدد كيانها العصبية القبلية ، وتتقسمها الديانات والمذاهب المختلفة ،ظهر محمد صلى الله عليه وسلم فى مكة المكرمة حيث أرسله الله تعالى بالهدىودين الحق . فدعا فى بادىء الأمر القرشيين ـ وهم قومه وعشيرته ـ الىالدخول فى الاسلام ، ليعاونوه فى نشر الدعوة الاسلامية ، ويكونوا عونا له علىمخالفيه ، فلقيت دعوته قبولا من فريق منهم ، على حين ناهضه بعض زعمائهم اعتقادا منهم أن الاسلام سيقضى على ما كانوا يتمتعون به من عز وسلطان ،وما زالوا يقاومون دعوته ويناوئونه حتى اصبح بقاؤه فى مكة محفوفا بالمخاطر ،فآثر الرحيل الى المدينة مع صحابته من المسلمين .

محمد فى المدينة يؤاخي بين المهاجرين والأنصار

لم يكتف الرسول صلىالله عليه وسلم منذ قدم على المدينة بتبليغ الوحى الذى ينزل عليه خاصا بالأمور التشريعية ، بل راى ان يعنى بالوسائل التى ينظم بها الحياة فىالمدينة ، لانه أصبح زعيم جماعة من العرب لهم صفة سياسية بجانب كونه نبيا مرسلا عليه ان يبلغ رسالة ربه. فعمل على تنظيم صفوف المهاجرين والأنصار بالمدينة ، وتوكيد وحدتهم عن طريق تآلفهم حتى لا تثور العداوة القديمة بينهم ، فآخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار على الحق والمؤاساة.

ارث الأخاء مقدم على ارث القرابة

وكانوا يتوارثون بهذا الأخاء ارثا مقدما على القرابة . وظل التوارث

« .. أيقظ الاسلام نفوس العرب ووحد كلمتهم بعد أن كانوا متفرقين . كما أخرج للعالم تلك المدنية التى ما زلنا نستغل ثمارها ، بعد أن وضع لنا القرآن نظمها وأصولها .. »

فى غزوات

بالمؤاخاة قائما حتى اجتمع شمل الأنصار والمهاجرين واوقعوا الهزيمة بالمشركين فى غزوة بدر . وعزّ شأن الاسلام فأنزل الله تعالى فى سورة الأنفال (والذين آمنوا من بعدُ ، وهاجروا وجاهدوا معكم . فأولئك منكم ، واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله، ان الله بكل شىء عليم) . فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ورجع كل مسلم الى نسبه وورثه ذوو قرباه .

محمد يقر يهود المدينة على دينهم

كذلك راى الرسول أن يضع نظاما للحياة العامة فى المدينة يكون أساسا لتحقيق الوحدة بين أهاليها ، فكتب كتابا بين المهاجرين والأنصار ضمّنه المبادىء الهامة التى يجب عليهم اتباعها فى السلم والحرب ، كما اقر اليهود على دينهم واموالهم ليطمئن الى جوارهم .

فرض الجهاد فى السنة الثانية للهجرة

ولما تيسر للرسول توحيد كلمة المسلمين بالمدينة وقويت شوكتهم ، فرض الله عليهم الجهاد فى السنة الثانية للهجرة لأمور منها : تأمين الدعوة الاسلامية وصد من يقف فى سبيلها ، وقيام المسلمين بالذود عن انفسهم ، ومحاربة الذين اضطروهم الى الخروج من ديارهم بغير حق .

وكان لتشريع الجهاد اهمية خاصة بالنسبة للمسلمين بالمدينة فقد اعطاهم صفة سياسية ، لم يتمتعوا بها من قبل، ذلك انهم اصبحوا نواة الأمة العربية الاسلامية ، عليهم ان يجاهدوا فى سبيل اعلاء كلمة الاسلام وجمع شتات العرب.

ترقُّب الفرص لاخضاع شوكة قريش الوثنية

استطاع الرسول بعد هجرته الى المدينة ان يجعل سكانها من المسلمين يتطلعون اليه زعيما وقائدا . ولما جمع شملهم ونظم امورهم واصل جهاده فى سبيل الله. وكان المهاجرون والأنصار خير عون له فى نشر دعوته ، كما وقفوا صفا واحدا معه فى العمل على صدّ أى اعتداء خارجى يحيق بهم ، وصاروا يترقبون الفرص لاخضاع شوكة قريش والقضاء على

نظامها القديم القائم على الوثنية حتى يتيسر لهم جعل مكة مركزا دينيا للمسلمين كما كانت مقصدا لحج القبائل العربية جميعا .

غزوة بدر ، وما أفادته المسلمين

اهتم الرسول فى السنوات الأولى من هجرته بالعمل على استمالة القبائل المقيمة فى الطريق بين مكة والمدينة الى جانبه وارتبط باكثرها برابطة الحلف ، وكان يرمى من وراء ذلك الى ايجاد حلفاء له خارج المدينة ، كما أصبح له أنصار فى داخلها ، ثم شرع فى اخضاع عرب الحجاز لسلطته ، فخرج من المدينة مع أصحابه من المهاجرين والأنصار فى السنة الثانية للهجرة ، والتقى مع القرشيين فى واقعة بدر التى انتهت بانتصار المسلمين على قريش . وكان لهذا النصر نتائج بعيدة الأثر ، فدخل فى الاسلام كثير من المشركين ، كما استفاد المسلمون من وراء انتصارهم فى هذه الواقعة فائدتين : احداهما معنوية ، تتمثل فى وثوقهم بانهم على الحق وان خصمهم على الباطل ، وثانيهما مادية وهى الغنائم التى اكتسبوها. كذلك أصبح لدى المسلمين بما أسفرت عنه غزوة بدر من أحكام شرعية قواعد ثابتة يسيرون وفقها فى حروبهم وعلى الأخص فيما يتعلق بتوزيع الغنائم ومعاملة الأسرى .

ثم غزوة أحد ، ثم انهزام الأحزاب

وعلى الرغم من ان قريش استطاعت أن تاخذ بثارها من المسلمين فى غزوة احد الا انها لم تتمكن من اضعاف شانهم ، فظلوا قوة يخشى بأسها ، ومن ثم تاهبت لقتالهم فى السنة الخامسة للهجرة، فبعثت تدعو العرب الى معاونتها ، فانضم اليها جماعات من القبائل العربية واليهودية عرفت بالأحزاب . ولم يتيسر لهذه الأحزاب محاربة المسلمين بالمدينة ، فقد اختلفت كلمتهم وفشلت قريش فى تحقيق غرضها ، ثم أرسل الله ريحا على الأحزاب فى ليالى شاتية شديدة البرد حالت بينهم وبين مواصلة القتال وانطلقوا لا يلوى أحد على أحد .

ولا شك انه كان لفشل الأحزاب ورجوعهم عن المدينة منهزمين أثر عظيم فى نفوس المسلمين والعرب كافة ، فقد تبين لهم ان المدينة لا تؤخذ عنوة وان حشرت لها الآلاف الجنود من الحجاز ونجد . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين جلت الأحزاب عن المدينة « الآن نغزوهم ولا يغزوننا » .

اجلاء اليهود عن المدينة لما نقضوا العهود

لم يقم بين الرسول وبين قريش واقعة هامة بعد غزوة الأحزاب ، فقد استنفدت قريش كل مجهودها من هذه الناحية وظل التوتر يسود علاقتها بالمسلمين . أما فيما يتعلق بيهود المدينة فقد استطاع المسلمون بعد قهرهم القرشيين فى واقعة الأحزاب ان يقهروا اليهود ويجلوهم عن المدينة .

صلح الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة

وكان لصلح الحديبية الذى عقد بين الرسول والقرشيين فى السنة السادسة للهجرة أثر بالغ فى التمهيد لانهاء النزاع بين المسلمين فى المدينة والقرشيين فى مكة ، فقد أخذت قريش بعد هذا الصلح تغير نظرها الى النبى ، وتغير حكمها عليه ، وأصبحت ترى انه قرشىٌ على الرغم من العدواة بينها وبينه ، يجمعه واياها نسب واحد. وصارت تعجَب فى نفسها بعلو شانه ونجاحه السياسى مما حمل بعض رجالاتها على الهجرة الى المدينة ومبايعة الرسول على الاسلام . اما الرسول فكان واثقا من تفوقه على قريش ، فاخذ يعاملها معاملة من يشعر بقوته ، وظل يعمل على تصفية العلاقة بينه وبينها واتمام النصر عليها .

سير الرسول الى مكة لما نقضت قريش صلح الحديبية

فلما بلغه انها نقضت صلح الحديبية عول على انتهاز هذه الفرصة للقضاء على مناوآتها وتحقيق رغبته فى دخول مكة وضمها الى الكتلة الاسلامية . وكان الرسول يرى أن اخضاع قريش اصبح أمرا ميسورا ، فارسل الى اهل البادية والى من حوله من المسلمين يدعوهم للخروج معه ، فاجتمع اليه عشرة آلاف ، سار بهم قاصدا مكة .

اسلام ابى سفيان،زعيم قريش ، ودخول النبى مكة ، وتحطيمه الاوثان

لم تعمد قريش الى الوقوف فى وجه المسلمين اثناء مسيرهم الى مكة بل تجلت رغبة من جانبها فى الاستسلام بطريقة لا تمس كرامتها ومكانتها ، فقابل زعيمها ابو سفيان بن حرب الرسول وهو فى طريقه الى مكة واسلم بين يديه ومنحه الرسول امانا . فعاد أبو سفيان الى مكة داعيا قريش الى الاسلام : وصار ينادى بها قائلا : يا معشر قريش ويحكم انه قد جاء ما لا قبل لكم به ، هذا محمد فى عشرة آلاف عليهم الحديد ، فأسلموا تسلموا. وبذلك تمكن المسلمون من دخول مكة دون مقاومة تذكر وتوجه رسول الله الى الكعبة وطاف بها سبع مرات ، وشكر الله على هذا الفتح وحطم ما حولها من الأصنام ، ثم جاءته قريش واسلموا بين يديه ، وبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا .

رقعة الاسلام تتسع بعد فتح مكة

اخذت الدولة الاسلامية التى اقامها الرسول بالمدينة فى النمو تدريجيا تبعا لانتشار الدعوة الاسلامية،فامتد سلطانها الى مكة بعد قضاء الرسول على مقاومة قريش ، ثم اتسعت رقعتها فشملت بلاد الحجاز بعد انضواء قبيلة ثقيف بالطائف تحت لواء الاسلام فى السنة التاسعة للهجرة .

القبائل العربية تسرع فى قبول الدعوة

ولا شك ان فتح مكة وخضوع قريش للدولة الاسلامية الناشئة كان له أثر كبير فى حمل القبائل العربية الأخرى على الاسراع فى قبول الدعوة الاسلامية بعد ان كانوا من أشد المعارضين لها،فسارت وفودها من جهات جزيرة العرب المختلفة قاصدة المدينة لتعلن دخولها فى الاسلام وطاعتها للرسول بعد ان رات انه لا قبل لها بمحاربة المسلمين الذين واصلوا الجهاد سنين طويلة دون ان تفتر عزيمتهم .روى ابن هشام عن ابن اسحق انه لما افتتحت مكة ، ودانت له (اى الرسول) قريش ودخولها الاسلام،عرف العرب انه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله كما قال الله ـ عز وجل ـ أفواجا يضربون اليه من كل وجه .

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) .

وتعود الوفود الى قبائلها فتنشر الدعوة وتعاليم الاسلام

ظهرت بوادر الوحدة الدينية والسياسية بجزيرة العرب فى السنة التاسعة للهجرة ، حيث أخذت القبائل العربية تفد الى الرسول معلنة اسلامها عن طوع واختيار . وكان اعضاء الوفود العربية الذين يأتون الى المدينة ليحظوا بمقابلة الرسول يمثلون قبائلهم فى أغلب الأحيان فى التعبير عن رغبتهم الصادقة فى اعتناق الاسلام والدخول فى طاعة الرسول ، فاذا ما عادوا الى مواطنهم نشروا الدعوة الاسلامية بين أهاليهم وقاموا بتعليمهم فرائض الاسلام واحكامه وكان بعض هذه الوفود يعودون حاملين كتبا من الرسول مبينا بها ما يفرضه عليهم الاسلام من واجبات .

الرسول يخرج الى الحج فى السنة العاشرة للهجرة

لما اطمأن الرسول الى أن جزيرة العرب أصبحت كلها تنضوى تحت لواء الاسلام استقر رأيه علي الخروج للحج فى السنة العاشرة للهجرة ، ودعا المسلمين الى اداء هذه الفريضة معه ، فلقيت دعوته قبولا

من نفوسهم ، ثم سار من المدينة قاصدا مكة لزيارة بيت الله الحرام، ومنها خرج الى منى ، ثم الى جبل عرفات . وهناك القى خطبته التي يعتبرها المسلمون دستور الاسلام . وتمت رسالة النبى وهو واقف بعرفة حيث انزل الله تعالى عليه هذه الآية : (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) .

الشعور بالوحدة القومية ، ساعد على قيام الدولة العربية الاسلامية

شاهد الرسول اثناء حجه كيف علت كلمة الاسلام وانهار صرح الوثنية ، كما تحقق من اخلاص امراء العرب وزعماء قبائلهم له ، فلما رجع الى المدينة مع اصحابه من المهاجرين والأنصار اصبح لا يخشى شيئا من ناحية جزيرة العرب لسيادة الدين الاسلامى على اقاليمها ومدنها .

وهكذا اصبحت بلاد العرب بعد ان انتشر فيها الاسلام تجمع بينها عقيدة واحدة ، كما ظهر بين اهلها شعور بالوحدة القومية مما ساعد على قيام الدولة العربية الاسلامية على أساس الوحدة الدينية والسياسية .

وقد تمتعت مدن العرب وقبائلها بعد ان تحولت الى الاسلام بقسط وافر من الاستقلال الذاتي داخل نطاق الدولة العربية الاسلامية ، فصار الرسول يبعث عماله الى البلاد التي تدين بالاسلام ليعلموا الناس القرآن ويفقهوهم فى الدين ويجبوا منهم الصدقات ، ثم يوزعوها بين الفقراء من أهل تلك البلاد أو يرسلوها الى المدينة ، التى ظفرت فى حياة الرسول بمركز ديني ممتاز ، فهى التى نزل بها من القرآن اكثر مما نزل بمكة ، فأصبحت بذلك مصدر التشريع الاسلامي ، هذا الى ان الرسول اتخذها مركزا لدولته ، فوجه منها رسله الى الامراء والملوك يدعوهم الى الاسلام ، ومن ثم علا شأنها وصار العرب ينظرون اليها على انها عاصمة دولتهم ومصدر سياستهم .

كان للاسلام آثار بعيدة المدى فى حياة العرب السياسية والاجتماعية ، فقد جمع شتات القبائل العربية تحت لوائه ، والف بين قلوبهم ، وقضى على العصبية الجاهلية . وبذلك ارتبطت بلاد العرب بعضها ببعض برباط وثيق بعد ان كانت مفككة العرى .

الاسلام شرع للفرد والمجتمع على سواء

كذلك وضع الاسلام الكثير من الأسس والمبادىء العامة التى تنظم المعاملات بين افراد جماعة المسلمين ، فحث على التمسك بالفضائل والآداب الاجتماعية ، كما بين أنه واجب من واجب الانسان المحافظة على العهد والميثاق، وعنى عناية كبيرة بالأسرة ، وشرع وسائل عدة للنهوض بالارقاء ومساعدتهم على استرداد حريتهم .

ولم تقف عناية الاسلام باصلاح المجتمع عند هذا الحد ، بل قضى على الأخذ بالثار وجعل ذلك الى الامام وحده . وسوى بين الناس على اختلاف أصنافهم واجناسهم . ولا غرو فقد جعل الله المؤمنين أخوة لا تفاضل بينهم الا بطاعة الله وتنفيذ أمره . وفى ذلك يقول الله تعالى : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير) .

وصفوة القول ان الاسلام أيقظ نفوس العرب ووحد كلمتهم بعد ان كانوا متفرقين كما أخرج للعالم تلك المدنية التى لا زلنا نستغل ثمارها بعد أن وضع لنا القرآن نظمها وأصولها . ■■

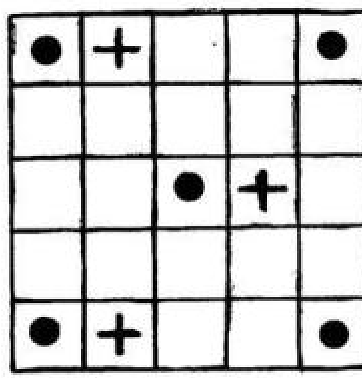
محمد جمال الدين سرور

اخْتِبَار .. وتسْلِيَة

وجَوائـز ١٠٠ دينار

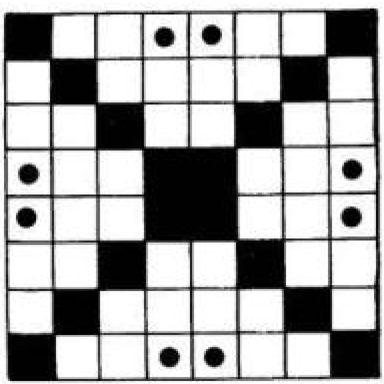
■ ... وهذه مسابقة أخرى من مسابقات الصيف ، التى راعينا فى اختيارها أن تجمع بين اختبار الذكاء ، وعنصر الترفيه والتسلية .

— ١ —



فى هذه المربعات الخمسة والعشرين ٥ كرات و٣ صلبان . المطلوب اعادة ترتيب هذه الصلبان وتلك الكرات ، بحيث لا يجتمع النوعان (الكرات والصلبان) فى صف واحد ، سواء أكان عموديا أو افقيا او مائلا .

— ٢ —



يتألف هذا المربع الكبير من ٦٤ مربعا صغيرا ، منها ١٦ مربعا مطموسا ، و ٤٨ مربعا خاليا . والمطلوب هو أن تضع فى المربعات الخالية ٨ كرات بحيث لا تجتمع اثنتان من هذه الكرات فى المربعات القائمة على خط واحد ، سواء أكان عموديا او افقيا او مائلا .

شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٤٦ .

٢ ـ يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربى ـ العدد ٦٩ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر سبتمبر (أيلول ١٩٦٤).

● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .. **الجائزة الثانية** : ٢٠ دينارا .. **الجائزة الثالثة** : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ..

■■



الغلاء والحكى ..

عن جريدة « الحياة » : بيروت :

● اذا سالك سائل أيها القارىء عن الغلاء فى لبنان فاشح بوجهك عنه ، او اذا اردت ان تحافظ على ادبك ، فافعل كما فعل مدير عام وزارة الاقتصاد ، اذ قال امس : « الغلاء فى لبنان حكى بحكى » .

اذن ، الغلاء فى لبنان « حكى بحكى » شئنا أم ابينا ..

صحيح أن الناس ، كل الناس ، يشكون من الغلاء مر الشكوى ويتذمرون اشد التذمر ، ولكن الصحيح ايضا ان من ينظر الى الأمور ، من فوق ، يرى غير ما يراه الناظر اليها من تحت ، فلا يعقل والأمر كذلك ، ان تخطىء نظرة المدير من سدته العالية ، وتكون نظرة الناس ، وهم من تحت دائما، هى الصائبة .

ويطالب المدير « مطلقى اشاعات الغلاء » ان يعطوه البرهان على ما يدعون ، وهذا يؤكد انه واثق مما يقول ، رغم انه قلما ينزل الى السوق ويشترى او يبيع ، شانه فى ذلك شان رفاقه المدراء ومعهم الوزراء واصحاب المقامات الرفيعة كلهم .

ايها الناس ، من كان منكم كافرا فليحك ويقدم البرهان ، على الغلاء المزعوم ..

اما انا فقد اقفلت فمى بقفل كبير ، لأنى ترعرعت على دين مدرائى ورؤسائى وسأموت عليه .. ونعم الدين؟

الشيوخ والشباب فى عصر العلم

عن مجلة الهلال ـ القاهرة .

لقد كان الشباب يفخر دائما انه ، وان كان يقل تجربة ، فهو اوفر علما واكثر نشاطا ، واكبر اتصالا بواقع الحياة . ولكن هذه الميزات اخذت تتضاءل بتقدم العلم الحديث ، واذا الشيوخ يضارعونه قربا من الواقع ، ويضارعونه نشاطا ، ويزيدون عليه خبرة الممارسة الطويلة . فماذا يصنع .. ؟!

وبتقدم العلم تقدما مذهلا فى سرعته بدأ الشباب يحس احساسات الكهولة من حيث قدم المعلومات التى تعلمها فى المدرسة . كان الشاب قديما يفخر على ابيه انه يتعلم فى المدرسة جديدا قد لا يعرف الأب عنه شيئا . ولكن ماذا يحدث اليوم ؟ ان الشباب ما يكاد يخرج من المدرسة حتى يكتشف ان الذين يأتون بعده بعام او عامين يتعلمون هم ايضا شيئا احدث مما تعلم . واذا هو فجأة فى صف الشيوخ من حيث قدم المعلومات العلمية العملية على الأقل . وازاء هذا لا بد له من ان يتزود بعلم جديد متجدد باستمرار . ووسيلته فى ذلك هى وسائل جنى الثقافة المتاحة للجميع عن طريق الكتب والمجلات ووسائل الاعلام كلها ، وهذه الوسيلة متاحة له وللشيوخ بجيليهما على حد سواء . بل قد يكون الشيوخ اقدر على التزود بها منه .

معركة التحدى

عن جريدة « الجمهورية » ــ بغداد :

● اننا في الوقت الذى لم نفاجأ بما فعلتــه اسرائيل من ضخ مياه نهر الاردن وبحيرة طبــرية الى صحراء النقب ، نرجو ان لا يكون فيما اقدم عليه العدو استفزاز يجرنا الى ارباك مخططنا لمواجهة التحدى الاسرائيلى الذى ينبغى أن نتدبره بالعمل الجدى المدروس بالتعاون مع كل الشعوب التى أعلنت وقوفها الى جانب حقنا .

ان قضية الاستيلاء على مياه نهر الأردن هى قضية حياة أو موت بالنسبة للأمة العربية كلها . واذا كانت أحداث عام ١٩٤٨ تمثل الصفحة الاولى من صفحات المعركة بين العرب وبين اليهــودية العالمية والاستعمار ، فان تحويل مجرى الاردن يمثل الصفحة الثانية وربما الأخيرة من المعركة .

لقد استطاع اليهود فى عام ١٩٤٨ أن يقيموا كيان اسرائيل سياسيا ، وهم اذا ما تسنى لهم استثمار مياه نهر الاردن على النطاق الذى يخططون له ، سيثبتون كيان اسرائيل اقتصاديا ويدعمون وجودها بالامكانيات المادية والبشرية .

وهكذا فان المرحلة الجديدة من صراعنا مع العدو الذى اقتحم ديارنا مرحلة خطيرة تقتضى منا ارتفاعا الى مستواها فيما نقوم به ونخطط له ، وادراكا عميقا لأبعاد المعركة وملابساتها وظروف متطلباتها .

ولسنا وحدنا الذين ينبغى أن نتخذ موقفنا من هذا التحدى بل ان كل الشعوب المؤمنة بالحرية والتى تساند الحق ، مدعوة الى أن تتفهم الظرف الجديد وتتخذ من الاجراءات ما ينسجم وايمانها بعدالة قضيتنا ووجاهة موقفنا .

ان معركة تحويل مجرى الاردن تضعنا والعالم الحر كله فى مواجهة التحدى الاسرائيلى . وعلينا ان نعمل بكل جهد وفاعلية للوقوف امام التحدى. وليس علينا بعد ان ندفع الثمن سهلا او غاليا .

ولست ابالى حين "اقتل" مسلما
على اى جنب كان فى الله مصرعى

لمـــاذا ؟

عن جريدة « فلسطين » ــ القدس :

● ما انعقد مؤتمر اقتصادى ، او تجارى ، اوسياحى ، لبحث شؤون ما بين العرب ، الا كانت من بين توصياته واحدة تطالب بازالة العقبات القائمة فى وجه تنقل المواطنين العرب فى أرجـاء وطنهم الكبير ، تستوى فى ذلك المؤتمرات التى تعقد على مستوى الحكومات ، وتلك التى تعقد على مستوى الشعوب .

نقول هذا بمناسبة ما قيل من ان الاتحاد العربى الدولى للسياحة بحث موضوع الغاء جــوازات السفر عند التنقل بين الدول العربية ، والاكتفاء ببطاقة الهوية ، تشجيعا لتبادل الزيارات بــين الاقطار العربية .

وعلى اننا نؤيد الاتحاد السياحى فى قرار كهذا قد يكون اتخذه ، فاننا نحب لو أن الاتحاد فطن ــ قبل ذلك ــ الى وجود اجراءات وعقبات محلية كثيرة ، فى كل بلد عربى ، دون استثناء ، ان لم تكن تمنع المواطن من مغادرة بلده ، فانها على الاقل تعرقلها ، وتؤخرها ، وقد تؤدى تطويلاتهـــا وتعقيداتها الى اقلاع المواطن عن السفر .

اننا أصلا ضد القيود التى تفرضها الدول العربية على سفر مواطنيها ، وضد القيود التى تفرضها دول اخرى على دخول اراضيها لاننا دعاة وحدة أولا ، وأبسط مظاهرها ازالة الحــدود ، فكيف بالقيود ؟!

ولكننا ، وما دامت الحدود قائمة ، فلا أقل من أن نلغى القيود ، لأن مصالحنا كأفراد وكشعوب وكأمة ، تقضى بالغائها ..

ان كثيرين ممن يتخذون قرارات ، أو توصيات الغاء القيود ، هم من المسئولين ، وعلى كثرة ما اتخذ بهذا الشأن من قرارات ، فان القيود ما تزال قائمة ..

لمـــاذا ؟

عرق الصيف

* عرق الصيف ضرورة

* الكلاب تلهث ، لأنها لا تعرق

* عرق الطلبة عند امتحان، عرق انفعال لا عرق احترار

* رائحة الاجسام ، من عرق ، عند بعض أهل الارض مستطابة

■ **لا نقول جديدا اذا نحن قلنا :** ان العرق ماء يفرزه جسم الانسان ، يخرج من ثقوب فى الجلد تعرف بالمسام . ووراء هذه الثقوب غدد تستخلص من الدم الماء وما به ، فيخرج من هذه الثقوب ، فنقول انه العرق .

لا جديد فى هذا .

ونزيد فنقول

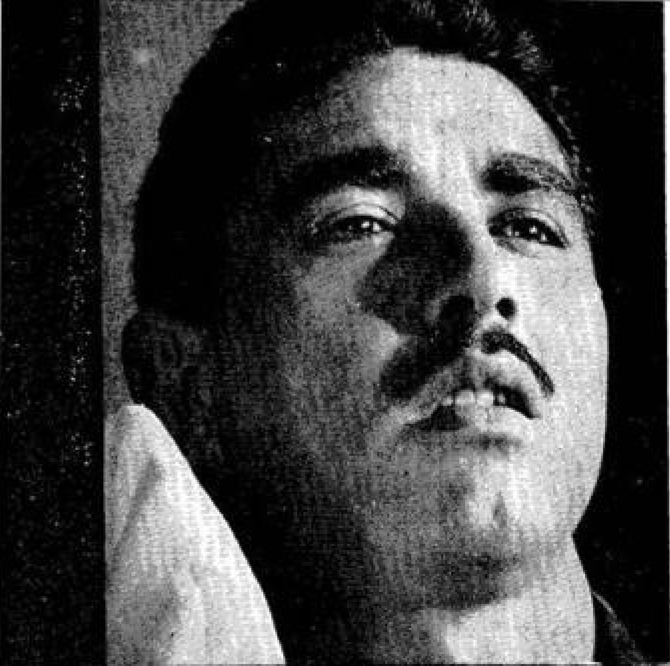
وانما نزيد فنقول ان هذه الغدد صغيرة جدا فهي لا تكاد ترى الا بالعدسة اذ تكبرها .

ونزيد فنقول : ان هذه الغدد منتشرة فى جسم الانسان كله تقريبا . ويبلغ عددها ما بين مليونين الى ٣ ملايين غدة .

ونزيد فنقول : ان الانسان تميز عن سائر الحيوانات ، فى عمومها ، بكثرة غدده هذه ، فبكثرة مسامه . يشاركه فى ذلك الحصان .

ونزيد فنقول : ان العرق نعمة ، وان كان ظاهره النقمة ، لا سيما اذا احتر الصيف ، وتبللت به الملابس ، ما بطن منها وما ظهر .

ونزيد فنقول : ان غدد العرق فى جسم الانسان نوعان : غدد صغيرة مكرسكوبية ، هى التى يخرج العرق المعروف منها ، وغدد أخرى ، لم نتحدث عنها بعد ، وسوف نتحدث عنها فى نهاية هذه الكلمة ، وهى غدد اكبر ، موجودة على الأكثر فى الابط ، تفرز من العرق نوعا عكرا



نِعْمَة أَمْ نِقْمَة ؟

كيف تتخلص من رائحة عرق الأبدان ؟

كالمستحلب ، هو الذى يعطى الأجسام رائحتها .

العرق ضرورة

ان العرق ضرورة لأن تفاعلات الجسم الكيماوية ، التى تعطيه الحياة ، انما هى احتراق دائم . والحريق حرارة . والحرارة لا بد من أن تتسرب والا ارتفعت بها درجة حرارة الجسم الى ما لا يأتلف مع اتمام تلك التفاعلات الكيماوية على أوفق حال .

والجسم يفقد من حرارته بالاشعاع .

والجسم يفقد من حرارته بالعرق ، اذ يظهر على الجلد بللا ، ثم يتبخر ، وبالتبخر يحمل معه الكثير من الحرارة . والجسم به من العقل والتعقل ما يدفعه الى افراز الكثير من العرق اذا زاد خزينه من الحرارة ، والى افراز القليل من العرق اذا قل خزينه منها .

والجسم يفقد من حرارته بالتهوية ، ولذلك يستخدم الانسان المراوح ، وهى تحرك الهواء حول الجلد ، فيحمل عنه حرارته . ولو كان عرق ، حمل كذلك العرق بخارا فكان أفعل أثرا .

الكلاب لا تعرق

والكلاب لا تعرق ، لأنه ليس بجسمها مسام . واذن هى تلهث . ويخرج ماء فمها باللهث فيصير بخارا يحمل معه الكثير من الحرارة .

والرجل منا يستطيع ان يلهث كما يلهث الكلب ، فيتخفف من حره . ولكنه لا يلبث ان يتعب فيكف .

العرق ماء وملح

والعرق ماء وملح . وأجر لسانك على عرق جلدك ، أو الحسه من بعد

جفاف ، تذق ملحه . وبسبب هذا الملح قد يلحق ضرر كبير بالانسان .

مثال ذلك العمال الذين يعملون باجسامهم فيمحيط حار، يعرقون كثيرا، ويفقدون بهذا العرق مقدارا من الملح كبيرا قد يصل الى ٢٠ جراما في اليوم . ويصاب العامل نتيجة ذلك بتقبض فى عضلات هيكل الجثمان مؤلم ، ويمنع من هذا الحال ان يضاف الملح بواقع جرام فى كل لتر من ماء الشرب. والطعام يتملح تمليحا فوق العادة . وهناك أقراص للملح خاصة تبلع مع الماء بلعا .

الفرانون والعدانون

ومن امثلة هؤلاء العمال الفرانون القائمون عند أفرانهم ساعات كثيرة . وكذلك العدانون الذى يعملون فى مناجمهم فى باطن الأرض .

وضربة الشمس

او هم يسمونها ضربة الحر ، والمعنى واحد ، فالشمس انما تضرب بحرها .

وتتلخص فى ارتفاع درجة حرارة الجسم فى الرجل الذى يبذل مجهودا جثمانيا فى وقدة الشمس او فى المحيط الحار . وسبب ذلك تعطل يصيب غدد العرق فيقل افرازها أولا ، اذ تتعب من طول افراز ، ثم تكف عن افراز بالمرة .

وينتج عن ذلك اضرار فى المخ ذاته ، تؤدى الى الموت .

وكان هذا يحدث فى بعض حجاج بيت الله ، والصيف على اشده . ويسعفون بوضعهم على الفور فىحمامات، بها الماء والثلج معا ، اقامها أولو الأمر هناك فى الطريق الى عرفات (انظر موضوع ضربة الشمس فى العربى ، فى عدد أول الشهر الثامن عام ١٩٦٠ صفحة ٩٨) .

العرق عرقان : عرق احترار ، وعرق انفعال

اما عرق الاحترار ، فذلك ما قد وصفنا .

واما عرق الانفعال فلا يكون بسبب الحر .

واذا اردت ان تطلب مثلا هينا سهلا





.. والكلاب لا تعرق ، لانه ليس بجسمها مسام .. واذن هى تلهث ..

كعرق الانفعال فادخل قاعة امتحـان ، لا سيما امتحان آخر العام ، وتحسس باطن أكف الطلبة والطالبات وهم يكتبون. انها بواطن أكف عرقة ، خرج عرقها بسبب ما يبذل الطالب والطالبة من مجهود عقلى وهما فى أزمة انفعال نفسى شـديد .

وكذلك يندى الكفان وصاحبهما فى موقف محرج .

ويندى كفا المراهق والمراهقة عنـد بدئهما ممارسة الحياة . انه الخجل ، أو لعله الخوف ، أو لعله الاضطراب أمام الموقف الجديد. ويكتب المراهق والمراهقة فتبتل أوراق الكراسة مما يتساقط من عرق كفيهما . وقد يبقى هـذا معهمـا ما بقيت المراهقة .

وكباطن الكف باطن القـدم . كذلك يندى باطن القدم فى أزمات الانفعال .

وقد تزيد الأزمة الانفعالية النفسية فيظهر العرق كذلك فى الوجه ، وعـلى الجبهة خاصة .

وتهدأ النفس ، وتسترخى ، فتجف كل مواقع هذا العرق فى الجسم .

رائحة الأجسام ، مصدرها العرق ، ولكن من نوع

بقى أمر الغـدد الأكبر ، تلك التى ذكرناها فى أول هذه الكلمة . انها تعطى الأجسام روائحها .

انها أشـبه بتلك الغـدد التى تعطى الحيوانات روائحها .

انها تفرز سائلا عكرا نتيجة اهتياج عام ، أو لشهوة مثارة ، أو الم قائم .

وهو سائل يخرج لا رائحة له فى أول الأمر ، ولكنه لا يلبث أن يكتسب تلك الرائحة التى تعرف للأجسام ، وتكره فى المجتمع . وهى تنتج من فعـل البكتير بهذا السائل .

وهذه الرائحة الكريهة ، فى العرف ، تخف عند بعض الناس، من رجال ونساء وتشتد عند بعضهم .

ونقول انها كريهة فى العرف ، وهذا يوحى بأنها غير كريهة « فى الطبع » . واذن لكان شأن بنى الناس فيها شـأن الحيوانات .

يعزز هذا الراى ما يحكيه بعض علماء علم الانسان والأجناس، انه يوجد من الناس، فى بعض بقاع الأرض، من تعذب فى انوفهم هذه الرائحة . حتى أن المرأة منهم ، اذا ارادت ان تغاضب زوجها ، عمدت الى الاستحمام ، فغسل هـذه الرائحة عن جسمها .

كيف تتخلص المرأة ، ويتخلص الرجل من رائحة عرق الابط

والحال غير هـذا فى سـائر العالم المتمدن . وقد بذل أهل الخبرة الكثير من الجهود لاستنباط طريقة لازالة هذه الرائحة عن الجسم . وخير طريقـة ، على ما يبدو، انما هى متابعة غسل الابط بالصابون ، وحلق الشعر الذى هناك . وكل هذا لخفض فعل المكروب، لا لخفض العرق . وتستخدم من بعد ذلك عدة أشياء هدفها الأول التطهير من المكروب.

من ذلك مثلا غسل الابط بالصابون الـذى به المـركب الكيماوى المطهـر هكساكلوروفان Hexachlorophane فمن بعد الغسل بهذا ، يبقى من هـذا المركب أثر يقلل من فعل البكتير .

وهناك مستحضرات أخرى تدخلهـا مركبات الالمنيـوم ، واشـهرها كلـور الالمونيوم .

وبعض ينصح ببلع أقراص كتلك التى تحتـوى عـلى اليخضور النبـاتى ، الكلوروفيل ، ولكن لم يتضح بعـد أن لهذه الاقراص قيمة تذكر فى اداء هـذا الغرض .

■■

المذهب الإنسانى .. وصاحبه الفيلسوف

شيلر

بقلم : الدكتور عثمان أمين
رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة

ان المذهب الانسانى فى حد ذاته هو حقا ابسط وجهات النظر الفلسفية ، وقوامه ادراك الانسان ان المشكلة الفلسفية تخص كائنات بشرية ، تبذل غاية جهدها ؛ لتفهم عالم التجربة الانسانية ، وزادها فى ذلك ادوات الفكر البشرى وملكاته .

والمذهب الانسانى يطالب بأن تكون طبيعة الانسان بتمامها هى المقدمة الكاملة التى يجب ان تبدأ منها الفلسفة عن طيب خاطر ، ويطالب بأن يكون رضى الانسان رضى كاملا هو النتيجة الفلسفية التى ينبغى ان تهدف الفلسفة اليها . ويطالب بأن لا تعزل الفلسفة نفسها عن مشكلات الحياة الواقعية ، قانعة منذ البداية بوضع تجريدات هى زائفة ولا تقع من الناس موقع الاعجاب حتى ولو كانت صحيحة .

شيلر فى اكسفورد :

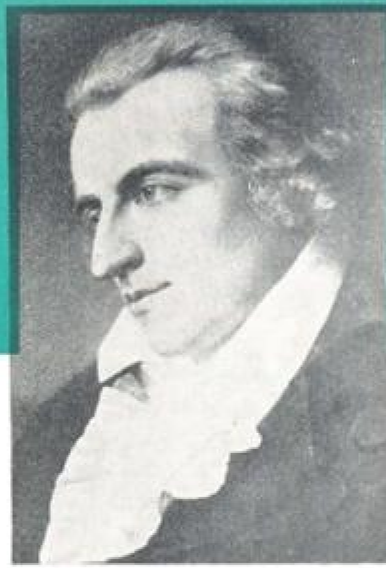
وصاحب « المذهب الانسانى » هو فرديناند كانج سكوت شيلر Schiller ، الذى اشتهر فى الفلسفة المعاصرة بانه كان زعيم « البرجماتية » فى انجلترا ..

ولد بالمانيا سنة ١٨٦٤ . وتلقى التربية التقليدية فى الجامعات الانجليزية ، ولما انهى دراساته الجامعية انصرف الى التاليف .

وفى سنة ١٨٩١ اصدر كتابه الاول « الغاز أبى الهول » ، وهو كتاب قد اتسم بالالمعية والاقدام ، وحدد المرحلة الاولى من فكر الفيلسوف الشاب ، وقد استهله بدفاع حار عن الميتافيزيقا وبيان لاهميتها بالنسبة للانسان المفكر ، واخذ يهاجم الوضعية التى تنكر الميتافيزيقا ، مبينا ان كل نظر عقلى انما ينبثق من ضرورات عملية ، وهذا شأن الميتافيزيقا ذاتها ، انها تتعلق بالنظرية التي تقوم عليها كل حياة انسانية وبالمشاكل العامة التى يضطرنا الوجود الانسانى الى مواجهتها ، وان من الميسور ان نبين ان الحجج التى ساقها « هيوم » او « سبنسر » نقدا للميتافيزيقا ليست حججا حاسمة ، اطلاقا ، وان « اللاادرية » لا مناص من ان تؤدى بنا منطقيا الى ما هو ابعد عن الميتافيزيقا وعن الحياة ، الى التشكك المطلق .

وفى سنة ١٩٠٢ كان شيلر واحدا من ثمانية فلاسفة شبان ، اشتركوا فى نشر اول كتاب عن البرجماتية الانجليزية ، بعنوان « المثالية الشخصانية » . وهذا الكتاب يكشف عن الازمة الروحية التى كان يعانيها مفكرو القرن التاسع عشر اكثر مما يكشف عن تيار جديد يمده نبع واحد .

وفى سنة ١٨٩٧ عين شيلر استاذا مساعدا فى « كرُيِسْ كريستى كوليدج » فى جامعة اكسفورد ، وفى سنة ١٩٠٣ اصبح استاذا بها ،



نظرية تأبى دراسة العقل محنطاً فى زجاجة كحول

فلسفة تأبى قول من قالوا : ليس فى الامكان أبدع مما كان

وظل يؤدى فيها وظيفته تلك الى سنة ١٩٢٦ . وقد عبر شيلر غير مرة عن شديد أسفه لما آل اليه امر التعليم فى « اكسفورد » ، نتيجة لتلك النظم العتيقة التى تقضى على البحث الحر ، وتخنق الروح الجامعى ، وتقيد التربية بقيود ثقيلة ، يفرضها نظام للامتحانات تسيطر عليه الرجعية والجمود . وقضى شيلر فى اكسفورد زهاء ثلاثين سنة فى نضال وجدال لا يخلوان من نقد شديد وسخرية لاذعة لزملائه فى الجامعة . ثم عُيّن بعد ذلك استاذا زائرا فى جامعة كاليفورنيا الجنوبية بأمريكا ، وهناك تهيأت له فرص عديدة للمساهمة فى القاء طائفة من المحاضرات العامة المفتوحة للجمهور ، عالج فيها الموضوعات الفلسفية معالجة تختلف اختلافا كبيرا عما جرى العرف عليه فى جامعة اكسفورد .

وقد رحب شيلر بنظام التربية فى الجامعات الامريكية : فهذا النظام ، اذ يفرض على الجامعيين أن يعرضوا بحوثهم على الجمهور عرضا يثير الاهتمام بها والاقبال عليها ، يجعل المتخصصين بمأمن من العزلة والانزواء فى الأبراج العاجية ، ويبث فيهم جميعا الشعور بأنهم يؤدون خدمة عامة تنال تقديرا كبيرا فى مجتمع ديمراطى .

بين شيلر وجيمس

وقد تحدث شيلر عن صلته بوليم جيمس James صاحب البرجماتية فى امريكا ، فقال : « لم يسعدنى الحظ ، حين ذهبت الى امريكا لاول مرة ، بالمثول بين يدى جيمس ، وهو يحاضر فى جامعة « هر"ڤرد » . ولم تواتنى الظروف سنين طويلة بالفرصة لتقديم نفسى اليه ، ولكن حين جاءت اللحظة الموعودة كان تأثيرها كهربائيا خاطفا : فما انقضت خمس دقائق على لقائنا الاول حتى وجدتنى اتحدث اليه ، وكأننى كنت أعرفه طول حياتى » . ولا غرابة فى ذلك ، فقد كان شيلر قد قرأ من قبل مؤلفات الاستاذ الامريكى ، وخصوصا كتابه « مبادىء علم النفس » و « ارادة الاعتقاد » بحماسة بالغة ، وسنرى أن شيلر قد عنى ببسط مذهب جيمس البرجماتى وتوسيعه تحت اسم جديد ، هو « المذهب الانسانى » .

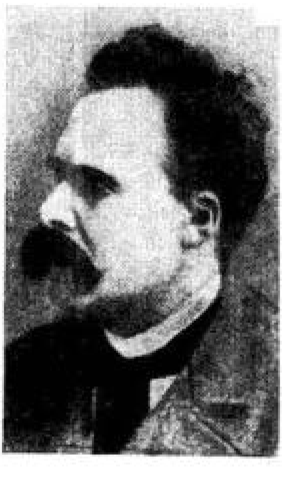
شارك شيلر فى اكثر المؤتمرات الدوليةللفلسفة. ومن طريف ما حدثنا عنه أنه فى سنة ١٩٠٨ أتيح له أن يشهد مؤتمر الفلسفة الدولى المنعقد فى « هَيْدلبرج » بالمانيا . وما كاد يبدى ملاحظة عابرة مؤداها ان البر"جماتية حركة فلسفية قامت فى امريكا ، حتى رأى أعضاء المؤتمر الالمان

يستنكرون هذا القول ، ويرون أن قيام حركة فلسفية فى امريكا هو ضرب من الوقاحة لا يمكن احتماله !

ومات شيلر فى أغسطس سنة ١٩٣٧ حين كان يتأهب لحضور المؤتمر الدولى التاسع للفلسفة وهو « مؤتمر ديكارت » الذى انعقد فى باريس فى الاسبوع الأول من ذلك الشهر .

« بروتاغورية جديدة » :

ان قوام المذهب الانسانى على قول شيلر « ان يكون الفيلسوف على بيّنة تامة ودراية واعية بالمشكلة الفلسفية التى تواجه كائنات بشرية تبذل غاية جهدها لتفهم عالم التجربة الانسانية وزادُها فى ذلك أدوات الفكر البشرى وملكاته » . والواقع أن شيلر يجعل مكان الصدارة فى التفلسف للانسان كله ، عقلا وحسا وارادة ووجدانا ، ويجعل الانسان مركزا للعالم الفكرى كله . وقد اعلن فى مناسبات عديدة أن مذهبه أشبه شىء بما سماه « بروتاغورية جديدة » ، يريد بذلك ان يؤكد أن المذهب تجديد واع « للنسبية »التقدمية التىذهب اليها السفسطائىاليونانى «بروتاغورس» Protagoras فى العصر القديم (٤٨٥ ـ ٤١١ ق . م) . وهو يجعل شعار مذهبه عبارة بروتاغورس : « الانسان مقياس للاشياء جميعا ». وهذا الشعار فى نظره أشبه برسم تخطيطى لمذهب برجماتى انسانى معا : فانه يستعيض عن احكام



نتشه

من الأرجح أننا نختار من بين الفلسفات جميعا تلك التى تفسر لنا طبيعتنا أفضل تفسير

« الوجود » بأحكام « القيمة » ، ولا يتمثل الحقيقة الا فى صورة اداة للعمل ، فهى لذلك نسبية قابلة لان تتشكل ، ولا تكون شيئا او واقعة الا بفعل الانسان فيها . ويرى شيلر أن فلسفة بروتاغورس ثمرة لتجربة انسانية زاخرة : فان بروتاغورس ـ وقد راعه ما هنالك من تناقض فى مجال النظر العقلى الخالص ، وما يقوم من تعارض بين رأى الجماعة ومطامح الفرد ـ انتهى الى اعلان دعوته تلك ، فاستطاع ان يؤكد للانسان استقلاله الروحى ، وحريته الفكرية امام بطش القوة وسلطان المجتمع .

واذن فالمذهب الانسانى يحاول أن يعود بالفلسفة الى النظر الى الفكر بعين الاعتبار ، ويبين ان الفكر يظل دائما فكرا فرديا . وهو يأخذ التجربة الانسانية بداية وغاية لكل نظر عقلى ، وينحّى جانبا كل ما يجعل للواقع او للحق طابعا متعاليا على الانسان . ومن ثم يقف المذهب فى وجه كل اطلاقية ميتافيزيقية أو « ابستمولوجية » (اى متعلقة بنظرية المعرفة) : فان هذه الاطلاقية انما تغفل العلاقة بين الواقع والانسان ، وتفقد كل مضمون لها حين تزعم أنها تستطيع أن تتجاوز النسبية التى تصاحب أمور الانسان . ان المطلق يستغرق لا محالة كل ما هنالك من تميزات وفوارق هى لُحمة وجودنا وسداه .

وكذلك يعارض المذهب الانسانى ما اصطلح على تسميته ب « الواقعية » : فان موقف هذهالواقعية الابستمولوجية يلتقى فى صميمه مع موقف المثالية المطلقة : كلتاهما حاولت أن تتصور الحقيقة شيئا مستقلا عن معرفتنا ، ومن ثم لا صلة بينها وبين حياتنا ، فلا اهمية حينئذ فى أن تكون الحقيقة التى تطابقها معرفتنا « واقعة » مطلقة او فكرا مطلقا ، ما دمنا لا نستطيعبلوغها منوجهة النظر الانسانية. اما نظرية المعرفة « الانسانية » فترى ان الحقائق التى توصف بأنها ابدية انما هى « مسلمات » او مطالب نتقدم بها فى مناسبة تجربتنا ، بغية أن نجعل عالمنا ، ملائما للعيش فيه .

ولئن يكن شيلر قد اتخذ « النسبية » شعارا، الا أنه حرص على الابتعاد عن المذهب الارتيابى ، واعلن مرارا ان فى الحقائق النسبية ما يغنى الانسان ، والقى تهمة « الارتيابية » على المذهب

الاطلاقى ، اذ اننا متى تصورنا الحقيقة مطلقة بدت بعيدة عن منال الانسان واكثر من هذا ان الحقيقة المطلقة كما تتصورها الاطلاقية ليست عديمة النفع فحسب كمعيار للحقيقة التى لدينا ، لاننا لا نملكها ولا نستطيع أن نوازن بينها وبين ما لدينا من حقيقة ، ولا ان نقدر أين ولا الى أى مدى تقصّر حقيقتنا عن مثالها الآلهى ، بل أنها ضارة ضررا محققا ... انها تحمل فى احشائها نتائج هدامة لها هى ذاتها » .

تطوير البرَجماتية :

والمذهب « الانسانى » مرتبط ـ طبعا ـ ارتباطا وثيقا بالمذهب « البرَجماتى » . ولكن فى حين أننا نرى ان البرجماتية فى جوهرها نظرية فى المعرفة ، نلاحظ ان المذهب الانسانى موقف فلسفى أوسع واشمل : انه كما يقول جيمس « خميرة ستبقى فى الوجود » ، وهى تحوّل فى النظر الى ميدان الفلسفة يجعل الاشياء تظهر فى مركز الاهتمام ، وقد أُلقى عليها ضوء جديد » . ونستطيع أن ننظر الى المذهب الانسانى على انه تطور طبيعى منطقى للبرجماتية التى تحكم على قيمة المعرفة تبعا لمنفعتها . والمذهب الانسانى من حيث هو منهج ، يمكن تطبيقه على الاخلاق ، والجمال والميتافيزيقا ، والدين ، وسائر العلوم . فاذا كانت الحقائق نافعة فان لها قيمة مؤكدة عند الانسان ، وما دامت لها عنده قيمة فلا بد أن يستعملها . ان وضع المعرفة على أساس منفعتها معناه أننا نحاول أن نصبغ العلوم بالصبغة الانسانية ، وأن نبطل ادعاءها الاتجاه نحو المطلق ونحو « الاستقلال » . والفلسفة الانسانية تبرز قيمة الآراء التى اهتدت اليها جمهرة الناس منذ زمن طويل لتنظيم فعل الانسان .

والمذهب الانسانى ، كالمذهب البرجماتى ، هو فى أصله منهج وتوجيه للفكر قبل أن يكون مذهبا : انه على التخصيص احتجاج على تجريد المنطق من المعانى الانسانية ، ذلك التجريد الذى قام به مناطقة استبعدوا من المنطق كل ما هو حياة نابضة . والنقد « الانسانى » يروم اول الامر أن يظهرنا على أن المنطق التقليدى ، اذ ينزع عن الفكر الطابع الانسانى ، ينتهى الى شقشقة لفظية محضة . ويتيح لنا هذا النقد أيضا أن نحكم على قيمة الادعاءات المختلفة التى نسمعها من مختلف المذاهب الفلسفية التى تزعم بها انها بلغت الحقيقة . فالنقد الانسانى ينزع اذن الى التوهين من أهمية التدقيقات الجدلية ، مع حرصه على ابراز فكرة حقيقة عامة تستند الى اتفاق اجتماعى وتوجد فى تطور متصل .

هذا الموقف قد أفضى بالمذهب الانسانى الى الحملة على ضروب الميتافيزيقا « القطعية » ، سواء فى ادعائها بلوغ الحقيقة المطلقة ، أو استنادها الى حدْس تزعم أنها بديهية ، « فالبداهة انما تبدو حادثا عارضا فى حالتنا العقلية ، وليست ضمانا تاما على الحق اطلاقا » . اما المذهب الانسانى فيرى انه ليس هنالك ما يبرر أى ادعاء لبلوغ الحقيقة ، اذ ينبغى التحقق من جميع الادعاءات تبعا لما تفضى اليه من نتائج . ألسنا نرى أن ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة يفنّد تفنيدا كافيا استحالة عثورنا فى تاريخ الفلسفة على مذهبين يتفقان فيما بينهما اتفاقا تاما ؟

ومن ثم يرى المذهب الانسانى أن المذاهب الميتافيزيقية هى فى جوهرها من ابتداع الافراد ، وأنها انعكاس لعقليات أصحابها وذات اتصال بأمزجتهم . ويذهب شيلر الى ابعد من هذا فيرى أن كل ميتافيزيقا متسقة جادة هى فى آخر الأمر قصيدة من الشعر ، وتستمد وحدتها كما تستمد جاذبية جمالها من نظرة وخيال مبتكرها أو مؤلفها. والناس يقفون فى الحياة مواقف مختلفة ، لان لهم مشارب متفاوتة : وقد كتب الفيلسوف الالمانى فشته Fichte الى الفيلسوف الالمانى رينهولد Reinhold يقول : « ان مزاجى يفسر فلسفتى » ويرى وليم جيمس ان الميتافيزيقا عمل فنى يقوم على تناول الاشياء وتقديمها بما يتفق مع المزاج الخاص . على ان الفيلسوف من حيث هو انسان، يطمئن دائما الى مزاجه الشخصى ، « ولما كان محتاجا الى عالم يلائم مزاجه فهو يؤمن باى تصور يلائم هذا المزاج » والفيلسوف الالمانى نتشه Nietzsche ، ذلك البرجماتى الآخر ، كتب الى « دويسن » سنة ١٨٧٠ يقول : « مما هو اقرب الى الرجحان اننا نختار من بين الفلسفات جميعا تلك الفلسفة التى تفسر لنا طبيعتنا افضل تفسير، فنؤثرها بحبنا » .

فواضح مما تقدم ان المذهب الانسانى اشد من البرجماتى حرصا على ابراز الجانب الشخصى

للمعرفة ، وبيان أهمية المساهمة الانسانية فى بناء الحقيقة ، وبالتالى فى بناء الواقع بأسره .

المنطق الانسانى « منطق للاستعمال » :

حمل شيلر حملة عنيفة على المنطق التقليدى : هذا المنطق الصورى البت اشبه بلعب الاطفال . تصوراته قائمة على التجريد ، خالية من المعنى . انها تصورات بعيدة عن الواقع . ان أحدا لم يفكر فيها ، ولا يمكن أن يفكر فيها أحد . فهذا اذن منطق يتعارض مع الحقيقة ومــع الحياة ، وهو يمثل طلاقا باتا بين النظر والعمل ، ذلك الطلاق الذى حاولت المذاهب الذهنية الصرفة أن تستر به على افلاسها .

ومن الممكن أن يكون لنــا منطق جديد ، لا فى صورة تعاليم عامة فحسب ، بل نظرية للتفكيــر الواقعى ترتبط ارتباطا وثيقا بعلم الحياة العملية . وفى سنة ١٩٢٩ أصــدر شيلر كتابه « منطق للاستعمال » ، وحاول فيــه أن يبين ان المنطق ينبغى أن يكون نظرية عن التفكير الانسانى كما هو فى الواقع ، وأن نظرية منطقية لا يستطاع تطبيقها فى الحياة أو استعمالها فى البحوث العلمية ، لا يمكن أن تكون صحيحة .

ان منطق شــيلر منطق ارادى ، يقف فى وجه ضروب المنطق الكلاسيكية التى تعد ذهنية بحتة . « وارادية » شيلر تصبغ المنطق بصبغة انسانية ، وتقر بما فى كل تفكير واقعى من طابع فعال غائى شخصى . ومع أن نزعة شيلر الارادية الانسانية تتجه الى القضاء على النزعة التجريدية البحتة فى المنطق ، فانها لا تناصب العقل فى ذاته العــداء ، بل تتوخى دراسته فى نشاطه الحر ، ولا تدرسه ـ بعبارة شيلر ـ « محتنطا محفوظا فى زجاجــة ملئت بالكحول » .ولفظ « الارادة » ليس له فى المذهب الانسانى المعنى الميتافيزيقى الذى له عند « شوبنهور » ، وانما يشير عند شيلر الى خاصية جوهرية فى الحياة الانسانية ، أعنى جانب النشاط والفاعلية فى طبيعتنا ، وهو جانب أغفلته المذاهب الذهنية دون مبرر معقول .

وقد بين صاحب المذهب الانسانى ان هنالك مشكلة قلما اهتم بها المناطقة وعلماء النفس وهى مشكلة « المعنى » . ومع ذلك فالمعنى « مسلّمة » طبيعية من مسلّمات الحياة والتعقل : فلو لم يكن لمجرى الحوادث معنى عندنا ، ولو انه لم يتيسر لنا أن نتنبأ بالمستقبل ، لما كان فى وسعنا أن نلائم بينه وبين أنفسنا . « ان للعلم معنى » : هذهمسلمة من مسلمات نشاطنا العملى ، وليست « ضرورة من ضرورات التفكير » . والمنطق الصورى قد أغفل المعنى الواقعي مستعيضا عنه بالمعنــى اللفظى ، فكان أشبه بمن يتحول عن نبع المــاء ويجرى ليلحق بالسراب . ذلك لان المعنى الواقعى هو دائما معنى شخصي ، بينما المعنى اللفظى لا يعدو أن يكون تجريدا ، ومن ثمّ فهو معنى بالقوة، متصل بطريقة استعماله : المعنى على نحو ما ، « مفتوح » ، وهو يستدعى تحديدات كثيرة فى المستقبل .

ان حجر الزاوية فى المنطق « الانسانى » يتمثل فى فكرة « الملاءمة للمقام » أو « المطابقة لمقتضى الحال » ، وهى فكرة تؤدى دورا هو غاية فى الاهمية فى العمليات العقلية،والمطابقة لمقتضى الحال تدل علــى العلاقــة المعقــولة بين الــذات المفكــرة والموضــوع المفكــر فيــه ، وتفيد على نحو ما « الاهمية » التى ننسبها الى الشىء المفكر فيه من حيث انه خليق بعنايتنا على هذا النحو أو ذاك . واذن فالملاءمة فى أمر ما تتضمن قيمته من حيث صلته بهدف انسانى .

الحقيقة فى خدمة الانسان :

ان مشكلة الحقيقة التى شغلت الأذهان منــذ فجر التفكير الانسانى ، وكانت مثار جدال فى الفلسفات والأديان ، كان لا بــد أن تكــون مسألة عملية قبل أى اعتبار آخر : فان الانسان الذى يبتغي على نحو ما أن يحيا على وفاق مع العالم ، والذى يروم على العموم أن ينجح فى اعماله ، ومن ثمّ أن يهيمن علــى ذلك التيار العاتى ، تيار الناس والأحداث ، هو أحوج ما يكون الى أن يعرف دائما كيف « يكتشف الحقيقة » عن نفسه وعن غيره . ولذلك كان طبيعيا أن يحاول صاحب المذهب الانسانى أن يقدم لنا نظرية عن الحقيقة لا تخلو من طرافة : استبعدَ كل فكرة عن حقيقة « مطلقة » ، ورأى ان الحقائق والاخطاء هى جميعا فى خدمة الانسان ، وأن نشأتها ومهمتها

لا يكتنفها غموض ولا يشوبها افتقار الى المشروعية .

واذا كان الفكر موغلا فى الحياة فيجب أن تكون الحقيقة كذلك . اما الحقيقة المجردة اللاشخصية ، البريئة من كل غرض ، فهى سراب خداع ووهم من أوهام الأذهان . ويجب أن لا ننسى شعار بروتاغوراسProtagoras ، وان لا نستحى من أن نتصور الحقيقة على انها شخصية ، بمعنى انها مقدودة على قد الانسان ، متغيرة بتغير حاجاته ومطامحه ورغباته .

الاعتقاد لازم للفكر وللحياة

الاعتقاد عند صاحب المذهب الانسانى مشكلة من المشكلات التى تقع على الحدود بين علم النفس وعلم المنطق ، ولذلك يصح معالجتها من وجهة نظر العلمين معا . الاعتقاد فى صميمه موقف روحي ، موقف ترحيب نتخذه تجاه ما نؤمن بانه حقيقة . انه شان من شئون طبيعتنا كلها لا الذهن وحده . والمشكلة المنطقية للاعتقاد لا يمكن أن توضع وضعا صحيحا ، ومن ثم لا يتيسر حلها الا اذا ربط الفيلسوف ـ المتشبع بروح المذهب الانسانى ـ بين الاعتقاد والعمل ، ورأى فى الحقيقة اعتقادا قد قوى وتمكن بفضل نتائجه العملية : فليس فى وسعنا أن نحيا ولا أن نفكر اطلاقا بدون اعتقاد معين مهما تكن درجة ذلك الاعتقاد .

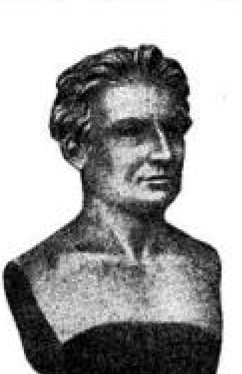
وبين الطرفين المتعارضين : « الاعتقاد » و « عدم الاعتقاد » يضع شيلر طائفة من الاعتقادات ، منها الاعتقادات « الضمنية » ، والاعتقادات « الجدالية » و « انصاف الاعتقادات » ، والاعتقادات « الخائنة » ، والاعتقادات «الموهمة». ويزودنا شيلر ، فى هذا الصدد ، بملاحظات نفسية طريفة : فالاعتقادات الضمنية اعتقادات لا نجاهر بها عادة ولا نناقشها ، وربما لا تكون على بينة منها . اما الاعتقادات الجدالية فنسلم بها عن بينة ، وندافع عنها دفاعا عقليا . واما انصاف الاعتقادات فهى عنده غالبا ما تكون فى العقائد الدينية كاعتقاد بعض الناس فى الآخرة . واما الاعتقادات الخائنة فغالبا ما تكون فى الدعوات السياسية التى يقصد منها تضليل الشعب لا اصلاح أمره ...

ولب النظرية « الانسانية » فى الاعتقاد اننا لسنا عبيدا لقوة تفرض علينا سلطانها من الخارج ، بل ان ما تنطوى عليه افئدتنا من عزم صادق على البناء يجعل من الميسور الى حد كبير ـ تعديل البيئة التى نعيش فيها ، وتهيئتها لتحقيق ما يرسمه فكرنا من غايات . ونحن اذن أحرار فى أن نختار معتقداتنا ، أحرار فى ايماننا ، ولسنا مجرد قطع شطرنج على رقعة هذا العالم ، وانما نقوم فيه بدور اللاعبين .

عالم الانسان من صنعه

لعل من أبرز خصائص المذهب الانسانى تصوره للدور الهام الذى يؤديه نشاط الذات الواعية فى نمو المعرفة وتطورها . ومن هنا صح « لهنرى ستريت » أن يذهب الى ان فى الامكان أن نهتدى عند شيلر الى « طراز من التفكير الفِشْتِى » (تفكير فشته) وقوام هذا التفكير عند صاحب المذهب الانسانى هو الايمان بأن الانسان يصنع « الحقيقة » ومن ثم يصنع « الواقع » .

ذلك ان الحقيقة تنطوى على فعل مزدوج : انها حقيقة عند شخص ما ، وهي أيضا حقيقة بالنسبة الى شيء ما . واذن فهي تشتمل فى آن واحد على « ذات » عارفة و « موضوع » معروف . ومسلكنا فى المعرفة يكشف عن الموضوع ، بينما يزود الذات بالمعلومات ، « والواقع» الذى نعرفه يسير



فشتة

الفيلسوف الالمانى الذى أدرك وظيفة الفكر فى الوجود ، وأيقظ أمته من سباتها

متقدما نحو « الحقيقة » وهو ينمو أولا بأول مع بناء الحقيقة ، واذن فليست الحقيقة والواقع من الأشياء التى حددت وفصل فى امرها نهائيا ، وانما هى اشياء من شأننا نحن ان نحققها . ويترتب على ذلك ان يكون بناء الحقيقة ، على نحو ما ، بناء للواقع ، وليس هنالك حقيقة ثابتة كل الثبوت ولا واقع جامد كل الجمود : الواقع متحرك « سيال » كما يقول برجسون ، تفسيرا لنظرية جيمس ، « ونحن نسيل مع الواقع،ونسمى حقيقيا كل تأكيد يوجهنا خلال الواقع المتحرك ، فيمكننا من الهيمنة عليه ، ويهيىء لنا خير الشروط للعمل » . واننا نصنع الواقع ايضا من حيث اننا قادرون على ان نستخلص من الكائنات اجابات مختلفة : فنحن نعيش فى مجتمع بشرى ، ونصنع الواقع حين نعامل افراده معاملة تختلف باختلاف طبقاتهم او ثقافتهم أو اجناسهم ، بل حين نوجه التفاتهم الى وجودنا معهم . والفرد تتغير حالته النفسية تبعا لوجوده وحده مع غيره ، والناس تختلف مواقفهم بحسب شعورهم بانهم محبوبون او مكروهون ، وبحسب اعتقادهم بانهم مراقبون او بعيدون عن الرقباء .

ومهما يكن الأمر فاننا « نستطيع بالجراءة والدراسة أن نجعل الأشياء اكثر مرونة واوفر قابلية للتشكل مما كان يخطر على بالنا من قبل ».

حرية الأفعال الانسانية

ان نظرة المذهب الانسانى الى « الحقيقة » و « الواقع » حافلة بالنتائج : والفكرة الذاهبة الى ان عالم الانسان من صنعه ينتج عنها فكرتان ميتافيزيقيتان : فكرة النقص الذى يشوب الواقع ، وفكرة الحرية التى للافعال الانسانية .. وصاحب المذهب الانسانى ينظر الى الحرية الانسانية على انها امر واقع : هى عبارة عن عدم التحدد ـ القابل لأن يتحدد ـ فى عالم غير تام ، قابل للتغير ، وفى تطور مستمر . أما «الحتمية» فليست مذهبا عن بنية الأشياء يمثل الحقيقة الأخيرة فى الميتافيزيقا ، بل هى منهج نحتاج اليه لتحقيق أغراضنا العلمية فى التنبؤ بمجرى الحوادث فى المستقبل : وهذا ما أوضحته النتائج التى انتهت اليها الفيزيقا « الكوانتية » . والعلماء حين اكتشفوا حدود هذه الحتمية ، قد قدموا للفلاسفة درسا ثمينا عن منهج العلم وطبيعة المعرفة .

تفاؤل وتسامح

للمذهب الانسانى الفضل فى انه لا يتصور العالم شيئا تاما ، « معطى » ، جاهزا ، بل ان لصاحب المذهب عقيدة يعتز بها ايما اعتزاز : تلك هى ان الواقع قابل للتشكل ، واننا نستطيع ان نصنع به ما نشاء ، واننا نبتدعه على الدوام وبدون انقطاع ، وان عملية الابتداع لم تنته بعد ، ولن تنتهي ابدا . ان عالمنا ذاته سائر فى طريق النمو والتحقق . وما المستقبل الا منطقة الممكنات التى فى مقدورنا ان نجعل بعضها واقعا وبعضها مستحيلا ، تبعا للاتجاه الذى نحدده لنشاطنا ومشاعرنا وافكارنا . وطبيعى فى مذهب يؤكد حقيقة التغير فى الوجود ، ويسلم بما فى الصيرورة من جدة وتقدم ، ان يرفض مجرى الأمثال السائرة عند بعض الفلاسفة مثل قولهم : « لا جديد تحت الشمس » او « ليس فى الامكان ابدع مما كان ». وطبيعى كذلك ان يحرص على بيان ان واجب المرء ـ وفى طاقته ـ ان يؤدى دوره فى هذه الدراما المثيرة ، التى هى الحياة ، وانه لدور خطير كبير ، وان يكن يبدو لنا متواضعا فى اكثر الأحيان.

وان اخلاق المذهب الانسانى لتفضى بنا الى احترام جميع المعتقدات ، ولو بدا لنا بعضها باطلا ، ما دام اصحابها مخلصين صادقين ، وانها لتدعونا كذلك الى أن نصون فكرنا عن الانزلاق فى مزالق التشيع والحزبية . وما أشبه الفيلسوف « الانسانى » المعاصر بالحكيم الرواقى القديم ! انه يواجه ما فى العنصرية من ضيق وتعصب ، بما فى الانسانية من شمول وتسامح ، ويترفع عن كل تمييز بين الأجناس أو الطبقات ، ويعمل على ان يكون انسان اليوم « مواطنا عالميا » حقا . ■■

عثمان أمين

فتاة العراق تطل على العالم من خلال :

كلية البنات في بغداد



قام بهذا الاستطلاع سليم زبال

وصوره «اوسكار»

■ اسرة كبيرة مؤلفة من ٨١٥ فتاة ، عمر أكبرهن ٢٧ عاما ، واصغرهن ١٧ عاما . يعشن داخل مبنى قديم بميدان باب المعظم ببغداد ، عيشة جد وكفاح ، .. ان هذا المبنى هو كلية البنات ببغداد، التي يتخرج منها سنويا اكثر من ١٢٥ فتاة مؤهلات تأهيلا كاملا لمواجهة معارك الحياة ، والعناية بالجيل الجديد من الفتيات ..

لقد فتحت الكلية ابوابها منذ ٤٠ عاما، فى وقت كانت فيه المراة العراقية لا تطل على العالم ، الا من خلال غلالة سوداء..

وكان عدد الطالبات فى اليوم الاول ٥٤ طالبة ، حاصلات على الشهادة المتوسطة،مكثن ثلاث سنوات ثم تخرجن فكانت منهن اول دفعة من المدرسات العراقيات .

ام العباية تصبح وزيرة !

وكانت هذه بداية انطلاقة جديدة للمراة العراقية فى طريق كله كفاح وجهاد للتغلب على العقبات والصعاب ..

وقد توجت السلطات هذا الكفاح بمنح المراة كافة حقوقها متساوية فى ذلك



حصة الرسم في فرع الفن المنزلي الذي يضم ١٠٣ طالبات من مجموع طالبات الكلي

العباءة والسفور: تدخل الطالبات في الصباح الى الكلية وعليهن عباءاتهن التي يخلعنها في الفصول





البالغ عددهن ٥١٨ طالبة .. وترى هنا الطالبات مع مدرستهن يرسمن لوحات زينية ..

ان مائة وعشر طالبات يتدربن في فرع التربية الرياضية ليصبحن مدرسات المستقبل ..



مع الرجال ، حتى وصلت الى منصب الوزيرة، والطبيبة،والمهندسة ،والعميدة، والاديبة ، والموظفة ..

حقيقة ان المراة العراقية لا تخرج من بيتها الا والعباءة تلفها ، ولكن هذهالقطعة السوداء كثيرا ما تخفي تحتها شخصية طموحة ومحدثة لبقة ، تتقن اللغـات وتعمل لرفعة شأن بلادها .

وتقوم كلية البنات بدور كبير فى هذا المجال ، فهى تعد المراة لتؤدى واجبها فى النهوض بالمجتمع العراقى ..

لسد حاجة البلاد

والفروع الثمانية التى تتألف منهـا الكلية ، تزود الطالبات ، الحاصلات على شهادة الاعدادية الثانوية ، بثقافة وعلوم تعادل مستوى التعليم الجامعى ..

كانت نهضة العراق ووثبته قد تطلبتا استحداث الكثير من هذه الفروع لسـد حاجة البلاد المتزايدة الى المراة المثقفة ، وتشمل هذه الفروع ، اقساما للغـة العربية، والانجليزية والتربية الرياضية، والخدمات الاجتماعية ، واعمـال السكرتارية ، والاقتصـاد المنزلى ، والرياضيات ، والفن .. الى جـانب دراسـة التاريـخ العربى الاسلامى والاجتماعى المقررين على جميع اقسام الكلية ..

صرخة فى واد

وقد اثار هذا التنويع فى المواد وكثرتها احتجاجات بعض المتزمتين الذين ينادون بضرورة اقتصار تعليم المراة على معرفة فك الحروف وكتابتها ، اى معـرفة مبادىء القراءة والكتابة فقط ! ..

« جزء » لا « كل »

وتنبرى الدكتورة سعاد ، عميدة كلية البنات ، التى ابعدت عن تلامذتها خـلال فترة المد الشيوعى ، ثم اعيدت للكليـة بعد انحسار هذه الموجة ، تنبرى للـرد على هؤلاء المتزمتين فتقول :

ــ المسالة .. مسالة ايمان،بأن للمراة الحقوق والواجبات نفسها التى للرجل .. ثم تتساءل ، هل يمكن لاى مواطن أن يتحمل مسئولياته ويؤدى واجبه لبناء المجتمع وهو لا يجيد الا القراءة والكتابة؟

« والجواب منطقيا : لا .. لأننا نرى بكل وضوح أن المؤهلات التى يجب أن يتصف بها المواطن العربى هى صـفات عديدة منها ما يتعلق بالقابليات الفكرية ، كأن يكتسب قدرا معينا من مختلـف العلوم والآداب والفنون ..

ومنها ما يتعلق بالناحية العلميـة



« الدكتورة سعاد » عميدة كلية البنات ، تقع على كتفيها مسئولية اعداد جيل جديد من فتيات العراق . لقد نالت الدكتوراه فى التربية من جامعـة كاليفورنيا ، وهى فى نفس الوقت من خريجات كلية البنات ، التى ترأسها !



في فرع الفن المنزلي بالكلية تتلقى الطالبات دروسا في طريقة صنع لوحات ملونة من الفسيفساء (السيراميك) الذى اشتهرت به العراق ، وخاصة سامراء ، منذ عهد الآشوريين والبابليين ، ثم في عهد الخلفاء العباسيين ..

والميول ، كأن يكتسب عددا من المهارات المفيدة . ويشعر بمشكلات أمته ، ويعى مسئولياته الكبيرة حتى يستطيع المساهمة في حل تلك المشكلات ..

« وهذه الصفات والميول هى التى نسعى لغرسها وتنميتها في طالبات كليتنا .

وعلى ضوء هذه الحقائق فان معرفة القراءة والكتابة ليست سوى جزء من المؤهلات التى يجب أن يتصف بها كل مواطن ، سواء كان ذكرا أم انثى ، ليفيد نفسه ويفيد أمته ..

ولهذا أقول بأنه لا يمكن بأية حال من الأحوال ان ينحصر نطاق اعداد المرأة في مجرد تعلم القراءة والكتابة ..

ان هدفنا من الدروس التى تدرس لفتيات الكلية هو اعداد الفتاة لتصبح مواطنة صالحة ، تقدر مسئولياتها تجاه امتها ، وتساهم مساهمة فعالة في بناء كيان مجتمعنا العراقي والعربي، وأن تعد لتكون ربة بيت وزوجة واما صالحة .

استقلال مادى

وتستطرد الدكتورة العميدة كلامها فتقول :

« يضاف الى هذا الهدف العام ، هدف آخر : هو تعليم كل فتاة مهنة معينة ، كالتدريس او السكرتارية او الخدمة الاجتماعية او غير ذلك حتى









لكلية البنات مكتبة عامرة ، تضم ١٢ ألف كتاب تقريبا ، تقبل الطالبات على قراءتهـا بشغف كبير وخاصة الكتب والقصص الأدبية منها .. وترى هنا الطالبات في حجرة المطالعة، وقد ظهرت في الصورة السيدة بهيجة احمد شهاب ، معاونة عميدة الكلية ..

والى جانب العلوم والفنون تنمي الكلية الهوايات الفنية لدى الطالبات من نحت وصب للقوالب لصنع التماثيل والأواني الخزفية (**الصورة اليسرى**) الى صناعة الزهور الصناعية بمواد البلاستيك (**الصورة اليمنى**) فضلا عن التصوير الفوتوغرافي ، وتلوين المعادن وقص الأحجار الكريمة، والزخرفة العربية على الخشب والجص .

تستطيع القيام بعمل ايجابى منتج فى مجال الحياة العملية الواسع ، ويصبح لها مركز اجتماعى محترم فتستقل ماديا.

ان خريجة كلية البنات تتقاضى حال تخرجها مرتبا قدره ٤١ دينارا اذا عملت فى الحكومة ، ويرتفع هذا المرتب الى ٧٠ دينارا اذا عملت فى الشركات الأهلية ..

وقد كان لهذا الاقبال على توظيف الخريجات بمرتبات عالية اثره فى زيادة اقبال الفتيات العراقيات على الالتحاق بالكلية بصورة لم نشهد لها مثيلا اذ بلغ عدد المتقدمات الجديدات فى العام الماضى ٣٧٠ طالبة ، اى ثلاثة اضعاف اكبر رقم سجلته الكلية من قبل ..

زيادة الاقبال هى السبب

وانتهت الدكتورة سعاد من حديثها وبدأنا جولتنا بين فصول الكلية لنشهد مدى النشاط الذى يبذل .. انه نشاط كبير فعلا، ولكنه للأسف جهد مكبل بقيد عجيب ، فمبنى الكلية لم يؤسس ليكون مدرسة ابدا ! مثله فى ذلك مثل اغلب مبانى مدارس العراق ، التى هى منازل للسكنى ، استأجرتها وزارة التربية والتعليم تحت ضغط الاقبال الهائل على التعليم ، وجعلتها مدارس ، وضعت فيها الطلاب الذين يعانون فيها الكثير من جراء ضيق الغرف ، ورداءة التهوية ، وقلة ساحات الألعاب ..

ساحات الالعاب تبعد ١٠ كيلومترات

ان الفعاليات المدرسية، التى يجب ان تساير الاتجاهات الحديثة فى التربية ، لا يمكن تطبيقها بسهولة فى كلية البنات المشتتة الاقسام فى مبان متباعدة يفصل بينها ميدان باب المعظم بحركة مواصلاته الصاخبة .. حتى ساحة الألعاب الرياضية تبعد عشرة كيلومترات عن مبنى الكلية .. !

الجامعة تفتح ابوابها

وطالبات كلية البنات لسن كلهن من بنات بغداد ، انما اتين من الالوية القريبة والبعيدة .. ومن سوريا ، والسعودية ، والاردن وايران ..

وقد فتحت جامعة بغداد ابواب اقسامها الداخلية لجميع طالبات الكلية، ولكنها قسمتهن الى ثلاثة اقسام: القسم الأول : ياكل ويشرب وينام على حساب الجامعة والقسم الثانى : ياكل ويشرب





يضم فرع التربية الرياضية ١١٠ طالبة يتلقين مختلف الدروس من لغات ، ومبادىء علم النفس ، وصحة العائلة ، ونظريات التربية الرياضية ، واصول التدريس الخاصة .. والى جانب كل هذا يقمن بالتدريب على الحركات الايقاعية والقفز ، ورمي القرص ، وسباق العدو ، ولعب كرة السلة (الصورة اليمنى) .. وبعد انتهاء المباريات تهرع الطالبات بملابسهن الرياضية الى المقصف لتناول المرطبات ، كما ترى في الصورة العليا ..

وينام ولكن على حساب القرض الذى تدفعه الجامعة للطالبة .

والقسم الثالث من الطالبات يتمتع بنفس الحقوق السابقة، ولكن على نفقته الخاصة .

وتهدف الجامعة من هذا النظام الى مساعدة الطالبات ، مع توفير اماكن أمينة صحية لسكنى اللواتى قدمن من خارج العاصمة ..

تجارب تعرض على العميدة والمدرسات !

وكثيرا ما تضطر العميدة ، وبعض المدرسات للمكوث فى مكاتبهن الى ما بعد انتهاء ساعات العمل ، فتأتى لهن طالبات قسم التدبير المنزلى حاملات ما «طبخنه» فى الصباح ليحكمن على عملهن .. الذى يكون شهيا فى بعض الأحيان ، و «كارثة» فى أحيان اخرى ، اذ تنقصه بعض الضروريات كالملح والتوابل أو السكر فى الحلوى .. !

انها تجارب تجربها طالبات الكلية فى محاولة منهن لتطوير « المطبخ العراقى » الذى يكاد يكون ابرز ما فيه « المرق .. والتمن» .. اى خضراوات مسلوقة ، من خيار وكوسة ، وباذنجان مع صلصة الطماطم .. وبجانبها الأرز الابيض ..

وتتدرب الفتيات فى الكلية على طهو انواع جديدة مثل الروستو والمشويات ، والسمك المقلى ، والمكرونة والعجائن ،



أغلب سكرتيرات الوزراء ، وعمداء الكليات ، وكبار رجال الأعمال المراقبين ، من خريجات قسم السكرتارية بكلية البنات .. انهن يدربن خلال اربع سنوات على مختلف أعمال السكرتارية ، من اختزال ، وطباعة على الآلة الطابعة ، واحصاء ، وأعمال المصارف ومبادىء الاقتصاد ..





زخرفة الأقمشة : ومن أقدر من المرأة على اختيار الرسوم المناسبة لأقمشة الملابس والستائر ؟ أن أصحاب مصانع النسيج يقصدون كلية البنات ببغداد لأخذ الرسوم التي تصممها الطالبات في مرسمهن ، ونرى هنا طالبتين مع مدرستهن يكملن زخارف للأقمشة ، وقد استوحت الأولى رسمها من سمك « المسقوف » الذي يعشقه أهل بغداد ..

الى اليمين : تركت المرأة العراقية زيها القديم المسمى « الهاشمي » و « الزبون » ، واتجهت نحو الأزياء الحديثة ذات الألوان الزاهية .. وتقوم طالبات قسم الفن المنزلي بالتدرب على الخياطة مدة ٦ ساعات أسبوعيا .. والمرأة العراقية في منزلها هي التي تخيط – غالبا – ملابس صغارها ..

والخضراوات الأخرى .. مع ارشادهن الى طريقة الاستغناء عن الدهن الحيواني الطبيعي، واستعمال الدهن النباتي بدلا منه ..

الشاي والكيك بدلا من الباچا والشلغم

والى جانب تنويع وجبة الظهر يوجه القسم اهتماما خاصا لتبديل وجبتي الصباح والمساء، فتتعلم الفتيات طريقة اعداد الشاي الكامل والكاكاو وقلي البيض على انواعه، ليحل محل الأكلات التقليدية مثل « الباچا » و « الشلغم » .. والاولى هي لحمة راس الخروف التي يأكلها الرجال في الصباح والمساء .. اما الثانية فهي اللفت يغلى في الماء محلى قليلا بالتمر او الشمندر ويقدم معه الملح عند اكله.

ان الرجل في العراق لا يدخل المطبخ ولا يساعد فيه، وانما يتركه للسيدات اللواتي يسعين لتبديل الوجبات التقليدية كما رأينا ..



مجموعة من مرشدات الكلية يرتدين ملابسهن الخاصة، وينشدن الاناشيد الكشفية .. ان الطالبة تقضي في الكلية اربع سنوات، تدرس خلالها العلوم النظرية، وتمارس مختلف الالعاب والهوايات التي تؤهلها للدور الكبير الذي سوف تلعبه لرفعة شان بلادها ..



انمــــا المــــراة والمــــرء ســــواء فى الجــدارة
علمــــوا المــــراة فالمــر آة عنــــوان الحضــــارة

هكذا قال شاعر العراق الكبير جميل الزهاوى .. وهؤلاء مجموعة من الخريجات بملابس التخرج الرسمية ، وقد توسطتهن عميدة الكلية ..

السيراميك واللغة الانجليزية

ومن مطبخ الكلية اتجهنا الى مختلف الفصول فشاهدنا الفتيات فى قسم الفن يعملن فى ترتيب قطع السيراميك الملون الذى اشتهرت به العراق من ايام الآشوريين والبابليين ..

ثم استمعنا الى دروس فى التاريخ العربى والاسلامى واللغة العربية والانجليزية، ثم شاهدنا الاقسام الاخرى المتنوعة التى يجد لها القارىء شرحا تحت الصور المنشورة . مع هذا المقال.

متى يستقر اسم الكلية

لقد تطورت كلية البنات من يوم افتتاحها تطورا كبيرا .. حتى اسمها تغير اكثر من مرة .. فقد بدات عام ١٩٢٦ وهى تحمل اسم « مدرسة دار المعلمات » .

وفى عام ١٩٤٣ انقسمت الى دار المعلمات الأولية، ودار المعلمات الابتدائية.

وفى عام ١٩٤٥ ازدادت الحاجة الى مدرسات بمستويات عالية ، فانشىء فرع جديد تلتحق به خريجات الاعدادية والثانوية .. وتبدل اسم المدرسة الى « معهد الملكة عالية للبنات » .

وبعد ثورة ١٤ تموز تبدل الاسم الى كلية التحرير للبنات ..

وبعد ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ اصبح اسمها : كلية البنات ..

واليوم ينادى بعض الخبثاء بتغيير اسم كلية البنات .. لأن بين الطالبات عددا كبيرا من المتزوجات .. فأبناء العراق يقبلون على الزواج من طالبات كلية البنات اقبالا شديدا بسبب الاسم الطيب الذى تتمتع به .

هذه كلية البنات، التى أصبح الالتحاق بها أمنية كل فتاة فى العراق . ■■

استطلاع : سليم زبال

كاظمة

ناقلة النفط البحرية الأولى
تنضم إليها أخت ثانية فثالثة

١

نفط العرب ٢٤/١٠٠ من نفط العالم

وحمولة الناقلات العربية ٣/١٠٠,٠٠٠ من الناقلات العالمية



أسطول ناقلات النفط الكويتي

بقلم : على خصاونة

مدير عام شركة ناقلات النفط الكويتية

■ الاقتصاد العربي ما زال في المراحل الاولى من توثبه . توثبه نحو النمو والتطوير . الا ان التوثب باتجاه تنمية الاقتصاد العربي لا يسير في طريق واحد ووفق خطة واحدة . انه في نفوس الافراد ينبعث من ايمانهم بوطن عربي واحد وباقتصاد عربي متكامل موحد ، وانه في وضعه موضع التنفيذ يأخذ دروبا متباينة متقاربة .

«.. أقرت الجامعة العربية فى عام ١٩٥٦ مشروع قرار بانشاء أسطول عربى لناقلات النفط البحرية ، ايمانا منها بأهميته للاقتصاد العربى .. وتنقضى تسع سنوات تقريبا على هذا القرار الذى دخل اليوم الى مرحلة جديدة، هى انتظار توقيع الدول العربية عليه !!» .





يصبح ٣ سفن مجموع حمولتها ١٥٠,٠٠٠ طن

ان الاقتصاد العربى ليشكو انعدام التخطيط . وتخطيط الاقتصاد العربى واجب قومى تمليه مصلحة الأمة العربية الرانية الى الوحدة . ان فى وحدة النشاطات الاقتصادية فى البلاد العربية وان فى تفاعلها الطريق الممهد للوحدة السياسية . وأية وحدة سياسية لا يسبقها او تنشأ معها وحدة فى الاقتصاد هى كالبرج الشامخ المقام على الرمال .فى مرآه سحر الا انه عند أول هبة ريح ينقوض وينهار .

وتخطيط الاقتصاد العربى يجب أن ينطلق من بديهية تكامله ووحدته . وفى التخطيط الاقتصادى تدرس كافة الامكانيات والمرافق الاقتصادية ووسائل

الانتاج المادية والبشرية الظاهرة والكامنة، ثم يجري تحليلها لتصنف في مشاريع انتاجية تتسلسل في أهميتها وفي انجازها وفق مدى توفر تلك الامكانيات، ومدى ما تحدثه من اغناء للاقتصاد الوطني .

النفط في الصدارة من تخطيط الاقتصادي العربي

والبلاد العربية اوتيت حظا كبيرا في أن تفجّر النفط من ارضها بغزارة ، وفي الكثير من بقاعها . والنفط ما زال يشكل المصدر الاساسي لتوليد الطاقة ، والطلب العالمي عليه يزداد كل سنة بنسبة لا تقل عن ٧٪ . وان دراسات المستقبل واستقراءاته تشير الى ان النفط سيظل أمدا طويلا يحتل مكانة مرموقة في بناء الاقتصاد العالمي . ولذلك فان النفط بكل قرائنه يجب أن يأخذ مكان الصدارة في تخطيط الاقتصاد العربي .

البلاد العربية ثانية البلاد العالمية في انتاج النفط

ان الانتاج العالمي للنفط في عام ١٩٦٣ قد بلغ ١٣٠٤ مليون طن وأن انتاج البلاد العربية منه قد تجاوز ٢٧٦ مليون طن ، تنتج الكويت وحدها منه ١٠٠ مليون طن، والبلاد العربية في انتاجها النفط تتبوأ المكانة الثانية بعد الولايات المتحدة الامريكية، وهي في ذلك تتفوق على الاتحاد السوفييتي الذي يأتي في المرتبة الثالثة . وفنزويلا تحتل المكانة الرابعة . والبلاد العربية تملك أكبر نسبة من احتياطي نفط العالم . والانتاج السنوي فيها تزيد نسبته عن أية دولة اخرى منتجة للنفط . هذه البلاد العربية المحتوية ربوعها على هذه الثروة النفطية النفيسة ما زالت تحيا في اقتصاد بدائي ، بل ما زال في ديارها مواطنون يعتبر مستوى معيشتهم ادنى المستويات العالمية .

لا بد للنفط من ناقلات

وأهم عامل في تحديد قيمة النفط هي وسيلة نقله ، انها تحدد امكانيات تسويقه . وان من يملك النفط ولا يملك وسائل نقله ليظل كمن يملك الزرع وتعوزه وسائل حصده . انه في الحقيقة ليس ملكه ولا يملك السيطرة عليه . والناقلات البحرية هي الوسيلة الاولى لنقل النفط وهي أسلم الوسائل واكثرها كفاءة .

ناقلات النفط العربية ، ونسبتها في الاسطول العالمي

ولو رجعنا للاحصاءات العالمية لوجدنا أن الاسطول العالمي للناقلات البحرية قد بلغ في نهاية عام ١٩٦٣ ما يزيد على ٣٢٤٤ ناقلة ، زاد مجموع حمولتها على ٧٤،٩٠٠،٠٠٠ طن . وبتفحص سجلات مؤسسة لويدز العالمية يتبين أن الناقلات البحرية التي ترفع اعلاما عربية لا يزيد عددها عن ثماني ناقلات مجموع حمولتها لا يتجاوز ٢٠٠،٠٠٠ طن . ولو افترضنا أن نفط البلاد العربية ينقل بناقلات معدل حمولة الواحدة منها ٣٠،٠٠٠ طن لتبين لنا أن الموانىء العربية تستقبل في السنة ما لا يقل عن ٩٠٠٠ ناقلة من هذا الحجم .البلاد العربية ، بلاد أعرق الحضارات ، البلاد التي عرفتها البحار لما لم يكن في ديارها نفط ولما لم يكن في بلادها غير معرفة تنشرها وعلم تعممه وأخلاق تزرعها في شتى البقاع ، البلاد العربية التي تردّد حِداء بحارتها وخفقت أعلامها في كل محيط وممر بحري ، هذه البلاد العربية تقعد الآن ، ومن ترابها الطهور تنفجر أنهار البترول ، تقعد تجترّ سيَر الماضي ولا تعيش في الحاضر وتتغنى في الآمال ولا تبني للمستقبل . البلاد العربية التي تنتج أراضيها ما يقارب ٢٤٪ من نفط العالم لا تملك من وسائل نقله الا بنسبة النقطة الصغيرة الى اليم الكبير .

شركة ناقلات النفط الكويتية

ويشتدُّ المدُّ على شواطىء الخليج العربي ، وتهدر امواجه ، وكأن نداء من اعماقه قد دق الأسماع في الكويت ، قلعة الخليج ومنارة انطلاقه، ليعيد الى النفوس والقلوب صدى الأهازيج ، وصورة العزيمة حين كانت السفن تنطلق من الكويت وعليها السواعد المشدودة تمخر البحار



كاظمة أولى ناقلات النفط البحرية فى أسطول الكويت تمخر عباب البحر

شرقا وغربا ، تنقل للعالم قدرة الانسان العربى على مواجهة الحياة ، وتذليله لكل الصعوبات ، فى سبيل العيش بجهده ، وفى سبيل التفاعل مع الآخرين لبناء المجتمع الانسانى ومده بكل مقومات تطوره .

وتخشع النفوس لسماع النداء ، وتنتفض الهمم ، ويتداعى أهل الفكر فى الكويت وذوو النشاط الاقتصادى لتكون من هنا ، من هذا البلد ، نقطة البداية . لينطلق من هنا ، من الخليج العربى الصوت الأول معلنا تكوين النواة الأولى للأسطول العربى . وتلتقى معهم الحكومة فى التحمس لهذا المشروع وتمد لهم اليد المفتوحة والقلب الصافى ، وتتمخض المجهودات المشتركة عن اعلان تكوين شركة ناقلات النفط الكويتية . واذا كل فرد فى الكويت يهرع ليكون أول مساهم فيها . وقد ركزت أعمالها فى ثلاثة حقول هى :

١ ــ امتلاك الناقلات .

٢ ــ صناعة الغاز لسد حاجات دولة الكويت والتصدير للخارج (بامتياز) .

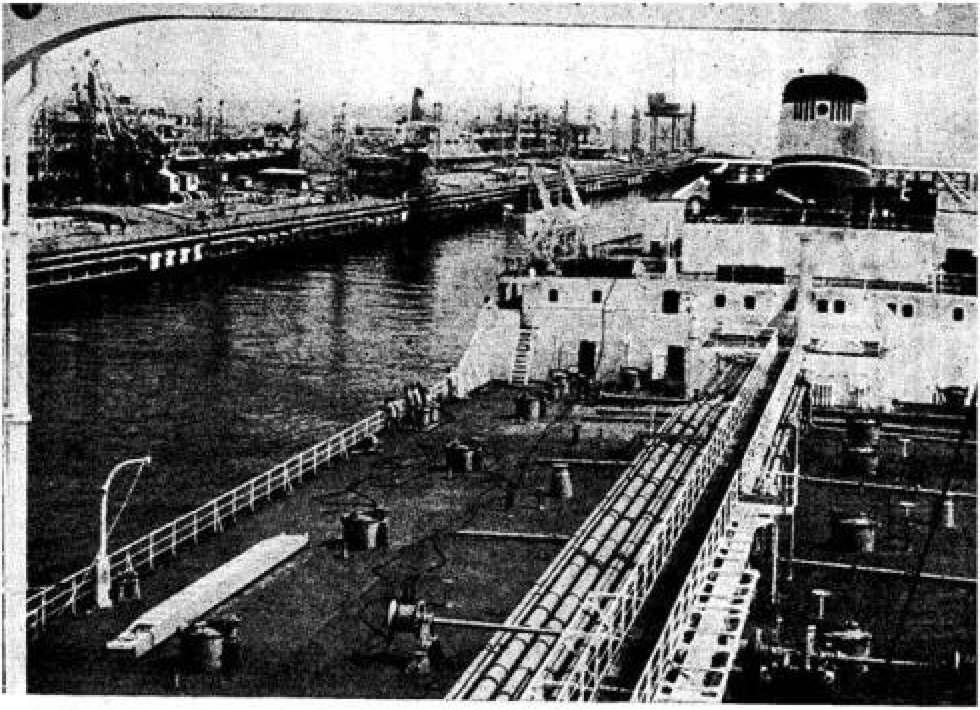
٣ ــ وكالة جميع ناقلات النفط الوافدة الى الكويت (بامتياز) .

ويتدارس القائمون عليها فى أمر شعارها ، واذا العلم العربى ، علم الثورة العربية ، هو علمها تأكيدا على أن أسطولها سيكون طليعة الأسطول العربى ، والبذرة الأولى فيه .

تأثر النفط وناقلاته بالاحداث السياسية

والعمل فى الناقلات تكتنفه تعقيدات مختلفة ، ويحتاج الى الأناة والصبر ، ويتطلب مواكبة كل ما يجرى فى العالم فى نطاق أسواق النفط الخاضعة لتطور بناء الاقتصاد العالمى والمؤثرة فيه . وللنفط حساسية كبيرة ازاء أحداث السياسة الدولية تنفعل فيها أسواقه فترتد على أسواق الناقلات وحركتها . وينبغى على العامل فى حقلها أن يعيش بفكر دقيق فى تحليل النتائج المترتبة على الأحداث وبالتالى أسواق الناقلات ، سواء فى حيز أسعار بنائها أو فى مجال معدلات أجورها .

فتأميم قناة السويس واغلاقها بسبب الاعتداء



سطح « كاظمة » .. ان جسمها مقسم الى ٣٦ مستودعا تملأ بالنفط الخام .. انها تعود فارغة للكويت ، ولكن مستودعاتها تكون محملة بماء البحر المالح لحفظ توازنها اثناء سفرها .

الثلاثي حدث انهلعت له قلوب أرباب النشاط الاقتصادي في الأسواق العالمية وفي أسواق أوروبا بشكل خاص . انقطعت طريق النفط ، ومعظمه يرد الى أوروبا من البلاد العربية ، واذا بالطلب على النفط يرتفع بشكل مذهل ، فترتفع الحاجة الى الناقلات ، ويتسابق العاملون في مجال الناقلات لشراء ناقلات جديدة . ويحدث ان جاء ميلاد شركة ناقلات النفط الكويتية في معمعان هذه الأحداث .

ناقلة الكويت الأولى : الكاظمة

ويتم توقيع العقد لبناء الناقلة الأولى في عام ١٩٥٧ . ويطلق عليها اسم الكاظمة تيمنا باحدى المواقع التاريخية البارزة في الكويت . واريد للكاظمة ان تكون من الناقلات الضخمة ومن اعلى حجم فتقرر لحجمها أن يكون ٤٦٠٠٠ طن ، وفي ذلك الوقت لم يكن في اسطول الناقلات العالمي ناقلات تزيد على هذا الحجم ، بل ان هذا الحجم لم تشهده البحار الا في عام ١٩٥٦ حيث اكتمل بناء أول ناقلة ضخمة حمولتها ٤٧٠٠٠ طن . وتنقضي سنتان يتم فيهما بناء الكاظمة . وتسلمتها الشركة من اليابان في ١٩٥٩/٤/١٥ .

وحوض بناء السفن الذي بنيت فيه الكاظمة هو من اكبر الأحواض في العالم، ومع ذلك فالكاظمة كانت اول ناقلة ضخمة يبنيها . وجلبت لهذا الحوض احسن حظ فقيض له في اواخر عام ١٩٦٢ ان يبني ناقلة عملاقة بلغت حمولتها ١٣٢٠٠٠ طن ، وكان ميناء الكويت اول ميناء في العالم يستقبل الحدث العظيم في دنيا النقل البحري وما زالت هذه العملاقة تنقل النفط من الكويت الى



عند مرسى الأحمدي وقفت « كاظمة » تأخذ حصتها من نفط الكويت ، ان آلات الميناء تستطيع تعبئة ٤٦ ألف طن ق خلال ٥ ساعات فقط تظل خلالها محركات الباخرة تعمل دون توقف .

اليابان وتشير الى التقدم الهائل الـذى أصابه العلم وأحرزته التكنية .

وبنزول الكاظمة للبحر ابتسم الميناء فى الخليج واشرقت الثغور العربية وانبثقت من الكويت خيوط الأمل بعودة العرب الى سابق مجدهم فى شق البحار وارتفاع ساريات بواخرهم عبر كل المحيطات .

نفط العرب لا بد أن تنقله ناقلات عربية

وقد حان الوقت لان ينشأ فى البلاد العربية أسطول لناقلات النفط ليساهم فى نقل جزء على الاقل مما تنتجه من النفط ، وفى ذلك بداية تحرير اقتصادها النفطى ، ونقطة الانطلاق الى ممارسة حقها فى حرية التصرف فى نفطها . وان هنالك دولا تشترط أن يتم نقل ما لا يقل عن ٥٠٪ من جميع صادراتها ووارداتها فى سفنها الخاصة ، ومن المؤلم أن نرى البلاد العربية تقدم للأسواق العالمية ما يقارب $\frac{٢}{١٠٠}$ مما ينتجه العالم بأسره من النفط ، ثم لا يكون لها من الناقلات الا ما تقل حمولته عن $\frac{٣}{١٠٠٠٠}$ من الأسطول العالمى لناقلات النفط .

الناقلات العربية تدر على العرب الخير الكثير ، لو كانت

ولو افترضنا أن الوطن العربى يملك من ناقلات النفط ما يجعله قادرا على نقل مجموع انتاجه السنوى من النفط ، وافترضنا أن معدل حمولة الناقلة ٣٠٫٠٠٠ لكان لدى البلاد العربية مالا يقل عن ١٠٢٢ ناقلة يستثمر فيها ما لا يقل عن ١٥٠٠ مليون جنيه استرلينى . وحتى لو كنا قنوعين واكتفينا بوجود ناقلات عربية تنقل ربع ما تجود به الأرض العربية من النفط ، لكان للعرب أسطول عربى مؤلف مما لا يقل عن ٢٥٥ ناقلة .

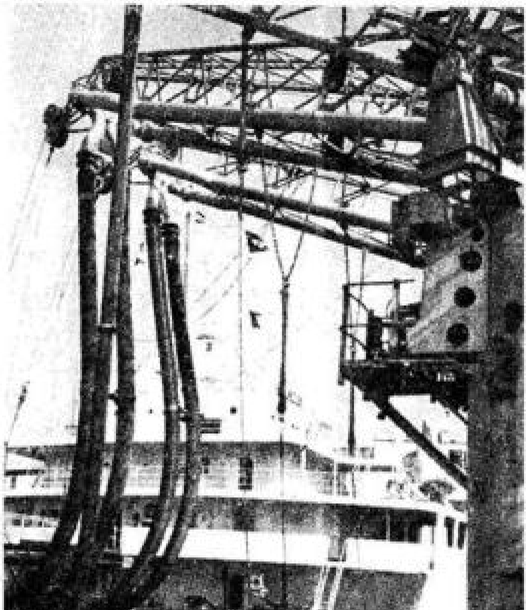
ان الموانىء العربية تزخر بآلاف من البواخر

غير العربية ، بل وكل العاملين عليها من غير العرب بالرغم من البطالة المتفشية بين الأيدى العاملة فى الوطن العربى . ان بامكان الأسطول العربى للناقلات أن يستوعب من الرجال العاطلين فى البلاد العربية ما لا يقل عن مائة الف رجل .

صناعة السفن ، لا بد من احيائها فى البلاد العربية

والى جانب أسطول الناقلات ينبغى أن ينشأ فى البلاد العربية أحواض لبناء السفن ، وهنا فى الكويت كانت تصنع مئات السفن بأيد عربية وكانت تمتاز بالمهارة وبذوق صانعيها .

ان صناعة السفن يجب أن تأخذ طريقها فى البلاد العربية لتصبح من ركائز اقتصادها.وهذه الصناعة يجب أن ينشأ معها أحواض للتصليح لتقوم بتصليح كل وسائل النقل البحرى المختلفة ، وسواء فى ذلك العائدة للبلاد العربية أو التى تفد الى موانئها . ان فى ذلك مصدرا كبيرا للدخل ، ومجالا واسعا لتشغيل الآلاف من الأيدى العاملة .



تستغرق عملية ضخ النفط الخام الى خزانات ناقلة النفط كاظمة مدة ٥ ساعات فقط ، ويتم فى خلال هذه المدة القصيرة ضخ حوالى ٤٦ الف طن من النفط بواسطة احدث الآلات المزود بها ميناء الاحمدى فى دولة الكويت ..

وشركة للتامين البحرى

ويجب أن تؤسس أيضا شركة عربية للتامين تنطلق من التامين على الناقلات والبواخر من كل صنف الى ممارسة جميع عمليات التامين الاخرى. اننا حين نعلم أن الناقلة البحرية التى سعتها نحو ٢٠٠٠٠ طن تصل رسوم تامينها السنوية فى الأسواق العالمية الى ما لا يقل عن ٢٥٠٠٠ جنيه ندرك اهمية انشاء مثل هذه المؤسسة .

ومعهد للدراسات البحرية

والاهمية البالغة يجب أن تعطى الى انشاء معهد للدراسات البحرية يتخرج منه مهندسون وضباط بحريون وغيرهم من مختلف الرتب اللازمة للعمل فى مجال بناء السفن وتسييرها واصلاحها . ثم يمكن أن يتبع هذا المعهد مؤسسات أخرى لاعداد البحارة العاديين .

الجامعة العربية وقرار انشاء اسطول عربى للملاحة

ان نقل النفط البحرى ليجب أن يأخذ المكان المرموق فى تخطيط الاقتصاد العربى ، ولقد أدركت الجامعة العربية أهمية هذا المجال واذا أعمدة الصحف والاذاعات العربية تمتلىء بالأخبار السارة ، فلقد قررت الجامعة انشاء أسطول عربى للملاحة وكان هذا عام ١٩٥٦ . وينقضى ما يقارب تسع سنوات ، وعلم صناعة الناقلات بمختلف قطاعاته يتطور ، ويقفز حجم الناقلة حتى يصل الى ١٥٠٠٠٠ طن وتوضع التصاميم لانقاص عدد بحارة الناقلة الواحدة ، من ٧٠ الى ١٩ بحكم ما وصلت اليه التكنية من رقى ، ويتطور سوق الناقلات وينخفض سعر البناء من ٢٢ دولارا الى ما يقارب ١٠ دولار للطن الواحد ، كل هذا

يحدث ومشروع الجامعة العربية ما يزال يتعثر في طريقه ، واخال وقتا طويلا سيمضي قبل انجازه بالرغم من انه وصل الى مرحلة التوقيع عليه من الدول الاعضاء في الجامعة العربية وكانت الكويت من أولى الدول الموقعة عليه ايمانا منها بقيمة المشروع .

الى الكاظمة ، تنضم اختان اكبر منها

والكويت لم تترك للمشاعر وحدها أن تعبر عن ايمانها بأهمية الناقلات في اقتصادها بل قرنت الايمان بالتصميم على العمل فكان كما اسلفنا ميلاد شركة ناقلات النفط الكويتية ، وارتفع علم الكويت على سارية كاظمة اول باخرة عربية لنقل النفط تنزل البحر بهذا الحجم الكبير .. وبقيت الشركة تتحين الفرص وتراقب أسواق الناقلات العالمية ، وما ان انخفضت أسعار البناء حتى سارعت الشركة في طرح مناقصة عالمية لبناء ناقلتين حمولة الواحدة منهما ٥٣٠٠٠ طن . كان هذا في نهاية عام ١٩٦٢ وفي حلول نهاية اكتوبر (تشرين اول) من هذا العام ستنضم للكاظمة اختها **وَرْبَة** وفي نهاية شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٦ ستضم لهما أخت ثالثة هي **وَارَه .**

ولقد صممت الناقلات الثلاث الكاظمة وربة ووارة وفق أعلى مواصفات دولية . وروعي في أحجامها أن تتمكن من عبور قناة السويس . ان الكاظمة حين تم بناؤها لم تكن تتمكن من المرور في قناة السويس في حمولة كاملة ثم ما لبثت القناة ان عمقت وصار بامكان الكاظمة عبورها بكامل حمولتها . وغاطس الكاظمة ٣٧ قدما . والناقلتان الجديدتان غاطس الواحدة منهما ٣٨ قدما ، وقد سمح في الأسابيع الاخيرة لهذا الغاطس في المرور من القناة بعد أن زيد في تعميقها .

بداية آمال كبيرة

وما هذه الا بداية ولشركة ناقلات النفط الكويتية آمال كبيرة في توسيع أسطولها وتنميته ليصبح من اساطيل النقل الرئيسية في المنطقة العربية ، ولديها التصميم على خلق الأجهزة الفنية من بين الشباب العربي في الكويت خاصة ، والبلاد العربية الأخرى عامة ، كي تصمم بواخرها وتدار ويجري اصلاحها وتنجز كل خدماتها بعقول عربية وسواعد عربية وفنيين عرب .

وحين يدخل المشروع العربي ، مشروع الجامعة العربية ، حيز التنفيذ ، ستبتهج الناقلات الكويتية بشقيقات لها عزيزات ، وستنطلق من نواقيسها رنات الفرح ويعم من يعمل لها وعليها كل شعور بالفخار .

سند" لا منافس

ومهما كبر الأسطول العربي المقترح واتسع فلن يزيد اسطول الناقلات الكويتية الا منعة وقوة ، ويخطىء من يتصور انه سيكون له منافسا . انه في الحقيقة سيكون له سندا ، وسيقوى من قدرته على مواجهة التحديات الخارجية ويزيد من امكانيات صموده وثباته . ان انتاج البلاد العربية للنفط في ازدياد ، وبين الحين والآخر تتكشف موارد غنية جديدة وتشير الى اهمية خلق اسطول عربي للناقلات ، وتأثيره في تنمية الاقتصاد العربي وتطويره . ■■

علي خصاونة

نجوى الرسول الأعظم

أقبلتَ كالفجرِ وضّاحَ الأساريرِ ... يفيضُ وجهُكَ بالنعماءِ والنورِ
على جبينكَ فجرُ الحقِّ منبلجٌ ... وفي يديكَ مقاليدُ المقاديرِ
فرحتَ، والليلُ ليلُ الكفرِ معتكرٌ ... تفري بهديكَ أسدافَ الدياجيرِ
وتُمطرُ البيدَ آلاءً، وتُمرعُها ... يُمناً يدومُ إلى دهرِ الدهاريرِ
ما أنتِ بالمصطفى يا بيدُ مجدبةً ... كلاّ، ولا أنتِ ياصحراء بالبورِ
أبيْتِ إلاّ سموَّ الحقِّ حينَ أبى ... سواكِ إلاّ سمو البطلِ والزورِ
أطلعتِ من تاهتِ الدنيا بطلعته ... ونافستْ فيه حتى موئلَ الحورِ
أطلعتِ أكرمَ خلقِ الله كلّهم ... وخاتمَ الرُسْلِ الصيدِ المغاويرِ
بوركتِ أرضاً تبثُّ الطهرَ تربتُها ... كالطيبِ بثّتهُ أفواهُ القواريرِ
الدينُ مازال يزكو في مرابعِها ... والنبلُ ما انفكّ فيها جدُّ موفورِ
والفضلُ والحلمُ والأخلاقُ ما فتئتْ ... تحظى لديها بإجلالٍ وتوقيرِ
فدتْكِ افتخاراً على الأكوانِ قاطبةً ... بما حبوْتِ الورى يابيدُ من نورِ
فليس كالدينِ نورٌ يُستضاءُ به ... في عالمٍ بظلامِ الجهلِ مغمورِ

* * *

ياسيّدي، يارسولَ الله معذرةً ... إذا كبا فيكَ تبياني وتعبيري
ماذا أوفّيكَ من حقٍّ وتكرمةٍ ... وأنتَ تعلو مدى ظنّي وتقديري؟!
وأنتَ ربُّ الإداءِ الفذِّ في لغةٍ ... تشأو اللغى(١) حسنَ تنميقٍ وتصوير!
على لسانِكَ ما جُنَّ البيانُ به، ... وأقعدَ الشعرَ يرنو شبهَ مسحورِ
آيٌ من الله، ما ينفكُّ معجزُها ... يُعيي على الدهرِ أعلامَ النحاريرِ
تلوْتَها، فسرتْ كالنورِ مؤتلقاً ... يطوي الدُّنى بين مأهولٍ ومهجورِ
ولفّتِ الناسَ من بدوٍ ومن حضرٍ ... كما تلفُّ الثرى هوجُ الأعاصيرِ
فلانَ مَنْ كانَ فظّاً واستكانَ لها ... مُستكبرٌ، وعنا طاغوتُ شريرِ

---

١) تشأو : تسبق وتفوق ، واللغى جمع لغة ، وتجمع على لغات ولغون .

وكنتَ عفاً، رقيقَ القلبِ، متَّسماً   بكلِّ زاهٍ من الأخلاقِ منصورِ
تستلُّ بالحلمِ حقدَ الحاقدينَ وتحتلُّ   القلوبَ بلطفٍ عنكَ مأثورِ
اللهُ أكبرُ! كم في اللينِ من عظةٍ   لِعلْقِ [2] شرٍّ غليظِ القلبِ مغرورِ
فاللينُ مقدرةٌ، والحلمُ مأثرةٌ   والعطفُ مكرمةٌ تُنبيكَ عن خِيرِ [3]
وأنتَ مَنْ أنتَ في دنيا الخصالِ، ألا   بوركتَ من مُرْسَلٍ بالطهرِ مفطورِ
تنهى وتأمرُ بالحسنى، ورائدكَ   الدينُ الحنيفُ بما أُلْهِمْتَ من سورِ [4]

★ ★ ★

يامرعَ البيدِ بالإيمانِ، مرحمةً   فقد تناءَى الهُدى عن صفْوةِ الدورِ
وجامعَ الشملِ بالتقوى، لقد صَفِرَتْ   منها النفوسُ فتاهتْ كاليحاميرِ [5]
أشكو إليكَ دياراً كنتَ مرشدَها   ومرشدوها استكانوا اليومَ للنيرِ
وأصبحوا تَبَعاً [6] للأجنبيِّ، فما   زادوا وحقِّكَ إلا سوءَ تدبيرِ
وكانَ بالأمسِ حبُّ اللهِ يجمعهُمْ   فباتَ يجمعهُمْ حبُّ الدنانيرِ
وذي فلسطينُ: أولى القبلتين، لقد   بيعتْ على يدهم بيْعَ الجآذيرِ!
والشعبُ — واحربا للشعبِ — سائمةٌ   تقودُها في العيافي كفُّ مأجورِ
قد باعَ تقواه بالدنيا، وقالَ لها: سيري كما شئتِ، عمياءَ الهوى، سيري

★ ★ ★

ياسيّدي، يارسولَ اللهِ، روّعَنا   صرفُ الزمانِ بشرٍّ منه مسعورِ
وامتدَّ بالعُرْبِ ليلُ النائباتِ، أما   للفجرِ بعدَ الدياجي من تباشيرِ؟!
وطالَ منا السُّرى في مَهْمَهٍ دَرَسَتْ   فيه الصُّوى، قاتمِ الأرجاءِ مسْجورِ [7]
فاشفعْ، فإنكَ أدنى المرسلينَ إلى   الباري، فنسلمَ من ذُلٍّ وتعييرِ
ويرجعُ العزُّ معقودَ اللواءِ لنا   وحقُّنا مُسْتَحِرٌّ غيرُ منزورِ [8]
واكلأ — عليكَ صلاةُ اللهِ — أمّتنا   حياكَ ربُّكَ حتى نفخةِ الصُّورِ

بيروت   **جورج سلستي**

---

٢) عِلْقَ شرٍّ لمن يحب الشرّ ويتبعه . ٣) الخير : بكسر الخاء : الأصل والشرف .

٤) سوَر : جمع سورة ، وتجمع سوَر وسورات . ٥) اليحامير : جمع يحمور وهو حمار الوحش ، وصفرت : خلَت .

٦) التبَع جمع تابع كخدم وخادم ٧) الصوى جمع صوة وهى الحجر يكون هاديا للمسافر يغنيه عن الدليل ، ومسجور : فارغ ، ساكن .

٨) المستحر : المكتمل ، والدائم الذى لا ينقطع .



صفقة غريبة ، مدتها ١٠ سنوات !!

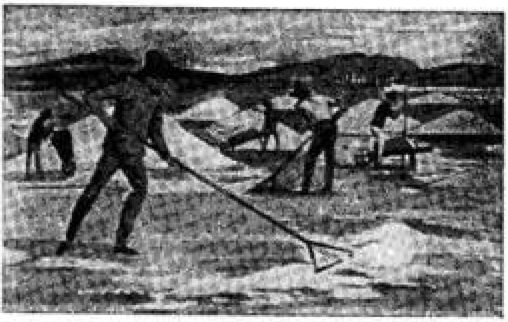
● رفعت ارما بترسون عام ١٩٦٠ دعوى على احد مطاعم ستوكهلم، وحصلت على حكم بتناول وجبات طعام مجانية لمدة خمس سنوات .

وتعود القضية الى عام ١٩٥٥ حينما كانت ارما تعمل في شركة تامين في ستوكهلم، ولما رات ان الأسعار في ارتفاع ، رات ان تؤمن لنفسها اشياء معينة لمدة عشر سنوات مقدما :

فدفعت ايجار البيت لعشر سنوات سلفا، وحجزت مقعدا في السينما المفضلة لديها لمدة عشر سنوات ايضا ، ودفعت ثمن الملابس اللازمة لها خلال السنوات العشر التى ستأتى ، وكذلك وجبات الطعام لهذه المدة .. والغرض من ذلك هو تأمين جميع احتياجاتها ضد الأسعار المرتفعة .

ولكن صاحب المطعم المذكور حاول ان يفسخ العقد ، مدعيا أن ارتفاع الأسعار والتضخم قد سببا له خسارة .

ودافعت ارما عن نفسها قائلة : ان ارتفاع الأسعار هو الذى كنت اضعه نصب عينى حينما عقدت الصفقة .. ولا يوجد سبب آخر من اجله اعطيه نقودى بدون فائدة عن هذه المدة ..



حقائق عن الملح

● **يستهلك** سكان العالم نحو ٥٠٠,٠٠٠ طن من الملح يوميا ، وتستهلك الصناعة كميات كبيرة من الملح في استحضار صودا الفسيل ، وكربونات الصودا ، ومبيدات الحشرات ، والأصبغة . .

وقد جعل العلم الحديث الملح رخيصا ومتوفرا بكثرة ، بينما كانت قيمته في الماضى مرتفعة جدا ، اذ كانت قطع الملح تستعمل بدلا من النقود . كما ساعدت الضريبة على الملح على اشعال نار الثورة الفرنسية .

● **وكان** الرومان يعطون جنودهم مخصصات من الملح تدعى سلاريوم Salarium ، وهى الكلمة التى اشتقت منها الكلمة الانجليزية Salary ، أى الراتب الذى تدفعه الدولة للموظف في خدمتها .

أحسن سنوات لتعليم الطفل

● **بعد ان انتهى احد الاخصائيين فى التربية من القاء محاضرته سالته سيدة : فى أى سن يجب ان ابدأ بتعليم ابنى ؟ فأجابها : متى سيولد ابنك ؟ قالت : .. ان عمره خمس سنوات .. فصاح الاخصائى : لا تقفى هنا أيتها السيدة تثرثرين .. اسرعى الى البيت .. لقد اضعت أحسن خمس سنوات لتعليم الطفل .**

تعريفات

المتفائل : هو الشخص الذى لم يقرأ صحف الصباح بعد .

العمل الشاق : ليس سوى تراكم أشياء لم نعملهـــا حينما كان ينبغى أن نعملهـــا .

المتشائم : هو الشخص الذى يبنى سجونا فى الهواء .

الطبيب النفسانى : هو طبيب لا حاجة به الى القلق ما دام غـيره من الناس يقلقـــون .

الدبلوماسية : هى فن جعل الغير يسير فى الطـريق نفسها التى تسير فيهـــا انت .

الضمير : هو ذلك الشيء الذى يؤذى حينما يكـون كل شيء آخر سليما .

التواضـــــع : فن تشجيع الآخرين علـى اكتشاف أهميتك من تلقـــاء انفســهم .

أول من استعمل أحمر الشفاه ..

● كانت المرأة تصبغ شفتيها باللون الأحمر منذ أن كان للانسان حضارة، ففى عهد الفراعنة كانت تلون شفتيها بعصير الفراولة .

● وتقول ممثلة هوليود العجوز ايستل وندوود (وتدعى ملكة أحمر الشفاه) انها أول ممثلة استعملت أحمر الشفاه فى العصر الحديث ، وكان ذلك عام ١٩١٦ ، حينما كانت تمثل على مسارح نيويورك . وقد استمرت تستعمل أحمر الشفاه على الرغم من أن مدير المسرح كان يقول لها انها لم تكن تبدو جميلة به. وسرعانما اقتدت بها الممثلات الأخريات .

● ومن طريف ما يروى عن أحمر الشفاه ان طمس آثار أحمر الشفاه الموجودة على تمثال الحرية فى ميناء نيويورك قد كلف ٢٥ الف دولار . وكانت الشفاه قد اكلت جزءا من الدهان الذى كان التمثال مطليا به .

من فوائد التلفاز

● ان التلفاز فى الغرب قد انقذ عددا كبيرا من الزيجات من الفشل ، لأن الفرصة الوحيدة للمشاجرة بين الزوجين هى خلال فترة الاعلانات التجارية !!



نابوليون

الرأس الدارس المفكر

- كان مذهبه الوضوح في التفكير، والدقة في التعبير
- كان تفكيره أعمالا متلاحقة، لا كلمات منمقة
- آمن بالله، ولم يؤمن بشيء سواه

اطمأن إلى القضاء والقدر، ومع هذا

بقلم : على أدهم

كان نابليون بونابرت ، رجلا متألق العبقرية ، شامخ الشخصية ، صارم العزم ، بعيد الهم ، واحد نوادر قادة الجيوش والأمم المعروفين في التاريخ ، وقد تجلت مواهبه في صور واضحة ومواقف مختلفة منذ مستهل نشأته ، وطالعة امره ، مما مهد له السبيل الى بلوغ الذروة ، وتخطى العقبات المعترضة . وكان مزودا بمؤهلات عدة ، وقدرة على العمل خارقة . وقد أثارت عبقريته المتعددة الجوانب اعجاب معاصريه ودهشتهم حتى تكاثرت حول سيرته عجائب الاخبار ، وتسجت الأساطير . وفتن به قوم فأضافوا اليه من الصفات ما يكاد يسمو به الى مكانة الآلهة ، وكرهه قوم واسرفوا في كراهته حتى صوروه في صورة الشيطان المريد . وهذا يجعل المؤرخين الذين يعرضون لسيرته ووزن اعماله وتقدير مواقفه في حاجة ماسة الى اصطناع الحذر والتزام الحيدة في مواجهة الأخبار المتناقضة والآراء المتعارضة .

نابليون رجل عملي لا فيلسوف خلاق

ولا نزاع في ان الصفة الغالبة على نابليون



نابليون ، ومن حوله العلماء والضباط يشهدون الموكب النبوى مارا فى شوارع القاهرة . .

حَسَبَ وقَدَر

بوجه عام هى انه احد الرجال العمليين ، أى انه لم يكن من طبقة المفكرين الخلاقين او الفلاسفة المعدودين او كبار رجال الفن والادب . وحينما نعرض لاختبار افكار احد رجال الأعمال لنتعرف قيمتها ، فاننا لا ننتظر منه ان تكون افكاره واضحة الخطوط ، بارزة المعالم ، متماسكة المنطق ، مدعومة بالشواهد والأسانيد مثل افكار الفلاسفة المتخصصين ، او العلماء الدارسين ، وذلك لأن التفكير فى ميادين الفلسفة ومجالات العلم يستطيع الى حد كبير ان يكون منسرحا من الاهداف الدنيوية المباشرة ، وغير خاضع للاعتبارات التى لا يجد رجال الأعمال مندوحة عن ان يحسبوا لها الحساب رعاية لمصالحهم الخاصة، او اهوائهم الغالبة ، على ان تفكير رجال الأعمال فى كثير من الأحايين يتضمن نظرات كاشفة لامعة هى ثمرة الممارسة المباشرة ، والتجربة الواسعة المستفيضة، وحسبها ذلك لجعلها جديرة بالتأمل والتفكير .

وقد كان تفكير نابليون متجها بطبيعة الحال فى جوهره الى النواحى العملية حتى قيل عنه ان تفكيره كان حقائق واقعة وليس كلمات مرسلة ، وكان لا يبالي بالصيغ المألوفة فى عصره والألفاظ الذائعة على ألسنة معاصريه والتى شاعت خلال عهد الثورة الفرنسية ، وبهذا التصميم على الذهاب الى ما وراء الألفاظ ومواجهة الحقائق استطاع نابليون ان يرى الاشياء فى ذاتها ، وبهذا الاصرار على الواقعية استطاع السيطرة على فرنسا . ومن اسرار نجاحه انه كان يساير روح

العصر ويحسن فهم اتجاهاته . وقد ادرك ان الامة الفرنسية قد ملت الفوضى التي خلفتها الثورة ، واصبحت مستعدة لان تلقى مقادتها للرجل الحديدي الصلب الذي يستطيع ان يحسم الفوضى ، ويعيد النظام الى نصابه ، ويعالج المشكلات السياسية والاقتصادية بصورة تقر الأوضاع وتصون الامن .

اسلوب نابليون كان : الوضوح والدقة والتحديد

وكان اسلوب نابليون في الحديث ، واصدار الأحكام والقاء الأوامر ، واضحا محددا ، ويمتاز بالايجاز والقوة ، وكان يضيق في مجلس الدولة بسماع الخطب الفضفاضة والكلمات المنمقة الطنانة . وقد انتقد مرة تقريرا قدمه له الكونت دي شامباني Champagny وزير خارجيته قائلا له : « اسلوب التقرير ليس عمليا بما فيه الكفاية، ان ما اريده هو التفكير الصارم لا الطلاوة والتوشية » . وشدة ولعه بالدقة والوضوح كانت تجعله يطالب رجاله بتحري الدقة والوضوح، والويل لمن كان يخيب ظنه من هذه الناحية ، الى حد ان بعض رجاله كان يعمد الى اختلاق الوقائع ليجعل كلامه مقبولا ، ويعتمد على الحظ في اخفاء كذبه . ويبدو هذا الحرص على الايجاز والوضوح في رسائله ، ففي أواخر مارس سنة ١٨٠٨ عَرَضَ عرش اسبانيا على اخيه لويس ، ملك هولندة في تلك الفترة ، وبعد ان بين له مزايا ذلك العرض قال له في رسالته : « رد عليّ ردا قاطعا . اذا عينتك ملكا على اسبانيا ، هل توافق ؟ وهل استطيع الاعتماد عليك ؟ اجبني بهاتين العبارتين قل : قد تلقيت رسالتك المؤرخة يوم كذا ، وجوابي عن ذلك .. نعم أو لا » .

سياسة نفعية انتهازية سار عليها نابليون طول حياته

وكان هو نفسه صريحا ودقيقا في ابداء رأيه سواء في الرجال الذين عرفهم او في النساء ، ففي الوقت الذي سادت به في فرنسا افكار المساواة بين الرفيع والوضيع والاشادة بحقوق الانسان ، اعلن نابليون ان الناس لا يمثلون الانسانية الكاملة ، وأنهم مخلوقات لها قابليات خاصة ، وعادات وميول معينة ، واتجاهات وعيوب ، ونقائص كثيرات ، ومعنى ذلك انه لم يكن حسن الظن بالطبيعة الانسانية ، ولا ميالا الى الافكار المثالية . ويعجبني في هذا المقام قول المؤرخ هولاند روز عنه : « من ناحية السياسة الداخلية في فرنسا كان الامبراطور تابعا لمذهب بنتام Bentham قد وضع التاج على رأسه » ، وهو يقصد بذلك ان نابليون كان يسير على سياسة مذهب المنفعة الذي قال به بنتام ، وهو بوصفه مفكرا سياسيا يسلك دائما سبيل المساومة ، وقد عبر عن انتهازيته سنة ١٨٠٠ حينما قال :

سياستي قائمة على ان احكم الناس كما يريد العدد الأكبر منهم ان يحكموا ، واظن هذا هو طريق الاعتراف بسيادة الشعب . وقد انهيت الحرب الفندية باعتناقي الكاثوليكية ، وبدخولي في الاسلام استطعت ان اضع قدمي في مصر ، وباعترافي بسلطة البابا استطعت ان اكتسب الرأى العام الايطالي . ولو انني حكمت اليهود لاعدت لهم بناء هيكل سليمان ، وكذلك سأتحدث عن الحرية في الجزء الحر من سان دومنجو ، وسابقى على نظام الرق في جزيرة فرنسا (موريتاس) وحتى في الجزء غير الحر من جزيرة سان دومنجو ، مع العمل على الحد منه وتلطيف وقعه . وساعمل على ادخال النظام والخضوع للطاعة حيث احتفظ بالحرية » .

وهذا الاعتراف الهام ، يرينا طبيعة السياسة النفعية التي سار عليها نابليون طوال حياته ، وهو لا يخفي عامل الانانية المستتر وراءها . وقد اوتي من القوة والصراحة ما جعله يكشف لنا اوراقه ويعلن مذهبه ، والجماعات في رأى نابليون تقاد بالعقل ويُسيطَر عليها بالحزم والعزم .

درس التاريخ ، واستفاد منه لنفسه

وهذا الاتجاه العملي كان يزيده ثقة به اطلاعه على التاريخ ، وقد كان كلِفا بقراءة التاريخ منذ كان ضابطا صغير الرتبة في مَطلع حياته العسكرية . وقد قرأ جمهورية افلاطون ، وكتب لنفسه ملخصات عن الحكم في فارس القديمة واثينا

وجغرافية بلاد اليونان، وتاريخ مصر القديمة وآشور والهند ، واطلع على تاريخ العرب والحركة الاسلامية ، ولكن الحياة لم تكن في نظره رسالة يقوم بها كما كان يرى متزيني وغيره من المثاليين وانما كانت في رأيه سيرة يعمل خلالها على بلوغ اهدافه وتحقيق اطماعه .

رأيه في كتابة التاريخ

ولم يكن راضيا عن الطريقة التي يكتب بها التاريخ ، فقد كان حريصا على معرفة الحقائق والمراجع التي استقيت منها . وقد ذكر وهو في سانت هيلانة انه رمى الى اعادة كتابة الحوليات الفرنسية من اوثق المراجع والعناية بوثائق وزارة الخارجية . كما كان يرى ان المؤرخ في حاجة الى الخيال . ومن أقواله في هذا الصدد :

« من المسائل المتفق عليها ان المؤرخ بمثابة القاضي ، وسيكون اللسان المعبر عن الجيل التالي ، ولذلك من اللازم ان تتوفر فيه الكثير من صفات الكمال الى حد انه من الصعب ان نصدق انه من الممكن ان يُكتب تاريخ جيد حسب الطلب ، وما يمكن الحصول عليه حسب الطلب من رجال متزني العقل قد اوتوا شيئا من الموهبة هو رسائل تاريخية تدور حول موضوع معين وتكون ثمرة بحث شاق مؤيد بوثائق صحيحة مشفوعة بملحوظات انتقادية تلقي ضوءا على الحادث . واذا كانت هذه البحوث والوثائق والمواد مفرغة في سرد جيد ، فان مثل هذا العمل سيكون قريب الشبه بالتاريخ الى حد كبير » .

في السفينة الى مصر ، بين علمائه

وتقترن عند نابليون عادة سرعة النفاذ الى صميم المشكلات ولب الحوادث بالقدرة على الايجاز الجامع ، وكان من النادر ان يلقى نابليون خطبا مسهبة ، وكان اذا اراد ان يلخص الآراء في مسألة من المسائل العارضة استطاع ان يقوم بذلك في دقة واحكام ، ومن قبيل ذلك رده على مرافقيه من العلماء ، وهو قادم الى مصر على السفينة « لاروبان » . فبعد ان عرض العلماء ما عندهم من الحجج التي تنفي وجود الله اشار نابليون الى السماء وقد رصعتها النجوم وقال : « ولكن يأيها السادة الألباء من صنع هذا كله ؟ » .

وارث نابليون

وحينما كان قنصل فرنسا الأول اثيرت مسألة ضرورة وجود وارث له ، سواء كان من احد ابنائه او كان ابنا متبنّى ، أجاب نابليون هذه الاجابة الموجزة : « الوارث الطبيعي لي هو الشعب الفرنسى ، انه ابني ، واني لم أعمل لغيره » .

نابليون ومسألة القضاء والقدر

والمسألة الشائعة في حياة نابليون هي موقفه من مسألة القضاء والقدر ، وربما استطعنا ان نستخلص من كثرة ترديده لكلمة الحظ والاشارة الى نجمه انه كان قدَريّا ، كما كان من عادته ان يصلّب حينما تبلغه أنباء مثيرة . ولكن اصدار الاحكام على طبيعةٍ معقدة وشخصية متعددة الجوانب ، مثل نابليون ، يستوجب الحذر ، ويتطلب الاناة وتقليب الأمر على وجوهه المختلفة وربما يكون نابليون قد اكتسب عادة التصليب منذ نعومة اظفاره ، فليس في اعماله ولا في اقواله ما يدل على الثقة المطلقة بالقدر . وبرغم استمتاعه في بعض الأحايين بالحديث عن نجم حظه فانه كان ينقض هذا الاعتقاد حينما يتحدث عن نفسه وينقض اسرارها . ومن اقواله لجورجو الذى لازمه في سانت هيلانة قوله : « ان الانسان حر دائما ، وسيد نفسه » . وفي ابان علو نفوذه كان يعلن دائما انه يعمل كل شيء بحساب . وقد كتب مرة ضمن رسالة الى اخيه جوزيف بونابرت : « لا يستطيع الانسان في الحرب ان يكسب شيئا الا بالحساب واعمال الفكر ، ولا يأتي بثمرة سوى الشيء الذى فكّر الانسان فيه تفكيرا شاملا مستوعبا » .

ومن تصريحاته في سنة ١٨١٣ « اني اغادر مكانا وأذهب الى غيره ، وأبرح سانت كلود لأذهب الى موسكو ، وليس باعث ذلك الميل الخاص او من اجل الاصدقاء ، وانما سبب ذلك الحساب الجاف » .

والرجل الذى يعتمد في اعماله على التفكير

المتواصل والحساب الدقيق لا يكون في العادة قوى الاعتقاد بسلطان القدر ،لأنه يؤمن بكفاية عقله، ولا يعتمد على قوة خارج شخصيته . وكان فرط الثقة بالنفس من الصفات التي لازمت نابليون منذ بدء نشأته ، وفي مختلف ادوار حياته، وكان يعمل دائما على ان يكون سيد الظروف المحيطة به لا خادما لها خاضعا لمقتضياتها . وكان شديد الايمان بأن الاقدام والشجاعة والهمة العالية والعزيمة الماضية تحتم الحوادث وتسيطر عليها .

نابليون قرأ تراجم بلوتارخ وما فيها من عمل الأقدار

والقائد العظيم عادة لا يكون قدريا ، فما الذى كان يرمي اليه نابليون باشاراته الكثيرة الى القدر ونجم الحظ ؟ لقد كان يعمل كل شيء بحساب ، ويهدف الى غاية ، فما غايته في ترديده الاشارة الى الحظ ؟

من المحتمل ان يكون قد تأثر باطلاعه على فكرة اليونان عن الحظ والقدر ، وقد كان من المعجبين بتراجم بلوتارخ Plutarch ، وكثير من الحوادث المروية فيها تشير الى فكرة الحظ وتأثيرها في الرومان واليونان . وسيرة تيموليون Timoleon التى ذكرها بلوتارخ من امثلة ذلك البارزة ، فلم يكن تيموليون قائدا بارعا في وضع الخطط الحربية ، وقد اقدم على قيادة حملة صغيرة الى صقلية ليحررها من الطاغية ديونيزاس والقرطاجنيين ، وكانت المحاولة من ناحية الأهبة والاستعداد تنذر بالاخفاق وتبعث على اليأس ، ولكن كانت هناك علامات تبشر بالخير ،وقد استطاع بالحيلة والحذق ان يتسلل عبر المضيق ،ويتحاشى سفن القرطاجنيين ،وفاجأ جيوشهم ، وأصاب منهم غرة ، وتم له النصر عليهم ، وأذهل هذا الانتصار المدن اليونانية ، وجعلها تعتقد انه مَحْبُوّ من الآلهة ، فانحازت الى صفه ، ونجح في الاستيلاء على قلعة سرقوسة ، وعلى ديونيزاس نفسه ، ويقول بلوتارخ ان هذه الحوادث جميعها جعلت الناس تكبر شان تيموليون وتعده انسانا مقدسا قد ارسلته العناية الالهية لينتقم لأهل صقلية ، وينقذهم من نير العبودية ،وقد كانت هذه الانتصارات المتتابعة الى حد كبير ثمرة الاعتقاد بأنه مشمول برعاية الآلهة .

وكان نابليون يعرف هذه القصة معرفة جيدة ، كما كان يعرف قوة تأثير الاعتقاد بالخرافات في اذهان العامة ومنهم جمهرة جنوده وأتباعه ، وقد نبذ عقيدته الدينية واستبقى فيما يظهر ايمانه بحظه لانه كان نافعا له في اشعال حماسة الجند وتعلق الاتباع به ، فمن المحتمل الى حد كبير ان كثرة اشاراته الى حظه كان يقصد بها كسب العامة الى صفه.وقد صمم نابليون على ان يكون الحظ من انصاره ، وأعلن ذلك ونجحت الحيلة . ولكن هذا الرجل الدائم التفكير كان يسهر الليل، لا ليراقب نجم حظه ، وانما ليراجع التقارير التى تقدم له ويدرسها وليرسم الخطط ويدبر الأمور قبل ان يملي التعليمات ويصدر الأوامر .

ولع نابليون بالشعر والفن

وقد كان نابليون مولعا بأشعار اوشيان Ossian البطل الارلندى الذى عاش في القرن الثالث الميلادى ، وقد قرأ الترجمة الايطالية لاشعاره واعجب بها اعجابا شديدا وكانت قصائد الكاتب الارلندي ماكفرسن ، تلك التى زعمها ترجمة لاشعار اوشيان، قد ذاعت وشاعت حينذاك. وقد راق نابليون فيها على ما يظهر كثرة مغامرات البطل الأرلندى . وكان يذكر هذا الاعجاب لمن يلقاهم من الانجليز .

وكان نابليون بوجه عام يميل الى الشعر البليغ الذى يعبر عن المشاعر السامية ، ولكن ذوقه في الموسيقى والتصوير والنحت كان محدودا، ولم يبد اهتماما يذكر بطرائف كبار اساتذة التصوير الموجودة في متحف اللوفر ، وكان حينما يقف ازاء احدى هذه الصور يكتفي بالسؤال عن اسم صاحب الصورة قائلا : « من هذا ؟ » ، اما في فن المعمار فكان يُعجَب بالضخامة ، وقد قال غير مرة ان اشد ما اثار دهشته اهرام الجيزة وتمثال العملاق المسمّى « فريون » ويمكن ان نعزو الى هذه النزعة فخامة الأثرين الفنيين اللذين

اقيما بباريس فى عهـــده ، وهمـــا قوس النصر Arc de Triomphe وعمود فندوم Colonne Vendome .

اعجاب جوته ، كبير شعراء الألمان، بنابليون

والرجل الذى يمضي معظم وقته فى معالجـــة مشكلات الأدب والفن،وينزع الى التأمل والتفكير، ويطل على الدنيا من حجرة المطالعة ، يكْبِرُ فى العادة شانَ الرجال العمليين ، وربما عدَّهم اجلَّ منه شانا واسمى مكانة ، ولعل هذا من الأسباب التى تدعـــو الشعراء الى صوغ عقود المدح للأبطال والاعيان . وقد كان جوته Goethe كبير شعراء الالمان يعد لقاءه لنابليون وحديثه معه من أهم حوادث حياته ، وقد ظل محتفظا باعجابه الشديد لنابليون‌حتى بعد سقوط دولته ،وانقضاء عهده ووفاته ، ففي حديث له سنة ١٨٣١ مـــع صاحبه اكرسان قال عن نابليون انه ولد ليحكم الدنيا وانه كان يجد سعادته فى الحكم والسيطرة، وانه كان كفءا لتناول كل موقف .

التقاء جوته بنابليون

وحينما التقى جوته بنابليون فى ارفرت انتقد نابليون مسرحية « محمد » التى ألفها فولتير ونقلها جوته الى اللغة الالمانية ، وقد عاب نابليون على فولتير مجانبته الحق فى تصوير شخصيـــة نبينا الكريم .

كذلك هو انتقد بوجه عام المسرحيات التى يلعب فيها القدر دورا كبيرا .

وقد ابدى لجوته اعجابه بكتابه « احزان فرتر » وقد اخذ على جوته انه جعل فرتر يبادر الـــى الانتحار مدفوعا بعاملين وهما اخفاقه فى الحب ، وخيبة امله فى طموحه . وحبُّ نابليون للوضوح والدقة جعله يعتقد ان الجمع بين هذين الدافعين يتنافر مع‌الطبيعة‌الانسانية.والعجيب ان جوته اقر نابليون على وجهة نظره ، وقد ذكر لويز ، الذى ترجم لحياة جوته ، ان ورتر الأصلي ــ وهـــو جيروسلم ، الذى اسماه جوته فى روايته باسم فرتر ــ قـــد انتحـــر مدفوعـــا بهذين السببين . والظاهر ان جوته‌قد نسي‌ذلك‌حينما واجهه نابليون بنقده .

وفى محادثة اخرى مع جوته فى فيمار Weimar ابدى نابليون بعض ملحوظات منطوية على نقـــد لشكسبير وقال لجوته :

« يدهشني ان رجلا راجح العقل مثلك لا يميل الى اصحاب الاراء الحاسمة والالوان الواضحة ».

ولم يرد جوته على ذلك ، واسترســـل نابليون بعد ذلك فى الحديث عن المأساة ، وحث جوته فى النهاية على ان يكتب مأساة عن « موت قيصر » يكشف فيها الخطط العظيمة التى كان يريد قيصر تنفيذها لو مُدَّ عمره ، واقترح على جوته أن يصحبه الى باريس ، وذكر له ان مجال المشاهدة بها اوسع ، وانه سيجد هناك مادة عظيمة لخلقه الشعرى .

مناقشة حادة بين نابليون والكاتب الألماني فيلاند

وفى اثناء حفلة رقص اقيمت فى فيمار دارت مناقشـــة حامية بين نابليـــون والكاتب النقادة الالماني فيلاند Wieland وكان موضوعها المؤرخ الروماني تاسيتوس Tasitus (سنة ٥٥ الى ١٢٠م) وكان سبب احتدام المناقشة قول نابليون ان المأساة مدرسة للرجال المستنيرين ، وانها من بعض الوجوه تفوق التاريخ . وتجمّع فى اللحظة التى ألقى فيها نابليون بهذا التصريح جماعةٌ من المفكرين فى احد اركان الحجرة ، واسترســـل الامبراطور يقول مخاطبا فيلاند :

« أوكد لك ان المؤرخ تاسيتوس ، الذى تكثرون من الاستشهاد به ، لم يعلمني قط شيئا . وهل تعرف اعظم منه تنقصا للرجال وتنكيتا عليهم ، وهو مع ذلك ظالم لهم ؟ وهو يعزو ابسط الاعمال الى الدوافع الاجرامية ، وهو يصور اباطـــرة الرومان جميعهم اشرارا سفلة لكي يكسب الاعجاب للعبقرية التى هتكت سترهم . وحولياته اولى بان تسمى ملخصا لسجلات الاباطرة من أن تسمى تاريخا للامبراطورية ، فهى لا تخبرنا بشىء سوى

الاتهامات والمتهمين واخبار الذين فتحوا شرايينهم في الحمام . وهذا الذي لا ينى يتحدث عن الجواسيس هو نفسه اعظم الجواسيس . وأى اسلوب ؟ وأى غموض لا يلمع في ظلماته ضوء ؟ ولستُ من كبار المتمكنين من اللاتينية ، لكن غموض تاسيتوس واضح في عشر تراجم او اثنتى عشرة ترجمة قراتها في الفرنسية او الايطالية ، ومن ثم استنبطت ان الغموض أصل فيه ، وأنه ليس مقصورا على اسلوبه ، وانما يشمل كذلك تفكيره . ولقد سمعت ثناء عليه من اجل الخوف الذى يوقعه في نفوس الطغاة ، فهو يجعلهم يهابون الشعب ، وهذا نكبة على الشعب نفسه . ألستُ على حق يا سيد فيلاند ؟ »

وتوقف نابليون عن الحديث معتذرا بعض الاعتذار ، واسترعى نظر الجماعة الى براعة القيصر الاسكندر في الرقص ورشاقة حركاته ، ولكن جماعة الحاضرين كانت اكثر اهتماما بمشاهدة المبارزة الفكرية منها برؤية الرقص البديع والحركات الرشيقة .

وشجعت صراحة نابليون فيلاند على قبول التحدى ، فبدأ يقول « ان تاسيتوس لم يعمد الى فضيحة الاباطرة والتنديد بهم لرعيتهم السافلة الوضيعة فحسب ، وانما كشف كذلك مساوئهم للانسانية جميعا في مختلف الاجيال ».وختم حديثه بقوله انه يأمل ان يسيطر العقل على الناس بدلا من العاطفة والهوى .

فاجاب نابليون : « هذا ما يقوله فلاسفتنا جميعهم ، وبرغم بحثى عن قوة العقل هذه فانى لم اجدها في اى مكان » .

فتجاسر فيلاند على ان يقول :

« ان من علامات نموها الاهتمام المتزايد بتاسيتوس اقدر مؤرخي العصور القديمة على التلوين كما سماه راسين Racune ، ولقد كانت الامبراطورية في عصره يحكمها هؤلاء قباح ، وقد سلقهم تاسيتوس ببيانه ونال منهم ، وقد كان مضطرا الى ان يحصر نفسه في سجلات روما . وفي كتابة تاسيتوس تنعكس صورة ذلك العصر البائس الشقي الذى وقف فيه الامراء والشعب وجها لوجه ، ولكنه حينما يصف العهود التى تحالفت فيها الامبراطورية مع الحرية فانه يعتبر ذلك اعظم الكشوف التى اهتدى اليها الانسان ».

وابدى الحاضرون استحسانهم ، واعترف نابليون بانه تلقاه خصم عنيد ،وبان موقفه محفوف بالاخطار . ولكن براعته المعهودة لم تخذله في هذا الموقف ، والتفَّ حول جناح خصمه قائلا « هل راسلتَ مصادفةً الهر ميللر Miller الذى لقيته في بوتزدام Potsdam ؟ » (والواقع ان المؤرخ الالماني جوهان فون ميللر كان قد حذر فيلاند من عداء نابليون لتاسيتوس) فارتبك بذلك فيلاند ، واعترف بأن الامر كما قدَّر نابليون . وأدهش ذلك الحاضرين وأمتعهم ، وشجع ذلك نابليون على استئناف المناقشة مؤكدا « ان تاسيتوس لم يكشف عن الاسباب الداخلية المستترة للحوادث ، وأنه يترك علاقاتها الخفية الغامضة غير واضحة ، واوجز غرضه بقوله : «انه يجب الحكم على الحكومات حسب البيئة ». وانهى المناقشة في هذا الموضوع وقد ابلى فيها بلاء حسنا كخصمه الجرىء ، وحول مجرى الحديث الى نواح اخرى . وكان نابليون يحترم الرجل الذى يعرف ما يقول ، ويحسن التفكير ، فاهدى وسام الشرف الفرنسى لجوته وفيلاند .

كراهة نابليون لتاسيتوس

وقد ظل نابليون الى آخر ايامه وهو يكره تاسيتوس ، ولم يغير رأيه فيه ، ففي جزيرة سانت هيلانة ، حيث نُفِى ، عاد فاكد رايه في ان تاسيتوس لم يفسر الدوافع التى تؤثر في اعمال الرجال ، وأن القصص التى رواها عن الامبراطور تيبريوس Tiberius سخيفة . ولماذا يحرق نيرون روما وهو الذى كان يحبها حبا جما ؟ لم يقدم تاسيتوس سببا يدعو الى ذلك . وسخر نابليون من فكرة عزو كراهته لتاسيتوس الى معارضة تاسيتوس للطغيان .

وما من شك في ان لتشديد تاسيتوس النكير على الطغاة والمستبدين اثرا في تحامل نابليون عليه، ولكن نقده لتاسيتوس ، مهما كانت اسبابه ، كان



اول مقابلة لنابليون مع أهل مصر

له تأثير حسن في الدراسات التاريخية ، فقد اثار الشكوك في صدق الصورة التي رسمها تاسيتوس لتيبريوس وغيره من ساسة وأعيان زمانه . ويرى كثير من الباحثين في هذا العصر ان صوره الحزينة الشديدة النكر مبالغ فيها ، وليس ادل على ذكاء نابليون من انه كان في طليعة الذين لحظوا ذلك واشاروا اليه ونبهوا عليه .

رأى نابليون في الدين

ومن الموضوعات الشائقة في تفكير نابليون مسألة معتقداته الدينية .

كان نابليون في ابان اعتلاء نفوذه واكتمال سلطته يلتزم الحيطة في حديثه عن الدين . وكان وزير خارجيته شابتال Chaptal ـ وقد عرف نابليون معرفة دانية جيدة ـ يعتقد انه تبين فيه مبادىء فقدان اليقين الديني . وكان هناك آخرون يعتقدون انه كاثوليكي حسن العقيدة لانه كان بين الحين والحين يحضر القداس . وكان نابليون يرى من المسائل المسلم بها ان الكاثوليكية تناقض المثل الأعلى لنظام الحكم في المستقبل . ولم يكن كذلك حسن الرأى في البروتستانتية لانه كان يراها صادعة لوحدة الارادة العامة . وكان يرى الدين بوجه عام قوة هادمة للمجتمع لانه يغرى الناس بالاعراض عن طلب الحرية في العالم اذ يحيي فيهم الامل في التعويض عنها في الحياة الاخرى . ولكنه عاد فغير رايه في هذا الموضوع ، فقد علمته التجارب احترام الدين ، وأدرك مزيته بوصفه من القوى الضخمة في هذا العالم ، واصبح يقدر الدين لانه كان يرى فيه مخدرا سياسيا للشعوب . ولما علم بعد معركة استرلتز Austerlitz ان احد العلماء في فرنسا حمل على الدين ، ارسل اليه يلومه على ذلك ويوبخه لان الالحاد مذهب هادم للنظام الاجتماعي اذ يجرد الانسان من الامل وكلّ ما يهوّن عليه احتمال آلام الحياة وفواجعها .

اما في اثناء اقامته في سانت هيلانه ، حيث لم يكن ملزما بمراعاة مقتضيات السياسة وأصول

الحكم ، فكان كثيرا ما يردد ان الانسان مخلوق ارضي ، وأن الثور كذلك مخلوق أرضي ، وأن الانسان مجرد نوع اسمى من انواع اسمى من انواع الثيران لانه مكون من مواد أكمل نظاما ، وانه من الممكن ان يظهر على الأرض في المستقبل كائنات اسمى من الانسان . ويتساءل قائلا : « اين روح الطفل او روح المجنون ؟ ان الروح تتبع الجسد ، وهي تنمو مع الطفل وتبلى في الرجل العجوز . ولكن فكرة وجود الله هي ابسط الافكار فمن الذي صنع هذا كله ؟ »

وفي مناسبات كثيرة كان يردد ان آداب المسيحية ليست سوى آداب سقراط وافلاطون ، وكان يبدي في بعض الاحيان ايثاره للدين الاسلامي . وقد عجز عن الرد على شيوخ مصر حينما سألوه عن الثالوث ، واصروا على انه يتضمن الشرك بالله ، وانه من أجل ذلك وثني . وكان يقول « ان محمدا انتصر على نصف العالم المعروف في عشر سنوات ، وان المسيحية اتمت مثل هذا العمل في ثلاثة قرون » . ومن دواعي اعجابه بالاسلام انه كان يراه عقيدة محاربة .

ويمكن ان نستخلص من آراء نابليون في الدين انه كان ينظر الى الدين من ناحية انه قوة سياسية قادرة على اثارة الناس الى العدوان ، أو تقوية النظام بعد تغلب الفوضى ، وانه يهون على الفقراء احتمال شقاء الحياة .

« كل شيء يعلن عن وجود الله »

ومن الاقوال المنسوبة الى نابليون وهو في سانت هيلانه قوله :

« كل شيء يعلن وجود الله ، وهذا امر لا شك فيه ، ولكن ادياننا جميعها من الواضح انها من عمل الانسان ،..... ومن المؤكد انني لست ملحدا ، ولكني مع ذلك لا استطيع ان اصدق كل ما هو مخالف للعقل دون ان اكون غير امين ومنافقا .. ومعرفة من اين اتيت ، وماذا اكون ، والى اين انا ذاهب من وراء علمي ، ومع ذلك فان هذا كله حقيقة ، واني انا الساعة الموجودة ولكنها لا تعرف نفسها ، واني استطيع المثول بين القضاء الالهي وانظر الحكم في غير جزع ، فهو لن يعثر في نفسي على فكرة القتل ، أو دس السم ، او الموت الظالم او الذي أعيد من قبل ، وهي المسائل المألوفة في سيرة حياة امثالي . ولقد كنت لا اريد سوى المجد والقوة والعظمة لفرنسا ، وقد وقفت مواهبي وجهودي ووقتي على ذلك ، ولا يمكن ان يعد هذا جريمة . فهذه الجهود كانت تبدو لي فضائل » .

ويقول اللورد روزبري ، السياسي الانجليزي الشهير (١٨٤٧ ـ ١٩٢٩ م) انه يبدو أن ميل نابليون الحقيقي كان متجها نحو الديانة الاسلامية ، وقد صرح بانها اجمل الأديان ، بل قال مرة ـ كما يروي روزبري « نحن المسلمين » ، ولكن روزبري يروي الى جانب ذلك قوله «لو اضطررت الى اعتناق دين من الأديان لفضلت عبادة الشمس منبع الحياة والاله الحقيقي للارض » .

الخلاصـــة

ويمكن أن نستخلص من حياة نابليون ومجمل سيرته انه كان لا يعمل من اجل تحقيق غاية سامية او مثل اعلى ، بل كان يعمل من اجل مجده الشخصي ، ولم تكن تهمه فرنسا ولا أوروبا ولا الانسانية جميعا،وانما كانت عظمته الشخصية ونفوذه الخاص وتفرده بالسلطة هي محور اهتمامه ومناط آماله واتجاهاته .

وهو يمثل النزعة الفردية واتجاه الفلسفة الانسانية التي بدأت منذ عهد احياء العلوم ، والكثير من اقواله تنم على فرط ثقته بنفسه واكتفائه بالاعتماد عليها .

والدين في رأيه سند من أسناد الدولة ، ووسيلة من وسائل السياسة ، وربما كان الحكم على عقائد الرجال من المغامرات غير المأمونة العثار ، ولكن الأحاديث الكثيرة المعزوة الى نابليون والتي رواها عنه اصحابه ، ومنهم من لازمه في اكثر ادوار حياته ، ووفى له في محنته ، لا تجعلنا نطمئن الى ان الرجل كان يدين باي دين من الأديان . انه كان يؤمن بوجود الله ، ولكنه ينكر الأديان ـ برغم مفاضلته بينها ـ على الطريقة الفولتيرية التي كانت سائدة في القرن الثامن عشر الذي ولد فيه نابليون . ■■

على أدهم



■ « اسق العِطاش » فاصلٌ غنائي ، تعرفه ليالى حلب .. مزيج من موشحات ، واغان حلوة ، تحمل عَبَق الاندلس ، وسحرها القديم . اخذ اسمه الجميل من قصة المدينة العطشى ، عندما حُبس عنها المطر ، ذات يوم ، حتى جفَّ كل شيء ، وخرجت تبتهل الى السماء لتسقى العطاش .

وقد عاش الشاعر مع هذا الفاصل الغنائى اكثر من امسية ، واحبه كما احب كل شيء يحمل انفاس بلاده ، وروح ارضه نقية .. صافية . فأوحى اليه بالقصيدة الآتية :

« مولاى ! .. أجفاني جفاهـنَّ الكـرى (١)
وتدب في جسـد الظلام
كأسٌ تـلَعثَـمُ بالمُـدام
وتلـمُّ أنوار المصابيح الثلاثة فوق رأسي
كلٌّ تريد الليل شعرا صافيا ، أمواج حسٍّ
وتغوصُ « مولاي » الحزينةُ في سماوات الحنينِ
وتضيـع في عينين ، في شفَتين ، في أبدٍ سجينِ
« مولاى ! » وانسكبتْ وراء مسائنا الغافي رشاشَا
« مولاى ! » هبيْ جنّتينِ لسكْرَتي ، واسقِ العِطاشا

* * *

« ياذا العطا ! .. » كانت مدينتنا — كما يروى الرواة —

(١) يبدأ « الفاصل » بهذا البيت القديم .والكلمات التى بين قوسين ماخوذة من مطالع الابيات المشهورة لهذا الفاصل .

في ذات يوم ، أُفقُها يبَسٌ ، وتُربتها مَـوات
كانت تئن بـلا كلام
عَطَشاً ، وتحلُم بالغمام
بسحابة زرقاء تملأ ضرعها عُشبا ، وزرعا
وتُطِل ، تطفئ جمرة تنهال فوق الأرض لَسْعا
كانت مدينتَنا ... وبكَّر أهلُها يوما ، وراحُوا
في موكب ظمآن ، تسفعُهُ المرارةُ والرياح
وامتدّتْ الأيدى العِطاشُ تدقُّ أبواب السماء
وتهزُّ بالأمل الجريح ، بيأسِها ، قلبَ الفضاء
« ياذا العطا ! » وامتدَّ جسرٌ في الكواكب من نشيد
واهتزّ قلبُ الغيبِ للَّحْنِ المُجنَّح .. للقصيد

★ ★ ★

« اسقِ العطاشَ » .. ربابةُ الماضى تجُوبُ فراغَ روحى
وتذُرُّ نشوتَها على كأسى ، على ليْلي الجريح
«مولاى » ! لى عمل ... أأذكره ؟ بلى ، عملٌ يتيم
أطعمتُهُ عمرى ، وأعصابى ، لتسرقه الغيوم
ليُمزقَ الليلُ الأصمُّ شراعَهُ فوقَ العُباب
نُتَفاً ، ليَغرَق ، أين ؟ في الصَّخَب المُلوَّثِ ، في الضباب
« مولاى ! » هيِّئْ جنّتَين لسكرة الليل الحزينه
« واسْقِ العطاش تكرُّما » ، جُرْحِي ، قَصيدتي الطعينه

★ ★ ★

«مولاى »! أجفانى تهوّم في عوالم لا أراها ..
إنى سأنسى .. فاسقِنى الحَدَقَ التى تسع الالهَا
ودع المدينة ، بعد أن رُويتْ ، تنام على السلام
ستظل أشواقي بلا مطر تتيهُ .. بلا غمام
« اسق العطاشَ » .. سيرقصون على تسابيح الوتر

ويمـوج هذا الليل بالفـرح المُجنّح .. بالسّـمرْ
وأصبُ ملْ كؤوسهم خمري ، وما ملكتْ يـدي
أبدا سـيبقى في الدُّجَـى ، يَسْقى الدُّجَـى ، قلبٌ صَـدِ
« مولاى ! » أُطفئت المصابيحُ الثلاثة فـوق رأسـي
إنّا نريـد الليل شِعْرا صافيـا .. أمـواجَ حسٍّ

★ ★ ★

« ياذا العطـا ! » هبْني الأُلَى ملكوا ــ وما علمـوا ــ فؤادى(١)
واسفحْ على شفتيّ أَنْدَلُسـاً تمُـور بألـف وادِ
يَهبُ الجمـالَ ، بألـف رابيةٍ وشـلالٍ يغـنّي
بمواكبِ الحُـورِ اللِدَان .. يَغِبْنَ في عَطَفـات لحْـن
وبِثن قيثارْ .. فتشْـرق وجنـةٌ .. ويُجَنّ نَهْـد
وير نُ في « الحمراء »(٢) صوتي ، فالحياة نَـدًى، وشهْـدُ
هـذى بقايانـا ، بقايا الأمسِ ، فاسكُبْهـا علَيّـا
« ياذا السـخاءِ ! » فما أكاد أُحسُّ شيئا في يديّـا
الموجـةُ انطفأتْ .. وأنْدلُسـى صدَى حُلْـم عزيـزِ
« حار العواذل » لم تَرُدَّ إلىّ شيئا مـن كنـوزى
«حار العواذل »منذ ضعتُ ، وضـاعَ موّالـى القديـمُ
ياليـل ، شـاعرك الجريحُ رُؤًى على الماضـى تحومُ
عطشَـى ، تهـزُّ النبـعَ ، تضحك من غرَارتها النجـومُ
ياليـلُ ! أرهقـنى الظَمَـا
« اسقِ العِطـاشَ تكرُّمَـا ! »
ياليـل ! شـاعرك الجريحُ على الهـوى أبدا مُقـيمُ

■■

حلب : سليمان العيسى

---

(١) اشارة الى موشح « ملكتم فؤادى » ، وهومن أحب موشحات الفاصل .
(٢) قصر الحمراء .. رمز المجد العربى الزائل فى غرناطة .
(٣) موشح حزين تنتهى به رحلة « اسق العطاش » .

انحراف

مشكلة الجيل الصاعد تهدد أساس كل أمة ..

قبل التفكير في طريقة العقاب



بقلم : محمد شمسي الدين

المستشار بمحكمة استئناف طرابلس - لبنان

■ اذا كان لكل مجتمع آفة تنهش ضلوعه ، وتمعن فيه تمزيقا وتخريبا ، فان الآفة المشتركة لكل المجتمعات هي الجريمة ؟..

واذا كانت لفظة الجريمة توحي للمرء لدى سماعها صورة بشعة المنظر كريهة الجنبات ، فان أبشع هذه الصور ولا ريب هي صورة الجريمة التي يرتكبها حَدَثٌ طريُ العود لم يتمرَّس بعدُ بأعباء الحياة ..

الدولة القيّم الأول على شئون الأحداث

من هنا كانت أهمية مشكلة جنوح الأحداث ، تلك المشكلة التي تهدد كيان الجيل الصاعد بل كيان الأمة أساسا وبنيانا . ولهذا كان على من يتصدَّى لمعالجتها أن يبحث في طرق الاصلاح التي تؤدي الى محو أسبابها قبل البحث في طرق معاقبة مرتكبيها ، وعلى هذا الأساس اتجهت الأمم الراقية الى وضع المناهج ورسم الخطط لحماية الطفولة ورعاية الأحداث الجانحين ، وغير الجانحين ، بحيث جعلت من الدولة القيِّمَ الأساسي على شؤون الأحداث ، ترعاهم بما تَسُنّه من تشريعات

الأحداث

أكثره «مصنوع» لا «مولود» !

يجب أن نعمل على محو الأسباب



ومخططات لكيما ينشئوا بعيدين عن مراتع الاجرام ومواقع الشبهات جيلا قويا فاضلا يعمل لمجد الوطن وعزته .

الجنوح اكثره مصنوع لا مولود

ولا بد من عرض أسباب جنوح الأحداث قبل التطرق لبحث العلاج .

ان من المسلم به عند علماء القانون والاجتماع ان الحدث الجانح مصنوع لا مولود ومعنى هذا ان للبيئة الأثر الأكبر في تكوين خلق المجرم الحدث وجعله ضحية الاهمال والحرمان وعدم الرعاية .

عوامل داخلية شخصية ، وعوامل خارجية ، تسبب الجنوح

وان أكثر العوامل التى تؤدي بالحدث الى ارتكاب الجريمة مردها بالحقيقة الى مجموعتين كبيرتين: مجموعة العوامل الشخصية واهمها سوء تكوين الميول النفسية وأمراض العقل واعتلال الجسد . ومجموعة العوامل الخارجية واهمها سوء حالة الاسرة وتشغيل الأحداث ، وتقصير الرقابة المدرسية ، والفقر .

العوامل الشخصية الداخلية التى تسبب الجنوح

اما العوامل الداخلية فقد اجمع رأى العلماء على انها ، وان كانت لا تشكل

السبب الأهم فى اقدام الأحداث على الجنوح ، الا أنها تتصف بالخطورة بالنظر لصلتها بعالم النفس الباطنى وعدم ادراكها بالحس ...

الغرائز الأولية

من هذه العوامل تلك الانفعالات القوية التى تعبر عن الغرائز الأولية كغريزة حب التملك التى تدفع بمن تقوى الى البحث عن السلب والسرقة .

وكالغريزة الجنسية التى تدفع الى ارتكاب جرائم الشذوذ الجنسى وما شابهها .

وقد ضرب الأستاذ جوليانى فى كتابه، المراهقة المجرمة ، مثلا عن سلطان هذه الغرائز وعدم استطاعة التربية ان تفعل فعلها تجاهها ، ما حدث لفتى ، تربى تربية ممتازة ، وتثقف ثقافة حسنة ، ولكنه مع ذلك ارتكب السرقة اكثر من عشرين مرة . والغريب فى سرقته انها كانت تهدف الى اشياء تافهة وانه كان يلقيها بدوره بعد ان يأمن عليها .

الأمراض العقلية والجثمانية

ومن هذه العوامل ايضا الأمراض العقلية التى تجعل المريض قاصرا عن التمييز بين الخير والشر ، وبين الحسن والقبيح ، فيتقدم على ارتكاب الخطأ دون ادراك ..

وكذلك اعتلال الجسد فانه لا يقل اهمية عن الامراض العقلية لان المرض الظاهر يولد فى نفس المريض مركب نقص يدفعه الى الانتقام وارتكاب الجرائم نتيجة لشعوره بالنقص والانحطاط عن مستوى الغير ..

العوامل الخارجية التى تسبب الجنوح

واما العوامل الخارجية لجنوح القاصرين فقد وقف عندها طويلا علماء الاجتماع والقانون بالنظر لكثرتها ووضوح طرق معالجتها .

سوء حالة الأسرة

واول هذه العوامل واهمها بلا ريب هو سوء حالة الأسرة وفسادها .. لان الجانحين الصغار هم نتاج الأبوين الساقطين اللذين قل ان ينجبا مواطنا صالحا يهتمان به ، فضلا عن المنزل الذى يسوده الخلق الدنىء من شأنه ان يورث التعاسة والشقاء والفوضى فى نفوس الأبناء ، يضاف الى ذلك ركون هؤلاء الأبناء الى رفاق السوء نتيجة لعدم الرعاية المنزلية واكتسابهم الأخلاق والعادات السيئة وقديما قال الشاعر العربى :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

تشغيل الأحداث

واما تشغيل الأحداث فقد يؤدى بدوره بهم الى الفساد الخلقى والاجتماعى فيرتكبون الجرائم وفقا لظروف العمل والاشخاص الذين يعملون معهم ، والمسئولية هنا تترتب أكثر ما تترتب على رب العمل الذى عليه ان يتصف بالارادة الحازمة وأن يضع نصب عينيه مصلحة المجتمع الذى يؤلف جزءا منه ، فلا يقبل تشغيل الأحداث الذين تمنعهم اعمارهم وظروفهم من التمرس بالأعمال بغية منفعة شخصية وطمع مادى .

تقصير فى الرقابة المدرسية

واما تقصير الرقابة المدرسية فهو يؤلف بدوره سببا لاجرام الحدث على راى اكثر العلماء ، لان المدرسة وهى البيئة الثانية للتلميذ ، كثيرا ما تهمل

الرقابة على تلاميذها وتفرض عليهم مواضيع غير نافعة ، أو تتبع فى التدريس أساليب عقيمة . فضلا عن ان بعض المعلمين يتخذون من التدريس وسيلة للكسب ليس الا ، دون أن يشعروا بأنهم حملة رسالة وامانة ، فتراهم يهملون امر توجيه الطلاب وطبعهم على الأخلاق الحسنة والمزايا الحميدة فينشأ الجيل على ايديهم مفككا مترديا فى ظلام الجنوح والضلال .

ومن أسباب الجنوح الفقر والبطالة

ومن العوامل الهامة فى اسباب الاجرام عند الأحداث الفقر والبطالة ، لان فى ساحتيهما ينمو الشر ويترعرع ، اذ أن الحدث فيهما يحرم من الغذاء والكساء والدواء ، الأمر الذى يجعله يشعر بانه بحاجة الى كل شىء يصادفه فيندفع الى ارتكاب الجريمة دفعا لغوائل الآلام وتشفيا من النظام الاجتماعى الذى وقف تجاهه مكتوف اليدين .

أساليب تحمى الأحداث من الجنوح والجريمة

تلك هى اهم اسباب جنوح الأحداث التى يتوجب معالجتها لا بأساليب الزجر والعنف والتعذيب التى تؤدى الى استفحال الخطر فى اغلب الأحيان بل بأساليب موجهة بناءة من شأنها ان تنشل هؤلاء الضحايا من هوة الاجرام وتعيد اليهم الثقة فى نفوسهم والهدى فى قلوبهم . فما هى هذه الأساليب ؟ :

القوانين اخذت بمبدأ المؤسسات الاصلاحية للاحداث

لقد مر معنا ان الحدث الذى يرتكب جريمة ليس مجرما بالمعنى الموضوعى لكلمة الاجرام، ولكنه منحرف عن الطريق السوى . وعلى هذا الأساس فان اغلب قوانين العقوبات فى العالم اخذت بمبدأ التدابير الاصلاحية وراحت تطبق اصول وقواعد المؤسسة على مرتكبى الجرائم من الاحداث ، هادفة من وراء ذلك الى رعاية الجانحين واعطائهم الفرص الكافية لكى يعودوا سالمين الى المجتمع مزودين بالعلم والمعرفة والسلوك الشريف، وعندها يندمجون فى الحياة العامة أصحاء العقول والاجسام ولا يكونون بالتالى عالة على بيئتهم بفضل ما كسبوه من خبرة عملية وتوجيه صحيح أثناء اقامتهم فى مؤسسات ومعاهد الاصلاح .

الوقاية خير من العلاج

واذا كانت التدابير الاصلاحية تمهد السبيل امام الحدث الجانح لعودته الى الحياة السوية فانها مهما تعددت أساليبها وتنوعت ضروبها تبقى بمثابة العقوبة التى تطبق على الصغار الذين انحرفوا بنتيجة الدوافع الكامنة فى نفوسهم او فى مجتمعهم ولهذا فان من الأولى والأوجب على الامة ان تلجأ الى وسائل أملا فى دفع المرض وتقليل عدد المصابين ،لأن حماية المجتمع تكون بتقليل الخسائر والآلام فيه . ولعمرى أية خسارة أشد وادهى من تعاظم جنوح الأحداث وارتكابهم للجرائم المنكرة التى تشكل جرحا بليغا فى جسم الوطن . ولهذا كان علينا أن نعتمد على طرق الوقاية وأن نعد لها العدة الكافية ضمانا لسلامة النشء من التلوث والتردى فى مهاوى الجريمة البشعة ، وذلك باتباع التدابير الكفيلة بصد نوازع الشر ،وتهيئة ابناء الجيل الصاعد للحياة الشريفة الصحيحة .

حماية الأسرة

واهم تلك التدابير حماية الاسرة من التشتت والاضطراب وذلك بسن

التشريعات التي تمنع من انهيار بناء العائلة في حالات الوفاة والزواج، وتضمن حقوق الأولاد في نطاق العيش الكريم، وكذلك محاربة الفقر والجهل والمرض، تلك العلل الثلاث التي تنهش أساس المجتمع وتشرد الأحداث فيه وتجعلهم عالة عليه يعيثون فيه فسادا. ولا مشاحة في أن المجتمع الذي ينتشر فيه العلم المجاني والضمان الطبي والعمل المؤمّن لكل فرد لهو مجتمع صحيح خليق بالبقاء.

العيادات النفسية للأحداث

ولقد ذهبت الدول الراقية ولا سيما في أوروبا وأميركا الى سن مناهج جديدة في طرق رعاية الأحداث واهم تلك المناهج انشاء العيادات النفسية للأحداث، تلك التي تقوم بدور شبيه بالدور الذي تقوم به العيادات الصحية للأجسام، اذ انها تدرس وتحلل مشاكل الأحداث العقلية وتصف الحلول الملائمة لها بغية معالجتها والتغلب عليها قبل أن يستشري الداء وينحرف الطفل، ويستطيع أن يؤم هذه العيادات كل حدث تبدو عليه مظاهر الشذوذ النفسي أو العقلي، كما ان كل مدرسة ترتبط بمركز عيادة تشرف على معالجة الطلاب من الناحية النفسية والعقلية.

المجتمع مسئول قبل الدولة

ولا بد لنا قبل ختام هذا البحث من التنويه بمسئولية المجتمع في هذا المجال وطرح الفكرة التي تقول بأن الدولة مسئولة وحدها ودائما عن كل انحراف اجتماعي، فالمجتمع وهو الخلايا البشرية التي تؤلف الأمة يقع عليه العبء الأكبر في توجيه وارشاد ومساعدة النشء الذي تبدو عليه مظاهر الانحراف. وهذه المساعدة تتجلى في الاكثار من انشاء الملاجيء والمياتم والمدارس الخاصة بضعاف العقول والمصابين بالشذوذ النفسي، لأن هذه المؤسسات تحميهم من خطر التسول والتسكع في الشوارع، وتنمّي في نفوسهم بذور الخير. وكذلك فان انشاء الجمعيات الخاصة بالأحداث تتم عمل تلك المؤسسات وتؤازرها في نطاق خدمة الأحداث وابعاد هؤلاء عن سبل الخطيئة والانحراف .. ■■

محمد شمس الدين

سوء حالة الأسرة وفسادها .. وتقصير الرقابة المدرسية .. من آهم الأسباب التي تدفع بالأحداث الى الانحراف .. ان المسئولية الكبرى تقع على المجتمع، قبل الدولة، لمعالجة هذا الانحراف



من أخطاء القضاء

ضحية قرن الجبر

بقلم : حسن الجداوى
المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ وللقضاء الفرنسى كما للقضاء الانجليزى ، وكما لكل قضاء انسانى أخطاؤه . فالعصمة لله وحده . والعقل الانسانى مهما تحرج ، ومهما احتاط ، ومهما استعان بخبرة الخبراء وعلم العلماء ، ومهما وضع من قواعد لتجنب الخطأ ، تتغلب الظروف أحيانا عليه فيجزم حيث كان يجب أن يحتاط ، ويبت حيث كان التردد احق واولى.

مثال ذلك ما حدث ـ فى أواخر القرن الماضى ـ فى «مالونى» احدى قرى مقاطعة « روان » بفرنسا فقد انتقلت « بولين درو » الى تلك القرية بصحبة زوجها واخيها السيد جاستونديلاكروا ،واستاجر ثلاثتهم منزلا واحدا افتتحت فيه السيدة بولين حانة تقدم فيها الخمور ، بينما اشترك زوجها واخوها فى مصنع للمسلى اقاماه خارج المنزل باحد مبانى القرية .

ومضت الحياة لا يعكر صفاءها الا بعض خناقات بين الزوجة وزوجها واخيها ترجع الى أن الزوجة كانت لعوبا وكان الزوج غيورا والأخ يساند الزوج ويعارض تبذل أخته .

وفجأة بدأت المأساة .

فقد تقدم ذات يوم من أيام شهر ابريل عام ١٨٨٧ أحد رواد حانة الزوجة يسترد قبعة كان قد نسيها فى الليلة السابقة ، ولكنه وجد باب الحانة مغلقا ، وكذلك باب المنزل . فاخذ يطرق الباب بشدة . وبعد فترة طويلة أطلت عليه ـ من احدى النوافذ ـ مدام درو ـ فى غلالة خفيفة شفافة وشعر منكوش ـ وبدلا من أن تساله عن حاجته صاحت به « لقد مات زوجى فاسرع الى المصنع وأخطر اخى » .

★ ★ ★

وانصرف صاحبنا فى اتجاه المصنع . وبعد لحظة اقبل احد المارة يسير فى الشارع ، فنادته الزوجة التى كانت لا تزال واقفة أمام النافذة بقميص نومها وشعرها المنكوش وقالت له « بلغ مدام بلاردى أن زوجى قد مات فى الساعة الرابعة من التهاب رئوى فى الرأس (كذا) » . ثم أخذت تصفق بيديها وتهز جسمها كما لو كان ذلك الأمر قد أدخل السعادة الى قلبها . وأخذت تقول : « أجل . لقد مات . مات » .

★ ★ ★

وانتشر الخبر فى القرية الصغيرة المليئة ككل القرى الصغيرة بأثقال القيل والقال . فتقبله أهالى القرية بمشاعر مختلفة . ان موت الزوج المفاجىء غير المنتظر حرك فى أهالى القرية الفضول . فكثيرون منهم رفضوا تصديق الخبر ،

لأن الزوجة لم تكن تحظى باحترامهم . فهي ماجنة مفرطة في شرف زوجها ، تفرط في الشراب . وقالوا انها تهذى أو تمزح مزاحا سمجا .

★ ★ ★

وتجمع أهل القرية أمام المنزل يتبادلون الحديث ولا يدرون ما يفعلون ، فباب المنزل مغلق والزوجة بداخله . وتقدم ثلاثة منهم نحو الباب ليقطعوا الشك باليقين ، ونادوا على الزوجة ، فأطلت عليهم من نافذة غرفتها ـ في نفس كسائها ـ أو بالأصح عريها ـ وأكدت لهم أن زوجها قد مات . ثم نزلت وفتحت لهم الباب . وما كادوا يدخلون حتى هالهم أن وجدوا شقيقها السيد ديلاكروا بجوار باب الكرار ولا أثر فيه للحياة . ولكن أخته أكدت لهم أنه سكران ـ يتصنع الغفلة ـ وطلبت منهم أن يلقوا على وجهه ماء ليفيق .

واقترب منه أحد الشهود يريد أن يسعفه فاذا به يتبين انه جثة هامدة .

★ ★ ★

وحين جابهوا الزوجة بذلك لم يظهر عليها أي أثر لدهشة أو حزن ، وبقيت جامدة كان الأمر لا يعنيها . او كأنها سكرى لا تعي ما يجري حولها ، أو غافلة لا تقدر خطورته . وأسرع الرجال الثلاثة بالانسحاب موقنين أن فاجعة قد ألمت بالأسرة ، واعتقدوا أن تلك هي النهاية الطبيعية المتوقعة للذى ظلت الأسرة تعانيه من سوء خلق الزوجة واستهتارها والخلافات والمشاحنات التي لم تكن تنقطع بينها وبين زوجها وأخيها .

★ ★ ★

وأقبل رجال الشرطة . انهم لم يحضروا للتحقيق ، فلم يكن الأمر قد بلغهم بعد ، ولكنهم جاءوا لدعوة السيد درو للتجنيد لمدة ثلاثة عشر يوما ، وليقوم بالتمرينات العسكرية التي كان القانون يتطلبها من كل قادر سنويا . فلما سألوا عنه تبين لهم أنه توفي ووجدوه جثة هامدة في سريره . جثة باردة بل ومتيبسة ـ كجثة صهره ـ انقضى على موتهما عدة ساعات ـ على عكس ما ادعته الزوجة من أن زوجها لفظ أنفاسه الأخيرة وهو بجوارها في الساعة الرابعة .

★ ★ ★

ولما سئلت الزوجة عن تفسير لهاتين الميتتين الفاجئتين غير المتوقعتين لم تحر جوابا ، ولم تدر كيف تبدد الشكوك التي بدأت تحيط بها وأخذت تهذى بتعليلات متضاربة وكاذبة ، وتهرف كمن به مس أو واقع تحت تأثير الافراط في الخمر .

وتقلب على الناس سوء الظن بها وأجمع أهل القرية ـ أو كادوا ـ على أنها ولا شك ـ والناس تحكم دائما بالظاهر ـ دست السم لزوجها وأخيها لتتخلص من رجلين يقفان حجر عثرة في سبيل حياة المجون والعبث التي تحياها . وتذكروا أن زوجها ـ في يوم الأربعاء السابق ـ كان قد ضبطها في حالة تلبس ، وطردها من منزله . ولكنه لشدة حبه لها ـ ولسلطانها عليه ـ عفا عنها وسمح لها بالعودة الى منزل الزوجية ، مشترطا أن تغلق الحانة التي تديرها . وقد اضطرت على كره منها الى غلق الحانة وأصبح عسيرا عليها الالتقاء بعشاقها . وتأكد الرأى العام أن هذا هو السبب في قتل الرجلين . وأصبح الأمر لديهم حقيقة لا تحتمل جدلا .

★ ★ ★

لم يلتفت الناس الى أن الزوج والصهر كثيرا ما احسوا ـ منذ سكناهم المنزل ـ بثقل في الرأس وآلام في المعدة وقىء لا يعرفان لها سببا . فلما ذكروا بذلك فسروها بأنها من آثار السم الذى كانت الزوجة تدسه لزوجها وأخيها . وتذكروا أنها كانت تبدو سعيدة جدا في تلك المناسبات ، وكانت تقول في سرور انها موقنة أن العام لن يمضي على زوجها ، وأنه لو كان من حظها أن يموت فلن تجد صعوبة في ايجاد من يحل محله في أقرب وقت . بل انها راهنت ذات مرة احدى جاراتها على أربعين فرنكا مقابل فرنك واحد ، أن زوجها لن يمتد به الأجل الى موعد التجنيد السنوى .

★ ★ ★

هذه الأقوال وأمثالها مما أخذ يتناقله أبناء القرية وجهت التحقيق الجنائي ناحية الزوجة ، وجعلت المحقق يعتقد منذ البداية أنها لا شك قاتلة . فسار في التحقيق لا بحثا وراء الحقيقة ، ولكن بحثا عما يثبت العقيدة التي تولدت لديه قبل أن يبدأ التحقيق . ونسي واجب المحقق الأول وهو أن المتهم برىء حتى تثبت ادانته ، وأنه لا بد من أن يثبت أمامه حصول الجريمة قبل أن يبحث عن المجرم .

كلف المحقق طبيبين بتشريح الجثتين وتحليل

محتويات الامعاء ، ففعلا وقدما تقريرهما بان الوفاة حدثت من السم ، ولكنهما لم يستطيعا تبين نوعه ولا تحديد كميته .

★ ★ ★

ولو كان التحقيق قد سار سيره الطبيعي ـ من غير تحامل او فكرة مبيّتة ـ لما قبل المحقق قول الطبيبين انهما تبيّنا وجودَ سمٍّ لم يتعرفا كنهه ولا حدّدا كميته . ولَنَاقشهما مناقشة دقيقة واستعان ـ اذا اقتضى الأمر ـ بغيرهما من ذوى الخبرة الى أن يقتنع اقتناعا جازما بنوع السم والكمية التى وجدت بجثة كل من الضحيتين ، وكان عند ذلك زاد فبحث عن كيفية وصول ذلك السم الى يد الزوجة ، ومن أين جاءت به وكيف دسته لزوجها وأخيها ؟

ولو قد فعل ذلك لاكتشفت الحقيقة ولماتعرضت الزوجة المسكينة لما تعرضت له من ظلم وعذاب اليم .

★ ★ ★

فى هذا الجو الخانق الذى شرحناه مَثَلَتْ بولين أمام محكمة جنايات مدينة روان متهمة بقتل زوجها وأخيها بالسم . وذهبت صرخاتها بانها بريئة فى الهواء ، فقد أوصدَ آذان القضاة والمحلفين دونها تحاملُ الرأى العام عليها ،وصدر حكم محكمة الجنايات عليها فى الخامس عشر من نوفمبر ١٨٨٧ وهو يقضى بالاشغال الشاقة المؤبدة .

★ ★ ★

ودخلت بولين السجن . وقيّدت الى زنزانة انفرادية . وسمعت صرير المزلاج يوصد باب الزنزانة عليها . ووجدت نفسها بين جدران اربعة ـ هى الى المقبرة اقرب ـ فقد كان مقدرا أن لا تخرج منها الا جثة فى تابوت .. ومضت الأيام . كل يوم صورة مكررة من اليوم الذى سبقه واليوم الذى سيليه . الأشغال هى الأشغال . والخطوات التى تخطوها فى الفسحةاليوميةهىنفس الخطوات . وأصناف الطعام هى الأصناف بعينها . ودرجات السلم التى تصعدها أو تهبطها هى نفس الدرجات وفى نفس ساعات النهار .

وبقيت محطّمة لا تحس بما يجرى حولها .

ومضت أيام تتلوها أيام وهى لا تحس بوجودها . ولا تقدّر خطورة العقوبة التى وقعت عليها . ولا تتبين العذاب الجسمانى والنفسانى الذى وقعت فريسته . انها اشبه بانسان أصابته ضربة مفاجئة على ام رأسه وهو واقف على قدميه لم يسقط بعد ، كالطير يرقص مذبوحا من الالم . انها فى غيبوبة عقلية جعلتها لا تنظر ولا تسمع ولا تحس ولا تتالم . انها تتحمل أشياء وتمر باوساط وتؤدى أعمالا لا تدرك كنهها . انها فى غيبوبة افقدتها الحكم على الأمور .

ثم تنبهت وتبينت عظم مصيبتها وفظاعة مصيرها . فاستولى عليها يأس قاتل .

انها فى دوامة من العمل ولكنه عمل لا حياة فيه . عمل خال من كل حماس او تشجيع أو مرح . عمل بغير كلام . فالكلام محرم على المذنبين . عمل لا يجوز لها فيه أن تتململ منه أو تظهر الفرح بانتهاء طريحة اليوم . انها وزميلاتها فى المصنع الصامت ـ الدائم الصمت ـ لا يطرق آذانهن الا صوت كستبان احداهن على ظهر مقعدها تخطر به السجانة أنها انتهت من العمل الذى بيدها وتطلب غيره .

انها حية ميتة . تخشى أن يشعر الآخرون بوجودها . هجرها أهلها . ونسيها أصدقاؤها . تجاهلها الاقارب والمعارف . انها موقنة أن أحدا لا يعطف عليها أو يفكر فيها . خرجت من دنيا الناس ولا يحق لها أن تنتظر كلمة حنان من احد حتى ولا من ابنتها .

لقد ظلت فى هذا الجحيم ست سنوات .

وفجاة . وعلى غير انتظار . دعاها مأمور السجن الى مكتبه وابلغها أن رئيس الجمهورية أصدر قرارا بالغاء ما بقى من العقوبة . وافرج عنها .

★ ★ ★

لقد سبق قرار رئيس الجمهورية حوادث كشفت الحقيقة التى غمُّ عليها طوال تلك السنين .

فبعد موت زوج بولين وأخيها ودخولها السجن خلت الدار التى كانوا يسكنونها . وتقدم لاستئجارها السيد جوتييه وزوجته . انها سيدة فى أتم صحة لم يسبق لها أن شكت مرضا أو أصابها دوار . كذلك كان شأن زوجها . ومع ذلك فما كادا يسكنان المنزل المشئوم حتى بدت تظهر عليهما ـ وبخاصة الزوجة ـ أعراض وأمراض كالتى كانت تبدو على « درو » وصهره . كانت مدام جوتييه تشعر ـ كلما أوقد فرن الجير الملاصق للمنزل ـ بدوار واختناق وفقدان الوعى فى بعض الأحيان . وكثيرا ما وجدها زوجها مغمى عليها لا تسترد وعيها الا بعد أن يخرجها من المنزل

الى الهواء الطلق . وذات يوم من أيام شهر مايو ١٨٨٨ ، ومدام جوتييه بالمنزل بمفردها ، سقطت جثة هامدة . ونقلها الأطباء الى سريرها وحاولوا عبثا ردها للحياة .

وقبل ذلك دخل الحانة التى كانت تديرها مدام جوتييه ثلاثة شبان لتناول أقداح من القهوة ، واحس أحدهم برعشة من البرد ، فاتجه الى جوار الفرن بحثا وراء الدفء . فلما استعوقه زميلاه ذهبا يتفقدانه ، فوجداه فى حالة غيبوبة واعياء ، ولولا سحبهما له الى العراء لما استرد وعيه .

ولاحظ الأطباء الذين جاءوا لاسعاف مدام جوتييه أن فرن الجير كان موقدا تنبعث منه الى داخل المنزل روائح خانقة كريهة . وأن السمك الذى كان الزوج يتجر فيه ويخزنه فى كرار المنزل قد تعفن . ولكنهم لم يعيروا ذلك اهتماما خاصا . وترك جوتييه المنزل المشئوم .

★ ★ ★

وفى العام التالى استأجرت المنزل أسرة دوبو . واصيبوا بنفس الأعراض والآلام . ورأى بعضهم ـ اثناء مروره امام المنزل ـ مدام دوبو تخرج منه فى حالة رعب كما لو كانت تريد أن تستنجد ولا تقوى على الكلام . وسقطت على الأرض . فدخل مسرعا الى المنزل ووجد زوجها فاقد الوعى ممتقع اللون ملقى بجوار مكتبه يسيل الدم من جروح اصابته أثناء وقوعه . ولم يسترد الزوجان وعيهما الا بعد محاولات استمرت اربعين دقيقة .

وعثروا على قطتهما جثة هامدة، وثبت انها ماتت مختنقة .

وقالت مدام دوبو ـ بعد أن أفاقت ـ انه فى كل مرة يوقد فرن الجير تصيبها أوجاع فى الرأس وضربات فى القلب ولا تقوى على المشى . وتنتشر بالمنزل روائح من نوع خاص .

وبناء على شكوى آل دوبو ألغى صاحب الفرن ـ الذى كان يملك فى الوقت نفسه المنزل المشئوم ـ استعمال الفرن وأنشأ له فرنا آخر فى مكان بعيد . ومن وقتها اختفت تلك الأعراض واسترد الزوجان صحتهما .

★ ★ ★

لفتت هذه الحوادث نظر مجلس القرية فكلف مهندسا ببحث الموضوع ، فقدم تقريرا أثبت فيه وجود شروخ بالمنزل الذى سكنه درو ، وجوتييه، ودوبو ، على التعاقب ، ينفذ منها الغاز كلما أوقد فرن الجير .

واصبح واضحا ـ بغير مجال لشك ـ أن الأعراض التى احس بها آل جوتييه وآل دوبو ـ سببها الفرن . ولكن ؟ هل هذه الغازات المنبعثة من الفرن هى التى تسببت فى موت درو وديلاكروا ؟

ان الاحكام ـ فيما يقولون ـ عنوان الحقيقة . والحكم هنا قاطع فى أن الذى قتل درو وديلاكروا هى بولين درو التى تقضى مدة عقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة المحكوم بها عليها فكيف الخروج من هذا المازق ؟



ان الظروف كلها تؤيد أن القاتل هو ذلك الفرن اللعين ، وأن بولين بريئة . فلا أقل من اعادة التحقيق لرفع ظلم يبدو انه وقع ، وتصحيح خطأ قضائى واضح أنه ارتكب .

ولكن ما مصير بولين فى انتظار تحقيق ذلك ؟ أنترك فى جحيمها ؟ لم يكن هذا رأى النائب العام. فتقدم الى وزير العدل يطلب منه استصدار عفو من رئيس الجمهورية عن المدة الباقية من العقوبة وأمر فى الوقت ذاته باجراء تحقيق جديد تمليه الظروف الجديدة .

★ ★ ★

بدأ المحقق التحقيق الجديد فى جو يختلف كل الاختلاف عن التحقيق الاول . واستدعى الطبيبين اللذين قاما بتشريح جثتى درو وديلاكروا ،وعرض عليهما احتمال أن تكون الوفاة قد حدثت من الغازات المنبثقة من فرن الجير ، فتمسكا بوجهة نظرهما الأولى ، وأكدا أن الاصابات الداخلية التى عثرا عليها فى الجثتين تجعل هذا الفرض مستحيلا ويجب استبعاده .

ولكن عقلية المحقق فى هذه المرة اختلفت ، فاستدعى ثلاثة من أساطين الطب الباريسيين ، وكلفهم بدراسة جميع ظروف موت دور وديلاكروا . وبعد دراسة مستوفاة ، وارتكانا على ما أثبته الطبيبان الأولان ، قطعوا بخطأ نظرية الطبيبين الأولين ، وأكدوا بأدلة علمية واضحة ان الغازات المتسربة من الفرن هى القاتلة . وحاول الطبيبان الأولان مناقضتهما ولكنهما ما لبثا أن نزلا على رأى زملائهما واعترفا بأن رأيهم لا يتعارض مع وجود الاصابات الداخلية .

وعرض الأمر برمته على محكمة النقض . فقضت بتاريخ ٢٦ يونيو ١٨٩٦ ـ أى بعد تسع سنوات من صدور حكم محكمة جنايات روان ـ الصادر



.. واقبل رجال الشرطة .. وسالوا عن السيد درو فوجدوه جثة هامدة ..واتجهت الشبهات للزوجة ...

فى ١٥ أكتوبر ١٨٨٧ ـ بالغائه واحالة القضية الى محكمة جنايات روان للفصل فيها من جديد من هيئة أخرى .

★ ★ ★

واستمعت محكمة الجنايات الى أقوال الشهود من جديد وناقشت الخبراء الخمسة ثم استمعت الى مرافعة المحامى العام الذى أخذ يدلل على أن متهمة عام ١٨٨٧ بريئة ـ براءة الذئب من دم ابن يعقوب كما يقولون ـ وانها ضحية خطأ لا شك فيه . ثم أخذ يشرح أن الأخطاء القضائية محتومة فى بعض الأحيان لا سبيل الى تجنبها لاتصالها بضعف الانسان غير المعصوم من الخطأ . وقال ان من الظلم ـ فى هذه القضية بالذات ـ تحميل القضاء وحده وزرها . فقد اشترك فى هذا الخطأ والتمهيد له كثيرون .

وقال ان التيار ـ تيار الرأى العام الخاطىء ـ جرف الشهود والخبراء والمحققين والقضاة والمحلفين . والصحافة نفسها! الصحافة التى طالما عاونت على اظهار الحقيقة جندت نفسها لاهاجة الرأى العام فحملت أكبر قسط من المسئولية . فقد راحت تتابع التحقيق ، وتنشر تفصيلات بعضها مبالغ فيه وبعضها من نسج الخيال ، حتى هيجت الرأى العام فى القرية فلم يعد الناس يرون فى المسكينة الا قاتلة قاسية القلب متحجرة الفؤاد ، حتى أن الجمهور المتجمع أمام باب النيابة العمومية أحاط بالعربة التى كانت تقودها للسجن وأراد أن يفتك بها ويطالب بالقائها تحت عجلات العربة أو تسليمها لهم للفتك بها .

« فى هذا الجو المسمم مَثَلت بولين أمام المحكمة . ووسط هذا الجمهور الهائج ترافع الاتهام متحمسا . ونظر المحلفون الى المتهمة ، لا باعتبارها بريئة حتى تثبت أمامهم ادانتها ، بل باعتبارها قاتلة حكم عليها الرأى العام ، ومطلوب منهم أن يصدروا حكما قاسيا لارضاء الرأى العام . وهكذا اكتفوا بتوكيدات الخَبِيرَيْن دون مناقشة ، وأصموا آذانهم عن محاولات الدفاع اليائسة وعن صرخات المتهمة البريئة » .

وطلب المحامى العام فى نهاية مرافعته البراءة . واكتفى محاميها بالانضمام اليه . وأصدرت محكمة الجنايات حكمها بالبراءة .

★ ★ ★

وجاء دور المطالبة بتعويض المتهمة البريئة عما لحقها من اضرار . وترافع محاميها مدللا أن النيابة العمومية والقضاء هما المخطئان . فما كان لهما أن يتأثرا بالرأى العام وبالاشاعات والقيل والقال . ان الرأى العام يحكم دون أن يحقق . انه غير مسئول . أما النائب وأما القاضى فلا يجوز لهما أن يكوّنا رأيهما الا بالدليل القاطع الذى يريح الضمير ولا يدع مجالا لشك . تبرئة ألف مجرم أخف وقعا من ادانة برىء واحد . وطلب من المحكمة أن تقضى بتعويض يتناسب مع الآلام التى تحملتها المتهمة عن جريمة لم تقع أصلا . ثم وجه الحديث الى الضحية البريئة وقال لها فى حماس أبكى الحاضرين بالجلسة .

« أما أنت يا سيدتى التى طال تألمك من ظلم الناس فأرجوك أن تنسى ـ ان استطعت ـ أغلاطهم وأخطاءهم . تجاهلى الماضى وعيشى فى المستقبل ؟ اننى أراه هنا بجوارك . انه فى تلك البنية اللطيفة التى تحيطك بذراعيها . انه فى ابتساماتها . فى قبلاتها . انك تستطيعين الآن بفضل حكم البراءة أن تسيرى مرفوعة الرأس موفورة الكرامة . وأن تعودى الى موطنك . والى قريتك . فسيعود اليك من عادوك .

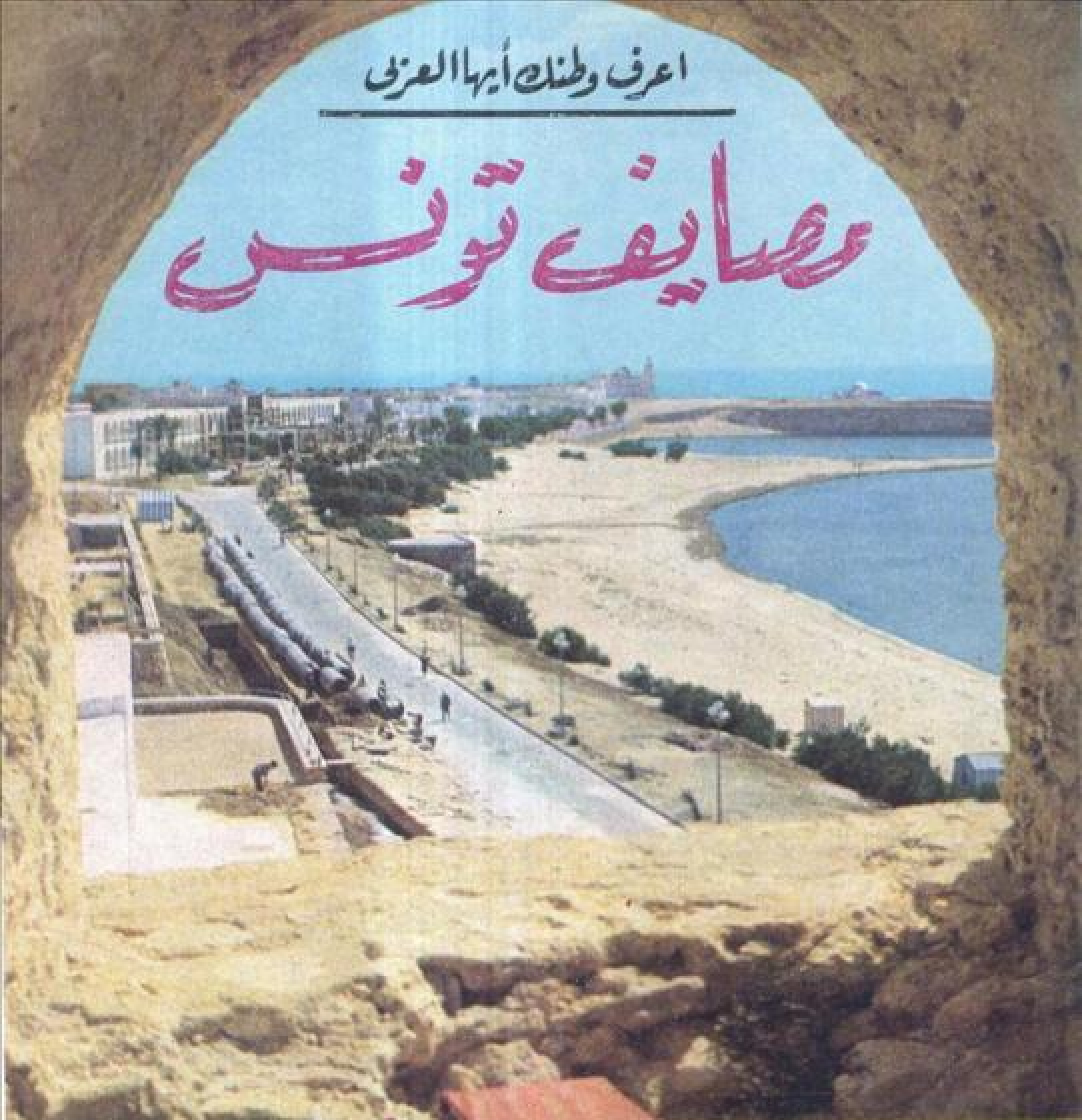
سيعود اليك الذين رموك بالحجارة ولعنوك فى سريرتهم ، مظهرين الندم ، يبادلونك الاحترام والتقدير . فاغفرى لهم . انهم كانوا لا يعلمون . وخذى مكانك بين كرام الناس .
عودى اليهم يا سيدتى وتجاهلى الماضى » .

ووقف المحامى العام يطالب باستعمال الرأفة ـ مع الحكومة ـ فى تقدير التعويض على أساس أن هذه أول قضية بعد صدور القانون الذى يقضى بتعويض ضحايا الخطأ القضائى . ولكن المحكمة لم تجاره فى طلبه وحكمت لبولين بأربعين ألف فرنك تعويضا وبنشر الحكم فى أمكنة مختلفة من القرية وعدد من الصحف وفى الجريدة الرسمية .

حسن الجداوى المحامى
لدى محكمة النقض ـ القاهرة

اعرف وطنك أيها العربى

مصايف تونس



يحيط البحر بتونس من الشمال والشرق ، فيجعلها مصيفا ساحليا رائعا ، وهذه مدينة المنستير التى أجريت لها عمليات تجميل كثيرة جعلتها هدفا للمصطافين الى وسط تونس .

● تجمع بين جمال الطبيعة وروعة التاريخ ووسائل الاستشفاء

● بحامياه معدنية تشفى الأمراض العصبية .. وعقم النساء !

فى العدد ٤٢ من العربى نقلناك فى جولة بين مصايف شمال تونس الخضراء .. واليوم ننتقل معك ثانية الى مصايف تونس التى فى وسط البلاد .. ان تونس هى من أقرب البلاد العربية الى أوروبا ، ولهذا تعتبر امتدادا طبيعيا لرحلة السياح فى أوربا ..

■ لا يستطيع زائر تونس العاصمة ان يتركها دون ان يزور المصايف والشواطىء المحيطة بها من كل جانب ..
انها شواطىء صاخبة ، تحمل اسماء غريبة ، يقصدها السائحون الاجانب ، كما ينتقل اليها المصطافون من المواطنين التونسيين ، وخاصة سكان العاصمة الذين يحملون معهم اثاث منازلهم !

وعلى الرمال البيضاء الناعمة تتلاقى العائلات والاصدقاء ، وترتفع الاصوات سعيدة فرحة،كل يحيي صاحبه باللهجة التونسية العامية السريعة :



خريطة توضيحية ، ظهرت عليها اماكن أشهر المدن والمصايف التونسية ...

ـ مرحبا بيك ، جيت للخلاعة ؟

والخلاعة معناها التصييف !

ان الكل سعيد لانه ترك العاصمة الحارة ، واتجه الى هذه الشواطىء القديمة الجميلة الساحرة ..

وفي مقدمة المصايف التونسية تقف « قرطاج » ، او « قرطاجنه » .. حيث يستحم المصطافون ويستريحون تحت ظلال اطلال هذه المدينة التاريخية التي ارعبت امم البحر المتوسط منذ اكثر من الفي عام .. انها مسقط راس هانيبال القائد القرطاجني الذي هدد اسوار روما وكاد ان يكتسح بجيشه البلاد الاوروبية ..

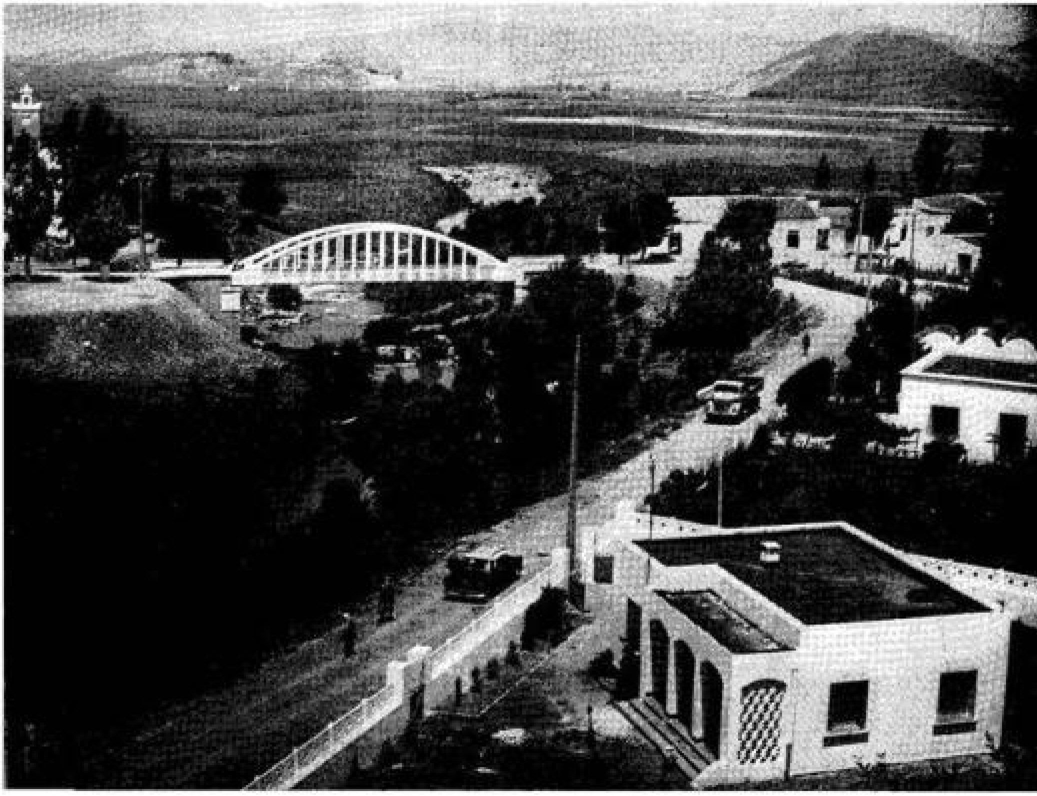
ان قرطاجنة تبعد ١٨ كيلو مترا عن العاصمة ، ولكنها مرتبطة معها بترام كهربائي ، يحمل المصطافين والسياح الذي يقصدون اليها لمشاهدة آثارها وزيارة متاحفها ذات المعروضات التاريخية العظيمة ..

اميلكار .. وابو سعيد .. وصالمبو !

وبجانب قرطاج يقع شاطىء اميلكار الجميل بمقهاه الكبير ..

وعلى قمة جبل المنار يقع مصيف « سيدى ابو سعيد » ، الذى سمي بذلك لقربه من مقام ابى سعيد الباجى ، احد رجال تونس فى القرن السابع الهجرى ..

ان « سيدى ابا سعيد » هو مصيف الطبقة العالية في البلاد ، وقد اشتد ولع الاجانب بامتلاك بيوته البيضاء ذات النوافذ والابواب الزرقاء ، والمسامير السوداء حتى اصبح الكثيرون منهم يمتلكون البيوت الجميلة الانيقة فيه . واشهرهم البارون دير لانجي ، الثرى الانجليزى الذى بنى قصرا رائعا على الطراز العربي الاصيل ، وسط حديقة اندلسية يانعة .. ولم يكتف بهذا بل عمد الى تكوين فرقة موسيقية اندلسية،



تمتاز مدينة سوسة والمهدية بصيد أسماك السردين الموجود بكثرة في ماء البحر ، وهناك معامل لتعليبه بسهولة نظرا لكثرة معاصر الزيتون ووجود الملاحات الكبيرة في المنطقة ، ويعمد الصيادون الى صيد السردين في الليل بواسطة لمبات بترولية كبيرة ..

وقام برحلات الى مكتبة الاسكوريال بمدريد حيث درس ، ونسخ ، اغلب المجموعات والمخطوطات الفنية الاندلسية ، والف مجموعة كتب تحتوى على ستة مجلدات في هذا الفن ..

والى جانب سيدى ابي سعيد يمتد شاطىء حلق الوادى ، ميناء تونس الخارجي حيث تستريح البواخر الكبيرة التي لا تستطيع دخول قناة تونس ، انها تفرغ بضائعها على الارصفة ، بينما المستحمون يتنقلون مغتبطين فرحين بين رمال الشاطىء البيضاء ، ومياه البحر الزرقاء ، والمقاهى تزاحم المطاعم فتقدم لروادها السمك المشوى الشهي .

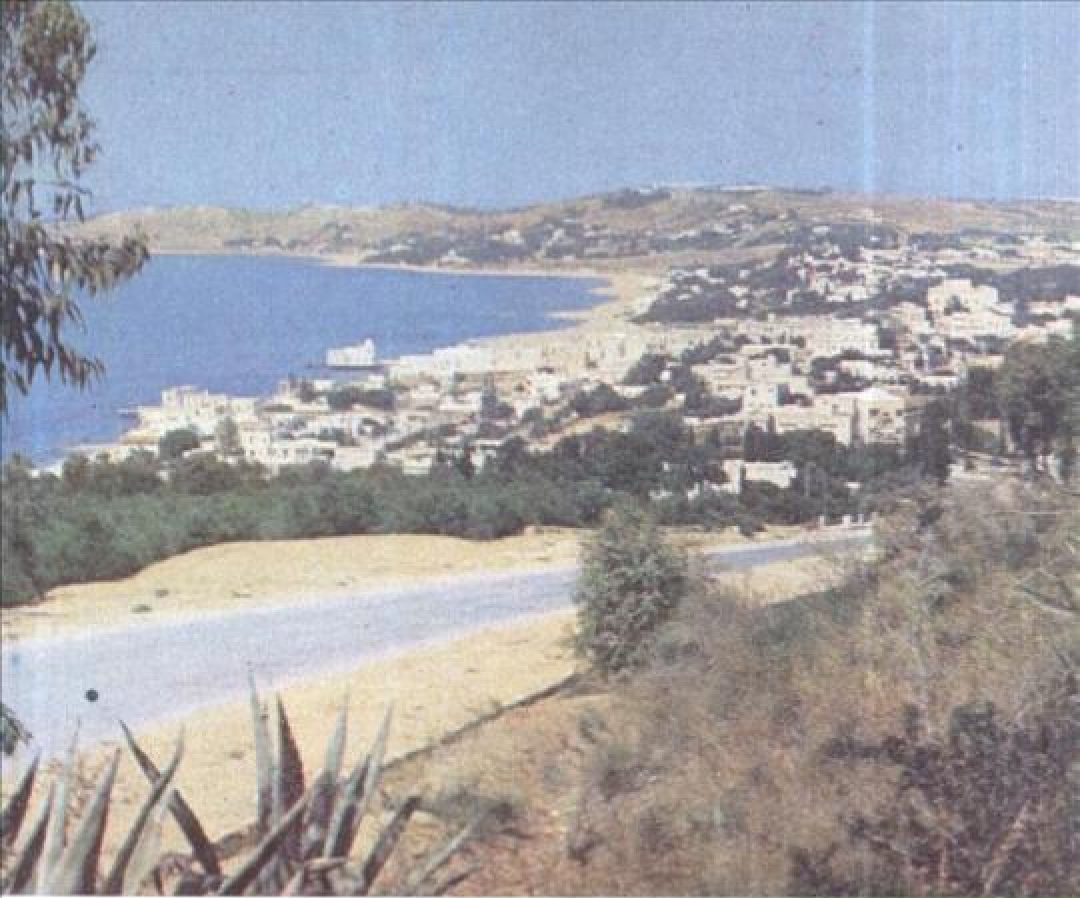
اما « الكرم » فشاطىء بحرى ضيق صغير له عشاقه الذين يقصدونه لتغطية اجسامهم برماله الحارة التي تعالج الروماتزم وتقضى عليه ..

وهناك شواطىء « صالمبو » القائد القرطاجنى القديم ، ويتميز هذا الشاطىء بوجود متحف للاحياء المائية فيه ..

وشاطىء « رواد » بضاحية اريانة و « قمرت » الشاطىء ذو الرمال البيضاء الناعمة ، والمقاهى والملاهى التى لا تمتلىء الا في عطلات نهاية الاسبوع ...

رحلة عبر التاريخ

ان المصايف التي تحيط بتونس العاصمة تجذب اليها سكان هذه المدينة



ما يكاد السائح يترك تونس العاصمة حتى تصادفه عشرات المدن كلها تدعوه للاصطياف فيها، ومن أقرب الأماكن للعاصمة بلدة المرسى ، التي تبعد ٢٢ كيلو مترا عن العاصمة، وتتميز شاطئها الرملي الأبيض الذي يجذب اليها المصطافين من العاصمة وخارجها ..



بائعان للفراولة ، يعرضان فاكهتهما الشهية على المسافرين بالسيارات بين « نابل » و« الحمامات » ، حيث تنمو مختلف الفواكه والخضروات ..





... وهذا طفل آخر يقابلك على طريق المصايف الطويل ، ليعرض عليك طلائع سنابل القمح لتعلقها فى منزلك رمزا للرخاء والخصوبة ..

بلدة سيدى أبى سعيد تقع فوق قمة تل مرتفع على بعد ٢٠ كيلو مترا من العاصمة ، وتتميز بمنازلها ذات الطابع الأندلسى ، انها مصيف ينعم المرء فيه بالراحة والهدوء ..



اما السائح القادم من الخارج فيميل للشواطىء الاخرى البعيدة عن العاصمة، فلا يلبث ان يعثر على ضالته بسهولة ويسر .. فشواطىء تونس تمتد الى ١٥٠٠ كيلو متر مما يجعلها مصيفا كبيرا متنوعا واسعا يتنقل السائح بين ارجائه بالسيارات على شبكة طرقات معبدة رائعة ..

انها رحلة عبر التاريخ ، وسط مصايف متناثرة على ارض حباها الله بتأثيرات مناخين يتنازعانها : مناخ البحر المتوسط اللطيف الرطب، ومناخ الصحراء الجاف الملتهب ..

ان هذا المناخ يجعل تونس صالحة لزراعات متنوعة زاهرة .. من تين و برقوق وبرتقال ورمان ولوز وخوخ (دراق) .

ويجذب هذا المناخ السياح على مدار السنة ، انهم يأتون من اوربا ، التي تبعد عن تونس بمقدار ٩٠ دقيقة بالطائرة ويتناثر هؤلاء السياح من مارس الى اكتوبر بين مصايف العاصمة ، ونابل والحمامات ، وبنزرت ، وطبرقة في الشمال .. وفي الشتاء يأتون من اكتوبر الى مارس ليقيموا بين الوسط والجنوب : في قربص ، وسوس ، وصفاقس وينتقلون بين واحتي توزور ونفطة حيث عيون المياه المتدفقة التي تروي نخيل «دقلة النور» اطيب واشهى التمور ..

مناطق باكملها للمياه المعدنية

واول ما يقابلك بعد ترك العاصمة وضواحيها هو مناطق المياه المعدنية ،ذات التأثير الكبير لعلاج العديد من الامراض.

واهم هذه المناطق منطقة « حمام الانف » حيث يتلاقى الشاطىء الرملي بالجبل العالي « ذو القرنين » .. وتتلاقى مياه البحر الزرقاء والباردة بمياه الآبار المعدنية اللاهبة ، التي يبردونها من درجة ٤٩ مئوية الى درجة ٣٨ حتى يستطيع المريض ان يغطس فيها لمدة تتراوح بين ٦ و ١٢ دقيقة تحمر خلالها بشرته ، ويشعر بحرارة كبيرة ، وبعد خروجه من الحمام يلتحف بقطعة من الصوف ، تزيد في حرارة جسمه ، فيتصبب العرق غزيرا منه ، يبدأ بعدها الاختصاصيون في تدليك جسمه ، حسب ارشادات الاطباء .. ويحتاج العلاج الى اخذ عدد من الحمامات يتراوح بين ١٥ و ٦٠ حماما.

وهذه المياه تعالج امراض العظام والروماتزم ، والامراض العصبية والجلدية ، والشلل واخيرا عقم النساء، ثم الامساك ! . هذا ما يقوله المسئولون عن هذه المحطة العجيبة في المياه ..

ان جمعية البحث عن « المدن التوائم » في العالم قد جعلت من « حمام الانف » المدينة التوام لمدينة سالزوماجوري الايطالية الشهيرة بمياهها المعدنية ..



سائق عربة الحنطور في منطقة حمام الانف .. ان هذه العربات قد اوقفت في العاصمة



وسط هذه الاشجار الكبيرة يقضي أهل العاصمة ومدن
تونس وقتا طيبا في منطقة حمام الانف الشهيرة بمياهها المعدنية

«قربص» و«نابل» و«زمبرة» و «زمبرته»

واكبر منافس لمياه « حمام الانف » هي مياه مدينة « قربص » التي تبعد ٥٠ كيلو مترا عن العاصمة (انظر الصور ص ٩٠) .

وتشتهر « قربص » بعيونها المعدنية الخمس : الاولى هي عين « العتروس » لعلاج أمراض الكبد ، والثانية « عين الشفاء » لعلاج امراض المعدة والامعاء ، والثالثة « عين الكانا سيرة » لعلاج الامراض الجلدية ، والرابعة هي « عين اقطر » أشهر عيون « قربص » وماؤها يعالج اوجاع الكلى وسوء الهضم ، والخامسة هي العين الكبرى ومياهها تعالج الروماتزم والاعصاب ، ومنهايشرب اهل قربص . .

ومن قربص يمكننا ان نسير شمالاعلى « شاطيء الشمس » كما يسمونه ،ويتجه حتى راس « كاب بون » حيث جزيرتا زمبرة وزمبرتة ، اللتان تقفان كالحارس تحرسان خليج تونس ! .

ويمكننا كذلك الاتجاه صوب الشرق، عبر مزارع البرتقال ، والليمون ، والياسمين ، والورود ، لنصل الى « نابل » عاصمة الصناعات التقليدية التونسية ، حيث يتم صنع اجمل المصنوعات الفخارية . .

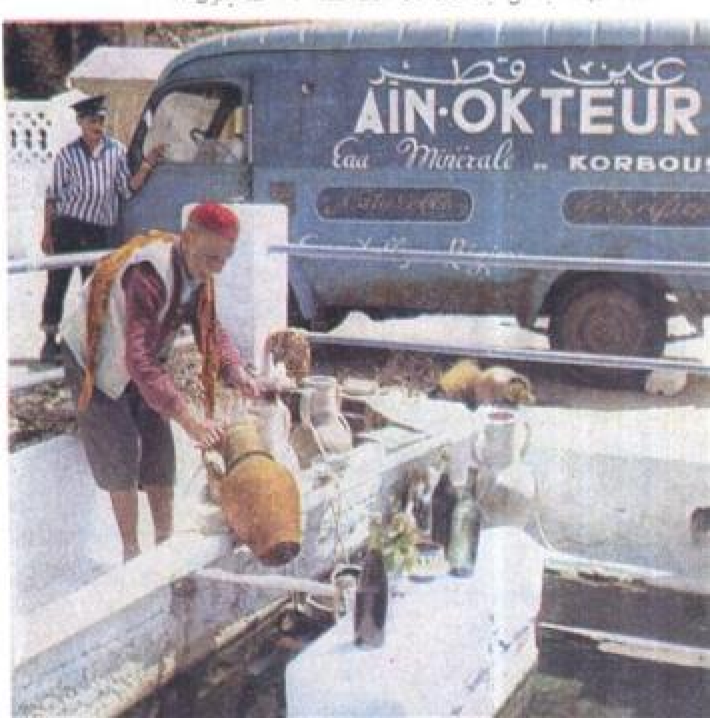
وفي نابل خمسة مصانع لتقطير الماء والعطر من الورد والزهور . . والى جانب مصنوعاتها تتميز نابل بشاطئها ومقاهيها ومزارع البرتقال ، الذى يقيمون له احتفالا كبيرا في النصف الاول من مايو

قربص : مركز المياه

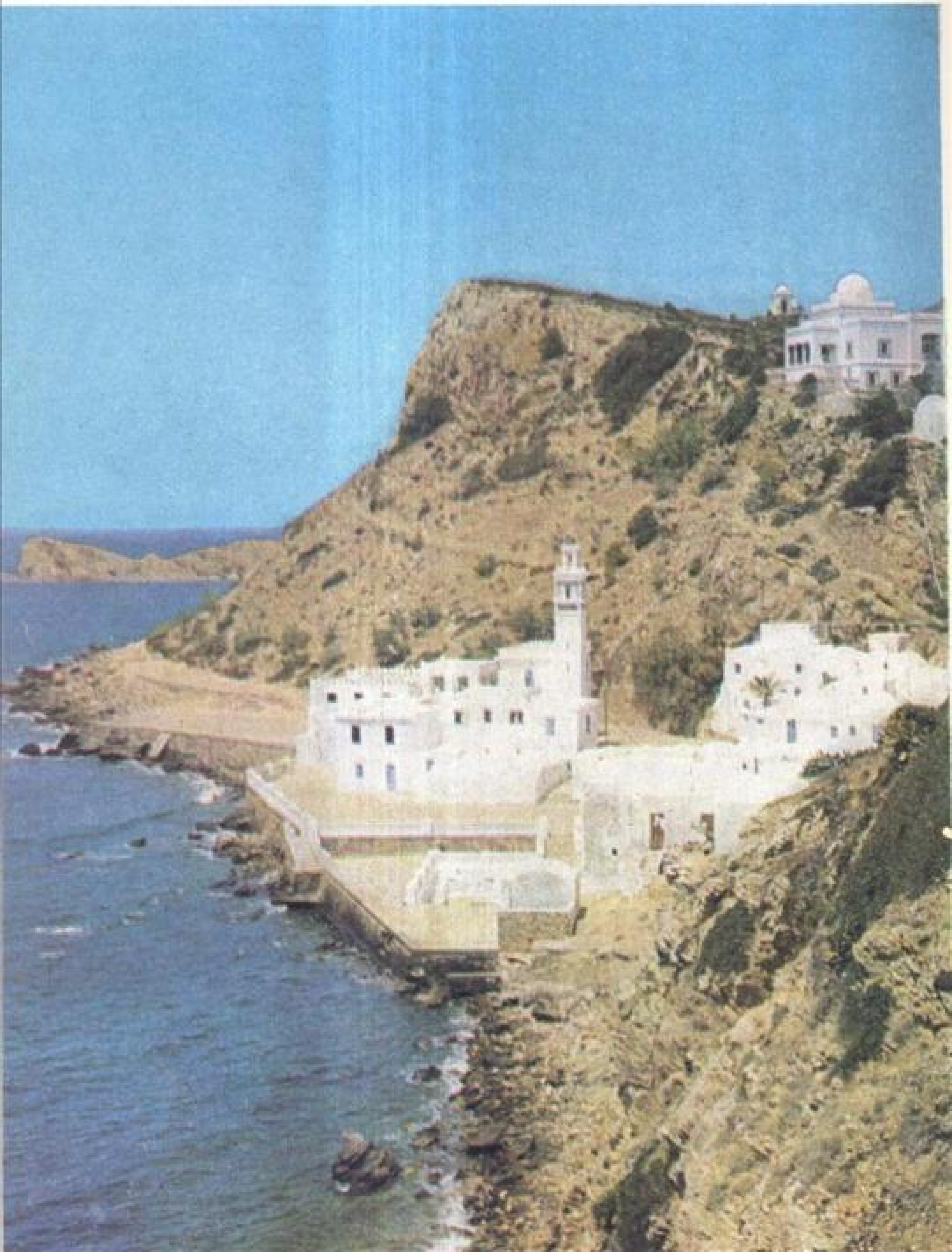




تقع قرية **قربص البيضاء** الجميلة على بعد ٤٩ كيلومترا من تونس العاصمة وتحتضنها الجبال من ثلاث جهات ، والبحر من الجهة الرابعة (الصورة اليسرى) .. ويأتيها الناس في الربيع والشتاء وبعضهم يأتيها في الصيف للعلاج بمياهها المعدنية العديدة فينزل في فندقهـــا ذي الثماني والعشرين غرفة مقابل دينارين تونسيين لليوم الواحد **(الصورة العليا)** ثم يتجه الى عيونها المعدنية ، وهي ذات فائدة أكيدة لعلاج العديد من الامراض .. والى اسفل تبدو سيارة « عين اقطر » وهي عين مياه معدنية تنقل مياهها الى العاصمة ، ويرى بجانب السيارة محمد البدري الذي يقوم بجلب حشائش معينة من أعالي الجبال ويتركها في أواني فخارية داخل المياه المعدنية الحارة لمدة أسبوع وبعدها يضعها في زجاجات يبيع الواحدة منها بـ ١٥٠ مليما لعلاج أمراض البرد والكبد والمعدة والامعاء .. انه يتوارث هذه المهنة أبا عن جد منذ ٥٠ ألف سنة .. كما يقول !!



المعدنية التى تشفى الامراض الجلدية ، والكلى ، والروماتزم ..





يحيط البحر بتونس من الشمال والشرق ، فيجعلها مصيفا ساحليا شاعريا ..وأغلب رمال الشواطىء بيضاء ناعمة ، تتكسر عليها أمواج البحر الهادئة ..

كل عام ، يستمر اسبوعا كاملا ويحضره حشد هائل من السياح واهل المدن التونسية ..

ان نابل تسير بخطوات ثابتة لتصبح من كبريات مدن الاصطياف في تونس ..

ايزنهاور وتشرشل في الحمامات

وتنتقل من نابل الى « الحمامات » البلدة الصغيرة ذات الجو المعطر برائحة زهر اشجار البرتقال والليمون ، الممتدة بساتينه حتى شاطىء البحر ..

ان مناخ وشاطىء « الحمامات » يجعلانه مصيفا ومشتى في آن واحد، حتى فنادقها الخمسة تكاد تكون كاملة العدد على مدار السنة .. واكثر الاجناس اقبالا على « الحمامات » هم الالمان والسويسريون والانجليز . وكثيرا ما جاءها تشرشل ، كما زارها ايزنهاور للتمتع بشمسها الساطعة وجوها اللطيف ..

والى جانب الشاطىء حيث اشجار البرتقال والليمون يعمد الاهالى الى شغل التطريز وعمل الدانتيلا، والسجاد الاحمر، يبيعونها للسياح القادمين.. ويعرضونها في المعرض الدائم للفن التونسي الواقع على الطريق الرئيسي بالمدينة ..

والى الجنوب من « الحمامات » تقع مدينة سوسة ، التي تتميز بسعة رقعة شواطئها الرملية وأمن مسابحها البحرية الخالية من الصخور والتيارات المائية والامواج ، مما يجعلها المصطاف المفضل



يسير برنامج أقامة الفنادق الكبيرة بخطوات سريعة ، فالمصطافون والسياح كثيرون بينما عدد الفنادق قليل ، وهذه صورة التقطت داخل فندق المنستير الكبير ..

لاكثر سكان الوسط التونسي ، وخاصة من جهات القيروان فى الداخل ..

وتبعد سوسه ١٤٩ كيلو مترا عن العاصمة ، ويزيد عدد سكانها عن ٤٠ الف نسمة يعيشون في سوسه القديمة وسوسة الحديثة ، وتتميز « سوسة » بزيتها واسماكها وتاريخها العربي المجيد ، فمن هذا الميناء خرجت قطع الاسطول الاسلامي لاحتلال جزيرة صقلية منذ الف ومائة عام تقريبا ، وما زالت قلعة « سوسة » قائمة حتى اليوم ، رغم انها بنيت عام ٨٢١ م .

« نيس » المستقبل !

ومن سوسه يستطيع المرء أن يتجه غربا الى القيروان ، او جنوبا حتى صفاقس ، فيمر على « الجم » اكبر مسارح الرومان المكشوفة وكان يتسع لجلوس ٦٠٠٠٠ شخص .

ولكن هذا الطريق يفسد عليك مشاهدة اجمل مصايف وسط تونس وهما المنستير ومدينة المهدية .

ان « المنستير » هى مدينة نيس المستقبل ، ان الاستعدادات والاصلاحات قد اوشكت على الانتهاء ، ان لم تكن قد انتهت فعلا ، لجعلها العاصمة الصيفية للبلاد .. انها المدينة التي تجمع الشاطىء الجميل الخلاب ، والازهار الجميلة ذات العطر الفواح ..

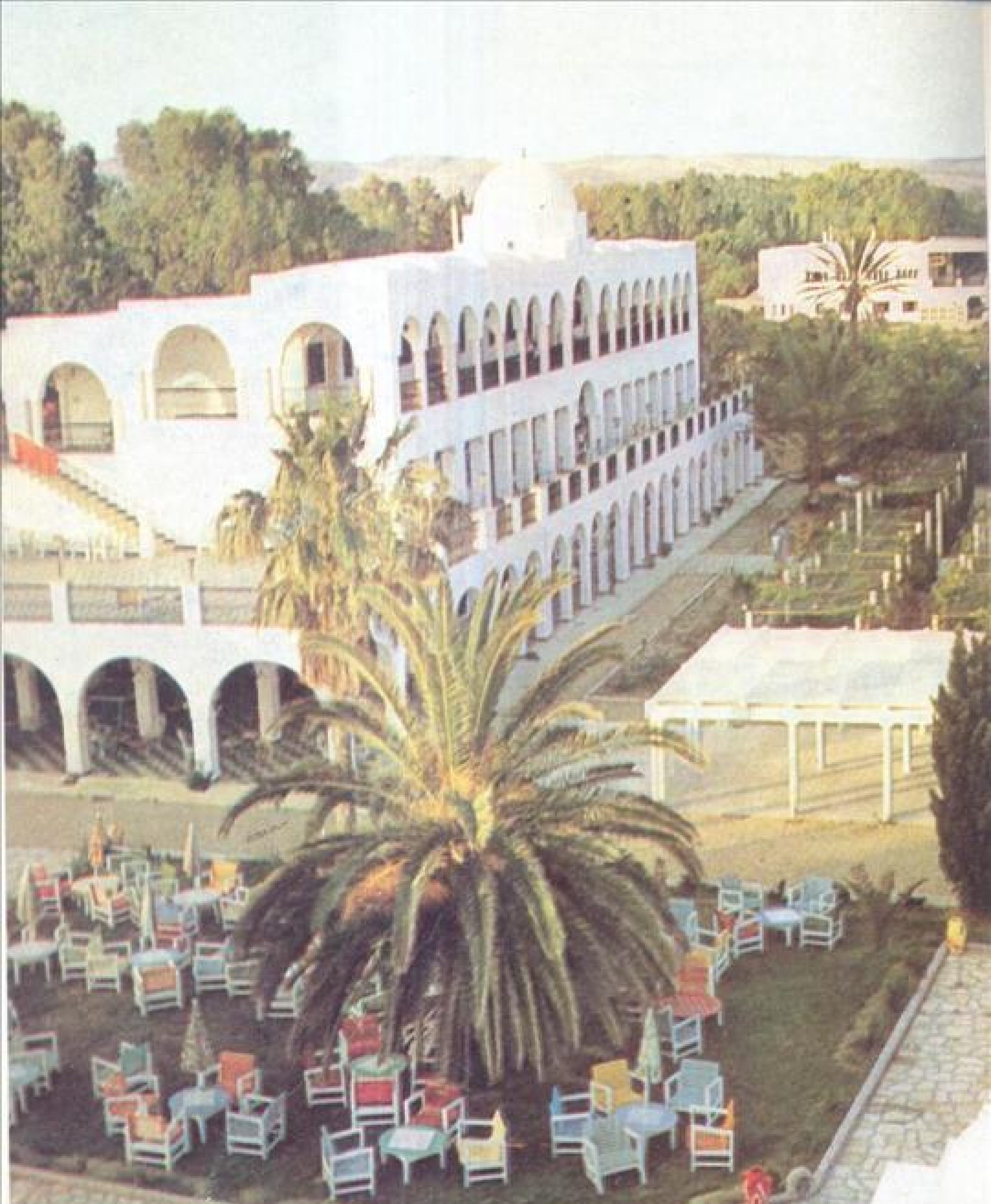
وتشرف على المنستير قلعة كبيرة بناها

الى اليمين : يتفنن اطفال تونس فى خلق مصنوعات خفيفة من منتوجات بلادهم ، وهذا احدهم وقد صنع قبعات مبتكرة من ساق سنابل القمح يعرضها على احدى المصطافات فى الطريق المؤدى الى الحمامات ..



الى اسفل : لا يحتاج أهل العاصمة الى عناء كبير للاستحمام فى البحر ، فالشواطىء الجميلة تحيط بالعاصمة ، وترتبط معها بشبكة من الطرق معبدة ووسائل نقل مختلفة ... والى اسفل احدى العائلات التونسية تقضى وقتا طيبا على رمال شاطىء قمرت ..





أجمل الفنادق في بلدة الحمامات ، التي تشتهر بالبرتقال والليمون . انها تبعد ٦٥ كيلومترا من العاصمة ، وهي مصيف ومشتى في آن واحد يقصدها السياح من أوروبا بكثرة زائدة مما يجعل فنادقها الخمسة كاملة العدد دائما .. ونرى هنا « نزل الفرابي » أجمل فنادق تونس فهو يقع على شاطئ الريفييرا التونسية وسط حديقة برتقال واسعة كبيرة .. ويضم ٨٥ حجرة كلها بحمامات خاصة ، والاقامة فيه تكلف ثلاثة دنانير للشخصين مع الأكل ..

الحاكم ابن عيان عام ٧٩٦ م وقد انتهى العمل من اصلاحها وترميمها واصبحت تستقبل الزوار والمصطافين ..

وفي وسط خليج المنستير تقع ثلاث جزر صغيرة ، في احداها مصنع لتعليب سمك التونة ، الذى يبدأ صيده من نهاية شهر ابريل حتى اوائل يونيو ..

ونترك المنستير لنتجه الى المهدية ؛ فنشهد على الطريق سلسلة جبال بيضاء، كلها من اجود انواع الملح الذى يستخرج بكثرة في هذه المنطقة ليصدر للنرويج والدانمرك والسويد والبرتغال ..

وندخل الى مشارف المهدية ، التى كانت في يوم ما عاصمة لتونس الفاطمية فنجدها واقعة على لسان صخرى كبير يمتد ١٥٠٠ متر الى داخل البحر ؛



يجرى العمل على قدم وساق فى ترميم واصلاح مسجد المهدية الأثرى ، الذى بناه عبيد الله المهدى ليكون مركزا للدعوة فى المغرب .. انه من أعظم الجوامع التاريخية قيمة فى تونس ..



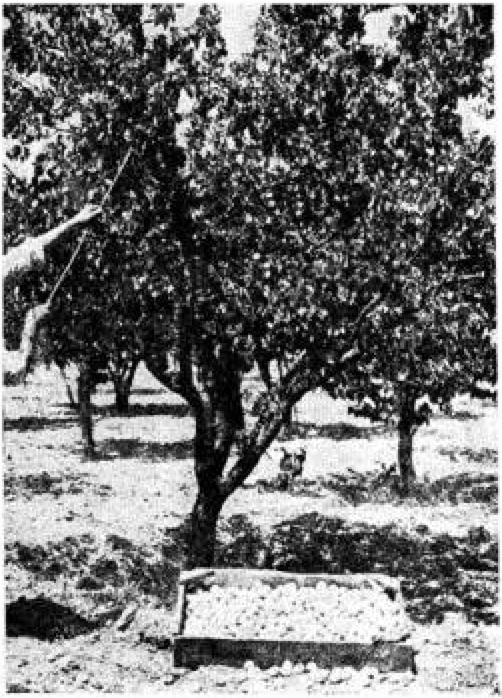
مدينة سليمان قرب حمام الأنف انها المدينة التى بناها المهاجرون الأندلسيون عام ١٠٣٥ هـ وتعتبر مئذنة جامعها من أجمل المآذن التى لم يكن لها مثيل الا فى الأندلس .. ومن مدينة سليمان بدأ أهل الاندلس فى تعليم أهل تونس طريقة غرس اشجار الفواكه وزراعة الخضروات ، التى لم يكن يعرفها أهل البلاد .. ومن الطريف ان عائلات مدينة سليمان ما زالوا يحملون اسماء اسبانية الأصل مثل ميريشكو وما ضور وغيرهما ..

وعرضه اقل من ٥٠٠ متر .. وما زالت بقايا اسوار المدينة القديمة ظاهرة ، وكذلك الحصنان الكبيران ما زالا قائمين حتى الآن ..

ان باني المهدية هو الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدى الذى اعطاها اسمه فعرفت به . وظلت تكبر حتى سميت عاصمة افريقيا :

ان اشهر ما في المهدية اليوم هو جامعها القديم الذى يجرى ترميمه حاليا، ومزارع الزيتون التى تمتد على امتداد البصر.. ومعاصر الزيت التي تقوم بعصر الزيتون ..

ان مصائف تونس الطبيعية الرائعة تجذب اليها شباب العالم الذين يقصدونها في جماعات كبيرة ، تأتي من ايرلندا



١١٠ كيلومترات من بساتين الفاكهة تمتد بين نابل والحمامات وهذه هي منطقة الجبل الأبيض انها مثل بقية الأرض التونسية ، أرض زراعية تصلح لغرس الفواكه المختلفة ، ولكن هذه المنطقة تنجح فيها زراعة شجرة الفراولة بالذات ..



وسويسرا والنمسا ، وانجلترا وبلجيكا ، والمانيا ، وعند وصولهم الى تونس يقيمون في دور الضيافة التونسية ، التي تعتبر منزلا للشباب ، يجدون فيها امكنة لنومهم ، واكلهم بأسعار زهيدة ، فمثلا سعر الاقامة في هذه الدور لليوم الواحد ١٠٠ مليم تونسى، ووجبة الغذاء تتكلف ١٥٠ مليما .. وللشباب ان يطبخوا طعامهم اذا أرادوا في مكان اعد خصيصا بالمصائف كما قلنا لهذا الفرض.

ان هؤلاء الشباب يأتون لمصايف تونس من كل انحاء العالم ، اما من ناحية الوطن العربي فالاقبال معدوم ، لان ابن الشرق كان يجهل كل شيء عن : قمرت واميلكار والمنستير، وقرطاج، والحمامات ونابل ، وقربص ..



نابل : عاصمة الصناعات التقليدية التونسية، وتقع على ٧٩ كيلومترا من تونس العاصمة ، وبها شاطىء بحرى جميل يقبل عليه المصطافون للاستحمام ولمشاهدة صناعة نقش وتلوين الفخار التى تدل على براعة وحذق أهل نابل، الذين يستعملون الألوان المعدنية فى عملهم -- ويتعرض الخزف التونسى لمنافسة قوية من قبل الخزف الإيطالى والاسبانى والفرنسى ، لهذا عمدت الحكومة الى انشاء ديوان لحماية الصناعات التقليدية وتحسينها للمحافظة عليها.



« ابو قراط .. » .. أبو الطب

(الصورة ص ٢)

■ كان « ابو قراط » Hippocrates من اشهر اطباء القرن الخامس قبل الميلاد ، وقد خلف من المعرفة بالطب ، ما سجّل اكثره بعد وفاته . على أن هناك اجماعا على انه كتب بنفسه «الحكم المأثورة» و « النذر الطبية » ـ أو أعراض الأمراض ـ و « الحمية ونظم التغذية في الأمراض الحادة » و « جراح الرأس » .

ولد « أبوقراط » ، في جزيرة « قوس » ، من جزر بحر ايجه ، لأب كان طبيبا ، فأخذ عنه وبزه ، وأصبح ذائع الصيت ، وكان له في جزيرة مصح يسعى اليه جموع من المرضى والزائرين ، وله فيه مدرسة كانت أرقى مدرسة للطب في عهد البطالسة .

وكان أهم أفضال « أبو قراط » سعيه لفصل الطب التطبيقي ـ أو التطبيب ـ عن الدين والفلسفة ، ايمانا منه بأن الأمراض تنشأ عن أسباب طبيعية ، وليست من عمل الالهة . وقد حظى الطب الوقائي بنصيب وافر من مؤلفاته ، اذ كان يعتقد أن الطبيب البارع يستطيع بدراسة الأحوال البدنية بعناية ، أن يتبين مسرى المرض وتطوراته المقبلة . وكان مقلا في استخدام العقاقير نسبيا ، ولكنه كان يستخدم المقيئات ، والحقنة الشرجية ، وفصد الدم ، والتدليك .

وكانت خير وسيلة للبرء ـ في رأيه ـ هي التزام نظام مناسب في التغذية ، واتباع حياة معتدلة .

ولقد كان تقدم التشريح والجراحة بطيئا لدى الاغريق ، وان كانوا على معرفة بعمل القلب ووظائفه ، كما كانوا يدركون أن المخ هو مركز الوعي والحس والتفكير . وكانوا يمارسون جراحة عظام الرأس وعلاج انتقال العظام من مواضعها ، بأساليب تقرب من الأساليب الحديثة .

على أن من أهم ما أداه « أبو قراط » وزملاؤه من أطباء القرن الخامس قبل الميلاد ، هو وضع القوانين الخلقية التي ما يزال الأطباء يرعونها الى اليوم ، حتى أن الطبيب لا يمارس مهنته الا بعد أن يؤدي « يمين أبو قراط » . ■■

كيف خلق الله المرأة

● في أصيل يوم ، أرسلت جسمي يتمدد على أريكة تحت ظل شجرة ، وأخذت بين يدي كتابا لأعيش على ما تضمنته دفتاه من رياض الشعر والأدب ، واسترسلت معجَبة حتى وقفت عيني على عبارة صغيرة في لفظها ، كبيرة في معناها الا وهي ... **كيف خلق الله المرأة ...**

لقد أخذت من القمر استدارته ، ومن البحر عمقه ، ومن الأمواج مدّها وجزرها ، ومن النجوم لمعانها ، ومن شعاع الشمس حرارته ، ومن الندى قطراته ، ومن الريح تقلباتها وعدم ثباتها ، ومن النبات ارتجافه وارتعاشه ، ومن الورد لونه وعطره ، ومن الأزهار مخمَلَها ، ومن الأوراق خفتها ، ومن الأغصان تمايلها ، ومن الأشجار حفيفها وأنينها ، ومن النسيم لطفه ورقته ، ومن الخمر نشوتها ، ومن العسل طعمه وشهده ، ومن الذهب شعاعه ، ومن الماس قساوته ، ومن الحية حنكتها ، ومن الحرباء تلونها ، ومن الغزال شروده ، ومن المَهَا عيونها ، ومن الأرنب خجله وحياءه ، ومن الطاووس زهوه وخيلاءه ، ومن الأسد قوته ، ومن الزمان خيانته وغدره ، ومن الثعلب روغانه ومكره ، ومن العقربة لدغتها ، ومن اليمامة نغمتها ، ومن الببغاء هذيانها وكثرة كلامها .

كل هذه الصفات قد جمعها وسكبها في بوتقة وصنع منها المرأة ...
وأضاف اليها فوائدها الكثيرة منها : تغذية الرجل وقيادته .

أمل التيناوي



أنباء الطب والعلم .. والاختراع

النجوم : أزواج فأكثر ، والاقل فرادى ..

● هذا ما عرضه العالم الفلكي ورلى Warley على الجمعية الفلكية الأمريكية فى اجتماع قريب لها مضى . قال أن نجوم السماء ، وعددها يبلغ عشرة آلاف مليون مليون نجم ، يتألف أكثرها من مجموعات مثنى وثلاث وفوق ذلك عدا ، ويتألف أقلها من نجوم كالشمس قائمة وحدها على انفراد .

وتطرق من بعد ذلك الى احتمال وجود كواكب ككواكب الشمس من زهرة وارض ومريخ مع هذه النجوم ، من مزدوجة ومنفردة .

وقال بصعوبة احتمال وجود كواكب مع النجوم المزدوجة ، لأن أفلاك هذه الكواكب يكون كل منها عند ازدواج النجوم حرجا غير مستقر .

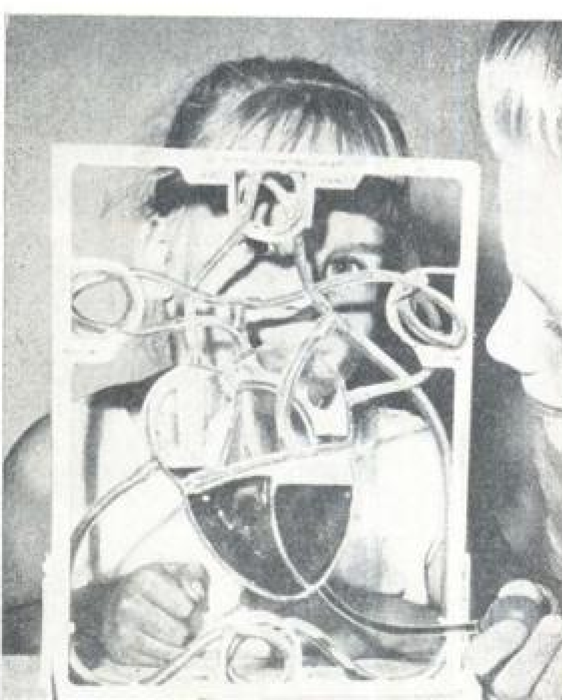
وتطرق العالم الفلكي من بعد ذلك الى موضوع وجود كواكب مع النجوم المفردة ، كالشمس ، وقال ان احتمال ذلك كبير جدا ، والمعروف بالطبع أنه الى الآن لم ير احد لأى نجم غير الشمس كوكبا يصحبه ، لتعذر ذلك عمليا .

واخيرا تعرض العالم لاحتمال وجود حياة فى هذه الكواكب كحياة الناس على ارضنا هذه ، فقال انه لا يشك فى ذلك قط .

صبيان ، وقلب انسان

اسلوب واقعى فى التعليم ، غير اسلوبنا

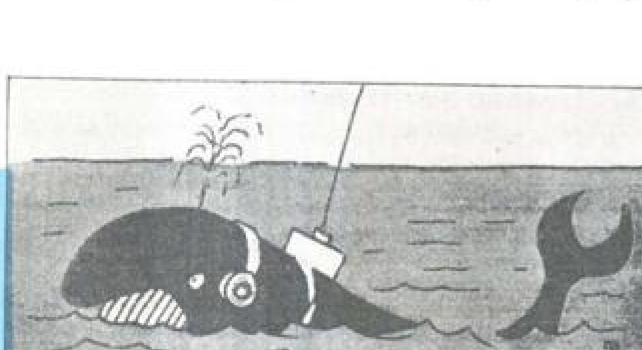
● صبية المدارس ، عند غيرنا ، يتعلمون على اسلوب واقعي غير اسلوبنا . وهذه الصورة اليمنى مأخوذة من نموذج للقلب مصنوع من اللدين ، يوضح كيف يعمل القلب . وهذان صبيان طالبان فى مدرسة يضغط احدهما على كرة بين اصابعه فيجرى الدم فى خزانات القلب النموذجية كما يجرى فى خزانات قلب الانسان . ويترك الطالبان الجهاز لغيرهما ، وقد توضحت فى ذهنيهما الصورة التى تجرى عليها أخطر عملية فى حياة الانسان .





محرك صاروخي
يحفظ توازن السيارة

● كثيرا ما تهب الريح شديدة من جنب السيارة ، ولسوء تصميم السيارة، او تصميمها دون الاحتياط لقوة ريح عاتية تأتي من الجانب ، قد تنقلب السيارة بفعل الريح وسرعة السيارة الزائدة . وقد ابتدعت احدى شركات صناعة السيارات طريقة يتمثل بها دفع الريح من جانبها ، وذلك بأن ربطت بهذا الجانب محركا صاروخيا ، تجعله يبدأ عمله والسيارة واقفة ، او وهي سائرة ببطء ، او بسرعة، والمهندسون في اثناء ذلك يقيسون كل ما يحدثه الدفع الناشيء عن هذا المحرك على اجزاء السيارة مقلدا بذلك الريح لها . والمعروف بالطبع ان الغازات التى تخرج من الصاروخ فى ناحية ،تدفع بجسم السيارة فى الناحية المقابلة .



راديو ، فوق ظهر حوت !!

● حوت عظيم ، كشفوه من الجو ، ووضعوا فوق ظهره ، من طائرة هليكوبتر، مرسلا لاسلكيا، يذيع على موجات معروفة لديهم . ويجرى الحوت مجراه فى المحيط ، ويتتبعونه لاسلكيا ، فيتعرفون اين يسير ، والى اى غاية ، وهل يلقى فى سبيله حيتانا اخرى ، واين ؟

فى قيعان المحيطات

ثروة هائلة !

● تحدثنا عن الفحم والبترول فى فرصة مضت ، فى العربى ، وقلنا انهما الى فناء بعد قرن قد يمتد الى قرنين . وذكرنا الذرّة تأتى تعوض عنهما ، كأنما الذى صنع الحياة يريدها أن تمتد الى الأبد . ذلك أن الذرة ، فى قشرة الأرض الباطنية ، قد تمد الناس بالقوة ملايين السنين وبلايينها .

واليوم نتحدث عن المعادن : الحديد . الرصاص . النحاس . المنجنيز . الى آخر ما هنالك من مشهور المعادن ، والمشهور فقط فى عالم الصناعة .

هذه المعادن لا شك الى فناء. ويطالب العارفون بالاقتصاد فيها . وفى هذه الاثناء تتكشف حقول للمعادن جديدة ما كانت لتخطر على البال . انها ليست فى البر ، ولكن فى البحر ، فى قيعان المحيطات .

فى قاع المحيط الهادى وجدوا كُتلا من المعادن تتراوح احجامها ما بين البندقة وراس الرجل . والكتل التى تحتوى المنجنيز هى التى شاع خبرها ، ولكن كذلك توجد كتل النحاس والنيكل والكوبلت وغير هذه . وهذه الكتل تتضمن ، مع ما ذكرنا ، المعدنين الثمينين فى الصناعات ، ذلكما المليدْنوم Molybdenum والفَنَدْيوم Vanadium .

وهذه الكتل تتولد فى قاع المحيط كل عام بكميات تفيض عن حاجة بلد كالولايات المتحدة منها . انها تتكون فى قاع المحيط الهادى بمعدل نحو عشرة بلايين من الأطنان كل عام !

وفى قاع المحيط الأطلسي مثل الذى بقاع المحيط الهادى . حتى الماس يستخرج الآن من المحيط فى الجانب الشرقى من الأطلسىّ ، عند الشاطىء الافريقى .

اما المحيط الهندى ، ومنه البحر

بعد عام ونصف يبدأ العمل

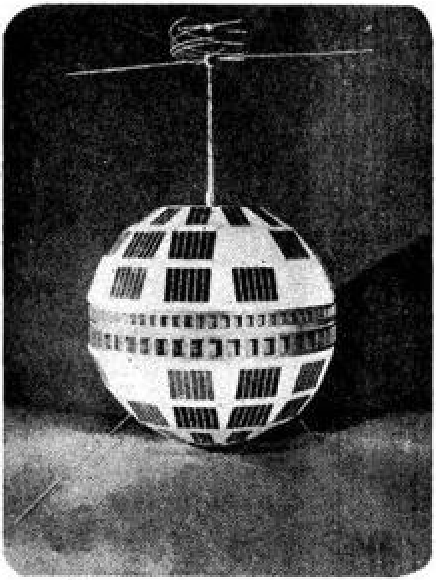
● فى «العربى»، لعدد يناير عام ١٩٦٣، نشرنا مقالا مستفيضا عن التلستار Telestar أو القمر الصناعى الذى اطلقته الولايات المتحدة عند ذلك فدار حول الارض ، وعن طريقه امكنها ارسال رسالات وصور لاسلكية من امريكا ، التقطتها على التو محطة استقبال بفرنسا . وقلنا عندئذ ان هذا اول القطر ، وان استخدام الاقمار الصناعية فى المواصلات التلفونية والاذاعية والتلفازية، والاستفادة منها تجاريا ، يوشك أن يكون .

وقد اكبر الكثير من الناس ذلك ، وظنوا انها دعاية تقرّب البعيد التالى ، لمجرد الاثارة.

وقد خطّات الاحداث هذا الزعم .

فما لبثت الولايات المتحدة ، فى هذا العام المنصرم ، ان الفت شركة اسمتها شركة المواصلات بالاقمار الصناعية
The Communications Corporation.

وقضت بان اسهم هذه الشركة ستعرض فى السوق للبيع فى النصف الأول من عام ١٩٦٤. وضربت للشركات الأمريكية المختصة موعدا



التلستار أو القمر الصناعي

بالمواصلات التلفونية عبر الفضاء

غايته ١٠ فبراير عام ١٩٦٤ ، تتقدم فيه بمقترحاتها فيما يتصل بتصميم الأجهزة التي تحتاجها هذه الشركة .

واليوم تضرب الشركة موعدا تبدأ فيه العمل بالمواصلة التلفونية فعلا ، عبر الفضاء ، هو عام ١٩٦٦ .

وقد ازعج هذا الموعد المضروب اوروبا . لم يكونوا يتصورون أن يكون الموعد هكـــذا قريبا . والظاهر ، من اتجاه الحوادث ، في كل من أوروبا وأمريكا ، أن الأمر سوف يصبح احتكارا .

والاحتكار ، في شيء كهذا ، أمر خطير . خطره السياسي لا يقل عن خطره التجاري . ولا تحسب أن الأمر سوف يقف عند هذا الحد أبـدا .

والجدير بالذكر هنا انهم وجدوا ان خير الأقمار التي تطلق للمواصلات اللاسلكية العالمية (من تلفونية واذاعية وتلفازية) هي المزامنة للأرض في دورانها Synchronous ، أي تلك التي يطلق القمر الواحد منها فيدور في الفضاء حول الأرض ، ويتم دورته في نفس الزمن الذي تتم الأرض فيه دورتها ، أي ٢٤ ساعة . وعندئذ يظهر القمـر كأنه معلق في السماء ، ثابت ، فوق مواقع معلومة من سطح الأرض . ويكون من هذه الأقمار العدد الكافي الذي يغذي باذاعته سطح الأرض كله ، من شرقي وغربي .

العربي ، ففيه اليوم البحوث قائمـة ، وسوف لا شك تكشف عن خفايا منـه كثيرة .

وهناك سؤال لا بد واقع : كم كلفة استخراج كل هذه المعادن من اعمـاق المحيطات ؟

وجواب الذين ابتدعوا طرقا لاستخراج هذه المعادن انها سوف تتكلف نحو $\frac{3}{4}$ كلفة استخراجها من مناجم الأرض .

وسؤال آخر : من يمتلك هذه الثروة الهائلة وهي بقاع المحيطات ، من الأمم ؟

والجواب: اسرعها بحثا عنها، واقدرها على استخراج ، واكثرها في الدنيا قوة ونفوذا .



● من أشق الصناعات على العمال صناعة استخراج الفحم ، او هكذا هي كانت . وكانت أشق ما تكون فى البلاد المتقدمة المحافظة ، حيث كان عضل العامل هو القوة الواحدة التى عليها يعتمد فى كسر الفحم من طبقاته ، فى بطن الارض . وتغير الحال . ومن آخر الاساليب فى سبيل تسهيل مهمة استخراج الفحم هو ما تراه فى هذه الصورة المرفقة . أنها مكنة ضخمة ، بها حفارات عظيمة ، تحفر فى حائط الفحم طريقين دائريين ، ارتفاع أحدهما ٣ أمتار ، وارتفاع الآخر ٤ أمتار . وبهذا تفلق الفحم . وهى تنزع من الفحم حدا أعلى مقداره ١٢٠٠ طن فى ثمانى ساعات .

مذنب يهز ذيله

المذنبات لها نواة ، ولها ذيل من وراء النواة تجره ، طويل . وهى تدور حول الشمس . وعندما تقترب منها ، يدور الذيل حول النواة ليبتعد دائما عن الشمس ، فهو فى اتجاه والشمس فى اتجاه . وكان الرأى أن السبب فى هذا أشعة الشمس ، فان للضوء ضغطا يرسل ذيل المذنب دائما الى الناحية الأخرى من الشمس .

وتخلى العلماء عن هذا الرأى . وجاء مكانه منذ عدة سنوات تبلغ العشر رأى آخر يقول : ان الشمس تخرج منها ريح ، حارة طبعا ، مؤلفة من نويات ذرات فقدت الكتروناتها . وقد اثبتت التجارب التى قامت بها الاقمار الصناعية الروسية ـ الاسبتنك واضرابه ـ وجود هذه الريح .

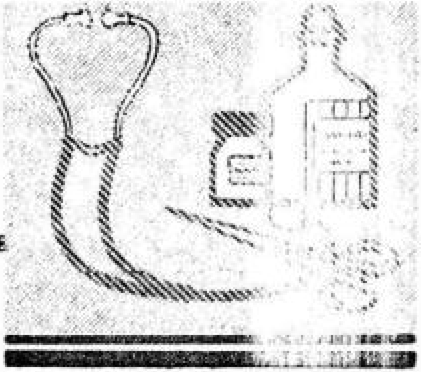
ولكن جاء مذنب اسمه مذنب برنهام عام ١٩٦٠ Burnham 1960 ، له ذنب طوله ٢ مليون من الكيلومترات ، وكشف البحث عن ان هذا الذيل يذهب يمينا ، ثم شمالا ، ثم يمينا ، وهكذا ويتم الذبذبة الواحدة فى ٤ أيام .

ولا يمكن لريح تخرج من الشمس ان تتذبذب هكذا بانتظام كل ٤ أيام .

واذن يتجه الرأى الى أن جسم المذنب ، لعله هو الذى يدور على نفسه مرة كل أربعة أيام ، فيكون من آثار ذلك تأرجح الذيل .

والبحاث ينتظرون مذنبا يظهر فى السماء جديدا ، فلعله يهز ذيله كذلك .

وهكذا يسير العلم فى التحقيق ، خطوة خطوة ، بصبر يطول على الزمن ، نتوارثه أحفادا عن أجداد .



طبيب الأسرة

من الأمراض ما يورّث

ـ هل الامراض التى يصاب بها الوالد، او الوالدة ، يرثها الاطفال .. انى اسأل هذا لانى لاحظت ان فى اسرتى اثنين من جيلين مختلفين اصابهما السل ..

● هذا سؤال كبير ، وجوابه اكبر .

انه يتصل اساسا بالموضوع العام ، موضوع ما يرث الانسان من ابويه واجداده ، من صفات تتصل بالمرض والصحة ، وبغير المرض والصحة على السواء . انه علم الوراثة الواسع الحدود .

المعروف بالطبع انه ليس كل صفة تورث .

ولادخلْ فى الموضوع فأحدثكَ فى ايجاز بضرب الأمثال .

خذ مثلا داء الصرْع . ان المعروف فى امر هذا الداء من الاحصاء ، ان ثلث مرضاه يأتون من أسَر سبق ان كان فيها

بعد كم من الولادة ، يقع الحمل ؟

ـ اريد ان اعرف ، وقد ولدتُ طفلي الأول ، بعد كم من الزمن اكون فى أمان من الحمل مرة أخرى ؟

● ان الأم التى ولدت معرّضة للحمل من بعد مضي ثمانية اسابيع على الولادة الأولى . ويقل هذا الاحتمال اذا قامت الأم برضاع طفلها . ومع هذا فمن الجائز ان تحمل ، على الرضاع ، فى الستة الأشهر التى تعقب الولادة التى سبقت .

وتوجد حالات كثيرة مذكورة اجتمع فيها للمرأة الواحدة ولادتان ليس بينهما غير ١١ شهرا .



الصرع . ودل احصاء كذلك على أنه من بين عشرة اطفال لآباء مصروعين يخرج واحد وبه الصرع .

ومرض الجنون ، ذلك الذى يسمى بانفصام الشخصية ، يميل الى الظهور فى ابناء لآباء أصابهم هذا المرض . وجريا على المعروف فى سائر الامراض العقلية يترجح هذا الظهور عندما يكون الأبوان فيهما هذا المزاج المرضى .

وغير هذا ، النقائص الأولية فى العقل، كالغباء . فكثيرا ما ينتج الغبى فى أسرة ذكية . ومع هذا ليس من المستحسن زواج الغبى بالغبية .

ومثال آخر : نقائص العين . فشكل العين اكثره نتيجة الميراث . وقصر البصر، لذلك ، كثيرا ما يتصل فى الأسر من جيل لجيل . وكذلك مرض اظلام العدسة . ونوع نادر من العمى ، سببه ضمور العصب البصرى ، يورث كذلك .

وفى الأذن : يجرى فيها التصلب الذى يؤدى الى الصمم فى أواخر العمر . فهذا يسرى فى الأسر ويتصل .

وفى هذا الكفاية من امثلة .

العيون تدمع ، لغاية

— عيني اليمنى يجرى منها الدمع منذ اشهر ولا يسكن . وعينى عدا هذا سليمة. فهل لهذا من سبب ؟ ولماذا لا تدمع عيني اليسرى ؟ انى احس بان شيئا فى انفى غير سليم .

● لكى تعرف السبب ، لا بد لك من ان تعرف لماذا تدمع العين،وكيف تدمع.

ان الدمع ماء ، به قليل من الملح ، يخرج الى العين ، فيغسلها من التراب الذى يصيبها من هواء الجو .

ووجب ان يكون لهذا الدمع مصدر ، كما وجب ان يكون له مصرف .

اما المصدر فغدة تسكن مع العين فى نفس الفجوة التى تسكنها العين من عظام الوجه ، وذلك فى اعلى كرة العين (المقلة) الى يمين والعين يمين ، والى شمال والعين شمال .

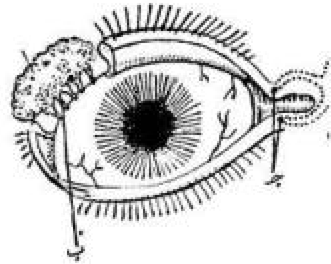
فهذه الغدة تفرز الدمع ، ماء وبه ملح، فيصبُّ منها ، من قنوات قصيرة،غسولا

فى معدتى حموضة

— فى معدتى حموضة ، وانا آخذ علاجا لها الدواء القديم المعروف ، كربونات الصودا . ولكنى لاحظت ان الكمية من الكربونات التى كنت اتعاطاها كانت فى اول الأمر قليلة وفعالة . ثم اصبحت كثيرة وساء هضمى . وقال لى الطبيب ان الكربونات زادت حموضة معدتى .

فكيف تزيد الكربونات ، وهى قلوية حموضة معدتى ؟

● السبب ظاهر وتفسيره بسيط . انك تشكو حموضة المعدة . وأنت فى الحقيقة لا تشكو حموضة المعدة ، فالسوائل المعدية لا بد ان تبقى حامضة حتى تستطيع الهضم الذى هو عملها . انك تشكو ، أو كنت تشكو من زيادة حموضة،لا من حموضة. وبدأت بكربونات الصوديوم . وهذه تتعادل مع حامض المعدة فينتج غاز ، هو غاز الكربونيك .



(ا) الغدة الدمعية (ب) القنوات التى ينصب منها الدمع فى العين ليغسلها (جـ) النقاط الدمعية وعن طريقها ينصرف الدمع الذى فى الأعين الى قناة الدمع فى الأنف (د) قناة الدمع فى الأنف (هـ) فجوة الأنف .

يشمل ظاهر العين كله ، فيغسل المقلة . ويساعد على انتشاره أن يطرف الجفن. وجفنك يطرف كثيرا من المرات فى الدقيقة الواحدة . وحاول ان تعدّ كم تطرف عينك .

وهذا الماء الذى يغسل العين يضيع اكثره بالتبخر ، ولكنْ جزء منه يصل ، بالتصريف ، الى الأنف ، كما يتصرف ماء الحقل من بعد رى .

وسبيل ذلك ثقبان فى جفنى العين ، ثقب فى الجفن الأعلى ، وثقب فى الجفن الأسفل ، عند طرف العين الانسى ، اى الداخل من ناحية الأنف . ويعرف الثقب بالنقطة الدمعية . واليه يدخل الدمع الفائض ، فيذهب عن طريق القناة الدمعية الى الأنف .

واذا زاد هذا الفسول عن حاجة العين ، بحيث لم تسعف قنوات التصريف فى تصريفه ، ظهر عن حافة الجفنين دمعا صبيبا .

ويحدث هذا فى الحزن ، وعند صنوف من الانفعالات شديدة .

وقد تدمع العينان وتجرى الانف فى آن واحد ، للذى ذكرنا من شرح .

وفى حالتك، يا سائلتى ، دمعت عينك اليمنى ، واغلب الظن أن سبب هذا انسداد المصارف . انسداد القناة الدمعية التى توصل الدمع الى الأنف .

على كل حال راجعى الطبيب ، فقد يكون لذلك اسباب أخرى غير محمودة.

وانت تزيد جرعتك من الكربونات ، تظن بذلك انك تذهب بالحموضة . والنتيجة أن غاز الكربونيك ينفخ معدتك فتحس أن بها سوء هضم ، تزيد معه الجرعة . وزيادة الجرعة من الكربونات معناها نقص حامض المعدة عما يجب ، فهى لا تعمل الا بسوائلها الحامضة . لهذا هى تزيد فى افراز حامض فوق المقدار التى تفرز . وتزيد انت كربونات ، وتزيد هى حامضا ، حتى يصيبها الخلل والاجهاد ، ويصيبك أنت سوء الحال .

كلمة عامة خاصة بالجرعة من الدواء ايا كانت ، تلك التى ذكرناها فى العدد الماضى من « العربى »،وهى انه لكل دواء، كان ما كان ، جرعة خاصة ، لك انت خاصة ، ولحالتك انت خاصة ، ان زادت افسدت .

والآن يوجد لدفع الحموضة ادوية اخرى لا تعطى الغازات التى تعطيها الكربونات . فاسأل عنها الطبيب ، أو اسأل حتى الصيدلى الفاهم المخلص .

■■

أبو زيد السروجي

بطل مقامات الحريري

شخصية أدبيَّة رائعة ، خلقها صاحبها خلقا ، تمثَّلت فيها وقائع عصرٍ نكِدٍ ، تباينت فيه الأهواء ، وكسدت بضاعة الأدباء

بقلم : الدكتور مصطفى الصاوى الجوينى

مدرس بكلية البنات ـ جامعة عين شمس

■ يعد أبو زيد السروجي من امتع شخصيات الأدب العربي واملئها حيوية وافصحها نطقا عن عصرها .

شخصية اختلفت فيها الآراء

ولقد يختلف الرأى فيها ، فيكون من الآراء ما يعزى الى الحريرى منشىء المقامات انه قال : ان ابا زيد شيخ شحاذ بليغ ، ورد البصرة سائلا، فأعجب الناس بفصاحته وبلاغته ، وأخذ كلٌّ يقصُّ طرفا من حيله فى البلاد ومن فصاحته بكل ناد . ومن رأى يقول انه ليس الا المطهر بن سلار النحوى البليغ صاحب أبى القاسم الحريرى . ومن رأى يقول بل هو شخص متخيل تخيلا ومبتدع ابتداعا .

شخصية لها واقع حيٌّ

والذى نراه فى هذا أنها شخصية لها واقع اجتماعى حي ، شخصية اخذت بثقافة عصرها الدينية والأدبية . فتثقفت بالقرآن والحديث والأدب واللغة وشُغلت بها :

شَغَلَتْنِيَ الدرْسُ، والتبحرُ فى العلـ
ـم طِلابي وحبَّذا الطلبُ .

ووُهب مع هذا ملكة بيانية قديرة ، يقر له بها الناس جميعا :

ورأسُ مالى سِحرُ الكلام الـذى
منه يُصاغ القريض والخُطَبُ

ثم هو الى هذا ذو صلاحية اجتماعية تتواءم مع كل مجتمع يغشاه :

وعاشرتُ كلَّ جليس بمـا
يلائمه لأروقَ الجليـسا
فعنـد الرُّواة أدير الكلا
م وبين السُّقاة أدير الكؤوسا
وطورا بوَعظى أُسيل الدموع
وطورا بلهوى أَسُرُّ النفوسا

كل ارض له وطن

ويلف: أبو زيد السروجي بديار الاسلام كلها ، يطوف باليمن والعراق ومصر وفارس والشام والحجاز والمغرب ، ويكتسب توحد العاطفة الاسلامية فتراه يعتبر ، ما حقق له من بلاد الاسلام آماله ، وطنا له :

وحبب البلاد فأيها
أرضاك فاختره وطن
ودع التذكر للمعا
هد والحنين الى السكن
واعلم بأن الحر في
أوطانه يلقى الغبن
كالدر في الأصداف يز
دري ويبخس في الثمن

لكنه مع هذه العاطفة الشاملة الرحبة لا ينسى مراح صباه « سروج » حتى وان لقي السعادة في غيره :

كل شعب لي شعب
وبه ربعي رحب
غير أني بسروج
مستهام القلب صب
عن أرض البكر والجو
الذي منه المهب
والى روضتها القنا
ء دون الروض أصبو
ما حلا لي بعدها حلـ
ـو ولا اعذوذب عذب

وهو بهذا منطقي في حرصه على الانتماء الى موطنه الصغير ..

المال أصل المشكلات

ويثبت هذه الشخصية المتفقة الحساسة ، بالحيل التي تحيلت ، يثبت ان المشكلات الاجتماعية أساسها اقتصادي، فالمال وراء مشكلات الأسرة بخاصة :

يتشاجر أبو زيد وزوجته ويتسابان امام القاضي لفقرهما ...

ويمتثل أبو زيد امام القاضي مدعيا ان ابنه عقه لفقره ...

وتشكو امرأة أبي زيد الشابة هجر زوجها الشيخ لها وانه لا يعاشرها خوف النسل وهو المعدم الفقير ...



ويبتدع أبو زيد قصة التقاله بابن له كان قد ترك امه وهي حامل فيه لفقره ...

ويتخاصم أبو زيد وامرأته امام القاضي وقد الجاه الفقر لبيع جهازها ...

وهكذا نرى شخصية أبي زيد في مجتمع شعاره « المرء بنشبه لا بنسبه »، تتخذ المال اليها معبودا :

وحقٌ مولى أبدعتْه فِطرته
لولا التقى لقلت جلّت قدرته

ولذلك فهو عليه حريص وبه ضنين :

وشرُّ ما فيه من الخلائق
ان ليس يُغني عنك في المضايق
الا اذا فرَّ فرار الآبق

شخصية رأت سوق العلم كاسدة

ولم يتح لهذه الشخصية المثقفة أن تترجم ثقافتها الى سلوك سَوِيّ ، فقد طالت عليها شقة تحصيل العلم ورأت بَوَار سوقه وسوق غيره من المعايش فآثرت كسب المال المعبود من أيسر طريق وسلاحها علمها .. رأت الرَّطب لا يباع بالخُطَب ، ولا البَلَح بالمُلَح ، ولا التَّمر بالسَّمَر ، ولا الصائد بالقصائد ، ولا الثرائد بالفرائد ، ولا الدقيق بالمعنى الدقيق.. والحاصل أن الأدب قد بار ، وولت أنصاره الأدبار ، وأن الأسجاعَ لا تشبع من جاع .

ورأت التعليم صناعة بائرة

ورأت التعليم ، ولو انه أشرف صناعة وأربح بضاعة ، ورَبّه ذو امرة مُطاعة ، وهيبة مُشاعة، الا أن صاحبه يَتَخرّف في امد يسير ، ويتّسم بحُمق شهير .

ثم أدركت أن التعلل بمنصب أو ولاية أضغاث أحلام . وأن التجارة عرضة للمخاطرات وطعمة للغارات ... وأن اتخاذ الضياع واصطناع الازدراع متهكة للاعراض وقيود عائقة عن الارتكاض ... والصناعة غير نافقة في جميع الاوقات ، ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة .

واذن فليس غير الشحاذة سبيلا ميسورا

واذن فليس الا الشحاذة والاستجداد ففيهما أكثر من لذة ، راحة بلا تعب وخداع أصحاب الثروة ، وجمع يفوق جمع كل صاحب مهنة ، أهلها أعز قبيل وأسعد جيل .. طعمهم معجلة .. لا يتخذون أوطانا ولا يتقون سلطانا .

وفي هذا السبيل يصبح من سمات هذه الشخصية الخداع والمخادعة . وعلى هذا المستوى هي ايجابية بالقياس الى فرديتها ، تجد تبريرا لسلوكها المخادع من واقع معيشتها :

غير أني ابنُ حاجةٍ
هاضَهُ الدهرُ فاهتضمْ
وأبو صبيةٍ بدَوا
مِثلَ لحمٍ على وَضَمْ
وأخو العَيْلة المُعيـ
ـلُ اذا احتال لم يُلَمْ

ومن واقع مجتمعها ، مجتمع الغابة ، حيث صراع الفرد على الفوز بكل الغنائم وحده ، فماكول انت ان لم تبادىء بالافتراس :

عشْ بالخداع فأنت في دهرٍ بنوه كأُسْد بيشَهْ
وأدِرْ قناةَ المكر حتى تستديرَ رَحَى المعيشهْ
وصِدِ النسورَ فان تعذَّر صيدُها فاقنعْ بريشهْ

وجعلت من الأثرياء الأشحاء ضحاياها

وهي وان كانت خادعة مخادعة للناس جميعا فان لذتها كلها في خداعها للاشحاء والأثرياء من القضاة والحكام فهم أساس مقصدها ومنهم غالبية ضحاياها :

وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوفْ
ما فيهم الا مُخيِّفٌ أن تمكن أو مَخُوفْ
فوثبتُ فيهم وثبة الذئب الضَّري على الخروفْ
وتركتهم صرعَى كأنهم سُقوا كأس الحتوفْ
وتحكمتْ فيما اقتنوه يدي وغمْ رَغْمَ الأنوفْ
ثم انثنيت بمغنَمٍ حلو المَجاني والقطوف
ولطالما خلّفتُ مكلومَ الحشا خلفي يطوفْ
وترتُ أرباب الارائك والدرانك والسجوف

شخصية ، على ايجابيتها ، سلبية

ولكن هذه الشخصية على ايجابيتها فيما يتصل بفرديتها سلبية بالقياس الى مشكلات مجتمعها ، فهي تحتاز المال لنفسها وتخدّر ادواء المجتمع بالعظة والنصيحة حينا .. يُعالج مشكلة الرقى والتعاويذ بنصيحة يعلم أنها لن تجد سميعا :

واحترسْ من مخادع لك يُرقيـ
ـكَ ليُلقيك في العذاب المهين
ولعمري لقد نصحت ولكن
كم نصيح مُشبَّهٍ بظَنين

ويستغيث شخص" بأمير البلدة ممن ظلمه ، فلا يسمع له الأمير ، فيذكر ابو زيد الحاكم بيوم الحساب ، ويوصى المظلوم بان ينافق الحاكم الظالم مترقبا يوم سقوطه للشمات به ، وتاركا حسابه فى سلبية على الله .

وتعالج أدواء المجتمع بالسخرية

ثم هى تعالج أدواء المجتمع حينا آخر بالسخرية منها والتهكم عليها ، مفرمة بجمع الأبيض والأسود فى واد معا .. فأبو زيد امام بالنهار ، حليف كأس بالليل .. ويتزوج وهو الشيخ فتاة مليحة لم يعف عن النسل منها .. ويحاج لائمه فى بيعه ابنه لقاء دراهم بأن :

قد باعت" الأسباط" قبلي يوسفا وهم" هم"

ويعرض صورة المعلمين ، تنمو بهم عقول الدارسين ، ويَتخرّفون هم .

واذا كان الناس يخدعون بالمظهر عن المخبر ، فيعظمون الجاهل لصقال ملبسه ورونق رقشه ويهينون المهذب الدروس بزته ورثة فرشه ـ يستحيل أبو زيد شخصية حربائية متلونة فى هذا المجتمع المظهرى فتراه مرة يتأنث متزييا بزى امرأة تصطحب عيالا .. أو يلبس زى رجل الدين ... أو يعمل خفيرا لجماعة مسافرين يخفرهم بالدعوات الصالحات ... او يتعامى فى يوم عيد ويصحب عجوزا ومعهما رقاع يستجديان ... أو يظهر بمظهر المريض الفقير ذى الأسمال ...

ولو سلكت سبيلا

مألوفة طول عمرى

لخاب قِدحي وقَدْحي

ودام عُسرى وخُسرى

ومما مكن لهذه الشخصية أن تخادع وتتلون طيشها بالنفس الانسانية ، حتى لتغزو النفوس من مواطن تنقاد لها ..

يرى أثرياء عصره ، ومنهم بعض من الحكام يعبثون بالغلمان ، فيصحب الى الوالى ابنه الوضيء ـ فى الواقع ـ مدعيا أنه الفتى الذى قتل ابنا له ـ موهوبا ـ ليستلب لب الوالى وماله ...

ويقتنص ساعات تجود بها النفس الشحيحة ، فيقف على جنازة واعظا ثم يستجدى باسم الدين ... ويشهر سلاح الهجو فى وجه الحكام فينقدونه المال رهبة" ... أو يذيع فيهم المدح فيعطونه رغبة .

شخصية هى ابنة ساعتها

ومضت هذه الشخصية ، التى حصرت اهتمامها فى عالمها الصغير فحسب ، الى ان خلصت بنتيجة: هل الامر ان يأخذ ابو زيد من الناس ويعطيهم ، أم يعطى الناس وان منعوه ؟ أيعاملهم كما يحب هو ان يعاملوه ، أم يعاملهم بمقدار ما عاملوه به ؟.. انها شخصية انانية دستورها أخذ وعطاء (شيلنى أشيلك) . قول بقول وفعل بفعل « نتوازن فى المقال وزن المثقال . ونتحاذى فى الفعال حذو النعال . حتى نأمن التغابن ونكفى التضاغن » ... ولا يمنع قرصه لك بالأمس أن يلاطفك اليوم، فهو ابن ساعته ، ابن مصلحته :

ان يكن ساءك أمسى

فلقد سرك يومى .

فاغتفر" ذاك لهذا

واطّرح" شكرى ولومى .

شخصية انتجها عصر تباينت فيه الأهواء

...وبعد ، فما موضع هذه الشخصية من اطارها الاجتماعى ؟ ... هى بنت عصر كان العالم الاسلامى فيه تتنازعه قوى متباينة : خلافة عباسية فى العراق ، وفاطمية فى مصر ، وأموية فى الأندلس، وسلطان للسلاجقة يمسك بمقاليد الحكم فى العراق وفارس . والكل يتوحدون تحت راية اسلامية واحدة ، الا أن بأسهم بينهم شديد ، تراهم ايجابيين فى الصراع على السلطة والاستئثار بالنفوذ . ولكن حين تنزل بالمسلمين فادحة عامة كحرب الصليبيين ترى العباسيين يتفرجون فى سلبية ، بينما السلاجقة والفاطميون مشغولون بالصراع الداخلي او المحلى . ومع أن الخلافات باسم الدين تتمحك وتحكم ، الا انها تقتل وتظلم، وتقارف كل منكر مخادعة بالمظهر ، بالخلافة .

وترى الفكر يحتضر فينحصر كله فى ارضاء سلطان أو اخماد غريم طمعا فى المال ، ويصبح الأدب زينة" وزيفا ، يدور أغلبه على مدح كاذب ونفاق ذليل ، فى مجتمع فقد توازنه الاجتماعى ، ولم يجد الاديب أو العالم قوت يومه الا اذا وصل أسبابه بذى سلطان .

وهكذا ينبت من هذه البيئة الشخصية الانانية التى تحطم غيرها لتبنى نفسها . ■■

مصطفى الصاوى الجوينى

مأثوراتنا الشعبية
وآثارها في الحضارة الغربية

أخذ الغربيون منها :

لملاحمهم الشعبية ..

وشعارات

والحكايات

ومن آلات الطرب أخذوا ..

ومن ألف ليلة

والحضارات

بقلم : فؤاد جميل

المفتش الاختصاصي بوزارة التربية العراقية

■ ميسم الحضـــارة العربيـــة ـ الاسلامية المميز انها : اصيلة ثـرة ، متفتحة ، متجددة ، تلتمع على الدهور في جوهرها الألق النفيس. وانها اخذت، واعطت ، فتلقحت ولقحت ، فاغتنت واغنت .. ونتاج ذلك كله : هذا التراث الضخم الخالدوالاشعاع الفكري الخلاق .

لقاء الشرق والغرب

والغرب مدين لنا في كثير من جوانب حضارته ، وثقافته . وتاريخ الدين هذا يرجع الى العصر الوسيط ، وما بعده في الأغلب الأعم ، عندما التقى الشرق والغرب ابان الحروب الصليبية ،وخلال الاتصالات التجارية التي وصلت الشرق الاسلامي بالغرب المسيحي ، وبلغت حتى بلاد الاسكندناف،وفي الأندلس،وصقلية .

حضارتنا اخذت ممن سبقها واعطت من لحقها

ولما كانت الحضارة الاسلامية هي جماع حضارات الشعوب وثقافات الاقـوام البشرية ، فان حضارتنا الخالدة الواعية المستوعبة تميزت بانها وعت واستوعبت الحضارات التي سبقتها كالاغريقيـة ، والرومانية، والهندية والفارسيـة ،وبذلك اضافت الى تليدها الفريد طارفا خالدا . ثم كان ان انتقلت مقومات حضارتنا هذه



«.. لولا كتاب الف ليلة وليلة ما استطاع سويفت ان يؤلف رحلات جلفير ، ولا استطاع ديفو ان يؤلف قصة روبنصون كروزو .. »

الفروسية الغنائية .. والأنشودة التجوالية



وليلة اقتبسوا .. أخذ وإعطاء ..

الى الحضارة الغربية الحديثة عن السبل المذكورة ، فتجلى دورها العظيم فى حفظ التراث الانسانى ، وتلاقحه ونمائه وازدهاره .

تراثنا لا يزال مبهما ، ما حصلنا منه ، وما أعطينا

هذا على اننا ، وان اديّنا الامانة فى ميدان الحضارة العالمية والثقافة الانسانية ، الا أننا ما زلنا اليوم ، بالنسبة لتراثنا الخالد العظيم ، فى مرحلة التعرف منه ، وما زالت أمامنا مراحل تعريف . والتعريف يجب أن يتسم ، ابتداء ، بالاحاطة ، والتعمق ، والنظر النافذ البصير ، والجهد الدائب الباذل . ذلك أن تراثنا ما زال ، على وجه العموم ، اما فى عداد الضائع ، المجهول، المبعثر أو المدروس درسا مقتضبا ، سطحيا ، وعلى استعجال .

لكن التراث الغربى نفسه ، ابان « العصر الوسيط » ، من الجهة الاخرى ، مبهم غامض مجهول الى حد بعيد أيضا ، لذلك فمن العسير المراستقصاء آثارحضارتنا وثقافتنا فيه ودرسها درسا مستأنيا شاملا . ذلك ان الحروب الطويلة المريرة التى اشتجرت بين العرب ـ المسلمين، وبين الاسبان ـ المسيحيين فى الاندلس زاملها وجاء فى اعقابها ، تعصب أعمى سبب ضياع الكثير من الآثار الحضارية والثقافية العربية ـ الاسلامية ، كما طغى مثل هذا التعصب على ذهنية الكثير من علماء الغرب ايضا ، فتنكروا لها ، وانكروا جانبا كبيرا منها ، أو حاولوا ، فى الاقل ، التقليل من شأنها، ويا للأسف .

مأثوراتنا الشعبية القديمة والحضارة الغربية

والمأثورات الشعبية المعروفة عند الفرنجة بالفلكلور Folklore اخذت من جوانب حضارتنا الأصيلة الخالدة وثقافتنا الوضيئة الخلابة ،لكن

مؤرخي العرب ، مع الأسف ، لم يُعنَوا بهـا وبآثارها في الحضارة الغربية الا قليلا . ذلك انهم شغلوا عنها ، في الاغلب الأعم ، بحياة حكّام الشعوب ، وحروبهم وفتوحاتهم ، ولم يؤرخوا للشعوب انفسها ، بالتعمق في تقاليدها ، وعاداتها واساطيرها ، واغانيها ، واحتفالاتها ، وحكاياتها ، وما الى ذلك مما يدخل في مجال « المأثورات الشعبية » . لقد اهمل كل هذا اهمالا في مصنّفات المؤرخين العرب القدامى ، فنزرت مصادر البحث فيها . فيما خلا بعض النتف المبعثرة هنا وهناك ، فران على ثقافتنا العربية العميقة الذكية الواسعة شيء كثيف من الاهمال والغموض .

ليس من قصدي أن أستقصي في بحث كهذا جميع « المأثورات الشعبية العربية » وأجلو آثارها في الحضارة الغربية ، قديما وحديثا ، فلمثل هذا يفرد المجلد الضخم ، ولكني سأورد ، على سبيل المثال لا الحصر ، وبقدر ما يتسع له المجال ، طرفا منها ، وقد يغني التمثيل الموجز عن الحصر المطول في بعض الأحيان .

الفروسية والملاحم الشعبية

يقول المؤرخ الفرنسي فوريل Fouriel (١٧٧٢ ـ ١٨٤٤ م) ان جنوبيّ فرنسة اقتبس وتبنى الكثير من العادات والتقاليد الشعبية العربية ، شأنه في ذلك شأن اسبانية ، وان نظام الفروسية Chevalerie كان من هذه في المقدمة ، حتى غدت « الفروسية » الغذاء الروحي للسواد الأعظم من سكان القطرين المذكورين . وكان لذلك صداه في الملاحم الشعبية فمجدت الفروسية واشادت بفعال الفرسان وعاداتهم وامجادهم . ويؤيد ذلك المؤرخ الفرنسي « رينو » اذ يقول : ان شعراء اسبانية القدامى كانـوا يتغنون دوما بمفاخر الفرسان العرب ، وأن الفرسان الاسبان ـ المسيحيين ـ كانوا يسهمون في المباريات والمبارزات والسباقات التي كان الفرسان الاندلسيون المسلمون يعقدونها كثيرا .

وجاوز أثر الفروسية فرنسة واسبانية حتى وصل المانية ، فانك لتقرأ ، أسطورة المانيـة شائعة ذائعة أن فارسا مسيحيا المانيا لم يجد غضاضة في وضع سيفه في خدمة « خليفة بغداد »!

ولو قرأت رواية الطِلَسم The Talisman للقاص الانكليزي النابه وُلتر سكوت Walter Scott لوجدت فيها الفارس الاسلامي العظيم صلاح الدين الأيوبي يحتل مقاما مرموقا في القصة . انه يقابل فارس الصليبيين المشهـور رتشارد قلب الأسد مقابلة الند للند ، ويلتقي بفرسان اسكوتلانديين ويقص عليهم سيرته وسيرة اسلافه .

وانت تعلم أن الفارس البدوي ، والعربي على وجه العموم ، من لا يغلق باب خيمته ، أو بيته في وجه طارق في الليل أو مسافر في النهار ، وأن الفتاة البدوية لا تتزوج من « صكّاك باب بيته » . وتسربت هذه الخلة الأصيلة في مأثوراتنا الشعبية فشاع القول الغربي السائر : الفارس الحق من كان بيته مُشْرَعَ الباب لا يقوم عليه من يمنع الناس من ولوجه .

ويرى بعض المؤرخين الافرنج أن الفروسيـة اقتبست شعارات فرسانها من العرب ، ويضيف الى ذلك المؤرخ دي بومونت De Beomnout أن ذلك ظهر بعد الحروب الصليبية الأولى ويؤيده في ذلك عالمان آخران هما (لافنس) و (رامبو) ، وانت تعلم أن اتخاذ الشعار (جمع شعار) قديم عند القبائل العربية ، فهي حتى اليوم تتخذ وسما معينا لابلها (علامة القبيلة الفارقة) ، وتضعه على الأباعر التي تنفرد بالاستقاء منها ، كما انها تتمايز بصيحات في غاراتها وتُدعى الواحدة منها « نخوة » .

ومن المعلوم أن الملاحم العربية الشعبية القديمة زخرت بأخبار الفرسان من امثال عنترة وأبي زيد الهلالي والزناتي وسيف بن ذي يزن . وعرف المغرب العربي الاسلامي كاتبا ملحميا يدعى ابو طالب بن عبد الجبار ، الذي سُمّي « متنبي المغرب » ، وكانت له ملحمة عني بنشرها ابن بسام المتوفى سنة ٥٤٢ الهجرية ، وقد الفها ابان الحروب العربية ـ الاسبانية في الأندلس واصفا فيها المعارك الطاحنة وبسالة الفرسان . والثابت أن المنشدين الجوالين (طروبادور) الذين سيأتي خبرهم وقفوا عليها وشغفوا بها ، وتأثروا بروحها فاقتبسوا منها الكثير في نظم اناشيدهم التي ذاعت وشاعت في أوروبا كلها .

الحكاية الغنائية

وعند الغربيين « الحكاية الغنائية » Ballad وهى كل أغنية عامة شعبية تردد فى الشوارع وتروى قصة بسيطة فى لحن صاف عذب بسيط ، وطابعها المميز أنها ليست نتاج مؤلف معروف أو زمن معين ، لذلك فقد طُمس منها ذكر مؤلفها او مؤلفيها ، ولا شك أن « قصة عنترة » هى المثال المحتذى فى حكايات الغرب الغنائية ، كما يؤيد كثير من الدارسين والبحاث الغربيين أن الحكايات الشعبية العربية ، الغنائية وغيرالغنائية تطبع قصص المغامرين والصعاليك فى فرنسة واسبانية وانكلترة وايطالية والبلاد الاسكندنافية بطابعها العربى المميز . فالحكايات هذه تشبه « المقامات » فى نسجها وزخرفها وواقعيتهـا وأساطيرها المروية على ألسنة البهائم والطير ، ووعظها الأخلاقى ، وطريقة سردها بالتخلص من موقف الى موقف ، ومن حكاية الى حكاية . ولقد سلم أكثر من باحث أوروبى بأثر الحكايات العربية الشعبية فيها .

والحكاية الشعبية

وظهرت فى فرنسة حكايات شعبية لها طابع عربى شعبى جلى . ومن أشهرها Aucassim Et Nicolette — واسم البطل Aucassin دليل قاطع على ذلك ، اذ أنه تحريف للاسم العربى (القاسم) .

وقصص (لافونتين) المروية على لسان الطير والحيوان الأعجم تعكس بوضوح أثر الحكايات الشعبية العربية ، المثلة بكليلة ودمنة ، وما تقصه الجَدّة الحنون على حفيداتها وأحفادها فى ليالى الشتاء الطويلةفى جميع البلدان العربية.

ويردّ كثيرون قصص (ديكامرون) للكاتب الايطالى (بوكاشيو) الى قصَص شعبى عربى كان متداولا فى عصره ، ولكنه لم يدون ، على غرار أغلب الحكايات الشعبية الفلكلورية . ومن بوكاشيو هذا اقتبس شوسر Choucer ، رائد الشعر الانكليزى حكايات كانتربرى Conterbury Ta'es ومنها حكاية السيد ، ذات الملامح العربية الشعبية الواضحة .

المنشدون والجوالون (طروبادور)

ونشأت فى القسم الجنوبى من فرنسة طائفة من المنشدين الجوالين تذكرك بطائفة المنشدين الشعبيين العرب العازفين على الرباب ، وقد عرفت الطائفة الأوروبية هذه بالطروبادور Troubadour ، وكان آحادها يجمعون بين الغناء الشعبى والعزف الساذج الحنون .ومؤرخو الغرب يجمعون على أن هذه الطائفة تأثرت بالزجل الأندلسى ، والزجل من « مأثوراتنا الشعبية » قديما وحديثا .

وكان أن سار الزجل الأندلسى المُغنّى جنبا الى جنب مع الزجل الفرنسى المغنى ، فتم بين الاثنين التفاعل والتأثير والتأثر ، وهكذا شاع نظم الشعر الغنائى العامى فى اقليم بروفنس Provence على أسلوب الزجل العربى — الأندلسى المغنى . وقيل ان كلمة Tenson التى تطلق على منظومات المنشدين الجوالين مأخوذة من كلمة (تنازع) العربية ، وذلك ان هؤلاء كانوا يلقون الشعر سجالا ، ويتنازعون فيه ويتفاخرون بأمجاد أسلافهم ومواطنيهم ، وهذا يذكرك حتما بما يفعله (القوالة) شعراء القبائل البدوية العربية الشعبيين اليوم ، وما كان يفعله فحول الشعراء العرب قديما . كما لحظ أكثر من باحث التشابهَ بين أوزان منظومات أولئك المنشدين الجائلين الأوروبيين وأوزان الزجل العربى القديم، واتخاذها القافية ميسما ظاهرا مميزا لها . ومن المعلوم أن القافية منسوبة الى العرب منذ القديم، وقد اختصوا بها من دون الأمم الاخرى ،فالاغريق واللاتين كانوا يرون القافية عيبا فى الشعر . وهكذا اقتبس الشعراء الغربيون الشعبيون القافية من العرب ، وكان الاسبان والافرنسيون والايطاليون سباقين الى ذلك بحكم قربهم من ديار العرب .

هذا ومن الجهة الأخرى ، فالمعروف أن (ابن قزمان)الزجال العربى الشعبى العبقرى الأصيل أخذ ينظم أزجالهفىمطلع القرنالثانى عشر الميلادى، اى انه معاصر لطائفة المنشدين الجوالين الأوائل، وأن أزجاله كانت « ثورة » على (العَرُوض التقليدى) ، من حيث اعتماده على « النبرات » اكثر من « التفاعيل » ، وصلاحها للغناء الجماعى

(كُورَس) ، ومصاحبتها المشاهد التمثيلية . وجعل الصورة التى ترسمها فى المقام الاسنى . والملاحظ جليا أن هذه هى مياسم منظومات المنشدين الجوالين الأوروبيين فعلا ، والى هذا ذهب المستشرق (ريبرا) صاحب الدراسات العميقة الممتعة فى الأزجال والموشحات .

على أن فى أصل كلمة (طروبادور) نظرا ، فالمستشرق (أنريك سوردو) فى كتابه الموسوم ب « اسبانية المغربية » يروى ما يرجحه البعض من أن « المفردة الفرنجية » هذه مشتقة من كلمة (طرب) العربية . ولا يغفل ، فى الوقت نفسه ، ما يذهب اليه آخرون من انها تتصل بمادة (طاب) العربية ايضا ، على معنى (طيب العيش وطيب الشعور) ، ويضيف الى ذلك كله أن صيحات الأسبان اليوم (وولى ... وولى) ــ عندما تستخف نشوة الطرب ويريدون التعبير عن الاستحسان ــ ليست الا تحريف (لفظة الجلالة) بالعربية ، ومن عادة العرب والمسلمين قديما وحديثا الهتاف بها لابداء الاستحسان بكل مطرب جميل .

هذا على أن الغرض الشعرى الأول فى منظومات (المنشدين الجوالين) هو : النسيب ، وهو نسيب يتسم باغلب ما يتسم به النسيب العربى : (الحب العذرى) و (تباريح الهوى) و (حرقة الجوى) و (الحبيبة الممتنعة ، عزيزة المنال) و (الوفاء) و (العفة) و (النبل). وهكذا قام الطروبادور بنشر ازجالهم المغناة المتسمة بالطابع العربى الاصيل فى اوروبا الوسطى ، كلها فكان لها الأثر البعيد العميق فى اشعار الأوروبيين والأدب الغربى الحديث . لكن هناك صعوبة تبعث هذا الأثر نتجت عن أن انتقاله، بواسطة الاغانى والاناشيد ، كان شفويا وبدون تقييد كتابى . ولكننا فى الوقت نفسه لا نعدم الدليل الآتى :

ذلك أن انتقال الآلات الموسيقية من الاندلس العربية الى اوروبا صحبه ارشاد القوم فى كيفية العزف عليها وعزف مقطوعات عربية الاصل ايضا. ومن هذه الآلات (العود) الذى ما زال اسمه العربى شائعا بتحريف فى كثير من اللغى الأوروبية (The Lute) ومثله النقارة (Nakar) والرباب Rebec وهي الآلة الموسيقية الشعبية العربية قديما وحديثا.ان انتقال الآلات الموسيقية يستدعى انتقال فحوى ومحتوى الشعر المغنى عليها عادة ، ما فى ذلك شك .

وفى الأندلس الاسبانية اليوم تجد سمات (الرقص الشعبى) العربى ظاهرة فى رقصات القوم وملابس راقصاتها وطريقة العزف المصاحب لهـا .

الف ليلة وليلة

وهذه موسوعة القصص الشعبى العربى ، قديما وحديثا : (الف ليلة وليلة) ترجمت أول مرة فى الغرب سنة ١٧٠٤ الميلادية فذاعت فى اقطاره وشاعت وانتشرت بين القراء انتشار النار فى الهشيم . لقد طبعت أكثر من ثلاثين مرة مختلفة فى فرنسة وانجلترا خلال القرن الثامن عشر وحده ، ونشرت نحوا من ٣٠٠ مرة فى لغى أوروبية مختلفة منذ ذلك الحين .

كان اقبال القارىء الأوروبى على (الليالى) عظيما ، فازدادت رغبته فى الاطلاع على القصص الشعبى بوجه عام ، وكان لذلك أثره الواسع العميق فى القصص الغزلى .

فالمستشرق المعروف (جب) يقول فى كتابه الموسوم : (تراث الاسلام) : « لولا كتاب الف ليلة وليلة ما استطاع دانيل ديفو Daniel Defoe أن يؤلف قصة روبنصون كروزو Robinson Crusoe ، ولا استطاع سويفت Swift أن يؤلف رحلات جلفر .

وقال (فولتير) : « انه لم يزاول فن القصص الا بعد أن قرأ الف ليلة وليلة أربع عشر مرة » .

وظهر فى الغرب الابداعيون (الرومانسيون) Romanticists يعنَون فى انتاجهم الادبى بحياة السواد الأعظم من الشعب و « مأثوراته » عناية خاصة ، ذلك انهم وجدوا فى المأثورات الشعبية كنزا ، ذلك انهم وجدوا فى المأثورات الشعبية مختلف ضروبه .

وفى الحق أن (الليالي) هى التى أثارت فى

العالم هذا الاهتمام الكبير بالمأثورات الشعبية العربية ، كما استتبع ذلك عناية البحاث والدراس بحياة شعبنا العربى العظيم الذى انتج هـذا الأثر النفيس ، فتوغلوا فى البحث عن تقاليده وعاداته ونزعاته واخلاقه والعابه وأغانيهواحتفالاته. وانك لتجد صدى ذلك يتردد حتى يومنا هـذا ، فانت تقرأ مثلا فى كتاب (نهرو) الموسوم ب «لمحات من تاريخ العالم» رسالة موجهة من الزعيم الهندى الى ابنته بتاريخ ٢٢ أيار ١٩٣٢ :

الا تتذكرين بغداد وهرون الرشيد وشهرزاد وقصص ألف ليلة وليلة الممتعة !؟ ان المدينة التى ازدهرت فى أيام العباسيين هى مدينة ألف ليلة وليلة ! ...

واليك طرفا من آثار (الليالى) فى الانتاج الأدبى الرفيع :

ليوكاشيو مجموعة من الحكايات سماها (الصباحات العشرة) ، حذا فيها حذو (الف ليلة وليلة) . انها مائة حكاية تقصها سبع سيدات وثلاثة رجال انتشر الطاعون فى مدينتهم ففروا منها معتزلين أهلها فارضين على كل منهم أن يقص على الباقين حكاية صباح كل يوم ، تمضية للوقت وتسلية .

وللشاعر الأمريكي الشهير (لونكفلو) « قصص خان بمنعطف الطريق » ، وصدى الليالى فيها عميق جد مبين . ووضع برنارد شو الكاتب الانسانى الكبير (الانجيل) و (الف ليلة وليلة) فى مقدمة الكتب التى أثرت فى نفسه وفى انتاجه الفكرى .

ووضع (فارمر Farmer) أشهر الاختصاصيين الغربيين فى تاريخ الموسيقى العربية بحثا عميقا مستفيضا فى الواسقة والموسيقى فى كتاب (الف ليلة وليلة) ونشره سنة ١٩٤٥ .

وترجع مسرحية شكسبير الخالدة (عطيل) الى (مثوبة) الأديب الايطالى جيرالدى Giraldi (١٥٠٤ ــ ١٥٧٣) والحاوية على ١٣٠ نادرة رويت على نهج (الليالى) ، ومنها نادرة (المغربى) وزوجه المسماة (ديدمونة).ولا تنس ان (Othello) اسم الرواية محرف اما عن (عبد الله) او (عطا الله) الاسمين العربيين .

وفى مسرحية شكسبير المسماة (ترويض السليطة : The Taming Of The Shrew) صورة سكير تائب تجد أصلها جليا واضحا فى (الليالى) .

ولجون رسكن John Ruskin الكاتب الانكليزي النابه (١٨١٩ ــ ١٩٠٠) كتاب ذائع شائع عنوانه (Sesame And Lilies) وهو يأتلف من (محاضرتين) منفصلتين ، موضوع الأولى منها (السمسم) ، ويريد به (الكتب) ، وموضوع الثانية (الزنابق) ويريد بها (النساء). والسمسم على ما هو معروف من البذور الغذائية ، لكن الكلمة الانجليزية (Sesame) استعملت للدلالة على المفتاح الذى يفتح به باب لا يلجه الا قلة من الناس ، وفى هذا اشارة الى (قصة علي بابا والأربعين حرامي) فى (الليالى) ، ذلك أن (علي بابا) « شيخ الحرامية » كان عنده كنز عظيم مدفون فى كهف ، وكان هنالك طريقة واحدة لفتحه هي النطق ب (افتح يا سمسم) . وكتاب رسكن هذا يسمي أيضا (كنوز الملك : Kings Treasures) ، وفحوى الكتاب أن الكتب عامة هي المفتاح الذى يفتح به باب يفضى الى كنوز الحكمة البشرية ، وان الكتب لا تفتح صدرها الا لمن استطاع اليها سبيلا .

وكتب ثقافة الأطفال فى الغرب استقت ، وما زالت تستقى،كثيرا من (قصص الف ليلة وليلة)، ومنها : (قصة علاء الدين) و (قصة الأميرة الصغيرة) و (قصة السندباد) و (البساط السحرى) الخ .. فلقد لوحظ انها تشبع فى الطفل توقه الى الغريب ، وتمتعه ، وتطلق العنان لخياله المنسرح .

كان أن الليالى أصبحت معينا ثرا تستقى منه الموسيقى والسينما والمسارح فى الغرب ، وأسماء (شهرزاد) و (حلاق اشبيلية) ــ المستوحاة من مزين بغداد فى الف ليلة وليلة ــ و (قسمت ــ أو القضاء والقدر) و (حرامي بغداد) أشهر من أن تعرف . ■■

فؤاد جميل

محاضر فى جامعتى بغداد والمستنصرية



الحضارة الغربية هل أفلست ؟

عن جريدة ((الأوبزرفر)) الانجليزية :

● بعد فضيحة بروفيومو الخلقية فى بريطانيا، تظهر فضيحة من نوع آخر فى السويد ، أبعد أثراً، وأخطر نتائج . ان قائداً من كبار قواد القوى الجوية فى السويد ، وهو الكولونيل ستيج وينرستروم Stig Wennerstrom البالغ من العمر ٥٧ سنة ، يقف أمام القضاء ليحاكم بتهمة التجسس على بلاده لصالح روسيا .

وقد بدأت عمالة وينرستروم لروسيا منذ عام ١٩٤٣ . ومنذ هذا التاريخ وهو يزود روسيا بالوثائق السرية المتعلقة ، لا بالسويد وحدها ، بل بحلف الأطلسى أيضاً . ويبدو أنه قد زود الروس بوثائق لا تقدر بثمن مما جعلهم يعينون له أجراً مفتوحاً يعينه هو بنفسه . ولكن المال لم يدر رأسه ، فبقى محافظاً على مستواه المعيشى داخل السويد ، بينما كان الروس يكدسون الأموال باسمه فى البنوك فى الخارج . وكان بوليس السويد السرى ، وبوليس حلف الأطلسى ، قد بدأ يشك فى وينرستروم منذ سنوات ، الى أن وقع بين يديه ما يثبت ادانة وينرستروم .

واحس وينرستروم بأنه على وشك الوقوع فى المصيدة ، ولهذا قرر السفر خارج السويد ليقيم خارجها ينعم بالأموال المكدسة باسمه ، وكان بامكانه أن يفر من المصيدة ، حيث أن أمر القبض عليه لم يكن قد صدر بعد . ولكن عاطفته كانت سبب نكبته : فقد اضطر للتأخر يومين لحضور زفاف ابنته ، كان خلالهما أمر القبض عليه قد صدر .



هذا مثل على تردى المستوى الخلقى بين كبار المسؤولين فى أوروبا وأمريكا .

وقبل هذا شهدنا فضائح رجالات الكونجرس ، الذى يستغلون مناصبهم لمصالحهم الخاصة ، ولو كان فيها اضرار بالمصلحة العامة .

أما فضيحة بروفيومو التى أسهبت الصحف فى نقل حذافيرها ، فانها لا شىء أمام فضائح مثل هذه . ففضيحة بروفيومو شخصية لا تمس الا شخصه ، وفضائح وينرستروم ، ورجالات الكونجرس يمتد ضررها الى الأمة كلها .



نوردوم سيهانوك يرد على رئيس تحرير مجلة ((تايم))

عن مجلة ((تايم)) الامريكية :

● سيدى رئيس تحرير مجلة « تايم »:

اطلعت على مقالكم الذى نشرتمـوه عني ، والذى وصـفتموني فيه اوصـافا لا يليق أن تصدر عن مجلة محترمة كمجلتكم ، فانا فى رايكم مندفع ، لعوب، طائش العقل. وشعب بلادى متأخر لا امل يرجى منه ، فمن لم تفتك به الدزنطاريا اطاح به حر البلاد اللافح . .

والواقع انني لم استغرب مثل هـذاالقول منكم ، فلقد نفضت يدى من امريكا منذ زمن بعيد، وذلك بسبب عدائها لي ،هذا العداء الذى لم تترك مناسبة تمر دون أن تعبر عنه . ولا ذنب لي سـوىانني رفضت ، وما زلت ارفض ، أن اكون من تلك الدمُى التى تلهو بها امريكا .

واحب أن اكون صريحا معكم فاقول انالسياسة التى تتبعونها فى آسيا سياسة تدل على جهل فاضـح بأحوال البـلادوشعوبها ، وهى سياسة تسبب الحرج حتى للحكام المتحمسين لكم . ولو كنتمعلى شيء من الوعى لأدركتم أن شعوب آسيا اصبحت تؤمن انكم حيثما حللتمنشرتم الحرب ، والثورة ، والبؤس .

واتساءل : وما الذى تأخذونه عليٌ ؟اتراكم تكرهونني لانني لم ارض ان اركع امام الدولار ؟ ام لأننىنجحت حيث فشلالآخرون ؟ ام لانني باستقلالي وعـدم رضوخي لكم ، ووضعي مصلحة بلادىفى المقام الاول ، اشجع شعوب آسـيا التى تستعبدونها على أن تحذو حذوى ؟!

ولكم اخيرا تحياتي ،

نوردوم سيهانوك ـ كمبوديا

طرائف عربية

غرام أبي العتاهية

● خرج المهدى متصيدا فسمع رجلا يتغنى بالأبيات التالية :

يا من تفرّد بالجمال فما ترى ... عيني على أحد سواه جمالا
أكثرتَ فى قولي عليك من الرُقى ... وضربت فى شعرى لك الأمثالا
فابيتَ الا جفوة وقطيعة ... وابيت الا نخوة ودلالا ......
بالله قولي ان سألتك واصدقي ... أوجدت قتلى فى الكتاب حلالا ؟
أم لا ، ففيم جفوتني وظلمتني ... وجعلتني للعالمين نكالا ؟

فقال المهدى على به . فجاءه فقال : لمن هذا الشعر؟ قال : لاسماعيل بن القاسم ابي العتاهية . قال لمن يقوله ؟ قال : لعتبة جارية المهدى . وكان ابو العتاهية قد بلغ من أمرها كل مبلغ .

أبو العيناء وابن خاقان

● اهدى محمد بن عبيد الله بن خاقان أبا العيناء دابة ، فكتب ابو العيناء الى والده الوزير عبيد الله بن خاقان قائلا :

« أعلِمُ الوزير أعزه الله أن أبا علي محمدا اراد أن يبرّني فعقّني ، وأن يرْكبَني فأرجلني ، أمر لي بدابة تقف للنبرة ، وتعثر بالبعرة ، كالقضيب اليابس عجفاً ، وكالعاشق المهجور دَنَفا ، قد أذكرت الرواة عذرة العذرى ، والمجنون العامرى . فان رأى الوزير أن يبدلني بها ، ويريحني منها ، بمركوب يضحكني كما ضحك مني ، يمحو بحسنه وفراهته ، ما سطّره العيب بقبحه ودمامته ، كنت له شاكرا » .

فوجه عبد الله بن خاقان اليه برذونا من براذينه بسرجه ولجامه .

ثم اجتمع أبو العيناء مع محمد بن عبيد الله عند أبيه ، فقال عبيد الله : شكوت دابة محمد ، وقد أخبرني الآن انه يشتريها منك بمائة دينار ، وما هذا ثمنه ، لا يشتكى منه .

فقال : أعز الله الوزير ، لو لم اكذب مستزيدا ، لم أنصرف مستفيدا .

فضحك عبيد الله وقال : حجتك الداحضة بملاحتك وظرفك ، أبلغ من حجة غيرك البالغة !

وانك لتعلم ما نريد

● خرج سالم بن عبد الله متنزها الى ناحية من نواحي المدينة ، ومعه أهله وحرمه ، فبلغ أشعبَ الخبرُ ، فوافاهم يريد التطفل، فوجد الباب مغلقا ، فتسور الحائط عليهم .

فقال سالم: ويلك يا أشعب معى بناتى وحرمى !

فقال له أشعب : لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد ؟

ثلاثة لا يملئون

● ثلاثة لا أملهم : جليسي ما فهم عني، ودابتي ما حملت رجلي ، وثوبي ما سترني .

(عمرو بن العاص)

ابن أبي ربيعة وجميل

● اجتمع جميل بن معمر العذري بعمر بن ابي ربيعة المخزومي فأنشده جميل قصيدته التي أولها :

لقد فرح الواشون أنْ صرمتْ حبلي — بثينة او ابدت لنا جانب البخل
يقولون : مهلا يا جميل ، وانني — لأقسم مالي عن بثينة من مهل
خليليّ فيما عشتما هل رأيتما — قتيلا بكى من حب قاتله قبلي ؟

فلما أتمها قال لعمر :يا أبا الخطاب هل قلت في هذا الروى شيئا ؟ قال نعم .

ثم انشده :

جرى ناصح بالود بيني وبينها — فعرضني يوم الخضاب الى قتلي
فما انس مالأشياء لا أنس قولها — وموقفها يوما بقارعة النخل
فلما توافقنا عرفت الذي بها — كمثل الذي بي ، حذوك النعل بالنعل
فسلمت واستأنست خيفة أن يرى — عدوٌ مكاني أو يرى حاسد فعلي
واقبلن امثالَ الدُمَى يكتنفنها — وكل يفدّي بالمودة والأهل
فقالت وارخت جانب الستر : انما — معي فتكلم غير ذي رقبة اهلي
فقلت لها : ما بي لهم من ترقب — ولكنْ سرى ليس يحمله مثلي

فاستخذى جميل وصاح : هذا والله الذي طلبتِ الشعراء فأخطأته ، فتعللوا بوصف الديار ، ونعت الأطلال .

العفو خير

● **قال رجل لبعض الملوك وقد وقف بين يديه :** أسألك بالذي أنت بين يديه غدا أذلُ مني بين يديك اليوم ، وهو على عقابك اقدر منك على عقابي ، الا ما نظرت في أمري نظر مَنْ بُرئِي أحبُ اليه من سقمي ، وبراءتي احب اليه من بليتي !

بئر مقلوبة

● كان جحا يسير مع صديق له ، فرأى منارة مرتفعة ولم يكن صديقه قد رأى منارة من قبل ، فقال : **كيف يبنون هذه ؟**

فأجابه جحا : هذه بئر مقلوبة !

اياهم فارحم

● **قال رجل لعمرو بن عبيد :** اني لأرحمك مما يقول الناس فيك !

قال : اسمعتني أقول فيهم شيئا ؟

قال : لا .

قال : اياهم فارحم .

مشكلة ابنة الرابعة عشرة

بقلم : محمد بدر الدين خليل

فى العدد (٦٦) من « العربى » تناولنا مشكلة« ابن الرابعة عشرة » ، بمناسبة شكوى تلقيناها من احدى الأمهات . وعلى اثرها ، حمل البريدالينا هذه الرسالة :

« ... بنت الرابعة عشرة ، أليس لها لديكم نصيب ؟

« اننى اذا عنيت بتصفيف شعرى ، حين أهيم بالذهاب الى المدرسة ، تعرضت لتقريع شديد من أمى .. واذا شعرت — فى العطلة الأسبوعية — بالتحرر من الزى المدرسى ، وتأنقت فى ملبسى ، كانت الطامة الكبرى .. علما بأن أمى هى التى تختار لى الثياب وطراز تفصيلها .. واذا خلوت الى نفسى ، تابعتنى عينا أمى تتجسس ما أفعل .. واذا حدثت شابا من الاقارب — وسط جمع من الأسرة — تلقيت من اللوم ما يجعلنى أشعر بالاتهام والشك ..

« وكان لزاما علىّ أن أثور .. ولكن أهلى لم يفهموا من ثورتى الا أنها تمرد على أصول الأدب ، فقابلوها بالضرب والايذاء .. فعدلت عن الثورة الى المسلك السلبى : الصمت والاعتزال .. ولكن صمتى واعتزالى فسّرا أسوأ تفسير ..

« فماذا أفعل ؟ .. لقد نفدت حيلتى ، واستشرت حيرتى ، ولم أجد فى أهلى — وهم أقرب الناس الىّ — من يفهمنى ، حتى فكرت فى أن أتخلص من الحياة .. » .

مثل هذه الرسالة صرخة تعتمل فى صدور كثيرات من البنات اللائى فى سن صاحبتنا ..

والواقع أن مشكلة « ابنة الرابعة عشرة » ، أشد تعقدا وخطورة فى مجتمعنا العربى من مشكلة « ابن الرابعة عشرة » . وهذا راجع الى أن كثيرا من الأسر عندنا لا تزال تعامل الفتاة على أنها أقل شأنا من الفتى . وكم من آباء وأمهات يبادرون الى اجابة رغبات الابن ، ولكنهم يتقاعسون عن الاهتمام برغبات البنت .. وكم من آباء وأمهات يحيطون الابن بهالة من العناية والرعاية ، ولاتزال فى أعماقهم — وان لم يدركوا ، أو وان أدركوا لم يعترفوا — بقية من التقاليد والمعتقدات ، التى كان يعززها الشعور بأن الولد هو الذى يحفظ اسم الأسرة وتسلسل النسب ، فى حين أن البنت مآلها الى زوج قد لا يكون من الأسرة ، فلا يُقدَّر لأولادها أن يحملوا لقب هذه الأسرة ويحفظوه فلا يندثر ..

ولنعد الى مشكلة صاحبة الرسالة .. مشكلة الفتاة المراهقة فى مجتمعنا ..

من الأمور الواضحة ، التى لا جدال فيها ، أن مرحلة المراهقة أقسى وقعا على الفتاة منها على الفتى ، بحكم الطبيعة . فان التغيرات التى تلم بجسمها ووظائفه فى هذه السن — وهى تغيرات معروفة — أشد ظهورا وتأثيرا عليها ، من التغيرات التى تلم بالفتى . بل ان منها ما يثير فى نفس الفتاة الغريرة كثيرا من الفزع .

يضاف الى هذا أقاويل تتناهى اليها ، عابرة على ألسنة الكبيرات من نساء الأسرة والمعارف ،

تتطلبُ: صَبْرًا.. وفهمًا.. وترفقا.. وحَزْمًا..



ثم هن لا يكدن أن يرينها حتى يقطعن الحديث ، ويبترن الكلمات .. وقد تدفعهن الرغبة الى متابعة الموضوع الذى يخصنه ، الى التعبير بالاحاجى والرموز والتورية والاشارات ..

هذا الجو الحافل بالغموض والتكتم ، يوحى الى الفتاة بالتحفظ ، فيكون آخر شىء عندها أن تلجأ الى أمها أو الى من يكبرنها من الأهل والمعارف .. حتى الأخت الكبيرة التى تكون قد مرت بهذه التجربة وعرفت كل مضايقاتها وملابساتها التى تخلق الحيرة .. حتى هذه الأخت ، تتجنب الحديث الذى يلقى أضواء ترشد المراهقة الى طريقها ، لأن التقاليد والعادات التى ترسبت فى ذهنها تجعلها تؤمن بأن هذا الحديث « عيب » وانتهاك للأخلاق .

وهنا منشأ الخطر .. فان الفتاة ، فى توزعها بين الحيرة والانزعاج والفضول ، قد تلجأ الى من لا يجدن حرجا فى الحديث ، ولكنهن لم يؤتين المعرفة الصحيحة ، ولا الادراك السليم لما يتحدثن فيه من أعراض المراهقة ، كخادمات البيوت ، أو كبعض الزميلات اللائى يدعين العلم بالأمر عن جهل أو انحراف ..

فى هذه المرحلة الحرجة لا يكون للفتاة غير أمها. ان الأم هى أقدر الناس على كسب ثقة ابنتها. واذا كسبت الأم ثقة ابنتها ، صارحتها الفتاة دون حرج بكل ما يلم بها ، أولا بأول ، وكاشفتها بما يحيرها .. والأم عندئذ تشرح لها أعراض المراهقة فى رفق وتلطف ، فتطمئنها الى أنه ليس ثمة ما يدعو الى الخوف والانزعاج ، وتبصرها بما يجنبها المزالق ويقيها الأخطار .

وللأم أن تستطرد فتطلع ابنتها ، فى صراحة ، من شئون الجنس ما تشاء . فالأم خير معلم فى

هذه الشئون . والتربية الجنسية أصبحت من مستلزمات تطورنا الاجتماعى والحضارى .. اننا نسمح للفتاة اليوم بأن تتعلم ، وبأن تعمل ، وبأن تخرج الى الأسواق وتتصل بالأعمال وتختلط بالناس ، والتربية الجنسية من خير ما نزودها به وهى تشق طريقها فى الحياة . انها تقيها مزالق هذه الحياة .

ولكن التغيرات البدنية التى تصاحب مرحلة المراهقة فى الفتاة ، تواكبها ظواهر نفسية ليست اقل خطرا من تلك الظواهر البدنية .. ومن هذه الظواهر النفسية حساسية مفرطة ، ونزوات قد تتراءى شذوذا ، وما هى بالشاذة ، انها ملحقات لتلك التغيرات البدنية التى جاء بها دور المراهقة. انها نزوات تتصل بالذى اخذ يكتمل من كيان انوثتها.

ومن هذه النزوات ميل الفتاة الى التجمل .. ان صبية الأمس ، التى كانت تذهب فى اهمالها لمظهرها احيانا الى درجة الظهور بمظهر الصبى ، تاخذ فى العناية بشعرها ، وتحاول أن تصففه على نمط ما تفعل أمها أو أختها الكبرى، أو الممثلة السينمائية التى تعجَب بها .. وهى تاخذ تهتم بالتأنق فى ملبسها . وهى قد لا تملك أن تبتاع من الثياب ما تبلغ به الأناقة التى ترجوها ، ولكنها تحاول بما لديها أن تحقق أملها فى هذا المضمار .

ومن الأمهات من تبادر الى معارضة هذه الميول عند فتاتها ، وهى ميول طبيعية ، وقد تذهب فى معارضتها الى درجة الخشونة أو القسوة التى تجرح شعور الفتاة ، وقد قلنا ان مشاعرها ـ فى مرحلة المراهقة ـ قد تبلغ حد الارهاف .

ويبلغ الخطر مداه ، اذا اقترن تدخل الأم بما يفهم منه التشكك فى الدوافع التى تحدو الفتاة الى هذه الاتجاهات ، فالحساسية المفرطة التى تطرأ على ابنة الرابعة عشرة تضخم لها هذا الشك اضعافا مضاعفة. وقد يثير هذا كبرياءها واعتزازها بنفسها ، فيدفعها الى التحدى .. والتحدى ـ فى هذه الحال ـ من اقوى العوامل التى تزين الانحراف للفتاة ..

اما ان تبلغ سياسة أهل البيت ، الى ترويض الفتاة المراهقة بالسب أو بالضرب فأمر لا يأذن به الا معتوه أو معتوهة .

ان سياسة الفتاة المراهقة قد تكون من أصعب المهام واشقها .. لكنا نعود فنكرر أن على الأم نصيبا كبيرا فى تذليل صعوبتها، فهى ، كأنثى مرت بالتجربة ، اجدر بأن تكون اكثر ادراكا لها وللابساتها من سواها.. ثم انها ـ بحكم طبيعتها ـ اقدر على اصطناع الرفق ، وعلى اغداق الحنان ، واقمن بأن تطمئن اليها الفتاة فتفتح لها مغاليق نفسها وتمكنها من تفهم حالها .

يجب على الأم الا تنسى أنها مرت يوما بهذه السن ، وأن تستعرض فيما بينها وبين نفسها ـ فى صراحة تامة ـ ما كان يساورها من احلام وما كان يخالجها من مشاعر ، وما كان يتولاها من نزوات . وعندها ستجد أن ميل الفتاة المراهقة الى التأنق ، والى محادثة الأقارب من الشبان ، والى ارتكاب بعض التوافه النزقة ، أمر طبيعى .. وعندها ستلتمس الأعذار لفتاتها وتشفق عليها من اضطرابات هذه السن .. وهذه هى الخطوة الأولى نحو التفاهم مع الابنة ، ونحو اكتساب صداقتها وثقتها .

ولكن العبء لا يجب أن يلقى على الأم وحدها ، فلا بد للأب من نصيب ..

وفى هذا يجب أن يكون الأب والأم على تعاون وثيق ، بحيث يتقدم الأب ليحاول علاج ما تكون الأم قد أخفقت فى علاجه من امور الفتاة .. وليكن هو الآخر حريصا على الترفق والحذر .. ولكن فى شىء من الحزم ..

وكثيرا ما يكون الأب المثل الأعلى للرجولة لدى الفتاة ، وهى غالبا ما تتجه اليه بكل الميول التى تداخلها فى هذه السن ، فخليق به أن يستغل هذا الاتجاه لكى يروضها ويقودها ويأخذ بيدها لتتخطى درجات هذا التطور بسهولة وأمان .. ولكن عليه أن يحذر الافراط فى التلطف والترفق ، فان هذا قد يوجه الفتاة الى لون من الخُدَع النفسية يسميه علماء النفس « عشق الأب » ، اذ تعشق الفتاة فى أبيها صورة فارس الأحلام الذى تتمناه .. ثم انه ـ فى الوقت ذاته ـ يوهن من الحزم الذى لا بد منه لكى تستجيب الفتاة لتوجيهاته رغبة منها فى أن ترضيه .

مرة أخرى .. ان سن المراهقة من اقسى السنوات على الصغار ، وهى اقسى وقعا على الفتاة منها على الفتى . ولكن العنف أو القسوة لا يمكن أن يكونا اداة لترويض الجموح فى هذه المرحلة ، بل الصبر والأناة والرفق والحرص على تخير الأساليب ، هى خير ما يعين الأبوين على اداء رسالتهما نحو أولادهما فيها .

وليذكر الوالدان أنها مرحلة انتقال ، لن تلبث أن تنتهى الى استقرار . ■■



صفي الدين

شاعر العصر المغولي..

بقلم: عبد الرزاق البصير

■ ما أظن ان باحثا يستطيع ان يتحدث عن الجانب الأدبي في العصر المغولي دون ان يلم بحياة عبد العزيز ابن سرايا بن ابي القاسم بن احمد بن نصر المعروف بصفي الدين السنبسي الطائي الحلي . ذلك لان مؤرخي الأدب العربي مجمعون على ان هذا الشاعر هو شاعر العصر المغولي على الاطلاق ولا يمكن ان يبلغ الانسان هذه المرتبة الأدبية الا اذا كان صورة صادقة لعصره .

ونحن حينما نتأمل آثار هذا الشاعر نجد فيها المثل الحقيقي لذلك العصر المظلم . فبالرغم من ان شاعرنا يمتلك طاقة فنية قوية ، الا انه كثيرا ما يقف وقفات طويلة عند المحسنات اللفظية . فهو يلتزم بالقيود البديعية في معظم الأحيان ، الأمر الذي يصور لنا انصراف تفكير الناس في تلك الفترة القلقة عن الحقائق والمعاني الى زخارف التعبير .

في الحِلة وُلد صفي الدين

وقد شاء الله أن يعيش صفي الدين في بيئة جميلة بعيدة عما يجري في البلاد المجاورة لها

من فوضى واضطراب . فقد ولد صاحبنا في الحِلة ، وهي مدينة من امهات مدن العراق ، كانت في عصر من عصور التاريخ قِبْلة العلماء والادباء ، والتجار ، وسائر أرباب الحرف . فاصبحت لها مكانة مرموقة بين مدن العالم الاسلامي ، ونافست بغداد في مركزها وسطوتها وجاهها .

وتقع الحِلة على بعد بضعة اميال من اطلال بابل العظيمة . وهي على موقع جميل من الفرات. وتكتنفها بساتين النخيل الباسقة،واشجار الفاكهة الشهية . انشاها سيف الدولة صدقة الأسدي سنة ٤٩٥هـ .

وقد ولد الصفي يوم الجمعة الخامس من ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ الموافق السادس والعشرين من آب سنة ١٢٧٨ في بيت من البيوت الكريمة في الحلة .

هولاكو في بغداد

وهذا يعني أن ولادة الشاعر كانت بعد غزو هولاكو لبغداد بواحد وعشرين سنة . ذلك الغزو الذي دمر الحضارة العربية الاسلامية تدميرا يكاد يكون تاما . فقد ذكر المؤرخون ان الطغاة المغوليين قد أباحوا بغداد أربعين يوما بعد فتحها ، فنهبت الدور ، وهتكت المحارم والقيت ذخائر العقول في نهر دجلة . وامتلأت بغداد رعبا وخوفا حتى اضطر بعض الناس الى أن يلتجئوا الى الآبار والقنوات . وظلت جثث القتلى فوق الارض تعبث بها الرياح والكلاب . وامتلأ الهواء بالروائح الكريهة ، وانتشر المرض بين الناس ، فمن لم يمت بالسيف مات بالوباء . حتى أن كثيرا من المؤرخين يعتقدون بأن القتلى قد بلغوا قرابة مايونين ، ولقد أراد هولاكو أن يضرم النار في البيوت ، لكن أتباعه نهوه عن ذلك .

والخلاصة ان بغداد اصبحت موحشة خرابا بعد ان كانت دار الأنس والمعرفة والثقافة . كما أن الحكام أصبحوا لا يتكلمون اللغة العربية ، مما أضعف هذه اللغة المجيدة . وكاد يمحوها لولا مكانة القرآن في النفوس وتاثيره على العقول .

أسرة صفي الدين لها رئاسة الحِلة

وليس من شك ان الناس ظلوا يعانون هذا التدمير مدة طويلة جدا . فالاضطراب قد شمل جميع نواحي الحياة ، كالسياسة والثقافة والاقتصاد . وليس من شك أن شاعرنا قد تأثر أشد الأثر بهذا الجو المضطرب ، ولا سيما اذا عرفنا انه ينتمي الى أسرة كانت لها رئاسة الحِلة مما يثير الخصومات الشديدة المتنوعة على أسرته ، وان كثيرا من الناس كانوا يسعون الى الرئاسة بشتى السبل . وكان خاله صفي الدين بن حمزة ابن محاسن صدرا فيها . وكان اعظم المنافسين لهم أسرة تسمى بأسرة الفضل . حتى بلغ من شدة خصومة هذه الأسرة انها قتلت خال شاعرنا غدرا . وكان لهذا الحدث تاثير كبير على اسرة الصفي لأن القتيل كان من الشخصيات المعروفة بالقوة والكرم . وكان شاعرنا أشد أسرته تأثرا بهذا الحادث .

ونحن اذا ما تاملنا في أشعاره وجدنا لهذا الحدث صدى في نفس الشاعر . فاسمعه يخاطب خاله .

قتلوا لديك فأخطأوا
لما دعوتَ فأبطأوا

وتبرّءوا حتى تصو
ل فحين صُلْتَ تبرّأوا

دعهم فما كل الأشد
ة للشدائد تخبأ

فلديك منا فتيةٌ
عن ثأرها لا تفتأ

يوم وقعة الزوراء

وكان شاعرنا من الذين يحملون السيف والقلم، وله من ذلك موقف مشهور ، ذلك يوم وقعة الزوراء . فقد روى انه صرع كثيرا من اعدائه في تلك الوقعة . ولقد خلد تلك الوقعة بقصيدته العصماء الشهيرة التي يقول فيها :

سل الرماح العوالي عن معالينا
وسائل البيض هل خاب الرجا فينا

وسائل العرب والأتراك ما فعلت
في أرض قبر عُبيد الله أيدينا

لما سعينا فما رقّت عزائمنا
عما نروم ولا خابت مساعينا

يا يومَ وقعة زوراء العراق وقد
دِنّا الأعادى كما كانوا يَدِينونا
بضُمّرٍ ما ربطناها مسوّمةً
الا لنغزو بها من بات يغزونا
وفتيةٍ ان نَقُل أصغَوا مسامعَهم
لقولنا ، أو دعوناهم ، اجابونا
قوم اذا استُخصِموا كانوا فراعنة
يوما وان حُكِّموا كانوا موازينا
تدرّعوا العقلَ جلبابا فان حَميت
نار الوغى خِلتَهم فيها مجانينا
اذا ادّعوا جاءت الدنيا مصدِّقةً
وان دَعَوا قالت الأيام آمينا
انا لقومٌ أبتْ أخلاقنا شرفا
أن نبتدى بالأذى من ليس يؤذينا
بيضٌ صنائعنا ، سودٌ وقائعنا
خُضرٌ مرابعنا ، حمرٌ مواضينا

وهذه القصيدة هى عندى خير ما نظم الصفى من اشعار ، لانها كانت تعبر عن ما يجول فى الضمير العربى الذى كان يعيش عنذاك فى فترات اهدرت فيها الكرامة العربية ، ودمرت فيها الحضارة العربية كل التدمير، ولا سيما فى العراق والشام . اقول هذا على الرغم من انى ادرك أن اديبنا قالها مفتخرا بما قامت به عشيرته من اخذ الثار من عشيرة آل الفضل .

التجاؤه الى ماردين

وشاعرنا نظم هذه القصيدة وعمره يتراوح بين الثالثة والعشرين والخامسة والعشرين . ولقد أصبح شاعرنا بعد هذه الوقعة مطلوبا بالثار عند كثير من الناس لما وقفه من موقف زرع فى قلوب خصومه كثيرا من الاحن والأضغان حتى صارت اقامته فى العراق محفوفة بكثير من الأخطار .

ولا بد انه فكر كثيرا فى المأمن الذى يلتجىء اليه فقد كان لا بد له من مأمن تتوفر فيه عدة شروط ، اهمها المنعة بحيث لا يستطيع اعداؤه ان يصلوا اليه وجمالُ الطبيعة لكى يُرضى احساسه المرهف ومشاعره الرقيقة ، وتكريمٌ فى اللقاء لترضى نفسه الأبية بالمقام .

ولعل هذه الشروط كانت عزيزة المنال لا تكاد توجد الا فى ماردين ، فهى قلعة قال عنها ياقوت انها : « قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة مشرفة على دُنَيسر ، ودارا ، ونصيبين وذلك الفضاء الواسع ، وقدّامها رَبَضٌ عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس .. والذى لا شك فيه أنه ليس فى الارض كلها أحسن من قلعتها ولا أحصن ولا احكم .. » .

اضف الى ذلك أن الذى يدير امرها كان ملكا صاحب شوكة وسلطان.. عادلا فى رعيته ،أصبحت ماردين به عامرة وشاعفيها الاستقرار والرخاء ..

وكان فى هذا البلد بعض بطون طيىء ، والعرب يحمون المستجير وان كان غريبا ، فما بالك بابن عم لهم ؟

فى ماردين أنتج صفى الدين ديوان « درر النحور فى مدائح المنصور »

وقد وفق شاعرنا كل التوفيق فى التجائه الى ماردين ، ففيها بدّل الله خوفه امنا وتعبه راحة، وفيها حصل على تكريم يليق به كشاعر واديب . فكانت الهدايا والتحف ترد اليه من الحكام وغير الحكام.واطمانت نفسه وتفجرت مواهبه الشعرية. ويرى بعض النقاد ان تلك الفترة كانت من أخصب الفترات التى أنفقها شاعرنا من عمره . وفيها أنتج ديوانا أسماه« درر النحور فىمدائح المنصور».

وهو فى مديح الملك المنصور الأرتقى ، صاحب ماردين . وفيه ٢٩ قصيدة ، كل منها بها ٢٩ بيتا، وكل قصيدة تبدا ابياتها وتنتهى بحرف من الحروف الهجائية مسلسلةً .

ومدح الشاعر امراء آخرين

ولم يقتصر نشاط شاعرنا على حكام ماردين . وانما امتد الى حماة ، فمدح ملكها «المؤيد» عماد الدين اسماعيل بن الأفضل أيوب ، وابنه « الأفضل » . كما امتد الى العراق . اذ أن شاعرنا استطاع أن يذهب الى العراق عدة مرات، الا أنه كان لا يطيل البقاء فيها خوفا من أعدائه المتربصين به .

وقد صور صفى الدين حياته الناعمة فى ماردين فى قصائد متفرقة ، من ذلك قوله فى قصيدة يدعو فيها بعض أصدقائه الى بيته :

تَزُرنا ، ان مجلسنا أنيقٌ
يكاد يعيد منظرُه الشبابا

يقـــابله بخــارىٌ تلظّـــى
فتحســـب حـــرّ آبرٍ منه آبـــا
لــه تــاج يريك النــار تجلّـــى
وتنظـــر للدخــان بهــا احتجابا

ويقول ايضا :

ونحـــن بمنـــزل لا نقص فيــــه
رحيب الربـــع مرتفـــع البنـــاء
وفى دارى بخـــــارىٌ وخيشـــ
أعـــدّا للمصيـــف وللشتـــاء
فهـــذا فيـــه (شاذروان) نــار
وهـــذا فيـــه (شاذروان) مـــاء

ومن هاتين القطعتين يتضح لنا ان منزل شاعرنا كان منزلا صالحا لاستقبال الضيوف فى الصيف والشتاء ، مؤثثا بأثاث فاخر .

صفى الدين يتاجر ويثرى

ومن محاسن أخلاق الصفى ان نفسه الطموح لم تعتمد على ما يأتيها من عطاء الملوك والوجهاء ، وانما دخلت الحياة لتعمل مع العاملين ، فقد تاجر مع التجار . ويبدو انه وفق فى عمله حتى اصبح من أهل الثراء .

رحلته الى الحجاز ومصر

وقد شاء الله أن تكون تجربة الشاعر فى الحياة تجربة غنية ، وذلك حينما رحل الى الحجاز لتادية الحج ولزيارة قبر الرسول ، وحينما رحل الى مصر ، وهى البلاد التى استقر فيها الأمان وانتشر فيها العلم اكثر من اى بلد اسلامى آخر فى تلك الفترة المضطربة التى دمرت فيها الحضارة العربية الاسلامية فى المشرق ، وذلك لبعدها عن غزو الطغاة المغول .

وهو ورد مصر فى سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٦ م) ، ومثل بين يدى الملك الناصر بن قلاوون ، ومدحه فملأ يده بجوائزه .

وزادت رحلاته هذه أفق تفكيره اتساعا وكان لها اثر قوى فى نفس الشاعر . فقد ذكر ذلك فى ما وصل الينا من آثار .

ثقافة صفى الدين

على اننا ان اردنا أن نتحدث عن ثقافة الشاعر فاننا ملاقون كثيرا من المشاق ذلك لأن المترجمين لشاعرنا لم يذكروا لنا اسما واحدا من أساتذته الذين تثقف على أيديهم . لكن آثاره تدل على انه كان واسع الاطلاع على الأدب العربى متمكنا من اللغة العربية وآدابها ، ذا قدرة عجيبة على التصرف فى علم البديع حتى لقيل انه لما اراد أن ينظم بديعيته المشهورة فى مدح الرسول قرأ مائة واربعين كتابا لاجل تلك البديعية التى مطلعها :

ان جئت سلعاً فسَلْ عن جيرة العلم
واقرِ السلامَ على عُرْب بذى سَلَمِ

شاعر متعدد الجوانب والألوان

وكان صفى الدين لا شك زعيم الشعر فى عصره ، وبقيت فى شعره بقية من فصاحة اللفظ ، وبقية من رشاقة الأسلوب . وقد افتنّ فى الصنعة ما شاء ، ودخل فى أحد عشر بابا من أبواب الشعر . حتى أن الانسان اذا ما قرأ شاعرنا فى لون من هذه الالوان يظن أن قدرته مقصورة على هذا اللون . فانت حينما تقرأ حماسة الصفى تعده من شعراء الحماسة . وانت حينما تقراه فى المدح تعتقد بانه من شعراء المديح . وانت حينما تقراه فى الغزل تعده من الغزليين . ذلك لأن ابن سرايا قد أجاد فى جميع الأبواب التى طرقها .

دراسة مفصلة لصفى الدين

والحق ان الأستاذ جواد علوش قد قام بدراسة مفصلة للصفى وفق فيها كل التوفيق . فقد وضّح كثيرا من خصائصه الشعرية وأحصى الشعراء الذين تاثروا ببديعياته . وابان الشعراء الذين تاثر بهم الصفى ، وعلى رأسهم المتنبى وأبونواس .

وفاة الشاعر

وقد كان من المتوقع أن يُعنى الناس بهذا الشاعر ، رمز الأدب فى عصره ، فيضبطوا يوم وفاته أو شهر وفاته على الأقل ، ويحددوا لنا قبره . لكن شيئا من ذلك لم يحدث . كل ما نعرفه عن ذلك انه مات فى بغداد . أما سنة وفاته فان الرواية مضطربة فيها اشد الاضطراب . وتردد الرواة فى ذلك بين سنة ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ بعد السبعمائة ، من الهجرة .

رحم الله صفى الدين الحلى . وطيب ثراه .

عبد الرزاق البصير



فانكا..

للكاتب الروسى تشيكوف

لم يذهب « فانكا جوكوف » الى فراشه ليلة عيد الميلاد . فبعد أن ذهب سيده وسيدته وأتباعهما لحضور قداس منتصف الليل ، أخرج الصبى ـ الذى لم يتجاوز التاسعة باكثر من ثلاثة أشهر ـ محبرة وقلما ذا ريشة صدئة ، وبسط قطعة مكرمشة من الورق . وبعد أن تلفت الى الأبواب والنوافذ عدة مرات فى خوف ، أطلق زفرة متهدجة ، ثم ركع امام المقعد الخشبى الذى بسط عليه الورقة ، وشرع يكتب :

« جدى العزيز قسطنطين مكاريتش :

« اننى أكتب لك رسالة ، وأتمنى لك عيد ميلاد بهيجا ، راجيا لك من الرب كل خير .

« فليس لى أب أو أم ، بل أنت الوحيد الذى بقى لى » .

وتحول ببصره الى النافذة المعتمة ، التى كانت تعكس ضوء شمعته ، وراح يتمثل جده فى خاطره . كان الجد يعمل حارسا لدى آل جيفاريوف .. ومع أنه كان قصيرا ، الا أنه كان شيخا موفور الحيوية والنشاط ، فى حوالى الخامسة والستين من عمره ، وكان وجهه متهللا يضحك دائما ، كانت

عيناه حادتين . وكان ـ فى النهار ـ ينام فى مطبخ الخدم ، ومن عادته أن يتبادل النكات مع الطاهية.

اما بالليل ، فكان يلتف فى معطف فضفاض من جلد الغنم ، ويطوف بالضيعة وهو يهز مقرعته . وكانت الكلبة « بيرُونى » العجوز ، والكلب المسمى « ريجلز » يتبعانه وقد نكسا رأسيهما . كان الكلب يبدى الاحترام ومظاهر الولاء بدرجة بالغة ، ويرمق أصحابه والأغراب بنظرات تفيض ودا ، ومع ذلك فلم يكن طيب السمعة . كان الاحترام والذلة يخفيان فيه لؤما وخبثا .

كان لا أحدً يبزُّه فى التسلل وراءك ، ثم الانقضاض فجاة على ساقك ، ولا فى التسلل الى مخزن الأطعمة المثلجة ، ولا فى سرقة دجاجة من فلاح .

ولقد أوشكت ساقاه الخلفيتان أن تكسرا أكثر من مرة ، وكاد يشنق مرتين .. وكان فى كل أسبوع يساط حتى يوشك أن يموت ، ولكنها الحياة كانت لا تلبث أن تدب فيه فى كل مرة .

وكانى بالجد كان ـ فى تلك اللحظة التى يكتب فيها حفيده اليه كتابه ـ واقفا عند البوابة، يمد بصره الى نوافذ الكنيسة ، أو يدق الأرض بحذاءيه ، أو يرمى الخدم بالنكات ، ومقرعته فى نطاقه ، وقد راح يصفق بيديه وهو يختلج من فرط البرد .. أو لعله كان يقرص الخادم مرة ، والطاهية مرة أخرى . ثم يقدم للمرأتين السعوط من علبته .

وكانى بكلتا المرأتين تناولتا من سعوطه ،وراحوا جميعا ثلاثتهم يعطسون معا .. حتى الكلبان كانا يتنشقان السعوط ، أما « برونى » فتعطس وتهز رأسها وتنصرف مستاءة .. وأما « ريجلز » فان أدبه كان يمنعه من العطس ، فيكتفى بأن يهز ذيله.

وكانى بالجو كان هادئا ، عليلا .. والليل مظلم، ولكن بوسع المرء أن يرى القرية ببيوتها ذات الأسقف البيضاء،والاشجار التى يوشيها الصقيع بوشى من فضة .. والسماء كلها مرصعة بنجوم تومض فى تألق بهيج ..

★ ★ ★

وتنهد الصبىُّ «فانكا» وغمس ريشته فى المداد، وراح يكتب :

« وبالأمس أكلت علقة » ساخنة ، اذ شدنى سيدى من شعرى وراح يسوطنى ، لأننى كنت أهز وليده فى مهده ، فغشيتنى نومة . وفى الأسبوع الماضى ، أمرتنى السيدة أن أنظف سمكة دخناء جافة ، فبدأت بالذيل. فأخذت السيدة السمكة، ورمتنى واياها فى صندوق القمامة.والخدم يعبثون بى، ويرسلوننى لأسرق لهم شراب الفودكاوالمخللات من سيدى فيضبطنى السيد ويضربنى بأى شىء تصل اليه يده . ولست أجد كفايتى من الطعام . ففى الصباح يعطوننى خبزا فقط ، وفى الغداء ثريدا ، وفى العشاء خبزا مرة أخرى.. أما الشاى وحساء الكرنب، فالسيد والسيدة يقصرانهما على نفسيهما . وهما يأمراننى بالنوم فى مدخل المسكن ، فاذا بكى الرضيع ، فلا نوم لى ، اذ علىَّ عندئذ أن أهز المهد . فيا جدى العزيز ، ارحمنى بالله ، وخذنى من هنا ، وارجعنى الى القرية ، فهذا أكثر مما أطيق . اننى انحنى على قدميك ، وسأظل طيلة العمر أدعو الله من أجلك فخذنى من هنا قبل أن أموت » .

وزم « فانكا » فمه يغالب البكاء ، ومسح عينيه بظهر يده ، وهو ينهنه ثم واصل الكتابة :

« سأطحن لك السّعُوط ، وسأدعو الله من أجلك ، واذا حدث شىء فاضربنى كما يحلو لك . واذا رأيت أن لا مكان لى ، فانى سأستحلف مدير الضيعة باسم المسيح أن يدعنى أنظف الأحذية ، أو أحل محل « فِيدّكا » صبيًا لراعى الغنم . هذا فوق ما أحتمل يا جدى العزيز ، وليس بقائى سوى موت مؤكد لى . لقد فكرت فى الهرب الى القرية ، ولكنى ليس لى حذاء ، وأخشى الصقيع والبرد .. وفى مقابل أن تأخذنى ، سأتولى غذاءك عندما أكبر ، ولن أدع أى مخلوق يؤذيك .. وسأصلى لتنعم روحك بالطمأنينة عندما تموت، كما أصلى من أجل أمى .

« ان موسكو هذه مدينة كبيرة ، والبيوت كلها فخمة من النوع الذى يليق لاقامة كبار القوم ، وهنا كثير من الخيل ، ولكن لا يوجد بالمدينة أغنام .. والكلاب كثيرة ولكنها ليست وحشية .

والصفار هنا لا ينطلقون فى الشوارع ، مرددين الاناشيد ، فى عشية عيد الميلاد ، كما أنهم لا يسمحون لأحد بالاشتراك فى ترانيم الكنيسة .. وقد رأيت مرة من نافذة متجر أدوات لصيد السمك بكل أنواعه .. ورأيت حوانيت بها كل أنواع البنادق ، كبندقية سيد الضيعة عندكم ، ولعل الواحدة منها تساوى مائة روبل.وفى حوانيت القصابين توجد الديكة والبط والأرانب البرية وقد أبى العمال أن يذكروا من أين صادوها .

« يا جدى العزيز ، عندما يقيمون شجرة عيد الميلاد محملة بالهدايا فى بيت سيد الضيعة عندكم ، فخذ كيسا من البندق والجوز واحتفظ لى به فى الصندوق الأخضر.سل السيدة الصغيرة « أولجا اجناتييفنا » أن تعطيك اياه ، وقل لها انه لفانكا » .

★ ★ ★

وانبعثت من فانكا زفرة متهدجة ، وعاد يحملق فى النافذة ، وقد تذكر أن جده هو الذى كان يذهب الى الغابة ليحضر شجرة عيد الميلاد لأسرة سيد الضيعة .. وانه كان يصطحب حفيده معه .كانت مناسبة بهيجة ! .. كان جده يزمجر ، والصقيع يصيت وهو يتهشم ، وكان فانكا – بدوره – يصدر أصواتا مرحة من حلقه . وكان الجد يدخن غليونه قبل أن يقتطع الشجرة ، ويتناول قبضة من السعوط فى تؤدة ، ويلوى قسمات وجهه ليضحك فانكا وكان البرد أخذ ينخر عظامه .. والأشجار الصغيرة تقف جامدة ، مرتقبة لترى من منها التى ستموت . وفجأة ، ينطلق أرنب جبلى كأنه السهم ، لا يدرى أحد من أين قدم ، فلا يتمالك الجد أن يصيح : « امسكه !.. يا له من شيطان ! » .

وبعد أن يجتث الجد الشجرة ، كان يجرها الى دار السيد ، سيد الضيعة ، فيعكفون على تزيينها . وكانت السيدة الصغيرة « أولجا اجناتييفنا » – وهى أحب أفراد الأسرة الى فانكا – أكثر الجميع انهماكا . وعندما كانت أم فانكا على قيد الحياة كانت وصيفة فى بيت السيد ،فكانت هذه السيدة الصغيرة تمنح فانكا الحلوى والأطايب .. واذ لم تجد ما يشغلها، علمته القراءةوالكتابة والعد الى المائة ، بل والرقص الايقاعى . فلما ماتت أمه ، أحيل «فانكا» الى مطبخ الخدم ليبقى مع جده .. ومن مطبخ الخدم ، الى حانوت الاسكاف .

★ ★ ★

واستأنف فانكا الكتابة : « ألا تعال يا جدى العزيز . أستحلفك أن تأتى وتأخذنى من هنا . ارحمنى ، أنا اليتيم الشقى،فكل من هنا يضربنى، والجوع يقتلنى، ولا أدرى كيف أشرح لك همومى، فأنا لا أكف عن البكاء . ومنذ أيام ضربنى السيد على رأسى ، فسقطت على الارض ، وانقضى وقت طويل قبل أن أفيق .

ان حياتى تعسة ، أسوأ من حياة الكلاب .. وابعث بتحياتى الى ألوتيا ، وييجوركا الأعور ، والحوذى .. وسائل دائما حفيدك ايفان جوكوف .. الا تعال يا جدى العزيز ! »

وطوى فانكا الورقة المليئة بالكتابة ، ووضعها فى ظرف كان قد ابتاعه فى اليوم السابق ، ثم فكر لحظة .. وغمس الريشةفى المداد ، وكتب العنوان:

« الى جدى فى الضيعة » .

وحك رأسه مفكرا هنيهة،ثم أضاف «قسطنطين مكاريتش » وسره أن أحدا لم يقطع عليه الكتابة .. ولبس طاقيته ، وهرع الى الطريق ولا شىء يكسوه سوى قميص ..

كان عمال حوانيت الجزارين قد أخبروه – فى اليوم السابق – بأن الرسائل تلقى فى صناديق الخطابات ، ثم تجمع منها لترسل الى أرجاء العالم فى زحافات جليدية ذات أجراس مجلجلة وحوذية سكارى .

وبعد ساعة ، كان فانكا يغط فى نومه ، وقد اطمأن الى الآمال العذبة ورأى فى نومه الفرن فى مطبخ الضيعة – وعنده جلس جده ، مدليا ساقيه العاريتين وهو يقرأ الخطاب للطاهيتين .. والى جوار الفرن ، كان « ريجلز » يهز ذيله .

■■

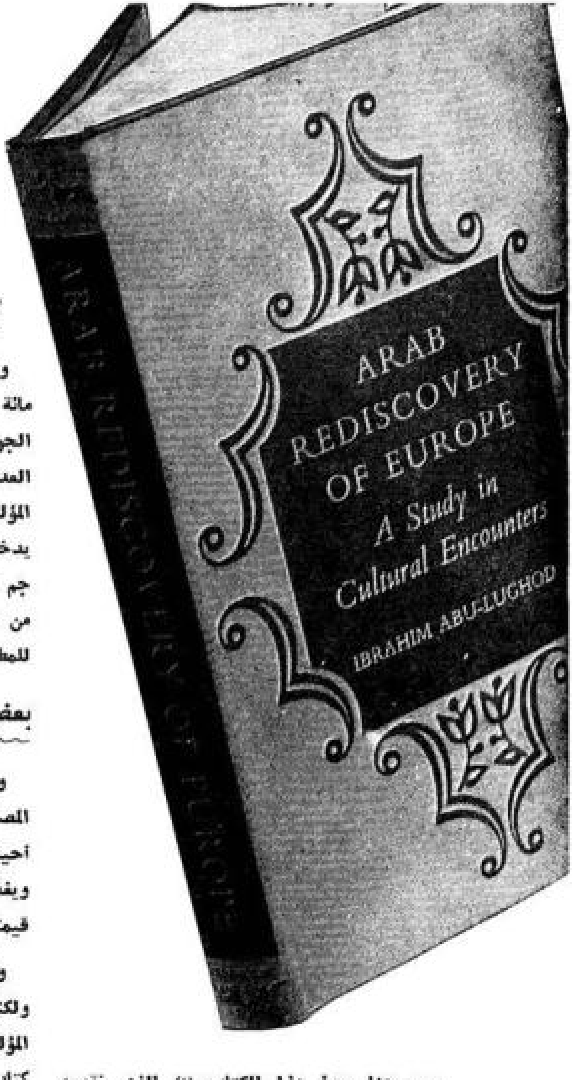
العرب على الغرب

بقلم
الدكتور محمود السمره

أن خرج العرب من الجزيرة فاتحين، يحملون الى العالم دينهم ، ويهدّدون النظم القائمة فى أوروبا بالزوال ... منذ القرن السابع الميلادى والعداء مستحكم بين العالم العربى ، وأوروبا ، وهو عداء كاد أن يجعل الصلات بين المنطقتين شبه مقطوعة ، الا ما كان من سفارات معدودة محدودة ، وطلاب علم يؤمون جامعات الاندلس .

وبقى هذا السور الحاجز قائما بين العالم العربى وأوروبا حتى كانت حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ ، فكانت أشبه بقنبلة شديدة الانفجار ايقظت النوّم من سباتهم العميق الذى امتد قرونا . وأفاق المشرق العربى على مدافع نابليون وجحافله ومطبعته ليجد الدنيا غير الدنيا : دنيا أوروبا بثورتها الصناعية ، ودنياه التى وقفت عند ظلمة القرون الوسطى . وليس أدلّ على جهل العرب بما أصاب الغرب من تقدم ، أن المماليك فى مصر قابلوا نبأ نزول جيش نابليون على أرضها بسخرية ، واثقين من أنهم سيهزمون الفرنسيين كما هزموهم من قبل ، وأسروا ملكهم لويس التاسع ، ظنا منهم أن فرنسيى اليوم هم فرنسيو الأمس .

واحتل نابليون بجيشه ارض مصر واقام فيها زمنا ، واحدث وجوده تغييرات جوهرية تجاوزت شؤون المادة حتى أصابت الأفكار .



ومن هنا يبدأ هذا الكتاب (١) الذى نقدمه للأستاذ ابراهيم أبو لغد الأستاذ المساعد فى كلية سميث بامريكا . انه يتحدث عن انفتاح الشرق العربى على أوروبا فى العصر الحديث ، فيبدأ بحملة نابليون وآثارها ، ثم ينتقل الى بعثات محمد على الى فرنسا ، وما قام به المترجمون من جهود فى نقل الكتب الغربية الى العربية ، وينتهي الى الحديث عن الرحالة العرب الى الغرب ، وتصنيف كتبهم التى سجلوا فيها ما تركت الرحلة الى الغرب فى نفوسهم من أثر .

موضوع واسع فى صفحات قليلة

وهذا الموضوع الذى تناوله المؤلف فى اكثر من مائة وخمسين صفحة ، موضوع واسع متعدد الجوانب ، ويصعب تناوله تناولا شافيا فى هذا المدد المحدود من الصفحات ، ولهذا فان ما فعله المؤلف هو انه رسم خطوطا عريضة ، دون أن يدخل فى التفاصيل . وهذا الكتاب مفيد ، بل جم الفائدة ، للراغب فى الاطلاع على هذا الجانب من تاريخنا الحديث ، ولكنه لا يضيف جديدا للمطلع الراغب فى الاستزادة .

بعض المراجع مشكوك فى قيمتها العلمية

ومع أن المؤلف قد حاول أن يعود فى كتابه الى المصادر الأصلية فى هذا الموضوع ، الا أنه يشير أحيانا الى مراجع ثانوية مشكوك فى قيمتها العلمية ، ويغفل الاستشهاد فى الموقف نفسه بمراجع ثبتت قيمتها العلمية .

وأنا لست هنا بسبيل تقصى هذا الجانب ، ولكنى أضرب لذلك مثلا للتوضيح : يتحدث المؤلف عن مارون النقاش ثم يحيل القارىء الى كتاب لاندو « دراسات فى المسرح والسينما العربيين » (٢) ، ولا يشير من قريب أو من بعيد الى خير دراسة صدرت حتى الآن عن المسرح والمسرحية وهى « المسرحية فى الأدب العربى الحديث » للدكتور محمد يوسف نجم (٣) . كما أن الدكتور نجم قام مؤخرا بنشر مسرحيات مارون النقاش . والحديث عن الأخطاء الفاحشة التى

---

(١) Arab Rediscovery Of Europe .

(٢) J. Landau, Studies in The Arab Theater And Cinema

(٣) أنظر مقالنا فى « العربى » ديسمبر ١٩٥٩ .

تردّى فيها (لندو) ليس هذا مكانه ، فقد سبق لنا أن تناولناها (١) .

بداية اليقظة : قنبلة ومطبعة ومنشور

عندما دخل أسطول نابليون الى شواطىءالشرق العربي ، كان هذا الشرق قد وصل ذروة التخلف في جميع الميادين : فكأنه طيلة القرون الماضية كان يعيش في حالة من الترفانا قطعته عن ماضيه الزاهر ، وعن المنجزات العلمية والفكرية والأدبية التي حققها العالم الأوروبي . ويكفي لتصوير مدى البون الشاسع بين العالمين في ميدان التقدم أن نذكر أنه في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تستعمل المدافع والقنابل وأجهزة الحرب التي تفتق عنها التقدم العلمي ، كانت الدولة العثمانية التي كان الشرق العربي يدور في فلكها ويأتمر بأمرها ، تستعمل الحراب وأدوات الحرب التي كانت تستعمل في القرون الوسطى (٢) .

ولقد كانت الحملة الفرنسية بالنسبة لمصر وبلدان الهلال الخصيب نهاية فترة تاريخية ، وبداية فترة أخرىجديدة انهار فيها الحاجز الذي كان قائما بين أوروبا وبينها . وقد أحدث الفرنسيون ، خلال احتلالهم لمصر الذي دام ثلاث سنوات ، تغييرات جوهرية في الادارة ،والتشريع. وقد أفاض المؤرخون في بيان أهمية مطبعة نابليون التي أحضرها معه الى مصر ، وأبرزوا ما كان لمنشوره الأول منأثر في نفوس أبناء المشرق العربي، اذ فتح أذهانهم على مفهوم جديد لمعنى الدولة والمواطنة لم يسمعوا به . ومن أشهر من تناول هذا المنشور وأورده بنصه من رجالات القرن الماضي : عبد الرحمن الجبرتي (توفي ١٨٢٥) في كتابه المشهور « عجائب الآثار في التراجم والأخبار» ونقولا الترك (توفي ١٨٢٨) في مذكراته ، والأمير حيدر الشهابي (١٨٣٥) في « لبنان في عهد الأمراء الشهابيين » . ولكن أحسن دراسة وقعت عليها أيدينا حول حملة نابليون وأثرها في الفكر العربي الحديث هي للأستاذ رئيف خوري (٣) .

المنشور الأول

ولأهمية هذا المنشور الأول نورد أجزاء منه نقلا عن الجزء الثاني من كتاب الأمير حيدر الشهابي :

« بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله ولا ولدا له ولا شريك بملكه .

من طرف الجمهور الفرنسي المبني على أساس الحرية .. يا أيها المصريين قد يقولوا لكم انني ما نزلت فيهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه . وقولوا للمفترين انني ما قدمت اليكم الا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين . وانني أكثر من المماليك ، أعبد الله سبحانه وتعالى ، وأحترم نبيه محمد والقرآن العظيم . وقولوا لهم ان جميع الناس متساوين عند الله . وان الشيء الذي يفرق عن بعضهم بعض فهو العقل والفضايل والعلوم فقط،وبين المماليك ما العقل والفضل والمعرفة التي تميزهم عن الآخرين وتستوجب أنهم يتملكون وحدهم ... فان كان الأرضالمصرية التزام للمماليكفليوردن الحجة التي كتبها لهم الله . فلكن رب العالمين هو رؤوف وعادل على البشر . بعونه تعالى من اليوم وصاعدا لا يستثنى أحدا من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية. فالعقلا والفضلا والعلما بينهم سيدبروا الأمور ، وبذلك يصلح حال الأمة كلها ....

---

(١) أنظر « العربي » مارس ١٩٦٠

(٢) هناك دراسة قيمة للمجتمع الاسلامي في هذه الفترة هي :
H. A. R. Gibb And Bowen, Islamic Society And The West. 2 Vols.

(٣) الفكر العربي الحديث : أثر الثورة الفرنسية في توجيه السياسي والاجتماعي .

تحريرا فى عسكر الاسكندرية فى ... اعنى اواخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هجرية »

مفاهيم جديدة

وفى كتاب الاستاذ ابو لغد تعليقات لطيفة على هذا المنشور، وتحليل طيب لنظرة كل من الجبرتي ونقولا الترك وحيدر الشهابى اليه . وواضح من هذا المنشور انه اكـد على الامور التالية ، وهى امور كانت غريبة على سمع العالم الاسلامى فى ذلك الزمان :

فهو قـد اكد أن الأسـاس الذى تقوم عليه الجمهورية الفرنسية « هو الحرية والمساواة » . وهنا لاول مرة تسمع هذه البلاد بكلمة « الجمهورية » ، وقد عبرت عنها كلمة « الجمهور » فى المنشور ، لان المترجمين احتاروا فى الكلمة العربية التى تقابل الكلمة الفرنسية . وقد أورد الاستاذ ابو لغد تحليلا جيدا لمفهوم كلمـة « الجمهورية » فى اللغة العربية وتطورها ، واستشهد ببحث قيم لبرنارد لويس .

واكد المنشور ان المماليك مغتصبون ينعمـون بخيرات البـلاد دون حـق ، ثم وضع أساسـا للمفاضلة بين المواطنين .

واشار الى حق المواطنين جميعا فى ان يعطوا فرصا متساوية تتيح لكل منهم ابراز كفاءته .

وأورد تعبيرا جديدا على الأذهان هو « الأمة المصرية » ، بدلا من الملة الاسلامية .

رد الفعل الأول : ارسال البعثات الى أوروبا

وغادر نابليون مصر والمشرق العربى مهزوما ، وقضى محمد علي على المماليك ، واقام له ولابنائه ملكا فى أرضها . واذا كانت الحملة الفرنسية قد فتحت عيون المشرق العربى على التقـدم الذى حققه الغرب ، فان أول رد فعل لهذه اليقظـة كان ، ولا شك ، ارسال محمد علي للبعثات الى فرنسا لتعود اليه حاملة مقومات الحضارة الغربية .

ترجمة كتب الغرب الى العربية

ونستطيع أن نقول ان أبرز مظاهر هذه المرحلة من الوعى للحضارة الغربيـة ، كان ترجمة كتب الغرب الى العربية . وهذه خطوة منطقية . وقد بدأت الترجمـة فى المحيط الرسمى ، فالدولة ورجالها هم الذين يقومون بها . ولا شك أن أبرز رجالات هذه الفترة بلا منازع هو الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى . وقد نال هذا الرجل حقه من التقدير ، فكتبت عنه الدراسات العديدة .

وقد كانت هـذه الترجمات من العوامل التى ساهمت فى نشوء الأدب العربى الحديث . ويبدو لي أن دراسة الدور الذى قامت به هذه الترجمات فى تكوين ادبنا الحديث دراسة علميـة ما زالت بانتظار الباحث الكفء . وخير ما كتب حول هذا الموضوع حتى الآن انما كتبه المستشرقون .

الرحلة الى أوروبا

والمظهر الثانى من مظاهر الانفتاح على الغـرب الاقبال على الرحلة الى أوروبا . واذا كان العرب قد أخذوا يجوبون بلاد الغرب ، فى هذه الفترة ، افرادآ ، فان الاوروبيين وفدوا على المشرق العربى جماعات باعداد كبيرة ولغايات مختلفة : فهناك الجمعيات التبشيرية التى عمت البلاد ، وهنـاك مندوبو الشركات الساعون وراء نشر منتجاتهم فى المنطقة ، وهنـاك مندوبو الدول الذين يحيكون المؤامرات فى الظلام ، ويرسمون الخطط للسيطرة على المنطقة العربية .

الرحلة الى الغرب قبل القرن الثامن عشر

ونحن لاننكر أن عربا قد زاروا أوروبا قبـل

القرن الثامن عشر ، ولكن عددهم كان محدودا ، وأثرهم لا يكاد يذكر . ولعل أول عربي من الشرق رحل الى اوروبا في القرون الحديثة كان الأمير فخر الدين المعني الذي امتدت رحلته فيها الى خمس سنوات (١٦١٢ ـ ١٦١٨) . وهناك أيضا الياس يوحنا الموصلي الذي قضى خمسة عشر عاما متنقلا بين أوروبا والعالم الجديد (١٦٦٨ ـ ١٦٨٣) .

ولم يترك لنا الأمير فخر الدين المعني شيئا مكتوبا يدلنا على أثر هذه الرحلة في نفسه ، ولكن أعماله بعد عودته تدل على انه قد عاد الى لبنان بافكار جديدة : فهو قد حاول عند عودته ان يحسّن طرق الزراعة، ويطور هندسة البناء (١). وأما الرحّالة الثاني ، الياس يوحنا الموصلي ، فقد سجل انطباعاته في كتيب بعنوان « رحلة اول شرقي الى امريكا » .

وكان هناك أيضا بعض الطلبة المسيحيين من الموارنة الذين بدأوا بالسفر الى روما منذ اواخر القرن السابع عشر لدراسة اللاهوت ، ليصبحوا من رجال الدين . ولا تدلنا الأخبار التي ترْوَى عن هذه الفئة أنّه كان لها اى اهتمام بغير الشؤون الدينية . وهؤلاء الطلبة الذين كانوا يؤمون روما طلبا لدراسة علوم الدين ، يختلفون اختلافا بينا عن الطلبة الذين بعث بهم محمد علي الى فرنسا ، ليعودوا الى بلادهم وهم يحملون علم الغرب وثقافته .

الرحلة الى الغرب في القرن التاسع عشر

والرحالة العرب الذين اخذوا يؤمون أوروبا في القرن التاسع عشر ، غير من كانوا يذهبون لتلقى العلم ، كانوا صنوفا شتى : فهناك من كانوا يرحلون للعلاج ، أو لعقد الاتفاقيات التجارية ، أو للقيام بمهمات رسمية تكلفهم بها دولهم ، أو للاقامة كممثلين دبلوماسيين . وانضم الى هؤلاء ، في أواخر القرن التاسع عشر ، أولئك الذين فروا من ظلم السلطان العثماني ، عبد الحميد الثاني .

ولكن أهم من كل هؤلاء جميعا تلك الفئة من رجال الادب والثقافة التي جابت أوروبا ، ثم سجلت لنا انطباعاتها في كتب ما زالت باقية بين ايدينا ، نستطيع منها أن ندرك أثر الحضارة الغربية فيها، ومقدار ما فهمت من هذه الحضارة، وما فاتها منها .

ولقد كان لهؤلاء الرواد أثر كبير في الأدب العربي الحديث ، وهذا مثال يجسد لنا أثرهم في تطوير أدبنا : لقد زار مارون النقاش (١٨١٧ ـ ١٨٥٥) رائد المسرحية العربية ، وهو شاب ، ايطاليا . وهناك شاهد لاول مرة في حياته المسرح ، فأعجب به اعجابا بالغا ، ، جعله ينقله الى بلاده عند عودته، فكانت أول مسرحية قدمها هي أول مسرحية عربية تقدم على المسرح . وقد سجل مارون النقاش اثر هذه الرحلة وفعلها في تكوينه في كتابه « أرْزَة لبنان » .

١٨ رائدا تركوا ٢٠ كتابا عن الغرب

والرحالة الذين سجلوا لنا انطباعاتهم عن أوروبا، خلال القرن التاسع عشر ، عددهم ثمانية عشر تركوا لنا عشرين مؤلفا ، هذه هي حسب تواريخ نشرها .

١٨٣٤ تلخيص الأبريز في تلخيص باريز (أو) الديوان النفيس بايوان باريس رفاعة رافع الطهطاوي

١٨٥٥ الساق على الساق في ما هو الفارياق
أحمد فارس الشدياق

١٨٥٦ النزهة الشهية في الرحلة السليمية
سليم بطرس

١٨٦٦ كشف المخبا عن فنون أوروبة
أحمد فارس الشدياق

---

(١) تفصيل هذا في : تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني ـ للمعلوف .

١٨٦٧	رحلة الى أوروبة	فرنسيس مراش
١٨٦٧	عرض البضائع العام	سليمان الحرايري
١٨٦٧	أقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك	خير الدين التونسى
١٨٧٤	الرحلة النحلية	لويس صابونجى
١٨٧٤	صفوة الاعتبار	محمد بيرم الخامس
١٨٨٦	الكنز المخبا للسياحة فى أوروبة	نخلة صالح
١٨٨٨	رحلة الى أوروبة	محمد شريف سليم
١٨٩١	سفر السفر الى معرض الحضر	ديمترى خلاط
١٨٩١	رسائل البشرى فى السياحة بالمانيا وسويسرة	حسن توفيق
١٨٩١	الاستطلاعات الباريسية	محمد التونسى السنوسى
١٨٩١	الدرر البهية فى الرحلة الأوروبية	محمد عمر الباجورى
١٨٩٢	ارشاد الألبا الى محاسن أوروبة	أمين فكرى
١٨٩٣	السفر الى المؤتمر	أحمد زكى
١٨٩٣	رحلة مدير اللسان الى الاستانة وأوروبة وأمريكة	خليل سركيس
١٩٠٠	سياحة مصرى فى أوروبة	علي أبو الفتوح
١٩٠٠	الدنيا فى باريس	أحمد زكى

وليس بين أيدينا من كتب مطبوعة عن الرحلة الى الغرب غير هذه ، وان كان يبدو انه كانت هناك مخطوطات ولكنها لم تنشر : فقد زار ابراهيم النجار أوروبا عام ١٨٥٦ ، وأعلن عن نشر كتاب عن رحلته ، ولكن هذا الكتاب لم ير النور أبدا .

كثرة الرواد من المسلمين

واذا تأملنا فى القائمة التى أوردناها وجدنا ستة رواد من الثمانية عشر قاموا برحلاتهم قبل عام ١٨٧٠ ، وان ثلاثة من هؤلاء الستة سوريون واثنين تونسيان ، وواحدا مصرى . وثلاثة من هؤلاء الستة أيضا ، انما ذهبوا فى مهمات رسمية.

اما الاثنا عشر الذين قاموا برحلاتهم بعد عام ١٨٧٠ ، فان سبعة منهم مصريون، وثلاثة سوريون، واثنين تونسيان . ولم يذهب من هذه الفئة فى مهمات رسمية غير اثنين . كما أن كثرة الرواد كانت من المسلمين .

وهذه الاحصائية تعنى أمرين : أولهما أن الطابع الرسمى كان واضحا فى رحالة النصف الأول من القرن الماضى ، وثانيهما أن صلة الشرق العربى باوروبا كانت تتزايد باضطراد ، حتى اذا حل هذا القرن ، أصبح من الشاق حصر من رحل الى الغرب وكتب عنه .

أمران فى الغرب أثارا اهتمامهم

والمتصفح لكتب هؤلاء الرحالة يلاحظ أن أكثر ما استرعى اهتمامهم فى أوروبا : النظم السياسية والتعليمية ، وهذا واضح فى كتابات الطهطاوى ، وفرنسيس مراش ، وخير الدين التونسى ، من الرعيل الأول . ومحمد بيرم من الرعيل الثانى .

ولعلنا نجافى الواقع اذا قلنا ان النظم السياسية والتعليمية فى أوروبا هى ما استرعى اهتمام هؤلاء الرحالة ، لأن الصحيح أنهم لم يكونوا يهتمون بغير ما كان يجرى فى فرنسا . والرحالة الوحيد الذى اهتم بالبلاد الأوروبية الأخرى ، الى جانب فرنسا ، هو خير الدين التونسى .

فى الغرب حكم القانون هو النافذ

وما أثار اعجابهم فى نظام الحكم فى أوروبا هو أن الحكم فيه للقانون لا للرجال ، وأن الدستور هو سيد الجميع ، وهو الذى ينظم علاقة الدولة بالمواطنين ، والمواطنين بعضهم ببعض . وفوق هذا فان فى أوروبا فصلا بين السلطة الزمنية

والسلطة الدينية . وهذا قول للطهطاوى تتجلى فيه المعانى التى أوردناها :

« ولنكشف الغطاء عن تدبير الفرنساوية ، ونستوفى غالب أحكامهم ، ليكون تدبيرهم العجيب عبرة لمن اعتبر ، فنقول : قد سلف لنا أن باريس هى كرسى بلاد الفرنسيس .. ومن ذلك يتضح لنا أن ملك فرنسا ليس مطلق التصرف ، وان السياسة الفرنساوية هى قانون مقيد بحيث ان الحاكم هو الملك بشرط أن يعمل بما هو مذكور فى القوانين التى يرضى بها أهل الدواوين ..والكتاب المذكور الذى فيه هذا القانون يسمى (الشرطة La Charte)ومعناها فى اللغة اللاطينية ورقة ، ثم تسومح فيها فاطلقت على السجل المكتوب فيه الأحكام المقيدة ، فلنذكره لك ، وان كان غالب ما فيه ليس فى كتاب الله تعالى ، ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بأن العدل والانصاف من أسباب تعمير البلاد وراحة العباد ، وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك ، حتى عمرت بلادهم وكثرت معارفهم ، وتراكم غناهم ، وارتاحت قلوبهم ، فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما أبدا ، والعدل أساس العمران ... » (تخليص الابريز تحقيق مهدى علام وبدوى ولوقا ، صفحة ١٣٨ ـ ١٤٠) .

كل تقدم فى الغرب مرده الى التعليم

أما التعليم فقد أثار اعجابهم لدرجة انهم عزَوْا اليه كل تقدم حققته أوروبا فى الميادين السياسية ، والاجتماعية، والاقتصادية ،فالتعليم هو أساس كل تقدم . ولهذا فلا عجب اذا رأيناهم يحثون « ديار الاسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنايع فان كمال ذلك ببلاد الافرنج أمر ثابت شائع ، والحق أحق أن يتبع » (تخليص الابريز ص ٤٥)والأمر الثابت أن الانسان « بدون تثقيف العقل يعد من البهائم التى لا عقل لها ، ولا يمكن أن يُدَّعى متمدنا قط » (فرنسيس مراش) .

وأشادوا بالتعليم فى أوربا لأن أبوابه مفتوحة للفتاة والفتى على قدم المساواة ، وكانت نتيجة هذا أن برز بين النساء متفوقات فى جميع ميادين المعرفة ، ولهذا كان هؤلاء الرحالة من المتحمسين لتعليم المرأة عند عودتهم ، لأنهم رأوا بأنفسهم الدور الذى تلعبه المرأة الأوروبية فى الحياة الاجتماعية . وقد دعا رفاعة رافع الطهطاوى مثلا ، الى انشاء مدرسة للبنات ، وكان هو أول من كتب فى العربية كتابا مدرسيا خاصا بالبنات والبنين سماه « المرشد الأمين للبنات والبنين » .

★ ★ ★

واخيرا هناك حقائق هامة نستطيع ان نخرج بها بعد مطالعة كتب هؤلاء الرُوّاد :

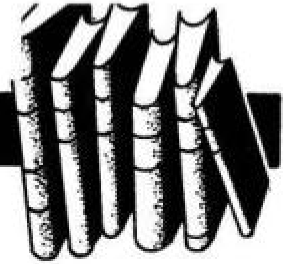
وأولى هذه الحقائق انهم لم يشعروا بأى مركب نقص تجاه هذه الحضارة المتفوقة ، لأن تفوق الغرب لم يكن بسبب ميزات خاصة موجودة فى أهله ، بل نتيجة للجد والرغبة فى التقدم .ولهذا فان العرب قادرون على اللحاق بالغرب اذا صمموا على ذلك ، وسلكوا اليه الطريق الصحيح .

وثانية هذه الحقائق أنهم آمنوا بنفع هذه الحضارة الغربية للعرب ، وحثوا بنى جنسهم على الأخذ بها . ولكنهم نبهوهم أيضا الى أن هناك مساوىء فى الغرب يجب عليهم أن يتركوها .وهذه المساوىء ـ فى رأيهم ـ ستكون هى المعول الذى يقوض هذه الحضارة، وبهذا يعيد التاريخ نفسه، فيرقى العرب ، ويصبحون قادة العالم من جديد ، كما كانوا فى الماضى .

★ ★ ★

هذا جانب موجز من جوانب متعددة تروى قصة التقاء الشرق بالغرب فى القرن التاسع عشر ، وهذا الايجاز لا يرسم الا خطوطا عريضة لموضوع هام جليل . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

روائع التراجيديا فى أدب الغرب

جمع وتقديم كلينث بروكس . ترجمة الدكتور محمود السمرة . مؤسسة فرنكلين ودار الكاتب العربى . بيروت

● « هذه سبع محاضرات القاها أساتذة متخصصون فى الادب فى حفل عام فى جامعة ييل . وهذه المحاضرات تتناول موضوعا واحدا هو موضوع التراجيديا : فيناقش كل محاضر فنيتها كما تبدو فى عمل من أعمال الكتاب التراجيديين المشهورين .. ولا شك ان المحاضرة الأخيرة فى هذه المجموعة تضيف الى مفهوم التراجيديا مفهوما جديدا ، يزيد فى غناها ، ويوسع حدودها » .

الربا والفائدة

علاء الدين خروفه . بغداد

● دراسة للربا والفائدة فى الشرائع الاسلامية واليهودية والمسيحية وعند الفلاسفةوالاقتصاديين.

مدار الزمن

لورين ايزلي . ترجمة الدكتور عبد الرحمن ياغى . مؤسسة فرنكلين والمكتبة الأهلية . بيروت

● كتاب يمد القارىء بالمزيد منالتفهم الصحيح لدور العلم وتاريخ تطوره ، ويهتم بالناحيتين الفلسفية والانسانية اللتين ينطوى عليهما العلم .

فن التقطيع الشعرى والقافية ـ الجزء الأول

الدكتور صفاء خلوصي . دار الكشاف . بيروت

● فصول فى العروض العربى ، يحاول فيها المؤلف تطبيق الأساليب الافرنجية المتبعة فى العروض الافرنجي على العروض العربى .

نظريات حديثة فى التعلم

الدكتور فاخر عاقل . عمان .

● بحوث اربعة فى التعليم تقدم للمشتغل بعلم النفس فكرة عن نظريات أربعة من ائمة علماء النفس الأمريكيين المحدثين .

الأطفال المتاخرون عقليا

الدكتور عبد الجبار نصيف جنيد .

مطبعة المعارف . بغداد

● من فصول الكتاب : أسباب التخلف العقلى، تشخيص التخلف العقلي ، الأعراض العامة ، النقائص العقلية الولادية ، النقائص العقلية المكتسبة ...

أسس الاشراف الادارى

ميخائيل جميعان . عمان .

● من فصول الكتاب : المشرف ومسؤولياته ، عناصر التنظيم ، التخطيط ، أسس القيادة ، عوامل تحسين العمل ...

العمل مع المجتمع

تحرير جمعية تعليم الكبار الأمريكية . ترجمة هدى محمد بدران.مؤسسة فرنكلين ودار القلم. القاهرة

● كتاب يعين كل من يرغب فى أن يعرف شيئا عن العمل فى ميدان التنمية الاجتماعية ، سواء من الناحية النظرية أو من الناحية العملية .

شرح قانون الأحوال الشخصية : جزءان

علاء الدين خروفه . بغداد .

● فيه : مقارنة القانون العراقي مع قوانين البلاد العربية . بيان الاحكام المماثلة فى الشرائع الاسلامية واليهودية والمسيحية ، وفى القانون الروماني والقانون الفرنسي .

■■



أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

فتاة على حافة الهاوية . . .

صلوا لأجلها . . . !

● أنا طالبة بالمدارس الثانوية فى الثامنة عشرة من عمرى ، لى ثلاثة أشقاء أعزاب ، يتخذون من احدى الشقق السفلى فى منزلنا « استراحة » يقضون فيها سهرات حمراء ، مع من يقع لهم من بائعات الجسد ، على مرأى منى ومسمع .

وكان أن تعرفت بمدرس لبنانى ، وجدت فيه فتى أحلامى ، فأحببته ، واعتدت أن أوصله بسيارتنا الى مدرسته كل صباح . وذات يوم عهدت الى السائق بشراء بعض الأدوات المدرسية من احدى المكتبات ليخلو لنا الجو فى السيارة بضع دقائق ، ثم طلبت اليه أن يقبلنى ، فتردد خشية أن يرانا الناس ولكنى لم أمهله ليفكر بل طوقته بذراعى وأشبعته تقبيلا ، ولم أفق الا على صوت السائق وهو يقهقه اذ رآنا على هذا الحال . فرشوته بعشرة دنانير كى لا يفتح فمه ، لكنه أبى بعد ذلك أن يسمح لصاحبى بركوب السيارة ، فلما حاولت اقناعه هجم علىّ يريد أن يقبلنى ، فصفعته ، فأسرها فى نفسه ، ثم أفضى لاخوتى بكل شىء ، فثارت ثورتهم ، وتطاول علىّ أحدهم فصفعنى ، بينما بصق الثانى فى وجهى ! أما الثالث فاكتفى بوابل من الشتائم .. ومنذ ذلك اليوم لا أستطيع أن أذهب الى المدرسة أو أعود منها الا ومعى واحد منهم كأنه سجان !

نسيت أن أقول لكم انى وفتاى متفاهمان على الزواج ، لكن أخوتى يرفضونه لانه وان يكن عربيا ، ليس من جنسيتى أو بنى وطنى ! .

والسؤال الآن هو : بأى حق يريدون منى أن أقبر شبابى ، وأحرق دمى كمدا وحرمانا حتى أموت ، بينما هم غارقون فى ملذاتهم الى الأذقان ؟!

أأكون مجرمة اذا أردت أن أقضى حق الجسد والبى نداء الشباب ، فى ظل الزواج المشروع ؟ ولماذا يكون ما يأتونه تحت سمعى وبصرى ، من الخنا والفجور ، حلالا لا عيب فيه ،

وتكون رغبتى المشروعة فى الزواج بمن أحب ، جريمة لا تغتفر .. الاننى فتاة وهم رجال ؟
ثم ألا أكون معذورة اذا ما اجتمعت بفتاى فى سهرة حمراء مثل سهراتهم ، حتى أضعهم أمام الأمر الواقع فيوافقوا على زواجى منه وأنوفهم فى الرغام ؟!

لولوة : الكويت

ـ ترددت كثيرا فى نشر هذه الرسالة ، ثم آثرت فى النهاية أن احذف بعض ما تضمنته من عبارات بعضها فاضح ، ما كنت أظن أن يصدر عن فتاة متعلمة .

ومشكلة صاحبة الرسالة ليست بالشىء الجديد .. انها احدى رواسب ما يخضع له مجتمعنا العربى الحاضر من عوائد وتقاليد ..

الرجل يباح له أن يفعل ما يشتهى .. عزبا أو متزوجا .. يسكر .. ويقامر ، ويتخذ له كل يوم خليلة .. فلا يثور شرف ولا تغضب فضيلة .. فاذا ما فكرت المرأة فى ممارسة حقها الطبيعى والشرعى ، فى اختيار زوجها ـ لا خليلها ـ أو أقدمت على أن تحب حبا شريفا هادفا بقصد الزواج ، قامت الدنيا ولم تقعد ، وثارت ثورة الشرف والفضيلة ، ونبذها المجتمع ، وراحت التقاليد تلطم الخدود وتشق الجيوب !!

لماذا كل هذا ؟ أوليست المرأة كالرجل ، من لحم ودم ؟ أليست مثله تتحكم فيهما غريزة الجنس كما تتحكم فيه سواء بسواء ؟

الرجل يمارس الزنا علنا ، وبصورة رسمية ، فى أماكن « مرخصة » فى أكثر البلاد ، وتحت حماية القانون .. فلا تهتز فى جسم المجتمع شعرة .. فاذا أرادت امرأة أن تلبى نداء الجسد والشباب ، فى ظل الرحمن لا فى ظل الشيطان ، وقف المجتمع فى وجهها وصاح : كلا .. ان التقاليد لا تسمح بهذا الزواج ؟!!

ثم خبرونى بربكم ـ والكلام هنا موجه لأخوة صاحبة المشكلة الاشاوس ـ أين هى الفتاة التى تستطيع أن تكبح جماح أنوثتها الناضجة ، وشبابها الفوار ، وهى ترى أخوتها كل ليلة فى سهرات حمراء ، بين الخمر والنساء .. وأى نساء ؟!

صدقونى ، انها لو كانت قديسة ، لانقلبت الى فاجرة ، ولكانت معذورة اذا ما أسلمت نفسها كل يوم الى خليل !!

ليت الأخ الذى صفعها كان صفع بدلا منها عقله ـ وليت الذى بصق فى وجهها طلب اليها أن تبصق هى فى وجهه !

ورحم الله الشاعر الذى يقول :

اذا كان رب البيت بالدف ضاربا — فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

هو ذا جرس الخطر يدق .. وأختكم على حافة الهاوية .. فاستيقظوا أيها النيام .. وليستيقظ معكم كل أب وكل أخ وكل زوج يجعل من بيته ماخورا ، ثم يطلب من نسائه أن يكن قديسات !

وليستيقظ أولئك الآباء والأشقاء الذين يرفضون أن يزوجوا بناتهم وأخواتهم الا على هواهم ، وهوى التقاليد ، انهم بذلك يدفعونهن دفعا الى التمرد عليهم والثورة على تلك التقاليد .. وليذكروا قول الرسول الاعظم : « كلكم لآدم ، وآدم من تراب » .

اما أنت يا فتاتى فنصيحتى اليك ألا تتهورى ، اذ أن سلوكك مع « فتاك » ، باعترافك ، سلوك ينبو عن الذوق والفضيلة والخلق القويم .. والا فكيف تجترىء فتاة مثلك على أن تقبل شخصا أجنبيا عنها ، أو تطلب منه أن يقبلها ، على قارعة الطريق !

صدقينى .. ذلك فجور ما بعده فجور !

مجلس الأمن يحافظ على السلام لكنه لا يفرض عقوبات

● كيف ينظم مجلس الأمن التابع للجمعية العامة للأمم المتحدة أعماله ؟ وما هى العقوبات التى يوقعها المجلس على دولة من الدول اذا اعتدت على دولة أخرى ؟ وهل هذه العقوبات توقع بالفعل أم انها مجرد حبر على ورق ؟

علي عبد الرحيم غانم
مدير مدرسة غيان ـ السعودية
عواد صباح المبارك ـ عمان

ـ يتألف مجلس الأمن من ١١ عضوا من الأمم المتحدة ، منها خمسة أعضاء دائمين هى :الولايات المتحدة الامريكية ، الاتحاد السوفييتى ، المملكة المتحدة ، فرنسا ، جمهورية الصين الوطنية .اما الأعضاء الستة الباقون فغير دائمين تنتخبهم الجمعية العمومية لمدة سنتين،ويراعى فى انتخابهم التوزيع الجغرافى .

ولكل عضو من أعضاء مجلس الأمن صوت واحد، وتصدر قرارات المجلس فى المسائل الاجرائية بموافقة سبعة من أعضائه ، اما المسائل الاخرى فتصدر قراراته فيها بموافقة سبعة اعضاء كذلك بشرط أن تكون منها الدول الخمس التى تتمتع بالعضوية الدائمة ، وأن تكون أصوات هذه الدول الخمس متفقة ، فاذا اعترضت احداها على القرار الذى يتخذه المجلس أصبح غير ذى موضوع .

واعتراض احدى الدول الخمس المذكورة يسمى « الفيتو » ، أو النقض .

وينظم مجلس الأمن على نحو يستطيع معه العمل باستمرار، ولهذا يمثل كل عضو من أعضائه تمثيلا دائما فى مقر الهيئة .

ولكل عضو من أعضاء الأمم المتحدة أن يشترك فى مناقشة أية مسألة تعرض على مجلس الأمن اذا رأى المجلس ان مصالح هذا العضو تتأثر بتلك المناقشة ، ولكن لا يحق لهذا العضو الاشتراك فى التصويت الا اذا كان عضوا فى مجلس الأمن أثناء المناقشة .

ولكل عضو فى الأمم المتحدة تنبيه مجلس الأمن او الجمعية العامة الى اى نزاع أو موقف دولى يهدد السلام .

ويفضل مجلس الأمن دائما بذل المحاولات السلمية لحسم المنازعات قبل عرضها عليه .

ويملك المجلس حق بحث اى نزاع طارىء قد يؤدى الى احتكاك دولى أو قد يثير نزاعا . وله أن يوصى بما يراه ملائما من الاجراءات وطرق التسوية .

وله أن يشكل قوة مسلحة دولية لحفظ السلام والأمن الدولى فى منطقة النزاع .

ولمجلس الأمن أن يفرض العقوبة التى يراها اذا اتخذ قرار بذلك ولم ينقض .

بين الاثم •

● ما من مرة اقترفت فيها ذنبا الا أحسست بالندم لارتكابه ، وكان مما يزيد فى ألمى دائما ، شعورى بأننى كنت أستطيع أن أصمد وأقاوم ..

وما من مرة حرمت نفسى متعة من المتع خشية الوقوع فى معصية ، الا أحسست ـ كذلك ـ بالندم لذلك الحرمان !

والسؤال الذى يحيرنى وأريد أن أعرف رأيكم فيه هو : أى الحالين خير ؟ أن يشبع الانسان رغبات نفسه ، ولو بارتكاب الاثم أو المعصية ، ثم يندم بعد ذلك على ما فعل ؟ أو أن يحرم نفسه من رغباتها ثم يعود فيتحسر على ما تجرع من مرارة الحرمان ؟

خالد سعيد ـ بيروت

ـ أحب أن أؤكد لك أولا أن كل ما فى الدنيا من ملذات أو متع ، ليست الا أشياء زائلة ، لا يحس لها الانسان طعما بمجرد انتهائها .. بل لقد تبين بالتجربة أن الألم والحزن اطول عمرا من المسرات والمتع .. لأنهما يرسبان فى قرارة النفس، بينما تمضى المسرات والمتع مرور البرق الخاطف ،

مؤلفات المنفلوطى

● فى أى سنة ولد الأديب الكبير مصطفى لطفى المنفلوطى ؟ وأين ؟ وفى أى سنة توفى ؟ وما هى أشهر مؤلفاته ؟

سعيد حداد ـ اربد

ـ ولد السيد مصطفى لطفى المنفلوطى فى بلدة منفلوط من بلاد الوجه القبلى بمصر عام ١٨٧٦ ميلادية .

وتوفى عام ١٩٢٤ يوم اعتدى على الزعيم المصرى

• والحرمان

أو ـ على أحسن الفروض ـ مرور النسيم !

في الحديث الشريف « .. ومن هم بمعصية ولم يفعلها كتبت له حسنة » .. فكفك عن ارتكاب معصية بعينها ، بمحض ارادتك واختيارك عمل صالح تثاب عليه ..

أما أن تندم أو تتحسر على أنك حرمت نفسك من لذة محرمة ، فلا أعرف رأى رجال الدين فيه .. ولكنى اعتقد أن الالم الذى يعقبه ندم ، خير من الحرمان الذى تعقبه حسرة .. فالندم في الحالة الأولى توبة .. بينما الحسرة فى الحالة الثانية ، قد لا تقل ـ فى رأيى ـ عن نفس الذنب الذى كان الانسان سيرتكبه ثم كف عنه !

والذى يذنب ، دون تدبير سابق للاثم ، انما يتوب بهذا الندم الى ربه الذى وعد بأن يقبل التوبة عن عباده، والذى حكى عنه الصادق الأمين، بأنه يفرح بها ، فى حين أن من يحرم نفسه من لذة ثم يندم أو يتحسر على ضياعها من يده ، يأثم دون أن يدرى ..

والله أعلم .

سعد زغلول ، ولذا رثاه شوقى بقصيدة استهلها بقوله :

اخترتَ يوم الهـولِ يوم وداع
ونعـاكَ فى عَصْف الرياح الناعى

ترك عدة آثار أدبية، بعضها من تأليفه ، وبعضها من تعريبه . نذكر منها : النظرات . العبرات . في سبيل التاج . ماجدولين . غادة الكاميليا . بول وفرجيني .

وله ديوان شعر مطبوع بالقاهرة .

يجوز .. ولا يجوز !

● لابنة عمتى ابنة ، تقدمت لخطبتها فتبين أن زوجة أبى كانت قد أرضعت أم الفتاة . وبما أن زوجة أبى ليست أمى ، فقد رأى بعض الفقهاء أن ارضاعها لأم الفتاة لا يحرم زواجها منى ، بينما يقول آخرون ان هذا الارضاع يجعل من أم الفتاة ابنة لأبى من الرضاع ، وبهذا لا تحل ابنتها لى . فما هو الرأى الصواب فى هذه المشكلة ؟

« سائل »

ـ يجب أولا التأكد من عدد الرضعات ، وكمية اللبن الذى رضعته أم الفتاة ، وهل ينطبق عليهما قول الرسول (صلعم) : « الرضاع ما أنبت اللحم وأنشر العظم » ، ويقدره بعض الفقهاء بخمس رضعات ، وبعضهم بعشر ، وغيرهم بخمس عشرة رضعة ، بينما يقدر غير هؤلاء وأولئك بأكثر من هذا العدد ليتحقق به معنى الأمومة التى قصدتها الآية الكريمة «وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم».

وقد اختلف الصحابة والفقهاء من بعدهم فى ثبوت الحرمة مثل حالتكما . فقال بعضهم بالتحريم لأنه اذا كان اللبن هو سبب التحريم فان لبن المرأة سببه ماء الرجل والمرأة معا ، فكان الرضاع منهما جميعا ، وبهذا يصبح والدك أبا لأم الفتاة من الرضاع ، فلا تحل لك ابنتها .

وهذا رأى فيه من التزمت أكثر مما يجب ولذا يميل أكثر الفقهاء الى الأخذ برأى رافع بن خديج الذى يقول ان الحرمة هنا لاتثبت .. وهذا هو ما قال به سعيد بن المسيب وعطاء بن يسار وبشر المريسى ، والامام مالك ..

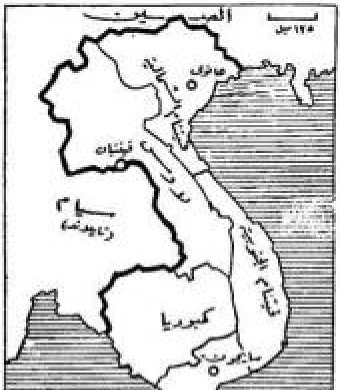
والله أعلم .

مملكة لاوس

● بين الأسماء التى كثر ترديدها فى الآونة الأخيرة سواء فى الصحف أو فى الاذاعات ، مملكة لاوس ، فأين تقع هذه المملكة ، ومن هو ملكها ، وكم مساحتها ، وكم عدد سكانها ؟

عبد السميع الحصرى

ـ تقع مملكة لاوس فى جنوب شرقى آسيا .



تحدها من الشمال الصين ، ومن الشرق فيتنام ومن الجنوب كمبوديا ، ومن الغرب تايلاند (سيام).
كانت محمية فرنسية ، ضمن مجموعة اقطار الهند الصينية، منذ ١٨٩٣ ، ثم وضع لها دستور في ١١ مايو سنة ١٩٤٧ واصبحت دولة مستقلة تابعة للاتحاد الفرنسي في ١٩ يوليو ١٩٤٩ ثم انضمت الى الأمم المتحدة في ديسمبر عام ١٩٥٧ .
هي الآن ميدان للصراع بين المعسكرين الشرقي والغربي . ملكها « سومريت براشاوشيتا فانج فونج » ، ومساحتها حوالى ٩٠ الف ميل مربع ، وعدد سكانها نحو ثلاثة ملايين .

ردود سريعة :

● **عدنان كيلاني : بغداد ـ العراق**

ـ بين ثلاثة خطابات وصلتني دفاعا عن موقف « الشيخ » كان خطابك الوحيد الذي خلا مما يعاقب عليه الله والقانون من الفحش والقذف والسباب .. لكن نباح الكلاب لا يضر السحاب ! نحن لا نشجع السفور بكشف الاذرع والسيقان

● **يس علي : عمارة ـ العراق .**

● **فرحان سلمان الرويلي : ميناء سعود ـ السعودية .**

● **الجندي مصطفى سليمان ـ الكتيبة الهاشمية ـ الاردن .**

ـ في القاهرة عدة أطباء ذوى شهرة عالمية في ترقيع القرنية وغير ذلك من أمراض العيون .

● **خلف نجم الجنابي : فلوجه ـ العراق .**

ـ لم تنشأ جامعة الكويت بعد ، وقد يمر بعض الوقت قبل افتتاحها .

● **سمير : حمص**

ـ كن رجلا ، ولا تدع هذه الوساوس تسيطر عليك فالطفل ولدك ، وأمه بريئة .

● **حسني ماريني : مصر الجديدة**

ـ الحديث الذي تسأل عنه حديث ضعيف ، وبعضهم ينكره .

هذا هو حكم الله

● **الدكتور عبد الرحمن الراوي : بغداد**

ـ قال الله تعالى في كتابه العزيز

« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون » .

وقال عز من قائل :

« ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ، ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وارجلهم بما كانوا يعملون » .

وهذا هو حكم الله أحكم الحاكمين ..

في الشوارع والطرقات ، ولا نقر تعرية الصدور والظهور والنحور في المراقص والحفلات ، فذلك شيء مناف لتقاليدنا العربية وتعاليم ديننا الحنيف : « قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن» (الآية) .

اما القول بأن كشف الوجه واليدين عورة ، فهراء لا يتفق وأحكام الدين ، ولا يقول به الا الرجعيون والمتزمتون ..

● **ج.ن.ع : الدوحة ـ قطر**

يمين الطلاق ليس لغوا . فاما أن تكف عنه ، واما أن تسرح زوجتك ، لأنها بعد الطلقة الثالثة تصبح محرمة عليك .

● **سالم محمد توفيق : الموصل**

ـ ان كانت فتوى « خروفة » في رأيكم اكثر تمشيا مع الدين من فتاوى محمد عبده وشلتوت واضرابهما من أئمة المسلمين ، فقد هزلت !

رفقا بالمصلين .. يا خطباء المساجد

● يشتد الحر فى هذه الأيام اشتدادا تزيد فى حدته تلك الموجات التى تفاجئنا بين الحين والحين . وتعلمون أن كثيرا من المساجد بالوطن العربى ، حتى المساجد الكبرى ، تضيق بالوافدين اليها لأداء فريضة الجمعة فيضطر عشرات المصلين ، وأحيانا مئاتهم ، الى أن يأخذوا أماكنهم فى باحات المساجد المكشوفة ، وأحيانا يجلسون خارج المساجد ، تحت أشعة الشمس المحرقة .. ومع ذلك فان معظم الخطباء والأئمة لا يحسبون حساب هؤلاء المصلين وما يتعرضون له ويكتوون به من لفح الهاجرة فى وقت الزوال ، فتراهم يطيلون خطبة الجمعة اطالة غير معقولة ، مما يحمل الكثيرين على التململ والتذمر ، وبصورة قد تبطل صلاتهم فى بعض الاحيان .

فما حكم الشرع فى هذه المشكلة التى يعانيها الكثيرون ولا يجدون لها حلا معقولا ؟

احسان عبد البارى ـ القاهرة

ـ انى لأعجب اشد العجب لماذا تريد أن نقحم الشرع فى كل صغيرة وكبيرة من شؤوننا ، مع ان هناك شيئا اسمه « الذوق » و « الحس الاجتماعى » وصالح المسلمين ؟

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يزيد فى كثير من خطبه المنبرية يوم الجمعة على مائة كلمة أو نحو ذلك .

وروى البخارى وأحمد واصحاب السنن (رض) أن رسول الله (ص) قال : « من فقه الخطيب قصر الخطبة وطول الصلاة » .

وعنه أيضا انه قال : « من صلى بالناس فليخفف ، فان فيهم الكبير والسقيم والضعيف » .

فالدين كما ترى يسر .. وكل ما يبدو من مشقة أو عسر فهو بدعة ، ولو كره المتفيقهون !

● **الملازم اول زغلول محمود : اربيل**

ـ نحن لا نحلل حراما ولا نحرم حلالا . بل نفهم الاسلام على حقيقته : دينا قيما ، واضح المعالم ، يتسم بالسماحة والتسامح واليسر ، لا كما يريد بعض المرتزقة أن يصوروه ، لتكون لهم سلطة الكهان فى قديم الزمان !

● **محمد احمد الفضلى : كلية الآداب ـ بغداد**

ـ « وَلَد » يطلق على الذكر والأنثى ، والمثنى والجمع . وهو مذكر . ويجوز فيه الوُلْد والوِلْد والوَلْد . ويجمع على أولاد ووِلْدة وإلْدة ووُلْد .

● **رفيق عبد الجبار**

ـ ليس فى تعاطى الزوجة الفتية حبوب منع الحمل أى ضرر ، ما دامت تأخذها باشراف طبيب أو طبيبة .

التائهة فى أرض الله .. لم تعد تائهة !

● **مرة أخرى اعود فاكتب اليكم . لكن لا لاشكو ، بل لأشكر .. فبفضل الكلمة الطيبة التى كتبتموها عنى ، والتى هزت مشاعر ذوى القلوب الرحيمة ، والنفوس الكريمة ، لم أعد تلك الفتاة التى فقدت ثقتها بنفسها وبالناس وبالمجتمع ، من جراء محاولة ذوى النفوس الدنيئة استغلال حاجة فتاة مستضعفة مثلى الى العمل ، لقضاء لباناتهم المجرمة ، بل انا اليوم فتاة سعيدة تعيش فى امان واطمئنان ، بعد أن كشفت كلمتكم الطيبة عن ان العالم ما يزال يذخر بذوى المروءات والنخوة العربية ، فما لبثت اثر نشرها أن حصلت على وظيفة طيبة ، فضلا عن ما أحاطنى به الكثيرون من أهل الفضل من رعاية كريمة مشكورة . فشكرا لكم ولهم ، ثم شكرا ، ■■**

بغداد ه .ه .

بريد القراء

بقية المنشور على صفحة ٦

توحيد برامج التعليم في الوطن العربي

● في مقال « الاصلاح الاجتماعي » للدكتور محمد فتحي الشنيطي أستاذ الفلسفة المساعد بجامعة القاهرة بالعدد السادس والستين من « العربي » ، لفت نظري أن الكاتب نسي بعض المشاكل في كثير من الدول العربية كلبنان مثلا ، فالمعاهد والكليات والمدارس اللبنانية تدرس مواد: الجبر والهندسة والفيزياء وعلم الحياة (الاحياء) باللغتين الانجليزية والفرنسية دون العربية ..

وهذا ما يجب لفت الأنظار اليه في وطننا الكبير وخاصة لبنان. ألا توجد كتب في الجمهورية العربية المتحدة أو غيرها من الدول العربية المتقدمة في مضمار الثقافة تدرس نفس هذه المواد باللغة العربية ، لغتنا ولغة آبائنا وأجدادنا ؟

كذلك يلاحظ أن توحيد المناهج الدراسية لم يتم في لبنان مع أنه نفذ في أقطار عربية عديدة ، ولعل أفضل حل لهذه المشكلة هي أن تجري الحكومة مسابقات للمؤلفات المدرسية المختلفة المراحل . ويعطى مؤلفوها جوائز قيمة تتناسب مع جهودهم ، ومن ثم تقرر الحكومة اعتماد هذه الكتب في المدارس الرسمية والخاصة لكونها صفوة ما ألف .

احمد فضة ـ بيروت لبنان

العدد الأول : بدينار !

● قرأت اعلانا في احدى صحفنا المحلية عن وجود العدد الأول من مجلة « العربي » في احدى المكتبات ، ولما كان قد فاتني اقتناء ذلك العدد قصدت المكتبة المعلنة ، ولدى سؤالي عن ثمنه طلبوا دينارا واحدا (فقط لا غير !) . ولعل اقتناع صاحب المكتبة بأهمية هذه السلسلة وميزاتها ، جعله يغالي برفع الثمن . ولم يكن بمقدوري دفع الدينار ، ولذلك ظلت سلسلتي ينقصها العدد الاول .

ولست الوحيدة التي ينقص مجموعتها العدد الاول ، فان الكثيرين غيري يعانون مما أعاني فاسمحوا لي أن أبدي اقتراحا بهذا الخصوص .

ماذا على « العربي » لو أعادت طبع عشرين الف نسخة من العدد الاول ، وقامت بتوزيعها على البلدان العربية بنفس نسبة التوزيع المعهودة لديكم ، مع زيادة في السعر لا تتعدى نصف ثمنه . وذلك لقاء أتعاب اضافية تتحملها طباعة العدد الاول ، فتكونون قد أسديتم بهذا خدمة جليلة ، وملأتم فراغا في سلسلة لا غنى لقارىء عربي عن اقتنائها والمحافظة عليها والعودة اليها كلما عنّ له ذلك ؟

واقبلوا شكري وامتناني .

سميرة عكاوي ـ عمان

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....

....

العنوان : ....

....

....



إقبال متزايد على فتح حسابات الودائع بفائدة ٥٪

ان نقودك تحظى باقصى معدل للفائدة مامون ومضمون ـ وهو ٥٪ ـ حين تودعها فى « حساب الودائع » ببنك « لومبارد » . فلن تخصم منها اية ضريبة على الدخل مقررة فى المملكة المتحدة ، ولن تتاثر نقودك اطلاقا بالاحوال الاقتصادية المتغيرة ، كما أن من السهل سحب اى مبلغ تشاء منها ، وفقا للشروط التى تعينها .

ولا بد ـ لكى تربح ٥٪ سنويا ـ من ان يكون الحد الادنى لما تودعه ١٠٠ جنيه استرلينى ، وان يكون الحد الادنى بين الايداع والاخطار بالسحب ستة أشهر . ويدعم ودائعك فى مؤسسة « لومبارد » المصرفية راس مال مدفوع واحتياطيات تتجاوز ١٢ مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

بادر الى الكتابة الى المدير العام فى طلب مزيد من التفصيلات ، وفى طلب نسخة من كتيب « حساب الايداع » رقم : A. O. 182

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: Lombard House, Curzon Street,
Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)

جنايات

عندما قالت بيبتيا انها تريد أن تتزوج الفونو ريدرال ، تصوّر والدها السيد لويس ، ووالدتها السيدة كاتاليتا ، بأن الأمر يتصل بفكرة فجة من أفكارها الكثيرة العارضة .

ذلك بانها في ثلاث مناسبات سابقة أخرى أو أربع .. قالت نفس القول ، ثم عدلت عن قولها دون ان تتكلف أى عناء .

الا أن المسألة في هذه المرة كانت على عكس ما قدره الأبوان ، فقد برهنت الفتاة على أنها ثابتة على فكرتها ، على نحو جعل الأبوين المحزونين يفكران في الأمر مليًا ، ثم يخلصان الى محاولة أخيرة : وهي أن يستدعيا السيد ماريانو ليستنجدا به باعتباره طبيبا وصديقا حميما للأسرة ، ثم بوصفه أبا روحيًا للعاشقة المدلهة . وقد طلبا اليه أن يخلو بالفتاة وأن يقول لها كل ما ينبغي قوله دون مواربة أو حذر ، فيعرض عليها الحقيقة عارية ، اذ لم تعد هناك وسيلة أخرى سوى ازعاجها ..

لم تكن بيبتيا سويّة الخِلقة . كانت مع الأسف مشوهة . فرجلاها الضعيفتان لم تكونا في اتصالهما بالجذع متناسقتين ، كما كانت بقية أعضائها غير مؤتلفة . وبصورة خاصة كان الحمل لمثلها يهدد حياتها، لان أجزاء جسمها الداخلية لم تكن تساعدها على أن تكون أما كبقية النساء .

وكان سبق للسيد « ماريانو » أن قال مائة مرة بانها لن تستطيع ان تضع أول طفل حتى لو قدّر لها أن تبقى حية الى ساعة الوضع . ومن أجل ذلك بذل أبواها كل جهودهما في سبيل تنشئتها وتهذيبها وقضاء رغائبها والسهر على كل ما من شأنه أن يدخل على نفسها المتعة والسرور ، ليجنباها الوقوع في غرام أو التفكير في زواج .

ومع أنها كانت خطبت من قبل ثلاث مرات ، فقد فسخت الخطبة كل مرة . ولكن المسألة الآن كانت تتسم بسمة الجد ، فالخطيب عليم بان الفتاة تنتظرها ثروة أبويها الطائلة ، كما كانت هي تتمتع بحريتها ، موقنة في الوقت نفسه بانها معروقة وعصبية فالاقبال على مثلها قليل .

رأى السيد « ماريانو » أنه بتخويفها يستطيع أن يثنيها عن عزيمتها ، مستشعرا في الوقت نفسه مسئوليته كأب روحي وصديق للأسرة ثم كطبيب . ومن ثم قال لها في صراحة تامة :

اسمعي يا ابنتي. ان سنك قد قاربت العشرين، فأنت تستطيعين أن تتحدثي في صراحة ؟ وأنا أرى انه لا مندوحة لي عن أن أعرض عليك هذه الحقائق . أنت تعلمين أن أعضاءك مركبة تركيبا خاصا ... وغريبا ، ولعلك تعانين من جراء ذلك .. كما يعاني والداك كذلك . لذلك ينبغي أن تكوني على حذر كبير . أن أبويك لم يقصرا في تحقيق كل رغباتك ، فأنت لا تستطيعين أن تعيشي مع غيرهما عيشة أحسن ؟ ... أقول لك يا ابنتي انه يجب عليك أن لا تتزوجي . !

ـ لماذا ؟

ـ ... لانك لن تستطيعي أن تتحملي تبعات الزواج ... من حمل ووضع ...

ـ معنى هذا انني سأقامر بحياتي .. أليس كذلك ؟

ـ أنا لا أؤكد ذلك كثيرا ... ولكنه يمكن أن يحدث .. !!

وبعد مرور عام تقريبا صاحت بيبتيا ذات يوم ، بعصبية في السيد ماريانو ، وأدارت له ظهرها ، واعلنت له انها لن تتقبل نصائحه ، وانها مصرة على الزواج ... ولم يكد يمضي وقت قصير حتى ناداه



.. كان ينظر اليها وقد ارتدت ثياب زينتها واقتنت فى تصفيف شعرها ووضع المساحيق على وجهها فبدت على جانب كبير من الاناقة ..

السيد لويس وقال له : أى تعاسة تشعر بها !! امن أجل هكذا ربينا ابنتنا !! انه لما يحزننا حقـا اصرارها على الزواج .. فمن المؤكد اننا سنفقدها .. وانت تعلم اكثر من غيرك كيف تكون أمهـا المسكينة ...

قال السيد ماريانو : هذا أمر يحزن حقا ! فانى أخشى ما نخشاه أن يؤدى هذا الأمر الى تحطيم

السيدة كاتالينا . ومع هذا فالسيد ريدال ، هذا الخطيب الجديد ، شاب نصف أحمق ، مسلوب الارادة ... ويكاد يكون واقعا فى قبضـة أمه السيدة أورورا ، وهذه امرأة ليست فوق مستوى الشبهات .. انها امرأة ينبغى أن تؤخـذ بحذر

كبير وهي تدير مصنعا للورق .. وهي في الوقت نفسه ما تزال على جانب من الجمال !

فقال السيد لويس مندهشا : تقول انها ليست فوق مستوى الشبهات ؟

ـ نعم .. وتستطيع أن تفعل اى شيء تعتقد انه يجلب اليها المال .. واعتقد أنها تؤمل من وراء هذا الزواج أن تحصل على مقدار من المال تستطيع به أن تسيّر مصنعها الذى يعوزه المال في الوقت الحاضر .. ومع كل فلن يستطيع أحد أن يجبرك على أن تدفع اليها شيئا من المال ..

لم تجد المحاولات شيئا في اقناع بيبتيا بالعدول عن الزواج ... فبعد مضي شهرين تم كل شيء واصبحت زوجا للسيد ريدال ، وقد تابع الزوجان حياتهما في كنف السيد لويس وزوجه المريضة ، السيدة كاتالينا التى كانت تشتد عليها علتها يوما بعد يوم .

وكانت السيدة أورورا كثيرا ما تزور ابنها وزوجته ، وكثيرا ما تطيل الجلوس الى السيدة كاتالينا ، وقد استطاعت أن تستولى على هذه السيدة بما أوتيت من لباقة ومهارة في ادارة الحديث ، وهي طوال هذه الفترة تظهر بغير حقيقتها ، وتخفى الهدف الذى تسعى جاهدة لتحقيقه .. على أن السيد لويس لم يكن يخفى عليه ما تظهر هذه المرأة ، لا سيما بعد أن افضى اليه السيد ماريانو بجملة من أمرها ، واظهره على حقيقتها ...

وذات يوم طلبت السيدة أورورا من السيد لويس ، بعبارات تفيض انوثة ، أن يقرضها مبلغا كبيرا من المال تستطيع به أن تنعش مصنع الورق الذى تديره ... ولكنه رفض قائلا لها : أن شئونى المالية تتطور من سيىء الى أسوأ ، وانه لما يؤسفني الا استطيع أن اقدم اليك هذه الخدمة ، فلدى قليل من المال ، وقد كان في نيتى أن اقدم مبلغا من المال الى ابنتى كهدية بعد زواجها ، ولكننى حتى الآن لم استطع أن افعل شيئا ... واحمد الله على أننى استطيع أن أدفع لها شهريا تلك المساعدة التى اعطيها لها منذ زواجها .

ولكن السيدة أورورا ، وهى المرأة الذكية التى تعرف كيف تتعامل مع الناس فتصل الى ما تريد، قالت له :

انك لم تقدم الى ابنتك هدية من المال لانه لم يَرُقك أن تفعل ذلك ، وليس لانك لا تجد المال الذى تهديه ! فانا أعلم أن السيدة كاتالينا مريضة منذ وقت طويل ... وان ما تنفقه على السيدة التى تسكن في شارع ميندبثابال كان يكفى هدية لابنتك لو أردت ...

دهش السيد لويس كثيرا لسماعه هذه العبارات وظل فترة لا ينبس ببنت شفة ... ولكن السيدة أورورا لم تكذب فالأمر كان حقيقة ... !!

كانت السيدة كاتالينا مريضة منذ ستة اعوام ... وهو لم يكن يكرهها أو يضيق بمرضها ، الا انه قد كان اتصل على نحو ما بارملة جميلة ، والزم نفسه ان يقدم اليها الكثير من الهدايا القيمة ... ومع انها كانت تعلم أنه رجل واسع الثراء وكريم" ومع انها كذلك كانت تسَرُّ بما يقدمه لها من هدايا ، الا انها ، والحق يقال ، لم تطلب اليه أن يقدم اليها شيئا ...

استأنفت السيدة أورورا حديثها قائلة : وبالرغم مما تنفقه على تلك الأرملة الجميلة فلديك منزلان كبيران يسمحان لك بأن تقدم هدايا الى ثلاث بنات وليس الى بنت واحدة ..!! فاحمرّ وجه السيد لويس خجلا ، الا انه لم يُرد أن يظهر امام هذه المرأة بمظهر الضعف ، كما أنه لم يحاول في الوقت نفسه أن يكذبها فيما قالت ... فنهض وهو يتظاهر بالهدوء ثم قال لها وهو يهم بانصراف: « ليس لديك أيتها السيدة ما يبرر الحديث فيما لا يهمك . ثم تركها وانصرف وهو خائف من أن تتحدث المرأة في هذا الشان مع ابنته .. أو تذكره امام زوجته السيدة كاتالينا فتكون النتيجة أدهى وامر . ومن ثم فقد رأى من الضرورى أن يتلافى ما عساه أن يقع .. ولكن كيف ؟ لم يعد أمامه سوى أحد طريقين :

أحدهما ، أن يعمل على أن تسكت السيدة أورورا ، ومعنى هذا أن يشترى سكوتها .

والثانى ، أن يمنعها من دخول المنزل .

اما الطريق الأول فسيكلفه كثيرا . ثم لكي يبرر الطريق الثانى ، ماذا سيقول لزوجته وابنته ؟

واخيرا ، وبعد أن فكر طويلا واسترجع هدوءه واطمئنانه ، بدا له أن السيدة أورورا لن تجترىء على ان تفعل شيئا ، وستظل الأمور كما هي .

وعلى كل فقد مرت الأيام .. وذات يوم سرى في المنزل نبأ هو ان بيبتيا حامل ... واذ كان الجميع متأكدين من أن هذا يعني قرب نهايتها فقد عملوا على اخفاء ذلك النبأ عن الأم ، ولكن

بعد مضى بضعة اشهر أصبح من المستحيل الاخفاء، فقد دخلت بيبتيا ذات صباح الى حجرة أمها ، ولم تكد هذه تراها حتى عرفت كل شيء .

ان العمى فى مثل هذه الحالة له فضائله . !!

على أن الفتاة كانت تحس بالزهو لعلمها بان جميع الناس يرون انها قد قامرت بحياتها .

وكانت ساعة الوضع تقترب يوما بعد يوم ، وهى ترّقب هذه الساعة فى هدوء يشبه الفزع ...

وأخيرا حانت ساعة وضعها ، وكذبت تنبؤات الطبيب السيد ماريانو ، وكذبت معه قضايا العلم ، فبالرغم من كل ما كان يُتوقع ، وضعت بيبتيا طفلا تام الخلقة، وضعته فىسهولة تامة...

وغمر السرورُ المنزل كله ، ما عدا السيدة كاتالينا ، فقد كانت حالتها اذ ذاك تتطور من سيىء الى أسوأ ، لا سيما فى الايام التى تلت الوضع حين تضاعفت عليها علتها. أما فيما يتصل ببيبتيا فقد كانت حالتها المعنوية بوجه عام أحسن منها فى أيام الحمل ، لدرجة أن السيدة أوورورا قد وجهت الى السيد ماريانو ذات مساء السؤال التالي : « أكنت تعتقد بأن بيبتيا فى حالة لا يمكن معها أن تحمل أو تضع ؟ » وقد أجابها السيد ماريانو قائلا : « ... ومع كل فيجب أن تحظى منكم بعناية كبيرة ، أن لا تتعرض لصدمات نفسية، ويجب أن تظل فترةً ليست بالقصيرة تحت الاشراف الطبى، لان أقل حزن قد يودى بحياتها».

ومضت الأيام ، وحل اليوم الذى ينبغى أن يُعمّد فيه الطفل ، فاخذت الدار زخرفها وازينت . وكانت السيدة أوورورا تتحرك فىالمنزل من مكان الى آخر فى مظهر مرح ، والابتسامة لا تفارق شفتيها ، حتى لقد ظن كثير من المدعوات انها هى سيدة المنزل . وكان السيد لويس يرقبها وهى تغدو وتروح وتصدر أوامرها الى من فىالمنزل كسيدة سعيدة جدا بالورقة التى لعبتها . وبينما كانت تتنقل من حجرة الى اخرى وجدت نفسها وجها لوجه أمام السيد لويس ، فامسكت بيده ودفعته برفق نحو بعض الحجرات وهي تقول له : تفضل بالجلوس هنا هنيهة ... وهيا تبّك معا أيها السيد فقد صرنا جدين .!!

جلس السيد لويس وجعل يُصعّد فيها نظرات تعبر عن كثير من الدهشة وعدم الثقة ! وكانت هى قد ارتدت ثياب زينتها وافتنّت فى تصفيف شعرها ووضع المساحيق فى وجهها فبدت على جانب كبير من الاناقة ، واستطاعت باختيارها الجلوس فى ذلك المكان ذى الضوء الخافت أن تظهر فى عين السيد لويس جميلة .. ومع ذلك فلم يستطع الرجل أن يتذوق من ذلك الجمال شيئا فقد كانت نفسه مشغولة بأمرين . أحدهما : ذلك الحنان الذى كان يستشعره اذ ذاك نحو زوجته كاتالينا . والآخر انه لم يحس بأى نوع من أنواع الميل نحو هذه الأرملة الجميلة . ولكن على الرغم من ذلك كله فقد احس الى حد ما انه قد وقع تحت سيطرتها فلاذ بالصمت ، ولكنها قطعت عليه صمته وهي تقول :

ـ نعم أيها السيد لقد صرنا جدين ... وذاك الذى نقوم باعداده هذه الليلة انما هو من أجل ابوين يا سيد لويس ...

فقال لها : اننى رجل مسن . ! اما انت فتظهرين كما لو كنت فتاة ..

فقالت : « مسن أ... انظر فى هذه الحجرات، وسترى شبّانا فى منتهى الضعف ...!! أما أنت فتحتاج الى امرأة تدفىء شيخوختك » .

فقال لها : انك دائما مرحة ...!!

وكان صوتا خفيا قد نبّأه بأنه على وشك أن يقترف خطيئة ، فتحرك فى مقعده يريد أن ينهض، فوضعت يدها على ركبته وحالت بينه وبين النهوض ، ثم قالت له : لا تعط الامور أكثر مما تستحق ، وهيا بنا نتحدث فى جدٍّ أليس من المستغرب ، وانا بعض هذه الأسرة ، أن أطلب اليك أن تقرضني مبلغا من المال أُنعش به مصنعى، ولديك المال الكثير ، ثم ترفض ؟ واذا كنت قد رفضت لي هذا الطلب ، فما الأسباب التى تجعلك تهرب منى ؟ ثم هل تعتقد أننى اذا خرجت من هنا ، وبحثت عمن يقرضنى مالا ، فسوف لا أجد الشخص الذى يعطينى ما أطلب وهو يرقص طربا ؟ ...

ثم اقتربت منه بقدر ما استطاعت أن تفعل وصوبت نحوه نظرات استعطاف ورقة تاركة فى عينيه انطباعات فيها ضعف الانوثة وتسلطها فى نفس الوقت ، على نحو ترك السيد لويس ذاهلا يفكر فيما اذا كان طلبها المال انما هو حيلة تخفى من ورائها فكرة أخرى ! وقد أدرك بحكم الغريزة أن أقل انزلاق يمكن أن يقترفه مع هذه المرأة ، التى ليس بينه وبينها كبير ثقة سيكون خطرا كبيرا عليه .

وظلت السيدة أوورورا تنظر اليه وكأنها أميرة

من أولئك الأميرات اللاتى يرد ذكرهن فى القصص، اللاتى يستطعن بنظراتهن أن يستولين على عقول الأمراء والنبلاء فيصيروا رهن اشارتهن . الا أن السيد لويس كان يخشى أن يقع فى الشبكة التى نصبتها له . وفى الوقت نفسه تواردت على ذهنه صُوَرٌ من النسك والفضيلة فكانت حائلا بينه وبين ما يمكن أن يتردى فيه ، فبدت له فى النهاية صورة هذه المرأة وهى تحاول أن تستغلَّ فيه نقطة ضعف معينة تكون فى يدها وسيلةً تدرك بها كل ما تبتغي .

ولما وجدت السيدة اورورا أن محاولاتها لم تؤدِّ بهـا الى ما تريد ، قررت فى النهاية أن تُفرغ كل ما فى جعبتها علّها تدرك بهذه البقية ما لم تدرك من قبـل . فامسكت باحدى يديه ووضعتها بين يديها ، ومالت بوجهها نحوه حتى صافحت أنفاسها مسامعه ، ثم التصقت به كى تنفذ اليه حرارة جسمها من خلال الثوب الحريرى الذى ترتديه .. وقالت له بصوت خافت :

ها أنا ذى قد ألقيت امامك بكل أوراقى .. وانت امرؤ ضعيف جدا ... اما انا .. فأى شىء يمكن أن تتصوره !!

وما كان السيد لويس يسمع هذه الكلمات حتى سرت فى بدنه رعشة من قدميه الى رأسه ؟ ... بينما السيدة أورورا ، التى كانت مشوقة الى أن تربح الجولة ، رأت نفسها قد أفرطت فى محاولاتها الآثمة دون طائل ، ولذلك قالت فى صوت مزيج من الرغبة واليأس :

ــ ان ما يهمنى أكثر من كل شىء آخر هو القرض الذى طلبته منك لانعش به مصنعي ... أما هذا الأمر الآخر . فقليل الأهمية عندى .. ولكن بحق الله لا تعد الى صلتك بتلك المرأة ...

ــ أية امرأة ؟

ــ الأرملة ... التى تسكن فى شارع ميندينبال .. لو كنت تعلم الكراهية التى أحملها لهـذه المرأة !!!

قالت هذا بعبارات تمثيلية كاذبة ، وبصوت متقطع باك ، مما جعل السيد لويس ، وقد استرجع هدوءه ، يضحك من اعماقه على نحو يجمع بين السخرية والتأثر ، ثم ينهض من مقعده ويخرج من الحجرة بهدوء دون أن يلتفت اليهـا أو يقول لها كلمة ما .. ! وطأطأت السيدة رأسها واحتدم الغيظ فى نفسها وظلت جالسة تحاول أن تصلح شعرها بأناملها .. وهى تتمتم بعبارات لا تكاد تجاوز أسنانها قائلة : « يجب عليك أن تبكى لا أن تضحك .!! » ...

ظلت هكـذا بعض الوقت ، ثم خرجت من الحجرة وجعلت تنتقل من مكان الى آخر تمزح مع هذه وتروى طرفة لتلك متخذة من كونها قد صارت جدة مادة للمزاح .. ثم ما لبثت أن اختفت عن الأعين .

ومضت ساعتان ، ففكر السيد لويس أن يغادر المنزل الى الخارج ، ولكنه قبل أن يخرج عرَّج على حجرة زوجته السيدة كاتالينا ، وما كاد يدخل حتى رأى زوجته مستلقية على فراشـها معتمدة على ذراع السيدة أورورا التى كانت اذ ذاك تؤدى دور الوصيفة بالنسبة للسيدة المريضة!

وما كادت السيدة كاتالينا ترى زوجها حتى حدجته بنظرات ملتهبة معبرة ، ففهم كل شىء . ثم نظر الى السيدة أورورا نظرات الغيظ المُحنَق وقال لزوجته : هل مضى وقت طويل على هـذه السيدة وهى معك هنا ؟ ... فلم تجب الزوجة.. وانسلت السيدة اورورا خارجة وقد تملكهـا الخوف .. ولكنها تحس بسرور داخلى .. وما كادت تغادر الحجرة حتى قالت السيدة كاتالينا لزوجها : أنت على حق ! انها امرأة خبيثة .. لقد ارادت قتلى دون علم منها . ثم ما لبثت أن تساقطت من عينيها خيوط من الدمع فى هـدوء ودون أن تقول شيئا أو تعبر عن شكوى ...

فى صباح اليوم التالى سيطرت على السيدة كاتالينا حالة عصبية بعد أن كانت حرارتها قد ارتفعت الى درجة عالية وظلت تهذى .. ولم يكد يمضى يومان حتى كان رأسها قد انحنى فـوق صدرها على ألا يرتفع بعد ذلك ابدا .

انتهت أيام الحداد وجلس ريدال يتحدث الى السيد لويس فى شأن ميراث بيبتيا من تركة امها ، وكانت السيدة أورورا تدرس بعناية الوثائـق والمستندات ، وما كادت تفرغ من قراءة آخر وثيقة حتى قالت لنفسها فى هدوء :

لم تعد هناك علائق تربطنا بهذه الاسرة ..!! انى لا أريد أن تربطنى بهذا الرجل رابطة .. ذلك الذى يجرى وراء عشيقاته .. ويهرب منى!!!

■

ترجمة الدكتور محمد الامين محمد



تضحك الدنيا معك ابك تبك وحدك

اصرار !

● التفت الزوج الى زوجته وهو يقود سيارتهما ، وقد ضايقه مسلك سيارة مرت بجوارهما ، بطريقة تخالف قواعد المرور .. وقال فى سخرية : « ان امراة تقودها ... لست ادرى لماذا يسمحون للنساء بقيادة السيارات ؟ » .

ولأمر ما ، تمهلت السيارة الاولى، فما لبثت سيارة الزوجين ان لحقت بها . والتفتت الزوجة ناحيتها ، ثم هتفت فى تشف : « ان السائق رجل وليس امراة!»

وكان جواب الزوج : « .. يظهر ان زوجته هى التى علمته القيادة ! » .

دروس مجانية

● الناس الذين يشكون ان الامريكيين ينفقون الكثر على المشروبات الروحية ، من التعليم ، لا يعرفون بالضبط مدى ما يستطيع المرء ان يتعلمه فى احدى حفلات الكوكتيل عندهم !؟!

منتهى الشرود

● كان المعروف عن احد العلماء انه يكره الاجتماعات والحفلات ، فهو يكاد يحبس نفسه فى معمله متفرغا لبحوثه وتجاربه ..

ولكنه خرج ذات ليلة عن عادته، ولبى دعوة الى مادبة عشاء ..

وجريا على ما ألفه فى حياته ، جلس شارد الذهن ، مستغرقا فى التفكير فى بحوثه ، غير منتبه الى ما حوله .. ولكن السيدة التى كانت تجلس الى جواره ، ابت ان تدعه فى عزلته هذه ، وراحت تحاول استدراجه الى الحديث بكل حيلة، حتى اذا اخفقت جهودها ، لكزته قائلة :

« ما كنت أتوقع منك هذه المعاملة ، انت الذى حاولت أن تخطبنى منذ ثلاث سنوات ! » .

وانتبه العالم الى حديثها ، وهو لا يزال شارد الذهن ، وسألها على سبيل المجاملة : « اصحيح هذا ؟ .. وماذا كان ردك ؟ » .

كذب المنجمون ولو ..

قالت العرافة لاحدى الفتيات وهى تتامل كفها لتقرا طالعها : « ارى فى الطريق اليك زوجا طويلا ، جميلا ، انيقا ، فى الثلاثين من عمره .. » .

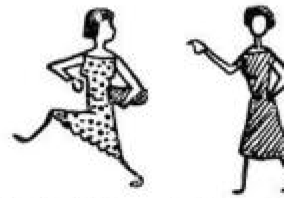
فقاطعتها الفتاة : « وهل هو غنى ؟»

قالت العرافة فى مغالاة : « غنى ؟ .. انه واسع الثراء » .

فهتفت بها الفتاة : «اذن ،اخبرينى بالله .. كيف اتخلص من زوجى الحالى ؟ » .

أحسن طريقة

● تشاجرت ست جارات ، وتطورت المعركة حتى انتهت الى مركز الشرطة . فلما أراد الضابط سؤالهن ، اندفعن معا ورحن يتكلمن فى وقت واحد، كل تحاول ان تشرح الأمر من ناحيتها بصوت يطغى على اصوات الأخريات . .



وفجأة ، قال الضـــابط : « لا ، لن استمع اليكن هكذا . . فلتتكلم أكبركن سنا أولا » .

وتراجعت النساء الست دفعة واحدة، ولذن بالصمت !

سؤال منطقى

● سأل القاضي الزوجين: « اذن فأنتما تصران على الطلاق لأنكما غير متفقين فى الميول والآراء ؟ » .

فأجاب الزوجان فى آن واحد : «أجل يا سيدى القاضى » .

واذ ذاك قال القاضى : « اذن ، كيف تتفقان على الجواب الآن ؟ » .

أيهما المائل

● اخذ السائح يحدث زوجته ــ عقب عودته الى وطنه ــ عن جمال المناطق التى زارها فى ايطاليا ، ثم بدأ يعرض عليهـا الصور التى التقطها لبعض المعالم . . . وكانت بينها صورة لبرج « بيزا » المائل.

وتأملت الزوجة البرج المائل فى عجب، ثم التفتت الى زوجها قائلة : « لا بد انك كنت ثملا حين التقطت هذه الصورة » !

■■

بنك انترا ش.م.ل

راس المال ستون مليون ليرة لبنانية مدفوعة بكاملها
المركز الرئيسي : بيروت - لبنان
(عضو في جمعية مصارف لبنان)
مكتب التمثيل الاوروبي - ٢ ميدان الرون - جنيف

قرارات الجمعية العمومية

عقدت الجمعية العمومية لبنك انترا اجتماعها السنوي يوم الاثنين ٢٥ ايار ٦٣ برئاسة السيد يوسف بيدس رئيس مجلس الادارة . وبعد تلاوة تقرير مجلس الادارة ومفوضي المراقبة والاطلاع على الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر لعام ١٩٦٢ قررت بالاجماع :

١ ـ التصديق على الميزانية وحساب الارباح والخسائر عن السنة المنتهية في ٣١ كانون الاول ١٩٦٢ وابراء ذمة رئيس واعضاء مجلس الادارة

٢ ـ توزيع الارباح على المساهمين عن السنة المالية المنتهية بتاريخ ٣١ كانون الاول ١٩٦٢ بنسبة عشرة بالمئة من قيمة الاسهم الاسمية خالصة من ضريبة الدخل .

وبعد ان شكرت الجمعية العمومية رئيس واعضاء مجلس الادارة السابق باشرت انتخاب مجلس الادارة الجديد ففاز بالاجماع كل من :

ـ السيد يوسف خليل بيدس
ـ الشيخ سليمان الحمد السليمان
ـ السيدة شفيقة العظم دياب
ـ السادة شركة اسعد البرط واولاده
ـ السيد كامل ابو زيد
ـ السيد بولس ايوب فرح
ـ السيد كمال ادهم
ـ السيد ابراهيم عرب
ـ السيد فرنان سبيرو خوري
ـ السيد محمد عبد الرحمن
ـ الشيخ نجيب علم الدين
ـ السيد نجيب صالحه

وقد اجتمع المجلس الجديد وانتخب بالاجماع السيد يوسف خليل بيدس رئيسا له .

اول بنك ..

١ ـ اول بنك في البلاد العربية يفتح فرعا في اميركا الشمالية بمدينة نيويورك .

٢ ـ اول بنك في البلاد العربية يفتح فرعا في المانيا الغربية بمدينة فرانكفورت ـ ماين .

٣ ـ اول بنك في البلاد العربية يفتح فرعا في سيراليون بمدينتي فريتاون وبو .

٤ ـ اول بنك في البلاد العربية يطلب جهازا الكترونيا للحسابات .

٥ ـ امتد نشاط مجموعة انترا الى اميركا الجنوبية بانشاء بنك شقيق في البرازيل .

٦ ـ تم افتتاح فرع خامس في الاردن بمدينة نابلس .

٧ ـ تم افتتاح الفرع الحادي عشر في لبنان بمدينة صيدا .

٨ ـ البناية الجديدة لبنك انترا في جنيف .

٩ ـ مجموعة البنايات المشتراة في الشان اليزيه ـ في باريس لاعادة بنائها .

١٠ ـ اول بنك بدأ تنفيذ مشروع شراء الارض وبناء المنازل للموظفين في لبنان وافسح المجال لعموم موظفيه بالاسهام .

١١ ـ رقم قياسي للارباح يزيد على ٦ ملايين ليرة لبنانية والقدر القابل للتوزيع يظل ١٠ بالمئة من راس المال خالص من الضريبة .

١٢ ـ بلغ مجموع موجودات بنك انترا والبنوك الشقيقة والمتفرعة الف مليون ليرة لبنانية بينما بلغ راسمالها المدفوع مع الاحتياطي مئة وثلاثين مليون ليرة لبنانية .

بنك انترا ش.م.ل

المركز الرئيسي : بيروت - لبنان

الموجودات		الكشف في ٣١/١٢/١٩٦٣ ليرات لبنانية	الميزانية في ٣١/١٢/١٩٦٢ ليرات لبنانية
نقد في الصندوق ولدى البنوك تحت الطلب	١٠٤ ٦٨٣ ٣٥٢		
حسابات اخرى في البنوك	١٧٣ ٣٧٠ ٠٩٨	٢٧٨ ٠٥٣ ٤٥٠	٢٣٠ ٥٢٢ ٠١٣
سندات حكومية (بسعر الكلفة)		١٢ ٧٦١ ٨٢٧	٢٢ ٢٣٣ ٨٨٢
أسهم وسندات (بسعر الكلفة)		٢٨ ٤٧٣ ٢٩٤	
استثمارات (بسعر الكلفة)		٢٦ ٤٧٣ ١٣٣	١٢ ٢٠٨ ١٠٦
أوراق مخصومة		٢٩ ٩٣٣ ٠٦٦	٣٩ ٥٦٧ ٧٢٠
حسابات مدينة		٢٥٢ ٦٠١ ٧٨٠	٢٤٠ ٤٦٩ ٧٢٤
اسهم في شركات متفرعة وشقيقة : بسعر التكلفة)		٢١ ٧٢٢ ٧٢٥	٢٣ ٠٠٢ ٢٢٩
بناية البنك وعقارات اخرى		٢٣ ٥٩٦ ٥٢٩	٢٣ ٩٨٢ ٩٦٢
أثاث (بعد الاستهلاك)		٢ ١٦٠ ١٩٠	١ ٨٢٢ ٦٩٥
رأسمال الفروع السورية واسهم في شركات تابعة (مؤممة)		٤ ٣٨٣ ٠٤٩	—
حسابات اخرى		٥ ٣٤٦ ٧٨٢	٩ ٦١٥ ٣٨٥
تعهدات العملاء مقابل كفالات واعتمادات (له مقابل)		٦٥ ٨٧٨ ٥٩٨	٧٥ ٣١٦ ٦٠١
مجموع الموجودات		**٧٥١ ٣٨٤ ٤٢٣**	**٦٧٨ ٧٤١ ٣١٧**

يوسف خليل بيدس
رئيس مجلس الادارة

كامل أبو زيد
عضو مجلس الادارة

بيروت في ٩ نيسان ١٩٦٤

ملاحظة : عدلت حسابات سنة ١٩٦٣ لتتمشى مع متطلبات قانون النقد والتسليف الصادر بموجب مرسوم جمهوري رقم ١٣٥١٣ بتاريخ ١ آب ١٩٦٣

الميزانيـــة العـــموميـــة
كما في ٣١ كانون الاول ١٩٦٣

راس المال والمطلوبات		الكشف في ٣١/١٢/١٩٦٣ ليرات لبنانية	الميزانية في ٣١/١٢/١٩٦٢ ليرات لبنانية
راس المال المصرح به والمدفوع بكامله			
٦٠٠٠٠٠ سهم بقيمة ١٠٠ ل. ل. للسهم الواحد		٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٥٥ ٠٣٢ ١٧٥
احتياطي راس المال		٦ ٧٥٠ ٠٠٠	٦ ٧٥٠ ٠٠٠
الاحتياطي القانوني		١ ٧٧٣ ٤٦٢	١ ٧٧٣ ٤٦٣
المجموع		٦٨ ٥٢٣ ٤٦٢	٦٣ ٥٥٥ ٦٣٨
احتياطات واستدراكات اخرى		٥ ٧٣٩ ٢٧٠	٥ ١٨٥ ٦٤٨
الودائع			
ودائع لأجل	١٧٦ ١٢٣ ٦٣٩		٢٥٩ ٥٤٤ ١٩٠
ودائع توفير	٧٦ ٨٥٤ ٣١٢		٤٧ ٢٠٣ ٠٤٨
ودائع تحت الطلب	١٤٩ ٨٢٢ ١٩٥		٢٢٠ ٤٩٩ ٧٤٨
حسابات البنوك	١٩٩ ٥٦١ ٩٥٤	٦٠٢ ٣٦٢ ٠٠٠	
حسابات اخرى		٨ ٨٨١ ٠٩٢	٧ ٤٣٦ ٤٤٤
كفالات واعتمادات تجارية للعملاء (لمقابل)		٦٥ ٨٧٨ ٥٩٨	٧٥ ٣١٦ ٦٠١
مجموع المطلوبات		٧٥١ ٣٨٤ ٤٣٣	٦٧٨ ٧٤١ ٣١٧

نشهد باننا فحصنا ميزانية بنك انترا (ش. م. ل.) في المركز والفروع كما في ٣١ كانون الاول ١٩٦٣ وبيان الارباح والخسائر للسنة المنتهية بذلك التاريخ وفقا لقواعد المراقبة المتعارف عليها وقد شمل فحصنا اجراء الامتحان اللازم للقيود والسجلات الحسابية كما شمل اجراءات المراقبة الاخرى التي وجدناها مناسبة . وبرأينا ان الميزانية المرفقة تظهر الموقف المالي للبنك كما في ٣١ كانون الاول ١٩٦٣ وان بيان الارباح والخسائر يظهر نتيجة اعمال البنك للسنة المنتهية بذلك التاريخ وباعتقادنا ان البيانات المذكورة نظمت على اساس مماثل للاصول المتبعة في السنة السابقة ووفقا للاصول الحسابية المتعارف عليها .

مفوضو المراقبة	سابا وشركاهم	ادوارد الياس طباع
	مراقبو الحسابات	خبير محاسبة لدى المحاكم



بنك
انترا

المركز الرئيسي: بيروت - لبنان
(عضو في جمعية مصارف لبنان)
مكتب التمثيل الاوروبي
٢ ميدان الرون - جنيف

ش.م.ل.

الفروع

لبنان — بيروت — الفرع الرئيسي - بناية بنك انترا
— المطار الدولي (ثلاثة فروع - خدمة ليلا نهارا)
— رأس بيروت
— بناية العازارية
— برج حمود
— اوتيل فينيقيا انتركونتننتال
— طرابلس - بحمدون - صيدا

الأردن — عمّان - الخليل - القدس - زارقه - نابلس

قطر — الدوحة

بريطانيا — لندن

فرنسا — باريس

المانيا الغربية — فرنكفورت / ماين

الولايات المتحدة — نيويورك

سيراليون — فريتاون - نبو

بنوك متفرعة

سويسرا — بنك انترا ش.م. جنيف

لبنان — البنك العقاري العربي ش.م.ل. بيروت
— بنك الكويت والعالم العربي ش.م.ل. بيروت

بنوك شقيقة

البرازيل — بنكو انترا ش.م. سان باولو - ريو دي جانيرو

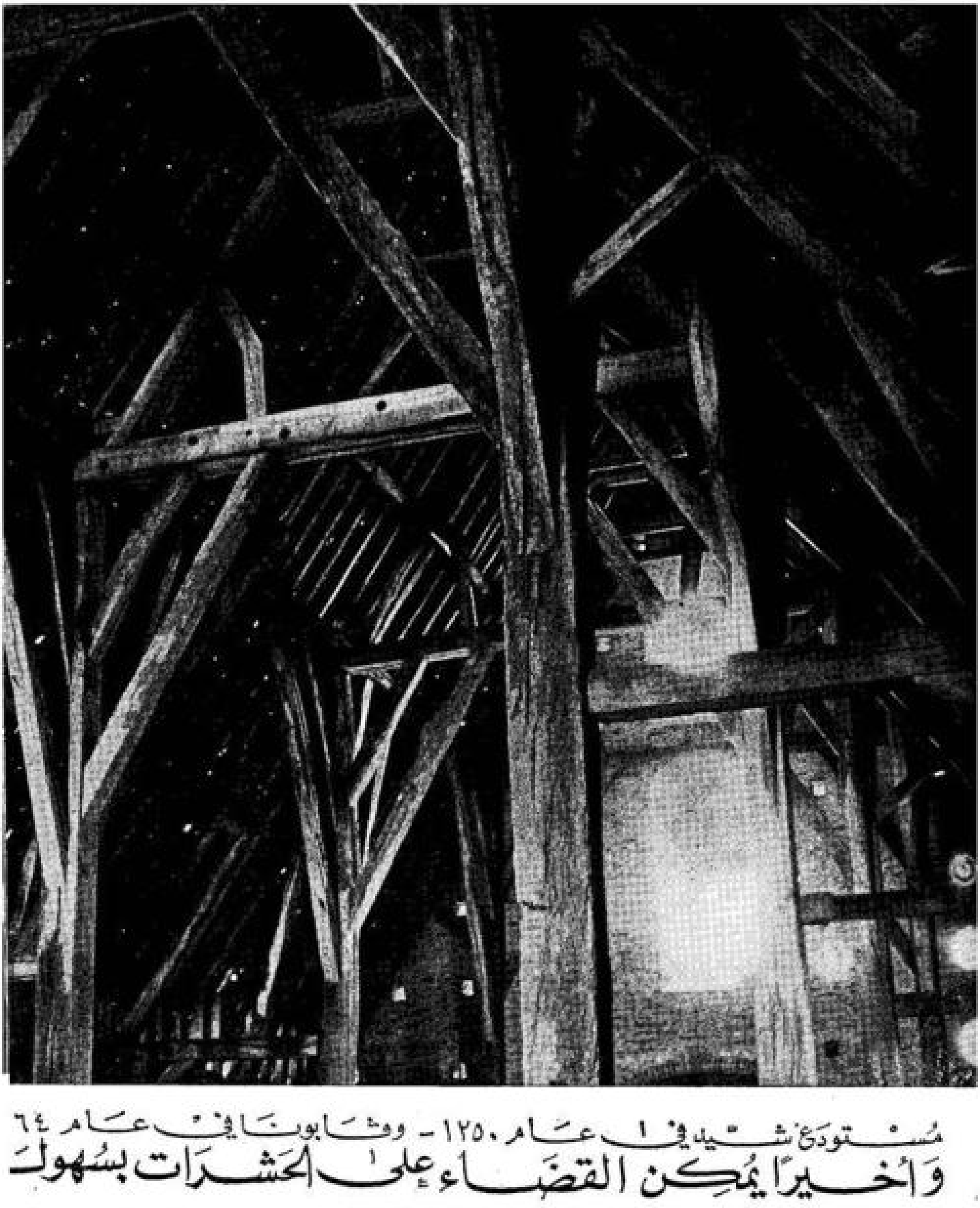
نيجيريا — بنك الشمال المحدود. كانو - لاغوس - كادونا. جوس - ابابا - ايبادان (تحت التأسيس)

ليبيريا — البنك التجاري الليبيري المحدود - مونروفيا

العراق — البنك العراقي المتحد - بغداد (فرعان) - البصرة

خدمة بواسطة آلات تلكس في :

بيروت ، باريس ، لندن ، فرنكفورت / ماين ، نيويورك ، سان باولو



مستودع شيد في عام ١٢٥٠ - وڤابونا في عام ٦٤

وأخيراً يمكن القضاء على الحشرات بسهولة

ڤابونا "Vapona" هو أحدث مبيد حشرى انتجته شركة شل "Shell"، وهو يتبخر وينفذ الى جميع الشقوق التى تختبىء فيها الحشرات الى مسافة ١٠٠ قدم من نقطة انطلاقه. وهو سهل الاستعمال لانه مركب من مادة د. د. ف. ب "DDVP" ويمكن استعماله بسهولة سواء بالنثر او على هيئة ضباب او بالرش او بالمعايرة. وهو فعّال يقضى على الحشرات حتى السلالات المنيعة منها، ولم يسجل بعد اى نوع من الحشرات لها مناعة ضد مادة «د. د. ف. ب». وهو متعدد الاغراض يقضى على الحشرات الموجودة بمخازن الاطعمة، ومعامل الألبان، والماشية، والطائرات، والمستودعات، والبواخر، وشواطىء الاستحمام، والمزابل. وهو فى الواقع يقضى على الحشرات الموجودة فى اى مكان تقريباً. ومع ذلك فهو سريع التحلل لا يترك اثراً ولا رائحة. وڤابونا "Vapona" ما هو إلا واحد من مجموعة مبيدات «شل» الشاملة المفعول للحشرات التى تقدم الجواب الفعّال ضد مشاكل الحشرات فى جميع قارات العالم.

للحصول على بيانات او تفاصيل اضافية أو للاستعلام عن خدمات «شل» الفنية، الرجاء استشارة شركة شل بمنطقتكم.

ڤابونا

شل للكيماويات

ماركة مسجلة لشركة شل



فوز النوع السويسرى

هذه هى الساعة الجديدة دوكسا التى ستعجبك باناقتها الرجولية الحديثة وبنوعها المتفوق فى دقة حركاتها العالية .

ستفخر باقتنائك هذه الساعة الجميلة الدقيقة التى ستدلك دائما بأمانة على الوقت الصحيح فى كل مناسبات الحياة .

كشف باسماء موزعى دوكسا

استكو المحدودة ـ شارونو ـ كابول ـ أفغانستان ، مخازن السكسيور ـ عدن ، اكسلنت ميزيوم ص.ب ٢٤ دوحة ـ قطر ـ الخليج العربى ، جوزيف جيراكو ص.ب ٢٨٩٤ ـ بيروت ـ لبنان ، فخري جواد ـ ساحة الناصر ـ البتاوين ـ بغداد ـ العراق ، خليفة وعمر بن يوسف ـ أبو ظبي ـ الخليج العربى ، اسحاق عبد الرحيم الكوهجي ـ ص.ب ٥٧ ـ الخبر ـ العربية السعودية ، روبين كيتشجيان ـ ص.ب ٢٦٩ ـ عمان ـ الاردن ، كرابيد ميناسيان ـ ص.ب ٥٧٠ ـ حلب ـ سوريا ، شركة العثمان التجارية ـ ص.ب ٥٢٠ ـ الكويت ، ميشال أوسطايان ص.ب ٩٢٥ ـ دمشق ـ سوريا ، مؤسسة بونو للساعات والتجارة شارع الملك عبد العزيز ـ جدة ـ العربية السعودية ، شركة ش. بن سعود وم. شيخ ـ ص.ب ١٤١ ـ بنغازى ـ ليبيا .

DOXA

معامل ساعات دوكسا
ش.م.لو لوكل،سويسرا

فنزويلا تملك الزيت
وتبني بالدخل منه مدارس وصناعات

بحساب الفرد الواحد يملك أهل فنزويلا، وهم ٨ ملايين، من المال ينفقونه أكثر مما يملكه أي شعب آخر من جيرانهم في أميركا الجنوبية. وهم مغتبطون بذلك دون أن يكونوا قانعين به.

١ – أمران يستوليان على انتباه الزائر عندما يقدم إلى هذا البلد: جمال كاراكاس اللألاء في الليل، وشوارعها التي تضج بلغات الناس من شتى بلاد العالم.

٢ – فالفرص المتاحة في فنزويلا اجتذبت إليها العدد الكبير من المهاجرين، لا سيما من أوروبا. وعندما تهتف الحشود من المتفرجين لتحية فريق لكرة القدم آت من روما أو مدريد، فأغلب الظن أن المحيين مواطنون للاعبين.

زرع بذار الزيت

٣ – تأتي فنزويلا ثالثة في إنتاج الزيت في العالم، ولكنها الأولى بين البلاد المصدرة له. إذ يتدفق من آبارها المحفورة في سهولها وفي بحيرة ماراكايبو في كل ٢٤ ساعة ما يقارب نصف مليون طن.

٤ – والواقع أن الزيت الفنزويلي بلغ من الوفرة ما طغى معه على سائر الاقتصاد الوطني في البلاد. وفي سبيل إصلاح هذا الاختلال في التوازن، أخذ الفنزويليون بفطنتهم يعملون على زرع بذار دخلهم من الزيت في الصناعات الأخرى.

التنويع

٥ – ثم يستثمرون المال في سد كاروني الكبير وفي صناعات الصلب والمنسوجات والتعليب الجديدة.

٦ – وهم يستثمرونه في التعليم. فبناء المدارس الجديدة قائم على قدم وساق، وعدد الطلاب في المدارس أصبح الآن يتعدى ٩٠ في المائة من مجموع من هم في سن الدراسة.

أمة فتية مقدامة مقبلة على الحياة

٧ – لا يدعي أحد – ولا حتى الفنزويليين أنفسهم – أن هذه البلاد الخضراء الجميلة قد تغلبت على جميع متاعبها. فلا تزال هناك مشكلة النزوح من القرى إلى المدن، والبطالة والإسكان.

٨ – غير أن الفنزويليين واعون لهذه المشكلات عاملون على حلها. وهم إذا عملوا عملوا بدون هوادة. ومن الأمثلة العملية على ذلك في مجال النظافة الصحية أنهم تمكنوا من مكافحة الملاريا والسيطرة عليها في فترة من الزمن جد وجيزة.

شل والزيت العالمي

إن فنزويلا تعمل على الاستفادة من دخلها من الزيت لكي تصبح أمة صناعية بالفعل. وهي لكي تضمن بقاء هذا الدخل على مر السنين تحتاج إلى أسواق يمكن الاعتماد عليها.

وإيجاد أسواق واسعة للزيت لا بد من أن يكون عملية عالمية. إذ ليس هناك من سلعة أخرى تنقل بمثل هذه المقادير الهائلة عبر حدود هذا العدد الكبير من البلاد، وتحول إلى هذه الكثرة من المنتجات ويحتفظ لها سلفاً بهذا الطول من الزمن. فذلك أمر يحتاج إلى منظمة معقدة التركيب، عالمية النطاق – كتلك المنظمة التي أنشأتها شل على مر السنين.

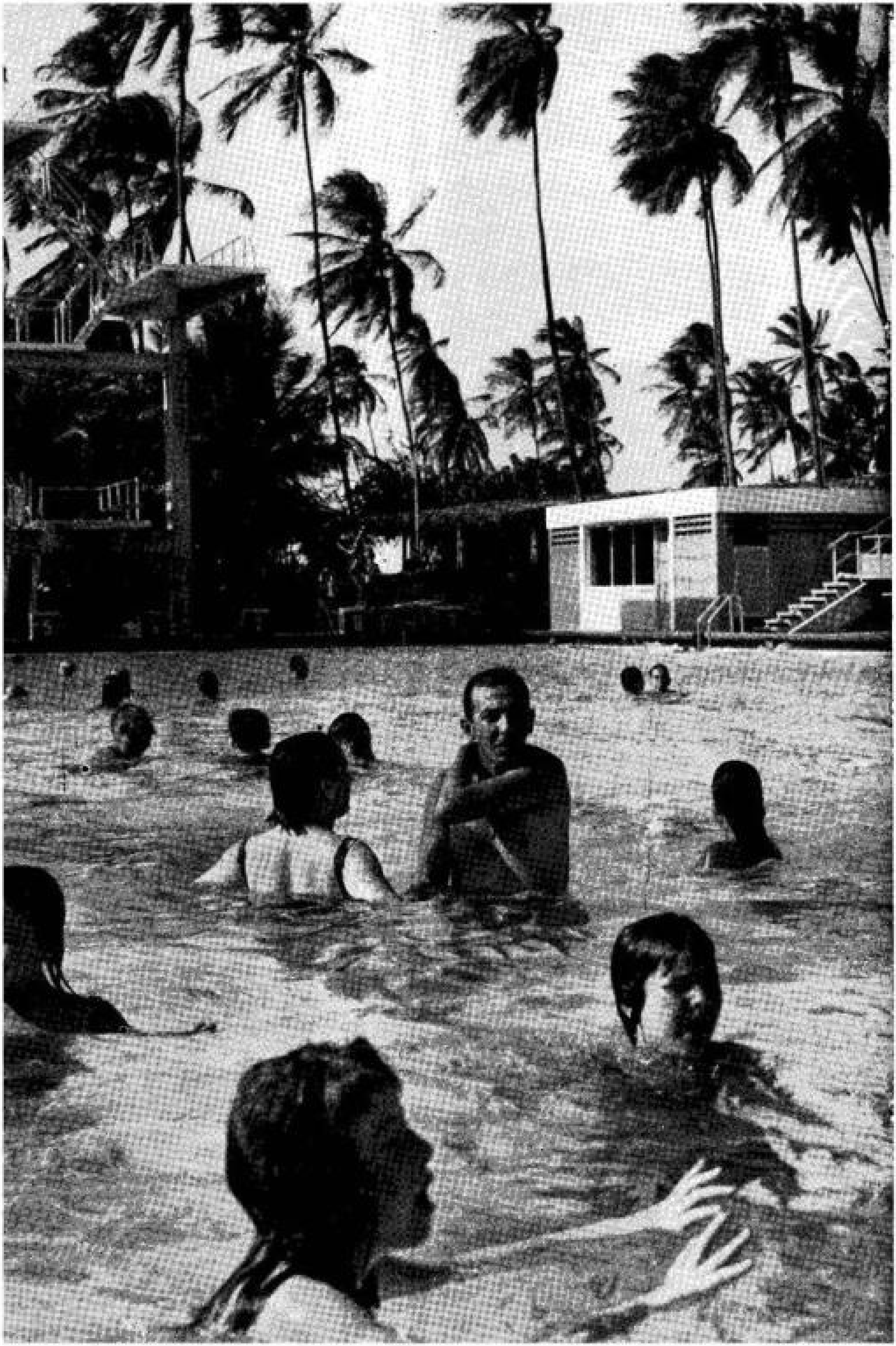
حقائق وأرقام

وإيصال الزيت إلى الأسواق يعني بالنسبة إلى شل تشغيل ما تزيد حمولته على ١١ مليون طن من الناقلات وما يزيد طوله على ٤٣٠٠٠ كيلومتر من خطوط الأنابيب في الممالك البرية الرئيسية. ويعني كذلك إقامة شركات التسويق في أكثر من مائة بلد، كما يعني تصريف الأعمال التجارية بجميع لغات العالم الرئيسية تقريباً. وهو يعني أيضاً تشجيع ٦٠٠٠ من المشتغلين بالبحوث العلمية على إيجاد منتجات مفيدة جديدة كالأنواع الجديدة من الوقود واللدائن والأصبغة الاصطناعية والأسمدة ومبيدات الحشرات.

اعتمد دائماً على شل

إن في استطاعتك أن تعتمد على شل لأنها تشتغل في جميع مراحل صناعة الزيت. فهي تبحث عن الزيت وتجده وتستخرجه وتنقله وتحوله إلى منتجات وتوصل هذه المنتجات إلى السوق، وهي تفعل ذلك كله بانتظام كانتظام عقارب الساعة. وهي إذ تفعل ذلك تربح في اللتر الواحد من مبيعاتها، ما متوسطه ١/٢ سنت أميركي.

وشل تقوم بوظيفة مفيدة. فهي تأتي بالنوع المطلوب من المنتجات إلى المكان المطلوب في الوقت الذي يطلب فيه. وهي تخدم الأقطار المستهلكة بإيجادها مصدراً للطاقة يمكن الاعتماد عليه، وهي تخدم الأقطار المنتجة بإيجادها أسواقاً يمكن الاعتماد عليها. ذلك هو شأن شل عاماً بعد عام!



العربي

العدد ٧٠
ربيع الثاني ١٣٨٤
سبتمبر
(ايلول) ١٩٦٤



نظرة تفاؤل وأمل .. فالخريف للاشجار !

جوائز
١٢٠٠

الثمن

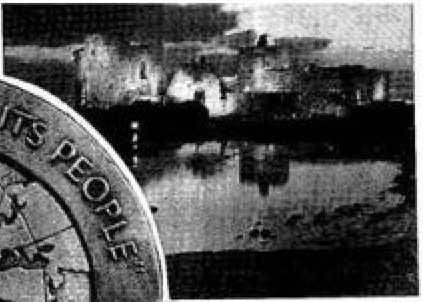
الكويت	١١٠	فلوس					
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	السودان	١٠
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	ليبيا	١٥
						تونس	٢٠٠



حضارات سادت .. ثم بادت

● الغزل والنسج من اهم اعمال المراة اليونانية منذ اقدم العصور . وفي الصورة امراة تتحرك جيئة وذهابا امام نول ذى « مكوك » خشبي تولجه بين خيوط السداة . بينما جلست فتاة تغزل الصوف على اسطوانة من الطين ، وخلفها فتاة تقوم بوزن الصوف ، وظهرت في المقدمة فتاة تلف خيوط الغزل ..
(انظر صفحة ١٣٩)







عزيزى القارىء

● هل خطر ببالك يوما وانت تطالع صور الاستطلاعات الملونة التى ينشرها « العربى » ، أن من هذه الصور ما كان موضع الاعجاب والتقدير ، ليس من قراء « العربى » فحسب ، بل ومن الخبراء العالميين في فن التصوير ؟!

خذ مثلا الصورتين المنشورتين هنا الملونتى الاصل من تصوير اوسكار مترى مصوّر العربى .. لقد نشرت احداهما فى استطلاع بيت لحم بالعدد ٢٦ ، والأخرى فى استطلاع صيدا بالعدد ٤٨ وقد كانتا بين عشرات الآلاف من الصور ، التى اشترك بها اكثر من ١٥٠٠٠٠ مصور عالمى فى مسابقة دولية نظمتها شركة « كوداك » تحت عنوان « العالم وأهله » .

ومن بين هذه الآلاف من الصور التى اشتركت لم تفز سوى ٣٠٠ صورة فقط بميداليات فضية ، ، كان نصيب « أوسكار » منها ميداليتين فضيتين عن هاتين الصورتين الملونتين ، اللتين تعرضان حاليا فى معرض نيويورك الدولى .

وبعد انتهاء معرض نيويورك سيقام معرض متنقل تعرض فيه جميع الصور الفائزة لعرضها فى جميع بلدان العالم .. ومن بينها هاتان الصورتان .

ومن هنا ترى أن عناية « العربى » بالاستطلاعات المصورة ، والملونة بنوع خاص ، لا تقل عن عنايته بكل ما ينشر من المقالات والأبواب ، لانه يؤمن أن الصورة قد أصبحت عنصرا من أهم العناصر التى تعتمد عليها الصحافة الحديثة، وكم من صورة تركت فى نفس القارىء من الأثر ما لا يتركه مقال فى بضع صفحات ...

« المحرر »

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

سياسة :

استطلاعات صحفية مصورة :

طب وعلوم :

لغات وآداب :

شعر وشعراء :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

تربية :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
ALARABY = No. 70 September 1964 — P.O.B. 748 = KUWAIT

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»
الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

● بدا حر الصيف اللاهب يتراخى استعدادا لافساح الطريق امام الخريف رسول الشتاء ... ان كثيرا من البلاد العربية ، تنعم بفصول السنة الاربعة ، وما فى تباينها من تجديد يذهب برتابة الحياة ، ولكنك تفتقد هذا التباين فى العديد من هذه البلاد، التى لم يمن الله عليها الا بفصلين فقط : صيف طويل حار ملتهب ، وشتاء قصير بارد .. انه المناخ القارى ، كما يسميه الجغرافيون ... وصورة الغلاف هذه تجمع بين ربيع الشباب ، وخريف الاشجار ، التى لم تتحمل اوراقها نسائم الجفاف الاولى ، فبدأت تتساقط ، وتتعرى الاغصان منها ..

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ـ مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٢ر٥ شلن ـ العراق ١٢٠ فلسا ـ سورية ١٠٠ قرش ـ لبنان ١٠٠ قرش ـ الأردن ١٠٠ فلس ـ السعودية ٢ ريال ـ السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش ـ تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ـ المغرب درهمان ـ اليمن ٢ر٥ شلن ـ ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



متى عرف العرب خيال الظل .. ؟
ومن الذي قال الشعر فى وصفه ؟

■ قرات فى العدد ٦٨ بعنوان (خيال الظل بين الامام الشافعي وعثمان جلال) تصويبا للاستاذ محمد علي الطاهر ذكر فيه ان بيتي : رايت خيال الظل اكبر عبرة (وقد سقطت كلمة « الظل » فى المجلة وهو خطأ من الطبع) هما للمرحوم عثمان بك جلال صاحب « العيون اليواقظ » الخ .. وهذا خطأ واضح . فالاستاذ محمد عثمان جلال صاحب « العيون اليواقظ » ، التي عرب بها نظما قصص لافونتين الشهيرة على السنة الحيوانات ، ولد سنة ١٢٤٥ ومات سنة ١٣١٦ كما ذكر الزركلي فى الاعلام. أما بيتا خيال الظل المذكوران فقد خمّسهما وشطرهما سيدى عبد الغني النابلسي المتوفي سنة ١١٤٣ أى قبل مولد عثمان جلال باكثر من مائة سنة ـ فالبيتان اقدم من عثمان جلال . وقد ورد تخميسهما وتشطيرهما فى صفحة ٣٤١ من ديوان النابلسي المطبوع فى بولاق سنة ١٢٧٠ . كما انهما موجودان فى نسخة مخطوطة من ديوان النابلسي تاريخها سنة ١١٨٧ محفوظة فى مكتبة روضة خيرى باشا برقم ٢٤٧ ادب . ومن هذا يتبين استحالة ان يكون السيد عثمان جلال هو ناظمهما .

أما نسبتهما للامام الشافعي رضى الله عنه فقد ذكر ذلك المرادى ، وهو من اعيان العلماء ، فى مؤلفه « سلك الدرر » ج ١ ص ١٣٢ والرد على مثل هذا العالم لايكون الا بحجة . ولعل احد القراء يتفضل بما يراه نحو حقيقة قائل البيتين .

عبد السلام محمد النجار ـ بحيرة .

■ قرأت ما نشره الاستاذ محمد علي الطاهر (فى العدد ٦٨ من العربي) عن البيتين اللذين هما عن خيال الظل ، وذكر انهما للامام الشافعي ، ونسبهما للمرحوم عثمان بك جلال. وانا اؤيد الاستاذ الطاهر فى انهما ليسا للامام الشافعي ، لان خيال الظل لم يكن معروفا عند العرب فى القرن الثاني للهجرة ، وانما اقتبسه العرب فى اواخر القرن الرابع للهجرة عن غيرهم من الامم ، واشتهر امره على يد الطبيب الكحال محمد بن دانيال الموصلي (٦٤٦ ـ ٧١٠ هـ) الذى هاجر من الموصل الى القاهرة ونشر فنه فيها (انظر مقالنا فى مجلة الكتاب المصرية العدد ٦) .

ولكن البيتين ايضا ليسا للمرحوم عثمان بك جلال فقد ذكرهما الابشيهي (٧٩٠ ـ ٨٥٢ هـ) فى كتابة « المستطرف من كل فن مستظرف » (٢ : ٣٦٨ ـ ٣٦٩) المطبعة المحمودية بمصر سنة ١٣٤٨ ـ عند كلامه عن الدنيا فقال : وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال :

رايتُ خيال الظل اعظم عبرة
لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوص وارواح بخالف بعضها
لبعض واشكالاً بغير رفاق
تجيء وتمضى بابة بعد بابة
وتفنى جميعا والمحرك باقى

سعيد الديوهجي
مدير متحف الموصل ـ العراق

■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ●

بنك الائتمان

■ على صفحة ٢٧ من العدد الثامن والستين ، نشرنا صورة اجتماع لمجلس ادارة بنك الائتمان بالكويت برئاسة السيد عبد العزيز الدوسرى ، وعن يمينه السيد يوسف محمد الشايجي نائب الرئيس، الذى نشر اسمه واسم السيد عبد الرحيم معروف امين سر المجلس محرفين ، ولذا نعيد نشرهما مصححين .

● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■

مشكلة أخلاق أيضا ..

● عجيب ، والله ، امر الصحافة العربية .. عجيب ! لقد سبق ان عاتبتم عتابا رقيقا حينا ، وشديدا حينا آخر ، تلك المجلات التي تنشر مقالات كاملة من « العربي » دون استئذان ، واحيانا دون ذكر للمصدر الذي نقلت عنه . وكنت اظن انكم بتنبيهكم هـذا قد استطعتم ان تضعوا حدا لمثل هذه السرقات الادبية .

ولكن يبدو ان بعض المجلات لاترعوى : فقد سبق ان قرأت فى « المجالس المصورة » مقالا للدكتور محمود السمره كان قد نشر فى « العربي » ، وهو المقال الذى ينقد فيه كتاب « اليقظة العربية » لجورج انطونيوس . وقد نشرته المجلة دون ان تشير الى مصدره ، وعلى صورة تجعل القارىء يظن ان المقال خاص بها . حدث هذا منذ اكثر من شهر .

وامامي الآن العدد ٢٤ من السنة الاولى ، ٢٨ تموز ١٩٦٤ ، مـن المجلـة نفسـها . ونتصفح العدد لنقف عند صفحة ١٨ ومايليها ، حيث نجد استطلاع عدن الذى كان قد نشر فى العدد ٦٨ من « العربي » والذى قام به مستطلع العربي الاستاذ سليم زبال ، ومصوره الاستاذ اوسكار مترى . ونبدأ بقراءة الاستطلاع ، والتأمل فى الصور المنشورة ، فنجد ان النقل كان بالحرف دون اشارة الى المصدر الذى نقلت عنه ، ولا الى المستطلعين اللذين بذلا ، ولا شك ، جهدا كبيرا فى اخراج هذا الاستطلاع على الصورة الـتي رأيناها فى « العـربي » ..

ماذا تقول فى مثل هذه الظاهرة التى تدل على اشياء كثيرة ؟

وما موقفكم انتم الذين ننتظر منكم ان تدافعوا عن مجلتنا الحبيبة ؟

خليل احمد خليل ــ بيروت

العربي : وماذا تنتظر منا ان نفعل ، يا أخ خليل ؟ .. الصمت اولى فى مثل هذا المواقف .. والمشكلة لا تعدو ان تكون مشكلة اخلاق ، وهذه لانقدر على حلها نحن .

حقيقة وضاح اليمن ..

● قرأت فى العدد ٦٨ من « العربى » الغراء مقالة للدكتور محمد محمود الدش تحت عنوان « مأساة فى بلاط الخلافة ، وضاح اليمن » تحدث فيها عن مأساة وضاح اليمن .

وقد اذاع هذه القصة ــ الموهومة فى رأيي الاديب الكبير الاستاذ احمد حسن الزيات فى جريـدة (البلاد) البغدادية ، وذلك بين سنة (١٩٣٠ م ــ ١٩٣٢ م) حينما كان يدرّس فى معاهد العراق . وقد انبرى للرد عليه العلامة السيد محمد بهجـة الاثرى بمقالات قيمة تشعبت فيها بينات المنطق وشواهد التاريخ ، ثم استوت رسالـة لطيفة مستقلة من هذه المطارحات النقدية الرائعة .

وتكررت هذه القصة على لسان الاستاذ خليل هنداوى فى مسرحيته المنشورة فى مجلة « المعرفة » السورية العـدد ٥ مـن السـنة الثانيـة ص ٨٠ ــ ١١٠ ، وقد رد عليه الاستاذ الاثرى أيضـا مصححا مـا ذهب اليـه ، بكلمـة نشرت فى العدد السابع من (المعرفة) ، السنة الثانية ص ١٥١ ــ ١٥٢ ، ثم شكره الاستاذ هنداوى بكلمـة نشرت فى العدد التاسع من (المعرفة) السوريـة ايضـا .

وانا ارجو ان تأخذ هذه الكلمة طريقها الـى النشر انصافا لقـادة امتنا العظماء الخالدين ، وروادها المناجيد .

عبد الله الجبورى
امين مكتبة الأوقاف العامة ــ ببغداد

في وقدة الصيف
للترويح عن النفس
مثل كلمة تقع بين الجد والهزل

جنة النفاق هذه

الناس في حرب باردة .. يمنع من اختراقها

بقلم رئيس التحرير

■ كنا في وليمة جامعة، واقبل الناس زرافات . وكنت اقف بجوار صاحب ، ننظر الىهذا الفيض الذى يأتى به الباب، باب البهو الكبير .

ودخل رجل ..

وظن صاحبي اني اعرفه . قلت من هو ؟ قال هذا اقذر خلق الله ، فعلَ وفعل .

وحدث بعد ذلك أن مرّ بنا هذا الرجل فى تجواله بين الحاضرين . فلما اقترب منّا أقبل عليه صاحبي . وعرّفني به . قال وهو يقدمه اليّ ، هذا رجل من افذاذ هذا الجيل ، صفتهُ وصفته . لم يُبق كلمة حلوة ، ولا تحية مستطابة ، الا منحها هذا الرجل .

ويمضى الرجل عنا .

وانظر الى صاحبى مستفهما . فاذا على وجهه ابتسامة عريضة ، انفجرتْ بغتة فكانت قهقهة طويلة .

فتطن للذى بى . فقال :

ـــ الحياة تريد هذا . ذممتُ الرجل فقلت حقا . ومدحتُه ، فهل انت صدّقتنى وأنا امدحه ؟

قلت : أحسب لا .

قال : وهل أنا صدّقته ؟

قلت : احسب لا .

قال : ولكن هذا الرجل مضى عنا وفى نفسه شىء من سرور . وكسبنا من ذلك سلاما .

قلت : وهل نحن فى حرب ؟

قال : واي حرب !! انها الحرب الباردة ، لا تفتأ راقدة بين الناس جميعا، ولكنها متهيئة دائما لأن تستيقظ .

اختفاء نوايا الناس في رؤوسهم وراء أغلاق مهد لخلق :

النفاق

أم جهنمها ؟!

استعمال كلمة مخاتلة !

قلت : تقول حرب بين الناس جميعا !! فهل بيني وبينك حرب ؟

قال : ذلك لأننا لم نشترك بعد في منافع ومصالح .

قلت : فان اشتركنا ؟

قال : فما أسرع ما تبذر بذور الشقاق بيننا . ولا أكون أنا باذرها ، ولا تكون أنت . هي تسقط هكذا من السماء ، من ذات نفسها ، كما يسقط المكروب لا تدري من أين جاء .. إنها لازمة من لوازم الحياة .

قلت : فماذا يكون بعد الشقاق ؟

قال : الحرب الصريحة أو ...

قلت : أو النفاق . تواري وأواري ، وتضحك ونفسك عابسة ، وأضحك ونفسي متجهمة شديدة التجهم .

قال : وبذلك تفوت على أنفسنا معركة . ويفوت الناس المعارك .. فذلك كظم الغيظ الذي نصح به الحكماء .. أفتريد سلاما خيرا من هذا السلام .

وبدأت الوليمة فافترقنا .

والتقينا من بعد وليمة . كانت السيارة واحدة، والفندق الذي نعود اليه واحد . وانتحينا في الفندق جانبا ، خشية أن نستعجل النوم فيسوء الهضم .

قال لي صاحبي قبل الوليمة عن النفاق ما قال، وانتهز الفرصة ليعود فيتم حديثه .

قال : أتؤمن بالله وبخلق الله .

قلت : نعم ، أؤمن بالله وبخلق الله .

قال : وهل تؤمن أن الله هو خالق الخير وخالق الشر جميعا .

يبتسم لك .. وفي رأسه يضمر لك الشر ..



قلت : اما الخير فهو خالقه ...

قال : وان يكن النفاق شرا او خيرا فهو خالقه .

قلت : دليلك ؟

قال : الست ترى ان الله خبأ الأنفس فوضع عليها ، ومن حولها ، ستارا يخفيها فلا تنفضح . وجعل الفكر من وراء اغلاق . فانا الآن قد افكر فى قتلك، وادبر له ، وانت لا تدرى .

قلت ما اظن انك تفعل :

قال : ما تظن ، ولكنك لا تثق بانى لا افعل . فهل جعل الله النفس من وراء حجاب ، وجعل الفكر من وراء أغلاق ، الا ليمكنني من أن أخفي عليك وان تخفى . أخفى رضاى عنك أو غضبى . اخفى حبي اياك او كرهى . اخفى تدبيري لك او عليك . وكل اخفاء ستر . والناس تدعو الله فتقول يا ستار ، وما أصدقها من دعوة .

قلت : وهل الستر نفاق .

قال : ما بين الستر والنفاق الا خطوة . انه يمهد للنفاق . أنه لولاه ما كان نفاق .

واستطرد يقول :

ـ تصور لو ان كل هذه الحجب عن الأنفس قد أزيلت، وان كل هذه الأغلاق على الفكر قد فتحت ، وان الناس اطلع بعضهم على ما يدور فى رؤوس بعض ، انها والله اذن معركة شاملة دائمة متصلة ، وحرب لا هوادة فيها ، حرب لا يحمى منها الا تعطيل الفكر ، تماما كما يعطل الساسة الصحف ليستتب الأمن . فالنفاق يا عزيزى هو المخلص . فكر في وتصورني اللص ، وتصورنى الكذاب ، أو تصورنى الكسول الذى لا فائدة منه فى شىء من هذه الحياة ، ولكن بادرني فقل لي ما آمنك ، وما اصدقك ، وما أنشطك وما انفعك فى الحياة . انك بذلك لا تخسر شيئا . وتكسب جميعا من ذلك الأمن والسلام .



من أكثر الناس نفاقا الخادم امام سيده



المرأة تعرف من الرجل الملل من طراز واحد ، فهى تغير طرازا بطراز

الست ترى بعد هذا الذى ضربتُ من امثال أن النفاق ضرورة من ضرورات الحياة .

قلت : أنت تنصح الناس بالنفاق اذن ؟

قال : وهل احد فى هذه الدنيا بحاجة الى هذه النصيحة . كل يمارسه .

قلت : وكل ينكر .

قال : والانكار يا سيدى هو بعض هذا النفاق . وهم ينكرون مؤكدين . وهم يحلفون فى اتفه الأمور ، وهل الحلِف جرى بين الناس هذا المجرى الواسع الا سترا للحق .

قلت : فمَن أكثر الناس نفاقا ؟

قال : الضعيف امام القوى . الخادم امام المخدوم . المرؤوس امام الرئيس . المأجور امام الآجر . سائق السيارة أمام الشرطى . المتهم أمام القاضى . الرجل أمام المراة .

قلت : تقصد المراة امام الرجل .

قال : هذا يتوقف على أشياء . ان كانت زوجتَك فالمراةُ امام الرجل . وان لم تكن زوجتك فالرجلُ امام المراة . التى لا تعرفها ، أنت تداهنها وتمالقها ، وتسبغ عليها ما لا تسبغ على القمر البدر ليلة تمامه . وانت ان وجدت من امراة ، زوجة أو غير زوجة ، ما تكره كتمت والكتمان نفاق . وهي تكره ما تكره . فلا تذكر ما تكره منك الا بالحمد . انفك هذا ان كان افطس ، فهو عندها انف رومانى . وعينك هذه ان كانت عمشاء ، فاسمها عندها الدعجاء . وجسمك هذا ان كان السمين البطين ، فهو عندها قنا الرمح اعتدالا واستقامة . وانت تسُرّ بما تصف منك المراة ، والسرور خير . ولو صدقتْ لكان الصدق شرا . الم يقل التنبي :

ويَصدق وعدُها والصدق شرٌ
اذا القـاك فى الكرْب العِظـام

تصورْ ما يحدث بين الرجـل وبين



نفاق المراة لزوجها
نفاق يفرضه الواجب



نفاق المأجور امام الآجر
يعادل نفاق الضعيف للقوى

امراته لو انها صدقت ً فقالت له ياأفطس يا بطين ! اقل ً ما يحدث الطلاق . والطلاق حرمان . والحرمان شقاء . وهو شقاء جاء لاهمالها حق النفاق عليها . انك لن تجد نفاقا واجبا كنفاق امراة .

قلت : والرجل ؟

قال : نفاقه ً شائع ، ولكنه غير واجب، لأنه الكاسب . لهذا هي تتزين له وهو لا يتزين .

قلت : حتى الزينة نفاق ؟

قال : أم ْ النفاق يا صاحبي ، وهو الصنف من النفاق الذى رضيه الناس ، ورضيته على الزمان الأجيال . انه نقص فى جمال تقوم الثياب ُ بوفائه ، ولن تجد كالثياب اداة نفاق . تقصر المراة ً فتتخذ من الثياب المخطط ، وتلبس الخيوط قائمة لتكسبها طولا ، زورا . او تطول المراة فتلبس الخيوط نائمة ، لتكسبها قصرا ، زورا وبهتانا . والثياب تسمّن الرقيعات من النساء، وترقع السمينات . والثياب يكون فيها ايجاز ٌ فتكشف عن محاسن ، أو يكون بها اطناب فتحجب مساوىء . والثياب من بعد ذلك الوان . ان المراة تستطيع ان تختفى فى ثيابها اختفاء ً فلا تجد منها الا ثيابا جميلة .

قلت : والموضة . ان اكثر الرجال ترى انها البدعة المرذولة .

قال : تريد ان تقول انها البدعة الثقيلة على الجيوب . وما هي ببدعة . انها قديمة قدم الدهر . ولو ان الرجال حقاً لم تر ْضها باطنا ما دامت . ان المراة تعرف من الرجل الملل على الطراز الواحد ، فهى لا تفتأ تغير طرازا بطراز . هي فلسفة الأطرزة .

قلت : الأمر اذن خداع فى خداع ؟

قال : وانت تعلم انه الخداع فى المراة ، اثوابا واصباغا ، ومع هذا انت تستمتع به . ثم تكتب فتنكر ، لان هذا حصتك من خداع . هل تدرى يا عزيزى ان العمش اكسب للمتعة عند صاحبه ، وأن حدة ُ البصر مُضيِّعة لها . وان الله أعطى الانسان البصر بمقدار حتى يرى فى هذا الكون بعض جماله ، ولو أن الله زاد على ما اعطى ، فأعطى العين حدة ُ المجهر ، لم ير فى خدود الحسان ، وهي ناعمة ، غير النُقَر والحُفَر . ان الطبيعة تنافق فتخدع الناس َ بتقصير ابصارهم .

قلت : وماذا تقول فى هذا لرعاة الأخلاق الكريمة ، وحماة الفضائل ، والنفاق عندهم موضوع فى راس القائمة ، قائمة الرذائل ؟

قال : ان هؤلاء رجلين ، رجل يصدع بما يرى انه الحق ، فهذا هو الشقي بد ُنياه . وهو كحامل العَلَم الذى انفض ّ من حوله جنوده . والناس قد تحترم مثل هذا الرجل حياً ، ولكنهم أكثر احتراما له من بعد موت . وينقص من احترامهم له حياً النفاق ُ والتَقية ، فبهما يدفعان المضر ّة . وهذا الرجل من رجال الأخلاق قلة ، يجود بهم الدهر من حين لحين . وقد يصاحبهم الحظ الطيب فيكونون قادة ، بسبب هذا الشذوذ . ثم هم لا يلبثون أن يتزعموا الدنيا على ما هي ، والجماهير على ما هم، فيضطرون الى المخاتلة فيخاتلون . أو ، لا ، فتنقصم ظهورهم فيسقطون، صرعى، لا ارضا قطع قاطعهم ، ولا ظهرا ابقى .

ورجل آخر من حماة الأخلاق ، يؤمن بحكمتي التى تقول : ان النفاق ضرورة من ضرورات الحياة . وهو يأتيه ، ويسمى هذا حسن التَحيُل والتلطف فى المدخل .

قلت : المدخل الى اين ؟

قال : الى الخير طبعا . وطبعا الى خير الناس لا الى خيره هو . وعنده ان الدنيا شر ، والشر دائما تصحبه فى هذه الحياة القوة . فلكسر حدة هذه القوة لا بد ان يلقى المرء صاحبها بالملاينة . والملاينة تبدأ بالمدح ، وبمدح الشر ّ ان ْ لزم . وهذا مدح غير مقصود لذاته ، ولكنه مقصود لأمر يأتى بعده .

قلت : تعنى انه النفاق فى سبيل الخير ؟

قال : وما ضر ان يكون الباب قذرا ، اذا هو ادى الى المائدة العامرة يجلس عليها الناس .

قلت : لو ان الناس ساروا على هذا لخربت الدنيا .

قال . ومن قال انها غير خربة . هات الفا من الناس ، واحصِ عليهم فى اليوم الواحد ما قالوا ، وكم صدقوا ، وكم نافقوا . وسوف تجد انهم صدقوا كثيرا فيما لا يؤذى ... كم الساعة ... وما تاريخ اليوم ... وهل غدا عطلة . اما فيما قد يؤذى فنفاق على طول الخط تستمدُّ منه العافية ، الا فى قلة قليلة من الناس ، تصدق وتخاطر بالسُوء ان يكون جزاءها .

قلت : ولكن تاريخ الخلق مفعم بقصص من الصدق والصراحة بالغة .

قال : نعم ، نعم . ولكنك تنسى يا عزيزى ان التاريخ ما اثبتها الا لندرتها . لو كان شيئا شائعا ما استحق اثباتا .

قلت : انك وصفت الدنيا بانها خربة . فكيف ترضى نفاقها ؟

قال : هذا الوصف من بعض نفاقي . انها تخرَّب على الصدق والصراحة ، وازاحة الحجاب عن الفكر الذى يدور فى رؤوس الناس . ولكنها على النفاق جنَّة .

قلت : لقد سمعتُ هذا النعت قبل هذا .

قال : نعم . شاب نشأ على الصراحة والخلق الطيب ، طالبا . فلما دخل الى الحياة ليعمل ويكتسب ، صادفته صنوف من النفاق لم يكن به صبر عليها . فآثر الخروج من السوق ، والانزواء ، والاكتفاء بما خلف له الآباء من رزق . وكتب شعرا ، أسماه « جنة النفاق » . اما اسم الشاب فنسيته .

قلت هاته شعرا .

قال :

ما دمتَ فى جنَّـة النفاق
فاعْدِلْ بساق ومِلْ بساق

ولا تقـاربْ ولا تبـاعدْ
ودرْ مع الثور فى السواقى

وضاحك الشمسَ فى الدَّواجى
ودَاعبْ البدر فى المَحاق

ولا تحقـقْ ولا تدقـق
وانسب شآما الى عراق

وقـلْ كلاما بغير معنى
واحلف على الإفك بالطلاق

ولا تصادقْ ولا تخاصمْ
واستقبلِ الكلَّ بالعناق

فأىُّ شخصٍ كأى شخص
بلا اختلافٍ ولا اتفـاق

وأى شىء كـأى شىء
ما دمت فى جَنَّةَ النفـاقِ

وأردف صاحبي يسأل: فهل اقتنعت؟

قلت : بماذا ؟

قال : بضرورة النفاق لصلاح الدنيا .

قلت : ان كنت تصف حالا عليها الدنيا ، فانا اوافق على الكثير مما وصفت . اما ان تبشر بالنفاق صلاحا للدنيا ، فان صح أن الدنيا هي كما تصف ، فليست هي والله بحاجة الى تبشير. وانا افهم ان يتخذ الفقير والضعيف والعاجز من النفاق تقيَّة يتقى بها الشر ، حتى لا يزداد فقرا او ضعفا او عجزا ، ولكن هذا يكون فى البيئات التى يسود فيها الشرُّ ويسود الظلم ويستكين الناس فيها الى الباطل . اما البيئات التى تنتشر فيها حرِّية القول ، ويسود فيها العدل ، فيقلُّ فيها النفاق بمقدار ذلك .

قال : صاحبى : ويبقى بها بعضه .

قلت : نعم . ما بقى فى الناس تفاوت ، وما بقى الظلم فى الناس شيمة . فالنفاق لا يمكن ان يكون مما يبشر به الناس للناس ، فهو شرٌّ يتقون به شرا ، وما هو للانسان بغاية .

قال : انما اصف لاحذِّرَ وأفقه الناس .

قلت : اما هذا فلك منه ما تشاء . ■■

أحمد زكي



الحذاء الفارغ

عن جريدة ((الصندى تلغراف)) :

● ذهب جواهر لال نهرو ، وبذهابه انطوت صفحة مجيدة من تاريخ الهند ، صفحة مشرقة تجلت فى رجل .

لقد كان نهرو مفكـرا على مستوى عالمي ، فاكسب اسمهُ بلادَه قيمةً فى نظر العالم ، واسمه ايضا هو الذى جعل الناس ينسون أن الهنـد تعانى من مشاكل عدة .

والآن خـلا كرسى الحكم من نهرو ، وغابت اليد التى خلقت لتحكم ، وخلّفَ وراءه حذاءً بانتظار من يلبسه . واغلب الظن ان هذا الحذاء سيظل فارغـا لأجيال ، لأن صاحب القدم المناسبة له لا يولد الا مرة عبر اجيال عديدة .

وماذا فى الهند بعد نهرو ؟

لقد تجلت حقيقتها ، بعـد أن زالت الهالة التى كانت تظللها : فهى تمر بدور من القلق والاضطراب ، والخلاف الذى بدأ يطفو بين اعضاء الحزب الحاكم .



الاصدقاء الاعداء

عن جريدة ((الصندى تايمس)) :

● معنى التحالف فى العـالم الغربى عجيب غريب .

انه قد يعنى العداء السافر والمستور، والمؤامرات الظاهرة والباطنة .

هذه المانيا تطلب شراء معدات طيران من امريكا ، لشركة ترانسال الفرنسية الألمانية . وهى معدات تبلغ قيمتهـا ملايين الجنيهات .

والى هنا ليس فى الامر غرابة . ولكن الغرابة تتكشف عنـدما ندرك هاتين الحقيقتين : اما الاولى فهى أن الشركة استعملت معدات انجليزية وثبت لها انها تفضل المعدات الأمريكية بكثير . وأمـا الثانية فهى ان القطعة الواحـدة من المعدات الانجليزية ارخص من مثيلتهـا الأمريكية بمبلغ هو فى حدود ثلاثة آلاف جنيه .

ان هذا الموقف يجعلنا نتساءل :

ترى هل حدث هذا بتأثير من باريس على بون ؟ أم بضغط من واشنطن ؟

وهل من مقومات التحالف أن تتحارب الدول الأعضاء وتتآمر ؟



جونسون : سلك مسالك

لا تليق برئيس جمهورية ..

عن مجلة « نيوزويك » الأمريكية :

● لا شك عندنا أن الانتخابات القادمة ستنتهي بفوز الجمهوريين وهزيمة الديمقراطيين ، وهي هزيمة مهد لها الرئيس جونسون وهيأ لها الأسباب . فهو في رئاسته قد سلك مسالك لا تليق برئيس لجمهوريتنا : فيوما نراه يشد أذني كلب ، ويحاول رفعه بهما ، والحيوان المسكين يحاول الخلاص ولا سبيل ... وهو وصحبه من حوله يتلذذون برؤية الكلب المتألم! وفوق هذا كله يرضى الرئيس ان تؤخذ له صورة وهو في هذا الوضع ، لتنشر في كل الصحف ، دون ان يدرك انه بعمله هذا انما يسيء الى نفسه ، والى منصبه .

ويوما نرى الرئيس جونسون يسوق سيارته بسرعة جنونية ، ويرتدي ملابس رعاة البقر ... ترى ماذا يحدث لو اتخذ الشباب والشابات من هواية الرئيس هذه مثلا يحتذونه ؟ .

ويبدو أن الرئيس جونسون يعمل على أن يبقى دائما حاضرا أمام الشعب الأمريكي ، ولهذا يكثر من الظهور في التلفاز ، ونسمعه يتكلم ويتكلم .. ثم نسأل انفسنا : **وماذا يريد الرئيس أن يقول ؟** ونود لو نهمس في اذنه : **الأعمال أبلغ من الأقوال ، ونحن نريد منك عملا !**

مصلحة الوطن أولا

عن جريدة « الصندي اكسبريس » :

● يتعرض سير اليك دوجلاس هيوم الى ضغط شديد من واشنطن ، وذلك من أجل ايقاف بيع الباصات البريطانية الى كوبا .

والغاية من هذا الضغط معروفة بينة : فالرئيس جونسون يريد ان يقدم للناخبين انجازا يرفع من اسهمه ، وهذا الانجاز هو اعلان ان بريطانيا ، بتأثيره ، قد وافقت على الاشتراك مع الولايات المتحدة في الحصار الاقتصادي الذي فرضته الولايات المتحدة على كوبا .

ولو نجح جونسون في هذا فستكون له حسنة يذكرها له الناخبون ضد جولد ووتر مرشح الحزب الجمهوري .

ونحن نقول لرئيس الوزراء انه اذا خضع لرغبات واشنطن فستكون في هذا نهايته . وهذا القول لا يعني ابدا اننا نعادي الولايات المتحدة ، بل ان العكس هو الصحيح ، فنحن حريصون على ان تكون علاقتنا بها طيبة متينة ، ولكن على الا تكون هذه العلاقة الطيبة على حساب استقلالنا .

ونكرر القول لسير اليك أن تضحيته بمصلحة بريطانيا ، وحريتها في التصرف ، سيجعل الناخبين يخذلونه وحزبه في الانتخابات القادمة . وعندها يجد المحافظون انفسهم وقد القي بهم في التيه .

نيويورك : عاصمة إسرائيل !

● بن جوريون يتجول فى شوارع العاصمة الأمريكية

وكأنه "عمدة" أو "مختار" يتجول فى قريته !

● كل مرشح للرئاسة يجب أن

● الصهيونية تسيطر على معظم الصحف

بقلم : الدكتور
على أحمد على
بتخطيط التعليم العالى ـ القاهرة

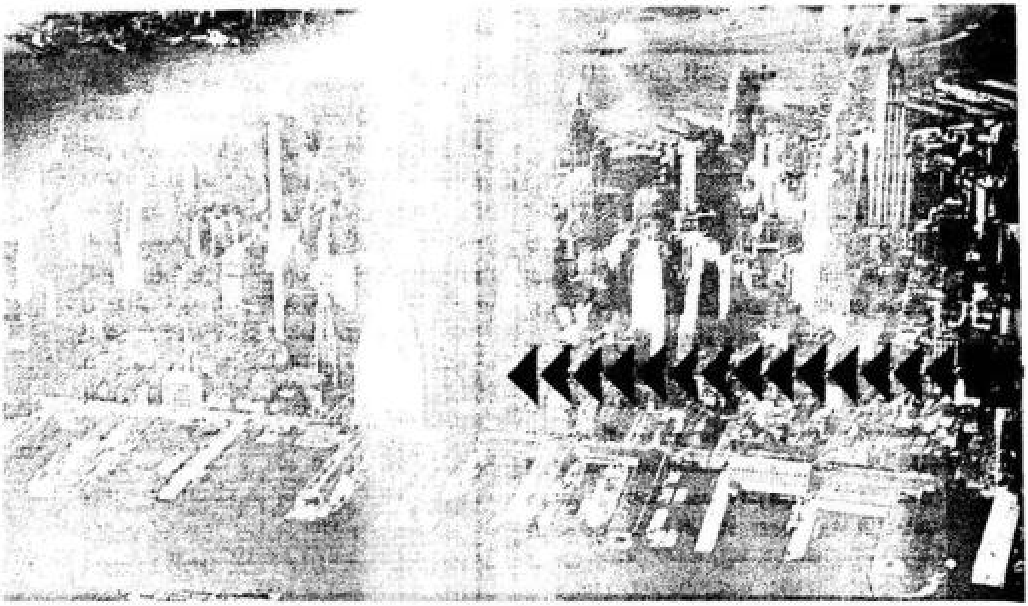
تعتبر الولايات المتحدة اقوى معقل لليهود فى العالم . فمن الناحية العددية يبلغ عددهم ما يقرب من ٥٫٥٥٠٫٠٠٠ نسمة اى حوالى ضعف عدد اليهود فى اسرائيل ، اما من ناحية النفوذ والسيطرة والتحكم فهم فى هذه المجالات يفوقون عددهم بكثير . ويرجع ذلك الى أن اكثرهم يمتلكون اموالا طائلة ، ويديرون مشروعات تجارية ناجحة للغاية ويسيطرون عن طريقها على الكثير من الصحف ومحطات الاذاعة والتليفزيون وغيرها من وسائل الاعلام . كما ان من بينهم عددا لا بأس به من العلمـــاء المرموقين البارزين فى شتى ميادين المعرفة ومختلف المجالات العلمية .

ويتركز معظم اليهود فى مناطق معينة بالولايات المتحدة أهمها مـــدن نيويورك وشيكاغو وسان فرانسيسكو ولوس انجلوس وبوسطن. وقد بداوا يغزون الجنوب الشرقى مـــن الولايات ـ وعلى الأخص ولاية فلوريدا ـ بعد ان كانت من قبـــل محرمة عليهم ، فاصبحوا الآن يمتلكون فيها الكثير من الفنادق والمطاعم والنوادى الليلية الشهيرة .

نيويورك : العاصمة الحقيقية لاسرائيل !

وتعتبر مدينة نيويورك اكبر مركز لتجمع اليهود فى العالم . وفيهـــا يعيش الكثيرون من أصحاب المـــلايين ، حيث يملكون الكثير من المشروعات التجارية والصناعية الهامة . وهذه المدينة تعتبر العاصمة الحقيقية لاسرائيل . ولا ينسى كاتب هذا المقال منظر بن جوريون ـ رئيس وزارة اسرائيل السابق ـ وهو يتجول فى حرية تامة فى شوارع نيويورك عند زيارته الأخيرة لهـــا ، « كالعمدة » الذى يتجول فى طرقات قريتـــه يستطلع شئون رعيته ويسعد بالرد على تمنياتهم وتحيتهم !

ومن نيويورك تصدر الكثير من الصحف اليومية



يحصل على أصوات اليهود وتأييدهم .. أو يسقط !

الأمريكية كما تسيطر على الاذاعة والتلفزيون وغيرهما من وسائل الاعلام

كالديلى تلجرام والهيرالد تريبيون ، والاسبوعية كمجلة التايم ونيويورك بوست التى تسبّح بمجد اسرائيل وتداوم على تمجيد ديمقراطيتها المزعومة وجنّتاتها الخرافية ومشروعاتها الوهمية .

وفى نيويورك نشأت سياسية اسرائيل الأولى « جولدا ماير » وترعرعت ، قبل أن تهاجر الى اسرائيل ، وهى تعتبر نيويورك وطنها الأصلى .

ومن نيويورك تتلقى اسرائيل أكبر قدر من المساعدات السنوية ، ويباع لحسابها هناك أكبر عدد من السندات ، كما يقام مهرجان سنوى ضخم كل عام فى الذكرى السنوية للدولة المعتدية وذلك فى أكبر مسرح فى المدينة (ماديسون سكوير جاردن)، يحييه عدد كبير من أشهر نجوم السينما والمسرح الامريكيين الذين يتطوعون لهذا العمل ويخصص دخل هذا المهرجان الكبير لصالح اسرائيل .

اليهود وانتخابات الرئاسة

وللقارىء أن يتساءل : لماذا يتركز اليهود فى مناطق بعينها فى الولايات المتحدة ؟ ولماذا يكثرون فى بعض المدن بينما تكاد تخلو بعض المدن الأمريكية الأخرى منهم ؟ وهل كان ذلك بناء على خطة مرسومة ؟

والجواب على هذه الأسئلة ان اليهود كغيرهم من الاقليات يشعرون بالامن والطمأنينة عندما يعيشون سويا فى مناطق معينة ، فالانسان يفضل أن يعيش مع أشخاص يشاركونه معتقداته وأسلوب حياته واتجاهاته ، ويؤمن معهم بأهداف مشتركة ومصير واحد .. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يعرف اليهود جيدا انهم اذا تفرقوا فى البلاد الامريكية وانتشروا فى ولاياتها الخمسين ذات المساحة الشاسعة ـ والتى يبلغ عدد سكانها ما يزيد على ١٨٠ مليونا ـ فانهم يفقدون بذلك قدرتهم على

التأثير فى المجتمع الامريكى سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، ولكنهم بتركزهم الكبير فى مدينة كمدينة نيويورك ــ وهى أهم مركز للنشاط الاقتصادى والثقافى والفكرى والسياسى فى الولايات المتحدة ــ يستطيعون أن يؤثروا تأثيرا فعالاومباشرا فىمجريات السياسة الأمريكية ، اذ أن المرشح لرئاسة الجمهورية لا بد لانتخابه من أن يحصل علىالأغلبية فى ولايتى نيويورك وكاليفورنيا . أما اذا فقد المرشح لرئاسة الجمهورية احدى هاتين الولايتين أو كليهما ، فان احتمال فوزه بهذا المنصب الخطير يصبح ضعيفا للغاية ، حتى ولو حصل على أغلبية الأصوات فى معظم الولايات الأخرى .

ويرجع السبب فى ذلك الى أن نظام الانتخاب فى الولايات المتحدة قد جعل لولايتى نيويورك وكاليفورنيا عددا كبيرا من «الأصوات الانتخابية» ويستطيع اليهود اذا تكتلوا وحبسوا أصواتهم عن أى مرشح أن يسقطوه فى انتخابات الرئاسة . لذلك يحرص كل مرشح لرئاسة الجمهورية سواء أكان من الجمهوريين أو الديمقراطيين على ارضاء اليهود بكافة الطرق والوسائل ، حتى يحصل على أكبر قدر من أصواتهم ويضمن تأييدهم .

هذا مع العلم أن معظم اليهود ينتمون الى الحزب الديمقراطى .

وهذا الوضع ينطبق على أعضاء مجلس الشيوخ والنواب وغير ذلك من المناصب التى يتم شغلها بالانتخاب ، كمناصب القضاء وحكام الولايات واعضاء الكونجرس . فالمرشحون لهذه المناصب ــ وخاصة بالمناطق التى يكثر فيها اليهود ــ يبذلون كل جهدهم حتى يظهروا أمام اليهود بمظهر المدافع عن حقوقهم ومصالحهم والصديق المخلص لاسرائيل والصهيونية . والويل كل الويل لأى من هؤلاء اذا زل لسانه وتفوه بتصريح يعتبره اليهود ماسا بهم أو باسرائيل ، فان ذلك كفيل بتحطيمه سياسيا . وأية معارضة لليهود أو لاسرائيل (ونادرا ما يحدث هذا) انما تأتى من مسئولين يعيشون فى ولايات أو مدن بعيدة عن سيطرة اليهود ، خذ مثلا لذلك سناتور « فولبريت » . فقد شن عدة هجمات على اليهود بالولايات المتحدة واتهم بعضهم بأنهم يضعون مصالح اسرائيل فوق مصالح الولايات المتحدة ، وفولبريت لم يكن ليجرؤ على شن هذه الهجمات لولا أنه يمثل فى الكونجرس ولاية اركنساس التى توجد فيها نسبة ضئيلة من اليهود ليس لها وزن فى المعارك الانتخابية .

المشكلات التى تواجه اليهود

فى الولايات المتحدة

لعل مشكلة الولاء هى أهم مشكلة ــ ذات طابع سياسى نفسى ــ يتعرض لها اليهود فى الولايات المتحدة . فاليهودى الأمريكى فى صراع دائم بين ولائه للولايات المتحدة ــ الدولة التى منحته بسخاء واكرمت وفادته وأعطته كافة الفرص للترقى والتحكم ــ وبين ولائه لاسرائيل التى تربطه بها صلات ثقافية وتاريخية ودينية... وهنا يتحير اليهودى الأمريكى ويتحرج : الى أى جانب ينحاز اذا تطلب الموقف اتخاذ قرار فيه تعارض بين مصالح الولايات المتحدة واسرائيل ؟ هل ينحاز الى جانب وطنه (الولايات المتحدة) أم الى جانب اسرائيل ؟

ولعل فى حادثة الباخرة « كليوباترا » أحسن مثل لتفسير هذا الصراع فى الولاء ، فلعلنا نذكر حادث هذه الباخرة العربية حين وصلت الى ميناء نيويورك وعليها شحنة بضائع معينة ، ورفض عمال الشحن والتفريغ بالميناء ــ الذين يسيطر على اتحادهم اليهود ــ أن يفرغوا شحنة السفينة، بل رفضوا تزويدها بالماء والوقود والتموين. وكان ذلك بتحريض سافر من اليهود . كل ذلك كان لمصلحة اسرائيل لان عمال الشحن والتفريغ الأمريكيين كانوا يردون بمقاطعتهم للسفينة العربية على اصرار الجمهورية العربية المتحدة على منع السفن الاسرائيلية من المرور فى قناة السويس ، وقد كانوا يظنون انهم بذلك سيفرضون ارادتهم على الجمهورية العربية المتحدة ويجبرونها على السماح بمرور سفن اسرائيل أو السفن التى تتعامل مع اسرائيل بقناة السويس . ولكن تقدير عمال الشحن والتفريغ الامريكيين كان بعيدا عن الواقع ، حين كال لهم عمال الشحن العرب الصاع صاعين بقرارهم مقاطعة جميع السفن الامريكية بالموانىء العربية عامة . وتعرضت علاقاتالولايات المتحدة بالدول العربية لمصاعب جمة .

ولكن لمصلحة من تم هذا كله ؟ .. لمصلحة من قوطعت الباخرة كليوباترا ؟ من المستفيد من موقف مثل هذا ؟ طبعا المستفيد الوحيد هو اسرائيل وعملاء اسرائيل بينما الولاياتالمتحدة هى الخاسرة خسرانا مبينا .



السناتور فولبريت

وقد هاجم السناتور فولبريت هذا الموقف وكشفه للرأى العام الامريكي ، وركز هجومه على الجماعات التى اسماها (جماعات الضغط) ، وتشكك فى ولائهم للولايات المتحدة لانهم يعملون لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة بلادهم : وهو يقصد بذلك اليهود الأمريكيين ويقصد اسرائيل .

وقد كان رد فعل هذا الهجوم قاسيا وشديدا : فقد هاجمت معظم الصحف التى يسيطر عليها اليهود السناتور فولبريت ، ووصفته بالحماقة والكذب ، وذهبت الى ابعد من ذلك فاتهمته بالعداء والكراهية لليهود ، وذلك لأنه تشكك فى ولائهم ولأنه أثار الشكوك حول صدق وطنيتهم .

ويحاول الصهيونيون بشتى الوسائل والطرق أن يدعموا ولاء اليهود الامريكيين لاسرائيل . وكلما فتر هذا الولاء أو ضعف لسبب من الاسباب قام الصهيونيون بتقويته عن طريق المداومة على تذكير اليهود بأن اسرائيل هى الوطن والملجا والملاذ الوحيد الذى يستطيع اليهود أن يلجاوا اليه وقت الشدة والاضطهاد ، وأن رخاءهم وثراءهم ورغد عيشهم فى الولايات المتحدة قد يتعرض فى اى وقت للخطر ، وما حدث فى المانيا النازية لا يستبعد حدوثه فى يوم من الايام ، سواء قرب هذا اليوم أم بعد . ويواجه الصهيونيون فى محاولاتهم تدعيم ولاء اليهود الامريكيين لاسرائيل معارضة شديدة من بعض الهيئات والمنظمات اليهودية الاخرى ، التى ترى ان اية مبالغة فى ولاء اليهود الامريكيين لاسرائيل سوف تعرض مصيرهم ومصالحهم للخطر آجلا او عاجلا وانه لا داعى لاثارة الشبهات حول وطنية اليهودى الامريكى واتهامه بالولاء المزدوج .

الخوف من الذوبان فى المجتمع الأمريكى

ويعيش معظم اليهود الامريكيين فى خوف من احتمال ذوبانهم فى المجتمع الامريكى الذى نجح ـ بالرغم من جدته وحداثة عهده ـ نجاحا كبيرا فى ان يصهر فى بوتقة واحدة افرادا تباينت اصولهم واختلفت عاداتهم ولغاتهم وأديانهم ، فنشأ مجتمع قوى له كيانه وثقافته وتقاليده وحضارته ، وكلما مرت عليه السنون اختفت وتلاشت فروق الأصل واللغة والدين بين أفراده .

ويخاف اليهود الأمريكيون أشد ما يخافون من الزواج المختلط ، ويعارضونه أشد معارضة ، وخاصة زواج بناتهم بغير اليهود، لان ذلك سيؤدى حتما الى اضعاف المجتمع اليهودى والى انقراضه وذوبانه فى المجتمع الأمريكى الكبير فى المدى البعيد.

حركة التبشير بين صفوف اليهود

والخطر الثالث الذى يهدد كيان اليهود فى الولايات المتحدة هو الخطر الذى يتمثل فى حركة التبشير التى تقوم بها بعض الهيئات والمنظمات المسيحية بين صفوف اليهود ، حتى انك لتجد الآن عددا من اليهود قد تحولوا عن دينهم وأسموا انفسهم « المسيحيين اليهود » ، ويوجد منهم عدد لا بأس به فى مدينة نيويورك . واذا أضفنا الى ما سبق ان اليهود لا يقومون بأى حركات تبشيرية بين معتنقى المذاهب والأديان الأخرى ، وأنه لا يوجد للتبشير مكان فى دينهم ، استطعنا أن نتصور المخاوف التى تنتاب هؤلاء اليهود من جراء قيام بعض الهيئات والمنظمات المسيحية بنشاط تبشيري بين صفوفهم .

المشكلات النفسية بين اليهود الامريكيين

كذلك تنتشر المشكلات النفسية بين اليهود بنسبة تفوق نسبة انتشارها بين مجموع السكان فى الولايات المتحدة ، كما ان نسبة الذكور اليهود الذين يعانون من المشكلات النفسية الحادة تفوق النسبة عينها بين البنات ويرجع ذلك على وجه العموم الى ان الطفل اليهودى يلقن منذ الصغر ان اليهودى فى المجتمع الامريكى ليس محبوبا ولا محترما ، وعلى ذلك فان عليه ألا يتوقع أن يجد الطريق امامه مفروشا بالورود ، بل عليه أن يجاهد لشق طريقه بنفسه،معتمدا فى ذلك على قدراته وعلى العلم والمال . وعادة ما يضع الآباء لاولادهم مستوى عاليا من التحصيل المدرسى يجب عليهم تحقيقه ، ويرسم هؤلاء الآباء لأبنائهم خططا تعليمية أعلى ـ فى كثير من الأحيان ـ من مستوى قدرات واستعدادات هؤلاء الأبناء ، وتكون نتيجة ذلك الخوف من الفشل وما يتبع ذلك من شعور بالقلق وضعف الثقة بالنفس .

أما السبب فى ارتفاع نسبة الأمراض النفسية بين الذكور عنها بين الاناث ، فيرجع الى أن الولد كما هو الحال فى معظم المجتمعات الشرقية ـ له مكانة خاصة فى المجتمعات اليهودية ، مما يترتب عليه زيادة المطالب والالتزامات العائلية عليه .

تأييد اليهود الأمريكيين لاسرائيل

بالرغم من ان اكبر قدر من المساعدات التى تتلقاها اسرائيل من الخارج يأتى من الولايات المتحدة ، الا أن تأييد اليهود الامريكيين لاسرائيل قد فتر الى حد كبير فى السنوات الأخيرة . وقد سمع كاتب هذا المقال أحد الأساتذة اليهود باحدى الجامعات الأمريكية الكبيرة يقول : « لقد سئمنا هذا التسول المستمر من جانب اسرائيل ، واذا كانت اسرائيل تدعى أنها حوّلت الصحارى والقفار الى حدائق وجنات ومدن ومنتزهات ، وأنها تقدم العون المادى والفنى للدول الافريقية والآسيوية ، أفلم يحن الوقت لكى تعتمد على نفسها وتكف عن هذا الاستجداء المستمر الذى طال مداه ولا تبدو له نهاية ؟ » .

ونتيجة لهذا الفتور فى اتجاهات اليهود الأمريكيين نحو مساعدة اسرائيل ، يحاول الصهيونيون على الدوام خلق جو من التوتر بين أوساط اليهود ، ويرفعون اصواتهم بصيحات القلق على مستقبل اسرائيل ، ويبالغون فى تجسيم الأخطار التى تحيط بها ، وبذلك يقومون بتقوية مشاعر اليهود الامريكيين نحو اسرائيل . ولكى يصل الصهيونيون الى هدفهم هذا ، فانهم يبالغون فى دعايتهم حول بعض الموضوعات ، مثل موضوع العلماء الألمان فى الجمهورية العربية المتحدة : فقد اثاروا ضجة كبيرة حول هذا الموضوع وغرضهم من هذا اقناع اليهود بأن وجود هؤلاء الألمان ومساعدتهم للجمهورية العربية المتحدة فى صنع الأسلحة وتطويرها ، فيه خطر كبير على حياة اسرائيل وعلى وجودها . وعلى هذا الأساس يقوم الصهيونيون باثارة المخاوف حول مصير اسرائيل لدفع اليهود الى التبرع بسخاء . وهناك ارتباط وثيق بين مقدار ما يتبرع به اليهود الأمريكيون لاسرائيل وبين شعورهم بالقلق على مصيرها ومستقبلها .

واليهود الأمريكيون شديدو الحساسية لكل من يذكرهم بأيام النازية . وهم يختلفون فيما بينهم فى أهمية تعليم أحداث هذه الفترة لأولادهم واطفالهم : فهناك من يرى انه يجب اسدال ستار من النسيان على هذه الفترة القاسية من حياة اليهود ، حتى لا تصبح شبحا يطارد الجيل الجديد من اليهود ويذكرهم بتلك الأيام العصيبة وينغص عليهم حياتهم ، على حين يرى البعض الآخر انها فترة هامة من تاريخ اليهود لا بد أن يتدارسها ناشئتهم ليأخذوا منها عظة وعبرة وليعلموا ان المانيا النازية لم تمنعها الكاثوليكية ولا المستوى الثقافى الرفيع الذى يتمتع به نسبة كبيرة من الشعب الالمانى ، من ارتكاب المذابح والفظائع المشهورة ، وان عليهم أن يأخذوا حذرهم من احتمال تكرار هذه المأساة فى كل مجتمع يعيش فيه اليهود .

والصهيونيون من أشد المطالبين بمداومة تذكير العالم كله ـ وليس اليهود فحسب ـ بجرائم النازية ، وذلك بغية زيادة الشعور بالذنب وخاصة من جانب الشعب الألمانى ، وبالتالى مزيدا من التعويضات ، وفى الوقت نفسه استدرار عطف الشعب الأمريكى .

وقد تعودت الصهيونية فى كل عام أن تطلع على العالم بقصة تذكره بجرائم هتلر ، والأهوال التى لاقاها اليهود على يديه . وفى كل مرة يثيرون موضوعات فلسفية مثل : تحديد المسئولية الفردية للمواطن امام جرائم حكومته ، أو تحديد المسئولية الجماعية لشعب تحكمه فئة نازية ، وهكذا . وفجأة تتحول القصة او الرواية أو المسرحية الى حديث امريكا كلها وحديث أوربا كلها ، ومهما بلغت تفاهة القصة من الناحية الفنية ، فالقصد والهدف الأول منها هو محاربة الزمن الذى يكاد يسدل ستارا من النسيان على الحرب العالمية الثانية ، ويسلب اسرائيل سبب وجودها ذاته . فاذا تعب العالم من القصص والروايات والحاح الصهيونية ، ومن التكرار الممل الرتيب لنفس اللون من الأهوال والعذاب وأفران الحرق ومعسكرات التعذيب فى « اوخويفتر » و « داخو » بدأت عملية جديدة وهى خطف « ايكمان » من الارجنتين ، ومحاكمته فى اسرائيل ، حتى يتحدث العالم كله عن أهوال الحرب ، وجرائم النازية ومسئولية الأفراد .

اليهود والاقليات الأخرى

وبالرغم من قوة نفوذ اليهود فى المجتمع الامريكى فانهم لا يريدون أن يقفوا بمفردهم فى الميدان ، لذلك فهم يحاولون دائما كسب عطف الاقليات

الأخرى . ومن هذه الاقليات الكاثوليك . وهم وان كان عددهم يبلغ ما يقرب من ثلث سكان الولايات المتحدة ، الا أنهم يعتبرون أقلية بجانب الأغلبية البروتستنتية .

وهناك الأقلية الزنجية التى يبلغ عدد أفرادها ما يزيد على ١٦ مليون نسمة ، وذلك بجانب الأقليات التى تمثل مختلف الأديان والمذاهب .

ويحاول اليهود تكوين جبهة مشتركة مع هذه الأقليات ، بحجة حماية مصالحها ويستغل اليهود شعور الأقليات بعدم الأمن والاضطهاد (الذى قد يكون وهميا) فى اقناع هذه الأقليات بأن خير ضمان لوجودها هو تكتيل جهودها مع جهود الأقلية اليهودية ، حتى تستطيع الصمود أمام التيارات التى تجتاح المجتمع الأمريكى .

وقد استغل اليهود نجاح الرئيس الراحل كنيدى - بوصفه من الاقلية الكاثوليكية - لخدمة مصالحهم ، فاثنوا ثناء عاطرا على هذا النجاح ، وقالوا ضمنما قالوا ان رئاسة الجمهوريةالأمريكية لم تعد مقصورة كما كانت قبلا على البروتستانت ، فالشعب ينتخب الأصلح بغض النظر عن عقيدته . واذا كان الشعب الامريكى قد قرر أن الأصلح فى هذه الانتخابات كاثوليكى ، فما الذى يمنع من أن يكون رئيس جمهورية الولايات المتحدة أو نائبه فى يوم من الايام يهوديا ؟ وبدأ اليهود فعلا يمهدون الطريق امام بعض الشخصيات اليهودية اللامعة لخوض المعارك الانتخابية لشغل هـذا المنصب الخطير .

ولعل آخر مظهـر من مظاهر استغلال اليهود للأقليات المختلفة ، الحكم الذى أصدرته المحكمة العليا بالولايات المتحدة بمنع قراءة الانجيل - وهو الكتـاب السماوى الذى تؤمن به الأغلبية - فى المدارس العامة ، وذلك بحجة الفصل التام بين الدولة والدين ، حيث ان هذه ينفق عليها من الأموال العامة التى يشترك فى دفعهـا المواطنون جميعا بغض النظر عن عقيدتهم ، ولأن التلاميـذ المنتمين الى الأديان الأخرى من اليهود وغيرهم من الذين لا يؤمنون بالأديان ، يشعرون بأنهم مختلفون عن غيرهم من التلاميذ ، مما قد يسبب بعض الحرج والمشكلات النفسية لهم . وقـد ألقى اليهود واللادينيون بثقلهم وراء هذا القرار ، ودافعوا عنه كوثيقة تاريخية تدافع عن حرية العقيدة ، بالرغم من رد الفعـل السيىء العنيف الذى أحدثه فى مختلف الأوساط بالولايات المتحدة . حتى وصفه « بيلى جرام » - أحد رجال الدين المسيحيين - بأنه أسوأ قرار يصدر من هيئة رسمية فى تاريخ الولايات المتحـدة ، لأنه حرم قراءة الانجيل فى مدارس دولة قامت أول ما قامت على المثل العليا المشتقة من المسيحية ، وعجب من دولة غالبيتها العظمى من المسيحيين ، وتحرم قراءة الانجيل فى مدارسها !

شخصيات تخلقها الدعاية اليهودية

ولكى يزيـد اليهود من تحكمهم فى المجتمـع الأمريكى فانهم يحاولون أن يخلقوا من بينهـم شخصيات يقدسها ويقدرهـا ويحترمها الشعب الأمريكى ، ويستغلون فى ذلك جميـع امكانيات الدعاية والاعلام من تليفزيون وصحافة وراديو وغيرها . وقد سلطوا الأضواء والدعاية الجبارة حول عدد من هذه الشخصيات ، ومن امثلتهـا المليونير باروخ الذى يعيش فى مدينة نيويورك ، فقـد صورته الدعاية اليهودية على انه فيلسوف العصر والزمان ، وأن له فى المسائل الاقتصادية والسياسية حكمة تفوق حكمة سليمان !! وقد أحاطه اليهود بهالة كبيرة من التمجيد والتعظيم حتى لقب بمستشار رؤساء الجمهورية . ولا يجرؤ أى رئيس للولايات المتحـدة عند أول زيارة له لمدينة نيويورك على ألا يسعى الى مقابلة باروخ ، وتلقى توجيهاته، والاستماعالى نصحه وارشاداته.

وهكذا الحال مع بعض الشخصيات اليهـودية الأخرى ، مثـل السناتور جاكوب جافيتز عضو مجلس الشيوخ الأمريكى عن احدى دوائر مدينة نيويورك ومن أشد المدافعين عن اسرائيل ، فقد مجدته أجهـزة الدعاية الصهيونية وأثنت عليه ووصفتهبانه السياسىالبعيد النظر الذى لا يخطىء فى تقديراته ، والحر الذى لا يحيد عن الحق ولا يكل عن الدفاع عـن أسباب الحرية فى جميـع الأوطان والأزمان !! وقـد جعلت أجهزة الدعاية الصهيونية من هذا « السناتور » أشهر عضو فى الكونجرس الأمريكى ، ومكنته من الفوز المبين فى الانتخابات الماضية فى مدينة نيويورك ، التى تعتبر معقلا للديمقراطيين ، بالرغممنانه منالجمهوريين. وانك لتعجب من أن ترى الناخبين الديمقراطيين يتخطون خطوط الحزب ليعطوا أصواتهم لسناتور جافيتز مرشح الحزب المحافظ ، ولكنها أجهـزة الدعاية الصهيونية القادرة على كل شىء ...

اليهود وقضايا الشرق الأوسط

واهتمام اليهودى الأمريكى بمشاكل الشرق الأوسط يزيد عن اهتمام الأمريكى العادى .فاليهود تربطهم بالشرق الأوسط صلات ثقافية وتاريخية ، لذلك نجد أن اليهودى العادى يتلهف دائما الى معرفة حقيقة ما يجرى فى هذه المنطقة . وهو يتلقف ما يكتب عن الشرق الأوسط ـ فى الصحف والمجلات ـ بشغف ، ويعطى أخبار الشرق أولوية على جميع الأخبار ، وذلك بخلاف الأمريكى العادى الذى نجد اهتمامه موزعا على مناطق كثيرة من العالم : كالموقف فى كوبا وفيتنام وكوريا ، والعلاقات بين الهند وباكستان ، والحالة على الحدود بين الهند والصين الشعبية ، والاوضاع فى الدول الافريقية الناشئة ، والحالة غير المستقرة فى دول امريكا اللاتينية ، وآخر تطورات الموقف فى قناة بنما ، والنزاع العقائدى والصراع على السلطة بين الاتحاد السوفييتى والصين الشعبية وغيرها . فهذه كلها من الموضوعات التى يوزع عليها الأمريكى العادى وقت فراغه «المحدد» واهتمامه ، بالتساوى .

لذلك قد يستغرب القارىء قولنا ان اليهودى الأمريكى يجب أن يكون هدفا هاما لدعايتنا ، فعنده الرغبة والدافع لقراءة كل ما يصل اليه عن أحداث الشرق الأوسط .

بعض اليهود مضللون

وينقسم اليهود فى موقفهم من قضايا الشرق الأوسط ، وعلى الأخص بمشكلة العلاقة بين العرب واسرائيل ، الى قسمين :

اليهود الذين يقومون بالتضليل ، ويمثلون القسم الأول . وهم عادة من الصهيونيين ،ويبثون دعاياتهم المكذوبة بين اليهود العاديين والذين يمثلون القسم الثانى. والقسم الأول يصور العرب للقسم الثانى بانهم قوم متعطشون للدماء ، لا يعرفون النظام ولا المدنية ، وانهم أعداء للدين اليهودى واليهود ، الى غير ذلك من الافتراءات الكاذبة . وفى الوقت نفسه ، يصورون لهم اسرائيل بانها أرض الفرص والخصب والنماء « والعسل واللبن» والديمقراطية والحرية .واليهودى العادى معذور فى تصديق ما يصل اليه من معلومات كاذبة مزيفة ، فهو كالامريكي العادى ليس عنده من الوقت ما يكفى لدراسة هذه المعلومات حتى يميز بين الحق والباطل ، وبين الخبر الصحيح والخبر المكذوب . وعلى أساس من هذه المعلومات الكاذبة يكوّن اتجاهاته نحو العرب واسرائيل .

وقد قابل كاتب هذا المقال بعضا من هؤلاء اليهود المضللين المخدوعين ، وتناقش طويلا معهم فى مدينة نيويورك ، وكانوا جميعهم يعرفون جانبا واحدا من قصة العرب واسرائيل ، وهو الجانب الاسرائيلي طبعا . وقد أبدوا تلهفهم لسماع الجانب الآخر من القصة او المأساة ، أى وجهة نظر العرب . وانك لتعجب حين ترى بعض هؤلاء اليهود وهو يستمع لوجهة نظر العرب فى المشكلة ، والدهشة والاستغراب تطل من عينيه ، لانه يسمع هذا القول لأول مرة فى حياته : هل يصدق هذه المعلومات او يصدق تلك التى زيفتها له الصهيونية ؟ ويرفض الكثير منهم الاعتراف بأن الصهيونيةقد استغلتهم «واستغفلتهم» واستهزأت بعقلياتهم .

لذلك نوجه نظر المسئولين عن الدعاية للقضايا العربية فى الخارج الى ضرورة تركيز جزء من دعايتنا بين الاوساط اليهودية فى الولايات المتحدة وهذه المهمة غير عسيرة وذلك للأسباب الآتية : ـ

١ ـ اليهودى الأمريكى ـ كما سبق أن ذكرنا ـ لا ينقصه الدافع والرغبة ، فهو مشوق لقراءة أى أخبار عن الشرق الاوسط . اما مدى تصديقه لدعايتنا فذلك أمر آخر يتوقف الى حد كبير على مدى المهارة فى اعداد هذه الدعاية .

٢ ـ يتركز معظم اليهود الأمريكيين فى حوالى ست مدن كبيرة، مما يسهل الوصول اليهمبدعايتنا العربية .

ونحن لا نطمع من وراء ذلك الى جذب هؤلاء اليهود الى جانبنا ، فهذا تفاؤل أكثر من اللازم ، وضرب من ضروب الخيال ، وسذاجة فى التفكير ، ولكننا نامل فى أن نقلل من كراهية هؤلاء اليهود لنا ،وأن نخفف من غلواء حقدهم علينا ، وبالتالى نقلل من كمية المعونة والمساعدات المادية والأدبية التى يقدمونها لاسرائيل .

على انه يجب اختيار الموضوعات التى تشتمل عليها دعايتنا فى أوساط اليهود بعناية كبيرة وسياسة وفن ، وأن نضرب بذلك على الأوتار الحساسة ، وأن نتخير انسب الطرق لتوصيل هذه الدعاية . ■■

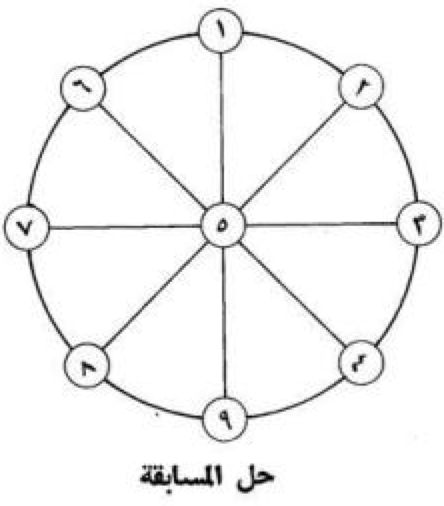
على احمد على

نتيجة مسابقة العدد ٦٨

١١٥٠٠ مشترك من ٤٣ دولة مختلفة !

■ سجل الاقبال الهائل على مسابقة العدد ٦٨ رقما قياسيا جديدا فى عدد الردود التى وصلتنا والتى زادت عن ١١٥٠٠ اجابة ، جاءتنا من مختلف انحاء الكرةالارضية ، اذ وصلت من : اليمن ، ونيجيريا ، والجزائر ، وايطاليا ، وتونس ، وبلجيكا ، والمغرب ، واوغندا ، وعدن ، وتركيا ، ومسقط ، وسويسرا ، وقطر ، والمانيا ، وليبيا ، وسيراليون ، والشارقة ، واسبانيا ، ورأس الخيمة ، وانجلترا ، ودبى ، والبحرين ، وتنجانيقا ، وأبو ظبى ، والنمسا ، والسعودية ، وفرنسا ، وج.ع.م ، وغانا ، وغزة ، والصومال، والسودان ، وامريكا ، والعراق ، والباكستان ، والهند ، وسوريا ، ويوغوسلافيا ، والاردن ، وليبريا ، واثيوبيا ، والكويت .

وقد اجريت عملية الاقتراع بين الاجابات الصحيحة لاختيار الفائزين بالجوائز ، فاسفرت



حل المسابقة

عما يأتى :

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :
السيد مختار لطفى محمد كامل ٢٣ شارع شبرا عريشية مصر ـ الاسماعيلية ـ ج.ع.م .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :
السيد حسين الطيب رابح ص.ب ٢٦٦٥ ـ دمشق سوريا

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها :
الآنسة منى رجب فستق ـ أرامكو ـ المنيرة ـ ص.ب ٥٢ ـ الظهران ـ المملكة العربية السعودية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا لكل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ لولوه خالد محمود الشميس : وزارة الأشغال العامة ـ قسم الصرف خالد محمود الشميس ـ الكويت .

٢ ـ عبد المجيد أحمد الحاج علاوى : موصل ـ نينوى ٧/٥/٣٥٦ ـ الجمهورية العراقية .

٣ ـ الملازم مصطفى حجو خرما : المستودعات الطبية ـ القوات الاردنية المسلحة ـ عمان ـ المملكة الاردنية الهاشمية .

٤ ـ ابراهيم عبد الله حسن : واد مدنى ص.ب ١٦٤ ـ السودان .

٥ ـ الهادى على الحرارى : شارع النهضة ـ الزاوية الغربية ـ طرابلس ـ ليبيا .

٦ ـ الحسن بن الصديق : استاذ اللغة العربية بثانوية ابن الخطيب ـ طنجة ـ المغرب .

٧ ـ أحمد كامل القصير : ص.ب ١٧٢ المنامة البحرين .

٨ ـ رائف صبرا : منروفيا ـ ليبيريا ص.ب ٤٦٨ .

وسترسل الجوائز الى الفائزين ■■

حقيقة الجمال ما هي؟ (٢)



الجمال كيان ذو أجزاء ، يسرى بينها رباط يضمها فى وحدة

بقلم الدكتور

زكى نجيب محمود

لئن كان افلاطون قد رد الجمال الى الخير ، بمعنى أن الجميل هو النافع، والنفع ينبغى ان يكون نفعا فى سبيل الخير ، اقول ان كان افلاطون قد ربط بين جمال الشىء ونفعه بهذا المعنى ، فهاهوذا شامخ آخر من شوامخ الفلسفة – عمانوئيل كنط Kant (١٧٢٤ – ١٨٠٤) – يقف من امر الجمال موقفا مضادا ، بحيث يجعله منزها عن كل رغبة فى نفع كائنا ما كان هذا النفع . وخلاصة الراى عنده هي ان الجميل جميل فى ذاته وبذاته، لا يستند فى جماله الا الى طريقة تكوينه . لكن خلاصة الراى شىء ، والسبيل اليها شىء آخر، لا سيما عند فيلسوف عرف بعمق التحليل وصعوبته الا على المختصين الذين الفوا ان يقرءوه ويفهموه .

الحكم الذوقى حاسى لا منطقى

والكتاب الذى يبسط فيه « كنط » فلسفته الجمالية ، هو كتاب « نقد الحكم » وفيه يقول : ان الحكم الذوقى حاسى لا منطقى ، اى انه ليس جزءا من المعرفة العقلية التى تساق عليها الحجج والبراهين ، بحيث تتسلسل النتائج من مقدماتها. ذلك أن المعرفة العقلية قوامها تصورات تتصل بما

هو واقع بالفعل فى الحقيقة الخارجية من كائنات واشياء ، واما اذا كانت افكارنا لا صلة لهـا الا بمشاعرنا نحن من لذة أو الم ، فعندئذ لا يكون ثم تقابل بين مضمون الفكرة من جهة ، وحقيقة الشىء الخارجي من جهة أخرى .

واذا ما كان ثمة رابط يربط ما بين الفكرة التى فى رؤوسنا وبين الشىء المقابل لها فى العالم الواقعي ، فعندئذ يكون للانسان فى تلك الفكرة صالح يقضيه اذا أراد ، كالذى بيده المفتاح يفتح به الخزانة اذا شاء . أما حين نتامل بالفكر شيئا جميلا ، حين نتامل بالفكر قطعة موسيقية او صورة فنية ، أو قصيدة من الشعر ، أو منظرا من مناظر الطبيعة الحية أو الجامدة ، فاننا عندئذ – لكى يجىء حكمنا حكما ذوقيا خالصا – نغض النظر غضا تاما عما اذا كانت الفكرة التى نتاملها فكرة يستفاد بها على أى وجه من الوجوه ، بل اننا لنغض النظر عما اذا كانت الفكرة التى نتاملها ذات مقابل خارجي على الاطلاق ، اذ اننا بعد أن نستخلص من الشىء الجميل فكرة عن تكوينه نضعها موضع التامل ، لا نعود بعد ذلك نهتم لوجود ذلك الشىء أو لعدم وجوده ، ويصبح الامر أمر كيان وتكوين ، ننظر فيه لذاته ، كي نرى كيف تشابكت فيه العناصر الكثيرة تشابكا جعل منه كائنا واحدا .

الجميل جميل فى ذاته ، أفدنا منه
أم لم نفد

وليس جمال الشىء كائنا فى اشاعته السرور فى فى أنفسنا ، ولا هو كائن فى تحقيقه لما ينفعنا فى حياتنا العملية ، لان السرور والنفع مشوبان بالرغبة والميل ، على حين أن الجميل جميل لطريقة بنائه وتكوينه ، سواء أفدنا منه أم لم نفد ، بل ليس جمال الشىء كائنا فى خيريته ، لاننا حين نحكم على شىء ما بانه « خير » فان ذلك يقتضى أن يكون لدى معيار للمثل الأعلى كيف ينبغى أن يكون ، ثم أقيس الشىء الماثل أمامى الى ذلك المعيار المثالى لأرى مدى التطابق بينهما، على حين أن حكمنا على الشىء المعين بانه جميل، لا يقتضينا أن نعلم شيئا خارجا عن ذاته ، بل لا يقتضينا ان نعلم من أى مادة صنع ، ولا أن نعلم ماذا تكون ماهيته وطبيعته ، اذ يكفينا أن ندرك فيه اطار تكوينه الذى على ركائزه أقيم ، والذى ربط الروابط بين أطرافه ربطا خلق من كثرته وحدة واحدة ، وان شئت فانظر الى زهرة « جميلة » ، أو الى زخرف عربى « جميل » فى سجادة ، أو على سقف أو جدار ، فهل تراك تستند فى الحكم عليه بالجمال الى فكرة عقلية أو الى مبدأ نظرى ؟ هل ترى الزهرة أو الزخرف « يعنى » شيئا سوى نفسه ؟ وهكذا يكون الموقف الذوقى دائما .

مفارقة

لكن وجه المفارقة هنا هو اننا على الرغم من اقامتنا أحكام الذوق على النظرة الذاتية الخاصة التى لا يقام على صدقها برهان منطقى عقلي علمى ، الا أننا اذا ما حكمنا على شىء بانه جميل ، توقعنا من كل انسان فى الدنيا أن يحكم عليه كذلك بالجمال ، وتوقعنا أن يكون كل انسان – مثلنا – منزها فى حكمه ذاك عن مصلحته الخاصة . كأنما جمال الشىء صفة موضوعية كائنة فى طريقة ادراك الانسان له . لكننا نريد أن نقول أن المسالة مسالة ادراكية ذاتية صرف وانها برغم ذلك مشتركة بين الناس جميعا ، فكيف نوفق بين هذين الطرفين اللذين قد يبدوان نقيضين : الذاتية من جهة ، واشتراك الناس فى حكم جمالىّ واحد من جهة أخرى ؟

ليس أحد يرضى بأن تخضع أحكامه
الذوقية للحجج العقلية

ان أحدا من الناس لا يرضى أن تصحح له أحكامه الذوقية بالحجة العقلية ، كأنّ بين

الناس على رأى فى الجمال واحد

الانسان وبين الشيء الذي يراه جميلا ، صلة ادراكية مباشرة ، فاما وافقني الناس على حكمي واما صممت أذني دونهم ، وفي ذلك يقول كنط « اذا ما قرأ عليَّ قارىء قصيدة من شعره ، أو أطلعني على مسرحية ، لا أراها متفقة مع ذوقي، فعندئذ ليحتج ما شاء بأقوال من شاء من النقاد ، ليحتج بما يقوله « باتو » Batteux أو بما يقوله « لسنج » Lessing ، أو بما قاله نُقّاد أقدم منهما وأشهر ، مستشهدا بأفضل القواعد التي استنتوها ، برهانا على جمال القصيدة ، فانني اذا ما وجدت لبعض فقرات من القصيدة نشازا في سمعي ، ولكنها مع ذلك مسايرة لقواعد الجمال (كما سنها هؤلاء النقاد المعترف بهم من الناس أجمعين) ، فانني أصم اذني عما يقولون ، فلست أريد تعليلات وبراهين في موضوع كهذا ، لانني ارى ان الحكم هنا ذوقيٌ ، وليس هو حكما من شأن المنطق أو العقل ..

الحكم الذوقي ، كيف يكون خاصا وعاما في آن ؟

ونعود فنقول ان ثمة مفارقة ظاهرة تريد حلا وتفسيرا وهي أن يكون الحكم الذوقي حاسيا فرديا خاصا ، ولكننا مع ذلك نزعم امكان توصيله الى بقية الافراد ، كما نزعم امكان ـ بل ضرورة ـ أن يتفق فيه الناس جميعا ، اذا كان حكما سليما، فكيف نوفق بين هذين الجانبين . لا بد أن يكون موضع الالتقاء بين الناس جانبا يشتركون فيه . نعم انهم يشتركون في أحكام العقل وتصوراته ، لكننا أسلفنا القول بأن أمر الذوق لا يستند فقط الى الجانب العقلي من الانسان . وكذلك هم يشتركون في الاحساس بالسرور والنشوة ، ولكن كيف السبيل الى نقل سروري ونشوتي الى سواي اذا كان الاحساس بهما خاصا بصاحبه ولا سبيل الى نقله ؟

فرض يفسر الموقف المتناقض

هنالك فرض ثالث نفرضه لتفسير الموقف ، بحيث نبقى على الجانب الذاتي في الاحكام الذوقية ، وفي الوقت نفسه نجعل تلك الأحكام الذوقية ، ممكنة النقل من انسان الى انسان ، وموضع اتفاق بين الناس اجمعين .

الا وهو أن نفرض بأن ادراكنا للجمال مرهون بادراكنا للعلاقة المتبادلة بين قدراتنا الفكرية وبين الافكار التي تكونها بوساطة تلك القدرات ، ولكن دون أن يكون هناك افكار بعينها .أعني أن ادراكنا للجمال هو ادراك لنوع الفاعلية الفكرية التي ننشط بها أثناء اكتسابنا للمعرفة ، دون أن نربط تلك الفاعلية بمعرفة معينة.لأننا لو ربطناها بمعرفة شيء معين، كان ذلك أدخل في باب العلم والمنطق والعقل ، منه في باب الذوق والفن والجمال . فكأننا نحن في ادراكنا للجمال ندرك فاعلية خالصة بغير فعل ، ندرك علاقات بغير متعلقات ، ندرك اطارا بغيرمضمون ، ندرك قالبا بغير ملء أو فحوى ، أو قل اننا ندرك نشاطا عرفانيا بغير شيء معروف معين .

فما علينا ـ اذا أردنا أن نحدد نوع هذه الفاعلية التي ندركها عندما نتأمل الجمال في الشيء الجميل ـ ما علينا الا أن نسأل أنفسنا : كيف يعرف الانسان ما يعرفه من أشياء العالم المحيط به ؟ كيف أعرف أن أمامي « كتابا » وأن في يدي « قلما » ؟ الجواب عند كنط هو ـ في ايجاز شديد ـ أن الحواس تتلقى خلية متزاحمة مضطربة مهوشة من مُعطيات تبعث بها الأشياء الخارجية الى الحواس ، كل حاسة في دائرة اختصاصها . فأضواء تطرق العين وأصوات تخبط الاذن ، ولمسات تمس سطح الجلد وطعوم على اللسان ، وروائح في الأنف يأتي هذا الزحام المتدفق الى أعضاء الحس . ولكن ما كل طارق للأبواب يسمح له بالدخول . فها هنا يقف الحراس من داخل ، لينتقوا ما يراد ويرفضوا ما لا يراد .

ثم ماذا ؟

ثم هنالك نشاط ذهني يتولى الاحساسات التي سُمح لها بالقبول ، يتولاها ليصبها في قالب واحد فيوحدها شيئا واحدا ، والا فسيظل خليط الاحساسات خلية مهوشة في الداخل كما جاءت مضطربة مهوشة من الخارج .

قلمي هذا ، كيف تحصل لي منه

صورة مجرّدة

فهذا القلم الذى فى يدى ، انما يجىء الىّ منه لمعات من الضوء ـ هى ما فيه من ألوان ـ كما يجىء الىّ منه لمسات من الصلابة بين أصابعى . ولمعات الضوء قد جاءتنى عن طريق غير الطريق التى قد سلكتها لمسات الصلابة ، فهل يا ترى تظل هذه اللمسات وتلك اللمعات مستقلة احداها عن الاخرى داخل رأسى كما قد وردت الىّ مستقلة احداها عن الاخرى ؟ كلا ، لأنها لو فعلت ذلك لما نشأ عندى تصور للقلم على أنه كائن واحد موحد العناصر ، فلا بد للفاعلية الذهنية من القيام بهذا التوحيد .

حاول بعد ذلك أن تسقط « القلم » من حسابك فى هذا الوصف الذى أسلفنا ، وحاول أن ترى الفاعلية الموحدة الرابطة بغير الشىء المعين الذى ينصب عليه الربط والتوحيد ، يكن لك صورة مجردة ، هى نفسها الصورة المجردة التى التمسها عند ادراكى للشىء الجميل ، فان وجدتها ، جاز لى أن أحكم على الشىء بالجمال ، وان لم أجدها كان الشىء خلوا من الجمال .

هذه الفاعلية الادراكية مشتركة

بين الناس جميعا

ولما كانت هذه الفاعلية الادراكية مشتركة بين الناس جميعا ، كان من حقى أن اتوقع لكل الناس أن يروا ما أراه من جمال فى الشىء الجميل ، اذا هم تأملوه بمثل ما أتأمله . اننى اذ أتأمل قوام الشىء فانما أتأمل فاعلية « الخيال » وهو يصب العناصر الكثيرة فى كيان واحد ، كما أتأمل كذلك فاعلية « الفهم » وهو يندرج ذلك الكيان الواحد تحت مقولات الذهن . والخيال والفهم همـا الفاعليتان اللتان بهما « نعرف » ما نعرفه ، وهما مشتركان بين الناس جميعا . فاذا ما جردناهمـا ونظرنا اليهما وكأنهما فى خلاء بعيدين عن ميدان النشاط المعرفى ، كان لنا بذلك الجانب الذى نصب عليه أحكامنا الذوقية ، التى هى ذاتية وعامة فى آن معا .

مثل من لوحة معلقة على جدار

اننى أنظر ـ مثلا ـ الى لوحة معلقة على جدار غرفتى ، فأحس سرورا لرؤيتها . ولكن الى هنا لا جمال لأنه لم يصدر بعد حكم ذوقى عليها . ثم أتعقب النشاط الذهنى الذى يتلو هذا النظـر ، وأتأمل فاعليتى ، فأدرك فيها توحيدا وخلقـا وصياغة ، فتأخذنى النشوة الجمالية بمعنـاها الصحيح ، ويحق لى عندئذ أن أصدر حكما ذوقيا على اللوحة فأقول انها لوحة جميلة ، متوقعا من سائر الناس أن يلتقوا معى فى حكم واحد عليها .

مؤدى هذه الفلسفة الجمالية

ومؤدى هذه الفلسفة الجمالية هو أن نبحث فى الجميل عن بنية التكوين اذا كان متحيزا فى مكان ، كالصورة أو التمثال أو العمارة ، وعن اطار التفاعلات اذا كان مما يمتد على فترة من زمان ، كالتمثيل والرقص والموسيقى والشعر ، والمهم فى كلتا الحالين أن نجد خطة موحدة الاجزاء متآلفة العناصر ، فيكون ذلك التوحد وهـذا التآلف هو فى نهاية المطاف موضوع الحكم الذوقى .

فمحور الاحكام الذوقية فى دنيا الجمال ، هو الشكل لا الموضوع ، والبناء لا المعنى ، وانسجام المقامات الكثيرة فى وحدة متماسكة بغض النظر عن أى معيار خلقى يقرر ما ينبغى أن يكون ، لأن الجميل لا يستهدف شيئا سوى أن يكون ذا تكوين خاص فيه الوحدة والبناء اللذان أشرنا اليهما .

الجمال الحرّ ، والجمال المقيّد

على أن هناك نوعين من الجمال يجدر بنا أن نفرق بينهما ، وهما الجمال الحر والجمال المقيد بغرض خاص .

أما الجمال الحر فهو الذى تنظر فيه الى التكوين الخالص دون أن يرد الى أذهاننا ما قد أريد لهذا التكوين أن يؤديه من وظائف . كما تنظر مثلا الى زخرف هندسى فى الفن العربى ، فانت عندئذ لا يعنيك الا تناسب أجزاء الزخرف ، ولا تسأل ماذا يعنى هذا الزخرف .

وأما الجمال المقيد بغرض كجمال الجسم البشرى وجمال الحصان وجمال البناء ، فهاهنا قد نقيس جمال الجسم الى ما قد جاء ليؤديه ، وعندئذ قد

يعوقنا التفكير في صلاحية الشيء لأداء وظيفته دون الادراك الجمالي الخالص ، الذى لا يتأتى الا اذا نظرت الى الجسم البشرى من حيث هو تكوين خالص ، والى جسم الحصان من حيث هو تكوين خالص كذلك ، وهكذا .

على أن هذه التفرقة على كل حال تفيدنا في حسم الخلاف بين جماعتين من النقاد : جماعة تجعل معيارها الشكل المحض ، وجماعة أخرى تجعل معيارها النجاح في الوصول الى الهدف المقصود.

أمثلة تطبيقية لفكرة الجمال هذه

وكعادتي أحب أن أزداد فهما ــ لنفسي وللقراء ــ بأن اطبق هذا الذى أقوله على أمثلة بعينها من موضوعات الجمال ، اختارها من الطبيعة أو من الفنون ، لأرى كيف أتذوق جمالها لو أننى أخذت بوجهة النظر التى بسطتها .

مثل من ألف ليلة وليلة

لنضرب مثلنا من الادب ، وليكن حكاية من حكايات الف ليلة وليلة . فهذه الحكايات معترف لها من نقاد العالم أجمع بما فيها من فن أدبى . فالاحظ أننى بمجرد دخولى في دنيا الحكاية أجدنى بازاء عالم ذى قوانين خاصة به ، لا شأن لها بقوانين هذا العالم الحقيقى الذى نعيش فيه . فتراني لا أتعجب لوقوع أحداث في ذلك العالم الغريب ما دامت تلك الأحداث متمشية مع جو ذلك العالم وقوانينه ، ولا اقف لحظة لأسال



.. والجمال الحر هو الذى ننظر فيه الى التكوين الخالص . مثل نظرنا الى زخرف هندسي في الفن العربي ..

كيف يستوى في عالم الذهن قلما واحدا مع أنه

... متفرقة . وما دمت قد أحسست



.. أما الجمال المقيد بغرض ، كجمال الجسم البشرى ، فقد نقيس جماله الى ما قد جاء ليؤديه من وظيفة ..

من حجر مصقول . بل مصادر جمالها كله هى شبكة العلاقات التى تتفاعل بها الاجزاء بعضها مع بعض . فقد تقرأ المقامة من مقامات الهمذانى او الحريرى فتجد صقلا وعناية بمواد البناء ، لكنك - فى ظنى - لا تشرب من رحيق الفن مقدار ما تشربه وانت فى عالم الف ليلة وليلة .

وخذ مثلا آخر قصيدة من الشعر ، ولتكن احدى قصائد ذى الرمة التى يرسم بها لوحات حية من حياة الصحراء ووحشها . فهاهنا ايضا تراك وقد دخلت عالما فنيا لا تسأل فيه ان كان ما فيه يجرى فى العالم الواقع او لا يجرى ، بل تراك تتابع مجرى الحياة كما ينساب فى القصيدة . ولو حللت سر النشوة الجمالية عندئذ ، لوجدته هو الفاعلية الذهنية الضامة الموحِّدة الرابطة التى تجعل من الحياة فى القصيدة كائنا واحدا وان تعددت أطرافه . فافتح ديوان ذى الرمة ، واقرأ اول قصيدة فيه ، تجد مشهدا بديعا هو مشهد حمار الوحش وقد عضته وحوش من غير أسرته ، فهو يجرى فى الصحراء ظالعا وأمامه أتُن رمادية اللون ، وهو يصيح عليها فى يوم حار ، وما يزال يجرى فى اثرها حتى تدنو الشمس من غروبها ، وعندئذ يقترب من الماء الذى يطلبه منذ اول النهار . لكن هذا وهم من حواسه ، فالماء ما يزال بعيدا ، وما يزال هو يركض ركضا سريعا ينشد عين الماء ، حتى ظهرت أنوار الصباح ، وعندئذ يبلغ عينا تصطخب فيها الضفادع ، فيبحث لنفسه وللأُتُن عن مكان مطمئن ليهدأ فيرتوى ، لكنه لا يكاد يفعل حتى يسمع صوتا خفيفا يقشعر لسمعه لأنه هو الصوت الذى يخشاه ، صوت الصائد يتعقبه ويتربص له الخ الخ - ألم تشعر وانت تقرأ هذه الخلاصة المقتضبة لجزء واحد من القصيدة ، انك كنت كالذى يحيا فى حلم ثم أيقظناه ؟ لقد كنتَ فى عالم قائم بذاته له روابطه التى تربط ارجاءه معا فى كون واحد فتجعل منه كيانا واحدا .

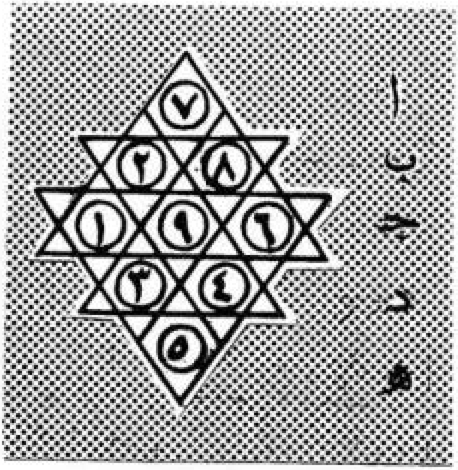
وتلك هى بعينها الفاعلية التى تحسها اذا ما قرأت أعظم الآثار الادبية فى شتى اللغات : فى مها بهاراتا وراماياتا فى الأدب الهندى ، فى الالياذة والاوذيسية فى الأدب اليونانى ، فى الكوميديا الالهية لدانتى والفردوس المفقود لملتون ، فى رحلات جَلِفر لاولفر سويفت ، فى روبنصن كروسو لدانيال دى فو ، وهى هى بعينها كذلك الفاعلية التى تحسها وانت تتأمل لوحات التصوير الفنى والعمائر بكل اشكالها الفنية من مساجد وكاتدرائيات وقصور وبيوت يتمثل فيها جمال الفن المعمارى .

أساس الجمال رباط يضم وحدة

أساس الجمال فى كل شىء جميل هو نفسه الاساس الذى ينبنى عليه كل كائن حي ، الا وهو أن يسرى بين الأجزاء رباط يضمها فى وحدة ، وهو عند فيلسوفنا كنط الأساس الذى تقوم عليه التصورات العقلية عن الأشياء التى تصادفنا وندركها ، ثم هو عنده الأساس الذى تقوم عليه الأحكام الذوقية فى عالم الجمال .

■■

القاهرة - زكى نجيب محمود



مسابقة هذا العدد

تنقلات بين الارقام تكسبك

جوائز مجموعها ١٠٠ دينار

● مسابقة هذا العدد تنحصر فى اجراء تنقلات بين الاعداد المكتوبة فى الرسم الذى فوق هذا الكلام ..

انه شكل هندسى فيه تسع دوائر ، وفى كل دائرة عدد ، من ١ الى ٩ دون تكرار اى منها ..

والمطلوب منك ان تعيد ترتيب هذه الاعداد ، بحيث اذا ضربت العدد الموجود فى قمة الشكل الهندسى (أ) فى العددين الموجودين تحته (ب) واللذين يقرآن كرقم واحد ، كان حاصل الضرب هو الرقم المكون من الاعداد الثلاثة الموجودة فى وسط الشكل (جـ) .

واذا ضربت العدد الموجود فى اسفل الشكل (هـ) فى العددين فوقه (د) واللذين يقرآن كرقم واحد ايضا ، كان حاصل الضرب هو نفس الرقم (جـ) الذى فى الوسط ..

اى ان المطلوب منك هو اعادة ترتيب الارقام الموجودة فى الرسم ترتيبا صحيحا ، دون تكرار اى منها ، بحيث يكون حاصل ضرب الخط أ × ب = هـ × د = جـ

وستلاحظ ، فى الرسم المنشور مع هذا الكلام ، خطأ فى ترتيب الاعداد لأن : ٧ × ٢٨ أو ٥ × ٣٤ غير متساويين اولا، كما انهما لا يساويان الرقم الموجود فى الوسط ..

فهل يمكنك ان تعيد ترتيب الارقام لايجاد الحل الصحيح ؟ ..

شروط المسابقة وجوائزها

١ ــ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٤٧ . اكتب عليه اسمك بخط واضح

٢ ــ يكتب على الظروف عبارة « مسابقة العربى ــ العدد ٧٠ » .

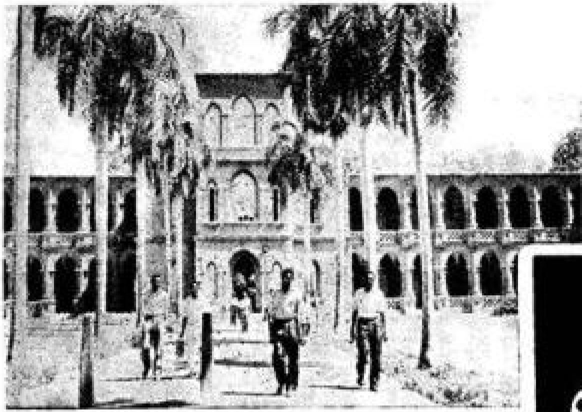
● آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر اكتوبر (تشرين اول ١٩٦٤) .

● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .. **الجائزة الثانية** : ٢٠ دينارا .. **الجائزة الثالثة** : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ..

■■



الجامعات

بين البحث العلمي والتعليم

أين جامعاتنا من جامعات العالم؟

بقلم: الدكتور عبد الحليم منتصر

■ قد يبدو من نافلة القول التحدث عن وظيفة الجامعات وأهميتها للمجتمع، بعد أن عرفت المجتمعات الحضارية الجامعات منذ قرون متطاولة، ومع ذلك فان أسئلة ما تزال تتردد في الحاح عجيب، هل الوظيفة الأساسية للجامعة هي تلبية حاجات المجتمع وحل مشاكله، ام أن وظيفتها التعليم وحده، ام انها تكون بالدرجة الأولى، للبحث العلمي المجرد، قصد الاضافة الى المعرفة البشرية، ام أن عليها أن تقوم بهذه الواجبات جميعا، فتذكى شعلة العلم التي ورثناها من الأجيال الماضية قبلنا، لنسلمها الى الأجيال الآتية بعدنا، وقد زادت توهجا واشتعالا، وزاد نورها قوة وسطوعا.

تعليم الشباب أول واجبات الجامعة

وليس من شك في أن تعليم الشباب، وتزويده بقسط معقول من المعارف الأساسية، وتخريج المتخصصين في مختلف فروع المعرفة، لسد حاجات المجتمع في مختلف شئونه، انما هو من

اقدس واجبات الجامعة ، وأولى وظائفها، ولعلها أن تكون أهمها ، ان كانت قمينة ان تدفع عجلة الحياة في المجتمع .

جامعات بحث ، بلا تعليم

« اما القول بتصور الجامعة من غير طلاب ، وانما تضم عدداً من الأساتذة والمتخصصين يتعاونون في البحث والدرس ، وقد يعاونهم في البحث والدرس عدد من الطلاب ما تيسر ذلك ، فهذه ولا شك مثالية في التفكير ، لا اظن المجتمعات الحالية تطيقها ، أو تسمح بها ، ومع ذلك فانها جائزة في بعض الأحيان وفي بعض فروع المعرفة ، التي تتيح ترفا عقليا ، وما ذلك الا لأن مطالب الحياة غدت ملحة معقدة ، ومشاكل المجتمعات غدت متصلة متواترة ، تتطلب الحلول السريعة . ومع ذلك فان أصحاب هذا الراى ينادون بأن المهمة الأساسية للجامعة هي البحث المجرد ، وأما ما عدا ذلك ، فيمكن أن تقوم به معاهد خاصة لتخريج المهندسين والأطباء والمدرسين والكيماويين والجيولوجيين وما اشبه ، ولا شك في أن للفصل بين المهمتين خطورة بالغة ، فستبقى هذه المعاهد بمعزل عن الالمام بالتقدم العلمي ، والتغيرات الهائلة التي تطرأ كل يوم على الوسائل التقنية ، والاضافات العديدة التي تضاف كل حين الى المعارف البشرية .

وسيظل أساتذة هذه المعاهد يرددون ما تعلموه هم من عشرات السنين ، ان كانت ليست لديهم الفرصة الكافية للاطلاع على هذه الاضافات ، أو ممارسة هذه التغيرات ، أو الاسهام في ممارسة الاضافة الى هذه أو تلك .

بمن وبماذا تشهر الجامعات

ومن الصعب الحكم على نجاح الجامعة في تأدية وظيفتها التعليمية ، ان كان الحكم منصبا اغلب الأمر على مدى نجاح من تعلموا فيها بالقيام بأعبائهم . وهنا تدخل عوامل شخصية وفردية ، هي التي تتمايز بها الأفراد والأشخاص ، حتى ولو تعلموا في جامعة واحدة ، وعلى ايدي أساتذة بذواتهم . وكثير من الجامعات والمعاهد ، تكتسب شهرة معينة في هذا اللون من المعرفة أو ذاك ، بالاضافة الى نوع من انواع الألعاب الرياضية ، أو ألعاب القوى ، أو الكرة . ومنها ما يشتهر بالمباني أو الملاعب أو المكتبة أو الميزانية الضخمة، أو المختبرات المجهزة .

نجوم العلم كنجوم السماء

الا أن الذي لا شك فيه ان أهم مايميز الجامعات وما ينبغي أن تفخر به انما هم الأساتذة النابهون ، الذين يتابعون الانتاج العلمي الرفيع ، ويسهمون في الاضافة الى المعرفة ، ويتخرج على أيديهم شباب يستطيع ان يتابع الرسالة على أعظم مستوى من الكفاية . أولئك من يسمون « نجوم العلم » ونجم العلم كنجم السماء، اكتسب شهرة وذاع صيته ، وعرف اسمه القاصي والداني ، واصبح في غنى عن التعريف، فقد اصبح ذا راى مسموع في المسائل العلمية ، له اضافات شهر بها ، وعرفت عنه ، ونسبت اليه .

النابه في البحث ليس دائما

نابها في التدريس

ومع ذلك فليس حتما ان يكون أمثال هؤلاء النجوم ناجحين في التعليم ، متميزين في شئون التدريس ، أو لعل وقتهم لا يتسع لمتابعة التدريس والبحث معا ، فقد يمتص الأخير كل نشاطهم وقابليتهم للعمل .

وثمة مقياس آخر لنجاح الجامعة ، هو مدى اسهامها في الانتاج العلمي واضافة أساتذتها وطلاب البحث فيها

الى المعارف الانسانية فى مختلف صورها. ومن الواضح أن هؤلاء يكونون فى العادة أوسع شهرة وأكثر تألقا ممن ينبغون فى التعليم وحده ، وقليل من الآخرين من يكسب شهرة ما ، حتى فى معهده أو جامعته . وانما يكون التألق العلمي من نصيب البحاث ، الذين يعكفون على البحث والدرس والتحليل فى مكتباتهم ومختبراتهم ، يبحثون عن المجهول ويكشفون عن الحقيقة ، ويضيفون الى المعرفة جديدا . ولا مراء فى انه يندر ان يتألق العالم فى الناحيتين معا أو بدرجة متساوية ، وانما يغلب ان يتفوق فى ناحية وأن يكون هذا التفوق على حساب الناحية الاخرى . فاذا كان البحث العلمى هو المحبب الى نفس الأستاذ وهو فى الوقت نفسه الذى يجلب له الشهرة والتألق ، فان كثيرا ما يؤدى واجباته التعليمية على كره منه ، وليس من السهل على مثل هذا الأستاذ ان يقوم بواجباته تلك فى حماس وغيرة وهو يعلم فى قرارة نفسه انها ثانوية او اضافية بالنسبة لأمله الكبير فى البحث العلمى بل وبالنسبة لوظيفة الجامعة ومهمتها .

وليس من شك فى انه ينبغي ان تكون القسمة عادلة بين التعليم والبحث العلمي ، وان الاساتذة لا ينبغى ان يصرفهم واجب عن واجب . وان واجبهم فى البحث عن الحقيقة ، والاضافة الى المعرفة ، والحفاظ على السمعة العلمية ، والتألق النجمى لهم ولجامعاتهم ولأوطانهم ، لا ينبغى ان يصرفهم عن واجبهم فى تنشئة جيل جديد ، يحمل التبعات ويتابع تأدية الرسالة ، ويحمل عنهم الشعلة ، ويبقى على ضوئها ساطعا وهاجا .

أحد العلماء عرّف الجامعات ، قال :

وقد عرّف أحد العلماء الجامعات بأنها تضم هؤلاء الناس الذين من حقهم ان يتعجبوا ، لديهم القدرة على أن يسألوا ، والمقدرة على أن يستنتجوا ويلخصوا ويعمموا ويطبقوا نتائج اختباراتهم ومهاراتهم . انها ملتقى الكفايات ومجمع العلماء والخبراء والمفكرين وذوى الرأى والمستكشفين والباحثين عن الحقيقة فى بيداء المجهول ، الذين يعتمد عليهم العالم اعتمادا كليا فى حفظ المعرفة وتداولها وتقدمها .

العلم فى حاضر البشرية ومستقبلها

ولعلنا نشعر فى الوقت الحاضر ، أكثر من أى وقت مضى، بأهمية العلم والعلماء، فها نحن فى ستينات القرن العشرين ، وقد مضى العلم قدُما فى عصر الذرة والصاروخ ، يقرع الناقوس ليجلجل فى آذان العالم ليسمع من به صَمَم ويوقد الشعلة ليعشو الى ضوئها البادى والحاضر ، وبذلك غدت مهمة العلماء صعبة غير يسيرة ، فلم تعد المعرفة لذاتها هي الهدف ، ولكن الهدف الآن اسعاد البشرية جمعاء ، ودفع الأخطار عنها ، وتحقيق الرفاهية والرخاء للسكان الذين يتزايدون كل يوم ، وتجنيبهم ويلات الحروب والأمراض ، واسعادهم بمبتكرات العلم ومستحدثاته . وغدا العلم فى رؤوس العلماء ثروة تحرص الدول على تنميتها واقتنائها ، واغراء العلماء ليقيموا فى هذه الدولة أو تلك أو ليعملوا فى هذا البلد أو ذاك . ولقد علا قدر العلم والعلماء ، واستبقت الدول فى التنمية العلمية ، واقامة الجامعات ومعاهد العلم ودور البحث العلمي ، وانشأ كثير من الدول وزارات خاصة للبحث العلمى ، لتشرف على شئونه وتنسق أموره . وان نظرة الى ما كان عليه الحال فى القرن الماضى ، وما آل اليه فى القرن الحالى ، لتدل على الوثبة الهائلة التى خطاها العلم بالبشرية فى مختلف مجالات الحياة الانسانية ومناشطها ، واصبح للعلماء رأيهم المسموع فى المسائل الحيوية التى تهم

شعوب العالم في حربها وسلمها على السواء . ولم يعد العلماء في معزل عن الشعوب ، يعيشون في ابراجهم العاجية، كما كان الحال قبلا ، بل غدوا اعضاء عاملين في المجتمع يتأثرون بكل ما يحوطهم من أحداث ، ويستجيبون لكل ما يهز شعوبهم من انفعالات .

وها هي آثار العلم في شئون الدفاع عن الأوطان والذود عن حياضها ، وفي شئون الصناعة والزراعة، والطب والصحة العامة والمواصلات والاعلام وغيرها ، ولا شك اننا في ستينات القرن العشرين غيرنا في خمسيناته أو اربعيناته فما بالك بعشريناته وعشراته . لقد تقدمت الوسائل العلمية والتكنية ، بفضل جهود العاملين من رجال الجامعات حتى غدت الانسانية بفضلهم تقفز قفزات رائعات يتبدى اثرها كل حين ، وما اشك في اننا في سبعيناته سنصل الى القمر والكواكب، وتسبح صعدا في آفاق الفضاء العريض .

النظام الجماعي ، مكان النظام الفردي ، في البحث العلمي

ومنذ اوائل هذا القرن ، استحدث اساتذة الجامعات ، نظاما رائعا للبحث العلمي ، ذلك هو النظام الجماعي بدلا من النظام الفردي الذى كان متبعا قبلا . وقد ازدهر هذا النظام أول الأمر في الجامعات الالمانية ، وبدت آثاره في تفوق المانيا في صناعة الكيماويات والادوية وصناعة الصلب والآلات . وظهرت آثار هذا التفوق في الحرب العالمية الأولى . وفوجىء العالم بالتفوق الساحق للمدافع والغواصات الالمانية ، وفي حرب الغازات، فضلا عن تفوقها بل واحتكارها لصناعة الاصباغ وبعض الكيماويات والاسمدة والادوية النادرة . مما دفع الحلفاء والامريكان بعد ذلك الى العناية بهذه البحوث العلمية والتكنية . وسطع في سماء هذه البحوث اعلام من امثال « ماكسويل » و« رالي » و « هيرتز » و« هابر » و « رونتجن » و « كروكس » وغيرهم .

مثل من التعاون في البحث الجماعي

ويكفي ان نذكر بعض الأمثلة لتبيان اهمية هذه البحوث ، ذلك هو الخاص بتثبيت الأزوت ، واهميته معروفة في التسميد لاخصاب الأرض وفي صناعة المفرقعات ، وكانت اول ضربة وجهها الحلفاء لالمانيا ، انما هي في منع السفن المحملة بنترات الصودا الشيلي من الوصول الى المانيا، وبات متوقعا ان تنهار المانيا . وان تجثو على ركبتيها طالبة العفو والصلح ، ولكن سرعان ما نشط العلماء الالمان وعلى راسهم « هابر » وثبتوا الأزوت من الهواء الجوى ، وغدت المانيا بعد ذلك منتجة للنترات بأسعار تقل كثيرا عن اسعار النترات الطبيعي في شيلي ، مما انهارت معه اقتصاديات شيلي التى كانت تعتمد بالدرجة الاولى على ما تنتجه ارضها من نترات ، مما دعا علماء أمريكا لمعاونة شيلي على تقليل نفقات استخراج النترات وتصنيع منتجات ثانوية منها كاليود، حتى تستطيع ان تنافس الصناعات الالمانية في هذا المضمار ويدلنا هذا المثال ، على ان اقتصاديات الأمم والشعوب ، بل رفاهية الأمم والشعوب ، انما تعتمد بالدرجة الاولى على رصيدها الدائم التجدد والزيادة من العلم والمعرفة .

ويضيق بنا المقام اذا نحن حاولنا ذكر أمثلة اخرى لأثر البحوث العلمية في مختلف المجالات ، ان في الطيران ، او الصناعات الالكترونية ، أو استغلال الطاقة الذرية او بحوث الفضاء .

مثل آخر للتعاون في البحث العلمي

ومثال آخر على أهمية التعاون العلمي بين اساتذة الجامعات في العالم ، ذلك

الذى كان منذ بضع سنوات فى السنة الدولية الجيوفيزيقية ، التى بدأت فى أول يوليو سنة ١٩٥٧ وانتهت فى آخر ديسمبر سنة ١٩٥٨ وتمت فيها رصدات وتسجيلات علمية على أعظم جانب من الاهمية ، وثمة سنة دولية أخرى بدأت فى أول يناير ١٩٦٤ وتنتهى فى آخر ديسمبر سنة ١٩٦٥ . وقد سميت السنة الدولية للشمس الهادئة ، وفيها تجرى دراسات وتسجيلات ورصدات هامة، سيكون لها أكبر الاثر فى الدراسات المتعلقة ببحوث الفضاء، وطبقات الغلاف الجوى ، والأشعة الكونية ، والاكليل الشمسى ، والبقع الشمسية وما الى ذلك . ولا شك أن لمثل هذا التعاون فى التخطيط والتنفيذ اثره الفعال فى نجاح مثل هذه المشروعات العلمية الجماعية فقد فاقت كمية المعلومات التى أضيفت الى معارفنا كل تصور . وثمة مشروع علمى جماعى آخر سيضيف الى معلوماتنا الكثير ذلك هو مشروع دراسة الكرة الارضية بخرقها وتحليل طبقاتها ،حيث يتعاون الكيماويون والجيولوجيون والرياضيون والطبيعيون والبيولوجيون وغيرهم من مختلف جامعات العالم ومن أرجاء الأرض جميعا على البحث والدرس .

وبحوث الذرة مثل من التعاون الجماعى

وان نظرة الى التقدم الذى حققه العلماء فى ميدان الطاقة الذرية ، ليؤكد مرة أخرى اهمية العمل الجماعى ،فمنذ كشوف « رذرفورد » و « مدام كورى » فى عشرينات وثلاثينات هذا القرن ، حتى اطلاق الطاقة الذرية من عقالها فى اربعينات القرن الحالى ، ثم الى ما وصلت اليه بحوث الذرة فى الوقت الحاضر ، من مفاعلات للقوى ، ومفاعلات لانتاج النظائر المشعة ،واستغلال للطاقة النووية فى شئون الحرب والسلم ثم انشاء وكالة للطاقة الذرية تابعة لهيئة الامم المتحدة ، لتنسيق العمل والبحث مما قدرت نفقاته لا بالملايين بل بالبلايين .

احصائيات

وتقدر الاحصائيات عدد المشتغلين بالعلم والبحث العلمى فى مطالع هذا القرن بنحو مائة الف بنسبة لا تزيد على واحد فى الف من السكان ، وقدر حجم الانفاق فى هذا المضمار بنحو عشرة ملايين دولار بنسبة لا تزيد على نصف أو واحد فى المائة من مجموع الانفاق . واذا بهذه الارقام تقفز فى ستينات القرن الحالى ، الى نحو ثلاثة ملايين باحث ينفقون نحو خمسة عشر بليونا من الدولارات أو نحو ١٥٪ من حجم الانفاق ، ويرى المختصون أن عدد العلماء ما زال قليلا بالنسبة لعدد السكان اذ انه لا يجاوز ١ر٥ فى الالف من عدد السكان ، كما أن الانفاق فى البحث العلمى ينبغى ان يكون اكثر سخاء حتى يتحقق للبشرية ما يرجى لها من خير ورفاهية وامن وسلام .

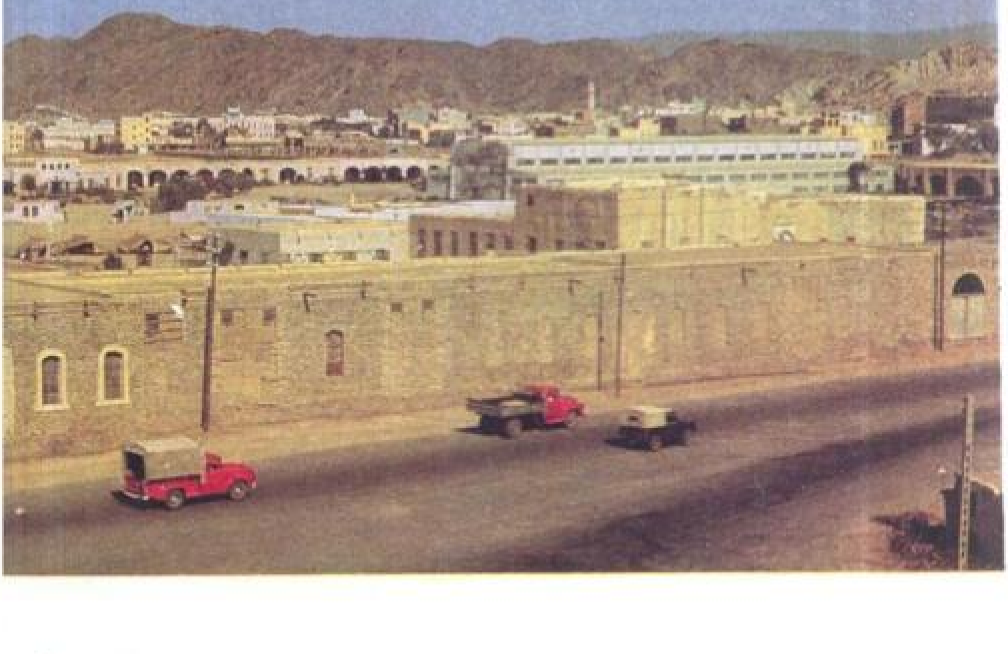
ترى ماذا تنبئنا الأرقام والاحصائيات عن جامعات الوطن العربى وأساتذتها وقيمة الانتاج العلمى فيها ، وحجم الانفاق على البحوث العلمية . ما أشد حرصى أن أرى جامعاتنا العربية عالية الذرى ، وبحوث أساتذتها رفيعة القدر ، وأن أرى دولنا العربية تستبق فى انشاء الجامعات والانفاق على البحوث العلمية وتقدر العلم والعلماء ، عساها تواكب الركب بتخريج أجيال متعاقبة من شباب العلماء الذين ينهضون بأمانة العلم نحو الانسانية ، ويتابعون البحث العلمى فى مختلف مجالاته لخير الانسان ورفاهيته.

■■

عبد الحليم منتصر

اعرف وطنك أيها العربى

الطائف



- الإقليم الذى كأنه
ونقل إلى

- أجمل المصايف
تقع وسط



احد القصور الحديثة فى « الطائف » ، اهداه
الامير مشعل الى الدولة ليكون قصرا للضيافة .

اقتطع من الشام باديه العرب !
والمشالح الجبال والرمال !

قام بهذا الاستطلاع :

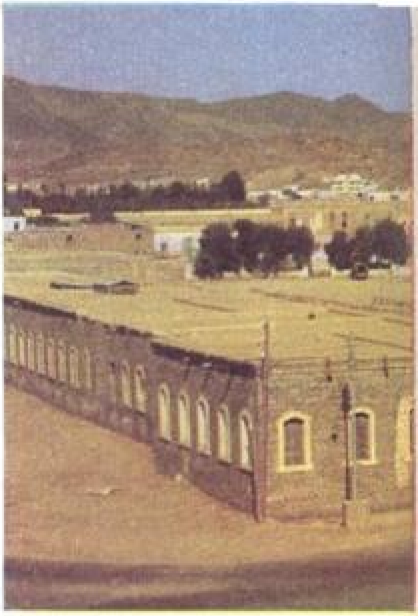
محمد بدر الدين خليل

وصوره :

« شقرة »



« القصر الحديدي » ، نموذج للفن المعماري الحديث ، وقد أنشىء كله من الحديد ، وحفت به بساتين يانعة .



هكذا تمتزج الجبال والخضرة والرمال ومعالم الحضارة في تناسق بديع في مدينة « الطائف » .



تكثر الفنادق بالطائف بوصفها المقر الرسمي الصيفي للحكومة السعودية .. وهي فنادق راقية ، تشغل بنايات حديثة .

■ فقزت من مجلسى مذعورا ، اذ فوجئت بشخص يدفع الى صدرى ما يشبه فوهة البندقية، ونحن فى مجلس امير « الطائف ». حتى اذا تمالكت جاشى ، تبينت أن البندقية لم تكن سوى مبخرة اسطوانية الشكل ، انبعث منها فيض من الدخان المعطر ، ملأ صدرى ..

وعدت الى مجلسى أواصل حديثى مع مهندس بلدية الطائف ، واذا بالمبخرة تعود فى حركة مباغتة الى صدرى .. وفى هذه المرة ، شددت أعصابى ، واستجلبت بعض الدخان المعطر بيدى ناحية صدرى ، كما رأيت القوم يفعلون ، ومضيت فى الحديث .. وعندما عادت المبخرة للمرة الثالثة ، لكزنى صديق مرافق ، وهمس : « هذه عادة من تقاليد أهل نجد القدامى .. اشارة مهذبة الى الضيف ان قد آن له أن يستأذن للانصراف » .

العاصمة الصيفية للدولة

وخرجت من دار «امارة الطائف» ، فاستقبلتنى نسمات لطيفة ، برغم ان الشمس كانت تزحف الى كبد السماء .. ورنّت فى اذنى كلمات الامير عبد العزيز بن فهد بن مُعمّر :

« نحن لا نحتاج الى المراوح هنا فى الصيف ، ولا نعرف مكيفات الهواء » .

ولقد وجدتنى ـ حين قال هذه الكلمات ـ أتطلع الى سقف القاعة الواسعة التى كنا نجلس فيها ، فلم أر أثرا لمروحة ، على خلاف ما هو شائع فى بيوت شبه الجزيرة العربية بأكملها ، من تزويد كل حجرة بمروحة ..

وسألت : « وفى الشتاء ؟ » ،

وفى هذه المرة ، أجاب الشيخ ناصر بن معمر ، وكيل الامارة : « وفى الشتاء لا نستخدم المدفئات .. ان أقصى ما يلجئنا البرد اليه هنا ، هو أن نوصد النوافذ، فاذا حرارة أنفاس الموجودين تكفى لتدفئة المكان » .

وكان عجيبا ان يوجد مكان كهذا وسط الصحراء، وفى واد تكاد تحيط به الجبال من كل جانب . ولكن العجب يزول ، اذا عرف المرء ان مدينة « الطائف » تقوم على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم تقريبا ،



تعاون أهل مدينة الطائف فى تجميل مدينتهم وشق الشوارع الحديثة بها ، فكان ذلك مظهرا من مظاهر ارتقاء الوعى الاجتماعى والقومى عندهم .. وهذا أحد الشوارع تتوسطه الأشجار .



استجابت بلدية « الطائف » لروح التجديد لدى الأهالي ، فعنيت باقامة المصابيح الكهربائية فى جميع شوارع المدينة .

فوق سطح البحر . وانها عرفت فى مختلف العصور، كمصيف لأهل الحجاز .. وقد اتخذتها الحكومة السعودية ـ منذ استقرت لها الأمور ـ عاصمة صيفية للمملكة ، تنتقل اليها أجهزة الحكم فى فصل الصيف من كل عام .

قطعة من الشام

ويسوقنا هذا الى قصة ذكرها بعض المؤرخين العرب . وخلاصة هذه القصة ان الله استجاب الى دعاء نبيّه ابراهيم عليه السلام ، حين نقل زوجته هاجر وابنها اسماعيل الى مكة ، اذ قال : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ، عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم » .

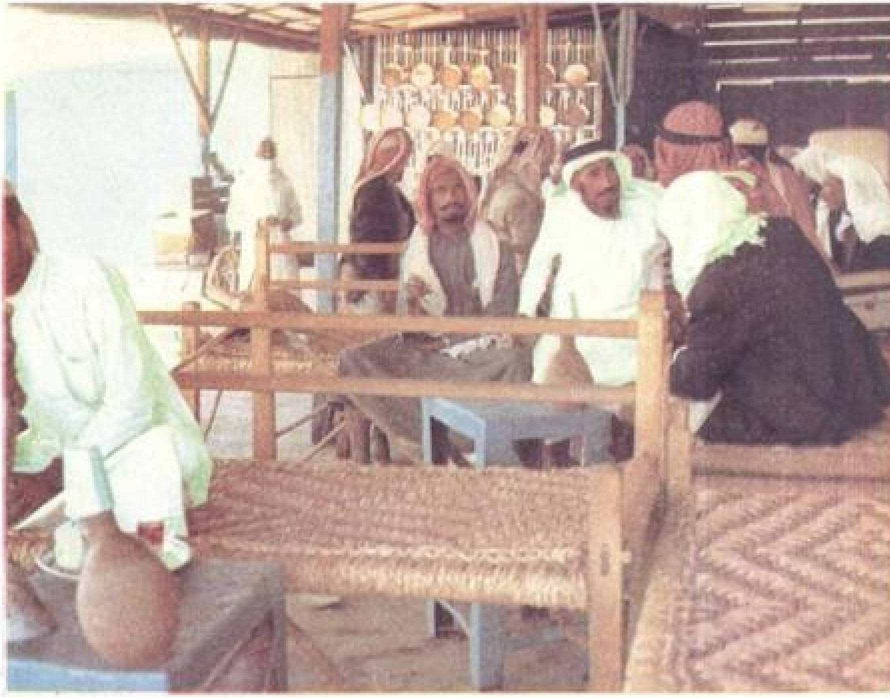
عند ذلك أمر الله كبير الملائكة « جبريل » ، فاقتلع قطعة من أرض الشام ، وطاف بها حتى ألقاها فى البقعة التى تشغلها « الطائف » الآن .

ومن الطبيعى ـ فى عصر المنطق العلمى ـ أن ينكر علماء الجغرافيا وطبقات الأرض هذه الرواية ويعتبروها اسطورة .. ولكن للاستاذ خير الدين الزركلى قول فى هذا الصدد ، مؤداه أن هـذا لا يمنعنا من أن نراها اليوم « خيالا شعريا جميلا مقبولا .. وليس على الشاعر من حرج » .

بساتين فى أحضان الجبال

والواقع ان الذى يجوس خلال مدينة «الطائف» اليوم ، قد لا يرى من أوجه الشبه بينها وبين الشام سوى بعض البساتين والبقاع المشجرة .. ولكن الذى يجاوز المدينة ويضرب خلال الجبال التى تحيط بهـا ، يرى ما يفوق الشـام خضرة وجمالا ...

ففى أحضان الجبال تتناثر البساتين الوارفة..



احد المقاهي العامة في مدينة « الطائف » ، حيث يجتمع القوم ، ليتطارحوا الأدب والسمر





بعض طلبة مدرسة ثقيف الثانوية ، في قاعة المكتبة ، وقد انصرفوا الى الاطلاع ،
ويشغف أهل مدينة « الطائف » عامة بالقراءة والمطالعة ، ويمارس الطلبة عددا من
الهوايات وألوان النشاط . وقد كان لوعيهم الاجتماعي فضل شق وتحسين الطرق
في مدينة الطـائف .

الى اليمين : خريطة لاقليم الطائف ، رسمها ثلاثة من اعضاء الجمعية الجغرافية
في مدرسة ثقيف ، هذه الجمعية احدى الجمعيات التي يؤلفها الطلبة لمواصلة
النشاط الثقافي خارج قاعات الدرس .

بل ان على جبل « الشفاء » ـ أو « الشفا » ـ كما ينطقونها ـ غابة كثيفة يصل طولها الى كيلومتر ، كما قيل لي .. ويثبت شجر الزيتون فيما يثبت فيها فطريا ، فتظل ثماره تنمو وتثقل الأغصان ، الى ان تتشقق فيسيل منها الزيت على الرمال .

ومثل هذه الخيرات ثروات ضائعة .. ولكن أولى الأمر في المملكة السعودية بدأوا يعتنون بها . وهي وان كانت عناية قد تأخرت ، الا أن للقوم هناك ـ حتى رجل الشارع ـ تبريرا يبدو كأنه شعارٌ رَكِبَ التقدم الحديث في المملكة السعودية، فهم يقولون : « تذكر ان عمرنا عشر سنوات فقط .. فهو لا يُحسَب الا منذ بدأ الاصلاح العمراني .. فنحن ـ والحال هذه ـ لا نزال نحبو ، أو نمشي بخطوات قصار . ولكن هذه الخطى لن تلبث أن تتسع وتزداد سرعة » .

موطن ثقيف وسوق عكاظ

هذا القول صحيح . والسنوات العشر قد لا تزيد على جزء من مائتين او أكثر من عمر الطائف. فهي من أقدم المدن في بلاد العرب .. وقد كانت والاقليم المحيط بها ـ والذى يحمل نفس الاسم ـ من أهم مواطن « ثقيف » و « هوازن » و « قريش » ، وهي ثلاث من أعرق قبائل العرب .. كما كانت يوما مركزا لعبادة « اللات » .. أحد الأصنام الكبرى في عصر الجاهلية . وفي الاقليم كذلك ، « سوق عكاظ » التي كانت قوافل العرب تتوافد عليها في شهر ذي القعدة من كل عام ، ثم تبارحها في الثلث الأخير منه الى « ذي المجاز » و « مِجَنّة » قبل أن تنحدر الى مكة لتطوف بالكعبة التي كانت بيتا لأصنامها ..

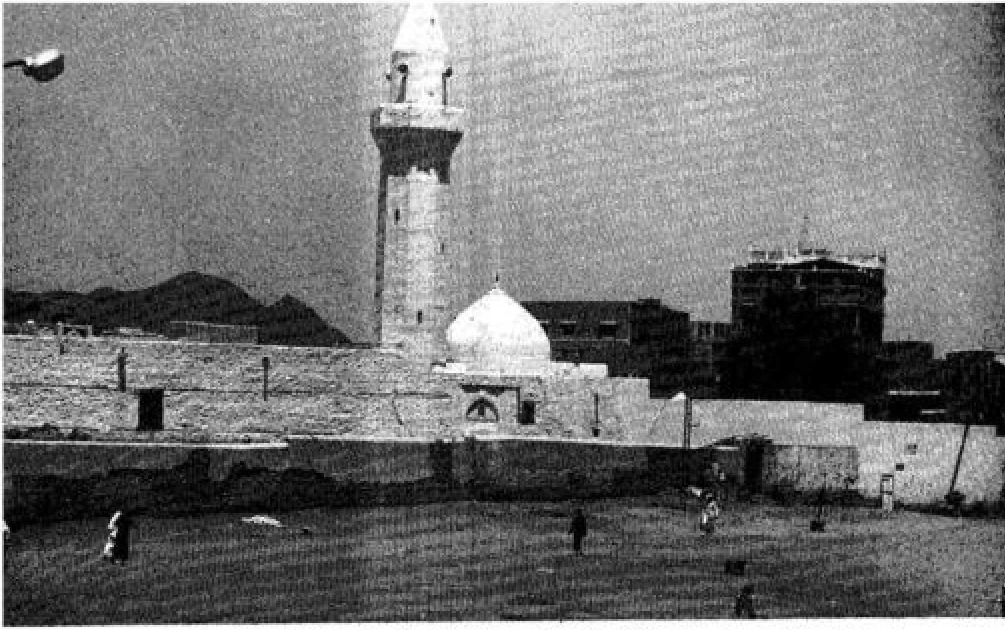
وقد تضاربت الأقوال في موقع « سوق عكاظ »، ولكن المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ، عنى بتحقيق الموقع مع اثنين من العلماء السعوديين ، وانتهوا الى أنه يقع على مسافة اثنى عشر كيلومترا شرقي مطار الطائف الحالي ، الذى يسمى « مطار الحَوِيّة » ، نسبة الى القرية التي يقوم فيها ، والتي أصبحت من ضواحي مدينة الطائف ..

مرتع طفولة النبي

ولقد كانت وديان اقليم الطائف وجباله أول ما تفتحت عليه فطنة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ في حداثته ، اذ كانت منازل « بني سعد » ـ وهي قبيلة حليمة السعدية مرضعته ـ هناك .. ولعل هذا هو ما حدا به الى أن يسعى الى « الطائف »، حين أيأسه عدم المار دعوته في مكة ، وأن يلوذ بأهلها. ولكن «ثقيفا» صدته أشنع صد ، متمسكة بعبادة الأصنام ، وأغرت به صبيانها فقذفوه بالحجارة .. ثم أفشت أمره في مكة ، فلما عاد اليها استقبلته قريش بالسخرية والأذى ..

ولكن هذه المحن لم تفت في عضده ، فعاد الى الطائف بعد عشر سنوات وقد فتح مكة، وحارب « هوازن » و « ثقيفا » في وادى حنين ، وحاصر مدينة « الطائف » المنيعة ، حين لاذوا بها .. ثم انصرف عنها ، فجاءه سادة « ثقيف » طائعين يعلنون اسلامهم ، واذ ذاك كتب لهم بحرية واديهم .





مسجد ابن عباس وضريحه من المعالم التى بقيت شاهدة على أمجاد « الطائف » فى صدر الاسلام .
وقد أضيف الى المبنى القديم مسجد حديث يرى جزء منه فى الصورة التى فى أسفل الصفحة السابقة .

الموقع القديم لمدينة « الطائف »

وفى كتب السيرة النبوية ، ان اصحاب رسول الله حين بلغوا اطراف « الطائف » ، ورأوا وادى « وَجّ » ، اعجبهم ما فيه من اشجار السدر ، فقالوا « ياليت لنا مثل هذا » . ثم سألوا الرسول : « يا رسول الله ، هل فى الجنة سدر مثل سدر وَجّ ؟ » ، فانزل الله تعالى قوله : « واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين ، فى سدر مخضود » .. اى لا شوك فيه .

ويقال ان مدينة « الطائف » كانت تقوم فى وادى « وَجّ » ، وهو أحد الوديان الواقعة فى أطراف المدينة الحالية . ويذكر « القلقشندى » و « ياقوت » وغيرهما ان اسم الطائف القديم هو « وَجّ » ، وان ثقيفا بنوا عليها جدارا مطوقا بها ، فسميت « الطائف » .

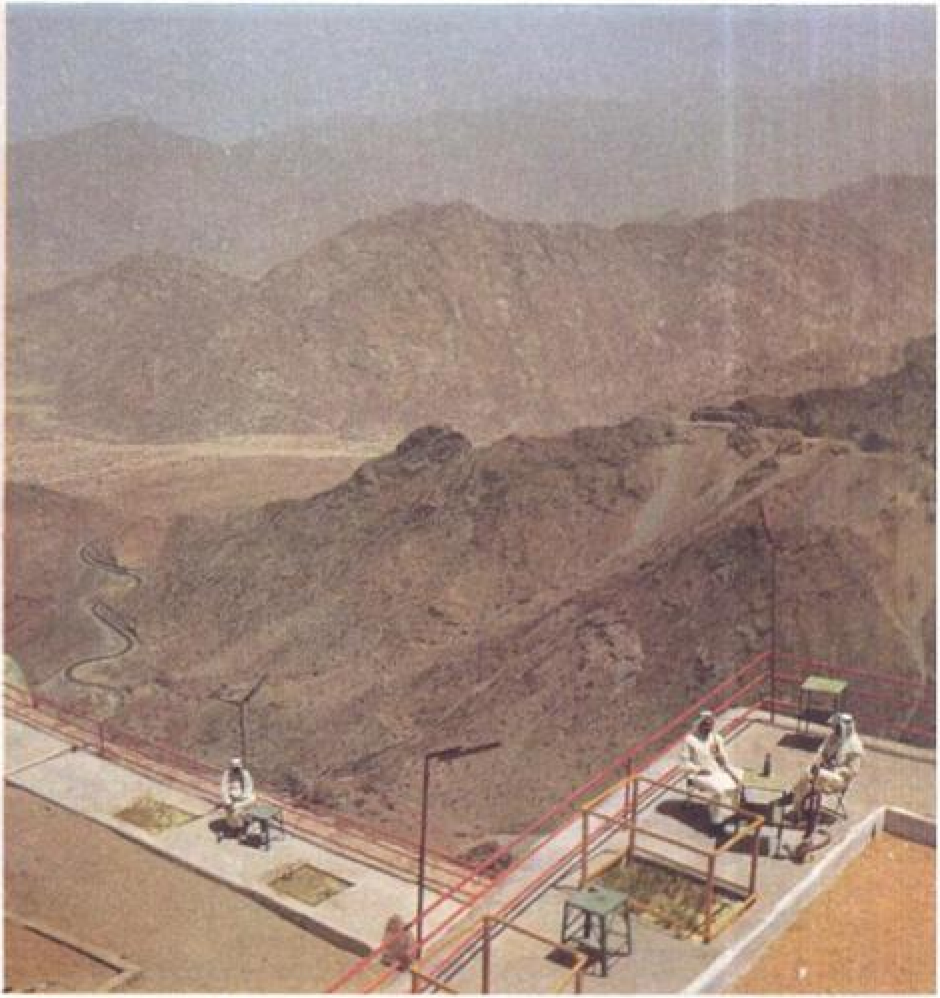
والمتتبع للاحداث التى يضمها تاريخ « الطائف » تفصيلا ، لا يملك سوى أن يوقن من أن المدينة نقلت من مكانها القديم .. أو لعل الأصح ، انها اتسعت فى نواح ، وانكمشت فى اخرى ، فتزحزح مركزها الى الموقع الحالى .. على حوالى ١٢٠ كيلومترا الى الجنوب الشرقى من مكة ، واصبح وادى « وج » جزءا منها ، يخترقها من الجنوب الى الشمال .

ويتبع المدينة اقليم يتالف من بادية ووديان وجبال ، تكاد مساحتها ان تبلغ مساحة بعض الدول الصغيرة فى أوربا .

وعى اجتماعى ناهض

وأول ما يستلفت النظر فى مدينة «الطائف» اليوم ، شوارع فسيحة ، ممهدة تزينها الأشجار ، وتضاء ليلا بالأنوار الكهربائية ..

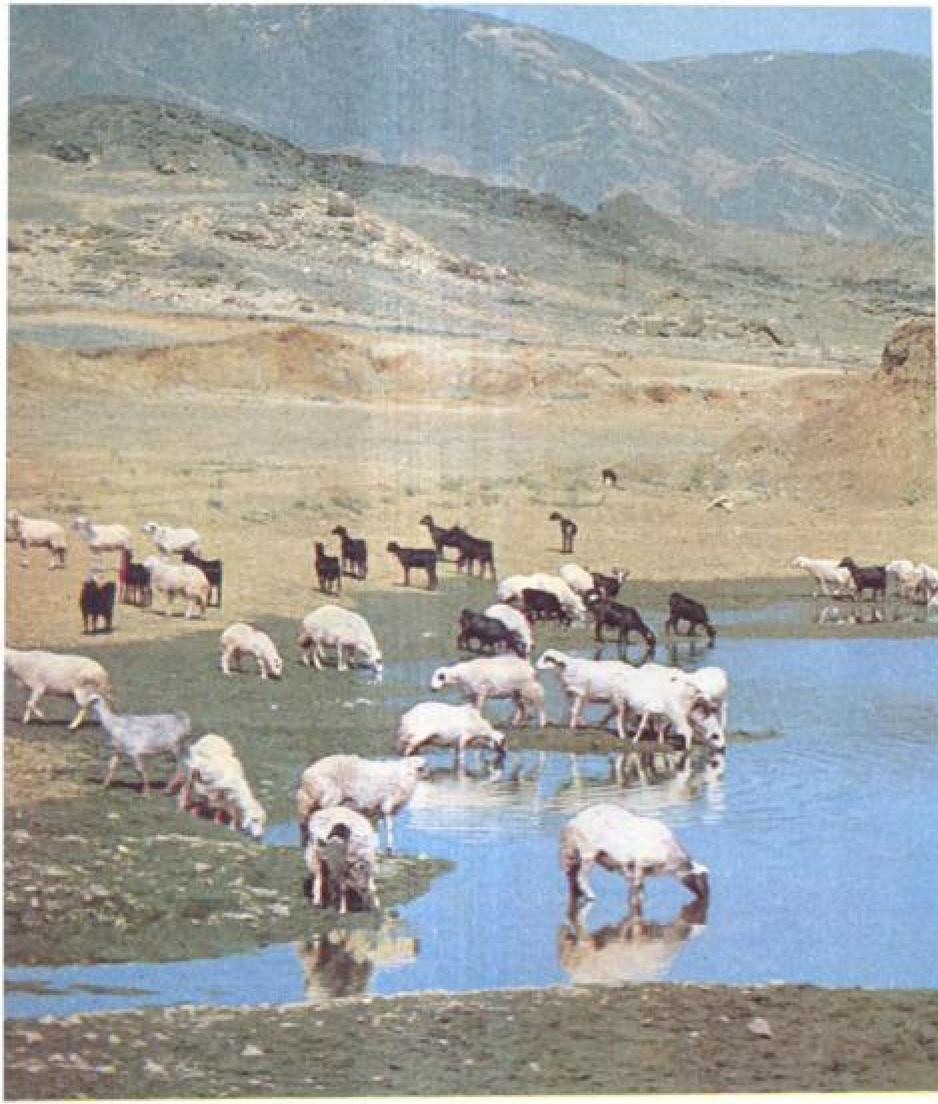
ولهذه الشوارع قصة طريفة تدل على مدى تفتح الوعى الحضرى والاجتماعى لدى أهل المدينة .. اذ أنها كانت – الى حوالى العام – ذات طرق مهملة ، غير مرصوفة ، كما هى الحال فى كثير من المدن الصحراوية . وفى العام الماضى ، نظم شباب الكشافة من طلبة « الطائف » أسبوعا لتجميل المدينة ، فاقبل الاهالى على الاكتتاب بالمال والجهد وتعاونوا مع الطلبة وجنود الجيش على تعبيد الطرق ، وازالة التلال التى تعترضها باستخدام « تراكتورات » الجيش – ورصف الشوارع بالاسفلت ، وتخطيط الميادين ، وغرس الأشجار .



كم من السياح يهرع الى مثل هذا المكان اذا عرف بوجوده ! .. انه قسم من «كازينو» حديثة اقيم فوق قمة « الهدا » ، حيث ينحدر الطريق الجديد بين الطائف ومكة ، ليعود فينسلق سطح جبل « كرا » الوعر ، منطلقا الى عرفات ومنى ثم مكة . وتحيط قمم الجبال والمناظر الطبيعية هذا الموقع باطار جميل .

والطريق من الطائف الى هذا الموقع مليء بكثير من الامكانيات السياحية الكفيلة بزيادة الدخل القومي ، كانشاء بحيرات صناعية عند السدود المقامة في المنخفضات لصد السيول عن الطريق ، وكاقامة الزوايا في البساتين الممتدة خلال الجبال لاستقبال السائحين .





أقيمت أسفل طريق « الهدا » ـ عند الوديان
والمنخفضات ـ سدود لتحتجز مياه السيل والامطار
في برك وبحيرات تضيف لمسات بديعة الى المناظر
الطبيعية ، وتغدو مقصد الأغنام التي ترعى في
الوديان .



مسجد محرم يحوطه الوادي الذي يحمل نفس الاسم ،
والذي تجري فيه مياه السيل ، وتتخلله القرى والبساتين
ويرى الطريق ممتدا من الركن الايسر الاسفل للصورة ،
كشريط رفيع .

ولما كانوا لم يصدروا في هذا الجهد عن تخطيط شامل لشوارع المدينة كلها ، فان بلدية الطائف تقوم الآن بالتنسيق بين الشوارع وتنظيم ميادينها، كما اقامت فيها المصابيح الكهربائية لاضاءتها .

التعليم ينمو سريعا

ولعل هذه اول تجربة تعاونية جماعية في مدينة من مدن المملكة العربية السعودية ، ان لم نقل من مدن شطر كبير من العالم العربي . على أن اروع ما فيها قطعا ، هو أن طلبة المدارس كانوا اول الداعين لها ، والمساهمين فيها .

والواقع ان الاقبال على التعلم في « الطائف » يمتاز بنمو متزايد سريع .. فمنذ عشر سنوات لم تكن بالطائف سوى مدرسة واحدة . ومنذ خمس سنوات ، لم يكن في الاقليم كله سوى ٢٣ مدرسة ابتدائية ، تضم ٤٦١٠ تلاميذ .. أما اليوم فهناك ٦٥ مدرسة تضم ١٠٫٢٣٤ تلميذا .. الى جانب ثلاث مدارس متوسطة بها ١١٨٧ تلميذا ، ومعهد لتخريج مدرسين للمدارس التي يزداد عددها بسرعة ، ومدرستين ثانويتين تضمان ٤١٩ طالبا . واحدى هاتين المدرستين ، تسير على المناهج العادية للمدارس الثانوية ، لا سيما مناهج الجمهورية العربية المتحدة .. أما الاخرى ـ وهي « دار التوحيد » ـ فتسير على نهج المعاهد الدينية الثانوية التابعة للازهر .

قوم يشغفون بالمعرفة

ويستطيع المرء أن يلمس العناية المبذولة في نشر التعليم ، حين يعرف أن الحكومة تدفع للطالب المغترب ـ أي القادم من القرى البعيدة عن مدينة « الطائف » ـ ١٥٠ ريالا في الشهر ، أي ما يعادل ١٥ جنيها ، لتشجيعه على الاقبال على الدراسة .. فقد كان كثير من الآباء يؤثرون أن يمسكوا ابناءهم عن التعليم عقب المرحلة الابتدائية .

كذلك يستطيع المرء أن يلمس تطور وعي البدو، اذا عرف ان كثيرا من اهل القرى التي لا توجد بها مدارس ، اصبحوا يلحون على وزارة المعارف كي تنشيء المدارس في قراهم. وتتنافس قرى كل مجموعة على ان تكون كل منها مقر المدرسة المنشودة .

والواقع ان ارتقاء الوعي التعليمي يتجلى كذلك في ظاهرة اخرى ، هي اقبال الكبار على تدارك



جانب من سوق « الطائف » ، التي يقبل

ما فاتهم في صغرهم من تعلم .. ولعل هذه الظاهرة لم تعد موضع عجب في كثير من الدول العربية .. ولكنها تدعو الى الاعجاب في السعودية ، لما يسلم به الجميع من أن النهضة التقدمية فيها بدأت متأخرة .

ومن الظواهر الملموسة في « الطائف » ، الشغف بالقراءة والاطلاع والمساجلات والندوات الأدبية ..

المرأة تعمل برغم القيود

أما تعليم الفتاة ، فيتقدم بخطى حثيثة ، حتى أن بالطائف اليوم مدرستين ابتدائيتين ، ومدرسة متوسطة ، وأخرى ثانوية .. ويجري العمل الآن في استكمال مبنى لمدرسة لتخريج المعلمات للمدارس



عليها الناس من كافة أرجاء الاقليم .

الابتدائية ، تقرر افتتاحها فى بداية الموسم الدراسى المقبل .

على أن الحديث عن الفتاة ، موضوع لا يزال يحاط بالقيود والتحفظ ، تشبثا بالتقاليد القديمة .. وهى ظاهرة لمسناها فى كل مكان زرناه فى السعودية ، وليس فى « الطائف » فحسب .

ومن الغريب أن يكون هذا فى الوقت الذى أثبتت فيه المرأة ـ فى الطائف ـ وعيا اجتماعيا يستحق الاعجاب . فقد اجتمعت ١٥ سيدة وفتاة فأنشأن جمعية « اليقظة النسائية » ، التى لم تلبث أن اجتذبت اليها مزيدا من زميلاتهن ، حتى ناهز عددهن الأربعين .. وتعمل هذه الجمعية على رفع مستوى المرأة دينيا وصحيا وثقافيا واجتماعيا .. ومن جهودها ، العمل على محو الأمية بين النساء ، ورعاية الطفولة والأمومة ، وتعليم الفتاة التى فى سن الزواج شؤون التدبير المنزلى، ومساعدة الأسر المعوزة بتعليم الاناث فيها التفصيل والتطريز مع امدادهن بآلات الخياطة والعناية بتسويق انتاجهن واقامة المعارض لأشغالهن ..

على أننا لم نكد نعرب عن رغبة فى السماح لعدسة «العربى» بتسجيل مظاهر التقدم النسوى، حتى فوجئنا بنظرات الاستنكار من فريق ،ونظرات الاشفاق ممن تطورت عقولهم وأدركوا قيمة الصحافة المصورة ولكنهم يخشون أن يجهروا بآرائهم امام تسلط المتزمتين ..

موطن الحجاج الثقفى

وكان من العسير أن نلم بإقليم « الطائف » كله، فان مساحته ـ كما قلنا من قبل ـ تكاد تعادل مساحة دولة صغيرة . ولكنا اخترنا منطقة « الهدا » ، فى الجنوب الغربى لمدينة «الطائف» .

و « الهدا » اسم تضاربت الأقوال فى طريقة كتابته وتشكيله .. كتبه « ياقوت الحموى » فى كتابه « معجم البلدان » هكذا : « الهدى » ، ثم ذكره فى موضع آخر «الهدأة » ، وأضاف ان الدال قد تخفف فيصبح « الهدة » ، .. وهى منطقة جبلية تتكون من سبع قرى ، بينها قرية « بنى صخر » التى ولد فيها الحجاج بن يوسف الثقفى ونشأ بين ربوعها ..

منذ ٢٨ سنة

وتذكرت ـ والسيارة تنطلق بنا ـ حديث المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ـ فى كتابه « فى منزل الوحى » ـ عن زيارته لهذه المنطقة فى سنة ١٩٣٦ ، اذ أنه حين بلغ ورفاقه فى الرحلة وادى «محرّم» ـ الذى يطل عليه جبل «الهدا» ـ امتطوا حميرا وانطلقوا عليها ..

ويقول الدكتور محمد حسين هيكل : « وخيل الى أننا سنصعد فى هوْنٍ حتى نبلغ غايتنا ، فما راعنى الا الجبل انبعث صعدا فى السماء أمامنا، ولم يدع لنا طريقا نسلكه الا نقبا أحمر يتلوى صاعدا مع الجبل بين صخور كأنما صهرت فى أتون خلع عليها لون النار . ووقفت المطى أمام هذا النقب ، وألقت برؤوسها وآذانها الى الأرض ، وفحصت بأرجلها الصخر تبلو متانته ، ثم تقدمت

أجمل الورود ..





فى احضان الجبال ، وفى التربة الرملية والصخرية ، تنبت الورود فى بساتين الطائف . ومنذ القدم قامت صناعة تقطير الزيوت العطرية من هذه الورود ، وعمل ماء الورد . ونرى فى الصورة العليا عملية وزن الورد بعد فرزه وانتقاء أصلحه ، تمهيدا لنقله الى « الانبيق » لتقطيره بطريقة بدائية ، كما يبدو فى الصورة التى الى اليسار .



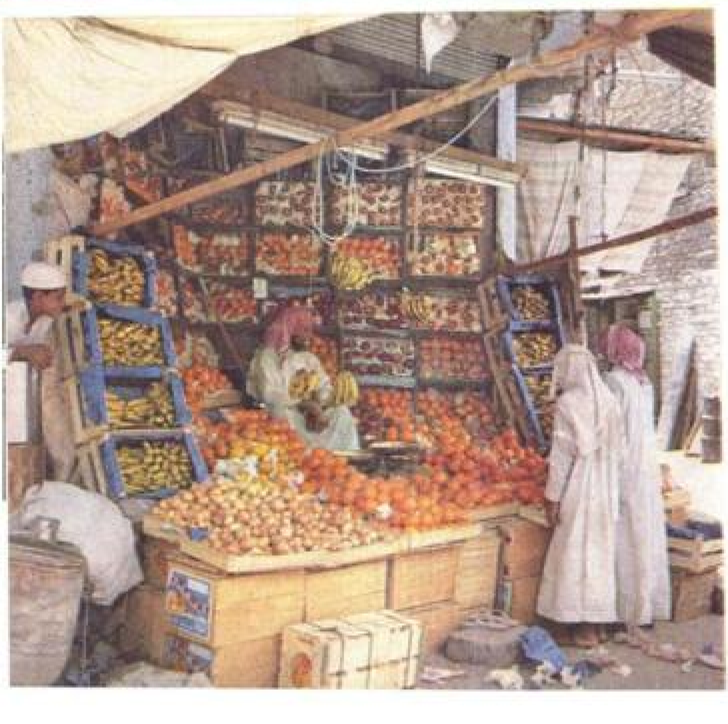
الى اليمين : تلعب المضخات التى تدار بالوقود دورا هاما فى رفع المياه الجوفية من الآبار لترى بساتين « الطائف » ، وان ظلت الماشية تستخدم فى بعض الحقول .

في احضان الجبال





ويوزن زيت الورد العطري بالدرهم ، فهو ثروة ثمينة ، اذ يتراوح ثمن الدرهم بين ١٦٠ و ١٨٠ ريالا سعوديا . قدر ثمن ما في القنينات السبع التي امام الميزان – في الصورة – بحوالي ٣٢٠٠٠ ريال . وقد ظهرت في الخلف زجاجات ماء الورد التي تجد رواجا في الاسواق



الى اليسار : متاجر الفاكهة تعكس صورة لثراء « الطائف » بمنتجات البساتين ، التي تجود منها على اسواق جدة ومكة كذلك .. وهذه واجهة متجر في سوق مدينة « الطائف » .

فى حذر تصعد الجبل ، تضع رجلا فوق صخرة ، وتنقل الثانية الى ما يليها ، وتقف برهة حتى تتثبت منْ موقفها ، ثم تنقل رجلها كرّةً أخرى ممعنة فى الصعود . وأمسكتُ انفاسى .. ورفعت طرق فى لمح البصر الى أعلى الجبل ، ورددته الى موضع الخطو لهذا الحمار المختار الذى أركبه . وفى هذه اللحظات الأولى القليلة القصيرة ، مرت بنفسى مئات الخواطر . وانى لكذلك ، اذ زلقت رجل حمارى على صخرة ، فاستردها مسرعا » .

وكان هذا سببا فى ان يصر الدكتور هيكل على ان يترجل ، وان يتابع الصعود على قدميه . ولكنه لم يكد يطمئن الى ان الطريق استوى ، حتى عاد الى الحمار ..

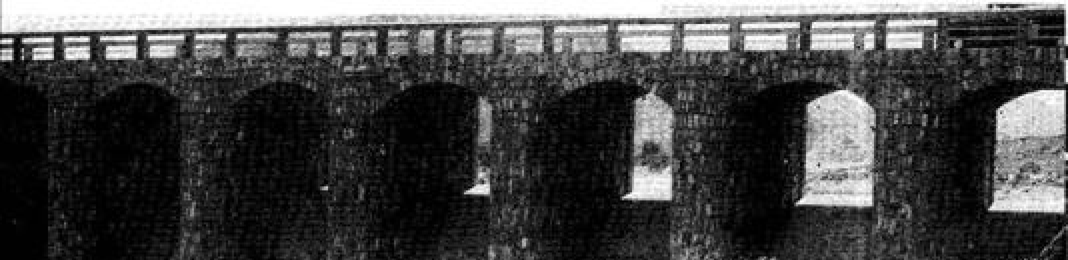
وهنا يقول : « وانا لفى مرحنا وفى قصصنا اذ آن للجبل أن يعتدل عموديا فى ارتفاعه ، وللنقب أن يعود شاقا مخوفا .. ويقوس الحمار ظهره اذ يعلو بقدميه الأماميتين صخرة نابية فى نتوئها ، ويبلغ من تقوسه ان يكاد الانسان ينزلق هاويا وراء ذنبه لولا أن يَشُدّ اللجام .. ويخفق القلب لهذه الحركات البهلوانية خفقا شديدا وتتمتم الشفاه بعبارات الاستعانة بستر الله » ..

وترجل مرة أخرى .. وواصل الصعود على قدميه ، حتى بلغ وصحابه « الهدا » التى ترتفع عن مستوى « الطائف » بحوالى ١٢٠٠ قدم ،وعن سطح البحر بحوالى ٧٢٠٠ قدم .

ولكن الحال تغيرت ...

تذكرت كل هذا والسيارة تنطلق بنا،فأوجست خيفة من المغامرة ، وحاولت أن اشغل نفسى بالقراءة عن التفكير فى الشر المرتقب .. ولكنى لم اقرأ اكثر من صفحة ، ثم رفعت طرق ، فأمسكت انفاسى .. لا جزعا كما فعل الدكتور هيكل ، وانما دهشة ..

كانت السيارة فى طريق تشبه طرق سويسرا



سد « عكرمة » من أقدم السدود ، وقد اقيم فى موقع تاريخى ، حيث حارب النبى ثقيفا . وقد جدد بناء السد حديثا وأقيم فوقه جسر لمرور السيارات .



المياه تجرى من عين « بستان الشريعة » الذى يمتلكه الاشراف فى « المثناة » . وتستأجر الحكومة نصف هذه العين زيادة فى الموارد المائية لمدينة الطائف .

روعة ، وتفوق طرق لبنان فى اتساعها ، وفى خلوها من المنعرجات المفاجئة ، والمنعطفات الحادة .. فالسيارة تمضى فيها مسرعة دون خوف ، تنساب خلال الجبال مصعدة حينا حتى يخال المرء انه اقرب ما يكون الى السماء ، وهابطة حينا آخر حتى يتوهم الراكب انه اقرب ما يكون الى جوف الارض .. ولكنها ـ فى صعودها وهبوطها ـ تنساب فى سهولة وهوادة ، فلا يشعر الانسان بما يساوره عادة من خوف اثناء الصعود والهبوط المتعاقبين ، وانما يداخله شعور من التخفف هو اقرب الى المرح ، فاذا به يريد ان يضحك وأن يمرح وأن يثرثر او يغنى ..

« لمسات » لاجتلاب السياح

وعلى الجانبين ، بدت قرى «الهدا» مستكينة فى احضان الجبال ، تحف بها البساتين الخضر من كل جانب .. مناظر لو جرت فيها يد الاصلاح بشىء من « اللمسات » ، لما صدقت انك فى جزء من صحراء العرب ، ولخلت انك فى احد البلاد التى استطاعت أن تجعل من جبالها وقراها ومناظرها الطبيعية موردا هاما من موارد الدخل القومى

والواقع ان هذه المنطقة من الاقليم الغربى للمملكة العربية السعودية ، تصلح لانشاء مصايف ومشات ومنتجعات تجتذب الناس من اطراف الارض ، لو أن صناعة السياحة ارتقت هنالك وتحررت من الاقتصار على موسم الحج .. ولو ان السلطات المسئولة عنيت بتنظيم الدعاية لها على احدث الطرق .. لا سيما بالافلام التلفازية والسينمائية ..

الآلة فى حقول البادية

وفيما انا فى تأملاتى ، اتصور ما لهذه المنطقة من مستقبل ، انتبهت الى خفقات تنطلق من بين الجبال ، فترددها الوديان .. واصخت السمع ، فاذا هى اصوات محركات عديدة ، تدور فى بعض البساتين والقرى ..

وسألت الدليل الذى كان يصحبنا ـ والذى

صاحب يوما المرحوم عبد الوهاب عزام ، ومستر سانت جون فيلبى ، او الحاج عبد الله فيلبى ، فى جولاتهما الاستطلاعية فى البادية ـ فذكر لى أن هناك مطاحن آلية تقوم فى بعض القرى لطحن البر «القمح» والشعير .. كما ان كثيرا من أصحاب البساتين يحفرون آبارا ارتوازية ، يقيمون عليها مضخات تدور بالمحركات ذات الوقود لرفع الماء واطلاقه فى قنوات للرى ..

وتوقفت السيارة بنا عند قرية « الغربة » أو « الاغربة » أو « الغرباء » ـ فقد تضاربت الأقوال فى صحة اسمها ، وان رجّح « الحموى » أن تكون « الاغربة » ـ لنجوس خلال بعض البساتين ..

فواكه موفورة

وفى البساتين ، كانت مفاجأة لا تخطر بالبال ..

كانت هناك كمثرى ، وعنب ، وتين شوكى ، وتين برشومى ، ورمان ، ومشمش ، وخوخ ، ولوز ، وتوت ، وسفرجل ..

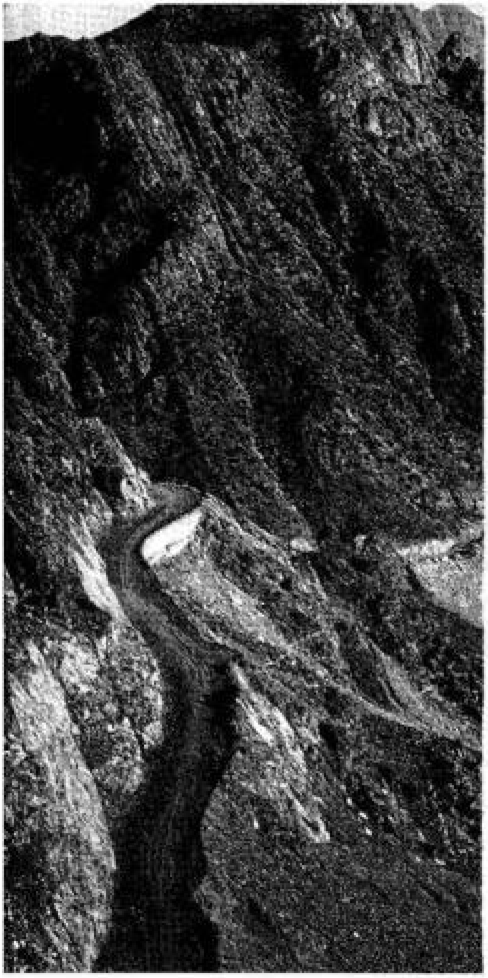
وقال لى الدليل : « ان رمان الطائف من خير أنواع الرمان الحجازى .. فان ثمرته كبيرة ، وبذرها يذوب فى الفم دون أن يخلف « التفل » المعهود فى أنواع الرمان المعروفة » .

وقدم صاحب أحد البساتين بعض ثمار تفاح أخضر فى حجم الليمون الصغير وقال : « وهذا التفاح من أبدع فواكهنا .. ذقه ! » . فقلت : « وكيف أذوقه وهو بعد أخضر لم يستكمل نضجه؟ » .. ولكنى لم ألبث أن تبينت أنه ناضج ، ناعم ، لذيذ الطعم .. وأنه لا يكبر عن حجمه هذا .

وقال الدليل : « وهنا تزرع كافة أنواع الخضر التى تخطر ببالك ، وتزود بها أسواق مكة وجدة » . ولم يكن مبالغا .. كانت هناك الطماطم ، والكوسة ، والقثاء ، والخيار .. حتى « الملوخيا » !

وبينما كنا نجوس خلال البساتين ، وقع بصرى على شىء كذبت عينى فى البداية حين رأيته .. كانت هناك أشجار ورد تنوء بما حملت ، وقد ضوعت الجو بعطر شذى .

وسألت عن مصير هذا الورد الذى ينبت وفيرا فقيل لى ان ثمة عددا من المصانع البدائية فى القرى وفى مدينة «الطائف» ، تقوم على استخلاص عطر الورد وماء الورد منه . ومع أن الطرق المستعملة



جزء من طريق « مكة ـ الطائف » ، فى أوعر مناطقه خلال جبل « كرا » .

فى هذه المصانع أبعد ما تكون عن الأساليب العلمية الحديثة ، الا أن العطر الذى تنتجه من الجودة بحيث يتراوح ثمن الدرهم الواحد منه بين ١٦٠ و ١٨٠ ريالا .. أى ما بين ١٢ر٥ و ١٤ر٥ دينارا كويتيا ، أو ما بين ١٦ و ١٨ جنيها مصريا .

امكانيات واسعة للتصنيع

ولست أدرى ، كيف يفوت المتنورين فى « الطائف » ، أن يستغلوا هذه الخيرات الوفيرة التى تجود بها الطبيعة .. فلو أن مصنعا كبيرا اقيم فى المدينة ، لتولى تصنيع كافة محصول

الاقليم من الورد ، ولانتج كميات معدة ومعباة على احسن وجه لتغزو أسواق العالم ..

وهذه الفواكه الوفيرة .. لماذا لا تكون أساسا لصناعة العلبات والفواكه المحفوظة ؟

وشجر التوت .. لماذا لا يستجلب « دود القز » ويوزع على الاهالى كما توزع « الوحدة الزراعية » عليهم الدواجن والمواشي لتحسين السلالات المحلية ؟ .. ان تربية « دود القز » كفيلة بأن تخلق صناعة الحرير الطبيعى هناك ..

كل شيء يوحى بامكانيات واسعة للتصنيع ، تتيح فرصا للعمل لابناء الاقليم ولأبناء البقاع الأخرى من المملكة السعودية ، وتساعد على زيادة الدخل القومى ، وعلى رفع مستوى المعيشة ..

حركة تعاونية مزدهرة

ولقد اثرت هذا الموضوع فى جلسات ضمت مدير الوحدة الزراعية ، ومدير التعليم ، ومندوب وزارة الشئون الاجتماعية وادارة العمل ، وبعض المتعلمين وقادة الفكر فى «الطائف» ، فكان الجواب التقليدى : « لا تنس أن عمرنا عشر سنوات فقط ، هى المدة التى انقضت منذ بدأت حركة الاصلاح وجهود التطوير والتنمية على أصولها » .

قلت : « أخشى ما أخشاه أن يفعل هذا التبرير فعل المخدر فيقعد بكم » .

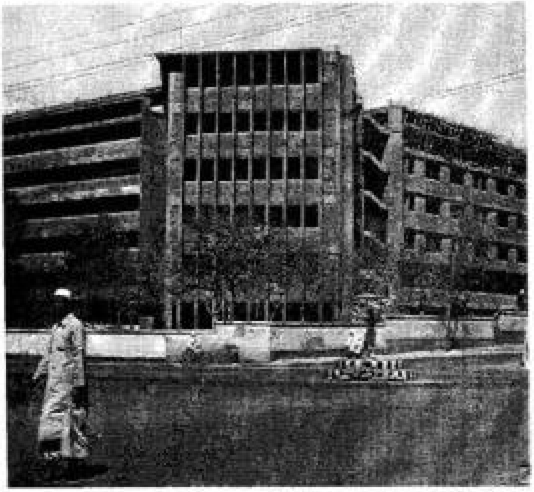
وروى لى القوم أن الأمر على النقيض ، فان الحركة التعاونية تسير سيرا حثيثا فى الاقليم ، وقد تسنى فعلا قيام جمعية تعاونية زراعية تمد المزارعين بالمواد والآلات الزراعية .. فضلا عن قيام جمعية تعاونية استهلاكية - ويسمونها هناك « جمعية تعاونية متعددة الاغراض » - استطاعت برغم قصر عمرها أن تسجل انتصارات باهرة على التجار الجشعين .. وهى الآن تخوض معركة مع تجار المحروقات (البترول والبنزين) الذين عملوا - ازاء وطأة منافستها - على أن يحرموها من المحطة التى كانت تستاجرها لبيع المحروقات ..

فى سبيل التدريب الحرفى

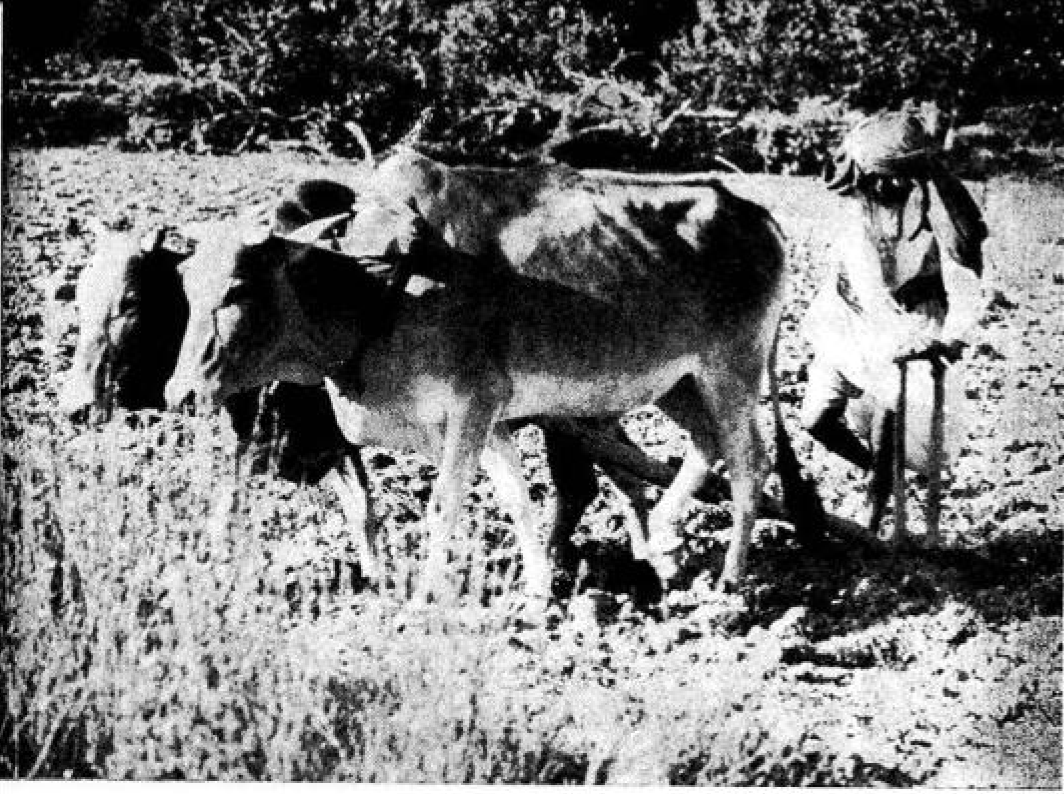
وذكر لى مندوب العمل والشئون الاجتماعية فى « الطائف » أن الوعى الصناعى فى الاقليم لا يزال بحاجة الى تنمية .. فالى عهد قريب جدا ، كان الأهالى يعتبرون ممارسة الحرف - غير الزراعة



استخدام الهزات الكهربائية فى علاج مرضى الأمراض العقلية من أحدث أساليب العلاج المتبعة فى مستشفى « شهار » .



مستشفى الامير فيصل ، الذى يجرى العمل فى اقامته ليكون المستشفى الرئيسى للطائف .



الزراعة من أعرق الحرف فى اقليم الطائف . ولا يزال بعض الاهـالى يستخدمون الدواب فى حرث الأرض ..

والتجارة ـ منقصة تنال من مكانتهم الاجتماعية.. وكانوا يتركون العمل الحرفى للنازحين الى البلاد من حضرموت واليمن وغيرهما..ولكن نظاما جديدا وضع ليحول دون تجديد اقامة اى صاحب حرفة ما لم يتعهد بتدريب عامل من أبناء الاقليم ..

وضرب لى مثلا على الجهود المبذولة لحث القوم على ممارسة الحرف .. فقد كان ابناء الاقليم يابون العمل فى صناعة البناء ، فانتهز فرصـــة انشاء مبنى لمندوبية العمل والشئون الاجتماعية ، وتطوع وموظفو مكتبه للمساهمة فى عمليات البناء ، واذا الذين كانوا يابون العمل يقبلون عليـه فى تحمس ويؤلفون نواة الطبقة العاملة التى يجرى الآن تدريبها ..

الطريق الى مكـة

بعد هذا الاستطراد ، نعود الى « الهَدَا »..

فاننا لم نلبث أن تابعنا رحلتنا حتى قمة الطريق .. اذ أن « الهدا » منتهى جبال تشرف على جبل « كَرَاء » ـ أو « كَرَا » كما ينطقونها ـ حتى ليسمونه بانه « سطح جبل كرا » .. اذ ينحدر الساعون الى مكة من الطائف عنده الى هذا الجبل، ومنه الى عرفات ثم مكة .. ويقال ان هذا هـو الطريق الذى سلكه النبى ـ أو سار فى محاذاته ـ عندما سعى الى الطائف قبيل الهجرة ، ليدعو قبائله الى الاسلام .

ولقد كان شق طريق « الهَدَا » من الطائف عملية انشائية رائعة ، فهو يمتد بين جبال صخرية صلبة فى كثير من الواقع ، ومع ذلك فهو يسير سهلا ، فلا ارتفاعات وانخفاضات صعبة ، ولا منعرجات حادة تتخلله ، مما يكفل اقصى سلامة للسيارات ..

على أن الشطر الثانى للطريق ـ من مكة الى راس جبل « كَرَا » ـ اشد صعوبة ، فانه يمتد



... ولكن مندوبية الزراعة تمد من يشاء من المزارعين
بالآلات الحديثة لقاء أجر زهيد، للنهوض بالانتاج الزراعى.

فى جزء من الجبل ارتفاعه شبه عمودى الى ١٢٠٠٠ قدم . ومن ثم فقد رؤى أن يدور الطريق عدة دورات ليكون تدرج منسوب ارتفاعه ستة سنتيمترات فى المتر .. وقد استغرقت هذه الدورات ـ التى يقصد منها التدرج السهل فى الارتفاع ـ ٢٤ كيلو مترا ، لتصل بين بقعتين من الطريق لا تفصل بينهما سوى اربعة كيلو مترات ..

ولا يسع المرء ـ وهو يلم بهذا ـ سوى أن يتجه بذهنه الى المشاق التى كان الرسول عليه السلام يتكبدها فى سبيل اداء رسالته ، حين سار من مكة الى الطائف .

امكانيات سياحية

والطريق ـ فى ارتفاعاته وانخفاضاته ـ يتنقل بين وديان وجبال . ولما كانت بعض الوديان مجارى للسيول المتخلفة عن الأمطار ـ وهى تكاد تسقط فى ثلاثة فصول من السنة ـ فقد اقيمت على جانبى الطريق فى ارتفاعاته سدود لاحتجاز المياه.

ولقد كان الغرض الأساسى من هذه السدود ، وقاية الطريق وما وراءه من السيول ، وزيادة المياه الجوفية فى المنطقة .. ولكن من الممكن ـ اذا ما خطط مشروع سياحى هناك ـ أن تنشأ فى هذه المواقع بحيرات أو برك صناعية للسباحة ولتربية الأسماك ..

خبرة تاريخية بانشاء السدود

وانشاء السدود من أعرق الأعمال التى تتصل بتاريخ «الطائف» . فقد درج أهله ـ منذ اقدم العصور ـ على الاستعانة بها على دفع أضرار السيول ، وعلى احتجاز مياهها لرفع منسوب الآبار عندما تشح الأمطار ..

وقد بلغ أهل الطائف الاقدمين فى هذا الفن شأوا

بعيدا ، يدل عليه بقاء بعض سدودهم الى اليوم، مثل سد «السَمَلَجي» في وادي «ثمالة» ، الذي امر ببنائه معاوية بن ابي سفيان ، وتولى المشروع عمرو بن العاص ، منذ حوالى ١٣٠٠ سنة .. وهناك حوالى سبعين سدا اخرى أنشب فيها الدهر مخالبه ، ولكن اطلالها لا تزال قائمة تشهد ببراعة البناء ، وصلابة الصخور التي استخدمت فيه .

واحدث السدود هو « سد عِكْرِمة » الذي جُدِّد بناؤه ، فاصبح يحتجز المياه وراءه الى ارتفاع ١٨ مترا . وهو منسوب الى عكرمة مولى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله وجد الخلفاء العباسيين . اذ يقال ان النبي حارب ثقيفا في الوادي الذي يقوم فيه هذا السد وان عكرمة قد استشهد مع بعض الصحابة ، فدفنوا الى جواره .

ولابن عباس تاريخ يختلط بتاريخ الطائف . فقد كان من رواة الحديث، ومن كبار علماء الاسلام .. ويروى الأستاذ احمد السباعي ـ في كتابه «تاريخ مكة » ـ انه كان من أوسع الصحابة علما ،وكانت له حلقة درس في المسجد الحرام بمكة ، وكان يتردد على الطائف ، وقد وافته المنية فيها سنة ٦٨ هجرية ، فدفن هناك في مسجد اقيم في الموقع الذي حاصر تحوات النبي مدينة الطائف عنده..وقد تضافر امراء المسلمين ـ في اليمن والحجاز ومصر ـ على تجديد عمارة هذا المسجد كلما كان يتهدم. ثم اقامت الحكومة السعودية مسجدا جديدا جعلت المسجد القديم جزءا منه .

ولقد فطنت السلطات الى أن تهدم السدود هو الذي ادى الى اضمحلال بساتين الطائف ، اذ أنها ـ على كثرتها اليوم ـ تعتبر قلة بالنسبة لما كانت عليه في الماضي ..

والذي يزور مسجد ابن العباس ، يستلفت نظره مبنى ضخم لا يزال العمل يجري لاتمامه .. ذلك هو « مستشفى فيصل » ، أكبر المستشفيات العامة في الطائف .. ومن المنتظر ـ اذا ما اكتمل ـ أن يضم ٦٠٠ سرير ، وأن تتسع عيادته الخارجية لمثل هذا العدد ..

مستشفيات الطائف

وذكر المستشفيات يسوقنا الى مستشفيين تمتاز بهما الطائف ، اذ انهما اقيما بها لما لجوّها البديع من آثار علاجية ، ويقصدهما المرضى من كافة ارجاء المملكة السعودية .

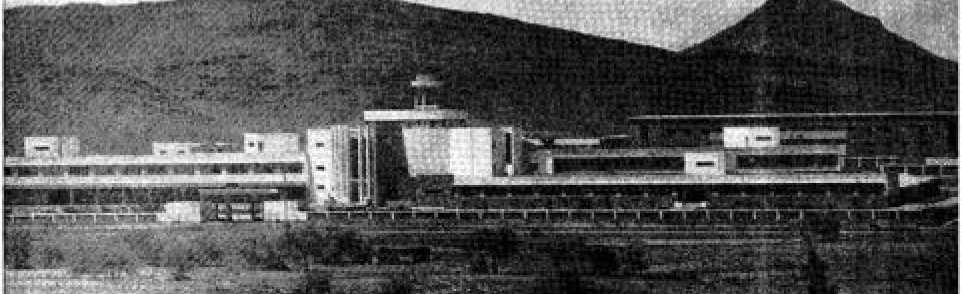
واول هذين المستشفيين هــو « مستشفى السَّدّاد » .. أكبر مصح للامراض الصدرية ، في المملكة . وهو يحمل اسم واد يقوم في اطراف المدينة ، تحيط به هضاب « الرُّدّاف » .

ويتسع مستشفى السداد لحوالى ٤٥٠ مريضا في قسم الرجال ـ المؤلف من ٨ مبان ، كل منها طابقان ـ و٢٥٠ مريضة في قسم الحريم الذي يقوم بمعزل ، وكأنه مستشفى منفصل ..

اما المستشفى الآخر ، فهو « مستشفى شَهّار» .. ويقوم على ربوة مقابلة لربوة المستشفى الاول، وان كانت تطل على بستان أخذ عنه المستشفى اسمه . وهو بستان قديم ، اقيمت فيه أول تجربة لرفع المياه بآلة رافعة يديرها الهواء .. على أن هذه الآلة لم تعد اليوم قائمة ، ولا عاد للتجربة قيمة بعد أن شاع بين القوم استعمال المحركات ذات الحريق لادارة مضخات رفع الماء..

ومستشفى شهار هو المستشفى الوحيد للامراض العصبية والعقلية في المملكة السعودية ، ويضم حوالى ٨٠٠ مريض ، منهم حوالى ١٠ في المائة من الحالات الخطرة، ويجرى العلاج فيه على احدث الأساليب العلمية ، من استخدام للهزات

منظر عام لمستشفى «شهار»..المستشفى الوحيد للامراض العصبية والعقلية في المملكة العربية السعودية





كرمة من كروم العنب فى بساتين الوحدة الزراعية فى « الطائف » . وتشتهر المنطقة بأجود أنواع العنب.

الكهربائية ، ومن تأهيل مهنى يستقل فى العلاج .. ومن طريف ما يذكر أن احد المرضى برع فى اعمال التجارة ، فلما تم له الشفاء ، لم تتردد ادارة المستشفى فى تعيينه تجارا بها ..

وأطرف من هذا ، أن بعض المرضى الهادئين ــ ومعظمهم من ضحايا الصدمات العصبية ــ يصدرون فى المستشفى مجلة دورية منتظمة ..

المستقبل يتفتح أمام الطائف

وبعد ، فالحديث عن الطائف لا يكاد ينتهى ، مع أن تباعد أطراف الاقليم ، وصعوبة مسالكه فى كثير من أرجائه ، حالت دون أن نرتاد أكثر من ربعه أو ثلثه ..

ولكنا لا نملك أن نغفل ــ فى ختام الاستطلاع ــ ما ورد فى كتب التاريخ من أن أكثر العرب الذين تركوا فى التاريخ الاسلامى ذكرا ، كانوا من الطائف، من قبيلتى ثقيف وهوازن .. وانه لولا قيام بيت الله بمكة ، ولولا انها مسقط رأس النبى العربى، لكانت الطائف صاحبة الأمر فى الحجاز ، لا سيما بعد أن فقدت مكة مكانتها التجارية القديمة ، مذ تحول طريق التجارة من البر الى البحر .. بل ان كثيرا من المفسرين للقرآن ، يرجعون المنافسة بين الطائف ومكة الى أبعد من هذا ، اذ يقولون ان الطائف هو احدى القريتين اللتين ورد ذكرهما فى قوله تعالى : « وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » .. وكان عظيم مكة ــ اذ ذاك ــ هو « أبو جهل » ، وعظيم الطائف هو « عروة بن مسعود الثقفى » الذى قُدّر له أن يكون من الصحابة ومن الشهداء ..

ولو أن اقليم « الطائف » وجد من العناية ما يرجى له لأصبح من أشهر المواطن السياحية ، ومن أغنى البلاد بانتاج الفواكه والخضر ، وبالصناعات التى يمكن أن تقوم عليها . ■■

محمد بدر الدين خليل



رجال الهندسة عند العرب

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ في الحلقة السابقة ، من امجاد العرب ، جئت على ما كتب اقليدس الاغريقي ، من كتب في الهندسة ، كانت ثلاثة عشر ، حوت ما عرف الناس في زمانه من هذا العلم ، كتبها في الاسكندرية قبل ميلاد المسيح بنحو ٣٠٠ عام . وذكرت كيف ان هذه الكتب قد عاشت الى يومنا هذا ، رغم التقدم العلمي السريع العميق ، الباغت ، المدهش في عمقه وبغتته ، وكيف انها ظلت الى اليوم تحتوي اصول هذا العلم ، ولم تكد تمسها يد تغيير كبير ، يتعلمها اليوم صبية المدارس ، بمثل ما كان يتعلمها صبية العرب القدماء ، وصبية الاسكندرية الاقدمون قبل الميلاد . وذكرت كيف حفظ العرب هذا التراث ، وزادوه ، ثم الى اوروبا ردوه .

واليوم اذكر رجالات العرب الذين حصلوا اول حاصلين على هذا التراث ، ثم حفظوه ، ثم زادوه .

الحجاج بن يوسف بن مطر

واول هؤلاء الرجال الحجاج بن يوسف . وهو غير الثقفي المشهور ، في بني امية . وقد سبق ان ذكرته . وذكرت انه ابن يوسف بن مطر . وذكرت انه ترجم اقليدس ، مرة للرشيد ، واخرى للمأمون .

اولاد موسى ، قاطع الطريق

ويأتي بعد الحجاج ، اولاد موسى . وهم ثلاثة ، كلهم عشقوا الفكر ، وكلهم تميزوا فيه . ولهم قصة طريفة . جاء ابوهم موسى بن شاكر ، اول ما جاء من خراسان . وكان قطاع طريق في شبابه . ثم تاب . واتصل بالمأمون وصار من خاصته . ثم مات عن ابنائه الثلاثة ، وكانوا صبية ، هم محمد ، واحمد ، وحسن .

وعهد المأمون بهم الى بعض خاصته ليرعاهم واسكنهم مع يحيى بن ابي منصور ، في بيت الحكمة الذي كان المأمون انشأه في بغداد ، بيتا للدراسة والعلم . وصف الافرنج بيت الحكمة هذا ، قالوا انه احتوى على مكتبة علمية ،



ومرصد فلكي ، وكان تاسيسه اكبر محاولة من نوعها في سبيل العلم في العالم منذ كان متحف الاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد .

وجدّ الصبية الثلاثة في دروسهم ، وجدّوا في تحصيلهم ، وتميزوا . وكان اشهرهم محمدا ، ابا جعفر ، بن موسى . كان عالما غزير العلم ، في الهندسة ، وفي الفلك . واما احمد فتميز في الميكانيكا ، في علم الحِيَل .

الحسن بن موسى

اما حسن فتخصص في الهندسة ، فكان عالي الكعب فيها . وكان اذا جرى لا يلحقه فيها لاحق . ولم يكن قرا كل اقليدس ، ولكن اغنته ذاكرته ، واغناه منطقه وقوة حجته عن تمامه . دخل مرة على المامون في مجلسه ، فقال احد جلسائه عن حسن انه لم يقرا من اقليدس غير ستة من كتبه . قال الحسن يدفع عن نفسه : يا امير المؤمنين ، ان السائل اذا سالني فيما لم اقرا لاستنتجت جواب ذلك بالمنطق مما قرات ، دون حاجة الى قراءة ما لم اقرا فاجاب المامون : اني لا اخالف لك رايا ، ومع هذا لا ابرئك كل التبرئة . ذلك ان الناس سوف ترميك وانت العالم العارف بالهندسة ، بأن الكسل قد قعد بك عن اتمام قراءة اقليدس .

ما قال مؤرخو الشرق عن أولاد موسى

ولاولاد موسى هؤلاء شهرة في عالم الفكر ، في شرق وغرب .

اما في الشرق فقد قال عنهم مؤرخوه ، انه الى جانب جهود المامون في جمع علوم الروم ومراسلته ملكهم في ذلك ، وتأبي الملك عليه اولا ثم رضائه ، والى جانب انفاذ المامون بعد ذلك الرجال ليختاروا من هذا العلم ويأخذوا ؛ الى جانب كل هذه الجهود قام في عهده جماعة من اهل اليسار اعتنوا كل العناية بنقل هذه الكتب الى اللسان العربي . ومن هؤلاء محمد واحمد والحسن ؛ ابناء موسى بن شاكر ؛ بذلوا الرغائب وانفذوا حنين بن سحق وغيره الى بلاد الروم فجاءوهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات

فى الهندسة والموسيقى والارثماطيقى والفلسفة والطب .

وقال السجستاني : « ان بنى موسى كانوا يرزقون جماعة من النقلة (يقصد المترجمين) ، منهم حنين بن اسحق ، وحبشى بن الحسن، وثابت بن قرة وغيرهم، فى الشهر نحو ٥٠٠ دينار للنقل والملازمة » .

وقال ابن النديم عن أولاد موسى : « هؤلاء القوم ممن تناهوا فى طلب العلوم القديمة وبذلوا فيها الرغائب واتعبوا فيها نفوسهم ، وانفذوا الى بلاد الروم من اخرجها اليهم ، فأحضروا النقلة (المترجمين) من الأصقاع والأماكن بالبذل السنى » .

ما قال مؤرخو الغرب عن أولاد موسى

ومؤرخو الغرب ، قالوا فى أولاد موسى مثل ما قال مؤرخو الشرق ، وذكروا ، عدا النقل تآليفهم . قالوا : « ان أولاد موسى لمعوا أكبر اللمع ، وكانوا قادة فى العلم وكتبوا الكتب والرسائل ، فى الميزان، وفى الميكانيكا ، وفى علم المخروطات وفى قياسات الكرة ، وفى تثليث الزاوية ، الى جانب بحوث علمية أخرى . وترجمت كتبهم الى اللاتينية ، فى القرن الثانى عشر ، فدخلت أوروبا . ومنها كتابهم فى قياسات الأشكال السطحية والكروية» .

ثابت بن قرّة

ومن رجالات العرب الذين برعوا فى الهندسة ثابت بن قرة بن مروان ومن الفرنجة من يعدّه أكبر عالم فى الهندسة، فى العرب ، وبين كل ناطق بضاد . وكان ثابت فيمن انفذهم أولاد موسى الى بلاد الروم ليختاروا من علمها ، علم الاغريق .

وكان ثابت يعرف ، الى جانب العربية، اللغة السريانية ، وكان يحسن الكتابة بها . وعرف الاغريقية . وكتب مترجما، وكتب مؤلفا، وعدوا له ١٥٠ كتابا بالعربية وستة عشر بالسريانية ، فى الهندسة ، وفى الحساب وفى الفيزيقى وفى الفلك .

ثابت بن قرّة كان صابئاً

وان نحن سقنا خبر ثابت بن قرة لندلل على ما بلغته دولة العرب من حب العلم ، ومن التوغل فى الاستزادة منه ، وهو خبر مشهور بين رجال العلم معروف، فانما نسوقه كذلك لندلل على ناحية اكثر خفاء ، تلك سعة صدور العرب المسلمين للعلم والعلماء من أي دين كانوا، واى نحلة انتحلوا .

فلم يكن ابن قرة مسلما ، ولم يكن حتى نصرانيا او اسرائيليا ، كان صابئا. والصابئة قوم طلبوا الوساطة بينهم وبين الله ، وطلبوها روحا لا بشرا . فهم لا يدينون بالأنبياء . وانتهوا الى ان طلبوها فى الكواكب السيارة ، فكانوا عبدة كواكب .

وكان مقر الصابئة حران بشمال العراق . وفيها ولد ثابت بن قرة . ولد فى اسرة أصيلة بالبلاد كبيرة ، ونشأ واختلف مع شيخ الصابئة فأخرجه من دينه . وخرج ثابت عن حران صابئا . والتقى بمحمد بن موسى ، فأخذه معه الى بغداد . وفى بغداد قدمه للخليفة .

ويجرى الزمن فاذا به يتعرف الى المعتضد ، يوم كان اميرا . وكان المعتضد صاحب علم ، فجرت بينهما مدارسات فى الهندسة والفلك والفلسفة والتاريخ. وتوثقت بينهما الصداقة . وصار المعتضد من بعد ذلك خليفة . ويتحدث ان يدخل الى مجلسه الوزراء والعظماء ويظلون وقوفا ، بينا ثابت بن قرة جالسا بأمر الخليفة .

فأى اجلال للعلم هذا ! واى رحابة صدر ، صدر العربى ، صدر المسلم ،

صدر الخليفة ، خليفة الاسلام . وبمن رحّب ؟ بصابئ عالم .

وافاد ثابت من تلك الصداقة ، وتلك الرحابة ، رحابة صدر لقومه . فسأل الخليفة ان يكون للصابئة موضع ببغداد، وان يكون لهم زعيم فأذِن بذلك . وكان لثابت بن قرة ما شاء .

ابن يونس

وغير الحجاج بن يوسف بن مطر ، وغير أولاد موسى ، وغير ثابت بن قرة كان عند العرب أهل علم بالهندسة كثيرون،يضيق المقام عن ذكرهم اجمعين. ولكن مع هذا لا احب أن يفلت ابن يونس فلا يذكر .

هو كمال الدين ابو الفتح موسى بن يونس ، ولد فى الموصل عام ١١٥٦ ، ثم ذهب الى بغداد ، فأتم دراسته بالمدرسة النظامية بها . وعاد الى الموصل يدرّس فى مدرسة سميت من بعده بالكمالية تكريما له . كان فقيها ، ولكنه جمع الى الفقه العلم بالرياضيات ، وما ترك علما الا كان له فيه باع . فبينا هو يكتب تفسيرا للقرآن، اذا به يعلق على ابن سينا وما كتب . والف فى النحو وفى المنطق ، وفى الفلك وفى الحساب وفى الجبر . ولكنه امتاز فى الهندسة امتيازا كبيرا .

يحكى أن فريدريك الثانى ، ملك صقلية فى أوائل القرن الثالث عشر ،بعث بأسئلة الى العرب يطلب عليها الجواب. وكان منها ما هو فى الطب ، ومنها ما هو فى الفلسفة وما هو فى الرياضة . أما أسئلة الفلسفة والطب فأجاب عنها السوريون . وأما التى كانت فى الهندسة فلم يستطيعوها، وارسلوها الى الموصل، الى المفضل بن عمر الأبهرى ، علما منهم انه فى الهندسة لا يضارعه أحد . فلما احس بصعوبتها دفعها الى أستاذه الشيخ ابن يونس ، فحلها .

قال الخوارزمي : وكانت فى الهندسة مسالة عن خط قطع دائرة ، فانحصرت مساحة بين هذا الوتر والقوس . وكان المطلوب رسم مربع مساحته كهذه المساحة.

فهذا بعض مجد العرب فى الهندسة.

■■

أحمد زكى

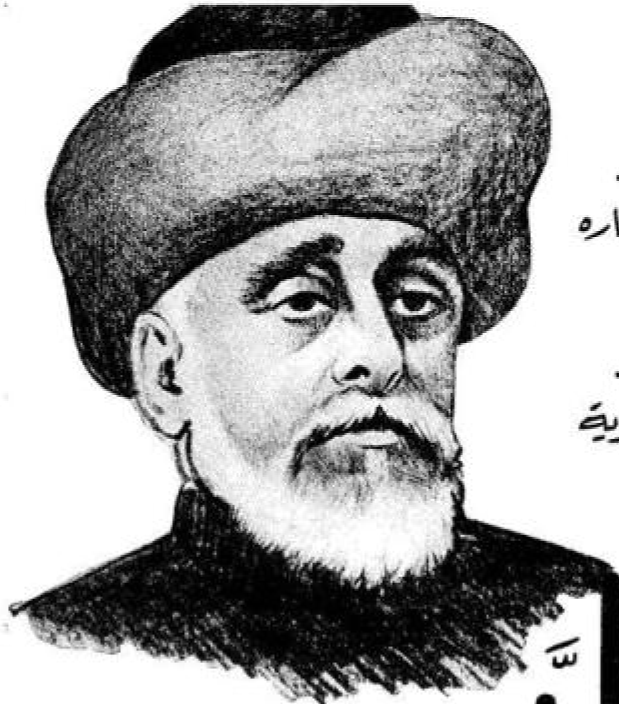
ملك صقلية
طلب من العرب
حل هذه المسالة

الوتر (أ) و (ب) قطع الدائرة التى مركزها (م) . المراد رسم مربع مساحته تساوى مساحة جزء الدائرة المحصور بين الوتر (أ) و (ب) .

هذه هى المسالة التى حلها بن يونس لامبراطور روما فى أوائل القرن الثالث عشر .



كان فريدريك الثانى ، ملك صقلية فى القرن الثالث عشر ، معجبا بما ترك المسلمون فى صقلية من آثار حضاراتهم . وكان مولعا بدراسة مختلف العلوم بما فيها الفلسفة والرياضيات .



- درس المذهب المالكي

بعيدا عن موطن ازدهاره

- خاصم المعتزلة ،

وأفرط في تعصبه للأشعرية

أبو بكر الباقلاني

بقلم : الشيخ محمد أبو زهرة

استاذ الشريعة الاسلامية بجامعة القاهرة

■ اشتدت الحمـلات على المعتزلة في بغداد وسائر بلاد العراق ، وضاقوا ذرعا بكثرتها وتأييد الحكام والشعب لها ، فلم يجدوا متنفسا لهم الا في فارس ، ولم يذهبوا الى بلاد ما وراء النهر ، لأن أبامنصور الماتريدى ومن بعده من التلاميذ واتباعهم قد جعلوا هذه الأرض ليست لهم ، وليست مقاما طيبا يتسع لآرائهم .

وفي منتصف القرن الرابع الهجرى ، كبر امرهم نسبيا حتى صار منهم قاضى القضاة في عهـد عضد الدولة سلطان هذا الاقليم ، وكان هـذا القاضى كثيرا ما يناقش السنيين ، ويفلح بالحجة عليهم ، وينال منهم في حضرة عضد الدولة الذى كان يميل بقلبه للسنيين من غير ان يكره المعتزلين، ولذا اراد ان يستوفد من علماء العراق من يرد على قاضى القضاة وينصر السنة .

وقد اشير عليه بشيخ وتلميذه بالبصرة ، فلما ورد الكتاب اليهما امتنع الشيخ لكيلا يحضر مجلس المعتزلة كراهية له ، اما الشاب فانه استعـد للذهاب ليرد الحجة ويقيم الدليل ، وقال لشيخه ان اهل السنة في عهد الامام احمد ، بامتناعهم عن المناظرة والدفاع عن مذهبهم ، وبيان الحجة أمام

المأمون والمعتصم والواثق،نزل بهم من المحن ما نزل.

لم يرض التلميذ الشاب بالوقف السلبي ، وذهب الى شيراز ، حيث التقى بقاضي القضاة المعتزلي ومن معه ، وناظره واقام عليه الحجة امام عضد الدولة ، فاعجب به ، وأقامه بفارس امدا لينشر مذهب أهل السنة ، ويدافع عنه ، ثم دفع اليه ولده لينهجهم منهاج السنين ، وينشئهم على تفكيرهم .

كان الشاب أبا بكر الباقلاني

ذلكم الشاب هو محمد بن الطيب بن محمد الشهير بابي بكر الباقلاني ، قد آتاه الله قدرة على الاستنباط والاستدلال ، وقد قال فيه أحد معاصريه « من سمع مناظرة القاضي ابي بكر لم يستلذ بعدها بسماع احد من المتكلمين والفقهاء والمترسلين ، ولا الاغاني ايضا ، من طيب كلامه وفصاحته ، وحسن نظامه واشارته » . .

وقد ولد أبو بكر بالبصرة ، ولا يعلم تاريخ ميلاده على وجه اليقين ، وذلك لأن العلماءيولدون كما يولد سائر الناس فلا يهتم الناس بهم حين يولدون ، ولا يذكرون الا بعد أن يشتهروا ، وتستفيض اخبارهم ، ولذلك يعلم تاريخ وفاتهم ، ولا يعلم باليقين تاريخ ميلادهم ، ويظهر من تتبع شيوخه واخبارهم انه ولد في نهاية الربع الأول من القرن الرابع ، أو بعدها بقليل ، او قبلها بقليل .

وقد طلب العلم بالبصرة ، اذ نشأ نشأته الأولى بها ، وتلقى العلم في ابتداء شبابه من علمائها ، واسترعى نظره فقيه مالكي جعل لهذا الفقه بالعراق مكانا ، وان كان ذا مساحة محدودة ، ذلك الفقيه هو ابو بكر الأبهري المتوفى سنة ٣٧٥ فدرس عليه .

درس الفقه المالكي

درس الفقه المالكي ، ونبغ فيه ، ودرس أصوله ومناهجه ، وبلغ فيه درجة وصلت به الى ان يعتبر فقيها من الفقهاء مع كونه اماما من ائمة المتكلمين ، ومع ان المذهب المالكي في العراق كان بعيدا عن مواطن نموه وازدهاره ، فقد بلغ فيه الباقلاني تلك الدرجة العالية ، وقد قال بعض فقهاء المغرب الذي ازدهر فيه المذهب ، وأينع، وآتى أكله . رحلت الى بغداد ، وكنت قد تفقهت بالمغرب والأندلس ، فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر ، ورأيت كلامه في الأصول والفقه مع المؤالف والمخالف ، حقرت نفسي ، وقلت لا أعلم من العلم شيئا ورجعت عنده كالمبتدىء » .

وما زال يعلو في ميدان العلم الاسلامي درجة ، بعد درجة ، حتى صار يذكر في الأقاليم الاسلامية كلها للمناظرة . وقد ذكرنا رحلته الى عضد الدولة ، وقد عاد بعدها الى البصرة ، وولي قضاءها ، ولذلك كان يسمى القاضي أبا بكر الباقلاني ، ويظهر انه كان يقضي بين المالكيين فيها فاليه انتهت رياسة المالكيين في عصره .

شهرته في علم الكلام

وليست شهرة القاضي بالفقه وأصوله ، ولكن شهرته التي طبقت الآفاق هي في علم الكلام ، ودفاعه عن مذهب الأشعري ، وتلقى ذلك عن كبار ائمة المذهب الأشعري في عهده ، ومنهم ابن مجاهد الذي كان من أصحاب ابي الحسن الأشعري ، وتلقى عنه ما انتهى اليه من كلام في العقائد .وهو الذي دعاه عضد الدولة مع تلميذه الباقلاني ، فامتنع وتأبى عن أن يجلس مع المعتزلة، فيمجلس، وحمل التلميذ العبء وحده وذهب وناظر ، وقام بالحجة . وأخذ عن ابي الحسن الباهلي الذي كان تلميذا للأشعري أيضا ، وكان رجلا تقيا صوفيا ، يختفي عن الناس ، ولا يخفي علمه عنهم . وقد قال فيه الباقلاني : « كان الشيخ الباهلي يدرس لنا في كل جمعة مرة واحدة ، وكان منا في حجاب يرخي الستر بيننا وبينه كيلا نراه » .

ولما تلقى مذهب الأشعري عن تلاميذه حمل العبء في الدفاع عن المذهب ، ومناقشة المخالفين بل ان مناقشته لم تقتصر على المعتزلة والشيعة وغيرهم من الذين يخالفون السنيين ولا يوافقونهم، بل ان مناظراته تجاوزت حدود الديار الاسلامية وكان يذهب الى بلاد النصارى يجادلهم في حضرة ملكهم بايفاد من بعض ولاة الأمر من المسلمين ، ليدافع عن الاسلام لا عن مذهب .

صفات جعلته في الذروة

والباقلاني قد اتصف بصفات ، جعلته في الذروة بين العلماء .

أ ــ من هذه الصفات انه كان ذا ذاكرة واعية لكل ما يقرأ ويسمع ، وقد قال فيه الخطيب البغدادي : « كان كل مصنفي بغداد اذا صنفوا نقلوا من تصانيف الناس الى كتبهم، الا الباقلاني،

ثم كانت مناظراته حاضرة دائما لا تغيب عن عقله ، حتى كان اذا صنف فى الخلاف لا يحتاج الى مطالعة كتب المخالفين، وحتى كان تصنيفه لكل ما اختلف فيه الناس مستمدا من حفظه » . وكل هذا يدل على حافظة واعية ذاكرة .

ب ــ وكان مع هذه الحافظة الواعية عميق النظر ، لا يكتفى من العلوم باستحفاظ ما اشتملت عليه بل كان يستنبط ، ويفكر ، ويبنى على ما استنبطه ، ولقد قال ابن خلكان فى وصفه « انه كان مشهورا بجودة الاستنباط ، وسرعة الجواب » .

جـ وكان ذا بديهة حاضرة تأتيه ارسال المعانى فى وقت الحاجة اليها من غير معاناة ولا تكلف ، ولذلك امتاز بمناظراته التى يفحم بها الخصوم بأيسر كلفة ، يرد على التعريض بتعريض مثله ، وعلى التصريح بالحجة القارعة ، والكلام المفحم.

د ــ وكان مع هذه القدرة العقلية والبيانية ذا صلاح وتقوى واخلاص فى دين الله تعالى ،وطلب الحق فيه . ولقد قال ابن عساكر فى كتابه عن الأشعرى والأشاعرة : « ان ما كان يضمره القاضى الامام أبو بكر الأشعرى رضى الله عنه من الورع والديانة والزهد والصيانة اضعاف ما كان يظهره، فقيل له فى ذلك ، فقال انما أظهر ما اظهره غيظا لليهود والنصارى والمعتزلة والرافضة والمخالفين، لئلا يستحقروا علماء الحق والدين » .

وكان مع كل هذه الصفات ذا هيبة واضحة جلية . وهبها الله تعالى له ، وزادها بما مارسه من مواقف بيانية رائعة .

وكان فصيحا مالكا عنان البيان ، يأتيه اللفظ الجميل من غير تكلف ، كما تجيئه المعانى الكثيرة من غير معاناة .

دروسه ومناظراته

نشأ كما قلنا بالبصرة ، وظهرت مواهبه فيها ، وتزود بخير زاد من العلم والتقى ، مع عقل ألمعى، ولسان قومى ، واتجه الى الدرس مع انه ولى قضاء البصرة ، فكان مع قيامه بواجب القضاء يقوم بحق الدرس والالقاء ، وكان ينزع من درسه للمناظرات فى البلاد الاسلامية يدافع عن الأشاعرة، والى غير البلاد الاسلامية فى بلاد الرومان يدافع عن الاسلام ، وحيث تحقق الغرض الذى ترك الدرس من اجله عاد يذاكر تلاميذه ويدارسهم ، حتى اذا ضاقت البصرة بعلمه ذهب الى بغداد ، واقام بها ، واتخذ فى جامع المنصور حلقة علمية عظيمة،كان يجىء اليها العلماء من كل بلاد الاسلام. وقد كان فى هذه الحلقة يقرر المذهب الأشعرى ، ويدافع عنه ويشرح العقيدة الاسلامية كما جاء فى بها القرآن الكريم،وكما ذكرتها السنة ، غير متزيد عليهما الا بما يؤيدهما من دلائل العقل ، وبمقدمات منطقية قوية ومؤيدة وموضحة .

وكانت دروسه تمتاز بالعمق مع الوضوح . ويظهر انه كان يدرس المذهب المالكى فى الفقه ، كما يدرس المذهب الأشعرى فى العقيدة ، وان كان التلاميذ يتغيرون ، فدرسه فى العقيدة عام يشمل المالكيين وغيرهم ، ودرسه للفقه خاص بالمالكيين ، ولذلك قال عنه المالكية : « انه كان امام المذهب فى وقته » .

وكان يدعى للمناظرات كما قررنا فى هذا العصر الذى كان مملوءا بالمناظرات فى شتى العلوم، فمناظرات فى العلوم الفلسفية ، ومناظرات بين المسلمين وغيرهم ، ومناظرات فى الفقه بين الشافعية والحنفية ، ولم يدخل فيها المالكية ، وكان هذا الفصيح الأريب العليم بمداخل الاستدلال ومخارجه بطلا فى هذا الميدان عُرف له مقامه .

رؤية الله يوم القيامة

وكانت طريقته فى المناظرة أن يطلب ممن يناظره بيان رأيه ابتداء ، وهو يعلم انه يخالف ، فان أبدى رأيه وحجته اخذ يلاحقه بنقد الدليل مقدمة مقدمة ، وكانت هذه الطريقة انجع طريق فى افحام خصومه من المعتزلة والشيعة لأنهم يخالفون ظاهر النصوص ، فاذا أبطل سبب المخالفة قامت حجته فى الاخذ بظاهر النص من غير داع الى تأويل . ولنضرب مثلا برؤية الله يوم القيامة ، فقد جاءت بها ظواهر النصوص القرآنية والنبوية ، وأول المعتزلة هذه النصوص . ولننقل المناقشة فيها فى حضرة عضد الدولة الملك ، كما جاءت :

« .. ثم التفت الملك فقال : سلوا أبا اسحق النصيبى عن مسألة الرؤية ، فانكر رؤية الله تعالى فى الآخرة ، وسئل من قبل الباقلانى ما حجتك ؟ فقال: كل شىء يرى بالعين ، فيجب أن يكون فى مقابله عين الرائى . فالتفت الملك الى القاضى أبى بكر، فقال القاضى ابو بكر : لا يرى بالعين ، فقال القاضى المعتزلى : فاذا لم ير بالعين فبماذا يرى؟ فقال القاضى : يرى بالادراك الذى يحدثه الله تعالى فى العين وهو البصر ، ولو كان يرى المرئى

بالعين لكان يجب أن يرى بكل عين قائمة مع أن بعض الأعين لا يُرَى بها .

وان هذا الكلام يستفاد منه أن الرؤية تكون بالادراك الذى يكون طريقه العين فى الدنيا ، وقد يخلق الله تعالى ذلك الادراك من غير العين التى ترى والتى تكون رؤيتها مقتضية المكان ، والله منزه عنه .

انشقاق القمر

وفى مناظرته لملك الروم نجده يجابه الملك بما لم يحتسب ، فيتركه يحتج ، ولم يردّ حجته . ولننقل مناقشته فى انشقاق القمر الذى يعتقد أهل السنة انه انشق فعلا (١) واليك المناقشة :

« قال ملك الروم : « هذا الذى تدّعونه فى معجزات نبييكم من انشقاق القمر كيف هو عندكم؟ » .

قال الباقلانى : « هو صحيح عندنا انشق القمر على عهد رسول الله ، حتى رأى الناس ذلك ، وانما رآه الحضور ومن اتفق نظره فى تلك الحال » .

قال الملك : وكيف لم يره جميع الناس ؟ وهل هذا بينكم وبينه نسبة وقرابة ؟ ولأى شىء لم تعرفه الروم وغيرها من الناس ، وانما رأيتموه أنتم خاصة ؟!

قال الباقلانى : « لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعد لشقوقه وحضوره ، وهذه المائدة (أى التى نزلت من السماء) بينكم وبينها نسبة وانتم رأيتموها دون اليهود والمجوس والبراهمة ، واهل الالحاد ، وخاصة اليونان جيرانكم ، فانهم كلهم منكرون لهذا الشأن ، وأنتم رأيتموها دون غيركم » .

وهكذا نجده يناظر ، فيبين أن عدم رؤية الانشقاق فى الروم سببه عدم التطلع والمراقبة ، ولم يكن فى هذا العهد ارصاد تسجل ، ثم لايكتفى بذلك ، بل يهاجم اعتقاد النصارى أن مائدة نزلت من السماء ، وكان ينبغى أن يراها الناس جميعا على مقتضى نظر ملك الرومان .

فى اعجاز القرآن

وقد كتب الباقلانى كتبا كثيرة فى الفقه المالكى ، وأصول الفقه ، والعقائد والكلام ، وأقواها فى نظرنا كتاب اعجاز القرآن . ذلك الكتاب الذى بين فيه اعجاز القرآن بالدراسة المقارنة لا بمجرد البيان النظرى لأسرار البلاغة فيه ، كما فعل من بعده الجرجانى ، والزمخشرى ، ذلك أنه فى عهده أشاع بعض الكتاب من الزنادقة ان القرآن لم يكن معجزا بذاته ، اذ كان الناس يستطيعون ان يأتوا بمثله ، ولكن الله صرفهم عن ذلك . وآخذوا هذا عن الهنود الذين قالوا فى اشعار الفيدا عندهم ان الناس صرفوا عن أن يأتوا بمثلها . فتصدى الباقلانى للرد ، فأتى بأبلغ ما وصل اليه العرب من بلاغة فى القول ، وذكر الكلام البليغ الذى أجمع العلماء على انه أعلى الطاقة العربية فى البلاغة ، ووازن بينه وبين القرآن ، وأثبت أن الذوق البيانى يوجب الحكم بأن القرآن أعلى بكثير مما أجمع العرب على انه بلغ الذروة فى البلاغة .

وقد شغل الباقلانى عصره بعلمه وكتبه ومناظراته ، وذاع اسمه فى أقصى بلاد الاسلام وأدناها على انه العالم الأول حتى لقد قال بعض الفقهاء : « انه لو أوصى شخص بثلث ماله لأعلم الناس ، لاستحق الوصية الباقلانى وحده من غير تردد بينه وبين غيره » .

افراطه فى التعصب المذهبى

وان الباقلانى كان فى العقيدة أشعرى المذهب متحمسا له ، دافع ونافح ، وقد دفعه تحمسه لان يحمل الناس على المقدمات العقلية التى ساق الأشعرى بها أدلته ، لاثبات مذهبه ، ولم يرد أن يخالفوها ، فهو لم يتحمس فقط للنتائج ، بل تحمس أيضا لسياق الأدلة ومقدماتها ، وان ذلك بلا ريب افراط فى التعصب المذهبى ، فانه قد يكون الناس مقيدين بالنتيجة ، ولكن لا يصح التقيد بنوع معين من أدلتها .

وانه مع هذا قد خالف الأشعرى فى أمور ، ولكن قرر العلماء أن الخلاف فيها لفظى .

ومهما يكن من أمر تقيد الباقلانى بمذهب الأشعرى ، فقد كان عالما جليلا ملأ طباق الارض علما ونظرا فرحمة الله عليه ورضاه . ■■

محمد أبو زهرة

---

(١) أهل السنة يقولون القمر انشق فعلا مصداقا لقوله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر » ، وبعض العلماء يرون أن الآية للمستقبل ، وأن الانشقاق عند قيام القيامة ، فمعنى انشق أنه ينشق كقوله تعالى : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » ، أى سيأتى أمر الله .

أجيالنا الماضية

أسماء الكتب

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد

■ للمقدسي الجغرافي اشارة لطيفة تنطوي على سخرية قارصة من سخريات هذا الجغرافي الأديب الذي لم يدرسه احد منا بعد حق دراسته : قال في سياق مقدمته لكتابه الفذ « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : » وربما سجعت في مواضع ليتفرج اليها عوام الناس ، لأن الأدباء يختارون النثر على النظم ، والعوام يحبون القوافي والسجع »

وحسن العبارة من رجل واسع الذكاء خفيف الروح مثل المقدسي تضع يدنا على سر النكبة التي ابتلي بها النثر العربي ابتداء من منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وهي التزام السجع في الكتابة وانصراف عموم أهل الأدب عن النثر المطلق السلس الذي تتجلى فيه فحولة العربية كما وضع اسسه فحول من طراز عمرو بن مسعدة وعبد الله بن المقفع وسهل بن هارون وجيلهم ، ثم جوّده من بعدهم الجاحظ وابن قتيبة وقدامه بن جعفر ومن جرى مجراهم .

وهؤلاء جميعا كانوا من المكثرين في التاليف ، وانت اذ تقرا ما كتبوا تشعر انهم رجال يكتبون لرجال ، وتحس انهم يحترمونك ويجتهدون في عرض الآراء عليك لتاخذ بها او تناقشهم فيها ، ومن خلال الاخذ والرد بين الكاتب والقارىء يتسع مدى الفكر وتسير اللغة واهلها الى الامام . واذا كان الكلام يدل على الرجل ، فان كلام هؤلاء جميعا يدل على شرف نفس واستقامة شخصية ، ولهذا فقد كانوا موضع الاحترام والتقدير من الناس جميعا ، من الخليفة الى أصغر القراء .

وكتب هؤلاء جميعا تحمل عنوانات واضحة بسيطة تنم عن موضوعاتها ، فالجاحظ مثلا يكتب « البيان والتبيين » و « البخلاء » و « المحاسن والأضداد » ، وما اليها دون أن يفكر في البحث عن سجعة يزين بها العنوان ، لأنه كان رجلا يفكر ولا يعبث ، ويكتب ولا يهزل ، ويخاطب العقول دون ان يسعى الى خداع سلطان او فتنة العوام بالفاظ لا معنى لها ولا مكان . ومثله في ذلك ابن قتيبة وأبو بكر بن أبي الدنيا وقدامة بن جعفر ومن جرى مجراهم من الفحول .

ثم طفت موجة السجع

ثم جاء القرن الرابع الهجري ، وتقسمت رقعة

● أجيال الفحول الأولى لم تعرف التكلف أو السجع في العنوان

● في القرن الماضي اعتقد الناس أن العنوان لابد أن يكون مسجوعا

● حتى الأجانب الذين ألفوا بالعربية حرصوا على سجع العنوان ..

المملكة الاسلامية دويلات انشاها رجال لم ينظر واحد منهم الى صالح الدولة الكبرى بل الى صالح بيته وسلطانه من أمثال منصور بن نوح بن سامان ومراد ربح بن زياد والسبكتكين الغزنوى . وقد اشتهر بعضهم بالميل الى العلم والرغبة فى أهله ، ولكنه كان فى الغالب ميلا الى علم غير عربى كالاهتمام بالآداب الفارسية ، أو ميلا غير صادق ، لأن الغرض منه كان الثقافة والتباهى لا خدمة العلم فى ذاته . وفيما عدا بنى حمدان فى حلب كانت البقية تفيض عروقهم بدماء غير عربية ، وقد افادوا من جاه العروبة ومجدها وانتسبوا اليها ولكنهم لم يخدموها ، ولهذا فقد احاطوا انفسهم بكتاب وشعراء وظيفتهم الأولى امتداح سادتهم وايهام الناس انهم رعاة العروبة ، والاسلام .

وفى بلاطات هؤلاء المستبدين نشأ رجال مثل أبى الفضل بن العميد ، وأبى بكر الخوارزمى ، وأبى اسحاق الصابى والصاحب بن عباد ، وهؤلاء جميعا كانوا حنفظة الفاظ وجماعى دواوين ، ولكن قلوبهم خلت من الاحساس الصادق بلغة العرب وروحها وعبقريتها . وكما استخدمهم سادتهم أدوات سلطان ، فكذلك هم استخدموا الأدب وسيلة للجاه وجمع المال . وقد نقلوا الى العربية تعقيد الفكر الايرانى القديم وسطحيته . وكانوا الى ذلك يكتبون لرؤساء متعربين يريدون التظاهر بالفصاحة حتى يقع فى ظن الرعية انهم عرب خالصون. واحس أولئك الكتاب انهم يكتبون عن عوام الى عوام ، فاتجهوا الى السجع وألوان البديع ، وانحرفت اللغة فى ايديهم انحرافا عطل نموها السليم واضر بروحها الأصيل .

ابن العميد هذا وأترابه ابتلونا بنقمة السجع ، فرسائلهم الفاظ مرصوصة جامدة ميتة لا يقصدون منها الى المعنى ، بل الى الواقع والصورة . وقد عرفت العربية السجع قبلهم ، ولكنه كان عفو الخاطر وفيض القريحة ، يجيء سهلا لطيفا دون تكلف ، أما ابن العميد مثلا فكان لا يكتب التوقيع من أربع كلمات الا جعله شطرين مسجوعين ، وانت تحس وانت تقرأ له انك امام رجل يتراقص ولا يسير ، ويتماجن ولا يستقيم ، ومثله فى ذلك ابو بكر الخوارزمى ، والصاحب بن عباد الذى بلغ من ولعه بالسجع ان قيل فيه « انه لو رأى سجعة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة لما هان عليه التخلى عنها » . وليس هذا بغريب من رجل قيل فيه انه كان اذا مشى «يتثنى ويتلوى ويتهادى » .

وقل مثل هذا فى بديع الزمان الهمذانى الذى ابتلانا ببلية المقامات ، وهى حكايات تافهة تقوم على السجع ورص الكلمات دون نظر الى قيمة اللفظ فى ذاته أو احترام لمعناه ، وتنتهى بحكمة بسيطة سمعها الناس قبل ذلك الف مرة ، أو بنكتة لا يطرب لها الا خلى البال. وهذا هو الضرب الأدبى الذى وصل به الحريرى الى ذروته ، وقد كان الحريرى اديبا ممتازا وقصصيا موهوبا، ولكن السجع اضاعه وجعل منه ــ فى مقاماته ــ بهلوانا لاهيا ، ومن بطله ، أبى زيد السرجى ، افاقا ذا حيل وشعبذات .

وزحفت موجة السجع الى أسامى الكتب

من هنا زحف السجع الى عناوين الكتب ، وقد

بدأ بذلك البديعيون من أمثال أبى منصور عبد الملك الثعالبى . فبينما نجد اعلام الجيل السابق عليهم ، من امثال ابى الفرج الاصفهانى ، وأبى على التنوخى ، وأبى على الحسن العسكرى ، يختارون لكتبهم عناوين بسيطة تدل على موضوعاتها مثل « الاغانى » و « كتاب الديارات » و « مقاتل الطالبيين » و « كتاب الحانات » (كلها لأبى الفرج الاصبهانى) ، و « جمهرة الأمثال » و « كتاب الصناعتين » النظم والنثر ، و « ديوان المعانى » و « التفضيل بين بلاغتى العرب والعجم » (كلها لأبى هلال العسكرى) و « كتاب الفرج بعد الشدة» للتنوخى ، نجد الثعالبى يختار عنوانات مثل « يتيمة الدهر ومحاسن أهل العصر » و « ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب » و « غرر البلاغة » وطرف البراعة » .

نعم أن جيل ابى الفرج الاصبهانى صدرت عنه عنوانات مسجوعة مثل«المستجاد من فعلات الأجواد» و « نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة » للتنوخى، ولكن السجع هنا طبيعى لا تكلف فيه ، بل فيه بلاغة واصالة كما هو واضح من المثالين اللذين اتينا بهما ، والفرق بعيد بينهما وبين قول الثعالبى « يتيمة الدهر » او « ثمار القلوب » ، فهذه عبارات لا تدل على مضمون الكتب ، اما الذى يدل على المضمون فهو القسم الثانى من اسم الكتاب .

ومن مبتكرات الثعالبى تلك العنوانات التى تقوم على الجناس كقوله « اللطف واللطائف » و « احاسن المحاسن » و « اللطائف والظرائف »، وهذه الكتب لا بد أن تقرأها حتى تعرف مضمونها، لأن العنوان نفسه لا يدل على شيء . وربما كان دافع الثعالبى الى ذلك ان هذه الكتب كلهـا مجموعات من الأخبار والاشعار والحكايات والنوادر والشروح والتعليقات ، فهى كتب ادب وتاريخ وفقه ونحو وقرآن وحديث وما الى ذلك ،ويصعب لهذا أن يختار لها عنوان واضح محدد ، ومن هنا مال الى عبارات مثل « اللطف واللطائف » . وهذه الكتب فى تراثنا كثيرة جدا ، ومعظم ما فيها مكرر معاد فى عشرات الكتب ، وهى لهذا من أسهل الكتب نشرا وتحقيقا .

وهذا السبب هو الذى جعل رجلا نابها مثل أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى يختار لكتبه عنوانات مثل « مروج الذهب ومعادن الجوهر » و « التنبيه والاشراف » ، لأن « مروج الذهب » كتاب تاريخ وادب وأخبار وعجائب وجغرافية وحكايات ومعلومات شتى يضيق عنها الحصر ، ومهما بحثنا فاننا لن نجد عنوانا صالحا له الا اذا قلنا مثلا « كتاب المتفرقات » ، وهو عنوان لا يقل ابهاما عن « مروج الذهب » أما كتاب « التنبيه والاشراف » فخليط غريب من معلومات شتى عن الفلك والنجوم والعناصر وتركيب الارض وفصول السنة ومنازل القمر والرياح ومهابها ، وشيء كثير من الجغرافية والاجناس وجوامع تاريخ العالم وسير الانبياء وما الى ذلك ، ومثل هذا الخليط لا يجمعه عنوان ، حتى عبارة « التنبيه والاشراف » لا تدل على مضمون الكتاب ولا من بعيد .

اصحاب الكتب العلمية يثبتون على التقليد القديم زمانا طويلا

ولكن الجادين من أهل العلم ظلوا زمنا طويلا بمنجاة من الحيرة فى اختيار عنوانات كتبهم، ففى أيام المسعودى او بعدها بسنوات ، قبل نهاية القرن الهجرى الرابع على اى حال ، عاش والف رجال مثل حمزة الاصفهانى ، وأبى الفرج محسن بن اسحق بن يعقوب بن النديم ، وأبى على الخازن المعروف بمسكويه ، وأبى عمر محمد بن يوسف ابن يعقوب الكندى وغيرهم من نبهاء المؤرخين ، وهؤلاء جميعا وضعوا لكتبهم اسماء علمية دقيقة مثل « تاريخ سنى ملوك الارض والانبياء » او « الفهرست » أو « تجارب الأمم » ، أو « آداب العرب والفرس » ، او « فضائل مصر » او «أخبار القضاة المصريين » او « تسمية ولاة مصر » .حتى اهل التاريخ فى القرن الخامس من امثال عز الملك المسبحى ، وهلال الصابى ، وأبى عبد الله محمد ابن سلامة القضاعى ، وأبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى، ظلوا على هذه الطريقة العلمية السليمة فى تسمية الكتب ، فنجد عنوان الكتاب منطبقا على مادته مثل « اخبار مصر » للمسبحى، «وتاريخ الوزراء» للصابى ، و « المختار فى الخطط والآثار » للقضاعى، « وتاريخ بغداد » للخطيب البغدادى فاذا صادفنا لأحدهم عنوانا مسجوعا مثل « الكفاية فى معرفة اصول علم الرواية » للخطيب البغدادى لاحظنا ان السجعة هنا طبيعية غير متكلفة ، بل هى تزيدنا تعريفا بطبيعة الكتاب .

ومثل هذا يقـال عن كتب اللغويين وأصحاب المعاجم من أهل القرن الرابع مثل أبى أحمد

الحسن بن عبد الله العسكرى صاحب «التصحيف والتحريف » ، وأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى صاحب « التهذيب » ، وأبى الحسين أحمد ابن فارس صاحب « المجمل » ، وأبى نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى .

وقد عانى الجغرافيون صعوبة كبرى فى اختيار عنوانات لكتبهم ، لأن الموضوع الذى تناولوه واحد على وجه التقريب ، وهو وصف الأرض كلها بصفة عامة ومملكة الاسلام بصفة خاصة ، ومصادر معلوماتهم واحدة ومن ثم فان المادة متشابهة ، بل ان بعضهم ينقل عن الآخر الفقرات الطوال حرفا بحرف ، كما فعل الاصطخرى بكتاب أبى زيد البلخى ، وما فعله ابن حوقل بكتابيهما معا . ومن هنا فان اسماء كتبهم متشابهة لا تخرج عن « صور الاقاليم » أو « الاقاليم » أو « صورة الأرض » أو «المسالك والممالك» . وقد نجد الكتاب الواحد منها يحمل عنوانين من هذه ، فكتاب ابن حوقل يسمى « صورة الأرض » و « المسالك والممالك »، والسبب فى ذلك أن علم الجغرافية العربية كان يمر فى دور التكوين ، ولم يكن له مصطلح خاص ثابت واضح، بل كان كل جغرافى يستعمل المصطلح الذى يروقه ، ومن هنا فاننا نجد فيها كلها اضطرابا شديدا فى معنى المصطلح الواحد ، حتى الألفاظ البسيطة مثل اقليم وبحر ونهر وخليج وبلد وناحية وزمام لا نجد اتفاقا بين الجغرافيين فى استعمالها ، ولهذا فقد رأى ياقوت الحموى أن يقدم لكتابه المبدع « معجم البلدان » بمقدمة طويلة فى شرح المصطلحات وتحديد المراد بها .

ومثل هذا يقال عن عنوانات كتب العلوم والرياضيات والطب ، فمعظمها متشابه الموضوعات ولهذا فهى متشابهة الاسماء . غير اننا نلاحظ خلال القرن الخامس وما بعده اتجاها الى اختيار كلمة أو عبارة قصيرة تكون عنوانا أصليا للكتاب يعقبها بعد ذلك العنوان الحقيقى ، وقد لا يعقبها شىء . ومن أمثال ذلك : « الوافى ، فى العروض والقوافى» لأبى زكريا يحيى بن علي التبريزى ، « والمعرب ، فيما تكلمت به العرب من الكلام الاعجمى » لأبى منصور موهوب بن أبى طاهر الجواليقى ، و « الفصول فى القوافى » لأبى محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان (١) .

ثم طغت موجة السجع على أسامى الكتب جميعا

وفى معظم هذه العنوانات نجد اتجاها واضحا نحو السجع فى العنوان ، ولكن ابتداء من القرن السابع نجد العنوان المسجوع هو القاعدة ، والعنوان البسيط هو الشاذ ، واذا كان عالم نادر المثال مثل أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى قد استطاع الثبات امام موجة السجع واختار لكتبه عنوانات دقيقة بسيطة مثل « المفصل فى النحو » و « أساس البلاغة » و «مقدمة الأدب» و« الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل » ، فان معظم معاصريه من أمثال رضى الدين الحسن بن محمد الصاغانى وضياء الدين بن الأثير ، ونشوان بن سعيد الحميرى ، وعماد الدين الاصفهانى ، ومن اليهم جعلوا أسماء كتبهم سجعات معقدة يلاحظ القارىء بوضوح انهم تعبوا تعبا شديدا فى تركيبها (٢) .

وليس هناك أثقل على النفس من قراءة كتاب للعماد الاصفهانى ، فكتابته سجعات متوالية ، وشطحات لغوية غريبة تحتاج الى ألف هامش لشرحها ، ومع هذا فقد كان الرجل مؤرخا ، والتاريخ علم انسانى يستلزم من صاحبه الكتابة باسلوب واضح بسيط ، وكان معاصرا لرجال

---

(١) و «الانصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين » ، و « لمعة الادلة فى أصول النحو » ، و « عمدة الادباء فى معرفة ما يكتب فيه بالألف والياء » لكمال الدين الانبارى ، و « الموجز فى ايضاح الشعر الملغز » و « اللباب فى علل البناء والاعراب » لأبى البقاء عبد الله الحسين المعروف بالعكبرى ، و « الكامل فى التاريخ » لابن الأثير ، و « الشفاء » لابن سينا وهكذا .

(٢) وهذا واضح فى مثل «العباب الزاخر واللباب الفاخر » و « در السحابة فى بيان مواضع وفيات الصحابة » و «مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية » ، وكلها للصاغانى ، و«الحور العين وتنبيه السامعين » لنشوان بن سعيد الحميرى ، و « الفيح القسى فى الفتح القدسى » و « البرق الشامى فى الفتح الشامى » و « نصرة الفطرة وعصرة القطرة » وكلها لعماد الدين محمد بن صفى الدين الملقب بالعماد الاصفهانى .

افذاذ من امثال نور الدين محمود وصلاح الدين ، ولم يكونوا يطلبون منه هـذا التصنع البالغ في الكتابة ، ولكنه كان فارسي الأصل تعلم العربية كما يتعلمها الاجانب ، وحفظ الكتب والدواوين دون احساس بروح العربية ، ومن هنا فقد اسرف في السجع والغريب النادر حتى يوهم قارئه بانه متمكن من لغة العرب .

وقل بعد ذلك ان نجد عنوانا غير مسجوع ،حتى ان المؤرخين الذين لا يشك في اصالتهم وتمكنهم من اللغة اتجهوا هذا الاتجاه ، فبهاء الدين بن شداد يكتب « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » وهو كتاب عن حياة صلاح الدين ، وشهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بابى شامة يكتب « كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين : الصلاحية والنورية » وعبد الواحد المراكشي يكتب « المعجب فى تلخيص اخبار المغرب » (٣) .

حتى ابن‌خلدون‌عميد مؤرخى العرب وفيلسوفهم اختار لتاريخه المشهور عنوانا غاية فى التكلف والتعقيد والسجع:« كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، فى ايام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر » ، ولا ندرى ما الذى جعل ابن خلدون يسرف هذا الاسراف فى تركيب هذا العنوان الثقيل للكتاب الذى يعتبر آية فى بابه .

واعتقد ان اتجـاه ابن خلدون هذا فى تركيب العنوان هو الذى جعل تلاميذه ، وكلهم من مفاخر تاريخ الفكر العربى ، يجهدون انفسهم فى اختيار عناوين مركبة لكتبهم ، فتقى الدين المقريزى ، وهو انجب تلاميذه ، لم يؤلف كتابا الا جعـل عنوانه مسجوعا مثل « المواعظ والاعتبار بذكـر الخطط والآثار » (٤) .

ومع هذا فقد كان المقريزى ناثرا ممتازا لا يعمد الى السجع الا فى فواتح الكتب ، واسلوبه سهل رصين بليغ ، ولكنه اعتقد فيما نظن ان اسامي الكتب لا بد ان تكون مسجوعة .

وكذلك فعل أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغرى بردى ، وهو من مفاخر علم التاريخ عند العرب ، يكتب تاريخا عاما لمصر يسميه « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ، ثم يكتب تاريخا عاما لدول الاسلام يسميه « مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخـلافة » ثم يؤلف ذيلا للوافي بالوفيات لخليل بن ايبك الصفدى يسميه « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » ، وعنوانات كتبه على ما فيها من سجع خفيفة لطيفة تدل على ذوق ادبي صقيل ، وليس بين مؤرخي مصر من يمتعك بحديثه ويستهويك بجمال سرده مثل ابى المحاسن هـذا .

وبمناسبة « المنهل الصـافي » نقول ان بعض مؤرخينا جعلوا كتبهم تتمات بعضها لبعض ، فقد الف ابن خلكان مثلا « وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان » جمع فيه تراجم مشاهير العرب والمسلمين الى أيامه ، وقد توفى سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ فجاء ابن شاكر الكتبى المتوفى سنة ١٣٦٢/٧٦٤ ـ ٦٣ والف كتابا استدرك فيه ما فاتابن خلكان واوصله الى ايامه وسماه « فوات الوفيات » ، وقـام معاصر له هو صـلاح الدين خليل ابن ايبـك الصفدى ، فاستدرك ما فات الاثنين ، ثم جـاء صاحبنا ابو المحاسن المتوفى سـنة ١٤٦٩/٨٧٤ فاستدرك ما فات الثلاثة وواصل التراجم الىأيامه فىكتابه المبدع «المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي»

ومثل هذا حدث فى الأندلس ، فقد الف ابن الفرضى كتابا فى تراجم علماء الأندلس ، فجـاء بعده ابو القاسم بن بشكوال فاستدرك ما فات ابن الفرضى فى كتابه المعروف بـ « صـلة تاريخ علماء الاندلس » ، وجاء بعدهما ابن الابار فاكمل ما فاتهمـــا واستمر الى ايامه فى كتابه « تكملة الصلة » ثم جـاء ابن الزبير فاكمل ما فاتهم فى كتابه « صلة الصلة » ، ثم ختم المجموعة عبد الملك المراكشي بكتابه « الذيل والتكملة » .

حتى اصحاب الموسوعات الكبرى ، وهم من

---

(٣) وجمال الدين القفطى يكتب « اخبار العلماءبأخبار الحكماء» وشمس الدين يوسفبن قزاوغلى المعروف بسبط ابن الجوزى يكتب « مرآة الزمانفى تاريخ الاعيان » وجمال الدين بن واصل يكتب « مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب » .

(٤) و « السلوك لمعرفة دول الملوك » و « درر العقود الفريدة فى تراجم الاعيان المفيدة » و « الدرر المضيئة فى تاريخ الدولة الاسلامية » و « البيانوالاعراب عما فى أرض مصر من الاعراب » و «شذور العقود فى امور النقود » و « اغاثة الامـــة بكشفالغمة » وهكذا .

اعلم الناس واكثرهم تبحرا لم يسلموا من محنة السجع فى العناوين ، واذا كان عنوان مثل « نهاية الارب» للنويرى لطيفا محتملا ، فليس هناك شك فى ان « صبح الاعشى فى صناعة الانشا » عنوان ثقيل ما كان اغنى القلقشندي عنه .

ولكن الفحول حقا نجوا من محنة السجع

ولكن نفرا من اهل الاصالة فى العلم سلموا من عدوى السجع فى العناوين ، فابو حامد الغزالى مثلا اختار لكتبه عنوانات هي غاية فى البساطة والجمال مثل « احياء علوم الدين » و « المنقذ من الضلال » و « ايها الولد » و « المضنون به على غير اهله » و « تهافت الفلاسفة » حتى مؤلفاته التي نجد فيها سجعا نلاحظ انه سجع لطيف غير متكلف مثل قوله : « بداية الهداية » و « الرد الجميل على اتباع عيسى بنص الانجيل » وهذا الاخير من تحف اسامى الكتب العربية ، لان الغزالي لم يقصد الى السجع عندما قال « الرد الجميل » وانما اراد ان يقول انه سيرد على النصارى ردا جميلا بحسب ما تدعو اليه اخلاق الاسلام فى المناقشة والرد على الخصوم واقناعهم بالحسنى .

وكذلك ابو محمد علي بن احمد بن حزم فقيه الاندلس وعالمه الاكبر لم يعرف السجع فى اسامى كتبه الا فى النادر ، وله ــ مثل الغزالى ــ عنوانات هى غاية فى الجمال مثل « طوق الحمامة فى الالفة والالاف » وهو درة من درر مكتبتنا العربية ، اذ انه كتاب عن الحب والمحبين ، وهو اليوم من الكتب العالمية التي تقرا فى كل لغة من اللغات ، نظرا لطرافته ، وعمقه ، وجمال اسلوبه . وله رسالة قريبة من « طوق الحمامة » فى الروح والاتجاه اسمها « رسالة فى مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق» هى مزيج من الحكموالاعترافات.

ومثلهما فى ذلك ابو بكر بن طفيل ، وليس فى تاريخ الادب العربى عالم اشتهر واصبح من اعلام الفكر العالمى بكتاب صغير واحد الا ابن طفيل ، وكتابه الذى اشتهر به هو « رسالة حى بن يقظان » ، نعم ان له مؤلفات اخرى ، ولكن شهرته كلها قائمة على رسالة حى بن يقظان ، وهى اثمن من عشرات الكتب .

وكذلك كان ابن باجه الفيلسوف ، وهو ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ ، فانه لم يعرف السجع فى العناوين ، وانما هو يقتصر على كلمات قليلة مفيدة مثل « رسالة الوداع » و « تدبير المتوحد » وما الى ذلك . وابن رشد ايضا لم يلجا الى السجع الا فيما ندر ، ونوادر سجعه لطيفة خفيفة لا يصلح العنوان الا بها مثل : « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » و « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » .

والحقيقة ان امثال هؤلاء كانوا مفكرين جادين ذوى اذهان نيرة صاحية ، وهم لهذا لا يفكرون فى سجع او جناس او بديع ، لانهم رجال يكتبون لرجال ، همهم الاقناع وعرض الافكار ، لا شغل الاذهان بتزاويق الالفاظ .

وادت بهم الحيرة فى اختيار العناوين الى تسميات مضحكة ومؤسفة

وخلال العصر العثماني بلغ تعقد اسامي الكتب اقصاه . هنا لا نجد عنوانا غير مسجوع ومهما كان موضوع الكتاب ، او حاجة الناس اليه ، فلا يمكن للمؤلف ان يسميه بتسمية معقولة تدل الناس عليه فى سهولة ويسر ، حتى لو ادى ذلك الى الشذوذ فى التسمية والبعد عن الذوق السليم ، فابن طولون الصالحى يريد ان يترجم لمتاخري الحنفية ، ويجتهد فى البحث عن كلمة على وزن « الحنفية » فلا يفتح الله عليه الا بـ « الغرف العلية فى تراجم متاخرى الحنفية » ، ويكتب رسالة عن دراسته وما توفر عليه من العلوم ويسميها : « اللؤلؤ المنظوم فى الوقوف على ما اشتغلت به من العلوم » ، ونور الدين الحلبى يكتب سيرة نبوية مطولة جيدة نعرفها نحن باسم السيرة الحلبية ، ولكنه يسميها « انسان العيون فى سيرة الامين المامون » ، ومحمد امين بن فضل الله المعروف بالمحبى يكتب كتابا فى محاسن شعراء دمشق وحلب والعراق ، والحجاز ومصر وغيرها ويسميه « نفحة الريحانة ورشحة طلا الحانة » ورمضان بن عامر يؤلف كتابا فى فضائل احد ولاة مصر العثمانيين ويسميه « فتح الوجود وشرح الجود فى مدح الباشا محمود » ومحمد بن ابراهيم ابن الحنبلى يقوم باختصار تاريخ حلب لابن العديم ويسميه « الزبد والضرب فى تاريخ حلب » وابن كنان الدمشقى يكتب تاريخا للفترة بين سنة ١١١١ و ١١٣٤ هجرية ويسميه «الحوادث اليومية فى تاريخ احد عشر والف ومية » وهكذا.

ويلاحظ فى عناوين كتب العصر التركي الميل الى استخدام اسماء الزهور والورود والجواهر

والنجوم فى تاليف سجعة العنوان ، ولا يقتصر هذا على شرق العالم الاسلامى وحده بل شمل غربه ايضا ، حتى كبار المؤرخين واعلام الكتاب لجأوا الى ذلك ، فكتاب ابن اياس المشهور فى تاريخ مصر يسمى « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » ، وكتـــاب المقرى عن الاندلس ولسان الدين بن الخطيب يسمى « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » وكتابه الآخر عن القاضى عياض يسمى « ازهار الرياض » (٥) .

وقد بلغ من حرص المؤلفين على سجع العنوان ان وصلت بهم الحيرة فى اختيار السجعات الى درجة الغرابة والشذوذ ، فمحمد اليعزتى المعروف بالصغير يؤلف كتابا فى تراجم اهل القرن الحادى عشر الهجرى ، ويعجز عن العثور على سجعة لعبارة « الحادى عشر » ، فيسمى كتابه « نزهة الحادى باخبار ملوك القرن الحادى » ، وعيسى ابن لطف الله بن المطهر المعروف بشرف الدين يؤلف كتابا عنوانه : « روح الروح فيما حدث بعد أغوات المائة التاسعة من الفتوح » وابراهيم الوفى الصالحى يكتب كتابا فى تاريخ أغوات مصر وسناجقها الى سنة ١٠٧١ هجرية ويسميه« تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق » (٦) .

واستمر ادباؤنا ومؤلفونا محافظين على هذا المذهب فى تاليف العناوين حتى نهاية القرن الماضى، وعلى الرغم من قيام النهضة الفكرية فى العالم العربى كله ، واتصالنا المباشر بالغرب وادخال العلوم الحديثة ، ونهضة الصحافة ، ظل المؤلفون حريصـــين على تركيب العنوان من شـــطرتين مسجوعتين ، الاولى للزينة والثانية هي عنوان الكتاب ، واذا كنا نعذر فى ذلك رجالا مثل عبد الرحمن بن حسن الجبرتى ، ونقولا الترك ، والامير حيدر الشهابي ، وشهاب الدين محمود الالوسى ، وغيرهم ممن واصلوا التقليد القديم فى التاليف دون تاثر بالتيارات الحديثة ، فاننا نتعجب من حرص مفكر نادر واسع الذهن مثل رفاعة رافع الطهطاوى على تركيب عناوين كتبه على نحو ظاهر التكلف ، اذ لا بد انه اتعب نفسه كثـــيرا ليسمي رحلته الى باريس : « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » ، وكتابه المبدع الذى اطلع فيه معاصريه على احوال اوروبا ونظمهـــا سماه « مناهج الالباب المصرية فى مناهج الآداب العصرية » (٧) .

وعلى هذا التقليد جرى تلاميذ رفاعة من رجال مدرسة الالسن القديمة فى القاهرة ، فقد عربوا مثلا كتابا ضخما فى تاريخ الامبراطور شرلكان او شارل الخامس سموه « اتحاف أبناء الزمـــان باخبار الامبراطور شرلكان » .

حتى كتب العلوم حافظت على هذا التقليد : فاحمد فايد (بك) استاذ الطبيعة والكيمياء فى مدرسة المهندسخانة القديمة بالقـــاهرة يترجم

---

(٥) وكتاب محمد بن عيسى بن كنان الدمشقى فى نظام الدولة العثمانية يسمى « حدائق الياسمين فى ذكر قوانين الخلفاء والســـلاطين » وعبد الملك العصامى يكتب كتابا فى التاريخ يسميه « سمط النجوم العوالى فى أبناء الأوائل والتوالى » والكاتب التركى الاشهر مصطفى طاش كبرى زادة يؤلف فى علماء الاتراك كتابا ممتازا يسميه « الشـــقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية » .

(٦) ومحمد بن قطب الدين النهروانى يكتب كتابا عنوانه « ابتهاج الانسان والزمن فى الاحســـان الواصل الى الحرمين من اليمن ، لمولانا العادل الباشا حسن » وابن عبد الرحمن التلمســـانى يكتب كتابا عنوانه « الزهرة الفائرة فيما جرى فى الجزائر حين أغارت عليها الجنود الكافرة » وأحمـــد السجلماسى يكتب كتابا فى وصف رحلة قام بهـــا ويختار له عنوانا غاية فى الغرابة والشذوذ هو : « اصليت الخريت فى قطع بلعوم العفريت » ، لم لا حظ أن هذا العنوان العامى لن يفهمه الا أهل بلدة سجلماسة فاختار للكتاب عنوانا عربيا فصيحـــا هو أيضا تحفة من تحف العناوين : « عذراء الوسائل وهودج الرسائل ، فى مرج الأرج ونفحة الفرج ، الى سادة مصر وقادة العصر » .

(٧) والســـيرة النبوية اللطيفة التى كتبها سماها « نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز » وكتابه فى التربية سماه « المرشد الأمين فى تربية الأبناء والبنين » ، حتى مترجماته اختـــار لها عنوانات مسجوعة ، فقد ترجم قصة تليماك وسماها « مواقع الأفلاك فى أخبار تليماك » وترجم كتابا فى الجغرافية سماه « التعريبات الشافية لمريد الجغرافية » .

ويؤلف كتبا يجعل عناوينها مثل « الاقوال المرضية فى علم بعثة الكرة الارضية » و « الدرة السنية فى الحسابات الهندسية » (٨) .

حتى الاجانب الذين عملوا فى مصر والشام ، وتعلموا العربية والفوا بها ، كانوا حريصين على سجع العناوين ، فالدكتور كورنيليوس فانديك الهولندى الأصل ، ثم الأمريكي الجنسية ، وفد على سوريا سنة ١٨٤٠ ودرس العربية على يد بطرس البستاني وابراهيم اليازجى ، ثم الف كتباً عربية كثيرة معظم عناوينها مسجوعة مثل « المرآة الوصفية فى الكرة الأرضية » . وزميله الدكتور يوحنا ورتبات الأرمنى الأصل وصاحب القاموس الانجليزي العربي الذي كنا نستعمله ونحن صغار يحافظ أيضا على تقليد السجع فى تاليفه مثل « كفاية العوام فى صحة الاجسام » ، وكذلك الدكتور جورج يوسف الامريكي يؤلف فى الجراحة كتابا يسميه « المصباح الوضاح فى صناعة الجرّاح » .

ويطول الأمر لو استعرضنا كل طرائف العنوانات حتى تخلصنا من ذلك التقليد الثقيل ، وبدأ مفكرونا يضعون لكتبهم عنوانات سهلة واضحة هي اقرب الى روح الأدب وعبقرية اللغة ، ولا شك ان ظهور مؤلفات أدبية مثل « حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحي و « فى سبيل الحياة » لصالح حمدى « وليالي الروح الحائر » لمحمد لطفى جمعة و « ليالى سطيح » لحافظ ابراهيم و « النظرات » و « العبرات » لمصطفى لطفي المنفلوطى يعتبر بشيرا من بشائر النهضة المعاصرة.

العنوان مشكلة كل مؤلف ، ولكن العنوانات المسجوعة كانت حلا غير موفق

وبعد ، فان مشكلة العنوان يعرفها كل مؤلف وكاتب ، وحتى نحن فى ايامنا هذه لا يفرغ الواحد منا من كتاب حتى تقف امامه مسالة العنوان ، وفى دور النشر فى أوروبا وامريكا ناس مهمتهم اختيار عناوين الكتب فى حالة اذا ما بدا للدار أن العنوان الذى اختاره المؤلفلا يجتلب الالتفات بالقدر الكافى ، ولبعض المؤلفين معارك معروفة مع دور النشر حول هذا الموضوع وقد قص أيرنست همنجواي فى بعض مقالاته طرفا منها .

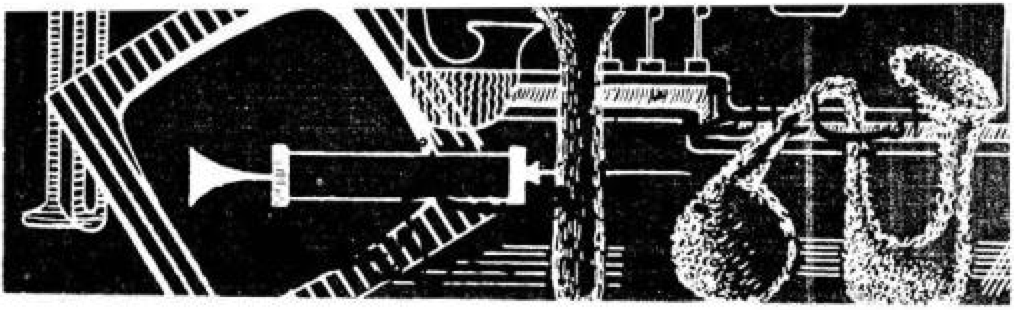
وقد كانت العناوين المسجوعة عندنا حلا غير موفق لجأ اليه المؤلفون ، ولكن يبدو أنهم اضطروا اليه اضطرارا ، فان معظم كتبهم متشابهة فى الفرع الواحد ، فابن واصل ، والمقريزى ، وابو المحاسن ، وابن اياس ، كتبوا تواريخ عامة لمصر والشام وبعض نواحى العالم الاسلامى فى عصور مختلفة ، ولم يكن من الممكن أن يسمى كل منهم كتابه « تاريخ مصر » أو « تاريخ مصر والشام » أو « تاريخ دول الاسلام » ، ولهذا فقد لجأوا الى أشياء مثل « مفرج الكروب » و « السلوك » و « النجوم الزاهرة » و « بدائع الزهور » وما الى ذلك ، وقد أضعنا نحن فى العصر الحديث تعبهم كله عندما أسقطنا الدرر الغوالي التى زينوا بها العناوين ، وقلنا تاريخ ابن واصل وخطط المقريزى وتاريخ ابن اياس وهكذا .

وفى كتب الأدب والفقه كان الدافع الحقيقى هو الرغبة فى استلفات الأنظار والفوز باعجاب الحكام ، وكان معظمهم خلال عصور الترك والمغول والأتراك عواما بالنسبة للغة العربية . واشياء مثل «الدرر الغوالي» و « نظم الجمان » و«ريحانة الألباب » و « بلوغ المرام » و « الامتاع » او « البدر السافر » او « الصواعق المحرقة » و « نزول الغيث » و « الفتح الرباني » وما اليها ، كانت تبهر الأذهان : وكان الناس يقولون ان « الكتاب يعرف من عنوانه » والكثيرون جدا من الحكام الذين الفت لهم الكتب كانوا لا يقراون الا العنوان . ■■

حسين مؤنس

---

(٨) وعامر سعد مدرس الرياضيات بالمدرسةالحربية يؤلف كتابا فى الجبر عنوانه « المنحة الزهرية فى الأعمال الجبرية » ويكتب كتابا فى فرعمن فروع علوم الطبيعة يسميه « أحسن الوسائل لتعريف السوائل » ، واسماعيل الفلكى (باشا)وهو من نوابغ الرياضيين والفلكيين يسمى كتابه فى الفلك « الآيات الباهرة فى النجوم الزاهرة » ،والمهندس الفذ السيد صالح مجدى يختار لكتبه عنوانات مثل « الدر المنثور فى الظل والمنظور »و « بغية الطلاب فى قطع التجارة والاخشاب » و « المطالب المنيفة فى الاستحكامات الخفيفة » .



اكتشاف مصدر عظيم للماء في سوريا

● هكذا يأتينا الخبر بين ما يأتي من اخبار العلم : ان خبراء مـاء الارض الباطني ، التابعين لهيئة الأمم ، كشفوا فى سوريا مصدرا للماء عظيما يمهد السبيل لرى ربع مليون فدان تزرع قطنا وقمحا.

اما الكشف فموقعه سهل الجزيرة ، فتحت هذا السهل يوجد خزان للمـاء الارتوازى عظيم ، وهو يقع ما بين دجلة والفرات .

وموّل هذا الكشف جهتان : الحكومة الســورية ، ومؤســسة الزراعــة والطعام . وهو مشروع رصد له مليون دولار ، واستمر ثلاث سنوات . والماء يمكن ضخه بمقدار ١٢٠ مترا مكعبا فى الثانية . واكثره يوجد على عمق ٦٠٠ قدم ، ولكنه يمتد على امتداد السهل .

وكشف الكاشفون كذلك عن مصدر ماء أعمق يصلح ماء للشرب، وغير الشرب وتمد به المدن الكبرى .

المرضات : هل يخلعن

● كل شىء هذه الأيام يوضـع موضـع النقـد ، موضـع التحقيق والتدقيق .

ولباس المرضة ، هذا الذى تـراه فتعلم منه ان لابسته ممرضة ، كمـا تنظر الى الشرطى فتعلم من زيه انه شرطى ، هذا اللباس نال هذه الأيـام حظه من النقد .

اخذ النقاد يسألون ما نفعه .

ويجيب المناصرون له بأنه لا شك يعطى شيئا من السلطة عند المرضى . ان الطبيب يأمر ، والمرضة تنفذ . والمرضة تقول والمريض يطيع،ولباس المرضة الأبيض ، وياقتها البيضاء ، وقبعتها البيضاء ، أو ما يشبه القبعة، كلها تتراءى فى عين المريض، فى النصف

بُلَهاء ، ولكنهم علماء

● هذه حالة من خوارق الطبيعة .

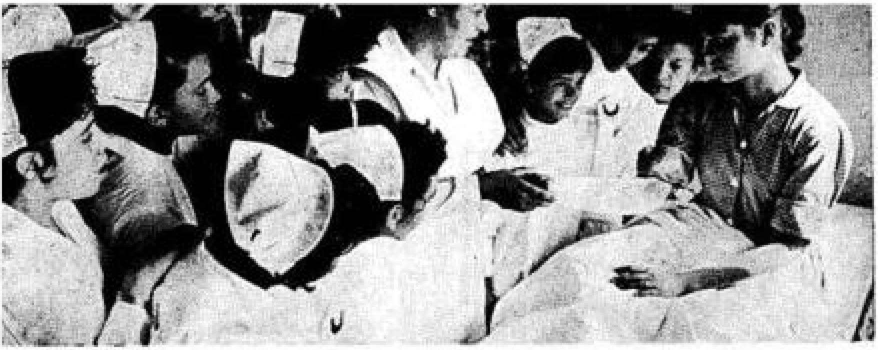
اننا لا نعلم كيف نفهم ، ولا كيف نتذكر ، ولكن مع هذا نلاحظ ان فى صنوف القدرة ، التى العقل اداتها ، يوجد تناسق ، وتوافق .

ولكن هذه الحالة ، وهى لتوامين عمر كل منهما ٢٤ عاما ، انعدم فيها هـذا التناسق انعداما .

انهما شابان ابلهان ، لم ينالا من الدراسة غير سنة واحدة ، نالاها فى المستشفى . وهما لا يعرفان الجمع ، ولا الطرح ، ولا الضرب ، ولا القسمة ، ومع هذا هما فى تاريخ الايام يأتيان بما لا يستطيعه انسان .

انهما يستطيعان ان يذكرا لك اسم اليوم والشهر والعام فى سنوات الثلاثة الآلاف القادمة. وهما يعيّنان لك اى سنة من هذه السنين كبيسة ، وايها البسيطة ، وبسرعة خارقة .

ولهما ذاكرة عجيبة فى تاريخ الأيام ، فهما



ازياءهن ، ويلبسن كما يلبس الناس ؟!؟

الأخلف من الصورة نعم ، ولكن أثرها فى نفسه لا ينكر . تماما كبدلة الشرطى لها أثرها فى نفس المواطن . انها رمز القانون .

وهذا هو رأى الممرضات . انهن يخشين انهن فى لباس الناس العادى ، يفقدن هذه السلطة .

وعدا هذا هن يخشين نفقة الملابس العادية . ان ملبس الممرضة الحاضر زى واحد من قماش واحد . اما ملابس النساء فعدة من أزياء من عدة اقمشة ، وهى لا بد أن تبدل كل يوم لباسا .

وغير هذا تخشى الممرضات عند اطراحهن زيهن الحاضر ، أن ينفتح الباب الذى لا يمكن سده ، باب التنافس فى الأزياء بين الفتيات الممرضات ، وكلفة ذلك كبيرة .

ولكن الذين يقولون بخلع هذا الزى الواحد هم على الأغلب الأطباء النفسانيون . وذلك لأن هذا الزى يعطى المرضة ، أو المصاحبة للمريض بعقله فى غدواته وروحاته ، عكس ما يراد اعطاؤه للمريض تماما . ان هذا المريض يجب أن يعيش بعيدا عن معنى المرض ، ومعنى المستشفى ، ومعنى الممرضات ، وهذا الزى الرسمى يؤثر فيه بعكس ذلك . ان الممرضة التى تخلع هذا الزى ، تعود الى مظهر الانسانة العادى ، الذى فيه الفهم ، وفيه الحنو ، وفيه استجابة المريض عن رضا .

ولا يزال النقاش جاريا .

يذكران لك حال الجو ، صحوا كان ، أو عاصفا ، أو ماطرا ، ليوم انت ذاكره .

ويذكران لك فى سهولة مثلا ان جورج وشنجطن ولد عام ١٧٣٢ ومات عام ١٧٩٩ . ومن غير طرح كما يطرح الناس الأرقام ، يذكران انه عاش ٦٧ ، وان عمره كان يصبح ٢٣٢ سنة لو انه عاش الى اليوم .

والطفلان ولدا لأسرة ، رجلها رجل اعمال ناجح . ولكن جو المنزل كان جوا عاصفا ، تفوح منه رائحة الخمر ، وتتردد فى انحائه الصرخات التى تهدد بالطلاق .

وظهر تخلفهما العقلى وهما فى الثالثة .

وظهرت القدرة على استيعاب التواريخ فى الطفل الأول وهو فى السادسة ، وظهرت فى الآخر بعد ذلك .

واختلف الأطباء النفسانيون فى تفسير ذلك . والذين فسروه قالوا قولا يشبه تفسير الماء بالماء .

احواض السباحة فى الصيف لا بد من تطهيرها

● ان العفن الذى يصيب ماء السباحة يتضمن عدة من المكروبات ، من البكتير ومن الفيروس على السواء . وقد احصى أحـد فاحصى مياه هذه الأحواض من الفيروس ستة انواع معدية معروفة ، لايطهر منها الا المطهرات الكيماوية .

والمطهرات الأشهر التى تستخدم هى عنصر الكلور ، أو أخوه عنصر البروم . وحتى الأخ الثالث لهما ، اليود ، مأذون باستخدامه بشروط .

والكلور أكثر استخداما فى تطهير تلك الأحواض ، وهو يوضع فيها غازا كما هو ، أو على صــورة مركب هـيبوكلوريت الصديوم ، أو الكلسيوم .

وقد اجرى المختصون تفتيشا على عدة من احواض السباحة ، حتى فى الأمم المتقدمة ، فعرفوا أن الكثير غيرُ الظاهر منها ، وانه لم يطهُر أو طهر دون الكفاية والمختصون يعطون النصائح التاليــة لمن يدخل تلك الأحواض :

(١) تأكدْ من أن الحوض قد طهره القائمون عليه وفقا لتعليمات الجهة الصحية فى تلك الناحية.

(٢) خذْ دش ماء قبل ان تنزل الى الحوض .

(٣) لا تدخل حوض الاستحمام عقب الطعام .

(٤) لا تدخل حوض الاستحمام ، وعلى جلدك طفح كائنا ما كان .

(٥) لا تدخل الحوض عقب التطعيم بالجدرى ، أو بعينك التهاب ، أو عندك اسهال .

(٦) لا تبق فى الماء حتى تشعر بالبرد .

(٧) وبالطبع لا تدخل الماء وحدك وانت لاتعرف كيف تعوم !



لمتابعة الاقمار الصناعية فى الســماء

● متابعة القمر الصناعى عند انطلاقه ، ومن بعد انطلاقه ، ليست بالأمر الهين . ومحطة المتابعة الثابتة فى الأرض ، اقدر منها على المتابعة محطة متنقلة . وهذه صورة للمحطة المتنقلة وهى تأخذ صورا فوتوغرافية للقمر أو القذيفة مهما كانت سرعتها . وفى الجهاز الموجه للعدسات محركات كهربائية مختلفة ، واسعة المدى ، تسارع الصاروخ المسارع ، مهما اختلفت سرعته ، واختلفت وجهته.



آلة للكتابة ، تنطق بما تكتب

● وهى للأطفال خاصة ، تعلمهم الكتابة والقراءة ، بالافرنجية طبعا ، لأن مبتدعيها من أهل الغرب .

والطفل يبدأ بكتابة كلمة . انه يضرب حروفها على مفاتيح الآلة ، فاذا كتب الطفل الكلمة صحيحة ، نطقت الآلة بالكلمة ، واذا اخطأ ، لم تنطق الآلة بشيء .

والطفل بالطبع لا يستطيع ان يكتب اى كلمة يشاء . فالآلة وشريطها الناطق ، مؤلفة لتنطق بألفاظ معلومة ، وجمل كذلك معلومة متدرجة فى الصعوبة ، من برنامج وضعه المدرسون .

والآلة تعلم الطفل الحروف اولا ، ثم الكلمات ، اعنى الهجاء .

وهي تعين فاقدى البصر على تعلم الكتابة على الآلة الكاتبة .

فوهات البراكين

● فوهات البراكين ، هل هى فوهات براكين حقا وصدقا ؟

أعنى هل هى كانت بسبب ما خرج من بطن الأرض الى سطحها من حمم من الصخر المصهور ومن غازات ونيران؟ هذا هو الرأى الشائع .

ولكن فى العلم كل شائع مآله الى رجوع به الى تحقيق وتدقيق .. ولا شك فى أن من فوهات البراكين ما صنعه الصخر المنصهر الذى خرج من بطن الارض .

ودليل ذلك ما يطرأ على هذه البراكين الى اليوم من ثورة نراها فيها تقذف الى السماء بالحمم .



ولكن السؤال : هو هل كل الفوهات تكونت هكذا ؟

اما الرأى الآخر فيقول ان من تلك الفوهات ما صنعته فى قديم الزمان نيازك هائلة هبطت الى الأرض فدكتها دكا ، وكان من هذا الدك تولد هذه الفوهات .

ويساعد أهل هذا الرأى الهيئة التى توزعت عليها هذه الفوهات على سطح الارض . فكثير من مواقعها لا يحتمل عنده حدوث ثوران فى بطن الأرض .

ولا يزال النقاش بين العلماء جاريا .

استخدام الزيت الخام في محركات الديزل

● الزيت الخام ، عندما يخرج من الارض ، لا بد من تصفيته ، وتقطيره ليفصل منه البنزين ، ثم ما هو اثقل من البنزين من سائر أجزائه . ومنها الجزء المسمى بزيت الديزل .

وزيت الديزل هذا له محركات خاصة بأتلف تصميمها مع اتخاذ هذا الزيت وقودا لها . وتسمى هذه المحركات بمحركات الديزل .

ثم يخطر على البال : هل يمكن استخدام الزيت الخام ، الخارج من الارض مباشرة ، بعد ازالة ما فيه من ماء ومن رمل طبعا ، وقودا لمحركات الديزل ، وبذلك نوفر عملية التقطير وهي غالية الثمن ؟

وتجرى البحوث لتحقيق هذه الغاية .

وجرت ابحاث في ذلك ، استخدم فيها الزيت الخام وقودا لمحركات الديزل في كندا ، وكانت النتيجة غير مرضية . وهم يرجعون سبب ذلك الى ان الخام الذى استخدم كانت نسبة الكبريت فيه عالية ، فهي تبلغ ٨ في الألف .

اما البحث الذى نقصد ذكره اليوم فهو ذلك الذى يجريه المستر فوشو Faucheux في مختبر شركة الزيت البريطانية B. P. في مقاطعة نوتنجهام بانجلترا .

والمستر فوشو استخدم محركا من محركات الديزل العادية ، لم يدخل عليه اى تعديل . وهو سيره على الوقود الخام ١٥٠٠ ساعة سيرا سهلا حسنا ، تتبعها ١٥٠٠ ساعة اخرى .

وبعد ذلك هو يفك المحرك ليمتحنه من الداخل .

انها تجربة كبيرة خطيرة ، فيها وفر عظيم .

ومن الوفر المحتمل أن البواخر التى تنقل الزيت عبر البحار ، قد يكون في استطاعتها استخدام الزيت الخام بدل الزيت الذى جرت عليه عملية التكرير .

الطب القديم والطب الحديث

● في عصر الفيتامينات ، وعصر المبيدات الحيوية ، والأمصال الوقائية ، يستغرب الانسان انه لا يزال في الارض اقوام لا ترضى من الطب الا بالطب القديم ، طب الأعشاب ، والادهان الطبيعية ، والحجامة وما اشبه . وهذا الطب منتشر أكثر انتشار في آسيا ، وفي الهند ، وفي الصين ، وما بينهما .

وفي فتنام الجنوبية خاصة ، بدأ الناس يتحولون عن وصفات الأعشاب الصينية القديمة الى ادوية هذه المدنية الحديثة . وقد دل الاحصاء في مدينة سيجون الكبيرة على أن نحوا من ٧٩ في المائة من المرضى يفضلون الآن الاطباء الذين يمارسون طب الغرب الحديث ، على الاطباء الذين يمارسون طب الشرق القديم . وكلا الصنفين بالطبع ما يزال قائما جنبا الى جنب .



المعلوف

المؤرخ العربي الموسوعي الأديب



بقلم : البدوى الملثم

■ فى صيف عام ١٩٣٥ جئت لبنان مصطافا ، وسرت الى « زحلة » ، جارة الوادى وارض العنب ، خفيفا طائرا ، ودخلتها فى جلال من فتنة الطبيعة ، وجلال من «وادى العرائش » الفاتن ، وجلال مما اشتهر عن أهلها من كرم نفس ، وسماحة خلق ، وبسطة كف . ويممت القصر المعلوفى أو قل « دار الحكمة » ، فلمحت فى زاوية من بهوه الفسيح شيخ المؤرخين المعاصرين عيسى اسكندر المعلوف ، تحف به هالة من احبار الشعر ، وكهان العلم ، واهل القلم ، وهو يتحدث الى زواره بخفوت صوت ونعومة نبرة ، ويرسل الكلام فى جمل متساوقة ، تكاد تكون اوزانا بنفسها ، ويأتيك بهذه الموسيقى التى تنحدر الى سمعك ، فى عذوبة جرس ونعومة نغم، بأطايب الحديث نظما ونثرا، رواية ومثلا !

وهنا لمعت فى خاطرى صورة « سطيح » (١) شيخ كهان العرب ، الذى اشتهر امره فى متاهات الجزيرة ، وكان الأمراء وشيوخ القبائل ينهدون اليه مستفسرين عن المستقبل واحداثه ،

---

(١) كان الكاهن « سطيح » ـ كما تروى كتب الادب واساطير الاولين ـ يدرج كما يدرج الثوب ، لا عظم فيه الا الجمجمة ، وكان وجهه فى صدره ،ولم يكن له راس ولا عنق ، ولد و « شق » بن انمار بن نزار فى يوم واحد ، وكان كل منهما اشبه بالآخر فى الكشف عن انباء الغيب !

فكان يحدد لهم احداث المستقبل ووقائعه ، ويكشف عن حوادث لا تلبث ان تقع فى موعدها المضروب !

وعلى توالي الأيام توثقت بين العلامة المعلوف وبيني عرى المودة ، وتجاذبنا حبل المراسلات فى ابحاث وشؤون شتى، وكشفت لي الأيام عن صفات ومزايا حبّبت ذلك الشيخ المهيب الى نفسى !

مولده

فى الحادى عشر من نيسان ١٨٦٩ ولد المعلوف فى (كفر عقاب) ، من أعمال المتن بلبنان ، وتلقى دروسه الأولية فى مدرسة قريته ، لكن « نفس عصام » لم تقنع بالابجدية والزامير فى مسقط رأسه ، بل دفعت « عصاما » للبحث والدرس والتنقيب حتى غدا « دودة كتب » ، كما يقول المثل الاميركي ، واصبح بعد جهد علمي شاق فى طليعة الاعلام الذين أسهموا ، فى بناء صرح النهضة الادبية الحديثة فى الشرق العربى !

فى حقل التدريس

وعهد اليه الآباء اليسوعيون بالتدريس فى مدرستهم ب « كفر عقاب » ، ثم عين أستاذا للادب العربى واللغة الانكليزية (١٨٩٣) فى (مدرسة كفتين) بلبنان الشمالى . وفى عام ١٨٩٨ اناطت به ادارة « الكلية الشرقية » بزحلة تدريس الصفوف العليا . وشغل كرسى العربية فيها . وفى عام ١٩٠٨ انتدب لادارة « المدارس الارثوذكسية » بدمشق ، وكانت عهدَ ذاك فى أوج عزها . واسهم فى تحرير جريدة « العصر الجديد » ومجلة « النعمة » وكان يغذيهما بمقالات علمية وأدبية واجتماعية !

فى حقل الصحافة

لم تقف جهود هذا الباحث المحقق عند حد التدريس بل تجاوزته الى بلاط صاحبة الجلالة « الصحافة » فزاولها عام ١٨٩٠ بتحرير جريدة « لبنان » فى « بعبدا » مقرّ متصرفية لبنان ، ونشر مقالات عمرانية وبحوثا فى سائر الفنون ، وابان عمله فى « الكلية الشرقية » لم يكتف بالقاء الدروس ، وتصحيح الواجبات ، بل أسس لطلابه جريدة أسماها « المهذب » ، كانت تطبع على الجلاتين ، وجعلها مسرحا لاقلامهم !

وفى شهر يوليه (تموز) عام ١٩١١ انشأ مجلة (الآثار) وكانت المجلة الفريدة من نوعها فى العالم العربى فى مباحث « الآثار القديمة » وعلى صفحاتها تجلى نبوغه ، وذاع صيته فى الاوساط الثقافية الراقية . ومن المؤسف أن هذه المجلة لم تعمر اكثر من خمس سنوات ، ومجلداتها الخمسة شاهدة على ما سخا به ذلك القلم الخصب على خزانة التاريخ ورفوف الأدب من فصول قيمة ، ومباحث ممتعة ، وروايات طريفة. ونشر فى شهيرات المجلات العربية (كالمقتطف) و (الهلال) و (والمشرق) و (والنعمة) و (المسرة) و (والبشير) و (مجلة سركيس) و (مينرفا) وغيرها من المجلات الراقية فى الوطن والمهجر ، مقالات نفيسة لو جمعت وحزمت فى مجلدات لجنت خزانتا الأدب والتاريخ العربيتان فوائد جمّة من تلك البحوث ، هذا عدا عشرات المقالات والمحاضرات التى نشرت فى « مجلة المجمع العلمى العربى » بدمشق و « الحكمة » ببيروت !

فى حقل التأليف

اشاد المحقق المعلوف، مدة خمسين عاما ونيف، حصنا شامخا من العلم وشق لنفسه طريقا لم تطرق من قبل ، فى عرض الخواتيم والنتائج التاريخية ، وقد نسقها أجمل تنسيق ، وتناولها باسلوب بديع وبيان ساحر ، طبعه بطابع عميق، وقد أسبغ عليه ذلك الذهن المتوقد شخصية بارزة المعالم ، شديدة الوضوح ، تشعر بها فى كافة ما صنّف والّف ، ودونك أسماء بعض مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة :

١ ـ تاريخ الامير فخر الدين المعنى (مصور) وقد صرف على تصنيفه وجمعه اكثر من ربع قرن،

وراجع فى سبيله طائفة من المؤلفات القيمة فى لغات متعددة مع نقد تاريخي ورسوم نادرة بلغ عددها ستين رسما وجاء فى (٥٠) صفحة .

٢ ـ الأسر التى خدمت الطب والمخطوطات الطبية .

٣ ـ تاريخ الطب عند العرب .

٤ ـ الكتابة (فى اربعة اجزاء ، طبع الاول منها والثلاثة الباقية لا تزال مخطوطة) .

٥ ـ الشعر والعصر .

٦ ـ الاخلاق مجموع عادات .

٧ ـ دواني القطوف فى تاريخ بني معلوف .

٨ ـ تاريخ مدينة زحلة .

٩ ـ تاريخ الطب قبل العرب .

١٠ ـ تاريخ لبنان (طبع فى الحرب الكبرى وفيه بحث عن الاخلاق والعادات اللبنانية ومشاهير لبنان ومؤلفيه) .

١١ ـ معارضات قصيدة « ياليل الصب » للحصرى القيروانى وقد ضمنها كلمة فى «المعارضة» لغة واصطلاحا .

١٢ ـ الشعراء (طبع الاول والثاني مخطوط).

١٣ ـ تاريخ الامير بشير الشهابى حاكم لبنان .

١٤ ـ الفلسطينيون عرب .

١٥ ـ تاريخ الأسر الشرقية (فى ١٤ مجلدا) .

١٦ ـ مجموعة محاضراته فى المجمع العلمي العربي بدمشق وفى مجمع اللغة العربية بالقاهرة وفى حلب وحمص وزحلة .

فى دنيا الشعر

خلف المعلوف ديوان شعر اسماه « بنات الافكار » ، ما زال مخطوطا ، يتضمن ثلاثة عشر الف بيت ، جمعت بين المعلقات والمقطوعات ، وفيها تناول الادب والتاريخ والاخلاق وبعض المعربات الشعرية عن اللغات الاجنبية والشعر المعاصر .

ومن حسنات شعره انه سخّر التعابير الشعرية للمصطلحات العلمية ، وقد صدّر ديوانه بمقدمة مبتكرة فى بابها بعنوان « تاثير الشعر » من الشطر ، الى البيت ، فالقصيدة ، فالديوان ، عند الافرنج والعرب .

وخلف المعلوف طائفة من الدواوين المنظومة منها ديوان أسماه « سفر الاحزان » وفيه يصف المصائب التى انثالت عليه وأبرزها مصابه الفادح بنجله « فوزى » الشاعر الذى غنى لشعوب امريكا الجنوبية واسبانيا والبرتغال بسحر الشرق وفتونه !

ومن شعره فى فجيعته الدامية بالشاعر المجدد « فوزى » قال من قصيدة مطولة :

ذروا الثاكل المنكوب مضنى بخطبه
ولا تزعجوه فهو لاه بكربه

يقول الذى يحيي الليالي بندبه :
« لكل امرىء ضيف يسرّ بقربه

ومالي سوى الأحزان والهم من ضيف ! »

وقفنا لـ «فوزى» كل ما كان عندنا
من الأمل الباقى بمسعاه مجدنا

وقد نقض الدهر المروّع عهدَنا
يقول خليلي: «كيف صبرك بعدنا؟»

فقلت: « وهل صبر؟ فيسأل عن كيف؟! »

عمر طويل زاخر

وقد توفى سنة ١٩٥٦ ، بعد عمر طويل زاخر بالاعمال ، وذلك عن ٨٧ عاما . ■■

البدوى الملثم
عمان ـ الأردن

مطرود من الجنة

■ مضت ايامنا الخضراء ..
مضت يا قلب.. فالدنيا خريف فى مآقينا
وأيـار الذى ما كان يغرب عن مغانينا
كأنّ وجودَه ما كان!
فلا طِيبٌ ولا انـداء!
ولا لحن بهيج اللون يا قلبى يواسينا

■ ■ ■

ترى ما قيمة الأشياء ..
ان لم نعرف الأشياء ؟!
عرفنا الحب ..
وغذيناه من دمنا ،
وظللناه بالاهداب
وكان الحب من شفتيه يسقينا ..
وينشر نفسه فينا
فآمنا بأن الحب معنى من معانينا
فياما فى ظلال الود القينا مراسينا ،
وناغينا أمانينا
وكان الحب يجمعنا مع الاحباب
فأيديهم بأيدينا
وياما فوق هام النجم يا قلبى ..
بنينا كلَّ عشٍّ دافيءٍ خلاب ،
وغبنا فيه مع تموز فى حُلُمٍ
ولم يدُمِ !
هنانا ذاك لم يدم

■ ■ ■

تثاءب حاسد من حمأة العفنِ
وهاجمت الظلال الآمنات ذئابْ
وكان أسىً عميق النفس ،
وليل موحش يجتاحنا بالخوف ،
ولفح دونه تتمزق الأعصاب !
تركناها الجنان لكل صِلٍّ جاحِ
وهاجرنا وخلّفنا لها الأفراح
وعدنا نحسب الساعاتِ فى الغربَه
ونسكب مرَّها فينا !
فما عادت نوادى الحب يا قلبى نوادينا
ولا عدنا نرى تموز يخصب فى أماسينا
ويغمرها بألف جناح !

■ ■ ■

ترى من يخبرُ السمراءَ كيف نجاهدُ القلقا
وكيف تذوب أعيننا على نارِ الهوى أرقا
وعن ليلٍ بلا آخر
طويل ليس فيه صباح !
مخيفات ملامح هذه الأشياء ،
وشاحبة شحوب الموت ،
وصامتة تعانى يأسها الجدران !
وفى الباب المقابل تستغيث رياح
كأن الريح مثلى جرحها نغّار !
فأفزع للدروب كأنما أشباح ..
تهاجمنى لتخنقنى !

■ ■ ■

فمن يا قلب يكشف سر مأساتى
وينشر قصة الارهاب والرعب
وكيف أفر من درب الى درب
واعصار مخيف اللفح فى ذاتى ؟!
ومن سيزف للسمراء يا قلبى ..
فجيعة يومنا الآتى ؟
وكيف أعود بعد الخوف للغرفه
وفى نفسى لطيف حبيبتى لهفه !
فاصطنع الرقاد عساه يسعفنى ،
ويجمعنى بطيف حبيبتى صدفه ؟

■ ■

عمان

أيوب طه



اشترك فى تصوير هذا الاستطلاع :

المهندس سامى كركبى
الدكتور زاهى حكيم

مغارة جعيتا

• معرض للفن عجيب .. لكنه من صنع الطبيعة

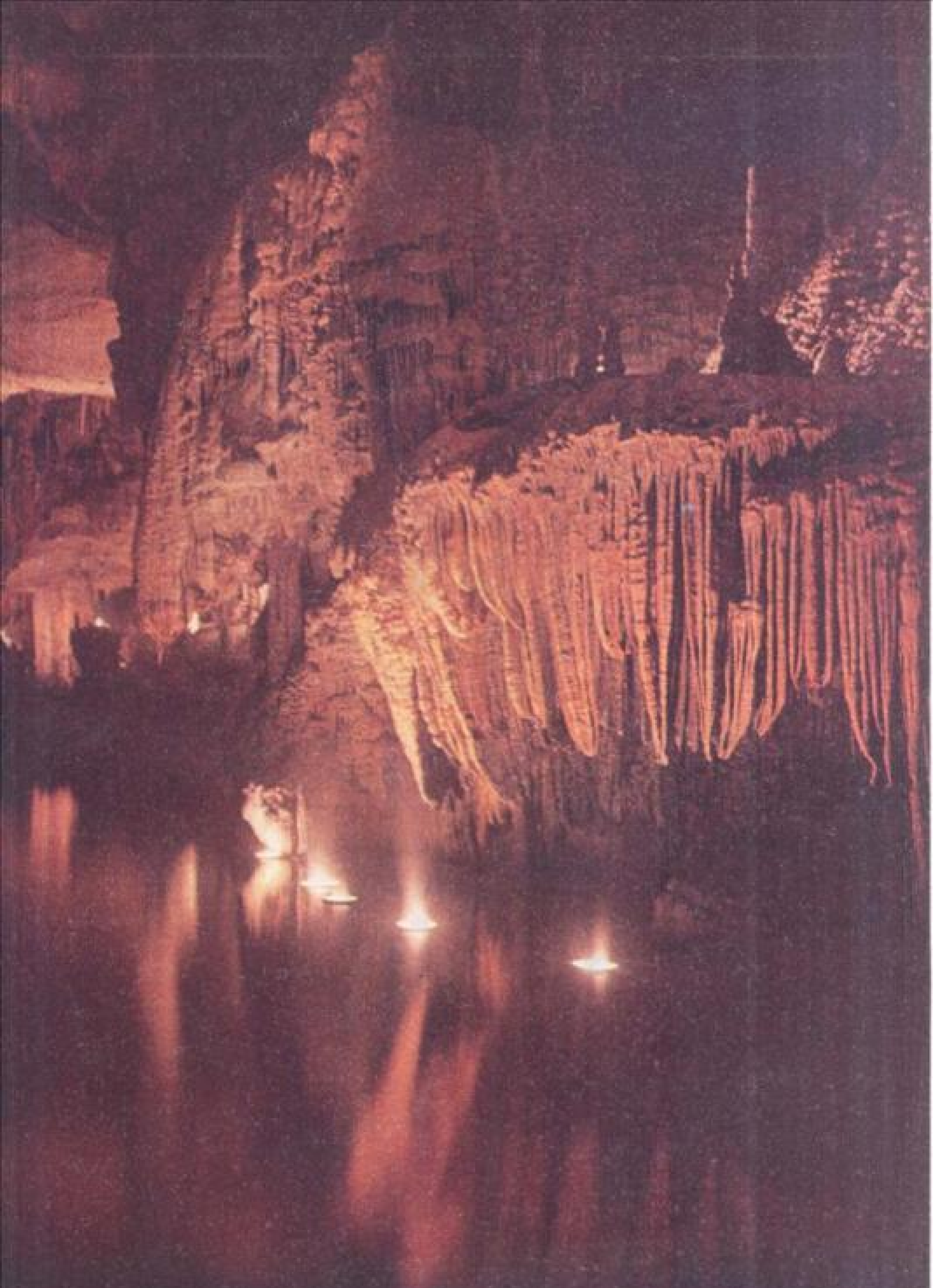
• أشجار وأبراج وتماثيل .. من رواسب الكلسيوم

■ « يا أخا الندرة يا مستعجلا
غده ، عند جعيتا الخبر
حرم للفن فى مجلوة
عبقر تترى تليها عبقر
فيء اليها تر فى قلب الثرى
يد الآف عصور تحفر
روعة الروعات لا يأتى بها
غير من كان به مصطبر »

هذه أبيات من قصيدة عصماء للشاعر شفيق المعلوف أوحت اليه بها مغارة جعيتا .

ماذا تعرف أيهاالقارىء عن هذه المغارة التى هى مصدر الهام للشعراء ومحج للسياح من كل مكان ؟

اذا تصادف أن مررت ببيروت ، عاصمة لبنان ، سواء أكنت طائرا أم مبحرا ، واقتضى خط سير الرحلة أو موعد اقلاع الطائرة أو ابحار السفينة بقاءك فى بيروت يوما أو بعض يوم فان باستطاعتك فى أقل من ساعتين أن تزور مغارة جعيتا ، أعجوبة العجائب ، وستكون هذه السويعات أجمل ما فى رحلتك ، وتبقى ذكراها معك طول حياتك .





اشعة المصابيح تنبعث من خلال الماء فترسم فوق سطحه اعمدة من البخار تنثني كأنها لأجساد راقصات في معبد بوذي !



لوحة تبين سحر الطبيعة وجمالها فيما كونت وخلقت . وكأننا نتطلع الى نافذة عرض حوت التيجان المرصعة بالجواهر واللآلىء والدرر .

موقع مغارة جعيتا

تقع مغارة جعيتا الى الشمال الشرقي من بيروت وعلى مسافة ٢٢ كيلو مترا . تنطلق بك السيارة خارجة من بيروت على طريق طرابلس ـ حلب ، وعلى يمينك تتكسر قمم الجبال وسفوحها، وعلى يسارك تتلاطم امواج البحر المتوسط وما يلبث أن يتلاشى زبدها الابيض عند حافة اليابسة.

يوصلك هذا الطريق العريض الى نفق .. ما ان تنفذ من جانبه الآخر حتى تجد على يمينك طريقا فرعيا تنعطف فيه تاركا الطريق الرئيسى منطلقا فى اتجاه الشمال .

تنقلك هذه الطريق الفرعية الضيقة شرقا وتصعد بك الجبال متسلقة سفوحها وتدور معها كيفما دارت . وتصادفك فى الطريق منعطفات حادة، حتى يخيل اليك أن مقدمة السيارة سترتطم بالجبل حينا أو انها ستنطلق مع جاذبية الطريق لتسبح فى الفضاء قليلا قبل أن تستقر فى قاع واد ليس له قرار .



عند هذا الجسر الضيق ينتهى طريق السيارات ، فيترجل منها الزائرون ليتجهوا نحو مغارة جعيتا أعجوبة العجائب .

تقترب رويدا رويدا من قمة جبل .. وما أن ترتقيه حتى تنحدر بك الطريق دفعة واحدة .. فيضطرب خفقان قلبك من بعد انتظام .. وترتعد فرائصك .. ولكن ما أن تلقى نظرة حواليك وترى الاشجار الخضراء تكسو قمم الجبال وجنباتها .. وترى نهر الكلب قد استقر واتخذ مجراه فى قاع الأودية يتلوى معها التواء الثعبان حتى تتأكد من أن المنظر يستحق المجازفة .. وجدير بالمخاطرة لدقائق من الزمن قد تظنها ساعات ولا ينقذك من هذا الشعور الا قول السائق لك انك قد وصلت .. بالسلامة .. اما الوقت اللازم لقطع هذه الطريق فهو ٣٠ دقيقة .

ويجرى العمل الآن فى شق طريق مكان الطريق القديم يقصر المسافة ٤ كيلومترات بحيث تصبح ١٨ كيلومترا .. وهى نسبة قد لا تبدو هامة ولكن خط سير الطريق الجديد يتلافى المنحدرات الخطرة والمنعطفات الحادة .

اكتشاف المغارة

لم يكن أحد يدرى أن فى بطن تلك الجبال تكمن احدى عجائب الطبيعة .. ولكن الصدفة .. والصدفة وحدها هى التى ازاحت الستار عن مغارة جعيتا .. مفخرة منجزات الطبيعة .

كان ذلك عام ١٨٣٦ حينما ذهب شخص يدعى طومبسون فى رحلة صيد فى هذه المنطقة .. ووجد نفسه فجأة عند مدخل مغارة ، فزحف الى داخلها، وهناك وجد نفسه وسط قاعة فسيحة مظلمة والمياه تتدفع عند قدميه .

اطلق دكتور طومبسون عيارا ناريا من بندقيته واصاخ السمع الى الصدى الذى تردد عن الصوت الذى احدثه انطلاق الرصاصة ، وعندها تأكد من وجود دهاليز عميقة تحت الأرض . وهكذا اكتشفت مغارة جعيتا لأول مرة .

وفى شهر سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٧٣ صمم اثنان من المهندسين ، يعملان بمصلحة مياه بيروت، وهما « ماكسويل » و « بلسن » ، على البحث عن منبع نهر الكلب فدخلا فى هذه المغارة وقد تجهزا بالواح خشبية شد بعضها الى البعض الآخر ، وربطت بها قِرَبٌ منفوخة لتساعد على الطفو فوق الماء . وبعد ان جدف ماكسويل وبلسن



طلاب وطالبات ، صغار وكبار ، يأتون من كل مكان فى لبنان لرؤية مغارة جعيتا ، وينتشرون فى الوادى الواقع أمام مدخلها بين الصخور وتجرى تحت أقدامهم المياه التى تغذى نهر الكلب .

مسافة خمسين مترا ، وقفت صخرة هائلة فى طريقهما فلم يتمكنا من مواصلة التجديف ، وقد عرفت تلك الصخرة فى نفس الوقت باسم « الستار » .

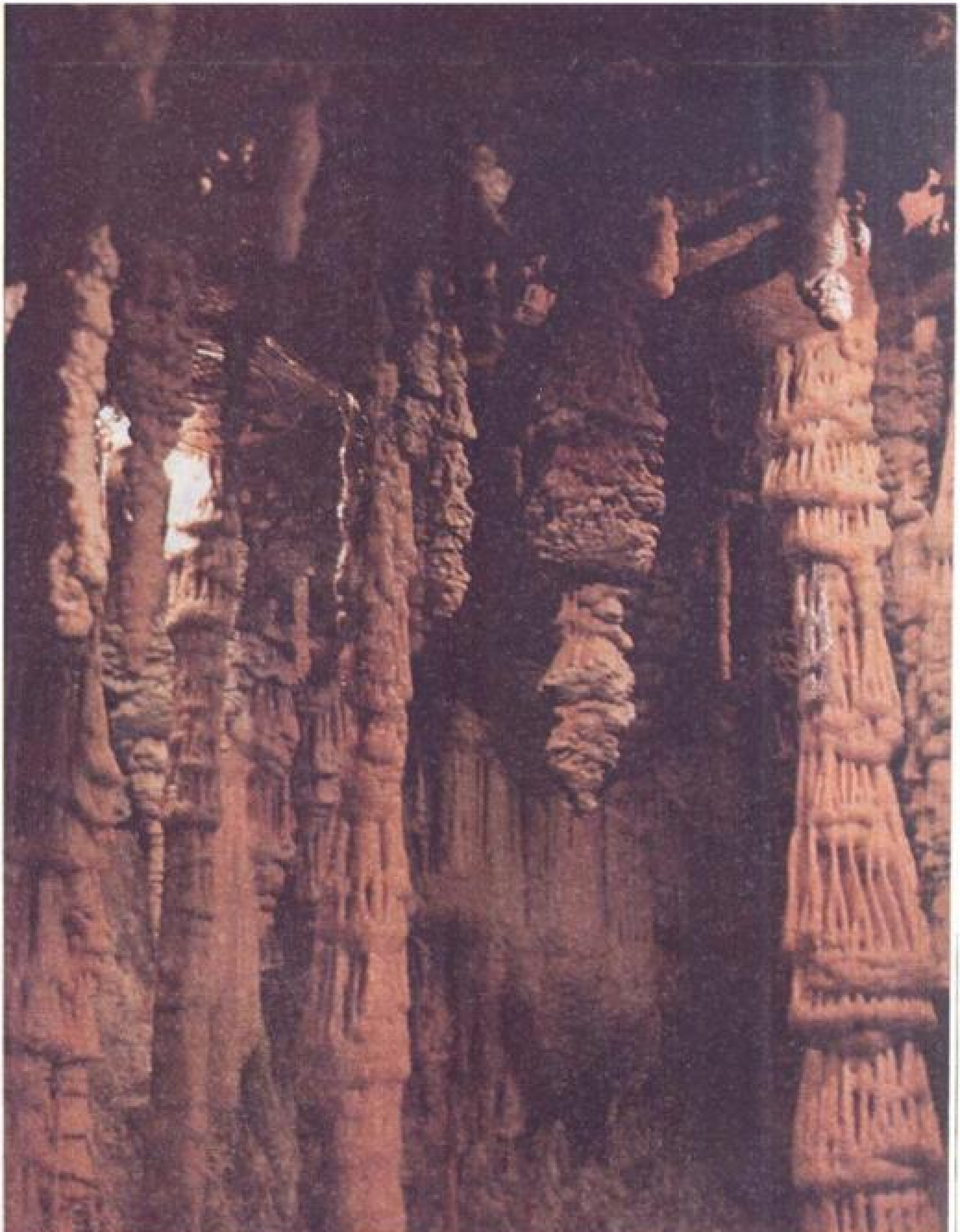
تقدم أعمال الكشف فى المغارة

ولم يدب اليأس فى نفسيهما ، فأعادا الكرة من جديد بعد سبعة أيام فى محاولة ثانية ، ولكنهما ادخلا على تجهيزاتهما بعض التحسينات اذ أحضرا وحدتين من الألواح الخشبية المجمعة ، وقاربا صغيرا ، كما استعانا بضوء الشموع وأنوار مصباح الكيروسين الباهتة .. ومكثا هذه المرة عشر ساعات .. ووصلا فى تلك المحاولة الى ما سمى Hell's Rapids أو ما ترجمته « شلالات جهنم » على بعد ٨٠ مترا من المدخل . وقد بهرتهما مناظر المغارة الداخلية ، فاراد بلسن ان يخلد هذا العمل الجرىء فوضع زجاجة فارغة بداخلها ورقة كتبت عليها أسماء أعضاء الرحلة والتاريخ وبعض التفاصيل المتعلقة بالحملة الاستكشافية عند آخر نقطة وصلا اليها ، وحفرا كتابة على الصخر .

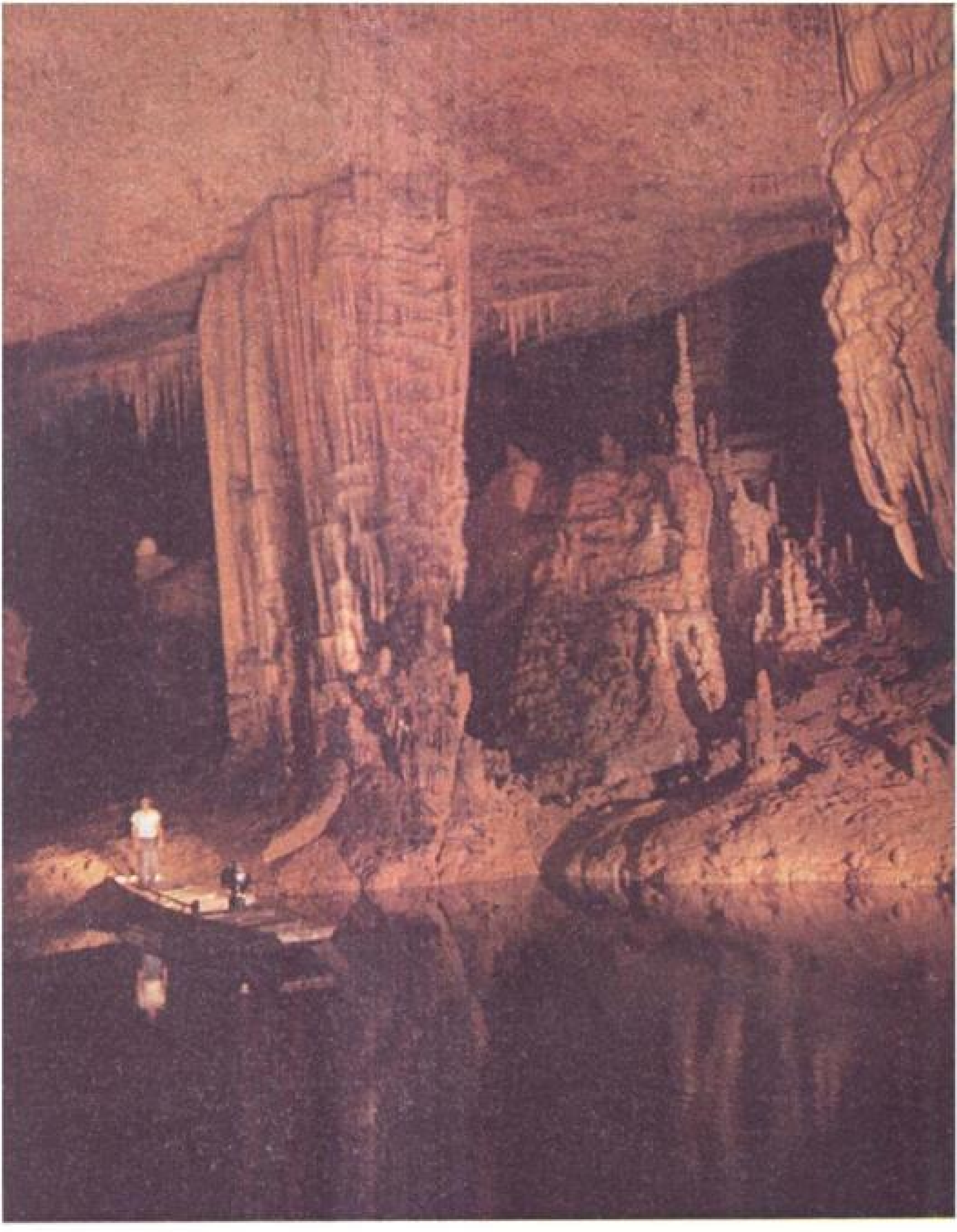
وتتابع المستكشفون لهذه المغارة ، الواحد بعد الآخر . وكان الدكتور لامارش Lamarche اول من نجح فى عبور « شلالات جهنم » بعد نصف قرن وقطع مسافة خمسين مترا توقف عندما يعرف باسم « حاجز لامارش » .

وفى عام ١٩٢٦ قامت حملة بقيادة الدكتور وست West ، وتوغلت مسافة ٤٠٠ متر أخرى فى أعماق المغارة . وفى العام التالى وصل تومسون الى مسافة ٢ كيلومتر .

وبعد ١٨ عاما قام أربعة من الشبان اللبنانيين المهتمين بالتنقيب عن المغاور وتوغلوا الى مسافة ٢ر٥ كيلومتر . وتتابعت بعد ذلك أعمال التنقيب بسرعة حتى وصل الرقم الى ٦٢٠٠ متر . وبعد



لقد شكلت الطبيعة هذه البلورات الصافية على شكل مآذن أو شكل معابد صينية أو هندية مما يطلق عليها اسم « بجودا » والناظر اليها يتصور انه امام معبد حقيقي خلا من العابدين .



مياه النهر الرائقة الصافية داخل المغارة ، وتراها تعكس صورة
القارب ومن فيه بشكل واضح ودقيق على أضواء المصابيح الكاشفة .

تاسيس النادي اللبناني للتنقيب في المغاور سنة ١٩٥١ ازدادت مسافة التوغل الى ..٤٤٠ متر ومن ثم الى ٦٢٠٠ متر .. في سنة ١٩٥٤ واستغرق الوصول الى تلك النقطة والرجوع الى المدخل اسبوعا .

مغارة جعيتا تصبح مغارة سياحية

رأينا كيف سارت مراحل اكتشاف مغارة جعيتا وتسلسلها الزمني . وكان مفوض السياحة والاصطياف اللبناني قد زار المغارة أثناء المراحل النهائية لاستكشافها ورأى انها تصلح مكانا يرتاده السواح ليشاهدوا عجائب الطبيعة .

وفي سنة ١٩٥٦ كلفت المفوضية المهندس سامي كركبي ، احد اعضاء النادي اللبناني للتنقيب في المغاور ، ببدء العمل في تجهيز المغارة . والسيد كركبي في الحادية والثلاثين من العمر الآن ، وهو مهندس وتلقى دروسا في علم الحشرات ، ودروسا في علم المغاور وهو مايعرف بالافرنجية باسبليولوجي Spéléologie وهو حاليا رئيس مصلحة المغاور التابعة لمديرية السياحة والاصطياف وهي بدورها تابعة لوزارة الارشاد والانباء اللبنانية .

تاسس هذا النادي ، واسمه يدل على الأهداف التي تاسس من أجلها ، عام ١٩٥١ وهو يتألف من هواة يميلون الى المجازفة والمغامرة . وعدد أعضاء النادي يبلغ في الوقت الحاضر ٢٤ عضوا بينهم المهندس والطبيب والاستاذ . وقد أتم النادي اكتشاف ١٧٠ مغارة . وتأتي مغارة جعيتا في رأس قائمة تلك المغاور من حيث الأهمية ، وتليها في ذلك مغارة رويس في العاقورة قرب أفقا .

افتتاح المغارة

بدأ العمل تحت الأرض في جوف المغارة .. في جو مظلم رطب ..

وراح العمال يدبون كدبيب النحل في مساكنها ، أو قطيع الأرانب في أوكارها ، يعملون في احشاء المغارة تنظيما بمعاولهم ومجارفهم وأزاميلهم .

وبانتهاء صيف ١٩٥٦ واطلال الخريف، اصبحت المغارة في وضع يسمح بدخول الزائرين . أما افتتاحها الرسمي فقد حدث في شهر يولية (حزيران) ١٩٥٩ ، واستقبلت في ذلك الموسم ٤٢ الفا من الزائرين ما بين مواطن وسائح ومصطاف .

وبلغ عدد من ارتاد المغارة في السنة التالية (١٩٦٠) ٦٦ الفا ، وفي سنة ١٩٦١ دخلها ٨٨ الفا . وبمقارنة هذه الأرقام بأعداد من زار آثار بعلبك وآثار جبيل نجد مغارة جعيتا تاتي في المرتبة الاولى ، تليها بعلبك وقد زارها ٦٠ ألفا، وجبيل ٤٠ الفا .

وهي لهذا تاتي من الناحية السياحية في الدرجة الاولى ، ولا غرابة في ذلك فهي أعجوبة العجائب بالاضافة الى قربها من بيروت حيث السائحون الاجانب ، وكذلك مناطق الاصطياف حيث المصطافون من الدول العربية .

داخل المغارة

حينما تقترب من باب المغارة يعترض طريقك حاجز من القضبان الحديدية به فتحات ، وعلى الجانبين اقيم كشكان لبيع التذاكر . ورسم الدخول الى المغارة ، ليرتان لبنانيتان أي ما يساوي ربع دينار تقريبا والدينار يساوي جنيها انجليزيا . ولا يسمح بحال من الأحوال دخول الأطفال دون الخامسة من العمر .

سائحات من كل مكان ، يسير بهن الزورق على



وما أن تجاوز الحاجز حتى يبتلعك فوه المغارة، وهناك يقال لك انك على ارتفاع ٧٢ مترا فوق سطح البحر ..

وتنزل درجات معدودات ، وتتجه يسارا ، ثم الى اليمين ، فتجد أمامك مَرْسىً صغيرا يرسو فيه ١٤ قاربا صغيرا من الألمنيوم يتسع واحدها ما بين ٨ ـ ١٠ ركاب حسب الأحجام والأوزان . ولكل زورق قائد ماهر يرتدى حلة من الخاكي ويحمل بيده مجدافا .. وفي جيب سرواله الخلفى مصباح يضوىء لانارة الاماكن والزوايا المظلمة .

الخوف على صوره

واذا كنت مصابا بالخوف من الظلام ، أو الأعماق ، أو الماء ، أو الأماكن الواسعة ، أو الضيقة ، وكلها أعراض مرضية معروفة تصيب بعض الناس في مثل هذه المواقف ، فانت بحاجة الى علاج مسكن يخمد هيجان أعصابك وانفعالاتها ويهدىء من روعك وفزعك . وانت حالما تصل الى حلق المغارة تسمع هديرا كأنه صوت محركات طائرة ضخمة تدور بأقصى سرعتها .. أو هو دوىُّ الرعد ، أو انطلاق صاروخ . ولكنه ليس واحدا

صفحة الماء داخل مغارة جعيتا وقد أدهشتهم مناظرها الخلابة



من هذه الاشياء بل هو خرير الماء وهو يتدفق من المغارة ليغذى نهر الكلب بمياهه ، بالاضافة الى المياه التى تزوده بها منابعه الاخرى ، وهي نبع العسل ، ونبع اللبن ، ونبع صنين بمنطقتي كسْروان والمتْن . وتغص هذه المنابع على نهر الكلب صيفا بمائها وتبقى جعيتا هي المغذّى الوحيد لهذا النهر الذى يبلغ طوله من منبع جعيتا حتى مصبه في البحر الأبيض المتوسط ٦ كيلومترات .

ومقدار تدفق الماء يختلف صيفا عنه في الشتاء . وفي الصيف ينساب الماء من المغارة بمعدل متر مكعب واحد في الثانية اى ٨٦٤٠٠ متر مكعب في اليوم ، وهو في الشتاء يتضاعف اثنى عشر ضعفا ويتدفق يوميا بمعدل ١٠٣٦٨٠٠ متر مكعب .

أمن من خوف

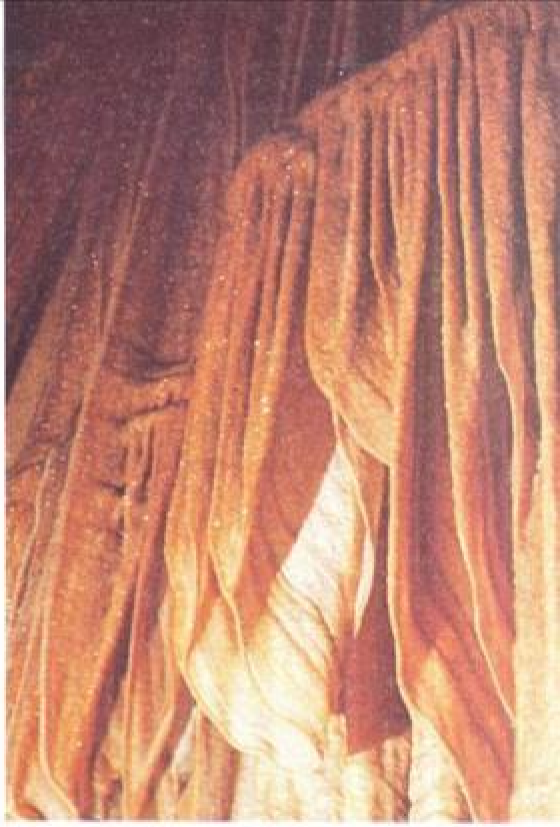
لقد أزعجك لا شك هدير المغارة وظلامها ، ولكن حالتك النفسية هذه تأخذ تزول تدريجيا وتشعر بأعصابك المتوترة المشدودة تسترخى وتهدأ تلقائيا ... ولا تلبث عيناك أن تتعودا الظلمة فتستطيع أن ترى في ضوء المصباح الضعيف ما حواليك رغم ذلك الظلام الدامس ، ويزول ما كان قد دهاك من صمم فتصبح تسمع ما يدور حولك من همس .

وأكثر من هذا فاننا ـ بالذات ـ كنا نرى المهندس كركبي الذى تفضل ورسم لنا برنامج الزيارة ورافقنا خلالها ـ يسير بخطى ثابتة بلا مبالاة أو اكتراث ويتنقل في خفة الطير لا يبدو عليه أثر للقلق ... فانتقل الينا هذا الهدوء بالعدوى .. وان كان فيه شيء من التصنع من جانبنا نحن .

الحرارة في المغارة

ركبنا الفلك وذكرنا اسم الله عند مجراها وسرنا على بركة الله نمخر عباب اليم .. ومددنا أيدينا نتحسس الماء فوجدناه باردا ، وعرفنا ان حرارة الماء ثابتة لا تتغير صيفا أو شتاء .. ليلا أو نهارا ، وأنها على الدوام ١٤ درجة مئوية . وما يقال عن حرارة الماء يقال عن حرارة الجو وهى ١٦ درجة مئوية والصخر ١٥ درجة ، والطابق العلوى من المغارة درجة حرارته ١٩ درجة مئوية .

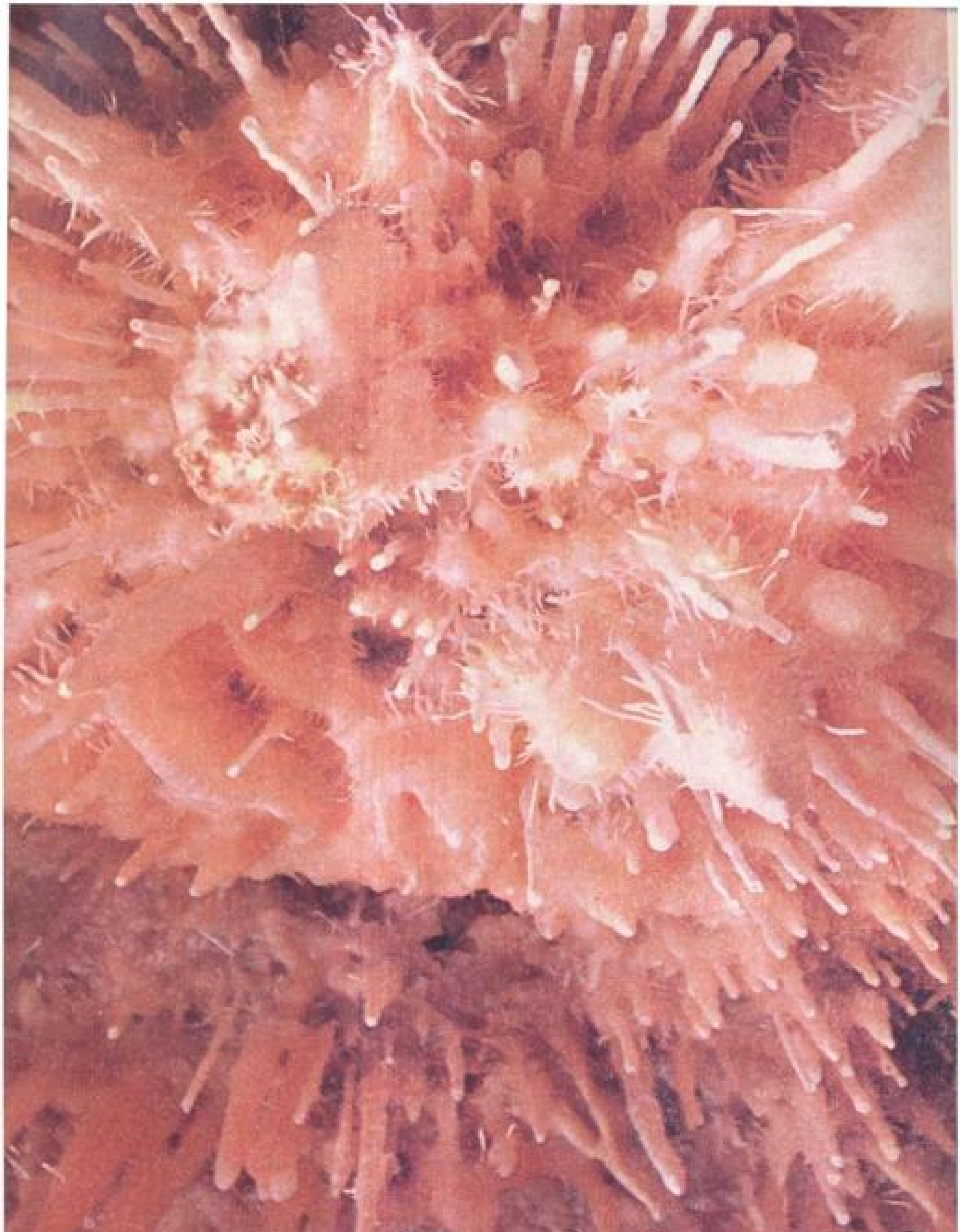




أطلق على هذا الجزء من كربونات الكلس المتبلور اسم « الأقمشة » لأنه يشبه الأقمشة فعلا .

بلورات متدلية تشبه الثريا وقـد غشي بهـا سقـف المغـارة





الجو الذي تدل عليه هذه الصورة هو جو المهرجانات والاحتفالات التي تطلق فيها الصواريخ النارية فتبدد ظلمة الليل .

بين دهاليز المغارة وأروقتها

وما أن سار بنا القارب مسافة قصيرة حتى كدنا ، أو هكذا خيل الينا ، نرتطم بصخرة على شكل جدار او هى كما اسموها « الستار » ، ولكن قائد القارب دخل به ـ بعد أن حنى جسمه ـ داخل كوة لا يزيد قطرها على متر ونصف المتر .. ولكنها لم تكن بالاتساع هذا فى البداية ولكنها اتسعت لتسمح بمرور الزوارق الصغيرة .

اندفع الزورق بقوة التجديف ينساب فوق سطح بحر رائق صامت عمق الماء فيه من ١ الى ٨ امتار . اما الميل ما بين المدخل ومسافة كيلومتر داخل المغارة فهو ٢ سم فقط ، والميل فى اتجاه المدخل . كان الصمت العميق يخيم على المكان وكان هذا الصمت كأنه موسيقى .. كما قال شكسبير عن هدوء الليل وصمته . ولم يكن يشق ذلك الصمت سوى نقاط الماء تتساقط من سقف المغارة الى صفحة البحيرة.وكذلك صوت المجداف يرتطم بالماء ليدفع به الى الوراء ليسير المركب الى الأمام ، فيحدث صوتا كفحيح الافاعى أو حفيف الريح .

كانت المغارة تضيق حينا وتنفرج حينا آخر حتى تبلغ أقصى مسافة بين الجانبين ٢٠ مترا . اما السقف فهو الآخر ينخفض تارة ويرتفع أخرى حتى يصل الى أعلى ارتفاع وهو ١٢٠ مترا عندما يتصل الطابق السفلى للمغارة بطابقها العلوى .

الممنوعات داخل المغارة

بمجرد أن تدخل المغارة ترى لافتة كتبت عليها عبارة « التدخين ممنوع» ، ويدرك الانسان فورا السبب الداعى الى المنع اذا عرف أن المغارة مغلقة ليس بها منافذ .. ولا يمكن تجديد هوائها . كما أن القاء المهملات ممنوع خوفا من انسداد مصارف المياه، وكذلك التصوير « بالفلاش » الاليكترونى ... لأن القوة الكهربائية التى به قد تؤدى الى الوفاة، نظرا لأن رطوبة المغارة ١٠٠٪ ، وذلك كما حصل فى مثل هذه المغاور فى أمريكا .

ومهما يكن من أمر ، فانه لم تقع اية حادثة داخل المغارة منذ افتتاحها بالرغم من أن عدد من دخلها من الزائرين وصل المائتى الف أو كاد . وعلى أية حال ، ومن باب الحيطة ، فان الحكومة قد أمنّت على حياة كل من يدخل المغارة سواء أكان موظفا او زائرا بمبلغ عشرة آلاف ليرة .

ماذا تشاهد فى الداخل

على ضوء الأنوار الكاشفة البالغ عددها ٢١٠ بين صغير يرسل نورا باهتا لا تزيد قوته عن ٤٠ وط ، وكبير يرسل نورا ساطعا قوته ١٥٠٠ وط، ومن خلال تموجات البخار الذى يتبعث فوق تلك المصابيح وكأنه جسم عذراء ترقص فى معبد وثنى أو دخان البخور المحترق يتصاعد من الباخر .. على ترافص هذه الأنوار الخافتة آنا ، والقوية آنا آخر ، ترى الرواسب الكلسية المدلاة من سقف المغارة وهى ما تعرف بالاستالكتيت Stalactite ولنصطلح هنا على تسميتها بالبلورات العالقة . والبلورات العالقة هى رواسب كربونات الكالسيوم تتخلف من المياه النافذة من السقف عند تبخرها ، وتتكون عادة على شكل أعواد تتدلى من سقف المغاور . وهذه البلورات العالقة على اشكال عديدة منها ما يشبه ستار المسرح بثنياته وطياته وتعرجاته، أو هى على شكل قنديل البحر، أو الثريات الكريستال ، أو ثوب قماش منقوش، أو مِئزر ، ووصفها الشاعر المعلوف أحسن وصف حين قال :

نهنا جنيّة مبقولة
نفرت وانحلّ عنها المِئزر
ترمق الليل وفى كل ضحى
ظلّها فى غمره ينتحر
هزّت فيه المدارى خصرها
فالتوى الظهر وجنّ الخنجر

وتنعكس الأنوار على هذه البلورات العالقات فتحدث بريقا يخطف الأبصار .

وبجانب البلورات العالقة توجد بلورات نابتة وهى ما تعرف علميا باسم الاستالجميت Stalgmite . وهى ـ كالبلورات العالقة ـ رواسب كربونات الكالسيوم تنمو فى أرض المغاور الى أعلى وقد تتحد مع البلورات العالقة . وهى الأخرى على أشكال وصور مختلفة . تسقط المياه نقاطا من السقف على أرض المغارة ، وتتبخر ، وتخلف هذه الرواسب الكلسية وتتجمع على شكل

● مغارة جعيتا

لقد عملت الطبيعة بصبر وأناة دونهما صبر البشر وأناتهم .. ولو كنا نعيش فى عصر الأساطير لقلنا انها الآلهة اعتصرت نهود الصخر لتصنع هذه العجائب . قال الشاعر :

يا لها آلهة قد لقيت
فى نهود الصخر ما تعتصر

ومن هذه البلورات ما انقطع عنه المورد فجف وصار يتفتت .. ويمتد هذا التفتت حتى يصل الى قلب البلورات تدريجيا .. تماما كجذع الشجرة المقطوع .. تجف قشرته ويتسرب الجفاف الى داخله حتى يصل الى اللب .

ومنها ما لم ينضب مورد مائه فيستمر فى النمو ويكون فى هذه الحالة مبتلا وبراقا .. والبلورات النامية لا تنمو بنفس النسبة فى كل الأمكنة بل هى أسرع فى النمو حيث تكون نسبة كربونات الكلسيوم الذائبة فى الماء ، اكثر ويقل ويكون بطيئا حيث تكون أقل .

ماذا يعيش فى المغارة

تعيش فى المغارة حشرات بيضاء صغيرة بحجم راس الدبوس .

كذلك توجد فى المغارة خفافيش الى مسافة ٤٠٠ متر داخل المغارة .

ألوان الصخر والبلورات

والصخر فى المغارة متعدد الألوان فهناك الأحمر والأبيض والأسود فالرمادى والأحمر الوردى . واذا أردنا أن نرد هذه الألوان الى أصلها الكيماوى لعرفنا أن اللون الأسود ليس الا اكسيد المنغنيز والأحمر اكسيد الحديد والأبيض كربونات الكالسيوم .

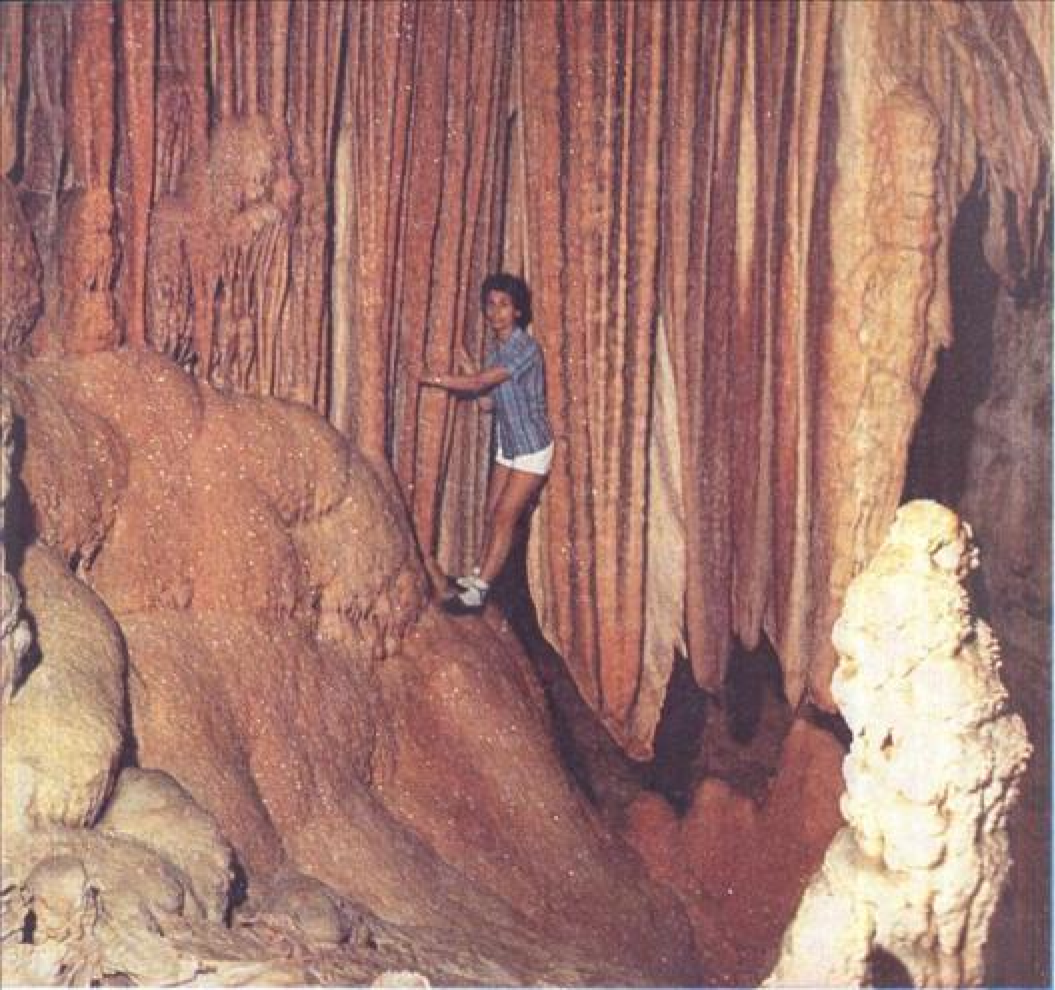
مغارة داخل مغارة

ان الزائر العادى لا يسمح له بان يتوغل داخل المغارة الى أبعد من ٦٠٠ متر يقطعها الزورق ذهابا وإيابا فى نصف ساعة .



رواسب كلسية على شكل عمود فوقه قبة وفوق القبة زجاجة !

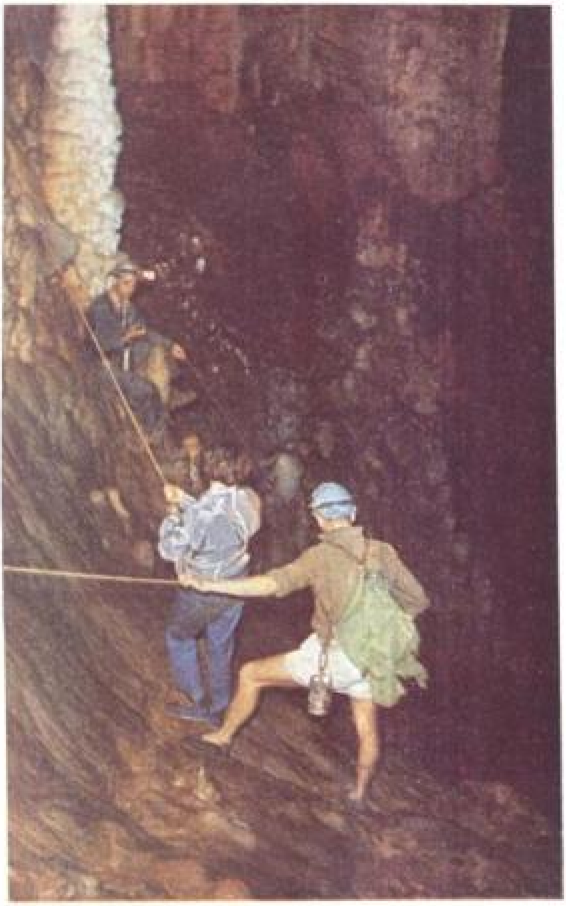
أعمدة رشيقة أو مآذن أو شموع احترقت ذبالتها وعلقت نقاط الشمع السائح بجسدها . وقد سمّوا أحد هذه الأعمدة « بالمئذنة » ، كما سمو آخر ببرج « بيزا المائل » . ومجموعة منها أطلق عليها اسم بجودا Pogoda وهو المعبد الهندى أو الصينى أو اليابانى المعروف . وتجد العروش والقباب والشلالات والأروقة . وهناك تمثال على شكل « نسر » ، وآخر على شكل « يوليوس قيصر » . وتجد الزجاجة التى وضعها بلسن سنة ١٨٧٣ فى مكانها وقد غطتها طبقة من كربونات الكلس المتبلور .



الصعود الى الطابق الثاني في مغارة جعيتا ولم يصل الى ذلك الجزء من المغارة سوى اعضاء النادي لما في ذلك من خطورة ومشاق .



الى اليسار : اعضاء النادي يقضون الليل في الجزء العلوي من مغارة جعيتا ، وترى في الصورة بعض الاعضاء يغطون في نومهم بينما بقي الآخرون ساهرين يتحدثون على ضوء المصابيح

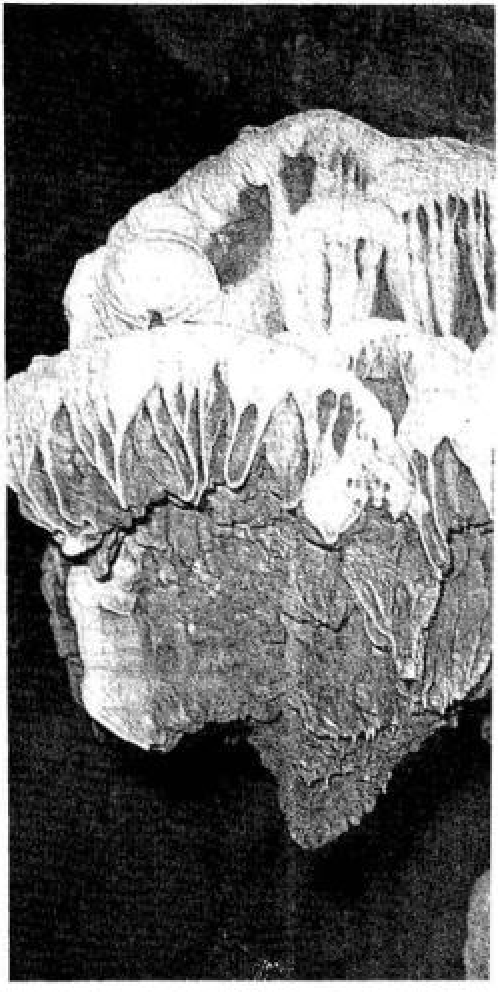


الى اليمين : عضـوة في النـادي اللبناني للتنقيب في المغاور تتسلق أحد جوانب المغـارة ، ويبدو على وجهها الحذر والخوف من الانزلاق ، ومن ورائها ستار من كربونات الكلس المتبلور .

ثلاثة من أعضـاء النادي يتسلقون جوانب المغارة من الداخل بواسطة الحبـال ، وهم يحملون أمتعتهم على ظهورهم والمصابيح مربوطة الى أحزمتهم .



اما فى حالتنا الخاصة فقد أتيح لنا الوصول الى مسافة ٨٥٠ مترا . واقصى مسافة يمكن ان يصل اليها القارب هى كيلومتر واحد ، وبعدها لا بد من النزول وتسلق مرتفع على شكل شلالات يؤدى الى مغارة ثانية هى استمرار للمغارة الاولى . وتتخذ المغارتان اتجاها جنوبيا غربيا .



اطلق على هذه الصورة اسم « سمك الحلي » لما بينها وبين هذا النوع من السمك من تشابه .

مواعيد الزيارة

لا تبقى مغارة جعيتا مفتوحة على مدار السنة بل لها موسم معين تزار فيه من ١٥ مايو (آيار) لغاية ١٥ ديسمبر (كانون أول) من كل سنة أى هى مفتوحة مدة سبعة شهور .

وفى الفترة التى تكون فيها المغارة مغلقة يتم اجراء الاصلاحات اللازمة . اما اوقات الزيارة فهى من الساعة ٨ صباحا حتى السادسة مساء .

... واخيرا

فان هذه البلورات التى اتخذت شكل الاشجار الدانية القطوف أو التماثيل العاجية والمرمرية وتشابكت وتعانقت فى بطن هذه المغارة ... والتى ابدعت الطبيعة ايما ابداع فى تكوينها ، يمكن ان تعتبر فى الحقيقة والواقع متحفا يضم أروع ما يمكن أن ينحت من تماثيل .. وفيها يتخيل الانسان كانه فى « أرض العجائب » كما رآها اليس فى قصة « اليس فى بلاد العجائب » Alice in Wonderland تأليف القصاص الانجليزى لويس كارول Lewis Carroll

ونختتم هذا الاستطلاع كما بدأناه بأبيات للاستاذ المعلوف يقول فيها :

سطع الليل ، وغنى الحجر
أعشُ الجن ، وعندى عبقرُ ؟
يا لها أغنيةً من حجرٍ
أنصت القلب لها والبصر
سدم الضوء بها الدهرُ ، على
غرقٍ ، قابض منه الشعر
ما الذى جمّد فى أغوارنا
من غبار السيل ما ينتثر
غص حلق الكهف بالبلور أم
هو طوفٌ من سنا ينهمر
متعرضٌ فذٌ لغرار أمسى
شال بالسقف لهن المعبر

■■

سليم بسيسو



سفير الثقافة المشرقيَّة
للثقافة المغربيَّة

صاعد البغدادي

وُلِدَ بالموصِل .. وَدَرَسَ في بَغداد ..
واشتهر في قُرطبة .. وَمات في صقلية !

بقلم : جواد أحمد علوش

مدرس الأدب الأندلسي بكلية التربية ـ بغداد

■ منذ اسس (صقر قريش) ـ عبدالرحمن الداخل ـ دولة عربيةفي جزيرة الأندلس سنة ١٨٣ هـ سعى جاهدا ـ وسعى مَنْ خلَفه من أولاده سعيه ـ لجعل عاصمتها منارا للعلوم والآداب والفنون ، لينافس بغداد ، ويجذب اليها طلاب المجد والمال .. وقد اجتذب أنوار قرطبة المتلألئة الكثير من علماء المشرق وادبائه وفنانيه، وقد كان لهم أوفى نصيب في النهضة العظيمة التى نهضها العرب

فى الأندلس فى شتى المجالات ، ومن هؤلاء الذين قصــدوا الاندلس من المشرق : صاعد البغدادى ، أبو العلاء بن الحسن ابن عيسى الربعى ، نسبة الى ربيعة ابن نزار .

وقد ولد صاعد فى الموصل . ولم يرو الرواة شيئا عن مولده ونشأته ، كما لم يعرف أحد تاريخ ميلاده ، فظل مجهولا ، الا أن الباحث يستطيع أن يستنتجه .. فقد قال عنه المؤرخون انه « مات عن سن عالية » . والسن العالية لا تقل عن سبعين سنة .. ولما كانت وفاته سنة (٤١٧هـ)، فمن المحتمل أن مولده كان فى أواخر النصف الاول من القرن الرابع الهجرى .

وقد شب محبا للادب وعلوم اللغة فتلقى ما تيسر له من ذلك على أيدى الشيوخ المشهورين فى الموصل . ولم يكتف بذلك . ودفعه طموحه الى السفر طلبا للعلم ، فيمم شطر بغداد ، وجذبته أنوارها الوهاجة وأضواؤها الساطعة .

فى بغــداد

دخل صاعد بغداد ، وهى يومئذ عاصــمة العباسيين ، ومنارة الحضارة ، وقبلة المتعلمين والمتأدبين ، فنهل ما حلا له من علوم وآداب ، على أيدى أساطين العلم والأدب ــ وهم فى بغداد كثر يومذاك ــ ومنهم : أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيراف المتوفى عام (٣٦٨ هـ) ، وابو على الحسن ابن أحمد الفارسى المتوفى عام (٣٧٧ هـ) ، وابو سليمان حمد بن محمد الخطابى المتوفى عام (٣٨٨هـ)، وأبو بكر أحمد بن جعفر القطيعى المتوفى عـام (٣٦٨ هـ) ، وغيرهم . فقرأ عليهم مختلف علوم العربية ، وسمع منهم الكثير من شعر العرب ، فوعى ما قرأ ، واستوعب ما سمع ، والحق انه وعى كثيرا واستوعب أكثر .

وقد كان ذكيا فطنا ، وقد آتاه الله ذاكرة قوية، وملكة أدبية مواتية ، وفطرة طبيعية سليمة ، فافاد من كل ذلك فائدة عظيمة .

ولما كان ذا شغف بالشعر عظيم ، فقد بدأ يقوله وينشره بين الناس محاولا أن يذيع صيته ، وينتشر اسمه ، ويعلو ذكره ، ولكن جو بغداد كان مشبعا بكل نفح عبق ، فانى لعطر جديد أن يفوح بين تلك العطور ..؟ وافقها كان مليئا بالكواكب المتلالئة والنجوم اللامعة ، فانى لكوكب جديد أن يظهر ويلفت له الانظار ..؟ ولم يفت هذا فى عضد (صاعد) الطموح ، ولم يضعف من روحه الوثاب ، فظل يبحث عن بلد يقصده ، وكنف ينتجعه .. وتطلع الى هناك .. بعيدا .. نحو الغرب ، نحو الأندلس ، فعرف أن اللغة هناك مطلوبة ، والآداب محبوبة ، يشجع ملوكها ورعيتها العلماء والأدباء وذوى المواهب، ويقدرونهم حق قدرهم ، فشد اليها الرحال ..

الى الاندلس

دأب صاعد على قطع تلك المسافة العظيمــة بين الشرق والغرب ، بين العراق والاندلس ، بين بغداد وقرطبة .. فطوى أرضا مترامية الأطراف ، وعبر أنهارا متدفقة المياه ، ومر بمدن كثيرة مزدحمة بالسكان ، وأنهكه التعب ، وهد قواه .. حتى استطاع أخيرا أن يصل الى هدفه ويبلغ غايته .. وكان ذلك فى حدود « سنة ثمانين وثلاثمائة » (٣٨٠ هـ) . فدخل البلاد وخليفة الاندلس يومذاك هو المؤيد هشام بن الحكم . الا أن الأمر كان بيد المنصور محمد بن أبى عامر. واتصل اول دخوله البلاد بالوزير عبد الله بن مسلمة .. ثم اتصل بالمنصور فاكرمه وافرط فى اكرامه ، وقدمه وزاد فى الاحسان اليه والاقبال عليه .. حتى أنه استوزره فيما بعد . وكان يريد أن يعفى به آثار أبى على القالى البغدادى ، الذى جاء الأندلس فى أيام الخليفة عبد الرحمــن الناصر ، فلقى منه أعظم تقدير ونال أوسع شهرة .. ولكن هذا لم يبلغه صاعد بسهولة ويسر ، ولم يصل اليه الا بعد مشاق ومصاعب ، فقد دُبِّرت له المؤامرات ، وحامت حوله الشبهات ، وبثت الاشاعات ، وحيكت الوشايات .. فقد كثر اقرانه ومنافسوه ، وتعدد حساده ومناوئوه ، واغضبهم أن يحظى بهذه المنزلة الرفيعة عند المنصور وأن يقفز الى أعلى درجات المجد فى بدء وصوله هذه البلاد . فحرضوا المنصور على أن يعقد له مجالس الامتحان ليعرف قدرته ويدرك قــيمته ويلمس موهبته ، وقد كان لهم ما ارادوا .. فامتحنوه وناقشوه ، وزادوا ..

كان الامتحان الاول بمثابة امتحان القبول .. فقد جرى فى الأيام الأولى لاتصاله بالمنصور ، اذ كان صاعد يثير حول نفسه مختلف الدعايات ، وينشر شتى الاشاعات ، يزعم فيها انه حوى علوم العرب كلها ، ورسخت قدمه فيها .. وفى مجلس من مجالس المنصور ضم كثيرا من أعيان الاندلس

وعلمائها وأدبائها ، منهم : ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي،والحسين بن الوليد بنالعريف، وعاصم بن الحسن العاصمي . في هذا المجلس تحدثوا عن صاعد وعلمه وأدبه ، وادعائه وحقيقته .. فاحب المنصور أن يمتحنوه ، فوجه اليه يدعوه .. فلما مثل بين يديه ، رأى المجلس حافلا بكل جليل ، غاصا بانداده من الأدباء .. وكأنه احس بما يدبرون ، وشعر بما يكيدون ، فظهر عليه التأثر ، وبدا على وجهه الخجل . ولمح المنصور ذلك فرفع محله وأدناه منه ، واقبل عليه ، وبدا يسأله عن أئمة علماء بغداد ، ومنهم ابو سعيد السيرافي ، فزعم انه لقيه ، وقرا عليه (كتاب سيبويه) . فانبرى له (العاصمي يسأله في احدى مسائل هذا الكتاب ، فلم يستطع صاعد أن يجيب ، واعتذر بان النحو ليس جل بضاعته . فبادره (الزبيدي) يسأله : « فما تحسن أيها الشيخ؟» فقال صاعد: « حفظ الغريب » فسأله الزبيدي : « فما وزن (أولق)؟».

ضحك صاعد طويلا من هذا السؤال .. وقال متعاليا : « امثلي يسأل هذا ؟! انما يسأل عنه صبيان المكتب » . ووقف الزبيدي في وجه تعاليه ورده قائلا : « قد سألناك ولا نشك أنك تجهله ». فتأثر صاعد ، وتغير لونه ، وجرى الدم في عروقه، ورأى أن في ذلك تحديا له ، فقال : « وزنه (افعل) » وقد اخفق صاعد في هذا ولم يصب ، فوزنه (فوعل) . فالتفت الزبيدي الى من في المجلس وقال : صاحبكم مُمَخْرِق . أي مموّه مختلق .

ولكن هذا الفشل لم يفتّ في عضد صاعد ، ولم يفلت منه زمام امره ، فقال للزبيدي : « أخال الشيخ صناعته الأبنية » . ولما أجابه بالايجاب أردف صاعد : « أما بضاعتي فحفظ الأشعار ورواية الأخبار ، وفك المعمّى،وعلم الموسيقى».

وهنا تصدى له (ابن العريف) ثالث الفرسان الثلاثة الذين اداروا رحى الامتحان .. وقد تقدم حينه والوقت الذي ذكر فيه اختصاصه ، فاراد أن يضع لصاعد ثالثة الأثافي ولكنها انكفأت على رأسه ، فقد ظهر صاعد على ابن العريف وسما عليه ، وخلفه وراءه باشواط واشواط ، اذ ابدى مهارة فائقة ، وتميز بسرعة خاطر عظيمة ، فلم تجر في المجلس كلمة الا انشد عليها شعرا شاهدا، أو اتى بحكاية أو طرفة أو نادرة .. فأعجب به المنصور ايما اعجاب،ودهش منه جميع الحاضرين، وادركوا قيمته وعرفوا قدرته . اما ابن العريف ، وقد فشل ، فكاد يتوارى حياء وخجلا ، وتألم من صاعد اشد الألم واضمر له كل شر ، وكان يحاول أن يكذّب كل ما يدعي صاعد لنفسه من علم أو أدب وان كلفه ذلك مشقة عظيمة ..

كتاب الفصوص

هدأت نفس صاعد بعد هذا الفوز الذي حالفه، وهذا التقدير الذي لقيه وقد تزايد اعجاب المنصور به ، وراح يفكر من جديد في أن يجعله في مكان أبي علي القالي صاحب « الامالي » واراه كتاب (النوادر) وأبدى اعجابه به ، فثار كبرياء صاعد وقال للمنصور : باستطاعتي أن أملي على كتّاب دولتك كتابا أجل منه واعظم .. فاذن له المنصور في ذلك .. فبدأ في تأليف كتاب (الفصوص) فيشهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلاثمائة هجرية . ودأب على جمع كل نادر غريب ، طريف عجيب من الأخبار والأشعار ، طوال خمسة أشهر ، حتىأتمه في شهر رمضان. فأمرهالمنصور أن يلقى هذاالكتاب بالمسجد الجامع في مدينة الزهراء ، واحتشد له الناس وفيهم كثير من الوجوه واعلام الأدب واقطاب اللغة ، واعجبوا به اعجابا شديدا ، وأثابه المنصور عليه بخمسة الاف دينار ، قدمها له دفعة واحدة.

مكيدة ابن العريف

وقد أثار ذلك حفيظة ابن العريف ، واشعل نار حسده ، وبدا يفكر في الكيد لصاعد ، فأثار العلماء والأدباء على كتاب (الفصوص) ينقدونه ويكذبون كل ما جاء فيه ، فلم يقف امام نقدهم خبر ثبت فيه ، ولم تمر كلمة صحيحة لديهم ، وقد أعانهم على ذلك أنه اشترط على نفسه الا يأتي الا بالغريب ، وما يروي سوى غير المشهور ، فاستطاعوا أن يثبتوا للمنصور صحة ادعائهم ، وجردوا الكتاب من كل فضل ، ورموا صاعدا بالكذب، وقدحوا في علمه وعقله ودينه ، واقترحوا على المنصور أن يأمر باغراق الكتاب في النهر . والعجيب أنه اقتنع بما ادعوا ، وعمل بما اقترحوا ، والقى بالكتاب في نهر قرطبة فلم يبق له أثر . واغضب هذا كثيرا من الأدباء . وهذا (ابن بسام) يقول : « ولم يكن عند (ابن أبي عامر) تحرير ولا بصر بالنقد مشهور ، والا فليس يخلو كتاب الفصوص من غريبة مسموعة ، ولا من فائدة رائعة بديعة .. » . وفرح أعداء صاعد

وحساده لذلك وهللوا ، وقال ابن العريف :

قد غاص في النهر كتاب الفصوص
وهكذا كل ثقيل يغوص

فضحك المنصور والحاضرون . فلم يَرُع ذلك صاعدا ، وقال مرتجلا على البديهة مجيبا ابن العريف :

عاد الى معدنه انما
توجد في قعر البحار الفصوص

مكيدة ثانية

لم يكتف ابن العريف بالنصر الذى توج مساعيه، واختتم به تآمره على صاعد ، وظل يكد ويعمل للايقاع به ، ويحاول أن يكذب كل ما يدعيه صاعد لنفسه من فضل أو علم أو ادب ، دون كلل . وكان الظروف كانت تقوم بخدمته كما تقف لصاعد بالمرصاد ، فقد أهديت الى المنصور وردة في غير وقتها ، وكانت تلك الوردة جميلة بديعة ! ولم يتم تفتح ورقها بعد ، فاحب المنصور ان توصف .. فقال فيها صاعد مرتجلا ! :

أتتك أبا عامر وردة
يذكرني المسكَ أنفاسُها
كعذراء أبصرها مُبصر
فغطت بأكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور اى سرور ، واعجب بسرعة بديهة صاعد وحسن تشبيهه . فاندفعت نار الحسد في قلب (ابن العريف) واندفع يدعى ان هذين البيتين لغير صاعد ، ويقول ان احد البغداديين كان قد أنشده اياهما لنفسه بمصر .. ولما سأله المنصور دليلا يؤكد دعواه ، قال : « هما عندي على ظهر كتاب بخطه » . فطلب منه المنصور أن يريه هذا الكتاب .. فخرج وركب دابته على عجل ، وسارت به مسرعة حتى أتى مجلس (ابن بدر) وقد كان ابن بدر أحسن أهل زمانه بديهة ، وقص عليه ما حدث وطلب منه أن ينظم له أبياتا يضمها الى بيتى صاعد ، فارتجل (ابن بدر) :

غدوت الى قصر عباسة
وقد جندل النومُ حراسَها
فألفيتها وهي في خدرها
وقد صرع السكر أنفاسها
فقالت : أسار على هجمة ؟
فقلت : بلى ، فرمَتْ كاسَها
ومدت يديها الى وردة
يحاكي لك الطيبُ أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر
فغطت بأكمامها رأسها
وقالت : خف الله لا تفضحنْ
في ابنة عمك عباسَها
فوليتُ عنها على غفلة
وما خنت ناسي ولا ناسها

فسر بها (ابن العريف) سرورا عظيما ، وكتبها على ظهر كتاب بخط مصري بمداد اشقر.. وقفل راجعا الى مجلس المنصور ، وهو يحس بنشوة الانتصار على غريمه ، ولذة الظفر بما يشفي غليله .. ودخل على المنصور والقى بالكتاب بين يديه ، فلما قرأ المنصور الابيات اشتد غيظه على صاعد ، وغضب غضبا شديدا ، وظل يتوعده ويتهدده ، ويقول انه أعد له أمرا خطيرا حاسما سوف يبتليه به غدا .. فماذا أعد له ؟

الجولة الأخيرة

لقد أعد المنصور امتحانا عسيرا لصاعد، امتحانا يختبر به شاعريته ، ويكشف موهبته ، ويظهر حقيقته . وقرر أن يجرى الامتحان في مجلسه ، ويشرف عليه بنفسه ، اذ قال لجلسائه : « غدا امتحنه ، فان فضحه الامتحان ، لم يبق في موضع لي فيه سلطان . » وفي الصباح ، اقبل صاعد يحث الخطى متجها الى مجلس السلطان ، حيث يعقد له الامتحان ، والله وحده يعلم ما كان يدور بخلده من أفكار ، وما يجيش في صدره من انفعالات ، وما يضطرب في نفسه من هموم . فهو يدعى أن ليس في هذه الجزيرة من اوتي علمه ، ويرى ان ليس بين العرب من يملك موهبته .. فكيف يُعقد له امتحان لسبر غوره !؟ ومن ذا الذي يعقد له هذا الامتحان !؟ .. واذا فشل واضطر الى مغادرة الأندلس فاين يذهب ؟ والى أين المصير ؟ أيرجع الى الشرق وهناك العلماء الافاضل ، والأدباء الفطاحل ، الذين طالما افتخر بهم في مجالس الأندلس ؟ .. فماذا يكون موقفه امامهم ؟ وكيف يستطيع العيش بينهم ؟.. ووصل الحلبة فوجدها غاصة بالحاضرين ، جاءوا ليشهدوا هذا الامتحان ، بعضهم ليشمت به ، اذا فشل ، وبعضهم ليفرح له اذا ما فاز ، وبعضهم ليعرف حقيقة امره ، فيعطيه ما يستحق .. ولما مثل بين يدى المنصور قال له : « ان هذا

اليوم له ما بعده .. فاما أن تسعد فيه معنا ، واما أن تشقى وتغادر أرضنا .. فقد زعم قوم ان كل ما تأتي به دعوى ، وقد وقفت من ذلك على حقائق لا تكذب ، بل تؤكدها الادلة والبراهين . واود أن امتحنك اليوم بنفسي لأضع حدا لهذا الأمر .. ولا اشك في أن موضوع الامتحان جديد لم يمر على احد قبلي وقبلك .. » .

فماذا كان ؟

لقد كان موضوع الامتحان طريفا غريبا ، مستحدثا عجيبا .. فقد أعد المنصور طبقا كبيرا صنعت فيه سقائف من مختلف أنواع الزهور والنواوير والريحان ، وكان على تلك السقائف دمى صنعت من الياسمين على هيئة الجوارى .. وتحت الماء بركة ماء حصباؤها من اللؤلؤ ، وفيها ثعبان يسبح . واحضر هذا الطبق أمام صاعد . فقال له المنصور : هذا طبق ما ظننت انه عمل لملك قبلي مثله ، ولا سبق لشاعر سبقك أن رأى ما يشبهه ، فان وصفته بجميع ما فيه علمت صحة ما تذكر ، وتأكد لدى صدق ما تدعي ، وما شككت في انك شاعر تستحق الاعجاب والتقدير . فاطرق صاعد هنيهة وغاص في بحر من التفكير ...

فوز ساحق

وما هي الا لحظات حتى تجمعت كل قوى صاعد الذهنية والفكرية ، وتواثبت ملكاته الخيالية والشعرية ، وشحذ الموقفُ الرهيب همته ، وحرك موهبته .. فقال على البديهة :

أبا عامرٍ هل غيرُ جدواك واكف ؟
وهل غيرُ من عاداك في الأرض خائف؟
يسوق اليك الدهرُ كلَّ عجيبة
وأعجبُ ما يلقاه عندك واصف
وشائع نوْر صاغها هامر الحيا
على حافتيها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت
عليها بانواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنّسا
تظللها بالياسمين السقائف
وأعجب منها انهن نواظر
الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلي سابح في عبابها
من الرقش مسموم الثعابين زاحف
ترى ما تراه العين في جنباتها
من الوحش حتى بينهن السلاحف

فضج الجميع اعجابا وتقديرا ، وتعالت أصواتهم مهنئين مباركين . وفرح الصديق وتهلل وجهه بشرا وحبورا ، ونسي الحاسد حسده فعاد صديقا حميما .. وهز الاعجاب المنصور فكتب الأبيات بخطه ، ليحفظها عنده اعجابا بها . ومع كل هذا فلم ينته الامتحان عند هذا الحد ، وكانت له تكملة ..

وكان شدة اعجاب المنصور بالأبيات دفعته الى الاستزادة ، أو كان عاملا آخر دفعه للتأكد من قريحة صاعد وموهبته ، فبحث عن شيء جديد ليصفه صاعد ، وكانت بالقرب من السقائف سفينة صغيرة فيها جارية قد صنعت من النوار ، وكانت الجارية تجذف بمجذافين من ذهب .. ولم يك صاعد قد رآها ، اذ حجبتها عنه السقائف ، فاشار اليه المنصور أن يصفها ، فقال :

وأعجب منها غادة في سفينة
مكللة تصبو اليها المهائف
اذا راعها موج من الماء تتقي
بسكانها ما أنذرته العواطف
متى كانت الحسناء ربّان مركب
تصرّفُ في يمنى يديها المجادف
ولم تر عيني في البلاد حديقة
تنقّلها في الراحتين الوصائف
ولا غرو ان شاقت معاليك روضة
زهتها أزاهير الربا والزخارف
فانت امرؤ لو رمت نقل (متالع)
و (رضوى) ذرتها من سطاك نواسف
اذا قلتُ قولا أو بدهتُ بديهة
فكلتني لها اني لمجدك واصف

جزاء الابداع

وما كاد صاعد يكمل أبياته هذه حتى تعالت عبارات الاعجاب ، وترددت كلمات التقدير ، وانهالت عليه التهاني والتحيات ، وكان يوما من أعظم أيامه ، فاز فيه بما كان يتمنى ، وما تاقت اليه نفسه مذ دخل الاندلس . وفوق كل ما لقي من حفاوة وتكريم ، حصل من المنصور على جزاء عظيم ، اذ أعطاه « الف دينار » وأمر له بمائة ثوب منها الغلائل ومنها الطيقان ، ومنها العمائم . واجرى عليه راتبا قدره « ثلاثون دينارا » في الشهر وألحق في ديوان الندماء مع شعراء الدولة الكبار ، وهو الديوان الذي انشاه المنصور تقديرا للشعراء

واعترافا بحقهم على الدولة ، ولم يعد باستطاعة هؤلاء ، الحاسدين الكارهين ، أن يزحزحوا صاعدا عن مركزه ، وأن يدنوه عن مقامه ، وان ينزلوه من درجته التى تربع عليها واستطال ..

ولمع نجم صاعد ، وطار صيته ، وسما ذكره ، وكانت حشود الناس تتجمع حوله فى المساجد الجامعة ، وهو يلقى دروسه فى اللغة والادب ، واخبار العرب واشعارهم ، ويفيض على الحاضرين بالنوادر والطرف .. غير انه ابدع فى تفسير الشعر وشرح نصوصه ، بل ادخل طريقة جديدة الى الاندلس فى هذا الفن لم تكن موجودة من قبل .. وتتلخص « فى أن يقرأ الطالب القصيدة ، ثم يسأله الأستاذ عن معانى الألفاظ ، فيقوم بالشرح معتمدا على قائمة من المعانى يكون قد استخرجها من المعاجم العربية ». وهكذا صار صاعد استاذ شرح النصوص المبرز لا يزاحمه فى ذلك أحد ..

فـــأل حسن

وهكذا علت منزلة صاعد عند المنصور وعند جميع الناس من علماء وادباء وغيرهم ، وانصلح حاله ، وهدأت حياته ، واطمأنت نفسه ، وارتاح باله .. وقد وقعت له حادثة عجيبة ، عاد فألها على المنصور وعلى العرب والمسلمين بنفع عميم.. فقد أهدى (صاعد) ايلا الى المنصور وسمّى الايّل (غرسية) باسم ملك الروم (غرسية بن شانجة) صاحب (نبرة) ، وكتب له هذه الابيات:

يا حِرْزَ كلّ مخوفٍ وأمان كلّ
مشرّد ومُعِزّ كلّ مذلّل
عبد جذبت بضبعه ورفعت من
مقداره أهدى اليك بايّل
سمّيته (غرسية) وبعثته
فى حبله ليصح فيه تفاؤلى
فلئن قبلت فتلك انفس منّة
أهدى بها ذو منحة وتطول
منحتك غادية السرور بعزة
وحللت اوجا بالسحاب المخضل

وقد كان ذلك فى ربيع الاول « سنة خمس وثمانين وثلاثمائة » ، وقد قضى الله بأن أسر المسلمون (غرسية) ملك الروم فى نفس اليوم الذى بعث فيه (صاعد) بالايل . وقد كان (غرسيه) هذا امنع من النجم ، لكنه خرج يتصيد يومذاك ، فمكن الله المسلمين منه . فابتهج المنصور بذلك وسر سرورا عظيما ، وفسر المنصور هذا الفأل الحسن الذى تنبأ به (صاعد) بقوله : « لم يتفق لصاعد هذا الفال الغريب الا لحسن نيته وسريرته وصفاء باطنه ». وهذا جعل اعداءه يعودون الى العمل بجد وثبات للايقاع به من جديد، فماذا عملوا ؟

مؤامرة جديــدة

لقد اجتمع حساد صاعد مرة عند المنصور وسألوه أن تجلّد كراريس بيض تزال جدتها فتوهم القدم .. وجعلوها كتابا كتبوا عليه (كتاب النكت) تاليف (ابى الغوث الصناعى) . فلما دخل صاعد وأروه اياه ترامى عليه ، وجعل يقبله ، وادعى انه قراه .. وذكر اسم بلد ادعى انه قراه فيه ، واسم الشيخ الذى قراه عليه صاعد . فسأله المنصور : « ان كنت قرأته ـ كما تزعم ـ فعلام يحتوى ؟ » . فرد عليه صاعد: « وأبيك لقد بعد العهد به ولا أحفظ الآن منه شيئا . ولكنه يحتوى على منثورة لا يشوبها شعر .. » . فغضب عليه المنصور وقال له : « أبعد الله مثلك ! فما رأيت أكذب منك » .

(التمركل) و (الخنفشار)

والحقيقة أن صاعدا كان يمين هؤلاء الباحثين عن سقطاته على نفسه، ويمهد لهم السبل لانتقاده، ويفتح الأبواب والثغرات فيلجون منها وينالونه بالتجريح ، اذ انه كان يستغل سرعة خاطره ، ومواتاة بديهته ، فلا يتردد فى أن يجيب عن اى سؤال يعرفه أو لا يعرفه ، وقد يبتدع الشعر ويبتكر الحادثة ويختلق الخبر ، ان أراد الجوابُ ذلك .. فكان السائلون يتفقون قبل أن يسألوه ويبيتون أمرا ، ويختلقون ما يسألونه عنه . ويبطنون شرا .. فاذا ما اجاب حاسبوه وناقشوه، وكشفوا كذبه واختلاقه . وقد اختلقوا مرة كلمة (الخنفشار) وطلبوا من المنصور أن يسأله عن معناها ، فلم يعتذر عن جهله اياها ، ولم يتردد فى تفسيرها فقال : هى حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الاعراب ، وفى ذلك يقول شاعرهم :

لقد عقدتْ محبتكم بقلبى
كما عقد الحليبَ الخنفشارُ

ودخل يوما على المنصور وامامه طبق فيه (تمر)

فسأله المنصور: « ما (التمركل) فى كلام العرب؟ ». فاجاب صاعد : « يقال : تمركل الرجل تمركلا اذا التف فى كسائه » . فرد عليه المنصور بانه اشتق له هذه الكلمة من التمر والاكل وعجب كيف انه وجد لها هذا المعنى وابتكر هذا الجواب. فكان صاعد يصر على انها من كلام العرب .

الهجفجف والجواس

وقد ساعدته موهبته المواتية هذه واعانه خياله الخصب ، على ابتكار القصص المثيرة والحكايات الطريفة يورد فيها اخبار العشاق ، ويسميهم باسماء غريبة لا اصل لها ، وينسب اليهم كلاما منظوما ومنثورا ، فيتسابق الناس الى قراءتها والتمتع بها . الف للمنصور كتاب (الجَوّاس) حكى فيه قصة « الجواس بن قعطل المذحجى مع ابنة عمه عفراء » . وقد وصف (ياقوت الحموى) هذا الكتاب بانه : « لطيف ممتع جدا » . وكان المنصور كثير الشغف بهذا الكتاب ، ولشدة اعجابه رتب له من يقرأ له شيئا منه كل ليلة .

وقد صنف له كتاب (الهَجَفْجَف) على طراز كتاب (الجواس) حكى فيه قصة « الهجفجف بن غيدقان بن يثربى مع الخنوت بنت محرمة بن انيف » . وليس هذا وحده ما برع فيه صاعد فهنالك اشياء واشياء ..

فن الموسيقى

ولقد خاض (صاعد) ميدان الفن ، وبرع فى الموسيقى وابدع فى الغناء ، واتقن العزف على العود ، وقد عرف الناس انه ضرب بسهم وافر فى هذه الفنون ، الا انه اخفى ذلك عن المنصور حينا من الدهر . غير ان المنصور لم يفتأ ان اكتشفه فيه ، اذ روى الرواة الحادثة التالية : « دخل (صاعد) على المنصور فلما وصل اليه ، وجد عودا بين يديه ، فقال له المنصور : « قد تواتر الخبر ، وتحدث عنك البشر ، انك فرد فى علم الموسيقى ، وقد اردت غير مرة الانبساط معك سرا فى ذلك » . فشق الأمر على صاعد .. ولم يجد من مَحيد عن اخذ العود ، فتناوله وجس اوتاره وسوى تسوية اطربت (ابن ابى عامر) ، ثم اندفع ينشده بيتى مجنون بنى عامر :

أبى القلب الا حبها عامرية
لها كنية (عمرو) وليس لها عمرو

تكاد يدى تندى اذا ما لمستها
وينبت فى اطرافها الورق الخضر

وبالرغم من توهم المنصور أن صاعدا عرّض بخبر فى هذين البيتين ، فانه قدر فنه وحيا روحه وظل على حبه له واعجابه به واكرامه اياه ..

وقد كان لهذا الاكرام الذى لقيه صاعد من المنصور اثره فى نفسه فكان يقابله بحبه وتقديره واعظامه والاخلاص له .. حتى اذا مات المنصور حزن صاعد حزنا عليه عظيما واقسم الا يحضر بعده مجلس احد ممن ولى الامر ، واذا ما طولب بذلك احتج بمرض لحق ساقه . وقد اشار الى ذلك فى القصيدة التى قالها للمظفر بن المنصور التى هنأه فيها بعيد الفطر من عام (ستة وتسعين وثلاثمائة) (٣٩٦ هـ) .

اليكَ حدوتُ ناجيةَ الركاب
محمّلة أمانىَّ كالهضاب

الى أن قال :

الى الله الشكيّةُ من شكاة
رمت ساقى فجلّ بها مصابى
وأقصتنى من الملكِ المرجّى
وكنت أرمُّ حالى باقتراب

ويقال انه كان يتظاهر بالسير متكئا على عصا ليؤكد مرض ساقه حتى وافته منيته ..

وفاته

لقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاة صاعد،وكان الاقدار ارادت أن لا يحفظ تاريخ وفاة الرجل الذى حفظ الكثير من شعر العرب واخبارهم جزاء وفاقا له لعدم دقة اخباره ، وعدم صدقه فى ما يذكر ، فقد ذكر بعضهم انه مات فى حدود سنة (٤١٠ هـ) وذكر اكثرهم انه مات سنة (٤١٧ هـ) .. وقد ذكروا انه عمّر كثيرا ومات فى جزيرة (صقلية) ، فقد هاجر اليها بعد أن اضطربت الحال فى الاندلس ، ووقعت الفتنة واشتد النزاع وغلت الاسعار ، ورخصت الاشعار .. ولم يعد باستطاعة صاعد أن يصمد للظروف القاسية ، فخرج مستخفيا وجاز (بشطليش) سنة (٤٠٣ هـ) ، واتصل بصاحب صقلية فاكرمه .. ثم رجع الى الاندلس من جديد ولكنه لم يطل به المقام حتى رجع ادراجه الى صقلية ، ومات فيها رحمه الله واحسن اليه وغفر له . ■■

جواد أحمد علوش ــ بغداد

طرائف عربية

الثقة لا يبلغ

● عاتب مصعب بن الزبير الأحنف بن قيس على شيء بلغه عنه ، فاعتذر اليه الأحنف من ذلك ، وانكره .

فقال مصعب : أخبرني بذلك الثقة .

فقال الأحنف : كلا أيها الأمير ، انَّ الثقةَ لا يُبلِّغ .

وصية أب لابنته

● قال عبد الله بن جعفر لابنته : يا بنية اياك والغيرة ، فانها مفتاح الطلاق ، واياك والمعاتبة ، فانها تورث البغضة . وعليك بالزينة والطيب ، واعلمي ان ازين الزينة الكحل، واطيب الطيب الماء .

قرشي يصف عبد الملك بن مروان

● ذكر رجل من القرشيين عبد الملك بن مروان ــ وعبد الملك يومئذ غلام ــ فقال : انه لآخذٌ بأربع ، وتارك لأربع : آخذ بأحسن الحديث اذا حَدَّث ، وبأحسن الاستماع اذا حُدِّث ، وبأيسر المؤونة اذا خولف ، وبأحسن البشر اذا لقي . وتارك لمحادثة اللئيم ، ومنازعة اللجوج ، ومماراة السفيه ، ومصاحبة المأفون .

سعيد بن مسلم عند المأمون

● قال سعيد بن مسلم لأمير المؤمنين المأمون : اني لأشكر الله على حسن ما ابلاني في أمير المؤمنين ، من قصده اليَّ بحديثه ، واشارته اليَّ بطرفه .

فقال المأمون : ان ذلك لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الافهام اذا حَدَّثْتَ ، وحسن الفهم اذا حُدِّثْتَ ، ما لم يجده عند احد فيمن مضى ، ولا يظن انه يجده فيمن بقي .

من حفر حفرة وقع فيها

● مر بعض الحمقى بأمراة قاعدة على قبر وهي تبكي ، فرق لها وقال : من هذا الميت ؟

قالت : زوجي .

قال : فما كان عمله ؟

قالت يحفر القبور .

قال : أبعده الله ، اما علم أن من حفر حفرة وقع فيها !

آفات ثلاث

● **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :** « ثلاثة لا يسلم منهن أحد : الطيرة ، والظن والحسد » .

قيل : فما المخرج منهن يا رسول الله ؟ »

قال : « اذا تطيرت فلا ترجع ، واذا ظننت فلا تحقق ، واذا حسدت فلا تبغ » .

ما سمعت بأكرم من هذين الرجلين

● كان بين حاتم طيء وبين أوس بن حارثة الطف ما يكون بين اثنين .

فقال النعمان بن المنذر لجلسائه :والله لأفسدن بينهما .

قالوا : لا تقدر على ذلك .

قال : بلى ، فقلما جرت الرجال في شيء الا بلغته .

فدخل عليه اوس ، فقال : يا اوس ما الذى يقول حاتم ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول انه افضل منك واشرف ، قال :ابيت اللعن ، صدق ! والله لو كنت انا واهلى وولدى لحاتم لوهبنا فى مجلس واحد ، ثم خرج وهو يقول :

يقولُ ليَ النعمانُ لا من نصيحة : أرى حاتماً فى قوله متطاولا
له فوقنا باعٌ كما قال حاتمٌ وما النُصحَ فيما بيننا كان حاولا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثل مقالته لأوس ، قال : صدق ، اين عسى ان اقع من أوس ! له عشرة ذكور اخسهم افضل منى ، ثم خرج وهو يقول :

يسائلنى النعمانُ كي يَستزِلَني وهَيهاتَ لي ان أستَضامَ فأضرَعا
كَفانيَ نقصاً أنْ أضيمَ عشيرتى بقولِ أرى فى غيرهِ متوَسَّعا

فقال النعمان : ما سمعت بأكرم من هذين الرجلين .

بنو فارس البقرة

● من حمقى العرب كلاب بن صعصعة ، خرج أخوته يشترون خيلا وخرج معهم كلاب فجاء بعجل يقوده .

فقال له أخوته : ما هذا ؟

قال : فرس اشتريته .

قالوا : يا مائق ، هذه بقرة أما ترى قرنيها !

فرجع الى بيته فقطع قرنيها ، فأولاده يدعون « بنى فارس البقرة » .

فصاحة غلام

● دخل عمرو بن سعيد الاشدق بعد موت ابيه على معاوية ــ وعمرو يومئذ غلام ــ فقال له معاوية : الى من اوصى بك ابوك يا غلام ؟

قال : ان ابى أوصى اليَّ ولم يوص بى !

قال : وبأى شيء أوصاك ؟

قال : اوصانى الا يفقد اخوانه منه الا وجهه !

قال معاوية لأصحابه : ان ابن سعيد هذا لأشدق .



دردشة

دم حار .. وآخر بارد

● هناك مخلوقات تدعى بذات الدم الحار .. واخرى بذات الدم البارد .

والمخلوقات ذات الدم الحار كالانسان والطيور والكلاب والخيل .. تستطيع الاحتفاظ بدرجة حرارة اجسادها ثابتة، مهما كانت درجة حرارة الهواء حولها .

اما اجساد المخلوقات ذات الدم البارد كالاسماك والضفادع... فتتغير حرارتها طبقا لدرجة حرارة الجو المحيط بها .

الأموات يحاكمون !

● هل يمكن ان يحاكم الاموات ؟

لقد حدث هذا . فقد امر البابا ستيفان السابع باخراج جثمان سلفه البابا مورموسوس من القبر ، ثم البسه رداء البابوية واوقفه امام القضاء ، وخصص له محاميا للدفاع عنه . ولما ثبتت التهمة ضده ، حكم عليه بالعزل ، فانزل عن كرسي البابوية ، وخلع عنه رداء البابوية ، وبعد ذلك قذف بالجثة في نهر التيبر !



المراة الاوروبية في أمثال بلادها

❋ لا سلاح للمراة الا لسانها (مثل انجليزى)

❋ المراة تغلب الشيطان . (مثل ايرلندى)

❋ لا تثق بشمس الشتاء ولا بقلب المراة . (مثل بلغارى)

❋ المراة لا تثني على المراة ابدا . (مثل هولندى)

❋ مالا يقدر عليه الشيطان تقدر عليه المراة . (مثل الماني)

❋ ان الشيطان تكفيه عشر ساعات ليخدع رجلا، والمراة تكفيها ساعة لتخدع عشرة رجال . (مثل الماني)

❋ المراة تكون حاكمة او خادمة . (مثل يوناني)

❋ ابتلع الشيطان المراة ، فلم يستطع ان يهضمها .(مثل بولندى)

❋ اضرب زوجتك قبل الغداء ، وقبل العشاء . (مثل روسي)

❋ ان للمراة سبعة وسبعين رايا في آن واحد . (مثل روسي)

❋ تشكو المراة بلا سبب ، وتكذب عمدا ، وتضحك سرا (مثل روسي)

❋ لا تمدح زوجتك قبل سبع سنوات. (مثل اوكراني)

وجهات نظر

* يحتاج الانسان الى سنتين ليتعلم الكلام ، ولكنه يحتاج الى ستين سنة ليتعلم السكوت !

* من الممكن ان يكون هذا العالم رائعا بهيجا ، لو اظهر جميع الرجال من الصبر طوال الوقت ، مثل ما يظهرونه وهم ينتظرون سمكة لتأكل الطعم !

* يبدو ان الطبيعة مصممة على ان تجعلنا نعمل : فكلما خف شعرنا الذى نسرحه ، زادت مساحة وجهنا التي نغسلها !

* لا عجب اذا اسمى آدم المكان الذى كان يعيش فيه بالجنة ... لانه لم يكن له فيه حماة !

المساواة الحقيقية

● حينما تساهم النساء فى اعمال الحفر ، او يصبحن عاملات فى مناجم الفحم ، او مصانع الطابوق او بناء المجارى ، او اية اعمال قاسية أخرى ، عندئذ فقط نعتقد بعدالة مطلبهن وغايتهن .

انا نعتبر هذه الضجة النسوية حول المساواة بالرجال مجرد ستار من الدخان للتعمية والتضليل ، اذ القصد منها اخفاء حقيقة ثابتة وهى ان المراة تحصل فى هذه الحياة على نصيب أوفر من نصيب الرجل .

برنارد شو

طريقة قديمة لقياس أطول يوم فى الصيف

● كان الكلت ، سكان انجلترا القدماء ، يستعملون صخورا ضخمة ليشيروا بها الى مكان شروق الشمس فى اطول ايام السنة . ويوجد حتى الان على مقربة من قرية ستونهينج بوابة ضخمة مكونة من الصخور الضخمة تتوسطها الشمس تماما في يوم واحد من أيام السنة هو اطول يوم من ايام الصيف ، ولا تتوسطها في اى يوم آخر .

ولكننا نرى النجوم !

● سال احد الامريكيين الممثل كلود دوفان ، أثناء وجوده في امريكا ، عن معنى الوان العلم الفرنسي الثلاثة : الازرق ، والابيض ، والاحمر .

فأجاب دوفان : انها تذكرنا بالضرائب المفروضة علينا : فنحن نتسلم اوراقا زرقاء ، تمتص دمنا الاحمر ، وتجعل لوننا ابيض .

فقال الامريكي معلقا : ونحن ايضا حالنا حالكم ، الا اننا نختلف عنكم في اننا نرى النجوم !!

مواطن .. ومواطن !

● « ان المذنب الاول في حق الوطن هو المواطن الصامت ، لا المواطن الثائر الصاخب الذى يتكلم وينقد ، فيظهر الغث من السمين ، والمحسن من المسيء . »

بريستلي (الكاتب الانجليزى)



سيف «فرويد» المشهر على أعناق الآباء

■ رفع قدح القهوة فازدرد ما فيه دفعة واحدة ، فى انفعال ظاهر ، ثم قال : « الكل لا يكفون عن لومى .. وكأننى وحدى المذنب. لقد اصطدم ابنى بالمدرس اثناء الدرس ، فلم يتورع عن أن يضربه .. اجل ، شج اللعين راس مدرّسه . ولكن ما ذنبى انا ؟ »

وتطلعت انظار الحضور الى الأب وهو يمضى فى ذكر ما يلقاه .. لقد قال له ناظر المدرسة : « يجب ان يصدر تشريع يحرّم على الاباء ان ينجبوا ابناء قبل أن يتعلموا كيف يربونهم » .. وقال له عمه : « اين عهدكم من عهدنا ؟ .. فى ايامنا لم يكن الأولاد يجرءون على ان يرفعوا ابصارهم فيمن يكبرونهم سنا ، وليس فى آبائهم ومدرسيهم فحسب . ألم تر كيف رباك ابوك ؟ .. فكيف لم تقتد به فى تربية ابنك ؟ »

وأردف الرجل وقد اشتد جيشان غضبه : « لقد كان ابى يرمقنى بنظرة اذا اخطأت ، فأتمنى لو ان الأرض فغرت فاها وابتلعتنى .. وكان – اذا كبر ذنبى – يصفعنى صفعة واحدة ، أتوب بعدها عن هذا الذنب. فهل يريدوننى أن أربى ابنى اليوم على هذا المنوال ؟ »

قال صديق من الحضور : « اذ ذاك سيقول المدرس – الذى يلومك اليوم – انك تخلق عقدا فى نفس الولد تؤدى به الى الانحراف » ..

وقال صديق آخر « وسيردد ناظر المدرسة نفس ما قاله لك فى هذه المناسبة ولكن بمعنى آخر ... بمعنى انك لا تعرف كيف تربى ابنك ما دمت تلجأ الى الضرب والارهاب » .

فصاح الأب : « حيّرتونا .. لا هم راضون عن اللين ، ولا هم مقرون للضرب . والآباء – فى الحالين – هم المذنبون .. لقد خلقوا لنا – نحن الآباء – عقدا نفسية شنيعة ، فى سبيل حرصهم على تجنيب الأبناء عقدا نفسية ما كان احد ليفطن اليها لولا ان عالما كانت تمضه ذكريات طفولته فصاغ منها نظرية هى سر بلاء الآباء » .

وانساب الحديث ، مليئا بالسخط والحيرة ، وهو ان دل على شىء ، فانما يدل على ان الاباء والامهات يقفون اليوم فى موقف لا يحسدون عليه.. ذلك لأن أصابع الاتهام تتجه اليهم دائما ، كلما اذنب الأبناء أو انحرفوا فى مسلكهم ، برغم انهم ليسوا السلطة الوحيدة التى تنفرد بالتربية ، بل ان المدرّسة تقوم بقسط كبير لا يقل اهمية عن

قسط البيت .. ومع ذلك ، فان المدرسة لا تتردد ـ عند اية ازمة ـ فى أن تصيح : « هذا الاعوجاج ناجم عن تاثير الوسط » .. والمقصود هنا « الوسط المنزلى » ، مع تجاهل « الوسط المدرسى » الذى يتاح له من فرص الاصلاح ما لا يتاح للآخر .. ففيه مسئولون درسوا التربية ونظرياتها ،وفيه مشرفون دربوا على علاج الاعوجاج لدى النشء ، واطلعوا على ما لا يتاح لكل أب أو أم الاطلاع عليه من دراسات فى ميدان تنشئة الجيل الجديد ..

★ ★ ★

ولقد يحاول الآباء والأمهات أن يتمشوا مع التطور التربوى ، وأن يقرأوا ما ينشره علماء التربية والنفس والاجتماع من آراء ودراسات يلتمسون فيها ما يعينهم على اداء مهمتهم العسيرة .. فماذا يجدون ؟

انهم يتيهون وسط سيل من المقالات والكتب المتضاربة : « لا تضرب الطفل !! » .. « يجب العودة الى سياسة الضرب لتقويم الصغار » .. « لا ترهق ابنك بدفعه الى الجد قسرا » .. «يجب ان يعوّد الآباء ابناءهم على الاجتهاد»..«سياسة اللين والتغاضى أجدى » .. « ان الطفل لا يستطيع ان يميز بين النافع والضار ، فلا ينبغى على الآباء أن يتغاضوا عن أخطائه » ..

وتدور رؤوس الآباء والأمهات بهذه الآراء تتقاذفها كالكرات .. بأيها يأخذون ، وأيها يتركون ؟

وتطالب المدرسة بتعاون البيت معها ، فيرحب الآباء بهذه الفرصة ، ولكن .. الى أى مدى ؟

وتجيب احدى الأمهات على هذا التساؤل بقولها : « الى المدى الذى يطرح فيه المدرسون المسئولية عن كواهلهم .. يشكو المدرس من اهمال الابن اداء واجباته المدرسية ، فاذا حاول الوالدان أن يحملا الابن على ادائها ، اشتكى المدرس من أن القسر ادى الى أن يكره التلميذ الدرس ، فهو يجلس شارد الذهن ، أو يحاول التهرب من المدرسة .. وينصح المشرف الاجتماعى بعدم فرض شىء على الطفل ، ثم تطلب المدرسة أن يرتدى التلميذ زيا خاصا ، فاذا هو لم يرض عن هذا الزى وجب أن يرتديه بالأمر ، والا حرم من حضور الدروس .. واذا احتج الوالدان بانه يأبى ، اتهما بالضعف والتخاذل فى ترويض الطفل وعدم التعاون مع المدرسة .. أفبعد هذا كله حيرة ؟ »

★ ★ ★

ومنشأ هذه الحيرة عالم ـ هو « فرويد » ـ خرج على الناس فى أوائل هذا القرن بأن معارضة رغبات الطفل فى صغره ، ومحاولة الاهل ان يروضوه على النظام وأصول السلوك المتعارف عليها ، تؤثر فى تصرفاته اذا ما كبر ..

وتلقف علماء النفس والتربية هذه الآراء ، وراحوا يجتهدون فى تحليلها ، وفى تفسيرها ، وفى التبشير بها .. ولكنهم لم يجمعوا على اتجاهات واحدة فى تطبيقها ، لأنهم أنفسهم لم يهتدوا الى اتجاهات تصلح اسسا ثابتة للتربية .. ومن ثم فهم يتخلصون بلباقة ، اذ يلقون العبء والمسئولية على الآباء ، ثم يشهرون سيف « فرويد » على أعناقهم ..

ولقد احتمل الآباء هذا الموقف ثلاثة عقود من الزمن ، ولكن احتمالهم بدأ يهن ويضعف .. وكما صور احد الآباء ـ فى الحوار الذى استهللنا به هذا المقال ـ بدأوا هم يعانون من عقد نفسية تسوقهم شيئا فشيئا الى التمرد ..

★ ★ ★

ولهم ان يتمردوا وهم مطمئنون !!

لقد نشر « العربى » منذ بضعة أشهر ملخصا لكتاب خرج فيه احد علماء النفس الأمريكيين ـ بعد دراسات طويلة ـ بضرورة استخدام « الضرب » كوسيلة لتقويم الطفل ، وان كان قد قيّد الضرب بحدود وأساليب .

وقد اجرى الدكتور « الكسندر توماس » ـ اخصائى الطب النفسى للاطفال بمستشفى « بيلفى » التابع لجامعة نيويورك ـ عددا كبيرا من البحوث ، بمعونة فريق من الأطباء النفسيين ، انتهى منها الى ان نظرية «فرويد» لم تكن مطلقة ، وان اقبال رجال التربية على لوم الآباء هو

« المسلك المدمر » فى تربية الأبناء .. فان الشعور بالظلم والحيرة لا يلبث ان يستبد بالآباء ، حتى يضيقوا بالابناء .. وهذا الضيق وحده كفيل بالقضاء على كل جهد لاصلاح الصغار ..

ويقول هؤلاء العلماء فى تقريرهم ، انهم درسوا أحوال ١٥٨ طفلا ــ غير منحرفين ــ بينهم الفقراء والاغنياء ، ومَن نشأوا فى بيوت وادعة ومَن نشأوا فى بيوت يشيع فى جوها الشقاق والخصام ، ومن تتفرغ امهاتهم لتربيتهم ومن تضطر امهاتهم الى العمل ، ومن يفرض أهلهم عليهم قيودا نظامية قاسية ومن يتساهل معهم آباؤهم الى حد ترك الحبل على غاربه .. وبرغم كل هذا التباين ، نشأ الاولاد الثمانية والخمسون والمائة أصحاء ، مستقيمين ..

واذا دَلّ هذا على شىء ، فانما يدل على أن مسلك الطفل يتأثر بعدد كبير من العوامل وليس بالبيئة والوسط والحالة الاجتماعية وحدها .. بل لقد ينشأ طفلان فى بيت واحد ويكونان مختلفين فى تأثرهما بموقف واحد . فهناك عوامل أخرى تؤثر فى مسلكهما ، ولا يستطيع ادراكها غير الأبوين .

ومن ثم فلا سبيل الى اخضاع تربية الأطفال لنسق واحد ، مخطط ، مرسوم ، محدد ..

ذلك لأن الطفل « فرد » وليس « أنبوبة اختبار » فى معمل كيمياوى .. والأب والأم هما أخلق الناس بأن يؤتمنا على ترويضه ، وبأن يتفهماه ويحددا الأسلوب الواجب اتباعه فى هذا الترويض ، على ضوء معاشرتهما اياه ، وعلى ضوء البيئة والظروف .. لا سيما وأن وعى الآباء وادراكهم لمسئولياتهم يزداد بانتشار العلم .

★ ★ ★

وهكذا يجد الآباء والأمهات أخيرا بين خلفاء « فرويد » من ينصفونهم ويرفعون عن أعناقهم السيف المصلت . ■■

بلدى ...

فكرة ماكرة

● تلقى جندى ايرلندى ممن كانوا يحاربون في صفوف الجيش البريطاني ــ في الحرب العالمية الاولى ــ رسالة من زوجته ، تشكو فيها من أزمة الايدى العاملة نظرا لتجنيد معظم الرجال ، وتضرب مثلا بحديقة دارهما ، اذ اصبحت مجدبة ، لعدم وجود من يعنى بها .. وقالت الزوجة في رسالتها : « ... لو انني وجدت من يقلب لي تربتها ، ويحرث ارضها ، لأمكنني ان ازرعها بنفسي » .

وكتب لها الزوج من ميدان القتال يقول : « .. تحسنين صنعا لو تركت الحديقة وشأنها . ولا تنسى ان الاسلحة المدخرة لثورة ايرلندا على انجلترا ، مدفونة في ارض هذه الحديقة . »

ولم يحمل الرسالة الى زوجته ــ عند وصولها ــ رجل البريد .. بل فوجئت السيدة بستة من الجنود ، اقبلوا على الارض يقلبون تربتها بجد واجتهاد .. فلما لم يجدوا شيئا ، دفعوا اليها برسالة الزوج قائلين : « ما الذى دعاه الى ان يزعم ان في ارض الحديقة أسلحة ؟ »

ولم تكن الزوجة أقل دهشة منهم ، فكتبت لزوجها هذا السؤال .. وكان الرد :

« كنت ادرك ان الرقابة ستطلع على رسالتي ، وستحيلها الى السلطات ، فترسل هذه من ينقب عن الاسلحة .. وبهذا تستى تقليب تربة الحديقة دون جهد ولا نفقة ! »



طبيب الأسرة

ثلاثة أشياخ ، وبرستاتة

نحن أشياخ ثلاثة ، اجتمعنا ، وتحدثنا فى أمر غدة البرستاتة ، وتضخمهـــا ، وانحباس البول بسببها، ونرجو انتحدثناعنها بما ينفع ان شاء الله .

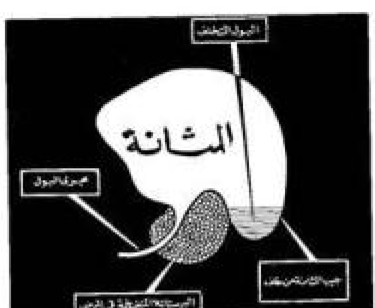
● الظاهر ان غدة البرستاتةقد رفعها فى أخبار العالم رفعا ، تلك الجراحة التى اجراها الجراحون بفرنســـا للجنرال ديجول،وازالوا بها تلك الغدة التى وقفت فى سبيل بوله ، وتلك الجراحة الأخرى التى أجراها الجراحـون لرئيس وزراء بريطانيا قبل ذلك ، المستر مكميلان ، لنفس الغاية . وكان كلاهما شيخا ، واحتمل كلاهما العملية ، وقام عنهـــا بعد ايام قلائل .

ولقد كتبنا كلمة مستفيضة عـن هذه الغدة وجراحتها فى « العربى » للشهـر الخامس لعام ١٩٦٣ .

ولكنا نزيد هنـــا ما عسانا لـم نكن قلناه هناك ، وهو كيف يتصرف مـــن يحسب أن بغدته تضخما ، ليتأكد مـــن ذلك .

اول شىء بالطبع زيارة الطبيب . وهو سوف يسأل عن البول ، وعن مقداره ، وهل يقوم المريض فى الليل ليفرغ مثانته، وكم يفرغ منها ، وهل يخرج البـــول فيضا أم متقطعا. وبعد كثرة من الأسئلة وكثرة من الامتحان اليدوى السمعى ، قد يرسل الطبيب مريضههذا الى المختبر الكيماوى لفحص دمه ، خشية أن تكون الكليتان احداهما أو كلاهما قـد تأثرتا بحالة المريض . وقد يرسله الى طبيب المسالك البولية ، ان لم يكن هو ذاك ، ليقترح اخذ صور سينية للجهاز البولى، وفيها تظهر الكليتان والمثانة على الحالة التى هى عليها ، وقد تظهر كذلك غـدة البرستاتة ، ويظهر هل تضخمت أم هى لم تفعل .

ثم هناك الفحص بمنظار المثانة ، وهو عبارة عن أنبوبة من المعدن طويلة رفيعة بطرفها منظار ومصباح صغير . فالجراح يدخلها فى مجرى البول الى المثانة ليرى ما طرا على جدرانها من تغير . ويجرى الفحص بالمنظار فى المستشفى، يقضى فيه المريض يوما واحدا أو يومين . والفحص



البرستاتة فى حالة المرض

يجرى والمريض تحت البنج . والمنظار يكشف للجراح البرستاتة أيضا فيراها ويقرر هل ينتزعها او يبقيها .

كان تضخم البرستاتة شيئا فى ماضى الايام مخوفا . اما اليوم،مع تقدم الطب، وابتداع المطهرات الخارجة والداخلة ، والمطهرات الحيوية خاصة ، فقد صارت جراحتها شيئا يجرى كل يوم . والشيخ الذى يضعف قلبه عن احتمال هذه الجراحة له عند الطب وسائل أخرى ، منها الكى بالمشرط الحرارى الكهربائى ، مع منظار المثانة،وهو يؤدى الى استئصال للغدة جزئى .

لم لا آخذ من الدواء جُرعتين ، لأشفى فى أسبوع بدل أسبوعين ؟



ـ ما هى الجُرعة التى يكتبها الدكاترة فى روشتاتهم ؟ يقولون انها المقدار الذى يأخذه المريض من الدواء ليشفى . وان كان يشفى على الجرعة فلم لا يأخذ جرعتين ليكون الشفاء اسرع ؟

● نصلح اللغة أولا ، فبالدكاترة تقصد الأطباء . وبالروشتات تقصد الوصفات التى يكتبها الأطباء . واطرادا مع البحث اللغوى أقول الجُرعة هو ما تبلعه من الماء او السائل مرة واحدة . وانت هكذا تفعل فى الدواء فلا تتمززه استطابة لطعمه . فالبلعة من الدواء هى الجرعة.

وهى اصطلاحا المقدار المقدر لك ان تأخذه من الدواء فى المرة الواحدة ، والطبيب يحدد لك كم تتعدد المرات فى اليوم .

اما ان تأخذ بدل الجرعة الموصوفة جرعتين او ثلاثا ليكون الشفاء أسرع ، فهذا يكون كمن يطلب ان يأكل فى الوجبة الواحدة من الطعام وجبتين او ثلاثا . ان فعل الدواء يجب أن يكون من السرعة بحيث يماشى ما فى الأبدان من سرعة تغيرات كيماوية وحيوية هى التى تجرى الحياة ، والا انكفأت الحياة انكفاء الرجل

أحس كأني حامــل ،

ـ انا فتاة تزوجت حديثا ، وأحس كأن الحمل بدأ عندى ، ولا اجرؤ على اخبار زوجى خشية ان اكون مخطئة ، فما هى اعراض الحمل التى بها تتأكد المرأة فتقول من غير شك انها حامل ؟.

● ان الحمل له اعراض عدة ، منها انقطاع العادة الشهرية ، لا سيما فى المرأة التى انتظمت عادتها من قبل زواج . ومن هذه الأعراض ميوعة النفس فى الصباح ، والتهوع والرغبة فى القىء . وكثيرا ما تحس الفتاة الحامل بامتلاء ثدييها ، وزيادة الحس فيهما عند اللمس . ولون المنطقة التى تدور حول حلمة الثدى يزيد اقتاما . ومن الأعراض ازدياد عدد مرات التبول .

وأى عرض من هذه الأعراض لا يفيد وحده الحمل . وانما يتأكد الحمل نوعا ما باجتماع عرضين من هذه الأعراض فأكثر .

على ان هنالك ثلاثة أشياء هى وحدها التى تؤكد الحمل .

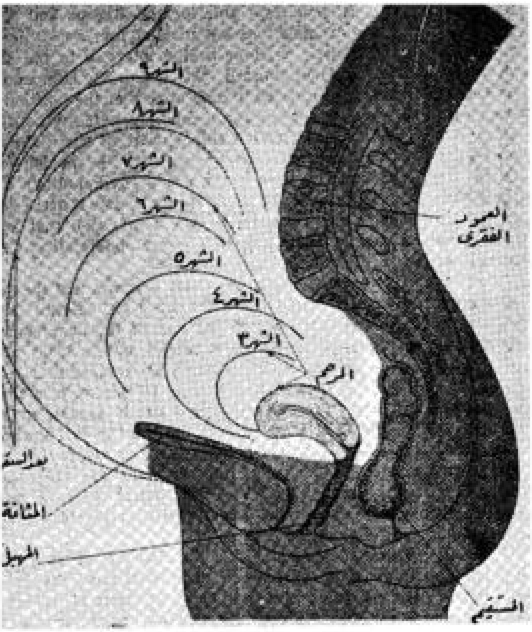
فما أعراض الحمل ؟

أولها التسمع الى نبض الوليد ، وهذا يمكن فى نحو الاسبوع السادس عشر من عمر الجنين الى الثامن عشر، ويكشفه الطبيب بسماعته فى الجزء الأسفل من البطن . ونبض الوليد يبلغ فى الشهر الثامن نحو من ١٥٠ الى ١٦٠ نبضة ، وعند انتهاء الحمل يبلغ بين ١٢٠ الى ١٤٠ نبضة .

والشىء الثانى الذى يؤكد الحمل، الصورة التىتأخذها الأشعة السينية للجنين ، وهى تظهر هيكله العظمى ويمكن ذلك فى نحو الأسبوع السادس عشر من عمر الجنين .

والشىء الثالث الذى يؤكد الحمل حركة الجنين التى تحسها الأم فى بطنها ، وتلاحظ هذه الحركة عادة فى الأسبوع الثامنعشر الى العشرين.

ولدى الطبيب وسائل اخرى يشخص بها الحمل وذلك بالامتحان الداخلى ، وفيه يكشف كبر الرحم ،



رسم يوضح الابعاد التى يصل اليها رحم المراة الحامل حتىالشهر التاسع منالحمل

وقد يكشف هذا باكرا ، اى من نحو الأسبوع الثامن او العاشر .

وعدا هذا وذاك ، المختبر . فاليه يرسل الطبيب عينة من بول المراة ، وهناك يدرك رجل المختبر ان كانت المراة حاملا او غير حامل .

الذى يسرع فى الجرى بما لا تحتمله قدماه . وغير ذلك فاغلب هذه الأدوية سموم قاتلة يعطى المريض منها القليل الأقل فتكون غير قاتلة ، وتكون نافعة تعطى الشفاء .

ولهذا لا يعطى الطبيب كل المرضى من الدواء الواحد الجرعة الواحدة . انه يقدر وزن المريض ، فان زاد ، زادت الجرعة ، وان نقص ، نقصت الجرعة . والسن له دخل فى تحديد مقدارها . وحتى الجنس ، فالنساء على العموم تحتاج الى جرعات اقل مما يحتاج الرجال .

ومن المشكلات التى يصادفها الأطباء حساسية خافية عند بعض المرضى تجاه ادوية خاصة ، فهم قد يصمدون كثيرا لجرعات كبيرة من أدوية شديدة المفعول، ولكن أقل جرعة من مادة كيودور البوتسيوم مثلا ، أو البلادنا ، تحدث فيهم أعراضا غير منتظرة .

■■



طريق القوة والكرامة

عن جريدة « الجمهورية » ــ بغداد :

● من مشكلات وطننا الاساسية هو هذا الفراغ السياسي . ونعني بالفراغ السياسي تجزئة الوطن العربي الى دول متعددة ضعيفة الروابط . ولايزال قسم منها خاضعا لحكم المستعمرين الظالمين .

ان منطقة البلاد العربية ، من محيطها الى خليجها ، اعتبرت بحكم غنى ثروتها الطبيعية ، وموقعها الجغرافي ، وتكاملها الاقتصادى ، منذ آلاف السنين منطقة واحدة ، وعوملت كمجال سياسي واحد . ولذلك فان من المستحيل ان تملأ هذا الفراغ، وتجابه تحديات الصهيونية والاستعمار وهى مجزأة الى دول متعددة ضعيفة الروابط .

والتاريخ يعلمنا انه كلما تجزأت المنطقة العربية الى دول متعددة حدث هذا الفراغ السياسي ، كما ان التاريخ يخبرنا ايضا ان الامبراطورية الرومانية كانت اول من ملأ هذا الفراغ تحت رايتها الامبراطورية ، ومن ثم خلفتها بيزنطية ، ونازعتها فارس في ملء هذا الفراغ .

ولما جاء محمد الرسول العربي العظيم برسالته الاسلامية كان توحيد هذه المنطقة من اهم انجازات رسالته السماوية . وهكذا ملأ هذا الفراغ ابناؤه العرب . وبعد ان جمع العرب شملهم وتوحدوا ، كان من نتاج هذه الوحدة أن قدم العرب للبشرية اعظم حضارة عرفها التاريخ في ذلك الوقت ، ولها يعود الفضل في نهضة اوربا الحديثة .

واذن فالطريق للقوة ، والطريق لانقاذ فلسطين ، والطريق للرفاهية ، هو طريق الوحدة . وحدة الامة العربية جميعها لتكون قادرة على مجابهة التحدى الكبير الصادر من الحضارة الغربية . وما الصهيونية وما اسرائيل الا ذيل من ذيول هذه الحضارة .

اتركوا لنا بحرنا

عن جريدة « الدفاع »

● فى البحر الأبيض المتوسط ، تهدد أميركا بتحريك أسطولها السادس ، المزود بالأسلحة الذرية . انه سيف تسلطه اميركا على دول المنطقة، وتستخدمه لدعم نفوذها ، ومصالحها .

وروسيا التى لا يرضيها احتكار أميركا للبحر المتوسط ، أرسلت قطعا بحرية ذات ضخامة غير عادية ، لتتجول فى هذا البحر . وضخامتها هذه تدل على أنها ذرية .

ونحن ، دول البحر المتوسط ، نقولها بصراحة لأميركا اولا ، ولروسيا ثانيا ان هذا البحر بحرنا . ولن نجعله ميدانا لاحقادكم ، وعقدكم النفسية ، ومطامعكم الشخصية . فارحلوا باساطيلكم الذرية ، عن بحرنا ، واتركوه لنا ، نقيا ، هادئا . وكفانا شرور تدخلكم فى صميم شؤون بلادنا .

مصلحة الوطن أولا

عن جريدة « العلم » الرباط :

● قال صاحبى : انهم فى امريكا يحرصون على اقامة جهاز الى جانب كل القطاعات الخاصة منها والعامة ، مهمته موازنة الانتاج بالنسبة للنفقات، والعمل على اختصار العمليات ما أمكن ، حتى يمكن مضاعفة الانتاج بسهولة ، وباقل ما يمكن من المصاريف ، ولا يتوانى هذا الجهاز عن رصد جوائز هامة لمن يستطيع التوصل الى اكتشاف طريقة افضل . وهذا لا يساعد فقط على مسايرة التطور اللازم ، بل يعمل أيضا على خلق روح الابتكار والخلق لدى المنتجين .

ونحن فى المغرب ما زلنا نخلق الوظيفة من أجل الشخص. وأنا اتصور اننا لو انشأنا هذا الجهاز ، الى جانب الادارة العامة ، مع وفر النيات الصالحة والرغبة الأكيدة ، اذن : لانطلقت ادارتنا من جمودها وخمولها ، ولغدت ادارة منتجة، وليست عبئا ثقيلا تتحمله الأمة ، ولاكتشفنا عددا من المواهب المكبوتة تتبوأ مقاعدها عن جدارة مكان عدد من الفنيين المستوردين ، ولأصبحت ادارتنا تناسب تطورنا الاقتصادى والمالي فيختفى العجز الحاصل من ميزانية التسيير ، دون اللجوء الى التخفيض من الاجور الضعيفة ، وفرض ضرائب جديدة ، ورفع أثمان السكر ، وما الى ذلك من التدابير العقيمة .

ولكن أين لنا بالنيات الصالحة أولا ؟





جونسون ..
وشبح كيندى

عن جريدة « الاهرام » :

● خرج وزير العدل الأمريكى روبرت كيندى عن صمته تجاه حقيقة مشاعره تجـاه الرئيس جونسون ، فأعلن بصريح العبارة انه قضى عليه أن يظل خلال السنوات الاربع القادمة بعيدا عن الاضواء ، لا لذنب جناه الا لأنه شقيق الرئيس الراحل كيندى الذى يحاول جونسون بكل ما أوتى من سبيل أن يطمس معالم اسمه من قلوب الأمريكيين .

وهذا الذى يقوله روبرت كيندى فيه الكثير من الصدق .. فقد اغتيل كيندى وهو فى أوج مجده السياسى .. فجاء جونسون بعده ليجد الطريق مسدودا ـ بحكم قصر المدة الباقية له فى الرياسة ـ أمام مشروعات جديدة يستطيع بها أن يجتذب اليه انظار الجماهير بطريقة تنسيهم ولو قليلا صورة الرئيس السابق .. وكان أكثر مايضيق به وجود شقيق الرئيس الراحل وزيرا فى وزارة هامة من وزاراته .. وعجزه عن أن يخرجه منها بطريقة لا تثير المشاعر ضده ..

وقد طلب روبرت كيندى منذ مدة الاستقالة من منصبه .. وكان جونسون مستعدا لقبولها على الفور لولا ان روبرت طلب أن يعين سفيرا لبلاده فى فيتنام الجنوبية ، بدلا من السفير السابق هنرى كابوت لودج .. فرفض جونسون الاستقالة حتى لا يضطر الى تعيينه فى منصب يهيىء له شهرة لعلها تفوق ما يهيئه لـه منصبه كوزير للعدل . ومع ذلك فلن يؤدى أى قرار يتخذه فى هذا الشأن الى ازالة شبح كيندى من أذهان الأمريكيين .. ولن يتسنى له ذلك الا اذا نجح فى الانتخابات القادمة واستطاع خلال سنوات حكمه أن يقدم شيئا يقرن باسمه .

السراب

قصة انسانية من الأدب الهندي الحديث

بقلم : ابندراناث اشك

■ راح « بكر » – الزارع المسلم القادم من قرية « بى سكندر » – يتأمل الناقة بعينين تهمتين ، حتى زمجر اخيرا « تشودورى ناندو » وهو مضجع تحت الشجرة : « ماذا تفعل عندك يا هذا ؟ » .. فازداد « بكر » اقترابا واومضت عيناه لحظة فى محجريهما الغائرين ، واشرق وجهه بابتسامة واهنة ، وقال : « كنت أتأمل ناقتك.. ما أبدعها من ناقة ! » .

وارتاحت نفس تشودورى عندما سمع اطراء لأحد حيواناته ، وقال : « أية ناقة تعنى ؟ » . فاشار بكر نحوها قائلا : « الرابعة من اليسار ».

وكانت الناقة تلهث بقضم بعض أوراق الشجر، وسط ثمانية أو عشرة من الجمال . وكانت سوق الماشية حافلة بالابل الطويلة، والعجول السوداء، والثيران الضخمة والابقار .. ولكن الابل كانت تعلو على ما عداها فى تلك السوق المجاورة لصحراء « بهاوال ناجار » . وكانت الجمال عديدة المنافع فى تلك المنطقة ، لا سيما فى نقل الزراعة . وعندما كانت البقرة تباع – فى الماضى – بعشر روبيات والثور بخمس عشرة ، لم يكن ثمن الجمل – الذى لا عيب فيه – يقل عن خمسين روبية .. وحتى بعد أن شقت القنوات ، وتوفرت المياه فى المنطقة، لم تفقد الابل قيمتها ، بل ان الجمل الذى يصلح للركوب أصبح يباع ما بين ٢٠٠ و ٣٠٠ روبية ، فى حين أن الجمل الصالح للزراعة والنقل لم يعد يباع باقل من ثمانين روبية .

وازداد بكر اقترابا وقال : « اصارحك يا تشودرى اننى لم ار اجمل من ناقتك فى السوق كلها ! » فقال ناندو بزهو : « ولماذا هى وحدها؟! كل ابلى تعادلها جمالا ، لاننى أعنى بتغذيتها » . فساله بكر فى صوت خفيض متردد : « هل تود أن تبيعها ؟ » .

– لهذا جئت بها الى هنا .

– اذن فاذكر لى سعرا معقولا .

وتفحص ناندو – بعينيه الثاقبتين – بكرا من رأسه الى قدميه ، ثم قال مبتسما :

– هل تريد شراءها لنفسك او لصاحب الارض التى تعمل عليها ؟

فاجابه بكر ، وهو يضغط على كلماته ليزيدها وضوحا :

« بل أريدها لنفسى بكل تأكيد » . وهز ناندو رأسه ، وقد أبى عقله أن يتصور ان عاملا زراعيا فقيرا كهذا يملك شراء جمل . وقال فى جفاء: «أخشى أنك لن تستطيع شراءها ياصاحبى». فصاح بكر وهو يتحسس جيبه ، حيث كانت ترقد ١٥٠ روبية : « ليس من شأنك ان تسألنى عمن أود شراءها له . كل ما عليك هو أن تذكر الثمن».

وعاد ناندو يتفحصه ، متأملا وجهه الذى لفحته الشمس ، وثيابه القذرة . ولكى يتخلص منه ، رأى أن يطلب سعرا عاليا ، فقال فى عدم احتفال: « ابحث عن جمل عادى .. اما هذه فلن ابيعها باقل من ١٦٠ روبية » .

وسرت فى جسد « بكر » اختلاجة ابتهاج ، اذ كان يخشى أن يطلب « تشودورى » سعرا فوق



طاقته .. اما الآن ، فلم يكن ينقصه سوى عشر روبيات ، يستطيع أن يستمهله اداءها .. وكان ساذجا ، خجولا ، يجهل أساليب المساومة . فاخرج الاوراق المالية من جيبه ، ودفعها الى تشودوري قائلا : أتسمح بان تعد هذه . انها كل ما أملك ، والصفقة الآن متوقفة عليك » .

شرع ناندو يحصى النقود فى غير اكتراث ، ولكنه لم يات على آخرها حتى ابرقت عيناه .. كان قد اشتط فى السعر ليصرف عنه بكرا ، فمثل هذه الناقة كانت تباع بمائة وأربعين روبية على الاكثر .. ومع ذلك ، فانه قال فى لؤم : «كان من السهل أن أحصل على ٢٠٠ روبية ثمنا لناقتى ، ولكنى سأعطيكها مقابل المائة والخمسين » . وفك مقود الناقة وأسلمه اياه ..

ومع أن بكرا كان ظمآنا ، فانه لم يعد يجد فسحة من الوقت للشرب ، فلا بد من بلوغ القرية قبل هبوط الليل .. وفى رفق، راح يقود الناقة.

كان أسلاف «بكر» من صناع الأوعية الفخارية، ولكن « بكرا » حذا حذو أبيه ، فاشتغل عاملا زراعيا لا يكاد يكسب سوى النزر اليسير . وكان كسولا بطبعه ، ولكن أيام الخمول ولت حين ماتت زوجته منذ خمس سنوات ، مخلفة له ابنة كانها الدمية جمالا . فقد همست له زوجته ، وهى على فراش الموت : « سأترك راضية لرعايتك ، فارجو أن تجنبها كل عناء » .. وقد غيرت هذه الوصية حياته كلها ، فاقبل يعمل دائبا ، كادحا، من أجل ابنته .. ليبتاع لها كل طيب ، وليجعلها سعيدة .. وكانت تتمسح فيه كلما عاد من السوق وتسأله : « ما الذى أحضرت لى يا «أبا» » ، فكان يجلسها على ركبته ، ويطبع قبلة على خدها ، ويعطيها لعبا وحلوى .

وفى ذات يوم .. وقد بلغت الثامنة من عمرها ـ قالت له : « أريد ناقة يا « أبا » ، فمتى تشتريها لى ؟ » .. يا للطفلة البريئة الساذجة ! .. كان جليا أنها لم تتبين يوما أن اباها عامل فقير معدم .. ولكنه ابتسم ، لكى لا يؤذى مشاعرها ـ وقال: «وماذا تودين أن تفعلى بالناقة ياعزيزتى؟».

كانت راضية قد رأت صاحب الأرض يعتلى ناقة وأمامه ابنته ، فاصبحت تتوق الى ان تركب ناقة هى الأخرى .

ومع أن بكرا حول ذهنها عن الموضوع ، الا انه عاهد نفسه على ان يحقق للطفلة أملها ، وأن يكسب ما يفى بذلك . فراح يطوف بالقرى بحثا عن مزيد من العمل ، واخذ يحصد ويدرس ويذرى ويغربل ويعد علف الماشية فى موسم الحصاد .. ويحرث الحقول ويؤدى عديدا من الأعمال فى موسم

البذر . وكان اذا أعوزه عمل ، قطع ١٦ ميلا ـ هي المسافة الى السوق ـ على قدميه ، ليؤدى هناك بعض أعمال يتكسب منها .. وهو لا يفتأ يذكر وصية زوجته ، فيتأمل ابنته في حب .. وبعد جهاد دام عاما ونصف العام ، استطاع أخيرا أن يحقق رغبتها ، وها هو يشد يده على مقود الناقة ، في طريقه الى القرية .

★ ★ ★

بدأت الشمس تجنح للمغيب ، وشاعت في الجو ريح ندية . وكان « بكر » في غفلة عن كل ما حوله، وذهنه يحوم على دروب ماضية ، ويرتد الىظروف حاضرة . وكان يضيق من أحلامه ـ من وقت الى آخر ـ فيتأمل الناقة ـ ويسرع الخطى ليصل الى داره قبل أن تنام راضية .. وما لبثت القرية التي يقيم فيها صاحب الارضأن لاحت له ،فخفف من اسراعه ، وانطلق خياله جامحا ، وهو يتصور « راضية أمامه » على ظهر الناقة .. ثم يتمثل نفسه وقد اصطحبها الى سوق « بهاوال ناجار » والفتاة تنظر مبهوتة الى أكوام الحنطة .. ثم يتصور أنه سار بها الى حانوت به جهاز للحاكي يرسل الانغام في الجو .. يا للصغيرة الساذجة ! .. وتمثل نفسه وهو يشرح لها ، والانفعال والسرور يتجليان في حركاتها ..

وكف ذهنه عن الأحلام فجاة ، اذ دخل قرية صاحب الارض .. لم تكن قرية كبيرة ، وان كان بها حوالى ٢٥ كوخا وبيتا من الآجر ، في حين أن قريته لا تضم سوى ١٥ .. وكان بيت صاحب الارض من الطوب ..

وكان « بكر » قد أوصى النجار بان يصنع له سرجا للناقة ، قبل أن يذهب الى السوق ... فعرج على حانوت النجار ، ولكنه لم يجده .. وعرج على بيته ، فعلم أنه ذهب الى السوق .. وأسقط في يده . لن تستطيع راضية أن تركب الناقة .. ثم أومضت في ذهنه فكرة .. ان صاحب الارض يملك ابلا كثيرة ، ولا بد أن لديه رحلايعيره اياه .

كان صاحب الارض قد جمع ثروة وهو في خدمة الحكومة ، فلما مدت القنوات في هذه المنطقة ، اشترى مساحة كبيرة من الاراضى بثمن بخس ، ولكنها أصبحت تدر عليه دخلا كبيرا بعد أن ترك الخدمة .

ووجده « بكر » في فناء داره يدخن غليونه .. وعندما رأى الرجل بكرا مغبرا متربا وفي يدهمقود الناقة ، ساله : « من أين جئت يا بكر؟ » فانحنى بكر قليلا تحية له ، وقال انه عائد من سوق الماشية .

ـ لمن هذه الناقة ؟

ـ لي يا سيدي ، ابتعتها هناك .

ـ وكم دفعت ثمنا لها ؟

وشعر « بكر » بميل الى الكذب ، فالناقة تستحق ٢٠٠ روبية . ولكنه اكتفى بأن قال مرتبكا في سذاجة : « كان صاحبها يطلب ١٦٠ ، ثم أعفاني من ١٠ » .

فالقى صاحب الارض نظرة فاحصة ، وودّ أن تكون له هذه الناقة الجميلة . كان برغم ما يملك ، يجد في ناقة «بكر» ما يستهويه . وما لبث ان قال : « خذ مني المائة والستين روبية . فقد كنت ابحث عن ناقة لنفسي » .

فسرت في جسد بكر قشعريرة خوف وهو يبادر قائلا : « آسف يا سيدي ، فقد ابتعت الناقة لاحقق رغبة غالية لابنتي ..» . وحاول أن يصطنع الابتسام ، بينما نهض صاحب الارض فاقترب من الناقة ، وربت عنقها برفق وقال : « ما أجملها ! .. ساعطيك ١٥ روبية فوق ما دفعت يا بكر » .

وقبل أن يسمع ردا ، نادى خادمه « نور » ، وقال له : « خذ هذه الناقة واربطها هناك » .

وجذب «نور» مقود الناقة من يد « بكر » الذي جمد في مكانه مشدوها آسفا .. بينما أخرج صاحب الارض ستين روبية من جيبه ، ودفعها الى بكر وهو يبتسم بلؤم قائلا : « لقد أعطاني أحد مستأجري الارض هذا المبلغ منذ لحظات ، ولعله مقسوم لك . فخذه ، وسارسل لك باقي الثمن بعد شهر أو اثنين » .

وتحول دون أن يرتقب ردا ، ثم صاح في « نور» لا تشتغل باطعام الجاموس الآن ، بل اذهب فدبر للناقة غذاء ، فلا بد أنها جائعة » .. ثم اقترب من الناقة فراح يتاملها ويربتها باعجاب .

ولم يكن القمر قد بزغ بعدُ حين بلغ بكر قريته .. وتلكأ عند مشارفها ، ثم توارى وراء طائفة من الاشجار ، وراح يحملق في بصيص الضوء المنساب من كوخه .. كانت ابنته « راضية » مستيقظة ، تترقب عودته في تلهف . ود أن يطير اليها ، ولكنه تذكر الناقة فجثم في مكانه مرتقبا أن يخبو الكوخ ايذانا بان راضية قد آثرت النوم أخيرا ، كي يتسلل ويدخل مرقده . ■■

اللُعَب

حدث فى دُنياها انقِلاب



■ فى وسع ابنك الآن ان يمدك بالتنبؤات عن الطقس ، قبل أن تبرح منزلك فى الصباح ..

وفى وسع ابنك ان يمد فى ارجاء البيت شبكة الكترونية تعفيك من عناء فتح الابواب واغلاقها كلما دخلت او خرجت ..

وليس هذا لان ابنك اصبح عالما وهو فى هذه السن المبكرة .. ولكن ، لان اللعب التى يتسلى بها ابناء هذا الجيل تمكنه من اداء هذه الأعمال ..

ان هذا العصر عصر العلم والهندسة ، لهذا تطورت اللعَب فأخذت صبغة العصر .. حتى الأطفال الذين هم دون الخامسة من أعمارهم ، تطورت لعبهم بدورها .. وصحيح ان الدمى القديمة — كالعروسة أو الدب أو الكلب — لم تختف من « فترينات المتاجر » ، ولكن ظهر الى جوارها ، فى الامم الناهضة ، رجل الفضاء ، والصاروخ ، والطائرة النفاثة ..

ان اللعَب التى تعَد لصبية هذا الجيل ، تهدف الى تعليمهم بجانب تسليتهم .. ومن هذه اللعب محطة صغيرة للارصاد الجوية ، ومعامل الكترونية ومعدات هندسية ومعمارية ، ومحركات توربينية ، ونماذج شفافة للجسم البشري ، تكشف عن أدق اجهزته الداخلية ..

★ ★ ★

ولقد انتجت احدى دور اللعب البريطانية اخيرا ، محركات صغيرة للاحتراق الداخلى ، كمحركات السيارات ، بكباساتها واسطواناتها ومحاورها ؛ ومواصلات حركتها الى العجلات ، وكلها

مصنوعة من مواد شفافة، ليتبين الصبي من خلالها كيف يدور المحرك ويعمل .. ومن هذه المحركات الصغيرة ما يستهوى حتى الآباء والكبار، اذ يبين لهم ما يحدث عندما يقومون بتغيير السرعة أثناء قيادة السيارة .

والطريف فى هـذه اللعب العلمية انه من الممكن فكها واعادة تركيبها ، وفقـا لايضاحات مطبوعة ترفق بها ، مما يولد لدى الصغار خبرة وينمى هواياتهـم الهندسية ..

ومن هذه اللعب مجموعة من القطـع المصنوعة من « البلاستيك » ، يستطيع هواة الفضاء من الصغار أن يصنعوا منها مركبة فضائية ، أو سفينة صغيرة تمخر الماء فعلا اذا وضعت فى حوض ..

وهناك « المختبر الالكترونى » الذى يستطيع الصغير أن يستعين بادارته فى أنشاء شبكة الكترونيـة حقيقية ، تعلن عن اللص اذ يتسلل الى البيت،أو ترشد الى أنبوبة الغاز أو الماء اذا تسرّب مـا فيها .. أو انشاء عين سحرية توقـد الأنوار وتطفئها، أو تفتح الأبواب وتغلقها، دون ان يتجشم الانسان شيئا غير المرور أمامها .

وتنتج دور أخرى مجموعة من اللعب الهندسية المعمارية ، بها كل ما يمكـن الصغير من انشاء مبنى صغير ، له هيكل من الفولاذ ، وتكسوه طبقة من الزجاج .

ومن أحـدث اللعب الامـريكية لعب تساعد الصبى على معرفة تركيب الجسم الانسانى وأجهزته .. ومنها مجموعات من العظام والاوردة والشرايين والرئات والمخ ، كلها من البلاستيك . ويستطيع ابن الرابعة عشرة أن يصل بعضها ببعض ليصنع منها جسدا كاملا ، أو أجزاء من الجسد.. وهناك رؤوس من البلاستيك من الممكن تركيب وفصل ما فيها مـن عيون والسـنة واسنان . وذلك فضـلا عن نماذج كاملة من اجسام بشرية شفافة، تكشف عما فى جوف الانسان من أجهزة، وكيف يتصـل بعضها ببعض ، وكيف تعمل ..

ومن اللعب الطريفـة مجموعة تبين العلاقة بين البيضة والفرخ « الكتكوت » .. وكيف يتكون هذا داخـل البيضة ، وكيف ينمو ويتطور .. وهي مرفقـة باسئلة تتناول مختلف المراحل وتحفز الصغير على الدرس والتفكير ..

وهناك لعبة انجليزية أخرى ، تتألف من نماذج أكبر مـن الجسم الطبيعى لأجهزة الحواس البشرية: البصر والسمع واللمس والشم والذوق .. وهى تقدم مفككة ، وعلى الصغير أن يركب اجزاءها، وهو بذلك يتبـين كيف تعمل هـذه الأجهزة . وأطرف من ذلك قلب آلى ، تتصل به مضخة تدفع سائلين ـ احمر وازرق ـ يمثـلان دورة الدم ومروره خـلال صمامات القلب والشرايـين والاوردة ..

وهناك لعب تمثـل آلة الطباعة ، والميكروسكوب ، والتليسكوب ، وجهاز التلغراف ، والفونغراف .. وكلها يمكن للصغير تفكيكها وتركيبها واستعمالها ..

كما ان هناك مجموعة من العدسات والمرايا والمنشورات البلورية ، تمكـن الصغير من أن يصنـع بيديه نظارات مكبرة ، وميكروسكوبات ، وتليسكوبات وأن يدرس انعكاس الضـوء وانكساره وقوانين الضوء والابصار ..

كذلك تنتج دور اللعب الآن مجموعات تمكن الصغار من صنع محطات لاسلكية واجهزة للاستقبال ، يمكن استخدامهـا فعلا .

وهكذا لم تعد اللعب مجرد أشياء للتسلية ، لا يلبث الصغير أن يملهـا ، بل أصبحت مجموعات هندسية وكهربائية والكترونية ، من الممكن للصغير واليافع ـ حتى سن ١٧ ـ بل وللكبار أنفسهم ان يتسلوا بها ، وان ينموا بها هواياتهم العلمية ، ويكتسبوا منها مهارات فنية .

■■

...ول فرنيك

أنا «جول فيرنيك» كنت أعمل طباخا في معسكر باقصى شمال كندا ـ في الدائرة القطبية لبعض المنشآت الدفاعية الأمريكية، حين تعرضت لهذه المغامرة.. التي قدر لي أن أنجو منها بمعجزة، لأعيش فأرويها .



لقاء على غير موعد

■ ما من ضرر يصيب المرء الا كان نتيجة من نتائج عمله .. وما من خطأ يرتكبه المرء الا عانى من عواقبه ، ان عاجلا او آجلا ..

هذه الحكمة التى أصبحت شعارى فى الحياة ، لم أحفظها من الكتب ، بقدر ما علمنى الواقع ان أومن بها .. وما أبهظ الثمن الذى دفعته فيها !

ان الذاكرة تعود بى الى ساعة مبكرة جدا من صباح أحد الأيام فى شهر يناير سنة ١٩٥٧ ، كنت انهمكت فيها فى اعداد الفطور لستين شخصا كانوا يعملون فى مشروع دفاعى أحيط بالكتمان الشديد ، فى بقعة فى أقصى الشمال من كندا ، تدعى « فوكس بيزن » .. تقع داخل الدائرة القطبية الشمالية .

وفاجأنى المشرف على النظام والأمن ، وأنا ألقى بفضلات بعض الطعام من النافذة ، فغضب أشد الغضب ، وصاح يقول : « كف عن القاء هذه

الفضلات من النافذة .. انك اذا عدت الى هذا ، طردتك من العمل فورا » .

ولكم غاظتني لهجته وأثارت حنقي ! .. ولكم أهاج كبريائي ما كان فيها من استعلاء ! .. ولكني تمالكت نفسي بجهد شديد ، ورددت يدي التي كانت قد زحفت بحركة مني غير واعية الى خاصرتي، حيث كنت أحتفظ بمسدس أخفيته ليصق لحمي. اذ كان من المحرم في هذا المعسكر القائم في الدائرة القطبية أن يحمل المرء سلاحا ، نظرا لما كانت الأعصاب تتعرض فيه لسرعة الهياج .. فان البرد الزمهرير ، والثلوج التي تغطي البطاح ،والعزلة التامة عن المدينة ، والسكون الموحش .. كل هذه كانت عوامل توتر أعصاب العاملين في المشروع .

ولكني ـ بطريقة ما ـ كنت قد استطعت أن اهرّب هذا المسدس الى داخل المنطقة ، وان لم أدر لذلك سببا ولا مبررا .. وكنت مضطرا الى أن أحمله لصق لحمي ، تحت الثياب ، خشية أن يكتشف أمره في نوبة من نوبات التفتيش التي كانت أمتعتنا تتعرض لها ، كاجراء من اجراءات الأمن ، نظرا لخطورة المشروع الدفاعي الذي كنا نقوم به .

لقد قسوت على نفسي وأعصابي حين رددت يدي وهي في طريقها الى المسدس .. وعقلت لساني فلم أرد على المشرف على النظام والأمن ، في تلك المناسبة ، لان أي رد خشن مني كان كفيلا بان يفقدني العمل الذي كنت أتقاضى عنه ٥٠٠٠ جنيه في العام . ولكن الغضب المكبوت لم يلبث أن انفجر ـ بيني وبين نفسي ـ بمجرد أن انصرف الرجل . فرحت أرغي وأزبد ، وأنا أسلق البيض في جهاز كهربائي كبير ، وأعد القهوة في جهاز مثله آخر . قلت لنفسي : « أي ضير في أن ألقي الفضلات من النافذة ، وهي تتجمد قبل أن تصل الى الأرض، فلا سبيل الى تعفنها وتحللها ؟ .. وأي نظام هذا الذي يضطرني الى أن أحملها الى بقعة بعيدة عن المطبخ ، وأدفنها في الأرض ، مع أن الجليد يغطي المكان ، والبرد يهرأ الأطراف ؟ » .

ولم أكن أدري أن الجواب عن أسئلتي هذه سيأتيني بعد لحظات .. فبينما كنت مستغرقا في العمل ، والغضب آخذني ، سمعت صوتا خافتا ، أنبعث عن بعد ، فبعث رجفة في جسدي ..كان أشبه بدمدمة عميقة ، خافتة ، ولكنها هزت كياني . فقد كنت أدرك ـ اذ قضيت ثمانية أشهر في تلك المنطقة ـ أنه لا أثر للحياة فيها ، اللهم الا حياة العاملين في المشروع .. فما من نبات ولا من حيوان يوجد في تلك الدائرة القطبية التي قطرها ألف ميل على الأقل .. ولقد ألفنا السكون التام ، الموحش ، حتى أن ارتطام ملعقة بجدران قدح ، كان يعتبر ضجة ملحوظة .

وفجأة ، تهشم الباب الزجاجي المفضي الى المطعم ، وكان على بعد نحو خمسة أمتار من حيث وقفت .. وجمدت في مكاني، وشل الفزع حراكي، اذ رأيت دبا قطبيا ينفذ الى المكان ، وقد كشر عن أنيابه ، نقمة من نقم الأقدار تنقض من حيث لم أكن أدري .

وتراجع الدب الى الوراء خطوات ، فانزلقت قدماه على الأرض الناعمة المصقولة .. ولكنه تمالك نفسه في أقل من الثانية .. وكانت هذه اللحظة الخاطفة فرصتي الوحيدة لما حسبت أنه النجاة ، فقفزت خلف مائدة من الفولاذ ، اعتدت أن أقدم عبرها الأكل والشراب للعاملين في المشروع .. وراحت أصابعي تنبش خلال ثيابي تبحث في لهفة مجنونة عن المسدس .

ووثب الدب العملاق عبر المائدة ، فقلبها بما كان عليها من أقداح وأطباق وكؤوس وأكواب ، محدثا ضجيجا يصم الآذان .. وترنح لحظة ، ثم مد نحوي يدا ضخمة كادت تهشم مائدة فولاذية صغيرة احتميت بها . فاذا مخالبه تمزق سترتي وقميصي وثيابي الداخلية ، وتنزع اللحم عن ضلوعي .. ثم دفعني دفعة قوية ، ألقت بي نحو جهاز اعداد القهوة، وكانت حرارته كاوية فصرخت اذ احترق مرفقي .. وكاد ألم صدري ومرفقي أن يسلماني الى الاغماء ، لولا أن تحاملت على

نفسى لانكمش ناحية جهاز سلق البيض . ولكن الدب تخطى المنضدة الفولاذية الصغيرة واندفع نحوى ..

وزاغ بصرى ، فلم اعد اتبين ما حولى بوضوح .. وحاولت ان الصق يدى بصدرى لامنع الدم المتدفق من جراحى ، فاذا بى اترنح واميل على موقد البيض .. وكان الف ابرة محماة انغرست فى كل جسمى .. والتهمت الحرارة لحم كتفى ..

وأيقنت اننى هالك لا محالة ، حين عاد الدب يهاجمنى ، فطوّح بى بين موقدى القهوة والبيض .. فالتصقت بالحائط وانا أصرخ فى رعب وجنون .. واحترقت كتفى الاخرى ، بينما كانت حرارة حافة الموقد تأكل قماش سروالى .

وتراجع الدب بضع خطوات يتاهب فيهـا للانقضاض ، ثم دفع يمناه نحوى .. ولن انسى ما حييت الصرخة التى انبعثت منه ، اذ هوت قبضته على جهاز القهوة الحامى .. وجذب قبضته بسرعة ، وقد تجلى على وجهه الالم والهياج ، ثم دفع يسراه نحوى فاخطأتنى .. وكان الم الحرق الذى اصابه مفاجاة شتت تفكيره لحظة ، فهو لم يعرف الحرارة قط ، وقد عاش حياته بين الثلوج .

ولكن حيرته لم تدم طويلا ، اذ لم يلبث أن أرسل صوتا كزئير الاسد هز ارجاء المكان ، ثم اندفع نحوى .. ولاول مرة تذكرت المسدس .. الذى كنت قد اخرجته من مخبئه ولكن فجاءة الهجوم انستنى اياه .. وكان الدم ينساب منى غـزيرا ، وقواى تخور بسرعة ، وقد رفع الدب قبضتيه ، فلو انه هوى بهما الآن لسحقنى سحقا ..

لست ادرى كيف ضغطت على زناد المسدس .. وتوالى الضغط وانا لا اكاد اعى ما افعل . كنت اتصرف بوحى من الغريزة .. وتدافعت الرصاصات الى الفراء الناعم السميك الذى يغطى صدره .. ثم تبينت انه لم تعد ثمة رصاصات تنطلق من المسدس ، فتخاذلت عنه يدى ، وافلتته اصابعى ، وقد أيقنت اننى لم اعد املك حيلة ولا وسيلة ، فازددت التصاقا بالحائط ، ارتقب المصـير المحتوم ..

★ ★ ★

وكنت اشبه بالحالم ، وانا ارى الدب يترنح ، مرسلا عواء طويلا ، خافتا .. ثم تهالك على الارض كجبل منهار ، وفراؤه الابيض يهتز مع اختلاجات جسمه .. وحاولت ان اتحرك فهويت على موقد القهوة ، واصبت بحروق فى وجهى .. ثم سقطت ورأسى بين مؤخرتى الدب ..

وقبل ان اغيب عن الوعى ، سمعت صيحات ووقع اقدام ، وجلبة وهرجا .. ثم تلقفنى الظلام .

★ ★ ★

وانقذ اطباء المعسكر حياتى باعجوبة ، بعد ان تطوع عدد من العاملين فى المشروع بكميات من الدم تعوضنى عما فقدت .. ثم حملتنى طائرة الى المستشفى ، حيث قضيت خمسة اشهر ، منهـا اسبوع قضيته تحت جهاز التنفس الصناعى ..

ومن الطبيعى اننى فصلت من عملى لحملى مسدسا فى المعسكر .. على ان هذا كان اجراء شكليا ، فالواقع اننى لم اعد اصلح للعمل فى مطبخ بالدائرة القطبية ..

وعندما رآنى المشرف على النظـام والامن فى المعسكر ، لأول مرة بعد شفائى ، قـال لى : « هل ادركت سر غضبى حين فاجأتك وانت تلقى فضلات الطعام من النافذة ؟ .. ان الدب القطبى يجن من الجوع عندما تندر كلاب البحر مع ازدياد البرد والثلوج .. وحاسة الشم القوية عنده ، تجتذبه الى مصدر الطعام » !

كان لزاما علىَّ أن أخطىء لأتعلم .. ولكن ما أبهظ الثمن ! ■■



من البداية .. الى النهاية

ان فضلات الخشب توضع فى آلة الطحن ـ كما فى الصورة التى الى اليسار ـ ثم تسير تلقائيا من آلة الى اخرى حتى تنتهى الى الواح وابواب من الخشب المضغوط، كما فى الصورة القصوى .

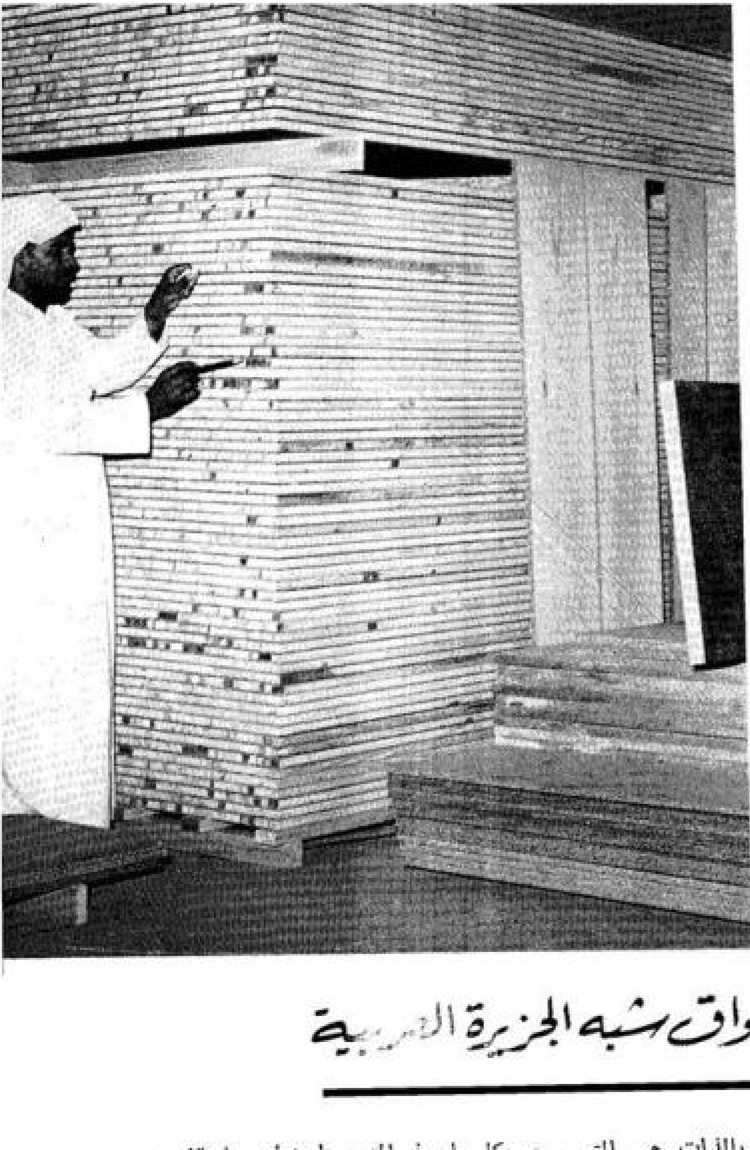
خطوة ناجحة فى حركة التصنيع بالكويت

الكويت تنتج الخشب المضغوط

■ اصبحت معظم دول وامارات شبه الجزيرة العربية فى غنى عن استيراد الخشب المضغوط ، والابواب ، والأثاث من الخارج ..

وهذه الحقيقة ـ فى حد ذاتها ـ خطوة ذات قيمة فى عالم الاقتصاد .

ولكن الخطوة الأكثر قيمة ، والأدعى الى الاعجاب ، هى أن هذا التطور الاقتصادى تم بطريقة لا يخطر ببال أحد ان هناك من يفطن اليها هنا ، والصناعة بعد فى بداية عمرها .. وان كانت شائعة فى البلاد التى قطعت شوطا كبيرا فى التصنيع .. تم باستخدام فضلات الأخشاب التى تلقى فى البحر او تحرق وقودا ، بعد أن تضيق «ورش النجارة» بها ، وتخشى أن يكبدها اختزانها نفقات تثقل ميزانياتها ..





والأثاث لأسواق شبه الجزيرة العربية

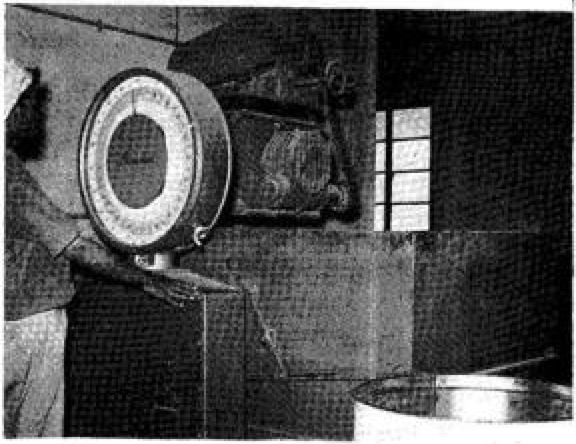
وكانت الفضلات بالذات هى التى اوحت بالفكرة ..

فقد لوحظ – فى سنة ١٩٥٨ – ان أعمال النجارة بالكويت تتخلف عنها فضلات تعادل ما بين ٢٥ و ٣٠ فى المائة من خامات الخشب المستعملة . وكان تخزينها عبثا ، كما ان بيعها – لتحرق كوقود – لم يكن يعود باكثر من ٧ دنانير عن كل طن فى المتوسط ، اي ما يقل عن ٢٠ فى المائة من ثمنها على أساس سعر الاستيراد .

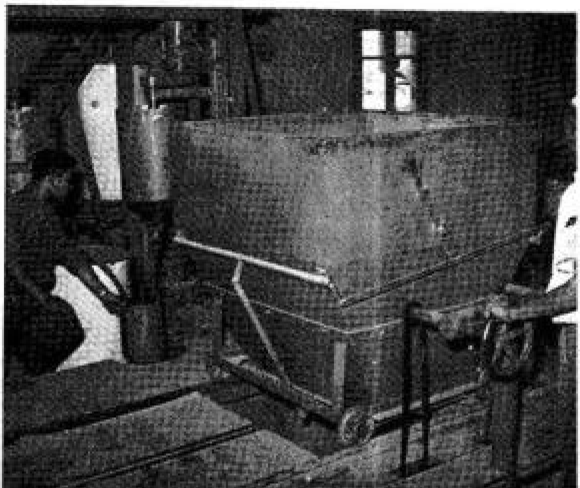
من هنا نشأت فكرة اقامة مصنع للخشب المضغوط فى الكويت .

فكرة طيبة مفيدة

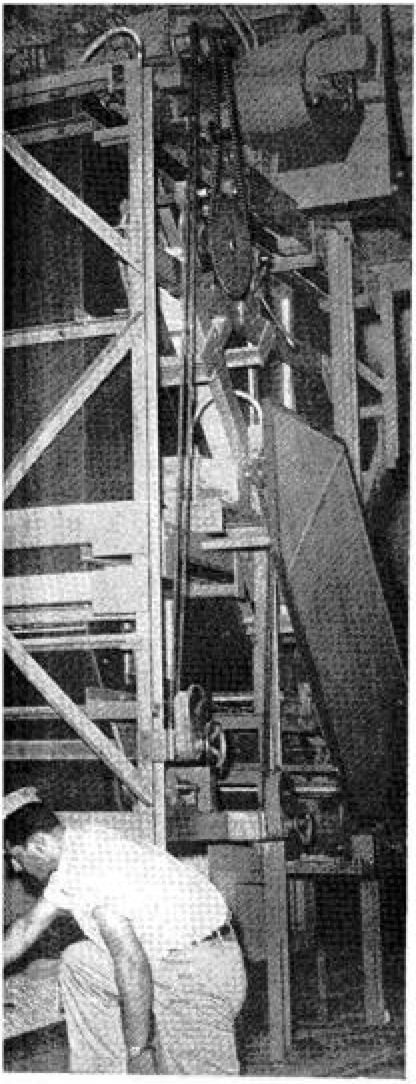
وكانت الفكرة براقة .. فالخشب



وصلت شظايا الخشب المطحون بعد تجفيفها ، ويرى أحد العمال وهو يراقب جهازا لقياس درجة الرطوبة فيها .



الشظايا معدة للهبوط الى حيث تخلط بالمادة الغروية لتتماسك .

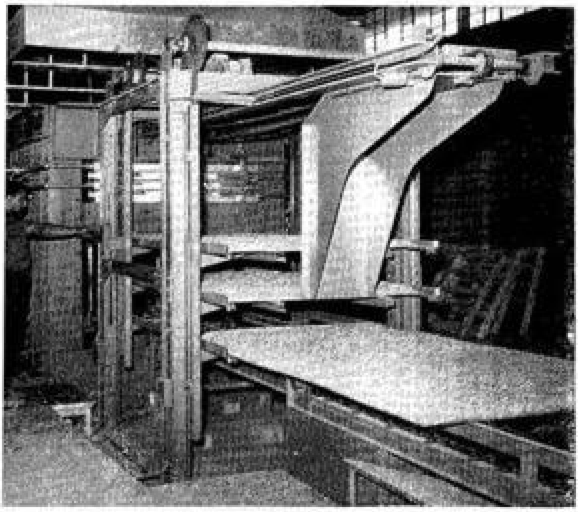


وهنا هبطت الشظايا المخلوطة بالغراء الى الصف
توزيعها بتناسق ، الا أن اثنين من العمال انهمكا

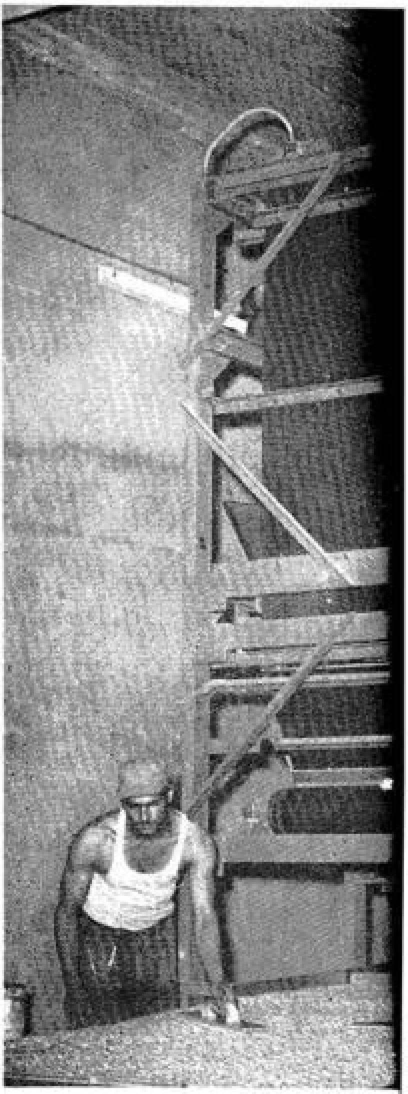
المضغوط يستورد من اوربا وبعض الدول العربية باسعار باهظة ، بعد أن ثبت انه اكثر طواعية لعمليات صناعة الأثاث من الخشب الطبيعى ، فضلا عما يمتاز به من خفة الوزن ، ومتانة التركيب .. ثم انه كصناعة ، كفيل بأن يساهم فى زيادة الدخل القومى ، وفى استيعاب كثير من الأيدى العاملة ، وفى تأمين حاجة الدولة من الأخشاب ، لا سيما اذا حدث ما يعرقل الشحنات المستوردة .

اخيرا بدا العمل

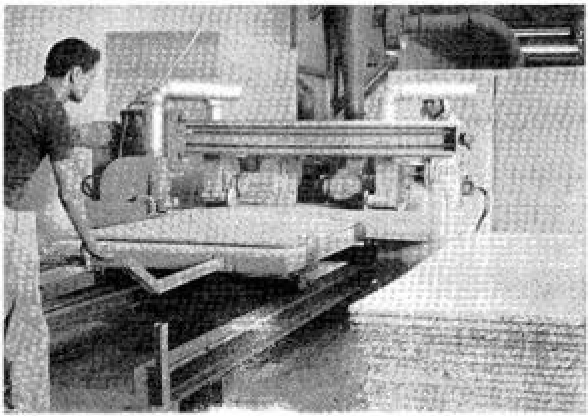
وتم الاتفاق مع بعض الشركات الألمانية ،



صحائف الشظايا فى طريقها الى « المكبس » .
وقد ظهرت فى القسم الأعلى منه أربع صحائف
تحت الضغط .



لى تحملها الى « المكبس » ، ومع أن الآلة تتولى
لتأكد من اكتمال تناسقها .



تتعرض الشظايا لضغط معدله ٤٠٠ كيلو جرام
فى المتر المربع ، فتخرج متماسكة تماما .

ووصلت الآلات . وفى اكتوبر من عام ١٩٦٣ بدأ « مصنع الشويخ للنجارة » انتاجه . وقد ساهم بنك الائتمان فى تحقيق هذا المشروع الصناعى بمد اصحابه بقرض كبير .

وينتج المصنع حاليا ١٥ مترا مكعبا من الخشب المضغوط ، و٤٥٠ بابا فى اليوم .. وبالرغم من حداثة عهده ، فان انتاجه استطاع ان ينفذ الى اسواق عدد من امارات الخليج وشبه الجزيرة العربية ، كما اجتذب المستوردين فى المملكة العربية السعودية .. بل انه تجاوز نطاق شبه الجزيرة ، اذ تدور الآن محادثات لعقد

صفقات للتصدير الى سنغافورة ، والى الاردن ، برغم وجود مصانع للخشب المضغوط فيهما .

والمصـــنع يتألف من عدد من الآلات المترابطة،بحيث أن انتاج كل منها يتحول الى الآلة التـى تليهـا تلقائيا ، بطريقة اوتوماتيكية .. وتسير الآلات بطريقـة اليكترونية ، بحيث تنبعث اضواء حمراء عند حدوث اى خلل ، ومن ثم فهى لا تحتاج الى كثير من العمال .. ومع ذلك فان المصنع يستخدم حوالى ٢٥٠ عاملا من الكويتيين والعرب ..

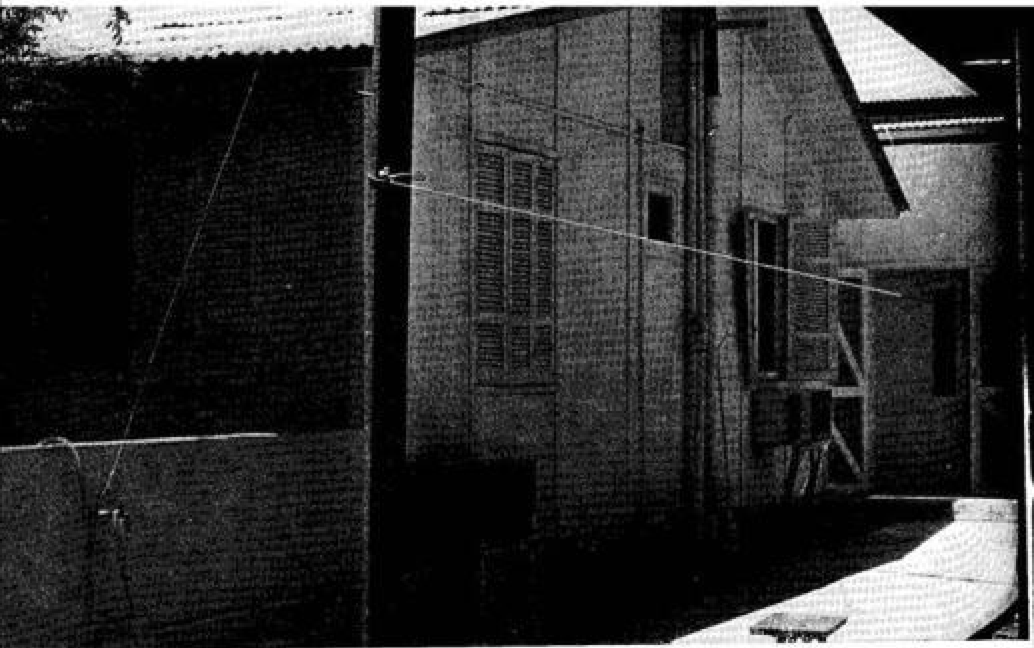
طبقات من الشظايا

وتبدأ العملية عند آلة طحن فضلات الخشب . . اذ يلقمها عامل هذه الفضلات ــ على تباين اشكالها واحجامها وانواعها ــ فتقوم بطحنها الى شظايا بحجم معـين ، ثم تفرز الخشب المطحون «أوتوماتيكيا» فتلفظ الشظايا التى تزيد عن الحجـم المطلوب فى جانب ، وتفرز الغبار فى جانب آخر ، وترسل بالباقى ــ عبر انابيب خاصة ــ الى آلة تخلطها بمادة غروية من « البلاستيك » .

وعلى هذه المادة يتوقف تماســك



تلصق صحائف القشرة الخارجية بعناية تامة ، حتى لا يؤثر أى فراغ بينها وبين الشظايا المضغوطة فى جودة الواح الخشب المنتجة وطول عمرها . ثم تدفع الى « مكبس » يضغط القشـرة مع الشظايا بدرجة يتعذر معها التفرقة بينهما .



أوحت صناعة الخشب المضغوط الى المسئولين فى المصنع باجراء تجارب لانتاج البيوت الجاهزة .
وهذا أحد البيوت المقامة فى فناء خلفى للمصنع ، تحت التجربة .

الخشب المضغوط ، ولذلك فان كل مصنع يجرى تجاربه وأبحاثه الخاصة ـ فى سرية تامة ـ للوصول الى افضل تركيب كيمياوى يحقق للانتاج اقصى درجة ممكنة من الكمال ..

وتهبط الشظايا المختلطة بالمادة « البلاستيك » الى آلة تنثرها على صحائف بحيث تؤلف طبقات متناسقة ، ذات سمك معين، تسير آليا الى «المكبس»، حيث يسلط عليها ضغط معدله ..٤ كيلوجرام فى المتر المربع .

وفى كل من هذه المراحل ، تقاس درجة الرطوبة فى الخشب ، للتأكد من خلوه تماما منها ..

هكذا تكتمل الألواح

وتنقل طبقات الشظايا المضغوطة ـ بعد ذلك ـ الى آلة تتولى تهذيبها وقص اطرافها لتصبح فى الحجم المقرر للألواح .. ثم تنقل الى مصنع التجميع .. وهناك تجمع الواح القشرة الخارجية ـ وهى عادة غير عريضة ـ لتعطى الواحا متماسكة ذات عرض معين ، توضع صفحة منها على كل لوح من طبقات الشظايا المضغوطة وصفحة تحته ، وتلصق بطريقة فنية دقيقة ، بحيث لا تترك أضأل فراغ بين القشرة والشظايا حتى لا يؤثر هذا فى تماسكها على مر السنين .

وتحول الألواح بعد ذلك الى «مكبس» خاص ، يضغط طبقتى القشرة مع اللوح، فتصبح الثلاثة كتلة واحدة لا سبيل الى تمييز اى جزء منها ..

وهنا تكون عملية انتاج الواح الخشب

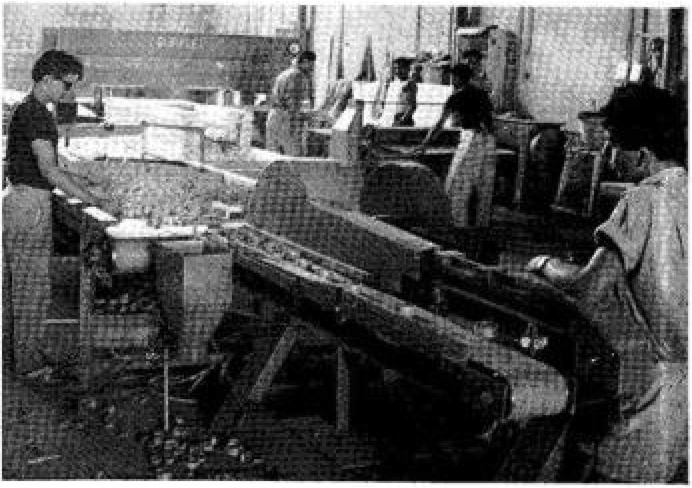
المضغوط قد اكتملت .. وتصبح هذه الالواح صالحة للاستعمال ..

★ ★ ★

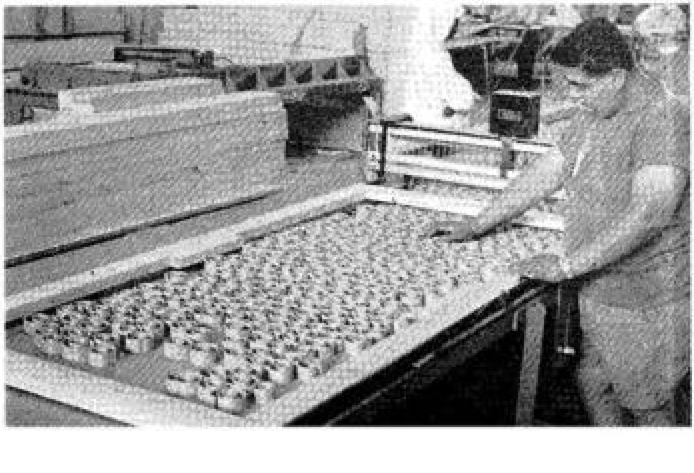
فى مصنع الابواب

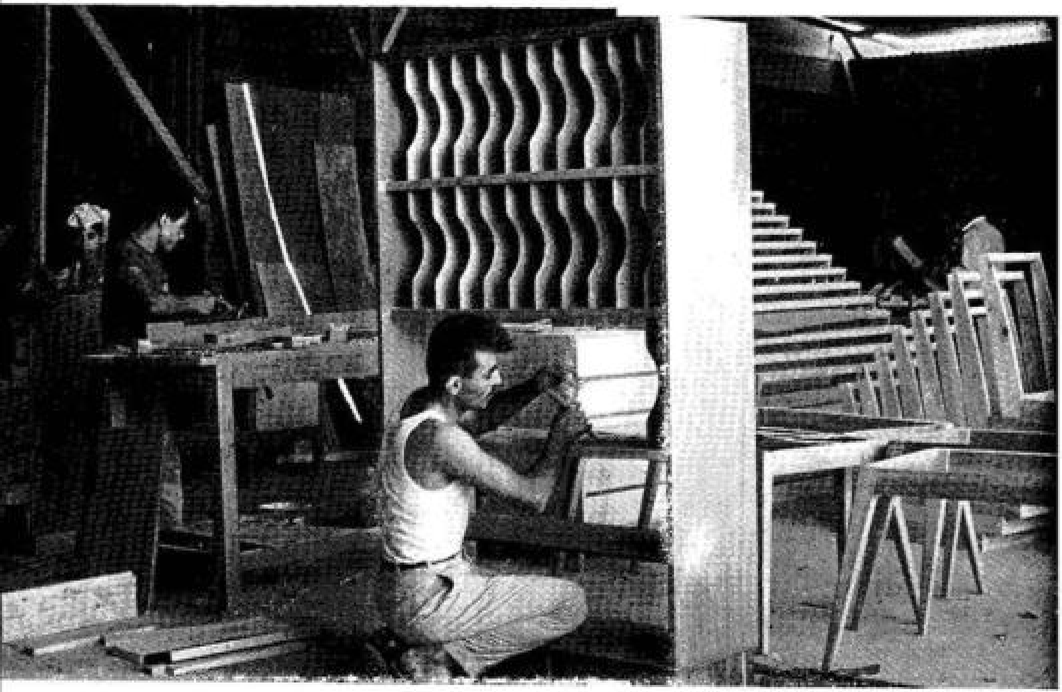
وفى مصنع الابواب ، يشاهد المرء سلسلة من العمليات الأخرى، تبدأ بدفع كتل مصقولة من الخشب الى مسحاج كهربائى ، يحولها الى حلقات رفيعة ، شبيهة بتلك التى تنفلت من مسحاج النجار (الفارة) .ثم تنسق هذه الحلقات ـ بطريقة آلية كذلك ـ فى اطارات بأحجام الأبواب المطلوبة ، تصنع فى جزء آخر من المصنع .. وتلصق فوق كل اطار وتحته طبقة من القشرة ، كما حدث فى صنع الالواح المضغوطة ، فيصبح بابا.

وتمتاز الأبواب المصنوعة بهذه الطريقة بأنها خفيفة برغم متانتها ، وبأنها أرخص ثمنا من الأبواب المصنوعة من كتل صماء من الخشب . وقد شاع استعمالها واصبحت هى المفضلة فى العمارة الحديثة



حلقات « نشارة » الخشب تنساب من آلة السحج الكهربائية الى حيث ترتب فى اطار من الخشب لتصبح بابا .





يستخدم الخشب المضغوط فى صناعة كافة أنواع الأثاث . وهنالك آلة خاصة تنتج السيقان الرفيعة للمناضد والمقاعد بحيث تكون متناسقة أتم التناسق ، كما يبدو فى الجزء الأيمن من الصورة .

.. لا سيما وقد ثبت انها ذات قابلية لعزل الصوت والحرارة ..

★ ★ ★

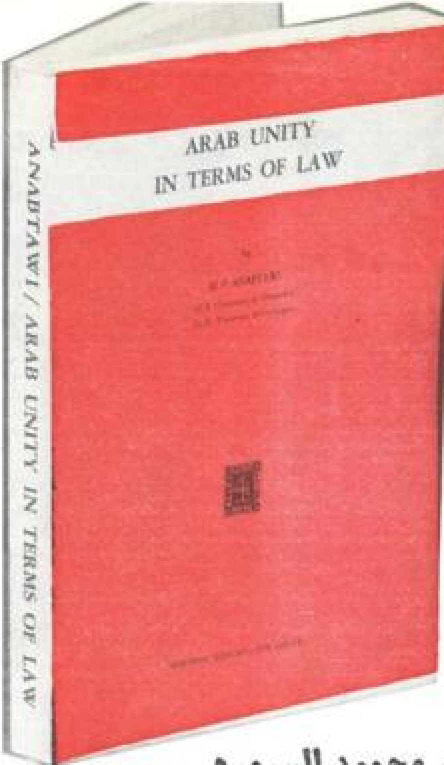
.. وفى مصنع الاثاث

وكان لزاما وقد توفرت هذه الآلات والامكانيات ، ان يتبع المصنعين مصنع ثالث لانتاج الأثاث باستخدام الخشب المضغوط .. وقد وصل فى انتاجه ــ برغم حداثة عهده ــ درجة ساهمت فى تخفيض حدة الاضطرار الى استيراد الأثاث من أوروبا وغيرها ، لا فى الكويت فحسب ، بل فى كثير من امارات الخليج .

ولم يقف النشاط فى «مصنع الشويخ للنجارة»، عند هذا الحد،بل ان التجارب تسير بنجاح لانتاج بيوت جاهزة من الخشب المضغوط ، وفى فناء فى اقصى اطراف المصنع ، اقيم عدد من هذه البيوت ، يسكنها مؤقتا المسئولون عن ادارة المصنع ، لاختبار مدى صلاحيتها.

ويعمل المصنع حاليا ١٢ ساعة من اليوم ، ولكن امكانياته تتيح له العمل ٢٤ ساعة، ومن ثم فمن المنتظر ان يصبح ذا أثر فعال فى حركة التصنيع فى الكويت، وفى زيادة الدخل القومى . ■■

نقد كتاب الشهر



التعبير القانوني للوحدة العربية

اضواء على حاضر الوطن العربي

بقلم : الدكتور محمود السمره

■ تزداد عناية الباحثين ، من عرب واجانب ، بحاضر الوطن العربي يوما بعد يوم . وقد صدر في السنوات العشر الاخيرة فيض من الكتب عنه ، كثير منها سطحي غث،وقليل منها علمي مدروس . والدارسون العرب الذين اهتموا بالكتابة عن حاضرنا امّا طلاب يعدون رسائل دكتوراه في الخارج اختاروا لها موضوعا عربيامعاصرا تناولوا فيهناحيةاجتماعية، او سياسية ، او اقتصادية او تاريخية ، او ادبية ، واما اساتذة عرب يدرسون في جامعات الغرب . وانا لنشعر بالاعتزاز ان نرى انفسنا وقد اصبحنا قادرين على ان نقدم في هذا الميدان دراسات اكاديمية جيدة ، بعد ان كانت مثل هذه الدراسات مقصورة على الغربيين .

ونحن لو حاولنا ان نضع قائمةنحصي فيها كل ما صدر عن حاضرنا في لغات اجنبية ، سواء اكان الكاتب اجنبيا ام عربيا،لطالت القائمة جدا . وهذا الكتاب الذى نقدمه واحد من هذه الكتبالجيدة المدروسة التي صدرت قبل نحو عام ، وهو رسالة دكتوراه في القانون قدمت لجامعة جرونتجن بهولندة . ويتناول المؤلف الدكتور منذر فائق عنبتاوى في رسالته الجادة هذه احداث العالم العربي من الناحية القانونية ، وتطور الفكرة القومية .

وهذا الكتاب في ستة فصول : يتحدث الفصلان الاول والثاني عن تطور الفكرة القومية . ويتناول الفصلالثالث تاسيس الجامعة العربية وتكوينها واجهزتها . ويقف الفصل الرابع وقفة طويلة عند الاتفاقيات التي تمت بين الدول

الباحث العربى اصبح يقدم

العربية داخل نطاق الجامعة العربية. ونجد في الفصل الخامس مناقشة للاتحادات الثنائية. اما الفصل السادس فهو ملاحظات عامة.

★ ★ ★

ولا يستطيع القارىء لهذا الكتاب الا ان يطرى الجد البادى فيه، والموضوعية التي تتجلى في كل فصوله. ونحن نستطيع ان نقسم الكتاب الى قسمين واضحين، بل ومتمايزين ايضا: فالقسم الاول ينتهي بنهاية الفصل الثاني، ثم يتلوه القسم الثاني الذى يمتد الى آخر الكتاب.

وفي القسم الاول يتناول المؤلف تطور الفكرة القومية منذ النصف الثاني من القرن الماضي حتى العام الذى نشر فيه الكتاب، عام ١٩٦٢. وميزة هذا القسم انه يسير في دراسة هذا الجانب الفكرى من تاريخنا الى مدى ابعد مما سار فيه المؤلفون السابقون.

ومع هذا فان لنا على هذا القسم ملاحظات، كنا نود لو انه خلا منها:

● من ذلك ان المؤلف يحيلنا على مراجع اجنبية ثانوية، كان يتحدث عن قرارات مؤتمر باريس الشهير الذى عقد في ١٨ يولية (تموز) ١٩١٣، ثم يطلب منا ان نرجع الى هيرفتز Hurewitz اذا احببنا معرفة النص الكامل للقرارات، وكان الاولى ان يحيلنا على الصحف العربية التي نشرت هذه القرارات في حينها. واذا كان الرجوع الى تلك الصحف يحتاج الى بحث، فان مجلة «المنار» تكاد تكون موجودة في كل مكتبة جامعية.

● ومن المراجع التي اعتمد عليها المؤلف ما يعد ثانويا، ولا يصح الاعتماد عليه، من ذلك الاستشهاد بالاستاذ فيليب حتى في كتابه «العرب ـ تاريخ موجز» فهذا كتاب وضعه حتى اثناء الحرب العالمية الثانية لتعريف الجنود، ورجال الاعمال الامريكان، بتاريخ العرب، حتى يكونوا على معرفة ما بتاريخ الامة العربية.

ومن ذلك ايضا الاشارة الى كتاب جبريلي «اليقظة العربية» The Arab Revival. وانا لا اشك ان الدكتور عنتباوى يدرك ان كتاب جبريلي هذا غث، ولكن لعله اراد ان ينبه القارىء الى صدوره، فهو كتاب جديد.

● ونجد المؤلف احيانا يسند الى اشخاص آراء قالوها، نقلا عن مراجع اخرى، مع ان كتب الذين يستشهد بهم اكثر شهرة من المراجع التي نقل عنها، وهي في الوقت نفسه متوفرة، او على الاقل ليس من الصعب الحصول عليها، وهذا مثال للتوضيح لا للحصر: فهو يورد راى رينان الذى يقول فيه «ان الرغبة في العيش معا هي العامل الاول في تكوين الامة»، ولكنه يورده مقتبسا عن كون (١)، لا عن رينان في محاضرته الشهيرة التي القاها في السوربون في ١١ مارس (آذار) ١٨٨٣ (٢)

ويستشهد بالدكتور قسطنطين زريق نقلا عن كتاب الدكتور حازم نسيبه «القومية العربية» الذى وضع اصلا باللغة الانجليزية، ثم ترجم الى العربية، بينما كتاب زريق «الوعي القومي» يمكن الحصول عليه.

ومن الاصول الاكاديمية في البحث الرجوع الى المصادر الاصلية ما دام هذا الرجوع ممكنا، وليس مستحيلا.

ويورد في صفحة ٥٠ رايا لخورى نقلا

(1) H. Kohn, Nationalism: Its Meaning and History.
(2) E. Renan, Qu'est—ce qu'une nation?

عن نسيبه ، وذلك قوله ان من السخف ان تحاول وضع فلسفة قومية بالطريقة التي يخطط بها المهندس لمشروع . ونحن نتساءل : ومن هو خوري هذا ؟ ان هناك اكثر من واحد ، ولن نعرف ايهم هو الا بالرجوع الى نسيبه ، ولعله الاستاذ رئيف خوري في كتابه « معالم الوعي القومي » الذي يعلق فيه على كتاب الدكتور زريق .

★ ★ ★

● وهناك هنات عامة لو امكن تلافيها، لكان مثل هذا الكتاب القيم اكثر كمالا، وبعض هذه الهنات لا بد للمؤلف فيها : من ذلك كثرة الاخطاء المطبعية كثرة لا نعهدها في المطابع الغربية ، وتجعلنا نترفق في المستقبل بمطابعنا العربية .

● ومن الهنات التي تشوه جمال هذه الدراسة القيمة عدم التزام قواعد كتابة الحروف العربية بالحروف اللاتينية، مما جعل بعض الاسماء الشهيرة تبدو في صورتها بالحروف اللاتينية غريبة ، بعيدة عن النطق الصحيح . حقاً ان المؤلف التزم صورة واحدة لكل اسم على حدة ، ولكن هذا لا يكفي . وفي مثل هذا العمل الاكاديمي ننتظر ان تتبع القواعد الصحيحة ، ولو كان هذا كتابا للقارىء العادي لما انتظرنا منه ما ننتظره من الابحاث التي تعتبر مساهمة جديدة في حقل المعارف الانسانية ، كما هو واقع هذا الكتاب .

● وفي الكتاب مختصرات ان صحت في اللغة الانجليزية ، فانها لا تصح في اللغة العربية : فلا يجوز في الاسماء العربية ان تكتفي بالحرف الاول من الاسم الاول ثم تتبعه باللقب او الكنية.

● وهناك مختصرات مثل L. A. S. و O. A. S. و M. P. S. C. ايضا ، وحبذا لو وضع المؤلف بها ثبتاً في اول الكتاب يكون دليلا للقارىء يخرجه من حيرته.

واعود فاقول ان هذه ليست الا هنات، ولكن الاصل يبقى ، مع هذا ، بادى الجمال والاتقان .

★ ★ ★

والهيكل العام الذى يقوم عليه الكتاب يمكن تلخيصه في عبارات موجزة: فهناك مقدمة تاريخية تستعرض اليقظة العربية منذ بدايتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ومقدمة فكرية تتناول آراء قادة الفكر القومي العربي الى العقد السادس من هذا القرن . وهاتان المقدمتان هما فى الحقيقة مقدمة لموضوع الكتاب الرئيسي الذى يتناول جهاز الجامعة العربية ، والمعاهدات والاتفاقيات التي تمت بين الدول العربية داخل اطار الجامعة العربية ، وخارجها . وكل هذه، في راى المؤلف ، تؤكد وحدة الامة العربية .

ولا احسبني هنا قادرا على الوقوف عند كل فصل من فصول الكتاب ، ولهذا فانني سأعرض لمواقف فيه بدت لي انه لا بد من الوقوف عندها .

★ ★ ★

من ذلك الصلة بين القومية العربية والاسلام : هل هما متعارضان ؟ ام متمازجان ؟

ونحن نقرر اولا أن من القواعد التي اصبح مسلما بها ان الامة قادرة على ان تكون دولة ، ولكن الدولة لا تستطيع ابدا ان تخلق امة . وهذا ينطبق تماما على حاضرنا . والامة العربية تمتد في جذورها الى العصر الجاهلي ، ثم الى العصر الاسلامي من بعده . وقد كان الاسلام ثورة عظيمة في تاريخ العرب ، فمنه استمد العرب قوة ، وهو الذى حفظ لهم لغتهم . ولا نظن اننا بحاجة هنا الى التعرض للمقدمات التي تجعل من العرب امة ، فهذه قد افاض الكتاب فيها ، واصبحت شائعة عند القارىء ومعروفة. ولعل العرب هم الامة الوحيدة التي بدات يقظتها برسالة دينية .

وفي راينا ان الدكتور زريق على حق

عندما قرر في كتابه « الوعي القومي » ان العرب لا يستطيعون فهم تراثهم القديم الذى هو جزء من حاضرهم ، الا اذا فهموا الاسلام . ويفرّق زريق بين العاطفة الدينية والوعي القومي فيقول : انه حتى فى الفترة التاريخية التي كانت فيها رابطة الدين تأتي قبل رابطة العروبة ، كان هناك وعي عربي يدل عليه تاريخ هذه الفترة نفسها ، فالعرب المسلمون كانوا يعاملون العرب المسيحيين من قبيلة تغلب المسيحية ومن غيرها ،معاملة تختلف عن معاملتهم للمسيحيين من غير العرب. وقد بلغ من قوة رابطة العروبة ان بعض العرب المسيحيين شاركوا في الغزوات الاسلامية الاولى ، يحاربون جنبا الى جنب مع اخوانهم العرب المسلمين .وقد قويَ هذا الوعي العربي بعد ان احتك العرب بغير العرب ، وظهرت الشعوبية .

ومع ان المفكرين القوميين يرون ان الاسلام يَمِدُّ العرب بخصائص خلاقة ، الا انهم يرون فصل الدين عن الدولة . وهنا نجد في الكتاب مناقشة طيبة لآراء زريق ، ونبيه فارس ، ونسيبه ، والحكم دروزة وجبوري ، وفايز صايغ ....الخ

★ ★ ★

وقيام الجامعة العربية يؤكد وحدة الامة العربية ، وان كانت اهداف قيامها كما تنصّ عليها ، دون المطمح الشعبي : ومن هذه الاهداف تقوية الاواصر بين الدول الاعضاء ، وتنسيق سياساتها بحيث تستطيع دولها ان تحافظ على استقلالها وسيادتها ، والاهتمام بقضايا الوطن العربي . وواضح من هذا أن هناك تأكيدا على المبدأ الذي عرف واشتهر في دنيا السياسة باسم « Status quo » ، اى ابقاء الاحوال القائمة على ما هي عليه . وقد خلا ميثاق الجامعة العربية من بنود وردت واكّدَ عليها في مواثيق متماثلة . وهذه وقف المؤلف عندها ، واجاد فى المقارنة بينها .

وقد نص ميثاق الجامعة العربية ايضا على ان قيام الجامعة انما كان استجابة لرغبة الشعوب العربية ، في شتى ارجاء الوطن العربي . وهذا القول يؤكد تأكيدا عمليا وحدة الامة العربية .

★ ★ ★

وهناك في حاضرنا ، مظاهر اخرى تؤكد عمليا وحدة هذه الامة ، اما المظهر الاول فهو حرب الجزائر : فقد وقفت الامة العربية كلها مع الجزائر في حربها ضد فرنسا ، واعتبرت هذه الحرب حربها، يشارك فيها كل فرد من افرادها، ويجود لها بالغالي . وكم كانت فرحة الامة كلها من المحيط الى الخليج يوم اعلن استقلال الجزائر ، حتى ان الدول العربية اعتبرته عيدا قوميا . واكدت الجزائر هذه الحقيقة بعد الاستقلال ، فاعلنت انها تسعى الى وحدة المغرب ، وهي خطوة في سبيل الوحدة العربية .

وأما المظهر الثاني فهو انشاء الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية : فقد عبرت الكويت تعبيرا عمليا عن وحدة هذه الامة ، وذلك بأن جعلت للبلاد العربية نصيبا من دخلها ، فأمدّتها بالقروض الطويلة المدى .

واما المظهر الثالث لوحدة هذه الامة فهو ان الكثرة الساحقة من دساتير الدول العربية تنص على ان كل بلد من بلدان العالم العربي انما هو جزء من الوطن العربي الكبير ، كما انها كلها تقرر ان اللغة العربية هي اللغة الرسمية لها .

.... الخ

★ ★ ★

هذا عرض سريع لموضوع متشعب متداخل، تناوله الدكتور عنباوى فوفّى البحث حقه من الاستقصاء والتحليل ، والبعد عن الهوى . وما ضَلّ من غلب عقله هـواه . ■■

محمود السمره

من الكتب التي وصلتنا

أدباء معاصرون من الغرب

الدكتور محمود السمرة ــ دار الثقافة ـ بيروت

● كتاب يتناول بالتحليل والنقد اعمال الادباء الذين شقوا للادب الغربي المعاصر طرقه ، ومهدوا شعابه . ومن بين الكتاب الذين تتناولهم هــذه الدراسة : البرتو مورافيا ، اجناسيو سيلوني ، جان بول سارتر ، ألبير كامو ، ارنست همنغواي، سومرست موم ، ايليا اهرنبورغ .... الخ

تاريخ معرة النعمان/ الجزء الاول

محمد سليم الجندي ، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه عمر رضا كحالة

وزارة الثقافة والارشاد القومي ــ دمشق

● من فصول الكتاب : معنى المعرة اللغوي والعرفي ، ذكر المعرة في شعر أبنائها وفي نثرهم ، المعرة قبل الاسلام ، المعرة بعد الاسلام ، وصف المعرة .. الخ .

العمل مع المتطوعين

تحرير جمعية تعليم الكبار الامريكية، ترجمة زهيان حنا بخيت.مؤسسة فرنكلين ودار القلم.القاهرة.

● كتاب يتناول في سبعة فصول كل ما يتعلق بالمتطوعين . والمتطوعين هم الذين يكرسون وقتهم وجهودهم لخدمة المجتمع دون أن يتقاضوا عن ذلك أجرا .

المنوليا في دمشق

ألفة الأدلبي ـ مطابع ابن زيدون بدمشق

● خمسة أحاديث هي : المانوليا في دمشق ، قصصنا القومي ، رسالتان ، المرأة العربية والعقيدة ، من وحي اسبانيا ، المرأة في السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية .

النخلة سيدة الشجر

عبد القادر باش أعيان العباسي

مطبعة دار البصري ــ بغداد

● من الموضوعات التي تناولها المؤلف في كتابه هذا : النخلة في القرآن الكريم ، قدسية النخلة، أدب النخل ، النخلة أقدم الأشجار وأقدسها . ومنشأ النخلة وزراعتها من النواة .. الخ .

ايليا أبو ماضي

جعفر الطيار الكتاني ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة

● كتاب في أربعة أقسام : حياة أبي ماضي من شعره ، ثقافته من شعره ، شخصيته من شعره ، فنيته من شعره .

المشرَّد

أبو سلمى ـ دمشق ـ

● ديوان شعر من قصائده : المشرد ، التراب الخصيب ، داري ، النازحون ، نسور الديار ، أرض الجهاد ...

الزهاوي بين الثورة والسكوت

عبد الرزاق الهلالي ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ

● دراسة فيها : حياة الزهاوي ـ بين عهدين. الزهاوي والعراق الجديد ـ الزهاوي بعد مجلس الأعيان ـ نماذج من شعره .

تنمية وعي القراءة

ماريون مونرو ـ ترجمة سامي ناشد ـ مؤسسة فرنكلين ودار المعرفة ـ القاهرة

● كتاب يعين على أمرين هامين : أحدهما علاج مشكلات القراءة عند من لديهم مشكلات فيها، وذلك بعد تشخيصها ودرسها . وثانيهما السير بالمتعلم في الطريق السليم الذي يضمن له حسن التعلم وسرعته دون التردي في مشكلات تحتاج الى علاج قد يكون عسيرا . ■■

حضارات سادت ثم بادت : أقدم صناعة لربات البيوت

(بقية المنشور على الصفحة الثانية)

ولا تزال الانوال الصغيرة تشغل مكانا بين اثاث كثير من البيوت ـ في بلاد اليونان ـ الى اليوم ، تعمل عليها اليونانيات كما كانت جداتهن يعملن منذ ما يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ قرنا ، وان اختلفت الانوال الحديثة عن القديمة في الشكل .

ولقد بذلت دراسات كثيرة لاستشفاف الطريقة التي كانت تتبعها الاغريقيات في النسج . وتدل هذه الدراسات على ان النول كان عبارة عن اطار خشبي عال ، مستقيم . وكان النسيج يلف حول العارضة العليا كلما تقدم العمل في النسيج . اما خيوط السداة ، فكانت تنتهي باثقال من الطين لتظل مشدودة في وضع راسي . وقد عثر المنقبون عن الاثار ـ في بلاد اليونان ـ على مئات من هذه الاثقال ، فاذا بها ذات شكل مخروطي او هرمي ، وفي قمة كل منها ثقب يولج فيه الخيط ويربط .

ولم يكن النول الذى يدار بعجلة معروفا . انما كانت اليونانيات يستخدمن النول ذا « المكوك » الذى يولج باليد بين خيوط السداة ، والنول الذى يدار بالقدم . وهما النوعان الشائعان في البيوت اليونانية الى اليوم، لاسيما النوع الاول، الذى يضطر المرأة الى ان تتحرك جيئة وذهابا امام النول ، كما تبين الصورة .

وكانت نساء اثينا يرتدين ثيابا من نسج ايديهن، كثيرا ما تكون ذات زوائد عند الكتفين ، تضم بمشابك ذهبية لتكون بمثابة اكمام قصيرة .وكانت هذه المشابك على شكل الجراد .

وكان الصوف والكتان اكثر المواد المستخدمة في صناعة الاقمشة ، اما القطن والحرير فكانا يردان من خارج البلاد ، ولذلك لم تكن تملك استعمالهما سوى المثريات ..

السويد : البلد الذى تمتلكه عقدة الجودة

كادت الجغرافيا أن تغلب السويد على أمرها. بعد أن فاتت الثورة الصناعية فى أوروبا بين طويل كانت السويد — وهى المعزولة ذاك فى الشمال البارد — لا تزال بلداً زراعياً. (ففى عام ١٨٧٠ كان ٧٠٪ من أهل البلاد يعيشون على الزراعة).

. أما اليوم، ولم يمض قرن من الزمن بعد، فقد تضاءل عدد المزارعين فى السويد حتى لم يعد يتجاوز السبع من أهلها. أما سائر الأيدى العاملة فقد انتقلت إلى العمل فى الصناعة السويدية سريعة النمو.

٦. وقد اعتمدت السويد من أجل تحقيق هذا التحول الرائع على مواردها الطبيعية عظيمة ومنها أحراج الصنوبر والتنوب التى تغطى أكثر من نصف رقعة البلاد، ومجموعة شاسعة من الأنهار والبحيرات تغطى عشر رقعة الأرض، والمناجم الغنية بخام الحديد ومنها منجم كيرونا، وهو أضخم المناجم الحديدية فى العالم كله)، ثم على أهل البلاد الذين يبلغ تعدادهم الآن ٧ ملايين نسمة.

السويد تركز اهتمامها على الجودة

. ولقد أدرك أهل السويد بفطنتهم أنهم لن يتفوقوا على دول العالم الكبرى فى حجم الإنتاج، فانصرفوا إلى الاهتمام بجودة الإنتاج وصارت للكمال — حتى فى أدق التفاصيل — مكانة خاصة فى نفوسهم.

. وفى سبيل صنع منتجات أفضل من حيث النوع، عكفت السويد على الأبحاث يجرونها فى مختبراتها. فلم تقنع بإنتاج أجود أنواع الفولاذ فى العالم، ومضت تكتشف له أشكالاً جديدة تبهر الأنظار وتخلب الألباب كالنسيج تحيكه من أسلاك الحديد فى رقة الشعر، ولوالب ساعات تبلغ من الدقة ما لا يكاد يصدق.

. وفى سبيل تعزيز صناعة الخشب الحيوية، عمل السويديون على البحث عن أرجح وجوه لاستعمال الخشب. فمن ذلك بيوت الجاهزة الصنع، والجلد الاصطناعى للأنواع الخاصة من قشرة الخشب، والملابس والبطانيات الخاصة بالمستشفيات والتى تصنع بحيث تستعمل مرة واحدة ثم ترمى.

٧. ولا تقف الأبحاث العلمية فى السويد عند حد تحسين القديم. فالسويديون هم الذين اخترعوا الحوامل الكروية التى تستعمل فى السيارات والثقاب المأمون. وهم كانوا السابقين الأولين فى تطوير المنائر البحرية والمعدات المسيرة على الهواء المضغوط لحفر الأنفاق فى الجبال. وهم وجدوا ٣٠ من العناصر الـ ١٠٣ التى تتكون منها لائحة العناصر.

مطلوب : مزيد من الطاقة

٨. وإذ تسير السويد هذا السير الحثيث، فإنها تحتاج إلى مزيد من الطاقة لتستعين بها على الاستمرار فى النمو. وهى تستمد بعض هذه الطاقة من مواردها المائية، فالإنتاج المحلى من الطاقة الكهربائية ارتفع بين ١٩٥٠ و١٩٦١ إلى أكثر من الضعفين.

٩. ولكن الكهرباء لا تستطيع القيام بكل المهام المطلوبة، كما أنها فى بعض المهام التى يمكن أن تقوم بها ليست أحسن ما يمكن اختياره. وهكذا وجدت السويد نفسها فجأة أمام مشكلة لا تستطيع الأبحاث العلمية حلها تلك هى مشكلة النقص فى الوقود. واليوم تستعين السويد بالزيت، وكله مستورد، على سد ٦٤٪ من حاجتها إلى الطاقة.

١٠. ومما يجدر ذكره، ويثير الاستغراب، أن السويد تحتل المرتبة الثالثة فى العالم من حيث معدل استهلاك الفرد فيها للزيت. إذ لا يتقدمها فى ذلك سوى الولايات المتحدة وكندا.

أعلى دخل للفرد فى أوروبا

١١. والأعمال التجارية فى السويد فى رواج وازدهار. فدخل الفرد فيها الآن أعلى دخل فى أوروبا كلها. غير أن التطور الصناعى فيها لم يهدم تقاليدها وصناعتها القديمة ويقضى عليها، كما حدث فى غير السويد من البلاد.

١٢. فإنك إذا دعيت إلى العشاء فى أى بيت من البيوت فى السويد، فأغلب الظن أنك ستجد البيت كله مضاءً بالشموع. وما ذلك لقلة الكهرباء، وإنما هو عرف فى نفوس أهل السويد منذ القدم. ففى هذه البلاد الباردة التى ينتهى فيها النهار أيام الشتاء فى الساعة الثانية بعد الظهر يطلق الناس لفظة واحدة على معنيين الشمعة والضوء.

شل والزيت العالمى

والسويد مضطرة إلى أن تعتمد بصورة متزايدة على الزيت (ويرتفع الطلب عليه فيها بنسبة ١١٪ فى السنة) كمصدر رخيص مضمون للطاقة، شأنها فى ذلك شأن العالم كله. والزيت من أسرع مصادر الطاقة نمواً. والمنتظر أن يتضاعف الطلب عليه خلال ١٥ سنة.

أما تلبية هذا الطلب فلا بد من أن تكون عملية عالمية. إذ ليس هناك من سلعة أخرى تنقل بمثل هذه المقادير الهائلة عبر حدود هذا العدد الكبير من البلاد، وتحول إلى هذه الكثرة من المنتجات، ويخطط لها سلفاً بهذا الطول من الزمن. فذلك أمر يحتاج إلى منظمة معقدة التركيب، عالمية النطاق — كتلك المنظمة التى أنشأتها شل على مر السنين.

حقائق وأرقام

وإيصال الزيت إلى الأسواق يعنى بالنسبة إلى شل تشغيل ما تزيد حمولته على ١١٪ مليون طن من الناقلات وما يزيد طوله على ٥١٠٠٠ كيلومتر من خطوط الأنابيب فى المسالك البرية الرئيسية. ويعنى كذلك إقامة شركات للتسويق فى أكثر من مائة بلد، كما يعنى تصريف الأعمال التجارية فى جميع لغات العالم الرئيسية تقريباً. وهو يعنى أيضاً تشجيع ٦٠٠٠ من المشتغلين بالبحوث العلمية على إيجاد منتجات مفيدة جديدة كالأنواع الجديدة من الوقود والقماش والأصمغة الاصطناعية والأسمدة ومبيدات الحشرات.

اعتمد دائماً على شل

إن فى استطاعتك أن تعتمد على شل لأنها تشتغل فى جميع مراحل صناعة الزيت. فهى تبحث عن الزيت وتجده وتستخرجه وتنقله وتحوله إلى منتجات وتوصل هذه المنتجات إلى السوق. وهى تفعل ذلك كله بانتظام كانتظام عقارب الساعة. وهى إذ تفعل ذلك تربح فى اللتر الواحد من مبيعاتها ما متوسطه ٣٪ سنت أمريكى.

وشل تقوم بوظيفة مفيدة. فهى تأتى بالنوع المطلوب من المنتجات إلى المكان المطلوب فى الوقت الذى يطلب فيه. وهى تخدم الأقطار المستهلكة بإيجادها مصدراً للطاقة يمكن الاعتماد عليه، وهى تخدم الأقطار المنتجة بإيجادها أسواقاً يمكن الاعتماد عليها. ذلك هو شأن شل عاماً بعد عام.



طالبة من طالبات الفنون تدرس مبادئ فن التصميم. ومن المعروف أن التصميم السويدي سواء في الآنية الخزفية أو أدوات المائدة، في الأثاث أو الفولاذ الذي لا يصدأ، يلقى إقبالاً شديداً في العالم كله.

أنت تسأل ؟!

هذا هو حكم الله في الخمر

فليسمع كل من كانت

* على اثر الضجة التي قامت في الكويت حول قرار مجلس الامة منع تداول الخمر وفرض عقوبة على من يحوزها من غير رجال السفارات الاجنبية ، بحجة انها محرمة شرعا ، حاولت ان اجد في كتاب الله الكريم نصا يحرم الخمر صراحة بمثل ما حرم الشرك والقتل والزنى والربا ولحم الخنزير الى غير ذلك من المحرمات ، فلم اجد شيئا ..

يقول الله تعالى في اكثر من سورة من سور القرآن الكريم : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به » الى آخر الآيات ، كما يقول : « واحل الله البيع وحرم الربا » و « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم » الى آخر آية « النساء » ، ويقول : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » و « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ... » و « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ... » وليس بين هذه ولا تلك آية اشارة الى تحريم الخمر ، كما انه وان كان الله تعالى قد نهى عن شربها الا انه لم يفرض عقابا لشاربها اسوة بغيرها ، ان كانت من الكبائر كما فرض القتل للقاتل ، وقطع اليد للسارق ، والجلد مائة للزاني ، وثمانين لقاذف المحصنات ، الى آخر العقوبات التي نص عليها القرآن ، بل كان اقصى ما قاله عن الخمر : يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » !

وتقول كتب الفقه ان اول من سن عقوبة لشارب الخمر هو عمر بن الخطاب في أواخر عهد ولايته .. فالى اي شيء استند عمر في سن هذه العقوبة ، مع انها ليست اصلا من اصول الشريعة ، لا بالقرآن ولا بالسنة ؟ وكيف جاز له ان يحرم الخمر ويفرض لشاربها عقابا ، كما حرم زواج المتعة برأيه ، مع انه لم يكن صاحب وحي ولا صاحب شريعة ؟ !

ارجو ان تكون اجابتكم عن هذه الاسئلة متسمة بالصراحة والوضوح والاقناع .

الكويت وائل عبد المحسن .

ـ ان ما تقوله كتب الفقه من ان اول من سن عقوبة الخمر في الاسلام هو عمر ليس بصحيح ، على اطلاقه .. صحيح ان المسلمين لم يعرفوا الجلد في الخمر في عهد رسول الله ، بل كان يؤتى بالشارب « فنقوم اليه بأيدينا وأحذيتنا وأرديتنا » **كما يروى البخاري من حديث السائب بن يزيد ، فلما ولي الامر ابو بكر لم يحاول ان يزيد على ما كان يجري في عهد الرسول ، وكذلك فعل عمر في صدر ولايته ، حتى ليروى انه خرج يعس ذات ليلة ـ وقد كان اول من عس بالمدينة ليلا ـ فرأى رجلا جالسا على شراب له ، فانصرف عنه وقد عرفه ، فلما اصبح دعاه فقال له :** أليس قد نهاك الله عن الخمر ؟ **قال الرجل :** بلى . **قال**

يشرف على هذا الباب

عبد الوارث كبير

ونحن نجيب

له اذنان ..

عمر : فما شراب كنت جالسا عليه البارحة ؟ **قال الرجل** : من انباك بذلك ؟ **قال** : انا رأيتك . **قال الرجل** : الم ينهك الله عن التجسس يا أمير المؤمنين ؟ **فسكت عمر عنه ، واستغفر الله ...**

لكنه ما لبث ان راى المسلمين وقد سرهم ما فتح الله عليهم ووسع من ارزاقهم ، فاقبل بعضهم على الخمر ، فخشى ان يعودوا الى ما كانوا عليه قبل الاسلام من ادمان ، فاشتد في عقاب شاربيها بما لم يكن معروفا قبله ، فجلد اول الامر اربعين جلدة ، فلما عتوا وفسقوا شاور الصحابة فيما يجب ان يفرض على شارب الخمر من عقاب .. قال بعض الرواة :

فاشار علي بن ابى طالب ان يؤخذ شارب الخمر بعقوبة القاذف ، فيضرب ثمانين جلدة ..

وان يكن البخارى ومسلم قد اخرجا عن « علي » انه قال : « ما كنت اقيم على احد حدا فيموت فيه فأجد منه فى نفسى الا صاحب الخمر ، فانه ان مات وديته (اى دفعت ديته) لان رسول الله لم يسنه » !

وليس معنى ذلك ان الرسول لم يسن جلد شارب الخمر ، فعلي ادرى الناس براى الرسول ، وهو صريح فى حديث ابى هريرة اذ يقول : « فاذا سكر فاجلدوه » **.. لكن عليا قصد ان الرسول لم يسن الثمانين التى اقترحها هو ، وانفذها عمر ...**

اما القول بان الله لم يحرم الخمر فى القرآن تحريما صريحا ، فقول لا يخدع الا السذج والجهال ! فاى فرق بين تحريم شيء وبين الامر باجتنابه والنهى عن ارتكابه ؟؟

البقية على صفحة ١٤٧

نبيذ «عمر» و«أبي حنيفة»

غير نبيذ «بوردو» و«كيانتي» و«جري مكنزي» !

١ ❋ يقول الدكتور طه حسين فى كتابه « الشيخان » عند حديثه عن مقتل امير المؤمنين عمر : قال الطبيب لعمر « **ما احب الشراب اليك** » ؟ قال : « **النبيذ** » ، فسقاه نبيذا ، فخرج من بعض جرحه .. الخ ..

ولست ادرى كيف سكت الكاتب الكبير والمحقق الشهير الدكتور طه حسين عن هذه الرواية دون ان يدحضها او يكذبها ، او حتى عن ان يعلق عليها كما علق على مسألة الشورى فى نفس الكتاب ؟ ! أتراه سكت عنها لانها صحيحة ؟ وكيف يصح فى الاذهان أن يشرب عمر الخمر وهو يستعد

البقية على الصفحة التالية

للقاء ربه ، وقصته مع ابنه معروفة مشهورة ؟؟

بنغازي (ليبيا)   حسين سالم الوسيع

٢ ✻ سلام تام ، بوجود مولانا الامام ..

وبعد فقد قرأت في بعض كتب الفقه الاسلامي ان الامام « أبا حنيفة » يجيز الوضوء بنبيذ التمر في حالة عدم وجود الماء ، وانه يرى ان المتخذ من غير النخل والكرم لا يحرم ، اسكر ام لم يسكر ، وان المتخذ من التمر والزبيب يحرم منه ما اسكر ، لا القليل ، خلافا للقاعدة الشرعية المعروفة « **ما اسكر كثيره ، فقليله حرام** » .

فهل « البيرة » وهي مصنوعة من الشعير ، وهل المشروبات المصنوعة من غير النخل والكرم ، حلال ام حرام ؟؟

الصويرة : المغرب   اقريبط حامد بن العربي

– هذان السؤالان جوابهما واحد ، هو ان نبيذ « عمر » و « أبي حنيفة » غير نبيذ « بوردو » و « كيانتي » وغيرهما من مختلف انواع النبيذ ...

جاء في كتاب « بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع » للامام علاء الدين الكاساني الملقب بملك العلماء : « وما يتخذ من الزبيب شيئان : نقيع : ونبيذ . فالنقيع ان ينقع الزبيب في الماء اياما حتى تخرج حلاوته الى الماء ، ثم يطبخ ادنى طبخ ، فمادام حلوا يحل شربه ، واذا غلا واشتد وقذف بالزبد يحرم .. وأما النبيذ فهو الذى من ماء الزبيب اذا طبخ ادنى طبخ يحل شربه ما دام حلوا ، فاذا غلا واشتد وقذف بالزبد يحل شربه ما دون السكر عند ابي حنيفة وابي يوسف ، وعند محمد الشافعي لا يحل شربه .

« كما يحل عند ابي حنيفة وصاحبه ابي يوسف شرب نبيذ التمر ما دام حلوا ، فاذا ما غلا واشتد وقذف بالزبد يحل شربه للتداوي والتقوى ، الا القدح المسكر » .

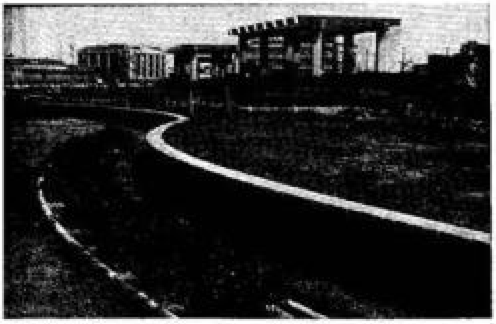
ومن هنا يتضح ان النبيذ الذي شربه عمر وهو يحتضر ، والذى اباح ابو حنيفة الوضوء به عند عدم وجود الماء ، كما اباح شربه ما دون الاسكار ، ليس هو النبيذ المتداول الان في المشارب والبارات .

وعند ابي حنيفة « ان حرمة الخمر معللة بالاسكار . فالاسكار هو المحرم بأبلغ الوجوه ، لانه الموقع للعداوة والبغضاء والصاد عن ذكر الله وعن الصلاة ، والمسبب لاتيان المفاسد من القتل وغيره كما هو معروف » .

ولم يثبت الحد لمجرد الشرب من غير الخمر ، ولكن ثبت بالسكر منه ، بادلة كثيرة ، منها حديث ابي هريرة : « .. فاذا سكر فاجلدوه » ..

روى « الدارقطني » في سننه ان اعرابيا شرب من اداوة عمر – اى قربته نبيذا فسكر به ، فضربه عمر الحد ، فقال الاعرابي : « انما شربته من اداوتك » **فقال عمر :** انما جلدناك على السكر ، لا على الشرب !

ومثل ذلك ما رواه الدارقطني عن علي بن ابي طالب .



حديقة الكويت .. كانت مقبرة ..

تحويل المقابر الى

✻ كان من جراء اتساع نطاق العمران في بلدنا ان اصبحت بعض المقابر القديمة قائمة في وسط المدينة ، ولذا فكرت البلدية في نقلها الى خارج البلد ، ولم تكد تعلن عن عزمها على هدم تلك المقابر واقامة منتزهات عامة مكانها حتى قامت قيامة بعض المتزمتين الذين يزعمون ان نقل المقابرحرام ،وأن بالمقابر المراد نقلها بعض الشهداء والاولياء ورجال الدين الابرار .

وقد اشتدت المعارضة لمشروع البلدية حتى طاف بالمدينة بعض المتظاهرين يهتفون ضده .

فهل صحيح ان نقل المقابر او هدمها او غرس الحدائق والمنتزهات مكانها حرام شرعا كما يزعمون ؟

نابلس   عبد الكريم كيوان

– ليس في هدم المقابر القديمة او نقلها او زراعتها بالحدائق ما يتنافى مع الشرع الشريف .



وكذلك حدائق تونس كانت مقابر ..

حدائق .. ليس حراما

فقد اجاز عمر بن الخطاب حرث المقبرة بعد عام ، كما اجازه معاوية من بعده اذا ماااقتضته المصلحة العامة .

وقال ابن عبد الغفور : تحرث المقبرة بعد عشر سنين .. !

ونقل ابن عابدين في حاشيته : « ولو بلى الميت وصار ترابا جاز دفن غيره في قبره ، او زرعه او البناء عليه » .

وبهذا افتى مفتي عمان عندما استفتي في مشكلة مماثلة اذ قال : ان المقبرة متى بليت اجساد الموتى فيها ودرست ، لا مانع من الانتفاع بالبناء او الزرع او البيع والشراء فيها واتخاذها سوقا » ...

وهناك دليل قاطع على شرعية ذلك هو ان المنطقة المجاورة للجامع الازهر الشريف في القاهرة كانت الى عهد قريب مقابر مهجورة فاصبحت اليوم عمارات وحدائق ومنتزهات وكذلك حدث فى الكويت ، وفى تونس ، وفي العراق وغيرها من الدول العربية ...

وعند ابي حنيفة : « ان المتخذ من الحبوب كلها او من العسل يحل شربه » .

قال بعض المفسرين : يعني اذا شرب منه من غير لهو ولا طرب ...

والسكران الذي يحد عند ابى حنيفة « هو الذي لايعقل منطقا ، لا قليلا ولا كثيرا ، ولا يعقل الرجل من المرأة » .. وعند صاحبيه : « هو الذي يهذي ويخلط فى كلامه »

وفي « بدائع الصنائع » : « ان الاشربة التي

تتخذ من الاطعمة والشعير والدخن والذرة والعسل والتين والسكر ونحوها لا يجب الحد بشربها ، لان شربها حلال ـ عند ابي حنيفة وصاحبيه ـ لا تتعلق به عقوبة ، لا بشربها ، ولا بالسكر منها ، لان الشرب اذا لم يكن حراما اصلا ، فلا عبرة بنفس السكر ، كشرب البنج ونحوه » .

هل تحل الخمر بخلطها بالماء ؟

وعندهم ـ اى الاصناف ـ ان من شرائط وجوب الحد : « بقاء اسم الخمر للمشروب وقت الشرب .. فلو خلط الخمر بالماء ثم شرب ، نظر فيه ، فان كانت الغلبة للماء فلا حد عليه ، لان اسم الخمر يزول عند غلبة الماء . فان كانت الغلبة للخمر او كانا سواء ، يحد ، لان اسم الخمر باق ، وهي عادة بعض الشربة اذ يشربونها ممزوجة بالماء » .

(كذا فى بدائع الصنائع ج ٧ ص ٤٠) !!

الوضوء بالنبيذ جائزة لطهارته

وابو حنيفة اذ يجيز الوضوء بالنبيذ عند انعدام الماء ، فانه لا يفعل ذلك برايه وانما يفعله تاركا القياس بالنص ، فالنص اقوى من القياس .

روى عن عبد الله بن مسعود : « كنا اصحاب رسول الله (صلعم) جلوسا فى بيت ، فدخل علينا رسول الله فقال « ليقم منكم من ليس في قلبه مثال ذرة من كبر » ، فلم يقم منا احد ، فاشار الي بالقيام فقمت ، ومعي اداوة من نبيذ ، فخرجت معه ، فخط لي خطا وقال « ان خرجت من هذا لم ترني الى يوم القيامة . فقمت قائما حتى انفجر الصباح ، فاذا انا برسول الله وقد عرق جبينه كانه حارب جنا ، فقال : يا ابن مسعود ، هل معك ماء اتوضأ به ؟ فقلت : لا ، الا نبيذ تمر فى اداوة . فقال : ثمرة طيبة وماء طهور . فاخذ ذلك وتوضأ به وصلى الفجر » ا هـ

وروى على بن ابي طالب عن النبي (صلعم) انه قال : « نبيذ التمر وضوء من لم يجد ماء . »

وروى ابن عباس عن النبي انه قال : « توضأوا بنبيذ التمر ولا تتوضأوا باللبن » .

وهذه كلها احاديث وردت مورد الشهرة والاستفاضة، وعمل بها الصحابة وتلقوهابالقبول.

اما نبيذ الزبيب وسائر الانبذة فلا يجوز التوضؤ بها عند عامة العلماء ..

وقال الاوزاعي : بل يجوز ، نيئة كانت او مطبوخة، حلوة او مرة ، قياسا على نبيذ التمر..

والله اعلم ...

كذب المنجمون ولو صدقوا

* انا لا اعتقد بالتنجيم لان علم الغيب عند الله .. ولكن ما حملني على الكتابة اليكم هو انه في طفولتي قال لي احد المنجمين اني سأتزوج اثنتين . فلم آبه لقوله لاني لم اكن ادرى معناه .

ومرت الايام .. ومنذ سنتين طلبت يد فتاة تربطني بها صلة القرابة ، فوافقت مبدئيا كما وافق اهلها .. وبعد مدة جاءني من ينصحني بأن انسى الموضوع لان الفتاة عدلت عن الزواج مني .. وعندما سألت عن السبب قيل لي انها سألت احد المنجمين فقال لها اني سأتزوج من اثنتين ، وهي لا تريد ان تتزوج شابا لن يبقى على حبها للابد .. لم آسف لما حدث لاني لا اريدفتاة لا تثق بحبي لها .

ولكن الذى يؤرقني الان .. هو اني احببت بعد ذلك فتاة تبادلني نفس الشعور .. ولكن حبي لها يجعلني اضحي من اجلها ولا اتزوجها .. لاني لا ارضى لها ان تكون لها « ضرة » او ان تكون هي زوجة مطلقة .. مع انى اكره تعدد الزوجات وأعلم ان مشكلة المشاكل هي الطلاق .

افكر في ترك الزواج وغلق قلبي الى الابد حتى افسد رأى المنجمين ، ولا اعذب المرأة التي احب .. ثم اعود فأحقد على نفسي لوادى عاطفتي وأنا لا ازال في سن الرابعة والعشرين .

هلا اخبرتني برأيك .. وأرحتني مما انا فيه ؟

عربي حائر

ـ يا أخي العربي : لماذا تحي نفسك ، وانت لا ريب تذكر القول المأثور : كذب المنجمون ولو صدقوا ؟؟

المستقبل غيب .. وأنت لا تستطيع ان تضمن عواطفك او عواطف من تحب ، الى الابد ..

ثم هل نسيت الموت ؟؟

ان كنت لا تحب لفتاتك اليوم ان تصبح لها « ضرة » في المستقبل ، فهل عرفت كم ستعيش انت ، وكم ستعيش هي ؟؟

انزع من رأسك هذه الافكار ، فلو ربطنا حياتنا بنبوءات المنجمين لما افدنا شيئا ، ولاضعنا اعمارنا هباء !

الملك السابق : ادوار الثامن

* قرأت في بعض الكتب التاريخية الحديثة ان الملك ادوارد الثامن احد ملوك بريطانيا المحدثين تنازل عن العرش لمعارضة حكومته في زواجه من امريكية مطلقة ، الخ ..

فمتى تولى ادوار الثامن الملك ، ومتى نزل عن العرش ، وما هو اسمه الحقيقي بالكامل ؟ وشكرا ،،

الكويت لطيفة شوقي



ـ ولي الملك ادوارد الثامن عرش بريطانيا في العشرين من شهر يناير عام ١٩٣٦ ، خلفا لوالده الملك جورج الخامس .

اما اسمه الحقيقي الكامل فهو « ادوارد البرت كرستيان جوراندرو باتريك دافيد » وهو الابن الاكبر للملك جورج الخامس والملكة مارى ، جدة الملكة الحالية .

وقد تنازل اداورد الثامن عن العرش في الحادى عشر من ديسمبر عام ١٩٣٦ ، اى بعد اقل من عام من اعتلائه ، وذلك عقب اصراره على الزواج من الامريكية المطلقة « مسز سمبسون » ومنذ ذلك التاريخ اصبح يعرف باسم « دوق وندسور » .

وفي الحرب الثانية عين دوق وندسور حاكما لجزر البهاما ، في الفترة ما بين عامي ١٩٤٠ ، ١٩٤٥ .

((الغباء)) غير ((الغباوة))

* اسمحوا لي وأنا من المدمنين على تصفح مجلتكم الغراء ان اسألكم – لماذا تذكرون دائما في مقالاتكم كلمة غباء (بالهمزة) بمعنى غباوة . وقد راجعت جميع معجمات اللغة وما وجدت بها سوى ان – غبي يغبى غبا (بدون همزة) وغباوة ومعناها الغفلة .

اما الغباء (بالهمزة) فهو الغبار او الخفاء من الارض وفي اللغة العامية في مصر يقولون (الدنيا مغبية) اى مظلمة من غبر او غفار واكثر الكتبة في مصر يذكرون كلمة غباء (بالهمزة) بمعنى الغباوة فارجوكم ان تتكرموا بايضاح ذلك ، وهل استعمال كلمة الغباء (بالهمزة) بمعنى الغباوة خطأ أم صواب ؟؟

ميشيل : جدة

– خطأ طبعا .. لكنه خطأ شائع ، والخطأ الشائع جائز في راى بعض ذوى الراى !

يريد اعتناق الاسلام

* انى من المواظبين على قراءة مجلتكم العظيمة، وأحب ان ابعث اليكم بمشكلة تحيرني من شهور ، ولا اعرف كيف اتصرف ازاءها .

فأنا شاب مسيحي في التاسعة عشرة من عمرى ، من رعايا الجمهورية العربية السورية ، اريد اعتناق الدين الاسلامي بعد ان قرأت القرآن الكريم وتفهمت المبادىء التي ينطوى عليها ويدعو اليها واقتنعت بأن الدين عند الله الاسلام . لكنني اجهل الاجراءات التي تتخذ لاعتناق الاسلام ، ولا اجرؤ على ان اسأل المسلمين عن هذه الاجراءات ولذا جئت اسألكم هل هناك ما يمنع من اعتناقي الاسلام ؟ وما هي الاعمال التي يجب ان اقوم بها لاكون مسلما حقا ؟

حلب   ا . ج

– ليس هناك ما يمنع من اعتناقك الاسلام ما دمت مقتنعا به مؤمنا بالله ورسوله والقرآن وما فيه .

اما الاجراءات فبسيطة : اقصد الى ((القاضى الشرعى)) او شيخ المعهد الديني واعرض عليه رغبتك في اعتناق الاسلام ، وسيتولى هو عنك بقية الاجراءات الشكلية .

اما كيف تصبح مسلما حقا فبأن تعمل بما امر الله به عباده المؤمنين فى كتابه الحكيم ، وما وصى به الرسول الكريم ، سواء في معاملتك لربك او معاملتك للناس ... وهذا هو الاسلام الصحيح .

والله يوفقك ..

حكم الله فى الخمر (بقية)

خذ مثلا الزنى .. فكلنا يعرف انه من اكبر الكبائر ، عند الله وعند الناس ، حتى ليقول الله تعالى فى الزانية والزانى بعد ان فرض العقوبة التى توقع بهما فى الدنيا « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله » ، **ومع ذلك لم يقل** « حرم عليكم الزنى » ، **بل اكتفى بقوله** « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » **فهل يجرؤ احد على القول بأن الزنى ليس حراما ، كما يقول بعضهم عن الخمر ، لانه الله لم يذكرهما مسبوقين بالحاء والراء والميم ؟؟**

أم على قلوب اقفالها ؟؟ !!

قسيمة المسابقة (كوبون) ترفق مع الرد

الاسم : ....

....

العنوان : ....

....

....

اضحك
تضحك الدنيا معك

فارق بسيط

● التقت اثنتان من كواكب السينما فى « هوليوود » أثناء احدى الحفلات ، فقالت احداهما للأخرى : « يا للعجب ! ... ان زوجك يبدو الليلة فى أقصى اناقة .. لعلها بدلة جديدة ؟ » .

فأجابت الأخرى : « كلا يا عزيزتى ، ولكنه ... زوج جديد ! » .

□□□

ذكاء ..

● سألت السيدة مضيفتها فى جزع ، اثناء حفلة تعارف : « اين تلك الحسناء التى كانت توزع الشراب منذ لحظة ؟ » .

فأجابتها المضيفة : « لماذا ؟ .. هل تريدين كأسا ؟ »

وكان جواب الضيفة : « كلا ... ولكنى أبحث عن زوجي » !

□□□

تأنيب بلباقة

● قال الضيف الذى اطال المكث الى ساعة مبكرة من الصباح التالي : « آسف لأننى اخرتكما عن أن تأويا الى فراشكما » .

فنظر اليه الزوج فى صمت ، بينما قالت الزوجة : « أننا لن نأوى الى الفراش . فقد بقيت ساعة على موعد خروجنا للعمل ! » .



إبك تبك وحدك ..

لا شأن للكرم بهذا

● قال الزوج لضيفه بعد العشاء ، وقد انتحت زوجتاهما أحد الأركان لتشاهدا التليفزيون : « لكم أتمنى أن يكون لدينا ضيوف كل ليلة ! » .

فقال الضيف : « هذا كرم محمود تشكر عليه » .

قال صاحب الدار : « أستغفر الله .. ولكن الواقع أن زوجتي تستحي في وجود الضيوف أن تكلفني بتنظيف المائدة ، فتتولى العملية بنفسها » ! .

□□□

منطق ..

● قال الأب الثري لخطيب ابنته : «ارجو ان تتبين انك قد خطبت فتاة كبيرة القلب ، موفورة العاطفة »

قال الخطيب : « هذا صحيح .. ولعلها ترث عن ابيها كل ميزاته ! »

□□□

تجارة ..؟!

● قال الصديق لصديقه الذى لم يره منذ سنوات : « وماذا تعمل الآن ؟»

ــ انني ابيع الأثاث .

ــ مهنة مربحة .. وأين متجرك ؟

ــ ليس لي متجر . فانا ابيع اثاث بيتي .

■■

أصوات الحنين



قصة بقلم : محمود سيف الدين الايرانى

أيها السادة : انا الماثل امامكم الآن محمد مصطفى ابو درويش ، قررت أن أفضى اليكم بقصتى كاملة ، لا أخفى منها شيئا الا مالم تعد تحتفظ به الذاكرة . سأقول لكم ، اذن ، كل شيء ، وأنا فى كامل قواى العقلية والبدنيـة . اننى لا ازال والحمد لله بخير وعافية ، ولا ازال استطيع ان اقل الحديد . فى يدى هاتين تكمن قوة عشر رجال .. كنت ، والموج يطفى طغيانه وتفتح المياه أشداقها ، اضرب الموج المتقلع بمجداف حتى اصل بمركبى سالما الى السفينة الرابضة فى عرض البحر ، ولا أكاد أحس بتعب أبدا ... هكذا كنت ... ولا تزال فى صدرى بقية من تلك القوة .. صحيح الانسان ينسى أحيانا .. هموم الدنيا تنسى ... وهموم الدنيا تخمد فى الانسان حيويته ... ولكنه فى لحظة واحدة ، على حين غرة ، يعود فيذكر أشياء كثيرة ، ويعجب كيف أن بعضها كان غائبا عن باله تماما ... أنت يا سيدى لا تحاول أن تقاطعني ... أرجو أن تترك لي ، أن تتركوا لي كلكم ، الوقت الكافى لكي أقول كل شيء ... تطلب مني أن أوجز ... ولماذا



مئات ... الوف الصناديق ... وصراع مع البحر... في وجه الانواء ... وصراع اشد مع الريح ... الريح غادرة ، أيها السادة ، توهمك لحظة انها ركدت وهدأت ... ثم تفاقلك فتهب ... وتهب ... كان بها مسا من جنون ، تلويك من هنا ، وتلويك من هناك ... تريد أن تقتلعك ... أن تغتالك .. ولكنك تثبت قدميك ... تركزهما بعزم في قاع المركب ... وتشد ذراعيك على المجذافين الغائصين في الماء ... وتدفع بصدرك الى امام وتصيح صيحة واحدة : « يا محمد ! » فتحس ان المركب غدا خفيفا منسابا ، دون مشقة ، وأن الريح همدت ، والموج تراجع ليدعك تمر بسلام ...

وفي الصيف يرتاح البحر . يرتاح من صراع مرير ، طويل ... فتنبسط صفحته ملساء كالحرير الازرق ، حتى الأفق البعيد ... لا يكاد يتململ ... وكان يتاح لنا اذ ذاك أن نصيد السمك الكثير بشباكنا ... أخي يساعدني ، وابن عمي يطبخ لنا العدس بالارز ويتوجه بالبصل المفروم المحمر بالسمن ... فنروح نتناوله تحت نجوم السماء المتلامحة التى لا نهاية لها كانها ذرات رمل الشاطىء ... ذلك البحر العنيد الثائر مرة ، الهادى الساكن الطاوع مرة ... هو بحرنا ... بحر يافا ... الذى كان يغدق علينا الرزق الكثير ... الواحد لا يستطيع أن ينسى بلده ... ولا يستطيع ان ينسى بحره .. وسأموت واظل أرى دارنا هناك .. دارنا ، هي الاخرى ، تواجه البحر ... وهي قريبة من الشاطىء ... على مرمى حجر منه ...

الايجاز ، يا سيدي ، ما فائدته ؟ أنا اريد أن انفض عن صدري كل ما كتمته حتى الآن ... وسيريحني هذا ... لقد تعبت كل هذا الزمن الطويل ... تعبت جدا ... وآن لي أن أرتاح ... البوح راحة كبيرة أيها السادة ...

اسمي كما قلنا : محمد مصطفى ابو درويش. مصطفى هو والدي ، ودرويش جدي وجد العائلة ... كلنا بحارة . ما اشتغل منا احد في غير البحر . البعض كان ينقل صناديق البرتقال في المراكب الكبيرة الى السفن الراسية في عرض البحر ... لا يهمه شتاء ... ولا تهمه انواء ... وبعضهم كان ، في الصيف ، يتلهى بصيد السمك.

انا نفسي كنت انقل صناديق البرتقال في الشتاء ... واصيد السمك في الصيف ... البرتقال : حمولة وراء حمولة ... عشرات ...

فى دارنا ، هناك ، غرفتان ، وفراش نظيف كان يطوى نهارا فى احد الأركان ، ويفرش ليلا للنوم ... وحصير ممدود فى كل غرفة ... ومطاوح طرية للجلوس عليها ، وأباريق وأكواب منقوشة بماء الذهب ، ومحفوظة للضيوف ، يشربون منها عصير البرتقال أو الليمون ... ولدارنا ساحة سماوية مكنوسة ، مرشوشة دائما ، وفى ناحية منها شباكنا ... هذه الشباك كنت دائما أجلس القرفصاء لاصلاح فتوقها ... تفيئني من الشمس ياسمينة معروشة كانت تملأ دارنا شذا فواحا .. وفى ناحية أخرى ثلاث شجرات ليمون .. ما انقطع عطاؤها أبدا .. وفى أوقات الفراغ والراحة كان يحلو لي ان أجلس على كرسي صغير ، سطحه قش مجدول ، من صنع أولاد بلدنا ، وأروح اشرب فنجان القهوة متمهلا ... متذوقا ... وادخن سيكارة ... وبصرى عالق بالبحر امامي ... ونفحات من زهر الياسمين والليمون تعطر الجو ... فى أمثال تلك الجلسة كنت أتذكر اشياء واشياء ... وكان يبدو لي انني مرتبط بالبحر ، وبمراكبه ، وأنوائه ، وموجه ، وبلياليه التى تحس فيها أنك وحيد ، ومنقطع عن الدنيا ، وعن الناس ، لا سند لك من أحد غير الله ... لا تدرى مصيرك ولا تملك من أمرك شيئا ... ومع ذلك لا يعتريك ضعف فقد اسلمت أمرك للـه وحده ، وهو يقويك ، ويأخذ بيدك ، ويدفع عنك الشر ، وينصرك ... لا اله الا هو ... ارتباطى بالبحر كان هو حياتى كلها ... أهواله نفسهـا كانت كأنها اعياد قلبي ... لأنها ، دوما ، انتصار على المجهول ، على الأقوى ، وعودة سالمة ، غانمة ، الى البيت ... الى الأم الصابرة ، والاخوات المنتظرات ... وما اذكر امي الا قائمة تصلي لله وتبسط كفيها بالدعاء لي ... وما اذكر اخواتي الثلاث الا قلقات متوجسات لغيابي ... ولا يكدن يلمحنني وأنا عائد اليهن موفور الرزق حتى تبتسم لي وجوههن كلها ابتسامات من القلب ... لن انسى هاتيك الابتسامات .. لن انساها أبدا .. فقد كانت تؤنس وحشتي ، وتملأ قلبى فرحا ، وحنانا ، وضياء ... كنت أحس كانني أذوب من الانعطاف ... وكانت دموع الفرح تترقرق فى عيني اذ ذاك ... اما اليوم فانها دموع الأسى .. دموع الحزن الذى لا ينقضى هى التى تسكبها عيناى ... ولهذا قصة سأرويها فى حينها أيها السادة ... فى أمثال تلك الجلسة كنت اذكر اشياء واشياء ... واجد انني اشد تعلقا ببلدى وحبا له ، حتى ابى وجدى يرقدان فى تلك المقبرة المطلة على البحر فوق التل العالي ... وهما قد أورثاني دارنا الصغيرة وياسمينتها ، وشجرات الليمون الثلاث ، ومركب نقل البرتقال العتيق ، وزورق الصيد ، وكوما كبيرا من شباكهما ... عميلة استمرار كما ترون ، أيهـا السادة ، وديمومة ، ولا ينفك العيش حلـوا ، والحياة صافية ، ونعمة الله باقية ... كانت شباكنا فى الصيف تمتلىء سمكا ، نعود به مثقلين بعد غياب يومين او ثلاثة ... سمك كثير ذو الوان وأشكال ، بعضه كأنه مصنوع من الفضة الخالصة ، أو الفضة المموهة بالذهب ، وبعضه مستطيل رشيق ، وغيره عريض ، أعرض من كفي الاثنتين ... نطرح الشباك وننتظر ... وتغوص الشباك فى الماء بفضل قطع الرصاص المعلقة بها ...

هذا الانتظار تعلمنا منه الصبر ... والحياة بدون صبر واتكال على الله كيف يمكن أن تكون ؟ كنت أروح أدخن سيكارة وراء سيكارة ، ويدى تتحسس الشباك من حين الى حين ، فاذا أحسست بارتعاشة خفيفة ... ايقنت انها أخذت تمتلىء برزقهـا ... وتمضى الساعات طويلة ، طويلة ، ويداخلني شعور عميق باني بعض هذا الوجود ، بعض هذا الماء وتلك السماء ، بعض رمال الشاطىء الحريرية ... ويتراءى لي أن لكياني كله جذورا تضرب بعيدا فى أعماق تربة بلادى ، منذ خلق الله الكون ... وكنت أحس فى قرارة نفسي أنني شبيه بشجرة البرتقال اذا اقتلعت من منبتها ماتت ...

وبرتقالنا أيها الســادة عطاء من السـماء ، و « بياراتنا » جنات ملتفة ذات أفياء وظلال وثمر هو كرات من الذهب . ما من بلد فى الدنيا مثل بلدى يافا ، يظل ينفح بالعطور والطيب من

مغارس البرتقال أيـام الربيع ولياليه المــلاح الزاهرات ... أروني أيها السادة ، بلدا واحدا فى الدنيا يهب أهله العطر والطيب والذهب بلا حساب ...

انا رجل بسيط من أبناء يافا . وما كنت أسأل الله ، وأنا خاشع مع الخاشعين فى المسجد الكبير الا أن يديم علينا نعمته ... وأن يرزقنا من حيث لا نحتسب ... وكانت لي آمال ، أيها السادة : ان أتزوج بنت الحلال ... ويكون لي خلف صالح يعمل فى البحر مثلي ، ويرث دارنا العتيقة ، ويأتي يوم يستظل فيـه بالياسمينة المعروشة ، ويصلح شباك الصيد ، ويملأ رئتيه بعطر شجرات الليمون ... ويحمل البرتقالة بين راحتيه مزهوا بها كأنها كنز العالم ...

اي ... ي ... يه ... لقد حصل ما حصل بعد ذلك ... أقول لكم الحق فقد ذهلت فى أول الأمر ... كيف كنت أدرى أن هذا كله سيقع ؟ مرات كثيرة ، من قبل ، كنا ندحر الواغلين ... اما فى هذه المرة فكأنما تألبت علينا الدنيا كلها .. اى نعم الدنيا كلها أيها السادة ... هكذا يخيل الي ... ماذا كنت استطيع أن أفعل ... وماذا كان يستطيع أخي أن يفعل ؟ لسنا نملك غير حياتنا ... وسواعدنا ... وقوة قلوبنا ... ويـافـا الحبيبة تستحق أكثر من هذا ... ما قيمة الانسان بدون أرضه ... بدون بحره ... بدون بيّاراته ... بدون تربته الخيرة ... بدون أحبائه ؟ ... وكنا ننفذ الأوامر : نضرب رصاصا ونبث الفاما ونجازف حتى وراء حدود تل أبيب ... الواحد كان يضع روحه فى كفه ... فى لحظات الاغفاء القليلة كنت أتمدد ويدى على البندقية ... تحت شجر البرتقال ... واغفو ... فأراني أقاتل واضرب بالرصاص ، أو أتسلل لبث لغم ... مرة واحدة حلمت انني تزوجت فعلا ... وفجأة امتلأ قلبي بالفرح ، فرح لا يمكن أن يتصوره العقل ... ثم اكتأبت ، فجأة ، بدون سبب ... وعلى الأثر رأيتني فى مركبي الذى أنقل فيه البرتقال ... والبحر جبال وأشداق مفغورة ... وعبثا حاولت النجاة ، فقد ارتطم المركب بصخرة كبيرة فتحطم ، ووجدتني فى الماء يتقاذفني موجه فى كل اتجاه ... لقد أوشكت على الغرق ، وليس ثمة احد على الاطلاق ليأخـذ بيدى ... وأفقت مذعورا ... وتناولت بندقيتي على عجل ... وانتصبت واقفا وأنا ألهث ... ومنذ ذلك اليوم لم أعد أراني الا كمن يغرق ... يضرب الموج بساعديه ... ويضرب ... ويضرب ... بلا فائدة ... بل هو يغوص فى الماء المالح ويعب منه ... ثم يطفو برأسه يطلب نسمة هواء ... ويعود يصارع الاشداق المفغورة ... ويوم نسف الأعداء « السراى » فى قلب يافا فقد أخي ذراعه اليمنى ... ضاعت ذراعه فى كوم من الاشلاء ... أشلاء المساكين الذين كانوا يقيمون فى السراى التركية القديمة بعد أن نزحوا عن أطراف البلد ... وعن الحدود المتاخمة لليهود ... كان أخي أحمد ، ساعة الانفجار المروع ، يمر قرب السراى ... ولقد اقتلع الانفجار السراى القديمة ودكها فوق رؤوس ساكنيها ... واقتلع كذلك ذراع أخي ... استأصلها من الكتف ... وكتب له أن يعيش بدون ذراع ... تسألونني أين هو ؟ انه هنا ، أيها الســادة ، يبيـع خضرا وفاكهة فوق عربة يد ... ولكنه فى الشتاء لا يبيع غير البرتقال ... انه دون سائر الباعة ، يغسله ، وينظفه ، حتى تتألق البرتقالة كالذهب الخالص ... وأمى ابعدتها ، أخذتها بنفسى عند أخوال لي فى اللد ... باختصار ماتت هناك من الهم والكمد ... واحدى أخواتي ـ نفيسة ـ بقرت بطنها شظية قنبلة مما كان يرمينا به اليهود ... وأخت غيرها ـ سكينة ـ كانت قد تزوجت ونزحت مع زوجها ... ولا أعرف اليوم تحت أى سماء هي ... الأخت الثالثة ـ مديحة ـ وهي صغراهن تعيش معي فى المخيم ... نسيت أن أقول لكم اني تزوجت بصورة ما ، زواجا بائسا كحالنا الآن ... ولي اليوم ولدان ... يعرفان كل شبر فى يافا التى لم يرياها أبدا ... حديثي كله ، لهما ، عن يافا وشوارعها ، وحاراتهـا ، وبحرهــا ، وبرتقالها ، وتجارتها ، وعن دارنا ... وياسمينتنا ... وشجرات الليمون الثلاث ، وشباكنا المكومة فى ركن الساحة السماوية ... ان سؤالهما الذى

يوجهانه الي دائما وفي عيونهما الشوق الملح : متى نعود ؟ وانا بدوري احيل سؤالهما اليكم ، أيها السادة : متى نعود ؟

لست احب ان ابدو امامكم بطلا ... انا كما قلت لكم رجل بسيط ... واعتقد ان كل واحد فعل مثلي واكثر ... كل واحد كان لا يتردد ان يفدي بلده بروحه في كل لحظة ... كل واحد كان يحب يافا ... وبحرها ... وشاطئها ... وبرتقالها ... وداره العتيقة هناك .. غيرى لاقى حتفه وهو يدافع ويقاتل ... قافلة الشهداء أولئك لم يكتب لي ان أكون منهم ... سوف لا أروى لكم كيف خرجنا ... انكم تعرفون ذلك تماما ... ولكننا كنا نظنها اياما وتنقضي ... فاذا هي اعوام طوال ... طوال ... كيف عشت ... ماذا فعلت ؟ انني احمل بطاقة ورقما ... بطاقة من مليون ... ورقما من مليون ... ذرة تائهة لا تملك شيئا ... وليس لها دار عتيقة ، ولا فراش نظيف مطوى في النهار ... مفروش في الليل ... ولا اكواب واباريق من بلور منقوش بماء الذهب ، ولا ياسمينة معروشة ، ولا شجرات ليمون ... ولا مركب لنقل البرتقال ... وزورق للصيد ...

مرة طلبني احد الفنادق لكي استقبل السياح على بابه ، وكان الشرط الوحيد ان ارتدى الشروال الفضفاض ، والف حول خصرى الشملة الحريرية القرنفلية اللون ، واميل طربوشي الى اليمين ... فقبلت ومارست هذا العمل مدة كنت فيها بحارا على باب فندق ... تصوروا هذا ، أيها السادة ، كانت مهزلة دفعتني اليها الحاجة ... كنت أحس طيلة الوقت انني معروض هناك للفرجة ... عجائز السياح كن يتأملنني ... ويصعدن في أبصارهن ، وبعضهن كن يعجبن ... وأخريات يبتسمن ... وغيرهن يمضين وقد علقت عيونهن بالشملة الحريرية الزاهية ... واحدة مرة ، تحسستها بيدها وسألتني اين تستطيع ان تحصل على شملة مثلها ... الحقيقة انني قرفت ... بحار على باب فندق ... مخلوق مقطوع ... منبت ... أضاع مركبه وشباكه ... اعتصرت قلبي المرارة ... واحسست بالتمزق ... فعفت العمل ... وتبطلت مدة ... ثم جعلت ابيع بيضا وكعكا مرة ، وساقيا في قهوة مرة ، وطراشا ، ودهانا ، اذا لزم الأمر ... المهم ان نجد لقمة العيش ... الفول الأسود ، والدقيق الردىء افترسا احشاءنا ...

تسألونني : لماذا أنا الآن أمامكم ... لماذا أروى لكم حكايتي ... ؟

بالامس ذهبت الى قلقيلية ... لكي اشترى بعضا من فسائل شجر الليمون الشهرى الذى لا ينقطع عطاؤه في صيف او شتاء ... انني ابيع هذه الفسائل ، في هذه الايام ، لمن يطلبها هنا ، ليغرس بعضهـا في حديقة منزله البديع ... بالامس ، أيها السادة ، ضحكت وبكيت ... وقبلت تراب قلقيلية ... لما اقبلت عليها في

سيارة النقل رأيت الشجر الوريق يمتد حتى ليكاد يسد الافق ... انه شجر البرتقال وفروعه المثقلة ... شجر كثيف ، متلاصق ، ملتف يملأ السهل كله ... بعضه القليل لاهالي قلقيلية ، وسائره ، حتى الافق الغربى ، فى ارضنا المحتلة ... وشاهدت البحر غير بعيد ... وراوحت جبيني انسام حلوة ، ولا ادرى هل سكرت أم صحوت أم حلمت ... انها انسام يافا ... فضحكت ، وابتهجت ، واحسست انني خفيف ... نشيط ... مرح ... كنت كالطفل العائد الى احضان امه يرتمي على صدرها ويستسلم لعناقها بعد طول الغياب ... بعد التعب ... بعد الضياع ... كانت لحظة ... ساعة ... اكثر ... اقل ... ثم صحوت ... فبكيت ... يافا هناك ... أستطيع أن أصل اليها مشيا على قدمي ... وهمت على وجهي فى ارجاء قلقيلية ... بين مغارس برتقالها ... انها هى تربة بلـدى .. وها هى قد انبتت شجر البرتقال فى كل اتجاه ... فى قلقيلية لم يتركوا شبرا دون أن يغرسوا فيه الشجر الذى يحمل كرات الذهب ... حتى الصخر حملوا اليه التربة السخية ... وغرسوا فيها الشجر فنما ... وعاش ... وأينع . واغدق شجره ... أبناء بلادى رجال ، سواعدهم مفتولة ... وهممهم عالية ... انهم يستنبتون الصخر بارادة راسخة فى صدورهم ... هذه الارادة لم تمت أبدا ... وهـذا العـزم ما وهن اطلاقا ... وتلك الوجوه السمر التى لوحتها الشمس لا تزال تبرق فيها العيون السود التى لا تعترف بالهزيمة ... وتظل تحـاول وتحـاول وتفعل المستحيل حتى يكتب لها النجاح ... وما اكثر ما ترويه عيونهم ... انها تروى حكايات من ليالى الهموم والارق والعذاب والصبر ... لا تروى

قصص افراح قديمة لا تزال لها أصداء واغاريد في قلوبهم ... وتتحدث عن اشواق لهم ... ولهفة في نفوسهم ... وتنطق بلوعة الانتظار ... بالأمس رأيت ، أيها السادة ، بلدي على مرمى البصر ... وشممت رائحتها ... ان لها رائحة خاصة أستطيع ان اميزها بين روائح المدن كلها ... هل هي مزيج من لهاث البحر ... وعبير البرتقال ... وانفاس اهليها ... وانسام جوها وتربتها وتاريخ افراحها ... وجراحاتها ... لا ادرى الا ان لها هذه الرائحة الفريدة ... وقفة واحدة على شاطئها املأ صدري برائحتها ... واموت بعدها قرير العين ...

أيها السادة : قلت لكم في أول قصتى أننى أستطيع أن أفل الحديد ، وان في يدى هاتين قوة عشرة رجال ... انها البقية الباقية من شبابي الذي ذهب ... وفي صدرى نار لا تنطفىء على الأيام ... ولي ولدان فتيان يضطرم قلباهما حقدا على الغاصبين ... وأنا انتظر ، بل نحن ننتظر : أن تقولوا كلمتكم لكي تنطلق كالاعصار ... كالانواء التي تقلب مياه البحر من الأعماق ... وتحيلها موجا هادرا ، طاغيا ، مخيفا ، لا يهدأ حتى يبلغ آخر المدى ... أيها السادة ، في عالمنا الواسع : ان في دارى غرفتين نظيفتين ، وياسمينة معروشة وشجرات ليمون وشباكا مكومة ... وأن حنينى لا ينقطع ، بل لقد أضواني الحنين الى جلسة هنية على الكرسي الصغير المجدول سطحه من القش ... جلسة تحت الياسمينة وبصرى عالق بالبحر ... ألف بيدى سيكارة عربية لم أدخنها واشرب القهوة المعطرة ، واشعر أخيرا انني ارتحت بعد الصراع ، وان كل الأهوال ما كانت الا حلما ... مجرد حلم من الأحلام . ■■

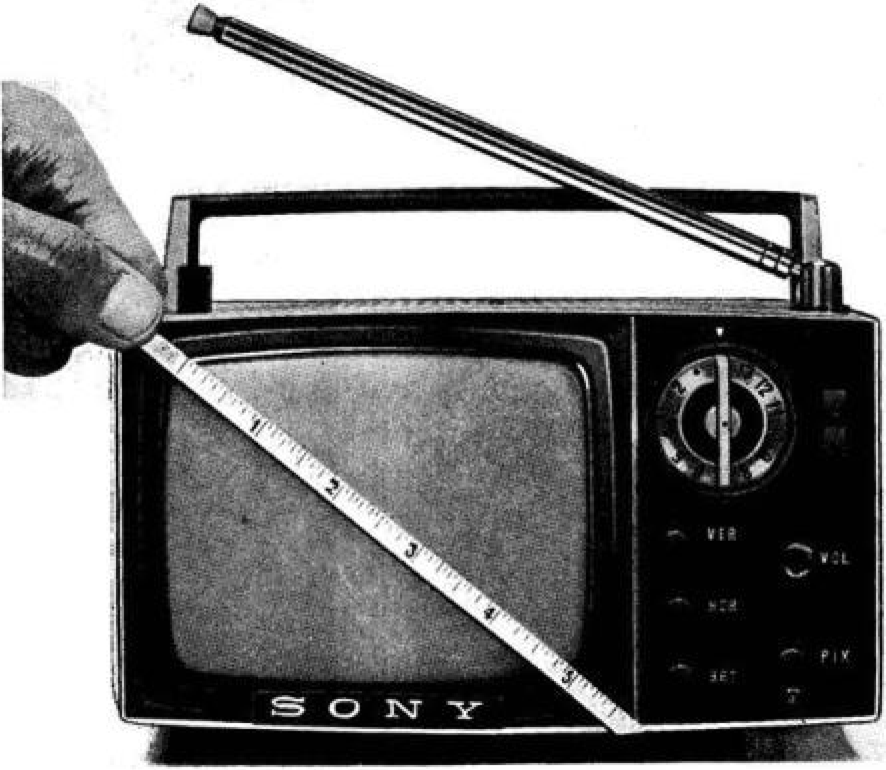
محمود سيف الدين الايراني

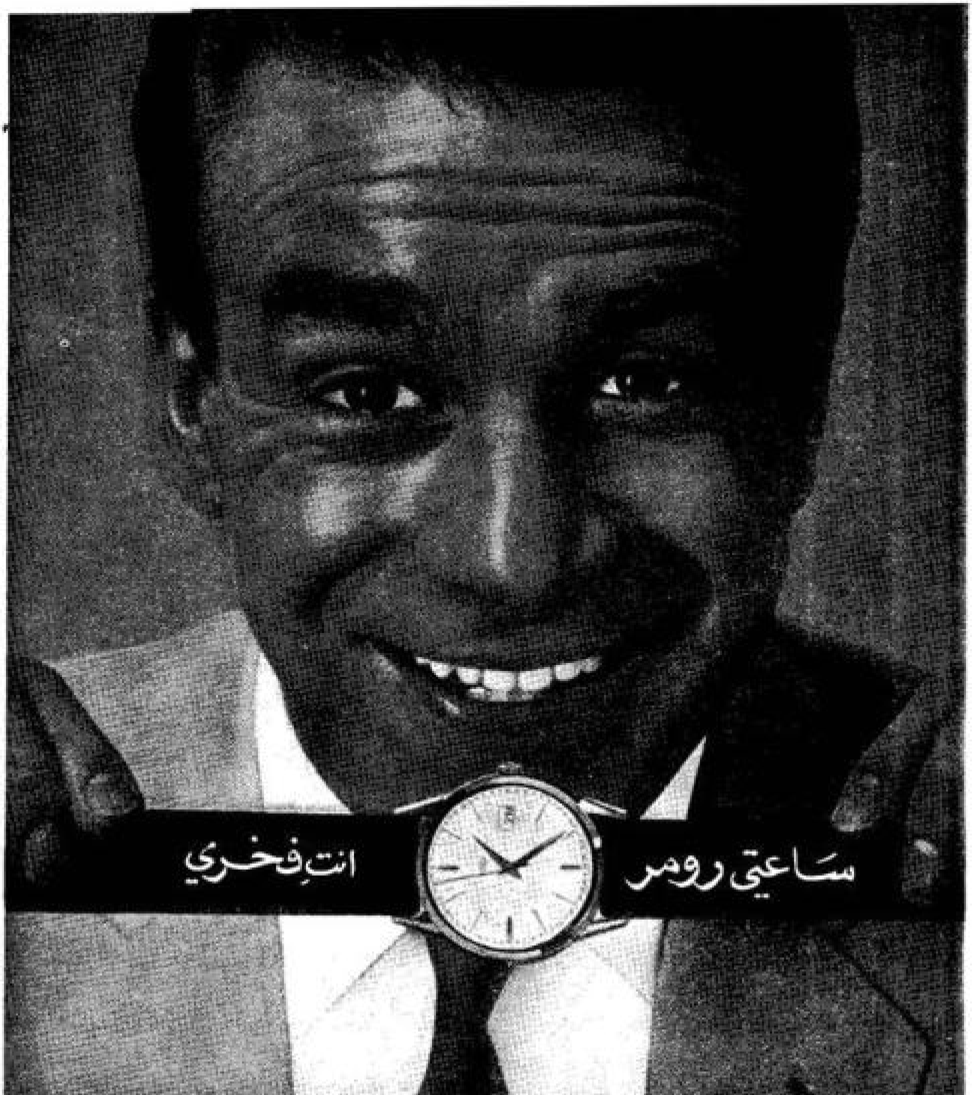
BRITAIN'S LEADING EXPORT CIGARETTE



تزيد صادرات بريطانيا من
سجاير روثمان كنج سايز
على صادراتها من أي نوع
آخر من السجاير.
أينما تذهب تجد روثمان:
في ١٢٠ قطرًا في خمس قارات
على ظهر البواخر في البحار السبع
في أكثر من ٩٠ خطًا جويًا رئيسيًا.
شارك الملايين في الاستمتاع بتدخين
روثمان كنج سايز
الأولى في بريطانيا - الأولى في العالم.

WORLD'S LARGEST SELLING KING SIZE VIRGINIA


SONY


ساعتي رومر
انتِ فخري


DELUXE



WEST END WATCH CO.
EVERBRIGHT
W
وست إند
WEST END
WATCHES
نظرتها تحمل أكثر من معنى
فيها التقدير وفيها الرغبة
الوكيل العام بالشرق الأوسط
يعقوب يوسف بهبهانى
ساحة الصفاة تلفون ٣٢٢٤٩ - ٣٣٧٧٠ - ص.ب ٣٣٤ الكويت



إقبال متزايد

على فتح حسابات الودائع بفائدة ٥٪

ان نقودك تحظى بأقصى معدل للفائدة مأمون ومضمون ـ وهو ٥٪ ـ حين تودعها فى « حساب الودائع » ببنك « لومبارد » . فلن تخصم منها أية ضريبة على الدخل مقررة فى المملكة المتحدة ، ولن تتأثر نقودك اطلاقا بالاحوال الاقتصادية المتغيرة ، كما أن من السهل سحب اى مبلغ تشاء منها ، وفقا للشروط التى تعينها .

ولا بد ـ لكى تربح ٥٪ سنويا ـ من أن يكون الحد الادنى لما تودعه ١٠٠ جنيه استرليني ، وأن يكون الحد الادنى بين الايداع والاخطار بالسحب ستة أشهر . ويدعم ودائعك فى مؤسسة « لومبارد » المصرفية رأس مال مدفوع واحتياطيات تتجاوز ١٢ مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

بادر الى الكتابة الى المدير العام فى طلب مزيد من التفصيلات ، وفى طلب نسخة من كتيب « حساب الايداع » رقم : A. O. 182

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: Lombard House, Curzon Street,
Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)



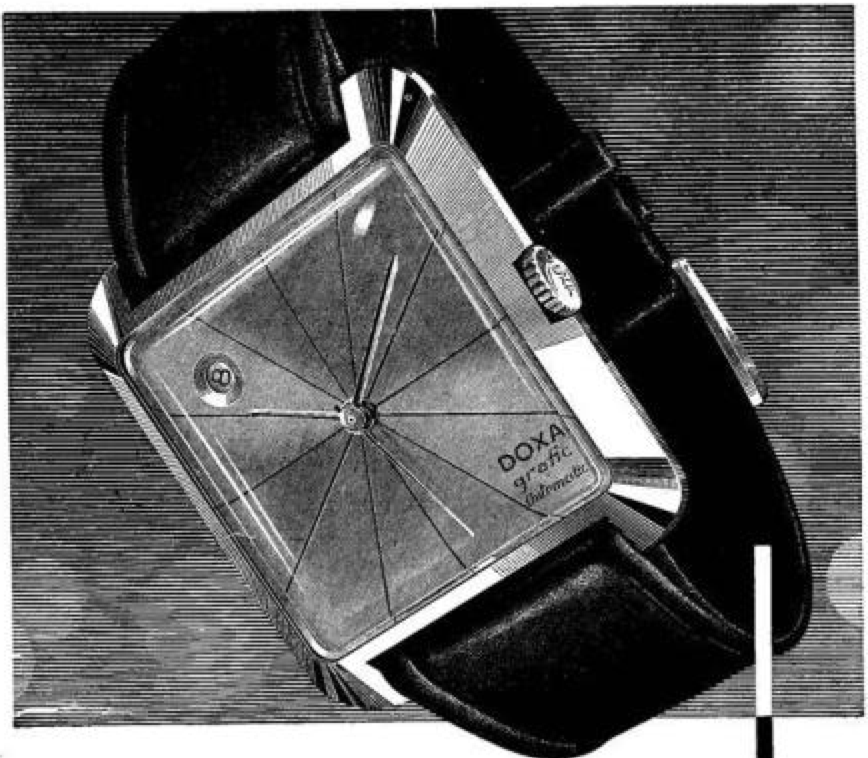
الرجل العصري في مربط خيول حلبة ميزون لافيت . ملابسها من تصميم تد لابيدوس

ڤايسروي- سيجارة الرجل العصري!

الرجل العصري لايغامر . إنه يستمع بعناية إلى ملاحظات راكب خيول فرنسي معروف ، ويشارك بأريحية فائقة معلوماته الوثيقة وڤايسروي □ من بين الأنواع العديدة التي تفيض بها الأسواق ، يختار الرجل العصري سيكارة ڤايسروي- سيكارة الذوق المدقق!



ڤايسروي- السيجارة الأمريكية العالمية



فوز الخطوط الحديثة

اقتناء دوكسا غرافيك ساعة المستقبل . ستكون لك ينبوعا دائما من السعادة والفخر . وستكون متأكدا من اقتنائك الساعة الراقية التي علاوة على مظهرها الخارجي الانيق تضمن لك الدقة العالية

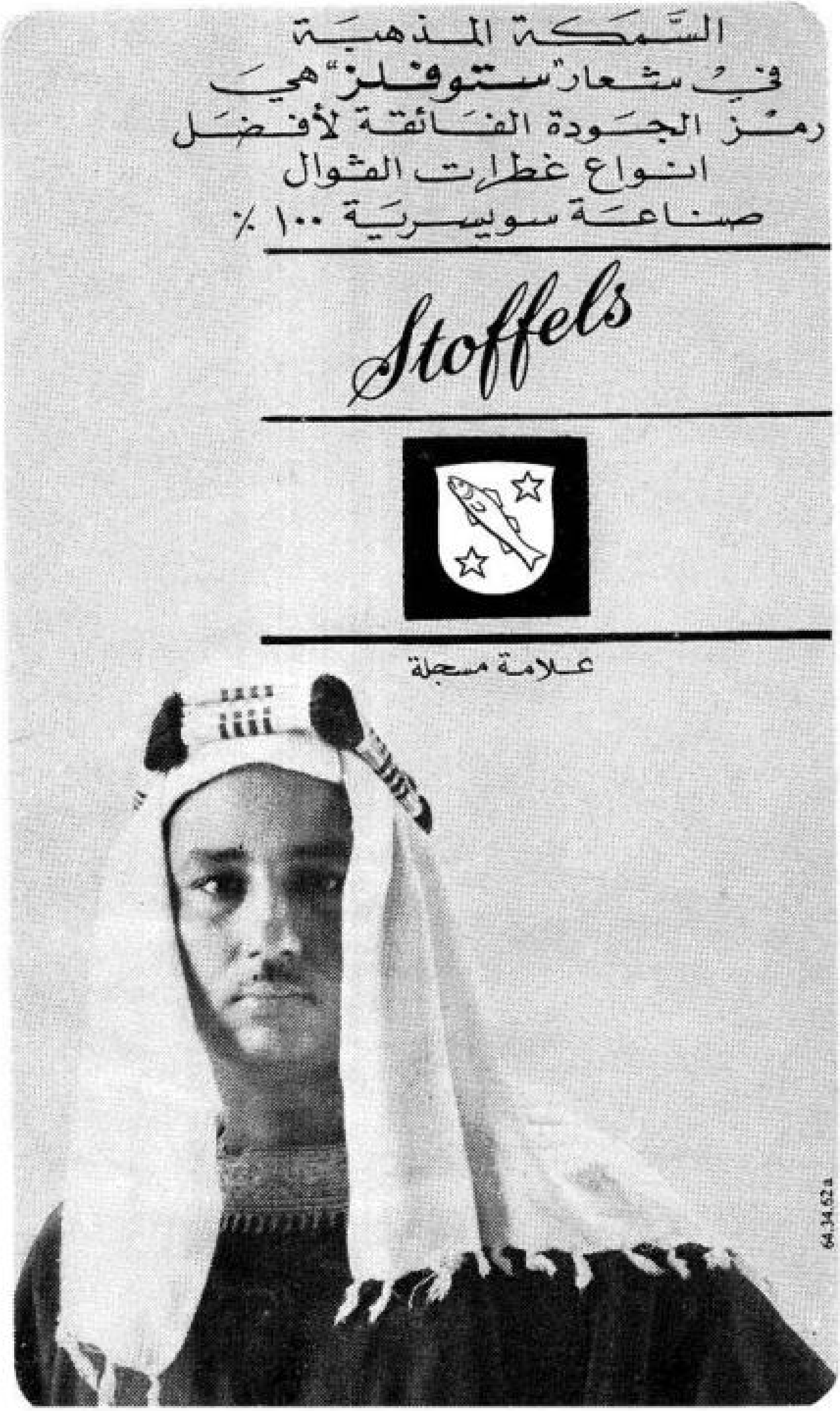
كشف بأسماء موزعي دوكسا

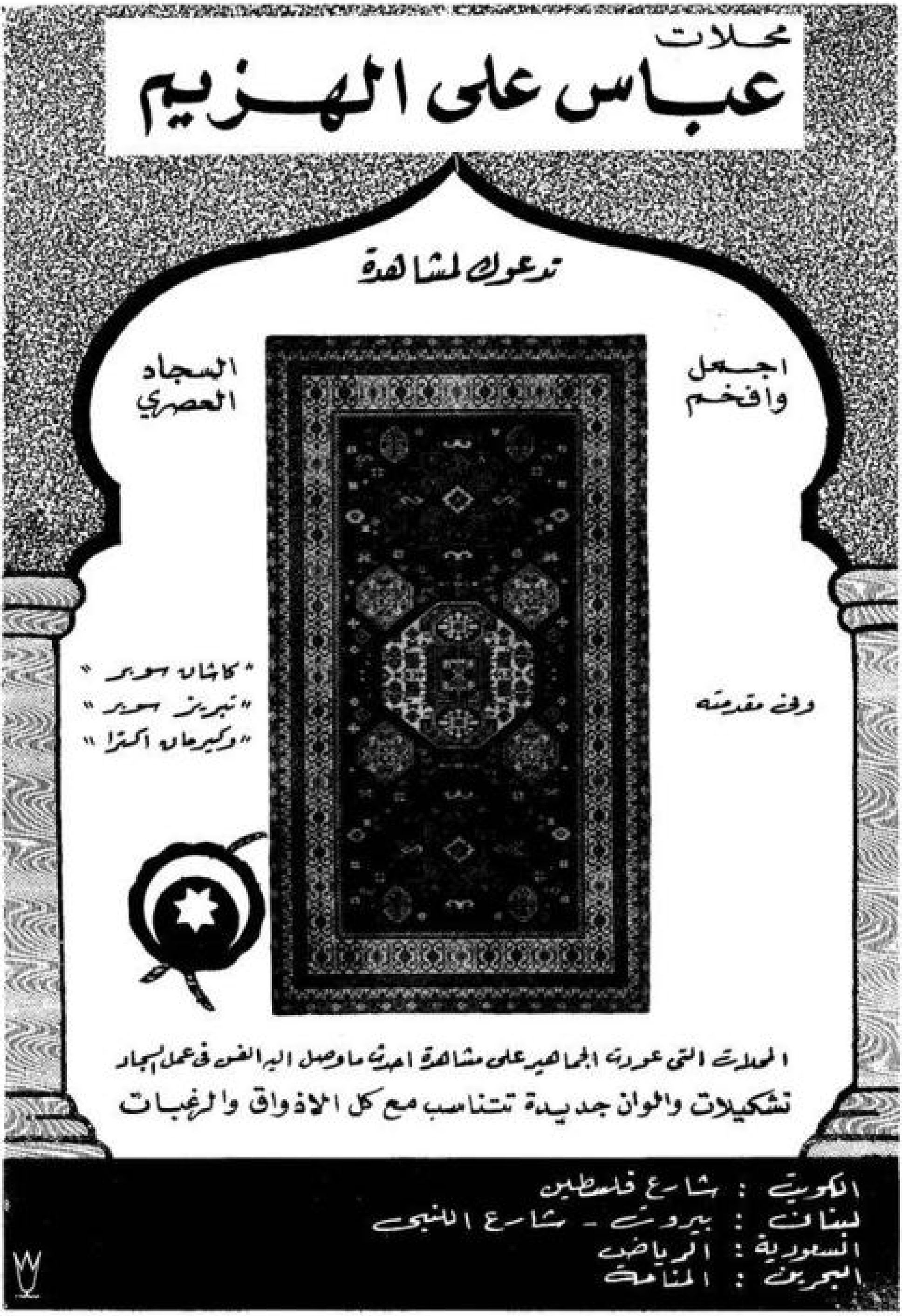
استكو المحدودة ـ شارونو ـ كابول ـ افغانستان ، مخازن السكسيود ـ عدن ، اكسلنت ميزيوم ص.ب ٢٤ دوحة ـ قطر ـ الخليج العربي ، جوزيف جيراكو ص.ب ٢٨٩٤ ـ بيروت ـ لبنان ، فخري جواد ـ ساحة الناصر ـ البتاوين ـ بغداد ـ العراق ، خليفة وعمر بن يوسف ـ ابو ظبي ـ الخليج العربي ، اسحاق عبد الرحيم الكوهجي ـ ص.ب ٥٧ ـ الخبر ـ العربية السعودية ، روبين كيتشجيان ـ ص.ب ٢٦٩ ـ عمان ـ الاردن ، كرابيد ميناسيان ـ ص.ب ٥٧٠ ـ حلب ـ سوريا ، شركة العثمان التجارية ـ ص.ب ٥٢٠ ـ الكويت ، ميشال أوسطايان ص.ب ٩٢٥ ـ دمشق ـ سوريا ، مؤسسة بونو للساعات والتجارة شارع الملك عبد العزيز ـ جدة ـ العربية السعودية ، شركة ش. بن سعود وم . شيخ ـ ص.ب ١٤١ ـ بنغازي ـ ليبيا .

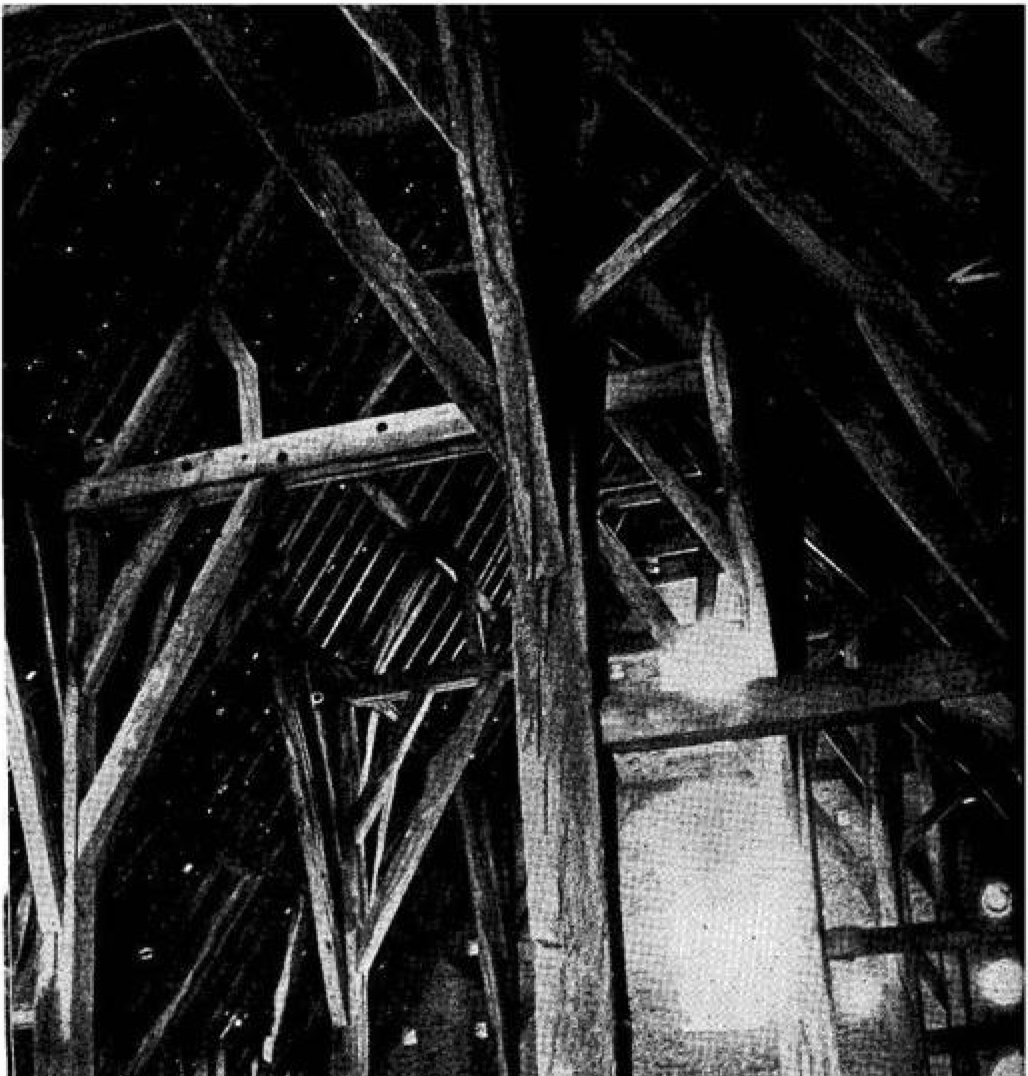
DOXA

grafic

معامل ساعات دوكسا ش.م.لو لوكل ـ سويسرا


السمكة المذهبة
في شعار "ستوفلز" هي
رمز الجودة الفائقة لأفضل
انواع غطرات الفوال
صناعة سويسرية ١٠٠ ٪
Stoffels
علامة مسجلة
64.34.62a


محلات
عباس على الهزيم
تدعوك لمشاهدة
اجمل وافخم
السجاد العصري
وفي مقدمته
" كاشان حرير "
" تبريز حرير "
" وكيرمان اكسترا "
المحلات التى عودت الجماهير على مشاهدة احدث ما وصل اليه الفن فى عمل السجاد
تشكيلات والوان جديدة تتناسب مع كل الاذواق والرغبات
الكويت : شارع فلسطين
لبنان : بيروت - شارع اللنبى
السعودية : الرياض
البحرين : المنامة



مستودع شيد في عام ١٢٥٠ – وڤابونا في عام ٦٤

وأخيراً يمكن القضاء على الحشرات بسهولة

ڤابونا "Vapona" هو أحدث مبيد حشرى أنتجته شركة شل "Shell"، وهو يتبخر وينفذ الى جميع الشقوق التى تختبىء فيها الحشرات الى مسافة ١٠٠ قدم من نقطة انطلاقه. وهو سهل الاستعمال لانه مركب من مادة د. د. ڤ. ب "DDVP" ويمكن استعماله بسهولة سواء بالنثر او على هيئة ضباب او بالرش او بالمعايرة. وهو فعّال يقضى على الحشرات حتى السلالات المنيعة منها، ولم يسجل بعد اى نوع من الحشرات لها مناعة ضد مادة «د. د. ڤ. ب». وهو متعدد الاغراض يقضى على الحشرات الموجودة بمخازن الاطعمة، ومعامل الألبان، والماشية، والطائرات، والمستودعات، والبواخر، وشواطىء الاستحمام، والمزابل. وهو فى الواقع يقضى على الحشرات الموجودة فى اى مكان تقريبا. ومع ذلك فهو سريع التحلل لا يترك اثرا ولا رائحة. وڤابونا "Vapona" ما هو إلا واحد من مجموعة مبيدات «شل» الشاملة المفعول للحشرات التى تقدم الجواب الفعّال ضد مشاكل الحشرات فى جميع قارات العالم

ڤابونا

شل للكيماويات

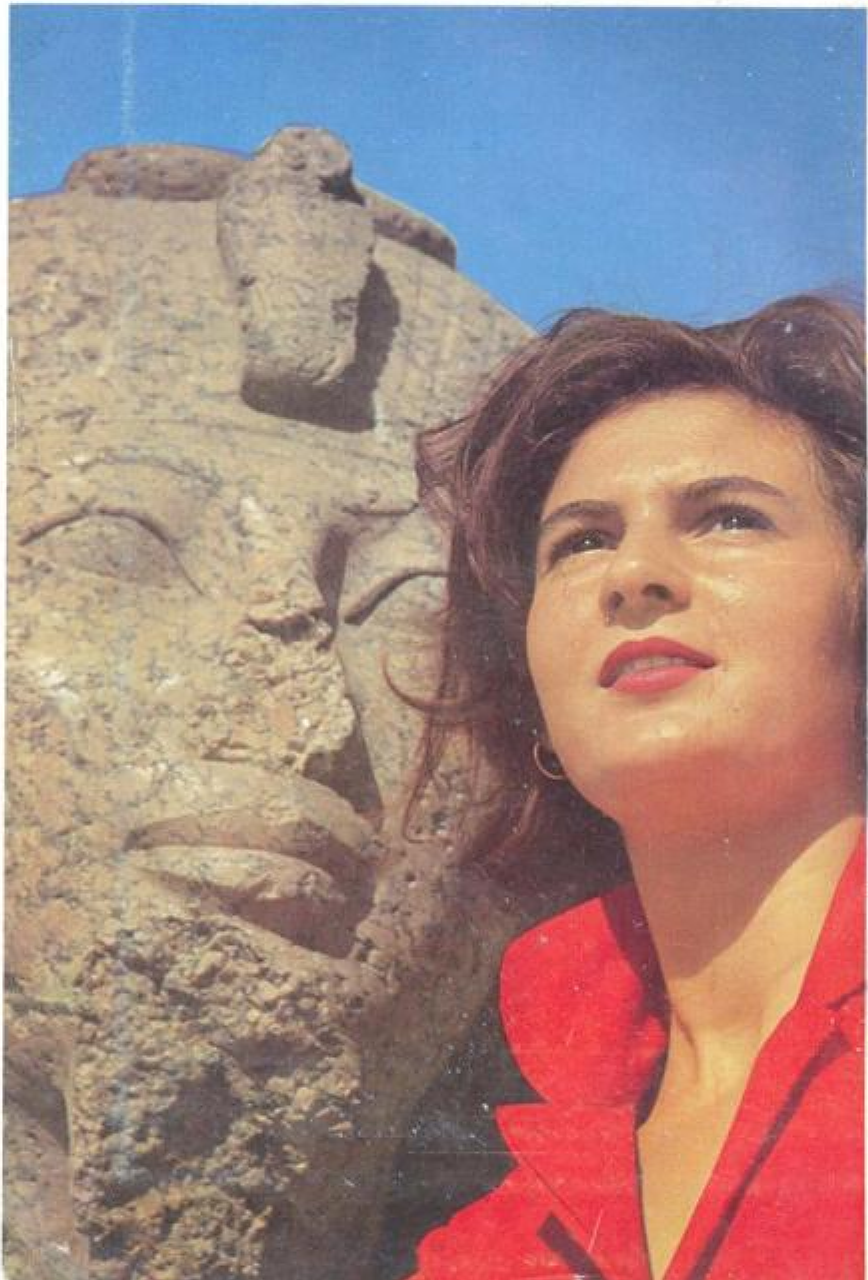
ماركة مسجلة لشركة شل

للحصول على اى بيانات او تفاصيل اضافية أو للاستعلام عن خدمات «شل» الفنية؛ الرجاء استشارة شركة شل بمنطقتكم.


HAVE A REAL CIGARETTE —
HAVE A Camel
CAMEL
CHOICE QUALITY
دخن السيجارة الحقيقية
دخن الجمل
السيجارة ذات الحجم العادى الأكثر مبيعا فى أمريكا

العربي

العدد ٧١
جماد أول ١٣٨٤
اكتوبر
(تشرين أول) ١٩٦٤



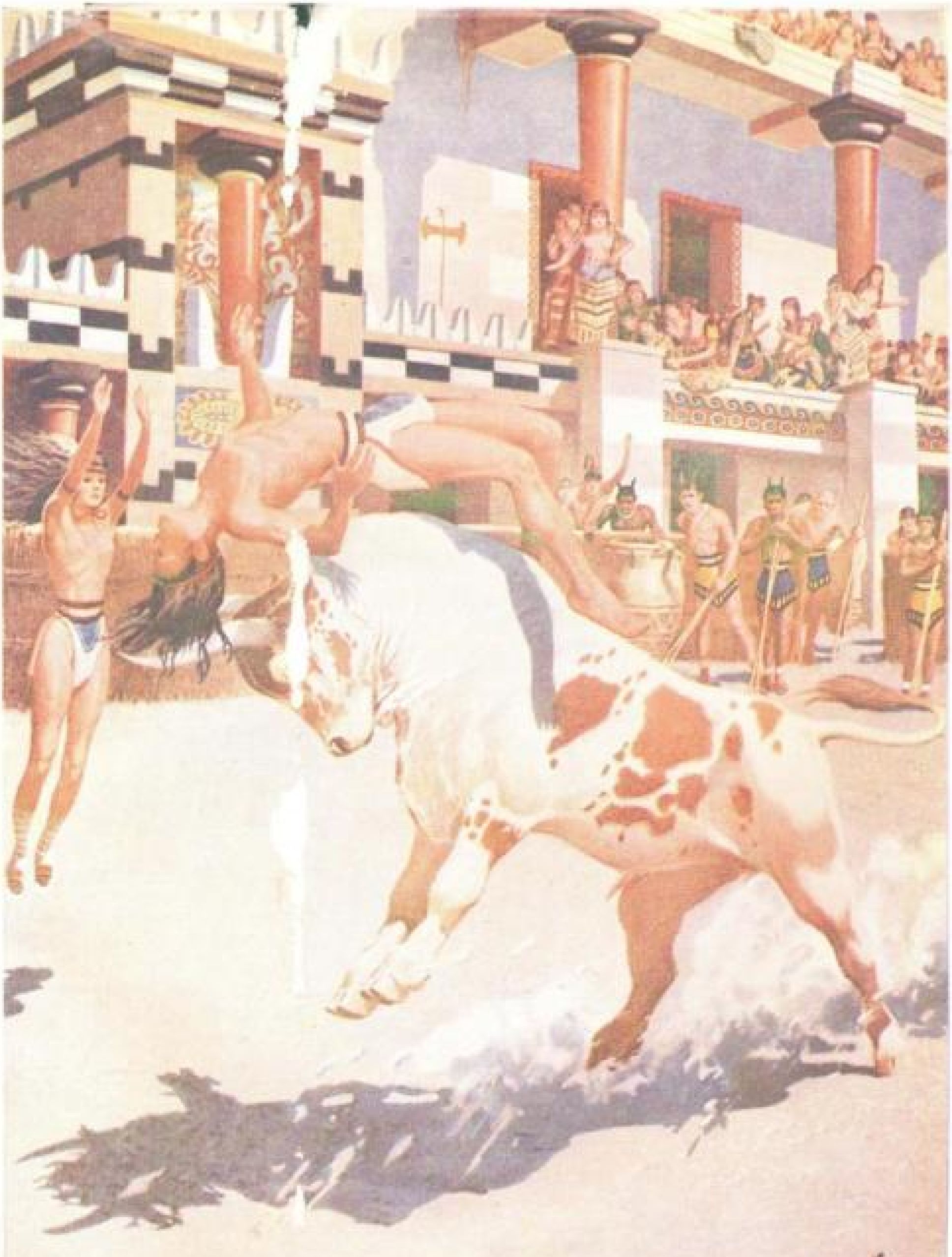
اطلب
مع هذا العدد
العربي الصغير

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

سائحة أمام سر من أسرار الشرق القديم

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	روبية
السعودية	٢	ريال
اليمن	٥ر٣	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.ع.م.	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	مليم
الجزائر	٢٠٠	مليم
المغرب	٢	درهم



حضارات سادت ثم بادت

منازلة الثيران كانت في الماضي اكثر اتساما بالرفق الانساني : تتعرض « مصارعة الثيران » اليوم لحملات من بعض ذوي الشعور الانساني المرهف ، باعتبارها رياضة تتسم بالعنف الذي قد يخرج بالانسان عن طباعه التي هذبتها المدنية ، الى هياج وحشي .

البقية على صفحة ١٤٧

نظرة الى المستقبل من السائحة التى جاءت من بعيد ووقفت بجوار هذا التمثال القابع فى حديقة المتحف المصرى ، حيث توجد اكبر مجموعة آثار منذ اقدم عصور التاريخ.. وفى مقدمة هذه الآثار تقف آثار توت عنخ آمون ، التى تقدم لنا صورة حية عن مدى التقدم الكبير فى الفنون الجميلة والصناعات المعدنية والكيميائية ، الذى كانت عليه مصر فى العصور القديمة .. وفى الاستطلاع المنشور ابتداء من صفحة ٧٥ من هذا العدد ، يجد القارىء اجمل الصور ، واوفى المعلومات ، عن هذه الآثار التى اذهلت العالم بروعتها وجمالها ...

فنون :

ديــن :

ركن الاسرة والمراة :

جريمة وقضايا :

قصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سـورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس .السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



هلا لنفسك كان ذا التعليم ؟؟!

■ يسرني اولا ان اشكركم الشكر كله على ماوصلت اليه مجلتنا « العربي » فى مجال الصحافة العالمية ..

ولما كانت مجلتنا الغراء سباقة دائماً الى نشر كل جديد ، ولما كنت اعمل معلما بالجمهورية العربية المتحدة ، وتصدر نقابة المعلمين عندنا مجلة اسمها « الرائد » تتحدث بلسان مائة وستين الف معلم ، وفى اثناء قراءتي للعدد التاسع يونية سنة ١٩٦٤ من السنة التاسعة ، وقع نظرى على موضوع عنوانه « اضربي ابنك ولكن بشرط .. » للاستاذة اميرة علي توفيق ، وقرات الموضوع كله ثم تذكرت انني سبق ان قرات هذا البحث فى مجلة «العربي» مع تغيير عنوان البحث فقط ، وتغيير كلمة بكلمة اخرى احيانا ، واسرعت الى مكتبتى واحضرت كل اعداد العربي حتى وجدت المقال منشورا بالعربي بالعدد ٦٤ مارس سنة ١٩٦٤ تحت عنوان : « ضرب الاطفال هل نعود اليه فى تربيتهم » وللامانة العلمية ، اكتب مقال مجلة « الرائد » ثم مقال «العربى» ليرى القارىء كيف ان الاستاذة الفضلى ، وهي تعمل فى اشرف ميدان وهو ميدان التربية والتعليم ، اباحت لنفسها ان تنقل المقال كله عن مجلة « العربي » ثم تنسبه الى نفسها .

مقال « العربي »

رجعة الى منشا تحريم الضرب

بدات هذه السياسة فى اول القرن الحالي ، عندما نشر « جون ديوى » رسالة له بعنوان « علم النفس وتطبيقه اجتماعيا » ، دعا فيها الى اقامة التعليم على اسس من علم النفس ، بحيث تراعى فيه ميول الطفل ورغباته ، قبل ان يراعى حشو راسه بالمعلومات ، فهو فى طفولته يسعى لتكوين العادات التي ستلازمه فى كبره . وقد وجدت هذه الفكرة تأييدا كبيرا عندما طلع العالم النفساني « فرويد » فى سنة ١٩٠٩ بنظريته التي تجعل « الجنس » عاملا مسيطرا فى تكوين شخصية المرء، وبيّن مدى الضرر النفسى الذى يتعرض له الطفل من جراء ما يلقاه فى طفولته من معاملة ..

مقال « الرائد »

متى نشات سياسة تحريم الضرب

بدات هذه الفلسفة فى اوائل القرن الحالي عندما نادى جون ديوى فيلسوف التربية الامريكي بأن التعليم يجب أن يقام على أسس من علم النفس ، بحيث تقدم مراعاة ميول الاطفال ورغباتهم على حشو رؤوسهم بالمعلومات ، وذلك ان الطفل فى طفولته تتكون عنده العادات التي ستلازمه فى الكبر وقد لاقت هذه الفكرة تأييدا كبيرا خاصة عندما نادى العالم النفسى فرويد سنة ١٩٠٩ بنظريته التي تجعل الجنس عاملا مسيطرا فى تكوين شخصية الانسان .. وبيّن مدى الضرر النفسي الذى يتعرض له الطفل من جراء ما يلقاه فى طفولته من معاملة .

السيد احمد الصردى

المدرس بمدرسة النصر بدسوق – ج.ع.م.

العربي : **السرقات الادبية قديمة معروفة عند كل الامم .. ولن تكون هذه آخرها . والمشكلة كما قلنا مرارا ازمة اخلاق !**



مطلوب ٣٤٠٠ دينار لاعلاء المرأة العدنية !

شكر وامتنان من الجمعية العدنية للنساء

■ تحية عربية صادقة .

قرأنا ما جاء فى مجلتنا « العربى » الزاهرة عن تفضل السيدة حرم الشيخ دعيج السلمان الصباح بالتبرع لصالح الجمعية العدنية للنساء بمبلغ ٦٨ الف شلن أى ٣٤٠٠ دينار . بعد قراءتها لاستطلاعكم عن عدن .

ويسرنا .. أن تعبر لكم وللسيدة **حرم الشيخ دعيج السلمان الصباح** عن أصدق مشاعر الشكر والامتنان ، نيابة عن جميع نساء عدن وأجيالهن القادمات ، لما قمتم به فى سبيل بناء صرح للمرأة العربية فى عدن .

ولن ننسى أن نخلد فى سجلات الجمعية ما أسديتم لها من خدمة ، ودمتم ودامت الكويت ذخرا للعروبة ، ودرعا لها على مر الزمان .

الجمعية العدنية للنساء

من هو توران شاه ؟

■ **فى الاستطلاع عن عدن المنشور فى العدد ٦٨ من مجلة « العربى » الحبيبة ، وفى صفحة ٤٣ ، قرأت أن توران شاه الايوبي قد احتل عدن ، وان الذى ارسله هو أخوه صلاح الدين الايوبى . والذى أحب أن ألفت النظر اليه هو ان توران شاه قد حكم فى أواخر دولة الايوبيين ، وان صلاح الدين هو اول سلاطينهم ، وصلاح الدين هو ابن نجم الدين أيوب ، واما توران شاه فهو ابن الملك الصالح أيوب . فكيف يكون صلاح الدين اخا لتوران شاه وبينهما مدة زمنية طويلة ونسب كل منهما معروف ؟**

الكويت ــ عزمى احمد جرار

العربى : اختلطت عليك أحداث التاريخ والادب ، يا أخ عزمى . وحقيقة الامرين ما يلى :

أولا : اذا رجعت الى أى كتاب معتمد فى التاريخ ، وجدت فيه أن توران شاه الذى ورد فى الاستطلاع هو أخو صلاح الدين الايوبى ، وتخبر كتب التاريخ أيضا انه حكم بلاد النوبة (١١٧٤ ــ ١١٨٠) واستولى على زبيد وعدن . واما أن يكون توران شاه هذا ابنا للملك الصالح فهذا غير معقول لان الملك الصالح أيوب يأتى فى الزمن بعد توران شاه هذا (١٢٠٧ ــ ١٢٤٩) . وللملك الصالح أيوب ابن اسمه توران شاه أيضا . وهو الذى تولى الملك بعد أبيه ثم قتلته شجرة الدر . من ذلك ترى أن الأمر قد اختلط عليك .

كثير عزة وعباس بن مرداس

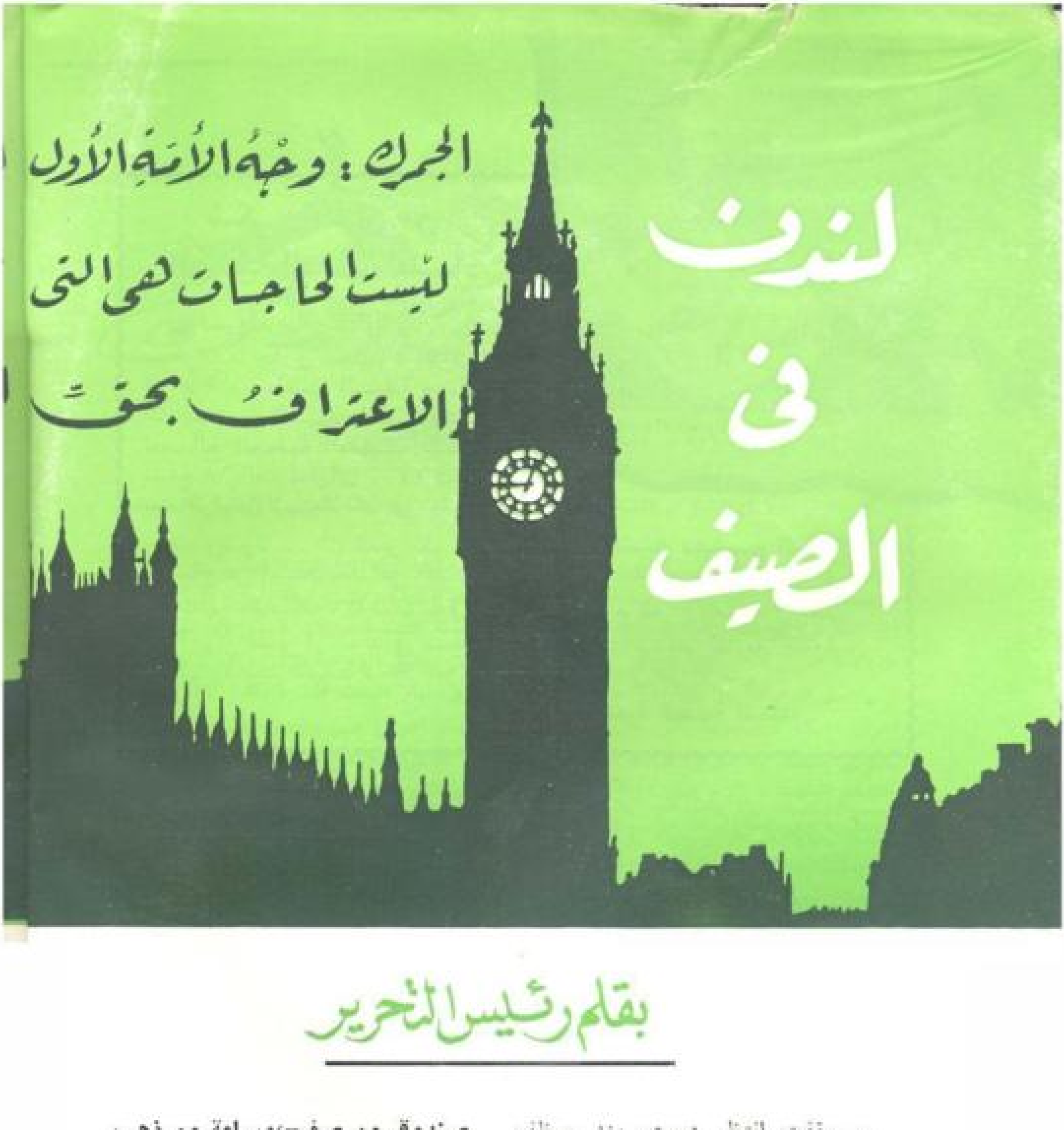
■ **قرأت فى العدد ٦٨ فى الصفحة ٧٧ فى باب طرائف عربية أبياتا من قصيدة للشاعر (كثير) ، والتى أنشدها (على حد قولكم) فى حضرة عبد الملك بن مروان (الخليفة الاموى) والتى مطلعها :**

« ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفى أثوابه أسد هصور

والحقيقة أن هذه الابيات للشاعر المخضرم (عباس بن مرداس) .

والملاحظة الثانية التى أود تسجيلها هنا هى أن

(البقية على صفحة ١٥٥)



بقلم رئيس التحرير

■ وقفت انتظر دوري عند موظف الجمرك .

لم يكن المطار مزدحما بالقادمين ، والطائرة التي حملتنا الى لندن لم يكن بها الا ما بين عشرة من الاشخاص الى عشرين . ولكن كان سبقني الى هذا الموظف بالذات شاب من القارة الهندية ، عرفت عنه الكثير مما جرى بينه وبين موظف الجمرك من سؤال وجواب .

صندوق من صفيح،وساعة من ذهب

اسمه علي .. عمره ٢٦ عاما .. حضر الى انجلترا ليعمل .. ينتظر ان يبقى فيها ما بين خمس سنوات الى عشر ،فهو اذن جاء ليقيم . واخرج النقود التي معه فكانت ثلاث ورقات من فئة خمسة جنيهات هي كل ثروته . وفتح حقيبته. وما كانت الا صندوقا صغيرا من الصفيح

لهذا يجب أن يختار رجاله من أكثر الناس أدبا وأرقهم مزاجا

زادت ثمنا .. إنما العملة هي التي نقصت قيمة ..!

الاضراب ، أبعد الشيوعية عن البلاد ..!



المزوق به من الملابس القديمة المنشورة ما تكاد تحمله الكف الواحدة .

ولمح موظف الجمرك على رسغ صاحبنا ساعة من الذهب ، فطلب اليه أن يخلعها للفحص . وفحصها الموظف مليا ، وسأله اين اشتراها وكم دفع . وذهب الى حيث يوجد دفتر فوق طاولة ، ونظر فيه ، وعاد يقول للشاب ان على الساعة ضريبة جمركية مقدارها ٦ جنيهات . وكانت برهة صمت . وسكت الشاب لاسباب منها عجز فى التعبير . وادرك الموظف ما هناك ، فاقترح عليه ان يستبقي الساعة فى الجمرك حتى يعود بالستة الجنيهات فيدفعها ويأخذ الساعة . والشاب مستسلم على طول الطريق . لم يكن عنده ما يقوله .

ولمحني موظف فى الجمرك آخر وانا مستغرق في النظر اشاهد ما يجرى ، وفي ملامحي معالم من اسى ، فجاء على عجل ليخلي سبيلي .

ـ هذه الحقيبة كل متاعك ؟

ـ نعم

ـ هل بها ما يستحق ضريبة ، سجائر اوخمر؟

ـ لا ادخن ولا اشرب .

ـ هل تحمل هدايا لاحد من هنا ؟

لا أحمل شيئا .



أربع خنافس تثير هستيرية صارخة فى انجلترة !!

ـ عنوانك في لندن ؟

ـ مع زوجتي ، وقد سبقتني اليها ، والقاها بعد دقائق .

اسئلة خاطفة،ارادها سائلها خاطفة. وبالطباشيرة الزرقاء خط على حقيبتي الواحدة ، فحملها الحمال على عربته .

وخرجت انظر الى ساعة يدي . انها من ذهب ، ولو ظاهرا .. وتحملها اسورة من ذهب ، ولو ظاهرا .. ولم احاول.ان اخفيهاعن نظر موظف الجمرك، ورآها لا شك ، ولكنها لم تأخذ بتلابيب عينه .

وقصة اخرى لمهاجر آخر

وقصصت هذه القصة على زوجتي ، فقصت علي اختها ، صادفتها عند حضورها . نفس الشاب ، من نفس القارة الهندية ، ونفس الغاية . حتى الثروة التي كان يحملها قاربت ان تكون ٣ ورقات من خمسة جنيهات . الا ان هذا الشاب كان عنوانه صديقا من اهل بلده في مدينة برمنجهام . وهولا يكاد ينطق الانجليزية . فما كاد موظف الجمرك ان يفرغ من سؤاله وجوابه‌حتى يسر أمره ، وزاد بأن ترك عمله الى خارج الجمرك ، واستدعى سيارة تكسية ، واركب الشاب فيها ، وطلب الى السائق ان يحمله الى محطة سكة حديد قريبة ، وان لا يأخذ من الشاب غير كذا . وافهم الشاب كل هذا في لطف . وقال له :

في المحطة تشترى تذكرة تاخذك الى برمنجهام مباشرة ، الى صديقك ، وهناك هو يتولى امرك.

موظفان لهما مزاجان مختلفان :اولهما جامد ، ولعله كان ينفذ القانون ولكن في قسوة . وثانيهما ينفذ القانون ، ولكن مع القانون مشاعر الانسان القادر نحو الانسان العاجز .

موظف الجمرك ورجل الشرطة وجه الدولة الاول

وكما يختلف الموظفان مزاجا ، في الجمرك الواحد ، في الدولة الواحدة ، يختلفون جميعا بين الامم . ومع هذا فالامم جميعا تعلم ان الجمرك وجه الامة الاول الذي يراه كل غريب ، فهي تختار لموظفيها فيه ، من رجال ضريبة، وكذلك من رجال الشرطة ، اكثرهم‌ادبا، وارقهم مزاجا، واقلهم احساسا بسلطان وظيفة .

و « اياك أعني فاسمعي يا جارة » .

وتركت المطار

وتركت المطار والسماء تمطر ، والبرد يقرس قرسا هينا ، فحمدت الله . وخلت بعد الذي‌كنت فيه منذ يوم واحد من حرارة في الجو شديدة ، وتبريد اصطناعي مركزي وجوده كعدمه ، خلت ان الجنة لا بد ان تكون هكذا ، بردا ومطرا .

ومست القطرات الباردة وجهي فانتعشت. وقلت للسماء هل من مزيد.

ودخلت العاصمة الكبيرة ، واقتحمت غمارها ، وبدات انا وزوجتي نعيش‌فيها اسابيع كثيرة ، كعيش عشناه فيها في ماضي الزمان سنين طويلة ، في نفس الحي ، وعند نفس المشارف ، وعلى مراى مما كنا الفنا من معالم الاشياء والناس .

ووجدنا الناس في هذه المدينة ، ذات العشرة الملايين ، على مثل عهدنا بهم منذ سنين . الطرقات المزدحمة هي عين الطرقات .. والسيارات التي تتقاطر في الطريق ، فكانما هي قطار واحد هي نفس السيارات المتقاطرة . والى جانب هذه الاشياء الثابتة وجدنا اشياء تغيرت لا شك ، واخرى واصلت السير في سبيلها الطويل الى التغيير .

غلاء

ومن ظواهر العيش اليوم ، في المدينة

العظيمة ، الغلاء . طابع البريد ثمنـــه زاد .. اجر السيارة العامـة زاد .. والتكسيات زادت فئات اجورها .. وزادت اجور المساكن . المسكن غير المفروش ذو غرفتين للنوم ، وغرفـــة للاكل واخرى للجلوس ، ولوازمهـا ، اجره فى الاسـبوع الواحـد مـن عشرة جنيهات الى خمسة عشر جنيهـا ، فى الحي الجديد او الضاحية الهادئـة .. والاطعمة زادت اثمانها ، وعلى راسـها اللحم ، فثمن الرطل الجيد يتراوح بين ٦ شلنات الـى ٩ .. والفنـادق زادت اجورها .

الحاجات لم تزد قيمة

اثمـان الحاجـات زادت ، ولكـن الحاجات نفسها لم تزد قيمة .

اللحم لم يتحسن نوعه من بعد خسة حتى يزيد ثمنه . وهو لم يزد قـدرة على التغذية .. والسيارة لم يزد اجر ركوبها لأنها صارت افخم، او لأنها تحملك الى غايتك اسرع. قيمة الاشياء، فى الاعم الغالب ، هي هي . وقيمتها فيما بينها هي هي ، فلو أنك اردت ان تشـترى بأجر سيارة اليوم خبزا او كعكـا ، لكان مقدار الخبز او الكعك الذى تشتريـه اليوم هو نفس مقداره الذى كنت تشتريه بالامس بأجر سيارته القديم .

ان الحاجات لم تزد قيمة ، ولكـن العملة التى تشترى بها هذه الحاجات، وهي العامل المشترك بين هذه الحاجات، والتعبير المشترك الذى به تتفسر قيم هذه الحاجات ، هـذه العملة هي التى نقصت قيمة . وتنقص قيمة العملـة فترتفع اثمان الحاجات .

التضخم المالي

والعملة ، فيما نحن بصدده ، انمـا هي الجنيه الاسترليني . انه يعاني اليوم ما يعرف بالتضخم المالي Inflation . وهو اذ يتضخم ، تتضخم معه ، فتهبط معه، كل العملات التي ترتبط به فى سـائر الدول . وقد دل آخر احصاء عـن رصيد الذهب ، او ما يعادل الذهب ، في انجلترا ، وهو حامي الاسترليني ودرعه الواقي ، دل على أن هذا الرصيد هبط الى ١٩٥٦ مليون جنيه . وهـو رصيد الجنيه الاسترليني وكل عملـة اخرى ترتبط به فى النطـاق المعروف بالاسترليني . فالتضخم الذى يصيب الاسترليني يصيب كل عملة في هـذا النطاق .

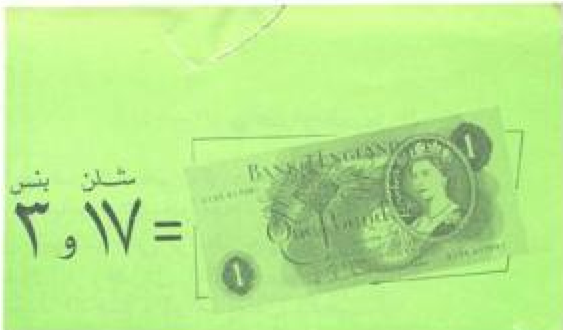
تضخم مقيم

ولقيت رجلا استاذ اقتصاد خبيرا

سألته . هل لهذا التضخم من علاج؟ انه يتراءى كأنه الورم .

فحدثني حديثا طويلا علمت منه ان التضخم شر مقيم اليوم في كل الامم الراسمالية وانه سـوف يقيم وسـوف يتصل . وان التضخم كـان سـمة من سمات الحروب ، يزول بزوالهـا ، وتقف ويقف من بعدها عند حد ، امـا اليوم ، فى هذا القرن ، ولا سيما من بعد الحرب العالمية الثانية ، اى منذ عـام ١٩٤٥ ، فقد صار سمة من سـمات السلم . وهي سمة دائمة . قلت :ولكني اقرا فيقع عندى ان اهل السياسـة عندكم ، واهل المال والتجارة ، يحاولون وقفه .

قال : كل يقول ذلك ، وكل يدعيه، عندنا وعند غيرنا . المحافظون ، وغير المحافظين ومديروالبنوك. واقطاب التجارة . ولكن ليس فيهم من يفعـل . ليس فيهم الجسور . ان البعض منهم ينتفـع من التضخم . وسائرهم يحاول العلاج ولكنـه لا يجرؤ على اقتراح بوسائل علاجه ، لان جـذور التضخم لا تمتد في التربة الاقتصادية وحدهـا ، وانما هي تشعبت بظواهر تجرى في المجتمـع ،



هذه قيمة الاسترليني اليوم ، وبعد هبوط ٧ سنوات ، كما قيل في البرلمان الانجليزي

فوق ما تستطيع امتلاكه حكومات او سياسة او اقطاب مال او تجارة . ان النمو في الانتاج الذي تسعى اليه اليوم كل امة ، وتجاهد في سبيله امم نمت وامم لا تزال تحاول النمو ، هو في راي اهل المذاهب الحاضرة السبيل الى « الامن » الاقتصادي Economic Security الذي صار اليوم في المقدمة من غايات الحياة . وهذا النمو الانتاجي من بعض صواحبه التضخم المالي وارتفاع الاسعار .

فخير للناس ان يدركوا هذه الحقيقة صريحة ، وان يطمئنوا اليها ، فالاطمئنان الى الحقائق ، ولو مزعجة ، خير من الاطمئنان الى سراب خادع .

قلت : اى ناس تعنى ؟

قال : أهل هذه البلاد ، وأهل الولايات المتحدة ، وأهل الامم التى جرت هذا المجرى .

قلت : قرات انه قيل في مجلس العموم البريطاني ان القوة الشرائية للجنيه هبطت في السبع السنوات الماضية نحو شلنين وتسعة بنسات ، او ما يساوى ١٤ في المائة من قيمته .

قال : نعم قيل ذلك

قلت : والشعب ؟ وارباب الاجور فيه ؟

قال : تزاد اجورهم ، عن رضا ، او غصبا

واخذ بعد ذلك يحدثنى عن نظرية تربط الاجور والمرتبات ، بالاسعار ، حديثا طويلا يضيق مجالى الحاضر عن ايراده .

الاضراب قائم في سبيل تحسين الاجور

وذكرت قول صاحبى ان الاجور تزداد اما عن رضا ، واما غصبا .

وكانت شواهد ذلك بالطبع حولي كثيرة . كان اكثرها ازعاجا اضراب سعاة البريد ورجاله ، واقلها ازعاجا ، اضراب العاملين بالتلفاز التجارى Television (I. T. V.) . اضرابات قامت واخرى تنذر بقيام .

والذى لاحظت في هذين الاضرابين انهما لم يكونا اضراب عمال مصنع ، انما هم عاملون في الخدمات .

وحدثت ساعي بريد دق بابنا ببريد ، قبيل الاضراب ومن بعد انذار به ، فعلمت منه ان اجر ساعي البريد الاساسي يتراوح ما بين ١١ الى ١٣ جنيها في الاسبوع ، وان هذا لا يكفى لاطعامه هو وزوجته واولاده والباسهم واسكانهم .. قلت : كيف حال الاجور في المصانع قال : خير وبركة ، ونحن انما نريد ان نتعادل واياهم .

وفهمت من ذلك ان عمال الصناعة على حال يغبطون عليها .

والذى لاحظته ان عمال التلفاز الذين اضربوا لم يكونوا في المستوى المعهود في « العمال » . فهم عاملون من كل طبقة ، دنيا وعليا ، وفيهم من يبلغ اجره ٨٠ جنيها في الاسبوع الواحد ، هم بعض المهندسين والفنانين .

حق الاضراب ابعد الشيوعية عن البلاد

قلت لصاحبي الاقتصادى : هذه الاضرابات تضر بالبلاد ؟

قال : على النقيض . هذه الاضرابات حق معترف به عندنا لطوائف العمال ، وكلنا عمال ، وهى التى ابعدت عن البلاد ظل الشيوعية . ان طائفة من العمال تحس بالغبن وقلة الاجور ، لاسيما عند ارتفاع الاسعار ، فتطلب المزيد ، فلا تجاب ، فتضرب . وهي بذلك تعطل صالحا عاما فتضر

بمصالح الشعب فى مجموعه . والشعب ينظر . والشعب كله طوائف من عمال . والشعب الواعي يعطف عندما يكون غبن ، وحكمه هو الغاية في آخر الامر . ثم تكون مصالحة يسترد فيها العمال حقوقهم او بعض ما يطلبون . مثال ذلك اضراب عمال البريد هذا الاخير ، لم يبق بيت فى بريطانيا الا اصابه العنت بتاخير البريد . وكذلك بيوت المال والاعمال اصابتها الاضرار . ومع ذلك عطف الشعب جملة على عمال البريد ، فكان لا بد من استجابة الحكومة لبعض مطالبهم ، لاسيما وقد اقترب موعد الانتخابات .

رخاء لم تعهده البلاد

ورغم التضخم ، ورغم زيادة الاسعار ، ورغم الاضرابات ، فلا شك ان انجلتره تنعم اليوم برخاء لا شك فيه . كل يتحدث بهذا ، والقوم أعلم بما هم فيه .

وهو رخاء أساسه العمل . عمل كل الناس . ان العمل كثير . ولقد حدث من كثرة العمل وقلة العمال انك واجد الوجوه الاجنبية ، غير الانجليزية ، من بيضاء وسمراء وسوداء ، تقوم بالكثير من الاعمال .

فى مطعم

وكنا فى مطعم ، وحدث تجاوب بيننا وبين فتاة من أهل السواد ، عصرية متأنقة ذات ثقافة . وجرى حديث علمنا منه انها جاءت الى لندن من نيجيريا منذ عشر سنوات ، واقامت . وسألناها عن الاعمال التي يزاولها فى العاصمة الذكور والاناث ، ممن جاءوا من افريقية او جزر الهند الغربية .

فقالت في مرارة : انهم يعطون الافريقيين وسائر اهل السواد احقر الاعمال ليتفرغوا هم الى ما هو ارفع وانظف .

وهذا رأى تعززه المشاهدة . ولكن ليس كل المشاهدة . فبعض ماشاهدنا دل على ان من اهل السواد من استطاع ان يبلغ مراكز فى العمل رفيعة ، في التمثيل ، في التلفزة ،وفي التمريض ، وفى الطب . وآخر ما شاهدناه مترونة Matron احدى المستشفيات تقاعدت، وهي بالطبع رئيسة الممرضات والسسترات جميعا في المستشفى . وتقدم لنيل الوظيفة التي شغرت عدة من السسترات،وحظيت بها سستر من اهل السواد. امتحنوها فيمن امتحنوا ، وحدثوها فوجدوا فيها شخصية هي اقدر الشخصيات على ملء الوظيفة . والذين اختاروها كانوا ابعد الناس عن مزالق السياسة ومظانها . كانوا جماعة من أهل الطب والعلم .. ومع هذا لا بد ان اقول انه حدث ، في المزاج الانجليزى العام ، نادر .



والاعلانات قائمة تتطلب العمال

ومن دلائل الرخاء،اذا احتاج الانسان الى غير السنة الناس من دليل ، كثرة الاعلانات المنشورة في الطرقات تطلب العمال .

واعلان قرانه ، فى سكة الحديد اللندنية التى تحت الارض ، تطلب العامل ، سنه ١٨ عاما فما فوق ، يبدأ بمرتب ١١ جنيها فى الاسبوع يزداد الى ١٢ جنيها من بعد تدريب ، يزداد بعد سنوات الى ٢٠ فى الاسبوع فما فوقها . ومن حقه خدمة صحية بالمجان ومعاش تقاعد ،واجازات مدفوعة . ومثل ذلك فى البريد ، ومثل ذلك في دكاكين البيع ، ويطلب العامل فى هذه والعاملة يعملان الوقت كله او نصف الوقت .

والاجور ، مهما علت ، لا معنى لها الا اذا هي قيست بأثمان الحاجات ، فى البلاد ، اى بلاد .

ولبس معنى هذا ان كل اهل البلاد شملهم هذا الرخاء ، ففى البلاد تعطل

نوعي تحار البلاد فى امره ، وهو يقض مضاجع الحكام .

وليس معنى هذا ، ان انجلترة ،وهي الدولة الراسمالية ، صارت ، بأنها راسمالية ، جنة الله . فالحق الذى لا مرية فيه ان الاشتراكية متغلغلة في الصميم من اساليب الحياة فى البلاد ، ولكنهم ما هكذا يسمونها .

وأغرب من هذا واعجب ان متتبع تاريخ هذه الاساليب ، ودخولها في حياة الناس هنا ، سوف يجد أن المحافظين كان لهم فيها حظ السبق، في وجه ووجه ووجه . ومن رجال حزب العمال من لا ينكر هذا ، وانما هم يقولون ان المحافظين ما فعلوا الا تحت ضغطنا . والحق انه ضغط الشعب وجو الزمان .

الرخاء لا يمنع من تعطل ، ولا من فقر

وحدثت صاحبي في هذا الرخاء

قال : ان الاسواق مليئة بالذى يؤكل ويلبس ويركب ويسكن ، وهذا رخاء . وفي جيوب الناس، اكثر الناس ، المال الكافي ، اعني الاجور الكافية لهذا الشراء ، فى اعتدال كثير ، وحرص شديد، وهذا رخاء . ولكنه رخاء الى جانبه تعطل كثير . فالتعطل عندنا قارب ...د...٤ متعطل . والتعطل ماساة وفقر . وانت لا تراه الا في مناطقه فلا بد من سفرك الى مناطق الشمال لترى الجانب التعس من هذه البلاد .

قلت : ولكن التعطل دواؤه العمل ، والعمل سبيله التخطيط ؟

قال صاحبي : نعم التخطيط الكامل الشامل. ونظمنا الحاضرة لا تزال تأباه . ان هذه النظم الحرة ، حيث العلم المتقدم وحيث التكنية المتقدمة يأخذان بزمام الانتاج ، تؤدي الى شيء كثير من الرخاء ، قد يشمل اكثر الامة ، ولكن تبقى دائما بقية ، هي رواسب طبيعية لهذه النظم التي لم يكتمل تخطيطها ، يظل مستوى المعيشة فيها دون الحد الذى يفصل بين الفقر والاستكفاء . وكما صار التضخم المالي في السلم من بعض صفات النظم الاقتصادية الحرة ، تلك التي تأبى التخطيط كاملا ، فكذلك صار التعطل ، كلاهما لا يقلق اهل المذاهب كثيرا في الدول الغربية . وهذه الولايات المتحدة ، بلغ اهلها في المستوى المعيشي مبلغا لم تبلغه امة فى التاريخ ، ومع هذا فقد اوضح الاحصاء الرسمي ان خمس اهلها يعانون الفقر . ويقول الاحصائيون غير الرسميين بل هم الثلث . وكان من اهداف رئيس الولايات الراحل ، كندى ، ان يكون في اول برنامجه فى الانتخابات القادمة ان يخطط لمحو هذا الفقر . والرئيس الحاضر جونسون جعل محو الفقر من اول الاهداف التي سوف يتقدم بها للناخبين .

انه رخاء الرجل المدين

ـ وسألت صاحبي : كم يدوم هذا الرخاء ؟

فابتسم وقال : الحق انه رخاء الرجل المدين ، فنحن ننفق اكثر مما نكسب . ان عماد ثروتنا التصدير الى الخارج ، ونحن نستورد اكثر مما نصدر ، وهذا دين . وهو دين قد يبلغ ..٥مليون جنيه عن عام ١٩٦٤ ، هو نقص قيمة ما نصدر عما نستورد فى هذا العام .

قلت : هل من اصلاح ؟

قال : لا تستطيع حكومة مقبلة على انتخابات ان تحاول اصلاحا يمس من رخاء الشعب الذى سوف ينتخب .

سيدة لا ترضى بهذا الرخاء

وسالت سيدة ، ربة اسرة ، يظهر فى بيتها اثر واضح من ثراء . سالتها كيف تعيش مع هذا الرخاء ؟

قالت : لو خيرتني بين عيشى الآن ، مع هذا الرخاء ، وعيشى قبل ربع قرن ، لاخترت عيشى الذى مضى . ان العيش اليوم صار اجهادا لا يطاق . زوجي يعمل . اولادى وبناتي يعملون وانا اعمل . ان العمل صار كمارد بيده سوط يدور به وراءنا يلسع به ظهورنا . وهو اقسى ما يكون على المرأة لا سيما المرأة الزوجة ذات الاطفال . عليها نظافة البيت لما اختفى الخدم .



اختفى الخدم، فقامت الزوجة الام ، تعاونها بناتها، بالكنس، والغسل، والطبخ، والشراء من الاسواق

الخدم ذهبوا الى ارزاق أكبر . وان وجدتهم الآن فاجرهم بالساعة ، وهو اجر كبير ، لا يحدده القانون ، ولكن حددته ندرة الخدم وارتفاع سعر الاعمال . وعلى ربة البيت الطبخ . ومن بعد كل هذا هي تخرج الى السوق تشترى حاجاتها، تشترى طعام كل يوم ، وتحمله بيدها ثقيلا الى بيتها . كانت ربة البيت،من عشرين سنة وثلاثين، تطلب حاجتها من بائع اللحم وبائع الخضر والبقال بالتلفون ، وتأتى صبيّة هذه المتاجر بالبضاعة الى المنازل . فهؤلاء الصبية اختفوا اليوم .ذهبوا الى رزق أكبر . ان الايراد لا شك كثير بكثرة العمل ، عمل الآباء والابناء ، ولكن مع كثرة الايراد جاء التعب المضني .

وذكرت لها ما في كثرة الايراد من امن وطمأنينة .

العلم والاختراع عقدا عيش الناس

فاستطردت تقول : « ايراد كثير نعم ، ولكن فى اى شيء ننفقه ؟ فى شراء أشياء جديدة مما يبتدعها كل عصر جديد،عصر العلم والاختراع. يخترعون فيه كل حين شيئا جديدا ، يكون في اول الامر ألعوبة ، ثم يصبح تحفة ، ثم تدخل التحفة العيش فتصبح من بعد ضروراته .وتتعدل ظروف الحياة لتجعل من هذا الشيء الكمالي حاجة ملحة . ويجب على الناس الشراء .والشراء يحتاج الى الايراد الكبير . والايراد الكبيريحتاج الى العمل الشاق الكثير . حياة الجيل الماضي البسيطة عقدها الجيل الحاضر ولا يزال يعقد . كانت حياة السير فيها رهوا ، أو على مهل ، والانفاس تؤخذ من الهواء فى راحة ، واللقمةتمضغ بطيئة فيستمتع بمضغها الماضغ ، ثم صرنا بالعلم والحذق والذكاء المفرط ، فى حياة نقطع مسالكها رمحا ، وناخذ انفاسنا من هوائها لهثا ، واللقمة يسال عنها الطاعم بعد ساعة من طعامه فلا يذكر ما اكل . »

صورة من العيش صادقة

ان هذه الصورة التي صورتها هذه السيدة للاسرة ، وقيام افرادها جميعا بالعمل ، يراها الناظر فى حياة المجتمع هنا، وفي غدوالناس الى اعمالهم صباحا، ورواحهم عنها مساء . ففي الضحى ، والظهر ، والى ما بعد الظهر ، لا تجد فى شوارع هذه الضاحية ، وهي من

الضواحي الشهيرة المزدحمة،غير الامهات، وغير الاشياخ من ذكور واناث . وكثيرا ما رايت الام ، في سوقها ، تجر ابنها في عربته ، وفي ذراعها اليمنى شنطة يدها ، وفي ذراعها اليسرى كيس مليء ثقيل بالذى اشترته من السوق من حاجات منزلها . واخريات عجائز حملن ما اشترين في سبت يجرى على عجل ، تتصل به عصا هي بعضه ،تمسك بها ربة البيت العجوز ، تجر بها السبت وهو وراءها ، وقد حملته من الخضر والبقالة ما حملت . ثم الاشياخ من الرجال ، لم اكد ان اجد غيرهم من الرجال ، ومنهم من حمل كيسا او سحب على الارض سبتا . وتبينت فيهم اشياخا متقاعدين ذهبوا الى السوق بينا زوجاتهم بقين في البيوت يعملن .وحمد الاشياخ نصيبهم هذا من العمل ملأ للفراغ ، فقد صار فراغ الفارغين ، من بعد تقاعد ، معضلة من معضلات الحياة هنا ، تثار في الصحف والاذاعة والتلفاز ، ويعنى بأمرها المختصون من رجال علم الاجتماع .

فهؤلاء هم الاشياخ ، وهؤلاء هن العجائز، فاين الشباب من رجال ونساء؟ تلقاهم صباحا في السيارات العامة، وفي عربات السكك الحديدية ، سكك الضواحي ، يزحمونها زحما ، وهم في سبيلهم الى اعمالهم ومعهم الكثير من الآباء العاملين ، والامهات العاملات . وكذلك انت ملاقيهم عند رواحهم .وفي هذه الزمرة الكبيرة ، الغادية الى اعمالها الرائحة عنها ، تتمثل الامة . وهي مادة لدرس كل دارس فطن . ان اراد درس سن فهناك درسها . . او درس ازياء فهناك درسها . . او درس لياقة ولباقة فهناك . . او نشاط او اعتدال ، او نقيضهما من فتور واسترخاء ، فهناك . .والجد صفة سابغة يجدها الدارس في كل غاد وغادية ، ورائح ورائحة .

الخنافس ورقة الزار

ويقودنا الحديث في السحن والازياء الى الادلاء بكلمة عابرة عمن اسموهم بالخنافس :

اربعة من الشبان ابتدعوا اغاني جديدة ، يصيحون بها على الصنج والطبل والمزمار بقوة مثيرة تبلغ درجة التشنج ، وعلى وتيرة من النغم واحدة لا تختلف ، كدق الطبل يأتيه الانسان الاول في الغاب. ويرقص عليها المراهقات والمراهقون في الحفل الراقص ، كل يتحرك ، على انفراد ، مع الدق الراتب على هواه ، ويتشنج به كل بمقدار ما تؤاتيه اعصابه .

وشاع هذا الرقص ، وشاع اسلوب هذه الفرقة ، هؤلاء الخنافس الاربعة ، في الغناء والدق ، شيوعا لم يكن يخطر ببال . ينظر الرجل المتزمت فيقول **ما اسخف** . وينظر اليه الرجل البجبوح المتريث **فيبتسم ولا يقول شيئا** . وينظر اليه الرجل الشرقي منا **فيجد فيه ملامح شديدة من الرقص والتفقير الذى تقوم به نساء الشرق في حفلات الزار ،النغمة واحدة ، والنغمة راتبة ، والتشنج غاية.**

والطبيب النفساني ينظر الى انجذاب المراهقات اليه والمراهقين ، والمراهقة عنده **جنوح وداء ،** فيعلم ان هذا الرقص والغناء ، وتحريك الراس والكتف ، والذراع والرجل والكفل ، **ليس الا دواء لهذا الداء .**

وحكام انجلترة يرون فيه غير ذلك .
**الملكة استقبلت الخنافس الاربعة .
واستقبلتهم الأميرة مرجريت أخت الملكة.
واحتفل بهم رئيس الوزراء واحتفل بهم رئيس المعارضة ، وقدما لهم الهدايا .**

ورئيس الوزراء قال عنهم انهم **خير سفراء انجلترة الى العالم .** وقال عنهم، **انه بعد طوافهم بالولايات المتحدة ، لم يكن بانجلترة حاجة الى الدولارات .**



هؤلاء هم الخنافس الاربعة الذين قال عنهم رئيس وزراء بريطانيا : « انهم خير سفرائها »

ذلك انهم جمعوا من الدولارات في تطوافهم هناك الملايين ، قيل انها بلغت ٢٥ مليونا .

وحيثما حل الخنافس قلبوا نظام الأمن فيه ، وخرجت زمر البوليس تحميهم من الالوف المؤلفة من الشباب المراهق المعجب بهم ، الزاحف الى لقائهم فى هستيرية صارخة لا احسب ان عرف مثلها انبياء او قديسون . انها ظاهرة جديدة مثيرة من ظاهرات هذا العصر الجديد حقا وصدقا .

فتيان لهم رؤوس الفتيات

ولكن اين الذى فى هذا من الحديث فى السحن والازياء ، ذلك الذى قصدت الحديث فيه ؟

نعم . انها اطالة الشعر التى اتخذها الخنافس زيا يعرفون به . ونشأت من بعدهم ، وعلى غرارهم ، فرق عازفة مثلهم ، من رجال ، تعرفهم جميعا من اطالة شعورهم فهم من امام اطالوها حتى الحاجب ، ومن خلف اطالوها حتى غطت القفا .

واتخذ المراهقون هذا الزى تأسيا . وتنظر الى بعضهم فلا تدرى أأنت تنظر الى فتاة ام فتى ؟!

وحدث فى مدرسة ان ناظرها خيّر بعض المراهقين ، ممن اطالوا شعرهم ، بين قص الشعر ، او رفعه عن وجوههم بالشريط الاحمر او الاخضر او الابيض ليضم الشعر الى خلف كما تفعل البنات. وتحدثت الصحف عن هذا المربي الذى يتدخل هكذا نهارا جهارا فى الحرية الفردية فيحد منها . فالحرية الفردية عندهم ، وان ضلت الطريق حينا ، يجب ان يفسح لها الطريق دائما ، لانه طريق بلوغ هذا الحيوان الانسان ما قدر له من كمال .

ويأتي ناظر المدرسة المسكين ليدافع عن نفسه فيقول ما فحواه :

لا والله ، ما الحرية اردت ان امنع، ولا الفردية ان اعرقل ، وانما هي قاعدتنا في المدرسة المختلطة، تطلب الى البنات ضم شعورهن الى الوراء بالاشرطة حتى لا تحجب اعينهن عن قراءة او كتابة . فلما طال شعر البنين طبقنا معهم هذه القاعدة نفسها عملا بالمساواة . انها قاعدة تتصل بالشعر الطويل والعينين ، ولا تنظر الى صاحب الشعر والعين ، ذكرا كان او انثى .

ونشرت الصحيفة اعتذار المربى .

الانتخابات قادمة

ولا يفوتني ، فى هذه اللمحات القليلة الخاطفة ، ان اذكر الانتخابات البرلمانية، وهي تقع فى اكتوبر هذا .

ان الحملة قائمة بين الحزبين الاساسيين ، في غير صخب كثير ، فلولا الصحف وهي تتابعها برفق ، ما ادرك احد ان بالبلاد انتخابا لمجلس يحكم البلاد سنين .

والكتلتان ظاهرا متعادلتان . وكانت كفة العمال راجحة ، ولكن قلل من رجحانها بعض الشيء ظهور « جلد ووتر » Goldwater مرشحا

لرئاسة الولايات المتحدة ، وكذلك ما كان من اضراب عمال البريد ، وما قد يتبع ذلك من اضرابات .

والناس هنا كثرتهم الكبرى ، من رجال ونساء ، من الطبقات جملة ، لا تهتم من امور السياسة الا بالامورالتي تمس معاشهم ، من يسر او عسر ،ولذلك لا يزال حزب المحافظين يعتمد على شارته القديمة التي فاز بها في الانتخابات الماضية ، تلك التي تقول لهم « لم يكن لكم قط من رخاء مثل هذا »

You never had it so good .

اما في السياسة الخارجية ، والكثرة الكبرى لا تفهمها ، ولا يتسع وقتهم وقتهن لفهمها ، فكل ما يهمهم ان يكون سلام .



حملة الانتخابات في انجلترا قائمة ، بين الحزبين الكبيرين المحافظين والعمال . وحزب ثالث ، هم الاحرار ، يظن ان سيكون بيدهم كفة الترجيح .

العرب عند القوم : آبار زيت

ومن الوجهة العربية اود ان اقول ان الناس هنا ، في جملتهم ، لا يعرفون العرب الا آبار زيت . وكشف الزيت في عمان ذاع خبره كما لم يذع خبر آخر يجيء من الشرق . وخصومة العرب والصهاينة لا يفهمها الا الخاصة ، ولا يهتم بها من هؤلاء الا قلة ، وذلك لأن اليهود متغلغلون في الحياة هنا تغلغلا بالغا ، لا سيما في وسائل الاعلام . يكفي ان تقرا اصحاب البرامج في التلفاز ، او من هم وراء البرامج ، لتعرف مقدار هذا التغلغل .

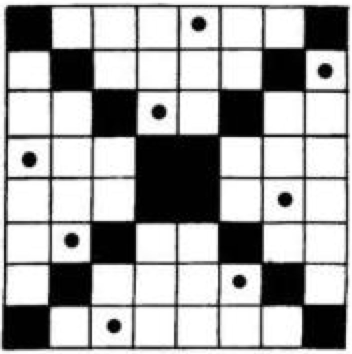
والتلفاز دخل بيوت الاسر اكثر مما دخلت الصحف .

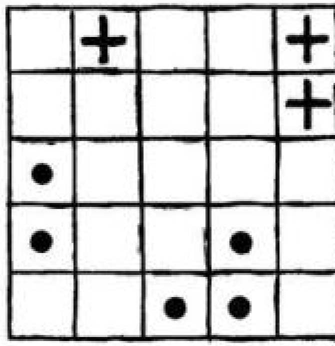
وفي السياسة ، وفي عالم المال ، وفي عالم الفكر ، وزع اليهود انفسهم حتى لا يخلو منهم مكان . ففيهم من اهل اليسار ، وفيهم من اهل اليمين ، وفيهم من وقف بلا لون ، وكل يقوم بدوره عند الحاجة . وهم بين المحافظين مثلهم بين العمال ، ولعلهم اكثر في العمال وافعل في الطبقة المثقفة فيهم .

يذكرني هذا بجولد ووتر Goldwater مرشح الجمهوريين لرئاسة الولايات المتحدة. ان اباه يهودي . وهو نشأ يهوديا ثم تنصر . وله أخ. فلما شبّا وترعرعا ، فكرا في الدخول الى المجال السياسي . فاتفق الاخوان على ان يدخل احدهما الحزب الجمهوري ، وأن يدخل الاخر الحزب الديمقراطي ، حتى يكون لهما شان اليهود دائما ، اثر في كل مكان ومع كل زمان .

ولم يدريا ايهما يدخل اي الحزبين . وفصلت بينهما القرعة ، فكان حظ الاول، مرشح الرياسة اليوم،الحزب الجمهوري، وحظ اخيه الحزب الديمقراطي . وهكذا كان . ■

لندن **الدكتور احمد زكي**





نتيجة مسابقة العدد ٦٩

إحتجاج على صعوبة المسابقة !

■ تخيل الكثيرون من القراء المشتركين في مسابقة العدد ٦٩ بأن حل المسابقة من الصعوبة بمكان .. ومع ذلك أرسلوا اجاباتهم الخاطئة ومعها خطابات احتجاج ..!

والواقع ان المسابقة لم تكن بالصعوبة التي تخيلوها .. فهي مسابقة سهلة ، لها أكثر من حل صحيح ، ننشر احدها فوق هذا الكلام ليطلع عليه الذين لم يوفقوا في معرفة الحل ..

والى جانب الاجابات الكثيرة الخاطئة ، كانت هناك اجابات عديدة صحيحة ناجحة ، اجريت بينها القرعة ، ففاز القراء السعداء المذكورة اسماؤهم فيما بعد ، بجوائز مجموعها ١٠٠ دينار ..

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازت بها : سعاد العلي ـ ص.ب ـ ٧٠ الكويت

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : ميثم عبد الرزاق حداد ـ عرصات الهندية : كرادة الشرقية رقم ٣١٢ ـ بغداد ـ العراق .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : احمد يحيى الخزان ـ مدرسة الوحدة الاعدادية ـ ميدان التحرير ـ صنعاء ـ اليمن .

٨ جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير ، فاز بها :

خالد عبد الله شمس ـ الخرطوم بحرى ص.ب ٣٢ السودان .

الرئيس فريد قندح : مدرسة سلاح اللاسلكي الملكي ـ الاردن .

خليل محمود عبد الفتاح : ص.ب ٧٦ الطائف ـ المملكة العربية السعودية .

معن الصباغ : حماة ـ سوريا ـ سوق الطويل .

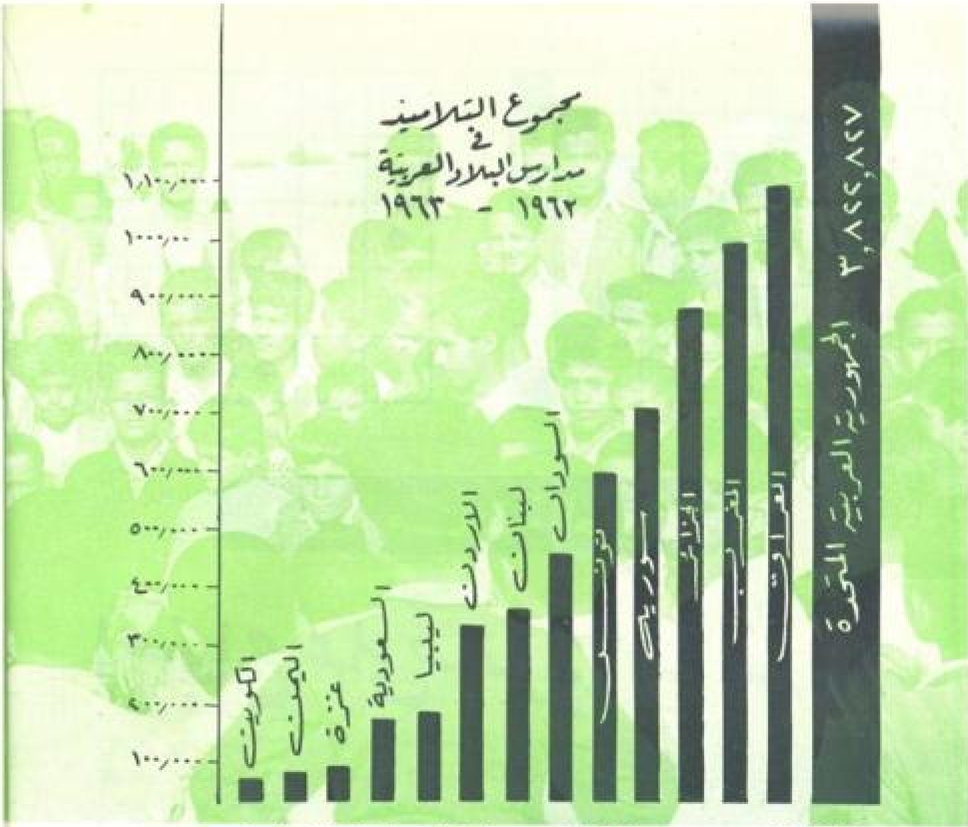
ليلى غوراني : ص.ب ١٢١٠ دبي ـ الخليج العربي .

رمضان حسن سيد سمكة ـ شارع الكاشف ـ منفلوط ـ ج.ع.م .

رمزي سليم ابداة : ٢٧ بانتجان صولو ـ أندونيسيا .

قودالي محمد : سيدي مومن ـ زنقة ١٢ رقم ١١٦ ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

وسوف ترسل قيمة الجوائز بالبريد الى أصحابها الفائزين . ■■



٩٩٦٤٧٢٩ هو مجموع عدد التلاميذ فى جميع البلاد العربية خلال العام الدراسى ٦٢ ــ ٦٣

الارقام تتحدث عن التعليم فى الوطن العربى

١٠ ملايين طالب

منهم ٨ ملايين ونصف

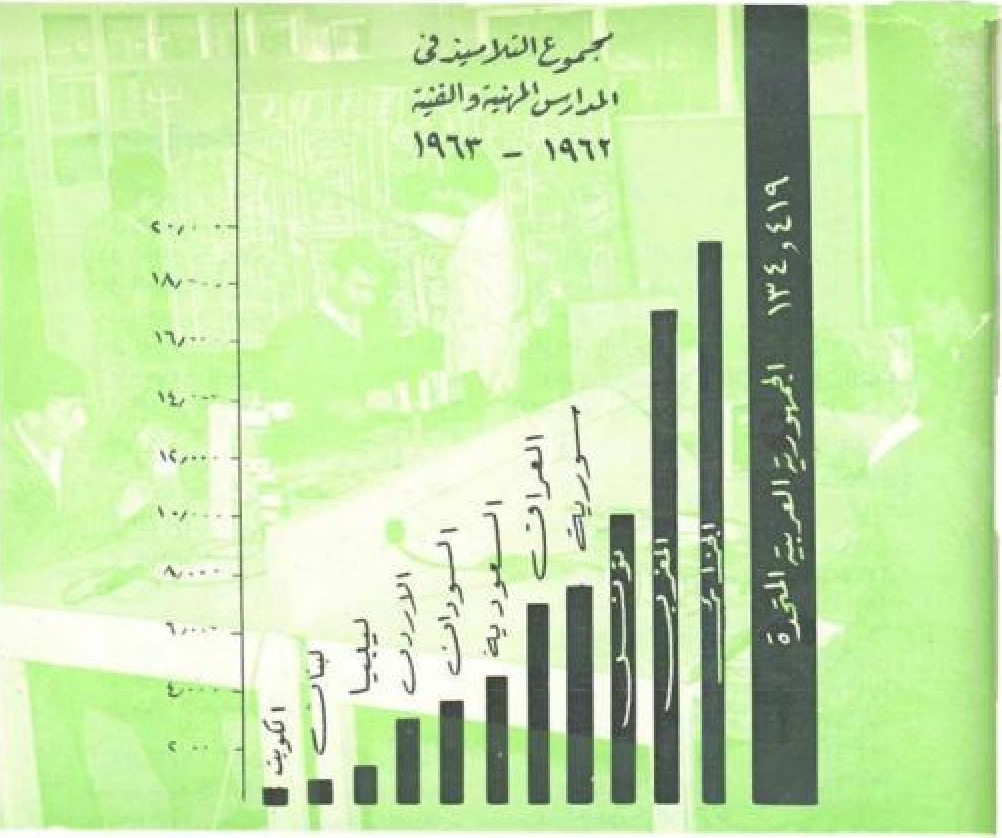
■ التقارير الرسمية الصادرة من الوزارات والادارات المختصة تدل على ان : مجموع التلاميذ والطلاب الذين كانوا يدرسون فى مختلف مؤسسات التربية والتعليم القائمة فى جميع البلاد العربية ، خلال العام الدراسى المنصرم ــ ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ــ ناهز « عشرة ملايين » ، اذ كان : ٩٩٦٤٧٢٩ .

واما توزع هؤلاء على مختلف مراحل التعليم وانواعه ، فكان كما يلى :

فى المدارس الابتدائية ورياض الاطفال ٨٤١٨٧٣١ فى المدارس الاعدادية والثانوية العامة ١.٨٤٦٥٦

فى المدارس المهنية والتكنية ٢١.٣٩١ فى معاهد التعليم العالى والجامعات ١٩٥٥.٨

فى دور المعلمين والمعلمات ٥٥٤٤٣



.. اما مجموع عدد التلاميذ فى المدارس المهنية والتكنية ، فلم يتجاوز ٢١.٣٩١ تلميذا ..

فى مدارسنا

بقلم ساطع الحصرى

فى رياض الأطفال والابتدائى !

واما مجموع القائمين بمهام التربيةوالتعليم والادارة فى المدارس والمعاهد المذكورة ، فقد تجاوز الـ « ثلاثمائةالف » ، اذ كان : ٣٠٤١٨٣ .

نظرات تفصيلية :

بعد هذه النظرات الاجمالية ، يجدربنا ان نستعرض ما يعود الى كل قطر من الأقطار العربية من هذه الارقام :

(أ) مجموع التلاميذ والطلاب فى كل قطر :

ان الجدول التالى يبين مجموعالتلاميذ والطلاب فى كل قطر من الاقطار العربية ، خلال العام الدراسى١٩٦٢ – ١٩٦٣ :

فى الجمهورية العربية المتحدة	٣٨٢٢ ٨٢٧
فى الجمهورية العراقية	١٠٩٧ ١٣٥
فى المملكة المغربية	١٠٠٧ ٨٩٩
فى الجمهورية الجزائرية	٨٩٦ ٨٠٠
فى الجمهورية العربية السورية	٧١١ ٧٤٠
فى الجمهورية التونسية	٦٢٠ ٢٧٤
فى جمهورية السودان	٤٦٠ ١٩٧
فى الجمهورية اللبنانية	٢٧٦ ٠٩١
فى المملكة الاردنية الهاشمية	٣٢٦ ١٦٥
فى المملكة الليبية	١٨٩ ٥٠٦
فى المملكة العربية السعودية	١٨٦ ١٣٩
فى قطاع غزة	٨٤ ٢٤٢
فى الجمهورية العربية اليمنية	٦٤ ٣٢٢
فى دولة الكويت	٥٩ ٥٥١
فى امارة البحرين	٢٨ ٥٢٤
فى حكومة عدن	١٨ ٩٨٩
فى امارة قطر	٨ ٠٢١
فى سائر الامارات (تخمينا)	٦ ٠٠٠

الرسم البيانى رقم ١ يظهر الى العيان نسب هذه الأرقام .

ملحوظة : عدد أطفال اللاجئين الفلسطينيين الذين يدرسون فى المدارس فى كل من الاردن وسوريا ولبنان وغزة ، داخل فى الأرقام المدرجة فى هذا الجدول .

(ب) مجموع المعلمين والمعلمات فى كل قطر :

الجدول التالى يبين مجموع القائمين بالتربية والتعليم فى كل قطر من الأقطار العربية :

فى الجمهورية العربية المتحدة	١٢٥ ٠٠٠
فى الجمهورية العراقية	٣٦ ١٠٢
فى الجمهورية الجزائرية	٢٥ ٧٨٥
فى المملكة المغربية	٢٥ ٣٨٣
فى الجمهورية العربية السورية	٢١ ٨١٦
فى الجمهورية اللبنانية	١٥ ٠٦٧
فى الجمهورية التونسية	١٣ ٤٥٠
فى المملكة الاردنية الهاشمية	١٠ ٩٧٣
فى المملكة العربية السعودية	١٠ ٥٩٥
فى المملكة الليبية	٦ ٧٢٧
فى مدارس اغاثة اللاجئين	٤ ٢٨٤
فى دولة الكويت	٢ ٩٤١
فى قطاع غزة	١ ٩٥٨
فى الجمهورية العربية اليمنية	١ ٧٦٥
فى امارة البحرين	١ ١٠٨
فى حكومة عدن	٦٩٠
فى امارة قطر	٥٣٩

(ج) مجموع التلاميذ فى التعليم الاعدادى والثانوى العام .

الجدول التالى يبين مجموع التلاميذ الذين يدرسون فى المدارس الاعدادية العامة والثانوية العامة فى كل قطر من الأقطار العربية :

فى الجمهورية العربية المتحدة	٤٧٤ ٧٢٩
فى الجمهورية العراقية	١٨١ ١١٨
فى الجمهورية العربية السورية	٩٠ ٧٩٤
فى المملكة الاردنية الهاشمية	٧٢ ٩٠٥
فى المملكة المغربية	٥٦ ٢٣٢
فى الجمهورية اللبنانية	٥٣ ٥١٩
فى الجمهورية التونسية	٤٤ ٥٢٢
فى جمهورية السودان	٣٥ ٢٦١
فى الجمهورية الجزائرية	٢١ ٦٠٠
فى قطاع غزة	١٧ ٢٣٦
فى المملكة الليبية	١٧ ١٣٦
فى المملكة العربية السعودية	١١ ٩٠٠
فى دولة الكويت	٢ ٧٥٧
فى امارة البحرين	٢ ٦٧٩
فى حكومة عدن	١ ٩٦٨

(د) مجموع التلاميذ فى التعليم المهنى والتكنى :

الجدول التالى يبين مجموع التلاميذ فى المدارس المهنية والتكنية ، فى كل قطر من الأقطار العربية :

فى الجمهورية العربية المتحدة	١٣٤ ٤١٩
فى الجمهورية الجزائرية	١٩ ٤٢٤
فى المملكة المغربية	١٧ ٢٠٧
فى الجمهورية التونسية	٩ ٩٥١
فى الجمهورية العربية السورية	٧ ٢٧٢
فى الجمهورية العراقية	٦ ٨١٧
فى المملكة العربية السعودية	٤ ٢٧٢
فى جمهورية السودان	٣ ٨٢٩
فى المملكة الاردنية الهاشمية	٣ ٤٣٥
فى المملكة الليبية	١ ١٣٩

فى الجمهورية اللبنانية	٩٦١
فى دولة الكويت	٦٣٠
فى حكومة عدن	٣٠٠

الرسم البيانى رقم ٢ يظهر الى العيان نسب هذه الأرقام .

(ان عدد طلاب الكليات العملية والتكنية التابعة الى الجامعات، لم يدخل فى هذا الجدول) .

(هـ) مجموع طلاب دور المعلمين والمعلمات :

الجدول التالى يبين مجموع طلاب دور المعلمين والمعلمات القائمة فى كل قطر من الأقطار العربية :

فى الجمهورية العربية المتحدة	٢٥ ٥٦٩
فى الجمهورية العراقية	٧ ٤٧٣
فى الملكة العربية السعودية	٥ ٥٧٥
فى الجمهورية العربية السورية	٣ ٥٨٥
فى الملكة المغربية	٢ ٧١١
فى الملكة الليبية	٢ ٥٣٢
فى الجمهورية التونسية	٢ ١٧٦
فى جمهورية السودان	١ ٦٨٠
فى الملكة الاردنية الهاشمية	١ ١٤٤
فى الجمهورية اللبنانية	٩٥٠
فى الجمهورية الجزائرية	٦٢٣
فى دولة الكويت	٤٢١
فى حكومة عدن	١١٠

الرسم البيانى (رقم ٣) يظهر الى العيان نسب هذه الأرقام .

(ان معاهد التربية وكليات التربية التابعة الى الجامعات لم تدخل فى هذا الجدول) .

(و) مجموع طلاب المعاهد العالية والجامعات :

الجدول التالى يبين مجموع طلاب المعاهد العالية والجامعات القائمة فى كل قطر من الأقطار العربية :

فى الجمهورية العربية المتحدة	١٢٨ ٥٠١
فى الجمهورية العربية السورية	٢٤ ٥٥٧
فى الجمهورية العراقية	١٤ ٨١٧
فى الجمهورية اللبنانية	٨ ٨٤٧
فى جمهورية السودان	٥ ١٦٠
فى الملكة المغربية	٤ ٧٤٩
فى الجمهورية التونسية	٣ ٤٦١
فى الجمهورية الجزائرية	٣ ٤١٠
فى الملكة العربية السعودية	٩٥٤
فى الملكة الليبية	٩٣٢
فى الملكة الاردنية الهاشمية	١٢٠

الرسم البيانى رقم (٤) يظهر الى العيان نسب هذه الأرقام .

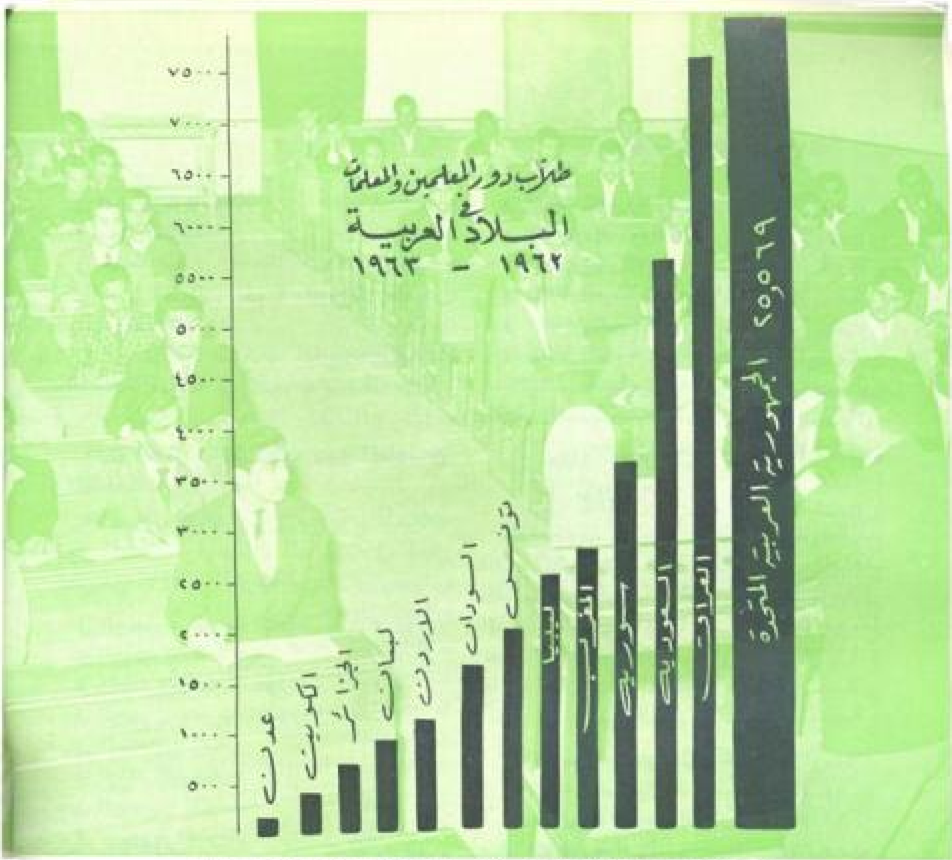
مقارنة عام ١٩٦٢ — ١٩٦٣ بعام ١٩٦٠ — ١٩٦١

اذا قارنا مجموع التلاميذ والطلاب الذين كانوا يدرسون فى المدارس والمعاهد القائمة فى مختلف الأقطار العربية ، خلال العام الدراسى ١٩٦٠ — ١٩٦١ ، مع ما يعود الى العام الدراسى ١٩٦٢ — ١٩٦٣ ، علمنا : أن هذا المجموع قد زاد خلال العام الدراسى الأخير ، المقادير التالية :

فى الجمهورية العربية المتحدة	٢٢٠ ٣٢٤
فى الملكة المغربية	٨٤ ٤٥٦
فى الجمهورية العربية السورية	٦١ ٧٥٦
فى الجمهورية التونسية	٥٥ ٦١٩
فى الجمهورية العربية اليمنية	٥٠ ٠٠٠
فى الجمهورية العراقية	٤٣ ٥٨٢
فى جمهورية السودان	٤٠ ٦٢٠
فى الملكة الاردنية الهاشمية	٢٥ ٧٨٧
فى الملكة الليبية	٢٣ ٣٥٦
فى الجمهورية اللبنانية	١٨ ١٦٦
فى الملكة العربية السعودية	١٥ ٦٧٧
فى دولة الكويت	٨ ٨٧٣
فى امارة البحرين	٥ ١٧٦
فى قطاع غزة	٤ ٤١٢
فى حكومة عدن	٣ ٣٠٢
ومجموع هذه الارقام بلغ	٦٦١ ١٠٦

غير انه ، يجب أن يلاحظ ان هذا الجدول لم يذكر جمهورية الجزائر . لأن لها حالة خاصة ، تستوجب امعان النظر فى الاحصائيات العائدة لها :

ان الاحصاءات المذكورة تدل على أن مجموع التلاميذ فى مدارس الجمهورية الجزائرية قد نقص خلال العام الدراسى المنصرم ٦٠١٨١ تلميذا .



وصل مجموع عدد الطلاب فى دور المعلمين والمعلمات ٥٥٤٤٣ طالبا وطالبة

غير أننا اذا استقصينا أسباب هذا التناقص ، وجدنا انه نجم عن مهاجرة الفرنسيين ـ مع اولادهم ـ الى بلادهم الأصلية :

لأن الاحصاءات المتعلقة بجنسية التلاميذ تدل على ان : مجموع التلاميذ الفرنسيين فى الجزائر قد هبط :

فى المدارس الابتدائية من ١٢٦٦٩٥ الى ١١٦٦٢ .

فى المدارس الثانوية من ٣٠١٨٦ الى ٣٧٧٣ .

فى جامعة الجزائر من ٥٩٣٧ الى ٦٩٣ .

وبذلك بلغ مجموع النقص الناجم عن مهاجرة الفرنسيين : (١٤٦٫٦٩٠) .

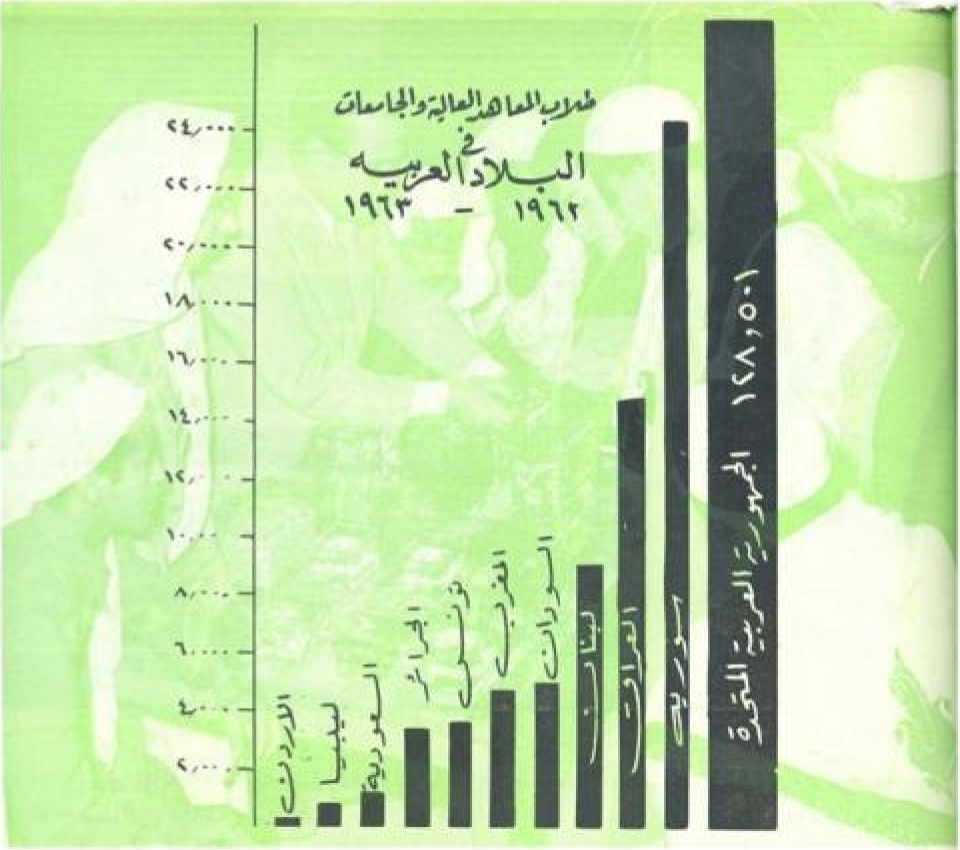
واما مجموع التلاميذ الجزائرين ، فقد زاد بعكس ذلك : (٨٦٫٦٠٩) .

ولذلك ، يسوغ لنا ان نضيف هذا الرقم الى الجدول ، فنقول :

ان الازدياد فى مجموع التلاميذ والطلاب خلال العام الدراسي ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ قد ناهز ثلاثة أرباع المليون ، اذ بلغ ٧٤٧٧١٥ .

هامش :

لقد اعتمدت فى هذه الاحصاءات على التقارير التى قدمتها وزارات التربية والتعليم الى المؤتمر الدولى السادس والعشرين الذى انعقد فى جنيف خلال



وبلغ مجموع عدد طلاب المعاهد العالية والجامعات ١٩٥٥٠٨ طالبا وطالبة

شهر تموز سنة ١٩٦٣ ، باستثناء الاردن ، وليبيا ، والبحرين التى لم تقدم تقريرا الى المؤتمر المذكور . فاعتمدت فيها على الاحصاءات التى زودتنى بها – مشكورة – وزارتا التربية والتعليم فى المملكتين وادارة المعارف فى الامارة .

هذا مع العلم بان :

(ا) تقرير لبنان لم يتضمن اى معلومات احصائية عن طلاب الجامعات الاربع وعن تلاميذ مدارس وكالة اغاثة اللاجئين الفلسطينيين . فاعتمدت فى حساباتى على المعلومات التى استحصلتها فى هذا المضمار من اداراتها مباشرة .

(ب) تقرير سوريا كان مشوبا بأغلاط جوهرية . فطلبت من وزارة التربية والتعليم تصحيح تلك الاغلاط، وتزويدى بالارقام الصحيحة . فاعتمدت على ما وردنى منها جوابا على طلبى المذكور .

(ج) واما فيما يخص عدن ، فقد اعتمدت على التقرير الرسمى الذى نشرته ادارة المعارف فى المدينة المذكورة فى اواخر سنة ١٩٦١ .

■■

أبو خلدون
ساطع الحصرى

مسابقة العدد

١٢٣

٩ أرقام وجوائز ١٠٠ دينار

■ تتألف مسابقة هــذا العدد من مسألتين عقليتين بسيطتين ، لا تحتاجان الى علم كبير بقدر ما تحتاجان الى قليل من التفكير ..

المسالة الاولى :

اكتب الارقام من ١ الى ٩ ، ثم وزعها على ٣ مجموعات ، بحيث يصبح حاصل جمع كل مجموعة منها = ١٥

المسالة الثانية :

اكتب الارقام من ١ الى ٩ ، ثم اختر من بينها ثمانية ارقام وزعهـــا على ٤ مجموعات ، تتألف كل مجموعة مـــن رقمين ، اذا ضربت حاصل جمع الرقمين اللذين تتألف منهما كل مجموعة ، فى الرقم التاسع الباقى ، كان حاصل الضرب فى كل حالة = ٥٠ .

وبعد أن تعثر على الحل الصحيح ، اكتبه على ورقـة مستقلة ، وارفق معه كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٦ من هذا العدد ولا تنس أن تكتب اسمك وعنوانك الكاملين على الكوبون .

ونحب أن نلفت أنظار القراء المشتركين فى المسابقة الى انه قد وصلتنا اجابات كثيرة صحيحة عن مسابقات ماضيــة ، لكن اصحابها لم يفوزوا بأية جائزة ، لان اسمهم كان غير واضح ، او ان عنوانهم ناقص ..

ومن الاسباب الاخرى لعدم الفوز فى المسابقات وصول الاجابات متأخرة عن الموعد المحدد فى المسابقة .. وكذلك عدم كتابة كلمة مسابقة العدد ٧١ على الظرف الخارجى للاجابة .. فعدم كتابة هــذه الجملة ينقل خطابك الى اقسام اخرى فتضيع عليــك فرصــة الاشتراك فى السحب النهائي .

لهذا نرجو من القــراء المشتركين فى

٩٨٧٦٥٤

المسابقة مراعاة هذه النقاط والتقيد بكل دقة بشروط المسابقة الموضحة ادناه :

شروط المسابقة

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٦ . اكتب عليه اسمك بخط واضح، وكل اجابة لا ترفق بها القسيمة تستبعد .

٢ ـ يكتب على المظروف عبارة ـ « مسابقة العربى » ـ العدد ٧١

آخر موعد للاجابة

آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٤ . وترسل الاجابة مباشرة بعنوان مجلة « العربى » : صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربى .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

اما المبلغ المتبقى ، ومقداره ٤٠ دينارا ، فقد قسمناه الى ثمانية جوائز متساوية ، مقدار كل منها خمسة دنانير ، توزع على الفائزين الثمانية التالين .

واذا تعددت الاجابات الصحيحة فان اللجنة ستقوم باجراء القرعة بين الاجابات الصحيحة لاختيار اسماء الفائزين بالجوائز ..

نقترح عليك ان تبدأ فى الحال بالبحث عن الحل الصحيح لهذه المسابقة ، وترسل اجابتك قبل انتهاء الموعد المحدد

■■

الدكتور احمد زكي يكتب

في أعماق البحار حياة أي حياة ..

في الأعماق هدوء كهدوء القبر
وفيها ظلام أسود من ظلام الليل على الأرض
وفيه حملت الأسماك قناديلها لتهتدي

• في الأعماق، كما على الأرض، تجري الحياة صراعاً .

■ قال لي قائل: يتجه انسان اليوم الى استطلاع طلع الكواكب والنجوم، فهل نحن فرغنا من استطلاع طلع الأرض، كوكبنا هذا الذى هو احق باستطلاع ؟

قلت: استطلعنا الكثير من الأرض، ولا نزال نفعل.

قال: والبحر والمحيطات، سطوحها، ولا سيما الاعماق ؟

قلت: كشف العلماء القليل، وبقي الكثير.

قال: حدثنا عن الأعماق.

قلت: سوف افعل.

جبال هملايا، وجبال الألب

قبل ان نتحدث عن اعماق البحر نتحدث عن عمالقة الأرض.

اما جبال هملايا، ففي شمال الهند، وهي تمتد نحو ٢٢٥٠ كيلومترا من شرق لغرب. واعلى قممها قمة جبل افرست Everest كما هو معروف. وارتفاع هذه القمة يبلغ ٨٨٨٢ مترا فوق



في الأعماق تجرى الحياة صراعا ، كما على اليابسة ، الكبير من الحيوانات ، على العموم ، يأكل الصغير، والصغير يأكل الأصغر، والقوى يأكل الضعيف، والضعيف يأكل الأضعف، واسم السمك العلمى الذى يبدو هنا هو :
Cyclothone Signata

الكبيرُ يأكلُ الصغيرَ ، والصغيرُ يأكلُ الأصغرَ

سطح البحر ، وهى أعلى مكان فوق سطح هذا الكوكب .

وأما جبال الألب ففي الأوسط من روربا ، مستقرها بسويسرا ، ولكنها تمتد فى كل ما جاورها من بلاد . فى فرنسا ، فى المانيا ، فى النمسا ، فى ايطاليا . واعلى قممها قمة الجبل الابيض Le Mont Blanc وارتفاعها يبلغ ٤٨٠٧ امتار فوق سطح البحر .

وليست هذه كل جبال الأرض ، وقد ذكرنا منها مثلين . لعلهما الأشهر ، وتركنا الكثير الأكثر .

وفعلنا هذا لنقول بعد ذلك ، أن كل ما ارتفع عن مستوى سطح البحر فى القارات الخمس ، لو أننا قطعناه بحد سيف عظيم قطعا أفقيا ، والقينا به كله فى البحار والمحيطات ، لما ملأ منها شيئا يذكر .

والحق الذى لا مرية فيه ان هذه القارات ، التى سكن فوقها من الانسان

من سكن ، ومن الحيوان ما سكن ، انما هي سطوح كتل صلبة من الأرض عظمى، استقرت قواعدها فى المحيطات والبحار ، فى اعماقها القريبة والبعيدة على السواء.

اعماق البحـار

وانت تنزل الى البحر ، عند ساحله ، فلا تذهب فيـه بعيـدا حتى تدرك انه ينحدر ، وتدرك بذلك خطره ، ثم تعود تطلب السلامة . وعمق هـذا الساحل يتدرج غالبا فى ازدياد ، فكانما هــذه الأجزاء الأولى من السواحل هي أكتاف لهذه الرؤوس الأرضية ، هذه القارات ، يغمرها الماء .

وقد تطول هذه الأكتاف، هذه الأرفف القـارية Continental Shelves كمـا يسمونها (لأنها تعتبر امتداداً للقارات)، فتدخل فى البحر وتطول الى مائة ميل قبل ان يبلغ الداخل فى البحر من العمق مائتى متر أو نحوها ، او هي قد تقصر فلا يدخل الداخل فى البحر أكثر مـن بضعة اميال حتى يجد العمق بلغ مئات من الأمتار كثيرة .

ثم لا يلبث العمق ، من بعـد هـذه الأكتاف ، أن يتزايد فى سرعة كبيرة .

وهو قد يبلغ بعد ذلك الألف متر .

وهو قد يبلغ بعـد الألف الألفين ، والخمسة الآلاف ، والعشرة الآلاف مـن الأمتار .

وهـل تدرك ما العشرة الآلاف مـن الأمتار ؟ انها عشرة كيلومترات . وهي تزيد . فالبحار تبلغ فى أعماقها أكثر مما بلغت الأرض الجامدة فى ارتفاعها .

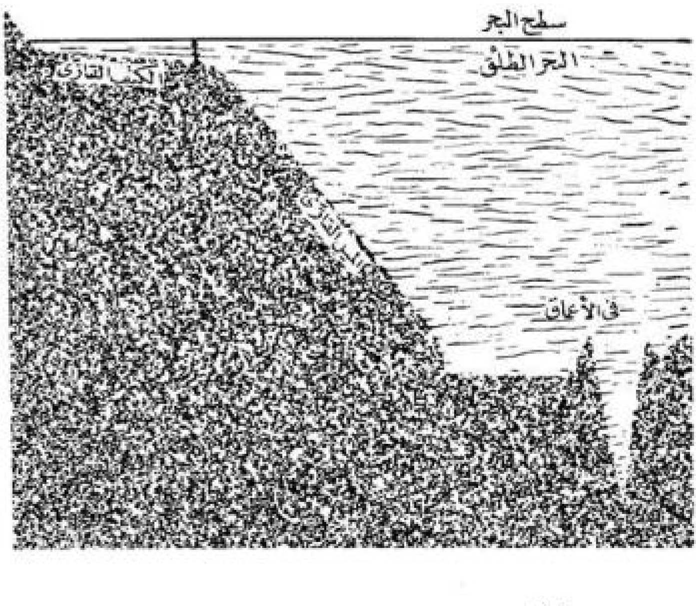
لأعماق البحر مساحات

ولكن هذا ليس يكفي لوضوح الصورة.

هذه الأعماق ، كم مساحتها ؟

فاعلم ان الأعماق ، التى تمتـد الى نحـو ٢٠٠٠ من الأمتار (كيلومترين) تبلغ مساحتها نحو ١٤٫٨ فى المائة مـن سطوح البحار والمحيطات .

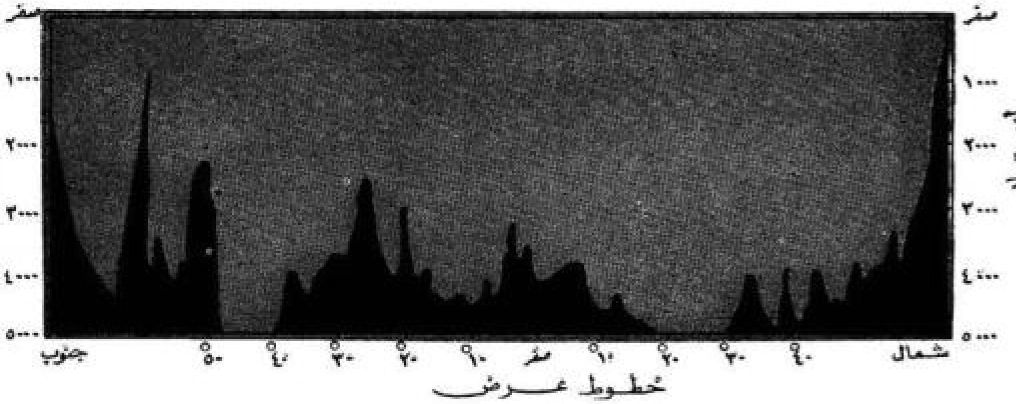
واعلم ان الأعماق التى تمتد ، ما بين ٢٠٠٠ الى ٦٠٠٠ مـن الأمتار ، تبلغ مساحتها نحو ٨٤ فى المائة مـن سطوح



رسم ايضاحي للمحيط ،وكيف يتـدرج الى الأعماق .



بيض للبراق البحرى (من الأحياء الرخوة) وقد باضه بنصف هـذا الشريط الأحمـــــر فالتصق به واحتمى فى غضونه .



رسم بياني يبين سطح المحيط الاطلسي ، وكيف يرتفع وينخفض في مقطع طولي ، معبرا عن ذلك بالامتار. ويمتد هذا القطع من القطب الشمالي الى القطب الجنوبي . اما الدرجات ، فهي درجات العرض للارض

البحار والمحيطات (واذكر ان سطوح البحار والمحيطات تبلغ أكثر من ثلثي مساحة سطح الأرض كلها ، وان شئت رقما بالذات فهو على التقريب ٧٠ في المائة) .

واعلم أن الاعماق التى تمتد أكثر من ٦٠٠٠ من الأمتار تبلغ نحو ٢ر١ في المائة من مساحة سطوح البحار والمحيطات .

وهذه شقوق في قيعان البحار وخنادق .

واعلم أن قاع البحر كسطح الارض ، فيه السهول الواسعة المنبسطة العريضة ، ولكن ترتفع فيها نجاد ، وتنخفض وهاد ، وتصعد فيها قمم وتهبط بها أغوار ، فلو أن البحر انكشف لكان فيه شبه قريب بالذى فوق الأرض الجامدة ، ولعله يكون أكثر تناقضا .

شروط الحياة : في الأرض والبحر

شروط الحياة واحدة ، في بحر او على أرض .

ولكن الحياة ، على الارض ، واسعة الحيلة .

تحتمل البرد وتحتمل الحر . . . ولكن في حدود .

تحتمل النور وتحتمل الظلام . . . ولكن في حدود .

ولهواء الأرض ضغط على أجسام الأحياء ، ويزيد ويخف ، وتحتمله الحياة على الأرض ، ولكن في حدود .

وقبل أن نتحدث عن الحياة في البحر ، والأحياء ، يجب أن نصف شروط الحياة هذه ، كم منها يوجد في البحر ، وكم أعوز .

الحرارة والبرودة في المحيطات

حرارة سطح البحر تقارب حرارة سطح الأرض . وهي تختلف باختلاف موقعه من خط الاستواء شمالا وجنوبا .

وانت تغطس في البحر فتجد أن حرارته قد قلت .

وانت تزداد هبوطا في الماء ، فتزيد الحرارة قلة ، وتتقارب .

وهي على عمق ٤٠٠٠ متر تكاد تبلغ الصفر المئوى ، الا درجتين ، وقد تهبط بعد ذلك الى الصفر المئوى ، ومن دونه ، ولا يتجمد الماء ، لأن به ملحا وعليه ضغط عظيم .

فى اعماق المحيطات هدوء كهدوء القبور

وسطح البحر يهيج ثم يسكن . يرتفع فيه الموج يوما ويهدأ يوما .

ويصل اضطراب سطح البحر الى اسفل هذا السطح ، فيحَسّ الى عمق ستين مترا او نحو ذلك ، ثم لا يكاد يحس منه بعد ذلك شىء . ان هناك الهدوء شاملا انه هدوء كهدوء القبور .

ولكن لا يمنع هذا من ان تتحرك فى الماء كتل كبيرة ، مكان كتل كبيرة اخرى ، بسبب اختلاف درجات الحرارة ، واذن فبسبب اختلاف الكثافات .

ومن اخطر هذه التحركات المائية الكبيرة تحرك الماء عند القطبين : يبرد الماء هناك ، وفيه اكسجين ذائب مع الهواء ، فيسقط ، ويذهب فى سقوطه الى اعماق من الماء بعيدة ، تحتاج الحياة فيها الى التزود بالاكسجين ، اكسجين الهواء .

وفى أعماق المحيطات ظلام اشد من ظلام الليل

وعلى سطح البحر نور ، هو نور الشمس .

وتغطس انت فى الماء فيقل نوره ، حتى اذا بلغ البالغ نحوا من ٤٥٠ مترا ، اختفى النور كله فلا تكاد تحسّه العين .

لا تحس العين بعد ذلك شيئا ، ولكن يوجد بعد ذلك آثار من ضوء ، لا تحس بها العين ، ولكن تتأثر بها الأفلام الفوتغرافية . وهى تتأثر حتى لو نزلنا بها الى نحو ضعف هذا العمق الفائت . اى الى نحو ٩٠٠ متر من سطح البحر .

فالبحار ، من نحو عمق ٤٥٠ مترا (وهذا يختلف بعض اختلاف بسبب صفاء الماء وعكره) ، ظلام دامس .

على سطح الأرض ضغط جو واحد ، وفى أعماق البحار الف ضغط

ان ضغط الهواء فوق سطح الأرض يبلغ ثقل عمود من الزئبق طوله ٧٦ سنتيمترا . يعلم هذا طلبة المدارس الثانوية .

فعلى هذا الضغط ، وتناغما معه : صيغ جسم الانسان ، وجسم الحيوان ، وصنعت وظائفه .

والانسان يحتمل قلة الضغط فوق الجبال ، الى حد . ولكنه لا يحتملها فى الطائرات العالية حيث يخف ضغط الهواء جدا ، لهذا هم يزودونها بضغط هواء يريح المسافرين .

والغواصون وراء اللؤلؤ ، لا يحتملون زيادة ضغط الماء اذا ذهبوا فى الماء بعيدا .

والغواصون المحترفون يلبسون على رؤوسهم الخوذات ، وعلى اجسامهم الكساوى من المطاط ، ويضَخّ لهم الهواء من مضخات فى سفن فوق سطح الماء ، ومع هذا هم لا يستطيعون البقاء فى الماء طويلا . ان ابعد مكان تحت سطح الماء وصل اليه غاطس محترف بلغ عمقه ٥٠٠ قدم اى نحو ١٥٠ مترا .

وقد شاع حمل الهواء مضغوطا فى اسطوانات على ظهر الغاطس ، يتنفس منه ، وقناع فوق وجهه ، ثم هو يسبح فى الماء حرا طليقا ، فى لباس استحمام . فهؤلاء بلغوا فى الأعماق الى ٣٠٠ قدم اى ٩٠ مترا .

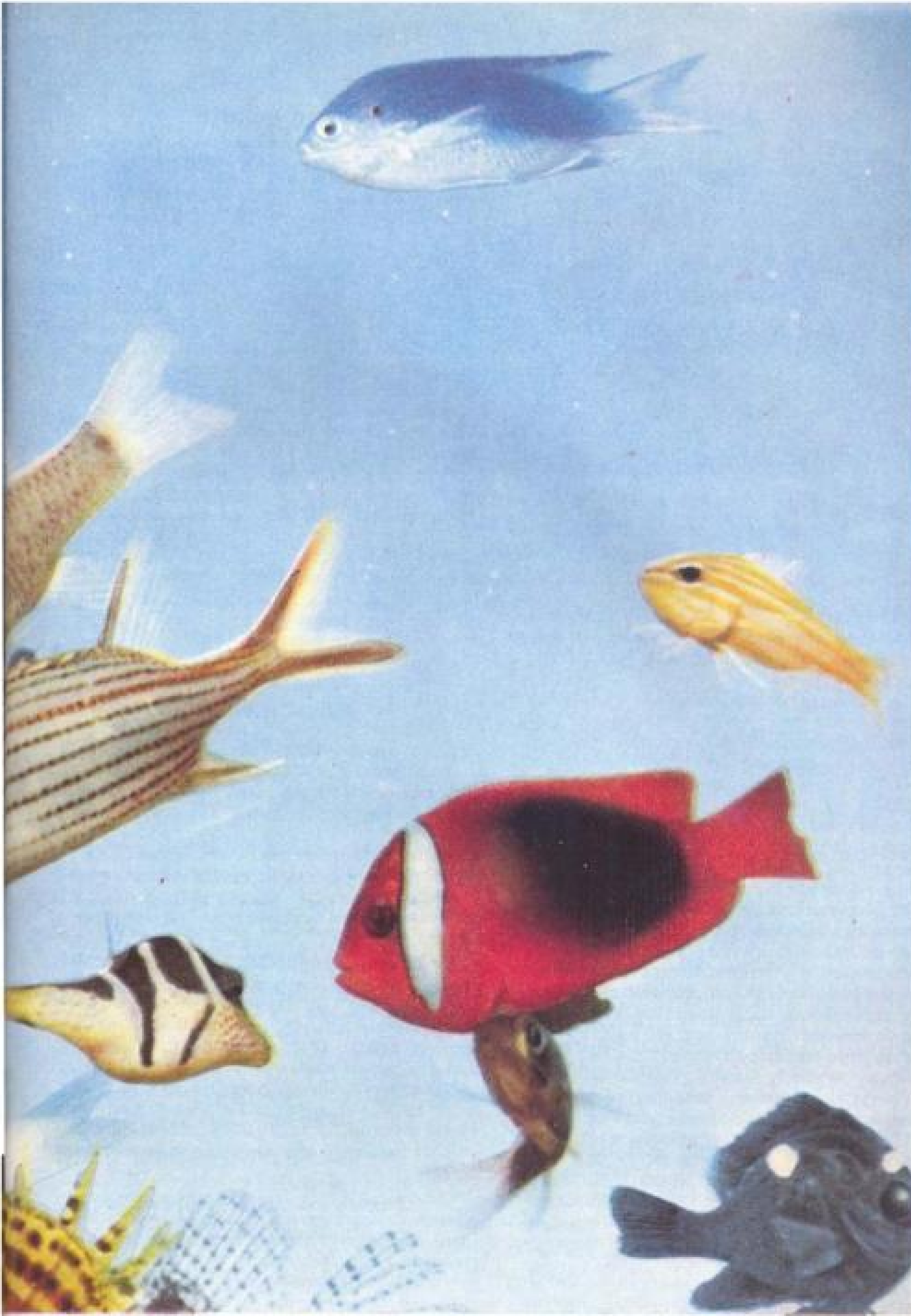
وغير الضغط يعانى الغاطس البرد .

وفى الحديث الأحدث من الايام هبط الانسان الى أعماق بعيدة ، ولكن فى خزانات مغلقة اتم الغلق ، يقعد فيها الرجل والرجلان . ويرقبان البحر من نوافذ تشف عما يجرى فيه . ولكن ليس هذا مجال الحديث عنها . ويكفى ان نقول انهم بأمثال هذه الخزانات بلغوا بعض قيعان البحار .

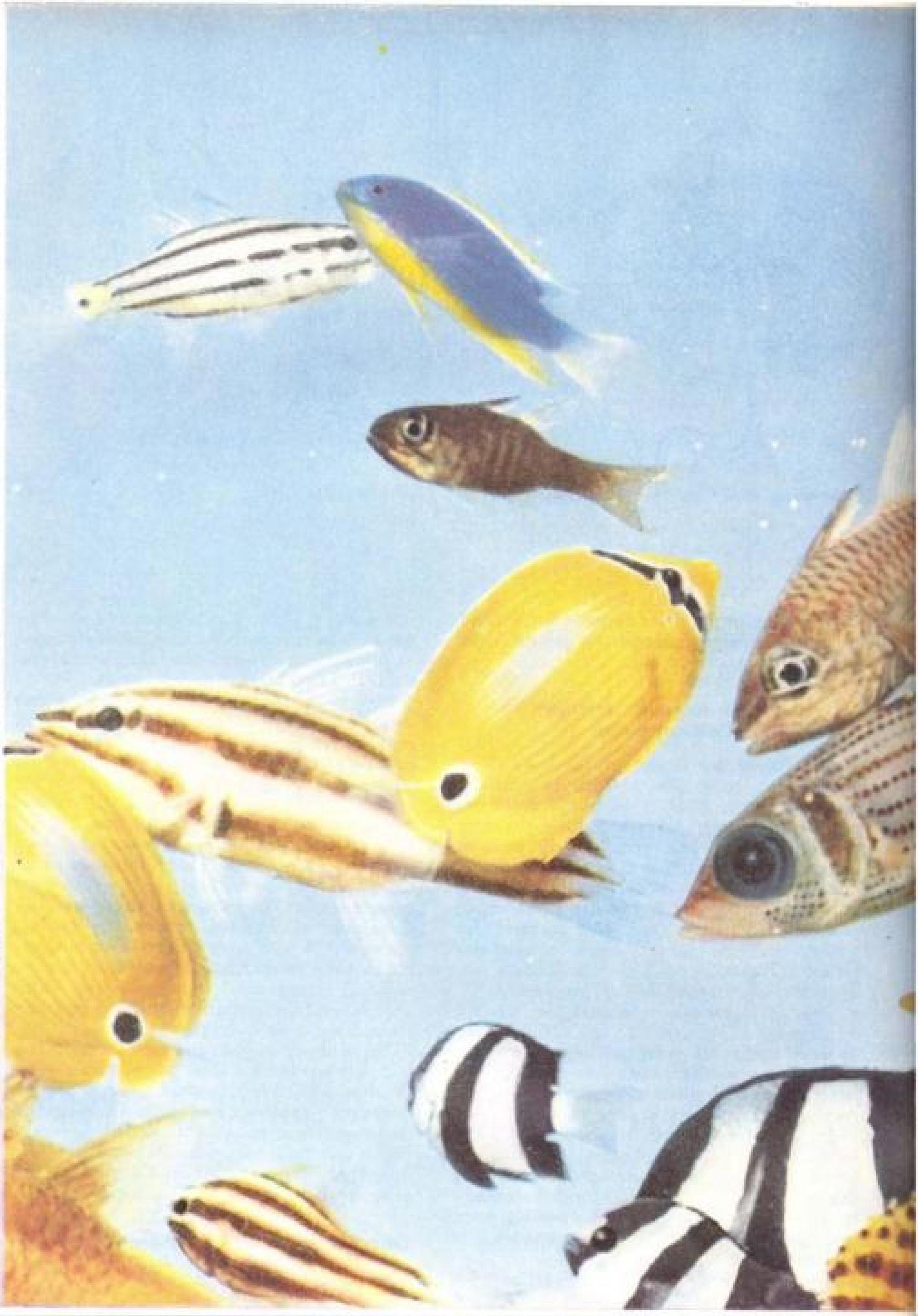
احياء البحار

وصفنا على عجل ، وفى ايجاز شديد ، حال البحار من حيث أنها بيئات تمهدت لعيش الأحياء فيها .

والآن نواصل ، على عجل كذلك ، وفى ايجاز شديد ، وصف ما فى هذا الماء من حياة .



للطبيعة ، عند اكتمال الظروف ، بمهرجان لا يدانيه مهرجان.وهذه بعض اسماك المناطق المرجانية



البحار الجنوبية ، وامثالها توجد فى المياه الضحلة بالقرب من جزيرة تاهيتي بالمحيط الهادى

ان الحياة فى البحر،كالحياة فى الارض، لهما الاثنتين شروط واحدة ، وقوانين واحدة ، وتسود فيهما ، على العموم ، نظم واحدة .

النبات اصل كل غذاء

واذا نحن تحدثنا عن الغذاء وجدنا حيوانات الأرض جميعا تعتمد فى حياتها ـ فى غذائها ـ على نباتات الأرض ، اصلا .

الأرض تنبت النبت ، الذى تأكله آكلات العشب من الحيوانات ، كالخراف والأبقار والغزلان . ثم تأتى الجارحات ، التى تعيش على اللحم ، فتأكل الخراف والأبقار والغزلان . هكذا يفعل الذئب، ويفعل النمر ، ويفعل الأسد . وهكذا يفعل الانسان . والانسان يجمع بين أكل نبات الارض ، وحيوان الأرض الذى يعيش على نباتها .

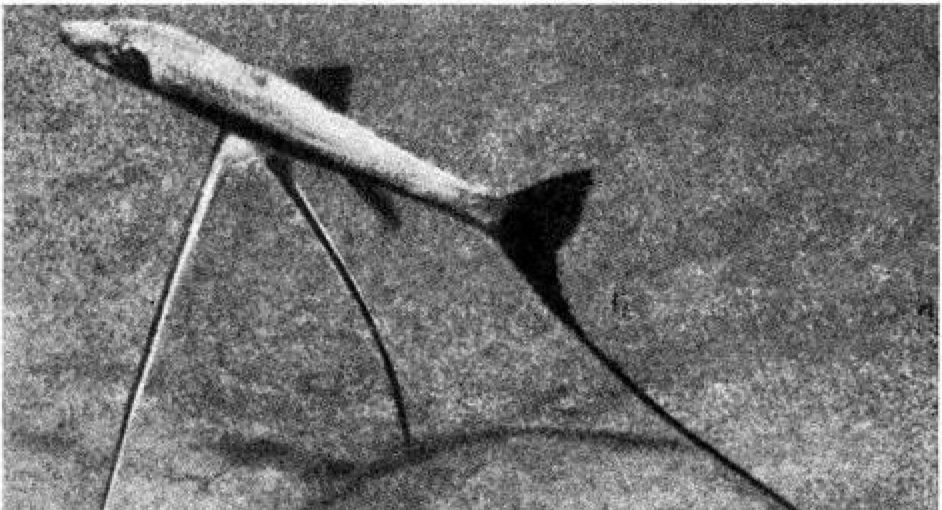
والنبات اصل كل غذاء فى البحر

الأصل اذن النبات . فوق بر ، او داخل ماء بحر .

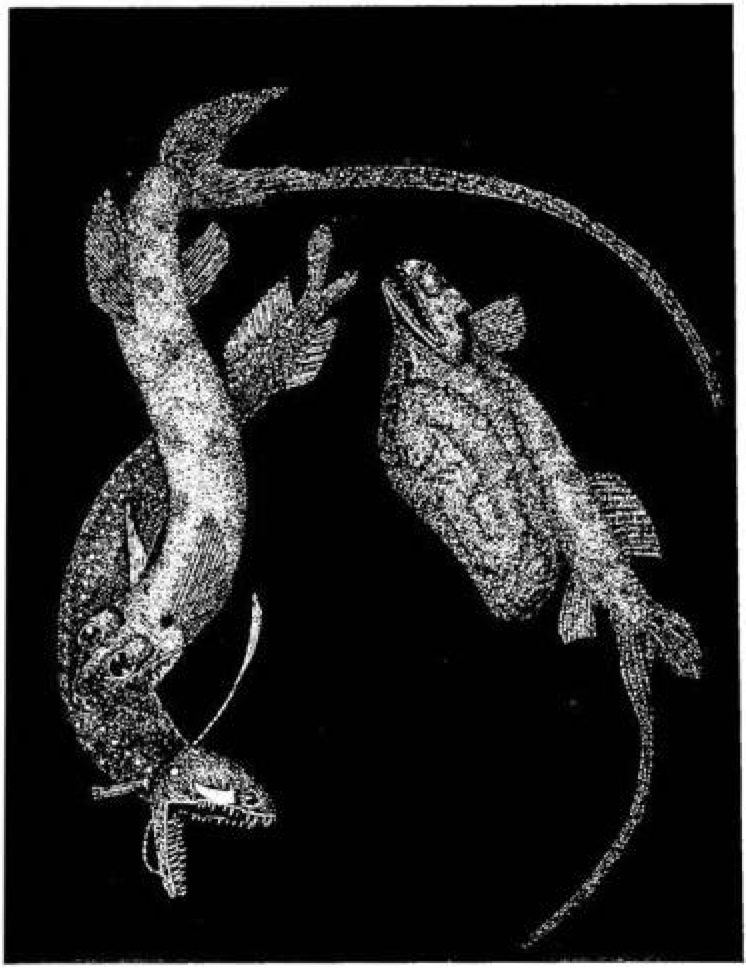
والنبات يحتاج ، فيما يحتاج ، الى ضوء الشمس .

ففى البحار ينبت النبات ، وتكثر الخضرة ، فى السواحل الضحلة ،تنبت فى تربة الأرض تحت الماء،تلك التى تتألف منها أرفف القارات . ان النبات ينبت بكثرة تحت الماء ، فى تربة هذه الأرفف ، ويمتد الى حيث يبلغ ضياء الشمس فى الماء عمقا .

ثم يكون فى الأعماق ظلام ، فلا يكون نبات .



سمكة عمياء ، على عمق ٢٢٠٠ متر فى البحر المتوسط ، واقفة ساكنة على ثلاث « أرجل » لا تتحرك ، حتى تحس بحركة ضحية من ضحاياها ، فتهجم ، او تحس بعدو ، فتهرب . والاحساسان عندها مختلفان



سمك ذو ذيل طويل ، يقضم سمكا من صنف آخر ، طعاما فى هذه الحياة حلالا . والصورة الثانية (اليمنى) له من بعد اشباع . ان الحيوانات فى هذه الاصقاع النائية لا بد ان تلتهمن الضحية كل ما تجد ، وان تختزن ، فمن يدرى فلعلها لا تجد طعاما لايام . اسم الجنس لهذا السمك Giganturus ويعيش فى شرق المحيط الاطلسى على عمق ١٥٠٠ متر .

« هائمات » البحار

ولكن فى مياه البحار جميعا احياء دقيقة جدا ، بعضها المجهرى ، وهى طليقة تهيم فى الماء ، بعضها يدخل زمرة النباتات ، وبعضها يدخل زمرة الحيوانات ، وسموها الهائمات . Plankton

وفى الماء منها مقادير هائلة .

فهذه النباتات منها ما يصعد فى النهار الى سطوح البحار ، فيتزود بشمسها ، وينمو ، ثم هو يهبط الى الأعماق ، غذاء طيبا لساكنيها .

ثم فى الأعماق تجرى الحياة صراعا ، كما وصفنا من أمر جريانها على الأرض اليابسة . الكبير من الحيوانات ، على العموم ، يأكل الصغير ، والصغير يأكل الأصغر . والقوى يأكل الضعيف ، والضعيف يأكل الأضعف .

احياء البحار ليست كلها سمكا

واحياء البحار ليست كلها سمكا . فالحوت ليس بسمك . وعجل البحر ليس بسمك .

وكذا فى البحر حيوانات قشرية ، كبراغيث البحر المعروفة بالجنبرى أو الربيان Shrimps وهى ليست بسمك . والجلنبو أو الكابوريا أو السلطعون كما يسمونه بالشام Crab ، وهو ليس بسمك .

وكذلك فى البحر حيوانات رخوة تعرف بالرخويات ، كالأخطبوط . وغير ذلك .



هذه السمكة اكتسبت كسوتها هذه من الصخور المرجانية ، اسمها العلمي
Chaetodon benettiوهي من جنس الفراش ، لان الفراش في الطبيعة ذو الوان زاهية

سمكة نادرة ، من جزيرة كليدونيا الجديدة ، من جزر ماليزيا
في الجنوب الشرقي لآسيا . اسمها العلمي : Lienardella fasciata



ومن اجل هذا لا نقول ان بالبحار سمكا فحسب ، ولكن نقول ان بها احياء مائية ، لنجمع بين السمك وغير السمك.

احياء الأرض تعيش فى بعدين اثنين واحياء الماء فى ابعاد ثلاثة

وحيوانات الأرض ، ومنها الانسان ، تعيش على سطح الأرض،فى بعدين اثنين: طول وعرض . فهى تتحرك فى مستوى واحد ، هو سطح الأرض . اما حيوانات البحر فتتحرك فى مستويات عدة . فالسمكة تستطيع ان تتحرك يمينا ، وشمالا ، ولكن كذلك سفلا وعلوا .

ومعنى هذا ان مجال الحياة فى البحار اوسع من مجالها فى الأرض واوسع كثيرا.

مجال العيش على الأرض يتسع ما اتسع سطحها ، اما مجال الحياة فى البحار فيتسع ما اتسعت احجامها . واى احجام !

اجناس الأحياء فى البحار

واختلفت اجناس الأحياء على الأرض. وكذلك اختلفت فى البحار . بين الصغير المجهرى ، والكبير الذى تعجز العين عن أن تشمله كله فى نظرة واحدة . وبين الوديع والمفترس . وبين الكسول والنشيط . وبين ذى الفقار وغير ذى الفقار . والرخو الذى تقوقع ، والرخو الذى لم يتقوقع . الى آخر ما هنالك .

وللأحياء فى البحار مواطنها

وبسبب الذى وصفناه من اختلاف البيئة فى شتى ارجاء المحيطات ، يفترض القارىء لا شك اختلاف الأوطان . ان الفيل فى الأرض لا يسكن المناطق الشمالية وهو لا يسكن اى منطقة استوائية . وغزال الصحراء لا يسكن الريف . والثعبان لو تشأبين الثلوج لنام كل عمره، وقد اصبح كلُّ زمانه شتاء . والطير كذلك تختار مواطنها وتخالف بينها ما اختلفت من الأرض الأجواء .

وكذا فى الماء،ماء البحار،ماء المحيطات. مواطن مختلفة . اختلفت حرارة واختلفت برودة . اختلفت حركة ماء وسكون حركة . اختلفت عذوبة نسبية وملحا . واختلفت ، ويجب ان لا ننسى هذا ، ضغطا . واختلفت كذلك ضياء وظلمة .

فان قيل لك ان اجناس الأحياء ألف فى الماء والف والف .. ما جاز لك أن تعجب .

باختلاف المواطن يختلف شكل الخلق

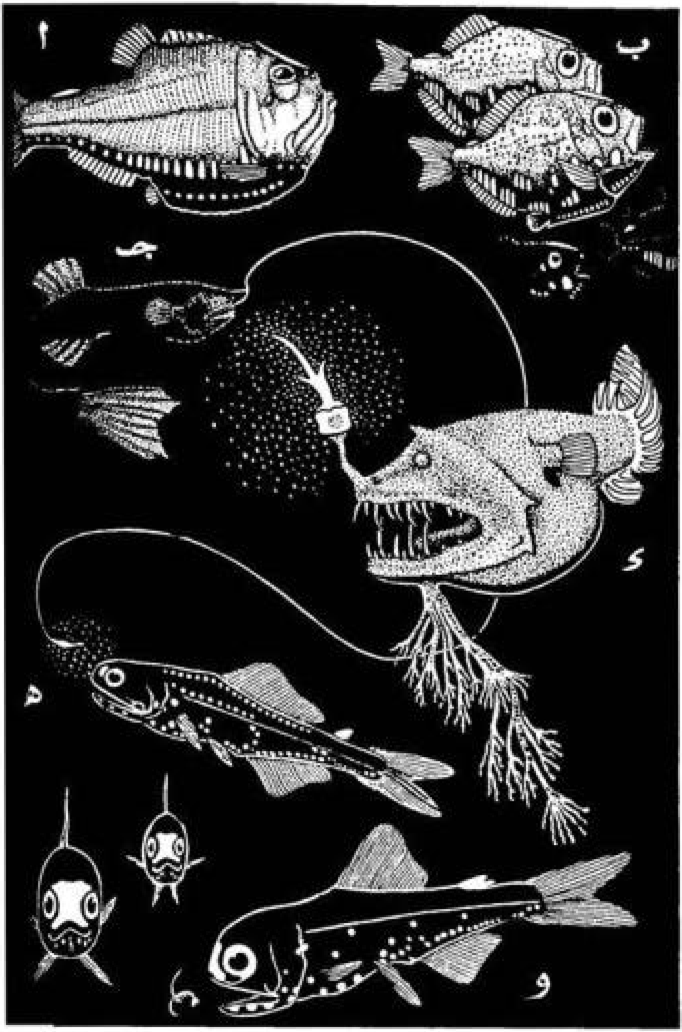
وباختلاف المواطن ننتظر لا شك اختلاف شكل الخلق،بل اشكاله وسحنه ليتسق مع مطالب العيش فى كل موطن . ومع مطالب الصيد للعيش والحياة ، والحماية من صيد للعيش والحياة ، فما ساكن البحر الا صائد او مَصِيد .

ونحن ألفنا من هذه الأحياء،السمك، نجمعه من طبقات البحار العليا ، انماطا متشابهة . جسم مسحوب ، وفم مهذَّبٌ مدبَّب ، وعينان تنظران ، وذيل وزعانف ، وقشر يبرق غالبا كالفضة فى نور شمسنا وهو بين ايدينا.حتى سمك القرش ، ذاك المخوف فى البحر ، له الجسم المسلوب والمسحوب والرونق المألوف .

ولكن ما كذلك كل اجناس السمك بالبحر ، لا سيما تلك التى فى الأعماق ، ولا هكذا سائر الأحياء ، من اسماك وغير اسماك .

وفى الظلام قد تحمل الاسماك والأحياء مصابيحها ، لأغراض شتى

وعرفنا الالوان كذلك زاهية فى بعض الأسماك والأحياء ، تلك التى تعيش حيث تبلغ الشمس او اشعتها تلك المواطن. ان الألوان لا تكون فى الأسماك الا حيث تكون شمس (لذلك استثناء لا يَجُبُّ قاعدة) . والألوان لا معنى لها الا مع



بعض أنواع أسماك الاعماق حيث الظلام مكتمل : أ ، ب : سمك البلطة Hatchet-Fishes وتجد الضوء على جوانبها ـ ج،د : سمك الصنارة او سمك الشيطان Angler or devil Fish وتجد الضوء عند طرف الخيط الخارج من جسم السمكة ـ هـ ، و : سمك الفانوس Lantern Fishes ،وضوؤه على الراس ، وعند الأعين، وعلى طول الجنب .

وجود عين ترى ، والعين لا توجد الا حيث توجد شمس ، أو يوجد منها ضياء .

ومن ازهى الالوان الوان صنوف من السمك تعيش عند الصخور المرجانية تلبس هذه الصخور شتى الألوان وكذلك تلبس اسماكها .

وتختفى هذه الألوان ما اختفى فى البحر الضياء .

وانت تهبط فى الماء ، ماء المحيط ، فتزيد الوان الأحياء اقتماما .

وتهبط فى ظلام الأعماق فتجد اسماكا تسير وهى تحمل فى ظلمة هذا الليل ضياءها ، على ظهرها ، عند راسها ، فى أجزاء شتى من جسمها . انها تصنعه من دمها . ومنها ما يضىء مصباحه أو مصابيحه اذا شاء ، وعندما يشاء ، ومنها ما يطفئه . وللضياء، تحمله هذه الأسماك والأحياء فى ظلام تلك الأعماق ، اهداف ذكرها الذاكرون شتى :ـ

منها اغراء الضحايا التى يراد صيدها فتقترب . يزدهيها النور فتمشى فيه تحسب انها تهتدى ، وهو الضلال كل الضلال . انه سبيل الموت الزاهى .

ومنها عكس ذلك تماما . منها الحى يطلق النور فى الأعماق ليُعمى صاحبه

وبغشيه فيدفع بذلك عن نفسه . ومن هذه الأحياء ، ما يبخ في الماء من ورائه ، وهو هارب ، مادة تشع بالضياء ، ستارا يحميه مما يتعقبه من الصائدات ، مما هو أكبر فما وأشد أسنانا وأقطع قضما .

ولهذه الأصناف الهاربة مثيلات لها في طبقات البحار العليا ، حيث النور . فهذه تبخ في الماء من ورائها ، وهي هاربة مادة كالحبر سوداء ، ستارا يحميها مما يتعقبها من صائدات الماء .

أن الضوء الذي يحمله الكثير من أحيائها يقع في أجسامها أقرب ما يكون الى العين التي تبصر .

وصنوف الأحياء التي تحمل نورها في تلك الأعماق تبلغ نحو ثلثي أصناف تلك الأعماق جميعاً .

ليس كل ساكن في الأعماق يحمل ضوءاً

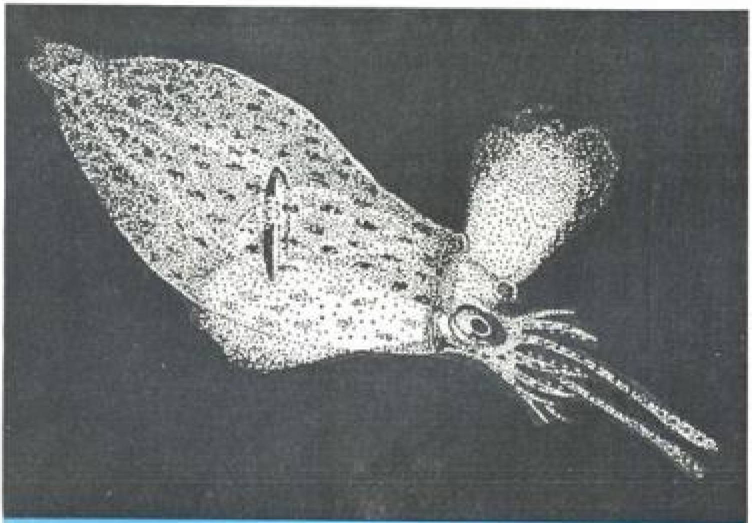
ومعنى هذا أنه ليس كل ساكن في أعماق البحار والمحيطات يحمل قنديلا . والكثير الذي لا يحمل قد تكون له عين

والحبر ينفع للستر والماء في طبقات البحر العليا مضيء ، ولكن ما نفعه اذا بخه الحي في الأعماق المظلمة ؟!

انه عندئذ يبخ سوادا في سواد .

لهذا تبدل جهاز الدفاع في جسم الحي ، في الأعماق ، فأخذ يصنع النور يبخه في الظلام ، بعد أن كان يصنع الظلام ويبخه في النور .

ومن أهداف الضياء الذي تحمله هذه الأسماك والأحياء ، تعرُّف الذكر على الأنثى ، والأنثى على الذكر ، باختلاف توزع الضوء على الأجسام .



حيوان البحر المعروف بالحبار ، وما هو بسمك ، وانما هو من الحيوانات الرخوة . وهو رأس حولها أطراف ، هي الأرجل وهي الأيدي معا ، وبها يصيد الضحايا على عمق ١٠٠٠ متر من سطح الأطلسي . وتراه يبعث الضوء قويا ، خلف عينيه وأمامهما .

ومنها أهداف تتصل بتلك الأحياء التي تجوب البحار جماعات جماعات . يتعرف بعض على بعض بسمات هي بعض خصائصها من هذا الضياء .

ولا ننسى أن من أهداف هذا الضياء هدْيُ السبيل ، وهو الأصل في النور على سطح هذه الأرض . ويعزز هذا الرأي ، في هذه الأعماق المظلمة من البحار ،

تبصر ، أو لا تكون . وماذا تنفع العين في محيط لا ضوء فيه . لهذا قلّ الابصار جدا لدى هذه الأسماك . وهي لا تبصر كما تبصر حيوانات الأرض . انه بصر أقرب الى الحس بالأبعاد ، وبالحركات ، أكثر منه تصوُّرا . وفقد كثير من أحياء الأعماق البصر فقام اللمس يؤدي ما لا يؤديه البصر . زوائد تخرج من الأجسام

حساسة ، تحس ما يجرى فى الظلام كما يحس من فقد البصر من بني الانسان . اكثر ما تحسه الحركة ، لتثب على الضحية ، او تكون هى الضحية ، فتهرب .

توزع الأحياء على الأعماق

ونتحدث عن الأعماق . وكل ما هبط عن سطح البحر بمائتين او ثلاثمائة من الأمتار فهو عمق . وقد نصل عند ذلك الى قاع للماء أو لا نصل . وتهبط الأعماق عن ذلك كثيرا الى ما هو أعمق ، ثم الى ما هو أعمق من ذلك .

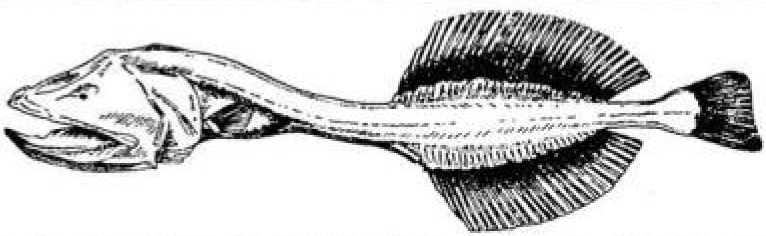
وتتوزع صنوف الأحياء على هذه الأعماق .

وكلما هبطنا ، أبعدنا عن الشمس ، وعن هواء الأرض ، وهما أصل الحياة . والمثل العربى يقول : المورد العذب كثير الزحام .

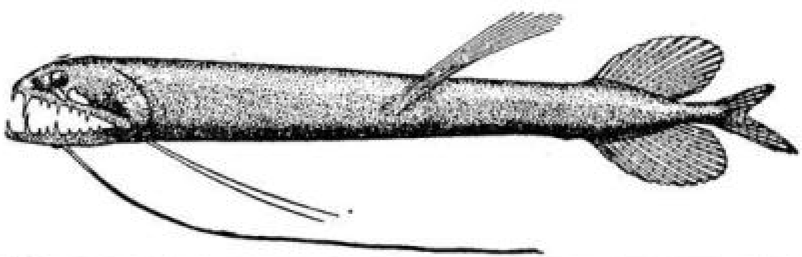
لهذا لا يكون غريبا أن نسمع أن زحام الحياة فى طبقات البحار العليا أكثر منه فى طبقات البحار السفلى . والواقع أن ثلثى أنواع الأسماك تعيش بين منطقة المد والجزر على الساحل ، وبين آخر الحرف القارى الذى ينفتح بعد ذلك على البحار والمحيطات الواسعة . والمياه الدافئة من البحار هى الأحفل بالحياة .

وتقل موارد العيش فى العميق من الطبقات السفلى .

لهذا نجد فى هذه الأعماق البعيدة ، مع قلة الزحام ، ضراوة العيش . ونجد أشكالا من الأحياء ، من أسماك وغير أسماك ، عجيبة . أجسام لا أثر للنعمة فيها ، لا كثرة لحم ، ولا ألفة منظر . وأفواه لافتراس ، تظل شاغرة ، واسعة ، مخيفة . تنقض على فرائسها ، وقد تبلع



سمكة عمياء ، انضمرت عينها فهى لا ترى . وجدت فى المحيط الاطلسى عن عمق ٣ كيلو مترات . اسمها العلمى : Cetomimus Regani



وسمكة أخرى وجدت فى المحيط الاطلسى ، على عمق ٦٠٠ متر . لاحظ فمها المفتوح تجمع فيه من الغذاء ما تلقى . اسمها العلمى Bathophilus Melas



السمكة الأفعى Viper Fish ، على وشك ان تلتقم جنبريا (ربيانا) احمر وقد اراد ان يحمى الجنبرى نفسه فى الظلام الحالك ببخ مادة مضيئة للتضليل والظاهر انها ما نفعت .

من الأحياء ما هو اكثر منها جسما واضخم . وينبعج بطنها بما بلعت . ان الغذاء عزيز ، فهى تختزنه . ثم لا باس على الهضم ان يمضى على مهل .

ذخيرة من الأحياء عظيمة

ان على سطح الأرض ذخيرة كبيرة من صنوف الأحياء،مذهلة فى كثرتها ، محيرة فى تنوعها ، معجبة للدارس ، الذى يريد أن يدرس الكون ، ويتفقه فى اسرار هذا الوجود .

ولكن كذلك فى بطن الماء ، فى البحار والمحيطات ، ذخيرة كبيرة من صنوف الأحياء مذهلة ، محيرة ، معجبة ، لا يتم الدارس الكون ّ والوجود ّ فهما لهما ، الا بدراستها ، ومقارنة ما يدب على الأرض منها ، ويمشى أو يطير ، بالذى يسبح أو يطفو فى الماء .

ان صنوف السمك التى تعمر البحار تبلغ نحوا من ... ٣٠ نوع .

■■

احمد زكى

معجم لأحد الأوائل من روّاد المعاجم العربيّة لا يزال مخطوطاً يصعبُ اليوم على الدارسين، وفيه ثروة للباحثين

معجم "ديوان الأدب"

■ تروى كتب التراجم أن الخليل ابن احمد الف معجما شاملا فى منتصف القرن الثانى من الهجرة سماه « كتاب العين » وصنف كلماته على حسب الحروف مرتبة ترتيبا مخرجيا . وقد اختلفت آراء العلماء من القدماء بصدد هذا المعجم الذى لم يعثر على نسخة له قديمة حتى الآن .

واذا اضطربت الروايات حول معجم الخليل فالذى لا شك فيه انه لم يكد يبدأ القرن الرابع الهجرى حتى شهدنا علماء اللغة يتجهون الى تصنيف المعاجم العربية ، وترتيب كلماتها على حسب الحروف سواء رتبت الحروف ترتيبا مخرجيا ، او ترتيبا هجائيا .

معجم الجمهرة لابن دريد

بدأ هذا التصنيف فى اوائل القرن الرابع الهجرى بابن دُرَيد فى معجمه الجمهرة . ولسنا نعرف معجما عربيا رتب على حسب الحروف قبل معجم الجمهرة الا ما يقال عن معجم الخليل . وقد آثر ابن دريد فى معجمه الترتيب الهجائى المألوف، على حين ان «الازهرى» وهو من علماء هذا القرن أيضا اتبع فى معجمه « تهذيب اللغة » الترتيب المخرجى فى حروف الكلمات .

ويعد القرن الرابع من الهجرة ، وبحق، قرن المعاجم العربية، فقد صنف فيه اكبر عدد من المعاجم العربية التى انحدرت الينا ، وتنافس علماؤه فى ابتكار نظم متعددة لتلك المعاجم .

معجم ديوان الادب

وكان بين علماء هذا القرن « ابو ابراهيم الفارابى » الذى الف معجما لا يزال مخطوطا حتى الآن سماه « ديوان الأدب » ورتب كلماته ترتيبا فريدا .

ويخلط كثير من الدارسين بين الفارابى اللغوى صاحب معجم ديوان الأدب ، وبين ابى نصر الفارابى الفيلسوف المشهور .

ولم يظفر الفارابى اللغوى من كتب التراجم على وفرتها الا بقدر ضئيل من الحقائق التى تتصل بحياته . ولعل أوفى ترجمة له تلك التى نقرؤها فى معجم البلدان لياقوت، وانباه الرواة للقفطى. ولذلك اضطربت الروايات فى تاريخ وفاته اضطرابا عجيبا ، ويبدو انها كانت على ارجح الأقوال فى سنة ٣٧٠هـ.

ذكر الفارابى فى مقدمة المعجم انه اهداه الى ابى الحسن احمد بن منصور، ولا نكاد نعرف شيئا عن « أبى الحسن » هذا ، الا ان يكون احد العلماء الذين اتصل بهم الفارابى .

ولديوان الأدب نسخ كثيرة فى مصر والخارج مخطوطة او مصورة ؛ ويتضح لنا منها نظام هذا المعجم وخصائصه وان الفارابى قد مال الى المذهب الكوفى فى كثير من مسائل اللغة .

القرن الرابع كان بحق قرن المعاجم العربية

للفارابى

بقلم : الدكتور ابراهيم انيس

الاستاذ بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

نظام المعجم للفارابى

اما نظام المعجم فقد ذكر الفارابى فى المقدمة انه نظام مبتكر لم يُسبق اليه . ويتلخص هذا النظام فى أن المعجم يتكون من ستة أقسام ، سمّى كل قسم منها كتابا ، وجعل أساس هذا التقسيم الصحة والاعلال فى كلمات اللغة :

١ ـ كتاب السالم : جمع فيه كل كلمات اللغة التى خلت اصولها من الهمز والاعلال .

٢ ـ كتاب المضاعف : جمع فيه كل كلمات اللغة التى فيها عين الكلمة ولامها من جنس واحد .

٣ ـ كتاب المثال : جمع فيه كل كلمات اللغة التى فيها الحرف الأصلى الأول حرف علة .

٤ ـ كتاب ذوات الثلاثة : جمع فيه كل كلمات اللغة التى فيها عين الكلمة حرف علة ، وتلك هى التسمية الفريدة التى استمدها الفارابى من الكوفيين ويعبر البصريون عن هذا النوع من الكلمات بالمصطلح المشهور « الأجوف ». وسنعرض فيما بعد لسر هذه التسمية .

٥ ـ كتاب ذوات الاربعة : جمع فيه كل كلمات اللغة التى فيها لام الكلمة حرف علة . ويعبر البصريون عن هذا النوع من الكلمات بالمصطلح المشهور « الناقص » . وسنعرض ايضا لسر هذه التسمية فيما بعد .

٦ ـ كتاب المهموز : جمع فيه كل كلمات اللغة التى احد حروفها الأصلية همزة ، وبدأها بالمهموز الفاء ، ثم المهموز العين ثم المهموز اللام .

وفى كل كتاب من هذه الكتب الستة نرى المؤلف يجعل الكلمات شطرين : الشطر الأول الأسماء ، والشطر الآخر الأفعال .

اما الترتيب الداخلي لكل من الأسماء والأفعال فقد جعله على حسب التجرد والزيادة فى كل كلمة . ففي الاسماء يصطنع الفارابى الابواب الآتية :

الثلاثى ، ثم المزيد فى اوله بالهمزة أو الميم ، ثم المثقل الحشو « أى الوسط » ، ثم المزيد بين الفاء والعين ، ثم المزيد بين العين واللام ، ثم الأسماء خماسية الأصول ، وامثلة هذه الحالات على الترتيب : عتب ، أصبع ، ومذهب ، حمص ، طابع ، سحاب ، خدب ، ثعلب ، جردحل . اما الافعال فقد اصطنع معها الفارابى الابواب الآتية :

الثلاثى المجرد ، ثم المزيد بهمزة قطع فى أوله ، ثم المثقل الحشو ثم المزيد بين الفاء والعين ، ثم الأفعال التى أولها الف وصل ، ثم المزيد بالتاء فى أوله مع تثقيل حشوه ، ثم ما أوله التاء مع زيادة بين الفاء والعين ، ثم بابا الألوان ، ثم الرباعى الأصول وما ألحق به أو زيد فيه .

وامثلة هذه الحالات على الترتيب : ثقب ، أترب ، رتب ، جاذب ، اجتذب انسحب استصعب ، تكلم ، تجاذب ، احمرّ احمارّ ، زعفر .

ولما كان كل باب من هذه الأبواب قد يتضمن مجموعة من الكلمات فى اللغة ، رتب صاحب المعجم كلمات الباب على حسب البنية : فقدم المفتوح الأول ثم المضموم ثم المكسور ، فأمثال « شهر ، دهر » تقدم على أمثال « مهر ، نطر » ، وهذه تقدم على أمثال « عطر ، قدر » ولا يتصور هذا الا فى الأسماء . كما قدم الساكن الحشو « أى الوسط » على متحرك الحشو مثل : قبر يقدم على قمر ، ولا يتصور هذا كذلك الا فى الأسماء .

نسب للجوهرى ، وهو للفارابى

فاذا تساءلنا بعد كل ما تقدم وأين الترتيب على حسب الحروف فى هذا المعجم ؟ وجدنا أن صاحب

المعجم رتب كلمات الصيغة الواحدة في كل باب من الأبواب على حسب الحرف الأصلي الأخير من الكلمة مراعيا معه الحرف الأصلي الأول منهـا . وهذا الترتيب هو الذي اشتهر فيما بعد بنظام البـاب والفصـل وتنسب الفصـل فيه للجوهري صاحب معجم الصحاح . وقد ظل نظام الباب والفصل متبعا في كثير من المعاجم المشهورة التي صنفت بعد « الصحاح » من أمثال : لسان العرب،والقاموس المحيط للفيروزبادي ، وتاج العروس

فاذا شاء الباحث في معجم ديوان الأدب العثور على كلمة مثل « استخراج » وجب أولا أن يجردها في ذهنه من الزوائد ليتعرف على الكتاب الـذي يشتمل عليها ، ومن اليسير حينئذ ان يعرف أنها من كلمات الكتاب المسمى « كتاب السالم » وجد أنها في الشطر الثاني من هذا الكتاب وهو شطر الأفعال ، ووجدها في باب الأفعال التي أولها الف وصل ، وبين الكلمات التي آخرها « جيم » وأولها « خاء » .

دقة الفارابي في اختيار كلماته

وقد توخى الفارابي الدقة في اختيار كلماته ، وتحرى الصواب ما وسعه هذا . فيقول في مقدمته انه لم يذكر في معجمه الا ما أيده الاستعمال وما ذكره العلماء وكان واردا في القرآن الكريم او الحديث الشريف او شاهد من كلام العرب الفصحاء .

ومال الفارابي في معجمه الى الايجاز ، فاقتصد في الشواهد ولم ينص على المقيس من الصيغ ، بل كان في أغلب الاحيان يكتفي بالنص على السماعي منها . واشاراته الى الاعلام من اسماء الأشخاص والبلدان سريعة مقتضبة . ولم يتورط كغيره من بعض اصحاب المعاجم الأخرى في التعرض الى شرح الأدوية وطرق العلاج وتفسير الأحلام او البحوث النحوية والبلاغية ، وغير ذلك مما لا يعد في الحقيقة من مهمة المعاجم اللغوية .

ميل الفارابي الى المذهب الكوفي

ويظهر بوضوح في ثنايا هذا المعجم ميل صاحبه الى المذهب الكوفي والمصطلحات الكوفية من أمثال : « الخفض » بدلا من « الجر »و«الاجراء» بمعنى « الصرف » و « المثقل الحشو » بدلا من « المضعف » ، و « اسم الحال » بدلا من « اسم الهيئة » ، والفعل « الواقع » بمعنى المتعدي و « غير الواقع » بمعنى « اللازم » .

ولعل أطرف ما في مصطلحات الفارابي وأدلها على اتجاهه الكوفي انه سمى المعتل العين وهو ما اشتهر في كتب النحو بالأجوف « ذوات الثلاثة » وسمى المعتل اللام وهو المشهور بالناقص «ذوات الأربعة » .

ورغم شيوع هذين المصطلحين بين علماء الكوفة اذ استعملهما الفراء وابن السكيت ، نلحظ ان بعض القدماء قد خلطوا بينهما وبين ما شاع في كتاب سيبويه وغيره من البصْريين من قولهم « بنات الثلاثة » و « بنات الاربعة » ولا يعنون اكثر من الثلاثي الاصول والرباعي الاصول .

فالخطيب التبريزي في تعليقه على كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت يلتبس عليه الامر ويزعم ان الكوفيين يسمون الأجوف « بنات الثلاثة » والناقص « بنات الاربعة » والحقيقة أن الكوفيين قد تركوا للبصريين مصطلحهم « بنات الثلاثة » بمعنى الثلاثي الأصول ، و « بنات الأربعة » بمعنى الرباعي الأصول ، واختصوا أنفسهم « بذوات الثلاثة » بمعنى الأجوف ، «وذوات الأربعة» بمعنى الناقص.

كذلك لم يفطن ابن بري في تعليقه على الصحاح للجوهري الى هذا المصطلح الكوفي حين استعمله الجوهري في بعض الأحيان ، وظن ابن بري أن الجوهري قد أخطأ .

ولم نظفر في كلام المتقدمين من علماء اللغـة بتفسير للسر في هذا المصطلح الكوفي . ويبدو ان المتاخرين منهم قد التبس عليهم امره فحاولوا تعليله في كلام لا يقنع الباحث المدقق . فيقـول الخطيب التبريزي مثلا في كتابه « تهذيب اصلاح المنطق » ما نصه :

(وذلك لأن « غار » اذا رددت الفعل الى نفسك قلت « غرت » ، فيكون على ثلاثة أحرف ، و « حكى » اذا رددته الى نفسك قلت « حكيت » فيكون على أربعة أحرف) !! . ويوافقـه على هذا التعليل الرضي في شرح الشافية !! اى انهما يريان أن الأجوف حين يسند الى المفرد المتكلم مثل « باع » يصبح « بعت » ويتكون حينئذ من ثلاثة أحرف ، على حين ان الناقص اذا أسند للمفرد المتكلم مثل « رمى » يصبح « رميت » ويتكون حينئذ من اربعة أحرف !!

وفي رأيي ان هذا التعليل تافه فيه كثير من التكلف والتعسف . فلو تذكر هذان العالمان ان « باع » حين تسند الى المفردة الغائبة تصبح « باعت » اى تتكون حينئذ من اربعة أحرف ،

وان « رمى » حين تسند اليها تصبح « رمت » اى تتكون حينئذ من ثلاثة أحرف ، اقول لو تذكرا هذا ما تورطا فى مثل هذا التعليل .

والسر الحقيقي فى المصطلحين الكوفيين يتضح بالرجوع الى الابنيـة التى ذكرها الفارابى فى معجمه . ومنها تتبين ان الأجوف فى كل أبنيتـه لا يكون الا ثلاثى الأصول ، على حين أن الناقص قد يكون ثلاثى الأصول ورباعى الأصول . فمنتهى بناء الأجوف هو الثلاثى ومزيده ولا يوجد أجوف رباعى الأصول ، فى حين ان الناقص جاءت منه كلمات رباعية الأصول ، ولذلك استحق الناقص اسم ذوات الأربعة لأن منتهى بنائه وصل الى أربعة حروف اصلية سواء كان هذا فى الافعال أو الاسماء .

الصلة بين ديوان الادب وصحاح اللغة

لعل أول من تنبه الى هذه الصلة هو المستشرق « كرنكو » ورأى أن الجوهرى قـد اقتبس نظام ديوان الأدب ومادته فى معجم الصحاح .

والشىء المتفق عليه تاريخيا أن الفارابى خالُ الجوهرى ، وأن الجوهرى تتلمذ على خاله ، وأنه قرأ عليه ديوان الأدب ، واحتفظ بنسخة منـه كتبها بخطه .

لا غرابة اذن أن يكـون الجوهـرى قـد تأثر بشخصية الفارابى ، وانه استعان بكتاب ديوان الأدب فى تأليف معجمه الصحاح .

وأبرز ما يلتقى فيه ديوان الأدب مع الصحاح ذلك النظام الذى عرف فيما بعد بنظام البـاب والفصل ، اى ترتيب الكلمات على حسب الحرف الأصلى الأخير مع مراعاة الحرف الأصلى الأول .

وكنا الى عهد قريب نظن أن النظام من ابتكـار الجوهرى ، وانه لم يسبق اليه ، حتى رأينـا الفارابى فى ديوان الأدب يرتب عليه الكلمات بعد ترتيبها على حسب الصحة والاعلال . أى ان أساس هذا النظام جاء فى ديوان الأدب ، ولا فضل للجوهرى الا فى أنه رتب عليه المادة اللغوية برمتها فى ترتيب هجائى موحد . وكان الجوهرى يفخـر بهذا النظام وكان معجمه من أجله يعد بين المعاجم العربية كالبخارى بين كتب الحديث .

ولكن الغريب العجيب الا يرد فى الصـحاح ذكر لديوان الأدب ولا لصاحبه الفارابى برغم ذلك الحشد الحاشد من العلماء الذين أخذ عنهم الجوهرى وذكرهم فى صحاحه .

ولعل السر فى هذا هو كثرة ما نقله الجوهرى عن خاله الفارابى ، وما عرف بين العلماء والدارسين من صلته الوثيقة به علما ونسبا ، فتحـرج الجوهرى من نسبة كل هذا الفضل لخاله ، ورأى أنه قد يكون من انكار الذات الا يشير الى خاله مكتفيا بما اشتهر لدى الناس من صلتهما العلمية والنسبية . وكل هذا حين نحسن الظن بالجوهرى وننفى عنه مظنة العقوق لصاحب الفضل الاول عليه .

«ديوان الأدب» بين الدارسين والباحثين

ونظام « ديوان الادب » رغم تعقده وصـعوبة تناوله على بعض الدارسين يمكن أن يفيد منه الباحث الحديث فوائد جليلة الشأن . فهو معجم أدق ضبطا ، لانه روعى فى ترتيبه بِنْيَة الكلمات . فليست الكلمة فيه بحاجة الى ضبط مسـتقل فى كل حالة . وحشد الكلمات ذات البنية الواحدة معا وفى مكان واحد يجنبنا كثيرا من احتمال الزلل أو التصحيف فى صحة النطق بالكلمة . وهو فوق هذا وقبل هذا يوفر علينا مشـقة القيام بتلك العمليات الاحصائية التى تعتمد عليها البحـوث اللغوية الحديثة . فالباحث فى أبواب الثلاثى من الفعل الصحيح مثلا يظفر فى سهولة ويسر بذلك العدد الضخم من افعال اللغة محشودا فى مكـان معين من ديوان الأدب فى ترتيب وتنسيق عـلى حسب البنية وحروف الهجاء . فليس يحتـاج الباحث الى التماس مثل ذلك العـدد الضخم الذى يجاوز ثلاثة آلاف كلمة من معجم كالمحيط للفيروز بادى أو لسان العرب .

فالمعاجم المرتبة على حسب الظواهر اللغـوية ، من صحة واعلال ، واسماء وأفعال وعلى حسب بنية الكلمات أو صيغها حين تصبح بين يـدى الباحث اللغوى تكون خير عون له على استنباط القاعدة الصحيحة التى تخضع لها الظاهرة اللغوية .

لأن أساس البحث لدى اللغوى الحديث وأولى خطواته هو الاحصاء الكامل للأمثلة الظاهرة المراد بحثها . فديوان الأدب وأمثاله من المعاجم القديمة لم تستنفد أغراضها فى العصر الحديث كما قـد يظن بعض أهـل العلم ، فهى ، وان لم تكـن الصورة المثلى للمعجم اللغوى الحديث، لا تزال بحاجة اليها فى كثير من بحوثنا اللغوية . لهـذا أرجو الا يمر زمن طويل قبل أن ينشر معجم ديوان الأدب للفارابى ليصبح ميسور التداول بين أيدى الباحثين من المعاصرين . ■■

ابراهيم أنيس



فلسفة ألبير كامى في الفن

« ينظر العاشق الحزين الى تلك التماثيل الاغريقية الساكنة ، فينعم فى محيا المرأة وجسدها ، بذلك العنصر الإلهى الخالد ، الذى بقى منها بعد انحلال المادة وفناء الجسد »

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم
استاذ الفلسفة المساعد بجامعة القاهرة

■ ليس البير كامى Albert Camus (١٩١٣ ـ ١٩٦٠م) غريبا على قراء العربية : فقد ترجم الى لغتنا الجانب الاكبر من انتاجه الفلسفى والروائى ؛ كما عنى اكثر من باحث عربى بدراسة نزعته الفلسفية وتحليل اعماله الادبية. ولكن ، على حين عرف الناس « **كامى الفيلسوف** » ، و « **كامى الأديب** » ، فقد ظلوا يجهلون « **كامى عالم الجمال** ».

وسنحاول فى هذه المجالة القصيرة ان نقدم للقارىء العربى صورة سريعة لأهم المعالم البارزة فى فلسفة كامى الجمالية ، مع الاهتمام فى الوقت نفسه بفهم هذه الفلسفة فى ضوء الاصول العامة لتفكيره.

ولئن كان كامى لم يتحدث عن « الفن » الا فى كتابيه المعروفين : « **اسطورة سيزيف** » Le Mythe de Sisyphe (سنة ١٩٤٢) و « **الانسان المتمرد** » L'Homme Revolte (سنة ١٩٥١) ، الا ان انتاجه الادبى ينطوى على التطبيق العملى لتلك الفلسفة الجمالية التى بسطها لنا ـ نظريات فى هذين الكتابين .

بين الأديب والفيلسوف

وكامى يرفض ذلك التعارض التقليدى الذى اعتاد الناس اقامته بين «الاديب» و «الفيلسوف». وهو يقول ان « الفيلسوف » فى نظر الناس لا بد



من ان يظل أسيرا لمذهب واحد بعينه ، ألا وهو مذهبه الخاص ، فى حين أنه ليس من الضرورى للأديب أن يبقى حبيسا لأى عمل فنى يُبدعه . ولكن كامى يرد على هذا الزعم بقوله انه ليس بصحيح ما يزعمه الناس من ان الفيلسوف قابع « داخل » مذهبه ، فى حين أن الفنان ماثل « أمام » عمله الفنى ، بل الصحيح أن كلا من الفيلسوف والفنان على صلة وثيقة بفلسفته أو فنه . فليس أبعد عن الصواب من تلك الفكرة القائلة بوجود « فن » منفصل عن صاحبه ، أو وجود « عمل فنى » مستقل تماما عن « الفنان » الذى ابدعه .. واذا كان البعض قد توهم أن من المحال للفيلسوف ــ بعكس الفنان ــ أن يضع أكثر من مذهب ، فان كامى يقرر ان الفنان أيضا لا يستطيع فى العادة أن يعبر الا عن شىء واحد ، وان كان هذا التعبير قد يتخذ صورا عديدة متباينة . ومعنى هذا ان مَثَل الفنان كمثل المفكر : من حيث ان كلا منهما ملتزم بانتاجه ، متحقق من خلاله ، مندمج فيه ...

وحينما يتخذ الانتاج الفنى طابع البناء او التركيب ، فان « العمل الفنى » الذى يقدمه لنا الفنان سرعان ما يصبح حلقه فى سلسلة فنية ضخمة تسودها « حقيقة فنية واحدة » . واذا كان بعض كبار الفنانين قد يبدون لنا احيانا مَمِلّين ، فما ذلك الا لأن لديهم حقيقة فنية واحدة يكررونها برتابة فى شتى أعمالهم الفنية المتلاحقة .

واذن فليست الشقة ببعيدة ــ الى الحد الذى تصوره البعض ــ بين الفلسفة والفن ، أو بين التفكير الفلسفى والابداع الفنى ، ما دام كل من المفكر والفنان انما يتجه أولا وبالذات نحو « عالمه » الخاص الذى يعمل جاهدا فى سبيل ابداعه . وحتى لو تصورنا فيلسوفا مثل كَنْط Kant ، فاننا لن نستطيع أن نتخيله الا فنانا مبدعا له شخصياته ، ورموزه ، وعقدته ، وحَبْكته الفنية ...

ولما كان من الضرورى لكل فن أن يصدر عن نظرة خاصة الى الوجود ، فان أى روائى ــ كائنا من كان ــ لا بد من أن يكون فى الوقت نفسه صاحب فلسفة ، وان كان الروائى ــ بطبيعة الحال ــ فيلسوفا واقعيا يحدثنا بلغة الصور عن أعمق معانى الوجود الانسانى . ومن هنا فقد كان بلزاك ، وستندال ودوستوفسكى ، وبروست ، ومالرو ، وكافكا ، وغيرهم، « روائيين فلاسفة » ، وان كانت فلسفاتهم قد بقيت مطوية خلال مجموعة من المواقف البشرية التى عاشتها شخصياتهم الروائية الخالدة ...

الفن والتمرد البشرى

وعند كامى ان الانسان ـ فيلسوفا كان أم فنانا ـ لا بد من أن يواجه « العبث » السائد فى العالم بحرية ، وتمرد وقدرة ابداعية . وليس الوجود البشرى « حيوانا متمردا » لمجرد أنه « المخلوق الوحيد الذى يرفض أن يكون على ما هو عليه » ، بل لانه ايضا ذلك المخلوق الحر الذى يقف فى وجه موقفه البشرى ، متمردا فى الوقت نفسه على الخليقة كلها !

وحينما ينظر الفنان الى « العالم » فانه لا يملك سوى التمرد على ما فيه من « عبث » ، وبالتالى فانه لا بد من أن يجد نفسه مدفوعا نحو العمل على تشكيل العالم ، بمقتضى ما لديه من حرية ابداعية . ومعنى هذا ان الفنان انما هو ذلك الانسان المتمرد الذى يفرض على العالم شكلا فنيا منظما .

وحين يقول كامى ان « الفن » لا يخرج عن كونه صورة من صور « التمرد الانسانى » ، فانه يعنيبذلك ان الفنان يرفض العالم ، وان كان هذا الرفض خارجا عن دائرة التاريخ ، وبالتالى فانه صورة نقية خالصة منصور التمرد الانسانى.

والبير كامى يوافق الفيلسوف الالمانى نيتشه Nietzsche على انه « ليس ثمة فنان يستطيع أن يحتمل الواقع ، لان من طبيعة الفنان أن يضيق ذرعا بالعالم » ، ولكنه يضيف الى ذلك انه « ليس ثمة فنان يستطيع ـ مع ذلك ـ أن يستغنى تماما عن الواقع » . ولئن كان الابداع الفنى ـ فى جوهره ـ بمثابة « رفض للعالم » ، والتماس لضرب من « الوحدة » ، الا أن رفض الفنان للعالم هو فى الوقت نفسه سعى وراء ذلك « العالم الفنى » الذى يريد أن يخلقه لنفسه . فالفنان لا يرفض الواقع الا بسبب ما يشعر به من نقص فى صميم العالم الواقعى ، ومن ثم فانه لا ينكره الا باسم ذلك « الواقع الجديد » الذى سوف يبدعه ابتداء من « معطيات » العالم نفسه !

الحملات المختلفة على الفن

بيد أننا لو عدنا الى تاريخ الفكر البشرى ، لوجدنا أن الفن قد استهدف لحملات كثيرة من جانب المصلحين الثوريين فى كل زمان ومكان . فهذا افلاطون مثلا يندد ببعض طوائف الفنانين ، ويطرد « الشعراء » من جمهوريته باسم بعض المبادىء الاخلاقية . ولكن افلاطون ـ مع ذلك ـ لم يكن اعنف خصوم الفن ، فانه لم يكد يتجاوز فى حملته على الفن الاشارة الى ما فى « اللغة » من زيف وتضليل ، فضلا عن أنه لم ينكر أهمية فنون كالموسيقى والمعمار . ونحن نعرف كيف اعترف افلاطون بقيمة « الجمال » ، وكيف وضعه فى مرتبة تفوق مراتب سائر الأشياء ، بل تعلو على العالم نفسه !

واما الاتهام الحقيقى للفن فهو ذلك الذى حملته لنا بعض الحركات الثورية فى العصر الحديث ، اذ اصبح الكثيرون يعتبرون الفن مسئولا عن فساد معظم المجتمعات . ولعل من هذا القبيل مثلا ما فعلته حركة الاصلاح الدينى فى اوروبا : اذ راح أصحابها يدعون الى استبعاد معايير الجمال ، من أجل الاقتصار على التمسك بقيم الأخلاق . وهذا أيضا ما ذهب اليه المفكر الفرنسى جان جاك روسو: فقد اتهم الفن بأنه مُفسِدة" للأخلاق، وكأنما هو بدعة استحدثها المجتمع الصناعى ليدنس بها طهارة الطبيعة النقية الخالصة ...

ثم جاءت الثورة الفرنسية فلم تعمل على ظهور فنان واحد ، بل قدمت للعالم صحفيا كبيرا هو ديسمولان Desmoulins ، وكاتبا كان يعمل فى الخفاء هو المركيز ساد Sade ، والشاعر الوحيد الذى ظهر فى ظل الثورة قد لقى حتفه تحت المقصلة ! وبظهور حركة سان سيمون وأعوانه ، ظهرت دعوى جديدة هى المناداة بفن اجتماعى نافع وهكذا شاع بين أبناء ذلك العصر نداء « الفن للتقدم » ، وجرى الاصطلاح على قلم الشاعر الكبير فكتور هيجو ، ولو أن هذه الدعوة لم تكسب على يديه أى حظ من النجاح !

الفن والعدمية الروسية

أما أنصار « العدمية » Nihilisne من المفكرين الروس ، فقد حملوا على الفن باسم الثورة . وهذا ما فعله مثلا بيسارف Pisarev حينما نادى بانحلال القيم الجمالية ، لحساب بعض القيم العملية (أو البرجماتية) . ولعل هذا ما عبر عنه بيسارف حينما كتب يقول :

« اننى لاوثر ألف مرة أن أكون اسكافيا روسيا من أن أكون رافائيلا روسيا » ! ومعنى هذه العبارة أن زوجا من الاحذية أنفع ــ فى نظر بيسارف ــ من شكسبير نفسه ! واما الشاعر الروسي الكبير نكراسوف Nekrassov فهو يقرر بصراحة انه يفضل قطعة من الجبن على الشاعر الروسي بوشكين كله ! ...

ولا نرانا فى حاجة الى الافاضة فى شرح موقف تولستوى من الفن : فانه لمن الحديث المعاد ان نقول ان تولستوى قد ادان الفن كله باسم الأخلاق المسيحية .

وأما تماثيل فينوس وابولون الرخامية الرائعة التى كان قيصر روسيا بطرس الاكبر قد استقدمها من ايطاليا ، ليزين بها حديقة قصره الصيفى الفخم فى بطرسبرج ، فان روسيا الثائرة لم تلبث ان ادارت لها ظهورها . ولا غرابة فى ذلك ، فان من طبيعة البؤس ــ فيما يقول كامى ــ أن ينصرف عن مناظر السعادة والنعيم : لان امثال هذه المناظر لا تولد فى نفسه سوى مشاعر الحزن والشقاء (١) .

نقد الماركسيين للفن

ثم ينتقل البير كامى الى « الايديولوجية الالمانية » فيبين لنا انها لا تقل قسوة عن « العدمية الروسية » فى حكمها على الفن . وحسبنا ان نرجع الى الشراح الثوريين لكتاب الفيلسوف الالمانى هيجل Hegel (١٧٧٠ ــ ١٨٣١ م) فى « فلسفة الظواهر » ، لكى نتحقق من أنهم قد اجمعوا على القول بانه لن يكون ثمة « فن » فى مجتمع المستقبل ، ما دام المجتمع الصالح التوافق مع نفسه سيكون بالضرورة فى غنى عن كل ابداع فنى ! وحجة أصحاب هَذا الراى ان الجمال ــ فى مثل هذا المجتمع ــ سوف يكون واقعة" مُعاشة" ، لا مجرَّد صورة متخيلة . وحينما يصبح « الواقع » حقيقة معقولة الى اقصى حد ، فانه سيكون هو الكفيل وحده باشباع نهم الروح الانسانية ... وقد حاول الماركسيون أن يطبقوا على الفن نقدهم للوعى الصورى والأساليب البورجوازية فى التهرب (او الفرار) فذهبوا الى أن الفن ليس ضرورة انسانية عامة يتطلبها كل عصر ، بل هو ــ على العكس ــ حاجة نسبية محددة بمطالب هذا العصر أو ذاك ، وبالتالي فانه يعبر عن القيم المفضلة للطبقة المسيطرة (أو الحاكمة) . ومعنى هذا انه ليس ثمة « فن فى ذاته » ، أو فن يصدق فى كل العصور ، بل هناك فنون نسبية موقوتة ، مشروطة بعصرها وظروف نشأتها . والفن الثورى الوحيد انما هو ذلك الذى يضع نفسه فى خدمة « الثورة » . هذا الى أن الفن حينما يخلق الجمال ــ خارجا عن دائرة التاريخ ــ فانه يضع العراقيل فى طريق الجهد العقلى الأوحد ، الا وهو ذلك الجهد الذى نقوم فيه بتحويل التاريخ نفسه الى جمال مطلق ! وهكذا نرى أن الاسكاف الروسى ــ بمجرد ما يصبح على وعي تام بحقيقة دوره الثورى ــ انما يصبح هو المبدع الحقيقي للجمال الحاسم ! وعندئذ لا بد من أن يجيء الزمن فيعفى على ذلك الجمال الزائل الذى أبدعه رافائيل ، خصوصا وان هذا الجمال العابر لن يكون ــ بالنسبة الى الانسان الجديد ــ شيئا مفهوما على الاطلاق !

صحيح أن كارل ماركس قد لاحظ أن الجمال الاغريقى لا يزال يستأثر باعجاب شعوب اوروبا ، ولكنه يعلل هذا الاعجاب بقوله : « ان فى تلك الروائع الفنية اليونانية مسحة من البراءة ، فهى تعبر عن عالم بشرى تغلب عليه سذاجة الطفولة ، ونحن نجد فى نفوسنا حنينا بالغا الى هذه الطفولة البشرية البريئة ، حتى نتحرر ــ ولو الى حين ــ من أعباء حياتنا الراشدة الحافلة بشتى ضروب الصراع » .


رمبرانت

وهذا التعليل ــ فى راى البير كامى ــ لا يفسر لنا السر فى اعجابنا بروائع عصر النهضة الايطالية ، ولوحات الفنان الهولندى الشهير رمبرانت Rembradt وآثار الفن الصينى : فان هذه كلها أعمال فنية هائلة تنتزع اعجابنا ، دون أن يكون فيها ادنى اثر من آثار السذاجة او الطفولة .

---

(1) Albert Camus : "L'Homme Revolte" 1951, P. 314.

ومهما يكن من شيء ، فان الماركسيين يمضون في حملاتهم العنيفة على الفن ، دون أن يحفلوا بالرد على امثال هذه الاعتراضات. وهم يستندون في سلسلة اتهاماتهم للفن الى بعض تصريحات واهية ادلى بها جماعة من رجال الفن واهل الفكر، ممن راحوا يتشككون في قيمة رسالتهم الفنية ذاتها .

وكامي يلاحظ هنا أن الماركسيين يحدثوننا عن صراع موهوم بين شكسبير والاسكاف ، ولكن الحقيقة أن الاسكاف ليس هو الذى يلعن شكسبير او يكفر بالجمال ، وانما الذى يلعنه ـ على العكس ـ انسان لا يزال يقرأ شكسبير ، دون أن يختار لنفسه صناعة الأحذية ، لسبب بسيط هو انه لن يستطيع يوما أن يصنعها ! واذا كان امثال هؤلاء المتحاملين على الفن يشعرون بندم على احترافهم لمهنة الفن ، فان البير كامي يقرر ان آخر شيء يمكن أن يدور بخلد الفنان الحقيقى هو هذا الشعور بالندم ! وحينما ينادى الفنان الماركسى او رجل الفكر الروسى بضرورة استبعاد « الجمال » من عالمنا الحديث ، فانه انما يريد بذلك أن يحرم الجميع ـ بما فيهم الاسكاف نفسه ـ من ذلك الخبز الاضافى الذى طالما افاد منه هو نفسه !

الفن من حيث هو بحث عن « الوحـدة » ...

ولكن ، لماذا يشعر الانسان بحاجته الى الفن ، على الرغم من كل تلك الحملات التى شنها جماعة الثوريين على النشاط الفنى ؟

هذا ما يجيب عليه كامي بقوله ان الفن يعبر من حاجة ميتافيزيقية أساسية ، ألا وهي الحاجة الى « الوحدة » Unité . ولما كان الانسان لا يجد في عالمه الواقعى مثل هذه الوحدة التى هو في حاجة اليها ، فانه يجد نفسه مضطرا الى ابداع عالم آخر يقيمه بديلا لهذا العالم .

وليس « الفن » في جوهره سوى تلك الحركة التمردية التى يقوم بها الانسان حينما يعمد الى رفض الواقع من أجل العمل على خلق ذلك العالم الجديد الذى يستطيع أن يجد فيه ما ينشده من وحدة وتماسك واتساق . بل ان كامي ليذهب الى حد أبعد من ذلك فيقول ان « مطلب التمرد لهو في حد ذاته مطلب جمالى » Exigence Esthètique . وآية ذلك ان « الافكار التمردية » على اختلاف ألوانها انما تتحدد في نطاق عالم انسانى صرف ، مغلق على ذاته ، عالم يخلقه الانسان لنفسه على صورته ومثاله ، بدافع من شعوره بالحاجة الى الوحدة والاتساق .

وليس في وسع الانسان أن يبلغ أقصى درجة من المعرفة ، او ان يتمتع باكبر قسط من السيطرة ، اللهم الا في نطاق تلك « العوالم المغلقة » التى يبتدعها لنفسه . ولهذا يقرر كامي انه أيا ما كان نوع الفن الذى يتحمس له هذا الفنان أو ذاك ، فانه لا بد للنشاط الفنى في كل حالة من الحالات من ان يتخذ طابع العملية الابداعية التى يقوم فيها الفنان باعادة خلق العالم لحسابه الخاص..!

تأثر كامي بالكاتب الفرنسى مالرو

وهنا يظهر بوضوح تأثر البير كامي بالفكر الفرنسى الكبير اندرية مالرو Malraux (ولد عام ١٩٠١) : فان مالرو قد كان أسبق من كامي الى تأكيد الطابع الابداعى للفن ، فضلا عن انه قد عرّف الفن بقوله : « انه اسلوبنا البشرى في خلق عالم يكون غريبا عن الواقع » . (١)

ولكن ، على حين أن مالرو قد قصر معظم اهتمامه على دراسة فنى التصوير والنحت ، نجد أن كامي قد حاول تطبيق هذا الفهم الابداعى للفن على فنون أخرى كالموسيقى والشعر والرواية والمسرحية وما اليها . فليس المصور ـ أو المثال ـ هو وحده الذى يعيد خلق العالم لحسابه الخاص، بل اننا لنلتقى بعملية مماثلة لدى كل من الموسيقار ، والشاعر والكاتب المسرحى ، وغيرهم من الفنانين .

وفي الموسيقى

فالموسيقار ـ مثلا ـ انما يعيد تاليف تلك

(I) A. Molrauxl "La Momaie de I'Absolu." Paris. 1950, P. 122.

الأنغام الكامنة فى الطبيعة،لكي يقدم لنا سيمفونية أصيلة لا نظير لها فى أى لحن من ألحان العالم . وعلى حين أن العالم لا يعرف الصمت مطلقا ، لأن سكونه ذاته يردد على الدوام أنغاما واحدة بعينها ، وفقا لذبذبات خاصة تفلت بطبيعتها من طائلة ادراكنا ، نجد أن الموسيقى تقدم لنا سيمفونيات مكتملة ، يخلع فيها اللحن طابعه الخاص على أصوات هى فى ذاتها عديمة الصورة . ومعنى هذا بعبارة أوضح أن الأصوات التى تقدمها لنا الطبيعة قلما تنطوى على توافق أو لحن موسيقى ، فى حين أن فى استطاعة الموسيقار أن ينتزع من هذه الفوضى الطبيعية ــ عن طريق الايقاع والتوافق واللحن ــ وحدة موسيقية تطرب لها النفس ، ويهتز لها القلب .

وفى النحت

وأما فن النحت ــ وهو فى رأى كامى أعظم الفنون جميعا وأشدها طموحا ــ فهو يسعى جاهدا فى سبيل العمل على « تثبيت » الصورة الانسانية العابرة ، أو « تخليد » الوجه البشرى الزائل ، فوق الأبعاد الثلاثة المعروفة . وهذا ما يعبر عنه كامى باصطلاحه الفنى حينما يقول ان النحت يحاول « رد فوضى الحركات الى وحدة الطراز ». ولئن كان فى النحت لا يستبعد عنصر المشابهة ــ لأنه فى حاجة ماسة اليه ــ الا انه لا يبحث أولا وبالذات عن محاكاة الواقع ، بل هو ينشد الايماءة ، والسحنة ، والسيماء ، والنظرة الخاوية : لأن هذه جميعها تلخص حركات الناس ونظراتهم . فالنحت لا يرمى الى التقليد أو المحاكاة ، بل هو ينشد التعبير والطراز ، أعنى أنه يحاول أن يحتبس فى تعبير قوى حافل بالمعانى، تلك السَّوْرة البشرية الزائلة : سَوْرة الأجسام العارمة ، والنفوس المضطربة ، فى شتى المواقف الخالدة ، التى تحمل فى طياتها معانى السكون والكمال ، فانه يشيع الهدوء ــ ولو الى حين ــ فى تلك القلوب البشرية الثائرة بحمى القلق والتوتر والحركة المستمرة ... وينظر العاشق الحزين الى تلك التماثيل الاغريقية الساكنة ، فيتملى فى محيّا المرأة وجسدها ذلك العنصر الالهى الخالد الذى يبقى منها بعد انحلال المادة وفناء الجسم !

وقفة عند فن التصوير

ثم يتوقف كامى عند فن التصوير ، فيقول لنا ان المبدأ الذى يقوم عليه هذا الفن انما هو مبدأ « التخيير » أو « الانتقاء » . وقد كان الرسام الفرنسى الكبير أوجين دلاكروا Delacroix (١٧٩٨ ــ ١٨٦٣ م) يعرّف العبقرية الفنية ــ فى ميدان التصوير ــ بقوله : « أنها موهبة الاختيار، مع القدرة على التعميم » . والواقع أن المصور لا بد أولا وقبل كل شىء من أن يقوم بعزل موضوعه : فان هذا العزل هو الخطوة الأولى فى سبيل العمل على توحيده . ولما كانت المناظر الطبيعية تهرب منا بسرعة ، أو تختفى من ذاكرتنا بمجرد ما نناى عنها ، ان لم نقل بأنها قد يتعارض بعضها مع بعض ، فان المصور يجد نفسه مضطرا الى أن يعزل فى المكان والزمان ما هو ــ بطبيعته ــ متنقل مع الضوء،مفقود فيما لا حصر له من المنظورات ، ضائع تحت تأثير اصطدامه بما عداه من القيم الفنية الاخرى ...

واذن فليس بدعا أن نرى مصور المناظر الطبيعية يحرص ــ أول ما يحرص ــ على احاطة لوحته باطار خاص ، وكأنما هو يريد أن يستبعد ويحذف ، بقدر ما يتخير وينتقى .

وهكذا الحال أيضا بالنسبة الى مصور المواضيع ، فانه انما يعزل فى المكان والزمان « فعلا » يضيع عادة فى ثنايا غيره من الأفعال .

ومعنى هذا أن المصور هنا يقوم بعملية « تثبيت » Fixation . والمصورون العظماء ــ فيما يقول كامى ــ انما هم أولئك الذين يوهموننا (كما هو الحال فى كل لوحات بييرو دلا فرانشسكا Piero Della Francesca) بان عملية « التثبيت » لم تتم الا منذ برهة وجيزة ، وكأن جهاز الارسال لم يتوقف الا منذ لحظة قصيرة ! وهذا هو السبب فى أن الشخصيات التى يقدمها لنا أمثال هؤلاء المصورين انما تثير فى نفوسنا ــ بفضل معجزة الفن ــ الشعور بأننا أمام مخلوقات حية ، وان كانت هذه المخلوقات لم تعد خاضعة لحكم الفناء ! وهذا الفيلسوف الفنان الرسام رمبرانت Rembrandt ــ حتى بعد مرور مئات السنين على وفاته ــ لايزال يتأمل فى مزيج رائع من النور والظلال ، طارحا على الدوام نفس السؤال !

الفن بين الرفض والقبول ...

بيد أن الفن ـ في رأى كامى ـ لا يمكن أن يكون كله رفضا وتمردا ، بل هو أيضا قبول وموافقة . ومعنى هذا انه ليس ثمة فن يستطيع أن يعيش على الرفض الشامل أو التمرد المطلق ، بل لا بد للفنان ـ حتى حين يرفض الواقع ـ من أن يتحمس لبعض جوانب أخرى من الحقيقة . ومهما تنكر الفنان للواقع ، فانه لن يستطيع مطلقا أن يتهرب منه تماما . وكما أن كل تفكير ـ حتى ذلك الذى ينادى باللامعقول أو باللامعنى ـ لا بد من أن يَعنى شيئا ، فكذلك لا بد للفن من أن يعنى شيئا ، حتى ولو زعم لنفسه انه فن لا معقول ! ومهما ثار الانسان على ما فى الكون من فوضى أو ظلم أو اضطراب ، فانه لن يستطيع أن يزعم مطلقا انه ليس فى العالم سوى القبح المطلق !

واذن فان الفنان الذى يريد أن يبدع الجمال هو فى حاجة الى التمرد على بعض جوانب الواقع ، من أجل التحمس لجوانب أخرى منه . وهكذا يجد الفنان ، فى صميم الواقع نفسه ، « قيمة حية » تجعل من « الجمال » وعدا وأملا ، وتدفع بالبشر الى التعلق بهذا العالم الفانى المحدود أكثر من أى شىء آخر ! ولئن كانت حياتنا العادية تميل الى الاطاحة بهذه « القيمة » فى تيار الصيرورة المستمرة ، الا أن الفنان هو الذى يجىء فيخلع على تلك « القيمة » صورة خالدة يستبقيها أمام أنظارنا ، وينتزعها من براثن التاريخ .

« التمرد » فى الرواية ...

ثم يعرض كامى للعمل الروائى ، فيحاول أن يطبق عليه نظريته فى التمرد ، ويقرر أن الكاتب الروائى انما يعمل على تشكيل الحياة بصورة لا تتوافر فى الواقع ، ومن ثم فانه يخلع على المواقف « وحدة » لا نظير لها فى الحياة العادية . حقا أن آلام الأبطال فى الرواية هى بعينها آلام الناس فى الحياة العادية ، كما أن أحلامهم هى بعينها أحلام الناس فى الواقع الحى ، ولكن هؤلاء الأبطال يمضون حتى النهاية فى طريق حياتهم ، فهم يتممون مالا نستطيع نحن مطلقا أن ننجزه فى صميم الواقع .

فالعالم الروائى عالم يمكن أن يدوم الحب فيه حتى الموت ، وتستطيع الاهواء البشرية أن تظل قائمة فيه الى ما لا نهاية ، وتبقى فيه الموجودات قريبة للأفكار الثابتة والوساوس المرضية الى غير ما حد !

وهنا يحلل لنا كامى نموذجين من الانتاج الروائى ، لكى يبين لنا كيف أن الروائى يهدف دائما الى تصحيح الواقع ، عن طريق تلك الوحدة التى يخلعها على شتى المواقف البشرية .

ففى الرواية الفرنسية التحليلية ، وفى الرواية الأمريكية الواقعية ، انما تتجلى لنا بوضوح هذه العملية التحريرية التى يقوم بها الفنان حينما يخلع على صيرورة الحياة اتساقا فكريا لا نظير له فى صميم الواقع . وهذا التحرير أو التصحيح الذى يجريه الروائى ـ بفضل ما لديه من لغة خاصة وقدرة ذاتية على اعادة توزيع العناصر المستمدة من الواقع ـ انما هو ما نعنيه بالطراز أو الاسلوب

وليس فى الفن الروائى « واقعية محضة » ، لان أى فن روائى ، يريد لنفسه أن يكون مجرد نقل عن الواقع ، لن يكون سوى مجرد تكرار عقيم للحقيقة الخارجية ، وبالتالى فانه لن يكون فنا على الاطلاق .

ولكن الملاحظ عادة ان الروايات الواقعية نفسها لا بد من أن « تتخير » لنفسها بعض عناصر من الواقع تستبقيها وتبرزها على حساب غيرها من العناصر الأخرى . ومن هنا فان عملية « الاختيار » أو « تجاوز الواقع » هى شرط ضرورى لكل انتاج روائى ، ان لم نقل بانها شرط أساسى لكل تفكير وكل تعبير .

وهكذا يخلص كامى الى القول بأن كل فن لا بد من أن يفترض قطبين أساسين : قطب « الواقع » الذى نتخير منه وقطب «الذهن» الذى يخلع على هذا الواقع صورته الخاصة . والصورة التى يحاول الفنان أن يخلعها على الواقع لا بد من أن تجىء معبرة عن روح ذلك الانسان «المتمرد» الذى لا يريد لنفسه أن يظل مستعبَدا للتاريخ ، أو مقيَّدا بأسار الطبيعة .

حقا أن الفنان لا يستطيع أن يستغنى عن الواقع ، أو أن يتهرب من المجتمع ، ولكن الفن

انما يعلمنا كيف ننشد – عن طريق التمرد – تلك الوحدة الحقيقة التى ينطوى عليها الواقع فى جانبه العذرى ، الا وهو ذلك الجانب الذى نسميه باسم « الجمال » . وليس من شك فى أن الجمال لا يصنع الثورات ، ولكن لا بد من ان يجيء اليوم الذى تشعر فيه الثورات بحاجتها الى « الجمال » . وماذا عسى أن تكون القيم التى دافع عنها كل المصلحين عبر التاريخ أن لم تكن هى « الحرية » و « الكرامة » التى عبر عنهـا فنانون من امثال شكسبير ، وسرفانتس ، وموليير ، وتولستوى ؟

صانعو الأحذية لا يستغنون عن شكسبير

اننا لا نريد – بطبيعة الحال – لشكسبير أن ينظم مجتمع « صانعى الاحـذية » ، ولكننـا نعتقد أنه قد يكون من خطـل الرأى لمجتمـع صـانعى الاحـذية أن يزعم لنفسه الاستغناء عن شكسبير ! وليس « الفنان » دخيلا على مجتمع المدنية الحديثة، فان قاعدة « الجمال »



شكسبير

التى تقوم على انكار الواقع من جهة،واضفاء ضرب من « الوحدة » عليه من جهة أخرى ، انما هى فى الوقت نفسه قاعدة « التمرد » . ولن يتسنى للمجتمع الصناعى الحديث أن يعرف السـبيل الى الحضارة الحقيقية اللهم الا حين يمنـح العامـل كرامة الفنان المبـدع ، بحيث يتحقق التوافق بين الانتاج الصناعى والابداع الجمالى . والفن – أخيرا – انما يلقننا درسا هاما ، ألا وهو أن الانسان لا يمكن أن يظـل اسـيرا للعالم ، والتاريخ ، والصيرورة الطبيعية ، بل هو لا بد من أن يتمرد على العالم لكى يعلو على العالم ، كما انه لا بد من أن ينفصل عن التاريخ ، لكـى يحكم على التاريخ ، فضلا عن أنه لا بد من أن يعمل على التحرر من الصيرورة الطبيعية ، لكى ينشد مبررات بقائه فيما وراء النظام الطبيعي !

ويبقى ان نتساءل ...

ويبقى لنا بعد ذلك أن نتساءل : أما من سبيل الى تحقيق ضرب من التوافق بين الفرد والمجتمع، أو بين التمرد والثورة ، أو بين الانسان والتاريخ، أو بـين الرفض والقبـول ، أو بين الفـرديـة والجماعية،بحيث نعلو على نظرية كامى فى التمرد؟

وفيم اذن تشبيه الفن بالتمرد ، ما دام كامى نفسه قد اعترف منـذ البداية بان الفنـان لا يرفض الواقع جملة ، بل هو يتخير منه جوانب يعمل على ابرازها وتوحيدها ؟

ثم أليس فى نظرة كامى الى الفن تأكيد لجانب « الرفض » على حساب جانب « القبول » ؟

واخيرا ألم يقل كامى نفسه أن العبقرية الفنية – على العكس مما توهم الكثيرون – لا يمكن أن تكون سلبا محضا أو يأسا مطلقا ؟ فلماذا لا نقول اذن ان الفنان خادم التاريخ ، كمـا هو مبدع القيم ، أو هو صنيعة المجتمع كما هو ربيب الحرية ، أو الناطق باسم النظام الطبيعى كمـا هـو فى الوقت نفسـه المتمـرد الاكبـر علـى الواقع ؟؟ ■■

زكريا ابراهيم

ليس فى الامر ما يريب

● دهشت الطبقة الراقية فى بريطانيا حين تزوج دوق عريق من حسناء راقصة ، وزادت دهشتهم حين عرضت فى احد معارض الصور ، صورة كبيرة للدوقة عارية كما ولدتها امها . فاشتد غضب الدوق ، فقالت له زوجته :
– لست ادرى ماذا ينهش قلبك ، صدقني ليس فى الامر ما يريب ، فقد اعتمد المصور فى تصويرها على ذاكرته !

طرائف عربية

آداب اجتماعية جيدة

● قال بعض الحكماء : لا يكونن منكم المحدِّثُ ولا يُنْصَتُ له ، والداخل في سرِّ اثنين لم يدخلاه ، ولا الآتي الدعوة لم يُدْعَ اليها ، ولا الجالسُ المجلسَ لا يستحقه ، ولا الطالب الفضل من ايدي اللئام ، ولا المتعرض للخير من عند عدوه ، ولا المتحمِّقُ في الدالة .

لا تفعل

● كان الاعمش من الضجر بحيث اشتهر وانتشر . ومرة قال له الامام ابوحنيفة النعمان : لولا اني اخاف اني اشق عليك لاكثرت زيارتك .

فقال : لا تفعل فانت تشق علي والله وانت في دارك !

اولو الالباب

● قال الاصمعي : مررت بأحد أولاد الزبير ويكنى ابا ريحانة وعليه شملة تستره ، فسلمت عليه وجلست بقربه ، فبينا انا كذلك اذ طلعت علينا سوداء تحمل قربة ، لم يتمالك ان لحقها وقال لها : غنيني صوتا .

فقالت : ان موالي اعجلوني .

قال : لا بد من ذلك !

قالت : والقربة على كتفي ؟

قال : بل على كتفي . وتناولها . فلما غنته طرب وصرخ وضرب بالقربة الارض فشقها .

وقامت الجارية تبكي وقالت : **اهذا جزائي منك ؟**

فقال:لا تغتمي فالمصيبة علي حصلت . ونزع الشملة ، وابتاع لها قربة .

وقعد بحذاء جدار ، فمر به رجل من ولد علي بن ابي طالب فعرف حاله .

فقال : يا ابا ريحانة ، احسبك من الذين قال الله عز وجل فيهم : « فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » .

فقال : لا يا ابن رسول الله ، ولكنني من الذين يقول الله فيهم : « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، اولئك الذين هداهم الله ، واولئك هم اولو الالباب » .

فضحك وامر له بالف درهم .

أنصاف أشياء ممدوحة

● قال الحسن البصري : التقدير نصف الكسب ، والتودد نصف العقل ، وحسن طلب الحاجة نصف العلم .

حمق ظريف

● راى رجل في المنام ان له غنما وكانه يعطى بها ثمانية ثمانية ، ففتح عينه فلم ير شيئا ، فغمض عينه ومد يده وقال : هاتوا اربعة اربعة !!

علامة الجاهل

● **قال أبو الدرداء:** علامة الجاهل ثلاث: العُجْبُ، وكثرة النطق فيما لا يعنيه، وان ينهى عن شيء ويأتيه.

طفيلي يوصى أصحابه ..

● **قال ابن دراج الطفيلي لأصحابه:** لا يهولنكم غلْقُ الأبواب، ولا شدة الحجّاب، ولا عنف البواب، وتحذير العقاب، ومنابزة الالقاب، فان ذلك صائر بكم الى محمود النوال، ومغن لكم عن ذل السؤال، احتملوا الوكزة الموهنة واللطمة المؤلمة، فى جنب الظفر بالبغية، والدرك للامنية، والزموا الطوزجة للمعاشرين، والخفة بالواردين والصادرين، والتملق للطاهين والمطربين، والبشاشة للخدم والموكلين، فاذا وصلتم الى مرادكم فكلوا محتكرين، وادخروا لغدكم مجتهدين، فانكم احق بالطعام ممن دعي اليه، واولى ممن صنع له، فكونوا لوقته حافظين وفى طلبه متمسكين.

كمال العقل

● قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم مولاه: ان الولاة جعلوا العيون على العوام وانا اجعلك عينى على نفسى، فان سمعت منى كلمة تربأ بى عنها، أو فعلا لا تحبه، فعظنى عنده وانهنى عنه.

يلوذ بالله لواذ يتيم جبان

● قال اعرابى لرجل: ما اسمك؟

قال: عبد الله.

قال: ابن من؟

قال: ابن عبيد الله.

قال: أبو من؟

قال: ابو عبد الرحمن.

قال: اشهد انك لتلوذ بالله لواذ يتيم جبان.

استرحت من حيث تعب الكرام

● سمع الأحنف رجلا يقول: ما أبالى أمُدحْتُ أمْ هُجِيتُ.

فقال الأحنفُ: استرحتَ من حيث تعب الكرام.

مجد الحياة

● قال عبدالرحمن بن أم الحكم بنت ابى سفيان: لولا ثلاث ما باليت متى مت: تزاحف الاحرار الى طعامى، وبذل الأشراف وجوههم اليّ فى أمر أجد السبيل اليه، وقول المنادى: الصلاة أيها الأمير.



أبطال الكلام

عن جريدة « الجمهورية » بغداد :

● لا نريد ان نجافى المنطق او تتنكر لطبائـــع الأمور فندعى العصمة من الخطا . ونزعم البرء من كل عيب ، فنحن أولا وقبل كل شيء بشر ، والبشرجميعا معرضون للخطا .. والزلل ..

ان الذين يعملون هم الذين يتعرضون للوقوع في الخطا .. اما الذين يجلسون في بطون دورهم وحجراتهم ، وفي صالات انديتهم وجمعياتهم فهم الذين يعصمون انفسهم مـن الخطا ، ولكنهم في الواقع يقعون في اكثر من خطا .. ولكفى السلبية التي عاشوها او يريدون أن يعيشوها ، ان تجعل منهـم اكثر مـــن مخطئين .. ان الذين يطلقون السنتهم للتجريح والنقد الهـدام .. والذين يتقنون صناعة الكلام وتجارة الأقوال يزيفون بهـا الواقع ، كانوا دائما وابدا في صف الأعداء .. في صف المستعمرين الذين نهبوا خيرات هذا البلد ، الذين باعوا انفسهم للشيطان ، وتنكروا لحقوق شعبهم ووطنهم ، ثم كانوا في صفوف المارقين ، الذين حاربوا كل تقـــدم ، وعارضوا كل تطور ، ووقفوا بوجه كل محاولة للنهوض بالشعب الى المستوى الانسانى الكريم .

ان معركة البناء تفتح ابوابهـــا اليوم مشرعة لاولئك العاملين المخلصين ، الذين يتجاوزن اللغط والهذر ، ويتقدمون بصمت وهـــدوء ، مقتحمين المصاعب والمشاق ليبنوا الحيـــاة الجديدة على ارضهم الطيبة ، وليقيموا صرح الرخاء والرفاهية لجموع شعبهم ، ثم ليفرضوا وجودهم على شعوب العالم ، التى سبقتهم مراحل في مجال التقدم .. ان المعركة اليوم هى معركة عمل .. ومعركة تشييد .. تحتاج الى تجنيد كل الطاقات ، وكل الجهود. ولن يكون في مقدورنا ان نطوى مسافات التأخر اذا ما تواكلنا او تهاونا ، أو تمادينا في معارك الكلام ، وسباق الطعون ..

منذ عام ١٩٥٢ ونحن نفكر

عن جريدة «الدفاع» القدس :

● قالت الصحف اليهودية : بدا امس مصنـــع البوتاس الجديد فى انتاجه .

وسيصدر ٥٠٠ الف طـــن من البوتاس ، كل ســـنة . وقالت : ان المصنع القديم ، سيستمر فى عمله . وهو يصدر ٢٠٠ الف طن ، سنويا .

ونحن هنا ، فى الأردن ، وقد ترك اليهود ، لنا ، مصنعهم قائما ، نقلنا حطامه ، بعد أن اشرف « غلوب » على تخريبه ، الى « المحادد » والمزارع . وفى عام ١٩٥٢ ، بدانا نفكر فى اقامة مصنع للبوتاس .

المال الدفين

عن جريدة « الحياة » بيروت :

● في الاقوال المأثورة : « فلان دفن ماله في كذاوكذا » ، بمعنى انه ضيعه في مشروع خاسر .

ولم نسمع قبل اليوم ان صاحب مال دفن ماله بحق وحقيق في تابوت وواريه القبر مأسوفا او غير مأسوف عليه ...

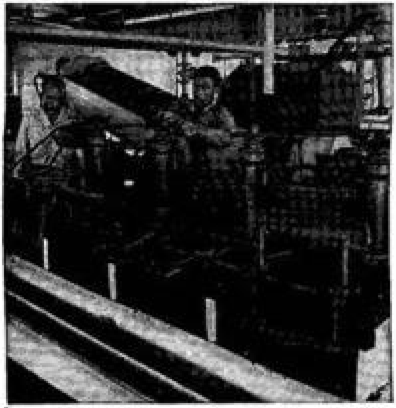
حدث هذا الدفن ، الاول من نوعه ، في احدى مقاطعات الارجنتين. وقد اذيع خبره على التلفزيون من جملة اخبار العالم الطريفة . وخلاصته أن قرويا اراد في المدة الأخيرة أن ينظف مقبرة العائلة الكائنة في طرف مزرعته ، فعثر فيها على ثلاثة توابيت نخرة . ولما رفعها من مكانها استغرب خفتها ، ففتحها ، فاذا في كل واحد منها حزمة من العملة مكفنة حسب الأصول بأكفان بيضاء . وبلغ مجموع ما في التوابيت الثلاثة ما يعادل المليون ليرة لبنانية !

بَعثُ هذه الثروة الدفينة هو البعث بكل معانيه وامانيه : فبالمليون ليرة سيكون تحت تصرف القروي المحظوظ الحور اللواتي يشتهيهن مع جنات تجري من تحتها الانهار وسائر آلات الطرب ...

ولكن ما يهمني انا وبشر فضولي ليس واجد المال بل دافنه . ترى لأية حكمة جمع الجامع ذلك المبلغ الضخم ودفنه في التوابيت بدلا من ان ينفقه ، او يهبه ، أو يوصي به ؟

انت تقول : هذا جنون ! ربما . ولكنه يظل على كل حال اقل من جنون الذي يعطي ويسبه الناس .

اقامة مصنع للبوتاس !!



متى تنتهي التجارب في مصنع البوتاس !

ونحن الآن ، أواخر عام ١٩٦٤ ، والدراسات ، والاستشارات ، لا تزال جارية .! لن نلوم أميركا ، التي تدعي « بلسانها » صداقتنا . انها تخشى « زعل » اسرائيل . وهي «مشغولة» بانشاء أكبر مصنع ذري في العالم ، في اسرائيل ، لانتاج ١٠٠ مليون متر مكعب من المياه العذبة كل عام ، لتحويل صحراء النقب الى جنات عدن ، تستوعب الملايين من المحاربين اليهود ، لطعن العرب ، وغزو بلادهم ، وتقوية اسرائيل ، « كحاجز » يفصل عرب افريقيا عن عرب آسيا .

لن نلومها ، وهي التي تستطيع اقامة المصنع في « رمشة عين » ..!

ان المصنع « عملية مربحة » ، لماذا لا نعرض المشروع ، على مؤتمر القمة في الاسكندرية ؟ ان تقوية الاقتصاد الاردني ، هو دعم عسكري ، غير مباشر لمواجهة اسرائيل ، والقضاء عليها .

وهو الهدف الرئيسي للمؤتمر .



من تاريخ السفارات الثقافية الإسلامية

المأمون يفرض صلحاً دائماً على امبراطور الروم

بقلم : حسن فتح الباب
ماجستير فى العلوم السياسية

■ لم يشهد تاريخ الانسانية ـ قبل عصرنا الحديث ـ اروع ولا اعظم من تلك النهضة العلمية والثقافية الزاهرة التى شهدها فى عهد الخليفة العباسي المأمون ، حتى اطلق على عصره بحق عصر البحث العلمي ، وعد العهد الذهبي للثقافة والفكر .

اعظم قوتين سياسيتين فى العالم

وكانت الدولة الاسلامية فى مستهل عصر العباسيين ، والدولة البيزنطية فى ذلك الحين ، اعظم قوتين سياسيتين فى العالم .

فقد امتدت رقعة الاسلام من اطراف الصين شرقا الى المحيط الاطلسي غربا ، وذلك فضلا عن الجماعات الاسلامية الكبرى فى الشرق الاقصى وجنوب الروسيا وجوف افريقيا وسواحلها الشرقية .

اما امبراطورية الروم المسيحية فقد كانت تبسط سلطانها على المناطق التى تشغلها الآن آسيا الصغرى ـ حيث



لقاء إيفاد عالم في الرياضيات إلى ديار الإسلام

كانت تقع بيزنطة عاصمة الامبراطورية التى سميت فيما بعد بالقسطنطينية ـ وبلاد البلقان وايطاليا ، وذلك فضلاً عن الجماعات المسيحية الكبرى فى بلاد الغال ـ ارض فرنسا ـ والجزر البريطانية وشمال اوربا وبلاد الروسيا .

وظلت هاتان القوتان الكبيرتان تسيطران على تلك البلاد الشاسعة الارجاء حتى قامت الى جوارهما قوتان اخريان منافستان هما الدولة الاموية فى الاندلس، ودولة الفرنجة او الامبراطورية الرومانية الغربية فى شمال اوربا .

تبادل السفارات بين الدولتين

ولقد اقترن استقرار الدولة الاسلامية فى العصر العباسي الاول وخاصة فى ايام المأمون ، وازدهار امبراطوريتها الفسيحة واتساع نفوذها وترامي اطرافها ، بازدهار الروابط الودية بينها وبين دول العالم التى كانت قائمة فى ذلك الحين واهمها الدولة البزنطية . فجرت العلاقات الخارجية وفقا للاساليب الدبلوماسية المرعية بين دولة الاسلام ودولة المسيحية ، واتسع نطاق هذه العلاقات ، وازداد النشاط الدبلوماسي فاوفدت الدولة الاسلامية سفراءها الى بلاط الروم بالقسطنطينية، كما بعث اباطرة الروم بسفرائهم الى عواصم الدولة الاسلامية ردا على التمثيل الدبلوماسي الاسلامي . وشجع الجانبين على هذا التبادل الحميد أن عهدهما به قديم اذ ينسب الى الرسول الكريم وهو مؤسس الدولة الاسلامية ارسال اول سفارة اسلامية الى هرقل امبراطور الروم يدعوه فيها الى الاسلام .

السفارات الثقافية

وقد تعددت اغراض السفارات ووظائفها بحيث اصبح تبادل الممثلين السياسيين وسيلة لانماء الصلات التجارية وتبادل العطايا وفض المنازعات وعقد المعاهدات وغير ذلك من الاغراض . وكان دعم الروابط العلمية والثقافية من أهم ما استهدفته السفارات الاسلامية من اجل توثيق علاقاتها مع الروم مما يشبه المهمة التى يقوم بها المستشارون الثقافيون فى سفارات الدول الحديثة اليوم . فتبادل الجانبان الكتب والرسائل التى كانت تصاغ فى اساليب ودية ثم دخلا فى مفاوضات اسفرت عن معاهدات لاقرار التبادل الثقافي . وكانت تلك المعاهدات تنص على دراسة الكتب النادرة التى تتوافر لدى الجانبين فى مكتباتهما العامة وتبادل البعثات العلمية وتيسير مهام الطلاب والباحثين فى جامعات المسلمين والبيزنطيين وفى عواصمهم .

نشاط الترجمة فى عصر العباسيين

ونشطت الترجمة فى عصر العباسيين بفضل تلك المصنفات التى اجتمعت لديهم من السفارات الثقافية وشملت جميع فروع العلم والمعرفة ، ولم يأل العباسيون جهدا وما ضنوا بمال فى سبيل ايفاد بعوثهم العلمية لاستقاء الثقافة من مواردها الاصيلة والبحث عنها فى منابتها القاصية ، والتشجيع على ترجمة امهات الكتب الاجنبية من مختلف اللغات ، حتى يحيطوا علما بجميع ثمار الفكر البشرى سواء القديم منها او المعاصر لهم . ولقد بلغ اهتمامهم بالعلم والثقافة حدا ليس له سابقة فى تاريخ النهضات العلمية اذ كانوا يعدون العلم مقوما رئيسيا لبناء الدولة ودعامة اساسية من دعائم المجتمع ، وركيزة للاسلام فى الارض ، وعاملا قويا لامتداد حضارتهم وتوسيع دائرة نفوذهم .

وتتجلى تلك النزعة العلمية التى تعد احدى العلامات الواضحة المميزة للنهج الذى كان يسير عليه خلفاء بني العباس فيما تحفل به كتب التاريخ من شواهد كثيرة على اهتمامهم بشئون الثقافة والفكر حتى صارت كل من بغداد والبصرة والكوفة مراكز قيادة ومصادر اشعاع للتيارات العلمية والثقافية ، يتزاحم عليها اهل العلم والمعرفة من مختلف البلدان لينهلوا من منابعها الغزيرة . وكان عماد تلك الحركة جمع الكتب والمصنفات من خزائنها فى الدول المجاورة لتحصيل ما احتوته من كنوز علمية واستيعاب ما فصلته من نظم فى السياسة والحكم والفلسفة والادب وعلم الطب والطبيعة والفلك والهندسة وغيرها . ولتحقيق هذا الغرض سارت السفارات العلمية الاسلامية الى بيزنطة وقامت بزيارة مكتبات القسطنطينية ، لاستخراج الكتب النادرة التى يحتاج اليها المسلمون فى دراساتهم النظرية والفلسفية وفى تجاربهم الكيماوية والطبية علىالسواء ولترجمتها.

ومن تلك السفارات ما بعث به الخليفة العباسى المنصور الى القسطنطينية ، حيث عاد العلماء العرب ومعهم مختارات من الكتب النادرة كان من بينها كتاب اقليدس .

بين المامون وملك الروم

وجاء فى كتاب الفهرست لابن النديم ان المامون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المامون فكتب الى ملك الروم يساله الاذن فى البحث عما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلاد الروم ، فاجابه ملك الروم الى ذلك بعد امتناع ، فاخرج المامون لذلك جماعة منهم الحجاج ابن مطر وابن البطريق ومسلم صاحببيت الحكمة وغيرهم ، فاخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه امرهم بنقله وترجمته فنقل وقد قيل ان يوحنا بن ماسويه ممن نفذ الى بلاد الروم .

مكتبة بيزنطية تهدى للمامونمن بعض شروط صلح

وكان المامون ينتهج جميع السبل الدبلوماسية لتحقيق بغيته ، فقد وثق علاقاته بملوك الروم ، واتحفهم بالهدايا الثمينة ، وسالهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا اليه بما حضرهم من كتبافلاطون وارسطو طاليس وابقراط

وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم . وليس ادل على جهود المامون فى هذا الميدان من تلك الواقعة التاريخية التى تؤكد نظرته الى الثقافة على انها ركن من اركان الدولة ودعامة من دعائم السلام الاسلامي ، وليست مجرد ترف عقلي . فقد كان من شروط صلحه مع الامبراطود البيزنطى ميخائيل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكتبات الاستانة ، فكان ذلك ، ووجد فيها كتاب بطليموس فى الرياضة السماوية ، فامر بترجمته وسماه المجسطى .

بيت الحكمة بعض مآثر المامون

ومن مآثر المامون فى ميدان البحث العلمي انه انشا سنة ١٥ هـ (٨٢٠م) بيتالحكمةفى بغداد، وجمع فى هذه المكتبة الاف المخطوطات بعضها مترجم عن الحضارات الانسانية القديمة التى ورثها المسلمون والبعض الاخر من تاليف الادباء والعلماء فى شتى العلوم والفنون . وقد قصد الباحثون هذه الدار من مختلف الاقطار الاسلامية ياخذون عنها وينهلون منها . وبذلك انتقل العلم من الرواية الى التاليف ومن المشافهة والاستماع الى البحث والاستقصاء . وازدهر الانتاج الفكرى فى ارجاء الوطن العربي من جميع نواحي العلم والمعرفة .

تنافس الخلفاء والأباطرة فى السبق العلمى

وكان الخلفاء العباسيون والاباطرة البيزنطيون يتنافسون فى انتزاع فضل السبق العلمي فى عصرهم ، ولا يالون جهدا فى هذا السبيل . من ذلكان الخليفة المامون ومعاصره الامبراطور تيوفيل كانا يغرمان بالشعر وروايته ، ويهتمان بالمسائل الدينية واستثارة المعارضة بالتجديد فى الدين . ولهذا عمل كل منهما على تتبع نشاط الاخر فى مثل هذه الشئون وغيرها من المسائل العلمية كي يفوز عليه ويسبق بامته دونه .

ومن طريف ما يذكر فى هذا الصدد تلكالسفارات المتعددة والمفاوضات المتكررة التى دارت بين الامبراطور تيوفيل وبين الخليفة المامون فى شان العالم الفلكي المهندس ليو . وكان الخليفة المامون يتوق الى حضور هذا العالم الذائع الصيت الى بغداد لفترة قصيرة من الزمن كي يستفاد من علمه الواسع فى الرياضيات . فارسل الى الامبراطود البيزنطي سفارة خاصة من اجل ذلك ، وقال فى رسالته الشخصية اليه انه يعتبر ذلك عملا وديا . ووصل الامر الى حد ان عرض عليه صلحا دائما والفى قطعة ذهبية فى مقابل حضور هذا العالم اليه . ولكن تيوفيل رفض عرض المامون لان ابحاث ليو كانت تتعلق فى شطر منها باسرار الدولة وشئونها العسكرية. وحيننذكر قوة الدولة الاسلامية فى عهد المامون ورجحان كفتها ـ فى ميزان القوى ـ على كفة الدولة البيزنطية وما ادى اليه ذلك من سعي تلك الدولة الى خطب ود المسلمين والدخول معهم فى علاقات ودية ، ندرك مبلغ سخاء هذا العرض من جانب المامون ومدى حرص تيوفيل على منافسة الخليفة فى البحث العلمي .

ادراك الخلفاء خطورة السفارات الثقافية فى دعم الدولة

وثمة دلالة اخرى لذلك العرض السخي الذى اقترحه المامون على الامبراطور فى سبيل حضور عالم الرياضيات اليه ، وهى ادراك الخلفاء المسلمين لأهمية السفارات الثقافية فى دعم دولتهم، حتى كانوا يقيمون المفاوضات المستمرة بشانها ويضعونها فى معيار واحد مع اركان السياسة العليا للدولة ، فالخليفة يعرض صلحا دائما ـ وهو الاقوى عدة وعددا ـ فى مقابل انفاذ العالم الكبير الى ديار الاسلام ، والامبراطور لا يجيبه الى مطلبه لان الامر يتعلق بسلامة دولته .

والدليل الاخر الذى يستقى من ذلك الحادث التاريخي ، هو تقدير المسلمين لاهمية علوم الفلك والرياضيات وحاجتهم الى الافادة مما بلغه البيزنطيون من تقدم فى هذا المضمار ، فاكثروا من ايفاد البعثات الى القسطنطينية لتزويدهم بالنظريات المستحدثة فى تلك العلوم . وبعثوا

بكتبهم ورسلهم الى اباطرة بيزنطة سعيا الى عقد الاتفاقات الخاصة باستقبال تلك السفارات الثقافية الاسلامية الموفدة لديهم وتيسير مهامها .

ودلالة هذا الموقف كذلك هي حرص المأمون على جعل السلام من طريق التبادل الثقافي بديلا للحرب وقد كان في وسع خليفة المسلمين ـ والميزان العسكري في صالحه ـ ان يشن حملة تاديبية على الامبراطور البيزنطي جزاء موقفه غير الودي ، ولا وزر على المأمون في ذلك ولا خسران فقد استنفد الوسائل السلمية ، وهو رابح في الحرب لا محالة .

غير ان المأمون ملك نفسه وفاء الى روح الاسلام التي تدعو الى حرية الفكر وحرية العقيدة ، فلا اكراه في الدين ، ولا اكراه في العلم والمعرفة ، وانما الامر تنافس سلمي مهد الطريق للسلام .

ولا ريب ان الشك الذي ساور تيوفيل في حسن مقاصد المأمون ، هو خشيته ان يستخدم المسلمون علم « ليو » في تدعيم آلتهم الحربية مما يهدد بزيادة رجحانها عن القوة العسكرية للبيزنطيين.

تنافس الأمس يذكر بتنافس هو اليوم قائم

وتذكرنا هذه الواقعة ـ كذلك ـ وما اشبه الليلة بالبارحة ، بالمنافسة العلمية التي تحتدم في وقتنا الحاضر بين الدول الكبرى في سبيل الاستئثار بعباقرة العلم الحديث ، ولا سيما في مجال الرياضيات ـ وهي اساس الحضارة الحديثة وأبحاث الفضاء ـ واحتكار جهودهم وخبراتهم لخدمة الدولة التي ينتمون اليها او تلك التي تظفر بعلمهم وتكسبهم الى جانبها فيقيمون في ارضها بغض النظر عن جنسياتهم وتهيىء لهم جميع اسباب الرفاهية وتبسط عليهم حمايتها وتمنحهم جنسيتها اذا شاءوا ، وما تنتهجه تلك الدول لذلك من مختلف الوسائل الدبلوماسية وغيرها ما بين وعد ووعيد وترغيب وترهيب ومنح ومنع وفقا لسياسة الدولة ومصالحها العليا .

تذكرنا تلك الواقعة بهذه المنافسة العلمية التي اوشكت حربها الباردة أحيانا أن تتحول الى لهيب.

وتذكرنا بما تدعو اليه دول الحياد الايجابي وعدم الانحياز ـ في سبيل السلام العالمي ـ من اتاحة الفكر الانساني للبشر جميعا دون تمييز ، والتشجيع على تبادل ثمراته لدعم التعاون الدولي واقرار الامن والسلام ، والقضاء على سياسة التكتلات والمعسكرات التي ينجم عنها التوتر الراهن في الموقف الدولي . وهي دعوة تنبع من ضمير الانسان الحديث الذي فرقه القلق والخوف من نشوب حرب جديدة ، وترمي الى تحريم استغلال العلم في اضرام نيران الحرب للسيطرة على العالم واعادة ركب التاريخ الى عصر البربرية والهمجية الاولى ، والى اتاحة الكشوف العلمية الحديثة للبشر كافة واستخدامها في سبيل التخفيف من ويلات الانسان والقضاء على المخاطر التي ترصده في الطبيعة وتهدد كيانه وذاته ، ورفع مستوى الدول الناشئة التي خلف لها الاستعمار ابشع الوان المهانة والبؤس . ولا شك ان السفارات الثقافية وسيلة مثمرة لتحقيق هذه المقاصد النبيلة والحد من اسباب التوتر في العالم . ■■

حسن فتح الباب

الجرى وراء الرزق

● اندفع الطبيب ـ عقب حديث تليفوني ـ الى سيارته ، فهرعت زوجته خلفه تسأله : « ماذا جرى .. فيم هذه العجلة ؟ » .

فصاح وهو يستوى امام عجلة القيادة : « لقد سألتني احدى عميلاتي ان أخف الى اسعاف ابنتها الصغيرة » .

ـ وهل هي مريضة بدرجة تدعوك الى كل هذا التعجل ؟

ـ كلا .. ولكنْ لدى الأم كتابا للاسعافات الاولية ، فأحببت أن أصل الى المريضة قبل ان تكون امها قد لجأت الى الكتاب .

طبيب يهودي ليُسلِم ليتخلص من هجاء

العَبْسِي



وَهَبَه الخليفة المسترشد مالاً كثيراً ابتنى به قصراً عجيباً ثم هجا الكبراء فاتهموه بالتجسّس فهدم المسترشد قصره !

بقلم : جواد محمد علوش

المدرس في كلية التربية بجامعة بغداد

■ هو جمال الملك ابو القاسم على بن افلح العبسى الحِلّي البغدادى ، ينتهي نسبه الى قبيلة (عَبْس) المشهورة التى ترجع الى عبس بن بغيض ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ابن نصر بن نزار بن معد بن عدنان . فهو من القبيلة التى انجبت (عنترة) وابلت احسن البلاء فى حرب (داحِس والغَبراء) .

مولده ونشأته

ولد ابن افلح سنة ثلاث واربعين واربعمائة للهجرة (٤٤٣ هـ) على ارجح الاقوال ـ كما جاء فى (تاريخ ابن النجّار) ـ وهناك من يقول انه ولد سنة ثلاث وستين واربعمائة للهجرة (٤٦٣هـ) ـ كما جاء فى المستفاد ـ وهناك من يذهب الى غير ذلك ...

ويحتمل ان مولده كان فى (الكوفة) لأن قومه يقطنون فيها وكان لهم مَحلّة ولهم فيها مسجد ، كما جاء فى اكثر كتب الانساب . وعلى هذا تكون نسبته الى (الحِلّة) لم تأت لمولده فيها ، وانما لطول اقامته فوق ربوعها ، بعد انتقاله اليها حين اسسها المَزْيَديُّون سنة (٤٩٥) للهجرة وجعلوها حاضرة لهم . كما نُسب ابن افلح الى بغداد .

ولا نعلم عن نشأته الاولى شيئا ، الا انه كان محبا للادب ميالا الى فنونه وانواعه ، وبدأ يحفظ ما أثر عن الاوائل فيه من شعر ونثر حتى برز فيهما ، فكان شاعرا مجيدا ، وكاتبا مبدعا . فلما اشتهر وذاع صيته وانتشر ذكره . انتقل الى الحلة ، وكانت ملتقى الكتاب والشعراء ، ومحط رحال الادباء والعلماء .. فأعجب به امراؤها ، وعمل كاتبا عندهم ، فكتب بين يدي (الأمير نور الدولة دبيس الاول) ثم كتب لابنه (بهاء الدولة منصور) ، ثم كان كاتبا عند (الامير سيف الدولة صدقة) . وبعد ان قتل الامير صدقة سنة (٥٠١ هـ) غادر (ابن افلح) الحلة الى بغداد . وقد كان يتمتع بمنزلة عظيمة عند الامراء المزيديين. وكانوا يقدرونه اعظم تقدير . يكثرون له الهدايا ويجزلون العطاء ، فكان خير لسان معبر عن رأيهم وخير شاد يتغنى بفضلهم العميم ، ويذيع بين الناس ذكرهم العظيم .

في بغـداد

غادر (ابن افلح) الحلة ، وبدأ يطوف البلاد ويجول الأقطار ، ويتنقل بين الامصار ، همه ان يطلع على الناس في شتى النواحي والاصقاع ، يتعلم شيئا جديدا ويكتسب خبرات وتجارب تنفعه . وقد استطاع ان يتصل بالامراء والرؤساء والكبراء والوزراء ، وحصل منهم على المال والعطاء ، ثم استقر به المقام في بغداد ، وفيها سطع نجمه ، وعرف اسمه ، وانتشر ذكره . فقد استطاع أن يتصل بارباب الدولة العباسية ووزرائها ، وحضر مجالس رجالها وخلفائها ، وخالط العلماء والادباء ، وناظر الكتاب والشعراء .. فكانت كلمته لا ترد ، وحكمه لا يبدل .

مع الحريري

كان (ابن افلح) في مجلس الوزير العباسي (جمال الدين عميد الدولة ابي علي الحسن بن ابي العز علي بن صدقة) فحضر (ابو محمد القاسم بن علي الحريري) قادما من البصرة يحمل معه اربعين مقامة ، وقرأ بعضها في المجلس ، وقال انها من صنعته ، فلم يصدقوه ، لما فيها من قوة وبلاغة ، ولما رأوا فيه من عدم انسجام الشكل ومن رثاثة الهيئة ، فقالوا انها لرجل مغربي من اهل البلاغة مات بالبصرة انتهت اوراقه الى الحريري فادعاها .. وسأله الوزير عن صناعته ، ولما عرف أنه من المنشئين رأى ان يمتحن ليُعرف صدقه من كذبه . واقترح عليه موضوعا معينا يكتب فيه (مقامة) ، واخذ الحريري القرطاس والقلم والدواة ، وجلس في ركن من اركان الديوان ومكث زمانا في قصير ولكنه لم يستطع ان يكتب شيئا فقام خجلان آسفا ، فسخر منه الحاضرون وقال فيه ابن افلح :

شيخ لنا من ربيعة الفرس
ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما
رماه وسط الديوان بالخرس

مع الخليفة المسترشد بالله

واتصل (ابن افلح) اخيرا بالخليفة العباسي المسترشد بالله (ابي منصور الفضل بن احمد) ، وقد كان من الخلفاء الاذكياء الذين يحسنون اختيار الرجال ، فاعجب به وبادبه وفضله ، وقويت الاواصر بينهما ، وصار العبسي أثيرا لديه مقربا الى مجلسه ، فافاض عليه من كرمه في شتى النواحي المعنوية والمادية ، اذ رعاه ولقبه بـ (جمال الملك) ، كما اغدق عليه الاموال واكثر الخلع ، ثم اعطاه من المال ما جعله يبني اعجب قصر في ايامه .

في القصر حمام عجيب

اعطى الخليفة المسترشد بالله (ابن افلح) مالا كثيرا ، وآخر ما اعطاه « خمسمائة دينار ، ومائة جذع ، ومئتا الف آجرة ، واربع دور في درب الشاكرية ببغداد » ، فاشترى ابن افلح عدة دور اخرى الى جانب هذه الدور الاربع ، وهدمها جميعها وبنى قصرا عظيما طوله (ستون ذراعا) وعرضه (اربعون ذراعا) ، وتأنق في بنائه وتفنن في تزيينه بالصور ، وكتب على ابوابه وشبابيكه الاشعار الجميلة والحكم البليغة . وبنى فيه حمّاما كان من عجائب زمانه اذ كان يضم

فيما يضم (بيت مستراح) فيه (حنفية) اذا فركت ذات اليمين تدفق الماء حارا واذا فركت ذات الشمال تدفق الماء باردا.وذلكغاية ما يتمناه الانسان يومذاك . وقد امر ان يكتب على باب القصر :

إن عَجيبَ الزُّوار من ظاهرى
فباطنى لو علموا أعجبُ !
شَيَّدنى مَنْ كَفُّهُ مُزنَةٌ
يحمل منها العارضُ العبب
ودبَّجتْ روضةُ أخلاقـه
فيَّ رياضا نورها مُذهَب
صدرٌ كسا صدرِيَ من نُوره
شمسا ، على الايام ، لاتغرب

يتمنى السعادة الابدية

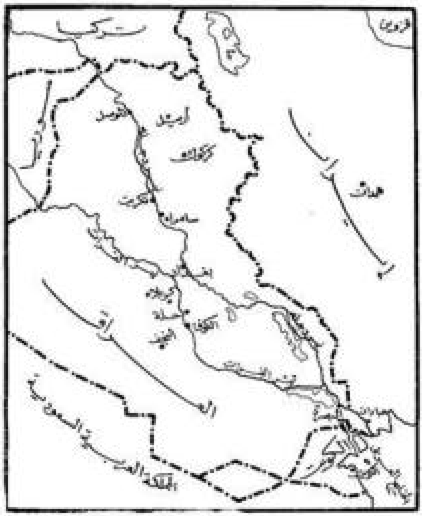
وقد كان ابن افلح يتمنى ان يعيش طوال حياته سعيدا هانئا ينعم فى قصره هذا كانه فى جنان الخلود ، ويرجو الا يكدر صفو حياته الزمان . فامر ان يكتب على الديوان الكبير فى قصره :

ونادٍ كأن جنان الخلو
دِ أعارتْه من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما
نِ أنْ لاتلمّ بهِ مَوْثقا
فأضحى يتيه على كل ما
بُنِي مَغربا كان أو مَشرقا
تظل الوفود بـه عُكَّفا
وتُمسي الضيوف له طُرَّقا
بقيتَ له ياجمال الملو
كِ والفضلِ مهما أردتَ البقا
وسالَمَهُ فيك ريبُ الزما
نِ ووُقِّيت منه الذى يُتَّقَى

ولكن الدهر ان ساله فالى حين ، وان صفا له فلا بد من كدر .. فقلب له ظهر المِجَنّ اذ غضب عليه الخليفة ، فهرب من بغداد وترك قصره وكلّ مافيه ناجيا بنفسه .

هدم القصر

لقد سعى الوشاة بين الخليفة المسترشد بالله وابن افلح فغضب عليه غضبا شديدا ، فلما أحسّ ابن افلح بذلك هرب من بغداد الى مكان آخر ، فازداد غضب الخليفة عليه ، وأمر ان ينتقض قصره العظيم الذى أنشاه بفضل الخليفة وبناه بهباته واقامه بجذوع منه وآجر .. هُدم ذلك القصر بحطامه العجيب ولم يبق منه شيء واصبح اثرا بعد عين ، وقد راى أطلاله كثيرٌ من المؤرخين منهم : (ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزى) . ومن المؤرخين من تالم فاستمطر العَبرة عليه واستخرج العِبرة منه ، فهذا ابن كثير يقول : « .. صارت خَرِبةً بعد ما كانت



خريطة العراق وفيها تظهر مختلف المدن التى تنقل بينها ابن أفلح العبسى

قرّة العيون من احسن المقام والقرار ، وهـذه حكمة الله من تقلّب الليل والنهار ، وبما تجرى بمشيئة الاقدار .... »

ترى .. ما سبب غضب الخليفة المسترشد ، وما الذي اثاره ؟ وماذا عمل ابن افلح ليستحق هذا العقاب ؟ .. لقد اختلفت الاراء في ذلك وتنوعت الاتجاهات .

هل كان يتجسس

لقد ذهب بعضهم الى ان ابن افلح كان يتجسس في بغداد لصالح أمير الحلة (دَبيس المَزْيَدي)، فهو عين له على الخليفة المسترشد، ينقل له ما يدور في العاصمة العباسية من أمور مهمة ، ويُحذّره عند حشد الجيوش واعداد العُدَد . وذكروا ان (ابن افلح) كان له من يساعده في عمله هذا ، وهو امام ومُقرِىء في احد المساجد ببغداد ، اسمه (مكّي) كان الرُسُل الذين يُرسلهم (دبيس) يقيمون عنده ، وهنا ياتي (ابن افلح) ليبعث معهم ما يريد من انباء . وقد روى الرواة قصة عجيبة حول هذا الموضوع ، وانكشاف سر التجسس ، فقدّروا ان ابن افلح قد غضب على بوابه فضربه وطرده ، فذهب البواب الى اصدقاء ابن افلح يطلب منهم ان يسعوا لديه لارجاعه ، ففعلوا ولكنهم لم يفلحوا ، فقد كان ابن افلح شديد الغضب على بوابه ... وكان البواب على علم بصلة ابن افلح بالامام مكي ، فاسرع وأبلغ صاحب الشرطة بالأمر ، فالقى القبض على الجاسوس (رسول دبيس) ، وهرب ابن افلح كما هرب الامام مكي .

الى بهروز في تكريت

اتجه ابن افلح بعد خروجه من بغداد صوب (تكريت) ليلتجىء الى صاحبها (مجاهد الدين بهروز الغياثي الخادم) فرحب به واكرمه وقدره حق قدره . واستشفع به لدى الخليفة المسترشد فشفع له ، وعفا الخليفة عنه فعاد الى بغداد . ورجع الى مركزه ، وحظي من جديد بما كان له من تقدير واكرام . والرواة يعيبون على ابن افلح عدم اخلاصه للخليفة المسترشد . ومقابلة الانعام بالكفران ، والاحسان بالاساءة ، فليس من المروءة ان يتجسس على من اكرمه واعلى منزله وانعم عليه بارفع الالقاب .. كل هذا حق ، لو صح ان ابن افلح كفر النعمة ورضيت اخلاقه بالتجسس . ولكنه كان رجلا فاضلا شريفا وفيا ، كما وصفه اكثر كتاب السيرة ، والى هذا فان الخليفة المسترشد قد عرف فيه هذا الخلق واختبره ثم قربه اليه ، وهو من الخلفاء الاذكياء، الذين كانوا يحسنون اختيار الرجال ، ويتأنون في تقريب الحاشية . ومع كل هذا هناك رواية ثانية تثبت ان سبب غضب الخليفة لم يكن التجسس او ما يشبهه مما ذهبت اليه تلك الرواية ، كما تثبت انه لم يذهب الى تكريت .. فالى اين ذهب ؟

الى الشام

يقول (ابو عبد الله محمد بن النجار) في تاريخه ان ابن افلح « خاف من جماعة من الصدور فخرج من بغداد هاربا الى الشام .واتصل بملوكها واستشفع بهم الى الديوان في ردّه الى وطنه ، فشفعوا فيه الى الامام المسترشد بالله ، فاجابهم الى ذلك وقبله فعاد الى بغداد ..» وهذه الرواية تنفي عن ابن افلح تهمة التجسس وتنقذ سمعته من هذا العمل الشائن ، كما تخلصه من الميل الى بني سلجوق ، فقد ذهب الى الشام والتجأ الى ملوكها وهم الذين توسطوا له في العودة .. لكن.. ما سبب خوفه من هؤلاء الصدور ؟ وما سبب غضبهم عليه ؟ وماذا اقترف بحقهم فهددوه وشكوه عند الخليفة فكان ما كان من هدم قصره وما تبعه من امور ؟

يهجو الناس

يرى (ابن النجار) ان السبب في ذلك هـو « هجو الناس والثلب لاعراضهم والوقيعة بهم .. حتى اوجب له مقتا من الناس » . فقد كان هجّاء سليط اللسان ، لم يتردد في هجاء احد ايا كان ، ومهما تكن صفته ومنزلته . فقد هجا الرؤساء والكبراء دون خوف او وجل ، وبلا تحرز او تحرج . وهجا الوزراء اقسى الهجاء ، دون ان يخاف ان يوقعوا به ، من ذلك قوله في هجاء الوزير ضياء الملك ابي نصر احمد بن نظام الملك :

شكرتُ بوّابكَ إذ ردَّنــي
وذمّهُ غيرى عـــلى ردِّه

لأنــه قلّدنــى منّـــــةً
تستوجب الإغراقَ في حمده
أعاذني من قُبح مَلْقَاك لــى
وكبرك الزائـــد عن حدّه
فعُذْتَ أن أضرع خدي لمن
ماءُ الحيا قد غاض من خدّه

وقال في آخر :

لــولا الســـواد وذقنــــه
مابان في وقت الســـلام
كزُرَيْق دجلــة كلــــه
ريش وباقيـــه عظـــــام

فهذه الصور الساخرة وأمثالها لا شك تسرى على الالسنة سريان النار في الهشيم في كل مكان ، ممـا يلهب قلوب الذين هجاهم ويثير حفيظتهم فيتربصون به الدوائر ويحاولون الايقاع بــه بمناسبة وبدون مناسبة ، وحين اوغروا عليـه صدر الخليفة ، خاف بطشه فهرب الى الشام ، فوجد أعداؤه الفرصـة سانحة فلفقوا عليـه شتى التهم مما جعل الخليفة يأمر بهدم داره . وقد يكون بين هؤلاء الشامتين بوابه الذى طرده ، يريد ان يشفى غلته ويطفىء نار الم بعد أن ابى ابن افلح ان يرجعه .

هجاءُ الناس

لم يكن البلاء الوحيد الذى ابتلى به ابن افلح من جرأته في هجاء الناس وعدم تردده في ذكـر مثالبهم ونقائصهم ، ونعتهم بابشع النعوت ، فقد جرّأ هذا الهجاء الناس عليه فأطلق الالسنة في سبه وشتمه ، وارسـل القرائح تنعتـه باقبـح النعوت ، فمنهم من يشتم وجهه الاسود المشوه ، قائلا انه قدّ من رحى ، ومنهم من يسب اهله ، ومنهم من يقول فيه :

هذا ابن أفلـــح كاتبـــا
متفردا بصفاتـــــــــــه
أقلامـــه من غـــــيره
ودواتـــــــه من ذاتــه

وبهذا صبّت عليه لعنة الهجاء التى كان العرب يخشونها منذ القديم .

هجا يهوديا فاسلم

ولم يخل هجاء ابن افلح من فائدة ، فقد تعرض للطبيب اليهودى المشهور (ابي البركات هبة الله بن ملكا) وهجاه هجاء مرا بقوله :

لنا طبيبٌ يهــودى حماقتُه
إذا تكلم تبدو فيه من فيـهِ
يتيه والكلب أعلى منه منزلة
كأنه بعدُ لم يخرج من التيه

فأثر هذا في ابن ملكا وآلمه كثيرا وحز في نفسه ، ورأى ان ابن افلح قد وصمه بما لا يتخلص منه ابد الدهر ، وما لا يمكن لثرائه ونعمته ومركزه ومهنته أن تبعده عنه ابدا . ويظهر انه كان يفكر في اعتناق الاسلام ، فرأى انه المنفذ الوحيد له مما هو فيه ، كما يقول القفطي : « فقوى عزمه على ذلك ، وتحقق أن له بناتا كبارا ، وأنهن لا يدخلن معه الاسلام ، وأنه متى مات لا يرثنه ، ففزع الى خليفة وقته في الانعام عليهن مما لا يخالفه ، وان كن على دينهن ، فوقّع له بذلك . ولما تحققه اظهر اسلامه وجلس للتعليم والمعالجة وقصده الناس وعاش عيشة هنيئة » .

هذا كان شعره في الهجاء ، فهل كان عنده شعر في اغراض اخرى ؟

رقــة غزله

لم يكن الهجاء وحده ميدان ابن افلح فقد كان شاعرا يقول في اكثر اغراض الشعر ويطرق جميع ابوابه ، ولكن اكثر شعره ضاع ، وفُقد ديوانه الذى جمعه بنفسه ودوّنه ، وتأنق به واعتنى بتنسيقه ولم يصل منه غير مقطوعات في الهجاء ومقطوعات في المراسلات ، ومثلها في الغزل الرقيق كقوله :

هذه (الخيفُ) وهاتيك (منَى)
فترفقْ أيها الحـادى بنـا
واحبس الركب علينا ساعـة
نندب الربع ونبك الدِّمَنا

فلذا الموقف أعددْنا الأسى
ولذي الدِّمْن دموعي تُفتنني
زمنا كانوا وكنا جيرةً
يا أعاد الله ذاك الزمنا
بيننا يوم أثيلات النَّقا
كان من غير تراض بيننا

ولا يخلو غزله من طرَف ونوادر تنم عن روح مرحة ، وحب للفكاهة كقوله متغزلا في غلام ناقص الجمال :

وما عشقي له وحشا لأنى
كرهت الحسن واخترت القبيحا
ولكن غرت أن أهوى مليحا
وكل الناس يهوون المليحا

يطلب كسرة خبز

ومن اطرف مراسلاته مداعبته لصديقه الطبيب الشاعر (هبة الله بن صاعد بن التلميذ) فقد مرض ابن افلح ، وذهب الى صديقه ابن التلميذ ، فلما اتم فحصه نهاه عن الاكل وخاصة الخبز ، وامره ان يسير في الغذاء بحسب برنامج رسمه له وهو يشرف عليه ، فلم يجد ابن افلح بدا من الانصياع لامره ، ولكن ذلك كان الى حين ، فقد عضه الجوع بنابه ، وتاقت نفسه الى اكل الخبز ، فكتب الى صديقه الطبيب :

أنا جوعان فأنقذْنيَ من هذى المجاعهْ
فرَجِي في كسرة الخبز ولو كانت قُطاعه
لاتقل لى : ساعةً تصبرُ ، مالى صبرُ ساعة
فقُوايَ اليومَ لاتقبلُ في الخُبز شفاعة

فاجابه ابن التلميذ :

هكذا أضياف مثلى يتشاكون المجاعة
غير أنى لست أعطيك مُضِرّا بشفاعة
بحياتي قل لما نرسمه : سمعا وطاعه

ووصلت هذه الابيات ابن افلح فكتب الى طبيبه :

إن مرسومك عندى قد توخّيت استماعه
غير أنى لم أقل : من نيّتى سمعا وطاعه
ودفعت الجوع ـ والله ـ فلم أسطعْ دفاعه
فاكفِني كلفته الآن وجنّبنى صُداعه

وعند ذلك لم يجد ابن التلميذ بدا من السماح له بذلك فكتب له ان ياكل الخبز ولكن بعد ساعة من وصول ابياته :

ينصح الخليفة بتعيين وزير

لقد كانت منزلة ابن افلح مهمة عالية عند الكبراء والوزراء ، لما كان يتمتع به من خلق رفيع ، وذكاء وقاد ، ورأى سديد ، ولا عجب فهو جليس خلفاء ، ونديم وزراء ، وكاتب أمراء ، عاش مع الطبقات العالية طوال عمره المديد ، فاكتسب تجارب كثيرة جعلته ذا فكرة صائبة ونظرة ثاقبة ، مما جعل الخليفة المسترشد بالله يستمع الى نصحه ويقبل مشورته ، فها هو ينصح هذا الخليفة في استيزار (جلال الدين أبى على الحسن بن على بن صدقة) بقوله :

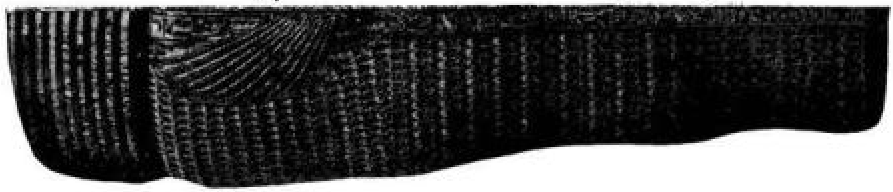
أمير المؤمنين تأنّ فيها
فرأيك غير متّهَم الصواب
وألق زمامها بيدىْ لبيب
كريم العِرض واليد والنِّصاب
بصير بالعواقب هذبته
سجايا لا تضيف إلى التصابى
ولا تهزّ بها أعطاف غِرٍّ
يخفُّ بحمّله نزَق الشباب

ولسنا نعرف متى قدم ابن افلح هذه النصيحة للخليفة المسترشد ، فالمعروف ان المسترشد استوزر هذا الوزير مرتين ، وقد توفى سنة (٥٢٢ هـ) وهو وزير .. وسواء أكانت نصيحة ابن افلح هذه قدمت قبل الوزارة الأولى او قبل الوزارة الثانية فانها تدل على صواب رأيه ، وعلو كعبه ، واعتماد الكبراء على ما يقدم من نصائح . رحمه الله وغفر له وعفا عنه . ■■

جواد أحمد علوش



سر الإسم الذي خلده العالم مدة ٣٣ قرنا



توت عنخ آمون

فتى صغير مات وعلى وجهه قناع مرصع بالمجوهرات

بقلم: الدكتور زكي اسكندر ـ قام بالتصوير ((اوسكار))

■ هذه قصة فتى صغير عاش منذ ثلاثة آلاف وثلاثمائة سنة ..

جلس على عرش مصر وهو صبي يقرب عمره من عشر سنوات، ولم يدم حكمه طويلا، اذ توفى بعد تسع سنوات من توليه الحكم ..

وبالرغم من قصر مقامه فى هذه الحياة، ومن انه لم يلعب دورا كبيرا فى تاريخ مصر القديم، كالادوار التى لعبها رمسيس الثاني او تحتمس الثالث، او غيرهما من ملوك مصر العظام، بالرغم من كل هذا ظل اسمه خالدا يتناقله الناس بعد مضى ٣٣ قرنا على وفاته .. !

انه توت عنخ آمون، من أواخر ملوك الاسرة الثامنة عشرة، التى شهدت مصر خلال حكمهم ازهى العصور، من تقدم فى العلوم، وازدهار فى الفنون ..

والشهرة التى حظى بها توت عنخ آمون لم يحظ بها اى ملك آخر من ملوك مصر القديمة ..

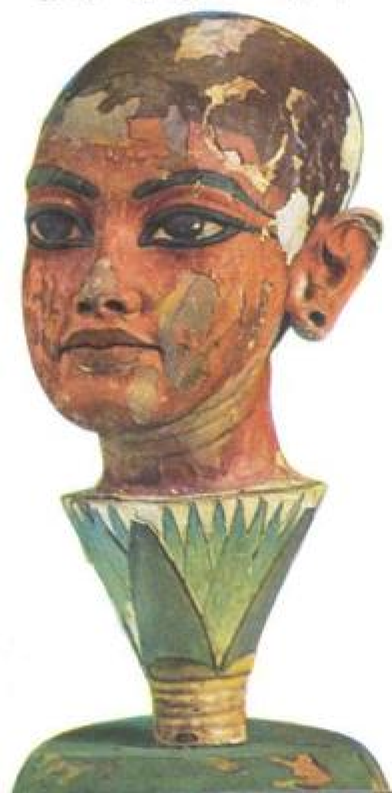
والسبب هو مقبرته الملكية، التى كانت الوحيدة، من بين مقابر الامبراطوريات القديمة، التى نجت من عبث وسرقة لصوص المقابر، الذين كانوا ينهبون كنوز مدافن الملوك، ضاربين عرض الحائط بلعنات الالهة، او العقوبات الصارمة التى فرضها القانون القديم جزاء سرقة المقابر !.

لقد اطل العالم، عام ١٩٢٢، على محتويات هذه المقبرة، فانذهل لما وجده فيها من النفائس

الى اليسار : اشهر اثار توت عنخ آمون التى تبهر الانظار هى هذا القناع المصنوع من الذهب الخالص ، الذى كان يحيط براس مؤمياء توت عنخ آمون داخل تابوته الذهبى . انه يجمع بين نفاسة المادة وكمال الفن التعبيرى ، اذ يعطى صورة صادقة لوجه الملك الذى لم يتجاوز العشرين من عمره . واللون الازرق الذى تراه هو لشرائط من الزجاج الأزرق الذى يشبه اللازورد ، وعلى الصدر عقد كبير من الاحجار نصف الكريمة والزجاج الملون ، وراس الصقر مع لسان الكوبرا — فوق الراس — هما شعار الملوك ويمثلان مصر العليا والسفلى. اما اللحية فتشبها باوزوريس اله الموتى

الى اليمين : تمثال بالحجم الطبيعى للملك مصنوع من الخشب المطلى بالأسود رمزا للبعث الجديد .. وتكسو الراس ، والياقة ، والملبس والاساور ، والصندل طبقة من الذهب ، وهذا التمثال واحد من اثنين وجدا عند مدخل غرفةالدفن

راس جميل ، لصبى ، هو توت عنخ آمون ، خارجا من زهرة اللوتس .. وهذا التمثال كان من اوائل اثار توت عنخ آمون التى عثر عليها فى الردم الذى كان يملا الممر المؤدى الى مدخل المقبرة .







والتحف الفريدة التي لم يُعثر على مثيل لها في اي مقبرة اخرى .

قصة توت عنخ آمون

ولكن ـ قبل ان نسترسل في وصف محتويات المقبرة ـ نتساءل من هو « توت عنخ آمون » هذا ؟ وماذا يعني اسمه ؟ ولماذا لم يعبث اللصوص بمقبرته ؟ .....

والرد على بعض هذه الاسئلة يحوطه الشك والتردد ، ولكن الآثار والكتابات القديمة التي وجدت في مقبرته ، تعطينا قدراً كافيا من المعلومات يمكننا من تتبع مختلف مراحل هذا الملك الصغير..

تبدأ خيوط القصة من قديم الزمان ، وعلى التحديد قبل الميلاد بـ ١٤٥٠ عاماً ، عندما كانت مصر تنعم بفترة طويلة من الرخاء والتقدم الاقتصادي والصناعي نتيجة للفتوحات التي قام بها تحتمس الثالث في آسيا وافريقيا وتدفق الخيرات والثروات عليها ، بحيث صار كل من بمصر في سعة من العيش والثراء ، فاغدق الملوك المتعاقبون في هذه الفترة ، الكثير من الاراضي والهبات على معبد الاله آمون بالكرنك ، مما ادى الى ازدياد نفوذ كهنته ومحاولتهم التسلط على المناصب الادارية الهامة في الدولة ، غير ان الملك امنحتب الثالث لم يمكنهم من ذلك ، بل يغلب على الظن انه اقام معبدا على شاطىء النيل الغربي لاله آخر هو « آتن » او قرص الشمس ، امعانا منه في معارضة سلطة كهنة « آمون » .

ويبدو ان ابنه امنحتب الرابع ـ الذى سمى فيما بعد اخناتون ـ قد اعتنق بتعصب شديد عبادة « آتن » . وعندما اشركه ابوه معه في الحكم في السنوات العشر الاخيرة من حكمه ، انتصر اخناتون للاله « آتن » الى حد كبير ، وبدأ يحارب عبادة آمون حتى انه شيد لنفسه ، في قلب معبد الاله آمون بالكرنك ، معبدا للاله « رع حور آختى » متحديا بذلك سلطة الكهنة وأتباع آمون.

العمارنة بدلا من طيبة

وقد اعتنقت زوجته نفرتيتي ويعني اسمها « الجميلة مقبلة » ديانة زوجها وانتقلت معه الى عاصمة ملكه الجديدة ، التى أسماها « آخت آتن » والمعروفة حاليا باسم العمارنة .

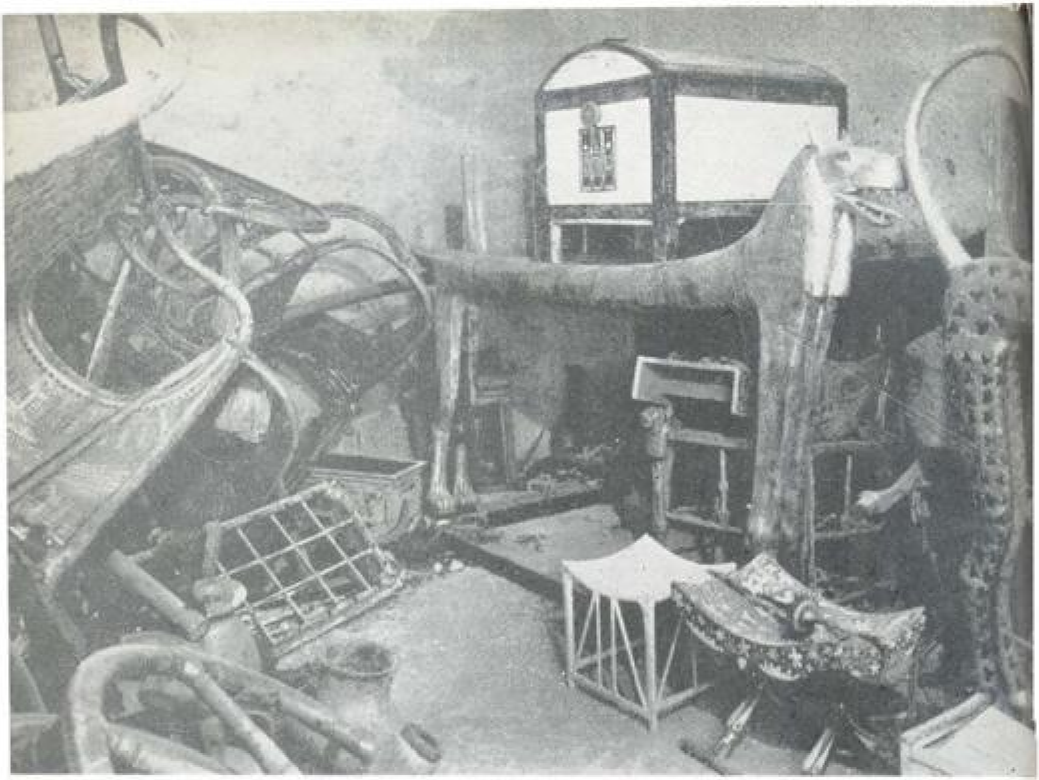
وانغمس اخناتون في تعبده للاله « آتن » ونادى به « الاله الاوحد » وبذلك كان أول من نادى بالتوحيد في التاريخ ، وأهمل الملك شئون البلاد مما ادى الى بدء تصدع الامبراطورية المصرية في كثير من اجزائها .

نفرتيتي تزوجه ابنتها ..

وبعد وفاة اخناتون آل الحكم الى توت عنخ آتن سنة ١٣٥٢ ق.م وهو الصهر الثانى لاخناتون ، فاعتلى العرش وعمره يتراوح بين ٩ سنوات واثنتى عشرة سنة ، لقد نشأ توت عنخ آتن في بلاط اخناتون ، ولم يعرف ابواه على وجه التحديد ، فبينما اعتقد « هوارد كارتر » انه كان ابنا لاخناتون ، لوجود شبه كبير بينهما في الخلقة، الا انه يرجح كثيرا انه كان ابنا للملك امنحتب الثالث من زوجته الملكة « ست آمون » التى كانت من اصل ملكى ، ومن الثابت ان الملك امنحتب الثالث قد اتخذها زوجة ثانية له مع الملكة «تيي» والدة اخناتون، وبناء على هذا يكون توت عنخآتن



داخل غرفة صغيرة محصنة ، يحرسها شرطي في الخارج وثلاثة في الداخل ، لعرض آثار توت عنخ آمون الرائعة .. وهذه الغرفة ممنوع الدخول فيها لأكثر من ٢٥ زائرا مرة واحدة . انها أهم غرفة في المتحف المصري للآثار بالقاهرة ..



اضبط حرامى : استطاع شرطة حرس الجبانات فى العصور القديمة ، القبض على مجموعة من لصوص المقابر وهم يحاولون سرقة مقبرة توت عنخ آمون .. وقد حاول الحراس اعادة تنظيم ما أخذه اللصوص ولكنهم لم ينجحوا فى معرفة الاماكن الاصلية لكل قطعة ، فتركوها مكدسة فى المقبرة ..وبعد ثلاثة الاف وثلاثمائة سنة فتحت المقبرة فوجد الاثاث فيها مبعثرا بهذا الشكل : كرسى العرش تحت الصناديق والاسرة .. بينما تكدست العربات الحربية فوق بعضها فى الجهة اليسرى ..

اخا غير شقيق للملك اخناتون ، ولهذا فلا غرابة فى وجود شبه كبير بينهما فى الخلقة .

واذا كنا غير متأكدين بصفة قاطعة من نسب « توت عنخ آتن » الا اننا نعلم يقينا انه تزوج « عنخ سن با آتن » الابنة الثالثة لاخناتون من زوجته الجميلة « نفرتيتي » وبزواجه من هذه الاميرة التى يجرى فى عروقها الدم الملكي اصبح « توت عنخ آتن » وريثا شرعيا للعرش ، اذ قضت قوانين وراثة العرش فى مصر قديما ان تكون والدة الملك الجديد من اصل ملكى ، فان لم تكن كذلك تحتم عليه ان يتزوج شقيقة له من ابيه .

العودة لعبادة آمون

اقام « توت عنخ آتن » ثلاث سنوات فى تل العمارنة مخلصا لعبادة « آتن » ، غير انه لاقى خلال هذه المدة مصاعب كثيرة ، ووجد امامه مشاكل عديدة ، تزداد تعقيدا يوما بعد آخر ..

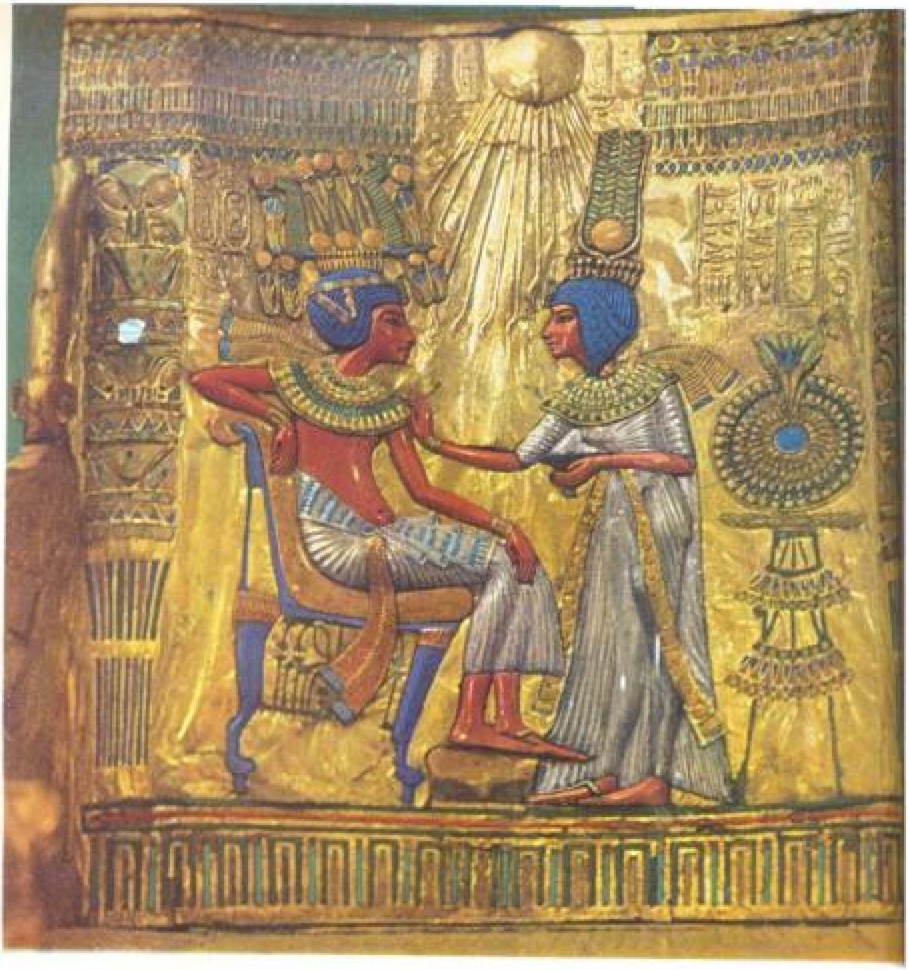
فالامبراطورية فى الخارج تتداعى بسبب عدم اهتمام السلطة المركزية فى مصر بها .. والشعب فى مصر نفسها ساخط بسبب اضطهاد عبادة « آمون » وغيره من آلهة المقاطعات .. والكهنة ثائرون لتضاؤل نفوذهم بسبب تغيير الديانة ، ويتحينون الفرصة للايقاع بأسرة اخناتون .. والجيش حانق بسبب عدم دعوته منذ وقت طويل للقيام بحملات تاديبية او فتوحات جديدة ترد له اعتبارة وتتوجه بالفخار .. والتجار والصناع متضايقون لصعوبة الحصول على السلع من الخارج.

ازاء هذه الظروف ، لم يكن هناك من حل سوى العودة الى طيبة والرجوع الى عبادة « آمون » حتى تعود الحياة الى مجراها الطبيعي العادى ، وتستتب امور الامبراطورية فى الداخل ، وتعود لها هيبتها فى الخارج ، وتصل اليها خيرات البلاد الاخرى بلا انقطاع وبذلك يحل الوئام محل الخصام ، والرضى محل التذمر . وفعلا عاد « توت

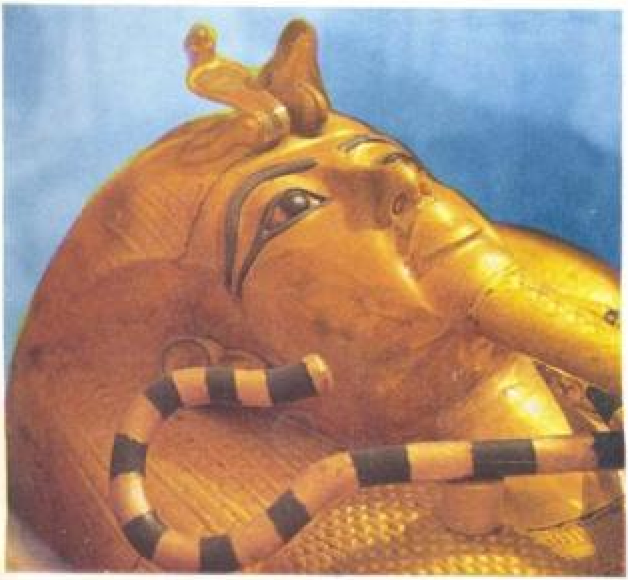


الى أسفل : عثر في حجرة الكنوز على مجموعة كبيرة من التماثيل الخشبية المذهبة تمثل بعض الآلهة عند قدماء المصريين، والملك نفسه، وكلها موجودة في متحف القاهرة حيث يطلع عليها الزوار والسياح





كرسى العرش : من الخشب المحفور كسو بقشرة من الذهب ، والمرصع بالزجاج الأحمر والقاشانى والفضة والأحجار الكريمة ؛ وعلى ظهر الكرسى نقش منظر رائع يوضح روابط المحبة والتعاطف التى كانت سائدة بين الملك وزوجته ، وفيها يبدو الملك جالسا ، وأمامه الملكة تدلك له كتفه بدهن عطرى بينما الإله آتن ، الذى يرمز له بقرص الشمس ، يرسل أشعته عليهما .. ولقد تحلت الملكة بتاج عالورالهةالحب، بينما وضع الملك تاج القوة علىرأسه..



ما زال جثمان توت عنخ آمون يرقد فى مقبرته بالأقصر داخل هذا التابوت الذهبى المصنوع على هيئة إنسان .

عنخ آتن » الى « طيبة » وربما كان ذلك بناء على نصيحة رائدة ومستشاره الاول « آى » ، الذى كان احد القواد الحربيين المقربين للملك .

وكان اول عمل للملك هو تبديل اسمه من « توت عنخ آتن » الى « توت عنخ آمون » ومعناها « صورة آمون الحية » او « جميلة هى حياة آمون » كما غير اسم زوجته « عنخ سن با آتن » الى «عنخ سن آمون» ومعناها «هى تعيش لآمون».

وقد اعادتوت عنخ آمون للآلهة القديمة اعتبارها فاعاد فتح معابدها ووهبها الكثير من الهبات والعطايا ، يؤيد ذلك نص على لوحة عثر عليها بالكرنك ، ويشيد هذا النص بالاله آمون ، كما جاء فيه ان توت عنخ آمون وجد المعابد مهجورة تنمو فيها الحشائش فاعاد بناء هياكلها وغمرها بكثير من الهبات والاشياء الثمينة . وعدد فيها المباني التى شيدها فى طيبة تعويضا لما دمره اخناتون كما سمى نفسه بانه هو الذى « اصلح الخطأ فى انحاء البلاد حتى استقر العدل » ، كما زين صالة الاعمدة بمعبد الاقصر بمناظر الموكب المقدس للالهآمون من معبدالكرنك الى معبدالاقصر.

ويتضح منبيانات على بعض جرار النبيذ ، التى وجدت بمقبرة « توت عنخ آمون » ، انه حكم تسع سنوات اى الى ان بلغ حوالي العشرين من عمره ، ويؤيد فحص مومياء الملك انه لم يكد يتجاوز سن الشباب ، ولذلك فقد بدأ حكمه صغيرا ومات صغيرا ، ولم ينجب الا طفلين لم يكتمل نموهما ووجدا كسقطين مدفونين فى المقبرة .

كيف اختفت مقبرة توت عنخ آمون عن اعين اللصوص

وجدت مقبرة توت آمون منحوتة فى تل من الحجر الجيرى بوادى الملوك بالبر الغربي لمدينة الاقصر ، التى تبعد عن القاهرة جنوبا بنحو ٦٧٠ كيلومترا . وكان تحتمس الاول (١٥٢٦ ـ ١٥٠٨ ق.م) اول من اختار هذا الوادى مقرا لمقبرته حتى تختفى عن اعين لصوص المقابر ، وقد حذا حذوه معظم ملوك الاسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين فنحتوا مقابرهم فى هذا الوادى الذى سمى فيما بعد « وادى الملوك » وقد وجدت به حتى الآن اكثر من اربعينمقبرة لملوك هذه الاسرات. وقد تم اختيار مواقع هذه المقابر ونحتها بسرية تامة يؤيد هذا نص على القصورة الجنائزية لكبير مهندسى تحتمس الاول المدعو « اينيني » جاء فيه قوله « اننى اشرفت على حفر مقبرة جلالته وقد خاطبني بالقول : يجبان تقوم بهذا العمل وحدك، لا احد يرى ولا احد يسمع » .

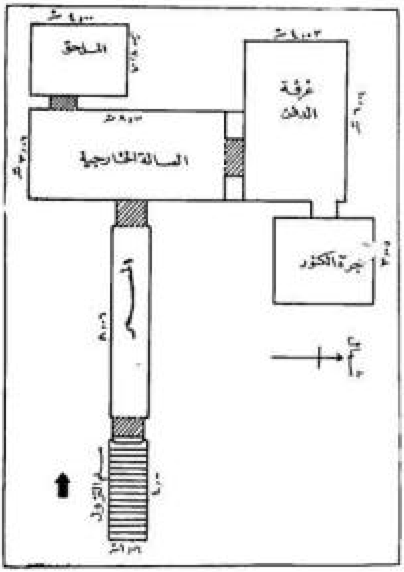
ولكن بالرغم مما اتخذ من احتياطات لاخفاء ابواب هذه المقابر ، وما خصص لها من حراسة منظمة قوية ليلا ونهارا ، الا انه سرعان ما ان ضعف الحكم ، وبالتالي ضعفت الحراسة ، حتى سارع لصوص المقابر الى نهب كل المقابر التى تمكنوا من الوصول الى ابوابها الرئيسية .

وقد ورد فى احد البرديات التى تتحدث عن محاكمة لصوص المقابر ان اللصوص الذين نهبوا مقبرة رمسيس السادس لم يكتفوا بسرقة كنوزها الثمينة فحسب بل انهم عبثوا ايضا بمومياته بحثا عما عليها من حلى وجواهر .

ومن الطريف ان مقبرة رمسيس السادس نفسها التى كانت موضوع هذه المحاكمة ، كانت السبب فى عدم تمكن اللصوص من الوصول الى مدخل مقبرة توت عنخ آمون بعد ضعف الحراسة ، اذ ان الاتربة الناتجة عن حفر هذه المقبرة قد اخفت تماما مدخل مقبرة توت عنخ آمون ثم اقيمت على هذه الاتربة والرديم بعض عشش لاقامة العمال الذين كانوا يعملون فى اعداد هذه المقبرة ، ولذلك لم ينتبه احد من لصوص المقابر الى وجود مقبرة تحت انقاض هذه العشش ، كما لم يفكر معظم الحفارين الاثريين فى ذلك فبقيت مختفية عن الانظار قرونا عديدة بلغت حوالي ثلاثة وثلاثين قرنا الى ان قدر لهوارد كارتر ان يكشف عنها فى يوم السبت



الرجلان اللذان اكتشفا مقبرة توت عنخ آمون ، الاول : اللورد كارنارفون الذى قدم المال ، والثاني : هوارد كارتر الذى قدم المعلومات التاريخية العلمية وأشرف على الحفر ..





مدخل مقبرة توت عنخ آمون ، وفوقها مدخل مقبرة رمسيس السادس ، من ملوك الاسرة العشرين ، وكانت رمال حفر مقبرته سببا فى اختفاء مقبرة توت عنخ آمون من اعين اللصوص لمدة ثلاثة وثلاثين قرنا ! أما الرسم التوضيحي فمسقط افقي لغرف مقبرة توت عنخ آمون ، ومساحتها ٨٠ مترا مربعا

٤ نوفمبر سنة ١٩٢٢ بعد ان جد فى البحث عنها بالذات ست سنوات ، اعترته اثناءها كثير من فترات اليأس والقنوط .

فقد طلب هوارد كارتر سنة ١٩١٤ التصريح له بالحفر فى الوادى لحساب اللورد كارنارفون ، وصمم على ذلك ، بالرغم من تحذير ماسبيرو له بانه لا توجد فى هذا الوادى اى مقابر اخرى لم يكتشفها علماء الآثار .

كان كارتر يعتقد اعتقادا جازما انه توجد تحت اكوام الرديم التى تراكمت بالوادى من الحفائر السابقة ، مناطق لم تفحص تمام الفحص وكان لديه امل قاطع – ان صح هذا التعبير – ان يعثر على مقبرة توت عنخ آمون ذاتها تحت هذا الرديم ، استنادا الى بعض الآثار والاختام والاواني التى عثر عليها فى هذه المنطقة منقوشا عليها اسم « توت عنخ آمون » .

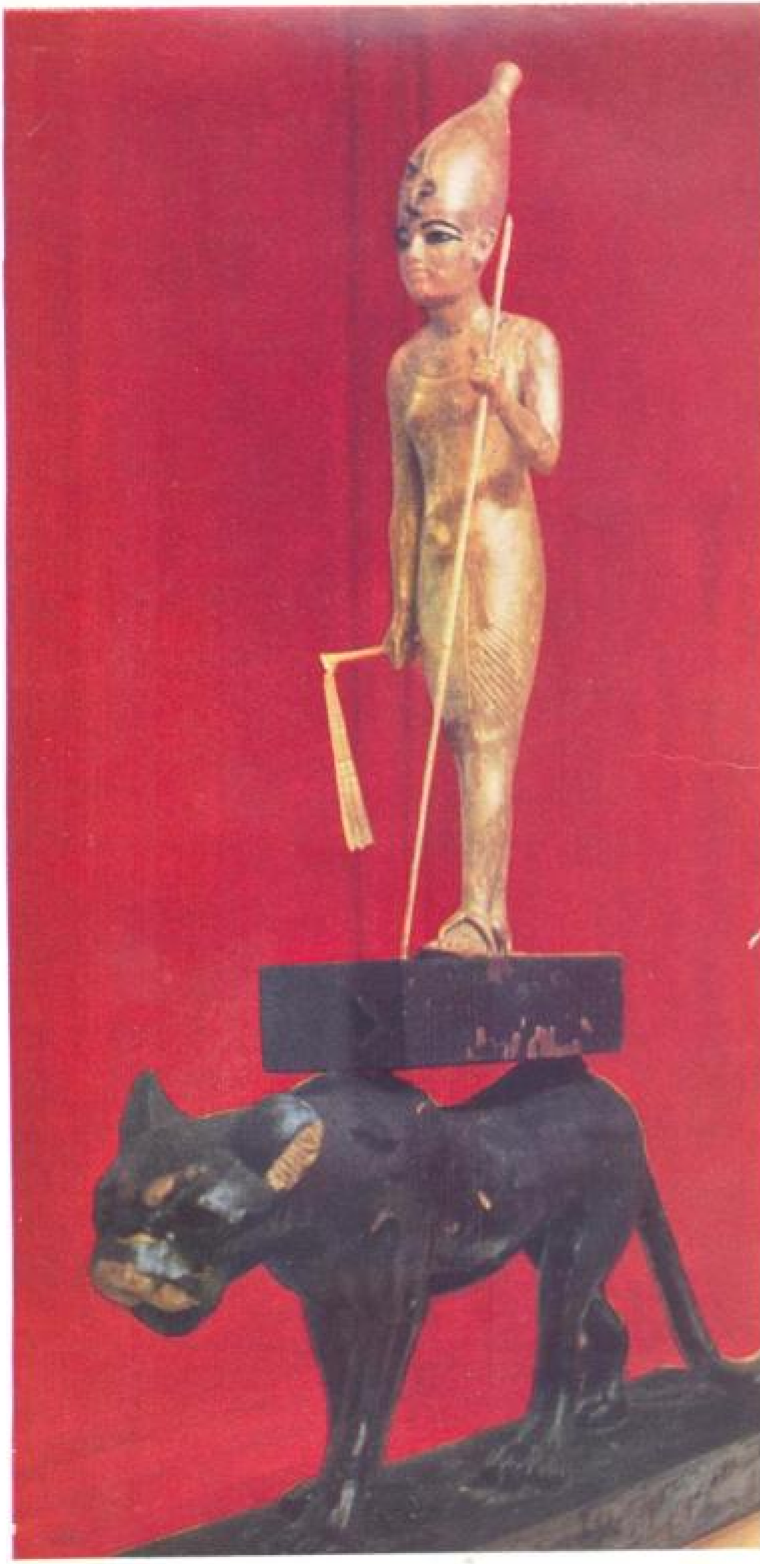
قصة اكتشاف المقبرة

بدأ اللورد كارنارفون وهوارد كارتر عمليات الحفر فى وادى الملوك سنة ١٩١٧ فى المثلث الواقع بين مقابر : رمسيس الثاني، ومنفتاح ،ورمسيس السادس ، وهى المنطقة التى ذكرنا آنفا انه قد عثر فيها على الآثار التى تحمل اسم توت عنخ آمون. وكانت هذه المنطقة مكدسة باكوام من الرديم الناتج من الحفائر التى اجريت من قبل بوادى الملوك ، فقرر ازالتها للوصول الى مستوى سطح الحجر الجيرى . وبعد ازالة الطبقات العلوية من هذا الرديم حتى سفح الجبل تحت مقبرة رمسيس السادس ، عثر على مجموعة من مبان صغيرة من الحجر فوق رديم يبلغ ارتفاعه حوالي متر واحد وبه قطع من كريات الصوان ، ويدل شكل هذه المبانى على انها كانت اكواخا للعمال القدماء الذين كانوا يقومون باعداد المقابر بالوادى ، غير ان كارتر ترك هذه الاكواخ وظل خمس سنوات اخرى يعمل فى بقية اجزاء المثلث ، حتى ازال كل الرديم ، ولم يجد شيئا يذكر يعوض، ولو قليلا، عن المجهودات التى بذلت والتكاليف التي تكبدتها البعثة فى هذه الحفائر . ولذلك فقد اتفق كارتر مع كارنارفون ان يكون الموسم القادم هو آخر موسم لحفائرهما فى وادى الملوك ، على ان يخصص هذا الموسم لازالة اكواخ العمال السابقة الذكر والتى عثر عليها فى الموسم الاول لهذه الحفائر.

وبدأ موسم الحفائر فى اول نوفمبر سنة ١٩٢٢



نموذج رائع الصنع
المطعم بالذهب والالوان
وسطها مقصورة أعمدتها
وفي مقدمتها ونهايتهما
ماعز يرى قرونهمـــا
أحدهمـــا فتاة ممسكة
المزخرفة وقف قزم معوج



الى اليمين : قــوة وجبروت: فوق ظهر فهد أسود وقف توت عنخ آمون ممسكا بالسوط والمحجن وفوق رأســه تاج الوجه القبلى .. انه تمثال جميل مصنوع من الخشب المكسو برقائق من الذهب ..



من المرمر الشفاف لسفينة جنائزية ، في على شكل زهرة اللوتس ، تمثالان لرأس وعل أو ظبية ، جلست وراء باقة من الزهور ، وفي الساقين للحراسة ..



كأس التمنيات :
مصنوعة من المرمر النصف شفاف على شكل زهرة اللوتس المتفتحة ، تحيط بحافتها كتابة هيروغليفية ، تتضمن دعاء للملك والتمنيات بالخلود لروحه حتى تعيش ملايين السنين



التابوت الداخلي الثالث الذى يحوى مومياء توت عنخ آمون وهو من الذهب الخالص . يبلغ وزنه ١١٠ كيلو جرامات وطوله ١٨٧ر٨ سم وعرضه ٣ر٥١ سم وارتفاعه ٥١ سم ، ومزين من الداخل والخارج بصور وزخارف وكتابات منقوشة على الذهب . ويمثل الملك على شكل اوزيريس ، اله العالم الاخر ، يحمل المحجن فى يده اليسرى ، والسوط فى يده اليمنى، وتحلى جيده بعقد يتكون من اقراص رقيقة من الذهب الاحمر والاصفر

▼ **صندوق بديع الصنع** ، من الخشب المزخرف من جميع الجهات بالرسوم الملونة الدقيقة ، التى تبدو وكأنها من العاج المرصع بالابنوس .. والرسم الظاهر فى الصورة يمثل توت عنخ آمون يحارب القبائل الثائرة فى الجنوب ..



فازيل عدد غير قليل من هذه الاكواخ ، ثم بدىء فى رفع الاتربة التى تحتها فظهرت اولى درجات سلم منحوت فى الحجر الجيرى ، وظهر بعد ثلاثة أيام ان هذا السلم يؤدى الى جدار مسدود بالاحجار ومغطى بطبقة من الشيد عليها اختام الملك توت عنخ آمون واختام جبانة طيبة وكل منها عبارة عن رسم ذئب وتحته تسعة اسرى مكبلين فى الاغلال ، وظهر خلف هذا الباب ممر طوله ٧ر٦ مترا وكان مملوءا بالرديم الذى يحتوى على قطع صغيرة من الاحجار .

ذهول ..

وكم كان سرورهما بالغا عندما وجدا ان هذا الممر يؤدى الى مدخل المقبرة الذى كان مسدودا بجدار مماثل للجدار السابق ، ومختوما مثله باختام توت عنخ آمون واختام جبانة طيبة ، وبدل وجود اختام جبانة طيبة مع اختام توت عنخ آمون على ان المقبرة قد فتحت من قبل ، ثم اغلقت وختمت بمعرفة شرطة حرس الجبانة الملكية بطيبة ، وسارع كارتر بازالة طبقة الشيد من اعلى الجدار ليفتح لنفسه فتحة صغيرة يطل منها الى الداخل ، وقد تملكه شعور غريب من التشاؤم والتفاؤل ..

التشاؤم : خوفا من ان يكون لصوص المقابر قد نهبوا جميع كنوز المقبرة ..

والتفاؤل : بأن يكون شرطة حرس الجبانة قد قبضوا على اللصوص قبل تمكنهم من نهب محتوياتها .

وقد اثبتت الايام التالية انه كان محقا فى تفاؤله ، اذ ظهر بعد ازالة جدار المدخل ، ان المقبرة مكدسة بنفائس وكنوز وآثار اذهلته واذهلت العالم اجمع !

لصوص المقابر يهربون

كانت المقبرة مكونة من اربع حجرات مكتظة بمختلف انواع الاثار المكدسة بعضها فوق بعض او متداخلة بعضها داخل بعض . وقد وجدت بالمقبرة ، وخصوصا بقاعة الاستقبال ، بعض قطع فى غير مواضعها ويبدو ان هؤلاء اللصوص قد تمكنوا من دخولها بعد دفن « توت عنخ آمون » بها بوقت قصير ، ولكن شرطة حرس الجبانة ، تنبهوا فقبضوا عليهم قبل خروجهم من المقبرة .. وبعدها حاول حراس الجبانة اعادة ترتيب وتنظيم

ما افسده اللصوص ، ولكنهم لم يتمكنوا من اداء ذلك بوجه مرض ، لتكدس المقبرة بقطع الآثار الكبيرة ، والعربات الحربية ، والصناديق مما كان يعوق حركتهم داخل المقبرة ، علاوة على صعوبة معرفة المواضع الاصلية للقطع المبعثرة .

المقبرة ..

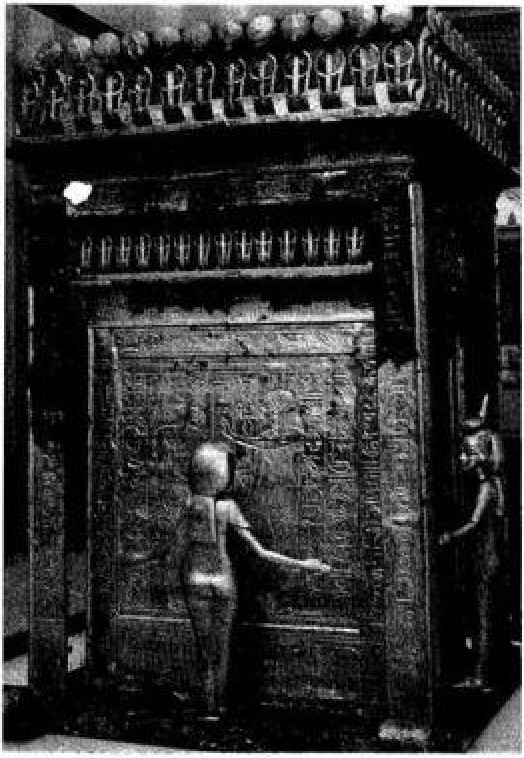
ولو ان المقبرة كانت صغيرة بالنسبة للمقابر الملكية الاخرى بوادى الملوك الا ان محتوياتها كانت مقسمة على الحجرات الاربع حسب انواعها الى حد كبير ، فبينما خصصت قاعة الاستقبال للاثاث الجنائزي ، خصصت غرفة الدفن لمومياء الملك وتوابيته ومقاصيره ، وحجرة الكنوز للجهاز الكانوبي وتماثيل الالهة ، والملحق كمستودع للماكولات وما لم تتسع له الحجرات الثلاث الاخرى . ولكل اثر وجد في المقبرة جماله واهميته وطابعه الخاص ، غير ان المقال لا يتسع لذكر كل او جل هذه الآثار الفريدة النادرة لذلك نرجو من القارىء ان يرجع الى الصور للاطلاع علىوصف القطع المذكورة .

مناظر عائلية !

وبالاضافة الى الأمثلة المادية للمجموعات المختلفة ، فان المقبرة تعطينا أمثلة رائعة لمظاهر الحياة المختلفة مصورة على جوانب الصناديق واغطيتها ، مثال ذلك مناظر الحروب على جوانب الصندوق الخشبي الملون ومناظر صيد الظباء والنعام واقتناص الاسود على غطاء نفس الصندوق ، ومناظر الحياة المنزلية الداخلية المصورة على ناووس صغير من الذهب بين الملك وزوجته في جلسات عائلية ورحلات ترفيهية للنزهة في الحدائق ، ونراها تارة تقدم له الزهور او تدهنه بالعطور ، وتارة تقدم له السهام وتشير باصبعها على طائر معين ليصوب اليه سهامه ، ثم كيف يصب هو بدوره العطر على يديها وهي جالسة عند قدميه ، وهكذا في فن يتميز بالبساطة والرقة وحسن التعبير والذوق السليم غير المتكلف .

العلم الحديث من عهد توت عنخ آمون !!

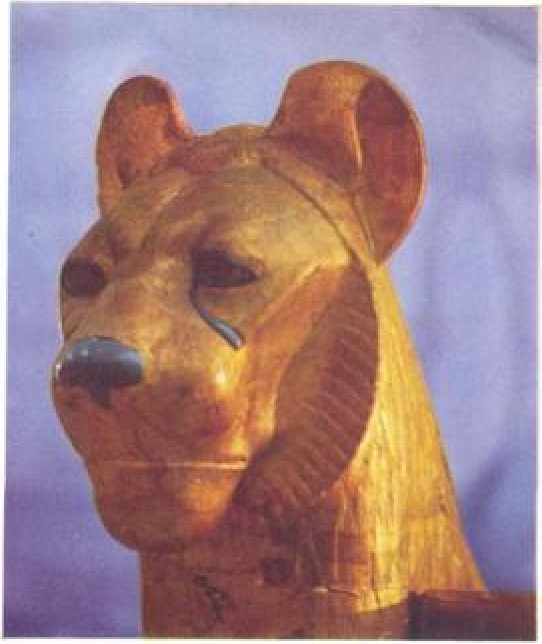
وتتميز هذه المقبرة أيضا بوجود قطع فريدة تبين مدى ما بلغه المصريون القدماء في ذلك



اربعة من الالهة والمعبودات هي : ايزيس ، ونفتيس ، ونيت ، وسلقت ، يقمن بحراسة مقصورة صندوق احشاء توت عنخ آمون المذهبة

خنجران لحماية الملك في الحياة القادمة ، اليمين منهما من الذهب .. والثاني من الحديد الذى لم يصدأ حتى الآن رغم مرور ثلاثة وثلاثين قرنا

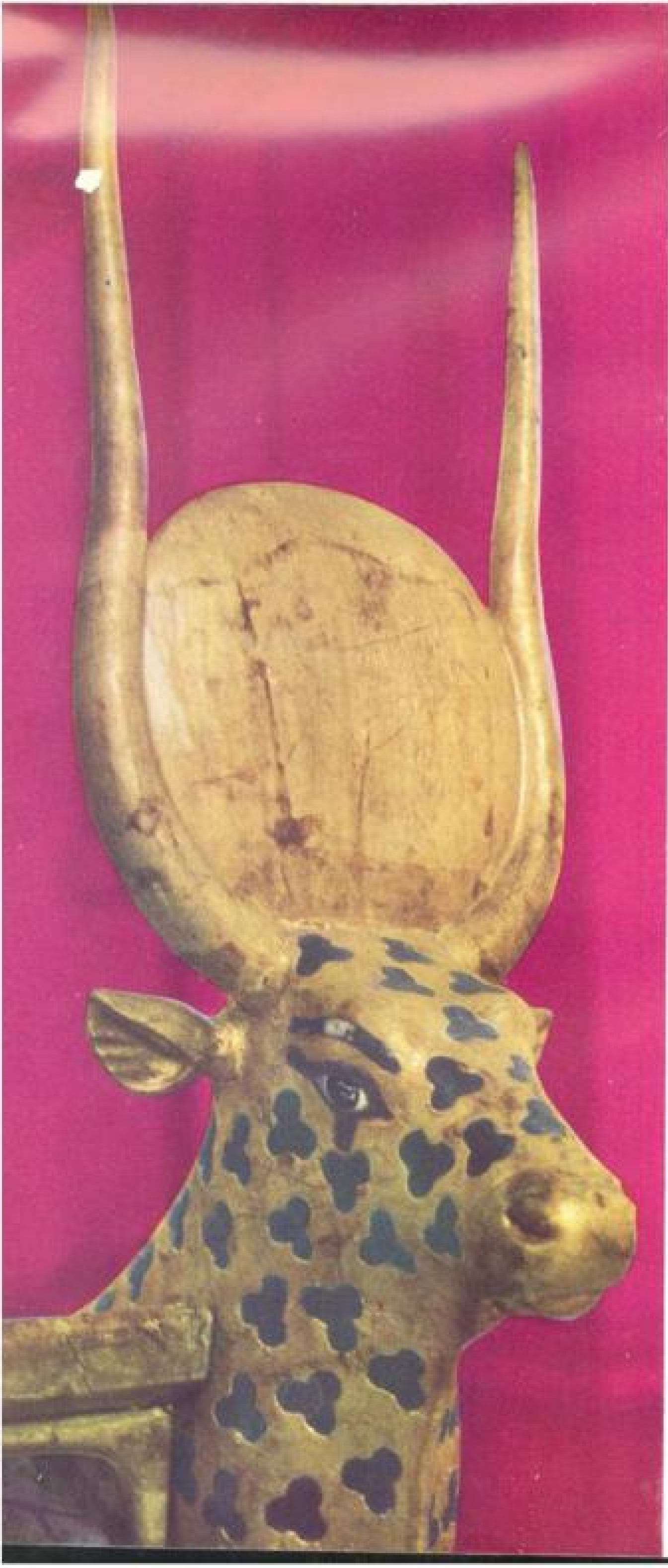




الى اليمين : رأس فهد دقيق الصنع ، يحمل سريرا جنائزيا من الأسرة الثلاثة التي وجدت في المقبرة ، كما عثر على ثلاثة اسرة عادية أخرى .

الى اسفل : تمثال من الخشب للاله الوبيس اله الجبانة والتحنيط ويرمز له بصورة كلب جالس ، وقد عثر عليه في مقبرة توت عنخ آمون رابضا فوق صندوق يحوي الجواهر والتمائم . وطول التمثال ثلاثة اقدام ، و عيناه من المرمر والزجاج .





الى اليسار : تماثيل الآلهة تحمى روح الملك : عثر في مقبرة توت عنخ آمون على مجموعة من الاسرة محمولة على تماثيل تمثل مختلف الآلهة والحيوانات المتوحشة ، والغرض من هذه التماثيل وقاية النائم من شر الأرواح الشريرة وحمايته .. والصورة اليسرى تبدو لتمثال بقرة ، رائع الصنع ، بين قرنيها قرص الشمس ،انها رمز الآله حتحور: اله الحب والموسيقى والجمال . وهذا التمثال هو واحد من القوائم الاربع لسرير الملك توت عنخ آمون .





مقبرة توت عنخ آمون : كانت هناك ٣ توابيت على شكل انسان متداخلة بعضها داخل بعض: الخارجي منها من الخشب المغطى بصفائح من الذهب ، والثاني من الخشب المذهب ايضا ، وكلاهما مطعم بأحجار نصف كريمة وزجاج ملون ، والتابوت الثالث من الذهب الخالص (انظر صورته ص ٨٦) وقد رقد الملك فيه ورأسه مغطى بالقناع الذهبي الخالص (صورة ص ٧٧) وعلى رأس المومياء تاج من الذهب المرصع بالاحجار الكريمة .. وعثر بين اللفائف وأجزاء المومياء على ١٣ قطعة مختلفة من الحلى الذهبية والقلادات .. والاساور .. والتمائم .. وحزام من الذهب يتدلى منه الخنجران الذهبي والحديدى .. وما زالت جثة توت عنخ آمون فى مكانها القديم بوادى الملوك داخل التابوت الثالث، وتزدان جدران المقبرة برسوم ملونة تمثل الملك امام الالهة نوت ، الهة السماء .. ثم روح الملك (الكا) امام أوزيريس

العهد من تقدم فى الفنون والصناعات الكيميائية ، مثال ذلك :

١ ـ نفيران للحرب : أحدهما من النحاس ، والآخر من الفضة .. وقد نفخ فى أحدهما وهو النحاسى ، وأذيع الصوت العالى الصادر منه ، فى اذاعة عالمية ، ان المرء يتعجب كيف ضبطوا الطول حتى يتفق مع نظريات تردد الصوت الحديثة ؟

٢ ـ رداءان للملك مصبوغان بأصباغ عضوية مستخرجة من النباتات .. كيف استطاعوا استخلاص الصبغة من النباتات واختزانها ؟ .. ثم كيف أعادوا اكسدتها ؟ .. بل كيف اهتدوا الى معرفة مثبتات الصبغة كالشب وأملاح الحديد والنحاس القابلة للذوبان فى الماء ؟ وهى كلها أمور يفخر العلم الحديث بابتكارها ، ناسيا ان قدماء المصريين قد سبقوا العالم أجمع بالكشف عنها ، واستخدامها استخداما علميا صحيحا .

الى اسفل : عثر فى حجرة الكنوز على مجموعة كبيرة من تماثيل « الشوابتى » الجنائزية الصغيرة التى تنوب عن المتوفى فى العمل فى الحياة الاخرى، بفضل نص سحرى منقوش عليها .



ذكرى باقية

هذا هو توت عنخ آمون الفتى الصغير الذى قدر له أن يعتلى عرش مصر لمدة تسع سنوات (١٣٥٢ ـ ١٣٤٣ ق.م) بدأ حكمه صغيرا ومات صغيرا .

ومع ذلك فستبقى ذكراه باقية على الدهر تحكى عنها آثاره الخالدة الموجودة حاليا بالمتحف المصرى .

زكى اسكندر

ركن الأسرة والمرأة

٥ ملاحظات عابرة على مجتمعنا ودلالاتها السيكلوجية والأخلاقية

بقلم الدكتور
فاخر عاقل
استاذ علم النفس بجامعة دمشق

■ هذه ملاحظات اجتماعية سريعة ، لا اقصد من استعراضها مع القارىء ان اوفيها حقها من البحث والتعليل والعلاج بقدر ما ابغى لفت النظر اليها والتنبيه الى دلالاتها ، ففيها متعة ولها معنى ، علاجها واجب والتخلص منها ممكن .

بقالية الأمانة .. ومطعم الانصاف !

الملاحظة الأولى هي عن بعض الأسماء التي تعطى للمحال العامة في بلادنا فهذه (بقالية الأمانة) وذاك (مطعم الانصاف) وذلك (مخزن الصدق) الى غير ذلك من أسماء ، واغلب الظن انك لن تجد امانة في بقالية الأمانة ولا انصافا في مطعم الانصاف ولا صدقا في مخزن الصدق .

ولكن الذي يهمنا من هذه الأسماء شيء آخر ونعني به دلالة هذه الاسماء . انها تدل على افتقاد المجتمع لهذه المثل الاخلاقية في مثل هذه المحال ، ولذلك يعمد بعض الأذكياء من افراد المجتمع الى استعارة هذه المثل واطلاقها على محالهم، أي ان صاحب بقالية الأمانة ادرك ان الناس يفتقدون الأمانة في البقاليات ومعاملاتها . الأمانة في تحديد السعر والأمانة في تسجيل المشتريات والأمانة في وزنها الى غير ذلك من ضروب الأمانة ولذلك فقد عمد الى اطلاق اسم الأمانة على محله ايهاما للناس او تأكيدا لهم بأن ما يبتغون من امانة متوفر في محله. وقل الشيء نفسه عن مطعم الانصاف وفندق الراحة ومخزن الصدق وغيرها .

على ان افتقاد الناس لشيء يعني بحثهم عنه وابتغاءهم اياه ويعني بالتالي اقبال الناس على امكنة توفره وانصرافهم عن المحال التي لا تعنى به ، ومن هنا كان ما نراه الآن في مجتمعنا من تحسن المستوى الأخلاقي في معاملات البيع والشراء . والأمل معقود على ازدياد التحسن حتى بلوغ المستوى اللائق بنهضتنا وسمعة امتنا .

حلال على الشاطر !

والملاحظة الثانية هي عن موقف الناس من الاختلاس والغش وما اليهما ، فانت اذا رويت لجمهور من المستمعين قصة موظف اختلس مبلغا كبيرا من المال ولم تضبط سرقته سمعت من يقول لك (حلال على الشاطر) واذا تحدثت عن مهرب استطاع ان يهرب بضاعة دون ان يدفع عنها ضريبة المكس (الجمرك) قام من يتبرع بالقول (حلال على الشاطر) ، واذا حكيت عن موظف لا يداوم على وظيفته ومع ذلك فانه لا يحاسب على

ذلك نظرا لقرابته من كبير او عظيم قيل لك (حلال على الشاطر) ، واذا نوهت بتاجر استطاع ان يعقد صفقة كبيرة ربح منها بالغش ربحا غير مشروع تحمس احد المستمعين وقال (حلال على الشاطر) وهكذا . . .

انها مواقف شائعة مألوفة فى بعض مجتمعاتنا على الأقل . وهى تدل ، فيما تدل عليه ، على مفهوم مادى عبيط ضيق للأخلاق عامة وللسرقة خاصة ، فالسرقة فى راى هؤلاء هى فقط اخذ المال خفية ودون موافقة صاحبه ، اما سرقة الحكومة فليست سرقة ، لان الحكومة فى رأيهم ليست شخصا ماديا معينا . ويبدو ان وجود حكومات اجنبية فى البلاد العربية فى الماضى انسى الناس ان مال الحكومة انما هو مالهم وان سرقة الحكومة انما هو سرقة لهم . وكأنى بالسرقة فى رأيهم انما هى سرقة المال فقط اما سرقة الوقت والجهد والتعب والأفكار فليست سرقة . ويبدو ان راى هؤلاء مستقر على ان التجارة يجوز فيها كل شيء ، فما دام الأمر امر بيع وشراء ومساومة فلك أن تستغل الشارى ، وتداوره وتتحكم به كما تشاء دون وازع من دين أو رادع من أخلاق .

ولست احب للقارىء أن يفهم من كلامى انى اتهم كل تجارنا بالغش والتدليس والربح غير الحلال ، كلا فانى اعلم علم اليقين أن فى تجارنا الشريف صاحب الضمير الذى لا يطلب الا ربحه المشروع الحلال . وأيا ما كان فلست فى موقف المتحدث عن التجار انفسهم ولكنى اتحدث عن موقف الناس ، بعض الناس ، فى مجتمعنا من السارقين والمختلسين والغشاشين وهو موقف أقل أخطاره كونه يشجع على دوام السرقة واستشراء الاختلاس والوقوف من ذلك مواقف لا اخلاقية .

سرقة .. وسرقة !

والملاحظة الثالثة تتصل بمسألة السرقة أيضا واعنى بها مسألة الجهد الأقل أو أهون السبل كما يمكن ان تسمى ، فطالبنا يريد الحصول على شهادته بأقل جهد ممكن ، وموظفنا يريد ترقيته بأهون السبل ، وتاجرنا يريد الاثراء بأقصر وقت وادنى جهد ، وعاملنا حريص على ان يبذل أقل نشاط ويحصل على اعلى اجر وهكذا . . .

صحيح ان الانسان ميال بطبعه الى بذل اقل جهد ممكن ، وصحيح ان من تعاريف المدنية انها بحث الانسان عن اقصر الطرق للحصول على اعلى مردود لقاء اقل جهد،ولكن هذا شيء وشيء آخر ان يجعل الطالب الشهادة غاية لا واسطة، وان يحرص على الحصول عليها من اى سبيل كان وبأى شكل كان . ثم ان الموظف الذى يريد الترقية دون أن يستحقها فعلا انسان سارق . يسرق المجتمع والدولة وزملاءه. وكذلك الحال بالنسبة للتاجر الذى يريد أن يثرى دون حق ، والصانع الذى لا يبذل من جهده ما يتكافأ مع أجره .

تقول الشعوب الجدية ان ٩٩٪ من النبوغ عرق جبين ، وتحرص الامم الراقية على ان يعمل ابناؤها ويبذلوا فى سبيل رفعتها وتقدمها ما يسمح لها بأن تتبوأ مكانا لائقا بها ، وما من شك في ان لذة النيل بعد الجهد لا تعادلها فى الدنيا لذة ، وأن اكبر عقاب يصل دون جهد هو حرمانه من لذة النجاح الحقيقي .

والملاحظة الرابعة هي عن مسألة الحلال والحرام،ولست احب ان اتعرض هنا للمحللات والمحرمات دينيا واجتماعيا، ولكني احب ان اقف وقفة قصيرة عند ضياع معالم الحرام والحلال حين تختلط المصالح الشخصية بالمفاهيم الدينية الحقة والاجتماعية الصحيحة . .

وهكذا فالربا حرام ، ولكن شراء المحاصيل الزراعية مسبقا وبأسعار تقل عن نصف سعرها الحقيقي حلال !!

وكشف المراة وجهها في حارتها او

بلدها حرام ، اما كشفها اياه في حـارة أخرى لا تعرف فيها او في بلد تسافر اليه فحلال !!

والغش في الوزن حرام ، اما الغش في السعر فحلال !!

وسرقة المال حرام اما سرقة الجهد واستغلال صاحب الحاجة فحلال الى آخر القائمة الطويلة التي يمكن سردها في هذا الصدد .

ان هذه المواقف انما تدل على فهم خاطيء لروح الدين وتعاليم المجتمع وقوانينه ، فالدين والقانون لم يوجدا للتضييق على الناس وعرقلة نشاطهم ، بل على العكس وجدا لتنظيم علاقات الناس وتيسير تعاملهم وحمايتهم بعضهم من شر بعض ، وضمن هذه الحدود الصحيحة المعقولة فالدين يسر ، والقانون خير ، والاعراف والعادات الصحيحة ضوابط مفيدة. وما من شك في ان مثل هذه المواقف دليل واضح على سوء اصحاب مثل هذه المفاهيم الدينية والاجتماعية ، وتعبير صارخ عن شر اصيل في النفس لم يستطع الدين والمجتمع ان يجتثا جذوره ويستأصلا شأفته .

الدين المعاملة ، والمعاملة الصحيحة واضحة المعالم لا غمغمة فيها ولا مداورة. والحلال صريح بسيط ، والحرام معروف محدد ، والغشاش لا يغش الا نفسه .

التواكل .. والاتكال

واما الملاحظة الخامسة فهي عن التواكل وترك الامور للظروف . لقد قيل الكثير عن الاتكالية وكتب الاكثر عن التواكل وحدوده الدينية وانحرافاته الاجتماعية مما لا يدع مجالا لقول المزيد ، ولكني لن اتحدث في مقامي هذا عن كل ذلك ، وكل ما بودي ان افعله هو ان اشير الى بقاياه الاجتماعية في حياتنا اليومية .

ان المتأمل لحياتنا هذه يلحظ الكثير من بقايا هذا التواكل ومظاهره : فربة البيت عندنا لا تؤمن بما يسمى ميزانية ولكنها تنفق عن سعة او ضيق بحسب الظروف الطارئة . والباقي على الله ! . اما الادخار المعقول، واما حسبان حساب المفاجآت ، واما توزيع المصروف توزيعا عادلا بين ابواب الانفاق المختلفة فأمر لا ضرورة له ولا يمكن ان يضبط ... والذي يقوم بعمل ، اى عمل ، لا يفكر في خطة له وميزانية الوقت اللازم له ، وحساب المصاعب التي قد تعترضه . وقل الشيء نفسه عن المشاريع الفردية والاعمال التجارية وغير ذلك من مظاهر الحياة .

يقال ان عصرنا عصر تنهيج وتخطيط ، وان الامم والافراد آمنوا بوضع خطة لكل عمل ، وبرنامج لكل مشروع، ومناهج لكل ناحية من نواحي الحياة . ولكن هذا القول لا ينطبق مع الاسف على حياتنا الخاصة ، وان كان قد بدأ يتسرب الى حياتنا العامة فى كثير من القوة والجراة.

ويقال ان التنظيم يوفر في الجهد والوقت والمال ، والحق ان الذي يعرف ما يريد يمضي اليه قدما لا يلوى على شيء . ثم ان الذي يفكر في كيفية عمل ما يريد عمله قمين بأن يتقن العمل بأقل جهد واسرع وقت . ويقول الناس ان الذي لا يحسب لا يسلم ، والصحيح ان السلامة رهينة بالحساب والتقدير ، نعم ان الحساب يخطيء احيانا وان التقدير لا يكون مضبوطا في كل حين ، ولكن اليس صحيحا ايضا ان على الانسان ان يعقل اولا ، ويتوكل ثانيا ؟!

ان ترك كل شيء للظروف جدير بأن يوصل للمخاطر ، وان استشراء التواكل في مجتمع ما لدليل على تأخره ، وليس يكفي أن تخطط الحكومة وتنهج الدولة ، بل ان من واجب الانسان ، كل انسان ، ان يفكر فى عمله ، اى عمل ، وان يخططه وينظمه .

وبعد فهذه ملاحظات عابرة سريعة ارجو ان تنبهك الى بعض ما في مجتمعك من اخطاء وما لها من دلالات . ■■

فاخر عاقل



العلماء في مراكز الادارة والقيادة في البلاد

● يرى السير شارلس سنو Snow ، العالم البريطاني ، ان الولايات المتحدة اسبق من بريطانيا ، في فتح باب الوظائف الادارية العليا للعلماء . وهو يرى ان العلماء يجب ان يتاح لهم ان يلعبوا دورهم كاملا في سياسة البلاد ،كل بلاد ، ولكن يقف دون ذلك وجود فراغ بين العلماء وغير العلماء يمنع من تواصلهم وتفاهمهم،وهذا الفراغ اكبر في بريطانيا منه في الولايات المتحدة ، وذلك بسبب ان التربية في الولايات طابعها التعميم في الدراسات ، وهي في بريطانيا طابعها التخصص . ويلتقى العالم في الولايات بغير العالم فيكونان أكثر فهما من مثليهما اذ يلتقيان في بريطانيا .

ومع هذا، كما يقول العالم البريطاني ، يجب أن لا ننسى ان دخول العلماء الى الادارة العليا قد ينتج عنه ان يحدثوا الناس بلغة العلم ، وهم لا يفهمونها . وبسبب انه العلم ، هم يسكتون عما لا يفهمون . ويقدرون انه ، لانه الراى العلمي ، هو الصواب على كل حال . وهذا يعطي للعلماء قوة لا ترضاها الديمقراطية .

والعالم البريطاني يرى ان هذاالفراغ، او هذه الفجوة التي بين العلماء وغير العلماء،يوجد امثالها بين عنصر من الناس وعنصر ، وبين دين ودين . وهذه كلها مصدر الكثير من شرور هذه الحياة . ولكنها بفضل التواصل ستخف على الايام ، وتتقارب الناس ، وتتناسق الافهام .

ونحن نقول استجابة لرجاء عالمنا : آمين .

علماء النفس يقولون : شهر العسل م

● شهر العسل : هكذا يسمى الناس شهر الزواج الاول ، شهر الغبطة والنعمة ، تلك التي تتصل باقدس عملية في الوجود، تلك وصل النسل ومواصلة الحياة .

وعلى الرغم من اسم هذا الشهر الحلو،فان علماء النفس يرون فيه انه من اخطر الشهور على الحياة الزوجية ، وعلى ماينتج فيها من توافق بين اثنين ، في امور شتى ، يتوقف عليه الكثير من سعادة الغد او شقائه .

فكل عمل من اعمال الحياة ، وقد اشتبك فيها الزوجان في هذا الشهر اشتباكا ، يحتاج من وعي او غير وعي ،الى توفيق بين شيئين ، بل مزاجين ، لا شك مختلفين ، لانهما لشخصين ،مهماامتدت بينهما المعرفة على البعد ، لا يزالان غريبين .



القرود الشمبازى : اقرب الحيوانات للانسان لهذا تجرى تجارب اللقاح عليها

لقاح التهاب الكبد

فى طريقه للظهور ..

● التهاب الكبد المعدى Infective Hepatitis مرض شديد . وقدعرف انه يعود الى عدوى اداتها نوع من المكروب ، من طائفة الفيروس . وقد وقع العلماء فعلا على هذا الفيروس واستخلصوه وحده في عام ١٩٦١ . ومن ذلك التاريخ وهم جادون في استحداث لقاح له . وللوصول الى مثل هذا اللقاح لا بد للعلماء من حيوان يمكن ان يحمل هذا المرض ، وعليه تجرى التجارب ، فاذا نجحت ،انتقلوا بها الى الانسان .

ومنذ سنتين ، في مركز من مراكز التجارب للحيوانات العليا ، مرض ثلاثة من رجال المركز بهذا المرض ،وبالبحث ردّ الباحثون اصل العدوى الى اثنين من القرود المعروفة بالشمبازى .

ثم تأكد بعد ذلك ان هذا النوع من القرود هو وحده الذى تستطيع العدوى بهذا الفيروس ان تناله من بين مراتب الحيوانات العليا .

والطريق الآن مفتوح لابتداع اللقاح المطلوب ، بالاساليب المعروفة باستخدام هذه القرود ، وهى اقرب ما تكون الى الانسان خلقا وفهما .

خطر الشهور على الحياة الزوجية .. !

حتى الاتصال الجنسي لا بد من توفيقه. ولهذا الاتصال مخاوفه لا سيما عند الانثى . وله عقده عند الذكر والانثى. وهو ليس بالشيء الذي يؤخذ بالهزل، وعلى علاته . انه شيء كثيرا ما ينكشف عن نتائج خطيرة حتى بين اثنين ، هما على انفراد ، يتميزان جثمانيا بالصحة والعافية .

وللانفس مواقف للحرج لا بد من اجتيازها بنجاح : شركة في فراش ، شركة فى حمّام ، شركة فى طعام ، شركة في حل معضلات المزاجين المختلفين عندما يريدان ائتلافا، كل ذلك يستدعي اليقظة. ولكل مخاطره .

ان شهر العسل ، عند هؤلاء الباحثين النفسانيين ، هو شهر التجربة الكبرى، والامتحان الاعظم .

هل يتوصل العلماء لمعرفة حجم العالم

● منـذ حوالى ١٥ سـنة كانت المراصد تكشف من السماء اجسـاما ، ابعدها يبلغ مئات الالوف من السنوات الضوئية .

والسنة الضوئية هو اصطلاح علمي للمسافة لا للزمن . انه المسافة التي يقطعها الضوء في سنة كاملة . ونعلم أن الضوء يقطع في الثانية الواحـدة ١٨٦٠٠٠ ميل ، اذن هو يقطع في العام ٦ مليون مليون ميل .

فأبعد بعد في السماء عرف قبـل نحو ١٥ سنة كان مئات الالوف مضروبة فى ٦ مليون مليون ميل .

ولكن الآن ، وبعد استخدام مـرآة مرصد جبل بالومار العاكسة ، وقطرها يبلغ نحوا من ٥ امتار ، راى العلماء مـن العالم ما هو ابعد .

بُعد العالم عندهم ليس الآن مئـات الالوف من السنوات الضوئية ، ولكـن بلايينها !!

وبرصد هذه الاضافات الجديدة الى ما كان معروفا من حجم العالم ، قـد يستطيع العلماء ان يكونوا فكرة عـن طبيعة الكون :

(١) هل هو كون آخذ فى الاتساع ، بمعنى ان اجرامه آخـذة فى التباعد بعضها عن بعض ؟

(٢) ام هو كون يتسـع ، ثـم ينكمش ، ثـم يتسع ؟ اي ام هو كون نابض ؟

(٣) او هو كون لا يتسـع ولاينكمش، وانما هو كون دائم التجديد لنفسه بخلق مادة جديدة ؟

حوادث السيارات

كثيرا ما تكون مشبوهة

● هذا ما يقوله عالم نفسانى باحث .

انه بحث عددا كبيرا من حوادث السيارات ، واتضح له من بحثه ان حوادث السيارات انواع ثلاثة :

ا ـ نوع يَحدث غصبا ، لا حيلة لاحد فيه .

ب ـ نوع يُحدثه السائق يريد به ان ينتحر .

جـ ـ نوع يرتبه رجل آخر ليقضي به علـى حياة من في السيارة .

والناس عندما تسمع بحادث سيارة ، مات فيه احد ، تنسبه الى النوع الاول . وقد تزيد فتقول ان السائق كان سكرانا ، او غلبه النوم ، او فقد التحكم في عجلة القيادة .

ويرى الباحث النفساني ان من الناس من يريد

الى اسفل : مجرة واحدة ، بها اللايين من النجوم





ان ينتحر ، فيتخذ السيارة وسيلة الى ذلك .ويرتب امره بحيث يخفى كل اثر لنيته هذه حتى لا يتضح بعد وفاته ، وذلك كي لا يترك من انتحاره سمعة سيئة تعانى منها اسرته من بعد موته . او هو يفعل ذلك لكي تنال اسرته المبلغ الذى امّن به على حياته من بعده .

ويسوق هذا الباحث ، فيما يسوق من الادلة ،ان من الذين ماتوا في حوادث السيارات ، وهم يسوقونها ، قوم كانوا عنده في مستشفى العقول ،هدفوا الى الانتحار ، وانفذوا ذلك بعد خروجهم من المستشفى ، على اسلوب « حادث سيارة برىء » .

ويرى الباحث ان النوع الثالث هو ذلك النوع الذى يرتبه مرتبه بحيث يظهر الحادث بانه حادث طبيعى لا شك فيه ، وقع فيه ضحيته التى يطلبها .

والخلاصة : ان هذا الباحث النفساني ، وهو استاذ في جامعة كبيرة ، نبّه عند القاء بحثه في جمعية الصحة النفسانية الى انه يجب على رجال الشرطة ان لا ياخذوا كل حادث سيارة على انه حادث برىء . يجب عليهم ان يبحثوا فيه فلعل فيه اثرا لجريمة .

مادة من الكليتين لضبط ارتفاع ضغط الدم

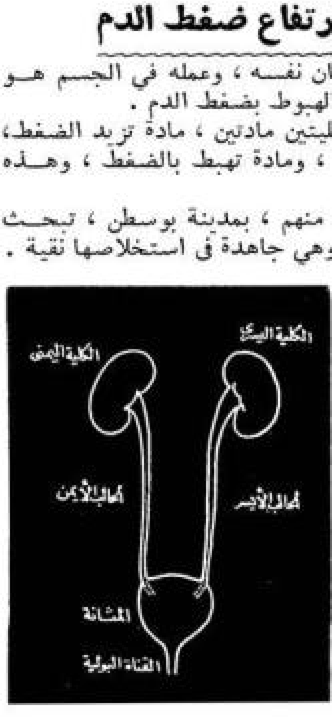
● انه عقار مستخرج من جسم الانسان نفسه ، وعمله في الجسم هو نفس عمله المطلوب عند استخدامه عقاراً:ذلك الهبوط بضغط الدم .

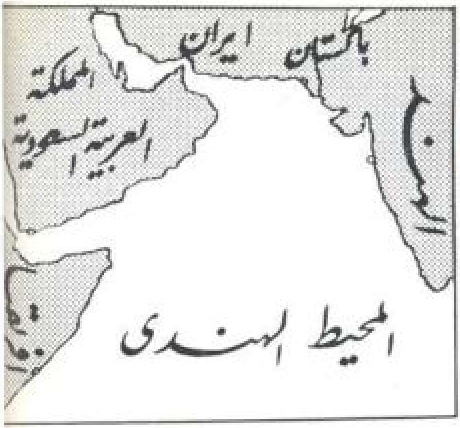
وهم وجدوه في جسم الكليتين . انّ في الكليتين مادتين ، مادة تزيد الضغط، وهذه تفرزها الطبقة الخارجية من الكلية ، ومادة تهبط بالضغط ، وهذه يفرزها الجزء الداخلي من الكلية .

واذ اتضح هذا لدى البحاث ،مضت طائفة منهم ، بمدينة بوسطن ، تبحث عن هذه المادة ، وقد وجدتها ، واستخرجتها وهي جاهدة في استخلاصها نقية .

وقد دلت التجارب الاولية التي اجراها هؤلاء الاطباء في الحيوانات ، بحقن هذه المادة في اوردتها ، على انها توسّع الاوعية الدموية حقا ، وانها تهبط بضغط الدم في شريان الدم الاعظم ، الاورطة ، ذلك الذى منه يخرج الدم الى الجسم من القلب، اول خروج. وكذلك هي تزيد في مقدار الدم الذى يقدر القلب على دفعه .

انها ابحاث لا تزال في طريقها ، لم تبلغ الغاية بعد ، ولكنها تحيى الآمال .





انباء الطب والعلم والاختراع

من بعثة أبحاث المحيط الهندى

رياح الجنوب تؤثر فى أجواء الجزء الشمالى من الارض

● تدل النتائج الاولية على ان الرياح الموسمية الهندية ، وهي في النصف الجنوبي من الارض ، تؤثر تاثيرا كبيرا فى اجواء النصف الشمالي من الارض .

فهذه الرياح الموسمية تطلق فى الجو مقادير هائلة من الطاقة فوق الهند وباكستان . وهذه تؤثر في حرارة الجو بتلك المنطقة وتؤثر في مسارات الهواء ، وعلى الارجح ينتقل هذا الاثر من القارة الهندية الى سائر الاقطار الارضية .

والرياح الموسمية ، على ما هو معروف ، رياح تهب استجابة لتغيرات موسمية تحدث فى درجات حرارة الارض والجو ، ينتج عنها سقوط امطار غزيرة فى القارة الهندية وكسوتها بهواء رطب ، نحو ستة اشهر متصلة فى العام .

مستشفيات آخر الاسبوع :

أحدث علاج لمرضى العقول والنفوس !

● ان بين صحة العقل ، والجنون ، مراتب عدة من اختلال العقل . ومن هذه المراتب منزلة لا يبلغ فيها المرض حد التوقف عن العمل تماما ، والالتجاء الى المستشفى .

وقد رأى جماعة من المختصين انشاء مستشفيات لهؤلاء الناس ذوى العقول المضطربة والانفس السقيمة ، يأوون اليها يومين في آخر الاسبوع ، بينما هم في الخمسة الايام الاخرى يجرون الحياة ، في العمل على عادتهم الراتبة .

وقد نجحت هذه الطريقة فى الكثير من هذه الحالات ، وكان من نتيجتها ان علاقة الرجل برئيسه وزملائه فى العمل تحسنت ، والجفوة والشجار المتصل فى البيت بين الرجل وزوجته واولاده وبناته قد خف او انقطع .

واحس اصحاب العلة بهذا التحسن فى انفسهم فاقبلوا على هذه المستشفيات ، مستشفيات آخر الاسبوع .

في قرية حنتوس ، على مقربة من بيروت ، يزور الناس قبرا مهجورا ، لامام مغمور ، مع انه كان في حياته ذا مكانة لدى فقهاء زمانه وعلمائه ، يقتدى به ، ويؤخذ عنه ، حجة في الفقه والعلم والحديث ٠ انه :



الأوزاعي

فقيه أهل الشام

بقلم : زهدي يكن

رئيس محكمة التمييز المدنية ببيروت

■ هو عبد الرحمن بن عمرو ، والاوزاع بطن من همدان (١)

تلقى ثقافته الاولى باليمامة فسمع من يحيى بن ابي كثير وغيره من مشايخ أهل اليمامة .

وقال المستشرق الالماني شخت Schacht في تحقيقه عن الاوزاعي انه ولد في الشام وتلقى علومه في اليمامة وهذه الرواية تطابق ما قاله « ابن سعد » في الطبقات وعليها نعتمد . وقد مارس بعض الوظائف لدى الحاكم في اليمامة ، وبعدئذ جاء الى بيروت حيث دفن في قرية حنتوس قرب بيروت ، وقبره اليوم معروف .

اوصافه

وقد تادب الاوزاعي بنفسه ، فلم يكن اعقل منه ، ولا اروع ولا أعلم ، ولا افصح ، ولا اوقر ، ولا

---

(١) قيل « الاوزاع » بطن من ذي الكلاع من حمير ، وقال بعض النسابين اسم « الاوزاع » مرثد ابن زيد ينتهي نسبه الى حمير ، نزلوا ناحية الشام فسميت الناحية بهم ، وعدادهم في همدان ، وقال البخاري في تاريخه « الاوزاع » قرية بدمشق اذا خرجت من باب الفراد ، وأيد ذلك «ياقوت»في معجمه .

(٢)هو صاحب كتاب « الطبقات » وقد تضمن تاريخ النبي والصحابة والتابعين الى زمانه . وهو المتوفى عام ٢٣١ هـ ـ ٨٤٥ م .

احلم ، ولا اكثر صمتا منه ، ما تكلم بكلمة الا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها .

وقد وصفه ابن سعد فقال : ثقة ، مأمون ، صدوق ، فاضل ، خير ، كثير الحديث والعلم والفقه حجة .

وقد ادرك خلقا من التابعين وغيرهم ، وحدث عنه جماعة من السادات ، كمالك بن انس (٣) ، والثورى (٤) واثنى عليه غير واحد من كبار الائمة منهم الزهرى (٥) ، وهو من شيوخه .

واجمع الناس على عدالته ، وامانته .

ما قاله الأئمة فيه

ويكفينا شهادة به ما قاله مالك : كان الاوزاعي **اماما يقتدى به .**

وقال سفيان بن عيينه : كان الاوزاعي امام أهل زمانه ، وقد حج مرة فدخل مكة ، وسفيان الثورى آخذ بزمام جمله ، ومالك بن أنس يسوق به ، والثورى يقول : افسحوا للشيخ ، حتى أجلساه عند الكعبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه .

ان هذه الرواية تدل على مكانة الاوزاعي لدى فقهاء زمانه وعلمائه .

واما ما رواه البعض أن مالكا والاوزاعي قد تذاكرا مرة في المدينة من الظهر حتى صليا العصر ومن العصر حتى صليا المغرب ، فغمره الاوزاعي في المغازى ، وغمره مالك في الفقه ، نعتقد ان هذا مبالغة من الرواة كما حققه المستشرق شخت في احد مباحثه عن الاوزاعي .

واما ما رواه يحيى القطان عن مالك : بانه قد اجتمع عنده الاوزاعي ، والثورى ، وابو حنيفة فقال مالك بعد سؤاله من يحيى عن أرجحهم بأنه الاوزاعي ، **فنظن ان ذلك من الروايات الضعيفة ، وناخذ بقول يحيى بن معين ، بأن العلماء اربعة : الثورى ، وابو حنيفة ، ومالك ، والاوزاعي .**

كان ثبتا في اللغة ، حلو العبارة

ان الاوزاعي بالاضافة الى انه كان اماما بالفقه، ثبتا ، وحجة كان ثابتة باللغة لا يلحن ، وله رسائل الى الولاة ، والى الخليفة المنصور الذى كان ينظر فيها ويتاملها ، ويعجب من فصاحتها ، وحلاوة عبارتها .

وقال المنصور على ما رواه « ابن كثير » في البداية والنهاية لسليمان بن مجالد ، وهو احد كتابه : ينبغي أن نجيب الاوزاعي على كتبه لنستعين بكلامه فيما نكاتب به الى الافاق الى من لا يعرف كلام الاوزاعي .

ويقول الوليد بن مسلم كما في «صفوة الصفوة» لابن الجوزى : ما رايت أحدا أشد اجتهادا من الاوزاعي في العبارة .

الاوزاعي ، من رجال الحديث الذين يكرهون القياس

ومن كلامه : عليك بآثار السلف ، وان رفضك الناس ، واياك وأقوال الرجال وان زخرفوه وحسنوه .

وقال ايضا : اصبر على السنة ، وقف حيث يقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا ، وليسعك ما وسعهم .

قال : العلم ما جاء عن اصحاب محمد ، وما لم يجيء عنهم فليس بعلم .

وقال : اذا اراد الله بقوم شرا فتح عليهم باب الجدل ، وسد عنهم باب العمل .

وهذا يدل دلالة واضحة ناصعة بانه من رجال الحديث الذين يكرهون القياس .

مذهب الاوزاعي ، في الشام والمغرب

وكان أهل الشام يعملون بمذهبه ، وكان قاضي الشام اوزاعيا ، اي على مذهب الاوزاعي وكان السوريون يفتون باقواله فصح عليه لقب فقيه اهل الشام .

وقد انتقل مذهب الاوزاعي الى المغرب ، ومنه الى الاندلس الاسلامية الى أن اضمحل وحل محله مذهب مالك الذي ادخله اليها ابو عبد الله زياد ابن عبد الرحمن القرطبي الملقب بشبطون ، فقيه الاندلس ، الذى سمع من مالك « الموطأ » ، وله

---

٣) أحد الأئمة الكبار ، وهو أشهر من أن يعرف ، ولد في المدينة ، وتوفى عام ١٧٩ هـ (٧٩٥ م)

٤) هو سفيان الثورى محدث امام ، عاش في العراق ، مات ١٦٢ هـ ــ ٧٧٨ م .

٥) الزهرى محدث شهير رأى الصحابة ، سكن الشام ، وتوفى عام ١٢٤ هـ (٧٤١ م)

عنه في الفتاوى كتاب سماع معروف في منتصف القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) وبقي في سوريا معمولا به حتى نهاية القـرن السادس الهجري (العاشر للميلاد) .

مؤلفات الاوزاعي

ان مؤلفات « الاوزاعي » التي املاها على تلامذته كثيرة قد أحصى منها صاحب «الفهرست» كتاب «السنة» في الفقه وكتاب «المسائل الفقهية»، والارجح ان هذين الكتابين لم يبقيا على أصلهما . وأما مسند « الاوزاعي » الذي أشار اليه « حاجي خليفه » فيحتمل انه قد نسب اليه بتاريخ لاحق كما هو في مؤلفاته الاخرى .

وفي زيارتي لتونس وجـدت مسندا للامام « الاوزاعي » مخطوطا بجامع القيروان لم تتح لي الفرصة لتحقيق نسبته اليه .

آراء الاوزاعي تمثل السنة التقليدية في الفقه الاسلامي

أما آراء « الاوزاعي » فقد اشير اليها بتفصيل في الرد على « سيَر الاوزاعي » ، لابي يوسف . كذلك نرى أثرا لهـذه الاراء في كتـاب « الام » للشافعي ، وفيه مناقشات لآراء الامام أبي حنيفة.

وقد عثر في القرن الحادي عشر للهجرة (١٧ ميلادي) على كتاب « سيَر الاوزاعي » وضعـه أحد تلامذته .

وبصورة عامة : ان آراء الامام الاوزاعي تمثل السنة التقليدية في الفقه الاسلامي .

مكانة الاوزاعي عند الخلفاء والحكام

وكانت له حرمة لدى الخلفاء والحكام ، وكانوا لا يؤخرون له طلبـا ، وقد تشفع في السجنـاء السياسيين المعتقلـين في بيروت الى الخليفـة المنصور كما رواه ابن أبي حاتم ، فقبلت شفاعته.

وهو من ناحية السياسة كان في غاية الحيـاد بعيدا عن أجواء السياسة محترما ومكرما ، فلم يداهن الامويين ولم يتملق العباسيين .

قصة لقاء وقع بين الاوزاعي وعبد الله بن علي عم السفاح

وأما قصة مقابلة الامام الاوزاعي لعبد الله بن علي ، عم السفاح الذي اجلى بني امية عن الشام فهي بنظر المحققين قصة خيالية .

وانما نروي لك هذه القصة للفائدة : ـ

لما دخل عبد الله بن علي دمشق ، بعد ان أجلى بني امية عنها ، طلب الاوزاعيَّ ، فتغيب عنـه ثلاثة أيام ثم حضر بين يديه .

قال الاوزاعي : « دخلت عليه وهو على سرير وفي يده خيزرانه ، والمسودة عن يمينه وشماله ، معهم السيوف مُصلتَة ، والعمد الحديد ، فسلمتُ عليه فلم يردّ ، ونكت بتلك الخيزرانه التي في يده ثم قال :

« يا أوزاعي ما ترى فيما صنعناه من ازالـة أيدي أولئك الظلمة عن العباد ، والبلاد ؟ ، أجهادا ورباطا هو ؟ » . فقلت :

« أيها الامير سمعت يحيى بن سعيد الانصاري يقول ، سمعت محمد بن ابراهيم التيمي يقول ، سمعت علقمة بن قاص يقـول ، سمعت عمر بن الخطاب يقول ، سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : انما الاعمـال بالنيات وانمـا لكل امرىء ما نـوى ، فمَن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنْيا يُصيبها ، أو امرأة يتزوجها، فهجرته الى ما هاجر اليه » .

فنكث بالخيزرانة أشد ما ينكث ، وجعل مَن حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم ، ثم قال :

« يا أوزاعي ، ما تقول في دماء بني امية ؟ »

فقلت : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يَحِلُ دم امرىء مسلم الا باحـدى ثـلاث ، النفس بالنفس والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

فنكث بها أشد من ذلك ، ثم قال :

ما تقول في أموالهم ؟

فقلت :

« ان كانت في أيديهم حراما فهي حرام عليك أيضا ، وان كانت حلالا فلا تحل لك الا بطريق شرعي » .

فنكث أشد ما كان ينكث قبل ذلك ثم قال :

« الا نوليك القضاء ؟ » .

فقلت :

« ان اسلافك لم يكونوا يُشقّقون عليَّ في ذلك،

واني أحب أن يتمّ ما ابتدأوني به من الاحسان »

فقال : « كأنك تحب الانصراف ؟ »

فقلت : « ان ورائي حرماً ، وهن يحتجن الى القيام عليهن وسترهن ، وقلوبهن مشغولة بسببي » .

قال الاوزاعي : انتظرت رأسي ان يسقط بين يدي ، فأمرني بالانصراف ، فلما خرجت ، اذا برسوله من ورائي ، واذا معه مائتا دينار ، فقال يقول لك الامير استنفق هذه . فتصرّفت بها ، وانما اخذتها خوفاً .

الاوزاعي في بيروت

هذا ولما رحل الاوزاعي عن دمشق ، نزل بيروت مرابطاً بأهله وأولاده . قال الاوزاعي : وأعجبني في بيروت اني مررت بقبورها فاذا بامرأة سوداء في القبور ، فقلت لها : أين العمارة ؟ فقالت : « ان أردت العمارة فهي هذه » واشارت الى القبور ، وان كنت تريد الخراب ، فأمامك ، واشارت الى البلد .

وفـــاته

واختلفوا في سنة وفاته ، فمنهم من قال سنة ١٥٠ هـ ، وقال العباس بن الوليد البيروتي : توفي يوم الاحد اول النهار لليلتين بقيتا من صفر سنة ١٥٧ هـ (٧٧٤ م) . وهذا التاريخ هو الذي عليه الجمهور وهو الصحيح ، وقد عاش سبعاً وستين عاماً ، لان ولادته كانت في سنة ٨٨ هـ على الصحيح . ودفن حيث هو الآن ...

ورثاه بعضهم بالأبيات الآتية :

جَادَ الحيا بالشام كلّ عشية
قبراً تضمّن لحدُه الاوزاعي
قبرٌ تضمن منه طَوْدٌ شريعة
سَقْياً له من عالم نفّاع
عرضت له الدنيا فأعرضَ مُقْلِعاً
عنها بزُهد أيما اقلاع

سيرة فقيه نابه ضاعت آثاره

هذه هي سيرة فقيه أهل الشام ، الامام الاوزاعي الذي كان من أكرم الناس ، وأسخى الناس ، ما أمسك شيئاً من دراهم ولا اقتنى من عقار ولا غيره ، ولا ترك يوم مات سوى سبعة دنانير كانت جهازَه ، وكان ينفق ما دخل عليه في سبيل البر ، وفي الفقراء ، وفي المساكين .

هذه سيرة فقيه الشام الذي دخلت تفاصيل مذهبه في عالم الاهمال ، وعالم النسيان .

واما ما نراه في الطبقات الكبرى لابن سعد ، وفي تقدمة المعرفة ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ، وحلية الاولياء لابن نعيم ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وفي تهذيب الاسامي للامام النووي ، وتذكرة الوعاظ للذهبي ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، والمنظم لابن الجوزي ، فانها لا تغني شيئاً ، لعدم احتوائها على آراء الاوزاعي ومذهبه بالتفصيل كما حوت كتب المذاهب الاخرى .

غير اننا عرفنا بعض آرائه في المراجع التي ذكرناها قبلاً ، ككتاب « الأم » للشافعي ، وكتاب الرد على سِيَر الاوزاعي لابي يوسف . وانما هذا نذر يسير .

ومن الغريب أن يختفي هذا الصرح العلمي الذي انتشر في سوريا وفي المغرب حتى كان المذهب الوحيد فيه وفي الاندلس الاسلامية ، وان لا يتوفر العلماء على حفظ مؤلفاته وآثاره لضمها الى مجموعة الآثار التي تركها لنا السلف .

ان هذا الاهمال من رجالنا في دراسة سير علمائهم ، يمتد مع الأسف الى دراسة الشريعة الاسلامية نفسها ، تلك الشريعة الفنية بنظمها ومتانة قواعدها، والتي كفلت ضبط علاقات الناس وسلوكهم أجيالاً طويلة ، بلغ في خلالها الفقه الاسلامي ذروته من البحث ، وعمق التفكير ودقة الاسلوب ، سواء في ذلك القواعد المدنية والاحوال الشخصية والقضايا الجزائية .

ان هذا البناء العلمي المتين الدقيق الذي ساد العالم الاسلامي ونظّم أحوال شعوبه ، وضبط علاقات أفراده ، في عصر كان فيه الظلام مخيماً على العالم خلال القرون الوسطى ، لم ينل نصيبه من البحث والدراسة في بدء العصور الحديثة من جهود العلماء او رجال القانون .

ولعل في رجالنا من تتجه نيته لاحياء تراثنا الفقهي فيظهر في أسلوب يتفق دائماً مع البحث العلمي الجديد وعسى أن تتحقق الآمال بعون الله وتوفيقه . ■■

زهدي يكن

استاذ القانون المدني بالجامعة اللبنانية

من أخطاء القضاء

سبق السيف العذل

بقلم : حسن الجداوى

المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة



في منتصف القرن الثاني عشر – في قرية سوث وارك بانجلترا كانت الفتاة « سارة جرين » تعمل خادمة لدى اسرة واين .

وبعد أن انتهت من عملها اليومى استأذنت سيدتها فى الخروج ليلا لحضور حفل ساهر يقيمه سنويا خدام المنازل فى مدينة كننجتن يسمونه « العيد الغول » ويقضون ليلتهم بين الطعام والشراب والهرج والمرج لينسوا متاعب الخدمة فى البيوت.

فلما تناولت من الشراب ما أرهق معدتها تركت الحفل وسارت على قدميها شطر منزل مخدوميها فى طريق مقفر قد خيم عليه الظلام . وقابلها ثلاثة شبان فتبادلت معهم النظرات والابتسامات والكلمات . وحين اعتقدوا انها اطمأنت اليهم دعوها لمشاركتهم الشراب فى احدى الحانات القريبة. ولكنها اعتذرت وطلبت منهم أن يتركوها لحال سبيلها اذ كانت تعرف أن من واجب كل فتاة ان تحتاط من مثل هذه الدعوات . ولكنهم الحوا – شجعتهم الخمر على الالحاح ، وشجعتها على التنازل عن التمسك بالحيطة – فقبلت ، ولكنها اشترطت ان يكون ذلك فى حانة عينتها – تعرفها ويعرفها صاحب الحانة – معتقدة انه يخف الى نجدتها اذا وجدت نفسها فى مازق .

واكثر الجميع من الشراب حتى لعبت الخمر برؤوسهم ثم تركوا الحانة فى طريقهم الى منزل الفتاة . ولكنهم وجدوا انفسهم فى مكان منعزل – وراء الكنيسة – لا يمر به احد فى مثل ذلك الوقت المتاخر من الليل ، فوسوس لهم الشيطان ان ينتهزوا الفرصة المواتية ، واعتدى اثنان منهم اعتداء بشعا – لا رحمة فيه ولا هوادة – برغم معارضتها ومقاومتها – ولدرجة جعلت ثالثهم يانف من ان ينضم الى الاثنين الاخرين فى جريمتهم.

ثم انصرف الرجال تاركين الفتاة فى حالة يرثى لها من الالم والخجل .

وقامت سارة تجر خيبتها وعارها وتتحامل على نفسها حتى وصلت الى منزل مخدوميها، وتسللت الى غرفة نومها ، ولم تجرؤ أن توقظ سيدتها فى ذلك الوقت المتأخر من الليل ـ وبقيت فى سريرها تتألم وتندب سوء حظها الى أن طلع النهار .

فلما وجدتها سيدتها فى هذه الحالة وسمعت منها تفصيل ما حدث لها نقلتها الى المستشفى .

وحاول أطباء المستشفى ـ والبوليس بعد ذلك ـ أن يعرفوا منها أوصاف المعتدين عليها فكان كل ما قالته انهم كانوا يرتدون معاطف بيضاء مما جعلها ترجح أنهم من عمال مصنع الجعة ، وانها تظن ان أحدهم يعمل كاتبا بالمصنع ، وقالت انهم كانوا ينادون واحدا منهم باسم « كولمان » . ولما أراد البوليس أن يستزيدها شرحا قالت ان الاضاءة فى الحانة كانت ضئيلة من جهة وانها لم تحسن بتبين وجوه من كانوا يشاركونها الشراب ، وأن الظلام ـ أثناء الاعتداء عليها ـ حال دون رؤية وجوههم وانها لذلك لا تستطيع التعرف عليهم لو عرضوا عليها .

وبعد ستة أسابيع ماتت فى المستشفى .

★ ★ ★

وحدث ـ بعد يومين من الاعتداء على سارة جرين أن كان «ريتشارد كولمان » وصديقه «دانييل ترتمان » يحتسيان الجعة باحدى الحانات . وكان كولمان هذا رجلا مثقفا بمقاييس ذلك الزمن، وهو متزوج وأب لولدين . أنيق . حسن الحديث . رقيق .. حين لا يكون سكرانا . أما حين يسكر ـ وكثيرا ما كان يسكر ـ فانه ينقلب الى مشاكس ـ يتشاجر مع ذباب وجهه كما يقولون ـ . وكان صديقه قد أكثر من الشراب فى تلك الليلة .

ودخل كولمان فى حديث مع أحد الغرباء من رواد الحانة . وكان ذلك الغريب من ذلك الصنف من الناس الذين يحلو لهم المزاح السمج وتوجيه الاتهامات التى لا أساس لها الى الغير سواء عرفوهم أم لم يعرفوهم. فانتهز صاحبنا فرصة أن خنزيرا كان قد سرق فى ذلك اليوم ولم يعرف سارقه فوجه الحديث الى كولمان وقال له :

« ماذا فعلت بالخنزير ؟» .

لو أن كولمان كان فى صوابه ولم يكثر من الخمر لضحك ولما أثار هذا السؤال غضبه . ولكنه كان فى حالة سكر شديدة لذلك رد على الرجل بخشونة : « لعنة الله عليك وعلى الخنزير . ما شأنى أنا بهذا الخنزير . أيها الخنزير . » .

وأمثال هذا الغريب الذين يحبون المزاح السمج لا يسرهم شيء بقدر ما يسرهم غضب الذين يقحمون أنفسهم عليهم بهذا المزاح . واستمرأ الرجل الغريب الأمر وأخذ يتحدث عن حادث الفتاة سارة جرين ، ثم التفت الى كولمان ـ فى خبث ـ وسأله ان كان قد عرف تلك الفتاة . وكان كولمان من رواد الحانة التى ذهبت اليها الفتاة مع الشبان الثلاثة بل وكان بالحانة أثناء وجودهم ولكنه لم يشاركهم الشراب . ولذلك أجاب : « لعنة الله عليك . وماذا فى هذا ؟ » .

ولم يشأ صاحبنا أن يقف بمزاحه عند هـذا الحد فقال : « من يدرى لعلك كنت معها » ؟

ولم يستطع كولمان أن يضبط جماح غضبه فقذفه بالملعقة التى كان يحرك بها الشراب ، وكادت تقوم بينهما معركة لولا تدخل صاحب الحانة وبعض الجالسين . ومجالس الخمور تشاهد الكثير من أمثال هذه المعارك ولا تعلق عليها أية أهمية . وتنساها فى الغد .

★ ★ ★

وبشاء حظ كولمان العاثر أن يختلف اختلافا شديدا مع صديقه تروتمان بعد مضى شهر من واقعة هذه الواقعة . وأن يصل الخلاف الى حد التراشق بالألفاظ والتماسك بالأيدى . وكان تروتمان رجلا حقودا لا ضمير له . وبحث عن وسيلة ينتقم بها من صديقه السابق فوجد فى حادث الحانة ما يشفى غليله . ورأى أنه بتحوير بسيط للواقعة وقليل من المبالغة يستطيع أن ينسب الى كولمان اعترافا بأنه أحد الذين اعتدوا على سارة جرين.

★ ★ ★

تقدم تروتمان الى قاضى المدينة وأفضى اليه بأن لديه ما يحمله على الاعتقاد أن « ريتشارد كولمان» اشترك مع آخرين فى الاعتداء على الفتاة سارة . وأيد أقواله بأن روى حديثا جرى فى احدى الحانات بحضوره حيث نسب أحد رواد الحانة الى كولمان أنه هو الذى ارتكب الاعتداء وأن كولمان

بدلا من أن ينكر الجريمة كأى انسان برىء قال له :

« لعنة الله عليك . لقد فعلتها. وماذا فى ذلك» وبهذه الاضافة البسيطة التى جاء بها تروتمان ، « لقد فعلتها » ، والتى لم ترد على لسان صديقه السابق ، حوّل انكاره الى اعتراف ولف حبل المشنقة حول عنقه .

★ ★ ★

كان القاضى كلارك رجلا لماحا له خبرة طويلة بشئون القضاء يعرف أن كثيرا من التهم التى يوجهها بعض الناس الى أصدقائهم الذين اختلفوا معهم تنشأ عن الحقد . لذلك تبين فى هذا الاتهام الذى وجهه تروتمان الى كولمان كل مظاهر الادعاء الكاذب . ومع ذلك لم يستطع ـ امام خطورة الاتهام ـ أن يتجاهله . فاصدر أمره لرئيس الشرطة باصطحاب كولمان الى المستشفى حيث ترقد سارة جرين وهى لا تزال بين الحياة والموت ، وعرضه عليها .

★ ★ ★

فى عصرنا الحالى يتم مثل هذا العرض بطريقة اصولية لا تدع مجالا للخطأ أو الادعاء الباطل . فالمحقق يجمع عددا من الناس فى مثل هيئة المطلوب عرضه ويرتدون مثل لباسه ويكونون قريبين منه طولا وسنا ولون بشرة وشعر رأس ، ويطلب من المجنى عليه أن يستخرج من يتهمه من بينهم .

اما فى ذلك الوقت فقد اكتفى رئيس البوليس البوليس بأن أدخل كولمان الى غرفة المستشفى حيث ترقد سارة جرين وسألها ان كان واحدا من الذين اعتدوا عليها فقالت : « قد يكون ، ولكننى لا أستطيع أن أقسم اليمين على ذلك » .

★ ★ ★

لو أن سارة جرين نفت أن كولمان أحد المعتدين عليها لأخلى القاضى كلارك سبيله وحفظ التحقيق. ولو انها قالت انه أحدهم بطريق الجزم لأصدر أمرا بالقبض عليه لحين محاكمته امام محكمة الجنايات . ولكنه أمام هذه الاجابة المترددة المتأرجحة اختار طريقا وسطا . أفرج عنه بكفالة وكلف البوليس بالبحث عن أدلة جديدة .

واعتزم القاضى أن يحفظ التحقيق لولا تدخل المستر اوين مخدوم سارة.لقد عز عليه أن اعتداء بمثل هذه الشناعة ـ على فتاة بريئة ـ يطوى بدون توقيع أية عقوبة على فاعليه . لذلك طلب الى القاضى أن يتولى بنفسه عرضا جديدا .

★ ★ ★

احس كولمان بالخطر الذى يهدده . ووجد ان عليه نحو نفسه أن يتخذ من التدابير ما يبعد عنه ذلك الخطر . فبدأ أولا بالامتناع عن تعاطى الخمر ليبقى يقظا علما منه أن مجرد توجيه التهمة يضع الانسان فى موضع حرج ، فاذا اضفنا الى ذلك جرأة صديقه السابق تروتمان على الاختلاق وتردد الفتاة سارة جرين فى تنفى التهمة عنه فان فى ذلك ما يكفى للحكم عليه بالاعدام .

وخصص وقته كله فى البحث عن شهود ينفون التهمة عنه . ولم يجد صعوبة فى اقناع صاحب الحانة وبعض المترددين عليها ليشهدوا ـ كما هو الواقع ـ انه لم يكن أحد الثلاثة الرجال الذين كانوا يعاقرون الخمر مع سارة جرين. بل ويشهدون أيضا أنه لم يخرج مع الفتاة حين غادرت الحانة بصحبة رفقائها الثلاثة وانه بقى وقتا طويلا بعد خروجهم .

كذلك وجد شهودا يؤيدون أنه حسن الاخلاق . لا داعرا ولا عنيفا .

وارتاح لذلك واطمأن الى أنه ناج ، ايمانا منه بأن الفتاة اذا لم تبرئه تماما فلن تستطيع أن تتهمه صراحة .

★ ★ ★

حدد القاضى كلارك موعدا للعرض الجديد . واصطحب كولمان فى حراسة ثلاثة من الشرطة ليعرضه على الفتاة من جديد . ولم يفكر القاضى كلارك فى عرض المتهم عرضا قانونيا ـ كالمتبع الآن ـ لسبق عرض المتهم على المجنى عليها من جهة .. ولأن تلك كانت الطريقة المتبعة فى أواسط القرن الثامن عشر . ووجد القاضى سارة جرين فى شبه غيبوبة ـ بل كانت فى الحقيقة على حافة الموت ـ فقد ماتت بعد ساعات قليلة من عملية العرض .

ومع ذلك أيقظها القاضى من غيبوبتها وجعلها تقسم اليمين على أن تقول الحق كل الحق ولاشىء غير الحق ، وكانت أثناء قسمها تستند على صدر ممرضتها ولا تقوى على الجلوس وبدأ الشك

يساور القاضي في أنها تعي ما تقول ، ولكنه سألها بعد ان اشار لها على كولمان ان كان واحدا من الثلاثة الذين اعتدوا عليها ؟ . وكان آخر ما توقعه كولمان ـ بل والقاضي كلارك نفسه ـ أن اجابتها كانت كلمة واحدة تحمل الموت في طياتها . قالت « نعم » وعادت الى غيبوبتها . ولفظت أنفاسها بعد ذلك .

★ ★ ★

لعل الفتاة بعد هذا المرض الطويل قد نسيت كل وقائع الجريمة التي راحت فريستها . او لعل كل ما علق بذهنها انها سبق أن رأت وجه هذا الرجل حين عرضه عليها رجل البوليس . أيا كان الأمر الذي دار بذهنها فقد قالت « نعم » .

★ ★ ★

لقد كان القاضي كلارك لا يزال يعتقد في براءة كولمان حتى بعد أن قالت سارة جرين انه أحد الذين اعتدوا عليها . ولم تعد له من حيلة الا أن يقدم المتهم الى محكمة الجنايات مؤملا ـ بل موقنا ـ أن الأدلة لا تكفي لادانته .

واظهر اعتقاده في براءته بأن قدّمه مفرجا عنه ولم يصدر أمرا بالقبض عليه .

★ ★ ★

ولكن سارة ماتت في اليوم التالي وكان لابد من عرض الأمر ـ كالمتبع في انجلترا ـ على المحكمة التي تقضي ـ في حالة الوفيات المشتبه فيها ـ وتأمر بالدفن بعد أن تتبيّن أسباب الوفاة . وفي حالة الفتاة سارة جرين قضت المحكمة بانها ماتت ضحية جريمة قتل عمدا ارتكبها ريتشارد كولمان وشخصان مجهولان واصدرت أمرا بالقبض عليه وايداعه السجن انتظارا لمحاكمته .

★ ★ ★

عندما سمع كولمان بهذا القرار ضاع صوابه . لقد أدرك أن الأدلة التي اعدها لم تعد كافية لاثبات براءته . انه في حاجة الى شهود يبينون لمحكمة الجنايات كيفية تمضيته وقته من وقت أن ترك الحانة حتى وصول الفتاة الى منزل مخدوميها . وهو في حاجة لوقت طويل للاتصال بهؤلاء الشهود واقناعهم للشهادة لصالحه . فاذا ترك نفسه حتى يقبض عليه البوليس ويودعه السجن فلن يستطيع اثبات براءته ولضاعت منه كل فرصة ممكنة .

لذلك اختفى ولم يعثر عليه البوليس حين توجه لمنزله لتنفيذ أمر القبض عليه .

★ ★ ★

واتخذ البوليس ما يتخذه من اجراءات في مثل هذه الحالات . نشر صورته في الصحف واعلن عن جائزة لمن يقبض عليه أو يرشد عن مخبئه . وبث عيونه في كل مكان .

★ ★ ★

وادرك كولمان ـ بعد فوات الأوان ـ أنه ارتكب خطأ لا يغتفر وانه ـ بفراره ـ أدان نفسه .

لو هداه تفكيره الى تسليم نفسه في ذلك الوقت لكان من المحتمل أن ينظر اليه القضاء على أنه رجل بريء اختفى في ساعة حيرة ، ولكنه لم يقرر الفرار من وجه العدالة .

ولكنه فكر طويلا وقرر أنه لو سلم نفسه لضاعت منه فرصة البحث عن شهود . وهيأ له تفكيره أن ينشر من جانبه في الصحف بيانا نصه :

« أنا ريتشارد كولمان قرأت في الصحف انني متهم بالفرار من وجه العدالة بسبب مقتل الفتاة سارة جرين ـ ولما كنت أعرف نفسي أن لا يد لي في تلك الجريمة الشنعاء فانني أؤكد ـ لكل من يهمه الأمر ـ انني لم أفر من العدالة ، وانني سأسلم نفسي الى محكمة الجنايات في أول يوم من أدوار انعقادها المقبل ـ ايمانا مني بأن براءتي سوف تظهر واضحة جلية » .

★ ★ ★

تصور كولمان أن البوليس سيتركه طليقا حتى يوم المحاكمة . ولكنه كان واهما . فالهيئة الاجتماعية ـ وأعوانها من سلطة الاتهام ـ لا يمكن أن تقف مكتوفة اليدين امام وعد كهذا من متهم . فجد البوليس بالبحث عنه ولم يلبث أن وضع اليد عليه واودعه السجن .

★ ★ ★

وانعقدت محكمة الجنايات ومثل كولمان امامها .

تقدم قاضي التحقيق كلارك فشهد بمضمون الاستعراف الذي أجراه بنفسه والذي قالت فيه سارة جرين كلمتها القاتلة « نعم » . وقال القاضي انه يعتقد أنها لم تكن تعي ما تقول ولكنه لم يقدم دليلا على حالتها الصحية والذهنية وقت استعرافها .

واستدعى تروتمان شاهد الاثبات الوحيد فاقسم اليمين واكد ــ في هياب ولا وجل ــ أن المتهم اعترف أمامه بارتكابه للحادث الفظيع .

وقدم الدفاع شهودا أكــدوا أن المتهم كان في موضع بعيد عن مكان ارتكاب الحادث وأثنوا على طيبته وأخلاقه الحسنة واستبعدوا أن يرتكب مثل هذا الحادث .

ولكن الأمر الوحيد الذى علق بذهن المحلفين هو فراره من وجه العدالة . ووقر في قــرارة نفوسهم انه مذنب لان البرىء لا يفر من وجــه العدالة .

وهكذا اصدروا قرارا بالاجماع بانه مذنب . ووضع القاضى الطاقية السوداء على رأسه ونطق بحكم الاعدام الرهيب .

★ ★ ★

وقابل كولمان هذا الحكم برباطة جاش البرىء الذى يعلم أنه لم يرتكب الجرم . وارتاحت نفسه لملاقاة الموت ايمانا بانه سيجد الانصاف ــ الذى لم يجده في هذا العالم ــ في عالم آخر ــ لا تغيب عنه الحقائق ولا يظلم الانسان فيه فتيلا .

وكانت شكواه الوحيدة وهو يصعد درجات المشنقة اشفاقه على مصير زوجته وابنتيه الابرياء.

★ ★ ★

ومضى عامان .

وبينما رجل اسمه بوش يسير على كوبرى لندن بصحبة ابنه المريض مرضا خطيرا ، توقف الابن لحظة وقال لأبيه :

« انني اشعر بدنو أجلي وأخشى أن ألقى الله بسر يثقل كاهلي ويقض مضجعي ، فاستمع الي يا أبى وانصحنى كيف أتصرف » .

ثم روى الابن لأبيه أنه كان يسير منذ فترة قصيرة مع صديق له يكبره سنا اسمه جيمس ولش فافضى اليه صديقه انه قبل سنتين التقى وصديقان له (توماس جونس ونيكولس) بفتاة في الطريق العــام فدعوها لمشاركتهم الشراب ، فقبلت بعد تمنع ، وانهم أكثروا من الشراب وفي طريق عودتهم من الحانة هيأت لهم الخمر وخلو المكان من المارة والظلام الدامس ، أن يعتــدوا عليها . وأن جونس ونيكولس اعتديا عليها اعتداء منكرا وبكثير من العنف حتى أن ولش نفســه ــ برغم ما هو فيه من سكر ــ أشفق على الفتاة ولم يرد أن يمسها .

أدرك الأب خطورة ما أفضى به اليه ابنه اذ أن أقل ما يقال عنه أن ولش اعترف لابنه بارتكــاب جناية اعتداء منكر على فتاة بغير رضاها ، وتذكر حادث الفتاة سارة جرين ، ولكنه لم يفض لأحد بما سمعه من ابنه لعلمه أن الأولاد كثيرا ما يسرح بهم الخيال فيختلقون وقائع لا أساس لها واشفق على ابنه من تحقيقات قد تطول ومن اسئلة من المحققين قد تسفر عن لا شيء .

★ ★ ★

وكان الأب يعرف أحد الثلاثة الرجال الذين ذكرهم ابنه ــ نقلا عن صديقه ولش ــ هو توماس جونس . فحين قابله ــ بعد ذلك بفترة وجيزة ــ اتهمه صراحة بانه واحد من الثلاثة الذين اعتدوا على سارة جرين . وتوقع الاب أن ينكر توماس جونس ويزعم أن لا علاقة له بالموضوع . ولكــن الظاهر أن المفاجأة عقدت لسان جونس فارتعدت فرائصه وغاض الدم من وجهه وتصبب عرقا ، ثم اقر انه وصديقيه نيكولس و ولش التقوا فعلا في الزمان والمكان المذكورين بفتاة لا يعرفونها ، وانهم تركوها في الطريق العام بعد أن نالوا منها غرضهم، ولكنه لا يعتقد أنها سارة جرين .

★ ★ ★

تبين الأب أن الحادث لم يكن من نسج خيــال ابنه . واعتبر أن أقوال تومــاس ترقى الى مرتبة الاعتراف الصريح ، ورأى أن من واجبه أن يبلغ الأمر الى قاضى التحقيق . فذلك واجب يحتمه الخلق الســليم ــ وان لم يفرضه القانون . فلمــا افضى الى قاضى التحقيق بمضمون أقوال ابنه ، وبالحديث الذى جرى بينه وبين توماس جونس ، لم يتردد القاضى في اصدار الأمر بالقبض علــى الثلاثة الرجال ولش وتوماس جونس ونيكولس .

★ ★ ★

وكان من الطبيعي أن ينكروا جميعا ما نسب اليهم من افعال واقوال . وكان الدليل الوحيــد عليهم اقوال بوش الصغير ــ وهي أقوال سماعية ــ

ورواية بوش الكبير التى انكرها توماس جونس . ومثل هذا الدليل لم يكن كافيا ـ حتى فى منتصف القرن الثامن عشر ـ للحكم بالاعدام .

★ ★ ★

وكانت هناك صعوبة اخرى لم يكن من السهل تذليلها .

اذ كيف يمكن ادانة نيكولس وجونس وولش بجريمة قتل سارة جرين فى حين أن الفتاة نفسها اكدت ـ قبل موتها ـ ان المعتدين عليها ثلاثة اشخاص ... لا أربعة . فاذا ثبت أن القتلة هم هؤلاء الثلاثة فما القول فى ريتشارد كولمان الذى شنق قبل ذلك بسنتين للتهمة نفسها ؟؟؟

اذا كان الثلاثة الرجال مذنبين فلا بد أن كولمان كان بريئا . ومن ناحية اخرى فما دام قد ثبت قضائيا ـ والأحكام عنوان الحقيقة ـ أن كولمان هو القاتل وانه قد لقي جزاء وفاقا لما جنت يداه ـ فلا مفر من القول ببراءة هؤلاء الثلاثة ... أو ذلك على الأقل ما سيقوله المحلفون . وطالما أن الاتهام لم يضع يده على ادلة قاطعة ضدهم فلماذا يقدمهم للمحاكمة ؟ المجرد اثارة الغبار حول ما تم باسم العدالة ـ أليس من الأفضل ـ لحسن سمعة العدالة ـ أسدال الستار وحفظ التحقيق ما دام الناس يعتقدون أن كولمان مذنب قد لقي جزاءه ؟؟

★ ★ ★

كان هذا ما يدور بخلد رجال القانون . ولكن الامور لم تجر على هواهم لان للحقيقة احيانا قوة ذاتية تخترق الصخور ويابى الله الا ان يظهر الحق .

فبينما رجال القانون يناقشون الموقف الحرج الذى وجدوا فيه أنفسهم كان المتهمون الثلاثة فى سجنهم قلقين ينتظرون تقديمهم للمحاكمة وأمام اعينهم خيال المشانق التى سوف يتدلون منها اذ ـ لعلمهم بجرمهم ـ لا يتصورون أن الاتهام يشك فى أقوال بوش الأب والابن وهي أقوال صدرت عنهم .

★ ★ ★

ومتى وضع ثلاثة رجال فى مثل هذا الموقف الحرج فان واحدا منهم على الأقل لن تحتمل اعصابه الانتظار . وكان الذى فقد السيطرة على اعصابه هو نيكولس . لم يستطع ان يقاوم مخاوفه وخيال المشنقة يلاحقه فى اليقظة والاحلام، فتقدم الى مأمور السجن وطلب مقابلة قاضى التحقيق ليفضى اليه بالحقيقة مقابل اعتباره شاهد ملك.وشاهد الملك ـ فىالقانون الانجليزي ـ يعفى من العقوبة فى مقابل ما يشهد به ضد شركائه فى الجريمة .

★ ★ ★

وقدم شريكاه للمحاكمة . ووقف نيكولس يشهد ضدهما بالرواية كاملة . وصف مقابلتهم لسارة جرين وارتداءهم المعاطف البيضاء التى وصفتها سارة وقال انه معروف لدى أصدقائه باسم « كولمان » والشراب والسير فى الظلام ووقائع الاعتداء الشنيع ... ولم ينكر مما حدث شيئا .

ولم يبق مجال للشك فى صحة الاتهام . فقد تأيدت ادانة توماس جونس بشهادة المستر بوش واقوال نيكولس . كما ثبتت ادانة ولش باقوال بوش الصغير واعتراف نيكولس . واذا كان قد امتنع عن الاعتداء على الفتاة المسكينة فقد كان حاضرا اعتداء زميليه عليها بالقوة ولم يحرك ساكنا فهو شريك بسكوته وعدم معارضته .

★ ★ ★

وصدر الحكم باعدام توماس جونس وولش . واقرا كتابة قبل تنفيذ حكم الاعدام فيهما بصحة الاتهام وبان كولمان برىء . ولكن السيف كان قد سبق العذل .. اذ جاء اعترافهما متأخرا سنتين بعد اعدام كولمان بتهمة لم يرتكبها .

ولم يكن القانون يمنح المتهم الذى تثبت براءته بعد الحكم عليه أو أسرته بعد اعدامه اى تعويض.

وهكذا خرجت أسرة كولمان المسكين بغير عوض وعاشت الزوجة وابنتيهما عالة على احسان المحسنين .

■■

القاهرة : حسن الجداوى

من روائع الشعر القديم

النابغة الذبياني ..

ووجه "نعم"

■ كان النابغة الذبياني من فحول شعراء الجاهلية أصحاب المعلقات . وكان ذا عقل راجح وخيال خصب وشاعرية قال يصف وجه حبيبته « نعم » :

...أيامَ تُخبرني نُعْمٌ وأُخبِرُها ما أكتُمُ الناسَ من حاجي وأسراري
لولا حبائلُ من نُعم علِقْتُ بها لأقصرَ القلبُ عنها أيَّ إقصارِ،
...نُبِّئتُ نُعْماً على الهجرانِ عاتبةً سُقْياً ورُعياً لذاك العاتبِ الزاري
بيضاءُ كالشمسِ وافتْ يومَ أسْعُدِها لم تُؤْذِ أهلاً ولم تفْحش على جارِ
والطِّيبُ يزدادُ طيباً أن يكون بها في جيدِ واضحةِ الخدَّيْنِ مِعطارِ

★ ★ ★

ألَمْحَةٌ من سنا برقٍ رأى بَصَرى؟ أمْ وَجْهُ نعم بدا لى؟ أم سنا نارِ؟
بَلْ وجه نُعْمٍ بدا ،والليل مُعْتكِرٌ فلاحَ من بين أثوابٍ وأسْتارِ

■■

من شعراء الكويت :

فهد العسكر

موهبة شعرية اختطفها القدر قبل أن تنطلق ..

بقلم :
عبد الرزاق البصير

■ لا أكاد أذكر تاريخ اليوم الذى التقيت فيه بشاعرنا المعروف فهد العسكر . وكل ما أذكره أن بعض أخوان لى أخبرونى انه متشوق الى لقائى وكنت فى ذلك الحين لم ألف الأفكار الجديدة أو الأساليب الجديدة فى الكتابة . حتى انى كنت أرى بأن السجع هو الأسلوب المفضل فى الكتابة. وكنت أعتقد أن ما يكتب فى الصحف هو شىء من قبيل اللغو الذى لا غناء فيه .

اللقاء الأول مع الشاعر

فلما قدر لى أن التقى بهذا الشاعر بهرنى حديثه حتى أخذ بمجامع قلبى . وأصغيت اليه فى حالة تشبه الذهول . فقد كانت لهجته ، رحمه الله ، لهجة تقارب الفصحى ،لكنها بأسلوب جديد بالنسبة لى فى ذلك الوقت . وكان اذا أراد أن يستعمل شيئا من اللهجة الدارجة جاء بألفاظ غريبة عنى فى ذلك الحين : فكلمة « ايو » و « ايش تقرأ » و كلمة « آ » بدلا من « اى » .

وأذكر انه ردد لفظة بيئة . وكنت فى تلك الجلسة مصغيا لا متحدثا ، وكان أكثر حديثى معه استفسارات عن هذه الألفاظ الغريبة على سمعى .

تشطيره « يا جارة الوادى »

ولقد قرأ على فى آخر حديثه معى تشطيره لقصيدة المرحوم شوقى التى أولها :

« يا جارة الوادى طربت وعادنى » . فاستعدت منه ما أنشدنى منها . حتى حفظت بعضها . وهذا شىء منها :

يا جـارة الوادى طربت وعــادنى
ما زادنى شـوقا الــى مغنــاك
فقطعت يومـــى غارقـا نشوان فى
ما يشبه الأحلام مـــن ذكـــراك
مثلت فى الـذكرى هـواك وفى الكرى
لمـــا سمـــا بى حـين صنت هواك
ولكـم على الذكـرى لقلبى رقصـة
والذكـريات صـدى السنين الحاكى

واحب أن استاذن القارىء قليلا فى أن أقف عند هذه القطعة وقفة قصيرة . فانا لا أحب أن يفوتنى التعليق عليها .

يبدو لى أن هـــذه القطعة من أوائل نظمه . فالتشطير والتخميس من الأساليب القديمـة فى النظم . والذى يبدو لى أن الادباء والشعراء فى ذلك الوقت كانوا يبداون محاولاتهم الأدبية بهذا اللون من الأدب . ولكننا مع هذا نجد ان شاعرنا كان قوى التعبير الى درجة وصل فيها الى مستوى احمد شوقى فى هذه القصيدة .

وعندما أردنا أن نفترق سألته عن مكان لقياه . فاجابنى : انى أجلس فى مقهى فى السوق الداخلى ـ وهو ما ندعوه الآن بشارع الأمير .

لقاء ثان

والتمست فى اليوم التالى من ياخذنى اليه . فلما التقينا أبديت له اعجابى الشديد به .وسألته المزيد من حديثه .

سألنى أول ما سألنى عن ما اقـرأ . فاخبرته بانى أقرأ شرح المقامات للشريشى فاجابنى : هذا حسن . ولكن من الأفضل أن تضيف الى هـــذه الكتب كتبا اخرى ككتاب « حصـاد الهشيم » للمازنى ، و « المطالعات » للعقاد . وأردف قائلا : هل تقرأ المجلات الأدبية ؟ قلت : لا . قال : هذا شىء غير لطيف . ثم أخــذنى الى مكتبة المعارف العامة وطلب مجلة سركيس . وقرأ لى منها قصيدة بعنوان « حسنات الشعراء » وهى من نظم الاخطل الصغير ، فما كان منى الا ان طلبت من مديرالمكتبة ان ينقلها لى ففعل .وقد يكون من الخير أن أروى بعض أبياتها هنا :

حسناء أى فتـى رأت تصـمـد
قتلى الهـوى فيهـا بـلا عـدد
بصرت بـه رث الثيـاب بـلا
مـأوى ، بـلا اهـل ، بـلا بـلد
فتخـيرته وكــان شافعــه
لطـف الغــزال ، وقـوة الأسـد
والمـال مـلء يـديه ينفقــه
متشفيا ، انفــاق ذى حـــرد

وقد شوقنى هذا اللقاء بشاعرنا المجدد الى الاكثار من الجلوس اليه .والتحدث معه حتى صار هذا اللقاء أخوة أدبية امتدت الى آخر أيامه رحمه الله .

كان لطيف الحديث لاذع النكتة

من هذا نرى أن شاعرنا كان داعية الى التجديد، كما انه كان لطيف الحديث ، متمكنا من الالقاء بحيث يجعلك مشدودا اليه ، لا تستطيع أن تفلت من قبضة حديثه . وكان لاذع النكتة عميقا فيها بحيث تخفى على كثير من الناس .

كان اذا حضر مجلسه أحد المتطفلين على الشعر والأدب واخذ يروى عليه من أدبه الهزيل ، كان أديبنـا يتظاهر بانه معجب بهذا الاديب أشد الاعجاب . وكان يسلك طريقا فريدا يعجز القلم عـن تصويره . اذ انه يعتمـد على أسلوبه فى التعجب . وكنا نلاقى صعوبة شديدة فى مقاومـة الضحك.ولقد سألته مرة عن أسباب هذا السلوك، فاجابنى بأن البليد يتعبك اذا ما أردت أن توضح له سخفه وبلادته ، فمن الأفضـل اذن أن ترضى غروره وتسخر منه .

ولقد أردت من رواية هذه الذكريات أن أصور رقة احساس أديبنا وأسلوبه فى الحديث . واذا ما أردنا ان نتصور نبوغ شاعرنا وتفوقه فما علينا الا ان نتذكر الحالة الاجتماعية والمستوى الثقافى فى الكويت قبل ست وعشرين سنة تقريبا .

وكان جريئا متمردا

مما لا شك فيه أن مقاييسنا للحيـاة وفهمنا للأشياء تختلف أشد الاختلاف عما هى عليه الآن . لم يكن فى استطاعتنا مثلا أن ندعو الى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ولم يكن فى استطاعتنا أن ندعو الى أن يشترك الشعب فى الحكم ، اذ ان الذين توصلوا الى هذا المستوى اقل من القليل . وكانت الدعوة الى مثل هذه الخطوات تعد سابقة لاوانها فى مثل تلك الايام .

فليتصور القارىء ان شاعرنا كان يجاهر بالدعوة الى اتخاذ مثل هذه الخطوات بكل جرأة وقوة .

فلا غرابة اذا ما رأينـــا أقرباء الشاعر يهجرونه ويبتعدون عنه . ولا غرابة اذا ما تلقى أصدقاؤه تهديدا من أقربائهم اذا استمروا في مجالسة هذا المتمرد . ولكن شاعرنا لم يعبأ بهجر اقربائه له . كما ان أصحابه لم يهتموا بتهديد أقربائهم . ذلك لأن شاعرنا كان يجد في تمرده راحة لنفسه . أما أصدقاؤه فانهم كانوا يجدون في مجالسته تثقيفا لعقولهم وصقلا لأفكارهم .

والذي يبدو لي ان السبب في تمرد شـاعرنا وانطلاقه يرجع الى طبيعته التي فطره الله عليها . فقد كان متوقد الذهن رقيق الاحساس ، شغوفا بالأدب ، محبا للمنطق ، فقادته هذه الصفات الى حب التجديد . فاندفع الى ذلك غير مبـــال ولا هياب .

شذوذ العباقرة

تبقى قضية سلوكه الغريب فاني أرى ان كثيرا من الشعراء والقصصيين الموهوبين لا بد وأن تكون فيهم هذه العادات الغريبة . وهذا الأمر موجود في كثير من ادباء الشرق والغرب . فنحن حينما نقرأ سيرة الشاعر الفرنسي بودلير نجده واقعا تحت سيطرة غادة لعوب تدعى جان ديفال الى درجة نظم فيها كثيرا من اشعاره . وبقى مشدودا اليها حتى بعد سقوطها وكبر ســنها . وهو يصرح بذلك في قصـــائده ، وما زال كذلك حتى ماتت . فاسمعه يخاطبها :

أيتها الداخلة في قلبي كطعنة سكين
المقبلة في قوة كعصبة من الشياطين
المفتونة المتبرجة
اتخذت سريرها وملكها في عقلي الراغم المسكين

★ ★ ★

ايتها الساقطة التي انا موثق بها
كالسجين باغلاله ، ورهين المقامرة بالمقامرة

ونحن حينما نقرأ ترجمة الشاعر الفرنسي الفرد دي موسيه نجده يعيش في اضطراب نفسي مستمر حتى انه كان لا يكاد يستقر على حال . ونجـــد سلوكه سلوكا لا يليق به كشاعر له مكانته في دنيـا الأدب .

ولو تأملت في حياة تولستوي لوجدته مسرفا في اللهو والمجون غارقا في اللذات لا يقف منها عنـــد حـــد . يسهر اكثر لياليه في مجون حتى يسفر الصبـــح ، متكلفا للأناقة ، مترفعا على أترابه ، بغيضا اليهم ، فيما يقول بعض الرواة ، مفرطـا في كل ما يعمل ، لا يؤمن بقول من قـــال « خير الأمور أوسطها » ، يقبل على ملذات الحياة بنهم، ويلعب القمار ليلة حتى يبيع بيته ، ويجلس في قصره (ياسنايا بوليانا) يلعب الورق يومين كاملين ... مع نفسه !

ثم ينقلب بعدها الى شخص آخر .شخص يؤمن بان أكل اللحوم جريمة والاتصال الجنسي وحشية واذا سأله سائل : كيف يبقى الجنس البشري ؟ اجاب : ومن قال ان الجنس البشري يجب ان يبقى ؟

وما اظن اني فيحاجة اليأن أبين ما لهذا الكاتب العبقري من أثر عظيم في الثقافة الانسانية .

واذا جئنا الى سيرة جان بول ســارتر الأديب الفيلسوف الشهير نجد انه كان فياول شبابه عرضة للأوهام فقد كان يتصور أن أخطبوط الماء يطارده دوما ليخنقه . وقد صور حالته هذه في احــدى قصصه : ففيها يتصور البطل مجلسا من سرطان البحر قد انعقد لمحاكمته ! وقد لازمه هذا الشعور عندما كان مدرسا خارج باريس .

ونستطيع أن نقول مثل ذلك في بعض شعرائنا الاقدمين كامرىء القيس وعمر بن أبي ربيعة وبشار وأبي نواس وغيرهم . فانت حينما تتصفح آثارهم الأدبية التي خلفوها لنا تجد فيها التمرد واضحا على الاعراف الاجتماعية .

وقد يكون من الافضل ان نضرب صفحا عن ذكر تاريخ ادبائنا المحدثين فان ذلك أليق .

اذن فسلوك أديبنا رحمه الله سلوك مألوف في عالم الأدباء .

وأحبأن أعلن هنا اني لا أحب للأدباء هذا اللون من الحياة . ولكن ما أحبه شيء وواقع الحال شيء آخــر .

نماذج من شعره

والخلاصة أن شاعرنا فهد العسكر يتمتع بجميع صفات الشعراء من ارهاف في الحس وتوقـد في الذهن واطلاع واسع على ينابيع الأدب . وهـذا يتجلى بكل وضوححينما نقرأ صرخاته التي أرسلها من أعماقه على ما يجري من ظلم وارهاق في ايامه على القيم التي توصل اليها فكره العميق . اقرأ معي هـــذه الصرخة التي جاءت في قصيدته التي عنوانها « نوحي » :

ليلاى ، يا نجواى ، يا دنياى ، يا املى الوحيد
طوت الفروق بساطنا وتنكر العيش الرغيد
والذكريات مطلة من كوة الماضى البعيد
ترنو لحاضرنا الشقى وتندب الماضى السعيد

ويقول :

زجوك وا أسفاه فى سجن التقاليد القديمة
لله ما كابدت فيه من الاساليب العقيمة
لا در درك من اب فظ ووالدة لئيمة
يا قاتل الله التعصب ، كم تمخض عن جريمة

واقسم انى لو اردت ان اطيع نفسى لرويت هذه القصيدة باسرها لانها كلها تجرى على هذا المستوى الرفيع . وقصيدة أخرى تحوم حول هذا المعنى الانسانى الرفيع لم نعثر منها الا على هذه الابيات المتقطعة :

غـــادة حطـــم الفـــؤاد بكاهـــا
ليت شعرى : ما بالهـــا ؟ ما دهاها ؟
قـــد حباهـــا الله الجمـــال ، ولكن
لم تصنـــه ، ياليتـــه ما حباهـــا
وقفـــت حـــول ذلك الشـــاطىء الر
مـــلى ليـــلا تبثـــه شـــكواها
واستحـــال الاعـــوال منهـــا أنينـــا
حـــين جفت من فرطهـــا مقلتاهـــا
تلطـــم الصـــدر تـــارة وتشـــق
الجيـــب أخـــرى حتى اذا أعياهـــا
ســـامرت أنجـــم الســـماء وناجت
بســـكون الدجى الهـــلال أخاهـــا

الى ان يقول :

فشـــكت ظلـــم امهـــا وابيهـــا
قاتـــل الله أمهـــا وأباهـــا
ارغماهـــا عـــلى الـــزواج بشيخ
ذا ثـــراء مـــن أجـــل ذا أرغماهـــا

دراسته غير منظمة

ومما يزيد فى عظمة أديبنا رحمه الله أن دراسته لم تكن منظمة . فقد درس أول ما درس فى أحد الكتاتيب ثم دخل المباركية . والمعتقد انه لم ينه صفوفها . ويرجع سبب ذلك الى انه قد أصيب بشىء يشبه الوسواس ، فقد قصر حياته على ما يشبه الاقامة فى المساجد ، والخوف من العقاب الاخروى .

وبقى على هذا الحال مدة لا نعرف مقدارها ، حتى قدر له أن يسافر الى البصرة فيما يقول بعض متتبعى حياته . وهناك تفتحت آفاق تفكيره ، فاقبل بكل قوته على منابع الافكار الجديدة كالصحافة والمؤلفات الجديدة . حتى اذا ما عاد الى الكويت تابع سيره الفكرى فى هذا الاتجاه . فكانما انشط من عقال . وانطلقت طاقاته الأدبية تجوب عالم الشعر . فكانت حصيلة ذلك النفحات من الاشعار التى طرقت باب الاجتماع والسياسة والنسيب مما برهن على ان أديبنا كان يتمتع بموهبة شعرية مبدعة .

الكثير من أخبـاره ضاع

ومما يؤسف له أننا لا نستطيع ان نحدد هـذه التغيرات فى مراحل عمره . ذلك لأننا لا نعرف الا القليل من أخباره . على أن الضياع ليس مقصورا على أخباره فقط . وانما شمل آثاره الشعرية .

فقد حدثنى بعض اخوانه فى الأدب قال : كان اسم ديوانه « الفجر الصادق » وفيه ما يقـرب من الف قصيدة . على ان بعض اخوانه يقول ان صفحات هذا الديوان لا تبلـغ أكثر من ثلاثمائة صفحة . ومهما يكن من أمر فقد ضاع علينا كثير من شعره .

وما ذكرناه ماخوذ عن أصدقائه الذين عاصروه . وأحاديثهم عنه مضطربة بعض الاضطراب : فنحن لا نعرف السنة التى ولد فيها ، وكل ما نعرفه عنه فى هذا الصدد أن ولادته كانت سنة ١٩١٤ م ومنهم من يقول انه ولد قبل ذلك بقليل ، ومنهم من يقول بعد ذلك بقليل .

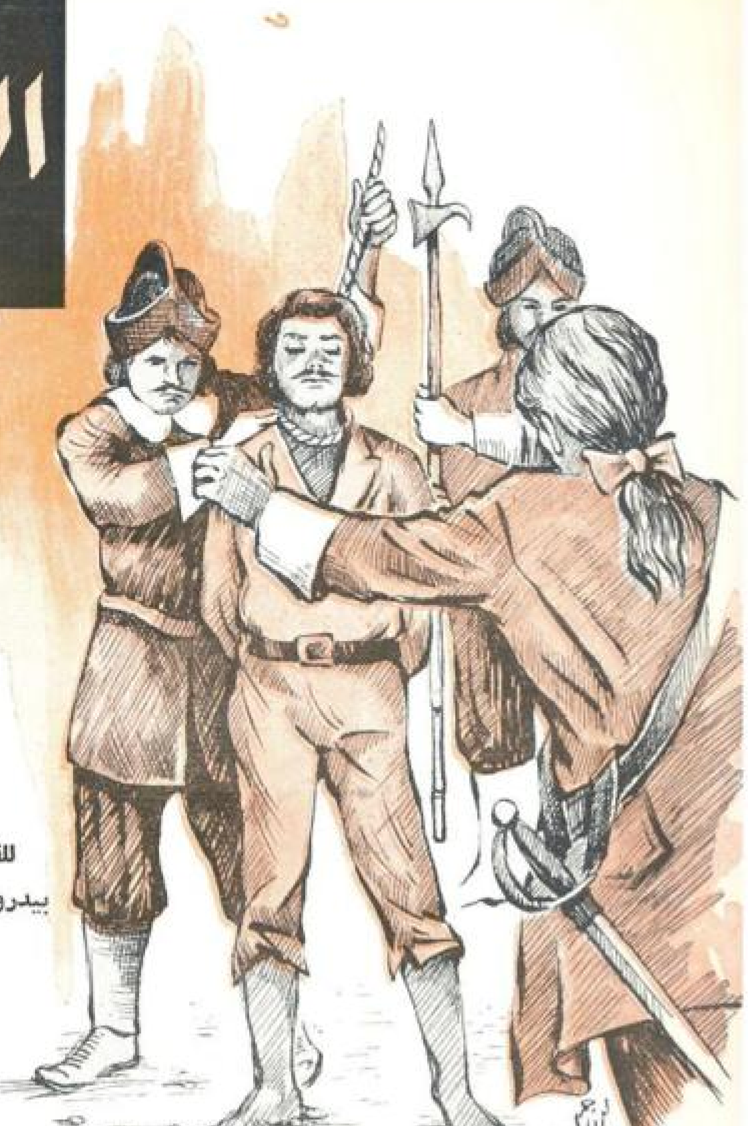
ويخيل الي أن القدر لو أمهـل شاعرنا لكان له صولات وجولات فى عالـــم الشعر . لكن المنية اختطفته وهو لم يكمل العقد الرابع من عمـــره . وذلك بعد مرض أقعده عن الخروج مدة تقارب ثلاثة أعوام . فكانت وفاته فى يوم الاربعاء الموافق ١٩٥١/٨/١٥ عن عمر يناهز السابعة والثلاثين .

رحم الله شاعرنا وطيب ثراه .

ولا يفوتنى أن أنوه هنا ، قبل أن أختم هــذا الحديث ، أن الاستاذ عبد الله زكريا الانصارى قد قدم أجل خدمة أدبية فى تاريخ الأدب العربى فى الكويت لانه أول من تصدى للتاليف فى سيرة أديبنا الراحل . ■■

الكويت : عبد الرزاق البصير

النبوءة



قصة
للقصصي الاسباني
بيدرو انطونيو ده الاركون

لست ادرى ، اى يوم من شهر اغسطس سنة ١٨١٦ ، جاء فيه الى ابواب قائد حامية « غرناطة » ، رجل غجرى مهلهل الثياب ، فى السبعين من عمره ، يدعى «هيريديا » ، على حمار هزيل اعجف .. وما ان ترجل الرجل عن حماره ، حتى قال : « اريد ان اقابل الحاكم » .

وقد اثار مظهره صدود الحراس ، وضحكات الحجاب ، وشكوك الياوران ، قبل ان ينتهى نبا الرجل الى صاحب السعادة « يوجينيو بورتو كاريرو » ، ذاك الذى كان ـ اذ ذاك ـ قائدا عاما لحامية مملكة غرناطة القديمة . ولما كان كريم النفس ، فقد امر باحضار الفجرى اليه ، لا سيما انه كان يعرفه لما اشتهر به « هيريديا » من حيل ،

ومساومات ، وسطو على سلع جيرانه .

وما ان مثل « هيريديا » بين يدى القائد ، حتى جثا على ركبتيه هاتفا :

« بوركتِ العذراء .. وعاش صاحب السعادة ، حاكم هذه الدنيا الصغيرة » .

فدعاه الكونت الى النهوض، وتظاهر بالصرامة. وسرعان ما استقام هيريديا ، وقال : « جئت لأتسلم الفَ ريال يا صاحب السعادة » .

ــ أيةّ الف ريال تلك التى تتحدث عنها ؟

ــ تلك التى أعلن منذ ايام عن منحها لمن يأتى بمعلومات عن قاطع الطريق « بارون » .

ــ هذا صحيح . فهل تعرفه ؟

ــ لقد أصبحت أعرفه يا سيدى .

ــ وكيف ؟

ــ الأمر بسيط . لقد تعقبته حتى وجدته ، ورأيته ، وها انذا احضر المعلومات ، واطالب بالمكافأة .

فسأله القائد وهو يغالب شكه : « امتأكد انت من انك رأيته ؟ »

فضحك الفجرى وقال : « من الواضح ان سعادتك تظننى جئت أخدعك .

لقد رأيت « بارون » بالامس ، فلا سامحنى الله ان كنت كاذبا » .

ــ أتدرك قيمة ما تقول ؟.. أتعرف اننا منذ سنوات نحاول الوصول الى هذا الوحش ، قاطع الطريق الذى لم يقدر لأحد أن يعرفه أو يراه ؟.. أتعرف أنه ــ فى كل يوم ــ يسطو على المسافرين فى الوادى ، ثم يقتلهم لأن الموتى لا يتكلمون ، كما اعتاد أن يقول ؟.. بهذه الوسيلة بالذات ، نجا حتى الآن من القصاص .. أتعرف أن رؤية « بارون » معناها الموت ؟

وعاد الفجرى يضحك ، وقال : « الا تعرف سعادتك ان ما يخفق الفجرى فى عمله ، لا يمكن لمخلوق آخر ان ينجح فيه ؟.. أتعرف سعادتك من يفوقوننا مكرا ؟.. أكرر اننى لم ار « بارون » فحسب بل اننى كلمته .

ــ أين ؟

ــ فى الطريق الى « توزار » .. فقبل الأمس بأسبوع،وقعت وحمارى فى أيدى بعض اللصوص، فاحكموا وثاقى ، وقادونى خلال دروب متشابكة يضل المرء فيها ، حتى بلغنا ساحة ضرب فيها اللصوص معسكرهم . فتملكنى هاجس قوى : « أيكون هؤلاء رجال بارون ؟.. اذا كانوا هم ، فلا أمل ، اذ أن هذا الشيطان يقضى بان العينين اللتين تريان وجهه ، لا يجب أن تريا وجها بعده » ... وفى غمرة خواطرى ، اقترب منى رجل فى ثياب غريبة ولكنها انيقة ، ودق على كتفى قائلا : « اننى بارون يا صاحبى ! » وتهالكت اذ سمعت هذا ، فانفجر اللص مقهقها . وحاولت النهوض فوقعت على ركبتى ، وصحت بقدر ما اسعفنى صوتى : « ليبارك الله روحك يا ملك الرجال ! من ذا الذى يُخفق فى معرفتك وقد حباك الله طلعة توحى بالسلطان والجلال ؟.. ليت الأمهات ينجبن مزيدا من أمثالك!..دعنى أقبلك يا بنى!.. فليعذبنى الله فى احتضارى ، اذا كنت كاذبا حين أقول اننى كنت أتوق الى رؤيتك لأقرأ لك طالعك، ولأقبّل يديك . خذنى فى خدمتك . أتريد أن تعرف كيف تبيع الحمير الميتة على أنها حية ، أو كيف تبيع الجياد المسنة بسعر الجياد الفتية ، أو أن تلقن بغلا اللسان الفرنسى ؟

★ ★ ★

ولم يتمالك القائد أن ضحك وقال : « وبماذا أجاب بارون ؟ »

ــ بما فعلت أنت يا صاحب السعادة .. ضحك بكل فواه.. فضحكت أنا الآخر بينما كانت دموعى تنحدر على خدى فى حجم البرتقال .

ــ أمضِ فى قصتك !

كاتب القصة فى سطور

ولد الكاتب فى أقليم غرناطة سنة ١٨٣٣ ، وذاع صيته قصاصا وشاعرا وهو فى باكورة شبابه .. وقد توفى سنة ١٨٩١ ، بعد أن ترك كثيرا من الكتب والمجموعات القصصية التى جعلته فى طليعة قصاص اسبانيا فى القرن التاسع عشر .

ـ وما لبث ان مد لي يده قائلا : « انك الأريب الوحيد الذى وقع تحت سلطاني يا صاحبي ، أما الآخرون جميعــا ، فكانوا يثيرون غيظي بالبكاء والنحيب .. أنت الوحيــد الذى اضحكني .. ويعلم الشيطان انها اول مرة اضحك فيها منــذ ست سنوات او سبع .. لم اكن اضحك ولكني كذلك لم اكن ابكي .. ايها الأولاد ! » .

ووجدتني في لمح البصر ـ محوطا بدائرة مــن السكاكين . فصحت ضارعــا : « ارحمني يا مولاي ! »..واذا به يصرخ فيهم: « امسكوا !.. لم يحن اوان هذا بعد . انما دعوتكم لاعرف ماذا اخذتم من هذا الرجل » .

ـ اخذنا حمارا لا يعلوه سوى جلده ..

ـ وهل اخذتم نقودا ؟

ـ ثلاث قطع ذهبية وسبعين ريالا .

ـ اذن دعونا على حدة .

« وما ان انفضوا ، حتى قال لي وهو يبسط يده : « الآن اقرأ طالعي » .. وأدركت انني في موقف يستوجب أن أتكلم ولا أبالي ، ما دمت قد عرفت مصيري ... فقلت له :« لن تلبث يا بارون ـ ان عاجلا أو آجلا ، وسواء سلبتني حياتي أو تركتها ـ أن تموت على المشنقة ! »

« فاجاب قاطع الطريق بهدوء كامل : « اعرف هذا ، فاخبرني : متى ؟ »

ـ وشرعت افكر.. وقلت لنفسي ان هذا الرجل قد يطلق سراحي في الغــد ، فاتي الى غرناطة واشي به ، فيقبضون عليه في اليوم التالي ، ثم يحاكمونه .. وقلت له : « أتسالني عن الموعد .. اذن فاسمع لي .. خلال الشهر القادم ! »

« وارتجف بارون ، فارتجفت بدوري خوفا على حياتي..وما لبث أن قال:«اسمع أيها الفجرى!.. ستبقى في قبضتي ، فاذا انتهى الشهر القــادم ولم يشنقوني ، فساشنقك .. امــا اذا مت ، فستظفر بحريتك » .

« ومكثت في المعسكر ، وقد حبست في كهف ، بينما امتطى « بارون جواده » ، وانطلق في جوف الغابة » .

★ ★ ★

قال القائد : « عرفت البقية .. مات بــارون فاستردت حريتك » .

ـ الأمر على النقيض تماما ، فبارون على قيد الحياة .. واليك أسوأ جزء من قصتي . فقــد انقضى اسبوع دون أن يأتي الزعيم الى المعسكر ، وعلمت انه لم يظهر عند مشارفه منذ الليلة التي انبأته فيها بطالعه ، وهو أمر لم يكن غريبا كما ذكر حراسي .. فقد اعتاد ان يغيب من آن لآخر ، ولا يعود الا حين يحلو له ، دون أن يدرى أحد شيئا عنه خــلال غيابه الطويل .. واستطعت بالحيلة ، وبقراءة طوالع الحراس مُطمئنًا اياهم الى مستقبلهم ، ان اغريهم بأن يخرجوني مــن الكهف في الأمسيات ، فيربطوني الى شجرة اذ كان الحر خانقا .. ولا داعي لأن أقول ان اثنين مــن الحراس كانا يلازمانني .

« وفي ذات مساء ، عاد اللصوص الذين كانوا يقومون بجولة ـ حسب أوامر نائب « بارون » ـ برجل تعس من عمال الحصاد ، في حوالي الاربعين او الخمسين من عمره ، وقد اوثقوا يديه ، وهو يصرخ مرددا بلهجــة تذيب القلب : « ردوا الي العشرين قطعة ذهبية .. ليتكم تعرفون كم تكبدت لأكسبها..لقد قضيت الصيف طوله أحصد الزرع في الشمس !.. صيف بطوله قضيته بعيدا عن زوجتي وأطفالي !.. لقد جمعت هذا المبلغ بالكد والحرمان ليتسنى لنــا أن نعيش في الشتاء ، ولأسد الديون التي استدانتها أسرتي البائسة في غيابي . أمن العدل أن أفقــد هذه النقود وهي ثــروة بالنسبة لي ؟.. ارحموني ، وردوا لي العشرين قطعة ذهبية ، بحق العذراء ! »

« وكان الجواب على توسلاته التاعبة ، ضحكات ســاخرة . ورحت ارتجف استنكارا وانا موثق الى الشجرة ، فللفجر اسر كفيرهم . وأخيرا ، اقترب احد الأشقياء من الرجل قائلا : « لا تكـ احمق !.. انك تخطىء اذ تفكر في النقود ، يجب ان تشغل بما هو اهم .. انك في قبضــة بارون ! » .. فقال الرجل وهو لا يملك ان يفكر في غير جوع أطفاله : « لست اعرفه ولا رأيته ابدا.. انني من اليكانتي ، وكنت أحصد في اشبيلية » .

ـ ان بارون معناه الموت . كل من يقع فيقبضتنا يجب أن يموت ، فاذكر وصيتك في دقيقتين ، وصل لله في دقيقتين آخريين . والآن ، استعداد! .. صوبوا السلاح !.. امامك اربع دقائق !

ـ ساحسن استغلالها ، فاسمعوني رحمة بي .. ان لي ستة أولاد ، و .. ارملة تعسة . وما دمت

سأموت ، فان عيونكم تنبئني بانكم شر من الوحوش ، فان الوحوش التي من نوع واحد ، لا يفتك بعضها ببعض .. عفوا ، فلست أدرى ما اقول يا سادة .. لا بد أن بينكم أبا . آمَا من اب بينكم ؟ .. أتدرون كيف يكون للمرء أطفال يقضى عليهم بالتضور جوعا طيلة الشتاء ؟.. أتدرون قسوة أن ترى الأم اطفالها ، الذين من احشائها ، يموتون وهم يصيحون جوعا وبردا . لست أريد أن أعيش بدونهم يا سادة ، اذ ما قيمة الحياة بدونهم ؟.. سلسلة من الكدح والحرمان . ولكني لا بد أن أعيش من أجل اطفالي .. أواه يا فلذات كبدى ! »

« وارتمى على الأرض متطلعا اليهم بوجه كوجوه القديسين الذين كان نيرون يلقى بهم الى النمور.. وشعر الأشرار بشيء يتحرك في قلوبهم ، فالتفت كل الى الآخر واذ تبينوا انهم على رأى واحد ، تجرأ احدهم ، وقال : « ان ما سنفعله يا رفاق ، لا يجب أن يصل الى علم بارون ! » .. ثم اطلقوا سراح الرجل الباكى ، وولوه ظهورهم . ولكنه مد يده اليهم ضارعا . فصاح أحدهم : « ألست قانعا بهذا ؟.. أتريد نقودك الى جانب حريتك . أسرع والا نفد صبرنا » . وأسرع الرجل باكيا .

« وانقضى نصف الساعة ، شغل خلاله الأشقياء بتبادل الايمان والمواثيق على ان زعيمهم لن يعرف انهم اطلقوا سراح رجل .. وفجاة ظهر « بارون »، وهو يقود عامل الحصاد بجوار فرسه .. وذهل الاشقياء ، وترجل بارون على مهل ، ثم صوب غدارته ذات الفوهتين الى أعوانه وصاح :«يا لكم من حمقى .. أغبياء !.. لست أدرى لماذا لا أرمى كل واحد منكم برصاصة ؟.. أسرعوا فردوا الى الرجل النقود التى اخذتموها منه ! »

« ونفذ الأشقياء أمره ، فارتمى الرجل على قدمى زعيم العصابة الرحيم ، فقال له هذا : « مع السلامة .. لولا ارشاداتك ما عرفت الطريق اليهم .. ولقد كنت ترتاب في ، وها انذا قد بررت بوعدى، ورددت اليك نقودك. فانصرف !». وقبل الرجل قدميه مرات ، قبل ان ينصرف مغتبطا . ولكنه لم يمش خمسين خطوة ، حتى ناداه الرجل الذى انصفه وساله : « اتعرف بارون ؟ » ، فاجاب الرجل بالنفى ولكن الزعيم قال : « انك مخطىء .. فانا بارون ! »

« وشدَّه عامل الحصاد ، بينما رفع بارون غدارته ، واطلق عليه عددا من الرصاصات أردته .. وخلال الذعر المهتاج الذى اعمانى ، شعرت بالشجرة التى كنت موثقا اليها تهتز قليلا ، فادركت ان قيودى انحلت .. فان احدى الرصاصات نفذت خلال الرجل واصابت وثاقى فقطعته .. وكتمت الأمر لأنتهز فرصة للفرار .

« واشار بارون الى ضحيته ، وقال لرجاله : الآن تستطيعون أن تسلبوه ماله أيها الاغبياء !.. يا عصبة الحمقى !.. كيف خطر لكم أن تطلقوا سراحه وتدعوه ينطلق وهو يبكى ويعول فى الطريق! ..كان من حسن الحظ اننى كنت أول من صادفه، وعلمت منه ما حدث .. ولو انه صادف الجنود لأرشدهم الى المعسكر كما ارشدنى .. أرأيتم ما يتأتى عن السرقة بدون قتل ؟ »

« وبينما انهمك الرجال فى دفن عامل الحصاد ، جلس « بارون » موليا اياى ظهره ، وانهمك فى الأكل .. فتخلصت من وثاقى ، وتسللت مبتعدا عن الشجرة ، وهبطت حفرة على مقربة منها .. وكان الليل قد هبط فى تلك الأثناء فانتظرت لحظات ، ثم تسللت ــ تحت جنح الظلام ــ واستطعت أن أعثر ــ على هدى النجوم ــ على حمارى مربوطا الى شجرة ، فامتطيته ، ولم اقف الا هنا .. وهكذا يا صاحب السعادة ، أعطنى الألف ريال ، أرشدكم الى مكان بارون .. الذى لم يرد لي نقودى » .

وبعد أن أدلى الفجرى بالتفصيلات اللازمة ، تسلم المكافأة وانصرف .

★ ★ ★

ولكن .. هل أصاب « هيريديا » فيما تنبأ به من طالع لبارون ؟

بعد خمسة عشر يوما ، وقف الناس فى الشوارع يشهدون فصيلتين من الجنود وهم يسوون صفوفهم ويتاهبون للانطلاق فى طلب بارون .. وكان حماس الأهالى لا يقدر ، لما بثه بارون فى مملكة غرناطة القديمة بأسرها من فزع ..

قال احد الجنود لزميله فى الصف : « لقد استكملنا استعدادنا ، ولكن لا أرى العريف لوبيز » . فقال زميله : « هذا عجيب ، فقد كان اول من يتحمس كلما دار الحديث عن اقتناص

بارون .. انه يكرهه كل الكره ! » .. وقال ثالث : « أتعرفان ما حدث؟ » .. وهنا صاح احد الاثنين : « لا بد انك الجندى الجديد » .. وتأمله فوجده ابيض البشرة ، رشيق القوام .. ثم أردف : « ما الذى كنت تهم بأن تقوله ؟ » .. فأجاب الجندى الجديد : « آه .. لقد مات العريف لوبيز » .. وعندما رأى معالم الدهشة والتكذيب ، قال مؤكدا : « لقد قتله بارون منذ نصف الساعة » .

ـ بارون ! .. اين ؟

ـ هنا ، فى غرناطة ..

وخيم الصمت ، الا على الجندى الجديد الذى ظهر ان اسمه « مانويل » .. فقد راح يصفر لحنا وطنيا . وما لبث ان قال احد الجنود : « احد عشر جنديا لاقوا حتفهم فى ستة أيام . يبدو أن بارون لن يلبث أن يقضى علينا جميعا . ولكن كيف تسنى أن يكون فى غرناطة ، ونحن ذاهبون لمطاردته فى سبيراده لويا ؟ »

وكف مانويل عن الصفير ، ليقول فى استهتار : « ان امرأة عجوز شهدت مصرع لوبيز ، تقول ان بارون يروق للناظرين » .

ـ ألا تزال متهورا فى الجراة اذ تتكلم عن بارون هكذا ؟

ـ ولم لا .. أهو أكثر من مجرد انسان ؟

وفى تلك الأثناء صدر النداء بالاستعداد فاستوى الجنود فى صفوفهم .. وتصادف ان كان«هيريديا» مارا ، فاستهواه منظر الجنود ، ووقف مع الواقفين .. وبدا على الجندى الجديد «مانويل» الاضطراب ، وانكمش فى موقفه ليتوارى وراء الجندى الذى كان يتقدمه . ولكن هيريديا ما لبث ان رآه ، فراح يصرخ وهو يقفز وكأنه داس على حية ،ثم انطلق يجرى نحو مقر القائد .. واذ ذاك رفع الجندى الجديد بندقيته ، وصوبها نحوه ، ولكن جنديا آخر سارع الى دفع البندقية لتطيش الرصاصة ، وهو يقول:« لقد اختبل مانويل !.. لقد فقد عقله ! » . وتناقل الجنود والنظارة العبارة وهم يشهدون مانويل يحاول الجرى ، ولكن المحيطين به من زملائه يعرقلونه . حتى اذا هدأ ، انهالت عليه الأسئلة ، والاتهامات ، والاهانات ولكنه لم ينبس ببنت شفة .

وفى تلك الأثناء ، كان بعض المارة قد لحقوا بهيريديا وهو يجرى ، فامسكوه وعادوا به ليفصح عما دعا بمانويل الى محاولة رميه بالرصاص . ولكنه اصر على الا يتكلم الا الى القائد .. فلما سخر منه الذين امسكوه ، قال لهم : «سترون.. ولكن حذار أولا أن تتيحوا لبارون فرصة الفرار » .

ـ ماذا تعنى ؟.. بارون ؟.. عمن تتكلم ؟

واقنعهم هيريديا بأن يسيروا به الى ضابط الفصيلة ، فأشار له نحو مانويل قائلا : « هذا بارون ، وأنا الفجرى الذى أدليت للقائد بالمعلومات عنه منذ أسبوعين » .

وارتفعت الأصوات بين الناس : « بارون !.. قبض على بارون !.. ظهر ان بارون كان بين الجنود ! »

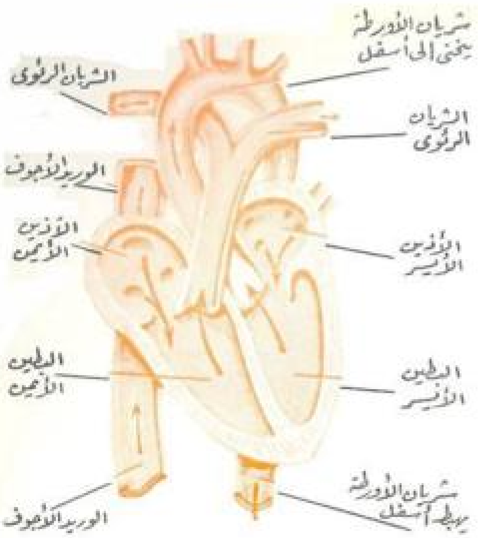
وتأمل الضابط البيان الذى أصدره القائد عن أوصاف بارون وملامحه ثم هتف : « حقا .. ما أغبانا !.. من كان يخطر له أن يبحث عن اللص وسط الجنود المنطلقين لاصطياده ؟ »

اما بارون ، فراح يرمق الفجرى بعينى الأسد الجريح ، وهو يقول لنفسه : « ما أحمقنى !.. انه الرجل الوحيد الذى أبقيت على حياته . لكم أستحق ما يجرى ! »

وفى الاسبوع التالى ، تم اعدام بارون .. وهكذا تحققت نبوءة الفجرى بحذافيرها !

■■

ترجمة محمد بدر الدين خليل



طبيب الأسرة

ضغوط الدم ، ما معناها ؟

ـ قاس الطبيب ضغط دمى ، فوجده كما قال ١٤٠ ق ٨٠ ، وانا رجل سنى ٤٥ سنة . والذى أعلمه أن الضغط الصحيح يكون باضافة مائة الى سنى ، فضغطى يجب ان يكون ٤٥+١٠٠=١٤٥ فهل ضغط دمى واطىء ؟ وما هو بالضبط معنى قول الطبيب ان دمى ١٤٠ ق ٨٠ ؟

● ظننت من خطابك انك تعرف الفرق بين الـ ١٤٠ والـ ٨٠ ان كليهما مقياس ضغط دمك ، كما ظهر للطبيب ،فى شريان ساعدك، معبرا عنه بالميمتر من الزئبق. اما الرقم الأول ، ويعرف بالضغط الانقباضى،فهو قياس الضغط فى الشرايين عندما يدفع قلبك الدم الى خارج القلب، الى الشريان الأعظم ، الاورطة ، فيدور فى الشرايين . اما الرقم الثانى ،ويعرف بالضغط الانبساطى ، فهو قياس نفس الشىء ، ولكن عندما يتراجع القلب فلا يدفع الدم فى الشريان الاعظم ، الأورطة. والدفع والتراجع يتمان معا فى نحو ثانية او اقل .

وبعض الناس يظن أن القلب عندما يسكت عن دفع الدم فى الشريان ،لحظة، يهبط الضغط فى الشرايين الى الصفر . وهذا غير صحيح . ان الضغط مستمر، انما يرتفع وينخفض فى دورات عددها ٧٠ او ٨٠ هى نبضات القلب فى الدقيقة.

بقى امر كبر الضغط عندك او صغره، وهذا موضوع يطول .

نكتفى منه أن نقول ان ضغط الناس، وهم جميعا أصحاء،يتفاوت كثيرا . حتى والسن واحدة ، والبنية واحدة ،والعمل واحد . فقد نجد عند الرجل السليم ان ضغطه الانقباضى ١٠٠ او حتى ما دونها، وهو على احسن حال ، ونجد رجلا مثله تماما ضغطه الانقباضى ١٣٠ او فوق ذلك. المعتمد الوحيد فى الحكم القاطع هو معرفة الضغط كم كان والرجل على اتم صحة . فان كان ضغطه على الصحة ١٣٠ ثم اصبح مائة ، ادركنا ان شيئا قد وقع لا بد ان يحسب له حساب .

ومع هذا كان لا بد للناس ان يستخلصوا من الاحصاءات الكثيرة شيئا

تجرى عليه ضغوط الناس غالبا ، ومن هنا جاءت القاعدة التى تقول ان ضغط المرء ، عند جهل سابق لضغطه ، تحسب افتراضا ، باضافة مائة الى عمر الرجل. فضغطك الانقباضي يكون على هذا الحساب ٤٥ + ١٠٠ = ١٤٥ وقد وجده الطبيب ١٤٠ ، فهذا ضغط طيب .

اما اذا زاد عمر الرجل على الخمسين فكثير من لا يأخذون بهذه القاعدة حتى على علاتها . ذلك أن الضغط الذى يزيد بعد ذلك على ١٥٠ يعتبر مرتفعا .

ومما يلاحظ، مما أظهرته الاحصاءات، ان الذكور البالغين ، ضغطهم على العموم أعلى من الاناث فى مثل أعمارهم .

كذلك اهل الشرق ضغطهم فى العادة دون ضغط أهل الغرب .

وفى النوم يهبط الضغط الانقباضى نحوا من ١٥ الى ٣٠ مليمترا زئبقا .

● ● ●

مناديل القماش ، ومناديل الورق

ـ أصاب كثيرا بالزكام ، واستخدم كثيرا من المناديل ، وتتراكم ، ويجب علي غسلها . ولا بد من ترقيدها فى الماء ، ثم غليها فيه . ثم الصابون من بعد ذلك . عملية طويلة متعبة . فهل هناك مواد كيماوية اضع منها قطرات على المناديل فى الماء البارد ، فيتم تطهيرها بسرعة ، دون غلي الماء ؟ ثم ما رايك فى مناديل الورق التى شاعت اخيرا ؟

● أما عن الماء وغلي المناديل فيه ، فليس هناك طريق أحسم واطهر واقتل

الكشف عن حمل

ـ ذكرتم فى العدد الماضى من «العربى» ان من وسائل التأكد من حمل المراة ان يرسل الطبيب شيئا من بولها الى المختبر ، وعندئذ يفحص رجل المختبر هذا البول ، ومن الفحص يستطيع ان يقول ان كانت المراة حاملا او غير حامل فما هو هذا الاختبار الذى يجريه على البول رجل المختبر ؟ ثم هل هذا الاختبار الكيماوى مؤكد النتيجة ؟

● لا بد أولا من تصحيح وصفك للاختبار المذكور بأنه اختبار كيماوى، فما هو بذلك . ذلك أنه اختبار بيولوجى ، أو ان شئت فحيوى ، وسيلتنا فيه الحيوان . والحيوان هنا جاز ان يكون الفأر، الأنثى ،يحقن تحت جلدها مقدار قليل من بول المراة

للجراثيم ، كائنة ما كانت ، مثل الغلى ، وكذلك النظافة .

أما مناديل الورق فيستخدم المنديل منها مرة واحدة ، ويرمى . والعلبة بها عدد كبير من المناديل . واستخدام هذه المناديل أصبح عادة شائعة بين النساء . فجربيها . ويقولون انها أرخص من المناديل ، اذا ما اعتبر الانسان ثمن شراء المنديل ، ثم غسله وكيه .

ان المنديل الورق يصنع من ورق رقيق يمتص السوائل. ويباع على الوان عدة . وهو بالطبع مطهّر . والمنديل يستخدم مرة ، وبعد تلوثه ، لا يستخدم مرة أخرى . وغير ذلك المنديل القطن الذى يستخدم فى المرة الثانية والثالثة على تلوث .



المرأة فى المختبر

الحامل ، أو المظنون فيها الحمل . ثم تقتل هذه الفارة الصغيرة السن ،بعد مائة ساعة من الحقن . فان كانت المرأة حاملا ، ظهرت « نقاط دم » فى مبيض الفارة .

والسبب فى ذلك ان بول المرأة الحامل يكون به هرمون يفعل ذلك فى مبايض الاناث من الفئران .

اما درجة هذه الطريقة من توكيد الحمل فتبلغ ٩٨٪ .

وهى قد تكشف الحمل بعد بضعة ايام من توقف الحيض،اى من اخلاف موعده . ولكن الخير فى ارجاء هذا الكشف لاسبوعين أو ثلاثة أسابيع بعد اخلاف .

فاذا أريد الاسراع بنتيجة هذا الكشف ، اتخذ مكان الفارة ارنبة عذراء ، واذن تظهر النتيجة فى ٢٤ ساعة .

وقد يستخدمون لهذا الكشف الضفدع البرى Toad تستخدم الأنثى منه ، وهى عندئذ تضع البيض، يخرج منها فى نحو ١٨ ساعة من الحقن .



قالوا انها انتحرت ، وأعلم انها لم تفعل

— صديقة لى اصيبت بقلة النوم ، فعمدت الى العقاقير المنومة ، وبعد أشهر ماتت ، وشاع انها انتحرت ، وأعلم انها لم تفعل . فهل العقاقير المنومة تقتل ؟

● وهذا مثل آخر تدخل مشكلة الجرعة فيه . قرص نام به صاحبه نوما هادئا ، فاطمعه فى المزيد ، فاخذ قرصين أو اكثر .

ان من الناس من يأخذ الاقراص من العقاقير المنومة جملة ، لينتحر عمدا . ولكن من الناس من ينتحر على غير عمد . وكانى بصاحبتك يا صاحبتى من هؤلاء.

ان من العقاقير ما يدخل الجسم ، ويخرج منه بالافراز وبغير ضرر . ولكن من العقاقير ما يسمى بالمتراكم . تدخل منه الى الجسم كما نود ، ولكنه لايخرج من الجسم بنفس السرعة التى تدخله فيه .. واذن هو يتراكم فى الجسم . وهو سم،واكثر العقاقير سموم ،ويتراكم السم على غير دراية منا فيحدث أثره المنتظر .

والخطأ خطأ المنطق : ان حبة واحدة لها أثر طيب ، فالحبتان لهما أثر طيب مرتين ، فى الوقت الواحد ، او حتى فى الأوقات المتعددة . ■■



دردشة

حقائق طريفة عن شهور السنة

● ان تاريخ اى يوم من ايام شهر ابريل (نيسان) يتحد فى التاريخ والاسم مع اى يوم من ايام شهر يولية (تموز) من السنة نفسها .

وكذلك الحال فى شهرى سبتمبر وديسمبر (ايلول وكانون الاول) وشهرى مارس ونوفمبر (آذار وتشرين الثانى)

وهذا يحدث فى كل من السنتين البسيطة والكبيسة على السواء .

اما شهر يناير (كانون الثاني) فيتفق فى السنة البسيطة مع شهر اكتوبر (تشرين الاول) ، وفي السنة الكبيسة مع ابريل ويولية .

ويتفق فبراير (شباط) في السنة البسيطة مع شهرى مارس ونوفمبر ، وفى السنة الكبيسة مع شهر اغسطس (آب) .

خطباء محترفون !!

● دعا احد ملوك سيام « الدكتور فكتور هيزر » الى وليمة ، وحان الوقت لالقاء خطبة احتفاء بقدوم الدكتور ، وتوقع الضيف ان ينهض الملك من مكانه ، ولكنه ظل متربعا امام المائدة ، بينما اتجه خطيب محترف الى منصة الخطابة والقى الخطبة كلها .. ولما انتهى نهض الطبيب ليلقى كلمة شكر ، ولكن الملك منعه بقوله:

ـ لا تتعب نفسك ، لقد اعددت لك خطيبا .. اننا هنا نعتقد ان الخطب العامة يجب الا يلقيها الا خطباء محترفون ؟؟؟

أضخم شجرة



● شجرة (السيكوياس) هي اضخم شجرة فى العالم كما يقولون . وهذه الشجرة تنبت من بذور صغيرة جدا . وهي اذا بلغت عنفوان نموها فانها تزن ٢٠٠٠ طن ، او ما يعادل وزن سفينة تجارية صغيرة !

جرب هذه الطريقة !!

● قرر شاب فرنسى ان يجعل من نفسه طعاما للاسود ، وذلك فى محاولة منه لجعل فتاته تشعر بتبكيت الضمير بعد ان خدعته فى حبه .

ودخل الى قفص الاسود فى سيرك بمدينة بوردو ، وكانت الاسود هائجة وشرسة ، ولكن عمال السيرك استطاعوا انقاذه من بين مخالبها .. فرق قلب الفتاة ، وتزوجته ، وحضر حفلة الزواج عمال السيرك الذين انقذوه من موت محقق .


هريو


روكفلر

هبة .. وشرط عجيب !

• فى اعقاب الحرب العالميـة الاولى وهب « روكفلر » مبلغا وافرا من المـال لينفق فى ترميم كاتدرائية « ريمي » فى فرنسا ، وكان « ادوار هريو » وزيـرا للمعارف ، فقبل الهبة باسم الحكومة . وقد روى هريو انه ورد فى رسالة الهبة من روكفلر هذه العبارة :

ــ انفق هذا المال فى الاجزاء التي لاترى من البناء ، فسوف تجـد كثيرين يتبرعون بالمال لترميم الاجزاء التي يراهاالنـاس ! .

دعابة استحالت الى جد

• روت زوجة « فكتور جاورسكي »انها كانت تنتظر صديقا امـام مسـرح « توليدو » ، فسمعت جنديين يتآمران على ان يلقى احدهما قطعة نقد بنصـف فرنك على الرصيف ، فاذا وقف احـدالمارة وانثنى لالتقاطها صاحا به ، ودخلا معه فى شجار .

ولحظ احد المارة قطعة النقد فالتفت الى الجنديين الواقفين بقربها مبتسما ، والقى قربها قطعة بربع ريال ومضى لانه ظنهما يجمعان صدقات ، فذهل الجنديان .

وبعد ثلاث ساعات كان هناك جمهور غفير محتشد حول كومة من النقود ، وبعد خمس ساعات تدخل البوليس لان الجمع المحتشد عرقل حركة المرور ، فجمـع الجنـديان المـال ، فاذا هو ٧١٢ ريالا قدماها منحة لجمعية الصليب الاحمر .



الطبيعة رحيمة

• **الطبيعة تعوضنا عن الاشياء التى نفقدها ، ففى الوقت الذى يصبح فيه شعر الرجل الذى يمشطه قليلا تتسع رقعة الوجه الذى يترتب عليه غسله .**

اليس مورتون

بعد ١٧٦ عاما ..

• **يقدرون عدد الاحصنة الموجودة حاليـا باستراليا بنحو ثلاثة ملايين حصان ..**

بينما كان عددها فى عـام ١٧٨٨ خمسة فقط : حصان ذكر .. وثـلاث مهارى .. ورضيع !!

اتساع الكون

• ضرب جيمس جونز المثل الآتـى ليجعل الناس تدرك مدى اتساع الكون .

قال : لو فرضنا ان الطيور قد انقرضت من قارة آسيا ، ولم يبق فى سمائها غير اربعة طيور ، لكانت سماء آسيا مزدحمة بالطيور اكثر من ازدحام الكون بالنجوم والكواكب بكثير .

السير كلزم

كل شيئ في الكون يسير في خط منحن ليكمل دائرة الاستمرار الأبدية

فنان من الكويت يبتكر مدرسة جديدة في الرسم

بداية النهاية : الفنان خليفة القطان يضفي اللمسات الاخيرة على لوحة يصور بها « بداية النهاية » ، وقد رسم وجها لشخص – في وسط اللوحة – يمثل المحتضر ، واحـــدى عينيه مفتوحة رمزا للحياة ، والاخرى مغلقة متلاشية رمزا للموت ، اما الفم المفتوح فيشير الى مخرج الروح من الجسد ، وظهرت في الجانب الايمن من اللوحة يد بيضاء واصبع تشير الى اعلى ... الى طريق الروح عند انفصالها عن الجسد. وقد رمز الفنان الى الروح الطيبة بمـــلاك ابيض في الجانب الايسر ، واما الثانية فيمثلها شيطان – في الوسط – باللون الاحمر ، اما الجسد فيدفن تحت التراب ليبدأ حياة جديدة و «الدودة» ترمز الى هذا





الغواص الكويتي : كان الغوص لاستخراج اللؤلؤ من اعماق البحر حرفة لكثير من اهل الكويت في السنوات الخوالي . ويمثل الوجه ـ الذي يتوسط اللوحة ـ الغواص اذ يهبط الى قاع البحر بحثا عن الاصداف ، وشق صدفة عن لؤلؤة كبيرة ، تولاه الفرح الذي يمثله الفم الفاغر والعينان المفتوحتان ... وكثيرا ما يصادف الغواص اخطارا في عمله ، يمثلها السمك الوحشي ـ الى اليمين ـ والاخطبوط الى اليسار .. ويبدو الى يمين الوجه ـ ملاصقا له ـ مؤخر مركب الغوص .



الى اليسار : حاول الفنان ان يعبر بهذه اللوحة عن الغيرة ، فجعل للشخص ـ الذي يغار مما يصيب سواه من خير ـ وجها ذا لونين : الاحمر رمز الشر والجشع ، والاخضر رمز الحقد .. ثم احاط الوجه بحلقة بيضاء ، اشارة الى ان الغيور الحقود يتظاهر دائما بالبراءة والطهر ، وان كان يضمر الشر في الخفاء ، كما توحي حركة اليد المتحجرة التي تتمنى ان تنشب مخالبها في الصديق ، وان تخمد انفاسه وان توارى ذكراه « التابوت » الذي يحمله هذا الناقم في صدره .

وتعدد الالوان في اللوحة وسيلة قصد بها الرسام الى التعبير عن ان مثل هذا الشخص يتلون دائما وفقا للظروف والوسط . ويرى في اسفل الصورة رأس مكبر لبعوضة يرمز خرطومها الفتاك الى امتصاص الدماء والى الرغبة التي تساور الحقود في الفتك بالبريء .

(تصوير صلاح آدم)

■ لم يكن يدري ، وهو يجلس الى لوحته ، انه يحدث في الفن حدثا .. فمن هو حتى يكون لانتاجه أكثر من قيمة متوسطة ، وهو الذي اعتنق الرسم هواية ، واقبل عليه دون دراسة تعدده له ، ودون توجيه اللهم الا توجيه المشاعر الفياضة التي تجيش في أعماقه ، وتطالبه بان يعبر عنها بالرسم ..

وراحت ريشته تجري على اللوحة ، وهو مستغرق في فكرته .. وكانت تحرص على أن تتجنب الخطوط المستقيمة المألوفة .. وكانت تتعمد أن ترسم الخط قوسا ، والمربع او المستطيل دائرة ، والمكعب كرة ، وهي تشعر بانه ليس في الكون ما يسمى بالخط المستقيم او المربع او المكعب ، لأن كل شيء يسير في خط منحن ليكمل دائرة الاستمرار الأبدية .

ولم يدهش « خليفة القطان » ـ الفنان الكويتي الذي لم يكن قد تجاوز السابعة والعشرين من عمره اذ ذاك ـ من اتجاهات ريشته .. فهو نفسه يؤمن بأن الدائرة أساس كل شيء .. حتى الحياة نفسها دائرة ! .. ان الانسان يولد ضعيفا عاجزا، وينمو فيكبر جسمه ويقوى ، ثم ينحدر في الشيخوخة الى الضعف والعجز ثانية .. ان خط سيره في الحياة أشبه ما يكون بقوس .. ان كل شيء يسير بخط منحن لتكميل دائرة الاستمرار الأبدية .. ان المرء ان سار من نقطة معلومة ، وواصل السير قدما ، فلن يلبث أن يصل الى النقطة التي بدأ منها .. ولا يعني هذا أن السير انتهى ، بل انه سيستمر الى ما لا نهاية .. وهذا يعني التطور الدائم للمخلوقات .

★ ★ ★

واستمرت ريشة « خليفة القطان » في جريانها .. ولم يدر ـ الا فيما بعد ،

وحين عرض لوحاته التي رسمت بهذا الأسلوب ـ انه طلع بنظرية جديدة ، أصبحت تعرف بالدائرية «السيركليزم» .

ولقد حاول البعض أن ينسبها الى مدرسة من المدارس المعروفة ، والى « السيرياليزم » بالذات . وكأنما كان كثيرا على فنان عربي ، أن يبتكر مدرسة جديدة .. وكأنما كان كثيرا على الروح العربية أن تتمرد على التقدم في الفن وتخلق شيئا حديثا ، وهي التي تتمرد على القديم في كل ميدان من ميادين النشاط الحيوي وتخلق جديدا ..

وتسأل « خليفة القطان » ، متى عشق الرسم، فيقول لك : « لست ادري ، وما أحب الرسم الا شيئا غريزيا ولد معي ، ولكن لم اكن أفطن اليه .. وفجأة ، في سن الخامسة عشرة وجدتني مدفوعا الى أن امارسه » .

وتتساءل : لماذا وجد نفسه مدفوعا الى الرسم في سن الخامسة عشرة ؟.. ولماذا لم تستبد به سورة الرسم قبل هذه السن أو بعدها ؟ ؟

انه لا يدري ، ولكنك اذا تتبعت حياته ، وجدت ان احداثا قوية واجهته في هذه السن بالذات ، حوالي سنة ١٩٥٠ واضطرته الى أن يترك مدرسته « المباركية » ولما يتم دراسته الثانوية .

وكانت لهذه الاحداث أصداء في نفسه ، بل اكثر من اصداء .. لقد اثارت عواصف عاطفية في أعماقه ، ايقظت الموهبة التي كانت كامنة ، فاذا به يلجأ اليها ليعبر عن ذلك الذي يجيش في نفسه .

ولم يكن قد درس من أصول الرسم اكثر مما يدرسه الطالب العادي في المدرسة الثانوية ، لذلك لم يكن يتبع في الرسم قاعدة او مدرسة .. او الأصح انه كان يتبع قواعد ومدارس دون ان يدري بها او يدرسها ..بل دون أن يقرأ شيئا عن أصول الفن .. ثم سنحت له فرصة الحصول على منحة للدراسة في لندن ، في سنة ١٩٥٢ بعد أن عمل في التدريس ثلاث سنوات ، ورغب في دراسة الرسم ، ولكن المنحة قيدته بدراسة التجارة ،

ليعود مدرسا فى الكلية الصناعية . فقبل فى سبيل الانطلاق الى العالم الخارجى .

ومع انه كان وفيا للدراسة التى اوفد من أجلها ، الا أن هـذا لم يمنعه من أن يتردد على المتاحف والمعارض الفنية فى انجلترا ، ومن أن يتصل بأساتذة الرسم فى الكلية التى كان يدرس فيها .. ولكنه لم يجد الوقت ليتلقى دراسة جدية أو منتظمة . كان يفضل ان يتوفر على الرسم فى الاوقات التى لا يدرس فيها التجارة ، ولا يزور خلالها المعارض .. منطلقا على سجيته ، بتوجيه فطرته ومشاعره ..

ولم ترو متاحف انجلترا ومعارضها ظماه ، فزار مثيلاتها فىالقارة الاوروبية :فى فرنسا والدانمرك والسويد ، وهولندا ، والمانيا ..

ويقول خليفة القطان عند هذا الحد من قصته :

« واتصلت بمذاهب الفن ومدارسه ، فاذا معظمها لا يمس الغرائز والاحاسيس الكامنة فى نفس الانسان فيظهرها .. وهذا بالذات ما أحاول أن أبرزه من واقع البيئة التى أعيش فيها .. رسمت مثلا « الغواص » الكويتى ، فحرصت على أن أبين حياته بين السماء والماء ، وفرحته أن يعثر على اللؤلؤ ... ورسمت فى الوقت ذاته « النميمة » فمثلتها بوجهين لجسد واحد : وجه يختلط فيه اللونان الأخضر والأصفر رمزا للحسد والحقد ، ووجه احمر يمثل الشر » .

وهو يركز عنايته على الألوان الى جانب الدائرة .. فلكل لون مدلوله الذى يمكن التعبير به عن الغرائز والعواطف والصفات : الأبيض يرمز للعفة والصفاء وما اليهما ، والأحمر للحب والشر والخطر وما اليهما ، والأزرق للطمانينة ، والبرد .. والأخضر للشباب وللحسد فى نفس الوقت ... وهكذا ..

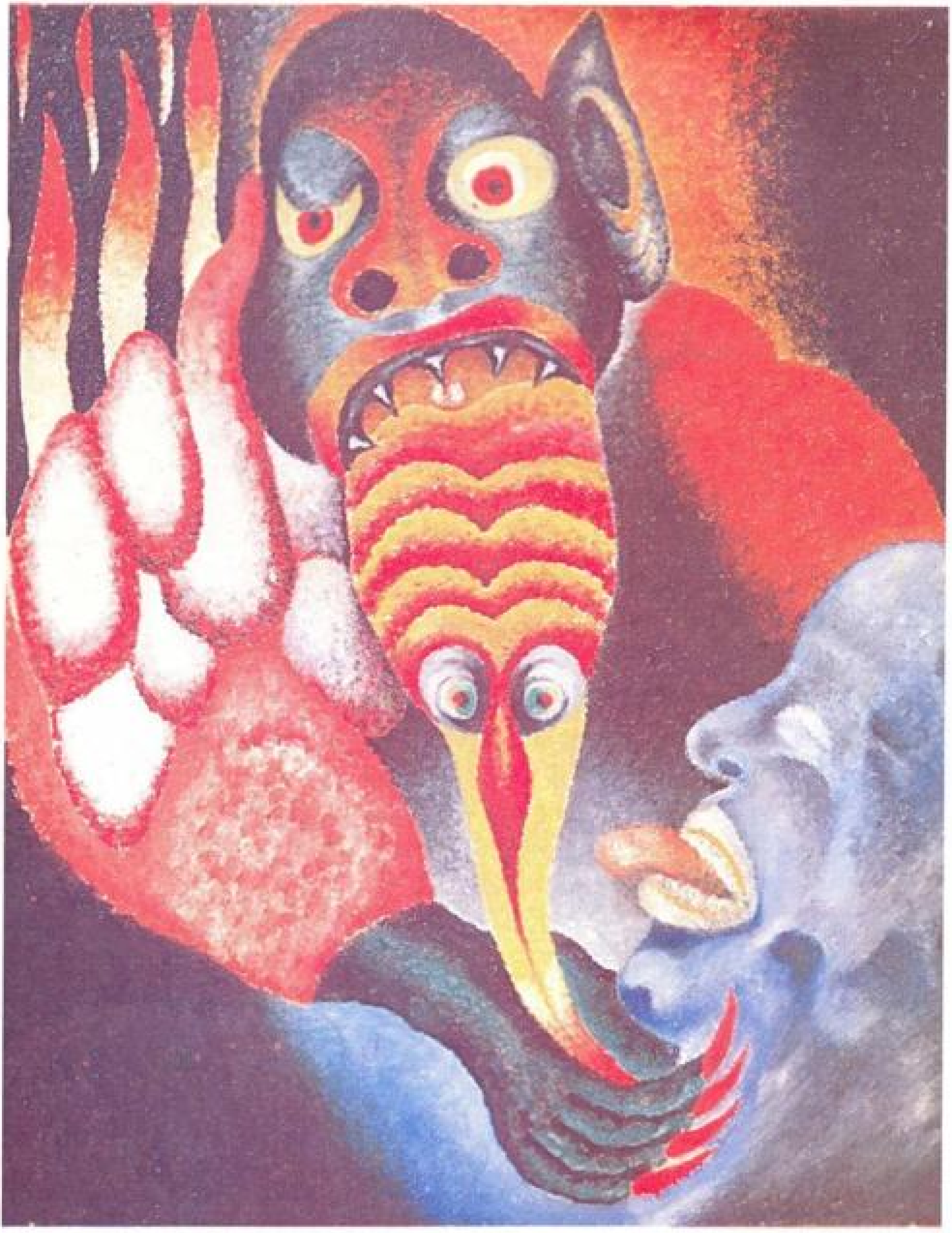
وفى سنة ١٩٥٨ ، عاد « خليفة » الى الكويت ليعمل مدرسا فى الكلية الصناعية ، وقد احرز «دبلوم التجارة العامة» ولكنه لم يمارس التدريس الا شهرين ، ثم نقل مشرفا على نجارة العمارة بالقسم الهندسى التابع لوزارة التربية والتعليم . وما لبث هذا القسم ان ضم الى وزارة الاشغال فانتقل معه ...

وطيلة هذه الأثناء ، ظل « خليفة » يرسم ما وجد للرسم وقتا . واستطاع فى يونيو سنة ١٩٦٢ أن يقيم معرضا بقاعة المدرسة المباركية بالكويت ، لفت اليه الأنظار فى بلده .. ثم نظم معرضا فى قاعة « الشيوسكينو » بمدينة « فيرارا » الايطالية ، فى أغسطس من العام ذاته ، واعقبه ــ فى الشهر التالي ــ بمعرض فى قاعة « متحف الفن الحديث » بالقاهرة . فبدأ نقاد الفن يتحدثون عنه خارج الكويت ..

كذلك اشترك فى عدة معارض اقيمت فى الكويت ، منها : معرض « مسابقة البطولة العربية» فى ديسمبر سنة ١٩٥٨، ومعارض الربيع فى سنوات ١٩٥٩ و ١٩٦١ و ١٩٦٢ وأثار نشاطه انتباه السلطات،فمنحته وزارة التربيةوالتعليم منحة تفرغ للفن ، منذ سنة ١٩٦٢ .

وفى تلك الأثناء ، كان يتحسس طريقه فى دنيا الفن للتعبير عما فى نفسه وفكره ، فاذا بنظرته الى الحياة تقوده الى « السيركليزم » ، فى أوائل سنة ١٩٦٣ .

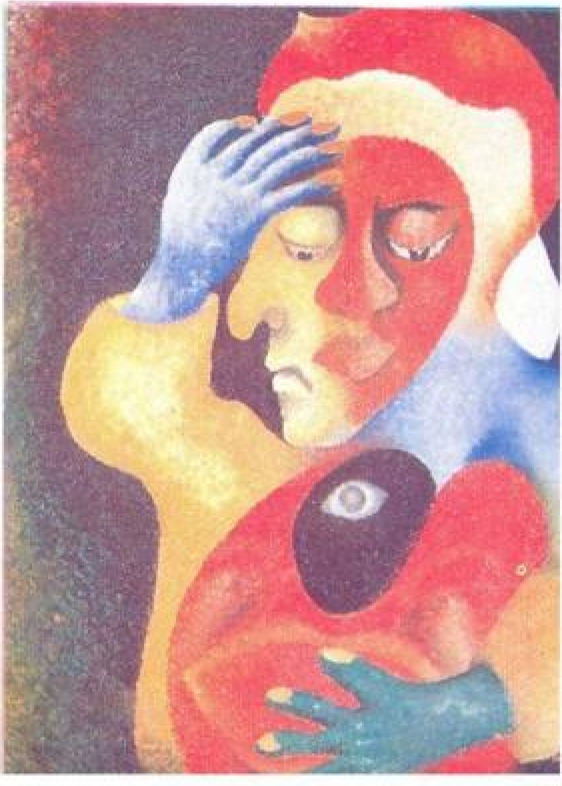
وكانت أول مرة كشف فيها عن نظريته هذه ، فى معرض اقامه فى بيروت فى سنة ١٩٦٣ ، فأحدث ضجة ، وبدأت الصحف العربية والاجنبية تكتب عن فنه .. وبدأ هو ، فى نفس الوقت ، يقيم المعارض فى الكويت وخارجها .. وفى الشهر الماضى تبنت وزارة الارشاد والانباء هذا الفنان الذى رفع اسم الكويت فى مختلف المحافل الفنية ، فأقامت له معرضا فى روما .. وآخر فى فيرارا بايطاليا .. وسيقام له معرض ثالث فى لندن ، بعد ان ازدادت قدمه رسوخا فى فنه الجديد : « السيركليزم » .



مصاص الدماء : من الناس من خلق شريرا ، يدفعه شيطانه الى محاولة هدم سواه ، سواء بلسانه أو بيده ، أو بهما معا .. وقد حاول الفنان أن يرسم صورة لهذا الشخص ، فجعل لسانه طويلا ، ينتهي بخرطوم كخرطوم حشرة مؤذية تعيش على امتصاص الدمـــاء ... وبهذا اللسان ، وباليدين ــ اللتين ترمز خضرتهما للحقد ، وحمرة أظافرهما للشر ــ يقضي الشرير على ضحيته . ويلاحظ أن الرسام اختار للضحية اللون الازرق ، رمز البرودة وانعدام الحياة .. والى يسار وجه الشرير ألسنة لهب تمثل نهاية الشرير ، اذ تأكله النار التي يضرمها .. كما أن اللون الاسود حول الصورة يمثل الغموض والموت اللذين يكتنفان الشرير .



من وحي رمضان لوحة تعبر عن الانطباعات التي يثيرها شهر رمضان في النفس . ففي الوسط وجه جعل الفنان لعينه حدقتين ، وأظهر فمه مفتوحا ، ورفع أمامه راحتين . فاذا أخفينا الحدقة العليا للعين ، بدت الحدقة السفلى تمثل الخشوع ، كما توحي بأنها تقرأ في الكتاب ـ الذي يرى تحت الوجه ـ رمزا للقرآن الذي تستحب قراءته في رمضان ، وبدت اليدان رمزا للدعاء . واذا أخفينا الحدقة السفلى ، ظهر الوجه كأنه يتطلع الى السماء ، فهو واليدان يرمزان الى المؤذن ... وفي الوسط شعلة ترمز الى « قنديل رمضان » ، كما ترى خلف الوجه رأس مئذنة ، وأمامه هيكل محراب .. أما الخطوط الحلزونية المتعددة الألوان ـ في الجانب الأيمن للوحة ـ فتوحي بالدوار الذي يصيب الصائم ...



التخمة : كثيرا ما تتملك غريزة الجشع الناس .. والجشع على ألوان ، منها هذا اللون الذي حاول الرسام أن يصوره: الجشع الى الأكل .. فالمرء الممتلىء حيوية (كما يشير الوجه الأحمر) يظل يأكل بشراهة اذا تملكته هذه النزوة ، حتى تنتفخ بطنه وتؤلمه (كما يبين وضع اليد) .. ولا يلبث الشره أن يقتله .. وتمثل اليد الزرقاء (والزرقة رمز الموت وعدم الحياة) حال الشره اذا اعتل او الوجه الأصفر يرمز للاعتلال والهلاك) ..



مرآة الرأى الغربى

مزيدا من الجرأة

عن جريدة « نيويورك هيرالد تريبيون » :

● تعاني بريطانيا ، كما نعاني نحن ، مــن مشكلة التمييز العنصرى فى جنوب افريقية . وقد رضخت بريطانيا لرأى الاكثرية فى اجتماع رؤساء دول الكومونولث ، واتخذت قرارا بطـرد دولة جنوب افريقية من الكومونولث ان لم تلغ التمييز العنصرى فيها . وهكذا طردت جنـوب افريقية من الكومونولث .

واليوم تجد بريطانيا نفسها فى مازق جديد مركزه روديسيا الجنوبيـة : فهـذه فيها ايضـا تمييز عنصرى ، اذ تحاول الفئـة القليلة من الســكان البيض التحكم فى السـكان السـود ، الذين هـم الكثرة الســاحقة .

ترى هل تقف بريطانيا ودول الكومونولث فى هذه القضيــة موقفها الصلب الذى وقفته مع جنـوب افريقية ؟ نرجو ذلك حتى يكون فى هذه الجـراة عبرة للمعتبرين قبل فوات الاوان .

مرارة ديجول

عن جريدة « نيويورك ورلد تلجرام اندصن » :



● لا يتردد الرئيس ديجول ، فى كل مناسبة ، عن ان يوجـه اللطمات لامريكـا ، وبريطـانيا ، والمانيا ، وكل الحلفاء الغربيين . ومثل هــذا التصرف يقف حائلا دون اى تفاهم وتقارب بـين الدول الغربيــة .

ولهجة ديجول نفسها ، فى خطبه وتصاريحه ، فيها نوع من التعالي ، بل وحتى من الوقاحــة احيانا .. وذلــك عندما يتحــدث عــن الولايات المتحدة ، وعن الدول الاوروبية ..

ونحن نحاول ان نبحث عن سبب لغضبة ديجول على امريكا : ويبدو لنا ان ديجول حاقد على امريكا لانه يعتقــد انها هي التى اخرجتــه مــن الهنــد الصينية .. ولكن لتحل محله !



هتلـر وجولد ووتر

عن جريدة ((الاوبزرفر)) :

● هناك مشابه تبدو لنا بين بروز بارى جولدووتر فى امريكا وبروز هتلر فى المانيا ، سنة ١٩٢٩ ، واوضح مظاهر هذا التشابه بينهما ان كلا منهما يتحدث عن ماضي امته الاسطورى ، ويعد بأن يعيد لأمته فضائل العهد الماضي الزاهر ، ويقترح حلولا بسيطة لمشاكل معقدة ، ويدعو الى استعمال القـوة .

ومع هذا فبين الاثنين اختلاف ايضا ، واوضح ما يكون هذا الاختلاف هو ان هتلر دعا الى اقامة حكومة قوية ، بينما نجد ان جولد ووتر يدعو الى نوع من النظام تكاد تذوب فيه الحكومة .

ويبقى فوق هذا كله ان كلا منهما يؤمن انه هوالمنقذ الاعظم لبلاده وامته من عدو شرير ، لا حد لشروره .

ترى الى اين تسير السياسة الامريكية ، اننجح جولد ووتر ؟ !

((الى الحياة ام الموت)) ؟ – كما يقـول شكسبير .



حرب سببها زوجة

عن جريدة ((الفارديان)) :

○ اذا حدث وفاز بارى جولد ووتر بالرئاسة واشتعلت نار حرب عالمية ثانية ، فان المسؤولة الاولى عن هذه الحرب ستكون زوجة روكفلر ، واقترح فى هذه الحالة ان تسمى هذه الحرب باسم ((حرب زوجة روكفلر)) : ففي رأينا ان روكفلر كان ولا شك سيفوز بالترشيح عن الحزب الجمهورى ضد بارى جولد ووتر ، لو انه لم يتزوج ثانية بعد طلاقه من زوجته .

وماذا كان من نتيجة تسمية جولد ووتر مرشحا للحزب الجمهورى ، فى الجو الدولي ؟

اننا نرى المستر خروشوف ، وقد عاد للحرب الباردة ، وبرزت لنا من جديد مشكلة برلين ! .

المانيا الموحـدة .. ام السلم العالمي ؟

عن جريدة ((الصندى اكسبريس)) :

نحن نرحب باى لقاء يقرّب بين الغرب وروسيا من اجل السلام العالمي . ولكنّ المانيا بصفة خاصة ، اكثر حرصا من غيرها على علاقات طيبة مع روسيا ، وذلك لأنها تأمل ان يؤدىهذا التقارب – انْ تمّ – الى نوع من التفاهم على مستقبل المانيا الموحدة .

ونحب ان نؤكد هنا لحلفائنا فى المانيا الغربية ، ان مثل هذا التقارب لن يتم ، لأن روسيا ، فى رأينا ، تخشى من عودة الروح العسكرية الالمانية ، اذا تم توحيد المانيا .

ولذلك فاننا نهيب بالمانيا الغربية ان تترك مثل هذه الاحلام ، وتضع يدها فى يد تلك القوى الساعية فى سبيل تحقيق السلم العالمي .

نقد كتاب الشهر

لمبدوزا

الكاتب ثم أصبح

بقلم الدكتور
محمود السمره

■ ظاهرة ادبية ان حدثت ، فانها نادرة الحدوث : أنْ يعيش انسان متوحِّداً ، في شبه عزلة عن الناس ، لا ينشر في حياته حرفا ، ثم تنشر بعد وفاته بسنة قصة تركها وراءه ، فتدفعه الى مقام الادباء الكبار .

اما الكاتب فهو الامير الصقلي لمبدوزا، ابن بلرمو الذي ما ترك بلدته الى الخارج الا لماما ولزيارات قصيرة .

واما الكتاب فهو « النمر الارقط » (١) ، القصة التي اشتهرت في الاوساط الادبية في السنوات الاخيرة ، واستهوت السينما فاخرجتها فلما مدروسا متقنا.

وقد عثر فيما بعد على ثلاث قطع اخرى بقلم لمبدوزا ، نشرت عام ١٩٦١ ، وترجمت الى الانجليزية عام ١٩٦٢ (٢)

هذا هو كل ما نعرفه من انتاج لهذا الاديب ، حتى الآن .

ولعل فهمنا لقصة لمبدوزا يكون اعمق واكمل ، اذا فهمنا الرجل اولا : فهو ابن عائلة



القصصي الذي لم ينشر في حياته حرفاً

بعد سنة من وفاته ، أحد الأعلام الشوامخ !

توماسي Tomasi الشهيرة فى كل ايطاليا ، منذ عصر الرومان . وهو ينحدر من ناحية والده من هذه العائلة العريقة ، وينتهي من ناحيـة امه بالامبراطور طيباريوس الاول ، امبراطور بيزنطة فى القرن السادس الميلادى ، حيث تزوجت ابنة هذا الامبراطور مؤسس عائلة توماسـي المسمى توماساليوباردى Tomasa Leopardi اى توماسا النمر الارقط . والنمر الارقط هذا ، شعار اتخذه مؤسس العائلة للدلالة عليه ، ونقشه على البسته الحربية . وكان هذا الشعار كثير الانتشـار فى جنوب القارة الاوروبية ، لسعة نفوذ هذه العائلة وكثرة عدد افرادها . والى هـذه العائلة ينتمى الشاعر الايطالى الشهير جيـاكومو ليوباردى Giacomo Leopardi

وعندما حل القرن السادس عشر ، استقر فرع من عائلة توماسى فى جزيـرة صقلية . واتسعت رقعة الاراضى التى ملكها هذا الفرع فى الجـزيرة اتساعا كبيرا ، وذلك عن طريق تزوج ابنائه ببنات العائلات الثرية فى الجزيرة . ونستطيع ان نتخيل مدى اتساع املاك هذا الفرع من العائلة ، اذا عرفنا ان افراده قرروا عام ١٦٤٧ اقامة مدينة كاملة فوق املاكهم ، هى مدينة مونتيخيارو ، التى بنوهـا على أحدث نظريات تخطيط المدن فى ذلك الوقت .

وفى أواخر القرن الثامن عشر تزوج راس عائلة توماسى فى صقلية من فتاة بافارية ، فولدت له ابنه فبريزيو Fabrizio ، الجد الاكبر لكاتبنـا (جد والده على وجه الدقة) ، وبطل قصـة « النمر الارقط » . وقد كان فبريزيو هذا فى حياته عالما بالرياضيات ، وفلكيا اكتشف نجمتين صغيرتين اسماهما « بالما » Palma و « لمبدوزا » Lampedusa ، وهما لقبان من القاب العائلة العديدة . كما أن جامعة السوربون منحته جائزة اعترافا منها بعلمه وفضله .

وقد عرف والد فبريزيو وفبريزيونفسه ، وابنه الاكبر ، وابن ابنه الاكبر ، وكاتبنا باسم أمير لمبدوزا ، وهو لقب منحه لهـم آل بوربون ملـوك نابلى وصقلية ، والعائلة التى ينتمى اليها اكثر ملـوك اوروبا ، وذلك تقـديرا لهم . ولمبدوزا جزيرة صغيرة تقع على بعد مائتى كيلو متر الى الجنوب من صقلية ، وكان آل بوربون يعتبرونها قلعتهم فى صد الأعداء عن مملكتهم . وكان كاتبنا هو آخر من حمل هذا اللقب ، لأنه لم يعقب ولدا مـن صلبه .

★ ★ ★

وفى عام ١٨٩٦ ولد جيسبى ، كاتبنا ، وكانت امه واحدة من شقيقات خمس رفيعات التهذيب ، واسعات الاطلاع على الثقافة الفرنسية . ونشـأ جيسبى ورباط وثيق من المحبة يشده الى امه ، وشبه نفور يبعده عن أبيه الصلف . والى هذه الأم نعزو حبه للثقافة الفرنسية .

وقد حـدث فى حياة العائلة ما كـدّر صبى جيسبى ، وترك فى نفسه جرحا عميقا : لقـد وُجِدت خالته ، مرافقة ملكة ايطاليا ، مقتولة بيد عشيقها ، فى غرفة فى فندق حقير من فنادق

(١) نشر بالايطالية عام ١٩٥٨ بعنوان IL Gattopardo وترجم الى الانجليزية عام ١٩٦٠ بعنوان The Leopard

(٢) Lampedusa, Two Stories and a Memory

روما ، وذلك سنة ١٩١١ ، مما دعا أمه الى أن تغلق أبواب قصرها في بلرمو ، وتعتزل الناس .

وشب جيسبي ليصبح ضابطا في المدفعية ، وليحارب في البلقان في الحرب العالمية الأولى . وقد اسر في هذه الحرب ، وحاول الهرب من أسره مرتين ، فباءت محاولته الأولى بالفشل ، ولكن الثانية نجحت ، فعاد الى ايطاليا بعد أن قطع أوروبا مشيا على قدميه ، ومتخفيا . ومع انه لم يترك الجيش الا عام ١٩٢٥ ، الا أن الواضح انه قد أصيب بما أصيب به كثير من شباب أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى ، أعني كراهية الحرب ، وكراهية الحياة نفسها ، والشعور بالضياع ، بسبب ما رأوا بأعينهم من مجازر جعلتهم يفقدون ايمانهم بالانسان والحياة .

وعاش جيبسي في ظل النظام الفاشي كارهـا للفاشية ، حتى انه رفض أن يتولى أى منصب تحت الحكم الفاشي . ولعل هذه الكراهية للنظام الفاشي ، والاحساس ، بالضياع الذى أشرنا اليه، يستطيعان أن يفسرا لنا سر عزلة لمبدوزا وانطوائه الحزين على نفسه ، وانصرافه لمرصده مثل جده فبريزيو بطل قصته .

وفي سن الرابعة والثلاثين تزوج من بارونة ، كان والدها مارشالا في بلاط القيصر الروسى ، ولهذا الزواج قصة : ففى منتصف العقد الثالث من هذا القرن، وصل لمبدوزا الى لندن مساء ، وحلّ ضيفا على عمه المركيز توماسي ، سفير ايطاليا لدى البلاط البريطاني . وتشاء الصدف أن يكون العم وزوجته على وشك الخروج لحضور حفلة ملكية في قصر بكنجهام ، فطلب العم من الفتاة الشابة اليسندرا ، ابنة زوجته ، ان تحاول ايناس قريبه الصامت الخجول ، وحل عقدة لسانه . وقد استطاعت هذه الفتاة أن تؤثر في الشاب جيسبي بذكائها ، وسعة اطلاعها ،وحديثها الطلق عن اديبه الأثير ، شكسبير . وهكذا وضعت هـذه الامسية حدًا لعزوبة لمبدوزا . والأميرة لمبدوزا اليوم من أشهر المحللين النفسانيين في كل



زوجة الكاتب ، الاميرة لمبدوزا ، تقف على اطلال قصر العائلة الصيفي الذى ورد ذكره في « النمر الأرقط »

ايطاليا ، وكانت الى عهد قريب رئيسة اتحاد المحللين النفسانيين الطليان . وهى فى ميدانها ذات شهرة عالية .

وقد كانت هذه السيدة الرفيعة التهذيب ، العميقة الثقافة ، خير رفيق للمبدوزا : فكانا يقضيان الامسيات يقرآن معاً آثار كتابهما الاثيرين عندهما ، فى لغاتها الاصلية ، فهما يجيدان خمس لغات . وهذه السيدة هى التى شجعت زوجهاعلى ان يجرب الكتابة ، لايمانها بانه موهوب ، وهى التى كانت تطرى ما يكتب عندما كان يعود اليها عند الظهيرة من مقهاه المفضل ويعرض عليها ما كان قد كتبه فى الصباح .

ونحن نستطيع أن نتصور الامير لمبدوزاوهويخرج من قصره كل صباح ، متوجها الى غرفته الخاصة فى مقهـاه ، مخترقا اليه ازقة الحى القديم فى بلرمو ، بغسيله وصبيته الحفاة . فاذا ما تحلّقَ حوله نُدُلُ المقهى يقدمون له فطوره ، وانتهى منه، تناول شنطته الضخمة ، واقبل عليها مراوحا بين الكتابة والقراءة: قراءة تولستوى، وستندال، وفلوبير وبروست ، وتومـاس مان ، وديكنز ، وفرجينيا وولف ، و.أى.ام.فورستر ، يقـرأها كلها بلغاتهـا الأصلية . أما شكسبير فلم تكـن مجموعة آثاره تفارقه ابدا ــ حسب قول زوجته .

وعند الضحى يجمع أوراقه وكتبه ، ويتوجـه الى مكتبة صديقه فلاكوفيو Flaccovio ، وهيمكتبة اقرب الى أنتكون صالونا ادبيا.وفىهذه المكتبة يلتقى ايضا بقريبه وصديقه الحميم الشاعر لوشيو بيكولو Lucio Piccolo ، الذى ما زال حيا . ومع هذين الصديقين يبدأ نقاشا فى الأدب والفن والفلسفة .

وكان لمبدوزا قليـل الترحال ، يؤثر البيت الهادىء ، والعزلة البعيدة عن الناس وضوضائهم. ولكن رحلة واحدة جديرة بان نشير اليها هنا : فقد صحب قريبه الشاعر بيكولو الى رومـا ، فى صيف عام ١٩٥٤ ، لحضور مؤتمر أدبى ، وفى هذا المؤتمـر قدّمت لبيكولو جائزة على مجموعته الشعرية التى كانت قد ظهرت فى تلك الفترة . وما زال جيورجيو بسانى Bassani ، وكان عضوا فى المؤتمر ، يذكر الأمير الصامت وهو يعبر اروقة المؤتمر داخلا خارجا ، ووراءه خادمه الخاص يتبعه كظله . وجورجيو بسانى هو أول من ادرك قيمة قصة « النمر الأرقط » الادبية ، وهو الذى عمل على نشرها بالصورة التى ظهرت فيها .

★ ★ ★

وقصة « النمر الأرقط » أدارها لمبدوزا فى ذهنه خمسا وعشرين سنة قبـل أن يعقد العزم على كتابتها ، وما كان ليكتبهـا على الارجح لولا أن طبيبه انذره بأن مرض السرطان لن يمهله اكثر من سنة ، عندها انكب عليها ، متفرغا لها ، ولم ينته منها الا قبل وفاته بشهر او نيف . وكان رَأْيُ من حوله فيها انها لا تصلح للنشر . ولكنها عندمـا نشرت فى ميلانو بعـد وفاته بسنة ، لقيت نجاحـا منقطع النظير ، فكانت من أكثر الكتب رواجا ، فمن طبعتها الايطالية وحدها بيع أكثر من ١٨٠ الف نسخة ، كما ترجمت الى ست عشرة لغة (ليست العربية من بينها) ، ومنحت جائـزة ستريجا Strega ، جائزة الادب الايطالية .

وهذه القصة صورة لحياة أسرة الكاتب ، ترسم لنا ببراعة فائقة تدهور الارستقراطية العائلية فى صقلية ، ومولد الامة الايطالية . وتقع احداثها فى عام ١٨٦٠ ، وهو العام الذى نزل فيه غاريبالدى برجاله الألف الى الجزيرة ، وقضى على حكم آل بوربون ، وضم صقلية ونابلى الى حكم فيكتور عمانوئيل ، ملك بدمونت وملك ايطاليا فيما بعد ، وذلك فى سبيل تحقيق الوحدة الايطالية .

★ ★ ★

والقصة فى سطور : الأمير سلينا Salina ، بطل القصة ، هو رأس العائلة الارستقراطية وهى أكبر عائلة اقطاعية فى كل الجزيرة ، تملك آلاف الدنمات ، وترتبط بها مئات الاتباع ، وتدين بالولاء للملك البربونى فرنسيس الثانى ، ملك نابـلى وصقلية . ويجتاح الجزيرة غاريبالدى بقواته ، فيجد الأمير سلينا نفسه موزعـا بين ولائه لعائلته وملكه ، وبين واقع الحياة الجديدة . واخيرا يرضى بالواقع ويصوت للوحدة ، ويشجع ابن اختـه



« وبعد العشاء يخرج الامير ، ومن ورائه كلبه ، ليتجول فى حديقة القصر ... »

الثائر تنكريدى ، أحد رجال غاريبالدى ، على ثورته . كما يشجعه أيضا على أن يتزوج ابنة رجل من عامة الشعب ، برز واغتنى بعد الاحداث الجديدة .

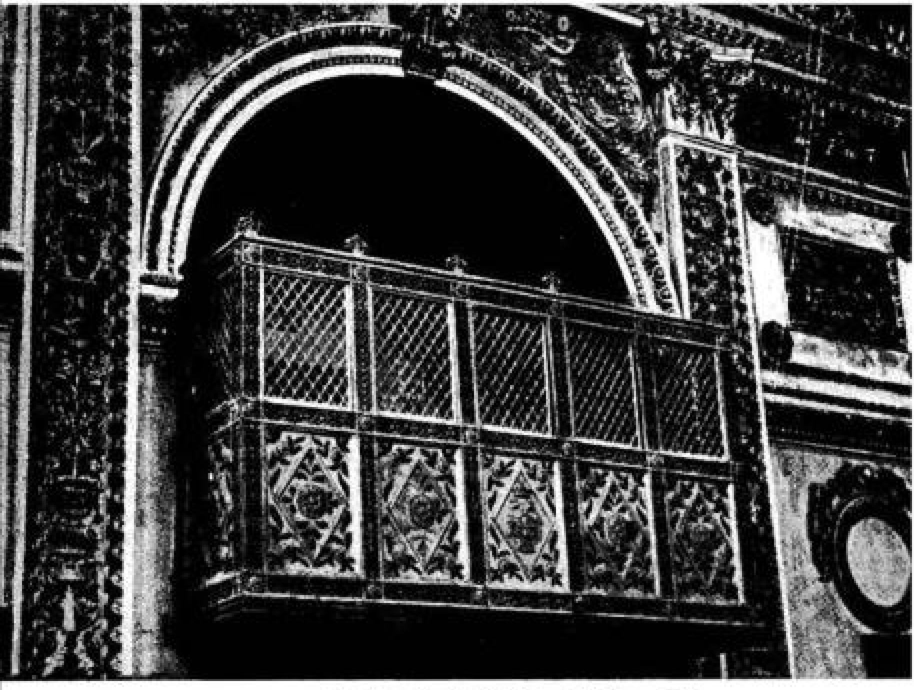
ونحن لا نبغى من وراء هذه الاشارة الى الهيكل العام للقصة الى ان ندلل على فتنيتها ، بل الى ان نضع اطارا نملاه فيما بعد .

وشخصيات القصة واقعية ، هى نفسها افراد عائلة لمبدوزا قبل مائة عام ، حتى الاسماء الواردة فى القصة هى اسماؤهم الحقيقية ، بما فى ذلك اسما ابنتى الامير سلينا ، فهما الاسمان الحقيقيان لابنتى فبريزيو ، امير لمبدوزا الجد . ولكن هذا لا يعنى ان هذه القصة قصة تاريخية ، ذلك لان الاحداث التاريخية فيها عارضة ، أما الاهم فهو فيض الاحساس والذكريات التى تعمر الكتاب . واذا كانت الاسماء فى القصة واقعية ، فان رسم الكاتب لها فيه من غير واقعها الكثير : مثال ذلك شخصية فبريزيو ، اى الامير سلينا ، فهى مزيج من الشخصية الواقعية ، وذكريات الكاتب عن العائلة ، وشخصية الكاتب نفسه ، وآماله واحلامه . وتنكريدى الثائر ، ابن اخت فبريزيو، مزيج من تنكريدى الحقيقى ومن شخصية دوقبالما، الابن المتبنى للكاتب ، والذى ما زال شابا يافعا .

وقد مزج الكاتب حتى بين الاحداث التاريخية: فتصويره فى القصة لوصول غاريبالدى الى صقلية عام ١٨٦٠ ، فيه كثير من الاوصاف التى تنطبق على نزول الامريكان فى صقلية عام ١٩٤٣ ، فى الحرب العالمية الثانية . وفى هذا الغزو الامريكى فقد المؤلف أعز شىء على نفسه ، وهو قصر العائلة فى بلرمو ، اذ هدمته المدرعات الامريكية التى قصفت بلرمو بالمدافع قبل النزول فيها .

★ ★ ★

وحديثنا عن قصة « النمر الأرقط » والصلة بين شخصياتها وافراد عائلة لمبدوزا ، لا يضيف الى القصة ميزة جديدة ، لأن مثل هذا التشابه لا قيمة له فى ميزان النقد الفنى. كما ان أحداثها السياسية لا تؤثر فى حكمنا عليها ، وان كان لها تأثير على



نموذج من النقوش والزخارف في قصر لمبدوزا

احكام من تصدوا للتعليق عليها : فقد استقبلها الأدباء الطليان الشباب بشيء من الفتور ، واعتبروها ردة في الادب الايطالى ، لأنه عزّ عليهم ان يظهر في الجو الادبي السائد في هذه الايام اديب هو أمير ، ليكتب عن النبل والنبلاء ، وهو موضوع في رأيهم غريب على الذوق المعاصر . ولكن اراجون Aragon ، وهو الشاعر الفرنسي الشيوعي الشهير ، رأى في الكتاب رأيا آخر لأنه بموهبته استطاع ان ينفذ الى لبابه ، فقد قال فيه : « انه أحد كتب هذا القرن العظيمة بل انه أحد الكتب العظيمة في كل زمان ». **وقال فيه كاتب شهير آخر ، هو اى. ام . فورستر :** « انه أحد الكتب الفريدة في عالم الادب ».

وهكذا هو في حقيقته .

في هـذا الكتاب كل شيء جميل : أسلوب مصقول ، وشاعرية فياضة ، وصدق في رسم الاحداث والشخصيات ، وجو أخاذ . وفيه أيضا : حزن وأسى . وفوق هذا كله فيه : احساس عميق بالحياة ، وادراك لاسرارها .

والكتاب يبدأ بمشهد رائع : فيه يبدو الأمير في قاعة الطعام الفخمة الواسعة مساء محاطا بأفراد عائلته ، وقد بدت من خلفهم على الجدران رسوم الالهة التي عبدها أهل الجزيرة قبل المسيحية . والأمير سلينا في قصره وبين اتباعه معبود الجميع. انه ضخم الجثة ، شهوانى ، عنيف ، وهو ذكى ، عالم ، يقضي الساعات في مرصده يرقب النجوم . وله رفيق لا يفارقه هو كلبه . وبعد العشاء يخرج الأمير ، ومن ورائه كلبه ، ليتجول في الحديقة ، وهو يدير في ذهنه المصير الذي ينتظر مليكه .. ان الموت مكتوب على جبين آل بوربون. ويضيق صدره بأفكاره ، فيسرع نحو القصر ، وكلبه يقفز من ورائه ، ليطلب اعداد العربة له . ويتوجه الى بلرمو ليقضى ليلة مع عشيقته مريانينا ، التي يجد عندها ما لا يجده عند زوجته. ويتساءل: ما الفرق بين اللذة التي يجنيها من مرصده ولذته مع مريانينا ؟ لا فرق ففي كليهما يمارس لذة الموت : ان في هدوء المرصد ما في الموت من هدوء لذيذ ، وفي مريانينا ما في الموت من متعة ثائرة ! انه يحبها لأنها فرع من حبه الخالد .. حبه للموت !

وما موقفه من هذه الطبقة الجديدة التي تهدد

ارستقراطية عائلته بالزوال ؟ لا بد له من أن يكيف نفسه ليتلاءم مع الظروف الجديدة . ويمثل هذه الطبقة الجديدة في الكتاب كلوجيرو ، وهو رجل من عامة الناس ، اغتنى في العهد الجديد من بعد فقر مدقع ، وعلى حساب الطبقة النبيلة .

ومن المواقف العميقة الدلالة في الكتاب ان الأمير ، في محاولته التكيف مع الظروف ، يدعو كلوجيرو وابنته الجميلة الى حفلة في قصره ، واكراما له وحتى لا يحرجه لا يلبس ، لأول مرة في حياته ، لباس السهرة ، ويقرر ان يستقبله بملابسه العادية . وكم كانت دهشته عندما رأى كلوجيرو يدخل القاعة الفخمة وهو يتعثر بلباس السهرة الذى كان يبدو غريبا عليه ! هكذا بدت الحياة للامير سلينا : طبقة تزول لتحل محلها طبقة جديدة . ولكن معنى الحياة واحد !

وتنكريدى ، ابن شقيقة الامير سلينا ، يأتي ثانيا بعد الامير في الكتاب . وهو من الطف ما رسم الكتاب القصصيون من شخصيات ، ومن اقربهم الى النفس . والامير معجب بابن اخته ، ويجمع بينهما حب عميق ، وفهم متبادل ، فهو قد ادرك كخاله ان التطور مع النظام الجديد ضرورة ، ولهذا نراه يسارع الى الانضمام الى جيش غاريبالدى ، ويبرز فيه . وهو في محاولته التكيف يتزوج ابنة رجل من رجال الطبقة الجديدة ، ابنة كلوجيرو الجميلة التى يحبها ، ويحب معها مالها .

وينتهي الكتاب بموت الامير سلينا ، وهذا الفصل هو خير فصول الكتاب دون شك ، وهو في رأينا يوازي في روعته « موت ايفان اليينتش » لتولستوى .

★ ★ ★

وتتحمس السينما لهذه الرائعة الادبية ، فيقدم على اخراجها خير المخرجين الطليان جميعا لوشينو فيسكونتي ، ويسند الدور الاول للممثل بيرت لانكستر الذى ما قام بالدور الا بعد ان درسه ودرس تاريخ الفترة بجد ويقظة المتخصصين. وقام بدور تنكريدى الممثل الن ديلون ، وبدور ابنة كلوجيرو الممثلة كلوديا كردينالي . وقد اقامت الشركة المنتجة مرصدا خاصا نقلت اليه الآت الرصد نفسها التى كان يستعملها الامير سلينا ، وذلك باذن من زوجة لمبدوزا ومن ابنه المتبنى، اللذين لجأ اليهما المخرج كثيرا للاستشارة برأيهما . وقد كانت نتيجة كل هذا الجهد الكبير ، ان قدمت الشركة فلما من الدرجة الاولى نال جائزة احسن فلم لذاك العام في مهرجان السينما في (كان) .

★ ★ ★

ولا نحب أن نترك الحديث عن « النمر الارقط » دون ان نشير الى ظاهرة ادبية اخرى جديرة بالابراز فقد ظهر في العام الذى ظهر فيه هذا الكتاب ، كتاب آخر للأديب الامريكى الشهير آلن تيت بعنوان « الاباء » (٣) . وبين هذا الكتاب وكتاب لمبدوزا شبه كبير :

فكلاهما قصتان عن الارستقراطية العائلية ، واندحارها امام التطور في المجتمع .

وكلاهما قصتان عن اندحار الجنوب امام الشمال ، ولكن الجنوب هنا هو الجنوب الامريكى.

وكلاهما تقع احداثهما عام ١٨٦٠ .

وكلاهما موضوعهما واحد في جوهرهما : ذلك هو الموت ... موت حياة ، ونشوء حياة جديدة على انقاضها .

ولكن على روعة قصة الن تيت ، تبقى قصة « النمر الارقط » اكثر غنى ، وأرحب أفقا ، واخصب حياة .

★ ★ ★

وكما اشرنا من قبل ، فقد عثر ايضا على ثلاث قطع صغيرة ، كان قد خلفها لمبدوزا وراءه ، وهذه نشرت بالايطالية عام ١٩٦١ في ميلانو ، ونقلها الى الانجليزية نقلا فريدا المترجم ارشيبالد كولكوهون Golquhoun ، مترجم « النمر الارقط » . وهذه القطع الثلاث هي : مرابع طفولتى، والبروفسور وحورية البحر، والقطيطات العمياء . وقد اختلف النقاد في ايها هي الافضل :

(3) Allan Tate , The Fathers .

وفى رأى فورستر ان « البروفسور وحورية البحر » هى خيرها جميعا . ونحن نستطيع ان ندرك لماذا كانت هذه بالذات اقربها الى قلب فورستر : فهو قد كتب فى مطلع حياته الأدبية قصة من هــذا النوع .

وفى رأينا ان « مرابع طفولتى » هى أحسن ما فى المجموعة : فهى تلقى أضواء جديدة على حيــاة مؤلف « النمر الارقط » . ويذكر لمبدوزا ان مــا اثاره لكتابة هذه الذكريات هو انه كان فى منتصف شهر يونيه (حزيران) من عام ١٩٥٥ يقرأ كتاب « هنرى برولار » Henri Brulard لستندال ، وكان لم يقرأه منذ ثلاثين سنة ، وهو كتاب حاول فيه ستندال ان يكتب ذكريات عن طفولته ، ولكن لا بسرد ما يذكر منها ، بل بمحاولة الوصول الى جوهر الاحساس ، وتسجيله .

ويصف لمبدوزا بعد هذا الأثر البالغ الذى تركه هذا الكتاب فى نفسه ، مما دفعه الى ان يحــذو حذوه . والواقع ان لمبدوزا كان مهيئاً نفسيا لما ندب نفسه له : اذ كان يحس بادبار العمر وحلول الشيخوخة ، وفى نفســه ذكريات جميلة عن ماض اندثر ولكنها هى بقيت حية فى نفسه . ولعل مما زاد فى حنينه الى الماضى تهدّم قصر عائلتــه الضخم بفعل قنابل الامريكان عنــد نزولهم فى الجزيرة فى عام ١٩٤٣ . ونحن اذا قرأنا ما خطه يراعه عن مرابع طفولته ، أحسسنا احساســا عميقا بانه قد استطاع فعلا ان يصل الى جوهر الاحساس .

و « البروفسور وحورية البحر » : قصــة خيالية لطيفة تثبت لنا ان لمبدوزا قادر على ان يتناول موضوعا خارج نطاق عائلته ، فيجلى فيه أيضا . وخلاصة هذه القصة أن صحفيا يلتقى فى مقهى بتورين ببروفسور شهير فى الدراســات الاغريقية ، وتقوم بينهما صداقة ، وليلة سفر البروفسور على ظهر الباخرة يقص على الصحفى قصته وكيف ان حورية البحر ظهرت له ، فأحبها ونعم بها زمنا ، ثم اختفت من حيــاته . ويعترف البروفســور انه مهما حاول ان يصف جمالها فانه عاجز عن ذلك ، لأن جمالها يفوق كل وصف . وفى اليوم التالى يسافر البروفسور على ظهر الباخرة ، ولكن الحنين الى حوريته يستبد به ، فيلقى بنفسه فى اليم للحاق بها .

و « القطيطات العمياء » : هى الفصل الاول من قصة طويلة تقع احداثها فى عام ١٩٠٠ ، ويبــدو انها تتمة لقصة « النمر الارقط » ، لان هــذا الفصل يتحدث عن موقف العائلات الصقلية النبيلة من الطبقة الفتية الجديدة التى ظهرت مع النظام الجديد ، وهى طبقة يمثلها فى « النمر الارقـط » كلوجيرو . والواقع انه يصعب علينا ان نحكم على قصة من فصل منها ، ولكنا عند قراءة هذا الفصل نلمس فيه ما فى رائعة لمبدوزا من خصائص . وما نرجوه هو أن يُعثَر بين اوراق لمبدوزا على مزيد منها ومن غيرها ، ممــا يمكن أن يكون مخبوءا فى مكان ما .

★ ★ ★

ولكى تكتمل قصة حياة هذا الاميــر الأديب فصولا ، فتكون مثيرة عجيبة ، يكتب له القدر أن يموت بالسرطان فى عام ١٩٥٧ ، وهو رهين حجــرة فى فندق فى روما ، كما مات جده الاكبر بطل « النمر الأرقط » ، من قبل ، فى غرفة فى فندق أيضا فى فلورنسا ، وهو ما وصــفه فى أروع فصل فى قصته .

مات الامير لمبدوزا ، ولما تنته شفتاه من التلفظ بآخر كلمات وجهها الى طبيبه وهو يحدثه عن الادب والفن ، وكان مــا وقف لسانه عنــده قوله : « أن للفن غايتين خالدتين لا يعتريهما تغيّر أبداً هما : أن يتأمل فى الموت ، ويخلق من هذا حياة . »

وقد كان لمبدوزا هكذا حقا ، فاستحق بهذا ان يأخذ مكانه بين الادباء الشــوامخ الاعلام . ■■

محمود السمرة

مكتبة العربى على صفحة ١٥٢

أنت تسأل ونحن نجيب



يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

خطاب مؤلم صريح إلى الآباء

من فتاة حياتها مليئة بالعذاب والقلق والحيرة

■ منذ أن بلغت سن الرابعة عشرة الى الآن ، وقد بلغت سن السابعة عشرة ، وأنا اعانى من القلق والعذاب والحيرة والتعاسة الوانا والوانا ، مما جعلنى اكره نفسى ، واكره الحياة ومن فيها .

سيدى اننى احب الموت .. اجل احبه من كل قلبى وقد قرات فى العدد ٦٩ من مجلتنا المفضلة العربى « مشكلة ابنة الرابعة عشرة تتطلب صبرا وفهما وترفقا وحزما » .. ولكن عقيدة والدى عكس ذلك ، فان البنت عندما تبلغ الرابعة عشرة تتطلب تمرسا فى الضرب ، والقسوة فى المعاملة ، مع الشتم والسب فى كل وقت ، حتى تنشأ فتاة مؤدبة .

وانا دائما أقرأ عليه بعض المواضيع القائمة على تربية الأطفال ، والاعتناء بهم فى فترة المراهقة ، وما يجب على الآباء والامهات أن يفعلوه . فيقول لى : هذا كذب وافتراء فلا توجد فتاة تسمى ، أو تلقب بالمراهقة !

واذا صففت شعرى .. أو استمعت الى الراديو .. أو تحدثت .. أو ضحكت .. أو اعتنيت بهندامى .. أو مشيت فى الشارع مرفوعة الراس .. ينزل علي بالضرب كالمجانين ، ولا يرفع يده عنى الا والدم والجروح فى جسمى ، ويقول : ان البنت اذا اتبعت هذه الاشياء تنشأ ساقطة ، غير مؤدبة ، ومن العار على الفتاة أن تمشى على هذه الطرق القبيحة .

بطاطا .. أم بطاطس ؟

■ البطاطا والبطاطس أى الكلمتين أصح ..؟ ومن هى أكثر الشعوب استهلاكا لهذا النوع من ... لا أعرف كيف اسميه .. هل هو خضراوات أو فصيلة أخرى ؟

الكويت ــ جاسم . و

ــ البطاطا هى الكلمة الصحيحة وان كان البعض يطلق كلمة بطاطا على النوع الحلو السكرى ، وكلمة بطاطس على النوع العادى غير السكرى الذى هو من فصيلة الباذنجان ..

اما أكثر الشعوب استهلاكا للبطاطا فهذه مسألة نسبية وفى تبدل مستمر ، ففى أوربا الآن ماكانت

وإذا تحدثت مع الآخرين أسكتني لانني لا اعرف كيفية الحديث.. فتراني أسكت وانطوى على نفسي في مرارة وعذاب .. والذي يعذبني هو عقلي فانني لا اعرف له مقرا فهو مشتت تائه شائع .

ان لي خمس اخوات انا اكبرهن ودائما وابدا افكر : ماذا سيكون مصيرهن مع هذا الوالد الظالم الجبار الحاقد .. ان قلبه خال من الحب والعطف قاس لا يسمع نصيحة انسان، ولا نصيحة عالم من العلماء ، لانه لا يعتقد فيما يقولون ويكتبون ...

انني طالبة في آخر المرحلة المتوسطة .. ولا يشغل بالي الآن سوى الهرب بعد أن ابلغ سن العشرين .. ومعي اخواتي لاننا لا نستطيع أن نكمل أيام عمرنا عنده .

لقد قال لي بانه سيظل يلاحقنا ، ويحكم علينا ، ويأمرنا حتى بعد أن نتزوج ..

ولهذا تراني دائما في عذاب دائم اليم .. أنا أعرف انه لا فائدة ترجى ، بالنسبة لي ، من كتابتي اليكم .. وانما ارجو أن تعود الفائدة على الآباء العاقلين والامهات العاقلات .

واحب أن اعطيكم فكرة من احساسي نحو والدي :

أنا أخاف والدي وارهبه .. لكني لا أطيعه أو أحترمه !!

فتاة حياتها عذاب وقلق وحيرة .

العربي : **لا تعليق لنا على هذه الرسالة المؤثرة ... ونحن ننشرها لعلي ضمائر الآباء الذين هم على شاكلة هذا الأب تستيقظ ، فيدركوا ما تقاسيه على أيديهم هذه البراعم التي يذبلونها ويميتونها قبل أن تتفتح !**

حديثة تبيع لك شرائح من البطاطا المقلية بالزيت يتسلى الناس باكلها وهم سائرون في الطريق ..

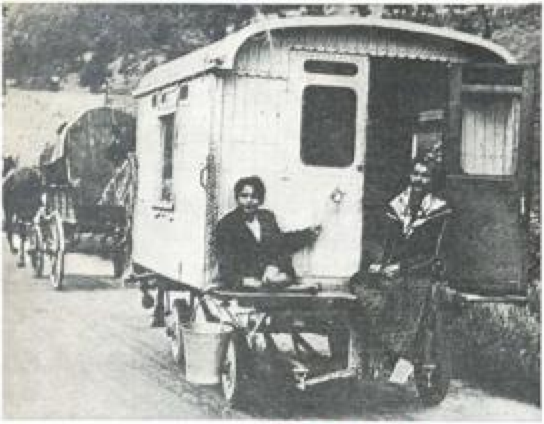
لكن المعروف أن الشعب الايرلندى هو اكثر الشعوب حبا للبطاطا ، وقد قدروا متوسط ما ياكله الشخص الواحد في هذا البلد باكثر من رطل في اليوم !!

١١٥ مليون تلفاز في العالم

■ كم عدد أجهزة التلفاز في العالم ؟

دمنهور ــ احمد صبرة

ــ يتزايد عدد الاجهزة يوميا بارقام خيالية ، حتى انه اصبح من الصعب اعطاء احصائية دقيقة عن الرقم الذي تطلبه ، وان كانوا يقدرونه بنحو ١١٥ مليون جهاز منتشرة في ٧٠ دولة من دول العالم .



قصة الفجر

■ نقرأ عن طائفة الفجر في الكتب ، ولكننا لم نهتد الى أصل تلك الطائفة التي ينتشر ابناؤها في مختلف أنحاء العالم، وفي بعض البلدان العربية، ويقولون ان هناك عادات وتقاليد مشتركة تجمع بينهم بالرغم من تفرقهم وتباعدهم .. فمن يكونون ؟ .. وما اصلهم ؟ .. ولماذا سموا بالفجر ؟ ..

البصرة ــ ابو هيثم الحمداني

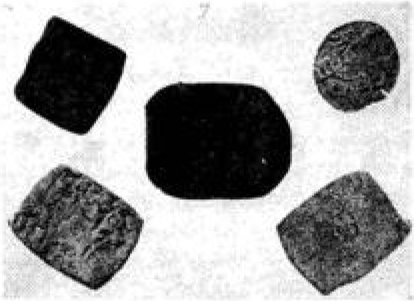
ــ الفجر لفظ عامي يطلق على جماعة من الناس يقال ان اصلهم من شعوب الهند المتأخرة اضطروا لترك بلادهم لاسباب مجهولة ، واستوطنوا ايران في القرن الاول قبل الميلاد حتى جاء الغزو المغولي الذي يبدو انه كان السبب في هجرتهم نحو الغرب الى ارمينيا وسوريا وفلسطين ومصر ، ثم جاء

الاحتلال التركى فدفعهم نحو اوربا حيث تفرقوا هناك ، وكان هذا فى عام ١٥٠٠ .

وعدد الغجر غير معروف ، لكن الاحصـــائية التقريبية عنهم ترجع الى ما قبل الحرب العالمية الأولى ، حيث قدروا عددهم كالآتى : ٢٨٥٠٠ فى تشيكوسلوفاكيا ٢٤٠٠٠ فى النمسا ـ ١٨٠٠٠ فى بولندا ، ونحو ٢٠٠٠ فى بريطانيا .

وفى مطلع هذا القرن هاجر عدد كبير منهم الى امريكا حيث استوطنوا البلاد وانصهروا فى بوتقة الشعب الامريكى ، ويتراوح عدد هؤلاء بين ٥٠ و ١٠٠ الف غجرى .

والاسم الذى يطلق على هذه الجماعة يختلف باختلاف كل بلد فنحن نسميهم غجرا لكنهم يعرفون كذلك باســم النور ، والقرباط ، وجنكان ، والفجار ..حتى فى أوربا يطلقون عليهم بالانجليزية كلمة Gypsies وبالاسبانية Gitano والفرنسية Bohe'mien او Gitan وهكذا يختلف اسمهم من بلد الى بلد ، تبعا لاختلاف اللغة واللكنة ..



أول نقود فى العالم

■ من هى أول دولة أوجدت النقود وتعاملت بها ؟ وفى أى عصر كان ذلك ؟

عبـاس هادى النجـار
الهندية ـ العراق

ـ يقال ان أول قطعة نقود فى العالم تم صنعها بمدينة ليديا فى آسيا الصغرى فى نهـاية القرن الثامن قبل الميـلاد ، وكانت خليطا من الذهب والفضة ، وقد أدخل الأغريق هذه النقود الى روما ثم دول البحر الأبيض ، ومنها عبرت الحدود الى ايران والهند...وفى الصين هذبوا العملة ونظموها فانتشرت منها الى العالم الغربى واليابان وكوريا..

الاجماع .. أحـد

☐ نعلم ان مصادر تشريع القوانين السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى الاسلام لا تكون الا من أحد المصادر الأربعة التالية : القرآن والحديث والقياس والاجماع . أما بالنسبة للاجماع فماذا يعنى . هل هو اجماع الصحابة أم اجماع علماء المسلمين فى أى عصر وأى مكان ؟ واذا كان كذلك فهل هناك حكم أجمع عليه العلماء بعد الصحابة ولم يوجد فى قرآن او سنة او قياس .

القدس ـ نعيم محمد

ـ بعد الكتاب والسنة يعتبر الاجماع عند جمهور الفقهاء المصدر الثالث للشريعة الاسلامية .

وهو يعنى اتفاق المجتهدين المسلمين فى أى عصر من الاعصر على حكم شرعى وقد استدل له بادلة من الكتاب والسنة والعقل .

فمن الكتاب قوله تعالى:« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا» فالاجماع هو ســبيل المؤمنين الذى يجب اتباعه . وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامــر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول » أى أن اجماعكم عند عدم التنازع مقبول. وكذا الآيات « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » و « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» و «كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس »

الاصـــول الاربعـــة لشريعتنا الغـــراء

و « يا أيهـا الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مـع الصادقين » .

ومن السنة:«أمتى لا تجتمع على الخطأ او على الضلالة » و « يد الله مع الجماعة » كذلك قول ابن مسعود المأثور « ما رآه المسلمون حسنا فهو حسن ، وما رآه المسلمون قبيحا فهو عنـد الله قبيح » .

أما العقل : فهو ينفى عادة أن يخطىء جميع المجتهدين اذا اتفقوا على امر من الامور ، دون أن يتنبه اليه واحد منهم »

وكما ذكرنا سابقا فالاجماع عند جمهور الفقهاء هو أن يتفق جميع المجتهدين المسلمين فى اى عصر من العصور . فلذلك لا يكفى عندهم اجماع أهل المدينة وحدهم خلافا للامام مالك. كذلك لا يشترط فى رأى الجمهور ان يكون الاجماع اجماع صحابة النبى (ص) خلافا للامام احمد وداود الظاهرى . كذلك على رأى جمهور الفقهاء لا ينعقد الاجماع باتفاق الخلفاء الراشدين الاربعةالا اذا لم يخالفهم احد خلافا للامام احمد فى احدى روايتيه ولابى حازم الحنفى .

والاجمـــاع امـــا أن يكون بابـــداء الرأى صراحة وهذا لا خلاف فيه . واما أن يكونسكوتيا بأن يفتى أحد المجتهدين فى احدى المسائل ويعرف بفتواه الباقون من أهل الاجتهاد ولم ينكروهـــا عليه . وهذا الاجماع السكوتى جعله اكثر اصحاب ابى حنيفة حجة ولكن الشـــافعى انكره ، غير ان الامدى اختار رأيا وسطا . وهو ان السكوتى ظنى والاحتجاج به ظاهر لا قطعى .

هذا الذى ذكرناه هو مجمل آراء أهل السنة . اما أهل الشيعة فانهم لا يقبلون الا اجمـــاع أهل البيت او اذا اشترك مع المجتهدين سيدهم الامام المعصوم ، فالاجماع عندهـــم هو الاتفاق المشتمل على قول المعصوم عليه السلام ، لا مجرد اتفاق العلماء على شىء .

وهناك احكام كثيرة صدر الحكم فيها بالاجماع. منها مثلا منع عمر رضى الله عنه المؤلفة قلوبهم من نصيبهم الذى كان الرســول الكريم وأبو بكـر الصديق يعطيانه لهم وموافقة جميع الصحـــابة فى عهده على ذلك .

ومنها اجماع الفقهاء بعد عهد الصحابة فى حالة ما اذا تزوجت امرأة وهى ترضع وليدها من رجل آخر ثم رضع منها طفل قبل أن تلد من الثانى،ان التحريم يعود للزوج الأول لأنه الأصل فى اللبن الذى بها الآن .

وقد أفاد الاجماع فى كثير من المسائل التى لم يوجد لها نص من كتاب أو سنة أو وجد لها نص ولكن معناه غير ظاهر أو غير صريح .

العدد الاول من العربى

■ لفت نظرى أثناء مطالعتى لمجلتنا الحبيبة ، ان الأخت سميرة عكاوى قد بحثت عن العدد الاول من العربى ، وقيل لها بدينار. فأعلمكم ان بامكانى ارسال العدد الاول الفائض عن حاجتى اليها ، ولجهلى بعنوان الاخت المذكورة أرجو أن تتفضل هى أو انتم بارسال عنوانها لأتمكن من ارساله بلا مقابل ، لان تبادل الثقافة الحقة المتمثلة بمجلة « العربى » لا تقدر بثمن .. وشكرا .

يوسف ناصر العلى

الجمهورية العراقية/البصرة ـ شط العرب

شارع البريد

ـ شكرا يا أخ يوسف .. ونحن ننشر خطابك لتطلع عليه الآنسة سميرة عكاوى .



هذه هى قبرص

■ كثر الحديث عن قبرص بمناسبة الاضطرابات الأخيرة فيها ، وأود أن أطرح عليكم عدة أسئلة راجيا الاجابة عليها :

١) كم تبلغ مساحة قبرص ؟

٢) كم تبعد قبرص عن البلاد المجاورة لها ؟

٣) كم يبلغ عدد سكانها من يونانيين وأتراك ؟

٤) وراء ماذا يسعى كل منهما ؟

٥) اذا استطاع أحد ايجاد حل لمشكلة قبرص، فهل يبعث به الى هيئة الامم المتحدة ؟ أم لرئاسة الوزراء فى بلدنا ؟

ج . ك — الحسكة : سوريا

بهاء الدين سوز — حمص : سوريا

ـ تقع جزيرة قبرص فى أقصى الطرف الشرقى من البحر الابيض المتوسط . ومساحتها ٣٥٧٢ ميلا مربعا ، أى انها ثالث جزيرة كبيرة فى هذا البحر .

وتبعد قبرص مسافة ٦٠٠ ميل تقريبا عن جنوب اليونان ، و ٤٠ ميلا عن تركيا ، و ٦٠ ميلا عن سوريا ، و ٢٤٠ ميلا عن ج.ع.م.

اما عدد السكان ، فآخر احصاء لهم كان عام ١٩٦٠ وقد بلغوا ٥٧٧٫٦٣٩ نسمة ، أى بكثافة قدرها ١٦٠ شخصا فى الميل المربع الواحد . وكان تقسيمهم على الشكل التالى :

٤٤٩٫٠٤٣ يونانيا ـ ١٠٤٫١٨٣ تركيا ـ ٢٫٦٢٨ أرمنيا ـ ٢٫٧٠٨ لبنانيا ـ ٢٣٫١١٢ جنسيات اخرى .

اما سبب الصراع فيرجع الى عوامل كثيرة : تاريخية وسياسية واجتماعية .. فالاقلية التركية تتهم الاغلبية اليونانية بمحاولة السيطرة على الجزيرة .. والاغلبية اليونانية تدعى انها موجودة فى الجزيرة قبل وجود الأتراك ، وأن عددها الكبير يعطيها الحق بادارة الجزيرة، والاحتفاظ بالوظائف الهامة لليونانيين ..

واستمرار الصراع الحالى يخلق يوميا اسبابا جديدة تضاف الى الاسباب القديمة ..

اما اذا كان عندك يا أخ : ج . ك الحل لمشاكل قبرص فيمكنك أن تسرع بارسال نسخ منه الى جميع الاطراف المعنية !

ردود خاصة

■ الى حزين الحب فالح :الحميضة ـ بغداد.

ـ مشكلتك تكمن في الفراغ الهائل الذي تعيش فيه ، حاول أن تجد لنفسك تسلية أو هواية تأخذ بعض وقتك ..

ان الظروف كلهـــا ، المحيطة بك ، تقف عقبة كأداء تحول بينك وبين حبك الجميل ولا تنس أن هذا أول حب لك وانت ما زلت طالبا في الثانوى. ابعد فكرة الانتحار من ذهنك لانها تدل على جبن وعدم مقدرة على مواجهة واقع الحياة ..

وانت اذا كنت تحبها فعلا ، فان سعادتها في ان تتزوج ابن عمها لانك كما قلت ما زلت طالبا ، لا يستطيع ان يعول .. حتى نفسه !!

■ الى المعذبة س-ع-ع. الكويت .

ـ تاثرت بخطابك وتالمت لما وصل اليه امرك ، ومن المؤسف انك وقعت بين براثن ذئب ،وانانية اخ جاهل.كذلك تصرفك مع هذا الشخص من أول الأمـــر كان تصرفـا خاطئا مما جعله يطمع فيك ويعتبرك فريسة سهلة.فانت‌قد تركت له‌الحبل‌على‌الغارب، ولم تنتبهي لخطورة موقفك الا عندمـــا أوشكت ان تفقدى أعز ما تملكين . فهنا ، وهنا فقط ثارت‌في نفسك‌بقية من كرامة.. والآن جاء لينال منك بالزواج ما حرمته منه في ظل الشيطان .

وليس أمامك الا حلان : اما ان تتزوجيه وتحاولى كسب وده وتطويعه ليكون زوجا مخلصا وهذا يتوقف على‌حسن تصرفك‌معه.

واما أن تخبرى أخـاك بكل ما حـــدث وتطلبى منه حمايتك من هـــذا الشخص وبوسعه ،ان طرد من عمله ،ان يجد عملا آخر وفي أى مكان ، ففى الدنيا متسع لكل انسان حر شريف . وكسرة خبز على طهارة وشرف ، خير من متع الدنيـا على دنس ورذيلة .



تضحك الدنيا معك ابك تبك وحدك

خطأ ..

● لا تحدثني عن عدالة القضاء فان احدا لم يجرب خطأ القضاة قدر ما جربته انا » .
ـ وماذا كان الحكم فى قضيتك ؟ .
ـ البراءة !

قديمة .. لكنها لطيفة !

● جلس اثنان من مدمني الخمر يتحدثان :
الاول : انني مستعد لأن اعطيك مليون دينار اذا استطعت ان تتسلق شعاع ضوء مصباح اليد .
الثاني : انني افهم حيلك والاعيبك اذ ستقوم باطفاء المصباح حينما اصل الى نصف الطريق !!

المجانين فى نعيم !

● مجنونان كانا يركبان دراجتيهما . وفجأة وقف احدهما وقفز عن دراجته وافرغ هواء العجلة الخلفية . فلما سأله الثانى عن السبب قال :
ـ ان المقعد مرتفع جدا .
فما كان من المجنون الثانى الا ان حل « صمولة » المقعد وجعله فى اتجاه عكسى وبعدها شد الصمولة . ولما اراد الأول ان يعرف منه ماذا يفعل قال :
ـ انني عائد من حيث اتيت ، لانني لا اريد ان اتنزه مع شخص مجنون مثلك .

« وراه .. وراه » !!

● اضطرت الزوجة الشابة الى ان تذهب لزيارة والدتها المريضة لعدة أيام، وتركت عدة رسائل فى البيت ليجدها زوجها ... واحدة قرب وعاء القهوة تذكره بحبها ، وواحدة قرب التلفاز تذكره بأيام الخطبة . وبينما كان يرتدى احد قمصانه البيضاء المنشاة ، سقطت من جيب القميص ورقة ، فالتقطها وقرا ما فيها فاذا هو :
ـ الى اين انت ذاهب حتى تلبس القميص الابيض ؟

الرد خالص

● التقت كاتبة شهيرة بممثلة شهيرة ـ ايضا ـ فى احدى الحفلات . فقالت الممثلة تحاول ان تنال من الكاتبة : « لقد قرات كتابك الأخير .. انه رائع . ترى من الذى كتبه لك ؟ »
فقالت الكاتبة : « **لكم يسرني تقريظك كتابى ، ولكن .. من الذى قراه لك ؟** »

معقول

● **القاضي :** اصحيح ان صديقك معتاد على التحدث مع نفسه حينما يكون وحيدا ؟!
الشاهد : الحقيقة يا سيدي انني لم اكن معه ابدا حينما كان وحيدا !

حضارات سادت .. ثم بادت

بقية المنشور على صفحة ٢

ويبدو ان الحضارات القديمة كانت احنى على الأحياء من حضارتنا الحديثة .. فقد كشفت الحفائر الأثرية فى قصر الملك « مينو » Minos ، بمدينة كانديا Candia بجزيرة كريت ، عن حضارة مزدهرة ، كانت من معالمها لوحات محفورة فى الحجر وعلى البرونز ، تمثل لونا من الوان النشاط الرياضى الذى كان محببا اليهم وهو « منازلة الثيران » .. وترى فى (ص ٢) .

و «منازلة الثيران» تختلف فى كثير عن «مصارعة الثيران » المعروفة فى أيامنا هذه ، والتى اشتهرت بها اسبانيا .. فهى لم تكن تنطوى على عنف وحشى ينتهى باراقة الدماء ـ دماء الثور ودماء المصارع ـ وانما كانت رياضة تعتمد على خفة الحركة ، ومرونة العضلات ، هدفها الاول محاورة الثور بتحديه ومراوغته ، ثم الافلات منه بسلام . وبهذا كانت « منازلة الثيران » رياضة «اكروباتية» راقية .

والأغرب من هذا ان بنات الاسر الكريمة ـ فى « كريت » القديمة ـ كن يمارسن هذه الرياضة ، وكن فى الغالب يمارسنها عن هواية وليس عن احتراف .

ومن الطبيعى ان « منازلة الثيران » كانت تفضى احيانا الى احداث خطرة ، كما يرى واضحا فى الرسم المنشور فى (ص ٢) والذى يصور اندفاع الثور واصطدامه بالمصارعة التى كانت تهم بأن تقفز فوقه .

وكانت المنازلات تجرى فى ساحات بيوت منشأة خصيصا لايواء النظارة ، أو فى ساحة قصر الحاكم كما هو الحال فى المناسبة التى يمثلها الرسم . وكان يحف بالحلبة حراس حبشيون تحت امرة ضباط كريتيين . وترى فى شرفة القصر سيدات يتفرجن ، وفى الطرف الايسر للرسم المقصورة الرئيسية التى كان يتوسطها عمود ضخم يمثل السلطة الحاكمة .

وكانت اسطح أجنحة القصر توشى باطار من الزخارف على هيئة قرون الثيران ، تساندها دعائم تقيها من تأثير الهزات الارضية . كما ظهر فى الطرف الايسر للشرفة فاس ذات حدين ، كانت من معالم الحضارة الكريتية . ■■

[illegible] في الليل

قصة بقلم : ارنالدو فرانيلي

عاد في موعد العشاء الى الفندق الذى ينزل فيه . لقد أتعبته الجولة التى قام بها في أرجاء مدينة الاقصر وآثارها ، وامتلأت نفسه حزنا للخواطر التى راودته عن الموت .

وعندما دخل قاعة الطعام ، وهمّ بان يحذو حذو بقية النزلاء ، غمره فجأة شعور بعبث تصرفاته .

ذكرته قاعة الطعام هذه ، وهى المتلألئة بالأضواء ، بالضريح الذى شاهده في (طيبة) ذلك اليوم . أضواؤها كانت هى نفس الأضواء الكهربائية الشديدة السطوع التى رآها تتوهج مع الصمت الثقيل في ذلك الموضع الغائر في قلب الجبل ، وتنير تلك الصور المرسومة على الجدران لمناظر الولائم التى تبدو فيها الشخوص الصامتة وأمامها أكوام الاطعمة : وجبات من الطعام ، حولها الأشباح غير طاعمة ، تتبدى له ماثلة عبر العصور الغابرة . شعر حينذاك كأنه انسان ميت في عالم الأموات . ومع هذا كان عليه أن يغصب نفسه على السير عبر القاعة الى طاولة طعامه المعتادة .

لم تجدِه رحلته الى مصر نفعا .

ما أشد غباءه اذ حسب أن بوسعه التقاط خيوط الحياة مرة أخرى بمجرد زيارة يقوم بها لمعابد وأضرحة عتيقة ، في بلاد لا يبدو فيها تعاقب الأجيال في أكثر من غبار يتراكم على مر القرون .

انه سيعود الى ايطاليا دون ابطاء ، وليكن ذلك غدا .

وتقدم نحوه النادل بابتسامة بعثت في نفسه شعورا بالارتياح والدفء . لقد رغب في الوحدة ، ولكنه سرعان ما أدرك انه لا يستطيع احتمالها . وقال النادل : لقد جاءنا اليوم سيدتان ايطاليتان مثلك . ثم أضاف بلهجة من يفضى بسر شخصى : وقد حجزت لهما الطاولة المجاورة لك . ورفع لورنزو بصره نحو الجهة المقصودة ولكن أحدا لم يكن هناك .

ــ انهما لم تنزلا بعد . السيدة والآنسة مانوسى من فلورنسا . هل تعرفهما ؟ ان حجرتهما تجاور حجرتك .

ــ انني انوى مغادرة الاقصر غدا ، وليست لى شهية للطعام .

كان لورنزو عازفا عن الطعام عزوفه عن اى شيء آخر . كان يحس فؤاده صار مغلقا لا متسع فيه لأحد منذ وفاة زوجته : زوجته التى علمته كيف يكون الحب ، المرأة الوحيدة التى أحبها حبا خالصا طيلة حياته . لقد منحها كل شيء ، ومنحته



بدورها كل شيء . وها قد ذهب كل ذلك بذهابها. كان ما يزال يحيا فى الذكريات التى بقيت له منها، يتعذب لشعوره بانه لم يبق لديه هدف يواصل الحياة لاجله . واذا حدث أن انصرف اهتمامه الى ما يراه حوله ، فان (لينا) كانت تجيء على غير انتظار وتقف امام عينيه . فيحس بنوع من تأنيب الضمير فى زاوية مظلمة من حنايا ضميره . لقد اسدل ستارا بينه وبين العالم ، كانه ستار ما بين الحياة والموت ، ومن خلاله اخذ يراقب الناس فى دنياهم ، وهم يستمتعون بحياتهم تارة، ويتعذبون بها تارة ، ويبغضون تارة ، ويحبون اخرى . ويفعل ذلك احيانا بسخرية وازدراء .

ولقد كان الحنق يملأ فؤاده أحيانا عندما يرى شخصا يحيا حياة خصبة حافلة ، كذلك الرسام الفرنسى المتصيد الذى بدا يخط شعره المشيب. ترى ماذا يدفعه للتحدث بصوت عال مع تلك الفتاة الأمريكية ؟ انهما لا يطاقان .

وكان على وشك مغادرة مقعده من مائدته ،عندما مر أمامه ظلان خفيفان ، فادرك أن المائدة المجاورة له لم تعد خالية . وبعد لحظات اختلس نظرة متحفظة نحو القادمين .

بدا له من النظرة أنهما سيدتان ، نسختان متطابقتان لأصل واحد ، ولكن أحدهما صبية ناضرة ، بينما تجاوزت الأخرى مرحلة الشباب .

من الواضح انهما أم وابنتها ، لان تشابههما كان بيّنا رغم الفارق الكبير فى السن . وربما لم تكن الأم قد جاوزت الخمسين من عمرها ، ولكن كتفيها كانتا منحنيتين، وظهرت التجاعيد الخفيفة تحت عينيها . اما الابنة فقد كانت تتميز ببهاء سنها الخامسة والعشرين ، وكان من المحتمل أن تبدو جميلة حسناء فى عينى لورنزو ، لولا انه تخيلها فجأة فى الحالة التى ستصير اليها عندما تبلغ عمر المرأة الجالسة الى جانبها . لقد رأى بعينى خياله كيف يمكن لخمس وعشرين سنة اخرى أن تبدّل من لون ذلك الشعر الفاحم السواد ، وأن تحنى هاتين الكتفين الرائعتين ، وتعبث بتلك البشرة الناعمة وبامتلاء خديها المشرقين .

ورغم هذا كله ، فان تلك النظرة المختلسة بعثت فى نفسه اهتماما دفينا بها . وربما لانها كانت تشبه لينا . ولقد اخذ الشبه يتضح له شيئا فشيئا حتى اخذ يسبب له ما يكاد يشبه الالم .

ورمقته الفتاة بنظراتها عندما احست انه يراقبها. كانت نظراتها باردة لا تعبر عن الحياة المتدفقة التى عشقها فى عينى الأخرى،عينى زوجته الراحلة. انها فتاة عادية ، واحدة من كثيرات . وداخله الغيظ على نفسه بسبب اهتمامه بها . ونهض بسرعة ثم غادر القاعة الى الطابق العلوى . وكان يعلم انه لن يستطيع النوم ، فهو يقضى لياليه ضحية الأرق . لهذا ذهب توا الى الشرفة المطلة على النيل وجلس فيها يستنشق نسائم المساء العليلة .

كان الطقس دافئا فى يناير (كانون الثانى) كما كان فى روما اثناء شهر مايو (أيار) ، وقد تضوعت من حديقة الفندق الروائح العطرية ، وارتفع القمر فى السماء فغمر باضوائه النهر ، والسهل المعشوشب واشجار النخيل ، كما كشف عن الجبل العارى الذى تتخلله أضرحة لا حد لها، وبدا القمر كأنه كان يسبح فى السماء . وخفتت الاصوات المنبعثة من قاعة الفندق ، فساد سكون لم يلبث أن قطعه باب الغرفة المجاورة عندما فتح واغلق . وارتفع صرير الارض الخشبية تحت وقع قدمين ، ثم عاد الصمت الشامل .لابد أن الوقت كان متأخرا . وعاد لورنزو الى حجرة نومه والقى بنفسه على فراشه .

فى تلك اللحظة بدأت جارته تتحرك مرة أخرى. لقد سارت عبر الحجرة وفتحت درجا ، ثم فتحت صنبور الماء ، واجابت بصوت عال على سؤال ما من الحجرة الأخرى : كلا . لن أستطيع أن أنام. يا لها من ليلة رائعة . ثم ندت منها ضحكة قصيرة مرحة .

وارتعش لورنزو . احس بالدم يجرى فى عروقه وبقلبه ، ويترنح فى حلقه كأنما يريد أن يخنقه . لكأن ذلك صوت زوجته « لينا » يأتيه الآن خافتا، كما كان يصل اليه قبلا أثناء حديثها معه بالهاتف كل صباح ، اذ يسألها : أهذه أنت ! وتجيبه لينا بعد لحظة : اجل . وتصل اليه على حين غرة تلك الضحكة القصيرة المرحة كهذه التى سمعها الآن . منذ موت زوجته اخذ يرتعش كلما دق جرس الهاتف فى مكتبه . وهو ما يزال على هذه الحال رغم مرور عام كامل . ولكن صوت « لينا » لم يعد يصل اليه بين أصوات الناس الكثيرين الذين يتحدثون اليه .

وها هو الآن يرتعش مترقبا وقد تعلقت حياته كلها على ذلك الصوت . كان يرتفع وينخفض كما يفعل الموسيقار وهو يبحث عن نغم معين . ولم يستطع أن يعرف نوع الاغنية ، لان جارته كانت تتنقل فى أرجاء الحجرة . كانت تغنى بصوت خافت لكى لا تزعج نزلاء الفندق . ثم بدا كأن الصوت نسى الليل فارتفع قليلا ومضى على سجيته. واستطاع أن يميز اللحن وكذلك الكلمات . كانت أغنية « نسيم الجبل الاخضر » التى تقول : « دعنى أمت ! أى عزاء لى فى حظى التعس ، فى الامى المبرحة » . كان الصوت ما يزال خافتا ويكاد لا يخترق الجدار.ومع ذلك فقد كان مشبعا بأسى عميق بدت فيه الأغنية نشيجا باكيا يبعث رجفة الألم فى سكون الليل .

وردد الصوت غناءه « دعنى أمت » ، بينما طغى عليه صوت رشاش الماء . لا بد أن جارته كانت تستحم .. ثم بدأت تغنى مرة أخرى ،أغنية مرحة هذه المرة .

وقفز لورنزو من فراشه . ووقف هناك غارقا فى ظلمة مشاعره ، وعيناه متعلقتان بخيط الضوء المنبعث من ثقب مفتاح الباب الذى يصل بين الحجرتين . أليست هى « لينا » زوجته بعينها ، هذه الفتاة التى تقيم على بعد خطوتين؟ أن الصوت هو صوتها ، وعادة الغناء للترويح عن النفس هى عادتها ، والنزعات المتقلبة الحبيبة هى ما عرّف منها . ومرت دقيقة حافلة بأعمق معانى اليأس . ثم تلتها سعادة الشعور بالحياة وأحلام هائمة فى كيانه مثلما كان يحس وهو يعيش معها وينعم بكل

قصور الهواء . وأحس بموجة من الحنان تغمر ما فيها من حياة وأنوثة .

وفجأة ، ذكره صوت رشاش الماء ، بحياتهما الودودة التى لم يجرؤطوال عام كامل على استعادة ذكرياتها . وأحس كأن لسانا من اللهب يلســع ظهره . انها « لينا » لا سواها . يجب أن يراها، يجب أن يراها مرة أخرى.وتقدم وَجِلا من الباب ووضع عينه على ثقب المفتاح .. شاهد التماعا خفيفا يضيء جانبا من الحجرة ، وحقيبة مفتوحة فوق كرسى ، ومشجبا عليه بعض الثيــاب النسائية . كان حوض الغسيل قرب الباب بعيدا عن مدى بصره . لم يستطع أن يرى الفتاة رغم سماعه صوتها . وعلى حين غرة خفق في الضوء ظلٌ ارجوانى ، جانبٌ من جسد ، ربما يكـون ذراعها . وفجأة انطفأ الضوء . جسد مثل جسد «لينا» . وعذبه الشوق الى « لينا » ، فالقى بنفسه مرة أخرى على الفراش وعض الوسادة بأسنانه وهو يشد عليها بأصابع يديه . كان عذابا لُحمته الرغبة المحرقة،وسداه الحنان الجارف. ولكنه على الأقل ما يزال حيا . لقد عاد الىالحياة مرة أخرى ، وأخذ ينتحب بينما كان خيـاله يسبح في عوالم لا حد لها .. وطلع الصباح وهو ما يزال يشد على الوسادة بيديه .

وعندما نزل ليتناول طعام الافطار ، وسأل عن السيدتين الفلورنسيتين ، قيل له انهما ذهبتا في جولة ، ومن المحتمل أن لا تعودا قبل وقت الغداء. وفجأة بدا له النهار عقيما فارغا .. وقضى كثيرا من وقته قلقا يتجول هنا وهناك . وحاول بعـد الغداء أن ينام كي يهدئ من قلق الانتظار . وقبل أن تغيب الشمس غادر غرفته .

وبينما هو يعبر الحديقة شاهد الفتاة تجلس أمام الرسام الفرنسى الشاب ذى الشعر الأحمر وهو يرسم صورتها بقلم الرصاص . أما الأم فقد كانت تجلس غير بعيد تطالع كتابا . وشعر بكراهية حقيقية لهذا الفرنسى الذى كان يستعمل رسومه الرديئة فخًا لاصطياد أجمل الفتيات من نزلاء الفندق . لقد رأى ثلاثة منهن يقعن في الفخ خلال الأيام الثلاثة الماضية : وستكون هذه الرابعـة . أما الآن ، وقد مر كابوس الليلة السابقة ، فقد أدرك أنها لم تكن لينا . كانت لينا مختلفة اختلافا بينا . ولكن التشابه في الصوت ، اجتذبه الى هذه الفتاة بصورة لم يكن يحسب أنه يستطيع بلوغها مرة أخرى . وها هو ما يزال يحس في قلبه وأعصابه بتلك الرعشة المفعمة بالحنـان التى بعثتها جارة الفندق فيه .

وجلس غير بعيد . وحاول ، دون جدوى ، أن يلفتها اليه . لم تلق عليه الفتاة سوى نظـرة واحدة ، حتى تلك النظرة بدا أنها جاءت بمحض الصدفة لما تحمل من دلالة على عدم المبالاة وأصغى الى حديثها مع الرسام ، فالفى أنه لا يعدو نطاق الثرثرة العادية لفتاة عصرية . وخيل اليه أن صوتها لا يشبه الصوت الذى سمعه ليلة الأمس. وضحكت مرة فعرف أن ضحكتها تختلف عما كان يتوقع .. وانتظر يعذبه قلق الترقب حتى ينتهى الرسام من عمله . وبينما هو ينتظر ، جاء شابان امركيان ليصطحبا الفتاة وأمها. واستطاع لورنزو أن يستخلص من سير الحديث أن الشابين يدعوان الآنسة والسيدة لتناول طعام العشاء في فندق آخر حيث ستقام بعد ذلك حفلة راقصة .

وقال النادل : أرى أنك لم تـسـافر اليوم يا سيدى .

ورد عليه لورنزو بجفاء :ربما أسافر غـدا ، ولكننى لم أحزم أمرى بعد . اننى أنتظر رسالة.

وقضى وقتا طويلا وهو يذرع شوارع الاقصر المظلمة الخالية من المارة.وشعر بالوحدة والضياع كأنما أُلقِيَ به في أقصى أطراف المعمورة .يجب أن يسمع صوتها مرة أخرى ، انه لا يستطيع أن يأوى الى فراشه قبل أن يسمع ذلك الصـوت ومضى ينتظر عودة الفتاة في حديقة الفندق حتى موهن من الليل . وبعد لأيٍ صعد الى غـرفته وانبطح على فراشه وعيناه معلقتان في الظلمــة باتجاه الباب الموصل بين الغرفتين . لم يكنهناك شعاع نور يطل من ثقب المفتاح . واضطربتأفكاره وتعبت عيناه من جراء الترقب المضنى . ومرت به تصورات غريبة كأنها الأحلام ، ومع ذلك كان يعرف أنه ما يزال مستيقظا .. وعلى حين غرة سمع لغطا ، وحديثا بأصوات مرتفعة ، وحركة في الممر ، وأفاق فزعا ثم قفز من فراشه وخـرج الى الشرفة وعيناه ما يزال عليهما النعاس .كانت لم يكن شائنا . وأصغى لورنزو مبهور الأنفاس . الشمس قد ارتفعت الى كبد السماء . لا بد أن الساعة قد بلغت التاسعة صباحا .

ومرة أخرى سمع صوت « لينا » في الحجرة المجاورة وهو يرتفع في أغنية عذبة . بدا الصوت نقيا نقاء عجيبا وأكثر حلاوة وغنى من أى وقت مضى . لم يستطع التقاط الكلمات ، كما أن اللحن

لقد عرف الآن ان الفتاة كانت هنالك ، وسينتظر ببابها حتى يتحدث معها ، ولكن من المحتمل ان تفتح النافذة الواجهة للشمس .

ولم يخب ظنه ، اذ فتحت النافذة وانطلــق الصوت من القيود . وظهرت ذراع لم تعد تحتفظ برشاقة اذرع الصبايا، كما بدا راس يغطي الوجه منه شعر كث طويل وخطه الشيب . كانت المراة تغني وهي تمشط شعرها. ولا بد ان شعورا داخليا انباها ان شخصا يراقبها ، لانها استدارت بحدة في مواجهته . واعتراها الخجل فصمتت هنيهـة ثم ابتسمت ، وندت عنها ضحكة قصيرة كتلـك التي سمعها الليلة الفائتة .

ووقف لورنزو حائرا مرتبكا . وفي لحظة الصمت تلك بدا كان شيئا ثقيلا يسقط ضاغطا على حواسه. لقد انتهى كل شيء .. وحاول ان يبدو على سجيته فقال :

ـ أأنت يا سنيورا التي كنت تغنين تلــك الليلة ؟ . لقد حسبت أن ابنتك هي التي كانت تغنى .

ـ أزعجتك ؟

ـ في الحقيقة ، لا . ان لك صوتا رائعا .

ثم اضاف بعد لحظة : لقد جعلتني أعاني قليلا، بسبب غناء من الذكريات. ولكن تكوّن لدي انطباع أنك لا بد قد عانيت من الذكريات أيضا .. أعني تلك الاغنية « نسيم الليل الاخضر » .

ـ ذكريات بعيدة جدا يا عزيزي السنيور . لقد كبرت الآن . انني اغني بحكم العادة .

وكانت قد فرغت من تمشيط شعرها ، وخطت الى الخلف كي تعود الى حجرتها. ولكن، لكي لاتبدو راغبة في قطع الحديث بصورة غير لائقة ، سالته: قائلة :

هل انت ايطالي ؟

ـ أجل من روما .

ـ هل ستبقى طويلا في الاقصر ؟

ـ كلا ، ساسافر اليوم بقطار الظهر .

ـ معذرة ومع السلامة فان ابنتي تستعجلني للخروج .

واغلقت النافذة . ■■

ترجمة : سليمان موسى

مِنَ الكتب التي وَصَلتنا

الجديد فى مرض السكر

الدكتور جمال غوردون . القاهرة .

● « الدليل العربى الاول الذى يتناول اسباب مرض السكر ، وعلاجه ، ومضاعفاته وغذاء المريض به ، وطرق الوقاية منه . »

لهيب وطيب

سلامة عبيد . المطبعة الهاشمية .

● ديوان شعر من قصائده : ليتنى انسى ، العلم العربى ، لست ادرى ، ٦ أيار ..

الدم ومعركة المصير

عبد الحميد التحافى . الموصل .

● مجموعة اقاصيص منها : الدم ومعركة المصير ، مدينتى تودع الرجال ، مات مع الفجر ...

ممارسة الثقب وتشغيل السطوح

كولفن وستانلى . ترجمة الدكتور صلاح الدين محمد المهدى . مؤسسة فرنكلين ومكتبة النهضة المصرية .

● « يضيف هذا الكتاب الى المكتبة العربية مرجعا جديدا فى فرع فريد من الخبرات تتطلبه نهضتنا الصناعية الحديثة ، وتنوع الانتاج ودقته التى تعتبر عاملا رئيسيا فى الحكم على كفاءة الانتاج واصالته . »

فكرة المسرح

فرجسون . ترجمة جلال العشرى . مؤسسة فرنكلين ودار النهضة العربية .

● « كتابنا هذا ينظر الى الدراما نظرة جديدة يرتد بها الى جذورها الاولى في الشعائر والاساطير، ثم يعود فيصعد بهـا الى العصر الحاضر مـارا بالدراما في العصر القديم وعصر النهضة والعصر الحديث . »

مسرح عربي قديم

عادل أبو شنب . وزارة الثقافة والارشـاد القومى . دمشق .

● « كان لخيال الظل أثر كبير في حياة شعوب الشرق الاسلامى . انه أثر اداة تعبيرية شفهية هيأها للشعب كتـاب ومغنون نشأوا في بيئات الشعب ، وعاشوا تجاربه واحاسيسه . فعكسوها بأمانة واخلاص في شكل آثار فنية ، فوجد فيهـا مجالا للتنفيس عن كربه ، ووسيلة للتخفيف من آلام الكدح والشقاء في سبيل العيش . »

في الثقافة والأدب

عبد الكريم غلاب . مطبعة الاطلس . الـدار البيضـاء .

● من فصـول الكتاب : مستقبل الثقافة في المغرب ، الاستعمار الفكرى ، ملامح الادب العربى الحديث في المغرب ، دور الادب في الكفاح الوطنى، الالتزام في الادب الجزائري ، الدولة والادب ..

الهاوية

صلاح كامل . دار الطليعة . بيروت .

● مسرحية في ثلاثة فصول .

التائه

جبران خليل جبران . ترجمـة يعقوب فرام منصور . مكتبة النهضة ببغداد .

● مجموعة مقالات قصيرة منها : الجسـد والروح ، السلم والحـرب ، الراقصة ، المحبة والبغضاء ، الضفادع ..

بريد القــراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

بعض العبارات لم يكن نشرها سليما مما يورثهـا الضعف والوهن ، ....

عمان ــ الاردن : محمد عبد الله خلاد

المعروف ان هذه الابيات التى شككت فى أنها لكثير عزة ، انمـــا هى فى الحقيقة لكثير عزة ، وان كانت كتب أخـرى تنسبها لعبـاس بن مرداس . ونحن نحيلك على كتـــاب واحـد ، هو مـــن أمهـات الكتب ، لتقطع الشـك باليقين . انظـر مثلا : زهـر الآداب للحصرى ، الجزء الثانى ، صفحة ٦١ ، تحقيق الدكتور زكى مبارك ، ونشر المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، وستجد قصة هذه الابيات كاملة .

كما انك يا أخ محمد ، ستجد نص القصيدة فى الكتاب كما نشرناه نحن ، دون تحريف . امـا حكاية « الضعف والوهن » فهذه تمَسُّك عنها ، ولعلك لو عدت الى قراءتها ثانية لاستبان لك مـا كان خافيا عليك .

والاختلاف فى رواية القصائد العربية القديمـة أمر طبيعى ، لاعتمادها على الرواية الشفهية .

اين ولد ابى الحسن الشاذلى؟

■ **قرات فى العدد ٦٧ من « العربى » مقـالا تحت عنوان : حياة ابى الحسن الشاذلى بقـلم الدكتور جمال الدين الشيال ، الذى كتب عن هذا العالم المغربى وعن نسبه فقال :** ان ابا الحسن الشاذلى ولد فى قرية غمارة قرب سبتة ، وينتمى

الى قبيلة عمران . وانا لا اؤيد هــذا القول لأن نسب القطب الشهير ابى الحســن الشــاذلى ومسقط رأسه ، هو ما ذكره العلامة الشريف السيد محمد بن الصادق بن ريسون ، وكان وزيرا لملك المغرب الاقصى سيدى محمــد بن عبد الله العلوى ، ومما قاله ما نصه :

« السيد أبو الحسن الشاذلى ، سيدى علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن يوسف بن الحسين ابن ادريس بن عمــر بن ادريس بن ادريس بن عبد الله . تلميذ قطب الاقطاب مولانا عبد السلام ابن مشيش . »

ثم قال : « وقد ولد رحمه الله بقبيلة الاخماس السفلى ببنى ذرويل . » وقال : « ومما افيدكم به ، واتعجب منه ، أن نسب سيدنا ابى الحسن الشاذلى الذى ذكره ابن عطاءالله من نظم البصيرى غير صحيح . ومما يدلك أن البصيري لم يحقق المسألة قوله : الشاذلى مولدا ، ومعلوم قطعا انه لم يولد بشاذلة . »

ادامكم الله فى خدمة الوطن العربى والسلام

الزباخ ادريس العياشي
المعهد الدينى تطوان ـ المغرب الاقصى

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....

....

العنوان : ....

....

....

الى من يهمه الامر

غابة من الصنوبر نادرة بارتفاع اشجارها وتناسق جذوعها ، مساحتها ١٢ الف متر مربع على أكمة مواجهة للبحر تعلو عن سطحه ٤٠٠ متر وكأنها برج يشرف من الاعالى على مدينة بيروت المنبسطة بين السفح وشاطىء البحر ، تبعد عن مدينــة بيروت ١٤ كلم ، فى وسطها فيلا جميلة فيها الماء والكهرباء والتلفون وبيوت الطيور وملعب التنس والمسبح البديع ، نسقتها يد فنان موهوب فجعلت منها قطعة من النعيم بحدائقها وزهورها النادرة وأشجارها المثمرة التى تبهج القلب وتفتن اللب ، سماؤها مغطاة بقبب الصنوبر العالية الدائمة الخضــار وفيها برك تجرى من تحتها الماء ونوافير تبعث المطــر الاصطناعى فى أجواء الازاهر الجميلة .

فمن كان له رغبة بشراء هذه الجنــة الصغيرة فليكتب الى صندوق البريد : ١٥٦٣ ـ بيروت لبنان ، للحصول على المزيد من التفاصيل .

قبطان طائرة نفاثة . من نيويورك إلى لندن - ٣٫٥٠٠ ميل - في ٦½ ساعة. طائرة تحمل مائة وأربعين راكبًا واثني عشر ملاحًا ، وثمنها خمسة ملايين دولار . عمل خطير يقوم به رجل ناجح . إنه يدخن السيجارة ذات النجاح العالمي - ثلاث خمسات فلتر كنج .



555

ثلاث خمسات

فلتر كنج سايز

ستيت اكسبريس - أحسن سيجارة في العالم



فن التجميل

عندما تختارين مستحضرات اليزابيث آردن للتجميل ، فانك بذلك تحصلين على ما هو أكثر من زيادة جمالك . فانت أيضا تكتسبين العناية الفائقة بجلدك .

أختاري «اليزابيث آردن» لجمالك اليوم، وعلى الدوام.

ڤيلڤا مويستشر فلم — ڤيلد ريديانس

انفزيل ڤيل باودر — روج — لبستك

Velva Moisture Film · Veiled Radiance · Invisible Veil Powder Rouge · Lipsticks

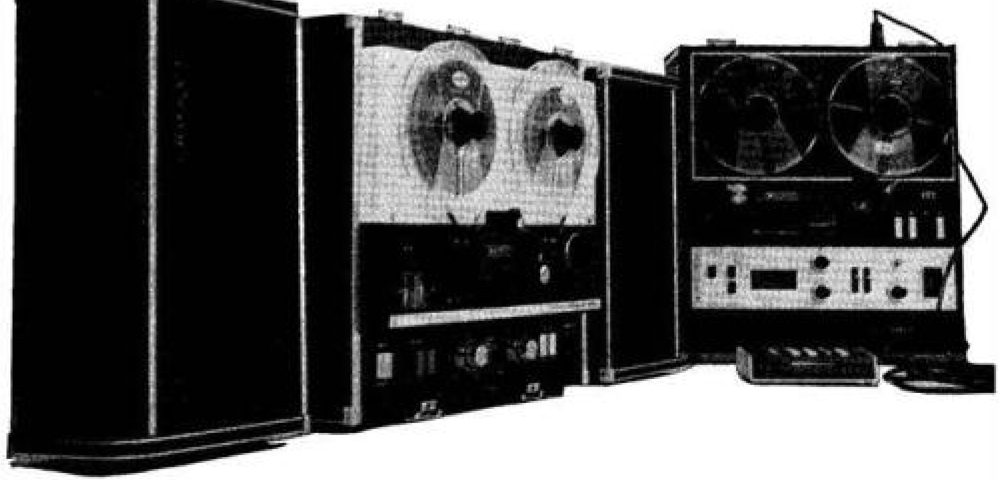


Elizabeth Arden

اليزابيث آردن

NEW YORK · LONDON · PARIS

باريس لندن نيويورك



للأشخاص الذين يشدّدون على جودة ونقاوة الأصوات

هذه مجموعة من مسجّلات " سوني " للأشخاص الذين يشدّدوا على جودة ونقاوة الأصوات . وكل منها مزوّدة بأزرار متعدّدة لإدارة عالم جديد مدهش من الأصوات الحيّة ، بالاضافة الى ٤ سكك للتسجيل ولإعادة الشريط ، في المسجّل TC – 500 A ستريو تيب ريكوردر " . سرعتان مختلفتان . اغطية قابلة للرفع تتحوّل الى مكبرات مزدوجة . اداء عالي الجودة بسهولة عمل لا مثيل لها . اما طراز TC – 777 A الترانزستور فهو صغير الحجم ، ومع ذلك فالصوت الذي يعطيه يرتفع الى مثال الجودة والنقاوة . وفيه ازرار الكترونية لاختيارا افضل تعبير : بثلاث محركات ، وثلاثة رؤوس ، وقدرات مختارة وسرعتان للتسجيل ، وتسهيلات خارجية للإدارة عن بعد

سوني

ان الفرق ينتج عن الأبحاث

SONY®



TC-600 ، المسجل الستريو ٤ - سكك : نقاوة في الاصوات تضاهي افضل ما يمكن الحصول عليه في الاستريوهات ... ويعطي تجهيزات الفاحص هي الرؤوس الثلاثة ، ومكبرات الاصوات الترانزستور بكاملها ، والميكروفونات " سوني ف - ٨٧ " الديناميكية ، وسهولة التسجيل الفارقة .



TC-200 ، المسجل الستريو ٤ سكك ، يضاهي افضل المسجلات بادائه الفائق ، ومع انه ... مكبرات الاصوات ... ان جهاز " TC-500 " صالح للاستعمال ... على التسجيل وكذلك ... للالغاء على العرض .


المفاجأة
السارة !
WEST END
WATCHES
وست اند
الوكيل العام بالشرق الأوسط
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة تلفون ٣٣٧٧٠ - ٣٢٢٤٩ - ص.ب ٣٣٤ - الكويت



صداع ، أوجاع وآلام ،
حمى ، رشح وانفلونزا ؟
'أسبرو' يعيد لك الصحة ...
لأن
'أسبرو'
يجلب لك
كل راحة
إذا أصبت بألم فلا يكفي أن تخففه
قليلاً ، بل إنك تحتاج الى الراحة
التامة التي يحققها لك 'أسبرو'.
تذكر أن 'أسبرو' هو الدواء الذي
يستعمله أكبر عدد من الناس في
العالم كله ، أكثر من أي دواء آخر
لإزالة الألم وتخفيض الحمى . اجعل
'أسبرو' في متناول يدك على الدوام
١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصر أجل الرشح
K/5/AA
'أسبرو' يجلب لك كل راحة !


DOXA
AUTOMATIC

BRITAIN'S LEADING EXPORT CIGARETTE



تزيد صادرات بريطانيا من
سجاير روثمان كنج سايز
على صادراتها من أي نوع
آخر من السجاير.
أينما تذهب تجد روثمان:
في ١٢٠ قطرًا في خمس قارات
على ظهر البواخر في البحار السبع
في أكثر من ٩٠ خطًا جويًا رئيسيًا.
شارك الملايين في الاستمتاع بتدخين
روثمان كنج سايز
الأولى في بريطانيا - الأولى في العالم.

WORLD'S LARGEST SELLING KING SIZE VIRGINIA



إقبال متزايد على فتح حسابات الودائع بفائدة ٥٪

ان نقودك تحظى باقصى معدل للفائدة مامون ومضمون – وهو ٥٪ – حين تودعها فى « حساب الودائع » ببنك « لومبارد » . فلن تخصم منها اية ضريبة على الدخل مقررة فى المملكة المتحدة ، ولن تتاثر نقودك اطلاقا بالاحوال الاقتصادية المتغيرة ، كما ان من السهل سحب اى مبلغ تشاء منها ، وفقا للشروط التى تعينتها .

ولا بد – لكى تربح ٥٪ سنويا – من ان يكون الحد الادنى لما تودعه ١٠٠ جنيه استرليني ، وان يكون الحد الادنى بين الايداع والاخطار بالسحب ستة اشهر .. ويدعم ودائعك فى مؤسسة « لومبارد » المصرفية راس مال مدفوع واحتياطيات تتجاوز ١٢ مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

بادر الى الكتابة الى المدير العام فى طلب مزيد من التفصيلات ، وفى طلب نسخة من كتيب « حساب الايداع » رقم : A. O. 182

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: Lombard House, Curzon Street,
Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)

أفران هاردويك الأمريكية



أجمل ما انتجت
المصانع الأمريكية
من افران الغاز،
أحجام مختلفة
بأسعار معتدلة

مؤسسة الأجهزة الالكترونية

عمارة جوهرة الخليج - شارع عبدالله السالم - الشارع الرئيسي
بالفحيحيل

هاتف ٣٩٣٠١ - ٣٥٩٨٥



تويوتا ٧٠٠

تكفل لك توفير اموالك !

فهي تستهلك غالونا واحدا من البنزين فى كل ٥٥ ميلا سواء فى الداخل أو على الطرق الخارجية .

وقد صممت لتعيش سنوات وسنوات ، فهى الآن ادخار أبدى ، حتى لو استعملتها فى المسالك الوعرة .

وعلاوة على ذلك فان « تويوتا ٧٠٠ » فيها متسع اضافى لأربعة أطفال . ومكان رحب للعفش . وهى خلافا لما يتعرض له غيرها من السيارات الصغيرة ، لا تتأثر مطلقا بالرياح المعاكسة لاتجاهها ، ورزينة فى سيرها السريع.

من اليوم .... استعرض « تويوتا ٧٠٠ » ولا تترك المعرض الا وأنت تقودها . ثم لاحظ توفير أموالك بسببها .

"BUILT TOUGH FOR YOU"

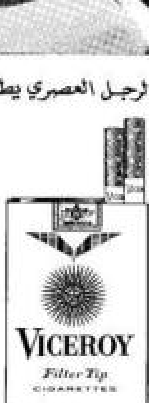
TOYOTA MOTOR, JAPAN



الرجل العصري يطير فجأة في رحلة مهمة من المطار الخاص لمدينة كان

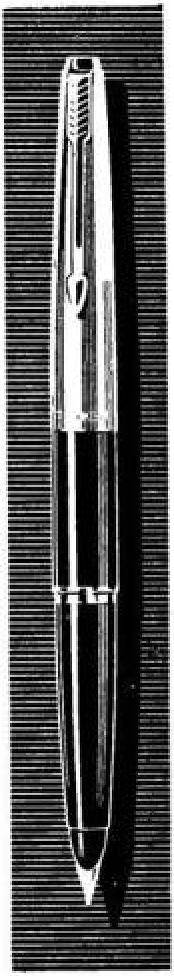
ڤايسروي. سيجارة الرجل العصري!

الرجل العصري يطير في عجلة . سرعان ماسيعرف الجميع بسفره الخاطف على طائرة خاصة . وداع سريع أثناء الاستمتاع بأنفاس من ڤايسروي بالفلتر ☐ من بين الأنواع العديدة التي تفيض بها الأسواق ، يختار الرجل العصري سيكارة ڤايسروي – سيكارة الذوق المدقق!



ڤايسروي-السيكارة الأمريكية العالمية





باركر « ٤٥ » متعدد المزايا

القلم الذى تتوق الى امتلاكه .. تستطيع أن تهديه الآن .. بثمن ترغب فى دفعه .

باركر ٤٥ .. له ريشة ذهبية صلبة عيار ١٤ قيرطا ويمكنك ان تختار واحدة من بين تشكيلة من سبعة أصناف .

ليس هذا فقط مما يمتاز به باركر « ٤٥ » .. فهو يعبأ بالحبر بطريقتين فبالامكان تعبئته من قارورة الحبر العاديـة .. أو بأنبوب حبر احتياطي خاص به .. كما تحب ..

(مفيد للذين يسترسلون فى الكتابة ويزعجهم فراغ أقلامهم من الحبر) .

انه لهدية رائعة .. للاستعمال .. جديرة بالتقدير لسنوات طوال ..

باركر

« ٧٥ عاما .. فى صنع أقلام الباركر .. جعلته فى طليعة الاقلام المطلوبة »

العربي

العدد ٧٢
جماد آخر ١٣٨٤
نوفمبر
(تشرين الثاني) ١٩٦٤



اطلب
مع هذا العدد
العربي الصغير

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

عربيتان من طنجة
تعدان الشاي الأخضر

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	روبية
السعودية	٢	ريال
اليمن	٥ر٢	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج٠ع٠م٠	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	مليم
الجزائر	٢٠٠	مليم
المغرب	٢	درهم



● بيت الماء ، تخطو على أرضه ، وهي من رخام ، أقدام العذارى ، عارية ناعمة ، تستقي من النبع ، ماء صافيا قراحا (انظر صفحة ١٦٠).

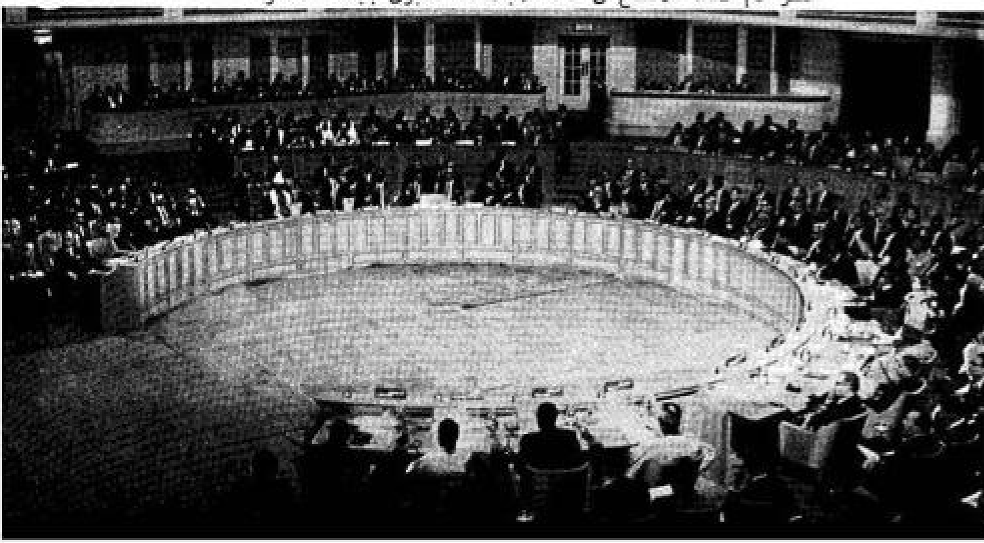


رئيس الدولة المضيفة ، الرئيس جمال عبد الناصر ، يرحب بأمير الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح ، وبوزير مالية الكويت ، الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح ، عند وصولهما مع وفد الكويت الى القاهرة ، لحضور مؤتمر دول عدم الانحياز .

عزيزي القاريء

فى آخر لحظة قبل الطبع ، لم نجد فى أحداث الشهر حدثا نسجله أخطر من حدث اجتماع المؤتمر الدولى لدول عدم الانحياز . الذى اشتركت فيه دول عدة ، من افريقية ، واسيوية ، وامريكية ، واوربية .. ولعلها تمثل الجزء الثالث من العالم الذى أعوزته الذرة واسباب القوة ، وهو الاقل قدرة على ممارسة الشر . ومع هذا فعنده الرأى يصنعه ، والرأى يجمعه . والمؤتمرات كالخمائر ، ينمو حولها الرأى العام ويربو . ومؤتمر عدم الانحياز الاول اجتمعت فيه نحو ٢٧ دولة . والمؤتمر الحالى اجتمعت فيه ٥٧ دولة . والرأى العام العالمي اذا تجمع وانتشر كان أقوى من مدفع ومن ذرة ..

منظر عام لحفلة الافتتاح فى قاعة الاجتماعات الكبرى بجامعة القاهرة



العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام:

عروبة:

استطلاعات صحفية:

ركن الفضاء والذرة:

لغات وآداب:

طب وعلم:

تاريخ وتاريخ اشخاص:

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
ALARABY — No. 72 November 1964 — P.O.B. 748 — KUWAIT
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● خطت الفتاة فى طنجة بالمغرب، خطوات كبيرة نحو التقدم والتزود بمختلف ضروب المعرفة والعلم .... وهذه الصورة تجمع الآنستين ربيعة، وآمنة بن سعيد ، أولاهن حاصلة على شهادة عالية فى التجارة ، والثانية حاصلة على شهادة ثانوية ابن الخطيب ، وتعمل على تعليم بنات طنجة فى ثانوية زينب .. ان هاتين الآنستين تمثلان الجيل الجديد من فتيات طنجة المتطلعات لخدمة وطنهن على الرغم من علو كعبهن فى بلادهن ... (انظر استطلاع طنجة ابتداء من صفحة ٦٨) .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٢ر٥ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سورية ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الأردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢ر٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



اسرائيل فى يوغوسلافيا

● لشدّ ما ادهشني قولٌ ظهر فى العدد ٦٧من « العربى » مفاده أن يوغسلافيا لم تعترف بكيان الدولة المسخ اسرائيل . وهو زعم باطل ،بدليل ما أراه بأم عينى ههنا فى يوغسلافيا، حيث قدِّر لي أن أعيش كطالب علم ... أما ما أراه فهو العلم الاسرائيلي الذى ترفعه السفارة الاسرائيلية فى بلغراد كل يوم سبت ، والصورعن الحياة فى اسرائيل .. علما بأن تلك السفارة قريبة جدا من مبنى السفارة السورية فى هذى الديار !

عبد الرؤوف الشيخ علي الطالب الفلسطيني بيوغوسلافيا

حـول قصـيدة « نجوى الرسول الأعظم »

● نسأل الله عز وجل أن يُعلي من شأن مجلة (العربى) : أرقى المجلات العربية على الاطلاق .. وأن يأخذ سبحانه بيدكم على الدوام الى ما فيه خير أمتنا وفائدتها .

« ثم اننا نرجو أن توجهوا على صفحات مجلتكم القراء شكرنا العميق وامتناننا الكبير لحضرة الشاعر العربى الفذ الاستاذ جورج سلستي ،الذى رفعنا معه فى مناجاة روحية رائعة ، فى قصيدته العصماء : « نجوى الرسول الاعظم » ،المنشورة فى العدد ٦٩ من (العربى) .

المذيع : عبد الرحمن الثلاثيني
الاذاعة العربية السعودية

++++++++++++++++++++++++++++++

يا زمانَ « المجـدِ » بالأندلس !!..

● لقد عوَّدتنا (العربى) أن تنشر فى كل عدد من أعدادها استطلاعا رائعا عن احدى المدن والبلاد العربية . ترى ، ألا تستحق الأندلس منكم .. بل ألا تستصرخكم تلك القرون الثمانية الخالدات، التى ارتفعت خلالها ألوية العروبة والاسلام فوق أرض اسبانيا الجميلة .. أن تنشروا فى مجلتكم ـ مجلة العرب الاولى ـ أكثر من استطلاع مصور عن فردوسنا الضائع ؟

محمد حسن محمود
جامعة غرناطة بأسبانيا

++++++++++++++++++++++++++++++

واذا الموءودة سُئِلت ! ...

● يُطلُّ الانسان على دنيانا هذه .. لا يدرى أين تقوده قدماه .. وماذا سيكون حظه من تصاريف الأقدار ! .. وحين اقبلتُ على هذا العالم ، لم أكن الوحيدة فى بيتنا ، بل كانت معى كذلك أخوات خمس يُطللن مثلى على أفق الشقاء الذى تكتحل بمرآه عيوننا البريئة صباح مساء ، فى دار أبوينا ! ..

كان الشقاء يترعرع معنا وينمو كالطحلب على جدار حياتنا القلقة .. كما كانت المشاكل تزداد وتكبر كلما تقدم بنا العمر وكبرنا . وأخيرا فهمنا الذنب الكبير الذى يعاقبنا الزمن لأجله : ذنبنا أننا ولدنا أناثا ولم نولد ذكورا !!

من الخطأ الظن بأن تأييد يهود أمريكا لاسرائيل قد فتر . .

● مقال الدكتور على احمد على « نيويورك : عاصمة اسرائيل » بالعدد ٧٠ ، يحوى تحليلا مصيبا لأوضاع اليهود فى الولايات المتحدة . وانى اذ أشكركم لنشر هذا المقال الذى من شانه تنوير القارىء العربى عن المصدر الرئيسى لمعونة اسرائيل ودعمها ، أورد التعليق التالى على مقال الدكتور على :

من الخطأ الظن بان تأييد اليهود الأمريكيين لاسرائيل قد فتر فى السنوات الاخيرة . ودليلنا الاول على ذلك هو ازدياد تبرعاتهم السنوى لاسرائيل نتيجة للضغط المتواصل من قبل منظمة جمع التبرعات اليهودية " United Jewish Appeal " .

وتبتكر هذه المنظمة طرقا عديدة لجمع التبرعات دعت آخرها فى الأسبوع الماضى لجمع مبلغ ١٢٧ مليون دولار تنفق على بناء وتجهيز ٧٢ مدرسة ثانوية فى اسرائيل وتدريب المعلمين اللازمين لهذه المدارس .

وهنالك جمعيات صهيونية عديدة تقوم بحملات دورية لجمع التبرعات كجمعية سيدات هداسا التى تعنى ببناء المستشفيات وتدريب الممرضات فى اسرائيل ، وجمعية أصدقاء الجامعة العبرية التى تجمع التبرعات لهذا المعهد .

وبالاضافة لما تقدم يقوم الصهيونيون بجمع تبرعات فردية كلما واتت الفرصة ، كجمع التبرعات لغرس غابة فى اسرائيل عن روح المستر روزفلت أو بناء مركز للشبان فى اسرائيل يحمل اسم الرئيس الراحل جون كندى .

وتقوم المنظمات والمعاهد التعليمية بترتيب رحلات للفتيات والفتيان اليهود بغية الدراسة والاستجمام فى اسرائيل . وتجلب هذه الرحلات المنظمة آلاف الشبان والشابات لاسرائيل كل صيف . ويجدر بالذكر أن بن غوريون كان الداعية الأول لجلب الشبان اليهود لاسرائيل للحفاظ على الرابطة الروحية والثقافية بين يهود اسرائيل ويهود امريكا .

اخلص من هذا للقول بان تأييد يهود امريكا لاسرائيل لم يفتر ، والدكتور على مصيب فى قوله ان المنظمات الصهيونية تفتعل الأزمات وتجسم احداث الشرق الأوسط لتؤمن استمرار جمع التبرعات لاسرائيل ومواصلة الشعور بالقلق على مصيرها .

فاروق مولوى

مدير مكتب الاعلام العربى فى سان فرنسيسكو

.. كان هذا ، ذنبنا الأعظم الذى لا يُغتفر !

.. هـذا الذنب الـذى أجـاز لوالديْنا ان يوقعا بنا مختلف صنوف العذاب والاضطهاد ، وان يعاملانا باشد القسوة والايذاء !.. ودأبا على كراهيتنا وتشديد المراقبة علينا ومنعنا من الخروج والاتصال البرىء بالناس ، ومن زيارة الصديقات لنا فى بيتنا . وفى الوقت الذى كان أبونا يغضب منا لأتفه الأسباب ، كان لا يتورّع – هو ووالدتنا أيضا – عن اغداق خالص الحنان والمحبة على اخواتنا الذكور الثلاثة المستأثرين بكل عطفهما وحبهما . وويل لنا ان ازعجنا مقام هؤلاء الأخوة بكلمة عابرة او تأنيب لا بدّ منه او أى احتكاك يفرضه التعايش الأخوى فى اى منزل ! ..

ولو كانت المصيبة منحصرة فى فقدان حنان الأب وحده ، لهون من قسوتها التجاؤنا الى كنف الأم الرؤوم .. ولكننا فى الواقع قد فقدنا الحنانيْن على السواء .. واذا بأمّنا تحرّض والدنا على تضييق قبضته علينا وضربنا وشتمنا والتنفيس عن حقده وحقدها علينا .

بربك يا سيدى ، لم نعد نحتمل أكثر مما احتملنا .. وخاصة اننا فى دَوْرٍ تأبى علينا كرامتنا فيه الاستمرار فى الرضوخ لكل ذلك الاذلال

(البقية على صفحة ١٥٧)

وَلاءُ المجتمعِ للفَرْدِ .. قَبْلَ وَلاءٍ

بقلم رئيس التحرير

■ فى هذا الصيف الماضى ، بسويسرا ، طلبنا فندقا هادئا بعيدا عن زئاط المدن ، فدلونا على فندق فى جبل ، وكان فندقا منعزلا ، يغطيه الشجر العالي من كل جانب . ويحملنا الى اقرب بلد منه عربات تنحدر على سفح الجبل يجرها كبل ، هابطا أو صاعدا .

وفرغت ايامنا فى الفندق وتهيأنا للرحيل . وكان الرحيل للعودة ، وكانت العودة بالطائرة . والطائرة بيننا وبينها مرحلة فى النزول ، تليها مرحلة ، تليها أخرى . وكان موعد الطائرة باكرا ، وكان لا بد من مغادرة الفندق والدنيا لا تزال ظلاما . والمنبه الكبير الذى تعود ان يوقظنا توقف عمله . وتدبرنا الامر فوجدنا السلامة فى شراء منبه آخر ، واشتريناه كبيرا يملأ الكف . واشترينا ساعة تنبه ، صغيرة ، تحمل على الرسغ . ثم خطر لنا آخر الامر أن نسأل رجال الفندق ايقاظنا فى السادسة تماما . وعلى عادة حياتنا ، وخبرتنا حيث نشأنا فى الشرق ، شككنا بعض الشىء فى الوفاء . فقد جاز عندنا أن يوقظونا فى السابعة أو حتى الثامنة . والعذر دائما : والله انسانا الشيطان . والشيطان المسكين ، يحمل أوزارا كثيرة من أوزار الانسان .

ونمنا . وهالنا فى الصباح أن يدق الثلاثة معا ، المنبه الكبير ، والساعة الصغيرة ، وجرس التلفون فى الحجرة . دقت معا كما لو كانت على ميعاد . وكان أكثر اعجابنا بالتلفون الذى دق فى الدقيقة التى تمت بها الساعةالسادسة .

ونزلنا الى الافطار . وكان قيل لنا انه يبدأ الساعة ٧ تماما . وبلغنا صالة الطعام فى الساعة السابعة الا خمس دقائق . كان كل نزال الفندق نياما . ولم نسمع حركة لحي . ووجدنا الصالة مغلقة ، وجلسنا ننتظر . وفى الساعة ٧ تماما انفتح الباب ، وظهر منه وجه شاب يبتسم لنا ، ودخلنا ووجدنا مائدتنا مهيأة ، ومهيأ فطورنا .

وساءلت نفسي : ما الذى يدفع هؤلاء القوم الى القيام بالواجب ، بهذه

الفرد للمجتمع

بورصة القطن وبورصة البصل وبورصة الديمقراطية !

عنه ف دقيقة !

الدقة ؟ البقشيش ؟ فقلت على الفور لا ، فالبقشيش فى هذا الفندق محرم . والبقشيش فى المطاعم فى هذه الناحية ١٠ فى المائة ، تضعها الفتاة على ورقة الحساب عند الجمع ، ويدفعها الآكل ولا يزيد . الا ان يكون من اهل الشرق ، حيث يظهر مركب النقص ، او مركب الفقر ، فيزيد عند الدفع، على نحو يغطى به فقره ، أو لعله بعض ما ينعم به من مظاهر الغنى ان كان غنيا .

لم اجد حافزا يحفز الى هذه الدقة فى اداء الواجب ، فى هذه البيئات وامثالها ، وقلة الدقة فى ادائه ، فيما الِفتُ والف اخواني من بيئات اخرى ، لم اجد حافزا ـ غير التعلم والتثقف بالطبع ـ الا تصور علاقة الفرد بمجتمعه. تصور علاقته بالغير ، ذلك الغير الذى هو مثله عضو فى مجتمع يضمهما جميعا .

وذكرت ، فى سبيل المقارنة ، ما كنت الاحظه وانا ابتسم ، فيما الفت فى ادارات كنت فى الشرق اعمل فيها ..... يتحفز موظفوها وكتابها وفراشوها ، بانتهاء ساعة العمل ، بل دقيقته ، للوصول الى الابواب أول واصلين ، حتى لتحسب ان هناك سباقا قائما .

وذكرت انها دقة فى الانصراف لا يقابلها دقة فى الحضور .

انا بذلك لا امتدح غربا ولا اذم شرقا .

انما انظر الى ظاهرة هناك ، واقرنها بظاهرة من نوعها هنا .

ولقد صحّتْ دقة اولئك فى اداء واجبهم هناك ، ولقد صحّتْ كذلك قلة الدقة عند هؤلاء فى اداء واجبهم هنا . وصحّتْ كلتاهما عقلا ، وصحّتْ منطقا .

كلاهما سلوك للفرد محتّم ، يحتّمه شكل المجتمع الذى هو قائم فيه .

ان المجتمعات الغربية يستطيع الناقد ان يأخذ عليها ماخذا فماخذا . ليست هي من صنع الله ، فهي منزهة .

ولكن مما لا شك فيه أن ولاء الفرد لمجتمعه هناك هو نتيجة طبيعية لولاء المجتمع للفرد .

وتقول انه الواجب .

وعندى أن الواجب كلمة ابتذلت ابتذالا ، حتى كاد ان يتثلم حدّها . ومن اسباب ذلك ان كثيرا من الناس يريدون أن يربطوا الواجب بالضمير . فانت يجب عليك ان تفعل كذا ، او لا تفعل كذا ، لأن الضمير يرضى هذا ، ولا

يرضى ذاك . والضمير شىء مبهم عند أكثر الناس . انه شىء مضمَر .

ونسى الناس أن معاملات الدنيا انما هي مقايضات ، وان لكل شىء ثمنا . حتى الثواب فى الآخرة انما هو ثمن لصالح الاعمال فى هذه الدنيا .

فكل واجب يقوم به انسان ، انما يقوم به لأن له ثمنا . هذا ما يفهمه السواد . وانا كثيرا ما أود التحدث الى السواد ، بلغة السواد ، لأنهم الشعوب ... ولأن التحدث اليهم أجدى من التحدث الى الفلاسفة . وهم الذين يجرون الحياة، وليس يجريها الفلاسفة.

والفرد يؤدى واجبه بدقة ما كان له مكان فى المجتمع ، وما عطف عليه المجتمع. ولاء بولاء . وليس ينكر احد ان مجتمعات الغرب اكثر ولاء للفرد من مجتمعات الشرق . ولست أقول ان الغرب بلغ الغاية من ذلك ، فهيهات ، وانما أقول انه بلغ فوق ما بلغنا ، وفوقه كثيرا. ولو نحن نظرنا الى تعاليم شرقنا، وما تهدف اليه صراحة واضمارا ، لوجدنا أن الغرب كان اهدى بهذه التعاليم مما نحن بها اهتدينا .

ولكنها تعاليم بقيت عندنا مكتوبة على ظهور ورق ، وفى بطون كتب ، نفتحها فقط ، لنظهرها ، ولنقولها أو نكتبها ، فى موقف للفخر أو التحدى ، ولو غير صادق .

ان المجتمع الشرقى عامة ، حق الفرد فيه مستباح . ولهذا استباح الفرد حق المجتمع ، فكان من ذلك الاغفال ، وكان الاهمال ، وكان العمل الاقل للأجر الاكبر . وكان حتى ضياع الثقة بين الفرد فى المجتمع واخيه ، لضعف اللزاج الذى يربطهما .

اذكر اني قرأت لمؤرخ يؤرخ للهند فيقول: لم يكن الهندى فى عهد الاحتلال البريطانى يحس بأن له دولة . كانت الدولة الهندية ، دولة غريبة عنه ، أجنبية . مجتمع هائل نعم ، ولكن ليس هو منه فى شىء . مجتمع لم يكن له فى صياغته من نصيب . والفرد فى المجتمع : امّا هو عضو حيٌ فيه ، له حظ منه ، فان لم يكن ، عدَّ نفسه ليس له غير حظ العبيد .

ونحن العرب ، نشكو مما نحن فيه . وارى ان أكثر ما نشكو منه يعود الى هذه العلة . عزَّ ولاءُ الفرد للمجتمع لما عزَّ ولاءُ المجتمع للفرد .

بورصة القطن ...
وبورصة البصل ...
وبورصة الديمقراطية .. !

■ البورصة لفظ فرنسى Bourse دخل اللغة العربية ، ومعناه السوق ، تلك التى فيها يجرى البيع والشراء بالمزايدة ، وعلى نماذج يعطيها البائع ، ليرتضيها المشترى .

ومن هنا قلنا بورصة القطن .

وقلنا بورصة القمح .

وقلنا بورصة البصل .

والجديد فى الأمر ، ان تكشّف لى فى هذه الايام وجود نوع جديد من البورصات ، تلك البورصة السياسية الديمقراطية .

وهى سوق كثيرا ما تقوم شهرين أو ثلاثة لتنفضَّ بعد ذلك . وهى كثيرا ما لا تنصب الا كل اربع سنوات أو خمس.

واشتهرت بهذه البورصات أمم الغرب خاصة ، يقيمونها فى فترات الانتخابات. والبضاعة المعروضة بالطبع هى الحكومة الجديدة ، أو رئيس الدولة الجديد .

وفى بورصة لندن، البورصة السياسية الانتخابية الديمقراطية القائمة ساعة



رئيس حزب العمال

له وجه قوى ، لهذا نشروه فى البلاد



رئيس حزب المحافظين

له وجه ضعيف ، فحجبوه عن النشر فى البلاد

اكتب، جاءت الأخبار بأن حزب المحافظين المتقدم الى الناخبين ، يعرض عليهم شراء بضاعة حكمه . قدّم للناس هدية تروّج عندهم هذه البضاعة ، جاء فيها بالحرف :

انه فى حالة تهديد السلام فى الشرق الأوسط ، فان حكومة المحافظين ستقوم بمشاورات مع الأمم المتحدة ، كما انها ستتخذ اى اجراء ترى انه ضرورى لمواجهة الموقف .

وسمع حزب العمال بأمر هذه الهدية، فى هذه السوق ، فسارع يعرض هدية ، فوق البيعة ، تروّج بضاعته ، جاء فيها بالحرف :

انه يجب على الدول الكبرى ان تضمن حدود اسرائيل ، وانه يدعو العرب الى الاعتراف باسرائيل ، وعقد صلح بين العرب واسرائيل ، وانهاء الحصار الاقتصادى حولها . وان المشروعات العربية لاستغلال مياه نهر الاردن انما هى عمل انتقامى من جانب الدول العربية .

هدية أحسن لا شك من سابقتها ، ونسيجها أفصح .

وسمع حزب الأحرار بأمر هذه الهدية الثانية ، فى هذه السوق ، سوق الديمقراطية، فسارع يعرض هديته هو . وجاء فيها ما جاء فى سابقتيها ،وزادت :

انه يجب اقناع الرئيس جمال عبد الناصر بان اسرائيل حقيقة قائمة .

زيادة كان لا بد منها فى سوق المزايدة .

★ ★ ★

وفى انتخابات الرياسة فى الولايات المتحدة ، قامت سوق امريكية مثل هذه السوق الانجليزية تماما .

يقول جونسون فى مناصرة اسرائيل .

فيأتى جولد ووتر ليعرض على المنظمة الصهيونية المجتمعة هناك ، فى الوقت المناسب تماما ، فيزايد ، ويعطى لاسرائيل ما هو اكثر .

★ ★ ★

وفى السوقين ، أو البورصتين الديمقراطيتين، قلنا ان البضاعة المعروضة للشراء انما هى قسيمة الحكم ، التى يقدمها هذا الحزب أو ذاك ، او هذا الرئيس او ذاك . والثمن المطلوب دفعه لهذه البضاعة ، مع هذا الكوبون بالمجان، اصوات اليهود فى الانتخابات .

وهذه الظاهرة ، النزول ببيع الباطل، هكذا اعلانا ، فى اسواق الدعايات ، يلقى على الديمقراطيات الغربية ظلاً من الريبة يجعل كل المتحدثين فيها ، المتشدّقين بها ، يرفعون مناديلهم الى جباههم يمسحون بها ماتحلب عليها من ماء الخجل .

★ ★ ★

قالوا ان الديمقراطية حكم الشعب بالشعب، ولقد تتبعت مجرى الديمقراطية

فى انتخابات بريطانيا تلك الحاضرة ، وفى انتخابات الرياسة فى الولايات المتحدة ، فخرجت من ذلك على ان الفئة الحاكمة، او التى تريد الحكم،فى بريطانيا والولايات رأيها فى الشعب ، الذى هو شعبها ، أسوأ رأى ، وأخس رأى ، وانها تلجأ ، لا الى اقناعه ، ولكن الى استدراجه ،من حيث يدرى أو لا يدرى ، لوضع أوراقه عند الانتخاب فى صناديقهم هم ، لا صناديق خصومهم .

« الحالة المالية حالة عسيرة ، وهى تزداد كل يوم . ونستطيع نحن ، رجال حزب المحافظين ، ان نصنع شيئا يدرأ عن الأمة سوء المستقبل ، فهل نفعل ؟ »

ويقوم المعارض المحافظ من مديرى الانتخابات فيقول :

« كيف نفعل هذا الآن ، ونحن قادمون على انتخابات . لو فعلنا هذا لسقطنا . نحن نقول ان كل شىء بخير . وعندكم الآن يا أهل البلاد خير اكثر مما كان لكم فى أى زمن مضى . بهذا وحده ننجح يا سادتى المحافظين . فاذا مرت الأزمة ، ونجحنا ، صنعنا بالبلاد ومالية البلاد ما نشاء ان نصنع.وغصبنا الأمة غصبا على ربط البطون».

هذا فى حزب المحافظين . وهاك ما فى حزب العمال : ــ

« الحالة المالية عسيرة ، يا رجالى ، رجال حزب العمال . فيجب ان نكشفها حتى نسقط المحافظين . ويجب ان نعِد البلاد ، وان نعِد . نعِد الخير الكثير والوفر الكثير » .

ويعلن حزب العمال قائمته الانتخابية الرخية ، وآماله المرتقبة الخيرية . وما أسرع ما يرد عليه رئيس الوزراء المحافظ فيقول :

« انها قائمة طعام طيب شهى فى مطعم ممتاز ، لا شك فى هذا ، ولكنكم حذفتم من القائمة أثمان الألوان المعروضة ، فلم تقولوا كم تكون الكلفة ،ولا من يدفعها » .

وعندئذ يقوم رجال العمال ، ومنهم وزير ماليتهم ، المنتظر ، فيقول لرجال حزبه فى حجرة من ظلام : ــ

« حاسبوا يا جماعة . انكم ستوقعوننى انا فى ورطة . اذا نجحنا بهذه الوعود ، فسوف يتحقق الناس من أول شهورنا فى الحكم انها كانت وعودا كاذبة . فماذا نصنع ؟ » .

واذن يتفق الحزبان المتعارضان ، حزب المحافظين ، وحزب العمال ، ويتفاهمان، على السكوت عن أمر الجنيه الاسترلينى،وعن الضائقة المالية، لأن هذه امور تستعصى على فهم الشعوب !! ومعنى هذا صراحة أنها عندهم شعوب غبية .

★ ★ ★

ومسألة اخرى تثار عند جماعة المحافظين :

« ان حزب العمال له رئيس قوى الوجه ، عريضه ، قوى النظرات . وفى فمه دائما بيبة يدخنها ، والبيبة محببة دائما الى السواد من اهل البلاد . من أجل هذا عمد حزب العمال للتأثير على الشعب (الساذج !) بوضع صورته فى كل اعلان من اعلانات الانتخابات . فهل نفعل مثلهم ؟ »

ويقوم رجل كبير من المحافظين يعارض:

« بالطبع لا . ان رئيس حزبنا اصابه فى صباه شلل ظل معه سنين ، ونشا ضعيفا نحيفا . والناظر فى وجهه يستوحى منه الكفر لا الايمان . فكيف يمكن ان نضع صورته على اعلاناتنا ليراها الناس » .

ويقرر الجميع اخفاء صورة رئيس حزب المحافظين بالمرة ، لأنها تؤثر فى نفسية الشعب (الساذج !) وتبشر بالاخفاق .

الاخفاق والنجاح فى الحياة الديمقراطية، وفى الانتخابات البرلمانية خاصة ،وسيلتها عندهم ، لا المسألة الخطيرة يكشف فيها عن وجه الباطل او وجه الحق ، وليكن ما يكون ، وانما وسيلتها التدبير والتخطيط فى شؤون هى أحط الأمور .

المسألة عندهم ليست كيف تقنع الشعب .

ولكن المسألة هى كيف نخدع الشعب .

★ ★ ★

ولقد قرات نقاشا ، وأنا هناك ، بين رجلين ممن يدبرون للانتخابات ويخططون . قال أحدهم :

« ان نصف الناخبين من النساء ، فاثر النساء فى الانتخابات لا يقل عن اثر الرجال . ونحن نغرى الرجال بخفض بنس من ثمن كوب البيرة ، او

بنسين من الدخان والسجائر . فبماذا نغرى النساء ؟ » .

واتخذ النقاش مجرى كان مضحكا . كان من الاضحاك ، ومع النشر ، ما ظننت منه أنهم قصدوا به الى الفكاهة .

وما قصدوا .

راحوا يبحثون فيما يغرى المـــــراة ويرضيها . وبحثوا فى أمور الحب ، وفى الزينة ، وفى الوَلَد الحرامِ ورعايته .. وفى ..

★ ★ ★

وفى ساعة هادئة جلســـت الى نفسى اسائلها ، اهذه الديمقراطية ، هى حكم الشعب بالشعب حقا ، أم هى مهزلة يُهرِّج فيها المهرِّجون تهريجا ؟

العضو المرشح ينافسه عضو مرشح آخر ، فيفضَّل من يكون اوسمَ منظـرا واكثر قبولا عند الفتيات .

والعضو المرشح عليـــه أن يدور فى دائرته ، وعليه ان يلتقى بالأمهات ، وأن يقبل اطفالهن دليل الأبوة الناضجة ولو كان اعزب .

والعضو المرشح يعرف أن اهل الدائرة يحبون الكلاب فيؤتى له ، وهو يدور فيها ، بكلاب يشد آذانها مداعبة لها . وهكذا فعل الرئيس جونسون .

والعضو المرشح ، فى الحى الفقير ، حى الفحامين مثلا ، عليه ان يدخـــل بيوتهم الحقيرة ، وهـــو منشرح غاية الانشراح ، ويجلس على المائدة العارية الا من فنجان أو فنجانين من الشاى ، ولقمة بزبدة ، فيشرب ويأكل باسما متهللا ، وكأنما يشرب من عصير الجنة ، ويأكل من طعامها .

وافكر ، وازداد ايمانا باســـتغفال هؤلاء الناس شعوبهم .

وافكر ، وآتى تقريبا الى حافة الكفر ، فاكاد اومن بغفلة الشعوب نفسها .. غفلة السواد منها . وان ما اعطى لها ، من حق « حكم الشعب بالشعب » ، حق أعطى لغير جدير به . والا فكيف صارت الأمم مستعمرة ، وصارت جبارة ظالمة ؟ وهذه الحكومات الظالمة المستعمرة هل ظلمت الا وهى فى عهد الديمقراطية ، وهل هى فعلت ما فعلت الا من بعد انتخابات « حرة » شعبية .

ام ان معنى العدل ساد بين أفراد الأمة المثقفة الواحدة ، بقدر ما تـسمح طبيعة الانسان بسيادة عدل .

واترك غفلة الشعب الواحد فيمـــا يتصل بشئونه ، ويختص بوثيق اموره ، وانظر الى هدف واحد فقط من الأهداف التى يستهدفها الانسان فى سبيل بلوغه بعض ما يقدر عليه من تحقيق وجـوده واستكمال انسانيته ، ذلك العدل . فأجد ان معنى العدل ساد بين افراد الشعب الذى تثقف وتنوَّر بقدر ما تسمح بـه طبيعة الانسان من سيادة عدل . وبقى معنى العدل ضائعا بين الشعب والشعب ، ضياعه فى الغاب . وفى الغاب لا يُحمَى من ظلم غيرُ الظفر والناب .

فليتنبهْ الى ذلك العرب .

وليعلموا أن الظفر انما خلق لينشبَ فى عدو .

وكذا الناب .

ولا يَنشَب الظفر ولا الناب ، الا من بعد تدبير ، ومن بعد حساب .

كاشف لمرض السكر من الدم .. يكشف عنه فى دقيقة

■ واترك مضغ الهواء ، بالحديث فى السياسة ، الى مضغ الخبز ، بالحديث فى العلم . والعلم كله غذاء نافع ، وكله غذاء صالح ، فاذا فسد ، فلأنه دخل فيه عنصر من سياسة .

والحديث الذى اريده هو حـــديث المرض الذى تكشف فجأة فعرف الناس انه اكثر شيوعا فى الناس مما كان يحسب الحاسبون .

ذلك مرض البول السكرى .

والجديد فيه ، خبر خطير فاتنـــا تضمينه باب « اخبـــــار العلم والطب

والاختراع » ، لسبقه فى الطبع ، فلم يظهر فيه .

انه كاشف يكشف عن السكر فى الدم، وعن مقداره ، فى نحو دقيقة واحدة . شكة دبوس ، تأتى بقطرة من دم،توضع على ورقة متشربة مادة كيماوية خاصة، فيتغير لونها بمقدار ما فى قطرة الدم من سكر .

وهو كشف لا يدرك خطورته الا من عانوا هذا المرض. وخطورته تكمن كذلك فيما اظهر الاحصاء الطبى اخيرا، ومسح البلاد بالفحص الواسع فى شتى الأمم ، من ان اعدادا هائلة من الناس يحملون السكر فى دمائهم بدرجة المرض ، وهم لا يدرون. «وكشف السكر الباكر، مرضا يجنب الناس كثيرا من أعقابه السيئة ، تلك التى تتصل بالعمى وبالقلب ومتاعبه» .

قد يقول مريض السكرى : وماذا فى هذا ، بعد ان وقع العلم على عود من الورق ، به مادة صفراء، يغمسها الرجل فى بوله ، ثم يرفعها ، فان اخضرت او ازرقت ، فى نحو دقيقة ، دل هذا على وجود السكر بالبول ، واذن فوجوده بالدم ، بدرجة المرض .

وهذا حق . كاشف السكر فى البول ، هذا المستحدث منذ سنتين فأكثر ، سريع حقا ، ويقوم به المريض بنفسه ، ولكنه يدل فقط على ان السكر الذى فى الدم زاد على النسبة المعروف ان عندها يخرج السكر من الدم الى البول ، اذ تفرزه الكليتان . وهذه النسبة هى فى الغالب نحو ١٨٠ مليجراما فى كل ١٠٠ سنتيمتر مكعب من الدم .

ان السكر موجود فى الدم وسائر انسجة الجسم على الصحة ، ومصدره الأغذية التى يأكلها الانسان بعد هضمها، وهو يغذى الخلايا ، يوزعه عليها الدم . ومقداره الذى لا يبلغ حد المرض يكون نحو ١٠٠ مليجرام فما دونها ، وذلك على الصيام (قبل الافطار) ، مقدرا بطرق المختبرات العادية .

ووجوده فى الدم بنسبة فوق ١٠٠ مليجرام ، والى أن يبلغ ١٨٠ مليجراما، تلك التى عندها يظهر فى البول عادة ، يعتبر مرضا .

ولكن وجود السكر فى الدم ، بمقادير بين ١٠٠ مليجرام و ١٨٠ مليجراما ، لا تكشفه كاشفات السكر المستحدثة فى البول . لأن السكر لا يكون قد خرج بعد الى البول .

لا بد عندئذ من تحليل الدم لمعرفة مقدار السكر فيه. ومعنى هذا المختبر. ومعناه الكيماوى . ومعناه الثقة بالكيماوى . ومعناه الانتظار ، أو انتظار الدور ، والصبر . والنتيجة ان كانت خاطئة وعمل بناء عليها الطبيب ، كانت وبالا .

ومن هنا كانت خطورة هذا الكاشف الجديد . دقيقة واحدة يجلسها الطبيب عند سرير المريض ، تكشف ما عنده . او لعله كشف يقوم به المريض نفسه . وقد نعتوه فى الطب فوصفوه بأنه كشف رائع ، كشف « اقتحام Breakthrough » اى انه اقتحم الحواجز والسدود .

والذى أعلن كشفه الأستاذ بترفيلد W. J. H. Butterfield بمدرسة الطب بمستشفى جاى Guy's الشهير بلندن . واللطيف أن خبره جاءنا من الولايات المتحدة .

ويقول الأستاذ « ان هذا الكشف اجرى على ٥٧٠ متطوعا ، فكشف فيهم عن ٧٠ شخصا ، وقف بهم السكر بين حدود الصحة والمرض ، وهى حالات ما كان فى الامكان كشفها بالطرق الأخرى المعروفة لكشف هذا المرض » .

وسوف تظهر على الايام تفاصيل هذا الكاشف ، ثم يخرج الى الأسواق ، كما خرج كاشف السكر فى البول من قبله .

اننا من العلم كل يوم فى جديد .

حتى السرطان ، وهو اليوم عاص ، لا بد له من يوم قريب مشرق ، يشرق على مرضاه بأمل فى الحياة جديد. ■■

٨ أكتوبر ١٩٦٤

احمد زكى

مسابقة العدد

١٢ سؤالاً

أجب على ٨ منها

تربح جائزة من مجموع جوائز قيمتها ١٠٠ دينار

■ يجد القارئ على هذه الصفحة ١٢ سؤالا ، مع ردود مختلفة لكل منها .. والمطلوب هو معرفة الرد الصحيح على ٨ منها ، وكتابته وحده ، على ورقة ، وارساله الينا قبل يوم ٧ ديسمبر (كانون الاول) القادم ، ومعه الكوبون المنشور على صفحة ١٥٧ من هذا العدد .

١ ــ الدول العربية الاعضاء فى الجامعة العربية ، كم عددها :

١١ ــ ١٢ ــ ١٣ ــ ١٤ دولة

٢ ــ هجرة النبي (ص) وقعت سنة :

٦٢٠ ميلادية ٦٢٢ او ٦٢١ او ٦٢٣

٣ ــ مذبحة دير ياسين كانت فى عام

١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ ــ ١٩٥٠

٤ ــ استيلاء الاتراك على القسطنطينية تم فى عام :

١٤٥٢ ــ ١٤٥٣ ــ ١٤٥٤ ــ ١٤٥٥

٥ ــ خروج كريستوفر كولمبو لاكتشاف امريكا كان فى عام :

١٤٩٢ ــ ١٤٩٣ ــ ١٤٩٤ ــ ١٤٩٥

٦ ــ القنبلة الذرية الاولى فجرت فوق هيروشيما عام :

١٩٤٣ ــ ١٩٤٤ ــ ١٩٤٥ ــ ١٩٤٦

٧ ـ الثورة الروسية الكبرى كانت فى عام :

١٩١٥ ـ ١٩١٦ ـ ١٩١٧ ـ ١٩١٨

٨ ـ الاسكندر الاكبر توفى وعمره :

٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ عاما

٩ ـ ثورة الجزائر التى انتهت بتحريرها ، بدأت فى عام :

١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧

١٠ ـ السودان استقلت بخروج الانجليز منها فى عام :

١٩٥١ ـ ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥

١١ ـ برنارد شو ، توفى عام :

١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣

١٢ ـ مكث العرب فى الاندلس مدة تزيد على :

٤ قرون ـ ٦ قرون ـ ٧ قرون ـ ٨ قرون

شروط المسابقة

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٧ . اكتب عليه اسمك بخط واضح ، وكل اجابة لا ترفق بها القسيمة تستبعد .

٢ ـ يكتب على المظروف عبارة ـ « مسابقة العربى » ـ العدد ٧٢

آخر موعد للاجابة

آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٤ . وترسل الاجابة مباشرة بعنوان مجلة « العربى » : صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربى .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

أما المبلغ المتبقى ، ومقداره ٤٠ دينارا ، فقد قسمناه الى ثمانية جوائز متساوية ، مقدار كل منها خمسة دنانير ، توزع على الفائزين الثمانية التالين .

واذا تعددت الاجابات الصحيحة فان اللجنة ستقوم باجراء القرعة بين الاجابات الصحيحة لاختيار اسماء الفائزين بالجوائز ..

■■

العَرَبُ أُمَّـــةٌ مَوْجُودَة

اليَهُـــودُ أُمَّـــةٌ مَفْقُودَة

القوميَّة العربيَّة في نظر عالِم يهودي

التاريخ يَسْخَرُ مِنَ المجرمين وَمِنَ الأَبْرِياء عَلَى السَّواء

"اسرائيل تريدُ أَنْ تَسْتَرِدَّ رِئَتَيْها، سُوريا ولبنان، لِتَتَنَفَّس"..!؟!

بقلم : ظافر القاسمي

■ بين المنظمات الصهيونية العديدة المختلفة ، الموزعة فى انحاء العالم كله ، منظمة تدعى (اتحاد الطلبة اليهود فى فرنسا) . وقد اطلعت فى المجلة الفرنسية فـرانس اوبسرفاتـور France Observateur على فصـل من مناظرة جرت بين هـذه المنظمـة ، وبين عالم فرنسي يهودى اسمه ماكسيم رودانسون Maxim Rodinson . اما الفصول السابقة من هذه المناظرة ، فلم استطع الوصول اليها ، وانما يتضح من العناوين ان اليهود كانوا قد كلفوا احد علمائهم بأن يتمثل الفكرة العربية ، وان يدافع عنها ، فكتب مقالا فى الجريدة نفسها ، نشر فى ١٩ مارس ، آذار ، ١٩٦٤ ، عنوانه « لو كنت عربيا » وقد ردّ عليه اتحاد الطلبة فى العدد الذى صدر فى ٢ ابريل ، نيسان ، ١٩٦٤ . اما الرد على الرد فهو المقال الذى بين يديّ ، فقد نشر فى العدد الصادر فى ٩ ابريل ، نيسان ، ١٩٦٤ .

وظاهر هذا المقال الأخير انه يغني عما سبقه ، وانه كتب بروح علميّ متجرد .

وقد دفعني استثمار هذا الظاهر الى شراء اعداد من الجريدة ، وزعتها على بعض أصدقائي من العلماء الفرنسيين والأندونسيين والارلنديين والروس ، الذين جرت بيني وبينهم عدة مناقشات حول قضية فلسطين خلال اجتماعات حلقة الجمعية الدولية للعلوم التاريخية التي انعقدت في مدينة تونس بين ٣١ مارس و ٣ أبريل ١٩٦٤ ، ووجدت عندهم كثيرا من الشبهات التي بلغتهم عن طريق الدعايات الصهيونية ، ولم يجدوا أي رد عليها من ثلاث عشرة دولة عربية . ووجدت في هذا المقال لهذا العالم الفرنسي اليهودي بعض ما ينير الكثير من الظلمات التي اشاعها اليهود في عالم العلم على الأقل ، ويدحض الشبهات التي ادخلوها في نفوس كثير من العلماء .

واليك اهم ما جاء في هذا المقال لخطورته :

قومية يهودية


هرتسل

كتب هرتسل (١) مبدع الصهيونية ، في البيان الذي أذاعه عام ١٨٩٦ ، والذي دشن فيه الحركة الصهيونية يقول : لو ان جلالة السلطان (التركي) أعطانا فلسطين ، لكان في استطاعتنا ان ننظم مالية تركية بشكل كامل. اما أوروبة، فاننا سننشىء فيها جزءا من سور يحمي آسية ، وسنكون طليعة حراس المدنية ضد البربرية .

وقد قال له جوزيف تشمبرلن في عام ١٩٠٢ ـ وهو شيخ الاستعمار العملي والنظري ـ : « انني احب الفكرة الصهيونية . واذا كنت تستطيع أن تدلني على بقعة من الممتلكات البريطانية لم يطئها البيض ، كان بامكاننا عندئذ ان نتكلم » . والظاهر ان هرتسل قد قبل (غينيا) لتكون وطنا قوميا لليهود .

تعريف الاستعمار

ان اتحاد الطلبة يحاجني في تعريف الاستعمار. ذلك بان الصهيونية في نظره لم يكن لها وطن ام يبعث بالمبشرين ثم بالعسكريين ليفتحوا الطريق امام مستثمري الأيدي الوطنية العاملة . انني لا امسك بالألفاظ ، لان الاستعمار يمكن ان يعرف بعشرين شكلا مختلفات ، ووضع اسرائيل منها وضع خاص . ذلك بان الاستعمار ليس الا مظهرا لمسعى تسلط شعب على شعب آخر ، ونزع ملكيته . وهذا هو الجدير بالادانة .

ان الصهيونية ، تنتظم ببداهة ما بعدها بداهة، في سلك التوسع الأوروبي باتجاه القارات الاخرى. (أما الهجرة اليهودية الآسيوية الافريقية فقد جاءت فيما بعد .) والعرب لا ينظرون اليها الا هذه النظرة ، وهي نظرة مبدع الصهيونية هرتسل وغيره ، لانهم لا يميزون بين الأوربيين في هذا المضمار .

جيش وحرب ـ لا موافقة ولا اتفاق

قال اتحاد الطلبة : ولكن ليس هناك مبشرون ولا عسكريون ؟

فنقول : ولكنها لم تكن الا حربا ، انها حرب ١٩١٤ ـ ١٨ ، ولم تكن الا جيشا ، انه الجيش البريطاني . هذه الحرب وهذا الجيش فرضا

---

١ ـ ولد (هرتسل) ، مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة ، بمدينة بردابست ، عاصمة هنغاريا ، عام ١٨٦٠ . ودرس القانون في فينا . ثم عمل في الصحافة . وفي عام ١٨٩٧ دعا اليهود الى مؤتمر عقدوه في بازل بسويسرا، وفيه أسسوا المنظمة الصهيونية العالمية. ومات هرتسل عام ١٩٠٤

٢ ـ ولد جوزيف تشمبرلين في لندن عام ١٨٣٦ وبدأ حياته السياسية بمدينة برمنجهام ، وقد بلغ ذروة مجده اثناء حرب البوير عام ١٨١٩ ـ ١٩٠٢ . ومات عام ١٩١٤ . وهو والد نفيل تشمبرلين ، رئيس وزراء انجلترا ، الذي أعلن الحرب على هتلر بعد ان كان خدعه بوثيقة للسلام زائفة .

على فلسطين الانتداب البريطاني . اضف الى ذلك ان مجلس الحلفاء الأعلى المنعقد في سان ريمو يوم ٢٤ نيسان ١٩٢٠ قد اقحم تصريح بلفور في الانتداب (وهو تصريح بريطاني لا عربي !) ثم اقحمه في معاهدة الصلح التي فرضت على تركية .

ان الاستعمار البريطاني ، الذي مهد سبله التجار والمبشرون بالطرق التقليدية العريقة ، هو الذي أسس الوطن القومي اليهودي ، قاعدة حكومة اسرائيل .

اما موقف بريطانيا اللاحق فلا يغير من الوضع شيئا .

قد يكون الاتجاه الاستعماري الصهيوني مفهوما او معذورا في عام ١٩٠٠ ، ولكنه ليس مفهوما ولا معذورا في عام ١٩٢٠ ، وبالاحرى في عام ١٩٣٠ . ان هرتسل لم يذكر ابدا في بيانه أهل فلسطين . ولم يكن أحد يشك في عام ١٩٠٠ أن شيئا ما سيوجد اسمه القومية العربية . لقد كانت القومية العربية موجودة في عام ١٩٢٠ ، وكان من الواجب الحصول على موافقتها فيما اذا أرادت الصهيونية الاقامة بالقوة (كذا في الاصل) في فلسطين . بينما نرى أن الصهيونيين قد بحثوا عن موافقة الترك ، ثم عن موافقة الانكليز . وعلى الرغم من جهود أقلية يهودية ذكية شجاعة ، فان الصهيونيين لم يتجهوا الى العرب الا مرة واحدة، أعني اتفاق فيصل – ويزمان ، الذي سبق أن بحثت فيه ، والذي ينازعني اتحاد الطلبة فيما أسماه تفسيري له . لا ، ليس هنالك من تفسير . ان الاتفاق كان مشروطا ، ولم يلتزم فيصل الا اذا تحققت المطالب العربية . وقد وضع نص هذا التحفظ من قبل ويزمان نفسه .. فاين تفسيري؟

لقد تجاهل الصهيونيون المعارضة العربية ، ولجؤوا الى حماية الانتداب البريطاني ...

ان الواضح هو انهم لم يحصلوا ابدا على الموافقة التي كانت وحدها هامة ليحصلوا على شهادة بانهم ليسوا مستعمرين ، اى موافقة العرب . وبعد أن تعاقبت الحوادث ، لم يقع نقل للسكان فقط ، وانما وقع أيضا نقل للسلطة.

استبدال عرق بعرق

لقد أستبدل عرق بعرق ، بدون ارادته ، بالقوة ، على أرض وهبت .

السلام العالمي

ان اتحاد الطلبة يرى في ذلك مساهمة في السلام العالمي . أنني اشك في ذلك .

استعمار تويده اللغة العبرية

وعلى كل حال ، من الصعب أن لا نرى في ذلك حادثا ذا طابع استعماري . وفضلا عن ذلك ، فان المجتمع اليهودي في فلسطين كان يطلق عليه بالعبرية لفظ (ييشوف Yiochouv) وفي معجم (المالح Elmaleh) عرّف هذا اللفظ بما يلي : بلاد مسكونة ، مستعمرة ، اقليم مسكون ، شعب ... استعمار .

القومية المشروعة

تكون كل قومية مشروعة بقدر ما تناضل ضد اضطهاد قومية أخرى لها . وتكون كذلك مشروعة، حينما تناضل في سبيل الوحدة السياسية (الجزئية او الكلية) للسكان الذين ينتمون الى عرق واحد ، فيما اذا كانت الوحدة من ارادة هؤلاء السكان الذين مزقتهم عوامل خارجية .

وقد كان العرب يناضلون ضد الاستعمار ، والى حد ما في سبيل الوحدة . ولقد كان لهذا النضال طبعا شكل القومية ، ولم يكن ممكنا ان يكون له اى شكل آخر .

العرب قوم موحدون

ولقد كان العرب في الواقع يشكلون عرقا او أعراقا ، ومجتمعا او مجتمعات قومية منسجمة ، منتظمة على أرض كانوا يسيطرون عليها ، ويكتبون لغة مشتركة ، ويتكلمون لهجات متقاربة ، (باستثناء الأقليات) ، وهم وارثون لثقافة جامعة مشتركة ، ولهم تاريخ مشترك في معظمه ، وعقلية تكون جزء كبير منها بعوامل موحدة .

اليهود أمة متناثرة مبعثرة مفتتة

اما يهود أوروبة ، فقد كان عليهم ، بعد موجة اللاسامية الحديثة التي انفجرت في عام ١٨٨١ ، أن يناضلوا ضد اضطهاد المجتمع العرقي الديني الذي ألفوه . ولكن كان لهذا النضال عدة أشكال، لانهم في الواقع غبار أشخاص مبعثرين، وفي أحسن

احوالهم يشكلون مجتمعات متناثرة ، مفتتة ، يتكلمون ويكتبون لغات مختلفة ، ليس لهم ـ فى احسن احوالهم ـ الا بقايا من ثقافة مشتركة . ولبعض هذه المجتمعات لغاتها : كالييديش ، واللادينو ... وحيثما كان ، ترى المجتمع اليهودى فى طريق التصفية الكاملة ، لا يسانده الا اللاسامية ، وبالقدر الذى تكون فيه اللاسامية جامحة .

العرب أمة موجودة واليهود أمة مفقودة

ان الأمة اليهودية لم تكن موجودة ، فكان من الواجب خلقها . ومن الواضح أن هنا فرقا اساسيا بينها وبين القومية العربية، التى تطالب باستقلال أمة موجودة ...

الحالة الراهنة ـ الحرب الفاترة

ان الحالة الراهنة ، والحرب الفاترة الحالية ، ذات اخطار كبرى على اليهود وعلى العرب وعلى السلم العالمي . ليس هنالك الا طريقان : الحلول : اما الحرب ، واما المفاوضة . ان المفاوضة لا يمكن أن تنجح اذا ذهبنا كما ذهب اتحاد الطلبة الى أن العرب قد ارتكبوا كل الأخطاء ، ولم يرتكب اليهود أى خطأ من الأخطاء ... وفيما اذا تجاهلنا الخطأ الرئيسى الذى سببه ذرع (ييشوف) فى فلسطين .

فوائد النقاش تاريخية فقط

وعلى هذا فان نقاشنا ، فى منطلقه ، ليس له فائدة تاريخية . لست اقول انه يترتب على اليهود ان يأتوا الى العرب ، والحبال فى أعناقهم، ليطلبوا منهم غفران الخطيئة الأزلية .

شروط السلام ـ اسرائيل جسم غريب فى عالم العرب

ولكن اذا اريد السلام فينبغي الاعتراف بأن اسرائيل، فى الوقت الحاضر، جسم غريب فى عالم الشرق الأوسط . على اسرائيل أن تعمل على أن تكون مقبولة فى هذا العالم ، وأن تغير وضعها الخاص تجاهه . ولذلك يجب أن تفهم طبيعتها الحقيقية، وأن تعترف بها ، وأن تفهم أن للخصم حججه فى أن يراها على غير ما ترى نفسها .

التاريخ يسخر من المجرمين والأبرياء

لست انا الذى يطالب بذلك ، وانما يطالب بذلك الموقف الذى وضع الصهيونيون انفسهم فيه ، من غير أن يكون احد منهم مجرما ولكن التاريخ يسخر من المجرمين ومن الأبرياء على السواء.

ان صداقة اسرائيل الحقيقية ينبغى ان تقوم على اقناعها بهذه الحقائق القاسية .

★ ★ ★

هذا أهم ما فى المقال . وليس فى النزر اليسير الذى أهملناه أى دفاع عن اليهود ، ولا عن قضيتهم ، ولا عن الصهيونية ، ولكن وجدنا أنه على هامش البحث ، وليس من صلبه ، وقد دللنا على الأصل ، فليرجع اليه من شاء .

وفى رأينا أن مثل هذا المقال ، له دلالات ، وأية دلالات ، لا يجوز للعربي المطلع أن يمر بها من غير أن يتنبه لها ، ومن غير أن ينبه عليها .

وهذه الدلالات ، قد تكون عربية واوروبية ويهودية .

فأما خاصة العرب ، فلم يزدهم هذا المقال علما على علم ، ولذلك ليس فى نشره اى خطر او خطأ . فضلا عن أن الذين سيطلعون عليه من العرب ، قلة قليلة ، قد يهتمون به وقد لا يهتمون . واما العامة منهم فليس لهم الى دراية ما فيه من سبيل .

اما الأوربيون ، والفرنسيون منهم خاصة ، فمن الواجب أن نقول ان هذا المقال قد وجه اليهم ، لا لاقناعهم بوجهة النظر العربية ، ولا لدحض فكرة الصهيونية ، بل للدعاية اليهودية، وابراز عبقريتها وقوتها ، وايضاح ماذا صنعت ، على الرغم من تبعثرها ، وتناثرها ، وتفتتها ، وتصفيتها ... ولا ادل على ذلك من قول الكاتب :

« ان نزاعنا ليس له في منطلقه الا فائدة تاريخية وان التاريخ يسخر من المجرمين والابرياء على السواء ... » .

وهذا يعني ان جميع حجج العرب ، قد اضحت ملكا للكتب ، وللتاريخ ، لا للواقع السياسي !

واما اليهود ، وهم الفئة الهامة في نظر الكاتب ، فان هذا المقال يعني بالنسبة اليهم في نظرنا امرين خطيرين على الاقل :

اولهما — ان اركان الدولة اليهودية قد ثبتت ، وان دعائمها قد رسخت ، وانه لا خطر عليها من مثل هذه الأبحاث التاريخية . ولعل خاصة العرب ما زالوا يذكرون كيف كانوا وما زالوا يشقون كل الشقاء ، في سبيل نشر تصريح صغير ، يدعم قضيتهم ، او ينير بعض نواحيها ، او يدحض فرية اختلقها اليهود ، فلا يجدون الى ذلك سبيلا . وما زلت اذكر بكثير من الغصة انني كنت في يوليه ، تموز ، عام ١٩٥٠ بمدينة لندن ، امثل سورية في مؤتمر المحامين الدولي ، وان عشاء اقيم في مجلس اللوردات تكريما لاعضاء المؤتمر ، وان رجلا جاء يسألني التوجه الى زاوية من زوايا القاعة الكبرى ، لان مندوب (التايمس) يود مقابلتي ، معتذرا بانه عاجز عن المشي وسط هذا الجمع الحاشد من الخلائق (وكانوا قرابة خمسة آلاف) ، لانه اعمى . وقد وجدتني بعدئذ امام شاب يتقن الفرنسية كابنائها ، اخذ معي في حديث طويل ، وكان اهم ما فيه سؤاله :

— وماذا انتم صانعون اذا ارادت اسرائيل ان تسترد رئتيها — سورية ولبنان — لتتنفس ؟

فاجبت : ان التجربة السابقة ، تجربة ١٩٤٨ قد علمتنا الاعتماد على انفسنا ، وعلى الضمير العالمي . اما اعتمادنا على غيرنا ، فلم نجن منه الا ضياع فلسطين !

لقد تتبعت مع اصدقائي اعداد التايمس أكثر من شهر كامل ، فوجدنا فيها احاديث ثلاث وخمسين دولة اشتركت في المؤتمر ، اما الدولة الرابعة والخمسون ، تتمة الدول المشتركة ، وهي سورية ، فقد طوى حديثها طيا كاملا ، ولم ير النور حتى اليوم !

فما بال اليهود يتسامحون اليوم ، في نشر عيوبهم ، واعلان مخازيهم ، على ايدي أعلامهم ، ان لم يكونوا قد امروا بها ؟

يقيننا ان ذلك لم يكن للعلم ، ولا لشيء يشبه العلم ، بل كان لأن دولة اليهود في رأيهم قد اضحت ثابتة الأركان ، راسخة الدعائم ، لا تزعزعها مثل هذه الأبحاث ، التي ليس لها الا فائدة تاريخية !

وثانيهما — ان اليهود ، اذ ينبهون الى ما كانوا عليه قبل اقامة دولتهم ، من التبعثر والتناثر والتفتت والتصفية ، انما يريدون من هذا التنبيه أن يحتاط يهود العالم الى الوقوف في وجه احتمال تكرر الكارثة . وان عليهم ان يتماسكوا ، وان يتضامنوا ، وان يعرفوا عيوبهم السابقة ، التي ازالتها اقامة الدولة الحديثة ، وان يحولوا دون تجددها .

ومن اراد ان يفهم غير هذا ، وان يحسن الظن ، فلا نخاله الا من السذج ، الذين لم يستفيدوا من تجارب الماضي شيئا .

هذا هو المقال ، وهذا هو راينا فيه ، فهل صنع العرب شيئا مماثلا ، وهم ثلاث عشرة دولة ، وهم اصحاب الحق غير المنازع ، كما يشهد لهم بذلك اعلام علماء اعدائهم ؟

ليت !!

■■

دمشق : ظافر القاسمي



منظمة التحرير الفلسطينية

عن جريدة « الهدف » ـ الكويت :

● كان هناك خلال السنوات الاخيرة بالذات ، أكبر من تنظيم تتوفر فيه النية الصادقة فى العمل من أجل فلسطين .. وكان لكل تنظيم .. آراؤه ومنهجه .. وخطة عمله ، التى يرى ويعتقد انها الطريق الصحيح للعمل من أجل القضية واستعادة الاراضى المغتصبة .

ولا شك ان كلا من هذه التنظيمات كان معه الحق فيما يظن ويعتقد ، بعد كل المتاجرات الوطنية والقومية التى قامت حول قضية فلسطين ..

ولكن ما هو الموقف الآن بعد انشاء منظمة التحرير الفلسطينية .. وصدور الاوامر بتكوين الجيش الفلسطيني .. واثبات قائد المنظمة لفعاليته ... وتوصله الى تحقيق أول خطوة ايجابية فعالة منذ ستة عشر عاما ...؟

لقد قرات رأيا لأحد الكتاب العرب يقول : على المنظمات السرية القائمة والتى قامت الا تحل نفسها حتى لا تفقد فعاليتها فى حالة فشل منظمة التحرير الفلسطينية .

واني لأعتقد ان هذا الراى خطأ ... وان كل من يؤيده من أبناء فلسطين مخطىء .. لسبب بسيط هو : انه يتحتم علينا ان نلقى بكل ثقلنا خلف منظمة التحرير الفلسطينية ، حتى لا نترك ادنى مجال او ادنى فرصة لفشل المنظمة .

++++++++++++++++++++++++++++

خطط لغدك

عن جريدة « الجمهورية » بغداد :

● **المتفلسف الذى يقول لك ان التفكير فى الغد الذى لم يأت لا مبرر له ، وان على المرء أن يعيش يومه فحسب ، « متفلسف » مخرّب ... يخرّب حياة الافراد والجماعات .**

فالصحيح هو أن تعيش يومك .. وتفكر بغدك .. وما بعد غدك ..

الذى يعيش يومه ، بلا غد ، انسان يجمع بين الانانية والبلادة ! ... الانانية لانه لا يفكر الا بذاته ، فلا يخطط لحياته وحياة مجتمعه .. اما بلادته فسببها انه قد يفاجأ بامور قد تقع فى غده لم يحسب لها اى حساب ... فيرتبك ... وقد يتحطم ..

الفرد الذى يقطع مسيرة حياته بسعادة ، هو الذى خطط لغده .. أما الذى يتعرض للشقاء فهو من لم يضع اى مخطط للغد .

وما يصح على الافراد فى هذا ، يصح على الجماعات والامم ..

الامة السعيدة هي التى خطط لها الجيل الذى ذهب لسعادة الجيل الذى اعقبه.. ويخطط الجيل العائش للجيل ، وللاجيال التى ستليه .

مسيحيو الشرق .. ومسيحيو الغرب

عن جريدة « المنار » الاردنية :

● منذ عقد المجمع المسكوني الاول ، وطرحت عليه وثيقة الكاردينال (بيا) التي يدعو فيها الى تبرئة اليهود من دم السيد المسيح ، وبطاركة الشرق يقفون ـ وحدهم ـ موقف المعارضة الشديدة من الاقتراح المذكور .

هذا الموقف يكشف عن حقيقة جوهرية هامة ، آن الاوان لنناقشها ونعرضها بصراحة ووضوح . هذه الحقيقة هي أن مسيحي الشرق يختلفون في نظرتهم للشرق ومشاكله عن مسيحي الغرب .

قد يرى البعض ان هذه الحقيقة التي نعرضها حقيقة بديهية لا تحتاج الى مناقشة او بحث . ونحن مع هذا الراى من الوجهة النظرية . الا ان الاقرار بها من الناحية العملية يفرض على سكان هذه المنطقة من العالم ان يضعوا دائما خطا فاصلا بين المسيحيين العرب ، والمسيحيين في الغرب .

فالمسيحيون العرب هم مواطنون عرب قبل كل شيء ، يعيشون آلام امتهم وآمالها ، وينتمون اليها انتماء عضويا وروحيا ونفسيا . ولهم في حركات الكفاح التي قادتها شعوب الشرق العربي للتخلص من ربقة الاستعمار الغربي مواقف مشهورة تذكر فتشكر . انهم ابناء هذه البلاد : نبتوا على ارضها الطهور ، وتعايشوا مع اجناسها واديانها وتقاليدها المختلفة عبر القرون ، حتى اصبحوا جزءا لا يتجزأ من ماضيها ومستقبلها .

اما مسيحيو الغرب فللشرق معهم ذكريات وتجارب تختلف عن ذلك تمام الاختلاف . هذه الذكريات : في طواياها صور الحروب الصليبية بكل بشاعاتها ، وفي طواياها صورة اللورد اللنبي وهو يغرس سيفه في جبل الزيتون ويقول عبارته المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » . وفي طواياها صورة الجنرال غورو وهو يضع قدمه على قبر صلاح الدين ويقول : « لقد عدنا يا صلاح الدين » . وفي طواياها المؤامرة الكبرى على الديار المقدسة .

هذا استعراض خاطف لعلاقات الشرق العربي بالعالم الغربي المسيحي ، وهو استعراض اردنا من ورائه أن نوضح الخط الفاصل بين المسيحيين العرب ، ومسيحيي اوروبا ، انصافا لاخواننا ، وانصافا للواقع وللتاريخ .

الامم المتحدة تواجــه أخطر أزمة فى تاريخها !

عن جريدة « الاهرام » القاهرية :

● خطورة المشكلة المالية التى تواجهها هيئةالامم المتحدة لا ترجع الى العجز المالى فحسب ، ولكن الى اصرار الولايات المتحدة على تطبيــق المادة ١٩ من الميثاق ، التى تنص على حرمان أية دولة تبلغ ديونها قدر حصتها فى ميزانية الامم المتحدة لمدة عامين من حق التصويت فى الجمعية العامة .

وبين الدول الخمس عشرة التى ينطبق عليهاهذا النص دولتان تتمتع كل منهما بحق الفيتو باعتبارهما من الدول الاساسية الخمس وهمــا الاتحاد السوفييتى والصين (فورموزا) ، هذا الى جانب خمس دول من امريكا اللاتينية هي الارجنتين وبوليفيــا وباراجــواى وأرجــواى وجواتيمالا . وهناك ٦ دول شيوعية .

ولذلك اذا طبقت المادة ١٩ فالمســالة ليست فى حرمان الاتحاد السوفيتي مــن التصويت فى الجمعية العامة برغم ماله من ثقل فى المجال الدولى فحسب ، بل انها تصل الى حرمان معظم الكتلة الشرقية من حق التصويت . وتكون النتيجة ان المنظمة الدولية لا تعبر بصورة صادقة عن واقع التوازن الدولى اليوم . وبالتالى تصبح فاعليتها فى حل الازمات الدولية واهية .

وحيث ان الاتحاد السوفيتى يصر على الا يدفع ، باعتبار انه غير مسئول عن ان يحتمل شعبه أعباء مالية نتيجة للسياسة الاستعمارية التى أثارت الازمات .. وحيث لا يمكن الاستغناء عن وجود الاتحـاد السوفييتي للمنظمـة ، فان الـدول الاسيوية الافريقية ومعها اللجنة العاملة ، تبحث عن وسيلة عاجلة قبل نوفمبر القادم .. فاما ان تؤجل مناقشة الموضوع كله الى العام القــادم حيث تتوفر فرص افضل بعد الانتخابات الامريكية والبريطانية ، او ان يتحوّل دين هذه الدول الى دين عام تكتتب كل الدول الاعضاء فى تغطية آثاره على ميزانية المنظمة . ■■



ركن الفضاء والذرة

القمر: هل فيه من جديد؟

■ لقد علم الناس ان الولايات المتحدة اطلقت الى القمر صاروخا يحمل كمرات فوتوغرافية تصور ما تراه من القمر عند الاقتراب منه ، وان المركبة التى تحمل الكمرات ارتطمت بسطح القمر ، وان هذا الارتطام وقع فى اليوم الحادى والثلاثين من شهر يوليو (تموز) الماضى.

واسموا المركبة التى حملت الكمرات رنجر السابع . ورنجر Ranger لفظ انجليزى معناه الجوال او الجواب وكل من يرود ارضا . واسموه السابع لانه قد سبقته ستة اخرى مثله لم يكن حظها من التوفيق كثيرا .

واستغرق هذا الجواب السابع من الزمن للوصول الى القمر ما استغرق ، ولكن لم يكن من هذا الزمن اكثر بركة من ½ ١٣ من الدقائق ، تلك التى سبقت ارتطامه بسطح القمر ، ففيها اخذت الكمرات الفوتغرافية من صور القمر ٤٣١٦ صورة ارسلتها تلفزة الى علماء الارض . وهى اخذتها منه على ابعاد تراوحت بين ١١٠٠ ميل وبين نحو من ثلث ميل واحد .

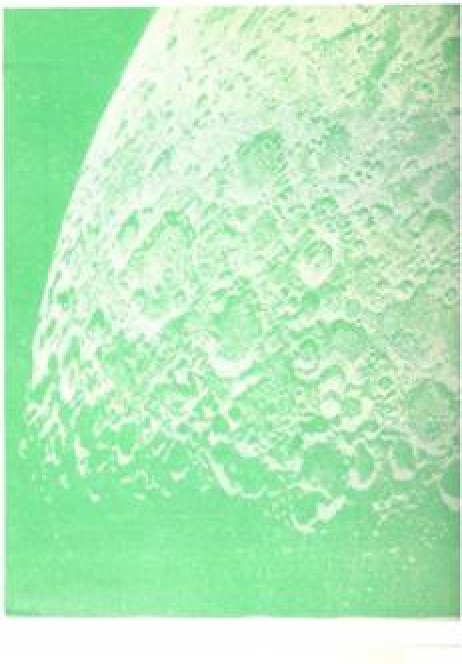
وكانت كمرات تلفازية ستاً ، اثنتان منها واسعتا الزاوية تأخذان من القمر فى المرة الواحدة ابعادا عريضة ، والاربعة الاخرى ضيقة الزاوية لتشتبك مع القمر وهي تقترب منه اشتباكا يتركز على وصف مفصّل لما تراه .

عدد كبير لا شك من الصور ، ليس كلها مما سوف يستفاد منه . والعلماء لا يزالون قائمين على دراسة هذه الصور واستنتاج ما يمكن ان يستنتج منها .

ومع هذا فالدراسة التى تمت الى اليوم خرج العلماء منها بأشياء لا شك فيها . منها ، كما رواه الرواة الثقات :

١ – ان الذى كشفه هذا الجواب السابع لن يضطر العلماء الى تغيير فى برنامج مشروع « ابولو » Apollo ذلك الذى يعدونه ليحطّ به الرجال على سطح القمر بعد سنوات قريبة .

٢ – قيل ان سطح القمر من تراب ناعم ، وان مركبة يركبها رجال من الارض ، تحط فوق سطح القمر، سوف تغوص فى هذا التراب حتى تدفن فيه . والذى كشفه الجواب السابع غير هذا تماما ، على الاقل عن الموضع من القمر



الذى استطاع كشفه ، ذلك المسمى « بحر السحب » .

٣ ـ ان بسطح القمر ساحات واسعة، مثل « بحر السحب » ، ليس فيها عوائق مانعة تعوق مركبة « ابولو » ، اذا هبطت برجالها على القمر ، من ان تعود فتخرج عنه فى طريقها الى الارض .

٤ ـ فى الخصومة القائمة بين العلماء ، عن الفوهات الظاهرة فى صور سطح القمر ، هل هى فوهات براكين او حفر صنعتها نيازك سقطت على القمر من السماء ، فى هذه الخصومة لم يكشف الجوّاب السابع عن شىء حاسم يرجّح رايا على راى .

والخلاصة ان الصور التى جاء بها الجوّاب السابع كانت أوضح الف مرة مما سبقها بسبب هذا القرب القريب من سطح القمر ، ولكن مما لا شك فيه ان الجوّاب لم يات بشىء جديد حاسم مثير . وهو ترك الغموض الذى يلف القمر فى اذهان العلماء قائما : فهو لم يكشف عن مادة صنع منها القمر ، ما هى ، وهل هى من الصلابة بحيث تحتمل مركبة ثقلها بضعة اطنان تحط عليها . وهو لم يكشف عن الفوهات ،



على بعد ٤٧٠ ميلا اخذ (الجوّاب السابع) صورة سطح القمر التى تراها الى اليمين .. وهي مربع مساحته ٧٩ ميلا فى مثلها . والفوهة الكبيرة هي المعروفة بفوهة جركة Guericke . واصغر الفوهات الظاهرة فى الصورة قطرها نحو ٨٠٠ قدم أو نحو ٢٤٠ مترا ... والصورة الثانية التقطها (الجوّاب السابع) من على بعد ٣ اميال لسطح القمر . وهي مربع مساحته $\frac{3}{4}$ ١ ميل فى مثلها . واصغر فوهة فيه قطرها ٣٠ قدما .

هل هي لبراكين او لنيازك ، وان كانت لبراكين فهل هي لبراكين انطلقت من قديم الزمان أم لا تزال تغذيها حرارة من بطن القمر . والجبال التى تظهر فى الصور لا تزال نجهل كنهها . ثم وجه القمر الآخر ، الذى لا نراه ابدا من فوق سطح الارض ، ما هو ، وكم هو ؟

مسائل لا تزال غامضة .

ومن الناس من يقول : ان الجوّاب السابع كان تجربة لا شك مثيرة ، هزت اخيلة الناس ، ولكن ، هل ما كشف عنه من حقائق أو يكشف ، يساوى ما انفق فيه من مال : ٧٠ مليون دولار ؟

ومع هذا فسوف تطلق الولايات جوابين آخرين يصوران القمر ، وذلك فى أوائل العام القادم . وتعتزم كذلك أن ترسل مركبة من نوع جديد ، سمتها بالمسّاح Surveyer تحمل هذه المرة كمرات تنقل الصور والوانها ...

التفجير الذرّي

قناة بنما ـ وقناة تشقها

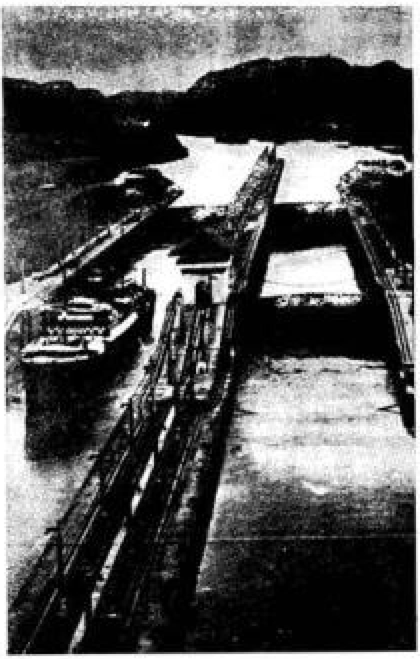
■ هذا بعض ما كشف عنه المؤتمر الثالث لاستخدام الذرة استخداما سلميا ، المنعقد فى جنيف فى سبتمبر (ايلول) هذا الغائت تحت رعاية هيئة الامم المتحدة .

فلقد اخبر المؤتمرين جيرالد جونسون

قناة بنما

اعلنت بنما استقلالها فى نوفمبر عام ١٩٠٣ ، منفصلة عن جمهورية كولومبيا .

وبعد مضى شهر من اعلان الاستقلال منحت بنما الولايات المتحدة الامريكية حق استغلال قطعة مستطيلة من اراضيها لانشاء قناة .



وبدأت شركة القنال الفرنسية العمل التنفيذى لحفر القناة فى عام ١٩٠٣ . ثم عادت الولايات المتحدة ، واستعادته اثناء رئاسة الرئيس الامريكي تيودور روزفلت ، واكملته بمساعدة مهندسي الاسطول والجيش الامريكي الذين أتموه فى مده عشر سنوات .

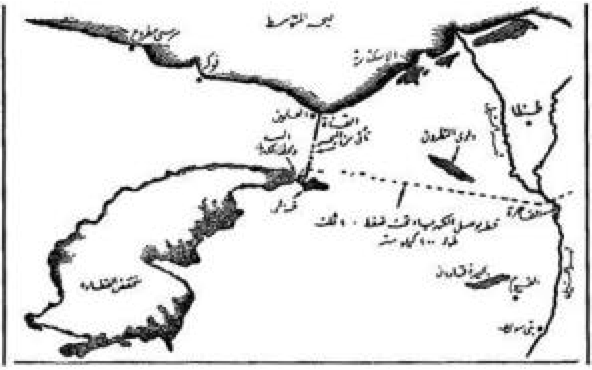
وقد افتتحت القناة فى ١٥ اغسطس عام ١٩١٩ بعد حفر ٢٤٠ مليون ياردة مكعبة، وتكلفت ٣٦٦٫٥ مليون دولار ، هذا ويبلغ طول القناة اربعين ميلا ، وعرضها يتراوح بين ٤٥٫٨٧ قدما . كما تمتاز بصلاحيتها للملاحة فيها ليلا ونهارا ، اذ يضاء جانباها بصفين من الاضواء الباهرة.

وتستقبل القناة بواخر جميع الدول دون استثناء .

يستخدم فى حفر القنوات

منخفض القطارة

المفجرات الذرية شقا ؟



منخفض القطارة ، وموضعه الصحراء فى غرب دلتا النيل . وسياتى لمصر منه خير يضاف الى الخير الذى ياتى من السد العالى

وجارى هجنز Gerald Johnson و Gary Higgins ، وهما من بحاث معمل لورنس للاشعاع ببركلى،بكلفورنيا، اخبراهم بأن الدراسات التى تمت الآن ، دلت على أن استخدام الناسفات الذرية فى حفر القنوات ، كقناة تحفر فى امريكا الوسطى لتصل المحيط الاطلسى بالمحيط الهادى ، سوف تكون اقل كلفة مما دلت عليه دراسات سابقة فى نفس الموضوع .

وان تكلفة هذا المشروع ستبلغ اليوم نحوا من ٥٠٠ مليون دولار ، وان هذه القناة سوف يبلغ عرضها ١٠٠٠ قدم ، وان اقل عمق بها سوف يبلغ ٦٠ قدما .

كذلك اطلع المؤتمرون من هذين الباحثين على ما جرى من تحسين فى تكنيّة هذه العملية ، وفى خفض مقدار الاشعاع المترتب عليها ، وما ادى اليه هذا من اغراء بالمشروع اكبر مما كان له لما دُرِس اول مرة عام ١٩٦٠ .

والخبراء الذين قاموا بدراسة المشروع ، مشروع الحفر بتفجير الذرة عامة، زادوا اليوم اقتناعا بالفكرة وايمانا بفوائدها الاقتصادية كذلك .

والخوف الذى كان من الاشعاع قل . فهم اليوم يقدرون ان المنطقة الحرام التى سوف يمنع الناس من دخولها عند الحفر بالذرة لن تزيد كثيرا عن المساحة اللازمة لاتقاء ما ينقذف فى الهواء من تربة ورمل وصخر ، وما يحمله الهواء من هزة عند التفجير او تحمله الارض .

والذى زاد بالطبع اهتمام الولايات المتحدة بهذه الدراسات تلك الخصومة القائمة بينها وبين دولة بنَما فيما يختص بقناتها ، وامتلاك الولايات المتحدة تلك القناة فى ارض غير ارضها . ولو ان القناة الجديدة المرجوة سوف تقوم هى الاخرى فى البرزخ الامريكي الذى يصل الامريكتين ، وليس للولايات المتحدة ارض تملكها فيه !

وكما فى الولايات المتحدة فكذلك فى الجمهورية العربية المتحدة ، جرت وتجرى بحوث عن احتمال شق القناة المرجوة التى تصل البحر المتوسط بمنخفض القطارة ، ليصب البحر فى القناة ماءه ، وذلك بالتفجير الذرى .

انها قناة يكون طولها نحو ٥٠ ميلا (انظر مجلة « العربى » عدد ٤٢ صفحة ٥٥) ، تأذن للماء أن ينصب الى انخفاض يقدر بنحو ٢٠٠ قدم ، وفى انصبابه يدير التربينات التى تنتج من الكهرباء ٣٠٠ مليون وط . والماء فى المنخفض تبخره حرارة الشمس ، فينقص ، فيظل ماء البحر يجرى الى المنخفض وطريقه القناة .

وقد دلت بحوث الجمهورية العربية على ان التفجير بالذرة ينزل بنفقات الحفر الى الثلثين . ■■

الشاعر الذى جاء بين المتنبى وأبى العلاء المعرى

الشريف الرضى *

شعره يعكس شخصيته ، ويصور عصره وبيئته

شخصيته كعالم متدين ، طغت على شهرته

بقلم : الدكتور محمد محمود الدش

■ بعد ان توفى ابو الطيب المتنبى فى سنة ٣٥٤ هـ ، وكان فى حياته مالىء الدنيا وشاغل الناس ، ظلت اخباره الكثيرة واشعاره الوفيرة شغلا شاغلا لكثير من العلماء والنقاد والكتاب يستقصون هذه الأخبار فى تصنيفها وشرحها وتفسيرها ، ويتجادلون فى ذلك ويتمارون مراء شديدا . وكان ابا الطيب كان على علم بما سيكون من بعده حين قال :

أنام مِلْءَ جفوني عن شواردها
ويسهر الخلقُ جرّاها ويختصم

نسب الرضى

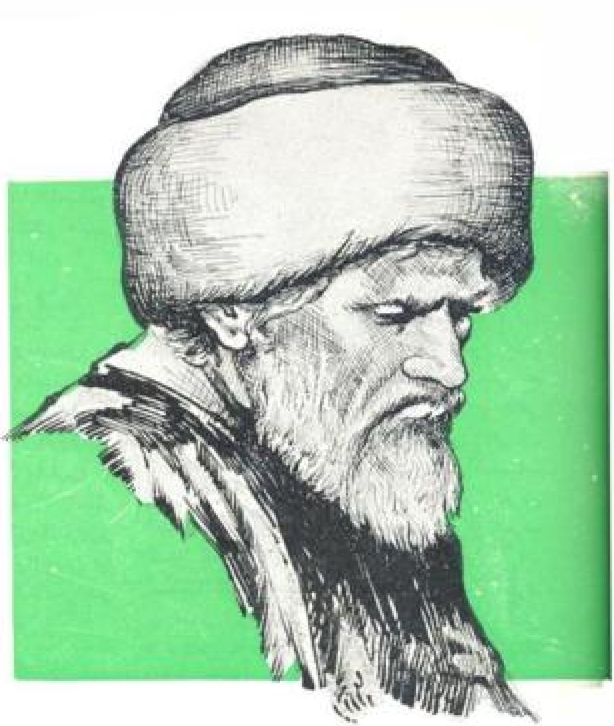
فى هذه الفترة ، وبعد وفاة ابى الطيب بخمس سنوات ، ولد ببغداد ابو الحسن ، محمد بن الحسين بن موسى ، الملقب بالشريف الرضى . الذى يتصل نسبه بموسى الكاظم والحسين بن على بن ابى طالب ، ولذلك يعرف بالموسوى .

نشاة الرضى

نشا الرضى ، ذو الحسبين — كما لقبه الملك بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي سنة ٣٦٩هـ فى بيت يتسم بالمجد والشرف والحسب والنسب ، فنال من ذلك كله حظه فيه ، واخذ نفسه فى سن مبكرة بما ياخذ به امثاله انفسهم من الانصراف

---

* بمناسبة مهرجان الشعر الذى اقامته سوريا تخليدا لذكرى الشاعر العربى الكبير الشريف الرضي .



شاعرٌ متمكّن ..

الى التعلم وحفظ القرآن والحديث ودراسة الفقه الاسلامى والشعر والنثر ، فتتلمذ على نفر من جلة العلماء وافاضلهم فى ذلك العصر من امثال ابى سعيد السيْرافى ،وابى الفتح عثمان بن جنّى، وابى على الفارسى" ، والقاضى عبد الجبار ، وابى بكر الخوارزمى وغيرهم ممن يبلغ عددهم بضعة عشر استاذا، تلقى على ايديهم علوم العربية والعلوم الاسلامية المختلفة .

تبكيره فى التحصيل والتاليف

وتشير الأخبار الى انه بكر تبكيرا شديدا فى حضور جلسات العلم والعلماء واظهر فيها نجابة ملحوظة ، حتى ليروى انه احضر الى ابى سعيد السيرافى ، العالم النحوى المشهور ، وهو صبى لم يبلغ عمره عشر سنين ، فلقنه النحو . وكان السيرافى ، والحاضرون يعجَبون من ذكائه وحدة خاطره . كما يروى انه تلقن القرآن فى سن مبكرة فحفظه فى مدة يسيرة ، ثم درسه دراسة أمكنته من أن يصنف بعد ذلك كتابا فى معانى القرآن الكريم يوصف بانه «يتعذر وجود مثله». ودل على توسعه فى علم النحو واللغة.وصنف كتابا فى مجازات القرآن فجاء نادرا فى بابه. ويقول محقق الكتاب الأخير انه « يقوم فى التراث العربي الاسلامي وحده شاهدا على أن الشريف الرضى خطا أول خطوة من التاليف فى مجازات القرآن واستعاراته تاليفا مستقلا بذاته، ولم يأت عرضا فى خلال كتاب، أو بابا من ابواب مصنف » .

هذه الشواهد تدلنا فى سرعة على أن الشريف الرضى امتاز بشخصية جادة فى الحياة أخذت" نفسها اخذا شديدا بأسباب الجد فى الدرس والعلم والتحصيل ، وذلك فى السن التى يكون فيها اضرابه واترابه فى العمر لا يزالون يلعبون لعب الصبية ويلهون لهو من لم يشبوا عن الطوق .

وشاعرية مصقولة باكرة

يواكب ذلك النبوغ والذكاء فى هذا التطور من حياة الرضى ملكة مبكرة وموهبة فنية نادرة ، تلك هى شاعريته المصقولة المهذبة النامية ،التى تؤكد الروايات والأخبار انها بدأت تؤتى ثمارها من الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل .ونحن نقرأ شعره هذا الذى تنص الروايات على انه من اوائل اشعاره فنجده شعرا ، رصينا قويا لا تنقصه أسباب الصقل والتهذيب ، ولا يقل فى جودته عن شعره المتاخر من حيث النسج والصياغة والبناء .

هذه الموهبة الفنية ظلت تفيض فى حياة الرضى وهى حياة ليست طويلة ، حتى ملأت ديوان شعر كان يوصف فى عصره بانه ديوان كبير ، يدخل فى أربع مجلدات ، وبانه مشهور بين الناس كثير الوجود .. وحتى اتفق النقاد والعلماء على أن الرضى « أشعر الطالبيّين من مضى منهم ومن غَبَر . على كثرة شعرائهم المُفلقين » . ولو قيل انه أشعر قريش لم يجاوز ذلك الصدق ، لأن

قريشا كان فيها من يجيد القول ، أما الشعر فقل فى قريش مجيدوه ، فأما المجيد المكثر فليس الا الشريف الرضى » .

وله ، غير الشعر ، دراسات قيمة

وهذه الشاعرية الفياضة المبكرة لا ينبغى أن ننسى انه كان بجانبها عقلية دارسة فاحصة انتجت دراسات قيمة فى القرآن والحديث والنقد والبلاغة والتاريخ ، نذكر منها بالاضافة الى كتابيه السابقين فى معانى القرآن ومجازات القرآن ، المجازات النبوية ، وخصائص الأئمة ، واخبار قضاة بغداد ، وسيرة والده ، وحقائق التأويل فى متشابه التنزيل ، وكتاب رسائله ، والحسن من شعر الحسين بن الحجاج ، ونهج البلاغة الذى جمعه من كلام الامام على بن أبى طالب .

عقلية الرضىّ ، عربية خالصة

وتطالعنا فى عقلية الرضى ، كما تطالعنا فى شاعريته ، خاصة واضحة تبدو بجلاء فيما وصل الينا من كتبه ، هى حريته فى التفكير واستقلاله فى الرأى وانطلاقه فى التعبير عما يرى ويستقر رأيه عليه ويناقش فى حرية وغير تعصب آراءه وآراء غيره ، لا يقيده فى ذلك كله ، سواء فى شعره أو فى نثره ، غير قيد واحد ، ان صح أن يكون تمسكه بعروبته واصالته العربية قيدا .

لا جرم ، فالرضى من أشرف العرب نسبا ، واعتزازه بعربيته واعتداده بتفكيره العربى أمر واجب مقدس فى نظره ، يفرضه عليه نسبه العربى العريق ، كما أن ثقافته العربية الخالصة التى تعتمد على مصادر عربية اسلامية صافية من القرآن والحديث وتاريخ العرب وتراثهم فى النثر والشعر جميعا، ونفوره من الثقافة الأجنبية التى انحدرت فى محيط الثقافة العربية، كل ذلك جعلنا نحكم على ثقافته ونصفها بأنها ثقافة دينية عربية وانها ليست فلسفية أو علمية أو أجنبية.

سرّ تمسك الرضىّ بعربيته

واذا أضفنا الى ذلك أن الرضى كان من الرواة العرب المعدودين البارزين فى المحيط العربى والمجال الاسلامى ، بما كان يليه من أمور العرب وامور المسلمين ، حيث صارت اليه ولاية نقابة الطالبيين والحكم فيهم أجمعين ، والنظر فى المظالم والحج بالناس ، وكانت كل هذه الأعمال لأبيه فصارت اليه فى حياة أبيه سنة ٣٨٠ هـ وعمره لم يتجاوز الحادية والعشرين ، ثقة من السلطان ومن أبيه ومن عامة الذين ولى أمرهم فيها، واطمئنانا منهم الى رجاحة عقله ووفرة ذكائه وحكمته ، مما جعل الثعالبى يصفه بقوله « وهو اليوم أبدع أبناء الزمان ، وانجب سادة الطرق ، يتحلى مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف ، بأدب ظاهر وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ».

واذا أضفنا كذلك ما هو معروف من أسباب الصراع السياسى والاجتماعى حينذاك بين الفرس الذين استولوا على السلطان جميعه ، وبين العرب الذين احسوا بضياع نفوذهم وهيبتهم . اذا أضفنا هذا وذاك استطعنا من زاوية أخرى أن نفسر سر تمسك الرضى بعروبته وسر تمكن هذه العربية من طريقته فى التفكير والتعبير ، ذلك التمكن الذى يشبه القيد ، بحكم نسبه العربى الأصيل وثقافته العربية الخالصة ومنصبه العربى الطالبى ، والصراع السياسى الاجتماعى بين العرب والفرس .

شعر الرضىّ مرآة تعكس شخصيته وتصوّر عصره

وشعر الشريف الرضى هو المرآة التى تنعكس عليها كل الملامح السابقة فتكشف لنا بوضوح كل ما فيها من جوانب وتفصيلات ، وهو الذى يعطينا صورة صادقة لسمات شخصيته من ناحية ، وسمات عصره وبيئته وثقافته من ناحية أخرى بحيث يصلح الكثير من شعره أن يكون من الوسائل القيمة التى تعين على فهم كثير من احداث هذا العصر واخباره .

واول ما يطالعنا فى هذا الشعر ، فى قوة ووضوح، هو ارستقراطية الشريف الرضى العربية التى تحدثنا عن اسبابها ومقوماتها ، وهى تطالعنا فى الفنون والاغراض التى طرقها ، وأهم هذه الفنون فى ديوانه دون شك : الفخر والرثاء .

الفخر فى شعر الرضى

أما الفخر فيعتمد عنده قبل كل شىء على هذه الارستقراطية العربية التى تجرى فى دمه ، ثم على منزلته ومنزلة بيته فى المجتمع الاسلامى ، ثم على الصفات العربية التليدة المأثورة ، من شجاعة واقدام وعدم مبالاة بالاخطار وبالموت ، ومن كرم

ونجدة واغاثة ، ومن وفاء وحسن جوار ولطف معاشرة ، ومن حلم ووقار وقوة احتمال وعفة فى القول والعمل .. ولا عجب ان يكون الفخر من الفنون المبكرة جدا فى حياته الفنية ، اذ نجد فى ديوانه قصيدة فى هذا الغرض ، قالها وله عشر سنين منها :

المجدُ يعلم أن المجـد من أربى
ولـو تماديتُ فى غىّ وفى لعب
انى لمن معشـر ان جمعـوا لعلى
تفرّقـوا عـن نبىّ أو وصىّ نبى

ومن القصائد الرائعة فى هذا الباب ، وهى تجمع كثيرا من مقومات فن الفخر عنده من حيث المعانى والصياغة الى جانب طول نفسه فيها قصيدته التى يقول فيها :

لغير العلى منى القِلَى والتجنّبُ
ولولا العلى ما كنتُ فى الحبّ أرغب
ملكتُ بحلمى فرصـة ما استرقّها
من الدهر مفتول الذراعين اغلبُ
فان تك سنى ما تطاول باعهـا
فلى من وراء المجد قلب مُدَرَّب
وللحلم أوقـاتٌ ، وللجهل مثلها
ولكن أوقاتى الى الحلم أقرب
ولا أعرف الفحشاء الا بوصفها
ولا أنطق العوراء والقلب مُغضَب
لسانى حَصاةٌ يقرع الجهل بالحجى
اذا نال منى العاضـه المتوثب

المديح فى شعر الرضي

وديوان الشريف الرضي يضم بين دفتيه قصائد فى المديح ، يمدح بها بعض الملوك والخلفاء فى عصره ، ولكن اغلب مدائحه فى ابيه وفى اهل بيته، وهى الصق بفن الفخر لانه اذا مدح اباه او اهل بيته فهو انما يفخر بهم وبنسبه ، وحتى اذا مدح الخليفة او غيره ، فهو انما يتخذ ذلك تكئةً يعتمد عليها ويتوسل بها الى الفخر فيقول للخليفة القادر :

عطفـا أمير المؤمنين فاننـا
فى دوحة العلياء لا نتفـرّق
مـا بيننا يوم الفخار تفاوت
أبدا ، كلانا فى المعالى مُعـرِق
الا الخلافة ميزتك ، فاننى
أنا عاطلٌ منها وأنت مُطـوَّق

الرثاء فى شعر الرضي

واما الرثاء فهو القيثارة المحببة لدى الرضي ، يعزف عليها الحانه الشجية الحزينة كلما مات فرد من اقاربه واهل بيته ، سواء فى ذلك صغيرهم وكبيرهم ، الذكر منهم والانثى . بل تستبد به هذه النزعة الارستقراطية العربية فتاخذه اخذا الى الوراء فى مواضى الليالى وسوالف الأيام ليفيض من هذه الألحان الباكية على من رحلوا من اهل بيته الأبعدين والاقربين. لا سيما الحسين ابن على ، الذى رثاه أكثر من مرة ، وبكاه بكاء حارا بدمع ساخن مدرار .

الرضي رثا الشيعي وغير الشيعي والعربى وغير العربى والمسلم وغير المسلم

واغلب الظن ان نفس هذه النزعة هى التى كانت تملى عليه ان يكون وفيا ، فيمسك بنفس القيثارة ، وما أسرع ما كان يمسكها ، ليبكى اناسا آخرين من غير اهل بيته ، تربطهم به علاقة الصداقة او الزمالة فى العلم او فى الشعر ، او استاذيتهم له . ومن حق الرضي ان نسجل له فى هذا المقام صفة مهمة فى شخصيته هى تحرره من كل عصبية ، وخاصة فى باب الصداقة او باب الزمالة فى الأدب والعلم ، اذ لم يكن يفرق فى هذا المجال بين شيعى على مذهبه وغير شيعى ، ولا بين عربى وغير عربى ، بل لم يكن يفرق بين مسلم وغير مسلم ، حين بكى صديقه ابا اسحاق ابراهيم بن هلال الصابى، وهو على دين الصابئة، على حين كانت تجمع بينهما صناعة الأدب وكانت بينهما مراسلات بالشعر والنثر . وقصيدة الرضي فى رثاء الصابى تعد من أروع قصائده فى الرثاء ومطلعها :

اعلمتَ من حملوا على الأعـواد
ارايت كيف خَبَا ضياءُ النادى
جبل هوَى لو خرّ فى البحر اغتدى
مـن وقعه متتـابع الازباد
ما كنت أعلم قبـل حطك فى الثرى
ان الثرى يعلو على الأطـواد

ولقد رثاه الشريف باكثر من قصيدة ، ولم يعبا بما وجه اليه من لوم فى ذلك .

ولعله ليم كذلك على رثائه الحسين بن احمد ابن الحجاج الشاعر الماجن المشهور ، لبعد ما

بينهما في السلوك والمذهب والخلق ، بقصيدة يقول فيها :

ليبك الزمان طويلا عليك
فقد كنت خفة روح الزمان

ومما يؤكد هذه الصفة ، وهذه الروح في الشريف الرضي أنه رثى عمر بن عبد العزيز ، على قديم ما بين البيتين من خلاف عميق وعداء وصراع في السياسة والنحلة . قال فيه :

يا ابن عبد العزيز ، لو بكت العيـ
ـن فتى من أمية لبكيتك
غير أني أقول : انك قد طبـ
ـت، وان لم يطب ولم يزك بيتك
ولو أني رأيت قبرك لاستحـ
ـييت من أن أرى وما حييتك
وقليل ان لو بذلت دماء الـ
ـبدن صرفا على الذرى وسقيتك

وعلى بضعة أوتار من نفس هذه القيثارة الحزينة يعزف الرضي الحانه في فنون شعره الأخرى في الحكمة والزهد والشكوى من الزمان وضياع الشباب ونزول الشيب ، حتى غزله ونسيبه يفيضان بالأنين والتوجع والتألم .

شعر الرضي في الزهد والحكمة

وشعره في الحكمة والزهد يكاد يعتمد اعتمادا خالصا على ثقافته العربية والآثار الاسلامية في معانيه وافكاره ، وان خالطه شيء غير عربي فمما كان شائعا في عصره وقبل عصره من أثر الثقافات الأجنبية ، وفيما عدا ذلك فهو مستمد من القرآن الكريم والحديث الشريف واقوال الصحابة والزاهدين ، ومن تجاربه الخاصة في حياته العربية الخالصة ومذهبه العربي في هذه الحياة .

غزل الرضي

وغزل الشريف الرضي ونسيبه عربيان خالصان، يستوحيهما من العربيات الخالصات، ومن البيئات العربية ، على الرغم من كثرة الاماء والجواري غير العربيات وذهاب الشعراء في التشبب بهن كل مذهب في عبث ومجون . والرضي لم يزل زلة واحدة ولم ينحرف به الطريق عن العفة والشرف والخلق الرفيع في هذا الباب ، وهو اذا تغزل فانما يتغزل في العربيات من مثيلات أميمة ولمياء، وهن من بيئات عربية في نجد او في العراق او في الحجاز ، وغاية عشقه وغزله ان يقول :

عفافي من دون التقية زاجر
وصونك من دون الرقيب رقيب
عشقت ومالي ، يعلم الله ، حاجة
سوى نظري ، والعاشقون ضروب
ومالي يا لمياء بالشعر طائل
سوى أن أشعاري عليك نسيب

ومذهبه في اختصاصه العربيات بالغزل واضح حين يدلنا على ذلك في بعض شعره اذ يفرق بين نجد العربية وبابل الفارسية ، فيقول في معرض النسيب :

لوامع الشوق تخطبهم وتخطبني
واللوم في الحب ينهاهم ويغريني
هيهات بابل من نجد ، لقد بعدت
على المطي مرامي ذلك البين

والرضي اذا تعرض لوصف الفتاة لا يذهب بعفته ، الى أبعد من نضرة الوجه ونقاء الخد وصفاء البشرة وامتلاء الساعد والساق ، فاذا كان بينه وبينها لقاء فهما على هذا النحو :

بتنا ضجيعين في ثوب الظلام كما
لف الغصينين مر الريح بالأصل
طورا عناقا كأن القلب من كثب
يشكو الى القلب ما فيه من الغلل
وتارة رشفات لا انقضاء لها
شرب النزيف طوى علا على نهل
وكم سرقنا على الأيام من قبل
خوف الرقيب كشرب الطائر الوجل

غير أن الرضي كثيرا ما يؤكد أن هذه اللقاءات، على ما يبدو في ظاهرها من ارابة ، بعيدة عن الشبهة ، وليس فيها غير عفيف القول وعفيف الفعل ، مما لايمس الشرف بخدش ، ولا يؤثر في حسن الخلق بأثر :

وظبية من ظباء الانس عاطلة
تستوقف العين بين الخمص والهضم
بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى
يلفنا الشوق من فرع الى قدم
وبيننا عفة بايعتها بيدي
على الوفاء بها والرعي للذمم
فقمت أنفض بردا ما تعلقه
غير العفاف وراء الغيب والكرم
لم اثنينا وقد رابت ظواهرنا
وفي بواطننا بعد عن التهم

فهذه عفة عربية وتقوى عربية ، ووفاء عربي ،

وذمة عربية لفتاته العربية أن يرعاها ويتمسك بها ولا يفرط فيها . وفيما عدا ذلك فغزل الشريف الرضي يفيض بأنات الألم، ألم الفراق ، والشوق ، والحنين ، والذكرى .

شكوى الزمان

والى جانب ذلك كله نجد الرضي كثير الشكوى من الزمان ومن نوازله وخطوبه وغدره ، وأكثر من ذلك شكواه من المشيب وتفجعه على الشباب . اذ فاجاه الشيب وهو لم يزايل عتبات الصبا بكثير، ففي شعره ما يدلنا على أن الشيب داهمه وهو في سن العشرين أو بعد ذلك بقليل :

عَجِلتَ يا شيبُ على مفرقى
وأيُّ عذر لك ان تَعْجَلا
فكيف أقدمت على عارض
ما استغرق الشَّعر ولا استكملا
كنت أرى العشرين لى جُنَّة
من طارقات الشيب ان أقبلا
فالآن سيان ابنُ أم الصِّبا
ومن لِدَى العُمْرُ الأطولا

ولذلك نجده كثير الشكوى من الزمان ومما أنزله به من شيب باعد بينه وبين الشباب وقارب بينه وبين الموت وأغمض عنه عيون الحسان :

لو دام لى ود الأوانس لم أُبَل
بطلوع شيب وابيضاض غدائر
واهاً على عهد الشباب وطيبه
والغضّ من ورق الشباب الناضر
وأرى المنايا ، ان رأت بك شيبةً
جعلتك مرمَى نبلها المتواتر
لو يُفتدَى ذاك السواد فديته
بسواد عيني بل سواد ضمائرى
ان أصفحت عنه الخدود فطالما
عطفت له بلواحظ ونواظر

الوصف عند الرضيّ

أما في الوصف فقد كان مجليا مبرزا فلم تكن شاعريته معبرة تعبيرا قويا عن مكنون نفسه ودخيلة عاطفته فحسب ، وانما كانت معبرة أيضا عن انعكاسات الصور الخارجية عليها مصورة لها تصويرا فنيا يدل على براعة المصور وروعة فنه.

على ان الأمر الذى يثير التأمل حقا في شعره انما هو موسيقاه ، والذى يصيخ السمع أثناء قراءة شعر الرضي يجد انه كان يختار الايقاع الموسيقى المناسب ـ ربما في غير وعى منه ـ للفن الذى يقول فيه معانيه ويصوغ فيه أفكاره وخلجات نفسه ، فالتوافق الموسيقى بين الأوزان والمعانى سمةٌ واضحة في قصائد الرضيّ بحيث يثير ذلك انتباهك وتأملك ويلفتك لفتا شديدا .

عوامل صرفت الناس عن شعر الرضيّ

وبعد هذه الوقفة ـ غير المستأنية ـ مع الشريف الرضي وشاعريته ، أليس من الانصاف أن تدل على أنه من الواجب ان نقف معه وقفة طويلة ، تنصفه وتنصف شاعريته التى اشتغل عنها القدامى بالمتنبى وشعر المتنبى ، ثم لم يلبثوا ان طلع عليهم أبو العلاء المعرى فاشتغلوا به الى جانب اشتغالهم بأبى الطيب ؟؟

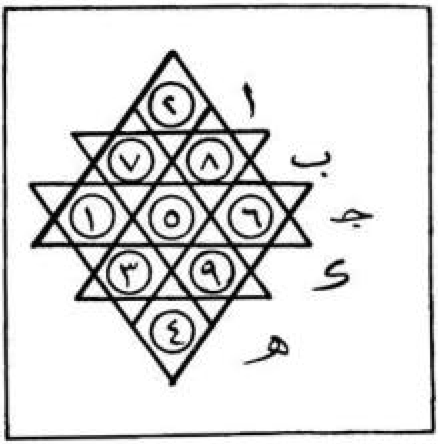
لا شك أن هناك عوامل أخرى صرفت الناس عن الشريف الرضي صرفا ما ، من أهمها نفس هذه الأرستقراطية العربية التى لازمته في شخصيته وسلوكه وخلقه وفنه ، والتزامه طريق الجد والرزانة والوقار ، بعيدا عن مخالطة العامة وجماهير الناس . ويبدو أن تعففه وارتفاعه بمعانيه وأغراضه وصياغته بما يناسب ارستقراطيته صرف طوائف أخرى من الناس الذين كانوا يميلون الى اللهو والعبث تنفيسا عن أنفسهم مما كان يسود تلك الحقبة من عنف وشدة ابان حكم بنى بُوَيه ، ولم يكن في الفنون والأغراض التى طرقها الشريف ما يعطف هؤلاء على شعره ، حتى في نسيبه وغزله اللذين كان يحافظ فيهما على الوقار والجد . ونفس النغمة الحزينة الشاكية التى تجلل معظم شعره تعتبر عاملا مهما في هذا السبيل وانصراف الكثيرين عنه . أما العلماء والنقاد فيبدو أنهم لم يجدوا في شعره من المشكلات والمعضلات ما وجدوه في شعر ابى الطيب وابى العلاء بما يشغلهم به . كما أن شخصيته كرئيس دينى وعالم من علماء البيان والفقه والتفسير طغت على شخصيته شاعرا .

ولعل الرضي ، لو كان شاعرا متفرغا للشعر وفرضه ، سالكا في حياته ومذهبه وطريقته طريقا غير الطريق الذى التزمه والزم به نفسه وسلوكه وشعره ، لكان له شأن آخر بين شعراء هذه الفترة وعلى رأسهم المتنبى والمعرى ، ولنال اهتماما أكبر عند من أرخوا لتاريخ الأدب العربى. ■■

محمد محمود الفش

نتيجة مسابقة العدد ٧٠

٥٠٠٠ إجابة نصفها خطأ !



■ اشترك فى حل هـذه المسابقة مايزيد على خمسة آلاف قارىء ، ارسلوا اجاباتهم من ٣٤ دولة منتشرة فى أفريقيا،وآسيا ، واوربا ، وامريكـا ، والشرق الاقصى ..

وتميزت هـذه الرسائل ، بالعـدد الكبير مـن الاجابات الخاطئـة ، التى قاربت نحو ٥٠ فى المائة مـن مجمـوع الرسائل التى وصلتنا ..

والى جانب هذا الكلام ، يجد القراء الحل الصحيح لهذه المسابقة .. وقـد أجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة ، ففازت الاسماء الآتية بالجوائز المقررة ، ومجموعها ١٠٠ دينار ..

الجائزة الاولى ومقدارها ٣٠ جنيها ، فاز بها : حسين ابراهيم علي الهاشمي ـ المدرسة الثانوية الحكومية ـ بورسودان ـ السودان .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : محمد الشيخ اسماعيل بغدادى ـ جمعية علماء الدين العاملية ـ صور ـ لبنان .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بهـا : عمران فرحان قطيس ـ ليبيا ـ طرابلس الغرب ـ زوارة .

٨ جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير ، فاز بهـا :

حمد عبد الله الدويس ـ معهـد المعلمين ـ عنيزة المملكة العربية السعودية .

حمد محمد سالم العريمي ـ مكتب البريـد العام ـ دولة الكويت .

محمد الحاج موسى فولاته ـ الزرقاء ـ ص.ب ٢١١ المملكة الاردنية الهاشمية .

نعيمة عبد الحسين ـ كاظمية ـ تواب ـ رقم المنزل $\frac{٤}{١}$ ـ العراق .

بو بكر على باذيب ـ شارع الميدان ـ كريتر ـ عـدن .

مصطفى حسن خرتوب ـ يبرود ـ حي الصالحية شارع أبي عبيدة رقم ١١ ـ الجمهورية العربية السورية .

توفيق اشلاش المصرى ـ مدرسة ابن تميم الابتدائية ـ المنزلة ـ دقهليـة ـ الجمهـورية العربية المتحدة .

عبد الله الرجيب ـ طالب كويتي بنيويورك .

وسوف ترسل الجوائز بالبريد للفائزين ■■



جيش من العلماء يعمل لزيادة معارفنا عن الكون ..

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ فى اوائل يناير للعام الحالى (سنة ١٩٦٤) ، بدات الشمس احدى دوراتها، التى تهدأ فيها نوعا ، فتتطامن السنة لهيبها قليلا ، وتقصر تطاولها الرهيب ، وتسمى هذه الفترة ، بفترة الهدوء . وهو هدوء نسبى بطبيعة الحال ، وقد سبقتها فترة نشاط وفوران ، تستطيل فيها السنة لهيبها الى ابعد الحدود ، وتسمى فترة النشاط . وتتابع هذه الفترات واحدة بعد الأخرى ، ومدة كل فترة نحو خمس سنوات . ما أن تصل الى قمة فترة النشاط ، حتى تبدأ فترة الهدوء ، وتصل الى ادنى حالاتها بعد خمس سنوات، تعود بعدها الى النشاط .. وهكذا .

وقد سجل العلماء ، هذه الفترات ، خلال القرنين الماضيين ، فاذا بهذه الدورات ، تتعاقب واحدة بعد الأخرى ، فى نظام بالغ ، وقد كانت الشمس فى سنة ١٩٦٠ فى فترة النشاط ، ثم اخذت تطامن من لهيبها لتبلغ غاية هدوئها فى سنة ١٩٦٥ ، ثم لتستانف فترة نشاط اخرى .

السنة الدولية للفيزيقية الارضية

ومنذ سنوات قليلة خلت ، اخذت المعارف الانسانية ، عن هذا الكون العظيم ، تتزايد بسرعة مذهلة ، وذلك بفضل العلم ومبتكراته من اجهزة وادوات ، وبفضل العلماء الذين يحرصون على الاضافة الى المعرفة ، حتى غدونا نسمع كل يوم جديدا عن أسرار هذا الكون الذى ابدعه البارى سبحانه وتعالى ، واخذ العلماء يرسمون الخطط الواسعة نحو البحث والدرس فى هذا المجال ، يقومون بتخطيط جماعى ، تعمل فيه ثلة من العلماء فى كل أرجاء الارض . وهم ينظمون كل بضعة أعوام مهرجانا علميا لهذه الدراسة . ومنذ بضع سنوات نظموا ما أسموه السنة الدولية للفيزيقية الارضية ، والتى امتدت ثمانية عشر شهرا ، بدات فى اول يوليه سنة ١٩٥٧ ، وانتهت فى آخر ديسمبر سنة ١٩٥٨ ، سجلت فيها رصدات فلكية وجوية على اعظم جانب من الاهمية .

وقد كتبت المقالات الضافية ، ونشرت بحوث وكتب عديدة عن الاعمال الفلكية التى تمت فى هذه السنة . وعقدت مؤتمرات علمية لمناقشة هذه النتائج والتعليق عليها.وكأنما جهز هذا الجيش من العلماء فى أرجاء المعمورة ، ليعمل فى نفس الوقت فى سبيل اضافة مزيد الى معارفنا عن الكون ، وخاصة عن كوكبنا الصغير وهو الارض بالنسبة لباقى كواكب المجموعة الشمسية ... وقد خطت هذه المعارف خطوة واسعة فى هذه السنة ، وذلك بالنسبة لعلم الأرصاد الجوية والمغناطيسية الأرضية ، والشفق ، والنشاط الشمسى ، والطبقة المتأينة فى الغلاف الجوى ، والأشعة الكونية ، والصواريخ والأقمار وعلوم الزلازل والجاذبية والاشعاعات النووية وغيرها . وقد اختيرت هذه المدة بالذات ، حيث كان متوقعا أن تكون الشمس فى أقصى فترات نشاطها . وقد أثبتت التسجيلات والرصدات التى أخذت ان الشمس قد بلغت فعلا ذروة نشاطها وفورانها بدرجة لم يسبق لها مثيل طوال القرنين الماضيين، كما دلت على ذلك أرقام البقع الشمسية . وقد شجعت هذه النتائج العلماء على أن يتابعوا نشاطهم فى هذا المجال ، وان تسجيل هذه المشاهدات والرصدات فى طبقات الجو العليا يجب أن يستمر خلال فترة الهدوء الشمسى كذلك .

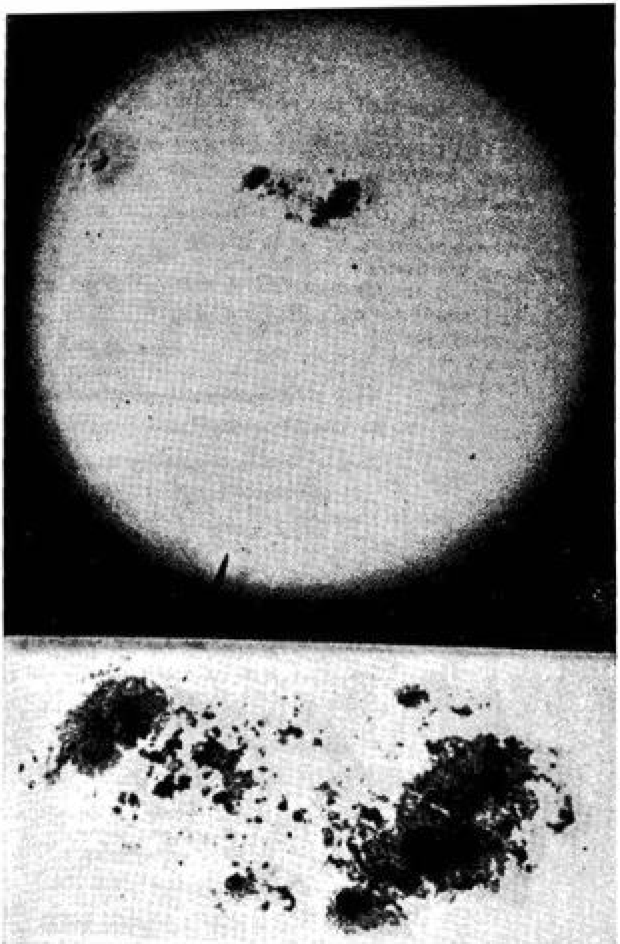
السنة الدولية للشمس الهادئة

ومن هنا نشأت فكرة رسم خطة لبرنامج دولى آخر لتسجيلات ورصدات يَنْشَط لها العلماء فى كل المراصد الفلكية ومحطات الارصاد الجوية المنتشرة فى أنحاء العالم ، سواء على قمم او سفوح الجبال ، أو فى وسط الصحراء فى الجهات الاستوائية او القطبية . ويتم التسجيل والرصد فى نفس الوقت فى كل هذه الجهات وفى جميع مجالات الأرصاد الجوية ، وطبقات الغلاف الجوى العليا ، والمغناطيسية الارضية ،والنشاط الشمسى والأشعة الكونية . وتستمر هذه السنة الدولية عامين . وقد بدأت فى أول يناير سنة ١٩٦٤ لتنتهى فى آخر ديسمبر سنة ١٩٦٥ وقد سميت السنة الدولية للشمس الهادئة .

وقد بدأ التخطيط والتنظيم لهذه السنة باجتماع عقد فى باريس فى مارس ١٩٦٢ ، وكانت قد دعيت الاكديميات والهيئات العلمية المختصة لحضور الاجتماع والمشاركة فى هذه السنة الدولية، وطلب الى الدول المختلفة ايفاد مندوبيها الرسميين من العلماء المتخصصين الى هذا هذا الاجتماع . ثم عقد اجتماع آخر فى روما فى المدة من الثامن عشر الى الثانى والعشرين من مارس ١٩٦٣ . وكانت الدول والهيئات المختلفة قد وضعت خططها ، وبلغ عدد الدول التى أعلنت عزمها على المشاركة فى أعمال السنة الدولية نحو اثنتين وستين دولة.وقد رسمت الخطوط العريضة لتنظيم هذا العمل الجماعى ليعطى افضل النتائج، واتفق على المسائل الرئيسية التى تدرس فى هذه السنة وروعى أن تهتم كل دولة أو هيئة باستغلال امكانياتها العلمية من المتخصصين والأجهزة والأدوات لتسجيل ما تستطيعه فى فترة هدوء الشمس ، وكذلك تسجيل الاحداث الشمسية التى تقع فى شمسنا فى هذه المدة . واجراء دراسات مقارنة بين تسجيلات ورصدات فترة الشمس الهادئة ، وتلك التى أخذت فى فترة الشمس النشيطة وتجميع المعلومات وتبادلها .

مخطط العمل لهذه السنة الدولية الحاضرة

ويمتاز مخطط العمل لهذه السنة ، بأن القائمين عليه قد اكتسبوا خبرة من أعمال ونتائج السنة السابقة ، وقد تكامل نشر نتائجها ، كما أن نطاق العمل قد اتسع . وعدد الدول والعلماء المشتركين فى العمل قد زاد زيادة كبيرة . وقد ألهبت كشوف السنة السابقة خيال الباحثين من العلماء ووسعت آفاق البحث أمامهم ،وغدا من المتوقع أن يرسم العلماء صورا دقيقة للأحداث الكونية وأن يكون تعاونهم خيرا وبركة على العلم والمعرفة . وقد شجع نجاح مثل هذه الخطط العلمية رسم مزيد منها وعقد كثير من الاجتماعات



صورة الشمس، وقد ظهرت بها بقعها الشمسية سوداء . ومن تحتها نفس هذه البقع مكبّرة عدة مرات .

والمؤتمرات العلمية مثل مؤتمر كيوتو الدولى الذى عقد فى اليابان لدراسة الأشعة الكونية للعواصف الأرضية ، الذى عقد فى سبتمبر سنة ١٩٦١ كما عقد غيره من مؤتمرات وندوات للدراسة والبحث حيث يجتمع علماء الفلك والطبيعة والأرصاد الجوية والكيمياء والمهندسون ، وكلهم من ذوى التخصصات الدقيقة .

البحوث المرجوة من السنة الدولية الحاضرة

والآن: ماذا عسى أن تكون هذه الشمس الهادئة التى تثير حماس العلماء ، وتدعوهم الى هذه الاستعدادات الهائلة التى تجرى على قدم وساق وعلى نطاق دولى ؟ .

لقد لوحظت هذه الظاهرة فى مشاهدات الكسوف الكلى للشمس حيث رؤى اكليلها يتقلص كثيرا عندما تكون دورة الشمس فى أدنى حالاتها كما أن دراسة البقع الشمسية التى سجلت فى تسع عشرة دورة سابقة دلت على أنه عندما تكون البقع الشمسية قليلة فان الاضطرابات المرئية تقل كثيرا وقد تختفى تماما .

ولم يسبق أن جندت كل هذه الخبرات والمهارات لتسجيل رصدات للشمس فى فترات هدوئها وفترات نشاطها ، كما أن التقدم العظيم

فى الاجهزة والأدوات وطرق التكنيكة المختلفة فى اللاسلكى ، والاقمار الصناعية ، والارصاد والتصوير ادى الى كشوف رائعة فى مجال النشاط الشمسى ، وغدونا نعرف أن النشاط الشمسى مسألة اكثر تعقيدا مما كنا نظن ، وانه لا يكفى التعبير عنها بحجم الاكليل الشمسى او احصاء البقع الشمسية .

ان دراسة اللهب الشمسى وعلاقته بنشاط الشمس ، وما تبثه من زوائد ، واشعات مثل الأشعة السينية والجسيمات المختلفة ، وما تسببه من ضوضاء فى اللاسلكى والمجال المغناطيسى للبقع الشمسية ، وغير ذلك مما اضاف الكثير جدا الى معلوماتنا وفهمنا لبعض مظاهر النمو والفناء للاضطرابات الشمسية. هذه الاضطرابات التى يصاحبها توليد تيارات من الجسيمات تنبعث من الشمس ولها آثارها على الارض . فتسجيل مثل هذه المشاهدات على نطاق دولى جماعى له اهمية كبرى : انه يعطى صورة لحظية كاملة لكل هذه الاحداث المعقدة ،وأن الارتباط الزمنى بين هذه الاحداث هو المفتاح الذى يؤدى الى فهم علاقاتها ، بعضها ببعض . وترتبط مثل هذه الدراسات المباشرة للشمس بمشاهدات أرضية كثيرة للأشعة الكونية ، والطبقة المتأينة ،والشفق واضطرابات المغناطيسية ، فان تسجيل هذه المشاهدات والرصدات والصور من شانه أن يفسر كثيرا من الأحداث الشمسية سواء تلك التى حدثت فى الماضى أو تحدث فى المستقبل ، كذلك الطاقة الكلية لاشعاعاتها وانبعاث الجسيمات وخصائصها الطيفية .

ويشمل برنامج السنة الدولية للشمس الهادئة فى مجال الارصاد الجوية دراسة طبقة الغلاف الجوى للشمس فى منطقة يفوق ضغطها عشرين كيلو جراما ، وهى المنطقة التى لم تصلها بعد اجهزة الارصاد الجوية ، فاذا تزايدت معارفنا نستكمل أبعاد صورة الجو. وقد أصبح من الميسور استعمال بالونات وصواريخ واقمار الارصاد للتسجيل بصورة مرضية على ارتفاع ستين كيلو مترا . ويمكن رصد آثار ضئيلة من الاوزون أو بخار الماء فى مثل هذا الارتفاع . كما يمكن دراسة قطاع عمودى من الفيض الاشعاعى ، وبذلك نعرف أكثر ما يمكن عن المحتوى الحرارى للجو .

وفى مجال المغناطيسية الارضية ، التى عرفت تسجيلاتها منذ زمن بعيد ، قد طرأت تغيرات تكنية كبيرة فى طرائق التسجيل ، وتستطيع المراصد الحالية التسجيل الآلى لكميات هائلة من الرصدات التى تعطى بدورها قدرا هائلا من المعلومات . وستتحسن كثيرا خريطة المغناطيسية الارضية ، وانها لتعطى فكرة واضحة عن تغيرات الطبيعة الأرضية كذلك الحال فى مجال الشفق ، والبريق الهوائى وطبيعة الطبقة المتأينة واللاسلكى. وقد أفادت الأجهزة الحديثة اعظم فائدة فى هذه الدراسات . وفى مجال النشاط الشمسى قدمت الصور الفوتغرافية التى سجلتها الاقمار الصناعية بيانات مدهشة عن الأحداث والاضطرابات الشمسية التى تبدو آثارها بعيدة جدا من مركزها ، كما سجلت أجهزة الرادار القوية أصداء محسوسة صادرة عن الاكليل الشمسى . وستكون لهذه التسجيلات فائدتها عندما تنتهى فترة الهدوء وتبدأ فترة النشاط الشمسى مرة أخرى .وهناك برامج متنوعة لدراسة الأشعة الكونية مثل ارسال بالونات الى ارتفاعات كبيرة فى المنطقة القطبية .

تقديم موعد هذه السنة الدولية

وقد قرر العلماء تقديم موعد هذه السنة من أول ابريل الى اول يناير سنة ١٩٦٤ لما لوحظ من ان النشاط يزداد بعد فترة الهدوء بسرعة اكبر مما ينقص بعد فترة النشاط .

وقد زامنت السنة الدولية الماضية فترة النشاط الشمسى،كما ستوافق هذه فترة الهدوء. ويعلق العلماء آمالا كبارا على نتائج السنة الدولية للهدوء الشمسى ، تضاف الى ما سبق أن حصلوه من معلومات عن فترة النشاط . والمتوقع أن يغطى البرنامج المخطط فترة الهدوء كاملة ، وعلى اى الأحوال فمن المؤكد أن رصيد المعرفة فى ازدياد دائم بفضل جهود العلماء العاملين .

■■

عبد الحليم منتصر

محمد سليم الجندى

عضو المجمع العلمى العربى بدمشق



● من المغمورين الذين عزفوا عن الشهرة زُهْدًا فيها وَوَرَعًا.

مما يدعو الى التساؤل والاستغراب أن نجد عالما جليلا وأديبا مؤلفا كهذا الرجل الكبير تنحصر معرفة الناس به فى زاوية ضيقة من زوايا الشهرة فلا تضج بذكره المجالس ولا تحتفى به المجامع ، ويذهب عن هذه الدار الفانية كما يذهب غيره ممن لم يتركوا اثرا ولم يخلفوا خبرا .

ذلك ما وقع للأستاذ العالم محمد سليم الجندى عضو المجمع العلمى العربى بدمشق واستاذ الأدب العربى فى كلية الآداب والتجهيز والرجل الذى اعترف له الخصوم ـ ان كان له خصوم ـ بالتفوق وحسن الفهم وصفاء الفكر وصدق العلم . عاش هذا الرجل الكبير للعلم وحده ، فلم يدخل على نفسه شيء غيره . ولقد كان زاهدا فى كل شيء ، فى

بقلم : احمد الجندى

الشهرة والمجد والجاه والرفه ، على ما اصاب من غنى ، بل لقد كان فى عشرته لأهله واقربائه مقتصدا فلا يعطيهم من ذات نفسه ما يعطيه لكتاب جديد أعجبه او مؤلف جليل انس به .

لو جلست اليه

ولو جلست اليه لعجبت لهذا الهدوء كهدوء البحر ، ولهذا الصفاء كصفاء الأفق فى يوم صائف ، فاذا اثرت قضية علمية فى النحو او الصرف او العروض او الأدب او الفقه او الحديث ، او ما شئت غير ذلك ، من كل ما قد يخطر على بالك ، انك اذا اثرت شيئا من هذا فلا بد ان تلقى الجواب المحكم والرد الذى عملت فيه يد المطالعة والدراسة حتى خرج ردا لا يرد عليه وجوابا لا تستطيع ان تجد جوابا غيره .

ولو رأيته

ولو رأيته لشاهدت رجلا ممتلىء الجسم

عريض المنكبين ضخم الرأس أسمر اللون يمشي الهوينى مشية العالم الصابر المتأني، فاذا تحدثت اليه سمعت صوتا أنيسا لين النبرة هادئها ، فاذا بادرته بسؤال سكت قليلا ثم أجابك معللا مدللا حتى تتركه وانت تحس بعدم الحاجة الى سؤال أحد سواه ، فلقد كان موثوقا ، وكان يستطيع ايحاء هذه الثقة الى من يتحدث اليه ، لهذا كان المرجع وكان الموئل فى كل خلاف يبدر حتى بين الأساتذة الكبار .

فى مكتب ((عنبر))

كان الخلاف على أشده ما بين المرحومين الأستاذ عبد القادر المبارك والأستاذ محمد البزم ، والأول لغوى مشهور ، والثانى شاعر ونحوى معروف ، كانا أستاذين فى مكتب ((عنبر)) ومعلمين لمادة واحدة هى النحو واللغة وما شاكل ذلك من دروس اللغة العربية . لذلك كانت تقوم الخلافات فيما بينهما ، وهى خلافات ، لا تتعدى العلم والنحو والأدب ، فهما يختلفان مثلا على كلمة (غلاظة) أهى بفتح العين أم كسرها ، أو يختلفان على كلمة رئاسة أهى بكسر الراء أم بفتحها . وكانت هذه الخلافات تثار فى غرفة الأساتذة وفى الفواصل بين الدروس .

ولقد كان سليم الجندى آخر من ينظر فى هذه المشكلات فيعطى كل ذى حق حقه فلا يعترض ولا يحتج انسان . ولو اردت ان أعدد لك مواقف الرجل العلمية وثقة الناس به واعتقادهم بفهمه وسعة اطلاعه لطال بى الأمر .

بين الجندى وأنستاس الكرملى

ولقد حدثنى من أثق به ان العالم العراقى الكبير الأب أنستاس الكرملى بعث فى يوم من الأيام بمقال أورد فيه بعض الآراء اللغوية الخاصة به . وقد نظر فى هذا المقال عدد من أعضاء المجمع العلمى بدمشق ، فأعجبوا ببعض ما ورد فيه ، ولم يرضوا عن بعضه . ولكن لم يرد أحد منهم الرد عليه ، فقد عرف الكرملى بقوة الحجة والشكيمة والقسوة الجارحة على من يطاوله . ولكن الجندى بالرغم من ذلك كله تقدم للجدال فرد ردا محكما مفحما حتى سكت الكرملى على مضض، وقد اخذت الحجة الجندية بقبضته فلم تترك له مجالا فى القول . ولقد صرح الكرملى بعد ذلك لأحد أدباء العراق بانه لا يخشى أحدا فى الرد على ما يكتبه الا الجندى لانه (جندى مسلح) على حد تعبيره .

زهد فى الدنيا ، فلم يختلط بالناس ولم يكتب بصحيفة،ولم يخطب فى جمهور

أفليس من الغريب المستغرب أن يكون هذا الرجل غير معروف الا عند القلة القليلة من أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق ، والا عند تلامذة مكتب عنبر ، وبعض رواد مناهل العلم . ولكن تفسير ذلك أن الرجل لم يكن يختلط بالناس الا فيما ندر ، ولعل أصحابه فى دمشق وغيرها لا يتجاوزون أصابع اليد عددا ، ولم ينشر فى الصحافة اليومية الا القليل النادر من كتاباته ، ولم يلق محاضرة فى حفل وطنى ، ولم يتحدث فى مكان شعبى ، ولم يقف خطيبا فى جمهور الا قليلا. يضاف الى هذا انه لم ينشر شيئا من مؤلفاته فى أثناء حياته . كل الذى نشر كان من بعد وفاته . يستثنى من ذلك بعض الرسائل المختصرة المقصورة على بحوث معينة لا تهم الا قليلا من أهل العلم وذوى الاختصاص، كرسالة فى العروض، او بعض البحوث الأدبية ، أو مطبوع فى اصلاح الفاسد من لغة الجرائد ، وأكثرها لا يترك أثرا ولا يخلف ذكرا .

ولست أجد تعليلا لكل هذا الا الزهد ، أو التقشف ، فقد كان الرجل زاهدا بأعراض الدنيا كلها ، وهو يعتقد اعتقادا جازما صادقا أن المرء اذا ذكر بعد موته كالمرء اذا ذكر وهو حى ، بل لعل ما يصيبه من الخير بعد وفاته هو أقرب للصحة والسلامة وأبعد عن مجال الحسد والرياء.

نشأة سليم الجندى

ولد المرحوم الأستاذ محمد سليم بن تقى الدين

• نَشَأَ جِيلاً

• وُلِدَ بالمعَرَّة،

● محمد سليم الجندى

ابن سليم الجندى فى قرية المعرة عام ١٨٨٠ للميلاد . وتوفى عام ١٩٥٥ . وقد ترك المعرة مع والده الى دمشق وهو صغير ، ولقد بدت عليه بوادر الميل الى العلم منذ نعومة اظفاره ، وانصرف منذ فجر طفولته الى حلقات الدرس فى جامع المعرة القديم . فلما جاء دمشق وجد المورد عذبا زلالا ، فقرأ على الاساتذة الاجلاء الشيوخ بدر الدين الحسني ومحمد عطا الكسم ، ومحمد شكرى الاسطواني وحسين الشاش وعبد القادر بدران ، فأفاد منهم علوم : التوحيد والأصول والحديث والفقه الحنفى ، والفرائض ، والبلاغة والنحو والعروض ، وهؤلاء الاعلام كان كل واحد منهم مرجعا فى بحثه ، ليس فى عصره من يُبَرّزه او يتفوق عليه ، لهذا عرف الجندى كيف يقرأ ، وعرف كيف يفيد من قراءته . فلما حصلت لديه هذه المعرفة الواسعة الصحيحة أدرك انه اصبح فى الدرجة التى يريد ، وفى المكانة التى تمكنه من ان يبدى رأيه ويدلي بحجته فلا يجد من يقرعها .

فى ديوان الحاكم

واحس بالشباب المتعلم من حوله وكانوا من رجال الدولة ، والوظيفة كانت هاتيك الايام غاية مثلى وقصدا أعلى ، فعُيّن فى بعض اعمال الحكومة كديوان الحاكم العسكرى ووزارة الداخلية ، ورئيسا للقسم العربى فى ديوان حاكم دمشق . ولكن هذه الأعمال على قربها من ملكته الأدبية ، لم تكن تملأ وقته بما يسره ، فكان عمله فيها اشبه بعمل الجندى الذى لم يخلق للجندية . ولقد افاد الحكومة فى حياته الحكومية افادة لا تنكر ، اذ شارك فى وضع بعض المصطلحات العربية الرسمية فى أعقاب زوال الحكم التركي وانتقال الكتابة الرسمية من اللغة التركية الى اللغة العربية ، وما تزال المصطلحات الادارية المستعملة حتى الآن مَدينة" بفضل وجودها الى سليم الجندى وزملائه ممن تسلموا وظائف الكتابة فى تلك الحقبة .

فى كرسى الأدب العربى

ثم اخذ العالم الشاب طريقه الى المكان الذى خلق له . الى كرسى الأدب العربى فى مدرسة التجهيز بدمشق ، وكان هذا الكرسى يمثل أعلى درجة علمية فى البلاد ، فلم يكن هنالك تجهيز أعلى من مكتب « عنبر » . ولم يكن فى جامعة دمشق يومئذ فرع للآداب ، لهذا وجد الجندى فى عمله الجديد غاية ما يتمنى . وفى هذا العمل الذى طال سنوات عديدة كتب ما كتب ، وألّف ما الف . ولعل مؤلفاته الكبرى التى سنأتى على ذكرها قد كتبت فى هذه الفترة السخية من حياته التى انصرف فيها الى الدرس والتدريس .

ولقد عرفت « الاستاذ » ، كما كان يلقب ، من بعيد ، أعنى اننى لم أكن تلميذه . ولقد جئت الى الصف الثانى عشر من « عنبر » ، وهو صف الفلسفة ، وكان الجندى يقوم بتدريس صف البكالوريا الأولى (الحادى عشر) بقسميه الأدبى والعلمي .ولكن شهرته جذبتني اليه ، فكثيرا ما كنت استوقفه فى ساحة المدرسةلاسأله فى النحو والعروض واللغة ، ولم يكن قصدى من الأسئلة استفسارا أو استقصاء ، وانما كان ذلك بقصد الوقوف الى جانب الرجل الكبير والتحدث اليه أمام الطلاب . ولقد كان يهرع اليّ الرفاق بعد انتهاء الحديث القصير ليسألونى عما دار بيننا ، وكثيرا ما كنت اصطنع الترفع العلمي والتعمق اللغوى لأدل على اخوانى ولأفخر بذلك عند أخدانى .

وكان الطلاب يدخلون الى صف الجندى بكل هدوء ورزانة وسكون ، لأن الجندى كان يحب

مِنَ الشّبابِ علَى العربيّةِ الصّافيةِ، يَومَ كانت العربيّةُ الصّافيةُ لُغةً تقتَني

وأُولِعَ بِشَيخِها، وَدَافعَ عَنْ عَقيدَةِ أبِي العَلاءِ دِفاعَ المُستَميت

هذه الصفات ولا يقبل غيرها صفة" عند تلامذته. وكثيرا ما كنت انفس بين هؤلاء لاستمع الى درسه ولأنصت الى الاعراب الذى لا اعراب بعده ، والى المحفوظات الشعرية التى ترتفع بنا الى اقصى ما يمكن أن ترتفع اليه الحاسة الفنية الأدبية والذوق العربى الصحيح . وكنا ، أنا والتلامذة ـ نتفق معه فى كل شىء ، أو نذعن له فى كل شىء ما عدا بحثه عن أبى العلاء ، فلقد كان للمعرى اثر فى نفس الاستاذ اى أثر . وكان اذا تحدث عنه تغيرت ملامحه وأحسسنا بالاستاذ ينقلب الى تلميذ . ولا يخفى أن تلامذة الصف الحادى عشر كانوا عند ذاك انصاف أدباء ان لم يكونوا أدباء كاملين بالمعنى الصحيح وبالنسبة الى هذه الايام، اذ كانت الثقافة العربية فى درجة عالية لم تصل اليها فى يومنا هذا وكان التلميذ من هؤلاء يكتب ويقرأ وينظم الشعر ويشتغل بالصحافة دون أن يأتيه اللحن من بين يديه ولا من خلفه . وكان الطلاب يخطبون فى المظاهرات التى تخرج من مكتب « عنبر » ضد الأجنبى ، فلا يَلْحنون، ولا يلكنون ، ولا يرطنون . وكان الضعيف منهم فى لغته العربية ، لغة أمه وأبيه ، يخجل أن يظهر على مسرح خطابة أو حديث أو محاضرة .

فى هذا الجو الذى انصرف فيه التلامذة الى العلم من جهة ، والى مقارعة الأجنبى المستعمر من جهة أخرى ، ولا ثالث لهاتين الجهتين ، فى هذا الجو كان يدرس سليم اللغة العربية وآدابها ، وكنت ترى مكتب عنبر على كثرة ما فيه من تلامذة كأنه مسجد من مساجد الاسلام فى أزهى عصور الاسلام علما وثقافة .

فى المجمع العلمى العربى

ولم تطل فترة التدريس حتى انتخب الجندى عضوا فى المجمع العلمى العربى ولم يستكثر الناس ذلك ولم يستغربوه ، فالرجل كفء والمجتمع العلمى أولى بأن يحتضن هذا العالم الجهبذ الذى أعجب به الناس .

عند التقاعد

ولقد ترك مدرسة التجهيز « عنبر » عام ١٩٤٠ حين أحيل على المعاش لبلوغه سن الستين، وكان قبل هذه المدة قد شارك فى تدريس اللغة العربية فى معهد اللاييك الفرنسى بدمشق ، كما عين مدرسا للغة العربية فى كلية الآداب التى أنشئت حوالي عام ١٩٣٢ ثم عين ناظرا للثانوية الشرعية ثم مديرا لها فى أخريات أيامه .

مؤلفات الجندى فى التاريخ

أستطيع أن الخص عبقرية الرجل فى ناحيتين أولاهما ناحية التاريخ ، فى شقيه الأدبى والزمنى.

ولقد كانت خير مؤلفاته وأوسعها وأجدرها بالاعتبار والبقاء وقفا على هذا الباب ـ التاريخ . فكتاباه « الجامع فى أخبار أبى العلاء » و « تاريخ مَعَرَّة النعمان » ، مَرْجعان كبيران فى الأدب والتاريخ ، وقد حشد لهذين الكتابين كل ما يملك من علم وصبر ، ودقة واتقان .

ولقد قام المجمع العلمي العربى بدمشق مشكورا بطبع كتاب « الجامع فى أخبار أبى العلاء » ، وأنجز طبع الجزئين الأولين منه وبقى الجزء الثالث والأخير .

كما قامت وزارة الثقافة والارشاد القومى ، ولها الفضل ، بطبع « تاريخ معرة النعمان ». وتم طبع الجزء الأول منه ، وبقى جزءان .

الجندى مؤرخ وأديب معا

ففى الناحية التاريخية يُعجَب القارىء بالاستاذ الجندى من حيث دقة البحث والصبر على الدرس وحسن التعليل ، ونسبة الحوادث وارجاعها الى منشئها وأسبابها ، ويزداد عجبه واعجابه بلغته وقوة عبارته ، ونقاء أسلوبه وصفاء ديباجته، فهو مؤرخ وهو أديب فى آن ، وهاتان مزيتان قليلا ما اجتمعتا فى شخص واحد ، كما اجتمعتا عند ابن قتيبة وابن خلدون فى الشرق ، وعند فولتير فى الغرب . وليس شرطا أن يكون المؤرخ أديبا ، ولكنه اذا كان كذلك ، بلغ التاريخ غايته ، على أن هنالك رأيا يخالف هذا الرأى وهو رأى الواقعيين الذين يؤكدون ان الأديب أقرب الى التأثر برأيه الشخصى من ذلك المؤرخ الذى يستطيع النظر الى حوادث التاريخ نظرة «وضعية» واقعية لا يتأثر فيها بما فى داخله من آراء شخصية قد تحور التاريخ المكتوب كله .

ما يؤخذ على الجندى فى تاريخه

اما ما يؤخذ على الجندى فى تاريخه فهو شكه

الذى لا يقف عند حد ، فلقد يؤرخ لك الحادثة فيستقصى كل ما فيها وما حولها ولا يترك شاردة ولا واردة مما قيل فيها حتى تظن انه بلغ النهاية التى لا نهاية بعدها ، ولكنك سرعان ما تراه يهدم كل ما بناه وما اقامه فى لحظة واحدة . وبشطحة قلم واحدة ، فاذا أنت من هذا العلم امام ركام لا حياة فيه ، واذا بك تلقى من هذا المؤرخ ما يلقاه المصفوع من الصافع أو المصدوم من الصادم.

ولعل لنشأة الجندى الدينية أثرا كبيرا فى هذا الأمر ، فالرجل تقى ورع زاهد كما قلنا فى أول البحث ، والرجل درس على رجال الدين من العلماء الزهاد فتأثر بهم . ولو أنه عاش بين الموظفين ، فهو مقيد فى تاريخه بهذه النظرة الدينية التى تجعله كثير التحوط والتحفظ ، بطيئا فى اعطاء الرأى ، متأنيا فى اثبات الفكرة . وتبدو هذه الناحية عنده جلية فى بحثه تاريخ الأشخاص الذين مروا به ، وقد تكون غايته فى ترك الرأى أن يحيل الأمر على القارىء الباحث ، فهو يعرض عليه الحوادث ، ويترك له هو أن يقرأ ما يريد منها .

ولقد يبدو فى بعض الصفحات من تاريخه جريئا الى أبعد حدود الجرأة ، والرأى المتواتر عنه ، رحمه الله انه كان أبعد الناس عن المشاكسة والمخاصمة ، فهو (سليم دواعي الصدر) كما يدل على ذلك اسمه ، ولكنه مع ذلك قد يحل فىتاريخه على الشخص فيقصم ظهره أو يدق عنقه ، لا تأخذه فيه رحمة ولا هوادة ، والناحية الدينية هى التى تملي عليه هذه الجرأة وهذه القوة فهو يثور على كل من يخالف الدين أو كل من يلجأ الى أمور يحاول من ورائها استغلال هذا الدين، ولعل الاحساس الدينى هو مفتاح شخصية مؤرخنا الكبير .

بين الجندى وأبى العلاء المعرى

أما فى تاريخه الأدبى ، وأعنى « الجامع فى أخبار أبى العلاء » . فالقارىء قد يكون مع الجندى فى كل ما يتحدث به عن أبى العلاء ، الا فى بعض الأمور التى يخالف فيها مؤرخنا الواقع الذى اتفق عليه أكثر المؤرخين . فلقد اختلف زمانه ، وتغيرت ظروفنا عن ظروفه ، وتباعدت نشأته الدينية عن نشأتنا ، فاذا نظر الى أبى العلاء مدافعا ، نظرنا اليه كشخص نريد أن نشرحه دون أن نتقيد بأصله « المعرى » ونسبه « القفاعي »

وثوبه الدينى . ولقد تأثر الجندى بكل هذه المؤثرات فعلا ، فهو يصدر عنها فى كل آرائه المتعلقة بفلسفة أبى العلاء واحساسه الدينى وعقيدته الأخروية التى كثر الأخذ والرد فيها .

بل لعل هناك رابطة شخصية بين الرجلين سببها انكباب الجندى على قراءة المعرى والتذاذه بمطالعة آثاره . وهذا الحب بين القارىء والمقروء قضية واقعية . وربما أثر فى رأى صاحب الرأى فحاد به عن الواقع الصحيح . فالأستاذ الجندى يعطف على فيلسوف المعرة عطفا خاصا ، والاستاذ الجندى رجل دين وتنسك ، وهو يرى أن الرجل يجب أن يكون صاحب دين ليكون رجلا صحيحا ، وهو لا يستطيع أن يتصور أبا العلاء ناقصا من هذه الجهة الدينية ، لذلك عمد الى تنزيهه عن الشكوك الدينية . ولهذا أيضا قرر أن أبا العلاء رجل مؤمن تام الايمان و (ان كتبه التى وصلت الينا مضمورة بالشعور الاسلامى . وهو يعتقد ان أسباب تكفيره ناجمة عن خصومه وحاسديه و (المنعم فى البحث يجد أسبابا كثيرة لذلك — أى للتكفير — أشدها الحسد من أعدائه ، والتنطع والتشدد فى الدين من خصومه ، والطموح الى الظهور على أكتافه ، والولوع بالاغراب على حسابه) .

فى « رسالة الغفران » و « لزوم ما لا يلزم »

ويرى الجندى أن المطعنين اللذين يمكن أن يتمسك بهما خصوم أبى العلاء لتكفيره هما : رسالة الغفران ولزوم ما لا يلزم .

وكان المفروض فى سبيل الدفاع عن الفيلسوف أن يدحض ما ورد فى رسالة الغفران ، ولكن الجندى لم يفعل شيئا من هذا ، وانما عزا ما ورد فى رسالة الغفران من تهكم واستخفاف الى (الأمور النفسية التى لا يعلمها الا الله) . وهذا قول نوافقه عليه ، من ناحية أن الله يعلم وحده الأمور النفسية، لكن هنالك أمورا ظاهرة يستطيع العبد أن يفهمها باذن الله ، وهى تدل على التهكم والاستخفاف اللذين لم يخففهما أبو العلاء رغم محاولته ذلك . وهذا الرد من الاستاذ الجندى لا يقوم دليلا على براءة أبى العلاء ، وان كان الاصل فى الشيء براءة الذمة .

اما بشأن المطعن الآخر ، وهو « لزوم ما لا يلزم » ، فقد كان دفاع الاستاذ الجندى أيضا

غير كاف ولا واف . ولقد انصرف ذهنه الى نقد الطبعتين الهندية والمصرية لهذا الكتاب ، ولجأ الى تصحيح بعض الأبيات التى طبعت خطأ فيهما، وهذا فى رأينا لا يقدح برأى القائلين باستخفاف وتهكم أبي العلاء واعتراضه على أمور دينية ثبت اعتراضه عليها بأبيات فيها روحه، وفيها تفلسفه، وفيها طريقة تفكيره التى لا يشاركه فيها أحد ، حتى الأبيات التى نقدها الاستاذ الجندى ، فان الخطأ المطبعي الوارد فيها لا يفيد حتما أن هذه الأبيات مدسوسة أو دخيلة .

ونحن لا نقول باصرار أبى العلاء على آرائه ، فهو أولا وآخرا رجل شك، ورجل مضطرب الرأى، خاضع كغيره من مرهفى الحس ، الى عوامل تثيره حينا فيتطرف ، ويهدأ بعد حين فيرجع عن رأيه . ومن الحسن فى هذا الأمر أن ينقسم الناس فى أبى العلاء الى قسمين ، واحد يتمسك بأبياته التى يتشكك ويستخف بالعقيدة فيها ، والآخر يلجأ الى الأبيات التى يبدو الفيلسوف فيها مؤمنا تام الايمان . ولا يتعارض الرأيان ، لأن الفيلسوف ، أو الشاعر ، قد نطق بهما كليهما .

الجندى يلتمس العذر لأبى العلاء

ومن الغريب أن يلجأ الاستاذ الجندى فى دفاعه عن أبي العلاء الى الأبيات التى تثبت رأيه ولا يستشهد بالأبيات التى يعتمد بها أصحاب الشك فى عقيدة أبى العلاء ، كما ورد فى حديثه عن « لزوم مـــا لا يلزم » . ولكنه هـو نفسه يرجع الى نفسه فيلتمس العذر لأبى العلاء فى قوله « ومن المعلوم أن لزوم ما لا يلزم لم يكن من كتب الدين والعقائد ، وانما هو ديوان شعر ، والشاعر قد يبالغ أو يوجز ويقول ما لا يفعل ، ويتخيل أمرا غير واقع ، ويلجأ الى المجاز » . وهذا الرأى قريب مما أوردنا سابقا وان كان ليس رأينا بالذات ، وهو كما قلنا آنفا ، لا يقدح فى رأى الذين شكوا بعقيدة أبيالعلاء استنادا الى أقواله. ثم يعود المؤلف ليستدرك مرة أخرى فيقول فى نتيجة محاضرته عن أبي العلاء (واننا لا نريد أن نجعل أبا العلاء فى مصاف الصديقين والأولياء المقربين) . وهذا دليل على أن الاستاذ الجندى ، رحمه الله ، قد شك أخيرا فى سلامة عقيدة أبي العلاء ، وان كان تمسكه فى الدين يمنعه مـن التصريح بهذا الرأى .

وآخر ما جاء فى محاضرة الجندى يؤيد رأينا ورأى أصحاب الشك ، وذلك حين يقول (وعسى أن لا أكون فى كلمتى هذه كمن حاول أن ينقد غريقا فغرق معه) . وهذه حجة أخرى على المؤلف قدمها هو نفسه ليريحنا من عناء الجدال والمناقشة فى أمر عقيدة أبي العلاء .

وهي تبين أن الرجل ـ الجندى ـ غير مقتنع كما قلنا بسلامة عقيدة أبي العلاء رغم حبه الشديد له وايثاره .

الجندى فى علم النحو

وأما الناحية الأخرى الهامة فى عبقرية الرجل فهى فى علم النحو الذى أتقنه حتى أصبح فيه حجة والنحو فى رأيي ملكة « قبل أن يكون علما ، أو علم يتحول الى ملكة ، والملكة تعتمد على الفطرة . ومن مقومات هـذه الفطـرة الذوق ، وعنـدى أن مرتبة الذوق العلمى أعلى مراتب العلم ، لأن هذا الذوق ، يعتمد على علم وفير تمثله صاحبه ، كما يعتمد على الحَدْس فى ايراد الرأى ، وهو حدس ندر أن يخطىء . وشتان بين من يواتيه الحدس والالهام الصادق ، ومن يجعل دَيْدنه الحفظ عن ظهر قلب دون أن يعمل فكرا أو يشغل ذهنا » .

وما عرفنا للاستاذ الجندى رأيا خاصا فى النحو أو الاعراب ، وما نحسب أن له اجتهادا ابتدعه فى هذا الباب ، وانما أمره فى النحو أن يقرأ فيَفْهَم ، فينقل الى تلامذته ما فهم نقلا واضحا جليا لا لبس فيه ولا غموض ، وحسبك من رجل يستطيع نقل العلم من الجيل القديم الى الجيل الجديد بأسلوب جديد طريف سهل المأخذ قريب المنال . ولقد سألت تلامذته ، واستفهمت مـن زملائه فى التدريس فأجمعوا كلهم على أن الرجل لم يكن بصاحب نظـرية فى النحـو ، اللهم الا المشاركة فيما قال القدماء وترجيح أحـد الآراء المقولة على الآخر . فهو بذلك معلم ناقل يحسن التعليم والنقل احسانا كبيرا ويكفى .

وقد ألف رسالة فى النحو سماها « مرقد المعلم ومرشد المتعلم » ، جمع فيها أشتاتا مـن مسائل النحو ، وقارن فيها بين الأشباه والنظائر بشكل يسهِّل على القارىء الرجوع اليه .

كما ألف رسالة أخرى فى أحكام (ما ومن) ، وقد درس كل ما يتعلق بهما دراسة محكمة .

وهما خلاصة الدروس التى القاها فى كلية الآداب على تلامذته .

اذن فالتاريخ والنحو هما الميزتان اللتان برع بهما استاذنا الجندى .

الجندى فى العروض

وبقيت هنالك مآثر يحسن ان نشير اليها فى هذا المقال لتستتم شخصيته ولترتسم صورته فى ذهن القارىء فقد كان معروفا عنه انه مؤلف فى العروض . وقد الف رسالة شعرية جمع فيها قواعد العروض وأصوله وقد بلغت مائتين وخمسين بيتا ، ولكنه صرف النظر عنها لم مزقها .

والجندى عانى نظم الشعر . ولقد قدرتُ موهبته قبل أن اطلع على شعره ، فقلت لعله عالم يتشاعر ، أو فقيه يحاول الظهور بالقدرة على النظم. فانا اعرف الكثير من الفقهاء والنحويين ممن حاولوا نظم الشعر ، فكان نظمهم دليلا على بعدهم الشاسع عن هذه الموهبة . ولكنى حين اطلعت على بعض شعر الجندى عجبت لهذا الرجل الذكي واكبرته . لقد كان فى شعره شبَه من شعر الشعراء البارزين ، وكان اسلوبه ظاهر الجمال ، ولفظه يكاد يصلح للغناء لحسن الرصف ودقة النظم . واسمع هذه الابيات من قصيدة يصف فيها بلدة المعرّة ويتشوق الى ايام صباه فيها .

يا صَيِّبَ المُزْن من سارٍ ومبتكرٍ
حيِّ المعرّة فى الآصال والبُكَرِ
دارٌ قضيت بها عهد الصبا مرحا
خِلْوا من الهم والأوصاب والكدَرِ
تخال أرجاءها فى كل ناحية
مُلتفة من نسيج الدهر فى أُزُرِ

الى أن يقول :

اذا النسيم على وادى النسيم سَرَى
وماج ما فيه من نجم ومن شجرٍ
حسبتَ بحرا خضمّا جاش فاضطربت
أمواجه من صنوف الزهر والثمرِ

واستمع الى وصف هذا النهر :

يَفيض فى جوفه « الهرماس » مصطخبا
كالبحر منحدرا من رأس منحدرِ
فيملأ العين حسنا فى تكسّره
ويملأ العين من مستعذَبٍ نمِرِ

الى أن يفتخر بقومه :

أولئك القوم قومى لا أرى شبها
فى المكرمات لهم فى البدو والحضَرِ
ولكم الدار دارى لا أرى بدلا
بها ولو كان فوق الشمس والقمرِ

وانا لا اقول ان فى هذه الابيات معانى جديدة أو أخيلةً بديعة ، وانما الفت النظر فقط الى هذا اللفظ الجيد والى الاسلوب الموسيقى الذى يمتاز به الشعراء الموهوبون . ان من لا يملك الموهبة لا يمكن أن يسلس اسلوبه أو يعذب انشاده. وحسبك من الشاعر فى اول نشأته انك لا تحس التكلف فى الفاظه . وهذه الديباجة الصافية التى تسيل كالماء القراح هى التى تعطيك دليلا على الشاعرية .

ولكن الجندى ملَّ النظم لكثرة ما كان يكلفه الناس بكتابة « التواريخ » والمراثى والمدائح كلما مات عظيم أو جاء وال . ووجد الضرورة تقضى عليه بأن يهجر هذا الفن العزيز عليه ، وأن ينصرف الى العلم والأدب . وما ندرى ان كان خيرا أو شرا ما فعل . ولقد عرفنا الكثيرين من الشعراء الموفقين يهجرون الشعر لأسباب خارجة عن الشعر ذاته ، فالمازنى كان شاعرا موهوبا ، ولقد نشر ديوانا تجد فيه تجديدا وتجد فيه طرافة قد ترتفع عن مستوى كثير من الشعراء الذين اشتهروا بالشاعرية ، ومع ذلك فهو قد طلق الشعر ثلاثا كما قال ولا يعرف أحد سبب ذلك الهجر .

وبعد

وبعد فلقد حاولت فى ما سلف من القول ان اصور شخصية الأستاذ محمد سليم الجندى تصويرا يظهر حقيقته العلمية الكبيرة ، ويطلع القارىء على جوانب من نشاط هذا الرجل العامل الزاهد الذى لم يعمل للشهرة ولا للجاه وانما ظل فى مكان منعزل من مكتب « عنبر » ، يدرّس للتلامذة ويرشدهم الى كنوز اللغة العربية الخفية فخدم امته ووطنه خدمة صحيحة مفيدة دون أن يسأل من وراء ذلك رفدا أو شكرا .

كان عالما ، وكان أديبا ، وكان معلما ومؤلفا ولعمرى ان هذه المؤهلات لكافية أن يكون هذا الرجل الكبير موضع اهتمام الجيل العربى الحديث واحترامه . ■■

دمشق : **احمد الجندى**

طرائف عربية

لا يا بني اسرائيل

● نزل طفيلي يدعى موسى على احد الاغنياء ، وبعد وقت طويل ذكر اهله فاستأذن وانصرف ، ثم عاد بعد قليل ومعه اهل بيته ، ولما طرق الباب وجاء الخادم قال له : قل لمولاك لقد رجع موسى بقومه .

فدخل الخادم وعاد فاجابه : يقول لك مولاي : ولقد كرمنا موسى ولا شأن لنا ببني اسرائيل !!

ادراك العلم بثلاث

● قال الاصمعي : قيل لدغفل النسابة : بم ادركت ما ادركت من العلم ؟ فقال : بلسان سؤول ، وقلب عقول ، وكنت اذا لقيت عالما اخذت منه واعطيته .

قاض مغفل

● حكى ابو الخير الخياط عن بعض اصحابه قال :

دخلت « تاهرت » فاذا فيها قاض من اهلها وقد جيء له برجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله حد منصوص ولا في السنة ، فأحضر الفقهاء فقال لهم :

ان هذا الرجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله حكم معروف ، فما ترون ؟

فقالوا باجمعهم : الامر لك . .

قال : سأغلق المصحف ثم افتحه فما وقعت عيني عليه عملت به !

قالوا له : وُفقتَ . ففعل بالمصحف ما ذكره ، ثم فتح فطالعه قوله تعالى :

« سنسمه على الخرطوم » ، فقطع انف الرجل وخلى سبيله !

العلم من المهد الى اللحد

● **كان يقال :** لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن ان قد علم فقد جهل .

طرائف

● هبت يوما ريح شديدة فاقبل الناس يدعون الله ويتوبون فصاح جحا :

ـ يا قوم لا تعجلوا بالتوبة انما هي زوبعة وتسكن !

● كان جحا يدق وتدا في حائط له ، وكان وراء الحائط زريبة دواب لجاره ، فانخرق الحائط ، فرأى خيلا وبغالا، ففرح وجرى الى زوجته

متعلم يدخل النـار

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعلم العلم لأربعة دخل النار . ليباهي به العلماء ، او يماري به السفهاء ، او يميل به وجوه الناس ، او يأخذ به من الامراء » .

من مفارقات ابن سودون

● **قال ابن سودون :** كنت ـ وانا صغير ـ بليدا لا اصيب في مقال ، ولا افهم ما يقال ، فلما نزل بي المشيب زوجتني امي بامراة كانت ابعد مني ذهنا الا انها اكبر مني سنا . وما مضت مدة طويلة حتى ولدت ، والتمست مني طعاما حارا . فتناولت الصحفة مكشوفة وخرجت ، ولكني رجعت الى المنزل آخـذ المكبـة (غطاء الصحفة) فنسيت الصحفة . فلما كنت في السوق تذكرت ذلك فرجعت واخذت الصحفة ونسيت المكبة . وصرت كلما اخذت واحدة نسيت الاخرى . ولم ازل كذلك حتى غربت الشمس ! فقلت : لا اشترى لها في هذه الليلة شيئا . ثم رجعت اليها ، واذا هي ميتة ، واذا ولدها يستغيث جوعا ، فتفكرت كيف اربيه ، وتحيرت في ذلك ، ثم خطر ببالي ان الحمامة اذا افرخت وماتت ذهب زوجهـا والتقط الحب ثم يأتي ويقذفه في فم ابنه ، وتكون حياته بذلك ، فقلت : لا واللـه لا اكون اعجز من الحمَام ، ولا ادع ولدى يذوق كأس الحمَام . ثم مضيت واتيته بجوز ولوز فجعلته في فمي ونفخته في فمه فرادا وازواجاً ، افواجا افواجا ، حتى امتلأ جوفه وصار فمه لا يسع شيئا ، وصار الجوز واللوز يتناثران من شدقيه . فسررت بذلك وقلت : لعله قد استراح . ثم نظرت اليه ، واذا به قـد مات ، فحسدته على ذلك وقلت : يا بني .. انه انحطَّ سعد امك وارتفع سعدك ، لانها ماتت جوعا وانت مت من الشبع . وتركتهما ميتين ، ومضيت آتيهما بالكفن والحَنوط . ولما رجعت لم اعرف طريق المنزل . وها انا في طلبه الى يومنا هذا !!

لستم أجلَّ من فرعون

● تنبأ رجل فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال :

ـ اطرح لكم حصاة في الماء فتذوب !
قالوا : رضينا !

فاخرج حصاة معه وطرحها في المـاء فذابت .

فقالوا : هذه حيلة ، ولكـن نعطيك حصاة من عندنا واجعلها تذوب .

قال : لستم اجلَّ من فرعون ، ولا انا اعظم من موسى ، ان فرعون لم يقـل لموسى : لم ارض بما تفعله بعصاك حتى اعطيك عصا من عندى تجعلها ثعبانا !!

من جحا

وقال لها : تعالي انظري فقد وجدت كنزا مملوءا بالبهائم !

● دفع احدهم الى جحا كتابـا ليقرأه له ، فعسُرت عليه قراءته ولم يعرف ما فيه ، فسأله جحا : مـن أين جاءك هذا الكتاب ؟

فقال : من مدينة حلب .

قال جحا : صدقت ، ومن قـال لك انى أعرف القراءة بالحلبي ؟!



مرآة الرأى الغربى

هل ينجح جولد ووتر فى رئاسة الولايات المتحدة ؟





جاء فى مقال بصحيفة اسبكتاتور الانجليزية ، كتبه امريكي :

● ... ان من السخف القول بأن مرشحا لرئاسة الولايات ، رشحه حزب امريكي كبير كالحزب الجمهورى، ليس له فرصة قط فى النجاح عند الانتخابات . ومع هذا فلا بد من القول بأنه يوجد فى الحزب الجمهورى جماعة من السياسيين المستنيرين يرون ان جولد ووتر ليس له فرصة ولو ضئيلة فى النجاح ، وانهم لذلك هم فرحون . يضاف الى هذا ان عددا له وزنه من الحزب الجمهورى يفضل المستر جونسون على جولد ووتر رئيسا للولايات . ويضاف كذلك ان كثيرا من اعضاء الكنجرس الامريكي بدأوا يشعرون بالقلق يساورهم ، خشية أن يفقدوا مقاعدهم اذا ظهر انهم اقتربوا أكثر مما يجب من جولد ووتر ودعاته . ولهذا تراهم يصوتون الآن فى الكنجرس بالموافقة على ما يطلبه الرئيس جونسون.

لماذا يكتب الكتّاب ؟

للكاتب الرومانى أوجين يونسكو ، بمجلة انكونتر :

● « لماذا تكتب ؟ » .

هذا سؤال كثيرا ما يسأله القارىء للكاتب .

وجواب الكاتب الى القارىء حقّ أن يكون : —

« يجب عليك انت ان تعرف لمَ يكتب الكاتب ، لانك انت تقرأ ما يكتب الكاتب. واذا انت قرأت ، وواصلت قراءة ، فلا بد ان يكون سبب ذلك انك وجدت فيما تقرأ شيئا ذا بال ، غذاء فى صورة ما ، شيئا يفى بحاجة تحسها فى نفسك . انت تسألنى لماذا انا اكتب ؟ والجواب على هذا سؤال مثله : لماذا انت تقرأ ما اكتب ؟ ان جواب السؤال الذى تسألنى تجده انت فى القراءة من نفسك » .

والجواب الذى تجده عند القارىء : لم يقرأ ؟ ، يتضمن شقين : فهو يقرأ للتثقف ، او هو يقرأ للتسلية . والذى هدفه الثقافة وحدها يظن ان الكاتب يخدعه عندما يقرأ له مسلاة . والذى هدفه المسلاة وحدها يستثقل ما يعطيه اياه الكاتب من ثقافة .



خروشوف
فى عاصمة ألمانيا الغربية

عن مجلة نيوستاتس مان :

● زار السيد ادزوبي (زوج بنت خروشوف) المانيا الغربية منذ قريب . ومن ذلك الحين تأكدت زيارة حَمُوه ، خروشوف ، الى المانيا الغربية . وقد أنذر الشعب الالمانى بهذه الزيارة ، وهم ينتظرون حدوث هذه الزيارة فى هذا الشتاء فى هدوء كثير ، الا رجال الامن ، فلا بد أن هذه الزيارة تقض مضاجعهم ليالى كثيرة . والناس يتحدثون عن هذه الزيارة ، واقصى ما يأملون منها انما هو« تبادل الآراء » ، وايجاد فرصة ليرى الزعيم الروسى ما عليه المانيا الغربيةمن ديمقراطية ناجحة ، وما ينطوى عليه قلوب أهلها من نوايا للسلم مخلصة ، ثم من رغبة فى توحيد المانيا لا تتزعزع ابدا .

ان زيارة خروشوف لألمانيا الغربيةستكون أكبر حدث سياسى جرى فى التسع السنوات الماضية . أى منذ زيارة المستشار الالمانى السابق ، الدكتور ادناور ، لموسكو ، واقامة علاقة دبلوماسية مع روسيا .

والحق ان زيارة خروشوف المنتظرةقد تعد ردا لزيارة اديناور تلكالقديمة .

مجاعة فى الهند

عن مجلة نيوسَيْنْتسْت :

● « طلبت الهند من الولايات المتحدة غلالا ، تهيا لحملها اليها اسطول" من السفن . واذا باضراب عمال الموانىء بالولايات يمنع السفن من الابحار . واذا الهند ترجو فى الحاح شديد ان تحول سفن" ، خرجت من دولة اخرى بالغلال الى غاية اخرى معلومة ، ان تحول اتجاهها الى الهند ، لاسعافها والمجاعة تهدد أهلها .

وقد دل" هذا الحدث على امرين :

الامر الاول : ان حادثا يقع فى ركن بعيد من اركان الارض ، ذلك اضراب عمال الميناء فى الولايات ، يؤثر اثرا بالغا فى ركن آخر بعيد من اركان الارض . فالاركان جميعا ارتبطت ارتباطا لا يؤثر فيه بعد مسافة .

الامر الثانى : هذا الحادث يثير عند المفكر السؤال الآتى : كيف ينتهي الحال بدولة زراعية ان تلجئها الحاجة الى استيراد مادة غذاء اساسية ، تتقى بها مجاعة ؟

ان الخطة الهندية الثالثة ، عام ١٩٦١ الى عام ١٩٦٦ ، خَصصت للنمو الصناعى فوق ما خصصته للنمو الزراعى ، وللبحوث النووية فوق ما خصصته للبحوث النباتية . والواقع ان الناظر فى علماء الهند يجد ان اكثر علمائها الذين برّزوا كانوا فزيائيين ورياضيين ومهندسين ، واقلهم بيولوجيين ينتمون الى علوم الحياة والاحياء . ولعل هذا يتصل بالعقائد الشائعة بالهند من تقديس الحياة والحيوانات ، ومن النظرة الوضيعة الى الزراعة ، ينظرها ذوو الاروملت الرفيعة .



العرب نقلوا

أزهار الشرق ورياحينه

إلى أوربا

• أعياد للزهور ومؤلفات وأساطير!

بقلم: ابراهيم محمد الفحام

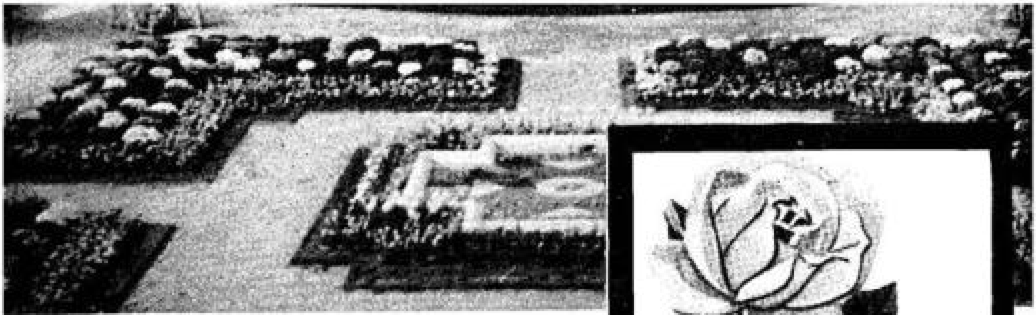


■ من اجمل ما سجله التاريخ، عن عادات العرب، فى امجد عصورهم، تلك التى تتصل بشغفهم بالزهور والرياحين، وعنايتهم بتنسيق الحدائق.

ولقد اسهمت الحدائق فى تلك العصور الزاهية، بنصيب وافر، فى رسم ملامح المدن العربية واضفاء جو من الفتنة عليها. كما الهبت عواطف الشعراء واخيلتهم، فتركوا لنا باقات تكاد تنفث عطرا، من الصور الشعرية الممتعة.

منتزهات الدنيا الأربعة

ومن المنتزهات التى ذاع صيتها،





وخلدت اسماء بلدانها فى ذلك الزمن : (صفد سمرقند) وهى قرى متصلة ، كانت تظللها الأشجار،وتتخللها الحدائق، بين بخارى وسمرقند ، وكانت مساحتها ستة واربعون فرسخا فى مثلها . و (شِعْب بَوّان) بأرض فارس ، و (نهر اُبلّة) بالبصرة ، و (غوطة دمشق) . وقد ذكر الخوارزمى انه راى تلك المنتزهات التى كان يطلق عليها بحق (منتزهات الدنيا الاربعة) ، وشهد بفضل الغوطة ، على الثلاث الأخرى ، ووصفها بأنها (الجنة صُوِّرت على وجه الأرض) .

ورُصافات ثلاث

ومن الأمكنة التي اشتهرت بمنتزهاتها ايضا (رصافة قرطبة) وهى غير (رصافة هشام) التى احدثها هشام بن عبد الملك بالرقة عندما وقع الطاعون بالشام ، و (رصافة بغداد) التى احدثها المهدى فى عهد والده المنصور العباسى .

وتعد (رصافة قرطبة) درة تلك الرصافات جميعا . وقد انشأها عبدالرحمن الداخل ، اول ملوك الأمويين بالأندلس ، ونقل اليها غرائب الفروس ، واكارم الشجر .

وارسل الرسل الى المشرق لاحضار البذور النادرة .

ومن اجمل منتزهات الأندلس

ومن اجمل منتزهات الاندلس ،منتزه (القصر الفارسى) و (فحص السرادق) و (قصر الزهراء) و (جنة العريف) التى يرجع بها العهد الى الدولة النصرية، فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى . وكانت ملحقة بقصر فخم فى اطراف الحمراء . وقد وصفها ابن الخطيب بأنها (المثل المضروب فى الظل الممدود ، والماء المسكوب ،والنسيم العليل) . وقد رتبت اقسامها بحيث كانت مدرجات بديعة التنسيق،ترويها مياه الجداول المتساقطة من عدة شلالات ، ثم تتوارى وراء كثبان من خمائل الزهر والشجر .

فى « دار الشجرة » قصر المقتدر بالله العباسى

وكان الخلفاء وغيرهم من العظماء ، يبالغون فى تنسيق حدائق قصورهم ، وتزيينها بالعجائب والتحف . ومن اعجب تلك القصور (دار الشجرة) الذى اقامه المقتدر بالله العباسى ، واحاطه بالحدائق الفناء ، التى توسطتها بركة اقيمت فيها شجرة صيفت هى واغصانها، وما عليها من تماثيل الطيور المفردة بفعل الهواء ، من الذهب والفضة ، كما كانت تتدلى منها قطع من الجواهر، على هيئات الثمار .

وعلى كل جانب من جانبى البركة ، اقيمت تماثيل لخمسة عشر فارسا على صهوات الجياد ، ممتشقين سيوفهم ، وعليهم ثياب من الحرير المزركش ،يأتون بحركات يظن الرائى معها أن كلا منهم يقصد صاحبه .

وحدائق غرسها خمارويه بن احمد بن طولون

ومن اعجب ما يروى فى هذا المقام ، ما أحدثه خمارويه بن احمد بن طولون فى الحدائق التى غرسها حول قصر ابيه بالقطائع ، فى مصر . اذ كسا اجسام النخيل فيها بالنحاس المذهب وأجرى الماء فى انابيب الرصاص ، بين النحاس وأجسام النخيل ، الى جداول البستانيون حتى لا تفقد رونقها ووضوحها ، واقام برجا من خشب الساج اطلق فيه طيورا من كل جنس ولون ، ودورا للحيوانات المختلفة ، من سباع وفهود ونمور وفيلة وزرافات وغيرها . واحدث بركة من الزئبق ، اتخذ فوقها فراشا يهتز به على صفحتها الرجراجة ، وسط زقزقة الطيور، وعطر الزهور ، وحفيف الشجر .

وقد روى لنا الرحالة (ناصر خسرو) الذى زار مصر فى النصف الاول من القرن الخامس الهجرى ، انه شهد بيوتا فى القاهرة ترتفع الى سبع طبقات تعلوها حدائق من اشجار الفواكه والزهور ، وتروى من سواق اقيمت على اسطحها تديرها ثيران ربيت فيها لهذا الفرض ، منذ الصفر .

بلدان اشتهرت بزهور معينة

وبلغ من التفنن فى تنسيق الحدائق ايضا ، انه كانت توجد فى بغداد حدائق يختص كل منها بنوع من الأزهار والرياحين ، مثل البنفسج أو النرجس أو الورد أو النسرين أو الياسمين أو المنثور . كما كانت الحدائق تقام فيها على ضفاف الجداول ، وحول القصور .

وقد فاقت بعض البلدان غيرها فى انتاج أنواع معينة من الزهور والرياحين فاشتهرت بغداد بالمنثور ، والكوفة بالبنفسج ، وقم بالزعفران ، والشيروان بالنيلوفر،وجرجان بالنرجس ،وسمرقند بالريحان المسمى « شاهسفرم » ، وجور بالورد الأحمر الصافى المسمى بالورد الجورى ، وكان يستخرج منه (ماء ورد جور) المشهور ، الذى كان يصدر الى مختلف البلاد فى الشرق والفرب . وكان يحمل منه مع خراجها السنوى سبع وعشرون مليون قارورة ، الى الخلفاء .

استئثار العظماء ببعض الزهور

وقد بلغ من اعجاب بعض الملوك والعظماء بانواع من الزهور والرياحين ، أن كانوا يحرمون على غيرهم زراعتها ، او التمتع بها . ويروى عن النعمان بن المنذر ، أنه شهد فى احدى نزهاته نوعا من الشقائق، ذا وريقات حمراء ،فأعجب به وامر بحمايته ، فكان لا يقطف الا له. ولم يلبث ان حمل اسمه فأطلق عليه الى يومنا هذا (شقائق النعمان) ويقال ان هذا النوع من الشقائق الحمراء ،يستمد اسمه فى الحقيقة من لونه ، لأن«النعمان» من أسماء الدم .

وكان المأمون يفضل الورد عن كل ما عداه ، ويقدر كل من يهواه . ويروى انه

سمع عن حائك يظل يعمل طول السنة ، لا يتعطل يوم عيد ولا جمعة ، حتى اذا ما ظهر الورد ، امتنع عن العمل ، وانطلق يغني بصوت عال :

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا
ما دام للورد ازهار وتوار

ولا يزال يشرب في صبوح وغبوق ، ما بقيت وردة على الأغصان ، فاذا انقضى زمن الورد عاد الى عمله . فاعجب المأمون به ، وأمر ان يدفع له في زمن الورد من كل سنة ، ستة عشر الفا من الدراهم .

وكان المتوكل مجنونا بحب الورد . ولذلك استأثر به . وحرمه على الناس ، حتى كان لا يرى الا في مجلسه . وكان يقول في ذلك (أنا ملك السلاطين ، والورد ملك الرياحين . وكل منا اولى بصاحبه) .

وكان يلبس في موسمه الملابس الحمر ، ويفرش في مجلسه الورد الأحمر ، ويجلس على فراش من نفس لونه ، ويعطر بمائه ادواته جميعا .

باعة الزهور وحيلهم

وبرع باعة الزهور والرياحين في تلوينها وتوليدها ، وذلك بتبخيرها ببعض المواد ، او سقيها سوائل معينة . ويقال انهم استنبطوا من المنثور انواعا ذات سبعة الوان . وقد ذكر القاضي التنوخي في (نشوار المحاضرة) انه راى وردا اصفر ووردا حالك السواد ، كما راى في البصرة وردة نصفها احمر قان ، والآخر ابيض ناصع ، وأن من الورد ما لونه ازرق ، ومنه ما له وجهان اصفر وابيض ، واصفر واحمر ، وهو ما يسمى (الورد الخفافي) .

ومما يدل على وجود هذه الالوان جميعا ، أنها لم تكن منكورة ، وان الشعراء وصفوها في اشعارهم ، كما ورد ذكر بعضها في مفردات ابن البيطار .

وبرع أولئك الباعة ايضا في استخراج بعض الزهور والرياحين في غير أوانها ، واحتالوا لابقائها نابتة طوال السنة .

وكان البائعون والبائعات يجوبون الطرقات والأسواق ، ومعهم طاقات من الورد ، أو غيره ، ويعلنون عنه بألطف العبارات واكثرها اغراء . ومن ذلك ما نقله الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » عن بائع الياسمين البغدادي الذي كان ينادي (من يشتري ريح المحبوب ، ولون المحب ، بقطعة) .

الزهور في المنازل

ولم يكن يحلو الشراب لبعض الخاصة ، الا وهم غارقون في اكوام من الورد ، ويروى أن الوزير العباسي ابا محمد المهلبي اشترى في ثلاثة أيام متتابعة وردا بألف دينار ، ووضعه في بركة عظيمة ، بدار له تدعى (دار البركة) وشرب عليه . كما شرب ابو القاسم البريدي بالبصرة على ورد بعشرين الف درهم في يوم واحد .

وكانوا يضعون الزهور والرياحين في اطباق على الموائد ، بهيئة منسقة . وقد يرصون بعضها على اشكال ورسوم جميلة ، أو يصطنعون منها كلمات رقيقة ، بل لقد ذكر أبو الطيب الوشاء في كتابه (الظرف والظرفاء) انهم كانوا يكتبون منها أبياتا كاملة من الشعر .

وكانت الجواري يزين نحورهن بعقود الزهر ، ويعطرن أجسادهن به ، كما كانت النساء يتمشطن بالمرزنجوش ، والآس ، والسدر ، خاصة .

وكانت هنالك اصول متبعة في التمتع بعطور الزهور والرياحين ، وانواع الطيب معا . وفي ذلك يقول الحسن بن سهل (أمهات الرياحين تقوى بأمهات الطيب ، فالورد يقوى بالمسك ، والبنفسج يقوى بالعنبر ، والريحان يقوى بالكافور ، والنسرين يقوى بالعود) .

ومن ارق عادات الناس في ذلك الزمن ، ان يتهادوا الزهور والرياحين في المناسبات العامة والخاصة . وكانوا يجدون في بعض الأحاديث والسير ما يحبب تلك العادة

الطيبة الى قلوبهم . فمما كان يروى عن الرسول الكريم قوله (اذا اعطى احدكم الريحان فلا يرده) .

ومن الناس من كان يعشق نوعا معينا ويفضله عما سواه،لصفات فيه . فعاشق الورد يفضله على النرجس ، لانه ينتفع به طول السنة ، رطبا او يابسا ، بينما لا ينتفع بالنرجس ، اذا يبس . وعاشق النرجس يفضله على الورد لان الورد يشبه الخد بينما النرجس يشبه العين ، والعين مفضلة على الخد .

وكانت للزهور لغة خاصة ، تعبر عن عواطف وصفات حاملها ، او مهديها . ومن ذلك انهم اتخذوا من البنفسج رمزا للوفاء ، والمحافظة على العهد ، ومن الورد الموجّه ، اى الذى داخله اصفر وخارجه احمر ، رمزا للتهتك ، ومن الآس رمزا لدوام الود .

اعياد الزهور

وقد بلغ من ترحيبهم بمواسم بعض الزهور ان جعلوا لها اعيادا يحتفلون بها . وكان من عاداتهم فى الاحتفال بموسم البنفسج ان يهدوا باكورته الى الخليفة او احد العظماء . ومن اجمل تلك الأعياد (مهرجان الشاذكلى) الذى كان يحتفل فيه بموسم الورد فى العصر العباسى رسميا .

وفى مصر كانوا يحتفلون بعيد (الأقحوان) عند نزول الشمس ببرج الحمل ، فيخرج كثير من العوام ، وبعض الجنود وغيرهم الى الحدائق ، يقطفونه بمناجل وادوات اخرى من الذهب والفضة ومنهم من يتفوه بكلام يشبه الرُقية ، لا ينطبق بغيره ما دام يقطفه . ويدخرون ما يقطفونه فى صناديقهم ويزعمون ان من يقطفه بهذه الطريقة ، يملك خلال السنة ، بعدد ما يقطفه دنانير ، اذا كان القطف بأداة من ذهب ، ودراهم اذا كان القطف بأداة من فضة .

وكان الخلفاء الفاطميون يحتفلون بعيد الورد فى كل عام ، فى قصر مقام من الورد ، وسط بساتين الورد الشاسعة ، التى تحيط ببلدة الخرقانية من اعمال القليوبية ، شمالى القاهرة .

وكان الناس يحتفلون بقدوم الربيع ، بالخروج الى الحدائق والخلوات ، متمثلين بقول عمر بن الخطاب (مروا الناس ان يخرجوا الى الصحارى ايام الربيع . فينظروا آثار رحمة الله ، كيف يحيي الارض بعد موتها) كما كانوا يتمثلون بقول الامام على (اذا دخلت البساتين ، فاطل تأملها ، فان فيها جلاء للبصر ، وارتياحا للهم والفكرة ، وتكرمة للطبائع ، وتسكينا للصداع) ، وبقوله ايضا (شموا النرجس ولو فى العام مرة) .

خرافات حول الزهور

وكانت بعض الزهور والرياحين مدارا لكثير من الخرافات والأساطير . ومن ذلك ان بعضهم كان يتطيّر من اهداء

هذه الزهرة اعجب بها النعمان بن المنذر فامر بحمايتها ، فكانت لا تقطف الا له ، ومن هنا حملت اسمه ، فاطلق عليها اسم : شقائق النعمان .

الياسمين لأن فى اسمه(يأس)،والشقائق لأن فى اسمه (شقاء) ، والسوسن لأن فى اسمه (سوء) . واختلفوا فى أمر الآس ، فقال بعضهم انه من (اليأس) فتطيروا منه ، وزعم آخرون انه من (المواساة) فتفاءلوا به .

وتطير بعض الناس من اهداء الورد وسموه (الغدار) لقلة لبثه ، وسرعة ذبوله وزواله ، كما كان بعضهم يتجنب اهداء النرجس .ويروى أن امرأة ذهبت الى احد المعبِّرين عن الأحلام ، فقالت له انها رات زوجها يهديها باقة من نرجس ، فقال لها : (سوف يطلقك) ، واستدل على ذلك بقول الشاعر :

ليس للنرجس عهد
انما العهد لآس

وكانت هنالك خرافات صيغت فى قوالب واحاديث موضوعة ، تنسب خلق الورد الى ليلة المعراج ، وتزعم ان الورد الأبيض خلق من عرق النبى فى تلك الليلة، كما خلق الورد الأحمر من عرق جبريل ، والورد الأصفر من عرق البراق،ونسبوا الى الرسول الكريم قوله (من احب أن يشم رائحتى فليشم الورد) .

ومن أساطيرهم حول الريحان ، تلك التى تدور حول (الشاهفرم) اى (الريحان السلطانى) الذى ينسبونه الى كسرى أنو شروان . اذ يروون أن حية ظهرت فى مجلسه ، وهو على عرشه يحكم بين الناس،فنظرت اليه متظلمة وانصرفت فأمر بتعقبها. فسار الخدم وراءها حتى وقفت على راس بئر،ونزلت،ثم خرجت، فنزل احدهم فوجد عقابا ممسكا بقرين الحية ، فضربه وخلص القرين منه .

وفى مثل ذلك اليوم من السنة التالية ظهرت الحية فى مجلس كسرى ، وكان يشكو الزكام ، فأسقطت من فمها بعض البذور وانصرفت . فلما زرعت البذور انبتت ذلك الريحان ، الذى وجد كسرى فى شمه علاجا لذلك الداء ، وظل علاجا له الى الآن .

مؤلفات فى الزهور

وقد بلغ من مكانة الزهور والرياحين فى نفوس الخاصة والعامة ، وشغف الناس باقتنائها ، والتزين بها ، والتمتع بعطورها ، التى عبقت أجواء المجتمعات العربية على اختلاف طبقاتها ، ان وضعت عنها مؤلفات كثيرة ، اختص بعضها بتفضيل نوع بعينه ، وذكر ما ينسب اليه من الفوائد ، وما يروى عنه من الشعر والنثر .

ومن تلك المؤلفات كتاب (العقد بفضل الورد) لأبى الطيب الوشاء ، وكتاب (المفاخرة بين الورد والنرجس) لأحمد ابن ابى طاهر . « والورد » للثعالبى ، و « الريحان » لأبى فارس ، و « الانوار والثمار فى الورد والنرجس وجميع الأنوار ، وما ورد فيها من الاشعار ، وما جاء فيها من الآثار والأخبار» للمرزبانى، و « انوار السعد ونوار المجد،فى المفاخرة بين النرجس والورد » لعبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى ، كما وضع عمر بن برد الأصفر رسالة فى فضل الورد على سائر الرياحين .

الزهور العربية فى أوروبا

يرجع الى العرب الفضل فى نقل كثير من زهور الشرق ورياحينه الى البلدان الأوروبية عن طريق الاندلس ، مثل الياسمين والورد الأزرق والأصفر ، والكاميليا الحمراء والبيضاء ، وزهور المشمش والبرتقال،الذى زرعوه هنالك. كما نقل الصليبون (الوردة الرشقية) الى فرنسا،فانتشرت منها فى سائر أوروبا وقد ذكر (متياس شليدن) فى كتابه عن الوردة ، مجموعة من الورود الاخرى التى انتقلت من الشرق الى الغرب ، وتواريخ استيطانها فى البلاد الأوروبية . ■■

القاهرة : ابراهيم محمد الفحام



دردشة

تعريفات ضاحكة

العبقري : هو الشخص الذى يستطيع ان يفعل اى شيء ما عدا كسب معاشه .

المحامي : هو الذى يدافع عما تملكه ضد خصمك ، لكى يصبح هو مالكه .

الحرية : هي اعطاء كل فرد من افراد الامة الحق المطلق فى ان يتدخل فى شؤون الآخرين .

الثقيل : هو الشخص الذى يصر على أن يحدثك عن نفسه فى الوقت الذى تريد فيه أن تتحدث عن نفسك .

الجار : هو الذى يعرف من أمورك الخاصة اكثر مما تعرف !...

المؤرخ : رجل يسير الى الوراء .

غباء .. أم ذكاء ؟!!

● ربح أحد المقامرين ثلاثمائة جنيه فى القمار من مقامر آخر لا يعرفه ، فأعطاه هذا المقامر تحويلا على احد المصارف . ولما ذهب ليقبض القيمة امتنعت ادارة المصرف عن الدفع لأن رصيد المقامر لا يزيد على مائة وخمسين جنيها . فما كان من المقامر الرابح الا ان أودع باسم المقامر الخاسر فى « البنك مائة وخمسين جنيها من ماله الخاص ، ثم قدم « الشيك » وقبض قيمته !

فكرة طيبة !

● كان احد الاسكتلنديين ، وهم المشهورون بالبخل ، اذا اراد ان يستيقظ مبكرا كتب خطابا لنفسه ، ووضعه فى صندوق البريد ، وفى اليوم التالى يقرع عليه ساعي البريد بابه ، على عادته مبكرا ، فلما يستيقظ ، يقول له الساعى : عندى لك خطاب بغير طابع .. اعطنى بنسين كي تستلمه ..

فيقول الرجل : شكرا لك ما دام الخطاب بغير طابع فانى لا اريده !!

أب وابنه

● ارسل « شارل فوكس » خطابا الى ولده يحذره فيه من الاسراف وكثرة الاستدانة وكان مما ذكره فى الخطاب : **انني أعجب يا بني كيف تنام وانت مثقل بالديون !**

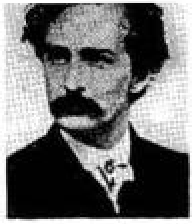
فرد الابن على أبيه قائلا : ان الادعى للعجب هو كيف ينام الدائنون !

السمكة وصيادها

● **قالت امراة لزوجها :** لم تعد تأتينى بعد زواجنا كما كنت تفعل فى عهد الخطبة ؟

فأجابها : هل رأيت أيتها الحبيبة صياداً يطعم السمكة بعد صيدها ؟

مصادفات ومفارقات
في مقتل لنكولن .. وكنيدي



بوذ



أوزوالد

● نشرت مجلة « تايم » الامريكية ، مقالا ، أوضحت فيه ملابسات وحوادث متشابهة ، وقعت عند مقتل لنكولن عام ١٨٦٥ ، وعند مقتل كنيدي عام ١٩٦٣ ، قالت المجلة :

١ ـ انتخب لنكولن عام ١٨٦٠ وانتخب كنيدي عام ١٩٦٠ . وكلاهما خاض غمار الصراع من أجل الحقوق المدنية وتحرير الزنوج .

٢ ـ يتألف اسم كل منهما من سبعة أحرف .

٣ ـ فقدت زوجة كل منهما ، ابنا لها ، لما كانت السيدة الاولى في البيت الابيض.

٤ ـ اغتيلا يوم جمعة .. واصيبا براسهما من الخلف .. وبحضور زوجتيهما .

٥ ـ صرع قاتلاهما قبل المثول امام المحكمة .

٦ ـ يتألف اسم كل من القاتلين من خمسة عشر حرفا .

٧ ـ ولد بوذ قاتل لنكولن عام ١٨٣٩ ، وولد أوزولد قاتل كنيدي عام ١٩٣٩ .

٨ ـ أطلق لي أوزولد الرصاص على كنيدي من مخزن ، ثم لجأ الى مسرح .
واطلق بوذ الرصاص على لنكولن في المسرح ، ثم لجا الى مخزن .

٩ ـ اغتيل لنكولن وهو في مسرح فورد . واغتيل كنيدي وهو في سيارة فورد .

١٠ ـ خلفا الرئيسين الراحلين من الجنوب ، وكلاهما اسمه جونسون .

١١ ـ ولد اندرو جونسون الذي خلف لنكولن عام ١٨٠٨ في تنيسي .
وولد ليندون جونسون الذي خلف كنيدي عام ١٩٠٨ في تكساس .

وأنهت المجلة حديثها بهذه الدعابة الانتخابية : وتقدم ان اندرو جونسون ، الذي خلف لنكولن عقب مصرعه ، الى الانتخابات التي تلت نهاية مدة الرئيس السابق ، ولكنه فشل،اذ نجح مرشح جمهوري يبدأ اسمه الاخير بحرف ج. (يوليسيس جرانت)!

نصيحة للسائق

● وقف مدير قلم المرور أمام المكروفون يتحدث الى سائقي السيارات فقال :

ـ لا استطيع ان احدثكم عن الطريقة التي يمكنكم أن تتفادوا بها وقوع الحوادث . ولكني سأقول لكم شيئا مهما جدا يجنبكم الحوادث ، وهو يجب ان تؤمنوا بأن نصف المشاة من المجانين وان النصف الآخر من الحيوان !

يغني لنفسه

● عندما كان أحد مشاهير المغنين الامريكان يغني في اليابان أطفئت الانوار واحس كأن زلزالا سيقع على المدينة . وانطلق الى داخل المسرح وأحضر بطاريتين وصوبهما الى وجهه لكي يراه الجمهور ، وجعل يغني ويقفز يمينا وشمالا ، وفجاة اضيئت الانوار ونظر الى الصالة فلم يجد فيها أحدا !!

أحب أعداءك !

● قال الواعظ لأحد العمال : ينبغي أن تحب أعداءك ؟!

فاجابه : انني افعل ذلك بطبعي يا سيدي ، ما دمت أحب الروم ، والوسكي !

■■

فولتير

• تملق المؤرخين لأهل السلطان أساء إلى التاريخ

• حب النفس أكبر قوة هدامة !

• فولتير يقول : أنا أومن بالله .. ولكن لا بإله

بقلم : على ادهم

■ استهل الكاتب الانجليزى المؤرخ النقادة توماس كارلايل Thomas Carlyle مقاله اللامع الشائق عن الكاتب الفرنسى الشهير فولتير Voltaire بقوله : « لو قدر للطموح ان يختار طريقه ، وللارادة فى المحاولات الانسانية أن ترادف الموهبة ، لكان لكل الرجال الطامحين حقا من رجال الأدب » .

وفى موضع آخر من المقال نفسه يقول كارلايل :

« اذا استثنينا الراهب لوثر Luther صاحب البروتستانتية ، فانه ليس هنالك أحد من رجال الفكر فى العصور الحديثة قد صار تأثيره وشهرته أوربيين خالصين مثل فولتير » .

والواقع أن فولتير (١٦٩٤ – ١٧٧٨ م) قد بلغ فى عصره من الشهرة الواسعة والمكانة العالية المرموقة ما لم يبلغه كاتب قبله أو بعده حتى أصبح علما على عصره ورمزا له ، وليس فى مستطاع انسان ان يتصور القرن الثامن عشر بدون فولتير وتأثير فولتير .

رجل متعدد الجوانب

وقد كتب عن فولتير من زوايا عدة ،وتناقضت الأحكام فى تقدير أدبه ومنزلته بين كبار المفكرين ، ولم يكن هنالك مناص من ذلك ، فقد كان الرجل متعدد الجوانب ، وتناول فى حياته موضوعات شتى ، وكان هو نفسه يكاد يكون خلاصة حياة عصره ، وسأقصر الحديث على ناحية واحدة من نواحى فولتير وهى فولتير المؤرخ .

وربما لم تكن هذه الناحية أهم نواحيه ،ولكنها مع ذلك فى طليعة نواحيه الهامة الجديرة بالدرس والتقدير .



الصوفيين وعلماء اللاهوت

فولتير له ملكات المؤرخ

وقد كان فولتير بطبيعة ملكاته مؤهلا لأن يكون مؤرخا ممتازا ، فقد كان كاتبا من أقدر الكتاب الذين عرفتهم الدنيا ، وسيدا من حملة الاقلام الذين دانت لهم البلاغة وملكوا زمام اللغة ، وكان مفكرا من الطراز الاول ، قوى العارضة ، متوقد القريحة ، واسع الاطلاع ، غزير المعرفة ، قادرا على جمع المعلومات فى شتى الموضوعات واستقصائها وتلخيصها وتبسيطها وعرضها فى أسلوب سائغ ، وضوء لامع .

وقد وصفه بعض النقاد المؤرخين بقوله : « انه بحسبانه مبسطا ومروجا لا نظير له فى العالم » .

وفضلا عن ذلك كله فانه عالج فى عصره الشؤون العلمية ، وخالط الناس من مختلف الأوساط وعرف الدنيا ، وكان ملوك عصره يستشيرونه فى مشكلاتهم ويخطبون وده ويقدرونه، وهذه العوامل مجتمعة يسرت له أن يتقن معالجة كتابة التاريخ، كما أن سعة المامه بتيارات عصره السياسية والفكرية كانت تجعله يبث فى كل موضوع يتناوله حياة ويزيده وضوحا .

فولتير لم يعتن بذكر المراجع

وقد اخذ عليه انه لم يكن يعنى فى هوامش كتبه التاريخية بذكر المراجع والشواهد ، ولا يؤيدها بالوثائق التى تبين كيف وصل الى النتائج التى استخلصها ، ولكن فولتير لم يكن الرجل الذى يصلح لمعالجة التاريخ على هذا النمط ، وقوة أسلوبه ووضوح رؤيته ورهافة حسه تجعله فذا فى طريقته ، وتمنحه ميزة أن يقاس بالمقياس الخاص به .

أول كتاب له فى التاريخ

واول مغامرة لفولتير فى كتابة التاريخ هىالكتاب الذى الفهفى سنة ١٧٣١ عن شارل الثانى عشر ملك السويد L' Histoire de Charles XII وامضى بعد تاليف هذا الكتاب عشرين سنة وهو مقبل على نظم الشعر والاشتغال بالفلسفة الطبيعية ، ولكنه مع ذلك كان خلال هذهالفترة معنيا بالتاريخ كما يستبين ذلك من خلال « رسائله عن الانجليز»، وبعض الدراسات التاريخية الاخرى التى عرض لها فى أثناء هذه الفترة ، وكانت جميعها بمثابة بذر البذور التى اجتنى ثمرتها فيما بعد .

كتبه التاريخية

وفى سنة ١٧٤٤ عين فولتير مؤرخا للملك ، ومن ذلك الحين بدا يجمع أشتات أفكاره عن التاريخ ليضعها تحت نظر الجمهور . وفى سنة ١٧٥١ أخذت تتوالى مؤلفاته التاريخية التى أبعدت شهرته ، ووطدت مكانته ، وجعلته فى رأى معاصريه أعظم المؤرخين الأحياء ، ففى سنة ١٧٥١ ظهر كتابه عن عهد لويس الرابع Le Siecle de Lonis XIV وفى سنة ١٧٥٣ تبعه كتاب حوليات الامبراطورية منذ عهد شارلمان ، وفى سنة ١٧٥٦ ظهر كتابه « مقال عن الآداب وروح الأمم » ، وفى سنة١٧٥٩ ظهر كتابه « تاريخ الامبراطورية الروسية فى عهد بطرس الأكبر » ، وظهر فى سنة ١٧٦٩ كتابه عن عهد لويسالرابع عشر وكتاب«تاريخ برلمانباريس».

ويرى نقاد فولتير أن الكتب الثلاثة التى تقوم عليها شهرة فولتير بوصفه مؤرخا هى كتابه عن

عصر لويس الرابع عشر ومقاله عن الآداب ،وتاريخ شارل الثانى عشر ، وهذه الكتب الثلاثة فى رأيهم أسمى منزلة من سائر كتاباته التاريخية ،وأكثرها دلالة على مذهبه فى النظر الى التاريخ وطريقته فى تسجيل حوادثه وسرد أخباره . ولكن لا مفر من الرجوع الى مختلف مؤلفاته التاريخية اذا أردنا ان نكوّن فكرة عامة عن تصوره للتاريخ .

التاريخ عند فولتير ليس جمع معلومات

والذين يؤرخون لفولتير يشيرون بوجه خاص الى علاقته بالسياسى الفيلسوف الانجليزى بولنجبروك Bolingbroke (١٦٧٨ ــ ١٧٥١م)



توماس كارلايل (١٧٩٥ ــ ١٨٨١)

- درس فى جامعة ادنبرة ، ثم عمل فى التدريس ، ولكنه لم يلبث أن هجره الى الادب .
- عام ١٩٢٥ صدر كتابه «حياة شيلر»
- وفى عام ١٨٢٦ تزوج الاديبة جين ولش Welsh
- وضع مؤلفا فى الثورة الفرنسية ، احترق الجزء الاول منه وهو فى حوزة جون ستيوارت ميل J. S. Mill ،فأعاد كتابته من جديد وصدر عام ١٨٣٧ .
- ألقى عدة محاضرات فى البطولة والابطال ، وصدرت هذه المحاضرات فى كتاب عام ١٨٤١ .
- وكتب فى السياسة ، وهو من المؤمنين بحكم الفرد القوى العادل ، ولا يؤمن بالديمقراطية والانتخاب .
- ومن أشهر كتبه أيضا : « رسائل وخطب أوليفر كرومويل » ، وحياة جون سترلنج Sterling ، « وتاريخ فردريك الاكبر » .

ويقولون ان تلك الكلمة الجامعة التى أرسلها بولنجبروك وهى قوله « ان التاريخ فلسفة تعلمنا عن طريق تقديم الأمثلة » ، كان لها صدى قوى فى نفس تلميذه اللامع فولتير . ويبدو فى أول الأمر ان هناك تشابها فى نظر الرجلين الى التاريخ، فكلاهما كان يزدرى مجرد جمع المعلومات القديمة بغير تحقيق ولا تنسيق ، وكلاهما كان يرى أن المعرفة التاريخية ليست غاية فى نفسها وانما هى وسيلة لغاية ، وكلاهما كان يرى أن التاريخ ــ اذا فهم على الوجه الصحيح ــ مدرسة لتدريب الرجال على الفضيلة والقومية ، على أن فولتير كان أميل الى تأكيد الناحية الأدبية فى التاريخ ، وعنده ان مؤلفى المآسى أقدر من غيرهم على جعل التاريخ شائقا ، ولكنه كان مثل بولنجبروك يهدف أول ما يهدف الى انقاذ كتابة التاريخ من أيدى جامعى الآثار والعاديات الذين يكتبون التاريخ بطريقة جافة مملة ، والى جعل التاريخ دراسة ثقافية مجدية .

التاريخ للعبرة والاسترشاد

والمعلومات التى يوافينا بها التاريخ المكتوب على هذا النمط تكون متنوعة وشاملة ، ويمكن ان تستخلص من الحقائق التى يقدمها لنا المؤرخون أسسا نقيم عليها التعميمات والفروض التى نستطيع أن نسترشد بها فى معالجة مشكلات عصرنا أو توحى الينا موازنات بين أحوال عصرنا وأحوال العصور السالفة تعود علينا بالنفع وتحفزنا الى اصلاح الفاسد وتقويم المعوج ، وقد تعرض علينا هذه الحقائق الجرائم والاخطاء والحماقات التى تورط فيه الأسلاف ، وهى تشمل الجزء الاكبر من التاريخ ، فيكون ذلك مدعاة الى عدم الوقوع فى هذه الاخطاء وعدم تكرار هذه الجرائم والحماقات ويتبع ذلك كله المشاركة الواعية فى الحياة السياسية والاجتماعية .

والتاريخ فيه عظة للقادة والرؤساء

ودروس التاريخ لا تنفع المواطن فحسب وانما تنفع كذلك من بيدهم زمام الأمور ، وعند فولتير ان دروس التاريخ هى خير ناصح اذا كان التاريخ قد كتب بنزاهة واخلاص ، فكل انسان فى التاريخ مهما علا قدره قد لقى جزاءه ، والشر الذى فعله الناس قد عاش بعدهم ، أما الخير فانه لم يدفن



مارتن لوثر ١٤٨٣ – ١٥٤٦

● هو زعيم الاصلاح الدينى فى المانيا ، وقد ولد من أبوين فقيرين .

● دخل سلك الرهبنة ، وزار روما ، فذهل للفساد المستشرى بين كبار رجال الدين .

● هاجم « صكوك الغفران » التى كان يمنحها البابا ، وذلك بأن لصق هجومه على باب كنيسة وتنبرج Wittenberg فكان نتيجة هذا ان اعلن البابا عليه الحرمان .

● ترك سلك الرهبنة ، وتزوج وكرس نفسه لتكوين « حلف البروتستنتية » ، الذى انبثق عنه المذهب البروتستنتى .

● من : اشهر اعماله الادبية ترجمته « العهد القديم والعهد الجديد » الى الالمانية .

معهم فى قبورهم ، والمؤرخ وهو فى منصة حكمه العالية يستطيع أن يحكم بقلمه على الاشرار باللعنة الدائمة ويجللهم بالعار الذى لا يزول ، ويرفع شان الأخيار ويخلع عليهم الشرف الخالد، وهو يقول فى مقدمة كتابه عن شارل الثانى عشر « كل صاحب سلطان يقرأ حياة هذا الملك عليه أن يشفى من حماقة حب الغزو والفتوح ، واذا وجد أمير أو وزير حقائق غير مقبولة فى هذا الكتاب فعليه أن يذكر انه بوصفه رجلا له مكانته وتاثيره فى الحياة العامة فان عليه أن يقدم حسابا عن أعماله للرأى العام .. وان التاريخ شاهد عليه غير متملق ولا مداج ، وان السبيل الوحيد لارغام الناس على أن يقولوا فيه خيرا هو أن يحسن الصنيع ويفعل الخير » .

رأى فولتير غلب على مفكرى القرن الثامن عشر

ويمكن أن نلمح خلال هذا الرأى أثر الفكرة التى غلبت على مفكرى القرن الثامن عشر ، وهى ان العقل المستنير هو ملاك الأمر فى ابراء الانسانية من أسقامها ، والسبيل الوحيد لحملها على تجنب الشر وفعل الخير ، وكانت حجة مفكرى ذلك القرن أن الناس هم الناس فى كل زمان ومكان ، فاذا اتحنا الفرصة للعقل وواجهناه بصورة واضحة صادقة لأحداث التاريخ امكنه ان يستوعب المبادىء التى استخلصها من هذه الصورة ، ومن ثم يميل الى اقامة نظم أقرب الى المعقول وأدنى من الكمال، ومن ناحية أخرى اذا أهملنا دروس التاريخ وأعرضنا عنه فان الانسانية معرضة لتكرار حوادث الاضطهاد ومآسى الظلم والطغيان التى طالما أغرقت العالم فى طوفان من الدماء خلال العصور المنصرمة.

فولتير يتأثر برأى صديقته المركيزة حين ضاقت بكتاب التاريخ فى عصره

وقد أوضح فولتير فى الملحوظات التى مهد بها لمقاله عن الآداب وروح الأمم كيف وجد نفسه مضطرا الى الخروج على الطريقة التى كان يكتب بها التاريخ فى عهده ، فقد أعلنت صديقته المركيزة دو شاتليه Du Châtelet (١٧٠٦ – ١٧٤٩) – وكانت من أرقى نساء عصرها ثقافة واستنارة – ضيقها بكتب التاريخ المكتوبة بالاسلوب الممل الذى كان معهودا حينذاك. فقد كان المؤرخون لايحسنون فهم الاحوال السائدة فى العصور التى يصفونها ، وكانوا يكتبون عن الزعماء الهمج الجفاة كأنهم نظراء ليوليوس قيصر ، وكانوا لا يميزون بين الحقائق والخرافات ويكثرون من التفصيلات المملة والحوادث التافهة ولا يعنون بالمسائل الهامة التى أثرت فى تاريخ الانسانية مثل تطور القوانين والحكومات والنظم والعادات والأخلاق والمعتقدات والافكار .

وكل هذا جعل التاريخ فى نظر المركيزة يهبط الى المستوى الوضيع ، ويصبح ضربا من ضروب الحوليات المسيخة الخالية من الروح والتى لا يحفل بالاطلاع عليها القارىء الجاد .

وقد ثار فولتير على هذه الطريقة فى كتابة التاريخ ، وكان لتشجيع صديقته المركيزة فضل فى حثه على هذا الاتجاه .

رأى فولتير فى التاريخ

وصار فولتير يعتقد أن التاريخ فى جوهره ليس أكثر ولا أقل من تدوين الافكار، وأن الحوادث التى شغل المؤرخون قبله بها أنفسهم ، مثل الحروب والنزاع الحزبى والاضطهادات والمجالس الكنسية والثورات والسياسة والدبلوماسية ،

ليست سوى التعبير الخارجي والمظهر البادي للافكار السائدة في عصر من العصور .

ومن أقواله في ذلك « ان الأفكار قد غيرت العالم ، وكل ما عداها مُدّد لها ومعين ، ومن ثمّ علينا ان ندرس نشوء الأفكار » .

وقوله « القاعدة الرئيسية التي اتبعتها هي أن اعرف جهد استطاعتي عادات الاقوام وادرس العقل الانساني ، وساعتبرُ نظام تعاقب الملوك وتوالي الأعوام دليلي ، ولكنه ليس الغرض الذي أرمي اليه في كتابي » .

وموجز القول ان فولتير كان يدرس التاريخ من الناحية العقلية .

موازنة بين رأي فولتير في التاريخ ، ورأي كارل ماركس

وقد يميل بنا ذلك الى عقد موازنة بين طريقة فولتير وعنايته بالقيم الفكرية والنظرية المادية في تفسير التاريخ التي روجها كارل ماركس في القرن التاسع عشر ، ولا نزاع في أن النتائج التي انتهى اليها المفكران الكبيران مختلفة ، ولكنهما يلتقيان في ناحية واحدة ، وهي ان كلا منهما بدأ من وجهة نظر جديدة .

عند ماركس أن القوة الدافعة التي تشكل سير التاريخ هي القوة الاقتصادية ، وعلاقة الناس بعضهم ببعض ، باعتبارهم عاملين في الانتاج ، هي التي تحتم البناء الاخلاقي والسياسي والثقافي لأي عصر من العصور .

اما فولتير فعنده أن القوة المسيطرة في التاريخ هي القوة العقلية ، وأن الأحوال السائدة في أي وقت من الاوقات هي نتيجة للافكار التي تؤثر تأثيرها بطريق الافراد والطبقات والنظم التي هي في دورها تعبيرات عن الأفكار .

وعند ماركس أن لب لباب التطور التاريخي هو صراع الطبقات المسيطرة وهو صراع يجور فيه الذين يملكون على الذين لا يملكون ، وهم انفسهم يتعرضون للمصير نفسه خلال سير التاريخ .

اما فولتير فيرى التاريخ معركة يحاول فيها الرجال أن يفرضوا افكارهم واوهامهم على غيرهم من الناس ليبسطوا عليهم سلطانهم ، وهم انفسهم كذلك سيتعرضون في المستقبل لمثل هذا المصير .

ومن كلماته في هذا الصدد « بناء على هذا التصور نرى في التاريخ الأخطاء والاحكام المبتسرة يتلو بعضها بعضا على التعاقب ، ونرى البارعين والمحظوظين يستبعدون الحمقى والعاثري الحظ ، والمحظوظون لعبة في يد الحظ مثل الطبقات التي حكموها »

مذهبان متقاربان

واذا نظرنا الى هذين المذهبين في تفسير التاريخ من ناحية ارتباط السبب بالمسبِّب ، نجد ان الفرق بينهما ليس كبيرا ، فتصوُّر ماركس تفسيرٌ من الناحية الاقتصادية للفكرة التي تناولها فولتير من الناحية النظرية البحتة ، وبطبيعة الحال لم يكن فولتير مستعدا للنظر الى الموضوع من الناحية الاقتصادية ، فان الثورة الصناعية التي جاءت بعد عهده هي التي تكفلت بتوجيه الأنظار الى هذه الناحية وتأكيدها ، ولذلك تصور فولتير التاريخ على أنه صراع بين الأفكار وتطور تقدمي للعقل البشري .

صور تاريخية عند فولتير

والصورة التي تصورها فولتير لاتجاه التاريخ الأوروبي ، منذ ظهور المسيحية ، هي :

أولا : وقبل كلّ شيء قضاءُ المسيحية على أديان العالم القديم وتقويضها لأركان السلام الذي استمتعت به الانسانية في ظل التسامح الروماني .

ثم نشوء دولة العصر الوسيط وبابوية العصر الوسيط ، وقد استمر الصراع بينهما مدة الف سنة واغرق أوروبا في بحار من الدماء .

وبينما كانت هاتان القوتان تتصارعان من أجل السيادة ، ظهر الاسلام واقصى المسيحية عن الشرق وافريقية ، وبذلك أصبح خطرا يهدد المسيحية ، ولم يكن هناك وسيلة لاتقاء هذا الخطر سوى الحرب ، ومن ثم نشبت الحروب الصليبية ، وعاد اغراق العالم في طوفان الدماء.

ولما دب الفساد في كنيسة العصر الوسيط صدع الاصلاحُ الديني وحدة المسيحية ، وانشقت بلاد كثيرة على الكنيسة الرومانية ، وظهرت الشيع والطوائف وتضجر الناس من الجدل الممل والنزاع المقيت الذي ثار بينها حتى استنقذ العالمَ ظهورُ الدول ذوات السيادة واشراقُ شمس العقل.

ويوجز فولتير قائلا : « انها قـوة الرأى ، صحيحا أو زائفا ، أرضيا او سماويا ، هى التى ملأت الأرض بالدم المراق فى خلال قرون عدة » .

اساء الى التاريخ عبودية فى المؤرخين ذليلـة ، وتملـــق للملـوك رخيص

ويضاف الى هذا الاتجاه الى التاريخ العقلى عند فولتير اشاره للتاريخ الاجتماعى ، وترجيح جانبه على جانب التاريخ السياسى ، وقد حمـل على المؤرخين الذين سبقوه ، لا لأنهم لم يفطنوا الى المعنى المستمر فى الحوادث فحسب ، بل لانهم كذلك كانوا ، مثل الطغاة الماثلين فى صفحـات كتبهم ، يضحون بالجنس البشرى من اجل اعلاء شأن فرد بعينه،وهذه العبودية الذليلة ،والتملق الرخيص ، وعدم التورع عن تلفيـق الاكاذيب وتشويه الحوادث ، جعلتهم لا يجسرون على أن ينظروا فى غير خوف الى الملوك والقساوسـة ، ويغتنون بالأعمال التافهة التى قام بها هؤلاء الذين خلعت عليهم الدنيا لقب العظماء بغيـر جدارة ولا استحقاق . ولا يمكن أن يكتب تاريخ، جدير باسم التاريخ ، على هذا النمط . والتاريخ الحق هو تاريخ الانسانية ، اى تاريخ تقـدم المجتمع ، وبطبيعة الحال لا بد أن تذكر أعمـال الملوك ، ولكن المكان الأول يحفظ للعظماء حقـا ، وهم هؤلاء الذين أدوا خدمات لبنى الانسـان ، وأحسنوا الى اخوانهم البشر .

ومن أقوال فولتير فى هذا الصدد : « ما يجمل بى معرفته هو نوع المجتمع الذى كان موجـودا حينذاك ، وكيف كان يعيش الناس فى أحضـان اسرهم ، وما هى الفنون التى كانوا يمارسونها ».
ويقول فى موضع آخر : « وكما انه من اللازم معرفة أعمال الملوك الذين كانوا غيروا وجه الارض، وبخاصة هؤلاء الذين عملوا على تحسين احوال أممهم ، فكذلك علينا أن نتجاهل هذه الطائفة من الملوك الجفاة الذين تثقل أسماؤهم الذاكرة ».

مقياس التقدم عند فولتير

ومقياس التقدم عند فولتير ، والغاية التى وجدت من أجلها الحكومة هىاسعاد الأمم والدول، ويشملهذا استقرار السلم وتوفير الأمن،والقوانين الصالحة ، والمالية الثابتة الدعائم ، واشاعة الرخاء والعيش الراغد فى البلاد ، وفوق كل شىء، وقبل كل شىء ، العناية بالفنون والعلوم والتربية والاستنارة وتهذيب الأخلاق . وهو يشيد اشادة شعرية بما قدمته العبقرية الانسانية وجلال الفن الذى لا ينال منه القدم ، ويقول : « ان سدا للمياه فى قناة تضم بحرين ، وصورة من عمـل الرسام بوسان Poussin ،وماساة جيدة ، وكشف حقيقة أشياء ، أغلى قيمة الاف المـرات من سرد أخبار الغزوات والغارات » .

ويُسَرُّ فولتير ويشعر بالارتياح حينما يتناول عصور التاريخ التى استمتع الجنس البشرى فيها بثمرات عبقريته الطليقة مثـل عهـد أغسطس Ougustus فى روما ، وعهد المدتش Medicis فى ايطاليا ، وحكم لويس الرابع عشر ، ويمقت العصور التى سادت فيها الهمجية والجهـل والخرافات والتعصب .

فولتير المؤرخ ، فاته أن يربط الأسباب بالمسببات ، وأن يواصـل بين الحلقات

ولكن المؤرخ اذا حاول أن يجعل سرده للحوادث متلاحم الأجزاء متصل الحلقات فلا بد له من الاعتماد على نظرية تربط الأسباب بالمسببات ، وتنظم المعلومات التى يجمعها ، وفولتير برغـم تمعان تفكيره لم يعن بهذه الناحية ولم يعطهـا حقها من التقدير ، ولذلك كان ينقص مؤلفاته التاريخية العمق والتماسك . وكتاباته التاريخية غنية بالايحاءات والتفسيرات والتعميمات ، وهو من غير شك يلقى ضوءا على الموضوعات التاريخية التى يتناولها ، ولكن قراؤه عبثا يحاولون البحث عن تصور للسببية يسترشدون به فى تيه المعلومات التى يوافيهم بها ، وتمكنهم من استخلاص معنى الحوادث فى مجموعها الشامل . وقد لحظ الناقد الفرنسى المعروف ، اميل فاجيه Faguet أن مقالة فولتير عن الآداب ينقصهـا التخطيط وتوضيح الاتجاه ، وأن الفوضى شائعة فى نواحيها، وهى ليست سوى مجموعة من عادات الشعوب وطبائعها وسجل للحوادث السياسية وطائفة من النوادر والطرائف ، ونحن عندما ننتهى من قراءتها

لا تشعر بوجود فكرة عامة تنظمها وتجمع شواردها، وهي بوصفها تاريخا لاوروبا من عهد شارلمان الى عهد الاحياء جيدة وصالحة ، ولكنها باعتبارها ممثلة لافكار فولتير عن التاريخ قليلة الحظ من النجاح .

فولتير يقول : لست ملحدا

على أن نقاد فولتير يرون أنه يمكن القارىء أن يكوّن من مختلف كتابات فولتير التاريخية فكرة عامة عما يقترب من أن يكون رأيه في فلسفةالتاريخ ونظرية السببية . وقد كان فولتير من القائلين بالمذهب الطبيعي الالهي أو مذهب التاليه مع انكار الوحي ، أي أن الوجود كان في نظره آلة تديرها قوانين لا تنثني ولا تلين، والكائنات جميعها خاضعة لهذه القوانين التي لا تتغير ، ولذلك ينكر وجود العناية الالهية في تفسيره للتاريخ ، ولايؤمن بالمعجزات ، وهو يقول عن نفسه : « لستُ ملحدا ، ولست كذلك ممن يعتقدون بالخرافات ، واني أؤمن بالله . ولكن الاله الذي أومن به ليس هو اله المتصوفين أو اله علماء اللاهوت ، وانما هو اله الطبيعة ، والمهندس العظيم والمحرك الأول الدائم الذي لا يتغير » .

ولكن هذا الاله الفولتيري خارجُ الآلةالضخمة، وهو يرقبها مراقبة سلبية ، ومن السخف ، في رأي فولتير ، أن نعزو اليه ما يحدث في هذا الكوكب الهين الشان ، فهو صانع الآلة ومحركها ولكن الآلة نفسها تسير تبعا لقوانين ثابتة، ولا شيء يستطيع أن يعترض تلك القوانين أو يحولها عن مجراها .

الشر ومأساة الانسان على هذه الأرض

ووجود الشر في الكون من بواعث الأسف ، وفولتير لا يقلل ولا يستهين بتصيب الانسان من الشقاء المادي والمعنوي ، سواءٌ أكان هو يجره على نفسه ، أو كان منشأ الشر أسباب لا قبل له بدفعها . ومن كلماته : « ان الكرة الارضية التي نعيش بها مسرح مجزرة، وهدم، وتخريب مترامي الأنحاء ، ومعظم التاريخ البشري هو تاريخ النمور والقردة » . وعند فولتير أن علينا أن نقبل هذا الوضع كما نقبلوجود الزلازلوالبراكينوالصواعق والزوابع ، اي باعتبارها جزءا من عمل الآلة ، وليست هناك آلة مسلّمةٌ من العيوب بريئة من الأخطاء . وفولتير بهذه الطريقة يجنّب الله جل شانه تبعة الكوارث التي تحدث بهذا الكون الخاضع للقوانين التي لا تتغير .

هل قال فولتير بمذهب الجبر

ولكن اذا كان الكون خاضعا لقوانين ثابتة فان تاريخ الانسانية يلزم أن يتضمن وجود العلاقة بين السبب والمسبب ، ولا يمكن أن يكون غير ذلك ما دام كل انسان يعمل بموجب القوانين المسيطرة على الكون . وفولتير لا يخالجه شك من هذه الناحية ، وكل حادثة في نظره من القاء حجر أو سقوط عصفور الى تداعي الامبراطوريات وتدهورها هي نتيجة للنظام الكوني ، والانسان كسائر الأشياء خاضع لقانون السببية ، ويبدو لنا أن هذا كله يؤكد أن فولتير كان من القائلين بالجبر في التاريخ . ولكن الأمر على خلاف ذلك ، فانه كان حينما يُطبّق هذا على الحوادث والوقائع يعدّله ، فهو يسمح للمصادفة بان تلعب دورها، وأن يأخذ الحظ مجاله في الشؤون الانسانية ، ويقول عنه النقاد انه كان يروقه الوقوف على الأحداث التافهة التي تمخضت عن نتائج غاية في الخطورة ، ومن أمثلة ذلك الحادثة التي رواها في كتابه في عهد لويس الرابع عشر ، وهي الشجار الذي وقع بين دوقة ملبورو Marlborough والسيدة ماشام Masham في مخدع الملكة آن Anue بانجلترا ، وكان المؤرخ بولنجبروك Bolingbroke هو منشىء القصة ، ومضمونها أن الدوقة قلبت زجاجة ماء علىثوبمنافستها السيدة ماشام في حضرة الملكة آن ، فغضبت الملكة عليها ، وكانت نتيجة ذلك سقوط وزارة حزب الاحرار ، ومجيء المحافظين الى الحكم ، وغير هذا التغيير مجرى الحوادث وادى الى عقد معاهدة اترخت والصلح مع فرنسا ، اي أن زجاجة ماء كانت السبب في عقد معاهدة اترخت !

من الاسراف القول بأن فولتير كان جبريا في نظر التاريخ

ولكن من الاسراف في المبالغة الزعم بأن فولتير كان يرى التاريخ سلسلة من أمثال هذه الحوادث

الطارئة ، كما انه من الاسراف الاعتقاد بانه كان جبريا فى نظره للتاريخ ، وموقفه على ما يبدو هو ان المصادفة ولو انها تلعب دورا ظاهرا فى أحوال البشر وتاريخ الانسانية ، الا اننا اذا أطلنا النظر فى المصادفات اتضح لنا أنها ليست سوى العلاقة المحتومة بين الحوادث التى تقع فى هذا الكون ، ومعرفتنا التى يعتورها النقصان. وعدم استطاعتنا الوصول الى الأسباب النهائية للاشياء ، هى التى تجعلنا نعزو بعض احداث التاريخ الى المصادفة .

وعند فولتير : ليس كل حادثة لها أثرها فى مجرى التاريخ

وبرغم اعتقاده بالجبر فانه معذلكليسمستعدا ليؤكد أن كل حادثة فى التاريخ متصلة اتصالا لا انفصام له بسلسلة الحوادث السابقة ، ففضلا عن قذفات المصادفات فان هناك بعض الحوادث التى لا تترك اثرا فى سير التاريخ، كفروع الشجرة التى قد تزول دون أن تترك أثرا فى سير نموها . وكثير من الحوادث ليس لها انساب ولا صلات ، وهو يقول فى هذا الصدد : « لو لم تعمل العملية القيصرية لوالدة يوليوس قيصر لما استطاع قيصر أن يقضى على الجمهورية ، ولو أن ماكسمليان البافارى لم يتزوج وارثة برجنديا والاراضى المنخفضة لجنّب ذلك اوروبا مائتى سنة من الحروب . ولكن سواء أكان قيصر قد بصق شمالا او يمينا ، وسواء كانت وارثة عرش برجنديا تصفّف شعرها على هذا النمط او ذاك ، فان هذه اشياء ليس لها اى تاثير فى المجموع الكلى العظيم الذى نسميه التاريخ » .

اى أن فولتير يفرق بين الحوادث التى لها أثر فى التاريخ ، والحوادث التى لم تخلف اثرا ، وهو فى كتابته للتاريخ لا يذكر لنا شيئا عنالعادات الشخصية والسمات الأخلاقيةللاشخاص البارزين الذين يتحدث عنهم الا اذا كان لها تاثير فى العالم الخارجى ، وهذه الطريقة بطبيعة الحال يتبعها اكثر المؤرخين فان اول واجبات المؤرخ التمييز بين الحوادث الهامة التى لها دلالتها ، والحوادث التافهة الخالية من الأهمية ، ولكن فى القرن الثامن عشر كان لا بد من العناية بهذه المسألة اذ لم يكن التاريخ قد تخلص بعد كل التخلص من طريقة كتابة الحوليات ، وعيبها الأصيل هو حشد المعلومات التافهة والحوادث الخالية من الأهمية الى جانب الأحداث الهامة ، وكان كاتب الحوليات يذكر الأوبئة والطواعين ، واخبار الخسوف والكسوف ، والخوارق والفظائع ، لا لأن لها اهمية تاريخية ، وانما لمجرد أنها حدثت أو قال بعض الناس أنها حدثت ومن ثمّ يمكن أن يقال ان فولتير عمل على رفع مستوى الكتابة التاريخية بتوجيه الافكار الى هذه الناحية ، وبهذا اقترب من التحليل العلمى للحوادث .

عند فولتير : ان الانسان هو صانع ما نراه فى الدنيا

وفولتير لا ينفى وجود الحرية فى عالم الاعمال الانسانية ، ولكنه يؤكد انه لا توجد ارادة من غير سبب،وأن الارادة تحفها طبيعة الأشياء ، والارادة ولو أنها ليست حرة آلا ان الانسان حر ، ما دام يستطيع أن يعمل طبقا لما يريده . والرجل الذى تقوم الحوائل دون ما يريد ، ويمنع عنه ، هو الذى ليس له حرية . وهذا التفريق على وضوحه هام فى فلسفة فولتير التاريخية ، وعليه يتوقف تصوّره للقوة الدافعة فى التاريخ ، فالانسان فى رأيه هو الذى صنع ما نراه فى الدنيا وليست العناية الالهية ، والتاريخ حركة ارضية خالصة ، ونتيجة لأهواء الافراد والجماعات التى تعمل بوعى وبغير وعى فى سلسلة من الحركات أحيانا شديدة عنيفة ، واحيانا أخرى هادئة لينة ،ولكنها مصحوبة على الدوام باضطراب وهدم .

حب النفس أعظم قوة هدّامة فى العالم

وأشد الأهواء قوة هو حب النفس،وهو اساس المحافظة عليها ، وهذه الصفة الضرورية والنافعة الى حد ما ، تنقلب الى الانانية والبحث عن المصلحة الذاتية ، وتصبح مبدأ للعمل وموقفا تجاه الحياة ، وتتجلى أخيرا فى التعاظم والكبرياء والطموح وحب الشهرة وشهوة السيطرة والرغبة فى التسلط على الغير،وهى بطبيعتها غير متسامحة وتحاول بلوغ غايتها بالعنف أو الخديعة ، وفى الحالة الأولى تسوق الى الحرب والقتل ، وفى الحالة الثانية تتنكر فى زى الدبلوماسية ، ولكن مهما تكن الصورة التى تبدو فيها فانها فى الواقع أعظم قوة هدامة فى العالم ، ولو أطلق لها العنان لأدت الى تخريب المجتمع .

حب النفس يوازنه فى أعماق الانسان الحس بالعدالة وحب النظام

ولكن من حسن حظ الانسان أنه ليس مجردا من الوسائل التى تكبح جماح القوة الهدامة وتصلح ما تفسده وتبنى ما تهدمه ، فالى جانب حب الذات يكشف لنا فولتير ، فى أعماق العقل الانسانى ، عن غريزة العدالة وحب النظام ، وهما على ما يبدو دافعان يصحبان نمو العقل ، وهما بهذه المثابة جزء من طبيعة الانسان مثل الأهواء الوحشية والميول الهدامة ، ووظيفتهما الانقاذ والتسوية والبناء . ويقول فولتير فى خلال مقالته عن الآداب : « فى وسط هذا النهب والسلب والهدم والتحطيم الذى نشاهده خلال مدة تسعة قرون نرى حب النظام الذى يُوحى سرى فى الجنس البشرى ، وهو الذى منع الخراب النهائى وشل حركته » . وهذه النزعة البناءة تعمل فى بطء ، ولكنها مثابرة ، فتصلح ما جره على العالم الطموح والغرور وشهوة حب السيطرة ، وتخلق الظروف الملائمة للتقدم وتسير بالانسان الى الأمام .

ومن الحين الى الحين يظهر فى العالم عظماء بناؤون

وعلاوة على ذلك فانه يظهر من الحين الى الحين رجال عظماء تتمثل فيهم روح العصر وعن طريقهم تجد القوة الانسانية البناءة السبيل الى التعبير عن نفسها وهؤلاء هم أبطال الانسانية حقا ، مثل يوليوس قيصر ، وشارلمان ، والاسكندر الثالث ، وهنرى الرابع ، وفردريك ، ولويس الرابع عشر ، ومقياس عظمة هؤلاء الرجال هو الخير الذى قدموه للعالم .

التاريخ معركة بين قوى هدامة ، وأخرى بناءة

ومعنى ذلك أن فولتير ينظر الى التاريخ باعتباره معركة بين قوى متنافسة وسجلا للاهواء والحماقات والجرائم ، تتخلله من الحين الى الحين العبقرية الانسانية . أى أن هناك عقلا مشرفا على حركات المجتمع ، وهذا العقل هو جماع الذكاء الانسانى ، ومقره الأرض . وقد حث هذا الرأى المفكرين على البحث العلمى عن قوانين التقدم ، ويرى فولتير أن هذه المعركة الناشبة بين القوى الهدامة والقوى البناء مهما طال أمدها تسفر فى النهاية عن انتصار التقدم والنظام والعقل والحضارة .

ثلاثة تؤثر فى عقل الانسان : الطقس ، والحكومة ، والدين

هناك ثلاثة أشياء تؤثر بلا انقطاع فى عقل الانسان وهى الطقس والحكومة والدين ، وهذه العوامل الثلاثة تفسر فى رأيه لغز العالم .

عامل الطقس فى التاريخ

وقد كان المفكر الفرنسى بودان Bodin فى طليعة من استرعوا الانظار الى أهمية تأثير الطقس فى الجزء الأخير من القرن السادس عشر ، وكان هذا التصور مغريا ، وحمل بعض المفكرين على الاسراف فى تقدير أهميته ، وبخاصة المفكرين الذين جاءوا بعد بودان . وقد أثرى الكاتب الفرنسى مونتسكيو Montesquieu التاريخ فى تحليله المشهور لأهمية الطقس فى كتابه « روح القوانين » L' Esprit des Loin ولكنه بالغ وأسرف حين قرر أن الآداب لا حيلة لها بلقاء العوامل المادية . ولا نزاع فى أن اغفال تأثير عامل البيئة يوقعنا فى الخطأ ، ولكن اهمال الجانب الروحى كذلك يسوقنا الى المادية الجافة ، وقد استطاع فولتير برهافة حسه وحسن ادراكه أن يضع كل عامل من هذين العاملين فى المكان المناسب ، فهو من ناحية يعارض التفسير الآلى للتاريخ الذى يتعارض مع حرية الارادة ، ولكنه فى داخل حدود هذا التصور لا ينكر على الطقس مكانته باعتباره عاملا مؤثرا ومن أقواله فى ذلك « الشمس والجو يفرضان سلطانهما على انتاجات الطبيعة جميعها من الانسان الى الفطر » . والطقس قد يكون له تأثير فى جمال الأجسام وقوتها وفى ميولنا وطبيعة عبقريتنا ، فسكان المناطق الاستوائية سمر الوجوه ، وسكان المناطق المعتدلة بيض الوجوه . وكثير من الحقائق التاريخية يمكن أن نفسرها تفسيرا جغرافيا .

ولكن فولتير يتساءل قائلا : « اذا كان الطقس كل شىء فكيف نفسر التقلبات التى توالت على المصريين واليونانيين أو الحضارات الرومانية وجميعها قد استولى عليها الجمود ؟ من الواضح

ان « المفتاح » غير موجود فى الجو ، ومن المغالطة ان نؤكد ان الشعوب الشمالية هزمت دائما الشعوب الجنوبية ، أو ان المذاهب الدينية لا تؤثر تأثيرها الا فى حدود جغرافية معينة . فان فتوح العرب وانتشار المسيحية براهين تنقض ذلك ، وكذلك رأى منتسكييه القائل ان روح الحرية لا تسكن الا فى المناطق الجبلية ، ينقضه ثورة جمهوريات هولنده وفينيسيا وبولندة » .

ويكثر فولتير من تقديم الأمثلة التى تنقض الرأى القائل ان التاريخ خادم للجغرافيا ، فمن القرن العاشر الى القرن السادس عشر مرت ايطاليا بسلاسل متوالية من الثورات العجيبة « فى حين أن جبال الابينان لم يتغير موضعها ونهر البو ما يزال يجرى فى مجراه »» « وقد أطاح الانجليز برأس الملكة مارى ستيوارت وشارل الأول دون أن يسألوا هل هبت الريح من الشمال أو من الجنوب » .

ويستخلص من ذلك أنه من الواضح انه لا الحرارة ولا البرودة ولا الرطوبة ولا الجفاف هى التى تفصل فى مصير المخلوقات البائسة الفانية التى تزحف على سطح الكرة الأرضية ، وانما العوامل المؤثرة مصدرها الدين والحكومة .

تأثير الحكومة فى التاريخ عند فولتير

وكان فولتير يفضل الحكم الجمهورى ، ولكنه كان يعيش فى أوروبا التى يحكمها ملوك يتمتعون بالحكم المطلق ، فلم يجد مندوحة عن قبول هذا النوع من الحكم . وكان يمدح الحاكم الخير ويقول : « ان الملك الصالح هو أحسن هدية تقدمها السماء للأرض » . وكان ينتظر من الحكومات أن تنشر التسامح وتمنع التعصب والاضطهاد وتسن القوانين الحكيمة وتسمو بالتعليم، وتعمل على تقدم الفنون ، وتطلق العبقرية الانسانية من عقالها وتفسح لها المجال .

تأثير الدين عند فولتير

والى جانب تأثير الطقس وتأثير الحكومة يضع فولتير تأثير الدين ، ولتأثير الدين فى رأى فولتير المكان الأول فى المؤثرات ، ولكنه فى نظره الى الدين متأثر الى أبعد حد بوجهة نظر العصر الذى عاش فيه ، وهو يفوق معاصريه فى شدة وطأته على الدين . وعنده أن المنبع الأصلى للأديان جميعها هو حاجة الانسان الى العامل الأخلاقى ، والأديان جميعها فى رأى فولتير تعلمنا حقيقة بعينها ، وهى أن نتحرى العدل سواء كان ذلك عن لسان زرادشت أو كونفوشيوس أو السيد المسيح . ولكن الحق الذى يعلنه الدين قد شابه الفساد الذى تطرق اليه من مطامع الطامعين، واستغله القساوسة لخداع الجماهير وتسخيرهم فى قضاء لباناتهم ، والسلطة التى تمتع بها القساوسة كانتفى رأى فولتير كارثة علىالانسانية. ويحمّل فولتير الأديان وزر الكثير من الحروب والاضطهادات التى حدثت فى العالم.ولا يخلو رأى فولتير فى هذا الصدد منالتجنّى،فلو انالعالمخلا من العقائد والأديان لما امتنعت الحروب وتوقف الاضطهاد، ولظل الصراع على امتلاك الأرض قائما، وتصادمت المصالح القومية . وليس التعصب من خلق الأديان ، وانما هو شىء كامن فى طبيعة بنى الانسان ، وستظل الناس تضيق بالمعارضة وتحاول سحق اعدائها اينما وجدتهم ،والقائمون بالثورةالفرنسيةاسلموا رؤوس مخالفيهم للمقصلة لانهم يمثلون نظاما للحكم يخالف النظام الذى اقاموه .

يؤخذ على فولتير

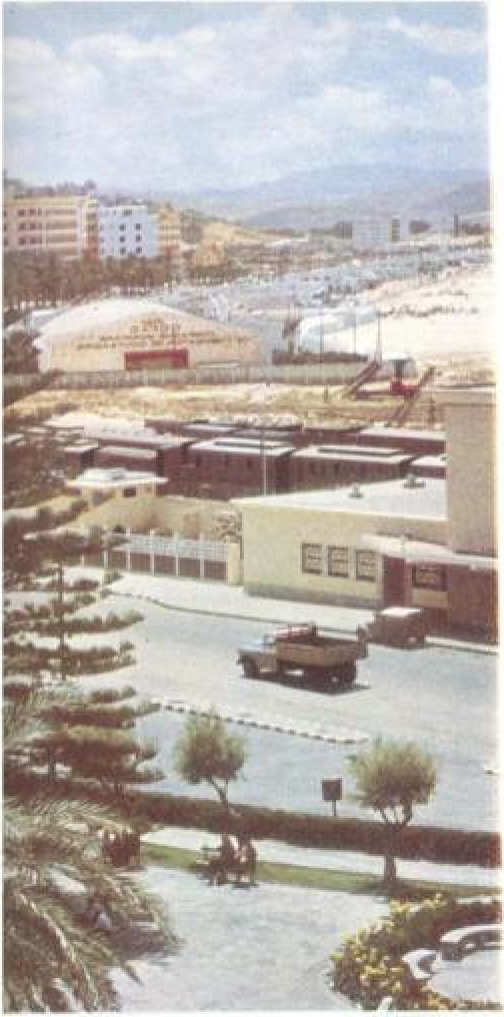
ومما يؤخذ على فلسفة فولتير التاريخية اعتقاده أن الناس فى كل زمان ومكان هم الناس ، وأن الطبيعة البشرية واحدة وانما العادات هى التى تختلف ، ولم يخطر بباله أن انسان العصر الوسيط مثلا يختلف الاختلاف كله عن الانسان فى عصر فولتير لأن قوامه الفكرى ودائرة آرائه ومعتقداته وأوهامه واحلامه مختلفة عن المحيط الفكرى فى عصر فولتير . وأول واجبات المؤرخ الحق هو محاولته تخطى الحواجز والسدود التى تفصل الازمنة بعضها عن بعض والتجرد من أفكاره واتجاهاته وميوله جهد طاقته ، وأن يبحث عن الفروق لا المشابهات بين عصره والعصور السالفة حتى يصل الى كنهها . والعيب الاصيل فى تفكير فولتير التاريخي انه كان يزن مختلف العصور بميزان عصره . ■■

علي أدهم

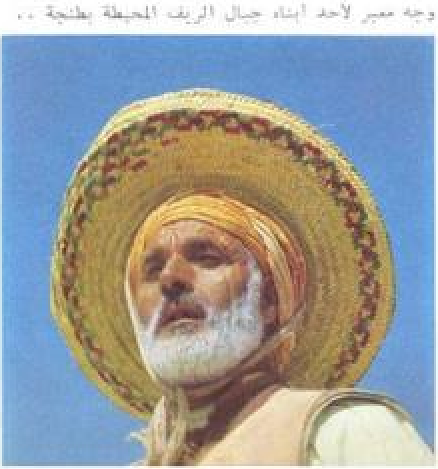


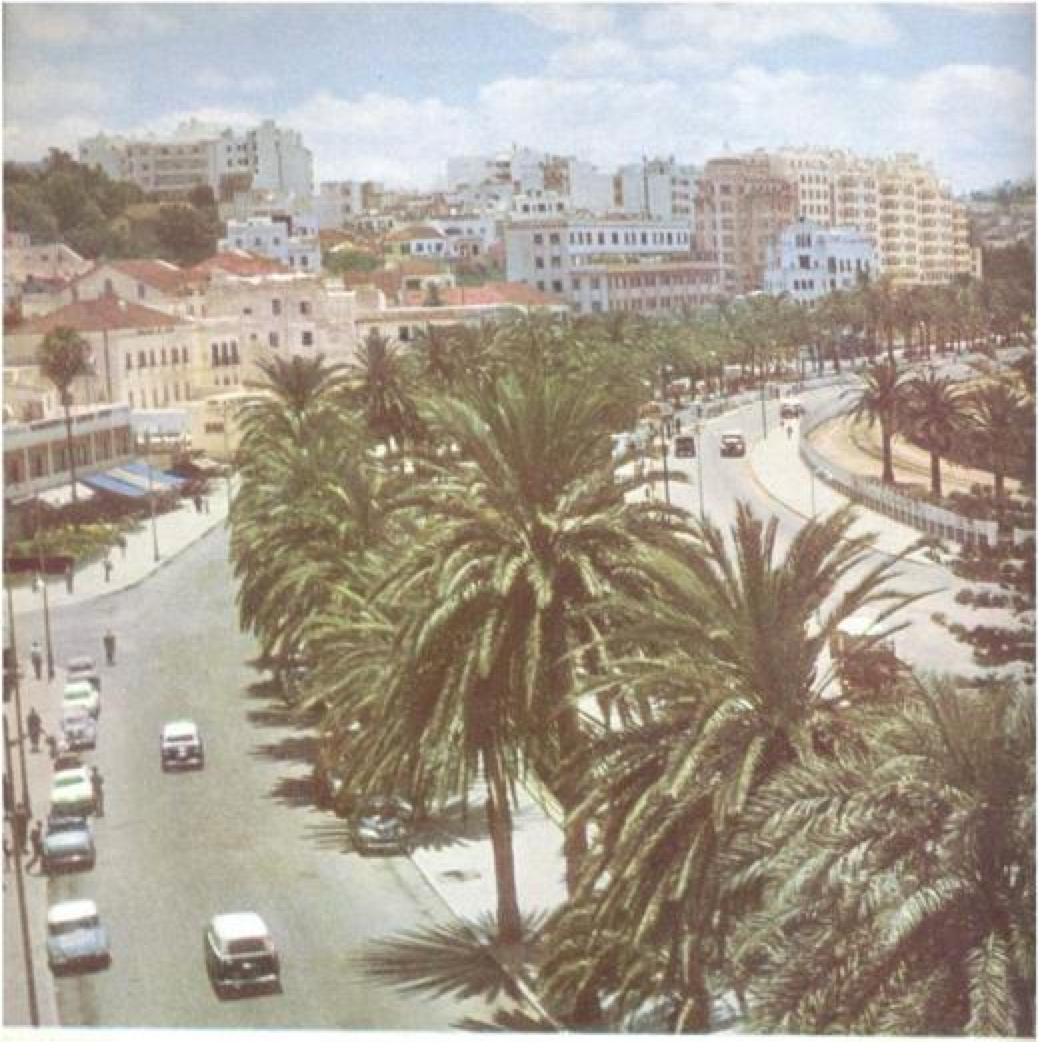
اللثام يغطي الفم ، والجلابة تغطي الجسم ، والغطاء يغطي شعر الرأس ، انه الزي السائد المرأة عندما تسير في شوارع طنجة المضاءة احتفالا بانتقال الملك لعاصمته الصيفية .





أجمل شوارع طنجة : شارع اسبانيا المطل على مضيق جبل طارق ، بنخيله الباسق .. والى اسفل وجه معبر لأحد أبناء جبال الريف المحيطة بطنجة ..





اعرف وطنك أيها العربي

طَنجَة

تنقلك ((العربي)) في هذا الاستطلاع الى مدينة غريبة...
مدينة فقدت وظيفتها فاصبحت عاطلة عن العمل !!

قام بهذا الاستطلاع سليم زبال .. وصوره ((أوسكار))

رغم ضعف طنجة الحاضر ، المؤقت،ما زال الجميع يحاربونها ، انهم يخافونها ، ويخشون حتى فكرة صحوتها . . .

لقد مر العالم بفترة حروب متعاقبة ترتبت عليها ردود فعل وتغيرات جذرية، خلقت ازدهارا وانتعاشا في اكثر من مدينة عالمية ، ومن بينها كانت طنجة الدولية . .

لقد ظلت هذه المدينة الجميلة تعيش حياة حرة مستقلة ، تحت نظام دولي غريب ، تمتعت فيه بحريات كثيرة زائفة . . . حرية التهريب . . . حرية المؤامرات . . حرية العمليات التجارية والمالية المشبوهة . . حرية تشغيل راس المال بدون ضرائب . . . وفجأة توقف كل شيء . . والغي النظام الدولي ، وعادت طنجة الى المغرب ، وطنها الام .

وما كاد هذا الدمج الطبيعي يتم ، حتى انطلقت ابواق الاستعمار وصحفه تتحسر على طنجة . . وجمال طنجة . . ورخاء طنجة . . . وازدهار طنجة . . . وتنعى ما اصابها من تدهور وانحطاط . .

وفات هذه الصحف ، في موجة تحسرها الزائف ، أن تتساءل : . . . ولصالح من كان ذلك الازدهار ؟ . . ومن الذى كان يستفيد من ذاك الرخاء ؟ . .

الاساطير والتاريخ

وقبل الاسترسال في الكلام عن طنجة في حاضرها، تعال نتسلل قليلا الى تاريخها البعيد والقريب . .

حقيقة ان الظلام يخيم على بعض اركان هذا التاريخ ، مما خلط الاساطير بوقائع التاريخ . . . لكنها على كل حال اساطير لا تخلو من طرافة . .

ولعل موقع طنجة الفريد ، عند التقاء بحر الروم ببحر الظلمات ، هو الذى اوحى باغلب تلك الاساطير ، التي دار اكبر قسم منها حول « هرقل » ، ابن اله الآلهة « جوبيتر » في الميثيلوجيا الرومانية .

تقول الاسطورة : كان للاله « اطلس » ابن الاله « نبتون » اله البحر ، ثلاث فتيات يعشن في حديقة تثمر اشجارها تفاحا مذهبا (لعله البرتقال الذى تشتهر به المنطقة !) . . وكان يقوم على حراستهن وحش ضار . . . وجاء « هرقل » فتصارع مع الوحش حتى قهره بقوته الخارقة . . وتزوج هرقل ابنه صوفاقس من احدى بنات اطلس،وكانت ثمرة هذا الزواج ابنة سموها « طنجة » ، وقد اطلق اسمها على المدينة !!

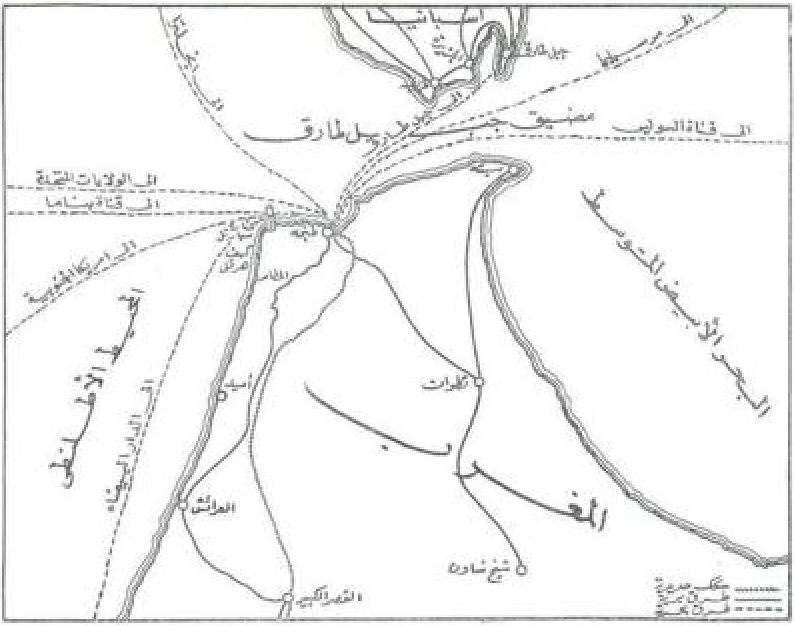
هرقل يقطع الجبل

وتكتمل فصول الاسطورة بوصف لساعة غضب مرت بهرقل ، جعلته يهوى بقبضة يده الجبارة على الجبل ، الذى كان يفصل بين البحر الابيض والمحيط الأطلسي ، فيشطره الى شطرين !! وفي الحال اندفعت مياه البحر الزرقاء لتلتقي مع مياه المحيط الخضراء ، مكونة المضيق المعروف اليوم باسم مضيق جبل طارق !! . . . وفي نفس اللحظات انفصلت أوربا عن افريقيا وتوعد بينهما للأبد . . !

ويؤكد لك اهل طنجة هذه الاسطورة ، فيدعونك لمشاهدة كهف كبير ، يقولون عنه انه الكهف الذى كان يعيش فيه هرقل (انظر الصورة ص ٧٦) .

طنجة هي البوابة الشمالية ، والمنفذ الطبيعي لصادرات وواردات شمال المغرب . . **وفي الصورة السفلى** بعض السياح وهم واقفون عند بوابة الشمس المؤدية الى طنجة القديمة . . .





اكتسبت طنجة أهمية زائدة بسبب موقعها عند أقصى الطرف الشمالي من افريقيا .. ويختلف الناس في تحديد موقعها : هل هي على البحر الابيض ، أو المحيط الاطلسي ! ولكن أهل المدينة يقولون لك بفخر زائد : « اننا عند مجمع البحرين .. وقد جاء ذكر مدينتنا في كتاب الله تعالى ، اذ المقصود بالبحرين : بحر الروم وبحر الظلمات !! » ومن طنجة تبدأ سلسلة الطرق الممتدة المؤدية الى تطوان على بعد ٦٠ كيلومترا ، والى الرباط ٢٧٠ كيلومترا ، والدار البيضاء ٣٧١ كيلومترا

موكب التـــاريخ ..

أما الآثار القديمة الاخرى ، فتكاد أن تكـون معدومة في طنجة بالرغم من ان الفينيقيين قـد جاءوها في سعيهم الحثيث لجمع ذهب العالم عن طريق التجارة ... كما شهدت شواطئها الاشرعة الحمراء للمراكب القرطاجنية والرومانية ، التي كانت تتوقف عندها خوفا من عواصف بحر الظلمات!

وتبعهم اليهـــا البيزنطيـون ، والوندال ، والقوطيون، كلهم عبروا المضيق الصغير ليستقروا في طنجة، وينصهروا في بوتقة شعبها ، الذي كان يتفاعل مع الحضارات والمجتمعات المارة به ..

جسر بين المغرب والاندلس

.. وجاء موسى بن نصير الى طنجة فاتحا في عام ٧٠٧م . فولى عليها طارق بن زياد .. وعاد موسى الى القيروان ، حيث كتب لطارق ـ وهو بطنجة ـ يأمره بغـزو الاندلس ... وانطلقت جحافل جيوش الاسلام تعبر المضيق الذي يفصلها عن أرض الاندلس ... وتبع الجيوش" جمـوع" من الادباء والعلمـاء ، كانوا يمـرون بطنجة في الذهاب والاياب من الاندلس ، واليها ، حتى أصبحت المدينة بمثابة جسر يربط بين المغـرب والاندلس ، فارتفع المستوى الفكرى في المجتمـع الطنجي الى درجة عظيمة ، وكثر بها الادبـاء والشعراء ، وأصـبحت عند ذاك أشهر مـدن المغرب .. وكان الناس في بعض الازمان ، يطلقون اسمها على المغرب الاقصى كله ...

هــدية زواج !

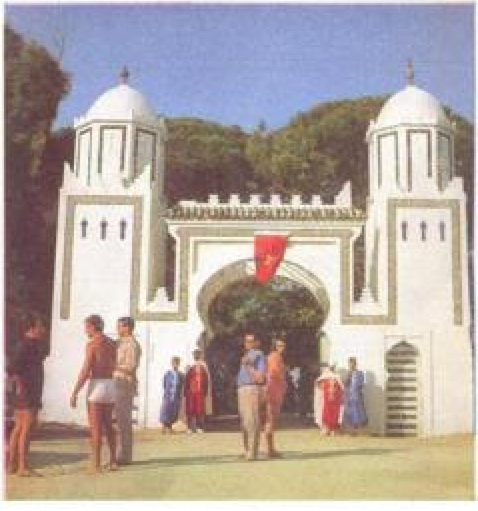
... وجاء الانتكاس بعد الازدهار .. فاخـرج الاندلسيون من بلادهم ، وقصدت جموع غفيرة منهم الى طنجة ، حاملين معهم تراثا حضـاريا ، وأسلوبا في الحياة ناعما رقيقا ، ازدهر وازداد في ظل المرابطين والموحدين ، وبني مرين ..

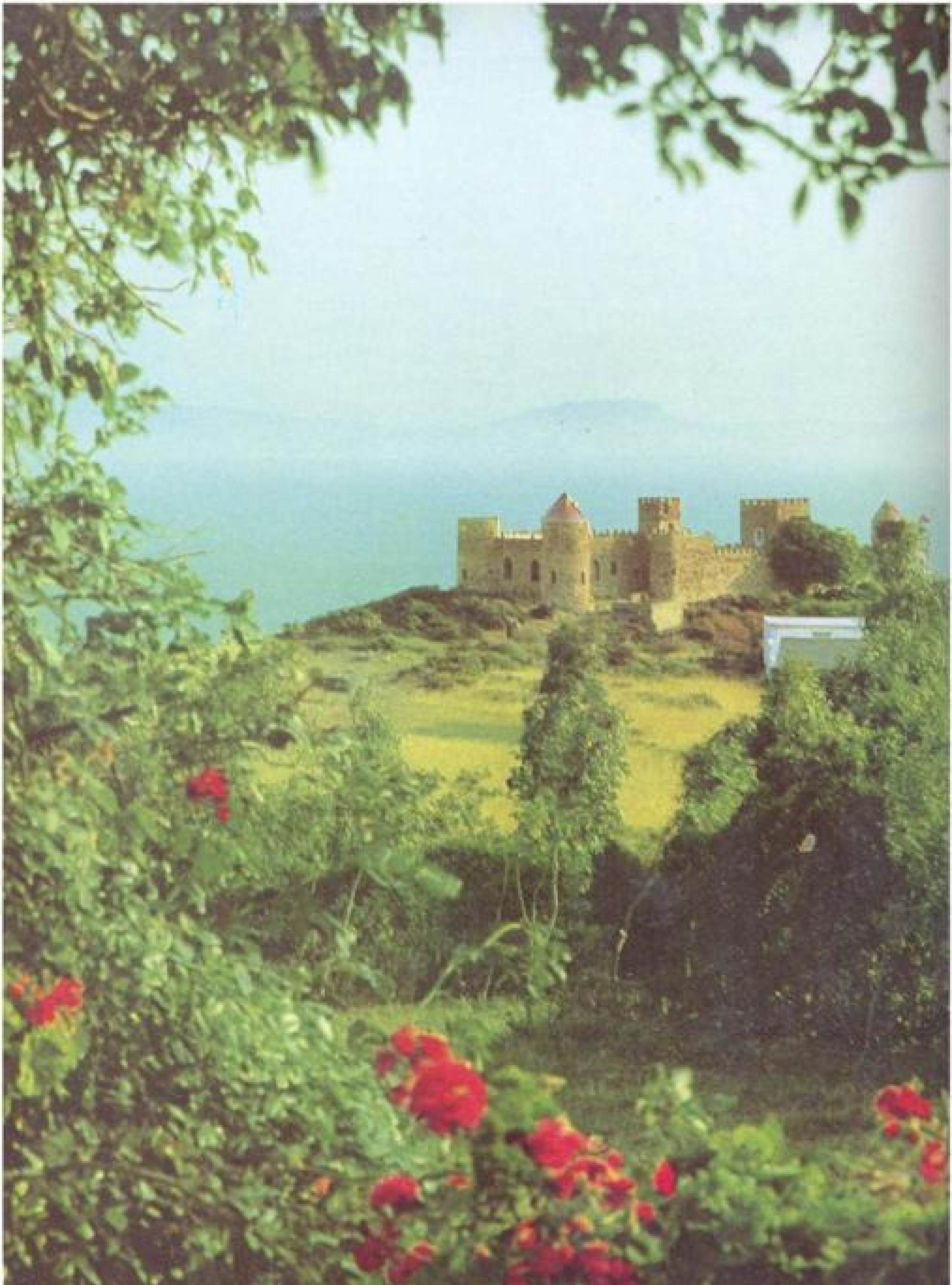
وبعدها بدأ الاستعمار الغربي دوره في احتلال شواطئ افريقيا على ما هو معروف ، وفي عـام ١٤٧١ سقطت طنجة ، بعد معارك عنيفة ، في أيدى البرتغاليين الذين قدموها في عام ١٦٦٢ هـدية لشارل الثاني ، ملك الانجليز ، ضمن الهـدايا التي حملتها معها ملكتهم كاترين عند زواجها به .



الى اليسار : قصر الاشباح ! كان الاوروبيون، اثناء الحكم الدولي ، يهجرون بلادهم القلقة قاصدين طنجة الهادئة الجميلة الخالية من الضرائب ، يستقرون فيها ويشترون الاراضي ليقيموا عليها مبانيهم .. ومن هؤلاء كان المسيو « جاراسينو » الفرنسي الجنسية والمولود في المغرب .. كان مستشارا بالمحكمة ، ولكن أحلامه كانت كبيرة ، اشترى قطعة ارض وانتظر ارتفاع ثمنها فباعها ليشتري قطعتين ثانيتين ، باعهما بدورهما بمبلغ كبير .. وتضاعف ربحه فترك القضاء، وبدأ يبني قصرا خياليا على طراز قصور القرن الثامن عشر .. وانتهى بناء القصر في منطقة ملاباطا بطنجة .. وكانت التكاليف باهظة ، فرهن بعض أراضيه ، واقترض أموالا على قصره الضخم ليشتري أراضي جديدة .. وهكذا ظل يشتري .. ويرهن .. ويبيع .. حتى جاء الاستقلال ، ورجعت طنجة الى وطنها الام وتدهورت أسعار الاراضي الى الحضيض ، بينما ظلت قيمة الرهون على ما هي عليه، فمات وهو مدين بنحو مليون جنيه استرليني..وأغلق القصر الكبير أبوابه ، وأصبح مهجورا ، على قمة جبل ملاباط .. وفي الليل تنبعث من ناحيته أصوات سببها صفير الرياح ، ولكن أهالي الريف يعزونها الى الجان ! .. وقد استرعى جمال هذا القصر أنظار المخرجين السينمائيين فقاموا بتصوير ثلاثة أفلام سينمائية حول جدرانه وفي داخله . وكان رجال الكومبارس في هذه الافلام هم جنود الشرطة أثناء الحكم الدولي .. ان موقع القصر في أروع مكان على مضيق جبل طارق ، يجعله مركزا نموذجيا لفندق سياحي عالمي من الطراز الاول .

الى اسفل : قرية السعادة ! او فيلا هاريس ، ابتاعها النادي الاوربي للسياحة، لجعل منها جنة للسائحين،يقضون فيها أمتع الاوقات بين الشمس والماء والشاطيء .. وتضم مبانيها ٢٠٠ غرفةمشيدة على الطراز المغربي الجميل..وهي دائما كاملة العدد.





تصوير « أوسكار »

نسفوا كل شيء !

وكان أهل المغرب ، في هذه الفترة ، قد وطدوا العزم على تحرير مواطنهم ، فقامت المعارك الضارية بينهم وبين الانجليز ، المستعمرين الجدد لطنجة .

وفي عام ١٧٧٢ ضيقت جيوش المغرب حصارها على المدينة فركب المستعمرون سفنهم ، وهربوا الى البحر ، وتركوا المدينة خاوية على عروشها ، بعد أن خربوها .. وهدموها .. حتى الميناء الجميل الذي انفقوا على بنائه مليون جنيه استرليني ، نسفوه بالبارود ... !!

جشع الاستعمار

وبجلاء الانجليز عادت طنجة الى وطنها الأم... وظلت تعيش تحت كنفها هادئة عاملة على تضميد جراحها ... وان تكن بعض الاضطرابات والثورات عكرت صفو هذا الهدوء ، ونبهت العالم الى أهمية هذا الموقع الاستراتيجي الفريد عند أقصى نقطة في الطرف الشمالي لأفريقيا .

وهنا بدأت المؤامرات الدولية تظهر في سماء طنجة :

ـ اسبانيا تطالب بها استنادا الى مخطوطات تاريخية وجغرافية بالية .. !

ـ فرنسا ترى من الطبيعي ضمها اليها،وخاصة بعد احتلالها للمغرب الكبير كله ..

ـ بريطانيا تريدها دولية .. لا حبا في طنجة ، وانما خوفا من ظهور جار قوي لها ، على الضفة المقابلة لقاعدتها في جبل طارق ..

ـ المانيا تريدها مستقلة ، وتهدد بالحرب في حالة تعرضها للخطر ، ويأتيها الامبراطور بنفسه في زيارة رسمية لها عام ١٩٠٥ .

.... وعلى أموالي تقاسموا!

وتنجح فرنسا في اقناع المانيا بغض الطرف ، مقابل هدية قدمتها لها هي نصف بلاد الكنغو .. ولكن فرنسا تفشل ، في اقناع بريطانيا بالسماح لها باحتلال طنجة .. وتكون النتيجة توقيع اتفاق بين البلدين في عام ١٩١١ ، يجعل من طنجة مدينة دولية .. وتقف الحرب العالمية الأولى عقبة في تنفيذ الاتفاق ، ولكنه يعود للظهور في ١٨ ديسمبر ١٩٢٣ على شكل معاهدة جديدة بين فرنسا



ميدان السوق الصغير ، كان منذ سنين قريبة قلب طنجة النابض بالحركة ، كانت فيه السفارتان الأمريكية والانجليزية ، ومبنى البريد الاسباني ، والبارات التي تقدم الخمور ، والمنازل ذات السمعة المشبوهة .. وكان الناس يستريحون في بارات ومقاهي هذا الميدان من عناء السير في المدينة القديمة.. ودارت الأيام وانتقلت السفارات والقنصليات ومباني البريد الى المدينة الحديثة وشهدت محلات الميدان تغيرا كبيرا ، فالشاي الأخضر المخلوط بالنعناع أخذ مكان الوسكي والكونياك ، والمنازل المشبوهة أغلقت أبوابها بعد تحريم الدعارة .. ورغم ذلك ما زال هذا الميدان الصغير يعج بالسياح



تكثر في طنجة القديمة الأسوار الأثرية العالية ، التي شقوا فيها البوابات ، وبنوا بملاصقتها وفوقها المنازل والعمارات ، حتى كاد شكل هذه الأسوار أن يضيع .. وفي الصورة جزء من سور قديم ، يؤدي بابه الى الجامع الكبير .

واسبانيا وانجلترا .. عدلت مرتين عام ١٩٣٤ و١٩٣٨ وانضمت اليها الدول الثماني الموقعة على معاهدة الجزيرة ..

حاكم ... محكوم !

وانبثق من هذه المعاهدة مجلس تشريعي للمدينة الدولية مكون من ٢٧ عضوا ، ٤ منهم فرنسيون و٤ اسبان ، و٣ بريطانيون ، و٣ ايطاليون ، وامريكي واحد ـ لم يشترك ابدا في الاجتماعات ـ وبلجيكي وهولندي ، وبرتغالي ، و٩ مغاربة (٦ مسلمون و ٣ يهود) .

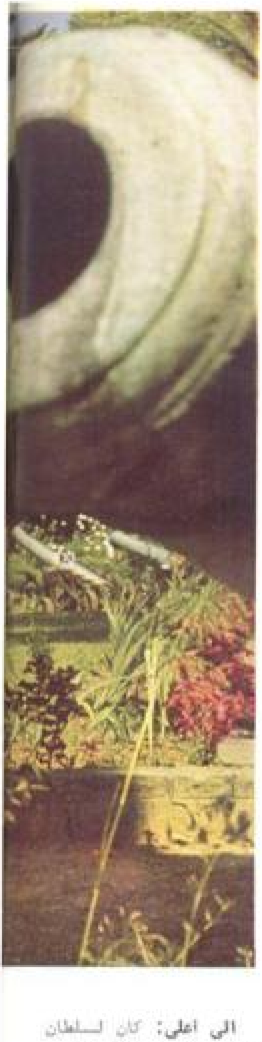
وكانت قرارات المجلس تخضع لمجلس مراقبة ، او مجلس وصاية مكون من قناصل الدول الثمانية ..ولهذا المجلس حق نقض القرارات التي يصدرها المجلس التشريعي والغائها ، كما له حق حل المجلس اذا ارتأى ذلك !

ومن المهازل المضحكة في هذا الحكم الدولي اعترافه بسيادة سلطان المغرب على طنجة ، رغم ان نفس السلطان كان يرزح تحت نير الاستعمار الفرنسي !!

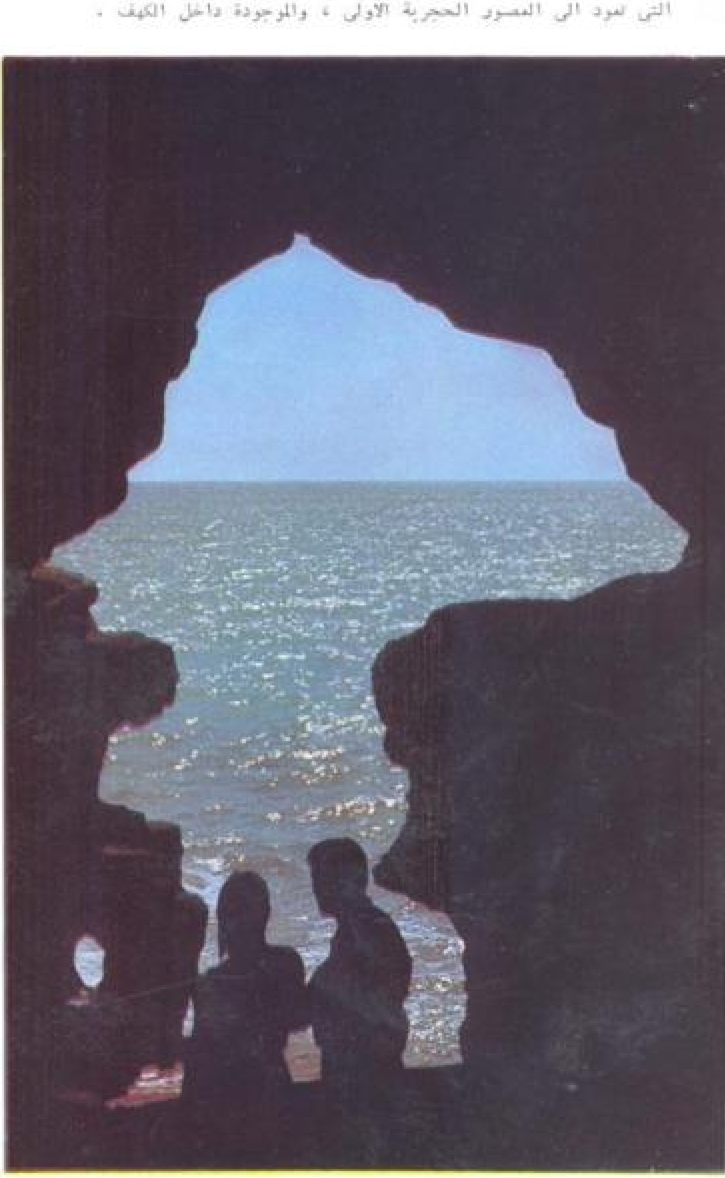
وظلت طنجة خاضعة لهذا الحكم الدولي الغريب حتى عام ١٩٤٠ عندما انتهزت اسبانيا فرصة الحرب فاحتلت المدينة الدولية باكملها .. ولكنها سرعان ما جلت عنها بعد استسلام المانيا عام ١٩٤٥ ليعود العمل بمعاهدة ١٩٢٣ ، مع ادخال مندوبين جددا لأمريكا وروسيا ، متمتعين بسلطات أكبر .. وقد رفضت روسيا حضور جلسات المجلس احتجاجا على وجود « مندوب الديكتاتور الاسباني فرانكو » .

ما أحلى الرجوع اليه ..

وفي عام ١٩٥٦ بدأ المغرب يسترد حريته ... فانهار الحكم الاستعماري الفرنسي .. وانهار بعده الحكم الاستعماري الاسباني ، الذي كان يحتل الجزء الشمالي من التراب المغربي ... وبقيت طنجة مع ذلك بوضعها الدولي ، الذي

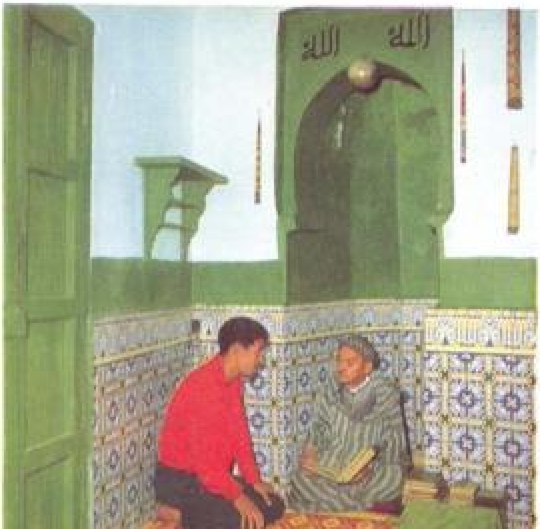


الى اسفل : هنا كان يعيش هرقل ابن جوبيتر !! هكذا ارادت الاسطورة .. على بعد ٨ اميال من طنجة يقع كهف هرقل ، يهبط اليه السائح بعد دفع رسم قدره ١٠٠ فلس .. وعلى ضوء المشاعل التى يحملها الدليل يسير الزائر في هذا الكهف ، الذى يطل على مياه المحيط الاطلسى اللازوردية اللون .. انه نفس المنظر الجميل الذى يشهده المرء في الكهف الازرق بجزيرة كابرى .. وزائر الكهف يشعر وكأنه يعيش مع تلك الاسطورة التى يؤكدها له حامل الشعلة .. والزائر الذى لا يصدق قصة الدليل ، يستطيع ان يجد تسليته في مشاهدة أحجار الرحى الكبيرة التى تعود الى العصور الحجرية الاولى ، والموجودة داخل الكهف .



الى اعلى: كان لسلطان المغرب مندوب دائم مقيم في طنجة اثناء الحكم الدولى يسكن في دار المندوبية ، ذات الحديقة الواسعة المشهورة بمدافعها الـ ٢٧، وليس ٤٠ كما تقول الكتب ، منها العربي ، والفرنسى ، والبرتغالى والاسبانى ، والبريطانى .. لقد استعمل الانجليز بعض هذه المدافع اثناء الحصار الذى فرضه عليهم مولاى اسماعيل لمدة ٤٠ يوما قطع خلاله الماء عنهم ، مما دفعهم الى الجلاء .





الى اليسار : هل تعلم ان مدينة طنجة هى مدينة ابن بطوطة ؟ وان قبره يقع داخل المدينة القديمة فى الشارع المسمى باسمه .. ان تاريخ مولده فى طنجة هو عام ١٣٠٤ الميلادى .. ووفاته عام ١٣٧٨، وابن بطوطة هو اشهر الرحالين العرب الذين طافوا بمختلف انحاء العالم المعروف فى ذلك الوقت .. وكان ذكاؤه سببا فى توليه القضاء فى عدد من الدول التى زارها خلال رحلاته الثلاث التى استغرقت ٢٩ عاما ، وعندما قام شو اين لاى رئيس وزراء الصين ، بزيارة للمغرب فى العام الماضى ، طلب زيارة قبر القاضى العربى الذى تولى القضاء يوما ما فى الصين ، فنظمت له رحلة خاصة لزيارة طنجة .. ويصف حارس القبر الزيارة بقوله : « دخل شو اين لاى الى الضريح ولم يفتح فمه بكلمة .. وتطلع لحظات ثم قفل راجعا دون ان يقول شيئا .. أو يعطينى شيئا ! »

لم يستطع البقاء طويلا ، اذ انهار بعد شهرين من الاستقلال ليصبح نظاما غير ذي موضوع ...

وعادت طنجة ثانية الى المغرب ، بعد فراق دام ٢٣ عاما ..

عادت لتروى قصة ازدهارها الزائف الذى كان يحسدها عليه العالم ..

الحـرام ... والحـلال

ولقد وُكِلت عملية تصفية الوضع الدولي الى السيد عبد الله كنون ، أول حاكم مسئول اختاره الملك محمد الخامس لتلك المدينة .

ولقد جلسنا اليه نسمع حديثه عن الحكـم الدولي ... قال :

« كان الحكم الدولي حكما ملموثا ... فهو استعمار دول ثمـان لدولة واحدة !

« المكان المرموق ، والوظيفة العالية لأبناء هـذه الـدول .. والمضاربات المالية يقوم بها كبار رجال أعمالهم ، يتلاعبون بملايين الدولارات ، والفرنكات والجنيهات ، ينقلونها فى لحظات من طنجة الى اركان العالم باللاسلكى المباشر حتى اليهود المفلسين الهاربين من بولندا كان لهم نصيب الأسد فى مدينتنا ، فما تكاد تمضى بضع سنوات على وجودهم حتى يدخلوا زمرة اصحاب الملايين بفضل التلاعب والتهريب ...

« كل ذلك كان يدور ، وابن البلد واقف يتفرج مذهولا .. كل شيء عليه حرام .. يرى الملايين تتطاير من فوق رأسه ولا يصيبه منها قطرة !! » .



عبد الله كنون



على امتداد شارع الكورنيش ترتفع العمارات العالية المطلة على الشاطىء الرملى الجميل المقسم الى مقاه تحمل مختلف الأسماء العربية والاسبانية والأجنبية مثل ابن بطوطة ، وتريتكارا بيلاس ، وكوكو بيتش ، ولبتولو ، وكوستاديل لورلو ..



سر جمال طنجة يكمن فى مناظرها الطبيعية الرائعة .. وهذا هو خليج ملاباطا الساحر الذى يجذب الاف السياح لزيارة المغرب . وفى هذا المكان سيقوم مشروع حوض السفن

ويستطرد السيد عبد الله كنون فى حديثه :

« والى جانب كل ذلك ، كان مجلس المراقبة الدولى يقف حاميا لمصالح رعاياه .. فأى اعتراض من أى سفير ، أو قنصل على قانون يصدره المجلس التشريعى معناه الغاء هذا القانون

« ان الازدهار والثروة كانا للاجانب .. حتى ان كبار التجار منهم جعلوا مراكزهم الرئيسية فى طنجة ، وفروعهم فى اوروبا ، وانجلترا .. تهربا من دفع الضرائب .. » .

وينهى السيد كنون كلامه بقوله :

« يتحدث الناس فى هذه الايام عن تدهور طنجة وأفول نجمها ، وردنا على هذا هو أنه خير لنا الف مرة أن نعيش أحرارا فى منزلنا البسيط .. من أن نعيش عبيدا فى قصر كبير غريب .. » .

جمال ساحر ..

و« المنزل البسيط » المقصود هو طنجة ، التى أغدقت عليها الطبيعة بسخاء عجيب ، الشىء الكثير من جمالها الأخاذ . مناظر ممتعة للعين لم نر لها مثيلا ، فى أى بلد عربى آخر زرناه ..

انها تجمع بين المضيق ، والمحيط الواسع .. وبين السهل والجبل .. وجوها صحو صاف ، وهواؤها لطيف اكتسبته من رقة نسيم البحر الأبيض ، وبرودة رياح المحيط الاطلسى .. وان كان يتغير فى بعض الاحيان فقد رأينا الامطار تهطل فى بعض ايام شهرى يوليو واغسطس .

السفن البخيلة !

وفى الأيام التى يكون الجو فيها صحوا – وما أكثرها فى طنجة ! – يشهد الأهالى صخرة جبل طارق ، وسهول الاندلس ، لا يفصلهما عنهم سوى المضيق المائى ، الذى تعبره الطائرة فى ١٠ دقائق ، والبواخر الصغيرة فى ساعتين ونصف ، لشدة تياراته المائية ..

انه من أكثر المضايق عمقا (٣٥٠ مترا فى بعض الأماكن) واكثرها .. ويقول السيد محمد العربى السعيدى ، رئيس الغرفة التجارية والصناعية بطنجة ان ٢٥ فى المائة من المراكب الملاحية العالمية تمر منه .. اى بمتوسط مركب واحد كل ١١ دقيقة !

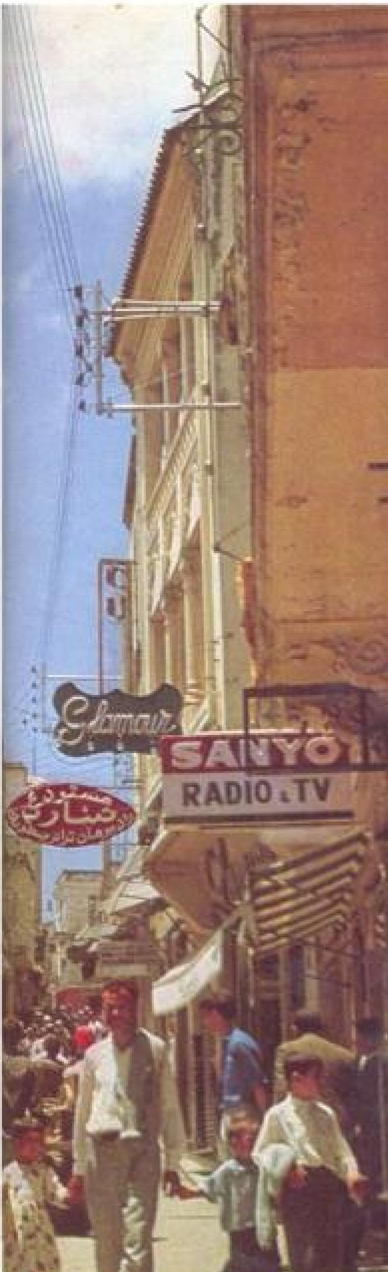
ولكن كم من هذه السفن يتوقف فى طنجة ؟

سجلات الميناء تشير الى أنها لا تتعدى الفى سفينة فى السنة .. والباقى – أى نحو ٥٠ الف سفينة – يكتفى بعبور المضيق باخلا حتى باطلاق النفير ، تحية لهذه المدينة البيضاء الجميلة ،



عقلية ! : ما يكاد السائح الاوروبي يصل طنجة ، حتى يعتبر نفسه في افريقيا ، ويكون أول سؤال له : « اين الجمال ؟ .. نريد أن نرى الجمال ؟ .. » . وطنجة خالية من الجمال .. ولكن مصلحة السياحة عمدت الى وضع ثلاثة جمال في نقطة خارج المدينة يقصدها السياح فرحين لأنهم شاهدوا الجمال .. وركبوا الجمال .. وصوروا الجمال !! أما حياة الليل فتشتهر المدينة بكثرة ملاهيها التي تقدم مختلف الاستعراضات والرقصات الشرقية .. الى جانب لعب الروليت والبكاراه .





يتهافت السياح على عبور شارع الصب
وفي هذا الشارع كان يباع ويشترى كل شيء
اما اليوم فقد نقل الهنود متاجرهم الى -



السياحة على أصناف : الجيل القديم يجد متعته في شراء مختلف منتجات البلاد المحلية ، من مصنوعات جلدية ، وطربوش احمر ، ومصابيح كهربائية صفراء .. والجيل الجديد ، يتمثل في الصورة السفلى ، للفتاة الدانمركية الحافية القدمين التي مضى عليها ٣ شهور وهي تسير على قدميها الحافيتين من الدانمرك حتى طنجة ، وبصحبتها زميلها عازف الجيتار ، الذي يعزف على آلته لجمع المال اللازم لمأكلهما .. انهما مغامران على اسلوب الشباب الحديث ، وهما لا يملكان ثمن قدح الشاي ، الذي قدمه اليهما الشاب الطنجي – الجالس الى اليمين –





الذي يربط بين السوقين : الكبير ، والصغير ..
وكان مركزا للتجار الهنود ، وبائعي النقود ..
طارق ، واغلقت محلات تبديل العملة ابوابها ،

القابعة فوق رؤوس التلال السبعة الخضراء التى تتناثر عليها العمارات والقصور البديعة ذات الطابع الهندسى الدولى ، اذ ان كل ثرىّ جاء الى طنجة عمد الى بناء منزله طبقا لهندسة بلده !

فالامريكان مثلا ، الذين جاءوا بعد الحرب العالمية الثانية ، اشتروا منطقة باكملها فى طنجة، اطلقوا عليها اسم « كاليفورنيا » وجعلوها تاخذ طابع الهندسة الامريكية : فيلات صغيرة أنيقة متلاصقة ، وحدائق بازهار حمراء .

الانجليز وبربارا هاتون فى القصبة !

أما الانجليز فقد فضلوا السكنى فى حى القصبة داخل المدينة القديمة .. فابتاعوا حيا باكمله ابقوه على حاله القديم ، حتى الشوارع الضيقة، والأسوار العالية ، ظلت على ما هى عليه ، لتمنع الفضوليين من رؤية ما يدور داخل المنازل .

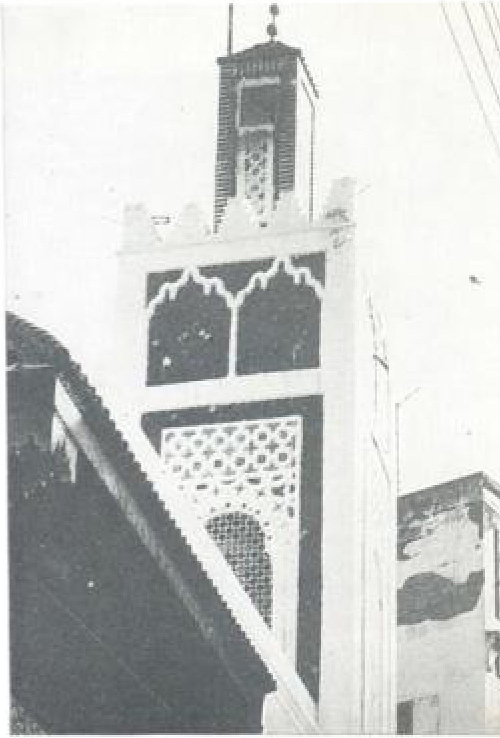
وبهر جمالُ طنجة لب المليونيرة المقامرة المشهورة « بربارا هاتون » فاشترت ستة منازل قديمة تطل على خليج طنجة ، انفقت عليها ثروة لتجددها وتوصل بعضها ببعض ، مع الحفاظ على طابعها العربى القديم .. وتقضى بربارا هاتون فى هذه المنازل ، التى أضحت قصرا جميلا واحدا ، مدة شهرين كل عام – يوليو واغسطس – تقيم خلالهما الحفلات الصاخبة ، مما يتيح للزوار فرصة مشاهدة قاعة العرش السيامية « نسبة الى مملكة سيام التى هى اليوم تايلند فى الهند الصينية » المصنوعة كلها من الذهب ، والموجودة فى هذا القصر .

مارشان ، وسيدى عمار .. والجنة !

وتقع طنجة القديمة على تل يرتفع ٧٠ مترا يشرف على الميناء ..

وأول امتداد وتوسع للمدينة كان بعد الحرب العالمية الأولى ، فى اتجاه المحيط الاطلسى ، وبه انشئت ضاحية «مارشان» ... تلك التى لم تكف لسكنى الوافدين الجدد فاتجهوا ناحية الشرق ، ليقيموا المدينة الحديثة بعماراتها العالية ، وشوارعها الفسيحة ، وطريق الكورنيش الجميل المزدان باشجار النخيل التى قدمها الملك الفونسو – ملك اسبانيا السابق – هدية لطنجة ..

ولكن ضوضاء المدينة الحديثة لم يعجب هواة الراحة ، الذين قصدوا الجبلين المحيطين بطنجة :



شهد جامع طنجة الكبير سلسلة من التغيرات ، فقد كان معبدا فينيقيا ، حول الى مسجد بعد الفتح الاسلامى ، ليصبح كنيسة فى ظل الاحتلالين البرتغالى والبريطانى ، ثم عاد مسجدا كما كان

الى أسفل : هذا هو قصر المليونيرة الامريكية بربارا هاتون ، كانت تقضى فيه شهرين فى كل عام، أما اليوم فقد خف حضورها،وأصبح القصر مغلقا



واحد منهما في الشرق ، واسمه الشرف ، والآخر في الغرب واسمه جبل « سيدي عمار » ، وعليهما اقاموا مبانيهم ، وقصورهم الجميلة ، حتى كاد أن يصبح جبل سيدي عمار قطعة من الجنة ، لما حواه من حدائق ، واشجار ، وزهور، ونخيل وماء ..

والماء في جبل سيدي عمار له خطورة خاصة ، اذ تقول الاقاصيص ان في هذا الجبل عين ماء ، من يشرب منها يكتب له الخلود ! وقد بحثنا طويلا عن «عين الحياة» هذه ، فلم نجد لها أثرا.

ويقول اهل طنجة في كتابهم عن مدينتهم : ان الخضر عليه السلام ، كان على رأس البعثة التي ارسلها ذو القرنين لتبحث له عن «عين الحياة» فشرب منها ، ولذلك طال عمره ..

أقصى نقطة في أفريقيا

والآن تعال نكمل رحلتنا عبر جبل سيدي عمار لنصل الى ساحل المحيط الأطلسي ، حيث مغارة هرقل ، ومنارة سبارتل الشهيرة ، التي تنبيء قباطنة عابرات المحيط الى وصولهم للمضيق ..

وقصة هذه المنارة تستحق وقفة قصيرة ، لقد شيدوها عام ١٨٦٠ على الصخور الواقعة عند أقصى الطرف الغربي لافريقيا .. وما كادت تمضي خمس سنوات على بنائها حتى أصبحت عشر دول أوروبية مسئولة عن ادارتها لأهميتها البالغة في ارشاد سفنها .. وبعد الاستقلال عادت هذه المنارة الى المغرب لتدار بمعرفتها .

وعند قاعدة المنارة يمتد شاطيء رملي ساحر طوله ٤٢ كيلومترا يقصده هواة السباحة ،فيقضون وقتا ممتعا بين امواج المحيط ومياهه الباردة ..

اليابانيون هم السبب ؟

وعلى بعد أمتار من المستحمين تمر سفن صيد التونة تمخر عباب المحيط حاملة صيدها الثمين ، في طريقها الى المصنع بطنجة حيث تعمل ١٦ امرأة برتغالية على تدريب ٣٠ امرأة مغربية .

ويحدثك مدير المصنع عن الخطر الهائل الذي تتعرض له هذه الصناعة فيقول :

ـ كنا نصطاد سنويا من ٧ الى ٨ الاف سمكة تونة أما اليوم فقد هبط عددها الى ١٨٠٠ سمكة

ويسكت قليلا ليتابع قوله : « ان اليابانيين هم السبب ، انهم لم يكتفوا بوضع الشباك في



هذه هي منارة سبارتل الشهيرة ، الواقعة عند أقصى الطرف الغربي لافريقيا ...

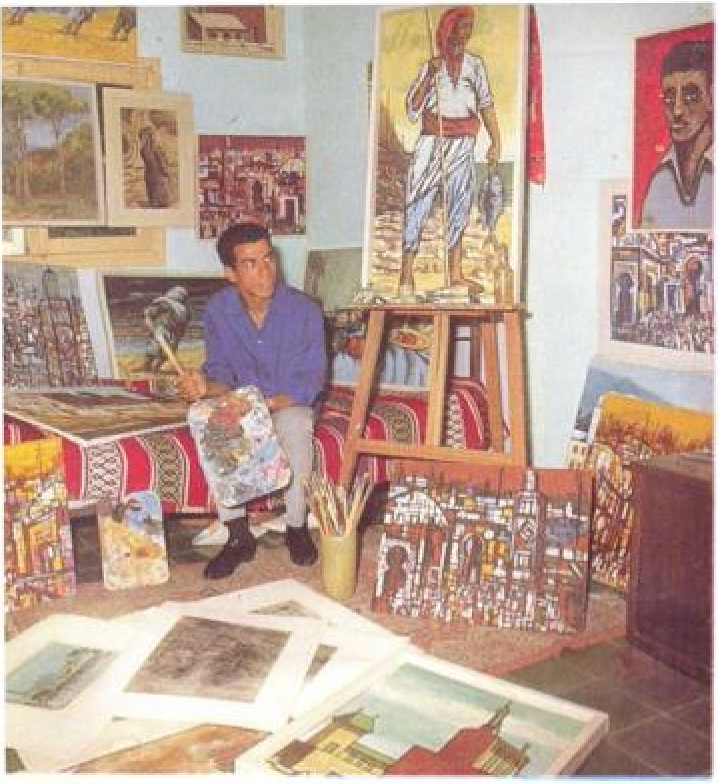
الى أسفل : اجتماع في دار بلدية طنجة يضم من اليمين : التهامي الفلالوس ، نائب رئيس البلدية ، ومحمد الزايدي رئيس المجلس الاقليمي ، وحميد ابن ذكري خليفة الحاكم ، وابراهيم السنوسي رئيس المجلس البلدي ، ومحمد الخمال نائب رئيس المجلس البلدي .





أجمل منظر لطنجة تشهده من فوق تل « الشرف » الذي يبين لك مباني طنجة الحديثة وشاطئها الرملي الجميل ، الذي ينافس شواطىء فرنسا واسبانيا .. والصورة السفلى تبين الشاطىء وعليه القوارب ، التي يستأجرها المستحمون للانطلاق بها فوق الماء ، ويزدحم الشاطىء بعشاق السباحة ابتداء من شهر مايو .







الطبيعة السخية في طنجة ، مصدر الهام للفنانين وكبار الكتاب العالميين الذين قصدوها ، أمثال اندريه جيد،وبول موراند، وغيرهم. ومن بين شباب طنجة لمع اسم الفنان « الزجراجي » الذي تراه بين مجموعة من رسومه المستوحاة من طبيعة طنجة

الى اسفل : رغم العدد الكبير من الفنادق ، الذي يقرب من الاربعين فندقا ، فان طنجة ما زالت في حاجة الى ٣٠ فندقا آخر ! لان السياحة اصبحت المورد الاساسي الذي تعتمد عليه المدينة .. وقد عملت بعض هذه الفنادق على نقل مياه البحر الى داخل مسابح خاصة في حدائقها،لتوفر على السائح مشقة الانتقال الى البحر!





ترحدت المحاكم في طنجة فأصبحت مغربية خالصة، تدور فيها المداولات والمرافعات باللغة العربية .. وكانت ، قبل عام ١٩٥٧ ، دولية مختلطة، قضاتها يمثلون خمس دول مختلفة ، هي اسبانيا وبلجيكا وانجلترا وفرنسا وايطاليا .

طريق أسراب هذا السمك المهاجر، بل عمدوا الى صنع مراكب ضخمة ، مجهزة بالرادار واحدث اجهزة الصيد لتتابع أسراب التونة في رحلتها الطويلة من الباسفيك الى الأطلسي ، فتصطادها بالآلاف .. وعلى المركب تتم عملية قطع رؤوس الأسماك ووضع جلدها بالثلاجات الخاصة .. وتمر على سفن الصيد هذه « سفينة جامعة » لتجمع المحصول من السفن لتنقله الى اليابان ، لتعليبه، بينما توالي سفن الصيد عملها بمتابعة أسراب التونة ، فتصطاد المزيد منها .. » .

ولكن ابن طنجة لا يقبل هذا التعليل ويقول : ان السفن اليابانية هذه موجودة منذ مدة طويلة انما حقيقة القصة تكمن في أن الصيادين ، واغلبهم من الاسبان، يرسلون كل ما يصطادونه الى مصانع اسبانيا لتعليبه هناك ، وكثيرا ما تدخل سفنهم مياهنا الاقليمية لتسرق ثروتنا السمكية ... وللاسف نحن لا نستطيع مراقبتهم لضعف امكانيات حراسة الشواطىء عندنا ..

ويتابع اهل طنجة حديثهم بقولهم : ان سمك التونة كان دائما يصاد بكميات كبيرة ، والنقص الذي يذكره مدير مصنعنا الاسباني غير مقبول . ويسخر الأهالي من اقوال هذا المدير بقولهم :

تصدر في طنجة ثلاث جرائد بلغات مختلفة : العربية، والاسبانية ، والفرنسية ... وجريدة طنجة العربية هي لسان حال أهل طنجة .. ونرى هنا رئيس تحريرها الاستاذ محمد المهدي الزيدي يراجع الصيغة النهائية لأحد الاعداد .



« ان سمك التونة ليست له نقابة ، ولهذا لا يستطيع القيام باضراب مطالبا بوقف صيده !! » .

حساسية ..

واهل طنجة يتمتعون بحساسية غريبة لكل ما يتعلق بمدينتهم ، انهم على بينة بكل مشاكلهم، ويدركون جيدا مقدار المشاكل التي ورثوها من الحكم الدولي .. ولكنهم ، في نفس الوقت ، يعلمون أن هذه المشاكل قد تضاعفت بعد أن عادوا الى وطنهم الأم واتحدوا معها اقتصاديا وجمركيا .

... ومؤامرات

ان كل شيء في نظرهم يخفي وراءه مؤامرة على طنجة .. حتى الربع مليون سائح الذين ينزلون سنويا على ارصفة مينائها الصغير مع ٥٧ ألف سيارة تدور حولهم علامات الاستفهام ، لان طنجة ، رغم الاربعين فندقا التي فيها ، لا تستفيد كثيرا من هذا العدد الكبير من السياح ، الذي يمر منها .

انهم يعبرونها في طريقهم لزيارة جنوب المغرب .. بدون سلام ، أو كلام ، أو حتى انفاق مال ! والذين يمكثون في طنجة ، تكون مصاريفهم

ما كاد دمج طنجة يتم حتى عادت الثقافة العربية تحتل مكانها على نطاق واسع في هذا البلد العربي ؛ وهذا هو السيد نصر الله الحربشي، صاحب المكتبة المصرية التي تبيع احدث الكتب والصحف العربية ..



مدفوعة مقدما لشركات السياحة ، التي تنقلهم باجور بخسة تكاد تكون بالمجان .

حتى السكة الحديدية ، جعلت لنفسها محطة داخل ميناء طنجة ، تنقل بقطاراتها السياح من الرصيف حتى مدينة الدار البيضاء مباشرة ! وداخل القطار يوجد مطعم وبار ، وكأنها تخاف ان ينفق السائح درهما في طنجة !!

تدهور المنطقة الحرة

وبجانب الميناء كانت المنطقة الحرة مزدهرة نشيطة ، كلها حياة وحركة .. أما اليوم فهي اسم على غير مسمى .. انها مخزن صغير مهمل غير مستعمل .. يبعث الحسرة في القلوب ..

ومن تقرير حاكم المدينة الذي قدمه يوم ١٤ ابريل ١٩٦٤ للمجلس الاقليمي نقتطف هذه الفقرة عن المنطقة الحرة :

« ... وفيما يختص بالمنطقة الحرة فقد اتضح من مراجعة نشاطها أن العمليات التجارية المسجلة خلال السنة الماضية لم تسجل أي ارتفاع ، بل على العكس تأخرت بكيفية جد ملحوظة ، فبينما كانت قيمة هذه العمليات في الثلاثة الاشهر الاولى لسنة ١٩٦٣ تبلغ ٩٠٢ ١٦٣ ٣ درهم (كل ١٢ درهم = جنيه استرليني) نجدها تنخفض الى



السيدة الفاضلة امنة الحاج ناصر ، ناظرة ثانوية زينب ، تقدم لاحدى الطالبات المتفوقات هدية تذكارية تبرعت بها مدرسات الثانوية ، عندما رأين أن الاعتمادات المدرسية لا تكفي لشراء مثل هذه الهدايا ..

٢٨٩ ٦٠٨ درهما في الثلاثة الاشهر من آخر السنة.

« ولم يكن هذا الانخفاض المستمر والمحزن في نفس الوقت ليحدث دون أن يثير انتباهنا الى كل جوانب الخطر ، ومن التحريات اتضح أن الاسباب هي صعوبات الاجراءات الادارية ... »

والاجراءات التي يعنيها حاكم المدينة ، تنحصر في عدم تطبيق قوانين المناطق الحرة ..

لقد تقدم المسئولون عن المنطقة الحرة في طنجة بهذه الطلبات وغيرها ، ولكنها ظلت دائما دون جواب .. في حين ان طلبات مماثلة تقدمت بها « الدار البيضاء » فووفق عليها ، وطبقت هنالك !!

اين مشروع أوناسيس ؟

وهنا نضع اصبعنا على العقدة التي تكاد أن تخنق طنجة .. والتي جعلت المسئولين فيها يصرخون قائلين :

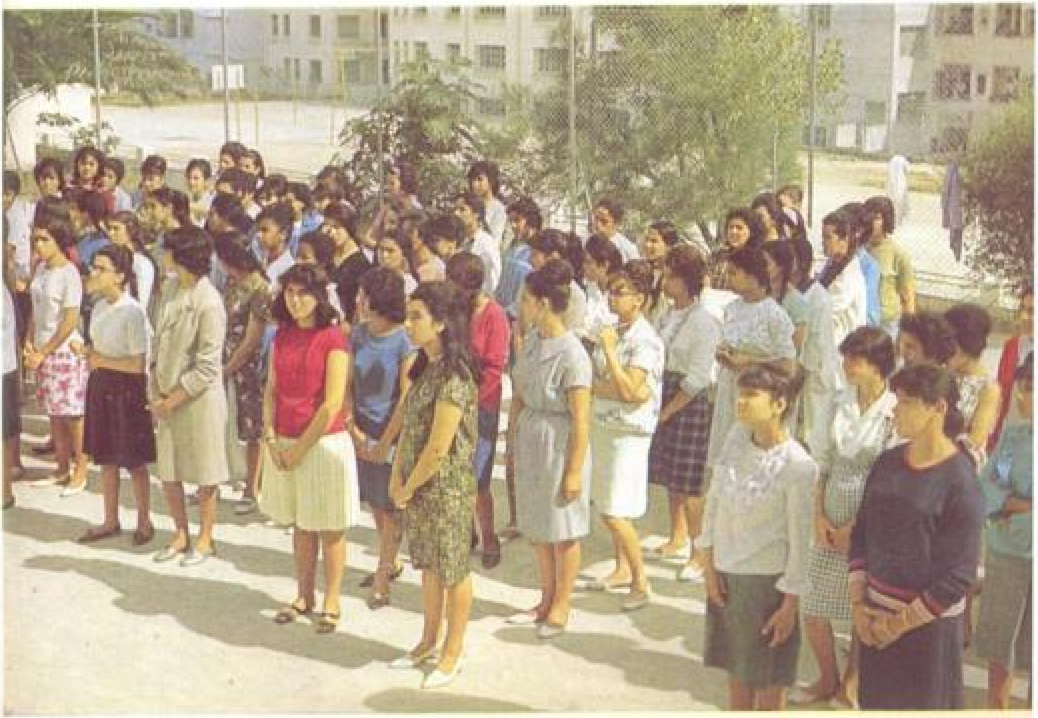
ـ « لقد أعيانا التفكير في معرفة السبب الذي من اجله يحاربون كل مشروع اصلاح في مدينتنا ، فيقتلونه وهو ما زال في مهده .. » .

« خذ مثلا مشروع أوناسيس ، المليونير المشهور الذي عمل الدراسات لبناء حوض صناعة سفن واصلاحها في طنجة .. هذا المشروع ما كاد يعلن





من هذه المدرسة تخرج أغلب أبناء طنجة .. انها المدرسة الوحيدة التي كانت تعلم اللغة العربية أثناء الحكم الدولي ، ان التعليم فيها مختلط .. وعدد ابنائها ـ ٣٥٠ طالبا منهم ١٥٠ فتاة و ٢٠٠ فتى .. ان جميع أهل طنجة يعترفون بفضل هذه المدرسة التي أصبح خريجوها يسدون فراغا هائلا في وظائف الدولة .. ويدفع الطالب مبلغ نصف دينار تقريبا ، رسوما شهرية .. بينما تقدم الحكومة لها اعانة سنوية ، مثل بقية المدارس الحرة في البلد ، لمساعدتها في تأدية رسالتها .. وهي المدرسة التي أنشأها ابن طنجة الشهير عبد الله كنون .







الى اليمين والى اعلى : المدرسة هي المكان الوحيد الذي تتحرر فيه فتيات طنجة من اللثام والجلابة ليقبلن على التعلم بشغف زائد ، ان طالبات ثانوية زينب يقضين ٤٠ ساعة في الاسبوع: ٢٥ ساعة للتعليم العام و ١٥ ساعة للتعليم المهني، ورغم اناقة مطبخ الثانوية وحداثة ادواته ، فالاقبال على تعلم الطبخ والخياطة ضعيف من قبل الطالبات اللواتي يبلغ عددهن ١٢٥ .

الى اليسار : يمر سمك التونة بسواحل طنجة عند محاولته التوجه من المحيط الاطلسي البارد، الى البحر الابيض الدافيء ليضع بيضه هناك ، وفي طنجة تنصب له المدارج (الشباك) الكبيرة لصيده ، وبعدها ينقل الى المصنع لسلخه وتعليبه .. وكان المصنع يبيع انتاجه في السابق لمالطة ومصر ، اما اليوم فاقتصر انتاجه (حوالى ٢٠٠٠ طن) على ايطاليا وحدها ..

عنه حتى اعتراه صمت غريب مريب ، ولم يعد احد يسمع عنه ، رغم اهميته الزائدة في اعادة مجد طنجة وجعلها المرفأ المفضل للسفن التي تعبر المضيق » .

الارض لا تصلح لبناء مصنع ؟!

ويزيد المسئولون القول :

« ومشروع آخر ، هو المشروع الكبير لانشاء مصانع النسيج ، قتلوه بفتوى غريبة ، افتت بها شركة فرنسية ، تقول ان ارض طنجة لا تصلح لبناء مصنع نسيج !! » .

السياسة والاقتصاد

وهم يحدثوننا فيقولون :

« ان جذور هذه الحرب الخفية ترجع الى تداخل السياسة في الاقتصاد .. فطنجة بحكم موقعها الدولي السابق ، كانت مجالا لعمل الشركات الدولية المختلفة .. بعكس مدينتي فاس والدار البيضاء ، فهاتان كان المجال فيهما للشركات الفرنسية فقط ، بحكم وجود الاستعمار الفرنسي ..

« وجاء الاستقلال وادمجت طنجة مع بقية المغرب ، وخضع الجميع لنظام واحد مستوحى من قوانين الادارة الفرنسية ، يعمل على تنفيذه ، حتى اليوم ، مستشارون فرنسيون قدامى ، وهؤلاء ـ بالطبع ـ يميلون الى تشجيع وتنمية راس المال والمصانع الفرنسية الموجودة في الدار البيضاء .. مع محاولة قتل اى رأس مال أجنبي آخر ، سواء كان يعمل في طنجة او غير طنجة ..»

حرب لا معنى لها :

وقد خيل الينا ، ان مما زاد الطينة بلة ، هو ايهام تجار فاس ـ الذين يسيطرون حاليا على صناعة وتجارة الدار البيضاء ـ بأن كل ازدهار لطنجة سوف يتم على حساب اقتصادهم وتقدمهم ..

لعلها حرب خفية غير محسوسة . فان صحت فهي حرب لا معنى لها ، تجابهها طنجة بقوة دفاعية محدودة .. فهي تقع في طرف اقليم شحيح فقير .. بينما تقع فاس والدار البيضاء وسط اقليمين صناعيين زراعيين غنيين ..

جزر ... ومد

ان طنجة بها من السكان ١٦٤٤٥٥ نسمة (احصاء ١٩٦٠) .

وهذا العدد من السكان يمر بفترة فيها التنقل كثير ، وفيها الهجرة كثيرة .

الاوروبيون منه ، وعددهم ٣٤ الف نسمة ، يهجرون المدينة الى اوروبا ..

بينما الريفيون ، على العكس ، يهجرون جبالهم قاصدين الى المدينة !

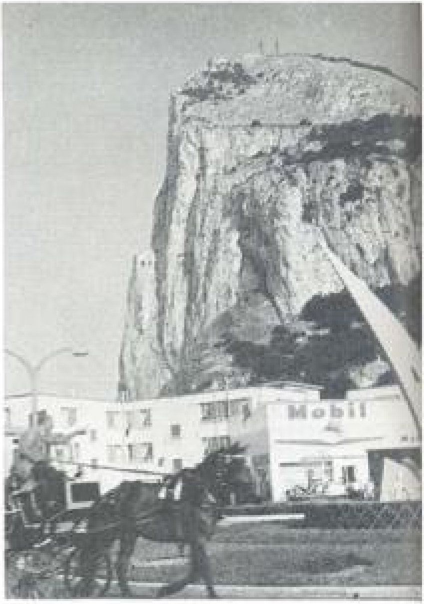
وبين هذا الجزر والمد تظهر متاعب جديدة للمسئولين الذين يواجهون الموقف بصراحة فيقولون في تقاريرهم : « ان هجرة القرويين الى المدينة ، وركود الحركة التجارية بصفة عامة ، وتوقف نشاط الميناء ، وعدم وجود معامل ومصانع كافية ، وقلة الأرض الزراعية ، كل هذه الاسباب ترتب عليها وجود ازمة بطالة حادة في المدينة ..» .

« ورغم وجود بعض بوادر الحركة في الميناء ، بسبب تصدير كمية لا بأس بها من الحمضيات ، الا ان هذا الاجراء ، أبرز بكيفية ظاهرة ، ان الازمة اكثر حدة مما نتصور .. وان علينا ان نسير الى وسائل اكثر فعالية لنقضي على البطالة ، وعلى المشاكل الاجتماعية الناجمة عنها .من تسول وتشرد وجريمة ودعارة .

ان حالة طنجة الاجتماعية التي تدعو الى الرثاء في كثير من جوانبها ، هي مرآة تعكس صورة للوضع



المنطقة الحرة في الميناء كانت في يوم ما سر عظمة طنجة ، واليوم أصبحت مهجورة .. خاوية ..



● طنجـة

سفينتان كبيرتان تقومان يوميا بنقـل الركاب والسيارات من طنجة الى جبل طارق بن زياد .. وتتسع كل واحدة منهما لمائة سيارة وألفي راكب ..ويدفع المسافر أجرا مقداره ١٨ درهما ـ اى نحو دينار ونصف ـ للذهاب والاياب في نفس اليوم .. بينما يدفع على السيارة ٨٠ درهما .. وقد بلغ عدد السيارات التى عبرت المضيق الى طنجة ٥٧٨٤٠ سيارة خلال عام ١٩٦٣ ، جاءتها من جبل طارق الذى كان يعتمد على طنجة أثناء انتعاشها ، أما اليوم فقد سرق منها مركزها وتجارها ، وأسبح يحاربها بكل الوسائل ..



الاقتصادى الشاذ الذى يعيشه اقليم طنجة منذ الغاء « العهد الملكى » لها .

العهد الملكى

ويحدثنا السيد محمد الزبدى ، رئيس المجلس الاقليمى لطنجة ، يفسر لنا معنى « العهد الملكى » فيقول :

ـ أحب أن أشير أولا الى أن أهل طنجة لا يتأسفون أبدا على ضياع الحكم الدولى ، وانما أسفهم ينصب على ضياع الوضع المالى والاقتصادى الفريد الذى كانت تتمتع به طنجة ..

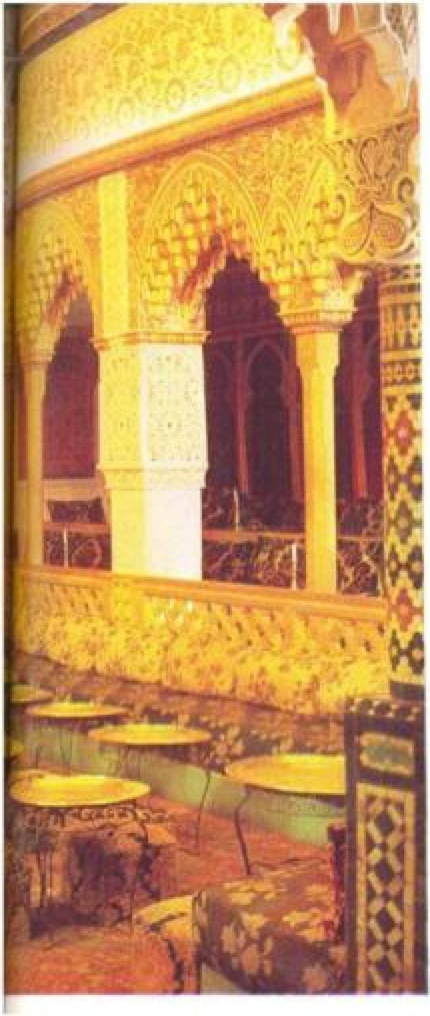
« فاستمرار هذا النظام كان سيجلب الازدهار لنا ولسائر انحاء المغرب .. حقيقة انه كان نظاما مسخرا لصالح الاجانب ، ولكنه كان بامكاننا تحويله لصالح أبناء المغرب ، بعد تعديل بسيط مدروس ..

« وقد تنبه المغفور له الملك محمد الخامس الى أهمية هذا النظام للبلاد فاصدر بعد الاستقلال فى عام ١٩٥٧ « العهد الملكى » الآتى :

« ... واننا نرغب فى أن يظل اقليم طنجة متمتعا ، كذى قبل ، بالازدهار الاقتصادى الذى يضمن ، فى الحالة نفسها ، تطورا خاصا بالاقليم يساعد على رفع مستوى بقية أنحاء مملكتنا .. لهذا أصدرنا هذا العهد :

الفصل الأول : يحتفظ بحرية الصرف الجارى بها العمل الآن بطنجة .

الفصل الثانى : تجارة الايراد والاصدار بين

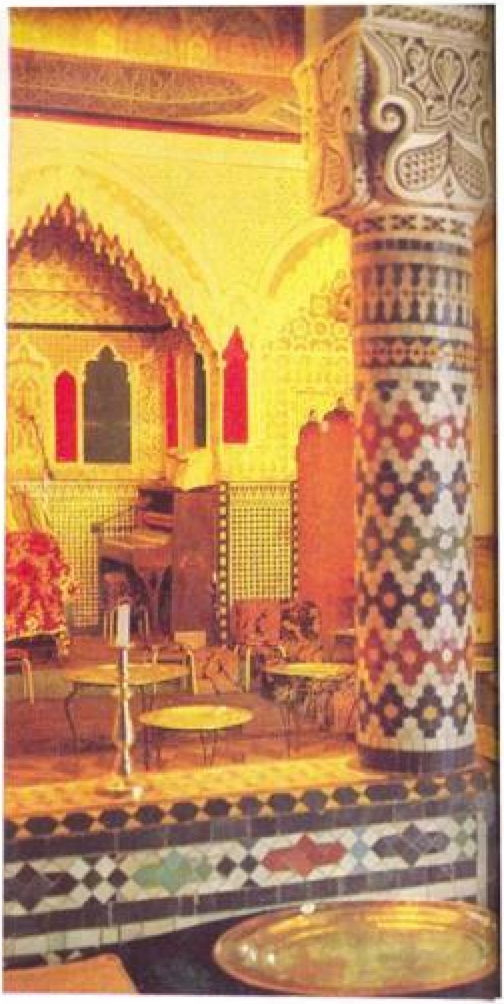




تزدحم شوارع طنجة القديمة بسلسلة من المتاجر الصغيرة المتلاصقة التي تعرض سلعا وبضائع متباينة .. وهذا هو « عطورات شريف المدينة » الذي يستورد عطوره من المدينة المنورة بالسعودية ، وفيه تجد ٩٠ نوعا مختلفا من العطور ..وإلى جانب بائع العطور تجد بائع الحرير الموشى بخيوط الفضة والذهب (البروكار) « **الصورة السفلى** » .. انها صناعة مغربية تصنع في الدار البيضاء .. وترتدي النساء المغربيات هذا النوع من القماش في منازلهن ، وفي الحفلات .







كانت طنجة جسرا معنويا يربط بين المغرب والاندلس فكان من الطبيعي أن ترث من الأندلس حضارته ، التي يمكنك أن تشهد فنونها في المنازل .. والفنادق .. والملاهي .. والصورة العليا التقطت لقاعة مزخرفة على الطريقة الاندلسية المغاربية الجميلة ، المعتمدة على الاعمدة المتفرعة على هيئة نخلة .. لاحظ الفسيفساء التي تغطي الجدران ، والنحاس في الموائد والحرير الذي يكسو المقاعد ..

الى اليسار : هل تعلم ما هي وظيفة هذا الرجل ؟ .. انه يبيع الماء العذب في السوق الكبير .. ان زيه الغريب يجعله هدفا للمصورين والسياح والعطشى الذين تجذبهم طاقيته وصوت أجراسه النحاسية ، التي تنم عن مكانه حيثما سار أو انتقل ..

طنجة والبلاد الأجنبية حرة ، ولا يفرض أي قيد على حرية دخول وخروج البضائع .

... ...

الفصل الرابع : لا تدخل تغييرات على النظام الجبائي الجاري به العمل الآن الا بقدر ما يتفق وضرورة التنمية الاقتصادية للاقليم المذكور ، وخاصة منها ما يهم سير حرية التجارة والصرف» .

ويتابع رئيس المجلس الاقليمي حديثه بقوله :

ـ « وعلى أثر هذا « العهد الملكي » ظلت طنجة تعمل بالنظام الاقتصادي القديم داخل اطـــار الوحدة المغربية حتى ١٧ أكتوبر ١٩٥٩ ، عندما أعلنت الحكومة في ذلك الوقت أنها سوف تلغيه بعد ستة أشهر !! أي أنها أعطت الناس الحرية لتهريب أموالهم خلال هذه المدة » .

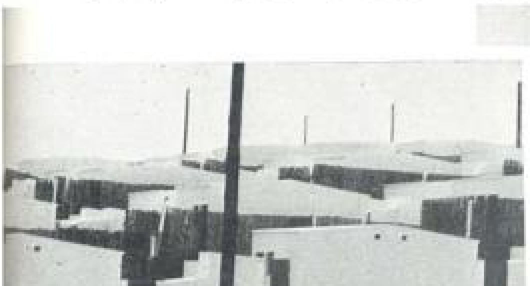
« لقد الغت الحكومة نظاما اقتصاديا مزدهرا بجرة قلم ، دون أن تمنح المدينـة نظاما اخر يعوض هذا الالغاء !

« وعلى العكس أرسلت الينا ما أسميناه «قطار الضرائب » ، فقد استيقظنا لنجد نحو ١٧ نوعا مختلفا من الضرائب تنصب علينا مرة واحدة ، وصلت نسبة بعضها الى ٩٠ في المائة ، بينما كانت في السابق موجودة بـ ٥ر١٢٪ على جميع الأصناف» .

« وتبع هذا ركود .. ويأس .. وهجرة الى جبل طارق ، فقد فتح أبوابه لتجار طنجة ، فاصبح يتمتع بالازدهار .. ونحن بالركود ..» .

« وتنبه المسئولون فحاولوا الاصلاح بتخفيض الضرائب الى ٥٠٪ عام ١٩٦٢ ثم بسلسلة مشاريع لانشاء المنطقة الحرة ، والمصانع ، وحوض لبناء السفن ، واصلاح الميناء وتعميقه » .

« ولكنها كلها مشاريع جاءت متأخرة عن موعدها





تعاني طنجة نفس المشكلة التي تعانيها اغلب المدن العربية ، انها مشكلة نزوح ابناء القرى الى المدينة ، وبنائهم للأكواخ الخشبية المغطاة بألواح الصفيح عند اطرافها وضواحيها .. ويظل عدد النازحين في تزايد مستمر حتى تصبح لهم مدينة من الصفيح تحاصر المدينة الجميلة ... وقد عمدت بلدية طنجة الى بناء ٤ الاف منزل شعبي نظيف في حي السواني ، خصصتها لساكني هذه الاكواخ التي تقرر هدمها ، وعدم السماح ببناء مثلها في المستقبل .



الى اليسار : هذه الصورة التقطها مصورنا تحت ظلال نخيل شارع الكورنيش بطنجة ، انها تجمع بين الشقاء .. وبين النعيم !! الفتاة التى تحمل الخضراوات فوق ظهرها جاءت كادحة من جبال الريف لتبيع بضاعتها .. بينما السيدة التى تحمل المظلة فى يدها جاءت سائحة من اوروبا مع زوجها .

.. ولم تستطع استرجاع ، جزء واحد من ازدهار طنجة السابق ..

« لقد تحولت الانظار عنها الى غيرها ..

« وعليها الآن ان تبدأ من جديد لتكسب ثقة العالم مرة ثانية ، يعززها موقعها الفريد فى وسط العالم .. الذى رشحها يوما ما لان تصبح مقرا لهيئة الامم المتحدة بدلا من نيويورك .. » .

تطوان مسئولة عن طنجة

والى جانب كل ذلك تحدث المسئولون الينا عن نظام المركزية الذى تعانيه البلاد .. وضربوا لنا مثلا ، اصلاح لوح زجاج مكسور فى غرفة حكومية بطنجة لا يمكن ان يتم الا بعد الحصول على تصريح من العاصمة !!

لم نكد نصدق ذلك لولا أن بعثة « العربى » لاقت الأمرين من هذا النظام ، فمندوب وزارة الارشاد والأنباء المغربى فى طنجة يرفض تقديم المساعدة ، لأن « الرباط » لم تخطره بوجودنا ، ويرسل برقية لها .. ويجلس على مكتبه ينتظر الرد فلا يأتيه .. ونترك المدينة والرد لم يصل بعد !!

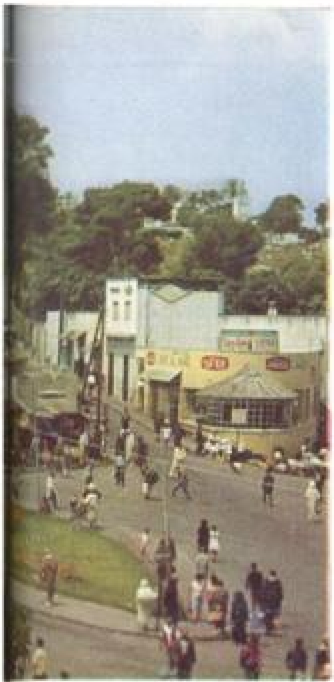
حتى نظار مدارس التلاميذ ـ بعكس الناظرات ـ رفضوا حتى الحديث معنا عن شئون التعليم وارتعبوا عندما طلبنا تصوير مدارسهم ! طالبين الحصول على اذن مسبق من المسئول عن التعليم، الذى يعيش فى مدينة تطوان ، التى تبعد ٦٠ كيلومترا عن جنوب طنجة ..

لقد ضج أهل طنجة من هذا النظام ، وخاصة فى التعليم ، فقدم مجلسهم الاقليمى مذكرة يقول فيها :

« نظرا لكون اقليم طنجة مستقلا بذاته عن اقليم تطوان .

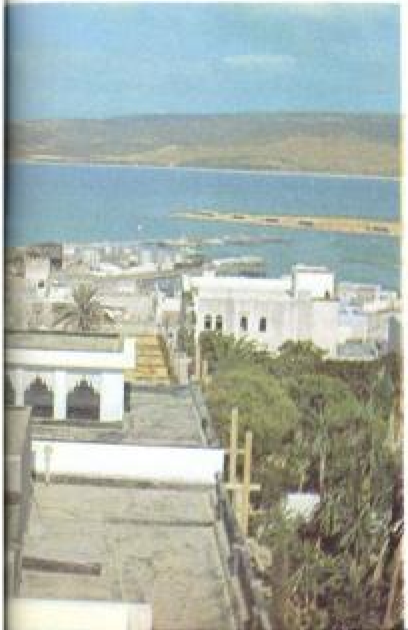
« ونظرا لكون طنجة تضم عدة بعثات ثقافية أجنبية » .

« ونظرا للفوضى والاهمال اللذين عما التعليم فى اقليم طنجة منذ ادماجه فى مندوبية الشمال .



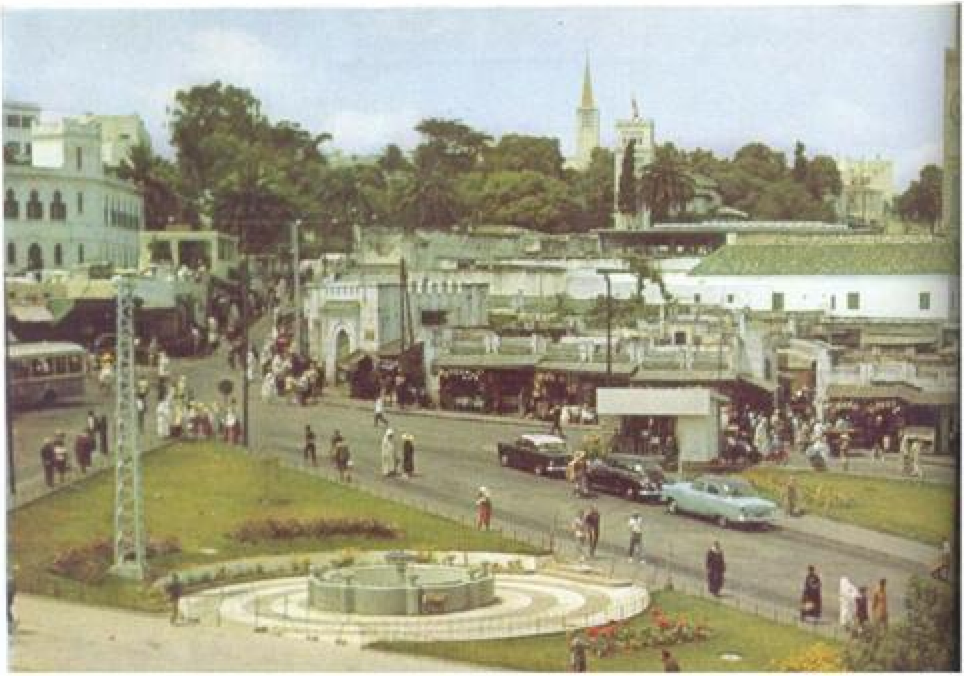


الى اليمين : ثلاث صور للمرأة العاملة القادمة من جبال الريف المحيطة بطنجة .. انها تأتي للأسواق كل صباح ، على متن حمارها الصغير المحمل بمختلف المنتوجات الجبلية : من فواكه ، وفخار ، ودجاج ، ومصنوعات جلدية ، وحصر ، وغيرها .. وتتميز الريفيات بزيهن الخاص المحلى بخطوط حمراء وسوداء ، وقبعتهن الكبيرة الغريبة المزينة بخيوط من الصوف الأسود ..





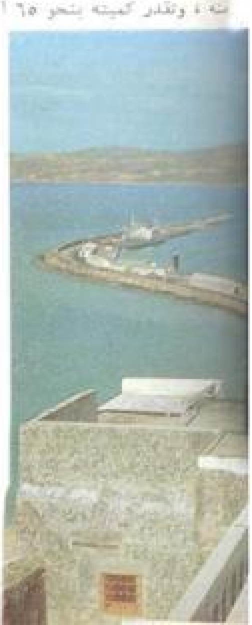




اذا أردت أن تشهد الحياة على حقيقتها في طنجة ، فميدان سيدي أبي عبيد (السوق الكبير) هو مقصدك .. فمن هذا الميدان الفسيح تتفرع ٩ طرق مؤدية الى أسواق المدينة المختلفة ، وفي كل صباح تتلاقى في السوق المرأة المغربية المغطاة بالجلابة واللثام ، مع المرأة الاوروبية بملابسها المكشوفة ، بينما يحاول السياح بعدسات التصوير التقاط صور الريفيات .. ويقف بائع الماء وسط الميدان يدق اجراسه ، بينما الترجمان يحاول الاتفاق مع السائح ليريه معالم المدينة. انه سوق بابل فيه من كل نوع ومن كل جنس.

الى أسفل : هدوء وركود .. هذا هو حال ميناء طنجة اليوم .. ان عمق الماء فيه يتراوح بين ٧ و ١١ مترا ، مما يسمح للمراكب حمولة ٣٠ الف طن بالرسو فيه .. والبرتقال هو المادة الاساسية التي تصدر منه ، وتقدر كميته بنحو ٦٥ الف طن سنويا. ان اعادة الحياة الى هذا الميناء تحتاج الى مجهودات كبيرة .





« ونظرا لكون طنجة لا تحصل الا على حصة دانية من ميزانية التسيير والتجهيز المخصصة لمندوبية تطوان التي تضم الشمال كله ، مما جعل مدارس طنجة لا تحظى بالعناية اللازمة » .

« ومن حيث أن اقليم طنجة يجب أن يكون مستقلا في ميدان التعليم كما هو مستقل من الناحية الادارية .

« لهذا يلتمس المجلس الاقليمي انشاء مندوبية لوزارة التهذيب الوطني بطنجة لتهتم بمشاكل التعليم في هذا الاقليم » .

أمل ورجاء ...

واخيرا قد تكون الصورة التي رسمناها لهذه المدينة العربية الجميلة، صورة غير كاملة الجمال، ولكنها صورة تعكس الواقع الذي ورثه المغرب من استعمار مقيت .

والذي يبعث الأمل في القلوب هو اطلاع المسئولين على جميع المشاكل التي تواجهها طنجة، ومعرفتهم للحلول اللازمة لها .. والتي سوف تجد طريقها للنور ، كما علمنا ، في القريب العاجل ان شاء الله ..

وخير خاتمة للمقال نقتطفها من الكلمة التي ألقاها جلالة ملك المغرب حسن الثاني التي قال فيها : « وهكذا نود من صميم فؤادنا ان تصبح



أكبر الجاليات الأجنبية في طنجة هي الجالية الاسبانية ، التي شيدت عام ١٩٥٠ ملعبا كبيرا لمصارعة الثيران، ظلت تقام فيه الحفلات الصاخبة لمدة طويلة ، ثم هدأ كل شيء فلم يعد أحد يأتي الى هذا الملعب الذي أصبح مهجورا .

طنجة صورة لبلد يتدفق حيوية ونشاطا ، ويسير سيرا حثيثا الى الامام دون أن يتنكر لماضيه . وتلقى اهلها وقد انزاحت عنهم عوامل الخمول ، واختفت أشباح الخصاصة ، واظلتهم دوحة السعادة الخضراء .. » .

« والله المستعان وهو ولي التوفيق .. » ■■

سليم زبال

الى اسفل : أصبحت ساحة فرنسا مركزا للحركة والنشاط في المدينة الحديثة ، ففيها تنتشر المقاهي والمحلات التجارية .. وتتفرع مختلف الطرق الرئيسية المؤدية الى : الرباط وتطوان ، ورأس سبارتل ، والمطار ، والميناء ، والشاطيء ، وملاباطا . والزينة الظاهرة في الصورة السفلى بعض ما أقامه الأهالي في العام الماضي ، بمناسبة وصول الملك ، ولما أعجبتهم تركوها بصفة دائمة !



البيتُ والأُسْرَة

باقيانِ .. باقيانِ

رَغْمَ أَفْلاطون ..
ورَغْمَ نوازع هذا المجتمع التَّكْنِيِّ الحديث

كنت يوما أتحدث مع صديقي العالم التربوي المعروف ، فلان ، رحمه الله ، فيما استحدث في التربية من خطط جديدة ، وأساليب في التدريس مبتكرة . وكانت طريقة « المشاريع » التي ابتدعها جون ديوي Dewey طرازا مستجدا ، يجرّبونها فقط فيما أسموه بادىء ذي بدء بالمدارس النموذجية .

ودعاني الى حضور درس ، حضره معي .

ولست ادخل في تفاصيل ذلك ، ولكنها ملاحظة عابرة مني . بعد الفراغ من مشاهدة الدرس ، تكشفت لي ظاهرة صغيرة هيّنة ، يقرأ عنها الناس ولكن لا يعيشونها .

لاحظت بين الطلبة الصغار ، طالبا لم تزد سنّه عن ست سنوات او سبع ، يتحمّس عند كل سؤال يلقيه المدرس ، يريد ان يكون هو المسئول ، ويريد ان يكون هو صاحب الجواب . ويلحّ في ذلك الحاحا . والمدرس يستجيب له ويعطيه فوق حقه .

وسألت عن السر، فعلمت ان المدرس،



في هذه المدرسة التجريبية ، لا يدرس تلاميذه فحسب ، بل يدرس بيوتا يعيشون فيها ، وبيئات يغدون منها ويروحون اليها .

وعلمت ان هذا الصبي الصغير يأتي من بيت شقي بأبويه ، لا سلام فيه ، ولا عاطفة ، ولا محبة . واهمل هذا الطفل فيه اهمالا . فصار جوعان حب ، وجوعان رعاية ، وفوق ذلك جوعان فرص يثبت بها وجود نفسه في هذه الحياة . فكان من ذلك الحاجة في ان يكون مسئولا وان يكون مجيبا .

وهزني عندئذ ان كنت اعرف هذه الاسرة ، ولو ان معرفة الطفل هذا استعجمت علي في تلك الساعة .

غريزة لا بد من رعايتها

ان الاحساس بالوجود هذا ، ومحاولة اثباته ، شيء يبدأ من الطفولة . وهو ينمو بنموها . وان آلم شيء للطفل او الصبي ان يكون في جمع من الاطفال فيكون نصيبه هو الاغفال ، بينا ينعم غيره بالالتفات اليه والرعاية .

انه بعض ما سماه ادلر Adler ، تلميذ « فرويد » وزميله ، وناقده من بعد ذلك ، بغريزة السيطرة ، غريزة التقدم . لانه ليس بعد التقدم الا التأخر ، والطفل والصبي والشاب تدفعهم دوافع باطنة دائما ليكونوا عند الراس ، انفا من ان يكونوا في الذيل .

وهي غريزة لا بد من اشباعها وارواثها الى حد كبير . ففيها احياء الأمل في الحياة ، واحياء الثقة بالنفس ، ونقيضها التخلف والشعور بالنقص .

الطفل أعقد الاشياء التي تصنع

من ذلك الحين ، ومن خبرتي الطويلة بعد ذلك ، ثبتت لدي عقيدة ان الطفل ، هذا الناشيء ، اي طفل ، هو شيء يصنع . وهو اعقد الأشياء التي تصنع . وانه يصنع على مهل . وانه يصنع في غير جلبة . وان مواهبه العقلية تتفتح رويدا رويدا . وتتفتح عواطفه وانفعالاته وتنمو . وان المصنع الذي يصنع فيه هذا المصنوع المعقد ، انما هو البيت .

والصانعون ، الأب والأم ، والأخ والأخت ، والأقارب وحتى الزوار . لمسات انسانية ، في يقظة وفي نوم ، وفي كل حركة وسكون ، وعلى المائدة وعند القيام منها ، وفي الكلام وعند الصمت ، كلها تعمل على تشكيل هذا الانسان الصغير الجديد ، تشكيله قلبا ، وتشكيله عواطف وانفعالات .

البيت لا يزال المدرسة الاولى

ان البيت كان ولا يزال المدرسة الاولى ، المدرسة التي تعلم الحبو ، ثم تعلم المشي . وهي تعلم الاكل ، وتعلم افراغ الطعام . وتعلم اللغة وتعلم الكلام . وتعلم الضحك ، وتعلم العبوس . وتعلم الحلم وتعلم الغضب . وتعلم ما الرجاء ، حتى رجاء قطعة من الحلوى ، وتعلم ما الياس ، حتى الياس من نيل قطعه من الحلوى . وتعلم الحب ، وتعلم كيف يفزع الطفل عند الخوف الى الأحضان الدافئة الآمنة . وكذلك تعلم البغض ، والكراهة والاستيحاش .

وكل ذلك قبل ان يعرف الطفل ما المدرسة .

وقديما ما عرف الناس المدارس . ما عرفوا المدارس النظامية قط .

كان البيت هو مدرسة الطفولة ، ومدرسة الصبا ومدرسة اليفاعة ، والشباب . لم تكن تعرف المدارس في ذلك الزمان القديم ، ولا الدراسة الرسمية . الا ان تكون قلة تتمهد لتقوم

بالحكم ، او قلة تتجهز لتقوم بالكهانة ، ورعاية المعابد .

وتقدم الانسان ، وعرف ما الكتابة ، وعرف ما الحساب ، وشتيتا من المعارف اخرى . فكانت المدارس وكانت الدراسة الرسمية يخرج اليها الصبية فى ذلك النظام الراتب المعهود .

ولكن مع هذا ظل البيت هو المدرسة الاولى .

وفى الأمم الحديثة ظل البيت هو المدرسة الواحدة الى سن السادسة .

ومن العجب ان اكثر الناس لاتقع عندهم هذه الست السنوات شيئا ذا بال ، وهي البال كل البال . كالبيت يطول الى عشرين وثلاثين مترا ، واساسه متر واحد وبعض متر .

والعجيب انه توجد دراسات منشورة منشورة كثيرة عن التربية فى المدارس النظامية ، كيف تكون ، ولا يكاد يوجد للآباء والأمهات دراسات تنشر فيهم تعلمهم كيف تكون التربية فى هذه المدرسة الاولى، اخطر المدارس جميعا .

الاسرة اساس المجتمع

انها الأسرة اساس المجتمع .

وهي لا تنتهي عند السنة السادسة من عمر الطفل . ان الطفل يخرج من البيت ما يخرج ومتى يخرج ، ولكنه اليه يعود ... الى هذا المجتمع الصغير القليل . وينطق ، وتجاوب صداه فى المنزل العامر اصداء . ويكبر ، ويخرج عن البيت آخر الأمر ، ليبني جديدا ، وتظل روابط القلب والمحبة قائمة تربطه بقديمه : بأبيه وامه ، باخوته ، بخؤولته وعمومته .

وكلما ازداد المجتمع الحاضر الحديث قلة عناية بالفرد ، بحسبانه فردا ، وكلما ارتطم الفرد بأمواج المجتمع الحاضر الحديث وبقوانينه واحكامه التي لها جفاف الحجر ، لم يجد له ملجأ يلجأ اليه ، ولا عاطفا يعطف عليه ، الا فى ذلك البيت القديم . الذى يسميه الانجليز Home ، والألمان Heimat ، والفرنسيون Foyer ، والعرب يسمونه « الدار » ، ومن اجل ذلك بكى العرب المنازل والديار ، وهي جميعا الفاظ لا تحمل معنى البيت فحسب ، بل تحمل معنى البيت والأسرة التى فيه معا ، وتحمل معنى المحبة التي تضمنه والذكريات التى لا تفتأ تحييه .

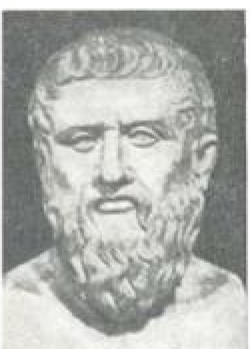
المجتمع الحديث يجور على الاسرة والبيت

ان المجتمع الحديث يجور على البيت .

وان المجتمع الحديث ليقلل من امر الحاضرة تعمل على تفتيته ، واعية او غير واعية .

وان المجتمع الحديث ليقلل من امر الأسرة . ومن الكتاب الاحدثين من يهوّن من شأنها .

وهي نوازع سوف يجد الانسان آخر الأمر عقمها .



افلاطون

ان افلاطون دعا فى نزعته الشيوعية الى محو الاسرة .

والبلاشفة الشيوعيون بدأوا بالتهوين من امر الاسرة ، والتقليل من اثرها فى تربية النشء ، ثم بعد بعد التجريب ، رأوا غير ذلك ، فقلبوا تلك السياسة رأسا على عقب ، واعترفوا بالأسرة وحدة لا غنى عنها لكيان المجتمع ، كل مجتمع ، من احمر المجتمعات وازرقها واخضرها .

احمد زكي

بقلم الشيخ محمد ابو زهرة

استاذ الشريعة بجامعة القاهرة

أبو منصور الماتريدي

والماتريدية: جعلت للعقل سلطاناً ولكن تحت ظل النقل

والأشاعرة: اعتمدت أولاً على النقل ثم أخذت

المعتزلة: اعتمدت العقل ولو خالف ظاهر النقل

■ كانت المعركة على اشدها فى بغداد وما حولها بين المعتزلة واهل الحديث والفقه ، والسلطان يؤيد المعتزلين الذين يفسرون النصوص التى تتعلق بالعقيدة على مقتضى العقل المجرد، وقد يحسبون منطقا عقليا ما ليس من هذا المنطق فى شيء، ويطرحون فى سبيل ذلك الأحاديث النبوية الثابتة النسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسبون ان العقيدة لا تثبت الا بدليل قطعي لا شبهة فيه ، ولا احتمال . وقد تحكموا فى السلطان فى عهد المامون والمعتصم والواثق من خلفاء بنى العباس ، حتى اذا ادال الله منهم ، انبعث المدافعون عن اهل الفقه والحديث من اوساط المعتزلة انفسهم كما راينا فى ثورة ابى الحسن الاشعرى عليهم فى مقال سابق .

ابو منصور الماتريدى كان حجة على المعتزلة فيما وراء النهر

ولم يكن لهم مثل هذه الصولة فى سمرقند وخراسان ، والبلاد التى تسمى فى العرف الاسلامى بلادما وراء النهر ، وذلك لأن هذه البلاد كانت بعيدة عن سلطان بغداد الروحى ، وكان لها



بعض التأويل

استقلال ذاتى ، ولملوكها نزعة دينية تتورع ، ولا تتهجم ، تحترم المنعزل ، ولا تفض من المعقول ، وكان الفقه والحديث يسود اهلها ، حتى لقد وجدنا لاحمد بن حنبل تلاميذ من اهلها اكثر عددا من تلاميذه فى بغداد ، وكانوا يرحلون اليه مع بعد الشقة وعظم المشقة .

ولكن مع بعد سلطان المعتزلة ومن يؤيدونهم عنهم ، كانت آراؤهم تسرى الى هنالك ، لان الافكار تسرى فى مسار الريح ، فلا تحبس فى مكان ، ولا تحول دونها حُجب" واستار .

وكان لا بد ان ينبعث لها من يقاومها ، ويردها ، ويصحح التفسير والتأويل ، فهيأ الله لذلك محمد بن محمد بن محمود المعروف بأبى منصور الماتريدى .

مولد أبى منصور

لم يعرف تاريخ ميلاده على سبيل القطع ، ولكن يتظنتن فى تعرفه، والذى يغلب على الظن انه ولد فى العشرة الأخيرة من النصف الاول للقرن الثالث الهجرى،فى أولها او فى آخرها، وذلك الظن مبنى على تاريخ وفاة اساتذته ، ومن طريق معرفة ذلك كان هذا الترجيح، ولا سبيل غير ذلك،ومن المؤكد انه توفى سنة ٣٣٣، وان معرفة الوفاة على وجه التحقيق امر معقول،لان العالم الكبير يموت مشهورا ، حيث عرف وتخرج عليه الكثيرون ، ولكنه يولد مغمورا غير معروف .

نسب أبى منصور

وينسبه الاكثرون الى ابى أيوب الانصارى ، ولا عجب فى أن تنتقل ذرية الانصار الى تلك الاراضى النائية ، لانهم جاءوا مع الغزاة مجاهدين ، وهم الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم: كثيرون عند الفزع قليلون عند الطمع .

ويتشكك من غير دليل بعض العلماء فى صحة نسبته الى الانصار ، ولكن علماء الأنساب يؤكدون النسبة ويوثقونها . وسواء أصحت هذه النسبة ام لم تصح ، فأبو منصور فى موضع التجلة فى تاريخ الفكر الاسلامى ، ما علا بنسب ، ولكن علا بالفكر والعلم ، فشرفه ذاتى منبعث من نفسه، وليس شرفا اضافيا مستمدا من حسب او نسب.

سمرقند كانت محرابا من محاريب العلم

ولقد نشأ ابو منصور فى بلاد سمرقند ،وكانت

محرابا من محاريب العلم فى عصره ، وما جاء بعده من عصور ، وكانت الدولة التى تسيطر عليها تشجع العلم وتنشره فى ورع وايمان ، لا فى انحراف او تشكيك كما اشرنا من قبل ، وكان اهل هذه البلاد يؤثرون التلقى على الشيوخ ، وحرية الدرس ، ولا يؤثرون قيود النظام لان كل قيد للفحص والدرس يمنع العقل والفكر من الانطلاق فى افاق الشرع ، واخذ العلم من كل موائده ، ولذلك روى التاريخ انه عندما اقيمت المدارس النظامية ــ للفقه والحديث والمعقول ــ اقاموا مأتما للعلم ، لانهم علموا انه سيطلبه من يريد ما عند الناس ، ومن يريد ما عند الله ، ومن قبل كان لا يطلبه الا من يريد وجه الله .

ابو منصور نشأ على المذهب الحنفى ، من منقول ومعقول

تلقى ابو منصور عن الشيوخ ، وقد نشأ بين الفقهاء ، وتخرج عليهم ، ودرس اصول الفقه واتقنه ، وكانت دراسته على المذهب الحنفى ،فهو حنفى جادل عن الفقه الحنفى وتحمس له .

ومن الوسط الفقهى استمد علم المعقول والمنقول، ودرس العقائد ، ذلك انه كان حنفيا حريصا على اتباع مذهب الامام ابى حنيفة فى المعقول والمنقول، فى الفروع والاصول ، وقد كان ابو حنيفة من بين الائمة الاربعة ، وقد اثر عنهم كلام فى العقائد وتفصيل للقول فيها ، وكان قد درسها فى صدر حياته العلمية ، وبلغ فيها مبلغا يشار اليه فيها بالاصابع كما عبر هو نفسه فى ذلك ، وقد اثرت عنه رسائل كتبها فى ذلك ، ومنها رسالة الفقه الاكبر ، ورسالة العالم والمتعلم ، ورسالته الى عثمان البتى . وقد شك بعض العلماء فى نسبة هذه الرسائل الى ابى حنيفة،ولكنه شك لا ينبنى على دليل يعارض اشتهار نسبتها اليه ، ونحن فى تحقيقاتنا العلمية نقبل ما يتلقاه العلماء بالقبول ولا نثير الشك حوله الا اذا قام الدليل على بطلان النسبة .

وقد تلقى العلماء فى بلاد سمرقند تلك الرسائل بالشرح والتوضيح،وبيان ادلتها من العقل والنقل. كما تلقوا فقهه بالدراسة والتفريع والتخريج .

مذهب أبى حنيفة اختص بدراسات عقلية فى التخريجات الفقهية

ويعد ابو منصور من الطبقة الرابعة التى تلقت اراء ابى حنيفة فى العقائد ، كما تلقت فقهه . والمذهب الحنفى فى الفقه يسوده مع اتباع الاثر اعمال العقل فى القياس الفقهى وتفريع الاحكام ووضع القواعد وضبطها ، فهو بين المذاهب قد اختص بدراسات عقلية فى التخريجات الفقهية ، ذلك انه اول مذهب اتجه الى الفقه التقديرى ، وهو فرض امور لم تقع ، واعطاء حكم لها بتطبيق العلل والاقيسة ، فلم يكن غريبا ان يخرج من بين فقهائه من يدرس العقائد ، ويخوض فيها مؤيدا اهل الفقه والحديث ، اذ انه مارس الدراسات العقلية فى الفقه .

الفارق بين الماتريدى وأبى الحسن الأشعرى

ويجب أن نقرر هنا فارقا فى النشأة بين أبى منصور الماتريدى وأبى الحسن الاشعرى ، فابو الحسن نشأ بين أهل الاعتزال وتخرج عليهم ، ونهج مناهجهم، حتى الهمه الله فخرج من الاعتزال الى مسلك الفقهاء والمحدثين .

اما الماتريدى فانه نشأ بين الفقهاء ، وتخرج عليهم فى الفقه والعقائد معا،ولذلك كان للماتريدى مقام فى الفقه ، كما له مقام فى علم العقائد ، وله فى أصول الفقه كتاب مأخذ الشرائع ، وكتاب الجدل وله فى التفسير كتاب تأويلات القرآن .

كتب أبى منصور الماتريدى

اما كتبه فى العقائد فهى كثيرة ، فقد تصدى للرد على المعتزلة الذين سرت مقالاتهم الى بلاده وانتشرت فى ربوعها ، وله فى ذلك ثلاثة كتب ،وقد كان الشيعة يكثرون فى بلاد سمرقند وما يحيط بها ، ويصاقبها من بلاد ، ولذلك تصدى للرد عليهم ومصاولتهم ، وله فى ذلك الرد على كتاب الامامة لبعض الروافض،وكتاب الرد على القرامطة.

وهذه كلها مواقف دفاع عن آراء أهل الفقه والحديث ، وله دراسات فى العقائد ايجابية

تقريرية . وتنسب اليه رسالة صغيرة تسمى : « عقيدة أبى منصور » تولاها العلماء من بعده بالشرح والتوضيح ، وينسب اليه شرح كتاب الفقه الاكبر لأبى حنيفة ، ولكن يشك العلماء فى نسبة هذين الكتابين الى أبى منصور ، ولهم فى ذلك حجج وادلة ، ولذلك نضرب عنهما صفحا .

ولكنّ هناك كتب صحيحة النسبة لا شك فى نسبتها اليه منها كتابه « اصول الدين »وكتابه المقالات ، وكتابه التوحيد ، وهذه كتب وضح بها العقيدة الصحيحة ، ولم تكن جدلية ، بل كانت تقريرية .

منهج أبى منصور

اتجه المحدثون فى فهم العقيدة اتجاه النقل ، فما جاء به النقل اتبعوه من غير تأويل الا ان يكون المجاز مشهورا لا يَمُدّ تفسير الكلام على أساسه تأويلا . واتجه المعتزلة الى العقل ، وفسروا النصوص على مقتضى العقل ، حتى جعلوا له سلطانا يؤولون به النصوص ، ويفسرون القرآن على مقتضاه ، ولا يعتبرون الأحاديث حجة فى الاعتقاد الا اذا كانت متواترة . وسلك الاشعريون مسلك المحدّثين مع الدفاع عن آرائهم بالمنطق والعقل ، وقد انتهوا أولا الى الأخذ فى الاعتقاد بالنقل من غير تأويل ، ثم اخذوا ببعض التأويل.

اما الماتريدى ، فانه لم يهمل العقل ، وجعل له سلطانا ، ولكن تحت ظل النقل ، فالعقل له مجاله ، ولكن من غير أن يتعدى حدوده الى النقل ، فهو سلك مسلكا بين المعتزلة ، وبين الأشاعرة .

ولنضرب لذلك مثلين ـ احدهما ـ يوضح الفرق بين الماتريدى والمعتزلة .

مثل يفرّق بين المعتزلة والماتريدى

المثل الأول أنهم يقولون فى رؤية الله يوم القيامة انها مستحيلة ، لأن الرؤية تقتضى مرئيا محسوسا فى مكان محدود ، والله سبحانه وتعالى ليس بجسم محسوس يرى ، وفسروا الآيات التيجاءت فى ذلك مثل قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » ، بان المراد ادراك القلب ادراكا قويا يقارب الرؤية بالبصر . اما الماتريدى فياخذ بالنص كما هو ، ويقول ان الله تعالى يُرَى من غير كيف ، ولا حد ، ولا تشبيه ، بل هى رؤية تليق بذات الله تعالى ، وبصفاته ، وتنزهه عن مشابهة الأشياء ، وهى فى يوم القيامة والله عليم بها .

مثل يفرق بين المعتزلة والأشاعرة والماتريدى

والمثل الثانى يوضح الفرق بين المناهج الثلاثة، المعتزلة والاشاعرة والماتريدى . وهو مسالة حكم العقل على الأشياء بالحسن والقبح . فالمعتزلة يرون أن للاشياء حسنا ذاتيا ، وقبحا ذاتيا ، فما يحكم العقل بانه حسن لذاته لا بد ان يكون مأمورا به ، وما يحكم العقل بقبحه لذاته لا بد أن يكون منهيا عنه ، وعلى ذلك يجب على المكلف أن يعلم انه مطلوب منه أن يفعل الحسن ولو لم يجيء شرع بطلبه ، وانه مجزى عن المخالفة يوم القيامة ان خالف العقل . وعلى ذلك يكون الناس مكلفين ان يفعلوا الخير ، ولو لم يجيء رسول يعلمهم ويبشرهم وينذرهم . وانهم سيجازون من الله تعالى على ما فعلوا من خير وشر .

والاشاعرة قالوا : ليس للاشياء حسن ذاتى ، ولا قبح ذاتى ، انما الحسن والقبح يجيء من أمر الله ونهيه ، فما أمر به فهو حسن وما نهى عنه فهو قبيح ، وليس للعقل فى هذا سلطان .

والماتريدية قالوا : للأشياء حسن ذاتى وقبح ذاتى ، والله لا يأمر الا بما هو حسن ، ولا ينهى الا عما هو قبيح ، ولكن لا تكليف الا بعد الرسالة لقوله تعالى : «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» فاذا لم يجيء رسول ، فليس ثمة عقاب على فعل سيىء ، فالرسول ينقل أمر الله فى الحسن ونهيه فى القبيح ، والمكلف يطيع أمر الله ونهيه ، ولا يجازى على مجرد ادراك العقل من غير نبى مبعوث ، فلا ثواب يوم القيامة ولا عقاب ، الا اذا كان نبى قد جاء بشيرا أو نذيرا .

الماتريدى يستمد تأويله من النصوص نفسها

وقد كان ذلك المنهاج الذى احترم النقل ، ولم

يهمل العقل سببا في ان خرج الماتريدي بآراء لا يراها المحدثون ، ولم يقبلها الاشعري في الدفعة الاولى من ثورته . ومن هذه الآراء ، ان كل الجوارح التي تضاف الى الذات العلية يؤولها بما يتفق مع معناها . مثل قوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » ، يؤولها بقدرته . ومثل قوله تعالى « بل يداه مبسوطتان » ، يؤولها بنعمه .. وهكذا غير ذلك من الالفاظ يؤولها على مقتضى العقل . ولكن يكون مستمدا تأويله من النصوص نفسها . فاليد فسرها بالقدرة أو النعمة لأنها جاءت في القرآن دالة على غير الجارحة في مثل قوله تعالى في شأن القرآن : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه . »

وقد قرر الماتريدي ، بما التزم من هذا المنهاج، ان افعال الله تعالى لا تكون الا موافقة للحكمة وانه منزه عن كل النقائص ، وانه لا يجوز ان يخلف الله وعده ، لأنه قال في كتابه الكريم : « ان الله لا يخلف الميعاد » فمحال أن يخلف الله ما وعد من ثواب ، وما أنذر من عقاب الا أن يكون العفو والغفر ، فهو عفوّ غفور .

وبعض الأشاعرة قال انه يجوز عقلا أن يخلف الله تعالى الميعاد ، لأنه لا يلزم بشيء ، ولا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون .

وهكذا كثير من المسائل ، نجد الماتريدي أكثر من الاشعري أخذا بحكم العقل ، مع التزام النقل.

الماتريديون أقرب الى المعتزلة منهم الى الأشاعرة

واخيرا نقرر أن الماتريدي لم يكن كالأشعري من حيث المنهاج ، وان كان يقاربه فيما انتهى اليه من نتائج ، فلا يكادان يختلفان الا قليلا . ولو أننا أردنا، أن نعقد موازنة بين هذه المناهج الثلاثة منهج المعتزلة ، ومنهج الأشاعرة والماتريدية ، لعلمنا ان المعتزلة يجعلون السلطان للعقل ، والأشاعرة للنقل مقربين له بالعقل ، والماتريدية يجعلون السلطان للعقل والنقل معا .

واذا كان الأشاعرة في تفكيرهم وسطا بين المعتزلة والمحدثين ، فالماتريدية وسطٌ بين الأشاعرة والمعتزلة ، ولذلك قرر بعض العلماء أنهم أقرب الى المعتزلة منهم الى الفقهاء والمحدثين وجزى الله الجميع عن الاسلام خير الجزاء ، فكل قام بواجبه في ناحية من نواحيه . ■■

محمد أبو زهرة
القاهرة

للعلم آفة ، وهُجنة ، ونكد

● قال رُؤبة بن العجاج : اتيت النسابة البكري فقال لي : من انت ؟ فقلت : انا ابن العجاج .

قال : لعلك من قوم انْ سكتُّ عنهم لم يسألوني ، وان تكلمت لم يعوا عني ؟

قلت : ارجو الا اكون كذلك .

قال : ما اعداء المروءة ؟

قلت : تخبرني .

قال : بنو عم السوء ، ان رأوا حسنا ستروه ، وان رأوا سيئا اذاعوه ، ثم قال : ان للعلم آفة وهُجنة ونكدا : فآفته نسيانه ، وهجنته نشره عند غير اهله ، ونكده الكذب فيه .





عقارات جديدة ترتجى لتجلط الدم فى القلب والشرايين

● اجتمع مؤتمر طبي منذ قريب بمدينة استوكهلم عاصمة السويد ، حضره اطباء مختصون فى علوم الدماء من كل الانحاء . ومن جديد البحوث التى استعرضت هناك بحث طبي خطير عرضه الدكتور روبرت سبير Robert Speer ، بمعهد بحوث ودلى Wadley ، بولاية تكساس ، بالولايات المتحدة ، وفيه يقول الدكتور انه فصل من الدم عاملا جديدا من عوامل تخثر (تجلط) الدم ، ذلك التخثر الذى تنتج عنه امراض القلوب والشرايين ، وبه تنسد فيكون الموت الا اذا أسعف المريض. وبذا صار هذا العامل الجديد واحدا من ١٣ عاملا تتصل بعملية التخثر التى تحدث بالدم.

ويقول الدكتور ان العقاقير الشائعة التي تعطى اليوم للمرضى ضد التخثر قد تكون تعمل فى الدم ضد عامل التخثر الذى هو ليس فى الطليعة فى احداث هذه العملية . وهو يقول ان عامل التخثر هذا الجديد ، واسمه عامل هاجمان Hageman factor يبدا سلسلة من التفاعلات تجرى فى العوامل الاثنى عشر الاخرى التي تنتهي بالتخثر .

وهو يرى ان السكتة التى تصيب الرجل فى راسه ، او النوبة التى تصيبه فى قلبه ، سببها زيادة مقدار هذا العامل الدموى الجديد، مصحوبا بتصلب الشرايين ، وذلك ان تصلب الشرايين ، وترسب المواد علىجوانبها الباطنية،يمهدان لاحداث الخثرة (الجلطة) .

وسوف يقوم الدكتور سبير ، بتقدير كمية هذا العامل الجديد ، فى عدد كبير من الرجال المرضى بالقلب ، او الذين كانوا من مرضاه ، او اصابتهم يوما سكتة ، ليزداد علما بعلاقة هذا العامل الجديد بتلك الحالات جميعا .

فاذا اتضح يقينا انه العامل الأول والأخطر فى احداث الخثرة امكن ايجاد دواء معاكس له خاصة يمنع الدم من التخثر يكون فيه شفاء للناس .

مصباح فوق رأس شرطي المرور

● رجال الشرطة ، شرطة المرور ، يراهم الناس فى وضح النهار . فاذا اعتم الليل ، لا سيما فى الشتاء ، فى الاقطار الشمالية من الارض ، حيث يطول الليل جدا ، ويقصر النهار جدا ، لا يكاد المارة والسائقون أن يتبينوا رجال الشرطة ، شرطة المرور ، اذا وقفوا عند تقاطع الطرق ينظمونها . ثم بدا لرجال الشرطة بمقاطعة دربي بانجلترا ، أن يحمل رجال مرورهم فوق رؤوسهم مصابيح زرقاء ، يعلم الناس من رؤيتها ان تحت المصباح الازرق رجل مرور، فينتبهون الى وجوده ، واطاعته .. والمصباح ركبوه ، لا فوق راس الشرطى مباشرة ، ولكن فى القمة من قبعته . وفيها بطارية صغيرة تمد المصباح بالكهرباء . بقي موافقة ذوى السلطان على ذلك .



انبـاء الطب والعلم والاختراع



دكتور سلك



دكتور سابن

التجارب ، لم لا يجريها الاطبـاء على أنفسهم

● هذا ما يقول به الدكتور اوتو جوتنتاج Otto Guttentag الباحث الطبى .

انه يقول : ان الطبيب الباحث عندما يقـوم ، ببحثه ، ويقـوم بتجربة عقـار جـديد مثلا ، يجرّبه فى الحيوان . فاذا وثـق من فائـدته ، وامـن خطره ، جرّبه فى انسـان . لا فى نفسه هو.

والسؤال هو : لماذا لا يجرّبه فى نفسه ؟

ان هذا يوحي بايجاد طبقة من الناس فـوق طبقة ، طبقة جديرة بالمخاطرة ، وطبقة ترتفـع عن مخاطرة ، تلك طبقة الاطباء .

وفى هذا من السلوك غير المرضى ما فيه .

وهو يذكر بالحمد اطباء كثيرين قاموا بالتجربة فى انفسهم . ومن احدث هؤلاء الدكتور سابن Sabin ، صاحب لقاح شلل الاطفال ، جربه هو اول ما جرب فى نفسه . بلع الفيروس أول بالع ليتأكد بانه لا يصيب الناس منه ضرر .

والدكتور سلك Salk ، صاحب لقاح للشلل ايضا ، يعطى حقنا ، جرّبه أول ما جـرب فى نفسه ، وفى زوجته ، واولاده الثلاثة .

البروليتاريان ، او

● هذا اللفظ يرد دائما فى المقالات الاجتماعية التى تتصل بالمذاهب الاقتصادية الحديثة .

وكثير من الناس يظن انه لفظ حديث مبتدع . انما هو لفظ لاتيني قديم Proletarian مشتق من اللفظ Prolis ، ومعناه الخلف او كثرة الاولاد ، وهو اطلق فى العصر الروماني على احقر طبقة فى المواطنين الذين لا يمتلكون نقيرا ، ولكنهم يخدمون الدولة بانتاج الكثرة من الاولاد .

وهو لفظ يستخدم فى القرون الحديثة ، والى اليوم، فى نفس المعنى ، باعتبار أن الناس طبقات، طبقة لا تكدح ، وهي تزداد كل يوم غنى ، وطبقة كادحة هي تزداد كل يوم أولادا ، وبالاولاد الفقر.

وليس يعنينا صحة هذا الرأى او خطؤه ، وانما نحن نسجل معنى للفظ شائع فى الصحف الآن ، من كل لون ، من أزرق او احمر ، وما بينهما .

انما الخبر الذى نورده بهذه المناسبة فهو تقرير نشر فى الولايات المتحدة عن الاخصاب فيها، أى انتاج الاولاد ، وهل هو زاد او قل ، وفى أى الطبقـات .

وخلاصة هذا التقرير أن معدل الانتاج ، انتاج

المحافظون والرديكاليون

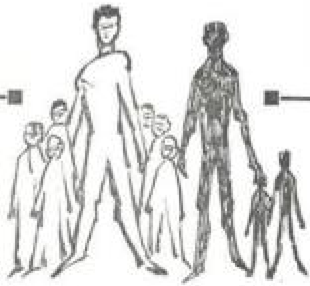
● المحافظ هو الذى يريد ان يحافظ على الحال الراهنة فلا يطلب تغييرا .

والردكالي ، وهو اللفظ الافرنجي الذى دخل الى اللغة الصحفية العربية ، فمعناه الحرفي الجذري ، اى ذلك الرجل الذى يريد تغيير الحال من جذورها .

ولقد القى الاستاذ لوسى مير Lucy Mair ،رئيس علم الاجتماع فى مؤتمر الرابطة البريطانية لتقدم العلوم ، التى بحثا فيمن يريدون التغيير من الناس ومن لا يريدون .

قال ان الكومة الكبيرة من الرجال يهزها الصق الرجال بقاعدتها . وهو يتحدث عن الطموح فيقول ان الرجال من أهدافها الاولى ايجاد مركز محترم لها فى المجتمع، والحلول به على ثقة وامن،وعلى دوام.

والرجال ذوو المراكز الواطئة هم ارغب الرجال فى تغيير الحال ، ففي تغيير الحال حركة قد تغير من حالهم .



الطبقة الولودة من السكان

الاولاد ، بين الطبقات ، اخذ يتقارب ، حتى يكاد يتساوى . يستوى فى ذلك الفقير والغنى ، والبروتستانتى والكاثوليكي واليهودى ، والابيض والاسود من الناس . ومع هذا فهناك استثناءات ضربت لها الامثال .

فمن ذلك ان الانتاج فى الأسر الكاثوليكية زاد فى العام من ٣٫٤ فى المائة الى ٣٫٧ من الاطفال . وبقى انتاج البروتستانت على حاله . وزاد عند اليهود قليلا ، وقد كانوا اقل أهل الولايات انتاجا .

وانتاج البيض فوق انتاج السود ، وزاد الفرق بينهما . وهنا لا بد أن يذكر الانسان ما يساور السود من قلق .

والذى نستنتجه ويستنتجه القارىء معنا انه لا يسوى بين الناس فى الانتاج البشرى ، كثرة او قلة ، الا الرخاء أو القحط ، والا الاطمئنان أو القلق،على شريطة أن يشمل التعليم كل الطبقات. فالتعليم والتنور يجعلان الناس أكثر تقديرا لظروف الحياة ، فيختطون لانفسهم طريقا وسطا ، بين النعمة بالخلف ، وحماية النفس والخلف من فواجع الدهر وأرزائه ، وأولها الفقر .

ويزيد التقرير فيقول **ان بالولايات المتحدة ١٫٠٨٩ حالات حمل بين كل ١٠٠٠ امراة ،** فى السن التى تقبل الحمل ، وأكثرها يتركز بين سن العشرين والثلاثين .

واحصى التقرير النساء وما ولدن ، فوجد أن المرأة بين سن ٣٥ الى ٣٩ سنة ، صار لها من الاولاد فى المتوسط ٢٫٧ ولد، وهى لم تستكمل بعد انتاجها .

ويكفى الولايات ليظل عدد سكانها الحالى كما هو أن يكون متوسط الانتاج للمرأة ٢٫٢ ولد فقط .

وعلى هذا وهذا **ينتظر أن يزيد عدد سكان الولايات المتحدة بنحو ٢٠٪ فى العشر السنوات القادمة .**

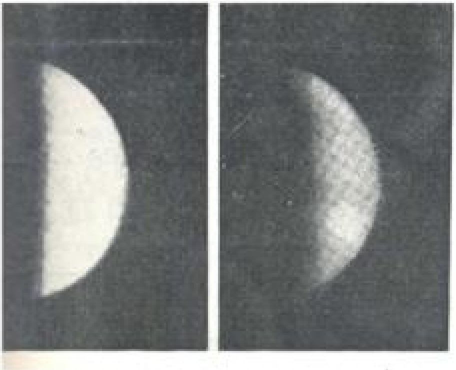
وحتى لو كان من تغيير الحال نفع للصغار من الرجال والكبار معا ، فانك لواجد الكبار تعارض التغيير ، لأن المراكز فى المجتمع انما هيمراكز منسوب بعضها الى بعض ، والرجل الكبير منا ، الذى يجد نفسه كالضفدعة الكبيرة فى البركةالصغيرة، لا يود ان يتحول او تتحول بركته لتصبح بركة كبيرة يكون هو فيها الضفدعة الصغيرة .

وهو ينتقل بذلك الى افريقيا وما استجد فيهامن دول مستقلة فيقول : وفى الدول الصغيرة الناشئة فى افريقيا اليوم نجد الحوافز الى احتلال المركز المحترم يفعل فعله فى الناس هناك . فمن القادة الافريقيين من يريد التغيير والتبديل ويريدلامته مركزا محترما فى العالم فوق المركز الذى هي فيه . وتجد قائما ضد هؤلاء قادة آخرينيعارضون التغيير خشية ان يفقدوا مراكزهم القائمة اليوم اذا جد جديد من نظم جديدة .

فمن هذا ، ومن اجل غير هذا ، ينتظر المرءاحداثا كثيرة تقع فىافريقيا قبل انيكون استقرار .

انبـاء الطب والعلم والاختراع

كوكب الزُّهَـرة
طول يومه نحو ٢٥٠ يوما من أيام أرضنا



الزُّهرة ، نجمة المساء أو نجمة الصباح ، تتراءى لناظرها بالعين وجدها نقطة" في السماء هي المعْ شيء فيها . ولكن اذا نظرها بالتلسكوب ناظر وجدها كالقمر ، تنير الشمس جانبا منه ، ويظلم جانب . وهاتان صورتان للزهرة ، وهي في وضع من أوضاعها تجاه الشمس .
أخذت الاولى بضوء بنفسجي ، هو الاظلم ، والثانية بضوء أحمر .

● هذا آخر الكشوف عن الزهرة ، « نجمة المساء » اللامعة ، والتى هي احيانا تظهر لنا في الصباح « نجمة الصباح » . وقد اعلن هـذا الكشف في المؤتمر الفلكي الدولي الذى انعقد اخيرا بمدينة همبرج بالمانيا الغربية .

وانت تقرأ عن الزهـرة في المصـادر العلمية المنشورة قبل عشر او عشرين من السنين فتعلم ان الزهرة يُغشيها شيء كالضباب يمنع رصـدها بالتلسكوبات . وانه قد ترى عـلى هذا الضباب او رغم هذا الضباب ، سمات تدور ، دلت على ان الزهرة تدور حول نفسها فتستغرق في ذلك نحو الشهر ، اى ان دورانها حول نفسها ابطأ مندوران الأرض ثلاثين مرة .

ذلك مـع ان الزهرة ، حجمـا وقربا مـنالشمس ، هي توأم الأرض !

ثم يتدخل اللاسلكي في علم الفلك ، وتستخدمامواج الراديو مكان امواج الضوء . وترسل هذه الموجات اللاسلكية الى الزُّهَرة وترتدّ وتعودالينا . ويجرى الحساب . وتطول التجارب .

ومن هذه التجارب يُستدل على طـول يومالزهرة ، اى كم يوما من الزمن ، زمن اهـل الأرض ، تستغرق لتدور حول نفسها .

ويتضح آخر الامر انها تستغرق نحو ٢٥٠ يومامن ايام الأرض ، او ان شئت الدقة العلمية فهي تستغرق شيئا بين ٢٤٨ يوما و ٢٥٨ يوما .

فاين التوأمة التى بينها وبين الأرض ؟

ويتضح كذلك ان الارض ، اذْ هي تدور منغرب لشرق ، تدور الزهرة على عكس ذلك ، من شرق لغرب ، مخالفة بذلك ما جرت عليه اكثرية الكواكب في المجموعة الشمسية ! .

انحراف بين الجنود

● يوجد انحراف بين الجنود ، كما يوجد بين غير الجنود من الناس . ولكن انحراف الجندى اشد حرجا ، وهو الى جانب ذلك اكثر كلفة .

وقد اجرى بعض بُحاث الولايات المتحدة ابحاثا نفسية بين طائفة من جندها ، في حشد من الجند واحد ، فخرجوا بنحو ٣٦٠ حالة انحراف ، في بحث دام ١٨ شهرا .

واكثر هؤلاء كانوا في نحو التاسعة عشرة من أعمارهم . واكثرهم نالوا من الدراسة في المدارس نحوا من عشر سنوات . واكثرهم وقعت منهم أول اساءة في الستة الأشهر الأولى من الخدمـة العسكرية .

ويُحتجز هؤلاء في مراكز خاصة للتاهيل .

وكل هذه خسارة غير منظورة . فالدولة خسرت ما انفقت عليهم في مدارسهم . والدولة خسـرت ما انفقت عليهم في التدريب العسكرى ، وهـذا التدريب يكلف ٣٢٠٠ دولار للجندى الواحد . والاحتجاز نفسه يكلف شيئا غير يسير . وقد تكلفت عملية الاحتجاز الناشـئة من تلـك البحـوث التى دامت ١٨ شهرا في هذا الحشد من الجند ما بين مليون الى مليونين من الدولارات .

ان امراض الأجسام كلفة ، والظاهر ان امراض الأنفس ، بعد أن كشف العصر الحديث عنها ، في جيش وفي غير جيش ، كلفة ليست قط باليسيرة .



من نفحات الأندلس

وديعة مدينة سالم

« ليت شعري أين قبر المنصور من قصره من مدينة سالم ؟ بل ليت شعري أين تاريخ محمد بن ابى عامر من صدور شبابنا ، وكتب مؤرخينا ، واقلام كتابنا ، وقصائد شعرائنا ؟

يا شعراء العرب : من ينظم القصيدة الرائعة التي عنوانها : وديعة مدينة سالم » . المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام

للشاعر : فاضل خلف

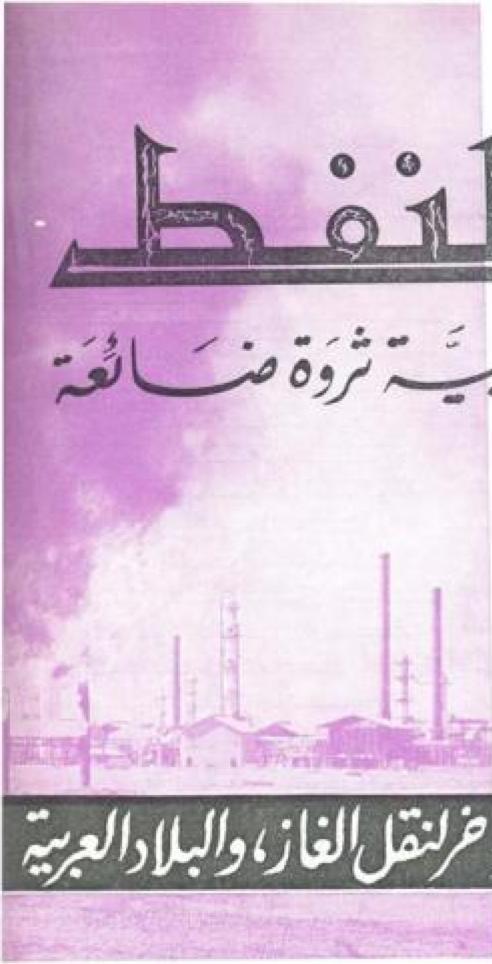
■ صيتٌ ـ مدى الأيام ـ طائرْ غمر المرابعَ بالمآثرْ
ألفٌ من الأعوام مرت وهو لألاء وزاهر
ما نالت الأيام من صفحاته أبد الأداهر
أين البيان ليجلوَ الذهب المصفى والجواهر
والشعر أين الشعر يصدح بالقيائر والمزاهر
أين القريض ليجلوَ الأمجاد .. أمجاد ابن عامر
الحاجب المنصور ليثُ الغرب .. فخربني مفاخر
مَنْ طيَّر الرايات في الآفاق ، في طلب المفاخر
من أشعل العزمات في أسد الميامن والمياسر
ومضى بهم متقدما رغم الأعاصير الهوادر
يحدوه إخلاص . وعزم لا تزعزعه الأعاصر
يا شعر حدث عنه وانشر قصة البطل المثابر
هي قصة في القلب ، يجدر أن تسجل ، والضمائر
هي قصة لألاءة تذكي الخواطر والمشاعر
هي قصة خلاقة فيها المطامع والبشائر

يا شعر هات فصولها واصدح بأمجاد زواهر
للة اندلس" فكم جادت بأبطال عباقر
هي تربة معطاء لم تنجب سوى زُهر مفاور
وتلألأت فيها البطولة وازدهت فيها المنائر
وتعاقب الأبطال فيها يفصحون على المنابر
ويسجلون المجد للاسلام دفاقاً وغامر
وغدت بلادهم الجميلة للحضارة خير ذاخر
لكن احداث الزمان وهن ارزاء جوائر
عبثت . فلاحت في الديار سحائب الفتن الفوادر
وتعرضت بيض المرابع للمعاطب والمخاطر
فاتى النداء مبشرا ـ حقا ـ بتمزيق الدياجر
نادى لقد ظهر الفتى امل البوادي والحواضر
قرطُبَة" قد انجبته وانه للمجد سائر
والجامع المعمور يشهد للفتى الحر المباشر
فنبوغه في العلم توّجه طموح للكبائر
ومضى الفتى في سعيه لا يعرف الياس المخامر
ويجل الفقر" الجلائل والزمان له مناصر
والنصر يمشي في الركاب على ترانيم المزامر
فتلقفته اماجد لمحت سنا المجد المباكر
وتوسمت فيه شمائل" جمة" تأبى النظائر
ورعت خطاه واصبحت تحنو عليه حنو" ساهر
وتعهدته فما رأى غير التجلة في المقاصر
فغدا يغذ" السير في صف الطليعة وهو ظافر
واذا بليث معافر يوما على الأموال آمر
واذا به يسخو وطلاب" العلى للمال قاهر
واخو المكارم والقِرَى ابد المدى للمال آسر
فتراه يبذل ما لديه لايهاب ولا يحاذر
وغدا نداه في سبيل المجد هطالاً" وماطر
وغدا ابن عامر" في الحمى ملء المسامع والنواظر
متلالئاً كالنجم في اوج العلا والليل عاكر
وغدا هواه بقلب كل مواطن وفتى" مؤازر
لكن آمال الفتى كانت مجنحة طوائر
كانت تحلق في السماء مع البواشق والكواسر
حتى اتى يوم عظيم صيته في الدهر طائر
يوم غدا فيه ابن" عامر" قائداً وفتى العساكر

امل تحقق ـ يا لروعته ـ لدى البطل المغامر
فمضى يطهر ارض اندلس من الفتن الثوائر
ويطارد المتآمرين على الحمى . خلف الستائر
ويصارع الخصم المغير بمشرفيات بواتر
لا النار تخمد عزمه في الحرب ان حمت الدوائر
كلا ولا حر الحديد ينال منه ولا البواقر
ستون معركة يخوض غمارها والله ناصر
لم ينهزم فيها ولا جارت باحداها المقادر
اعلامه كانت مرفرفة على بيض المعائر
قال الخصيم مرددا من ذاك في البلد المجاور ؟
امن الخوارق عزمه ام انه في القوم ساحر ؟
ماذا ارى ؟ ماذا جرى ؟ ما هذه الدهم المواطر ؟
فاتى الجواب مجلجلا هذا فتى المجد المفاخر
هذا الفتى هبة العصور . وهن للجلى مصادر
فدعوا الثغور فانها من يدن منها فهو خاسر
قد جاء والامجاد ملء اهابه ـ غر هوامر
ليشيد صرحا شامخا تشدو بساحته القبائر
ويقيم دولة عامر ذات المنارات العوامر
هي دولة السيف المهيب ودولة القلم المسامر
عطرت بـ (زاهرة) العواصم لا باشذاء الازاهر
وتفردت بنوابغ العلماء أصحاب البصائر
حتى اتى داعي الخلود الى ابن عامر . غير عاثر
فهوى المجاهد ميتا في الساح .. في اقصى العساكر
وغدت مدينة سالم مثوى لقائدها المهاجر
ايه مدينة سالم ضم الثرى اغلى الذخائر
اين الوديعة خبرينا عن مواقعها العواطر
فلقد اتينا للديار فلم نجد اثرا لسامر
كلا ولا الآثار باقية فتستتر الخواطر
هيهات . تلك جبلة الايام والعصر الغوابر
ذهب الرجال . وزالت الآثار فهي اذن دوائر
لم يبق منهم غير ذكر عاطر ملء السرائر
ذكر سيبقى خالدا لا يضمحل ولا يغادر

فاضل خلف

سفارة دولة الكويت ـ تونس



غاز النفط

في البلاد العربية ثروة ضائعة

البلاد العربية تحتل المكانة الأولى في احتياطي الغاز العالمي

الدانمرك تملك ١٠ بواخر لنقل الغاز، والبلاد العربية

بقلم : علي خصاونة

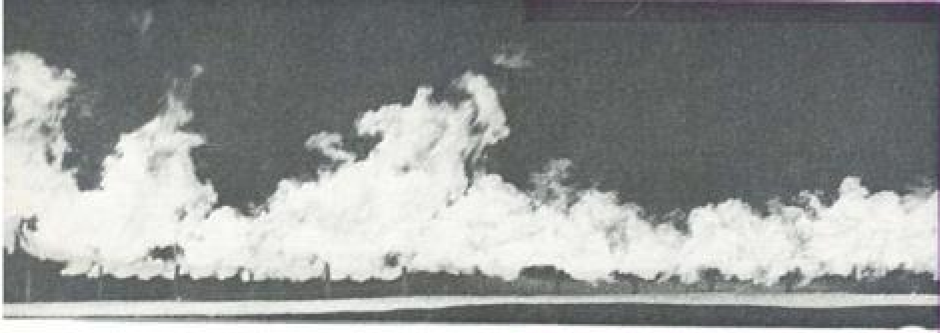
مدير عام شركة ناقلات النفط الكويتية

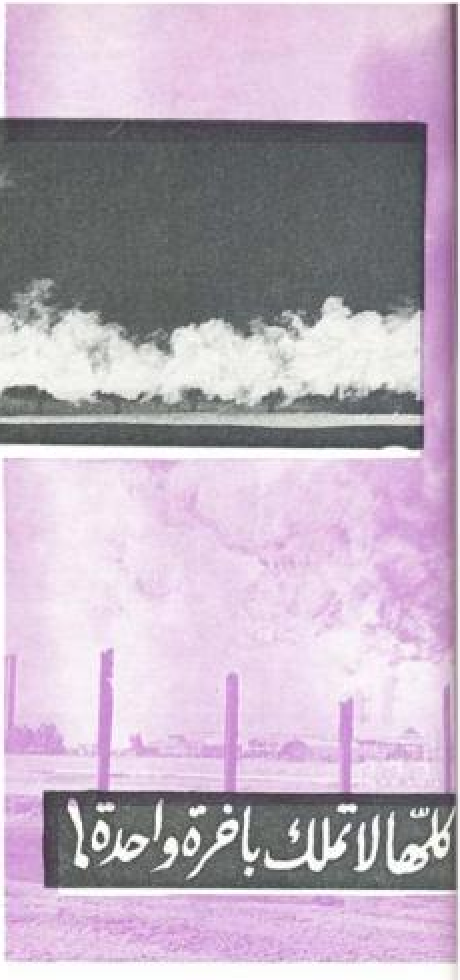
■ تذخر البلاد العربية بمصادر الثروة والموارد الانتاجية ، الا ان القسم الاكبر منها ما زال غير مستغل ، أو أن استغلاله لا يخضع لخطة اقتصادية سليمة .. أو انه واقع نهبا لغير العرب .

واهم ما تحتضنه الارض العربية ، وتنطوي عليه ربوعها ، هو النفط وقرائنه . فالبلاد العربية تنتج منه ما يزيد على حاجات السوق الاوروبية باكملها ، اذ أن حاجات هذه السوق الاوروبية من النفط تبلغ ٢٤٠ مليون طن في العام، بينما بلغ ما جادت به ارض العرب من نفط في عام ١٩٦٣ ما زاد على ٢٧٦ مليون طن .

وكذلك لم يزد انتاج أوروبا الغربية كلها من النفط في عام ١٩٦٣ عن ١٩ مليون طن ، أنتجت منه بريطانيا ــ على سبيل المثال ــ ١٣٠ الف طن ، بينما بلغ استهلاكها من النفط اكثر من ٤٥ مليون طن .

كذلك بلغ انتاج البلاد العربية في الستة الاشهر الاولى من عام ١٩٦٤ ، ١٨٠ مليون طن





كلها لا تملك باخرة واحدة !

تقريبا ، في حين ان انتاج انكلترا لم يزد عن ٦٥ الف طن في مثل تلك المدة .

سر أعمدة اللهب

وفي كل بلد عربي ينتج النفط ترتفع أعمدة اللهب الوهاجة ، ويمتلىء الافق بخيوطه الذهبية المتالقة، والكثيرون يظل التساؤل حبيس خواطرهم عن سر ذلك الاشتعال ؟ ، وقليلون الذين يدركون ضخامة القيمة الاقتصادية التي تذهب دخانا مع الرياح ... قليلون هم الذين يستوعبون اية موارد انتاجية يمكن ان يمد بها الاقتصاد العربي، لو تحول محرك ذلك اللهب الى المختبرات ، وادخل في المعامل . ان مصدر ذلك اللهب اللافح هو ما يطلق عليه « الغاز » .. وبكلمة أصح « الغاز الطبيعي » . انه يحترق في الفضاء بينما ملايين الافراد في البلاد العربية تحترق قلوبهم من الجهل والجوع لفقرهم وعوزهم !

الغاز الطبيعي .. والغاز السائل

ويجب التمييز بين « الغاز الطبيعي » وغاز النفط الذي اسالوه بالضغط .. فالغاز الطبيعي هو مزيج من الغازات الهيدروكربونية (عناصرها الهيدروجين والكربون) تحوي غاز الميثان ، وهو ابسطها تركيبا ، بنسبة كبيرة قد تبلغ ٨٠ في المائة فما فوقها (راجع مقال العربي ، وعنوانه غاز البوتان لا البوتاغاز ... بالعدد رقم ٦٦ بصفحة ٢٨) .

أما الغاز المسال ، فهو خليط من تلك الغازات الهيدروكربونية نفسها ، تلك التي يستطيع الضغط اسالتها ، وتكثر فيه نسبة غاز البوتان والبروبان ، وهو يستخلص من الغاز الطبيعي ، والغاز الطبيعي يوجد في الارض مصاحبا للنفط ، اما فوقه او ذائبا فيه ، ويخرج من الارض معه ليحرق او ليعاد ضخه من جديد في حقول النفط.

وتنتج الكويت كلا النوعين من الغاز : الطبيعي، والمسال . ويتوفر فيها كميات ضخمة من الغاز الاول ، ولكنه ما زال مخبوءا في حقوله في باطن الارض . والغاز المسال الذي تنتجه ، يباع بعضه في الاسواق الكويتية في انابيب من حديد تحتمل ضغطه ، وذلك عن طريق شركة ناقلات النفط صاحبة الامتياز ، والبعض الاخر يصدر للخارج عن طريق نفس الشركة المالكة له .

وليست الكويت هي وحدها في وطننا التي

تختزن ارضها كميات كبيرة من الغاز ، بل في كل البلاد العربية الاخرى المنتجة للنفط كميات هائلة من الغاز . والبلاد العربية من المجموعة الدولية التي تجمع حقولها بين النفط السائل والغاز ، فيما عدا الجزائر ، ففيها حقول يقتصر محتواها على الغاز وحده .

الكويت سادس دولة

واذا تتبعنا الدراسات العالمية عن كميات الغاز المقدر وجودها لاستبان لنا أن احتياطي العالم من الغاز لا يقل عن ٧٥٠ الف بليون قدم مكعب . وتاتي الكويت في المرتبة السادسة بين الدول المالكة للغاز ، ويقدر ما في داخل ارضها بما لا يقل عن ٣٥ الف بليون قدم مكعب ، وأن ما في البلاد العربية مجتمعة لا يقل عن ١٨٠ الف بليون قدم مكعب ، منها ...٦٧ الف بليون قدم مكعب في الجزائر ، و ٤٧ الف بليون قدم مكعب في السعودية ، و ٢٥ الف بليون قدم مكعب في العراق، واذا استثنينا الولايات المتحدة الامريكية ــ والمختزن في أراضيها بحدود ٢٨٠ الف بليون قدم مكعب ــ لتراءى لنا ان البلاد العربية تحتل المكانة الاولى في احتياطي الغاز العالمي .

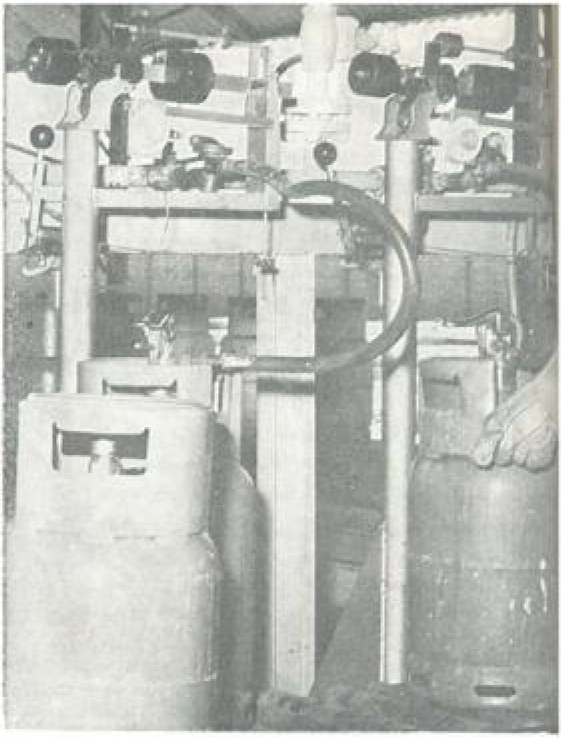
٢٧٠٠ مليون جنيه قيمة ثروتنا من الغاز

بلادنا بلاد خيّرة معطاءة ، فيها من وسائل العيش ما يزيد على حاجات سكانها لو تهيأت لهم الخطط العلمية لتوجيه استغلالها على قاعدة التخصص والتكامل فيما بين اجزاء الوطن العربي.

ان هذا الغاز ، الذي يحرق قسم كبير منه فيضيع هباء، كفيل بسد ثغرة كبيرة في اقتصادنا، وفي تنمية الكثير من الصناعات ، واستقطاب العدد

تخضع أنابيب الغاز لرقابة دقيقة .. ويعاد طلاؤها بين الفترة والاخرى . وهذا جانب من غرفة الدهان الآلية في معمل التعبئة ، حيث يتم دهن الانابيب ، دون أن تلمسها يد ..





يتم تعبئة الغاز في الكويت بواسطة احدث الآلات وذلك داخل أنابيب مختلفة الاحجام ، منها ما سعته ١ كجم و ٥ كجم و ١٢ كجم و ٢٤ كجم .



نقل أنابيب الغاز بعد تعبئتها . . ويبدو في الصورة صهاريج خزن الغاز في مصنع التعبئة بالكويت .

العظيم من الايدى العاملة ، اننا لو قدرنا قيمة الغاز الطبيعي بمعدل خمسة عشر فلسا (مليما) لكل الف قدم ، لتجمع لدينا من الثروة الغازية وحدها ما لا يقل قيمته عن ٢٧٠٠ مليون جنيه استرليني .

وهذه القيمة هي للغاز وهو خام ، ولكنها تتضاعف كثيرا اذا نحن صنعناه .

الغاز : قوة ومادة

والغاز ليس مجرد وسيلة للطبخ والتدفئة ، بل يدخل في استعمالات يصعب حصرها لتعددها . لقد تفتحت الاذهان عن أهمية الغاز بشكل أوسع بعد الحرب العالمية الثانية ، فاحدث ذلك ثورة كبيرة في مجالات التقدم الاقتصادى والتنمية الصناعية .

وليس من مظهر للتطور الحديث الا والغاز من ورائه ، أو يمكن ان يقوم عليه .

وخير برهان على تزايد الطلب على الغاز تستمده من الاسواق الامريكية . ففي عام ١٩٢٢ بلغ استهلاك أمريكا ٢٢٢٦٤١ جالونا ، وفي عام ١٩٥٠ وصل الاستهلاك ... ... ٣٣٣ ٣ جالون ، وفي عام ١٩٦٠ بلغ الاستهلاك ... ٦٤٩ ٥٤٤ ٩ جالون .

فالغاز يستعمل كقوة حرارية في أعمال الطبخ والتدفئة وتوليد الطاقات الكهربائية وفي تسيير السيارات والقطارات والسفن بدل الديزل والبنزين ، ويستعمل في الانارة وفي التكييف والتبريد . ويستعمل في المزارع للتفريخ وتشغيل التراكتورات ، وكذلك يستعمل في عمليات تقطير المياه .

ويستعمل الغاز كمادة أولية في انتاج الاسمدة الكيماوية بالتخليق الكيماوى ، وكذلك في انتاج البلاستيك والمطاط والعقاقير الطبية واشياء كثيرة أخرى .

الغاز في خدمة الكويت

وقد افادت حكومة الكويت من هذا الغاز

فاستخدمته في تشغيل اكبر معمل في العالم لتقطير ماء البحر ، واستخدمته في تحريك الآلات لتوليد الكهرباء .. وأقامت الحكومة البيوت لموظفيها ، وربطتها بشبكة من انابيب الغاز ، اصلها في الأحمدي ، وفروعها في منطقة الصليبيخات .. وكذلك هي امدت بالغاز مصنع الطابوق الرملي الجيري ومصنع خلط الاسفلت .. وكذلك المطابخ ، والمدارس ، والمستشفيات ... وكمية الغاز التي تستفيد منها دولة الكويت وتستغلها في المشاريع الوطنية تزيد على عشرة آلاف مليون قدم مكعب في السنة .

ولم تكتف حكومة الكويت بذلك القدر ، بل تطلعت لوضع الغاز في خدمة المزيد من المشاريع الناهضة في اقتصاد البلاد ، وانتهت الى انشاء شركة لانتاج الصناعات الكيماوية التي تعتمد على الغاز اعتمادا .

وكذلك ارادت الحكومة للمواطنين الانتفاع من الغاز السائل الناتج عن مصفاة البترول ، وتطلعت فرات من حولها صفوة من العاملين في مجال الاقتصاد بمختلف نشاطاته ، ورات فيهم الحرص على تعميم الفائدة على جميع السكان ، فكان ان اسندت لهم مهمة وضع الغاز في خدمة الناس باسالته وبذلك اصبح الغاز المسال في الكويت من ضمن اعمال شركة ناقلات النفط الكويتية .. هذه الشركة التي اقامت كل أعمالها ، منذ البداية ، على اهم مقومات اقتصاد الكويت وموارده ، في محيط ناقلات النفط .. والغاز

رائحة الغاز

والغاز السائل في الكويت يرجع استعماله الى بداية عام ١٩٦٢ حيث اكتمل بناء مصنع تعبئة الغاز ، واعلنت شركة ناقلات النفط الكويتية بدء توزيعه في الأسواق المحلية . ورغم انها فترة وجيزة تلك التي مرت على طرحه للبيع فان الاقبال على استعماله ينبىء عن مستقبل كبير لرواجه . وفي الكويت يباع الغاز في اسطوانات متفاوتة الاحجام اكبرها سعته ١٤ كيلوجرام وأصغرها سعته كيلوجرام واحد .

مأساة

والغاز يمكن الانتفاع بملايين الاقدام المكعبة منه في شتى المجالات الصناعية في البلاد العربية ، ولكن كذلك يمكن تسويقه الى الخارج وايصاله لشتى بقاع الدنيا ، بطرق مختلفة ، كالسيارات والبواخر والقطارات ، داخل انابيبه .

ولكن اوفق وسائل لنقله هي البواخر ، وهنا تبدو الدهشة حين نعلم ان شركة واحدة في الدنمرك تملك ما يزيد على عشرين باخرة لنقل الغاز ، بينما البلاد العربية بكل امصارها لا تملك باخرة واحدة !

وتعظم المأساة حين نعلم ان الدنمرك لا تنتج الغاز حتى ولا النفط !!

وقد أصاب التطور العلمي اساليب نقل الغاز ، فاصبحت هناك باخرة يابانية حمولتها ١٦ الف طن ، وهي من أكبر ناقلات الغاز في العالم ، تنقل الغاز من الكويت الى اليابان بطريقة تجميده وحفظه عند درجة حرارة مئوية تبلغ ٤٢ تحت الصفر . وعند تفريغه ترفع درجة حرارته ليعود لحالته السائلة ، ثم يضخ سائلا في الخزانات المعدة له .

متى تنتهي الجامعة العربية من دراساتها ؟

ان واجب الجامعة العربية ـ وهي تعقد الندوات الكثيرة ، لبحث وحدة الاقتصاد العربي والسوق العربية المشتركة ، وانشاء الكثير من المشاريع العربية الموحدة ـ واجبها أن تبحث ، وبسرعة ، مشروع انشاء اسطول عربي لناقلات الغاز .

وهنا لا بد من القول أن ناقلات الغاز تختلف كثيرا عن ناقلات النفط ، في تصميمها ، وأساليب



ينقل الغاز من مراكز تجميع تعبئة الغاز بالكويت داخل سيارات



اعادة الغاز الى داخل الارض !

١٠٠ مليون قدم من الغاز يعاد ضغطها يوميا بواسطة هذا المعمل ــ الذى ترى صورته مع هذا الكلام ــ لقد بدأ العمل ق هذا المعمل منذ ٣ سنوات ق حقل برقان بالكويت ، وهو مزود بالتي ضغط قوة كل منهما ٧٠٠٠ حصان ..

ويصل الغاز الى هذا المصنع بواسطة الانابيب ، وذلك من مراكز تجميع النفط ..

اما عملية ضغط الغاز ثانية الى الارض فتتم على مرحلتين : المرحلة الاولى بقوة ضغط تتراوح بين ٤و٩ آلاف رطل على كل بوصة ..والمرحلة الثانية يزاد الضغط فيها حتى يصل الى نحو ١٩٠٠٠ رطل على كل بوصة ..

ويعاد الغاز المضغوط الى خمسة آبار ،حفرت خصيصا لهذا الغرض ، ومن خلال هذه الآبار يصل الغاز الى حقل النفط ثانية ،ليساعد ق دفع الزيت الى سطح الارض .

تعبئتها وتفريغها ، ومعدات الموانىء التي تطرح فيها حمولتها أو تأخذها منها ، كما ان سعر ناقلة الغاز يتجاوز خمسة أمثال سعر ناقلة النفط المساوية لها ق الحمولة !

فتكاليف ناقلة غاز بحمولة ٣٠ الف طن لا تقل عن عشرة ملايين دولار امريكي .



النفط بالاحمدى ، الى مصنع كبير،اعدت خصيصا لهذا الغرض.

شركة عربية لاستغلال الغاز

ومع وضع خطة لبناء اسطول عربي لنقل الغاز يجب أن تنشأ خطة للتفاوض مع شركات البترول، ليصبح الغاز ملكا للاقطار الموجود فيها ، من أى مصدر جاء . ثم يصار الى تسويقه ق الداخل والخارج ، حسب خطة عربية موحدة تحقق لكل قطر من الربح ما يتناسب مع مقدار الاحتياطي فيه.

ويمكن أن تؤسس شركة عربية لاستغلال الغاز ، يكون نصف رأسمالها من حكومات البلاد المنتجة للغاز بنسب الغاز الموجود فيها ، الكامن والمتحقق ... ونصف رأس المال الثاني يطرح للافراد العرب ، مع وضع حد أعلى لمساهمة الفرد الواحد ، حتى لا تطغى مصلحة قليل منهم على آمال الكثيرين من المساهمين .

وتحقيقا لهذا الغرض أدعو الى انشاء مؤسسة غاز عربية منبثقة عن الجامعة العربية تكون مهامها الرئيسية منحصرة ق مثل هذه البنود :

١ ــ الاشراف على انشاء الشركة



منظر جوى لميناء الاحمدي بالكويت . وفى مقدمة الصورة تبدو صهاريج خزن غاز البترول المسال

العربية لاستغلال الغاز الطبيعي بشكل خاص .

٢ ــ المساهمة فى التفاوض مع شركات النفط ، لتحويل امتياز الغاز بكامله وبانواعه الى الأقطار المنتجه له .

٣ ــ الاشراف على انشاء اسطول لناقلات الغاز العربي .

٤ ــ درس امكانيات ربط البلاد العربية بشبكة خطوط للغاز الطبيعي ، لا سيما حيث يكثر السكان وتتجمع الصناعات .

٥ ــ دراسة وضع السوق العالمي ، والعمل على ادخال الغاز العربي اليه .

٦ ــ تعميم الوعي لاستعمال الغاز فى كافة البلاد العربية .

ويمكن لهذه المؤسسة ولشركة الغاز التابعة لها ، ان تترك التسويق فى البلاد العربية للشركات او المؤسسات الحكومية العاملة فيها .

نريد تخطيطا .. وتفكيرا علميا

ان امتنا تملك من عوامل الانتاج ما يجعلها قادرة ان تكون فى طليعة الامم ..

ولها من الطاقات الكامنة ما يجعل اقتصادها من النمو والمتانة فى درجة عالية ... ويجعل من عملتها الموحدة ، العملة النادرة فى الأسواق العالمية ، ويهيىء لأجيالها المتلاحقة اسباب العمل والقدرة على الاسهام فى التطور العالمي ومنجزاته .

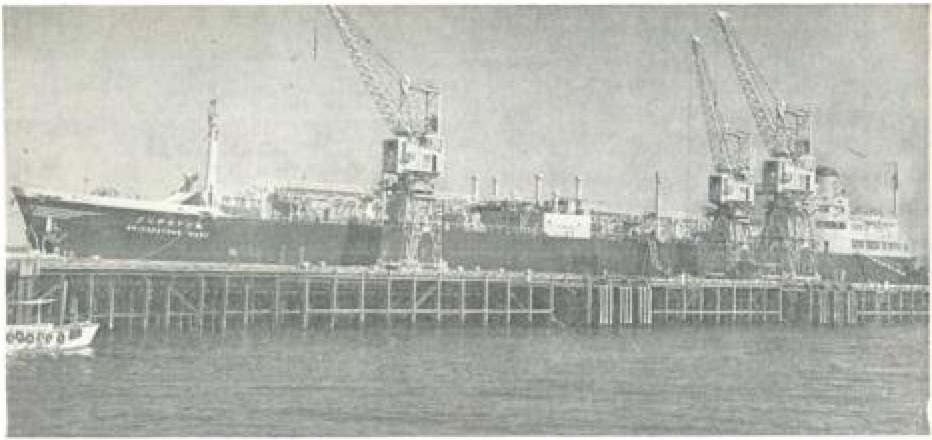
وقد آن للبلاد العربية أن تدرك هذه البدائه ...

آن لها أن تستشعر العار من البطالة المتفشية فى اركانها ، وانخفاض مستوى المعيشة المريع بين ابنائها ...

آن لها أن تبني اقتصادها على هدى التكامل وفى نهج علمي يكون للنفط ، وقرينه الغاز ، فى ذلك الموضع الرئيسى .

وما اجمل العزيمة حين تستند على التخطيط ، ويكون كلاهما منطلقين من التفكير العلمي ، ويرميان الى تحقيق اهداف تتعدى الحدود الضيقة ، حدود الـ « انا » والاقليم ، لتصيب كل الوطن . بكل افراده وكل بقاعه ..

الكويت : علي خصاونة



ناقلة الغاز اليابانية « بريجستون مارو » وهي اكبر ناقلة غاز في العالم ، حمولتها العامة ٢٥٦٢٦ طنا ، وتحمل من غاز البوتان والبروبان بحدود ١٦ الف طن في الرحلة الواحدة ، وتعمل ما بين الكويت واليابان ، ونراها هنا واقفة على رصيف ميناء الاحمدي بالكويت .



هكذا تتم عملية نقل الغاز ، من الارض الى الباخرة ، بواسطة هذه الانابيب ويكون الغاز على هيئة سائل خلال نقله ، اما داخل الناقلة فيتم تبريده وتجميده عند درجة ٤٢ تحت الصفر .

طبيب الأسرة

الابتراد غير البرد



ـ عندما ادخل البحر للاستحمام احس فجأة ببرودة تهبط لا شك بدرجة حرارة جسمي ، حتى لأرتعد اولا من البـرد ، ولكني لا البث ان انتعش . ولكن والدي يحذرني من الاصابة بالبرد اذا تكرر هذا . وقد تكرر ولم أُصَب . فأينا أصح ، أنا أم أبي .

● الاصح رأيا انت ، ولكن . .

لفظ البرد الذي يستخدمه الناس ، يستخدمونه في معنيين مختلفين ، كثيرا ما يلتبسان على قارىء او سامع . فالاول البرد الذي يحس به الجسم بسبب نزول درجة حرارته . ثم البرد الذي هو المرض ، وترشح معه الانف مثلا .

ان البرد المرض لا يكفي لاحداثه ابتراد . لا بد من مكروب ليبداه . وقد عرفوا هذا المكروب فكان اصغر عادة من البكتير ، وسموه الفيروس . والفيروسات صنوف عديدة من المكروبات ومنها صنوف تسبب مرض البرد، ومنها الذي يسبب غيره من الامراض .

والفيروسات التي تسبب مرض البرد توجد في المدن حيث الزحام ، وهي تقل ما قل الزحام . وسواحل البحار اخلى ما تكون من زحام ، فهي اخلى ما تكون من احتمال عدوى بفيروس من فيروسات مرض البرد .

واصابة الجسم بمرض البرد ، مع وجود الفيروس ، يساعد على احداثها ابتراد الجسم .

اما الابتراد وحده ، والتبريد وحده ، فهو لا يصيب الجسم بمرض البرد . ودليل آخر ظاهر على ذلك :

ان درجة حرارة الجسم السوية هي عادة ٣٧ درجة مئوية على التقريب . ولكن في بعض جراحات المخ تخفض درجة حرارة جسم المريض الى نحو ٢٥ درجة ، اي أنهم يهبطون بها نحوا من ١٢ درجة ، ثم تجرى بعد ذلك الجراحة التي تستغرق ساعتين .

ولا يصاب المريض بمرض البرد .

وفي جراحات القلب ، حيث يستبدل قلب ورئة مصنوعتان بقلب المريض ورئتيه ، هم ينزلون بدرجة حرارة

شعر ابنتي لا ينفع فيه القص . .

ـ لي ابنة عمرها نحو ٨ سنوات، شعرها خفيف على راسها ، لهذا أنا أقص أطرافه ، أرجو أن يشتد نموه ويثخن ، ولكن لم أجد من وراء ذلك فائدة، فهل من نصيحة؟

● الشائع ان قص الشعر عند اطرافه يقويه ، ولكن ليس لهذه الشائعة دليل علمي عليها. ان خفة الشعر التي تشكين منها قد تكون بسبب الوراثة ، وقد تكون بسبب صحة ابنتك . على كل حال راجعي طبيبك فقد يرى في الصحة مأخذا .



جسم المريض الى ١٥ درجة مئوية أى نحوا من ٢٢ درجة .

ولا يصاب المريض بمرض البرد . ذلك لأن الابتراد وحده لا يكفى لاصابة ببرد .



براز ابني به دم أحمر

ـ لاحظت اخيرا ان ابنى الصغير حينما يتبرز ، يكون اخر ما يلقى به لون احمر خفيف ، اظنه دما . وهو يشعر عند ذلك بالم بسيط يزول فى الحال . وتكرر هذا . فما سبب ذلك . ان ابنى عمره نحو ٥ سنوات .

● الظاهر ان الجزء الاخير من القناة التى يخرج منها البراز به جرح بسيط هو سبب الدم القليل الذى يتلون به البراز . وهذا سببه على ما اظن الامساك . شيء جامد فى البراز ، يحاول ابنك ان يتخلص منه بقوة ، فيحك جوانب المستقيم فيجرحه .

على كل حال جربي اولا مسهلا بسيطا يليّن من براز ابنك حتى يخرج مخرجا سهلا ، وبذلك يندمل الجرح . وواظبي على هذا اياما . اذا لم ينقطع اللون الاحمر من البراز وجب ان تراجعى الطبيب .



أمراض تحملها الخضراوات التى تأكلها

ـ قرأت مقالا عن الخضراوات وانها كثيرا ما تحمل مكروبات تصيب الناس بامراض كالدوسنتاريا والتيفوئيد . فهل هذا صحيح . وكيف يمكن تجنب هذه المخاطر .

● الذى تقوله صحيح . ولكن غير الصحيح ان كل خضار ، كالفجل والكراث والجرجير مثلا،يحمل العدوى .

ان البذرة التى تلقى فى الارض لتنتج الخضار جافة طاهرة . والارض كذلك . والماء الذى يروى الارض كذلك ليس من المحتمل ان يحمل جراثيم الامراض . ولكن كثيرا ما يتسرب الى الارض الطاهرة ماء نجس ، لا سيما ماء المراحيض والماء الخارج من حيث يعيش الانسان ، ويكون هذا الانسان لوثه باعطائه جرثومة من جراثيم هذه الامراض ، فهى لا تلبث ان تتكاثر فيه .

وقد قرأت انا بحثا قريبا قام به رجل اوربى موضوعه ما فى نوع من الجرجير الافرنجي الذى بالاسواق من احياء مكروبية . وقد وجد فيه صنوفا من البكتير كثيرة ، ولحسن الحظ لم يكن فيها ما يعطى المرض . وهو على كل حال بحث اصل هذا الجرجير فعرف انه يخرج من أرض تسرب اليها ماء المجارى .

كذلك الخُضَر تتعرض بعد أن تقطع من منابتها الى عمليات من الغسل بالماء. وطهارتها تتوقف على الماء الذى به تغسل ، وكذلك على طهارة الغاسل وخلوه من الامراض .

والشيء الغالب فى حقول ، وفى أرباب حقول ، وفى بائعى الخضر فى المدن ، يدعو الى الكثير من الاطمئنان . ومع هذا لا بد من الاحتياط : من غسل الخضر المرة بعد المرة بعد المرة حتى يطمئن لها الانسان . ومن المحتاطين من يستخدم فى غسلها المعقمات ، ولكن فى رأيي ان هذا غلو لا ضرورة لأنه يثقل بالحياة ويزيد فى متاعبها ، الا ان يكون بالناحية وافدة مرض مُعدٍ جائحة .

التهاب الكلية اذا أزمن

ـ عند زوجي التهاب مُزمن فى الكلى ، وهو يصح ، ثم يعود . وقد عاد فعلا بعد ثلاث سنوات او اربع . وقد قيل له ان هذا المرض ليس منه شفاء . فماذا يمكن عمله حتى لا يعود هذا المرض .

● التهاب الكلية المزمن اصناف ، وهي تختلف خفة وشدة . وكل حالة تعالج وفقا لها ، فليس هناك علاج واحد عام للجميع . فزوجك ، اذا اراد ان لا يعود اليه المرض، وجب عليه اول الامر ان يتبع نصائح الطبيب ، والا فلا حيلة للطب فيما يصيبه . واعلمى ان الطاعة كثيرا ما تكون شديدة الوقع ، ولكن اشد منها وقعا وقع المرض .

ومن اصناف هذا المرض صنوف تشفى وتذهب ، ولكن اسبابها الاصيلة تظل قائمة نائمة لسنوات، ثم تستيقظ. ومنها صنوف تزداد سوءا على الايام وعلى التدرج . والحقيقة الصريحة انما هى فى القول ان التهاب الكلية اذا ازمن استعصى علاجه ، ولكن مع هذا يوجد الكثير من المرضى به من استطاعوا العيش عليه عيشا سويا مرضيا سنوات عديدة.

نظارتي ، تبين لي خطؤها ولكن بعد حين

ـ ذهبت الى محل نظاراتى ، فعرض علىَّ ان يصنع لى نظارة ، بعد ان تبين ان عندى قصرا فى النظر . ورضيت ، وركّبت لى نظارة . ولكن على الزمن خُيّل الىَّ ان نظرى ساء . فما سبب ذلك ؟

● سبب ذلك ظاهر .

انك لم تذهب الى رجل مؤهل لوصف نظارة لبصرك .

ان الناس الذين يشتغلون فى امور النظارات والبصر ثلاثة اصناف :

ا ـ طبيب العين Oculist ، وهذا عمله عملان : اولهما امتحان العين ، وكشف ما بها من مرض ان كان، وعلاجه. ومن عمله كذلك قياس بصرك ووصف النظارة التى تلبسها .

ب ـ قياس البصر Optometrist وهذا عمله فقط قياس البصر ووصف النظارة ، وهو مدرب تدريبا على ذلك دقيقا . وهو مؤهل . ويجب أن يعرض مؤهله الرسمى حيث يعمل ليطمئن الناس.

جـ ـ النظاراتى وهو صانع النظارات Optician ، وهو كذلك مدرَّب ومؤهل لهذا العمل دون غيره . ويجب ان يعرض مؤهله الرسمى حيث يعمل كذلك .

بهذا يأمن الناس أن لا تضار اعينهم ، فكم من نظارة خاطئة اساءت الى الأعين اساءة لا اصلاح لها ، والضحية غافل عن ذلك ، رجلا كان او امرأة .

بطولات .. من أوراق البردى

الجارية الحزينة

بقلم: سنية قراعة

■ كان « رَعْ حُوتب » سيد « مَنْف » بلا منازع ، اذ لم يكن بين قومه من يدانيه مكانة او يساويه رفعة ... وكان جيرانه وجميع الاهلين يضعونه فى الذروة من تقديرهم ، ويوقرونه ويعظمونه ويتناقلون عن اسرته العريقة اغرب الاحاديث وامتع الروايات .

ولقد قيل ـ وهو قول يؤكده عجائز المدينة وكبار كهانها ـ ان الجد الاكبر للشريف « رع حوتب » كان اقرب المقربين الى سيده فرعون « مينا » العظيم .. وكان هو الذى اشار عليه ببناء عاصمته المقدسة « السور الابيض » التى عرفت فيما بعد باسم « مَنْف » . كما اقنعه من قبلُ بعظم الفوائد التى يجنيها ان هو ضم اليه الوجهين ، ووحدهما فى مملكة واحدة ، يكلل هامتها تاجه المزدوج باللونين الاحمر والابيض ...

وكان فى منف بيت اخر لا يتعالى الى جانب بيت « رع حوتب » ، ولكنه كان قريبا الى نفس اهليه وقلوبهم .. وكان صاحبه ثريا كريم المحتد، محبا للخير الى حد اوصله الى مكانة الصديق الوفى للشريف « رَعْ حُوتب » .

ولطالما كانت صداقة رع حوتب لصاحبه اموني ، موضع اعجاب اهل منف ، كما كان حب « اموني » لصاحبه مثار اكبار وتعظيم فى نفوس المقربين .

وكان « هارماكيس » واخته « نازايموت » ـ ولدا « رع حوتب » ـ زهرتين يانعتين فى حديقة باسقة ... كما كان سنوحى ابن « اموني » اية فى الذكاء والفطنة .

ولقد ودَّ « اموني » الشيخ ـ وهو يحس قرب اجله ـ ان يربط بين بيته وبيت صاحبه برباط المصاهرة ، فيزوج ابنه « سنوحى » من الفاتنة « نازايموت » ، ليضمن له السعادة ، ولبيته العلو والشهرة والثراء ....

وبارك الشريف « رع حوتب » رغبة صاحبه ، اذ لم يكن فى منف كلها ـ خلاف ولده هو ـ من يليق بابنته الاصيلة ، غير « سنوحى » البطل ...

وعرفت « نازايموت » انها ستكون عروس « سنوحى » ، فطابت الى ذلك نفسها وارتاح قلبها الخفاق ، وهكذا كان شعور سنوحى الامير .

اما « هارماكيس » فكان اسعد شباب قومه لعثور اخته الحبيبة على رجلها المثالي فى صديق طفولته وزميل شبابه « سنوحى » ، وايقن فى قرارة نفسه انهذه الرابطة ستزيد بيتهمرفعة على رفعته ... بل ستجعل من البيتين الرفيعين بيتا

شامخ الذرى لاتقوى عليه الاعاصير .. مما يجعلهم حقا ورثة فرعون العظيم .

واعتادت « نازايموث » أن ترى رجلها في لحظات مختلسة ، كان يفد خلالها على بيتهم مع اخيها هارماكيس ، فكانت كلما اطالت اليه النظر توردت وجنتاها بحمرة الخفر ، ويدق قلبها في وجيب تشعر مع شدته انها تزداد له حبا وبه تدلها ، حتى لقد رفعه خيالها الخصب الى مصاف الأرباب المنتشرة في محاريب الآلهة.. وكان سنوحي جديرا بها وكانت مكانته في منف لها قيمتها العالية . اذ كان يعمل في ديوان حاكمها من لدن فرعون ..

وبرّح بالعذراء هواها الخيالي ولم تجد من تبوح له بسرها ليخفف عنها حمولته ، ويشاركها احساسها ويحدثها أحاديث الغرام .. فصابرت نفسها في انتظار اليوم الذي يأتيها فيه ليحملها الى بيته الذي أعده لها ليكون عش الحياة الذي يتمعان فيه بأجمل ما ينعم به حبيبان !!

وكان يحلو لها أن تسمع اسم رجلها وهو يتردد على لسان أخيها .. ويحدثها عنه ، وعن شجاعته وحبه للنجدة ويضمه في الصورة التي تهواها ..
وفي أعياد الحصاد ... ولياليها المرحة ، كانت تنتظم في منف سوامر صاخبة تجمع بين شباب المدينة المقدسة وشيبها ، فيستمتعون باللهو ، ويسرفون في احتساء الشراب مرددين اهازيج الهوى ، مختلطة بتراتيل الكهنة ، ورقصات العذارى لاسترضاء الآلهة واستدرار بركتها . فتمنح الأرضُ الخصب والنماء ....

ولعب الشراب بالرؤوس ذات ليلة فعربد الشباب ، وفقد المشيب وقاره وعلا الصخب ، واقتحم العامة سوامر الخاصة ، وجرؤ الشعب على سادته من الاشراف .. وحاول سنوحي ان يعيد الأمور الى نصابها ، بصرف الشعب الى سوامره ومواكبه التي امتلأت بها طرقات منف ، فعجز عن دفع السيل المتدفق بالأجساد المخمورة..
وكاد يسقط ارضا وسط الجموع ، لولا ان أسرع هارماكيس نحوه فحمله بيد، وبالأخرى أخرج سلاحه وراح يلوح به في وجوه الثملين فاخافهم وردهم ...

وهتف أشراف منف باسم هارماكيس...وسخر بعضهم من سنوحي ، اذ اراد أن يضع نفسه في غير موضعها .

وتطور الجدل بين هارماكيس وسنوحي .. وقال الصديق لصديقه : من انت من تكون ؟ فاجابه الآخر : انا من ترى !! وهاك مركزي ...

واستبد الغضب الاحمق بالشابين واستحالت المناقشة الى تحد ، نسى فيه سنوحي وقاره ورزانته .. فثار هارماكيس الذي غلبه الزهو والشراب ــ على رفيق صباه وزميل طفولته و .. وزوج أخته المنتظر ، ثورة انكمش لها سنوحي وتراجع ، وقد خشي مغبة تحديه لسيد فرسان منف وأشجع شجعانها ...

وانفض السامر في تلك الليلة وفي النفوس مابها من نيران البغضاء والحقد ..

وبَعُد هارماكيس عن صاحبه سنوحي.. وكره سنوحي لقاء هارماكيس .. وكانا اذا جمعتهما المصادفة يتعمد احدهما ان يتحاشى لقاء الآخر ، فرارا من شبح تلك الليلة البشعة وماتبادلاه فيها من سباب وتحقير ...

واحست سوامر منف انها خسرت أحب الشباب اليها ، وفارقتها البهجة والفرحة ، وخيمت عليها السكينة البغيضة وهي التي طالما فاضت بالسعادة، وانبعثت من مجاليها ارق الضحكات ...

وراح اشراف المدينة يفكرون جديا في اعادة المياه الى مجاريها بين سنوحي وهارماكيس .. ورأى الشريف « سيتي » ان يعمل على اعداد حفلة صيد خارج المدينة ، يدعو اليها الشباب جميعا ، وفي جملتهم صاحباه المتخاصمان ...
ورحّب هارماكيس بالدعوة .. ولم يكن سنوحي باقل منه قبولا لها ... وخرج الشباب من منف تتبعهم العيون والقلوب .. وما ان شارفوا معبد

« بتاح » حتى توقفوا لحظة للصلاة ولتلمس البركة ....

وخرج كاهن المعبد وقد سمع لغط الشباب فى الخارج ، فيزودهم بالدعاء والبركات .. ولم يكد يتصفح وجوه الجمع وقد اضاءت بالبهجة ، حتى سادته رجفة لم يتمالك معها الا أن يصرخ فى هارماكيس :

ـ يا ابن « رَعْ حوتب » ، عد الى قصر ابيك ، فلست ارى لك أن تخرج فى هذه الرحلة !! عد يا هارماكيس واطمئنى !! فما ارجو لك الا الحياة ... اجل ! .. لست ارجو لك غير الحياة ايها الشاب ! ..

وضحك هارماكيس اعتدادا بنفسه وثقة بها ، واقبل على الكاهن العرّاف يطمئنه ويؤكد له انه سوف يعود .. ولن ينسى فى عودته ان يمر به ويهديه صيدا دسما ينتقيه خصيصا له !! .

وعاد الكاهن ، امام اصرار هارماكيس على الذهاب ، يقول له :

ـ لقد حذرتك !! وما كان لتحذيرى اياك ان يحول دونك والقدر يا ابن « رع حوتب » .. فامض !! امض الى مصيرك !!

وعاد هارماكيس يضحك ثانية ... وودع الكاهن .. ثم انطلق مع اصحابه ...

وظل الكاهن مكانه يرقب الذاهبين ونفسه تتقطع حسرات على هارماكيس ... ولم يجد بعد ان بعدوا عنه ، الا ان يتمتم فى حسرة :

ـ امض الى مصيرك يا هارماكيس !! فانه مقدور لك ولهؤلاء الذين احببت !! ان الاله العادل كان بنا رحيما عندما جعلنا نجهل المقدور!!

وعاد الكاهن الى معبده ... وانطلق شباب منف الى البرية يبحثون عن الصيد وكلهم يرجو ان يعود منه بالشىء الكثير ...

واوغل « سيتى » وصحبه فى احراش البردى الكثيفة ، ذات الغدران العميقة .. وانطلق كل وراء صيد ينتقيه ... وتفرقوا فى اماكن متعددة يجربون حيلهم لاقتناص الفرائس ..

ورأى سنوحى طيرا غريب الهيئة متعدد الالوان جميل الشكل .. فاحب أن يكون له ، ليقدمه هدية الى « تازايموت » الغالية ...

وتتبع الطير الذى راح يقفز هنا وهناك بين اعواد البردى وظل وراءه حتى اختفت قامته الطويلة فى ظلماتها ووجد نفسه اخيرا على مرمى



صائب منه ، وسرعان ما فوق السهم واطلقه ، وقد ظن انه احكم الهدف ، ولكن الطائر افلت .. وانطلق السهم بعيدا في وسط الدغل .. فاذا صرخة هائلة تنبعث من وراء الجسر زلزل دويها الاذان والقلوب !!

واسرع الاشراف الى مصدر الصوت .. وهناك تبدت لهم الفاجعة .. راوا هارماكيس الشجاع صريعا يتدفق الدم حارا على جوانب السهم الذى انغرس في قلبه وهو يلفظ آخر انفاسه !!

وعلى مبعدة من القتيل راوا سنوحي واقفا والقوس في يده ، وقد تملكته الدهشة وغلبه الفزع !!

وتبدت الحقيقة الرهيبة .. واقبل « سيتي » ومن معه على « سنوحي » يهدئون من روعه ، ويؤكدون له انه برىء من دم هارماكيس .. وعبثا حاولوا اقناعه اذ اكب على جثمان صاحبه يقبله ويغسل بدمعه الهتون دمه !!

ورأى « سيتي » ، وقد حدث ما حدث ، ان يعود بضيوفه الى منف ، حاملين الى اهليها هذا النبأ الأليم .. وما ان استعدوا للعودة ، حتى انفلت سنوحي من زمرتهم وهو يبكي ، واقسم ان لن يعود !! وان سوامر منف لن تراه بعد اليوم..

وحاول سيتي عبثا ان يقنع سنوحي بأن يتخلص من اوهامه ، وان يؤمن بأن ما حدث كان برغمه.. وانه كان بفعل القدر ولادخل له فيه .. ولكن سنوحي ابى أن يصغي .. وتركه وهو يقول :

ــ لن اعود الى منف وانه ليشقّ عليّ ان ابعث الحزن الى قلب ابى الشيخ !! ولكن .. انها ارادة الاله الاكبر .. فلتحمل الى ابى يا سيتي المحبوب ، تحيات ابنه وندمه !! و .... الى من حرمني منها القدر الظلوم « نازايموث » الغالية ، احمل لوعتي وأساي !!

وانطلق الشاب الذاهل يعدو الى قدره ... واختفى في اعواد البردي ..

وهز اصحابه رؤوسهم اسفا عليه .. وعلى صاحبه هارماكيس !! ولم يجدوا غير ان يعودوا الى منف يشملهم الحزن ويجللهم الأسى على فقدان خير الصحاب واشجع الفرسان ..

وهانت الدنيا في عيني الوالدين الثاكلين ، وجلت فجيعتهما على العزاء .. وما عادت منف تراهما الا سويا في معبد « بتاح » يقومان بالصلاة ويقربان القرابين لتهدأ روحا سنوحي وهارماكيس في عالمهما الجديد ...

اما نازايموث ، فقد تلقت النبأ في وجوم من فاجأته الصدمة فبلدت احساسه !! وعز عليها أن تنوح او تبكي .. وعلى من تبكي وتنوح ؟ على شقيقها الوحيد .. أم على خطيبها الحبيب ؟ ؟ ! أم تبكي نفسها ؟! ما افدح الخطب واجل المصاب ..

وظلت على حال من الصمت القاتل الذى اسلمها الى ما يشبه الغيبوبة والذهول !!

وسمع فرعون « سنفرو » العظيم بقصة « نازايموث » الحزينة .. اجمل الجميلات في مصر.. واكبر فيها هذا الوفاء لذكرى من أحبت.. وخاطب في امرها كبير القرنين في عهده « جاجام عنخ » فرأى ان يعمل مولاه على تكريم الوفاء في شخص نازايموث ، فيضمها جارية الى حريمه الفرعوني ليسعدها ويسعد اباها الشريف « رع حوتب » وصاحبه المنكوب « أموني » .. فاخذ فرعون برأى كبير القرنين ، وأرسل من يستدعى الفتاة ..

ورأى « سنفرو » العظيم نازايموث .. وبهره جمالها ، وذكاؤها .. وأدبها الرفيع .. ورقة ماعهدها في النساء من قبل . ولكن حيره فيها واثار دهشته ، ان قصره بما حوى ، لم يؤثر في طبيعتها ويخرجها عن صمتها الطويل .. بل بقيت على حالها من التيه والذهول !! فعز عليه ان يعجز عن ادخال الفرحة الى قلبها واعادتها الى نفسها .. وكبر عليه ان تكون في قصره فاتنة مثل نازايموث حزينة فريسة للاشجان والسود من الافكار ..

وبرح بفرعون حبه لنازايموث .. واحس مع مرور الزمن انها قد اثرت فيه الى حد بعيد ... حتى ليشعر وكأن جزءا كبيرا من احزانها قد تسرب الى نفسه فاقض مضجعه وارقه وبدد راحته !!

وكبر عليه ان تظل فريسة لحزن لم يطقه هو ولا يستطيع رده عنها ...

وارسل « سنفرو »الى طلب « جاجام عنخ » ،

يسأله الرأى فى ايجاد وسيلة يروّح بها عن نفسه ونفس صاحبته ... وحضر كبير المقرئين ورئيس كتبة القصر الفرعوني تلبية لأمر مولاه ولم يجد الا ان ينصحه بقوله :

ــ عليك يامولاى بنزهة فى بحيرة القصر .. وسأعد لك قاربا تركبه نساء القصر ، وفى جملتهن « نازابموث » ... انه منظر سوف يبعث السرور الى قلبك عندما ترى جمالا متعدد الالوان .. ونساء يجدفن بسواعدهن الرقيقة ، ثم تصغى يامولاى الى تراجيع الطير وشدوها وهى ذاهبة آيبة بين الخضرة والماء والوجه الحسن !!

« مرهم يامولاى ان يُعِدّوا لي عشرين مجدافا من الابنوس المحلى بالذهب ومُرْ ان يُحضروا بأمرك عشرين من الجوارى الجميلات ذوات الشعر الطويل المسدل ، وعلى رأسهن نازابموث .

« واصدر يا مولاى أمرك اليهن جميعا ليلبسن فوق اجسادهن البديعة التكوين لباسا من شباك الصيد .. ذلك يا مولاى منظر بديع ممتع يذهب الحزن ، ويملأ النفس بهجة وسعادة ..

« وصدر امرباعداد كل ما طلبه جاجام عنخ .. وأعدت السفينة .. وماهى الا لحظات حتى كانت تتهادى حالمة فى البحيرة ، والفتيات يجدفن .. وقد جلست فى الصدر عند « السكان » نازابموث الحزينة !!

« واحس جلالته ، والقارب فى مسيره والجمال يحف به ــ أنه بدأ يتخلص من اثقال القلب وهموم النفس ، ونظر الى نازابموث .. فاذا باشراقة سرور تغمر وجهها واذا بالمعجزة قد تحققت فبدأت تنسى الهم والأشجان !!

« وظل القارب فى مسيره يتهادى والجوارى يغنين ونازابموث فى جملتهن ..

« وفجأة توقفت عن الغناء ، فخفق قلب فرعون .. واتجه اليها يسألها سر سكوتها الذى لم يؤثر فيه وحده ، بل فى بقية صويحباتها اللائى توقفن عن الغناء بدورهن ومن التجديف أيضا ..

« وعرف فرعون أن الجوهرة الثمينة التى كانت تزين جبين جاريته الأميرة قد سقطت فى الماء !! وان فقدانها اياها قد بعث الحزن ثانية الى قلبها الذى كان قد بدأ يشعر بالفرحة والسرور ..

وابتسم فرعون معزيا جاريته العذراء وقال لها :

ــ ساعطيك بدلا منها ..

ولكن نازابموث هزت راسها وقالت :

ــ ولكنى لا ابغى بهـا بدلا !! بل لن أرضى بسواها بديلا ..

« فصاح الملك :

ــ الىّ بكبير الكتبة والمقرئين ، جاجام عنخ .

« وجاء جاجام عنخ فقال له الملك : ــ

ــ فعلنا ما اوحيت به ياجاجام عنخ ، ونجحت الفكرة ، واحس قلبها بالسرور وبرؤية الجوارى يجدفن ويغنين حتى انها شاركتهن الغناء .. الا انه عندما سقطت جوهرتها الثمينة التى كانت تتحلى بها توقفت عن الغناء ، وتبعتها فى ذلك صاحباتها ، وعم الحزن الجميع وزاد الامر سوءا انها أبت أن تأخذ عنها بديلا ، ولم ترض بغير جوهرتها المفقودة مهما كانت قيمة البدل !!

وتقدم جاجام عنخ .. وجعل يردد كلمات من سحره وتعاويذه ، فانشق ماء البحيرة الى شقين ظهرت الجوهرة فى قاعه فوق حجر .. واذ ذاك سار اليها جاجام عنخ والتقطها ..

واعاد فرعون الجوهرة الى جاريته الجديدة فضحكت ارتياحا ... وبدأت السعادة تغزو اضواؤها اللؤلؤية قلبها الكسير .. وتبدت لها الحياة فى ثوبها الوردى .. وراحت رويدا رويدا تنسى احزانها وأساها .. وتحيا من جديد ...

وابتسم سنفرو العظيم فى سعادة وفخر .. فقد استطاع كبير مقرئيه أن يقوم بمعجزة مزدوجة فشق الماء .. وجعل نازابموث تنسى احزانها بالحصول على جوهرتها العزيزة ..

وخيل اليه ان روح هارماكيس قد هدأت فى مستقرها ، وان سنوحى قد بارك حياة فاتنته الجميلة نازابموث فى ظل الفرعون ..

وسار القارب الحالم يشق مياه البحيرة من جديد .. ومن جديد تعالت أصوات العذارى مغردة مع الطير وخرير الماء ... ■■

سنية قراعة

مِنْ أُخطاء القضاء

ضحية الاضطهاد العنصري

كونان دويل، خالق شخصية شرلوك هولمز، يكشف

بقلم : حسن الجداوى

المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

لا يستطيع القاضى أن يحكم بين الناس بالعدل وأن يؤدى رسالة القضاء السامية الا اذا تجرد ـ حين يجلس على منصة القضاء ـ من ادران البغض والتحامل والهوى.

وفى قضيتنا هذه لعب الاضطهاد العنصرى دورا كريها كان ضحيته شاب يدعى جورج ايدالجي من أم بيضاء وأب ـ قسيس انجليكانى ـ من جماعة الفارسيين الهنود المعروفين بالبارسيى.

اقام الأب القسيس فى قرية ويرلى ، وتزوج من فتاة بيضاء ، وورث عن أبيها ايراد كنيسة القرية ، واقام فى ابرشيتها ، وولد له بالقرية ابنة وولد هو جورج هذا .

ولم تكن حياة القسيس سهلة هينة . فقد كان سكان القرية متعصبين ينظرون الى من يختلف بشرة عنهم نظرة احتقار حتى أن كثيرين منهم كانوا يسمون القسيس ـ الذى يحتم عليهم دينهم احترامه ـ بالزنجى .

ولم تكن هذه النظرات ولا هذا التحقير تغيب عن القسيس، ولكنه كان يتجاهلها ويؤدى واجباته الدينية وكان شيئا لم يكن ، وبراءة الكهنوت فى عينيه .

فى هذا الجو الخانق ولد جورج وعاش بين اقرانه منبوذا لا يشركونه فى العابهم ، حتى بلغ الثانية عشرة من العمر فى عام ١٨٨٨ ، وعندها بدات المتاعب الحقيقية فى صورة خطابات غفل من التوقيع ترسل الى القسيس حشوها السباب والتهديد تخطّ على اسوار الأبرشية ..

وشكا القسيس الأمر الى البوليس فاستدعى فتاة اسمها اليزابيث فوستر كانت تعمل بالابرشية وقدمها للمحاكمة ، فحكم عليها بان تتعهد بتحسين سلوكها ووضعها تحت المراقبة . ولم يرق هذا الحكم ـ على ما فيه من تساهل ـ غالبية سكان القرية الذين كانوا يعطفون على الفتاة ولا يستنكرون فعلتها .. بل لعلهم كانوا يعتقدون ان ما فعلته هو الصواب .

وتوقفت الخطابات المجهولة لمدة اربع سنوات ، ثم بدأ سيل منها يرد تباعا الى الأبرشية ، تدل محتوياتها على ان كاتبها محيط بكل ما يجرى

داخل الأبرشية ويعرف حادث الفتاة اليزابيث الذى ذكرناه . وقوى الشك فى أن تلك الفتاة هى التى تكتبها أو أنها من عمل صديق لها . ولكن تحقيقا دقيقا لم يجر معها .

★ ★ ★

ولقد دلت محتويات تلك الخطابات على حقد كامن فى نفس مرسلها ، ليس فقط ضد القسيس، ولكن كذلك ضد زوجته (اللعينة) على حد تعبير

أسرار هذه القضية ..

كاتبها ... وابنته (الشنيعة) ، وخاصة ضد ابنه جورج الذى لم يكن قد جاوز السادسة عشرة من عمره . فقد جاء فى واحد منها :

« أقسم بالله انني سوف اقتل « جورج ايدالجي » فى اقرب وقت . فالشيء الوحيد الذى أحرص عليه فى هذه الدنيا هو الانتقام . الانتقام . الانتقام اللذيذ الذى أتوق له .. وعندها احس بالسعادة ولو فى جهنم » .

وجاء فى خطاب آخر .

« ليسخطنى الله ان لم أقتل جورج ايدالجى » .

وكان القسيس يتعرض فى الوقت ذاته الى فصول سخيفة ومضايقات من النوع الذى يدخل السرور على مرتكبها والضيق على ضحيتها . من أمثال ذلك انه كانت تصل الى الأبرشية عربات محملة ببضائع لم يطلبها القسيس ولا زوجته ، وكانت تنشر اعلانات فى الصحف تقول ان الأبرشية معروضة للبيع او للايجار ، أو تقول ان القسيس مستعد لان يجمع بين طالبى الزواج من السيدات والرجال .

ولم يحمل القسيس هذه المضايقات على محمل الجد واعتبرها ضريبة يجب أن يتحملها فى سبيل اداء رسالته الدينية ، وقد تحمل الكثير من أمثالها ، ووطن النفس على انه طالما أن الاضطهاد موجه الى شخصه فسوف لا يضيق به . ذلك فضلا عن احساسه بانه لا فائدة ترجى من تبليغ البوليس لانه ـ فى تحامله ـ لن يبذل اى جهد لاستجلاء الحقيقة .

ولكن حادثا جديدا ـ لا يحمل فى ظاهره معنى الاضطهاد ـ جعل القسيس يلجأ الى البوليس . فقد عثر امام باب الأبرشية على مفتاح كبير ـ من نوع غريب ـ اعتقد القسيس ان صاحبه قد فقده ورأى أن من واجبه أن يسلمه الى البوليس .

وتبين أن المفتاح يخص مدرسة « وولسال »



التى تبعد ستة أميال عن الأبرشية . فما الذى جاء به الى عتبة الأبرشية ؟؟

احتار البوليس فى حل ذلك اللغز . وذهب المفتش كامبل الى رئيس البوليس يعرض عليه حيرته وملف التحقيق . وكان رئيس البوليس من ذلك الصنف المتعجرف من الانجليز ــ الذين اقاموا الامبراطورية ــ والذين يعتقدون أن الانجليز يمتازون عن بقية شعوب العالم ، وان الجنس الأبيض سيد الأجناس ، بينما تنقسم الاجناس الأخرى الذين يسمونهم بالملونين الى سود (عبيد) أو صفر . فهو لذلك كان يعتبر وجود القس ايدالجي فى قرية انجليزية وكنيسة وابرشية انجليزية أمرا مؤسفا لا يحسن السكوت عليه .

لذلك ما كاد المفتش كامبل يعرض عليه الموضوع حتى استغرب أن يتحير المفتش فى حل مشكلة واضحة الحل لا تحتاج الا لقليل من الذكاء لاكتشاف ما غمض من أمرها . فهذه احدى حيل تلاميذ المدارس وخاصة اذا كان ناظرهم من النوع المتساهل الذى لا يلجأ الى الشدة ولا يكثر من استعمال العصا والفلقة ..

تلميذ اذا هو الذى أخذ المفتاح من المدرسة وتركه على عتبة الأبرشية . فمن يكون ؟؟

ان فى القرية تلميذا غريب الاطوار من أولئك الملونين الملاعين الذين لا يتورعون عن ارتكاب مثل هذه الصبيانيات وليست فيهم شجاعة التلاميذ الانجليز البيض الذين لا يترددون فى الاعتراف بعملهم ويتحملون تبعته . فالأمر لا يحتاج لكثير من الذكاء لمعرفة الفاعل .

واعترض المفتش كامبل على هذا الاستنتاج وقال ان « جورج ايدالجي » لم يسبق له ان ذهب الى مدرسة وولسال. ولكن رئيسه نحى هذا الاعتراض بسهولة وقال ان هذا دليل جديد على أنه الفاعل لان مثله لا يقدم على سرقة مفتاح مدرسته بل يبحث عن مدرسة أخرى . فالأمر اذا فى غاية الوضوح بل يكاد يكون بديهيا .

والآن وقد قطع رئيس البوليس بأن جورج ايدالجي هو مرتكب الحادث رأى أنها قضية لا تدخل فى اختصاص البوليس ــ ولا تحتمل أن تعرض على القضاء ــ وانه يكفي أن يتولى الأب تأديب ابنه حتى لا يعود لمثلها .

وكتب رئيس البوليس الى القس بما ارتآه .

واستجوب الأب ابنه فتبين أن لا علاقة لجورج بحكاية المفتاح وانه لم يذهب الى وولسال خلال الشهر الماضى . فكتب الى رئيس البوليس بذلك. ولكن كيف يثق رئيس البوليس ــ المتعجرف المتحيز ــ بتوكيدات « زنجى » ملعون فى مثل هذا الموضوع أو أى موضوع آخر . فتناول قلمه ــ وبغير تردد ــ كتب الى القس يقول له « انني لن أصدق ما يدعيه ابنك من أنه بريء فى موضوع المفتاح » . وهكذا قلبت الأوضاع ، فالمتهم مذنب حتى يثبت براءته ، وهو كاذب لا يصدق انكاره . انه مذنب لأنه ملون .

ولولا عجرفة رئيس البوليس وغباؤه لقارن بين سرقة المفتاح وبعض الفاظ خطابات التهديد ولاستطاع بقليل من الاستنتاج غير المتحيز معرفة الحقيقة ، فقد جاء فى خطاب منها « قبل نهاية هذا العام ستجد ابنك اما فى القبر او فاقد الشرف طول حياته .. أظن أننا ــ ان اردنا ــ نعجز عن تقليد خط ابنك ؟ » .

★ ★ ★

لندع جانبا استنتاجات رئيس البوليس وندرس جورج ايدالجي دون تحامل لمعرفة ان كان يمكن أن يرتكب مثل هذا الحادث ؟ .

كان جورج ضعيف البنية ، وكان هذا يحول دون اشتراكه فى ألعاب التلاميذ الآخرين . وكان فوق ذلك قصير النظر ــ حتى مع استعمال نظارات سميكة ــ لدرجة أنه كان يجد صعوبة فى رؤية الاشياء على بعد بضعة سنتيمترات ، ولذلك كانت الألعاب الرياضية جميعها ــ الكرة والجرى والملاكمة ــ محرمة عليه . وبحكم ابتعاده عن الألعاب اتجه بكليته الى القراءة اذ كان يتمكن فى اضاءة جيدة من القراءة . وانكبابه على القراءة وابتعاده عن مشاركة التلاميذ العابهم جعله خجولا منطويا على نفسه مرهف الأعصاب متحفظا . وزاد ذلك فى مقاطعة التلاميذ البيض له خاصة وهو متفوق عليهم من ناحية الدراسة وتحصيل العلم .

ومع ذلك فما كان يصح أن يوصف جورج بأنه « زنجى » . فلم يكن أسود البشرة بل أسمرها . ولكن ضعف نظره سبب له بروزا فى عينيه وزوغانا فى نظراته وعجزا عن النظر فى وجه محدثه ، وقد حمل هذا الناس على اساءة الظن به .

ونجح جورج فى دراسته وتفوق وأتم تعليمه واصبح وكيل قضايا ، أى محاميا غير مترافع وذلك بالرغم من الصعوبات والمتاعب التى لاقاها فى

حياته. فقد كانت حياته فيما بين السادسة عشرة والتاسعة عشرة فى توتر حاد مقيم، اذ كان كلما جاء ساعى البريد الى الابرشية توقعت أسرته وصول خطاب تهديد أو سباب . ولم يكن من السهل اخفاء ذلك عليه . فكان اول سؤال يوجهه عند عودته آخر النهار « هل من جديد ؟ » . وبعد ذلك لم يعد فى حاجة الى توجيه اى سؤال فقد كان يرى الاجابة فى وجه والديه واخته .

ولغير ما سبب معروف اختفت خطابات التهديد ما بين عامى ١٨٩٦ و ١٩٠٢ وساد الابرشية الهدوء والسلام . وكان القس ايدالجى - برغم احساسه بكراهية السكان له - يبذل جهده فى العناية بشئونهم ، وتتفرغ زوجته لعمل الخير والخدمة الاجتماعية وان اعتقد السكان انها - وهي من أصل أبيض - قد جلبت على نفسها العار بزواجها من ملون .

واشترك جورج فى مكتب وكلاء قضايا فى برمنجهام فكان ينتقل يوميا من القرية الى برمنجهام .

ثم بدأت المتاعب .

عثر - فى زراعة قريبة من الأبرشية - على حصان مبقور البطن . كان ذلك فى اوائل شهر فبراير . ثم توالت الحوادث من هذا القبيل بواقع حادثين او ثلاثة فى الشهر . وكانت جميع هذه الحوادث ترتكب بالليل .

وأمثال هذه الحوادث - فى الريف - بالغة الخطورة لما فيها من اعتداء على الماشية التى هى جزء أساسى من ثروة المزارعين . لذلك اهتم السكان واهتم البوليس بالبحث عن المجنون - أو المجرم الطليق - الذى أقلق حياة القرية الهادئة وارتكب هذه الحوادث الغريبة .

والحوادث الغريبة تنسب الى أشخاص غريبي الأطوار . وليس فى القرية من الأشخاص غريبي الأطوار الا القس ايدالجى وأسرته .

بدأ حديث القرية همسا . ثم أصبح كلاما على المكشوف . استبعد الناس أن يكون القسيس الذى اقام بينهم ثلاثين عاما - دون أن تبدو منه اية اساءة - وان كان من الملونين - أن يصاب فجأة بالجنون أو ينقلب مجرما . ولكن ماذا عن ابنه ؟ انه انسان غريب الاطوار بعينيه البارزتين وبشرته السمراء وتجنبه النظر الى محدثيه ؟ انه - ولا شك - الشخص الذى يمكن أن يقدم على مثل هذا العمل القذر .

وبدأ سيل جديد من الخطابات المجهولة . لم توجه هذه المرة للقس بل اغلبها الى جورج وبعضها الى البوليس ، فيها اتهام صريح لجورج بانه المسئول عن حوادث بقر الماشية . وفى بعضها انكار لمسئوليته ولكنه صيغ بطريقة تؤكد ادانته .

فقد جاء فى خطاب بتوقيع « محب للعدالة » موجه الى جورج الذى قدمه الى البوليس .

« انني لا اعرفك ولكننى قابلتك بضعة مرات بالقطار . ولا اظننى أحبك لو عرفتك لأننى أكره الملونين . ولكننى أومن بحق كل انسان فى الحصول على معاملة عادلة ، ولذلك أكتب اليك لاعتقادى أن لا شأن لك بالجرائم الفظيعة التى يتحدث عنها الجميع . انهم يقولون انك ولا شك مرتكبها لانهم جميعا يكرهونك ... فاذا قتل حصان آخر فسيقول الكل انك القاتل .. فخير لك أن تبتعد عن القرية لتبعد الشك عنك » .

وجاءت فى تذكرة بريد اشارة الى محاكمة اليزابث فوستر التى كان قد مضى عليها خمس عشرة سنة .

« لماذا لا تعود الى لعبتك القديمة : الكتابة على الجدران ؟ » .

وفى تذكرة بريد أخرى مرسلة الى المفتش كامبل بتوقيع « عليم بما هنالك » وتذاكر عديدة تحمل توقيعات منسوبة لاشخاص معروفين فى القرية اتهام صريح له . ولكن اغلب من نسبت اليهم تلك التوقيعات انكروها واثبتوا انها مزورة .

وزاد الأمر تعقيدا أن أحد رجال البوليس تسلم خطابا غفلا من التوقيع مكتوبا على مطبوعات المكتب الذى يعمل فيه جورج .

★ ★ ★

لم يكن جورج بالشخص الساذج فقد درس القانون وتوفر على الاطلاع . لذلك ادرك أن كل هذه المحاولات ترمى الى الاضرار به وانها قد تنجح فى النهاية، لذلك قرر أن يتعاون مع البوليس قدر طاقته وصار يسلم لهم - أولا بأول - كل خطاب يصل اليه . فاذا به يتبين أن خطواته كلها معروفة لمضطهديه فقد جاء فى خطاب وصله :

« انك تتوهم انك حاذق . وأنا أقول لك انك لست جنتلمانا والا لما وضعت البوليس فى أعقابى. انك بتصرفك هذا قد اثبت للناس انك قاتل الخيل لانهم تبينوا انك لا تؤتمن » .

ومن سوء حظ جورج أن رئيس البوليس - ذلك

الشخص المتعجرف المتحيز المتحامل على الملونين الذى اتهمه قبل احدى عشرة سنة بسرقة المفتاح ، كان لا يزال على راس البوليس .

لقد قطع أن ذلك الغلام «الزنجي» مخادع وكاذب ولص وهو فى السادسة عشرة من عمره ، فلا موضع للشك فى انه وقد بلغ الثامنة والعشرين قد تحول من مجرم صغير الى مجرم كبير يطوف بالغيطان يبقر بطون الماشية .

★ ★ ★

ومع انه لم تظهر اية أدلة تسمح بتوجيه الاتهام الى جورج او القبض عليه فان رئيس البوليس اعتبر كلام الناس دليلا ، وعلل ذلك بأن الريفيين صادقو الحس واحكامهم على اخلاق من يعيشون بين ظهرانيهم قلما تخطىء . وما دام الناس يتهمون جورج فلا بد من البحث عن ادلة لهذا الاتهام .

وفى هذا المجال بدأت عبقرية (؟) رئيس البوليس تظهر .

هذه السلسلة من الخطابات المجهولة تثبت أن جورج رجل مخادع كتبها وأرسل عددا منها لنفسه لتقوم دليلا على براءته . انها حيلة ماهرة ولكنها لا تفوت على فطنة رئيس بوليس ذكي مجرب . لذلك فقد وقع فى الخطأ الذى يقع فيه دائما المجرم بأن كتب خطابا على مطبوعات المكتب الذى يعمل فيه . انه سوف يقول طبعا ان أحدا زار المكتب وسرق ورقة من أوراقه . ولكن من الذى يصدق « زنجيا » ملعونا ديدنه الكذب .

★ ★ ★

لم يعد هناك محل للانتظار ولم يبق الا ضبط المجرم متلبسا . كان ذلك يتطلب تضحية حصان آخر وهو أمر مؤسف ، ولكن لا حيلة لرئيس البوليس فى ذلك . استعان رئيس البوليس بكونستبلات من القرى المجاورة ورتب دوريات منتظمة تطوف بالغيطان ووضع رقابة مشددة على الأبرشية طوال الليل لتتبع جورج حين يخرج فى ظلام الليل لارتكاب جريمته وضبطه ويداه ملوثتان بالدماء .

وأصدر الأمر فى الوقت نفسه للمفتش كامبل لمقابلة جورج ومعرفة ما يقوله عن الخطابات المجهولة ، معتقدا أن جورج ــ تحت وهم أن حيلته نجحت ، قد تفلت منه معلومات تدينه ، خصوصا وأن البوليس لن يحذره بأن كل كلمة سيقولها قد تؤخذ دليلا عليه لأنه ــ حتى تلك اللحظة لم توجه اليه اية تهمة بل هو ضحية وقد قدم الخطابات للبوليس بمحض رضائه .

وقال المفتش كامبل لجورج أنه سيوجه اليه بعض أسئلة روتينية للحصول على مساعدته فى التعرف على مرسلى الخطابات المجهولة . وسر ذلك جورج لأنه اعتقد أن البوليس بدأ يهتم بموضوع الخطابات وأبدى استعداده لتقديم اية مساعدة . وسأل فى أثناء الحديث عن الخطوات التى سيتخذها البوليس لوضع حد لتلك الجرائم . فلما ذكر له المفتش موضوع الدوريات ــ وأخفى عنه الرقابة الموضوعة على الابرشية ــ ابدى حماسا للفكرة ، وان كان يشك كثيرا فى نجاح تلك الدوريات فى منطقة مترامية الأطراف تكثر فيها الخيول طليقة منتشرة فى جميع انحائها .

ورات عبقرية رئيس البوليس أن هذا دليل جديد على اجرام جورج لانه اراد أن يعرف اجراءات البوليس ليتجنبها .

ولم تعد أحاديث القرويين تتجه الا لموضوع قتل الخيول حتى انهم لم يعودوا يتحدثون عن المحصول الذى هو شغلهم الشاغل ، بل اقتصرت أحاديثهم على التساؤل عن قرب القبض على جورج ووضع حد لجرائمه القذرة . وقويت عقيدتهم حتى أن جورج تغيب يومين عن القرية مع اخته لعمل خاص فايقنوا انه قد قبض عليه .

وبمجرد عودة جورج الى القرية سمع باشاعة القبض عليه فازداد قلقه ، وأحس بالخطر ، فنشر اعلانا فى صحيفة محلية يعرض مكافأة لمن يقدم اية معلومات تؤدى الى ادانة مروجي الاشاعات ضده او مرسلى الخطابات المجهولة .

ولم يوصل الاعلان الى نتيجة ولكن رئيس البوليس اتخذ منه دليلا على خبث جورج وسوء طويته .

★ ★ ★

وفى ليلة ١٧ اغسطس ، برغم دوريات البوليس المشددة على الأبرشية ، عثر على حصان مبقور على بعد نصف ميل من الابرشية ... كما عثر على آثار اقدام انتهت عند الطريق العام واختفت فوق ارضه الصخرية .. صحيح ان الطريق العام قد يوصل الى الأبرشية . ولكن رئيس البوليس وجد فى ذلك الدليل الواضح على أن جورج هو صاحب آثار الأقدام فى طريق عودته الى الأبرشية بعد ارتكاب جريمته . واصدر امره بالسير فى اجراءات الاتهام .

وبينما جورج في مكتبه في برمنجهام يعلم البوليس ذهب المفتش كامبل الى الابرشية وبدأ في سؤال القس ايدالجي وزوجته . فلم يمانعا في الرد على جميع اسئلته اذ لم يكن لديهما ما يخفيانه ولم يعترضا على قيام البوليس بتفتيش الابرشية .

وعثر المفتش في غرفة النوم التي يشغلها جورج مع والده على جاكتة لجورج على احد اكمامها بقعتان صغيرتان في حجم المليم . فحرزها وتهلل وجهه باحساس الانتصار لاعتقاده انها من دماء حصان . وازداد تهلل وجهه حين تبين وجود بعض شعيرات آمن بانها من شعر الخيل . كما وجد في الغرفة عددا من امواس الحلاقة التي يستعملها — الحلاقون — اذ لم تكن شفرات الحلاقة قد اخترعت بعد — ملوثة بالدماء . كما عثر على زوج حذاء مبلل دليلا على السير به في الغيطان .

وهكذا تحول الشك الى يقين . وحمل المفتش كامبل نفسه الى برمنجهام ليستجوب جورج بعد أن آمن بعبقرية رئيس البوليس وبانه قد وضع اليد على أدلة الادانة المفحمة . وترك الجاكتة لفحصها بدقة في المعمل الجنائي .

لم يعترض جورج على الاستجواب . وأجاب انه لم يرتد البذلة في الليلة السابقة . وانه يعلم بان بكمها بقعا من زمن بعيد . اما عن الشعر فان كان شعر خيل فلعله ارتكز على بوابة يكون قد ارتكز عليها حصان . اما التلوث الموجود على الأمواس فقديم .

ولم يقنع هذا التعليل المفتش كامبل فحذر جورج ووجه اليه التهمة . وقال جورج انه يستطيع أن يبين كيف أمضى الليلة السابقة فقد خرج من المنزل في نحو الساعة الثامنة لاصلاح حذائه وعاد الى المنزل في حوالي الساعة التاسعة والنصف ولم يغادره الا في الصباح للذهاب الى عمله . وأضاف أن ما هو حاصل لا يدهشه فقد كان يتوقعه من وقت طويل .

واعتقد البوليس انه قد أثبت التهمة بما فيه الكفاية . ولكن الصعوبات بدأت تظهر ، وهنا ظهر أثر الاضطهاد العنصري واضحا جليا .

لقد ثبت — من تقرير الطب الشرعي — ان الجريمة وقعت ما بين الحادية عشرة مساء والسادسة والنصف صباحا وعلى الأرجح في الثانية والنصف صباحا . وكانت الابرشية طوال تلك الليلة تحت رقابة شديدة من البوليس فكيف استطاع جورج أن يترك الابرشية ويعود اليها من غير أن تقع عليه أعين الرقباء ؟

اجاب رئيس البوليس أن جورج ماكر وخبيث وقد عاش طوال حياته في الابرشية فلا بد انه عرف كيف يتسلل منها ويعود اليها دون أن يراه أحد. وفضلا عن ذلك فقد كانت الليلة حالكة الظلام وقد انقضى على الرقابة اكثر من شهر فلا يستبعد أن يكون أحد رجال البوليس قد تراخى في رقابته . ؟؟؟

★ ★ ★

وكان من حسن حظ جورج انه ينام مع والده في غرفة واحدة منذ أكثر من عشرين سنة . وسبب ذلك ان اخته قد مرضت مرضا شديدا وهي طفلة فترك لها والدها غرفته لتمضي بها مع والدتها وانتقل هو الى غرفة ابنه . فلما شفيت استمر هذا التقسيم بين غرفتي النوم . وان القس اعتاد — بسبب خطابات التهديد — أن يغلق باب غرفة النوم من الداخل كلما آوى الى فراشه . وقد شهد الوالد ، وكان فيما يبدو مستعدا لان يقسم اليمين ، ان ابنه عاد من الخارج في التاسعة والنصف مساء ولم يغادر المنزل حتى الصباح وأمضى الليلة معه في غرفة مغلقة بالمفتاح .

ولكن البوليس — أو بالأصح رئيس البوليس — نحى تلك الشهادة جانبا بقوله انه ما دام المفتاح قد ترك في الباب فان ذلك يمكن جورج من التسلل وارتكاب الحادث والعودة الى الغرفة دون أن يحس به والده .

وثبت ان الشعر الذي عثر عليه على جاكتة جورج ليس شعر الحصان المقتول . وحمل ذلك البوليس على البحث عن ادلة جديدة فاتجه تفكيره الى مقارنة آثار حذاء المتهم (فان جورج لم يعد في نظر البوليس الا متهما يجب اثبات التهمة عليه بكل وسيلة) . ومع أن البوليس لم يكن قد صنع قالبا لآثار الأقدام ، وأن اقداما كثيرة مرت من نفس المكان فازالت آثار الاقدام القديمة ، ولكن حذاء جورج ترك آثارا تشبه واحدا من تلك الآثار ، فاقتنع ذلك المفتش كامبل وأحس بانه يستطيع — دون أن يحنث في يمينه — قاتل الله الغرض — ان يؤكد انه تعرف على اقدام المتهم .

وجاء تقرير الطبيب البيطري يؤكد أن بقر الحصان لم يحدث من موسى حلاقة كالتي عثر عليها في غرفة جورج بل من سكين قصيرة ذات حدين . وبحث البوليس جادا في الابرشية وحديقتها ،

ونبش الارض لعله يعثر على تلك السكين . فلما لم يجد قال رئيس البوليس ـ قاتله الله ـ ان جورج طبعا يعرف بالأبرشية امكنة لاخفاء السكين لا يستطيع البوليس الوصول اليها .

وهكذا كانت كل شبهة تسقط في يد البوليس يعللها ـ لا بأن جورج بريء ـ بل بأنه ماكر خبيث.

ومع أن جميع تلك الشبهات لا ترقى الى مرتبة الدليل .. بل ولا القرينة ، فان البوليس قدم القضية الى محكمة الاتهام واستصدر قرارا من محلفين متحاملين بتقديم جورج الى المحاكمة . ومع ذلك فانهم ـ رغم تحاملهم ـ قرروا الافراج عن المتهم بكفالة لحين المحاكمة .

ولكن جورج ادهش المحلفين والاهالي ـ بأن رفض دفع الكفالة وفضل البقاء في السجن حتى يحين موعد محاكمته بعد ثلاثة أشهر .

لم يفعل جورج ذلك اعتباطا ولا حبا في البقاء في السجن ولكنه تدبر الأمر بتعقل وروية . ان التهمة الموجهة اليه ـ والتي قدم للمحاكمة من أجلها ـ هي أنه قتل الحصان الأخير . ولكن هذه الجريمة واحدة من سلسلة جرائم . وجورج يعرف أنه بريء منها . فاذا قتل حصان آخر وهو رهين جدران السجون كان ذلك دليل براءته . اما اذا كان مفرجا عنه نسبت اليه الجريمة الجديدة .

ولكنه لم يقدر حماس رئيس البوليس في ادانته حق قدره . فقد صح ما توقعه من قتل حصان آخر . ولكن رئيس البوليس لم يعتبر ذلك دليلا له بل دليلا عليه . فقد راح يتلمس مخرجا من دليل البراءة هذا .. فوجده في خطاب من خطابات التهديد المرسلة للفتى اذ جاء فيه « هل تحسب اننا لا نستطيع تقليد خط ابنك ان اردنا » . واعتبر ان صيغة الجمع هذه تدل على أن لجورج شريكا وأن وجود ذلك الشريك يفسر الكثير من جرائم القتل اثناء وجود جورج في السجن . بل ان هذا يفسر ـ في نظر رئيس البوليس ـ رفض جورج الخروج من السجن بكفالة .. ان جورج يحسب نفسه داهية . ولكن « على من ؟ » ان مثل هذه الحيل لا تنطلي على عبقرية رئيس البوليس.

★ ★ ★

وعرضت قضية جورج لا على محكمة الجنايات التي يرأسها أحد قضاة المحكمة العليا ـ بل على محكمة يرأسها أحد كبار الملاك الذي مهما تحلى به من انصاف ـ لا يستطيع التخلص من تأثير مصلحته ومصلحة الريف الذي يضار بهذا النوع من الاجرام . وكان ذلك شأن المحلفين من أهالي المنطقة فجلهم ـ ان لم يكونوا كلهم ـ من المتحاملين على من يسمونهم بالملونين .

وكانت هناك تهمة اضافية حققها البوليس خاصة بخطاب تهديد ارسل الى مفتش البوليس روبنسون، ولكن صحيفة الاتهام خلت من أية اشارة اليها ، ومع ذلك لعبت دورا كبيرا في اثناء المحاكمة ، اذ قرر أحد خبراء الخطوط ان اغلب خطابات التهديد التي قدمت بخط جورج ، وان كاتبها كان محتاطا جدا في تغيير طريقته في الكتابة .. كما استغل الاتهام أن أحد تلك الخطابات على مطبوعات المكتب الذي يعمل فيه المتهم .

ثم تكلم الاتهام طويلا عن البقع التي لوثت جاكتة المتهم والحذاء المبتل وآثار الاقدام .

والواقع ان كل ما استطاع الاتهام ان يتقدم به شبهات لا تصل الى مرتبة القرائن وهي أبعد ما تكون عن الأدلة .

ووقف جورج المسكين في منصة الشهود ـ اذ كان القانون قد تغير في انكلترا وأباح للمتهم ـ ان اراد ـ ان يقسم اليمين ويشهد لصالح نفسه ـ . وقف جورج لا يكاد لقصر نظره يرى القاضي ولا المحلفين ولا الشهود ـ زائغ البصر بارز العينين وسط اناس يكرهونه لمجرد انه يختلف عنهم بشرة، قد وطدوا العزم من البداية على انه جاء ليكذب في أقواله .

أكد جورج ـ بعد أن اقسم اليمين ـ أنه كان يرتدي بذلة زرقاء ـ في ليلة الحادث ـ غير التي عثر عليها البوليس ، وأنه ترك المنزل في الساعة الثامنة وعاد في التاسعة والنصف وتناول عشاءه وآوى الى فراشه ولم يترك غرفته الا صباح الغد بعد أن تناول افطاره للذهاب الى محل عمله .

وشهدت اخته وخادمة الابرشية على صحة أقواله . وأيده أبوه وأكد انه يستحيل عليه ان يغادر الغرفة دون أن يشعر به فقد أغلق باب غرفة النوم بنفسه .

وأكثر من ذلك ثبت أن جورج كان بمدينة أخرى في الوقت الذي ألقى في صندوق البريد في مدينتين بعيدتين خطابا تهديد .

ان واحدة من هذه الشهادات كانت تكفي لاضعاف الاتهام . ولكن التحامل العنصري كان أقوى من ذلك كله . فالقاضي يلخص القضية بما يدين جورج . والمحلفون لا يطلبون الا دقائق معدودة ليعودوا بقرار الادانة .

وصدر الحكم بالسجن تسع سنين .

واعتزل القس ايدالجي الكنيسة والابرشية ولم يعد في مقدوره أن يصمد للاضطهاد بعد أن تحمله أكثر من ربع قرن .

وبينما جورج في السجن استمرت حوادث قتل الماشية لمدة ستة أشهر .. ثم توقفت فجأة .

وحدث هذا التوقف مباشرة بعد القبض على شخص يدعى فاريتجتون والحكم عليه في قضية أخرى .

ولكن البوليس ـ في تحامله ـ اعتقد أن تلك مجرد مصادفة ولم يتخذ أية خطوات ايجابية .

وكان يمكن أن يستمر جورج في السجن لحين انتهاء مدة العقوبة المحكوم بها عليه لولا أن الظلم الذي وقع عليه أقلق ضمائر بعض الناس من الانجليز الذين اعتقدوا أن القضاء والمحلفين تجاهلوا الحقيقة وأدانوا جورج ظلما وعدوانا .

★ ★ ★

تقدم أحد رؤساء القضاء السابقين بعريضة موقع عليها من عشرة آلاف شخص منهم المحامون ورجال القضاء وأساتذة الجامعات ومشاهير الكتاب وبدأوا يكتبون المقالات في الصحف يظهرون فيها نقط الضعف في الحكم .

وعهدت جريدة الديلي تلغراف الى الكاتب المشهور ، آرثر كونان دويل ـ خالق شخصية شرلوك هولمز ـ باجراء تحقيق جديد للحادث .

وقد قام « شرلوك هولمز » بهذا التحقيق بدقته المعروفة واستنتاجاته التي لا تخطىء ، ونشر تقريره في عددين متتاليين من الجريدة ، ثم في كتاب ، وانتهى في تقريره ليس فقط الى أن التهمة لم تثبت على جورج ـ بل انه برىء منها كل البراءة .

وأيد قوله بتقرير من طبيب عيون أكد فيه أن بعيني جورج قصر نظر شديدا وانحرافا نظريا :

يجعل من الصعب عليه في جميع الأوقات أن يرى الأشياء على مسافة تزيد على بضعة بوصات . ويعجزه ـ في الغسق ـ أن يتبين طريقه الا في الأمكنة المعروفة له .

وانه كان يتعين على جورج ليرتكب الجرائم المنسوبة اليه ـ في الأمكنة التي وقعت فيها ـ ـ أن يخترق ـ في ظلام الليل قضبان السكك الحديدية وأراضي زراعية وأن يرى حصانا أدكن الجلد في ظلام دامس ، وهو أمر مستحيل ، فحالة نظره ـ وحدها ـ قاطعة ببراءته .

ولكن « شرلوك هولمز » لم يقف عند هذا الحد فقال في تقريره : اننا اذا افترضنا أن رجل الدين المحترم اشترك مع ابنه وتركه في الليل يتسلل لارتكاب جريمة حمقاء لا يقرها دين ولا خلق .. فأين كان البوليس الذي حاصر الابرشية وكيف لم يره في ذهابه وايابه ؟

ولم يقف التقرير عند هذا الحد بل وضع أصبعه على الفاعل الحقيقي ـ وان لم يسمه علنا على صفحات الجريدة أو في كتابه ـ ولكنه أبلغ أمره للبوليس ـ وأشار اليه تلميحا واضحا . فقال :

« انه أحد سكان القرية ـ مجرم اعتاد الاجرام ـ تمرن على قتل الماشية في سلخانة المدينة ـ وتخصص في الجزارة ـ غير متكامل القوى العقلية ـ سبق له كتابة خطابات مجهولة ـ وعرض ذات مرة سكينا ذات حدين قال أن قتل الحيوانات يتم بمثلها . وان قتل الماشية وارسال الخطابات المجهولة كان دائما يتوقف في الفترات التي يكون فيها ذلك الرجل محبوسا أو غائبا » .

وختم تقريره بقوله : « ان اتهام جورج والحكم عليه كان خطأ فاحشا سببه تحامل البوليس وغباء وتحيز المحلفين » .

ولم يكن وزير الداخلية يستطيع أن يقف مكتوف الأيدي أمام هذا الاتهام الصريح لرجال البوليس ولا كان يستطيع أن يترك جورج في السجن بعد ظهور براءته .

فلجأ الى الحلول الوسطى التي اعتاد الانجليز اللجوء اليها في مثل هذه الأحوال .

نشر النائب العام تقريرا قال فيه انه لا وجه لمحاكمة الشخص الذي اتهمه كانون دويل .

وأعلن وزير الداخلية أن البوليس كان حسن النية . واستنكر الاتهامات التي وجهها له كانون دويل ، ثم رأى ـ أمام الشكوك الكثيرة التي أحاطت بصحة الحكم ـ الغاء العقوبة واخلاء سبيل المتهم .

وأعادت نقابة وكلاء القضايا الى الجدول اسم جورج ايدالجي بعد أن كانت قد شطبته .

ولكن جورج لم يعوض عما تحمله من ظلم واضطهاد وعذاب .

فقرر أن لا يعود الى القرية التي سامته كل ذلك الهوان . ■■

حسن الجداوي

نقد كتاب الشهر

اكتشاف جزيرة العرب

لجاكلين بيرين

بقلم الدكتور محمود السمره

■ ان كتابا يؤرخ لاكتشاف جزيرة العرب لهو كتاب مغر بالقراءة ، لأن هذا الموضوع يستهوى الدارسين والراغبين في الاطلاع على السواء . وهذا الكتاب الذى نقدمه وضعته الباحثة الفرنسية جاكلين بيرين ، وترجمه ترجمة جيدة الاستاذ قدرى قلعجي ، وقدم له الاستاذ حمد الجاسر (وليس أحمد الجاسر كما هو مكتوب على دفتي الكتاب في كل من عنوان الكتاب والتعريف به) .

وهذا الكتاب في خمسة أجزاء هي :
رفع الستار ؛ رواد مصادفة ؛ مولد الريادة ؛ العربية القفراء والعربية البتراء ؛ العربية السعيدة .

وفي هذا الكتاب جهد باد تشكر عليه المؤلفة ، وبعد عن الرومانسية ، كما أن في بعض أجزائه تحليلا واعيا . وكنا نود لو ان الاستاذ قلعجي زاد القارىء تعريفا بالمؤلفة ، ولكنه وقف عند حد نقل النص .

هـذا الكتـاب

وقبل أن أعرض لفصول الكتاب ، أحب ان أشير الى ملاحظات عامة على الكتاب بدت لي اثناء قراءته :

اما اولى هذه الملاحظات فهي انني احسست من أول الكتاب الى آخره وكأنني اركض ركضا في رحلة سريعة همّ صاحبتها الأولّ أن تنهيها . وهذا منتظر من كتاب في مثل هذا الحجم المتوسط ، يحاول ان يؤرخ لموضوع واسع متشعب . وخير فصول الكتاب هو الفصل الذى "أفرد" للرحالة الشهير نيبور .

وقد أهملت المؤلفة امتع فصل في اكتشاف جزيرة العرب ، وهو اكتشاف الربع الخالي . ولهذا يبدو هذا الكتاب ، للعارف بالموضوع ، مبتورا . وكنا ننتظر من المؤلفة أن تكمل قصة هذا الاكتشاف الى آخرها فتقف عند رواد الربع الخالى ، وتحلل كتبهم ، وتوازن بينها .

ولم تهمل المؤلفة اطرف فصل في قصة هذا الاكتشاف فقط ، بل انها أيضا اهملت اطرف

الرحالة نيبور يتحدث عن



هؤلاء الرحالين جميعا وهو ريتشارد بيرتون Burton (١٨٢١ ـ ١٨٩٠) مترجم « الف ليلة وليلة » ومؤلف « الحج الى المدينة ومكة » ، مما يجعلنا نميل الى الشك في أن جنسيتها هي السبب في هذا الاهمال .

هذا من حيث الكتاب .

هــذه الترجمــة

اما الترجمة فلغتها عربية ناصعة ، ولكن لي عليها ملاحظتان :

أولاهما : أن جميع الاسماء الافرنجية قد أوردها المترجم مكتوبة بالعربية ، وكان من من المستحسن كتابة الاسماء الشهيرة بالحروف اللاتينية عند ورودها لأول مرة ، او وضع ثبت بها في آخر الكتاب مرتّبا ترتيبا ابجديا .

وثانيتهما : (وهي الاهم) ان المترجم وضع لأسماء الرُوّاد الكبار المعروفين ترجمة بعيدة عن اسمائهم الحقيقية ، بحيث أن المرء لا يكاد يتعرف عليهم . ولعل السبب في هذا هو ان المترجم ظن ان هذه الاسماء تلفظ كما تكتب . وعلى سبيل المثال نجد أن :

دي خويْه أصبح دي كوجه (ص ٦) (١) Goje

بْلِيني اصبح بلين (ص ٢٤) Pliny

دُوتي اصبح دوغتي (ص ٢٠٦) Daughty

بلَنْت اصبح بلونت (ص ٢٠٦) Blunt

زفيمَر اصبح زويمر (ص ٢١٦) Zweimer(٢)

سنوك هرخرونيه أصبح سنوك هورغرونيج (ص ٤٠٣) (١) Hurgronje

وهَجَر المشهورة ، وهي الحسا ، كتبت مسكّنة الجيم (هَجْر) ص ١٦٥ ، والمثل العربي الشهير يقول : « كناقل التمر الى هَجَر » .

بداية القصــة

ونعود الى القصة من اولها :

كان كل ما يعرفه الاوروبيون عن جزيرة العرب ان الرسول الكريم ولد بها ، وفيها المدينتان المقدستان عند المسلمين ، مكة والمدينة . وكان يسود بينهم اعتقاد خاطىء بأن جثمان النبي الكريم معلق في الهواء .

وفي أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر بدأ الاوروبيون يفكرون في اكتشاف مناطق جديدة تكون مركزا لنفوذهم ، وأسواقا لتجارتهم ، ومصدرا لاثرائهم . وكانت اولى الدول

(١) حرف G بالهولندية يلفظ خاءً ، وحرف J يلفظ ياءً . (٢) حرف W بالالمانية يلفظ ف.

التي سيرت رجالاتها لاكتشاف المناطق المجهولة ، هي البرتغال .

ومن الأسباب التي وجهت انظار الدول الأوروبية الى جزيرة العرب ، ما ورد من ذكر لها في كتب هيرودوتس ، مؤرخ القرن الخامس قبل الميلاد ، وثيوفراست تلميذ ارسطو الذي تحدث حديثا شيقا عن طيوب بلاد العرب الشهيرة في كتابه « تاريخ النبات » ، والجغرافي اليوناني سترابون (حوالي مستهل القرن الأول للميلاد) ، والمؤرخ الروماني بليني في القرن الثاني للميلاد الذي وضع لوائح باسماء القبائل والمدن والقرى الموجودة في وسط شبه جزيرة العرب .

ولكن كل ما كتبه هؤلاء الكتاب لم يكن كافيا لاماطة اللثام عن حقيقة شبه جزيرة العرب ، وان كان كافيا لاثارة همة الدول لاكتشاف ما خفي منها . وهناك سبب آخر لاهتمام الدول الأوروبية باكتشاف جزيرة العرب ، ذلك هو توقهم للوصول الى الهند .

أول الرواد الثقات : دي فارتيما

وأول رواد جزيرة العرب من الثقات هو لودفيكو دي فارتيما : فهذا الرحالة يبدو لنا صادق الرواية ، موضوعيا الى حد ما . وما زال المؤرخون مختلفين في اصل دي فارتيما حتى الآن : فبعضهم يقول انه بولوني ، وآخرون يقولون انه روماني . ولكن المهم عندنا ليس اصله بل رحلته التي تعاقبت طبعاتها وترجماتها خلال ثلاثين عاما دون انقطاع : فقد غادر دي فارتيما البندقية سنة ١٧٠٢ فبلغ القاهرة ، فبيروت ، فحلب، فدمشق، حيث اقام مدة تعلم فيها العربية . ثم صحب قافلة متجهة الى المدينة .

ويذكر دي فارتيما ان القافلة بلغت وادي سدوم وعمورة بعد مسير اثنين وعشرين يوما « ومن الواضح ان ذلك ليس صحيحا لأن هاتين المدينتين تقعان على شاطىء البحر الميت ... اننا نظن ، اذا اخذنا بعين الاعتبار ايام السير المذكورة ، ان المدينتين الواقعتين في ثلاثة اخماس المسافة ما بين دمشق والمدينة ، لا يمكن ان تكونا سوى مدائن صالح والعلا . وقد مر بهما دي فارتيما متوهما انهما سدوم وعمورة . »

واخيرا بلغ دي فارتيما المدينة، وكان له الفضل في تصحيح الاعتقاد الشائع في اوروبا من ان جثمان النبي معلق في الفضاء في البيت الحرام بمكة . وذكر في رحلته انه قد رأى بالفعل قبر النبي في المدينة . وقد اجاد دي فارتيما في وصف الشعائر التي تمارس في مكة ، واعجب بالمدينة المقدسة المحاطة بالجبال .

وسار دي فارتيما جنوبا فمر بلحج ، وظفار ، وتعز . وهو يذكر اماكن اخرى مر بها ، ولكن يصعب علينا الآن تَبَيُّنها . وهو في وصفه لما صادف في رحلته من متاعب ، وكابد من مشاق ، وجابه من اخطار ، ينقل لنا تجربة حية .

واخيرا استطاع ان يركب سفينة الى سقطرة ، ومنها الى الهند ، حيث كان فاسكو دي جاما قد نجح في الدوران حو رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٩ بمساعدة الملاح العربي الشهير شهاب الدين احمد بن ماجد .

ومع السفن البرتغالية عاد دي فارتيما الى لشبونة ، ومنها الى روما . وفي ايطاليا اثابته جامعة البندقية على روايته المدهشة المليئة بالأحداث ، وحظِيَ برعاية كولونا وسفورزا ، وأسبغ عليه الكاردينال كارفاجال حمايته ، وهذا الكاردينال هو الذي موّل ترجمة هذه الرحلة الى اللاتينية .

وخاتمة حياة دي فارتيما مجهولة كأصله ، والأرجح انه توفي بين ١٥١٢ و ١٥١٧ . وميزة دي فارتيما انه قد ترك وصفا صحيحا ، وان كان مقتضبا ، للأماكن التي زارها في شبه جزيرة العرب ، كما انه ترك لنا خريطة تظهر فيها شبه جزيرة العرب ممدودة عرضا في الجهة الجنوبية .

البرتغاليون يفشلون في النفوذ الى قلب جزيرة العرب

واذا كان البرتغاليون قد استطاعوا ان يسيطروا على شواطىء شبه جزيرة العرب الجنوبية ، فانهم

قد فشلوا في النفوذ الى الداخل ، وارتدت سفنهم مدحورة من امام عدن وجدة . وكانت غايتهم من السيطرة على الداخل ان يؤمّنوا الطريق البرى الى الهند ايضا، كما انهم كانوا يحلمون بالاستيلاء على جثمان النبي الكريم في المدينة ، ليطلبوا عندها تسليمهم كنيسة القيامة فدية له (٣) .

ولكنهم يرسلون عيونهم

ولما لم يستطع البرتغاليون النفوذ الى الداخل، اخذوا يرسلون رجالهم ليعودوا لهم بحقيقة الأحوال . ومن اشهر هؤلاء الموفدين دى الميدا المؤرخ اليسوعي الذى قام برحلته عام ١٦٣٢ ، واكوادرا الذى تمكن من اماطة اللثام عن طبيعة شمال بلاد العرب الصحراوى، وعن وجود صحراء النفود التى ضل فيها السبيل .

رحلة من نسج الخيـال

ولكن القصة التى اكتسبت ، في هذه الفترة التاريخية ، اكبر قسط من الشهرة هي « قصة الرحلات الشهيرة التى قام بها السيد فنسان لبلان من الثانية عشرة حتى الستين من عمره ، الى أقطار العالم الأربعة».وظهرت من هذه الرحلة ثلاث طبعات في باريس ما بين سنتي ١٦٤٨ و ١٦٥٨ . وترجمت الى الانجليزية سنة ١٦٦٠ .

ولكن هل هذه رحلات قام بها صاحبها فعلا ، أم انها من نسج الخيال ؟

ان ما جاء في هذه الرحلات عن بلاد العرب كثير منه من نسج الخيال وبعيد عن الواقع. والدراسة المتانية تظهر لنا ان فنسان لبلان ليس سوى بطل قصص خيالية ، فهو ليس بحارا ، وانما رائد من رواد المكتبات تمكن من جمع المعلومات من الكتب ، ثم قام بتنسيقها .

رواد مصـادفة

وفي الفترة الواقعة ما بين عام ١٦٠٤ وعام ١٧٢٩ ترك لنا رواد صغار، هم من رواد المصادفة، اخبار رحلاتهم الى شبه جزيرة العرب .

واولهم هو فايلدن من مواليد نورمبرغ الذى اسره الاتراك واقتادوه الى القسطنطينية . ثم اخذه سيده معه الى مكة والمدينة لاداء فريضة الحج سنة ١٦٠٤ ، وبعد ذلك اعتقه ، ظنا منه انه قد حسن اسلامه .

وثانيهم شاب انجليزى يدعى ديكستر ، اخذ اسيرا في الجزائر سنة ١٦٧٨ ، وهو في سن الخامسة عشرة فاسلم ، وقام برفقة سيده بالحج الى مكة والمدينة . ثم تمكن من الفرار . ونشر قصة رحلته في بلاد الانجليز سنة ١٧٠٤ ، وهي قصة يصحح بها بعض الاخطاء والمبالغات الموجودة في الكتب المعاصرة له . واروع ما في رحلة ديكستر وصفه للقافلة واعدادها .

وثالثهم هو عبد الكريم ، احد نبلاء كشمير ، الذى ترك لنا قصة حجه من بغداد الى مكة مع قافلة دمشق ، قبيل منتصف القرن الثامن عشر . ولكن رحلته ، كما كتبها تبدو لنا ضعيفة جدا من ناحية المعلومات التى تتضمنها .

ونستطيع ان نقول بايجاز انه في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ، كانت قد توفرت لدى الغربيين المعلومات الاساسية عن شبه جزيرة العرب : عن المدينتين المقدستين ، واليمن ، والبدو .

كما ان من الواضح ان دى فارتيما وحده كان ، حتى هذا التاريخ ، هو الرائد الثقة ، اما الآخرون فلم يكونوا سوى رواد مصادفة .

الريادة الحقيقية تبـدأ في القرن الثامن عشر

ومنذ القرن الثامن عشر بدأ في تاريخ الريادة

(٣) خير كتاب صدر من الصراع بين العرب والبرتغال في رأينا هو :
R. B. Serjeant : The Portugese off the South Arabian Seas

الى شبه جزيرة العرب ما يمكن ان يسمى بالريادة الحقيقية ، بكل ما في الكلمة من معنى . ورواد هذه الفترة اهدافهم متعددة متباينة : فبعضهم اغراضهم سياسية ، وبعضهم الآخر هم من عشاق المغامرات .



نيبور : النموذج الكامل للرائد ذي النزعة الانسانية

واشهر هؤلاء الرواد هو كارستن نيبور .

ونيبور هو النموذج الكامل للرائد العالم ذي النزعة الانسانية . ونيبور مهندس ، وكان عضوا في البعثة العلمية التي ارسلها ملك الدانيمرك سنة ١٧٦٢ لارتياد الجزيرة العربية . وقد وكل اليه الملك تدوين المعلومات الجغرافية . وقد توفي جميع افراد البعثة بسبب الاجهاد ، ولم ينج منهم سوى نيبور .

وقد نشرت قصة رحلات نيبور باللغة الالمانية سنة ١٧٧٢ ، وباللغة الفرنسية سنة ١٧٧٣ ثم في سنة ١٧٧٩ ، وظهرت ترجمتها الانجليزية سنة ١٧٩٢ . وظهرت منها طبعة نهائية منقحة بالالمانية سنة ١٨٣٧ .

وميزة نيبور انه كان يغربل المعلومات التي يحصل عليها بعقله النقاد . وعندما لا يتمكن من التثبت من صحة رواية ما ، كان ينقلها على علاتها ، مذكّرا القارىء بانه انما يتركها له ليحكم عليها .

والقارىء لرحلة نيبور يطّلع على الكثير من شؤون العرب ، وطبقاتهم الاجتماعية ، وانسابهم، ومذاهبهم ، وفرقهم . ويطلع ايضا على عاداتهم في المأكل والمسكن ، والملبس ، والزواج ... وعلى سِيَر الشعراء والخطباء ذوي الشأن .. ويحصل على معلومات عن المدارس القرآنية .. ، والفلك ، والسحر ، والتنجيم ، وعادات الدراويش ، والطب ، والامراض ...

واهتم نيبور كذلك بوضع لائحة مقارنة بين انواع الخطوط العربية . وجَهِدَ في اظهار جميع الكتابات التي شاهدها على الحجارة ، بالخط الكوفي ، وكذلك فعل بالنسبة للنقود .

ولم يستطع نيبور أن يرسم خريطة كاملة لشبه جزيرة العرب لانه لم يستطع ان يتجول فيها كلها، ولكنه رسم خرائط بكل منطقة زارها ، وبهذا صحّح كثيرا من المعلومات السابقة .

اما اليمن فقد عرفها اكثر من كل الرواد الذين سبقوه : فقد اظهرها بمناطقها المزروعة، والفقيرة، واسواقها ، وقلاعها ، وقراها الزراعية .

وذكر كل شيء عن حضرموت ، وعشائر البدو فيها ، ومدنها ، وبخورها ، وتجارتها .

وفي عمان لم ير الا مسقط ، ولكنه يذكر انه سمع ان جبالها غنية بانواع الفواكه ، وأن كميات كبيرة من التمور تصدّر وأن بحرها غني بالاسماك .

نيبور يتحدث عن عروبة الخليج

وفي حديثه عن الخليج العربي يعرض للهولنديين ، وصراعهم مع الفرس ، ويذكر الكويت فيقول :

« الكويت او القرين كما يسميها الاعجام والاوروبيون ، ميناء بحري يبعد مسيرة ثلاثة ايام من بلدة الزبير ، او البصرة القديمة ، يعيش



ريتشارد برتون : الرحالة العجيب الذي دخل مكة والمدينة بعد أن نفض عنه الثياب الاوربية ..

سكانها على صيد اللؤلؤ والاسماك ويقال انهم يستخدمون في صيد هذين الصنفين البحريين ما ينيف على الثمانمائة قارب . وتكاد هذه البلدة تقفر من السكان في الاشهر اللائمة من السنة لخروج الجميع اما للصيد او الاتجار » .

ويتحدث عن عروبة الخليج فيقول :

« لقد اخطأ جغرافيونا ، على ما اعتقد ، حين صوروا لنا جزءا من الجزيرة العربية خاضعا لحكم الفرس ، لان العرب هم الذين يمتلكون ، خلافا لذلك ، جميع السواحل البحرية للامبراطورية الفارسية من مصب الفرات الى مصب الاندوس على وجه التقريب .

صحيح ان المستعمرات الواقعة على السواحل الفارسية لا تخص الجزيرة العربية ذاتها ، ولكن بالنظر الى انها مستقلة عن بلاد الفرس ، وأن لاهلها لسان العرب وعاداتهم ، فقد عنيت بايراد نبذة موجزة عنهم ...

ويستحيل تحديد الوقت الذي انشأ فيه العرب هذه المستعمرات على هذا الساحل ، وقد جاء في السير القديمة انهم انشأوها منذ عدة عصور سلفت . واذا استعنا باللمحات القليلة التي وردت في التاريخ القديم ، امكن التخمين بأن هذه المستعمرات العربية نشأت في عهد اول ملوك فارس ... »

ثم يتحدث نيبور باسهاب عن العشائر والاقوام العربية التي تقطن الساحل الفارسي للخليج . وفي الفصل الذي افرده لنجد نلمس فطنة نيبور ، وامانته العلمية في حديثه عن محمد بن عبدالوهاب، الذي كان ما يزال حيا عندما زار نيبور منطقة الخليج العربي .

قلب الجزيرة المجهول

ومنذ رحلة نيبور اصبح الجزء الجنوبي من شبه جزيرة العرب معروفا اكثر ، على كل حال ، من وسطها الذي لم يكن اى اوروبي قد اجتازه بعد . وعلى هذا الجزء سيتركز اهتمام الغربيين خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر .

ولعل مما قوى اهتمام الغربيين بشبه الجزيرة العربية في هذه الفترة حملة نابليون التي برهنت للغرب ما لهذه المنطقة من اهمية سياسية . وتتحدث المؤلفة هنا عن رحلة بركهارت (توفي سنة ١٨١٧) مكتشف البتراء ، ولكن هذا الرحالة الفذ لم ينل ما يستحقه هنا ، وخاصة اذا تذكرنا الفصل الممتع الذي كتبه عنه الان مورهيد في كتابه « النيل الأزرق » (٤)

ريتشارد بيرتون

ومن اشهر رواد قلب جزيرة العرب الرحالة الانجليزي ريتشارد بيرتون .

وريتشارد بيرتون ، الذي نسيته المؤلفة ، اعجوبة من الاعاجيب : فقد كان يتقن لغات عدة ، بالاضافة الى كثير من اللهجات المحلية المعروفة في الشرق الاوسط والاقصى . ولكنه كان دوما يقول : « العربية هي لغتي الام » . وقد جعلت منه اخبار رحلاته ومغامراته رجلا اسطوريا . وهو فوق هذا كاتب مبرز ، ترك عند وفاته اكثر من ثمانين كتابا يصف فيها رحلاته ، وما لقي من اخطار .

ومن رحلاته التي خلدته رحلته الى مكة

(٤) Allan Moorehead : The Blue Nile.

والمدينة ، وكشفه عن اسرار قلب جزيرة العرب : فقد نفى عنه ثيابه الأوروبية ، واستبدلها بملابس مسلم افغاني في طريقه لأداء فريضة الحج ، وتسمى باسم الحاج عبد الله . وقد وصف لنا بيرتون بدقة رحلته هذه في كتاب ممتع في جزاين ضخمين هو « الحج الى المدينة ومكة » (١٨٥٥ ـ ١٨٥٦) .

ونحن اذ نقرأ عند بيركهارت ما استولى عليه من رعب وفزع في رحلته ، نحيا مع بيرتون في شجاعته الفائقة . وعندما نُشِرَ هذا الكتاب جلب له شهرة فائقة ، وجعل اسمه على الألسنة. ولقد رضي المسلمون عما كتب ، لأنه في كتابه هذا يبدو مسلما مؤمنا ، وصوفيا من كبار مشايخ الصوفية ، وحاجا معتزا بعمته الخضراء . ويقول بيرتون انه لم يشعر بغربة ابدا في رحلته هذه « فأنا عربي في ملامحي ، ومظهري ، واحاسيسي .. واللغة العربية هي لغتي » .

افاق" يشتهر

ومن قلب جزيرة العرب كانت منطقة جبل شمر ما تزال مجهولة ، وقد قام باكتشافها عدة رو"اد ، ولكن شهرة اكتشافها كانت من نصيب بلفريف الذي احدث كتابه دويا ، اذ" عند ما صدر كتابه «قصة رحلة الى العربية الوسطى استغرقت سنة» سنة ١٨٦٥ قيل عنه انه اعظم كتاب وضع عن شبه الجزيرة العربية ، وقد ترجم بعد ذلك الى الفرنسية ، ثم الى الألمانية . ولا شك في ان قصة رحلة بلفريف تستطيع ان تنافس اشهر الروايات، وهي رحلة بدأت في السادس عشر من شهر يونية (حزيران) من عام ١٨٦١ ، وعند باب مدينة معان ، حيث كان بلفريف ينتظر أدلاءه من البدو .

وقد منحتهالجمعية الجغرافية الفرنسية وساما على ما قام به من عمل باهر ، وعندما اصغت الى رحلته الجمعية الجغرافية الملكية في لندن اهتمت بملاحظاته المثيرة ، وبدأت تشك في دقة كاتبها ، وتتساءل : هذا صحيح ، ولكن الى اى حد ؟

واستطاع رواد آخرون هم اللورد والليدى بلنت Blunt ، والرائد الشهير دوتي Dauyhty ان يجتازوا شمالي شبه الجزيرة ، ويثبتوا كذب بلفريف . كما ان فيلبي وضع وصفا مفصلا لهذه المنطقة في كتابه « قلب الجزيرة العربية » الذى اصدره عام ١٩١١ ، وقدم تقريرا للجمعية الجغرافية الملكية سنة ١٩٤٧ . وفي هذه كلها اثبت أن بلفريف لا يمكن أن يكون قد قام برحلته التى ادعى انه قام بها من حائل الى الخليج العربي ، لأنه يؤكد اشياء تبرهن بوضوح على انه لم ير ما تحدث عنه .

والحقيقة أن بلفريف شخصية تافهة ، استطاع ببهلوانيته أن يكتسب شهرة لفترة من الزمن : فهو نصف يهودى ، ونصف انجليزى ، نشأ بروتستانتيا ، ثم اعتنق الكثلكة ، والتحق بالنظمة اليسوعية ، ثم تنكر للكثلكة ، وعاد الى البروتستانتية ، موجها للكنيسة الكاثوليكية هجوما عنيفا ! .

هذا طرف من هذه القصة الطريفة المثيرة ، قصة اكتشاف جزيرة العرب ، اذن" قرءاتها في هذا الكتاب احسست وكأنك تشاهد فلما متلاحق الاحداث دون تركيز . اما المتعة الحقة فتكون بقراءة ما خلفه اولئك الرواد من سياسيين ومغامرين . وانا لنرجو ان يأتي من يروى اكثر فصول هذه القصة الثارة ، قصة اكتشاف الربع الخالى ، ابتداء من بيرترام سدني توماس (٥) وسانت جون فيلبي (٦) ، وانتهاء بولفريد تاسيجر Thessiger صاحب «الرمال العربية»(٧) والذى قال فيه فيلبي « انه خيرنا جميعا » . ولتاسيجر هذا صدر قبل شهرين كتاب عن منطقة الاهوار في العراق ، كان نتيجة اقامته في هذه المنطقة مدة سبع سنوات (٨) . ■■

محمود السمرة

(٥) كتاباه هما : « فزع ورحلات في بلاد العرب» (١٩٣١) و « بلاد العرب السعيدة » (١٩٣١) .

(٦) كتابه « الربع الخالي » (١٩٢٣) .

(٧) Wlfred Thessiger : Arabian Sands.

(٨) The Marsh Arabs



من الكتب التي وصلتنا

فن قيادة الشباب

دورثي روبرتس . ترجمة اسماعيل صفوت . مؤسسة فرنكلين ومكتبة نهضة مصر .

● يتعرض هذا الكتاب لمشاكل المراهقين ، ويناقش جوانبها المختلفة مناقشة تتسم بالصراحة والوضوح .

فقد البصر قدرة لا عجز

ماكبين وود . ترجمة الدكتور فاروق احمد حسنى . مؤسسة فرنكلين والخانجي .

● « هذا الكتيب على صغر حجمه ، قد تناول نواحى كثيرة من هذا العجز البشرى ، مثل اسباب العمى ، الوراثية منها وغير الوراثية ، وتأثير بعض الامراض فى البصر ... »

محافظة حماة

مؤيد الكيلانى . وزارة الثقافة والارشاد القومى . دمشق .

● هذا الكتاب علاوة على كونه مرجعا موجزا ثقافيا وتاريخيا ، يشكل دليلا سياحيا الى الاماكن الأثرية ، وسجلا للامكانات الاقتصادية والعمرانية ، والطاقات البشرية والثقافية .

قصص ونقدات

حسنى فريز . المطبعة الوطنية عمان .

● « هذه بعض القصص وبعض النقدات رأيت ان أؤلف بينها ، واجعلها بين دفتي كتاب . » .

مي أديبة الشرق والعروبة

محمد عبد الغنى حسن . عالم الكتب . القاهرة .

● دراسة عن مي فيها : دراسات وملامح ، احاديث عن مي ، منتخبات من مي .

فن التقطيع الشعرى والقافية

الجزء الثانى : الدكتور صفاء خلوصى . مطبعة المعارف . بغداد .

● من موضوعات الكتاب : القافية واهميتها فى الشعر ، انواع القافية حسب حركاتها ، انواع القافية حسب حروفها ، تحليل تخطيطى لأجزاء القافية ...

قصة الذرة

وجيه السمان . وزارة الثقافة والارشاد القومى . دمشق .

● « ان هدفي من تأليف هذا الكتاب هو سرد تاريخ الذرة ، وتطور مفهومها ، والاكتشافات التى حدثت فى نطاقها ، وذكر تطبيقاتها المختلفة » .

مختارات من القصص البرازيلي

ترجمة نخلة ورد . وزارة الثقافة والارشاد القومى . دمشق .

● مجموعة تضم قصصا لمشاهير الكتاب البرازيليين : شادو دى اسيس ، غراسليانو راموس ، جورج مدور ، مونتيرو لوباتو ، جورج امادو .

حياة الفنان فتحى محمد

الدكتور سليمان قطايه
وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ دمشق

● قصة فنان مثال اخترمه الموت ، وهو فى ريعان شبابه وعزمه وابداعه .

مشردة

كلثوم مالك عرابى . المكتب التجارى . بيروت

● مجموعة قصائد تموج بالصور والأحاسيس المعبرة عن ألم الغربة والضياع . ■■

أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

الطبيعة ... بعض خلق الله

● طالعت الاستطلاع الصحفى بشأن « مغارة جعيتا » وقد أعجبتنى صور التحقيق ومناظره الخلابة ، واثناء مطالعتي لاحظت أن الكاتب قد اعتبر المغارة من صنع الطبيعة ، وذلك اثناء استعراضه للصور الموجودة ، وفى اثناء التحقيق أورد كلمات تمجب ومفخرة لصنع الطبيعة ومنجزاتها على حد قول الكاتب وللدلالة على ذلك فقد أوردت مقاطع لاستطلاعه .

فقد قال فى بداية التحقيق وبعنوان بارز (معرض للفن عجيب .. لكنه من صنع الطبيعة) . ترى .... متى بدأت الطبيعة تصنع وتنجز ؟ .. لم " لم " تصنع الآن اذن .. وعبارة أخرى تقول (لوحة تبين سحر الطبيعة وجمالها فيما كونت وخلقت) . هل الطبيعة خالقة ، وكيف يتخلق من يخلق ؟ .. انها خلقت وقد أوجدها الله الخالق الكبير ، فكيف يمكنها أن تكون تكوّن وتخلق .

وجاء أيضا فى المقال (والصدفة وحدها هى التى أزاحت الستار عن مغارة جعيتا مفخرة منجزات الطبيعة) . وكذلك (لقد شكلت الطبيعة هذه البلورات الصافية على شكل مآذن أو شكل معابد .... الخ) . ولماذا لا تعتقد بوجود اله حقيقي كبير مدبر وليس الهة اسطورية ، ليخلق العجائب ويوجد ، كعجائب مغارة جعيتا مثلا ؟

حكم الله فى الخمر ..

● اطلعت على مقالكم عن حكم الله فى الخمر بالعدد السبعين ، وحيث انى رئيس قسم الطبخ فى فندق كبير ، والطبخ كثيرا ما تدخله مادة الخمر ، حسب عادات الاجانب الذين يرتادون هذا الفندق .. وبما انى مضطر لذوق الطبيخ مع انى مسلم ، أحب الوقوف عند حدود الله تعالى ، فأرجو أن تفيدونى من حكم الشرع بهذا الخصوص :

١ ـ هل يجوز لى أن أذوق ما طبخ بالخمر .. ؟

٢ ـ هل صحيح ان الخمر اذا طبخت وغليت اصبحت فاقدة مادة الاسكار ؟ .. وجاز للمسلم تناول ما هو مطبوخ بها ؟

لقد أورد الكاتب الكثير من ذكر الطبيعةولم يقل كلمة واحدة عن خالق الطبيعة ومدبرها .

فهل لي أن أرجو ملاحظة هذه الاشياء ،وأن لا تنزلق مجلتنا المحبوبة « العربى » التى تعبر عن وجه العروبة الناصع واشراقة الاسلام المجيد مثل هذا المنزلق . كما أرجو أن تبينوا فى مقال ما هي الطبيعة والنظرة الفلسفية لها وهل هى الخالقة المدبرة ؟ أم هو الله الاحد الصمد ؟

اسماعيل النعيمي
العراق

ـ فى حفل عشاء فى القاهرة ، منذ سنوات طويلة ، ضمت مائدة" الدكتور أحمد حسين سفير" مصر فى الولايات المتحدة ، وعينا من عيون اليمن ، اذ ذاك ، وآخرين . وقدم احدهم اذ ذاك أحمد حسين الى الحاضرين ،قال : انه دكتور فى الفلسفة . فما كان من العين اليمنى الا أن صاح : أعوذ بالله ، أعوذبالله .

وذلك ان هذا العين ، وهو لم يقرأ عن الفلسفة الا بعض ما جاء فى كتب العرب القديمة ، لم يفهم منها الا أنها جحود الله . والفلسفة اليوم بالطبع غير ذلك .

كذلك أنت يا سيدي المعترض على الطبيعة. قرأت القديم منها ، ولم تقرأ الحديث . والمؤمن بالله الحديث يرى السماء والارض ،رياحها ومطرها ، جبالها وزلازلها ، زرعها وماشيتها ، وكل دابة تدب عليها ، مما ينفعومما يضر ، فيسمى كل هذا الذى يرى « الطبيعة » . ولا يتعارض هذا مع ايمانه بالله . لأن الذى عنده ان الله خالق الطبيعة. وهذا اسلوب جرى عليه الاحدثون جميعا .ولو انا ذكرنا الله كلما ذكرنا عملا من أعمال خلقه لاقحمنا اسمه الكريم فيما يمجه الذوق السليم . وقد تقول الطبيعة تهلك الزرع ، والطبيعة تبث المرض ، والطبيعة تسهل الامعاء او تمسكها . وتتجمل فلا تقول الله .

ويطمئنك اذ تقول ان بابوات روما تشير الى الطبيعة وتذكرها ، وليس عندهم بالطبع انكار الله . انه اسلوب لغة . ونحن كثيرا ما قلنا فى « العربى » الطبيعة ، وأردفنا بأنها بعض خلق الله .

فقل يا أخي معنا الطبيعة اسما لهذا الذىتشاهده من هذا الكون الذى لا يفتأ يتغير أحيانا فى دقيقة ، وأحيانا فى قرن أو قرون ،ولا تخش من ذلك معنى انكار وجود الله .

مع العلم بأن الخمر يعطى نكهة للأكل ولا يسكر .

خ ـ ش

بيروت ـ لبنان

ـ الجواب على أسئلتك ، على الارجح ، هو انه لا حرمة فيما تفعل، لسببين : الاول ان المقدار الذى يوضع من الروم أو نحوه على الطعام وسائر الحلوى لا يكون الا بمقادير صغيرة جدا ، القصد منها اعطاء الطعام نكهة طيبة ، ولا يقصد به الاسكار ، وما يمكن ... اما السبب الثانى فلأن هذا هو عملك الذى تعيش منه ، وأنت لا تتعاطى الخمر للسكر أو اللهو ...

ومثلك فى هذا كمثل من يتعاطى الخمر للتداوى .. والله أعلم .

هــل شخصية أشعب حقيقية أم خيالية ؟

● كثيرا ما نقرأ عن اشعب وطرائفه ، فهل هو شخصية حقيقية أم خيالية ؟ واذا كان شخصية حقيقية فمن هو ؟

المقدم رداد عاطف السالي
السعودية

ـ بل هو شخصية حقيقية ، ولد صاحبها في المدينة المنورة عام ٦٣١ م ، وعاش بها ، وكان مولى للخليفة عثمان بن عفان ، وقد عرف عنه حسن الصوت .. واشتهر بشدة الطمع ، وكثرة الطلب ، حتى ضرب به المثل فقيل : « اطمع من أشعب ! » .

ومما يذكر من طمعه انه مر برجل يصنع طبقا من قش ، فقال اشعب : « أحب ان تزيد فيه طوقا » .. فبهت الرجل وقال : « ولكن لمَ تطلب مني ذلك والطبق ليس لك ؟؟ » فقال أشعب : « .. عسى أن يُهدَى اليَّ فيه شيء ! ... » .

من هو قائل : انا ابن جلا .. ؟

■ أكون شاكرا لكم سلفا لو تفضلتم باجابتي من قائل هذه القصيدة ، وفي اي مناسبة قيلت ؟

انا ابن جـلا وطـلاع الثنايا
متى أضـع العمـامة تعرفوني

وماذا يقصد الشاعر بقوله : (انا ابن جلا) ..

الندوة ـ مكة المكرمة
فائق حكمي

ـ نشكرك يا أخ فائق على تحيتك الحارة وتهنئتك على بلوغ مجلة « العربي » هذا المستوى الرفيع في خدمة العروبة وتراثها المجيد .

اما قائل هذا البيت فهو سُحَيْم بن وثيل الرياحي ، وهو شاعر مخضرم عاش أربعين سنة في الجاهلية ، وستين سنة في الاسلام . وقد تمثل به الحجاج بن يوسف الثقفي في خطبته المشهورة في مسجد الكوفة عندما ولي حاكما على العراق .

ويقصد الشاعر بقوله « انا ابن جلا .. الخ » انه ابن رجل جلا الأمور وكشفها وارتقى كل صعب .

ســد مأرب

● هل لي أن أعرف شيئا عن سد مأرب : اين يقع ؟ أهو في اليمن أم في حضرموت ؟ وما هي قصته ؟

عبد الله عبد الرحمن الحميدان
السعودية

ـ سد مأرب هو السد الذي أقيم شرقي صنعاء في اليمن ، في القرن السادس الميلادي قرب مدينة مأرب ، عاصمة « سبا » أو « سبأ » . وقد اجتاحت السيول العارمة هذا السدّ بين عامي ٥٤٣م و ٥٧٠م فدمرته وزحفت على الارض المحيطة به فاغرقتها وذهبت بجناتها .

مــن القائل ؟

● لفت نظري ـ بينما كنت أطالع مقالا في احدى الجرائد اليومية ـ هذا البيت من الشعر الذي ختم به الكاتب مقالته :

ولست أبالي حين أُقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي

ترى ، من هو قائل هذا الشعر ، وفي أي عصر ؟!

محمد عبد الرحمن الشامس
الحسكة ـ سوريا

ـ هذا بيت قاله أحد الصحابة ، وهو خبيب ابن عَدِيّ ، اخرجه الرسول في سَرِيّة ، وأمَّر عليها عاصم بن ثابت ، وبينما هم بين مكة وسعفان علم بهم حيٌّ من هُذَيل يقال لهم بنو لحيان ، فخرجوا اليهم وتتبعوهم ، وأحاطوا بهم ، ثم أسروهم وقتلوهم واحدا بعد واحد . وكان من آخر من قتل منهم خبيب . فلما علم أن نهايته أوشكت قال لهم : دعوني أصلي ركعتين . وبعد صلاته قال لهم لوددت أن أزيد ، ولكن اخشى ان تقولوا اني انما اريد أن أزيد هلعا من الموت . ثم قال :

ولست أبالي حين أُقتل مسلما
على أيّ جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الاله ، وان يشأ
يبارِكْ على أوصال شِلْوٍ مُمَزَّعِ

والعجيب ان قاتل خبيب هذا أسلم من بعد ذلك وحسن اسلامه .

مظلات الهبوط مــن الطائرات ....؟

● من أى شيء تصنع المظلة التى يهبط بهـاالرجال من الطائرات الى الارض ، وكيف تمنعهم من السقوط ، وكيف يضمن الانسان أنها تنفتح عند اللزوم ؟

ـ ان هذه المظلة يمكن صناعتها من القطن ،ولكنها فى العادة تصنع من النيلون ، أو من الحرير الخفيف ، من فتائل طويلة منه لتعطى القماش القوة مع المرونة . ويترك الحرير خاما على أصله حتى لا يتحزز عند اللف فيتعسر انبساطه .

والمظلة لا تمنع الرجل من السقوط ، وكيف ،والفرض هو انما سقوطه الى الارض . ولكنها تقلل من سرعة هذا السقوط حتى لا يرتطم عند الارض بقوة فيموت . اما تقليلها لسرعة السقوط، فسببه امتلاؤها بالهواء وهي نازلة بالرجل .فالهواء ، برغم خفته ، كالماء ، يعارض دائما كل شيء يخترقه . تشعر أنت بذلك عندما تجرى بسرعة فتحس بالهواء الساكن ، وقد هب يحاول منعك والتقليـل من سرعتك . أو بمظلة المطـر تفتحها وترفعها الى أعلى ، وتتركها تهبط وأنت ماسك بمساكها نوعا ما ، فتجدها لا تهبط كمـا يهبط الحجر .

اما ضمان فتحها فسره فى الطريقة التى تنطوى بها المظلة . فهى تنطوى بحيث لا يمكن أن تختلط حبالها ، المربوطة بحافتها وجسم الرجل ، بعضها ببعض . وعند قمتها جهاز يفتحها غصبا عند انحلال رباطها ، وقطره نحو ٣ أقدام ، وبـه أضلاع وزنبركات من الفولاذ تنبسط الى الخارج بقوة عند انحلال الرباط فتفتح المظلة فتحا . أما المظلة ، وهي مطوية ، فيقوم بربطها وحزمها دبابيس طويلة قوية من الفولاذ المرن ، تضمهـا حلقة تكون عند الجانب الايسر من الرجل . فهذه هي الحلقة الرابطة .

والرجل يشـد هـذه الحلقـة فتنطلق بذلك الدبابيس الحازمة للمظلة ، فتنفتح أطراف المظلة على الفور . ويعقب ذلك عمل الجهاز الفولاذى الزنبركي فى قمة المظلة ، فتنبسط أضلاعه على النحو كما ذكرنا ، ويفتح المظلة فتحا فيملؤهـا الهواء الداخل اليها .

ردود سريعة

● المعذبة : ن.ح. ـ السالمية ـ الكويت .

ـ لا تدعى هـذه الوساوس تستبد بك .. واعقدى العزم من الآن على أن تجعلي زوجك ينسى بصحبتك ومحبتك ذلك التقليد الاعمى الذى درج أقرباؤه عليه .

● قارئة ـ من قطر :

ـ ان تركك لحقك دون أية مطالبة هو الغاية التى يرمي اليها عمك ، ذلك الذى يأكل مال اليتامى بغير حق ، دون أى وازع من دين أو ضمير .

● محمد عبد الرحمن السيطر ـ مكة المكرمة ـ السعودية .

ـ المهم أن تبدأ بالخطوة الاولى ، وسترى أن الامر ليس أبدا بتلك الصعوبة التى تصورها لك أوهامك . وقد قيل بحق : « رحلة الالف ميل تبدأ عادة بخطوة !.. » .

● احمد سعيد العليقى..عامدى ـ السعودية

الرضاعة لا تمنع من التزاوج اذا كانت دون خمس رضعات مشبعات متواليات عند الشافعية، وخمس عشرة رضعة كاملة عند الجعفرية . أما الرضعات المعدودات المتفرقات فلا تمنع من زواج.



بحكم الفطرة

جلس اثنان من اليهود يتحدثان عن النكت التي تنتشر في أرجاء العالم ، وبكل لغة ، عن حب اليهود للمال . فقال أحدهما : **« الحق ان هذا غبن فاحش لنا »** .

وقال الآخر : « لست ادرى لماذا يصر العالم كله — وعلى مر الاجيال — على تصويرنا وكاننا لا هم لنا فى الحياة سوى المال » .

قال الأول : « هل سمعت آخر نكتة فى هذا الصدد ؟ »

فاجاب الثاني : « كلا .. قلها ! »

وهنا قال الأول : « كم تدفع لأرويهالك ؟ »

لمن كانت المتاعب ؟

قال الصديق لصديقه : « اذن فقد ذهبت الى باريس ؟ .. هل سبب لك جهلك بالفرنسية اية متاعب ؟ »

— كلا .. الفرنسيون هم الذين عانوا المتاعب من ذلك !!

الصدق والنفاق

عرض لويس الرابع عشر بعض ابيات شعرية نظمها على شاعر من رجال حاشيته ، قائلا :

— ما رأيك فى هذا الشعر ؟

فتأمل الشاعر الابيات برهة ، ثم قال :

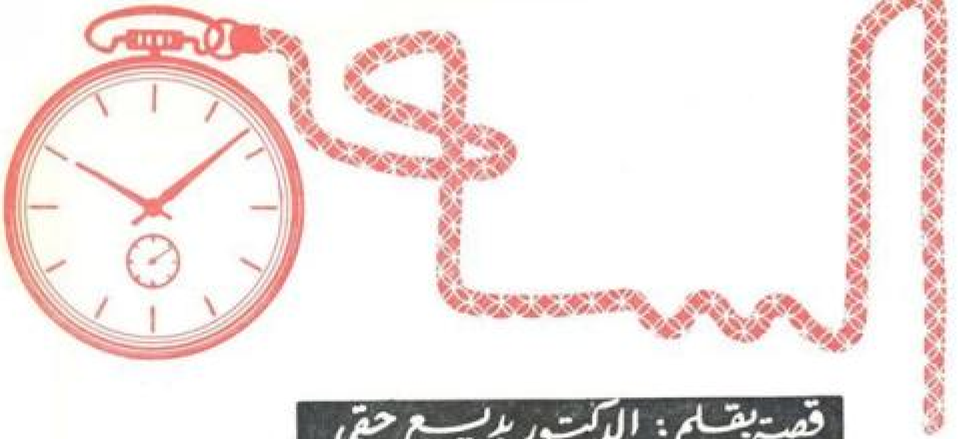
— ما من شيء يستعصى على جلالتكم .. فما احسبكم الا اردتم أن تنظموا ابياتا ركيكة لتسخروا من الشعر والشعراء ، فوفقتم كل التوفيق !



رد مناسب

قال الزوج لعروسه ، وهما فى جلسة شاعرية ، فى نهاية شهر العسل : « احسب ان الصراحة خير ما تقيم عليه حياتنا ، وارجو الا يسوءك ان اصارحك ببعض العيوب التى اكتشفتها فيك » .

فاجابت العروس : **« لا تزعج نفسك يا عزيزى ، فانا أعرفها .. ولولاها لظفرت بزوج احسن ! »** .



قصة بقلم: الدكتور بديع حقي

كانت الساعة ملقاة على الأرض ، وكان يبدو انها منسيّة مهملة ، فقد كان اطارها المعدنى الأبيض صدئًا فى بعض أطرافه . لعلها كانت مكسورة ، لا جدوى منها ، ضاق بها صاحبها فرمى بها ، على هذه الطريق المؤدية الى سوق القرية ... أو لعلها كانت ضائعة ...

وكان نصف وجه الساعة ، مختبئا تحت غصن أخضر ، كوجه فتاة تنظر فى استحياء خلف وشيع من الشجر .

ولع اطارها المعدني الصّدىء الظاهر المتطلّع من فوق الغصن حين فجأته شمس الصباح .

واصطادت نظرة عابرة الساعة المستلقية الغافية . وأزاحت الغصن الأخضر يد خشنة مرتجفة والتقطت الساعة . كانت باردة اللمس ، وعلى بلورها القائم قطرات دقيقة من ندى الفجر . لا ريب انها امضت الليل كله على هذه الطريق الضيقة .

وأدنتها اليد من أذن مسترخية صاغية .

تراها مكسورة لا نفع فيها ؟ لا ، ان قلبها لا يزال يخلق فى جرْس خفيض ، فى لغو رتيب هامس : تك ، تك ، تك .

ولكن الدقات جعلت تتقطع ، لعل قلبها يستوفى خفقاته الأخيرة . وغاب لغوها ، فجأة . بيد ان هزة خفيفة من اليد الخشنة حملتها على ان تفيء الى الحياة ، وجعلت تردد : تك ، تك ، تك .

ومضت هنيهة أحصت فيها أنفاسا معدودة ، ثم فزعت الى الصمت من جديد . وامتدت اليد فنقرت اذن الساعة ، فتململت ، وانكفأت اليها الخفقات ، تلهث داخل صدرها المعدنى ، فى لغو متسق منتظم .

لا شك بأنها ساعة ضائعة ، انزلقت من جيب صاحبها ، دون ان يشعر .

وكان اسماعيل ضعيف البصر ، ولكن فى ميسوره أن يستبين عقربيها ، وتأكد لديه انهما كانا يتدانيان ، فى بطء وصبر ، وان لم يكن فى مقدوره أن يلحظ حركتهما البطيئة ، فقد أضحى قلب الساعة ينبض ، على نحو دائم .

وانسابت بين اصابعه ، سلسلة معدنية صدئة نيطت بالساعة ، وسمح لمخيلته بأن تتصور انها ساعة جيب ، لا ساعة يد ، ففى قريته النائية ، لا يحمل ساعة يد سوى (القائم مقام) .

ودق قلب اسماعيل ، دقات عنيفة صارخة ، كان يدا نزقة ، نافذة الصبر ، تقرع من الداخل باب صدره ، فقد مثل فى وهمه أن احدا قد لمحه وهو يلتقط الساعة ، ويهزها ويدنيها من اذنه ، ويداعبها بأنامله الخشنة .

لا ، لا ، لا احد يسير فى هذا الوقت المبكر . انه هر ابيض مر أمامه ، بسرعة خاطفة ، وتوقف ونظر اليه بعينين فوسفوريتين فزعتين ، ثم لاذ بمنعطف قريب ، واختفى طرف منه وبقى ذيله يتلوى بنزق ، ويتحرك يمنة ويسرة ، كرقاص ساعة كبيرة .

وشعر اسماعيل بأن وجيب قلبه يشتد ، ولم

يكن في عمره كله ، وهو الذي أوفى على الستين أو تخطاها قد أحسّ بمثل هذا الشعور المفاجيء ، فقد عثر على ساعة أضحت من نصيبه ، وكان يحلم دوما أن يشتري ساعة ، يزهى بهـا على أصحابه ، وتغنيه عن استدلال الوقت بالنظر الى ظل شجرة السنديان ، يزحف من باب البستان فمربض البقرة فالساقية . ويشير في تنقله الى الوقت المطلوب .

وقد كان في ميسوره أن يشتري ساعة جديدة ، حين سنحت له الفرصة وذهب الى دمشـق ، منذ خمس سنوات ، ليراجع طبيبا مختصـا ، وكان يشكو من وهن وضعف في قلبه .

ولكن أجرة الطبيب وثمن الادوية ونفقات سفره التهمت جل المبلغ المدخر الذي قدم به الى دمشق ، وانتسخت أمنيته الحلوة ، منذ ذلك الوقت . انه ليذكر نظراته الحسيرة حين وقف أمام واجهة مخزن ساعات في ساحة المرجة ، يرامق الساعات الفضية والذهبية البراقة المرصوصـة خلف زجاج الواجهة ، دون أن يكون في مقـدوره شراء ساعة واحدة ، متواضعة الثمن يعود بهـا الى قريته .

وها هي ذي أمنيته تتحقق ، الآن ، اذ يعثر على ساعة ضائعة ، يضعها في جيب سرواله ويشد عليها بنطاقه ، ويدع سلسلتها تتارجح على خصـره ، ثم يسارقها النظر ، كلما طاب له ذلك ، ليرى عقربيها متدانيين أو متعانقين او مفترقين في نظام دقيق عجيب .

ولما دسّ اسماعيل الساعة في جيب سرواله وهو يقفل عائدا الى بيته ، كان الهرّ الأبيض ينظر اليه من المنعطف نظرةً متحدّية ماجزة . وامسك اسماعيل بحجر صغير وقذف به الهرّ ، فنفخ الهرّ نفخةً غاضبة مزمجرة ، وصرّ أذنيه ، ثم رخاهما ، ونفض ذيله المشرّع ، وقفز خلف جدار وجعل يعدو كشبح مذعور .

★★★

وحين دلف اسماعيل الى غرفته مساء ، كان ذهنه مشغولا بسؤال : ترى لمن تكون هذه الساعة الضائعة ؟

لقد كان عذبه هذا السؤال سحابة يومه،وبدا له انه ليس في مكنته أن يخفى الى احد بسر ساعته وأن يبرزها أمامه ، فقد يدّعيها اي شخص ويستخلصها منه بعد أن أضحت ملكا له .

ولما امتدت اصابعه الخشنة الى بلور الساعة الأملس ، وداعبت سلسلتها المتدلية ، نسي سؤاله المضني ، وتراخى شعوره القلق وتحوّل الى خدَر لذيذ قريب من الغبطة ، وخيّل اليـه ، وهو الذي امضى عمره عزَبا يستطيب الهـدوء ويسيغ الانفراد ، ان هذا « الحيوان » المعدني الصغير قد ساقه القدر اليه ، لا ليجلو له الوقت فحسب ، بل ليؤنس عزلته ، في تنفسه المتنظم ويتجاذب أطراف الحديث مع قلبه الضعيف .

ووضع اسماعيل الساعة على كرسي، الى جانب سريره ، فاقعت على ذنبها وهي تجترّ دعاءها الهامس الرتيب .

وخيل اليه ، وهو مستلق على فراشه ، انه يسمع ثرثرة ساعته تتجاوب في هداة الليل ، كانها ثرثرة صرصور يقظان ، لا ينى يجرح السـكون الشامل بمنشار دقيق دائب .

واغمض جفنيـه ، يريد ان يخلد الى اغفاءته ، ولكن النوم لم يسلس لـه ، فهناك الى جانبه يتردد لغو هـذا الصرصور المعدني الذي لا ينى : تك ، تك ، تك .

وفتح جفنيـه وأجـال نظره في العتمة ، فاذا به يرى شيئا غريبا . كانت تحدّجه ، من زاوية في غرفته ، عين مدورة ، سقط هدبها . ولم تكن هذه العين تغمض أو ترف ، فكأنّ جفنيها كاناشدودين بمسمارين أسودين،وكانت حدقتها تسفح نورا فسفوريا ابيض ، كحدقة الهرّ . ترى أيكون الهر قد لحقه الى غرفته ؟

وخيل اليه أن العين تود أن تنغلق ، فهي متعَبة مكدودة ، ولكن مطرقة خفية كانت تضرب المسمارين ، لتظل العين مفتوحة بضربات منتظمة مترادفة : تك ، تك ، تك .

واقتربت منه العين الجاحظة المنيرة ، كفـم عريض يود أن يبتلعه ، وها هي ذي تدنو منه ، بيضاء ناصعة ، كانها كف ابيض يريد أن يضمه ويخنق انفاسه .

ولمح الرجل يدا دقيقة نحيلة رطبة ، تمتـد

وتلتف من خلف العين المحدقة اليه،وتتلمس يده، وتعانق ذراعه . لعلها ثعبان مَلِيس بارد يزحف اليه من وكر خبيء ليلسعه ثم يمضى هاربا .

وارتعش اسماعيل وانتضح جبينه عرقا ، ومدّ راحته تتقرّى ذراعه لتذود عنها وتحميها من لسعة الثعبان الكريه . وشعر برطوبة الثعبان تنساب فى جسمه ، فصرخ . ولكن راحته لم تجد سوى سلسلة الساعة الباردة الغافية على الكرسى ، الى جانب سريره .

ولم تمّحِ صرخته من سمعه سريعا . وبدا له ، حين فتح عينيه من حلمه المزعج ، ان صدى صرخته ما يزال عالقا بالفضاء . وكان نور الفجر يتسلل من نافذته عند يقظته ، ونظر الى الساعة الجاثمة الى جانبه نظرة حذر وخوف وكان قلبه ينبض ضمن قفصه المغلق ويهتف : تك ، تك ، تك ..

كانت الساعة تثرثر ، قابعة فى جيب سرواله ، ملتفة بسلسلتها ، كهرة خلدت الى النور ، معانقة ذيلها وهو جالس الىشيخ الضيعة.ولم يكن اسماعيل يصغى الى حديث الشيخ ، وهو جالس على مصطبة فى فناء داره يقص على فلاحى القرية طرفا من ذكريات شبابه ، بل كان مشغولا بحديث ساعته حين كانت دقاتها تواكب نبضات قلبه الضعيف .

وتساءل ، فى ذات نفسه ، تراهم يسمعوندقاتها وهى تهذى فى قعر جيبه ؟ لم يعرض واحد منهم الى ذكر ضياع ساعته ، ومن يدرى فلعل هذه الساعة القديمة الصدئة ان تكون لعابر سبيل ، أو لجندى عائد من المدينة ؟

وأحصى اسماعيل فى ذهنه ستة أو سبعة من أبناء قريته ، ممن يحملون ساعة جيب ، وأما الباقون فيستفتون مثله عن الساعات بتنقل فىء الشجر فى استجلاء الوقت .

وسمع المؤذن يتعالى صوته من جامع القرية . وقال شيخ الضيعة :

ــ حانت صلاة الظهر .

ومد شيخ القرية يده الى جيبسرواله وسحب ساعته ، بفتور ، ونظر اليها بعينيه السقيمتين الضيقتين ، نظرة مستطلعة بليدة ، ولاحقتها وهى تتسكب على الساعة ، نظرة خاطفة قلقة ،انسابت من موق عين اسماعيل .

انها شبيهة بالساعة التى عثر عليها امس ، سوى أن سلسلة ساعة شيخ الضيعة ادق ، ولعلها أن تكون أطول. وشعر بان قلبه يتارجح على حلقاتها المتدلية من راحة شيخ الضيعة .

ولمح اطارها المعدنى، فى وميض كامد،وانحرفت نظرة اسماعيل القلقة وتطامنت الى الارض ، وبدا مطرق الراس يفكر . ومثّل فى خاطره ان ساعة الشيخ توشوش له ، بصوت خفى : ان فى جيبك أختا لى حبيسة مسكينة . لماذا تريد أن تطفىء أنفاسها ؟ انها ليست لك ، أنت لص سارق . لم لا تقول انك عثرت على ساعة ؟ فربما تخص أحد رفاقك .

واحس اسماعيل بان قلبه الوانى يجب وجيبا سريعا متلاحقا ، وان الساعة الجاثمة فى جيبه تتململ كانها تود أن تخرج من محبسها .

وتمنى أن يسحبها من جيبه ويتخلص منها ويرمى بها بعيدا ، وخطر له أن احسن حل يريحه منها ، هو أن يؤوب ، بعد فراغه من الصلاة ويضعها حيث وجدها ، هناك على الطريق الى الضيعة ، ولن ينسى أن يظللها بغصن اخضر ، كما رآها ، أول مرة ، وسوف يستأنف ، بعد هذا ، حياته الماضية الخالية .

ومشى مع رفاقه الى الجامع ، وتادّى الى سمعه صوت شيخ الضيعة يقول له وهو يسير الى جانبه :

ــ يبدو اليوم وجهك شاحبا مصفرا ، أكثر من أى يوم مضى يا اسماعيل ، انك تشكو دوما من قلبك فلماذا لا تذهب الى المدينة ، وتراجع الطبيب مرة أخرى ؟

وأجابه اسماعيل : كمالوف عادته ، اذ يتلقى هذه النصيحة :

ــ الشافى هو الله يا سيدى .

ولما وقف اسماعيل الى جانب المصلين ، يتلو

الفاتحة ، وقد ضم راحتيه فوق ساعته الخبيثة تحت نطاقه خيل اليه انها تظل تلغو ، مقلدة دقات قلبه المريض المسكين : تك ، تك ، تك .

وشعر وهو بسبيل السجود أن رجليه تتقصفان وأن ضربات قلبه تتلاشى ، كأنها تخفق في عالم قصي غريب عنه ، واحس بوخزة مفاجئة كأنما مدت هذه الحشرة المعدنية اللعينة الخبيثة في جيبه ذراعيها الدقيقتين وهصرت قلبه وشددت عليه رويدا ، رويدا ، حتى انطفأ .

ولما انتهت الصلاة لفت نظر المصلين أن اسماعيل ما يزال مستغرقا في سجدته ، وحلّ الشك في صدر شيخ الضيعة ، فاقترب منه وهزّه برفق ، فمال قليلا الى جانب ، وتراءت عيناه مغمضتين مستسلمتين الى غفوة قريرة مطمئنة .

ومد شيخ الضيعة يده فحسر ثوب اسماعيل عن صدره وحلّ نطاقه ، فانطرحت على الارض ساعة جيب صدئة الاطار وقبعت ، ذليلة فوق سلسلتها الملتوية الى جانب اسماعيل كأنها فأرة صغيرة خائفة مشلولة الحركة ، فلم يُعرْها شيخ الضيعة انتباها ، بل طامن راسه وأدنى اذنه من صدر اسماعيل يسترق السمع الى حديث قلبه ، ثم رفع رأسه وهزه هزة تشي بالاسف وغمغم يقول:

ـ مات بالسكتة القلبية ، فيما أظن ، يرحمه الله .

وتعثرت نظرته بالساعة الجاثمة على الارض ، فالتقطها وقلبها في راحته مستغربا ، وحركها برفق ، فتأرجحت سلسلتها وناست كذيل هرّ تزرق منغضب ثم ادناها من اذنه المستطلعة بحركة لا شعورية ، وسمع دقات قلبها تهذي بجرس رتيب خفيض :

تك ، تك ، تك .

بديع حقي

أنشئ لك صداقة جديدة في عبر البحار

واربح احدى هذه الجوائز الثمينة

الجائزة الأولى	طقم باركر ٦١ مذهب	(قلم حبر وقلم ناشف)
الجائزة الثانية	طقم باركر ٥١	(قلم حبر وقلم ناشف)
الجائزة الثالثة	طقم باركر ٤٥	(قلم حبر وقلم ناشف)

عَرض فريد تقدمهُ شركة باركر

للإشتراك فيهِ دون قيدٍ أو شرط

فرصة سانحة لإنشاء صداقة دولية

بصفتكم اعضاء في برنامج باركر العالمي للمراسلات يمكنكم المساهمة في اشاعة السلام عن طريق تنمية المدارك والعقل ..... بواسطة الكتابة .

بعد أن تبعثوا الينا بالمعلومات المطلوبة في الجدول ادناه ، سنحاول تعريفكم مع شخص تتناسب ميوله مع ميولكم .

ان عقلنا الالكتروني في معرض نيويورك الدولي ، سيكون منقباً بين اسماء آلاف الاشخاص الذين انضموا هم الى برنامج باركر العالمي للصداقة بالمراسلة . وان احد هذه الاسماء سوف يكون صديق مراسلاتكم وستبدأ روابط المراسلات المفيدة بينكم .

سنعمل على موافقة جميع الاسماء قبل اختتام معرض ١٩٦٤

The Parker Pen Company • Janesville, Wisconsin, U.S.A.

NAME

ADDRESS

CITY

COUNTRY

I will correspond in ....
(Language)

I would like to correspond with someone in ....
(Geographical Area)

My special interest is ....

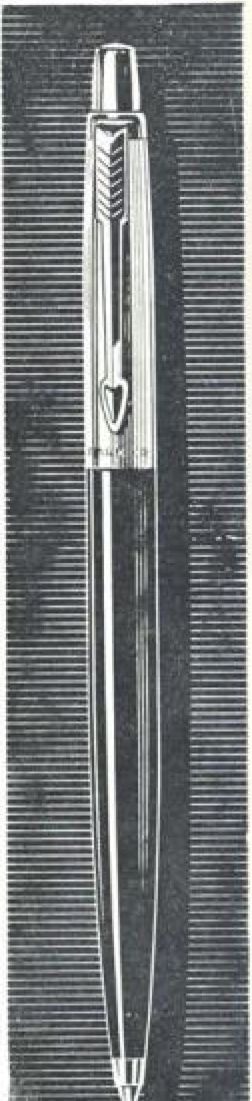
I am ☐ Male, ☐ Female, ... years old.

يرجى املاء المربعات بخط واضح "كابيتال" يجب ان يضم المربع الواحد حرفاً واحداً فقط

ابعثوا قسائمكم بعد املائها الى العنوان التالي :
معرض شركة باعة باركر - بناية الاوقاف - شارع فهد السالم - الكويت

ترسل هذه القسائم لدى ورودها الينا ، وستشترك في السحب المجاني على الجوائز الثمينة المذكورة اعلاه والذي سيجري في ١٠ يناير ١٩٦٥ وتعلن نتائجه في الصحف

باركر



PARKER

(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....

....

العنوان: ....

....

....

بريد القراء

بقية المنشور على صفحة ٧

المهين. لقد فرت اختنا الكبرى قبل بضعة اشهر، للخلاص من الذل المخيم علينا .. ولكن المسكينة اشفقت على سمعة والديها وعادت ادراجها الى الذل من جديد . وبدلا من ان ياخذا مما حدث عبرة تحذرهما من سوء المصير ، زادا فى تجريعنا كؤوس العذاب !.. وكم كانت دهشتنا ذات يوم، حينما هددناهما باننا سننتحر جميعـــا ــ انا واخواتى الخمس المعذبات ــ وما كان منهما الا ان شجعانا على الاقدام على هذه الجريمة ، لان فى خلاصهما منا ، على ما يبدو ، راحة واية راحة لقلبيهما الحالكى السواد ! ..

ويحنا !.. لقد سئمنا الحياة البائسة التى نحيا .. وها نحن نذرف الدموع الســخينة فى ليالينا المدلهمة الثقيلة .. وليس امامنا اليوم من دروب النجاة سوى أن نتوارى عن هذه الدنيا الدنيئة الفانية .. وندعها لمن ظلم وقسا وتجبّر !

المعذبة : ل. م. أ.
البصرة ــ العراق


السجارة التي تمنحك متعة كاملة
إل إم
إل إم هي سجارة الفلتر
فإن سجارة إل إم تمنحك
إنها أسلس مذاقاً وأذكى
نكهة... بفضل
تبغها المختار بعناية من
أجود المحاصيل في العالم،
وفلترها الخاص
النقي الأبيض.
You get Lots More from L&M
THE MIRACLE TIP
L&M
FILTERS

موارد المـاء
بين الماضي والحاضر

(بقية المنشور على الصفحة الثانية)

جلب الماء الى المساكن من وظائف المرأة منذ أقدم العصور ، كما تشهد بذلك الصورة المنشورة فى (ص ٢) ، والتى تمثل ما كان يجرى فى بلاد اليونان حوالى أواخر القرن السادس قبل الميلاد. وكانت معظم موارد الماء تزود بحوض حفرت بعض اجزائه على شكل نصف دائرة ليسهل غمس الجرار عندها فى الحوض لملئها ، كما كانت تمد قناة رفيعة أمام الحوض لتصريف المياه الفائضة حتى لا تنساب فتغرق المبنى الذى كان يقام خصيصا للتزود بالماء . وقد كانت الاحواض والقنوات والاعمدة التى تقام حولها ، تصنع من الرخام ، او من مادة لا تتأثر بالبلل والرطوبة. اما الصنابير التى ينساب منها الماء الى الحوض ، فكانت تصنع من الرخام والبرونز ، على هيئة رأس الاسد فى الغالب .

وخلف الجدار الذى يبنى عنده الحوض . كان القوم يقيمون خزانا او خزانات ، للاحتفاظ بقدر كاف من الماء ، على سبيل الحيطة .

وكان مورد الماء يقام ــ فى أكثر الحالات ــ على مسافة من النبع ، وتصل بين الاثنين قنوات تحفر تحت سطح الارض . وفى حالات أخرى ــ كما كان فى بيرين وكورنثه ــ كان المبنى الذى يضم الصنابير يحفر فى بقعة من التربة الطينية ، تحتها طبقة صخرية . فكان الماء الفائض ينساب من المكان خلال قنوات الى الصخر الذى كان يستخدم كخزانات لحفظ كميات احتياطية .

وكان مورد الماء دائما ملتقى النساء وكانت تحف به الاسواق ، كما كانت تقام هناك بعض الصناعات، كصناعة تشكيل البرونز التى اشتهرت بها « كورنثة » . ■■

صداع ، أوجاع وآلام ،
حمّى ، رشح وانفلونزا ؟

'أسبرو' يُعيد لك الصّحّة ...

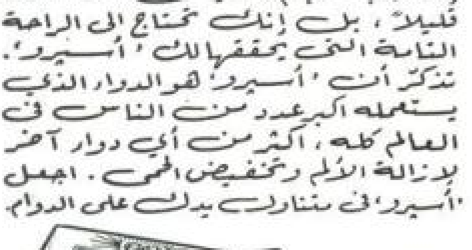


لأنّ

إذا أُصِبتَ بألم فلا يكفي أن تخففه قليلاً ، بل إنك تحتاج الى الراحة التامة التي يحققها لك 'أسبرو'. تذكّر أن 'أسبرو' هو الدواء الذي يستعمله أكبر عدد من الناس في العالم كله ، أكثر من أي دواء آخر لإزالة الألم وتخفيض الحمى . اجعل 'أسبرو' في متناول يدك على الدوام.

'أسبرو'
يجلب لك
كل راحة

١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدّئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصّر أجل الرشح



من منتجات نيكولاس

K/5/AA

'أسبرو' يجلب لك كل راحة !


وست إند
WEST END WATCHES
نظرتها تحمل أكثر من معنى
فيها التقدير وفيها الرغبة
الوكيل العام بالشرق الأوسط
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة تلفون ٣٢٢٤٩ – ٣٣٧٧٠ – ص.ب ٣٣٤ الكويت



أكثر فأكثر

٥٪ حسابات وودائع مصرفية

يجرى فتحها مع بنك لومبارد ، حيث يتجمع راس المال بثبات فى ضمان البنك المأمون . تدفع فائدة مقدارها ٥٪ سنويا مرتين كل سنة دون خصم ضريبة الدخل فى المملكة المتحدة .

اكتب اليوم الى المدير العام للحصول على نسختك من « حساب الودائع المصرفى » الكتيب رقم A.O. 182

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office:

LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, PARK LANE,
LONDON, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)


توشيبا
أحدث وأجمل تشكيلة لراديوات الترانسستور والكهرباء.
تعرض حالياً في معارض
مؤسسة الأجهزة الالكترونية
عمارة جوهرة الخليج : شارع عبدالله السالم
الشارع الرئيسي الفحيحيل - ولدى الوكلاء
المعتمدين : هاتف ٣٩٣٠١ و ٣٥٩٨٥



الرجل العصري ينزل إلى البر من باخرة "كونستيتيوشن" التابعة لشركة أمريكان أكسبورت لاين.

ڤايسروي - سيجارة الرجل العصري!

هاقد وصل الرجل العصري - في خلال خمس دقائق ستعرف طنجة كلها بنبأ وصوله، فتاة حسناء تستقبله وترحب به بتقديم ڤايسروي بالفلتر وتعده بالساعدة الوفية، بداية طيبة لمهمة خطيرة

□ من بين الأنواع العديدة التي تفيض بها الأسواق، يختار الرجل العصري سيكارة ڤايسروي - سيكارة الذوق المدقق!



ڤايسروي - السيجارة الأمريكية العالمية



فوز النوع السويسرى

هذه هى الساعة الجديدة دوكسا التى ستعجبك بأناقتها الرجولية الحديثة وبنوعها المتفوق فى دقة حركاتها العالية .

ستفخر باقتنائك هذه الساعة الجميلة الدقيقة التى ستدلك دائما بأمانة على الوقت الصحيح فى كل مناسبات الحياة .

كشف باسماء موزعي دوكسا

اسكو المحدودة ـ شارونو ـ كابول ـ افغانستان ، مخازن السكسيور ـ عدن ، اكسلنت ميزيوم ص.ب ٢٤ دوحة ـ قطر ـ الخليج العربى ، جوزيف جراكو ص.ب ٢٨٩٤ ـ بيروت ـ لبنان ، فخري جواد ـ ساحة الناصر ـ البتاوين ـ بغداد ـ العراق ، خليفة وعمر بن يوسف ـ ابو ظبي ـ الخليج العربى ، اسحاق عبد الرحيم الكوهجي ـ ص.ب ٥٧ ـ الخبر ـ العربية السعودية ، روبين كيتشجيان ـ ص.ب ٢٦٩ ـ عمان ـ الاردن ، كرابيد ميناسيان ـ ص.ب ٥٧٠ ـ حلب ـ سوريا ، شركة العثمان التجارية ـ ص.ب ٥٢٠ ـ الكويت ، ميشال اوسطايان ص.ب ٩٢٥ ـ دمشق ـ سوريا ، مؤسسة بونو للساعات والتجارة شارع الملك عبد العزيز ـ جدة ـ العربية السعودية ، شركة ش. بن سعود وم . شيخ ـ ص.ب ١٤١ ـ بنغازي ـ ليبيا .

DOXA

معامل ساعات دوكسا
ش.م. لولوكل ، سويسرا



تويوتا ٧٠٠

تكفل لك توفير اموالك !

فهى تستهلك غالونا واحدا من البترول فى كل ٥٥ ميلا سواء فى الداخل او على الطرق الخارجية .

وقد صممت لتعيش سنوات وسنوات ، فهى اذن ادخار ابدى ، حتى لو استعملتها فى المسالك الوعرة .

وعلاوة على ذلك فان « تويوتا ..٧ » فيها متسع اضافى لاربعة أطفال . ومكان رحب للعفش . وهى خلافا لما يتعرض له غيرها من السيارات الصغيرة ، لا تتأثر مطلقا بالرياح المعاكسة لاتجاهها ، ورزينة فى سيرها السريع.

من اليوم .... استعرض « تويوتا ..٧ » ولا تترك المعرض الا وانت تقودها . ثم لاحظ توفير اموالك بسببها .

"BUILT TOUGH FOR YOU"

TOYOTA MOTOR, JAPAN



للأشخاص الذين يشددون على جودة ونقاوة الاصوات

هذه مجموعة من مسجلات " سوني " للأشخاص الذين يشددوا على جودة ونقاوة الأصوات . وكل منها مزودة بأزرار متعددة لإدارة عالم جديد مدهش من الأصوات الحية ، بالاضافة الى ٤ مسلك للتسجيل ولإعادة الشريط ، في المسجل TC – 500 A ستريو تيب ريكوردر ، سرعتان مختلفتان . اغطية قابلة للرفع تتحول الى مكبرات مزدوجة . اداء عالي الجودة بسهولة عمل لا مثيل لها . اما طراز TC – 777 A الترانزستور فهو صغير الحجم ، ومع ذلك فالصوت الذي يعطيه يرتفع الى مثال الجودة والنقاوة . وفيه ازرار الكترونية لاختيار افضل تعبير . بثلاث محركات ، وثلاثة رؤوس ، وقدرات مختارة وسرعتان للتسجيل ، وتسهيلات خارجية للإدارة عن بعد

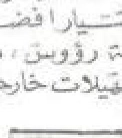
سوني

ان التفوق ينبع من الابحاث

SONY®

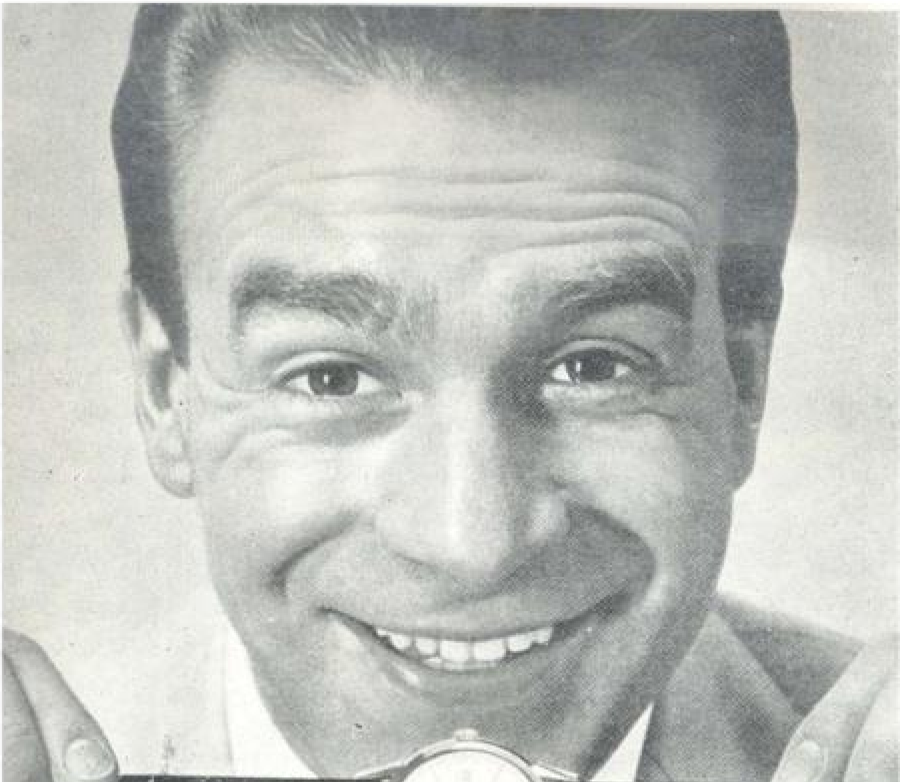


TC-200 ، المسجل الستريو ٤ مسلك ، يضاهي افضل المسجلات باداء الفائق ، وتعاملها الخاصات تكبرات الاصوات مرتبطان بشريط التسجيل المرجان " TC-500 " مناسب للاستعمال بغية النظام على التسجيل وكذلك كنظام للالقاء ، على العموم



TC-600 ، المسجل الستريو ٤ مسلك ، نقاوة في الاصوات تضاهي افضل ما يمكن الحصول عليه في الاستديوهات ... ومجهز بجميع الخصائص الفنية ... الرؤوس الثلاثة ، ومكبرات الاصوات ... الترانزستور عاليا ، والميكروفونات " سوني ف – ٨٧ " الديناميكية ، وسهولة التسجيل الفائقة .

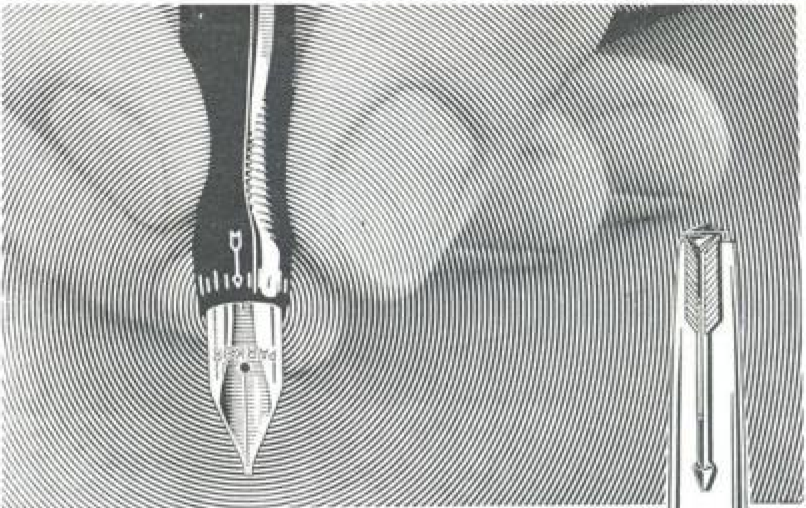
E-2264



انها ساعة - ينعكس فيها الذوق الرفيع وتظهر شخصية حاملها
انها الساعة الشهيرة الاسم والسمعة التي اجمع العالم بأسره على تقديرها
ساعة رومر وحدها تجمع الصفات التالية: جودة متناهية
الحد - طراز كامل - فيها جميع الفوائد العملية (مضمونة ١٠٠٪ من تأثير
الماء، تدور من تلقائها، فيها رقاصة الخ...) اسعارها مغرية جداً.

ROAMER
انتاج سويسرا

زيني معصمك بساعة رومر





قلم باركر الجديد ...
قلم باركر في پي

❋ شخصي جدا

مصنوع خصيصا ليلائم أسلوبك بالكتابة من اى زاوية .

ان كتابتك ، كبصمات اصابعك ، خاصة بك وحدك دون غيرك : فطريقتك فى مسك القلم ، والقوة التى تستعملها للضغط على القلم ، والزاوية التى تكتب منها ـ كل هذه تجعل من كتابتك شيئا يختلف تماما عن كتابات الآخرين ، وتجعل من كتابتك شيئا خاصا بك وحدك . ان اكثر الأقلام صممت لتلائم الشخص العادى ولا تلائم فى الحقيقة الذى يعتز بكتابته .

اقرأ الآن كيف يلائم قلم باركر في پي نفسه ليناسبك :

بامكانك ادارة الريشة لتلائم بالضغط طريقتك فى الكتابة ، والزاوية التى تكتب منها . ولا يهم أبدا ان كنت تكتب باليد اليمنى او باليد اليسرى لان باستطاعتك أن تضبط بسهولة الريشة على الزاوية التى تكتب فيها .

بامكانك أن تختار الريشة المناسبة لأسلوبك فى الكتابة ابتداء من الريشة الرفيعة جدا (ريشة المحاسبة) الى الريشة العريضة (ريشة الموظف الادارى) ، وبين هاتين الريشتين ريش عديدة لتلائمك ، وجميعها مصنوعة من الذهب الصلب عيار ١٤ قيراطا ، ويمكن تركيبها بكل سهولة .

الممسكة المخططة المريحة تهيىء مكانا لراحة أناملك للتخفيف من تعب الكتابة. وكذلك ترتاح يدك وترتخي مما يجعلك تكتب كل كلمة وسطر بصورة جميلة وبرشاقة طبيعية .

اكتشف بنفسك كيف يمكن أن يصبح قلم باركر في پي أداة كتابتك الخاصة . وسيساعدك البائع فى اختيار الريشة المناسبة لك بالضبط وسيريك ايضا كيف يعبأ قلم باركر في پي بسهولة ونظافة وهي صفة أخرى للكتابة الممتعة للغاية .



باركر

صانعو اكثر الأقلام المرغوبة فى العالم

شركة اقلام باركر جينزفيل ، وسكونسن الولايات المتحدة الأميركية .

العربي

العدد ٧٣
رجب ١٣٨٤
ديسمبر
(كانون اول) ١٩٦٤

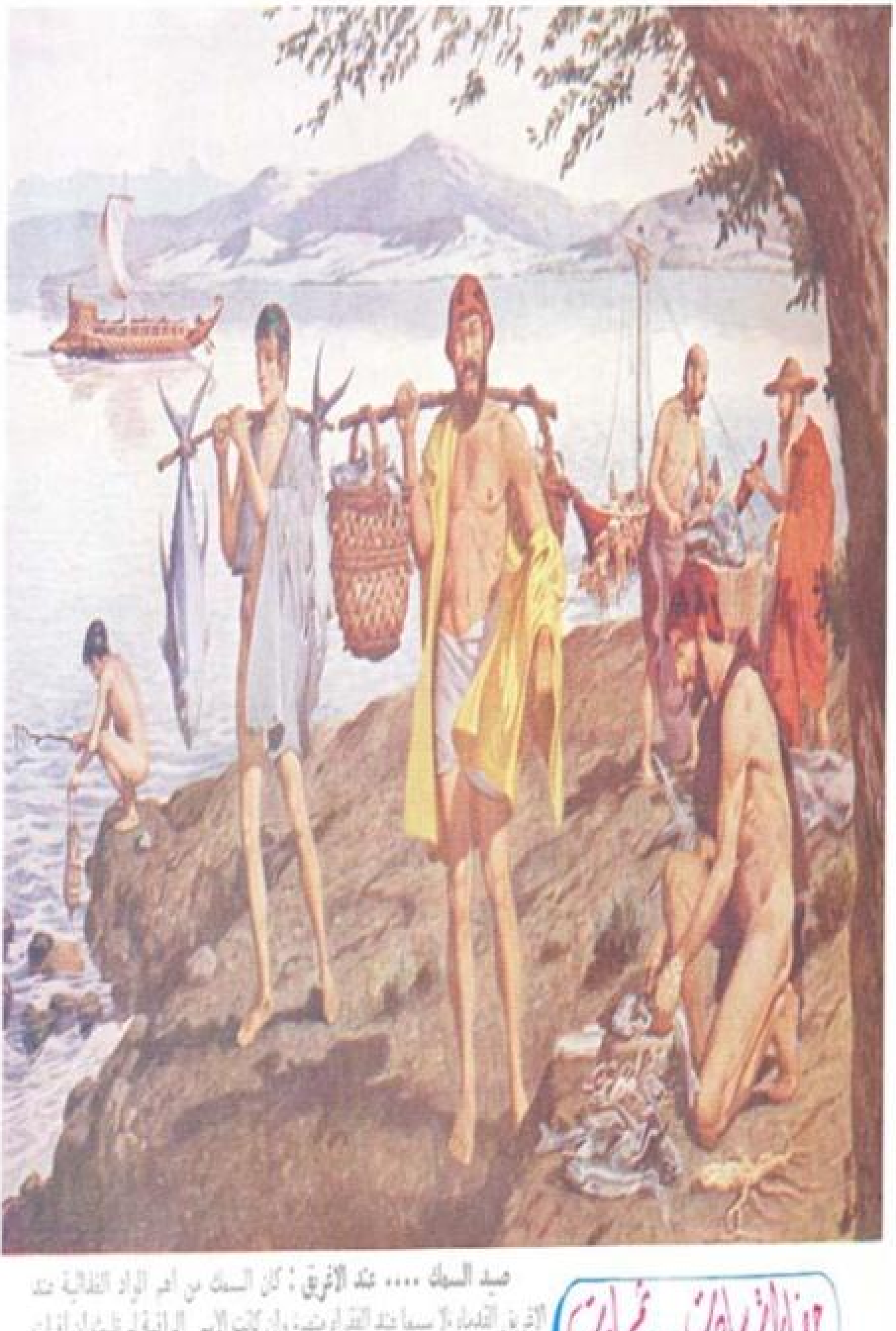


قلنا لها فى المتحف : هذه ثلاجة جدتك الكبرى . فابتسمت ...

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

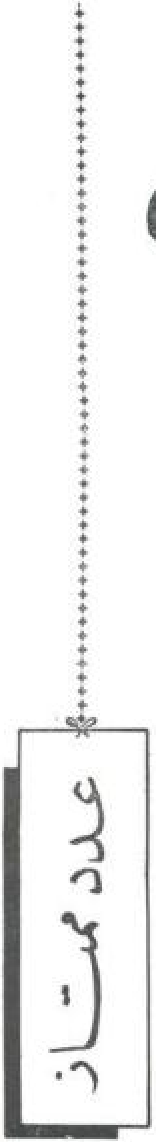
الثمن

الكويت	١١٠	فلوس				السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قروش	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٢ر٥	شلن	سورية	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مليم
العراق	١٢٠	فلسا	ج.ع.م.	١٠	قروش	المغرب	٢	درهم



صيد السمك .... عند الاغريق : كان السمك من أهم الموارد الغذائية عند الاغريق القدماء، لا سيما عند الفقراء منهم، وإن كانت الأسر الراقية لم تلبث أن أقبلت عليه ، ولكن في القرن الخامس للميلاد ، وأصبحت مائدتها تزخر بالأنواع النادرة والمقادير الضخمة منه .. **(انظر صفحة ١٥٢)**





عزيزى القارىء :

بهذا العدد نختتم هذا العام .

وبالعدد التالى ، عدد أول يناير ، نبدأ عاما جديدا .

وقد عودناك ان يكون عدد أول العام عددا ممتازا .

ممتازا بمواضيعه ، نوعـا .

وممتازا بمواضيعه ، مقدارا .

وممتازا بمواضيعه ، صورا .

وممتازا بمواضيعه ، ألوانا .

ثم خريطة كبرى متعـددة الألوان ، لجانب من جوانب الأرض ، يقوم عليه ولا شك مستقبل هذه الأرض ، لا يخلو منــه ذهن قارىء محب للسلام .. محب للعدل ... كاره للاستغلال .. كاره للاستعمار ...

ولم ننس فى هذا العدد الممتاز ، الفهرس العام ..

فالى اللقاء القريب ان شاء الله .

المحــرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

عروبة :

استطلاعات صحفية :

لغات وآداب :

مجتمع :

طب وعلوم :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية

تصدرها وزارة الارشاد والأنباء بحكومة الكويت

ALARABY = No. 73 December 1964 — P.O.B. 748 = KUWAIT

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربى»

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

العربي
العدد القادم عدد ممتاز

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٢ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج٠ع٠م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٢ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



أين الاستطلاعات عن ليبيا ؟!

● في الوقت الذي تقومون فيه بعشرات الاستطلاعات عن مختلف بلدان العروبة وديارها ، يؤسفني أن أراكم لا تولون ليبيا : بلادي التي هي جزء من الوطن العربي الكبير ، أي اهتمام قد يحثكم مثلا على نشر ولو استطلاع واحد تقطعتها .. منذ صدور « العربي » حتى يومنا هذا !!.. أليس مما يؤسف له حقا ألا يظهر أى استطلاع حتى الآن عن بلادي فوق صفحات مجلتنا العربية الزاهرة : (العربي) : المجلة التي نحرص هنا في ليبيا على اقتناء أعدادها وقراءتها كل شهر ، لأننا نعتبرها عن حق : مدرسة متنقلة هادفة معطاء . ترى ، ما السبب في تجاهل كهذا .. وكيف يمكن تفسيره وتبريره ؟!.. وهل لا تعتبر ليبيا بلدا عربيا في عرفكم عندما تضمون الاستطلاعات تحت عنوان : (اعرف بلادك أيها العربي) ، فلا تحسبون لها أى حساب ضمن هذا الباب ؟!.. ثم ، ألسنا جميعا أبناء أسرة واحدة .. فلِمَ نراكم تفرّقون في المعاملة بين الأبناء ؟.. ولِمَ ... !

الدوكالي الهادي لوز
متصرفية غدامس — مديرية سيناون
المملكة الليبية المتحدة

« العربي » — يعتب القارىء الفاضل على العربي أنه لم ينشر استطلاعا واحدا عن ليبيا . والعربي تعتب عليه بأنه قارىء لا يقرأ . فقد نشرنا عن ليبيا : —

١ — في العدد التاسع ، الصادر في شهر أغسطس (آب) ١٩٥٩ ، وفيه أول استطلاعات ليبيا : « طرابلس الغرب » ..

٢ — في العدد الحادي عشر ، الصادر في أكتوبر (تشرين أول) ١٩٥٩ ، حيث نشر استطلاع عن : « بنغازي » ..

٣ — في العدد الثلاثين .. وفيه كذلك استطلاع عن : آثار طرابلس الغرب ! ..

٤ — في العدد ٤٢ .. ويحتوي على استطلاع عن : التعليم في ليبيا !! ..

وهكذا ترى ، أيها الأخ الكريم ، أن «العربي» ما كانت ولن تكون إلا للعرب جميعا على السواء . والله من وراء القصد ، ومع هذا فللعربي إلى ليبيا عودة من بعد عودة .

حنا بعل .. لا هانيبال !

● مع اعجابي باستطلاعكم الأخير عن مصايف تونس ، وما قدمه من تحقيقات تاريخية وجغرافية حول البلاد ، وتحليلات دقيقة لطبيعة الطقس ومنافع المدن وأماكن الاصطياف ونشاطات السكان .. أرجو أن تسمحوا لي بابداء بعض الملحوظات المتعلقة بتاريخ تونس .

فمثلا أطلقتم الأسماء الأوروبية على شخصيات تونسية قديمة :

١ — ذكرتم اسم « هانيبال » .. وصحيحه « حنا بعل » ، أي قوة الرب في اللغة الفينيقية القديمة .

٢ — « اميلكار » وصحيحه « حامى الكار » .. أى حامى العرض .

٣ — « صالمبو » وصحيحه « صلامبو » .. أى الجميلة ، وهى أخت « حنا بعل » القرطاجي (القرطاجنى العظيم) .

وضاح اليمن ... مرة أخرى !!

● حول حقيقة وضاح اليمن . قرات في العدد ٢٠٧ من مجلة « العربي » ردا على مقالة الدكتور محمد محمود الدش من السيدعبد الله الجبوري ، الذي ينادي ببطلان القصة من اساسها ، وبانها حكاية وهمية روجها الاستاذ احمد حسن الزيات ...

ان قصة وضاح اليمن ، كما ذكرت في مقاله الدش ، هي صحيحة ، تجد سندا لها في كتاب (الأغاني) : المجلد السادس طبعة ١٩٥٦ بيروت ، أما مؤلف (الاغاني) فمعروف لدى الجميع ... وهو ابو الفرج الاصبهاني ، العالم المدقق .

علي محمد ـ بغداد

هلاّ كتبتم عن عربستان ؟ ؟

● « العربي » مجلة العرب كلهم رغم اختلاف أقطارهم ، وعلى صفحاتها تنعكس بلا شك رؤى الاحداث المتتابعة في دنيا العرب ..

وها هي الآن ، بعد كل هذه الأعوام التي مرت بها ، تتبوأ مركز الصدارة بين كافة مجلاتنا العربية المتطورة الناهضة ، الآخذة بمبدأ التجديد والابتكار في كل عدد من أعدادها ، فتنطلق بوعي وعزم واصرار في دروب الثقافة الفسيحة ونور الحقيقة الساطع ..

وتمشيا مع مبدأ نصرة الحق ، واعلاء لكلمة العروبة المجيدة ، ارجو أن تنقل مجلتنا القراء لقرائها العرب في كل مكان ، حقيقةَ عيشِ اخوانهم في أرضنا السليبة : عربستان !!

البصرة ـ المعقل — طاهر التميمي

(بقية البريد على صفحة ١٥١)

٤ ـ «كاب بون» وصحيحه «الراس الطيب»

٥ ـ جزيرة « زمبرة » وجزيرة « زمبرته »» وصحيحها « الجامور الكبير » و «الجامور الصغير » .

٦ ـ « عين الطاناسيرة » وصحيحها « عين الصبية » .

٧ ـ ولعلكم قد نسيتم ذكر «عين السلحفاة» وهي خاصة عيون « قربص » .

ويعود المام أهل تونس بزراعة الخضراوات الى عهود سحيقة تمتد حتى عصر قرطاجنة ..وهم الذين حملوا هذه الفلاحة الى الأندلس واسبانيا ، وساهموا في انشاء الحضارة الأندلسية . وبعد خروج العرب من اسبانيا ، عاد المغربيون الى بلادهم ، حاملين معهم اسم الاندلس ـ وهو مشتق من لفظة «الفندال» Vandales أي شعب المانيا المشرد ـ ناقلين معهم حضارتهم المزدهرة في حقول الزراعة والتجارة والصناعات اليدوية والفنون الترويحية والرقة في الشعر ، والشعور بالنخوة العربية الأصيلة والتمسك بتقاليد الفروسية الباقية حتى الآن .

وختاما ، أكرر لكم اعجابي بكل ما قدمتموه لنا بهذا الصدد ، وبطريقة عرض الصور الجميلة المنتقاة ، والشروح الطريفة تحتها . اما الهنات التي أشرت اليها في بداية عجالتي هذه فلا تنقص من قدر استطلاعكم المذكور ، على أية حال . لأنه لا يقدر على الالمام بها الا الاخصائي في تاريخ المغرب العربي .

الدكتور محمد الهادي كورده ـ تونس

العربي : الفندال قوم من القدماء جرمانيون عاشوا بين نهر الأودر ، والفستول ، وغزوا فرنسا ، وأسبانيا ، ثم غزوا شمال أفريقيا وذلك بين القرن الخامس الميلادي والسادس . كذلك تلاحظ مجلة العربي أن الأسماء التي جاءت بها بعثة الاستطلاع انما هي الأسماء الشائعة في تونس ، والمذكور بعضها في الكتب السياحية هناك .



حديث الشهر

عدل الأرض أم

• رجل لا يشار إليه بالبنان

• عربيات سقط قيدها

بقلم رئيس التحرير

خلق الله الانسان فى احسن تقويم

ونظم الله الكون احسن تنظيم .

وانظر فى الطبيعة فاجد الجمال كل الجمال .

ولكن لا أجد الكمال كل الكمال .

الجمال

اما الجمال فانا واجده فى الانسان ، وفى الحيوان جميعا .

الانسان جميل .

الثور جميل .

الفرس جميل .

القط ، الكلب ، السمك ، الطير . كل جميل فى جوه ، متناسق مع بيئته .

حتى الثعبان املس فى مسه ، رائع فى زحفه وهو منبسط ، رائع فى تحوّيه وهو منقبض .

كل الخلق ، فى نظرة الفنان الخبيرة ، وفى فكرة العالم الثاقبة ، جميل رائع الجمال .

ان الذى يعطى الانسان معنى البشاعة



عَدْلُ السَّماءِ؟

فى بعض الحيوان انما هو الخوف منه .

ان العقرب جميل الصنع ، جميل الحركة ، جميل الدفاع عن نفسه بالذى له من ذَنَب . ولكن هذا الذنب نفسه ، الذى من بعض معانى الاعجاب به الحذق فى الصنع ، هو الذى يعطى الانسان معنى البشاعة من العقرب . وهو معنى مصنوع فى الانسان مخلوق ، مردّه الى الصيغة التى صيغ بها العقرب . انها الصيغة التى صيغ بها العقرب . انها بشاعة نسبية اذن . ولو أن مخلوقا جاء من احد الكواكب ، مصنوعا غير صنعة الانسان ، لراى فى العقرب ، فى صنعها ، فى خلقها ، فى حسن رعايتها لنسلها ، وحتى فى ذنبها المخوف هذا ، لراى فى كل ذلك جمالا لا يقل عن جمال يراه الانسان فى الطير تحمله فى الهواء اجنحة، أو فى السمك ينساب فى الماء انسيابا ، يوجهه فى طريقه ذيل وزعنفة .

الكمال

هذا هو الجمال .

وغيرُ ذلك الكمال .

وفى مقدمة الكمال ، العدل .

والعدل ، أبحث عنه بين الحيوان ، فلا اجده .

انظر اليه استشفه ، بالمعنى الذى اصطلح عليه الانسان ، واقيسه بالمقياس الذى سنّه الانسان ، فلا اجده .

فى البر ياكل كبير الحيوان صغيره ، ويأكل الجارح من الحيوان غير الجارح.

وفى البحر ، ياكل ذو الفم الواسع من

له الجسم الصغير الضامر .

وفى الجو ، تأكل النسور من صغار اهل الأرض ، ويأكل كبار اهل الأرض من صغار أهل السماء .

والانسان يأكل من بر ، ومن بحر ، ومن سماء .

وهو يأكل منها ويقول انه الصيد الحلال .

وبناؤه ، وحاجة جسمه ، بحكم الطبع ، كلها تقول انه الصيد الحلال .

وتقول معه ، وتؤمن على ما يقول ، التوراة والانجيل والقرآن .

وكأنما الحياة فى الدنيا تبتنى وتنشأ ، ليكون منها لصنوف اخرى من الحياة طعام .

معنى العدل مفقود

فمعنى العدل بين الحيوان والحيوان ، وبين الحيوان والانسان ، كما ساق القياس اليه ، وفيه الانسان ، مفقود مفقود ، واللحوم جميعا ، بين آكلات اللحوم ، مستباحة .

شذ عن ذلك آكلات العشب . فلا نجد الخيل والثيران ، وهى كبيرة ، تأكل النعاج ، وهى صغيرة .

وشذ عن ذلك الجنس الواحد . شذ افراده . فلم نجد فرسا يأكل فرسا ، ولا فيلا يأكل فيلا . وتتجمع الأفراس فى الطبيعة ، وتتجمع الفيلة ، ليكون منها القبيل ، وتكاد ان تسكن مساكنها جملة ، وان نزحت عنها ، نزحت جملة . وفى الجملة تجد الأمان .

ومن الجنس الواحد الانسان .

العدل فى الانسان

والعدل فى الانسان ، على المستوى الحيواني ، طبع ، ليس له فيه فضل . فالرجل لا يأكل الرجل . ولا تأكل المراة المراة . وكان حقيقا بالرجل أن يأكل المراة ، ولكنه لا يفعل .

ولكن الانسان يفصّل معنى العدل تفصيلا ، ويشقّقه تشقيقا . وراح يفصل المفصّل ويشقق المشقّق ، وينقض ويبرم ، حتى جاء من التعاليم بشيء من مراسم العدل عظيم ، ضاقت به طبيعة الانسان . فقد ذهب عن الانسان اكل بعضه بعضا ، ولكن لم يذهب عن الانسان اكل طعام الانسان ، واخذ كسائه ، واستباحة ماله ، وحرماته ، وفى سبيل ذلك هو يقتل . ولو انه لا يأكل جثة قتيله .

وسن الانسان للمعتدين من بني الانسان القوانين ، وقسّط العقوبة للمجرمين .

بيت القصيد

فى هذه الدنيا يستطيع الانسان الحاذق ان يجرم ، وان يفلت .

ويستطيع القوى ان يسلب الضعيف ماله ، وحقه ، ويستذل كرامته ، ويتخاذل القضاء امام القوة .

ومن الرجال من يسيطر حتى يمسك هو بزمام القانون ، ويتحدى التاريخ ، ويفعل بشعبه الأفاعيل .

وكل هؤلاء يخرجون من الدنيا ، وقد غنموا منها الكثير .

فلم لا يتأسى بهؤلاء كل قادر ، حاذق ،

قوى ، مخادع ، ويخرج عن الدنيا بعد ان يكون قد غنم منها المغنم الكبير ؟

هذا سؤال فى الناس ، لا شك ، قديم عتيق .

واجاب الانسان عليه بحكم الفطرة . حتى والعصر عصر اوثان .

قال : بانه وراء الحياة الدنيا ، حياة اخرى ، ينصب فيها للعدل ميزان .

وجاءت من بعد ذلك اديان : جاءت توراة ، وجاء انجيل وجاء قرآن . واطمأن الانسان الى أن من افلت من قضاء الارض فلن يفلت من قضاء السماء .

وهذا ، على ما ارى ، لا يزال الحافز الوحيد الباقى ، لكل امن فى الدنيا ، يرجى ، وكل امان .

والا ، فان صح ما يقول به الكفرة الجاحدون انه لن يكون فى السماء قضاء ، فيا لخيبة الرجل الذى قدر على الظلم فى الدنيا فلم يظلم ، ويا لخيبة الرجل الذى قدر على القتل وسفك الدم فى سبيل لذاته فلم يقتل ولم يسفك دما .

رجل لايشار اليه بالبنان ..

انت رجل ، اذا ظهرت فى الناس ، لم يشر اليك احد منهم ببنان ، ولا يهمس باسمك وانت تمشى فى الطريق انسان . وانت رجل لا يظهر اسمك فى الصحف حيناً .

وانت رجل ، اذا تنقلت فى المدينة الكبيرة ، لم تعرف رجلاك سبيلهما الى السيارات أو الى التكسيات . والترام دابتك ان يكن ترام ، او الحافلة المزدحمة ان تكن حافلة .

وانت رجل اذا احتاج بيتك الى اللحم ذهبت بنفسك الى الجزار ، او الى الخضر ذهبت بنفسك الى الخضرى . او الى البقالة ذهبت بنفسك الى البقال . وحملت انت كل ذلك الى بيتك ، لا يعترضك فى الطريق وانت تحمل ذلك من ينتقدك . فالذى تلقى ، اما هو رجل يعرفك ، فهو مثلك ، او لا يعرفك فقد قل اهتمامه بك . وانت لا تعرف فى اهل حيك الذى تعيش فيه وتتردد عليه ، على الأكثر ، غير صورة ، او على الاقل ، اسما مبتورا .

وانت رجل يعمل . وتجتهد فى عملك . تخرج اليه باكرا ، وتعود منه متاخرا ، وقد اجزلته ، حبا فيه اولا ، فحبا فى ادائه واجبا .

وانت ترى ان الاجر الذى تأخذه انما هو ثمن العمل ، لذلك انت توفيه ، حتى لا تحس بأن فيما تقبض يداك من اجر شبهة من سرقة أو ريبة من احسان .

وانت على العمل الصادق ، والاجر المصدوق ، تفى بواجبات النفس ، فانت لا تزيد فتسرف ، ولا تنقص فتجحف .

وانت ، مع واجبات النفس ، تفى بواجبات الغير .

فانت تفى بواجبات الزوج ، حبا فى الزيجة ، واعترافا بالجميل .

وانت تفى بواجبات البنين والبنات .

فانت تطعمهم وتلتذ طعامهم ، كأنما هو لفيك ذلك الطعام . وانت تكسوهم ، وتلتذ كسوتهم ، فكأنما لجسمك هذا الكساء . وانت ترشد ، وانت تهدى . وانت تنفق فى تعليم ما استطعت ، وكل درهم يخرج من جيبك فى سبيل هذه النفقة ترتاح اليه نفسك ، لانك به تؤمن حياة من يأتى ، بمثل ما أمن حياتك انت من مضى .

وانت تنظر فى صحبك ، فتجد اكثر الصحاب من يغدر ويخون ، او من ينسى فلا يذكر ، او من يرتفع فتؤلم رقبته النظرة الى ادنى . فلا يغيرك ذلك . وتحاول انت دائما ان تكون الصاحب الوفى الذاكر الامين .

وانت تنظر فى الملأ حولك ، فتجد اكثر الناس تهدم ، فتحاول ان تبنى ، ولو كوخا من طين .

وتمضى الايام وتنطوى السنون . فترى الذراع التى كانت طالت اخذت تقصر ، والعضل الذى كان اشتد اخذ يضعف ، والخطو الذى كان شديدا حديدا صار وئيدا . والبصر الذى كان يرى بعيدا ، اصبح لا يرى الا قريبا ، فاقرب . والذى كان يرى صغيرا اصبح لا يرى الا كبيرا فاكبر .

وانت ، مع كل هذا ، تظل على املك ، وعلى بشرك ، وعلى بسمتك . تحيا يومك ، ولا تبالى ان لا ترى لك غدا .

ثم يأتيك قضاء الله ، وانت لا تدرى .

فى حياتك لم يشر احد اليك ببنان .

وفى مماتك لم يتسع لاسمك فى صحيفة مكان .

وتمضى فى الموكب الأبدى ، شبحا بين اشباح ، تنظر امامك فتجد عدد حصى الأرض من امم كانت على الارض سبقت ، وتنظر خلفك ، فتجد الموكب كل دقيقة يتجدد .

اقرأ كل هذا . .

فان كانت هذه صفتك ، وهذا مزاجك ، فانت لا شك رجل سعيد .

عربيات سقط قيدها . .

يولد الولد فى المدينة ذات المدنية ، فلا يمضى يومان حتى يسجل اسمه فى سجلاتها . مولودا جديدا ، وبهذا تصبح له جنسية البلد الذى فيه ولد . ولكن من المواليد ما لم يعن اهله بتسجيله ، فهو مواطن ، ولكن لا دليل على جنسيته ، واذن يسمى من سواقط القيد .

والدارس للألفاظ العربية لا يلبث ان يصنفها على الفور صنفين ، صنفا مسجلا فى القواميس ، فعربيته ثابتة ، وصنفا ساقط القيد ، لا عيب فيه الا ان القواميس لم تسجله . ولكن ينطق به الناس وينطق العرب .

والمعروف بالطبع ان القواميس العربية قديمة ، وانها (على غرار القواميس الافرنجية القديمة) من عمل فرد واحد . انها لم تكن من عمل فئات من الناس متعاونة . وبالطبع لم يكن فيها استيعاب

العدد القادم

من

هو

العدد السنوي

الممتاز

وانى للفرد أن يستوعب ولو كان له علم الأولين والآخرين .

ثم ان هذه القواميس اخذ بعضها عن بعض . فالذى سقط من هذا سقط من ذاك . وتواتر السقوط .

ونحن الآن فى زمن زاد عدد المتعلمين فيه فى الأمة العربية ، وهو آخذ فى ازدياد . وبدل أن كانت الأمية غالبة ، ستصبح غير الأمية هى الغالبة . والمكتوب من اللغة حتما سوف يقارب المنطوق . ولكن فى المنطوق اللفظ الكثير العربى الذى يأبى الكتّاب المحافظون الى اليوم ان يرسموه على الأوراق . ويتذرعون لذلك بانه عامىّ . والعامىّ من العموم . وما العموم الا الناس . وهذا امتدادٌ لارستقراطية قديمة ، غير نافعة ، وجب أن تزول . واذ تمقرطت الأمة العربية وجب أن يتمقرط كل ما كان استقرط من ألفاظها .

والرأى ان نستعرض هذه الألفاظ ، ساقطة القيد . ونتلمس الطريق الى اثبات عربيتها . ولهذا شرطان يتحتم الوفاء بهما معا :

١ ــ أن يكون لهذه الألفاظ الجرْس العربى الخالص ، وأن لا تكون عُجْمة فيها تدل على أصل أجنبى من الأصول . وان تقبل الاشتقاق والتشقق . وانها ، لولا القواميس ، ما درى أحد الا انها عربية .

٢ ــ أن ندور بها على مجموعة من رجال العرب ، رجل من قطر عربى ، يبلغون العشرة أو يزيدون . فان قالت أكثرية فيهم ان اللفظ ينطق به الناس فى بلادهم ، كان هذا دليلا على عربية مسلوبة .

واذا تحقق هذان الشرطان ، رُدّ الى اللفظ اعتباره ، وعُدّ عربيا ، يدخل لغة الكتابة والأدب ، ويدخل القواميس الحديثة .

ولاضرب الأمثال :

مثال ذلك لفظة « دردشة » لو وجدناها على الألسن فى أكثر بلاد العرب ، ووجدنا لها الجرس العربى ، وتشتَق منها الأفعال والأسماء ، حكمنا بعروبتها ، ولو لم نجدها فى القواميس . واحسب أن مثل دردش ، دشدش ، طرقع ، خربش ، خرمش ، شخبط ، لخبط ، برطع ، عصلج ، شعلل ، بحلق ، بلّط .

وهى ولفظ دردشة على وزن واحد .

من اين جاءت هذه الألفاظ ؟ انجليزية ؟ فرنسية ؟ ألمانية ؟ طليانية ؟ يونانية ؟ تركية ؟ ايرانية ؟ هندية ؟ صينية ؟

لا يمكن أبدا .

الجرس ينكر هذا . تماما كما تنكر

سحنة الصينى أن يكون عربيا .

وغير ذلك من الأفعال الأخرى ، غير هذا الوزن الرباعى ، مئات :

زعل ، كَخ ، زغر ، بص ، شخط ، هاص .. كلمات كثيرة تأتى عفو الخاطر .

وغير الأفعال ، الأسماء ، وسائر ما هنالك من الفاظ .

وقد يقال ، وما الحاجة الى هذه الألفاظ ، وعندنا فيما تضمه العربية الخالصة الكفاية . والرد على هذا ردان:

اولا : ان بهذه الكلمات حنيننا الى الرجوع الى لغتها الأم . ونحن ، فى عصر يأتلف فيه مع مزاجنا رد كل عربى طريد الى حظيرته الأولى ، وكفاه نفيا .

ثانيا : انه ليس صحيحا ان عندنا فى القواميس ما يغنى عن هذه الكلمات (الطريدة لا الدخيلة) .

وان شئت أن تدرك هذا ، فعبّر لى عن هذه الجمل الآتية بجملة كل كلماتها من قواميسنا فحسب :

« انا زعّلت محمودا » .

ماذا تقول مكان هذه ؟ تقول : انا اغضبت محمودا . ابدا . ليست بمعناها . فالزعل غير الغضب .

ومثل آخر :

« المفتاح عَصلَج فى القفل » .

« أعطانى ظهره وبَرْطَع » . (وبرطع تقال عن الحمار اذا جرى وحده) .

« اخذ يبحلق فىّ وانا اتجاهله » .

« محمد بلّط على الفلوس التى أعطيتها له » . (والأصل فى التبليط هو القعود على البلاط ورفض الحركة) .

انا لا ادعو الى العامية . ولا ادعو الى قبول الدخيل . انا أدعو الى العربية الخالصة ، ولكنى أتهم القواميس كلها ، كما اتهمها كل لغوى قبلى ، بأنها لم تضم كل لغة العرب . والذى اغفلته ، بقى على السنة الناس ، عربيا فى الأذن ، سائغا سياغة كل لفظ عربى على اللسان .

ان هذه الدعوة تشجب الدعوة الى العامية أى شجب . ان الذين يقولون بالعامية يقولون كيف نقبل كلمة فى كلامنا ولانقبلها فى كتبنا ، علما بأن الناس تمارس الكلام فى حياتها أكثر مما تمارس الكتب . وهم يقولون ان العامية ادق معنى من الكلمة التى تحاول ان نحلها محلها من القواميس . وهم بذلك انما يقصدون تلك الكلمات العربية ساقطة القيد . فلندخلها الى اقلامنا كما أدخلناها الى السنتنا ، فندفع أكبر حجة يأتى بها دعاة العامية . فالعامية لا شك قاضية على رابطة الأمة العربية الكبرى ، تلك هى اللغة الفصحى .

وارضاءً للاخوان المحافظين قد أقول ، فلندخل الآن ، فى عصر سوف يصبح فيه كل عربى قارئا كاتبا ان شاء الله ، كلّ كلمة عربية ساقطة القيد ، ليس لها فى القواميس مثيل . واللفظان المثيلان هما اللذان يطابق احدهما الآخر ، او كما تقول القواميس : حذوك النعل بالنعل .

ولن يثير أحد مسألة القرآن والأحاديث ، فالموضوع الذى انا به لا يمس قرآنا ولا حديثا ولا دينا ، من اى جانب كان . وكيف والقرآن والحديث والآثار الأدبية جميعا ، من نثر ناثرين ، ونظم شعراء ومترسلين ، مذخرة للغة اى مذخرة ، ومفخرة للعرب اى مفخرة . ■■

أحمد زكى

مسابقة العدد

١٢ خطأ = ١٠٠ دينار





■ الى يسار هذا الكلام رسمان لمنظر واحد،يخيل اليك انهما متشابهان تماما .. ولكن حذار ، فالصورة السفلى بها ١٢ خطأ غير موجودة بالصورة العليا ..وهذه الأخطاء لا يلمحها الا الناظر المتأمل فى الرسمين جيدا ..

والمطلوب منك هو العثور على هذه الأخطاء الاثنى عشر ، فاذا نجحت فى معرفتها جميعها فامامك فرصة كبيرة للفوز بالجائزة الأولى ..

واذا عثرت على ١١ او ١٠ أخطاء فقط فلا تتردد فى ارسال خطابك ، ولكن يجب أن تلاحظ أن فرص الفوز أمامك ستكون ضئيلة .. ولكنها ليست معدومة ..

شروط المسابقة

١ – تكتب الأخطاء الاثنا عشر على ورقة مستقلة ، ويكفى لذكر الخطأ الواحد كلمتان او ثلاثة او نحو ذلك ، ويرفق معها كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٣ من هذا العدد .

٢ – يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربى » – العدد ٧٣ .

آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر يناير (كانون الثانى) ١٩٦٥ . وترسل الاجابة مباشرة بعنوان مجلة «العربى»: صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الأولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير .

■■

الموسوعية والموسوعات طابع الثقافة العربية

الطبرى ، وحده ،
يعدل فى تاريخنا الفكرى ،
كل مؤرخى القرن السادس الهجرى

أول دائرة معارف ظهرت فى التاريخ

الجاحظ .. وابن قتيبة ..
والدينورى .. وابن جعفر ..

كان كل منهم دائرة معارف قائمة بذاتها



> السيوطى : كان جامعة كاملة
> ودار تأليف ونشر وحده
> خلف تراثا لا تقوم بمثله جماعات

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد

■ نشأ الفكر العربى فى العصور الوسطى موسوعيا وانتهى موسوعيا . نشأ على أيدى رجال فتح الاسلام لهم ابواب العلم والمعرفة ، وبسط الأرض أمامهم ليضربوا فى مناكبها ، ويتوسعوا فى العلم بالأرض ، وما عليها ، عن طريق المشاهدة والتجربة ، ووضع فى ايديهم

وحافزها الدافع



تراث الماضين ليتمثلوه ويضيفوا خلاصته الى ثروة الفكر العربى الاسلامى الناهض، ثم ينشئوا من ذلك كله أدبا وعلما زاهرين يتناولان كل ما يرقى بالانسان ويوسع أفقه ويهذب خلقه ويزيد حظه من الرقى والرخاء .

هؤلاء الرجال هم الذين ارسوا اسس الفكر العربى بجهدهم الدءوب المخلص خلال القرن الهجرى الثانى ، الثامن الميلادى ، وهم الذين طوروا مفهوم الأدب من معنى التهذيب والسير على التقليد الخلقى الحميد ، الى معنى المعرفة الانسانية الواسعة « والالمام من كل شيء بطرف » كما قال عميد الموسوعيين خلال العصر الأول من تاريخنا الفكرى ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (توفى ٢٥٥هـ /٨٦٩ م) .

فى القرن الهجرى الثانى : المعرفة كلٌ لا يتجزأ

خلال ذلك القرن الهجرى الثانى كانت المعرفة فى نظر طلابها كلا واحدا لا يتجزأ ، يشمل علوم الدين والدنيا ، ويَعتبر الكون كله مجالا للبحث والتفكير والتاليف . وكان على طالب الثقافة ان يحفظ القرآن ويحيط بمعانيه ، ويلمّ بما تيسر له من الحديث ، ويحفظ ما يستطيع من شعر الجاهليين والمعاصرين ، ويتمكن من اللغة وتاريخ العرب وايامهم وعلومهم الاولى كالطب الطبيعي والنباء والانواء والقيافة وما الى ذلك .

ابن المقفع يضيف زادا عظيما من تراث الهند وفارس

وجاء ابن المقفع (توفى ١٤٣ هـ/٧٦٠ م) فوسع الافق واضاف الى ثروة العرب شيئا عظيما من تراث الهند وفارس ، ونقل الى العربية كتبا مثل الخداى ــ نامه (اى كتاب السادة) ، وكليلة ودمنة .

فاما الاول فقد دخل تراثنا تحت اسم « سيَر ملوك العجم » ، واتاح للناس الفرصة للاطلاع على جانب من تاريخ البشر قبل الاسلام ، ووضع بين ايدى طلاب التاريخ نموذجا افادوا منه فى تطوير فكرة التاليف التاريخي .

واما الثاني ــ كليلة ودمنة ــ **فكان نموذجا**

جميلا للقصص الرفيع ذى المغزى البعيد ، وثروة من الحكمة وتجارب البشر تلقاها الفكر العربي فى اجمل صورة واكملها .

وفتح ابن المقفع للناس بكتابه « الصحابة » ابواب التفكير السياسى ، ودعاهم الى التفكير الموضوعي فى شئون الدول والحكومات والشعوب والسلاطين ، هذا الى ما تضمنته كتبه الاخرى مثل الدرة اليتيمة والادب الصغير من حكم وتاملات يعجب الانسان من صدورها عن شاب قام بذلك العمل كله قبل ان يبلغ السادسة والثلاثين من عمره .

الجيل الأول من الموسوعيين

فى هذا الطريق الواسع سارت الاجيال التالية لجيل ابن المقفع ، واطلعت رجالا ملأوا القرن الهجرى الثالث كله علما وادبا . وقد تميز اولئك الرجال قبل كل شيء بالموسوعية فى الاتجاه والشمول فى العلم : قرأوا متوسعين فى كل فن ، وكتبوا مكثرين فى كل باب من ابواب المعرفة .

فهشام بن محمد بن السائب الكلبي (توفى ٢٠٤ او ٢٠٦ هـ / ٨١٩ او ٨٢١ م) كتب فى علوم القرآن والسيرة النبوية والشعر وعجائب البحر والاصنام والتاريخ العام ، بل له كتاب يسمى « منطق الطير » .

وابو عبيدة معمر بن المثنى (توفى ٢١٠هـ/٨٢٥م) كتب فيما يقول ابن النديم مائة كتاب وخمسة كتب تتناول كل موضوع تقريبا .

والاصمعي عبد الملك بن قريب بن قيس (توفى ٢١٤م/٨٢٩هـ) الف بضعة واربعين كتابا فى الشعر واللغة والطب والنبات.وابو زيد سعيد بن أوس الانصاري (توفى ٢١٥هـ/٨٣٠م) كتب قريبا من هذا العدد من المؤلفات فى كل علوم العصر المعروفة. ومن مؤلفاته واحد عن المطر وآخر عن اللبن .

وابو عبيد القاسم بن سلام (توفى ٢٢٣هـ/٨٣٨م) الف فى علوم الاسلام واللغة والتاريخ والشئون المالية . وكتابه « الاموال » آية فى التنسيق والعمق وحسن الفهم والدقة . وكتابه الآخر المسمى « غريب المصنف » اشبه بموسوعة تكلم فيها عن الانسان والطعام والشراب والابنية والمراكب والسلاح والطير والحشرات والنار والشمس والقمر وما الى ذلك . وقد انفق فى تأليفه اربعين سنة فلا غرابة ان اصبح من غرر الكتب فى المكتبة العربية الى اليوم .

كان نهم الى المعرفة يميز الأمم الحية

هؤلاء جميعا كانوا يقرأون فى كل موضوع ويكتبون فى كل موضوع ايضا . كان يدفعهم الى العمل ذلك النهم الى المعرفة الذى يميز الأمم الحية العائدة لغيرها من الامم ، وموسوعيتهم كانت مظهرا من مظاهر السيادة العربية ، لأن العلم فى ذاته سيادة وطلبه عزة ، وعلى طول التاريخ كانت الأمم العالمة هى الأمم السائدة ، ولم يجتمع فى التاريخ ابدا علم وذل .

وكانت موسوعية لا منهج لها ، مهدت للموسوعيين المنهجيين

ولكن موسوعية هذا الجيل كانت موسوعية اتجاه لا منهج ، اى ان اولئك الرجال كانوا يقرأون دون نظام ويكتبون دون نظام ايضا ، وهم يتنقلون فى الفقرة الواحدة من علوم القرآن الى الشعر الجاهلى الى النبات او الحيوان الى الفلك ، وقارئهم يتعب اذا طلب عندهم موضوعا بعينه .

خمسة من اعلام الموسوعية المنهجية

ولكنهم مهدوا الطريق للطبقة الاولى من الموسوعيين المنهجيين فى تاريخنا واعمدتها خمسة من الاعلام ، يعتبر كل واحد منهم دائرة معارف قائمة بذاتها .

قدامة بن جعفر الكاتب

اول هؤلاء قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب (٢٣٧هـ/٨٥١م) وهو اول عربي الف كتابا شاملا لكل المعارف التى يحتاج اليها المشتغل بالكتابة الديوانية والانشائية ، وقد اطلق على كتابه الجامع هذا اسم « الخراج » ، والمراد به الشئون المالية للدولة ، وهى عصب الادارة وعماد الخلافة ، وقد

بقيت لنا من موسوعيته تلك قطع تدل على علم مستبحر ، واحدة في الخراج بالذات ، وثانية عن نقد النثر ، وثالثة عن نقد الشعر . وهناك قطع اخرى لا تزال مخطوطة تنتظر من يخرج بها الى النور .

أبو عثمان الجاحظ

وثاني هؤلاء ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (توفي ٢٥٥هـ/٨٦٩م) اميـر هـذا الطـراز من الموسوعيين في تاريخنا ، فقد كان يكتب بنفس المستوى من الاجادة والعمق والشمول وخفة الظل في العقائد ، وعلوم الاسلام ، والادب ، والتاريخ الطبيعي ، والطب ، والاجناس ، والحيوان ، واخلاق البشر . وهو مسهب متدفق طويل النفس، يصوغ ما يكتب في اسلوب سهل ممتع ، ويخاطب عقل القارىء ويناقش معه الموضوعات والآراء في غير اثقال او ادعاء او تكلف . ومن اسف ان الجاحظية لم تجد من يرثها ويسير بها في الطريق الذي كان كفيلا بان يخرج بالفكر العربي من العصور الوسطى الى العصور الحديثة .

ابن قتيبة

وثالثهم ابو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة (توفي ٢٧٦هـ/٨٨٩ م) وهو يكاد يضاهي الجاحظ في سعة العلم وحرية الفكر وكثرة التاليف وتنوع الكتب ، وهو يشبهه ايضا في ان معظم كتبه الرئيسية سلم من عبث الايام ووصل الينا ، وكتابه «ادب الكاتب» خزانة علم وادب لو فسرت وبوبت لكانت دائرة معارف . اما كتابه « عيون الاخبار » فنموذج جميل من كتب الادب بمعناه الواسع عن العرب ، وهو معنى يقابل ما نسميه نحن اليوم بالآداب او الانسانيات .

الدينَوَري

ورابعهم ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري (توفي ٢٨٢هـ/٨٩٥م) وقد الف في النحو واللغة والتاريخ والهندسة والحساب ، ولا يزال كتاباه الرئيسيان«الاخبار الطوال» و «الامامة والسياسة» من معضلات التواليف في مكتبتنا العربية ، لان الخلاف طويل حول اصول مادتهما ونسبة بعض فصولهما اليه .

ابن العباس المبرد

وخامسهم أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (توفي ٢٨٥هـ/٢٩٨م) وكتابه « الكامل » موسوعة لعلوم العرب الى ايامه، تتناول كل فن من ادب الى تاريخ الى لغة الى دين الى طب ، وهو يتنقل بقارئه من فن الى فن على طريقة كانت تعجب الاقدمين ولكنها تجهد الباحث الحديث ، فقد كانوا يرون ان الاستطراد من موضوع لموضوع يعين القارىء على القراءة ويبعد عن نفسه الملل ، اما نحن فنرى فيه تقسيما لوحدة الفكرة والموضوع.

ويلحق بهذه الطبقة من الموسوعيين اثنان من اهل القرن الرابع الهجري هما ابو عمر احمد ابن محمد بن عبد ربه (توفي ٣٢٨هـ/٩٤٠م) ، وابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني (توفي ٣٥٦هـ/٩٦٧م) ، والاول مشهور بكتابه المسمى « العقد أو العقد الفريد » وهو من أجمع الكتب عن العرب وتاريخهم وانسابهم وشعرهم ونثرهم وعلومهم ، وتلمح فيه محاولة جادة لترتيب المادة الواسعة وتبويبها ، والثاني مشهور بكتابه « الاغاني » وهو دائرة معارف في الادب والتاريخ خاصة .

الموسوعية في المعرفة كانت شرطا من شروط الظهور والرياسة

وهؤلاء الموسوعيون هم الذين أعطوا الفكر العربي طابعه الموسوعي الانساني الذي أصبح من مميزاته الرئيسية ، ونحن لم نذكر منهم هنا الا اكابرهم الذين حددوا مستوى الثقافة الذي كان لزاما على كل من يطمح الى مكان محترم في المجتمع ان يصل اليه او يقترب منه على الأقل ، فبينما كان شرلمان ، اكبر اباطرة الغرب في العصور الوسطى ، لا يعرف من الكتابة الا رسم اسمه ، كان المجتمع العربي لا يرضى عن حاكم بلد صغير الا اذا كان على حظ طيب من المعرفة بالتاريخ والشعر والنثر وعلوم الدين والطب والحكمة وأحوال الدنيا . وقد يكون الرجل قائدا عظيما ، أو خليفة واسع السلطان ، او اميرا عظيم الولاية، او تاجرا ذا مال عريض ، ولكن المجتمع لم يكن يعترف بمكانه الا اذا تحلى بالثقافة الواسعة ، وقرأ شيئا من الكتب التي اشرنا اليها ، وجالس اهل العلم والأدب وشاركهم الحديث وطارحهم

الشعر ، لأن « الادب » أى الثقافة الانسانية الواسعة ـ كان شرطا من شروط الظهور والرياسة فى ذلك العالم العربى المثقف .

اضمحلت الموسوعية بعد القرن الرابع ، ولكن لم يتوقف التاليف

ونحن عندما نقول ان الفكر العربى أخذ فى الاضمحلال بعد القرن الرابع الهجرى، العاشر الميلادى، لا نعنى بذلك ان البحث والتاليف فى هذا العلم او ذاك قد توقف وانقطع ، وانما معناه ان الفكر فقد طابعه الموسوعى ، واقتصر كل باحث او عالم على علمه وفنه ، ذلك لأن التاليف الجيد فى شتى العلوم لم يتوقف خلال تاريخنا كله، حتى خلال العصر التركى لم يتوقف العلماء عن البحث والدرس والتأليف ، ولكن الذى يلاحظ بعد القرن الرابع هو هبوط الهمم عن القراءة الواسعة والتاليف الواسع ، أى التخلى عن الموسوعية ، ولكل ثقافة من الثقافات طابعها المميز وعنصرها الدافع المحرك ، وبالنسبة للثقافة العربية كانت الموسوعية هى روحها وطابعها المميز وقوتها الدافعة .

الفرق بين الطبرى ، المؤرخ الموسوعى وابن اياس ، المؤرخ فقط

ونوضح هذه الناحية بمثال : نحن نقول ان ابا جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠/٩٢٢م) عميد مؤرخينا ، قبل ابن خلدون ، وان البون شاسع بينه وبين رجل مثل محمد بن احمد بن اياس (ت. حوالي ٩٣٢هـ/١٥٢٨م) مع ان ابن اياس مؤرخ ممتاز متقن لفنه ، وكتابه « بدائع الزهور » من الاصول التى لا يستغنى عنها باحث فى تاريخ دول الاسلام ، وهو من حيث الطول والاتساع لا يقل عن تاريخ الرسل والملوك للطبرى . ولكن الطبرى لم يكن مجرد مؤرخ ، انما كان بحرا من العلم ، وقد كتب قبل ان يكتب التاريخ تفسيره المشهور ، وهو دائرة معارف تجمع كل علم وفن ، ما نمر فيه بتفسير آية كريمة الا وجدناه يفيض فى الشرح والتفسير غير مقادر لمحة تاريخية او أدبية او علمية الا ذكرها . اما ابن اياس فمؤرخ فحسب ، وهو يسرد الحوادث دون أن يدل على اتساع افق او تبحر علم أو نظر الى ما وراء ما يكتب . والفرق بينه وبين الطبرى هى الموسوعية والشمول ، وهما فى حساب الثقافة العربية المقياس الحقيقى لعلم العالم ، وهى الميزة التى تميز العالم العربى عن غيره .

فالطبرى مؤرخ من مؤرخى عصر الازدهار لانه موسوعى ، وابن اياس من رجال الاضمحلال لانه غير موسوعى . والطبرى وحده يعدل فى تاريخنا الفكرى كل مؤرخى القرن السادس الهجرى من امثال بهاء الدين بن شداد (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٥م) وابن ظاهرى الاسرى (ت ٦١٢هـ/١٢١٥م) سبط ابن الجوزى (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) . وشهاب الدين ابى شامة (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧). حتى عز الدين بن الامير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) وهو اكبر مؤرخى القرن السادس تنقصه الموسوعية ، ويفتقد عنده اتساع الافق وشمول الثقافة الذى يميز قادة العصور فى تاريخنا .

استمرار تقليد الموسوعية الجاحظية على طول تاريخنا

وقد ظل تقليد الموسوعية قائما على طول تاريخنا، ولكن عدد الموسوعيين قل فى عصور الاضمحلال ، والقليلون الذين ظهروا منهم خلال القرن الرابع وما بعده هم الذين ساروا فى طريق الجاحظية من التوسع فى العلم والاحاطة بكل فن مضمنينه كتابا يضم اطرافا من علمهم الواسع .

المسعودى

ففى القرن الرابع حمل لواء الموسوعية على ابن الحسين بن على المسعودى (ت٣٤٦/٩٥٧م) وهو رجل وعى صدره من العلم ما يدهش له قارئه ، فهو مؤرخ رحالة جغرافى متمكن من الرياضيات والفلك ، راوية للقصص ، حافظ للشعر والنثر . وهو يكتب فى اسلوب جزل جميل يعود بالذهن الى فحولة الجاحظ وملكته فى النقد والملاحظة ، وهو مثل الجاحظ متوسع فى التاليف ، وكتبه مترابطة الموضوعات يكمل بعضها بعضا ، وهو فى كل كتاب منها يحيل على

ما قاله في كتبه السابقة أو يقول انه سيستوفي في كتاب لاحق .

ابن مسكويه

وفي النصف الأول من القرن الخامس نجد ابا على الخازف احمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) وهو مؤرخ فيلسوف حكيم رياضي كيمائي واديب كاتب شاعر ، وكان معاصرا لأبي حيان التوحيدي ، وامتاز عليه باتساع مدى العلم والنظرة الانسانية للأمور . وكتابه « تجارب الأمم » من أحسن ما كتب في العربية في تاريخ الدنيا ، وله فيه آراء وملاحظات تصل به الى مستوى ابن خلدون كمؤرخ للحضارة البشرية ومفلسف للتاريخ ، والى مكانه كفيلسوف حكيم عارف بطبائع البشر واصول الحكمة ، فيتجلى في كتاب «تهذيب الأخلاق، وتطهير الأعراق» وهو يقوم على اساس كتاب فارسي يسمى جاويدان خرد اى الحكمة الخالدة .

والكندى والفارابي وابن سينا

وهذا يصدق عن الظاهرين في بقية ميادين النشاط الفكرى الاسلامي . فالكندى ، والفارابي وابن سينا يتربعون على عرش الفلسفة بسبب تنوع معارفهم وعمقها وشمولها وتوسيع مجال الفلسفة حتى تشمل العلوم الانسانية كلها . وابن سينا بالذات جعل كتابه « الشفاء » دائرة معارف كاملة .

وابو الطيب المتنبي

وفي ميدان الشعر يعتبر ابو الطيب المتنبي عميد شعراء العربية لا بالشعر وحده ، فان الكثير من شعرائنا يضاهونه في الشاعرية ، ولكن ابا الطيب كان موسوعة حافلة ، وقارئه يعجب باتساع علمه كما يبهره شعره .

وابو ريحان البيروني

وفي ميدان الرياضيات والفلك يحتل ابو الريحان البيروني مكان الصدارة لانه ـ الى جانب تمكنه من الرياضيات ـ أديب فيلسوف ضم صدره التراث الفكرى الاسلامي كله واتقن الى جانب ذلك الفارسية والاردية واللاتينية واليونانية ، وفي كتابه « الآثار الباقية » دلائل على ذلك كله .

بذلوا جهدا عظيما لغاية اعظم : حفظ كيان امة

ومعنى ذلك ان الموسوعية اصبحت من ايام الجاحظ هي مقياس اهل العلم في تاريخنا ، فلا يكفي لكي يكون الرجل علما من اعلام ذلك التاريخ ان يكون متمكنا من فنه الذى تخصص فيه ، بل لا بد ان يلم من كل شيء بطرف .

ولا يتصور الانسان مقدار الجهد الذى كان أولئك الرجال يبذلونه للمحافظة على تقليد الموسوعية هذا : كان عليهم ان يحفظوا ألوفاً بعد ألوف من الصفحات يحتاج استيعابها الى ألوف بعد ألوف من الساعات ، فعلاوة على ما لا بد منه من القرآن الكريم والحديث الشريف ، كان عليهم ان يدرسوا أربعة على الاقل من كتب الأدب الكبرى وهي ادب الكاتب لابن قتيبة ، والكامل للمبرد ، والاغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وتاريخا من تواريخ الاسلام كالرسل والملوك للطبرى ، والسيرة النبوية لابن اسحاق ، ودواوين كبار الشعراء الى أيامهم ، وكتابا على الأقل في كل علم وفن ، الى جانب كتب تخصصهم .

وهذا الذى ذكرناه كله كان جانبا من محفوظ رجال مثل ياقوت بن عبد الله الحموى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) وجمال الدين بن واصل (٦٩٧هـ/١٢٩٨م) وأبى الفداء ، اسماعيل بن محمود بن المظفر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) وشمس الدين الذهبى (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) واسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ولسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) وعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) وتقى الدين المقريزى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) وشمس الدين السخاوى (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) وغيرهم ممن يعتبرون عمد تاريخنا الفكرى .

وهؤلاء الرجال لم يكونوا يتكلفون هذا الجهد

لمطالب العيش ، فان العيش لا يكسب بحفظ المتون وافناء العمر فى الدفاتر ، وانما يكسب بالتجارة وعن طريق وظائف الدولة . ولا يعلل اجتهاد أولئك الرجال الا بأنهم كانوا يشعرون انهم بعملهم هذا يحافظون على كيان أمة وروح شعب وتقاليد حضارة ، والانسان لا يبذل الجهد العظيم الا اذا كان دافعه اليه مثل أعلى واعظم .

السيوطى : جامعة ودار تأليف فى رجل

ونضرب لذلك مثلا بالسيوطى

ولا شك أن هذا الحافز العظيم هو الذى حرك رجلا مثل جلال الدين السيوطى (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) الى أن يضطلع وحده بتأليف مجموعة من الكتب يعد كل منها دائرة معارف قائمة بذاتها : واحدة فى علوم الدين ، وأخرى فى التاريخ ، وثالثة فى علوم اللغة وما الى ذلك .

عاش جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٦٢ سنة هجرية ألف خلالها نحو ٥٠٠ كتابا بقى لنا منها ٣١٥ ، فلو قسمنا كتبه على سنى حياته من مولده الى وفاته لخص كل منها ٦ كتب . ولو فرضنا انه بدأ التأليف فى سن الخامسة والعشرين لكان نصيب كل سنة ١٠ كتب .

ومعظم كتب السيوطى كانها مواد لدوائر معارف: مبوبة منقبة مختصرة قدر الامكان . فله كتاب طبقات الحفاظ ، أى تراجمهم ، وهى مرتبة فى طبقات على حسب العصور . وكتاب طبقات المفسرين ، وكتاب طبقات النحويين واللغويين . وله كتاب غاية فى الاختصار والفائدة فى تاريخ الخلفاء ، واذا أردت أن تأخذ فكرة عن الطريقة المنهجية الموسوعية التى سار عليها فى التأليف فانظر كتابه « المزهر فى علوم اللغة » ، وهو فى رأى الدارسين أوفى واشمل ما لدينا عن علوم لغتنا . وكذلك كتابه « الاتقان فى علوم القرآن ». وما اظن أن انسانا استطاع أن يكتب احسن من هذا فى موضوع شاسع مثل علوم القرآن .

ولم يكتف السيوطى بهذا كله ، بل اراد أن يكتب دائرة معارف مختصرة كهذه التى نسميها نحن اليوم دائرة معارف مكتب(ديسك انسايكلوبيديا) ، فوضع كتابا سمّاه « الأصول المهمة فى علوم جمّة » ، ويسمى أيضا « النقاية » ، وهو يضم الضرورى من المعلومات عن ١٤ علما منها التفسير وأصول الدين والتشريح والبديع والبيان والمعانى والطب والتصوف والحديث وأصول الفقه .

واذن فالسيوطى رجل جعل نفسه جامعة كاملة ودار تأليف ونشر ، وعاش عمره كله يقرأ ويدرس ويبوب ويرتب ويكتب ، وقد خلف تراثا لا تقوم بمثله جماعات من الرجال .

ثم أصبحت الموسوعية تخصصا وفنا

وفى مصر المملوكية أصبحت الموسوعية فنا ومنهجا وموضوع تخصص ، وظهرت فى ذلك العهد الموسوعات الكبرى التى يعتز بها تاريخنا الفكرى ، وهى « نهاية الأرب » للنويرى ، و« مسالك الابصار » للعمرى ، و« صبح الأعشى » للقلقشندى .

وهذه الموسوعات الثلاث الكبرى تتشابه فى الفكرة والهدف وربما اختلفت فى المناهج التى قامت عليها . فأما من حيث الفكرة والهدف فهما شبيهان بما تقوم عليه أى دائرة معارف فى عصرنا هذا ، وهو جمع المعلومات كلها فى كتاب واحد ، وترتيبها على أحد اساسين : أساس المواد فترتب على حروف المعجم ، أو أساس الموضوعات فترتب على النحو الذى يراه المؤلف .

وقد اختلفت المناهج التى سار عليها المؤلفون الثلاثة بعضها عن بعض ، ولكن الحصيلة واحدة تقريبا ، ولكل واحد منهم ميزة على الاثنين الآخرين ، فالنوَيرى أكثر اسهابا فى التاريخ ، والعمرى طويل النفس فى الأدب واسع المعلومات فى الجغرافية والعلوم ، والقلقشندى أوسع الثلاثة علما بشئون الدولة ونظامها وتاريخ نظمها واداراتها واختصاص كل منها ومراتب العاملين فيها ونظم الجيوش والأساطيل وأنواع السلاح وملابس الضباط والجنود وصنوف المراكب الحربية والنقود والموازين والمكاييل وما الى ذلك .

ولا يتسع هنا المجال لتحليل مواد هذه الموسوعات الكبرى فذلك بحث قائم بنفسه ، ثم ان اثنين منهما ، هما نهاية الأرب وصبح الأعشى ، قد طبع معظمهما ، ونرجو ان يأذن الله بالفراغ منهما ، أما الثالثة ــ مسالك الابصار ــ فكانت أجزاؤها متفرقة فى مكاتب الدنيا حتى قيض الله

لها شيخ العروبة احمد زكى (باشا) طيب الله ثراه فبذل جهدا مضنيا حتى جمع اجزاءها فى دار الكتب المصرية ، وهى راقدة هناك باجزائها التى تربو على الخمسين تنتظر من يكمل العمل الذى قام به ذلك العلامة الجليل ، فقد نشر منها جزءا واحدا تطاول الزمن عليه وهش ورقه حتى أصبح لا يحتمل التصفح . وأحمد زكى هو آخر من سار على تقليد الموسوعية من اهل الفكر عندنا ، ولا غرابة أن سماه الناس شيخ العروبة .

كان الثلاثة: شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب النويرى (ت ٧٣٢/١٣٣٢م) وشهاب الدين احمد ابن فضل الله بن يحيى العمرى (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) وشهاب الدين احمد بن على بن احمد القلقشندى (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) من موظفى الدولة المملوكية، وقد الفوا موسوعاتهم لخدمة امثالهم من الموظفين والكتاب ، ولكن قارئهم يشعر أن هذا لا يمكن أن يكون دافعا كافيا للجهد الذى بذله كل منهم ، فان رجلا كالنويرى يكتب فى التاريخ وحده نحو ثمانية مجلدات ، ويختص السيرة النبوية وحدها بثلاثة مجلدات فى نحو ١٢٠٠ صفحة من القطع الكبيرة ، لا يمكن ان يكون قد اضنى نفسه على هذا النحو لمجرد أن يضع بين ايدى الموظفين كتابا يرجعون اليه ، انما هو عالم متبحر جمع فاوعى ، وشعر ان تراث العرب فى حاجة الى من يحفظه وأن واجبه أن يقوم بذلك ، ومن هنا فانت تشعر وأنت تقرأ اى مجلد من مجلدات موسوعته بانه عالم تخصص فى هذا العلم الذى يدور عليه المجلد وحده ، وكذلك تشعر وأنت تتصفح مجلدات العمرى عن الجغرافية والأدب ، والقلقشندى فى نظم الدولة المملوكية . وهم جميعا يكتبون فى اسلوب عربى رصين جميل لا يعرف تلاعب السجع ولا اضاعة الوقت فى محسنات البديع ، شأن العلماء الجادين الجديرين بهذا الوصف .

ومثل هذا يقال فى أعظم معجمين فى لغتنا : لسان العرب لأبى الفضل محمد بن مكرم بن على الافريقى المصرى المعروف بابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١) ، وتاج العروس لمحمد بن محمد بن عبد الرازق المعروف بالمرتضى الزبيدى (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) فهما فى الحق دائرتا معارف اضطلع بتاليف كل منهما رجل واحد ، ولكن اطّلعْ على مادة واحدة فى كل منهما لتشعر بمقدار الجهد الذى بذل فى وصفها ، وسبحان من يسر لرجل واحد ان يضطلع وحده بما تحار فيه المجامع واللجان .

رسائل اخوان الصفاء : دائرة معارف فلسفية

ولا بد فى هذا المجال من كلمة عن رسائل اخوان الصفاء .

انها دائرة معارف من طراز فريد فى بابه فى تاريخ الثقافة البشرية ، الفتها جماعة من الأصدقاء ، كلهم فلاسفة يدينون برأى واحد فى تفسير الكون وحقيقته وظواهره ، والعقائد واصولها ، وما الى هذه من مسائل الفلسفة التى شغلت اذهان الناس فى العصور الوسطى .

كانوا جماعة سرية ، لم يفصحوا عن أسمائهم او عن حقيقة اتجاههم، واكتفوا بان سموا انفسهم اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، وقد عاشوا خلال النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى والغالب أنهم فرغوا من رسائلهم سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م . وواضح من رسائلهم انهم كانوا شيعة اسماعيلية ، وان هدفهم من تحرير هذه الرسائل هو الدعوة لمذهبهم هذا عن طريق العلم والفلسفة .

ويبلغ عدد الرسائل احدى وخمسين كلها مكتوبة بطريقة واحدة تقوم على التاويل والرمز ، تتناول الكلام على الموت وغاية النفس فى الحياة الدنيا ، والعقل ، والنور والظلمة ، والجوهر والعرض ، وتحديد العالم ومكان الانسان فيه ، والنفس ، والقوة الالهية ، والبعث والقيامة ، والحكمة والفلسفة والخالق سبحانه ، والعقل واركانه ، وما الى ذلك من مسائل الفلسفة والالهيات .

انها دائرة معارف فلسفية لا تزال الى الآن مشكلة من مشاكل تاريخ الفلسفة عندنا ، ولكنها على أى حال أول دائرة معارف فلسفية ظهرت فى التاريخ ، ومهما يكن الرأى فى نظريات أصحابها فهى شيء طريف فى مكتبتنا العربية ، وهى مظهر من مظاهر الموسوعية فى ثقافتنا . ■■

حسين مؤنس

صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ الحَيَاة :

جَوْلَةٌ عِنْدَ حَافَةِ بُحَيْرَة ..

الرِّزْقُ صُحْبَةٌ .. وَالصُّحْبَةُ أُنْسٌ .. وَالشَّيْخُوخَةُ وَحْشَةٌ

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ ان يكن فى دنيا الناس جمال ، فسويسرا جمعت من جمال الأرض الشىء الكثير . وباب سويسرا الأكبر ، والأكثر ناسا ، والأكثر زحاما ، انما هو مدينة « جنيف » .. ولو لم تقع جنيف على بحيرتها العظيمة ، بحيرة ليمان ، لما كان لها نصف هذا الجمال .

وجمال غير جنيف ، من مدن سويسرا ، قام أكثره على ارتفاع جبال ، وانخفاض وديان ، واخضرت جميعا فكانت بهجة الناظر ، ومتعة الراكب والراجل .

اما جمال جنيف فقام على سهولة ارضها ، وانبساط سطح مائها ، ماء البحيرة الواسعة التى يقتحمها البصر فى ناحية واحدة فلا يكاد يأتى لها على آخر .

* * *

فعند هذه البحيرة وفى قلب هذه المدينة ، كان اجهدنا سير الصباح ، فطلبنا مقعدا ، فوجدنا المقاعد غير قليلة ، وعلى احدها جلسنا .

وكان الماء ، والزوارق تمخره ، امامنا . وكان الطريق ، والسيارات تقطعه خطفا ، وراءنا . ومن فوقنا الشجر الظليل .

ولفتتنا على حافة الطريق ، وراءنا ، ان جانبا منها ، عند الافريز كان محجوزا ، لا تقف فيه السيارات . وحدد هذا المكان المحجوز حاجزان من خشب طليا بطلاء ابيض جميل ، فيه زركشة ، من حمرة وخضرة ، يراد بها ان تعطيه شيئا من زواق ، يحدث فى النفس البهجة .

وتساءلنا : لمن هذا المكان الذى عند الافريز محجوز ، او لماذا ؟

ولم نلبث ان جاء الجواب : عربة حنطور جاءت ، وفى هذا المكان توقفت ،



.. اما جمال جنيف فقائم على سهولة ارضها ، وانبساط ماء بحيرتها الواسعة

وخرج منها فتى وفتاة ، وهما لا شك بعض زائرى المدينة من السائحين .

* * *

وكانت العربة فى بساطتها ، واناقتها ، جميلة مغرية .

وفرغ السائق من فتاه وفتاته ، فانصرف الى عمل كان ينتظره فى العربة . راح وامسك بيد تخرج من العربة ، ناحية العجل ، فشدّها . فعلمنا مما جرى أنها فرملة ، شدّت العجلات شدا ، فهى لا تستطيع أن تدور ، ولا تستطيع العربة أن تسير ، ولو شاء الحصان جرها .

طلب السائق الأمان لعربته اولا ، ثم انصرف ناحية أخرى . كانت هذه الناحية فى مؤخر العربة . ولم نكن نستطيع ان نرى ما يفعل عندها . ولكن رأينا شيئا عجبا : الحصان . الحصان يلتفت براسه الى الوراء ، يريد أن يرى ما يصنع السائق ، تماما كما يلتفت الانسان . ويتعب من النظرة الى الوراء فيستقيم ، ثم يعود . والى ناحية الرجل المختفى وحده هو ينظر .

فوقع فى انفسنا ان الحصان يتوقع من السائق شيئا . والسائق بطىء فى ادائه ، والحصان اقلقه هذا البطء .

ثم اذا بالسائق يظهر بالمخلاة وفيها طعام الحصان ، وهو يقلبه بيده ، كأنه تألف من أكثر من صنف ، فهو يخلطه . وما راى الفرس المخلاة حتى استقام مرة اخرى . انه أطمأن . عرف انها قادمة لا محالة . هكذا هو لا بد تعود كل صباح .

ويأتى السائق فيرفع عن فم الحصان

زمامه . انه لا بد ان ياكل ، والحصان ، كالانسان ، لا ياكل وهو مزموم ، لا بد من حرية وانطلاقة في ساعة ما ، ولو لم تكن الا ساعة الطعام .

وحمل الحصان حبل المخلاة فوق راسه ، وغرس فيها فمه الطويل ، ورأينا اشداقه تنفتح وتنقبض ، وعلى وجهه الرضى والقبول .

ونظرنا الى السائق ما سوف يصنع بعد هذا . لقد شاقنا المنظر حقا .

ورأيناه يدور على العربة بقطعة من قماش يزيدها نظافة ، ويفعل ذلك في غير عجلة ، ولا جلبة . كان رجلا شيخا . ثم اذا به يذهب الى حيث مقعده العالي من العربة الحنطور ، ويرفع هذا المقعد ، ويأخذ من تحته شيئا ، ويرد المقعد مكانه ، ثم هو يذهب بهذا الشيء في يده، الى المقعد الخلفي من العربة ، حيث كان الفتى والفتاة ، فيجلس فيه مجلس الزبون ، في راحة ، ويفض الذي جاء به . ثم اذا بنا نراه ياكل . لا بد ان هذا غداؤه كان حفظه على عادته تحت مقعده .

ومضى زمن :

الحصان الحيوان ياكل غداءه .

والسائق الانسان ياكل غداءه .

والنهار يكاد ينتصف .

وفرغ الرجل . وفرغ الحصان .

وقام الرجل يرفع عن الحصان مخلاته . ولكن الحصان ينفض المخلاة الى اعلى ، لينفض الى اعلى بقية من الطعام كانت لا تزال في قاعها ، لكي يطولها فمه .

وبعد رفع المخلاة جاء الرجل بجزرات ثلاث ، فلقطها الحصان بشفتيه ، وهز راسه ، فظنناه يشكر .

واختفى الرجل، واذا به يعود بجردل ماء لا ادري من اين جاء به، فلم يكن المكان مكان جرادل ولا ماء . ثم اتضح ان هناك بابا في الارض ، ينزل فيه الانسان فيجد به موضعا لاشياء ، اختفت عن الانظار ، لانها لا تأتلف ومظهر المكان .

وشرب الحصان حتى ارتوى .

واستعد الرجل للعمل ، وصعد الى مكانه السامي من العربة .

* * *

وعندئذ خطر لنا ان نستاجره ، كما استاجره من جاء من قبلنا ، ويستاجره من يجيء بعدنا ، في جولة . فهذا عمله : تجوال عند حافة البحيرة ، او تجوال في الصميم من المدينة .

كانت في نفسي حاجة : ان استشف شيئا عن حياة هذا الرجل ، وحياة هذا الحصان ، والصلة الوثيقة بين هاتين الحياتين مع اختلاف الجنسين .

وركبنا .. ومضت العربة في المسير .

قلت : كيف حالك اليوم ايها السيد السائق ؟

قال : بخير حال يرجوه شيخ مثلي .

قلت : وفرسك .. ان به نشاط الفتوة ..

قال : بل هي فراهة الشيخوخة ، فهو شيخ مثلي . ولكنه ينشط دائما من بعد طعام .

وجرى الحديث هكذا بسيطا قصيرا ، ولغير غاية . وذكر لي مشقة الكسب من عربة وحصان هذه الايام . وجرى الحديث في كم يدخل جيبه ، وكم يخرج منه ، وكم له ، وكم لفرسه .

وعندئذ بدا لي ان انكشه .

قلت : ولكن هذا استغلال .

فبدا اول الامر انه لا يفهم ، ثم فهم .

قال : استغلال ؟ وكيف يكون هذا . اني انا الذي جئت له بالعربة ، وانا الذي انظفها له كل يوم ، وانظفه . وهو لا يستطيع ان يلبسها ، فانا ألبسه اياها . وانا الذي ياتي له بالزبائن . والمسكن علي ، والماكل والمشرب واحمل له الطعام ، واحمل الماء . واعطي له الجزر وقطع السكر يا سيدي لأرفه عنه ، وهو مغتبط بذلك . الم تر على وجهه الرضى عندما القمته الجزر ؟

قلت : لا عليك . انما أردت ان اجعلك تذكر الخير الكثير الذى تشعله لهــذا الحيوان الأعجم لتطيب انت نفسا .

وكان قــد احترّ الحديث بعض احترار ، واستحوذ على بعض انتباه الرجل للطريق ، فرايت الخير فى قطع الحديث .

حتى بلغنا موضعا من البحيرة جميلا، رائعا ، ساكنا .

قلنا للسائق اذا لم يكن عنده مانــع ، فالوقوف فى هــذا الموضع فيه متعة للنظر ، وللنفس انتعاش .

وتوقفنا .

* * *

واستدار لنا السائق كأن عنده بقيةٌ من كلام ، فبادرناه نحن بالكلام .

سالته : تقول ان فرسك شيخ ، فكم سنّه ؟

قــال : على الفور : عشرون عاما ، وعشرة اشهر تنقص يومين .

قلت : كيف عرفت بهذا التحديد .

قال : حضرتُ ميلاده .

وسكتَ هنيهة حتى يستقرّ جوابه غيرُ المنتظر فى أسماعنا .

ثم عاد الى الحديث .

قال : انا يا سيدى اليوم سائق عربة حنطور ، ولكني بالأمس كنت مربّيــا لافراس شهيرة ، سابحات فى حلَبات السباق سابقات . وهذا الفرس احدها، ارتفعنا فى الحيــاة معا ، وانخفضنا فى الحياة معا . وارجو عندما نختفى ان نختفى معــا . انى قاربت الخامسة والسبعين ، واخشى ان يطول زمانه فوق زماني ، فمن بعدي : من يغذيه كمــا اغذيه ، ويسقيه كمـا أسقيه ، ويدلّله كما أدلل . انها صحبة العمر يا سيدي، وصــحبة الحيوانات العجماوات أوثق واخلص وأصدق .

قلت : انت تتحدثعنه بعاطفة كعاطفة الأب لبنيه .

وهز الرجل راســـه ، وراح كأنه يستحلب الذكرى من سنين غوابر .

قال : ان مربى الافراس يا سيدى يتدخل فى حياتها تدخلا يعادل تدخل الأم فى حياة أطفالهــا ، وتدخل المعلم ايضا . ان تربية الفرس تبدأ منــذ الأشهر الأولى من عمــره ، ولا بد من التعرف على الفرس وهو ابن ثلاثــة اشهر .ولا بد للمدرب من التحبب اليه، واعطائه الطعام الجيد من كفّيه ليعلم انه صديقه . فالتعليم وسيلته الألفة والود والحب . ويأبى الفــرس الصغير اللجــام ، ويأبى السرج ، ويأبى كل ما يحدُّ من حريته . ثم بالدروس ، نصف ساعة، فنصفا،فنصفا، يخلو فيها المدرس رويدا رويــدا الى ما يصلح به الفرس فينزل من حريته عن كثير . وهي دروس تمتد على السنين . وشاءوا أن يخــرج فرسي هــذا الى السباق فى الثالثة ، فأبيت الا الرابعة .

قلت : لا بد لهذا التعلم من ذكاء غير قليل .

قال : ذكاء الفرس كذكاء الطفل، يظهر بالتعليم . ذكــاء الطفــل يكشف عنه النطق ، وذكاء الفرس يخفيه خَرَسُ لسانه ، ورغم الخرس ، فللفرس مــع صاحبه اشارات واصوات ، يعبر بها عما يجد ، ولا يفهمها الا صاحبه . انه يحس ويطلب ، ويريــد ان ينطق ، فيعجزه النطق ، فان ضاق به صنع ما يصنــع الاخرس من بني الناس . والصهيل يا سيدى ؟ ما الصهيل ؟ انه لغة ، كثيرا ما تعبر عن الخوف ، وكثيرا ما تكون طلبــا للنجدة. والصهيل أصهلة ، كما الصياح صنوف تتضمن الشتيت مــن المعانى ، قاموسها اذني ، حصيلةُ عمرى .

* * *

وسرح فكري عن السائق برهة ذكرت بهذا الذى قاله السائق موقفا لي مــن حصان :

منذ سنوات كنت أسير فى المعادى ،

واذا بحصان يجر عربة ، كأنها عربة زبّال . ولم يكن معها زبّالها . وكان اليوم صائفا . واتجه الحصان بعربته اليّ ، وقد اخرج لسانه . ووقف . ادركت بالبديهة انه يريد ان يقول انه عطشان . ولحق به صاحبه عندئذ .

قلت حصانك عطشان . قال : ومن اين لي الماء هنا ؟ قلت : ادخل ايا من هذه البيوت واطلب ماء . فدخل اقرب بيت ، وبعد حديث قصير مع الجنائني ، خرج الينا ومعه وعاء من ماء . ورأى الحصان الماء فاتجه بنفسه اليه . وشرب حتى ارتوى .

قال لي الزبال : اهل هذا البيت ناس طيبون .

ولم اقل شيئا . كان البيت بيتي

* * *

فرغ سائق الحنطور من حديثه ، واستأذنا في العودة ، فأخذنا نعود .

* * *

واردت ان اعرف ما جرى لحصانه الشيخ بعد ذلك ، وكيف تقاعد .

قال ان الأفراس جميعا ، من ذات سباق وغير ذات سباق ، لا تبدأ تعمل عملا نافعا الا في سن الخامسة او السادسة ، وتستمر تعمل وتنتج ثمانية اعوام ، قد تمتد الى عشر ، واحد عشر عاما . وقد تزيد . كل ذلك تبعا لصنف العمل . فالعمل ذو المجهود الكبير يقصر فترة الرجولة النافعة عند الأفراس ، ويقرب الشيخوخة . وعندئذ ، بعد ثماني سنوات أو عشر من العمل الجاد ، يحال الفرس الى اعمال اخف ، كجر العربات الخفيفة . واخف من ذلك ارساله الى احد المزارع ، يعمل فيها ساعات قليلة في النهار ، حتى يأتيه قضاء الله .

قلت وفرسك هذا ؟

قال : احيل الى التقاعد في الوقت الذي احلت انا فيه على التقاعد ، فصحبته معي ، لنلقى ما خبأه لنا القدر معا .

قلت : ولكن فرسك هذا لا يزال رغم التقاعد شديدا خفيفا ؟

قال : لأنه فرس اصيل . ان سجلات الاصطبل الذي ولد فيه تقول ان اباه العاشر كان فرسا عربيا اصيلا . اتسمع عن العرب يا سيدي ؟

قلت : نعم ، اسمع .

قال وتسمع عن صحاريهم ؟

قلت : نعم اسمع .

قال ففي هذه الصحاري الواسعة نشأ الفرس العربي . ويصطحبه البدو في قوافلهم ولا يركبونه .

قلت : اذن فلم يصطحبونه ؟

قال : يصطحبونه ، حتى اذا اغار عليهم مغير ، وما اكثر ما توجد في البدو الغارات ، كانت الأفراس الخفيفة السريعة اعون على الهرب .

قلت : ولم لا تقول كانت اعون على المطاردة ؟

قال : هكذا تعلمنا .

قلت : انت ذكرت ان فرسك الآن فات العشرين ، فكم ترجو ان يعيش بعد ذلك ؟

قال : خمس سنوات اخرى ، بمقدار ما ارجو ان اعيش .. والا فمن يكون له بعدي ؟

قلت : او من يكون لك بعده ؟

قال : اي والله ، من يكون لي بعده ؟

قلت : انه رزق لك ، وانت رزق له ، وفوق الرزق الصحبة ، والصحبة انس ، والشيخوخة وحشة . امد الله لكما في رزقكما ، وانسكما ، وشيخوختكما ، على الخير ان شاء الله .

وكنا بلغنا من المدينة حيث بدأنا ، عند ذلك المكان المحجوز من افريز الشارع .

فسلمنا وودعنا . ■■

احمد زكي



البحيرة ..

■ قصيدة شهيرة ، تلخصها بالمقال الفائت ، جولة عند حافة بحيرة ، وهى للشاعر الفرنسى الغنائى الاشهر، لامرتين Lamartine (١٧٩٠–١٨٦٩م) وصف فيها جولة حب فوق البحيرة . قيل انه تاثر فيها ، بجان جاك روسو ، من وصف جولةله مثلها ، على بحيرة ليمان . وتعتبر هذه القصيدة اشد المراثى الغنائية حزنا على حبيب . والترجمة للمرحوم الدكتور نقولا بياض .

أهكذا أبدا تمضى أمانينا — نطوى الحياةَ وليلُ الموت يطوينا
تجرى بنا سُفُنُ الأعمارِ ماخرةً — بحر الوجود ، ولا نُلقِى مراسينا ؟
بحيرةَ الحبِّ ، حيَّاكِ الحَيَا فلكم — كانت مياهك بالنجوَى تُحيينا
قد كنتُ أرجو ختام العام يجمعنا — واليوم للدهر لا يُرجَى تلاقينا
فجئتُ أجلس وحدى ، حيثما أخذت — عنى الحبيبةُ آىَ الحب تلقينا
هذا أنينُكِ ما بدَّلتِ نغمتَه — وطال ما حُملتْ فيه أغانينا
وفوق شاطئك الأمواجُ ما برحتْ — تلاطم الصخر حينا ، والهوا حينا
وتحت أقدامها ، ياطالَ ماطرَحتْ — من رَغْوة الماء كفُّ الريح تأمينا

★ ★ ★

هل تذكرينَ مساءً فوق مائك إذْ — يجرى ، ونحن سكوتٌ في تصابينا
والبر والبحر والأفلاك مُصغيةٌ — معْنا ، فلا شئٌ يُلهيها ويُلهينا
إلا المجاذيفُ بالأمواج ضاربةً — يَخال إيقاعَها العشَّاقُ تلحينا
إذا برنَّةِ أنغامٍ سُحرتُ بها — فخلتُ أنَّ الملاَ الأعلى يُناجينا
والموج أصغَى لمن أهوى ، وقد تركتْ — بهذه الكلماتِ الموجَ مفتونا :

يادهر قفْ ، فحرام أن تطير بنا ... من قبل أن نتملّى من أمانينا

ويا زمانَ الصِّبا دعنا على مهلٍ ... نلتذّ بالحب في أحلى ليالينا

أجبْ دعاء بني البُؤسَى بأرضك ذي ... وطِرْ بهم فهُمُ في العيش يشقونا

خُذِ الشقيَّ ، وخذْ معه تعاسته ... وخلِّنا ، فهناء الحب يكفينا

هيهات هيهات أنَّ الدهرَ يسمح لى ... فالوقتُ يفلت والساعات تُفنينا

أقول لليل قفْ ، والفجر يطرده ... ممزقا منه ستراً بات يُخفينا

فلْنغنم الحبَّ ما دام الزمان بنا ... يجرى ، ولا وقفةٌ فيه تُعزّينا

ما دام في البؤس والنُّعمَى تصرُّفه ... إلى الزوال ، فيبلَى وهو يُبلينا

★ ★ ★

تالله يا ظُلْمة الماضى ، ويا عدَما ، ... في ليله الأبدى الدهرُ يرمينا

ما زال لُجُّكِ للأيام مبتلعاً ... فما الذى أنتِ بالأيام تُجرينا ؟

ناشدتُكِ اللهَ ، قولى ، وارحمى ولَهى ... أتُرجعين لنا أحلامَ ماضينا ؟

★ ★ ★

فيا بحيرة أيام الصبا ، أبدا ... تبقَينَ بالدهر والأيام تزرينا

تذكارُ عهدِ التصابى ، فاحفظيه لنا ... ففيكِ عهد التصابى باتَ مدفونا

على مياهك ، في صفو وفي كدر ، ... فليبقَ ذا الذكرُ تُحييه فيُحيينا

وفي صخورك ، جرداء معلقة ... عليك ، والشوح مسودٌّ أفانينا

وفي ضفافكِ ، والأصوات راجعة ... منها إليها ، كترجيع الشجيينا

وليبق في القمر السارى ، مُبيَضّةٌ ... أنوارُه سطحَكِ الزاهى بها حينا

وكلما صافحتْك الريح في سَحَرٍ ... أو حركتْ قصباتٌ عطفها لينا

أو فاح في الروض عطرٌ ، فليكن لكِ ذا ... صوتا يردد عنا ما جرى فينا

أحبَّها وأحبَّته ، وما سلِما ... من الردى ، رحم الله المُحبينا

■■

نتيجة مسابقة العدد ٧١

مُشترِكُونَ جُدُدٌ فى المسَابقَة

■ تميزت اغلب اجابات القـــراءالمشتركين فى هذه المســابقة بصحة اجاباتهم ، وكثرتها ، والتى زادت عـن١١ الف اجـابة ، جاءت من ٤٠ دولة مختلفة فى العالم .. ولوحظ اشتراكبعض الدول ، لأول مرة باجابات عديدة ، جاءت من اليمن ، والجزائر ، والمغـربالعربى ، ومســـقط ، واندونيسيا ، وتشيكوسلوفاكيا ..

حل المسابقة

للمسالة حلان ، الأول : ٥ + ١ + ٩ =١٥
و ٣ + ٤ + ٨ = ١٥ و ٢ + ٦ + ٧ = ١٥

والحـــل الثانى : ٩ + ٢ + ٤ = ١٥
و ١ + ٦ + ٨ = ١٥ و ٥ + ٧ + ٣ = ١٥

حل المسالة الثانية :

٩ + ١ = ١٠ × ٥ = ٥٠

٨ + ٢ = ١٠ × ٥ = ٥٠

٧ + ٣ = ١٠ × ٥ = ٥٠

٦ + ٤ = ١٠ × ٥ = ٥٠

وقد أجريت المسابقة بين الاجابات ففاز القراء المذكورة أسماؤهم فيما بعد ، بجوائز مجموع قيمتها ١٠٠ دينار :

الجائزة الأولى ٣٠ دينارا فاز بها : على مذكر القحطانى ــ الظهران ــ السعودية .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا فازت بها : خديجة فتح الله الداودى ــ الدار البيضاء ــ المغرب .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير فاز بها : على محمد الشواهين ــ القدس ــ الاردن .

٨ ــ جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير فاز بها :

١ ــ **محمد شعبان عطيات** ــ كلية الهندسة التمسا

٢ ــ **يحيى عبد الغنى عوض الله** ــ الشلال ــ الجمهورية العربية المتحدة .

٣ ــ **ربيعة محمد علي** ــ كركوك ــ العراق

٤ ــ **خالد عبد الله جميعان** ــ منطقة الخالدية ــ دولة الكويت

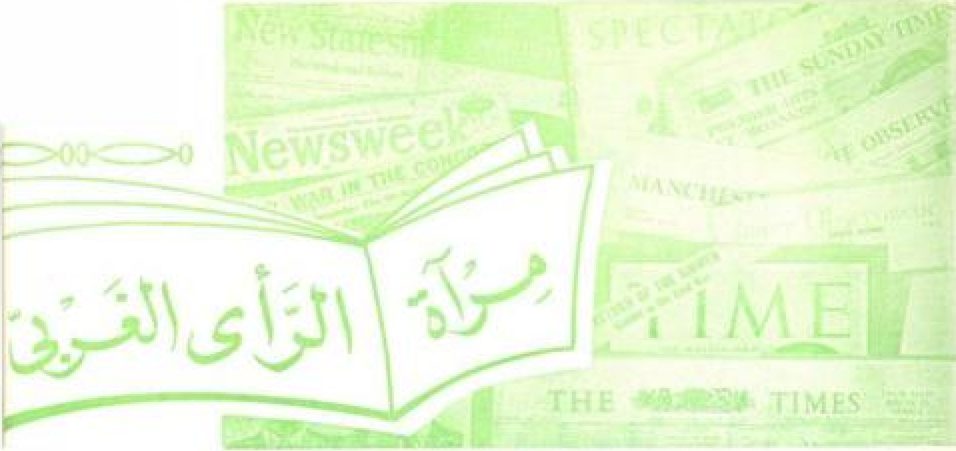
٥ ــ **جاسم محمد المحمود** ــ الشارقة ــ الخليج العربى

٦ ــ **آمال الياس الأشقر** ــ بيروت ــ الجمهورية اللبنانية

٧ ــ **عبد الله محمد بصعر** ــ الحديدة ــ الجمهورية العربية اليمنية

٨ ــ **سمير لاجين** ــ حلب ــ الجمهورية العربية السورية

وسوف ترسل الجوائز بالبريد للفائزين ■■



رحمة بالمعلمين

من جريدة الصنداى تلغراف :

● من الضرورى لتحقيق مبدأ الاستقرار بالنسبة للمعلم ، ومعاونته فى المضى فى تأدية رسالته المقدسة السامية ، أن ينظر الرأى العام والجهات الادارية العليا أيضا الى ما يقع من مهاجمة بعض أولياء أمور الطلبة له ، على اتهاماتات ذات أثر جسيم .

فعلى سبيل المثال ، اعتدى ملاكم متقاعد ، فى « سانت البانز » بانجلترا ، على احد المعلمين واحدث له كسرا فى فكه ، وحكم عليه من اجل ذلك بغرامة قدرها ٢٥ جنيها ، على ان يتكفل كذلك بقيمة علاج ذلك المدرس التى بلغت ١٥ جنيها اخرى .. وهو حكم لا يكاد يوجد بين القضاة من يعده حكما رادعا .

وتقول هيئة اتحاد المعلمين الوطنية بانجلترا ، انه ، طبقا لمعلوماتها ، لا يمر شهر دون أن تصدر احكام فى حوادث اعتداءات مختلفة على المعلمين ، لا يقل عددها عن ثلاثة او اربعة ، فضلا عن التهديدات التى تصل المعلمين عن طريق البريد اليومى من بعض الآباء .

والسؤال الذى يدور الآن ويشغل هيئات تعليمية متعددة هو : هل بذلت جهود مخلصة لحل هذه المشكلة ؟ وما الخطوات التى اتبعت تجاه تهديد بعض الطلبة المدرسين ، اذا شاءوا عقابهم ، ان يبلغوا امرها الى آبائهم وما أثر هذا النظام بالمدرسة ؟ ثم هل احصى المسئولون كم مرة استدعى البوليس الى المدارس ، وخاصة فى المدارس الثانوية « الحديثة » ثم ماذا من امر الطريقة الأمريكية الحديثة ، التى توصى بعقد جلسات مشتركة ، بين اولياء امور الطلبة والمدرسين بكل مدرسة ، هل تصلح هذه الطريقة لتكون علاجا ؟

فخر الآباء

عن جريدة الصنداى اكسبرس :

● لا بد أن الزهو والاغتباط كانا يجيشان فى صدر الشيخ الضخم الصامت ، هربرت ويلسون Herbert Wilson وهو بجوار ابنه ـ هارولد ويلسون Harold Wilson رئيس وزراء بريطانيا الجديد ، بينما الصحفيون يلتقطون لهم الصور التذكارية .

مستر هربرت ويلسون ـ ٨١ عاما ـ يتحدث



هل خرائطنا الجغرافية صحيحة ؟

عن جريدة الهيرالد تريبيون :

● كلما تعمق علماؤنا فى ابحاثهم ، عرفنا المزيدعن أسرار ذلك الكون الذى نعيش فيه ، لا سيما، موقع اقطارنا على سطح هذه الأرض .فقد اثبتتالصور التى التقطها القمران الصناعيان اللذان اطلقتهما اخيرا الولايات المتحدة الامريكية (اكو ١ Echo 1 واكو ٢ Echo 2 ان جزر برمودا تنحرف مواقعها الجغرافية عن سطح الأرض عنالمواقع الأصلية المحددة لها والمعروفة لنا منذ امد طويل ، وذلك بمقدار ٢٢. قدما جهة الشمالو ١.٥ اقدام جهة الغرب .

والواقع ان هذا الفرق ليس ذا قيمة علميةكبيرة ، اذ انه لن يعوق قاصدى تلك الجزر الساحرة من سيّاح وعرسان ، أو قادة السفنوالطائرات ، فكل هؤلاء سيتمكنون من الوصول اليها دون أن يسبب لهم ذلك الانحراف ـ الذىلم يتأكد بعد عمليا ـ اية صعوبة .

لكن السؤال الذى اصبح يخطر على بالنا هو :هل مواقعنا التى نعيش عليها من سطح الأرض والتى عرفناها ، هل هى حقيقة ثابتة ، كما هى على الخرائط المتداولة بيننا ، ام بحاجة الى تصحيح .. ؟

حجة الحلفاء أصبحت حجة للصين

من جريدة الجارديان :

● ما من احد يستطيع الادعاء بان الصين كانت ستتوقف عن تحقيق آمالها النووية ، لو ان فرنسا وانجلترا كانتا قد توقفتا كذلك .

ومع هذا فالمبررات الكثيرة التى تذرعت بها هاتان الدولتان لتحقيق آمالهما النووية، أصبحت حججا ومبررات يمكن ان تستغلها لنفسها اليوم. ان الصين هى على كل حال اكثر دول العالم سكانا ، وقد تعرضت اراضيها لاعتداءات اجنبية كثيرة مدة تزيد على قرن من الزمان . وحليفتها (على الاقل على الورق) ، لا يمكنها الاعتماد عليها فحسب ، بل انها لتقف منها موقفا عدائيا. والصين لا تجابه خصما واحدا ، كما تجابه فرنسا وانجلترا . انها تجابه دولتين عظيمتين يحتمل ان يكونا كلاهما خصما لها .

بالابناء • •

ان الوالد الكبير يبلغ ٨١ عاما ، يعجب من سرعة مرور الايام ، تلك التى قلبت الصورة التى كانت لا تزال مرتسمة فى عينيه لهارولد الصغير وهو يلعب العابه الصغيرة الخاصة .

والواقع أن لا شىء فى الحياة يضاهى فخر الآباء بنجاح أبنائهم وبلوغهم قمم المجد .

ـع ابنه « هارولد » رئيس وزراء بريطانيا





كاتدرائية في قلبِ مسْجد

بقلم : سلمى الحفار الكزبري

■ قرطبة الاندلس الاسلامية ، عاصمة العلم والفن والمجد منذ اكثر من الف عام ، وشغل المؤرخين الشاغل في الغرب والشرق ، غنية عن كل تعريف . كان فيها من كنوز الفكر وآيات الابداع الانساني ما لم يجتمع في مدينة أخرى ، حتى ولا في عاصمة عربية غيرها .

قرطبة هي المسجد

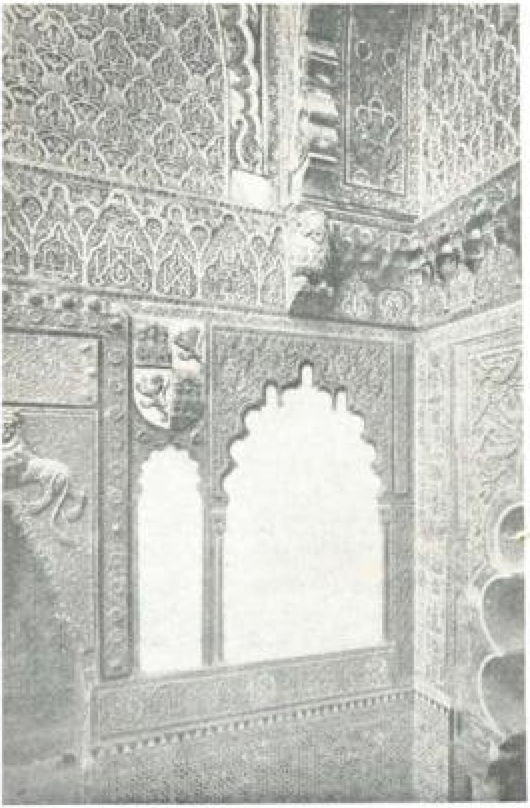
يقول المؤرخ الاسباني روخيليو بيريس اوليفارس Rogelio Peres Olivares في كتابه المشهور « مسجد قرطبة » : ان قرطبة هي المسجد .

ولا شك مطلقا في ان من اروع آثار قرطبة واكثرها اهمية وابلغها تعبيرا عن ذروة الفن والذوق التي بلغتها الدولة الاسلامية فيها ، ابان الخلافة الاموية،ذلك المسجد العظيم La Mezguita الذي تحول في عام ٧٥٦ م ، اى بعد فتح الاندلس مباشرة ، الى بيت من بيوت العبادة والعلم فريد في نوعه ، ووحيد في مغزاه ! وبقي هذا المسجد يتسع ويزدهر حقبة بعد حقبة ، وقرنا بعد قرن حتى اوائل القرن الحادى عشر الميلادى ، اى منذ ولاية الامير عبد الرحمن الاول (الداخل) في قرطبة ، حتى نهاية حكم الحاجب المنصور سنة ١٠٠٩ م .

وهكذا رافق المسجد ، في رفع بنائه وتوسيعه واستكمال زخرفه ، بناء الدولة الاسلامية في الاندلس ورقيها وازدهارها ، فاصبح الصورة الواضحة التي تعكس على العالم اجمع ، وعبر العصور ، الحضارة العربية الاسلامية اصدق انعكاس ، في مختلف زواياها الفنية والعلمية والروحية والتاريخية .

معبد روماني قديم

يذكر الباحثون العرب والغربيون ، من اسبان وغيرهم ، ان الفاتحين المسلمين وجدوا في قرطبة بعد استيلائهم عليها عام ٧٥٦م كنيسة مقامة في وسط معبد روماني قديم ، فاستولوا على نصفها في الحال ، وجعلوا منه مسجدا لهم ، تاركين نصفها الثاني للمسيحيين . ثم حدث فيما بعد ان كثر عددهم في المدينة ، فضاق بهم المسجد



بعض الزخارف والنقوش العربية الجميلة في الكنيسة الملكية

الصغير ، وكان انئذ المركز الوحيد للعبادة مما دعاهم ذلك لشراء الكنيسة الصغيرة المتاخمة له من المسيحيين ابان حكم عبد الرحمن الاول . فلما ارضوهم وعوضوا عليهم بالمال امر الامير بهدم المعبد الروماني بما فيه عام ٧٨٥ وباقامة مسجد كبير للمسلمين في مكانه .

يقول المؤرخ الاسباني ليوبولدو توريس بالباس Leopoldo Torres Balbas في كتابه « مسجد قرطبة واطلال مدينة الزهراء » ، ذاك الذي صدر في مطلع هذا القرن : لقد جرت منذ بضعة اعوام في ارض جامع قرطبة حفريات أثرية فوجد المنقبون تحت ارضه بقايا بناء فقير في مساحة صغيرة ، يمكن جدا ان تكون الكنيسة المعنية ، كما وجدوا على عمق اكبر آثارا لابنية رومانية .

لن اتحدث عن هندسة المسجد ، وانما ..

ولن اتحدث هنا عن هندسة هذا المسجد العجيبة وزخارفه النادرة ، والتعديلات التي اجريت عليه لتوسيعه وتجميله ، تحت اشراف كل امير وخليفة من ملوك بني امية الذين تعاقبوا على الحكم في قرطبة منذ القرن الحادي عشر ، انما يهمني أن ادع المصادر التاريخية والسياحية تحدثنا بنفسها عما حدث لهذا المسجد العظيم بعد خروج الاسلام من الاندلس واستيلاء الاسبان عليها من جديد ، وعن قصته المثيرة .

ولكن ، وقبل أن ندع المصادر تسرد لنا قصة الكاتدرائية يجدر بنا ان نذكر ، ونحن في معرض الحديث عن المسجد ، ان اول من غرس الأشجار في صحنه الكبير هو : الامام الشامي ابان امارة عبد الرحمن الاول ، وان الحكم الثاني هو الذي اوصل الماء الجاري من جبل قريب من قرطبة في الشهر الأول من عام ٩٦٧ ، اذ كانت المياه في صحنه قبل ذلك تتدفق من بئر بواسطة ناعورة . اما مئذنة مسجد قرطبة الأولى التي اشادها هشام الاول في اواخر القرن الثامن ، فقد حلت محلها مئذنة رائعة امر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر) عام ٩٥١ ، وكانت تعتبر اكبر واجمل مئذنة في الغرب . ويقول احد مؤرخي الاسبان ان مئذنة مسجد قرطبة اتخذت مدة قرنين ، مثالا يحتذى في بناء أجراس الكنائس والمآذن الاسبانية والمغربية ، كما قلدها المهندسون في اشادة مساجد الموحدين الكبيرة في كل من مراكش والرباط واشبيليا . ولم يبق اليوم من هذه المئذنة الا اعمدتها وبعض النقوش اللطيفة على جدرانها ، ونافذة واحدة مثلثة . فبعد ان حولت الى برج لاجراس هدمتها عواصف جامحة في عام ١٥٨٩ م فدفع هذا رجال الدين ومجلس المحافظة في قرطبة الى رصد مبلغ كبير لتجديدها وتكبيرها.

قصة المسجد بعد هزيمة المسلمين ✽

احتل الملك فرناندو الثالث ، الملقب بالقديس،

✽ من المصادر التاريخية التي تروي هذه القصة كتاب : (مسجد قرطبة) للمؤرخ الاسباني روخيليو بريس اوليفارس ص ٢١٦ ــ ٢١٧ ــ ٢١٨ . وكتاب (مسجد قرطبة واطلال مدينة الزهراء) من ص ١٠٢ حتى ١٠٦ . ومن المصادر السياحية التي تروى هذه القصة ايضا كتاب : (الدليل الازرق) عن اسبانيا ص ٦٧٣ طبعة عام ١٩٥٧ .

مدينة قرطبة فى صيف عام ١٢٣٦ ، فكان أولُ مكان توجه اليه بعد دخولها المسجدُ العظيم ، يتبعه رجال الدين ، وعدد كبير من قواد جيشه . وكان اول ما فعلوه ان اقاموا فى كل جدار من جدران المسجد كنيسة صغيرة ، كما امروا ببناء كنيسة « سان كليمنتى » San Clemente الى جانب حائط القبلة .

وبوشر ببناء كنيسة ثانية باسم فيلافيسيوسا Villaviciosa عام ١٢٥٨ ، وكان لابد من هدم وتخريب قسم من المسجد لاقامتها . ساهم الملك الفونسو العاشر ، « الحكيم » ، فى بناء هذه الكنيسة ، واعدَّ العدة لبناء كنيسة ملكية اخرى قرر ان يجعل منها مثواه الاخير .

وكان من حسن حظ الفن فى هذا الاثر الاسلامى الفريد ان كان ملك الاسبان الفونسو العاشر مقدرا لهذه التحفة الثمينة ، وانه ، وهو يقيم ويشيد فيها كنيسته الملكية ، سعى سعيا حثيثا للمحافظة على طابع المسجد ذاته فدل على نباهته وذوقه .

واصدر الفونسو العاشر عام ١٢٦٣ امرا يدعو فيه كل المستخدمين والعمال المسلمين فى قرطبة الى ان يعمل كل منهم يومين فى السنة فى الكنيسة الكبيرة (الملكية) ، اى فى مسجدهم القديم ، من اجل « ان يبقى مصونا ، ولكى يحولوا دون تداعى بنائه او هدم اى شيء فيه » .

وهذا ما قاله الملك بالذات ، نقلا عن كتاب مسجد قرطبة الذى سبق ذكره .

كما دعا المسلمين القرطبيين، من بنائين ونجارين وفنانين للعمل فى المسجد . والاجمل من كل هذا انه اصدر امرا عام ١٢٨٠ باعفاء نجارين وبنائين من كل الغرائم المترتبة عليهم نظرا لمهارتهم فى العمل. لذا نجد ، حتى اليوم ، ان اطار الكنائس المبنية ضمن المسجد عربيٌّ صرفٌ فى نقوشه واقواسه وزخارفه .

وكان لا بد من اقتلاع أعمدة كثيرة ، ونزع نقوش السقوف الخشبية الرائعة لبناء الكنيسة الكبيرة، ومع هذا كانت النتيجة ان سلم المسجد من الخراب بفضل وعى ملوك الاسبان وحرصهم عليه من جهة ، ومهارة الصناع القرطبيين من سلالة العرب فى القرن الثالث عشر من جهة اخرى .

الكنيسة تصبح كاتدرائية

وفى القرن الرابع عشر اعدت العدة فى المسجد لدفن رفاة الملك الفونسو الحادى عشر عام ١٣٧١ بامر ابنه انريكى (هنرى الثانى) ، فوضعت فى قلب الكنيسة الملكية التى اصبحت كتدرائية .

توسيع الكاتدرائية وخلع ٨٥٠ عمودا

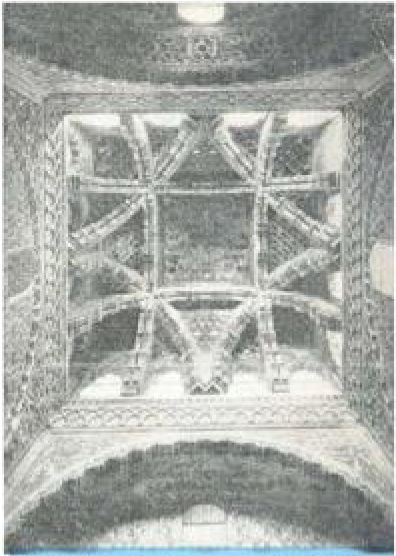
وفى القرن الخامس عشر تولى الأسقف انيجو مانريك Inigo Manrique توسيع الكاتدرائية، فامر عام ١٤٨٩ بفك أعمدة عديدة بلغ عددها ثمانمائة وخمسين عاما ، كانت تشكل مساحة خمسة أروقة من المسجد ، وتمتد من حدود كنيسة فيلا فيسيوسا حتى الجدار الغربى من المسجد . ويقول المؤرخون الاسبان بان الملكة الكاثوليكية انذاك لم توافق على هدم قسم من المسجد لاشادة كاتدرائية واسعة فى مكانه . ولكن مجلس الكهنة اقدم مع ذلك على اقامتها .

أراد الكهنة للمسجد زيادة من هدم وعارض المجلس البلدى

ومما يؤسف له اكثر ، ان رجال الدين فى قرطبة لم يكتفوا بما هدموه ، وبالكنائس التى اشادوها ضمن المسجد ، بل صمموا منذ ذلك التاريخ على بناء كاتدرائية عظيمة فى وسطه، كبيرة المساحة ، كاملة الاجنحة ومتناسبة مع ذوق العصر ، وفى أبريل (نيسان) من عام ١٥٢٣ باشروا بتحقيق فكرتهم اى بهدم مساحة كبيرة واقعة بين القسمين اللذين قام بتوسيعهما وبنائهما فى المسجد كل من عبد الرحمن الثالث والمنصور . فاعترض سكان قرطبة وأيد اعتراضهم المجلس البلدى فيها.

مجلس الكهنة والمجلس البلدى يحتكمان للملك

قدم كل من مجلس الكهنة ومجلس البلدى طلبه وشكواه للبلاط الملكى فى العاصمة . فتوقفت الاعمال فى المسجد بعد ان هدد اعضاء المجلس بعقوبة الموت لكل من يساهم فى تخريب المسجد او يعمل فيه ، وريثما يبت الملك فى المشكلة . ولكن الامبراطور شارل الخامس لم يساند المجلس البلدى اذ كان يومئذ يجهل الاثر .... لذا انتصر رجال الدين ، وبوشر باعمال الهدم فى قلب المسجد لتشييد الكاتدرائية الكبيرة فى السابع من شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٥٢٣ .



القبة التي تغطي وسط الكنيسة الملكية : ونلاحظ في هذه الصورة النقوش والزخارف والهندسة ذات الطابع العربي

● كاتدرائية في قلب مسجد

نغم شاذ وسط سمفونية رائعة

ولست اقول هذا تحيزا او تعصبا، بل انتصارا للفن وحده وغيرة عليه ، ففي كل يوم يكرّر الادلاء في مسجد قرطبة لألوف السائحين ما يشبه هذا الحديث وكلهم يأسف لحرمان المسجد من عموده الفقري ، ولقيام الجدران الثقيلة والقبة العالية، والسقوف ذات الرسوم في صدر الاثر الفريد وكأنها (وهذا قول دليل عجوز ومعروف في قرطبة) « نغم" شاذ" في وسط سمفونية رائعة ... » .

ومن غريب الصدف اني وقفت على جملة تؤيد هذا الرأي كتبها المؤرخ الاسباني (بالباس) في كتابه عن مسجد قرطبة يقول فيها بالحرف الواحد : (١) « ان المعبد المسيحي في وسط المسجد قليل الاهمية حقا ، علاوة على انه يقطع على الناظر استمرار اقواسه التي لا تنتهي ، ويحد مع الاسف من منظر اروقته واجنحته التي لا يوجد لها نظير . وحتى لو انفردت هذه الكاتدرائية في مكان خاص بها ، واقيمت بعيدة كل البعد عن مثل هذا الموقع ، لما حظيت باهتمام اكثر ، نظرا لان الفن المسيطر عليها غير اصيل ، ولانها من صنع مصممين متوسطي الكفاية » .

ورحم الله الوزير ابا عامر بن شهيد حين قال :

ما في الطلول من الاحبّة مخبر"
فمن الذي عن حالها نستخبر"

فلمثل قرطبة" يقل" بكاء من
يبكي بعين دمعها متفجّر"

عهدي بها والشمل" فيها جامع
من اهلها والعيش فيها أخضر"

والقوم قد أمنوا تغيّر حسنها
فتعمموا بجمالها وتأزروا

والقصر قصر" بني امية وافر"
من كل أمر والخلافة أوفر"

حزّني على سرواتها وزُواتها
وثقاتها وحماتها يتكرّر"

كبدي على علمائها حلمائها
ادبائها ظرفائها تتفطّر

دمشق ــ سلمى الحفار الكزبري

ندم الامبراطور

ويقول المؤرخ (لياجونو) Liaguno ان الامبراطور شارل الخامس قد ندم على قراره كل الندم يوم مر في قرطبة بعد ثلاثة اعوام من موافقته على الهدم ، وانه ، لما شاهد بنفسه التحفة الرائعة وبناء الكاتدرائية الذي كان قد ظهر ، قال منفعلا : ما حسبت ان المسجد على هذا الجانب من العظمة والروعة ، ولو كنت قد عرفته من قبل لما سمحت بمسه ، لان ما تبنون يمكن ان يبنى في اي زمان ومكان ، في حين انكم خربتم شيئا كان فريدا في العالم .

ولات" ساعة" مندم ...

لقد قضى الامر واستمرت الاعمال لاتمام بناء الكاتدرائية ونقشها حتى بداية القرن السابع عشر ، عام ١٦٠٧ ولا ينكر احد ابدا انها اثر مسيحي ضخم ، فيه من النقوش والزخارف واللوحات والتماثيل الشيء الكثير ، ولكنها نابية جدا في وسط المسجد الانيق في بساطته ، الفريد في امتداده وعمقه ، والنادر في جمال اقواسه وجلال اعمدته ، ووسامة محرابه الذي يعتبر حتى اليوم ابهى واغنى محراب في مساجد المسلمين قاطبة .

(١) انظر كتاب مسجد قرطبة واطلال الزهراء للمؤرخ ل . بالباس ص ١٠٦ .



دردشة

بدوى يصف الرديو

● كتب عبد العزيز البشرى يصف بدويا راى الرديو لاول مرة ، ولما ذهب الى اهله وصفه لهم بقوله :

حوّلتُ بصرى ، فاذا دُمية من خشب ، بُترساقاها ، فاقعدوها على منضدة ، لها عين واحدة، تمزقت حدقتها ، فتناثرت فى بياضها تناثر النمل على صفحة الرمل . فلما عرك صاحبها اذنها سرعان ما احمرت حدقتها ، ثم سمعت لها حسيسا (صوتا) ما لبث ان استحال زمزمة وهمهمة ، فخلت الارض قد زلزلت علي . فجمعت ثوبي للهرب ، وجعلت التمس اية الكرسى . فهدأ صاحبى من روعى وقال لي :

ــ هوّنْ عليك !

فقلت : وهذا العفريت ؟

فقال : لن ينالك منه مكروه ، فقد قيدوا ساقه ، وشدوا وثاقه .

فقلت : ايسجن سليمان المردة فى قماقم من نحاس ، او ذهب ، وانتم لا تبالون ان تسجنوها فى قماقم من خشب ؟

ثم مال صاحبي على الدمية ، فعرك اذنها الثانية ، فسرعان ما سكن هديرها ، وبطل زئيرها ، واذا العفريت يتحدث فى لين صوت ، واطمئنان نبرة ، ثم سمعت معازف اخرى تنغم وتترنم ، حتى خلتها من جودة الايقاع تتكلم !

انعدامهما سبب المرض

● قال احد الاطباء لمريض : **لا تاكل اللحم والسمن !**

فقال المريض وهو يتنهد : **لو كان عندى لحم وسمن ما مرضت ابدا !!**

ولكني اعلم اين انت !

● اراد طبيب مستشفى المجانين الاتصال بصاحب له بواسطة التليفون ، ولكن العاملة ابطات فى وصل الخط ، فصاح بها محتدا :

ويلك ، اتعلمين من انا ؟

قالت : لا ، ولكني اعلم اين انت !

مشكلة العنصرية

● عندما كان طلبة علم النفس يدرسون مشكلة العنصرية بين الشعوب، جعلوا يبحثون هذه المشكلة بين الطلبة انفسهم ويتساءلون اذا كان احدهم يرجع الى اصل اجنبي معروف .

فقال واحد منهم ان الدم الهندى يجرى فى عروقه .

فسأله الاستاذ عن القبيلة التى ينحدر منها .

فاجاب الطالب : لا اعتقد انها قبيلة ،وانما هو مجرد رجل هندى عابر !

مدينان لحصالة الطفل !

● قلت الفلوس فى يد ام ذات يوم فارادت ان تقترض من الفلوس الموفرة لطفلها فى حصالته ، فلما فتحتها وجدت فيها ورقة من زوجها هذا نصها :

ـ انا مدين لهذا المصرف بخمسة دنانير ..

اذا تعطلت الفرامل

سألت احدى السيدات الشخص الذى كان يعلمها قيادة السيارات :

ـ هب أن الفرامل تعطلت فجاة فماذا افعل ؟

فاجابها : فى هذه الحالة حولي السيارة نحو ارخص شيء امامك .

كلاهما سهل

● **عشق فتى فتاة فقال لها : ليس من الصعب علينا الزواج لان ابي كاهن كما تعلمين .**

قالت له : ولا الطلاق لان ابي محام.



رجاء الى المحررين

● لما كان كليمنصو السياسي الفرنسي المعروف يدير جريدة « الفجر » علق فى غرف التحرير هذا الاعلان : المرجو من حضرات المحررين الا يهموا بالرحيل قبل ان يستقروا فى مكاتبهم !

فى الشنق عبرة !

● حكم على احدهم بالاعدام شنقا ، فسئل قبل اعدامه : هل عندك امنية تعرب عنها ؟!

فقال : نعم يا سيدى ، عسى أن يكون فى هذا عبرة لي !

على كل حال .. لايجدى

● روى « مايك هامر » خبر مناقشة حادة دارت بين نجمين من نجوم السينما ، قال : لقد قال الزوج لزوجته بعد تفكير : اني تدبرت الامر فرايت ان اوافقك على رايك . فردت عليه : ذلك لايجدى لانني غيرت رايي !

اللص على بعد مائة ميل

● نزل احد الصيادين الاجانب ذات ليلة ضيفا على احد زنوج اواسط افريقيا . فلما اصبح ساله :

ـ هل من خوف على امتعتى اذا تركتها فى فناء الكوخ ؟

فاجابه : اطمئن تماما ، ان بيننا وبين اقرب رجل ابيض ما لا يقل عن مائة ميل !!

المؤرخ السفير
قاضي قضاة حلب



كانت سفارته الى مصر ، لوقف زحف المغول ، فأعلنت مصر التعبئة العامة ، وكانت موقعة "عين جالوت" وفيها دارت الدائرة على المغول ، وتراجعوا عن الشرق بعدما تركوا فيه من خراب يباب

ابن العديم

من ادباء القرن السادس الهجرى ومؤرخيه ، تميز بشتى الوان المعرفة ، فكان اديبا وشاعرا وفقيها وسفيرا ومؤرخا فذا !.

وصفه ياقوت بقوله : ان الله عز وجل منى بخلقته فأحسن خلقه وخلقه ، وعقله وذهنه وذكاءه ، وجعل همته في العلوم ومعالي الأمور ، فقرأ الأدب واتقنه ، ثم درس الفقه فأحسنه ، ونظم القريض فجوّده ، وانشأ النثر فزيّنه ، وقرأ حديث الرسول وعرف علله ورجاله وتأويله وفروعه ...

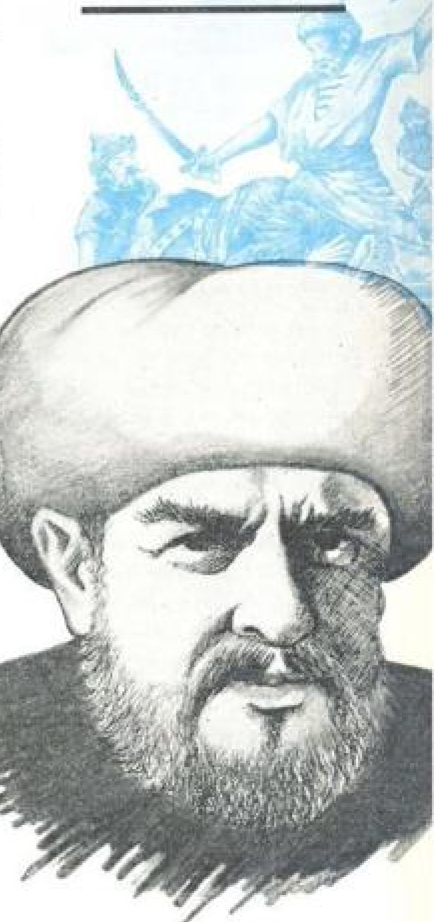
فى هذه الخطوط السريعة التى رسمها ياقوت فى معجم الأدباء ، وهو من معاصريه ، صوّر جلية عن عبقرية هذا الشاب الذى نشأ فى بيت علم وادب وفضل ، فقد ظل هذا البيت يتوارث افراده العلم اربعة قرون كاملة .

كان جده من سكان البصرة نزح منها بعد المئتين للهجرة فى تجارة الى الشام ، وفى رواية ان طاعونا نزل بالبصرة فخرج منها جماعة من بنى عقيل وقدموا الى الشام فاستوطن جدهم الاكبر حلب ..

والد كمال الدين

ومنذ ذلك العهد ، حتى القرن السادس والسابع ، والبلاد العربية تتحدث عن هذه العائلة التى ضمت الأدباء والشعراء والقضاة ، كان آخرهم والد كمال الدين الذى ولى منصب

بقلم : سامى الكيالى



قاضى القضاة . وكان قبلها خطيب القلعة فى عهد نور الدين محمود زنكى ، ثم خازن المملكة على ايام ولده الملك الصالح اسماعيل ، ثم عزل من منصب قاضى القضاة لا لشىء الا لانه « حنفى المذهب » والدولة « شافعية » فلم يؤثر ذلك فيه لأن له من ثروته وجاهه وعلمه ما يغنيه عن التكسب من مال الدولة فقبع فى قصره يقطع الوقت بالمطالعة والدرس والاشراف على املاكه ومزارعه . وبينما هو فى هذه الحياة الحرة الطليقة من كل قيد ، اذ بنبأ سار ترقص له القلوب ، فقد انبثق فجر اليوم العاشر من شهر ذى الحجة سنة ٥٨٨ هـ عن مولود أشاع البشر فى بيت آل العديم .

مأساة عائلية

تقبل القاضى والد كمال الدين ، هذه البشرى برعشة المضطرب غير المطمئن ، فقد انعم الله عليه بعدة بنات من أجمل ما خلق الله ، وكان برغم حبه لبناته ، فى حسرة على وليد يرث هذا المجد العلمى الذى كان ينتقل من الآباء الى الابناء .

وكلما تقدمت به السن كان يشعر ان القدر لن يهبه مولودا ذكرا ، ولكن الآمال كثيرا ما تنبت من السُّجُف السود . ومنّ الله على الشيخ بوليد ذكر . وليس هذا الوليد مؤرخنا كمال الدين ، بل شقيقه ، فلم يكد يشب عن الطوق حتى استله القدر من بين يديه ، فحزن الوالد حزنا عميقا هد قواه . وأصابه ما لم يصب والد على فقد ولده فامتنع عن الطعام والشراب الا ما يقيم جسده الذاوى .

وقد هم يوما وقد غلبه الحنين ولج به الشوق وعصاه الصبر ـ هم ان يخرج فلذة كبده من القبر ليروى غليل شوقه وينعم برؤيته .

وبالرغم مما كان عليه الشيخ من قوة وجبروت فقد امتنع عليه الحجر ، ولم يستطع ان يكشف عن القبر ، فادرك ان الله جلت قدرته ، اراد ذلك شفقة منه على الطفل وعليه ، فزجر نفسه ، وعاد الى البيت متعبا مكدودا يبكى همسا ويصلى ، وما زال حتى ارتمى على فراشه وهو فى غاية الاعياء .

وبديهى ، وهو فى هذه الحالة ، أن يستيقظ « عقله الباطن » على الرؤى والهواجس ، وان تتراءى له الاحلام وهو فى غفوته اليقظة . فرأى فى تلك الليلة رؤيا ارعبته اولا .. ثم ما لبثت أن شفته من مرضه .

رأى ولده ، وسمع صوته ، وقد خيل اليه

انه يخاطبه بقوله :

« يا ابى : عرّف والدتى انى اريد ان اجىء اليكم » .

واستيقظ ابو الحسن مذعورا . وركض الى زوجته يريد ايقاظها . ولم تكن الام المفجوعة نائمة ، فهى اشد لوعة على ولدها من ابيه ، فما كاد يقص عليها نبأ الرؤيا حتى بكت بكاء شديدا .

وتشاء ارادة المولى أن تراف بهذين القلبين الكسيرين ، فمن الله عليهما بولد نحيف البنية ، تكاد تحسبه شبحا من الاشباح ..

ولعل القارىء قد ادرك ان هذا المولود هو كمال الدين مؤرخ حلب ، موضع حديثنا فى هذه الكلمة.

نشأته

وقد عنى والده بتربيته منذ صغره تربية علمية ، وتنشئته على غرار آبائه وأجداده .

وكان يفرض عليه حفظ طائفة من الكتب ، فحفظ « اللمع » وحفظ « القدورى » وحفظ غيرهما فى مدد قصيرة . وكان قد حفظ القرآن الكريم، وحفظ كتاب الله ميزة فى آل العديم ، فما منهم الا من انطوى صدره على آياته المحكمات..

وفى هذا الصدد يقول : « لما ختمت القرآن قبّلنى والدى بين عينىّ وبكى ، وقال : الحمد لله يا ولدى ، هذا الذى كنت أرجوه فيك ، حدثنى جدك عن أبيه عن سلفه : أنه ما منا أحد الى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، الا من ختم القرآن .. ».

أسفاره

وعُرف كمال الدين بين اترابه بالسبق ، وكان شديد الاتصال بعلماء عصره ، سمع الحديث عن ابيه وعمه ابى غانم ، وابن طبرزد ، والافتخار والكندى والخرستانى وسمع جماعة كثيرة بدمشق وحلب والقدس .

لقد سافر الى دمشق والى القدس سنة ٦٠٣هـ ، ثم عاد فسافر مرة ثانية بعد خمس سنوات ..

ولم تكن بغيته من هذه الرحلة التفرج على البلدان بل طلب العلم من الائمة العظماء ، مع درس الحالة السياسية والاجتماعية وتلمس ما كانت عليه دمشق والقدس من غليان واضطراب ..

وعاد الى حلب يتابع نهجه الدراسى ، واذ أصبح مرموق القدْر بين العلماء ، نيط به التدريس فى أعاظم مدارس حلب وهو فى الثامنة والعشرين من عمره ..

تآليفه

واخذ يؤلف فى هذه السن المبكرة ، فكتب للملك الظاهر كتاب « الدرارى فى ذكر الذرارى » ، وقدمه اليه هدية يوم ولد ولده الملك العزيز الذى استندت اليه سلطة حلب بعد أبيه .

كما كتب كتاب « ضوء الصباح فى الحث على السماح » ، صنفه للملك الأشرف . وحين انعم الملك النظر فى جمال خطه رغب رؤيته ، ولما مثل بين يديه أحسن اليه واكرمه ، وخلع عليه وشرّفه.

وهكذا ، بدا نجم ابن العديم يلمع ، واخذ صيته يدوى ، وأحبه العلماء والملوك ، وكأنما كان التاليف نزعة من نزعات هذا الشاب ، فلا يكاد ينتهى من وضع كتاب حتى يبدأ بوضع كتاب آخر .

وقد طلب اليه ياقوت أن يؤرخ لآل العديم الذين يتصل نسبهم ببني جرادة فكتب فى أسبوع واحد كتاب « الأخبار المستفادة فى ذكر بنى جرادة » ، واذ عُرف بجودة الخط فقد وضع كتابا فى الخط وعلومه ، ووصف آدابه واقلامه وطروسه ، وما جاء فيه من الحديث والحكم. ومن كتبه « تدبير حرارة الاكباد ، فى الصبر على فقد الاولاد » ، صور فيه لواعج الحزن فى صدر أبيه الذى فجع بفقد اخيه .

بغية الطلب فى تاريخ حلب

على أن أعظم كتبه بدون ريب كتابه الجليل « تاريخ حلب » الذى لا يقتصر على اخبار ملوكها، وابتداء عمارها ، ومن كان بها من العلماء ، ومن دخلها من أهل الحديث والرواية والدراية والملوك والأمراء ، بل تناول جغرافية المملكة وبحيراتها وجبالها وتربتها وهوائها ومائها وخراجها وعادياتها، فذكر مدنا تعد اليوم من كليكيا والجزيرة، مع انها من اعمال حلب مثل اذنه والكنيسة السوداء وطرسوس وسيس والحدث الحمراء وملاطية وسميساط ورعبان ودلوك الى غير ذلك من البلدان والحصون .

يقول ابن الشحنة (١) : « ان مسودته كانت تبلغ نحو اربعين جزءا كبارا ، والمبيضة تجيء كذلك ، ولكن اخترمته المنيّة ، وتفرقت اجزاؤه قبل الفتنة التيمورية » .

الدفاع عن عقيدة أبى العلاء

وكتاب آخر تجدر الاشارة اليه قبل الحديث عن سفارته ومهمته السياسية ـ أريد به كتابه « الانصاف والتحرى ، فى دفع الظلم والتجرّى ، عن أبى العلاء المعرّى » .

لقد ثار ابن العديم على الجهلة من انصاف العلماء الذين اخذوا يكفرون شيخ المعرة الذى طالما صرخ من الاعماق :

لحى الله قوما اذا جئتهم
بصدق الاحاديث قالوا : كفر

والذى كان يصرخ من عزلته :

اما فى الارض من رجل لبيب
فيفرّق بين ايمان وكفر !

مهلا شيخنا الحكيم ..

فلم تخل الأرض فى يوم من الايام من رجل لبيب منصف يفرق بين الكفر والايمان .

وها هوذا ، قاضى قضاة حلب ، يتبرى للدفاع عنكم فيرد على خصومكم ويسفه أحلامهم وتخرصاتهم ، وليذا الدفاع ، فى تلك الفترة ، قيمته ، لصدوره عن فقيه مجتهد وعالم مرموق القدر ، وأديب واسع الاطلاع ، وشاعر ومؤرخ ، فمن كامل قوله :

« .. وبعد فانى وقفت على جملة من مصنفات عالم معرة النعمان أبى العلاء .. فوجدتها مشحونة بالفصاحة والبيان ، مودعة فنونا من الفوائد الحسان ، محتوية على أنواع الآداب ، مشتملة من علوم العرب على الخالص واللباب ، لا يجد الطاعن فيها سقطة ، ولا يدرك الكاشح فيها غلطة .. » .

« ولما كانت مختصة بهذه الأوصاف ، مميزة على غيرها عند أهل الانصاف ، قصده جماعة لم يعوا وعيه ، وحسدوه اذ لم ينالوا سعيه ، فتتبعوا كتبه على وجه الانتقاد ، ووجدوها خالية من الزيغ والفساد ، فحين علموا سلامتها من العيب والشين ، سلكوا فيها معه مسلك الكذب والمين ، ورموه بالالحاد والتعطيل ، والعدول عن سواء السبيل ، فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملحدة ، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذى قصده ، فجعلوا محاسنه عيوبا ، وحسناته ذنوبا ، وعقله حمقا ، وزهده فسقا ، ورشقوه بأليم السهام ، وأخرجوه عن الدين والاسلام ، وحرفوا كلمه عن مواضعه واوقعوه فى غير مواقعه» .

بهذا الاسلوب الدار اخذ يدافع عن عقيدة أبى العلاء بعد ان قرأ جميع كتبه وما اتهمه به خصومه فخرج برسالة « الانصاف والتحرى ، فى دفع الظلم والتجرى » . وهو اذ أنصفه رد على حاسديه وكشف عن خصائص عبقريته .

سفارته

ونتحدث عن سفارته الى القاهرة حين اجتاح هولاكو بغداد فى طريقه الى الشام .

فقد دب الذعر فى نفوس الاهالى ، واجتاح الهلع رجال الدولة ، والتفت الناس الى مصر يطلبون النجدة فما كان من الملك الناصر يوسف صاحب الشام وحلب الا ان عقد مجلسا ضم أركان البلاد والقادة لتدارك الموقف ، وبعد مداولات خطيرة قر الراى ان ينتدب قاضى القضاة ابن العديم للسفر الى مصر ، وطلب النجدة من ملكها لرد عادية المغول .

وكان كمال الدين قد عاد من بغداد فى مهمة توطيد العلاقة بين الخليفة والملك الناصر ، وذلك قبل الاجتياح المغولى لبغداد .

ووصل مصر بعد عناء شديد وسفر مضن شاق طويل ، فلم يكد يهبط أرض النيل متعبا مكدودا حتى احتفت به مصر حفاوة بالغة ـ احتفى به الملك والأمراء والأعيان والعلماء ونزل فى ضيافة

---

(١) لسنا فى صدد الكلام عن هذا المؤلف العظيم الذى لم يقتصر على تاريخ حلب بل على تاريخ سورية بحدودها الطبيعية ـ هذا الاثر الذى اختصره ابن العديم نفسه فى كتاب آخر سماه « زبدة الحلب فى تاريخ حلب » ، وقد عنى صديقنا الدكتور سامى الدهان بنشر جزءين منه نشرا علميا بعد أن ظفر بمخطوطة للكتاب فى مكتبة باريس وبعض مكتبات الشرق والغرب ـ بل أردنا ، ونحن نتحدث عن عبقريته فى التأليف أن نشير الى هذا الاثر الذى يعتبر من أوفى ما كتب عن بلاد الشام فى تلك الفترات .

السلطان فى قصر « الكبش » (١) وتوافدت رجالات مصر للسلام عليه والترحيب بمقدم عالم فذ ومؤرخ شهير .

وانتهت مراسم التسليم ، وبعد ان اخذ حقه من الراحة بدأ بمفاوضاته التى انتهت بالنجاح . وسرعان ما جهزت مصر حملة كبرى الى الشام للانضمام الى جيش الملك الناصر ومقاتلة هولاكو لدفع هذا الخطر الذى يهدد البلاد العربية من فراتها الى بَرَدَاها الى نيلها ..

حصار حلب

وفى هذه الفترات كان هولاكو يجتاح البلاد مدينة اثر مدينة وما زال حتى اقترب من حلب فدخلها سنة ٦٥٨هـ بعد حصار دام عشرة ايام دافع الحلبيون عنها دفاع الأبطال ولكن دون جدوى .

فقد قتل خلال هذه المعارك كثيرون .

واستبيحت الدماء وامتلأت الطرقات بالقتلى ، وتهدمت البيوت والجوامع والمساجد والبساتين حتى اصبحت المدينة خرابا يبابا .

يقول المؤرخون : ان الحلبيين قتلوا من جنود هولاكو عددا كبيرا . وهذا الذى حمله ، بعد أن دخلها ، أن يعيث فيها ويأخذ منها مائة الف أسير .. هذا ما صادره من أموالها ونفائس كنوزها .

الى دمشق وفلسطين

ومن حلب والى زحفه الى دمشق ففلسطين .. وما زال حتى اقترب من الحدود المصرية يريد غزة ومصر ..

وخلال هذه الفترة كانت سفارة ابن العديم قد اثمرت فاعلنت مصر التعبئة العامة ، وهب جيشها يدفع هذا العدوان العظيم .

وكانت معركة « عين جالوت » وهى من المعارك الحاسمة فى التاريخ ــ هى التى ردت هولاكو عن مصر وعن البلاد العربية كلها (١) .

ولا نتوسع فى سرد تفاصيل هذه المعركة بل نعود الى ما نحن بصدده فنقول ان مؤرخنا لم يكد يسمع بجلاء المغول عن بلاد الشام حتى عاد الى حلب ليرى ما نزل ببلدته الحبيبة من بلاء .

وحين عاد رأى كل شيء فى مدينته يدعو الى الرعب والوحشة .

مدينة صامتة كأنها مقبرة .
اين قصر الملك الناصر ؟
اين بيوت آل العديم ؟
ما فعل بجوامعها ومدارسها وقصورها ؟
لقد اصبح اكثرها خرابا يبابا .

واذ رأى ذلك لم يطق المقام فى بلدته ومسقط رأسه فما كان منه الا أن قفل راجعا الى مصر بعد أن ودعها بقصيدة حزينة .

نهايته

وفى مصر عاش أيامه الاخيرة ، يكتب ويؤلف ، وقد أحبته مصر فاكرمته ، وما زال فيها الى ان وافاه القدر سنة ٦٦٠هـ فدفن بسفح المقطم من القرافة بالقرب من المسجد المعروف بالرضى ، بتربة موسى بن يغمور ، فكان ، كما وصفه الذهبى صاحب تاريخ الاسلام ، « عديم النظير فضلا ونبلا وذكاء ورأيا ودهاء ومنظرا ورواء ومهابة ، وكان الى هذا ، محدثا ومؤرخا صادقا ، وفقيها مفتيا ، ومنشئا بليغا » .

حلب : **سامي الكيالي**

---

(١) يطلق الكبش على الجزء الشمالى الغربى من جبل يشكر حيث المنطقة الواقعة غربى جامع ابن طولون . ويقول المقريزى أثناء كلامه عن مناظر الكبش ان هذه المناظر كانت على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى ، وان الملك الصالح نجم الدين ايوب لما انشأ هذه المناظر سماها الكبش لوقوعها فوق الجبل ولا تزال هذه المنطقة تعرف اليوم باسم قلعة الكبش بشارع مراسينا بقسم السيدة زينب .

(١) راجع مقال العربى فى العدد ٦٤ بتاريخ مارس (آذار) ١٩٦٤ .

أبو المعز السيد محمد الحسيني القزويني

آخر رعاة الحركة العربية في العراق..

بقلم : عبد الرزاق الهلالي



المغفور له العالم الجليل ابو المعز السيد محمد القزويني هو نجل المغفور له العلامة السيد مهدى الحسيني القزويني عميد الأسرة القزوينية فى العراق[1] فى القرن الثالث عشر للهجرة .

ولد فى مدينة الحلة عام ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥م) ونشأ فى كنف والده نشأة مباركة ، فلما ختم القرآن الكريم ، وقرأ مبادىء العلوم اللسانية ، قصد النجف الأشرف للتعلم . وبعد ان نال قسطا من الدروس فى المعانى والبيان والمنطق والأصول عاد الى بلده ولكنه سرعان ما عاد الى النجف ثانية لاستكمال تحصيله العالى فى علوم الشريعة . وما عتم ان عاد الى الحلة مرة اخرى ليعود مع والده الى النجف فى نفس تلك السنة (حيث اقام والده فيها حتى عام وفاته) . وهناك راح يواصل حضور حلقات والده الدراسية وحلقات غيره من كبار العلماء حتى أجازه والده والعلامة الايروانى (بالاجتهاد) وهو فى مستهل العقد الرابع من عمره[2] .

وفيما هو ينعم بهذه الحياة العلمية والادبية فى كنف والده ورعاية أخويه الكبيرين ، اذا به يفجع بوفاة أخيه الأكبر السيد جعفر فى عام ١٢٩٨ هـ ، وبوفاة والده فى طريق عودته من الحج عام ١٣٠٠هـ . وبوفاة اخيه الكبير الثانى وهو السيد صالح عام ١٣٠٤ هـ . فاستقل به المقام فى النجف الأشرف رئيسا لآل القزوينى فيها ، مكبا على

البحث والتدريس والسعي في قضاء حوائج الناس فكان خير خلف لخير سلف .

عودته الى مسقط رأسه

وفي عام ١٣١٣ هـ قصد النجف الأشرف وفد كبير من أشراف الحلة وزعمائها يلتمسون (ابا المعز) ليعود الى مدينته ، ويعيد فيها مركز أبيه ومقامه السامي ، فاجاب رغبتهم وعاد اليها ، فكان يوم دخوله اليها يوما مشهودا استقبل فيه استقبالا عظيما وحيته فيه شعراؤها بالعديد من القصائد الرنانة الرائعة وقد أرخ عام وصوله أحدهم وهو (الحاج عبد المجيد العطار) قائلا :

راق الزمان ورق منه الطبع والمعروف اورق
حيث (المؤرخ سره) بدر على الفيحاء اشرق

وهكذا اقام فيها مرجعا في الأحكام الشرعية والرئاسة العرفية وموئلا للمرافعات وفصل الخصومات بين الناس ، وصلاة الجماعة في مسجدها العام ، مواظبا على التدريس في الفقه والأصول ورعاية شؤون العامة .

صفاته كما رواها معاصروه

قال المرحوم الشيخ علي كاشف الغطاء في كتابه (الحصون المنيعة) (٢) واصفا ابا المعز :

« كان عالما فاضلا ، ضم الى الفضل الكرم والأدب ، واضاف الى الشرف بالنسب الشرف بالحسب ، وكان واسطة عقد السادة ومعقد اكليل السيادة وطراز عمائم الافاضل من بني هاشم الأماثل ، شريفا تلوح المكارم في أساريره ، وتقيا يكاد يحكي وجهه ما في ضميره ، وناسكا يراقب الله في كل محل ، وظريفا في لفظه أيان حل وارتحل ، وكان ناثرا شاعرا ، حسن البديهة مكثرا من الشعر » .

اما الدكتور محمد مهدي البصير الذي كان احد تلاميذه فقد وصفه قائلا : « وكان رحمه الله فصيح اللسان قوي الجنان غزير الحفظ ، مستظهرا للقرآن الكريم كثير الرجوع اليه والاستشهاد به ، عظيم القدرة على الجدل والمناظرة ، عظيم الجرأة شديد الصراحة .. وكان

---

(١) الاسرة القزوينية التي ينتمي اليها (أبو المعز) رهط من السادة ينتهي نسبهم الى زيد بن علي بن الحسين ، هاجر رئيسها السيد جعفر من العراق الى مدينة تبريز في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة لتولي منصب (امارة الحج) في الدولة الصفوية ، وتولاها بعده ابنه السيد محمد الباقر الذي اتخذ مدينة (قزوين) مقرا له ثم تولاها من بعده ابنه السيد القاسم وذلك في أواخر القرن المذكور ، الا أنه بعد ضعف شأن الدولة الصفوية عاد السيد حسين بن القاسم الى العراق وسكن كربلاء ، وكان أول من اشتهر بلقب (قزويني) من هذه العائلة هو المغفور له العلامة (السيد أحمد) حفيد السيد حسين وذلك تمييزا له عن غيره ممن يحمل نفس الاسم واللقب من العلماء ، ومنذ ذلك التاريخ أخذ هذا اللقب يلحق أسماء أفراد هذه الاسرة الحسينية وبه اشتهروا (استقينا هذه المعلومات من احد ابناء هذه الاسرة وهو الاستاذ محسن القزويني » .

وقد كان أبناء هذه الاسرة في العراق ارباب علم وزعامة دينية وأدب جم وثراء عظيم وجاه عريض ، حذق الفقه منهم نحو من عشرة فقهاء أبرزهم وأكبرهم شأنا العلامة المغفور له السيد أحمد والسيد باقر الكبير والمغفور له العلامة السيد مهدي والد (المترجم) ، وقد كانت دورهم في النجف الاشرف والحلة كعبة تتزاحم عليها أكتاف العلماء والأدباء والشعراء اذ كانوا رحمهم الله رعاة للحركة العلمية والأدبية فلا عجب أن قام للأدب في أيامهم سوق راجت به تجارته ونفقت فيه بضاعته ، وكانت أفراحهم وأحزانهم مواسم أدبية يتسابق فيها شعراء النجف والحلة مسابقات تعود على أدب ذلك الزمان بالنفع الكثير .

(٢) البابليات ج ٣ محمد علي اليعقوبي النجف ١٩٥٥ .

رحمه الله على جلالة قـدره ، خفيف الروح ، فكه الطبع في مجالسه الخاصة ، حاضر النكتة ، جميل العشرة » .

ولقد كان مجلسه منتدى أدبيا تاريخيا، وديوان شعر لا تطلع عليه الشمس الا بجديد في عالم الشعر والادب ، ولا تغيب عنه ، الا بجديد في عالم الفن (٤) ، فلا عجب اذا ما قال عنه الدكتور البصير : « وقد تشرفت بالاخذ عنه سنين عديدة فما خرجت منه الا وانا اتمنى انه لو كان عمر المجلس اطول مما كان » .

مواقف مشهودة

ولابي المعز رحمه الله مواقف مشهودة ترويها كتب التاريخ والادب بالفخر والاعجاب ، فقد كانت روحه العالية ومركزه الخطير في المجتمع من الناحيتين الدينية والاجتماعية ، الدافع القوي الذي جعل الناس يجدون فيه ذلك الزعيم المطاع والاب العطوف ، يهرعون اليه كلما نابهم خطب والمت بهم المصائب والمحن . ولسنا في مجال تعداد ما كان له من مواقف تكشف عن مدى جرأته في الحق وتفانيه في عمل الخير ، واندفاعه في خدمة الناس ، بل سنكتفي بايراد البعض من هذه المواقف على سبيل المثال ، وهي في مجموعها توضح للقارىء موقفه من مشاكل المجتمع انذاك . ومن هذه المواقف ــ ما ننقله في ادناه ...

موقفه من مرض الطاعون في النجف

عندما وقع الطاعون في النجف عام ١٢٩٨ هـ وكان شديد الوطأة على الناس ، لم يبق فيها من العلماء والوجوه والاعيان احد فقد لاذ جميعهم بالفرار هاربين الى المدن البعيدة ، بينما ظل آل القزويني يتصدون لمساعدة الفقراء ودفن الموتى ومساعدة المرضى واغاثة الملهوفين بقلب مفعم بالعطف والايمان . وكان ابو المعز في مقدمة هذا الرعيل وقد وصف حاله ابان تلك المأساة في رسالة بعث بها الى الشيخ محسن الخضري جاء فيها (٥)

لو تراني يوم قد قرّ الألى
عن حمى المولى قبيلاً فقبيلْ

مفرداً أسلمه أصحابه
أرأيت القوم يوم ابن عقيلْ

فلذا أنكرتني أبصرتني
مثلما أرقلُ قدّام الرعيلْ

فعلى هذا أسائي وعلى
ذاك من أصحابك الشرْبُ الأصيلْ

ولذا أدمو هلمّوا لقفنا
ولذا أحتفُ يا خلُّ من غسيلْ

دونكم فاتخذوا مرضعة
لرضيع وطعاما لعليلْ

لرأت عيناك ما سرّ الحشا
ووعى قلبك ما يشفي الغليلْ

موقفه من جفاف نهر الفرات

ولما اخذت مياه نهر الفرات (الذي تقع على ضفافه مدينة الحلة) تتحول الى نهر الهندية ، وبدأ بالجفاف عام ١٣٢٢ هـ بحيث لم يعد يجري فيه الماء الا شهرا او شهرين في السنة ، أصبح السكان في خطر عظيم حتى راحوا يشربون الماء من الآبار ، واضطر معظمهم الى الهجرة الى المدن والارياف القريبة ، وعلى الرغم من سوء الوضع ما كانت السلطة العثمانية لتعير هذا الامر اهتماما، حتى اذا تولى سري باشا ولاية بغداد سنة ١٨٨٩م ابرق (ابو المعز) هذه البرقية :

الى أن يعود الماء في النهر جاريا
وتخضرُ جنباه تموتُ شفادعُهْ

فلما تسلم الوالي هذه البرقية شمر عن ساعد الجد وقرر ان يشرف على حفر صدر نهر الفرات بنفسه فذهب الى الهندية واستنفر جميع العشائر

---

(٣) ق ج ٩ ص ٢٣٨ وهو لا يزال مخطوطا في مكتبة آل كاشف الغطاء في النجف الاشرف .
(٤) القصة العراقية قديما وحديثا . جعفر الخليلي بيروت ١٩٦٢
(٥) ديوان الشيخ محسن الخضري النجف ١٩٤٧ .

للقيام بالحفر حتى جرى فيه الماء ثانية بين (الهوسات) والاهازيج .

ولما كان خطر جفاف النهر لا يزال قائما ، وان الأمر لا يستقيم ما لم تتخذ الدولة ما يلزم لانشاء سدة ترفع مستوى الماء لينصب في النهر بكل يسر وسهولة ، فقد وجد ابو المعز ان الفرصة قدواتت بتعيين (ناظم باشا) واليا على بغداد بعيد اعلان الدستور العثماني فبعث اليه بالبرقية الاتية مذكرا اياه بمشكلة ماء الفرات قائلا :

قل لوالي الأمر قد مات الفرات
ومضت منه أهاليه شتات

أفترضى أن يموتوا عطشا
وبكفيك جرى ماء الحياة ؟

وما هي الا اشهر حتى كان (مشروع سدة الهندية) قد اصبح حقيقة واقعة اذ جرى افتتاحها في شهر كانون الأول عام ١٩١٣ (٦) .

موقفه من حرب الانكليز في الشعيبة

ولما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ واعلنت الدولة العثمانية الحرب على الحلفاء اعلن المسلمون في العراق الجهاد والزحف لمحاربة جيوش الانكليز التي نزلت في البصرة ، وقد قاد المغفور له العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي جموع المجاهدين حيث دارت بينهم وبين الجيش البريطاني في (الشعيبة) معركة ضارية . وقد كان ابو المعز في مقدمة علماء المسلمين الذين اعلنوا الجهاد وباركوا هذا الزحف فقد ابرق الى الحبوبي قائلا :

نحن بني العرب ليوث الوغى
دين الهدى فينا قوي عزيز
لا بد أن نزحف في جحفل
نبيد فيه جحفل الانكليز

صلاته الأدبية واخوانياته

ونظرا لما كان لأبي المعز من مركز ديني كبير واجتماعي خطير في منطقة الفرات الاوسط فقد كانت له صلات وثيقة وعلاقات طيبة بالكثير من وجوه المجتمع العراقي انذاك ، كآل الالوسي ، وآل النقيب ، وآل الواعظ ، وآل الشواف ، وآل الزهاوي ، وآل كبه ، وآل العمري وغيرهم من اعيان العراق .

وقد تكونت لدى السيد رحمه الله من جراء هذه الصلة مجموعة من المراسلات الاخوانية جمعها في كتاب اسماه (طروس الانشاء وسطور الاملاء) .

ولا نريد ان نثبت هنا ما دار بينه وبين جميع اولئك السادة الأجلاء من منظوم ومنثور بل سنكتفي بايراد الصورتين الاتيتين :

بينه وبين الشاعر الرصافي

لم يكن بينه وبين المرحوم الشاعر الأستاذ معروف الرصافي اية صلة او سابق معرفة الا ان الأستاذ الرصافي اراد ان يكسب وده ويتعرف به فقد عشقه على البعاد وواله نفسه وهو في بغداد حيث قال في قصيدته (الى القزويني) (٧) .

قف بالديار الدارسات وحيها
واقرأ السلام على جآذر حيها

الى أن يقول :

يا عاذلا صدع القلوب بلومه
مهلا فليس خليها كشجيها

من ذا استطاع يرد من في الهوى
فئة ترى كل الرشاد بغيها

كأفاضل الفيحاء حيث تفاخرت
بسريها الجحجاح وابن سريها

السيد السند الهمام (محمد)
فرع النبوة وابن خير وصيها

ذاك الذي كم من مناهل فضله
فازت محلاة النفوس بريها

يا سيدا في المجد أحرز شهرة
ملأت مسامعنا بصوت دويها

(٦) معجم العراق ج ٢ عبد الرزاق الهلالي بيروت ١٩٥٦ .
(٧) ديوان الرصافي ص ٢٧٢ مطبعة دار المرعي بيروت ١٩٣١ .

والتك نفس ترتدي بك سؤددا
وقد ارتديه فكنت خير وليهـا
لم لا أسود بحبكم في امة
فرض المهيمن حب آل نبيهـا
زهت المكارم فيك حيث لبستها
شيما تزينا الاكرمون بزيهـا
فشـقت منك على البعاد خلائقا
شغلت وحقك مهجتي عن حبها

وقد اجابه أبو المعز على نفس الروي والقافية، ولكنها مضمومة ، حيث قال : (٨)

حي روضـة قد رشها ورسميها
طـلا وفـاح بعطره جوريهـا
وخريدة تختال في أعطافهـا
قد زانها عند الوصال حليها
زفت من الزورا ففاح عبيرها
في بابل حتى تعطر حيهـا

الى ان يقول :

بـدر الرصافة لو تقدم عصره
أثنى عليه لفضله (كرخيها)
وأبـان ما بين الافاضل أنـه
نحويها ، صرفيها ، لغويهـا
يا أيها الشهم الذي أبدى لنا
من حبه ما بعضه كليهـا
عذرا اليك من الالوكة انهـا
لا عن قلى مني تأخر طيهـا

★ ★ ★

بينه وبين الشيخ مصطفى الواعظ

وقد كانت تربط بينه وبين مفتي الحلة المرحوم الشيخ مصطفى نور الدين الواعظ صداقة متينة انعكست آثارها في المراسلات التي حفلت بهـا صفحات (الروض الأزهر) الذي دبجته يراعة المفتي نفسه (٩) . ومن تلك ما نشره في الصفحة ٢١٤ منه تحت عنوان (قصيدة السيد محمد القزويني) حيث قال :

« ثم ان الشيخ الموصى اليه (١٠) ، اجتمع بحضرة السيد الأوحدي ، والعلم الفردي ، والروض الوردي ، ذي الخلق الرندي ، والعطر الندي ، بدر سماء السيادة ، وقمر السادة ، السيد محمد افندي قزويني زاده ، بلغه الله مراده ، في النجف الأشرف عند مرقد حضرة مولانا ذي الشرف الذي لا يوصف ، أمير المؤمنين ، وامام المسلمين ، باب مدينة العلم ، والنقطة تحت الباء، كرم الله تعالى وجهه ، ونقل له مفصلتلك القصة، وبلغه عن المترجم الثناء والسلام والتحيـة ، فابتدر السيد المشار اليه بتحرير كتاب مصدر بهذه الأبيات التي حيرت بلاغتها الألباب ، وهي هذه :

روى لي (علي) عن (المصطفى)
حديث الاخـاء بنص جلي
وأبلغني عن صفي الوداد
خطابا الذ من السلسل
واقراني من سلام الحبيب
بألطف من نسمة الشمأل
وانعشني من شذي ذكره
بأذكى من العود والصندل
وشوقي نحو ذاك الحمى
لخير نزيـل على منزل
لمفتي الانام وسامي المقام
بـارك من الزمن الأول

★ ★ ★

خفة روحه وظرفه ومداعباته

وكان رحمه الله على جلالة قدره يتدفق رقة ويسيل لطفا ، ولم يمنعه مقامه الروحي ومنصبه الديني عن ملاطفة الصغير والكبير والشريف والوضيع ، ويكاد يكون المثال الوحيد للاخلاق الفاضلة . فلقد كان نسيجا وحده في خفة الروح وجمال العشرة وحضور النكتة حتى على نفسه فلا عجب اذا ما تناهى الينا الكثير من النكات الرائعة والنوادر البارعة والمداعبات الظريفـة والغمزات الظريفة التي كان (أبو المعز) قد

---

(٨) البابليات ج ٥ علي الخاقاني النجف١٩٥٢ .
(٩) الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر . نشره المرحوم الاستاذ ابراهيم الواعظ ١٩٤٥ .
(١٠) ويقصد به (الشيخ علي عوض) صديقالاثنين .

نسجها بخفة روحه وجمال اسلوبه ، لا فرق في أن تكون شعرا أم نثرا .

بينه وبين أحد أخواله

ساله خاله الشيخ عباس آل كاشف الغطاء ذات يوم (وكان في ضيافته في الحلة) قائلا :

– "من" من العلويين مطعون في خؤولته ؟

فاجاب أبو المعز على الفور (وقد حضرته النكتة) قائلا :

– هوانا .

(والنكتة في جوابه واضحة لمن كان حاضرا في المجلس) .

الخصومة التقليدية بين النجفيين والحليين

بين سكان النجف وسكان الحلة خصومة تقليدية لا يتعدى أثرها مجال الظرف والفكاهة ، فلا عجب اذا ما كان لهم بسبب ذلك كثير من الطرائف والنكت ، وهي في معظمها لا تخرج عن حدود اللياقة والأدب .

ولما كان السيد محمد (حليا) فقد انتهز أحد أصدقائه النجفيين فرصة وجود (الخيار) على مائدة الطعام فقال (وهو يقصد التعريض بأخيار الحلة) :

– أتدري أن (خيار) النجف أحسن من خيار الحلة ؟

فلما سمع أبو المعز كلام صاحبه النجفي أدرك على الفور المغزى من ايراده كلمة (خيار) فأجابه قائلا ..

– ولكن (خس) الحلة أحسن بكثير من (خيار) النجف !!

والتورية (بالخس) هنا واضحة جلية .

بينه وبين الشاعر السيد جعفر الحلي

وقد كان رحمه الله سخيا كريما يلوذ به كثير من المحتاجين . وكان بعض الشعراء يعرفون فيه هذه الأريحية ولهم معه بهذا الخصوص مراسلات شعرية طريفة تحفل بها دواوينهم ، وهي في مجموعها تكشف عن روح الدعابة المستملحة . ومن ذلك ما حدث بينه وبين السيد جعفر الحلي ، فقد خاطبه الحلي على سبيل الهزل قائلا :

لي زوجة كان أخو أمها
يُحسن في حالي وفي حالها
يُهدي لها (العنبر) من أرزه
والجوعُ لا يخطر في بالها
والعامَ نالت زرعَهُ جمرةٌ
فاحترق العنبرُ من خالها
اذا دَرَتْ أنك واصلتني
مشتْ على رَنّتِهِ عذّالها

فأجابه السيد مرتجلا وهو يقول :

اكتب لها تقبل على سرعة
واقتبل العمر باقبالها
ماشية تطرب من مشيها
لكن على رنة خلخالها
والكل منا لك يحبو غنىً
فاستغنِ عن مالي وعن مالها

★ ★ ★

موقفه من أحد الشيوخ المتصابين

ومن مفاكهاته الأدبية الطريفة ومداعباته الظريفة هذه الأبيات التي نظمها بعد ما بلغه أن أحد الشيوخ المتصابين قد تزوج بامرأة ، ولكنه لم يدخل بها في ليلتها ، فاهتبلها فرصة نادرة فكتب اليه مداعبا قائلا :

هنيئاني فاليوم يوم التهاني
بفتى قرّ عند وقع الطعان
صال ؛ يحكي الجبان في الحرب لما
صال في رمحة بغير سنان
ذاتَ خِدْرٍ زُفّت الى ذات خِدْرٍ
فهنيئا يا معشر النسوان
رام يدنو من عرسه قرآنه
ليس يستطيع ؛ فالتقى ساكنان
والتنت عرسه تقول لقد سو
دت ذا اليوم أوجهَ الشبان
أفلا افتدى مكانك يَملأ
لك زوجا وكن عروسا مكاني ؟!

آثاره العلمية والأدبية

ومع كل ما حفلت به حياته من جلائل الأعمال

التي كانت تأخذ معظم وقته ، فقد خلف لنا بعض الآثار العلمية والادبية وهي :

١ ـ منظومة في المواريث . وقد سماها (حبوة الفرائض)، وهي تناهز ٣٠٠ بيت في ثلاثين عنوانا. وقد قال عنها في بداية منظومته بانها ..

جامعـــة لكـــل معنى غامض
موســـومة بحبـــوة الفـــرائض
ناظمهـــا (الواثق) ب (المعين)
(محمد) نجـل (معز) الدين

٢ ـ رسالة في علم التجويد والقراءات
٣ ـ رسالة في مناسك الحج .
٤ ـ طروس الانشاء وسطور الاملاء . وهي رسالة غير مطبوعة كتب على ظهرها بخط يده قائلا :

« طروس الانشاء وسطور الاملاء يشتمل على المراسلات والمخابرات والتحريرات والتقريضات للاقل الراجي عفو ربه الغني ، محمد القزويني الحسيني ، آمنه الله تعالى من المحذورات ، ووفقه لاكتساب الحسنات وترك السيئات آمين . تنمق في شهر صفر سنة ١٣٢٣ هـ » .

وفوق كل ما تقدم كان ابو المعز (بنظر بعض مؤرخي الأدب) ناثرا يمرن اللفظ حسب ذوقه ويأتي به طوع لسانه ويقرنه بالمعنى دون تعليق او تقد .

وقد برع في كتابة (البند) (١١) وقد حفلت بعض الكتب الأدبية ببعض هذه البنود (١٢) وله رسائل عدة تكشف عن علمه الغزير وادبه العالي .

اما الشعر فقد نظمه معبرا عن خلجات نفسه وآرائه ، وقد نهج به طريق كثير من الاعلام للتسلي والمساجلات الوقتية ، اذ استخدمه لشؤون خاصة وأغراض اجتماعية واصلاحية عامة واخوية يفيض بها خاطره عفوا كما رأينا .

والظاهرة التي لا بد من الاشارة اليها هي ما برع واشتهر به من ادب طريف واصيل وتعني به (ادب البرق) كما اسماه الدكتور محمد مهدي البصير ، ذلك انه كان يحب ان يعبر عن قصده فيما يدور بينه وبين الناس من مراسلات بشيء من الشعر يطيره على لسان البرق (١٣) . وقد ذكرنا بعضا منها بين تلافيف هذا البحث . ونضيف الى ما تقدم (البرقية) التي بعث بها الى السيد هادي ، كبير انجال اخيه السيد صالح ، مهنئا اياه بنجاته من مكيدة دبرت لاغتياله ولكن قتل فيها خادمه المسمى (محصول) حيث قال :

فديتُ (بالمحصول) كي يقتدى
اصلك محفوظا لآل الرسول
والمثل السائر بين الورى
« خير من المحصول حفظ الاصول »

وفاته

لقد انطفأ نور هذه الشخصية الفذة في فجر يوم الخميس خامس محرم الحرام أول سنة ١٣٣٥هـ (٢ نوفمبر ١٩١٦م) فكان يوم وفاته يوما مشهودا ، رثاه اكابر الشعراء والأدباء ، وبكته الجموع وودعته بالدموع والحسرات ، فقد فقدت فيه عالما عظيما وابا رحيما وزعيما جليلا .

وبعد فهذا هو المغفور له ابو المعز السيد محمد القزويني الذي كان كما رأينا آخر من دعى الحركة الأدبية في العراق ، وتلك هي حياته الحافلة بالمآثر والمفاخر والأمجاد . ■■

بغداد عبد الرزاق الهلالي

---

(١١) « البند ، لون من ألوان الأدب العربي وضرب من ضروبه وجد أخيرا نتيجة خروج عن عمود الشعر التقليدي ، فلا هو بالموزون المقفى ، ولا هو بالذي انتزعت عنه هاتان الصفتان (الوزن والقافية) فهو اذن الحلقة الوسطى بين النظم والنثر » .
(١٢) البند في الادب العربي ، عبد الكريم الدجيلي بغداد ١٩٥٩ .
(١٣) نهضة العراق الادبية ، المصدر السابق.

طرائف عربية

علماء يضاعف لهم العذاب

● **قال المسيح عليه السلام** : ان ابغض العلماء الى الله رجل يحب الذكر بالمغيب ، ويوسع له فى المجالس ، ويدعى الى الطعام ، وتفرغ له المزاود، بحق اقول لكم: ان اولئك قد اخذوا اجورهم فى الدنيا، وان الله يضاعف لهم العذاب يوم القيامة .

اقوال مأثورة

❋ كان يقال : اول العلم الصمت والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ، والرابع العقل ، والخامس نشره .

❋ قال بعض الحكماء من الصحابة: تقول الحكمة : من التمسنى فلم يجدنى فليفعل باحسن ما يعلم،وليترك اقبح ما يعلم ، فاذا فعل ذلك فانا معه وان لم يعرفنى .

شعر فى ثقيل

● قال احدهم فى ثقيل بغيض :

قل للبغيض اخي البغيض ابن البغيض ابن البغيضة
ضاقت على الثقلين من بغضائك الأرض العريضة
ودعت ملائكة السماء عليك دعوى مستفيضة

البادى أظلم

● اشتد نزول المطر يوما حتى تحولت الازقة الى برك وخلجان ، وفيما الاعمش واقف اقترب منه احد الشيوخ وقال له : « اعبر بي » ثم اعتلى ظهره .

فلما سار الاعمش قال الشيخ : « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » . فسكت الاعمش حتى توسط به الخليج فقذفه وقال :

« وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين » .

أزهر السمان

● شكا أزهر السمان حاجته وسوء حاله الى المنصور ، فامر له بألف درهم، وقال له :

يا ازهر لاتأتنا بعدها لحاجة ابدا .

فقال أزهر : افعل يا امير المؤمنين .

فلما مضى قليل من الوقت عاد ازهر ، فقال له المنصور :

ــ ما حاجتك يا ازهر ؟

فاجاب : جئت لادعو لأمير المؤمنين !

قال المنصور: بل اتيتنا بمثل ما اتيت

العلم وعدوله

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله : ينفون عنه تحريف القائلين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

حكاية عن مغفل

حكي ان بعض المغفلين امسك كلبا وعضه وقال : هذا الكلب عضني منذ ايام وانا اريد ان اخالف قول القائل :

شاتمني عبدٌ بني مسمع فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أُجِبْه لاحتقاري له ، ومن يَعَضُّ الكلب انْ عضا

العلماء الاغنياء

قيل لبزرجمهر : العلماء أفضل أم الاغنياء ؟
فقال : العلماء
فقيل له : فما بال العلماء بأبواب الاغنياء أكثر من الاغنياء بأبواب العلماء ؟
فقال : لمعرفة العلماء بفضل الغنى ،وجهل الاغنياء بفضل العلم .

مات الدينار !

وجدت امراة اشعب دينارا فاتته به فقال : ادفعيه اليّ حتى يلد لك فى كل اسبوع درهمين . فدفعته اليه فصار يدفع اليها فى كل أسبوع درهمين ، فلما كان فى الاسبوع الرابع طلبتهمنه .
فقال لها : انه مات فى النفاس .
فقالت : ويلي كيف يموت الدينار !
فقال : الويل لك كيف تصدقين بولادته ، وتنكرين موته فى نفاسه ؟!

طرائف من جحا

مرض جحا مرضا خاف منه ، ولما سئل عمن يرثه قال : لا وارث لي ! قيل له : وأمك ؟!
اجاب : طلقها ابي من زمان !

لقي جحا رجلا فسلم عليه باشتياق ، فقال له الرجل : هل تعرفني ؟ فقال جحا : اني رايت قفطانك وعمامتك مثل قفطاني وعمامتي فظننتك انا !!

عند المنصور

بالامس . فأمر له بألف درهم .
وقال : يا ازهر لا تأتنا ثالثة فلا حاجة لنا فى دعائك .
قال : نعم . ثم لم يلبث ان عاد .
فقال له المنصور : يا ازهر ما جاء بك؟
قال : دعاء كنت سمعته منك ، احب ان آخذه عنك .
فقال المنصور : لا ترده فانه غير مستجاب ، وقد دعوت به الله عز وجل ان يريحني من خلقتك فلم يفعل !!



مذكرات بحّار

في بيتِ سيِّدنا تعلَّمنا الكِتابْ*

للشاعر محمد الفايز

* في هذه القطعة يصف الكاتب ذكريات عن طفولته في كتّابه الذي تعلم فيه الكتابة والقراءة اول مرة، وهو يقول : في بيت سيدنا تعلمنا الكتاب ، ويقصد بالكتاب ، كتاب الله الكريم .

■ تحت السقوف الواهيات
كضلوع مسلول . وفوق حصيرنا الدَّبِق العتيق
في بيت « سيدنا » تعلمنا الكتاب
الحمد لله الذى خلق العظام من التراب .
ومن الثقوب الناتئات على الجدار
كعيون اعمى ، كالجروح الداميات
ينسل ضوء الشمس كالجاسوس من كل الجهات .
وبما تبقى من حصير
او بالخروق الباليات ، نسد عين الشمس في ذاك المكان .
وعلى الجدار
مسمار « فلقتنا » تهدَّل كاللسان ،



كالأصبع المجذور ينذر بالعقاب
للصّبية المتمرّدين .
والرمل في الساحات ، والشطآن ، والبحر الجميل
يذكّرنا العبثَ البريء ، ومن خلالْ
شقّ الجدارْ
او ذلك الثقب الصغير
نتسلل كالفئران حين يغيب « سيدنا » وفي غدٍ القريب
« الفلقة » (١) الملعونة الرقطاء كالأفعى الكبيرة
تطوى على اقدامنا السود الصغيرة
ورقابنا لمّا تميد على الكتاب

(١) الفلقة : حبل يلف على قدمي التلميذ لينال عقابه بضربات من العصى .

مثل الدلاء الفارغـات
اقرأ . وتهتز الظهـور الواهيات .
يا والدي انا لن أعود . وفي الصباح :
صَـلّي الصـباح
يا ايها القرد الصغير . يقول والدي العنيد . ومن خلال
احداق اللزجات من دمـع المسـاء
والقرمز (٢) الليلي ، المح وجهه القاسي النحيف ،
وكفطة صفراء ، تبدو الشمس في عينيّ في ذاك الصباح :
« لا بد من حفظ الكتاب وحمل سيفك كالمحاربِ » ، والحياة
سيف وقرطاس ، كما قالوا بِحارتنا . وفانوسٌ صغير
فوق الضفاف احب من شمس على ذاك الحصير ،
ولكل دَلْو ماؤه . وفؤادي الحَزِن الصغير
صندوق آلام تحطّم من زمان
لن تدخل الكلمات فيه عن لسـان
رَجُـلٍ عجـوز
وعصاه فوق رؤوسـنا . نحن الصغار
الهاربين من اللحى السوداء اشـبه بالكبار
الحاقدين على الحياة وليلها . نحن الصغار
نترقب الجِنْدِرِيَّ ياكلنا وتصهرنا الظهيرة
كـي لا نعـود
للسقف في بيت كقبر من رمال
تتحرك الجدران فيه اذا سرت ريح الشمال
و « كعنتر العبسي » حين يعود من ساح القتال
سيفي المذهب (٣) في يديّ ، وتحت ثوبي لا يزال
اثر الهراوة مثل آثار النُدوب
في امّ رأسك ، يا ابي ، من ضرب « سيدك » القديم
في ارض « نجد » والعذاب هو العذاب
في كل ارض ، في الشمال أو الجنوب .
وغداً سانسى ما حفظت كما نسيت . وفي الرمال
اثر القوافل سوف تمحيه الرياح . ■■

الكويت ـ محمد الفايز

---

(٢) القرمز : مسحوق قرمزي اللون يوضع على عيون الرمود في المساء كعلاج ، فاذا اصبح الصباح بدا المسحوق وقد سال على خدي المرمود .

(٣) من عاداتنا انه اذا ختم الصبي القرآن طاف به اصدقاؤه في دروب الحارة ، وهو يحمل سيفه المذهب .

«لقد جُنَّ عالمكم يا ابنتي»



بقلم : اسمى طوبى

■ قالت امي ونحن في جلسة هادئة . هي تحيك بصنارتها قطعة صوف لطفلتي ، وأنا اقوم بعمل يدوي آخر .

قالت : لقد جُنّ عالكم يا بنيتي .. جن فعلا .. ولا أدرى اذا كان سيُشفى .

قلت : وكيف يا أماه ؟

قالت وهي تضع القطعة من يدها وتحدّق في الفضاء كأنها تعود الى امس بعيد :

ليست سوى ثلاثين او اربعين عاما مضت ، فكيف تغير كل شيء بعدها الى هذا الحد ؟ كيف فقدتم صحة الحكم على الأشياء ؟

ثم أكملت وهي ترسل تنهيدة عميقة :

كانت لنا مقاييس خلقية غير مقاييسكم يا بنيتي .. اليك مثلا مما وقع لي انا في فجر شبابي :

اقبل والدي مرة على والدتي ضاحكا يقول .. جاءك عريس لابنتك يا امرأة .. عريس ولا كالعرُس . بيده ثلاث كارات (حِرَف) .

وأرهفت امي سمعها . وخرجتُ انا من الغرفة خجلةً لأتنصّت على بابها الخارجي، فاذا بوالدي يقول هازئا : اي والله .. ثلاث كارات يا امرأة ..يدخن .. ويحتسي الخمر .. ويقامر .

واسرعت امي تقول : لا .. ولو دفع الف ليرة، فانه لن يرى ظفرها في منزله . .

وما ادراك بالالف ليرة من الذهب يومئذ .. رفض الشاب لانه كان يدخن ويحتسي كأسا من الخمر ويقامر في المناسبات .. وما كان بالأمس نقيصة في الرجل يحاسب عليه ويرفض الزواج منه بسببه .. اصبح اليوم مفخرة، للمرأة لا تحاسَب عليه ولا يَرفض الرجل الزواج منها بسببه .

قلت ولكنها المساواة يا أماه ..

قالت : وهل من مستلزمات المساواة ان تنحدر

المرأة الى المستوى الدنىء ..؟ لم لا يرفع الرجل الى مستواها ؟

وصمتنا لحظة ثم عادت امى تقول :

وكان لنا ادب قوى يا بنيتى .. فلياليبنا نقضى مع حكايات الزير ابى ليلى المهلهل ، وعنترة ، وابى زيد الهلالى .. كل ما من شأنه ان يرفع معنوياتنا .. ويخلق الشجاعة فى نشئنا ويوحى بالعزة والكبر .

ثم أعراسنا يا بنيتى .. واذا كانت اغانى الأمم صورة مما يجيش فى صدورها من امال واماني ، فقد كانت اغانينا صورة مشرقة لنا .. كان الشباب يهزجون فكان الشرر يتطاير من عيونهم وهم يقولون :

بارُودنا مُعمّر جـــــديد
يكســـر طـــول الحديـد

اما الغزل فكان فى اناشيدهم كالملح فى الطعام.. تغنى الصبايا للشباب فتهز الحماس فى نفوسهم وهى تقول :

شــــبابنا يا عـــــزنا
كيـد العـدا ما هــــزنا

فاذا بالشباب يدقون الأرض باقدامهم وهم يتوجهون نحو الصبايا .. يلوح مقدّمهم بمنديله ويتغزل غزلا يشهد به الانوثة الدقيقة على بطولة الرجولة القوية وهو يقول :

يا بنت يا اللى عالســــطوح
طلـــى وشــوق قمــــالنا

★ ★ ★

وصمتت امى لحظة ثم عادت تقول .. والبيع والشراء .. وهذه الصكوك والتواقيع وطوابع البريد ؟ لقد كانت فى الدرجة الثانية عندنا بعد كلمة الشرف التى تعتمدها .. الكلمة التى فقدت معناها اليوم عندكم .

كان الشخصان مثلا يتفقان على صفقة كبيع منزل او قطعة ارض مثلا ، فيضع الواحد يده فى يد الاخر ويهزها قائلا .. لقد بعتك .. فيهز الآخر اليد ويقول وقد اشتريت .. كانت تلك هى اجراءات التسجيل المصطلح عليها. اما التسجيل فى المحاكم ، فلقد يتمه اولادهما بعد أعوام .

وتبسمتُ . فلحظتْ امى ذلك فقالت .. وقد تضحكين من سذاجة القوم يا بنيتى ، ولكن كلمة الشرف كانت كل شىء عند هؤلاء السذّج ..كان الواحد منهم يضع يده على عنقه ويقول : من هنا تخرج الكلمة ومن هنا تخرج الروح .. يعنى بذلك ان خروج روحه من جسده اسهل عليه من الرجوع بكلمته .

كانت المعاملات تجرى على أساس الثقة ... ثقة الرجل الشريف بالرجل الشريف ، وهىمُثل قد لا يفهمونها اليوم .

وكان لنا دين يردع يا بنيتى ، وهل تذكرين « سالمة » ... ؟

قلت : بائعة اللبن ؟

قالت : اجل بائعة اللبن .. لقد قلت لها مرة وانا اتناول الوعاء من يدها .. لبن جيد يا سالمة ما دخله الغش مرة واحدة .. ونفضت سالمة ثوبها ورفعت عينيها الى السماء واستعاذت بالله وهى تقول :

اعوذ بالله من الغش .. أتعرفين جميلة يا سيدتى ؟ لقد حاولت ان تمزج اللبن بالماء ، وبعد شهر واحد ماتت بقرتها .. واستطردت سالمة تقول بلهجة الواثق مما يقول .. ان الحلال لا يحمل الغش وعين الله ترى وتنتقم ..

واسـألك اليوم يا بنيتى ونحن ناكل اللبن المغشوش والسمن والزيت وكل شىء مغشوش.كيف اصبحنا هكذا .. لقد امحى خوف الله من قلوبنا فصرنا الى ما نحن فيه .

اجل لقد كان الايمان والتقوى يردعان .. لم يكن الناس يجهلون طريق الغش ولكن الدين كان هناك .

وتذكرت صديقى العائد من الغرب والمتأثر

بفلسفة العصر وهو يقول لى .. لماذا نعيش تحت تأثير الخوف من السماء أو رسول السماء ؟ لماذا نقول لن افعل هذا لأن الله لا يريده ، أو سأفعله لكى يرضى الله علىّ ، ولا نقول لن افعل هذا لأن خلقى يأباه .

ووضعت الخلق والدين فى كِفتى ميزان ، فاذا بالدين يرجح .. لقد وقف الخلق امام مغريات الحياة فلم يصمد .. قال صاحب الخلق أاظل وحدى فى الميدان ؟ جارى فلان يربح من تجارته مئة فى المئة ، فلماذا أربح أنا عشرين فى المئة .. وجارى فلان جمع ثروة فى عام ، فلماذا اظل اشتغل عاما بعد عام لاجمعها جمع الاستقامة؟! ومن يقدرها من الناس ؟! وهكذا غلب الخلق على أمره .

★ ★ ★

أمى .. اى ذكرى غالية تراودنى اليوم لجلستنا تلك بعد ان توارى وجهك الحلو يا أمى ..

أجل بالأمس كان للأشياء اسماؤها الصحيحة .. فالتلاعب والاحتيال واللف والدوران كان تلاعبا واحتيالا ولفا ودورانا أما اليوم فهى .. ذكاء .

بالأمس كان مزج اللبن بالماء غشا اما اليوم فالغش هو .. شطارة .

بالأمس كانت كلمة الشرف وحدها ضمانة .. اما اليوم فألف طابع بريد وتواقيع وشهود لا تضمن .. ومع ذلك فقد كان الأمس عصر الظلمة ، واليوم هو عصر النور .. أفترانا فعلا قد فقدنا صحة الحكم على الأشياء .

لقد تعلمنا. ولكن فيلسوفا كبيرا يصفنا ويصف علمنا وعالمنا يقول : « لقد اصبح عالما جبارا فى العلوم ولكنه ظل طفلا فى الاخلاق » .

لكأنى بالناس يا أمى قد اتفقوا على السير كلهم فى هذا الطريق فراح كل منهم يغض الطرف عما يفعل الآخرون .. بالأمس كان الناس يحاسبون الناس و« الخوف من محاسبة الناس أهم دعائم الأخلاق » .

ليت لى جلسة أخرى معك يا أمى لأنهل من معين حكمتك .. حكمة السنين .. وهيهات .

ستظل عبارتك « لقد جنّ عالمكم يا ابنتى » ترن فى مسمعى ما توالت الأيام وتعاقبت السنون .

■■

لبنان ــ اسمى طوبى



رُبَّ ضَارَّةٍ نافِعة !



نَفْيُ شَوْقي إلى أَسبانيا

كَانَ نِعْمَةً عَلى

بقلم : البدوى الملثم

فى عام ١٩١٤ قامت الحرب العالمية الاولى

وفى عام ١٩١٥ خلع الانكليز « عباسا الثانى » لميوله التركية الالمانية ، وجاءوا بـ « السلطان حسين كامل » مكانه فلم يجد « شوقي » حظوة فى رحابه ، أو بسمة من جنابه ، لتجهم سلطات الاحتلال فى وجهه !

وبعد أن عزل الانكليز « عباسا » وأطاحوا بعرشه ، قرروا نفي « شوقي » الى « مالطة » . لكن الشفاعات اثمرت فى دار المندوب ، فاذنت له بالسفر الى اسبانيا ، فارتاح شوقي لهذا الحل ، وغادر السويس على ظهر باخرة قادمة من جزر الفيليبين ، مصحوبا بزوجه ونجليه « علي وحسين » وكريمته « أمينة » وحفيدته منها ، وبعض الخدم ، والقى « شوقي » عصا تسياره فى « برشلونة » ، الثغر المحايد القائم على حوض المتوسط .

ولم يلبث هناك ان عاوده الحنين الى مصر واخوانه فيها ، وبكى المجد الذى رفل فى مطارفه زمنا ، وكلما كرت الاسابيع ومرت الشهور وهو فى منفاه ، والحرب العالمية الاولى مستعرة اللظى ، أيقن أن الحرب ستطول ، وان مدة نفيه لا يعلمها الا الله .. لا سيما بعد ان نشرت صحف لندن نبا خلاصته ان شاعرا عربيا مقيما فى اسبانيا اخذ يؤلب عرب مراكش على الحلفاء .

فعمد الشاعر المحزون الى ثلاثة يعالج بها نفسه المريضة وهي :

١ ـ الجلوس ساعات فى منتزه برشلونة .

٢ ـ التنزه مع افراد اسرته فى اطراف المدينة ترويحا عن النفس .

٣ ـ قرض الشعر تنفيسا عن نفسه ،وتحنانا

أمير الشعراء يقضي ٣ سنوات متغنيا بأمجاد العرب وآثارهم في الأندلس

الأدب العربي!

لوطنه ، وشوقا لأم عجوز خلفها فى « حلوان » ينضو هم وكآبة :

كنزٌ بـ «حلوانَ» عند الله نطلبه
خيرَ الودائع ، من خيرِ المؤدّينا
لو غاب كل عزيز عنه ، غيّبنا
لم يأته الشوقُ إلا من نواحينا
إذا حملنا لمصرٍ ، أو له ، شجنا
لم ندرِ أيّ هوى الأمّين شاجينا

ويقسم شوقي لتلك الام المحزونة انه لم يسهم بتلك الحرب الضروس ، ولا صلة له بمن اججوا نارها ، واضرموا اوارها (١) :

حلفتُ بما أسلفتِ في المهد من يد
وأوليتِ جثمانى من المنّة العُظمى
وقبرٍ منوطٍ بالجلال مقلَّد
تليدَ الجلال الكثُر والطارفَ الجمّا
وبالغاديات الساقيات نزيله
من الصلوات الخمس والآي والأسما
لما كان لى في الحرب رأىٌ ولا هوًى
ولا رمتُ هذا الثُّكلَ للناس واليُتما
ولم يك ظُلْمُ الطيرِ بالرِّق لى رضاً ،
فكيف رضائى أن يرَى البشرُ الظلما ؟!

وعمد شوقي الى مباسطات اخوانية اخذ ينظمها ويرسلها لاخوان خلفهم فى القاهرة وفى طليعتهم حافظ ابراهيم ، وقد خصه بثلاثة ابيات من البحر البسيط هي :

ياساكني مصرَ إنّا لا نزال على
عهد الوفاء – وإن غبنا – مقيمينا
هلاّ بعثتم لنا من ماء نهركم
شيئا نَبُلُّ به أحشاء صادينا ؟!
كل المناهل بعد «النيل» آسنةٌ
ما أبعدَ «النيل» إلا من أمانينا!

فاجابه « حافظ » بنفس البحر والقافية والرويّ :

عجبت «للنيل» يدرى أن بُلْبُله
صادٍ ويسقى رُبَى مصرٍ ويسقينا
والله ما طاب للسُّمَّار مورِدُه
ولا ارتضَوا بعدكم من عيشهم لينا!

---

(١) جاءت هذه الابيات فى مرثية شوقى لامه . ذلك انه على اثر اعلان الهدنة وهو فى منفاه فى الاندلس عام ١٩١٨ ، نعى البرق له امه ، فاثر فيه النعى تاثيرا بالغا ، ولم تمض على النعى ساعات حتى كتب هذه المرثية ، وطواها من فرط تاثره ، وبقيت مستورة حتى وجدت بين اوراقه بعد وفاته – « العربى » .

لم تَنْأَ عنه، وإنْ فارقتَ شاطئه
وقد نَأَينا، وإن كنا مقيمينـــا !

وتذكر شوقي في ايام محنته الشاعر اسماعيل صبري ، احدَ سُمَّار بيته الشهير ، « كرمة ابن هانيء » فبعث اليه بالبيتين التاليين :

ياساريَ البرق يَرمى عن جوانحنا
بعدَ الهدوء ويَهْمي من مآقينـــا
ترقرق الماء في عين السماء ومـــا
غاض الأسى فخضَّبْنا الأرض باكينا

فتلقى جوابا يستوضحه فيه اسماعيل صبري عن امجاد العرب في الاندلس ، وما خلفوا فيها من حضارة وآثار ، ولم يدر ان شاعرنا المحروب لم يبرح برشلونة ليرى امجاد قومه الغطاريف :

بأفــق أندلسٍ برقٌ يُحيِّينـــا
يَبيت يضحك منـــا وهو يُبكينـــا
فهل تبيَّنتَ في أطلال قُرطبـــة
في دار «ولادة» دمع «ابن زيدونا»؟!
ياآل وُدّيَ عودوا لاعدمتكُـــم
وشاهدوا ، ويْحكم ، فعل النوى فينا
يانسمةً ، ضمَّختْ أذيالَها سحرا
أزهارُ أندلس ، هبّي بوادينـــا !

وعاش شوقي في منفاه على مضض ، ودفن الامه وتباريحه في الكتب التي صحبته من القاهرة وفي عدادهـا « نفـح الطيب » « للمقّرى » وراح يستنطق تلك الاطلال والآثار التي خلفها قومه في هاتيك الديار !

وفي برشلونة دفن « شوقي » همومه واحزانه في صفحات الكتب ودواوين الشعراء وهام في منفـاه بنونية (ابن زيدون) التي مطلعها :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينـــا
وناب عن طيب لُقيانا تجافينـــا

وراح يتاسى خطاه بقصيدة مطولة منها :

يا «نائحَ الطَّلْح» أشباهٌ عوادينـــا
نَشجَى لواديك، أم تأسَى لوادينا ؟
ماذا تقُصُّ علينا غيرَ أن يــداً
قصَّتْ جناحك جالتْ في حواشينا !
رمى بنا البينُ أيكاً غيرَ سامرنـــا
أخا الغريب : وظلاً غيرَ نادينـــا
أساة جسمك شتّى حين تطلبهـــم
فمن لروحك بالنُّطس المداوينا ! !
آها لنا : نازحَيْ أيكٍ بأندلـــس
وإن حللنا رَفيقاً من روابينـــا !
رسمٌ وقفنا على رسم الوفاء لـــه
نَجيش بالدمع ، والإجلالُ يَثْنينا !
لفتية لاتنال الأرضُ أدمعَهـــم
ولا مَفارِقَهم إلا مُصلّينـــا
لو لم يسودوا بدينٍ فيه مَنْبهَةٌ
للناس ، كانت لهم أخلاقهم دِينا !

و « نائح الطلح » الذي يخاطبه شاعرنا عصفور غلبت عليه الكآبة والحزن لبعده عن زغب قطاه فحاكاه الشاعر الغريب بحزنه ونواحه ، وهمومه واتراحه !

كلٌ رمتْه النوى ! ريشَ الفراقُ لنا
سهماً ، وسُلَّ عليك البينُ سكينا
فإن يك الجنس يا «ابن الطلح» فرّقنا
إن المصائب يَجمعن المصابينـــا

بحثا عن دار شوقي

وزرت برشلونة في ربيع عام ١٩٥٢ وانا عائد من البرازيل ، وصرفت فيها اياما بحثا عن المنزل الذي اقام فيه « شوقي » سنوات نفيه الثلاث ، لكني لم افز بطائل . واخيرا يممت دار المجلس البلدي ورحت اسأل قسم الاحصاء عن المنزل الذي شغله شاعرنا المنفي ، لكن المسؤولين اكدوا لي انعدام السجلات والاحصاءات ابان الحرب العالمية الاولى، وقد شرعوا في الاحصاء والتسجيل منذ عام ١٩٢٣ ، وتوجهت الى ضاحية «فلفدريرا» معولا على ما جاء في كتاب « الحلل السندسية » لأمير البيان الامير شكيب ارسلان علني اهتدي الى المنزل الذي اقام فيه « شوقي » لكن أهل الحي لا علم لهم بـ « شوقي » ولا بالدارة التي سكنها ابان نفيه !

شوقي يتجول في اسبانيا

وأباحت السياسة لشاعرنا ، بعد ان رجحت كفة الحلفاء على كفة الالمان واشياعهم ، التجول في اسبانيا بعد مكث ثلاثة اعوام في برشلونة (١٩١٥ — ١٩١٨) فطاف بربوع الأندلس الفينانة، والهبت مشاعر الحضارة العربية وجدانه ، وثار شيطان شعره ، فتغنى بالعرب وآثارهم ، واكثر من الحنين الى مصر واهله واخوانه فيها !

في قرطبـة ، الفردَوْس المفقود

ودع شاعرنا برشلونة الى مدريد وقصد متاحف العاصمة ليصلي في محاريب الفن البديع ، ويستجلي روائع اللوحات الزيتية لأشهر اعلام الراسمين . ولم يطل مكثه فيها بل حثّ راحلته الى طليطلة ، بالقرب من مدريد ، لكنه لم يزرها رغم ما فيها من آثار عربية . وكانت قرطبة اول أرض عربية ، وطأتها قدماه .

لكن آمال « شوقي » خابت عندما شاهد قرطبة : قرية زَرِيّة بعد أن كانت في العهد العربي عروس الأندلس ، ووقف امام المسجد المحزون ، ونظر اليه بمنظار الاسى الزاهي ، غيرَ مصدّق ان هذه القرية الحقيرة هي المدينة العربية الكبرى التي عرفها العالم حاضرة من حواضر الفن والعلم والنور ، فاستعار قالب وقافية البحتري الشاعر العباسي في سينيته الخالدة في وصف ايوان كسرى ومطلعها :

صُنْتُ نفسي عمّا يُدَنِّس نفسي
وترفَّعْتُ عن جَدَا كلِّ جِبْسِ

ونظم سينيته الشهيرة ومطلعها :

اختلافُ النهار والليل يُنْسِي
اذْكرا لي الصِّبا وأيامَ أُنسي

وصوّر قرطبة المحزونة بقوله :

لم يرعْني سوى ثرىً قُرْطُبِي
لمست فيه عبرة الدهر خمسي
قرية لاتعدّ في الأرض كانت
تمسك الأرض أن تميد وترسي
ركب الدهر خاطري في ثراها
فأتى ذلك الحِمَى بعد حَدْسِ
فتجلّتْ لي القصورُ ومن فيـ
ـها من العزّ في منازل قُعْسِ
ما ضَفَت قطُّ في الملوك على نـ
ـل المعالي ولا تَردَّتْ بنَجْسِ
وكأني بلغت للعلم بيتا
فيه مال العقول من كل درس
قُدُساً في البلاد شرقا وغربا
حجّهُ القومُ من فقيهٍ وقَس
وعلى « الجمعة » الجلالة والنا
صر نور الخميس تحت الدَّرَفْس
منزل التاج عن مفارق (دون)
ويُجلّى به جبين (البِرَنْس)

وادرك شوقي انه عاش تلك الساعات القلائل في ذكريات الماضي التالد ، وامجاده الخالدة ، فغص بريقه ، وشرق بدمعه ، وهتف متفجعا على الامجاد الهاوية :

سِنَةٌ من كَرىً وطيفُ أمانِ
وصحا القلبُ من ضلال وهَجْسِ
وإذا الدار ما بها من أنيسٍ
وإذا القوم مالهم من مَحَسِّ

وطاف شاعرنا بفناء مسجد قرطبة الشهير ، فرأى سواريه كالفات الوزير ابن مقلة الذى اشتهر بخطه النفيس .

ورقيق من البيوت عتيقٍ
جاوز الألف غيرَ مذموم حَرْسِ
أثر من (محمد) وتراثٌ
صار (للروح) ذى الولاء الأمسِّ
مرمر تسبح النواظر فيه
ويطول المدى عليها فترسى
وسَوارٍ كأنها في استواء
ألفاتُ الوزير في عرض طِرْسِ
وكأن الرفيف في مسرح العيـ
ـن ملاءٌ مدنّرات الدِّمَقْسِ
وكأن الآيات في جانبيه
يتنزّلن من معارج قُدْسِ

ووقف « شوقي » مشدوها محزونا أمام محراب المسجد ، واكتحلت عيناه بالنقوش والزخارف والآيات التى وَشّى بها عبد الرحمن الداخل سقوف المسجد وقبابه واقواسه :

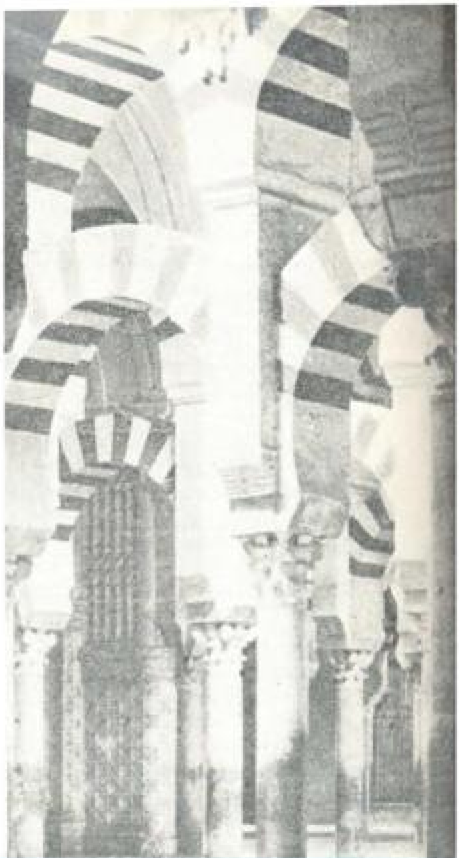
صنعة (الداخل) المبارك في الغر
ب وآلٍ له ميامينَ شُمْسِ
عَرَصاتٌ تخلَّتْ الخيلُ عنها
واستراحت من احتراسٍ وعَسِّ
لاترى غير وافدين على التا
ريخ ساعين في خُشوع ونَكْسِ
نقلوا الطَّرْفَ في نضارة آسٍ
من نُقوش وفي عُصارة وَرْسِ...
وقباب من لازوَرْدٍ وتبر
كالرُّبَى الشُّم بين ظِلٍّ وشمس
وخطوط تكفلت للمعاني
ولألفاظها بأزين لِبْسِ

ولم ينس « شوقي » عبد الرحمن الداخل او « صقر قريش » الذي حلق بالمجد العربي عاليا ، واسس في المغرب دولة اموية صارعت الاعداء ، وتحدت الزمان ، فراح يبحث عن رمسه في هاتيك الطلول الدّارِسة ، في قرطبة ، لكن الايام عفّت عليه . قال في قصيدة اخرى :

كنتَ « صقرا قرشيا » علَماً
ماعلَى الصقرِ إذا لم يُرْمَسِ
إن تسلْ : أين قبور العُظَما
فعلى الأفواه أو في الأنفس

الى اشبيلية

واستأنف « شوقي » رحلته الى اشبيلية المتسمة بالطابع الشرقي ، وهمه ان يشاهد اثرين عربيين بارزين . هنا ، صرع الدهر البعض ووقف البعض الاخر يناطح السحاب ، ويتحدى الزمان ، وكان ذانك الاثران « القصر » و « الجيرالدا » (كلمة اسبانية معناها ـ البرج الدوار) وهي منارة المسجد الذي قوض الاسبان



مسجد قرطبة : وقف شوقي امامه مذهولا !

بناءه وشيدوا في موضعه كنيسة كبرى ، وابقوا على المنارة قائمة ازاء الكنيسة لتظل دليلا حيا على ما اسم به ذلك المسجد المحزون من فن رفيع ، وزخرف بديع !

وقف « شوقي » في القصر العربي مشدوها ، وراح يتملى من روعة فنه ، لكن الاسى انتابه لما شاهد البنيان الذى اضافه الاسبان الى ذلك الصرح العربي ، فشوهوا جماله فلاح للسياح خليطا من طرازين متناقضين : الطراز الاسلامي والطراز القوطي !

وفي رحاب ذلك القصر راح « شوقي » يبحث عن الشاعر « المعتمد بن عباد » وزوجه الشاعرة الحسناء « الرميكية » وكريمتهما « بثينة » وجدتها « العبادية » لكن مسعاه باء بالفشل اذ باغت يوسف بن تاشفين « المعتمد » وشتت شمل أسرته ونفاها الى اغمات ، لكن « شوقي »استطاع ان يلم باطياف الماضي فيصورها تصوير الفنن المبدع .

الى غرناطة

وبارح شوقي اشبيلية الى قصر الحمراء ، آية الفن العربي ، واخذ يسير في جادات منحدرة تظللها الاغصان الملتفة ، ووقف بـ « الباب الكبير » او « باب العدل » تحت برج فارع الطول ، ليشاهد يدا مرسومة على قوسه باناملها الخمس وهي ترمز للعقيدة الاسلامية ذات الاركان الخمسة!

يقع القصر فوق هضاب مرتفعة مطلة على غرناطة ، ويشرف على تلك الهضاب الجبل الحارس « سيرانفادا » تكلل الثلوج هاماته في سائر فصول السنة :

جلَّل الثلجُ دونها رأس« شيرى»
فبدا منه في عصائب برْسِ
سرمدٌ شيبُهُ ، ولم أرَ شيبا
قبلهُ يُرجىُ البقاء ويُنسى

ومضى شوقي الى القصر ليطوف بغرفه الفسيحة المكتظة بالزخارف النفيسة والنقوش البديعة والفسيفساء الملونة ، ووقف حائرا في « قاعة السفراء » وقد قصرها ملوك بني الاحمر على مقابلة الرسل ولقاء السفراء !

ويبلغ شاعرنا « ساحة الاسود » وينتصب امام حوض من المرمر ، يربض فيها اثنا عشر اسدا من الرخام ترسل من افواهها الماء عذبا لجينا .

مشت الحادثات في غرف الحمـ
ـراء مشى النعى في دار عُرْسِ
وقباب من لازوردٍ وتبرٍ
كالربى الشم بين ظلٍ وشمسِ
مرمرٌ قامت الأسود عليه
كلّة الظفر لينات المجَسِّ

تنثر الماء في الحياض جُمّانا
يتنزّى على ترائبَ مُلْسِ

وبسال الشاعر السباع عن ملكات بني الأحمر ، وعلى راسهن « الثريا » ، زوج ابى الحسن على احد ملوك بني الأحمر ، لكن السباع اوغلن في الصمت ولم ينبسن ببنت شفة ، وبدا مجلس السباع موحشا مقفرا من السُمّار :

وترى مجلس السباع خلاءً
مُقفِرَ القاعِ من ظِباءٍ وخُنْسِ
لا «الثريا» ولاجوارى «الثريا»
يتنزّلن فيه أقمارَ أنسِ

واسرف « شوقي » في تحنانه لوطنه فقال عند « قصر الحمراء » مناجيا مصر وطنه وقد بلغت به العاطفة حد تقديس ذلك الحِمَى الغالي :

وطني لو شُغِلتُ بالخُلد عنه
نازعتني إليه بالخُلد نفسي
شَهِدَ اللهُ لم يَغِبْ عن جفوني
شخصُه ساعةً ولم يَخلُ حِسّي
حسبُهم هذه الطلولُ عِظاتٌ
من جديد على الدهور ودَرْسِ
وإذا فاتك التفاتٌ إلى الما
ضي فقد غاب عنك وجهُ التأسّي

وبعد ان اطال شوقي الوقوف على اطلال « الحمراء » وتمسح باعمدتها وحناياها عاد الى الفندق الذى نزله واذا به يقف مسمرا امام « لوحة زيتية » معلقة في البهو ، تمثل « ابا عبد الله » آخر ملوك غرناطة يُسلّم ، في ذلة وخضوع ، مفاتيحَ المدينة لملوك الاسبان ، فالهبت هذه الخاتمة المحزنة صدر شوقي حزنا والما ، والهب بدوره المليك الوضيع بسياط نقمته ، وانبرى يقرّع ذلك الجبان الرعديد بقوله :

ومفاتيحها مقاليدُ مُلْكٍ
باعها الوارثُ المُضيعُ ببَخْسِ
ربَّ بانٍ لهادمٍ وجَمُوعٍ
لمُشتٍّ ومُحسنٍ لمُخِسِّ
إمْرَةُ الناس هِمّةٌ لا تأتّى
لجبانٍ ، ولا تَسَنّى لجِبْسِ

وصور « شوقي » خروج العرب من الفردوس المفقود اذلاء صاغرين بعد ان ملأوا الدنيا فتوحا وعدلا وسماحا وتراثا روحيا :

خرج القوم في كتائبَ صُمٍّ
عن حِفاظٍ كموكب الدفنِ خُرْسِ
ركبوا بالبحار نَعْشا وكانت
تحتَ آبائهم هي العرشَ أمسِ
وإذا ما أصاب بنيانَ قومٍ
وهْيُ خُلْقٍ فإنه وَهْيُ أُسِّ

ولم ينس شوقي ان يشكر السلطات الاسبانية وبنوه بحفاوة ابنائها به وبنيه طيلة السنوات الثلاث التي قضاها في تلك الربوع :

ياديارا نزلتُ كالخلد ظِلاّ
وجَنًى دانيا وسلسالَ أُنْسِ
كُسِيَتْ أفرخي بظلّك ريشا
وربا في رُباك واشتدّ غَرْسي

وفي ذلك الفندق انس شوقي وذووه بلقاء ضابط اسباني اسمر كان يفخر بان الدم الجارى في عروقه هو دم عربي ، وانه يتحدر من اصل اموى كما تؤكد ذلك شجرة اسرته .

الى القاهرة

وبينا شوقي يستروح شذا المجد الضائع

والفردوس العربي المفقود تلقى نبأ طرب له وصفق ، وذلك ان السلطان فؤادا سمح له بالعودة الى مصر ، فلملم وذووه ثيابهم على عجل، ويمموا « جنوه » ، واقلعت بهم سفينة غادرت ذلك الميناء الايطالي الى الاسكندرية !

وبلغ « شوقي » الثغر العربي وهتف بشعر عبَّر فيه عن مشاعره نحو وطن هو في يقينه وعقيدته « جنة الخلد » :

ويا وطني لقيتُك بعد يأسٍ
كأني قد لقيتُ بك الشبابا
ولو أني دعيتُ لكنتَ ديني
عليه أقابل الحتم المجابا
أدير إليك قبل البيت وجهي
إذا فُهتُ الشهادة والمتابا

ويمم شوقي ومستقبلوه من الاسكندرية الى القاهرة وعلى محطتها شاهد زحوف الطلاب كأنهم « شعب السيل طغت في ملتقاها ! » .

وابى اولئك الابناء البررة الا ان يحملوا شاعر العرب الاكبر على الاعناق في ثورة عارمة من الشعور اللهاب ، ايمانا منهم بان العائد المنفي سيترجم اشواق العرب وامانيهم الى شعر قومي خالد ، فوفى « شوقي » بالعهد المسؤول ، وحقق الامال المرجوة ، وتفاعل مع الشعب الذى احبه ، وكان للعرب والشرقيين اللسان المعبر عن اشواقهم القومية ، واهدافهم الوطنية :

وفي عام ١٩٢٦ زار « شوقي » دمشق بعد معركتها الدامية مع فرنسا ، وفي حفلة التكريم التي اقامها « المجمع العلمي العربي » تكريما له انشد قصيدة اكد فيها وحدة الاماني والاهداف والغايات :

بَني سوريةَ اطرحوا الأماني
وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
نصحتُ ، ونحن مختلفون دارا..
ولكنْ كلُّنا في الهمّ شرقُ
ويجمعنا إذا اختلفتْ بلاد
بيانٌ غيرُ مختلفٍ ونُطقُ
وَقَفْتُم بين موت أو حياة
فإن رُمْتم نعيم الدهر فاشقَوا
وللأوطان في دم كل حر
يدٌ سلفتْ ودينٌ مستحق
وللحرية الحمراء بابٌ
بكل يدٍ مضرّجةٍ يُدَقّ

وفي عام ١٩٢٧ تنادى احرار العرب وساستهم وكبار شعرائهم الى مهرجان شعري اقيم في القاهرة بايعوا فيه « ابا علي » بامارة الشعر وقدموا له الهدايا النفيسة ، وانشد كل شاعر فحل معلقة ، وهتف « حافظ » باسم عشرات المبايعين :

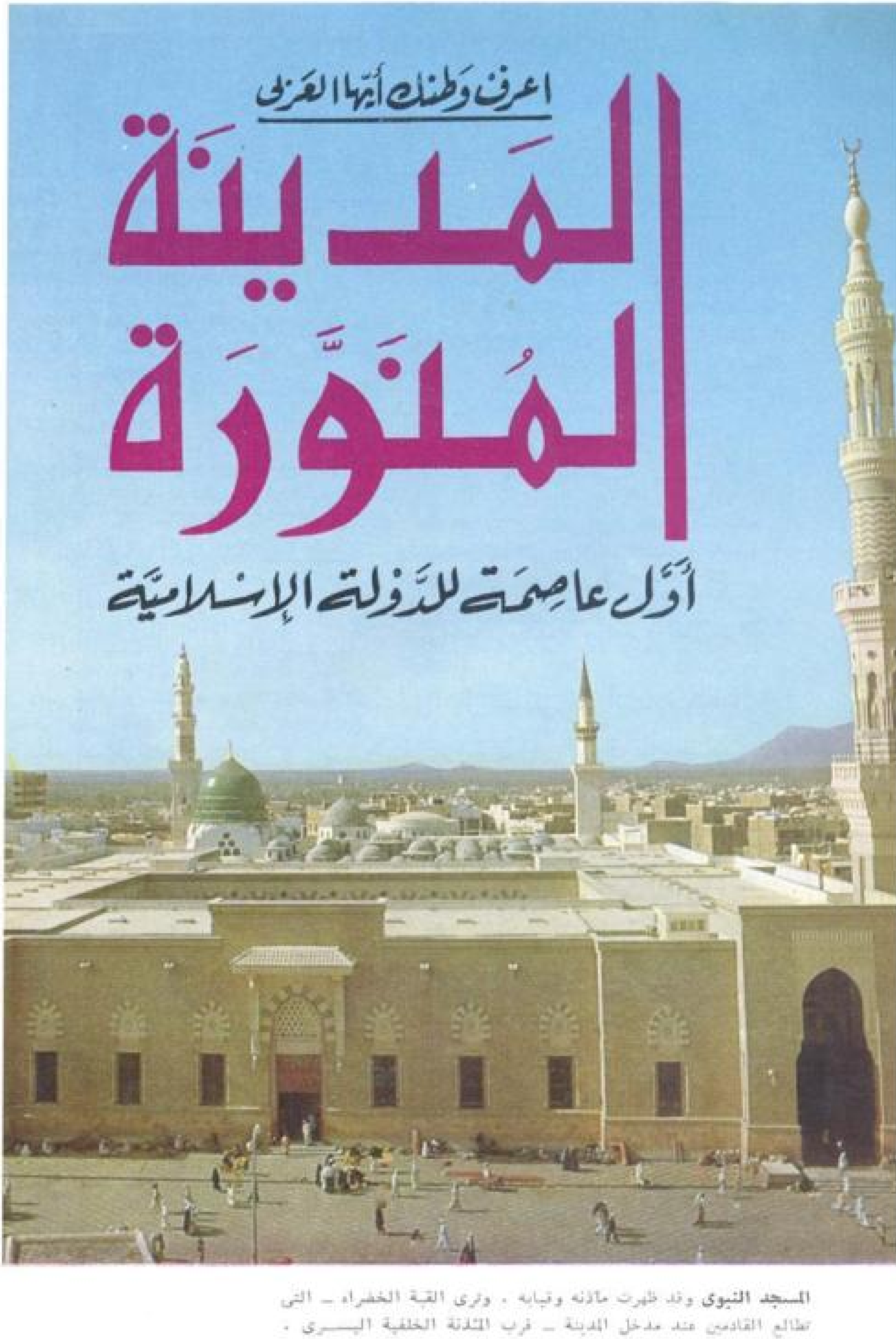
أميرَ القوافي قد أتيتُ مُبايعا
وهذي وفودُ الشرق قد بايعتْ معي

وانطلق « شوقي » في تلك المناسبة المغبوطة مؤكدا انه نذر نفسه وشعره وعاطفته لقومه العرب والشرقيين هاتفا من اعماق قلبه :

كان شعري الغناءَ في فرح الشر
ق وكانَ العزاءَ في أحزانه !!

في الواقع ان شعر « شوقي » في منفاه كان نعمة على الادب العربي وغناء في فرحة الشرق ، وعزاء في احزانه ، وحمل امير القوافي قيثارة السلوى في ليل العرب والاسلام ، وظل قائما في ماتمهم ، سامرا في اعراسهم ، ناطقا بالامهم وامانيهم الى ان خرّ النسر العربي صريعا في الرابع عشر من تشرين الاول عام ١٩٣١ فهمدت الشعلة المتوهجة ، لكن شعره ما برح وليمة العرب في افراحهم ، والوتر الحزين في اتراحهم ، واغنيتهم في لياليهم الملاح ! ■■

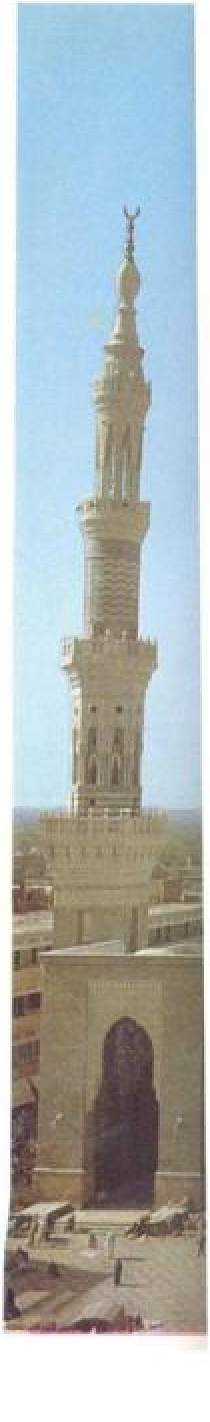
« البدوي الملثم »
عمان



المسجد النبوى وقد ظهرت مآذنه وقبابه . وترى القبة الخضراء ـ التى تطالع القادمين عند مدخل المدينة ـ قرب المئذنة الخلفية اليسرى .



احد الكتب العربية المخطوطة التي تضمها مكتبة «عارف حكمت» بالمدينة المنورة



قام بهذا الاستطلاع

محمد بدر الدين خليل

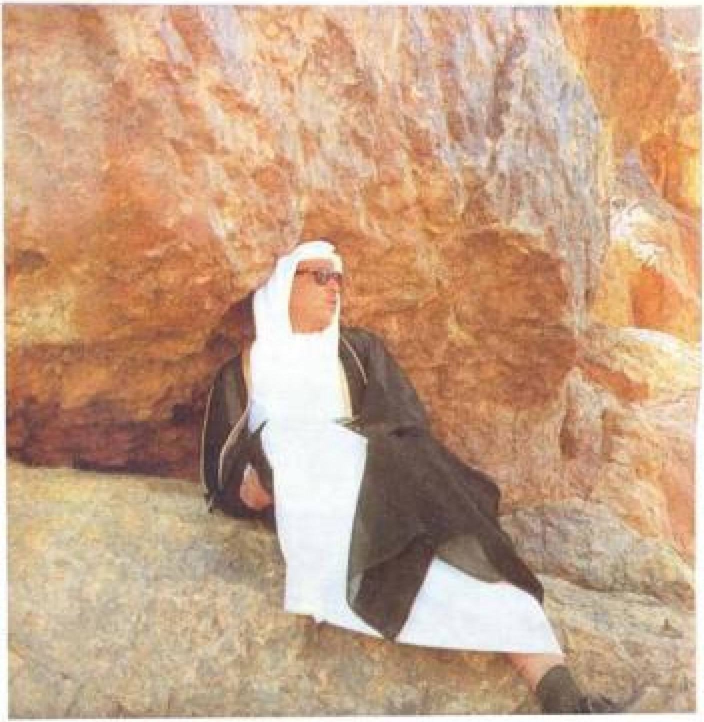
وصوره

عبد الناصر شقره

■ كان الليل قد ارخى سدوله ، وقد قضينا خمس ساعات ونصف الساعة في السيارة منذ بارحنا جدة .. قلنا للسائق : « اما زالت أمامنا مسافة طويلة ؟ » .. فقال : « لم يبق أكثر من نصف الساعة . هل استبد بك الملل ؟ .. منذ سنوات غير بعيدة ، كان لا بد للسيارة من أن تقضي ليلة في الطريق .. وكان لا بدّ للركاب من أن ينزلوا عدة مرات ، ليتعاونوا على رفع السيارة ، اذ تغوص عجلاتها في الرمال ! »

قلنا : « ولماذا لم تذهب من مكة الى المدينة مباشرة ، بدلا من الذهاب

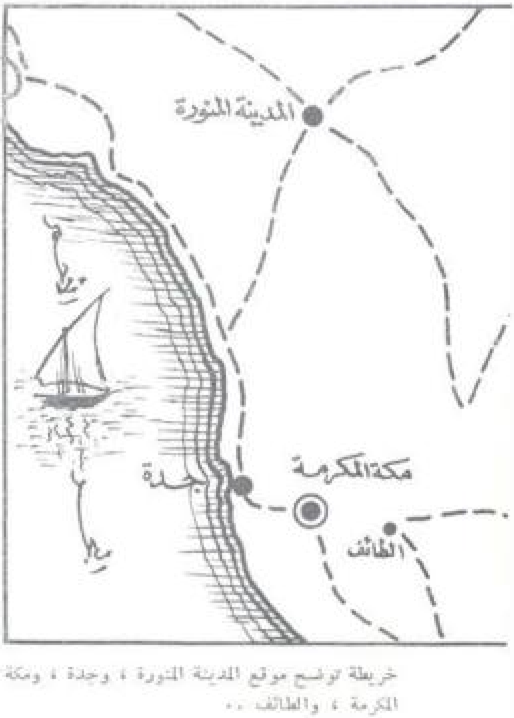
الى اسفل : عندما بدت نذر الهزيمة ـ في بداية معركة « أحد » ـ لاذ النبي (ص) بهذه البقعة ، وأسند رأسه الطاهر الى الجبل ، كمثل ما حاول صاحبنا أن يصنع في الصورة .. ولذا يسمون المكان « كرفية الرسول » .



الى جدة أولا ؟ » .. فأجاب : « ما من طريق للسيارات من مكة الى المدينة مباشرة .. أو بالأحرى ، هناك مشروع طريق يمر بوادى فاطمة، ولكنه يحتاج الى سنوات قبل ان يكتمل » .

وأخذنا نفكر فى تطور العالم فى عصرنا ، وفى يد العلم الطولى التى استطاعت ان تمتد الى جوف الصحراء لتيسر اسباب السفر ، وتجعل المشاق التى كنا نسمع بها عن الحج اساطير قديمة .. ومع ذلك فنحن نجنح الى البطر ، حتى لنشكو من قضاء خمس ساعات ونصف ساعة فى سيارة تجرى على طريق واسعة ممهدة !

وأرسلنا نظرات شاردة الى الجبال المعتمة التى تحيط بالطريق ، وما كان يتخللها من اشجار ونباتات برية واعشاب تصل احيانا الى تكاثف الاحراش .. وفجأة ، مرق حيوان تحت الاضواء الامامية للسيارة ، وغاب فى أحد الاحراش ، فاجفلت للمفاجأة .. وضحك السائق وهو



خريطة توضح موقع المدينة المنورة ، وجدة ، ومكة المكرمة ، والطائف ..

يقول : « انه ارنب جبلي .. فهذه الاحراش الممتدة على طول الطريق حافلة ببعض الحيوانات البرية ، لا سيما الارانب .. والغزلان احيانا .

وكثيرا ما يخرج أهل « المدينة » اليها للصيد .. بل ان كثيرا من الهواة يأتون من «جدة» خصيصا. وهم يشرعون فى رحلاتهم هذه بعد الظهر عادة ، ليصلوا بعد الغروب . اذ أن الليل خير معين لصائد الحيوان البرى ، فان أنوار السيارات تربك الحيوان وتحرجه ! »

وانقضى نصف ساعة ، ثم بلغنا منعرجا فى الطريق بين جبلين ، فقال السائق : « بعد لحظات تبدو لك القبة الخضراء .. القبة التى تعلو حجرة الرسول عليه الصلاة والسلام » .

وصدق تقديره .. فبعد لحظات بدا عند الافق وهج من اشعاع ، يحيط بقبة خضراء .. واستوقفنا السيارة لنهبط ولنتأمل المنظر .. ونسيم رقيق يداعب وجوهنا ، وقد تنازعتنا خواطر ومشاعر ..

وعدنا الى السيارة ، فدلفت بنا الى « المدينة المنورة » ، أول عاصمة سياسية ، لأول دولة اسلامية طلعت على التاريخ

وكأنما انجلى التعب والملل اللذان شعرنا بهما خلال الرحلة بفعل ساحر ، فاذا بنا انشط ما نكون . فما أن أودعنا حقائبنا الفندق - وكان مجاورا للمسجد النبوى - حتى اسرعنا لنؤدى التحية للرسول عليه الصلاة والسلام .

وكانت « المدينة » تتألق بالاضواء ، وتحفل بالنشاط ، وتزخر بالحركة ، وتغص طرقاتها بالآلاف من كل جنس ، وكل لون ، وفى كل زى يخطر بالبال ، اذ كانت زيارتنا فى أعقاب الحج .

ووقفنا نتأمل القبة الخضراء ، التى كان الوالي « قايتباى » المصرى ، أول من رفعها عندما تولى تجديد المسجد ، عقب صاعقة انقضت عليه فى سنة ٨٨٦ هجرية فالتهمت سقفه ، وأدت الى انهيار جدرانه ، ولم يسلم سوى الحجرة التى بها مثوى الرسول .. وكان أول من خلع اللون الاخضر على القبة ، هو السلطان محمود العثمانى، عام ١٢٥٥ هـ .

واقتربنا من المسجد وفى أنفسنا مزيج من رهبة،



الروضة الشريفة : هنا دفن الرسول الكريم ، وصاحباه أبو بكر وعمر ، في المكان الذى قبض فيه ، في بيته بالمدينة المنورة .. ان زيارة هذه الروضة المطهرة تصلح قبل الحج وبعده

وشوق ، و .. اشراق غريب يشعر المرء انه يملأ نفسه نورا وفرحا ، دون ان يملك له وصفا ..

وكان المسجد ـ الذى بلغت مساحته بعد آخر توسيع له ١٦٣٢٦ مترا مربعا ـ يضيق بمن فيه وقد بدت الحركة بداخله كحركة الماء في الضخة الماصة الدافعة .. جموع تدخل من بعض الابواب، وجموع تخرج من أبواب أخرى ، في توال مستمر.. ووسط الحشود الزاخرة ، شققنا طريقنا الى المقصورة النبوية التى كانت يوما حجرة الرسول عليه الصلاة والسلام في بيت السيدة عائشة ، فاصبحت مثواه ، ومثوى صاحبيه الوفيين وخليفتيه العظيمين : ابى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب . وتقوم هذه الحجرة في الركن الجنوبي الشرقي للمسجد . وقد كانت خارج حدوده حتى سنة ٨٨ هجرية ، عندما رأى الوليد ابن عبد الملك ـ في العهد الاموى ـ ان يوسع المسجد ، وأن يدخلها فيه .. وقد ادخل كذلك بقية بيوت النبي ، بعد أن هدمها ، وكانت ممتدة في شرق المسجد الى الشمال منه .

وبعد الطواف بالمقصورة النبوية اتجهنا الى « الروضة النبوية » ، وهى البقعة التى وردت في حديث النبي : « بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .. ولاحظنا ان المنبر لم يكن واحدا ، بل اثنين .. على أننا لم نملك ان نسأل احدا في هذا الشأن ، ونحن مبهورون بجلال المكان ، وعظمة المبنى ، وفخامة ما أثث به من سجاجيد وثريات وزخارف .

* * *

واذ انتهينا من التحية الواجبة ، اقترح بعض الاصدقاء الذين كانوا في استقبالنا في « المدينة » ان نخرج الى طريق « ينبع » ، حيث تقوم بعض

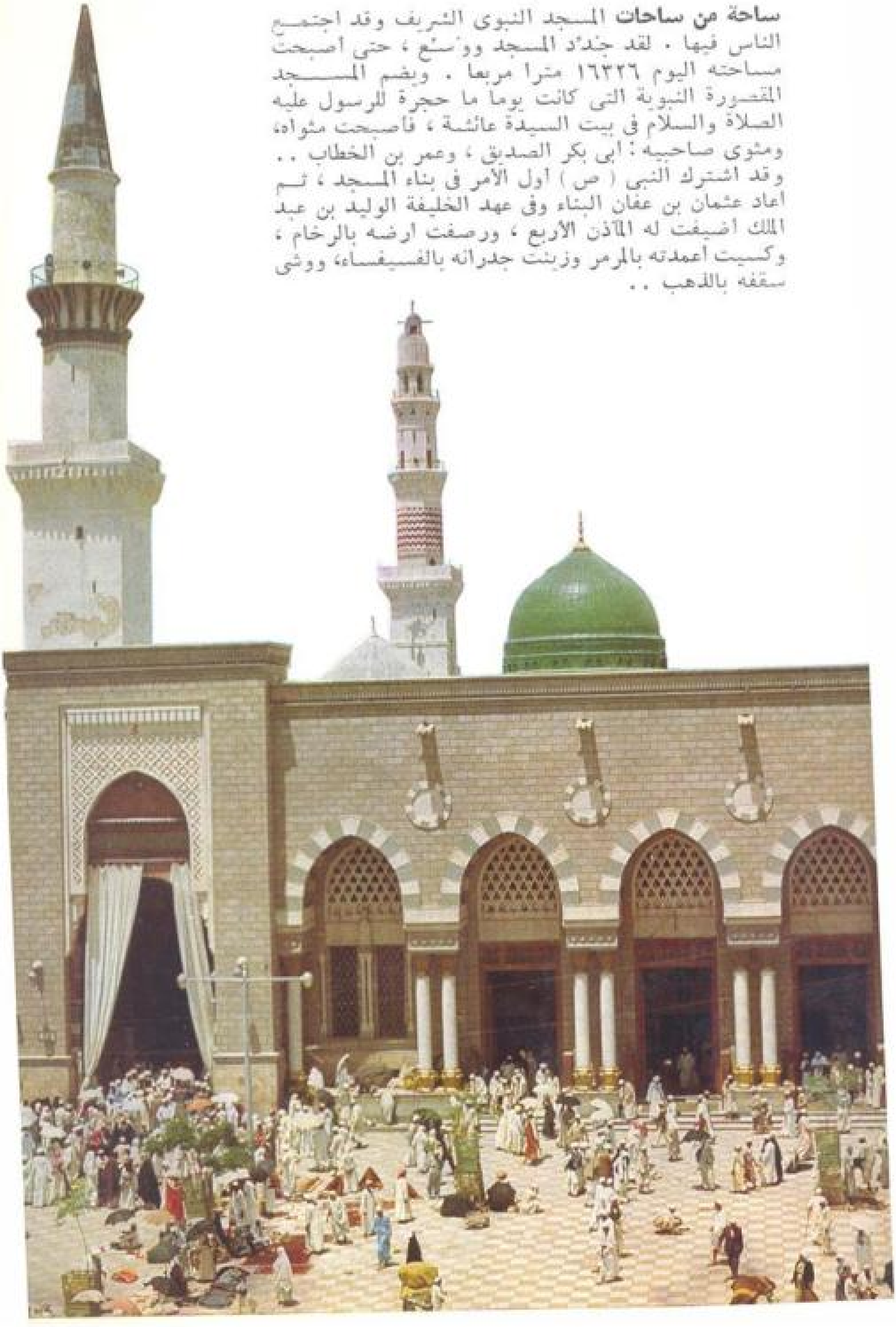


مسجد الغمامة ، حيث نزل النبي عند وصوله الى يثرب ، بعد أن قضى أياما عند مسجد قباء .





جامع عمر بن الخطاب ، ويتميز بالطلاء الابيض الذي يغطي المئذنة وقبة الجامع



ساحة من ساحات المسجد النبوي الشريف وقد اجتمع الناس فيها . لقد جُدِّدَ المسجد ووُسِّع ، حتى أصبحت مساحته اليوم ١٦٣٢٦ مترا مربعا . ويضم المسجد المقصورة النبوية التي كانت يوما ما حجرة للرسول عليه الصلاة والسلام في بيت السيدة عائشة ، فاصبحت مثواه، ومثوى صاحبيه : ابى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب .. وقد اشترك النبي (ص) اول الأمر في بناء المسجد ، ثم اعاد عثمان بن عفان البناء وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك أضيفت له المآذن الاربع ، ورصفت ارضه بالرخام ، وكسيت أعمدته بالمرمر وزينت جدرانه بالفسيفساء، ووشي سقفه بالذهب ..

المقاهي البدوية ، التي تتألف من اعمدة من الخشب ، ذات سقوف من جريد ، وقد صفت حولها ارائك خشبية عالية ، فرشت بالحصير ..

وقلنا ونحن في الطريق : « ما أفخم المسجد النبوي ! » .. فقال أحد الرفاق : « واين منه المسجد الاول ، وبساطته ! » ..

وارهفنا آذاننا وهو يروي كيف اقيم المسجد الاول من اللبن ، وكان سقفه من الجريد المرفوع على اعمدة اتخذت من جذوع النخل..وقد اشترك النبي عليه الصلاة والسلام في بنائه . وكان ينقل الحجارة ـ التي جعلت اساسا ـ واللبن الذي اتخذت منه الجدران وهو يردد : « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة، فاغفر اللهم للانصار والمهاجرة».. فاذا حاول أحد أن يأخذ عنه ما يحمل ، كان عليه الصلاة والسلام يقول له : « اذهب فخذ غيرها ، فلست بأفقر الى الله مني » .. وقد بث اقباله على العمل الحمية في نفوس الانصار والمهاجرين ، فكان عملهم مثالا للتعاون بين المسلمين ـ كبيرهم وصغيرهم ـ ورمزا للبساطة والزهد . فلما ازداد عدد المسلمين ، واستقرت الامور بعد غزوة « خيبر » ـ في السنة السابعة للهجرة زاد النبي من مساحة المسجد فصارت ٢٤٧٥ مترا مربعا .

المسجد في عهد عمر وعثمان

وجاء عمر بن الخطاب فاضاف الى مساحته ـ بعد عشر سنوات ـ ١١٠٠ متر مربع .

وفي عهد عثمان بن عفان ، هدم المسجد واعيد بناؤه بالاحجار المنقوشة والجص ، واتخذت له أعمدة حجرية صب فيها حديد ورصاص لتقويتها ، وصنع السقف من الساج . وقد أضيف لمساحته ـ اذ ذاك ـ ٤٩٦ مترا مربعا .

المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك

ثم أضاف الخليفة الاموي «الوليد بن عبدالملك» ٢٣٦٩ مترا مربعا ، وأدخل في المسجد المساحة التي كانت تشغلها بيوت زوجات النبي .

وفي هذه المرة ، جاء المسجد مثالا لفنون العمارة التي اكتسبها المسلمون باتصالهم بثقافات وحضارات اخرى .. فكانت له اربع مآذن ، ورصفت ارضه بالرخام وزينت جدرانه بالفسيفساء ، ووشي سقفه بالذهب ، وجعلت اعمدته من المرمر

المسجد في عهد المهدي والمستعصم

ثم زيدت مساحة المسجد ٢٤٥٠ مترا مربعا ، في عهد الخليفة العباسي المهدي بن المنصور ، في سنة ١٦٠ هجرية .

وظل المسجد كذلك نحو خمسة قرون ، ثم شب في المسجد حريق في سنة ٦٥٤ هجرية أتى على سقفه ، فجدد الخليفة العباسي « المستعصم » عمارته ..

المسجد في عهد ولاة مصر

ولكن هذه العمارة لم تتم الا على يدي الظاهر بيبرس البندقداري ـ والي مصر ـ في سنة ٦٧٠هـ.

احد الأروقة الحديثة التي أنشئت في مسجد الرسول (ص) .





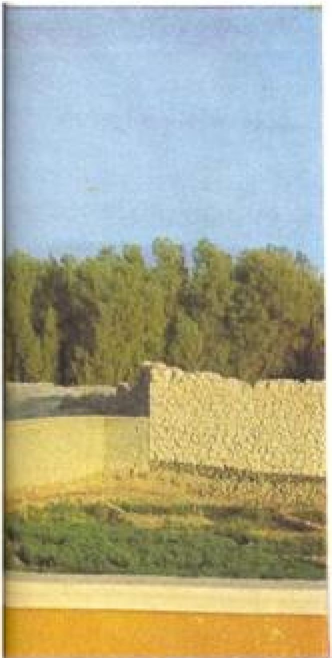
الروضة الشريفة فى مسجد الرسول : فى هذا المكان الطاهر ، كان الرسول (ص) يصلى بالمسلمين فى المدينة .. وقد جدد المسجد غير مرة ، وزين بالنقوش والزخارف .

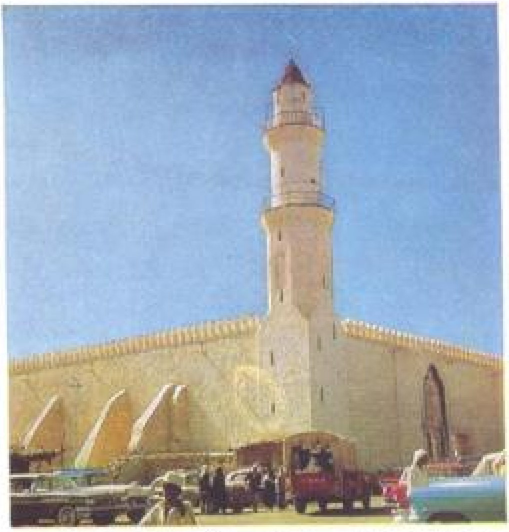
وقد لقى المسجد وعمارته عناية من سلاطين مصر ، فى عهد المماليك .. وكان اهم مظاهرها تجديد الملك « الاشرف قايتباى » بعض الاعمدة والسقف والمآذن فى سنة ٨٧٩ .

ثم شب حريق آخر بعد سبع سنوات ، لم ينج منه سوى الحجرة النبوية ، فبادر « قايتباى » الى عمارة المسجد من جديد ، مع زيادة المساحة ١٢٠ مترا مربعا .. واقام قبة على سقف الحجرة النبوية ، وقبابا أخرى ، مع ابداع فى الزخرفة . وقدر ما أنفق على هذه العملية بحوالي ١٢٠,٠٠٠ دينار .

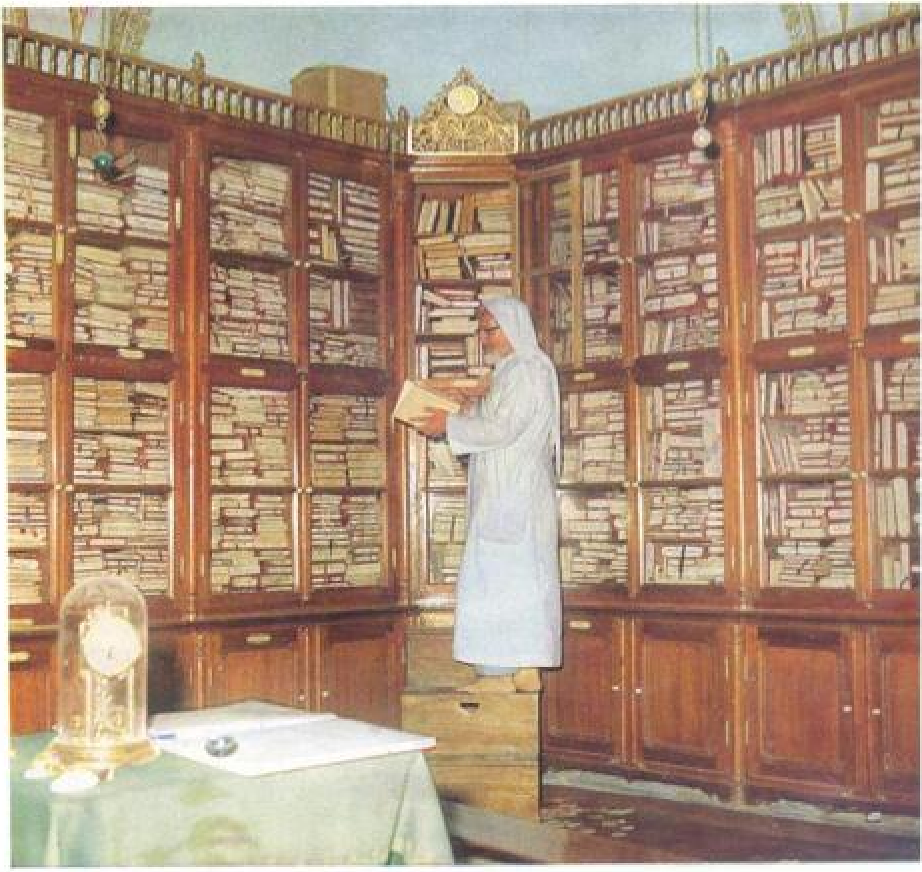
المسجد فى عهد سلاطين آل عثمان

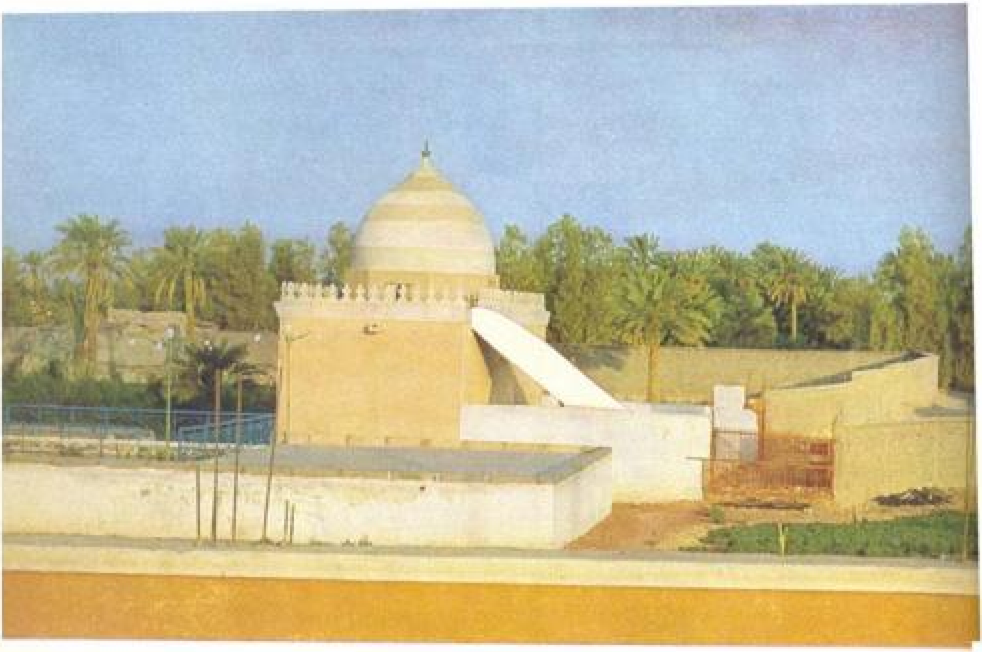
ولكن السلاطين العثمانيين فاقوا المماليك فى زخرفة المسجد وتجميله . ففى سنة ٩٨٠ هـ . عمّره السلطان سليم الثانى وزين العمارة بالفسيفساء الوشاة بماء الذهب .. واعاد السلطان محمد – سنة ١٢٣٣ هـ – بناء القبة وطلاها باللون الأخضر . ثم قام السلطان عبد الحميد الثانى – سنة ١٢٦٥ هـ – بمشروع كبير لعمارة المسجد ، استغرق ١٢ عاما . وزين الجدران بالآيات القرآنية والأحاديث ، وانفق فى ذلك نحو ٧٥٠,٠٠٠ ليرة عثمانية . وقد

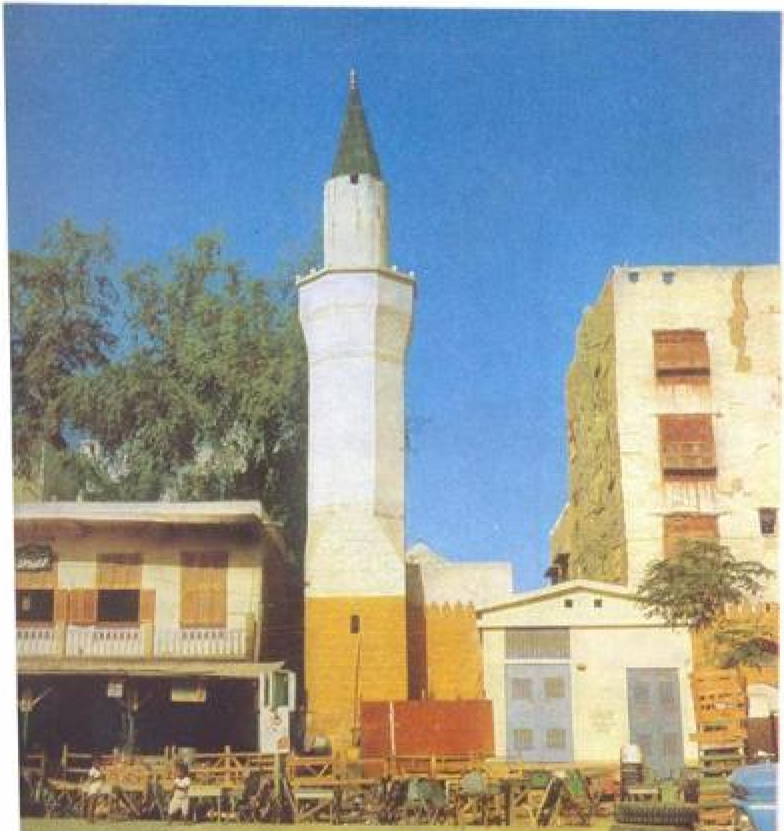




مسجد قباء : أول مسجد أقيم في الاسلام ، وقد اشترك الرسول في بنائه .. وكانت قبلته تتجه الى بيت المقدس ، ثم أقيمت فيه قبلة جديدة عندما صارت قبلة المسلمين الكعبة « فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجدالحرام »







مسجد الفيم فوق البقعة التي خرجت فيها جواري بني النجار يستقبلن النبي ، عند انتقاله من مسجد « قباء » الى يثرب ويغنين .

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع

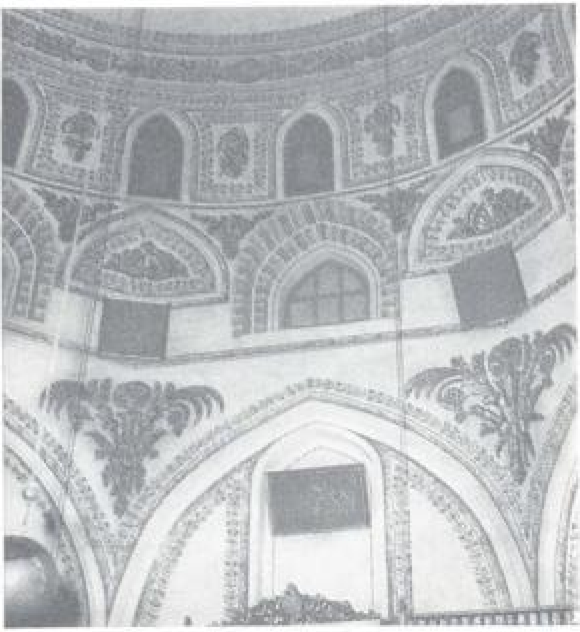
الى اليمين ركن في مكتبة « عارف حكمت بك » التي تضم كثيرا من المخطوطات والكتب الاسلامية القديمة . وتشرف عليها الآن وزارة الأوقاف .

الى اليسار : مئذنة مسجد ابي بكر ... ولاحظ المباني التي احاطت بالمسجد من على جانبيه ...

اضاف هذا المشروع الى المسجد ١٢٩٣ مترا مربعا، فاصبحت مساحته ١٠٣٠٣ امتار مربعة .

عبد العزيز بن سعود وعمارة المسجد

وبعد ذلك بمائة سنة وثلاث ، راى المرحوم الملك عبد العزيز بن سعود توسيع المسجد النبوى، بعد أن ازداد عدد المسلمين ، وسهلت المواصلات سبيل الحج . وقد استغرقت دراسة المشروع ووضع تصميماته عامين ، وكان للمهندسين المصريين نصيب كبير في هذا .. فلما بدىء التنفيذ، وكلت الاعمال الفنية الى ٢٠٠ صانع من المصريين والسوريين والباكستانيين واليمنيين والحضرميين. كما استخدم ١٥٠٠ عامل سعودى ، كان العمل لهم بمثابة اعداد وتدريب فى الوقت ذاته ..وتولت ٢٠ باخرة نقل الاخشاب والحديد والاسمنت الى ميناء « ينبع » ، كما استقدمت مختلف الآلات الميكانيكية الحديثة فى العمل الذى استغرق ثلاث سنوات ، اصبحت مساحة المسجد بعدها ١٦٣٢٦ مترا مربعا .



يعتبر مقر مكتبة « عارف حكمت » مثالا لفن العمارة الاسلامى .. وهذه صورة لجزء من القبة التى تعلوها .

قصة المنبرين

واتم محدثنا روايته المدعمة بالارقام ، وقد بلغنا المقهى على بضعة كيلومترات من « المدينة »، واضطجعنا على الارائك الخشبية، نحتسى الشاى، فسالنا « لقد ابصرنا فى مكان منبر النبى منبرين، كلاهما من طراز لا يمكن أن يرجع عهده الى عهد النبى فما قصتهما ؟ » .

قال : « لقد كان النبى يخطب فى المسجد ، قائما الى جذع نخلة ، حتى شقت عليه الخطابة وهو واقف ، فتطوع احد الصحابة وصنع له منبرا على نسق مربع .. مقعدا ذا درجتين . وقد التهم الحريق الاول هذا المنبر ، فانشىء غيره ، ولكن الحريق الثانى اتى عليه . فلما أعاد « قايتباى » بناء المسجد ، قدم منبرا أنيق الصنع ، كما أقام محرابا مجوفا بينه وبين القبر ، أبدع فى زخرفته بالرخام الملون .. حتى اذا عمر السلطان سليم الثانى المسجد ، شاء أن يبارى ما فعله قايتباى ، فقدم منبرا أكثر فخامة ، واقام محرابا جميلا قرب المنبر ، وشاه بالفسيفساء المنقوشة بماء الذهب .. وغير خاف ما اشتهر به العهد العثمانى من اضفاء مظاهر الترف والثراء على بيوت العبادة »

مسجد قباء

على ان المسجد النبوى لم يكن اول مسجد اشترك النبى فى بنائه ، اذ اشترك عليه الصلاة والسلام فى بناء مسجد « قباء » ، حيث نزل ـ قبل دخوله « المدينة » ـ فى بقعة تحيط بها البساتين، وتجرى فيها مياه العيون ، وتكثر فيها الآبار ، على مسافة من « المدينة » .. فقد بقى عليه الصلاة والسلام هناك اربعة ايام ، شيد فيها أول مسجد بنى اصلا ليكون مسجدا .. ويقال انه المسجد الذى نزل فيه قول الله : « لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التقوى من أول يوم أحقُّ أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المُطَّهِّرين » .

ولا يزال مسجد « قباء » مقصد كل من يزور



« حَمَامُ الحمى » : أحد المشاهد المألوفة في الحرمين ، المكي والمدني . انه يلتقط الحب في أمان ، ويحط على أكتاف الحجاج في بعض الأحيان لأنه يطمئن الى أن أحدا لن يقربه بسوء!

« المدينة » ، وان جدد مبناه عدة مرات .. فقد بني - في البداية - من اللبن والجريد ، ثم جدده عثمان بن عفان وجعله من الأحجار ، وزاد مساحته .. ولكن « عمر بن عبد العزيز » هدمه واقام مكانه مسجدا أكبر حجما ، وأجمل رُواء .. وكان السلطان محمود الثاني - العثماني - آخر من جدد عمارته في سنة ١٢٤٥ هـ ، أي منذ قرن وربع تقريبا .

ويقابل باب مسجد « قباء » مبنى يضم « عين الزرقاء » وبئر « اريس » . وتقول الروايات ان خاتم النبي عليه الصلاة والسلام - وهو الخاتم الذي توارثه الخلفاء - سقط عن أصبع عثمان بن عفان في هذه البئر ، في العام السادس لخلافته ، ولم يتسن لأحد أن يعثر عليه برغم الجهود التي بذلت. ولذلك أصبحت البئر تسمى «بئر الخاتم» .. اما عين الزرقاء ، فيجد الانسان ، لانحدار المياه فيها من آبار قريبة ، اندفاعا وخريرا غير مألوفين الا في الشلالات ..

قبر حمزة عم النبي

ومن المأثور عن النبي عليه الصلاة والسلام ، انه كان يزور «قباء» في يوم السبت وقبر الشهيد « حمزة » في يوم الأربعاء من كل أسبوع .

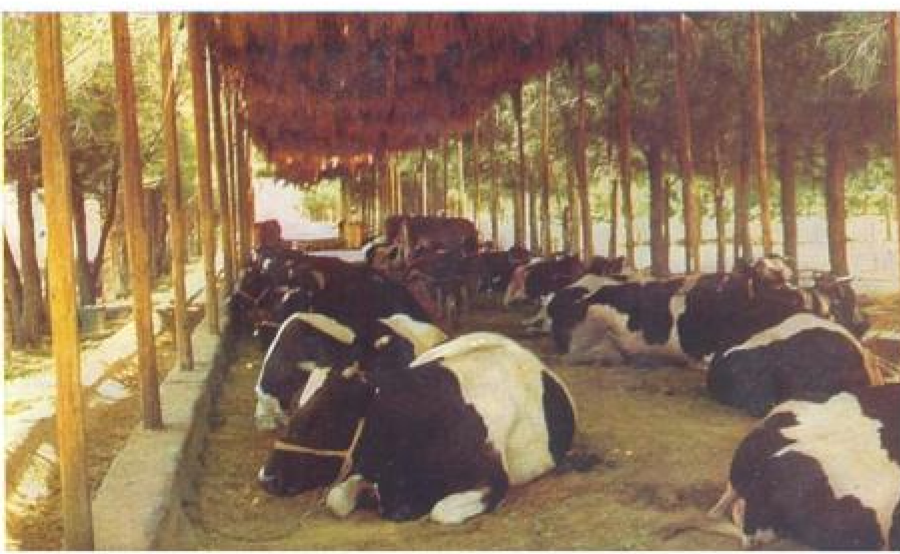
وقد كان « حمزة بن عبد المطلب » عم النبي وأخاه في الرضاع . وكان بطلا مغوارا ، دافع عن النبي عندما كانت قريش تؤذيه وهو بينهم ، حتى لقد ضرب أبا جهل مرة بقوسه فشجّ رأسه ، لأنه اعتدى على النبي وسبّه اثناء جلوسه عند الصفا.





منظر التقط في غرفة الجراحة بمستشفى « الملك » ، وهو المستشفى الرئيسي بالمدينة ، وقد جهز بأحدث الأجهزة الطبية .

في الحظائر الخاصة بتربية المواشي وتهجينها في الوحدة الزراعية بالمدينة.





قسم الدواجن بالوحدة الزراعية ، بياض ريش ، وزرقة ماء ، واخضرار شجر ظليل .

الى أسفل : قسم الرسم والزخرفة في المدرسة الصناعية ... وترى الطلبة يقومون برسم بعض الزخارف العربية الجميلة



كما كان أول قائد أوفده النبي على رأس أول سَرِيّة لمناوأة قريش ، بعد الهجرة ... وعندما قامت معركة بدر ـ في العام الثاني للهجرة ـ كان حمزة أول من نزل للقتال ، وأبلى بلاء حسنا ، حتى كتب الله النصر للمسلمين ، فأوغر هذا عليه قلوب قريش ، فكان هدفا من أهداف مقاتليها عندما عادت فالتقت بالمسلمين عند جبل أُحُد ، خارج المدينة لتثأر لهزيمتها . وكانت هِنْد بنت عُتبة أشدهم حقدا على حمزة لأنه قتل أباها وأخاها في وقعة بدر ، فساقت عليه من يتربص به ليقتله . وبينما كان حمزة في كر وفر ، تعثر فوقع على ظهره ، وإذ ذاك انقض عليه صنيعة هند ـ وكان حبشيا اسمه « وحشي » ، وله من اسمه نصيب كبير ، وظل يضربه بحربته حتى قتله وبقر بطنه . فأقبلت هند تشفي غليلها بأن قطعت أنفه وأذنيه ، وانتزعت كبده وراحت تنهشها .. فكان حزن النبي عليه عظيما .

وقد كان لحمزة قبر ذو قبة ، ثم أزيلا جميعا خشية طقوس يؤديها الناس هناك هي أقرب إلى الوثنية . ولكن موقع القبر باق ، وبجانبه مقابر شهداء معركة أُحُد . إن هذا لم يكن الموقع الأصلي ، إذ إن حمزة دُفن في البقعة التي استشهد فيها ، ثم جَرَّفَ سيلٌ قبره ، وكشف بعض جثته ، فأمر النبي بنقلها من الوادي ، ودفنها على الربوة التي يقوم عليها قبره اليوم .

يد التعمير تدخل الى المدينة

كتب الرحالة المسلم السويسري « بوركهارت » منذ قرن ونصف ـ سنة ١٨١٥ م ـ يقول :

« المدينة حسنة البناء ، فكل مبانيها من الحجر ، ومعظمها من طابقين عاديين .. وليست مكسوة بطلاء . ولما كانت أحجار البناء قاتمة ، فإن طرقها أقرب إلى الكآبة ، وأكثرها بالغة الضيق .. وقليل من طرقها الرئيسية مرصوف بأحجار مستديرة كبيرة .. ومظهرها اليوم يبعث إلى النفس الأسى ، لما يهدد منازلها من دمار .. فترى المنازل الخربة ، والجدران التي توشك أن تنهار في كل مكان .. ومن لم كان منظر المدينة مما يبعث إلى القلب الحسرة ، ولا يعيد إلى الذهن من بهائها القديم إلا صورة ذابلة » .

وما أبعد هذه الصورة عن « المدينة » كما تراءت لنا ..

صحيح أنه لا تزال في « المدينة » بيوت قديمة، بعضها متداع ، وطرق ضيقة لا يكاد الواحد منها يتسع لشخصين يسيران جنبا إلى جنب ، ولكن يد التعمير بدأت تدخل الكثير من أرجاء المدينة ، فتشق الطرق الواسعة ، التي تحف ببعضها الأشجار وتتوسط بعضها النافورات والمتنزهات.. وتقيم المباني على أحدث طراز في العمارة ، وترتفع بها شامخة ، وإن كان يلاحظ أن البنايات التي تتجاوز ثلاث طبقات قلة بينها ..

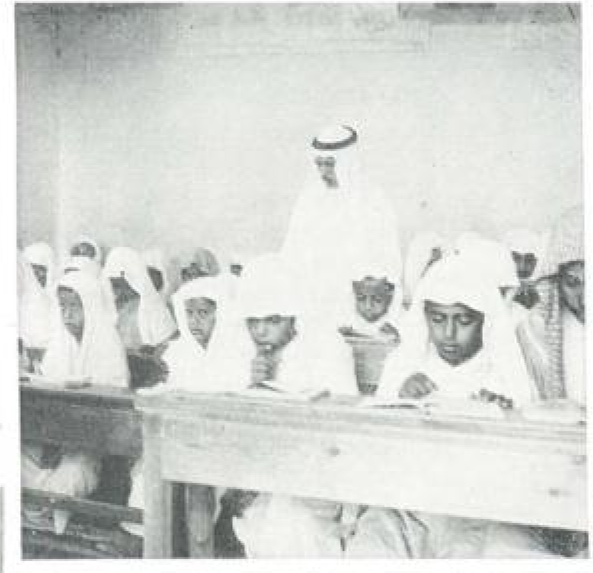
على أن من الأمور التي تسترعي الانتباه حقا ، أن طرق « المدينة » ـ قديمها وحديثها ، ضيقها وواسعها ـ تمتاز بالنظافة .

مدينة سلام

والواقع أن لأهل « المدينة » طابعا خاصا ، يقال أن طبيعة منطقتهم ، وإقامة الرسول بينهم ، ثم وجود مثواه ومسجده عندهم ، قد تعاونت على أن تبثه في نفوسهم . فهم يمتازون بهدوء ودماثة يكاد المرء أن يحسبهما نوعا من الطراوة فيهم .. كما أنهم يمتازون بحلم واسع وصبر عميق . فأنت تساوم البائع فلا يضيق ولا ينفعل ، وإنما يردد لك بلطف : « الله يرحم والديك » !

ولقد صادفنا حادثا في صباح اليوم التالي لإقامتنا في « المدينة » جعلنا نُعجب بأخلاقهم أيما إعجاب . فقد أطللنا من شرفة الفندق على ساحة المسجد النبوي ـ في الصباح الباكر ـ فإذا سائقان من سائقي سيارات الأجرة يختلفان فيما بينهما ، وكان أحدهما من المدينة والآخر من الرياض ، كما دلت لوحتا سيارتيهما .. وتطور العتاب بينهما إلى جدل ، ثم احتد الجدل ، وعلت الدماء بالغضب ، ومد السائق القادم من الرياض يده ليمسك بطوق السائق الذي من المدينة ، فإذا هذا يقول له : « بعض الحياء ، فنحن أمام مسجد الرسول .. إذا شئت عراكا فاتبعني إلى خارج المدينة ! » .

وعندما روينا هذا الحادث ، قال رفيق من أهل المدينة : « هكذا مسلك القوم في أية بقعة من المدينة ، وليس في ساحة الحرم النبوي وحدها



كانت قرية « بــدر » ــ كما صورها المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه « فى منزل الوحى » ــ بقعة منسية مهملة . اما اليوم، فقد امتدت اليها يد الاصلاح ، واقيمت ابها مدرسة لنشر العلم .



.. فهى مدينة سلام اكراما للرسول عليه الصلاة والسلام » .. ولعل لطبيعة مدينتهم اثرا فى ذلك . فهى على اكثر من ٦٠٠ متر فوق مستوى البحر ، فجوها معتـــدل صيفا ، بارد ــ فى غير رطوبة ــ شتاء .

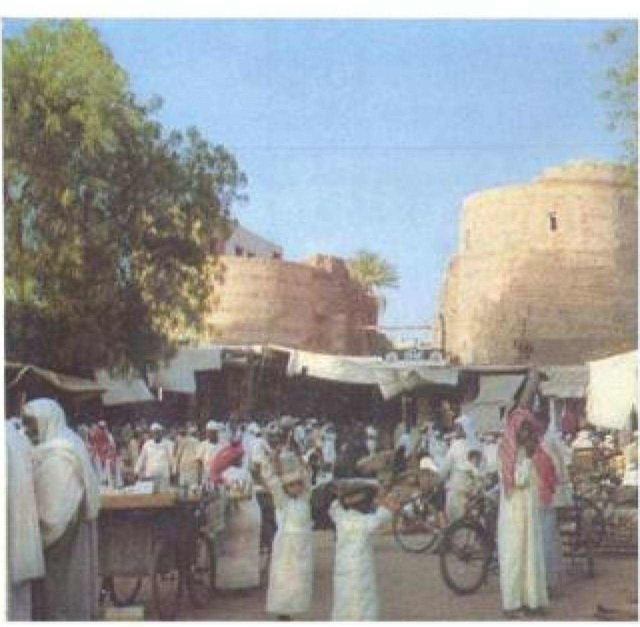
خيرات المدينة

والى جانب هذا ، تجد فى اهل « المدينــة » روحا من الرضى بالواقع ، فهم لا يضيقون ببطء التقدم فى مدينتهـم ، ولا يندفعـون فى الطموح طفرات ، بل يؤثرون السير المتئد . ولعل هذا هو السر فى بطء الحياة الاقتصادية فى «المدينة» برغم وجود امكانيات كبيرة . فقد اشتهرت « المدينة » فى مختلف العصور بالنخيل الذى ينتج عديدا من اجواد اصناف التمر ، وبالبساتين التي تنتج البرتقال ، والنارنج ، والليمـــون ، والعنب ، والجوافة ، والتين ، والرمـــــان ، والتــوت ، والزيتون وكافة انواع الخضر .

ومثل هذه الخيرات كانت كافية لان تشجع القوم على التوسع فى الزراعة ــ لاسيما وان المياه وفيرة ، اذ تخترق المنطقة اربعة مجار للسيول ، فضلا عن انها غنية بالمياه الجوفية ــ وعلى اقامة



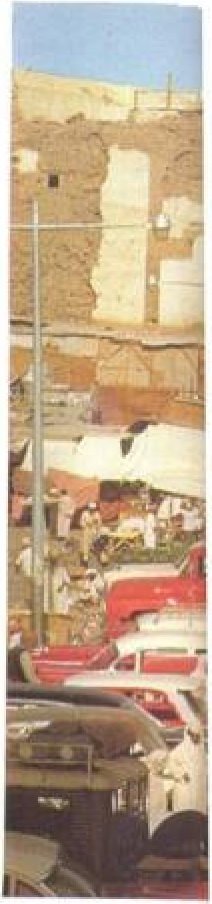
صورة تريك كثرة السيارات في المدينة ، وتنوعها ، وهي الآن الوسيلة التي تكاد تكون واحدة في المواصلات .



عند باب هذه القلعة القديمة اقيم هذا السوق الشعبي ،الذي يباع فيه كل شيء .. ويسمى الباب بالباب المصري .



نشطت المدينة أخيرا للحاق بالركب الحضاري التجديدي ، بالرغم من العوائق الاقتصادية التي عرقلت تقدمها. وهذه بعض المباني الحديثة فيها.



لا تزال المساكن القديمة باقية في كثير من أرجاء « المدينة » وإن كانت يد التجديد تزيلها رويدا .



صناعة حفظ الفواكه والخضر وتعليبها .. ولكن الذي حدث هو أن الصناعات اليدوية القديمة ـ كصناعة الأواني الفخارية وصناعة البلح المجفف ـ ظلت على حالها البدائي ، حتى رأت الحكومة أن تنشيء مصنعا للتمور ، منذ عشر سنوات .. ثم اقدمت أخيرا على استيراد مزيد من الآلات،وتوسيع المصنع بعد أن ازداد نشاطه والطلب على انتاجه .

وينتج المصنع الحالي : البلح المجفف ،والبلح المضفوط (العجوة) ، والبلح المخلوط بالحلوى على هيئة « فندان » ، والبلح المحفوظ في محلول سكري مثل « الكومبوت » ، وعسل البلح (الدبس) ..

ومن المنتظر بعد توسيعه أن يتولى ـ الى جانب هذا ـ تصنيع مخلفات النخيل لانتاج الحبال والمكانس والاقفاص والحصير ، وتحويل نفايات التمور الى سماد عضوي ، وصناعة عصير البلح على شكل مشروبات غازية (مثل الكوكاكولا) ، وانتاج الكحول للاغراض الطبية من كحول التمر المختمر .. كما يجري المصنع حاليا تجارب لاستخدام « نوى » البلح في بعض المنتجات ـ مثل العلف الحيواني ـ واستخدام مسحوق التمور في صناعات مثل منتجات المخابز والحلوى ..

ومثل هذا البرنامج الواسع ، خليق بان يجعله مقرا لتصنيع محصولات التمر المجتلبة من أجزاء أخرى من البلاد غير المدينة .

مزرعة نموذجية وبساتين

كذلك كان التقدم بطيئا في الزراعة .. ولكن الحكومة اقامت ـ منذ عشر سنوات ـ وحدة زراعية تتبعها مزرعة نموذجية لاجراء التجارب على بعض أنواع النباتات التي يمكن أن تنمو في أراضي «المدينة» ، وتأتي بثمار تساعد على زيادة الدخل القومي ، وتكون نواة للتصنيع ، وقد افلحت زراعة بنجر السكر هناك ، ولا تزال التجارب تجرى لاستنبات قصب السكر .

وتقوم الوحدة الزراعية في « المدينة » بتقديم الخدمات للمزارعين وأصحاب البساتين .. فهي تساعدهم على مكافحة الآفات الزراعية ، وتعقد الندوات في المواسم لتوجيه المزارعين وارشادهم ،

ظلت « المدينة » محتفظة بطرقها الضيقة الى عهد قريب جدا ، ثم امتدت يد العمران تشق فيها الشوارع ، تتوسطها النافورات والمتنزهات العامة .





منطقة « جبل احد » ، حيث دارت المعركة الشهيرة بين الرسول (ص) وكفار قريش ... وعند سفح الجبل استشهد « حمزة » عم النبي واخوه في الرضاعة

وتقدم لهم البذور و « الشتلات » بالمجان وبأسعار زهيدة .. كما يتبع المزرعة النموذجية قسم للدواجن والماشية ،يعنى بتربية احسن السلالات وتوزيعها على الاهالى للاكثار من الثروة الحيوانية .

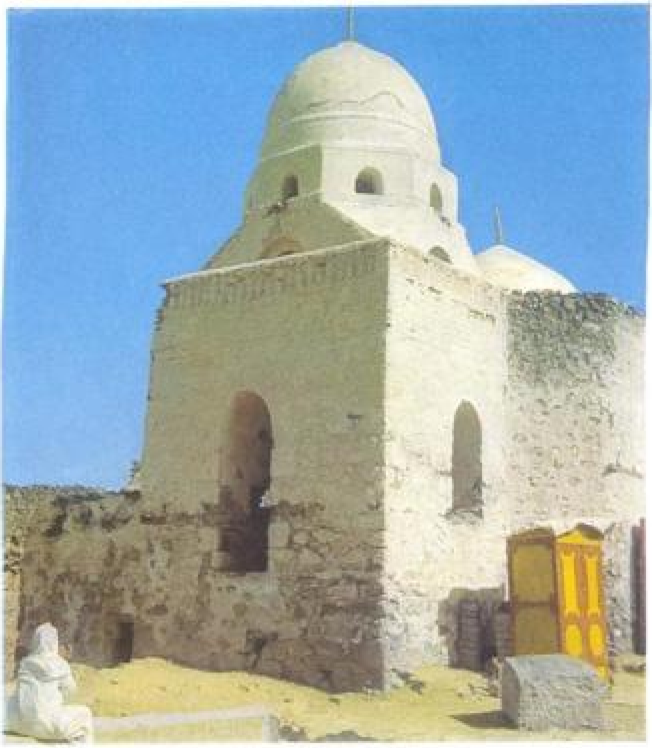
والبقعة التى اقيمت عليها المزرعة النموذجية تضم بئرا لها قصة طريفة .. تلك هى بئر « رومه » ، وكانت لامرأة يهودية قبل الاسلام ، فاشتراها عثمان بن عفان ـ فى زمن الرسول ـ واباح ماءها للمسلمين .. او ـ كما قال لنا راوى القصة ـ « جعلها دلوا من دلاء المسلمين » .. على ان هذه البئر لم تلبث ان عطلت ، بالرغم من ارتفاع منسوب المياه فيها ، وحفرت على مقربة منها بئر اخرى ، اقامت عليها الحكومة مضخة لرفع الماء ورى المزرعة ..

والكثير من اصحاب البساتين يعنون ببساتينهم عناية فائقة . وقد أتيح لنا ان نزور بستانا منها فى قرية « قربان » ـ احدى قرى المدينة ـ وكان فيما مضى ، الحد الفاصل بين بساتين اليهود وبساتين الانصار ..

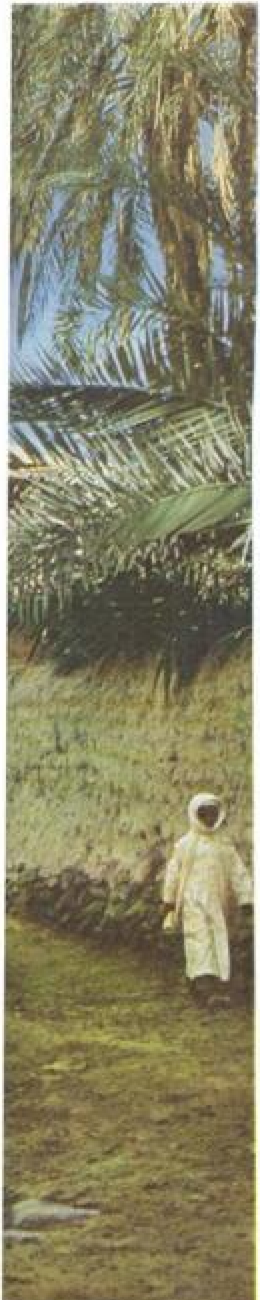
ويعنى السيد عبد الرحمن الرفه ، صاحب هذا البستان ، بكل نبتة فيه ، ويتفقد اشجاره وكرومه بنفسه .. وقد بلغ من عنايته ، انه اقام فى طرف من البستان بيتا يمتد امامه حوض للسباحة ،يستمد ماءه من بئر اقيمت عليها مضخة ترفع من الماء ما يكفى لرى البستان كله،وللافاضة على الحوض .

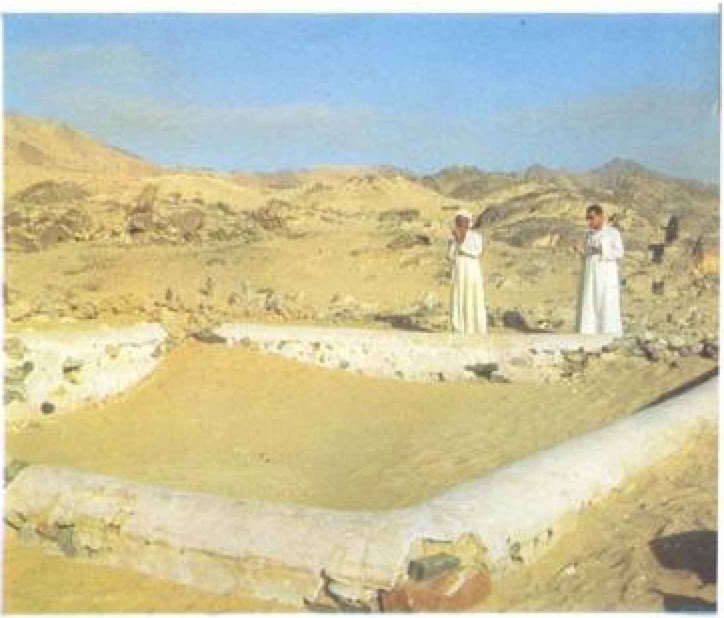
ولقد روى لنا صاحب البستان ـ وهو فى الوقت ذاته مدير الاعلام فى المدينة ـ ان المنطقة التى يقع البستان فى احد أجزائها ، ذكرت فى بعض الروايات القديمة لليهود ، على انها تقوم على كنوز ، يغلب على الظن انها اثار حضارة غابرة قبل الاسلام ..

ولقد سمعنا هذا الكلام عن بقاع اخرى من « المدينة » ، لا سيما موقع « يثرب » القديمة .. فقد كانت هذه المنطقة مهد حضارة كان الاوس والخزرج واليهود من بناتها .. ولا يستبعد ان تكون تحتها آثار تلقى اضواء على تاريخ شبه الجزيرة العربية بأسرها ، او اقليم الحجاز .. على الاقل .

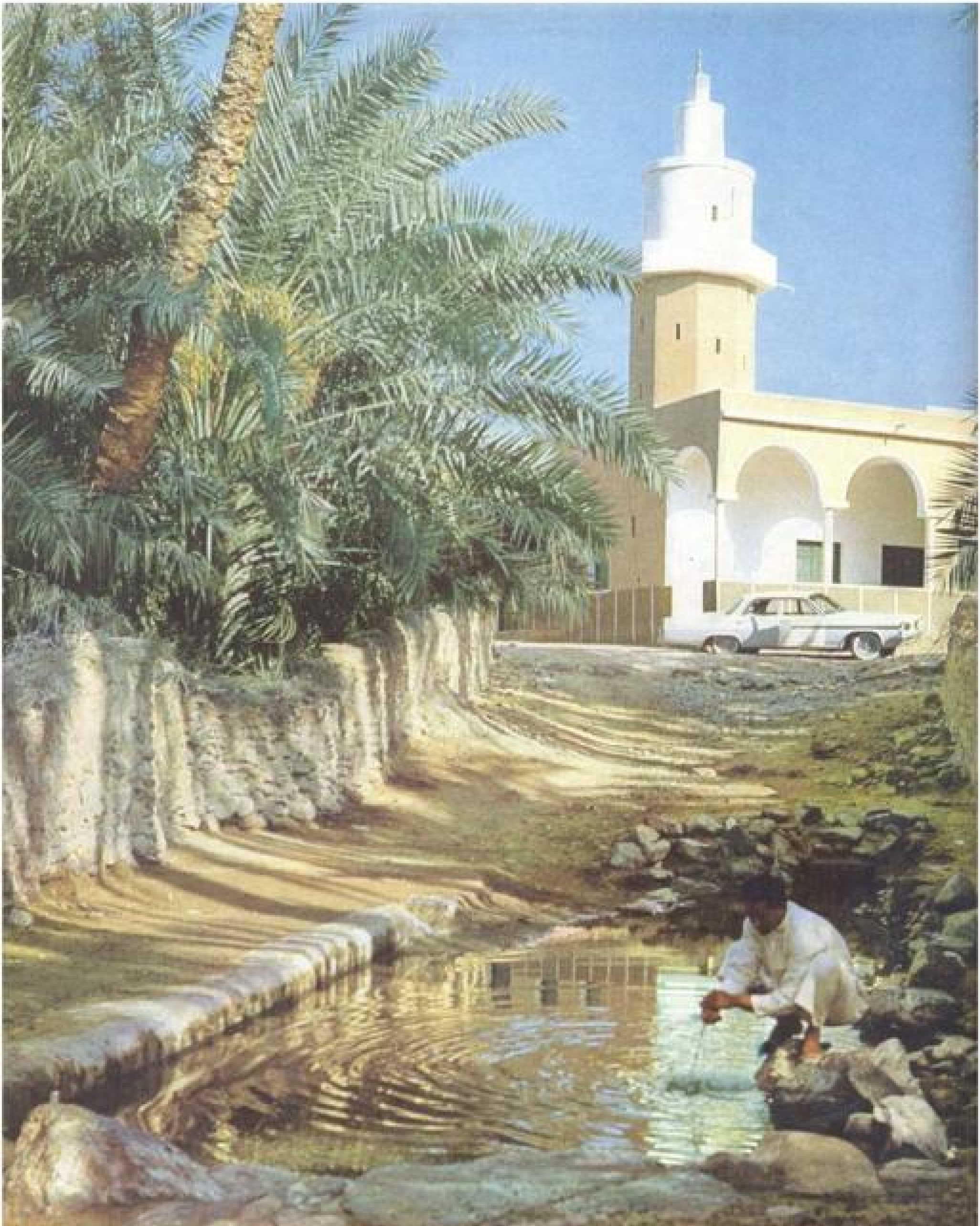


تحت هذه القبة بئر اريس ، وبئر الخاتم التي سقط فيها خاتم النبي من يد عثمان بن عفان ، وكان الخلفاء يلبسونه رمزا للخلافة .





البقعة التي دفن فيها شهداء موقعة « بدر » ، وقد اندثرت القبور ، ولم يبق سوى سياج مربع للدلالة على مكانها .



لاتزال في «بدر» بقية من البساتين ، ولكن الزراعة
تضاءلت ، حتى لم تعد مورد عيش كافيا لأهاليها.

يثرب

والواقع ان « يثرب » كانت ذات يوم مركز اسواق رائجة ، عامرة .. وكان اليهود من اوائل العناصر التي استقرت بها ، فرارا مما كان يحيق بهم من مظالم في فلسطين ابان حكم الرومان والبيزنطيين . ولكن قبيلتي الاوس والخزرج استقرتا فيها ، خلال هجرتهما الى الشمال بعد انهيار سد « مأرب » في اليمن . ولم تلبثا ان خرجتا على سلطان اليهود ، ولكنهما تحولتا تقاتل كل منهما الاخرى ، في سبيل الاستئثار بالسلطان، حتى هاجر الرسول الى « يثرب » ، وآخى بين القبيلتين .

المدينة عاصمة المسلمين الاولى

وكما كان مولد النبي نقطة تحول في تاريخ مكة، فان هجرته كانت نقطة تحول في تاريخ المدينة ، اذا اصبحت عاصمة اول دولة للاسلام . وظلت كذلك الى عهد « علي بن ابي طالب » ، اذ نازعه معاوية الحكم واقام بالشام ، بينما اضطر «علي» الى الاستقرار في « الكوفة » ، فذبل تألق « المدينة » الى ان قام « عبد الله بن الزبير » بحركته ضد الامويين ، فاذا قوات « يزيد بن معاوية » تحتل المدينة ، ثم لا تلبث ان تفتح مكة وتقضي على ابن الزبير سنة ٧٣ هـ .

عناية الخلفاء بالمدينة

وكان وجود قبر النبي في « المدينة » ، سببا في عناية الخلفاء وامراء المؤمنين بها ، مما ادى الى ازدهارها ماديا وادبيا.ولكن اعتمادها على مكانتها الدينية عود اهلها — لا سيما وقد اختلطت بهم عناصر كثيرة من المسلمين الذين وفدوا للاقامة بجوار قبر الرسول — ان يستكينوا الى عناية ولاة امور المسلمين ، وان يتهاونوا في الاعتماد على انفسهم ..

السكة الحجازية ، بين دمشق والمدينة

لم قدر للمدينة ان تجد حافزا للازدهار ، عندما رأى السلطان عبد الحميد الثاني ان يربط ارجاء امبراطوريته بشبكة من الخطوط الحديدية وتضمن المشروع مد خط من دمشق الى «المدينة» تيسيرا لمشاق الحج فانهالت التبرعات من كافة ارجاء العالم الاسلامي ، حتى بلغت ثلاثة ارباع مليون ليرة عثمانية .

واستغرقت انشاء خط « دمشق — المدينة » ثماني سنوات ، وقد افتتح سنة ١٩٠٧ م . وادت سهولة المواصلات الى ازدياد الحجاج . ولما كانت « المدينة » احد الطرفين الرئيسيين للخط ، فقد انتعشت احوالها ، لا سيما اذ اصبح هذا الخط شريانا للتجارة بين شبهالجزيرة العربية والشام . وقدبلغ من امر الازدهار انثمن الاراضي في « المدينة » ارتفع الى اكثر من ثلاثة امثال ما كان عليه .. وزاد عدد سكانها زيادة سريعة ، فقفز من ... ٢٠ في سنة ١٩٠٧ ميلادية الى حوالي ... ٨٠ في سنة ١٩١٤ .

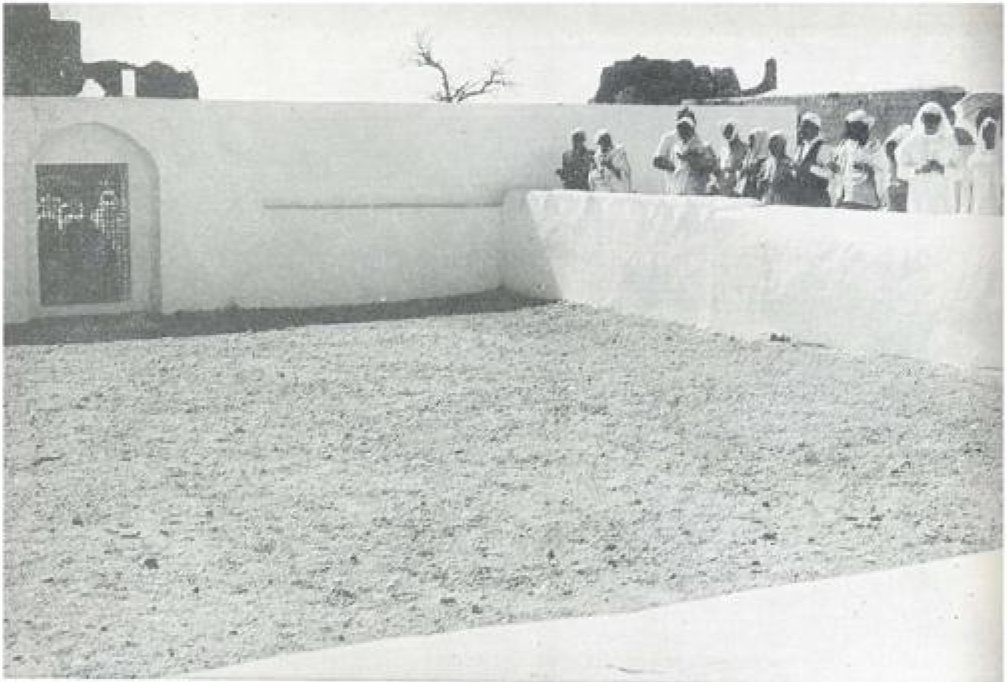
ولكن قيام الحرب العالمية الاولىفي ذلكالعام ، وثورة الهاشميين على الدولة العثمانية ، ادى الى تخريب الخط الحديدي لقطع الامدادات من الشام عن الجيش التركي في الحجاز . ولم تنته الحرب حتى كان كثير من اجزاء الخط قد خرب كما ان البلاد التي كان يمر خلالها تمزقت ، بين الانتداب الفرنسي ، والانتداب الانجليزي ، ثم اخفقت كل محاولة لاصلاح الخط بعد ذلك وربط الاجزاء الباقية منه .

على ان الحكومات العربية — بعد استقلالها — اتفقت على اصلاح الخط ، وقد رست مناقصة الاصلاح منذ اشهر على شركة تستعد الان لاداء مهمتها .

ومن المتوقع اذا ما تم اصلاح الخط ، واكتمل الطريق البري الذي ينشأ الان بين المدينة ومكة مباشرة ، ان يدب الازدهار من جديد ، في « مدينة النبي » .

مدرسة صناعية ثانوية

وتمتاز « المدينة » بوجود مدرسة صناعية ثانوية فيها ، بدأت في نهاية سنة ١٣٧٥ هـ كفكرة وبعد نحو ٤ سنوات تم انشاء مبنى خاص لها على مساحة تبلغ كيلو مترين مربعين ، يضم ١٣ ورشة لاعمال الخراطة ، والحدادة والبرادة ،





يقال ان السيل جرف قبر «حمزة» الذى ووري فيه عقب استشهاده ، فنقل جسده الى هذا الموقع ، واحاط به قبور شهداء المعركة ، وقد ازيلت معالمها جميعا .

وهندسة السيارات ، والكهرباء ، والسباكة ، والنجارة ، والاعمال الصحية ، والنسيج وصناعة السجاد ، والنقش ، والتنجيد .

ويزيد عدد طلبة المدرسة على ٥٠٠ طالب ، تحت رعاية نحو ٨٥ مدرسا . ويتقاضى الطالب مكافاة قدرها ١٥٠ ريالا شهريا ، كما تمده المدرسة بملابس العمل فى « الورش » ، وبوجبة الغداء .

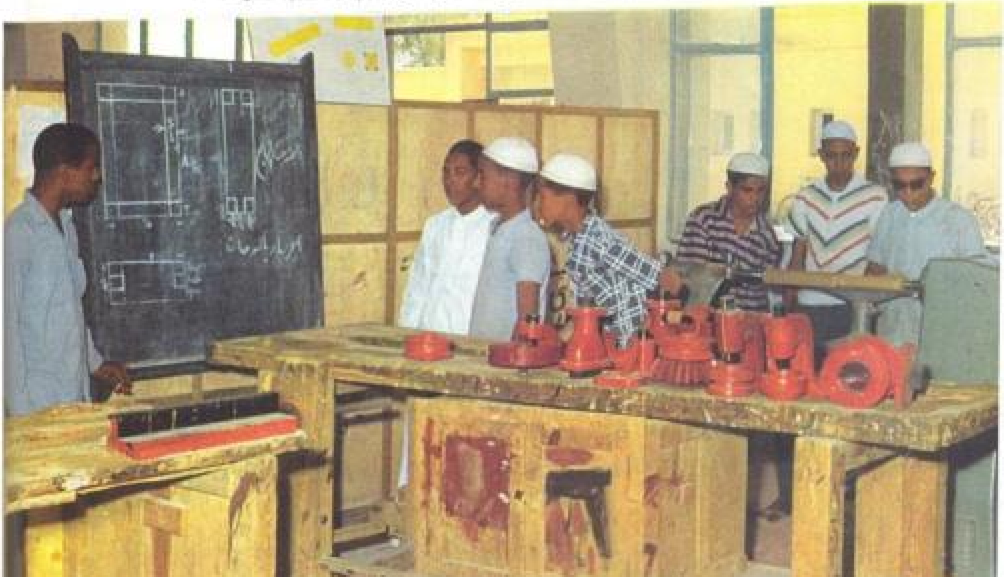
وقد كانت الدراسة حتى نهاية العام الدراسى الماضى خمس سنوات ، وتخرجت ـ بموجب هذا النظام ـ دفعتان عدد طلبتهما ٢٥ ، عينوا جميعا للتدريس فى المدارس الصناعية فى المملكة السعودية .

وابتداء من هذا العام ، اصبح الطلبة يدرسون اربع سنوات ، على ان يتاح لمن يرغب فى مزيد ، ان يلتحق لعامين بالمعهد العالى الفنى فى الرياض ، او ان يوفد فى بعثة الى الخارج .



في المدرسة الصناعية قسم خاص يتعلم فيه الطلبة نسج الأقمشة على الأنوال اليدوية

تعتبر المدرسة الصناعية في « المدينة » منطلق تجربة جديدة لادخال التصنيع على الاقتصاد المحلي ، ولتخريج فنيين للعمل في الصناعات القائمة حاليا في مختلف أرجاء المملكة السعودية ، وهذه صورة التقطت للطلبة اثناء التطبيق العملي لدروسهم في قسم الخراطة .





محاولة ناجحة يقوم بها قسم السجاد في المدرسة الصناعية لعمل سجادة للحائط عليها خريطة مفصلة للجزيرة العربية .



قسم السجاد من أهم الأقسام في المدرسة الصناعية .

العربي : العدد ٧٣ ديسمبر ١٩٦٤

ومن المنتظر في التخطيط الجديد للمدرسة ان توجه عناية خاصة للصناعات التي تتوفر خاماتها محليا .

تعليم النساء بالمدينة

والمجتمع في « المدينة » اشد تحفظا منه في اي بلد اخر في اقليم الحجاز ، والمراة فيه مصونـة وراء الحجاب الكثيف اكرم صيانة ..

على ان هذا لم يحل دون تقدم تعليم الفتاة في « المدينة » ، وبسرعة تشابه سرعة التقدم في كل ميادين النشاط الاخرى هناك. ففي سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) كانت في « المدينة » خمس مدارس اهلية ومدرستان اميرتان لتعليم الفتاة في المرحلة الابتدائية ، وكانت هذه المدارس تضم ١١٠١ فتاة . وفي سنة ١٣٨١ هـ ، هبط عدد المدارس الاهلية الى ثلاث ، وان ارتفع عدد الطالبات في المدارس الباقية الى ١٢٢٧ . وفي سنة ١٣٨٢ هـ ، هبطت المدارس الاهلية الى اثنتين وزاد عـدد المدارس الاميرية الى ثلاث ، وارتفع عدد الطالبات فيها جميعا الى ١٤٧٧ .

كذلك انشيء في سنة ١٣٨١ هـ . (١٩٦١ م) معهد لتخريج معلمات للمرحلة الابتدائية ، ضم في اول اعوامه ١٤ طالبة ، وفي العام الثاني ٢٦ ، ويقدر عدد طالباته في هذا العام الدراسي باكثر من ٤٠ .

المكتبات العامة

وفي « المدينة » عدد من المكتبات العامة ، التي تضم كثيرا من المخطوطات والافا من الكتب المطبوعة. ولعل اشهر واكبر هذه المكتبات « مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بك افندي » .. ومن العنوان نستطيع ان ندرك انها انشئت في العهد العثماني. والواقع ان تاريخها يرجع الى سنة ١٢٧٠ هـ ، اي انها تجاوزت القرن باربع عشرة سنة .

وتشغل « المكتبة » مبنى اقيم على موقع دار للحسن بن علي ، رضي الله عنه ، خلف المسجد



التكيـة المصرية في

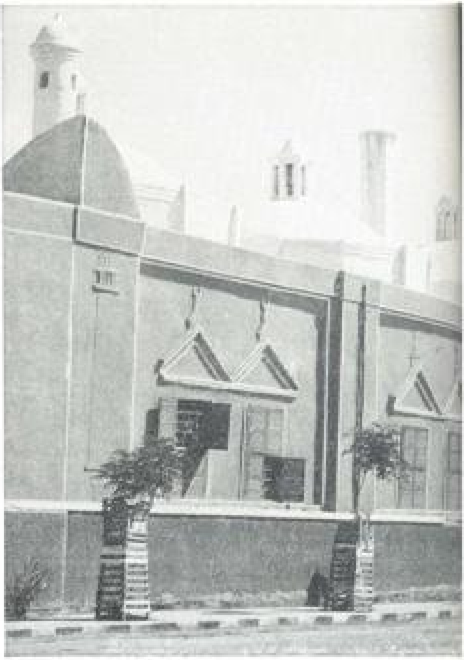
النبوي . ويدلف اليها المرء خلال فناء تتوسطه نافورة من رخام .. وقد فرشت الحجرة الرئيسية فيها بالسجاد الفاخر ، وتعلوها قبة اية في فن الزخرفة العربي. كما ان خزاناتها ـ التي تضم ٧٠٠٠ مجلد ، منها ٢٠٠٠ من المخطوطات القديمـة ـ تعتبر تحفا في فن النجارة العربي .

ولقد اصبحت هذه المكتبة تابعة لوزارة الاوقاف السعودية ، وابيح للراغبين في القراءة ـ دون الاستعارة ـ ان يترددوا عليها ..

مستشفى الملك

وكان خاتمة المطاف في «المدينة النبي» مستشفى الملك .. وهو اكبر مستشفيـات « المدينة » ويضم ٢٤٠ سريرا ، ويقوم على العلاج فيه سبعة اطباء اخصائيين (في الاسنان ، والجراحة ، والامـراض الباطنية، وطب الاطفال ، والانف والاذن والحنجرة والرمد ، والعلاج بالاشعة) وستة من الاطباء العموميين غير ذوي الاختصاص .

وقد يبدو ان ٢٤٠ سريرا عدد صغير لمستشفى



المدينة المنورة »

يعتبر المستشفى الرئيسى فى مدينة ما ، ولكنا نستطيع أن نتقبله اذا ادركنا أن عدد سكان «المدينة» لا يكاد يزيد على ٥١٠٠٠ ـ اى ما يعادل سكان بلدة صغيرة ـ وان هناك مستشفى آخر يعتبر مركز استقبال للمرضى ، ومستشفى ثالثا للولادة.

عند «بدر»

وانطلقت بنا السيارة ـ بعد الظهر ـ فى الطريق الى « جدة » ، على أمل أن نزور قرية « بدر » ، حيث المعركة التاريخيـة ، عندما نمر .. ولكن الظروف شاءت الا نصلها الا وقد جنحت الشمس الى الغروب ، مما اضطرنا الى أن نقرر المبيت فى القرية ..

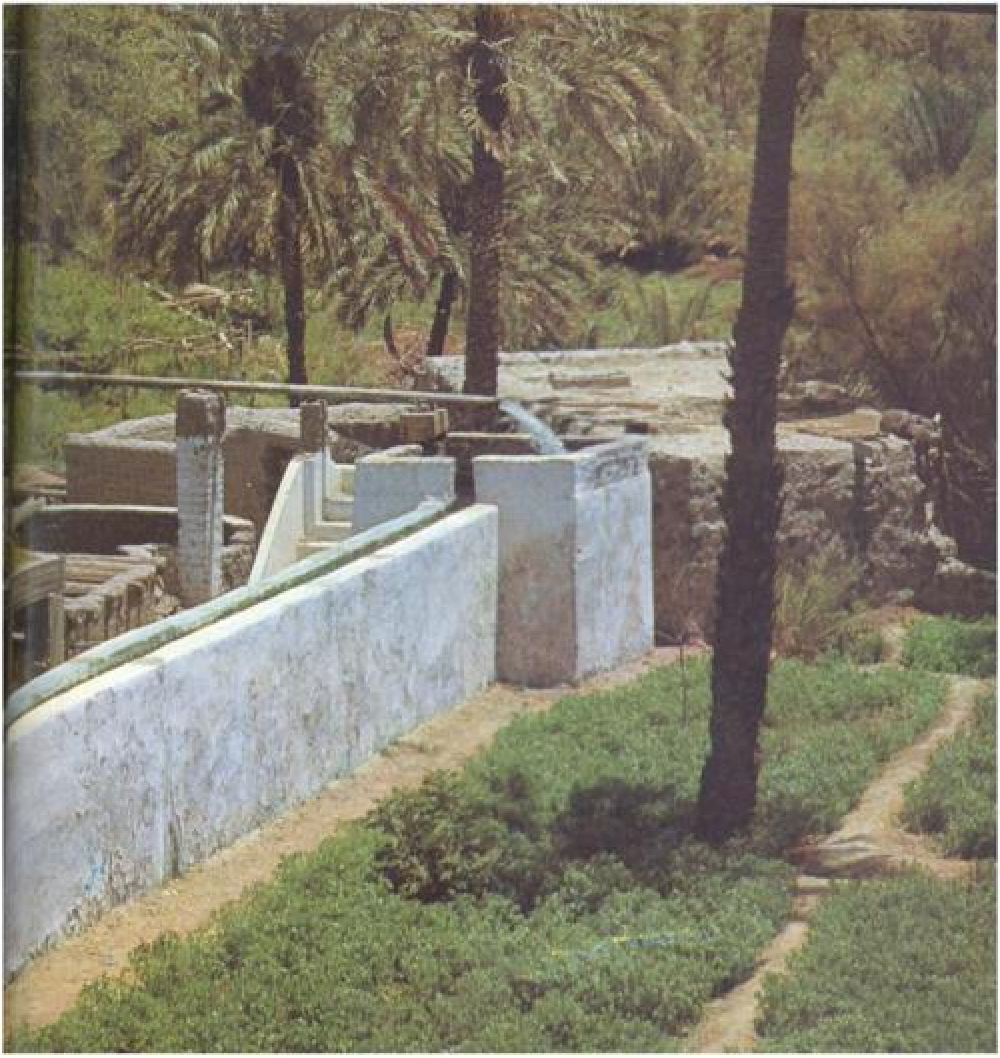
وحاولنا ان نعثر على فندق نقضى فيه ليلتنا .. ولكن البحث انتهى الى أن نتخـذ من الارائك الخشبية ، فى أحد المقاهى القائمة على الطريق ، اسرة نعمنا عليها بالنوم فى العراء .. وهى تجربة لا نسـتطيع أن نفخر بالتفرد بها ، فالمبيت على ارائك المقاهى امر مألوف لدى الحجاج .. لا سيما اثناء ذهابهم الى « المدينة » .

ولقد كانت غزوة «بدر» هى الغزوة الاولى التى التقى فيها الايمان بالشرك فى تاريخ الاسلام .. وكان انتصار المسلمين فيها هو الفتح الاول الذى استقر به الامر لهم ، وانتشرت من بعده دعوتهم .. ثم انها كانت مثالا للبلاء والاستبسال فى سبيل العقيدة ، اذ كان المحاربون المسلمون ٣٠٠ مقاتل، وقد خرجت اليهم قريش فى حشد يفوق ثلاثة امثالهم عددا وعدة . ولكن الله فلل قريشا فى نظرهم ، ليقضى ما وعد به رسـوله من نصر :

« إذ أنتم بالعُدْوَةِ الدنيا ، وهم بالعُدْوَةِ القُصْوى ، والرَّكْبُ أسفلَ منكُمْ ولوْ تواعدْتُم لاختلفتُم في الميعادِ ، ولكن ليقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً . ليَهلِكَ من هلَكَ عن بيِّنةٍ ، ويَحْيَى مَنْ حَيَّ عن بيِّنةٍ .. » « وإذ يُريكُمُوهم إذِ التقيتُم في أعينِكُم قليلاً . ويُقلِّلُكُم في أعيُنِهِم ليقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً ... » !

ولقد كانت « بدر » سوقا من أسواق العرب قبل الغزوة الكبرى ، وكان الماء بها وفـيرا ، والبساتين لا تقل عن بساتين الطائف كثرة وغنى . ثم قضى عليها بأن تلقى الاهمال والعزلة دهرا ، حتى اذا شقت الطريق الحالية بين جدة والمدينة اذا بها تمر بالقـرية مباشرة .. واذا تيسرت المواصلات للمكان،انفسحت امامه الفرص الانتعاش. وهذه الفرص قد انفسحت للقرية ، اذ اصبحت الطرق الحديثة تصلها بالمدينة على بعد ١٥٠ كيلو مترا ـ وبينبع على البحر الاحمر على بعد نحو ٢٥ كيلو مترا ـ وبجدة ، على بعد ٢٧٥ كيلو مترا .. فبدأت القرية تخرج من عزلتها .

كما أولتها الحكومة رعاية خاصة ، فانشأت بها مدرسـة ابتدائية تضم ٢٥٠ تلميذا . وهذه

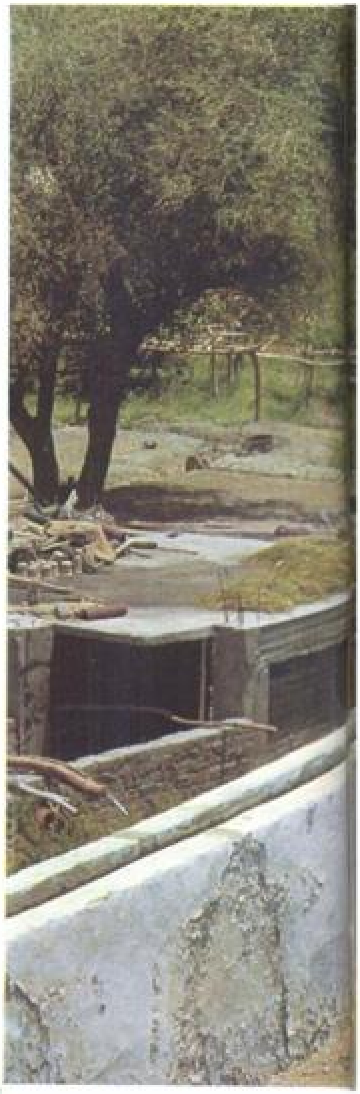


تعتبر هذه البقعة الحد الذي كان يفصل بين بساتين اليهود وبساتين الأنصار في « يثرب » القديمة .



يقيم معظم أصحاب البساتين مضخات على آبار لري بساتينهم .





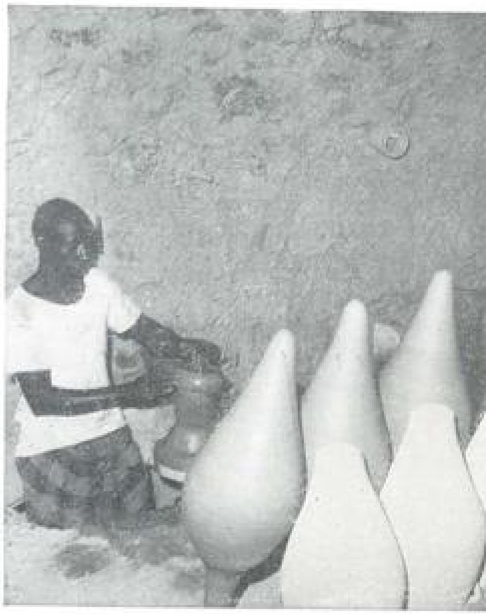




الى اليسار : ثلاث صور التقطت في مصنع التمور ، الذي يجري توسيعه بعد أن لقي نجاحا .. في الأولى يرى العمال يقومون بفرز التمور الواردة .. وفي الثانية يكبون التمور بمدعجتها ويقطعونها حسب الوزن لتعبئتها في علب من ورق ، كما يبدو في الصورة الثالثة .

المدرسة اقيمت ملحقة بمبنى مسجد المدينة ، على غرار النظام الاسلامي التقليدي . ولكن الحكومة اقامت لها اخيرا مبنى انيقا ستنتقل اليه ابتداء من العام الدراسي الجديد .. ويتضمن برنامج وزارة المعارف لمنطقة « بدر » ــ وهي تضم ٧ قرى ــ انشاء مدرسة ابتدائية في كل قرية ، ومدرسة متوسطة، ومعهد لمعلمي المرحلة الابتدائية في احدى القرى . ومن المرجح ان تختار قرية « بدر » لهذا الغرض . اما الذين يودون الدراسة بعد المرحلة المتوسطة فستوفدهم الوزارة الى « المدينة » ، وتمنحهم مكافآت تساعدهم على مطالب التغرب .

وعدد سكان القرية في الوقت الحاضر ٣٠٠٠ نسمة . وكان ضيق مواردها يجعل الاعتماد الرئيسي لاهلها في معاشهم على النخل ؛ لذلك كان معظم الرجال يرحلون للعمل في مكة والمدينة وجدة ، حتى يوفروا لعائلاتهم دخلا معقولا ، بينما كانت النساء تبقين للعناية مع الشيوخ بالنخيل



صناعة الاواني الفخارية من أقدم الصناعات اليدوية في « المدينـــة »

وبزراعة بعض المحصولات التي تعتمد على المطر ، لا سيما البطيخ والشمام اللذين تمد بهما «بدر» اسواق جدة والمدينة .

ولقد كان من الممكن ان يكون موقع غزوة «بدر» مزارا سياحيا يفيض على القرية دخلا طيبا ؛ لا سيما وان كثيرا من المسلمين غير العرب ــ كالهنود والافريقيين ــ يعتبرونه من المزارات التي لا يكتمل الحج الا بها . ولكن هذا الموقع ظل مهملا اجيالا عديدة ، حتى ان قبور الشهداء لا تكاد تبين فيه ، لولا ان احيط موقعها ببعض الاحجار لتميزه .. على ان اتصال الطرق ببدر بدا يحدث اثرا من هذه الناحية ، وقد اقيمت بها الان عدة مقاه لاستقبال الزائرين ، ومحطتان لوقود السيارات ..

كذلك اقيمت بها وحدة صحية ، كما انشىء مركز اجتماعي لتوجيه الاهالي وارشادهم وتدريبهم على ما يرفع مستوى معيشتهم ..

مسك الختام

وكانت « بدر » مسك الختام في جولتنا باقليم الحجاز ..

وفيما كانت السيارة تنطلق بنا عائدة الى جدة، اخذت تلح على اذهاننا عدة اسئلة :

ماذا كان يحتمل ان يكون مصير « المدينة » لو لم يهاجر اليها الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

وماذا كان يحتمل ان يكون عليه مجتمعها لو لم ينكث اليهود بعهودهم للتعايش السلمي مع المسلمين فيطردوا منها ؟

وماذا كان يحتمل ان يكون عليه وضعها السياسي والاقتصادي لو انها ظلت عاصمة للدولة الاسلامية .. بل ماذا كان يحتمل ان تكون عليه هذه الدولة، وهل كانت حدودها تمتد وتتسع كما امتدت واتسعت حين اتخذت دمشق عاصمة للدولة في عهد الامويين ، وبغداد في عهد العباسيين ؟

اسئلة من شانها ان تقود الى دراسات طريفة ونافعة ، ليس مجالها في استطلاع صحفي ! . ■■

بدر الدين خليل



عندما يصبح اجهاض المرأة الحامل واجبا

● ذلك اذا هي اصيبت، وهي حامل، بمرض الحصبة الالمانية German Measles ومكروبها هو الفيروس المعروف باسم روبله Rubella

هذا ما خرج به البحاث من دراسة مائة الف حالة للولادة جاز فيها ان تكون هذه الحصبة هي سبب ما اصاب الطفل الوليد فيها من تشويه .

ان الناس لاتزال تذكر كيف ان مقادير صغيرة من عقار ، مثل العقار الشهير ، الثالودوميد، كانت تتعاطاها الأم الحامل، فتفعل بجنينها الأفاعيل ، وخبر الحصبة الالمانية هذا، وقد تجدد ، اذاع في الامهات الحاملات مثل هذا الفزع .

وليس حتما أن يتشوه الوليد اذا اصابت امه الحامل هذه الحصبة ، فاحتمال التشويه ، والنجاة منه ، يبلغ نحو ٥٠٪ .

ويزيد الاحتمال وقوع الاصابة فى الشهر الأول من الحمل .

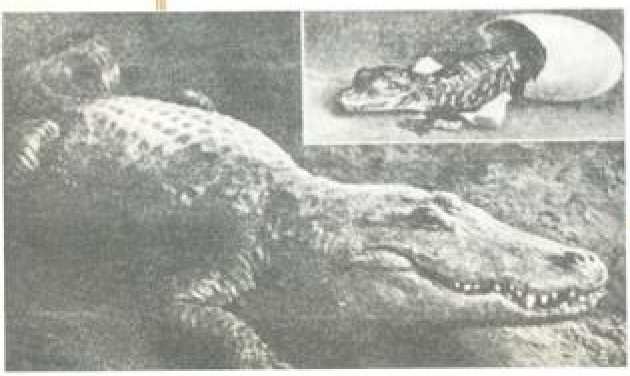
وعندئذ بالطبع يخطر ، على الفور ، خاطر الاجهاض ، دفعا للشر . وتقف الأم الحامل أمام هذا الخاطر وقفة حيرة شديدة ، يُعينها على تخطيها الطبيب ، لا الطبيب المختص ، بقدر طبيب الأسرة التى هى تؤمن به .

وعلى كل حال يجب التحقق اولا من ان الاصابة هى بالحصبة الالمانية حقا ، وان الذى دخل جسمها هو فيروس هذه الحصبة ، الفيروس « روبله » ، حقا وصدقا .

التمساح ، كيف يبقى تحت الماء طويلا ؟

● انه التمساح الامريكى . وقد قاموا ببحثه تحت الماء ، فوجدوا انه يستطيع ان يبقى تحت الماء ساعتين كاملتين قبل ان يشعر بحاجته الى اكسجين الهواء . وعدوا ضربات قلبه عند ذلك ، فوجدوا انه ينبض نبضتين او ثلاث نبضات فى الدقيقة .

ويرجى أن يستفاد من هذا البحث فى حالة الانسان ، اذ يفقد مورده من الأكسجين على غير انتظار ، سواء فى قاع البحر، أو عاليا فى مركبة هواء .



التمساح الامريكى . وفى ركن الصورة صغيره وهو يخرج من البيضة

دودة القطن ، هل لها ما يبيدها ؟

وليس الحديث عن دودة القطن وحدها ، بل الحديث عن كل الآفات التي تصيب النباتات ، والثمرات ، واخشاب الغابات ، وتكلف الانسان خسائر قد تعجز عن تقديرها الارقام .

واكثر الآفات من الحشرات .

والحشرات تباد اليوم بالكيماويات .

والابادة الكيماوية ليست قليلة النفقة ، ثم هي كثيرا ما تؤدي الى تعوّد الحشرات على مقاومة هذه الكيماويات ، واكتساب مناعة ضدها فلا تؤثر فيها .

لهذا اتجه الانسان الى الطبيعة،ينظر ما تفعل ، ثم هو يقتدي بها .

والطبيعة بها من انواع الحشرات ، ما لو تكاثرت لملأت الارض . ونذكر حشرة، تعرف بالذبابة الخضراء Greenfly ، اذا بدانا بأنثى واحدة واحدة منها ، وجعلناها تنسل ، بدون عائق ، مدة عام ، لبلغت انسالها ، وانسال انسالها نحوا من نصف مليون ذبابة . ولو فعلت كل الذبابات الاخرى التي من قبيلها هذا ، لغطت سطح الارض كله في عام .

فما الذي يعوقها ؟

حكمة الطبيعة في الحدّ من الانسال .

وهي تحدّ من الانسال بالامراض تنشرها في الحشرات ، وهي تنشرها فطريات Fungi ، وتنشرها بكتيرات Bacteria ، وتنشرها فيروسات Virus .

وتتدخل كل هذه في حياة الحشرة فتقضي عليها ، أو تقتل منها ما يهبط بمقدار اعدادها التي تتحملها صنوف الحيوانات الاخرى التي يجب أن يكون لها نصيب من الوجود على الأرض .

وقد تركز العلماء أخيرا على الفيروسات (وهي اصغر من البكتير) وسيلة لابادة الحشرات .

وهم يبحثون في الطبيعة عن هذه الفيروسات، ثم هم يربونها في المختبرات، ثم هم يطلقونها حيث تكون الحشرة المطلوب ابادتها .

واللطيف في هذه الفيروسات انها لا تقتل خبط عشواء ، ان لكل فيروس منها نوعا من الحشر خاصا به ، لا يصيب الا اياه .

واللطيف فيها كذلك ، انك تطلق الحشرة ، اعني الأعداد القليلة منها ، وعليها الفيروس ، وقد اصبتها به ، فتجري الحشرة بين سائر الحشرات من اخواتها ، فتعديها ، فينتشر بينها الفيروس انتشارا وبائيا .

وقد افادوا كثيرا من هذا الفيروس في وقاية الغابات واخشابها ، يرشونها بسوائل بها الفيروس تحمله ديدان الحشرات التي كان اصابها الفيروس فأماتها . ومن هذه الغابات غابات الصنوبر .

ومن مراكز البحوث الكبرى التي تذكر في هذا الصدد وحدة البحوث الفيروسية بكمبردج A. R. C. Virus Unit Research وبها نحو ٢٠٠ نوع من الفيروس جمعوها من أركان الدنيا .

وحديث الفيروس طويل .

قدمنا ما قدمنا منه ، لنعود الى دودة القطن فنقول: ان الدكتور كارلو اجنوفو Carlo Ignoffo ،وهو يعمل الآن في الولايات

مذاق الاشياء يختلف على البارد وعلى الساخن

انها بحوث شيقة قام بها عالم ، تتصل بمذاق اللسان عند الانسان .

وتضرب مثلا مما وجد :

اذا وضعت في فمك شيئا مذاقه مر، ووضعت معه في فمك ماء باردا ، لم يتغير الطعم .

وكذا اذا كان المذاق حلوا .

ولكن اذا وضعت بدل الماء البارد ماء ساخنا ، تغير الطعم .

ومثلا آخر :



دود فراشة ، اصابه الفيروس ، وهو ماض ياكل النبات ، ولكن لن تمضى عليه ساعات حتى يكون الفيروس قد حوله الى سائل مائع





دودة لفراشة ، أصابها الفيروس ، فحولها الى سائل مائع ، به ملايين من الفيروس ، ذلك الذى تراه مصورا وحده الى الجانب

المتحدة بقسم البحوث الحشرية ، فى مدينة براونزفل Brownsville بتكساس ، تقدم فى هذه البحوث الفيروسية تقدما كبيرا ، وابتدع لتربية الفيروس طريقة اقتبستها منه شركتان امريكيتان تقومان الآن بتصميم مصنع رائد لتكثير هذا الفيروس بكميات تكفى لرش مليون فدان من المزروعات فى العام .

وهاتان الشركتان تتركزان على تكثير نوعين من الفيروس خاصة ، احدهما الفيروس الذى يُعدى دودة القطن ، وهى تلك الدودة التى تسبب أكثر الخسائر لهذا المحصول الرئيسى الأمريكى (والمصرى والسورى وغيرهما) ، وهى التى تعيش هناك كذلك على الذرة ، وعلى نحو ٣٠ نوعا مختلفا من الخضراوات . وقد اصبحت اليوم ذات مناعة من المبيدات الكيماوية العادية .

فلعل الخير الكثير يأتي من وراء ذلك .

اذا وضعت فى فمك شيئا مذاقه حامض ، أو آخر مذاقه ملح ، ثم ماء باردا ، تغير الطعم .

اما اذا كان الماء ساخنا ، لم يتغير الطعم .

ومثلا ثالثا :

اذا وضعت فى فمك شيئا مذاقه حامض ، ووضعت معه شيئا مذاقه ملح ، لم تحس فى لسانك غير طعم واحد .

ولكنك اذا وضعت فى فمك شيئا مذاقه حلو ، فانك تحس بهما معا ، طعمين مختلفين .

(من بحوث فى الفلجة ، جامعة هرفرد الشهيرة) .



حافرة الطريق ، المزعجة الصوت ، يحركها الهواء المضغوط يأتيها من الانبوب الظاهر فى الصورة

يشقون الخراسانة ، ويقطعون الفـولاذ ، بسلاح مـن مـاء !

● انها مكنة حديثة ، يخرج منها الماء ، مقذوفا بقوة هائلة ، تجعله يقطع فى الخراسانة الى نحو ٦ بوصات ، وفى الفولاذ الى نحو نصف بوصة .

والماء يخرج من فوهة ، مسحوبة الداخل ، ينزلق منها الماء انزلاقا ، وهو على ضغط ٣٠٠٠٠ رطل فى كل بوصة مربعة ، يرفعه الى هذا الضغط الهائل ما فى المكنة من مضخات قوية .

والماء يخرج من فوهته حادا كالابرة تخترق ما يصادفها اختراقا .

وهذه المكنة يمكن ابدالها مكان الحفارة التى تحفر ارضية الشوارع ، عند اصلاحها بالهواء المضغوط ، فتحدث من الأصوات المزعجة ما يصم الآذان .

وبما انها حافرة من ماء ، تحفر فى الخراسانة ، وتقطع فى الفولاذ ، فهى لهذا

صناعة الاطفال فى أنابيب الاختبار

● هكذا هم يتحدثون غلوا فى القول ، وهكذا تكتب الصحف .

والحقائق العلمية لاتزال ابعد ما تكون عن هذا .

ان اشياء فى هذه الحالات أمكنت ، واشياء لم تمكن .

فمن التى امكنت نسوق هذا المثل :

بيضتان ملقحتان ، مأخوذتان من ارنبة من نوع فى الأرانب معروف ، هو الانجورا ، وضعتا فى رحم ارنبة من نوع من الارانب آخر معروف ، هو الأرنب البري البلجيكي .

وكانت هذه الأرنبة البرية البلجيكية قد لقحها ارنب ذكر من نوعها .

ومضى الزمن على عادته . وأتمت الأرنبة حملا . فلما وضعت ، وضعت ٦ ارانب ، اربعة منها بلجيكية ، وارنبان من الصنف الأنجورى جاءا لا شك من البيضتين اللتين وضعتا فى الرحم .

ونسوق مثلا آخر :

اجنة من اجنة الفئران ، اخذت من ارحامها بعد ان اتصلت فى الأرحام بمشيمائها ، ووضعت فى سوائل خارج الرحم ، فى المختبرات تغذيها . سوائل اشبه ماتكون بسوائل الرحم . فهذه



جنين فار . نما في محاليل في المختبر . وقد بلغ من نموه ان صار له راس ومخ وعينان وقلب . وعلى ظهره بدات تقاسيم سوف تنتهي بان تكون فقار ظهر .

اخذت تمضي في نموها ؛ فبعض مضى خطوة ، وبعض خطوتين ، وبعض مضى الى أن بلغ من النمو ان تكوّن له مخ وعينان وقلب ، وتهيا ظهره لِتَنْشأ فيه فقرات الظهر . ثم توقف امره . وترى صورة هذا الجنين في الصورة .

بقي الغرض من هذه الأبحاث .

وليس الغرض تحدى المولى ، كما يزعم الزاعمون . فالعلماء لم يخلقوا البيضة ، ولم يلقحوها ، وهيهات . وانما هم من بعد تلقيح ، يقلدون ما يجري في الأرحام ، باتخاذ مواد الأرحام ، أو اشباه لها . ثم هم بعد كل ذلك يخفقون . وهم لو نجحوا ، لكان النجاح لهذا المخ الانساني ، القليل ، الكثير . ومن خلقه ؟ انما هو الله . وهو الذى شاء أن ينجح الانسان اذا نجح ، وان يفشل ان فشل .

ليس في الأمر تحدٍ .

انما في الأمر ، انه ، في بلد مثل انجلترا مثلا ، يخرج من كل مليون طفل يولد ، ۳۰۰۰۰ اختل بعض خلقهم . واختل في تلك الأرحام . فالعلماء يريدون أن يعرفوا ما الذى يجري تفصيلا في هذه الأرحام حتى يمنعوا عن الانسان بعض زلل الطبيعة ، في ظلام الأرحام .

لا تحترّ ، ولا تحتر المادة المحفورة او المقطوعة ، وهذه ميزة كبيرة .

ومن أجل هذا قد استخدمت فعلا لفك قنابل كبيرة ، طال عليها الزمن وهي في خزاناتها ، وصار من الخطر فكها فكًا قد يسبب من الحرارة ما يجعل ما بها من مادة ناسفة تنفجر على الفور .

ولا بد أن لا نغفل عن معنى لا يفوت اديبا ان يفطن اليه : انه من الطف شيء ، والين شيء ، اعني الماء ، خلق العلم اقطع شيء ، واقسى شيء ، وهو يقسو على الصمت ، فلا يحدث دويا . ■■



« ليس فى ما ينشر فى هذا الباب ما يعبر عن رأى مجلة العربى نفيا أو ايجابا »

لماذا يتقدمون .. ولماذا نتأخر ؟!

عن جريدة الحياة اللبنانية :

● مما لاحظته فى رحلتى أن الدول الكبيرة فى الغرب تفتح أبوابها للعلماء وأهل الاختصاص ، فتغمرهم بكل عطف ، وتمنحهم كل ما يحتاجون اليه ، وتمهد لهم السبل لاتمام أبحاثهم العلمية . وقد تمنحهم جنسيتها ليكونوا أبدا منها ، وبكون فخر ما ينتجونه عائدا اليها .

لقيت فى لندن عالما عربيا كان استاذا فى جامعة عربية . ثم أوفد لاجراء أبحاث فى علم البصريات عند العرب ، فحدثنى انه قضى سنة هناك ، وكشف عن حقائق يفخر بها العرب ، والحضارة الانسانية . وكان عليه أن يبقى شهرين آخرين ليعلن نتائج كشفه . لكن حكومته طلبت اليه أن يعود . فعز عليه أن يعود ولم يعلن عما وصل اليه . فلما ابطأ ، اقالته الحكومة . فما كان من المعهد الذى كان يجرى أبحاثه فيه الا ان عرض عليه ان ينضم الى الباحثين الدائمين فيه ، وقدم اليه راتبا هو اضعاف ما كان يأخذه .

حادثة صغيرة : كيف تحرص الامم على التقاط الاختصاصيين ، وضمهم اليها .

وفهمت لماذا يتقدمون ، ونتأخر نحن .

فالعدد الكبير من الاختصاصيين فى بعض البلاد العربية ، قد نزحوا عنها او أخرجوا من أعمالهم فيها ، فهم يفيدون كل أمة الا أمتهم . وقد اسند الحاكمون أعمال العلماء الى الجهال باسم التقدمية والحزبية .

فليت حكامنا يقرأون بيت شوقى ويستمعون الى نصحه ، اذ يقول :

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهل واقلال

خطبة الجمعة

عن جريدة « الجزيرة » السعودية :

● لا شك أن خطبة الجمعة تبصير وتذكير للقلوب ، ومحاولة للهداية الى الصواب ودعوة صادقة الى الفضيلة والاخلاق الحسنة . وتبصير للناس فى أمور دينهم ودنياهم . لكن الشىء الذى يؤخذ على أئمة جوامعنا أنهم يلقون خطبة الجمعة من كتب صنفت فى محيط غير محيطنا . وقد لا تلائم هذا الوقت الذى تغيرت فيه مفاهيم الحياة وأشكالها ومشاكلها .

نحن اليوم نعيش فى عالم صاخب ملىء بالعقد والمشاكل وبين مجتمع دائما وأبدا فى معركة حامية مع أعدائه ..

ما أحرى علماءنا وأئمة جوامع مساجدنا فى

النصف بالمئة

عن جريدة « فلسطين » ــ الأردن :

● من شان رفع قيمة الضرائب وزيادتها ان يقابلها الناس عادة بعدم الاستحسان ..

ولكن هذا القياس ، لايجب ان يكون بالنسبة لقانون ضريبة « الجامعة الاردنية » المؤقت .

ان امعان الفكر فى هذا القانون ليبعث فى النفس ارتياحا لدى كل من ينظر الى مستقبل افضل للعلم فى هذا البلد .

فالجامعة الاردنية ناشئة ، لم يكتمل لها من النمو الا اقله ، رغم ان الخطوات التى سارت بها كانت على قصرها موفقة .

وهى فى حاجة ماسة الى دعم وتقوية وتثبيت اقدام فى ميدان الثقافة والعلم .

وبديهى ان هذه الأمور لن تستقيم اذا لم يتوفر لها المال اللازم الكفيل بان يهيىء لها اسباب النهوض .

وقد بتنا نعلم ان الدراسة الجامعية غدت لازمة فى عصر العلم ، وتسابق الأمم عليه .

وكلنا كذلك نعلم ان لنا مئات والاف الطلاب ينهلون العلم فى جامعات الدنيا .. وهم يكلفون الجيوب مبالغ لا قدرة للبعض عليها ..

وان تقوى الجامعة الأردنية .. وان تصبح جديرة وقديرة بان تضم الاف الطلاب من ابنائنا ، لهى أمنية يجب ان تراود كل ذى عقل سليم .

ومنطق العقل .. بل منطق العلم من اجل المستقبل يدعونا الى ان نشجع الجامعة الأردنية .. ويدعونا ان نشكر الحكومة اذ فرضت ضريبة النصف بالمئة على البضاعة المستوردة ..

وللحكومة على هذه الخطوة تحية .. والف الف تحية .. !

معنى الحرية

عن مجلة « الرسالة » القاهرية :

● « ليس معنى الحرية أن تطلق الفنان للادب المكشوف حتى يتغلغل فى حياتنا ويفسد عقول النشء فى مجتمعنا ويكون بمثابة سموم تنفث فى جسد الأمة .

ليس معنى الحرية ان تسمح بالكتاب الذى يحمل المعانى السافرة ويستغل الشهوات الرخيصة ويتجافى مع القيم الكريمة .

ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع ان تمنح امالها الكبرى أعظم القوى الدافعة كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الاحتمالات وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات .. فالثقافة التى لا تعبر عن هذه الطاقات الروحية الخلاقة او تتناسى هذه القيم الروحية ، ثقافة مبتورة غريبة عن حياتنا وآمالنا .. والثقافة التى تهدف الى تحريك الغرائز واثارة الاحاسيس الحيوانية ، لا يمكن ان تكون اساسا لتقدم او قاعدة لنهوض » .

مواكبة هذه الحياة والنظر الى هذا المجتمع وتلمس دائه العضال وعلاته وامراضه ومعالجتها معالجة شافية ؛ وتلمس امراض هذا المجتمع واستئصالها من جذورها والتى منها على سبيل المثال :

« غلاء المهور ، عدم تعليم نصف الامة ، النعرة القبلية ، والنعرة الاقليمية ، التفرقة بين بنى آدم ، البذخ والاسراف ، التقاعس عن العمل، واجب الفرد نحو المجتمع ، المبادىء والعقائد المستوردة وغيرها .. هذه المشاكل التى تكاد أن تقضى على أمتنا لم نسمع لها أى ذكر فى خطب الجمعة .

فليتهم يفعلون .. !

عصر المأمون

عصرٌ في النهضة

● أرسل الرسل يجمعون

بقلم : الدكتور جمال الدين سرور

استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة القاهرة

■ كان لاتساع رقعة الدولة العباسية ، ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها ، أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل ، حتى أصبح كثير من الناس طلابا للعلم وأنصارا للأدب ، كما طاف فريق كبير منهم البلاد سعيا الى موارد العلم.

وقد تميزت عدة مدن في العصر العباسي بقوة الحركات العلمية والأدبية ، نخص بالذكر منها بغداد حاضرة الخلافة التي أصبحت منذ أواخر القرن الثاني الهجري مركزا هاما من مراكز الثقافة الاسلامية .

ومن العوامل التي ساعدت على ذلك اهتمام الخلفاء وكبار رجال الدولة الاسلامية بنقل الكتب من الفارسية واليونانية الى العربية، فقد اتجهت ميول الخلفاء العباسيين بعد أن اختلط العرب بالفرس والروم الى معرفة علوم الفرس واليونان، فوجه أبو جعفر المنصور اهتمامه الى ترجمة الكتب. ومن أشهر المترجمين في عهده ابن المقفع الذي نشأ بالبصرة وقضى نحو عشر سنوات من حياته في العصر العباسي ، أما بقية حياته فقضاها في العصر الأموي .

وكان لوقوع بعض مدن الدولة الرومانية الشرقية في حوزة الرشيد أثر كبير في نشاط حركة الترجمة في عهده ، فأمر بترجمة ما وصل اليه من كتب اليونان ، كما شجع البرامكة في أيامه المترجمين باجزالهم العطايا عليهم .

استمرار نقل العلوم في عهد المأمون

كذلك تجلى في عهد الخليفة المأمون بن الرشيد ازدهار حركة النقل والترجمة من اللغات الأجنبية وخاصة من اليونانية والفارسية الى العربية ، فأرسل البعوث الى القسطنطينية لاحضار المصنفات الفريدة في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب .

المأمون يطلب من امبراطور الروم كتبا

وقد روى ابن النديم في كتابه « الفهرست » أن المأمون كان بينه وبين امبراطور الروم مراسلات، فكتب اليه يسأله الاذن في انفاذ ما يختار من كتب العلوم القديمة التي يتوافر وجودها في بلاد الروم ، فأجابه الى ذلك بعد امتناع . فعهد المأمون الى الحجاج بن يوسف بن مطر ، وابن البطريق ، وغيرهما ، باحضار بعض الكتب من القسطنطينية. وبعد أن عادوا اليه مزودين بالكتب التي وقع اختيارهم عليها ، أمرهم بنقلها الى اللغة العربية .

المأمون يطلب كتبا من صاحب قبرص

ولما هادن الخليفة المأمون صاحب جزيرة قبرص، بعث اليه يطلب بعض كتب اليونان ، فجمع ذوي الرأي عنده واستشارهم في ارسال هذه الكتب الى الخليفة، فأشار عليه أغلبهم بألا يرسل

الفِكرِيَّةِ العَرَبِيَّةِ ، مِنْ أَزْهَى العُصُور

لهُ كُتُبُ الإِغْرِيق

كانَ فقيهًا مع الفقهاء.. وفيلسوفًا مع الفلاسِفَة

اليه أى كتاب ، وقال له احد رجال الدين : الرأى أن تعجل بانفاذ الكتب الى الخليفة فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا افسدتها واوقعت بين علمائها ، فأجاب صاحب جزيرة قبرس المامون الى طلبه .

حنين بن اسحق من أشهر المترجمين

ومن اشهر المترجمين فى عهد المامون حنين بن اسحق الذى ولد سنة ١٩٤ هـ من أب عربى من قبيلة عباد التى تسكن الحيرة . وكان يدين بالنصرانية على المذهب النسطورى . وقد رحل فى بداية حياته الى بلاد الروم حيث تعلم اليونانية، ثم عاد الى البصرة ولازم الخليل بن احمد ، فاخذ عنه العربية ، وكان حنين بن اسحق يجيد أربع لغات هى الفارسية واليونانية والعربية والسريانية . واهم ما امتاز به حنين الترجمة من اليونانية الى العربية والسريانية .

اتصل حنين فى بداية أمره بالخليفة المامون ، فاسند اليه الاشراف على بيت الحكمة الذى قيل ان الرشيد هو الذى وضع اساسه، وعمل المامون من بعده على امداده بمختلف الكتب والمصنفات التى تحوى كل العلوم التى اشتغل بها العرب . ويعد هذا البيت أهم مجمع اسس لنشر الثقافة بين جمهور المسلمين . وكانت الترجمة من بين اعماله الرئيسية .

اهتمام الاثرياء فى عهد المامون بنقل الكتب

لم تكن العناية بالترجمة مقصورة على الخلفاء العباسيين ، بل اهتم جماعة من الاثرياء فى عهد المامون بنقل كثير من الكتب الى العربية ، ومن هؤلاء بنو شاكر المنجم الذين عهدوا الى حنين بن اسحق بالذهاب الى بلاد الروم ، فاحضر اليهم كثيرا من طرائف الكتب والمصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب .

وقد ترجم فى عهد المامون كثير من الكتب اليونانية،نذكر منها:الحكم الذهبية لفيثاغورس ، وبعض مصنفات لابقراط وجالينوس ، وكتاب السياسة المدنية لافلاطون ، وكتاب المقولات والطبيعيات لارسطو .

وكان المامون يحض الناس على قراءة الكتب التى ترجمت فى أيامه ويرغبهم فى تعلمها ، ومن ثم تقدمت الحركة العلمية فى عهده ، وتنافس أولو النباهة من العلماء والفقهاء والمحدثين والادباء والشعراء فى تحسين انتاجهم فاجزل لهم العطاء.

الدراسة عند المسلمين : دينية ودنيوية

كان هناك نوعان من الدراسة اشتغل بهما المسلمون :

أولاهما : دراسة دينية حول القرآن والحديث.
وثانيهما : دراسة دنيوية حول الطب والفلسفة والكيمياء والمنطق والرياضيات والتاريخ والجغرافيا.

وقد عبر ابن خلدون فى مقدمته عن هذين النوعين تعبيرا صادقا ، فقال : ان العلوم صنفان ،صنف طبعى للانسان يهتدى اليه بفكره ، وصنف نقلى يأخذه عمن وضعه . والأول يشمل العلوم الحكمية الفلسفية ، وهى التى يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ، ويهتدى بمداركها البشرية الى

موضوعاتها ومسائلها . والثاني يشمل العلوم النقلية وهي مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي .

وزاد ابن خلدون على ذلك فقال : ان العلوم العقلية او الطبيعية مشتركة بين الامم لان الانسان يهتدى اليها بطبيعة فكره ، وأما العلوم النقلية كلها فمختصة بالملة الاسلامية واهلها .

العصر الأموي اهتم بعلوم الدين أصلا

كانت العلوم الدينية من جمع للحديث وتفسير للقرآن الكريم واستنباط الاحكام الشرعية منهما موضع اهتمام كثير من المسلمين في العصر الأموي . اما الجدل الديني والبحث الفلسفي فلم يقم بهما الا القليلون في ذلك العصر .

فلما جاء العصر العباسي واصل المسلمون الاشتغال بالتفسير والحديث والفقه ، كما وجهوا اهتمامهم الى العلوم الدنيوية ، فترجمت عدة كتب في الكيمياء والرياضيات والطب والمنطق والفلسفة . واشتغل كثير من المسلمين بدراسة الكتب التي ترجمت الى العربية وعملوا على تفسيرها والتعليق عليها واصلاح اغلاطها .

نخص بالذكر من هؤلاء يعقوب بن اسحق الكندي الذي كانت له منزلة كبيرة عند المأمون والمعتصم. وكان عالما بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم . وهذا في تآليفه حذا حذو أرسطو وترجم كثيرا من كتب الفلسفة وشرح غوامضها .

المأمون فقيه مع الفقهاء ، فيلسوف مع الفلاسفة

وقد اهتم المأمون منذ استقرت خلافته ببغداد بعقد مجالس للمناظرة بين كبار العلماء والمتكلمين الذين تناولوا أصول الدين والعقائد وحكموا عقولهم في البحث . ولا غرو فقد عرف المأمون منذ نعومة اظفاره بالجد والحرص على طلب العلم والتفقه فيه . وهو رجل متنوع العمل ، عالم مع العلماء ، فيلسوف مع الفلاسفة . وكان يرمى من مجالس المناظرات التي يدعو اليها العلماء والفقهاء ، الى ازالة الخلف بين المتناظرين في المسائل الدينية وتثبيت عقائد من زاغوا عن الدين،

وبذلك تتفق كلمة الامة في المسائل الدينية التي كانت مصدر ضعفهم .

قال يحيى بن اكثم : امرني المأمون عند دخوله بغداد أن أجمع له وجوه الفقهاء والعلماء من أهل بغداد ، فاخترت له من اعلامهم اربعين رجلا ، فجلس لهم المأمون وسألهم عن مسائل وافاض في فنون الحديث والعلم . ولما انقضى هذا المجلس قال المأمون : يا أبا محمد كره هذا المجلس الذى جعلناه للنظر طوائف .. واني لأرجو ان يكون مجلسنا هذا ــ بتوفيق الله وتأييده على اتمامه ــ سببا لاتباع هذه الطوائف ما هو أرضى واصلح للدين،اما شاك فيتبين ويتثبت ، فينقاد طوعا، واما معاند فيرد بالعدل كرها .

المأمون رحب الصدر في جدله

وكان للمأمون من الذوق العلمي والفلسفي ورحابة الصدر في الجدل والمناظرة والاصغاء الى مختلف الآراء ما حفز العلماء على التعمق في البحث ليظهروا في مجالس المناظرات بمظهر يدل على كفايتهم العلمية وسعة اطلاعهم . وكان ما يدور في مجالس المأمون من الجدل والمناظرة يتناقل على ألسنة الناس ، فيتجادلون فيه هم كذلك .

المأمون يميل الى الاعتزال ، ويقرب المعتزلة

عرف المأمون بميله الى الحرية في التفكير مع التقيد بأصول الدين ، ومن ثم أصبح الاعتزال اقرب المذاهب الى نفسه لانه أكثر حرية وأكثر اعتمادا على العقل ، فقرب المعتزلة منه وصاروا ذوى نفوذ في قصره .

وكان الاعتزال قد نشأ في البصرة في اواخر عهد الدولة الأموية ، ثم انتشر منها الى سائر بلاد العراق ، لكن أصوله لم تنتظم الا في صدر العصر العباسي ، حيث أخذ الخلفاء يناصرون الحركة العلمية، وينهضون بالأساس الذى وضعه العلماء في الدولة الأموية . كما أن دعوة المعتزلة لم تظهر ظهورا بينا الا في هذا العصر ، فبعثوا الدعاة الى الأمصار لنشر مبادئهم ، واعتنق مذهبهم كثير من الناس على اختلاف طبقاتهم ، وعلا شأنهم علوا كبيرا في عهد المأمون والمعتصم والواثق .

اطلاق وقهر

وقد تناول مسألة ذيوع مذهب الاعتزال بين الناس فريقان ، فريق رأى أن الناس احرار فى اعتقاد ما يرون ، وأن الدولة لا شأن لها بذلك ، وعلى رأس هذا الفريق يحيى بن أكثم قاضى القضاة الذى قال للمأمون : « والرأى أن تدع الناس على ما هم عليه ولا تظهر لهم أنك تميل الى فرقة من الفرق فان ذلك أصلح فى السياسة».

وهناك فريق آخر رأى حمل الناس على اعتناق ما ثبتت عندهم صحته، وادى بهم هذا الرأى الى أن تتخذ الدولة الاعتزال مذهبا لها ، كما أن الاسلام دينها الرسمى . وعلى رأس هذا الفريق احمد بن أبى دؤاد الذى ولى منصب قاضى القضاة بعد عزل يحيى بن أكثم سنة ٢١٧ هـ . وكان ذلك مما ساعد على رجحان رأيه وضعف حجة الفريق الأول .

وكان المأمون مع ما يمتاز به من قوة الشخصية، يتأثر برأى من حوله ، وهو الى جانب ذلك يميل الى ارغام الناس على الأخذ بما يعتقد انه الحق فى مسائل الدين ، وشجعه على ذلك المعتزلة الذين تغالوا فى القول بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ورأى كثير منهم أن المؤمنين هم الذين يعتنقون أصول الاعتزال .

المأمون ومسألة خلق القرآن

فلما انحصر الجدل فى عهده فى مسألة خلق القرآن ، القائمة على أقوى عقائد المعتزلة وهى التوحيد وعدم تعدد صفات الله ، مال المأمون الى تأييد المعتزلة فى القول بخلق القرآن . وصار يتكلم فى هذه المسألة فى مجالسه الخاصة الى سنة ٢١٢ هـ حيث أخذ يعلن رأيه للناس دون أن يضطرهم الى القول به .

ثم غير خطته بعد ست سنوات ، فعمد فى سنة ٢١٨ هـ الى تسخير قوة الدولة لحمل الناس على القول بخلق القرآن . وارسل كتابا الى والى بغداد اسحق بن ابراهيم ، بدأه بالسبب الذى اضطره الى حمل الناس على ذلك وهو أن خليفة المسلمين يرى من واجبه حفظ الدين واقامته والعمل بالحق فى الرعية . وطلب المأمون من والى بغداد امتحان القضاة والمحدثين فى مسألة القرآن ، كما امره أن يأخذ على القضاة عهدا بالا يقبلوا شهادة من لايقول بخلق القرآن لاعتقاده ان القاضى أو الشاهد لا يوثق بقضائه ولابشهادته اذا كانت عقيدته غير صحيحة .

المأمون يوصى أخاه المعتصم

وبلغ من حرص المأمون على التمسك بالقول بخلق القرآن انه أوصى أخاه المعتصم فى كتاب العهد الذى صار به خليفة بتأييد رأيه فى هذه المسألة ، بقوله « وخذ بسيرة أخيك فى القرآن». وليس من شك فى أن المأمون كان عالما ، ولذلك فان كتبه فى خلق القرآن كانت تصدر عن علمه . اما اخوه المعتصم ، فلم يكن لديه من قوة العلم وغزارته ما يجعله يدلى فى هذه المسألة برأى خاص فكان ـ كما قال الصولى فى كتاب الاوراق : «يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة » ، وأهملت مجالس المناظرة فى عهده .

وصفوة القول ان عصر المأمون كان عصرا مجيدا فى تاريخ الاسلام ، فقد دونت فيه ونظمت كثير من العلوم سواء فى ذلك العلوم النقلية كالحديث والفقه واللغة والأدب ، أو العلوم العقلية كالرياضة والمنطق والفلسفة والطب. وكان العلماء يتسابقون فى تدوين هذه العلوم ، كما اخذت بعض الشخصيات تتنافس فى الابتكار فى سائر فروع العلوم التى اشتغل بها المسلمون . وفضلا عن ذلك فانه تجلت فى هذا العصر حرية الرأى العلمية الى حد كبير .

افول نجم المعتزلة فى عهد المتوكل

حتى اذا ما ولى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢ هـ اضطهد المعتزلة وقضى على سلطانهم ، واظهر الميل الى السنة والمحدثين وأعلى من شأنهم ، ومن ثم اخذ نجم المعتزلة فى الأفول ، وصار ينظر الى المحدث والفقيه نظرة تقدير اكثر مما ينظر الى الفيلسوف والمفكر الناقد ، ذلك أن المعتزلة كانوا يدعون الى التفلسف وتحرير العقل من كثير من القيود بعد الايمان بالله ورسوله والايمان بالقرآن، وحصر الحديث فى دائرة ضيقة . اما المحدثون فيبحثون وراء الفاظ الحديث ومعانيه وأسانيده ويكرهون الفلسفة والبحث العقلى . ■■

محمد جمال الدين سرور

هيدجر

زعيم الوجودية الألمانية يطبق فلسفته فى الفن

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم
استاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة

■ ليس بين المفكرين المعاصرين فيلسوف اتهم بالصعوبة والتعقيد ، ووصمت فلسفته بالجفاف والاغراب ، قدر ما اتهم مارتن هيدجر Martin Heidegger (المولود سنة ١٨٨٩) زعيم الوجودية الالمانية ولئن كان هيدجر قد اعلن مرارا سخطه على الوجودية الفرنسية المعروفة ـ خصوصا على نحو ما عبر عنها جان بول سارتر Sartre ـ الا اننا لا نعدم لدى كل من الفيلسوفين الكبيرين اتجاها واحدا نحو فهم الكينونة العامة من خلال الوجود الانسانى فليس ثمة اختلاف كبير ـ من حيث المنهج ـ بين كل من هيدجر وسارتر ، ما دام كل منهما انما يريد من وراء دراسته للحقيقة البشرية الوصول الى الحكم على الوجود بما هو موجود ، أعنى فهم الكينونة العامة فهما وجوديا صحيحا .

منهج الظواهر

هذا الى ان كلا من هيدجر وسارتر قد عمد الى استخدام « منهج الظواهر » Phenomenological Method فى دراسته للحقيقة البشرية ، فكان بذلك تلميذا مخلصا للفيلسوف الالمانى الكبير ادموند هوسرل Edmund Husserl (المتوفى سنة ١٩٢٨) الذى كان ينادى بضرورة دراسة وقائع الفكر والمعرفة دراسة وصفية خالصة ، بوصفها ظواهر معاشة نعانيها فى باطن شعورنا .

وسنرى فيما يلى كيف حاول هيدجر تطبيق هذا

المنهج على « الظاهرة الفنية » ، فلم يتجه نحو دراسة شخصية الفنان ، أو عملية الابداع الفنى ، بل هو قد مضى مباشرة الى « العمل الفنى » محاولا وصفه باعتباره « ظاهرة معاشة » .

المصطلحات الفنية عقدت أفكار هيدجر

وقبل أن نخوض فى عرض فلسفة هيدجر فى الفن ، نرى لزاما علينا أن نشير الى ما فى هذه الفلسفة من اصطلاحات فنية دقيقة قد تعسر ترجمتها أحيانا الى أية لغة أجنبية . وهذا هو العائق الكبير الذى اصطدم به معظم مترجمى هيدجر ، حتى لقد اضطروا فى كثير من الأحيان الى ابتداع ألفاظ هجينة غير مألوفة كانت هى المسئولة الى حد كبير عن تعقيد فكر هيدجر ... ولكننا لا نرى مانعا من عرض آراء هيدجر فى الفن، دون التقيد بالمصطلحات الخاصة التى اصطنعها فى التعبير عن تلك الآراء ، فان المهم هو الاخلاص لروح هذه الفلسفة ، لا التمسك ببعض المفاهيم الفلسفية الضيقة .

هيدجر درس الفن فى كتابه « المتاهات »

وقد عنى هيدجر بدراسة الفن فى مواضع متفرقة من انتاجه الفلسفى ، ولكنه وقف على دراسة « الظاهرة الفنية » مبحثا خاصا فى كتابه المسمى « متاهات » : Holzwege ، فقدم لنا فى هذا الكتاب صفحات رائعة أطلق عليها اسم « الأصل فى العمل الفنى » ، وعرض فيها لدراسة مقومات « الموضوع الجمالى » . وسيكون رائدنا فى هذا المقال أن نستعرض الخطوط الرئيسية لهذه الدراسة ، مهتمين على وجه الخصوص بتحديد معالم فلسفة هيدجر فى الفن ، دون التوقف عند التفاصيل الجزئية أو المشكلات الخاصة ، مما قد لا يهم سوى الباحث المتخصص ...

وضع المشكلة : أيهما أسبق : الفن أم العمل الفنى ؟

ويبدأ هيدجر دراسته بالبحث عن الأصل فى « العمل الفنى » ، فيقول ان الرأى الذى قد يتبادر الى أذهاننا لأول وهلة هو أن « الفنان » نفسه هو الأصل فى « العمل الفنى » . والحق أن الناس مجمعون على القول بأن نشاط الفنان هو الأصل فى ظهور شتى الآثار الفنية التى تضمها المتاحف والمعارض والمكتبات . ولكننا مع ذلك لا نحكم على الفنان الا بالرجوع الى أعماله الفنية ، لأننا موقنون بأنه « هيهات لنا أن نحكم على الصانع ، ما لم ننظر الى صنيعة يده » . فالعمل الفنى هو وحده الذى يجعل من الفنان استاذا فى حرفته ، بحيث قد يحق لنا أن نجعل من « العمل الفنى » معيارا للحكم على « الفنان » . ومن هنا فان هيدجر يقرر أنه ليس يكفى أن نقول ان الأصل فى العمل الفنى هو الفنان ، بل لا بد أيضا من أن نضيف الى ذلك أن الأصل فى الفنان انما هو العمل الفنى ! ولكننا ما نكاد نتحدث عن هذا التبادل القائم بين « الفنان » و « العمل الفنى »، حتى نجد أنفسنا بازاء حد ثالث قد يكون هو الأصل الذى صدر عنه الحدان السابقان ،ألا وهو « الفن » نفسه ! فهل نقول بأن « الفن » هو الأصل فى « الفنان » و « العمل الفنى » على السواء ؟ ... هذا ما يرد عليه هيدجر بقوله : ان « الفن » لفظ لا يخرج عن كونه مفهوما مجردا نشير به الى مجموعة من الوقائع المشخصة ، ألا وهى الأعمال الفنية والفنانون ... ولولا تلك الوقائع المشخصة التى نلتقى بها فى عالم الواقع حينما نشهد أعمالا فنية ، ونلتقى بأفراد من الفنانين ، لما كان فى وسعنا أن نتحدث عن «الفن» أصلا ...

دوران فى حلقة مُفْرَغة

بيد أنه اذا صح أننا لا يمكن أن نفهم « الفن »، اللهم الا ابتداء من « العمل الفنى » ، فان من الصحيح أيضا أنه هيهات لنا أن نفهم « العمل الفنى » اللهم الا اذا فهمنا أولا ماهية « الفن » . والا ، فكيف لنا أن نحكم بأننا بازاء « أعمال فنية » بمعنى الكلمة ، ان لم نكن نعرف من قبل ماذا عسى أن يكون « الفن » ، أو ما هى - على وجه التحديد - ماهية «الحقيقة الفنية» ؟ ولكن، أليس فى هذا « دَوْر » ، بالمعنى الذى فهمه الشاعر العربى حينما قال :

مسألةُ الدَّوْرِ غدت
بينى وبين من أُحِبّ

لولا مشيبى ما جفت
لولا جفاها لم أشب !

فكيف نقول اذن بأن «العمل الفنى» هو الأصل فى فهمنا للفن ، لكى نعود فنقول ان « الفن » هو الأصل فى فهمنا للعمل الفنى ؟ ... ان العقل السليم ليملى علينا هنا أن نعمل على تجنب مثل هذا « الدور » ، بأن نقول مثلا ان ماهية الفن انما تنكشف لنا عن طريق عملية التأمل المقارن التى نوازن فيها بين الأعمال الفنية المختلفة ، لكى ننتزع منها بعض السمات المشتركة أو الخصائص العامة . ولكن ، كيف نعرف مقدما ان تلك « الأشياء » التى نتأملها ونوازن بينها هى بالفعل « أعمال فنية » بحق ، اذا كنا لا نعرف سلفا ما هو « الفن » ؟ ... وأما اذا قيل ان فى وسعنا عن طريق بعض المفاهيم العقلية العليا أن نحدد ماهية الفن ، كان رد هيدجر على هذا الزعم انه من المستحيل استخلاص ماهية الفن بالاستناد الى بعض المبادىء الأولية السابقة . واذن فلا مفر لنا من قبول هذا « الدور » ، ما دام من العبث أن نحاول فهم « العمل الفنى » ابتداء من بعض المفاهيم السابقة ، وما دام من الضرورى لنا فى الوقت نفسه أن نكشف عن ماهية « الفن » فى صميم « العمل الفنى » نفسه . ولهذا فان هيدجر يدعونا الى الكشف عن ماهية « الفن » ، بالرجوع الى « العمل الفنى » القائم بالفعل فى عالم الواقع ، وكأن كل مهمة عالم الجمال انما هى توجيه الأسئلة الى « العمل الفنى » من أجل الوقوف على حقيقة « وجوده » أو طبيعة « كينونته » الخاصة .

الأعمال الفنية هي — فى جانب منها — مجرد « أشياء »

اننا جميعا — فيما يقول هيدجر — لنعرف الكثير من الأعمال الفنية ، فنحن نشاهد نماذج عديدة منها فى الميادين العامة ، والكنائس ، والمنازل .. الخ . هذا الى أن الآثار الفنية المختلفة التى خلفتها لنا العصور السالفة ، أو التى أبدعتها أيدى الشعوب العديدة ، مودعة فى المتاحف التى نزورها فليس من العسير علينا أن نلتقى بها أو أن نمعن النظر فيها . وحسبنا أن نتأمل هذه الأعمال الفنية فى صميم وجودها الخارجى ، دون التأثر بأية فكرة سابقة لكى نتحقق من أن هذه الأعمال معروضة بشكل قد لا يختلف كثيرا عما تعرض به باقى الأشياء . فاللوحة — مثلا — معلقة على جدار البيت ، كما تعلق القبعة أو بندقية الصيد ! وليس ما يمنعنا من أن ننقل اللوحة من مكان الى آخر ، كما حدث مثلا بالنسبة الى لوحات الكثير من المصورين ، ممن طافت آثارهم الفنية بمعظم بلاد العالم . وفى هذه الحالة انما تشحن الآثار الفنية فى قطارات أو طائرات كما تشحن جذوع الشجر أو أكياس الفحم ! واذن فقد لا نجانب الصواب اذا قلنا ان الأعمال الفنية هى — فى جانب منها — مجرد « أشياء » .

وهنا قد يقال ان فى مثل هذه النظرة الى « العمل الفنى » حكما خارجيا مبتذلا على انتاج الفنان ، وكأننا ننظر الى « العمل الفنى » نظرة خادم المتحف الذى يقوم بتنظيفه ، أو نظرة التاجر الذى يقوم بشحن الآثار أو نقلها من مكان الى آخر . وانما تكون نظرتنا الى « العمل الفنى » نظرة صائبة حينما نحكم عليه من وجهة نظر « المتذوق » الذى يعيش « الخبرة الجمالية » ويعانيها فى قرارة نفسه . ولكننا لو نظرنا الى « العمل الفنى » من وجهة نظر المتذوق الذى يعانى « خبرة جمالية » ، فاننا مع ذلك لن نستطيع أن نغفل جانب « الشيئية » فى العمل الفنى . وآية ذلك ان فى النصب التذكارى حجارة ، كما أن فى اللوحة أصباغا لونية ، أو كما ان فى السمفونية ذبذبات صوتية ... الخ . وربما كان فى استطاعتنا ان نقول — بمعنى ما من المعانى — ان النصب التذكارى ماثل فى الحجارة ، كما ان اللوحة ماثلة فى الألوان ، أو كما أن السمفونية كامنة فى الذبذبات الصوتية ، وهلم جرا .

بيد ان البعض قد يعترض علينا بقوله : انه لا موضع للحديث عن « شيئية » العمل الفنى : فان العمل الفنى ليس « شيئا » كباقى الأشياء التى نلتقى بها فى تجربتنا العادية ، بل هو « شىء »من نوع خاص أو هو شىء مكتمل ينطق بلغة نوعية خاصة تعزله عن كل ما عداه من « أشياء » . ولا ريب ، فان « العمل الفنى » يحدثنا بلغة (قابلة للفهم) عن شىء آخر غير ما يفصح عنه ظاهره ، وكأنما هو « تشبيه » أو « رمز » أو « تمثيل » . فالعمل الفنى — بهذا المعنى — موضوع خاص ينقل الينا بطبيعته شيئا آخر غير « الواقعة المصنوعة » أو « الشىء المتحقق » وهيدجر يلاحظ ان مفهوم « الرمز » أو « التشبيه » أو « التمثيل » انما

هو الاطار التقليدى الذى طالما انحصر فى نطاقه تصورنا للعمل الفنى . ولكنه يلفت انظارنا الى ان الجانب الشيئى فى العمل الفنى انمـــا هو ذلك الجانب الخصب الذى يكشف لنا عما ينطوى عليه العمل من وحــدة فنية . فالشيئية هى بمثابة الدعامة المتينة التى تستند اليها مقومات « العمل الفنى » باعتباره موضوعا حسيا . وربما كانت كل حرفة انما تنحصر ــ على وجه التحديد ــ فى ايجاد « شيئية » العمـــل الفنى ، اعنى فى خلق ذلك « الموضوع الجمالى » الذى يستأثر بادراكنــــا الحسى من خلال حقيقة المادية المباشرة . ولهــذا فان هيدجر يتوقف طويلا عند دراسة « العمـــل الفنى » من حيث هو « شىء » ، حتى يكشف لنا عما فى « الموضوع الجمالى » من « شيئية » او « واقعية » .

ثلاثة مفاهيم مختلفة « للشىء » ..

وهنا يتساءل هيــدجر ماذا عسى ان يكون « الشىء » ؟ ويرد هيدجر على هــذا التساؤل فيقول ان اول مفهوم للشىء هو انه « الجوهر » الذى يتصف ببعض « الاعراض » أو « الصفات ». فالشىء هو « النواة » التى تتجمع حولها بعض الخصائص أو السمات ، أو هو « الموضوع » الذى يمكن أن تحمل عليه بعض الصفات أو المحمولات . وهذا هو السبب فى ان اللغة اليونانية (ومــن بعدها اللغة اللاتينية) قد فهمت « العبارة » على انها مركبة دائما من « موضوع » و « محمول » : فالموضـــوع هو « الجوهـــر » ، والمحمول هو « الصفات » أو « الاعراض » التى يمكن ان تنسب الى هذا الموضوع .

ونظرا لأن الفكر الغربى قد تصور بناء « الشىء» على غرار تركيب « القضية البسيطة » ، فقــد وقع فى ظنه ان كل ما فى الوجود انما هو « جواهر» تتصف ببعض « الكيفيات » او « الصفـــات » . وهكذا اصبح « الشىء » فى نظر الفكر الغربى مجرد « حامل » لبعض الكيفيات او الصفات ، وكــان ليس للشىء اية كينونة خاصة تعبر عما فيه مــن تلقائية وباطنية ، وكثافة .

ولكننا ما نكاد نزيح من امام وجوهنا هذا النقاب الفكرى المعتم الذى يفصلنا عن « الأشياء » ، لكى نراها وجها لوجه ، فى صميم حضورها المباشر ، حتى نجد انفسنا بازاء فهم جديد « للشىء »، الا وهو الفهم القائل بان « الشىء » هو « الموضوع القابل للادراك » . فالشىء هو ذلك « الموضوع » الذى يولد لدينا بعض الاحساسات ، أو هو على الأصح تلك « الوحدة » التى تأتلف من «مجموعة» أو « كثرة » من « المعطيات الحسية » .

ولكن ، على حين أن التفسير الاول للشىء قد جعل من « الأشياء » ظواهر بعيدة عنا كل البعد ، نجد أن هذا التفسير الثانى للشىء قد جعل مــن « الاشياء » ظواهر قريبة منا كل القرب ، وكأنما هى مجرد « أحاسيس » باطنة فى صميم شعورنا .

ومن هنا فقد ظهرت الحـاجة الى تفسير ثالث يتفادى،ما فى التفسيرين الأولين،من افراط وتفريط، وبالتالى فقد عرف البعض « الشىء » بانه « المادة المتشكلة » التى تحمل « صورة معينة » . وليس من شك فى أن ما يَخلع على « الشىء » صلابته، وكثافته ، وتماسكه، انما هو « مادبته » . فالشىء هو تلك « المادة المعينة » التى اكتسبت «صورة» او « مظهرا » خارجيا . وهذا الفهم الجديــــد « للشىء » باعتبـاره ثمــرة لامتزاج « المـادة » و « الصورة » انما هو الفهم الذى يتلاءم ــ فيما يبدو ــ مع طبيعة الموضوعات التى نلتقى بهـا فى تجربتنا العادية ، سواء أكانت موضوعات طبيعية ام موضوعات صناعية .

ولم يلبث علماء الجمال ان طبقوا هذا المفهوم على « العمل الفنى » أيضا ، فاصبحوا يتحدثون عن صورة « العمل الفنى » ومادته او مضمونه وشكله ، وكان « العمل الفنى » هو مجرد « مادة » قد اكتسبت « صورة » أو مجرد « شىء » قد اتحد فيه « شكل » و « مضمون » !

« العمل الفنى » بين « الشىء الطبيعى » و « الموضوع النفعى »

وهنا يقــدم لنا هيدجـــر مقارنة سريعة بين « الموضوع النفعى » و « العمل الفنى » ، لكى يبين لنا كيف أن مفهوم « الصورة والمادة » انمـا يصدق بصفة خاصة على « الموضوع النفعى » ، لا على « العمل الفنى » . فالصورة ــ مثلا ــ بالنسبة الى الاناء أو الكاس أو الفاس (او ما شاكل ذلك من موضوعات) انما هى التى تحدد تنظيم المادة التى ستستخدم فى صناعة « الموضوع النفعى » . ومعنى هذا ان الاستعمال المحدد الذى سيصنع من اجله هذا الموضوع أو ذاك انما هو الذى يفرض على الصانع منذ البداية الطريقة التى سيتم على

نحوها التحام الصورة بالمادة في هذا الموضوع فليست « المنفعة » مفهوما دخيلا على « الأشياء المصنوعة » ، كؤوسا كانت أم اواني أم احذية أم غير ذلك ، وانما « المنفعة » باطنة منذ البداية في صميم عملية « صناعة » أمثال هذه الأشياء. وهذا هو السبب في ان « الموضوع النفعي » لا بد من ان يتخذ صورة « نتاج صناعي » قد عم انتاجه لتحقيق غاية من الغايات . وبهذا المعنى يمكننا ان نقول ان المادة والصورة - من حيث هما عاملان محددان للموجود - انما تكمنان في باطن ماهية « الشيء المصنوع » . وما دام « الموضوع النفعي » قد جعل للاستعمال ، فان من الطبيعي ان تكون الغاية المرادة من استعماله هي الأصل في تنظيم مادته وتشكيلها على هذا النحو أو ذاك . وفي هذا يختلف « الموضوع الصناعي » عن « الموضوع الطبيعي » : فان للاول منهما « صبغة نفعية » هي التي تتحكم في علاقة صورته بمادته ، في حين أن للثاني منهما « صبغة عفوية » تعبر عن ارتباط صورته بمادته ارتباطا تلقائيا صرفا .

والواقع ان « الموضوع الصناعي » - في نظر هيدجر - انما يحتل مركزا وسطا بين « الشيء الطبيعي » من جهة ، و « العمل الفني » من جهة أخرى ، فهو يشبه من جهة « الشيء الطبيعي » : لأنه يبدو أمامنا كحقيقة شيئية لها مظهر خارجي، وهو يشبه من جهة اخرى « العمل الفني » : لانه نتاج صناعي قد حققته اليد البشرية . ولكن هناك فارقا كبيرا بين قطعة الجرانيت التي تحتل مكانها فيالطبيعة باعتبارها شيئا صلبا كثيفا مكتفيا بذاته ، وذلك الفاس الذي يستخدمه الفلاح في حرث الأرض ، بوصفه اداة خاصة تحقق غرضا معينا . ومعظم « الأشياء » التي تحيط بنا في حياتنا اليومية العادية انما هي « موضوعات صناعية » نستخدمها لتحقيق بعض الاغراض فنحن محاطون من كل صوب بالات وادوات هي ما أصبحنا نسميه باسم « الأشياء » ، وان كنا بازاء « اشياء صناعية » لا تتمتع باية تلقائية او اي اكتفاء ذاتي ، كما هو الحال بالنسبة الى «الأشياء الطبيعية » . وعلى حين ان « العمل الفني » يشبه « الموضوع الصناعي » من حيث انه وليد الانتاج البشري ، نجد ان للعمل الفني من « الحضرة » و « الاكتفاء الذاتي » ما يجعله اقرب الى « الشيء الطبيعي » منه الى « الموضوع الصناعي » . والظاهر ان الانسان اميل الى تصور جميع « الأشياء » على غرار « الموضوعات الصناعية » ، بدليل انه يطبق مفهوم « الصورة والمادة » على « الاعمال الفنية » و « الأشياء الطبيعية » على حد سواء . فليس بدعا أن نرى الكثير من علماء الجمال يتجاهلون ما في « العمل الفني » من « شيئية » طبيعية تلقائية ، لكي يجعلوا منه مجرد « موضوع صناعي » قد تم انتاجه لتحقيق بعض الاغراض . ولكن المهم ان « الموضوعات الصناعية» هي أقرب « الأشياء » الينا ، فضلا عن انها تحتل مركزا وسطا بين « الأشياء الطبيعية » و « الاعمال الفنية » . فلا بأس اذن من ان نحاول فهم طبيعة « العمل الفني » ابتداء من فهمنا لطبيعة«الموضوع النفعي » (أو الصناعي) .

... من « الموضوع النفعي » الى « العمل الفني » ...

وهنا يحاول هيدجر أن يكشف لنا عن طبيعة « النتاج الصناعي» أو « الموضوع النفعي » ،فنراه يضرب لنا مثلا لذلك بزوج الاحذية الذي تضعه في قدمها أية فلاحة تعمل في الحقل . وليس من شك في ان الفلاحة التي تؤدي عملها في الحقل قلما تفكر في الحذاء الذي تلبسه ، فضلا عن انها لا تكاد تنظر اليه أو تشعر به . وكل ما في الأمر انها تستعمل الحذاء في سيرها ووقوفها ، دون أن يخطر على بالها ان تتامله أو أن تلاحظه . ومعنى هذا ان كل « وجود » الحذاء انما ينحصر في « فائدته » أو « استعماله » . وما دام الحذاء صالحا للاستعمال ، فان « صلابته » تجعل منه « موضوعا نافعا » تستطيع الفلاحة ان تضعه في قدمها أثناء سيرها فوق الارض . ولهذا فاننا نقول ان « فائدة » النتاج الصناعي ليست سوى نتيجة « لصلابته » . وحينما يجيء « الاستعمال » فيستهلك « الموضوع النفعي » ، أو يقلل من « فائدته » ، أو ينتقص من « صلابته » ، فاننا نقول عن هذا الموضوعانه لم يعد «نافعا» وبالتالي فانه لم يعد سوى « مجرد شيء » . والسبب في ذلك ان كل « وجود » الموضوع النفعي انما يتمثل - كما قلنا - في « فائدته » ، بحيث ان « أصل » هذا الموضوع لينحصر في عملية « صناعته » ،أعني في العملية التي استطعنا بمقتضاها ان نفرض « صورة » معينة على « مادة » بعينها .

فاذا ما نظرنا الآن الى أي « عمل فني » (وليكن

مثلا لوحة المصور فان جوخ التى تمثل زوجا من الاحذية) ، الفينا ان هذا العمل لا يخرج عن كونه « نتاجا » أو « شيئا مصنوعا » . ولكن ، على حين ان « صناعة » الموضوع النفعى تختفى فيه ، ما دام كل وجوده انما ينحصر فى استعماله ، نجد ان « عملية ابداع » الموضوع الجمالى تظل ماثلة فيه ، وكأن كل « وجود » العمل الفنى انما ينحصر فى « حضوره » أو « وجوده الجمالى » . ونحن نعرف كيف انه كلما كان « الموضوع النفعى» سهل الاستعمال ، قلت ملاحظتنا له ، بدليل اننا نستخدم فى حياتنا العادية الكثير من الادوات ، دون ان نفكر فيها او ان نتوقف عندها . واما بالنسبة الى « العمل الفنى » فاننا نتوقف عند « وجوده » باعتباره « موضوعا جماليا» او «واقعة متحققة» ، وبالتالى فاننا نرى فيه « حضرة فنية » نتاملها لذاتها ، ونحكم عليها بغض النظر عن « فائدتها » أو « منفعتها » .

مثل من المثال والبناء

ولئن كان كل من المثال والبناء يستخدم فى انتاجه الصخر أو الحجارة ، الا ان الاول منهما لا يريد للحجارة ان تختفى فى طوايا عمله الفنى ، بل هو يريد لها ان تفصح عن كل ما تنطوى عليه من دلالات جمالية . وعلى العكس من ذلك ، نجد البناء يستخدم الحجارة ، وكأنما هو يستهلكها ، لأنه لا يريد لها سوى أن تصبح عنصرا صلبا يندمج فى بناء متين ، دون أن يكون له وجوده المستقل .

ومثل من المصور والشاعر

وكذلك الحال بالنسبة الى المصور ، فانه يستعين بمجموعة من الألوان ، ولكنه لا «يستهلك» هذه الاصباغ اللونية ، بل هو يريد أن يصل بها الى اعلى درجة من درجات نصوعها . ولا يختلف حال الشاعر عن حال غيره من الفنانين : فانه يستعين هو الآخر بالكلمات أو الالفاظ ، ولكنه لا يتكلم كأولئك الذين يتكلمون أو يكتبون فى الحياة العادية المبتذلة ، فان هؤلاء يستهلكون الالفاظ بالضرورة ، فى حين ان الشاعر يستخدم « اللفظ » لكى يخلق منه « قولا » ، اعنى انه لا يستعين بالكلمات كمجرد أدوات ، بل هو يبرز كل ما فى « الكلمة » من « عمق » و « كثافة » و « دلالة » . واذن فان « العمل الفنى » ليس مجرد « نتاج صناعى » نحكم عليه بالنظر الى مدى تلاؤم صورته مع مادته ، وانما هو — على حد تعبير هيدجر — « كائن متفتح يخلق تحت وقع وجوده باعتباره عملا مبدعا » .

العمل الفنى بين « الحق » و « الجمال » ...

ولنعد مرة اخرى الى لوحة فان جوخ VanGogh التى صور لنا فيها حذاء الفلاح ، لنرى ما الذى جعل من هذه اللوحة عملا فنيا يختلف عن اى نتاج صناعى آخر ... اننا هنا بازاء حذاء ضخم لا يحيط به شيء ، ولا يبدو خلفه اى طريق او اية قطعة من الأرض . ولكننا مع ذلك لو امعنا النظر الى الجزء الداخلى من هذا الحذاء ، لاستطعنا ان نلمح آثار الاعياء مرسومة عليه . ولو اننا نظرنا الى ثقل الحذاء وصلابته ، لامكننا ان ندرك انه حذاء فلاح يشق طريقه كل يوم عبر الحقول بخطى نشيطة أكيدة . واما نعل الحذاء فانه يحمل آثار التربة الدسمة الرطبة ، وكأنما هو يشير الى ذلك الطريق الموحش الذى يضرب فيه الفلاح مساء كل يوم عند عودته الى بيته .

ولا ريب ان المصور الذى رسم لنا هذا الحذاء لم يكن يريد من ورائه ان يضع بين ايدينا مجرد صورة لموضوع نفعى يستخدمه الفلاح فى عمله ، بل هو قد أراد أن يعبر من خلال هذه الصورة عن نداء الأرض الصامت ، وقلق الفلاح فى بحثه عن الطعام، وسروره بالبقاء والانتصار على الحاجة، وقشعريرته بازاء الموت الذى يتهدد كل حى ... الخ . وحسبنا ان نضع انفسنا وجها لوجه بازاء لوحة فان جوخ لكى نستمع الى حديث هذا الموضوع المعين الذى اعتدنا فى حياتنا العملية ان نستخدمه ، دون ان يخطر على بالنا يوما انه يستطيع ان يحدثنا عن شيء آخر غير فائدته او منفعته أو استعماله .

وهنا قد يقول معترض اننا نخلع على اللوحة صفات ليست فيها ، لاننا نسقط على العمل الفنى احاسيسنا الخاصة ومشاعرنا الذاتية . ولكن هيدجر يرد على هذا الاعتراض بقوله ان لوحة فان جوخ ليست « عملا فنيا » الا لأنها قد كشفت لنا على وجه التحديد عن « حقيقة » الحذاء الذى اعتدنا ان نستخدمه ، دون أن نقف على صميم « كينونته » . فليست لوحة فان جوخ سوى منفذ او « فتحة » (ان صح هذا التعبير) نطل

منها على « حقيقة » أمر ذلك الحذاء الذي يلبسه الفلاح ! وحينما يقول هيدجر ان العمل الفني هو بمثابة تفتح للوجود أو انكشاف للحقيقة ، فهو يعني بذلك أن ما يسجله الموضوع الجمالي انما هو أولا وبالذات اشعاع الحقيقة عبر الموجود الذي يصوره الفنان . ومن هنا فان هيدجر يتخلى عن قيمة « الجمال » التي اعتاد الفلاسفة نسبتها الى « العمل الفني » ، لكي ينسب اليه قيمة « الحقيقة » ، على نحو ما يدل عليها الأصل الاشتقاقي لهـذه الكلمة في اللغة اليونانية . و « الحقيقة » عند اليونان انما هي تفتح الموجود حين يتكشف من حيث هو كذلك .

العمل الفني بين « العالم » و « الأرض » !

ولكن ، هل يكون معنا هذا ان هيدجر يعود بنا من جديد الى النظرية الجمالية القديمـة التي كانت ترى في الفن مجرد محاكاة للواقع ، أو مجرد نقل عن الطبيعة ؟.. هذا ما يرد عليه هيدجر بالنفي القاطع ، فان « العمل الفني » لم يكن في يوم ما من الأيام مجرد صورة طبق الأصـل من الواقع . ولئن كان الكثيرون ما زالوا يظنون ان ماهية الحقيقة انما تكمن في التطابق مع الوجود الخارجي ، الا أن هيدجر لا يفهم « الحقيقة » بهذا المعنى حينما يقول ان مهمة الفن هي الكشف عن حقيقة الوجود . والا ، فهل تكون لوحـة « حذاء الفلاح » التي رسمها فان جوخ « عمـلا فنيا » لمجرد ان صاحبها قد نجح في محاكاة صورة حذاء من الاحذية التي يلبسها الفلاحون عادة في أقدامهم ؟ أو بعبارة اخرى هل تكون هذه اللوحة مجرد نقل عن الواقع وكأن كل ما استطاع المصور أن يفعله هو انه أحال « الواقع » الى « نـاتـج صناعي » عـن طريق ما لديه من قدرة فنية على الانتاج ؟ أم هل نقول ان المصور لا ينقل موضوعا جزئيا بعينه ، بل هو يقـدم لنا الماهية العامة للشيء ؟ واذا صح هذا الفرض الأخير ، فأين يجد الفنان تلك « الماهية العامة » التي يحرص على مطابقتها في عمله الفني ؟ وماذا عسى أن تكون -مثلا- تلك « الماهيـة » التي يتطابق معها المعبـد اليوناني ؟ بل منذا الذي يستطيع أن يزعم ان بناء مثل هذا المعبد قد شيد على مثال « المعبـد » بصفة عامة ؟ ...

ولكن ، على الرغم من كل هذه الاعتراضات ، فان هيدجر لا يرى حرجا في أن يقول بان مـن شأن العمل الفني أن يزيح النقاب ـ على طريقته الخاصة ـ عن « حقيقة » وجود الموضوع . ومعنى هذا انه لا بد لحقيقة الوجود (أو الموضوع) من أن تتجلى عبر العمل الفني . وانما تقاس عظمة الأعمال الفنية بقـدرة الفنان على الاختفاء وراء عمله ، وكأنما هو مجرد مرحلة عابرة يجتـازها العمل في سبيله الى التفتح او الانكشاف . وهذا هو السـبب في ان العمل الفني الهائل انما يبدو أمامنا بصورة الحقيقة المتكاملة المكتفية بذاتها ، وكأنمـا هـو عالم قائم بذاته ، مستغن عن كافة العلاقات . وبنظر المرء الى مثل هذا « العمل » فلا يلمح فيه سوى «حضرة فنية» تكشف باشعاعها الخاص عن « حقيقة » ظلت ـ حتى تلك اللحظة ـ مطوية في ظلام دامس . ولما كانت « الحقيقة » انما هي دائمـا « حقيقة » الوجود ، فان « العمل الفني » لا بد من أن يدنو بنا من « الوجود » .

وهنا يتوقف هيـدجر عند تحليـل مفهوم « الحقيقة » ، لكي يبين لنا انه لا مناص للعمل الفني من أن يتخذ صورة « تفتح » أو « انكشاف» للوجود ، وكأن « الحقيقة » تظهر من مكمنها على يد الفنان ، لكي تتجلى على صورة « حضرة فنية » ولا قيام للعمل الفني، اللهم الا اذا امتدت جذوره في أعماق الطبيعة ، بحيث يبدو وكأنما هو ينبثق من الأرض . ولكن العمل الفني لا بد في الوقت نفسه من أن يظهر على صورة عالم يخلقه الفنان . ويثبت دعائمه فوق الأرض . ويضرب هيدجر مثالا لذلك فيقول ان المعبد اليوناني يفتح أمامنا عالما بأكمله ، ولكنه في الوقت نفسه يوطد دعائم هـذا العالم فوق أرض بعينها تبدو لنا وكأنما هي تربته الأصلية . وحينما ينبثق « العمل الفني » عـلى صورة « عالم » يحاول السيطرة على « الأرض من أجل اعادة تنظيم كل ما يحيط بها من علاقات، فلا بد من أن ينشأ صراع بين ذلك « العالم » الذي يريـد أن يتجلى ويتفتح ، وبين تلك « الأرض » التي تميل الى الاختفاء والتستر. وربما كانت كل فاعلية « العمل الفني » انما تنحصر في هـذا الصراع الذي ينشب بين « العالم » و «الأرض».

والواقع انه لا بد للعالم من ان يواجه الأرض : فان « العالم » يمثل التفتح، والظهور ،والتجلي، في حين ان «الأرض» تمثل الانطواء ، والاستغلاق، والتستر ! وحينما يحـاول الفنان أن يستقدم

« الارض » الى عالم التفتح والظهور والاستجلاء ، فانه انما يقوم بجهد شاق من أجل الانتصار على ما فى « الأرض » من نزوع نحو التستر والكمون والانطواء . ولا تتحقق « وحدة » العمل الفنى الا من خلال هذا الصراع الحاد الذى ينشب بين « الأرض » و « العالم » . ومعنى هذا ان « العمل الفنى » لا يصل الى مرحلة التوازن التى يبدو فيها مستقرا هادئا « قارا فى ذاته » (على حد تعبير فلاسفة الاسلام) ، اللهم الا بعد أن يكون قد اجتاز مرحلة الصراع الحاد بين «الأرض» و « العالم » . ولما كان من شأن « العمل الفنى » ـ كما سبق لنا القول ـ أن يستقدم « الحقيقة » الى عالم النور ، فانه لا بد للانتاج الجمالي من أن يجيء حاملا لآثار هذا الصراع الدامى بين الظاهر والخفى ، أو بين المتفتح والمستغلق ، أو بين المتجلى والمتستر . وهكذا يعود هيدجر فيقرر مرة أخرى ان كل مهمة «العمل الفني» انما تنحصر فى تحقيق عملية « تفتح الوجود » ، بحيث تنبثق « الحقيقة » أمام عيوننا وكأنما هى النور الذى يبدد ظلمات الأرض . وليس « الجمال » ـ فى نظر هيدجر ـ سوى مظهر من مظاهر تجلى « الحقيقة» حينما تتفتح بكل معنى الكلمة ، أو حينما تتبدى بكل بهائها ونصاعتها .

الشعر جوهر الفنون جميعا ..

وأخيرا يقف هيدجر وقفة طويلة عند صلة الفن بالحقيقة ، لكى يخلص من كل هذه الدراسة المدققة العميقة الى القول بأن « كل فن انما هو فى جوهره ضرب من الشعر » وهيدجر هنا انما يفهم « الشعر » بمعنى واسع ، لأنه يرتد الى الأصل الاشتقاقى للكلمة اليونانية ، فيفهم « الشعر » بمعنى « الانشاء » أو « الابداع » أو « الخلق » .

وحينما يقرر هيدجر ان سائر الفنون من معمار وتصوير وموسيقى ونحت انما ترتد الى الشعر ، فانه لا يعنى بذلك ان لفن القول ضربا من الصدارة على فنون التجسيم أو التلوين او التنغيم ، بل هو يعنى بذلك ان كل فن من الفنون لا بد من أن ينطوى على « عملية ابداعية » يحاول فيها الفنان ان يجعل من « الظاهر » تعبيرا عن « الباطن » ، وكأن « الظاهر » نفسها قد أصبحت « حقائق » ! فالفنان يحقق عملا خارجيا تتجلى فيه ـ لأول مرة ـ حقيقة متخفية استطاع هو بقدرته الابداعية ان يستقدمها الى عالم النور !... حقا ان الابداع الفنى لا يخرج عن كونه صورة من صور استخدامنا للأرض ، ولكن الفنان لا يستعين بالارض الا لكى يثبت دعائم ذلك « العالم » الذى يريد ان يوطد اركانه . فالفنان لا « يخلق » تلك « الحقيقة » التى ينتزعها من مكمنها ، لكى يظهرها لنا بكل وضوح فى عالمه الفنى الخاص ، وانما كل ما هنالك انه يستقدم « الحقيقة » من طوايا « الأرض » ، لكى يذيعها على الناس فى صورة « عمل فنى » هو بمثابة « عالم انسانى » قائم بذاته ولعل هذا ما عبر عنه المصور الالمانى البرت دورر Albert Dürer (١٤٧١ ـ ١٥٢٨) حينما قال : « ان الفن ـ فى الحقيقة ـ كامن فى الطبيعة ، وكل من يستطيع انتزاعه منها لا بد من أن يصبح قديرا على الاحتفاظ به . » وليس « الانتزاع » الذى يتحدث عنه هذا المصور سوى عملية استخراج للحقيقة من مكامنها ، حتى تأخذ مكانها تحت الشمس على صورة « عمل متحقق » يتعلق بقدرة الانسان على استقدام «الأرض» الى عالمه الخاص!

و « الشعر » أيضا جوهر الفنون ، لأن الشعر « لغة » ، واللغة هى اداة الانسان لتحقيق « العلانية » ، واظهار المستخفى او هى تجلى الوجود البشرى فى العالم الخارجى . واذا كان « وجود » الصخرة او النبات او الحيوان لا يعرف « تفتحا » ـ على حد تعبير هيدجر ـ فذلك لأن كل هذه الموجودات لا تملك « لغة » تتخذ منها سبيلا الى التجلى أو الانتشار . وما دامت « اللغة » هى المظهر الأكبر لخروج الانسان الى عالم العلانية ، ورفضه لكل امتزاج بالوجود المختلط المتخفى ، فليس ما يمنعنا من أن نقول ان كل فن هو فى جوهره صورة من صور « اللغة » . وحسبنا ان ننظر الى فنون كل شعب من الشعوب لكى نقرأ لغة هذا الشعب فى التعبير عن العالم ، والأرض ، والصراع الحاد القائم بينهما ، وشتى مظاهر تفتح الوجود . وكما ان للغة طابعا تاريخيا ، فان للفن أيضا صبغته التاريخية التى تجعل منه مظهرا ليقظة شعب ما من الشعوب فى سعيه نحو اكتساب حقيقته ، وتأكيد عالمه الخاص . ومن هنا فان سائر الفنون التاريخية التى نلتقى بها لدى شتى الشعوب انما هى مجرد محاولات قام بها البشر فى بيئات مختلفات من أجل اظهار المستخفى فى باطن أرضهم ، واعلانه على صورة عالم خاص يكون ناطقا بلسانهم . وهذا هو السبب فى أن الفن قد

تجلى — فى كل زمان ومكان — على صورة محاولة مضنية من اجل تاسيس عالم خاص يكون بمثابة مظهر لتفتح الوجود او ظهور الحقيقة ...

نظرة سريعة الى فلسفة هيدجر فى الفن ...

... تلك خلاصة سريعة لأهم المعالم البارزة فى فلسفة هيدجر فى الفن . ونحن لا ننكر اننا قد اضطررنا — فى بعض الاحيـــان — الى الاجتزاء بالخطوط العريضة لهذه الفلسفة ، دون الدخول فى التفاصيل الجزئية التى قد تبدو فيها طـرافة هيدجر او اصالته ، ولكننا قد حاولنا — على كل حال — ان نقدم للقارىء صورة امينة لهذه الفلسفة الجمالية التى لا تخلو من صعوبة . ولا بد من ان يكون القارىء قد لاحظ معنا انه لا سبيل الى فهم هذه الفلسفة فى استقلال عن مذهب هيدجر العام. فان فهم الفيلسوف الالمانى الكبير لماهية الفن قد ارتبط بنظرية خاصة فى « الحقيقة » . ولكن ربما كان من بعض افضال هيدجر على التفكير الجمالي انه قد حرره من تلك التاملات العميقة التى كانت تدور حول « عبقرية » الفنان ، و « الالهام » ، وما الى ذلك من مواضيع تقليدية انصرف اليها فى العادة كل اهتمام الباحثين فى الفن . وقد اصطنع هيدجر فى دراسته للعمـــل الفنى منهجا جديدا هو ما اصطلحنا على تسميته باسم « منهج الظواهر » (او المنهج الفنومنولوجى) ، فاتخذ من « العمل الفنى » ظاهرة مُماشة حاول ان يصفها لنا وصفا علميا دقيقا . ومهما كان من امر المآخذ العديدة التى وجهها بعض مؤرخى الفلسفة الى هذا المنهج: فان من المؤكد ان هيدجر حين اصطنع هذا المنهج انما كان مسايرا فى نزعته هذه للاتجاهات الحديثة فى علم الجمال ، الا وهى الاتجاهات التى تركز كل اهتمامها فى « العمل الفنى » وحده . ■■

القاهرة — **زكريا ابراهيم**

رثـــاء ثور ... !

■ انه ثور عظيم ، لا شك فى هذا .

وهو عظيم فى حياته ، عظيم بعد مماته .

وتقرّ بعظمته من بعد موت ، اذا انت علمت انه خلّف من الذرية ....؟ ، منتشرة اليوم انتشارا فى بريطانيا ، واستراليا ، ونيوزيلندة ، وكذلك امريكا .

وهو ثور من النوع المعروف بقصير القرن

اما الرثاء فجاء من الجمعية البريطانية للثيران قصيرة القرن . قالت فى رثائه :

« هل وجد من قبل ثور مثل هذا الثور ؟ ... لا شك انه أنجب من الذرية الحلوب فوق ما أنجب اى ثور آخر فى الدنيا ، من اى نوع » .

وعلى قدر ما كان فيه من قوة انتاج ، كان فيه وداعة ، وكان فيه طاعة .

وذكروا فيما ذكروا مما افاض به من الخير ، ان ثلاثة من بناته الأبقار على الاقل ، انتجت كل منها من اللبن ما زاد على .... ١٠٠ رطل .

ان مسقط راسه كمبردج .

وصاحبه رئيسٌ سابق لجمعية الثيران المذكورة .

وهو لم ينتقل الى ما اخصب من زوجات ابقارا . ولم تنتقل اليه الابقار .

ولكن انتقل اليها ماء الثور الدافق ، ذلك الماء القدسيّ الذى يخرج من بين الصلب والترائب : انه المنيّ ، اصـــل البشر والحيوان .

انه التلقيح الصناعي .

وظل الثور يلقح ١٨ عاما !!

اليس هذا ثورا جديرا بالرثاء ؟





يَوْمٌ مِنْ حَيَاةِ إِنْسَان

قصة بقلم : ياسين رفاعية

■ يتساقطون من حوله كما تتساقط اوراق شجرة يابسة في الخريف .

يتكىء على الارصفة وبه وهن كبير ، ولم تبق في جيوبه دراهم .. فكر : « يدفع الانسان دائما ثمن تجربته الشخصية » والشوارع الطويلة تفتت قدميه . انه يتلولب على نفسه ، وفي اعماقه يثور بركان ملتهب .

أصـدقاء ؟ ! ..

ويقيه بصوت عال حتى ان امرأة عجوزا رمقته بتعجب وهلع .

مجنـون ؟ !

ليته مجنون . لعالم المجانين قيم يؤمنون بها ومواقف لا يحيدون عنها .

مرة ، تعرف على رجل سبق له ان مكث في مستشفى الامراض العقلية زهاء خمس سنين .

لا يزال يذكر الحوار الذي جرى بينهما

قال المجنون : « **لاشيء يستحق ان يحزن الانسان من اجله .. عندما ترى جنازة ميت .. لا تحزن .. ابتسم وقهقه ان شئت .. واحمد الله على انك لست انت الميت** » .

فيقول له : « الموت .. انه ختام غير سعيد لحياة سعيدة » .

يقول المجنون : « **لماذا لاتقول انه ختام سعيد لحياة غير سعيدة .. ؟ الموت ياصاحبي يحصد الاحلام .. وحياتنا حلم كبير** » .

ويتذكر كيف اصيب بدهشة من آراء هذا المجنون ، وتساءل : « امجنون هذا ام حكيم » ؟

قال المجنون :

— **هل جربت ان تقطع راس انسان .. ؟**

— أبـداً

— **انا جربت .. لقد وضعت يدي اليسرى على وجهه وهو مستلق على الاريكة امامي وذبحته بموسى الحلاقة من الوريد الى الوريد بيدي اليمنى .. اذكر ان ارتياحا كبيرا ارتسم على سحنته وهو يسلم الروح .**

— آه .. !

— **لا تخف .. في ذلك اليوم القي القبض علي .. وبعد مدة حوكمت .. ولم اذهب الى السجن .. بل الى مستشفى الامراض العقلية .**

— ولماذا .. ؟

— **لانهم اكدوا انني مجنون .. رويت لهم بكل بساطة كيف انني احب صديقي الذي ذبحته حبا كبيرا .. وفي ذلك المساء شكا لي قلقه وحرمانه . وهو متأثر جدا بكثير من الآراء المستوردة وله فلسفة خاصة يقول فيها : « ان العيشة الحقيقية يجب ان تكون في مواجهة الموت بشجاعة » .. وهو يتمنى ان تاتيه لحظة شجاعة لينتحر .**

وبكى كثيرا عندما شرب عشر كؤوس من الشراب وكان يطالبني بالحاح ان اقتله . انه يتعذب ..

يتعذب .. يحس ان العالم ثقيل وأن ارانبه البيضاء تختنق .. لقد كان يصرخ : « ان الجو قد تفسخ .. وان الهواء قد فسد .. ولم تعد للغواصة القدرة على أن تطفو فوق الماء » .

وتركته يبكي الى ما شاء . واستمر نحيبه اكثر من ساعة تساءلت أثناءك : « اى الم يعانيه صاحبي حتى اضطر الى ان يبكي هذا البكاء الطويل كما لو انه طفل جرحت اصبعه » .

فى تلك اللحظة لم اجد بدا من اسكاته.. فذبحته .. ولقد اكدت للمحققين والحاكم فيما بعد انه لا يهمنى ابدا حكمهم علي .. فانا قد اديت واجبى تجاه صديقي .. وانني مستعد كل الاستعداد لان ادفع الثمن .

وكانت سحنة الحاكم فى تلك اللحظة تشبه سحنة صاحبى قبل ذبحه ... فاشرت اليه صارخا « انك تتعذب يا سيدى .. تتعذب .. آه بمن تاثرت .. ؟! ما هو الكتاب الذى كنت تقراه مساء امس .. ؟ هل يعذبك ضميرك لانك نلت رشوة كبيرة لتنقذ مجرما من الاعدام .. انك تتعذب .. مسكين . انا على استعداد لذبحك حتى تستريح .. آه .. كم هو مريح لك ان تموت ياسيدى ! »

« ولا ادرى ماذا تـرارت لهم غير هـذا .. واحالونى الى لجنة أطباء .. كان واحـد منهـم يجرى على تجارب كثيرة ويؤكد للاثنين انني سليم العقل . لكن الطبيبين الاخرين اكدا انني مجنون .. بالمناسبة ، الطبيب الاول خريج جامعتنا .. اما الاخران فواحد منهما خريج جامعة لنـدن والثاني خريج جامعة باريس » .

« وهكـذا ذهبت الـى مستشفـى الامـراض العقليـة » .

ــ وهل ما زلت على استعداد للذبح انسان آخر يتعـذب ؟

ــ اجل .. لماذا يسمح للاطباء ان يقتلوا انسانا ميؤوسا من شفائه بالسرطان ولا يسمحون لـي بذبح انسان يجد فى الموت فلسفة يؤمن بها ، عبثية الحياة : الموت .

ويقول الشاب للمجنون الذى توقدت نظراته : « اترى يا أخي انني من انصار صاحبنا الطبيب خريج جامعتنا .. ؟ ! »

وافترقـا ..

ما يزال هذا الحوار يدق فى راسـه كأجراس الكنيسـة ..

يتساقطون من حوله كما تتساقط أوراق شجرة يابسة فى الخريف .

صاحب الفندق طرده .

قال الشاب لواحدة من هذه الاوراق : « هل تسمحين لي ان أبيت عندك الليلة فقط .. ؟ »

وتنحنحت الورقة المالقة صفراء باهتة : « غدا ان امكن .. اليوم لا .. » وتساقطت الورقة .. غدا .. مَنْ يجزم بأن الغد آت .. ليلة واحدة من دون طعام .. فقط ليأوى تحت سقف يمنع عنه البرد الشـديد .

وقذفت الريح الورقة بعيدا بعيدا « يدفـع الانسان دائما ثمن تجربته الشخصية .. »

وفى اقل من ساعة التقى باكثر من عشرين ورقة كانت تتحلق حوله يوم كان يغدق ذات اليمين وذات الشمال .. وكل هذه الورقات تساقطت الليلة الواحدة تلو الاخرى .

اليوم ، ولأيام قليلة .. حتى اول الشهر . لم يبق لأول الشهر اكثر من ثلاثة أيام .. ومع ذلك فان احدا من الرفـاق لم يجـرؤ ان يدعوه ولو للمبيت ليلة واحدة .

ما تزال ارصفة الشوارع تقتات من قدميه ، يبطيء فى خطواته كما لو انه حارس ليلى .

حارس ليلي .. حارس ليلي .

وومضت فى ذهنه فكرة،فاسرع لينفذها ،تجول فى شوارع جانبية ، وأخيرا التقى بضالته ، كان الحارس الاشيب الشاربين يستنـد الى كوخه الخشبي وقد اشعل كومة من الحطب ووضعها فى قلب « تنكة » متقوبة الجوانب .

ــ مساء الخير

ــ **مساء الخيرات**

ــ البرد شديد هذه الليلة

ــ **حقا ! ..**

ــ كم الساعة الآن .. ؟

ويقرب الحارس يده من لهيب النار :

ــ **الساعة الواحدة .**

ويدمدم الشاب :« الساعة الواحدة ..ساعات ويبزغ نهار جديد .. والساعة الواحـدة : اين الاصدقاء ؟ .. لقد تناثرتهم ريح الخـريف .. لم يمدله احد ، كلهم كاذبـون ، كلهم مزيفـون .. الساعةالواحدة . النار تلتهب. الساعة الواحدة . الزمن . لم يتمطل الزمن ولو لحظة واحدة .. انه يسير الى الامام .. الى الامام ولا ينظر الى الخلف.

انه يملك اصرارا عجيبا على اجتياز المسافات . لايقف . ليست له قدرة على الوقوف » .

وقال للحارس بغتة :

ــ لماذا لا يقف الزمن .. ؟

ويبدو ان الحارس لم يفقه ما قال له الشاب فظل يحدق اليه متعجبا وقد ارتسم على وجهه شك وريبة .

ــ انني ادفأ بنارك .. هل تسمح .. ؟

واشار الحارس بيده اشارة تدل على عدم تضايقه . وحدق الشاب الى النار .. ان لهيبها يتصاعد .. يقتل الزمهرير المحيط بها .

وبدا له مقعد الحارس العريض يتصدر الكوخ ، فاحس فجأة بتعب وارهاق شديدين ، فهمس بكلمات لم يدركها الحارس فقال له :

ــ لم افهم .. ارفع صوتك ايها الشاب .

ــ هل تسمح لي بأن أجلس قليلا على مقعدك ؟؟ انني تعب جدا ..

ولم يجب الحارس لاول وهلة ، تأمل الشاب مليا ، ولعله تساءل عن تصرفاته الغريبة . فهو لا يبدو امامه مثل بقية المشردين . ولا كالذين عرفهم يتجولون في الليل من اجل صيد وافر .. او من اجل ان يكونوا هم صيدا وافرا .. لا ، ان هذا الشاب يعاني مشكلة ، تجتاح اعماقه عاصفة ما . قال الحارس :

ــ تفضل .

والقى الشاب بكل ثقله على المقعد العريض المريح . واخذت حرارة النار تداعب وجهه ، فشعر بلذة لم يحس بها منذ زمن بعيد .

وسمع للحظة دوى صفارة آتيا من بعيد ، فالتفت الحارس اليه وقال بصوت مطمئن حنون :

ــ تستطيع ان تتصرف كما تريد .. ان « الدورية » تناديني ، ساعود بعد قليل .

ــ سأنتظرك ..

قال الشاب ذلك وقد ألقى برأسه الى الوراء فاصطدم بخشب الكوخ .

واغمض عينيه .. واخيرا وجد مأوى ..

ويأتي الربيع ، تشرق الشمس ، تمتلىء الحقول بالازهار والورد ، تنبت اوراق جديدة . خضراء وطرية وقادرة على الثبات ، يشعر أن عالما جديدا قد ولد ، أوراقه مليئة بالحياة والعطاء .. يشعر كما لو أن هذه الاوراق تظلله من شمس محرقة ، فيستسلم .. وتتراخى اعصابه فيلوى رأسه الى جانب .

هزته يد ..

نفض رأسه . فتح عينيه . حرك اجفانه اعلى واسفل . الحارس وضوء النهار يخترق الكوخ .

ــ صباح الخير .

ــ صباح الخير .

ــ هل نمت جيدا ؟

قالها الحارس بطيبة غريبة

ــ اجل ! ..

ــ خذ هذه الكأس من الشاى .. انك ستصحو بعد تناوله .

ومد الشاب يده الى الكأس ، فتناولها واخذ يرشف منها بلذة وشهية وهو يرمق الحارس : « ما اسمك ياسيدى .. ؟ »

وابتسم الرجل الكهل : « **اسمي ابو خالد .. وانت » ؟**

ولم يستطع الشاب ان يجيب للتو ، فقد عقدت الدهشة لسانه . لم ابتسم .. فقهقه . وقال بصوت مرح :

قد لا تصدق ان اسمي خالد .

وفيما كان الحارس يعلق على ذلك غير مستغرب ، تذكر اباه .. وتذكر كيف غادر بلدته دون ان يعلم أحد من أهله الى أين رحل .. فشعر بأسى عميق يغمره .. وأنقذه الحارس من وضعه قائلا :

ــ هل اعجبك الشاى .. ؟

ــ لم اذق مثله في حياتي .

ــ انني بارع في صنعه . لي ثلاثون سنة اسير هذه العادة .

ــ وما احلاها من عادة !! .

ووقف الشاب . فشعر بعضلاته متقلصة بعض الشيء . فنفض جسده يمنة ويسرة كديك اصابه رذاذ ماء وقال بنشاط :

ــ أبو خالد .. سأزورك هذا المساء .

ــ اهلا بك كل مساء .

ــ سأزعجك حتى أول الشهر .

ابدا .. تستطيع ان تأتى متى تريد .

ولحظة كانت الشمس تملأ شوارع المدينة ، صافح الشاب الحارس مودعا .

« الربيع يلاحق الشتاء ، ويبقى الدولاب يدور ، تتساقط الاوراق اليابسة لتنبت مكانها اوراق طرية وخضراء .. »

وتنفس الشاب بعمق وهمس لنفسه : « **ما يزال العالم بخير .. ! »** ■■

دمشق : **ياسين رفاعية**

مستشفى الأمراض العصبية

تطور علاج مرضى العقول

من إلقائهم في النار، وإلى الوحوش .. إلى علاجهم بالترفيه والعلاج النفسي والعقاقير



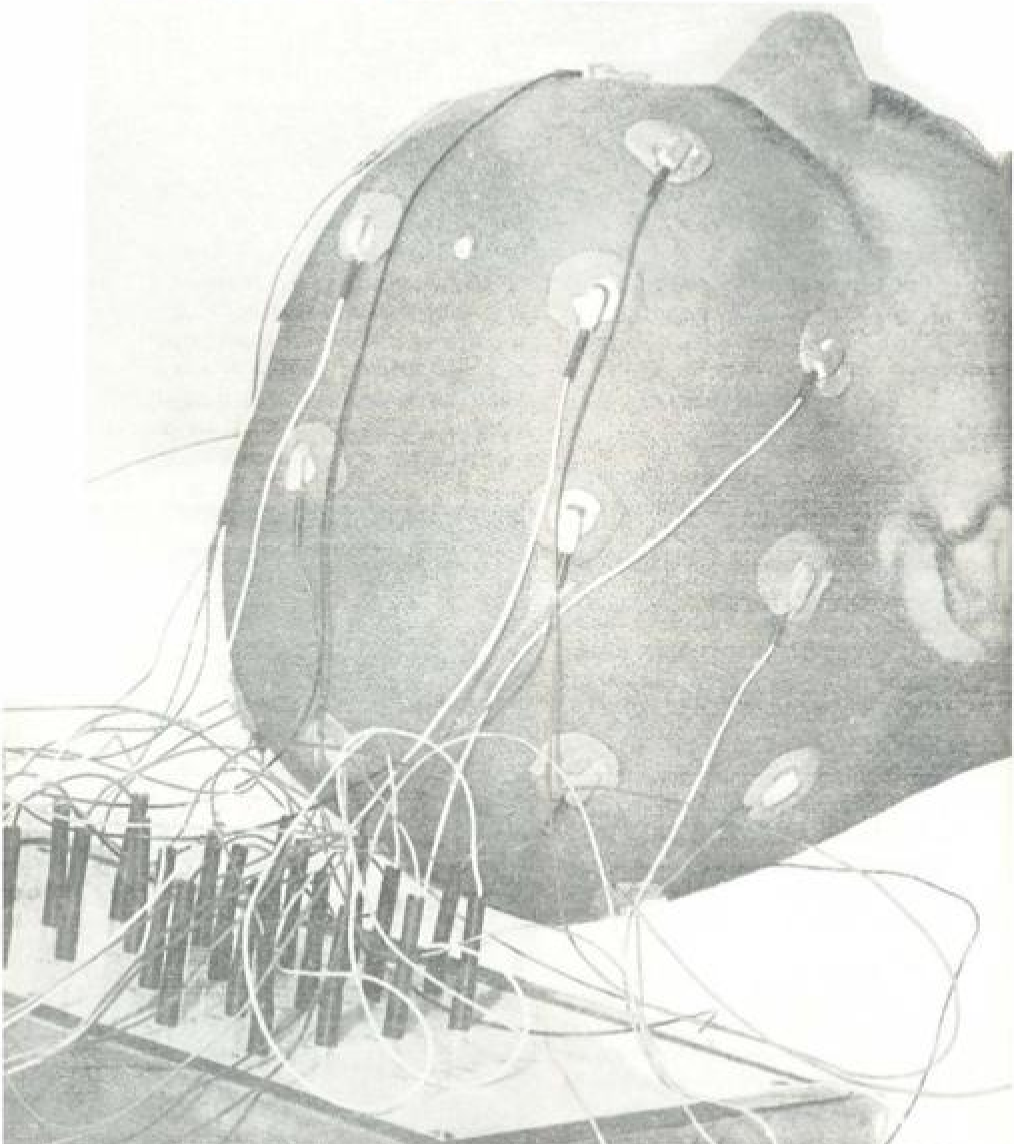
■ تتغير المشاكل الصحية في الكويت مع المجتمع وتتبعه كظله ، وتتفاعل معه . ولقد استطاع الانسان في هذا المجتمع أن يمر من محنة التطور بمرونة ملحوظة ، كما أن شعوره بأن القديم والحديث يعيشان جنبا الى جنب أحدث رد فعل سليما فيه .. وبالطبع كان هناك توتر ، ولكن هذا أمر طبيعي عندما تتلاقى فلسفتان ونظريتان في الحياة ، وربما أوصل هذا التوتر البعض الى مرحلة دخول المستشفى .. وهذه نظرية طبيعية سليمة ، اذ قال الطبيب الفرنسي شاركو Charcot : « انه ليس من الطبيعي أن تكون طبيعيا في ظروف غير طبيعية ...» .

ولقد أصبح علاج الأمراض النفسية .. والعصبية .. والعقلية ، في الكويت ، يتم في مستشفى خاص حديث ، قال عنه مندوب منظمة الصحة العالمية بالأمم المتحدة :

(كم يطيب لي أن أسجل مدى الروح العالية والتعاون الصادق بين الهيئات الطبية المختلفة في هذا المستشفى الحديث ، ذلك بالاضافة الى العناية الفائقة بالمرضى . كما لا يفوتني أن أؤكد أنني لم أقابل فئة من الأطباء الاخصائيين في الشرق الأوسط بأجمعه ذات مؤهلات عالية ، وقابلية عظيمة لتلقي الحديث من نظم وطرق علاج في هذا المضمار ، مثل أولئك الذين قابلتهم في مستشفى الأمراض النفسية والعصبية بالكويت) .

النفسيّة بالكويت

بقلم : الدكتور محمد طلعت رضا
مدير مستشفى الامراض العصبية والنفسية بالكويت



جهاز رسام المخ الكهربائي : وهو جهاز الكتروني حساس جدا ، يستعمل لتشخيص مرض الصرع بانواعه ، واورام المخ ، بواسطة اسلاك يثبت طرف منها على جلدة الرأس ، والطرف الآخر يوصل الى جهاز يسجل التموجات الكهربائية ..

وقد كتب الدكتور محمد طلعت مدير مستشفى الامراض العصبية والنفسية بالكويت عن المستشفى المقال الآتي :

قبل وصف هذا المستشفى لا بد أن نرجع الى الماضي لنعرف المراحل التي مرت بها هذه الأمراض العصبية خلال مختلف العصور .

عرف المرض العقلي من قديم الزمان ، فقد جاء ذكره في الكتابة الموجودة على أوراق البردى من عهد قدماء المصريين (حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد) .. وكان الاغريق يمنعون المصاب بعقله من الظهور في المدينة ، ويكلفون أهله باحكام الرقابة عليه في البيت، واذا ما أهملوا ذلك حكم عليهم بغرامة .

وفي التوراة اشارات متعددة وواضحة ، الى الأمراض العقلية ، وخاصة « الصرع » الذي كان يعرف « بالمرض المقدس » ، ولكن الفيلسوف اليوناني « ابقراط » (٤٦٠ — ٣٧٠ قبل الميلاد) ، أنكر قدسية هذا المرض ، واعتبره مرضا عاديا ، وكان يعتقد أن المخ هو مركز النشاط العقلي ، وأن أي مرض يصيبه يؤدي الى الخلل العقلي ، وكان ينكر ما كانت تقوم به الجماعات البدائية من ترك المصابين بالأمراض العقلية وسط الغابات ليكونوا نهبا للوحوش لينالوا جزاءهم !

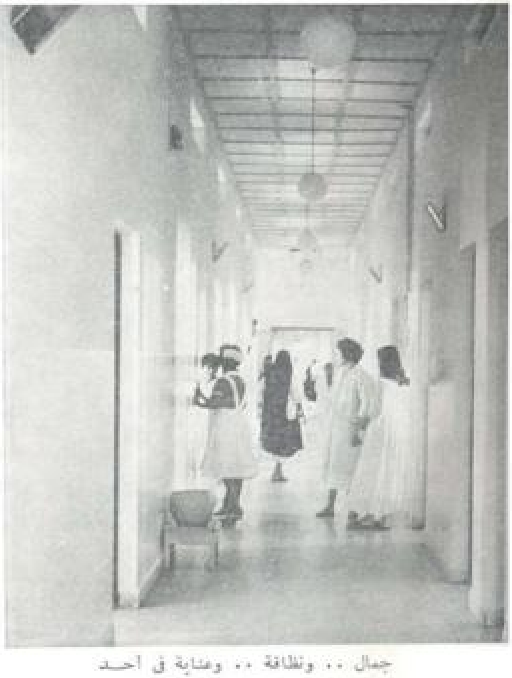
وفي الفترة الأولى من تاريخ المسيحية كان هناك اتجاهان متناقضان عن المرض العقلي ، ينطوي اولهما على حجز المريض وقيده بالسلاسل وجلده لارغامه على تناول الطعام وانعاش ذاكرته ، اما الاتجاه الثاني فيدعو الى حسن معاملة المريض ، واتاحة جميع وسائل العلاج الطبي التي كانت معروفة في تلك الأيام ، مع اعطائه فرصة مزاولة الألعاب الرياضية والاستماع الى الموسيقى والمطالعة والتردد على المسارح وكل ما يمكن أن يدخل الآن في عداد العلاج الترفيهي .

حرق المرضى

وفي القرون الوسطى عندما دخلت البشرية في عصرها المظلم ، لم تتطور دراسة المرض العقلي ، بل ، على العكس ، أصابها الركود والانتكاس ، واندثرت نظرية ابقراط وأتباعه وكان المسيطر الكنيسة التي ضج منها العالم المسيحي ، آخر الأمر ، عندما حارب رجالها التقدم العلمي ، واتهموا كل مكتشف او مخترع بالكفر والالحاد ، فتحولت النظرة الى المرض العقلي من الطب الى الخرافة، وأصبحت الاضطرابات العقلية والنفسية مقترنة في أذهان الناس بالسحر والأرواح النجسة . وكان رجال الدين يعالجونها بالتعويذات والأناشيد بقصد طرد الشيطان ، فاذا فشلت هذه الوسائل لجئوا الى الوسائل القاسية كالسجن والتعذيب، بقصد ايذاء الشيطان وارغامه على ترك جسم الانسان ، وفي كثير من الأحيان كان المصابون بعقولهم يعتبرون من السحرة وأعوان الشيطان فكانوا يحاكمون ويقضى عليهم بالحرق والقتل .

ابن سينا وأبو بكر الرازي

وبينما كان في أوروبا في القرون الوسطى ظلام ، كان في البلاد العربية مصادر كثيرة للاشعاع والنور وكان للطب فيها شأن رفيع . وقد أحسن الأطباء العرب معاملة المصابين بالأمراض العقلية والنفسية . ومن أشهر هؤلاء ابن سينا وأبو بكر الرازي ، الذي أسندت اليه رئاسة مستشفى كبير في بغداد خصص فيه جناحا لمرضى العقل ،



جمال .. ونظافة .. وعناية في أحد ممرات المستشفى الحديث بالكويت ..



ازيلت الاقفاص والسلاسل الحديدية التى كان يحجز بها المرضى .. وفتحت الغرف على بعضها ؛ وجهزت بمكيفات الهواء .. واصبحت للمستشفى حديقة بها ممرات مسقوفة يتريض تحتها المرضى .

واستخدم فيه وسائل مختلفة للمعالجة منها الايحاء والتسلية .

الاتجاهات الحديثة فى العلاج

وفى أواخر القرن الثامن عشر ابتدأت الاتجاهات الحديثة فى علاج الأمراض العقلية ، ففكت القيود والأغلال ، واطلق سراح المرضى الذين حرموا من النور والهواء والحرية .

وكان الطبيب الفرنسى « بينل Pinel » أول من بدأ هذا الاصلاح الانسانى . ثم بدىء فى انشاء العديد من مستشفيات الأمراض العقلية والعيادات الخارجية التى الحق بعضها بالمستشفيات العامة ، وكذلك تم انشاء عيادات طبية نفسية للاطفال بقصد توجيه ومعالجة النشء بعد أن اتضحت أهمية مرحلة الطفولة واضطراباتها فى التمهيد للمرض النفسى او العقلى عندما يكبرون.

تطور العلاج فى الكويت

ودولة الكويت ـ كغيرها من الدول الأخرى ـ مرت ببعض هذه المراحل ، فكان هناك مستشفى اطلق عليه اسم « ملجا المجانين » ، وكان عبارة عن طابق واحد يحتوى على اربعة احواش ، كل حوش منها يتالف من بضع غرف ضيقة لا يدخلها الهواء أو النور الا من نافذة فى اعالى الجدران ، عليها قضبان من الحديد . وكان السقف عبارة عن عروق من الخشب الاسود وكانت الأرض رملية .. وفى وسط كل « حوش » كان قفص كبير من الحديد .

والواقع أن هذا المستشفى كان اقرب الى السجن منه الى المستشفى .. المصابون بالأمراض العقلية يحجزون فيه لابعاد أذاهم عن الناس .. والرعاية الطبية فيه معدومة لا تستحق الذكر .. وكان بعض المرضى يكبلون فى الأغلال ويثبتون فى الحائط بواسطة السلاسل، والبعض الآخر يوضع فى الأقفاص الحديدية السالفة الذكر !

وبدأت الكويت تتطور تطورها المدنى العظيم .. ومعه بدأ تطور الصحة العقلية ، فبذلت وزارة الصحة العامة مجهودات كبيرة لتحسين وضع المستشفى ، فكان عام ١٩٥٥ حدا فاصلا بين الأسلوب القديم ، والاتجاهات الحديثة فى علاج الأمراض العقلية والنفسية بالكويت .

ازيلت الاقفاص والسلاسل الحديدية التى كان يحجز فيها ويقيد بها المرضى ، وفتحت الغرف الضيقة بعضها على بعض ، فاصبحت على شكل عنابر ، جهزت بالمراوح الكهربائية ومكيفات الهواء . ثم شيد طابق جديد فيه غرف فسيحة تفى بالشروط الصحية . وكانت هناك قطعة أرض صغيرة ملاصقة للمستشفى المذكور ، فانشىء عليها عيادة خارجية وصيدلية ومختبر ومكاتب للموظفين ..

مستشفى جديد

وفى نفس الوقت بدأ انشاء مستشفى حديث فى



اجتماع في غرفة مدير المستشفى يضم بعض أطباء المستشفى المتخصصين في الامراض العصبية والنفسية ، ان العلاقات الطيبة الموجودة بين مجموعة الاطباء ، وبين هيئة التمريض في المستشفى ، عكست أحسن النتائج على علاج المرضى ..

المنطقة الصحية بالصليبيخات ، حيث مستشفى الصباح ، ومستشفى العظام ، والمصح الصدرى ، واطلق على المستشفى الجديد اسم : مستشفى الأمراض العصبية والنفسية ، وذلك في نهاية عام ١٩٥٨ . وكان يتسع لمائة وستة وثلاثين سريرا ، منها ٩٠ للمرضى من الرجال ، و ٤٦ للمريضات من النساء ، وزود هذا المستشفى بمبنى للادارة والعيادة الخارجية والصيدلية ، والمختبر الذى تجرى فيه كافة التحاليل الطبية ، وبه قسم للعلاج بالعمل Occupational therapy ونواد ترفيهية ، وقاعة لعرض الافلام السينمائية ، ومن حول مبانيه غرست الحدائق الواسعة والملاعب الكبيرة ، للتنس ، وكرة القدم ، وكرة السلة .

وتم أخيرا توسيع هذا المستشفى فاصبح يضم ١٢ جناحا جديدا ، تتسع لـ ٤٦٥ سريرا ، منها ٣٠٠ للرجال ، و١٦٥ للنساء . وباستكمال هذه الأجنحة الجديدة الغى المستشفى القديم نهائيا ، وانتقل المرضى الى المستشفى الجديد .

انواع العلاج

ويتم العلاج في المستشفى الجديد بأحدث الوسائل العلاجية التى اكتشفت في العالم ، مثل العلاج بالكهرباء ، وبالعقاقير المسكنة ، وبمضادات الاكتئاب ، ومضادات الصرع ، والعلاج العملى والترفيهى والنفسى ، وبالتعليم .

العلاج بالكهرباء

العلاج بالصدمات الكهربائية: وتحدث بان يمرر التيار الكهربائى خلال الدماغ من قطبين موضوعين على الصدغين فتحدث غيبوبة وتشنجات . وتعطى الصدمة الكهربائية بعد حقن المريض بمخدر مع احد العقاقير التى تحدث استرخاء في العضلات .

العلاج بالعقاقير المسكنة

والعلاج بالعقاقير المسكنة مثل الميلتون Miltown والليبريوم Librium واللارجاكتيل Largactil والتروكسال Truxal والستلازين Stelazine والميلليريل Melleril والماجبتيل Mageptil ، وغيرها ..

ولقد اتت هذه المركبات بنتائج طيبة جدا في علاج حالات المرض العقلى والنفسى ..

العلاج بمضادات الاكتئاب

والعلاج بمضادات الاكتئاب وهي تشمل النارديل Nardil والنياميد Niamid والتوفرانيل Tofranil والتريبتيزول Tryptizol .. ولقد اتت هذه العقاقير بنتائج باهرة في مرض الاكتئاب ..

وكالعلاج بمضادات الاكتئاب علاج بمضادات الصرع ، مثل اللومينال Luminal والايبانوتين Ipanutin وغيرها الكثير من العقاقير ..



قبل دخول المريضة الى المستشفى ، تقوم الاخصائية الاجتماعية بعملية بحث عن حالتها، فتسأل أهلها وزميلاتها كل شيء عنها ، حتى يكون البحث كاملا والعلاج نافعا للمريضة .

والعلاج بالعمل

اى بشغل أوقات المرضى ببعض الأعمال اليدوية وغيرها .

وهذه الأعمال قد حددت وخططت بعناية زائدة، يقضى خلالها المريض معظم ساعات النهار عاملا منتجا ، وبذلك يصل الى حالة يتمكن فيها من تركيز انتباهه عن طريق اهتمامه بما يعمل ، كما يبلغ شعورا بالثقة بالنفس عن طريق انجاز عمل متقن . ونظرا لانهماك المريض في هذه الأعمال فانه يبعد عن أوهامه وافكاره ويقرب من عالم الحقيقة والواقع .

والعلاج الترفيهي

ويعتبر ايضا جانبا هاما فيعلاج المرضىفي الكويت. ويتم هذا العلاج عن طريق الاستماع الى الاذاعات، ومشاهدة التليفزيون والافلام السينمائية مرتين في الأسبوع . ويشترك في حضورها مع المرضى الاطباء وعائلاتهم وهيئة التمريض وموظفو المستشفى .

ويقرأ المريض الصحف والمجلات ، ويتسلى بلعب الورق والدامنو والشطرنج ، وبذلك يشعر انه في جو عائلى طبيعى ، وهذا يجعله يستعيد احساسه بانه فرد عادى ليس مرهوب الجانب يتحاشاه الناس .

اما مزاولة الالعاب الرياضية ، كالبنج بنج وكرة القدم وكرة السلة والتنس ، فتنشط المكتئبين وتهدىءاصحاب النشاط الحركى الزائد. وهذه الألعاب الرياضية لا تضبط الدورة الدموية وحالة العضلات فحسب ، بل تعمل أيضا على اكتساب المريض القدرة على الوقوف من الغير موقفا تعاونيا .

ويسمح للمرضى بمغادرة المستشفى اما بصحبة اهلهم أو في مجموعات بصحبة بعض أفراد الهيئة التمريضية،وهم يقصدون الى النزهات الخلوية.

والعلاج النفسى

ويشمل جميع الطرق النفسية التى تستخدم لمعرفة من اضطربت شخصياتهم ، سواء بدا هذا الاضطراب في صورة مرض نفسى او مرض عقلى أو مرض سيكوسوماتىPsychosomatic أو انحراف جنسى .

والهدف من العلاج النفسى هو :

ا ــ البحث عن مصدر الاضطراب وتبصير المريض بحالته .

ب ــ ارشاد المريض الى اساليب جديدة للتوافق ومواجهة مشاكله بصورة أجدى .

والعلاج باعادة التعليم

وهذه الطريقة تشمل وسائل متعددة والهدف



الرجال المرضى يعملون فى ورشة النجارة الخاصة بالمستشفى ان ذلك جزء من العلاج بالعمل ...

الى اسفل : احدى ملائكة الرحمة تساعد احدى المريضات على تعلم شغل الابرة .



منها مساعدة المريض على ترك دنياه الخاصة والعودة الى الاحساس بالمسئولية ، والرغبة فى التوافق مع زملائه وأسرته والمجتمع الذى يعيش فيه . وتبدأ باعطاء المريض تدريبات أولية خاصة بالاستحمام واللبس والأكل والتبول والتبرز والنوم وبعد ذلك يعطى تدريبات للترفيه واللعب والعمل والقراءة . ويدخل فى ذلك أيضا مساعدة المريض على تغيير عاداته وتغيير أساليب السلوك المرضية واستبدالها بالأساليب السوية .

ويدخل فى ذلك أيضا تثقيف المريض وتبصيره بمشكلاته وتكوين اتجاهات عقلية جديدة فى نظرته لأمور الحياة مما يساعد على تحسين صحته .

والمهم فى التعليم من جديد الا يكون قائما على مجرد النصح والارشاد بالالفاظ والمواعظ النظرية،وانما ينبغى ان يقوم على أساس الممارسة العملية للعادات والأعمال الجديدة .

ويستعان بالاجهزة الحديثة

ويستعين الأطباء فى التشخيص بأجهزة حديثة مثل جهاز رسم المخ الكهربائى، وهو جهاز الكترونى على درجة كبيرة من الحساسية ، وبواسطة هذا الجهاز يمكن تسجيل التموجات الكهربائية الناجمة عن النشاط الحيوى للمخ . فيرقد المريض على السرير مغمض العينين ، وتثبت عدة أقطاب فى مواضع خاصة على جلدة رأسه ، ثم توصل هذه الأقطاب بواسطة أسلاك الى الجهاز ، وهذا يسجل التموجات الكهربائية بواسطة أقلام تتحرك على أوراق التسجيل فينتج رسم معين . ويكون لهذا الرسم شكل خاص فى الحالات المرضية المختلفة .

ومن أهم استعمالات هذا الجهاز هو تشخيص مرض الصرع بأنواعه وصوره المختلفة وأورام المخ، وكذلك فى تتبع بعض حالات اصابات الدماغ .

وجهاز آخر لعلاج التبول اللاارادى عند الأطفال.

وتوجد اجهزة اخرى تستعمل فى الفحص النفسى ومن اهمها جهاز الكترونى لقياس مدى القلق النفسى .

٨ أطباء و ١٣٤ ممرضا وممرضة

وقد اقتضى توسع العمل والازدياد المطرد فى

عدد مرضى المستشفى وعدد المترددين على العيادة الخارجية ، اقتضى كل هذا استخدام عدد من الأخصائيين فى الطب العقلى والنفسى ، وكذلك استخدام بعض الأطباء العموميين وتدريبهم فى ميدان الصحة النفسية ثم ارسالهم للخارج للحصول على دبلوم التخصص فى الأمراض العصبية والنفسية ، ويبلغ عدد الأطباء العاملين فى المستشفى حاليا ثمانية ، سبعة منهم يحملون شهادات التخصص من الجامعات المختلفة .

ومما يذكر أن عدد افراد الهيئة التمريضية بالمستشفى القديم كان لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة ، وكان العمال هم الذين يقومون بالدور الرئيسى فى العناية بالمرضى ، وكانت مهمتهم لا تتعدى تقديم الطعام لهم أو وضعهم فى السلاسل والاقفاص الحديدية او فكهم منها ، اما اليوم ، وتمشيا مع الاصلاحات التى ادخلت على علاج المرضى ، فقد استخدم عدد من الممرضين والممرضات من الخارج ، يعاونهم عدد من المساعدين والمساعدات الذين تلقوا مبادىء التمريض العام ، ثم دربوا فى المستشفى على طرق العناية بالمصابين بالمرض العقلى ، حتى اصبح المستشفى اليوم ، يضم ١٤٣ ممرضا وممرضة من هيئة التمريض يعتمد عليهم للعناية والاشراف على المرضى .

تنظيم دخول وخروج المرضى من المستشفى

لقد كانت معظم دول العالم — ولا يزال بعضها — تتخذ اجراءات معقدة فى دخول وخروج المرضى من مستشفيات الأمراض العقلية . وكانت هذه الاجراءات تتضمن تدخل السلطات القضائية او الشرطة . ولكن هنا فى الكويت تتبع الاتجاهات الحديثة فيشجع دخول المرضى بمحض ارادتهم ، او عن طريق أهلهم دون اى تدخل من الشرطة أو السلطات القضائية . وفى حالة رفض المريض دخول المستشفى فيجوز لأهل المريض الاستعانة بالمستشفى او بالشرطة لاحضاره اليها .

هدف العلاج

ان الهدف من تطور مستشفى الأمراض العصبية والنفسية بالكويت ليس حماية الجمهور من المرضى ، لأن هذا المعنى يجعل المستشفى اقرب



لعبة الكرم — أو البلياردو اليابانى — من الالعاب التى يمارسها المرضى فى وقت فراغهم ...

الى اسفل : فى المستشفى مشغل حديث تتعلم فيه المريضات النسيج والتريكو وعمل الزهور ..



الى السجن ، وانما الهدف هو جعل المستشفى مؤسسة علاجية تستخدم كل ما أتاحته العلوم الطبية والنفسية والاجتماعية من وسائل الفهم والعلاج لاعادة تعليم المريض ، ورده الى بيئته من جديد . وهذا الهدف لا يمكن أن يتحقق اذا رفعنا عن المريض كل تبعة فيما يقوم به من أعمال واعتبرناه ، بسبب المرض ، شخصا مجردا من المسئولية تماما . والمستشفى كمجتمع علاجي يضع نصب عينيه أن يتيح للمريض كل الفرص لكي يعيش أثناء العلاج في بيئة هي أقرب ما تكون الى البيئة الخارجية ، وعلى ذلك فان جو المستشفى تتوفر فيه العناصر التالية :

١ ـ روح التعاون والعلاقة الانسانية التي تربط بين العاملين في المستشفى والمقيمين فيه ، أي بين المدير والاطباء ، وبينهم وبين هيئة التمريض ، وبين هيئة التمريض والمرضى ، ثم بين المرضى انفسهم .

٢ ـ الاحتفاظ بفردية المريض واحترامها وعدم حرمان المريض من حاجياته الشخصية كالملابس والممتلكات الخاصة .

٣ ـ اظهار الثقة بالمريض ولذلك لا يحجز المريض وراء أبواب موصدة او أسوار عالية بحجة الخوف من الهرب من المستشفى . على ان ذلك لا يعني تجاهل السلوك المزعج اذا بدر من المريض ، وعلينا تقويم ذلك بالوسائل المناسبة ، على الا يكون ذلك من قبيل العقاب ، وعلى الا يمتد الى اكثر من الفترة اللازمة لرجوع المريض الى السلوك الاجتماعي المقبول .

٤ ـ فتح أبواب المستشفى للزائرين يتجولون في انحائه ويلمسون الحياة فيه على حقيقتها ولكي يروا بأنفسهم ان الحياة داخل المستشفى لا تختلف كثيرا عما ألف الناس خارجه .

احترسوا من السرعة

وقبل ان اختم المقال ، أود ان انوه بأن أسباب الامراض العقلية والنفسية في الكويت لا تختلف كثيرا عنها في الدول الاخرى . فالمجتمع ـ أي مجتمع ـ يحيط الفرد بقيود وقوانين وتقاليد ومحرمات تقيم السدود في وجهه وتعوقه عن ارضاء كثير من حاجاته ومطالبه . هذا بالاضافة الى تعقد الحياة المدنية الحديثة ، وعصر التصنيع والآلة الذي نعيش فيه ، وما يصاحب هذه الحياة من تنافس وصراع شديدين على المادة في سبيل البقاء ، وعلاوة على ذلك فالفرد معرض للصدمات كالخسارة المالية الفادحة ، أو فقد المركز الاجتماعي ، أو الفشل في الحب أو موت عزيز او الكوارث العائلية فينهار في اثرها وتندلع الاعراض في اعقابها .

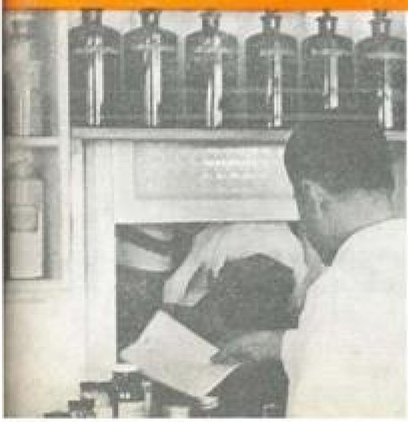
ولا شك أن السرعة المذهلة في تطور الكويت تجعل الانسان هنا يركض بعنف ليلحق بركب التطور ـ والسرعة هنا غير عادية ـ وهذه السرعة تخلق انواعا كثيرة من الصراعات النفسية والقلق والارهاق وهي التي تشكل بالتالي بذور الامراض العصبية والنفسية . ■

محمد طلعت رضا

المرضى يزرعون الخضراوات في المزرعة الخاصة التي أصبحت تزود المستشفى بحاجته منها ..



في المستشفى صيدلية خاصة تقوم بصرف الأدوية والعقاقير للمرضى والمترددين بالمجان ...





طبيب الأسرة

أنا مصاب بأعصابى

● هل عندكم علاج لرجل مثلى ؟ أنا مصاب بأعصابى ، واقضى نهارى وليلى فى الخوف والقلق ، أخشى ان اخطو خطوة الى اليمين، أو الى اليسار . وقضيت فى هذا الحال ١٨ عاما . وخشيت ان اترك وحدى ، فتزوجت بناء على هذا الخوف ، واغضب هذا الزواج اسرتى . وتمضى علىّ اوقات لا ابالى بشىء فى الدنيا . وتظهر حياتى لى خالية من كل شىء له قيمة . والشىء الذى اظنه يملأ حياتى ، كتغيير عملى مثلا ، لا اقدر عليه ، لانى اخاف من تغييره . وكل الذى يعطينى اياه الطبيب مسكن ، ولا شىء غيره . واسمع عن التحليل النفسى ، فهل هذا يساعدنى ، وكيف احصل عليه . واين ... لا اظن انى انا الوحيد الذى اعانى من هذه الحال ، لا بد فى الناس الآف امثالى .

ــ نعم ، نعم ، ان الحالة التى تشكو منها لها علاج بكل تأكيد . ان الذى بك قلق وهبوط عصابى ، وهو يعالج اليوم بالعلاج النفسانى . ومن العلاج النفسانى التحليل النفسانى ، ولكن هذا اسلوب من العلاج طويل قدلا يحتاجه كل مصاب بعصاب .

وهذه الأساليب الجديدة فى معالجة ما يطرا على النفس من سوء لا توجد فى كل بلد . ويوجد فى البلاد المتحضرة ، كثير من العيادات والمستشفيات التى تعالج بالعلاج النفسانى . اما العلاج بالتحليل النفسى فلا يكاد يوجد الا فى العواصم الكبرى ، ولست أدرى ، هل توجد حيث أنت وسائل علاجية من هذا النوع . . ولكن الظاهر من كتابك أنك ذو ثقافة ، وان عندك القدرة على السفر . وطبيبك لا شك ناصحك فى هذا ، اين تذهب ، والى من تذهب .



قصر النظر بعد الخامسة والأربعين

● سمعت أن المصابين بقصر النظر لايزداد نظرهم قصرا بعد بلوغهم سن الخامسة والأربعين ، فهل هذا صحيح ؟

ــ نعم صحيح الى حد كبير ، فمن النادر زيادة فى قصر النظر بعد هذه السن . والواقع ان قصر النظر بعد الخامسة والعشرين قليل ، ولكن ليس كندرته بعد الخامسة والأربعين .

وبالطبع يحدث فى البصر على كل حال تغيير طفيف ، فى هذه الناحية او تلك ، وعلاج ذلك كما هو ظاهر يكون بتغيير العدسات .

هذا على فرض أن العين لم تصب بداء من داءات العيون .

الأشعة السينية ، هل تمنع الحمل ؟

● حدثلى ، فى رحمى ، انه ظهر ان موضعه من الحوض كان فى حاجة الى اصلاح ، والى ارجاعه الى الوضع الطبيعي . وبعد أن تم ذلك ، كشف الأطباء عليَّ باشعة س ، يريدون ان يتأكدوا من الوضع الجديد ، هل هو اصبح طبيعيا ام لا . والآن اطلب الحمل . واخشى ان البيضة اذا تلقحت فى رحمي ، بعد هذه الأشعة ، فسوف تموت من أثر هذه الأشعة . فهل هذا الخوف فى محله ؟

ـ ابدا ، ابدا ، الحق انه يجب عليك المبادرة فى الحمل ، ذلك لأن عملية حقن المواد ، تلك التى كان لا بد من حقنها لتظهر الصور المأخوذة بالأشعة ، تساعد على فتح الأنابيب ، ويكون من الأجدر تلقيح البيضة عقب ذلك مباشرة .

وليس فى الطب دليل يفيد انالبيضة تتأثر بالأشعة المذكورة ، وكثير منالأطفال قد ولدوا من حمل وقع عقب التصوير بالأشعة مباشرة،وولدوا أصحاء معافين .

ويجب أن تعلمى ان هذه الأشعة تزايل الحوض ، هى وآثارها ، سريعا ، بعد ساعات قليلة من نفاذها فيه .



التطعيم ، فى الذراع ، أم فى الفخذ ؟

● هل الاصح من الوجهة الطبية تطعيم الجسم ضد الجدرى فى الذراع او فى الرجل ؟

ـ اختلفوا .

والمسألة ليست مسألة طبيـة فى الصميم من الطب . فالغرض من التطعيم هو دخول مكروب الطعم الى الدم ، فالى الجسم ، فحفزُ الجسم الى المقاومة بما يصنع منمواد ناقضة للمرض ، تحارب المكروب لو انه جاء فعلا من وباء بعد ذلك .

ان الأمهات تفضل لبناتها التطعيم فى الفخذ ، لأن التطعيم يترك علامة بيضاء مستديرة،اذا كانت فىالذراع، شوهته ، لا سيما فى التطعيم لأول مرة . ولا سيما والذين يتطعمون يغفلون كل الاغفال عما يخلفالتطعيم

أطباء ، ماتوا بالجدرى

● قـرات عن طبيبين ماتا فى وبـاء جدرى لم يدم طويلا ، احدهما جراح والآخر مولد . فكيف يحدث هذا للطبيبين، والأطباء لا شك يطعمون من حين لحين . والمفروض ان الطعم واق .

فان كان هذا يحدث للأطباء ، فكيف بنا نحن،من افراد الشعب، غير الأطباء ؟

ـ اما ان الأطباء يطعمون من حين لحين ، فقول مشكوك فيه جدا . ان بعض الأطباء كبعض رجال الشعب ، يستبعدون أن تنالهم العدوى ، ومن الأطباء من يتصور ان صفته الطبية تمنع فيروس الجدرى ان يقترب ، يخال ذلك واعيا او غير واع .

ان من الأطباء من يكتفون بالتطعيم الأول لدى الطفولة . ومن المؤكد أن هذا لا يحمى من المرض طول الحياة . وبعض الشعوب ترى أن لها الحق فى ان يمتنع الفرد عن التطعيم بالمرة اذا رفض ذلك دينه .

ثم هناك من يحسب انه قد طُعِّم ، وما طُعِّم . ان الممرضة تخدش جلده ، وتطعمه المصلَ ، ثم لا يظهر على الجرح شىء ، فيقال انه منيع من



صورة فوتوغرافية بشعة ، نادرة ، للجدرى عندما اصاب رجلاً لم يكن حقن بالمصل ولو مرة واحدة فى حياته .. صورة تجعل كل ناظر لها ينفر الى مراكز الصحة يطلب التطعيم ..

المرض خلقةً ، فالمرض لن يعديه اذا جاء . والحقيقة قد تكون ان المصل لم يكن صالحا . انه لتمام التطعيم لا بد ان ينتشر الفيروس (المكروب) الذى بالمصل فى الجلد عند خدشه ، ولا بد ان ينمو فيه ، وتظهر بوادر ذلك،ثم هو ينتشر فى الجسم فيضطر ذلك الجسم الى صنع المواد الناقضة له ، تلك التى تقاوم الفيروس ، هذا الحاضر ، وما قد يصاب به الجسم منه فى المستقبل .

ان التطعيم لايقال انه نجح، مؤكدا، الا بهذا . فاذا ظهر بعد يومين أوثلاثة انه لم ينجح ، وجبت اعادته ، بمصل آخر .

فى الأذرع من آثار . ان بعضهم يفعل بالذراع كما لو كان يفلح أرضا .

ومع هذا ، فلا ننسى أن الذراع ، اذا انفعل بفيروس الطعم انفعالا شديدا ، واحتاج الى ضمادة ، كان أسهل ضمدا من الرجل . والذراع يمكن الانسان عند اللزوم حبسها عن الحركة ، اما الرجل فحبسها عن الحركة معناه الجمود فى المكان الواحد.

أنا امرأة ، لى رحمان

● علمت منذ قريب بان لى رحمين ، لا رحما واحدة . وادهشنى ذلك ، لانى ما كنت اعلم ان امرأة يكون لها غير رحم واحدة . فهل استطيع ان اسالك فى امر تاثير هذا على الحياة الزوجية ؟ ثم عند الحمل ، ايكون لى كل مرة طفلان ، ام لا يكون اطفال ابدا ؟

ــ فهمت أن لك رحمين كلتاهما على الصحة الكاملة . فاعلمى أنه لا يؤثر على علاقاتك الزوجية وجود رحمين مكان رحم واحدة .

اما عن الحمل فليس محتملا انك تحملين فى كلتا الرحمين معا ، ولو ان هذا غير مستبعد كل الاستبعاد . وانت تستطيعين ان تتبينى أنك حامل ، كما تستطيع اية امرأة لها رحم واحدة . وذلك بانقطاع العادة ، وكبر الثديين ، وزيادة التبول ، والعلامات الأخرى المعروفة .

ولكن من الممكن ايضا ، اذا وقع الحمل فى رحم واحدة ، ان تاتيك العادة شهرا او شهرين من الرحم الأخرى ، ولكن بغير الكثرة المعتادة .

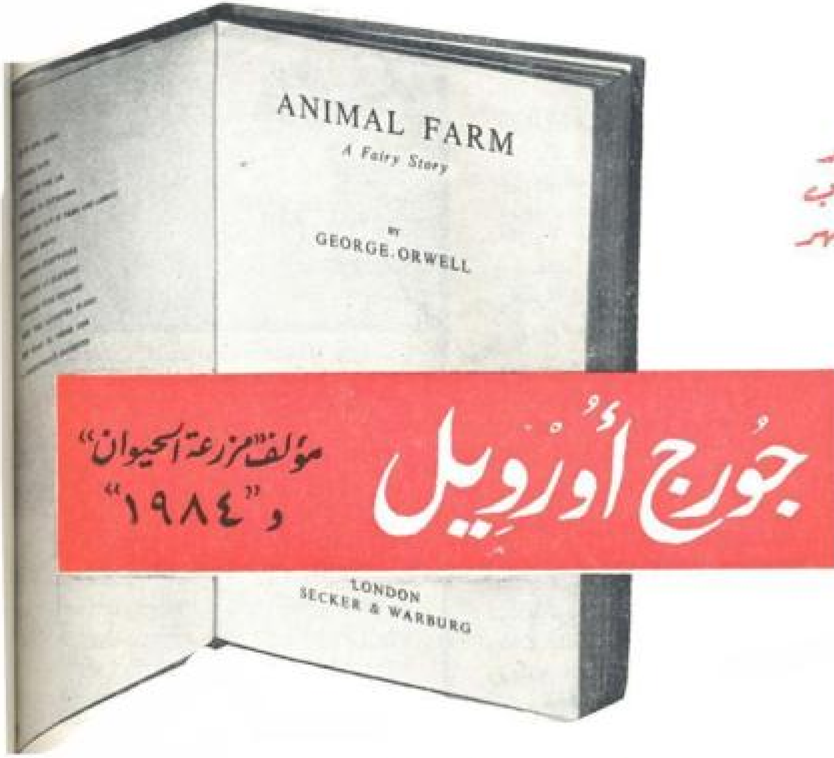
وجود رحمين لايجعل الولادة اصعب، ولكن من المحتمل أن يكون الطفل فى هذه الحالة ، فى وضع يتطلب عناية الطبيب الخاصة .

ومن المؤسف ان احتمال السقط وعدم تمام الحمل يزيد مع وجود الرحمين .

واحيانا يوجد الرحمان ولهما فم واحد ، وعندئذ يستطيع الطبيب ان يجرى جراحة تجعل منهما رحما واحدة، ويكون هذا بسبب تكرار السقط اوحتى بامتناع الحمل .

ومع هذا ، فعليك ان تنظرى بالأمل الى المستقبل . وسوف تحملين ان شاء الله حملا عاديا مكتملا ، وتلدين ولادة عادية . ■■

نقد كتاب الشهر



جورج أورويل

مؤلف "مزرعة الحيوان" و"١٩٨٤"

بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ جورج اورويل اديب ملتزم لمفهوم معين للحياة ، كرّس حياته كلها للدفاع عنه . ونحن نعجب بحماسته لرايه ، سواء رضينا به أم أنكرناه . ولولا هذه الحرارة البادية في اسلوبه الجميل ، لما استطاع ان يجد لنفسه مكانا بين الكتّاب : وهي حرارة تنبض بها قصصه ، ومقالاته ، وصوره الوصفية .

وجورج اورويل كاتب قصصي لم يكتب قصة ناجحة ، وناقد ادبي لم يعرف اصول النقد ، ومؤرخ اجتماعي يحفل تاريخه بالأخطاء . ولكنه مع هذا اديب يستهوينا برنّة الصدق التي تنبض بها كلماته : فقد عاش حياته وهو يؤمن بضرورة الصراحة والصدق مهما كانت نتائجهما مؤذية ، ودعا الى حرية الانسان من كل لون ، وندّد بالطغيان والاستغلال . والكتّاب الاحرار ، في رايه ، دوماً صريحون صادقون ، أما الامّعات فانهم يغلّفون معانيهم بالغموض ، والغموض دليل الجبن والهرب .

ولعل خير ما يوجز لنا رسالة اورويل في حياته ، وأدبه ، ما قاله هو نفسه :

« هناك عقيدة بسيطة واضحة اومن بها وهي ان المظلومين دوماً على حق ، والظالمين دوماً على باطل : وقد تكون هذه نظرة خاطئة اذا اخذناها بدقائقها ، ولكنها عندي عقيدة ثابتة تمّت

وترعرعت في نفسي منذ أن أدركت انني واحد من هؤلاء الظالمين . وهذا الاحساس جعلني أكره لا الاستعمار فقط ، بل أي نوع من أنواع السيطرة يمكن أن يمارسها أي انسان على أي انسان آخر . »

وأورويل من الأدباء المنكفئين على ذواتهم انكفاءً يحجب عنهم رؤية الحقيقة والواقع . وهذا الانكفاء المغلق على الذات جعل أدبه محدود الآفاق : فقصصه مثلا تبدو لنا متشابهة ، اذ انها كلها قصص عن شخصيات متوحدة . وهي شخصيات تحاول أن تعبر الجسر الى الآخرين ، وتقيم معهم علاقات ، ولكن الآخرين يصدونها ، أو يسخرون منها ، أو يتخلون عنها . وجو هذه القصص جو قاتم غاضب،هو انعكاس لنفسية أورويل الثائرة الحاقدة ، وهذا الجو بالحاحه يثقل على القارىء ويزعجه، حتى ليتمنى أن يهرب منه .

وانغلاق أورويل على نفسه جعله يرى العالم من خلال نفسه ، فمشاكله الخاصة هي مشاكل هذا العالم : من ذلك انه نشأ فقيرا ، وشب حاقدا لأنه ينتمي الى الطبقة العاملة المعدمة ، فلما كبر رأى مشكلة العالم في أمرين : المال والطبقة . ومثل هذا الايمان قد يكون معقولا لو انه كان نتيجة لادراك واع لأثر سوء توزيع الثروة في المجتمع . اما ان يكون انعكاسا لا واعيا لمشكلة خاصة ، فهذا هو ما نأخذه على أورويل ، لأن عدم وعيه وعيا تاما لجوانب هذه المشكلة الاجتماعية ، جعل تعبيره عنها فجّا ، مليئا بالفجوات .

ولا شك أن التوزيع غير العادل للثروة من المشاكل البشرية ، ولكن تناول أورويل لهذه القضية كان تناولا فيه غضب حاقد ، والحاقد لا يمكن أن يعي حقيقة القضية ، وقد يقوده حقده الى تصور غير المعقول : فهذا هو في قصته « ابنة قسيس » A. Clergyman's Daughter يرسم لنا صورة لمديرة مدرسة عابسة ، تقسم الطلاب في مدرستها الى ثلاثة أقسام : طلاب يمكن معاقبتهم الى أقصى حد ممكن ، وآخرون يمكن معاقبتهم الى حد ما ، وفريق ثالث لا يجوز لمسهم أبدا ، بل يجب دوما اطراؤهم وتشجيعهم ، وكتابة أحسن التقارير عنهم . وأساس هذا التقسيم واحد لا غير ، هو مدى مسارعة الوالدين الى دفع قسط المدرسة .

وهذا الانغلاق على الذات عند أورويل جعله يعمى عن الماضي ، ويعجز عن تصور المستقبل ، فالحاضر عنده هو كل شيء ، وهذا الحاضر الذي هو حاضره ، هو الماضي والمستقبل أيضا ، وهذا واضح جدا في قصته التي اشتهرت وهي « ألف وتسعمائة وأربع وثمانون » Nineteen Eighty-Four ، ففيها يصف المستقبل وكأنه هو الحاضر الذي كان يعيش فيه يوم كتبها ، أي عالم الحرب العالمية الثانية .

★ ★ ★

وجورج أورويل شرقي المولد : فقد رأى النور عام ١٩٠٣ في مونيهاري بالبنغال ، حيث كان والده موظفا بسيطا في دائرة الجمارك الهندية . وكان هو الابن الأوسط بين شقيقتين . واسمه الحقيقي هو اريك بلير Eric Blair ، ولكنه غيّره الى اسمه الذي عرف به بعد عودته من بورما الى انجلترا . وما كاد الصبي جورج يدرج حتى أحيل الأب على التقاعد براتب ضئيل ، وعاد الى انجلترا . واستطاع الصبي بذكائه أن ينال منحة دراسية تفتح أمامه أبواب كلية أيتون الارستقراطية (١٩١٧ ـ ١٩٢١) ، ولكنه وجد نفسه غريبا في هذا الجو الذي ينحدر فيه الطلبة من أسر نبيلة عريقة ، هي الأسر التي حكمت البلاد طيلة قرون .

ويصف أورويل صباه هنا فيقول : « كنت معدما لا أملك من المال حتى القليل ، وكنت ضعيفا ، قبيح الشكل ، غير محبوب . كما كنت أعاني من كحة مزمنة .. وفي أعماق أعماقي كنت أحس أن من المستحيل أن أنجح في حياتي ، وبقي هذا الاحساس مسيطرا علي الى أن نضجت وفهمت الحياة . وقد بثبت حياتي ، الى أن بلغت

الثلاثين ، على ان كل عمل أقوم به مكتوب عليه الفشل ، وان حياتي نفسها قصيرة جدا ».

ولكنا نستطيع الآن أن نقرر ان احساسه هذا لم يكن قائما على أساس ، اذ استطاع وهو في سن الثالثة عشرة ان ينال منحتين دراسيتين ، لا منحة واحدة .

★ ★ ★

وتخرج اورويل من كلية ايتون ، ونال منحة دراسية تؤهله لدخول جامعة كيمبردج ، ولكنه ادار ظهره لهذا الجو الذي كرهه . وآثر عليه وظيفة في الشرطة في الشرق الاقصى ، والى بورما توجه ليقضي فيها خمس سنوات(١٩٢٢ — ١٩٢٧).

وقد أمدَّتْهُ هذه السنوات الخمس بتجارب أنضجته ، وخلقت منه رجلا ، وجعلته اورويل الكاتب الذي صار اليه . ونحن نجد سجلا رائعا لاحاسيسه ،وافكاره ، وآلامه في هذه الفترة ، في كتابه « أيام في بورما » Burmese Days الذي نشر اولا في نيويورك عام ١٩٣٤ . ومن وحي هذه الفترة أيضا كتب قطعته الوصفية الجميلة « صَيْدُ فيل » التي يستشهد بها عادة دارسو اورويل للتدليل على جمال اسلوبه وحيويته .

واهم من هذا كله ، أطْلَعَتْهُ تجربته في بورما على جبروت الاستعمار وفساده ، فثار للانسانية المظلومة الرازحة تحت سياط الجلادين . وهكذا نراه يستقيل من وظيفته ، ويقفل راجعا الى انجلتره « لانني أيقنت من أن اكون جزءا من نظام مستبد غاشم » . وبقي طيلة حياته يحس بتأنيب الضمير للسنوات الخمس التي قضاها هناك موظفا في جهاز كرهه : « كنت احس بألم بالغ ، واسعى للتكفير عنه . »

★ ★ ★

وقد سعى للتكفير عن ألمه باسلوبه الذي ارتآه:

فسافر الى باريس ، وعاش فيها زمنا عرّض فيه نفسه لأقسى أنواع الحرمان : فكان يغسل الصحون في فندق بباريس لقاء طعامه ، وكان ينام في أماكن رطبة قذرة يسبح فيها عليه البق . لقد ظن انه بهذه الطريقة يستطيع ان يكفر عن ايامه في الشرطة الانجليزية ببورما ، ولا اظن ان كثيرين يرون أن التكفير يكون بهذه الطريقة . ومن حياته هذه استقى مادة أول كتاب صدر له ، وكان ذلك عام ١٩٣٣ (١) . وعندما صدر هذا الكتاب استقبله كبار النقاد بالمديح ، فكان بهذا حسن الحظ ، لان من النادر ان تستقبل اقلام النقاد كاتبا ناشئا بالتشجيع والتأييد . وهكذا وجد اورويل نفسه كاتبا معروفا منذ كتابه الاول . ولكنه مع هذا لم يكسب من قلمه دخلا طيبا ، الا بعد النجاح الرائع الذي لقيه كتابه « مزرعة الحيوان » Animal Farm (١٩٤٥) .

وحاول اورويل بعد هذا ان يكفر عن ألمه بطريقة اكثر نفعا : فزار منطقة من المناطق الانجليزية الفقيرة ليكتب عنها كتابا يعرض فيه ما تعانيه هذه المناطق من ظلم اجتماعي واهمال(٢)، واشتعلت نار الحرب الأهلية في اسبانيا ، فسارع اليها لينضم الى من ظن انهم المظلومون ، واشترك في المعارك ، فاصابته رصاصة كادت تودي به ، ولما شفي منها عاد الى وطنه ، ليكتب انطباعاته عن الحرب الاسبانية (٣) .

★ ★ ★

والحرب العالمية الثانية أكبر حدث في حياة اورويل ، فهي التي اوحت له باشهر كتابين له ، وبهذين الكتابين يعرف اورويل الآن ، وهما « مزرعة الحيوان » و « ألف وتسعمائة وأربع وثمانون » . وبسبب ما نال هذان الكتابان من شهرة تقف عندهما ، لانهما هما اورويل .

في الشهر الذي انتهت فيه الحرب مع المانيا ، ظهر كتاب « مزرعة الحيوان » ، الذي كان اورويل قد كتبه بين نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٣ وفبراير (شباط) ١٩٤٤ ، وهو باجماع الدارسين

---

(1) Down and out in paris and London.
(2) The Road To Wigan Pier .
(٣) Hamage To Catalonia .

العدد القادم

هو

العدد السنوي

الممتاز

رائعة اورويل ، وخير انتاجه . واورويل نفسه يدرك هذا فهو يقول : « انه الكتاب الوحيد الذى نصبت فى اعداده » .

والكتاب قصير فى تسعين صفحة ، يجريه كاتبه على السنة الحيوانات ، وهو سخرية من الدكتاتورية . وقد رفضت نشر الكتاب أربع دور نشر بحجة ان الوقت غير مناسب لنشر كتاب فيه هجوم على حليفة خاضت الحرب مع الحلفاء ، وتكبدت فيها خسائر فادحة . ولكن ثبت ان مخاوف دور النشر هذه كانت فى غير محلها ، اذ لقى الكتاب عند نشره نجاحا كبيرا ، فكان احسن كتاب رواجا فى هذه الفترة ، وكان رواجه فى امريكا أكثر منه فى انجلترا .

وهذه القصة يقرأها الاطفال والصبية فلا يرون فيها غير قصة ممتعة تسليهم ، حالها معهم حال « رحلات جليفر » و « حكايات ايسوب » ، لأن المعاني الرمزية فى هذه القصص تعز عن ادراكهم بطبيعة الحال .

وخلاصة هذه القصة فى كلمات : ان حيوانات مزرعة من المزارع تثور على سيدها الطاغية ، وتنجح فى الخلاص منه ، وتتولى ادارة المزرعة بنفسها . وأول ما فعلته الحيوانات بعد النصر ، هو أنها وضعت دستورها الذى ستسير عليه ، وهو دستور فى سبع وصايا أهمها الوصيتان السادسة والسابعة اللتان تقولان : « لا يجوز لأى حيوان أن يقتل حيوانا آخر » و «كل الحيوانات متساوية .»

ولم تكن الحيوانات تتصور أن مشكلة جديدة ستبرز لها ، تلك هى مشكلة تنظيم العلاقات بين الحيوانات نفسها ، اذ لم تكد تنتهى الثورة حتى برز الخلاف بينها : فالخنازير لا تعمل ، ولكنها تراقب الحيوانات التى تعمل ، وتوجهها . وقد بنت قيادتها للحيوانات على أساس انها أكثر فهما من غيرها . وللقيادة ميزات ، ولهذا فالخنازير تطالب بهذه الميزات : تطالب بحليب الابقار ، وبتفاح الحقول :

« لا أظن ان احدا هنا يتهم الخنازير بالأنانية والاثرة ! ان كثرتنا لا تحب الحليب ولا التفاح .. ولكن الحليب والتفاح بما فيهما من منافع أثبتها العلم ، ضروريان للخنازير التى لا تكل عن التفكير من أجل المجموع .. فاذا أخذنا لأنفسنا الحليب والتفاح ، فاننا انما نفعل ذلك من اجلكم . أتدرون ماذا سيحدث لو اننا لم نهتم بأنفسنا ، ونعدها للقيام بواجبها الضخم ؟ ان الطاغية سيعود من جديد ... ولا أظن ان احدا منكم يحب أن يعود الطاغية ! »

وتتطور الاحوال فى المزرعة . وكم كانت دهشة الحيوانات عندما وجدت نفسها تحيا حياة لا تختلف فى شكلها وبؤسها من حياتها الاولى : فالخنازير قد استأثرت بكل خير ، ومن يحاول الاعتراض يودى به . وتتلفت حولها لتجد ان كل المبادىء التى وضعتها ، وكتبتها على جدار المخزن ، قد ازيلت ، أو حرفت : فالمبدأ الذى يقول « لا يجوز ان يقتل حيوان حيوانا آخر » قد أصبح «لا يجوز أن يقتل حيوان حيوانا آخر دون سبب»! كيف حدث هذا التحريف ؟ انها لا تدرى .

وسكتت الحيوانات على مضض ، وبقيت تعلل نفسها بأن المبدأ السابع ما زال موجودا على الاقل ، وهو القائل « كل الحيوانات متساوية ». ولكن هذا المبدأ أيضا لم يلبث أن حُرّف : انها

تعود من الحقل ذات مساء لتجد الخنازير وقد اخذت تمشي على رجلين اثنين ، وفي يد كل منها سوط ، وعلى جدار المخزن عبارة طويلة تقول : « كل الحيوانات متساوية ، ولكن بعضها أكثر تساويا من بعضها الآخر » !

والواقع ان هذه القصة ترمز الى حقيقة لا يكاد يخلو منها مجتمع انساني : فالشعارات ترفع ، فاذا انتصرت برزت من رجالاتها فئة متحكمة تتناول هذه الشعارات بالتشويه أو التزوير . وليس المهم في هذه القصة هذا المعنى الذى يرمز اليه اورويل ،بل ان الأهم هو الطريقة التي عرض فيها هذا المعنى على هذه الصورة الجميلة الجذابة .

★ ★ ★

وقصة « ١٩٨٤ » يصور فيها اورويل عالم المستقبل كيف يكون . ترى لماذا حدد اورويل مستقبله هذا الذى يكتب عنه بهذه السنة بالذات؟ لا أحد يدرى تماما . ورأيي ان اورويل بدا بكتابة قصته هذه سنة ١٩٤٨ ، فجعل مستقبله هو هذا العدد مع عكس الرقمين الأولين .. تفسير ربما كان معقولا .

وفكرة الكتاب الاساسية هي تصوير الطغيان ، وكيف انه هو الذى يهدد مستقبل الانسان . والطغاة في كتاب اورويل يسيطرون على المواطنين بالقدرة على ادراك الافكار ، وعلى السيطرة عليها : فهم يدركون الافكار بوضعهم تلفازا في غرفة كل مواطن ، وهو تلفاز ذو وجهين ، وجه عند المواطن وآخر عند « شرطة الافكار » يعكس ما يدور في ذهن المواطن .

وهم يسيطرون على الافكار عن طريق وضع « لغة جديدة » يحظر استعمال غيرها ، وهي لغة تجعل من المستحيل على المواطنين التعبير عن أية افكار لا ترضى عنها السلطات ، وذلك باختصار مفردات اللغة « فكل الكلمات التى تعبر عن فكرة الحرية والمساواة ، مثلا ، يعتبر استعمالها جريمة ، وكل الكلمات التى تدور حول الموضوعية والعقلانية تعتبر « لغة عتيقة » ..

والعنف هو طابع مستقبل اورويل ، فعقاب اى منتقد ، مهما كان نقده تافها ، هو الاعدام حالا . وبعبارة مختصرة فان كل فرد فى عام ١٩٨٤ ، يصبح فى راى اورويل جبانا ، أو جاسوسا ، أو خائنا !!

وماذا ترى نحن فى مثل هذا العالم ؟ هل يدل هذا العالم على ادراك اورويل ادراكا داعيا لمشاكل الجنس البشرى ؟

لعل سوء حالة اورويل الصحية ، وتمكن مرض السل منه ، وسوداويته فى هذه الفترة ، هى التى جعلته يكتب كتابا محموما مثل هذا . ثم ان هذا العالم الذى يرسمه اورويل لنا ، ليس هو عام ١٩٨٤ كما يتصوره ، بل انه عام ١٩٤٨ ، العام الذى كتب فيه كتابه ، ولكنه حشد فيه كل ما كان يكره من مجتمعه . حتى أدوات الحرب التى تستعمل عنده فى عام ١٩٨٤ هى نفسها أدوات حرب الحرب العالمية الثانية !

ومن عيوب الكتاب البادية ان اورويل عندما جعل كل الناس فى مستقبله اما جبناء ، او جواسيس ، او خونة ، قد سلب قصته التوتر الذى يرافق الشجاعة والتضحية : فليس فى القصة دفاع عن قيم ومُثل ، وبدلا من هذا نجد العجز والاستسلام ، فبطل القصة عاجز عن عمل اى شيء ، عاجز حتى عن ان يحب او يشتهي رفيقته بطلة القصة .

ولما ظهرت قصة «الف وتسعمائة واربع وثمانون» فى عام ١٩٤٩ ، اى قبل وفاة اورويل بسنة ، لم تلق من النجاح الا بعض ما لقيته « مزرعة الحيوان » .

★ ★ ★

وقبل وفاته ببضعة أشهر تزوج للمرة الثانية ، غير مدرك ان القدر كان له بالمرصاد فى الثالث والعشرين من شهر يناير (كانون الثاني) من عام ١٩٥٠ ، وهو لم يكن بعد قد بلغ السابعة والاربعين من العمر . ■■

الاردن : محمود السمرة

من الكتب التي وصلتنا

التربية والمجتمع

الدكتور عبد القادر يوسف . مطبعة المعارف . الكويت .

● « هذا الكتاب الذى اقدمه للقراء عبارة عن محاولة مبسطة لتوضيح بعض المفاهيم الفلسفية عن التربية والمجتمع والثقافة ودور المدرسة فى مجتمعنا العربى الحديث ... وقد حاولت جاهدا ان ايسر المادة واوضحها قدر الامكان لينتفع بهـا القارىء المثقف ، والمدرس ، وطالب التربيـة ، وكل مهتم بالدراسات الاجتماعية . »

فلسطين ومؤتمر القمة العربي

تأليف : صلاح الدين شكرى

مكتبة الصحافة للشرق العربى بدمشق ـ الثمن ثلاث ليرات سورية

● يعتبر هذا الكتاب سجلا حافلا امينا لوقائع مؤتمر القمة ومقرراته واهدافه وصداه فى العالم، واستعراض وثائقى تاريخي لمعركة المياه والقضية الفلسطينية ، وتطور سيرها السياسى عبر المراحل والادوار التى مرت بها. كما دعمه المؤلف بالصور والخرائط والوثائق التى تعتبر من أهم وثائق التاريخ العربى الحديث . كما حوى الكتاب أخبارا هامة عن المناقشات التى دارت فى المؤتمر الذيعت لأول مرة .

هكذا تكلم بوذا

تأليف : زهير طحان

دار الاندلس ببيروت ـ الثمن ١٥٠ قرشا لبنانيا

● يعرض هذا الكتاب مشكلة الضياع الفكري التي تكون نتيجة فقدان الحقيقة المطلقة ، وذلك فى مجموعة قصصية صغيرة حافلة بالحوادث المشوقة .

مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها

محمد مهدى الاصفى . النجف الاشرف .

● « ظلال من حياة الراحل الشيخ المظفر ، ودراسة عن الحياة الفكرية فى النجف . »

معاهدات ليبيا

تأليف : سامي حكيم

دار المعرفة بالقاهرة

● يشرح هذا الكتاب نص المعاهدات الاقتصادية والسياسية التى أبرمتها المملكة الليبية المتحدة مع كل من انجلترا وأمريكا وفرنسا كما يوضح الظروف التى أبرمت بمقتضاها تلك المعاهدات وطرق ابرامها . والكتاب جاء وافيا بحقائق تلك الظروف وما تبعها من مواقف مشرفة اتخذتها ليبيا تمشيا مع ظروف مؤتمر القمة العربى .

وحدة الوجود العقلية

تأليف : عبد الجبار الوائلي

مكتبة النهضة ببغداد ـ الثمن ٣٠٠ فلس عراقى

● هذا الكتاب على جانب هام فى موضوعه ، اذ يبحث فى تعريف العقل البشرى وملحقاته من عواطف وغرائز وافكار يخلص بها مؤلفه الى فلسفة المعرفة والنفس . وقد اعتمد المؤلف على ارائه الخاصة وتجاربه وملاحظاته بصراحة وامانة ، فجاء آية فى التجديد باسلوب مبسط سهل .

حياة جائعة

تأليف : عبد الله عبد الرحمن جفرى

مطابع دار الاصفهانى ـ جدة

● مجموعة قصص قصيرة شيقة تدور حول الحرمان فى شتى معانيه .

لماذا نعلم

تأليف : نخبة من المعلمين من الشرق والغرب
ترجمة : الدكتور محمد علي العريان
عالم الكتب بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٥٥ قرشا

● يضم هذا الكتاب مختارات من أحسن ما كتب عن المعلم ورسالته المقدسة باقلام شخصيات بارزة . ويعتبر مصدرا روحيا كبيرا لطلاب المهنة والمشتغلين بالتربية والتعليم . كما تضمن كتابات بعض المعلمين عن خبراتهم العملية مبرزين فيها جانبا مشرقا من حياتهم في مهنة التعليم سواء عن انفسهم او عن شخصيات حببت اليهم المهنة او تجربة معينة جعلتهم يؤثرون هذه المهنة على كل ما عداها .

محاضرات في التشريع الجمركي

تأليف : هاشم محمد صالح ـ مطبعة العاني ببغداد ـ الثمن نصف دينار عراقي

● يعتبر هذا الكتاب مرجعا هاما لأسس وقوانين الجمارك في العراق ، وقد تناول المؤلف بالبحث بعض قضايا التهريب وطرق المقاومة .

التحليل الكيفي شبه الميكروني

تأليف : وليام المركولوويل وجورج بروكس كينج
ترجمة : الدكاترة عيسى مصطفى وعبد المجيد مرزوق وعيسى محجوب وسامي كيرلس

● هذا الكتاب جاء وليد دراسات متصلة من الهيئات العلمية في الجمهورية العربية المتحدة والهيئات العلمية التي تبت بينها هذا المرجع القيم وهو الاول من نوعه في هذا الميدان . ويتناول طريقة التحليل الكيفي شبه الميكروني بالشرح والتفصيل والتحليل . والكتاب موضوع بحيث يصلح لقيد نتائج التجارب مباشرة فقد تركت فيه فراغات ليدون الطالب مشاهداته وملاحظاته عند اجراء كل تحليل في المكان المخصص لذلك ، وتعتبر هذه الطريقة من افضل واحدث طرق تسهيل دروس الكيمياء العلمية . وقد بذل الاساتذة الذين قاموا بترجمة الكتاب مجهودا مشكورا لاخراجه في صورة ذات قيمة علمية مشوقة .

الاعلان

تأليف : الدكتور علي رفاعة الانصاري
مكتبة الانجلو المصرية ـ الثمن جنيهان مصريان

● يعتبر هذا الكتاب اول مؤلف باللغة العربية في الاعلان ، حيث صدر على اساس علمي شامل . وبحث فيه مؤلفه تطور فن الاعلان وقيمة الاعلان الاقتصادية كما تعرض للاساس السيكلوجي للاعلان . وعرض عرضا رقيقا فنيا طرق تحرير الاعلان الحديث كما شرح شرحا وافيا طرق التنفيذ مبرزا الجانب الفني فيه .

تجربة الشيوعية في الصين

تأليف : محمود الدره
دار الكفاح ودار الكاتب العربي ببيروت ـ الثمن ٦٥٠ قرشا لبنانيا

● مؤلف هذا الكتاب احد رواد الحركة القومية العربية الثائرين بالعراق . وهذا هو اول كتاب يجمع بين ماضي الصين بكفاح شعبها الدامي وبين حاضرها بمختلف صور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، في المصانع وفي الحقول ، حيث تجر فتياتهم ـ وهن في عمر الورود ـ المحاريث بالحبال المشدودة على اكتافهن . كما تعرض المؤلف للخلاف العقائدي بين الصين والاتحاد السوفييتي . وقد كتبت فصول هذا الكتاب بروح قيادية نتيجة مشاهده وتجواله في معظم ارجاء الصين ودراسة دقيقة « استندت الى اوثق المصادر والمراجع والاحصاءات » .

حفظ صحة العين

تأليف : الدكتور حسن وداد همت
مطبعة المفيد الجديدة بدمشق ـ الثمن ٢٠٠ قرش سوري

● مؤلف هذا الكتاب طبيب عيون مشهور ، عمل رئيسا للاطباء المقيمين في الشعبة العينية لمستشفى المعهد الطبي في جامعة وسكانس بامريكا . وقد ضمن الكتاب خلاصة وثمرة جهده الطويل ودراساته الكثيرة في هذا الميدان شارحا طرق وقاية العين والمحافظة عليها وذلك بأسلوب مبسط شيق . ■■



تضحك الدنيا معك ابك تبك وحدك

لماذا يسهر فى الحانة ؟

● فى ساعة متأخرة جدا من الليل ،التفت احد رواد الحانة حوله ، فلم ير من الناس سوى رجل آخر ، فاقترب منه وساله : « قل لى .. ماذا تفعل زوجتك حين تمكث فى الحانة الى مثل هذه الساعة ؟ »

والتفت اليه الرجل الآخر ، وقال :« ولكنى لست متزوجا » .

فهتف الآخر فى دهشة : « لست متزوجا ؟ .. فلماذا تسهر الى ساعة متأخرة خارج البيت ؟ » !.

على سبيل التجربة !

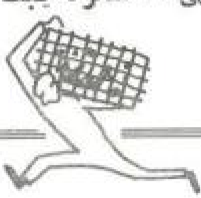
● **اشتهر** مدير احدى الشركات باللباقة والتلطف فى الحديث ، حتى فى أحرج الأوقات . وفى ذات يوم ، اضطر لأن يفصل من الشركة موظفا لم يكن يؤدى عمله كما ينبغى . فاستدعاه اليه، وقال بلطفه المعهود :

ـ لست أدرى يا بنى كيف سنمضى فى عملنا بدونك ، ولكن مجلس الادارة قرر أن نجرب ذلك ابتداء من أول الشهر !

أدب ...

● حرصت الام على أن تعطى ابنتها الطفلة درسا فى آداب السلوك ، قبل وصول خالتها التى كانت مقبلة لزيارة الأسرة . وما لبثت الخالة ان وصلت ، وبعد أن قبّلت الطفلة طويلا ، اخذت الصغيرة تحوم حولها ، ثم قالت لها :

ـ أتعرفين يا خالتى ؟.. لقد أصبحت طفلة مؤدبة ، فبعد أن قبلتنى لم امسح وجهى .. سأتركه يجف وحده !



من أين جاء الباقى ؟

● ارسلت الاخت التى تعيش فى الريف قفصا من الدجاج الى اخيها الذى يعيش فى بلدة قريبة . وبعد اسبوع جاءت تزوره ، فسألته ان كان قد استلم الدجاج فقال : **« نعم .. ولكن بعد صعوبة كبيرة ، اذ فتح باب القفص ، وفرت الدجاجات فى شوارع المدينة وازقتها وامضيت عدة ساعات اطاردها الى أن امسكت بعشر دجاجات فقط »** .

فقالت الاخت : « هذا حسن ، فانى لم ارسل لك سوى خمس دجاجات !! »

يشرف على هذا الباب

عبد الوارث كبير

أنت تسأل



ونحن نجيب

تراثُ الإنسانيّة والنعراتُ الدينيّة المذهبيّة

مَنْ تنكّر لماضيه تنكّر له حاضرُه!

● منذ أكثر من عام ونحن نقرأ ونسمع عن آثار النوبة ، ومعابد أبى سنبل ، واكتتاب دول العالم بالاف الدولارات وأحيانا بالملايين ، لنقلها من مكانها الذى ستغمره مياه النيل بعد انشاء السد العالى . وقد لفت النظر اشتراك كثير من الدول الاسلامية فى ذلك الاكتتاب كالجزائر والكويت والسودان والعراق وليبيا وتونس والمغرب وباكستان ولبنان وقطر وغيرها ، بالاضافة الى الجمهورية العربية المتحدة التى تجرى هذه العملية فى بلادها .

والسؤال هو : كيف ترضى هذه الدول الاسلامية أن تشارك فى انقاذ معابد وكنيسة ، أقيمت لعبادة الاصنام دون الله الواحد القهار؟

وكيف ترضى الجمهورية العربية المتحدة أن تظل هذه المعابد الوثنية على أرضها ، وأن تنفق على انقاذها ملايين الجنيهات وهى الدولة التى تضم الأزهر الشريف ، أكبر الجامعات الاسلامية فى هذا الزمان ؟

ثم الم يكن أولى وانفع أن تنفق تلك الملايين من الجنيهات والدولارات ، فى مشروع تفيد منه الدول المتخلفة ، او النامية كما

من هو حلاق اشبيلية ؟

● غالبا ما يستلفت انتباهى اسم « حلاق اشبيلية » فى قراءاتى ، دون أن أعرف مدلوله . فهل لكم أن تحدثونا قليلا عن هذا الحلاق الشهير؟

القارىء محمد عيسى ــ السعودية

ــ حلاق اشبيلية هو بطل الملهاة المرحية (الكوميديا) التى قدمها الكاتب الفرنسى (بومارشيه) سنة ١٧٧٥ فى باريس بهذا الاسم . ويدور موضوع هذه الملهاة ــ التى قدمت بالنثر ــ حول مساعدة الحلاق « فيجارو » للكونت « المافيفا » فى اكتساب قلب محبوبته الشابة « روزين » وكانت محجوزة تحت رقابة ولى امرها العجوز « بارتولو » ، لأنه كان يطمع فى الزواج منها رغم كبر سنه .. وما تثمره تلك المساعدة ، من نتائج سارة ومفاجآت ، طريفة مضحكة .. منها فى النهاية « انتصار الحب والشباب على شذوذ العجائز وتصابيهم »!

وقد زاد فى ذيوع شهرة « حلاق اشبيلية » اعتماد الموسيقار الايطالى العظيم « روسينى » على احداثها فى اخراج أوبراه بذات الاسم عام ١٨١٦ .

يسمونها ، بدلا من القائها فى النيل ، دون أن يعود على البشرية منها كثير أو قليل ؟!

أ. م. الكردى ـ مكة المكرمة

ـ الذى نعرفه ويعرفه الناس أن الرأى العام العالمى لم يهتم بانقاذ آثار النوبة باعتبارها معابد وثنية او غير وثنية ، والا لما وجدت عشر ما تلقاه من رعاية واهتمام ، مصدرهما الاول والأخير قيمتها التاريخية والفنية ، باعتبارها تراثا حضاريا جديرا بالحفاظ عليه مهما اختلفت المذاهب السياسية والدينية والعنصرية ، ومرجعا أثريا خالدا لأجيال عاشت قبلنا بآلاف السنين ، ولأناس لم يعرفوا القنابل الذرية ولا الصواريخ ، بل لم يعرفوا استخدام البخار او الآلات الكهربائية او حتى آلات النحت الحديثة ، ومع ذلك خلفوا للانسانية اعمالا باهرة ، تحدوا بها الزمن ، وكانت ولا شك خطوة رائعة الى الأمام فى الطريق الشاق الطويل الذى قطعته البشرية عبر القرون ..

وآثار الحضارات القديمة التى سادت ثم بادت ، سواء أكنا نجدها فى صورة معابد أو اهرامات أو مسارح أو قبور ، ليست مقصورة على مصر وحدها .. انك لتجدها فى مجموعة الدول العربية فى شمال افريقيا ، كما تجدها فى سوريا ولبنان والعراق ، وكما تجدها فى الهند والصين واليابان ، وايطاليا واليونان ، بل فى كل بقعة قامت عليها احدى الحضارات .. وما من أمة من الأمم التى كان لها نصيب من تلك الآثار الا بذلت قصارى جهدها للمحافظة على ما بقى من اطلال حضاراتها الدارسة ، بل وتقديسها ، لا من الناحية الدينية ، وانما من الناحية التاريخية ، باعتبارها جزءا من تراث الانسانية كلها ، ومظهرا من مظاهر حضارة الانسان فى مختلف العصور والأزمان..

والذين ينظرون الى تلك الآثار التاريخية من زاوية الدين فحسب ، قوم قصار النظر ، لا يعلمون أن التنكر للماضى جريمة ، خصوصا اذا كان ماضيا مشرفا وضاء ، كماضى أولئك الذين خلفوا تلكم الآثار ، فى أية بقعة من بقاع الارض ، شاهدة على عظمتهم ، ناطقة بأنهم حقا جديرون بالخلود ..

ان معابد أبى سنبل وغيرها من المعابد الأثرية المنتشرة فى انحاء العالم ، قد تجردت من صبغتها الدينية منذ آلاف السنين ، أى منذ اندثرت الحضارات التى قامت فى عهدها ، والديانات التى كانت تمارس فيها طقوسها ، وعرف الناس أن تلك الآلهة المزعومة التى كان يعبدها الاقدمون لم تكن الا خرافة وضلالا ، وانه لا اله الا الله الواحد الأحد ، الذى خلق كل شىء بما فى ذلك الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك مما كانوا لها عابدين .. والذين يقصدون الى هذه المعابد من مختلف بقاع الأرض ، أو يتبرعون بسخاء لترميمها او انقاذها ، لا يفعلون ذلك بوازع دينى ، ولا ليتعبدوا فيها لغير الله ، وانما ليشهدوا ما يتجلى فيها من عظمة تاريخية وروعة فنية ، لا كفر فيها ولا وثنية ،

(البقية على صفحة ١٤٦)

الانسان فى أمريكا قبل كولمبس

● تقول كتب الجغرافيا التى تتدارسها ان كريستوفر كولمبس ورفاقه قد اكتشفوا القارة الأمريكية لأول مرة عام ١٤٩٣ م ، ورأوا فيها بشرا هم سكانها الاصليون المعروفون بالهنود الحمر ، ترى ، من أين جاء هؤلاء قبل كولمبس ؟

نهاد هنداوى سرحان ـ سوريا

ـ المعروف لدى المؤرخين اليوم ان كولمبس لم يكن اول زائر لأمريكا ! .. بل سبقه الى تلك القارة البعيدة ، العرب أولا ، ثم الأوروبيون (من اسكندناوة) كما كشفها قبل هؤلاء جميعا ، أولئك الهنود الحمر الذين صاروا ، من بعد ، أهلها الأصليين .. وهم جاءوا ـ لا شك ـ من آسيا ، عن طريق الاسكا ، تشهد بهذا السحن ، وتشهد مشابهة فى اللغة (راجع مجلة « العربى » العدد ١١ الصفحة ٦٣) .

وقد كانت للهنود الحمر فى أمريكا قبل كولمبس مدينة ودولة. ومنهم جاءتنا البطاطس أو (البطاطا). أول ما عرفناها .

ماذا تتكلم موريتانيا ؟

● المعروف عن موريتانيا أنها جمهورية اسلامية استقلت حديثا . ولكن ما لا يعرفه الكثيرون عنها هو نوع اللغة (أو اللغات ؟) التى يتكلم بها الموريتانيون حاليا . فحبذا لو جلت لنا مجلتنا المفضلة هذا الغموض .. وشكرا .

القارىء شكرى ـ غزة ـ فلسطين

ـ يقول الاستاذ محمد عبد الله عنان فى بحث طويل له عن « موريتانيا : الجمهورية الاسلامية الافريقية الجديدة » ، نشرته « العربى » فى العدد ٢٥ الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٦٠ :

« يتكلم اهل موريتانيا لغة قريبة من العربية اسمها « الحسانية » ، تكتب وتقرأ .. هذا فضلا عن اللهجات البربرية المختلفة » .

ولكن كتيبا اعلاميا أصدرته السفارة الموريتانية فى تونس قبل عامين بعنوان «أضواء على موريتانيا» أكد عروبة الشعب الموريتانى، لغة وحسبا ، ونسبا ، وخلقا .. ومما يقال بهذا الصدد :

(يقطن موريتانيا لفيف من قبائل العرب الأقحاح جلهم رحل منذ القرن الثانى للهجرة النبوية الشريفة تقريبا . وهذه القبائل ترجع فى أنسابها الى أصول عربية كريمة من مضرية وقحطانية ، ولا يستبعد أن يكون فيها من القبائل المستعربة.. الا أنه من الغريب انك لا تجد قبيلة موريتانية واحدة تقر بذلك وترضى به . ان المواطن الموريتانى عريق ، النشأة العربية جبلة فيه ، فصاحة العروبة ، وشهامتها ، واباء الضيم العربى . ان المواطن الموريتانى لا يزال محافظا حتى الآن على التقاليد العربية الكريمة : من اقـراء الضيف واكرام الجار وصلة الرحم بجميع وسائلها،لافرق فى ذلك بين عرب موريتانيا وزنوجها.وان من تتبع اشعار قدماء العرب فى وصف النساء والرجال والرحيل والشجاعة والاقدام والشهامة والكرم ، ليتبين بوضوح ـ اذا قارن ذلك مع الحياة الموريتانية ـ ان هذه الحياة لم يبق متعصبا لها الا هذه الشرذمة من الناس القاطنين فى موريتانيا. وقد اتفق جميع من يعتد باتفاقهم من مؤرخى العرب ، كابن جرير الطبرى ، والمسعودى والجرجانى وابن الأثير وابن عبد البر وابن خلكان، على ان قبائل صنهاجة ، التى تمثل بقاياها اكثرية فى موريتانيا ، يرجع نسبها الى أصل حميرى .

الا ان الاستعمار ما فتىء يطبل هو واذنابه على أن جل قبائل موريتانيا من أصل غير عربى !! أو ما علم هؤلاء أن العربى هو من يتكلم العربية فطرة ؟ وأن أى شعب ، لغة الشارع فيه العربية .. هو شعب عربى؟ ـ وعلى ذلك ، فان موريتانيا لا تريد شاهدا على عروبتها ، فقد كفاها لسانها مؤنة البينة ..) .

كيف تتكون حبة اللؤلؤ ؟

● لشد ما ادهشتنى رؤية اللؤلؤ الجميل قابعابين صدفتين محكمتى الاغلاق .. مما جعلنى فى حيرة من أمر تكوينه بجسمه الأملس الصلب ،الشديد القساوة ، الرائع التألق ، داخل المحار.

طه عارف ـ الكويت

ـ اللؤلؤ من نسيج الأحياء الصدفية ، وهى أحياء منزلها البحار ، ويصنعه المحار داخل الصدفة الملساء .

يفرز المحار مادة تغطى باطن الصدفة ، فتجعلهاملساء ناعمة ، مهيئة بذلك للمحار الحى ـ وهو جسم رخو رقيق دقيق لا يحتمل الفراش الخشن ـ فراشا أنعم مسا .

وتتسلل الى داخل المحار حبيبة من رمل ، أوحيوان بالغ الصغر من احياء البحر ، أو أى شىء غريب كائنا ما كان ، فيتخذ المحار موقفا دفاعيا ،محاصرا هذا الجسم الغريب الداخل اليه بأن يفرز حوله تلك الطبقة الملساء التى صنع منهافراشا يقيه خشونة الصدفة .. ويزيد هذه الطبقة أخرى فأخرى فأخرى .. وتكون النتيجة :لؤلؤة .

عدد المغتربين العرب فى مختلف انحاء العالم

● لهجرة العربى من دياره واتجاهه الى البلاد القصية النائية عن موطنه الاصلى ، حديث طويل وتاريخ ذو شجون يسير بوحى الاية القرآنية الكريمة « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات » وكل ما أرجو معرفته بهذا الصدد فى الوقت الحاضر هو الالمام بعدد المغتربين العرب فى جميع أنحاء المعمورة . فهل تحقق « العربى » لى هذه الرغبة ؟

القارىء محمد امين احمد ــ البحرين

ــ لا يوجد احصاء رسمى دقيق لعدد المغتربين العرب فى العالم ، وانما هناك احصائيات تقديرية يعتمد عليها المسئولون فى جامعة الدول العربية . ومنها يتضح أن مجموع عدد هؤلاء المغتربين يزيد على ٢ مليون نسمة متفرقين فى مختلف البلدان طبقا للاحصاء الآتى :

الولايات المتحدة	٦٠٠٠٠٠	فنزويلا	١٠٠٠٠	كوستاريكا	١٠٠٠
كندا	١٠٠٠٠٠	سلفادور	٦٠٠٠	جامايكا	١٠٠٠
البرازيل	٧٠٠٠٠٠	بيرو	٥٠٠٠	سانتودومنكو	٣٠٠٠
الارجنتين	٣٥٠٠٠٠	كولومبيا	١٠٠٠٠	جواتيمالا	١٨٠٠
كوبا	٣٠٠٠٠	اورجواى	٨٠٠٠	نيكاراجوا	١٤٠٠
المكسيك	٥٥٠٠٠	هندوراس	٨٠٠٠	بناما	٢٠٠
شيلى	٧٠٠٠٠	باراجوى	٣٠٠٠	بورتوريكو	١٠٠
هايتى	١٥٠٠٠	اكوادور	٨٠٠٠	اوستراليا	٣٠٠٠٠
بوليفيا	١٠٠٠٠			نيوزيلندا	١٠٠٠٠

مدينة ؟ أم مدينتان ؟

● متى قسمت برلين الى شرقية وغربية ؟

الطالب ثابت سلطان الحارثى

الطائف ــ السعودية

ــ بعد هزيمة المانيا الهتلرية فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، قسمت المانيا فى عام ١٩٤٥ الى اربع مناطق احتلال هى : المنطقة البريطانية ، والمنطقة الفرنسية ، والمنطقة الامريكية ، وكلها فى الغرب . ثم المنطقة السوفييتية فى الوسط وفى الشرق . وقسمت العاصمة ــ برلين ــ كذلك الى اربعة قطاعات .

وفى عام ١٩٤٨ ، جمعت القطاعات الغربية فى برلين لتكون «برلين الغربية» .. وبات القطاع السوفييتى منها يعرف ب « برلين الشرقية » .

وبرلين الغربية لا تحكمها الحكومة الاتحادية الالمانية ، كما أن تطبيق الدستور الاتحادى الألمانى فيها لا يزال خاضعا لبعض القيود ، وذلك بناء على الاتفاقات الرباعية التى عقدت بين دول الاحتلال الاربع ، فى عامى ١٩٤٤ و ١٩٤٥ . بينما تتبع برلين الشرقية الحكومة الديمقراطية الالمانية.

وراثة العرش فى الاسلام

● من هو أول من جعل ولاية العرش فى الاسلام وراثية بعد أن كانت بالمبايعة والانتخاب ؟

حسين جمال الدين كراتشي

ــ بعد أن تولى معاوية بن ابي سفيان الخلافة عام ٦٦٠م نتيجة لما وقع فى صفوف المسلمين من فتن دامية ، رأى أن يحصر الخلافة فى اسرته فغير طريقة اختيار الخليفة وأمر بان تكون بالوراثة بعد ان كانت بالانتخاب واجماع المسلمين وجعل ولاية العهد لابنة يزيد ليخلفه على العرش، فكان معاوية اول من غير نظام اختيار الخليفة وجعل الخلافة وراثية ، وكان يزيد ابنه اول « ولي عهد » عرفه الاسلام ، واول من ولى الحكم فى الاسلام بالوراثة ، وليكسب ذلك نوعا من الشرعية،اخذ له العهد على وجهاء الامة قبل وفاته.

ردود خاصة

● **الاخوة : ا . زعرور ، من حماه بسوريا ، والسيد ل.ع. من حلب بسوريا ، و « المعذب » ق.ح.ى. من الكويت ، و « المنتظر » من غزة بفلسطين ، والسيد : ج . ع . خ . من قطر .**

ـ مشكلتكم واحدة ... ويعانى منها الكثير من الشبان فى فترة القلق من حياتهم ، ولا يذهب بها وينسيكم اياها سوى الاستقرار .. الاستقرار من كافة النواحي .

● **الآنسة هدى محمد السعيد : الخبر ـ السعودية .**

ـ هونى عليك ولا تجزعى كل هذا الجزع . كثيرون وكثيرات فقدوا احدى عيونهم فاستعاضوا منها بعين صناعية ، لا تختلف عن العين الطبيعية فى شىء ، الا النظر طبعا ، ولا يستطيع أن يتبينها الا الخبراء .

● **يوسف محمد قاسم ـ العراق**

ـ الزوج مسئول أمام الله عن تصرفات زوجته التى يعلم بها ، فاذا ما خرجت مكشوفة الصدر أو الظهر ، ورضى عن ذلك ، كان عنه مسؤولا .

● **القارىء سعيد عبد الله باعبد الحق باوزير ـ مكة المكرمة**

● **القارىء عبد الحميد جبر السلوادى ـ الكويت**

نرحب بأى انتاج يصلنا ، فالباب مفتوح للجميع ، ثم لا ينشر الا الجيد .

● **شفيق عبد الجبار أبو السعود : عمان ـ الاردن .**

ـ اذا صح أن الدواءالذى لديك يشفى من مرض السكر نهائيا كما تقول ـ وهذا ما نشك فيه كثيرا ـ فلماذا لاتعرضه على الهيئات الطبية والصحية ، المحلية أو العالمية ؟!

العدد القادم

عدد ممتاز

من تنكر لماضيه .. تنكر له حاضره

بقية المنشور على صفحة ١٤٣

ولا شِركٌ او شُبْهة شِرك بالاله الواحد القهار ..

اما بكاؤك على هذه الملايين التى تزعم انها ذاهبة فى التراب، فكم كنت أود ان تقرأ النداء الذى وجهه رئيس هيئة « اليونسكو » الى شعوب العالم يدعوها الى المساهمة فى انقاذ تلك الآثار ويقول فيه :

« ليس ثمة غرض نبيل يستحق استجابة اكثر نبلاءمما أرى فى مشروع انقاذ آثار أبى سنبل .. انى أدعو الحكومات والهيئات والناس الشرفاء فى كل العالم الى الاسهام فى مشروع ليس له ضريب فى التاريخ .. فلتتحد شعوب العالم من أجل تأكيد أن النيل الذى كان دائما وسيصبح بعد انشاء السد العالى مصدرا للخير العميم ، لن يتحول الى مقبرة تدفن تحت مياهها **أعز ما خلف لنا الانسان القديم من آيات الحضارة »** .

نعم : « أعز ما خلف لنا الانسان القديم من آيات الحضارة » .. **والدليل على ذلك ان لجنة الشرف التى تالفت للدعوة لجمع التبرعات شكلت برئاسة ملك السويد ، وعضوية ملكتى اليونان وبلجيكا ، وولىّ عهد أثيوبيا ، وشقيق امبراطور اليابان ، ورئيس جمهورية ايطاليا السابق ، ونائب رئيس جمهورية الهند ، عدا لفيفا كبيرا من الأمراء والوزراء وكبار العلماء الفرنسيين والانجليز والالمان ، تطوعوا جميعا للدعوة الى انقاذ هذا التراث الذى تحدر الينا من فجر الحضارة وظل شامخا ينطق بعظمة مُبْدِعيه رغم مرور الاف السنين ..**

لو أنك عرفت هذا كله او بعضه ، لما خطر لك أن تندد بهذا العمل الجليل باسم الدين ، ولوفرتَ ما تذرفه على نفقاته « الضائعة ! » من دموعك الغاليات ..



قصة للكاتب الهندى "امارا كانث"

رَحْمَةُ اللَّه

■ تألقت الزهور الحمراء على الشجرة الكبيرة فى فناء البيت الجديد الذى احيط بسور من الحجر .. ودفع السيد «راى» الباب الخشبى ، ثم اجتاز الفناء الى الشرفة ، وهو فى زى أنيق من ازياء سادة الريف ، وقد امسك بعصا فى يده .. وكانت عروق يده بارزة ، وخداه غائرين ، فبدا وجهه كثمرة من ثمار البطاطس تعرضت للشئ على النار ، ثم تركت زمنا مهملة فتقلصت.

وإذ لم يجد أحدا في الشرفة ، وقف بجوار الباب الداخلي وراح ينادي : « بابو هريدي نارين ! .. أيها السيد المراقب ! » .

وسرعان ما برز رجل أسمر البشرة ، أعجف الجسم ، أصلع الرأس ، في قميص يعلوه وشاح خفيف. وإذا بوجه الزائر يشرق باغتباط ودهشة. « أما عرفتني ! » .. **ولم يجب « نارين » ، بل ظل يتفرس في وجه القادم ، الذي ما لبث أن قال:**

ـ ألم تكن تطلب العلم في المدرسة الحكومية بالمنطقة ! .. أتراك نسيتني ! .. ان اسمي نافال كيشور راي ..

وفي اللحظة التالية ، كان زميلا الدراسة في عناق حار.. وما لبثا أن جلسا يتناولان الفطور في الشرفة ، وهما لا يكفان عن الحديث ، مبتدئين بطريف الذكريات عن المدرسة ، منتقلين منها الى الحديث عن الزمن ، والانسان ، حتى انتهيا الى الحديث عن الله وأحكامه.. فقال السيد «راي» بعد أن أرسل بصره في الفضاء لحظة أو اثنتين :

ـ ان المرأة غواية يا أخي.. انها تؤوي الشيطان بين جوانحها ، وهو الذي يغري ويضل المرء ويستدرجه الى طريق الجحيم .. ولكني آمنت يا أخي بأنه ما من شيء يقف في طريق ارادة الله القدير .. فالغلبة لارادته . واذا نسرق ونتهيب وتفسق ونرتكب الآثام ، فما ذلك الا بارادة الله، وعندما يشملنا برحمته ، نكف عن الاثم في لحظات» .

فقال هريدي نارين بصوت متهدج : « ان الله كريم .. ونحن بدون عفوه أزرى من الحشرات».

فقال السيد راي: « بل نحن تفاهات.. لاشيء. انني أدرى الناس بنفسي فما كان ثمة كذاب ولا مخادع يفوقني . ومع ذلك ، فقد أكرمني الله وقربني اليه » .

وسكت السيد راي لحظات ، ثم استأنف يقول :

ـ اشترى والدي ـ قبيل وفاته ـ ضيعة في بيهار ، الى جانب ما كان لنا من أملاك . وقد وجدت نفسي ـ بعد موته ـ مثقلا بكافة أعباء الأسرة .. ولعلك تذكر كيف كنت في صباي موفور الصحة ، قويا ، عنيدا ، سريع الغضب . فكنت اذا وقفت أمام دارنا بدوت وكأنني أقف أمام قلعة ، فكان القوم يخشونني وكنت احتقرهم ، وأجد ملهاة ممتعة في أن أضرب مستأجري أرضي ، وأسخر منهم ، وأقسو عليهم .. كنت استمرىء سلطاني ونفوذي الى أبعد الحدود ..

وخفض السيد « راي » صوته ، وهو يستطرد قائلا :

ـ أتذكر ما قلت لك عن الشيطان .. لست أدري ما الذي دهاني . كان الجنون يغشاني كلما وقع بصري على فتاة .. وبيهار مرتع للنزوات ، فان أهلها مدقعو الفقر ، متأخرون .. لذلك كنت أقضي فيها ثمانية أشهر من العام أو تسعة ، كلها حافلة باللهو .. كنت في عنفوان شبابي ، وفي أوج غناي ونفوذي .. ولكني ـ حين بلغت الثانية والاربعين ـ وقعت في شرك الشيطان كما لم أقع يوما . أفتعرف من التي أغوتني ! .. فتاة لم تكد تبلغ الخامسة عشرة أو السادسة عشرة ، من أبناء الفلاحين .. كنت قد ذهبت الى «بيهار» في موسم الحصاد . وكانت داري تتوسط بستانا صغيرا في شمال القرية ، لا يليها سوى محلة اللبانين .. وكانت الفتاة تنتمي الى هذه المحلة . فبينما كنت أمشي في بستاني بعد الغداء ـ ذات يوم ـ أبصرت بالفتاة تجمع مع اثنتين من لداتها ثمار « المانجو » التي لم يكتمل نضجها ، وما أن رأينني حتى بادرن الى الفرار . ولكن هذه الفتاة بالذات ، ما لبثت أن عادت فالتقطت سلة كانت تجمع فيها الثمار ، وهي ترمقني بعينين مفعمتين بالتوجس ، كعيني طائر يتطلع الى الصياد قبل أن يلتقط الحب المنثور لاستدراجه . واستجمعت جراتها أخيرا ، فحملت السلة ، وتراجعت ، ثم انصرفت ، وأنا جامد في مكاني كالمسحور ... ووجدتني أسائل نفسي :

« كيف قدر لفتاة في هذه البيئة أن تنمو كالزهرة اليانعة ! » .

وشرد خاطر السيد « راي » لحظة ، ثم قال وكأن السؤال لا يزال يحيّره : « لم يكن بها أي عيب .. كانت كالذهب الخالص من كل الشوائب! .. فتاة ناهد ، ملفوفة القوام ، ذات عينين واسعتين مفعمتين بالفتنة ، وفم صغير .. وكانت ساذجة جدا ، غريرة .. » .

وكانت الشمس قد انحدرت للمغيب ، وخالطت الهواء غشاوة من دخان وتراب .. وعاد السيد « راي » يستأنف حديثه :

ـ وجافاني النوم بعد ذلك أيها الأخ هريدي نارين .. كنت رجلا محنكا ، ولكني لم أشعر قط

بمثل السحار الذى تملكنى للظفر بهذه الفتاة . وكان ابوها من مستأجرى ارضى .. مجرد فلاح عادي ، يحرث رقعته ، ويمارس بجانب ذلك ما يصادفه من اعمال لزيادة دخله . ولقد صادفت الفتاة ــ بعد ذلك ــ مرة أو مرتين ، وما من أحد معنا ، فكنت كلما حاولت الاقتراب منها لاذت بالفرار .. واخيرا ، لم أجد من حيلة سوى أن اغرى أربعة او خمسة من رجالى بالتربص لأبيها فى ليلة حالكة الظلام ، لينهالوا عليه ضربا ..

ــ لينهالوا عليه ضربا ؟ .. ولماذا ؟

ــ الا تعرف ! .. انها حيلة متبعة فى القرى .. فاذا راقت لاحد أصحاب الارض زوجة فلاح او ابنته ، راح يضيق على الرجل الخناق ، وأوسعه تعسفا وعنتا . فاذا لم يصل الى غايته بذلك ، سلط عليه من يضربه ، اذ أن هذا يفتح الطريق أمامه .. ولقد أصيب والد الفتاة بأذى مبرح من ذلك الضرب ، وعند ذلك ظهرت بمظهر الكريم البار فمنحته نقودا للعلاج ، وارسلت الى داره بعض الغلال . وكانت زوجته قد توفيت وتركت له الفتاة وطفلين صغيرين . فعمدت الى زيارته فى داره ، ومن ثم غدوت فى بصره منقذا ، ورفعنى فى اعتباره الى مصاف الالهة . وما لبثت أن اقنعته بارسال « انجوريا » ــ وهذا اسم ابنته ــ لقطع الاعشاب من بستانى ..

وهنا تساءل هريدى نارين فى غير احتفال : « ومن ثم بدأت الفتاة تتردد على دارك ؟ » .

فقال السيد راى : « وهل كان أمامها غير ذلك؟ وبدأت تعمل .. ولم اكن غبيا ، فكم من طائر صدت فى حياتى ، مما علمنى أن التعجل قد يفسد الامور . لذلك اكتفيت بتدبير المصادفات لالتقى بالفتاة ، فأسألها عن صحة أبيها ، وانفحها بعض النقود .. وكانت ساذجة ، فلم تكن تنبس ببنت شفة ، وانما كانت تحملق فىّ صامتة . على أنها لم تلبث أن بدأت تفهم امرى .. » .

وتفرس السيد « راى » فى عينى صاحبه ، كأنه يسبر غوره ليعرف وقع القصة من نفسه ، ثم تابع الرواية :

ــ وفى ذات يوم ، والقيظ الحارق قد ألزم الناس بيوتهم ، أوصدت باب الدار من الداخل بالمزلاج ، أثناء وجود الفتاة .. فاذا الشحوب يستبد بوجهها ، واذا هى توشك أن تنفجر باكية ، وقد راحت تتوسل أن أتركها تنصرف .. وكنت كمن تجرى فى عروقه نار بدلا من الدم .. ورحت أحاول اقناعها بالرضى ، وأقسم لها على صدق حبى ، حتى أننى كنت على استعداد لان اضحى بأملاكى ، بل بحياتى من أجلها .. وركعت أمامها ، ومسست قدميها .. وما كان قد سبق لى أن اذللت نفسى لانثى ، ولكنى لم اكن ادرى ما أصابنى .. اما هى فلم تكف عن البكاء والنحيب ..

★ ★ ★

وكان الظلام قد هبط فى تلك الاثناء .. وتغيرت لهجة السيد « راى » وهو يستطرد قائلا :

ــ والآن ، انظر ما حدث بعد ذلك .. أخذت الفتاة تأتينى كل يوم . وكانت فى البداية حزينة مقهورة . اما انا ، فكنت كالمأخوذ .. وبدا لى أننى لم أعشق فى طيلة عمرى فتاة مثلها .. كنت اقضى الساعات امسح على شعرها ، واكرر القسم على صدق حبى .. بل اننى كنت انكب على قدميها أحيانا ــ كالمجنون ــ فاغرقهما بالقبلات.. وكانت تتولانى رغبة طاغية فى أن لا اغيبها عن عينى .. ورحت أغدق عليها الحلوى ، والنقود ، والاقمشة الجميلة ، والصابون ، والعطور .. فما لبثت أن آنست الىّ شيئا فشيئا ، ثم اطمأنت .. ثم اذا بالفتاة التى كانت منذ أيام ساذجة ، تعمد الى الدلال ، والمعابثة ، والمداعبة .. فكانت تفلت من أحضانى فجأة وتجرى كالطفل .. على أن هذا املاه الغريزة ، فقد ظلت فى الواقع بسيطة التفكير ، ساذجة القلب .. وكانت لاتحجم عن تلبيتى اينما شئت ، ومتى أردت .. ولم يكن لغبطتها حد .. بل انها صارحتنى بأنها لم تعرف الهناء الا فى دارى .. وكنت اذا غبت عن القرية اياما فى بعض الأمور ، وجدتها ، ــ عند عودتى ــ باكية ، قلقة ، مهمومة ، فالواقع أنها أحبتنى بكل كيانها ، ولم تعد تحجم عن أن تضحى بحياتها لو أننى طلبت ذلك .. وانقضت ثلاث سنوات على هذه الحال ، غرقت خلالها فى حب الفتاة ، فلم اعد أحفل بأسرتى واولادى .. وكنت أعرف أن أهل القرية ــ بل مستأجرى ارضى ــ قد أخذوا يتهامسون ، ولكنهم كانوا يخافوننى ..

وصمت السيد « راى » لحظة ، ثم واصل الحديث :

ـ عرفت كيف أسد فم أبيها بالنقود .. كما أن « انجوريا » لم تكن لتحفل بمخلوق سواى ... كانت قد تزوجت فى صغرها ـ على عادة القوم ـ وما زال زوجها صبيا ، ولكنها لم تعد تأبه له ، وكفت عن زيارة أهله .. ثم انها أخذت تتفتح كالوردة .. وهكذا كانت السنوات الثلاث أشبه بالحلم .

★ ★ ★

ونظر السيد «راى» الى صديقه لحظات ، ثم مضى يتابع قصته :

ـ وفى ذات يوم جاءتنى حزينة ، وقالت انها لم تعد راغبة فى البقاء فى القرية ، اذ بدأ الناس يتقولون عليها ، ويشيحون عنها .. وقالت : « خذنى الى كاشى ، واستأجر لى بيتا هناك ».. وأذهلتنى كلماتها ، بل أفزعتنى . وأكدت لها أن أحدا لن يجسر على الاساءة اليها ما دمت حيا ، وأن ما عليها سوى أن تذكر لى أسماء من ينالون منها فأؤدبهم . ولكنها انخرطت فى البكاء ..وبعد أيام ، عرضت على أن استبقيها فى بيتى خليلة ، فما كانت لتنشد من دنياها سوى أن تعيش بقربى. ومرة أخرى ، دهشت لأمرها ، وساءلت نفسى عن حقيقة مبتغاها. وظللت ـ بعد انصرافها ـ مشغول البال ، وقضيت ليلى مسهدا . وكأن الرغبة التى تولتها قد أيقظت شيئا فى نفسى .. لينبهنى الى التغيير الذى اعترانى . وشيئا فشيئا ، بدا ذهنى يصفو ويستجلى حقيقة الحال .. وهتف بى صوت من أعماقى : « انك فى قبضة الشيطان ، وها هو الشيطان يريد أن يدمر سمعتك ،ومكانتك، وحياتك العائلية ، ويقضى عليك قضاء مبرما ».. وتبينت أن هذا هو الحق . فقد استطاعت الفتاة بما أبدته من حب لى ؛ أن تشل عقلى ، وأن تحملنى على أن أبدد مالى ذات اليمين وذات الشمال .. ووجدتنى أتقلب على نيران الندم ، وأبكى ..

واشرق وجه هريدى نارين ، وهو يقول : «هذه رحمة الله ! »» .

ـ ومَنْ غير الله كان قادرا على أن يرحمنى ؟ .. لقد أسقفت فى خستى وضاعتى ، ولكن الله شاء بكرمه أن تتلاشى كل خسة وضاعة ، وأن يتطهر قلبى تماما ، وأن تتولانى الرغبة الصادقة فى أن اتخلص من الفتاة .. ولكننى لم أجد من نفسى القوة على أن أصارحها .. وفى ذات يوم ، قلت لنفسى اننى ما زلت فى قبضة الشر ، وما من خلاص الا بأن أهجر المكان نهائيا .. أرأيت ؟ .. كان الله يهدينى ويقودنى .. ومن ثم ، غادرت المكان ذات يوم ، ولم أعد اليه اطلاقا . بل أصبحت أعهد الى أخى وأولادى بما قد يحتاج من أمور الى تصريف فى تلك الضيعة .

★ ★ ★

وامسك السيد « راى » عن الحديث ليسترد أنفاسه اللاهثة ، وكأنه كان يجرى شوطا طويلا ، ثم أرسل زفرة ، وقال :

لقد تغيرت حياتى من ذلك الحين ، اذ وقفتها على التعبد .. وقفتها لله وحده ! ..

واومضت عيناه وهو يستطرد :

ـ وكان الله كريما معى .. فبعد مغادرتى بيهار ، صدر قانون تحديد الملكية الزراعية هناك، فبذلت الجهود ، وانفقت المال فى سبيل الاحتفاظ بنصف ما كان لى من أرض هناك ، أفما كان من المحتمل أن أفقد الأرض كلها لولا كرم الله ؟ .. بل ان كرمه تجاوز كل حد .. كان أخى الأصغر يوشك أن يتردى فى الفساد ـ أثناء انصراف عن رعايته ـ فاستطعت أن أدفعه الى العمل ،وأصبح يكسب الآلاف .. كما أصبح ابنى الأكبر يمارس المحاماة فى بنارس. ولا أزال أملك طاحونا للدقيق ومعملا للسكر . وفى العام الماضى انتخبت رئيسا لمجلس قريتى الأصلية ، فالحق أن نفوذى لم يتضاءل أو ينقص . فلمن الفضل فى هذا سوى الله .. والله وحده » .

وصمت لحظة ، ثم قال :

ـ المال ، والبنون ، والسمعة قد توفرت لى ..

ولكن أصارحك بأن قلبى غير متعلق بها ... فليست لحياتنا هذه قيمة ...

وامسك عن الكلام ، وسرّح نظرات شاردة فى الفضاء .. وفى غمرة الظلام كانت الزهور الحمراء على الشجر تبتسم ! ■■

ترجمة : محمد بدر الدين خليل

(بقية المنشور على صفحة ٧)

الكويت فى ايطاليا !

● من بلدة بيروجيه بايطاليا احييكم اجمل تحية ، واكتب اليكم ..

امامي المجلة الايطالية المشهورة : « الجورنو موتورى » واستطلاعها الرائع المشرف عن وطنى الأم : الكويت ! .. ذاك الاستطلاع الذى دفعني صدقه لان اقرأه بحماس وفخر امام جمع من اصدقائي الايطاليين. ولكم هو جميل أن يرى الانسان فى بلاد الغربة ، كلمة حق مشرفة تنشر عن موطنه وارضه التي انبتته وغذته من خيراتها وبركاتها !

فتحية ملؤها الشوق والاكبار للكويت .. لبلدى الناهض المعطاء .. لأمير دولتنا العظيم الشيخ الجليل عبد الله السالم الصباح امد الله فى عمره وحفظه ذخرا وملاذا للعروبة .

ابو وائل
بيروجيه ـ ايطاليا

متى نرى اسطولا عربيا من ناقلات النفط ؟؟

● لقد كان للموضوع القيم عن ناقلات النفط الكويتى ، فى العدد ٦٩ من « العربى » ، أثر بالغ فى نفسي وفى نفوس جميع القراء .. لما حمله فى تضاعيفه من حقائق يجهلها اكثر العرب مع الأسف ، حقائق تهيب بنا جميعا ان تسعى بخطى حثيثة نحو انشاء اسطول عربي كبير لنقل البترول ، يدر علينا حتما المال الوفير ، ويؤمن لنا كثيرا من الكفاية الذاتية ، ويكون سندا ـ لا منافسا ـ لأسطول الكويت .....

قاسم الخطيب ـ دمشق

حضارات سادت .. ثم بادت (بقية المنشور على صفحة ٢)

الصورة المنشورة على صفحة ٢ تبين منظرا للصيادين الاغريق على ضفاف خليج « كورنثة » ، بالقرب من جبل « هليكون » ، وقد ظهرت فيها احدى سفن الصيد وهى راسية عند الشاطىء ، وبدأ الرجال فى تفريغ حمولتها : انها سلال معبأة بسمك الرنجة والتونة وقد تهيأت لتنقل الى سوق السمك بالمدينة ، وهو يبعد ميلين من الشاطىء .

ونرى فى الصورة شيخا يساوم بائعا على شراء احدى السمكات الكبيرة وقد بدا عليه اعتقاد ، كان سائدا فى ذلك العصر ، ان صيادى السمك واللصوص شيء سواء .

كذلك بدا فى الطرف الايسر ، فوق احدى الصخور ، صبى صغير يصيد السمك بقصبته والصنارة ، وبجانبه سلة مغمورة تقريبا فى الماء يضع فيها صيده من السمك حتى يبقى حيا لحين عودته الى منزله .

وظهرت خلف الصياد الصغير سفينة حربية تملأ قلعها الريح ، وهى صورة صادقة لسفن القرن السادس .

ثم انظر البومة الصغيرة التى على الشجرة ، تلك التى ركع عند جذعها احد الرجال واشتغل بتنظيف سمكاته الطازجة . ان البومة ظهرت نهارا ، وهذا جاز احيانا ، على ان عادة البوم المعروفة هى البقاء فى اوكاره اغلب النهار ، ثم الخروج منها فى غبش المساء .

كذلك اتضحت من الصورة عادة تلك العصور ،

وهي أن يخرج رب البيت نفسه لشراء ما يلزم اسرته ، ويعهد به لاحد عبيده يتبعه به .

ان بين الأساطير الشعرية الاغريقية القديمة قصة لطيفة تحكي عن السمك. كان المعتاد عندهم، اذا ما وصل السمك الطازج الى السوق ، ان يدقوا جرسا يعلن البشرى ، فيتسابق القوم لانتقاء أحسن انواعه .

وذات يوم كان القوم يستمعون الى شاعر يروى قصة على القيثارة وكان بينهم رجل اصم . فلما دق الناقوس اسرع الجميع الى السمك ، وانفضوا عن الشاعر ، عدا الرجل الاصم ، فانه لزم مكانه . فشكر الشاعر الرجل الاصم على حسن مجاملته ، لان الجميع قاموا عندما دق الجرس ، وبقى هو يستمع .

فصاح الرجل الأصم : وهل دق الجرس حقا ؟ قال الشاعر : نعم . فما سمع الاصم هذا حتى طار الى السوق مخلفا وراءه الشاعر وقيثارته .

■■

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....

....

العنوان: ....

....

....



تويوتا ٧٠٠

تكفل لك توفير اموالك !

فهى تستهلك غالونا واحدا من البترول فى كل ٥٥ ميلا سواء فى الداخل او على الطرق الخارجية .

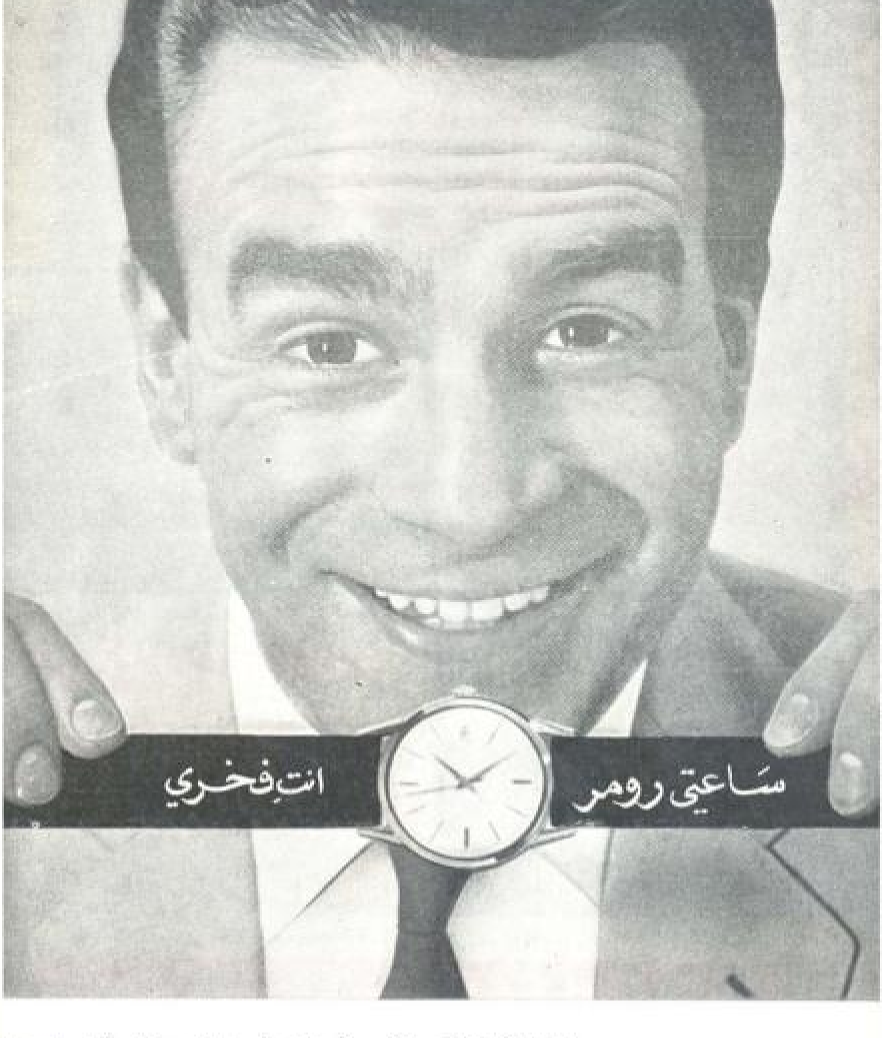
وقد صممت لتعيش سنوات وسنوات ، فهى اذن ادخار ابدى ، حتى لو استعملتها فى المسالك الوعرة .

وعلاوة على ذلك فان « تويوتا ٧٠٠ » فيها متسع اضافى لاربعة اطفال . ومكان رحب للمفتش . وهى خلافا لما يتعرض له غيرها من السيارات الصغيرة ، لا تتأثر مطلقا بالرياح المعاكسة لاتجاهها ، ورزينة فى سيرها السريع.

من اليوم .... استعرض « تويوتا ٧٠٠ » ولا تترك المعرض الا وانت تقودها . ثم لاحظ توفير اموالك بسببها .

"BUILT TOUGH FOR YOU"

TOYOTA MOTOR, JAPAN



انها ساعة - ينعكس فيها الذوق الرفيع وتظهر شخصية حاملها
انها الساعة الشهيرة الاسم والسمعة التي اجمع العالم بأسره على تقديرها
ساعة رومر وحدها تجمع الصفات التالية : جودة متناهية
الحد - طراز كامل - فيها جميع الفوائد العملية (مضمونة ١٠٠٪ من تأثير
الماء، تدور من تلقائها . فيها منبه ومنامة الخ..) اسعارها مغرية جداً .

ROAMER
انتاج سويسرا

زيني معصمك بساعة رومر



إقبال متزايد

على فتح حسابات الودائع بفائدة ٥٪

ان نقودك تحظى باقصى معدل للفائدة مأمون ومضمون – وهو ٥٪ – حين تودعها فى « حساب الودائع » ببنك « لومبارد » . فلن تخصم منها اية ضريبة على الدخل مقررة فى المملكة المتحدة ، ولن تتأثر نقودك اطلاقا بالاحوال الاقتصادية المتغيرة ، كما ان من السهل سحب أى مبلغ تشاء منها ، وفقا للشروط التى تعينتها .

ولا بد – لكى تربح ٥٪ سنويا – من أن يكون الحد الادنى لما تودعه ١٠٠ جنيه استرلينى ، وأن يكون الحد الادنى بين الايداع والاخطار بالسحب ستة اشهر . ويدعم ودائعك فى مؤسسة « لومبارد » المصرفيـة رأس مال مدفوع واحتياطيات تتجاوز ١٢ مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

بادر الى الكتابة الى المدير العام فى طلب مزيد من التفصيلات ، وفى طلب نسخة من كتيب « حساب الايداع » رقم : A. O. 182

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office:

LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, PARK LANE,
LONDON, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)


المفاجأة
السارة !
WEST END
WATCHES
وست اند
الوكيل العام بالشرق الأوسط
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة تلفون ٣٣٧٧٠ - ٣٢٢٤٩ - ص.ب ٣٣٤ - الكويت



فن التجميل

عندما تختارين مستحضرات اليزابيث آردن للتجميل ، فانك بذلك تحصلين على ماهو اكثر من زيادة جمالك . فانت أيضا تكتسبين العناية الفائقة بجلدك .

أختارى «اليزابيث آردن» لجمالك اليوم ،وعلى الدوام .

فيلفا مويستشر فلم — فيلد ريديانس

انفزبل فيل باودر — روج ـ لبستك

Velva Moisture Film • Veiled Radiance • Invisible Veil Powder Rouge • Lipsticks



Elizabeth Arden

اليزابيث آردن

NEW YORK · LONDON · PARIS

باريس لندن نيويورك

ساعات

فافر - لوبا



الوكلاء العامون

العراق

عبد الجبار لطيف الساعاتي
شارع الرشيد - بغداد

البحرين

يوسف أحمد الساعي وشركاه
شارع باريث - ص.ب ٢١٨

الكويت

اهتدى هذان الزوجان الى الهدية المثالية للمرأة وللرجل .. انها ساعة تحمل ماركة « فافر - لوبا » ، . ففي المجموعة الهائلة من « الموديلات » التي تتضمنها مجموعة ساعات « فافر - لوبا »، تجد الهدية النموذجية لك ولكل شخص .. ففيها يتمثل الشكل الحديث، والابتكار الاصيل، وضمان الدقة.. ذلك لأن « فافر - لوبا » تولتها - منذ سنة ١٧٣٧ - ثمانية أجيال من الأخصائيين في الساعات، ابنا عن اب..

ساعة « فافر - لوبا ٥٧.٥٧ » - من الذهب المطلق والذهب اللامع - و «فافر - لوبا ٨١.٢٢» لا ينفذ اليها الماء . لها ترس اضافى لعقرب مركزى للثواني، من الذهب القشرة ، او الفولاذ .

محمد عبد الله الشهاب

شارع عبد الله السالم (الجديد سابقا)
ص . ب ٢٣٨ - تلفون ٢٢٣٢٢
فرع : شارع فهد السالم - تلفون ٢٥٣٤١

اسبيرين

في ٣



أشكال مختلفة كلّ منها
ذو مفعول ثلاثي

1. اسبيرين قرص كبير (٠،٥ غرام) أنبوب ٢٠ حبة بعلبته التقليدية. (الذي يصفه الأطباء عادة)
2. اسبيرين قرص اعتيادي (٠،٣ غرام) ٥ غلافات خضراء كل منها ٦ أقراص ضمن علبة خضراء.
3. اسبيرين الأطفال قرص صغير (٠،١ غرام) ٥ غلافات بيضاء في كل منها ٦ أقراص زهرية اللون ضمن علبة خضراء. محضرينة تلائم أعمار الأطفال. محلى بطعم الفريز اللذيذ ليتقبلوه بسهولة منذ أبا أو ممضوغا

أسبيرين

في كل من أشكاله الثلاثة يحتفظ بمفعوله الثلاثي المعروف فهو:

١- يزيل الآلام
٢- يخفض الحرارة
٣- يعيد النشاط والعافية

BAYER

أسبيرين لا يضر القلب ولا يؤثر في المعدة

عش سعيدًا بدون ألم وبتناول أسبيرين



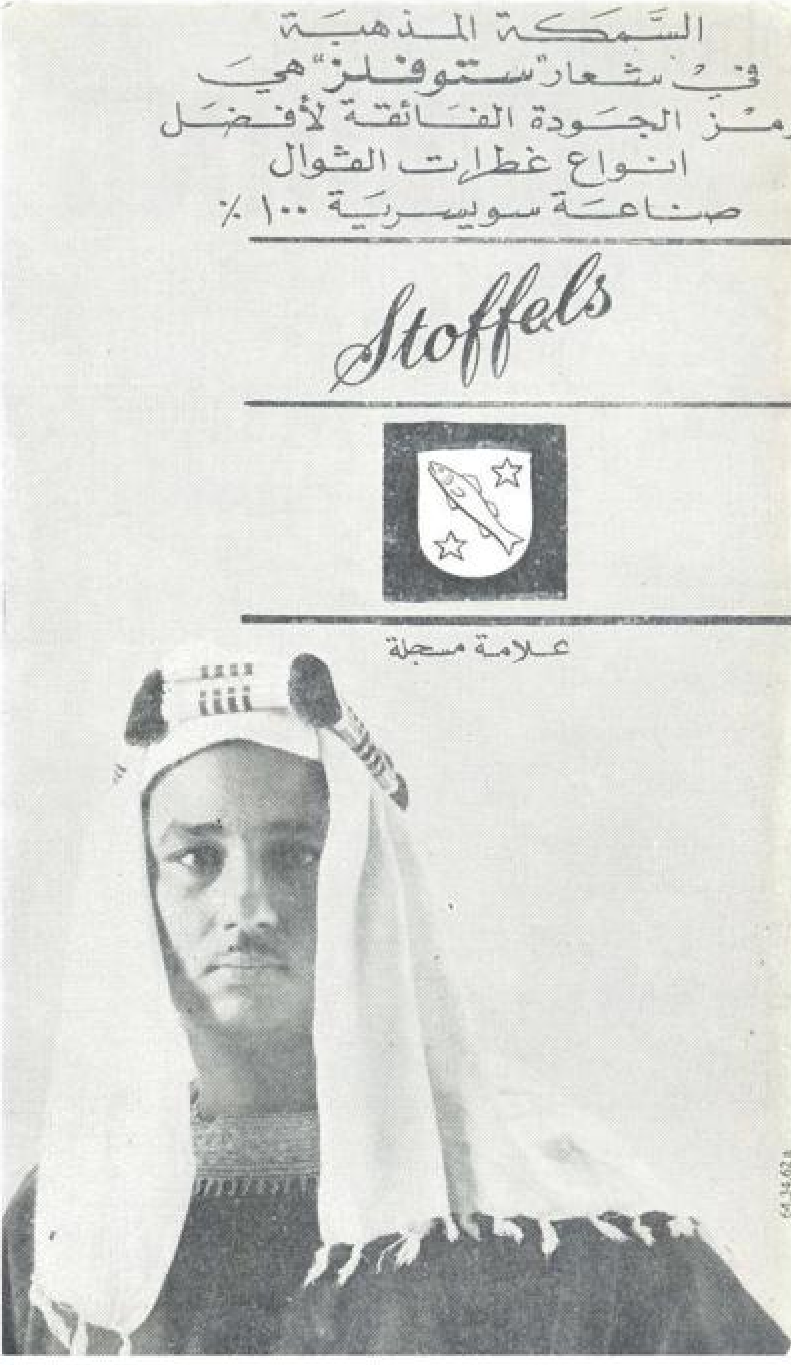
"ايدوكس
دياماتيك"
ابتكرت خصيصا لك!
EDOX
SWISS
PRECISION
"ايدوكس"
صناعة سويسرية
EDOX
DiaMatic
26
وكلاء المبيع والصيانة
في البلاد التالية :
لبنان : ج. ج. كلندجي – ص ب ٥٠٦٩ – بيروت
سوريا : ج. ج. كلندجي – ص ب ٦٤٤ – حلب .
الاردن : احمد رشدي – شارع الملك عبد الله (١٠١) – اربد .
العراق : نقولا الحواني – شارع الرشيد – ١٠١ / ٤٢ بغداد .
الكويت : خليفة عبد الله الشهاب – الشارع الجديد – الكويت .
الخليج العربي : مخازن العلم الاخضر – الخبر .
الصالون الاخضر – ص ب (٢٩٨) – المنامة – البحرين .
ماندليا الحواني – مسقط .
المملكة العربية السعودية : مؤسسة ساعات الصفا – ص ب (٢١٧) جدة .
عدن : الشركة يونيفرسال للساعات – ص ب (١٠٤٥) عدن المعسكر .
السودان : بازار بومباي – ص ب (١٥١) – الخرطوم .
شركة ((ايرا)) ليمتد للساعات
بيين – سويسرا
ERA WATCH CO LTD
BIENNE | SWITZERLAND

BRITAIN'S LEADING EXPORT CIGARETTE



تزيد صادرات بريطانيا من
سجاير روثمان كنج سايز
على صادراتها من أي نوع
آخر من السجاير.
أينما تذهب تجد روثمان:
في ١٢٠ قطرًا في خمس قارات
على ظهر البواخر في البحار السبع
في أكثر من ٩٠ خطًا جويًا رئيسيًا.
شارك الملايين في الاستمتاع بتدخين
روثمان كنج سايز
الأولى في بريطانيا- الأولى في العالم.

WORLD'S LARGEST SELLING KING SIZE VIRGINIA


السمكة المذهبة
في شعار "ستوفلز" هي
رمز الجودة الفائقة لأفضل
انواع غطارت الثوال
صناعة سويسرية ١٠٠ ٪
Stoffels
علامة مسجلة


صداع، أوجاع وآلام،
حمى، رشح وانفلونزا؟
'أسبرو' يعيد لك الصحة...
لأن
'أسبرو'
يجلب لك
كل راحة
إذا أصبت بألم فلا يكفي أن تخففه
قليلاً، بل إنك تحتاج إلى الراحة
التامة التي يحققها لك 'أسبرو'.
تذكر أن 'أسبرو' هو الدواء الذي
يستعمله أكبر عدد من الناس في
العالم كله، أكثر من أي دواء آخر
لإزالة الألم وتخفيض الحمى. اجعل
'أسبرو' في متناول يدك على الدوام.
١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصر أجل الرشح
K/5/AA
'أسبرو' يجلب لك كل راحة!



الرجل العصري في خلوة مريحة بمطعم "جران ڤيفور" في باريس

ڤايسروي
سيجارة الرجل العصري!

الرجل العصري في خلوة مريحة بمطعمه المفضل في باريس. إنه يقدم صديقته لملاذ وجبة فرنسية وتدخين ڤايسروي. وهو يتساءل عما إذا استطاع أن يقنع طباخه بإعداد مثل هذه الوجبة في منزله الخاص ☐ من بين الأنواع العديدة التي تفيض بها الأسواق، يختار الرجل العصري سيكارة ڤايسروي، سيكارة الذوق المدقق!



ڤايسروي - السيجارة الأمريكية العالمية



القلم الذي يعمل بالامتصاص

باركر ٦١



أي تذكار لحدث مهم اجمل من هدية
اصبحت رمز الكمال ... باركر ٦١

ان قلم الحبر باركر ٦١ البديع التصميم

والذي لا يجاريه في الأداء اي قلم آخر، هو تعبير عن المحبة للمهدى اليه، ودليل على تقدير الصاحب. انه قلم من نوع جديد تماماً، وهو الذي حقق اكبر تقدم ملموس في عالم الأدوات الكتابية، ذلك انه ليس فيه اجزاء متحركة تتعرض للتلف من جراء الاستعمال. ومع ذلك فان قلم باركر ٦١ يملأ نفسه بنفسه تماماً، على اساس عملية الامتصاص الشعرية تقريباً. فهذه الهدية الوحيدة التي تليق بكل مناسبة، قلم باركر ٦١ النفيس.

يفوق سائر اقلام الحبر باربع نقاط مهمة !

انه لا يتأثر بالصدمات ابداً.
لأن كمية الحبر "المحبوسة" فيه تقاوم الهزات العنيفة

انه لا يرشح مطلقاً.
لأن له خزاناً خاصاً يضبط تدفق الحبر.

انه سهل الاستعمال.
لأنه ليس فيه اجزاء تقتضي معالجتها باليدين، وبالتالي تتعرض للتلف من جراء الاستعمال.

انه يملأ نفسه بنفسه.
لأن الحبر ينساب الى خزان قلم باركر ٦١ بالقوة الطبيعية الموثوقة، اي عملية الامتصاص الشعرية، وذلك بصورة تامة نظيفة، تحول دون تلطيخ اصابع اليدين.

منتوجات شركة اقلام باركر